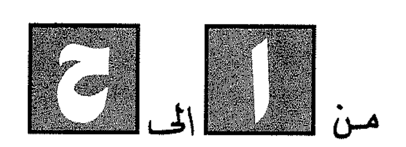


١

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

الموسوعة العسكرية

الجــزء الاول



الموسوعة العسكرية / علوم عسكرية
الهيثم الأيوبي وآخرون / مؤلفون عرب
الطبعة الثانية ، ٢٠٠٣



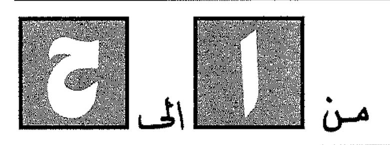
المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب : ٥٤٦٠ ـ ١١ ، العنوان البرقي : موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص. ب :٩١٥٧ ، هاتف : ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس ٥٦٨٥٥٠١
E - mail : mkayyali @ jonet. com
الإشراف الفنّي :
هشام عبد الله ونزيه كركي

رسم الخرائط :
أسامة حديب وكامل اسماعيل
خطوط الخرائط:
جميل نجم حسن وشاهين عبد الخالق
تصميم الغلاف :
حلمي التوني
التنفيذالطباعيّ :
رشاد برس / بيروت ، لبنان

ISBN 9953-36-060-X

الموسوعة العسكرية

الجزء الاول

من 

رئيس التحرير
المقدّم الهيثم الأيوبي

المشتركون في التحرير

العقيد الركن اكرم ديري	العقيد الركن زين مكي
العقيد ياسين سوَيد	المقدم المظلي بسام العسلي
المقدم الركن فؤاد تسابحجي	مَحمود عزمي
هشام عبد الله	الدكتور عادل الزعيم
النقيب محمّد أيوبي	سَلمى سامي حداد
كمال السعدي	هلا صبحي طبّاره
مَحمود عيسى	عَبد القادر يَاسين



مقـــدّمة

الحرب نشاط بشري قديم قدم المجموعات البشرية ، وعمل جماعي عنيف مارسته جميع الجماعات والشعوب عندما كانت حقوقها أو أطماعها تصطدم بحقوق أو أطماع جماعات أو شعوب أخرى ، وستتابع استخدامه رغم ما يحمله من دمار ، طالما أن هناك جماعات وأمم ذات مصالح متباينة ومتناقضة ، وأنظمة عاجزة عن التعايش السلمي . وما الحرب في جوهرها سوى أداة عنيفة من أدوات السياسة ، والسياسة ذاتها وثيقة الصلة بالاقتصاد الذي يتمحور حوله نشاط الأمم وفاعليتها ، ومن هذه العلاقة جاءت أهمية الحرب كظاهرة اجتماعية ملازمة للمجتمعات ، وتستحق الدراسة والتأمل .

وإذا كانت دراسة أسباب اندلاع الحروب تدخل في مجال العلوم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، فان دراسة الحرب نفسها ، كعلم من العلوم الانسانية ، تعتمد على دراسة التاريخ العسكري بخطوطه العريضة ، وحملات القادة العسكريين الكبار ومعاركهم الفاصلة ، كما تعتمد على دراسة أفكار وتصرفات عباقرة القادة العسكريين ، ونظريات المنظّرين الذين ساهموا في وضع أُسس العلم العسكري بمختلف مستوياته ، وتطور الاسلحة والمعدات والتقنيات والقوى المعنوية التي أثرت على الحرب وطبعتها بطابعها عبر العصور .

ورغم التأكيد على أن الحرب عبارة عن علم ، ودراستها على هذا الاساس ، فان التفوق في تطبيق مبادئ الحرب ونظرياتها واساليبها يتطلب الكثير من الابداع والخيال ، ويجعل الحرب تدخل في دائرة الفنون . واذا كانت الحرب نفسها علماً ، بكل ما تحمله كلمة علم من معنى ، فان ممارستها فن رفيع المستوى ، ومن هنا نستطيع القول بأن الحرب علم وفن ، مع تميّزها عن العلوم والفنون الأخرى بأنها تخص الوجود الاجتماعي بأسره ، وتمثل « نزاعاً بين المصالح الكبرى يسويه الدم ، وبهذا وحده تختلف عن النزاعات الاخرى » (كلاوزفيتز) . ويأتي التمايز بين الحرب ومختلف العلوم والفنون الأخرى ، من أن الارادة الكامنة وراء النشاط الحربي لا تطبق على مادة جامدة أو مادة حية بلا إرادة ، ولكنها تطبق على جسم حي ، يمتلك إرادة فاعلة معاكسة قادرة على العمل لاحباط تدابير إرادة الخصم .

وسواء كانت الحرب علماً أم فناً أم علماً يحتاج تطبيقه إلى الفن وومضات العبقرية في لحظات الصفاء الذهني ، فان دراستها أمر ضروري لكل مجتمع مهما كان موقفه العام من الحرب ، لأن هذا الموقف لا يكفي وحده لتحديد ما إذا كان هذا المجتمع سيخوض الحرب أم لا ، ولأن مثل هذا التحديد مرتبط إلى حد بعيد بارادة المجتمعات المتناقضة معه ، والتي تجد في لحظة من اللحظات أن عليها أن تحسم هذا التناقض

بالقوة . وعلى الرغم من أن البشرية تحملت الكثير من ويلات الحرب (كما استفادت منها في مجال تطوير العلوم) ، فان من المتعذر الوقوف من هذا النشاط البشري الرهيب موقف المعارضة بشكل دائم . ولا بد من تحديد طبيعة الحرب واهدافها والفئات المستفيدة منها ، قبل تحديد الموقف من الحرب ذاتها . فان كانت حرباً عدوانية يقودها الاستعماريون بغية تثبيت الاستغلال الاقتصادي أو القهر القومي ، كان من الضروري مجابهتها والنضال ضدها . وان كانت حرباً تحررية ، يقودها الخاضعون للاستغلال الاجتماعي أو القهر القومي ، بغية تحطيم طوق الاستغلال والقهر ، وخلق الظروف الملائمة للتقدم ، اصبح من الضروري دعمها وتأييدها ، بل والمشاركة فيها . واذا كان بوسع الشعوب المتحررة ، التي لا تخضع إلى تهديد لكيانها أو مصالحها ، أن تقف ضد دراسة الحرب والاستعداد لها وشنها ، وأن تعتبر هذا النشاط البشري المدمر نشاطاً غير حضاري ، فان على الشعوب المقهورة الخاضعة للاستغلال ، والمعرضة للعدوان ان تعتبر الاستعداد للحرب (ودراستها جزء من هذا الاستعداد) وشنها ، عملاً حضارياً ينقلها من الاستعباد — وهو حالة غير حضارية — إلى التحرر الذي يفتح السبيل إلى الحضارة . ومن هذا المنطلق فاننا نعتبر اعداد موسوعة عسكرية في الظروف الراهنة التي تجتازها أمتنا العربية مشاركة في الاعداد للحرب التحررية ، وهو بالتالي عملاً حضارياً .

وبالاضافة الى حضارية هذا العمل ، فانه يحمل طابعاً قومياً وحدوياً ، لأنه يقدم إلى الجماهير في كافة أقطار الوطن العربي قاعدة فكرية واحدة ، تصلح لأن تكون منطلقاً لحوار خلاق قادر على الوصول إلى مفاهيم عسكرية موحدة ، الأمر الذي سيعطي المهتمين بالمسائل العسكرية ، على المدى البعيد ، القدرة على التخاطب بلغة متماثلة ، والوقوف على أرضية مشتركة .

ولقد كان وراء هذه الموسوعة عامل ضاغط يتمثل في عدم وجود موسوعة عسكرية بين أيدي القراء العرب التواقين إلى الاطلاع على اكبر قسط من المعلومات العسكرية ، والمضطرين خلال البحث عن هذه المعلومات إلى استقائها من مراجع أجنبية معدّة بشكل يخدم مصالح واضعيها . والحقيقة أن هذا النقص لا يقتصر على الموسوعة العسكرية فحسب ، ولكنه نقص عام في المكتبة العسكرية العربية ، رغم أننا أُمة تواجه التحدي الصهيوني المصيري منذ مطلع هذا القرن ، وتناضل ضد الاستعمار منذ القرن الماضي . ويمكن القول أن الأمة العربية التي شنت عشرات الثورات والانتفاضات المسلحة ، وخاضت حتى اليوم أربع حروب ، لا تملك المكتبة التاريخية العسكرية التي تتناسب مع نضالاتها وتضحياتها ، ولا تملك مكتبة متخصصة بعلم الحرب تتناسب مع ضخامة التحديات التي تجابهها . ولولا حملة التأليف والترجمة التي أعقبت حرب ١٩٦٧ ، والتي كان بعض نتاجها متدنياً إلى درجة مؤسفة — وخاصة في مجال التأليف — لبقيت المكتبة العسكرية العربية مفتقرة إلى الحد الأدنى من الكتب العسكرية الأساسية ، ولبقيت المعلومات عن الحرب وقفاً على بعض العسكريين المحترفين وعدد من المثقفين الذين يتقنون اللغات الأجنبية .

ومن الرغبة في سد جزء من هذا الفراغ في المكتبة العسكرية نبعت فكرة اعداد موسوعة عسكرية ، تقدم للقارىء العربي مجموعة من المعارف العسكرية الضرورية لمعرفة أوليات التاريخ العسكري ، وامتلاك المعلومات التي تساعد على تفهم التطورات العسكرية التي تدور حوله محلياً وعالمياً . وكانت المهمة المطروحة أمامنا كبيرة ، فهي مهمة مؤسسات حكومية ، بكل ما تملكه هذه المؤسسات من إمكانات . ولكن المؤسسة العربية للدراسات والنشر أرادت أن تكون طليعية في هذا المضمار ، فوضعت تحت تصرفنا جميع الامكانات ، وقدّم لنا الكثير

من الأخوة توجيهاتهم وملاحظاتهم ودعمهم المعنوي . وعمل المشتركون في اعداد المواد بنفسية الروّاد ، ليقدموا أول موسوعة عسكرية باللغة العربية ، تثبت ملامح التراث العسكري العربي ، وتفتح نافذة على التراث العسكري العالمي بأبعاده التاريخية والتكتيكية والتكنولوجية .

ولكي تحقق الموسوعة الغرض منها ، وتكون دائرة معارف عسكرية تكاملية ، فقد أضفنا اليها رسوماً وخرائط وصوراً توضيحية تنقل القارئ إلى الجو الذي جرت فيه الاحداث ، وأوردنا فيها الموضوعات المتعلقة بالجوانب العسكرية التالية :

- معارك العرب العسكرية الهامة .
- القادة العسكريون العرب .
- الحروب التي شهدها العالم القديم والمعاصر.
- القادة العسكريون العالميون القدماء والمحدثون .
- مشاهير المنظرين العسكريين العالميين .
- القادة العسكريون في جيش العدو الصهيوني .
- الحروب العربية-الاسرائيلية .
- الثورات العربية والثورات العالمية .
- المفاهيم الخاصة بإدارة الحرب وعلم النفس الحربي .
- المفاهيم الخاصة بالاستراتيجية والعمليات والتكتيك واللوجيستيك .
- المفاهيم المتعلقة بالجغرافيا العسكرية ، والجغرافيا العسكرية — السياسية .
- المفاهيم الخاصة بالتكنولوجيا العسكرية المعاصرة .
- الحروب المضادة للحرب الثورية .
- الاسلحة البرية والبحرية والجوية القديمة والحديثة .
- أهم الاتفاقيات والاحلاف العسكرية .
- المفاهيم الخاصة بالعسكرية الصهيونية .
- المنظمات الارهابية الصهيونية العسكرية وشبه العسكرية .

ولقد اعتمد الأخوة المشاركون في الموسوعة خلال العمل أسلوب مقارنة المعلومات وتدقيقها للتحقق من صحتها ، وعادوا إلى مئات المراجع العربية والاجنبية : كالكتب العسكرية الاساسية ، وكتب التاريخ العسكري، وكتب سيرة الشخصيات ، والموسوعات . فجاءت موضوعاتهم أبحاثاً ودراسات عربية ، فيها قسط كبير من المساهمة الذاتية في فهم الأحداث وتحليلها ، الأمر الذي أعطى هذه الموضوعات سمة عربية ، أفادت من المعلومات الواردة في المراجع الأجنبية للمقارنة والنقاش دون أن تنقلها كحقائق مسلّم بها .

ورغم الجهد الذي بذله الأخوة المشاركون في اعداد هذه الموسوعة ، والذين كان لي شرف التعاون معهم وتعلّم الكثير منهم ، فانها تبقى جهداً غير نهائي وحقوقه لعمل فكري أكثر كمالا .ونحن إذ نقدم الى القارئ

العربي الجزء الأول منها كمساهمة في إغناء الفكر العسكري ، وتوسيع قاعدة المطّلعين على المعارف العسكرية ، فإننا نعده بأن نقدم الجزء التالي في وقت قريب ، كما نعده بأن تكون الطبعة المقبلة أفضل من هذه الطبعة وأوسع ، مع علمنا بأننا مهما بذلنا من جهد ، فان وصولنا إلى الكمال لا يمكن أن يتحقق ، إلا إذا قدم إلينا العسكريون والمفكرون العرب ملاحظاتهم حول ما ورد في هذه الطبعة ، وساهموا معنا بايجابية في انجاز موسوعة عسكرية كاملة ، قومية الطابع ، شمولية الأبعاد .

ولا يسعني في النهاية إلا أن أسجل بكل تقدير الدور الكبير الذي لعبه الدكتور عبد الوهاب الكيالي صاحب المؤسسة العربية للدراسات والنشر ومديرها ، من أجل كتابة هذا السفر ، ووضعه بين يدي القارىء العربي . فلقد قدم العديد من الملاحظات القيمة ، وكان في كل مراحل اعداد الموسوعة محركاً وحافزاً للعمل الخلاق الذي أدى الى ظهور الموسوعة العسكرية العربية بالشكل الذي نقدمه به .

رئيس التحرير

المقدم الهيثم الأيوبي

٢١ كانون الاول ١٩٧٦

دليل القارئ

تضم الموسوعة العسكرية البنود الخاصة بمختلف جوانب العلوم والفنون العسكرية . وقد جمعت هذه البنود ورُتبت وفقاً للتسلسل الأبجدي . ووضع أمام كل موضوع رقم يدل على اسم الشخص أو الأشخاص الذين شاركوا في إعداده ، وفق اللائحة المذكورة في الصفحة (١٥) من هذه الموسوعة . ولقد استخدم الأخوة الباحثون التعابير والمصطلحات العسكرية التي تبناها المعجم العسكري العربي الصادر عن الجامعة العربية في القاهرة في العام ١٩٦٠ . ولتسهيل عمل القارئ خلال البحث عن مبتغاه ، فاننا نورد الملاحظات التالية :

— عندما وجدنا أن لمفهوم عسكري ما أكثر من تعبير مذكور في المعجم العسكري ، اخترنا اكثر التعابير شيوعاً ، ووضعنا التعابير الاخرى مع إشارة للعودة إلى التعبير الشائع . فالانزال الجوي مثلاً مشروح في كلمة « إنزال » ، والابرار الجوي وارد في كلمة «ابرار» (انظر الانزال) .

— الحروب كلها واردة تحت حرف(ح) (الحرب العربية — الاسرائيلية الرابعة ، حرب السنوات السبع... الخ).

— الثورات كلها واردة تحت حرف (ث) (الثورة الفرنسية ، الثورة العربية الكبرى . الخ) .

— الانتفاضات كلها واردة تحت الاسم المعروف للانتفاضة . فانتفاضة كانتون موجودة في حرف (ك) ، وانتفاضة هامبورغ في حرف (ه) .

— المعارك والعمليات والحملات مذكورة وفق الاسم الشائع للمعركة أو العملية أو الحملة ، فمعركة التوافيق واردة في حرف (ت) ، وعملية النورماندي واردة في حرف (ن) ، وحملة إيمفال واردة في حرف (أ) .

— عندما وجدنا أن للمعركة أو العملية أو الحملة إسمين ، اخترنا أكثرهما شيوعاً ، فعملية « المشعل » مثلاً واردة في حرف (م) مع ذكر الاسم الآخر « تورش » في حرف (ت) (انظر المشعل) . ومعركة « البلطة » واردة في حرف (ب) مع ذكر الاسم الآخر « باتل آكس » (انظر البلطة) .

— ذُكرت أسماء الاشخاص والمدن داخل النص بالعربية ، ووضع إلى جانبها في معظم الأحيان الاسم باللغة الاجنبية . ولقد توخينا عند ذكر أسماء المدن والشخصيات الاجنبية اختيار الاسم الشائع حالياً . أما المدن والشخصيات الاجنبية ، التي أعطاها العرب في أدبياتهم القديمة أسماء أطلقوها عليها خلال الفتح الاسلامي ، فقد ذكرناها وفق هذه الأسماء .

— وضعنا داخل النص المصطلحات العربية وإلى جانبها المصطلحات الأجنبية المقابلة . ولكننا أضفنا إلى نهاية الجزء الأخير من الموسوعة قاموساً بالمصطلحات الفرنسية والانكليزية المقابلة للمصطلحات العربية .

– نظراً لافتقار الابجدية العربية لبعض الحروف الصوتية أو الساكنة الموجودة في اللغات الأجنبية ، فقد عمدنا خلال ترجمة أسماء الأماكن والشخصيات الأجنبية إلى استخدام الحرف المقارب لفظاً . ووضعنا الاسماء التي تبدأ في اللغة الاجنبية بالحروف a و e و ei و u و o تحت حرف (أ) ، والاسماء التي تبدأ بالحروف B و P تحت حرف (ب) ، والاسماء التي تبدأ بالحروف J و G (عندما تلفظ مثـل J) تحت حرف (ج) ، والاسماء التي تبدأ بالحروف F و ph تحت حرف (ف) ، والاسماء التي تبدأ بالحرف G (عندما تلفظ مثل الجيم المصرية) تحت حرف (غ) .

– وضعت أسماء الشخصيات العربية القديمة في الحرف الذي يبدأ به الاسم الاول (عبد الرحمن الغافقي – ع) . ووضعت أسماء الشخصيات الأجنبية أو العربية المحدثة في الحرف الذي يبدأ به الاسم الثاني (ارنستو جيفارا – ج) و (هواري بومدين – ب) . أما الشخصيات المعروفة باسم واحد مشهور فقد وُضع هذا الاسم سواء كان اسماً أولاً أم ثانياً (نابليون بونابرت – نابليون – ن) و (الاسكندر المقدوني – الاسكندر – أ) .

المشتركون في التحرير

المقدم الهيثم الايوبي (رئيس التحرير)

ضابط سابق في الجيش العربي السوري ، اتبع دورات عسكرية في سورية وفرنسة والاتحاد السوفياتي .

آخر وظيفة شغلها في القوات المسلحة هي مدير مدرسة الهندسة العسكرية السورية . وآخر وظيفة شغلها في الوظائف المدنية هي رئيس القسم العسكري في مركز الابحاث الفلسطيني .

كتب العديد من الدراسات العسكرية في المجلات الشهرية والاسبوعية والصحف اليومية .

كتب عدة مؤلفات عسكرية أهمها : « حرب التحرير الوطنية الكورية » ، « دروس الحرب الرابعة » ، « دراسات عسكرية في حرب تشرين » ، « اتفاق فصل القوات الثاني في سيناء » بالاضافة الى كتاب « نحو استراتيجية عربية جديدة » الذي وضعه بالتعاون مع العقيد الركن اكرم ديري ، و « ميزان القوى العربي — الاسرائيلي — ١٩٧٤ » الذي وضعه بالتعاون مع هشام عبد الله .

شارك في كتاب « Middle East Crucible ».

العقيد الركن اكرم ديري

ضابط سابق في الجيش العربي السوري ، اتبع دورات عسكرية في سورية وفرنسة .

شغل عدة مناصب عسكرية هامة : قائد الشرطة العسكرية ، وقائد الجبهة الجنوبية الغربية . وكانت آخر وظيفة شغلها في القوات المسلحة هي رئيس شعبة العمليات في الاركان العامة السورية . وآخر وظيفة مدنية شغلها هي وزير الاقتصاد في وزارة الاقليم الشمالي خلال فترة الوحدة المصرية — السورية .

يعمل حالياً مديراً لمكتب الجامعة العربية في جنيف .

كتب العديد من الدراسات العسكرية في المجلات الشهرية والاسبوعية . ومن مؤلفاته العسكرية « آراء في الحرب » ، و « نحو استراتيجية عربية جديدة » الذي وضعه بالتعاون مع المقدم الهيثم الايوبي .

العقيد الركن زين مكي

ضابط في الجيش اللبناني . اتبع دورات عسكرية في لبنان وبلجيكا والولايات المتحدة الاميركية . حائز على ليسانس حقوق من الجامعة اللبنانية .

شغل عدة مناصب عسكرية ومنها رئيس شعبة العمليات في الاركان العامة اللبنانية ، كما شغل منصب وزير الاشغال العامة والنقل والزراعة في العام ١٩٧٥ .

يعمل حالياً مديراً للشؤون الجغرافية في الجيش اللبناني .

العقيد ياسين سويد

ضابط في الجيش اللبناني ، ليسانس في الحقوق وماجستير في التاريخ من الجامعة اللبنانية ببيروت . تلقى تعليمه العسكري في الكليات العسكرية اللبنانية والفرنسية والبلجيكية ، ويشغل حالياً منصب رئيس قسم التراث العسكري في الشعبة الخامسة في الاركان العامة اللبنانية .

كتب العديد من الدراسات في المجلات الشهرية .

مؤلف كتاب « معارك خالد بن الوليد » .

المقدم المظلي بسام العسلي

ضابط سابق في الجيش العربي السوري . اتبع دورات عسكرية في سورية وفرنسة والولايات المتحدة الاميركية.

شغل عدة مناصب عسكرية كان آخرها في اركان لواء المشاة الأول ، ثم عمل في قيادة الامم المتحدة في الكونغو (١٩٦٠) ، وملحقاً عسكرياً في السفارة السورية بلندن .

كتب العديد من الدراسات العسكرية في المجلات الشهرية .

مؤلف كتاب « فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والامويين » .

المقدم الركن فؤاد تساكجي

ضابط في الجيش العربي السوري . تلقى تعليمه العسكري في الكليات والمدارس العسكرية السورية ، وتخصص في التمويه وقراءة الصور الجوية ، ثم اتبع دورة اركان حرب في العام ١٩٦٢ .

يشغل حالياً منصباً في التعبئة العامة ــ ادارة السجلات العسكرية السورية .

محمود عزمي

باحث عسكري (مصري) في المركز العربي للدراسات الاستراتيجية ، ليسانس في الحقوق من جامعة القاهرة .

عمل فترة سنتين في القسم العسكري في مركز الابحاث الفلسطيني .

كتب العديد من الدراسات العسكرية في المجلات الشهرية والاسبوعية .

مؤلفاته العسكرية هي : « الحرب الخاطفة » ، « القوات الاسرائيلية المحمولة جواً » ، « القوات المدرعة الاسرائيلية عبر اربع حروب » .

النقيب محمد ايوبي

ضابط في قوى الامن الداخلي اللبنانية ، ماجستير في العلوم الاجتماعية من الجامعة اللبنانية .

تلقى تدريبه العسكري في الكليات والمعاهد اللبنانية والفرنسية والاميركية . ويشغل حالياً منصباً في المديرية العامة لقوى الامن الداخلي اللبنانية .

هشام عبد الله

باحث عسكري في المركز العربي للدراسات الاستراتيجية ، ليسانس في العلوم السياسية من جامعة بيروجيا (ايطاليا) .

عمل فترة سنتين في القسم العسكري في مركز الابحاث الفلسطيني .

كتب العديد من الدراسات في المجلات الشهرية والاسبوعية .

شارك في اعداد كتاب « ميزان القوى العربي – الاسرائيلي – ١٩٧٤ » مع المقدم الهيثم الايوبي .

أعد كتاب « ميزان القوى العربي – الاسرائيلي ١٩٧٦ » .

الدكتور عادل الزعيم

دكتوراه في القانون من جامعة السوربون .

يعمل حالياً في وزارة الدفاع في القطر العربي السوري .

كتب العديد من الدراسات العسكرية في مجلة الفكر العسكري – دمشق .

سلمى سامي حداد

ماجستير في العلوم السياسية من الجامعة الاميركية ببيروت (لبنانية) . عملت ١٠ سنوات في مركز الابحاث الفلسطيني . كتبت العديد من الدراسات السياسية في المجلات الشهرية .

ألّفت كتابين هما : « الطلاب في اسرائيل » ، و « المساعدات العسكرية الاميركية لايران » . وشاركت في اعداد كتاب « الدول الكبرى والصراع العربي – الاسرائيلي » .

كمال السعدي

باحث تقني عسكري (فلسطيني) . عمل رئيساً للقسم التقني في مركز التخطيط الفلسطيني مدة سنتين .

ليسانس في الحقوق .

كتب العديد من الدراسات العسكرية التقنية في المجلات الشهرية والاسبوعية .

مؤلّف كتاب « الحرب الاليكترونية » .

هلا صبحي طبارة

ليسانس في التربية وعلم النفس من كلية بيروت الجامعية (لبنانية) .

شغلت منصب رئيسة جمعية المكتبات اللبنانية ، كما كانت مندوبة كلية بيروت الجامعية في الصليب الاحمر اللبناني .

نشرت عدة مقالات ودراسات في مجلات مختلفة .

محمود عيسى

باحث عسكري (فلسطيني) يعمل في مركز الابحاث الفلسطيني منذ العام ١٩٧٣ .

عبد القادر ياسين

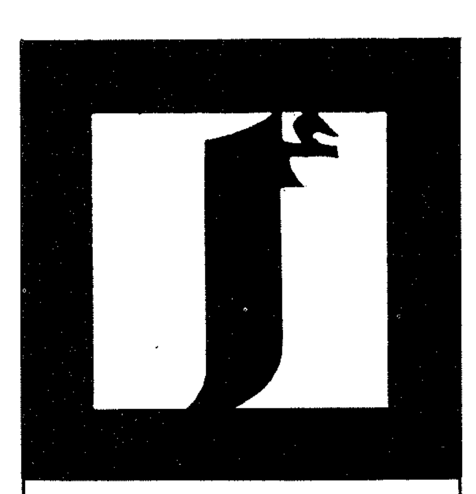
باحث سياسي – عسكري (فلسطيني) . كتب العديد من الدراسات في المجلات الشهرية .
مؤلِّف كتاب « كفاح الشعب الفلسيطني » .
شارك في تأليف ثلاثة كتب هي : « المقاومة الفلسطينية الواقع والتوقعات » . و « يهود العالم والصهيونية واسرائيل » ، و « الاستيطان الاستعماري الصهيوني في فلسطين » .

المشتركون في تحرير الجزء الأول حسب التسلسل الرقمي

يلاحظ القارئ وجود رقم صغير أمام عنوان كل موضوع من موضوعات الموسوعة . وهذا الرقم يشير الى اسم محرر الموضوع ، وذلك وفق التسلسل الرقمي المذكور أدناه .

(١) المقدم الهيثم الايوبي
(٢) العقيد الركن اكرم ديري
(٣) العقيد ياسين سويد
(٤) محمود عزمي
(٥) هشام عبد الله
(٦) كمال السعدي
(٧) النقيب محمد ايوبي
(٨) المقدم المظلي بسام العسلي
(٩) سلمى سامي حداد
(١٠) العقيد الركن زين مكي
(١١) محمود عيسى
(١٢) هلا صبحي طبارة
(١٣) عبد القادر ياسين
(١٤) المقدم الركن فؤاد تسابحجي
(١٥) الدكتور عادل الزعيم

وبالاضافة الى هؤلاء العسكريين والكتّاب المشتركين في تحرير الجزء الاول فقد حُشد لتحرير بقية الموسوعة عدد آخر من الضباط والكتّاب العرب من مختلف الاختصاصات في العلوم العسكرية . وسترد اسماء الاخوة المشتركين الجدد في التحرير في مقدمة الجزء الثاني .



(٤) آب باك (معركة)

(انظر الحرب الفيتنامية الاميركية) .

(٥) أ ـ ٥ أ

(انظر فيجيلانت) .

(٥) أ ـ ٧

(انظر كورسير أ ـ ٧) .

(٥) أ ـ ٦ انترودر

(انظر غرومان أ ـ ٦ انترودر) .

(٥) أ ـ ٣٧ (طائرة)

طائرة هجوم مضادة للعصابات ، بمقعدين . امريكية . نفاثة . هي تطوير لطائرة ت ـ ٣٤ الامريكية المخصصة للتدريب . وتمتاز عنها بقوة محركاتها ، وحمولتها الحربية التي تبلغ ٢٥٧٤ كغ .

(٦) ابراهيم باشا

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٣) أبو عبيدة بن الجراح

أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة ، من بطون قريش ، وامه أميمة بنت غنم ، يلتقي نسبه بنسب رسول الله (صلعم) عند (فهر) . ولد في مكة بعد ميلاد الرسول باثنتي عشرة سنة، وأسلم على يد ابي بكر وهو في سن الخامسة والعشرين ، وهاجر مع النبي الى الحبشة (الهجرة الثانية) ، وعاذ بعدها الى مكة ، ثم هاجر الى المدينة مع من هاجر اليها من المسلمين .

شهد أبو عبيده مع النبي وقعتي بدر وأحد ، حيث ثبت فيها الى جانب النبي حين انهزم الناس وولوا ، كما شهد الخندق « والمشاهد كلها مع رسول الله ـ ابن سعد ـ » وفتح مكة . وبعثه النبي بحملة على المشركين في « ذي القصبة » ، وبسرية من المهاجرين الاولين مدداً لعمرو بن العاص في غزوة « ذات السلاسل » ، وبسرية اخرى من المهاجرين والانصار حيث أغار على حي من جهينة بساحل البحر ، وقد سميت غزوته بغزوة « الخبط » لما اصابه وجماعته في الطريق من جوع شديد ، حتى اكلوا الخبط (ورق الشجر) .

وبعد وفاة النبي (صلعم) ارسل ابو بكر (رضي) أبا عبيده على رأس جيش الى الشام وأمره بحمص ففتحها ، ثم عاد منها ليشترك بمعركة اليرموك تحت قيادة خالد بن الوليد ، وكان مركزه في هذه المعركة في قلب جيش المسلمين . وتسلم ابو عبيدة قيادة جيوش المسلمين في الشام بعد عزل خالد عنها وبعد اليرموك مباشرة فتابع فتح الشام بادئاً بدمشق ، ثم فحل ، فرج الروم (سهل البقاع) ، فبعلبك ، فحمص ، فحماه ، فشيزر ، فعرة النعمان ، فاللاذقية ، فقنسرين ، فحلب ، فانطاكية . وقد تمت هذه الفتوح جميعها حتى عام ١٥ هـ (وقيل ١٦ هـ) . وبينما كان ابو عبيدة يتابع فتح الشام كان يزيد بن أبي سفيان يفتح الساحل الشامي كصيدا وعرقة وبيروت ، وكان عمرو بن العاص يقاتل في فلسطين ، وما ان وصل عمرو الى ايلياء (بيت المقدس) حتى استمد اباعبيدة لمعاونته في فتحها ، فكان ابو عبيدة نفسه هو المدد ، وتم فتح بيت المقدس على يد عمرو وابي عبيدة وبحضور الخليفة عمر بن الخطاب .

وكان أبو عبيدة « رجلا نحيفاً ، معروق الوجه، خفيف اللحية ، طوالا ، أجنا ، أشرم الثنيتين ـ ابن سعد ـ » ، وقد فقد ثنيتيه يوم أحد اذ انتزع بهما حلقتين علقتا في وجه النبي (صلعم) من مغفره بعد ان رماه احد المشركين بسهم اصابه بوجهه ، فغرزتا فيه . وكان لديه من الفضائل الخلقية ما جعل النبي عليه السلام يقول فيه « لكل امة امين ، وامين امتي ابو عبيدة بن الجراح »، وكان احد العشرة السابقين للاسلام ، واحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكان لا يهتم بالمناصب ولا يكترث لمتاع الدنيا ، كما كان مؤمناً ورعاً تقياً متعلقاً بعقيدته الاسلامية اشد التعلق ، فقيهاً فيها متعمقاً بأمورها ، مما دعا النبي الى اختياره من بين اصحابه جميعاً ليعلم اهل اليمن القرآن والسنة .

اما مزاياه العسكرية فقد كان حكيماً في قيادته ، منضبطاً تجاه خليفته القائد العام لجيوش المسلمين ، سامعاً لاعوانه ومستشاريه ، رؤوفاً بجنده ومرؤوسيه . كما كان شجاعاً ، صبوراً ، بعيد النظر غير متسرع في قراراتـه ، يتقن الحصار والمشاغلة والمباغتة والمناورة في قتاله ، إلا أنه ، بعكس خالد بن الوليد ، يفضل المسالمة والمصالحة في أي فتح على الاكراه والمقاتلة الا اذا اضطر .

وقد توفي ابو عبيـدة في عهد الخليفة عمر ابن الخطاب سنة ثماني عشرة هجرية (٦٣٩ م) (وكان الخليفة عمر قد زاره قبل ذلك في بيته بدمشق فلم يجد عنده من الاثاث سوى سيفه وترسه

ورحله) وكانت وفاته بالطاعون في عمواس (بين الرملة وبيت المقدس) عن عمر يناهز الثمانية والخمسين عاماً ، وقد قيل انه دفن في الاردن ، وقيل بجامع الجراح في دمشق .

(٤) أبو عجيلة (معارك)

وكانت تقع قرية ابو عجيلة على مسافة ٤٥ كلم تقريباً إلى الجنوب الشرقي من « العريش » عاصمة شبه جزيرة « سيناء » ، وتفصلها عن حدود الارض المحتلة بفلسطين نحو ٣٢ كلم إلى الشرق . ويلتقي عندها الطريق الرئيسي الاوسط في سيناء الممتد من « الاسماعيلية » غرباً عن قناة السويس إلى « العوجة » شرقاً في فلسطين المحتلة ، مع الطريق المؤدي من الحدود إلى العريش شمالا . كما تلتقي على مقربة منها طرق فرعية عدة مؤدية إلى « القسيمة » في الجنوب الشرقي قرب الحدود ، و « بئر الحسنة » في الجنوب الغربي ومن ثم إلى « نخل » وممر متلا . لذا تعتبر « أبو عجيلة » مفتاحاً رئيسياً لطرق الاقتراب والمواصلات في شرق سيناء كله ، ومن يسيطر عليها يهدد جناح كل من الطريقين الشمالي لسيناء (القنطرة – العريش – رفح) والجنوبي (السويس – ممر متلا – نخل – العقبة أو الكونتلا) فضلا عن سيطرته على الطريق الاوسط الرئيسي المؤدي إلى الإسماعيلية .

ونتيجة لذلك اكتسبت « أبو عجيلة » أهمية عسكرية خاصة في مسرح العمليات الحربية البرية التي دارت بين مصر واسرائيل في حروب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ .

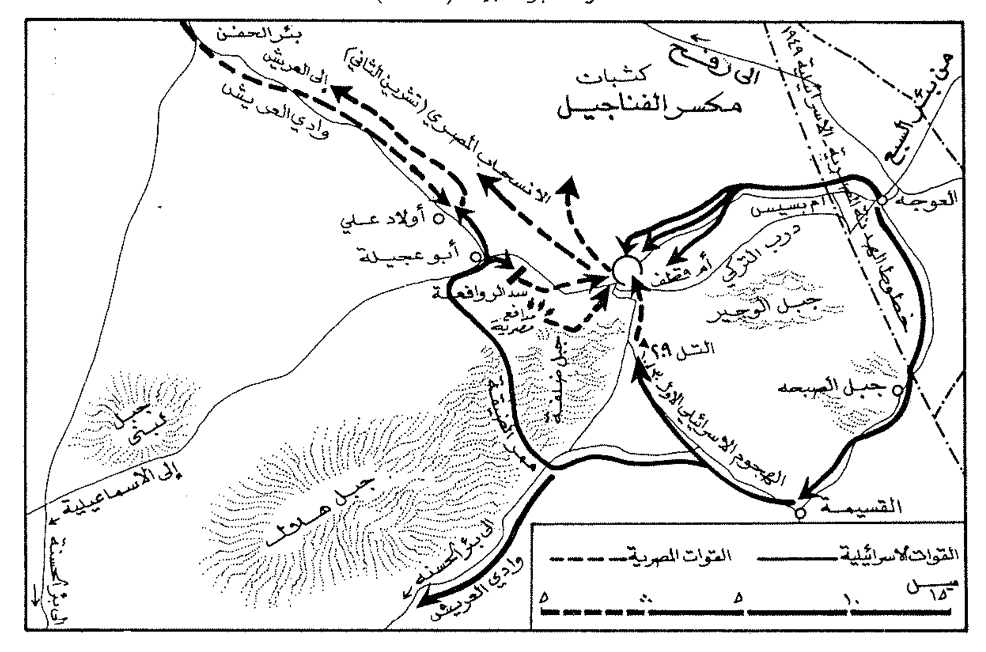
في حرب ١٩٤٨ ، خلال مرحلتها الاخيرة (كانون اول (ديسمبر) ١٩٤٨) ، شنت القوات الاسرائيلية هجوماً مضاداً عاماً ضد الجيش المصري لتصفية وجوده العسكري في صحراء النقب و « قطاع غزة » و « جيب الفالوجا » وذلك على أساس توجيه الضربة الرئيسية على الجناح الشرقي للقوات المصرية « العوجة – العسلوج » بعد تثبيت الجناح الغربي « رفح – غزة » بهجمات مخادعة تهدد خطوط مواصلات هذا الجناح في منتصفه تخلق انطباعاً بأن هناك محاولة لخلق « فالوجا » اخرى في « غزة » ، ثم الاندفاع في اغارة سريعة داخل سيناء عبر « أبو عجيلة » وتهديد « العريش » من الجنوب باعتبارها القاعدة الادارية (اللوجيستيكية) الرئيسية ، وتهديد مطار « بئر الحمة » على الطريق الاوسط ، وبذلك تجبر القيادة العسكرية المصرية على سحب قواتها من الجناح الغربي في قطاع غزة ويسقط « جيب الفالوجا » أيضاً .

وكانت الوحدات المصرية في القطاع الشرقي أقل قوة من وحدات القطاع الغربي ، وتنتشر في مواقع على طول الطريق الممتد من « العوجة » حتى « العسلوج » ، ولما كانت السرعة عنصراً أساسياً لنجاح الخطة الاسرائيلية فقد قرر « يادين » ، مدير العمليات الاسرائيلي ، و « ييغال آلون » قائد قوة الهجوم تجنب الهجمات المباشرة على هذه المواقع ، والالتفاف حولها عبر الصحراء الواسعة ، خاصة بعد أن تم العثور على درب صحراوي قديم يمكن تمهيده بسرعة (بحكم انه كان طريقاً رومانياً قديماً) لتسير عليه المدرعات والمصفحات يؤدي إلى « العوجة » لمهاجمتها فجأة من الشمال الشرقي ، وبذلك تعزل « العسلوج » . ولذلك بدأ رجال الهندسة في اصلاح هذا الطريق اثناء الليل في هدوء شديد طوال الايام السابقة للهجوم . ثم بدأ تنفيذ العملية فجر يوم ٢٢ كانون اول (ديسمبر) ١٩٤٨ بهجمات مخادعة على القطاع الغربي ، وهجمات جوية على مطار العريش والمواقع المصرية الاخرى في رفح وخان يونس والفالوجا ، كما قصفت غزة من البحر لتشتيت انتباه القيادة المصرية . وبدأ الهجوم الرئيسي على القطاع الشرقي ليلة ٢٥ – ٢٦ كانون اول (ديسمبر) وبعد معارك عنيفة عند « العوجة » سقطت المواقع المصرية هناك ثم في « العسلوج » بسبب اختلال ميزان القوى الشديد بين الطرفين .

وبعد ظهر يوم ٢٨ كانون اول (ديسمبر) بدأت المدرعات والمشاة المحمولة الاسرائيلية زحفها صوب « أبو عجيلة » فاصطدمت طلائعها بمقاومة مصرية على بعد ١٢ كلم إلى الشرق من أبو عجيلة ، وسط كثبان رملية تحيط بها من الشمال ، وهضبة صخرية تعرف بجبل « ضلفة » من الجنوب . وقد استمر القتال غير المتكافئ بين القوتين حتى منتصف الليل حيث انسحب معظم القوة المصرية نحو « أبو عجيلة » ، ثم نحو « العريش » بعد ذلك نظراً لعدم وجود استحكامات في القرية نفسها ، فدخلتها القوات الاسرائيلية فجر اليوم التالي . وقد استعادت القوات المصرية « أبو عجيلة » بعد انسحاب القوات الاسرائيلية من سيناء ، اثر فشل هجماتها على العريش ومطار بئر الحمة نتيجة لاصطدامها بمقاومة مصرية عنيفة ، ووقوع ضغوط سياسية امريكية وبريطانية على الحكومة الاسرائيلية لسحب قواتها من داخل مصر . وقد قصف الطيران المصري الوحدات الاسرائيلية الموجودة في « أبو عجيلة » طوال يوم ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) واوقع بها خسائر مختلفة . وفي اليوم التالي دخلت القوات البرية المصرية « أبو عجيلة » بعد انسحاب القوات الاسرائيلية منها وتطهير الطريق المؤدي إليها من الالغام .

وهكذا انتهت معركة « أبو عجيلة » في حرب ١٩٤٨ ، التي فتحت الطريق لمعارك اكثر عنفاً

معركة ابو عجيلة (١٩٥٦)



واهمية دارت حولها بعد ذلك في ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ . ذلك لأن اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٩ جعلت من « العوجة » منطقة مجردة من السلاح (وقد احتلتها اسرائيل بعد ذلك) ولذلك اصبحت « أبو عجيلة » بوابة سيناء الوسطى الرئيسية ، واكتسبت اهمية استراتيجية كبرى ، بعد ان كانت خلال حرب ١٩٤٨ مجرد قاعدة ادارية فرعية لقطاع « العوجة — المسلوج » .

وفي حرب ١٩٥٦ حشدت القيادة الجنوبية الاسرائيلية عشية هجومها المفاجىء على سيناء يوم ٢٩/١٠/٥٦ قوات كبيرة تضمنت ٣٥ كتيبة مشاة ومظليين و ٣٥ كتيبة مدفعية و ١٠ كتائب دبابات ، مقابل ٨ كتائب مشاة وكتيبتي دبابات و ٣,٥ كتيبة مدفعية ، وكانت للقيادة الشرقية المصرية في سيناء وقتئذ (بعد تخفيف القوات الاصلية لمواجهة احتمالات الغزو البريطاني الفرنسي لمنطقة قناة السويس) . وبهذا كان للجيش الاسرائيلي نسبة تفوق عامة تعادل ٤,٥ الى واحد في المشاة ، و ٥ الى واحد في الدبابات ، و ١٠ الى واحد في المدفعية .

أما على المحور الاوسط في قطاع « أبو عجيلة — القسيمة » حيث تركز المجهود الرئيسي للهجوم الاسرائيلي ، بعد أن افتتحت الحملة بهجوم ثانوي مخادع على المحور الجنوبي بواسطة لواء المظليين عن ممر متلا والكونتلا مساء يوم ٢٩/١٠/٥٦ . فقد حشدت القيادة الاسرائيلية مجموعة اللواء الرابع مشاة ، ومجموعة اللواء السابع مدرع ، ومجموعة اللواء ٣٧ المدرع ، ومجموعة مدفعية معاونة ، وكتيبة مهندسي اقتحام . وبلغ اجمالي هذه القوات ٩ كتائب مشاة ، و ٥ كتائب دبابات ، و ١٢ كتيبة مدفعية ، على حين انه كان لدى القيادة المصرية في هذا القطاع كتيبتا مشاة ، وكتيبة مدفعية ، وحوالي كتيبة مدافع ذاتية الحركة مدرعة مضادة للدبابات (اعتبرت في حكم الدبابات) . وبذلك كانت نسبة التفوق الاسرائيلي تعادل ٤,٥ إلى واحد في المشاة ، و ٥ إلى واحد في الدبابات ، و ١٢ إلى واحد في المدفعية .

وقد بدأت العمليات الحربية بهجوم اسرائيلي بعد منتصف ليلة ٣٠ تشرين الاول عند جبل الصبحة تجاه القسيمة بواسطة وحدات من لواء المشاة الرابع ، عززتها كتيبة دبابات من اللواء السابع مدرع ، وسرية مدافع ميدان ٢٥ رطلا . وبعد قتال عنيف سقطت القسيمة في السابعة صباحاً ، وانسحبت بقية كتيبة الحرس الوطني المصرية التي كانت تدافع عن المنطقة نحو « أبو عجيلة » في الشمال الغربي .

وعند الظهر حاولت كتيبة الدبابات المذكورة مهاجمة موقع « أم قطف » (الذي يسد الطريق إلى « أبو عجيلة » من ناحية الشرق في اتجاه العوجه) من الجنوب ولكنها صدت بنيران المدافع ذاتية الحركة المتخندقة عند التل ٢٠٩ ، وفقدت ٤ دبابات سوبر شيرمان بعد ٣ ساعات من القتال .

وأثر ذلك تحول اللواء السابع المدرع إلى الالتفاف حول « أبو عجيلة » من الخلف عبر « ممر الضيقة » الواقع على مسافة ١٥ كلم تقريباً إلى الغرب من القسيمة . وقد عززت كتيبة المشاة المصرية المدافعة عن « أبو عجيلة » بكتيبة أخرى من العريش بعد ظهر اليوم الاول من الهجوم بعد دعمها بأربعة مدافع ذاتية الحركة ، وبطارية مدفعية ميدان . وقد قامت طائرة اسرائيلية خلال الليل بإلقاء منشورات فوق موقع ام قطف الرئيسي تدعو حاميته إلى الاستسلام ، وجاءتها الاجابة صليات من نيران الرشاشات .

وخلال النهار كانت مجموعة المدرعات المصرية الاولى (المرابطة في منطقة القناة) تتحرك عبر القناة على المحور الاوسط لتواجه العدوان الاسرائيلي . إلا أن التقيد بمبدأ عدم إيقاف الملاحة في قناة السويس ، منعاً لايجاد مبرر سياسي لبريطانيا وفرنسا للتدخل بدعوى حماية القناة وضمان حرية الملاحة ، أدى لتأخر وصول قوات المدرعات المصرية هذه إلى ساحات القتال . ثم قدمت بريطانيا وفرنسا ، رغم ذلك ، انذارها إلى كل من مصر واسرائيل في السادسة من مساء يوم ٣٠ تشرين اول (اكتوبر) بأن تسحب كل منهما قواتها لمسافة عشرة اميال بعيداً عن القناة خلال ١٢ ساعة ، ضماناً لحرية الملاحة فيها . وفي السابعة والنصف من مساء اليوم التالي بدأت القاذفات البريطانية والفرنسية تقصف المطارات المصرية بعد ان رفضت مصر الانذار وقبلته اسرائيل . ولذلك تجمدت حركة المدرعات المصرية عند « بئر الحمة » التي تبعد نحو ٣٧ كلم عن « أبو عجيلة » ، ثم أمرت بالانسحاب والعودة إلى الضفة الغربية للقناة ليلة اول تشرين الثاني (نوفبر) ، وهكذا واجهت حامية « أبو عجيلة » ضغط الهجوم الاسرائيلي بمفردها على خلاف ما كان متصوراً في التخطيط الاستراتيجي المصري المسبق .

ورغم ذلك استطاعت هذه الحامية أن تصمد حتى ليلة ٢ تشرين الثاني (نوفبر) أي لأكثر من ثلاثة أيام كاملة داخل موقعها الرئيسي في أم قطف ، وقاومت الهجمات الاسرائيلية القوية التي شنها اللواء السابع المدرع من الخلف عبر ممر الضيقة،والاستيلاء على قرية « أبو عجيلة » بعد قتال عنيف صباح يوم ٣١ تشرين الاول (اكتوبر)،واللواء العاشر مشاة يعززه اللواء ٣٧ المدرع من الشرق عبر طريق العوجة ، وضغط الطيران والمدفعية الشديد . (وقد قتل قائد اللواء ٣٧ المدرع اثناء احدى الهجمات المذكورة) ، ثم تلقى قائد القوات المصرية (العقيد سعد الدين متولي) المحاصرة في « أم قطف » أمراً بالانسحاب خلال الليل نحو العريش مساء يوم اول تشرين الثاني (نوفمبر) ، فاستطاع تنظيم عملية انسحاب هذه القوات البالغ عددها نحو ٤٠٠٠ رجل عبر كثبان الرمال الناعمة التي تحيط بالموقع من الشمال (مكسر الفناجيل) في ٣ مجموعات تسربت خلال الظلام تحت غطاء للتمويه من جانب المدفعية وسرية مشاة ظلت تطلق النار على فترات متقطعة طوال الليل ، ثم انسحبت هي الاخرى في الفجر ، بعد أن اتمت عمليات تدمير الاسلحة الثقيلة والعربات . وقد وصلت كتيبة مشاة كاملة من هذه المجموعات إلى العريش بصورة منظمة صباح اليوم التالي ثم واصلت انسحابها نحو القناة ، ووقع بعض جنود الوحدات الاخرى في الأسر خلال الانسحاب في اليوم التالي نظراً لأنهم ضلوا الطريق . ولكن من المستغرب أن القوات الاسرائيلية لم تشعر مطلقاً بعملية الانسحاب خلال الليل إلى حد أنها أرسلت في الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح اليوم التالي عربة بها اثنان من الاسرى المصريين مرفوع عليها علم أبيض تطلب من حامية ام قطف الاستسلام . وكادت دبابات اللواء السابع المدرع الزاحفة من الغرب أن تشتبك مع دبابات اللواء ٣٧ القادمة من الشرق على اعتبار انها دبابات مصرية . وقد أصيبت فعلا إحدى دبابات اللواء الاخير ، ثم اوقف الاشتباك نتيجة اشارات ارسلتها الطائرات الاسرائيلية المحلقة فوق ساحة القتال ، والتي اكتشفت ما يحدث بين اللوائين المدرعين نتيجة لعدم علمهما بخلو المواقع من القوات المصرية .

ولقد تكبدت القوات الاسرائيلية في معركة « أبو عجيلة » هذه خسائر بلغت نحو ١٧٠ قتيلا وجريحاً ، وتدمير ١٢ دبابة و ٦ مصفحات (على الاقل وفقاً للمصادر الاسرائيلية) . وهكذا استطاعت ٣ كتائب مشاة مصرية تعززها كتيبة مدفعية ميدان وأقل من كتيبة مدافع ذاتية الحركة مضادة للدبابات أن تصمد لمدة ثلاثة أيام في وجه هجوم لوائين مدرعين ، ولوائي مشاة ، وفي ظل دعم جوي قوي

لقوات العدو، في إطار ظروف استراتيجية عامة غير ملائمة (نتيجة للتدخل البريطاني الفرنسي)، ثم تمكنت أن تنسحب بقواها شبه كاملة وفي حالة معقولة من التنظيم إلى الخطوط المصرية دون أن تشعر بها قوات العدو أو تطاردها.

وفي حرب ١٩٦٧ شهدت منطقة «أبو عجيلة» معارك للمرة الثالثة في أقل من ٢٠ عاماً. وفي هذه المرة كان للقيادة المصرية (بعد حشد قوات الجيش المصري الرئيسية في سيناء خلال شهر أيار (مايو) ١٩٦٧) فرقة مشاة كاملة في قطاع «أبو عجيلة – القسيمة» هي الفرقة الثانية، وكانت تضم لوائي مشاة، ولوائي مدفعية ميدان، ومجموعتين مدرعتين. ووزعت قوات الفرقة مناصفة تقريباً بين «أبو عجيلة» بمواقعها المختلفة و«القسيمة» بمواقعها المتعددة، وذلك لتأمين الجناح الايمن لموقع «أبو عجيلة» من جهة الجنوب، حتى لا تتكرر عملية التفاف عام ١٩٥٦، وليتم إيقاف التسلل المحتمل إلى «بئر الحسنة» أو «نخل» عبر القسيمة كما حدث أيضاً في ١٩٥٦.

معركة ابو عجيلة (١٩٦٧)

وعشية بدء الهجوم الاسرائيلي على مصر يوم ٥ حزيران (يونيو) كان يوجد من قوات الفرقة الثانية مشاة المصرية في قطاع «أبو عجيلة» لواء مشاة مؤلف من ٤ كتائب معظمها متخندق في ثلاثة خنادق اساسية متوازية تحمي موقع «أم قطف» بعرض ٣ كلم تقريباً. ويمتد امامها حقل ألغام عمقه نحو ٢٧٠ متراً، فضلا عن بعض المخافر القتالية الامامية في «أم بسيس»، و«درب التركي»، و«أم طرفة» القريبة من الحدود الفلسطينية، يعززها لواء مدفعية ميدان يضم نحو ٧٠ مدفعاً مجمعة وراء الخنادق بنحو كيلومتر ونصف، وترابط وراء المدفعية مجموعة مدرعة تضم نحو ٩٠ دبابة ومدفعاً ذاتي الحركة مضاداً للدبابات. وإلى الشمال من موقع «أم قطف» الرئيسي كان يوجد موقع صغير بين منطقة كثبان الرمال الناعمة يعرف بموقع «التل ١٨١» لحماية الجناح الشمالي الذي يتعذر فيه سير المدرعات بحشود كبيرة. وقد قامت خطة شارون على أساس هجوم تثبيتي بالمواجهة على «أم قطف» تشترك فيه المدفعية والمشاة والمدرعات خلال النهار (بعد احتلال المخافر القتالية الامامية)، مع دفع قوة مدرعة محدودة إلى الموقع ١٨١ شمال «أم قطف» لاحتلاله والوصول إلى طريق العريش – أبو عجيلة، وقوة استطلاع إلى الجنوب لقطع طريق «أم قطف – القسيمة»، على حين يقوم لواء مدرع بمشاغلة قوات القسيمة نفسها دون أن يهاجمها ليحول دون تعزيزها لقوات «أم قطف». ثم يتم أثناء الليل ابرار وحدات من المظليين بواسطة طائرات الهليكوبتر وراء مواقع المدفعية لمهاجمتها وازعاجها أثناء الهجوم الرئيسي الذي ستقوم به ٣ كتائب من المشاة بدعم قوى من المدفعية، وستلتف خلاله حول الجناح الشمالي لخنادق «أم قطف» عبر الكثبان الرملية الناعمة. وبعد تطهير الخنادق يفتح المهندسون ثغرة في حقول الالغام لتجتازها المدرعات وتشتبك مع المجموعة المصرية التي ستكون عرضة لهجمات ازعاج من المدرعات التي وصلت إلى طريق أبو عجيلة – العريش عبر موقع التل ١٨١. وتتم هذه العمليات كلها تحت الحماية الجوية الكاملة التي سيساعدها على تحقيقها تدمير القوة الرئيسية للطيران المصري على الارض صباح يوم ٥ حزيران. وبلغ حجم قوة شارون المكلفة بهذه المهام: لواء مدرعاً، ولواء مشاة، وكتيبة مظليين، و٦ كتائب مدفعية. وضمت هذه القوة نحو ٢٠٠ دبابة، و١٠٠ عربة مدرعة نصف مجنزرة، ونحو ١٠٠ مدفع ميدان.

بدأت العمليات الحربية في الثامنة والربع صباح ٥ حزيران (يونيو)، وسارت وفقاً للمخطط الموضوع، باستثناء أن هجوم وحدة المظليين لم يحقق النتائج المتصورة له، إذ لم يسكت سوى عدد قليل للغاية من المدافع المصرية، واضطر المظليون بعد ذلك إلى الانسحاب بسرعة، متحملين بعض الخسائر، واستمرت المعارك حتى بعد ظهر يوم ٦ حزيران (يونيو)، وأبدت فيها القوات المصرية ضروباً من القتال الباسل، إلا أن انفراد الطيران الاسرائيلي بالجو، والمفاجأة التكتيكية الناجمة عن هجوم المشاة الاسرائيليين الليلي عبر كثبان الرمال، واضطراب قيادة الفرقة في استخدام وحداتها المدرعة في هجمات معاكسة، والموقف السلبي الذي التزمته قوات القسيمة طوال المعركة، فضلا عن حالة الاضطراب الاستراتيجي العام في مؤخرة قطاع «أبو عجيلة» وبدء الانسحاب العام نتيجة لذلك كله، أدى إلى نجاح شارون في الاستيلاء على موقع «أم قطف» الذي لم يسقط بالقوة في حرب ١٩٥٦، رغم أن نسبة تفوق القوات البرية الاسرائيلية لم تكن بالصورة التي كانت عليها في العام ١٩٥٦.

وقد انسحبت غالبية القوات المصرية بعد ذلك نحو القناة بما في ذلك قوات القسيمة التي لم تشتبك جدياً مع العدو. ولم تكن الخسائر المصرية في «أم قطف» كبيرة، إذ أنها فقدت وفقاً لرواية المصادر الاسرائيلية نحو ٣٠٠ قتيل، و١٠٠ اسير، ونحو ٦٠ دبابة في المعركة الرئيسية التي دارت داخل موقع «أم قطف». على حين أن خسائر القوات المصرية اثناء الانسحاب كانت ضخمة للغاية خاصة عند «ممر متلا» نتيجة للقصف الجوي والمطاردة وفقدان التشكيلات لقدرتها على القتال المنظم. ومن المؤكد أنه لا يمكن تقييم

نتائج معركة «أبو عجيلة» بمعزل عن الظروف الاستراتيجية العامة التي أدت لهزيمة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

(٣) أبو قير (معارك)

رأس بحري يقع شمالي شرقي مدينة الاسكندرية بمصر ، ويشرف على خليج يسمى باسمه (خليج ابو قير) فيه جرت وقعتان هامتان في التاريخ ، الاولى بحرية بين الاسطول الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت (في حملته على مصر سنة ١٧٩٨) وبين الاسطول الانكليزي بقيادة الاميرال نلسون ، والثانية برية بين جنود الاحتلال الانكليزي بقيادة الجنرال أليزون وبين الجيش المصري ورجال الثورة العرابية بقيادة الزعيم احمد عرابي ، سنة ١٨٨٢ وفي عهد الخديوي توفيق .

أ – أبو قير الاولى : في ٢ آب (اغسطس) ١٧٩٨

في الثامن عشر من شهر أيار (مايو) سنة ١٧٩٨ انطلقت الحملة الفرنسية من مرفأ طولون تجاه الشرق ، ووجهتها مصر وعلى رأسها نابليون بونابرت قائداً عاماً، والاميرال برويس قائداً للاسطول الذي ضم ٥٥ سفينة بحرية و ٢٨٠ ناقلة تحمل ٣٦٨٢٦ جندياً بمعداتهم واسلحتهم وخيولهم ومدافعهم. وفي ٢٩ حزيران (يونيو) بلغت هذه الحملة الساحل المصري فاستقرت امام الاسكندرية . وفي الليل الاول من شهر تموز (يوليو) ، بدأ الانزال الفرنسي على شاطىء الاسكندرية حيث تم احتلال المدينة في اليوم التالي ، وانطلق بونابرت بعدها بجيشه نحو القاهرة حيث احتلها في ٢٤ تموز وذلك بعد ان هزم المماليك هزيمة منكرة في معركة الاهرام التي جرت بينه وبينهم في ٢١ من الشهر نفسه .

في هذه الاثناء كان الاسطول البريطاني الذي يجوب منطقة البحر المتوسط والمؤلف من ١٤ سفينة حربية بقيادة الاميرال نلسون قد استقر في ميناء سرقسطه بصقليه ، ولكنه كان يقظاً يتتبع باهتمام كبير انباء تقدم الاسطول الفرنسي نحو مصر . وما ان تلقى انباء وصول الحملة الفرنسية الى مصر واحتلالها الاسكندرية بالاضافة الى جزيرة مالطة ، حتى اتجه مسرعاً نحو الاسكندرية فوصلها باسطوله في اول آب (اغسطس) ١٧٩٨ ، وكان الفرنسيون قد احتلوها كما احتلوا القاهرة ، كما سبق وقدمنا ، واستقر اسطولهم بناء لتعليمات قائده برويس وتحت اشرافه المباشر ، في خليج ابي قير ، شمال شرقي الاسكندرية وقد طوى اشرعته وسكن مطمئناً .

وفي صبيحة يوم ٢ آب (اغسطس) ١٧٩٨ انقض نلسون باسطوله على الاسطول الفرنسي الذي فوجىء مفاجأة تامة ، ودارت بين الفريقين معركة بحرية شرسة انتهت بهزيمة الفرنسيين هزيمة أليمة ، اذ أغرق معظم سفن اسطولهم ، واستسلم ما تبقى منها ، ولم ينج من الاسطول كله سوى ثلاث سفن فقط ، هربت اثنتان منها الى مالطة وفرت الثالثة الى البحر الادرياتيكي .

ولم يكن ممكناً للاسطول البريطاني القليل العدد بالنسبة الى الاسطول الفرنسي ان يهزم هذا الاخير لولا عنصر المفاجأة الذي استغله الانكليز استغلالا تاماً وناجحاً . وقد حاول بونابرت في تقريره الذي رفعه الى حكومة الادارة ان يبرر موقفه ، ويحمل الاميرال برويس تبعة الهزيمة ، حيث يقول : «واذا كان برويس قد ارتكب خطأ فادحاً في هذا الحادث المفجع فانه قد كفر عن خطئه باستبساله وسقوطه ميتاً في ميدان الشرف» .

ولقد كان لهذه الوقعة وهزيمة بونابرت فيها أثر كبير في الحد من طموحه وفي تعديل الخطط التي كان قد رسمها لاحتلال الشرق والوصول الى الهند، اذ قطع الاسطول الانكليزي المنتصر على الحملة الفرنسية طريق الامداد البحري من فرنسا فاضطرت لان تعتمد في تموين الجيش وسد نفقاته على موارد مصر وحدها ، وهو امر لم يكن يتيح لبونابرت ان يذهب بعيداً في عملياته .

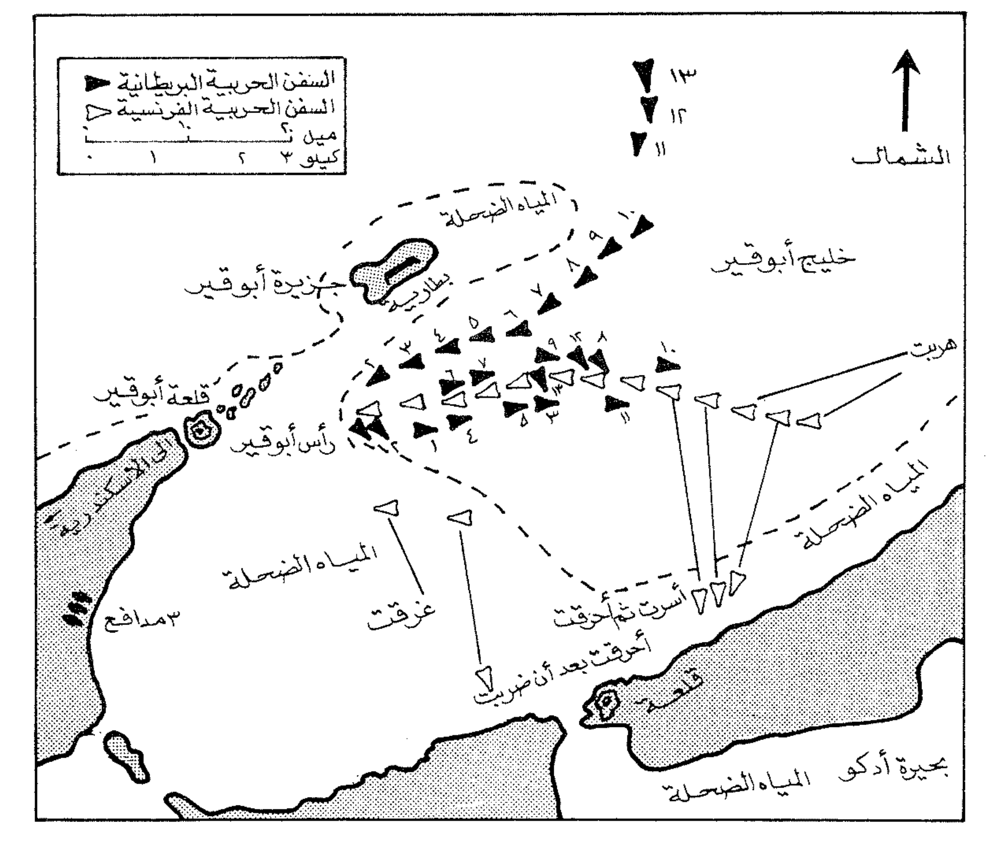
ب – أبو قير الثانية : في ٢٦ و ٢٧ تموز (يوليو) ١٨٨٢

(يرى بعض المؤرخين ومنهم عرابي نفسه في مذكراته تسميتين للمعركة : ابو قير لليوم الاول ٢٦ تموز وعزبة خورشيد لليوم الثاني ٢٧ تموز) .

عزم الانكليز على التدخل في شؤون مصر ايام الخديوي توفيق ، وفي نيتهم احتلالها ، فغزوا ارض مصر باسطولهم البحري في الحادي عشر من تموز ١٨٨٢ (انظر احمد عرابي) وانحاز الخديوي توفيق اليهم ، على حين تصدى لهم جيش مصر بقيادة وزير الحربية آنذاك احمد عرابي .

وما ان وصل الاسطول الانكليزي بقيادة الاميرال «سيمور» الى المياه المصرية قبالة الاسكندرية حتى باشر مناوراته المهدة للاحتلال، فأنذر الجيش المصري بإلغاء تحصيناته على الساحل المصري بالاسكندرية وفي الحصون المواجهة لمراكز

معركة ابو قير (١٧٩٨)

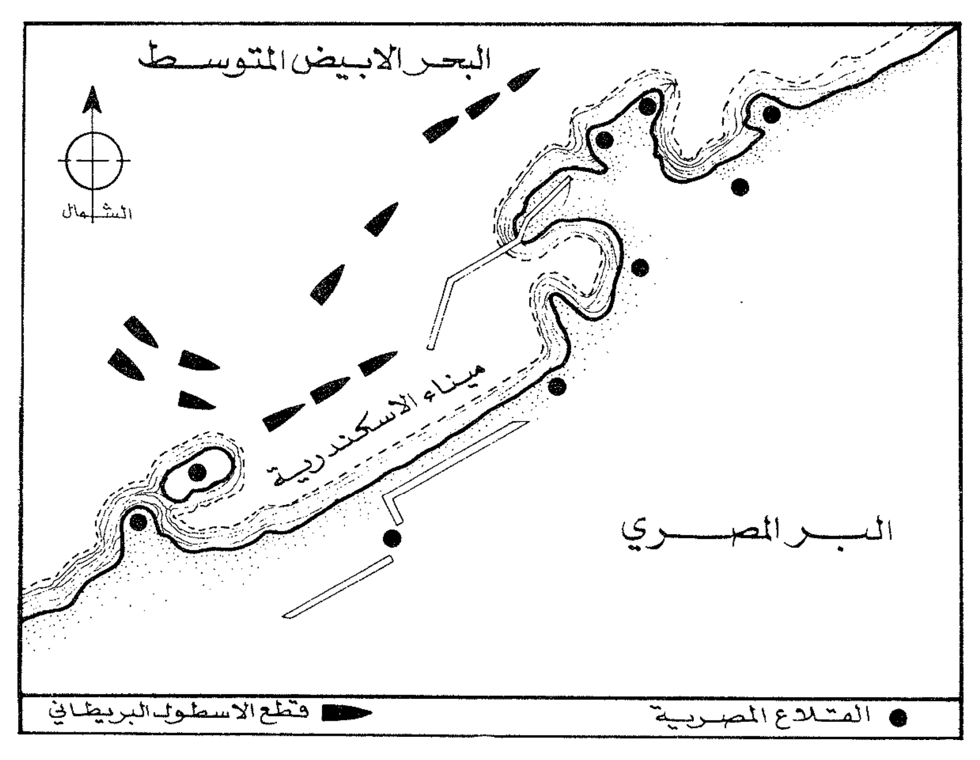


الاسطول الانكليزي واهمها : حصن مريوط وفيه ٣٩ مدفعاً منها ٥ مدافع هاون ، وحصن المكلس وفيه ٣١ مدفعاً ، وحصن رأس التين وفيه ١٧ مدفعاً ، وحصن قايدبيه وفيه ١٢ مدفعاً ، بالاضافة الى عدة متاريس واستحكامات ممتدة على طول ساحل الاسكندرية ومسلحة بمدافع من مختلف العيارات عندها توضحت لدى عرابي ، وكان وزيراً للحربية آنذاك ، ولرفاقه من قادة الجيش والثورة ، نوايا الانكليز بالاحتلال ، فبدأ يستعد لمواجهتهم (انظر احمد عرابي) .

ولما انقضت مدة الانذار بدأ الاسطول الانكليزي يمهد لانزال مشاته على الارض المصرية بقصف مدفعي كثيف لمدينة الاسكندرية (صباح ١١ تموز) ردت عليه مدفعية القلاع المصرية بقصف مماثل ، ثم نزلت الجيوش الانكليزية لتحتل ارض مصر تنفيذاً لخطتها المعدة سلفاً .

ويقول عرابي في مذكراته ان عدد الجنود المصريين الذين كانوا في الاسكندرية يوم بدء القتال مع الانكليز كان اثني عشر الفاً وسبعماية مقاتل وكان الجيش المصري مؤلفاً من ٨ الايات (افواج) مشاة و ٣ الايات (افواج) خيالة و ٢ الاي (فوجي) مدفعية ميدان و ٣ الايات (افواج) مدفعية ساحلية لحماية الثغور ، وفرقة هندسة . وكان عديد هذا الجيش ٣٦ الفاً ، ويمكن ان يرتفع عديده في حالة الانذار القصوى الى ٧٢ الفاً عدا العربان والمتطوعين . وكانت اسلحة الجيش بنادق رمينغتون للمشاة ، وسيوف وغدارات للفرسان ، ومدافع محلزنة من طراز كروب لوحدات المدفعية .

واتخذ عرابي من « كفر الدوار » (الواقعة خلف بحيرة مريوط وعلى الطريق الموصلة الى الاسكندرية من دمنهور) مركزاً لقيادته ، واخذ ينشىء الاستحكامات في تلك المنطقة الممتدة من كفر الدوار الى عزبة خورشيد بعد ان حشد فيها قواته من المشاة والمدفعية منتشرة على ثلاثة خطوط دفاعية منتظمة في العمق بين الواحد والآخر منها مسافة ٤ — ٥ كلم ، وامام كل خط دفاعي خندق عمقه اربعة امتار ونصف وعرضه اربعة امتار . وكانت هذه الخطوط الدفاعية ممتدة بين عزبة خورشيد وكفر الدوار من جهة ، وبين ترعة المحمودية وملاحة مريوط من جهة اخرى (خط دفاعي متقدم) ، ويلي هذه الخطوط (نحو داخل مصر) مراكز محصنة بالمدفعية من مختلف العيارات (نحو خمسين مدفعاً) على المرتفعات الواقعة خلف خطوط الدفاع هذه والتلال الموجودة بين المحمودية وسد ابي قير . وكلف آلاي



قصف الاسكندرية (١٨٨٢/٧/١١)

الخيالة الرابع بقيادة اللواء خورشيد باشا طاهر ، مهمة الدفاع عن ابي قير ، ومنع تقدم العدو من تلك الجهة . كما اعدت السدود على النيل لمنع العدو من الانتفاع بمياهه عند الحاجة ، وذلك بتحويل تلك المياه الى الاراضي المالحة الكائنة بين المحمودية وسد ابي قير .

وقد وضع خطة الدفاع هذه محمود باشا فهمي ، يعاونه الاميرالاي محمد بك شكري ، وكان اكفأ ضباط الاركان في الجيش المصري يومذاك .

وفي صباح ٢٦ تموز (يوليو) ١٨٨٢ وردت الى مركز قيادة الجيش بكفر الدوار برقية من قائد آلاي (فوج) الخيالة الرابع في ابي قير جاء فيها « ظهر العدو من جهة الرمل بأورطتي مشاة وأورطتي سواري (خيالة) ومعه مدفعان يحاول وضعهما على ربوة على بعد ١٥٠ متراً من المستحكم الطبيعي الموجود امام عساكرنا » (ويقول الكولونيل الانكليزي « سبيتان » ان هذه القوة كانت بقيادة الجنرال « أليزون » وكان عديدها نحو ألفي مقاتل) . فوجهت القيادة للتصدي له أورطتين من المشاة وأورطتين من السواري (الخيالة) بقيادة البكباشي (المقدم) احمد افندي البيار والبكباشي (المقدم) مصطفى افندي حسان ، ثم امرت الآلاي الرابع بمساندة القوات المتصدية للعدو ، فهب لمساندتها وبادر بالهجوم فنشب بين الفريقين قتال عنيف استمر ثلاث ساعات ونصف الساعة وانتهى بهزيمة العدو وتقهقره الى مراكزه على الساحل .

وفي منتصف نهار اليوم التالي (٢٧ تموز) اعاد العدو الكرة اذ ظهر قطار محمل بالجنود وقادم من سكة القباري ، وما ان وصل الى مدى رمي المدفعية المصرية (١٥٠٠ متر) حتى بادره البكباشي (المقدم) محمد افندي حشمت بنار مدفعيته (من طراز كروب) فأصيب القطار إصابات جسيمة عطلته عن الحركة ، عندها امر قائد الجيش الانكليزي (الجنرال أليزون) جنده بالترجل والاستعداد للقتال ، وكان هذا الجيش مؤلفاً من اربع فرق ، على كل فرقة واحد من القادة الاربعة : الجنرال (أليزون) القائد العام للجيش،والامير الاي (طوسون) ، والماجور (ستروغ) ›والقومندان (أدج) .

تقدم الجيش الانكليزي للقتال على شكل هلال بقلب وجناحين فتقدم الجناح الايسر من الرمل على جسر ترعة المحمودية ، وتقدم الجناح الايمن بطريق السكة الحديدية من القباري ، وتقدم القلب على طريق جسر المحمودية ، واستعد الجيش المصري للتصدي له ومنعه من التقدم ، وكان هذا الجيش

بقيادة طلبة عصمت باشا قائد فرقة كفر الدوار ومؤلفاً من ٥ أورطات مشاة (واحدة في المقدمة بقيادة احمد بك عفت حكمدار المقدمة ، وثانية بقيادة البكباشي محروس أفندي ، وثالثة بقيادة الحكمدار محمد افندي فوده ، ورابعة بقيادة سليمان افندي ثعيلب ، وخامسة بقيادة البكباشي رزق افندي حجازي) ، وألاي سوارى (الاي برنجي سوارى بقيادة احمد بك عبد الغفار) .

وانتظر طلبة عصمت باشا تقدم العدو بتشكيله القتالي نحو قواته ، وما ان وصل الى مسافة ٨٠٠ متر حتى أمر ببدء القتال محركاً نحو العدو مقدمة قواته (اورطة المقدمة) بقيادة البكباشي محروس افندي الذي انبرى يقاتل ميسرة العدو على حين انبرى لقتال القلب والميمنة البكباشي محمد افندي فوده ومعه اورطة اخرى ، واشتد القتال بين الفريقين ، فاختلط الجند وتقاتلوا بالسلاح الابيض وجهاً لوجه ، واستمر القتال ست ساعات حتى بدأ ظلام الليل ينتشر ، وكان العدو قد مني بخسائر كبيرة فانهكت قواه ، عندها اخذ يتقهقر منهزماً ، وظلت قوات الجيش المصري تطارده حتى حال الظلام بين الفريقين . وكانت خسائر المصريين في هذه الوقعة ٣٠ شهيداً بينهم ضابط واحد ، واما الجرحى فكانوا ٦٥ جريحاً بينهم ملازمان وبكباشي واحد (هو البكباشي محروس افندي الذي ما لبث ان توفي متأثراً بجراحه) .

اما خسائر الانكليز فكانت جسيمة بدليل ان كثيراً من جندهم شوهدوا يحملون قتلاهم وجرحاهم ، كما شوهدت في اليوم التالي من المعركة آثار الدماء وآثار جر الموتى في ساحة القتال، بالاضافة الى ١٧ جثة تركها الانكليز في الساحة دون ان يتمكنوا من حملها معهم ، ومنها جثة ضابط يدعى (الملازم ديز) .

ويذكر الكولونيل بيتان عن هذه المعركة ان مهمة الجيش الانكليزي فيها كانت مهمة تضليل المصريين وإيهامهم ان محور الجهد الرئيسي للهجوم هو الاسكندرية – القاهرة ، على حين كان محور الهجوم الرئيس هو محور الاسماعيلية – القاهرة .

وبالاضافة الى هذه المعارك الهامة فقد جرى في أبي قير معركتان أقل أهمية هما : المعركة التي جرت في ٢٥ تموز (يوليو) ١٧٩٩ وانتصر فيها بونابرت على القوات التركية التي أنزلها الانكليز على الشاطئ المصري لمحاربة الفرنسيين ، والمعركة التي نزل فيهـا الجنرال الانكليزي آبركرومبي Abercromby مع ٢٠٠٠٠ رجل عند أبو قير ، واستولى على الموقع الذي كان يدافع عنه ١٦٠٠ رجل بقيادة الجنرال الفرنسي فريان Friant .

(٩) الأتاسي (لؤي)

عسكري (فريق) ورجـل دولة سوري (١٩٢٦ –   ) . ولد لؤي الاتاسي في حمص ، وتخرج من الكلية الحربية السورية في العام ١٩٤٧ ، واشترك في حرب ١٩٤٨ كقائد فصيلة . ولقد كان من مؤيدي الوحدة المصرية – السورية ومن معارضي انفصال سورية عن الجمهورية العربية المتحدة في ايلول (سبتمبر) ١٩٦١ . وفي ٣ نيسان (ابريل) ١٩٦٢ تولى قيادة المنطقة الشمالية ، وكان برتبة عميد ، واعلن مع فريق من الضباط البعثيين والناصريين معارضتهم لسياسة الحكومة الانفصالية . وسيطروا على حلب وحمص ، وطالبوا عن طريق الاذاعة امدادات عسكرية من الجمهورية العربية المتحدة . ولكن القيادة العامة في دمشق اتخذت موقفاً صارماً ، وهددت باستخدام القوة ، ودفعت قواتها باتجاه حلب . فأعلن الاتاسي من اذاعة حلب عن إلغاء طلب المساعدة العسكرية من الجمهورية العربية المتحدة . وبعد بضعة أيام عاد الهدوء الى حلب وحمص وأبعدت السلطات السورية لؤي الاتاسي ، وعينته ملحقاً عسكرياً في السفارة السورية في واشنطن ، وبقي هناك حتى اوائل العام ١٩٦٣ ، حيث استدعي الى سورية للادلاء بشهادته خلال محاكمة قادة الانتفاضة التي جرت في حلب في نيسان (ابريل) ١٩٦٢ .

كانت سوريا آنذاك ممزقة بين مؤيدي الانفصال عن الجمهورية العربية المتحدة ومعارضيه . وقـد اجتاحت المدن السورية عـدة مظاهرات وجرت اضطرابات عديدة وخاصة في العامين ١٩٦٢ و ١٩٦٣ . وفي ٨ آذار (مارس) ١٩٦٣ قام ضباط بعثيون وناصريون ومستقلون بثورة اطاحت بحكم الانفصال . وشارك الاتاسي في الثـورة ، وكان احد الاعضاء التسعة الذين الفوا مجلس قيادة الثورة . وعين الاتاسي قائداً عاماً للقوات المسلحة السورية ورقي الى رتبة فريق . وفي ٢٤ آذار (مارس) ١٩٦٣ عين رئيساً لمجلس قيادة الثورة . وكانت صلاحيات مجلس قيادة الثورة واسعة . ومن إحدى صلاحياته تعيين الحكومة وإقالتها باكثرية ثلثي الاصوات . وفي ١٨ تموز (يوليو) ١٩٦٣ سافر الاتاسي مع وفد عسكري الى مصر للبحث في شؤون الوحدة وقام الناصريون في اليوم نفسه بحركة عسكرية لم يكتب لها النجاح ، ولكنها أزمت العلاقات مع الرئيس جمال عبد الناصر ، وأدت الى خروج الفريق الأتاسي من السلطة في ٢٧ تموز (يوليو) واستلام الفريق أمين الحافظ مكانه كرئيس لمجلس قيادة الثورة . وكقائد عام للقوات المسلحة .

(٦) أتام

(انظر الاستخبارات الاسرائيلية) .

(١) اتخاذ القرار

بعد أن يستمع القائد لتقارير مساعديـه الاختصاصيين (انظر تقدير الموقف) ويدرس كافة المعطيات المطروحة أمامه ، والاهداف التي ينوي تحقيقها ، فانه يقوم باتخاذ القرار ، الذي يرفع إلى النسق الأعلى للموافقة عليه . وقد تم عملية الرفع والموافقة عن طريق البرقيات اللاسلكية المشفرة إذا كانت ظروف القتال تجبر على ذلك . أما في الانساق الصغرى التي يقدر القائد الموقف فيها بنفسه ، فانه يتخذ القرار بعد تقدير الموقف ويرفعه إلى رؤسائه للموافقة عليه . ولا يصبح القرار قابلا للتنفيذ إلا بعد الحصول على موافقة النسق الأعلى الذي يحق له أن يرفض القرار أو يعدله .

وبعد الحصول على الموافقة ، يستند القائد إلى قراره لإعطاء الأوامر الكفيلة بتحقيقه ، ويتابع مع اركان حربه الاشراف على تنفيذ هذه الأوامر . والقائد هو الشخص الوحيد المسؤول عن اتخاذ القرار وعن النتائج التي تترتب عليه . وهو يستمع قبل القرار إلى تقديرات معاونيه وتوصياتهم ، ولكنه غير ملزم بالأخذ بها . وقد يتخذ في بعض الحالات قرارات معاكسة لكل التوصيات والمقترحات ، لأن العوامل التي تؤثر على القرار لا تقتصر على المعلومات فحسب ، بل تشمل أيضاً طبيعة القائد نفسه ، وحالته النفسية ، وعقيدته العسكريـة ، وتصوره الشخصي لطبيعة المعركة . ويتحمل القائد وحده المسؤولية الكاملة في حالة الفشل الناجم عن خطأ القرار . ولا يشاركه المساعدون في تحمل أعباء هذه المسؤولية ، إلا إذا ثبت أن المعلومات والتحليلات التي قدموها كانت خاطئة بشكل أثر على صحة القرار ، وعرض القائد للخطأ الناجم عن اعتماده على معطيات غير صحيحة .

ولقد أطلق احد القادة العراقيين على اتخاذ القرار اسم الولادة ، ونصح مساعديه بالتروي عند اتخاذ القرار ، فقال : فكر ثم فكر ثم فكر . ناقش واستشر ثم قرر » .

(٦) الاتصال السلكي واللاسلكي

اعتمد التطور الحضاري منذ فجر التاريخ على قدرة الانسان على تطوير وسائله في الاتصال، بمعنى: كمية المعلومات المراد نقلها، ومقدار المسافة التي سوف تنقل المعلومات عبرها، والمدة التي تستغرقها في الوصول، وكفاءة ودقة الوسيلة المستخدمة، وعدد المستفيدين من هذه المعلومات.

ويتم الاتصال بواسطة الكلمة المكتوبة او المسموعة، الايماء، الصوت، الصورة، الاشارة، وعليه فإن اي نظام للاتصال يتألف اساساً من: **مصدر المعلومات**، وهو الذي يحدد كمية ونوع المعلومات المراد نقلها. **ووسيلة الارسال**، أو الاداة التي تتلقى المعلومات وتقوم بتحويلها الى إشارات او رموز معينة ثم تقوم بنقلها بدقة. **وقناة الاتصال**، وهي الوسط الذي تنتقل الاشارات او الرموز عبره بوضوح وبأقل زمن ممكن. **ووسيلة الاستقبال**، او الاداة التي تتلقى الاشارات او الرموز وتقوم بتحويلها الى الكيفية التي نقلت بها. **والمستفيد**، وهو الذي يتلقى المعلومات في النهاية.

ان تطور حلول التحديات السابقة عبر العصور هو الذي صنع تاريخ الاتصال. واليوم يمكن نقل آلاف الكلمات، عبر آلاف الاميال، لملايين الاشخاص، في الثانية الواحدة. وقد امكن التوصل الى التطور الحالي في وسائل الاتصال عبر سلسلة من الاكتشافات العلمية، ما زالت مستمرة، تم معظمها خلال القرنين الاخيرين. ولقد كان القرن التاسع عشر، **عصر الاتصال السلكي** الذي ظهر فيه التلغراف والهاتف.

أ – التلغراف: نظام كهربائي يستخدم رموزاً معينة تنقل بواسطته المعلومات الى اماكن بعيدة عبر أسلاك كهربائية. وكلمة تلغراف، كانت تطلق في السابق للدلالة على اي نظام ترسل بواسطته المعلومات مشفرة. ولقرون عديدة خلت نقلت مختلف انظمة التلغراف الاشارات باستخدام النار، والدخان، والطبول، والاعلام، والحمام الزاجل، والمرايا التي تعكس أشعة الشمس، وابراج السيمافور ذات الاذرع المتحركة. وعندما شاع استخدام الكهرباء بدأ التفكير في استخدام طاقتها التي تسري في الاسلاك الكهربائية لارسال الاشارات. وكانت العقبة التي واجهت المصممين في البداية هي تأمين مصدر مناسب لتزويد اجهزة التلغراف بالطاقة اللازمة. وقد امكن التغلب عليها بعدما اخترع الايطالي اليساندور فولطا الخلية الكهربائية في سنة ١٨٠٠.

أجرى مئات المصممين كثيراً من التجارب لارسال إشارات كهربائية بواسطة خط سلكي: فاستعمل بعضهم خطاً سلكياً لكل حرف من حروف الابجدية، واستعمل البعض الآخر اقراصاً تدور بشكل متناسق بحيث تظهر الاحرف المطلوبة عند ارسال الاشارة، كما استعمل غيرهم إبرة مغناطيسية تتحرك يمنة أو يسرة لدى ورود الاشارة، الا ان جميع هذه التصاميم والتجارب التي أجريت عليها لم تكن ذات قيمة عملية حقيقية. وفي سنة ١٨٢٩ ابتكر جوزيف هنري (معلم مدرسة من مدينة الباني بولاية نيويورك) مغناطيساً كهربائياً مناسباً لاستعماله في التلغراف ونجح بواسطته في ارسال نبضات كهربائية عبر خط سلكي يبلغ طوله ميلا واحداً في سنة ١٨٣١.

وفي سنة ١٨٤٤ استطاع صمويل مورس (فنان اميركي)، أثر تجارب شاقة، ان يجري اتصالا تلغرافياً بين مدينة واشنطن ومدينة بالتيمور بولاية ماريلاند الاميركية التي تبعد عنها (٤٠) ميلا. وفي هذا الاتصال نقل مورس اول رسالة تلغرافية. وكان هذا أول استخدام عملي لانظمة التلغراف عمم فيما بعد في الولايات المتحدة. وقد استخدم مورس رموزاً خاصة تتكون من نقط وشرطات للدلالة على احرف الابجدية والارقام، اشتهرت باسمه. ثم تبنى القسم الاعظم من اجهزة التلغراف التي صنعت بعد ذلك طريقة مورس، وبمقتضاها يقوم عامل الارسال بفتح واغلاق مفتاح خاص لفترات قصيرة او طويلة (القصيرة = نقطة، والطويلة = شرطة)، ويقوم عامل الاستقبال بملاحظة قصر او طول الفترة الزمنية التي تفصل بين نبضات الارسال، ويستدل عليها بواسطة الاستماع الى تكتكة المغناطيس الكهربائي في جهاز الاستقبال، ثم يقوم بتسجيل الرموز الواردة وتحويلها الى كلمات وجمل مفهومة.

فتح نظام مورس الباب امام ابتكارات عديدة في حقل الاتصالات السلكية، ففي سنة ١٨٥٣ تمكن ويلهلم جنتل «Wilhelm Gintl» (فيينا) من تطوير نظام ثنائي يمكن بواسطته ارسال رسالتين في اتجاهين متعاكسين في آن واحد باستخدام خط سلكي واحد. وفي سنة ١٨٧٤ صنع توماس اديسون نظاماً رباعياً ترسل بواسطته اربع رسائل، رسالتين في كل اتجاه. وفي سنة ١٨٩٠ اصبح بالامكان استقبال الرسائل التلغرافية مطبوعة على الآلة الكاتبة. وقاد كل ذلك الى تطوير نظام الارسال المتعدد وتعميمه في سنة ١٩١٤، والى تطوير الآلة الكاتبة المبرقة «Teleprinter» وتعميم استخدامها في سنة ١٩٢٠.

استخدم التلغراف عسكرياً لاول مرة إبان حرب القرم من قبل الجيش البريطاني في العام ١٨٥٤. وفي أثناء التمرد الهندي الذي اندلع في العام ١٨٥٧ استخدمت القوات البريطانية المنتشرة نظام التلغراف التجاري في الهند لربط القوات بعضها ببعض وبالحكومة في كلكوتا. وكان هذا اول استخدام لشبكة تلغراف مدنية لاغراض عسكرية، ثبت بنتيجته انه يمكن استخدام الاتصال السلكي لتنسيق تحركات الجيوش وارسال المعلومات العسكرية الهامة. وبناء عليه تطور استخدام هذا النوع من الاتصال واتسع، ثم ما لبث أن تخلى عن مكانه بالتدريج مع تقدم الاتصال اللاسلكي.

ب – الهاتف: نظام كهربائي، تنتقل بواسطته الموجات الصوتية الى مسافات بعيدة في صورة نبضات كهربائية لدى ارسالها، ثم تتحول مرة اخرى الى موجات صوتية مطابقة للاصل لدى استقبالها، وذلك عبر شبكة من الاجهزة والخطوط السلكية متصلة بمركز توزيع رئيسي.

في سنة ١٨٧٤ اكتشف (الكسندر غراهام بل) أثناء اجرائه تجارب (في مختبره بمدينة بوسطن الاميركية) لنقل رسائل تلغرافية متعددة عبر خط سلكي في آن واحد، ان بالامكان نقل الموجات الصوتية بواسطة سلك كهربائي، فانكب على دراسة اكتشافه هذا وتوصل الى ان نقل الموجات الصوتية ذات الترددات المختلفة علواً وانخفاضاً يتطلب توليد تيار كهربائي ضعيف متغير في الشدة. وفي خلال سنة واحدة استطاع تصميم وتجربة اول جهاز هاتفي. وفي سنة ١٨٧٦ عرض (بل) طريقته وحصل على براءة اختراع الهاتف. وبالرغم من ان الهاتف تطور كثيراً فيما بعد، الا انه ما يزال يستخدم نفس المبدأ الذي اكتشفه (بل) ويتلخص في العلاقة بين التيار الكهربائي والموجات الصوتية.

وتقدر فائدة الهاتف بمقدار السهولة والسرعة التي يمكن بها وصل اجهزة المستفيدين بعضها ببعض. ولتحقيق هذا الامر فإن جميع خطوط الاجهزة المستعملة متصلة بمركز توزيع رئيسي يتم فيه وصل الخطوط اوتوماتيكياً بواسطة اجهزة خاصة عند ادارة قرص الهاتف على النحو المطلوب. ويلاحظ ان غالبية اجهزة الهاتف المدني، في الوقت الحالي، ذات قرص دوار. أما هواتف الميدان فهي بدون قرص لأنها تؤمن الاتصال مع مستفيد واحد.

بالرغم من ان الاستخدام المدني التجاري للهاتف عمم في التسعينيات من القرن التاسع عشر، إلا ان استخدامه العسكري لم يتطور بشكل كامل الا

في الحرب العالمية الاولى عندما تطلبت ظروف الحرب على الجبهة الغربية انشاء شبكة اتصال يمكن بواسطتها ربط التشكيلات العسكرية صعوداً وهبوطاً حتى مستوى قيادة السرية (والفصيلة أحياناً إذا كانت منعزلة).

والاتصال الهاتفي هو وسيلة مرضية تماماً في الدفاع، وهي تصلح لمعظم الاماكن. وقد تتألف شبكة الاتصال السلكي من منشآت ثابتة دائمة، كما هو الحال بين المراكز العسكرية الثابتة داخل حدود الدولة، أو منشآت شبه ثابتة قابلة للحركة أو بعبارة اخرى مؤقتة كما هو الحال في شبكة الخطوط السلكية بين الوحدات التكتيكية. وتستعمل المنشآت الثابتة بين قيادة مسرح العمليات وقيادات مختلف الاسلحة العسكرية مثل قيادة سلاح الجو، ومنشآت الموانئ العسكرية. ويستخدم الاتصال الهاتفي أيضاً في الهجوم حيث تقوم وحدات الاشارة بمد الخطوط الهاتفية وراء القوات المهاجمةبسرعة تتناسب مع سرعة الهجوم. (انظر خط هاتفي ميداني).

ومن سلبيات الاتصال الهاتفي في الهجوم والدفاع حساسية الخطوط الهاتفية إزاء رمايات المدفعية والطيران، وقدرة الدوريات ووحدات المغاوير المعادية المتسللة الى عمق الترتيب القتالي على الاستماع للمكالمات الهاتفية بشكل مباشر، أو تركيب أجهزة بث لاسلكي على خطوط الهاتف تنقل المكالمات إلى مسافة بعيدة بعد انسحاب الدوريات. لذا تستخدم القيادات عادة في الميدان شيفرة خاصة، أو تستخدم الهاتف السري (سكروفون) الذي يشوش الموجات الصوتية الصادرة عن المتكلم، على أن يعيدها الى وضعها الأصلي جهاز لاقط معد لهذه الغاية. كما تقوم وحدات الاشارة بتسيير دوريات على طول الخطوط لمراقبتها بشكل دوري مستمر.

ج – **اللاسلكي:** كان القرن ٢٠ **عصر الاتصال اللاسلكي**، اي الاتصال بواسطة **الراديو**. فبعد ان تطور استخدام التلغراف واصبح يغطي حقولا كثيرة، كان لا بد من تطوير وسيلة جديدة تمكن من الاتصال بالاماكن التي يتعذر مد الخطوط التلغرافية الهاتفية اليها – كالسفن في عرض البحار – وقد اعتمد هذا التطوير الهام في عمل التلغراف على فرضيات ونظريات ونتائج عملية توصل اليها العديد من العلماء من اهمها: فرضية المجال الكهرومغناطيسي التي أوجدها فاراداي في سنة ١٨٣٢. وفي سنة ١٨٦٥، استطاع م. لوميز «Mahlon Loomis» صنع اول هوائي لاسلكي وارسال ذبذبة لاسلكية عابرة، مسافة ١٨ ميلا. وفي سنة ١٨٧٣، تنبأ جيمس كلارك ماكسويل بوجود وخصائص الموجات اللاسلكية نظرياً. وفي سنة ١٨٧٩، استطاع د. إي. هيوز «D. E. Hughes» توليد موجات لاسلكية وارسالها مسافة تزيد عن (١٠٠) ياردة. وفي سنة ١٨٨٦، أثبت هنريخ هيرتز في المختبر ان للموجات اللاسلكية خصائص تشبه الموجات الضوئية.

وفي سنة ١٨٩٤، عرض هنري لودج اول نظام اتصال لاسلكي. وفي سنة ١٩٠١، حقق جوليلمو ماركوني «Guglielmo Marconi» انجازاً هاماً عندما أجرى اتصالا لاسلكياً عبر المحيط الاطلسي مستخدماً البث بالموجة الطويلة.

ثم توالت الاكتشافات والافتراضات والاختراعات مثل فرضية وجود طبقة الايونوسفير (كنللي وهيڤيسايد – ١٩٠٢)، واختراع الصمام الترميوني الثنائي (فلمنغ – ١٩٠٤)، واختراع الصمام الثلاثي المفرغ (دي فورست ١٩٠٥)، والتأكد من وجود الايونوسفير (ادوارد ابلتون – ١٩٢٤). كما توالت التجارب والاختبارات باستخدام اطوال موجية مختلفة (طويلة، قصيرة، متوسطة) الى ان اصبح الراديو اهم وسيلة اتصال معاصرة وطبق استخدامه في الانظمة التي كانت معروفة في السابق كالتلغراف، والتلفون، واجهزة التفجير عن بعد، واجهزة القياس عن بعد «Telemetry» والآلات الكاتبة المبرقة (التيليكس)، والانظمة التي تطورت فيما بعد كالاذاعات، والتلفزيون، والاقمار الصناعية، والاجهزة الملاحية، والرادار، واجهزة الضبط النائي او السيطرة عن بعد «Remote Control».

في البداية، كانت الرسائل اللاسلكية ترسل مشفرة (بالرموز) كما هو الحال بالنسبة للتلغراف. وفي سنة ١٩٠٦ أجريت تجارب ناجحة من اجل دمج اختراع الكسندر غراهام بل (نقل الصوت عبر الخطوط السلكية) بالبث اللاسلكي. ثم تطورت هذه التجارب، وما ان حلت سنة ١٩١٥ حتى امكن بث الصوت لاول مرة عبر المحيط الاطلسي، وحول العالم في سنة ١٩٣٥ عبر شبكات من الارسال اللاسلكي والبرقي.

ويمكن تعريف الراديو بانه نظام كهربائي يستخدم الموجات الكهرومغناطيسية لارسال المعلومات عبر الفضاء بواسطة هوائيات يمدها جهاز ارسال بالطاقة اللازمة، ثم يستقبلها بواسطة هوائيات تمتص جزءاً من طاقة هذه الموجات وتنقلها الى جهاز استقبال يحولها مرة اخرى الى معلومات بالكيفية التي ارسلت بها (اشارات، اصوات).

ولقد تطور استخدام اللاسلكي في الحرب العالمية الأولى ليصبح وسيلة اتصال عسكرية، ثم تزايد الاعتماد على الاتصال اللاسلكي في فترة ما بين الحربين العالميتين، وفي النصف الثاني من القرن العشرين نظراً لانتشار استخدام الطائرات والقطعات الآلية سريعة الحركة، ونظراً لعمق مسارح العمليات وازدياد عرض الجبهات وسرعة وتيرة القتال.

ويستخدم الاتصال اللاسلكي شبكات من الاجهزة اللاسلكية تعمل على ترددات متفق عليها وتكون الشبكة في الدفاع ثابتة أو شبه ثابتة. وهي تربط القيادات من مختلف الانساق. أما في الهجوم وحرب الحركة فتكون الشبكة عبارة عن أجهزة محمولة على آليات او على ظهور الرجال. وتستخدم القيادات من مرتبة كتيبة فما فوق اكثر من شبكة اتصالات لاسلكية، تكون شبكة منها للاتصال مع وحدات المشاة، وأخرى للاتصال مع الاسلحة المعاونة، وثالثة للاتصال مع قيادة النسق الأعلى.

وتختلف شبكة الراديو في الاساطيل البحرية من حيث انها تربط مختلف منشآت السلاح البحري بعضها ببعض بما في ذلك طائرات هذا السلاح وغواصاته ومنشآت خاصة توضع على الشواطئ، كما تربطها بمختلف الاسلحة الاخرى.

لقد اصبح الراديو في هذا العصر الوسيلة المثلى لربط الاسلحة المختلفة بعضها ببعض في الوقت الذي ازدادت فيه سرعة تحركاتها بشكل كبير، وهو في الوقت نفسه الوسيلة الوحيدة التي يمكن بواسطتها الاتصال بالمراكب وبالطائرات الحربية. وقد طورت الدول العظمى شبكة اتصال لاسلكية عالمية بالغة التعقيد لربط مختلف اسلحتها الموزعة حول العالم بالقيادة المركزية. وتتضمن هذه الشبكات العالمية وسائل تقنية متقدمة جداً مثل أقمار المواصلات ومحطات تقوية ارضية وبحرية وجوية. وبواسطة هذه الشبكات المعقدة يمكن تحقيق الاتصال بين القيادة المركزية واصغر الوحدات المقاتلة بما في ذلك الآليات، والسكك الحديدية، والسفن والغواصات، والطائرات، والمحطات الارضية.

(٧) **اتفاقية**

هي حصول الرضى على أمر أو تدبير يتناول بعض التعهدات والاجراءات. وتطلق أيضاً على الوثيقة التي تثبت ذلك. وترادف من هذه الناحية، الموافقة، والمعاقدة، والمعاهدة.

وتستعمل كلمة الاتفاقية بصورة عامة، في

علاقات الافراد والجماعات ، كما تستعمل ايضاً في العلاقات الدولية . وفي أغلب الاحيان لا يتميز استعمالها عن استعمال كلمة «الاتفاق» إلا أن استعمالها يكون في الحالات التي تستهدف تنظيم علاقات متعددة تتناول اكثر من طرفين ؛ وقد يترك أمر الانضمام اليها في المستقبل الى اطراف أخرى ضمن الشروط المفروضة . ولهذا كثر استعمال كلمة الاتفاقية على الصعيد الدولي لأجل تنظيم بعض العلاقات الهامة ؛ وذلك بنتيجة اتصالات واجتماعات او مؤتمرات تعقدها الهيئات او المنظمات المنبثقة عن «هيئة الامم المتحدة» او الممثلة للدول ذات العلاقة ، في سبيل معالجة القضايا العامة .

وقد يتناول الاتفاق الحقوق العامة ، والعلاقات السياسية بين الدول ، ومنها المسائل العسكرية كالاتفاق الذي حصل بين فرنسا وانكلترا سنة ١٩٠٤ على اطلاق يد الاولى في مراكش واطلاق يد الثانية في مصر ، واتفاقهما الحاصل سنة ١٩١٦ (اتفاق سيكس - بيكو) على توزيع الانتداب على دول الشرق الادنى المنسلخة عن السلطنة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى . وفي الغالب تستعمل في هذه الحالات كلمة تحالف (Alliancc) أو كلمة معاهدة (Traite) كمعاهدة الدفاع المشترك بين الدول العربية ، ومتى تجاوز عدد الفرقاء الاثنين تستعمل غالباً كلمة الاتفاقية او الحلف (Charte) كالحلف الاطلسي ، أو الميثاق كميثاق الجامعة العربية .

وكثيراً ما تحدد للاتفاق الدولي مدة معينة وخصوصاً في القضايا السياسية والعسكرية لأن مثل هذه الروابط لا تكون طويلة الأمد . وعلى كل فان قيمة الاتفاق بين الدول قائمة على الشرف واحترام العهد والمصلحة . ولهذا قد ينقض الاتفاق قبل انقضاء أجله أو لا ينفذ فعلا بسبب تطور العلاقات الدولية وتغيير السياسة ، وهذا ما حصل للاتفاق الذي عقده هنيبال بعد هزيمته أمام روما مع الملك فيليب المقدوني ، والذي ورد فيه أن يقوم بينهما تحالف أبدي بين أصدقاء وأهل واخوة ، اذ لم يعرف التنفيذ ، بل حل محله في اليوم التالي ، تحالف صادق بين الملك فيليب وروميه .

وتجدر الاشارة الى ان الاتفاق الدولي يعتبر ، من ناحية تقرير الحقوق ، شرعة متميزة على القانون الداخلي ، ومرجحة عليه ، عندما تتناقض بنودها مع نصوصه .

ومن أهم الاتفاقيات الدولية في القرن الماضي والقرن الحاضر :

١ - اتفاقية جنيف الدولية ، المعقودة بين معظم الدول في ١٨٦٤/٨/٢٢ بناء على مساعي جان هنري دونان (J. H. Dunant) بغية تحديد مصير جرحى الحرب . ومنها انطلقت حركة تأسيس جمعيات «الصليب الاحمر» .

٢ - الاتفاقية الموقعة بين فرنسا ، وانكلترا ، والنمسا ، وروسيا ، والمانيا ، والسلطنة العثمانية في ١٨٤١/٧/٢٣ ، المتضمنة منع مرور البواخر الحربية في المضايق ، واتفاقية لندن في ١٨٧١/٣/١٣ بين الدول المذكورة والتي أعادت لروسيا حرية الملاحة في البحر الأسود .

٣ - اتفاقية حماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح المعقودة في لاهاي بتاريخ ١٩٥٤/٥/٢٥ .

٤ - اتفاقية تحديد التجارب النووية المعقودة في ١٩٦٣ .

٥ - اتفاقية سولت المعقودة في ١٩٧٢ و ١٩٧٤ .

(٥) أتول (صاروخ)

صاروخ جو - جو سوفياتي : و (اتول) هي تسمية حلف الاطلسي للصاروخ السوفياتي (س ب ٦) الذي تتسلح به طائرات ميغ ٢١ . ويبلغ طول الصاروخ ٢٨٠ سم ، وقطره ١٢ سم ، وقطر زعانفه الامامية ٤٥ سم ، والخلفية ٥٣ سم . وهو يوجه بالأشعة تحت الحمراء . ويستخدم على نطاق واسع في معظم اسلحة الجو التي تستعمل طائرات ميغ ٢١ بما في ذلك الدول العربية والهند .

(٢) آثار الانفجار النووي

ينجم عن الانفجار النووي حرارة عالية ، وموجة ضاغطة مدمرة ، وغبار ذري ، وأشعة قاتلة . وتختلف آثار الانفجار باختلاف مكانه : انفجار جوي ، انفجار على سطح الأرض أو الماء ، انفجار تحت الأرض ، انفجار تحت الماء .

أ - آثار الانفجار الجوي : وسنذكر هنا الآثار في حالة الانفجار على ارتفاع ٥٠٠ قدم عن سطح الأرض .

الكرة النارية : خلال بضع اجزاء من مليون جزء من الثانية بعد الانفجار يتكون غاز كروي مضغوط شديد الحرارة يشكل كرة نارية يرى لمعانها بعد حوالي جزء من عشرة آلاف جزء من الثانية ، من مسافة عشرة أميال ، وتعادل قوة الضوء المنبعثة منها ما يعادل ثلاثين ضعفاً ضوء الشمس في الظهيرة . ويرى بريق في السماء من مسافة ٤٠٠ ميل .

وعندما تبرد الكرة النارية يتضاعف حجمها ، وترتفع في الجو كأنها بالون هواء حار . وتصل الى حجمها الأقصى بعد ثانية واحدة من انفجار القنبلة الذرية حيث يصبح عرضها ٣٠٠ ياردة وترتفع بمعدل ١٥٠ الى ٣٠٠ قدم كل ثانية . وعندما تبرد وتتسع بعد عشر ثوان تصبح غير مرئية ، وترتفع الى ثلث الميل من نقطة الانفجار .

تكوين غيوم الدخان : ترتفع درجة الحرارة في داخل الكرة النارية ، وتتحول كل المواد التي تحوي نتاج الانشطارات الاشعاعية الى بخار . ويتكاثف البخار عندما تهبط درجة الحرارة ليكون دخاناً . وفي الحال تحدث ريح عاتية ترتفع الى الأعلى ، وأخرى تنساب الى الداخل في المنطقة القريبة من نقطة الصفر (مركز الانفجار) . ويتكون عمود دخاني يحتوي على اجزاء صغيرة جداً من نتاج الانشطارات الذرية والرماد والغبار . واذا كان الهواء رطباً يمتزج العمود بقطرات من الماء .

يصل العمود الى علو ميل في ٢٠ ثانية بعد الانفجار ، ثم الى ميلين في ٥٠ ثانية ، ثم الى ٣ اميال بعد اكثر من دقيقة ونصف . ويرتبط ارتفاع العمود بطاقة القنبلة ودرجات الحرارة وكثافة الهواء المحيط بمنطقة الانفجار .

ويتوقف تصاعد العمود عندما تتساوى كثافة الغازات فيه مع كثافة الهواء المحيط به ، وعندئذ تنتشر قمة العمود بعيداً لمسافة بضعة أميال مشكلة رأساً يشبه الفطر . وهكذا تنتشر اجزاء العمود في مختلف الاتجاهات وبارتفاع منخفض يعتمد على سرعة الريح . وبعد عشر دقائق تصل الغيوم الفطرية الى ارتفاع من ٧ الى ٩ اميال او اكثر حسب الظروف الجوية . وتبقى مرئية حوالي الساعة الى ان تبددها الريح وتتداخل مع الغيوم .

موجة الصدمة : بعد ١ من ١٠٠٠ من الثانية تتكون أمواج ذات ضغط عال تتحرك خارجة من كرة النار ، وهي امواج الصدمة التي تسبب التدمير الناجم عن العصف . وتنتقل أمواج الصدمة لمسافة ميلين وبسرعة ١١٥٠ قدماً في الثانية ، وهي أسرع من سرعة الصوت بقليل .

عند اصطدام أمواج الصدمة بسطح الارض تنعكس الى الوراء ، وهذه الامواج المنعكسة قادرة

على احداث تخريب المواد في نقاط معينة اذ تمتزج الامواج المباشرة والمنعكسة . ويتزايد التدمير الناتج من الانفجار بسبب اتحاد امواج الصدمة المباشرة وغير المباشرة وتزايد الضغط في الجزء المتحد ومضاعفة قوته من مرتين إلى ثماني مرات على قوته في الموجة المباشرة .

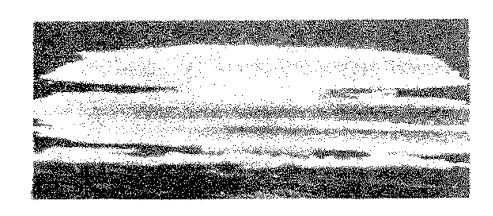
الاشعة النووية والحرارية : تبدأ كرة النار حالا بنفث الأشعة الحرارية بمجموعتين الأولى تبقى لمدة واحد من ١٠٠ من الثانية ، وتحتوي على جزء كبير من الأشعة ما فوق البنفسجية ، وتكون أشعة المجموعة الثانية مرئية او ما تحت الحمراء ، وتستمر حوالي ١٠ ثوان . والحقيقة تحدث معظم هذه الأشعة الحرارية خلال ثانية واحدة وتنتهي خلال ثلاث ثوان .

وتنشر القنبلة الذرية عند الانفجار اشعة غاما والنترونات ، بالاضافة الى الاشعة النووية المؤلفة من اشعة غاما واجزاء الفا وبيتا المطرودة من نتاج الانشطارات والرماد الذري في كرة النار وغيوم الدخان ، وخلال الدقيقة الاولى تصل أشعة غاما الى سطح الارض بكميات كبيرة ، وفي نهاية الدقيقة الأولى تصل الغيوم الذرية الى ارتفاع ميلين ، ويمتص الهواء كل الاشعاعات النووية .

العصف : تتحرك الغازات الحارة المضغوطة الناتجة من تفجير القنبلة خارج مركز الانفجار ، وتحدث ضغطاً عالياً على ما حولها . وبما ان الغازات تستمر في التمدد وهي تدفع الهواء اكثر فاكثر ، فان الأقسام الأخيرة تتحرك خلال منطقة ضغطت وسخنت بحركة الموجة الأولى . وبما ان الأقسام الداخلية من موجة الغاز المضغوط تتحرك بصورة أسرع من الأقسام الخارجية يحدث ما يسمى بموجة الصدمة . ان موجة الصدمة وقدومها والريح المصاحبة لها تسبب التخريبات . ويكون الضغط في ذروته في مقدم الصدمة ، ويتناقص تأثير موجة الصدمة في التخريب كلما ازداد البعد عن مركز الانفجار .

تأثير الحرارة : تنخفض درجــات الحرارة داخل الكرة النارية باطراد ، وفي الوقت ذاته تنخفض درجات الحرارة وبسرعة على سطحها ولمدة واحد من ١٠٠ من الثانية ، وعندما تصل الى ١٧٠٠ درجة مئوية تبدأ بالارتفاع حتى تصل الى ٧٠٠٠ درجة مئوية في ثلث ثانية ، ثم تبدأ بالانخفاض الى ان تصل الى ١٠٠٠ درجة مئوية تقريباً بعد انتهاء ثلاث ثوان .

تكون حرارة المجموعة الأولى من الأشعة الحرارية التي تحدثنا عنها عالية جداً . وكمية قليلة منها تسبب



انفجار هيدروجيني (١٩٥٦)



آثار الحريق على ظهر ياباني كان قريباً من مدينة ناغازاكي

احمرار الجسم . أما اذا كانت بكميات كبيرة فانها تسبب حروقاً مؤلمة .

وتحتوي المجموعة الثانية من الاشعة على الغالب ٩٩ ٪ من مجموع طاقة الأشعة الحرارية وتبقى لمدة ٣ ثوان . وبما انها اقل حرارة من المجموعة الأولى فمعظم ما يصل الأرض هو اشعة بما تحت الحمراء وأشعة مرئية هي السبب الرئيسي في حروق الجسم لمختلف الدرجات اذا تعرض لها الانسان من مسافة ميلين او اكثر . وهي التي تسبب الحرائق اذا تيسرت الشروط الملائمة .

يمكن إيقاف الاشعة الحرارية (لانها تسير بخطوط مستقيمة) بواسطة ملابس سميكة الى حد ما . ومن الممكن تجنب الخسائر الناجمة عن المجموعة الثانية اذا توفرت الحماية من الأشعة المباشرة خلال ثانية واحدة من ظهور الضياء اللامع الذي يصحب الانفجار . وتكون الخسائر الناتجة من الاشعة الحرارية أقل عندما يكون الجو غائماً ، كما ان الخسائر تقل كلما ابتعدنا عن مركز الانفجار وذلك بسبب مرور الأشعة في الهواء .

ان قنبلة الذرية ٢٠ كيلو طن تؤدي الى حروق معتدلة في الجسم حتى مسافة ٣٤٠٠ ياردة من مركز الانفجار في يوم صاح ، في حين تؤثر القنبلة ٤٠ كيلو طن حتى مسافة ٤٣٠٠ ياردة ، والقنبلة ٦٠ كيلو طن حتى مسافة ٥٠٠٠ ياردة من نقطة الصفر .

الاشعة النووية الآنية : من المناسب ان نعتبر الأشعة النووية ذات قسمين : آ – الأشعة النووية الآنية ، ب – أشعة الرماد الذري .

وتصل الاولى الى سطح الارض من الكرة النارية والغيوم الذرية وتتألف من النترونات وأشعة غاما . اما اجزاء الفا وبيتا فلا تصل الى سطح الارض من الانفجار الذري والجوي لأن مداها قصير . ويقلل الجو من تأثير أشعة غاما التي تمتص وتقل شدتها كلما ابتعدنا عن مركز الانفجار . وحماية قسم من الجسم من أشعة غاما ربما أعطت الفرد فرصة النجاة .

ولا تسبب النترونات التي تنبعث عند انفجار القنبلة مخاطر بالمقارنة مع أشعة غاما ، لأن المدى المميت للنترونات هو أقل من المدى المميت لأشعة غاما الآنية . وعندما تزداد طاقة القنبلة الذرية يزداد المدى المميت للنترونات .

النشاط الاشعاعي للرماد النووي : يبقى النشاط الاشعاعي بعد انتهاء التــأثير الآني للانفجار . ويتألف من أشعة غاما وأجزاء بيتا وأجزاء الفا التي تتولد من اليورانيوم بعد الانشطار . وبالإضافة الى ذلك ، فان بامكان النترونات في الأشعة الآنية تبديل المواد الموجودة في الارض الى مواد مشعة تبعث أشعة غاما واجزاء الفا وبيتا لبعض الوقت . وتسمى هذه الظاهرة بظاهرة الاكتساب . ولا تتميز بهذه القابلية سوى النترونات فقط . اما أشعة غاما فليس لها هذا التأثير .

ب – آثار الانفجار الذري على سطح الأرض أو الماء :

يحدث هذا الانفجار على ارتفاع ٥٠ قدماً فوق سطح الأرض أو الماء . وتكون ظواهره وسطاً بين الانفجار في الجو والانفجار تحت السطح .

وفي الانفجار على السطح تمس الكرة النارية قبل نموها وبدايتها سطح الارض ، فتتبخر كميات كبيرة من الصخور والأتربة والمواد الأخرى بسبب الحرارة فتندفع مع الكرة النارية ، ثم تبرد وتصعد في الجو وتنتشر كأجزاء ملوثة مع نتاج الانشطارات الذرية وغيرها من بقايا القنبلة ذات النشاط الاشعاعي .

ويعتمد تشكيل فوهة البركان وحجم الفوهة على ارتفاع الانفجار ، وخصائص التربة ، ولا يمكن تشكيل فوهة الا اذا حدث الانفجار على ارتفاع اقل من ١٠٠ قدم . وخلال ارتفاع الكرة النارية تمتص كميات كبيرة من أجزاء المواد المختلفة على سطح الارض ، خصوصاً اذا حدث الانفجار على مستوى منخفض ، ويتكون عمود من الدخان وغيوم على شكل الفطور كما في الانفجار الجوي . ولكن

العمود والغيوم في هذه الحالة تحمل كثيراً من الغبار والانقاض والمواد الأخرى . وفي تجربة آلاماكوردو في نيومكسيكو ارتفعت الغيوم الى علو ٤٠٠٠٠ قدم قبل ان تنتشر .

واذا ما تم الانفجار الذري قرب سطح الماء او عليه تتبخر كميات كبيرة من الماء وتحمل في الغيوم الذرية ، وتحمل كميات كبيرة من الماء مع الكرة النارية تتكاثف فيما بعد وتشكل القطرات الملوثة بالرماد الذري .

عصف الهواء والصدمة الارضية : ان مجموع تأثير العصف الناتج عن الانفجار على السطح أقل مما هو في الانفجار الجوي ، لأن قسماً من طاقة القنبلة يتبدد في تبخير المواد وتكوين فوهة البركان . وبالاضافة الى ذلك ، فإن اكثر من ١٥ ٪ من الطاقة تسبب الصدمة الأرضية . ويكون الضغط قرب نقطة الصفر (مركز الانفجار) اكبر بكثير مما هو في الانفجار الجوي ، ولكنه يتناقص سريعاً مع زيادة المسافة عن مركز الانفجار . ويكون التدمير قرب الهدف اكثر مما هو مطلوب ، في حين يكون أقل مما هو مطلوب على المسافات البعيدة .

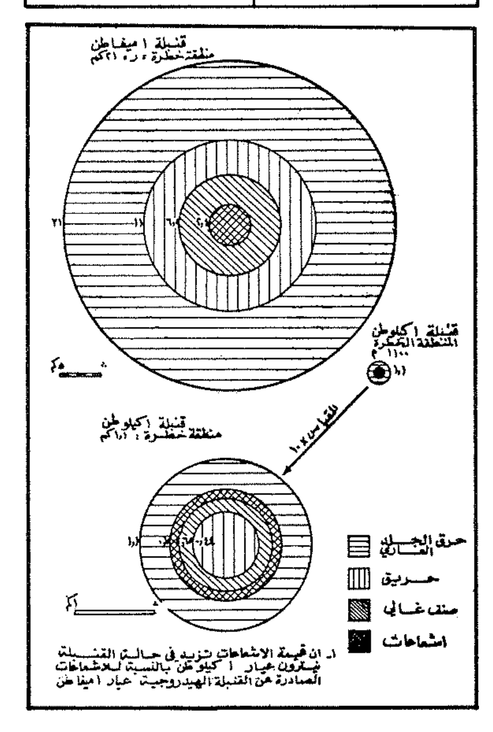
الاشعة الحرارية : ان الخصائص العامة للأشعة الحرارية في الانفجار الذري على السطح مشابهة للانفجار الذري الجوي . وبما ان الأشعة الحرارية تسير بخطوط مستقيمة فشدتها في أية نقطة تتوقف على بعدها عن مكان الانفجار . ونستفيد من الانفجار على السطح بزيادة مسافة تأثير الأشعة الحرارية . وان تأثير الأشعة الحرارية للانفجار على السطح اكبر مما هي عليه في الانفجار الجوي في منطقة مفتوحة او على البحر . وتقدم الخنادق والحفر في هذه الحالة حماية احسن من حالة الانفجار الذري الجوي .

الاشعة النووية الآنية : ان الاشعة النووية الآنية في الانفجار على الارض مشابهة للأشعة في الانفجار الجوي ، ومع هذا فانها تبقى لمدة أطول نوعاً ما ، لأن كرة النار والغيوم الذرية تقطع مسافات كبيرة قبل ان تصبح أشعة غاما والنترونات خارج المدى المؤثر لسطح الارض . وتكون كمية الأشعة النووية المنبعثة على أية مسافة من الانفجار اكبر مما هي عليه في الانفجار الذري الجوي . وفي الانفجار على السطح تكون الكمية القاتلة من الأشعة النووية (٥٠ ٪) (٤٥٠ رونتجن) اكبر من الانفجار الذري الجوي . وتبعد هذه الكمية عن نقطة الصفر ١٤٢٠ ياردة ، في حين تبعد ١٢٥٠ ياردة في الانفجار الذري الجوي من ارتفاع ٢٠٠٠ قدم . واذا حدث الانفجار الذري على مستوى منخفض في منطقة ذات أبنية فإن هذه الأبنية تقلل من شدة الأشعة ، او تمنع مرور بعضها . ولهذا فإن الخنادق والحفر تقدم حماية اكبر من حالة الانفجار الذري الجوي .

الرماد الذري : يكون تأثير الرماد الذري في الانفجار الذري على ارتفاع منخفض مشابهاً لتأثير الانفجار تحت السطح . فكميات كبيرة من الاتربة والحطام والصخور والمياه تقذف في الجو وتكون امواج القاعدة في حالة سقوطها .

تلويث مواد فوهة البركان : يرينا الجدول التالي معدل كمية الاشعاعات على الارض بعد ساعة من الانفجار في تجربة آلاماكوردو التي تم الانفجار فيها على ارتفاع ١٠٠٠ قدم .

كمية الاشعاعات (رونتجن/ساعة)	المسافة من نقطة الصفر (ياردة)
٨٠٠٠	٠
٥٠٠٠	١٠٠
٦٠٠	٢٠٠
١٥٠	٣٠٠
٣٠	٤٠٠
٥	٧٥٠
٠,٧	١٢٥٠



١- ان قيمة الاشعاعات تزيد في حالة القنبلة نيترون عيار ١ كيلوطن بالنسبة للاشعاعات الصادرة عن القنبلة الهيدروجينية عيار ١ ميغاطن

وهكذا فان الاشعاعات قرب وضمن فوهة البركان عالية جداً الى درجة تجعل المنطقة غير قابلة للسكن بعد الانفجار مباشرة . ولكن يمكن لآلية تسير بسرعة ٣٠ ميل/ساعة او اكثر ان تقطع اعرض جزء من المنطقة بعد ساعة من حدوث الانفجار دون أن يصاب ركابها بمخاطر كبيرة . وبعد ست ساعات يمكن قطعها مشياً على الأقدام بأمان ، ولكن اذا أردنا التمركز في المنطقة بعض الوقت فينبغي تركها بضعة أيام كي تصبح مأمونة العواقب .

الاجزاء المتساقطة : أثبتت اختبارات آلاماكوردو ان اشعاعات الرماد الذري بسبب الاجزاء الساقطة من الانفجار على السطح قليلة نسبياً ما عدا القريبة من فوهة البركان ، والسبب هو أن أجزاء الغبار تحمل لعلو ٤٠٠٠ قدم او أكثر ، وتسقط بمرور الوقت ، كما تتناقص فعالية التلويث الناجمة عن الانشطار بمرور الوقت .

ولا تشكل الاجزاء الساقطة من جراء الانفجار الذري المنخفض عوائق امام الحركة العسكرية في ساحة الانفجار . ويمكن للقطعات العسكرية ان تدخل المنطقة بعد ساعة من وقوع الانفجار شريطة الابتعاد عن فوهة البركان . ومن المستحسن اذا حدثت أمطار او رياح غير اعتيادية مراقبة الغيوم الذرية لمدة بضع ساعات بعد الانفجار .

ج - آثار الانفجار الذري تحت الارض :

ينتج عن الانفجار الذري تحت الارض كرة نارية تتألف من فقاعة جسيمة من غاز مضغوط بشدة وتتمدد الغازات الى الاعلى والى الجوانب . وتكون قوتها اشبه بقوة بركان في الارض .

فاذا ما ألقيت قنبلة ذرية من الجو من عيار ٢٠ كيلو طن ونفذت الى داخل الارض بعمق ٥٠ قدماً وفي تربة رملية ، يحدث انفجارها فوهة بركان عمقها ٣٥٠ قدماً وقطرها ٤٠٠ ياردة ، وهذا يعني ان عموداً يحوي مليون طن من الأتربة والانقاض والأوساخ الملوثة بالمواد المشعة قد تقذف من سطح الارض . واذا كانت سرعة الريح تتراوح بين ١٥ الى ٢٠ ميلا في الساعة فستنتشر المواد المقذوفة من فوهة البركان لمسافة أربعة أميال باتجاه الريح ، ولمسافة ٠,٨ ميل في اتجاه مضاد لاتجاه الريح ، ويسقط كثير من الاتربة والأنقاض في فوهة البركان والى جواره . وعندما تسقط المواد المقذوفة عائدة الى الأرض ، تتكون غيوم واسعة من أجزاء التراب تتحرك خارج مركز الانفجار وباتجاه الريح ملوثة منطقة واسعة بالأشعة الذرية .

خصائص موجة الصدمة للقنبلة الذرية الاعتيادية في الانفجار الجوي

المسافة من مركز الانفجار بالياردات	وقت وصول مقدم الصدمة بالثواني	الضغط في ذروته رطل للعقدة المربعة	سرعة الريح ميل/ساعة
٥٠٠	٠,٥	٢٥	٦٩٠
١٠٠٠	١,٤	٨	٢٧٠
٢٠٠٠	٣,٨	٢,٧	٩٦
٣٠٠٠	٦,٣	١,٨	٦٠
٤٠٠٠	٩	١,٥	٤٠

الضغوط على الارض لمختلف القنابل ولمختلف المسافات من نقطة الصفر (مركز الانفجار)

طاقة القنبلة كيلو طن من الـ ت. ن. ت	المسافة بالياردات من نقطة الصفر (مركز الانفجار)		
	٢٥ رطلا للعقدة المربعة تخريبات معتدلة للدبابات	٥ أرطال للعقدة المربعة تخريبات معتدلة للعجلات الخفيفة والتجهيزات	٣ أرطال للعقدة المربعة تخريبات خفيفة للمركبات الخفيفة
٢٠	٥٠٠	٢١٠٠	٢٥٠٠
٤٠	٨٨٠	٢٦٤٠	٣١٥٠
٦٠	١٠٠٠	٣٠٣٠	٣٦٠٠
١٠٠	١٢٠٠	٣٥٧٠	٤٢٥٠

ويتعلق مدى اتساع المنطقة الملوثة بعمق الانفجار تحت الارض وطبيعة التربة والشروط الجوية . وتسمى هذه الظواهر بأمواج القاعدة .

ان الأجزاء المشعة تسقط فوق منطقة واسعة ، لأن الأجزاء الصغيرة من الغيوم الذرية التي تحتوي على كيات من الأتربة والأنقاض تبقى عالقة في الجو او ترتفع بسبب الانفجار ، وتقطع احياناً مئة ميل او اكثر باتجاه الريح . وعندما تسقط على الارض لا تلوثها بصورة خطيرة ، إذ أن التلويث الخطير يحدث ضمن ميل او اكثر من نقطة الصفر (مركز الانفجار) .

موجة الصدمة في الارض : ان التمدد السريع لفقاعة الغاز المضغوط التي تتشكل في الانفجار تحت الارض يصحبها موجة صدمة في الارض تشبه الزلزال ، إلا ان الزلزال يحدث على عمق كبير ، ولهذا تتلاشى هذه الصدمة بسرعة اكثر من أمواج الزلزال الارضي . وكلما كان الانفجار عميقاً تحت سطح الارض ، كلما كان عمق الانفجار كبيراً ، والضغط اكبر على السطح بالتالي .

تعتمد قوة صدمة الموجة من وجهة نظر حصول التدميرات على خصائص التربة . فالتربة الصلصالية الرطبة القوية جيدة لنقل الهزة الأرضية ، في حين ان التربة الغرينية الرخوة ضعيفة جداً في نقلها ، كما ان الارض الصلصالية الرملية تعتبر ناقلا وسطاً بين التربتين . ويختلف التدمير من ارض الى أخرى بنسبة (٣) الى (١) حسب اختلاف تربتها .

عصف الهواء من الانفجار تحت الارض : ان قسماً من الطاقة يظهر كموجة صدمة او عصف في الهواء . في عمق ٥٠ قدماً تحت الارض ، يظهر ٢٥ ٪ من الطاقة كموجة صدمة ارضية ، امـا الـ ٧٥ ٪ الباقية من طاقة القنبلة فيحدث عصف الهواء وصهر التربة وتبخيرها .

الاشعة النووية الآنية في الانفجار تحت الارض : تشبـه خصائص الأشعة النووية الآنيـة في الانفجار الذري تحت الارض خصائص هـذه الأشعة ذاتها في الانفجار تحت الماء . فالأرض تمتص أشعة غاما والنترونات المنبعثة خلال لحظة الانفجار ضمن بضع ياردات من الارض ، وعليه فلا أهمية لها . إلا أن امتصاص الارض للنترونات تكسب بعض المواد نشاطاً اشعاعياً ، ولهذا فان قسماً من النشاط الاشعاعي للغبار الذري يعود الى ذلك .

الرماد الذري في فوهة البركان : يشبه الرماد الذري الناتج عن الانفجار تحت الارض ، الى حد ما ، الرماد الذري الناتج من الانفجار تحت الماء مع بعض الاختلاف الذي يعود الى ان كثافة التربة اكبر من كثافة الماء . ولهذا فإن الانشطارات المشعة تلوث المنطقة بصورة اقل من حالة الانفجار تحت الماء . ان المنطقة الملوثة اصغر في حالة الانفجار تحت الارض منها تحت الماء ، إلا ان شدة الأشعة النووية تكون اكبر في المواضع القريبة من الانفجار، بالاضافة الى تركيز أولي عال للمواد المشعة قرب نقطة الصفر (مركز الانفجار) . وبمرور الوقت ، يتناقص النشاط الاشعاعي في حالة الانفجار تحت الماء بصورة أسرع من الانفجار تحت الارض .

ويزداد تلوث الأرض قرب الانفجار بانطلاق النترونات في وقت الانفجار ، هذه النترونات التي تكسب المواد نشاطاً اشعاعياً . ونظراً لوجود الصوديوم بكميات قليلة في التربة ، تتكون منه كميات ذات نشاط اشعاعي بتأثير النترونات المتحررة من انفجار القنبلة . ومع هذا فان (نصف الحياة) لهذه المادة اقل من ١٥ ساعة ، ويختفي النشاط الاشعاعي لها ولغيرها من المواد بعد بضعة أيام .

وقد قدر العلماء ان مقدار الأشعة النووية بعد ساعة واحدة من الانفجار ضمن نطاق نصف ميل من نقطة الصفر هو حوالي (٢٠٠٠) رونتجن (أنظر رونتجن) لكل ساعة . وان شدة هذه الأشعة تمنع السكن في منطقة الانفجار لبعض الوقت .

الأشعة النووية لأمواج القـاعدة والأجزاء المتساقطة : لا يكون التلويث بالأشعة النووية خطيراً كما يتوقع البعض نظراً للانحلال السريع لفعاليات نتاج الانشطارات المشعة وخاصة في المراحل الاولية ، فكلما ظلت الاجزاء الملوثة معلقة في الجو مدة أطول ، قلت فعاليتها عند السقوط . وتقل فعالية الأجزاء المشعة كلما بعدت عن مكان الانفجار . ويكون تلويث الأشعة النووية خطيراً قرب الفوهة ، وفي مركزها ، إلا اذا اتخذت الاحتياطات لمنع دخول الغبار الملوث داخل الجسم بواسطة الاستنشاق . واذا تبع الانفجار الذري تحت الأرض او رافقه ريح قوية ، فان هذه الريح تحمل كميات كبيرة من الأتربة الملوثة الى اماكن بعيدة كما يحدث في العاصفة الترابية .

د – آثار الانفجار الذري تحت الماء : في حالة الانفجار تحت الماء يرتفع إلى الأعلى عمود ضخم مجوف من الماء والغازات من كرة النار

تنفذ خلال الماء ، وتشكل غيوماً في القمة ، وعندما يهبط العمود الى السطح تتكون أمواج القاعدة التي تندفع باتجاه الريح ملوثة ما تمر عليه في طريقها بالاشعة النووية . وتمتص الأشعة الحرارية والأشعة النووية ، ولهذا فلا تأثير لهما تحت الماء . ولكن يكمن الخطر في أمواج القاعدة ذات النشاط الاشعاعي ، وكمية الاشعاعات التي تحدث عند تحرك أمواج القاعدة الملوثة بالاشعاعات باتجاه الريح ، والتلوث الناتج عن سقوط المواد المشعة بالاضافة إلى تلويث الاجزاء المتساقطة من الغيوم .

(٣) أجنادين (معركة) ٦٣٤ و ٦٣٦

موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين (معجم البلدان) او بلد بين الرملة وبيت جبرين (الطبري) ، كانت ، في العهد الاسلامي الاول ، قاعدة الروم العسكرية في جنوب فلسطين .

وقعة اجنادين الاولى :

جرت وقعة اجنادين الاولى سنة ١٣ ﻫ الموافقة لسنة ٦٣٤ م بين قوات الروم المتمركزة في فلسطين ، بقيادة سرجيوس (وقيل تيودور) ، وعددها مائة ألف مقاتل ، وبين جيوش العرب في الشام مجتمعة بقيادة خالد بن الوليد وعددها اربعون ألف مقاتل . وقد انتصر العرب في هذه الواقعة التي كان من اثرها انها مهدت لانتصارهم الكبير في اليرموك .

تميزت هذه الوقعة بتطبيق العرب لمبدأ المباغتة تطبيقاً تاماً ورائعاً ، اذ اشار خالد ، وكان قائداً عاماً للجيوش العربية المتمركزة في الشام (جيش يزيد بن ابي سفيان وجيش شرحبيل بن حسنه وجيش ابي عبيدة بن الجراح) ، على عمرو بن العاص ، وكان منعزلا بجيشه قبالة جيش الروم في فلسطين ، ان يستدرج سرجيوس اليه ويوهمه انه وحده في ساحة القتال ، على حين يتعقب هو عمراً ويفاجيء سرجيوس بعد ان يكون قد اشتبك بالقتال مع عمرو . وهكذا كان ، فقد ارتد عمرو نحو أجنادين ووقف عندها ينتظر جيش سرجيوس الذي كان يتقدم نحوه مطمئناً الى قوته وضعف عدوه ، على حين عبأ خالد جيشه للقتال ، جاعلا أبا عبيدة على المشاة ، وسعيد ابن خالد بن العاص على الميسرة ، وابا الدرداء على الساقة ، وتولى هو قيادة القلب . وما ان انشب عمرو القتال مع سرجيوس حتى انقض خالد بجيشه عليه وهزمه .

وتعتبر هذه الوقعة اول وقعة قاتلت فيها جيوش العرب المتمركزة في بلاد الشام مجتمعة بقيادة قائد واحد هو خالد بن الوليد .

وقعة اجنادين الثانية :

جرت وقعة اجنادين الثانية في سنة ١٥ ﻫ الموافقة لسنة ٦٣٦ م . وفي عهد الخليفة عمر ابن الخطاب . وكان على العرب فيها عمرو بن العاص وعلى الروم قائد يدعى الارطبون (او ارطيون Areteon)

فبعد ان هزم الروم في اليرموك وفتح العرب دمشق وفحل (١٣ ﻫ) وجه القائد الجديد ابو عبيدة جيشاً نحو فلسطين لفتحها وكان على رأسه عمرو ابن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة . فسار عمرو ليلاقي الروم في أجنادين — وكان العرب قد تركوها بعد وقعة اجنادين الأولى للقاء الروم في اليرموك — وعلى مقدمته شرحبيل وعلى مجنبتيه عبد الله ابن عمرو وجنادة بن تميم المالكي . وكان الارطبون « ادهى الروم وأبعدها غوراً وأنكاها فعلا — الطبري — » وقد قال عمر بن الخطاب حين علم بلقاء عمرو والارطبون في ساحة القتال : « قد رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب ، فانظروا عم تنفرج (او تنفرج) » والتقى الجيشان في اجنادين « فاقتتلوا قتالا شديداً كقتال اليرموك ، حتى كثرت القتلى بينهم — الطبري — » وكان النصر في هذا القتال للعرب ، حيث احتلوا أجنادين ، وانطلقوا بعدها ليحتلوا سائر فلسطين .

(٨) الاحاطة

الاحاطة شكل من اشكال المناورة ، وهي تعني تقدم القوات في اتجاه أجناب العدو ومؤخرته واحكام التطويق حوله (انظر التطويق) . وقد يكون هناك تعاون مع القوات المتقدمة من الامام جبهياً والقوات التي تقوم بالاحاطة وقد لا يكون هناك تعاون مباشر فيما بينها . ويتم تنفيذ مناورة الاحاطة عندما تسمح طبيعة مسرح العمليات بذلك ويكون التنظيم القتالي للعدو محدداً ويسمح بتقدم القوات على محاور تصل الى مجنبات قوات العدو أو مؤخرتها .

وتتميز عمليات الاحاطة عن عمليات الالتفاف (انظر الالتفاف) بأن عمليات الاحاطة اكثر عمقاً وتتم في إطار النطاق الاستراتيجي ، (على حين ان عمليات الالتفاف تتوقف عند حدود النطاق التكتيكي او العملياتي) ونتيجة لذلك يختلف حجم القوى والوسائط في الحالتين فتكون هذه القوى والوسائط في الاحاطة اكبر حجماً وأكثر قوة ؛ علاوة على انها تتطلب استعداداً كبيراً وتحضيراً جيداً وتنفيذاً دقيقاً .

ويعتمد النجاح في الاحاطة على مجموعة من المعطيات والمبادئ اكثرها اهمية المباغتة والسرعة والقوة والحيطة والاستهداف والحسمية . وتنفذ واجبات الاحاطة في كثير من الاعمال القتالية والمواقف ، وبصورة خاصة عند ممارسة القتال في المناطق الجبلية ، والمناطق الصحراوية ، والغابات والمناطق الصعبة ، وقد يتم تنفيذ الاحاطة من جانب واحد من العدو أو من جانبين ، بحيث تستهدف تطويق قوات العدو في مسرح العمليات من اتجاهين (حركة الكماشة) .

ولقد اعتمد نابليون بونابرت على تكريس مبادئ فن الحرب وتطويرها في عصر البارود والاسلحة النارية وتميزت استراتيجيته بالحسمية والروح الهجومية ، كما تميزت اعمال الجيش الفرنسي في حقل المعركة بالحركية وسرعة العمل مما كان يوفر افضل الشروط لتنفيذ مناورات الاحاطة . وكان نجاح نابليون رائعاً في تنظيم التعاون بين مختلف صنوف الأسلحة وتخصيص حجم كبير من قوته للعمل في الاحتياط ، وكثيراً ما كان يستخدم هذ الاحتياط جميعه لدعم حركة الالتفاف العميقة (الاحاطة) حتى يتم له تطويق العدو وتدميره . وقد اخذت القيادات والجيوش عن نابليون الاسس التي وضعها وطورها ، ففي الحرب الروسية — التركية عام ١٨٨٧ — ١٨٧٨ ، وفي معركة صوفيا ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٧ ، انطلقت القوات الروسية بقيادة رادتسكي فقامت بعبور البلقان ثم قامت قوات الرتل الايمن باختراق بعض الممرات الضيقة ، وعبرت مفرزة كارتصوف عن طريق ممر تريانوف الصعب ، وتوجهت القوات كلها للاحاطة بالقوات التركية من الجانبين والوصول الى مؤخرتها . ونجح رادتسكي بعملية الاحاطة واحكام التطويق قسرب شينوفا فأسر من القوات التركية ثلاثين ألف رجل تقريباً .

وفي الحرب العالمية الاولى وضعت الخطة الالمانية (خطة شليفن) على أساس توجيه ضربة مباغتة عبر اراضي بلجيكا واللوكسمبرغ ، والالتفاف من الشمال لتطويق الجيش الفرنسي وتدميره . وكانت حركة الاحاطة اساس فكرة العملية كلها . ولكن الصمود الذي اظهره الجيش البلجيكي واضعاف الجناح الالماني المكلف بالاحاطة أحبطا العملية كلها بسبب فقدان العوامل الاساسية لنجاح المناورة .

وتدخلت في المراحل الاخيرة لهذه الحرب مجموعة من العوامل التي أفقدت المناورة أهميتها ، وسيطر الجمود على مسارح القتال . ثم أخذت الجيوش بعد

الحرب في تطوير وسائطها وامكاناتها ، وامكن بعث المناورة من جديد ، وتم التخطيط لتنفيذ عمليات الاحاطة العميقة حتى تطويق القوى الرئيسية المعادية . وكانت الحرب العالمية الثانية تجربة كبرى لمبادئ الحرب التقليدية واختباراً لها . وقد أثبتت المناورة أهميتها لا سيما بعد نجاح عمليات اقتحام القوات المنقولة جواً والقوات المحمولة جواً ارض المعركة من الفضاء ، والوصول الى مؤخرة العدو ، والاحاطة بقواته وتطويقها .

ولقد تميزت عمليات الحرب العالمية الثانية والتجارب التي أعقبتها بالتوسع الكبير في تنفيذ اعمال الاحاطة ، وزادت قدرة القوات على الحركة فرص تنفيذ عمليات الاحاطة على جميع المستويات . وهكذا كان التوسع في المناورة تخطيطاً وتنفيذاً مرتبطاً بالتطور الكبير في مفهوم استخدام القوى المدرعة والميكانيكية والقوات المحمولة جواً ، الى جانب استخدام وسائط نارية ضخمة (المدفعية والطيران والاساطيل البحرية الضخمة) وكانت هذه المناورات كلها تهدف الى الاحاطة بقوات العدو في مسرح العمليات واحكام تطويقها ووضعها خارج القتال .

وحافظت مناورة الاحاطة على اهميتها بعد ظهور السلاح الذري ، ومن المتوقع التوسع في استخدامها حتى في حال استخدام الضربات الذرية وأسلحة التدمير الشامل . وتنفيذ مناورات الاحاطة على نطاق واسع ، سواء في العمليات الهجومية أو الدفاعية على جميع المستويات ، ذلك ان الهدف من الحرب لم يتغير رغم كل تقدم تقني ، وبقي واجب إعاقة حركة القوات الاحتياطية للعدو ، وتأمين حرية العمل للقوات الرئيسية الصديقة ، وتوفير الظروف المناسبة لتوجيه ضربات حاسمة من أجل تدمير قوات العدو أو أسرها هو الهدف الأول للقوات المتصارعة .

(٦) احتلال عسكري

الاحتلال العسكري ، في عرف القانون الدولي ، هو وضع قطر او منطقة ما بالفعل تحت سلطة ونفوذ قوة عسكرية مسلحة غازية . وهو امر ينشأ عنه ظرف خاص تزول فيه سلطة الحكومة الشرعية للقطر أو للمنطقة ، وتجد القوة الغازية المحتلة نفسها أمام ضرورات ادارة القطر او المنطقة التي قامت باحتلالها ، وبالتالي القيام بدور السلطتين التشريعية والتنفيذية ، لكي تستطيع ضمان مصالحها الخاصة ، وخلق اوضاع تمكنها من استغلال ثروات الارض المحتلة ، وفرض السياسات التي تناسبها ، واحترام حد ادنى من الحقوق الوطنية (حقوق الافراد ، وحقوق الملكية) .

وتتوصل القوة المسلحة الى السيطرة على كل هذه الامور عن طريق إقامة حكومة عسكرية تتولى ادارة القطر أو المنطقة المحتلة بما في ذلك القيام بدور السلطات التنفيذية والتشريعية . وقد نشأت فكرة الحكومة العسكرية نتيجة وجود احتلال مسلح ، فهي متعلقة به . ولا يعني اصطلاح الحكومة العسكرية ضرورة توليها من قبل العناصر العسكرية ، فقد تتولاها عناصر عسكرية او مدنية او مختلطة ، لا فرق في ذلك ، طالما ان مصدر سلطاتها في جميع الحالات واحد ، وطالما انها تقام بالقوة ، وتستمد شخصيتها وشرعية اعمالها من هذه القوة ومن قواعد القانون الدولي المتعلقة بالاحتلال المسلح International Law of belligerant occupation .

وهكذا فان للاحتلال العسكري ركيزتين : اولاها القوة العسكرية المسلحة ، وثانيتهما العداء ، واستخدام القوة بمعزل عن ارادة المواطنين المحتلين ، مثال ذلك الولايات المتحدة في فيتنام وكمبوديا ، والمستعمرات البرتغالية ، وفلسطين المحتلة . ولا ينسحب التعريف السابق على الحالات التي تكون فيها القوات العسكرية المسلحة متمركزة فوق ارض محايدة او صديقة ، وهي حالات يستبدل فيها عنصر العداء بعنصر الرضا والقبول . ومن الأمثلة على ذلك القواعد العسكرية البريطانية في قبرص والقواعد العسكرية الاميركية في بعض الدول المتحالفة مع الولايات المتحدة . ونتيجة لذلك ، درجت الولايات المتحدة وبريطانيا على استخدام مصطلح اكثر شمولا هو « الشؤون المدنية Civil Affairs » لوصف وتكييف العلاقات بين القوة المتمركزة في ارض صديقة او محايدة وبين السلطات المدنية ومواطني تلك الارض ، وتتضمن هذه العلاقات احياناً قيام تلك القوة بممارسة اعمال هي في العادة من صميم صلاحيات الحكومة المحلية . وباطلاق هذه الدلالة اصبحت مهام الحكومة العسكرية تمثل وجهاً من اوجه « الشؤون الادارية » ؛ ومع هذا فقد استعمل كلا الاصطلاحين بشكل قابل للتبادل ، او بعبارة اخرى تم وضع احدهما او استعماله مكان الآخر . وينبغي التمييز بين الحكومة العسكرية وبين القانون العسكري Military Law ، والقانون العرفي ، او الحكم العرفي Martial Law : فالقانون العسكري هو مجموعة القواعد التي تحكم سلوك افراد القوات المسلحة ولا يجري تطبيقها على المدنيين . اما الحكم العرفي فهو نظام مؤقت يفرض على المدنيين وينفذ بواسطة القوات المسلحة بدون اعتبار للقانون المكتوب ، حينما تقضي الحاجة بذلك . وهو يوضع موضع التنفيذ داخل حدود القطر من قبل الحكومة المحلية التي لا تعتبر طرفاً متحارباً مع سكان هذا القطر .

لقد مر مفهوم الاحتلال بمراحل تاريخية عديدة حتى تبلور بصورته الحالية . فحتى القرن التاسع عشر ، كان الغازي يعتبر نفسه المالك المطلق للارض التي يحتلها ، ويقوم باستبدال جميع قوانينها بما يناسبه من قواعد . وكانت لهذه القاعدة شواذها منذ القدم ، فقد كان الاغريق والرومان يضعون بعض القيود على سلطة القائد العسكري في الاراضي التي يحتلها . وتتمثل هذه القيود عادة في قيامه باحترام القوانين والعادات والتقاليد والاديان المحلية ما لم يتعارض تطبيقها مع المهام التي تنفذها قواته . وعلى الرغم من وجود هذا التقليد القديم ، فإن ممارسات القوات المحتلة كانت ترتد الى اصولها البربرية الهمجية حتى بعد ظهور المبادئ الانسانية التي نادى بها هوغو غروتيوس Hugo Grotius في سنة ١٦٢٥ ، وحض على تطبيقها في الأراضي المحتلة . وقد تبنى الشراح المتأخرون هذه المبادئ فيما بعد وما ان حل القرن التاسع عشر حتى اخذت تلاقي قبولا تدريجياً ظهر في شكل تعليمات اصدرتها الامم لجيوشها واثبتتها في قوانينها المحلية .

ولقد عرف الشرق العربي مبادئ من هذا القبيل كانت اكثر وضوحاً واكثر عدالة ، طبقت منذ ظهور الاسلام ، واستمر تطبيقها إبان الفتوحات العربية . وتستمد هذه المبادئ جذورها من القرآن والسنة وتعليمات الخلفاء الى جيوش الفتح العربي . وروحانية المبادئ الاسلامية ، واحترام المسلمين لحقوق الفرد والملكية وحرية الفكر والاديان السماوية السابقة . ويعود حسن معاملة العرب لاهالي البلاد المفتوحة الى ان الفتوح العربية لم تكن تستهدف استعمار الاراضي ، وانما كانت تستهدف نشر الدعوة والجهاد في سبيل الله . وعليه فقد كانت العلاقة بين قوات الفتح العربي واهالي البلاد المفتوحة واضحة المعالم ، تنفذ من خلال عمال الخلافة فيها ، مستمدة من دستور سماوي . في المقابل نجد الاشارات المبكرة لظهور ممارسات مستنيرة في الغرب بدأت في اربعينات القرن التاسع عشر ، عندما اصدر الجنرال وينفيلد سكوت تعليمات لكل من الجيش والمواطنين في المكسيك في عام ١٨٤٧ ، ثم تبعتها وثيقة مشهورة تعتبر بمثابة شاهد تاريخي بارز في

العصر الحديث هي الوثيقة التي تتضمن تعليمات حكومة الولايات المتحدة لجيوشها في الميدان ، أعدها فرانسيس لايبر Francis Leiber في سنة ١٨٦٣ واصدرتها وزارة الحربية تحت اسم قانون لايبر . وهي عبارة عن مجموعة من التعليمات موجهة للقوات المتحدة إبان الحرب الاهلية الاميركية لارشادها الى ما يجب عمله في الاراضي الكونفدرالية ، ولكنها لا تحدد شكل المؤسسات التي ينبغي ان تقام من اجل ادارة المناطق المحتلة . ومع ذلك فقد قامت القوات المتحدة بادارة المناطق عن طريق حكومات عسكرية عينت لتوليها رجالا من الساسة في بعض المناطق ومن القادة العسكريين في مناطق اخرى . وقد حاز قانون لايبر أثراً جيداً لدى عموم الدول . اذ اصدر بدون اي تغيير او تعديل أثناء الحرب الاميركية – الاسبانية في سنة ١٨٩٨ ، كما ذكر ان الالمان طبقوا العديد من مواده أثناء حربهم مع فرنسا في العام ١٨٧٠ . وفي تلك الاثناء كان قد تكون لدى بريطانيا العظمى ، المستعمر القديم ، خبرة واسعة في القضايا المتعلقة بالحكومة العسكرية في المناطق التي احتلتها فرنسا بعد الحروب النابليونية ، والهند ، ومصر ، وجنوب افريقيا ، وغيرها من البلدان في شتى مناطق العالم .

وبعد ان وضعت الحرب الالمانية – الفرنسية (١٨٧٠) اوزارها نشأ العديد من المعاهدات الدولية التي فرضت على اطرافها احترام الحد الأدنى من الحقوق في المناطق المحتلة ، منها : معاهدة هاغ Hague (١٩٠٧) ، وقد لاقت احتراماً عالمياً . ومعاهدتا جنيف ١٩٢٩ و ١٩٤٩ اللتان مهدتا الطريق لوضع اساس قانوني حديث لحماية حقوق الفرد والملكية أثناء الاحتلال العسكري .

ولم تتوضح بنتيجة الحرب العالمية الاولى اطارات واضحة تحدد المبادئ والاساليب التي تطورت عن الاشكال القديمة للحكومة العسكرية . فمثلا استمرت بلاد الرين – التي لم تتأثر بالحرب – تدار من قبل ادارات المانية تتلقى اوامرها من الحكومة المركزية . وكان دور الحكومة العسكرية في معظم الحالات يقتصر على الاشراف على السلطات المحلية بواسطة ضباط مسؤولين عن الشؤون الادارية في كل مركز قيادة رئيسي من مراكز المقاطعات الالمانية . وكان تنظيمها مرتجلا وبالتالي لم يكن مهيئاً لحل المشاكل التي تواجهها .

وما ان نشبت الحرب العالمية الثانية حتى ظهر تطور جديد واضح المعالم يتلخص في اعداد الخطط المتعلقة بالشؤون الادارية والحكومة العسكرية مسبقاً قبل تنفيذ العمليات الحربية . وفي أثناء الحرب قامت الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفياتي باعداد برامج تدريبية مكثفة للضباط بهدف تأهيلهم للقيام بوضع معادلات وخطط ادارة الشؤون المدنية والحكومة العسكرية وتنسيقها مع الخطط التكتيكية الحربية . ولما غزت قوات الحلفاء بلدان المحور كان هؤلاء الضباط جزءاً من تشكيل القوات الهجومية الاولى التي قامت بالاحتلال ، وقد اثار عملهم اعجاب القيادات الميدانية التكتيكية لخبرتهم ومساهمتهم الفعالة في تحقيق السيطرة على الاهلين والسلطات المحلية . ونتيجة لهذا النجاح لم تكتف دول الحلفاء بإلحاق مفارز للشؤون المدنية بوحداتها التكتيكية الرئيسية ، بل رأت من الضروري تزويد هيئات القيادة التكتيكية بضباط لديهم الخبرة في ادارة هذه الشؤون . وعندما انشئت القيادة العليا لغزو شمال غرب اوروبا مثلا ، اضيف الى هيئتها الرئيسية قسم خاص بالشؤون الادارية في المناطق المحتلة اطلق عليه رمز (G 5) . وعمم هذا الاجراء فيما بعد على مختلف مسارح العمليات ومنها الشرق الاوسط .

ولم يكن تطور الاحتلال مجرداً عن تطور الفكر الامبريالي العالمي في مرحلة من مراحله . ولم تكن دوافع هذا التطور دوافع انسانية محضة ، وانما حتمها تطور الفكر الانساني ، ومطالبة الشعوب المقهورة بالعدل ، ومعاداتها للاستعمار ، ونشوء حركات التحرر الوطني في بقاع مختلفة من العالم . كل ذلك هدد المصالح الامبريالية بالفناء ، وحتم عليها مواكبة هذا التطور لكي تتمكن من الاستمرار بطرق غير مباشرة لاطول زمن ممكن .

وبالرغم من هذا التطور نجد ان المستعمر ما زال يلجأ الى اساليبه القديمة البربرية ومن الامثلة الصارخة على ذلك الكيان الاسرائيلي الصهيوني في فلسطين الذي ما زال يستخدم القوة لفرض قوانين التمييز العنصري ، وفتح أبواب الهجرة اليهودية الى فلسطين مع خلق الظروف التي تساعد على خفض مستوى المعيشة بين اهل البلاد الاصليين مما يدفعهم الى الهجرة ، ويعمل على إبادتهم .

(انظر نتائج الاحتلال العسكري) .

(١) الاحتياط

إن من أهم شروط النجاح في الحرب حصول القائد على اكبر قسط من حرية العمل ، وحرمان الخصم من هذه الحرية أو تخفيضها إلى الحد الأدنى . وتجري كافة المناورات الحربية لتحقيق هذا الغرض الهام . ويقوم القائد برسم الخطط اللازمة لذلك آخذاً بعين الاعتبار كافة المتحولات والمفاجآت التي يتصورها . ولكن هناك مفاجآت وظروف لا يستطيع توقعها مهما كان استطلاعه جيداً ، ومهما كانت رؤيته صحيحة . لذا فانه يحتفظ لنفسه بجزء من القوة كاحتياط يستخدمه عند الضرورة ، ويناور به ، دون أن تستطيع مفاجآت القتال حرمانه من حرية العمل .

ويكون الاحتياط على عدة انواع ، الاحتياط التكتيكي ، والاحتياط العملياتي ، والاحتياط الاستراتيجي ، والاحتياط العام (أو احتياط الدولة) . ويتمركز الاحتياط التكتيكي والعملياتي والاستراتيجي في النسق الثاني من التشكيلة التكتيكية والعملياتية والاستراتيجية وعلى مقربة من محور الجهد الرئيسي . على حين يتمركز الاحتياط العام (أو احتياط الدولة) في مكان يستطيع منه دعم جبهات القتال كلها . وحماية المناطق الحيوية البعيدة عن مسارح العمليات .

ويعتبر النسق الثاني للقطعة المقاتلة في الهجوم احتياطاً . وتكون تشكيلته مماثلة تقريباً لتشكيلة النسق الأول ، أما مهمته فهي صد الهجمات المعاكسة أو دعم هجمات النسق الأول أو تبديل هذا النسق ، أو استغلال الفوز ومطاردة العدو ، ويعتبر النسق الثاني للقطعة المقاتلة (كتيبة فما فوق) في الدفاع احتياطاً ، ولكن هناك بالاضافة إليه احتياط متحرك (مدرعات ومشاة ميكانيكية مدعومة بالمدفعية والمهندسين) ويزداد حجم هذا الاحتياط المتحرك في الدفاع الديناميكي ويقل في الدفاع الثابت (الستاتيكي) . وتكون مهمة الاحتياط (النسق الثاني والاحتياط المتحرك) صد الهجمات المعاكسة ، وسد الثغرات ومجابهة القوات المحمولة جواً ، ودعم النسق الأول أو تبديله عند الضرورة .

ويكون الاحتياط في السرية والفصيلة المنعزلة جزءاً من هذه الوحدة ويندر أن يكون للفصيلة احتياط اذا عملت داخل نطاق السرية .

يدخل الاحتياط المعركة بناء على قرار القائد ، وفي اللحظة التي يصبح فيها دخوله ضرورياً لمتابعة الهجوم بالوتيرة نفسها ، أو للحفاظ على المواقع الدفاعية . ولا يزج القائد الاحتياط بشكل مسبق حتى لا يؤدي ذلك إلى تبديده ، كما أن عليه أن لا يتأخر في زجه حتى لا يضيع الفرصة ويعطي المبادهة لخصمه (انظر زج القوات) . ويتحدد حجم الاحتياط بالنسبة لحجم القوات العام بشكل يضمن التوازن داخل التشكيلة القتالية (انظر التشكيلة القتالية) ، كما يضمن درء كل المفاجآت غير

المحتملة . وكلما زادت احتمالات المفاجآت كلما كان من الضروري تقوية الاحتياط .

يكون تحت تصرف القائد عادة احتياط واحد مجمع ، ولكن هناك حالات تفرض على القائد الاحتفاظ بأكثر من احتياط . كأن تكون الأرض صحراوية منبسطة يستطيع العدو التقدم فيها من كل اتجاه ، أو أن تكون الأرض جبلية وفيها اكثر من محور يفصل بينها كتلة جبلية تمنع الحركة العرضانية للاحتياط ، أو أن يكون العدو ديناميكياً آلياً سريع الحركة ، أو أن يكون بين وحدات النسق الأول حاجز طبيعي (نهر ، مستنقع ، قناة) ، أو أن تكون الجبهة عريضة .. الخ . وتكون الغاية من تشكيل اكثر من احتياط إعطاء القائد حرية التدخل بسرعة على جميع الاتجاهات عندما تقتضي ظروف القتال ذلك .

يحتفظ القائد بالاضافة الى الاحتياط الرئيسي المؤلف من مدرعات ومشاة ميكانيكية ومهندسين باحتياط من المدافع المضادة للدبابات ، واحتياط مهندسين وتكون مهمة الأول العمل مع مفرزة السدود المتحركة في صد الهجمات المعاكسة المعادية خلال الهجوم ، وسد الثغرات في حالة الدفاع (انظر مفرزة السدود المتحركة والاحتياط المضاد للدبابات)

يتألف الاحتياط في المستوى العملياتي والاستراتيجي ومستوى الدولة من قطعات تضم مختلف صنوف الاسلحة (فرق ، فيالق ، جيوش) ومن قطعات مؤلفة من سلاح واحد (أفواج وألوية مدرعات ومشاة ومدفعية ومظليين ومهندسين ووحدات كيماوية ... الخ) . وتكون مهمة هذا الاحتياط بالاضافة إلى كل ما تقدم ، تقوية القطعات المقاتلة بوحدات من مختلف صنوف الاسلحة ، أو من سلاح واحد ، وتبديلها ، أو تكملة نواقصها .

ويطلق اسم **احتياط** على المجندين المسرحين الذين يدعون إلى الخدمة في حالة التعبئة العامة أو الجزئية . وينضم هؤلاء الجنود إلى قطعات (أفواج وألوية) تشكل من الاحتياطيين وعدد قليل من عسكريي الخدمة الفعلية (كوادر وفنيين) . وتدعم هذه القطعات الجيش العامل ، ولكنها تكون أقل كفاءة من القطعات العاملة ، ولذا توضع في بداية القتال في الانساق الخلفية ، ولا تنقل إلى الانساق الأولى إلا بعد أن تتلاءم مع جو المعركة ، وقد تبقى تحت تصرف القيادة العامة كمستودع لتكملة نواقص القطعات المقاتلة وتعويض خسائرها من الرجال أو المعدات . ويتم التعويض في هذه الحالة عن طريق ارسال عناصر منعزلة أو قطعات كاملة حسب الوضع .

وتعود فكرة إيجاد الاحتياط ، بهذا المعنى ، إلى القرون الوسطى ، حيث كان استدعاء قوات الميليشيا عند اللزوم واعداد المواطنين للحرب ضرورة تفرض نفسها عندما تجد الجيوش المحترفة أنها بحاجة لدعم واسع النطاق . وكانت الميليشيا التي تنظم داخل وحدات مساعدة تشترك في القتال ، رتثبت أهلية وكفاءة لا بأس بهما . ولكن العبء الاساسي كان يقع على عاتق الجيوش المحترفة. وفي أواخر القرن الثامن عشر ، ومع تحول الحروب من حروب بين الجيوش إلى حروب بين الأمم ، ظهرت ضرورة إشراك جميع المواطنين في الدفاع عن الوطن ، واعدادهم مسبقاً لمثل هذه المهمة . بيد أن سوء استخدام الاحتياط وضخامة الخسائر البشرية في الحروب النابليونية أفقد الشعوب الأوروبية الحماسة لفكرة الأمة المسلحة ، وبقي الأمر على هذا الحال حتى اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، حيث عادت جميع الدول الأوروبية إلى تبني فكرة الأمة المسلحة المبنية على الاحتياط . وصار على كل مواطن أن يخدم في القوات المسلحة فترة من الزمن (خدمة العلم) ينتقل بعدها إلى الخدمة في الاحتياط ويبقى فيها حتى يبلغ سن ٤٠ — ٤٥ سنة (حسب الدول) . ومنذ ذلك الوقت أصبح الاحتياط المدرب جزءاً من قوة الدفاع الوطني.ولقد لعب هذا الاحتياط دوراً رئيسياً في الحربين العالميتين ، وسمح للدول المشتركة فيهما بجمع ملايين الجنود المدربين تحت السلاح .

ومع تطور الاسلحة ، وارتفاع مستوى التقنيات العسكرية ، ازدادت صعوبة اعداد الاحتياط وتعبئته ، وصار من الضروري استدعاء الاحتياط مرة في السنة لإجراء التمارين والمناورات اللازمة لتحسين المعلومات العسكرية والضرورية للمحافظة على كفاءة الاحتياط القتالية .

ويتفاوت اعتماد الدول على الاحتياط بتفاوت أوضاعها الاقتصادية والبشرية ، لأن انخفاض عدد السكان وقلة نسبة البطالة في دولة ما يجعل هذه الدولة عاجزة عن خلق جيش عامل كبير يجمد في صفوفه جزءاً كبيراً من الطاقة البشرية اللازمة لتسيير العملية الاقتصادية ، كما أن انخفاض المستوى الاقتصادي لأي بلد يجعله غير قادر على إدامة جيش عامل كبير خلال فترات السلم الطويلة . لذا فان كل بلد تفرض عليه ظروفه الاقتصادية أو البشرية أن لا يحتفظ بقوات عاملة كبيرة ، يجد نفسه مضطراً للاعتماد اكثر فأكثر على الاحتياط ، بعد تحسين مستواه التدريبي ، وخلق الظروف اللازمة لتعبئته بسرعة عند اللزوم . وتقدم سويسرة وأسرائيل نموذجاً للبلد الصغير الذي يعتمد على احتياط مدرب يمكن تعبئته وزجه في القتال بسرعة . ويشكل الاحتياط حوالي ٦٥٪ من مجموع القوات المسلحة الاسرائيلية ، وهو يخضع لتدريب سنوي مدته شهراً كاملا . ويمكن تعبئته خلال ٧٢ ساعة . ويعتبر الاسرائيليون أن شعبهم عبارة عن «جيش في إجازة مدتها ١١ شهراً». ولا تملك الدول العربية التي لا تطبق خدمة العلم احتياطاً هاماً ، أما الدول العربية التي تطبق هذه الخدمة فهي تملك احتياطاً كبيراً يصل في جمهورية مصر إلى ٥٣٤ ألف رجل ، وفي الجمهورية العربية السورية إلى ٢٠٠ — ٢٥٠ ألفاً ، وفي الجمهورية العراقية إلى ٢٦٨ ألفاً . بيد أن عدداً من الأوضاع الاقتصادية تمنع هذا الاحتياط من التدريب السنوي المستمر ، وتفقده جزءاً من فاعليته القتالية في المراحل الأولى من الحرب، وتجعل عملية التعبئة بطيئة إلى حد ما وتحتاج لحوالي ١٠ — ١٥ يوماً .

(١) الاحتياط المضاد للدبابات

هو مفرزة احتياطية ، تضم أسلحة مضادة للدبابات ، توضع تحت تصرف القائد الميداني من مختلف المستويات لاستخدامها ضمن منظومة الاسلحة المختلفة ، ووفق الخطة المعدة لصد الهجمات المدرعة الطارئة على الاتجاهات المحتملة او غير المحتملة في الهجوم والدفاع .

ويستخدم الاحتياط المضاد للدبابات كمفرزة مستقلة محددة المهمات والتشكيل في القطاعات من مستوى لواء وما فوق . وهناك حالات خاصة (قتال الكتائب المنعزلة في المدن ، دفاع الكتائب والسرايا في نقاط منعزلة ... الخ) تشكل فيها القطعات من مستوى الكتيبة وما دون مفارز تأخذ مهمات الاحتياط المضاد للدبابات دون أن تأخذ اسم هذا الاحتياط . وتكون هذه المفارز موضوعة بيد قائد الوحدة الصغرى لمجابهة الاخطار المدرعة الطارئة .

يتألف الاحتياط المضاد للدبابات من وحدة م/د (سرية وما فوق) مسلحة بالمدافع المضادة للدبابات ، او المدافع المضادة عديمة الارتداد ، او قانصات الدبابات ، او الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات المحمولة على عربات مدرعة ، او من مجموعة وحدات مضادة للدبابات تتسلح كل واحدة منها بنوع من هذه الأسلحة . أما في دفاع العصابات في المدن

فيكون الاحتياط م/د عبارة عن مجموعة قتالية صغيرة (اقل من فصيلة) مسلحة بالقواذف م/د او بالمدافع المضادة عديمة الارتداد .

لقد فرضت الحرب الحديثة ، وامكانات الخرق التي تتمتع بها القطعات المدرعة وضرورة الاستعداد لصد كل الاخطار الطارئة الناجمة عن تطور سير المعركة الى خلق الاحتياط المضاد للدبابات الذي ظهرت بوادر استخدامه في اواخر الحرب العالمية الاولى ، ثم استخدم على نطاق واسع في الحرب العالمية الثانية وحرب التحرير الوطنية الكورية ومختلف الحروب العربية-الاسرائيلية . وخاصة حرب ١٩٧٣ . ويعمل الاحتياط المضاد للدبابات عادة مع « مفرزة السدود المتحركة » ، وهي مفرزة من المهندسين معدة لزرع الألغام وإقامة الموانع المضادة للدبابات ، على الاتجاهات الخطرة خلال المعركة . (انظر مفرزة السدود المتحركة) . ومن الضروري ان يكون الاحتياط م/د متحركاً مرناً قادراً على الانتقال والانتشار والتجمع بسرعة فائقة ، حتى يستطيع تنفيذ مهمته القتالية على اكمل وجه في الهجوم والدفاع . ويتم تشكيل الاحتياط م/د واعداد مهماته القتالية منذ مرحلة تحضير المعركة . ويحدد له في الهجوم والدفاع خطوط انتشار محتملة لا ينتقل اليها ويحتلها الا اذا اقتضت ظروف المعركة ذلك . ويسير الاحتياط م/د في الهجوم وراء الأنساق الاولى وتكون مهمته : ١ – حماية مجنبات الهجوم من الهجمات المعاكسة المعادية ، ٢ – الدفاع عن الارض المحتلة في حالة فشل الهجوم وانتقال العدو من الدفاع الى الهجوم . ويتمركز الاحتياط م/د في الدفاع بين النسق الاول والنسق الثاني للتشكيلة او على مواقع النسق الثاني ، وتكون مهمته سد الثغرات التي يفتحها العدو في الخط الدفاعي ، ومنع الدبابات المعادية من تطوير الخرق في العمق . والفرق بين عمل الاحتياط م/د في الهجوم عن عمله في الدفاع ، هو ان خطوط انتشاره تكون في الدفاع محددة على الخارطة وعلى الارض ، كما تكون هذه الخطوط والمسالك المؤدية اليها معدة هندسياً بشكل مسبق . بينما تكون هذه الخطوط في الهجوم محددة على الخارطة فقط ، واحياناً على الأرض ، ولكنها لا تكون مجهزة مسبقاً نظراً لكونها ضمن عمق العدو .

وتسير ميكانيكية عمل الاحتياط م/د في الهجوم والدفاع وفق التسلسل التالي : عندما يحدد القائد الميداني اتجاه تقدم دبابات العدو ، يدفع الاحتياط م/د من مكان تمركزه الدفاعي ، او من مكان وجوده في التشكيلة الهجومية ، نحو خط الانتشار المحدد مسبقاً ، او نحو اي خط من الأرض يسمح بالدفاع ضد الدبابات ، وينطلق الاحتياط بالآليات نحو هذا الخط ترافقه غالباً «مفرزة السدود المتحركة» ، ويأخذ خلال الحركة تشكيلة رتل القتال . وعند الوصول الى مقربة من الخط المحدد ينتشر عليه ، وتأخذ الاسلحة مواقع الرمي ، وتنتظر وصول الدبابات المعادية حتى حدود المدى المجدي ، بينما تعود آليات الاحتياط م/د الى الخلف لتختفي في مكان أمين . وفي هذه الأثناء تقوم « مفرزة السدود المتحركة » المرافقة للاحتياط م/د بزرع الالغام أو إقامة الموانع المختلفة بشكل سريع . وعندما تصل دبابات العدو الى المدى المجدي للرمي يتعامل الاحتياط م/د معها مستغلا عامل المفاجأة والنار لكسر حدة هجومها او إيقافها بشكل نهائي . فاذا اوقف تقدمها فقط دون ان يجبرها على الانسحاب بقي في موقعه حتى يتلقى امراً بالحركة الى مكان يحدده القائد ، واذا استطاع ايقافها وتدمير عدد كبير منها واجبرها على الانسحاب ، تجمع من جديد بانتظار تلقي مهمة قتالية تالية .

يشكل اللواء عند القتال في الاراضي العادية احتياطاً واحداً مضاداً للدبابات ، وتشكل الفرقة او مجموعة الالوية احتياطين مضادين للدبابات ، على حين يشكل الجيش احتياطين م/د او اكثر . ويكون مكان تمركز او حركة هذه الاحتياطات وراء منتصف الانساق الامامية ، حتى تستطيع التدخل في جميع الاتجاهات بسرعة متماثلة . واذا كانت طبيعة الارض وطرقاتها ونوايا العدو تدفع الى الاعتقاد بأن خطر هجوم دبابات العدو على جانب من الجانبين اكثر مما هو عليه على الجانب الآخر ، يكون مكان تمركز او حركة هذا الاحتياط اقرب الى الجانب المهدد ، دون ان يبتعد كثيراً عن الجانب الآخر حتى لا يفقد القدرة على الوصول اليه عند الضرورة . ويؤمن من الجانب الاقل تعرضاً احتياطاً صغيراً مضاداً للدبابات ، أو يشكل مفرزة تقوم بمهام هذا الاحتياط دون ان تأخذ اسمه .

وعندما تعمل القطعات على جبهة عريضة (القتال في الصحراء ، أو القتال على جبهة ثانوية) ، او يكون الوضع امامها غامضاً جداً ، او تقاتل على محاور منعزلة في الجبال او الغابات ، او عندما تقاتل في المدن او الاراضي التي تكثر فيها القنوات والحواجز الطبيعية ، فإنها تشكل احتياطات م/د اكثر عدداً من الاحتياطات التي تشكلها عادة . فيكون للواء احتياطان م/د ، ويكون للفرقة او مجموعة الالوية اكثر من احتياطين . وذلك حتى لا تعيق الارض تدخل الاحتياط م/د في الزمان والمكان المحددين . وتتجه الجيوش الحديثة الى رفع مستوى حركية الاحتياط المضاد للدبابات ، وخاصة في القتال على جبهة عريضة او على ارض صعبة ، وذلك عن طريق خلق « **الاحتياط م/د السريع** » المزود بصواريخ موجهة مضادة للدبابات ، والمحمول بطائرات الهليكوبتر ، في مستوى اللواء وما فوق ، او خلق « الاحتياط م/د الجوي » المكون من طائرات هليكوبتر مسلحة بصواريخ موجهة مضادة للدبابات في مستوى الفرقة او مجموعة الالوية وما فوق ، الامر الذي يعطي الاحتياط م/د في كلتا الحالتين قدرة كبيرة على التدخل السريع في كل مكان من الجبهة .

وتختلف ميكانيكية عمل « الاحتياط م/د السريع » عن عمل « الاحتياط م/د الجوي » في أن طائرات الهليكوبتر التابعة للاحتياط الاول تهبط على الارض ، وتأخذ الصواريخ مواقعها على خط انتشار محدد لمجابهة الدبابات المعادية ، بينما لا تهبط طائرات الهليكوبتر التابعة للثاني على الارض ، بل تبقى في الجو ، وتتعامل بالصواريخ الموجهة مع دبابات العدو .

ان الاتجاه العام في الجيوش الحديثة في النصف الثاني من السبعينات هو الافادة من مرونة الهليكوبتر لاعطاء الاحتياط م/د قدرة كبيرة على المناورة . ولقد استخدم العدو الاسرائيلي « الاحتياط م/د السريع » في حرب ١٩٧٣ وهو يتجه نحو تبني استخدام « الاحتياط م/د الجوي » ايضاً .

(٣) أُحد (معركة) ٦٢٤

جبل يقع على مقربة من المدينة في الحجاز ، وقد جرت الوقعة المسماة باسمه في سنة ٣ هـ الموافقة لسنة ٦٢٤ م بين المسلمين بقيادة النبي محمد (صلعم) وعددهم ألف مقاتل ، وبين قريش بقيادة ابي سفيان بن حرب وعددها ثلاثة آلاف مقاتل . وقد هزم المسلمون في هذه الوقعة هزيمة مرة فعادوا منها أثلاثاً « ثلث قتيل ، وثلث جريح ، وثلث منهزم » ، كما قتل فيها حمزة عم النبي ، فبقرت هند زوجة أبي سفيان بطنه ، واخرجت كبده ولاكته بأسنانها ، وشج الرسول في رأسه وكلمت شفته وكسرت رباعيته ، وقدر عدد قتلى قريش بستة عشر قتيلا ، وقيل تسعة عشر ، وقيل اثنان وعشرون .

تميزت هذه الوقعة بالتنظيم الدقيق للمقاتلين من كلا الجانبين . فقد رتب أبو سفيان جيشه قبالة

جيش المسلمين قلباً وميمنة وميسرة ومؤخرة ، فوضع الفرسان في الميمنة وعليها خالد بن الوليد . ووضع على الميسرة عكرمة بن ابي جهل . وجعل النسوة في المؤخرة ، وغالبية الجيش في القلب ، اما النبي فجعل ظهره وعسكره الى جبل احد ، وقسم جيشه قسمين هما : الرماة ، ومهمتهم حمايـــة المؤخرة والجوانب ، وصد فرسان العدو ، ومنع كل محاولة للالتفاف من قبل العدو ، ومساندة المقاتلين ، وامر قائدهم عبد الله بن جبير : « انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، وان كانت لنا او علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك » . والمقاتلون ، وهم غالبية الجيش وقد تمركزوا قبالة القلب من جيش ابي سفيان وكانت اوامر النبي ان لا يقاتل احد حتى يأمره بالقتال . وقد انتصر المسلمون في اول المعركة ودخل جندهم معسكر قريش ، إلا ان رماتهم لم يتقيدوا باوامر النبي فتركوا مراكزهم واندفعوا نحو معسكر العدو ينهبونه ، فاغتنم خالد ابن الوليد الفرصة ، وكان على ميمنة جيش المشركين قائداً لفرسانهم ، فباغت صفوف المسلمين من الخلف بعد ان فقدوا حماية رماتهم ، وانزل بهم الهزيمة .

كما تميزت باستخدام المقاتلين للعنصر النفسي في القتال ، وهو (الذعر ومكافحة الذعر) ، اذ اطلق القرشيون في صفوف المسلمين ، وربما عن غير قصد منهم ، إشاعة ان محمداً قد قتل ، فذعر المسلمون ، وصار يقتل بعضهم بعضاً من الهلع والعجلة ، حتى ان فريقاً من الذين ظنوا ان محمداً مات ، ومن بينهم ابو بكر وعمر ، انتحوا ناحية من الجبل ، وقعدوا عن القتال ، فرآهم انس بن النضر فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : مات رسول الله . قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه . وما ان تبين المسلمون ان خبر موت النبي لم يكن سوى خدعة .. او خطأ ، وما ان صاح احدهم ، وهو كعب بن مالك ، حين رأى النبي « يا معشر المسلمين ، ابشروا هذا رسول الله » حتى تحلقوا حوله يحمونه ويدفعون الاذى عنه .

وتميزت كذلك بالدور الهام الذي لعبته نساء قريش في المعركة . اذ كن يمشين خلف الصفوف ، يضربن الدفوف ، ويقرعن الطبول ، ليشجعن الرجال على القتال ، وينشدن لهم اناشيد الحرب .

وقد برز النبي وخالد بن الوليد في هذه الوقعة كقائدين عسكريين ، فبرزت عسكرية الرسول بتركيز جنده على ارض المعركة ، وبالاوامر التي اعطاها للرماة من مقاتليه ، وكان عدم تقيد رماة المسلمين بأوامر النبي هذه سبباً في هزيمتهم ، كما قدمنا . وبرزت عسكرية خالد ببداهته وجرأته في اغتنام الفرصة والمباغتة ، فكانت مباغتته لجيش المسلمين من الخلف ، وقد فقد حماية الرماة ، عاملا حاسماً في المعركة لصالح المشركين .

(٨) إحداثيات

(انظر الطبوغرافيا ، والخـــارطة العسكرية ، ونقطة الوقوف)

(١) الاحراش (معركة) ١٩٧١

(انظر جرش وعجلون « معركة » ١٩٧١) .

(١) احكام الرمي

يبدأ إعداد الرمي على هدف بري ثابت ، أو على نقطة يحتمل ظهور هدف منها خلال القتال ، بقياس مسافة هذا الهدف على الخارطة أو بواسطة مقدر المسافات ، ثم تحسب عناصر الرمي (زاوية المدى ، وزاوية الاتجاه ، والحشوة بالنسبـــة إلى المدافع والهاونات ، أو المدى والاتجاه بالنسبة إلى الرشاشات) ويؤخذ في الحساب أيضاً عوامل الجو (الحرارة ، الريح) . ولكن هذه العناصر لا تكون دقيقة تماماً مهما كان القياس دقيقاً ، ولا بد من إجراء رمايات تجريبية للتحقق من صحة العناصر وتعديلها وفق مبادئ احكام الرمي المبنية أساساً على قوانين التناثر ، وطول وعرض **مستطيل التناثر** لكل سلاح (انظر التناثر) . وعندما يتم احكام الرمي وتظهر هذه العناصر الجديـــدة تسجل هذه العناصر لاستخدامها خلال القتال . بيد أن احكام الرمي على الأهداف في حالة التماس مع العدو قد يكشف نوايانا ، ويحدد للعدو الاهداف التي ننوي ضربها . لذا يستخدم في احكام الرمي عدة حيل لتمويه النوايا مثل : الاحكام على نقطة تقع على نفس ارتفاع الهدف ولكنها بعيدة عنه بشكل يجعل الرمي عليها لا يلفت انتباه العدو إلى الهدف الحقيقي المنوي ضربه ، أو افتعال اشتباكات بالمدفعية لاحكام الرمي وتحديد عنـــاصر الرمي الحقيقية ورمي أقل عـــدد ممكن من القذائف بأقل عـــدد من الأسلحة . ويفضل بعض قادة المدفعية تأجيل الاحكام إلى آخر لحظة ، وإجراءه خلال رمي التمهيد أو رمي السد الناري ، الأمر الذي يؤمن المفاجأة ، ولا يكشف مواقع الأسلحة ، ولكنه يضيع بعض الوقت خلال بدء الرمي .

(٣) احمد عرابي

السيد احمد بن محمد بن وافي بن غنيم بن ابراهيم بن عبدالله بن حسن بن علي ... بن ابراهيم مقلد ... بن صالح البلاسي (نسبة الى بلاس وهي قرية صغيرة ببطائح العراق ، وهو اول من هبط مصر من اجداد احمد عرابي) ... بن السيد حسين الاصغر بن الامام علي الرضا بن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي الزاهر زين العابدين بن الامام الحسين سبط الرسول (صلعم) بن الامام علي كرم الله وجهه . وامه السيدة فاطمة بنت سليمان بن زيد ، تلتقي مع والده عند ابراهيم مقلد (مذكرات عرابي) . ولد في ٧ صفر سنة ١٢٥٧ هـ (٣١ آذار ١٨٤١ م) في بلدته « هرته رزنه » وهي إحدى قرى مديرية الشرقية بالقرب من مدينة « الزقازيق » من عائلة بدوية استوطنت تلك القرية واصبح والده شيخاً لها ، ونشأ احمد في تلك القرية حيث تلقى فيها علومه الابتدائية المعروفة في ذلك العهد (القرآن والعلوم الدينية) على يد والده الذي كان قد انشأ في تلك القرية مكتباً لتعليم ابنائها ، ولكن والده توفي وهو في الثامنة من عمره ، فتربى في حجر والدته وبرعاية اخيه الاكبر محمد الذي ألحقه بالازهر الشريف سنة ١٨٤٩ ، فمكث فيه اربع سنوات ، أتم في خلالها حفظ القرآن وتلقى بعض علوم اللغة والفقه والتفسير ثم عاد الى قريته .

وفي ١٥ ربيع الاول ١٢٧١ هـ (٦ كانون الاول سنة ١٨٥٤ م) التحق احمد بالجيش جندياً عادياً « نفراً » ، وذلك بناء لقرار اتخذه محمد سعيد باشا حاكم مصر يومذاك بانتظام اولاد عمد البلاد ومشايخها في السلك العسكري ، فعين كاتباً بدرجة « بلوك امين » اي « امين سر وحدة » بالاورطة (كتيبة) الرابعة من ألاي (فوج) المشاة الأول ، ورقي لرتبة ملازم في الجيش وهو لا يزال في السابعة عشرة من عمره وذلك في ١٥ ربيع الاول ١٢٧٥ هـ ، ثم لرتبة ملازم أول في ١٧ جمادى الثاني ١٢٧٥ هـ ، فرتبة يوزباشي (نقيب) في ١٣ شعبان من السنة المذكورة (١٢٧٥ = ١٨٥٩ م) فرتبة صاغ (رائد) في ربيع الاول سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩م) فرتبة بكباشي (مقدم) في شعبان من السنة نفسها ١٢٧٦ هـ (١٨٦٠ م) فرتبة قائمقام (عقيد) في صفر سنة ١٢٧٧ هـ (ايلول ١٨٦٠ م) « وهي الرتبة التي لم يصل اليها احد قبلي من العنصر المصري – مذكرات عرابي » وقد تمت ترقياته هذه جميعها

في عهد محمد سعيد باشا والي مصر «الذي كان محباً لتقدم المصريين — مذكرات عرابي » وفي خلال ست سنوات فقط . ثم رقي لرتبة اميرالاي (عميد) سنة ١٢٩٦ ه (١٨٧٩ م) في عهد الخديوي محمد توفيق باشا ، وبعد ان ظل تسعة عشر عاماً برتبة قائمقام (عقيد) ، وفي سنة ١٢٩٩ ه (١٨٨١م) رقي لرتبة لواء .

ويذكر عرابي في مذكراته ان عهد محمد سعيد باشا كان عهداً وطنياً اذ كان يرغب ان يرى المصريين يحتلون المراكز العالية في بلادهم . بينما كان عهد الخديوي اسماعيل وابنه توفيق من بعده عهد ابناء الذوات من الشراكسة والاتراك ، وكان المصري فيه مضطهداً ومحتقراً ، ومن هنا يفسر ترقيته السريعة في العهد الاول والبطء بترقيته في العهد الثاني . وفي خلال هذه الفترة تنقل احمد عرابي في مراكز عديدة كما لاقى كثيراً من الاضطهاد والحرمان ، بعكس الفترة الاولى من حياته العسكرية في عهد محمد سعيد باشا التي كانت ايام سعوده . فكانت خدمته في عهد الامير محمد سعيد باشا « كلها اسفار وتمرينات حربية من الاسكندرية الى مريوط ، ومنها الى دمنهور ، ثم الى القاهرة ، ثم الى الخنقاه ، فالعباسية ، فطره ، ثم الى بني سويف ، فجبل الطير بمديرية المنيا ، الى قنا ، فسهل باب الملوك ، الى اسنا — مذكرات عرابي » ،ثم توفي محمد سعيد باشا سنة ١٢٧٩ ه وتولى حكم مصر بعده اسماعيل باشا الذي عزل عن مصر سنة ١٢٩٦ ه وتولى حكم مصر بعده اسماعيل باشا الذي عزل عن مصر سنة ١٢٩٦ ه ليخلفه ابنه توفيق (الخديوي توفيق) .

ولما تولى اسماعيل باشا ولاية مصر (١٢٧٩ ه) كان احمد عرابي قائمقاماً (عقيد) على ألاي (فوج) المشاة السادس ، وفي اول عهد الخديوي اسماعيل صدرت الاوامر من المعية الخديوية الى مديري الغربية والمنوفية بتوزيع اراضي هاتين المديريتين على امراء الجيش — وكان معظمهم من الشراكسة والاتراك والمصريين غير الوطنيين — دون النظر الى شكاوى اصحابها واحتجاجاتهم ، وكانت « تلك اول مظلمة من المظالم الكثيرة التي وقعت في عهد اسماعيل باشا — مذكرات عرابي » . وحدث في اول عهد اسماعيل ان رقي احد القادة الشراكسة المشهورين بتعصبهم ضد المصريين الوطنيين ، وهو خسرو بك ، الى رتبة لواء مع لقب باشا ، وتسلم قيادة اللواء الذي كان الالاي (الفوج) السادس احد وحداته ، ودب الخلاف بين احمد عرابي وخسرو باشا ،



أحمد عـــرابي

الامر الذي ادى في النهاية الى فصل عرابي من الجيش مدة ثلاث سنوات (١٢٧٩ ه — ١٢٨٣ ه) اعيد بعدها الى الخدمة في وظيفة مدنية ، حيث انجز بعض الجسور ، ثم احيل بعد ذلك (١٢٨٤ ه) الى التقاعد من غير معاش « لحين ظهور خدمة اخرى » . الا انه في عام ١٢٨٨ ه اعيد الى الخدمة العسكرية ، وتسلم قائمقـــاماً في الاي بالاسكندرية ، ولما بدأت الحملة المصرية على الحبشة سنة ١٢٩٢ ه اشترك بها كمسؤول عن تموين الجيش ، وفشلت الحملة بعد ان قضي على اعداد كبيرة من الجند الذين اشتركوا بها ، وعاد الجيش المصري مهزوماً من هذه الحملة ، ليبدأ الجهاد الوطني في بلاد مصر ، هذا الجهاد الذي كان احمد عرابي باعثه ورائده .

وعزل اسماعيل باشا عن ولاية مصر في رجب سنة ١٢٩٦ ه (حزيران ١٨٧٩ م) ، وولي مكانه ابنه الخديوي توفيق ، وكانت مدة ولاية اسماعيل ، وهي ١٧ عاماً ، وبالا على المصريين لطمعه وسوء تصرفه « ولقد تحملت مدة ولاية اسماعيل الجائرة بكل صبر وثبات تحت ضغط الظلم والاستبداد ، ومكثت برتبة القائمقام مدة تسع عشرة سنة انظر الى صغار الضباط الذين كانوا تحت ادارتي في عهدي سعيد باشا واسماعيل باشا وهم يترقون دوني — مذكرات عرابي » ورقي عرابي في اول عهد الخديوي توفيق (١٢٩٦ ه = ١٨٧٩ م) لرتبة اميرالاي (عميد) ، وعين ياوراً خديوياً (مرافقاً) في ياوران الخديوي واميراً على ألاي المشاة الرابع في العباسية بمدينة القاهرة ، وذات يوم من العام ١٢٩٨ ه (١٨٨١ م) اجتمع بعض كبار الضباط المصريين بمنزل عرابي ، وكانوا قد ضاقوا ذرعاً بمعاملة ناظر الجهادية (وزير الحربية) الشركسي عثمان رفقي باشا ، للعناصر الوطنية المصرية في الجيش معاملة تخلو من العدل والانصاف ، كما انهم ضاقوا ذرعاً بتمييز العناصر غير المصرية من شركسية وتركية على العناصر المصرية الوطنية في الجيش ، وخاصة في المراكز العالية ، فقر رأيهم على إرسال عريضة الى مصطفى رياض باشا رئيس النظار (اي رئيس الوزارة) تتضمن شكواهم هذه وتطالب بالعدل والمساواة ، كما تطالب بما يلي : عزل ناظر الجهادية عثمان رفقي باشا ، وتأليف مجلس نواب في مصر ، وزيادة عديد الجيش حتى ١٨ ألف مقاتل ، وتعديل القوانين العسكرية المصرية بما يكفل تطبيق العدل والمساواة بين جميع العسكريين . ووقع على هذه العريضة ثلاثة من الحاضرين هم : احمد عرابي ، وعلي فهمي ، وعبد العال حلمي ، بالنيابة عن الجميع ، وكانت نتيجتها ان اوقف الثلاثة في ديوان الجهادية بقصر النيل وتقررت محاكمتهم . واستدعي الثلاثة الى قصر النيل بخدعة دبرها الضباط الشراكسة وعلى رأسهم خسرو باشا كبيرهم ، حيث انتزعت منهم سيوفهم ، وسيقوا الى السجن ، ووضع لحراستهم ضباط وجند شراكسة . فما ان علم بعض القادة الوطنيين المصريين بذلك حتى انطلقوا على رأس قواتهم وانقذوهم من السجن ، وكان لتلك الحادثة صدى كبير في الجيش وفي البلاط الخديوي . واخذت الامور تتأزم منذ ذلك الحين ، وانشأ عرابي في الجيش حزباً اسماه « الحزب الوطني » ، جمع في اطاره كل الضباط الوطنيين في الجيش المصري ، ولما لم يجد هؤلاء الضباط لعريضتهم من اثراً في البلاط ، قرروا جميعاً ان يسيروا بأفواجهم (آلاياتهم) الى ميدان عابدين كي يعرضوا على الخديوي طلباتهم العادلة ، وعينوا لذلك يوم الجمعة في ١٥ شوال ١٢٩٨ ه (٩ أيلول ١٨٨١ م) وكتبوا الى ناظر الجهادية (وكان قد اصبح داوود باشا يكن) يعلمونه بذلك . ونفذ الجيش قراره ، واجتمع بميدان عابدين في التاسع من ايلول ١٨٨١ م ، وعلى رأسه عرابي . ونزل الخديوي بنفسه الى الميدان ليطلع على مطالب الجيش ، وتقدم عرابي منه واعلن المطالب وهي : « إسقاط الوزارة المستبدة ، وتأليف مجلس نواب على النسق الاوروبي ، وإبلاغ الجيش الى العدد المعين في الفرمانات السلطانية (١٨ ألف مقاتل) ،

والتصديق على القوانين العسكرية التي امر الخديوي بوضعها » ، فكان جواب الخديوي : « كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها ، وانا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي واجدادي ، وما انتم الا عبيد احساناتنا » فقال له عرابي ذلك القول المأثور عنه : « لقد خلقنا الله احراراً ولم يخلقنا تراثاً وعقاراً ، فوالله الذي لا اله الا هو اننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم » .

ثم عاد الخديوي فقرر إجابة مطالب الجيش بالتدريج وابلغ قادته ذلك فانصرفت الالايات (الافواج) من سراي عابدين الى مراكزها الاساسية ، وكان اول مطلب حقق هو مطلب اسقاط « الوزارة المستبدة » اي وزارة رياض باشا ، فأقيلت واستبدلت بوزارة اخرى رئيسها شريف باشا الذي تعاون مع الضباط الوطنيين ونفذ اول مطلب لهم بتعيين محمود سامي باشا (البارودي) صديق عرابي ورفيقه في الجهاد ، وزيراً للجهادية ، ومصطفى باشا وزيراً للخارجية ، وقد تم تشكيل وزارة شريف باشا في ١٤ ايلول ، وفي ٢٢ منه قدم شريف باشا الى الخديوي تقريراً يتضمن قوانين الاصلاحات العسكرية التي طالب الجيش بها يوم ثورته في ٩ ايلول . وكان خبر تحرك الجيش قد ملأ اسماع الدنيا فقررت السلطنة العثمانية في اول تشرين الاول ارسال وفد الى مصر للتحقيق ، وتحركت الفئات الوطنية في مصر كلها لشد ازر الجيش ومناصرته ، وتفتحت عيون الدول الاوروبية لترقب بحذر ما يجري في مصر على يد الجيش من تغييرات .

وفي الرابع من تشرين الاول (١٨٨١ م) رفع شريف باشا الى الخديوي تقريراً بشأن انشاء مجلس نواب مصري وانتخاب اعضائه ، فوافق عليه ، وصدر في اليوم نفسه الامر العالي بذلك ، وتم انتخاب اول مجلس للنواب في مصر الذي افتتح في ٥ صفر سنة ١٢٩٩ هـ (٢٦ كانون الاول ١٨٨١ م) فاستقبل الجيش تنفيذ مطالبه تلك بكثير من الاعتزاز والترحاب .

وفي هذه الاثناء بدأت الدولتان الكبيرتان ، فرنسا وانكلترا ، تبحثان عن طريقة للتدخل في شؤون القطر المصري ، متخذتين من تحرك الجيش ذريعة لتدخلهما بحجة حماية الخديوي ، فارسلتا الى الحكومة الخديوية مذكرة مشتركة تعلنان بها انهما مستعدتان للتدخل ومساعدة السلطة الخديوية اذا استمر الاضطراب في مصر ، او اذا مست السلطة الخديوية (١٠ كانون الثاني ١٨٨٢) مما اثار الضباط الوطنيين في الجيش كما أثار اعضاء مجلس النواب والحكومة ، واعترض الباب العالي عليها ولم يكن احد يدري ما تبيت الاقدار لهذا القطر من جراء هذا التدخل . وبسبب الخلاف على بنود الميزانية في اللائحة الاساسية (الدستور) استقالت وزارة شريف باشا وخلفتها وزارة برئاسة محمود سامي باشا (البارودي) ، كان فيها عرابي وزيراً للجهادية والبحرية ، وكان ذلك في شباط ١٨٨٢ م ، مما اثار حفيظة الضباط الشراكسة الذين كانوا يرون سقوط دولتهم وانهيار امتيازاتهم ، فتآمروا لاغتيال عرابي (ناظر الجهادية) ورؤساء الضباط الوطنيين ، وجميع النظار (الوزراء) . واكتشفت مؤامراتهم فاحيلوا الى المحاكمة وحكم على اكثرهم (٤٠ ضابط) بالنفي والتجريد من الرتب العسكرية والحقوق المدنية ، واتخذت الصحف الانكليزية (خصوصاً التايمز) ذريعة من هذه المحاكمة لتحمل على الحكومة الوطنية في مصر حملة عنيفة .

ورغم كل ذلك ، فقد نجح الحزب الوطني (حزب عرابي) في الوصول الى الحكم ، واحدث تغييراً شاملا في سياسة القطر المصري ، وتمكن من تأليف وزارة وطنية حرة . وكانت الامور تسير بالحكم الوطني على احسن وجه لولا ان الخديوي توفيق (الذي كان على اتصال بالانكليز منذ كان والده اسماعيل في الحكم ، والذي لم يتمكن من استلام الحكم في مصر إلا بموافقة الانكليز ، وبعد ان تعهد لهم بان يكون لانجلترا الكلمة العليا في بلده) استنجد بالانكليز ، بايعاز من السير «مالت» قنصل انكلترا بمصر ، ليعيدوا اليه سلطته على البلاد . وبناء على ذلك قررت انكلترا ، ومعها فرنسا ، ارسال اسطوليهما الى مصر لحفظ سلطة الخديوي فيها . وفي ايار عام ١٨٨٢ م بدأت السفن الحربية الانكليزية والفرنسية تدخل الموانئ المصرية ، وما ان استقرت تلك الاساطيل في مياه مصر حتى تقدمت الدولتان الانكليزية والفرنسية (في ٢٥ أيار) بانذار الى الحكومة المصرية تطلبان فيه ما يلي : سقوط الوزارة ، وخروج عرابي من القطر المصري ، ونفي عبد العال حلمي وعلي فهمي الى الارياف ، وتسريح الجيش بحيث لا يبقى منه سوى العدد اللازم لحفظ الحدود الجنوبية . وثارت ثائرة النواب والوزارة على هذا الانذار ، وعقد مجلس النواب جلسة لمناقشة الامر ، ثم قدم الوزراء استقالتهم في ٢٦ ايار (في اليوم التالي للانذار) فقبل الخديوي استقالتهم « بفرح وسرور » ، واصدر منشوراً عاماً يقبل فيه استقالة الوزارة ويبرر حضور الاساطيل الاجنبية الى مصر لانها جاءت « بوجه سلمي فقط » .

وفي ٢٧ أيار عقد الخديوي اجتماعاً عاماً حضره النواب والاعيان والعلماء اعلن فيه قبول الانذار الفرنسي – البريطاني والاحتفاظ لنفسه بوزارة البحرية حتى يصير تعيين وزارة جديدة . وعمت الثورة الجيش كله لذلك ، فارسل ضباط الالايات (الافواج) برقيات الى الخديوي يتمسكون فيها بعرابي ناظراً للجهادية ، وينذرون بثورة ان لم يرجع الى منصبه خلال ١٢ ساعة .

وكان من الواضح ان تدخل الدولتين الكبيرتين انكلترا وفرنسا في شؤون مصر وارسالهما الاساطيل لم يكن اكراماً لخاطر الخديوي اكثر منه طمعاً في فرض سيطرتهما على هذا البلد ، ومنع الحركة الوطنية فيه من تسلم الحكم ، وذلك حفاظاً على ما لهما من مصالح مع الحكم الخديوي لا بد وان يرفضها الحكم الوطني . وكان قبول الخديوي للانذار البريطاني الفرنسي مرفوضاً من العناصر الوطنية ، فاجتمعت تلك العناصر (وكانت تضم ضباطاً ووزراء ونواباً واعيان وعلماء) ليلة السبت في ٢٧ ايار وقررت الطلب من الخديوي ان يرفض الانذار ، حتى ان الكثيرين طالبوا بعزله ، فما كان من الخديوي الا ان اصدر قراراً بإعادة عرابي الى وزارة الجهادية ، ولكن انكلترا وفرنسا كانتا تصران على ابعاد عرابي وسائر زعماء الحزب العسكري (الوطني) من مصر ، فارسلتا الى الباب العالي مذكرة تطلب ذلك . كما طلبت فرنسا منه عقد مؤتمر في الآستانة لبحث الحالة في مصر ، فاكتفت الدولة العثمانية بارسال وفد الى مصر للتحقيق بالتهويلات الانكليزية والفرنسية . بيد أن ذلك لم يرض الانكليز الذين كانوا يطمعون في حكم مصر ، فبدأوا يعدون لاثارة فتنة تبرر دخولهم ارض مصر كمحتلين . وكان اسطولهم يحتل ميناء الاسكندرية ، فاختلقوا في المدينة مذبحة بين الاوروبيين والمصريين لعل ذلك يتيح لهم التدخل لحماية مواطنيهم ، ولكن الفتنة لم تدم اكثر من نهار واحد ، فخاب املهم . عندها تذرعوا بان القلاع المصرية المحتلة من الجيش المصري ، والواقعة قبالة اسطولهم تتهيأ للقتال وتتحصن ، وان على المصريين ان يلغوا تحصيناتهم . وكان ذلك مطلباً مستحيل التنفيذ ، ومع ذلك فقد أعلم الانكليز ان الجهادية لا تهتم بتحصين الاستحكامات لانها محصنة ، وان ما يجري فيها هو بعض الترميمات العادية . وهنا قررت السلطات الانكليزية الانفراد بعمل عسكري ضد الحامية المصرية في الاسكندرية (وكانت فرنسا قد توقفت عن استفزازاتها ضد مصر بعدما تبينت لها نوايا انكلترا السيئة) ، فارسلت الى

الخديوي (الذي كان في الاساس مطلعاً على كل شيء ومتفقاً مع الانكليز في كل شيء) إنذاراً بعزم الاميرال «سيمور» قائد الاسطول الانكليزي في الاسكندرية على ضرب القلاع والحصون المصرية صباح الثلاثاء في ١١ تموز (١٨٨٢ م) ، واشار الانكليز على الخديوي (الذي كان مصطافاً في قصر رأس التين بالاسكندرية) ان يترك القصر خوفاً على حياته ، وقد وصل الانذار الى الحكومة المصرية في ٩ تموز ، فانعقد مجلس فوق العادة لبحثه في ١٠ تموز ، وتقرر الدفاع عن ارض مصر مهما كانت التضحيات (وكان عرابي لا يزال وزيراً للحربية) ، وفي الوقت المحدد (صباح ١١ تموز ١٨٨٢) بدأ الاسطول الانكليزي ضرب الاسكندرية بنيران مدفعيته ، وردت مدفعية القلاع المصرية على النار بالمثل . واندلع القتال . وكانت المفاجأة ان الخديوي ، بدلا من ان ينضم الى صفوف جنوده المقاتلين ضد العدوان الانكليزي ، لجأ الى الانكليز مظهراً ما كان يخفيه على شعبه من التواطؤ معهم عليه .

بدأت الحرب بين الانكليز والمصريين . وبدأ الانكليز في غزو ارض مصر ، وكانت مقاومة جيش مصر عنيفة جداً ، فقد هزم هذا الجيش الانكليز في معارك عديدة مثل معركة ابي قير (٢٦ تموز ١٨٨٢) (انظر ابو قير) وحاول الخديوي ، وهو بين يدي الانكليز ، ان يأمر جيش مصر بوقف القتال والتعاون مع الانكليز المحتلين ، فكان جواب الجيش عليه عدم الاعتراف بسلطته وهو بين يدي العدو المحتل ، وعقد مؤتمر وطني ضم علماء البلاد واعيانها وامراءها بدعوة من عرابي وزير الجهادية (في ٢٢ تموز ١٨٨٢) وقرر هذا المؤتمر ارسال وفد الى الخديوي يطلب منه ومن الوزراء المنضمين اليه الحضور الى العاصمة لمتابعة القتال مع جيشهم ضد الانكليز ، وكان جواب الخديوي على ذلك عزل عرابي عن وزارة الجهادية واعتباره ورفاقه خارجين على ارادة السلطة الحاكمة في مصر ، عندها قرر المؤتمر عزل الخديوي ومواصلة القتال .

واستمرت المعارك ضارية بين المحتلين الانكليز والمدافعين عن وطنهم من جند مصر وعلى رأسهم عرابي وزير الحربية ، فاحتل الانكليز قناة السويس (مطمعهم الاساسي) وذلك بعد ان اشتبكوا مع الجيش المصري في معارك عنيفة بين السويس والاسماعيلية ، وقدر عدد الغزاة الانكليز الذين زحفوا لاحتلال الترعة المصرية بعشرين ألف مقاتل ، وكان ذلك يومي ٢١ و ٢٢ تموز .

وبدأ الانكليز يتوغلون داخل القطر المصري وهم يجدون مقاومة ضارية انى توجهوا ، ويدفعون عن كل شبر من تقدمهم في ارض مصر ثمناً فادحاً من دمائهم ، وقد لاقوا كثيراً من الهزائم على يد المصريين ، ففي ٢٢ آب هزم الانكليز في كفر الدوار امام قوة كان على رأسها طلبة عصمت باشا احد رفاق عرابي . وفي ٢٤ آب نشب قتال عنيف بينهم وبين قوة من الجيش المصري عند «المحسمة» بين المسخوطة والاسماعيلية تكبد الانكليز فيه خسائر فادحة ، الا انهم تمكنوا من إلحاق الهزيمة بالجيش المصري في اليوم التالي (٢٥ آب) فتراجع الجيش المصري الى التل الكبير حيث كانت فيما بعد المعركة الفاصلة .

وحدثت معركة القصاصين الاولى في ٢٨ آب حيث استمر الاشتباك بين المقاتلين يوماً وليلة بكاملهما وتراجع الفريقان دون اي حسم ، وفي ٨ ايلول وقعت معركة القصاصين الثانية وكان الانكليز قد حشدوا لها نحو ثلاثين ألف مقاتل وقد استمر القتال يومي ٨ و ٩ ايلول ، وكان عنيفاً جداً ، وكانت هذه الوقعة اشد وقعة في هذه الحرب ، وكان يدير هذه الوقعات كلها (المحسمة ، والقصاصين الاولى والثانية) وزير الحربية نفسه ، عرابي ، ومعه رفاقه الضباط والاحرار مثل علي فهمي وطلبة عصمت ، وعلي الروبي ، وراشد حسني ، وخالد نديم ، ومحمد عبيد ، ومحمود فهمي ، ومحمود سامي (البارودي) وغيرهم ، الى ان كانت الوقعة الحاسمة في هذه الحرب ، وقعة التل الكبير (الاربعاء في ٢٥ شوال ١٢٩٩ هـ = ١٣ ايلول ١٨٨٢ م) (انظر التل الكبير) . وكانت هذه آخر معركة خاضها عرابي في وجه المحتلين ، اذ انتقل ورفاقه بعد ذلك الى القاهرة حيث قرروا الاستسلام حقناً للدماء ، وذلك بعد التشاور في مجلس عام لمن تبقى من الزعماء المناضلين ، وبعثوا للخديوي بعريضة الاستسلام في ١٤ ايلول . وفي مساء اليوم نفسه وصلت طلائع الجيش الانكليزي الى العباسية ، واصدر الخديوي امره بسجن جميع الضباط الاحرار وكبار العلماء والرؤساء والذوات والاعيان ، حتى بلغ عدد المصريين المسجونين بعد الحرب نحو ٣٠ الفاً . وعاد الخديوي توفيق الى القاهرة واستعرض الجيش الانكليزي الذي هتف بحياته ، واعتبر عرابي ورفاقه اسرى حرب ، واحيلوا امام محكمة عليا حكمت على عرابي وبعض رفاقه بالاعدام وخفف الحكم الى النفي المؤبد . ونفي عرابي ومعه طلبة عصمت ، وعبد العال حلمي ، ومحمود سامي (البارودي) ، وعلي فهمي ، ومحمود فهمي ، ويعقوب سامي الى جزيرة سيلان ، وانتزعت منهم املاكهم ، وابحر هؤلاء جميعاً مع عائلاتهم الى جزيرة سيلان فوصلوها في ٩ كانون الثاني ١٨٨٣ ، وكان عددهم مع عائلاتهم جميعاً ٤٨ شخصاً .

وعاش عرابي في منفاه بجزيرة سيلان طيلة تسعة عشر عاماً الى ان صدر العفو عنه وسمح له بالعودة الى مصر فعاد اليها في عام ١٩٠١ (٣٠ ايلول) وعاش فيها ما تبقى من حياته الحافلة بالنضال والجهاد ، حتى توفي يوم ٢١ ايلول سنة ١٩١١ عن عمر يناهز السبعين عاماً .

كان عرابي ذا شخصية قوية جذابة ومؤثرة في الافراد والجماهير . وقد وفرت له شخصيته هذه صفات الزعامة ، وكان كذلك على موهبة في الكلام والخطابة بفضل ثقافته الدينية وصوته الجهوري . الا انه لم يؤت من علم السياسة سوى ما اكتسبه من الخبرة من جراء عمله في الحقل السياسي .

(٣) الاحنف بن قيس

أبو بحر صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن مرة بن عبيد ، من بطون تميم ، أمه حبة بنت عمرو بن قرط الباهلية ، لقب بالاحنف لشق في رجله جعله يطأ على وحشيها فقضى حياته أحنف . ولقب أيضاً بالضحاك (غير الشاعر الضحاك ابن قيس) ، ولد بالبصرة سنة ٣ قبل الهجرة (٦١٩ م) واسلم في عهد النبي (صلعم) ، وثبت على إسلامه حين ارتد قومه عن الاسلام بعد موت الرسول ، واخذ يبرز في الحروب التي خاضها المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين في فتح فارس ، فانضوى تحت لواء أبي موسى الاشعري ، وشهد معه فتح (تستر) بخوزستان ، كما شهد معه فتح (نهاوند) و (قم) ، ومن (قم) وجهه أبو موسى الى (قاشان واصفهان) ففتحهما ، ثم توجه الى (خراسان) ففتح كوهستان وهراة ومرو الشاهجان ومرو الروز حتى وصل الى (بلخ) ، وكانت هذه الفتوح جميعها (وهي مدن من خراسان) سنة ١٧ و ١٨ هـ ، وقيل ٢٢ و ٢٣ هـ (٦٤٤ م) ، وقاد جيوشه بعد ذلك في مسالك وعرة الى طخارستان وفي نيته ان يقطع الطريق على يزدجرد الثالث ملك فارس الذي كان يتقهقر نحو اواسط آسيا ، إلا أنه لم يفلح ، ففتح طخارستان ، وولى عليها من قبله ربعي بن عامر التميمي ، ثم كتب الى الخليفة عمر ينبئه بالفتوح

فقال فيه عمر « هو سيد اهل المشرق المسمى بغير اسمه » ، وخشي عمر ان يتقدم الاحنف الى ماوراء خراسان فكتب اليه يقول : « لا تجوزن النهر واقتصر على ما دونه » والنهر الذي يقصده الخليفة هو نهر جيحون . وكان فتح تلك الديار نذيراً بانتهاء حكم الاكاسرة من بني ساسان فيها ، وانتقالها الى ايدي المسلمين العرب . إلا ان خراسان نكثت العهد بعد الخليفة عمر وفي عهد عثمان فأوكل عثمان امر استعادتها الى عبد الله بن عامر الذي وجه الاحنف الى خراسان وطخارستان فاستعادهما ، وسمي بعد ذلك حصن (مرو الروز) بقصر الاحنف . كما سمي رستاقه برستاق الاحنف (والرستاق مجموعة قرى) وحاول فتح خوارزم فلم يوفق ، فعاد الى بلخ ، وكان ذلك سنة ٢٤ و ٢٥ هـ ، وقيل ٢٩ هـ (٦٤٩ م) و ٣٠ هـ (٦٥٠ م) .

وفي خلافة علي ، حين نشب النزاع بينه وبين عائشة أم المؤمنين ، اعتزل الاحنف وبقي محايداً ومن معه (وكان معه زهاء ستة الاف رجل) في وقعة الجمل (٣٦ هـ = ٦٥٦ م) وقال لعائشة وطلحة والزبير اذ لقيهم في البصرة : « والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ، ولا أقاتل ابن عم رسول الله (صلعم) ، وقد امرتموني ببيعته ، ولكني أعتزل » وقال لعلي : « إختر مني واحدة من اثنتين : إما أن أقاتل معك ، وإما أن أكف عنك عشرة الاف سيف » فقال علي : « اكفف عنا عشرة الاف سيف » ففعل الاحنف ذلك داعياً جماعته الى القعود عن التحزب لأي من الفريقين ، ولكن اعتزاله لم يدم ، اذ انه انحاز الى علي بعد وقعة الجمل وشهد معه وقعة صفين (٣٧ هـ) (٦٥٧ م) . وقال علي في اثناء ذلك : « لم نقاتل القوم لنا ولك ، انما قاتلناهم لله » . ولما تسلم معاوية الخلافة دخل عليه الاحنف قائلا : « والله يا معاوية ان القلوب التي ابغضناك بها لفي صدورنا ، وان السيوف التي قاتلناك بها لفي اغمادها ، وان تدن من الحرب فتراً ندن منها شبراً ، وان تمش اليها نهرول اليها » ، ثم خرج . وكانت أخت معاوية تستمع الى حديثه من وراء حجاب ، فسألت أخاها عنه فقال لها : « هذا الذي اذا غضب غضب لغضبه ماية ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب » .

كان الاحنف انيق المظهر رغم تشويه في جسده (احنف القدم اعور) ، وكان قصيراً دميماً ، إلا أنه كان يهتم بقيافته ، فيرتدي مطرفاً وعمامة من الخز ، وكان موضع ثقة ، وصاحب كلمة ، شجاعاً ، كريماً ، حليماً ، راجح العقل ، عالماً .

وكان من دهاة العرب واكثرهم ذكاء وايثاراً وورعاً وقناعة ، ومن خصائصه العسكرية سرعة البديهة ، وبعد النظر ، والمبادرة ، والتأني في اتخاذ القرارات ، والحيطة ، والحذر ، وحسن اختيار مواقع القتال . وكان دائماً في طليعة الجيش ، كما كان اكثر القادة نشاطاً وجلداً . وكان الاحنف صديقاً لمصعب بن الزبير والي الكوفة ، فوفد عليه فيها ، وتوفي عنده سنة ٦٧ هـ ، عن عمر يناهز السبعين عاماً . ودفن بالثوية (قرب الكوفة) عند قبر زياد بن ابي سفيان .

(٦) اختراق جدار أو حاجز الصوت

(انظر جدار أو حاجز الصوت) .

(٨) اختطاف موسوليني (اغارة) ١٩٤٣

شهدت الحرب العالمية الثانية تحولات هامة في المواقف مع بداية عام ١٩٤٣ ، ففي الثالث من كانون الثاني (يناير) ١٩٤٣ انسحب الألمان من القوزاق . وفي ١٤ منه قامت جبهة الدون بهجوم عام انتهى باستسلام الالمان في ستالينغراد يوم ٣١ كانون الثاني (يناير) أيضاً . وفي ١٢ أيار (مايو) ١٩٤٣ انتهت معركة تونس ، وفقد الألمان كل أمل في ممارسة عملياتهم فوق مسرح شمالي افريقيا . وفي ١٠ تموز (يوليو) ١٩٤٣ انزل الحلفاء قواتهم في صقلية . وكان هذا الانزال حافزاً للقوى المناهضة للفاشية وفي طليعتها الحزب الشيوعي الايطالي الذي قاد النضال ضد موسوليني ونجح في الاطاحة بحكمه في يوم ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٤٣ . وعملت هذه القوى على تشكيل حكومة ائتلافية ، وحاولت اتخاذ مواقف مترددة وغير حازمة تجاه المانيا كما كان موقفها ضعيفاً من الدوتشي . فعملت على نقله في البداية الى ثكنة الطلاب الرماة ، ثم الى جزيرة بونزا ، ومنها الى قاعدة مادلينا . ولم تكن هذه المراكز جميعها صالحة للمحافظة على سر « الأسير موسوليني » أو حتى لاخفاء شخصيته وعدم إثارة الشكوك حول وجوده .

وكانت حكومة « بادوليو » التي خلفت حكم موسوليني خاضعة لمجموعة كبيرة من المؤثرات . فقد تابعت رسمياً الحرب الى جانب هتلر بعد المقابلة التي تمت في السادس من آب (اغسطس) ، وفي الوقت ذاته كانت هناك اتصالات سرية تجري في الخفاء مع الحلفاء وقياداتهم التي كانت تدفع القوات من الجنوب . وقد التزمت حكومة «بادوليو» أمام هتلر بالمحافظة على حياة «الدوتشي» . وعندما شعرت المانيا بالدور المزدوج الذي تمارسه حكومة «بادوليو» قررت توجيه ضربة حاسمة لمعالجة الموقف المتدهور على أمل إعادة عقارب الساعة الى الوراء . ودفعت قوات كبيرة لدعم فرقها الثمان المتمركزة على الحدود الايطالية ، ومقابل ذلك قام الحلفاء في اليوم العاشر من آب (أغسطس) بانزال قواتهم في صقلية ، وفي يوم ١٧ منه احتلوا مسينا ، وفي الثالث من ايلول (سبتمبر) بدأ غزو الحلفاء لايطاليا .

وبدأت الاحداث في التسارع بصورة مذهلة ، مما دفع القيادة الالمانية الى التفكير بشن ثورة مضادة ضد حكومة « بادوليو » واعادة « الدوتشي » الى السلطة . وقد ظهرت بعض الشواهد التي أثارت شكوك الايطاليين ، ومنها تبديل الوزير الالماني المفوض « ماكنسن » بالبارون « راهن » المعروف بدهائه وشخصيته القوية ، وما قام به من دور في ڤيينا للتحريض على قتل « أدولف » ، وهو الذي جعل ايضاً من الاميرال « استيفا » منفذاً لمآربه وخادماً أميناً لمخططاته خلال عملية احتلال تونس . ثم أعقب ذلك وصول عدد من المظليين التابعين للفرقة الأولى والثانية الى روما ، وجاءت بعدها الاغارة التي نفذت يوم ٨ أيلول (سبتمبر) بهدف اختطاف المارشال «بادوليو» . اما الخطة الاساسية التي اختفت وراء هذه الشواهد فهي عملية اختطاف « موسوليني » ، والتي أعطى الأوامر بتنفيذها شخصياً زعيم الرايخ أدولف هتلر وتابع الاشراف على الاستعداد لتنفيذها ، وكلف بها « شتودنت » من أجل تحضير مخطط التحرك الجوي و « سكورزيني » لتنفيذ عملية الاغارة .

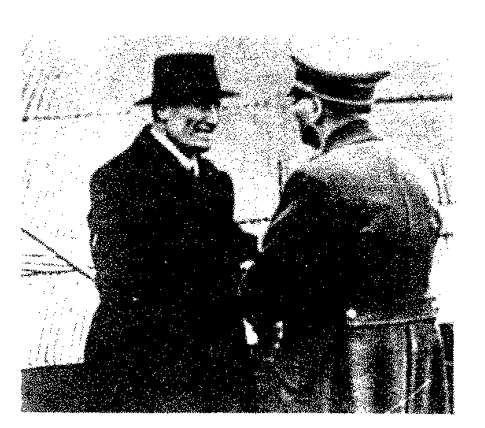
وبدأ سكورزيني عمله بالبحث عن الملجأ الذي تم فيه اعتقال الدوتشي ، وسرعان ما وصل الى هدفه ، ولكن الحكومة الايطالية اصدرت امرها يوم السابع والعشرين من آب (أغسطس) بنقل موسوليني من سردينيا الى حصن مادلينا . وكان المعتقل الجديد يقع في سلسلة قائمة من جبال غران ساسو Gran - Sasso ، وعلى ارتفاع ٢١٠٠ متر عن سطح البحر ، فوق مسطح أرضي ضيق شيد ليكون فندقاً لهواة التزلج على الجليد . وكان يدعى بالنزل الامبراطوري Campo - Imparatore وكان بطبيعة موقعه سهل المراقبة والحراسة . وفي يوم ٢٨ آب جرى نقل موسوليني بواسطة سيارة اسعاف الى فندق صغير في قرية (فيتا) عند سفح القطار الهوائي Teleferique والذي يصل المعتقل بطريق أكيلا Aquila . وبقي موسوليني في هذا الفندق حتى يوم ٦ أيلول (سبتمبر) ،



المجموعة الألمانية التي أنقذت موسوليني



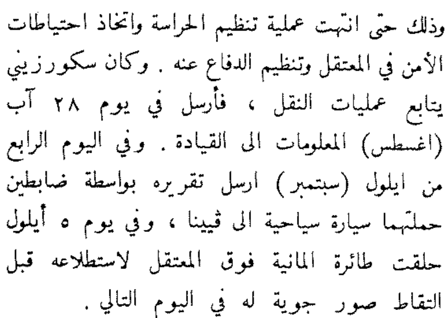
موسوليني بين منقذيه



هتلر يستقبل موسوليني في المانيا

وذلك حتى انتهت عملية تنظيم الحراسة واتخاذ احتياطات الأمن في المعتقل وتنظيم الدفاع عنه . وكان سكورزيني يتابع عمليات النقل ، فأرسل في يوم ٢٨ آب (اغسطس) المعلومات الى القيادة . وفي اليوم الرابع من ايلول (سبتمبر) ارسل تقريره بواسطة ضابطين حملتهما سيارة سياحية الى ڤيينا ، وفي يوم ٥ أيلول حلقت طائرة المانية فوق المعتقل لاستطلاعه قبل التقاط صور جوية له في اليوم التالي .

وفي يوم ٦ أيلول ، أصبح النزل الامبراطوري جاهزاً لاستقبال موسوليني بعد أن تم إبعاد النزلاء عنه ، وكان تنظيم هذا النزل مماثلا لغيره من الفنادق المخصصة لممارسة الرياضة الشتوية ، فكان بناؤه يضم طابقاً أرضياً وضعت به زمرة الاتصال ومعها جهاز لاسلكي للاتصال مباشرة مع روما ، وطابقاً ثانياً خصص لاقامة موسوليني في جناح منه ، على حين خصصت الغــرف المجاورة لإقامة الحرس ورجال الشرطة . وكانت قوة الحراسة تضم مئات من القناصة (مهرة الرماة) بقيادة عقيد من قوات القناصة . وقد نظمت الحراسة على جميع محاور الطرق والممرات التي تصل الى النزل . كما كانت الملاجئ تشرف على جميع محاور الاقتراب من النزل . وبالاضافة الى ذلك فقد نظمت الدوريات ومفارز الكلاب البوليسية للتجول في الضواحي بصورة مستمرة ووزعت على رجال الحرس ثياب التزلج ومعدات التزلج . وكان المفتش العام للشرطة (جيلي) المسؤول عن حراسة موسوليني ، كما كانت القوى والوسائط الموضوعة



تحت تصرفه كافية لتنفيذ المهمة على أفضل وجه ، لا سيما وانه كان باستطاعته الافادة من الموقع الطبيعي الحصين للنزل وما تتوفر حوله من حواجز وعوائق ، بالاضافة الى عزلته وبعده عن كل منطقة سكنية مما يجعل عملية الاحتفاظ بموسوليني والدفاع عن النزل أمراً مضموناً .

في اليوم الثامن من ايلول (سبتمبر) ١٩٤٣ اعلنت الحكومة الايطاليــة استسلامها للحلفاء ، واعلنت خروج قواتها من الحرب ، وبذلك فقدت القوات الايطالية كل ارادة للقتال . واسرعت خمسون فرقة ايطالية بالاستسلام للحلفاء في البلقان وفي ايطاليا الشمالية وفي الريڤييرا الفرنسية . ووافقت قيادات هذه القوات على إلقاء السلاح والخضوع لشروط معاملة أسرى الحرب . وفي اليوم التاسع من ايلول (سبتمبر) أنزل الحلفاء قواتهم في ساليرنو مما أحبط ارادة القتال عند بقية القوى الايطالية وأخضعها لظروف نفسية سيئة . وقد زاد تردد حكومة «بادوليو» الأمر سوءاً ، مما انعكس على الوضع العام كله وعلى الموقف الخاص بموسوليني بصورة واضحة . فقد اعطى مدير الشرطة الايطالية في حكومة « بادوليو » أوامره الى المفتش العام (جيلي) عند تنظيم النزل الامبراطوري بشكل دقيق وحازم (يجب قتل موسوليني وعدم تسليمه حياً اذا حاول الألمان اختطافه) . وقد وجدت هذه الأوامر الصريحة المنفذ الحازم لها وهو جيلي الذي عرف بشجاعته في تنفيذ جميع الاعمال

والواجبات التي كلف بها في الماضي ، ومنها أنه قتل بيده زعيماً خطيراً من زعماء العصابات ، بالاضافة الى انه من المناوئين للفاشية . ولكن الأوامر المتناقضة أخذت في الوصول تباعاً . ففي اليوم الثامن من أيلول ، وبعد توقيع اتفاقية الهدنة ، هرب « بادوليو » مع العائلة المالكة من روما . وفي اليوم التاسع من ايلول تحولت روما الى ساحة للقتال العنيف ، وتابعت الفرق والقوات الايطالية استسلامها للحلفاء في كل مكان . اما الوزراء فقد بقوا في روما وعقدوا اجتماعاً حضره مدير الشرطة وطرح فيه قضية موسوليني على وزير الخــارجية (ريكسي) . ودار نقاش حول الاحتمالات المختلفة التي يمكن مجابهتها ، والى ما يمكن حدوثه من عمليات انتقامية تستهدف الجميع إذا قتل الدوتشي . وانتقل النقاش الى استعراض احداث الاضطرابات الداخلية . وتوقف النقاش عندما وصل تحذير القيادة الألمانية الى الحكومة الايطالية ومطالبتها بتسليم المدينة والا فستتعرض روما للقصف من قبل سلاح الطيران وستقوم القوات الألمانية بالانقضاض دون هوادة .

وأمام هذا الموقف أصبحت المقاومة في النزل الامبراطوري تحمل جوانب خطيرة . فأصدر مدير الشرطة أمره الى المفتش العام (جيلي) وأبلغه هاتفياً (اعمل بمنتهى الحذر) وفي العاشر من أيلول ، هدأ القتال في روما قليلا ، وبدأ الموقف في الظهور بشكل اكثر وضوحاً فأرسل وزير الداخلية تعليماته بالهاتف للمفتش العام وفيها (عد الى التعليمات

الأولية) . ولكن القوات الالمانية أسرعت بالتوجه الى روما . وفي يوم ١١ أيلول امكنها فرض سيطرتها على المدينة . وفي يوم ١٢ أيلول كان لا يزال باستطاعة وزير الداخلية الاتصال مع حكام المدينة الذين كانوا على اتفاق معه من أجل الابقاء على حياة موسوليني . وتجددت المحاولة للاتصال بالمفتش العام في النزل الامبراطوري ، ولكن الاسلاك الهاتفية كانت مقطوعة في هـذه الفترة ، فأرسلت برقية باللاسلكي ، ووصلت هذه البرقية قبل الاغارة الألمانية بساعات قليلة ، وزادت الموقف غموضاً (اعمل بمنتهى الحذر) . وأطاع جيلي متردداً لا يدري ماذا يجب عمله بدقة لو قام الالمان بهجوم مباغت . ولكن تردده لم يستمر طويـلا ، فقد ظهرت وبصورة مباغتة القوات الألمانية يتقدمها قائد الشرطة العسكرية (سولتي)•وكان دفع قائد الشرطة العسكرية الايطالية أمام قوة الاغارة بمثابة ضربة مباغتة لم تخطر في مخيلة أحد سوى (سكورزيني) الذي حاول في البداية الحصول على رهينة هامة•وانطلق رجال الغستابو مع مظليي الفرقة الثانية في البحث عن مدير الشرطة ولكن هذا اختفى عن الانظار ، فقرر سكورزيني استخدام رهينة أخرى وتقرر اختطاف قائد الشرطة العسكرية (سولتي) وتم تنفيذ ذلك ، ثم بدأ وضع مخطط العملية موضع التنفيذ .

وفي يوم ١٢ ايلول (سبتمبر) اقلعت من مطار (براتيكا) مجموعة من اثنتي عشرة طائرة تقطر خلفها اثنتي عشرة طائرة شراعية تحمل بمجموعها قوة من المظليـين التابعـين لقـوة (سيك ريجيمانت Sek Regiment) ويبلغ عدد أفرادها مائة وعشرة مظليين . وفي الساعة الرابعة عشرة؛وبعد ساعة تقريباً مـن الطيران ، وصلت الطائرات الى منطقة النزل الامبراطوري ، وتخلت الطائرات القاطرة عن الطائرات الشراعية لتهبط على شكل موجات ثلاث وذلك لتجنب الأخطار التي قد تنجم عن هبوط الطائرات الشراعية في موجة واحدة ضمن نطاق أرضي محدود ، وأمام قوات قد تقوم بالمقاومة . ووصلت طائرات موجة الهجوم في البداية ، وتوجهت بسرعة الى المركبة الهوائية (التليفيريك) وعملت على قطع الأسلاك ، وتم تنفيذ ذلك خلال فترة قصيرة جداً ، وبذلك أمكن عزل النزل الامبراطوري ، ومنع كل محاولة لاخلائه او الفرار بالمعتقل موسوليني . وخلال ذلك استمرت عملية هبوط الطائرات الشراعية بالتتابع على المنعطفات التي تحيط بالنزل الامبراطوري ، ولم تكن عملية هبوط الطائرات الشراعية بمنجاة من كل خطر ، فلقد اعترف الألمان بأن خسارتهم قاربت ثـلث المنفذين في هذه العملية ، نتيجة لاصطدام الطائرات الشراعية بالعوارض الأرضية القاسية . وانقسم من بقي حياً الى زمرتين ، الزمرة الرئيسية ومهمتها السيطرة على محاور الاقتراب من النزل الامبراطوري ، ووضع المدافع الرشاشة على الطرق والدروب في مواجهة النزل . وكانت مهمة بقية مجموعة التنفيذ اختراق مبنى النزل . وتوجهت زمرة الى الطابق الأرضي للاستيلاء على الجهاز اللاسلكي ، على حين توجهت زمرة مكونة من ثمانية عشر مقاتلا الى الطابق الأول ، وذهل القناصة الايطاليون ذهولا تاماً لظهور المظليين الألمان في مواجهتهم فلم يحاولوا اطلاق النار او استخدام اسلحتهم . وهبط من الطائرة الشراعية الأولى قائد الشرطة العسكرية الجنرال سولتي وتبعه سكورزيني ، وتبعهم جند من الالمان الممسكين بمسدساتهم الرشاشة واصابعهم على الزناد ، وتوجه الجميع نحو المدخل الرئيسي للنزل وتجاوزوا بسرعة مسافة المائتي متر الفاصلة بين مكان الهبوط وبين النزل ، وفي قلب هذا الذهول ، ظهر الدوتشي من نافذته وصاح (إياكم والرمي) ، وردد الجنرال سولتي بدوره (إياكم والرمي) واسرع الألمان الى الدور الأول حيث كان يقيم الدوتشي . وانتهت المرحلة الأولى مـن العملية بنجاح رائع ، وبدأت المرحلة الثانية .

في الساعة الخامسة عشرة من يوم ١٢ ايلول (سبتمبر) هبطت بالقرب من الفندق وعلى مسطح أرضي صغير تم إعداده بسرعة طائرة صغيرة نموذج فيزلر يقودها طيار عرف بكفاءته العالية وكان قد تم طلب الطائرة بواسطة الجهاز اللاسلكي ، وصعد موسوليني وسكورزيني ، ولكن مرحلة الصعود كادت تنتهي بكارثة لولا عمل المظليين بسرعة على تمهيد الارض وتسويتها وإزالة العوائق والصخور والنتوءات حتى اصبحت الأرض صالحة للاقلاع في حدود ستين متراً ، وفي الساعة السادسة عشرة والنصف تقريباً انتهت الاستعدادات ، ودارت مروحة الطائرة وقفزت الطائرة فوق حفرة لا زالت تعترض طريقها ثم وصلت الى منحدر كادت تنزلق فيه ، ولكن الطيار استطاع السيطرة على الموقف ونجح في الارتفاع. وبعد الاقـلاع بفترة لا تزيد على الساعة وصلت الطائرة الى روما حيث كانت تنتظرها طائرة نقل . وفي المساء كانت طائرة النقل تهبط في مطار ڤيينا وعلى متنها الدوتشي . ووصل موسوليني في النهاية وقابل هتلر بفرحة لم يستطع كبح جماحها عندما بدأ حديثه اليه :«كنت أعرف أنكم لن تتخلوا عني» . وعاد موسوليني الى روما ليحكم ايطاليا بفضل حراب النازية التي كانت تسير نحو نهايتها . ولقد بقي في روما حتى اقترب الحلفاء منها ، واعتقل وهو يحاول الهرب الى سويسرة ، واعدم في ٢٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٤ .

(١٠) الاخلاء

هو سحب طوعي ومنظم لوحدة عسكرية من أحجام مختلفة ، أو لسكان مدنيين من منطقة أو مدينة حيث كانت تتمركز ، فيقال أخلت القوات المدينة أي سحبت منها طوعاً ، وأخلي السكان من المنطقة ، ويشمل مفهوم الاخلاء ايضاً ، الاخلاء الصحي واخلاء المعدات . ويختلف الاجلاء عن الاخلاء بالمفعول القسري للعملية الأولى ، بينما ، كما أشير ، لا إلزامية في الإخلاء .

عندما تخلي وحدة ما مكانها فأنها تضع تصميم الاخلاء ، مبينة على الاخص ، الأهداف الجديدة للتمركز ، وطرق الوصول اليها ، وترتيب الوحدات العضوية ، ووسائل نقلها ، ثم تدابير الحيطة العامة . أما إخلاء السكان المدنيين ، من مناطق العمليات ، فهو عمل منوط بوحدات الحماية المدنية . ويهدف الى توفير أمن السكان المدنيين بأبعادهم عن حمى المعارك . ويهتم بأمور اخلاء السكان ، على صعيد الوحدات الكبرى ، شعبة العلاقات العامة وهي ما تسمى ، في التنظيمات الحديثة ، بالشعبة الخامسة أو المكتب الخامس . وبالاضافة الى ذلك فان هناك تنظيمات خاصة تهتم باخلاء السكان على الصعيد الوطني ، كمنظمة الحماية المدنية التي تضم عناصر عسكريـة ومدنية ، وتجهيزات مخصصة ، وتعمل بالتنسيق مع شعبة العلاقات العامة .

ويطلق اسم **الاخلاء الصحي** ، على نقل الجرحى والمرضى ، بالسرعة اللازمة ، الى الخلف ، نحـو المؤسسات الصحية الميدانية ، حيـث يعالجون ، فيعادون الى الجبهة ، أو يخلون عن مسرح العمليات . ويقوم بعمليات الاخلاء الصحي وحدات متخصصة لها تنظيمها العضوي ، وتركيبها القيادي ، وتأتمر بإمرة قائد الخدمات الطبية ، الذي تختلف رتبته العسكرية باختلاف مستوى وحدته ، ومستوى الوحدة التي يؤمن لها الخدمات الصحية .

وتؤمن الخدمة الصحية ، على صعيد فرقة ، وحدة صحية من قوام كتيبة تسمى « بالكتيبة الصحية »، وعلى صعيد لواء ، وحدة من قوام سرية تسمى « السرية الصحية » . وتنتشر الوحدات الصحية العضوية الصغرى ، لهذه الوحدات ، بحيث تؤمن سرعة الاخلاء والمعالجة .

يخلى الجرحى والمرضى ، نحو مراكز صحية متباعدة الى الوراء ، وتكون على درجات متصاعدة من حيث مدى المعالجة : فالاخلاء من الخطوط الامامية ، يجري من قبل عناصر مفرزة الى الامام وتدعى هذه العملية « التقاط » ، ثم يوجه المخلون نحو « مراكز الفرز » فيعطون الاسعافات الأولية فيها ، ويوجه الذين بحاجة الى عناية أكبر ، نحو « مستشفيات جراحية » ميدانية متحركة يتسع واحدها عادة لستين سريراً ، على صعيد الجيش . أما المصابون ، أو المرضى ، الذين تتطلب معالجتهم وقتاً ، فيجلون نحو المستشفيات « نصف المتحركة » وهي تقع في مؤخرة الجيش أو الفيلق .

وبالاضافة الى ذلك ، يكون في المؤخرات مستشفيات كبرى ثابتة ، يرسل اليها المصابون والمرضى الذين تكون حالتهم على شيء من الصعوبة ، وتتطلب معالجتهم مدداً طويلة ، وتتسع كل مستشفى من هذه المستشفيات ، على صعيد الجيش ، لأربعمئة سرير .

وتختلف وسائل الاخلاء باختلاف المكان الذي تم فيه عملية الاخلاء نفسها ، وظروف المعركة ، وحجم الامكانات والوسائط المتوفرة ، وقد تكمل الواحدة منها الأخرى : فالإخلاء الأول أو «الالتقاط» يتم من قبل الممرضين المزودين بنقالات يدوية نظامية أو مبتكرة (بطانيات ، قماش خيام . الخ .) ، اما الإخلاء الى الخلف ، فيمكن أن يتم بالسيارات ، أو بالقطار المهيأ خصيصاً لذلك ، أو بالطائرات ، أو بطائرات الهليكوبتر . وتعتبر هذه الأخيرة من أهم وسائل الإخلاء ، في الحروب الحديثة .

أما اخلاء المعدات ، فهو يشمل مختلف أنواع المعدات المعطلة ، بهدف تصليحها تمكيناً لإعادة استعمالها ، كما يشمل المعدات المستردة أو التي غنمت من العدو ، وتتم عمليات الاخلاء عموماً بشكل مماثل لعمليات الاخلاء الصحي من حيث تسلسل الصيانة : فصيانة الدرجة الأولى ، وهي التي تتم من قبل مستخدمي العتاد (السدنة) لا تستتبع عملية إخلاء ، لأنها تجري على العتاد في مكان تعطله ، على حين يخلي العتاد المعطل ، والذي لا يمكن للسدنة تصليحه ، الى مشاغل الدرجة الثانية وهي مشاغل الوحدة العضوية المباشرة لوحدة سدنة العتاد ، وهذا الاخلاء من مسؤولية الوحدة مستعملة العتاد .

ويخلى العتاد المعطل الى مشاغل الدرجة الثالثة ، وهي المشاغل المنتشرة في مؤخرة الفرقة اذا تعذر تصليحه في مشاغل الدرجة الثانية ، ويتم الاخلاء على مسؤولية وحدات الصيانة في الفرقة ، والتي تعمل كإسناد مباشر للوحدات العضوية للفرقة .

أما مشاغل الدرجة الرابعة فهي نوع من العنابر الثابتة ، لها امكانات غير محدودة في تصليح العتاد ، وتختزن كميات وافرة من قطع الغيار ، وتخلى اليها المعدات التي تتطلب تصليحات كبرى وتنتشر هذه العنابر في المنطقة الادارية للفيلق أو للجيش .

يخلى العتاد المعطل في العمليات الهجومية من قبل مستعمليه ، الى نقطة معينة تسمى « نقطة التقاط » وتقع على محور تموين الكتيبة ، فاذا لم يجر تصليحها في مشاغل الدرجة الثانية ، تقطر أو تنقل الى نقطة معينة ، من قبل الكتيبة ، على محور تموين اللواء وهكذا تتابعاً حتى مشاغل الدرجة الرابعة . واذا وجدت وحدات الاخلاء أن هناك عتاداً لا يمكن إصلاحه ، أفرزته عن باقي العتاد المعطل ودمرته . أما العتاد المغنوم ، أو المسترد فيحتفظ به ويستعمل وفق توجيهات القيادة العليا .

(٧) آخيل

عقب آخيل : تعبير يتردد كثيراً في الكتابات العسكرية ، ويدل على نقطة حساسة لموقع أو جيش . ولقد جاء هذا التعبير من الأسطورة الاغريقية الالياذة التي تذكر أن أم آخيل ، وهو بطل من أشهر أبطال الاغريق ، أمسكته عندما كان صغيراً من عقبه وغطسته في ماء نهر ستيكس فغدا جسمه منيعاً لا تؤثر به السهام ، إلا عقبه الذي لم يغمس في الماء . وفي حصار طروادة استطاع آخيل قتل هكتور ولكن باريس أصابه بسهم مسموم في عقبه فقتله .



أخيـــل



مصرع أخيل بسهم أصاب عقبه

(٨) ادارة التوجيه المعنوي

تعتبر الروح المعنوية اقوى العوامل للحصول على النصر في اي قتال . والمعركة في اساسها صراع بين ارادتين لكسب النصر . والارادة الأقوى هي الارادة المعتمدة على روح معنوية عالية . ونتيجة لتعاظم أهمية العامل المعنوي أمام التطور التقني الذي وصلته الجيوش الحديثة فقد اصبح الاهتمام بمعالجة الروح المعنوية في القوات المسلحة ، ومحاولة الحفاظ عليها ، ورفعها ، الهدف الأول للقادة على اختلاف مستوياتهم . ولم تكن عملية رفع الروح المعنوية في القوات المسلحة من المواضيع المحددة . ولهذا كان من الامور الحتمية وضع تنظيم لها تتوفر لديه الامكانات المادية ، والوسائل الفنية والعلمية التي يمكن بواسطتها معالجة المواضيع التي تخرج

عن امكانات القادة ، والتي تتطلب حلولا خاصة ودراسات مستقلة . ومهمة هذا التنظيم دعم جهاز القيادة ، ومساعدته على تلبية متطلبات المقاتلين المادية والمعنوية ، بما يضمن المحافظة على الروح المعنوية للقوات المسلحة .

وعلاوة على ذلك فقد اصبح احباط الروح المعنوية للعدو معادلا في اهميته لرفع الروح المعنوية عند الصديق . وبدأت الجيوش المتحاربة تشهد حرباً نفسية منظمة أدق تنظيم ، ومسلحة بأحدث الوسائل التقنية والعلمية ، هدفها إحباط ارادة القتال عند الخصم . وكان من الامور الحتمية ان يضطلع التنظيم المسؤول عن حفظ الروح المعنوية بأعباء واجبين هما : واجب الحفاظ على الروح المعنوية للقوات الصديقة ، باحباط وسائل الحرب النفسية للعدو . وواجب احباط الروح المعنوية للقوات المعادية ، واخضاعها لحرب نفسية حقيقية .

ولقد أدى تطور معارك « الحرب الحديثة » واستنزافها الكبير للافراد والمعدات ، واتساع مسارح العمليات وشموليتها بحيث اصبحت تضم الامة بمجموعها الى ظهور تلاحم وثيق بين الجماهير وقواتها المسلحة . ولهذا اصبحت هذه الجماهير بدورها هدفاً من اهداف الحرب النفسية التي ينظمها العدو . الأمر الذي جعل أجهزة « التوجيه المعنوي » مضطرة لتوسيع دائرة عملها بحيث تعالج المواضيع السياسية المتعلقة « بسياسة الحرب » ، والانطلاق في عملها الى افق واسع يصل الى كل فرد من افراد الأمة .

ويختلف هذا التنظيم المسؤول عن التوجيه المعنوي بين دولة واخرى ، كما تختلف الوسائل تبعاً للامكانات المادية المتوفرة • ويرتبط التنظيم المسؤول عن التوجيه المعنوي في القوات المسلحة ارتباطاً عضوياً وثيقاً مع عدد من اجهزة الدولة في طليعتها وزارة الاعلام ، او وزارة الدعاية او الانباء . وتختلف البنية التنظيمية لجهاز التوجيه المعنوي في القوات المسلحة حسب تركيز هذا الجهاز او توزيع اختصاصاته على عدد من الفروع المختصة والمستقلة . ولكن ومهما كان الاختلاف في البنية التنظيمية او في الوسائل والامكانات او في تحديد الاختصاص او توسيعه ، فان الهدف الذي تتفق عليه التنظيمات جميعها هو رفع الروح المعنوية للقوات الصديقة ، ووضع المخططات لاحباط « الحرب النفسية » التي يقوم بها العدو ، مع العمل على احباط الروح المعنوية للعدو والعمل على « تفتيت قواته » نفسياً . ولتحقيق هذه الغاية ينبغي على « ادارة التوجيه المعنوي » ، في حالة مركزية الجهاز ووحدته ، ان تضم الفروع او الاقسام التالية :

أ – قسم النشر : ويعمل على إصدار النشرات الدورية « صحيفة يومية للمقاتلين – مجلة اسبوعية – مجلة شهرية – مجلة فصلية الخ ... » وقد يتم تخصيص بعض هذه النشرات لمخاطبة مستويات معينة : الجنود – الضباط – الضباط القادة . وعلاوة على إصدار النشرات الدورية التي تتضمن مواداً توجيهية وثقافية تزيد من معارف المقاتل فهناك كتب ونشرات يعمل قسم النشر على ترجمتها او كتابتها بواسطة اختصاصيين وذلك لرفع ثقافة المقاتلين وجعلهم اكثر استعداداً لفهم احتمالات المعركة الحديثة ، وما يرافقها من ظروف مختلفة . وطبيعي ان تختلف مواد ما يصدره قسم النشر عن المواد التي تصدرها الاجهزة التدريبية او التعليمية ، اذ تستهدف الاولى المعرفة العامة والروح المعنوية بالدرجة الاولى ، على حين أن الثانية تدريبية ، تختص بحقل التدريب وميدان المعركة والتكتيكات والمعدات المستخدمة .

ب – قسم الدراسات النفسية : ويعمل على اجراء الدراسات بصورة دورية . ووضع الروائز والاختبارات المختلفة بهدف متابعة الحالة النفسية للمقاتلين ، وتحديد الثغرات ونقاط الضعف ، مع وضع الحلول المناسبة . ومن الامثلة على ذلك إقدام الولايات المتحدة الامريكية بعد كارثة بيرل هاربور على تنظيم جهاز خاص ضم اختصاصيين وعلماء في علوم النفس والاجتماع لعلاج الروح المعنوية المتدهورة . وقد كان لهذا التنظيم دور كبير في رفع الروح المعنوية للمقاتلين الامريكيين . كما عالج الاتحاد السوفييتي موضوع الانهيار النفسي الذي حدث في اعقاب اجتياح المانيا للاتحاد السوفييتي ، بواسطة زج أفضل الموجهين السياسيين في جميع الوحدات المقاتلة . وكان لهؤلاء ايضاً دور كبير في رفع الروح المعنوية للمقاتلين في القوات المسلحة كلهـا .

ج – قسم التصوير والسينما : ويعمل على تصوير الاحداث التي تتعرض لها القوات المسلحة والقيام بعرضها على المقاتلين . كما تعمل السينما على توفير المناخ الملائم للترفيه عن العسكريين ، والتخفيف من التوتر الذي يعانونه في حياتهم اليومية ، الى جانب تثقيفهم بعرض افلام عن المعارك التاريخية والدروس المستخلصة منها . وقد ساعدت الصورة المتحركة على تنمية الروح القتالية لدى الجنـدي ، واحبطت المخاوف التي قد يتعرض لها وفي طليعتها الخوف من المجهول والخوف من الطاعة . وقد ساعدت التقنية الحديثة على نقل اجهزة التصوير ، وآلات عرض الصور المتحركة الى كل مكان ، بحيث اصبح باستطاعة المقاتل الافادة منها عند كل فترة توقف خلال مسيرة العمليات (انظر السينما العسكرية) .

د – قسم المكتبات : ويعمل عـلى تنظيم مكتبات في الوحدات والتشكيلات تضم الكتب والنشرات المتعلقة بحياة المقاتل بالدرجة الاولى ، بالاضافة الى الكتب الثقافية والتعليمية التي من شأنها توسيع أفق الجندي او الضابط وجعله اكثر استعداداً لتنفيذ واجبه . لقد تطور أفق المعرفة ، وفن الحرب ، تطوراً كبيراً بعد الحرب العالمية الثانية . ولم يعد باستطاعة المقاتل والضابط الاكتفاء بما تقدمه له النشرات التدريبية من معرفة ، ولهذا تعمل المكتبة على اكمال الدور الثقافي بتوفير الكتب الضرورية سواء من أجل معالجة الفراغ في أوقات الراحة ، أو من أجل سد احتياجات التعطش للمعرفة .

هـ – قسم العلاقات العامة : ويعمل على تنسيق التعاون بين القوات المسلحة والاجهزة والمؤسسات المدنية المختلفة ، كما يعمل على تنسيق التعاون بين أجهزة « ادارة التوجيه المعنوي » ، وتنظيم الزيارات للوحدات المقاتلة ، وتأمين الهدايا للمقاتلين ، وتوثيق التلاحم بين الجماهير العاملة في القطاعات المختلفة وقواتها المسلحة . ويسهر هذا القسم ايضاً على تأمين متطلبات الجنود واحتياجاتهم الخاصة (الاتصال بعـائلات المقاتلين ، معالجة الحالات الطارئة) .

و – القسم الاداري : ويضطلع باعباء اجهزة الادارة المختلفة وتأمين متطلباتها المادية . ويسهر على توفير الاعتدة والمواد المطلوبة . ويعتبر هذا القسم من الاقسام التي تحتل اهمية خاصة ، ذلك لأن كل اضطراب في سير عمله سيكون له تأثير كبير على انتظام العمل في الاقسام المختلفة .

ز – قسم رعـاية أسر الشهداء وابنائهم : ويعمل على تأمين الرعاية الاجتماعية لعائلات الشهداء ، مما يشعر المقاتل بالثقة في مستقبل أسرته التي يناضل لتوفير مستقبل أفضل لها .

وقد تضم هذه الاقسام الرئيسية اقساماً فرعية اخرى . فقد يتولى قسم التصوير والسينما الاشراف على المسرح العسكري . وقد يتولى قسم النشر الاشراف على « دار الطباعة » كما انه من الممكن ان تستقل الاقسام وترتبط مباشرة بأعلى سلطة مسؤولة عن التوجيه المعنوي . ومن المحتمل جداً ان تستقل بعض هذه الاقسام بسبب ظهور عوامل تدفع الى اعطائها اهمية خاصة ، فيتم إلحاقها بأعلى سلطة مسؤولة عن القوات المسلحة . ويمكن ان يتم اعطاء بعض هذه الاقسام ايضاً استقلالا ادارياً لمنحها

مزيداً من المرونة وحرية العمل وذلك لتلبية المتطلبات بسرعة اكبر ، وبشكل يتوافق مع طبيعة الموقف .

ليست معالجة الروح المعنوية للمقاتلين من المواضيع السهلة ، فهي تتطلب تصوراً مسبقاً للمواقف والاحتمالات التي يجب معالجتها ووضع مخططات مسبقة لها ، كما تتطلب عملا دؤوباً ، واحساساً بالمسؤولية ، ومستوى علمياً جيداً . ولهذا يتم انتقاء العناصر المسؤولة في أقسام « ادارة التوجيه المعنوي » وفروعه انتقاء دقيقاً ، لحشد أفضل الاختصاصات العلمية والتقنية في البلاد ، ووضعها في خدمة المعنويات (انظر القوى المعنوية) .

٨) ادارة المركبات

ادارة المركبات هي إحدى التنظيمات الحديثة التي ارتبط ظهورها وتطورها بظهور المركبات المختلفة والمتنوعة في القوات المسلحة . ونظراً لأن الحرب العالمية الثانية بصورة خاصة هي المتميزة عن كل ما سبقها من حروب بالتوسع الكبير في مكننة القوات المسلحة ، واستخدام الآليات على نطاق واسع فيها ، فيمكن تسجيل عمر هذا التنظيم ، بشكله المتطور الحديث ، ضمن إطار الحرب العالمية الثانية .

وقد اكتسبت ادارة المركبات منذ ظهورها مع بداية هذه الحرب أهمية خاصة . ففي الاتحاد السوفييتي كان مدير ادارة المركبات ورئيس مؤخرة الجيش الأحمر يحضر جميع اجتماعات هيئة القيادة العليا السوفييتية عند كل مناقشة لأهم القرارات الاستراتيجية . وفي بريطانيا كانت ادارة المركبات تابعة للجنة رؤساء الشؤون الادارية للقوات المسلحة الثلاث ، وتتبع مباشرة وزير الدفاع . وعندما تم تشكيل قيادة الحلفاء (امريكا – بريطانيا) تم تقسيم العمل بين لجنة النقل العسكري ، ولجنة توزيــع الذخيرة والأسلحة . وعلى الرغم من عدم تسمية لجنة النقل العسكري باسم ادارة المركبات ، لكنها كانت تمارس عملياً جميع اعمالها واختصاصاتها . وقــد تختلف التسمية او البنية التنظيمية بين الجيوش ، لكن تنظيم ادارة المركبات وواجبها لا يختلف اختلافاً كبيراً بين جيوش العالم ، ويتمثل هذا الواجب بصورة أساسية في السلم بالحفاظ على مركبات الجيش وصيانتها واصلاحها ، ووضع المخططات التدريبية لعناصر المركبات بغية رفع كفاءتهم الفنية ، والاحتفاظ بالقوة الاحتياطية للجيش وهي في حالة سليمة . ويضاف في الحرب واجبات اخرى هي الاصلاح والاخلاء ، ويتم ذلك عن طريق وحدات الصيانة المتحركة التي ترافق تقدم القوات فتعمل على إصلاح الاعطال الاولية فــوق ارض المعركة بواسطة الوحدات الاختصاصية (ورشات الرحبة المتنقلة) اما المركبات ذات الاعطال الكبيرة فيتم اخلاؤها الى القاعدة الخلفية حيث يتم اصلاحها من قبل الوحدات الثابتة (الرحبات) (انظر الاخلاء) . ونظراً لانتشار المركبات في جميع صنوف الأسلحة (المشاة الميكانيكية – الدبابات – جرارات المدافع – عربات الامداد والتموين) فان الواجب الاول والثقل الأكبر يقع في العمليات على عاتق هذه الادارة وفروعها المنتشرة مع القوات في كل مكان من جبهة القتال .

وكانت هذه الادارة تتبع في التنظيمات القديمة – مركبات النقل – ولكن ثقل أعباء ادارة المركبات دفع الى فصل عملية النقل البري عن ادارة المركبات بصورة ادارية فقط . أما من الناحية الفنية ، فان جميع عربات النقل تخضع لادارة المركبات مثلها في ذلك مثل جميع عربات الجيش المختلفة . وقد حققت التنظيمات الحديثة في الجيوش نوعاً من الاكتفاء الذاتي سواء في امدادها وتموينها او في شؤونها الفنية ، ونتيجة لذلك ، أصبح عدد المركبات المطلوب توفيرها لامداد الفرقة الميكانيكية الفرنسية عــلى سبيل المثال هو ١٢٥٠ مركبة (حمولة ٤ طن) فاذا اضيف اليها عدد مركبات القتال للفرقة (مدرعات وناقلات وجرارات) فان العدد يتجاوز الثلاثة آلاف مركبة . ولا ريب ان صيانة هذه المركبات وحدها – دون حساب الاصابات في ظروف القتال – يشكل عبئاً ثقيلا . ولهذا أصبح تنظيم الألوية الميكانيكية والفرق الميكانيكية يضم رحبات متنقلة تابعة (لادارة المركبات) تقوم بواجب الاصلاح الأولي . على حين يبقى واجب الرحبات الرئيسية اصلاح الاعطـــال الكبيرة . وتعمل ادارة المركبات على امداد رحباتها المتنقلة بالاعتدة والمواد الضرورية لصيانة مركبات الوحدة او التشكيل العاملة معه . كما تعمل على دعمها أثناء العمليات برحبات متنقلة إضافية لمساعدتها في تنفيذ واجباتها . وتضع ادارة المركبات البرامج التدريبية الخاصة برفع الكفاءة الفنية لوحداتها العاملة في التشكيلات المقاتلة وهي المسؤولة عن هذه الوحدات فنياً وادارياً . وعلاوة على ذلك ، وفي ظروف المعركة الحديثة ، أصبح على الرجل الفني العامل في وحدات الاصلاح ان يتقن استخدام السلاح ، وهذا ما فرض إخضاع وحدات ادارة المركبات لبرامج التدريب القتالية بالاضافة الى برامج تدريبها الفنية .

لقد تميزت المعركة الحديثة بتطورها الكبير وعمق مسرح عملياتها بحيث أصبح واجب القوات المدرعة القيام باختراق مواقع العدو المحصنة في عمق ٢ – ١٠ كم يومياً ، حسب درجة مقاومة العدو ، ثم تأتي مرحلة المطاردة واستثمار النصر فتندفع الجيوش بمعدل تقدم وسطي قد يصل حتى ٣٥٠ كم في مرحلة واحدة . وتميزت المعركة أيضاً بمعدل تقدم المشاة اليومي (٢٠–٢٥ كم) . وواضح ان هذه السرعة الكبرى والتوغل في العمق يفرضان شروطاً قاسية في عمل ادارة المركبات المسؤولة عن الامداد الفني . وان كفاءة اجهزة هذه الادارة ومستوى تدريبها هو الذي يضمن لها التغلب على جميع العقبات المترافقة مع التحرك السريع والسير الطويل . وان كل قصور في عمل ادارة المركبات ينعكس بصورة واضحة واكيدة على مسيرة العمليات القتالية بمجموعها ، وقد يتسبب هـــذا القصور في فشل العمليات ، وهذا هو ما أعطى ادارة المركبات اهميتها المتعاظمة في تنظيم القوات المسلحة ، وأبرز دورها الاساسي في معركة الاسلحة المشتركة الحديثة .

ويقع على عاتق ادارة المركبات الاحتفاظ باحتياطي القيادة العامة من القوة الضاربة (مدرعات – ناقلات) وصيانته حتى يبقى في حالة استعداد تـــام لتلبية متطلبات القتال . ذلك ان المعركة الحـــديثة للاسلحة المشتركة قد تميزت باستنزافها الكبير للقوى والوسائط ، ولهذا يعمل مدير الادارة عــلى توقع الاحتمالات ، ووضع خطة للاحتفاظ باحتياطي القيادة حتى بداية الاعمال القتالية ، وعندما تتطور الاوضاع والمواقف لاستخدام الاحتياطي تطلب القيادة زج هذا الاحتياطي في الاتجاهات التي يتطلبها مسرح القتال . وعلاوة على هذا الاحتياطي تضع ادارة المركبات خطة التعويض بالوسائط وذلك لاكمال النقص في التشكيلات ، ويتم هذا التعويض عند إعادة التنظيم وقبل زج التشكيل أو الوحدة في معركة جديدة . علماً بأن عملية اكمال قوة التشكيل تساعده على متابعة تنفيذ واجباته القتالية والاستمرار في المعركة .

وتقوم إدارة المركبات بأهم عملية في السلم والحرب ، وهي اختبار النماذج الجديدة من المركبات والاعتدة ، ودراسة ميزات المركبات من الناحية الفنية ، وتشكيل وحدة أو وحدات تجريبية ، يتم وضعها تحت الاختبار . وعندما يتم اتخاذ القرار باعتمادها للعمل في صفوف القوات المسلحة يضع مدير الادارة مع الاجهزة الاختصاصية والإدارات الأخرى في القوات المسلحة اسس تنظيم هذا السلاح وقواعد استخدامه ، كما تضع ادارة المركبات المخططات

والبرامج التدريبية لاعداد الملاكات (الكادرات) الفنية اللازمة لاستخدام المركبات الجديدة وصيانتها . وتشكل القواعد الفنية لاستخدام المركبات والاعتدة الفنية المختلفة الأساس في استخدام هذه المركبات والأعتدة في الاطار التكتيكي . ونظراً لارتباط ادارة المركبات مع عدد من الادارات المختلفة فان تنسيق التعاون بين عمل هذه الادارات هو الاساس في نجاح تنفيذ مخططات ادارة المركبات وبرامجها .

ان ارتباط عمل ادارة المركبات بجميع صنوف الاسلحة والتشكيلات المقاتلة يفرض على مدير ادارة المركبات المعرفة التامة بتطورات الأعمال القتالية والواجبات التي تقوم بتنفيذها الوحدات والتشكيلات المقاتلة ، ولهذا يحضر مدير الادارة الاجتماعات والمؤتمرات الاساسية عند وضع مخططات العمليات ، كما يتم ابلاغه بالتطورات المتتابعة بصورة مستمرة والمواقف المستحدثة في ميادين القتال حتى تتوافق مخططات ادارة المركبات مع مخططات العمليات ، وفي كثير من الاحيان يتم تكليف مدير ادارة المركبات بتنظيم مؤخرة الجيش فيقع عليه عندها تنفيذ واجبات التأمين المادي والفني للعمليات المقبلة . واذا افترض ان هذه المؤخرة قد تخدم قوة تتكون من ٣٣٠ ألف مقاتل ، واكثر من ٣٦٠٠ دبابة وقانص ، وما يزيد على عشرين ألف مدفع ، وقوة من الطيران قد تزيد على ثلاثة آلاف طائرة – على نحو ما حدث لمدير ادارة المركبات عند تنظيم مؤخرة الجيش ٤٩ أثناء عمليات قتال موسكو عام ١٩٤٣ – امكن تصور مدى الجهد الذي تضطلع به ادارة المركبات خلال الاعمال القتالية .

ونظراً لهذه المسؤولية الكبرى والاعمال الكثيرة التي تقع على عاتق مدير ادارة المركبات ، فان التنظيم الجيد لجهاز الادارة ، والاشراف المستمر على سير عمله ، ومعالجة كل قصور أو خلل فيه هو الواجب الأول لمدير الادارة الذي لا يمكنه ممارسة اعماله بنجاح إلا اذا توفر له جهاز فني واداري على درجة عالية من الخبرة والكفاءة بحيث يمكنه تلبية المتطلبات الدائمة في الوقت المناسب ما يضمن نجاح القوات المقاتلة في تنفيذ واجباتها .

(٤) الآردين (معارك ١٩٤٠ – ١٩٤٤)

الآردين منطقة تشمل الأراضي المرتفعة الواقعة في الجزء الغربي لحوض نهر الرين ، وتضم جزءاً من دوقية « لوكسمبورغ » وجزءاً كبيراً من الاراضي البلجيكية المجاورة لها ، وجزءاً من شمال شرقي فرنسا ، وتوجد بها عدة مسطحات متصلة من الارض يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر ما بين ٣٩٠ متراً و ٥٤٠ متراً تقريباً ، وتخرج من هذه المناطق الانهار متدفقة بسرعة بين الصخور الصلدة التي لا تسرب الماء تجاه وديان ضيقة متعرجة فتصب المندفعة منها نحو الغرب والشمال في نهر « الموز » ، أما التي تندفع نحو الشرق والجنوب فتصب في نهر « الموزل » .

ويتألف سطح الهضبة من عدة روابي تفصلها منخفضات ضحلة توجد فيها مستنقعات ، وتغطي الغابات حوالي نصف مساحة الآردين الكلية سواء على الهضبة أو في الوديان . وتوجد الثلوج فوق المناطق التي يزيد ارتفاعها عن ألف متر لمدة شهر في السنة ، ونظراً لكثرة الرطوبة والسحب المنخفضة والضباب فوق التلال والغابات المتصلة فإن الآردين تبدو موحشة وباردة .

ورغم وعورة « الآردين » وعدم ملاءمتها لعمليات حربية واسعة النطاق ، خاصة بالنسبة للمدرعات والآليات عموماً ، فقد شهدت هذه المنطقة معركتين كبيرتين خلال الحرب العالمية الثانية ، استخدمت فيهما الدبابات والآليات بصورة ضخمة ، على خلاف توقعات عديد من القادة العسكريين السابقة لكلتا المعركتين .

وقد دارت المعركة الاولى في عام ١٩٤٠ ، والثانية في عام ١٩٤٤ . وكانت المعركة الاولى بمثابة الافتتاحية المدوية في « مارش » انتصارات الاولى للحرب الخاطفة الالمانية « البليتزكريغ » ، على حين كانت المعركة الثانية تمثل « رقصة البجع » الاخيرة للمدرعات الالمانية التي حاولت أن تستعيد أمجاد الحرب الخاطفة بعدما ولت الظروف الموضوعية لنجاحها .

معركة الآردين الاولى (١٩٤٠) :

عقب احتلال الجيوش الالمانية لبولندا في أواخر ايلول (سبتمبر) ١٩٣٩ ، دعا « هتلر » كبار قادته لاجتماع عاجل حيث عرض عليهم قراره بمهاجمة فرنسا قبل نهاية خريف ١٩٣٩ ، وبناء على ذلك أعدت خطة أولية لتحقيق ذلك في ١٩ تشرين الاول (اكتوبر) بواسطة الجنرال « فون براوخيتش » القائد العام للجيش والجنرال « هالدر » رئيس اركان الجيش . وكانت الخطة تقضي بأن توجه الضربة الرئيسية بواسطة مجموعة الجيوش « ب » بقيادة الجنرال « فون بوك » لاختراق هولندا وشمال بلجيكا بغرض تدمير اكبر جزء ممكن من جيوش الحلفاء هناك ، والوصول إلى شواطىء بحري الشمال والمانش ، تمهيداً للقضاء على بقية قوات الحلفاء في فرنسا ، وتهيئة الظروف الاستراتيجية لشن الضربة التالية ضد بريطانيا نفسها . ولذلك جهزت هذه المجموعة بالغالبية الساحقة من الفرق المدرعة والميكانيكية المتاحة للجبهة الغربية وقتئذ ، حتى تتوفر لها القوة الضاربة المتحركة الكافية ، خاصة وأنها ستعمل في سهول صالحة تماماً لعمل المدرعات (٩ فرق مدرعة من أصل ١٠ فرق مدرعة ، فضلا عن ٤ فرق ميكانيكية) بالاضافة لثلاثين فرقة مشاة كانت لديها .

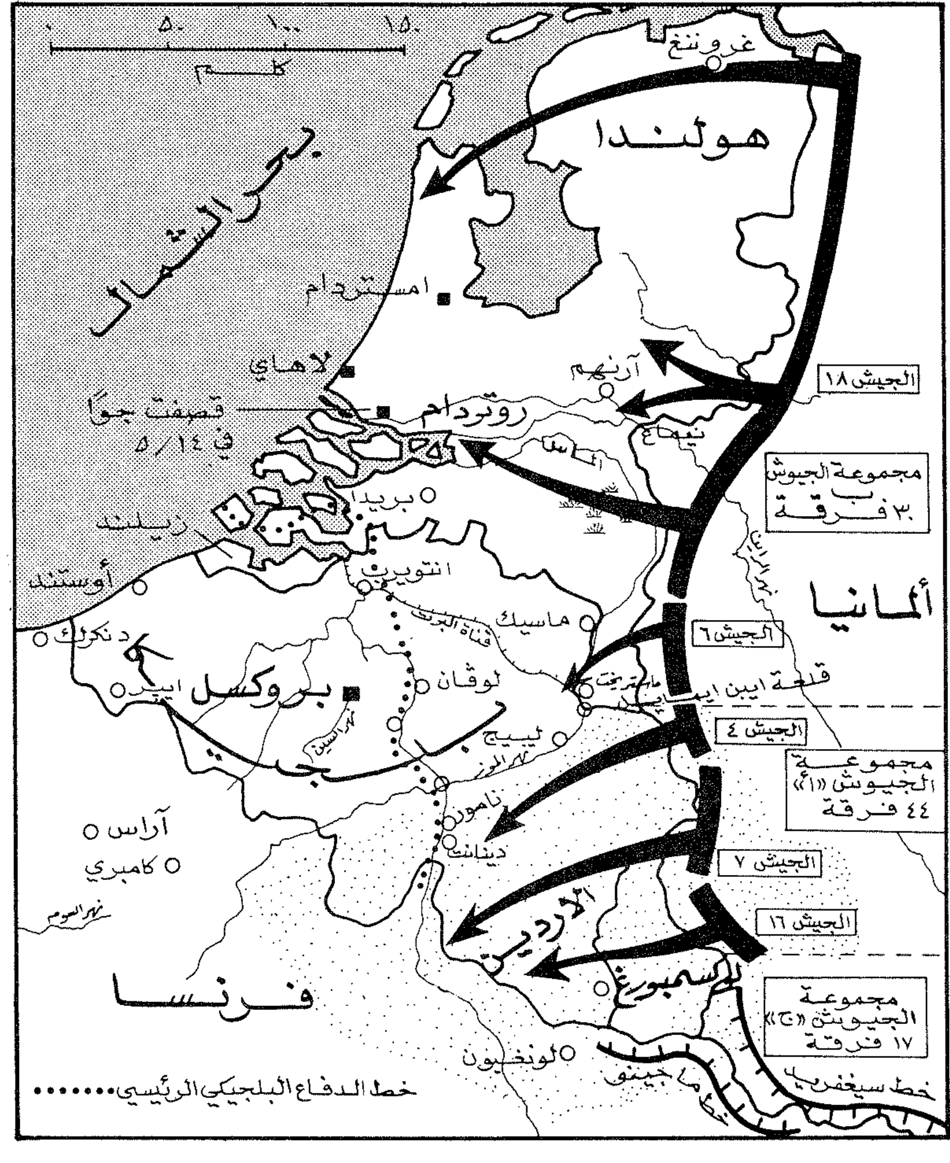
وكلفت مجموعة الجيوش « أ » بقيادة الجنرال « فون رونشتدت » ، المؤلفة من ٢٢ فرقة مشاة وفرقة مدرعة واحدة ، بتوجيه ضربة ثانوية عبر جنوب بلجيكا و « لوكسمبورغ » ، أي عبر « الآردين » ، بغرض حماية هجوم مجموعة الجيوش « ب » الرئيسي في الشمال من أي تدخل مضاد من الجنوب ، وذلك بأن يتقدم الجيش الثاني عشر على يسار المجموعة المذكورة مباشرة ، وينشىء سلسلة من المواقع الدفاعية لحماية جناحها ، على حين يتقدم الجيش السادس عشر بعد اختراقه « لوكسمبورغ » لينشىء مواقع دفاعية إلى الشمال من خط ماجينو متجهة إلى الغرب وذلك في المناطق الواقعة بالآردين شرق « سيدان » الواقعة على نهر الموز قرب الحدود الفرنسية – البلجيكية .

أما مجموعة الجيوش « ج » بقيادة الجنرال « فون ليب » ، والمؤلفة من جيشين بهما ١٨ فرقة مشاة ، فقد عهد إليها الدفاع عن خط سيغفريد الالماني المواجه لخط ماجينو أثناء تنفيذ العمليات الهجومية من جانب المجموعتين الاخريين .

وعندما اطلع الجنرال « فون مانشتاين » ، رئيس اركان مجموعة الجيوش « أ » وقتئذ ، على الخطة المذكورة في ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٩ ، والتي اطلق عليها اسم « المشروع الاصفر » ، كتب عدة انتقادات جوهرية لها ضمنها عدة مذكرات رفعها إلى « فون براوخيتش » بموافقة « فون رونشتدت » مؤداها أن الخطة المذكورة إنما تكرر خطة « فون شليفن » الموضوعة عام ١٩٠٥ وجرى تطبيقها ، مع تعديلها بعض الشيء ، بواسطة مولتكه الصغير ، في بداية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ ، ومن ثم فأن قيادة الحلفاء تتوقعها ولذلك لن تتوفر الفرصة للمجموعة « ب » أن تحقق المفاجأة الاستراتيجية ، وتستطيع جيوش الحلفاء نتيجة لهذا تكوين جبهة دفاعية متماسكة اما عند خط « انتوربـ – ليبج – الموز » أو عند نهر السوم الاسفل .

وقدم « فون مانشتاين» اقتراحاً بخطة جديدة تقوم على أساس نقل مركز الثقل الرئيسي للعمليات الهجومية إلى مجموعة الجيوش « أ » ، بعد أن تنقل إليها الكتلة الرئيسية من المدرعات ، لأن الفرصة الحقيقية لتحقيق المفاجأة الاستراتيجية تكمن في هجوم مفاجيء خلال منطقة « الآردين » الوعرة حيث لا يتوقع الحلفاء تقدم المدرعات لعدم ملاءمة الارض لعملياتها ، وعلى أن تخترق هذه القوات المدرعة الدفاعات الفرنسية عند « سيدان » عبر نهر الموز بسرعة ، وهو امر ممكن نظراً لضعف هذه الدفاعات نسبياً وعدم توقع الفرنسيين الهجوم من هذا الاتجاه ، خاصة وأن تقدم المدرعات في منطقة الآردين سيخفي الحجم الحقيقي لها ومن ثم تتحقق المفاجأة الاستراتيجية وبذلك تتحول طبيعة الارض الوعرة في الآردين إلى ميزة لصالح المهاجمين، وعلى أن يعقب خرق خط الدفاع الفرنسي عند « سيدان » مواصلة الزحف بسرعة (بواسطة المدرعات والوحدات الميكانيكية) في اتجاه دلتا نهر السوم على شاطىء بحر المانش لقطع خطوط مواصلات قوات الحلفاء التي ستكون قد اندفعت إلى داخل بلجيكا لمواجهة هجوم مجموعة الجيوش « ب » الثانوي ، الذي سيتم في سهول بلجيكا الوسطى عند « ليبج » و « نامور » بالاضافة لسهول جنوب هولندا ، مع تغطيته بهالة كبيرة من المظاهر التي تكسبه في البداية طابع الهجوم الرئيسي (بواسطة عمليات إسقاط مظلي وإبرار جوي واسعة النطاق في عمق كل من هولندا وبلجيكا) .

وقد اخذ « هتلر » بخطة « فون مانشتاين » بعد سلسلة من محاولات العرقلة من جانب الجنرالين « هالدر » و « فون براوخيتش » وغيرهما من كبار الضباط الالمان ذوي التفكير التقليدي الذين عبر أحدهم عن شكوكه حول الخطة المذكورة بسخرية فقال: «أليس من فساد التفكير والمنطق اقتفاء أثر الخنازير البرية لمهاجمة الجيش الفرنسي» . كما سخر الجنرال « فون بوك » قائد مجموعة الجيوش «ب» من الخطة ، إثر اقرارها من قبل « هتلر » في ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٤٠ ، خلال اجتماع عقد في ١٥ آذار (مارس) لمناقشة تفاصيلها فقال: « اتتزلقون على بعد ١٥ كم من خط ماجينو (نظراً لأن « سيدان » كانت تبعد هذه المسافة عن نهاية تحصينات ماجينو) وتتخيلون ان الفرنسيين سيكتفون بالتفرج عليكم ؟ أترسلون مدرعاتكم دفعات دفعات عبر دروب « الآردين » النادرة وتنسون أن الطيران موجود ؟ اتتصورون انفسكم تعبرون « الموز » في نهار واحد ، وتركضون نحو البحر في جبهة جنوبية

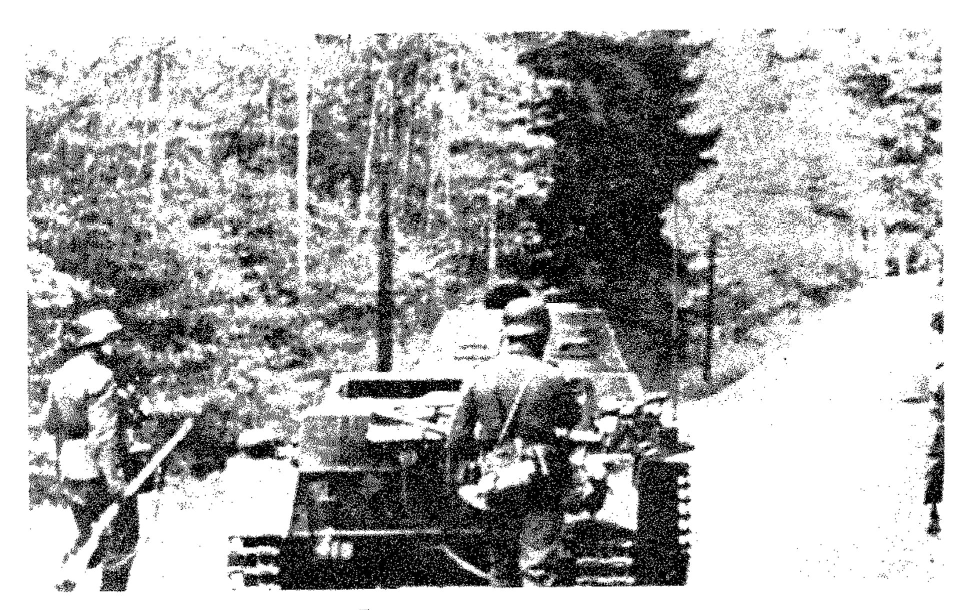


معركة الآردين الاولى (١٩٤٠)

طولها ٣٠٠ كم ؟ صدقوني انكم تحلمون . . » .

وقد استعان «فون مانشتاين» بالجنرال «غوديريان» قائد المدرعات الشهير ، الذي كان يتبع قيادة مجموعة الجيوش « أ » في دراسة إمكان اختراق الدبابات لغابات الآردين ، وافادة الاخير بأن ذلك ممكن التحقيق ، وأن الشرط الاساسي لنجاح خطته هو ضرورة استخدام عدد كاف من الفرق المدرعة والفرق المحمولة (الميكانيكية) . ولذلك أصر « فون مانشتاين» بشدة على ضرورة زيادة عدد الفرق المدرعة في المجموعة « أ » التي ستقوم بتوجيه الضربة الرئيسية .

وبناء على التعديل الجديد للخطة أعيد توزيع القوات المدرعة وفرق المشاة على مجموعات الجيوش بما يتلاءم ودورها في الخطة الجديدة ، فأصبحت مجموعة جيوش « فون رونشتدت » تضم ثلاثة جيوش بدلا من اثنين هي : الجيش الرابع بقيادة « فون كلوغ » الذي ضم ١١ فرقة مشاة مترجلة ،وفرقة مشاة محمولة ، وفرقتين مدرعتين (الفيلق المدرع ٣٩ بقيادة « هوث ») احداهما بقيادة « رومل » ، وكان مكلفاً بالزحف في شمال الآردين وعبور الموز عند «دينانت» لحماية الجناح الايمن للمجموعة المدرعة كلها. والجيش الثاني عشر بقيادة « فون ليست » المؤلف



جنود ألمان يتقدمون في غابات الآردين

من ١٠ فرق مشاة . وكان مكلفاً بالزحف في الوسط تتقدمه مجموعة مدرعة مستقلة بقيادة « فون كليست » تضم الفيلق المدرع ١٩ بقيادة « غوديريان » ويضم ٣ فرق مدرعة مهمتها توجيه الضربة الرئيسية عند « سيدان » والفيلق المدرع ٤١ بقيادة « رينهاردت » ويضم فرقتين مدرعتين ، وفرقة مشاة محمولة والفيلق ١٤ ويضم فرقتي مشاة محمولة .

والجيش السادس عشر بقيادة « بوش » ويتألف من ١٨ فرقة مشاة وكان عليه الزحف على ميسرة الجيش الثاني عشر لحماية جناحه الجنوبي . أما مجموعة جيوش « فون بوك » فقد كانت تتألف من جيشين يضمان معاً ٣٠ فرقة مشاة ، و ٣ فرق مدرعة ، وفرقة خيالة ، والحقت بها الفرقة السابعة المحمولة جواً . أما المجموعة « ج » فقد بقيت كما كانت تضم ١٨ فرقة مشاة فحسب . وبلغ مجموع الفرق الالمانية العاملة والاحتياطية في الجبهة الغربية ١٣٦ فرقة ، من بينها ١٠ فرق مدرعة تضم ٢٥٨٠ دبابة عاملة، تدعمها قوة جوية يبلغ عددها نحو ٣٠٠٠ طائرة ، وذلك عند بدء الهجوم الالماني فجر يوم ١٠ أيار (مايو) ١٩٤٠ .

على حين أن قوات الحلفاء (فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وهولندا) كانت تضم ١٥٦ فرقة من بينها ٧ فرق مدرعة فرنسية . ولكن جزءاً كبيراً من الدبابات كان موزعاً على فرق المشاة والخيالة . وكان مجموع عدد الدبابات التي لدى الحلفاء عند بدء الهجوم الألماني نحو ٢٦٥٠ دبابة عاملة، ومجموع قوتهم الجوية نحو ١٠٠٠ طائرة عاملة فوق الجبهة .

وبذلك يتبين لنا أن الألمان لم يكونوا يتمتعون بتفوق على الحلفاء إلا في مجال الطيران . أما في المدرعات فكانت دباباتهم أقل عدداً ، واضعف تسليحاً وتدريعاً من غالبية دبابات الحلفاء (أي الدبابات الفرنسية) ولكن أسلوب تنظيم وقتال فرق « البانزر » الالمانية هو الذي أدى لتحقيق التفوق خلال المعركة ، خاصة وأن نحو ثلثي هذه القوة قد تركز في جبهة ضيقة غير متوقع أصلا استخدام الدبابات فيها وهي غابات « الآردين » الوعرة . كما تميز الألمان أيضاً بأخذهم للمبادرة الهجومية، وديناميكية عديد من قادتهم الذين كانوا يرافقون القوات نفسها ويبادرون بتعديل المخططات التكتيكية على ضوء التطورات الجارية التي يلمسونها مباشرة على الارض .

وقد بدأ الهجوم في الخامسة من صباح ١٠ أيار (مايو) ١٩٤٠. وتقدمت فرق « غوديريان » المدرعة الثلاث عبر حدود « لوكسمبورغ » بسرعة وسط ممرات غابات الآردين حتى وصلت الحدود البلجيكية مساء اليوم نفسه واصطدمت بالمواقع الدفاعية هناك ، وأمضت الليل في رفع الالغام وإزالة عوائق الطرق ، ثم واصلت التقدم يوم ١١ مشتبكة مع تشكيلات قناصة الآردين البلجيكيين وقوات الفرسان الفرنسية عند « نيف شاتو » و « بويلون » و « هاباي لانوف » و « سانت ماري » .

وفي الوقت نفسه كان هجوم المجموعة « ب » على وسط « بلجيكا » وجنوب « هولندا » يتطور بسرعة ويجتذب اليه زحف القوات الفرنسية والبريطانية القوية المحتشدة في شمال غرب فرنسا . وفي يوم ١٢ عبرت مدرعات « غوديريان » نهر « سيموا » فوق جسر عائم أقامه المهندسون ، نظراً لنسف الفرنسيين للجسور الأصلية ، وهناك تعرض الجسر لأول هجوم جوي لطائرات الحلفاء التي لم تتمكن من إصابته . ثم توالت الغارات الجوية بعد ذلك محدثة بعض الخسائر في عربات الذخيرة ، إلا أنها لم تكن من القوة لتمنع الفرق المدرعة من مواصلة زحفها، ، خاصة وأن الغابات كانت تخفي الكثير من آلياتها عن رؤية الطيارين . وفي مساء يوم ١٢ نفسه احتلت الفرقتان المدرعتان الضفة الشمالية لنهر الموز بما فيها مدينة « سيدان »، وتأهبتا لعبور النهر في صباح اليوم التالي . وفي مواجهة فيلق « غوديريان » المدرع هذا كانت توجد فرقتان من المشاة الفرنسية من الدرجة الثانية من جنود الاحتياط كبار السن ، وتنقصهما الاسلحة الكافية المضادة للدبابات. وقد جهز قطاع إحدى الفرقتين المطل من مرتفعات الضفة الجنوبية على غابات الآردين بنحو ٥٠ منعة من الاسمنت المسلح مسلحة بالرشاشات والمدافع المضادة للدبابات ، كما قامت القيادة الفرنسية خلال تقدم المدرعات الالمانية في الايام الثلاثة السابقة بتعزيز وحدات مدفعية الميدان المدعمة لفرقتي المشاة بحيث وصل عدد هذه المدافع إلى نحو ٢٠٠ مدفع (كان الجيش الفرنسي متفوقاً بصفة عامة على الجيش الالماني في مدفعية الميدان إذ كان لديه نحو ١١٠٠٠ مدفع مقابل نحو ٧٧٠٠ مدفع لدى الجيش الالماني . ولكن غالبية المدفعية الفرنسية كانت تقطرها الخيول ولذلك كان مجال مناورتها وتحريكها من قطاع لآخر محدود السرعة) عشية محاولة العبور الالمانية التي جرت في اليوم التالي مباشرة لوصول الفرق المدرعة إلى الضفة الشمالية ، وذلك على خلاف توقعات القيادة الفرنسية التي كانت تعتقد انه في حالة نجاح القوات الالمانية في اجتياز منطقة الآردين والوصول إلى الضفة الشمالية لنهر الموز فإنه يلزم للقيادة الالمانية نحو ٩ — ١٠ أيام حتى تستطيع إحضار وحدات المشاة والمدفعية والهندسة اللازمة للقيام بهجوم وعبور ناجحين وبحشد ملائم للقوى، ومن ثم فإن هذه الفترة سوف تسمح للقيادة الفرنسية أن تحشد هي الاخرى قواتها الاحتياطية في منطقة الخرق المتوقع، وتدور المعارك على نمط الحرب العالمية الاولى .

والواقع أن غالبية القادة الالمان كانوا يشاركون القادة الفرنسيين في توقعاتهم هذه ، وعلى رأسهم الجنرال « هالدر » رئيس الاركان ، أثناء المناقشات السابقة لخطة فون مانشتاين . وكان « غوديريان »

وحده قد تمسك بضرورة الهجوم فور وصول المدرعات إلى ضفة الموز بضربة واحدة مفاجئة بكل القوة المتيسرة وفي نقطة حاسمة ، مع الاستعانة بالقصف الجوي المركز لمواقع المدفعية الفرنسية ، واستخدام المدافع المضادة للدبابات والمضادة للطائرات (باستخدامها كمدافع مضادة للدبابات) في قصف المنعات المحصنة الفرنسية ، وذلك كبدائل للمدفعية الثقيلة والميدانية التي سيطول وقت إحضارها مع ذخيرتها خلال ممرات الآردين . ولهذا نجحت قوات « غوديريان » في عبور الموز يوم ١٣ ، ثم اختراق الدفاعات الفرنسية بعمق والخارج على كلا جانبي الخرق يوم ١٥ . ثم اندفعت المدرعات بعد ذلك بسرعة حتى وصلت شاطىء المانش عند آبيڤيل يوم ٢٠ أيار (مايو) .

وقد تبع فيلق « رينهاردت » المدرع فيلق « غوديريان » مباشرة عبر ممرات الآردين الضيقة ثم اتخذ مواقعه يوم ١٢ أيار (مايو) إلى يمينه في اتجاه « ميزيير – شارل ڤيل » . واقتحم « الموز » أيضاً يوم ١٣ عند « مونترميه » . وتقدم أثر ذلك مباشرة الفيلق الرابع عشر من المشاة المحمولة وراء خطوط زحف فيلق « غوديريان » لتأمين رأس الجسر عند « سيدان » وتدعيم مكتسباته من الارض بعد ذلك .

وفي الوقت نفسه كان فيلق « هوث » المدرع التابع للجيش الرابع قد وصل إلى « الموز » عبر « الآردين » الشمالي يوم ١٢ ايار (مايو) . وتمكنت فرقته السابعة بقيادة « رومل » من عبور النهر يوم ١٣ أيضاً عند « دينانت » ، واستكملت خرق المدرعات الفرنسية هناك يوم ١٥ . وهكذا اتسعت الثغرة التي فتحتها الفيالق المدرعة الثلاثة وبلغ عرضها نحو ١٠٠ كم ، وانسابت منها دبابات ٧ فرق مدرعة وآليات ٣ فرق مشاة محمولة ، وكانت غابات الآردين الوعرة هي طريق اقترابها غير المتوقع الذي نجحت في اجتيازه خلال ثلاثة أيام فقط . وهكذا لعبت « الآردين » دوراً استراتيجياً غير مباشر في هزيمة فرنسا عام ١٩٤٠ .

معركة الآردين الثانية (١٩٤٤) :

عقب هزيمة القوات الالمانية في معارك « نورماندي » خلال صيف ١٩٤٤ ، ونزول قوات الحلفاء في جنوب فرنسا أيضاً خلال شهر آب (أغسطس) من الصيف نفسه اضطرت بقايا هذه القوات إلى الانسحاب من فرنسا وبلجيكا بسرعة ، واستطاعت أن توقف هجوم القوات الامريكية الزاحفة بسرعة عند استحكامات خط سيغفريد على الحدود « الالمانية – الفرنسية – البلجيكية » بصفة مؤقتة ، إلى أن تعيد هذه القوات تنظيم شؤونها الادارية ، كما استطاعت أيضاً أن توقف اندفاع القوات البريطانية والامريكية بقيادة الماريشال « مونتغمري » في هولندا ، أثر فشل هذه القوات في الاستيلاء على « آرنهم » وتأمين جسور الراين السفلي في عملية « ماركت غاردن » التي جرت في النصف الثاني من أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤ (انظر آرنهم) .

ولكن الموقف الاستراتيجي العام الذي كان يحيط بألمانيا النازية وقتئذ ، أي في نهاية ١٩٤٤ ، كان متدهوراً وباعثاً على اليأس ، ويحمل دلالات مؤكدة على النهاية الوشيكة للجهاز العسكري الالماني العدواني . فقد احرزت الجيوش السوفييتية خلال العام سلسلة من الانتصارات في سبع عمليات ضخمة أدت إلى تحطيم نحو ١٢٧ فرقة ألمانية أو حليفة لالمانيا ، وحررت باقي المناطق المحتلة في اراضي الاتحاد السوفييتي باستثناء كور لاندا ، كما حررت رومانيا وبلغاريا واجزاء كبيرة من يوغسلافيا والمجر وسلوفاكيا وبولندا ، حيث أصبحت تقف عند نهر الڤيستولا قرب « وارسو » على مبعدة نحو ٦٠٠ كلم من برلين .

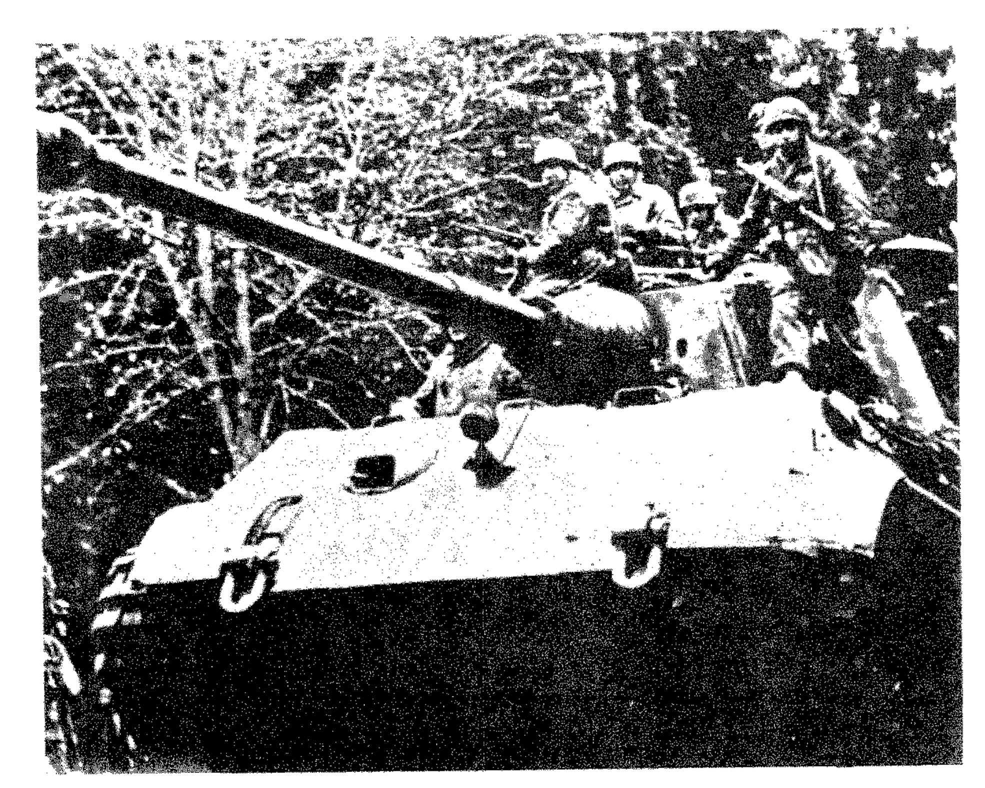
ولكن القيادة الالمانية كان لا يزال لديها قوات كبيرة في الجبهة السوفييتية تتألف من نحو ٣,١ ملايين جندي ، لديهم نحو ٢٨٥٠٠ مدفع وهاون ، وحوالي ٤٠٠٠ دبابة وقانص مدرع ، ونحو ٢٠٠٠ طائرة حربية ، إلا أن ميزان القوى كان قد تغير تماماً لصالح الجيش السوفييتي الذي كان يتألف في نهاية ١٩٤٤ من نحو ٦ ملايين جندي لديهم نحو ٩١,٤٠٠ مدفع وهاون ، وحوالي ١١ ألف دبابة وقانص مدرع ونحو ١٤٥٠٠ طائرة حربية .

أما في الجبهة الغربية المواجهة لقوات ايزنهاور الامريكية – البريطانية فقد كان للقيادة الالمانية نحو ٧٤ فرقة ناقصة في عدد الرجال وكميات العتاد والسلاح ، لديها نحو ١٦٠٠ دبابة وقانص مدرع ، وحوالي ١٧٥٠ طائرة . وكان يواجه هذه القوات ٦٣ فرقة للحلفاء كاملة التسليح لديها نحو ٦٥٠٠ دبابة ، وتساندها نحو ٥٠٠٠ طائرة . والأهم من ذلك أن جيوش الحلفاء كانت تملك الوقود الذي يمكنها من ممارسة حرب حركة سريعة واسعة النطاق ، على حين كانت ألمانيا تعاني نقصاً خطيراً في الوقود نتيجة لضياع آبار بترول رومانيا ، وتدمير معظم مصانع انتاج البترول الصناعي في المانيا خلال عمليات القصف الجوي الاستراتيجي عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ .

وإزاء هذه الظروف كان أمام القيادة الالمانية

تموين الحامية الامبركية المحاصرة في باستوني من الجو





دبابة المانية « مارك ٥ » في معركة الآردين الثانية (١٩٤٤)

أحد حلين : إما الاكتفاء بالدفاع الثابت في كلتا الجبهتين حتى النهاية ، وإما الاقدام على مغامرة هجومية أخيرة تحسن بعض الشيء من النتيجة السياسية الاخيرة للحرب بالنسبة لالمانيا . ولما كان اتساع الجبهة السوفييتية وضخامة القوة العسكرية السوفييتية لا يتيح فرصة نجاح مثل هذه المغامرة هناك ، فقد اختار « هتلر » وقادته الجبهة الغربية مكاناً ملائماً لتحقيق ضربة خاطفة مفاجئة تؤدي إلى « دنكرك » أخرى (انظر معركة دنكرك) ، وتخرج بريطانيا من الحرب ، وتجبر امريكا على عقد هدنة مع المانيا التي تستطيع أثر ذلك أن تركز جهودها في الجبهة السوفييتية وتتفرغ لصد الزحف السوفييتي على ألمانيا وشرق اوروبا ، خاصة وأن قوات الحلفاء كانت تهدد منطقة الرور الصناعية مباشرة .

وفي هذه المرة أيضاً اختار هتلر « الآردين » كنقطة انطلاق لهجومه غير المتوقع ، الذي اراد له أن يصل بسرعة عبر نهر الموز إلى ميناء « انتويرب » البلجيكي ، الذي تتمون عن طريقه قوات « مونتغمري » (المجموعة ٢١) المؤلفة من الجيش الكندي الاول والجيش البريطاني الثاني المرابطان في هولندا ، (بهما ١٥ فرقة) فضلا عن الجيشين الامريكيين التاسع والاول (بهما ٢١ فرقة) المرابطان في بلجيكا تجاه تحصينات خط سيغفريد على حدود ألمانيا .

ونظراً لأن قيادة الحلفاء (« ايزنهاور » و « برادلي » قائد المجموعة ١٢ التي تضم الجيوش الامريكية الاول والثالث والتاسع) لم تكن تتوقع أية عملية هجومية ألمانية بصفة عامة خلال هذه المرحلة الاخيرة من الحرب،وخاصة في قطاع «الآردين» الوعر ، فقد وضعت وحدات الفيلق الثامن بقيادة الجنرال « تروى ميدلتون » التابع للجيش الامريكي الاول في هذه المنطقة البالغ عرضها نحو ١٣٦ كم. وكانت تتألف من فرق المشاة ٤ ، ٢٨ ، ١٠٦ والفرقة المدرعة التاسعة ، وجميعها فرق من الدرجة الثانية في مستوى التدريب أو الاعداد . وكانت معتبرة في حالة راحة وإعادة تنظيم في هذه المنطقة الهادئة ، ويبلغ اجمالي عددها نحو ٨٠ ألف جندي .

وفي مواجهة هذا القطاع الضعيف من جهة « الآردين » حشدت مجموعة الجيوش « ب » بقيادة الجنرال « مودل » جيش البانزر الخامس بقيادة الجنرال « فون مانتوفل » الذي ضم ٣ فرق مدرعة و ٤ فرق مشاة ، والجيش السابع بقيادة الجنرال « براند نبرغر » الذي ضم ٣ فرق مشاة وفرقة مظلات استخدمت كمشاة .

وإلى الشمال من الجيش الخامس المدرع «البانزر» حشد جيش الحرس النازي «.S. S» السادس المدرع « البانزر » بقيادة الجنرال « سب ديتريش » الذي ضم ٤ فرق مدرعة ، و ٤ فرق مشاة ، وفرقة مظليين ، وكانت تواجهه قوات الفيلق الخامس الامريكي ، التابع ايضاً لقيادة الجيش الاول ، وتضم ٤ فرق مشاة .

وقد كلف الجيش الخامس المدرع بتوجيه ضربة رئيسية عبر « لوكسمبورغ » في قطاع الفيلق الثامن الامريكي (الفرقتين ٢٨ ، ١٠٦ المشاة تساندهما الفرقة التاسعة المدرعة) واحتلال مجموعة مدن الآردين الصغيرة ، وأهمها « باستوني » التي تسيطر على مفارق طرق هامة داخل حدود بلجيكا ، ثم الاندفاع بسرعة لعبور الموز عند «دينانت» و«جيفت» و«نامور» وكلف الجيش السابع بحماية الجناح الجنوبي للجيش الخامس وتأمينه . اما الجيش السادس المدرع فقد كلف بتوجيه ضربة رئيسية اخرى في شمال الآردين في قطاع الفيلق الخامس الامريكي وعبور الموز عند « لييج » تقريباً . وبعد ذلك يتجه شمالا نحو « انتويرب » ، ويتجه الجيش الخامس المدرع في الوقت نفسه إلى « بروكسل » وبذلك يتم عزل قوات الحلفاء في شمال بلجيكا وجنوب هولندا .

وقد بلغ مجموع القوات الالمانية المشتركة في الهجوم ٢٠ فرقة من بينها ٧ فرق مدرعة لديها نحو ١٠٠٠ دبابة وقانص مدرع ، وعدد جنودها يقارب ٢٥٠ ألف جندي وتدعمها نحو ١٠٠٠ طائرة حربية .

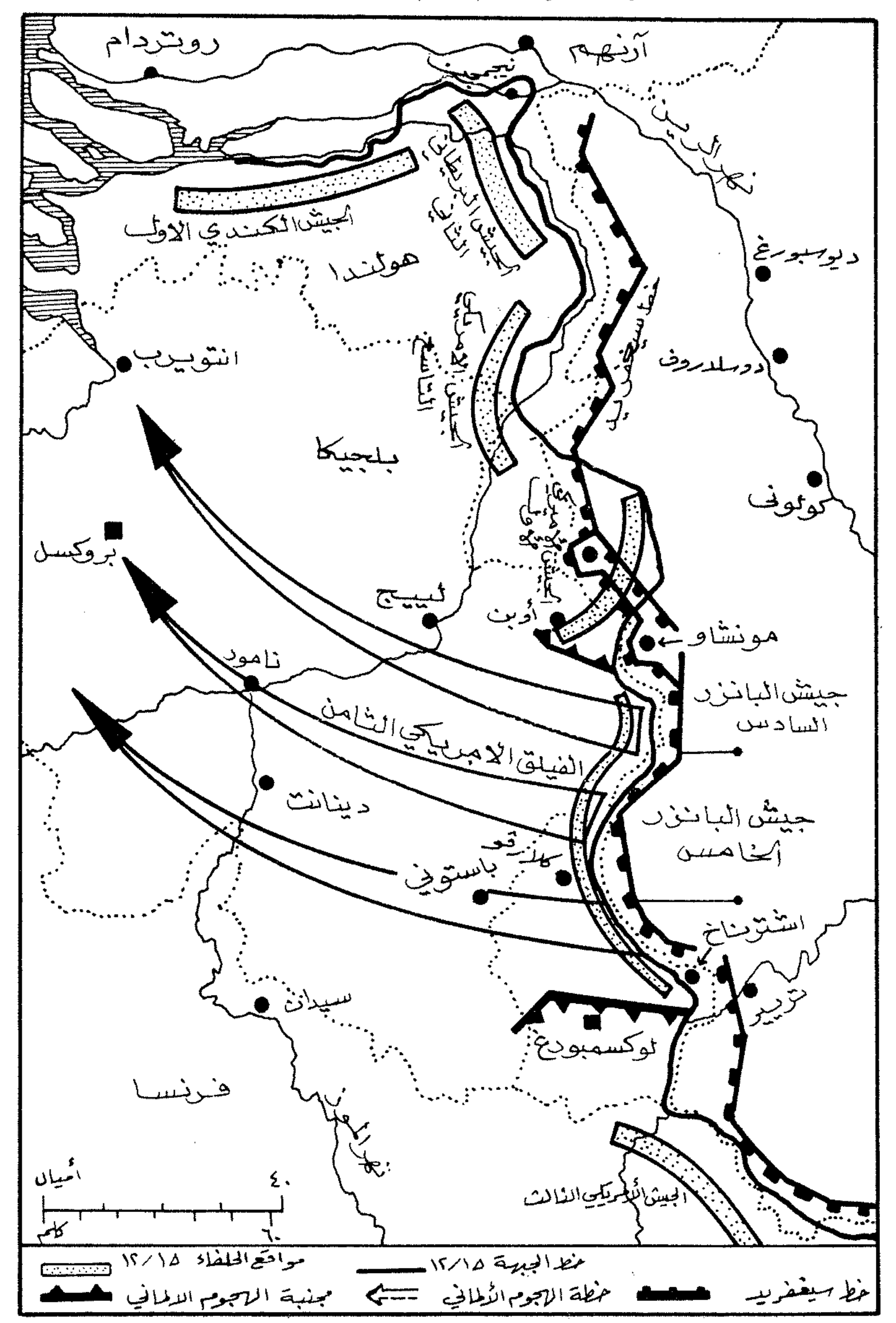
واتخذت اجراءات أمن وسرية بالغة لضمان تحقيق المفاجأة الاستراتيجية والتكتيكية . ورغم ذلك فقد تسربت بعض أخبار الحشد الالماني المواجه للآردين إلى مخابرات الحلفاء في أوائل كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٤ ، وذلك على الرغم من قلة العملاء لديها في الاراضي الالمانية وصعوبة الاستطلاع الجوي فوق غابات الآردين خاصة في الشتاء . فعرف أن جيش البانزر السادس قد شكل حديثاً وحشد غرب كولونيا ، وان الجيش الخامس المدرع قد تحرك تجاه الآردين جنوباً ، كما أسر جندي ألماني في ٤ كانون الاول (ديسمبر) في قطاع الآردين وقال أن هناك ترتيبات لشن هجوم ألماني كبير ، وتأكدت اقواله بأقوال عدد آخر من الجنود الذين أسروا في أيام تالية واعترفوا بأن الهجوم سيتم في الاسبوع السابق لعيد الميلاد . ورغم ذلك فإن قيادة الحلفاء ، خاصة الجنرال برادلي قائد المجموعة ١٢ ، اساءت تقدير هذه المعلومات ولم تستنتج منها أية نوايا

هجومية ألمانية، نظراً لأنها استبعدت أن تقدم القيادة الألمانية على شن هجوم واسع النطاق في ظل ظروف عدم التوازن الاستراتيجي العام، خاصة وأن قوات الحلفاء كانت لا تزال تباشر عمليات هجومية في قطاع الجيش الامريكي الثالث بقيادة باتون، وتستعد لمواصلة زحفها الهجومي في باقي القطاعات الاخرى خلال الشتاء، وأن من غير المنطقي أن تبدد القيادة الالمانية احتياطيها المدرع الاخير في هجوم كهذا خاصة في ظل نقص الوقود الشديد وتفوق الحلفاء الجوي.

بدأ الهجوم بقصف مدفعي شديد في الخامسة والنصف من فجر يوم السبت ١٩٤٤/١٢/١٦ وسط الظلام والضباب المخيم فوق ثلوج المنطقة لمدة تراوحت بين ٢٠ دقيقة في بعض النقاط و ١,٣٠ ساعة في نقاط اخرى، على امتداد جبهة الآردين بين مدينة «مونشو» الالمانية في الشمال ومدينـة «اشترناخ» في لوكسمبورغ بالجنوب. وتلى ذلك اقتحام مجموعات مختارة من صفوة وحدات المشاة للخطوط الامريكية في ١٢ موقعاً. وتم اكتساح نقاط الانذار الامامية بسرعة، ودبت حالة من الفوضى والاضطراب في الفرقة ٢٨ المشاة الامريكية، خاصة وأن وحدات المشاة الالمانية تسللت خلال الظلام إلى مقربة شديدة من المواقع الامريكية قبل بدء القصف المدفعي ولذلك فاجأت هذه المواقع بسرعة، إلا أن مقاومة بعض المواقع على الطرق المؤدية إلى «باستوني» في قطاع الجيش المدرع الخامس، رغم تحملها خسائر فادحة واكتساحها في نهاية الأمر، أدى الى تعطيل وصول المدرعات الالمانية إلى «باستوني» خلال اليوم الاول للهجوم كما كان مخططاً من قبل، واتاح الفرصة لايزنهاور وبرادلي لارسال الفرقة المحمولة جواً ١٠١ إلى المدينة بطريق البر صباح يوم ١٩٤٤/١٢/١٩ (كان احتياطي الحلفـاء الاستراتيجي يتألف فقط من الفرقتين المحمولتين جواً ١٠١، ٨٢ الامريكيتين)، الأمر الذي حال دون سقوط باستوني رغم تطويق القوات الالمانية لها. واستمرت بقايا الفرقة ٢٨ والفرقة المدرعة التاسعة مع وحدات الفرقة ١٠١ محتفظة بتقاطع الطرق عند «باستوني» طيلة معركة الآردين الثانية، وقد عملت قيادة الجيش المدرع الالماني الخامس على تخطي المدينة رغم ذلك والتقدم بسرعة نحو نهر «الموز» إلا أن اضطراب خطوط مواصلاته المترتب علـى استمرار سيطرة حامية باستوني على مفرق الطرق، أدى إلى بطء التقدم وتوقفه يوم ٤٤/١٢/٢٥ على مقربة شديدة من «دينانت» (نحو ٦ كم) و«جيفت» دون التمكن من عبور «الموز»، على بعد نحو ٨٠ كم من خط ابتداء الهجوم وكان هذا هو اعمق تقدم حققه الألمان في معركة الآردين الثانية.

وفي الوقت نفسه كانت القيادة الالمانية قد سربت في بداية الهجوم بين ثغرات المواقع الدفاعية مجموعة من وحدات الكوماندوس اجمالي قوتها نحو سرية مشاة ترتدي سترات امريكية فوق ملابسها الالمانية ويتحدث افرادها الانجليزية بلهجة امريكية مستخدمة نحو ٤٠ من سيارات الجيب الامريكية،

معركة الآردين الثانية (١٩٤٤) الخطة الالمانية العامة

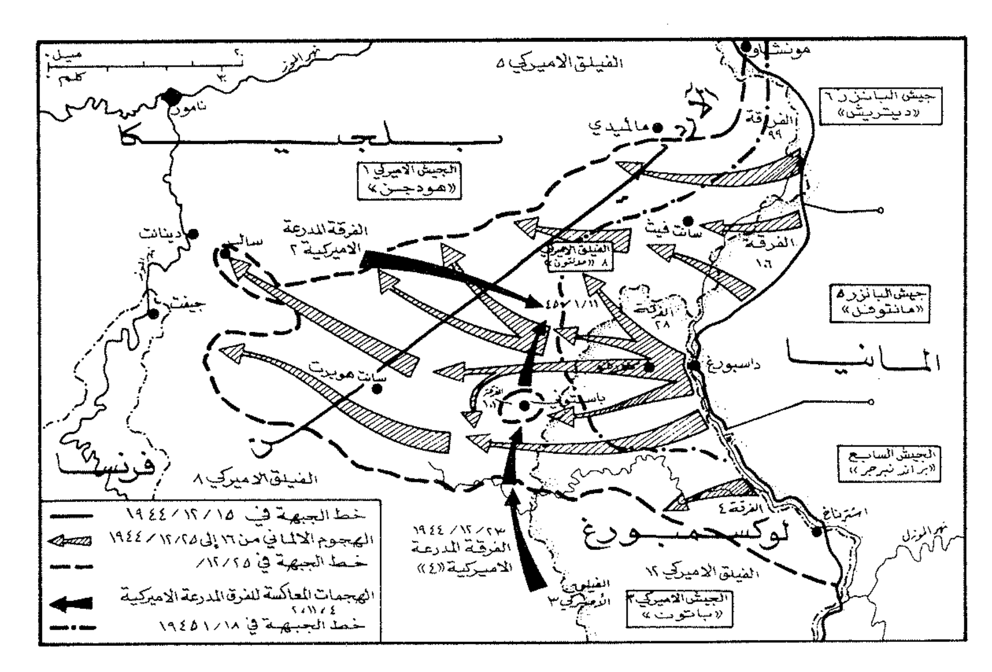


بقيادة « سكورزني » ، الذي قام في العام السابق باختطاف موسوليني من معتقله الايطالي بقوة محمولة في طائرات شراعية . وقامت هذه المجموعة بعدة عمليات تخريب هامة في مؤخرة القوات الامريكية تضمنت قطع خطوط التليفون وتحويل قوافل التموين والقوات إلى طرق خاطئة (بواسطة سيطرة رجال من هذه القوة يرتدون ملابس الشرطة العسكرية على حركة المرور في بعض تقاطعات الطرق) . وقد تسبب نشاط هذه الوحدة في زيادة اجراءات الأمن والتأكد من كافة شخصيات الجنود الامريكيين في المؤخرة لمدة ١٠ أيام مما سبب ارتباكاً شديداً خاصة عندما قال أحد الأسرى أن هناك جماعة مكلفة باغتيال ايزنهاور وكبار القادة .

وكان من المفروض أن يشكل لواء مدرع كامل من دبابات امريكية ومركبات امريكية يتسلل للاستيلاء على جسور « الموز » سليمة ، ولكن لم يمكن توفير العدد الكافي من هذه الدبابات الامريكية مسبقاً ، وألغيت العملية نتيجة لذلك . كما كان من المفروض إسقاط نحو ألف مظلي الماني فوق الارض المرتفعة عند « مونت ريجي » قرب « مالميدى » في قطاع تقدم الجيش المدرع السادس للسيطرة على مفترقات الطرق الموجودة هناك ، واعاقة وصول تعزيزات للحلفاء من الشمال ريثما تصل مدرعات الجيش السادس . إلا أن عدد طائرات نقل الجنود التي أمكن جمعها كان قليلا ، كما أن خبرة الطيارين الجدد بعمليات الاسقاط المظلي كانت محدودة ، ولذلك لم ينجح قائد المظليين إلا في تجميع نحو ١٠٠ جندي فقط في الليلة الثانية للهجوم ، واخذ يشن سلسلة من اغارات الازعاج الصغيرة لعدة أيام على الطرق ، ولما تأخر وصول مدرعات الجيش السادس المفترض اتجه بقوته الصغيرة شرقاً لملاقاتها حيث وقع في أسر القوات الامريكية .

وعموماً فقد كان هجوم الجيش المدرع السادس فاشلا إذ أوقف زحف جناحه الايمن في اليوم الاول عند « مونشو » في الشمال ، واوقف جناحه الايسر يوم ١٨/١٢/٤٤ بعد أن قطع نحو ٤٨ كم تجاه الغرب عند « ستافلوت » في ممر ضيق وعر . ولم تفلح الجهود المبذولة بعد ذلك لمواصلة التقدم نظراً لوصول تعزيزات قوية للقوات الامريكية من الشمال إلى المنطقة المذكورة .

وكان من أبرز نجاحات الهجوم في قطاع الجيش المدرع الخامس نجاح فرقتي المشاة ١٨، ٦٢ يدعمهما لواء من الدبابات في تطويق فوجين من الفرقة ١٠٦ المشاة الامريكية يوم ١٧/١٢/٤٤، وأسر



معركة الآردين الثانية (١٩٤٤)

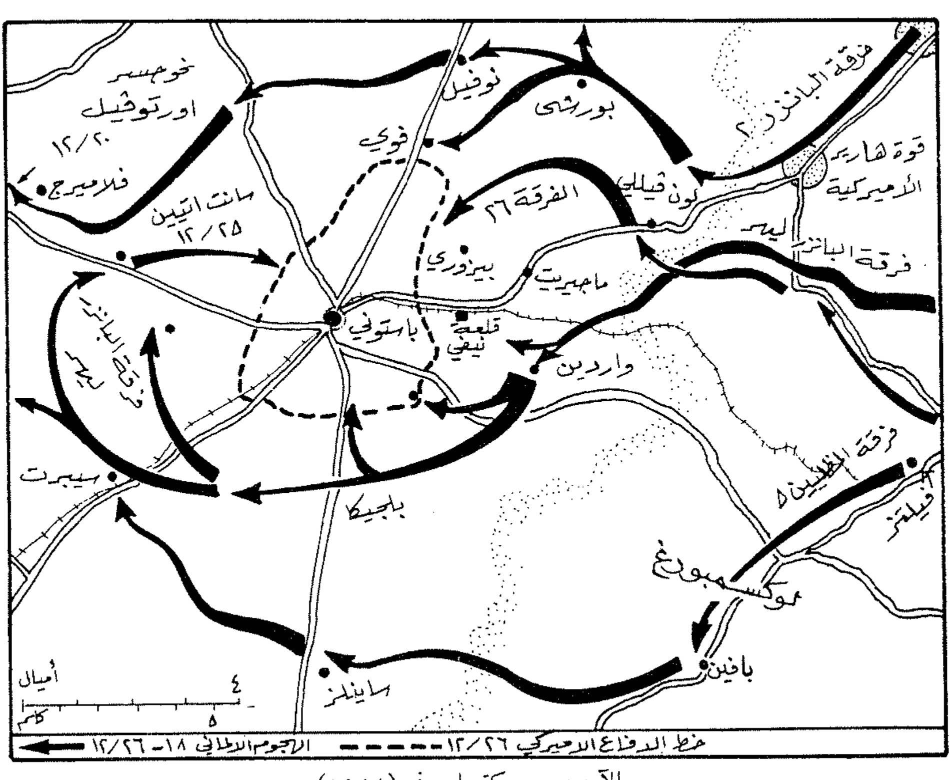

مدفع اميركي م/د في معركة الآردين الثانية



نحو ٨٠٠٠ جندي نتيجة لذلك . واقتراب مجموعة مكونة من ١٠٠ دبابة ، تشكل معظم الفرقة المدرعة الاولى « S.S.» بقيادة الجنرال « بيبر » من مقر قيادة الجيش الامريكي الاول في « سبا » حيث كان يوجد على مقربة منه مستودع ضخم للوقود به نحو ٢,٥ مليون جالون ، وذلك مساء يوم ٤٤/١٢/١٧ ، مما اضطر قيادة الجيش الاول إلى إخلاء مقرها ، ونقل ما يزيد عن مليون غالون من البنزين إلى الخلف واحراق ١٢٤٠ ألف غالون آخر شكلت حاجزاً نارياً أمام الدبابات الالمانية فضلا عن نسف بعض الجسور المقامة على نهر « سالم ». وقد أدى وصول الفرقة المدرعة الامريكية الثالثة إلى المنطقة في اليوم التالي إلى وقف التقدم الالماني في هذا القطاع . و قام قائد هذه المجموعة المدرعة من الحرس النازي بقتل عدة مجموعات من الاسرى الامريكيين بنيران الرشاشات ، مدعياً بعد الحرب أثناء محاكمته أن أوامر هتلر كانت تقضي بنشر حالة من الفزع أمام القوات المهاجمة . وقد اضطر جنود هذه المجموعة إلى ترك دباباتهم يوم ٤٤/١٢/٢٤ والانسحاب سيراً على الاقدام نظراً لنفاذ وقودها وعدم وصول أي امدادات وقوة جديدة اليهم في مواقعهم المتقدمة . وقد لعب سوء الاحوال الجوية وكثافة الضباب دوراً مساعداً للهجوم الالماني خلال الاسبوع الاول نظراً لأنه منع طيران الحلفاء من التدخل في المعركة تماماً .

وابتداء من يوم ٤٤/١٢/١٧ بدأ « ايزنهاور » و « برادلي » يتخذان الاجراءات المضادة للهجوم الالماني في الآردين ، الذي اشتهر وقتئذ باسم هجوم « فون رونشتدت » نظراً لأنه كان يتولى القيادة العامة للجبهة الغربية ، ولكنه في الواقع لم يكن يباشر قيادة فعلية مباشرة على الهجوم الذي كان يشرف عليه « هتلر » و « مودل » عبر قيادة « رونشتدت » ، فقرر أن تشن وحدات من الجيش التاسع هجمات على الجناح الشمالي للقوات الالمانية المهاجمة من الآردين ، وأن تشن وحدات من الجيش الثالث هجمات على الجناح الجنوبي وشق طريق إلى « باستوني » المحاصرة ، كما دفع مونتغمري بالفيلق ٣٠ من الجيش البريطاني الثاني إلى ضفة نهر الموز الغربية للسيطرة على معابره كإجراء احتياطي لمنع اندفاع القوات المدرعة الالمانية إذا ما استكملت خرق دفاعات الفيلق الثامن الامريكي في الوسط .

وفي ٤٤/١٢/٢٠ قرر « ايزنهاور » إسناد قيادة الجيشين الاول والتاسع إلى مونتغمري بالاضافة لقواته الاصلية لتوحيد قيادة قوات الحلفاء في القطاع



الآردين . معركة باستوني (١٩٤٤)

الشمالي من الجهة ، خاصة بعد ان انقطع الاتصال بين الجيشين المذكورين وبقية جيوش مجموعة برادلي في الجنوب ، وعلى أن يستمر « برادلي » مسؤولا عن ادارة الهجمات من الجنوب . ولقد أدى تمسك المدافعين عن « باستوني » وغيرها من مفترقات الطرق إلى اضطرار المدرعات الالمانية للسير عبر طرق فرعية مليئة بالوحل شكلت نقاط اختناق لمرور مختلف الآليات ، واعاقت زحف وامداد القوات ، وزادت من استهلاك الوقود ، ولذلك لم تستطع القوات المهاجمة أن تجلب معها بعد التقدم نصف مدفعيتها التي افتتحت بها الهجوم . لقد كانت معركة الآردين الثانية في الواقع معركة حول الطرق والجسور المحدودة في هذه الارض الوعرة . وابتداء من ٤٤/١٢/٢٣ بدأ الضباب ينقشع وتحسنت الاحوال الجوية نسبياً ومن ثم بدأ التفوق الجوي للحلفاء يلعب دوره سواء في قصف قوافل التموين خلال النهار أو في امداد « باستوني » المحاصرة من الجو . وفي ٤٤/١٢/٢٦ امكن للفرقة المدرعة الامريكية الرابعة التابعة للجيش الثالث أن ترفع الحصار عن المدينة بعد سلسلة من الهجمات المضادة بدأت منذ يوم ٢٢ .

وفي يوم عيد الميلاد بذل الجيش الخامس المدرع جهوداً كبيرة للوصول إلى نهر « الموز » قرب « دينانت » وفي اتجاه « نامور » بواسطة فرقة البانزر ٩ وفرقة المشاة الميكانيكية ١٥ ، اللتين كانتا في الاحتياطي العام ، إلا أن مقاومة الفرقة المدرعة الامريكية الثانية تدعمها الفرقة المدرعة البريطانية ٢٩ حالت دون ذلك .

وقد تعرضت « باستوني » بعد ذلك لسلسلة هجمات المانية اخرى من وحدات ٨ فرق المانية في الفترة من ٣ إلى ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٥ ، وذلك لمنع فرق الجيش الثالث الست المهاجمة من الجنوب من الاستمرار في ضغطها وتطويق الجناح الجنوبي أو اجبار قواته المتقدمة على الانسحاب . وابتداء من ٤٥/١/٣ بدأ مونتغمري هجماته على الجناح الشمالي ، إلا أن شدة المقاومة الالمانية في مسالك الآردين الوعرة المليئة بالثلوج جعلت معدل الزحف البريطاني – الامريكي ضئيلا . وقد نشبت خلافات حادة طوال هذه المرحلة الاخيرة من معركة الآردين بين « مونتغمري » والقادة الامريكيين سواء في الشمال أو الجنوب حول اسلوب ادارة المعركة نظراً لاسلوبه الحذر وعدم مبادرته بالهجوم المركز من الشمال على خلاف اسلوب « باتون » في الهجوم

من الجنوب الذي أدى لرفع الحصار عن « باستوني ». كما ظهرت خلافات في الرأي حول ضرورة الاحتفاظ باحتياطي من القوات وعدم دفعها كلها في العمليات الهجومية مباشرة ، كما كان « باتون » يفعل وفقاً لنظريته بأن الهجوم أفضل وسيلة للدفاع وضرورة إلقاء كل القوات المتيسرة دفعة واحدة ، وكان السبب الاساسي لحنق الامريكيين على مونتغمري انه احتفظ بمعظم فرقه الاربعة البريطانية في الاحتياطي نظراً لأنه كان يريدها سليمة لاستخدامها فيما بعد في الهجوم على الرور .

وقد أمر « هتلر » بتوجيه هجوم آخر في منطقة السار نحو « ستراسبورغ » يوم ١٩٤٥/١/١ بواسطة ٨ فرق كانت هناك ، محاولا الاستفادة من نقل معظم قوات الجيش الامريكي الثالث إلى جبهة الآردين تجاه « باستوني » . ولكن قوات الجيش الامريكي السابع استطاعت بعد مجهود شديد ان تصد هذا الهجوم وتمنع سقوط « ستراسبورغ » ، خاصة وانها استفادت من تحصينات خط ماجينو القديمة الموجودة في المنطقة في تدعيم دفاعها .

وفي هذه الاثناء كان « تشرشل » يضغط على « ستالين » حتى يبادر الجيش السوفييتي بالهجوم على نطاق واسع في الجبهة الشرقية لتخفيف الضغط الالماني في « الآردين » والجبهة الغربية عموماً . وقد امر « ستالين » قادته العسكريين بتقديم موعد الهجوم العام المحدد للزحف نحو الاودر ، وبدأ الهجوم فعلا يوم ١٩٤٥/١/١٢ ، بواسطة قوات «جوكوف» و «كونييف» البالغ قوتها نحو ٢٢٠٠٠٠٠ رجل موزعين على ١٦٣ فرقة لديها نحو ٦٤٠٠ دبابة و ٤٧٠٠ طائرة ، وعلى جبهة عرضها نحو ٤٨٠ كم ، فأمر « هتلر » يوم ١٩٤٥/١/١٣ ببدء الانسحاب من الآردين ، حيث توقف القتال تماماً هناك يوم ١٩٤٥/١/١٦ .

وقد بلغت جملة الخسائر الالمانية في المعركة وفقاً لتقدير المصادر الامريكية نحو ٧٠ ألف قتيل وجريح ، و ٥٠ ألف أسير ، ونحو ٥٠٠ - ٦٠٠ دبابة و ١٦٠٠ طائرة مقابل ٧٦٩٨٠ قتيل وجريح من قوات الحلفاء .

لقد كانت « الآردين » الثانية مقامرة محكوماً عليها سلفاً من الناحية الاستراتيجية بالفشل ، رغم النجاحات التكتيكية التي حققتها في بداية الأمر ، واضطراب قيادة الحلفاء واخطائها وخلافاتها . وقد أدت إلى فقدان الجيش الالماني لآخر احتياطي استراتيجي فعال كان يمكن أن يكون اكثر فاعلية في المعارك الدفاعية الاخيرة عن المانيا .

(٦) آرسين

(انظر غازات القتال) .

(٨) الأرض

الأرض عامل هام يؤثر على العمل العسكري ويدخل كعنصر أساسي في تقدير الموقف واتخاذ القرار . ويختلف أثر هذا العامل بالنسبة الى نوع القوات (برية ، جوية ، قوات محمولة جواً) كما يختلف أثره أيضاً بالنسبة الى القوات البرية ذاتها (مشاة ، مدفعية ، مدرعات) . وتختلف النظرة الى ميزات الأرض حسب الموقف وحسب طبيعة العملية (هجوم ، دفاع ، معركة تصادمية) وبما تقدمه الارض من مساعدات أو عوائق لتنفيذ الاعمال القتالية المتنوعة سواء على المستوى التكتيكي (في استخدام الأسلحة) أو على المستوى العملياتي ، وعلى المستوى الاستراتيجي .

وتتبدل العوامل الناتجة عن تأثير الأرض تبدلا بطيئاً من وجهة النظر العسكرية بحيث يمكن القول ان هذه العوامل شبه ثابتة . ومن المؤكد ان العمل الذي تمارسه الحضارات ، وما يرافقها من تطورات تقنية كبيرة قد ترك أثراً لا يمكن إنكاره في التعامل مع طبيعة الأرض وما توفره من مساعدات أو تكونه من عوائق . ولكن رغم ذلك فهناك أربعة عوامل ثابتة لا تتبدل . وهي : طوبوغرافية الموقع ، ومحاور المناورة ، والموانع الطبيعية ، وتوازن مسارح العمليات.

العامل الأول : تبقى الطوبوغرافيا اكثر العناصر ثباتاً . ويتحرر نفوذها وأثرها تقريباً من الوسائل التقنية ، ويفترض أي موقع من المواقع ، بالاضافة الى امكانية استخدام النيران ، أن يكون متمتعاً بالرؤية وبقدرات للتدخل أو المنع ، فكلما برزت وتأكدت أشكال الأرض كلما اتجهت الالتزامات الطوبوغرافية الى عدم التبدل . ويتوضح ذلك ، على سبيل المثال ، من خلال التشابه في تنفيذ الاعمال القتالية لحربي ١٩٥٦ و١٩٦٧ بين مصر واسرائيل ، كما يتوضح من ان العمليات الهجومية التي قامت بها قوات رومل في الحرب العالمية الثانية ، تتشابه مع الفتوحات الأسلامية من حيث التزامها بالتحرك على مواقع محددة . وإعادة تنظيم الجولان دفاعياً قد لا يختلف كثيراً عما كان عليه هذا التنظيم قبل حرب ١٩٦٧ . وان مجرد إلقاء نظرة على المواقع الدفاعية والتحصينات التي نظمت من قبل الاطراف المتصارعة في الحرب العالمية الثانية يبرهن ويثبت ان اختيار هذه المواقع قد جاء متوافقاً مع التنظيمات الدفاعية التي اقامها الرومان (الليمات) قديماً . وأبرز مثال هو خط ماريت في تونس الذي نظم في نفس الموقع الذي أقام فيه الرومان حصونهم . وفي أوروبا ذاتها فان خط ماجينو يتوافق مع التنظيمات الدفاعية التي أقيمت خلال حرب الوراثة الاسبانية .

العامل الثاني : إن دراسة أثر محاور المناورة على العمل العسكري تؤكد محافظة محاور المناورة ، وخاصة مفترقات هذه المحاور ، على درجة كبيرة من الثبات ، ويكفي فتح أطلس عسكري لملاحظة تجمع ساحات المعارك عبر القرون في مناطق معينة . وعلى سبيل المثال فهناك اختناق « الهلال الخصيب السوري » نحو دير الزور . وهناك محاور اقتراب الجولان ، ومحاور التقدم في سيناء ، وهي كلها تتشابه مع عتبة جمبلو في أوروبا ، وهضبة كاسل وزاوية الليش والدانوب الأعلى . وكل هذه الأمكنة مفترقات محاور إلزامية ، وتولد في غالب الأحيان مناورات متشابهة اذا تساوت الوسائط فيها .

العامل الثالث : إن قيمة عامل الموانع الطبيعية أقل ثباتاً من قيمة المحاور ، ذلك لأن إزالة الأشجار ، وتطور المواصلات ووسائل النقل ووسائل عبور الأنهار ، تجعلها تفقد بمرور الأيام جزءاً من أهميتها . فحاجز نهر الرين وقلاع لييج كانت حواجز لا يمكن اقتحامها ، وجاءت القوات المحمولة جواً لتخترق المعركة من البعد الثالث متجاوزة كل الابعاد الارضية وحواجزها . كما أن استخدام المواد الكيميائية في حرب فييتنام قد حول مساحات كبيرة من الغابات الى مناطق شبه جرداء .

العامل الرابع : ويتعلق هذا العامل (توازن مسارح العمليات) بالشكل العالمي للجغرافيا العسكرية اكثر مما يتعلق بطبيعة أرض مسرح العمليات ذاته . وهو لذلك يدخل في مجال الجغرافيا السياسية وينعكس ذلك في طبيعة تكوين القوات واستراتيجيتها . ومثال ذلك كون الصين والاتحاد السوفييتي من الدول القارية ، في حين أن أميركا وانكلترا واليابان دول بحرية أو جزيرية . ويؤثر التطور التقني في هذا العامل اكثر مما يؤثر في العوامل الأخرى للأرض وطبيعتها ودورها في الأعمال القتالية .

إن عامل طبيعة الأرض يؤثر على ادارة الحرب وعلى استراتيجية العمليات ولكنه يؤثر بالدرجة الأولى على المجال التكتيكي ، إذ أن الاشتباك في الجبال أو الغابات يختلف بطبيعته اختلافاً كلياً عن الاشتباك في الأرض المسهبة او المناطق المبنية ،

ولا يمكن فحص عمل الأرض وما تحمله من معنى حاسم قبل الأخذ بعين الاعتبار نوع العملية (هجومية – دفاعية – تصادمية) وكذلك نوع وحجم القوات. وتؤثر الأرض على النشاط العسكري عادة بثلاث خصائص هي ما تقدمه من تسهيلات أو ما تشكله من عوائق، وما يتوفر فيها من ميزات المراقبة وحقول النظر، والحماية التي تقدمها ضد تأثير الاسلحة على مختلف أنواعها. ويمكن بعد ذلك ارجاع جميع الخصائص الأخرى الى هذه الخصائص الثلاث. ومما لا شك فيه أن تأثير الارض الثلاثي هذا يجعل القتال اكثر تنوعاً وتعقداً وارتباطاً بالعلم، لأنه يتدخل في الخصائص الثلاثة ويعطيها قيماً إضافية. ولا تدخل فكرة السهل المنبسط المكشوف (أي الأرض التي لا تؤثر على العمل) إلا بالنسبة الى الجماعات الصغيرة، وهي غير موجودة حتى في هذه الحالة إلا لفترة محدودة. أما عندما يتعلق الأمر بمفارز وقوات أكبر وتعمل لمدة أطول فان خصائص الأرض ترتبط بالعمل وتختلط معه. وليس من المعقول، بالنسبة إلى جيش كامل، اختفاء كل تأثير للارض حتى خلال فترة معينة كمدة المعركة مثلا. وهذا التأثير موجود دائماً بصورة عملية، ولكن قوته تختلف وتتباين باختلاف طبيعة البلاد.

ان كل منطقة تختلف عن مفهوم السهل المكشوف الخالي من الحواجز بثلاثة أشكال رئيسية: وأول هذه الاشكال هو مظهر الأرض، أي ارتفاعاتها ومنخفضاتها. وثانيها هو الظواهر الطبيعية، كالمستنقعات والبحيرات والغابات. أما الثالث فهو المزروعات على اختلاف انواعها وتؤثر الأرض في العمل الحربي تأثيراً متصاعداً في هذه الاتجاهات الثلاثة. فاذا ما تم تتبعها حتى نقطة معينة ظهرت هناك الارض الجبلية، والأرض التي تقل فيها الزراعة وتغطيها الغابات والمستنقعات، والأرض التي تنمو فيها المزروعات العالية، والأرض الصحراوية. وتصبح الحرب في هذه الحالات كلها أشد صعوبة وتتطلب فناً أكبر.

ويتناسب تأثير المزروعات مع نوعها، ويأخذ هذا التأثير شكله الأكبر عندما تكون الأرض مقطعة تتخللها الحفر والحواجز الخشبية والأسوار ومناطق الطمي والمساكن العديدة المبعثرة والشجيرات الصغيرة الكثيفة. وتصبح الحرب اكثر سهولة في البلاد المنبسطة قليلة المزروعات. ولكن هذه البلاد لا تتمتع بهذه الصفة إلا بصورة عامة، والا اذا تجاهلنا مؤقتاً استخدام تعرجات الأرض من قبل المدافع. ويؤثر كل نوع من أنواع الأرض الثلاثة بأسلوبه الخاص في عرقلة المسالك وتحديد سهولة المراقبة وتغطية القطعات. ويصبح الحاجز المعيق للرؤية كبيراً في الأرض المشجرة. أما في الجبال فيظهر الحاجز المعيق للتقدم. ويتحد هذان المانعان في أرض كثيرة المزروعات. وان أرضاً مشجرة جداً تجعل جزءاً كبيراً منها غير صالح للمرور الى درجة ما، لأن صعوبات التقرب ونقص حقل النظر والمراقبة تمنع استخدام كل وسائل الخرق، ولكنها تسهل مع ذلك بعض الأعمال التي هي صعبة جداً في مناطق أخرى. وقد يكون من المستحيل تجمع القوى الكامل في الاشتباك على مثل هذه الارض. ولكنها مقابل ذلك لا تسبب تقسيماً كبيراً كالتقسيم الذي تفرضه الجبال أو الأراضي المتقطعة. أي ان التقسيم في هذا النوع من البلاد حتمي اكيد لكنه أقل اتساعاً. وتؤثر صعوبة المسالك في الجبال بشكلين هما: ان المرور غير ممكن في كل مكان. وان الحركة في المكان الذي يسمح بالمرور حركة بطيئة وتتطلب جهداً أكبر. وهكذا يصبح اندفاع الحركات في الجبال محدوداً وتتطلب كل العمليات وقتاً أطول. ولكن للأرض الجبلية ميزة تتمثل في أن نقطة ما تسيطر عادة على نقطة أخرى. وان هذه الخاصية هي التي تؤدي الى تقسيم القوى في البلاد الجبلية كثيراً. إلا أن هذه النقاط الحاكمة لا تتمتع بقيمة كبيرة في حد ذاتها فحسب، بل بفضل التأثير الذي تقوم به على نقاط أخرى أيضاً (انظر النقطة الحاكمة والنقطة المفتاح).

وتؤثر أنواع الأرض السابقة الذكر – عندما تميل الى الحدود القصوى – تأثيراً كبيراً على قرار القائد، وذلك لأنها تضعف من المردود الذي لا يتناسب أبداً مع الجهد الذي يبذله المرؤوسون حتى اصغر جندي فيهم. وبقدر ما يتزايد التقسيم في الأرض تتزايد صعوبة القيادة والسيطرة على القوات، فيترك كل فرد لمبادأته. ومن الثابت ان تزايد التقسيم والتنوع والتعقيد يفسح مجالات اكبر لعمل الذكاء. وتكون أمام القائد ذاته فرصة لاظهار كفاءته القيادية.

ان دراسة عامل الأرض تختلف ايضاً حسب المستوى القيادي، فعند التخطيط للعمليات الكبرى يضع القادة وهيئات اركانهم مجموعة من المعطيات المطلوب توفرها، كالامداد، والتحرك، وحماية المجنبات، وتنسيق التعاون بين القوات، وتوفر المؤن والعلف والمياه والمحروقات في مسرح العمليات، بينما تقتصر دراسة عامل الأرض في مستوى الوحدات الفرعية على ما تقدمه الأرض من امكانات حماية، ومن عوائق للنظر والنيران والتحرك، وبهذا المعنى تأخذ الأرض الأهمية التكتيكية على مستوى الوحدات في حين تأخذ دراستها بالاعتبار متطلبات العمليات والاهداف الاستراتيجية على مستوى التشكيلات.

لقد برهنت تجارب الحرب كلها على أهمية عامل الأرض ودوره الكبير في الصراع المسلح رغم كل تقدم تقني. وتظهر أهمية هذا العامل حتى في الحرب الذرية حيث تشكل طبيعة الأرض وطبوغرافيتها أثراً حاسماً في تقليص نتائج الضربات الذرية أو زيادتها.

(١) الإرغون تسفائي ليؤمي

المنظمة العسكرية القومية. منظمة ارهابية صهيونية مسلحة. تأسست في عام ١٩٣١ بالاشتراك مع جماعة مسلحة من حركة بيتار الارهابية احتجاجاً على سياسة الهاغاناه الدفاعية. ونسقت نشاطاتها مع الاصلاحيين اليهود بزعامة جابوتينسكي، وشنت عمليات ارهابية ضد العرب والانكليز في فلسطين، كما قامت بتهريب اليهود إلى فلسطين. وفي عام ١٩٤٠ انقسمت جماعة ليحي المتطرفة بزعامة ابراهام شتيرن، وهادنت الارغون الجيش البريطاني. وفي عام ١٩٤٣ استلم مناحيم بيغين زعامة الارغون التي عادت إلى عملياتها الارهابية ضد العرب والانكليز رغم معارضة الهاغاناه والوكالة اليهودية اللتين اعتقلتا عدداً من قادة الإرغون وافرادها وسلمتهم إلى حكومة الانتداب، وخاصة بعد قيام جماعة ليحي بقتل اللورد موين في القاهرة. ومن أهم عملياتها نسف فندق الملك داوود في القدس في ٢٢ تموز (يوليو) ١٩٤٦، والهجوم الوحشي على قرية دير ياسين العربية في ٩ نيسان (ابريل) ١٩٤٨. ولقد كانت علاقاتها مع الهاغاناه والوكالة اليهودية تتراوح بين العداء والتحالف حسب المواقف السياسية للوكالة. وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ تم اندماج الارغون في الجيش الاسرائيلي. ولقد تم الاندماج بناء على أوامر الحكومة الاسرائيلية. واصدر الأمر آنذاك بن غوريون (الذي كان رئيس الحكومة ووزير الدفاع) فقامت قوات الهاغاناه بتطويق مراكز الإرغون في منطقتي ناتانيا وتل أبيب، وجردت أفرادها من السلاح، وأمرتهم بالانضمام بالقوة الى قوات الجيش التي تألفت من كوادر وجنود الهاغاناه. وكانت سفينة «أليتلينا» قد رست في ذلك الشهر في يافا وهي تحمل الاسلحة للإرغون من ميناء فرنسي بغية تفريغها في الميناء، ونقلها إلى معسكر الإرغون

الرئيسي في ناتانيا ، فأمر بن غوريون بتطويقها وإجبارها على التوجه نحو ميناء حيفا . ولما رفض قبطان المركب ذلك قصفتها قوات الجيش بالهاون ، وتم اخضاعها ومصادرة الاسلحة التي تحملها ، وسلمت إلى سلطات الجيش الاسرائيلي . (انظر بيغن) .

(١) أركان حرب

مجموعة الضباط والاشخاص المؤهلين العاملين مع قائد عسكري لمساعدته في قيادة القطعة الموضوعة تحت تصرفه في السلم والحرب . ولكل من القوات البرية والجوية والبحرية أركان حرب خاصة بها . وهناك أركان لكل سلاح ، كما أن لكل منطقة أو جبهة أو تشكيل أو قطعة عسكرية (حتى مستوى الكتيبة) « أركان حرب » خاصة . ويطلق اسم **الأركان العامة** على أركان حرب الجيش . أما **أركان الحرب المشتركة** فهي الأركان التي تعالج موضوعات ومسائل تتعلق بسلاحين أو أكثر من الاسلحة التالية : القوات البرية ، سلاح الطيران ، سلاح البحرية .

وتتلخص مهمة أركان الحرب – على مختلف المستويات – في مساعدة القائد على اعداد القطعة وقيادتها ، وذلك عن طريق جمع المعلومات ، وإعداد الأوامر ، ونقلها ، والاشراف على تنفيذها ، وتنظيم عمل المصالح المختلفة العاملة في خدمة القطعة المقاتلة . وترجع أهمية هذه الهيئة إلى أن القائد لا يستطيع الاهتمام وحده بجميع التفصيلات الخاصة بالقطعة أو القطعات التي يقودها . ولقد بدأت أهمية اركان الحرب بالظهور منذ منتصف القرن السابع عشر . وكانت آنذاك عبارة عن هيئة مؤقتة مهمتها دراسة الأرض ، واعداد المسيرات ومواقع الاقامة . وفي منتصف القرن الثامن عشر ، أوجد فريدريك الثاني هيئة أركان حرب فعالة . وقلدته بقية الجيوش الأوروبية . ولكن هذه الهيئة بقيت عبارة عن مجموعة من الضباط يختارها القائد العام بنفسه ، ثم يحلها بعد انتهاء المعركة . وفي أواخر القرن الثامن عشر خلقت الجيوش الأوروبية أركان حرب الجيوش ، وصار الضباط العاملون في هذه الهيئة يحملون على بزاتهم شارات خاصة . وفي فترتي الثورة الفرنسية والامبراطورية صار للفرق والأفواج أركان حرب خاصة بها، تضم ضباطاً مختارين لمساعدة قادة هذه القطعات .

ومع تطور الجيوش وتعقيدات ادارة المعركة ، صار عدد من الضباط الجدد يتبعون دورة خاصة في كلية الأركان ، يستلمون بعدها عملهم في هيئات الأركان دون الاحتكاك المباشر مع القطعات المقاتلة . ثم ظهرت عيوب هذا الاسلوب بعد حرب ١٨٧٠ – ١٨٧١ ، عندما لم يستطع ضباط أركان الحرب المؤهلون بهذا الشكل تنفيذ مهماتهم بكفاءة كافية في ظروف المعركة المتغيرة . لذا لجأت الجيوش إلى اعداد ضباط الأركان عن طريق اختيار خيرة الضباط العاملين في القطعات المقاتلة ، واكثرهم كفاءة وخبرة ، وإلحاقهم بدورات في كليات الأركان ، أو كليات الأركان العليا ، ليستلموا بعد ذلك مناصبهم في هيئات الاركان المختلفة . وإذا كانت كليات الأركان تدرس الضباط التكتيك والاستراتيجية واللوجيستيك فان كليات الأركان العليا تدرسهم الاستراتيجية العليا والاقتصاد والعلوم الانسانية الأخرى . ويوجد في سورية ومصر والعراق كليات أركان ، أما كلية الأركان العليا الوحيدة في الوطن العربي فهي اكاديمية ناصر في جمهورية مصر العربية .

وتنقسم أركان الحرب إلى مكاتب (أو شعب) تكون مهماتها في السلم والحرب متشابهة على مختلف المستويات . وهذه الشعب هي : **الشعبة الأولى** أو شعبة التنظيم والادارة . أو شعبة الافراد . مهمتها الاهتمام بكل ما يتعلق بالقوة البشرية في القطعة . **الشعبة الثانية** ، أو شعبة الاستطلاع ، أو شعبة الاستخبارات العسكرية . مهمتها جمع المعلومات وتحليلها . **الشعبة الثالثة** أو شعبة العمليات . وهي مسؤولة عن التدريب العسكري في السلم والحرب ، وعن تخطيط العمليات وادارتها في زمن الحرب . **الشعبة الرابعة** أو شعبة الامداد والتموين . وهي تهتم بسير جميع مصالح الشؤون الادارية كالنقل ، والامداد ، والتموين ، والصيانة ، والاخـلاء ، والاسعاف وكل ما يتعلق بالشؤون المالية واللوجيستيكية ولقد أنشأت فرنسة **شعبة خامسة** في عام ١٩٥٧ ثم حلتها في عام ١٩٦٠ . وكانت هذه الشعبة تهتم بالمسائل المتعلقة بمعنويات القوات المسلحة ، والعلاقات بين الجيش والأمـة ، وقضايا الحرب النفسية . وكلها أمور تهتم بها في الجيوش العربية الأساسية الشعبة الثالثة . وفي اركان حرب الجيش اللبناني شعبة خامسة تهتم بالتراث العسكري والعلاقات العامة ، والاعداد المعنوي ، والاعلام العسكري .

وينطبق تقسيم أركان الحرب إلى شعب على جميع هيئات أركان الحرب حتى مستوى لواء . أما اركان حرب الكتيبة فهي عبارة عن عدد محدود من الضباط المساعدين لقائد الكتيبة وبعض عناصر فصيلة القيادة .

يرأس هيئة أركان الحرب **رئيس أركان** ، يكون مساعداً حقيقياً للقائد . وهو يتابع مختلف نشاطات القطعة ، ويتمتع بصلاحيات واسعة ، ويكون له في اركان حرب الانساق العليا مساعدون يأخذون لقب **مساعد رئيس الأركان** . وفي الانساق العليا أيضاً « مكتب » يساعد القائد ، وهو يضم مجموعة من الضباط بما فيهم المرافقين . وتكون مهمة هذا المكتب تنسيق أعمال القائد ، والاتصال مع القيادة الاكبر ، أو مع السلطات غير العسكرية . ولكن أركان الحرب تبقى الهيئة المساعدة الاساسية المكلفة بجمع العناصر اللازمة لقرار القائد ، وانضاج هذا القرار . والسهر على سير الأمور بعد اتخاذ القرار من قبل القائد حتى يحقق هذا القرار أغراضه (انظر اتخاذ القرار) .

(٥) أرك رويال ، (حاملة طائرات)

حاملة طائرات بريطانية ، هي حاملة الطائرات الوحيدة التي تحمل طائرات لها اجنحة ثابتة لدى البحرية البريطانية . انزلت الى الماء في أيار (مايو) ١٩٥٠ ، وانتهى العمل بها في شباط (فبراير) ١٩٥٥ . وزنها القياسي ٤٣٠٦٠ طناً ، ووزنها بأقصى حمولة ٥٠٧٨٦ طناً . طولها ٢٥٧,٦ متراً، وعرضها ٣٤,٤ متراً ، وارتفاع غائصها ١١ متراً ، وعرض سطحها المخصص للطيران ٥٠,٦ متراً . وتبلغ قوة دفع محركاتها ١٥٢ ألف حصان . وتصل سرعتها الى ٣١,٥ عقدة في الساعة . ولها طاقم مؤلف من ٢٦٤٠ رجلا بما في ذلك افراد الوحدة الجوية العاملة على سطحها . وتستطيع حمل ٣٠ طائرة بأجنحة ثابتة و ٦ طائرات هليكوبتر . وتتسلح باربع نقاط دفاع رباعيــة لاطلاق صواريخ سطح – جو من طراز « سي كات » . اطلق عليها في البدء اسم « اريزستابل » ، واجريت عليها عمرة شاملة استمرت ثلاث سنوات من عام ١٩٦٧–١٩٧٠. ولها درع سماكته ١١٥ مم من الفولاذ حول جسمها الخارجي و ١٠٠ مم يغطي سطحها المخصص للطيران .

(٣) أرماس (يوم)

(انظر القادسية) .

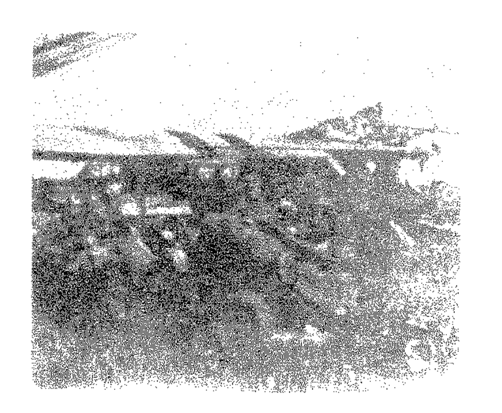
(٤) آرنهم (معركة) ١٩٤٤

عقب انتهاء دور القوات المحمولة جواً الامريكية والبريطانية في تأمين جناحي قوات الانزال البرمائي في نورماندي الذي بدأ يوم ٦ حزيران (يونيو) ١٩٤٤ (انظر معركة نورماندي) سحبت هذه القوات إلى بريطانيا (وكانت تضم الفرقة ٦ البريطانية والفرقتين ٨٢ ، ١٠١ الامريكيتين) لإعادة تجهيزها وتدريبها تمهيداً لاستخدامها في عمليات اخرى مماثلة . وفي ٨ آب (اغسطس) من العام نفسه شكل الجنرال « ايزنهاور » ، بصفته القائد العام لقوات الحلفاء في غرب اوروبا ، الجيش الاول المحمول جواً من الفرق الامريكية ١٧ ، و ٨٢ ، و ١٠١ ، والفرقتين البريطانيتين ١ و ٦ ،ولواء مظلي بولندي ، واسند قيادة هذا الجيش لجنرال جوي امريكي يدعى « بريرتون » كان يشغل منصب قائد القوة الجوية الامريكية التاسعة أثناء عملية نورماندي ، ويعاونه كرئيس اركان جنرال بريطاني يدعى « براوننغ » كان يعتبر بمثابة أبو القوات البريطانية المحمولة جواً . وقد جرى التفكير والاعداد لاستخدام وحدات من الجيش المذكور في عمليات معاونة للقوات البرية بفرنسا ، ولكن الزحف السريع لهذه القوات خلال شهر آب (اغسطس) وبداية ايلول (سبتمبر) ، الذي اعقب انهيار الجبهة الدفاعية الالمانية في نورماندي ادى إلى إلغاء هذه العمليات قبل تنفيذها . ولذلك كان قادة وجنود هذا الجيش يشعرون بحالة بطالة وضيق نفسي لعدم مشاركتهم في إلحاق الهزيمة بالقوات الالمانية ،ويطالبون بضرورة اشراكهم في القتال على أي نحو .

وفي هذا الوقت كان « ايزنهاور » يواجه صراعاً شديداً بين كل من « مونتغمري » قائد مجموعة الجيوش ٢١ (الجيش البريطاني الثاني والجيش الكندي الاول) و « برادلي » قائد مجموعة الجيوش ١٢ (الجيشان الامريكيان الاول والثالث) . حول اتجاه الضربة الرئيسية لقوات الحلفاء خلال المرحلة التي اعقبت عبور نهر السين . فقد كان « مونتغمري » يرى أن تركز قوات المجموعتين جهد قواتيهما (وقدرها ٤٠ فرقة) في المنطقة الواقعة بين باريس إلى الغرب حتى ساحل المانش ، في زحف يتجه نحو الشمال الشرقي تجاه بلجيكا وهولندا لعبور الرين من هناك ، والالتفاف شرقاً بعد ذلك حول منطقة « الرور » الصناعية التي لا تستطيع المانيا بدونها الاستمرار في الحرب . على حين أن « برادلي » كان يرى ، على ضوء التقدم السريع الذي أحرزه بواسطة قوات المجموعة ١٢ تجاه الشرق مباشرة عبر نهر « الموزل » تجاه منطقة السار على الحدود الفرنسية – الالمانية ، وعبور الرين أثر ذلك جنوب فرانكفورت ، ومن ثم يكون دور المجموعة ٢١ في الشمال ثانوياً . وكانت صعوبة امداد قوات كل من المجموعتين باحتياجاتهما من الوقود والذخيرة والمؤن بنسب متوازية وكافية لمواصلة الهجوم بفاعلية ، نظراً لطول خطوط المواصلات الناتج عن عدم فتح معظم موانئ ساحل المانش الفرنسية والبلجيكية للملاحة ، تشكل السبب الرئيسي لعدم قدرة جيوش الحلفاء على التقدم على مواجهة عريضة وضياع فرصة التحطيم الاخير للقوات الالمانية المنهزمة قبل حلول الشتاء ، رغم تمتع قوات الحلفاء بنسبة تفوق ضخمة للغاية في اوائل ايلول (سبتمبر) بلغت حوالي ٢٠ ضد ١ في الدبابات و ٢٥ ضد ١ في الطائرات (اثبتت الوثائق الالمانية بعد انتهاء الحرب انه لم يكن لدى الجيش الالماني في الجبهة الغربية وقتئذ سوى ١٠٠ دبابة تقريباً صالحة للقتال ونحو ٥٧٠ طائرة صالحة للعمل ، مقابل نحو ٢٠٠٠ دبابة للحلفاء كانت تزحف في رؤوس الرماح المتقدمة ، وحوالي ١٤ ألف طائرة حربية عاملة كانت متاحة لهم آنذاك) .

وفي ٤ أيلول (سبتمبر) تمكنت القوات المدرعة البريطانية من احتلال ميناء « انتويرب » البلجيكي ، ولكنها لم تسارع إلى احتلال جسور « قناة البرت » وعبورها بسرعة ، نظراً لسيطرة الاحساس العام على قوات وقيادة الحلفاء بعدم قدرة القوات الالمانية على اعادة التنظيم والاستمرار في القتال ، ولذلك امكن للقوات الالمانية (المؤلفة من وحدات مظليين ومجندين جدد جمعت على عجل) أن توقف زحف قوات الجيش البريطاني الثاني عند قناة « الموز – اسكوت » أثر استئنافها التقدم مرة اخرى يوم ٧ ايلول (سبتمبر) ، مستفيدة من كثرة القنوات المنتشرة في ارض المنطقة المليئة بالمستنقعات والسبخات الرخوة . ولذلك وضع مونتغمري خطة للتغلب على الموانع المائية العديدة التي تفصل الجيش الثاني عن الرين (عند اجتيازه الاراضي الهولندية نحو مصبه في بحر الشمال) تسمح له بتحقيق اندفاع سريع يهدد الجناح الشمالي الغربي لمنطقة « الرور » الصناعية قبل أن تتدعم القوات المدافعة عن سلسلة القنوات المائية الهولندية ، والمؤلفة من وحدات الجيش المظلي الاول الذي جرى تشكيله بسرعة بقيادة الجنرال « كارل شتودنت » قائد القوات الالمانية المحمولة جواً الشهير (انظر معركة كريت) .

وتقضي خطة مونتغمري هذه باستخدام قوات

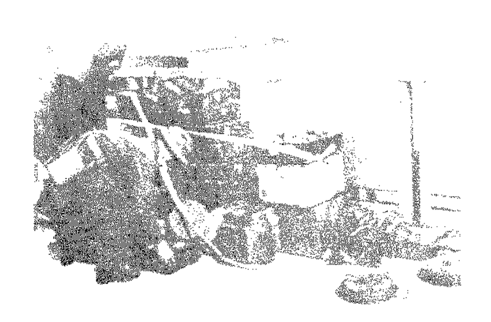


طائرة شراعية تنزل الإمدادات في آرنهم



مظليون بريطانيون في آرنهم

مهندسون بريطانيون يرفعون العبوات (جسر نيجمجن)



ضخمة من جيش الحلفاء الاول المحمول جواً في تحقيق استيلاء خاطف للجسور المقامة على ٦ قنوات وأنهار تنتهي بالجسر المقام على « الرين » عند مدينة « ارنهم » التي تبعد عن مواقع الجيش البريطاني الثاني عند قناة « الموز – اسكوت » نحو ١٥٧ كلم إلى الشمال ، على حين يتقدم الفيلق ٣٠ من الجيش المذكور على امتداد الطريق البري الذي يربط هذه الجسور للاتصال بالقوات المحمولة جواً حتى يصل « ارنهم » ويواصل زحفه حتى خليج «زيدرزي» عازلا بذلك مدن هولندا الرئيسية « روتردام » و « امستردام » و « لاهاي » عن المانيا ، ومن هناك يستعد للالتفاف شرقاً نحو حوض « الرور » . ويحمي جناح الفيلق ٣٠ الايمن الفيلق ٨ ، ويحمي جناحه الايسر الفيلق ١٢ .

أما القوات المحمولة جواً التي تقرر اسناد المهمة المذكورة إليها فتألفت من الفرقة ١٠١ الامريكية بقيادة اللواء « ماكسويل تايلور » التي اسند اليها الاستيلاء على جسور المنطقة الواقعة إلى الشمال مباشرة من الفيلق ٣٠ بين مدينتي «ايندهوفن» «Eindhoven» و «فيجهـل» «Veghel» والفرقة ٨٢ الامريكية المحمولة جواً بقيادة اللواء « جيمس غافين » التي اسند إليها مهمة الاستيلاء على جسور نهر « ماس » « Maas » ونهر « وال » « Waal » وقناة « الماس – وال » التي تربط بينهما وكلها واقعة بين بلدة « غراف » « Grave » ومدينة « نيجمجن » « Nijemgen » إلى الشمال من مواقع انزال الفرقة ١٠١ ، بالاضافة إلى تأمين الارض المرتفعة الواقعة بين البلدتين . والفرقة الاولى البريطانية المحمولة جواً بقيادة اللواء « روي يركهارت » التي اسند اليها الاستيلاء على جسور الرين عند مدينة « ارنهم » «Arnhem» ويعززها اللواء المظلي البولندي ، كما خصصت الفرقة ٥٢ البريطانية (اسكتلندية) لدعم عمليات الفرقة الاولى ، وعلى أن يتم نقلها بالطائرات بمجرد ان تنتهي كتيبة المهندسين الامريكيين الملحقة بالفرقة من تمهيد مهابط لطائرات النقل .

وقد عين الجنرال « بريرتون » رئيس اركانه الجنرال « براونغ » كقائد عام للعملية كلها التي اطلق عليها اسم « ماركت غاردن » «Operation Market Garden» . وكـان من المفروض أن تتمكن ٦ فرق من قوات الجيش الثاني البريطاني من عبور نهر الرين خلال ثلاثة أيام منذ بدء هجوم القوات المحمولة جواً التي ستكون قد مدت لها بساطاً مفتوحاً عبر الموانع المائية المتعددة ، أو

آرنهم . معركة « ماركت غاردن »

بساطاً محمولا جواً « Airborne Carpet » على حد تعبير الماريشال « مونتغمري » ، وبلغ عدد طائرات النقل المتاحة للعملية والموجودة لدى القيادة التاسعة الامريكية للنقل الجوي والمجموعتين البريطانيتين ٣٨ ، ٤٦ للنقل الجوي نحو ١٢٥٠ طائرة « س – ٤٧ » « داكوتا » و ٣٥٤ قاذفة بريطانية محولة إلى طائرات نقل ، ولم تكن هذه الطائرات بالاضافة إلى الطائرات الشراعية التي تستطيع قطرها قادرة على نقل اكثر من فرقتين فقط في الموجة الاولى . ولذلك كان لا بد من نقل القوات على موجتين ، وأدى ذلك إلى أن الفرقة البريطانية الاولى لم تتوفر لها طائرات لنقل اكثر من لواء مظلي واحد وجزء من لواء المشاة المحمول بالطـائرات الشراعية «Glidermen» والقيادة المتقدمة للفرقة فحسب ، أي ما يوازي نحو ثلث القوة الاصلية المعدة والتي تضم لوائي مظلات بريطانيين ، ولواء مظلات بولندي ، ولواء مشاة بريطاني محمول بالطائرات الشراعية . ولذا ضعفت القدرة الهجومية للفرقة لحظة بدء العملية . وقد اقترح السلاح الجوي البريطاني أن يتم انزال الموجة الاولى خلال الليل قبل أول ضوء حتى يمكن انزال الموجة الثانية خلال النهار التالي مباشرة لتقليل مخاطر الضعف النسبي لقوة هجوم الفرقة الاولى ، ولكن بريرتون رفض هذا الاقتراح حتى لا تتكرر اخطاء انزال القوات في اماكن خاطئة خلال الظلام كما حدث في النورماندي ، نظراً لعدم تدرب اطقم الطيارين بصورة جيدة على الملاحة الليلية الدقيقة ، ولذلك تقرر أن يتم إنزال الموجة الاولى في نهار ١٧ ايلول (سبتمبر) والموجة الثانية في اليوم التالي نهاراً أيضاً .

وفي الليلة السابقة للهجوم قامت ٢٠٠ قاذفة قنابل ذات أربعة محركات من طراز « لانكستر » البريطانية و ٢٣ طائرة « موسكيتو » (مقاتلة ليلية وقاذفة خفيفة بعيدة المدى) بقصف اربعة مطارات المانية في هولندا ، وفي الوقت نفسه قامت ٥٩ قاذفة قنابل بريطانية اخرى بقصف مواقع بطاريات المدفعية المضادة للطائرات الالمانية في هولندا . وتم اختيار هذه الاهداف بحيث لا تكتشف مخابرات السلاح الجوي الالماني الممرات الجوية التي ستجتازها طائرات النقل ، وقد تم إلقاء نحو ١٠٠٠ طن من القنابل على هذه الاهداف جميعاً .

وفي الصباح الباكر استأنف الطيران قصفه التمهيدي للعملية،فقامت ٨١٦ قاذفة تصحبها ١٦١ مقاتلة بمهاجمة ١١٧ موقعاً للمدفعيـة المضادة للطائرات ، وألقت عليها نحو ٣١٣٩ طناً اخرى من القنابل ،مطهرة بذلك ممرين كبيرين لطائرات النقل . وبعد أن انقشع ضباب الصباح تماماً اقلعت الموجة المهاجمة الاولى من القوات المحمولة جواً من ٢٤ مطاراً ببريطانيا داخل ١٥٤٤ طائرة نقل ، و ٤٧٨ طائرة شراعية ، تصحبها ١١٧١ طائرة مقاتلة لحمايتها من طيران العدو . وقد استطاعت المدفعية الالمانية المضادة للطائرات أن تسقط ٣٥ طائرة « داكوتا » و ١٣ طائرة شراعية فقط ، وكانت التقديرات السابقة للخسائر في طائرات النقل والطائرات الشراعية تصل إلى ١٥ ٪ و ٤٠ ٪ بالنسبة لكلا النوعين على التوالي . وقد حاولت ٣٠ مقاتلة المانية أن تعترض طريق الطائرات ، ولكن المقاتلات اسقطت منها ٧ طائرات فابتعدت المقاتلات المتبقية أثر ذلك .

وقد طارت طائرات النقل على ارتفاع منخفض نسبياً وداخل تشكيلات منضمة،واسقطت بدقة كبيرة نحو ١٦٥٠٠ مظلي من الفرق الثلاث ،كما هبطت ٤٢٥ طائرة شراعية تحمل سيارات الجيب ، والمدافع م/د ، والهاوتزر الخفيفة ، في المواقع المحددة لها مسبقاً .

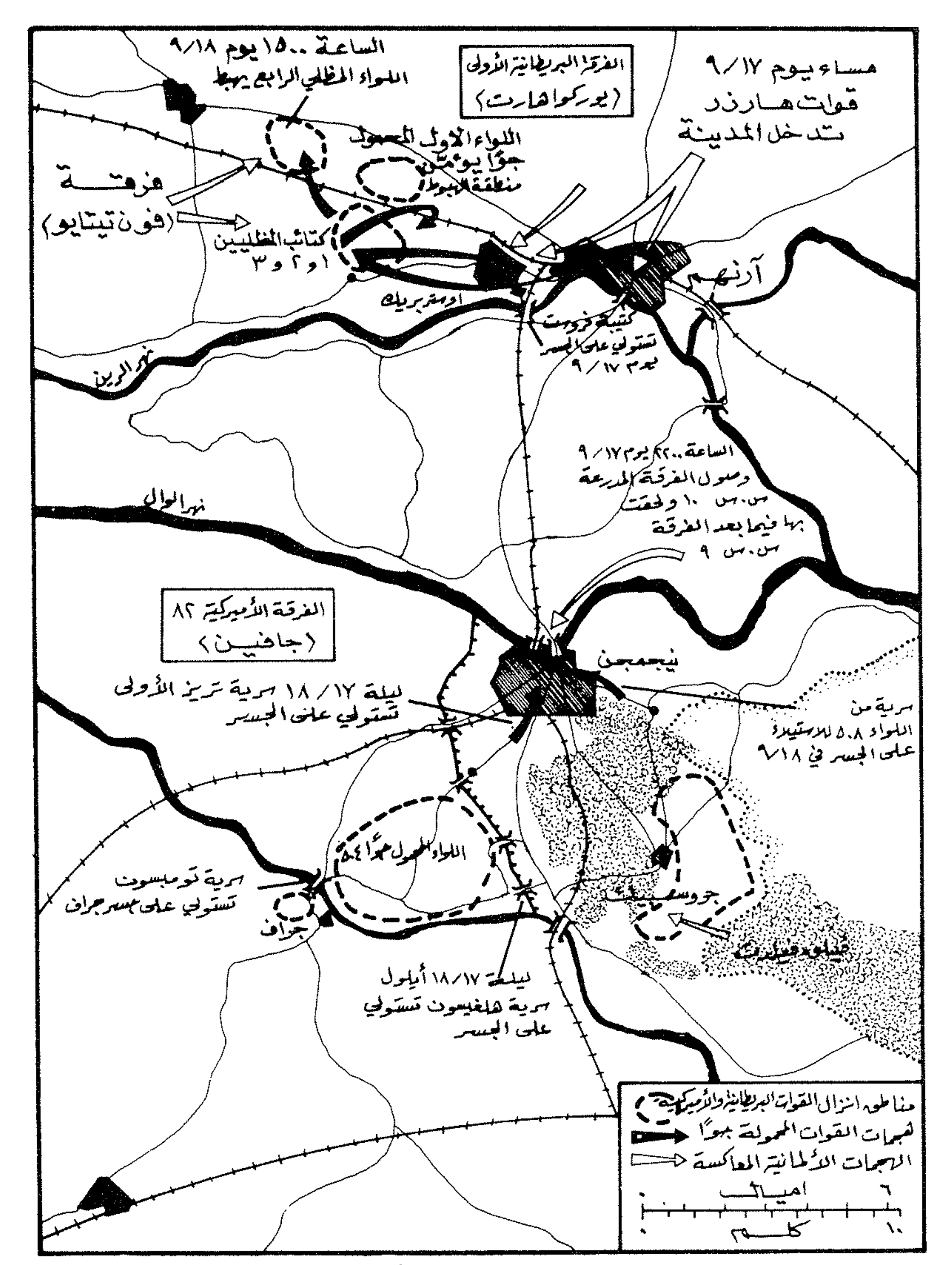
واستطاعت الفرقة ١٠١ التي هبطت إلى الشمال

من « ايندهوفن » أن تحتل جميع الجسور الواقعة في منطقتها بسرعة باستثناء جسر واحد عبر قناة « ويلهلمينا » . وكذلك كان الحال بالنسبة للفرقة ٨٢ التي هبطت بين « غراف » و « نيجمجن » . وقد هبط في المنطقة نفسها الجنرال براوننغ ومعه قيادة الفيلق المحمول جواً .

وفي قطاع الفرقة الاولى ، حيث هبطت وحدات الموجة الاولى إلى الشمال الغربي من « أرنهم » على مبعدة نحو ١٠ كلم من اهدافها (أي الجسور) ، وذلك خشية التعرض لنيران المدفعية المضادة للطائرات القريبة من الجسور ، ونظراً لرخاوة الارض قرب الضفاف ، فقد تمكنت احدى كتائب المظليين من احتلال المدخل الشمالي لجسر الطريق الاسفلتي ، على حين نسف جسر السكة الحديدية بمجرد وصول وحدات المظليين الاخرى اليه .

وتصادف أن تحطمت إحدى الطائرات الشراعية التابعة للفرقة ١٠١ الامريكية في منطقة يسيطر عليها الالمان ، وعثر داخلها على نسخة كاملة من خطة العملية كلها ، وبعد ساعات قليلة كانت الخطة موضوعة على مكتب الجنرال « شتودنت » قائد الجيش المظلي الالماني الاول ، ولذلك سهل عليه وعلى الماريشال « مودل » القائد الالماني العام الذي كان موجوداً في مقر قيادته الميداني بالقرب من « ارنهم » اتخاذ الاجراءات الفورية المضادة بصورة سليمة ، وقد سارع « مودل » فور رؤيته المظليين البريطانيين يهبطون على مقربة من المدينة بتحريك فرقة مدرعة كانت موجودة في المنطقة (الفرقة ٩ بانزر) إلى داخل « ارنهم » وحولها لمهاجمة المظليين ، ولم تكن قيادة الحلفاء تعرف شيئاً مسبقاً عن وجود هذه الفرقة التي كانت دباباتها تقف تحت شباك التمويه في مناطق مشجرة ولذلك لم تلحظ وجودها طائرات الاستطلاع ولا أعين رجال المقاومة السرية الهولندية ، وكانت هناك أيضاً فرقة أخرى مدرعة موجودة على مقربة من منطقة انزال الفرقة ٨٢ ، وهي الفرقة ١٠ بانزر . وقد جرى توجيهها بأوامر « مودل » أيضاً لمهاجمة مواقع الفرقة ٨٢ (والواقع أن كلا الفرقتين المدرعتين الالمانيتين كانتا في حالة إعادة تجهيز بالسلاح والعتاد ، ولم تكونا كاملتي الاستعداد عندما بدأ الهجوم المحمول جواً) . وهكذا لعبت سرعة المبادرة الدفاعية المضادة من جانب « مودل » و « شتودنت » دوراً هاماً للغاية في التأثير على نتائج عملية « ماركت غاردن » بصفة عامة ومعركة « أرنهم » بصفة خاصة كما سيتضح فيما بعد.

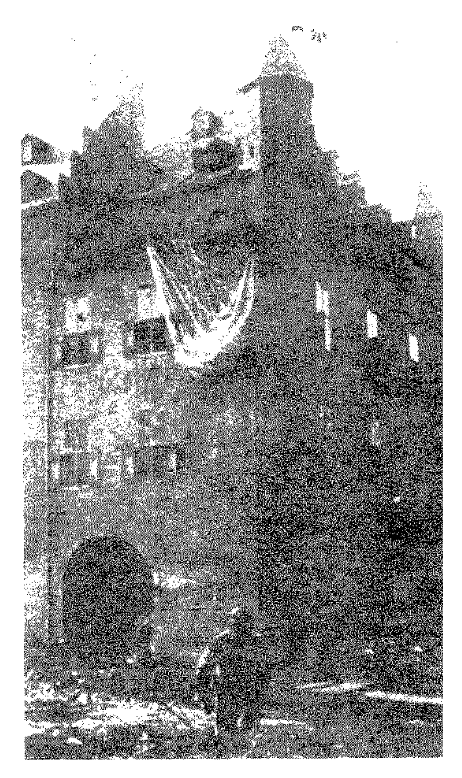
وفي قطاع الجيش البريطاني الثاني بدأ الفيلق ٣٠ ،



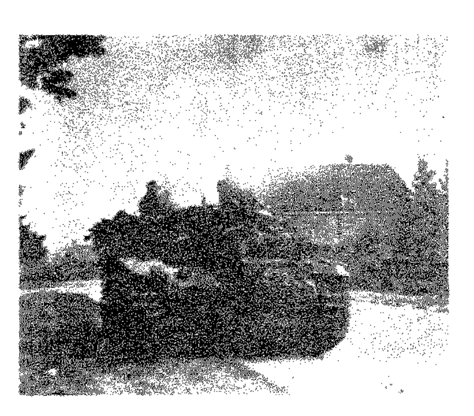
آرنهم . موقف الفرقة البريطانية الأولى والفرقة ٨٢ الاميركية في يومي ١٩ و ٢٠ ايلول ١٩٤٤

بقيادة الجنرال « هوروكس » ، هجومه بقصف معاكس للبطاريات الالمانية في تمام الثانية من بعد ظهر يوم ١٧ ايلول (سبتمبر) . وبعد قليل بدأت مجموعة اخرى من المدفعية مكونة من ١٤٤ مدفع ميدان ، و ٣٦ مدفعاً متوسطاً ، في رمي سد ناري زاحف « Rolling barrage » (انظر سد ناري) . وقامت مجموعة اخرى من ١٢٠ مدفع

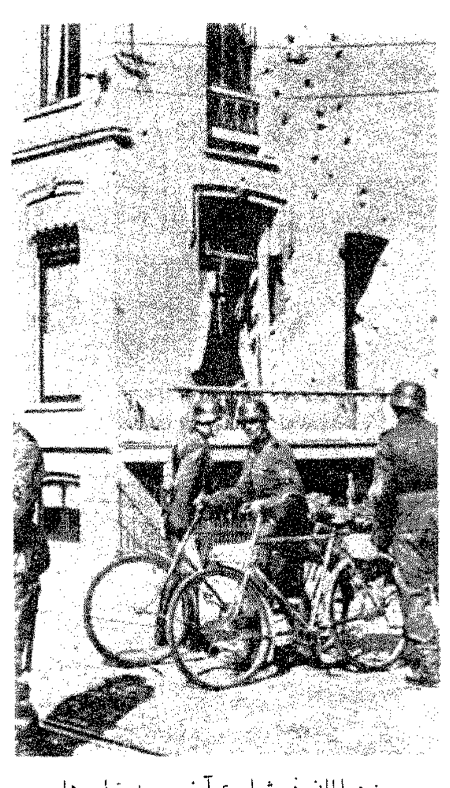
ميدان وبطارية مدفعية ثقيلة عيار ٨ بوصة برمي تمهيدي مركز على مواقع المشاة الالمانية ونقاط تجمع المركبات ومراكز القيادات . وتركز الهجوم على كلا جانبي الطريق المؤدي من منطقة الحدود البلجيكية – الهولندية إلى « ايندهوفن » حيث أقام المظليون الألمان مواقع دفاعية قوية جيدة التمويه ، ولذلك صاحب اندفاع الدبابات البريطانية ، الذي



الالمان يقومون بهجوم مضاد لتطهير آرنهم



مدفع اقتحام الماني يشن هجوماً مضاداً



جنود المان في شوارع آرنهم بعد تطهيرها

ـأ بعد ٣٥ دقيقة من رمي المدفعية المشار اليه ، ـعم جوي قريب من القاذفات المقاتلة طراز ـتيفون » التي اخذت تطلق صواريخها ورشاشاتها . ـرغم ذلك القصف المدفعي والجوي فقد تعرضت ـبابات الفرقة ١١ المدرعة الايرلندية لخسائر شديدة ـن جانب الدفاع المضاد للدبابات المؤلف من ـدافع م/د ٨٨ مم ومدافع ذاتية الحركة موضوعة ـ، حفر مغطاة بشباك تمويه وبنادق وقواذف مضادة ـدبابات مع المشاة داخل خنادق موزعة بشكل ـفر نيراناً متقاطعة على الطريق وتطلق بصورة ـنتظمة على طول الطريق . ولذلك لم يحرز الفيلق ٣٠ ـتقدماً سريعاً،وقطع مسافة ١٠ كلم تقريباً فقط خلال ـيوم الاول .

وهكذا اسفر اليوم الاول لبدء العملية عن ـنجاح اقل حجماً مما كان متصوراً من قبل . ونشبت ـه أربع معارك منفصلة من الجنوب إلى الشمال ـصبح من الضروري ربطها ببعضها بسرعة ، ولذلك ـمت قيادة الحلفاء بتعزيز القوات المحمولة جواً ـ، اليوم التالي بالموجة الثانية من القوات ، وقامت ـنو ١٣٦٠ طائرة نقل و ١٢٠٣ طائرات شراعية ـبنقل هذه القوات تحت حماية ١٠٠٠ طائرة مقاتلة ـخذت في الوقت نفسه تدعم القوات المحاربة على ـالارض برشاشاتها وصواريخها ، وقامت ٢٥٢ قاذفة قنابل بإلقاء امدادات من الذخيرة والمؤن بالمظلات ، إلا أن الفرقة الاولى في ارنهم لم تصلها أية تعزيزات أو امدادات نظراً لاشتداد وطأة حلقة الحصار الألمانية حولها ، وسقوط معظم الامدادات في ايدي القوات الالمانية . وقد تعرضت الفرقة ١٠١ لهجمات معاكسة مدرعة (اللواء ١٠٧ بانزر القادم من منطقة آخن على الحدود الالمانية) كما تعرضت الفرقة ٨٢ لهجمات مقاتلة قوية عند ضواحي « نيجمجن » . وقد تم اتصال الفيلق ٣٠ بالفرقة ١٠١ في ذلك اليوم ، واحتلت « ايندهوفن » بالكامل . إلا أن موقف الفرقة الاولى كان يزداد حرجاً ، خاصة وأن الفرقة ٥٢ المنقولة جواً لم يمكن توفير المهابط اللازمة لانزالها بطائرات النقل ، واصبح من الصعب عليها الاستمرار في الاحتفاظ بمواقعها عند الجسر في ظل ضعف الدعم الجوي بسبب سوء الاحوال الجوية . وقد تمكنت الفرقة الالمانية المدرعة العاشرة أن تحول دون استمرار سيطرة الفرقة ٨٢ على جسر « نيجمجن » خلال هذا اليوم .

وفي يوم ١٩ ايلول (سبتمبر) زاد سوء الاحوال الجوية ، ولذلك استخدمت ٦٥٥ طائرة نقل و ٤٣١ طائرة شراعية في نقل الامدادات والتعزيزات ابتداء من الساعة الثالثة بعد الظهر ، وأنزلت جزءاً من قوات اللواء المظلي البولندي في « ارنهم » بواسطة ٣٣ طائرة شراعية تحت نيران البنادق الالمانية . كما وصل إلى أيدي القوات البريطانية الاخرى المطوقة هناك نحو نصف كمية الامدادات البالغ قدرها ٣٩٠ طناً التي تم إلقاؤها بالمظلات في ذلك اليوم . ولم تستطع ٢٢٦ طائرة نقل و ١٨٥ طائرة شراعية من الوصول إلى اهدافها في هذا اليوم بسبب سوء الاحوال الجوية ، ونيران المدفعية المضادة للطائرات ، وتدخل نحو ٤٢٥ مقاتلة المانية معترضة ، ولذلك سقطت ٤٠ طائرة نقل ، و ١١٢ طائرة شراعية نتيجة لأحداث هذا اليوم الثالث للعملية ، الذي كان من المفروض أن تعبر فيه قوات الجيش الثاني جسور نهر الرين وفقاً للمخطط الاصلي .

وفي ٢٠ ايلول (سبتمبر) كان الجو لا يزال سيئاً ، والضغط الالماني مستمراً على وحدات الفرقة البريطانية الاولى حول الطرف الشمالي لجسر «ارنهم» والوحدات الاخرى الموجودة خارج البلدة والتي تم فصلها عن باقي القوة المحاربة داخل المدينة . وفي هذا اليوم قامت وحدة من المظليين الامريكيين ، تساندها نيران دبابات الفرقة الحادية عشرة الايرلندية ، بعبور نهر « وال » بعد الظهر وفي وضح النهار بواسطة قوارب الاقتحام ، وهكذا تم الاستيلاء على جسور « نيجمجن » نهائياً في ختام ذلك اليوم .

وفي ٢١ ايلول (سبتمبر) كان الجو لا يزال رديئاً . وفي محاولة لدعم الفرقة البريطانية الاولى التي مضى عليها خمسة ايام في قتال عنيف مع دبابات ومشاة فرقة البانزر التاسعة ، ارسلت ١١٠ طائرات نقل تحمل معظم اللواء المظلي البولندي لاسقاطه على الضفة الجنوبية للنهر ، والاستيلاء على الطرف الجنوبي للجسر . ولكن لم تستطع سوى ٥٣ طائرة من الوصول الى منطقة الاسقاط ، وهبط حوالي ٧٥٠ مظلياً فقط هناك . ولم يسفر هذا المجهود عن أي تحسن في الموقف ، إذ أمكن للألمان

أن يتغلبوا مساء هذا اليوم على المائة مظلي بريطاني الذين كانوا لا يزالون يدافعون عن الطرف الشمالي للجسر ، الذي اصبح في أيدي الالمان بالكامل نتيجة لذلك .

وفشلت جهود الفرقة ٤٣ مشاة البريطانية (التابعة للجيش الثاني) في مواصلة الزحف شمال نيجمجن ، كما استمرت الهجمات الالمانية المعاكسة على كلا جناحي الممر الضيق الذي فتحته الفرقتان ٨٢ ، ١٠١ والفيلق ٣٠ . وفي ٢٢ ايلول (سبتمبر) زادت حالة الجو سوءاً فلم يتمكن الحلفاء من إرسال أية طائرة إلى مسرح العمليات . وقد استطاعت فقط بعض القاذفات المنقضة النفاثة الالمانية «مسرشميت ٢٦٢» من التحليق ومهاجمة مواقع الفرقة البريطانية الاولى . وفي اثناء الليل تمكن ٥٠ مظلياً بولندياً من عبور النهر وتوصيل قليل من الذخيرة والطعام إلى قوات الفرقة البريطانية المطوقة قرب « أرنهم » . وفي الجنوب قامت الدبابات والمشاة الالمانية بعدة هجمات معاكسة أدت إلى تجميد التقدم شمالا والسعي لتعزيز الدفاع حول جناحي الممر أو البساط المحمول جواً ، وهكذا تأكد فشل معركة « ارنهم » تماماً .

وفي ٢٣ ايلول (سبتمبر) تحسن الجو قليلا فأرسلت ٦٥٤ طائرة نقل و ٤٩٠ طائرة شراعية لدعم القوات المحمولة جواً ، ولكن معظم الطائرات خصصت لتعزيز الفرقتين ٨٢ ، ١٠١ ، وارسلت ٤١ طائرة فقط لنقل التعزيزات للمظليين البولنديين جنوب « آرنهم » . وفي الليل تلقى الجنرال « براوننغ » اذناً يسمح له بسحب الفرقة الاولى من « ارنهم » التي كانت تقاتل معركة يائسة في خرائب المدينة وفي الغابات الصغيرة المحيطة بها . وكانت هذه الفرقة مقسمة إلى قسمين ، وتعاني بشدة من نقص الذخيرة والمؤن وكثرة الجرحى والقتلى ، ولكن لم يتم سحب هذه الفرقة في ذلك اليوم ، إذ بذلت جهود يوم ٢٤ ايلول (سبتمبر) من جانب الفرقة ٤٣ واللواء البولندي للسيطرة على الضفة الجنوبية للنهر ومساعدة الفرقة الاولى البريطانية على الضفة الشمالية عند « آرنهم » . وتمكن ٣٠٠ جندي من عبور النهر لينضموا إلى الـ ٢٣٠٠ جندي المتبقين من الفرقة الاولى الذين تنقصهم الذخيرة والمؤن . وفي ٢٥ ايلول (سبتمبر) كان الجو سيئاً ايضاً مما ساعد الالمان على شن هجمات معاكسة قوية هددت بعزل قوات الفيلق ٣٠ المتقدمة ودفع الفرقتين ٨٢ و ١٠١ لبذل جهود قوية للحيلولة دون ذلك . وفي ليلة ٢٥ – ٢٦ ايلول (سبتمبر) اقتحمت الفرقة البريطانية الاولى حلقة الحصار وعبرت الرين إلى

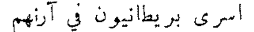


مدفع ٢٠ مم الماني في آرنهم

الضفة الجنوبية منسحبة إلى مواقع اللواء البولندي والفرقة ٤٣ المشاة تحت تغطية سد مدفعي قوي اطلق من الضفة الجنوبية . وتم عبور النهر خلال سبع ساعات اثناء الليل وتحت نيران الرشاشات والهاونات الالمانية وامطار شديدة . وقد فقدت الفرقة البريطانية الاولى في معركة « آرنهم » التي استمرت ٩ أيام نحو ٧٦٠٥ رجال بين قتيل وجريح ومفقود وأسير ، ووصل ٢١٦٣ جندياً منها فقط إلى الضفة الجنوبية (من بينهم بعض طياري الطائرات الشراعية) كما عاد ١٦٠ من البولنديين الذين كانوا قد عبروا النهر شمالا و ٧٥ من جنود الفرقة ٤٣ الثلاثمائة . الذين عبروا النهر يوم ٢٤ .

وفي يوم ٢٦ ايلول (سبتمبر) انتهت عملية « ماركت غاردن » تماماً وفشلت في تحقيق هدفها الاستراتيجي الاساسي وهو تأمين عبور الرين والوصول إلى خليج «زيدرزى» تمهيداً للالتفاف حول حوض « الرور » ، رغم تحقق النجاحات التكتيكية الاخرى المتمثلة في احتلال ممر « ايندهوفن – نيجمجن » . وبلغت خسائر الفرقتين الامريكيتين ٨٢ ، ١٠١ نحو ٥٧٤٠ جندياً بين قتيل وجريح ومفقود .

وهكذا انتهت اكبر عملية حربية في تاريخ القوات المحمولة جواً إلى فشل استراتيجي . وقد استخدم فيها ٣٤٨٧٦ جندياً (٢٠١٩٠ هبطوا بالمظلات و ١٣٧٨١ ازلوا بالطائرات الشراعية و ٩٠٥ ازلوا بطائرات النقل) كما تم ازال ١٩٢٧ مركبة و ٥٦٨ مدفعاً و ٥٢٣٠ طناً من العتاد والمؤن ، وبلغت جملة خسائر القوات المحمولة جواً فيها نحو ١٣ ألف رجل . ويرجع الفشل في معركة « آرنهم » ، إلى عدة اسباب منها سرعة مبادرة الالمان الدفاعية ، وتوفر وحدات مدرعة لديهم في المنطقة



اسرى بريطانيون في آرنهم



م تكن مخابرات الحلفاء تعلم عنها شيئاً ، وفي الوقت نفسه لم تكن الوحدات المحمولة جواً تملك اسلحة كافية مضادة للدبابات ، ولم تتوفر لها الحماية الجوية والدعم الجوي القريب والمباشر بالصورة المطلوبة بسبب سوء الاحوال الجوية ، يضاف إلى ذلك أن القوات التي انزلت في «آرنهم» اسقطت بعيداً عن الجسور (١٠ كلم) وساعد ذلك على ضياع ٤ ساعات ثمينة قبل الوصول إلى منطقة الجسور حيث كانت القوات الالمانية قد بدأت تحتشد بقوة متزايدة . كما أن الاجهزة اللاسلكية وأطقمها غير المدربة جيداً جعلت من المتعذر على قائد الفيلق (الجنرال براوننغ) أن يعرف شيئاً واضحاً خلال اليومين الاولين الحاسمين من القتال داخل «آرنهم» كما عرقلت تنظيم عمليات الفرق ٨٢ ، ١٠١ المساعدة نظراً لصعوبة الاتصالات بين القيادات . ولقد ساعد نجاح الالمان في «آرنهم» على كسب مزيد من الوقت للجيش الألماني في الجبهة الغربية في المراحل الاخيرة من الحرب العالمية الثانية الامر الذي مكنه من شن هجومه المضاد الاخير في «الآردين» .

(انظر الآردين ، المعركة الثانية ، ١٩٤٤) .

(٥) اروماتش ، (حاملة طائرات)

حاملة طائرات هليكوبتر ، فرنسية ، سميت على اسم ميناء صيد صغير على شاطئ المانش نزلت فيه الفرقة الانجليزية الخمسون أثناء عملية الانزال في النورماندي خلال الحرب العالمية الثانية . وبنى فيه الحلفاء ميناء اصطناعياً سمح بانزال ٩٠٠٠ طن من المعدات يومياً .

دخلت الخدمة عام ١٩٤٤ في البحرية البريطانية ثم اعيرت للبحرية الفرنسية عام ١٩٤٦ ، التي اشترتها عام ١٩٥١ . اجريت عليها اصلاحات واسعة واعيد بناء اجـزاء كبيرة منها في الفترة من ١٩٥٧ الى ١٩٥٨ ،وحولت إلى حاملة طائرات هليكوبتر عام ١٩٦٨ . وزنها القياسي ١٤ ألف طن ، ووزنها بحمولة كاملة ١٨٥٠٠ طن . طولها ٢١١,٧ متراً ، وعرضها ٢٤,٥ متراً ، وارتفاع غاطسها ٧ أمتار ، وعرض سطحها المخصص للطيران ٣٦ متراً . تبلغ قوة دفع محركاتها ٤٠ ألف حصان . وتصل سرعتها الى ٢٥ عقدة . ولها طاقم مؤلف من ١٠١٩ رجلا . وتحمل ٤٠ طائرة ، من الطائرات طائرات الهليكوبتر المضادة للغواصات. نزع تسليحها بعد ان حولت الى حاملة طائرات هليكوبتر ، حاملة تدريب .

(٥) أزديك

(انظر السونار)

(٥) أ ــ س ــ ١٢ (صاروخ)

(انظر س س ١١ (SS-11))

(٣) اسامة بن زيد

هو أبو محمد أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر الكلبي . أبوه زيد من موالي رسول الله (صلعم) ، وقد لقب أسامة «بأسامة الحب» (أي حبيب الرسول) اذ كان الرسول يحبه حباً شديداً ، فكان عنده كبعض أهله ، وكان يحتضنه والحسن بن علي بن أبي طالب ويقول : «اللهم احبهما فاني احبهما» وسبب محبة رسول الله له ان اباه زيداً أسر وهو طفل ، وبيع في عكاظ ،فاشتراه حكيم بن حزام لعمته السيدة خديجة بنت خويلد ، وظل زيد في خدمة خديجة حتى تزوجها رسول الله ، فوهبته زيداً ، وكان عندئذ في الثامنة من عمره . أما أمه فكانت أمة حبشية لعبدالله والد النبي ، فلما مات اعتقها النبي وزوجها زيداً فأنجبت له أسامة ، وكان اسمها «أم ايمن» وقد احتضنت النبي في طفولته فقال فيها : «أم ايمن أمي بعد أمي» .

ولد أسامة بمكة في العام الرابع من بعث الرسول ، وعاش في كنفه ورعايته ، فعرف الاسلام منذ طفولته ، وحاول يوم أحد الخروج مع النبي للقتال فرده النبي لصغر سنه ، ولكنه ما ان بلغ الخامسة عشرة من عمره حتى بدأ يخرج مع جيش المسلمين للقتال ،فشهد «الخندق» وعمره خمسة عشر عاماً ، كما شهد الغزوات الاخرى بقيادة الرسول (صلعم) إلا مؤتة فقد شهدها بقيادة ابيه زيد الذي قتل في الوقعة نفسها . وقد أبلى أسامة في «حنين» بلاء حسناً ،وثبت في القتال مع عشرة من اصحاب النبي .

وقد أمر النبي اسامة في غزوات عديدة فكان اصغر قائد عرفه الاسلام ، قال سلمة بن الاكوع : «غزوت مع النبي (صلعم) سبع غزوات ، وخرجت فيمـا يبعث من البعوث تسع غزوات : مرة علينا أبو بكر ، ومرة علينا أسامة» . وفي السنة الحادية عشرة للهجرة (٦٣٢ م) أمر النبي بتجهيز جيش لمقاتلة الروم في الشام ، وأمر عليه أسامة ، وكان فيه أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص وابو عبيده ، ولكن مرض النبي ثم وفاته فيما بعد حالا دون انطلاق هذا الجيش الى الشام ، اذ عاد اسامة ومن معه الى المدينة ليشتركوا بتشييع الرسول. وما ان استقر الامر للخليفة ابي بكر حتى عمل على تنفيذ رغبة الرسول قبل وفاته ، فسير جيش أسامة ــ وتخلف عمر بن الخطاب عن الجيش بطلب من الخليفة ــ واوصاه قائلا : «إصنع ما أمرك نبي الله (صلعم) : إبدأ ببلاد قضاعة ثم ائت (آبل) ..» فسار أسامة بجيش بلغ عديده ثلاثة الاف مقاتل ، فاغار على آبل شمالي (مؤته) ، وثأر للمسلمين ولأبيه من قبيلة قضاعة التي ظاهرت الروم يوم مؤته ، ثم وطيء بخيله ــ كما اوصاه النبي قبل موته ــ تخوم البلقاء والداروم من اعمال الشام (فلسطين) ،فأغار على اهل تلك التخوم وهزمهم ، ثم عاد الى المدينة بعد اربعين يوماً . وقد اعتبرت غزوته هذه لتخوم الشام فاتحة للحملة التي وجهها أبو بكر فيما بعد لفتح تلك البلاد . وفي العام نفسه ولاه ابو بكر إمرة المدينة .

وعاش أسامة بعدها في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية محترماً موفور الكرامة ، خاصة وانه اعتزل السياسة بعد مقتل عثمان ، وأبت عليه كرامته الاسلامية ان يقاتل امرءاً شهد ان لا إله إلا الله ، فقضى فترة من حياته في الشام ، ثم عاد الى وادي القرى فسكن الجرف (بالقرب من المدينة) ، حيث توفي سنة ٥٤ هـ (٦٧٤ م) عن عمر يناهز الثالثة والستين .

كان أسامة شبيهاً لأمه الحبشية ، فهو أفطس الانف اسود ، وكان شجاعاً خلوقاً موثوقاً ، كما كان ورعاً تقياً . اما مزاياه العسكرية فقد كان موهوباً للقيادة منذ صغره ، حتى ان النبي أمره وهو لما يبلغ الثامنة عشرة ، وقال فيه : «انه خليق للامارة» .وقد تميز بالجرأة والاقدام واقتحام المخاطر ، وكان يتقن التعرض والمباغتة وحشد القوى .

(٣) أسامة بن منقذ

هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر ابن منقذ الكناني الكلبي الشيزري الملقب مؤيد الدولة مجد الدين ، ولد في شيزر على نهر العاصي (شمالي حماة من اعمال الشام) سنة ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م ، وهو احد امراء بني منقذ ، الاسرة العربية التي كانت تحكم شيزر في العهد الصليبي ،

شب فارساً وأديباً وصياداً ، ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره اشترك في صد غارة تنكرد Tancred من انطاكية على شيزر ، ثم ظهرت بطولته عندما اشترك في الحروب ضد الصليبيين ، فاعتبر فارس الحروب الصليبية .

لم يصلنا من اخبار اسامة الشيء الكثير لقلة ما ذكره المؤرخون عنه ، الا انه تولى بنفسه سرد سيرته الذاتية في كتابه « الاعتبار » ، وقد ألف نحو ثلاثة عشر كتاباً لم يصلنا منها الا هذا الكتاب ، وبعض المخطوطات المحفوظة في برلين ولندن والقاهرة ولينغراد ، فكان بحق أديباً وشاعراً من الطراز الرفيع ، بالاضافة الى فروسيته وولعه بالصيد .

ولما بلغ أسامة الرابعة والثلاثين من عمره (سنة ١١٢٩ م) التحق بجيش أتابك الموصل (زنكي) حيث قضى فيه تسعة اعوام (حتى ١١٣٨ م) ولما مات والده انتقل الى بلاط البوريين في دمشق (١١٣٨ م) ، حيث قضى فيه ستة أعوام (حتى سنة ١١٤٤ م) ، وكان خلال إقامته ببلاد الشام ، وخاصة في عاصمة امارته شيزر ، على احتكاك مباشر بالافرنج ، فكان يسالمهم في أوقات السلم ويحاربهم في اوقات الحروب . ثم انتقل بعد ذلك الى مصر ، وكانت دولة الفاطميين تحتضر ، فكث هناك عشر سنوات (١١٤٤ – ١١٥٤ م) ، قاد خلالها عدة حملات ضد الصليبيين في فلسطين ، ثم عاد الى دمشق للمرة الثانية ، وكان اميرها يومذاك نور الدين زنكي (ابن سيده القديم زنكي اتابك الموصل) ، حيث قضى فيها تسعة اعوام (١١٥٤ – ١١٦٤ م) قاد خلالها ايضاً عدة حملات ضد الصليبيين في الشام . وفي عام ١١٦٤ م انتقل الى حصن كيفا على نهر دجلة حيث قضى فيه عشرة اعوام (حتى ١١٧٤ م) معتكفاً منهمكاً في التأليف والكتابة ، الى ان جذبته شهرة صلاح الدين الايوبي فقصد دمشق للمرة الثالثة ، وحارب الصليبيين الى جانب صلاح الدين ، وفيها توفي مساء الاثنين في ٢٣ رمضان سنة ٥٨٤ هـ = ١٥ كانون الاول ١١٨٨ م عن عمر يناهز الثالثة والتسعين ، ودفن في سفح جبل قاسيون ، وقد درس قبره الذي سبق ان زاره المؤرخ الشهير ابن خلكان بعد قرن من وفاته .

يشبّه كثير من المؤرخين اسامة بن منقذ بصلاح الدين الايوبي من حيث الفراسة والفطنة والحيلة ، ومن حيث الشجاعة والفروسية المشبعتين بروح الاعتدال والاتزان والروية . وتتشابه أسرتا البطلين من حيث الطموح ، والاحساس بالكرامة ، وعراقة المحتد ، فقد كانت أم اسامة توزع السلاح على المقاتلين ، وكان ابوه اديباً وشاعراً ، كما كان فارساً ماهراً وصياداً جلوداً ، يركض في الصيد وهو شيخ فيتعب بنوه في اللحاق به .

(١ - ٥) الاستخبارات

أو مصلحة الاستخبارات ، أو أجهزة الاستخبارات . أو المخابرات . هي مجموع الأجهزة والتشكيلات والوسائل المستخدمة لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية الخاصة بالعدو وتحليلها ، والعاملة في الوقت نفسه على مكافحة عمليات التجسس أو التخريب المعادية ، وإبطال كل عمل يقوم به العدو لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية عن معسكر الصديق .

وليست الاستخبارات (أو مصلحة الاستخبارات) وسيلة جديدة ، ولكنها وجدت منذ وجود الصراعات بين الدول . ففي التاريخ القديم كان لدى الاشوريين والمصريين والمغول ... الخ تنظيمات خاصة مهمتها البحث عن المعلومات المتعلقة بامكانات الخصم العسكرية في زمن السلم أو زمن الحرب . وكانت هذه التنظيمات تستخدم وسائل متباينة تختلف من شعب إلى آخر . ولقد أتقن العرب في فتوحاتهم أساليب جمع المعلومات ، وكانت أجهزة استخباراتهم تسبق الجيوش وتجمع المعلومات معتمدة على تعاطف السكان العرب (وخاصة في العراق ومصر وبلاد الشام) مع قوات الفتح الإسلامي أو معتمدة مع تعاطف جزء من السكان الأصليين المعارضين لنظام الحكم القائم (اسبانيا) .

وتطورت أساليب الاستخبارات مع الزمن ، وأخذت أهمية كبيرة في حملات نابليون بونابرت ، حيث كانت دقة اجهزة الاستخبارات ، ومهارة العاملين فيها وقدرتهم على اكتساب السكان عنصراً أساسياً من عناصر استراتيجية نابليون في الحملات التي قادها قبل أن يصبح امبراطوراً ، وبعد أن غدا الامبراطور نابليون الأول أيضاً .

وفي مطلع القرن العشرين أخذت مصلحة الاستخبارات أهمية خاصة ، وتحددت تشكيلاتها ومهماتها ، وغدت مرتبطة مباشرة بالقيادة العسكرية العليا ، وشملت مهماتها : جمع المعلومات عن العدو ، ومكافحة التجسس . ولكن مجال اهتمامها الأساسي بقي متجهاً نحو المعلومات العسكرية . ولذا كان ارتباطها الأول مع رئيس الأركان العامة . ومنذ الحرب العالمية الثانية اتسعت مهمة مصلحة الاستخبارات إلى حد بعيد نظراً لاتساع حقل نشاطها ليشمل جميع المعلومات عن كل طاقات الأمة أو الأ المعادية ، أو التي يحتمل الدخول معها في صرا مقبل ، أو المحايدة . ولقد جاء هذا الاتساع م اتساع مفهوم الحرب الشاملة التي تؤثر على ك خلية من خلايا المجتمع وتتأثر بكل نشاط تمار هذه الخلايا على مختلف الأصعدة . وهنا لم ت مصلحة الاستخبارات مرتبطة برئيس الاركان العا بل برئيس مجلس الوزراء مباشرة .

ولقد شكلت فرنسة خلال الحرب (١٩٤٣ جهاز استخبارات اطلقت عليه اسم « المكتب **المركزي للاستخبارات والعمل** » (.B. C. R. A) وكان مقره الرئيسي في لندن . ثم أسست في الجزائ في عام ١٩٤٤ « **الادارة العامة للدراسات والبحوث** (.D.G.E.R) . وفي عام ١٩٧٤ أطلقت على جها استخباراتها اسم « **مصالح جمع المعلومات الاجنبي ومكافحة التجسس** » (.S.D.E.C.E) ، وهي عبا عن مؤسسة مدنية – عسكرية يقودها ضابط بر جنرال . وتحمل أجهزة الاستخبارات البريطانية اس «**مصلحة الاستخبارات**» ntelligence Service (انظر مصلحة الاستخبارات البريطانية) . و الولايات المتحدة الاميركية جهازان رئيسيا للاستخبارات هما .C. I. A (انظر وكالة المخابرات المركزية) الذي يعمل بالتعاون مع جهاز .B. I (انظر مكتب التحقيقات الفيدرالي) ويوجد في عد من البلدان العربية جهازان رئيسيان للاستخبارا هما : « المخابرات العامة » و « الاستخبارا العسكرية » . ويرتبط الجهاز الاول بأعلى سلطة سياسية الدولة ، وهو يهتم بجمع المعلومات السياسية والاقتصادي والنفسية عن العدو ، كما يهتم بحماية أمن الدو ومكافحة التجسس . ويرتبط الجهاز الثاني برئيس الأركان العامة . ومهماته جمع المعلومات ذات الطاب العسكري وحماية أمن القطعات ومسارح العمليات وفي اسرائيل اجهزة متعددة للاستخبارات تتقاس المهمات والمسؤوليات (انظر الاستخبارات الاسرائيلية

استخبارات استراتيجية :

هي جمع المعلومات المتعلقة بشؤون عسكر او امنية ، وتنسيقها ، وتحليلها ، وتوزيعها ع المستوى الاستراتيجي ومستوى الدولة ، وهدف هذ النوع من النشاطات هو معرفة قدرات دول اخرى والتكهن بنواياها للمساعدة في تخطيط المسائ المتعلقة باستراتيجية الدولة صاحبة النشاط . و حالة الدول الكبرى ، فان الاستخبارات الاستراتيجية تعني جمع المعلومات عن الاتجاهات الاقتصادي

والاجتماعية والسكانية الديموغرافية والعلمية والتقنية . ونتاج هذه الاتجاهات وتأثيراتهـا على القـدرات العسكرية ، والسياسات المتبعة .

ويجمع القسم الاعظم من معلومات الاستخبارات الاستراتيجية الخام بوسائل علنية ، مثل المنشورات ، والاذاعات ، والوسائل البصرية ، المتمثلة في رؤية منشآت او معدات . وقد تجمع هذه المعلومات عن طريق الاقمار الاصطناعية والطيران .. الخ (انظر الاستطلاع الاستراتيجي) وبالوسائل السرية باستخدام التجسس التقليدي الذي يقدم شطراً ضئيلا من المعلومات التي يتم جمعها ، الا ان هذا الشطر مهم للغاية لانه يوضح نوايا الدول الاخرى ، اكثر مما يقدم بيانات عن قدراتها (انظر تجسس) .

ويتضمن تحليل المعلومات الخام ، عمليات تفسير وقراءة الصور الجوية ، وغيرها . وفك رموز الشيفرة ، والتحليلات الاحصائية ، وتمييز الذبذبات الالكترونية . بالاضافة الى الترجمات اللغوية العادية. وتهدف عمليات تنسيق المعلومات الى تركيز المعلومات التي جمعت من مصادر مختلفة ، وترتيبها حسب مواضيعها ووضع البيانات المبعثرة المختلفة التي قد لا تعني شيئاً لتصبح موضوعاً له معنى . وتهدف اجراءات تحليل الاستخبارات الاستراتيجية الى ربط المعلومات التي تم جمعها بسياسة الدولة موضوع البحث ، والقرارات المتعلقة بسياستها . عن طريق ربط المعلومات مع المشاكل المطروحة . او التي قد تهدف تلك الدولة الى طرحها . والخروج من ذلك كله باستنتاجات وتوقعات تقدم للسلطات المؤهلة لأخذ القرار .

اما عملية توزيع المعلومات فهي ثمرة نشاط الاستخبارات الاستراتيجية . فليس هناك اي فائدة من هذا النشاط ان لم توزع هذه المعلومات او الاستنتاجات الناجمة عنها على الاجهزة المختصة . وتهتم الاستخبارات الاستراتيجية عادة بعدد كبير من الدول الاجنبية ، بغض النظر عن وجود صراع مسلح او غير مسلح مع تلك الدول .

استخبارات تكتيكية :

هي جمع المعلومات على المستوى التكتيكي حول قوات العدو في منطقة محددة ، أو حول المنطقة ذاتها ، وتحليل هذه المعلومات . وهكذا فالاستخبارات التكتيكية محددة بوضع آني معين ، واي استخبارات لها اهداف ابعد من هذه تدخل في نطاق الاستخبارات الاستراتيجية . ولتعبير « استخبارات قتالية » المعنى ذاته الا انها تختلف احياناً في انها قد تنفذ من قبل وحدة مقاتلة عاملة على مستوى لواء او فرقة ، بدلا من ان تقوم بذلك قيادات اعلى على مستوى قيادة منطقة .

والمصادر الرئيسية للاستخبارات التكتيكية هي : أ) المعلومات الخام التي تقدمها عمليات الاستطلاع ، وعمليات الاستطلاع بالقوة (انظر الاستطلاع التكتيكي) ب) الرصد الجوي والارضي . ج) التصوير الجوي والارضي . د) استنطاق الاسرى والجنود الفارين والمدنيين الذين تجولوا ، او عاشوا ، في المنطقة المحتلة مثل اللاجئين . هـ) العمليـات السرية ، وعمليات التجسس التقليدية ، وهذه تلعب دوراً محدودا في معظم الأحيان .

ويتم فرز المعلومات التكتيكية وتحليلها ودراستها عادة على مستوى قيادة منطقة او جبهة . ويقوم بذلك ضباط مفروزون لهذه الغاية في الوحدات العاملة الكبرى . ويكون لكل فرع من القوات الممثلة في المنطقة قيادة منتدبة ، او عاملة . وينتمي الضباط المفروزون في معظم الاحيان الى فرع القوات المسلحة التي تنتمي اليها الوحدة العاملة . ويكون هناك اركان استخبارات في القيادة العامة ، واستخبارات في قيادات سلاح الجو ، والبحرية ، والجيش . وضباط استخبارات مع كل جناح جوي . او فرقة ، او سرب بحري .

(٦) الاستخبارات الاسرائيلية

جهاز هام من اجهزة تنفيذ السياسات الامبريالية للكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة على صعيد السياسة الخارجية ، والداخلية ، والامنية العسكرية ، والاعلامية ، والقضائية . وترتبط اعماله ارتباطاً وثيقاً مباشراً ومؤثراً بقدرة الحكومة الاسرائيلية عـلى اتخاذ القرارات المصيرية ، كاعلان الحرب ، وتحديد السياسات الهجومية ، والمواقف السياسية الاستراتيجية . ويزيد من اهمية هذا الجهاز علاقاته الوثيقة بمؤسسات الدولة التنفيذية والسياسية ، وهي علاقة يتداخل فيها العمل الاستخباري بادارة المؤسسات نفسها من خـلال تغلغل عناصره في كافة المؤسسات العسكرية والسياسية والاقتصادية .

ويتألف الجهاز من لجنة عليا لاجهزة الامن يتفرع عنها خمس دوائر هي : جهاز الاستخبارات الخارجية (الموساد) ، وجهاز الاستخبارات العسكرية (الآمان) ، ودائرة البحوث السياسية ، ومصلحة الامن العام (شين بت) . ومصلحة يهود العالم . وتخضع اعمال الجهاز بكامله لرقابة جهات ثلاث هي : الحكومة ، واللجنة الوزارية لشؤون الامن ، ولجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست .

وتعتبر **اللجنة العليا لاجهزة الامن** قمة الهيكل التنظيمي للجهاز . وهي عبارة عن لجنة للتنسيق بين اجهزة الامن والاستخبارات المتفرعة عن المؤسسات المختلفة للدولة ، تضم رؤساء هذه الاجهزة ، ويتم تعيين رئيس لها بقرار يصدر عن رئيس الوزراء . تعقد اللجنة اجتماعاً اسبوعياً لبحث المهام الملقاة على عاتقها وهي : تحديد السياسة العامة للجهاز ، والتنسيق بين دوائره واقسامه ، وتحديد الواجبات المطلوبة منها ، والاشراف على غرفة العمليـات الاسرائيلية التي تحتوي على كافة المعلومات المتوفرة لدى دوائر الجهاز ، ورفع تقييم سياسي شامل للموقف الى رئاسة الوزراء .

إن **جهاز الاستخبارات الخارجية (الموساد)** هو اهم فروع اللجنة العليا ، ويقوم بتنفيذ المهام التالية : ادارة شبكات التجسس وزرع العملاء وتجنيد المندوبين في كافة الاقطار ، بهدف الحصول على المعلومات السرية . ادارة فرع المعلومات العلنية الذي يقوم برصد مختلف مصادر المعلومات العلنية (نشرات ، صحف ، دراسات اكاديمية واستراتيجية) لاستخلاص كافة المعلومات الهامة التي ترد فيها . وضع تقييم وتقدير للموقف السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدول العربية وخاصة الدول العربية المحيطة باسرائيل .

يدير هذا الجهـاز مدرسة لتدريب العملاء والمندوبين على العمل السري . وهو يرتبط مباشرة بمكتب رئيس الوزراء . وقد جرت العادة ان يتولى رئيس الموساد رئاسة اللجنة العليا لاجهزة الامن .

ويأتي بعد ذلك **جهاز الاستخبارات العسكرية (الآمان)** « ارغون موديعين » اي « مكتب الاستعلام ». ويتبع الآمان وزارة الدفاع الاسرائيلية ، ورئيسه عضو في رئاسة هيئة الاركان العامة برتبة جنرال تساعده اربعة اجهزة يرأس كل منها ضابط برتبة جنرال ايضاً وهي : استخبارات الجيش واستخبارات سلاح الجو ، واستخبارات البحرية ، ومكافحـة التجسس .

ويضم هذا الجهاز الاقسام التالية : المعلومات ، الامن ، التنصت ، الملحقين العسكريين ، الناطق الرسمي ، التصوير ، الارتباط الخارجي ، الارتباط الصحفي ، اذاعة الجيش ، شؤون الامن للعرب في اسرائيل . وهو يقوم بعدة مهمات هي : الحصول على المعلومات السرية المتعلقة بالقوات المسلحة العربية

والفدائية وذلك لمعرفة النوايا المحتملة لهذه القوات ومقدار استعدادها وتجهيزها . القيام بالعمليات الحربية الخاصة فيما وراء الخطوط بهدف الاستيلاء على وثائق سرية هامة او معدات حربية حديثة او للتأثير المعنوي . اعداد الدراسات العسكرية التكتيكية والاستراتيجية . الاشراف على صفقات الاسلحة والمعدات الجديدة وتأمين وصولها الى اسرائيل . المحافظة على اسرار القوات الاسرائيلية في كافة الاسلحة . اعداد البحوث العلمية العسكرية . ولتحقيق ذلك يستعين الجهاز بمعدات تقنية حديثة للانذار المبكر ، وتنسيق المعلومات ، والتصوير الجوي ، والتنصت .

وترتبط **دائرة البحوث السياسية** بوزارة الخارجية ، وتقوم بنشاط تجسسي واسع النطاق في داخل اسرائيل وخارجها ، الهدف منه تجنيد الدبلوماسيين الاجانب في اسرائيل ، وتوجيه بعثاتها الدبلوماسية من اجل جمع المعلومات بواسطة المندوبين في المؤسسات الدولية ومن خلال العلاقات بالقوى السياسية العالمية . تعد الدائرة تقريراً اسبوعياً يرفع الى لجنة التنسيق العليا يتضمن تقديراً للموقف السياسي الدولي ، وتعد الى جانبه دراسات سياسية واقتصادية متخصصة عن دول العالم ، كما تعد تقارير تتضمن تقديرات لردود الفعل السياسية التي قد تنجم عن التحركات السياسية والعسكرية الاسرائيلية . ويشرف على هذه الدائرة مجموعة من كبار الدبلوماسيين الاسرائيليين .

تتبع **مصلحة الامن العام (شين بت)** « شيروت بيتاحون كلامي » لوزارة الشرطة . وقد اسندت اليها مهمات الامن الداخلي او المباحث السياسية وهي : الحصول على معلومات عن النشاطات المعادية التي يقوم بها الفلسطينيون ، وخلايا المقاومة الفلسطينية السرية ، وشبكات المعلومات التابعة للدول العربية ، والجماعات اليسارية اليهودية ، والمهاجرون اليهود الجدد القادمون الى اسرائيل وخاصة من دول الكتلة الشرقية .

ويحتوي هذا الجهاز على ارشيف كامل لكافة الفلسطينيين الموجودين في اسرائيل، يتناول ميولهم ونشاطاتهم منذ عام ١٩٥٣ . وله شبكة من المندوبين في كافة الفنادق والجامعات والمؤسسات الاسرائيلية ، بالاضافة الى فرق فنية تقوم بالمراقبة والمتابعة والتنصت . كما ان له شعبة للتحريات الخاصة تسمى **أتام** «Atam» ذات صفة تنفيذية مهمتها تنفيذ الاعتقالات الفردية والجماعية والتحقيق في كافة القضايا المحولة اليها من **الشين بت**

تتبع **مصلحة يهود العالم** لوزارة الهجرة ، ولها ارتباطات وثيقة بفروع المنظمة الصهيونية في العالم . ومهمات هذه المصلحة هي : اعداد دراسات عن اوضاع اليهود في مختلف بقاع العالم . وتجنيد مجموعات منهم لامدادها بالمعلومات حول اوضاع البلدان التي يقيمون فيها . وانشاء شبكات مهمتها تهجير يهود العالم الى اسرائيل وتمويل هذا النشاط . ولدى هذه المصلحة بطاقات باسماء كافة اليهود في الدول العربية والشرقية تتضمن ما امكن جمعه من معلومات تتعلق بميولهم السياسية ونشاطاتهم المختلفة .

ان تركيب الاستخبارات الاسرائيلية يشبه الى حد كبير تركيب الاستخبارات في الولايات المتحدة الاميركية . وقد وصل الى هذا الشكل عبر سلسلة طويلة من التطورات التي لحقت به منذ نشأته . وتتميز نشأة الجهاز بأنها سابقة لنشوء الكيان الاسرائيلي الاستعماري في فلسطين المحتلة . وهي ترجع الى تاريخ انعقاد اول مؤتمر للحركة الصهيونية في بال سنة ١٨٩٧ الذي تم فيه وضع اسس ومخططات الحركة المذكورة والسياسات التي ينبغي على الصهيونية اتباعها للوصول الى اهدافها والتي على اساسها تحددت الاشكال التنظيمية للحركة الصهيونية . في البداية انشئت المنظمة الصهيونية العالمية ، ثم انشئت شركة يهودية لشراء الاراضي تطورت وسميت فيما بعد « بالوكالة اليهودية » . اعتمدت هذه المؤسسات على تشكيلات سرية (خلايا ، ودوائر معلومات) لتنفيذ برامجها وفق الطبيعة التآمرية المكتسبة من التراث اليهودي المتمثل في بروتوكولات حكماء صهيون . وقد مرت هذه التشكيلات السرية منذ انشائها بعدة مراحل :

المرحلة الاولى : في بداية القرن ٢٠، تركز المخطط الصهيوني على تقديم العون للقوات البريطانية والتمهيد لغزو الحلفاء لفلسطين واسقاط الامبراطورية العثمانية. وقد انشئت منظمة (بيلو) السرية (١٩٠٤) من مجموعة من المهاجرين اليهود من اوروبا الشرقية بهدف امداد بريطانيا بالمعلومات عن اوضاع السلطات العثمانية ونشاط الفلسطينيين ، الا ان هذه المحاولة فشلت عندما اكتشفت السلطات العثمانية هذه المنظمة في سنة ١٩٠٧ .

المرحلة الثانية (قبيل واثناء الحرب العالمية الاولى) : على اثر اكتشاف (بيلو) ، وفي سنة ١٩١٤ انشئت منظمة سرية جديدة باسم (نيلي) (اختصار للاحرف الاولى من عبارة في العهد القديم معناها « فصيح اسرائيل لا يكذب ») ، بقيادة اهرون اهرونسون . وقد استطاعت (نيلي) إقامة اتصال مع المخابرات البريطانية في المنطقة ونشر شبكات تجسسها في مختلف انحاء فلسطين . وتصاعدت اعمالها عندما امكن تعيين اهرونسون مستشاراً للقائد العثماني جمال باشا (بناء على تزكية من القنصل الاميركي آنذاك) ، وساهمت مساهمة فعالة في حسم معركة جنوب فلسطين لصالح الحلفاء (١٩١٦) عن طريق المعلومات التي زودتهم بها حول استعدادات الجيش العثماني ومواقعه في غزة وبئر السبع . الا ان السلطات العثمانية اكتشفت نشاط (نيلي) ايضاً وقامت بتصفيتها في سنة ١٩١٧ . ومع انشاء الوكالة اليهودية (١٩٢٠) الحق بها قسم سري خاص ترأسه الكولونيل كيس (ضابط يهودي بريطاني) ، مهمته تكوين شبكات للتجسس في البلاد العربية والاوروبية وفي الولايات المتحدة ، وسمي باسم « المكتب السياسي » . استطاع المكتب السياسي تجنيد اعداد كبيرة من اليهود في كافة انحاء البلاد العربية والاوروبية ، بهدف الحصول على معلومات عسكرية عن القوات الالمانية والتركية وعن أوضاع الفلسطينيين ، ومحاولة استخدام هذه المعلومات في خلق المنازعات وحركات التمرد والانشقاق داخل صفوفهم . وقد نجح المكتب السياسي في عمله .

المرحلة الثالثة (قبيل واثناء الحرب العالمية الثانية) : مع تطور عمل المكتب السياسي ، وترؤس بن غوريون للوكالة اليهودية ، تم إنشاء اول جهاز مخابرات متخصص في سنة ١٩٣٧ (برئاسة موشي شاريت) سمي **شيروت يديوت** (شاي) يتبع قيادة الوكالة مباشرة . وتابع (الشاي) تطوير النشاطات السياسية الداخلية والدولية والعسكرية التي بدأها المكتب السياسي ، واضاف اليها التجسس على اليهود انفسهم ، مستغلا اغطية كثيرة مثل النوادي الرياضية ، والمنظمات العالمية ، والجمعيات الخيرية . ومع بداية الاعمال العدائية التي مهدت لقيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٨) سنحت لهذا الجهاز فرصة نادرة عندما عين الرائد « تشارلز اورد وينغت » ضابطاً لاستخبارات القوات البريطانية في المنطقة ، وقد اعلن هذا الضابط ولاءه للصهيونية واطلع (الشاي) على كافة مخططات القوات البريطانية وامدهم بمعلومات ثمينة عن الثوار الفلسطينيين حصل عليها من خلال عمله ، ونتيجة لذلك غيرت الهاغاناه تكتيكها العسكري واتبعت تكتيك « اضرب بسلاح عدوك وفي منطقته » . وفي عام ١٩٤٠ ، كثف (الشاي) نشاطه في خدمة قوات الحلفاء بايجاد شبكات تجسسية كثيرة في الاراضي السورية واللبنانية اعتمدت قوات الحلفاء عليها اثناء زحفها على سوريا . وفي عام ١٩٤٠ ايضاً ، ونتيجة للاضطرابات التي عمت فلسطين (١٩٣٦ - ١٩٣٩) ، افتتحت دائرة عربية كلفت بتأسيس ارشيف للمعلومات المتعلقة بالتركيب

الاجتماعي للمدن والقرى الفلسطينية ، ومدى اشتراك كل منها في أحداث ١٩٣٦ – ١٩٣٩ ، وإقامة شبكات من المجندين العرب ، وارشيف عربي منظم جمعت فيه تفاصيل عن الشخصيات والزعامات القطرية والمحلية . كما تابع (الشاي) الضغط لزيادة الهجرة اليهودية الى اسرائيل وتهيئة وسائل تهريبهم عند الاقتضاء ، والحصول على السلاح وارساله الى المستعمرات في فلسطين .

لم يكن (الشاي) جهاز المخابرات الوحيد ، بل كان يستعين بأجهزة مخابرات خاصة بالعصابات الصهيونية الارهابية التي تطورت ايضاً : في سنة ١٩٤٢ أعاد يعقوب فينارسكي قائد المنظمة العسكرية الوطنية (ايتل) تنظيم حركته وانشأ اربع وحدات اساسية اهمها قسم التجسس والمعلومات (الذي نفذ مذبحة دير ياسين) . كما انشأت منظمة الارغون زفائي ليؤمى جهاز (الفرقة السوداء) وهو الاسم الكودي لمخابراتها التي نشطت في إقامة شبكة واسعة من اليهود المقيمين في الدول العربية ، وفي تنفيذ عمليات تخريب ارهابية في القرى الفلسطينية . كذلك استمر نشاط جهاز مخابرات (الشين يود) التابع للهاغاناه واسندت اليه مهمات استثنائية اهمها توجيه اذاعة الوكالة اليهودية السرية لشن حرب نفسية ضد العرب ، وتدريب المهاجرين على صناعة المتفجرات والقيام بعمليات ارهابية ، بالاضافة الى بث الوقيعة بين زعماء فلسطين ومنظمات الثوار الفلسطينية آنذاك ، والتشكيك ،وشراء الضعفاء في قيادة جيش الانقاذ . وفي سنة ١٩٤٢ انشأت الهاغاناه بالاتفاق مع القيادة البريطانية شبكة تجسس داخل فلسطين وفي الدول العربية ، هدفها كشف العناصر المؤيدة للالمان ، وقد اتخذت لذلك ستاراً هو مدارس الاتحاد الاسرائيلي العام (اليانس) التي كانت في ظاهرها مؤسسة تربوية لتعليم أبناء الطوائف اليهودية وفي باطنها مؤسسة تجسسية .

المرحلة الرابعة (الاستعداد لانشاء الكيان) : في سنة ١٩٤٧ ، نشب صراع بين أجهزة المخابرات المختلفة وبدأت في تصفية بعضها بالتعاون مع بريطانيا في بعض الاحيان (مثل اتفاق الهاغاه والقيادة البريطانية على تصفية منظمة مقاتلي حرية اسرائيل « ليحي ») . واستمر هذا الصراع بعد اعلان الهدنة الاولى في ١١ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ . وعلى أثر اغتيال الكونت برنادوت (من قبل منظمة شتيرن) استغل بن غوريون الفرصة واصدر أمره لمخابرات الهاغاناه والبالماخ بتصفية المنظمات السرية الاخرى، وقد تم ذلك بالفعل .

المرحلة الخامسة (مرحلة إنشاء الكيان) : على أثر اعلان الدولة في عام ١٩٤٨ ، واستيلاء الهاغاناه على السلطة اتفق على تشكيل جهاز مركزي للاستخبارات . وفي ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ عقدت اول جلسة لهذا الجهاز في مقر قيادة مصلحة المعلومات في شارع بن يهودا – ٨٥ ، تقرر فيها تقسيم الجهاز الى ثلاثة فروع متخصصة هي : **الاستخبارات العسكرية** ، برئاسة المقدم ايسر بئيري ومقره في جادة القدس بيافا . ومهمة هذا الجهاز هي مكافحة التجسس . **الدائرة السياسية** في وزارة الخارجية ، برئاسة بوريس غوريايل ومقره مبنى وزارة الخارجية في هكيريا . ومهمتها الحصول على المعلومات من الخارج . **الأمن الداخلي** (شين بت) ، برئاسة ايسر هارئيل .

ولكن هذا التشكيل لم يحرز تقدماً جدياً بل تورط في سلسلة من الاخطاء والقضايا الجانبية ، قرر بن غوريون على أثرها دمج الدائرة السياسية بوزارة الخارجية وإنشاء جهاز متخصص للتجسس والمهمات الخاصة (١٩٥١) . إلا ان التشكيل الجديد ايضاً لم يستطع تفادي اخطاء التشكيل الاول ايضاً . وبعد هذين التشكيلين مر الجهاز بعدة تطورات في أعوام ١٩٥٣ و ١٩٦٠ و ١٩٦٨ و ١٩٧٢ .

ففي عام ١٩٥٣ صدر اول تنظيم رسمي للاستخبارات بناء على قرار رئيس الوزارة بن غوريون ، يقضي باعادة تنظيم الجهاز وانشاء لجنة تنسيق تجمع بين كافة فروعه وتعيين رئيس لهذه اللجنة يكون مسؤولا أمام رئيس الوزراء مباشرة ، وأنيطت رئاسة اول لجنة تنسيق لايسر هارئيل. وتتفرع عن هذه اللجنة خمسة ادارات هي : الموساد ، والامـان ، والقسم الخاص بوزارة الخارجية ، والمهمات الخاصة والتحقيقات بوزارة الشرطة ، (الامن الداخلي) . وبالاضافة الى ذلك فقد شكل بن غوريون جهاز مخابرات خاص به من الافراد المحيطين به مهمته تختص بتأمين سيطرة الحزب .

ولم يستمر تشكيل هذا الجهاز « الجهاز الثالث » مدة طويلة ،اذ استغله بن غوريون لخدمة مصالحه الحزبية واقصاء اعدائه الشخصيين . وبالرغم من ان هذا الجهاز – في عهد ايسر هارئيل – كان زاخراً بالعمليات الناجحة ، الا انه فشل في التعرف والتنبؤ بحصول صفقة السلاح السوفييتي لمصر ، كما اتسم بصراع حاد على السلطة داخل اجهزة الاستخبارات والامن . ويتميز هذا التشكيل بانه ادخل تقنية التجسس الحديثة لاول مرة (اذ تولى الدكتور يوفال نيئمان ، وهو دكتور في الفيزياء كان يعمل مدرساً في جامعة تل أبيب ، رئاسة الاستخبارات العسكرية بعد اقصاء بنيامين جيبلي اثر فضيحة لافون) .

وفي عام ١٩٦٠ ولتلافي صراعات « الجهاز الثالث » ، لم يجد بن غوريون بداً من إعادة تشكيله . فتم « التشكيل الرابع » برئاسة الجنرال مئير عميت الذي تولى منصب رئيس للجنة العليا للاستخبارات الاسرائيلية . وقد اتسم عهد عميت بالمسؤولية الجدية ، والانسجام التام بين مختلف ادارات الجهاز . واهم الانجازات التي حققها عمليات الزرع داخل المؤسسات العربية والتحضير لحرب ١٩٦٧ ، قبل ان يستقيل في سنة ١٩٦٨ .

وفي عام ١٩٦٨ ، وبعد استقالة عميت خلفه زافي زامير الذي اهتم بشكل خاص بالمعلومات الواردة من خلال النشاط الالكتروني ، والتصوير الجوي ، والتنسيق مع اجهزة المخابرات الغربية . وتولى الجهاز برئاسة زامير وضع مخططات لمكافحة الخلايا السرية التابعة للمقاومة الفلسطينية داخل المناطق المحتلة .

في عام ١٩٧٢ ونتيجة لتصاعد عمليات المقاومة خارج الحدود اجرت غولدا مئير (رئيسة الوزارة آنذاك) « التشكيل السادس » باستحداث منصب جديد هو منصب مستشار رئيسة الحكومة للمهمات الخاصة واسندته الى العميد اهارون ياريف واعطته صلاحية الرقابة على ادارات الجهاز الخمس . وقد سخر هذا التشكيل جهوده اساساً للتصدي لعمليات المقاومة الفلسطينية في الداخل والخارج وملاحقة قياداتها ومراكزها . وقد شهد هذا التشكيل منافسة شديدة بين فروع الجهاز سببت بلبلة وتبعثراً في اداراته مما جعل الجهاز في وضع لا يقارن بوضعه اثناء الاعداد لحرب ١٩٦٧ . وجاءت نتائج حرب تشرين الأول ١٩٧٣ لتلقي مسؤولية التقصير والهزيمة على كاهل الجهاز مما جعله يواجه هجوماً عنيفاً على كافة المستويات في داخل اسرائيل وخارجها . ونتيجة لذلك دعت مئير في ٧٣/١٢/١٩ الى إنشاء لجنة للامن القومي في اسرائيل تابعة لرئاسة الحكومة وتشمل رؤساء دوائر الجهاز ، وان تكون هذه اللجنة مقلصة ودائمة ومن اشخاص ذوي خبرة يشتركون في اتخاذ القرارات حول مختلف الامور . وعلى أثر ذلك اجرت مئير عدة تغييرات في كوادر الجهاز الرئيسية .

من اشهر قادة الاستخبارات الاسرائيلية :

ايسر هارئيل اول رئيس للموساد واول رئيس للجنة التنسيق العليا ، ومن اشهر العمليات التي اشرف عليها : عملية ايخمان ، وعملية بوسيل شير ماجز ، وعملية العلماء الالمان في مصر ، وفضيحة لافون .

ومئير عميت ، وقد اشرف على : زرع ايلي كوهين

في سورية ، ولوتز الالماني في القاهرة ، واختطاف طائرة الميغ ٢١ من العراق بواسطة حلمي روفه ، والتحضير للمعلومات التي مهدت لحرب ١٩٦٧ . وزافي زامير ، وقد اشرف علـى : سرقة زوارق شيربور من فرنسا ، وسرقة خرائط طائرة الميراج من سويسرا . واهارون ياريف ، اختير مـديراً للمخابرات العسكرية في كانون الثاني (يناير) ١٩٦١ وبقي فيها حتى اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٢ عندما عين مستشاراً خاصاً لرئيسة الوزراء . وفي عام ١٩٧٢ حدثت عملية الفردان في بيروت . ثم جـاء الياهو زعيرا الذي أدانته لجنةاغرانات بسبب تقصيرات حرب ١٩٧٣ ، فأعفي من منصبه وحل محله شلومو غازيت وهو من المقربين لدايان ، وكان يعمل منسقاً للعمليات في المناطق المحتلة .

(١) استخدام الأسلحة

يتمثل استخدام الأسلحة في القدرة على استخدام كل مقاتل للسلاح الخاص به ، واستخدام المجموعات والمفارز والأطقم للاسلحة الجماعية . وقبل استخدام البندقية كانت « تمرينات الأسلحة العليا » تعني دراسة حركات الطعن والضرب بالسيف والرمح والخنجر والهراوات .. الخ . ومنذ ظهور البندقية (القرن ١٧ و ١٨) أصبح « استخدام الاسلحة » بالنسبة لهذا السلاح يعني اتقان اساليب حمل البندقية ، واملائها ، وتلقيمها ، والتسديد ، والاطلاق ، وتركيب الحربة والطعن بها ، بشكل ينسجم مع وتيرة خطوات تقدم الصفوف المتراصة للمشاة حملة البنادق . ولكن هذا الاسلوب من الاستخدام فقد أهميته منذ ظهور اساليب القتال بوحدات منتشرة .

ولقد امتد استخدام هذا التعبير اليوم ليشمل استخدام كافة الاسلحة الفردية والجماعية ومعدات القتال . وأصبح الارتفاع بمستوى استخدام السلاح هدفاً أساسياً من أهداف التدريب . ويدخل مستوى القدرة على استخدام الاسلحة في حساب موازين القوى . وهو يرتبط ارتباطاً مباشراً ببساطة الاسلحة وسهولة استخدامها ، كما يرتبط بمدة التدريب ومستواه ، واقتراب ظروف تنفيذه من ظروف المعركة الحقيقية . ويعتبر المستوى الحضاري للأمة ، والمستوى التقني والثقافي للمقاتلين والقادة على مختلف المستويات عاملا من أهم العوامل المؤثرة على مستوى استخدام السلاح في الحرب التقليدية الحديثة التي يتعامل فيها المقاتلون مع أسلحة ومعدات متطورة تقنية ومعقدة . وتزداد أهمية هذا العامل مع ازدياد تعقيد الأسلحة والمعدات ، واعتمادها المتعاظم على التقنية الحديثـة (الاليكترونات ، الاشعة تحت الحمراء ، الميكانيكية ، التوجيه التلفزيوني .. الخ) . أما في الحرب الثورية ، فان بساطة الاسلحة والمعدات المستخدمة من قبل القوى الثورية ، وبدائية هذه الاسلحة والمعدات ، وسهولة التدريب عليهـا واستخدامها ، تقلل من أهمية عامل المستوى العام التقني والثقافي لقوات الجيش الثوري في المراحل الأولى من الحرب الثورية .

(٤) استراتيجية

تطور مفهوم وتعريف كلمة استراتيجية عبر مختلف عصور التاريخ العسكري وفقاً لاختلاف وتطور التقنية العسكرية في كل عصر عن الآخر ، ووفقاً لتباين المدارس الفكرية والسياسية لكل قائد أو مفكر ممن تعرضوا بالبحث لموضوع الاستراتيجية. ومن هنا تنبع الصعوبة البالغة لتقديم تعريف جامع مانع لكلمة استراتيجية ، لانه لا يوجد تعريف موحد متفق عليه حتى الآن لهذه الكلمة ، مثلها في ذلك مثل كلمة فلسفة . ولقد اشتقت كلمة استراتيجية أصلا من الكلمة اليونانية «Stretegos» التي كانت تعني فن قيادة القوات ، وهو فن مارسه بمهارة بعض القادة العسكريين القدماء مثل الاسكندر الاكبر ويوليوس قيصر دون أن يدونوا خبرتهم عنه ، ولهذا ساد اعتقاد لفترة طويلة من الزمن أن الاستراتيجية مجرد فن يمارسه القادة الموهوبون عن حدس وعبقرية ،وأنه ليس لها قواعد ونظريات علمية . ومع تقدم قوى الانتاج الصناعي وازدهار العلوم الطبيعية وسيادة الفلسفة العقلية في اوروبا القرن الثامن عشر ، بدأت دراسة الحرب على أسس علمية وبدأت محاولات دراسة الاستراتيجية بصورة علمية . وقد قدم « كلاوزفيتز » تعريفاً للاستراتيجية بأنها « نظرية استخدام المعارك كوسيلة للوصول إلى هدف الحرب » .وقد وضع هذا التعريف للاستراتيجية في ضوء مفهومه الاساسي عن الحرب من حيث أنها « استمرار للسياسة بوسائل اخرى » . أي أنه كان يرى أن الاستراتيجية هي النظرية التي تدار بها المعارك في صورتها العامة لتحقيق الهدف السياسي للحرب .

أما الكاتب العسكري البريطاني « ليدل هارت » فقد عاب على تعريف كلاوزفيتز للاستراتيجية انه يدخلها في مجال السياسة وأنه بذلك التعريف يخلط بين الاستراتيجية العسكرية والاستراتيجية العليا للدولة ، ثم قدم تعريفه الخاص للاستراتيجية فقال أنها « فن توزيع واستخدام مختلف الوسائل العسكرية لتحقيق هدف السياسة » وهو يعتقد أن الهدف من الاستراتيجية ليس البحث عن المعركة « بل البحث عن وضع استراتيجي ملائم إن لم يؤد بنفسه إلى النصر فأنه يخلق ظروفاً ملائمة لمعركة تأتي بعده وتنتزع النصر حتماً » (انظر استراتيجية التقرب غير المباشر) .

ويقدم الجنرال « اندريه بوفر » الاستراتيجي الفرنسي المعاصر تعريفاً يقول أن الاستراتيجية هي « فن حوار الارادات التي تستخـدم القوة لحل خلافاتها » . وذلك على أساس أنه يعتقد أن هناك وسائل اخرى في ظروف معينة تؤدي إلى تحقيق هدف الاستراتيجية دون استخدام القوة العسكرية بصورة مباشرة . كما يقدم « ماوتسي تونغ » تعريفه الخاص للاستراتيجية فيقول « حيثما كانت حرب ، يوجد وضع كلي للحرب ، وإن دراسة القوانين الموجهة للحرب والتي تتحكم في وضع الحرب الكلي ، هي مهمة علم الاستراتيجية » .

أما الفكر العسكري الامريكي فقد قدم بواسطة هيئة اركان حرب القوات المسلحة عام ١٩٥٩ تعريفاً للاستراتيجية بأنها « فن وعلم استخدام القوات المسلحة للدولة بغرض تحقيق اهداف السياسة القومية عن طريق القوة أو التهديد باستخدامها » .

ويقدم الفكر العسكري السوفييتي على لسان المارشال « سوكولوفسكي » تعريفاً للاستراتيجية بأنها عبارة عن « نظام المعلومات العلمية عن القواعد القياسية للحرب كصراع مسلح يخدم مصالح طبقية معينة . وعلى أساس دراسة خبرة الحروب والموقف العسكري السياسي ، والامكانات الاقتصادية والمعنوية للدولة ، والوسائل الجديدة للصراع المسلح ونظرات العدو المحتملة ، تقوم الاستراتيجية بدراسة احوال وطبيعة الحرب المقبلة . وفي الوقت نفسه هي ميدان النشاط العملي للقيادة السياسية – العسكرية العليا ، والقيادة العسكرية العليا ، الذي يهدف إلى فن تجهيز الدولة والقوات المسلحة للحرب وادارة الصراع المسلح في ظروف تاريخية معينة » .

ومن الواضح أن القاسم المشترك الاعظم بين التعريفات المختلفة للاستراتيجية هو أنها علم وفن ينصرفان إلى الخطط والوسائل التي تعالج الوضع الكلي للصراع الذي تستخدم فيه القوة بشكل مباشر أو غير مباشر من أجل تحقيق هدف السياسة الذي يتعذر تنفيذه عن غير ذلك السبيل .

وقد كشف استقراء التاريخ العسكري عن وجود مجموعة من القواعد العامة التي تحكم لعبة الاستراتيجية يمكن ايجازها في المبادئ التالية :

(١) المحافظة على حرية العمل . (٢) الاقتصاد في القوى . (٣) الحصول على المبادأة . (٤) تحقيق المفاجأة . (٥) قوة الحشد . (٦) خفة الحركة . (٧) بساطة المخطط الاستراتيجي . (٨) تحقيق التعاون والتنسيق . (٩) توحيد القيادة . وتكتسب القواعد العامة للاستراتيجية نوعية خاصة وفقاً لظروف التطبيق المختلفة ، ووفقاً لاختلاف وتطور طرق ادارة الحرب (وهي وسائل وكيفية استخدام معدات وتشكيلات القتال المختلفة) التي ترتبط بمستوى التطور الاقتصادي والتقني والعلمي السائد . ولهذا كان لكل عصر طريقته الخاصة في ادارة الحرب .

هذا وتختلف طبيعة المخططات الاستراتيجية ، رغم وحدة المبادئ الاساسية التي تحكمها ، وذلك تبعاً لاختلاف نوعية الوسائل العسكرية المتوفرة، وظروف الزمان والمكان، وأهمية الهدف، وطبيعة الظروف الدولية ومدى اتساع حقل حرية العمل العنيف . ونتيجة لهذا التباين في الظروف المحيطة بتنفيذ أو وضع الاستراتيجية فقد تكون الاستراتيجية المطبقة استراتيجية افناء وتدمير سريع ، أو تكون استراتيجية انهاك طويل الامد الخ .

وترتبط الاستراتيجية بالتكتيك وفن العمليات باعتبار انهما أداتها في تنفيذ مخططاتها في مختلف ساحات القتال الجزئية ، ومن ثم فان الاستراتيجية الناجحة لا يمكن أن تكون منفذة عملياً بدون اختيار واستخدام تكتيكات ملائمة واتباع فن عمليات سليم . وترتبط الاستراتيجية أيضاً بالسياسة نظراً لأنها تستهدف أصلا تحقيق أهداف السياسة وليس العكس . وهي ترتبط أيضاً بالظروف الاقتصادية التي يجري في ظلها الصراع ، ذلك لأن طاقات الصناعة وحجم الموارد الاقتصادية والبشرية المختلفة ومصادر الطاقة المحركة وطرق المواصلات وقدرات النقل المختلفة كلها عوامل تؤثر على طبيعة الاستراتيجية المطبقة . والخلاصة أن مضمون الاستراتيجية لا يتحدد فقط بنوع المبادئ الاستراتيجية التي تدخل في عملية إنشاء وتنفيذ المخطط الاستراتيجي ، وإنما يتحدد أيضاً بتأثير العوامل السياسية والمعنوية والعوامل الاقتصادية والجغرافية والتاريخية التي تحكم الصراع القائم بين قوتين معينتين ، كما يتحدد أيضاً بطبيعة الحرب المتوقعة أو الدائرة فعلا ومدى تطور طرق ادارتها وتكتيكاتها ، وبطبيعة النظريات الاستراتيجية الخاصة بالعدو ، ولذلك لا يظل مضمون الاستراتيجية الحربية ثابتاً دون تغيير ، ولكنه يتطور ويتغير تبعاً لتغير الظروف المحيطة بالصراع وحجم الامكانات المادية والمعنوية الموضوعة تحت تصرف الاستراتيجية .

(٢) الاستراتيجية الادارية أو الاستراتيجية الوراثية

(انظر ملاقاة الاسلحة الذرية واعتراضها) .

(١٥) استراتيجية التسلح

تشكل استراتيجية التسلح ، على مستوى الدولة الواحدة ، الصورة المجسمة للعلاقة بين الدفاع الوطني والسياسة الخارجية . فالتسلح الحديث يعني استكمال قدرة الدولة على مواجهة أي عدوان ، وتأمين حماية مستمرة للأرض والسكان والثروات المادية والمكتسبات المعنوية ، فهو من هذه الوجهة حق من حقوق الدول الحديثة، يحميه القانون الدولي، ويمليه مبدأ المساواة بين الدول . وبالتالي فقد أصبح من مقتضيات الدفاع الوطني أن تكرس لصالح قضية التسلح كافة وسائل الانتاج في الدولة وكافة مواردها الاقتصادية والعلمية والتقنية ، وأصبح من مقتضيات السياسة الخارجية للدولة تحديد ارتباطاتها مع الدول الأخرى على أساس ما يتطلبه الدفاع الوطني والخطط الاستراتيجية المرسومة للدولة .

وبالمقابل فإن متطلبات الدفاع الوطني والسياسة الخارجية تتشابك وتتعقد بشكل خطير ، وقد تتعارض أحياناً بدلا من أن تتفق ، وعلى الدولة أن تختار وأن تفضل متطلبات أحد هذين العاملين على متطلبات العامل الآخر . ولا شك أن من يمتلك قدرات صناعية كبيرة ، وموارد اقتصادية ومالية متنوعة ، وكفاءات صناعية وتقنية مناسبة ، يستطيع أن يقلص الى حد بعيد اعتماده على الآخرين ، وبالتالي يحقق أفضل الشروط للتوفيق بين السياسة الخارجية والدفاع الوطني . وعندما يصبح التسلح نشاطاً اقتصادياً متناسباً ومتكاملا ووطنياً ، لا مجرد صفقات تجارية عادية تبرم مع دول أجنبية ، تكون الأمة قد ثبتت أقدامها عملياً في مواقع القوة وامتلاك الحد الأقصى من حرية العمل .

غير أن سعي الدول جميعاً الى التسلح مع اختلاف اهدافها ووسائلها ومصادرها وعلاقاتها بالدول الأخرى يؤدي الى خلق تناقضات متنوعة ، فتصبح قضية التسلح جزءاً من النشاط السياسي الدولي العام بحيث تملي الظروف والتطورات الدولية أشكال التسلح وأحجامه وأساليب الحصول عليه . والواقع أنه بمقدار ما تتركه الدولة لنفسها في هذا المجال من حرية التصرف بمقدار ما يكون التسلح مجدياً وفعالا وقادراً على أداء مهمته ، وإلا فإن التسلح يصبح قيداً محكماً يضغط على حرية العمل ويقضي على روح المبادهة ، وعلى الحرية في اتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسة الخارجية وبسياسة الدفاع .

ان التسلح عن طريق الآخرين محفوف دائماً بمخاطر متعددة للأسباب التالية :

أولا — ان موافقة الدول المنتجة للسلاح على تصدير العتاد الحربي مرهونة هي نفسها أيضاً بسياستها الخارجية ، فالأغراض التي تستهدفها صفقات السلاح الى الدول المحتاجة اليه تتنوع حسب الظروف الدولية القائمة في وقت معين، وحسب العلاقات الخاصة التي تربط بين الدولة المصدرة للسلاح والدولة المستوردة له ، فيكون الدافع أحياناً للصفقة المعقودة تقوية بلد حليف أو دعم بلد صديق ضمن استراتيجية محددة ، وقد يكون أحياناً أخرى تأييد موقف احدى الدول ضد دولة أخرى ، وقد يكون الغرض أيضاً محاولة الوصول الى توازن للقوى في منطقة معينة من العالم ضماناً للأمن الدولي أو لأمن إحدى المجموعات الدولية .

ثانياً — ان الامتناع عن تصدير السلاح أصلا الى بلد من بلدان العالم ، أو الانقطاع عن تصديره الى هذا البلد بعد أن يكون قد تم بالفعل تنفيذ صفقات سابقة ، لا يقل أهمية ، بل يتجاوز في أهميته ، التصدير الايجابي للسلاح . وتكون آثاره هائلة على السياسة الخارجية للطرفين المعنيين . فقد يكون الغرض من سياسة منع التصدير اجراء ضغط سياسي على الدولة المشترية ، والتي قد تكون في حاجة ماسة الى هذا السلاح ، لتجبرها على اتخاذ موقف معين في علاقاتها الخارجية (انظر الحظر) .

ثالثاً — ان كل تصدير للسلاح الحربي ، أياً كان مصدره ، يتوقف أيضاً على سياسة الدفاع للدولة المصدرة ، ولا بد للمسؤولين في هذه الدولة عن صفقات السلاح الخارجية من إعطاء الأفضلية دائماً للجيش الوطني في تأمين احتياجاته من العتاد العسكري والتجهيزات الحربية المصنعة في الدولة قبل أية جهة أخرى خارجية . ومن جهة أخرى فان هنالك اعتبارات استراتيجية تتعلق بالأمن الخارجي للدولة المصدرة ، لذا فلا بد لها من مراقبة المشروعات الخاصة العاملة في الصناعة الحربية وفي التجارة الدولية للأسلحة وتوجيهها في الصفقات التي تعقدها مع

الخارج بما يتلاءم مع هذه الاعتبارات الاستراتيجية ، بما في ذلك عدم تسرب الأسرار العسكرية والصناعية التي لا ترغب الدولة المصدرة في تسربها الى الخارج مع صفقات السلاح المعقودة .

رابعاً – قد يكون الهدف الوحيد من تصدير الأسلحة الحربية ، هو حصول الدولة المصدرة على فائدة اقتصادية مباشرة أو غير مباشرة ، آنية أو مستقبلية ، من الدولة المشترية للسلاح . وحتى عندما لا يكون الهدف ظاهراً أو مفضوحاً ، فإن الدولة المصدرة انما تعمل على تحقيق التناسق الاقتصادي والمالي بين المشروعات الصناعية أو المؤسسات التجارية العاملة في ميدان المنتجات الحربية وبين الفعاليات الاقتصادية الأخرى التجارية والمصرفية والمالية ، بما في ذلك السعي الى الحصول من البلد المستورد على منافع اقتصادية خاصة قد لا يستطاع الحصول عليها من خلال المبادلات التجارية العادية . والواقع أن مجرد تلويح الدول المنتجة للسلاح ببيع بعض أنواع العتاد الحربي – وخاصة الأنواع المتطورة والحديثة – الى دول معينة ، فإن ذلك يعني اتخاذ موقف سياسي ازاءها ، ولهذا الموقف احياناً ثمن باهظ . وهكذا فان الدولة المشترية قد ترد الجميل بمنح بعض التسهيلات الاقتصادية أو المنافع التجارية كاستخراج بعض أنواع الثروات الطبيعية أو تشييد الطرق أو إنشاء المرافئ أو المشاركة في بعض الاستثمارات .. الخ

خامساً – قد تحتكر الدول الصناعية الكبيرة أنواعاً معينة من السلاح ، أو تهيئ الظروف الدولية لوضع شبيه بهذا الاحتكار ، فتستطيع الحصول من جراء ذلك على مغانم كبيرة ، وأرباحاً فاحشة ، عندما تعتمد عليها بعض الدول اعتماداً كاملا . ومن جهة أخرى فإن الدول الصناعية الكبيرة تستفيد دائماً من وضع مزمن في موضوع التسلح ،وهو أن الدولة المشترية للسلاح لا تستطيع تغيير نوع سلاحها في فترات متقاربة ، حتى لو كانت لديها الامكانات المالية لمثل هذه التغييرات ، ذلك أن كل سلاح حربي يعتمد أساساً على مخطط استراتيجي وتكتيكي معين ، ويستتبع تغيير هذا المخطط تغيرات متسلسلة لا حد لها بالنسبة الى استخدام مختلف الأسلحة الأخرى ، واذا كان هذا التغيير شاملا ، فإنه يستتبع تغيير العقيدة العسكرية بكاملها وتكوين خبرات عسكرية وتقنية جديدة ، بالاضافة الى ما يتطلبه السلاح الجديد من نفقات مادية اضافية لا بد من صرفها في الداخل ، كخلق وسائل جديدة لتخزين الأسلحة المشتراة وتمركزها وصيانتها واصلاحها والتدريب عليها .. الخ . وهذا كله لا يدخل في ثمن الأسلحة الجديدة المشتراة .

ان هذا الصعوبات تفرض على الدول المستوردة للسلاح أن تأخذ بعين الاعتبار مراعاة المبدأ نفسه الذي يقضي بالتدقيق بين عوامل السياسة الخارجية والدفاع الوطني . وبوسعنا إيراد بعض الاعتبارات هنا :

أ – ان بامكان الدولة المستوردة أن تستفيد من استراتيجية التسلح في تخفيض الموارد الاقتصادية المخصصة لشراء السلاح ، ذلك أن تقدير الاعتمادات اللازمة للدفاع يتناسب عكسياً مع هدوء السياسة الخارجية واستقرارها ، فالمبدأ الذي يجب أن تسير عليه الدول في تسلحها هو أن تخصص لهذا التسلح ما يؤمن لها التوافق بين متطلبات الدفاع الوطني وحالة العلاقات الدولية القائمة ، ثم العمل على استخدام السياسة الخارجية كوسيلة رئيسية لتخفيض متطلبات الدفاع الوطني وأعبائه المالية الكبيرة .

ب – تتمثل أهمية العلاقة بين متطلبات الدفاع الوطني وظروف السياسة الخارجية في أن عقد أية اتفاقات خارجية للتسلح ، بهدف استمرار هذا التسلح على المدى الطويل ، يتطلب توجيه المصلحة السياسية العليا للدولة بما تفرضه من الحفاظ على خط سياسي واضح في العلاقات مع الدول المصدرة للسلاح من جهة ، ومع ما يقتضيه تنفيذ الاستراتيجية العامة للدولة على جميع المستويات من جهة أخرى . وهذا كله يتطلب اجراء تقديرات مستمرة للعلاقات السياسية الخارجية ، واتخاذ قرارات سياسية على أعلى مستوى لتحديد العدو والصديق في مجال التسلح .

ج – ينبغي أن تتضمن تقديرات السياسة الخارجية دراسة العوامل الاقتصادية التي يمكن أن تؤثر في اتفاقيات التسلح . فن المعروف أن أكثر الدول المصدرة للسلاح تقرر مقادير وأنواع الاسلحة التي يمكن تصديرها الى الخارج من قبل مجالس أو هيئات متخصصة تضم ممثلين عن الفعاليات الاقتصادية والمسؤولين عن احتياجات الدفاع الوطني (بلجيكا) . أو من قبل مجالس أو هيئات ترتبط بمجلس الوزراء مباشرة (فرنسا والاتحاد السوفياتي) . أو من قبل مكاتب بيع متخصصة يشترك فيها ممثلو الدفاع ومندوبون عن كبريات الشركات المنتجة للسلاح الحربي (الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا) . وهكذا فإن من واجب الدولة المستوردة للسلاح أن تحصل على معلومات مؤكدة عن الدوافع والعوامل السياسية والاقتصادية التي تختفي وراء صفقات الأسلحة .

ان استراتيجية التسلح تساعد على تفهم الاعتبارات المتشابكة التي تتوضح فيها نقاط الالتقاء ونقاط الابتعاد والنقاط الوسط التي يمكن أن يحدث فيها التوفيق بين متطلبات الدفاع الوطني والسياسة الخارجية لكل من الدولة المصدرة والدولة المستوردة للسلاح .

(١) استراتيجية الحرب المحدودة

أدى ظهور السلاح النووي وخطر التدمير الشامل والانتحار المتبادل في أية حرب نووية ، إلى تطور الاستراتيجية نحو المجابهات المحدودة التي تشكل جوهر المجابهات المسلحة التي اندلعت بعد الحرب العالمية الثانية . والحقيقة أن الحرب كانت دائماً وعلى مر العصور حرباً شبه محدودة . اذ كانت الاطراف المتصارعة تسعى دائماً إلى تحديد الجهد ، وتخفضه حتى الحد الادنى اللازم للحسم . وكان عملها عبارة عن « رد مرن » حتى قبل أن تصاغ نظرية « الرد المرن » من قبل الجنرال ماكسويل تايلور . وكانت الحرب تصعد عملها إلى الحدود القصوى عندما تجد أن الحسم بالوسائل المحدودة غير ممكن عملياً . ولكن هذا التصعيد كان يحاول عدم تجاوز « العتبة » التي يغدو العمل العسكري فيها غير متناسب مع الهدف السياسي للصراع . بيد أنه تم تجاوز هذه العتبة خلال الحروب النابليونية ، وخلال الحربين العالميتين الأولى والثانية ، الأمر الذي أدى إلى تعرض البشرية لكوارث هائلة . ولكن ظهور الاسلحة النووية جعل هذا التصعيد مستحيلا وجنونياً . كما أن ارتفاع مستوى التأطير الثوري أفقد ظاهرتي تدمير الجيوش النظامية واحتلال البلاد قسطاً كبيراً من أهميتها ، وصار من الضروري اللجوء إلى استراتيجية الحرب المحدودة التي تختلف عن استراتيجية الحرب التقليدية في أنها تستهدف تبديل قناعات الخصم وإلحاق الهزيمة به معنوياً بدلا من الانتصار عليه عسكرياً وتدميره مادياً . خاصة وأن هذا الانتصار العسكري صار بحاجة إلى تصعيد الوسائط المستخدمة بشكل كبير وخطير اكثر مما ينبغي .

والمبدأ الاساسي للحرب المحدودة ، على الصعيد المادي ، هو أنها حرب غير محدودة على الصعيدين النفسي والمعنوي . وتصعيد إلى الحدود القصوى بشكل آخر ، وانتقال من المفهوم المادي للحرب إلى مفهومها النفسي . ويمكن القول أن الاستراتيجية السابقة التقليدية كانت استراتيجية عسكرية مباشرة تبحث عن الحسم النفسي عن طريق استخدام الوسائل

العسكرية . أما استراتيجية الحرب المحدودة فهي استراتيجية عسكرية غير مباشرة، تبحث عن الحسم النفسي عن طريق استخدام الوسائل النفسية . كالدعاية وتسميم السياسة والاقتصاد ، والضغط الدولي ، والتفتيت الداخلي ، واستخدام القوة العسكرية لاغراض الدعاية المسلحة .

وتستهدف استراتيجية الحرب المحدودة تفتيت معنويات العدو والحفاظ على معنويات الأصدقاء . وهي تستخدم اسلوب الحرب الثورية ، وتخضع لثلاث دفعات : **تتمثل أولاها** في الحفاظ على الأمل وخلق الثقة بالنصر مهما طال الصراع . **وتتمثل الثانية** في تثبيط همم العدو حتى يتحقق الحسم النفسي . أما **الثالثة** فهي تتمثل في ردع العدو ومنعه من استخدام وسائله العسكرية المتفوقة .

ويتم تحقيق الدفعة الأولى عن طريق طرح فكرة سياسية متماسكة مفعمة بالأمل الذي يبرر التضحيات . وتكون هذه الفكرة عادة دينية أو وطنية أو ايديولوجية اجتماعية . ولا يكفي طرح الفكرة السياسية الجيدة ، بل لا بد من الحفاظ على الثقة وتجديدها باستمرار . ويمكن الوصول إلى ذلك اذا أمكن تحقيق نجاحات جزئية يتم استغلال تأثيراتها النفسية المتراكمة بشكل أريب .

والدفعة الثانية مهمة للنجاح ، ولا يمكن أن يتحقق الحسم بدونها . ويتم الوصول إليها عبر حرمان العدو من كل أمل بالنجاح ، وخلق الملل بين صفوفه ، وبذر بذور الخلاف داخل معسكره . وأفضل الوسائط المستخدمة لتحقيق هذه الغايات هي الحرب طويلة الأمد التي تجبر العدو على اللهاث فترة طويلة من الزمن . (انظر الحرب طويلة الأمد) .

ويتم الوصول إلى الدفعة الثالثة عن طريق ردع العدو ردعاً غير نووي . ويلعب الردع النووي دوره في منع المجابهة المباشرة بين البلدان النووية . ويعتمد الردع هنا على سلسلة من التهديدات المتناوبة مع العمليات ، الأمر الذي يشل ردود فعل العدو . ولا ينجح التهديد في تحقيق أغراضه إلا اذ كان المهدد قادراً على تنفيذه، الأمر الذي يكسبه المصداقية الضرورية لشل العدو . ويصل التهديد إلى أقصى درجات تأثيره وأشدها خطورة عندما يتشكل لدى العدو قناعة بقدرة المهدد على القيام بعمليات لاعقلانية . ولكن من المؤكد أن كل تهديد يفقد فاعليته عندما ينتقل إلى حيز التنفيذ . وتقتصر فاعليته في هذه الحالة على قيمته العملية . ولذا فان اكثر التهديدات فاعلية هي التهديدات المعنوية (اللجوء إلى الرأي العام ، اللجوء إلى الأمم المتحدة) أما التهديدات ذات الطابع المادي (القصف ، العمليات الانتقامية .. الخ) فقد أثبتت مجابهات ما بعد الحرب العالمية الثانية خطورتها وعدم فاعليتها ، وخاصة ضد خصوم معبئين سياسياً ، ويدافعون عن قضية يؤمنون بعدالتها ، ويعملون تحت لواء قيادة قادرة على توقع مبادهات العدو وإحباط نتائجها المادية والمعنوية بشكل مسبق .

(٢) الاستراتيجية الذرية

أفادت الاستراتيجية عموماً من آثار السلاح النووي ، فاحدثت انقلابات هامة في مفهوم استخدام القوى للحرب أو للحفاظ على السلم . وأدى ظهور الاسلحة النووية واحتمال استخدامها في أية حرب مقبلة الى تطبيق الاستراتيجية الذرية التي تتضمن اربعة طرق :

أ – التدمير الوقائي للأسلحة المعادية : هذه الطريقة وسيلة هجومية مباشرة تعني الهجوم على مراكز اسلحة العدو الذرية أو النووية وتدميرها . (انظر التدمير الوقائي للأسلحة الذرية المعادية) .

ب – ملاقاة الاسلحة الذرية او النووية واعتراضها وتدميرها وهي في طريقها الى أهدافها . ويدخل في هذا المجال الصواريخ المضادة للصواريخ التي اخترعها الاتحاد السوفييتي ، ثم اقامها البرنامج الامريكي لانشاء شبكة من الصواريخ المضادة عابرة القارات . وهذه الطريقة وسيلة دفاعية (انظر ملاقاة الاسلحة الذرية واعتراضها) .

جـ – الوقاية المادية ضد آثار الانفجارات الذرية . وهذه الوسيلة وسيلة دفاعية (انظر الوقاية المادية) .

د – التهديد بالانتقام . وهذه وسيلة هجومية غير مباشرة وقد استغلت هذه النماذج الاربعة لاغراض مختلفة وانتهت بأن امتزجت مع بعضها ضمن إطار من الصيغ الاستراتيجية الكثيرة التعقيد . (انظر التهديد بالانتقام) .

ولقد مرت الاستراتيجية الذرية بعدة مراحل :

المرحلة الاولى ، وكانت الولايات المتحدة تملك فيها قوة جوية ذرية لا زالت في مرحلة التكون ، في حين كان الاتحاد السوفييتي لم يسرح قواته البرية–الجوية الهامة ، وكان قادراً على اجتياح اوروبا . واعتمدت خطة الولايات المتحدة على استراتيجية دفاعية مع التهديد بالانتقام الكثيف ، في حين اعتمد السوفييت على الاختفاء تحت الأرض والتهديد بالالتحام بقوات حلف شمالي الاطلسي، وجعل اوروبا مسرحاً للحرب الذرية .

وفي المرحلة الثانية استطاع الاتحاد السوفييتي بفضل جهد علمي هائل ان يمتلك عدة قنابل ذرية وبناء قوة ضرب ذرية هجومية على غرار القوة الجوية – الذرية لطائرات ب – ٢٦ ، وحسن دفاعه الجوي . ولكن الولايات المتحدة حافظت على قيمة استراتيجية الردع الذري بتعزيز التهديد بالانتقام الكثيف . وقد ازدادت هذه القيمة بامتلاكها للقنابل الهيدروجينية . وفي عامي ٥٤ – ٥٥ كان التفوق النووي الامريكي لا جدال فيه .

وفي المرحلة الثالثة لحق السوفييت بالامريكيين في مجال الردع النووي ، وحصلوا على القنبلة الهيدروجينية وعلى قوة ضاربة يعتد بها .

وفي المرحلة الرابعة حقق السوفييت تقدماً على الامريكيين في برنامج القذائف الصاروخية . وفي عام ١٩٥٧ امتلك السوفييت الصاروخ العابر للقارات ، وأطلقوا قرهم الصناعي الأول . ثم وضع المنظرون الاستراتيجيون في عهد كينيدي استراتيجية كاملة متماسكة انضجوها خلال المرحلة الثالثة ، وهي استراتيجية البقاء على قيد الحياة ضمن إطار استراتيجية الانتقام الكثيف . واستبدلوا استراتيجية الردع باستراتيجية الردع المتدرج . وطورت صواريخ بولاريس ومينوتمان التي كانت قد درست أثناء المرحلة السابقة ، وتأكد الامريكيون بواسطة تكتيك واسع للبقاء على قيد الحياة مع استخدام الغواصات الذرية ، والملاجىء الاسمنتية (الصوامع) ، والمعدات المتحركة ... الخ) ، بأن صواريخهم لن تدمر بالصلية المعادية الأولى .

وبدأ السوفييت بدورهم باقامة قواعد صاروخية لصواريخ متوسطة المدى في كوبا لكي يكون في مقدورهم الردع « بمعاكس القوات » ضد الولايات المتحدة ونظامها المضاد للمفاجأة S. A. C.، وأخفقت هذه العملية وانتهت لصالح الامريكيين . واضطر السوفييت الى اتباع الطريق الذي اتبعه الامريكيون في إعادة تسليحهم .

المرحلة الخامسة وهي مرحلة الفضاء والقنابل الهيدروجينية والصواريخ المتعددة الرؤوس ، والسياسة السوفييتية المستندة الى مبدأ « السلاح الأقوى من كل سلاح » . وفي الوقت ذاته نرى اتجاهاً جديداً في امريكا يمثله كيسينجر يرى التوجه جهة الردع في تعزيز « الدروع » عن طريق تغطية مباشرة للاراضي المهددة بحرب نووية استراتيجية ، واستخدام القنابل الذرية التكتيكية عند الحاجة الى ذلك .

ان هذا الاتجاه الجديد يشير الى انقلاب لصالح الاستراتيجية البرية القديمة على حساب الاستراتيجية الجوية . وفي هذه الفكرة قسط كبير من الواقعية سيساهم نجاحها في اعادة نوع من الاستقرار العسكري إلى العالم .

ومن أهم الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها من دراسة الاستراتيجية الذرية ما يلي :

أ – تتمركز الاستراتيجية « الذرية » في خطة الحرب الشاملة بالضرورة . وهي شكل خاص وحديث « للاستراتيجية الشاملة » في شكلها المباشر . وان الاستراتيجية الشاملة نظام للتفكير لا غنى عنه للطبقات الحاكمة والموجهة . وقد برهن مثال كوبا على ذلك (انظر الصواريخ الكوبية ، ازمة) .

ب – قضت الاستراتيجية الشاملة للعصر الذري على كل المفاهيم الاستراتيجية للقرن التاسع عشر . ولذا ينبغي ان لا ننشئ « استراتيجية ذرية » خاصة بكل أزمة على حدة ، بل من الواجب وضع استراتيجية شاملة قادرة على استيعاب الحدث النووي والأحداث التي قد تليه (فضاء – كيمياء ، ... الخ) بالإضافة الى الأحداث الصغيرة وغير المباشرة .

ج – لا بد من ادخال التبديلات الهامة التي أدخلتها الطاقة العلمية والصناعية على تطبيق الدفاع عن البلاد في الاستراتيجية الذرية الجديدة . فامتلاك وسائط متفوقة اكثر حسماً من طريقة استخدامها . وأضحى التنظيم العلمي القائم على توقع المستقبل نظاماً حيوياً .

ان لعبة الحرب الحديثة لعبة استراتيجية اساساً تحكمها السياسة بصورة أوثق من ذي قبل . وقد ابتعد العالم تدريجياً عن النزاع الشامل . ونظرة الى حسم أزمة الاستراتيجية الذرية المباشرة في كوبا تعطي الدليل على ان الازمات ستحل في مجال الاستراتيجية غير المباشرة ، وفي مجال الحرب المحدودة .

(١) الاستراتيجية العليا

فن اعداد الحرب وادارتها لتحقيق نصر لا يتعارض مع بناء سلم مزدهر في المستقبل . وتشمل هذه الاستراتيجية جميع الاعمال والتدابير والاعدادات الرامية إلى حشد ومضاعفة الامكانات الاقتصادية والقوى البشرية المادية والمعنوية للدولة بغية دعم القطعات المحاربة ، وتنظيم الأدوار والقوى وتوزيعها بين مختلف المرافق والصناعات والفعاليات .

وتعتبر القوة العسكرية عاملا واحداً من عوامل الاستراتيجية العليا التي تستخدم قوة الضغط السياسي والدبلوماسي والمعنوي والمالي والتجاري لتحطيم ارادة الخصم وتصميمه على الصمود . واذا كان مدى الاستراتيجية محدود بربح الحرب نفسها ، فان الاستراتيجية العليا تنظر إلى السلم الذي يعقب الحرب . وهي لا تكتفي بتحقيق التوافق بين مختلف وسائل الحرب ، بل تنظم استخدامها ، آخذة بعين الاعتبار ضرورة تلافي ما يمكن أن يؤذي السلم المقبل ، الذي ينبغي أن يكون ثابتاً ، ويؤمن للطرفين المتحاربين حياة أفضل .

(١٥) الاستسلام

الاستسلام Capitulation في مفهومه التقليدي ، هو الاتفاق العسكري الذي يتم بين قوة محاربة تقرر عدم الاستمرار في العمليات الحربية وبين قوة اخرى للدولة العدوة تقوم بمهاجمتها أو بمحاصرتها . وليس لهذا الاتفاق اي صفة او مغزى سياسيين ، ولا يؤثر على حالة الحرب القائمة بين بلدي القوتين ، لأن هذه الحالة إنما تنهيها اتفاقية هدنة او عقد صلح . ولا يجوز لاتفاق الاستسلام ان يتضمن اية تنازلات إقليمية أو مادية ما عدا إلقاء السلاح ، إلا انه يمكن للقوة التي تستسلم أن تدمر اسلحتها وتحصيناتها قبل الاستسلام .

ويكون الاتفاق مكتوباً . إلا انه يمكن ان يكون شفهياً ، و ان يتم بمجرد رفع الراية البيضاء من قبل القوة الراغبة في الاستسلام ، ويمكن ان يكون مقيداً بشروط معينة كالخروج من حصن او منعة أو سفينة حربية أو الهبوط بالطائرة . وقد نصت إتفاقية لاهاي للحرب البرية على ألا تمس اتفاقات الاستسلام بقواعد الشرف العسكري للقوة المستسلمة .

أما المفهوم الجديد للاستسلام فقد قصد به إنهاء حالة الحرب بين دولتين على أن يكون بديلا لمعاهدة الصلح التي كانت الأساس في إنهاء الحرب . وقد سمي هذا النوع من الاتفاق « بالاستسلام بدون قيد أو شرط » La Capitulation inconditionnelle ، وقد اقترحه الرئيس الأميركي روزفلت في مؤتمر الدار البيضاء في ٢٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٣ لإنهاء الحرب مع ألمانيا الهتلرية . وتم ذلك في الواقع باستسلام القوات الألمانية استسلاماً بدون قيد أو شرط في مدينة ريمس الفرنسية بتاريخ ٧ أيار (مايو) ١٩٤٥ ومدينة برلين بتاريخ ٨ أيار (مايو) ١٩٤٥ . وطبق الأسلوب نفسه على استسلام اليابان حيث تم التوقيع على صك الاستلام بتاريخ ١٤ آب (اغسطس) ١٩٤٥ ثم بتاريخ ٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٥ على ظهر الطراد الاميركي ميسوري . إلا أن ذلك لم يمنع بعد ذلك من عقد معاهدة صلح مع اليابان بتاريخ ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٥١ تم توقيعها في مدينة سان فرانسيسكو . وأما إيطاليا فقد انتهت الحرب فيها بتوقيع هدنة بتاريخ ٣ و ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣ . ثم وقعت معها معاهدة صلح في العام ١٩٤٧ . إلا أن مقدمة هذه المعاهدة أشارت إلى الاستسلام بدون قيد أو شرط تأكيداً للوعد الذي قطعته الدول الحليفة على نفسها بفرض الاستسلام على أعدائها في الحرب .

وتتضمن نظرية الاستسلام بدون قيد ولا شرط كما شرحها ونستون تشرشل أمام مجلس العموم في البرلمان البريطاني بتاريخ ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٤٤ ، أن الدول الظافرة في الحرب ستكون لها اليد العليا في ترتيب علاقاتها مع الدول المهزومة وأنها لن ترتبط معها بأي التزام ذي صفة حقوقية ما عدا الالتزام الأخلاقي الذي تفرضه المعاملة الانسانية . وهذا يعني في الواقع خضوع الدولة المهزومة لإرادة الفريق الغالب التي تجلت في عدد من الشروط السياسية التي فرضها هذا الفريق . وقد نتج عن ذلك – بالنسبة الى المانيا – عدم وجود أية حكومة عقب توقيع وثائق الاستسلام، وقيام الدول الأربع التي تحتل ألمانيا بإصدار « تصريح برلين » المؤرخ في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ والذي يتضمن استلام السلطة العليا للبلاد لحفظ النظام والادارة ، بما في ذلك استلام جميع السلطات التي كانت تمارسها الحكومة الألمانية والقيادة العسكرية الألمانية والسلطات الادارية المحلية في ألمانيا .

وقد شهد العام ١٩٧٥ عودة نظرية الاستسلام بدون قيد ولا شرط في انتصار الثوار في كمبوديا وفي فيتنام حيث وقعت السلطات العسكرية المنهزمة في مدينة بنوم بنه وفي مدينة هوشي منه (سايغون سابقاً) وثائق الاستسلام أمام القوات الثورية المنتصرة .

(١) الاستطلاع

مجموع التدابير المتخذة لجمع المعلومات الدقيقة عن تحركات العدو واكتشاف مواقعه المتقدمة والخلفية بغية مساعدة القائد على اتخاذ قرار سليم بناء على

معلومات دقيقة ما أمكن، وتعريض القوات الصديقة للحد الأدنى من المفاجآت.

ولقد كان الاستطلاع على مر العصور تدبيراً قتالياً هاماً قبل المعركة وخلالها وبعدها. وكانت الجيوش تستخدم المشاة الخفيفة للاستطلاع القريب، وتدفع الخيالة الخفيفة لتحقيق الاستطلاع البعيد. ومع ظهور المنطاد استفاد الاستطلاع من البعد الثالث، وصار من الممكن كشف مسرح العمليات بعمق أكبر. ولكن الاستطلاع بالعمق لم يأخذ أهميته الكبيرة إلا بعد استخدام طائرات الاستطلاع وعربات الاستطلاع.

وكان الاستطلاع في الحرب العالمية الأولى يعتمد على وحدات المشاة والخيالة، وعربات الاستطلاع، وطائرات الاستطلاع التي لم تكن قد تطورت بعد. ثم زاد الاعتماد في الحرب العالمية الثانية على عربات الاستطلاع المدرعة، ووحدات الدراجات النارية، وطائرات الاستطلاع، وحافظت وحدات المشاة على دورها القديم، على حين تناقصت أهمية الدور الاستطلاعي الذي تقوم به الخيالة.

ويعتبر الاستطلاع مصدراً من مصادر المعلومات، واسلوباً من اساليب تدقيق المعلومات القادمة إلى القيادة العسكرية من مصادر أخرى (استخبارات، عملاء، أسرى، خرائط). وتزداد اهميته في الحرب الحديثة مع زيادة حركية القطعات، واتساع مسارح العمليات، وتزايد قدرة الخصم على الاخفاء والتمويه والتشويش. وتصل أهميته إلى الدرجة القصوى في حالة انقطاع التماس مع العدو (انظر التماس) أو عندما يكون الوضع مائعاً غير واضح.

ويقسم الاستطلاع في الوقت الحاضر إلى استطلاع بري، واستطلاع جوي، واستطلاع اليكتروني.

ويقوم **بالاستطلاع البري** جميع القطعات المشتبكة مع العدو. وتنفذه عادة الدوريات البرية الراجلة، والدوريات الآلية المحمولة على عربات مدرعة (انظر الدورية) والمعززة بعدد من المصفحات أو الدبابات الخفيفة أو المتوسطة. ويشترك في هذه الدوريات عناصر من الوحدات القتالية العادية، أو وحدات الاستطلاع في القطعة العسكرية (سرية الاستطلاع في اللواء، كتيبة الاستطلاع في الفرقة، كتائب الاستطلاع التابعة للجيش أو لمجموعة الجيوش). وتكون مهمة هذه الدوريات البحث عن العدو، وتحديد قوته، ومعرفة مواقعه، وكشف تشكيلاته وتحركاته مع تجنب الاشتباك معه أو احتلال الأرض في العمق.

وسواء كانت الوحدة القائمة بالاستطلاع وحدة عادية أم وحدة استطلاع فان من الضروري اختيار عناصرها بشكل جيد، واخضاعهم لتدريب خاص (طبوغرافيا، تمييز اهداف، اشتباك قريب)، وتزويدهم بأجهزة الاتصال المناسبة، وتسليحهم بأسلحة خفيفة ذات غزارة نارية عالية (رشاشات، مدافع عديمة التراجع مضادة للدبابات، قنابل يدوية)، وتجهيزهم في دوريات الاستطلاع الآلية بعربات تؤمن لهم الوقاية النسبية وخفة الحركة والقدرة على اجتياز مختلف الموانع، بما في ذلك مجاري المياه، إذا كان في الأرض المستطلعة مجرى مائي (عربات برمائية) ودعمهم بهاونات محمولة على عربات مدرعة، ودبابات خفيفة أو مصفحات.

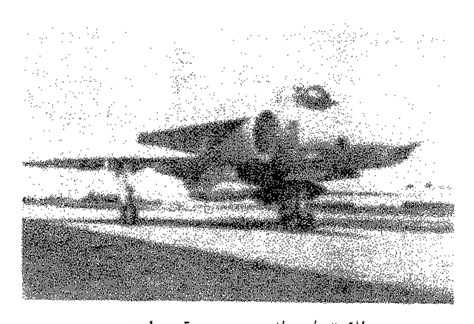
أما **الاستطلاع الجوي**، فتقوم به طائرات الاستطلاع بعيدة المدى، والقاذفات الثقيلة والمتوسطة المحلقة على ارتفاعات عالية ومتوسطة (٢٠,٠٠٠ – ١٠٠,٠٠٠ قدم) والمقاتلات بعيدة المدى المزودة بآلات التصوير الدقيقة، والمحلقة على ارتفاعات عالية أو منخفضة، وطائرات الهليكوبتر، وطائرات الاستطلاع بدون طيار. وتكون مهمة هذا الاستطلاع كشف الاهداف والحركات والمواقع المعادية في العمق، وتحديد مرابض بطاريات الصواريخ أرض – جو، وتحديد طبوغرافية الأرض، وكشف الحواجز التي ينصبها العدو في عمق ترتيبه الدفاعي. ويتم الاستطلاع الجوي بالعين المجردة وبواسطة التصوير الجوي (انظر التصوير الجوي) أو بواسطة مختلف الأجهزة الاليكترونية (انظر الحرب الاليكترونية). وتعرقل الأحوال الجوية السيئة الاستطلاع الجوي بالعين المجردة، وكانت في الماضي تعرقل التصوير الجوي أيضاً، ولكن استخدام آلات التصوير الحديثة والمعدات الأليكترونية جعل من الممكن تنفيذ الاستطلاع الجوي في الطقس السيء، والغيوم المنخفضة، والليل.

ويدخل **الاستطلاع الاليكتروني** في إطار الحرب الاليكترونية التي تطورت بعد الحرب العالمية الثانية بشكل مذهل، وجعلت الاستطلاع ممكناً في كل ظروف السنة، رغم تدابير التمويه والإخفاء والخداع التي يطبقها الخصم (انظر الحرب الاليكترونية). ويستخدم هذا الاستطلاع الأقمار الصناعية، وطائرات التجسس والأجهزة الاليكترونية المتطورة المحمولة في طائرات الاستطلاع.

ويقسم الاستطلاع من الناحية العملية إلى استطلاع تكتيكي، واستطلاع عملياتي، واستطلاع استراتيجي.



دبابة استطلاع بريطانية «سكوربيون»



طائرة استطلاع سويدية «فيغن»

سيارة استطلاع مصفحة على عجلات «فيريت»



ويستهدف **الاستطلاع التكتيكي** جمع المعلومات الدقيقة عن تحركات ومواقع العدو قبل التماس معه، أو قبل بدء المعركة، ضمن إطار العمق التكتيكي، وبصورة تخدم المعركة مباشرة. وتشمل المعلومات معرفة حجم القوات، ومراكز تجمعها، ونوعية الاسلحة ومرابضها ومواقع المدفعية والهاونات والرشاشات، وخطوط الفصل، والثغرات، والحواجز، وطرق الامداد، ومقرات القيادات، ومراكز الرصد، ونقاط التموين، والقواعد الجوية المتقدمة، وطبوغرافية أرض المعركة، ومصادر المياه، ومسالك التسلل الخ. ويتم هذا الاستطلاع عادة ببداهة قادة القطعات المواجهة للعدو أو بتوجيه صادر عن قادة الفرق والألوية والكتائب. وهو يستخدم الدوريات الراجلة، والدوريات الآلية، والرصد الجوي بالهليكوبتر والمقاتلات (ضمن حدود ٢٠ — ٣٠ كيلومتراً). وتدخل في إطاره **دوريات الاستطلاع الهندسي** المكلفة باستطلاع الحواجز والموانع المائية والطرقات ومصادر المياه، **ودوريات الاستطلاع الكيماوي** المكلفة بتحديد مناطق التلوث بالغاز، ومناطق التلوث بالاشعاعات الذرية، **ودوريات الاستطلاع الجرثومي**، المكلفة بتحديد المناطق ومصادر المياه الملوثة جرثومياً.

ويستهدف **الاستطلاع العملياتي** جمع المعلومات عن العدو في العمق العملياتي بغية كشف تحركاته وتقدير نواياه المقبلة خلال سير العمليات. وتشمل هذه المعلومات معرفة أماكن حشد احتياطه العملياتي، وانتشار أنساقه الخلفية، وقواعده الجوية الخلفية، وطرق الامداد، وعقد المقاومة في العمق، وانتشار بطاريات الدفاع الأرضي ضد الطائرات، ومراكز التموين الخلفية، وطبوغرافية مسرح العمليات. ويتم هذا الاستطلاع عادة ببداهة قادة الفرق المشتبكة مع العدو، أو بتوجيه صادر عن قادة الجيوش ومجموعات الجيوش والجبهات. وهو يستخدم الدوريات الآلية المعززة بالمدرعات، والوحدات الخاصة المحمولة بالهليكوبتر أو بقوارب الانزال، والرصد الجوي بمختلف أشكاله (ضمن حدود ٣٠ — ١٠٠ كلم)، ودوريات الاستطلاع الهندسي والكيماوي والجرثومي المرافقة للدوريات الآلية.

أما الاستطلاع الاستراتيجي فيستهدف جمع المعلومات عن أهداف العدو الحيوية الاقتصادية والعسكرية في العمق الاستراتيجي. وتشمل هذه المعلومات المعسكرات الرئيسية، ومناطق الحشد الاستراتيجي، والمطارات، والمصانع الحربية، والجسور الرئيسية، وطرق المواصلات البرية والبحرية والنهرية، ومستودعات المحروقات، ومصافي النفط، ومحطات توليد الكهرباء، واهراءات المؤن، ومحطات الرادار، ومراكز تكديس الاسلحة والذخائر والعتاد، وبطاريات الدفاع الجوي. ويتم هذا الرصد عادة ببداهة قادة الجبهات أو مجموعات الجيوش، أو بتوجيه صادر عن القيادة العليا للقوات المسلحة. وهو يستخدم الرصد الجوي على ارتفاعات عالية ومتوسطة (في عمق المسرح الاستراتيجي)، والرصد الاليكتروني، وعمليات الوحدات الخاصة المحمولة بالهليكوبتر أو بقوارب الانزال، والتابعة للانساق القيادية العليا.

يتم الاستطلاع التكتيكي البري والجوي عادة تحت حماية القوات المشتبكة مع العدو (رمايات مدفعية وهاون لتأمين انسحاب الدوريات البرية، صواريخ أرض — جو لحماية الطائرات القائمة بالاستطلاع فوق حقل المعركة). ويؤمن الطيران والقوة الذاتية حماية الوحدات البرية او الجوية القائمة بالاستطلاع العملياتي، أما الاستطلاع الاستراتيجي فتؤمن حمايته القوات الجوية.

ويرتبط نجاح الاستطلاع بعدة عوامل، **أهمها**: مستوى الوحدات والمعدات القائمة بالاستطلاع، والتنسيق بين كافة المراتب والانساق والقيادات، ودقة الاتصالات، وسرعة نقل المعلومات من الوحدات القائمة بالاستطلاع إلى المحطة القيادية المسؤولة عن جمع المعلومات (ضباط وشعب الاستطلاع في القطعات المحاربة)، وسرعة تدقيق المعلومات ومقارنتها في هذه المحطة، واستخلاص النتائج وتوزيعها على الانساق الأدنى. ولا يمكن أن يكون الاستطلاع ناجحاً إلا إذا كان دقيقاً، وتم في الزمان والمكان الملائمين، ونقلت نتائجه إلى الوحدات المقاتلة بسرعة فائقة.

(٢) الاستقرار النووي

إن خصمين يملك أحدهما، على سبيل المثال، قدرة فعالة على الرد تعادل ٩٠٪ (أي ان قدرته الفعلية على التدمير تعادل ٩٠٪ من موارد خصمه) ويملك الآخر قدرة فعالة على الرد تعادل ١٥٪ هما في وضع الردع المتبادل، وينجم عن هذا استقرار نووي. وتتضمن هذه الظاهرة بالفعل درجة من التوازن كانت بعيدة عن التصور في ميزان القوى التقليدية. ولكن اذا كان هدف الأقوى حيوياً وكبيراً، ويستطيع ان يقبل بخسارة ١٥٪ من موارده، فانه يملك عندئذ ردعاً مطلقاً ضد الطرف الاضعف، ويستطيع ممارسة **ردع هجومي**، في حين لا يملك الطرف الأضعف إلا قدرة على **الردع الدفاعي** صالح فقط لحماية أرضه.

(٤) استنزاف

الحرب صراع مسلح بين طرفين يستهدف كل واحد منهما اخضاع ارادة خصمه وتحقيق الغاية التي يسعى اليها. ويتم التوصل إلى تحقيق هدف الحرب، على المستوى العسكري، إما بتدمير القوى العسكرية لأحد الطرفين (والمقصود بتدمير القوى العسكرية جعلها في ظروف تجعلها عاجزة عن الاستمرار في القتال)، وإما باحتلال كل أو معظم الاراضي الحيوية للخصم بحيث يصبح عاجزاً عن مواصلة القتال، وغالباً ما يتوافق تنفيذ الهدفين معاً أو يؤدي تحقيق احدهما إلى الآخر بصورة تلقائية.

ولكن حين تكون قوى الطرفين شبه متوازنة في إحدى مراحل الصراع، أو حين يكون أحد الطرفين يتمتع بتفوق مادي واضح بالنسبة للطرف الآخر ولكنه لا يستطيع في الوقت نفسه فرض ارادته عليه لظروف مختلفة (قد تكون متصلة باتساع مسرح العمليات أو بقيود سياسية دولية أو بضعف الحافز المعنوي لدى الطرف المتفوق مادياً مع تمتع الطرف الآخر بتفوق معنوي ناتج عن عدالة قضيته واعتباره الصراع من ناحية ضرورة حياة أو موت الخ) فإن الصراع قد يتخذ شكل اشتباكات جزئية، تتم وفقاً لاقتصاد كبير في القوى، وتستهدف إلحاق خسائر محدودة بالخصم ولكنها مستمرة ومتكررة الحدوث على امتداد زمني طويل (ودون أن تقتصر هذه الاشتباكات على مجرد اعمال الدفاع السلبية) بحيث تؤدي إلى استنزاف موارد الخصم المادية والمعنوية تمهيداً لتوجيه ضربة حاسمة في النهاية حين يتحول ميزان القوى لصالح الطرف الذي يتبع هذا الاسلوب، أو لدفع الخصم للعدول عن مواصلة الصراع لشعوره بفداحة الثمن المادي والمعنوي الذي يتحمله بالقياس لحجم المكسب السياسي الذي كان يستهدفه.

وقد عبر «كارل فون كلاوزفيتز» عن هذا الاسلوب الثالث من أساليب فرض الارادة على العدو فقال «ان فكرة الاهتراء بالقتال تعني استنزاف القوى المادية وارادة الصراع بصورة تدريجية نظراً لطول مدة العمل، ولكن اذا شئنا الاستمرار في الصراع مدة أطول من العدو، كان علينا الاكتفاء بنتائج متواضعة نسبياً، لأن طبيعة الاشياء تتطلب ممن يبغي هدفاً كبيراً أن يبدد قوى تفوق ما يبدده طالب الهدف الصغير».

ويشكل هذا الاسلوب أساس استراتيجية الحرب الثورية بمختلف تكتيكاتها من ارهاب ثوري وحرب

عصابات وحرب نظامية متحركة وحرب مواقع ثابتة وحرب-الغام ومتفجرات وحرب عصابات مدينية . الخ .

ويمتد مجال تطبيق هذا الاسلوب القتالي إلى الحرب النظامية التقليدية أيضاً ، حيث يتخذ أشكالا مختلفة تبعاً للظروف الاستراتيجية والتكتيكية التي تحكم الحرب النظامية ، ووفقاً لحالة التوازن في القوى بين الاطراف المتحاربة في كل مرحلة . ففي خلال الحرب العالمية الاولى مثلا سادت أساليب الاستنزاف المادي بصورة اساسية والمعنوي بصورة ثانوية (على عكس الحال بالنسبة للحروب الثورية حيث يكون الاستنزاف معنوياً في الأساس) منذ بداية عام ١٩١٥ وحتى منتصف عام ١٩١٨ تقريباً ، وذلك نتيجة لجمود الحركة تماماً وتعذر خرق خطوط الدفاع الثابتة المكونة من سلسلة من الخنادق الكثيفة المحمية بالاسلاك الشائكة ونيران المدافع الرشاشة ومدفعية الميدان . ولذلك لجأ الطرفان إلى محاولة استنزاف الموارد البشرية والمادية للطرف الآخر بهجمات جبهية تستخدم فيها حشود هائلة من المدفعية والمشاة ، وتسفر عن تحقيق تقدم طفيف ، يدفع فيه الطرفان ثمناً باهظاً في القوى البشرية والمادية . ففي معركة « ڤردان » مثلا شن الالمان هجوماً على جبهة عرضها ٣٢ كم سبقه قصف مدفعي لمدة ٢٤ ساعة . ولقد استمر الهجوم من ٢١ شباط (فبراير) ١٩١٦ إلى ١١ تموز (يوليو) من العام نفسه ، واسفر عن خرق عمقه ٨ كم في الجبهة الفرنسية وخسر الالمان خلاله ٢٨١ ألف جندي على حين خسر الفرنسيون ٣١٥ ألف جندي .

وفي معركة «السوم» شن البريطانيون والفرنسيون هجوماً في ١ تموز (يوليو) ١٩١٦ ، للتخفيف عن قطاع ڤردان ، سبقه قصف مدفعي استمر ٨ أيام اطلقت فيه ١,٧٣٨,٠٠٠ قذيفة ، واستمر الهجوم حتى ١١ تشرين الثاني (نوفبر) من العام نفسه ، وأسفر عن اختراق عرضه ٤٨ كم وعمقه الاقصى ١٢ كم (استخدمت فيه الدبابات للمرة الاولى في التاريخ) مقابل خسائر في الجانب الانجليزي بلغت ٤١٩ ٦٥٤ جندي و ١٩٤ ٤٥١ جندي في الجانب الفرنسي ، وحوالي نصف مليون جندي في الجانب الالماني .

وأدى استخدام الدبابات باعداد من جانب البريطانيين في معارك « كامبري » و « اميان » إلى تقليل الخسائر البشرية إلى حد كبير فضلا عن تخفيض كميات قذائف المدفعية في القصف التمهيدي ، ولكن الطابع العام لمعارك الجبهة الغربية خلال الحرب العالمية الاولى كان هو اهتراء أو استنزاف القوى المادية لكلا الطرفين . وقد استنزفت قوى الجانب الالماني في نهاية الحرب بصورة اكبر نسبياً من قوى الجانب الفرنسي والبريطاني التي دعمها عام ١٩١٨ موارد الولايات المتحدة الامريكية البشرية والمادية ، فاختل ميزان القوى لصالح الحلفاء ، واضطرت المانيا لطلب الهدنة في تشرين الثاني (نوفبر) عام ١٩١٨ دون أن تهزم في معركة حاسمة أو تحطم قواتها العسكرية بالمعنى المفهوم .

وشهدت الحرب العالمية الثانية ، التي كانت حرب حركة في عديد من مراحلها ومسارح عملياتها ، عدة معارك استنزاف للقوى المادية ، مثل معارك « اوديســا » و « سيباستبول » و « ستالينغراد » و « كورسك » في الجبهة السوفييتية ، ومعـــارك « طبرق » و « العلمين » بالصحراء الليبية والمصرية . وقد ساعدت هذه المعارك على استنزاف قوى المانيا المادية والمعنوية وتعديل ميزان القوى تدريجياً لصالح قوات الحلفاء . وشهدت الحرب الكورية ١٩٥٠ — ١٩٥٣ عدداً من معارك الاستنزاف أبرزها معركة « التل ١٢١١ » حيث دارت سلسلة من المعارك الدامية بين القوات الكورية المدافعة عن هذا التل الذي كان يشكل موقعاً حاكماً مشرفاً على طريقين هامين في الفـــترة من ١٨ آب (اغسطس) إلى ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥١ ، أسفرت عن قتل نحو ١٥ ألف جندي امريكي وكوري جنوبي وتدمير ٨١ دبابة و ٧٢ مدفعاً و ٤٢ عربة و ٢٦ طائرة ، وبقي التل رغم ذلك في أيدي الجيش الشعبي الكوري .

ومعظم هذه النماذج من معارك الاستنزاف النظامية لم يكن مقصوداً فيها أصلا اتباع استراتيجية استنزاف ، وانما قادت اليها ظروف التوازن أو تعذر خرق الدفاعات الثابتة بهجمات تعتمد على المنـــاورة والالتفاف الخ .

ثم جاءت حرب الاستنزاف المصرية — الاسرائيلية عامي ١٩٦٩ — ١٩٧٠ لتقدم أول نموذج لاستراتيجية حرب استنزاف نظامية محددة سلفاً ، أي مختارة عن عمد من قبل القيادتين السياسية والعسكرية المطبقة لها . ولقد كانت استراتيجية حرب الاستنزاف المصرية نموذجاً من نماذج استراتيجية الصراع المسلح طويل الامد ، التي يفرضها عادة توفر حقل حرية عمل عنيف بصورة كبيرة بالنسبة للطرف الذي يمارسها ، نظراً لعدالة الحرب التي يخوضها ضد عدو غاصب يحتل جزءاً من اراضيه ، مع عـــدم توفر الوسائل العسكرية الكافية للحصول على نتيجة عسكرية حاسمة في وقت قصير ، ومع تمتع الطرف الذي يمارسها بتفوق معنوي نابع من عدالة وضرورة قضيته الوطنية ، يتيح له الاستعداد لتحمل خسائر صراع طويل الامد ضد خصم لا يتمتع بمثل هذا التفوق المعنوي وبالقدرة على تحمل خسائر شديدة تستمر لفترة طويلة . (انظر حرب الاستنزاف المصرية) .

وقد مارست كل من مصر وسوريا استراتيجية حرب استنزاف محدودة عقب وقف اطلاق النار في حرب ١٩٧٣ ، أثناء مفاوضات الفصل بين القوات التي قام بها وزير الخارجية الامريكية الدكتور هنري كيسنجر . وكانت هذه الحرب عبارة عن مفاوضات مسلحة ، ووسيلة ضغط عسكري تستهدف استنزاف ارادة الخصم واجباره على الاحتفاظ بقوات كبيرة في وضع الاستنفار (الأمر الذي يؤثر على اقتصاده) وإصابته بخسائر كمية مادية صغيرة تتحول بعد تراكمها إلى قيمة نوعية كبيرة . وتجيير كل هذه المنجزات للضغط على العدو خلال المفاوضات .

(١) استنفار

تأخـــذ القوات المسلحة العاملة ، أو بعض أسلحتها ، أو بعض قطعات سلاح من أسلحتها أو أكثر حالة الاستنفار عندما يكون من الضروري نقلها ، كلياً أو جزئياً ، من حالة السلم إلى حالة الاستعداد للقتال ، أي إلى الحالة التي تستطيع فيها التحرك بكامل تعدادها وسلاحها وذخيرتها ودخول المعركة فور تلقي أمر العمليات . ويتطلب الاستنفار مجموعة من التدابير كالغاء الاجازات بنسب متفاوتة ، واعداد معدات القتال للحركة ، وتموينها بالذخائر والمحروقات ، وتحميل الذخائر الاحتياطية بالآليات أو تكديسها في مخازن قريبة من مناطق التحميل ، بالاضافة إلى مجموعة تدابير لوجيستيكية اخرى .

وتعرف الجيوش حالات متفاوتة من الاستنفار ، يطلق عليها أسماء الحالة أ ، وب ، وج . ولكل حالة من الحالات تدابير تتعلق بالرجال والمعدات والاسلحة والشؤون الادارية لا بد من اتخاذها فور تلقي الأمر بالاستنفار . وتكون هذه التدابير محددة مسبقاً بأوامر خاصة يحتفظ بها قادة القطعات ، ويدربون عليها قطعاتهم منذ زمن السلم . ويتم الانتقال من حالة استنفار إلى حالة استنفار أعلى بناء على أوامر تأتي من النسق الأعلى ، أو بناء على بداهة القائد اذا كانت الاتصالات مع النسق الأعلى متعذرة . وقد يجري الانتقال من حالة السلم إلى حالة الاستنفار ١٠٠ ٪ مباشرة دون المرور بالمراحل المتدرجة إذا اقتضت ضرورات الموقف ذلك .

وتتناسب حالة الاستنفار مع تقديرات القائد للموقف ، وتصوره عن احتمالات دخول المعركة ، وحساب الفترات الزمنية اللازمة للانتقال من حالة استنفار إلى حالة أعلى . وكلما ازداد توتر الوضع ، ونقص الزمان الذي يحتمل أن تمتلكه القطعة قبل دخول المعركة كلما زادت درجة الاستنفار .

ويكون استنفار الجيش أو القطعة ١٠٠ ٪ عندما تكون هذه القطعة مستعدة للاشتباك بالقتال مبـاشرة بعد أخذ أوامر القتال . وتكون كافة ملاكات الجيش أو القطعة في هذه الحالة مستنفرة ، والاجازات ملغاة ، وكافة الاسلحة والمعدات جاهزة مع وحداتها النارية وذخائرها الاحتياطية ومحروقاتها وشؤونها الادارية الأخرى . ولكن الوضع لا يفرض دائماً استنفاراً ١٠٠ ٪ ، فهناك حالات يستنفر فيها الجيش أو القطعة بنسبة ٥٠ ٪ أو ٢٥ ٪ وفي هذه الحالة تتناوب الوحدات الاستنفار وتكون إحدى الوحدات مستنفرة ١٠٠ ٪ على حين تعيش الوحدات الأخرى في وضع الراحة .

وتؤثر طبيعة الخطر المحتمل ، وطبيعة الرد المقرر ، على طبيعة الاستنفار نفسه . فقد يكون الخطر المحتمل جوياً ، وعندها تستنفر قوات الدفاع ضد الطائرات والقوات الجوية بنسبة ١٠٠ ٪ ، على حين تبقى نسبة الاستنفار في القوات البرية محدودة . وقد يكون الخطر بحرياً ، وعندها يتم استنفار البحرية والطيران وحرس الشواطئ بنسبة ١٠٠ ٪ ،على حين يبقى استنفار الجيش محدوداً . وقد يكون الرد المقرر جوياً أو ذرياً ... الخ ، وعندها تستنفر القوات الجوية أو القوات الذرية الاستراتيجية بنسبة ١٠٠ ٪ وتبقى بقية القوات في حالة عادية ، أو في حالة استنفار محدود .

يؤثر تدريب القطعات ، وميكانيكيتهـا ، وحركيتها ، وديناميكيتها ، وانضباطها ، ودقـة اتصالها ، وارتفاع مستوى شؤونها الادارية ، على المدة اللازمة لاستنفارها أو لانتقالها من حالة استنفار إلى حالة استنفار أعلى . ومن المعروف أنه كلما زادت المدة اللازمة للاستنفار ، كلما قلت قدرة القائد على المناورة ، وضعفت إمكانات مفاجأة العدو ، وحصل هذا العدو على الزمن اللازم لاتخاذ التدابير التي تكفل له الصد والرد بشكل أفضل .

ومن المؤكد أن الاستنفار لغايات هجومية تدبير يلفت أنظار العدو ، لذا فهو يحاط بسرية تامة ، أو يغطى بغطاء اعلامي ومبررات دفاعية . وهناك حالات يستخدم فيها الاستنفار كوسيلة من وسائل الحرب الباردة ، أو الضغط المعنوي على العدو ، بغية اكراهه على الخضوع عن طريق التلويح بالقوة .

(٩) الأسد (حافظ)

عسكري (فريق) وسياسي سوري (١٩٢٨ —)، ورئيس الجمهورية العربية السورية منذ العـام ١٩٧١ . ولد حافظ الاسد في بلدة قرداحة (محافظة اللاذقية) ، والتحق بحزب البعث العربي الاشتراكي عندما كان طالباً (١٩٤٩) ، ثم التحق بالكلية العسكرية في حمص في العام ١٩٥٢ ، وأمضى فيها الصف المستجد ، وانتقل بعد ذلك الى كلية الطيران في حلب حيث امضى الصف المتقدم ، وتخرج برتبة ملازم طيار في العام ١٩٥٤ . وفي العام ١٩٥٨ بعث الى الاتحاد السوفياتي للتدرب على القتال الجوي ، وغدا بعد عودته قائد سرب قتال .



الرئيس الفريق حافظ الأسد

وعلى أثر انقلاب ٢٨ أيلول (سبتمبر) ضد الوحدة السورية — المصرية (ج.ع.م.) سرح من القوات المسلحة وعاد إليها بعـد ثورة ٨ آذار (مارس) ١٩٦٣ التي شارك فيها البعثيون والناصريون ، وأصبح قائداً لسلاح الطيران . وفي ٢٣ شبـاط (فبراير) ١٩٦٦ شارك الأسد مع اللواء صلاح جديد في انقلاب على القيادة القومية للحزب غدا بعد نجاحها وزيراً للدفاع . لعب دوراً رئيسياً في سياسة سورية ورقي في عام ١٩٦٨ إلى رتبة فريق . وفي فترة ١٩٦٩ — ١٩٧٠ دار صراع بين الفريق حافظ الأسد واللواء صلاح جديد وانتهى الصراع في ١٣ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٧٠ بانتصار الفريق الأسد وإبعاد اللواء جـديد ورئيس الدولة نور الدين الأتاسي . وفي ٢٠ تشرين الثاني (نوفبر) ألف الأسد الحكومة ، وأجرى استفتاء شعبياً في ١٢ آذار (مارس) ١٩٧١ ، انتخب الأسد بموجبه رئيساً للجمهورية لمـدة سبع سنوات . وفي العام التالي حصل الأسد على الدكتوراه الفخرية من جامعة دمشق .

وفي العام ١٩٧٣ عزز الفريق الأسد الاتجاه نحو التنسيق السياسي والعسكري مع مصر ، الأمر الذي أدى إلى خوض حرب تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣ وما تبعها من المعارك بين القوات السورية والقوات الإسرائيلية في الجـولان وجبل الشيخ .

تميزت سياسة الأسد الداخلية بالانفتاح الاقتصادي فرفع القيود عن رؤوس الأموال العربية والأجنبية وسمح لها بفتح الاعتمادات في المصارف السورية وفتح المجال أمام القطاع الخاص والاستثمارات الأجنبية وأجرى تقارباً سياسياً مع بعض الفئات السياسية الراغبة في المشاركة في الوزارة . واتسمت سياسته العربية بالتقارب مع السعودية والأردن والكويت وأمارات الخليج العربي ، ودخلت سورية في مطلع عام ١٩٧٢ في اتحاد الجمهوريات العربية مع مصر وليبيا .

أما على الصعيد الدولي فقد أجرى تقارباً رئيسياً مع الولايات المتحدة واستقبل كبار المسؤولين الأميركيين فحصلت سورية نتيجة ذلك على مساعدات وقروض غربية ودولية عديدة وشاركت في جهود التسوية السلمية للصراع العربي — الصهيوني ، ومع ذلك ، فقد حافظ على الاتحاد السوفييتي كمصدر رئيسي لتسليح الجيش السوري .

(٤) أسد البحر (مشروع عملية غزو بريطانيا) ١٩٤٠

في يوم ١٧ حزيران (يونيو) ١٩٤٠ ، أي في اليوم الذي طلب فيه الماريشال « بيتان » الهدنة من « هتلر » أثر انهيار فرنسا العسكري الكامل ، قام العقيد « ورليمونت » نائب الجنرال « جودل » ، مدير إدارة العمليات في القيادة العليا للقوات المسلحة

لألمانية ، بابلاغ قيادة البحرية الألمانية أنه « فيما
تعلق بالإنزال في بريطانيا فان الفوهرر ... لم يظهر
حتى الآن أية نوايا من هذا القبيل، ولهذا لم يتم
حتى الآن أي عمل تحضيري من أي نوع في القيادة
عليا للقوات المسلحة » . وفي يـوم ٢١ يونيو
حزيران) أبلغت قيادة البحرية مرة أخرى أن
هيئة أركان حرب الجيش لا تشغل نفسها في
سألة انجلترا ، وهي تعتبر أن تنفيذ الغزو مستحيل
حيث أن هيئة أركان الحرب لا تعرف كيف
كن إجراء عملية الغزو من ناحية المنطقة الجنوبية
إنها لذلك ترفض هذه العملية » .

وفي ٣٠ حزيران (يونيو) كتب الجنرال
ودل في يومياته يقول : « إن الانتصار الألماني
نهائي على إنجلترا أصبح الآن مسألة وقت ليس إلا » .
كان قد قدم إلى هتلر في اليوم نفسه مذكرة
صوص الخطوة المقبلة من الحرب بعنوان « مواصلة
لحرب ضد إنجلترا » . وكانت هذه المذكرة تستند
الأساس إلى الفكرة العامة المسيطرة على هتلر
كبار قادته من أن الحرب قد وصلت إلى نهايتها ،
ن المانيا قد انتصرت فيها ، وأنه « إذا كانت
يطانيا لم تدرك بعد هذه الحقيقة ، فإن اللجوء
، القليل من القوة يصبح لازماً لتذكيرها بذلك » .
مضت المذكرة بعد ذلك موضحة أن فرض الحصار
يتم في خطوات متتابعة أولها شن حرب جوية
بحرية شديدة ضـد قوافل الملاحة البريطانيـة
ستودعات التخزين والمصانع والسلاح الجـوي
ريطاني . وثانيها شن غارات إرهابية على المراكز
آهلة بالسكان المدنيين . وثالثها إنزال قـوات
حتلال إنجلترا نفسها . وأن مهاجمة السلاح الجوي
ريطاني هي المسألة التي يجب أن تعطى الأسبقية
أولى عما عداها من الأهداف الأخرى ، لأن
ستكمال تنفيذ هذه الخطوة الهامة سيؤدي ، متى تم
لازماً مع تنفيذ الخطوة الثانية (الغارات الجويـة
إرهابية المتكررة والمصحوبة بحرب نفسية) ، إلى
يادة اضعاف قواعد الامداد بالمواد الغـذائية ،
بالتالي سيؤدي في النهاية إلى شل وتحطيم إرادة
مقاومة لدى الشعب ، ومن ثم سترغم حكومته على
لاستسلام » . أما بالنسبة الى الخطوة الثالثة (إنزال
قوات البرية في الجزر البريطانية عن طريق البحر) ،
ند اعتبرتها مذكرة « جودل » مسألة لا يمكن التفكير
بها جدياً إلا في حالة حصول ألمانيا على السيطرة
لجوية ، واستطردت موضحة أن الإنزال البحري يجب
لا يتخذ من إخضاع انجلترا عسكرياً هدفاً له ،
ن تلك مهمة يمكن أن يعهد بها إلى القوة الجوية
والبحرية ، « وإنما يجب أن يكون هدفه على الأصح
هو توجيه الضربة القاضية إلى إنجلترا التي ستكون
قد أصبحت مشلولة إقتصادياً ، ولم تعد قادرة على
الإستمرار في القتال في الجو ، وهذا كله في حالة
إذا ما كانت مثل هذه الضربة ما زالت ضرورية »
ثم مضى « جودل » يقول « ولما كانت إنجلترا لا
يمكنها مواصلة القتال أكثر من ذلك من أجل
أن تحقق النصر ، وإنما هي تقاتل فقط من أجل
الحفاظ على ممتلكاتها وعلى سمعتها الدولية ، فانها
لا بد ان تكون ، وفقاً لجميع التوقعات ، ميالة
إلى عقد صلح ، عندما تعلم أنها لا تزال قادرة
على الحصول عليه حتى الآن بثمن صغير نسبياً » .

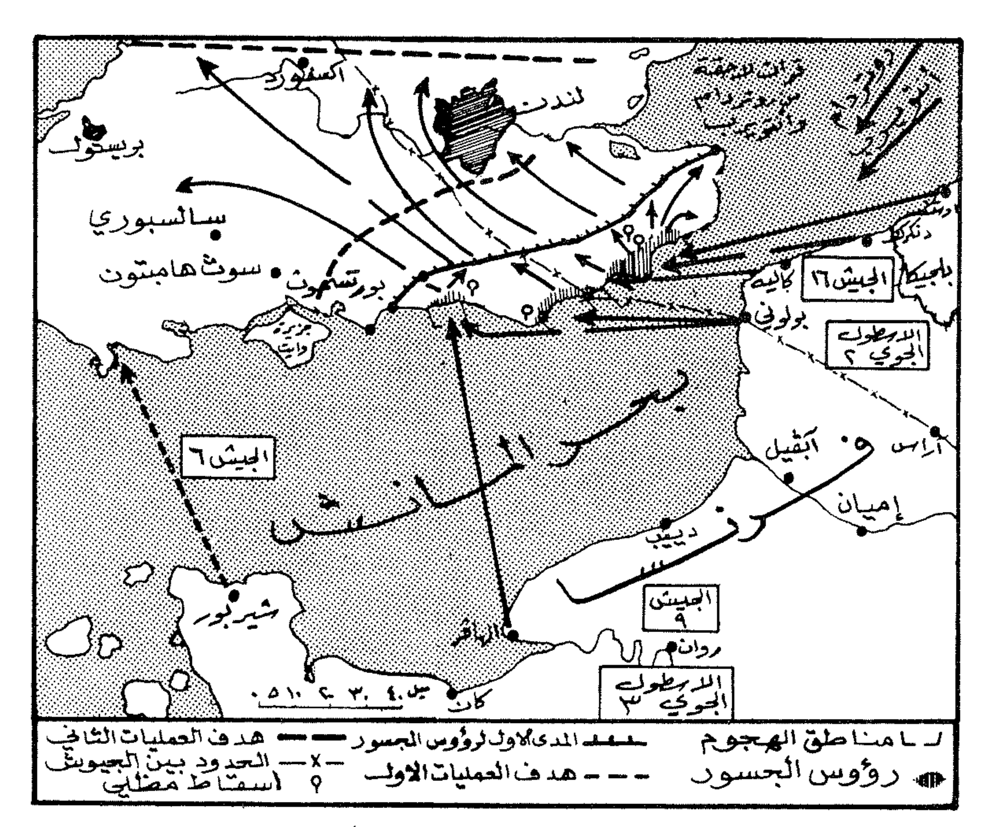
لقد أوضح جودل في مذكرته هذه أن تفكيره
وتفكير القيادة العسكرية الألمانية العليا يتفق كل
الاتفاق مع تفكير هتلر نفسه سياسياً وعسكرياً ،
والذي كان قد سبق له ان قال في اجتماع عقده في
دار المستشارية في برلين يوم ٢٣ أيار (مايو)
١٩٣٩ : « لقد كان من الضروري في الأزمنـة
السابقة لقهر انجلترا القيام بغزوها ، وذلك لأنها
كانت تستطيع أن تعتمد على نفسها في غذائها ،
أما الآن فانه لم يعد بوسعها تحقيق ذلك . ولذا فإنه
في اللحظة التي ستنقطع فيها المؤن ، ستكون إنجلترا
مرغمة على الإستسلام ، فإذا ما تم احتلال هولندا
وبلجيكا بنجاح ، وتمت هزيمة فرنسا أيضا ، فإن
الشروط الأساسية لشن حرب ناجحة ضد إنجلترا
ستكون قد توفرت ، وحينئذ يمكن ضرب الحصار
على إنجلترا من غرب فرنسا من مسافة قريبة بوساطة
الغواصات التي ستمد نطاق ذلك الحصار . ومتى تم
ذلك ، فسوف لا يكون في مقـدور إنجلترا أن
تقاتل في القارة الأوروبية بينما الهجمات الجوية
البحرية اليومية تقطع شرايين حياتها » .

ونتيجة لسيطرة هذه الأفكار على هتلر والقيادة
الألمانية العليا بصفة عامة ، لم تقم هيئات أركان
الحرب من الأسلحة الثلاثة — رغم ما عرف عنها
من دقة في وضع الخطط اللازمة لمواجهة كافـة
الاحتمالات المقبلة — بوضع أية خطط تفصيلية
جادة لغزو إنجلترا سواء قبل نشوب الحرب أو أثناء
مرحلتها الأولى التي امتدت من أيلول (سبتمبر)
١٩٣٩ — حزيران (يونيـو) ١٩٤٠ ، وذلك
باستثناء خطة كانت هيئة أركان حرب البحرية
قد فكرت فيها بشكل عام لا يتسم بالجدية ، بناء
على إيعاز من الأميرال « رايدر » في ٢٥ تشرين الثاني
(نوفبر) ١٩٣٩ الذي أراد أن يحتاط لنفسه إلى
حد ما من إحتمال مطالبة « هتلر » له بخطة لغزو
بريطانيا في إحدى نوباته السياسية المتقلبة المفاجئة .
كما أن قيادة الجيش كانت قد فكرت هي الأخرى
في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٠ في خطة من هذا
القبيل ، ولكن قيادة كل من البحرية والطيران
رفضتاها تماماً لعدم واقعيتها المتمثلة في تجاهلها لقوة
الأسطول والطيران البريطانيين ، ولذلك علقت عليها
هيئة أركان حرب السلاح الجوي بقولها « إن عملية
مشتركة تهدف إلى الإنزال في إنجلترا يجب أن
ترفض رفضاً قاطعاً » .

وفي ٢ تموز (يوليو) ، أي بعد يومين من
تقديم مذكرة جودل إلى هتلر ؛ أصدرت القيادة
الألمانية العليا للقوات المسلحة توجيهاً يقول « أن
الفوهرر بصفته القائد الأعلى قد قرر أن النزول
في إنجلترا ممكن بشرط الحصول على التفوق الجوي
وتحقيق بعض الشروط الضرورية الأخرى ، وأن
موعد بدء العملية لم يتقرر بعد ، ويجب الشروع
باجراء كافة الاستعدادات اللازمة فوراً ، ولكن يجب
أن يجري اتخاذ كافة الإستعدادات على أساس أن
الغزو ما زال مجرد مشروع ولم يتخذ في شأنه قرار
نهائي بعد » .

وفي ١١ تموز (يوليو) دعا هتلر كبار قادة
القوات المسلحة إلى اجتماع في « أوبر سالزبرغ »
للتباحث معهم حول فكرة غزو بريطانيا . ودار
في هذا الاجتماع حديث طويل بين « هتلر » والأميرال
« رايدر » استغرق معظم الجلسة ، وانصب جزء هام
منه على بحث وسائل تدعيم القاعدتين البحريتين
في النرويج « نارفيك » و « تورندهايم » . ولقد أكد
« رايدر » خلاله أن حرب الحصار الجوي والبحري
كفيلة بإرغام إنجلترا على قبول الصلح ، وانتهى
« هتلر » من هذا الاجتماع إلى مشاركة « رايدر »
رأيه في أن « الغزو إجراء سيتخذ فقط كسبيل
أخير لإجبار بريطانيا على طلب عقد الصلح » .

وفي ١٣ تموز (يوليو) عقد « هتلر » اجتماعاً
آخر لمعاودة بحث المشكلة البريطانية في مقر قيادته
المسمى « بعش النسر » ، وقـد كتب الجنرال
« هالدر » ، رئيس أركان الجيش ، في يومياته في
تلك الليلة يقول بصدد ما دار خلال هذا الإجتماع
« أن الفوهرر تستحوذ عليه الهواجس الشديدة فيما
يتعلق بالتساؤل عن الأسباب التي تجعل إنجلترا ما
زالت مصرة حتى الآن على عدم اتباع سبيل الصلح .
وأنه يرى ونحن نشاركه رأيه ، أن الإجابة على
هذا التساؤل إنما تكمن في الحقيقة القائلة بأن إنجلترا
لا تزال تضع أملها في روسيا وبالتالي فهو يتوقع
أيضاً ، أن إنجلترا ستجد نفسها مرغمة تحت تأثير



مشروع عملية اسد البحر (١٩٤٠)

القوة إلى عقد صلح، ومع ذلك فإنه لا يرغب في الإقدام على مثل هذا العمل، وهذا للأسباب التالية: اننا إذا حطمنا إنجلترا عسكرياً، فان الأمبراطورية البريطانية سوف تتفسخ ولن تكون المانيا، على أي حال، المستفيدة من هذا التفسخ، وبهذا سنكون قد استخدمنا الدم الألماني في تحقيق أمر تفيد منه فقط اليابان وأمريكا وغيرها من الدول».

ثم أصدر الزعيم النازي، الذي أقلقه عدم تحقق حدسه الاستراتيجي لأول مرة، قراره الرسمي بالتحضير لغزو بريطانيا في يوم ١٦ تموز (يوليو) ١٩٤٠ الذي قال فيه: «لما كانت إنجلترا، على الرغم من موقفها العسكري الباعث على اليأس، لا تبدي أية إشارة للرغبة في التوصل إلى اتفاق، فقد قررت إعداد عملية إنزال ضدها، وتنفيذ هذه العملية إذا كان هذا ضرورياً». وقد أطلق على هذه العملية الإسم الرمزي «أسد البحر Sea Lion». وتدل صيغة هذا القرار على مدى التردد وعدم الحسم الذي كان «هتلر» لا يزال عليه إزاء مسألة الاستمرار في الحرب ضد بريطانيا، ولذلك نراه يخطب بعد ثلاثة أيام في البرلمان الألماني «الرايخستاغ»، محاولا افتعال انقسام بين الشعب البريطاني وحكومته، كجهد أخير منه في مجال الضغط السياسي والنفسي على «بريطانيا» من أجل التمشي مع مخططاته العسكرية والسياسية، فيقول: «إنني لا أسمع اليوم من «بريطانيا» سوى صوت واحد، صوت الساسة لا صوت الشعب، الذي ينادي بأن الحرب يجب أن تستمر... وأنني لأشعر أن من واجبي في هذه الساعة، أمام ضميري، أن أناشد بريطانيا العظمى مرة أخرى الاحتكام إلى العقل. وأنني أعتبر نفسي في موقف يسمح لي بتوجيه مثل هذا النداء، حيث أنني لست المهزوم الذي يستجدي عطفاً، وإنما المنتصر الذي يتكلم بصوت العقل والمنطق. أنني لا أرى مبرراً يدعو لاستمرار هذه الحرب».

وقد توقع معظم من استمعوا إلى هذا الخطاب في ليلة ١٩ تموز (يوليو) من أفراد الشعب الألماني وقادته العسكريين قبول بريطانيا لهذا العرض السخي المقدم من «هتلر»، ولذا أصيبوا بدهشة كبيرة حين استمعوا إلى إذاعة «لندن» وهي تذيع بالألمانية في الليلة نفسها رفض بريطانيا لهذا الخطاب. ولقد قامت الطائرات الألمانية المحلقة في سماء بريطانيا بإلقاء أعداد هائلة من المنشورات المتضمنة نسخاً بالإنجليزية من خطاب «هتلر»، إلا أن الشعب لم يعر الأمر اهتماماً، واستمر يعمل في هدوء وثبات أعصاب من أجل الاستعداد لمواجهة أخطار الغزو المتوقع والهجوم الجوي الضخم المنتظر، بينما شرعت قيادة الجيش الألماني وقيادة الأسطول في بحث تفاصيل عملية «أسد البحر».

وكانت فكرة البحرية الألمانية تتلخص في إقامة ممر ضيق عبر «المانش» في أقصر مسافة ممكنة، وحمايته من الجانبين بسياج من الألغام البحرية مع حماية خارجية من الغواصات، ثم يتم نقل معظم وحدات الغزو خاصة قوات الموجة الأولى في صنادل تقطرها الزوارق عبر القنال الإنجليزي إلى الشواطىء الجنوبية لإنجلترا، وذلك تحت تغطية قوية من نيران المدفعية الساحلية من «كاليه» في اتجاه «دوفر»، وتحت حماية كاملة من الطيران. وكان الجيش يرى أن تتألف الموجة الأولى من ١٣ فرقة يتم إنزالها على مواجهة عريضة تمتد من «رامسجات» عند «دوفر» تقريباً حتى خليج «لايم» على مقربة من «بلايموث». وهي مسافة يزيد طولها عن مائتي ميل، على أن تتبعها موجة ثانية خلال الأيام الأولى من الغزو تتكون من ٢٦ فرقة أخرى، بالاضافة إلى إنزال فرقتين محمولتين جواً، وعلى أن يتم هذا كله تحت الحماية الجوية الكاملة، وبتعاون تام مع قاذفات السلاح الجوي التي ستكون قوة النيران الأساسية اللازمة لتلبيز دفاعات البريطانيين وصد هجماتهم المضادة، خاصة خلال الأيام الأولى للغزو، وإلى أن يتم تدعيم القوات المنزلة بالمدفعية اللازمة والدبابات الكافية، وذلك نظراً لضعف النيران المعاونة التي يمكن أن تقدمها البحرية إن أمكنها أصلا القيام بهذا الواجب، وعلى فرض عدم قدرة الأسطول الإنجليزي على التدخل.

وقد اعترض «رايدر» بشدة على خطة الجيش الطموحة هذه، وطلب تقليل عدد فرق الموجة الأولى وتضييق مساحة المواجهة إلى أقل قدر ممكن، لأن إمكانات النقل والحماية اللازمة لعملية ضخمة كهذه لا تتوفر لدى البحرية الألمانية، التي لم يكن متاحاً لديها وقتئذ من السفن الحربية، بعد خسائر عمليات «النرويج»، سوى طراد ثقيل واحد وطرادين خفيفين و ٤ مدمرات و ٤٨ غواصة، فضلا عن أن نقل مثل هذه القوات التي سيصل عددها من الموجة الأولى فقط إلى نحو ١٠٠ ألف جندي، كان يفترض حشد نحو ١٠٥ سفن نقل، و ١٦٦١ زورقاً بخارياً، و ٤٧١ زورق قطر، و ١٧١٢ صندلا.

كان يفترض طقساً مناسباً وبحراً هادئاً إذ تغرق صنادل والزوارق إذا كان الموج عالياً . وقد وضح « رايدر » لهتلر في يوم ٢٥ يوليو (تموز) أن حشد مثل هذا العدد الضخم من السفن سيدمر الإقتصاد الألماني ، حيث أن سحب مثل هذا العدد من الصنادل وزوارق القطر البخارية سيدمر نظام النقل المائي الداخلي الذي تعتمد عليه الحياة الإقتصادية للبلاد إلى حد كبير . ولذلك قدمت هيئة أركان حرب البحرية مذكرة في ٢٩ تموز (يوليو) تنصح فيها « بعدم القيام بهذه العملية في هذه السنة ، وتقترح القيام بها في ايار (مايو) ١٩٤١ أو بعد هذا التاريخ » . وقد اعترض الجيش بشدة على مطالب البحرية من حيث إنقاص عرض المواجهة . واعتبر النزول على مواجهة ضيقة أمر يؤدي إلى انتحار مؤكد ، ولذلك دعا « هتلر » إلى اجتماع يوم ٣١ تموز (يوليو) لبحث الموضوع مرة أخرى . يحضر الاجتماع كل من « رايدر » و « كايتل » و « جودل » و « براوخيتش » و « هالدر » . وقد استعرض « رايدر » خلال الاجتماع كافة العقبات التي تكتنف العملية من حيث عدد السفن وخطورة حشد كل موارد النقل المائي الألماني في العملية ، والاضرار التي يمكن أن يلحقها هذا الحشد بعمليات نقل الفحم والحديد والغذاء وصيد الأسماك . ومع ذلك فقد أمره « هتلر » بالإستمرار في اتخاذ الترتيبات اللازمة للغزو . ولكن الشكوك بامكانية القيام بالعملية من الناحية التقنية بدأت تراود الفوهرر ، الذي عاد الى التفكير باخضاع بريطانيا عن طريق الحرب الجوية وحرب الغواصات ، أو عن طريق تحطيم الاتحاد السوفياتي بشكل يجعل اليابان قادرة على مشاغلة الولايات المتحدة ، ويدفع بريطانيا إلى التسليم ، بعد انقطاع أملها بمساعدة الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة . ومن هنا أخذت مسألة غزو الاتحاد السوفياتي أهمية رئيسية ، وأصبح غزو بريطانيا مسألة ثانوية .

وفي يوم ٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٠ اجتمع « هتلر » مع « رايدر » ، وتحدث معه بإسهاب عن كل موضوع فيما عدا موضوع عملية « أسد البحر » وكتب « رايدر » في يومياته في تلك الليلة يقول « لم يتخذ قرار الفوهرر بالنزول في إنكلترا شكلا قاطعاً بعد ، حيث انه واثق كل الثقة من أن هزيمة بريطانيا يمكن ان تتحقق دون اللجوء إلى النزول فيها » .

وبعد سلسلة من الأوامر بتأجيل موعد بدء تنفيذ عملية « اسد البحر » اصدر « هتلر » قراراً نهائياً في ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٠ يقضي بتأجيل العملية حتى ربيع ١٩٤١ ، مع اتخاذ الإجراءات التي توحي لبريطانيا أن ألمانيا تعد لهجوم على جبهة عريضة . وقد صرح « فون رونشتدت » ، الذي كان سيتولى قيادة القوات الغازية لبريطانيا ، بعد انتهاء الحرب عن رأيه في ملابسات هذه العملية فقال: « إن الغزو المقترح لإنجلترا كان مجرد هراء.. ولقد كنا ننظر إلى الأمر كله باعتباره لعبة ليس إلا .. وكان لدي شعور بأن الفوهرر لم يرغب مطلقاً رغبة صادقة في غزو إنجلترا » . ويبدو أن اعتراضات القادة الألمان على عملية غزو الجزر البريطانية لم تكن وراء تأجيل العملية ، وان السبب الحقيقي في فشل المانيا في عبور القنال الإنجليزي إنما يكمن في اعتقاد « هتلر » بقدرته على التوصل إلى اتفاق سياسي مع إنجلترا . وقد علق المارشال « فون مانشتاين » على عملية « أسد البحر » بقوله : « الحقيقة ان دفاع إنجلترا خلال صيف ١٩٤٠ لم يكن مستكملا ، وكان يمكن أن تستفحل الأمور لو ان هتلر لم يسمح للبريطانيين بالهرب من دنكرك . ولكن شعور هتلر الداخلي نحو هذه العملية لم يكن نابعاً من قلبه . ولذا كانت الاستعدادات التي تجري على جميع المستويات تفتقر إلى القوة الدافعة التي تأتي من اعلى » . وهكذا يتضح لنا أن عملية « أسد البحر » كانت مشروعاً غير قابل للتنفيذ بصورة عملية ، وانها كانت تشكل جزءاً من الحرب النفسية التي استخدمها هتلر ضد بريطانيا بغية إخضاعها لارادته السياسية ، واجبارها على قبول الصلح وفقاً لشروطه ، وان فشل الهجوم الالماني على بريطانيا في صيف ١٩٤٠ (انظر معركة بريطانيا الجوية) كان عاملا مساعداً في عدم متابعة تنفيذ المشروع بجدية . هذا فضلا عن استخدام هتلر والقيادة الالمانية العليا لهذه العملية كغطاء للاستعدادات الجارية لغزو الاتحاد السوفييتي (انظر بارباروسا) .

(١٢) اسرى الحرب

يعتبر أسرى حرب Prisoners of War ، POW أو P ، الافراد الذين ينتمون الى احدى الفئات التالية والذين يقبض عليهم من قبل العدو في حالة الحرب : ١) افراد القوات المسلحة ، ٢) افراد الميليشيا وافراد الوحدات المتطوعة الذين يعتبرون جزءاً من القوات المسلحة التابعة لاحد اطراف النزاع والذين تتوفر فيهم الشروط الآتية : (أ) ان يكونوا بقيادة شخص مسؤول (ب) ان يكون لهم شارة مميزة (ج) ان يحملوا اسلحتهم بشكل علني (د) ان يقوموا بعملياتهم الحربية طبقاً لقوانين الحرب وتقاليدها ، ٣) افراد القوات المسلحة النظامية ، ٤) الافراد الذين يرافقون القوات المسلحة كملاحي الطائرات الحربية والمراسلين الحربيين ومتعهدي التموين ، وافراد وحدات العمال او الخدمات المختصة بالترفيه عن القوات المسلحة شرط ان يكون لديهم تصريح من القوات المسلحة التي يرافقونها ، ٥) افراد طاقم البواخر كالقادة والملاحين ومساعديهم في البحرية والملاحين في الطائرات المدنية التابعين لاطراف النزاع ، ٦) سكان الاراضي غير المحتلة الذين يحملون السلاح باختيارهم لمقاومة العدو عند مداهمته لارضهم شرط ان يحملوا السلاح بشكل علني وان يحترموا قوانين الحرب وتقاليدها ، ٧) يعامل ايضاً كأسرى حرب ، الاشخاص الذين كانوا تابعين للقوات المسلحة في الاراضي المحتلة قبل احتلالها ، وذلك اذا رأت دولة الاحتلال ضرورة لاعتقالهم ، وخاصة اذا قام هؤلاء الاشخاص بالانضمام الى القوات المسلحة المشتبكة في القتال ، والاشخاص الذين يصلون الى اراضي دول محايدة او غير محايدة ويطلب الى هذه الدول اعتقالهم بمقتضى القانون الدولي ، ما عدا الاطباء ورجال الدين .

كان الاسرى في الحروب القديمة ارقاء وتحت رحمة الآسر ، يتصرف بهم كما يشاء سواء بالقتل او البيع أو بأية صورة اخرى . وكان قتل الاسرى يستهدف ارهاب العدو ، هكذا كانت الحال عند اليونان والرومان وسائر الامم القديمة ومنهم عرب الجاهلية . ففي عهد يوليوس قيصر كان الاسرى يحررون احياناً ولكنهم يظلون داخل الامبراطورية الرومانية ، حيث يستخدمون للاعمال اليدوية لان رجال الامبراطورية كانوا جميعهم مقاتلين ، لذا كان تحرير الاسرى يستهدف تشغيلهم داخل الامبراطورية كيد عاملة رخيصة التكاليف . كما كان الحكام الرومان يتفننون في إلهاء الطبقات الدنيا من الشعب عما هي فيه من ضيق وضنك بوسائل مختلفة من التسلية ، من المسرحيات الى سباق العربات الى مشاهد السيرك الفريدة من نوعها . ومنذ بداية القرن الثاني الميلادي أضيفت الى وسائل التسلية وسيلة جديدة تتمثل في مشاهد المصارعة التي بدأت بصراع الحيوان ضد الحيوان ، كصراع الاسود والفهود والثيران، وانتهت بصراع الحيوان ضد الانسان ، فصار الاسد الجائع يواجه في صراعه انساناً . وتعددت فئات مصارعي الاسود في روما ، ومن هذه الفئات

ما عرف بالغلادياتورز Gladiators الذين غالباً ما كانوا من اسرى الحرب .

وعند عرب الجاهلية ، كان الاسير يستخدم كرقيق ، وكان زعيم القبيلة يختار من الاسرى من يرغب عبيداً له ، وكذلك يختار باقي الزعماء في القبيلة عبيدهم من الاسرى . اما الباقون فيباعون في سوق النخاسة ، كما كانوا يقتلون احياناً . الى ان اتى الاسلام فحافظ على الكرامة الانسانية في الحرب كما حافظ عليها في السلم . اذ بعد ان كانت الامم تسترق الاسرى اتى الاسلام وحلل عتق الرقاب . وجاءت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية المتعددة التي تؤكد ضرورة معاملة الأسير بالحسنى ، أو العفو عنه . ويجيز جمهور فقهاء المسلمين المن على الاسرى ، اي اخلاء سبيلهم دون عوض ، ما عدا الحنفية التي تمنع ذلك الا بشروط ، كما يجيزون اخلاء سبيل الاسرى لقاء فدية ما عدا الحنفية التي تمنع الفدية بمال .

وفي ظل الدولة العثمانية والدول البربرية اصبح الاسرى ضمن غنائم الحرب . وكان الاتراك العثمانيون يأخذون اولاد اهل الذمة من الدول الاوروبية التي يحتلونها او يحاربون فيها فيضعونهم في مستعمرات خاصة ويربونهم حتى اذا كبروا انخرط هؤلاء في جيش سمي « جيش الانكشارية » . وقد لعب هذا الجيش دوراً كبيراً وهاماً في تاريخ الامبراطورية العثمانية حتى انه تمكن في وقت من الاوقات ان يحكم هذه الامبراطورية ، فيقيل سلطاناً وينصب آخر. (انظر الانكشاري) .

اما في القرون الوسطى ، فقد شاعت الفدية بشكل واسع ، واستمرت في اوروبا حتى القرن التاسع عشر ، ومن اهم ما عرف كفدية في التاريخ فدية الملك ريكاردوس قلب الاسد ، ملك انكلترا عندما اسره صلاح الدين الايوبي في الحرب الصليبية الثالثة (١١٨٩ - ١١٩٢) وأمده بالمرطبات والزاد أثناء مرضه ولم يمسه بسوء . وفدية جان لو بون Jean Le Bon ، ملك فرنسا ما بين (١٣٥٠ - ١٣٦٤) وقد وقع اسيراً خلال حرب المائة عام في معركة Poitiers في ١٩ ايلول (سبتمبر) ١٣٥٦ وكانت فديته ٣٠٠٠٠٠٠ فلساً ذهبياً Gold ecus وذلك في معاهدة بريتيني Bretigny وكاليه Calais التي وقعت في أيار (مايو) بين انكلترا وفرنسا . وكذلك فدية دوغسكلان (انظر دوغسكلان) .

وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر ، سن بعض الفلاسفة والقادة السياسيين قوانين للحرب امثال القانوني الهولندي هوغو غروتيوس Hugo Grotius الذي يرى ، في كتابه عن قانون الحرب والسلم De Jure belli ac Pacis ان باستطاعة الآسر اثناء الحرب استعباد الاسير لكن دون ان يقتله ، كما له ان يحرره ولكن بعد دفع فدية . وفي العام ١٦٤٨ وقعت معاهدة وستفاليا Westphalia التي اقرت تحرير الاسير دون دفع فدية . وكانت هذه المعاهدة بداية التشريع القانوني الملزم الذي وضع النهاية لاستعباد اسرى الحرب .

وفي القرن الثامن عشر كتب المفكر الفرنسي مونتيسكيو Montesquieu في كتابه الشهير روح القوانين L'Esprit des Lois (١٧٤٨) انه لا يجوز للآسر ان يعامل الاسير كقطعة من ممتلكاته ، بل عليه ان يحسن معاملته . وكتب فلاسفة آخرون مواضيع مماثلة عن معاملة الاسرى لمثال جان جاك روسو J. J. Rousseau في كتابه « العقد الاجتماعي » حيث حصر حق الآسر في منع الاسير من حمل السلاح مرة اخرى دون قتله . ومن خلال هذه الكتابات بدأت بوادر حسن معاملة الاسرى تظهر في العالم . وتم الاتفاق على ان يعامل كل فريق محارب الاسرى بالطريقة التي يعامل بها الفريق الآخر أسراه ، وذلك في المعاهدات التي وقعت بين الولايات المتحدة وبروسيا في العام (١٧٨٥) وبريطانيا (١٨١٣) والمكسيك (١٨٤٨) .

وكان أول مؤتمر عقد بهذا الصدد هو مؤتمر بروكسل Brussels (١٨٧٤) . ولكن لم يتم التصديق على القرارات التي اتخذها المؤتمرون . وقد نصت اتفاقيات لاهاي (١٨٩٩ و ١٩٠٧) (انظر لاهاي ، اتفاقيات) واتفاقيات جنيف (١٩٢٩) (انظر جنيف ، اتفاقيات) ان على الآسر ان يعامل الاسرى كما يعامل جنده . وان باستطاعة الاسرى ان يقوموا باعمال وفق ارادتهم . وعلى الآسر ان يدفع لهم اجرهم وان باستطاعة الاسير ارسال الرسائل واستلامها . كما اعتبرت من اسرى الحرب ، اسرى القوات المسلحة والميليشيا فقط . ولكن بعض الدول كألمانيا واليابان خرقت هذه الاتفاقيات المتعلقة بمعاملة اسرى الحرب معاملة حسنة . وبعد الحرب الكورية ، سنت الولايات المتحدة قانوناً اعتبرت بموجبه كل اسير مسؤولا عن تصرفاته .

الا ان اياً من الدول الفاشية لم تطبق القانون الخاص بالاسرى ، بل اعتمدت في تعاملها مع الاسرى ، الحرب النفسية ، وغسل الدماغ Brain washing الذي عرف اول ما عرف في الولايات المتحدة الاميركية ، والتعذيب الجسدي لانتزاع المعلومات بالقوة والاضطهاد . ويظل مثل اسرائيل في التعامل مع الاسرى الفدائيين خاصا واسرى العرب عامة اوضح مثال على ذلك ، وقد ظهر تعذيب اسرائيل للاسرى العرب في التحقيقات التي اجرتها اللجان الدولية منذ العام ١٩٤٨ .

ونصت اتفاقية جنيف الثالثة الموقعة في ١٢ آب (اغسطس) ١٩٤٩ والخاصة بمعاملة أسرى الحرب على ان يعتبر اسرى الحرب تحت سلطة دولة العدو وليس تحت سلطة الافراد او الوحدات العسكرية التي اسرتهم . كما تعتبر الدولة الآسرة مسؤولة عن كيفية معاملتهم بحيث يجب ان يعاملوا معاملة انسانية ، وان يحترموا ، ويحموا من اعمال العنف والتحقير والانتقام ، وان تتكفل الدولة الآسرة بتطبيبهم ومعالجتهم ومعاملتهم دون تمييز للون او العنصر او العقيدة الدينية او السياسية ، وعلى الاسير مقابل ذلك ان يعطي اسمه ورتبته العسكرية وتاريخ ميلاده ورقمه العسكري ، فقط . ونصت الاتفاقية كذلك على انه لا يجوز للآسر ان ينزل بالاسير تعذيباً بدنياً او معنوياً بغية استخلاص المعلومات من اي نوع كانت . اما بالنسبة الى اسرى الحرب الذين لا يستطيعون الادلاء بالمعلومات اللازمة عن شخصيتهم بسبب سوء حالتهم الصحية ، فيجب ان يسلموا الى القسم الطبي ، كما لا يجوز ان يجرد الاسرى من شارات رتبهم وأوسمتهم ونقودهم والادوات التي تعتبر ذات قيمة شخصية او تذكارية بالنسبة اليهم . ويحق للاسير ان يحتفظ بجميع ادواته الخاصة كالخوذة والقناع الواقي من الغازات ما عدا الاسلحة والمستندات الحربية . ويطلب من الدولة الآسرة ترحيل اسرى الحرب الى معسكرات بعيدة عن منطقة القتال كي يكونوا بأمان ، وان يزودوا بطعام ومياه صالحة للشرب وبملابس ، وان يلقوا العناية الطبية اللازمة لضمان سلامتهم اثناء نقلهم ، وان يوضع سجل خاص بهم .

ونصت الاتفاقية كذلك على انه عند نشوب القتال ، وفي جميع حالات الاحتلال ، يتعين على كل دولة من اطراف النزاع ان تنشيء مكتباً للاستعلامات خاصاً بأسرى الحرب الذين وقعوا بيدها وعلى هذا المكتب ابلاغ المعلومات المتعلقة بهويات الاسرى الى دولهم بواسطة الصليب الاحمر ، كي ينقلها بدورها الى عائلاتهم . وهذه المعلومات هي : الاسم الكامل للأسير ، ورتبته ، وفرقته ، ورقمه الشخصي او المتسلسل ، ومحل ميلاده وتاريخه ، والدولة التي ينتمي اليها ، واسم ابيه وامه ، واسم

الشخص او العنوان الذي يجب اعلامه بأمر الاسر ، والعنوان الذي يمكن ان ترسل اليه مراسلات الاسير ، ويحق لمندوبي اللجنة الدولية للصليب الاحمر زيارة اسرى الحرب والاطلاع على احوالهم (انظر الصليب الاحمر) . ويحق للدولة الآسرة اخضاع اسرى الحرب للاعتقال ، كما يحق لها الافراج عنهم جزئياً . وتجمع الدولة الآسرة اسرى الحرب في المعسكرات او اقسام المعسكرات ، وذلك وفقاً لجنسياتهم ولغاتهم وعاداتهم . ويجب ان تميز معسكرات اسرى الحرب بحروف مميزة P. W. اي Prisoners of War او P. G. Prisonniers de Guerre ، بحيث تكون العبارة واضحة من الجو ، كما يجب ان يميز بين معسكرات الاعتقال Concentration Camps ومعسكرات اسرى الحرب . وان تتوفر في هذه المعسكرات الشروط الصحية اللازمة وان يقدم للاسرى الغذاء واللباس اللازمان ، وان ينشأ لهم مؤسسات تعاونية من نوع (نوادي الجنود) للحصول على المواد الغذائية ، وان يتوفر مستوصف لكل معسكر ، ويمكن تكليف اسرى الحرب من الاطباء والجراحين بالقيام بأعمال طبية لمصلحة الاسرى التابعين لدولتهم ، وفي هذه الحالة يجب ان يعاملوا معاملة افراد الهيئة الطبية . ويحق لاسرى الحرب ممارسة واجباتهم الدينية ونشاطهم الفكري والثقافي والرياضي ، ويجري الكشف الطبي عليهم مرة في الشهر . ويسمح لاسرى الحرب بارسال الرسائل والبطاقات واستلامها ولكن تحت المراقبة ، كما يسمح لهم بأن يستلموا طروداً فردية او جماعية تحتوي على مواد غذائية او ملابس وكتب واوراق امتحانات وآلات موسيقية وادوات رياضية تتيح لهم متابعة دراساتهم وجهودهم الثقافية والفنية والرياضية .

ويحاكم اسرى الحرب امام المحاكم العسكرية فقط ، الا اذا كانت قوات الدولة الآسرة قد سمحت للمحاكم المدنية بمحاكمة احد افراد القوات المسلحة لذنب اقترفه تجاه احد الاسرى . اما اسرى الحرب الذين يحاولون الهرب فيكونون عرضة لعقوبات تأديبية ويسلمون الى السلطة العسكرية المختصة . ولا يمكن ان يصدر حكم على اسير دون ان يعطى فرصة للدفاع عن نفسه والاستعانة بمحام او مستشار قانوني . وتتحمل الدولة الآسرة مصاريف اعادة اسرى الحرب الى اوطانهم او نقلهم الى بلد محايد . ولا يجوز استخدام اسير الحرب الذي اعيد الى وطنه في الخدمة العسكرية الفعلية . ويفرج عن اسرى الحرب ويعادون الى اوطانهم عند وقف الاعمال العدائية . وعلى الدولة الآسرة ان تتولى دفن اسرى الحرب الذين ماتوا في الاسر ، وان تتأكد من انهم قد دفنوا باحترام وطبقاً لشعائر دينهم ، وان مقابرهم محترمة ومحفوظة ومميزة . كما يحق للدولة الآسرة إحراق جثث الاسرى او اغراقها في البحر ، وذلك عندما تتطلب الضرورات الصحية ذلك . (انظر فرساي « معاهدة » ، المادة ٢١٤ – ٢٢٦ الخاصة بإعادة اسرى الحرب وتشييد القبور) .

(٥) اسطول

تطلق كلمة اسطول على مجموعة من السفن لها صفة محددة ومهمة محدودة . وقد تعني مجموعة السفن الحربية التي تمتلكها دولة ما ، او مجموعة السفن التي تمتلكها هذه الدولة في منطقة جغرافية محددة . كما تطلق على مجموعة السفن التجارية التي تمتلكها دولة ما ، او مؤسسة بحرية تجارية . وقد تعني مجموعة السفن التي لها صفة واحدة وطبيعة استخدام واحدة وتمتلكها دولة او مؤسسة ما مثل اسطول ناقلات نفط ، او اسطول صيد سمك .

وقد يكمل الاسطول الحربي ، في حالة الحرب ، بمراكب تجارية مصادرة تحمل اسم الاسطول المساعد ، وتعد هذه المراكب للقتال بتزويدها بمدافع عادية ومدافع ورشاشات مضادة للطائرات ، مع اجهزة تصنت وغيرها من المعدات . ويعين عدد من الضباط من سلاح البحرية لقيادتها او لمساعدة قبطانها . وتحمل هذه المراكب رايات الاسطول الحربي . وتقول اتفاقية لاهاي لعام ١٩٠٧ ، ان المراكب التجارية المصادرة للنقل فقط ، والتي تحتفظ بطاقمها المدني ولا تتسلح بأية أسلحة ، تبقى مراكب مدنية لا يحق لها حمل رايات الاسطول الحربي ولا تعامل من قبل العدو كمراكب قتال .

والاساطيل التجارية والحربية معروفة منذ عهود بعيدة في التاريخ . وكان معاوية ابن ابي سفيان اول من بنى اسطولا حربياً في التاريخ العربي الاسلامي ، أيام كان حاكماً لمصر . ولم تستخدم كلمة اسطول في البحرية الامريكية حتى عام ١٩٠٧ ، بعد إنشاء اسطول الاطلسي ، واسطول الباسيفيكي ، والاسطول الآسيوي . وقد اختفت هذه التسمية خلال الحرب العالمية الاولى لتعود الى الظهور عام ١٩٢٢ . واصبح للولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية اربعة اساطيل في الاطلسي والباسيفيكي . اشهرها الاسطول السادس في البحر الابيض المتوسط ، والاسطول السابع في الشرق الاقصى . ثم الاسطول الثالث في الباسيفيكي ، والثاني في الاطلسي .

وتعتمد الولايات المتحدة على اساطيلها اعتماداً كبيراً . وتأتي البحرية في المرتبة الاولى قبل الطيران والجيش في جدول اهتمامات الولايات المتحدة ، وتحظى بأكبر قسط من موازنة الدفاع الامريكية . وهي تمتلك اساطيل متكاملة من ناحية اعداد القطع البحرية وتنوعها في كل اسطول ، وهي تصلح كنموذج جيد لتعريف الاسطول خاصة وان تكامل تشكيلاتها تفرض ضرورة ارتفاع مستوى تدريبها واداراتها .

يتكون كل اسطول من الاساطيل الامريكية من سلاح منفصل يضم نوعاً واحداً من القطع البحرية ، ولكل سلاح من هذه الاسلحة قائد ، وهذه الاسلحة هي : سلاح الطيران البحري ، وسلاح الطرادات ، وسلاح المدمرات ، وسلاح الغواصات ، وسلاح البرمائيات (Amphibious force) ، وسلاح الخدمات (Service force) . ويطلق على قادة هذه الاسلحة اسم قادة ، او قادة اداريون . وتشكل كل ٣ الى ٦ قطع من حاملات الطائرات ، او الطرادات ، او المدمرات ، او الغواصات ، او الناقلات ، او كاسحات الالغام ، « فرقة » واحدة . وتشكل فرقتان من المدمرات ، او الغواصات سرباً واحداً . وتشكل ثلاثة أسراب من المدمرات اسطولا صغيراً (Flotilla) وتتدرج تدريبات الفرق والاسراب والاساطيل الصغيرة لتتكامل وتصبح وحدة مقاتلة تعمل كلها كفريق ، مكونة بذلك الاسطول .

ويمتلك الاتحاد السوفياتي ٤ اساطيل هي اسطول الشمال ، واسطول البلطيق ، واسطول البحر الاسود ، واسطول الباسفيك . وله اسطول في البحر المتوسط مشكل من قطع من هذه الاساطيل . وتختلف تشكيلات الاساطيل السوفياتية عن تشكيلات الاساطيل الامريكية ، وذلك نابع من اختلاف انواع القطع المستخدمة ، مثل عدم وجود حاملات طائرات هجومية في الاسطول السوفياتي ، وهذا بدوره يؤثر على استراتيجية وتكتيك الاسطول ، والى تضارب الاستراتيجيات العليا واهداف بناء الاسطول .

ويتكون الاسطول عادة من سفن قتال مثل ، حاملات الطائرات ، والبوارج ، والطرادات ، والغواصات ، والفرقاطات ، والمدمرات بانواعها بما في ذلك سفن الحراسة ، وسفن الدورية . إن الزوارق المسلحة (مثل مطاردات الغواصات ، وزوارق الطوربيد ، وزوارق الصواريخ) ، تصنف عادة كسفن قتال ، رغم انها تختلف عن الاولى كثيراً

في الوزن والحجم والتسليح .

وتتضمن الفئة الثانية سفنا مختلفة اخرى مثل كاسحات الالغام ، وزارعات الالغام ، والسفن البرمائية . وهذه السفن تدخل المناطق التي يسيطر عليها العدو لزرع الالغام او كسحها وفتح طريق لسفن الانزال ، وتتلقى نيران العدو وهجماته ، وهي غير مسلحة . وكانت هذه السفن تعتبر سفناً حربية في الحرب العالمية الثانية نظراً للمخاطر التي كانت تتعرض لها .

اما الفئة الثالثة التي تكون الاسطول الحربي فهي السفن المساعدة . او الاسطول المساعد . وتتكون من اصناف متعددة من سفن الامداد على اختلاف انواعها ، وسفن الاصلاح التي تقوم باصلاح ما لا تستطيع سفن الاسطول اصلاحه . وتواجد الفئات الثلاث المذكورة من السفن بكافة انواعها لا يكاد يتوفر الا للدول العظمى . وحتى هذه الدول تمتنع عن بناء أنواع معينة من سفن القتال وادخالها للعمل في اسطولها لاعتبارات استراتيجية وتكتيكية . (انظر سفينة قتال) .

(١) اسطول الانقضاض النهري

مجموعة من مراكب الانزال الصغيرة المصفحة تصفيحاً محدوداً ضد نيران اسلحة المشاة ، والمسلحة بمدافع ٢٠ و ٤٠ مم ، وهاونات ٨١ مم ، ورشاشات ثقيلة . والتي تحمل الجنود الراجلين أو عربات نقل الجنود المدرعة لانزالهم على ضفاف الانهار خلال القتال ضد العصابات .

يقوم اسطول الانقضاض النهري بالدوريات النهرية في مناطق نشاط العصابات . وهو يمتاز عن الدوريات الآلية بسرعة حركته ، وقدرته على مداهمة مواقع العصابات بالمفاجأة . ويعمل اسطول الانقضاض النهري عادة بالتعاون مع وحدات القوات الخاصة المحمولة بالمراكب أو بطائرات الهليكوبتر . ويؤمن رصده بواسطة طائرات الهليكوبتر . وتشكل الاسلحة الثقيلة المحمولة على المراكب والموجودة في طائرات الهليكوبتر القتالية قاعدة للدعم الناري تساعد القوات الخاصة والعربات المدرعة المحمولة داخل المراكب على القيام بعمليات تطهير ضفاف الانهار . ويتمون هذا الاسطول عادة من المدن النهرية ، وهو يضم بالاضافة إلى مراكب الانزال والمراكب المسلحة مركب ورشة ، ومركب اتصالات لاسلكية ، ومركب إسعاف (مستشفى) .

استخدم الفرنسيون هذا النوع من الاساطيل على أنهار دلتا نهر الميكونغ خلال حرب الهند الصينية . وفي عام ١٩٦٧ انشأت البحرية الاميركية وقوات فيتنام الجنوبية اساطيل انقضاض نهرية . ولقد اشترك الاسطول النهري الأول في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ في العملية التي شنها الاميركيون على بعد ٣٠ كيلومتراً جنوبي سايغون . كما عمل في ٨ آذار (مارس) على فك الحصار عن سايغون . وفي ١٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٨ عمل الاسطول النهري على طول قناة تاك لاك بالتعاون مع خمس كتائب فيتنامية جنوبية ضد ثلاث كتائب من الثوار الفيتناميين ، ولكن مقاومة كتيبة الثوار ٥٠٢ المتخندقة بقوة في الأرض كبدته خسارة كبيرة واجبرته على طلب الدعم من المدفعية البرية والدبابات والطيران لحسم الموقف .

(١) الاسطول الجوي

وحدة جوية للقصف ، أو المطاردة ، أو الاستطلاع ، تضم عدة اسراب . ويستخدم هذا التعبير في الكتابات العسكرية الجوية للدلالة أيضاً على مجموع الطائرات المكلفة بمهمة واحدة ، دون أن يؤخذ بعين الاعتبار عدد الطائرات التي يضمها هذا الاسطول .

(٤) الاسطول السادس

قوة بحرية امريكية ضاربة (تاسك فورس) دائمة التواجد في البحر الابيض المتوسط . شكلت في أوائل الخمسينات لتكون بمثابة قاعدة بحرية وجوية وبرمائية غير معرضة لضربات الصواريخ ارض-ارض بعيدة المدى ، مثل القواعد البرية ، وبعيدة في الوقت نفسه عن الاضطرابات السياسية التي تتعرض لها القواعد الارضية الامريكية في بلدان المنطقة . ولكن الواقع أثبت صعوبة استمرار بقاء الاسطول السادس كقوة فعالة الاثر في جميع الظروف ، دون وجود قواعد بحرية وجوية امريكية في اراضي دول البحر الابيض المتوسط (سواء في غربه أو شرقه) ، ذلك لأن هذه القواعد هي ركائز لازمة للسيطرة على بحر ضيق محدد المسارات كالبحر الابيض المتوسط . وبدون مثل هذه القواعد يصبح وجود الاسطول السادس قوة غير مضمونة الفاعلية في حالة نشوب حرب شاملة أو حتى حرب محدودة طويلة الامد نسبياً . ومن هنا تتأكد أهمية القواعد البحرية الامريكية الضخمة في اسبانيا ، مثل قاعدة «روتا» و «مورفي» و «سان بابلو» و «مادون» ، وفي ايطاليا ، مثل «نابولي» ، وفي اليونان حيث توجد قاعدة «بيريه» وقواعد «كريت» .

ويتألف الاسطول السادس عادة من حوالي ٥٠ قطعة بحرية (يزيد عددها خلال الازمات السياسية أو العسكرية في المنطقة) تضم حاملتي طائرات من طراز «فورستال» التي يبلغ وزن الواحدة منها ٧٨ ألف طن في حالة التحميل الكامل ، وتجهز بنحو ٨٠ طائرة معظمها من القاذفات المقاتلة من طراز «فانتوم» ، بالاضافة لعدد من طائرات هليكوبتر مضادة للغواصات ، وتشكل حاملات الطائرات (التي تزيد إلى ثلاث حاملات في الازمات) القوة الضاربة الرئيسية للاسطول السادس ، وهي تعتبر جزءاً متقدماً من القيادة الجوية الاستراتيجية الامريكية (انظر القيادة الجوية الاستراتيجية الامريكية SAC) في البحر الابيض المتوسط .

وبالاضافة إلى حاملات الطائرات توجد لدى الاسطول السادس عادة قوة من نحو ١٧ سفينة سطح حربية ، تضم ٢ — ٣ طرادات ، والباقي مدمرات وفرقاطات بعضها ذات تسليح تقليدي والبعض الآخر مجهز بالصواريخ الموجهة المضادة للسفن والمضادة للطائرات ، هذا فضلا عن ٣ — ٤ غواصات نووية تحمل كل منها ١٦ صاروخاً بولاريس بعيدة المدى ، تحمل رؤوساً نووية . كما يضم الاسطول السادس قوة برمائية جاهزة للعمليات فوراً تتألف من نحو ٢٠٠٠ جندي ، تحملهم ٣ — ٥ سفن إنزال (استخدمت خلال أزمة لبنان عام ١٩٥٨) ، وهناك عدد من سفن الامداد والوقود والاصلاح والصيانة ومطاردة الغواصات .

ويتولى قائد الاسطول قيادة اسطوله من الطراد «ليتل روك» المجهز بأجهزة اتصال قوية ، واجهزة رادار ، وعقول الكترونية ، ويبلغ وزنه في حالة التحميل الكامل ١٤٦٠٠ طن ، وهو مسلح بمدافع عيار ١٥٢ مم و ١٢٧ مم ، وصواريخ سطح — جو . وتتألف القوة البشرية الاجمالية للاسطول السادس من حوالي ٢٥ ألف بحار وجندي وطيار .

ويقول الكاتب الاستراتيجي الامريكي «ج. س. ويلي» بصدد أهمية الدور السياسي الذي يلعبه الاسطول السادس انه «بالاضافة إلى كونه قوة مقاتلة فعالة ، فانه يعد أداة ديبلوماسية مطواعة

حساسة ، وهو يعمل كواحد من الوسائل العديدة للسياسة القومية الامريكية » .

ويذكر الكاتب الامريكي « هانسون بالدوين » « أنه يبدو واضحاً ان اسرائيل لا يمكنها البقاء لمدة طويلة وسط بحر من العرب ، اذ بدون قوة امريكية توازن النفوذ السوفييتي ، وبدون الاسطول الامريكي السادس في البحر الابيض المتوسط ستواجه اسرائيل قدرها » .

وفي خلال عدوان ١٩٥٦ على مصر كان الاسطول السادس يتحرك بين المنطقة القريبة من بور سعيد وجزيرة قبرص مبقياً مدمراته مستنفرة ومقاتلات الحماية الجوية محلقة فوق قطعه في شكل دوريات مستمرة . وفي خلال الازمة السياسية اللبنانية عام ١٩٥٨ انزل الاسطول السادس مشاة البحرية التابعين له على الشواطىء القريبة من بيروت بطلب من الرئيس « كميل شمعون » وغطت طائراته عملية الانزال البحري . وفي خلال حرب ١٩٦٧ كانت سفنه تتجول بين « كريت » والساحل الليبي . كما انه كان قريباً من مسرح العمليات الحربية خلال حرب ١٩٧٣ ، ولقد كانت سفنه تتجول حول « قبرص » خلال التدخل العسكري التركي أثر الانقلاب اليوناني ضد الرئيس مكاريوس في صيف ١٩٧٤ .

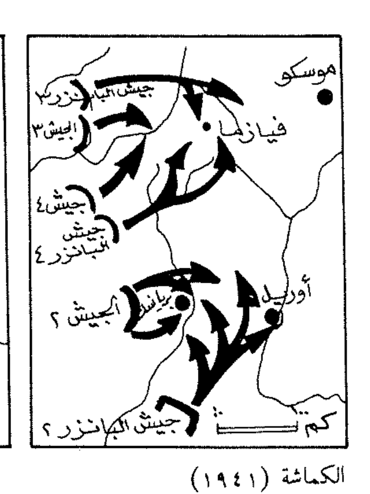
(١) إسفين

يعتبر دفع كتلة قوية من المدرعات والمشاة الميكانيكية والمدفعية ووحدات الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ، عبر خرق مفتوح عنوة في دفاع العدو ، عملية **دق اسفين** في هذا الخط الدفاعي . ودق الاسفين أسلوب من أساليب الحرب الخاطفة . ولقد أبدع الألمان في استخدامه في بداية الحرب العالمية الثانية عندما كانت فرق البانزر الالمانية تعمل بسهولة ضد خصوم لا يجرؤون على استخدام دباباتهم بكتل ضخمة ، وينهزمون رغم امتلاكهم لدبابات تفوق دبابات عدوهم **قوة** وعدداً . ثم طبق الحلفاء هذا الاسلوب على الجبهة السوفييتية' وعلى الجبهة الغربية بعد إنزال النورماندي . ويعتمد الاسفين على تركيز القوى ضد الجبهات الضعيفة التي لم يحسن الخصم اعدادها نظراً لاهماله أو نقص قواته أو اعتماده على عدم صلاحية الأرض لتقدم المدرعات والآليات . وما أن يتم دق الاسفين — الذي يعتبر مقدمة لجيش يضم كتلا كبيرة من المشاة — حتى تندفع قوات هذا الجيش في العمق وتتغلغل داخل المؤخرات على **شكل مروحة** أو على **شكل كماشة** .

ويتم التقدم في العمق على **شكل مروحة** إذا كان هناك اسفين واحد قوي ، تنفتح القوات المهاجمة من خلاله متباعدة داخل قطاع من الأرض يحدد جوانبه أنهار أو سيول أو أية حواجز طبيعية تحمي مجنبات المروحة . وتتقدم هذه القوات إلى يمين الخرق ويساره حتى تصل إلى الحدود الطبيعية لمجال المناورة (بحر أو حدود أو جبال) قاطعة بذلك جيوش العدو إلى جيبين أو اكثر ، ومؤمنة تطويق القوات العاملة في مواقع العدو التي تم خرقها . وقد يلاقي أحد جناحي المروحة مقاومة قوية تمنعه من التقدم على حين يتابع الجناح الآخر تقدمه بنجاح اكبر فيكون التقدم عندئذ **بنصف مروحة** .

ويجري التقدم في العمق على **شكل كماشة** اذا كان هناك اسفينان ، وتتقدم القوات المهاجمة في هذه الحالة لتلتقي على مسافة ١٥٠ — ٢٠٠ كم في عمق مؤخرات العدو . واذا قام المهاجم بدق ٣ أسافين ، فان تقدم قوات الاسفين الأوسط يكون على **شكل مروحة وكماشة** بآن واحد ، على حين يكون تقدم قوات الاسفينين الجانبيين على **شكل كماشة** .

وكلما كان التقدم بعد دق الاسفين قوياً وسريعاً ، وكانت القوات المندفعة عبر الخرق كبيرة ، وكان عمق التغلغل في مؤخرات العدو كبيراً ، توصلت عمليات الكماشة أو المروحة أو المروحة والكماشة الى هز الترتيب الاستراتيجي المعادي بعنف أشد ، وتطويق قوات معادية أكبر ، وفتحت السبيل أمام استثمار الفوز بشكل أفضل .



الكماشة (١٩٤١)

المروحة (١٩٤٠)

الاسفـين

(٤) الاسقاط الجوي

(انظر القوات المحمولة جواً) .

(٥) اسكرا

(انظر ت س — ١١) .

(١) الاسكندر المقدوني

الاسكندر الاكبر واسمه باليونانية الكسندروس (٣٥٦—٣٢٣ ق.م.) . ملك مقدونيا (٣٣٦ — ٣٢٣ ق.م) . ابن فيليب الثاني وأوليمبياس . كان يتمتع بذكاء خارق وحيوية نادرة . تتلمذ على يد أريسطو في عام ٣٤٣ ق. م. وأخذ عنه العلوم والجغرافيا والتاريخ ، ولكنه لم يأخذ عنه أفكاره السياسية . تعلم الحرب خلال المعارك ، وأخذ مكان أبيه في عام ٣٣٦ ق. م: أخضع الشعوب البربرية في شمال مقدونيا كما أخضع الإيليريين . ثم أخمد ثورة يونانية اندلعت ضده ، ومارس خلال ذلك قسوة مخيفة وتسامحاً أريباً : اذ أنه دمر تيبس في الوقت الذي حافظ به على أثينا من الدمار . وعندما استقر حكمه بدأ يفكر بحملة آسيا التي طالما خطط أبوه لها .

سلم مقدونيا إلى انتيباتروس ، وأخذ التدابير اللازمة لمغامرته ، وانطلق في ربيع ٣٣٤ ق . م . مع ٣٧ ألف رجل ، ومتطوعين من جميع المدن اليونانية ما عدا مدينة ليسيديمون . وفي غرانيك

اصطدم مع أول جيش فارسي وانتصر عليه . وما ان غدا سيداً على آسيا الصغرى حتى سار مع الشاطىء محرراً المدن اليونانية من نير الحكم الفارسي . ثم أمضى الشتاء في كاري ليتابع التقدم بعد ذلك . وعندما انتصر في غورديون بدأ التفكير في السيطرة على آسيا . ولكنه انتظر حتى يتخلص من ممنون رودس ، أخطر خصومه ، قبل أن يتابع التقدم ، ويجتاز جبال طوروس ، ويقابل جيش الفرس الجرار بقيادة داريوس الثالث في سهل ايسوس ، ويلحق به هزيمة ساحقة . ولكن داريوس استطاع الانسحاب الى بابل ، وحاول بشكل غير حاذق توقيع اتفاقية سلام . وطالب الاسكندر الاكبر الفرس بالخضوع الكامل . وتابع خطته لتطويق شرق البحر الابيض المتوسط ، واخضع الساحل السوري كله ، وانقضى عام ٣٣٢ ق . م . في حصاري صور الطويلين (٧ أشهر) وحصار غزة . وبعد احتلال القدس دخل الاسكندر المقدوني إلى مصر التي كان الفرس قد أخضعوها لحكمهم منذ عام ٣٤٣ ق.م. واستطاع الاسكندر اكتساب السكان بمهارة ، وذلك بان احترم معابدهم وطقوسهم الدينية . ثم تقدم عبر الصحراء الليبية حتى بلغ واحة آمون التي كان يونانيو مصر يتعبدون فيها لإلههم زوس Zeus .

بنى الاسكندر على الطرف الغربي للدلتا مدينة الاسكندرية . وفي عام ٣٣١ ق. م. وبعد أن حقق عزل الفرس عن طريق احتلال الشاطىء كله ، تقدم باتجاه داخل بلادهم . واجتاز دجلة والفرات ، وقابل في سهل غوغاميل آخر جيوش داريوس . ودارت معركة خيالة في اربيليس أنهت مقاومة الفرس نهائياً . وفتحت جميع العواصم أمام قواته . واحتلت جيوش الاسكندر بآن واحد تقريباً بابل وسوس وايكباتان ، على حين دخل الاسكندر نفسه بيرسيبوليس ، ودمرهـا عن بكرة أبيها ، باستثناء القصور الملكية . ولوحق داريوس في بلاد ميديا

الاسكندر المقدوني

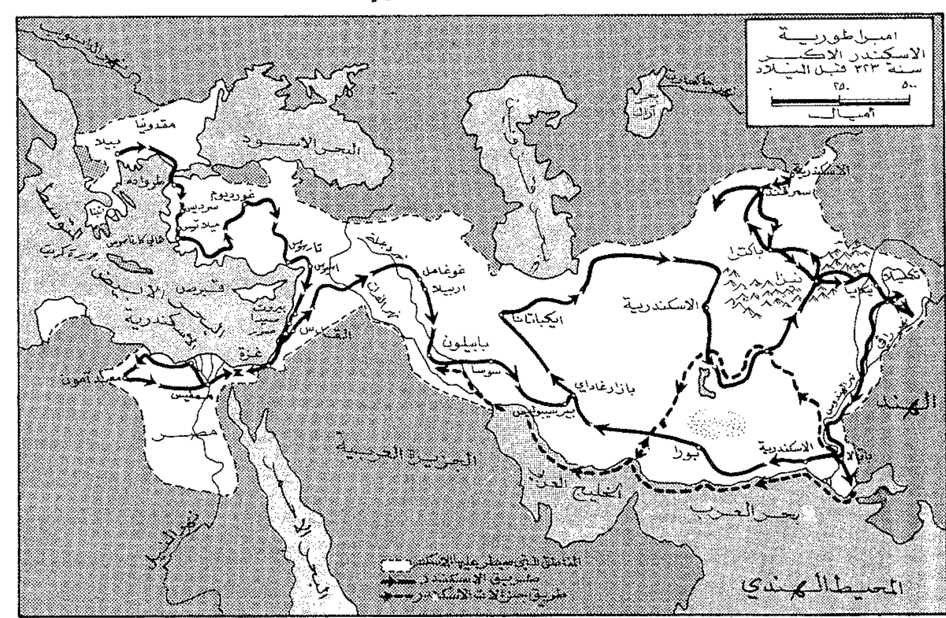
حتى قتل في تموز (يوليو) ٣٣٠ ق.م.

وكان إخضاع المقاطعات الشرقية أصعب ما واجه الاسكندر ، نظراً لأن سكانها كانوا من الشعوب الصلبة الجبلية المحاربة التي دافعت عن أرضها شبراً شبراً . ولمجابهة هذه المهمة الصعبة وسع الاسكندر حجم قواته بأن أدخل فيها الفرس والبربر حتى غدوا اكثرية داخل جيشه . وأدخل في الوقت نفسه تعديلات على حاشيته وحياته : فلقد غدا الملك الأعلى ، الذي يجسد نصف إله . وأحاط نفسه باسطورة ذات تقاليد وطقوس شبه دينية يونانية – فارسية . وكان على الجميع أن يركعوا أمامه . وعندما رفض بعض اليونانيين الركوع أعدمهم (كالليستين ، فيلوتاس) .

تقدم الاسكندر بعد ذلك باستمرار وأخضع البارتيين ، وهيركانيـا ، وآريا ، وسوغديان ، وباكتريان ، وحاول تنظيم هذه البلاد ، ولكن الانتفاضات اندلعت ضده من كل جانب . ولم يمنعه ذلك من متابعة التقدم . وبنى على طريق تقدمه مدناً استراتيجية رائعـة . ثم دخل وادي الاندوس ، حيث حقق بكل مهارة توازناً سياسياً بين حليفه تاكسيلس وخصمه بوروس الذي انهزم أمامه في عام ٣٢٦ ق.م. وواصل الاسكندر تقدمه وهو يقاتل حتى وصل شواطىء نهر بياس . وعندما أراد التقدم أبعد من ذلك ، أوشك جنوده على التمرد ، بعد أن أنهكتهم المسيرة الطويلة والأمطار الموسمية ، فاضطر إلى التوقف ، وعاد ادراجه حتى وصل نهر الاندوس ، وسار معه حتى المحيط الهندي حيث أراد بناء ترسانة بحرية . وكلف نيارك باكتشاف الشاطىء على حين عاد هو عن طريق البر . وبعد مسيرة مضنية في صحارى ايران وصل الجيش إلى سوس في شباط (فبراير) ٣٢٤ ق. م. حيث أقيمت احتفالات كبيرة بانتهاء الحملة .

ولم يوقف الاسكندر المقدوني بعد ذلك نشاطه ، بل تابع عمله لصهر الأقوام التي أخضعها ، وشجع المقدونيين على الزواج من الفارسيات . وتزوج ابنة داريوس ، على حين تزوج العديد من أعوانه بنات حكام المقاطعات الفارسية . ولم يرض الجيش عن هذه السياسة عندما ضم الاسكندر إلى الجيش ٣٠ ألف آسيوي من المرتزقة . ولقد أقام الاسكندر بلاطه في بابل حيث كان يستقبل سفراء مختلف بلدان العالم . وأخذ في تصميم مشروعات جديدة ، كاحتلال شبه جزيرة العرب ، وبناء اسطول .. الخ . ولكنه توفي فجأة بالحمى في ١٣ حزيران (يونيو) ٣٢٣ ق. م. وهو سيد العالم الشرقي ، وعمره ٣٣ عاماً .

حملات الاسكندر المقدوني



لم يكتف الاسكندر باخضاع امبراطورية، بل حاول تنظيمها وإعطاءها بعض الملامح الحضارية. وتقوت السلطة المقدونية بعد احتكاك المقدونيين مع الفرس. ولقد ساد في هذه الامبراطورية مبدأ التعاون بين اليونانيين والشرقيين حتى في المقاطعات النائية. وبنيت مدن تقطنها أجناس مختلفة، وتم في هذه المدن الانصهار العرقي المطلوب. بيد أن الشرقيين تأثروا بالحضارة المقدونية – اليونانية أكثر من تأثر المقدونيين – اليونانيين بحضارة الشرق. وتعتبر سياسة الاسكندر الاقتصادية الخاصة بزيادة المبادلات التجارية، والتثبيت النقدي، وتوحيد الانواع المتداولة، واحدة من اهم نجاحاته. وكانت ليبراليته الدينية سبباً من أسباب سرعة عملية تقارب الطقوس وانصهارها.

وترجع انتصارات الاسكندر المقدوني العسكرية إلى كفاءاته القيادية العالية، ومهارة قادته، وارتفاع مستوى قطعاته التنظيمي والانضباطي والتسليحي والتكتيكي، بشكل جعلها قادرة على الحركة ودخول المعركة بسرعة، والانتصار على قوات معادية تفوقها عدداً.

(٣) الاسكندرية وحصن كريون (معركة)

يبعد حصن كريون عن الاسكندرية ٣٦ كلم، وقد رممه الروم ليجعلوا منه خط الدفاع الاول عن هذه المدينة. وقد تقدم المسلمون لاحتلاله بعد ان سقط حصن بابليون بأيديهم، فترك عمرو بن العاص (قائد الحملة) في بابليون حامية بقيادة خارجة بن حذافة السهمي، وتوجه مع باقي الجيش، وكان عدده قد اصبح خمسة عشر ألف مقاتل (وقيل عشرين ألفاً) وذلك بعد أن امده الخليفة عمر بالزبير بن العوام ومعه ثمانية الاف مقاتل، نحو الاسكندرية حيث كان لزاماً عليه ان يقاتل، قبل الوصول اليها حامية (حصن كريون)، بقيادة (ثيودور) قائد الروم الكبير، وقد بلغ عدد جيشه المتمركز في كل من الاسكندرية والحصن نحو خمسين ألف مقاتل.

واذا علمنا ان (الكريون) كانت في ذلك الحين مدينة تجارية كبيرة تشرف على الترعة التي تزود الاسكندرية بالمؤن، وتتصل بهذه المدينة بسلسلة من الحصون، ادركنا كم كان لهذا الحصن من اهمية لدى الروم، لذا كان دفاعهم عنه دفاع المستميت، فزجوا في هذه المعركة افضل قواتهم واكثرها بأساً، ولقي المسلمون في حربهم حول هذا الحصن مقاومة شديدة من المدافعين، اذ كان الروم يعرفون ولا شك ان انهيار دفاعهم عن حصن كريون يعني وصول المسلمين الى الاسكندرية واستيلاءهم عليها، وبالتالي خروج الروم من مصر ومن افريقيا بعدها.

ومن هنا ايضاً، كان استبسال جند المسلمين في القتال، فهم يطمحون الى اخراج الروم من كل ارض افريقية، ومفتاح انتصارهم هو مفتاح هذا الحصن، وكانت الغلبة لاكثر الفريقين صبراً، فهزم الروم وتركوا الحصن منسحبين نحو الاسكندرية. إلا أن عمراً لم يترك لهم مجال التحصن فيها من جديد، فجد في اثرهم نحوها مطبقاً مبدأ المطاردة واستثمار الفوز، حتى بلغ اسوار الاسكندرية، فضرب الحصار حولها، وكانت مدينة محصنة من جهة البر ومفتوحة للاسطول البيزنطي من جهة البحر، ولهذا صعب على المسلمين فتحها، بل كان امر اقتحامها اشق على المسلمين من اقتحام اي حصن آخر، بالاضافة الى ان الروم استعملوا في الدفاع عنها معدات القتال الثقيلة كالمنجنيق. وقد دام حصار المسلمين للاسكندرية اربعة اشهر (وقيل سنة) وانتهى بخضوعها لهم، فدخلوها فاتحين، وكان ذلك في سنة ٢١ هـ الموافق لسنة ٦٤١ م.

وقد اختلف المؤرخون في أمر فتح الاسكندرية وهل تم صلحاً ام قتالا، ولكن المرجح ان دخول العرب اليها تم صلحاً، وذلك بعد مفاوضات طويلة وشاقة بين عمرو بن العاص والبطريرك كيروس (او قيروس) الذي كلفه الامبراطور هركلوناس امبراطور بيزنطية باجراء المفاوضات مع العرب، وعقد الصلح معهم. وابرز شروط هذا الصلح الجزية على من بقي في المدينة، والأمن لمن رحل عنها، والهدنة احد عشر شهراً ليتسنى للجيش الرومي ولغيره من المدنيين الرحيل.

إلا ان ذلك لم يكن آخر عهد الروم بالاسكندرية اذ انهم عادوا اليها في عام ٦٤٥ م باسطول كبير عدده ثلاثمائة سفينة حربية بقيادة البطريرك مانويل، وتمكنت هذه الحملة من احتلال الاسكندرية بمعاونة من بقي فيها من سكانها الروم، الا ان هذا الاحتلال لم يدم طويلا، اذ سرعان ما عاد عمرو بن العاص اليها فحاصرها وآلى «ليهدمن اسوارها ان مكنه الله منها فلا يتركن للروم اليها سبيلا». وقد مكنه الله بها بالفعل وفي امد قصير، فدخلها حرباً. واعمل المسلمون عند دخولهم اليها بجند الروم تقتيلا حتى اذا ما بلغوا وسط المدينة امرهم عمرو بالكف عن ذلك، وبنى في ذلك المكان مسجداً أسماه (مسجد الرحمة) تذكاراً للحادث.

وقد قتل في هذه المعركة قائد حملة الروم مانويل، ولجأ من تبقى من جند الروم الى السفن وولوا هاربين، واستقر المسلمون بالاسكندرية بعدها نهائياً، وكان ذلك في سنة ٦٤٦ م.

(١) الاسلاك الشائكة

تعتبر شبكة الاسلاك الشائكة من الموانع الاصطناعية المضادة للأشخاص والخيالة (انظر الموانع). وهي تتألف من أوتاد معدنية أو خشبية مغروسة في الأرض على أربعة أو خمسة صفوف، ويصل بينها جبهياً وقطرياً أسلاك شائكة معدنية. وتكون المسافة بين الأوتاد (١,٥) متر، كما تكون المسافة بين الصفوف (١,٥) متر أيضاً.

تنصب شبكة الأسلاك الشائكة على مسافة ٥٠ – ٦٠ متراً أمام مواقع المشاة. ويكون قبلها عادة حقل ألغام مضادة للدبابات وحقل ألغام مضادة للمشاة، كما يمكن أن يزرع بعدها حقل ألغام مضادة للمشاة. وتدعم الشبكة نفسها بأفخاخ وألغام مضادة للأشخاص لمنع العدو من اجتيازها، كما تدعم بألغام منيرة تنفجر وتضيء المكان اذا ما حاول العدو اجتياز الشبكة. ويستخدم العدو الاسرائيلي جهازاً كهربائياً خاصاً يربط بالاسلاك الشائكة لإعطاء الانذار عند اجتياز الشبكة أو قطع أسلاكها، كما يستخدم جهازاً كهربائياً متصلا بحشوة مستطيلة ينفجر عند شد الأسلاك الشائكة أو قطعها أو تحريكها بقوة.

تكون شبكة الأسلاك الشائكة عادة في مرمى أسلحة المدافعين الخفيفة، وهي تنصب على خطوط مستقيمة وبشكل نجمي لتستطيع الاسلحة الرشاشة أخذ العدو الواقف أمامها بالرمي الضام من الجانب. وليس من الضروري أن تكون شبكة الأسلاك الشائكة وحيدة، اذ غالباً ما ينصب أمام المواقع الدفاعية الدائمة شبكتا أسلاك شائكة تبعد الواحدة عن الأخرى ٥٠ – ٦٠ متراً، ويمكن أن يشغل المسافة الفاصلة بينهما حقل ألغام مضادة للأشخاص.

تعيق شبكة الأسلاك الشائكة حركة المشاة الراجلة والخيالة والمشاة المحمولة، وتوقفها مدة معينة تحت النيران وفي منطقة القتل، ولكنها لا توقفها بشكل نهائي. وتكمن مهمتها الاساسية في منع العدو من مفاجأة المدافعين، والحد من سرعة اندفاع المهاجمين خلال مرحلة الانقضاض (انظر الهجوم). ولا تستطيع شبكة الأسلاك الشائكة إيقاف الدبابات

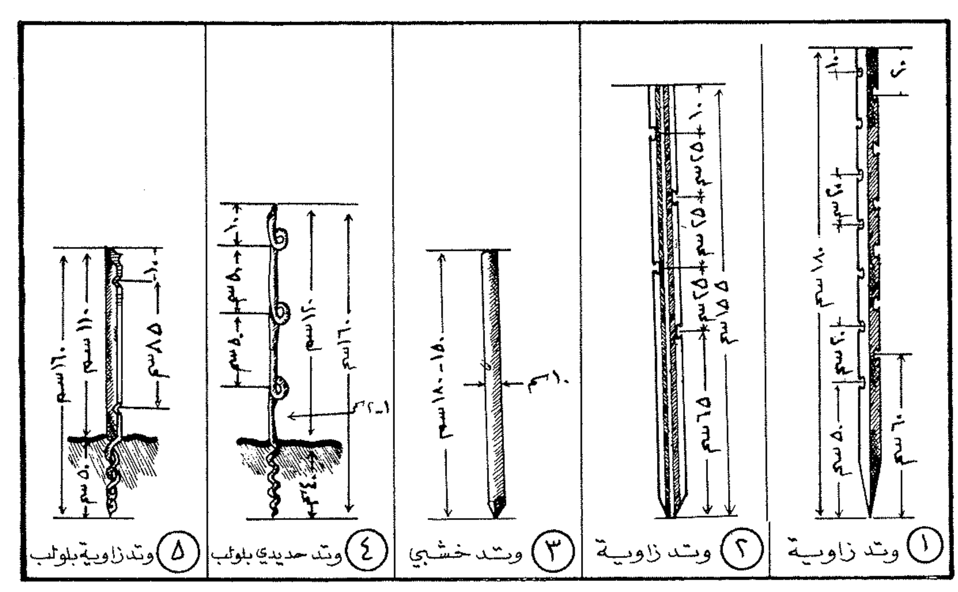
التي تستطيع سحقها وتجاوزها . ولمنع الدبابات من المغامرة في مثل هذه العملية ، تعزز الشبكة بألغام مضادة للدبابات تزرع وسط الشبكة نفسها .

ولشبكات الاسلاك الشائكة الثابتة – حسب ارتفاعها – ثلاثة أنواع : **الشبكة العادية** ، وتنصب في الأرض العادية ، ويكون ارتفاع أوتادها فوق سطح الأرض ١٢٠ سنتيمتراً ، ويكون عمق الشبكة (٤,٥ – ٦) أمتار . وهي تدعم من الجانبين بأسلاك شائكة أو عادية للشد مربوطة بأوتاد قصيرة ومغطاة بأسلاك شائكة . **والشبكة العالية** التي يكون ارتفاعها فوق سطح الأرض ١٦٠ – ١٨٠ سنتمتراً ، وعمقها ١,٥ – ٣ أمتار (حسبما تكون على صفين أو ثلاثة صفوف) . وتنصب هذه الشبكة في مناطق التسلل الحساسة وحول المعسكرات والمطارات ، وتدعم من الجانبين بأسلاك شد وبشبكة عادية . **والشبكة المنخفضة** (الاعثار) التي تنصب في الغابات والمناطق المغطاة بالأعشاب ، كما تنصب تحت الماء على الشاطئ أو على ضفاف الانهار . ويكون ارتفاعها عن سطح الأرض حوالي ٣٠ – ٤٠ سنتمتراً . وتتميز هذه الشبكة بامكانية إخفائها بحيث تفاجئ العدو خلال الانقضاض .

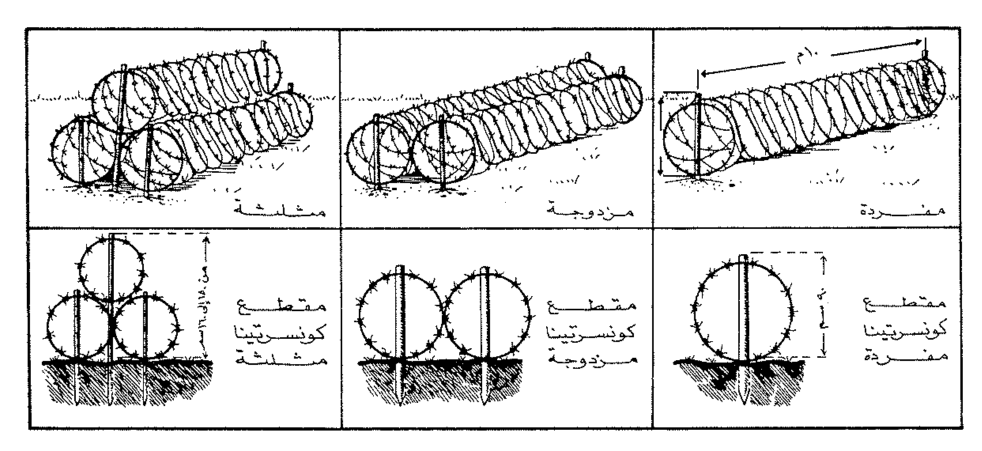
– وبالاضافة الى الشبكات الثابتة المذكورة ، فان من الممكن استخدام شبكات متحركة قابلة للطي (كونسرتينا) . وهي عبارة عن شبكات اسطوانية يبلغ طولها ١٠ أمتار ، وقطرها ٧٠ – ٩٠ سنتمتراً ، ويمكن طيها ونقلها بسهولة . يثبت طرف هذه الاسطوانة عند النصب بأوتاد ارتفاعها عن سطح الارض ٩٠ سنتيمتراً ، ثم يشد الطرف الآخر ويثبت بوتد آخر يكون نقطة ابتداء الاسطوانة الثانية وهكذا .

تنصب الشبكات الشائكة الاسطوانية القابلة للطي (كونسرتينا) على صف واحد أو صفين متلاصقين أو ثلاثة صفوف متلاصقة . كما يمكن أن تنصب على صفين متلاصقين وفوقهما صف آخر . ويكون ارتفاع الشبكة في هذه الحالة ١٨٠ سنتيمتراً .

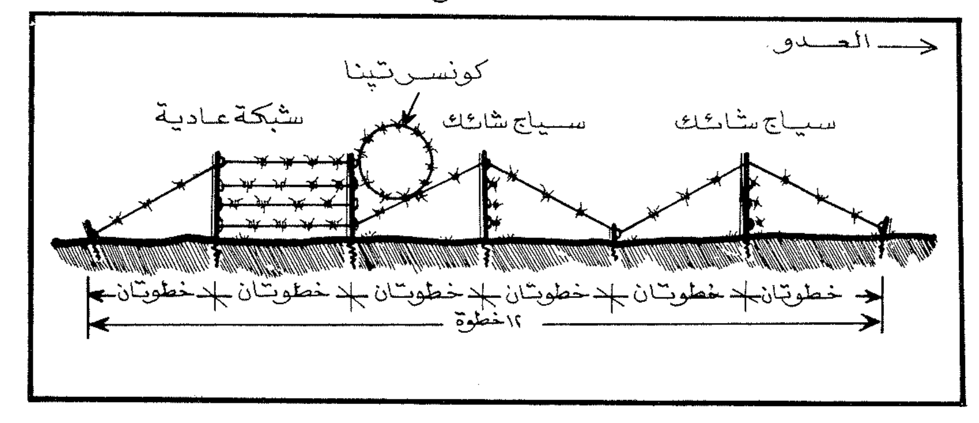
وتمتاز « الكونسرتينا » عن شبكة الأسلاك الثابتة بأن نصبها يتم بسرعة أكبر ، ويمكن نزعها وطيها ونصبها في مكان آخر عند تبديل الموقع ، كما أنها لا تتطلب غرز أوتاد كثيرة في الأرض ولذا فهي تستخدم في الجبال والمناطق الصخرية التي يصعب غرز الأوتاد فيها ، كما تستخدم في حالات الدفاع على عجل ، وحالات المخافر الأمامية ، والمراكز الدفاعية المؤقتة (حواجز على الطرق) ، ولتغطية مواقع القوات المحمولة جواً العاملة وراء خطوط العدو ، والدفاع في المدن . وتستخدمها مفارز السدود المتحركة لنصب حاجز سريع مضاد للأشخاص في المناطق التي يتقدم منها العدو خلال القتال . بيد أن قلة



أوتاد الأسلاك الشائكة



الشبكة المختلطة ، نموذج اميركي



ارتفاعها ، وعدم تمتعها بعمق كاف يجعلها أقل فاعلية من الحواجز الثابتة .

يتم اجتياز شبكة الاسلاك الشائكة بالتسلل من تحتها أو بالقفز من فوقها مع استخدام السلالم الخشبية أو الحصر العادية أو المعدنية ، أو بفتح ثغرة صغيرة فيها بواسطة المقراض ، أو بفتح ثغرة عريضة بواسطة الحشوة المتطاولة (انظر البنغالور) ، أو بفتح ثغرة برمايات المدفعية والهاون ، أو بسحب الشبكة بسلك القطر الموجود في الدبابة أو العربة أو العربة المدرعة .

(١) اسلاك النقابين

يستخدم جنود المهندسين (النقابون) أسلاكاً كهربائية خاصة لتنفيذ أعمال التفجير . وهي عبارة عن أسلاك ذات ضفائر نحاسية مكسوة بغلاف عازل مؤلف من طبقتين مطاطيتين . ويكون السلك ذا ضفيرة واحدة أو ضفيرتين . وتمتاز أسلاك النقابين عن الاسلاك الناقلة المستخدمة في الانارة أو الاتصالات الهاتفية بعدة ميزات هي : ١) قلة المقاومة الكهربائية (٢٥ أوم للكيلومتر مقابـل ٤٥ — ٧٥ أوم لكيلومتر الأسلاك الهاتفية) الأمر الذي يساعد على التفجير من مسافات بعيدة ، ٢) مقاومة الماء والرطوبة ، الأمر الذي يؤمن التفجير تحت الماء وبقاء الاسلاك سليمة إذا بقيت ممدودة على الأرض فترة من الزمن ، ٣) مقاومة القطع (٣٠ — ٤٠ كغ) مما يضمن عدم انقطاعها بسهولة بتأثير الطرق أو الشد . ومقابل هذه الميزات فان لاسلاك النقابين سيئة تتعلق بالوزن اذ يبلغ وزن الكيلومتر منها ٣٠ — ٦٠ كيلوغراماً مقابل ١٣ — ٢٥ كيلومتراً للاسلاك الهاتفية .

ومن المفضل دائماً استخدام اسلاك النقابين في التفجير الكهربائي . ومع هذا فان من الممكن استخدام أسلاك النقل الكهربائي أو أسلاك الهاتف عند عدم توفر أسلاك النقابين . ويشترط في هذه الحالة فحص مقاومتها بمقياس الأوم ، وعدم تركها على الأرض فترة طويلة في الأيام الماطرة حتى لا تخفف الرطوبة من قدرتها على نقل التيار اللازم للتفجير .

(٢) الاسلوب الانتقائي

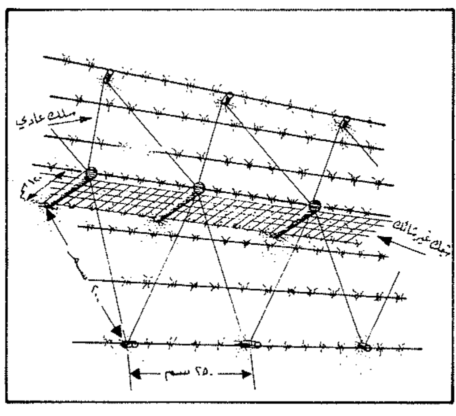
فكر بعض المنظرين في عدم استخدام الأسلحة الذرية الا بأسلوب سموه « الأسلوب الانتقائي » وذلك بعدم تدمير الا ما ينبغي تدميره ، إما لتحطيم المعنويات المعادية بضربات نموذجية تستهدف بعض المدن الكبرى (نموذج هيروشيما أو روتردام) ، أو لحماية أنفسهم ضد النيران المعادية (أعمال معاكس — القوات النووية) أو للتسهيل والتعجيل بانتصار محلي بري أو بحري .

(٤) اسماعيل علي (احمد)

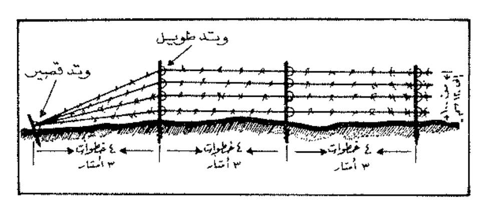
قائد عسكري مصري (١٩١٧ — ١٩٧٤) . تخرج احمد اسماعيل علي من الكلية الحربية المصرية في العام ١٩٣٨ ، والتحق بسلاح المشاة . وقد خدم في الصحراء الغربية خلال الحرب العالمية الثانية في الفترة من ١٩٤٠ إلى ١٩٤٢ . وشارك في الحرب العربية — الاسرائيلية الاولى (١٩٤٨) كقائد سرية مشاة . وفي العام ١٩٥٠ حصل على ماجستير في العلوم العسكرية . واشترك في الحرب العربية — الاسرائيلية الثانية (١٩٥٦) كقائد لواء مشاة . وفي العام ١٩٥٧ تلقى دورة دراسات عسكرية عليا في اكاديمية فرونزه في الاتحاد السوفييتي ضمن الدفعات الاولى من الضباط المصريين الذين تلقوا هذه الدراسات في مختلف معاهد الاتحاد السوفييتي العسكرية اثر انتهاء حرب ١٩٥٦ والبدء في تحديث الجيش المصري سواء من حيث التسليح أو التنظيم أو التدريب .

وعشية حرب ١٩٦٧ كان يشغل منصب رئيس اركان القيادة الشرقية التي كانت تشرف على القوات الموجودة اصلا في سيناء وتقودها ، وقد شارك في الحرب بهذه الصفة ، ولكن قيادته لم تلعب دوراً كبيراً ، نظراً لأنه فرضت على هذه القيادة قبل نشوب الحرب بوقت قصير قيادة اخرى برئاسة الفريق اول عبد المحسن مرتجى قائد القوات البرية ، وأدى تدخل القيادة العامة ، ناسة المشير عبد الحكيم عامر والعقيد شمس بدران وزير الحربية خلال الفترة السابقة لنشوب القتال واثناءه إلى شل ارادة وقدرات القيادة الشرقية وقيادة القوات البرية .

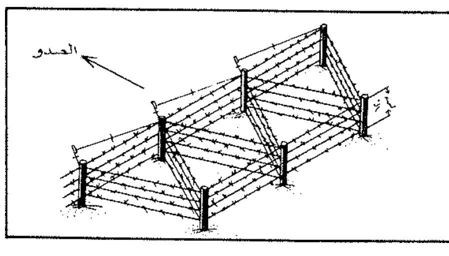
وعقب هزيمة ١٩٦٧ مباشرة تولى احمـد اسماعيل قيادة القوات المصرية المدافعة عن الضفة الغربية للقناة . وفي نهاية العام ١٩٦٨ عين رئيساً للعمليات في الاركان العامة ، واشرف على تخطيط عمليات حرب الاستنزاف التي بدأت في ١٩٦٩/٣/٨ . ثم عين رئيساً للاركان العامة بدلا من الفريق عبد المنعم رياض (الذي استشهد يوم ١٩٦٩/٣/٩



سياج شائك مع شباك غير شائك

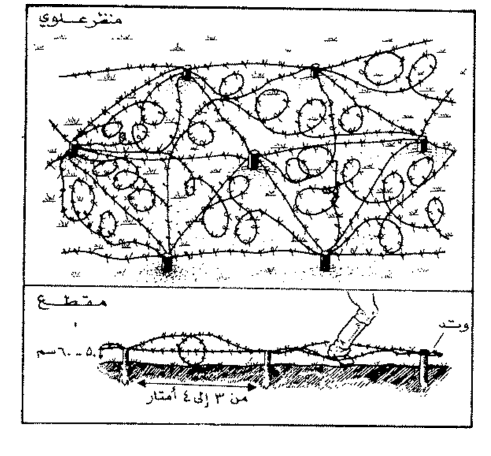


السياج الشائك



الشبكة العادية

شبكة الإعثار المنخفضة



قرب الاسماعيلية اثناء القصف المدفعي المتبادل في اليوم الثاني لحرب الاستنزاف) . ثم نقل إلى منصب الامين العسكري المساعد للجامعة العربية في نهاية العام ١٩٦٩ ، الذي تلقى خلاله أيضاً دورة دراسات عسكرية عليا في اكاديمية ناصر العسكرية .

وأثر حركة ١٥ أيار (مايو) ١٩٧١ ، التي أدت إلى إبعاد مجموعة علي صبري وشعراوي جمعه وسامي شرف من قمة السلطة السياسية في مصر واعتقال اعضائها بمن فيهم الفريق اول محمد فوزي وزير الحربية والقائد العام للجيش المصري ، عين احمد اسماعيل مديراً للمخابرات العامة بدلا من احمد كامل الذي كان من بين المعتقلين . وفي ١٩٧٢/١٠/٢٦ عين وزيراً للحربية وقائداً عاماً للقوات المسلحة المصرية ورقي إلى رتبة فريق أول ، وذلك أثر تنحية الفريق اول محمد احمد صادق من منصبه لاسباب تتعلق بعدم اقتناعه ببدء الحرب ضد الاحتلال الاسرئيلي القائم في سيناء والجولان بسبب اعتقاده بعدم كفاءة الاسلحة السوفييتية الموجودة لدى الجيش المصري . وقام احمد اسماعيل أثر ذلك بدور فعال في التخطيط للحرب العربية — الاسرائيلية الرابعة (١٩٧٣) بالتعاون مع بقية قادة القوات المسلحة المصرية والسورية ، خاصة وانه كان قد عين في ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ قائداً عاماً لقوات الجبهات الثلاث المصرية والسورية والاردنية ، ثم عين في تموز (يوليو) ١٩٧٣ رئيساً للمجلس الاعلى للقوات المسلحة المصرية — السورية . ولقد شاركه في التخطيط للحرب الفريق « سعد الدين الشاذلي » رئيس الاركان ، واللواء محمد عبد الغني الجمسي مدير العمليات الحربية برئاسة الاركان ، واللواء حسن الجريدلي مساعد وزير الحربية ، وقادة اسلحة المدفعية والمهندسين والطيران والدفاع الجوي والبحرية . ومن أبرز مساهماته في التحضير لحرب ١٩٧٣ انه عمل على إعادة الثقة بالسلاح السوفييتي الموجود لدى القوات العربية ، وقد عبر عن ذلك بقوله : « ان السلاح بالرجل وليس الرجل بالسلاح ، واذا لم يكن واثقاً من نفسه فلن يحميه اي سلاح ... وذلك يعني اول ما يعني قدرة الرجل على استيعاب سلاحه والسيطرة عليه » .

وقد اثارت خطة احمد اسماعيل في حرب ١٩٧٣ بعض الجدل العسكري والسياسي حول النتائج العسكرية والسياسية التي ترتبت على توقف القوات المصرية حتى عمق ١٥ — ١٧ كلم من الضفة الشرقية للقناة ، بعد نجاحها في عبور القناة واقتحام خط بارليف وصد الهجمات المعاكسة الاسرائيلية ، وعدم



الفريق اول أحمد اسماعيل علي

استثمارها النجاح الذي تحقق بتطوير الهجوم شرقاً لاحتلال ممرات سيناء الاستراتيجية . وقد عبر احمد اسماعيل عن رأيه في هذه المسألة وفسر موقفه منها في حديث له نشر يوم ١٩٧٤/٢/١٨ فقال : « كان التخطيط ... يقتضي وقفة تعبوية (أي عملياتية) بعد إتمام العبور ، وبعد إتمام تأمين رؤوس الجسور ... وقفة أعيد فيها تقدير الموقف في ضوء رد فعل العدو ، والتأهب للخطوة التالية ، واتخذ لها احتياطاتها الكافية وأتقدم ... لم اكن أريد أن نكون تقليديين ، وفي نفس الوقت لم أكن أريد أن نكون مغامرين ... ربما كان هناك من رأوا أنه كان علينا أن نقبل مخاطر اكبر ... ولكنني صممت باستمرار على هدف رأيته امام عيني وأحسسته في ضميري ، وهو المحافظة على سلامة قواتي . لقد كنت أعرف الجهد الذي اعطته مصر لإعادة بناء الجيش ، وكان علي أن أوفق بين معرفتي بحجم هذا الجهد — الذي لا يمكن أن يتكرر بسهولة — وبين تحقيق هدفي الحربي . كنت أعرف معنى أن نفقد جيشنا ... وحين اتطلع إلى اوضاع قواتنا الآن ، فاني اشعر بأننا حققنا جزءاً كبيراً من الهدف السياسي للحرب ، ثم اننا استطعنا الاحتفاظ بقواتنا سليمة » .

وعقب وقف اطلاق النار في ١٩٧٣/١٠/٢٢ أعد أحمد اسماعيل خطة كاملة لتصفية الجيب الاسرائيلي على الضفة الغربية وفتح الطريق إلى القوات التابعة للجيش الثالث في السويس والضفة الشرقية للقناة ، إلا أن الخطة لم تنفذ عملياً ، رغم اعتمادها في ٢٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ من قبل الرئيس أنور السادات ، نظراً لاعتبارات سياسية عليا تتصل بخشية التدخل العسكري الامريكي الذي ألمح اليه وزير الخارجية الاميركي « كيسينجر » في محادثات فك الارتباط وقتئذ مع الرئيس أنور السادات . وقد رقي احمد اسماعيل في بداية عام ١٩٧٤ إلى رتبة مشير تقديراً لجهوده في حرب ١٩٧٣ . ورغم اشتداد وطأة المرض عليه طوال الشهور الاخيرة للعام ١٩٧٤ ، فقد استمر احمد اسماعيل يشارك في اعداد القوات المسلحة المصرية من أجل التأهب لاحتمالات حرب عربية — اسرائيلية خامسة ، وقال في حديث نشر في ١٩٧٤/١٠/٤ « لا شك أن المعركة القادمة ، اذا قدر لنا أن نقوم بها ، ستكون مختلفة تماماً عن الحرب السابقة ، ستكون بمفهوم جديد وبتخطيط علمي جديد مدروس لكل الاحتمالات المقبلة بنفس روح اكتوبر العظيمة . أما بالنسبة الى عنصر المفاجأة ، فانني أعدكم أن نحصل عليها مرة اخرى ، فهناك وسائل شتى للحصول عليها ، اذ انها ليست نمطية . واستعدادنا انتظاراً لأي حرب قادمة يسير اليوم في مجالات متعددة ، منها اعداد القوات بتدريبات جيدة ورفع الكفاءة الفنية للمعدات وتطوير قواتنا المسلحة بوجه عام » . وقد توفي المشير أحمد اسماعيل علي في مستشفى بلندن يوم ١٩٧٤/١٢/٢٥ متأثراً بمرض السرطان ، وشيعت جنازته عسكرياً في القاهرة بتاريخ ١٩٧٤/١٢/٢٧ .

(١) أسنان التنين

تعتبر أسنان التنين Dents de dragon من الموانع الاصطناعية المضادة للدبابات والعربات المدرعة (أنظر الموانع) . وهي عبارة عن كتل مكعبة أو مخروطية أو على شكل موشور ناقص من الإسمنت أو البناء الحجري موضوعة في المناطق التي يحتمل فيها تقدم الدبابات . وتبلغ مقاييس قاعدة الكتلة (١١٠×١١٠) سنتيمتراً ، وارتفاعها ١١٠ — ١٢٠ سنتيمتراً .

تبنى أسنان التنين على مسافة ٣٠٠ — ٥٠٠ متر أمام المواقع الدفاعية الثابتة ، وفي الممرات الضيقة

الصالحة لتسلل المدرعات ، وعلى شواطىء البحار وضفاف الأنهار لمنع تقدم الدبابات البرمائية . كما تبنى على جانبي الطرقات في الوديان لتحديد المرور على الطريق نفسه وتسهيل قطعه بالألغام والنيران ومنع المدرعات المعادية من الالتفاف حول الالغام . وتكون أسنان التنين مبنية عادة بشكل شطرنجي وعلى صفين أو أكثر ، وتكون بين أسنان التنين في الصف الواحد ١ — ٢ متر ، وبين الصف والصف الذي يليه ١,٥ — ٢ متر .

ولا تحقق أسنان التنين مهمتها إلا إذا كانت مضروبة بنيران الاسلحة المضادة للدبابات لتدمير الدبابات التي تقف عندها ، ومضروبة بنيران الاسلحة المضادة للمشاة لتدمير جنود المهندسين الذين يحاولون نسف أسنان التنين بالمتفجرات . وتستطيع أسنان التنين إعاقة حركة الدبابات والعربات المدرعة وإيقافها مدة معينة تحت النيران وفي منطقة القتل ، ولكنها لا توقفها بشكل نهائي . وتكمن مهمتها الاساسية في الحد من سرعة اندفاع دبابات العدو واجبارها على التوقف أو أخذ تشكيلة الرتل للمرور عبر الثغرة التي يتم فتحها في المانع ، الأمر الذي يزيد فاعلية الاسلحة المضادة .

يتم اجتياز أسنان التنين بعد فتح ثغرة في المانع بواسطة نيران مدافع الدبابات ، أو المدافع المضادة للدبابات ، أو بوضع حشوات سطحية مركزة من قبل جنود المهندسين عند قاعدة الحاجز . ولذا فان من المستحسن زرع حقل ألغام مضاد للاشخاص ، أو مجموعات ألغام مبعثرة أمام أسنان التنين لإعاقة عمل المهندسين المكلفين بمهمة التدمير .

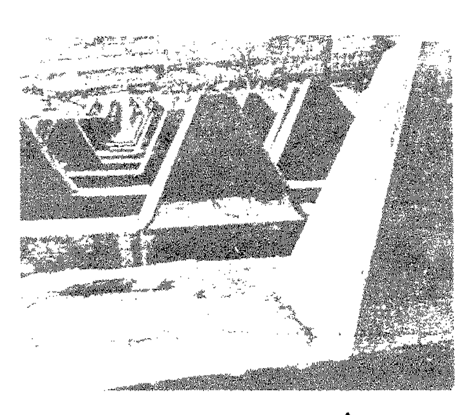
(٥) أس يو — ٥٧ (مدفع انقضاض)

مدفع انقضاض على عربة مجنزرة ، سوفياتي . ادخل الخدمة عام ١٩٥٧ . وهو عبارة عن مدفع عيار ٥٧ مم مركب على قاعدة مجنزرة زنة ٥ أطنان . وسقف هذه المجنزرة غير مغطى ، كما ان درعها خفيف . وصمم في الاصل كمدفع اقتحام للقوات المنقولة جواً ، ويمكن نقله بطائرات الهليكوبتر ، واسقاطه من الجو .

المواصفات العامة : الوزن ٥,٤ اطنان . الطاقم ٣ أفراد ، مع وجود مكان لجنديين آخرين . الحجم : الارتفاع ١,٦٥ ، الطول ٣,٨ م ، العرض ٢,١ م .



أسنان تنين بدون قاعدة



أسنان تنين مع قاعدة بيتونية

(٥) أس يو — ٨٥ (مدفع انقضاض)

مدفع انقضاض مدرع ، ومجنزر . سوفياتي . المدفع الرئيسي في تسليح كتائب مقاومة الدبابات في الاتحاد السوفياتي منذ ١٩٦٢ . والمدفع مركب على قاعدة الدبابة الخفيفة ب ت — ٧٦ (PT-76) ونظراً لخفة وزنه ، وقوة نيرانه ، وامكانية نقله جواً ، فانه يعتبر من أهم الاسلحة المضادة للدبابات لدى القوات المحمولة جواً .

عياره ٨٥ ملم ، ويطلق قذائف عالية السرعة ، وله القدرة على تدمير جميع انواع ناقلات الجنود المدرعة الموجودة لدى الجيوش الغربية ، وبعض دبابات الميدان الرئيسية . ويعتبر في هذه الحالة قانصاً للدبابات .

المواصفات العامة : الوزن ١٤ طناً . الطاقم ٣ افراد (قائد ، رامي ، سائق) . الحجم : الارتفاع ٢,٠٠ م ، الطول ٦,٨ م ، العرض ٣,١٦ م . السرعة على الطرقات/المدى ٤٠ كم/الساعة/٢٥٠ كم .

(٥) أش (صاروخ)

صاروخ جو — جو سوفياتي ، و (أش) هو الاسم الذي يطلقه حلف شمالي الاطلسي على الصاروخ الذي تتسلح به المقاتلات المعترضة بعيدة المدى ت يو ٢٨ . وهو يوجه اما بالاشعة تحت الحمراء او بالرادار .

(١) الاشارة

(انظر سلاح الاشارة) .

(٦) أشعة رونتجن (أو أشعة اكس)

هي عبارة عن موجات الكترو مغناطيسية غير مرئية ذات ذبذبات عالية ، يتراوح طول موجتها بين 10^{-7} — 10^{-11} سنتمتراً ، أي ما يساوي واحد في العشرة آلاف (١٠٠٠٠/١) من طول موجة الضوء المرئي ، تتولد في أنبوب زجاجي مفرغ من الهواء ، عندما يصطدم دفق سريع من الالكترونات بهدف معدني فتسبب ارتجاج ذرات مادة الهدف بشدة بالغة ، ونتيجة لذلك تنطلق الاشعة المذكورة .

سميت (بأشعة رونتجن) نسبة الى مكتشفها ويلهلم كونراد رونتجن «Wilhelm Konrad Röntgen» (١٨٤٥ — ١٩٢٣) .فيزيائي ألماني ، عمل استاذاً لمادة الفيزياء في جامعة ورزيبرغ «Würzberg» بالمانيا) . في سنة ١٨٩٥ ، لاحظ رونتجن ، أثناء اختباره لتأثير أشعة الكاثود على ستارة (شاشة) فلوريسنتية ، باستخدام أنبوب كروكس «Crooks tube» (أنبوب زجاجي مفرغ من الهواء جيداً ، تتولد فيه أشعة الكاثود أو بعبارة أخرى دفق من الالكترونات ذات الشحنة السالبة) ، ان ستارة مطلية بمادة بلاتينوسيانيد الباريوم «Barium Platinocyanide» تتوهج عندما تصطدم بها الالكترونات . ولكنه أصيب بالدهشة عندما اكتشف ان الستارة .توهجت بالرغم من انه قام بوضع انبوب كروكس في صندوق من الورق المقوى ، الى ان تحقق من وجود أشعة غير مرئية تختلف تماماً عن الضوء العادي وأشعة الضوء فوق البنفسجية وتحت الحمراء . بعد شهر من تاريخه ، قام رونتجن باعلان اكتشافه مطلقاً على الاشعة الجديدة اسم اشعة اكس X-Rays ومشيراً الى خصائصها الطبيعية التي تتمثل في : ١) قدرتها على

تعتيم الالواح الفوتوغرافية الحساسة للضوء ، ٢) قدرتها على تأيين الغازات ، ٣) قدرتها على النفاذ في المواد – التي لا يستطيع الضوء العادي النفاذ فيها – بدرجات متفاوتة (ما عدا معدن الرصاص) وذلك بسبب قصر موجاتها الشديد .

حاول رونتجن ، أثناء عمله ، دراسة الخصائص التموجية للأشعة الا انه فشل بسبب قصر موجاتها البالغ ، فبقيت دراسة انعكاس وانكسار الاشعة مجهولة الى ان اثبتها ماكس فون لاو « Max Von Laue » في سنة ١٩١١ ، بامرار الاشعة من خلال وسط بلوري ودراسة نمط تداخلها وانتشارها باستخدام لوح فوتوغرافي ، واكتشف بذلك ظاهرة انعطاف اشعة اكس في البلورات . وجاء بعده العالمان فردريك وكنبنغ « Friedrich and Knipping » واكدا ان هذه الاشعة هي نوع من الضوء (موجات الكترومغناطيسية) ذات طول موجي بالغ القصر (١٩١٢) . ثم جاء السير وليام براغ « Sir William Bragg » واكمل العمل بوضع تفسير مبسط للقانون الاساسي الذي يحكم انعطاف اشعة اكس في البلورات ، وطبقه بالاشتراك مع ولده لمعرفة الترتيب الذري لكثير من البلورات . وبذلك اصبحت اشعة اكس الاداة الاساسية في علم البلوريات الحديث .

وكما ان لاشعة اكس استخدامات مفيدة : استخدامها في الطب لتشخيص الامراض بواسطة الصور الشعاعية والفلوروسكوبية ولعلاج بعض الاورام السرطانية الخبيثة التي لا يمكن علاجها بالجراحة ، واستخدامها لمراقبة دقة العمليات الصناعية كالكشف على سلامة صنع السبائك المعدنية والتأكد من عدم وجود شقوق فيها لا ترى بوسائل اخرى ، واستخدامها في الابحاث العلمية ، واستخدامها لغايات أمنية كاكتشاف الطرود والحقائب المتفجرة بواسطة تصويرها شعاعياً او فلوروسكوبياً . فإن لها ايضاً تأثيرات بيولوجيه ضارة بسبب قدرتها على النفاذ لقصر موجاتها وقدرتها على تأيين ذرات الوسط الذي تمر فيه وقابلية الخلايا الحية لامتصاص طاقتها الشعاعية ، شأنها في ذلك شأن أشعة غاما – التي تنبعث من ذرات المعادن المشعة كالراديوم والغبار المتساقط من التفجيرات النووية – وغيرها من الاشعة النفاذة . وقد اتضحت هذه الخاصية مباشرة بعد اكتشاف اشعة اكس (١٨٩٥) والاشعاع الذري (١٨٩٦) . والتعرض المستمر لهذه الاشعاعات يسبب اضراراً جسيمة بالانسان كالحروق الاشعاعية وتأثيرات أخرى متأخرة الظهور (سرطان ، طفرات في الخلايا الحية وتغيراً في الصفات الوراثية) ، كما يؤدي استمرار التعرض لجرعات كبيرة من الاشعة الى الموت في النهاية .

ان تأثير اشعة اكس ، واشعة غاما ، وغيرها على الخلايا الحية متشابه . وهو يقاس بوحدة تسمى رونتجن (ر) Rontgen or Roentg (r) والرونتجن هو وحدة قياس جرعة الاشعاع المؤثرة على الخلايا الحية – بالاضافة الى كونه اسم يطلق على اشعة اكس – وبعبارة اخرى الطاقة المتخلفة عن مرور الاشعة في وسط معين . وقد سبقت الاشارة الى ان الاشعة تؤين ذرات الوسط الذي تمر فيه ، ويمكن معرفة عدد الايونات التي يحدثها مرور الاشعة في هذا الوسط بطرق متعددة ، وهو عدد يتناسب طرداً مع الطاقة الكلية المتخلفة . واذا كان عدد الايونات في السنتمتر المكعب من الهواء يساوي ٢,٠٨×(١٠) ٩ ، فإن مقدار الجرعة الشعاعية الناتجة تساوي رونتجن واحد .

وقد اختلف العلماء في تحديد مقدار الجرعة القاتلة من الاشعة ، ومقدار الجرعة التي يسمح بتعريض الانسان لها بالتالي ، وكذلك مقدار الضرر الذي يصيب الاجهزة البيولوجية . ويرجع هذا الخلاف الى حقيقة انه يمكن تعريض عدة اشخاص لجرعة واحدة من الاشعة الا ان تأثرهم بها يختلف اختلافاً كبيراً من شخص لآخر . كما أن كمية المواد المشعة التي يختزنها جسم الانسان تدريجياً من مختلف المصادر تختلف ايضاً من شخص لآخر اختلافاً واضحاً . الا انه يمكن القول بشكل عام ان كمية الجرعة القاتلة من الاشعة هي (٥٠٠) رونتجن ، والتعرض لها يسبب وفاة ٥٠ ٪ من الحالات خلال شهر واحد ، وتقل المدة بطبيعة الحال كلما زادت الجرعة . كما ان التعرض لجرعة مقدارها (٢٠٠) رونتجن تسبب المرض الذي يمكن الشفاء منه عادة .

وبما ان الحواس الانسانية لا تستطيع ادراك التعرض للاشعاعات المختلفة مهما كانت الجرعة ، فإن الكشف عن وجودها وقياس مقدارها يتم بواسطة اجهزة خاصة مثل : عدادات جايجر Geiger Counters ، وغرف التأين Ionization Chambers ، والعدادات البلورية Crystal Counters ، وهي تستخدم في القوات المسلحة لكشف مدى التلوث الذي يصيب منطقة ما بعد انفجار قنبلة ذرية ، وحساب امكانية اجتيازها من قبل القطعات العسكرية ، والتدابير التي ينبغي اتخاذها خلال هذا الاجتياز وبعده (الالبسة الخاصة ، السرعة ، غسيل المعدات وتطهيرها من الغبار الذري) حتى لا يتأثر رجال القطعات العسكرية من الاشعة ، ويفقدوا قدرتهم القتالية .

(١) اصطدام

قتال تلاقي وتصادم يتم بشكل غير مقصود بين مفرزتين متعاديتين صغيرتين . وهناك اصطدام بري واصطدام بحري واصطدام جوي ، وغالباً ما يكون أحد طرفي الاصطدام أو كلاهما دورية تعمل في منطقة غير أمينة ، علماً بأن الدوريات تعمل ما في وسعها لتتجنب الاصطدام .

(١٢) الاطرش (سلطان)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٤) الأطلسي (جدار)

عقب احتلال الجيوش الالمانية لدول غرب اوروبا عام ١٩٤٠ ، وفشل الهجوم الجوي وحصار الغواصات في إجبار بريطانيا على طلب الصلح والخروج من الحرب ، بدأت القيادة الالمانية العليا في تحصين الموانئ الرئيسية في فرنسا وبلجيكا وهولندا والدنمارك ، وتركيب بطاريات من المدفعية الساحلية بعيدة المدى في بادو كاليه Pas de Calais لقطع طريق الملاحة عبر مضيق « دوڤر » فضلا عن قصفها بين حين وآخر ، وكانت هذه التحصينات تشكل جزءاً من خطة الدفاع عن غرب اوروبا لتأمين مؤخرة الجيوش الالمانية الاستراتيجية أثناء هجومها الخاطف على الاتحاد السوفييتي في صيف عام ١٩٤١ .

ومع فشل الهجوم الخاطف المذكور في القضاء على القوة العسكرية السوفييتية ، وبعد إلحاق الهزيمة بالقوات الالمانية في معركة موسكو في شتاء ١٩٤١ – ١٩٤٢ ، وتزايد احتمالات اقدام بريطانيا على محاولة لفتح جبهة ثانية في اوروبا بمساعدة الولايات المتحدة الامريكية التي كانت قد دخلت الحرب عقب هجوم بيرل هاربور في ١٩٤١/١٢/٧ واعلان المانيا الحرب عليها تضامناً مع اليابان ، أصدر هتلر أمراً في ١٩٤٢/٨/١٢ بتحصين الشواطئ الغربية لاوروبا بصفة عامة ، ومنذ ذلك الوقت بدأ ما عرف بعد ذلك بإسم « جدار الاطلسي » في التكون كخط دفاع ساحلي شبه متصل يمتد من الدنمارك شمالا حتى الحدود الفرنسية – الاسبانية جنوباً ، أي لمسافة نحو ٢٧٠٠ كم .

وفي عام ١٩٤٣ زادت قوة الدفع لاستكمال هذا المشروع الضخم عقب اضطرار المانيا اتخاذ موقف الدفاع الاستراتيجي نتيجة لهزيمة جيوشها الحاسمة في « ستالينغراد » في أواخر عام ١٩٤٢ وبداية عام ١٩٤٣ ، وهزيمة قوات « رومل » في « العلمين » في الفترة نفسها . ولكن رغم تخصيص نحو ربع مليون جندي من قوات الحاميات الالمانية في الدانمارك وهولندا وبلجيكا وفرنسا، ومثلهم تقريباً من العمال المجندين للمشاركة في بناء التحصينات واعدادها خلال العام المذكور فانه لم يكن قد قارب الانتهاء من هذه التحصينات والانشاءات المتصلة بها وفقاً للمشروع المخطط لها عند نهاية ذلك العام سوى الاجزاء التي شيدت في المناطق الواقعة بين ميناء « انتويرب » في شمال بلجيكا وميناء « الهافر » عند مصب نهر السين في فرنسا . ويرجع ذلك جزئياً إلى نقل ٥٠ ألف من العمال الذين كانوا يشتركون في تشييد جدار الاطلسي إلى حوض الرور بألمانيا لاصلاح المنشآت التي أصيبت بالتلف والدمار نتيجة لغارات القاذفات البريطانية الليلية خلال ذلك العام . كما يرجع ذلك أيضاً إلى عدم حماس القائد العام الالماني في غرب اوروبا الماريشال « فون رونشتدت » لفكرة إقامة جـــدار الاطلسي أصلا ، لعدم ثقته في جدوى خطوط الدفاع الثابتة في منع اختراق هجوم مركز في أحد نقاطها الضعيفة والالتفاف حولها ، كما حدث بالنسبة لخط « ماجينو » الفرنسي الذي التفت حوله مجموعة جيوش « فون رونشتدت » نفسه عقب خرق فيالق البانزر لجناح الدفاعات الفرنسية الايسر عند « سيدان » (انظر معركة الاردين ، المعركة الاولى ١٩٤٠) .

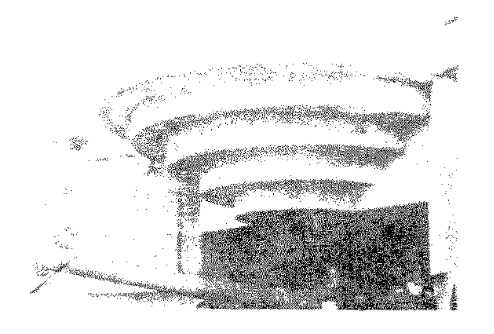
وكان نقص القوات المتاحة لفون رونشتدت يزيد من عدم ثقته في قدرة خط التحصينات الاطلسي على الصمود بفاعلية في وجه هجوم برمائي ضخم تدعمه وحدات بحرية قوية وحماية جوية فعالة . (كان لديه ما بين ٥٠ — ٦٠ فرقة من ضمنها ٢٥ فرقة فقط كاملة القوة جيدة النوعية من حيث قدرتها القتالية ومستوى تدريبها) ولذلك بنى « فون رونشتدت » خطته الدفاعية أساساً على حشد قوات احتياطية في العمق للتحرك ضد كل مكان يتم فيه إنزال بحري قوي تعجز عن صده ستارة الدفاعات الساحلية الهشة .

والواقع أن جدار الاطلسي الذي صورته دعاية « غوبلز » على أنه جدار منيع يستحيل أو يصعب اختراقه لم يكن موجوداً عملياً على هذا النحو إلا في منطقة بادو كاليه القريبة للغاية من شاطئ بريطانيا .

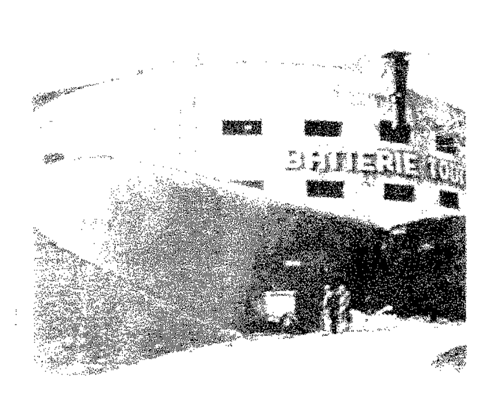
ولهذا كان « فون رونشتدت » دائم الالحاح في طلب تعزيزات إضافية لقواته القليلة نسبياً من القيادة الالمانية العليا ، خاصة من وحدات البانزر المدرعة التي شكلت أساس القوى الاحتياطية المتحركة المعدة لصد أي غزو برمائي في غرب اوروبا ، ولكن استنزاف القوات الالمانية المستمر في الجبهة السوفييتية كان يحول دون تلبية طلباته بالصورة المطلوبة .

وقد أدى النقص المتزايد في القوى البشرية بعد ذلك ، وتناقص المواد الاولية اللازمة لاعداد وبناء التحصينات (مثل الاسمنت والحديد والصلب)، ولتحويل كميات كبيرة منها لبناء أو تقوية أحواض إصلاح الغواصات وملاجئها الاسمنتية المسلحة في موانئ خليج بسكاي (بالجزء الجنوبي من الشاطئ الغربي الفرنسي) ولبناء أو إعادة بناء قواعد إطلاق القنابل الطائرة ف — ١ ، «V-1» في منطقــة بادو كاليه ، أدى كل ذلك إلى إعاقة استكمال منشآت جدار الاطلسي .

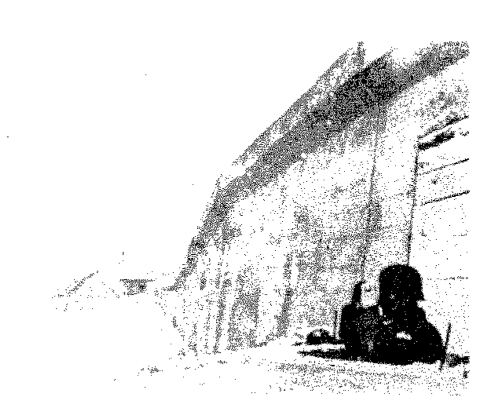
وفي ١٩٤٣/١١/٢١ ارسل هتلر الماريشال رومل ليتفقد تحصينات جدار الاطلسي . وقام رومل بتفقد هذه التحصينات من الدانمارك حتى الحدود الاسبانية ، ثم اوضح في تقريره المرفوع إلى هتلر بعد ذلك في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٤ أن التحصينات في حاجة لإدخال تغييرات جوهرية عليها لتقويتها بحيث تساعد على تحطيم موجات أي غزو برمائي عند الساحل نفسه نظراً لقلة القوات المدرعة الاحتياطية في العمق ، وصعوبة تحريكها بسرعة من هناك تحت ظروف التفوق الجوي المعادي . وقد عينه « هتلر » على الفور قائداً لمجموعة الجيوش «ب» المؤلفة من الجيشين ١٥ و ٧، والمسؤولة عن الدفاع من منطقة خليج « زيدرزي » في هولندا حتى مصب نهر اللوار بفرنسا ، أي عن المنطقة الرئيسية لجدار الاطلسي ، والتابعة لقيادة « فون رونشتدت » العامة . وعلى الفور بادر « رومل » إلى زيادة كثافة حقول الالغام الموضوعة على الساحل على أساس أن تمتد كشريط لعمق نحو ٩٠٠ متر بجوار الشاطئ ، ويوازيه شريط آخر في الداخـــل يحمي المواقع الدفاعية من الخلف لمواجهة احتمالات هجوم القوات المحمولة جواً التي سيجري اسقاطها أو ابرارها في مؤخرة جدار الاطلسي لمعاونة قوات الانزال البحري . هذا فضلا عن بث موانع معدنية أو من الاسمنت المسلح أمام الشاطئ في المناطق التي يغطيها المد (وهو الظرف الملائم لانزال القوات المهاجمة من

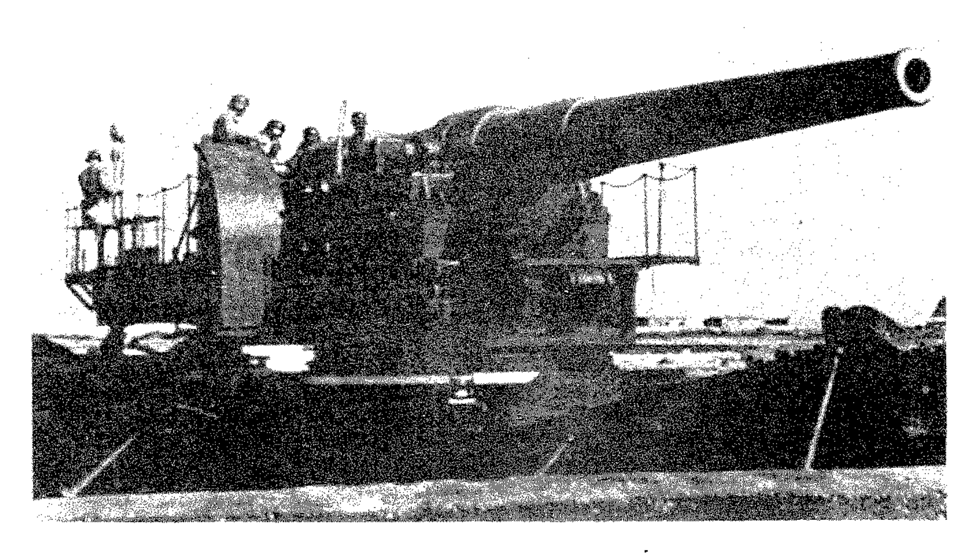






نماذج من التحصينات الالمانية في جدار الأطلسي





مدفع ساحلي الماني على عربة سكة حديدية (كاليه)

البحر بواسطة قوارب الانزال والاقتحام) ووضع عبوات متفجرة على الشاطىء لتدمير أو تعطيل قوارب الانزال وتكبيد القوات المهاجمة خسائر فادحة وزيادة إشعارها بالخطر . وكذلك وضع موانع اخرى (في شكل اعمدة يبلغ ارتفاعها نحو ٣ أمتار تمتد بينها أسلاك قوية ووضع عبوات متفجرة فوقها) في مؤخرة الدفاعات الساحلية بالمناطق الصالحة لهبوط الطائرات الشراعية لإعاقة عمليات الابرار الجوي وتدمير اكبر عدد ممكن من هذه الطائرات . وفي الوقت نفسه قرر ضرورة زيادة عدد المدافع الساحلية والمدافع المضادة للدبابات الموضوعة بين حزامي الالغام وحمايتها بأسقف قوية من الاسمنت المسلح والصلب لتحتمل القصف الجوي والبحري ، وزيادة عدد المنعات الخاصة بالرشاشات والهاونات والإكثار من الخنادق والملاجىء المختلفة بحيث يكون لكل جندي (حتى الطباخين وجنود الخدمات الآخرين) حفرة يطلق منها النار على القوات المهاجمة ، وبحيث تتوفر في النهاية خطة متكاملة للنيران المتقاطعة والمغطية لكل بقعة على الشاطىء لتكبيد المهاجمين اكبر خسائر ممكنة ، وحتى تستطيع الوحدات المدرعة والميكانيكية الموضوعة على مقربة من الشواطىء كاحتياطي متحرك ، أن توجه ضرباتها المضادة على أي جيوب متبقية من قوات الغزو البرمائي وتحرز نتائج حاسمة بسهولة نسبية .

وقد تم حتى ١٩٤٤/٥/٢٠ ، أي قبل غزو نورماندي بستة عشر يوماً ، بث ٤,١٩٣,١٦٧ لغماً على ساحل فرنسا المواجه للمانش منها ٢,٦٧٢,٩٠٠ لغم وضعت بناء على خطة روميل الجديدة ومعظمها بث بعد شهر آذار (مارس) ١٩٤٤ . إلا أن هذه الكميات من الالغام التي تزيد عن ٦ ملايين لغم كانت اقل بكثير من الكميات المطلوبة وفقاً لتصور روميل والتي كانت تتطلب بث نحو ٥٠ مليون لغم للشريط الساحلي الاول فقط . كما تم حتى تاريخ ١٩٤٤/٥/١٣ وضع نحو ٥١٧ ألف مانع على الشاطىء في القطاع المذكور ، منها نحو ٣١ ألف مانع مجهزة بالعبوات المتفجرة . وقبل الغزو بأيام قليلة نجح روميل في الحصول على مليون قذيفة مدفع من غنائم القوات الالمانية في مختلف الجبهات ، وذلك ليتم وضعها كعبوات متفجرة فوق الموانع المضادة للطائرات الشراعية ولكن لم يتوفر له الوقت الكافي لانجاز هذا العمل الجوهري الهام . ولذلك كله دبت عجلة النشاط بسرعة في اتمام دفاعات جدار الاطلسي في ربيع ١٩٤٤ بفعل حيوية وحماس روميل لخطته المذكورة ، إلا أن الوقت المتبقي حتى وقوع الغزو في ١٩٤٤/٦/٦ لم يسمح باستكمال المخطط بالصورة المطلوبة ، كما أن تركيز الدفاعات في المنطقة الواقعة بين با دو كاليه ومصب نهر السوم ، نظراً لأنها كانت اكثر المناطق تعرضاً لاحتمال الغزو البرمائي من جانب القيادة الالمانية لقربها من الشواطىء الانجليزية ، أدى الى جعل تحصينات جدار الاطلسي اكثر ضعفاً في منطقة نورماندي عنها في منطقة با دو كاليه – السوم ، ولم تستطع أن تحقق آمال هتلر او روميل منها ، خاصة وأن الوحدات المدرعة الاحتياطية كانت قليلة في هذا القطاع وبعيدة نسبياً عن خط الساحل بسبب تردد هتلر والقيادة الالمانية العليا في الأخذ بفكرة روميل في تقريب الفرق المدرعة من الساحل (انظر نورماندي ، عملية انزال) .

(٤) الاطلسي (معركة) ١٩٤٠ – ١٩٤٤

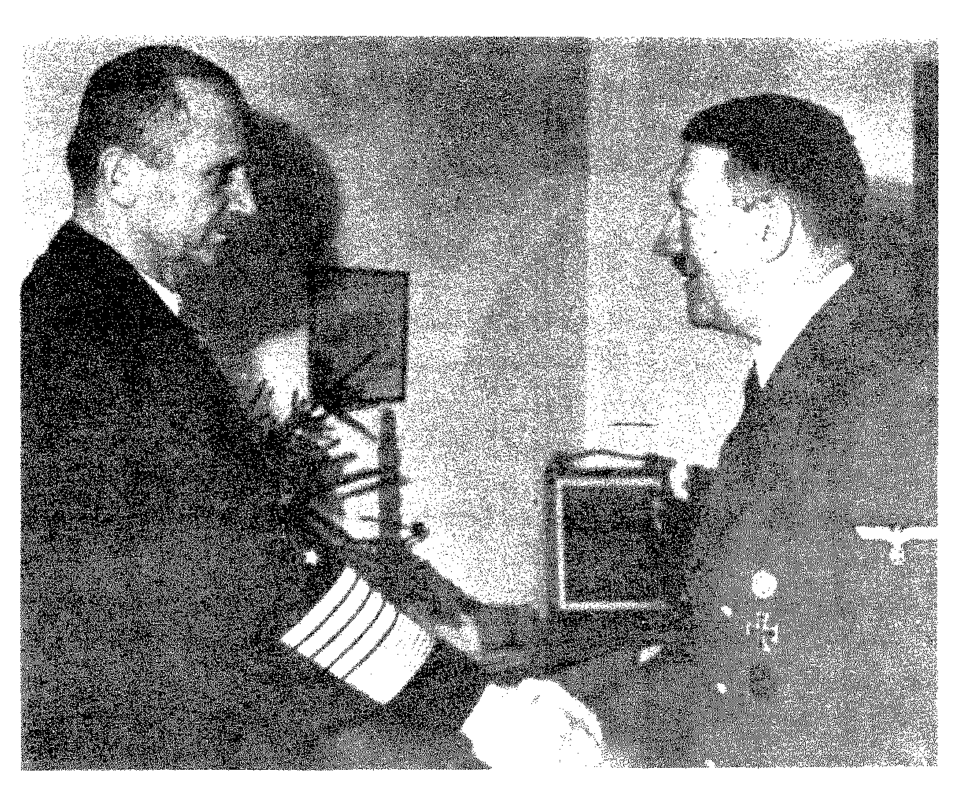
عندما بدأت الحرب العالمية الثانية في اول ايلول (سبتمبر) ١٩٣٩ كان لدى المانيا ٥٦ غواصة من مختلف الانواع ، ٤٦ منها كانت صالحة للعمل فوراً ، ولكن عدد الغواصات القادر منها على العمل في المحيط الاطلسي لم يكن يزيد عن ٢٢ غواصة ، وال ٢٤ الاخرى كانت من الانواع الصغيرة قصيرة المدى التي لا تصلح إلا للعمل في بحر الشمال والمانش . ومعنى هذا ان عدد الغواصات التي يمكن أن تكون عاملة في أي وقت في الاطلسي لا يزيد عن ٧ غواصات ، باعتبار أن سبعاً اخرى ستكون في القواعد لاعادة التموين والصيانة والتزود بالذخيرة وسبع ستكون في طريقها لاستبدال السبع غواصات العاملة وهكذا .

وفي ٣ ايلول (سبتمبر) ، عقب دخول بريطانيا الحرب في اليوم نفسه ، اغرقت غواصة المانية سفينة نقل ركاب امريكية تدعى «أثينا» على أنها سفينة نقل جنود بريطانية ، نظراً لأنها كانت تسير في الليل وقد اطفأت انوارها وسارت في خط متعرج ، ونفت الحكومة الالمانية رسمياً أن تكون احدى غواصاتها قد اغرقت السفينة المذكورة ، وذلك نظراً لأنها لم تكن ترغب في استفزاز اميركا وجرها الى الحرب في هذه المرحلة المبكرة ، كما أنها لم تكن ترغب في تصعيد القتال ضد بريطانيا وفرنسا قبل أن تفرغ من اجتياح بولندا ، ولذلك كانت التعليمات التي أصدرها الاميرال «دونيتز» قائد سلاح الغواصات الالماني تقضي بالتدقيق في سفن النقل قبل مهاجمتها بالطوربيد ما لم يكن من الواضح أنها تحمل جنوداً أو عتاداً أو تسير داخل قوافل بحرية محمية بالسفن الحربية ، كما كانت تقضي بعدم مهاجمة السفن الفرنسية لعدم استفزاز الجيش الفرنسي الضخم الساكن في حصون ماجينو فيقوم بمهاجمة خط سيغفريد الالماني . لقد كانت هذه التعليمات المشددة مبنية على اوامر «هتلر» العليا والتي رافقت مرحلة «الحرب الزائفة» في بداية

الحرب العالمية الثانية (انظر الحرب العالمية الثانية). وقد غرق ١٢٨ من المدنيين ركاب السفينة في هذا الهجوم الاول للغواصات الالمانية. وقد زعمت وزارة الدعاية الالمانية برئاسة «غوبلز» أن «تشرشل» وزير البحرية البريطانية هو الذي أمر بإغراق السفينة للإساءة لسمعة المانيا وجر امريكا إلى الحرب. والواقع أن قائد الغواصة الالمانية اخطأ في تقديره لطبيعة السفينة كما انه لم يخطر قيادته لاسلكياً بما حدث، وانتظر حتى عاد إلى قاعدته في نهايـة الشهر المذكور، ثم ابلغ «دونيتز» شخصياً بحقيقة ما حدث فأمره بنزع التقرير الخاص بالعملية من يوميات الحرب الخاصة بالغواصة.

وكانت الضحية الثانية للغواصات الالمانية حاملة الطائرات البريطانية «كوراجيوس» التي اغرقت يوم ١٧ ايلول (سبتمبر) في غرب بحر المانش بواسطة ٣ طوربيدات اطلقت عليها دفعة واحدة من غواصة كانت تكمن انتظاراً لقافلة من سفن النقل. وقد غرق معها قائدها و ٥١٨ من رجالها، وهاجمت المدمرات المصاحبة للحاملة الغواصة بقنابل الاعماق، ولكنها غطست الى عمق ٢٥٠ قدماً، وأفلتت من الدمار، وعادت إلى قاعدتها في المانيا حيث احتفلت البحرية بطاقمها الذي حقق أول نصر حربي في قتال الغواصات الالمانية.

وشجع هذا النصر الاميرال «دونيتز» على التخطيط لمزيد من العمليات المماثلة ضد الوحدات الكبيرة الهامة في الاسطول البريطاني المتفوق على الاسطول الالماني تفوقاً ساحقاً في سفن السطح، واختار قاعدة الاسطول البريطاني «سكابافلو» الرئيسية الموجودة وسط مجموعة جزر «اوركني» بشمال «اسكتلندا» هدفاً للعملية التالية، وقـد تمكنت إحدى الغواصات الالمانية بقيادة الكابتن «جونثر برين» التسلل إلى داخل القاعدة (بعد دراسة مسبقة لمسالكها وحالة المد والجزر الخ) ليلة ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٩ وأغرقت البارجة البريطانيـة «رويال اوك» بدفعـة من ٣ طوربيدات، ثم تسللت عائدة إلى قاعدتها سالمة رغم محاولات المدمرات البريطانية المطاردة لها بقنابل الاعماق. ولقد استقبل الاميرال «رايدر» قائد عام الاسطول الالماني بحارة الغواصة وقلد قبطانها وسام الصليب الحديدي من الدرجة الاولى وقلد كافة رجال طاقم الغواصة الوسام نفسه من الدرجة الثانية، كما رقي «دونيتز» نفسه إلى رتبة أعلى، واستقبل «هتلر» بعد ذلك قائد ورجال الغواصة في مقره ببرلين. وأثناء ذلك تصاعدت عمليات الغواصات



هتلر يستقبل الاميرال رايدر قائد البحرية الالمانية

الالمانية ضد سفن النقل البريطانية على مقربة نسبية من الجزر البريطانية، في ايلول (سبتمبر) اغرقت ٤١ سفينة حمولتها ١٥٣ ألف طن، وفي تشرين الاول (اكتوبر) أغرقت ٢٧ سفينة حمولتها ١٣٥ ألف طن، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) اغرقت ٢١ سفينة حمولتها ٥٢ ألف طن، وفي كانون الاول (ديسمبر) اغرقت ٢٥ سفينة حمولتها ٨١ ألف طن. وقد اسفرت عمليات الغواصات الالمانية خلال الاربعة شهور الاولى من الحرب عن إغراق ١١٦ سفينة نقل وصيد بريطانية جملة حمولتها ٤٢٣ ٧٦٩ طناً. وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٤٠ اغرقت ٤٠ سفينة حمولتها ١٧٠ ألف طن. وفي آذار (مارس) سحبت الغواصات من العمل في أعالي البحار لتقوم بمساندة عملية الغزو البحري والجوي للنرويج التي بدأت في ٩ نيسان (ابريل) ١٩٤٠، حيث اشتركت ٣١ غواصة في حماية سفن النقل الالمانية القائمة بالعملية. وهكذا تقلص نشاط الغواصات خلال آذار (مارس) ونيسان (ابريل) وايار (مايو) نظراً لحاجة الغواصات لاعمال صيانة واصلاح عقب حملة النرويج، ولذلك لم تبدأ فاعلية حرب الغواصات في الظهور مرة اخرى إلا اعتباراً من حزيران (يونيو). واتاح سقوط فرنسا خلال هذا الشهر امكانية العمل للغواصات من القواعد البحرية الفرنسية

المطلة على الأطلسي مثل ميناء «برست» و«سان نازير» الواقعة على خليج «بسكاي» القريب من اسبانيا. الأمر الذي أدى إلى اختصار نحو ٧٢٠ كلم كانت تقطعها الغواصات من قبل للتوجه إلى اهدافها في الأطلسي قرب الجزر البريطانية حينما كانت تخرج من قواعدها الاصلية في المانيا.

وفي هذا الوقت لم تكن المدمرات البريطانية تعمل لمسافة أبعد من ١٥ درجة إلى الغرب من الجزر البريطانية ضد الغواصات الالمانية التي تهاجم قوافل سفن النقل التي تحمل إلى بريطانيا الامداد والمؤن من العالم الخارجي، ولذلك اخذت الغواصات تنشط خارج هذه الدائرة، وعملت البحرية البريطانية على زيادة مدى عمل المدمرات إلى أن وصلت به إلى ١٩ درجة نحو الغرب من بريطانيا في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٠، وهكذا انتقل القتال بين الغواصات الالمانية والقوافل البحرية البريطانية بعيداً عن المياه الساحلية تماماً إلى عرض المحيط الاطلسي. ومنذ ذلك الحين بدأت المعركة الكبرى التي عرفت بمعركة الاطلسي والتي بدأها «هتلر» في صيف ١٩٤٠ ليتوافق ايقاعها مع ايقاع الهجوم الجوي الاستراتيجي على الجزر البريطانية، فتعاني بريطانيا من ثقل الحصار البحري والقصف الجوي، وتجبر على طلب عقد الصلح مع المانيا التي كانت تود

التفرغ للقتال ضد الاتحاد السوفييتي خلال عام ١٩٤١.

وفي هذه المرحلة الاولى من معركة الأطلسي لجأ « دونيتز » إلى استخدام غواصاته في الهجوم على السفن التي تسير بدون حراسة أو بحراسة ضعيفة وهي طافية فوق سطح الماء أثناء الليل للاستفادة من سرعة الغواصة في هذه الحالة ، نظراً لأنها تستخدم محركيها الديزل اللذين لا تستطيع استخدامهما تحت سطح الماء لحاجتهما إلى الأكسجين ، ولذلك تلجأ لاستخدام محركاتها الكهربائية البطيئة السرعة والتي لا تستطيع أن تسير بهما لاكثر من ٦٠ ميلا ولمدة اكثر من ٢٤ ساعة ، (انظر الغواصة) . وقد أتاح له هذا التكتيك مزايا افضل في الهجوم بطبيعة الحال طالما كانت ظروف انعدام الحراسة أو ضعفها توفر له فرصة استخدامه . ولذلك كانت هذه هي الفترة الذهبية في حرب الغواصات الالمانية والتي سجلت اصابات ضخمة في سفن النقل البريطانية ، وعرفت أسماء ابطال قادة الغواصات الذين سجلوا اكبر ارقام الاصابات والحمولات امثال « برين » قائد الغواصة رقم ٤٧ التي سبق أن اغرقت البارجة « رويال اوك » في « سكابافلو » (الذي استطاع أن يغرق بغواصته وحدها ٢٨ سفينة مجموع حمولتها ١٦٠ الف طن حتى تاريخ غرق غواصته وموته معها في ٧ آذار (مارس) ١٩٤١ نتيجة قنابل الاعماق التي اطلقتها مدمرة بريطانية) وقائد الغواصة رقم ٩٩ «اوتوكرتشمر» «Otto Kretschmer» الذي بلغ اجمالي السفن التي اغرقها ٤٤ سفينة نقل ومدمرة مجموع حمولتها ٢٦٦٦٢٩ طناً (أسر « كرتشمر » ومعظم رجاله بعد إصابة غواصته بقنابل اعماق من مدمرة بريطانية اضطرتها للصعود فوق سطح الماء والاستسلام للمدمرة في ليلة ١٦ آذار (مارس ١٩٤١) وقائد الغواصة رقم ١٠٠ « يواخيم شيبكه » «Joachim Schepke» الذي أغرق ٣٩ سفينة حمولتها ١٥٩١٣٠ طناً (ولقي حتفه في الليلة نفسها والمكان نفسه الذي أسر فيه كرتشمر نتيجة اصطدام مدمرة بغواصته بعد صعودها الى السطح مضطرة نتيجة لقصفها بقنابل الاعماق) .

وفي ١٧ آب (اغسطس) ١٩٤٠ أصدر « هتلر » امراً بفرض حصار شامل على الجزر البريطانية . وكان معنى ذلك مهاجمة أي سفينة تحاول أن تصل إلى بريطانيا أو تخرج منها أياً كانت جنسيتها ، وسهل هذا الأمر على الغواصات الالمانية مهمتها كثيراً ، حيث لم يعد مطلوباً منها تمييز جنسية السفن القريبة من نطاق الحصار المفروض حول الجزر البريطانية . وعموماً فقد بلغت جملة الخسائر التي لحقت البحرية البريطانية خلال النصف الثاني من عام ١٩٤٠ نتيجة عمليات الغواصات الالمانية حول الجزر البريطانية في الأطلسي ٣٤٥ سفينة نقل مجموع حمولتها ١٫٧٥٥٫٠٠٠ طن . وكانت أعلى نسبة من هذه الخسائر خلال شهر تشرين الاول (اكتوبر) الذي اغرقت فيه ٦٣ سفينة مجموع حمولتها ٣٥٢ ألف طن ، وذلك نتيجة لتنفيذ تكتيك هجومي جديد من قبل الغواصات الالمانية عرف باسم « قطيع الذئاب » «Wolf Pack» الذي كان يجري تطبيقه بواسطة مجموعة من الغواصات تشترك في مهاجمة قافلة بحرية واحدة في الوقت نفسه بحيث تقوم إحدى الغواصات ببدء الهجوم لتجتذب إليها سفن الحراسة على حين تقوم البقية بالانفراد بالقافلة وتغرق منها اكبر عدد ممكن من السفن إما بهجوم على أحد جوانب القافلة البعيد عن المكان الذي تجري فيه مطاردة الغواصة الاولى ، أو بمهاجمة أحد الطوابير الوسطى من القافلة أو الاثنين معاً وفقاً للظروف الخ .

وقد طبق هذا التكتيك لاول مرة ليلة ١٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٠ حين هاجمت ٥ غواصات المانية القافلة البريطانية «ه أكس ٧٩» (وكانت الغواصة البادئة بالهجوم والتي اكتشفت القافلة هي غواصة « برين » رقم ٤٧ التي استدعت الغواصات الاخرى بعد رصدها للقافلة صباح ذلك اليوم) وأدى الهجوم إلى إغراق ١٤ سفينة دفعة واحدة خلال هذه الليلة ، وسبع اخرى في الليلة التالية كانت ضمن قافلة ثانية . كما اغرقت مجموعة من ٦ غواصات اخرى ١٧ سفينة كانت ضمن قافلة ثالثة في الليلة التي تمت فيها مهاجمة القافلة الاولى ، وهكذا بلغ مجموع السفن التي اغرقت في الهجمات الجماعية الثلاث الاولى ٣٨ سفينة مجموع حمولتها ٣٢٥ ألف طن .

ومع مجيء فصل الشتاء ساءت الاحوال الجوية وكثرت العواصف الشديدة في الأطلسي مما أدى إلى تقلص نشاط الغواصات كثيراً لأنها لا تستطيع أن تهاجم عادة في مثل هذه الظروف الجوية غير الملائمة وتكون مهمة طاقها الاساسية هي المحافظة على سلامة الغواصة نفسها . ولذلك هوجمت قافلة واحدة فقط في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٠ ، واغرقت منهـا ١٠ سفن نقل وطراد ، واغرقت ٢٦ سفينة اخرى كانت تبحر منفردة ، مما جعل جملة الخسائر خلال هذا الشهر الاخير من العام ٣٧ سفينة حمولتها ٢١٣ ألف طن . ومع بداية عام ١٩٤١ بدأ أفول العصر الذهبي للغواصات الالمانية ، خاصة من حيث مدى حرية العمل المتاحة لها ، نتيجة لزيادة كفاءة الوسائل المضادة لها وارتفاع مستواها كماً ونوعاً . وكان ذلك نتاج عدة عوامل تكاملت مع بعضها البعض وأدت إلى هذه النتيجة التي ساهمت في تقرير مصير معركة الأطلسي كلها فيما بعد .

وأول هذه العوامل كان حصول الاسطول البريطاني على ٥٠ مدمرة قديمة من الولايات المتحدة ، بعد مفاوضات مطولة بين « تشرشل » و « روزفلت » أدت إلى موافقة الاخير على إعطاء بريطانيا هذه المدمرات القديمة الفائضة لدى البحرية الامريكية لتستخدمها ضد الغواصات الالمانية ، مقابل إعطاء الولايات المتحدة قواعد جوية في غيانا البريطانية وجزر الهند الغربية . وثاني هذه العوامل كان اخضاع قيادة الدفاع الساحلي للبحرية البريطانية ، ومن ثم تحقق للاخيرة استخدام طيران هذه القيادة بفاعلية في حراسة القوافل وإجبار الغواصات على الغوص تحت سطح الماء فترة طويلة حتى تفلت منها السفن (نتيجة لبطء حركتها تحت الماء وعدم قدرتها على الرؤية بدون أن يطفو التلسكوب الخاص بها) .

وثالث هذه العوامل كان تطور الرادار البريطاني واستخدام الطائرات له كأداة للبحث عن الغواصات أثناء قيامها بالدوريات بعيدة المدى فوق الأطلسي ، ولم تكن هذه الدوريات تنطلق فقط من الجزر البريطانية وإنما أيضاً من جزيرة « ايسلندة » الواقعة في اقصى شمال الأطلسي ، وبذلك ضاقت مسطحات الماء غير المغطاة بدوريات الطائرات البريطانية . ولكن بقيت ثغرات عدة لا تغطيها الطائرات حول جزر « آزور » وغيرها من مناطق المحيط الأطلسي .

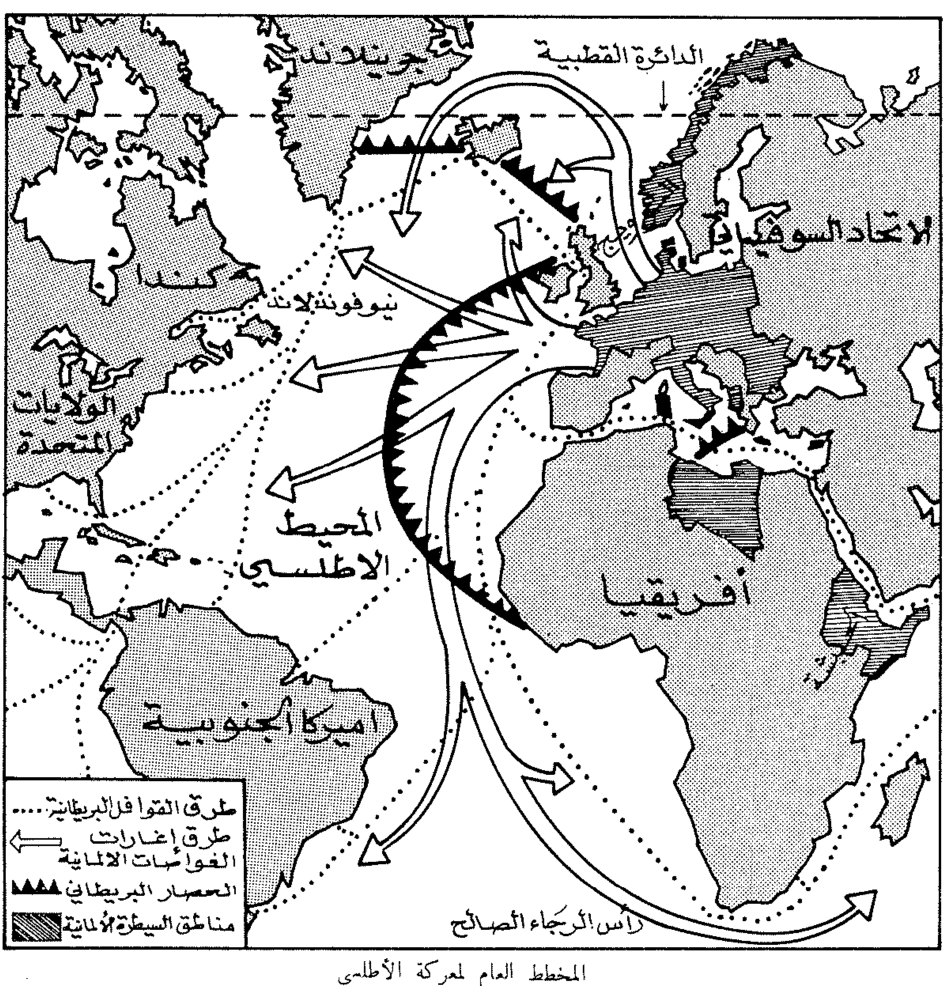
ونتيجة لتفاعل هذه العوامل الملائمة لبريطانيا انخفضت الخسائر في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤١ إلى ٢١ سفينة حمولتها ١٢٧ ألف طن ، و ٣٩ سفينة حمولتها ١٩٧ ألف طن في شباط (فبراير) . ويرجع الارتفاع النسبي في خسائر شباط (فبراير) إلى رفض بعض السفن الالتزام بالسير داخل قوافل ومن ثم أصبحت خارج مدى حماية سفن الحراسة المرافقة للقوافل ، كما يرجع إلى تركيز الغواصات وقتئذ على مهاجمة الطريق الجنوبي للقوافل القريب من سواحل سيراليون بافريقيا . وفي آذار (مارس) عادت الغواصات إلى مهاجمة طريق القوافل الشمالي جنوب جزيرة « ايسلندة » ، وهناك جرت الهجمات على قوافل محمية بقوة أدت إلى إغراق الثلاث غواصات الشهيرة التي سبق أن اشرنا إليها والتي كان يقودها كل من « برين »

و « شيبكه » و « كرتشمر » . ومنذ اواخر عام ١٩٤٠ كانت المعركة في الأطلسي تدار من كلا الطرفين بطريقة منظمة تتزايد احكاماً في الاشراف على الغواصات من جانب قيادة « دونيتز » ، وعلى سفن الحراسة والقوافل والطيران المعاون من قبل قيادة البحرية البريطانية ، إذ كان لدونيتز غرفة عمليات في مقر قيادته بفرنسا توضح على خرائطها باستمرار كافة معلومات المخابرات والاستطلاع عن تحركات السفن المعادية وكذلك اماكن تواجد الغواصات . وكان للبحرية البريطانية غرفة مماثلة في « لندن » ، تصدر منها الاوامر للقوافل التي يبدو أنها قريبة من خطر الهجوم الالماني بالغواصات لكي تغير طريقها بطريقة تبعدها عن الخطر المحتمل وتقربها من دوريات الطيران.

وفي أيار (مايو) ١٩٤١ ارتفع حجم الخسائر التي لحقت بالسفن البريطانية نتيجة عمليات الغواصات في الأطلسي مرة أخرى ، إذ اغرقت ٥٨ سفينة حمولتها ٣٢٥ ألف طن ، كما اغرقت في حزيران (يونيو) ٦١ سفينة اخرى حمولتها ٣١٠ آلاف طن . وعادت نسبة الخسائر في الانخفاض خلال شهر تموز (يوليو) فاغرقت ٢٢ سفينة حمولتها ٩٤ ألف طن ، وفي آب (اغسطس) ٢٣ سفينة حمولتها ٨٠ ألف طن .

وفي ايلول (سبتمبر) ارتفعت الخسائر إلى ٥٣ سفينة حمولتها ٢٠٢ ألف طن تحقق معظمها نتيجة هجمات جماعية وفقاً لتكتيك « قطيع الذئاب » ضد قافلة مؤلفة من ٦٤ سفينة كانت تسير في أقصى شمال المحيط الأطلسي قرب جزيرة « غرين لاند » «Greenland» تحت حماية ٣ سفن حراسة صغيرة «Corvettes» ومدمرة . وقد بدأ الهجوم ليلة ٩ أيلول (سبتمبر) واشتركت فيه ٤ غواصات بضربات تم بعضها وسط طوابير السفن داخل القافلة والبعض الآخر من مجنباتها . وكانت السفن القليلة المضادة للغواصات في حركة دائمة بين مناطق الهجوم الجماعي وهي شبه عاجزة عن منعه لأنها حينما كانت تهاجم احدى الغواصات تنفرد البقية بسفن القافلة مرة اخرى فتضطر سفن الحراسة إلى المسارعة لمكان الهجوم الجديد . وهكذا اثبت تكتيك «قطيع الذئاب» فاعلية ليس فقط في الهجوم وإنما ايضاً في دفاع الغواصات عن بعضها البعض بطريقة غير مباشرة .

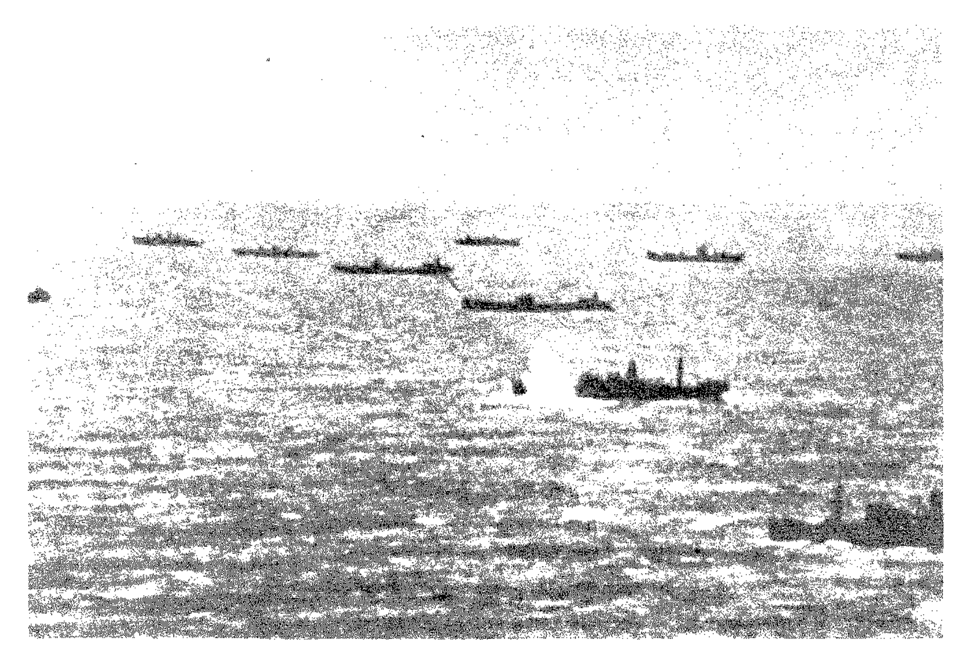
وقد اغرقت في الليلة الاولى من الهجوم ١١ سفينة دون أن تصاب أي غواصة ، ولذلك استنجدت القافلة طالبة دعمها بسرعة بمزيد من



المخطط العام لمعركة الأطلسي

سفن الحراسة ، خاصة وأن احدى سفن الحراسة الاصلية قطرت ناقلة بترول مصابة نحو جزيرة « ايسلندة » . وقد وصلت سفينتا حراسة اضافيتان ساهمتا في إغراق غواصة المانية ، ولكن ذلك لم يحل دون إغراق ٧ سفن اخرى في تلك الليلة . ولهذا وصلت سفن حراسة جديدة في اليوم التالي من بينها مدمرتان استطاعتا اغراق غواصة اخرى ، وترتب على ذلك توقف الهجوم .

وقد أغرقت خلال تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤١ ، ٣٢ سفينة مجموع حمولتها ٥٧ ألف طن . أما في تشرين الثاني (نوفمبر) فأغرقت ١٣ سفينة فقط حمولتها ٦٢ ألف طن . وفي كانون الاول (ديسمبر) اغرقت ٩ سفن فقط حمولتها ٤٦ ألف طن . وقد جرت خلال هذا الشهر اكبر معركة فشلت فيها الغواصات الالمانية حتى ذلك الوقت طوال سنوات معركة الأطلسي ، إذ هاجمت الغواصات قافلة تحركت من جبل طارق نحو بريطانيا تحت حراسة مشددة شاركت فيها حاملة طائرات تدعى « اوداسيتي » ، و ٣ مدمرات ، و ٧ سفن حراسة صغيرة وسفينتان شراعيتان ، كما شاركت الطائرات من قاعدة جبل طارق في حماية القافلة إلى مسافة كبيرة (بقدر ما سمح لها مدى عملها) ثم استقبلتها طائرات عاملة من بريطانيا بمجرد أن دخلت القافلة في مدى عمل هذه الطائرات . وقد بدأت القافلة رحلتها في ١٤ كانون الاول (ديسمبر) وهوجمت بواسطة ٩ غواصات في ١٦ منه. واستمرت الهجمات حتى يوم ٢٣ ، وكانت المحصلة النهائية لهذا القتال الضاري بين الغواصات وسفن الحراسة والطائرات اغراق حاملة الطائرات يوم ٢١ ، واغراق مدمرة وسفينتي نقل ، مقابل اغراق ٥ غواصات


قافلة تموين حليفة تتعرض لهجوم الغواصات الالمانية

المانية .

وفي ٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ هاجمت اليابان قاعدة «بيرل هاربور» الامريكية في المحيط الهادئ، ودخلت الولايات المتحدة طرفاً مباشراً في الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء اعتباراً من ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ بعد اعلان المانيا الحرب عليها تضامناً مع حليفتها «اليابان» . ومن ثم دخلت معركة الأطلسي مرحلة جديدة تماماً من حيث اتساع مدى العمليات، ودخول الاسطول الامريكي المعركة (ومعه الطيران الامريكي) طرفاً فعالا إلى جانب الاسطول البريطاني .

ويدل الجدول المرفق على الخسائر التي لحقت بالسفن البريطانية التجارية (وسفن الصيد) وسفن حلفاء بريطانيا وسفن الدول المحايدة منذ بداية الحرب في ٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٩ حتى نهاية عام ١٩٤١ نتيجة مختلف نشاطات العدو البحرية، ويتضح منه مدى فاعلية وخطورة الدور الذي لعبته الغواصات الالمانية خلال هذه المرحلة :

ويكشف لنا هذا الجدول (الذي اورده تشرشل في مذكراته) أن الغواصات الالمانية اغرقت ١٠١٦ سفينة نقل وصيد من جملة ٢٤٢٣ سفينة اغرقت بمختلف الاسباب خلال الفترة المذكورة، بلغت حمولتها ٤,٧٧٢,١٢٢ طناً من جملة ٨,٩٣٨,٨٢٨ طناً للسفن المغرقة كلها، أي ما نسبته نحو ٤٣٪ من عدد السفن المغرقة واكثر من ٥٠٪ من جملة حمولتها ! على حين أن سفن السطح (البوارج والطرادات والمدمرات) اغرقت ٢٢٢ سفينة فقط حمولتها ١,٠٦٨,٢٩ طناً . وهذا يوضح مدى اعتماد البحرية الالمانية على الغواصات كسلاح اساسي في مواجهة البحرية البريطانية التي لا تستطيع التفوق عليها في سفن السطح (خاصة بعد خبرة الحرب العالمية الاولى)، ويكشف في الوقت نفسه مدى خطورة سلاح الغواصات الالماني على امداد بريطانيا بحاجاتها ومجهودها الحربي .

وفي بداية عام ١٩٤٢ كان لدى الاميرال «دونيتز» نحو ٢٥٠ غواصة، منها نحو ١٠٠ غواصة عاملة، وبلغ الانتاج الشهري من الغواصات ١٥ غواصة .

وفي ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ عقد اجتماع لقيادة الغواصات الالمانية حضره «هتلر» وتقرر فيه توسيع عمليات الغواصات إلى المياه الامريكية . وفي الوقت نفسه كانت بعض الغواصات قد حولت من قبل للعمل في البحر الابيض المتوسط لدعم مجهود «رومل» في ليبيا عن طريق إضعاف البحرية البريطانية وعرقلة تعرضاتها للقوافل البحرية الايطالية التي تمد قوات رومل باحتياجاتها المادية . (دخلت ١٠ غواصات البحر المتوسط عبر مضيق جبل طارق بين شهري أيلول (سبتمبر) وتشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤١ واستطاعت أن تغرق حتى نهاية العام حاملة الطائرات «ارك رويال» والبارجة «بارهام» والطراد «كلكتا»، ولكنها اصبحت محاصرة داخل البحر المذكور لتعذر خروجها مرة اخرى نظراً لزيادة الحراسة المضادة للغواصات عند قاعدة جبل طارق) كما جرى تحويل البعض الآخر قبل ذلك إلى المحيط الشمالي لاعتراض القوافل البريطانية المتجهة إلى موانئ الاتحاد السوفييتي الشمالية حاملة إليه المساعدات العسكرية التي كانت بريطانيا ترسلها إليه . ولذلك لم يستطع الاميرال «دونيتز» أن يخصص اكثر من ٥ غواصات بعيدة المدى لمهاجمة المياه الامريكية في اواخر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١، إلا أنها احرزت نتائج كبيرة في بداية عملياتها نظراً لأن السفن الامريكية التي كانت تبحر قرب شواطئ الولايات المتحدة لم تغير اساليبها السائدة وقت السلم، وكانت المدن الساحلية الامريكية لا تمارس بعد أي قيود اضاءة، فضلا عن أن السفن الامريكية كانت تستخدم الموجات اللاسلكية العادية التي تستخدمها وقت السلم وتوضح في رسائلها المرسلة عبرها كافة التفاصيل المتعلقة بأوضاعها، ومن ثم كانت اجهزة الاستقبال بالغواصات تلتقط هذه الرسائل وتهتدي بها بسهولة إلى أهدافها . ولذلك استطاعت ٣ غواصات فقط من الخمس غواصات العاملة في المياه الامريكية أن تغرق خلال فترة عملياتها ١٧ سفينة حمولتها ١٣٤ ألف طن، وارتفعت خسائر شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢ في الأطلسي كله نتيجة لذلك إلى ٦٢ سفينة حمولتها ٣٢٧ ألف طن، معظمها كانت في المياه الامريكية وتركز هجوم الغواصات الالمانية خلال الشهور السبعة الاولى من عام ١٩٤٢ على ناقلات البترول في البحر الكاريبي، وبلغت جملة خسائر البريطانيين والامريكيين في معركة الأطلسي خلال هذه الفترة ٥٦٨ سفينة جملة حمولتها ٣,١١٦,٧٠٣ طن منها ٤٠٦ سفينة حمولتها ٢,١٧٥,١٦١ طن اغرقت في المياه الامريكية الواقعة غرب خط يبعد ٣٠٠ ميل عن السواحل الشمالية والجنوبية الامريكية، ولكن غالبية السفن المغرقة كانت تسير منفردة، لأن ٥٣ سفينة فقط من جملة الـ ٥٦٨ سفينة التي اغرقت خلال الفترة المذكورة كانت تبحر ضمن قوافل جماعية، وقد اغرقت بالمقابل ٢١ غواصة، ٦ فقط منها قرب السواحل الامريكية .

واستمر هجوم الغواصات عنيفاً بقية عام ١٩٤٢ ، ووصل إلى قمته في شهر تشرين الثاني (نوفبر)، حيث اغرقت ١٠٩ سفن حمولتهـا ١٦٠ ٧٢٩ طناً . وبلغت جملة خسائر الحلفاء خلال العام نتيجة هجمات الغواصات ١١٦٠ سفينة حمولتها ٦,٢٦٦,٢١٥ طن ، مقـابل اغراق ٨٥ غواصة ، وتبقّى لدى « دونيتز » ٢١٢ غواصة عاملة من جملة ٣٩٣ غواصة يتألف منها اسطوله ، وذلك مقابل ٢٤٩ غواصة كانت لديه في بداية العام المذكور ، منها ٩١ غواصة عاملة . وهذا يوضح أن زيادة الانتاج في صناعة الغواصات الالمانية كانت تفوق بكثير نسبة الخسائر التي تلحق بها ، ومن ثم كان لا بد للحلفاء من تطوير وسائل حربهم ضد الغواصات وإلا انتهت كل مخططاتهم الحربية الخاصة بغزو اوروبا إلى فشل تام . ولذلك اعتبرت معركة الاطلنطي لها اولوية مطلقة خلال مؤتمر « الدار البيضاء » (كازابلانكا) الذي عقد في ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٣ بين « تشرشل » و « روزفلت » في المغرب ، وتقرر فيه عدم الاكتفاء بسياسة دفاعية سلبية في مكافحة الغواصات ، وإنما الأخذ بسياسة هجومية مبادرة ، بالاضافة إلى تشديد وسائل حراسة القوافل وتطويرها تقنياً . ولذلك بدأت على الفور سلسلة من الغارات الجوية العنيفة ضد قواعد الغواصات المطلة على خليج بسكاي في فرنسا ، مثل «سان نازير» و«لورينت»، إلا أن هذه الغارات المكثفة لم تؤد إلى نتيجة عملية تتعلق بتدمير الغواصات نظراً لمناعة ملاجىء الغواصات المبنية بالاسمنت المسلح والصلب، وعدم قدرة قنابل الطائرات على اختراق سقوفها .

وفي الوقت نفسه نظمت دوريات من قاذفات القنابل بعيدة المدى من طراز « ليبراتور » المجهزة بأحدث أجهزة الرادار والقادرة على العمل لمدى ٢٣٠٠ ميل بحري من قواعد « بريطانيـا » و « ايسلندة » وشمال « ايرلندا » للبحث عن الغواصات ومهاجمتها سواء كانت هناك قوافل تسير في المحيط أم لا . وتعاونت كندا أيضاً في تنظيم الجهود المضادة للغواصات . هذا بالاضافة لبناء عدد من السفن المخصصة للعمل ضد الغواصات (فرقاطات ، وسفن حراسة صغيرة ، وسفن شراعية ذات صاري واحد Sloops ، ومدمرات) جهزت بأطقم جيـدة التدريب وذات كفاءة عالية . كما أعدت ٦ حاملات طائرات لمصاحبة القوافل الكبيرة والقيام بدوريات منتظمة ، وبذلك غطيت الثغرات المتبقية في المحيط الأطلسي ، والتي كانت خارج نطاق مدى الطائرات العاملة من القواعد الارضية .

وفي الجانب المقابل كان « دونيتز » يبذل جهوداً ضخمة (بالاستعانة بالخبراء الفنيين المختلفين) لتطوير الغواصات ووسائل هجومها سواء من حيث تجهيزها بأجهزة رادار متقدمة أو من حيث تنظيم التعاون بينها وبين دوريات الطيران التي تستطلع مواقع قوافل وسفن الحلفاء ، ورفع كفاءة أجهزة الاتصال بينها وبين الطائرات والقواعد الخاصة بها ، أو من حيث تصميم أجهزة تتيح للغواصة الاوكسجين اللازم لتشغيل محركاتها الديزل وهي تسير تحت سطح الماء « سنركل » . كما جرى تزويد الغواصات ببعض المدافع الخفيفة المضادة للطائرات وبانواع جديدة اكثر تطوراً (من الناحية التقنية) من الطوربيدات القادرة على إصابة السفن بفاعلية من مسافات اكثر بعداً من الانواع الاولى .

ودخلت معركة الأطلسي مرحلتها الحاسمة خلال عام ١٩٤٣ واحتدم الصراع بين الطرفين ، ووصل حجم خسائر الحلفاء في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٣ إلى ٣٩ سفينة حمولتها ١٠٨ ٢٠٣ طن ، وفي شباط (فبراير) إلى ٦٣ سفينة حمولتها ٣٢٨ ٣٥٩ طن ، وفي آذار (مارس) دارت معركة كبيرة بين « قطعان الذئاب » وإحدى القوافل المحمية بقوة استمرت خمسة أيام وليالي اسفرت في ٢٠ منه عن اغراق ٢١ سفينة حمولتها ١٤١ ألف طن مقابل اغراق غواصة واحدة بواسطة قاذفة « ليبراتور » وإصابة اثنتين أخريين باضرار شديدة وانسحابهما إلى القاعدة ، مما رفع حمولة السفن المغرقة في الثلاثة اسابيع الاولى من الشهر المذكور إلى اكثر من نصف مليون طن . ولكن هذا الشهر كان نهاية الانتصارات الكبيرة الالمانية ، إذ بدأت بعد ذلك نسبة خسائر السفن في الانخفاض ونسبة خسائر الغواصات في الارتفاع نتيجة ازدياد فاعلية القاذفات بعيدة المدى في كشف مواقع الغواصات ومهاجمتها لاغراقها أو اجبارها على الغوص بعمق تحت سطح الماء .

وفي الوقت نفسه كانت التطويرات التقنية في صناعة الغواصات الالمانية تتطلب توفر وقت كاف لتعميمها واختبار فاعليتها ، لذلك لم تستطع هذه التطويرات الهامة (والتي كانت في بدايتها) أن تبدل من النتيجة النهائية للصراع التي حسمتها ضخامة الامكانات الصناعية الامريكية ، والسبق التقني البريطاني في الالكترونيات المتحقق منذ بداية الحرب (اجهزة الرادار) ، ولذلك بلغت خسارة الغواصات في معركتين دارتا خلال شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٣ ست غواصات مقابل اغراق سفينة تجارية بريطانية واحدة . وبلغت جملة الخسائر الالمانية في شهري ايلول (سبتمبر) وتشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٣ نحو ٢٥ غواصة مقابل اغراق ٩ سفن فقط . وفي تشرين الثاني (نوفبر) اغرقت الغواصات في الأطلسي ٦ سفن فقط حمولتها ٢٣ ألف طن ، وفي كانون الاول (ديسمبر) اغرقت ٧ سفن فقط حمولتها ٤٨ ألف طن ، وذلك مقابل اغراق ١٦ غواصة خلال الشهرين المذكورين .

وبمقارنة هذه الارقام بارقام شهر آذار (مارس) ١٩٤٣ حيث استطاعت الغواصات أن تغرق في شمال الأطلسي وحده (كان التركيز الرئيسي هناك لكونه الطريق الرئيسي لقوافل الحلفاء المتجهة لبريطانيا حيث كان يجري الاعداد لغزو نورماندي) أن تغرق ٨٠ سفينة حمولتها ٣٤٩ ٤٧٦ طناً مقابل فقدان ٦ غواصات فقط ، اصبح من الواضح لدونيتز استحالة الاستمرار في معركة الأطلسي بحشود الغواصات الكبيرة وباتبـاع تكتيكات « قطعان الذئاب » ، فسحب الكثير من غواصاته وارسل بعضها إلى المحيط الهندي لمعاونة اليابان والبعض الآخر إلى جنوب المحيط الأطلسي وجزءاً آخر على مقربة من الجزر البريطانية نفسها حتى تكون متعاونة مع الطيران بصورة فعالة .

وخلال شهور كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) وآذار (مارس) ونيسان (ابريل) ١٩٤٤ اغرقت ٤٢ غواصة ، وقـام « دونيتز » بسحب غواصاته من الأطلسي في ايار (مايو) بحيث لم يتبق له سوى غواصتين في المياه الامريكية ومثلهما في غرب افريقيا ، وركز جهوده في الدفاع المباشر عن القارة الاوربية ضد الغزو المرتقب في بحر « الشمال » و « المانش » حيث كان نجاح الغواصات محدوداً للغاية بسبب النشاط الجوي المضاد الفعال للغاية . وهكذا انتهت معركة الأطلسي التي استمرت نحو ٤ سنوات كاملة، تحملت بريطانيا والولايات المتحدة خلالها خسائر فادحة ، إلا أن ضخامة الانتاج الصناعي ووفرة المواد الخام لدى الحلفاء ، بالاضافة لامتلاكهم ميزات تقنية متطورة في الالكترونات ، حسمت المعركة لصالحهم ويوضح الجدول التالي النتائج النهائية لحرب الغواصات الالمانية (التي تركزت في الأطلسي) .

الفترة	نتائج الغواصات	نتائج الالغام	نتائج سفن السطح	نتائج الطائرات	اسباب اخرى أو مجهولة	الجملة الوزن بالاطنان	عدد السفن
٩/٣ إلى ١٩٣٩/١٢/٣١	*(١١٦)٤٢٣,٧٩٦	(٧٩)٢٦٢,٦٩٧	(١٥) ٦١,٣٣٧	(١٠) ٢,٩٤٩	(٤) ٧,٢٥٣	٧٥٨,٠٠٥	٢٢٤
١٩٤٠	(٤٧١)٢,١٨٦,١٥٨	(٢٠١)٥٠٩,٨٨٩	(٩٤)٥١١,٦١٥	(١٩٢)٥٨٠,٠٧٤	(١٠٠)٢٠٢,٨٠٦	٣,٩٩٠,٥٤٢	١٠٥٨
١٩٤١	(٤٢٩)٢,١٦٢,١٦٨	(١٠٨)٢٢٩,٨٣٨	(١١٣)٤٩٥,٠٧٧	(٣٢٤)٩٧٠,٤٨١	(١٦٧)٣٣٢,٧١٧	٤,١٩٠,٢٨١	١١٤١

(*) الارقام بين الاقواس خاصة بعدد السفن والارقام الاخرى حمولات السفن بالاطنان .

السنة	الغواصات الالمانية المغرقة العدد بالارقام	سفن الحلفاء المغرقة بكافة الوسائل بما فيها الغواصات (الوزن بآلاف الأطنان)	كيات أوزان السفن الجديدة (الوزن بآلاف الأطنان) الولايات المتحدة	بريطانيا	الجملة	كمية الأطنان في السفن سلباً وإيجاباً
١٩٣٩ (٤ شهور)	٩	٨١٠	١٠١	٢٣١	٣٣٢	− ٤٧٨
١٩٤٠	٢٢	٤,٤٠٧	٤٣٩	٧٨٠	١,٢١٩	− ٣,١٨٨
١٩٤١	٣٥	٤,٣٩٨	١,١٦٩	٨١٥	١,٩٨٤	− ٢,٤١٤
١٩٤٢	٨٥	٨,٢٤٥	٥,٣٣٩	١,٨٤٣	٧,١٨٢	− ١,٠٦٣
١٩٤٣	٢٣٧	٣,٦١١	١٢,٣٨٤	٢,٢٠١	١٤,٥٨٥	+ ١٠,٩٧٤
١٩٤٤	٢٤١	١,٤٢٢	١١,٦٣٩	١,٧١٠	١٣,٣٤٩	+ ١١,٩٢٧
١٩٤٥ (٤ شهور)	١٥٣	٤٥٨	٣,٥٥١	٢٨٣	٣,٨٣٤	+ ٣,٣٧٦
الجملة	٧٨٢	٢٣,٣٥١	٣٤,٦٢٢	٧,٨٦٣	٤٢,٤٨٥	+ ١٩,١٣٤

وهكذا تؤكد معركة الأطلسي مدى خطورة الغواصة الحديثة كسلاح هجومي ، خاصة متى كانت مجهزة بمعدات متطورة تسمح لها بالسير تحت سطح الماء مسافات كبيرة ولديها وسائل الكترونية متطورة ، ومدى قدرة الطيران على مكافحة الغواصات باعتباره افضل وسائل القتال ضد الغواصات ، وانه في حالة تقارب الاطراف المتحاربة في المستوى التقني والكفاءة القتالية واساليب القيادة الاستراتيجية والتكتيكية تحسم الموارد الاقتصادية والطاقات الصناعية نتائج المعارك بالنسبة للطرف الذي يملك التفوق الكمي في هذه الموارد والطاقات . ولقد بنت المانيا خلال الحرب العالمية الثانية ١١٦٢ غواصة فقدت منها ٧٨٢ غواصة لاسباب مختلفة ، وجنــدت ٤٠٩٠٠ رجل للعمل بسلاح الغواصات غرق أو قتل منهم ٢٨ ألفاً وأسر ٥ آلاف ، ولكنهم الحقوا بالحلفاء خسائر فادحة في السفن والرجال ، بلغت جملتها اكثر من ١٣ مليون طن من السفن ونحو ٣٠ ألف من رجال البحرية التجارية البريطانية .

(٦) أطلانطا (حملة) ١٨٦٧

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١٥) الإعارة والتأجير

كانت الولايات المتحدة الأميركية فيما بين الحربين العالميتين تتشدد في تطبيق مبدأ الحيــاد الأميركي الذي أعلنــه الرئيس جيمس مونرو الى الكنغرس بتاريخ ٢ كانــون الأول (ديسمبر) ١٩٢٣ . وقد أدى توسع انتاج الأسلحة الحربية في فترة ما بين الحربين وتصديره الى الخارج بأساليب مختلفة الى قيام الكنغرس الأميركي باصدار قانون الحياد لعام ١٩٣٥ الذي قصد به تطبيق نظام للحياد الدولي يكون أشد من النظام الذي أقرتــه اتفاقيتا لاهاي (١٨٩٩) و (١٩٠٧) ، حيث أن نصوص هاتين الاتفاقيتين لا تمنع الأفراد والشركات الخاصة من تصدير الأسلحة والذخائر وكل ما يتعلــق باحتياجات الجيوش البرية أو الأساطيل البحرية للدول المتحاربة أو لأي منها . وهذا التفسير هو الذي جعل الحلفاء في الحرب العالمية الأولى يشترون من الشركات الخاصة الأميركية كيات من السلاح ، قدرت (فيما بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٧) بحوالي سبعة ملايين دولار .

وقد نص قانون الحياد الأميركي لعام ١٩٣٥ ، بصفة مطلقة ، على تحريم اعطاء القروض والتسهيلات الائتمانية للدول المتحاربة في سبيل التسلح . ثم استبدل هذا القانون بعد سنتين بقانون جديد هو قانون الحياد الصادر في ١ أيار (مايو) ١٩٣٧ . وكان لهــذا التشريع الأخير مظهران أساسيان : أولهما « سياسي » اذ يعدل نظام الحياد الأميركي التقليدي الذي لم يستطع المقاومة تجاه ظروف ومغريات الحرب العالمية الأولى ، والثاني « اداري » اذ انه يقيم نظاماً وظيفياً للحياد على أساس إنشاء رقابة على الشركات الخاصة لصناعة وتجارة الأسلحة . ويجبر هذا القانون منتجي العتاد الحربي عــلى تسجيل أنفسهم في وزارة الخارجية ، وعلى الاحتفاظ بسجيل للمنتجات الجاهزة . كما أنشأ القانون « مجلساً وطنياً للرقابة على الأسلحة » . ويدخل القانون تلقائياً حيز التنفيذ إذا أعلنت حرب في أوروبا ، كما أنه يعتبر نافذاً في حالة وجود حرب غير معلنة إذا أصدر رئيس الولايات المتحدة تصريحاً بوجود حالة حرب .

ولكن قيام الحرب العالمية الثانية قلب قواعد

الحياد الأميركي هذه رأساً على عقب ، فحتى قبل الهجوم الياباني المفاجىء على مرفأ بيرل هاربر الذي سبب دفع الولايات المتحدة الأميركية الى دخول الحرب ، كانت الشركات الأميركية ترسل العتاد الحربي الى انكلترا بموافقة ضمنية من الحكومة الاميركية . كما أنه بموجب مذكرات متبادلة بين الحكومتين الأميركية والانكليزية بتاريخ ٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٠ ، تم نقل ٥٠ مدمرة أميركية الى انكلترا مقابل إنشاء قواعد أميركية بحرية وجوية على الأرض الانكليزية . وتخلصاً من مضايقات نظام الحياد الذي لم يعد متفقاً مع سياسة التدخل الأميركي الجديدة التي تكشفت مع بداية الحرب ، فقد ظهر القانون الشهير الصادر خلال شهر آذار (مارس) ١٩٤١ والمسمى بقانون الاعارة والتأجير ، والذي يخول رئيس الولايات المتحدة « السماح بارسال الأسلحة الدفاعية الى أية حكومة يرى أن الدفاع عنها حيوي بالنسبة للولايات المتحدة ، وكذلك السماح ببيع أي نوع من الأسلحة الدفاعية إلى أية حكومة أو نقل هذه الأسلحة إليها أو منحها إياها على سبيل الاعارة » .

واستناداً الى هذا القانون ، وزعت الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية الأسلحة الحربية ومختلف أنواع العتاد الحربي على ٤٨ دولة . وقدرت قيمة الأسلحة التي شملها قانون الاعارة والتأجير بـ ٤٨,٥ مليار دولار ، منها ٣٢ مليار دولار لانكلترا حيث أخذت حصة الأسد ، و ١١ ملياراً للاتحاد السوفياتي ، و ٣ مليارات لفرنسا، و ٢,٥ مليار إلى دول أخرى .

(١) إعتداء

(انظر عدوان) .

(٦) اعلان الحرب

قرار سياسي رسمي تتخذه الدولة ، نتيجة معطيات دولية خطيرة ، ويترتب عليه استخدام القوة العسكرية المسلحة ضد دولة او مجموعة من الدول الاخرى ، والدخول معها في شكل من اشكال الصراع الدولي ، هو الحرب . وكان تنفيذ هذا القرار ، في العصور القديمة ، يسبقه توجيه انذار الى الخصوم قبل بدء القتال . وقد نشأ هذا التقليد نتيجة محاولات المجتمعات القديمة تلطيف جو التناقضات فيما بينها منذ فجر التاريخ الحضاري . ومن الشواهد البارزة على ذلك ، ان القانون الروماني ، في محاولة لتحديد اللجوء الى الحرب ، تطلب اصدار انذار نهائي Ultimatum الى الخصم تحدد فيه طلبات معينة ان حققها توقف جميع الاعمال التي من شأنها المساس به . (انظر انذار نهائي) . كما ان الاسلام ، إبان الفتوحات ، عرف نظاماً مشابهاً اذ كان الرسول (صلعم) والخلفاء وامراء الجيوش يوجهون الرسل الى البلاد المجاورة يطالبونها بدخول الاسلام ، او دفع الجزية ، والا فالسيف ، وذلك دون تحديد مهلة لبدء القتال حفاظاً على عنصر المفاجأة في الحرب . واستمر العمل بهذا التقليد في العصور الوسطى ، فكان يسبق قرار اعلان الحرب انذار مدته ثلاثة أيام في العادة . ثم اخذ العمل به يقل شيئاً فشيئاً بالرغم من اصوات المعارضة التي كان يطلقها الشراح المشهورون في تلك الحقبة من الزمان . ذلك ان الاعلان وتحديد زمن نشوب الحرب ، بالنسبة الى رجال القانون ، كان يتضمن بداهة معرفة الزمن الذي جرى فيه الاضرار بالافراد والممتلكات والمصالح التجارية . وبالنسبة الى رجال الفكر الانساني ، كان الاعلان يمثل فرصة كافية لتلافي الحرب واللجوء الى الوسائط السلمية لحل المنازعات . اما بالنسبة الى القادة العسكريين فكان الاعلان يعني التضحية بعامل المفاجأة ، وهو عامل فعال في تحقيق النصر .

وقد حقق رجال القانون ورجال الفكر الانساني — الذين استمروا في المطالبة بضرورة الحفاظ على تقليد الاعلان الرسمي للحرب عبر القرون — نصراً مؤقتاً في بداية القرن العشرين ، واثمرت جهودهم في مؤتمر هاغ الثاني للسلام Second Hague Peace Conference الذي تبنى معاهدة هاغ الثالثة في سنة ١٩٠٧ التي اشترطت توجيه انذار مسبق واضح في صورة اعلان مسبب بالحرب ، او إنذار نهائي Ultimatum يتضمن اعلاناً مشروطاً باللجوء الى القتال Conditional declaration of War . وقد تقيدت غالبية الدول بهذه المعاهدة في الحرب العالمية الاولى . ولكن ذلك لم يستمر ، وبدأ التحلل منها في الحرب العالمية الثانية بقيام المانيا بشن هجومها على بولندا في سنة ١٩٣٩ ، وعلى الاتحاد السوفياتي في سنة ١٩٤١ ، وقيام اليابان بأولى اعمالها العدائية في ٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ كذلك بدون انذار سابق . واصبح واضحاً منذ ذلك الحين ان القادة العسكريين لم يعد بامكانهم التضحية بعامل المفاجأة في الحرب ، وجاء استخدام قنبلتي هيروشيما وناغازاكي الذريتين ليؤكد ذلك .

وليس من المنتظر الآن — بعد تطور الاسلحة الاستراتيجية النووية الهجومية وتطور وسائطها المختلفة كالصواريخ عابرة القارات ، والغواصات النووية ، وتطور مفاهيم الحرب الخاطفة الحديثة التي يعتمد نجاحها على عنصر المفاجأة الثمين — العودة الى تطبيق فكرة الانذار المسبق . واذا كان هناك من أمل في العودة اليها ، فإن ذلك لن يكون — على الارجح — إلا بعد أن يعاني العالم تجربة حرب نووية حقيقية مدمرة .

(٣) أعماس (يوم)

(انظر القادسية) .

(٨) الإغارة

هي عمل قوة خاصة يتم تسليحها وتدريبها بشكل خاص ، لتنفيذ واجب محدد . وتعتمد الاغارة على عامل المباغتة لتوجيه ضربة قوية لتنفيذ المهمة بسرعة قبل ان يتمكن الخصم من القيام بردود فعل منظمة .

والاغارة من العمليات الخاصة التي يعتمد فيها النجاح على مجموعة من المبادئ والمعطيات اهمها : الاستطلاع الجيد للهدف ، ومتابعة الاستطلاع وجمع المعلومات حتى بداية تنفيذ العملية اذا امكن ، والتحضير الجيد للمعركة — او للاغارة ، وانتقاء العناصر المنفذة انتقاء دقيقاً يتوافق مع الواجب او المهمة ، ودراسة طبيعة أرض منطقة الهدف ، ودراسة الهدف دراسة دقيقة ، وتحديد افضل السبل لاستخدامها ، وتحديد وحساب انواع الاسلحة والاعتدة والتجهيزات الضرورية للعملية بدقة ، وصنع نموذج يشابه منطقة الهدف والهدف ، واجراء الدراسة العملية للواجب ، واجراء تجربة او مجموعة من التجارب في جو اقرب ما يكون الى الجو الحقيقي للاغارة ، وتحديد وقت التنفيذ بعد الاخذ بعين الاعتبار العوامل الجوية والفترة الضرورية للتنفيذ ، ودراسة طريقة الانسحاب وانتقاء الطريقة المأمونة . براً وبحراً وجواً ، واتخاذ تدابير الأمن الضرورية ، وعزل العناصر التي ستقوم بالتنفيذ خلال فترة

التحضير للاغارة ، وتعيين قادة العملية من الضباط الاكفاء الذين يتوفر فيهم الخيال الخصب والشجاعة في مجابهة الخطر والمبادأة والقدرة على قيادة الرجال .

ويختلف حجم قوة الاغارة باختلاف طبيعة الهدف ، ووفقاً للواجب او المهمة المطلوب تنفيذها . ولكن حجم هذه القوة يتراوح عادة بين الجماعة والسرية. وقد يصل احياناً الى مستوى الكتيبة أو اللواء .

وتعتمد الاغارات الصغيرة في تسليحها على الاسلحة الفردية الرشاشة ، والقنابل اليدوية والمتفجرات . وكلما زاد حجم القوات القائمة بالاغارة، والعمق الذي تتم فيه ،كلما زادت الوسائط ، حتى تصل احياناً إلى مستوى وسائط كتيبة مدرعة أو لواء مدرع .

وتجهز قوة الاغارة عادة باكثر من وسيلة إشارية للمحافظة على الاتصال مع قاعدة عملياتها ، والقيادة المسؤولة عنها . وتقسم قوة الاغارة – بصورة عامة – الى ثلاث مجموعات او اكثر : أ – مجموعة الحماية . ب – مجموعة الاقتحام . ج – المجموعة المكلفة بالتنفيذ . وتقسم مجموعة الحماية احياناً الى زمر للامساك بمحاور الاقتراب وعزل الهدف عن كل تدخل خارجي . كما تقسم مجموعة الاقتحام ايضاً الى زمر حسب طبيعة الهدف . وتقوم مجموعة التنفيذ بعملها ؛ عند احتلال جميع الزمر لاهدافها ثم تقوم بالانسحاب بنظام عكسي ، إذ تنسحب مجموعة التنفيذ اولا ، وتتبعها مجموعة الاقتحام فمجموعة الحماية .

وتختلف الاهداف التي يمكن اسنادها لقوة الاغارة ، اختلافاً كبيراً . وان من بعض الاهداف التي يمكن لقوة الاغارة ان تستهدفها ما يلي : **إغارة الاختطاف** – للحصول على شخصية قيادية – سياسية او عسكرية – مثل عملية اختطاف موسوليني او محاولة اختطاف رومل . **الحصول على بعض الاسرار العسكرية** – الاغارة على المراكز القيادية ، او القيادات الخلفية . **الحصول على نماذج اسلحة متطورة** – عملية اختطاف اجهزة رادار او اجهزة لاسلكية او قطع مدفعية او صواريخ معينة . **الحصول على بعض اسرار الصناعات الحربية** – كعملية الماء الثقيل في النرويج خلال الحرب العالمية الثانية . **تدمير بعض الاهداف العامة** – مواقع مدفعية ، قواعد صواريخ ، مطارات جيدة التمويه .

يتم تنفيذ الاغارة بعد ان تحتل عناصر الحماية مواضعها ، وذلك بفتح نيران غزيرة على عناصر الحراسة او مخافر العدو ، ثم تبدأ بقية الزمر عملها (الاغارة الصاخبة). ولكن بالامكان ان تبدأ الزمر عملها قبل ان تستثير انتباه العدو ، وتقوم بتنفيذ واجبها ، ثم تنسحب بعيداً عن الهدف دون ان تبدأ بفتح النار (الاغارة الصامتة) . وتستخدم زمر الاغارة في مثل هذه الحالة الاعتدة والاسلحة البيضاء للقضاء على عناصر الحراسة (سكاكين ، حبال) . كما تستخدم المتفجرات الموقوتة والالغام ذات الانفجار المحكم أو المتأخر . كما انه من المحتمل أيضاً ان تبدأ الاغارة صامته ثم تتحول الى اغارة صاخبة ، بحيث لا يتم فتح النار من قبل مفارز الحماية إلا عند اكتشاف العدو لزمر الاغارة ويبدأ العمل على تأخيرها أو إعاقتها عن تنفيذ الواجب ، وعند ذلك تفتح زمر الاغارة نيرانها لاسكات مقاومة العدو وايقاف تدخله . والهدف من ذلك كله تأخير استثارة العدو اطول فترة زمنية ممكنة ، وكسب الوقت قدر المستطاع ، مما يوفر فرصاً افضل لتحقيق المباغتة والانسحاب بعيداً عن الهدف قبل تدخل قوات العدو الاحتياطية . والاغارة الناجحة هي الاغارة التي يتم فيها تنفيذ الواجب والانسحاب بعيداً عن منطقة العملية قبل أن يشعر العدو بحدوث الاغارة بحيث يتم التعرف على الاغارة فقط من خلال آثارها ونتائجها . وان التحضير الجيد والتنفيذ الدقيق يجعل تنفيذ مثل هذه الاغارات – حتى في فترات القتال – أمراً ممكناً .

وقد تأخذ الاغارة شكل هجوم مباغت على نطاق واسع بهدف احتلال موقع حصين او مركز استراتيجي هام بغية تحسين الوضع الدفاعي العام ، أو التمهيد لهجوم واسع من القوات الارضية . وتكون هذه الاغارة لصالح القوات الصديقة ويتم تنسيق التعاون معها . وفي مثل هذه الحالة، فان قوة الاغارة لا تقوم بالانسحاب بعد تنفيذ عمليتها وانما تتشبث بالارض ، وتنظمها دفاعياً ، وتقوم برد الهجمات المضادة ريثما تصل القوات الصديقة المتقدمة جبهياً .وعند ذلك اما ان تنضم قوة الاغارة الى القوات الارضية واما ان تعمل على تسليم المنطقة التي تم احتلالها وتعود الى قاعدة عملياتها استعداداً للقيام بعمليات اخرى .

يقسم عمل الاغارة من حيث التنفيذ الى ثلاثة مراحل : مرحلة التقرب حتى الهدف ، مرحلة التنفيذ ، مرحلة الانسحاب . وتبدأ مرحلة التقرب اعتباراً من لحظة مغادرة قاعدة الانطلاق وحتى وصول زمر الحماية الى مواقعها . وقد تكون قاعدة الانطلاق بعيدة جداً عن مسرح العمليات بحيث يتم الانتقال من اقليم الى اقليم ، او من مسرح عمليات الى مسرح عمليات آخر . ويتم تنفيذ مرحلة التقرب في هذه الحالة اما باستخدام الطائرات لنقل المظليين ، او الطائرات العمودية ، عندما تكون القوات منقولة جواً . واما عن طريق البحر . وتستخدم في هذه الحالة عادة وحدات المغاوير البحرية . ومن الممكن استخدام وسائل النقل البرية اذا كان مسرح العمليات متصلا .

وتبدأ مرحلة التنفيذ منذ لحظة احتلال زمر الحماية لمواقعها ، وتنتهي بانسحاب هذه الزمر واعطاء إشارة انتهاء الاغارة . وتتميز هذه المرحلة بقصر مدتها الزمنية والتي تتراوح بين الدقائق القليلة وبين الوقت المحتمل لتدخل القوات الاحتياطية للعدو . وتختلف مدة هذه المرحلة تبعاً لطبيعة ارض العملية، وطبيعة الهدف ، وقوة الحراسة المنظمة لحمايته ، والواجب المحدد لزمرة التنفيذ (تدمير ، اختطاف الخ) .

وتشمل مرحلة الانسحاب نقل عناصر الاغارة والعودة بهم الى قاعدتهم . ويتم الانتقال والعودة إما باستخدام وسائل النقل ذاتها ، واما باستخدام وسائل تبادلية تحدد وينظم الالتقاء بها بصورة مسبقة . وقد يتم الانسحاب بانضمام قوة الاغارة الى الانصار او القوات الصديقة المتواجدة على مسرح العمليات في حال وجود اتصال ارضي .

ان الأثر المعنوي الذي يتركه نجاح الاغارة قد يفوق في خطورته كل أثر مادي او خسارة تلحق بالعدو ، لا سيما عندما تكون اهداف الاغارة واقعة في قلب بلاده ، او في وسط تنظيماته القتالية . ولكن بقدر ما يساعد نجاح الاغارة على احباط الروح المعنوية للقوات المعادية ، فان من شأن الفشل ان يرفع من روحه المعنوية لدرجة عالية . ولهذا فان الاعداد الجيد ، والتنفيذ الدقيق ، والانسحاب المضمون ، من الامور التي يجب الاخذ بها بصورة اساسية في كل مرحلة من مراحل العملية .

وواضح بعد ذلك انه قد تنظم اغارات خاصة هدفها الاول هو تحطيم الروح المعنوية للعدو و « تشتيت قواته » . وقد تستخدم هذه الاغارات سواء في الحروب التقليدية او في الحروب الثورية . وقد برهنت التجارب على انه كلما كان عمل قوة الاغارة اكثر عمقاً داخل بلاد العدو كلما كان الأثر النفسي اكثر خطورة ، وذلك لانه يترك شعوراً عاماً بفقد « عامل الأمن » ، وتوفر القدرة عند العدو على « حرية العمل » .

لقد جاء التطور التقني ، والتوسع في استخدام الاجهزة الالكترونية ، والتحسين الكبير في وسائل النقل الجوي (طائرات شراعية – طائرات نقل –

طائرات عمودية) فساعد على توسيع مسرح المعركة ، وتجاوز العوائق الارضية ، والحواجز الصعبة ، حتى اصبح مسرح العمليات بين القارات شبه متصل ، وبهذا اصبح باستطاعة القوات الخاصة ممارسة عملياتها في كل موقع . وفي كل مكان من مسرح العمليات ، واصبح تنفيذ اعمال الاغارة من الامور الاكثر شيوعاً حتى انه لم تحدث معارك كبرى حديثة إلا ورافقتها مجموعة من اعمال الاغارة . ومن المتوقع – حتى في حالة استخدام اسلحة التدمير الشامل – الاستمرار في اعمال الاغارات ، والتوسع في تنفيذها .

ان تنفيذ الاغارة في عمق ترتيب مسرح العمليات او في قلب بلاد العدو ، يتم بواسطة وحدات خاصة على درجة عالية من الكفاءة والتدريب ، ولكن اتساع مسرح العمليات ، وتعدد اهـداف الاغارة ، جعلا بامكان الوحدات والتشكيلات ممارسة هذا النوع من اعمال القتال في مختلف الظروف . وان وضوح اساليب « الاغارة » وطرق عملها قد ساعد الى حد بعيد على تطوير مفهوم الاغارة ، والتوسع في تنفيذها .

ان الاغارة من العمليات القديمة جداً والتي عرفها تاريخ الحرب منذ أزمنته السحيقة . ولكن تطوير فن الاغارة يعود بالدرجة الاولى الى العرب المسلمين . ولقد كان العرب في جاهليتهم يتقنون عمل الاغارة (الكر والفر) ، ويمارسون جميع اعمالهم القتالية ضمن مفهومها . وان معارك العرب في الجاهلية وحتى أيامهم الكبرى قد نفذت ضمن اطار تجمع للقبائل ولكن بمفهوم الاغارة . وعندما تطور الامر بعد الاسلام وبدأت العمليات الهجومية تكتسب طابع « الصدمة » لم يتخل العرب عن اسلوبهم التقليدي ، وبذلك تميزت اعمالهم القتالية بالمرونة ، وتابعوا استخدام الاغارة في كل موقف ملائم ، وكانت ضرباتهم المباغتة عاملا رئيسياً في تحطيم ارادة القتال عند خصومهم . وقد وضع العرب المسلمون من خلال صراعهم الدائم وتجاربهم القتالية الاسس والقواعد الواجب تطبيقها لنجاح الاغارة . وأخذهـا عنهم البيزنطيون والغرب والتزموا بتطبيقها .

استمر استخدام الاغارة في الحروب تبعـاً للمواقف ولكن في إطار محدود ، ثم جاءت الحرب العالمية الاولى كصراع بين كتل كبرى . ورافق ذلك جمود في مرونة القوات . وانعكس ذلك على العمليات الخاصة ، فأصبح أفق الاغارة محدداً ، واصبحت واجبات الاغارة بدورها محددة لا تتجاوز أفق مسرح العمليات لاختطاف أسير او الاغارة على سلاح او مركز قيادة . وكان الفشل الذي أصيب به عدد من عمليات الاغارة – بسبب اتصال القوات وتشابكها – سبباً في الاقلال من استخدامها حتى الحدود الدنيا . كما أن هذا الفشل ، والخوف من نتائجه في هبوط الروح المعنوية للقوات دفع الى تنسيق عمليات الاغارة والاشراف على الاعداد لها من قبل أعلى سلطة في مسرح العمليات . واستمر الأمر كذلك حتى جاءت الحرب العالمية الثانية وجاء معها اقتحام البعد الثالث (الجو) ، وتساقطت المواقع الثابتة ، واصبح بامكان القوات المحمولة جواً الوصول الى كل مركز في مسرح العمليـــات . واكتسبت العمليات الخاصة ، وفي طليعتها الاغارة ، اهمية كبرى . وليست عملية احتلال قناة « البرت » والهجوم على قلعة « ايبن إيمايل » ، والتي كانت مقدمة لانهيار مقاومة الجبهة الغربية وبداية للعمليات الارضية الواسعة فيها ، سوى إغارة تم تنفيذها باسلوب متطور وامكانات متطورة . وقد استمرت اعمال الاغارات ، ورافقت عمليات الحرب العالمية الثانية كلها تقريباً . وهناك عمليات اكتسبت شهرة خاصة في تاريخ الحرب العالمية الثانية . اما بسبب اهمية الهدف الذي عملت قوة الاغارة على التعامل معه ، أو بسبب الاعداد الجيد والتحضير الدقيق والتنفيذ الرائع الذي رافق عملية الاغارة في جميع مراحلها . ولعل من ابرز هذه العمليات واكثرها شهرة : إغارة دييب ، وملحمة الماء الثقيل ، وإغارة برونيفال ، ومحاولة اختطاف رومل ، واختطاف موسوليني .

ومهما كانت أهمية الاغارة في الحرب التقليدية ، فانها تبقى عملية خاصة محدودة الهدف بالنسبة إلى العمليات العسكرية الاخرى . ولكنها تعتبر في حرب العصابات عملية اساسية مثل الكمين والدوريـة والتخريب ... الخ . (انظر حرب العصابات) .

(٨) الاغارة على مقر رومل ١٩٤١

كان للنجاحات الباهرة التي حققها المارشال رومل في شمالي افريقيا في عام ١٩٤١ تأثير معنوي سيء على قوات الحلفاء ، وعلى القوات البريطانية بصورة خاصة ، كما كان لها تأثير معنوي إيجابي بين صفوف قوات الفيلق الافريقي وقوات المحور بصورة عامة . واصبح الجنود الالمان يعتقدون انهم لن يخسروا معركة واحدة طالما أن رومل هو الذي يتولى قيادتهم . لذا اخذت قيادة الحلفاء في مصر بدراسة الموقف ، ووجدت ان اختفاء رومل من مسرح الاحداث سيشكل كسباً معنوياً كبيراً لقوات الحلفاء مقابل احداث شرخ معنوي في اوساط مقاتلي المحور ولهذا تم التخطيط لاغارة يمكن بواسطتها القضاء على رومل وهو في وسط مسرح عملياته .

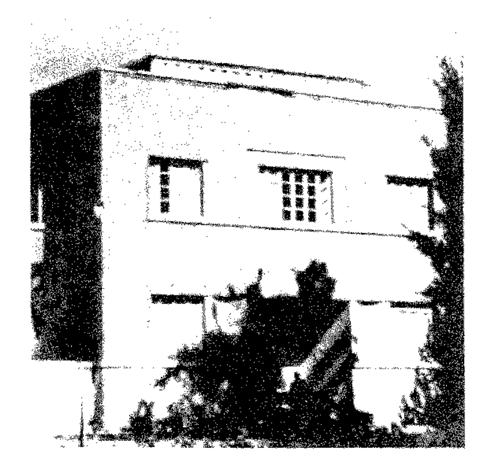
وتبع هذا القرار مرحلة من دراسة الموقف والاستعداد لتنفيذ العملية مع استطلاع دقيق لمقر قيادة رومل والطرق المؤدية اليه وتدريب قوة الاغارة على تنفيذ الواجب . وعندما انتهت الاستعدادات أصبح بالامكان تحديد الوقت المناسب لتوجيه الضربة بشكل مباغت والوصول الى مقر رومل واختطافه أو قتله . وكـان الهدف الـذي توفرت المعلومات عن وجود رومل بـه هـو بيدا – ليتوريا Beda - Littoria عـلى مسافة ٣٢٠ كم خلف خطوط الجبهة الالمانية المتقدمة . وكان لزاماً على قوة الاغارة ان تخترق القرية من سيرين ، حيث يصادفها الى اليمين عنبر للحبوب ، ثم يأتي بعده صف من البيوت المؤلفة من طابق واحد ، وعند نهاية البيوت يظهر مبنى من طابقين تحيط به أشجار السرو التي تلقي ظلالها على المنطقة فتظهرها موحشة قاتمة . وكانت القوة المكلفة بالاغارة على هذا الهدف تضم ثلاثين مقاتلا من المغاوير بقيادة العقيد جوفري كييس (حامل وسام الصليب العسكري وابن أمير البحر السير روجر كييس قائد قوات المغاوير لمدة ١٢ شهراً في الحرب العالمية الثانية) .

وقام جوفري كييس بالاشراف على تدريب قـوة الاغـارة ، واختار افرادهـا من لواء خيالة الحرس الملكي الذي كان الالمان يطلقون عليه اسم « القطعات البريطانية الشهيرة » وعندما انتهت الاستعدادات تم توجيه ضابط اسمه جون هيزلدون بمهمة البقاء في منطقة العملية ، وجمع المعلومات ، في انتظار وقت التنفيذ لقيادة قوة الاغارة نحو هدفها .

وتقرر ان يتم تنفيذ الاغارة في ليل ١٧ – ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤١ ، وكان جون هيزلدون قد وصل الى منطقة العملية ، واخذ في التجول حول الهدف وهو يرتدي ثياباً عربية دون أن يثير شكوك أحد . وتقدمت غواصة بريطانية حتى منطقة قريبة من الساحل . وانزلت قوة الاغارة واستقبلها جون هيزلدون ، وقادها في اتجاه هدفها بصمت وسرية حتى وصلت الى مقر رومل .

وقد حاول افراد قوة الاغارة اقتحام المبنى من النوافذ او الباب الخلفي ولكنهم فشلوا في ذلك ، وعندها تقدم العقيد جوفري ومعه جون والمقدم بلانك الى الباب الرئيسي ، وكانت عقارب الساعة تشير الى منتصف الليل ، وقرع باب المبنى في الوقت

الذي كان فيه قادة الاغارة يتحدثون باللغة الألمانية مما أعطى الخفير المسؤول عن حراسة الباب شعوراً بالثقة ففتح لهم الباب ، وعندما حاول إعاقتهم والاستيضاح عن هدفهم اردوه قتيلا واندفعوا في اتجاه أول باب صادفهم ، وفتحوا الباب فشاهدوا اثنين من الضباط القادة الألمـان فوجهوا اليهما نيران مسدساتهم ، وسقط الضابطان على الفور . وتّرددت جلبة الصراع واطلاق النار في المبنى فأسرع الحرس المقيمون في الطابق الأعلى وهم يصرخون ماذا جرى ؟ ولكنهم اضطروا الى التوقف والتراجع بسرعة عندما سلطت عليهم نيران المسدسات الرشاشة التي كانت تطلقها قوة الاغارة . وحاول بعض جنود الألمان اقتحام المبنى والوصول اليه من الخارج ولكنهم اضطروا الى التراجع على اعقابهم ايضاً عندما وجهت اليهم نيران مدفعين رشاشين كانا في قبضة اثنين من صف الضباط متمركزين خارج المبنى بمهمة منع كل تدخل خارجي . وفي الوقت ذاته فتح العقيد جوفري كييس قائد قوة الاغارة احد الابواب تحت حراسة اثنين من رفاقه . وكانت الاضواء قد اطفئت واصبح المبنى في وسط ظلام حالك ،ولهذا لم يتمكن العقيد جوفري من رؤية أحد ، ولكنه أحس بوجود انفاس تتردد في الغرفة فأطلق نيران مسدسه وجاءه الرد على شكل حزمة غزيرة من النيران أصابته بجراح خطرة . وقفز أحد مرافقيه من فوق جثته وسلط نيران مسدسه الرشاش في اتجاه مصدرالنيران ،


الڤيلا التي هاجمها الكوماندوس البريطانيون

واستمر تبادل إطلاق النار ، فأسرع الضابط الذي كان يرافق جوفري وطلب الى العريف الذي كان يطلق النيران الانسحاب وقذف قنابله اليدويه ، وخيم الصمت على الغرفة . وحمل العقيد جوفري الى خارج الغرفة ولكنه لم يلبث ان فارق الحياة بعد دقائق قليلة .

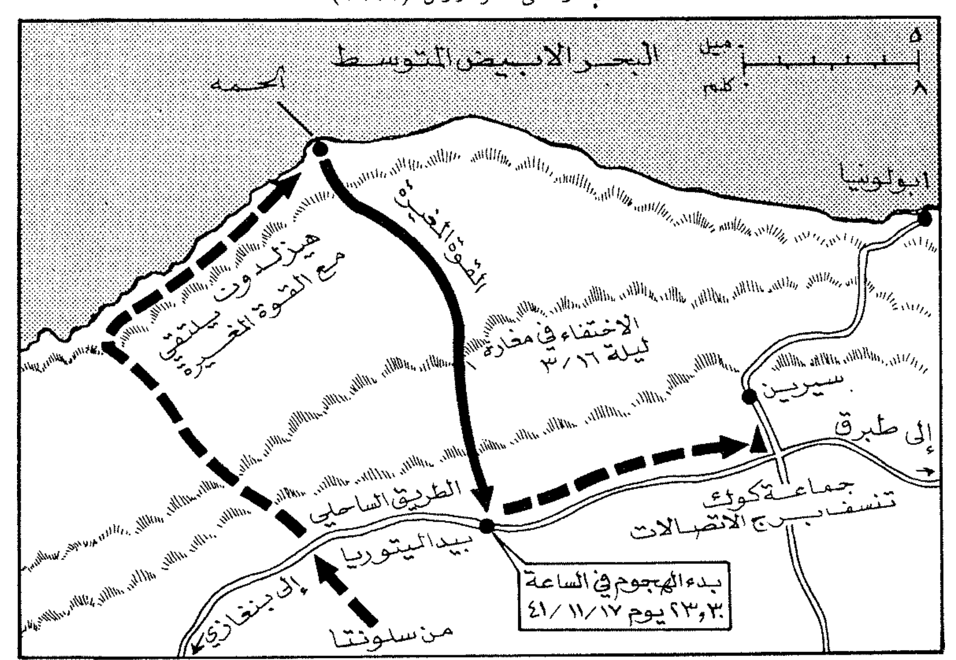
وكان بقية افراد الاغارة يتابعون قذف قنابلهم داخل المبنى من أي باب أو نافذة أو فتحة . وكان المقدم بلانك خلال ذلك يسرع بالعمل حول المبنى لمتابعة تنفيذ العملية واصابته رصاصة في قدمه أعاقته عن متابعة نشاطه فتوقف . ثم أخذت أصوات إطلاق النيران في التراجع ولم يلبث الصمت حتى عاد تدريجياً ليخيم على المبنى .

ونظراً لمقتل وجرح ضباط العملية ، فقد تولى أحد العرفاء القيادة لتنظيم الانسحاب مع بقية مجموعة الاغارة . وكان النقيب الذي سقط جريحاً الى جانب العريف يدرك صعوبة الوصول حتى نقطة الازدلاف ، فقد اعطى العريف القنبلتين اليدويتين الباقيتين معه ، وأمره بتدمير جهاز التيار الكهربائي وقام العريف بتنفيذ الأمر ، ثم أسند النقيب الى جذع شجرة ، وحقنه بحقنة مورفين وتركه تنفيذاً لأمره ومضى بقيادة المجموعة في اتجاه نقطة الازدلاف . وكانت هذه النقطة تقع على بعد ثلاثين كيلومتراً من المبنى الذي نفذت فيه الاغارة . ووصلت المجموعات بصورة متفرقة الى نقطة الازدلاف . وتولى المقدم بلانك قيادة من بقّي على قيد الحياة . وكان من المقرر ان تصل إحدى وسائط النقل لإرجاع مجموعة الاغارة الى قاعدتها ولكن رداءة الاحوال الجوية تدخلت فأعاقت وصول واسطة النقل ، ولم يبق على مجموعة الاغارة سوى الاعتماد عـلى قوتها الجسدية للالتحاق بقواتها .

وبدأ المقدم بلانك بتنفيذ المخطط مع صباح ليلة الاغارة ،ولكن مفارز من القوات الالمانية والايطالية اصطدمت بقوة الاغارة واشتبكت معها في قتال استمر ساعتين ، واعطى المقدم بلانك أوامره بالانسحاب بصورة افرادية في اتجاه الجبل الأخضر ، وهكذا تفرقت المجموعة الى زمر صغيرة وانطلقت في الاتجاه الجديد الذي حدد لها . ولم تكن عملية الانسحاب حتى الهدف الجديد سهلة ، فقد انتشرت الدوريات الايطالية والالمانية منذ الفجر التالي للاغارة ، واخذت في البحث عن المغاوير في كل مكان ، عبر الأودية وفي المغاور ، وعند كل نقطة يحتمل الاختفاء فيها ، وكثيراً ما مرت هذه الدوريات على مسافة قريبة جداً من بعض مفارز المغاوير ، حتى ان المقدم بلانك ذاته تعرض مرات عديدة لخطر الوقوع في قبضة الدوريات الالمانية – الايطالية .

وخلال عملية الانسحاب لم يكن في قبضة المغاوير من المواد التموينية إلا كمية محدودة جداً من « تعيين الطوارئ » . وقد تم استخدام هذه المواد بتقنين شديد ، واصاب افراد الأغارة الجوع والعطش في صحراء قاحلة لا يتوفر فيها طعام او ماء ، وكان كل ما امكن العثور عليه في إحدى المرات (عنزة) شاردة ، فذبحها بعض افراد المغاوير ، ولشدة الجوع أقبل بعضهم على أكل لحمها نيئاً ، وقد

الإغارة على مقر رومل (١٩٤١)



امكن استخدام بعض المواد الاولية لاعداد لحم العنزة وطبخه وطعم منها الافراد لمدة خمسة أيام.

وكان أسوأ ما جابهه افراد قوة الاغارة خلال هذه المرحلة العزلة التامة عن العالم الخارجي ، والضياع الكامل وسط رمال الصحراء بسبب الافتقار الى اجهزة الاتصال اللاسلكية. ويقول المقدم بلانك عن هذه المرحلة : « كانت العزلة والانقطاع عن الاتصال عاملا معنوياً سيئاً ... وفي مثل هذه الاحوال يتمنى الانسان لو يدفع خمس سنوات من عمره لقاء الاتصال عن طريق الجهاز اللاسلكي. وكنا نشعر بالقلق الكبير لجهلنا بمسيرة احداث المعركة الرئيسية التي كانت ستتم للوصول الى طبرق. ولم نكن نعرف فيما اذا كان باستطاعتنا الظهور في هذه الصحراء للاتجاه نحو محور طبرق - بنغازي. او غيره من الأماكن التي يمكن الوصول اليها بشكل مضمون. وأخيراً ، وفي حالة من اليأس قررنا التوجه نحو برقة ». وبعد مسير طويل ، امكن الوصول الى برقة ، وكانت القوات البريطانية والاوسترالية تدافع عنها ، فاستقبل افراد المغاوير استقبالا حافلا وعندما تم الالتحاق بقاعدة طبرق كان قد مضى على تنفيذ الاغارة زهاء الاربعين يوماً. وكان أسوأ ما لقيته قوة الاغارة عند وصولها الى القاهرة الاخبار حول الهجوم الالماني الجديد وما تكبدته قوات الجيش الثامن من خسائر كبيرة في معركة « كروسيدر » ، بالاضافة الى فشل الاغارة في تحقيق اهدافها وظهور روميل من جديد على مسرح الأحداث ، وقيادته العمليات بشكل أقوى واكثر فاعلية من الهجمات السابقة.

لم يكن روميل عند تنفيذ الاغارة في مقره « بيدا ليتوريا » ، والواقع ان روميل لم يستخدم هذا المقر إلا للاستراحة فقط ، ولم يقم به أبداً. وكان العقيد أوتو ، هو الذي قد تمركز مع هيئة أركانه في هذا المقر الميداني ونظراً لتردد روميل المستمر على ضباط هيئة اركانه ، فقد اعتقدت عناصر الجاسوسية البريطانية ان روميل يقيم في هذا المبنى ، وبالاضافة الى ذلك فقد تواقت حدوث الاغارة مع وجود روميل في ايطاليا لتنسيق موضوع التعاون وتوفير الامدادات الضرورية لمسرح العمليات الافريقي ، وكانت هذه ثغرة ثانية في معلومات القيادة البريطانية وبرهاناً قاطعاً على نجاح روميل في إخفاء تحركاته ، وإحاطة عملياته وتصرفاته بنطاق محكم من السرية والكتمان. وبذلك لم تحقق الاغارة اهدافها واعطت مردوداً معاكساً للهدف الذي كانت تعمل على تحقيقه.

وفي صبيحة اليوم التالي للاغارة ، جمعت القيادة الالمانية القتلى ودفنتهم عند تل جنوب قرية سيرين ، وكان بين القتلى اربعة من ضباط القيادة الالمانية. بالاضافة الى قائد قوة الاغارة البريطانية العقيد جوفري كييس الذي منحته الحكومة البريطانية بعد وفاته صليب فيكتوريا. وكان منح هذا الوسام بمثابة تقدير أيضاً للرجال المغاوير الذين نفذوا العملية بشجاعة ، خاصة وان فشلهم في تحقيق هدف الاغارة لا يقع على عاتقهم بقدر ما يقع على ضعف وسائل الاستطلاع والدور الذي مارسته.

ومن الجدير بالذكر ان هذه العملية قد نظمت بحيث ترتبط بتوافق تام مع الهجوم البريطاني الذي اتخذت اجراءات كثيرة لتوفير فرص النجاح له. وقد حمل هذا الهجوم اسماً رمزياً هو « كروسيدر » ، وتم البدء بتنفيذه يوم ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤١ (انظر كروسيدر) ، أي مع صبيحة تنفيذ الاغارة ذاتها ، بحيث يمكن القول انه لو توفرت الظروف الجيدة بوجود روميل في (بيدا - ليتوريا) لكانت من عمليات الاغارة الحاسمة في التاريخ ولساهمت في تحقيق نصر استراتيجي كان من الممكن تحقيقه لو أن روميل قتل مع بداية تنفيذ الهجوم البريطاني.

(٣) اغوات (يوم)

(انظر القادسية).

(١) الافعى المتفجرة (الناسف الأفعواني)

عبارة عن أنبوب مرن قطره ٥ - ٦ سنتيمترات وطوله ٥٠ - ٧٠ متراً ، ومحشو بالمتفجرات (ت. ن. ت.) وملفوف على بكرة مثبتة على الأرض ، ومزودة بقذيفة صاروخية ذات صمامة تأخيرية تسحبه وراءها اذا ما أطلقت باتجاه حقل الالغام.

عند اطلاق القذيفة الصاروخية ، تجتاز هذه القذيفة الحقل جارة وراءه الأفعى التي تمتد داخل الحقل. وعندما تصطدم القذيفة الصاروخية بالارض يبدأ عمل الصمامة التأخيرية لمدة عدة ثوان (وهي المدة اللازمة للأفعى المنطلقة حتى تربض على الأرض) وعند انفجار الصاروخ تنفجر الأفعى فاتحة ثغرة (بعرض ٤ - ٥ أمتار) تسمح بمرور الآليات. وهناك نوع تحمله مقطورة تسحبها دبابة ويمكن أن يطلق من الدبابة ويفتح ثغرة بعرض ٥,٧ - ٨م وطول ١٨٠ - ٢٠٠م ، ونوع آخر خفيف لفتح ثغرة بعرض ٣٠ سم وطول ١٤٠م لمرور المشاة.

(٧) اقتصاد الحرب

كما ان لحالة السلم نمطها الاقتصادي المعين الذي يختلف من بلد الى آخر وفق النظام السياسي لكل بلد ، كذلك تقتضي حالة الحرب اتباع نمط اقتصادي خاص ينبع من الحاجة الملحة التي تقتضيها هذه الحالة. ويختلف هذا النظام اختلافاً جذرياً أو جزئياً عن النمط الاقتصادي العام في الاحوال العادية. ذلك لأن الحرب لم تعد وقفاً على عدد من المقاتلين يقومون بمهمة الدفاع عن الوطن ، ويعتبر تجهيزهم بالمؤن والمعدات امراً بسيطاً لا يؤثر في سير الثورة الاقتصادية للبلد ، ولكنها باتت تستلزم تعبئة كافة الطاقات الحيوية من بشرية واقتصادية ومعنوية ، سيما وان الخصم لم يعد يركز على قتال المحاربين المسلحين فحسب ، بل يهتم بالدرجة الاولى بضرب اقتصاد البلد الآخر ، وشل مواصلاته ، والقضاء على موارده الاولية ، والحيلولة دون استثمارها ، بغية قطع الطريق على امدادات الجيوش وتجهيزاتها ، وجعلها معزولة في وضع لا يؤهلها للمقاومة واستمرار القتال ، فتنهزم وتنهار عملا بالمبدأ العسكري القائل : صحيح ان الجندي يؤخذ عن طريق القلب ولكن القلب يجاور المعدة.

ان روح الحرب الشاملة تكمن في تعبئة تقنية واقتصادية كاملة ، وهي تتصاعد عمقاً في الهجوم ضد موارد الخصم في الوقت نفسه ، وتشتمل على تعبئة مدنية عامة ، وعلى شن الحرب ضد المدنيين في المعسكر الآخر. ويتجه هذان المفهومان الى طمس الاعتبارات الدولية الخاصة بحقوق الافراد وحياد المدنيين. وقد عرف القادة العسكريون منذ القدم أهمية ضرب الموارد الاقتصادية للخصم بالرغم من اعتماد الحرب آنذاك على فنون بدائية وعناصر قتالية ضئيلة العدد. وأول بوادر الحرب الحديثة الشاملة ظهرت في أيام لويس الخامس عشر ، عندما أعدت تحضيرات الحرب قبل وقوعها تحت شعار تحضيرات « السلم المسلح ». ولقد قال ميرابو فيما بعد : « ان عصرنا سيكون عصر اكثر الحروب طموحاً واتساعاً وهمجية ». وجاء مرسوم ٢٣ آب (اغسطس) ١٧٩٣ مصداقاً لهذا القول ، عندما اعلن : « ومنذ هذه اللحظة الى اللحظة التي يطرد

فيها الاعداء من فوق ارض الجمهورية يكون كل الفرنسيين مصادرين لخدمة الجيوش » . وترجم هذا النص الى الواقع حيث لم يستثن احد من المواطنين حتى المسنين والنساء والاطفال . وذكر سوريل في هذا الصدد : « لتعبئة ٨٠٠٠٠٠ جندي للقتال، كان من الواجب جمع كميات ضخمة من الاسلحة والذخائر والألبسة والمؤن ، وقد تداركوا هذا الأمر بمضاعفة ورش البناء مع الاستعانة بالعلماء للتفتيش عن وسائل إنتاج أسرع ، كما استخدموا طريقة المصادرة ، وبفضل ذلك كله ، صنعوا عشرين ألف مدفع في سنة واحدة ، وانتجت ورشات باريس وحدها ألف بندقية يومياً ، كما وفرت المصادرات الخيول والعربات والألبسة والأحذية احياناً . وفي شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٧٩٤ صادر ممثلو جيش البيرينيه كل الاحذية ذات النعل المزدوج » .

ولم تستثن الازمة الموارد الاولية ومنابع الطاقة ، ففتحت مناجم جديدة للفحم ، وعززت عناصر مصادرة هذه المناجم بقوات عسكرية خاصة ، واتخذت كافة تدابير الحماية لهذه المنشآت . وفوق ذلك كله صودرت الادوات البرونزية من الجماعات والأفراد . كما اقتضت الأمة ايضاً فرض ضرائب استثنائية على الأغنياء ، وتحديد الأسعار ، ومكافحة السوق السوداء . وبكلمة موجزة لقد فرضت حالة الحرب تسيير مجرى الدورة الاقتصادية بكاملها وفق مقتضيات الدفاع واستمرار المقاومة .

وابان الحرب العالمية الاولى توصل مفهوم اقتصاد الحرب الى اوضح صورة له حيث تمكنت الصناعة المعبأة (في فرنسا) ان تنتج خلال اربع سنوات : ٢٩٠ مليون قنبلة ، و ٦ مليارات ونصف من الطلقات ، ومليونين ونصف من البنادق ، و ٢٢٥٠٠٠ رشاش خفيف ، و ١٨٠٠٠ مدفع عيار ٧٥ مم . و ٧٠٠٠ قطعة سلاح ثقيل ، و ٥٣٠٠ دبابة ، و ٩٠٠٠٠ محرك طائرة ، و ٤٩٠٠٠ طن من غازات القتال . وكانت هذه الارقام حصيلة انتاج ١٧٠٠ مصنع ، تستخدم ١,٧٠٠,٠٠٠ عامل ، منهم مليون عامل من المعينين خصيصاً وبصورة مباشرة . وكانت نتائج هذا الاختبار قاسية لدرجة ان بعض الاقتصاديين ، أمثال ليتز وكوفيس وبروكارد ، وضعوا مبادئ اقتصاد موجه لأغراض قومية صرفة في السلم وفي الحرب . وأدى ذلك بصورة طبيعية الى انخفاض الربح واضافة ضرائب اليه ، كما فرضت ضرائب اخرى على الاجور لتخفيض الاستهلاك ، وعلى الأسعار لملاءمتها مع الاجور ، وصار مصرف الدولة المركزي يراقب بدقة تبديل العملات والادخار والاستثمار .

وخلقت كل هذه التدابير بيروقراطية ادارية ضخمة في التخطيط والاشراف ، وصعوبات في الاحكام بين الفئات المنتجة ، ولكنها لم تقض على حسنات النظام الذي وصلت الى قمة التطرف في كل من المانيا الهتلرية وروسيا. ولم يخطئ بتلهايم عندما قال عن روسيا : « لقد سمح التخطيط بتحويل بلد زراعي خلال عشرة اعوام الى أمة صناعية، في حين يتطلب مثل هذا التحويل نصف قرن في البلدان الاخرى . ولقد تطلب تضحيات قاسية واقام شيوعية الاراضي ، وعزل روسيا ، ومنع وقوع الازمات الاقتصادية والمالية ، وسمح للاتحاد السوفياتي ان يحارب وينتصر ضد الدولة الألمانية » .

وقد حملت الحرب العالمية الثانية جميع الدول المتنازعة الى اتباع هذا المثل طوعاً أو قسراً . كما فرضت بالاضافة الى ذلك تدابير واسعة مخصصة لتغطية المرافق الاقتصادية بطريقة إبعاد بعض المنشآت وتوزيعها وحمايتها بصورة مباشرة . وادى ذلك الى تقسيم المرافق الصناعية الكبرى الى مراكز صغيرة تنتج مجموعات جزئية من نسق واحد ، وتغذي مستودعات التخزين ومراكز التركيب . وان كانت مهاجمة الاقتصاد المعادي تقتصر في السابق على الحصار واعمال القرصنة ، فقد باتت اليوم تعمد الى عمليات التخريب والحرب الجوية . فقد بلغ مقدار الحمولة التجارية التي اغرقتها الغواصات الألمانية في عام ١٩١٧ ما يعادل ٨١٥٠٠٠٠ طن . كما أصيب المعسكر الانكلو سكسوني بخسارة ٢٦,٦٠٠,٠٠٠ طن من البضائع التجارية خلال خمسة أعوام .

وتقييماً لاقتصاد الحرب واهمية المرافق الصناعية والاقتصادية خلص مؤرخو الحرب العالمية الثانية الى النتائج التالية :

أ) كانت الغارات على السكان ذات فائدة ضئيلة فقد دمر ٢٠ ٪ من المباني ، وتعدى معدل التخريب ٤٠ ٪ في ٥٠ مدينة ، وقتل ٣٠٠٠٠٠ مدني ، وجرح ٧٨٠٠٠٠ ، وتشرد ٧,٥٠٠,٠٠٠ ، ولم تولد هذه المذابح سوى الحقد في قلوب المنكوبين .

ب) كان لبعض الغارات الجوية مفعول شبه ذري تقريباً . ففي بفورزهايم سقط ٤٠ ألف قتيل في ١٧ دقيقة ، كما سقط في فيرتزبورغ ٢٤ ألف قتيل في ٢٢ دقيقة ، ولكن الربح العملياتي الفعلي كان ضئيلا .

ج) كان ضرب المجموعات الصناعية مثبطاً للعزائم ، بسبب كبر مساحتها أو ضخامة الآلات . وكانت اهم الخسائر تلك المتعلقة بشبكات التوزيع (مياه ، غاز ، كهرباء) .

د) كانت وسائل النقل ومنابع الطاقة تمثل الاهداف الثمينة ، وهذا ما حول الاهتمام الى سرعة اصلاح المواصلات وترميمها ، ودفع الى تضافر جهود الفنيين المدنيين والعسكريين في عمل مشترك خلال التصميم والعمل بصورة منفردة أثناء التنفيذ ، سواء كان ذلك في مجال الانتاج ، ام في مجال التدمير .

وتبدو اهمية هذه النتائج اكبر بكثير في الحروب الذرية التي يحتمل وقوعها في المستقبل ، بالرغم من اختلاف تقدير تأثيراتها على الاقتصاد . كما ان توزيع المهمات هو الذي يفترض ان يتطور في الحرب الشاملة ويخلق الضرورات الحتمية لاتخاذ التدابير الاستثنائية المتعلقة بمناطق الانتاج الحساسة سواء بالنسبة للتعبئة او بالنسبة للأمن، وانشاء مناطق مستودعات تحت الارض قادرة على تعويض تفكك الانتاج ، وخلق « جيش العمل » المخصص لتغطية المهام الهادفة الى المحافظة على الطاقة الاقتصادية (دفاع سلبي — انقاذ — ترميم المراكز المدمرة — وسائل النقل الاضافية ...) .

(٨) الاقتصاد بالقوى

مبدأ أساسي من مبادئ الحرب وهو يكتسب اهمية متزايدة في المعارك الحديثة . وهناك بعض وجهات النظر التي ترى في تنسيق التعاون بين الأسلحة المشتركة في المعركة الحديثة نوعاً وشكلا من اشكال الاقتصاد بالقوى . كما ان زج كافة القوى والوسائط يحقق من وجهة نظر اخرى مبدأ الاقتصاد بالقوى، فترك بعض القوات دون تكليفه بمهمة محددة ، وعدم استخدام القوات الاحتياطية في الزمان والمكان المناسبين ، واهمال بعض القوى والوسائط في الوقت الذي يزج فيه العدو جميع قواته ووسائطه، هي كلها من الامور التي تتناقض مع فكرة الاقتصاد بالقوى ومفهومها . ونتيجة لذلك ، فان القائد الذي يحتفظ بقسم من قواته في حالة المسير كوزن ميت في الوقت الذي يزج فيه خصمه جميع قواته ووسائطه هو قائد يعمل على استخدام قواته استخداماً سيئاً . كما ان توزيع القوى بشكل لا يتناسب مع الموقف ، أو اهمال قوات دون تكليفها بمهمة معينة ، إنما هو تبديد للقوى ، وهو أمر أكثر خطورة من الاستخدام السيء للقوى . وان

في الحالتين من سوء استخدام للقوى أو تبديد للقوى ما يتناقض أيضاً مع مبدأ الاقتصاد بالقوى . ومن هنا فان مبدأ الاقتصاد بالقوى يعني زج جميع القوى والوسائط في الصراع . لان اشتراكها ومساهمتها يدمران جزءاً من قوات العدو حتى وان ظهر اشتراكها غير ملائم ، ذلك لان بقاءها دون عمل يجعلها في حالة من الشلل الكامل .

وترتبط هذه الفكرة بمبادئ ثلاثة هي : ضرورة استخدام الاحتياط الاستراتيجي ، واجراء الحشد في القوى والوسائط ضمن الحدود الزمنية الضرورية ، وزجها في المكان المناسب من مسرح العمليات .

ويستهدف الاقتصاد بالقوى فرض الارادة على العدو بأقل التكاليف الممكنة ، وعند ذلك تتدخل الحوافز التي تدفع الى شن الحرب . وكذلك طريقة خوض هذه الحرب . ولقد كان من المتعارف عليه اعتبار الحرب كوسيلة صالحة لتوفير مكاسب تفوق نفقات الحرب وتكاليفها ، ولم يكن بالمستطاع في زمن الحروب الوطنية توقع ارباح سوى الارباح المعنوية ، أما في العصر الذري ، فالمنتصر – اذا كان هناك منتصر – معرض للحصول على مجموعات من الرماد الملوث بالاشعاع الذري . وهو مكسب لا يتعادل أبداً مع النفقات المبذولة ثمناً للحرب .

وفي مجال الطرق والوسائل المتبعة في الحرب ، يحتفظ مبدأ الاقتصاد بالقوى بمعنى يتضمن مظهراً مزدوجاً للتقرب غير المباشر وتوزيع القوات . وقد وصف هذا المجموع دائماً بمبدأ (الاقتصاد بالقوى) وهناك بعض الاقوال المتعلقة بهذا الموضوع ومنها « ان التقرب المباشر في الاتجاه الذي ينتظرك العدو عليه ، لا يعطي إلا نتائج سلبية ، إلا إذا كان هناك تفوق ساحق لصالح القوات التي تقوم بالتقرب المباشر » . وتعبر هذه الاقوال في الواقع عن ثلاث ضرورات دائمة وهي : تجنب الضربات التي يكون بوسع العدو مجابهتها بأسهل الوسائل ، وتجنب تكرارها بعد الفشل بصورة خاصة ، ثم اختيار خط غير طبيعي وغير متوقع للتدخل مع إبقاء العدو حتى النهاية أمام شك مؤكد بين الاهداف التي يطمح اليها الطرف المهاجم . وتتطلب مثل هذه الضرورة اتخاذ تدابير مرنة من الممكن ملاءمتها ومطابقتها بين آن وآخر . وتأتي في النهاية ضرورة التفكيك المعنوي والمادي للخصم . هذا التفكيك الذي يعد للمعركة ويمهد لها ، ومن ثم الاستمرار في الافادة من هذا التفكك على الخط الاضعف لمقاومة الخصم .

ويفترض التوزيع السليم للقوات التخلص من القوى الميتة أي القوى التي لا يمكن استخدامها في العمليات التي يتم التخطيط لها ، وان يتم اختيار وحدة او قوة الجهد الرئيسي ، مع تخصيص أقصى ما يمكن من الوسائل للعمل على المحور الحاسم . ومن المؤكد انه لا يمكن القيام بذلك مرة واحدة ، لان من الواجب معرفة كل هذه الامور قبل كل شيء حتى تتوفر القدرة على تحديد محور الجهد الرئيسي. وكذلك فليس من المخالفة لمبدأ الاقتصاد بالقوى ان يتم الاشتباك في البداية مع جميع قوى العدو في كل مكان ، ومن خلال هذه الاشتباكات يصبح بالامكان معرفة المحور الذي يمكن ان يؤدي الى الحسم . وتكمن الصعوبة هنا في ضرورة الاشتباك دون التورط بشكل نهائي .

لقد كان أحد التعاريف القديمة لمبدأ الاقتصاد بالقوى هو « محاولة القضاء على العدو بالتخويف الذي تحدثه الأسلحة ، وبتحقيق المباغتة عوضاً عن الاشتباك في المعركة ، على اساس ان الحظ هو الذي يقرر مصير المعركة في غالب الاحيان اكثر من قيمتها ». وواضح ان هذا التعريف يمثل دعوة لاستخدام الاستراتيجية غير المباشرة المرتبطة بالتكتيك المباشر . وفي هذا الاطار ، فان مفهوم الاقتصاد بالقوى يلتقي مع مفهوم استراتيجية الردع التي ترتبط بالأثر النفسي والمعنوي اكثر من ارتباطها بالوسائط المادية التي قد تستخدم فعلا في الصراع المسلح ، وهذا هو ما يتم تنفيذه عملياً في اطار « ميزان القوى » وظهور قوة الردع الاستراتيجي . ولقد اكتسب مفهوم الاقتصاد بالقوى في عصر الاسلحة الذرية مفهوماً متميزاً يتلخص في القدرة على دفع العدو لأخذ مواقف تجعل الضربة الذرية مؤثرة تماماً . وهنا يفترض على سبيل المثال ان يكون الخصم متفوقاً في مجال الاسلحة التقليدية يقابل ذلك تفوق عند الطرف الاول في الاسلحة الذرية . وسيحاول كل طرف الافادة من تفوقه عن طريق الردع . فاذا ما سارت عملية الردع بصورة عادية ، وحاول الطرف المتفوق بالاسلحة التقليدية استثمار تفوقه ، فان ارغامه على خوض حرب ذرية يعني خسارته لكل ما يتميز به من تفوق ، وعندها لا بد له من اللجوء الى التشكيلة المفتوحة ، لا تحت تأثير النقص في عدد القطعات ، بل تحت تأثير متطلبات الأمن . أما اذا بقي الصراع تقليدياً فان بوسعه تحقيق الجبهة المستمرة بكل سهولة اذا وجد ذلك ملائماً له . ومهما تكن نتيجة الصراع فان الخصم سيعمد الى استخدام التشكيلات القادرة على اضعاف تـأثير الضربات الذرية حتى الحد الأدنى ، واستغلال مميزات الوسائط التقليدية حتى ابعد الحدود، ويمكن اختصار ذلك كله في مبدأ واحد وهو « السعي لتحقيق التماس مع العدو ، وعدم اجراء تجمعات معرضة لضربة ذرية إلا بعد تحقيق هذا التماس مع العدو الأمر الذي سيمنعه من استخدام سلاحه الذري عسكرياً ويخلق لديه معضلة معنوية لا حل لها » (انظر التماس).

ويختلف تطبيق مبدأ الاقتصاد في القوى تبعاً للموقف وحسب موقف القوات بحيث يمكن التمييز بين الموقف خارج المعركة والموقف في حقل المعركة ، ومن ثم اتخاذ التشكيل المناسب والاجراء المتوافق مع حـالات القتال (الهجوم ، الدفاع) . فبالنسبة للاجراءات خارج المعركة ، يمكن استخدام نظام الرهائن ، وذلك بالعمل في مناطق معادية تتميز بكثافة السكان وأهمية الأهداف الاقتصادية . ولكن هذا لا يعني التجاهل التام لضرورة الافادة من المناطق الصديقة المأهولة بالسكان أو الغنية اقتصادياً لان العدو يرغب باستثمار القدرات البشرية والاقتصادية لهذه المناطق ، وهذا ما قد يحمله على التردد والاحجام عن ضربها بوحشية او ضرب القوات المعادية له وهي تعمل فوق المناطق المذكورة . وقد يكون تردده واحجامه في بعض الاحيان ناجماً عن اعتبارات اخلاقية او عن سياسة لها تطلعات مغايرة نحو المستقبل. اما بالنسبة للاجراءات في حقل المعركة فتتمثل في استخدام التسلل والتطويق القصير بتشكيلات مبعثرة مع تحديد المواقع القوية (المليئة) ، والابتعاد عن الفراغات عند تنفيذ المناورة ، إذ قد تكون الفراغات في الحقيقة (مناطق قتل) تركها العدو بين تنظيماته الدفاعية حتى يستطيع استخدام وسائطه الذرية . وقد تكون هذه الفراغات عبارة عن مناطق تم فيها سحق الخصم تحت ضربة ذرية فعالة . وفي هذه الحالة يعتمد الخصم على ضربها دونما تردد اذا ما احتلتها قوات المهاجم بشكل كثيف . فاذا لم يعمد المهاجم الى الضرب في أقوى الأماكن مع استخدام تفوقه التقليدي ، فان عليه ان يقوم بالمناورة قريباً من خطوط المدافع بحيث يحقق معه تشابكاً يمنع الرد الذري . فاذا ضرب المدافع منطقة ما بالسلاح الذري كان المهاجم قادراً على اجتياز المنطقة الملوثة ولكن عليه ألا يحتلها للمكوث فيها . ويمكن للقوات إجراء المناورة دون احترام لهذه المبادئ شريطة الاستفادة من السرية والصمت وسرعة الحركة وإلا تعرضت لضربة ذرية ساحقة . فاذا لم يتم تحقيق ذلك ، أمكن استخدام التفوق التقليدي بشكل يمنع التحديد الدقيق للتشكيلة الحقيقية ومواقع القوات ، وفي مثل هذه الحالة سيضطر الخصم الى الوقوف موقف المتفرج نظراً لانعدام الوسائط التقليدية،أو أن يقوم بهجمات

ذرية واسعة وعميقة ضد اهداف محددة سابقاً. وهذا ما يتطلب امكانات نووية كبيرة، ويفتح (الدائرة الرهيبة) للرد والرد المعاكس النوويين.

وانطلاقاً من هذه الحقائق، أخذت القوى الكبرى في العالم والجيوش الحديثة في إعادة تنظيم قواتها وصياغة عقائدها القتالية بما يتوافق مع مبدأ (الاقتصاد بالقوى). وهنا يمكن الافتراض ان العدو سيمتنع عن زج تشكيلاته والاندفاع داخل الفرج التكتيكية والفراغات الاستراتيجية التي ينبغي على الاسلحة الذرية سدها. وللرد على هذا الافتراض يمكن القول أن التشكيلات القتالية ستأخذ في النهاية مواقف ثابتة، وستكون المواقع المعادية القوية (المليئة) مراكز جذب للتشكيلات والقوات. ولكنها لن تكون مراكز جذب مغرية إلا إذا كان العدو عاجزاً عن تدميرها ذرياً بعيداً عن التماس بقواته ووسائطه التقليدية. وهنا يمكن ان تمارس المواقع الخداعية الكاذبة، واساليب التمويه والخداع، دوراً اساسياً وحاسماً في إنجاح المناورة، على ان تكون هذه المواقع الخداعية الكاذبة مصنوعة بمهارة بحيث تختفي في وسط الشبكة المستمرة من التحصينات غير الكاملة. ولكن هذه الاساليب تبقى غير كافية، فقد يصل الخصم في النهاية الى تحديد نقاط القوة في الترتيب الدفاعي إلا إذا كان بوسع المدافع خلق جبهة قادرة على إيهامه بانها قوية في كل مكان. وبهذا يتم الوصول الى التشكيلة المستمرة والخطوط المتصلة التي تتناقض مع التشكيل القتالي تحت تهديد القصف الذري. ذلك انه يجب الاعتماد على التشكيل الشطرنجي للتشكيلة المفتوحة بصورة دائمة من أجل المحافظة على سلامة القوات وحيطتها، رغم توجيه الضربة الذرية، على ان تغطي هذا التشكيل ستارة حيطة قوية متصلة وقادرة على الانسحاب نحو الفرج، مع الاستناد الى مراكز المقاومة حتى تبقى العدو عاجزاً عن تحديد مكان النقاط القوية أطول مدة ممكنة.

ويصح هذا القول ايضاً بالنسبة للهجوم إلا إذا اهمل المدافع تدابير الأمن والحيطة، أو كانت لدى المهاجم قدرة كبيرة على جمع المعلومات بفضل الوسائط التقنية المتطورة (الأقمار الصناعية، طائرات الاستطلاع، طائرات التجسس). أما في الحالات العادية الأخرى فان المهاجم مضطر الى استطلاع منطقة هجومه بكاملها لتحديد النقاط القوية، وسبر غورها، مع ضرورة التمييز بين الاشتباكات الأولية والهجوم العام. وفي حالة كهذه يمكن تحديد الظروف التي تدفع العدو الى إجراء تجمع يمكن ضربه بالسلاح الذري، وتختلف هذه الظروف في الهجوم عنها في الدفاع، مما يتطلب عزل كل حالة عن الحالة الأخرى.

ففي الهجوم يمكن إرغام العدو على التجمع رغم ارادته باجراء الهجمات المتلاقية التي تحيط بقواته، كما يمكن ارغامه على التجمع بواسطة مناورات الجذب في الصراع على النقاط الحيوية. وغالباً ما تكون هذه النقاط واقعة على المؤخرات، وهذا ما يجعل المناورة الهجومية تسعى الى بلوغ المواقع التي تسيطر عليها دون ان تجمع في هذه المواقع، أو أن تحشد فيها قوات ضخمة ووسائط كثيرة يمكن كشفها. ويدخل هذا العمل في مجال التكتيك غير المباشر، وعلى المهاجم في هذه الحالات تجنب المحاور المؤدية الى اهداف مؤكدة، وخدع العدو وتضليله وابقاؤه وسط محيط من الشك أطول مدة ممكنة، واستغلال جميع الظروف المواتية لذلك، حتى لو لم تكن متوافقة أو منسجمة مع المخطط الأساسي، اذ تؤدي هذه الأعمال كلها الى تجميع عدو مبعثر على اهداف رئيسية هامة، وهذا ما يجعله هدفاً صالحاً لضربة ذرية. واخيراً فان مناورات الازعاج قادرة على دفع العدو لتبديل مواقعه وانهاكه بشكل يجعل قسماً كبيراً من قواته مجمداً في مواقف ثابتة ضمن امكنة محددة، مما يشكل ايضاً هدفاً صالحاً للضربات الذرية. وان هذه الاعمال بمجموعها مع ما يماثلها، تهدف الى تحقيق هدف واحد، هو ارغام العدو على اتخاذ اجراءات تحقق الاقتصاد بالقوى لصالح طرف مقابل تبديد القوى ضد الطرف الآخر في المواقف والمواقع الدفاعية.

أما في الهجوم، فيمكن دفع العدو للتجمع من أجل وضعه أمام الظروف المناسبة بواسطة عدد من الاجراءات أولها التحصين الهندسي للأرض، وذلك لخلق ممرات متلاقية ونقاط مرور إجبارية وسط الحواجز المستمرة، بشكل تكون فيه مناورة القوات العدوة مسيطراً عليها وموجهة لصالح الطرف الذي يقود المناورة. ويتبع ذلك القيام باشتباكات محلية ترغم العدو على تجميع قواته. ويمكن اللجوء الى هذه الوسيلة في جميع المواقف، إلا عندما يؤدي تلاقي محاور الاشتباك الى تحقيق تجمع القوات المهاجمة مع التماس بآن واحد، مما يفقد هذه الاشتباكات أهميتها وفائدتها ويجعلها تخدم اهداف الطرف الآخر. واخيراً يمكن اللجوء الى مناورات الانسحاب الدفاعية كوسيلة لارغام العدو على التجمع وجذب قواته ووسائطه نحو منطقة الفراغ.

والواقع، ان هذا النوع من المناورات التقليدية قد حدث منذ اقدم العصور، فاذا ما تم استخدامه في ظروف الاسلحة الذرية، فانه يجب إمعان النظر جيداً، ذلك أن فراغات التشكيل القتالي الاولية لا تكون بالضرورة أفضل الأمكنة لاجراء الضربة الذرية في نهاية العملية. ويمكن الافتراض بأن المهاجم سيندفع داخل الفراغ بسبب انسحاب الستارة الوقائية أمامه، أو يقع في فراغ بعد أن يحدد نقطة قوية ويندفع نحوها ويدخلها ليتلقى في كلتا الحالتين ضربة نووية على المكان الذي حدده خصمه. ولكن يمكن الافتراض بالمقابل اندفاع القوة وتطوير هجومها بسرعة حتى اخذ التماس، مما يجعل استخدام الاسلحة الذرية صعباً وفي ظروف غير مأمونة. وهنا أيضاً يمكن الافتراض ان إنشاء مركز مقاومة دفاعي كاذب ومموه بصورة سيئة (عمداً) قد يدفع المهاجم الى تبديد قنبلة ذرية بلا جدوى، أو حمله على تنظيم هجوم تقليدي على موقع فارغ يمكن للمدافع خلاله ضربه بالقنابل الذرية بكل سهولة ودون رادع معنوي.

وهنالك حالات لا يملك فيها المدافع وسائط ذرية محلية، ولكنه ينجح في خداع عدوه حتى يحمله على الاعتقاد بغير ذلك، وبما أنه حر لا تجبره الظروف الذرية على خلق «مناطق قتل» حقيقية مع ممرات اجبارية لتحديد الهجوم المعادي، فانه يحتفظ بوسائطه لخلق انساق متتالية من ستارات الحيطة المجهزة لخداع العدو، مع خلق عدد من الجيوب الكاذبة. وفي كل الأحوال يصبح الدفاع الثابت دون أي فكرة للتراجع أمراً غير ملائم في ظروف القتال الذري، كما أن التمسك بنقطة يعرف العدو أهميتها وأهمية القوات التي تحتلها دون تحقيق التماس مع قوات الخصم يعني التعرض لضربة ذرية مؤكدة دون أن تكلف هذه الضربة المهاجم أية خسارة. ويمكن اعتبار التمسك بكافة النقاط القوية دونما استثناء تخلياً عن مناورات الانسحاب — باستثناء انسحاب ستارة الحيطة — عبارة عن تنفيذ للمخططات التي يرغب العدو في تنفيذها.

ويمكن اعتبار اللجوء الى الدفاع في إطار الحرب التقليدية مظهراً من مظاهر الاقتصاد بالقوى وتحقيق مضمون لمفاهيمها، فالحروب الحديثة، مع ما اشتملت عليه من اتساع في الجبهات، وعمق في مسرح العمليات، وتطور سريع في مسيرة الاعمال القتالية، جعلت القيام بالأعمال الهجومية في جميع الجبهات — عند تعددها — وفي قطاعات الجبهة الواحدة عند اتصالها، أمراً مستحيلا، لا سيما في المراحل الأولى من الصراع. ولهذا يتم العمل على

تنظيم الدفاع في بعض القطاعات او الجبهات من أجل الاقتصاد بالقوى وتوفيرها للعمل في محاور الجهد الرئيسي الأخرى. وتمارس التحصينات في هذا المجال دوراً كبيراً في تحقيق الاقتصاد بالقوى. لا سيما وان التحصينات الميدانية حتى عندما تصنع للوقاية ضد اسلحة التدمير الشامل، لا تتطلب من الامكانات ما يتعادل مع ما توفره من الاقتصاد بالقوى خلال المراحل الحاسمة من الصراع (انظر التحصينات وحرية العمل) وبصورة خاصة عندما لا تتوفر القوى والوسائط الضرورية لحسم الصراع. وان تحقيق مبدأ الاقتصاد في القوى ضمن هذا المجال يوفر الظروف المناسبة لتحقيق عدد من مبادئ الحرب المرتبطة جميعها بوثاق واحد، تهدف جميعها لتوفير الشروط الضرورية للنصر في الصراع المسلح.

لقد اتفقت عدد من الاستراتيجيات على إبراز عامل «الاقتصاد بالقوى» كعامل مستقل بسبب اهميته في الصراع المسلح ودوره فيه. واذا استعرضت مبادئ الحرب الثورية الصينية الهامة وهي: الانسحاب أمام عدو متقدم، والكر على العدو المتراجع، واستراتيجية واحد ضد خمسة، وتكتيك خمسة ضد واحد، والتموين من مؤونة العدو نفسه، وضرورة وجود تلاحم تام بين الجيش والشعب، فانه من الواضح ان هذه المبادئ جميعها ذات مضمون واحد هو «الاقتصاد بالقوى» وذلك على الرغم من عدم ذكر هذا المبدأ بلفظه وبصورته الواضحة. كما ان المبادئ الاستراتيجية البريطانية الاربعة وهي: ارغام العدو على بعثرة قواته عن طريق استخدام التقرب غير المباشر، والمباغتة باعمال غير متوقعة، واسلوب عمل القوي ضد الضعيف، والبحث عن الحل في ميادين العمليات الثانوية ان امكن ذلك، هي بدورها تطبيق لمضمون واحد هو «الاقتصاد بالقوى» الذي لم يذكر صراحة، في حين ان العقيدة الامريكية ابرزته بصورة واضحة وجعلته في الترتيب رابع المبادئ الاساسية للحرب.

ويكتسب مبدأ «الاقتصاد بالقوى» أهمية خاصة في الحروب الثورية المتميزة بصورة عامة بضعف امكاناتها المادية والبشرية، وافتقارها الى الوسائط في مجابهة خصوم يمتلكون التفوق بالقوى والوسائط. ولهذا يعتمد قادة الحركات التحررية والمنظمات الثورية على مبدأ «الاقتصاد بالقوى» في جميع اعمالهم القتالية، ويتبعون في ذلك الاساليب المختلفة، ويطبقون المبادئ المتنوعة - كالحروب التشتيتية - وذلك لاستنزاف قوات العدو مقابل الاقتصاد في قواهم وتدعيمها بصورة مستمرة، حتى تصل الى مرحلة التوازن فالتفوق، وعند ذلك تحقق الحرب الثورية اهدافها (انظر الحرب الثورية).

(٥) اكرا (صاروخ)

(انظر الصواريخ المضادة للدبابات).

(١) إكس كونييف

كان السوفييت قبل عام ١٩٤٣ يمتلكون اعداداً غير كافية من الدبابات، وكانوا يعتمدون عند الخرق على رمايات كثيفة من نيران المدافع، وكانت قطعاتهم المدرعة تعمل بتعاون وثيق مع المشاة التي تقاتل ضد دبابات العدو، وتحمي الدبابات السوفييتية من أي هجوم مدرع مفاجئ بفضل المدافع المضادة للدبابات. وكانت مهمة المدرعات السوفييتية تدمير مشاة الخصم، شريطة أن يكون تقدمها ملائماً لوتيرة تقدم المشاة. وما أن يتم الخرق حتى تندفع الألوية والفيالق من الثغرة لاستثمار النصر.

ومنذ مطلع عام ١٩٤٣ ظهر تطور جديد على مسرح المعركة، عندما أصبحت الدبابة فريسة سهلة يمكن اصطيادها. وأصبح الدفاع المضاد للدبابات قوياً وفعالا بفضل استخدام الاسلحة الحديثة المضادة للدبابات. ولقد رافق هذا التطور زيادة عدد الدبابات في الجيش السوفييتي، الأمر الذي دفع قيادة الجيش الأحمر إلى زيادة كثافة الدبابات داخل ألويتها المدرعة، وخلق قطعات مدرعة كبيرة وصلت إلى مستوى الجيش المدرع الذي يضم عدة فيالق. وبالرغم من كثافة الدبابات العالية في الجيش السوفييتي، فقد حافظ السوفييت على اسلوبهم الحذر في الخرق، وتمسكوا بطريقتهم السابقة التي تعتمد على رمايات المدفعية المكثفة (مدفعين في كل متر و ٤٠ طناً من القنابل في كل كيلومتر / ساعة). واكثروا من استخدام مدافع الهجوم العاملة مع الدبابات. ولكنهم عدلوا أسلوبهم في استثمار النصر، فلم تعد قواتهم المدرعة تكتفي بالدخول من الخرق لتنفيذ مناورة الكماشة واستثمار الفوز، بل صارت تعتبر نقطة التقاء رأسي طرفي الكماشة الواقعة خلف خطوط العدو الدفاعية نقطة انطلاق لهجمات جديدة متباعدة، الأمر الذي جعل حركتها ترسم حرف × دعي باسم «إكس كونييف» المؤلف في جوهره من كماشة تليها مروحة.

«اكس كونييف» معركة ١٩٤٤/٦/٢٢ - ١٩٤٤/٨/١



(٩) آلتالينا (باخرة)

(انظر أرغون زفائي ليؤمي، وبيغن).

(٨) الالتفاف

شكل من اشكال المناورة . وهو تقدم القوات في اتجاه مجنبات العدو ومؤخرته ، بينما تستمر المعاونة بالنيران بين القوات المتقدمة من الامام والقوات التي تقوم بالالتفاف القريب . ونظراً لهذا الاتصال بين حركة القوات التي تقوم بالهجوم الجبهي وبين حركة القوات التي تقوم بالالتفاف ، فقد اصبح يطلق على الالتفاف صفة خاصة هي « الالتفاف القريب » . وذلك لتمييزه عن اشكال المنـــاورة الاخرى .

تستخدم مناورة « الالتفاف » بصورة خاصة عندما يكون للعدو جانب يمكن تدميره أو أسره ويعتمد النجاح في الالتفاف على : **المباغتة** . ويتم ذلك باخفاء الاستعدادات ، واحاطتها بنطاق من الكتمان ، **والسرعة** – واجراء التحركات بمرونة ، **والقوة** – بحيث تستطيع قوة الالتفاف تنفيذ واجباتها ، **والحيطة** – وذلك حتى تستطيع قوة الالتفاف الوصول الى مواضعها المحددة لها قبل ان يكتشف العدو وجودها ، **والاستهداف** – بحيث يرتبط مخطط عمليات قوة الالتفاف بمخطط عمليات القوة الجبهية ،وبذلك يمكن الحصول على الفائدة في توجيه ضربة ترغم الخصم على الاستسلام او تدمره ، **والحسم** – وذلك لاستثمار عامل المباغتة ووضع الخصم خارج المعركة .

يتم تنفيذ « عمليات الالتفاف » في الهجوم غالباً ، وبعد خرق دفاع العدو ، او في حال توفر جوانب مكشوفة في تراتيب قتالية ، كما تنفذ ايضاً في عمليات القتال الاخرى ، كالمعركة التصادمية مثلا ، وفي الدفاع عند القيام بالهجمات المعاكسة .

كان مجال « عمليات الالتفاف » في الماضي محدداً ويقتصر على « المستوى التكتيكي » وذلك بسبب ارتباط « عمليات الالتفاف » بمدى الاسلحة النارية . والدعم الناري لقوات المواجهة . وكانت هذه الاسلحة هي المدافع الرشاشة ومدافع الهاون والمدفعية . وبالاضافة الى ذلك فقد كان تنظيم القوات في القتال « متراصاً » الى حد بعيد وليس فيه ثغرات او نقاط ضعف . كما كان هذا التنظيم القتالي ضعيف العمق . اما في ظروف المعركة الحديثة ،وبعد ذلك التطور الكبير سواء في تطور الوسائل النارية وفي طليعتها الصواريخ التكتيكية او في تطور « التنظيم القتالي » حيث أصبح مسرح العمليات اكثر اتساعاً وعمقاً ، وتنتشر عليه قوات كبيرة يوجد بينها نقاط فصل ، ونقاط ضعف كثيرة ، فقد اصبح بالامكان تنفيذ « عمليات الالتفاف » في ظروف القتال كلها وليس على المستوى التكتيكي فحسب بل على مستوى العمليات ايضـــاً (انظر الاحاطة) .

ان شكل المناورة بالالتفاف ، هو من اقدم الاشكال التي عرفها التاريخ العسكري . ففي معركة ماراتون ٤٩٠ ق.م. بـــين الفرس والاغريق ، استخدم الاغريق ارتال الجناح للالتفاف ضد خصومهم . وكان التفافاً مزدوجاً . أما في معركة ميكال ٤٥٠ ق.م. فقد قام جناح الاغريقيين الايسر فقط بالالتفاف نظراً لان طبيعة الارض لم تكن تسمح باجراء الالتفاف عند الجناح الايمن. وفي معركة كاني عام ٢١٦ ق.م. استطاع هانيبال تحطيم الجيش الروماني بفضل تركيز قوته على المجنبات ثم الالتفاف حولها والوصول الى المؤخرة ، بذلك امكن له تحطيم قوات متفوقة ، وتم تدمير الجيش الروماني تدميراً شبه كامل . وفي معركة فارسال عام ٤٨ ق.م. بين قيصر وبومبي ، استطاع يوليوس قيصر إلحاق الهزيمة بخصمه بواسطة تركيز ٦ كيجورتات للهجوم على الجناح الايسر لخصمه . وقد نجحت هذه الكيجورتات في الوصول الى خلف قوات بومبي وإلحاق الهزيمة بها . وفي معركة أحد (٦٢٥) قـــام خـــالد بن الوليد – وكـــان في صف المشركين – بحركة التفاف ضد المسلمين ، ونجح في إلحاق الهزيمة بهم ، ولولا صمود الرسول العربي والتفاف قلة من المسلمين حوله ، لتحولت الهزيمة الى فرار من ميدان المعركة ، ونكسة كبيرة في مسيرة الدعوة الاسلامية .

تميزت معارك العرب المسلمين بمرونتها ، وكانت الخيالة العربية سريعة التحرك ، مما كان يساعدها على إجراء مناورات واسعة . وقد استخدم العرب « مناورة الالتفاف » على نطاق واسع وفي كثير من عملياتهم ضد الروم والفرس ، حتى اصبح طابع المناورة هو الطابع المميز لقتـــال العرب المسلمين ، وقد افادت بيزنطة كما افادت دول الغرب من « استراتيجية العرب الهجومية » واساليبها في « مناورة الالتفاف» وطبقتـــها ضدهم لا سيما في الحروب الصليبية .

وعندما انتهى الأمر الى نابليون بونابرت ، تم تكريس المناورة بصورة فعلية ، وكان ذلك دعماً لمبادئ الحرب في عصر استخدام الاسلحة النارية . ومن المبادئ الهامة التي كان نابليون يأخذ بها مبدأ الانطلاق بكل القوى او بقسم منها نحو جانب العدو او مؤخرته بهـــدف احتلال طرق مواصلاته وفصله عن قواعد تموينه واجباره على الدخول في معركة حاسمة ضمن اطار من الظروف غير الملائمة له . وقد اخذت قوات نابليون بهذا الاسلوب في معركة مارنغو عام ١٨٠٠ ، وفي معركة اولم عام ١٨٠٥ ، وفي معركة يينا عام ١٨٠٦ . ولقد دخلت مناورة القوات الفرنسية في موقعة اولم تاريخ الحرب كمثل ساطع عن التنفيذ الماهر لمناورة قوات كبرى تقوم بالالتفاف حول الجناح الايمن للعدو ، والانطلاق نحو مؤخرته ، وفصله عن قواعد تموينه ، وارغامه على الدفاع بجبهة معكوسة . وكانت هذه المنـــاورة تستهدف خلق الظروف الملائمة للقيام بالمعركة الرئيسية التي لم تحصل مع ذلك ، اذ سلم الجنرال النمساوي ماك مدينة اولم الى نابليون . واستطاع الجيش الفرنسي تحقيق نصر كامل عن طريق خوض المعارك المستقلة مع القوات النمساوية التي امكن تجزئتها بفضل « مناورة الالتفاف ».وكان الجيش الفرنسي وهو يقوم بمناورة الالتفاف يضع في اعتباره القاعدة الاساسية لعمل القوات المعادية التي كانت مرتبطة بتموينها بالمستودعات والمخازن . وكان كل فصل لهذه القوات عن مصادر تموينها يضعها في موقف حرج للغاية . وكان تنفيذ المناورات الالتفافية ايضاً يتم بمهارة عالية وكفاءة نادرة ،ذلك انه من الممكن ان تصبح هي المطوقة بدلا من العدو .

وخلال المراحل الاولى من الحرب العالمية الاولى اكتسبت المناورة اهمية خاصة ،وحاول الالمان القيام بمناورات التفاف واسعة (احاطة)لتحقيق اهدافهم . ولكن اتساع مسارح العمليات ، وعدم وجود قوات احتياطية كافية ، وبطء حركة القوات ، اعاقت القيادة الالمانية عن تحقيق النجاح ، سواء عنـــد احاطتها للجيش الفرنسي في باريس او عند اصطدامها بالقوات الروسية . حيث فشلت المحاولات الالمانية الرامية الى تدمير القوات الروسية في منطقة وارسو ولودز . وهكذا لم تستطع اية دولة من الدول المتحاربة تنفيذ خطتها الاستراتيجية ، وان تتوصل الى النصر السريع الحاسم . فقد حاول الطرفان في الجبهة الغربية ، وخلال فصل الخريف من عام ١٩١٤ الالتفاف من الشمال على الجناح المكشوف للطرف المعادي وقد سميت هذه المحاولات في التاريخ باسم«السباق الى البحر » ولم تحقق هذه المحاولات النجاح لأي

من الطرفين ، وانتهت في منتصف كانون الاول (ديسمبر) عندما اكتملت الجبهة الدفاعية المتصلة في مسرح العمليات الغربي من حدود سويسرة المحايدة ، حتى شاطئ بحر الشمال . وكان فشل المناورة سبباً في تدعيم فكرة الجبهات الثابتة مع ما يرافقها من جمود وانعدام في الحركة . وساد أعتقاد بين القادة العسكريين أن زمن « مناورة الالتفاف » قد انتهى ، وانه اصبح من المستحيل امام التحصينات الثابتة والعميقة القيام بحركات المناورة وتنفيذ عمليات الالتفاف ، دون ان يدرك هؤلاء ان السبب في الفشل لا يرجع الى فكرة المناورة ذاتها ، بقدر ما يرجع الى ضعف قوة المناورة ، وعدم وجود قوات احتياطية تستطيع دعم حركة الالتفاف لإنجاحها .

وخلال فترة ما بين الحربين العالميتين جرى تطور كبير في الاسلحة وفي التكتيك . وكانت الحرب الاهلية في اسبانيا اختباراً لمبادئ الحرب فعادت للمناورة اهميتها وتميزت عمليات الثوار بكثير من اعمال الالتفاف حول اجناب القوات ومؤخراتها.

تميزت الحرب العالمية الثانية باتساع مسرح عملياتها وانتشار القوات فيها . وظهر تخلخل كبير بين ارتال القوات الضاربة ، كما تميزت المناطق الدفاعية بوجود نقاط ضعف فيها ، مما ساعد على اجراء مناورات الالتفاف . ونظراً للتلاحم الذي ظهر بين حركة الجيوش النظامية وحركات الانصار ، فقد اخذ الانصار على عاتقهم واجبات الهجوم على قوات العدو عند المجنبات والمؤخرة ، كما تميزت العمليات الجبلية ، واعمال القتال بين الجيوش النظامية وقوات المقاومة بكثرة اعمال الالتفاف . وعلى الرغم من ان النجاح لم يكن حليفاً لمناورات الالتفاف جميعها ، لكن هذه التجارب بمجموعها جاءت تثبيتاً لاهمية المناورة وتكريساً لدورها الكبير في تحطيم ميزان التفوق وتقرير النتيجة النهائية للحرب .

(٦) آلة السدس

السدس **Sextant** ، آلة لقياس ارتفاع الكواكب السماوية فوق أفق الارض أو فوق أفق اصطناعي ، باحتساب الزاوية المحصورة ، تستخدم في الملاحة البحرية والجوية . ويتم ذلك باجراء قياس ارتفاع كوكب ما وتحديد الوقت الذي تم فيه القياس بدقة ، وبتكرار هذه العملية من زاويتين او مكانين مختلفين ، او مراقبة كوكبين مختلفين ، وبالرجوع الى التقويمات البحرية او الجوية ، يمكن للملاح ان يحدد احداثيات موقعه سواء كان في سفينة او طائرة محلقة .

وقد سميت هذه الآلة بالسدس ، لان شكلها الاصلي كان يشبه سدس الدائرة . ثم فقد هذا الاسم الكثير من معناه الاصلي ، بعد ان اصبح السدس يصنع باشكال اقواس مختلفة للدائرة « كآلة الثمن Octant » ذات القوس المقسم الى ٤٥ درجة . ورغم ان قوس آلة السدس التقليدية يساوي قوس زاوية تقارب ٦٠ درجة ، الا ان تركيبها الهندسي يمكن من قياس زاوية يصل مقدارها الى الضعف (١٢٠ درجة).

وهناك نوعان من آلة السدس ، هما : آلة السدس البحرية Marine sextant ، وآلة السدس الجوية Aircraft sextant . وتتألف آلة السدس البحرية اساساً من : اطار رئيسي له حاشية قوسية مقسمة الى ٦٠ درجة ، وذراع مدرجة مثبتة في مركز القوس بواسطة محور يمكنها من الحركة ، ومرآة مدرجة مركبة في النهاية العليا للذراع بشكل متعامد مع مستوى القوس ، وزجاجة أفق نصفها مطلي بالفضة مركبة على الاطار بحيث تصبح على موازاة المرآة عندما يقرأ السدس زاوية تساوي الصفر ، ومنظار مقرب للافق مثبت بالاطار ، وميكروميتر (أداة لقياس الزوايا البالغة الصغر) .

وتختلف آلة السدس الجوية ، من حيث انها مجهزة بأفق اصطناعي يتم الحصول عليه بواسطة جهاز بصري يحتوي على فقاعة هوائية لتمثيل أفق اصطناعي يمكن حفظ توازنها باداة جيروسكوبية او رقاص ، وتستخدم آلة مشابهة في كل الحالات التي يتعذر فيها مشاهدة الافق . كما تختلف آلة السدس الجوية بانها تستطيع قياس زوايا تصل الى ٩٠ درجة بدلا من ١٢٠ درجة . وبالاضافة الى ذلك فانها تزود بوسيلة اوتوماتيكية تمكن الحصول على قراءات دقيقة لمعدل القياسات التي تجرى بواسطة السدس .

وتتلخص طريقة استخدام الآلة على النحو التالي : يوجه المنظار المقرب نحو الافق ويتم تعديل بعده البؤري على مداه . ثم يجري امساك الآلة بوضع عمودي قدر الامكان وتوجيه المنظار نحو الكوكب المراد قياس ارتفاعه، ويعدل وضع زجاجة الافق بتحريك الذراع المدرجة بمحاذاة القوس بحيث تنطبع صورة الكوكب على القسم المطلي منها . واخيراً يتم وضع قاعدة الصورة على استقامة الافق منظوراً اليه من خلال القسم غير المطلي من الزجاجة بمحاذاة المرآة ، وذلك بواسطة ادارة الميكروميتر .

وفي تلك اللحظة يجري قراءة التدريج على حاشية السدس، ويتم تحديد زمن القراءة تحديداً دقيقاً في الوقت نفسه . وتسمى هذه القراءة عادة « بارتفاع السدس » ، وتخضع لواحد او اكثر من التصحيحات الراجعة الى اخطاء سببها تدريج آلة السدس نفسها ، او الانعكاسات في جو الارض ، او لخطأ راجع لتغير ظاهري في موقع الكوكب المنظور بسبب تغير مكان الناظر ، وما الى ذلك . ويتم تصحيح هذه الاخطاء من البيانات التي تحويها التقويمات الملاحية . وعند الحصول على القراءة الصحيحة ، وبالرجوع الى جداول التقويمات ، يمكن للملاح ان يحدد خط سيره . وبتكرار العملية من مكانين مختلفين او اكثر ، او قياس ارتفاع كوكبين مختلفين او اكثر ، يمكن للملاح ان يحدد احداثيات موقعه بدقة .

(٥) الفا جت (طائرة)

طائرة تكتيكية خفيفة ، وطائرة تدريب متقدم ، بمقعدين . فرنسية — المانية غربية . نفاثة . صممت لتأمين حاجة سلاح الطيران الفرنسي والالماني الغربي لطائرة تدريب تقل سرعتها عن سرعة الصوت ، وتحل محل طائرات ماجستير ، وتكون قادرة في الوقت نفسه على القيام بمهمات الهجوم الارضي والاسناد القريب . حلقت لاول مرة في اواخر عام ١٩٧٣ . ومن ثم دخلت الخدمة في منتصف عام ١٩٧٥ .

المواصفات العامة : السرعة القصوى ١٠٢٠ كم في الساعة . الحمولة الحربية القصوى رشاش عيار ٣٠ ملم ، و ٤ قنابل زنة الواحدة ٤٥٣ كغ . المدى الاقصى ٢٠٠٠ كم . وزن الاقلاع الاقصى (كطائرة ضاربة) ٧٠٠٠ كغ . الحجم : الطول ١٢٫٠٥ م، فتحة الجناحين ٩٫١٦ م ، الارتفاع ٣٫٨٦ م .

(٥) الكالي (صاروخ)

صاروخ جو — جو سوفياتي ، و (الكالي) هو الاسم الذي يطلقه حلف شمالي الاطلسي على الصاروخ المستعمل على طائرات ميغ ١٩ ، وميغ ١٧ ، وسوخوي ٩ . يبلغ طوله ١٨٨ سم تقريباً ، وقطره ١٨ سم ، ويقدر مداه بما يتراوح بين ٦ و ٨ كيلو مترات . يوجه بالرادار .

(١) الكسندر

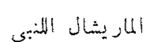
الماريشال الكسندر

(هارولد جورج) الكسندر أوف تونس ، ماريشال بريطاني (١٨٩١ – ١٩٦٩) . تخرج من ساند هيرست في عام ١٩١١ ، ولمع اسمه في الحرب العالمية الأولى . قاتل في صفوف الليتوانيين في فترة ١٩١٩ – ١٩٢٠ ضد البلاشفة . ثم عمل كقائد لواء في الهند من عام ١٩٣٤ إلى عام ١٩٣٨ . وفي عام ١٩٣٩ عين قائداً للفرقة البريطانية الأولى العاملة في فرنسة ، ثم قائداً للفيلق البريطاني الأول الذي غطى انسحاب الحلفاء في دنكرك (١٩٤٠) . وعندما وصل إلى بلاده تسلم مهمة قيادة الدفاع عن جنوبي انكلترة . وفي عام ١٩٤٢ أصبح الكسندر قائداً للقوات البريطانية في بورما ثم في الشرق الأوسط .

غدا في عام ١٩٤٣ مساعداً لايزنهاور ، واستلم قيادة قوات الحلفاء في شمالي افريقيا ، ثم أصبح قائداً للفيلق الخامس عشر في ايطاليا ، ولعب في هذين الموقعين القياديين دوراً بارزاً في حملتي تونس وايطاليا . ثم حل في عام ١٩٤٤ محل ميتلاند ويلسون ، وغدا قائداً لمسرح عمليات البحر الأبيض المتوسط .

تسلم منصب حاكم كندا من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٢ ، ثم غدا وزيراً للدفاع في حكومة تشرشل (١٩٥٢ – ١٩٥٤) .

(١) اللنبي



الماريشال اللنبي



ادموند هنري هيمان ، ضابط انكليزي (١٨٦١ – ١٩٣٦) خدم في أفريقيا فترة طويلة من الزمن وحارب ضد البوير (١٨٩٩ – ١٩٠٢). في عام ١٩١٤ قاد فرقة خيالة مرسلة إلى فرنسة ، ثم قاد الفيلق الخامس (عام ١٩١٥) وغدا بعد ذلك قائداً للجيش الثالث (١٩١٦ – ١٩١٧) . وفي عام ١٩١٧ عين قائداً للقوات البريطانية في فلسطين ، واستطاع الانتصار على القوات العثمانية في عدة معارك واستولى على القدس ودمشق وحلب . وبعد انتصاره على العثمانيين في مجدو اضطرت الامبراطورية العثمانية إلى الاستسلام في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ .

ترفع في عام ١٩١٩ إلى رتبة مارشال ، وعين مفوضاً سامياً في مصر (١٩١٩ – ١٩٢٥) ، واضطر لأن يواجه في الشرق الأوسط الوضع السياسي المضطرب الذي ظهر بعد الحرب العالمية الأولى . شارك إلى حد بعيد في اعداد معاهدة ١٩٢٢ التي اعترفت باستقلال مصر . كادت جهوده تذهب هباء عندما اغتيل حاكم السودان العام السير لي ستاك (١٩٢٤) . استقال من منصبه في عام ١٩٢٥ .

(٤) آلون (خط)

هو الخط الذي بنته اسرائيل في الجولان على طول خط وقف اطلاق النار للعام ١٩٦٧ (انظر الحرب العربية – الاسرائيلية الرابعة ١٩٧٣) .

(٩) آلون (يغال)

سياسي وعسكري اسرائيلي (١٩١٨ –) لعب دوراً في تكوين الجيش الاسرائيلي وفي بناء دولة اسرائيل . ولد في كفار طابور ، مستعمرة في الجليل ، في ١٠/١٠/١٩١٨ من أسرة قدمت الى فلسطين من روسيا في ثمانينات القرن التاسع عشر . اشترك والداه في تأسيس مستعمرة « روشبينا » ، وهي أول مستعمرة اسرائيلية تقام في الجليل الاعلى . تعلم في مدرسة خضوري الزراعية وأمضى فتوته في المستعمرات . في التاسع عشر من عمره اصبح عضواً مؤسساً لكيبوتس جينوسار على شاطىء بحيرة الجليل .

ترأس آلون بشكل مبكر حزب احدوت هاعفودا (اتحاد العمال) الذي كان في بدايته جناحاً يسارياً داخل حزب الماباي ، والذي انفصل عنه في العام ١٩٤٤ ليعود الى الاتحاد معه في العام ١٩٦٨ .

اكتسب آلون أول خبراته العسكرية ، عندما التحق في الرابعة عشرة في صفوف منظمة الهاجاناه الارهابية في فلسطين ايام الانتداب البريطاني ، وسرايا الميدان التابعة لها . وساعد في العام ١٩٤١ في إنشاء قوة الهاغاناه الضاربة (البالماخ) . وفي العام ١٩٤٣ عين نائباً لقائد البالماخ ، ثم اصبح في العام ١٩٤٥ ، قائداً لها . وعندما حاربت القوات البريطانية وقوات فرنسا الحرة في سورية ولبنان في أواخر الحرب العالمية الثانية ، قاد آلون عمليات كتيبة للبالماخ في القطاع الممتد من طبرية الى المطلة (على الحدود مع كل من لبنان وسوريا) . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ،وحين بدأ الخلاف بين سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين والحركة الصهيونية ،أشرف آلون على عمليات الارهاب ضد سلطات الانتداب . كما قاد عمليات الهاجاناه لهجرة اليهود غير الشرعية ١٩٤٥ – ١٩٤٨ .

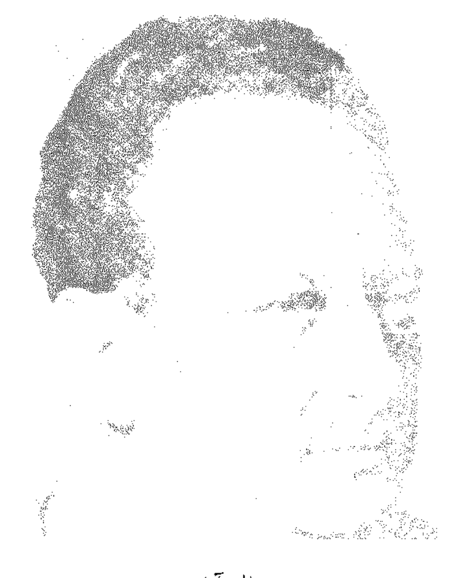
وعند اندلاع حرب ١٩٤٨ في فلسطين قاد آلون عدداً من العمليات في الجليل الاعلى ، ثم

قاد بعد ذلك القوات الصهيونية في الجبهة الوسطى ، ثم قاد على الجبهة الجنوبية ضد المصريين العمليات التي أمنت لاسرائيل احتلال صحراء النقب والوصول الى معبر حيوي الى البحر الاحمر .

وبعد انتهاء حرب ١٩٤٨ ، وحل كافة المنظمات العسكرية الصهيونية لتركيز مسؤولية الدفاع عن اسرائيل في يد الجيش ، ترك آلون العمل العسكري احتجاجاً على هذا القرار ، وتحول بعد ذلك لزراعة الموز والسياسة ولاعداد نفسه كرجل دولة . فقضى خمس سنوات في الدراسة الجامعية ، ثلاث منها في الجامعة العبرية في القدس واثنتان في جامعة « سانت انطوني » في اكسفورد ، حيث درس الشؤون الآسيوية والافريقية وشؤون الامم المتحدة . وفي العام ١٩٥٤ انتخب آلون عضواً للبرلمان الاسرائيلي (الكنيست) فلعب منذ ذلك الحين دوراً بارزاً في حياة اسرائيل السياسية ، وغدا واحداً من زعماء التحالف (المعراخ) الذي نشأ في أوائل عام ١٩٦٩ من اندماج حزب العمل وحزب مابام .

شغل آلون عدة مناصب وزارية منها منصب وزير العمل (١٩٦١ – ١٩٦٨) وفي تموز (يوليو) ١٩٦٨ عين نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للوزارة الجديدة لشؤون استيعاب المهاجرين الجدد . وعند وفاة رئيس الوزراء ليفي أشكول ، اصبح رئيساً للوزراء بالوكالة (٢٦ شباط – ١٧ آذار ١٩٦٩) الى ان غدت غولدا مائير رئيسة للوزراء . وفي الوزارة الاولى التي ألفتها مائير في ١١ كانون الاول (يناير) ١٩٦٩ عين آلون نائباً لها ووزيراً للتربية والثقافة ، كما انتخب رئيساً للجنة العليا لشؤون المناطق المحتلة وعضواً للجنة الدفاع والامن في الحكومة الاسرائيلية ، كما عين ضابط ارتباط بين رئيسة الوزراء غولدا مائير وجهاز الأمن الاسرائيلي . ولم تكن هذه هي المرة الاولى الذي يشغل فيها آلون مناصب حساسة كهذه ، فلقد عين خلال حرب ١٩٦٧ في اللجنة العسكرية الاستشارية لرئيس الوزراء ليفي اشكول . وفي أول وزارة تألفت بعد حرب ١٩٧٣ ، في ٧ آذار ١٩٧٤ ، حافظ آلون على نيابة رئاسة الوزارة وعلى حقيبة التعليم والثقافة . ولم تعمر هذه الوزارة طويلا ، وعندما تألفت وزارة جديدة ، (٢٥ أيار ١٩٧٤) استمر آلون في نيابة رئاسة الوزارة كما عين وزيراً للخارجية .

يعتبر آلون من الساسة الاسرائيليين البارزين ولكن افتقاره « للكاريسما » منعه من أن يصبح وجهاً جماهيرياً . ولآلون خصوم سياسيون عديدون اكثرهم عداء بن غوريون (قبل موته) وموشي دايان وشمعون



ييغال آلــون

بيريس ، كما كان له بعض الخلافات مع غولدا مائير . ولكن ذلك لم يمنعه من تولي مناصب في الحكومات منذ أوائل الستينات . ويتحلى آلون بصفات ضرورية لكل سياسي ناجح . فهو صبور وطموح ومحب للسلطة وقوي الحجة . لا يتخذ قراراته الا بترو وتدقيق . ويعتبر في اسرائيل من « الصقور » فيما يتعلق بالسياسة الاسرائيلية تجاه الاراضي المحتلة والشعب الفلسطيني والدول العربية بصورة عامة .

كتب آلون عدداً من المؤلفات التي تعالج شؤون سياسة الاحتلال الاسرائيلي من النواحي السياسية والعسكرية . ومن مؤلفاته : « الستار الرملي » ، و « ثلاث حروب وسلام واحد » ، و « تكوين الجيش الاسرائيلي » ، و « درع داوود » . وهو يجسد في كتاباته وممارساته استراتيجية الدولة الصهيونية التي تقوم على الاهداف التالية : بقاء الدولة الصهيونية وحمايتها من اي هجوم عربي . والتوسع السكاني عن طريق الهجرة المستمرة . واعداد المجتمع الاسرائيلي اعداداً عسكرياً . واحداث تطور اجتماعي واقتصادي وعلمي يضمن تفوق المجتمع الاسرائيلي على المجتمعات العربية . وفرض حدود ملائمة تؤمن امكانات الدفاع عن اسرائيل وامكانات الهجوم على المراكز المأهولة والصناعية في البلاد العربية . وفرض اتفاقية سلام على الامة العربية .

ويعي آلون ان للدول العربية قدرات بشرية وعسكرية هائلة ، وموارد طبيعية كبيرة ، ومساحات ارض شاسعة تعطيها عمقاً استراتيجياً تفتقر اليه اسرائيل . كما يعي ان الهزيمة العسكرية تعني نهاية وجود الدولة الصهيونية ، لذا فهو يعتبر ان الضمانة الوحيدة لاسرائيل هي في قدرة جيشها للحفاظ على بقائها . ومن هنا جاء تركيزه على حاجة اسرائيل لرفع القدرة الهجومية للقوات المسلحة وذلك لتحقيق الردع الذي من شأنه منع العرب من مهاجمة اسرائيل ، أو منعهم من حسم المعركة لصالحهم اذا ما انخفض مستوى الردع الى درجة تسمح لهم بشن الهجوم .

ولا يعتبر آلون عسكرياً محترفاً ، ولكنه من أهم منظري الاستراتيجية الاسرائيلية ، ومن اكبر دعاة الهجوم الاجهاضي المسبق (انظر الهجوم الاجهاضي المسبق) ، والحدود الآمنة (انظر الحدود الآمنة) ، ونقل المعركة الى الأراضي العربية ، والاعتماد على جيش احتياطي كبير ، وتسديد الضربة الجوية الأولية .

ويرى أن تحقيق مبادئ الاستراتيجية الاسرائيلية بشكل عملي يتطلب الشروط التالية : ١ – تطوير القوات الجوية بحيث يمكن استخدامها في مهمات متعددة ، ٢ – الاعتماد في تشكيل القوات البرية على المدرعات التي نظمت في تشكيلات مزودة بوحدات صيانة متحركة ، وقادرة على اختراق المواقع الدفاعية او الالتفاف حولها والتقدم لمسافات بعيدة على ارض يصعب السير عليها ، على أن تعتمد التشكيلات المدرعة على وحدات مشاة ميكانيكية تتعاون مع التشكيلات المدرعة في احتلال المواقع الدفاعية ولتعزيز النجاح ، بالاضافة الى خدمات مختلفة قادرة على العمل في ظروف الحرب الخاطفة ، ٣ – الانزال بالمظلات لنقل التشكيلات وللامداد بكافة انواعه ، وتدريب وحدات عديدة من سلاح المشاة تدريباً عالياً لتمكينها من القيام بعمليات خاصة في المؤخرات ، اما بوحدات صغيرة او وحدات اكبر ، أو بوحدات صاعقة لا تحتاج الى نقل جوي ، ٤ – بناء سلاح بحري فعال رغم صغر حجمه ، ٥ – الاهتمام بشعبة الاستخبارات لجمع المعلومات وتحليلها ، وتقوية البحث العلمي والتكنولوجي والالكتروني ، ووضعه في خدمة القوات المسلحة لزيادة كفاءتها في الحرب الميكانيكية ، ٧ – زيادة القدرة التخطيطية لهيئات الاركان . مع احتفاظها الدائم بالمبادرة والقدرة على التلاؤم مع الظروف المتغيرة خلال المعركة ، ٨ – تطوير التدريب والتركيز على المناورات التي تشترك فيها الوحدات حتى مستوى الالوية والكتائب العاملة بتعاون كامل مع القوات الجوية في ظروف تشبه ظروف الحرب الفعلية . والعناية الفائقة بتدريب جنود الاحتياط ، ٩ – الاهتمام بتدريب القادة على كافة المستويات .

ان آلون يؤمن بأن بقاء اسرائيل يقوم على تفوقها العسكري بالنسبة الى جيرانها ، وان ضربة جوية وصاروخية خاطفة ضد القوات الجوية العربيــة وطائراتها الرابضة في قواعدها ، تحسم الحرب . وان اسرائيل التي تفتقر الى العمق الاستراتيجي والموارد الطبيعية لا يمكنها ان تسمح للعرب بالاستفادة من ميزتي المبادأة والمفاجأة . وهو يرى أنه باستثناء حالة الحرب التي تنشب بين اسرائيل والعرب ، من حين لآخر ، فان اسرائيل تعيش « فترة طوارئ » تفرض عليها تطبيق نظرية « دمج الدرع والسيف » ، أي الاعتماد على القوة الضاربة الرادعة ، والحدود الآمنة التي يسهل الدفاع عنها.

(٩) آلون (مشروع)

مشروع وضعه ييغال آلون في ٢٦ تموز (يوليو) ١٩٦٧ بتأييد من ليفي اشكول ، رئيس وزراء اسرائيل آنذاك ، وحدد فيه الخطوط الرئيسية لحل مقترح بالنسبة إلى الأراضي في الضفة الغربية المحتلة في حرب ١٩٦٧ ، مقابل اتفاقية سلام يتم الوصول اليها بالتفاوض المباشر مع العرب .

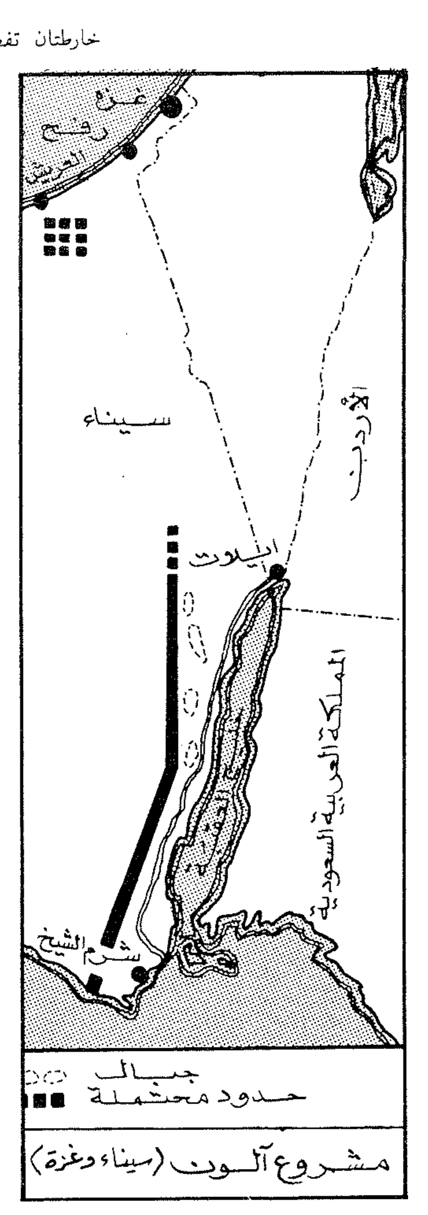
ويطرح «مشروع آلون النقاط التـالية : أ – تنسحب اسرائيل من معظم أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة وتجرد من السلاح وتعاد إلى الحكم الاردني ، ب – يقام ممر يمتد من شمال القدس إلى أريحا ، ويفصل نابلس ورام الله وجنين وطولكرم وقلقيلية والمنطقة المحيطة بها عن بيت لحم والخليل ، ويحدد جانبي الممر العازل بمستعمرات ونقاط محصنة ، ج – تقام مجموعة من المستعمرات الدفاعية على المرتفعات المحاذية لنهر الأردن ، وبعمق عـدة كيلومترات ، بحيث يصبح الجزء الشمالي من الضفة الغربية مفصولا تماماً عن الضفة الشرقية بالمستعمرات الجديدة ، ولا يصله بها إلا فتحة ضيقة عند مدينة أريحا ، د – ضم قطاع غزة نهائياً (٢٥٠ ألف نسمة) ضمن إطار اتفاق مع الاردنيين أو الفلسطينيين تتعهد اسرائيل بموجبه منحهم ممراً إلى ميناء حيفا أو ميناء أشدود مقابل نقل عدد من اللاجئين المقيمين في غزة واسكانهم في الأردن أو منطقة نابلس ، هـ – إعادة القنيطرة وشريط صغير من الأرض غربي خط وقف اطلاق النار إلى السوريين ، والاحتفاظ بالجزء الاكبر من هضبة الجولان ، و – بناء مستعمرات دفاعية في الجولان تمتد من سفوح جبل الشيخ إلى وادي اليرموك ، ز – الانسحاب من بعض اجزاء سيناء ، ورسم حدود جديدة تمتد من نقطة (غير محددة) بين رفح والعريش ، وتسير باتجاه الجنوب (وفق خط غير محدد) حتى تصل إلى غربي ايلات ، حيث تتجه بعد ذلك على محاذاة ساحل خليج العقبة إلى نقطة تقع غربي شرم الشيخ .

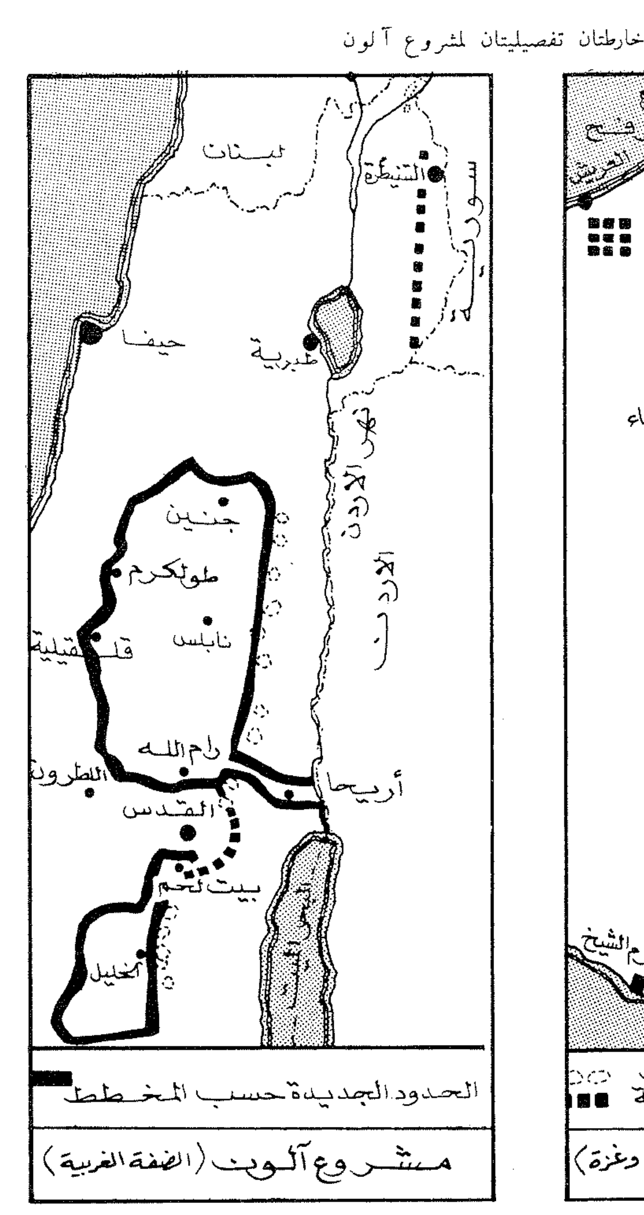
ويجسد « مشروع آلون » بشكل عملي جزءاً من نظريــة « دمج الدرع والسيف » . وهو يستهدف وقوف اسرائيل عند خطوط يسهل الدفاع عنها ، ولا يبحث مسألة إعادة القدس العربية إلى الاردنيين أو الفلسطينيين ، لأن آلون يعتبر ضمها إلى الدولة الصهيونية أمراً نهائياً وغير قابل للنقاش .

ويبني « آلون » ، صاحب المشروع ، فكرة إعادة أراضي الضفة الغربية (٧٠٠ ألف نسمة) إلى العرب على منطلقين : يتعلق أولهمـا بالتوازن السكاني ، وعدم الرغبة في ضم عدد كبير من العرب ، في حين يتعلق الثاني بضرورة عدم الاحتفاظ بأراض عربية واسعة حتى لا تفقد اسرائيل كل شيء . وهذا يعني ان آلون لا يعترف بأن اعادة الاراضي حق تاريخي للعرب ، بل يعتبرها وسيلة عملية تكتيكية (رهينة) في يد اسرائيل ، يمكن استخدامها للتخلص من اراض تثقل كاهلها ، مقابل دفع البلاد العربية لاجراء مفاوضات مع اسرائيل . واذا ما أصرت الدول العربية على عدم اجراء مفاوضات معها ، فان من واجبها التمسك بالاراضي والاستمرار في الضغط على الارادة العربية .

ولم تتبن الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة بعد حرب ١٩٦٧ هذا المشروع علناً ، ولم تطرحه على

خارطتان تفصيليتان لمشروع آلون





التصويت في الكنيست حتى الآن (١٩٧٦)، ولكنها نفذت عملياً أهم نقاطه المتمثلة بإقامة المستوطنات العسكرية في مراكز استراتيجية هامة، تقع على خط الحدود التي رسمها آلون، أو ضمن الأراضي التي يرى المخطط ضرورة ضمها إلى اسرائيل. ويمكن القول أن الوضع الذي ساد في الأراضي العربية المحتلة خلال فترة اللاسلم واللاحرب التي سبقت حرب ١٩٧٣ كان متطابقاً في طبيعته الطبوغرافية والاستراتيجية والسكانية مع مرامي هذا المشروع.

(٥) الويت – ٢، و٣

(انظر هليكوبتر).

(٩) اليعازار (دافيد)

قائد عسكري (جنرال) ورئيس اركان سابق للقوات الاسرائيلية (١٩٢٥ – ١٩٧٦) يطلق عليه لقب بولدوج بسبب الاسلوب المباشر الذي يستخدمه في القتال، وله لقب آخر (دادو) ما زال يلازمه منذ كان في بلده الاصلي يوغوسلافيا.

ولد اليعازار في سيراجيفو (يوغوسلافيا) سنة ١٩٢٥ في عائلة صهيونية، ولكنها غير متمسكة بالتقاليد اليهودية. وترعرع في زغرب ودرس في مدارسها الثانوية. وانضم في ذلك الحين إلى حركة هاشومير هاتزير. وفي العام ١٩٤٠ هاجر الى فلسطين وانضم إلى منظمة الشباب المهاجرين في مستوطنة هعماكيم، ومن هناك انتقل الى هتشئارا في منطقة مرج ابن عامر وغدا عضواً في مستوطنة عين شيمر.

وفي العام ١٩٤٦ انخرط اليعازار في صفوف البالماخ، والتحق بالكتيبة الرابعة مبتدئاً بذلك حياته العسكرية. وفي العام ١٩٤٧ أتم دورة قائد فصيلة، واشترك أثناء تلك الفترة بعدد من العمليات الارهابية، ومنها الهجوم على محطة توقف الباصات في الرملة، والهجوم على مستودع اسلحة الجيش البريطاني في معسكر تل ليتفنسكي خلال الانتداب البريطاني في فلسطين. ثم نقل الى الجليل، وأوكلت اليه مهمة تدريب مجموعات كشفية في حولا تاه، وكان يذهب مع هذه المجموعات في رحلات استطلاعية الى الأراضي السورية تصل حتى العليقة.

وعند نشوب حرب ١٩٤٨ كان اليعازار في الكتيبة الثالثة التابعة للبالماخ، التي قامت بعمليات نسف المعسكرات والجسور داخل الاراضي السورية.



الجنرال اليعازار

ثم اعيد اليعازار الى الكتيبة الرابعة، واتبع دورة قائد سرية، ارسل بعدها الى القدس. وخلال احتدام القتال شارك اليعازار في جميع معارك وحدته كقائد سرية ثم كقائد كتيبة.

ولقد اشترك مع سريته في معركة القطمون، واحتل القطمون بمساعدة القوات النظامية (قوات الميدان). واشترك ايضاً في معركة النبي صموئيل ومعارك ضواحي القدس، ومعارك طريق بورما، ومعركة دخول القدس القديمة. وفي آب (اغسطس) ١٩٤٨ قاد اليعازار، على رأس السرية الرابعة حملة على جنوب الممر المؤدي الى القدس. كما اشترك ايضاً في عملية «حوريف». وكانت كتيبته (ك ٤) في بادىء الامر كاحتياط، وبعد سقوط عوجه الحفير، اشتركت الكتيبة في عملية الاستيلاء على مجمع رفح – العريش في اقسى المعارك التي خاضتها الكتيبة الرابعة. وكان المهاجمون قد استطاعوا اثناء الليل شق قطاع غزة بين رفح والعريش، مما أدى الى وقوع هجمات معاكسة مصرية عنيفة تكبد فيها الفريقان خسائر فادحة.

وبعد انتهاء حرب ١٩٤٨ امضى اليعازار ثلاث سنوات في التدريب في عدد من الدورات في مدرسة قادة السرايا والكتائب، أصبح على اثرها من كبار المدربين. وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٥٠ رقي الى رتبة عقيد. وخدم في شعبة العمليات في القيادة العامة (١٩٧٢ – ١٩٧٤) ثم انقطع بعدها لمدة سنة عن الخدمة العسكرية وذلك للالتحاق في الجامعة العبرية لدراسة الاقتصاد وبعض المواد المتعلقة بقضايا الشرق الاوسط. واستدعي بعد الدراسة للعمل في شعبة التدريب، وفي العام ١٩٥٦ اصبح قائداً لمدرسة المشاة.

وخلال العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦) اشترك اليعازار كقائد لواء في القتال ضد قطاع غزة. وبعد توقف القتال عين قائداً للقوات الاسرائيلية المحتلة في قطاع غزة لمدة شهر، طلب على اثرها نقله الى سلاح المدرعات، نظراً لاهمية هذا السلاح في رأيه، خاصة بعد خبرته خلال الحرب. وامضى تسعة اشهر يتدرب في سلاح المدرعات. وفي العام ١٩٥٨ سلم قيادة كتيبة مدرعة واشترك في عدة هجمات في الشمال ضد القوات السورية. وفي العام ١٩٦١ عين قائداً لسلاح المدرعات (خلفاً لحاييم بارليف) لمدة ثلاث سنوات ونصف. وفي ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٤ أصبح قائداً للمنطقة الشمالية حيث قام بعدة اشتباكات مع القوات السورية الى ان نشبت حرب ١٩٦٧ فهاجم اليعازار المرتفعات السورية في ٩ حزيران واحتلها في اليوم التالي. وفي العام ١٩٦٩ ترأس هيئة العمليات ورفع إلى رتبة لواء (جنرال).

وفي كانون الثاني (ينـاير) ١٩٧٢ أصبح اليعازار رئيساً للاركان. وكان من مؤيدي العمليات الانتقامية ضد سورية ولبنان في فترة ١٩٧٢ – ١٩٧٣. ولقد خطط خلال هذه الفترة لضرب قواعد الفدائيين في سورية وجنوب لبنان، كما خطط لعمليات المطاردة وراء الحدود اللبنانية. وهو المسؤول عن اصدار الأوامر باسقاط الطائرة الليبية المدنية فوق سيناء في ٢١ شباط (فبراير) ١٩٧٤.

ولقد كان اليعازار رئيساً للأركان في حرب ١٩٧٣، وتوقع الهجوم العربي قبل غيره من القادة، وطالب بتعبئة الاحتياط وارساله الى الجبهتين الشمالية والجنوبية، وألح على ضرورة شن الهجوم الاجهاضي المسبق. ولكن رأيه لم يؤخذ بعين الاعتبار نظراً لاعتقاد وزير الدفاع موشي دايان ومعظم القادة السياسيين والعسكريين في اسرائيل بأن الدول العربية عاجزة عن شن الحرب. وأدى هذا الاعتقاد إلى تحقيق المفاجأة الاستراتيجيـة (انظر حرب ١٩٧٣). وأدت هزائم الأيام الأولى للحرب الى نقمة عارمـة ضد القيادة السياسية – العسكرية الاسرائيلية. وكان اليعازار «كبش الفداء»، فلقد ادانته لجنة التحقيق (لجنة اغرانات) في ٧٤/٤/٢ بالتقصير خلال هذه الحرب وطلبت تنحيتـه عن منصبه. ولا شك أن حرب ١٩٧٣ وإدانته بالتقصير كانتا محنة صعبة في حياته وهو القائل: «لن نسمح لانفسنا بهزيمة واحدة». ولكنه انهى حيـاته

العسكرية بهزيمة وبدأ حياته المدنية في حزيران ١٩٧٤ عندما عينته الشركة الاسرائيلية للملاحة (زيم) رئيساً لها .

ان نظريات اليعازار العسكرية مستقاة من خبرته خلال الاشتباكات والمعارك التي قادها ضد العرب منذ انخراطه في البالماخ . فهو يختلف عن بقية القادة العسكريين الاسرائيليين في أنه لم يتلق دورات عسكرية في الخارج ، بل هو على حد قوله من « صنع اسرائيل » . ولقد كان للبالماخ تأثير قوي على تفكيره العسكري والاجتماعي ، كما ان مدرسة قادة الكتائب التي كانت تضم بارليف واسحاق رابين وغيرهما من القـادة العسكريين الاسرائيليين البارزين ، ساهمت في بلورة تفكيره العسكري وخاصة انه كان لهذا الفريق الدور في وضع اسس المذهب العسكري الاسرائيلي بعد حرب ١٩٤٨ . ولقد استخلص عدة دروس خلال المعارك التي خاضها ضد العرب اثناء حرب ١٩٤٨ وبعدها . ومن بينها درس استنتجه من معركة القطمون وهو انه اذا كنت تخوض قتالا عنيفاً واصبح الوضع دقيقاً عليك ان تدرك ان وضع العدو دقيق ايضاً . فاذا لم تستسلم انت اولا فالعدو سيفعل ذلك . واذا ما صمدت في اللحظة الحرجة فسيقصم ظهر العدو . ويذكر اليعازار انه ادرك قيمة الدروع في المعارك البرية خلال حرب ١٩٤٨ . كما ادرك اهمية سلاح المدرعات خلال حرب ١٩٥٦ ، مما دفعه لطلب الالتحاق بسلاح المدرعات . ولقد جعله ادراكه هذا يهتم كثيراً بالمدرعات لدرجة انه استخدمها في حرب المرتفعات مع سورية ، واثبتت فعاليتها في حروب التلال ، رغم عدم صلاحية المدرعات لهذا النوع من الحروب . لذا فـان الاسرائيليين يعتبرون ان حاييم بارليف ، رئيس الاركان السابق ، اعطى هذا السلاح النموذج وشكل سلاح المدرعات الكبير والحديث ، اما اليعازار فقد وضع مذهبه ونظم جهاز التدريب فيه وزاد من قوته .

وكما يعتقد اليعازار ان المدرعات تحسم المعركة البرية فانه يعتبر ايضاً ان سلاح الطيران يحسمها في الجو . وجدير بالذكر هنا ان معظم قادة اسرائيل العسكريين يشاركون اليعازار في اعتقاده هـذا . فالتركيز على المدرعات والطيران ناجم عن افتقار اسرائيل (وخاصة قبل حرب ١٩٦٧) لعمـق استراتيجي مما يجعلها لا تحتمل أية هزيمة عسكرية على أرضها ، ويدفعها إلى نقل الحرب إلى الأراضي العربية .

ويعتبر دافيد اليعازار من العسكريين المحترفين الميدانيين الذين لا يهتمون كثيراً بالأمور السياسية أو الاستراتيجية ، ولا يلقون الدعم من الكتـل السياسية . ولقد دفع ثمن هذا الوضع بعد حرب ١٩٧٣ ، ولم يجد من يدافع عنه ويحمي ظهره ، وودعه السياسيون المسؤولون عن الهزيمة بكلمات التقدير ، دون أن يبذلوا الجهد اللازم لإثبات عدم مسؤوليته عن التقصير الذي انكر مساهمته فيه حتى وفاته .

(٥) إليوشن — إل ٢٨ (طائرة)

قاذفة قنابل سوفياتية خفيفة بثلاثة مقاعد ، نفاثة ذات محركين . حلقت لأول مرة في عام ١٩٤٨ ، وبدئ بانتاجها في عام ١٩٥٠ . وظهر منها ثلاثة انواع رئيسية هـي : النموذج « إي ل — ٢٨ » (IL - 28) وهـو لقاذفـة تكتيكية ، والنموذج « إي ل — ٢٨ ر » (IL - 18 R) للاستطلاع ، والنموذج « إي ل — ٢٨ ت » (IL - 28 T) قاذفة طوربيد . بالاضافة الى نموذج مخصص للتدريب هو « إي ل — ٢٨ يو » (IL - 28u) .

تتميز هذه الطائرة بمقدمتها الزجاجية ، وبمحركيها اللذين تحملهما تحت الاجنحة . وهي من الطائرات التي استخدمت على نطاق واسع في الخمسينات ، في معظم اسلحة جو الدول الشرقية ، بالاضافة الى الدول التي تتسلح من مصادر سوفياتية ، وخاصة مصر والجزائر . وفي عام ١٩٧٤ انتهى سحب هذه الطائرات من سلاح الطيران المصري ، كما سحبت من الخدمة في العديد من اسلحة الجو الاخرى لقدمها .

المواصفات العامة : السرعة القصوى ٩٣٣ كم/الساعة . التسليح مدفعان رشاشان عيار ٣٠ مم في المقدمة ، ومدفع عيار ٢٣ مم في حجيرة الذيل . الحمولة القصوى من القنابل حتى وزن ٢٠٤١ كغ . الوزن الاقصى للاقلاع ١٩٥٠٠ كغ . الحجم : الطول ١٧,٦٨ م ، فتحة الجناحين ١٩,٥١ م .

(٥) إليوشن إل — ٣٨ (طائرة)

طائرة دورية بحرية ، مضادة للغواصات ، سوفياتية . مروحية . طورت عن طائرة النقـل إليوشن — ١٨ . وتختلف عنها بجسم اطول قليلا ، وبوجود قبة صغيرة عند اسفل مقدمة الطائرة تضم رادوم (Radome) جهاز الرادار . كما عدلت داخلياً لتحمل أجهزة الحرب ضد الغواصات ، والاسلحة المضادة للسفن .

(١) آماتول

نوع من المتفجرات ، يتألف من مخلوط شديد التآلف من نيترات الآمونيوم و « ت. ن. ت » . بدأ استعماله في عام ١٩١٥ في بريطانيا لدعم مواد المتفجرات شديدة الانفجار المستخدمة في صناعة الاسلحة والحشوات آنـذاك . وهي الميلينيت ، و الـ « ت. ن. ت » ، وللتوفير في استهلاك مـادة الـ « ت. ن. ت » . وللأماتول أنواع متعددة تختلف قوتها باختلاف نقاوة نيترات الأمونيوم الداخلة في تركيبها . وتحتوي الاصناف الواطئة من نيترات الأمونيوم على ملح معدني Saline وغـيره من الشوائب التي تضعف قوة الآماتول واستقراره ، وخاصة اذا كان فيه أصناف واطئة من الـ « ت. ن. ت » .

إن مادة نيترات الأمونيوم متوفرة ، ويمكن الحصول عليها بسهولة ، وهي قليلة الحساسية . وكلما زادت نسبة نيترات الامونيوم داخل الآماتول زادت صعوبة تفجيره . ولذا توضع مع حشوة الأماتول طبقة من الـ « ت. ن ت » تفصل بـين الآماتول والبادئ بغية تقوية موجة الانفجار .

إن سرعة انفجار نيترات الأمونيوم أقل من سرعة انفجار الـ « ت. ن ت » كما أن انفجارها أقل من انفجاره شدة . ويؤثر هذا الأمر على اختيار نوع الآماتول حسب الغرض المحدد لاستخدامه . فاذا كان المطلوب إحداث تأثير قاطع فان من الممكن استخدام الآماتول الذي يحوي في تركيبه ٥٠ ٪ من نيترات الأمونيوم . ويكون الآماتول في هذه الحالة من المتفجرات القاصمـة explosifs brisants . واذا كان المطلوب احـداث تأثير تدميري فان من الممكن استخدام الآماتول الذي يحوي في تركيبه اكثر من ٦٠ ٪ من نيترات الأمونيوم ، مثل آماتول ٨٠/٢٠ الذي يحوي ٨٠ ٪ نيترات الأمونيوم و ٢٠ ٪ ت. ن. ت. ويكون الآماتول في هذه الحالة من المتفجرات الدافعـة Explosifs propulsifs .

يعبأ الآماتول في الحشوات والقذائف وقنابل الطائرات بواسطة الصب بعد خلط المركبات في أوعية محماة بالبخار . مع الانتباه إلى ضرورة استخدام لولب التعبئة بحيث يكون توزيع المركبات المخلوطة متساوياً في جميع أقسام الحشوة . ويمكن تعبئة الآماتول بطريقة الكبس المباشر Pression direct اذا تم خلط المركبات عـلى البارد . وتتطلب هذه الطريقة معملا فنياً متطوراً . ولكن الحشوات المكبوسة تكون اشد استرطاباً (أي اكثر

امتصاصاً للرطوبة) من الحشوات المصبوبة . وهناك طريقة التعبئة باليد ، وتستخدم هذه الطريقة عند عدم توفر الوسائط اللازمة للطريقتين السابقتين ، وذلك لحشو أصناف الآماتول التي تحوي نسبة عالية من نيترات الأمونيوم مثل آماتول ٢٠/٨٠ وآماتول ٢٣/٧٧ .

يمتاز الآماتول على الـ « ت. ن. ت » بأن قوته التدميرية والدافعة اكبر من قوة الـ « ت. ن. ت. » ولكن قوته القاصمة أصغر . وينطبق هذا القول على الآماتول الذي يحوي نسباً عالية من نيترات الآمونيوم . وهناك أنواع من الآمـــاتول تصلح اكثر من الـ « ت. ن. ت » للاستخدام في المناطق الحارة . ومن عيوب الآماتول أنه أقل حساسية من الـ «ت.ن.ت» ويتطلب سلسلة تفجير أقوى لضمان انفجاره . كما أنه شديد الاسترطاب (ماص للرطوبة) . واذا ما دخلت الرطوبة إلى الحشوة تفاعلت نيترات الأمونيوم مع معدن غلاف الحشوة أو معدن القذيفة ، ونجم عن ذلك مركبات بالغة الحساسية إلى درجة الخطورة ، وخاصة إذا كان المعدن من النحاس الأصفر أو من خلائط النحاس والقصدير . ولتلافي هذه الظاهرة يطلى جسم القذيفة أو غلاف الحشوة من الداخل بورنيش كوبـــال Copal ، كما تطلى بقيـــة الأجسام المعدنية التي ستلامس الحشوة ، كالصمامة أو الطعم بمادة عازلة .

لا يولد الآماتول ٢٠/٨٠ عند انفجاره سوى كمية قليلة من الدخان نظراً لأنه متفجر متوازن يحتوي على كمية من الاوكسجين كافية لتحقيق الاحتراق الكامل . أما الآماتول الذي يحوي نسباً أعلى من الـ « ت. ن. ت » فانه يولد عند انفجاره دخاناً رمادي اللون .

(٥) أ. م. اكس – ١٣ (دبابة)

دبابة فرنسية خفيفة وقانصة دبابات . كان الهدف من تصميمها في البدء ان تكون دبابة منقولة جواً . إلا انها اصبحت قانصة للدبابات حين ظهرت عام ١٩٤٩ ، ساعدها في ذلك مدفعها الطويل عيار ٧٥ ملم . ولدبابة أ. م. اكس – ١٣ ميزات عدة بالاضافة الى وزنها الذي لا يزيد عن ١٥ طناً . فالسائق يجلس بجانب المحرك تماماً ، ولبرجها طاقم من رجلين فقط . وقد امكن تحقيق ذلك بإبدال الملقم ، بجهاز تلقيم اوتوماتيكي .

انتجت دبابـــات أ. م. اكس – ١٣ بنماذج مختلفة زودت بأبراج تحمل مدافع قصيرة من عيار ٧٥ ملم ، ومدافع طويلة عيار ٧٥ ملم ايضاً ، او مدافع من عيار ٩٠ ملم ، او مدافع من عيار ١٠٥ ملم . وهذا الاخير هو العيار الموحد لمدافع دبابات حلف شمالي الاطلسي ، الا انه هنا يطلق قذائف مضادة للدبابات شديدة الانفجار لها سرعة ابتدائية أقل . وذلك لكي يخفف الضغط عن القواعد الخفيفة جداً لهذه الدبابات . واستخدم هيكل الدبابة أ. م. اكس – ١٣ كقاعدة لعدد من المركبات المدرعة مثل ، ناقلات الجنود المدرعة ، وكقاعدة لرشاش ثنائي مضاد للطائرات عيار ٣٠ ملم ذاتي الحركة ، ولمدفع الهاوتزر ١٠٥ ملم ذاتي الحركة ، وكمركبة اخلاء... الخ . وهي موجودة في عدد من الدول العربية واسرائيل .

المواصفات العامة : الطاقم ٣ افراد (قائد ، ورامي ، وسائق) . الوزن ١٥ طناً . الطول ٤,٨٨ م . الارتفاع ٢,٢٣ م . العرض ٢,٥١ م . السرعة على الطرقات/المدى : ٦٠ كيلومتر/ساعة/٣٥٠ كيلومتراً الذخيرة (مدفع ١٠٥ ملم) ٣٢ قذيفة مضادة لدبابات شديدة الانفجار . التسليح الثانوي : رشاشان عيار ٧,٥ ملم او ٧,٦٢ ملم .

(٥) أ. م. اكس–٣٠ (دبابة)

دبابة فرنسية متوسطة . اول دبابة **ميدان رئيسية** فرنسية تصل الى مرحلة الانتاج منذ الحرب العالمية الثانية . ولهذه الدبابة شكل تقليدي وطاقم من ثلاثة رجال في البرج بالاضافة الى السائق . ويؤمن لها محركها الديزل سرعة ومدى جيدين على الطرقات . ويعكس وزن الدبابة الذي لا يتجاوز ٣٣ طناً ، والذي يجعل منها أخف دبابات الجيل الجديد ، النظرة العسكرية الفرنسية الى محدودية قيمة الدروع ، ويؤمن لها درعها وقاية تزيد قليلا عن قدرة المدافع الرشاشة من عيار ٢٠ ملم على الخرق . بالاضافة الى كونه حسن التكوين وبدون اسطح قائمة . ومن حسنات هذه الدبابة أيضاً مدفعها الآلي عيار ٢٠ ملم والذي يمكن ان يستخدم كمدفع فعال مضاد للطائرات او ضد اهداف ارضية . الا ان مدفعها عيار ١٠٥ ملم ، غير المزود بخافية للهب ، يطلق قذائف مضادة للدروع معقدة وباهظة الثمن ، بالاضافة الى معظم اصناف ذخائر حلف شمالي الاطلسي الموحدة العيار ، باستثناء القذائف الخارقة للدروع والتي يعتبرها الفرنسيون طرازاً قديماً من الذخائر . اشترت السعودية عدداً من هذه الدبابات المعقدة والباهظة الثمن .

المواصفات العامة : الارتفاع ٢,٣ م. الطول (الجسم) ٦,٨ م . العرض ٣,١٠ م . المحرك ديزل قوة ٧٢٠ حصاناً . السرعة على الطرقات/المدى : ٦٥ كيلومتر/ساعة/٥٠٠ كيلومتر . الذخـــيرة ٥٠ قذيفة مختلطة مضادة للدبابات شديدة الانفجار ، وقذائف عادية شديدة الانفجار . التسليح الثانوي مدفع رشاش عيار ٢٠ ملم ، ورشاش عيار ٧,٦٢ .

(٦) الآمان (أرغون موديعين)

(انظر الاستخبارات الاسرائيلية) .

(٣) أم حكيم (وادي)

(انظر لكه)

(١) الامداد والتموين

الامداد : هو تزويد قطعة مقاتلة أو موقع محاصر بالاسلحة والذخائر والاعتـــدة والمحروقات والأدوية والمعدات الهندسية والمياه . **والتموين :** هو تزويد هذه القطعة أو ذاك الموقع بالمؤن والعلف اللازمين للرجال ورواحل القتال . ويعتبر الامداد والتموين نشاطاً من أنشطة الشؤون الاداريـــة (اللوجيستيكية) .

ولقد كانت مهمة الامداد والتموين في الجيوش ملقاة على عاتق مؤسسات مدنية ، ثم أخذ الجيش يتحمل بنفسه مسؤولية الامـــداد والتموين بشكل متزايد حتى مطلع القرن التاسع عشر ، حيث أصبح الامداد والتموين مهمة تقوم بها مصالح services عسكرية (خلق أرتال الامداد والتموين من قبل نابليون في عام ١٨٠٧ لنقل المؤن والذخائر ، ثم تشكيل هيئة الامداد والتموين في عام ١٨١٧ .. الخ) .

ومن الملاحظ أن مسألة الامداد والتموين ، التي كانت هامة في كل العصور ، اخذت تزداد مع الأيام أهمية نظراً لزيادة حاجات القوات المقاتلة من عصر إلى عصر . ففي عصر الجيوش التي لا تقبل التجزئة وحتى منتصف القرن الثامن عشر ، كان المقاتلون مسلحين بالسلاح الأبيض الذي قل أن يستهلك ، وكانت اسلحة الرمي لا تحتاج لكميات كبيرة من المقذوفات ، وكانت المعارك نادرة ، لذا

كان الامداد والتموين يهتم بتأمين التموين اكثر من اهتمامه بالامداد . وكانت جراية الجندي من الطعام والشراب تزن ٢,٥ كغ ، وجراية الحصان من العلف تزن ١٢ كيلوغراماً . وكانت الجيوش القديمة تحاول غالباً الحصول على المؤن والعلف من المنطقة التي تقاتل فيها أو تجتازها خلال حركتها . وكان جنود الليجيون الروماني مثلا يكتفون بأكل القمح الذي يطحنونه ويخبزونه بأنفسهم ، وذلك لتخفيف الاعباء الادارية وزيادة حركية الليجيون . وكان جندي الليجيون يحمل معه قمحاً يكفيه ١٧ يوماً ، وتحمل قافلة الامداد والتموين التابعة لليجيون بالاضافة إلى ذلك قمحاً يكفي الجنود كلهم ثلاثين يوماً . ولم يكن في الليجيون نبالة يستهلكون السهام ، كما كان عدد الخيالة فيه قليلا ، لذا كانت قافلة امداده وتموينه صغيرة جداً . وكان يملك رغم صغر هذه القافلة استقلالا ادارياً مدته ٤٧ يوماً . وهذا أمر لم يصل إليه أي جيش من الجيوش القديمة .

ولقد اهتم الفن العسكري العربي خلال الفتوحات بمسألة الامداد والتموين . ولكن هذه المسألة لم تكن تشكل بالنسبة إلى قادة الفتوحات هاجساً ملحاً يشغل بالهم ، اذ لم يكن جندي الفتح بحاجة إلا للطعام والشراب والعلف لحصانه أو جمله ، وكانت حاجاته الغذائية محدودة جداً . وتتألف من التمر واللبن ولحوم الابل وما تنتجه الأرض من خضار . أما حاجاته التسليحية فكانت محدودة جداً لقلة اسلحة الرمي المستخدمة في القتال . وكانت تكاليف الامداد بالسلاح والتموين بالطعام تقع في عهد النبي والخليفة أبي بكر على عاتق المجاهدين أنفسهم . وكان عليهم أن يؤمنوا لأنفسهم المؤن والسلاح وعدة الحرب وراحلة الركوب (إذا كانوا من الفرسان أو الجمالين) . وكان الاغنياء من المجاهدين يساعدون الفقراء منهم على تأمين المؤن والاسلحة للاشتراك في القتال . وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب أصبح التموين مهمة من مهمات الدولة وبقي الامداد بالسلاح والحصول على الراحلة من مهمات المجاهدين ، مع احتفاظ الدولة بحق مراقبة سلاح المجاهدين ورواحلهم .

ولقد تزايدت أهمية الامداد والتموين في مختلف الجيوش عندما ظهرت قطعات **الخيالة** الكبيرة التي أصبحت تشكل حتى القرن السابع عشر ثلث تعداد الجيوش الأوروبية ، واكثر من ثلثها في جيوش المغول . وأخذ الامداد بالاسلحة والمقذوفات حجماً اكبر عندما تزايد استخدام **اسلحة الرمي** التي اتسع انتشارها ، وزادت عياراتها ، وزادت سرعة رميها منذ القرن التاسع عشر ، ومع ظهور **الآلية** في مطلع القرن العشرين ، وما تحتاجه من امداد بالمحروقات وقطع الغيار .

ولقد مر الامداد والتموين خلال تطوره بمرحلتين هامتين : مرحلة الجيش الذي يقاتل ككتلة واحدة ، ومرحلة الجيش المتمفصل إلى قطعات ميدانية مستقلة (منذ عام ١٧٦٠) . وكان الإمداد والتموين في المرحلة الأولى مركزياً وسهل التنفيذ نظراً لندرة المعارك ، على حين تزايدت تعقيداته في المرحلة الثانية وخاصة في القرن العشرين الذي غدا فيه عدد المعارك كبيراً ، وأصبح فيه استهلاك الذخيرة والاعتدة والمعدات والاسلحة خلال القتال هائلا . وزادت سرعة حركة القطعات من صعوبة الامداد والتموين . وبالرغم من أن حساب الامداد والتموين لمختلف القطعات والتشكيلات يتم قبل القتال بشكل واحد ووفق أسس موحدة فان الامداد والتموين خلال القتال يختلف باختلاف مناورات القطعات ونشاطاتها القتالية الفعلية . وتقوم مصالح الشؤون الادارية

الوزن اللازم لادامة رجل في اليوم			
التاريخ	**حسابات القائد العام او قائد الجيش**	**حسابات قادة القطعات الكبرى**	**ملاحظات**
في القرن الاول ق . م (الليجيون الروماني)	٠,٥ — ١ كغ	٠,٥ — ١ كغ	استهلاك دائم من القمح والشوفان ولقد كانت القافلة القصوى لليجيون مؤلفة من ٣,٩٠٠ رجل تضم ١١٥ طناً من المؤونة والعتاد تكفي الليجيون لمدة ٣٠ يوماً .
عام ١٧٥٠	٤ كغ	٤ كغ	الاستهلاك الرئيسي من القمح والشوفان بمعدل ٤ كغ لكل رجل في اليوم . ولقد كان مخزن جيش مؤلف من ١٢٠,٠٠٠ رجل يمثل ١,٦٠٠ طن .
عام ١٨٧٠ + ١٢٠ سنة	٨ كغ	٨ كغ	٣٠ ٪ منها عتاد و ٧٠ ٪ مؤونة وعلف . وكان استهلاك فرقة مشاة تعدادها ٢٠,٠٠٠ رجل يصل الى ١٦٠ طناً في اليوم .
عام ١٩١٨ + ٤٠ سنة	١٣ كغ	٣٠ كغ في فترة النشاط الاقصى لفرقة المشاة	كان استهلاك جيش يضم ١٠٠,٠٠٠ رجل و ٢٥,٠٠٠ حصان يصل الى ١,٣٠٠ طن في اليوم ٣٩ ٪ منها مؤونة وعلف ١٩ ٪ ذخيرة ٤٢ ٪ مواد هندسية ومحروقات .
عام ١٩٤٣ + ٢٥ سنة	٣٠ كغ	في فترة النشاط الاقصى : — ٦٥ كغ فرقة في المشاة — ١٠٠ كغ في الفرقة المدرعة وبصورة متوسطة ٣٠ كغ في فرقة المشاة .	يوزع الاستهلاك في فرقة المشاة المؤلفة من (٢٠,٠٠٠) رجل وفي فترة النشاط الاقصى كما يلي : ٤٧ ٪ ذخيرة وأسلحة ٢٥ ٪ محروقات وعلف ١٥ ٪ قطع غيار ٧ ٪ تجهيزات وألبسة ٥ ٪ مؤونة ١ ٪ أدوات طبية وبريد ويمثل ١,٣٠٥ طن في اليوم .
ملاحظة : أن جمهرة معاصرة من مختلف صنوف الاسلحة وتضم حوالي ٤,٠٠٠ رجل تستهلك في اليوم الاول للخرق ٢٨٠ طناً ، شريطة ان لا ندخل في الحساب سوى المؤونة والمحروقات والذخيرة . وهذا يعني ان متوسط الاستهلاك يعادل ٧٠ كغ لكل رجل في اليوم .			

للجيش بحسابات الامداد والتموين اللازمين للجيش بناء على معطيات متوسط الاستهلاك ، أما الشؤون الادارية في القطعات المحاربة فتحسب حاجاتها بناء على فاعلية القطعة (راحة ، معركة هجومية ، معركة دفاعية ، مطاردة ، حركة .. الخ) .

وليس هناك مقارنة بين مخازن الجيوش قبل عام ١٧٦٠ وبعده . فلقد كانت المخازن قبل هذا التاريخ تضم المواد التي يتطلب استهلاكها عدة أشهر ، وكان الاستهلاك يجري بشكل متماثل وعلى وتيرة واحدة . ويدلنا الجدول السابق على تطور الاستهلاك عبر العصور .

وأننا نلاحظ هنا أن متوسط وزن الامداد والتموين لرجل واحد قد تضاعف في المراحل الثلاث التي تلت عام ١٧٥٠ . وأن وزن الامداد والتموين الذي كان يكفي الجيش عدة اشهر في عام ١٧٥٠ أصبح معادلا لوزن الاستهلاك اليومي للجيش نفسه في عام ١٩١٨ ، ومعادلا لوزن استهلاك فرقة واحدة تقوم بالخرق في عام ١٩٤٣ .

وهكذا نجد أن تطور الاسلحة ، وتمفصل الجيوش ، وتزايد سرعة المعركة، واتساع المناورات على مسارح العمليات ، ومكننة الحرب ، وارتفاع مستوى الخدمات الطبية ، قد أثرت تأثيراً بالغاً على الامداد والتموين وجعلتهما من المشاغل الحقيقية للقائد وأركانه ، وزادت تأثيرها على نتائج المعارك والعمليات ، وعلى نتائج الحرب نفسها في بعض الاحيان . وان كان هذا التأثير في الحرب التقليدية اكبر من مثيله في حرب العصابات نظراً لقلة عدد العصابات وبساطة اسلحتها ، واعتمادها على الانسان بدلا من الآلة والسلاح الثقيل ، وقلة استهلاكها للذخائر ، وقدرتها على العيش بالمؤن التي يقدمها لها الأهالي بدافع وطني ، وارتفاع المستوى المعنوي لافرادها بشكل يساعدهم على تحمل التقنين في استهلاك المؤن . ويشمل الامداد في الحرب الحديثة، الامداد بالاسلحة والذخائر والادوات البصرية ، وتؤمنه مصلحة التسليح . والامداد بالمحروقات وقطع الغيار وتؤمنه مصلحة النقل . والامداد بالألبسة والمفروشات ومعدات الاقامة وتؤمنه مصلحة التجهيزات، والامداد بالأدوية والمعدات الطبية وتؤمنه مصلحة الصحة . والامداد بالمواد الهندسية والمعدات الهندسية وتؤمنه مصلحة الهندسة . والامداد بالمياه وتؤمنه مصلحة الهندسة ، ووحدات سلاح المهندسين .. الخ .

ولقد أدت خبرة الحرب العالمية الثانية إلى ضرورة إنشاء قاعدة امداد وتموين تكون خلال



إمداد القوات المتقدمة بالمحروقات عن طريق الجو .

القتال مركزاً وسيطاً ينظم جمع الامدادات من المصادر الاساسية الموضوعة تحت تصرف القوات المسلحة ، وتوزيعها على الجيوش والقطعات المستهلكة . وتؤمن مناطق الامداد والتموين المتقدمة التي تجمع كافة المصالح امداد القطعات المقاتلة وتموينها بوتيرة تتناسب مع وتيرة العمليات .

ويتم نقل الامداد والتموين من مناطق الامداد والتموين المتقدمة إلى مستودعات الجيوش بواسطة قوافل خاصة . ثم يتم نقلها إلى مستودعات الفيالق والفرق بوسائط نقل الجيش . ويتم الامداد والتموين من الفيلق والفرقة إلى الانساق الأدنى بوسائط النقل العضوية وتحت إشراف الضباط المختصين بالشؤون الادارية . وتؤمن كل هذه الأمور للانساق مراكز أمداد وتموين أمامية خاصة بها .

وعندما تتسم الحرب بالحركية الشديدة تكون مراكز الامداد الأمامية (وخاصة بالنسبة للمحروقات والذخائر) مراكز متحركة ، الأمر الذي يسمح للقائد بامداد وحداته المقاتلة بالسرعة المطلوبة ، وبشكل لا تتعطل فيه وتيرة التقدم . وقد تستخدم الفرق المدرعة في المطاردة اسلوب الامداد بالهليكوبتر لنقل المحروقات والذخائر الى الوحدات القائمة بالمطاردة . ولقد استخدم الاسرائيليون هذا الاسلوب في سيناء خلال بعض مراحل حرب ١٩٦٧ .

يتم امداد وتموين العصابات الكبيرة أو القوات المحاصرة عن طريق الجو (اسقاط بالمظلات او ابرار بطائرات الهليكوبتر الثقيلة) ولقد ارتفع مستوى النقل الجوي إلى درجة جعلت بوسع الجيوش امداد وتموين فرق كاملة محاصرة عن طريق الجو خلال فترة طويلة من الزمن ، وخاصة اذا كان ميزان القوة الجوية يسمح بذلك (انظر الامداد الجوي والجسر الجوي) .

(١) الامداد الجوي

هو الامداد الذي يقوم بـه الطيران لصالح القوات البرية وبناء على طلبها في الميدان . ويستخدم هذا الامداد وسيلتين همـا : هبوط الطائرات او طائرات الهليكوبتر المحملة بالامدادات في اماكن محددة من قبل القوات البرية ، أو إلقاء هـذه الامدادات من الطائرات لتنزل في المكان المحدد بواسطة المظلات او بواسطة السقوط الحر مـن ارتفاعات صغيرة (١٥٠ — ٣٠٠ متر) .

يستخدم هذا النوع من الامداد لتزويد القوات البرية المطوقة ، او الحاميات المحاصرة ، او القوات المتقدمة بعمق كبير في اراضي العدو ، او القوات العاملة في مناطق يصعب الوصول اليها (غابات كثيفة، جبال) ، او عصابات الانصار ، بالاسلحة والذخائر والمعدات والمؤن والاجهزة اللاسلكية والمحروقات . ولقد استخدمت هذه الطريقة على نطاق واسع من قبل الحلفاء في الحرب العالمية الثانية التي قام فيها الطيرانان الاميركي والبريطاني بامداد القوات المطوقة ، والقوات المتقدمة بعمق كبير ، وقوات الانصار في اوروبا الغربية ، وقام فيها الطيران السوفياتي بامداد الانصار السوفيات العاملين وراء خطوط الالمان . كما استخدمت

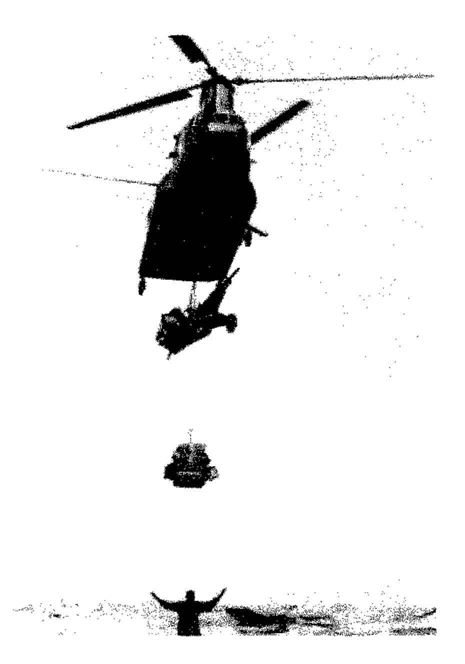
من قبل الاميركيين في حرب التحرير الوطنية الكورية (١٩٥٠ – ١٩٥٣) ، ومن قبل الفرنسيين في الهند الصينية (١٩٤٦ – ١٩٥٤) ، ومن قبل الفرنسيين الذين ارسلوا طائرات نقل من قبرص لامداد كتيبة المظليين الاسرائيليين التي انزلت قرب المدخل الشرقي لممر متلا في حرب ١٩٥٦ ، ومن قبل الاسرائيليين خلال حرب ١٩٦٧ لامداد طلائع القوات المدرعة المتقدمة باتجاه قناة السويس بالمحروقات ، وخلال حرب ١٩٧٣ لامداد مجموعة ألوية شارون العاملة على الضفة الغربية للقناة بمختلف الامدادات والمؤن اللازمة وخاصة بعد وقف اطلاق النار ومرحلة حرب الاستنزاف على قناة السويس .

ويوجد في الجيوش الكبيرة وحدات خاصة للامداد الجوي : « سرايا الامداد الجوي » . وتملك هذه السرايا وسائط جوية وبرية تسمح بالامداد الجوي في الميدان عن طريق الانزال بالمظلات او الاسقاط الحر . وتقسم السرية الى فصائل (من ٢ الى ٤) ، ومكتب عمليات ، ومجموعة تخزين متخصصة بطي المظلات وتخزينها ، وتؤمن هذه السرايا الاتصال البري الجوي ، وتعد اراضي النزول بالتعاون مع مهندسي القطعات البرية ، وتعلم هذه الاراضي بمختلف انواع الاشارات الضوئية ، كما تعلم المناطق التي يتم فيها الاسقاط الحر او انزال الامدادات بالمظلات ، وتجمع المظلات وتطويها وتخزنها لإعادة استخدامها .

عندما يأخذ الامداد الجوي حجماً استراتيجياً ، ويكون مكرساً لامداد وتموين قطعات كبيرة موجودة في مناطق نائية يتعذر الوصول اليها براً او بحراً ، او يتطلب الوصول اليها مدة طويلة لا يسمح بها الوضع العسكري ، يأخذ هذا الامداد اسم الجسر الجوي (انظر الجسر الجوي) .

(٥) أ. م. ل – ٢٤٥ (سيارة مدرعة)

سيارة مدرعة فرنسية بأربع عجلات ذات قطر كبير . بدئ بانتاجها في عام ١٩٦٠ كبديل ارخص ثمناً من سيارات ي ب ر المدرعة . ويمكن تزويد هذه المدرعة بنماذج عدة من الابراج تحمل اما مدفع هاون عيار ٦٠ ملم ورشاش عيار ٧,٦٢ ملم ، او مدفعاً عيار ٩٠ ملم مع رشاش عيار ٧,٦٢ ، او برجاً يحمل مدفعين رشاشين م/ط عيار ٢٠ ملم ، او يزود باربعة صواريخ مضادة للدبابات طراز س. س – ١١ ، او بصاروخين ضد السفن طراز س. س – ١٢ ، او بمدفع هاون يملأ من المغلاق



الإمداد بطائرات الهليكوبتر

عيار ٦٠ ملم مع مدفع رشاش م/ط عيار ٢٠ ملم ، او برشاش م/ط هسبانو سويزا عيار ٣٠ ملم . توجد هذه المدرعة لدى عدد من الدول العربية . وتوجد كذلك في اسرائيل .

المواصفات العامة : الطاقم ٣ افراد (قائد/ ملقم ، ورامي ، وسائق) ، وللنموذج المزود ببرج يحمل صواريخ طاقم من رجلين فقط (قائد/موجه صواريخ ، وسائق) الوزن : من ٤,٨ اطنان الى ٥,٥ طن حسب نوع البرج الذي تحمله . الاطوال : الارتفاع ٢,١ م . الطول ٣,٧٩ م . العرض ٢,٠٠م. السرعة : ٩٠ كيلومتراً/ساعة. المدى : ٦٠٠ كيلومتر .

(٨) الأمن

هو مجموع الاجراءات والتدابير التي تضع القيادة والقوات في مأمن من المباغتة ، وتسمح للقائد بالحصول على الفترة الزمنية اللازمة والمنطقة الارضية الضرورية لاجراء المناورة التي يخطط لها ويصمم على تنفيذها .

ومبدأ الأمن هو واحد من مبادئ الحرب المتفق عليها بين الشرق والغرب . ولقد وضع « فولر » مبادئ الأمن الحديث واخذت به العقيدة العسكرية البريطانية طوال اكثر من نصف قرن . كما اخذ به القادة الاستراتيجيون السوفييت ووضعوه ضمن مبادئ الحرب التي يعتمدونها بصورة اساسية في التخطيط لعملياتهم .

بيد أن الأمن لم يبدأ مع « فولر » ، بل كان مبدأً حربياً منذ نشوء العلم العسكري ، وكان يتطور بتطور الأهداف العسكرية والاستراتيجيات المستخدمة. ويعتبر سور الصين من أقدم التدابير الأمنية الهامة المعروفة في التاريخ العسكري . وعندما وصلت الدولة الرومانية في عصر اتساعها الى حدود تزيد كثيراً عن طاقتها البشرية ، وسيطرت على قسم كبير من أوروبا وآسيا وافريقيا ، ولم يعد باستطاعة قواتها مجابهة كل الاحتمالات وعلى جميع الجبهات ، أنشأت تحصينات على امتداد أوروبا وفي آسيا وافريقيا وعرفت هذه التحصينات والمواقع باسم « الليمات » . (انظر الليم Lime) وكان الليم عبارة عن مركز دفاعي تتوفر فيه جميع المتطلبات الحياتية وهدفه الاول دفع كل هجوم مباغت . وقد أتاحت هذه التنظيمات الدفاعية للدولة امكانات الدفاع على جبهة ، والانتقال الى الهجوم على جبهة اخرى . وكان نطاق الليمات هو « حاجز الامن بالنسبة للدولة الرومانية » .

وعندما فتح العرب المسلمون الشام والعراق ، وتغلبوا على دولة الفرس ، وسيطرت قواتهم على بلاد شاسعة تمتد من حدود الصين شرقاً حتى الاندلس غرباً ، اصبحت قواتهم بدورها عاجزة عن متابعة الهجوم في جميع الجبهات . ونظراً لان العقيدة العسكرية عند العرب المسلمين كانت تعتمد على الهجوم بالدرجة الاولى ، فقد نظموا الثغور على حدود الدولة البيزنطية ومزجوا مفهوم الهجوم بالدفاع ، فكان لديهم الهجوم الوقائي . وكانت الصوائف والشواتي نموذجاً متطوراً أمكن بواسطته تكريس الجهد الاكبر للعمليات الهجومية فوق مسارح العمليات المختلفة، مع تخصيص قوات للحفاظ على الأمن تجاه الهجمات غير المتوقعة على الجبهة البيزنطية . وادرك العرب المسلمون انهم لا يستطيعون تحقيق الامن مع بقاء السيطرة البحرية في حوض البحر الابيض المتوسط بيد البيزنطيين ، فعملوا على إنشاء الاساطيل البحرية ، وانتزعوا من بيزنطة مجالها الحيوي ، واصبحت القوة البحرية العربية هي المسؤولة عن تحقيق الامن ، واصبح البحر الابيض المتوسط « هامش الأمن » عن الاقاليم الاسلامية . وعندما سقطت الدولة الاموية على يد العباسيين وانقسمت الوحدة السياسية بقيام الدولة الاموية في الاندلس . وجد امويو الاندلس انفسهم امام موقف جديد في مجابهة دول الشمال الممثلة بالدولة الكارولنجية .

فلجؤوا الى تجاربهم السابقة ، وعملوا على تطوير واجبات الثغور والصوائف والشواتي ، وتحولت عملياتهم الى استراتيجية للردع امكن لهم بواسطتها الحفاظ على أمن الاندلس . وقد أفادت بيزنطه ، كما أفادت دول الغرب من هذه الاستراتيجية ، فاقتبستها عنهم ، واعادت تطبيقها خلال مراحل الحروب الصليبية . ثم تطور مفهوم الأمن بتطور الأسلحة النارية وظهور الاسلحة بعيدة المدى،ويمكن في الوقت الحاضر التمييز بين اشكال الأمن المختلفة التالية :

أ) الأمن عنـد الدولتين العظميين : خرجت امريكا من الحرب العالمية الثانية وهي أقوى قوة في العالم لامتلاكها القنبلة الذرية ، ولكن الاتحاد السوفييتي اسرع باللحاق بها وامتلاك القنبلة الذرية . كما اعتمد في تسليحه على الغواصات الذرية والصواريخ بعيدة المدى ، بهدف تحقيق الأمن على حدوده . وامام هذا التطور عملت امريكا على تطوير اسلحتها ووضعت شبكة للصواريخ المضادة للصواريخ ، ووضع « دالاس » استراتيجية « حافة الهاوية » بهدف توفير الأمن لامريكا وحليفاتها . ولكن هذه الاستراتيجية فشلت بعد أزمة كوبا (١٩٦٢) ، حيث وجد العالم نفسه امام احتمال دمار حتمي،واعادت الدولتان العظميان بناء استراتيجيتهما ، وبدأتا في التقارب ووضع الاتفاقات للحد من الاسلحة الاستراتيجية، ومن أجـل التخفيض المتبادل للقوى فوق مسرح أوروبا. وقد تطورت الاسس الاستراتيجية بسبب خطورة السلاح الذري فتم اعتماد مفهوم « الردع المتدرج » كبديل عن « الردع الشامل » ،كما تم اعتماد مفهوم « الرد المرن » كبديـل عن « الرد الكثيف » وليست هذه المصطلحات والاسس ، والتي تعتمد في جوهرها على « استراتيجية الردع » سوى وسائل لتحقيق الأمن الخاص بالدولة او بمجموعة الدول المتحالفة . **ب) الأمن الاوروبي :** وفعلت أوروبامثلما فعلت الدولتان العظميان . فقد بدأت انكلترا وفرنسا في بناء قوتهما الذاتية بهدف إيجاد « قوة ردع » تحفظ لهما أمنهما . كما اعيد تنظيم قوات حلف الاطلسي وفق معطيات جديدة ، وان من ابرز الملامح للتنظيم الجديد هو بناء قوة الردع المسماة « السيف » والتي تتكون من القوات الجوية الاستراتيجية SAC ، وقيادة القاذفات البريطانية ، والاسلحة الصاروخية متوسطة المدى ، والصواريخ عابرة القارات الجاثمة في الولايات المتحدة ، والغواصات حاملة الصواريخ بالاضافة الى قوات « الترس » ، وهي القوات المسلحة الحليفة المسلحة بالاسلحة الذرية التكتيكية ، والتي يقع على عاتقها التصدي للعدوان في مراحله الاولى . **ج) الأمن في مفهوم اسرائيل :** ان كيان اسرائيل محاط منذ البداية بالدول المعادية لوجودها ، ذلك ان كيان اسرائيل قد بني على العدوان والاغتصاب والتوسع . وقد وضعت اسرائيل استراتيجيتها الامنية على اساس نقل الحرب الى البلاد المجاورة.وتنفيذاً لهذه الاستراتيجية نظمت اجهزتها الدفاعية وفق المعطيات التالية : الحفاظ بصورة دائمة على قوة ضاربة قادرة على الردع وعلى صد الهجوم العربي ، والحصول على انتصارات سريعة وحاسمة – سواء كان ذلك في معارك محدودة او في حرب واسعة ، واستغلال جميع الامكانات في الداخل واستثمار جهود جميع اليهود في الخارج ، والصمود على الحدود وعدم التراجع مهما كان الثمن ، ومهما بلغت التضحيات ، والاعتماد على التطور التقني ، والحصول على التفوق في التدريب والاسلحة ، ومحاولة الحصول على المباغتة ، والحفاظ على المبادأة باستمرار . ان مشكلة الأمن في اسرائيل مشكلة – وجود او لا وجود – وهناك اختلاف في الرؤية بين اجنحة اسرائيل ،فهناك جناح الحمائم ، وهو يأخذ بنظرية ناحوم غولدمان حول أمن اسرائيل ويفضل الصلح مع البلاد العربية المجاورة عـلى الارض،بينما يرى جناح الصقور ان أمن اسرائيل هو في الحصول على الارض ، والتوسع والوقوف على « **الحدود الآمنة** » التي يمكن الدفاع عنها . (انظر الحدود الآمنة) . ولقد مزج بن غوريون مفهوم الامن بمفهوم الدفاع منذ البداية .وقد اوضح ذلك عام ١٩٥٠ بقوله : « ان مشكلة أمننا هي بالحرف الواحد مشكلة استمرار بقائنا المادي . وان استمرار بقاء الشعب اليهودي يتعلق باستمرار دولة اسرائيل . ولذلك تكون حاجاتنا الدفاعية اكبر من حاجات أية دولة اخرى » « .. علينا أن نعرف بأن هناك فارقاً فاصلا بيننا وبين اعدائنا . فهم يعتقدون ان باستطاعتهم حل مشكلة اسرائيل نهائياً – وذلك بابادتنا التامة – فلا نستطيع اذن تحت هذه الظروف من تحقيق أمننا إلا عن طريق انتصارات عسكرية » .

(٥) الامن العالمي

هدف عام لدول تتعاون للمحافظة على أمنها القومي . ويقصد بالامن القومي ، الحفاظ على أمن دولة ما من خطر اخضاعها لقوة أجنبية . وينظر الى اقامة منظمات تحالف عظمى ضد الغزاة ، مثل التحالف ضد لويس الرابع عشر ، وضد نابليون ، وهتلر وحلف الأطلسي وحلف وارسو والدفاع العربي المشترك ، كإحدى الوسائل للمحافظة على السيادة القومية . وهناك وسيلة اخرى لها صبغة جماعية تتمثل في اندماج الدول في منظمات مثل الأمم المتحدة ، وعصبة الامم قبلها ، وإقامة هيئة دولية تضمن امن وسلامة كل دولة من اعضائها .

(٨) أمن القتال

يشمل هذا الأمن مجموع الاجراءات الواجب اتخاذها من قبل جميع الوحدات والتشكيلات المقاتلة فوق مسرح العمليات . ويمكن تلخيص اجراءات الامن في المعركة الحديثة بما يلي : أ – الوقاية ضد اسلحة التدمير الشامل والاسلحة الكيماوية ، ب – الدفاع الجوي بنوعيه (السلبي والايجابي) ، ج – الدفاع المضاد للمدرعات ويشمل الاستطلاع ، وانذار القوات ، واستخدام الاسلحة المضادة ، د – الاستطلاع وعناصر الأمن ، هـ– الاخفاء والتمويه.

وبدهي ان تختلف اجراءات أمن القتال ، في الدفاع عنها في الهجوم ،كما تختلف في التقدم والمسير عنها في التوقف والاقامة في المعسكرات او المخيمات . كما تختلف ايضاً في الهجوم ضد المواقع المحصنة على عجل عنها في الهجوم داخل المدن او في الغابات او في المناطق الجبلية . وعلى سبيل المثال فان أمن القتال عند الهجوم في المناطق الزراعية يشمل : الحصول على المعلومات عن العدو ، ونظام الرمي ، والارض المغمورة بالمياه أثناء الدفاع ، ومعرفة امكانات غمر بعض الاراضي بالمياه في طريق اقتراب احتياط العدو بهدف إعاقته ، ومعرفة مدى تجهيز العدو للطرق والجسور للتدمـير ، واجراء الاستطلاع الكيماوي لتحديد المناطق الممكن ان تكون ملوثة بالمواد الكيماوية او المواد المشعة ، ووضع الترتيبات للانذار والوقاية ، واتخاذ الاجراءات عند عبور الجسور والموانع والممرات الاجبارية بهدف الوقاية ضد غارات العدو الجوية . وتشمل هـذه الوقاية تدابير سلبية وتدابير ايجابية ، وتأمين اجناب القوات باستخدام وحدات خاصة ، والمناورة بالقوات والمعدات .

ولقد تطور مفهوم « أمن القتال » عبر أجيال كثيرة ومن خلال الصراع الدائم والمستمر . وعرف العرب المسلمون اهمية تدابير « أمن القتال » فحددوا القواعد والاسس الواجب اتخاذها في كل موقف من مواقف القتال. وان تعليمات الخلفاء والقادة وتوصياتهم توضح المرحلة المتطورة التي وصلها « فن الحرب » عند العرب المسلمين . ولا يزال الكثير من هذه القواعد والاسس صالحاً ومستخدماً في ظروف

«المعركة الحديثة». ولقد ابرز احتمال استخدام اسلحة التدمير الشامل، وفي طليعتها القنابل الذرية، ضرورة اتخاذ تدابير أمن القتال في جميع الظروف، وفي كافة الاوقات، وذلك حتى تستطيع القيادات والقوات ممارسة دورها الحقيقي في قيادة القوات.

(١) أمهرست (جيفري)

البارون جيفري، ماريشال بريطاني (١٧١٧ – ١٧٩٧). قاتل في المانيا والبلاد الواطئة خلال



الماريشال أمهرست

حرب الوراثة النمساوية وخلال مطلع حرب السبع سنوات. ثم قاد القوات البريطانية في اميركا الشمالية منذ عام ١٧٥٨، وأمن بسط النفوذ البريطاني على كندا عندما استولى على مونتريال في عام ١٧٦٠. عين حاكماً عاماً لاميركا الشمالية، ولكنه فشل في إخضاع ثورة الهنود الحمر التي اندلعت بقيادة بونتياك، فأعيد إلى انكلترة في عام ١٧٦٣، وغدا قائداً عاماً للجيش.

(٦) امونال

مركب متفجر شديد الانفجار، يحتوي على مزيج من نترات الامونيوم، ومسحوق الالمنيوم، ومتفجر الـ ت. ن. ت وفق النسب التالية: ٢٢، ١١، ٦٧ في المائة على التوالي. استخدم الأمونال (Ammonal) إبان الحرب العالمية الاولى في صنع حشوات قذائف المدفعية وقنابل الشظايا بالنظر لقوته القاصمة Brisante. ينفجر الامونال محدثاً بريقاً ساطعـاً، ويتميز بأنه يفوق متفجر الاماتول (المزيج بنسبة ٥٠ ٪ نترات الامونيوم، و ٥٠ ٪ ت. ن. ت، انظر الاماتول) حساسية، كما ان انفجاره يولد قوة قاصمة تفوق قوة الاماتول بنسبة ١٧ ٪، وقوة الـ ت. ن. ت بنسبة ٨٣ ٪.

تطور الامونال إبان الحرب العالمية الاولى ليغطي العجز في كميات متفجر الـ ت. ن. ت التي كانت تملكها الدول المتحاربة آنذاك. ولكن توافر هذه المادة أثناء الحرب العالمية الثانية، وتطوير متفجرات اخرى ذات طاقة تدميرية – لا قاصمة – اكثر عنفاً، أدى الى تضاؤل استخدامه. وقد استبدل الامونال في الولايات المتحدة بمركب التريتونال Tritonal (مزيج من الـ ت. ن. ت ومسحوق الالمنيوم بنسبة ٨٠ و ٢٠ في المائـة)، وفي بريطانيا بمركب المينول (Minol) الذي هو في الواقع امونال يحتوي عـلى نسبة اقل من الـ ت. ن. ت ونسبة اكبر من نترات الامونيوم ومن مسحوق الالمنيـوم (٤٠ ٪ ت. ن. ت، و ٤٠ ٪ نترات الامونيوم، و ٢٠ ٪ مسحوق الالمنيوم).

(١) اميرال

ظهر منصب الأميرال في أوروبا في القرن الثالث عشر عندما كان الأميرال قائداً للشؤون البحرية الملكية. وكان للاميرال آنذاك سلطة ادارية على الشواطئ. ثم فقد الاميرال مع الزمن صلاحياته، واصبح منصبه فخرياً. وانتقلت مهماته وصلاحياته إلى وزير البحرية الذي أصبح يهتم بالشؤون البحرية للدولة. ثم عادت للأميرال صلاحياته على الاسطول الحربي على اعتباره صاحب أعلى رتبة في سلاح البحرية. وتعادل هذه الرتبة رتبة الماريشال في القوات البرية والقوات الجوية.

(٥) أمريكا (حاملة طائرات)

حاملة طائرات هجومية من فئة «كيتي هوك»، امريكية. دخلت الخدمة في الاسطول الامريكي في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥. يبلغ وزنها القياسي ٦٠٣٠٠ طن، ووزنها بحمولة كاملة ٨٠٨٠٠ طن. طولها ٣١٩,٣ متراً، وعرضها ٣٨,٥ متراً، وعرض سطحها المخصص للطيران ٧٦ متراً. وارتفاع غاطسها ١٠,٩ امتار. تبلغ قوة دفع محركاتها ٢٨٠ ألف حصان. وتصل سرعتها الى ٣٥ عقدة في الساعة. ولها طاقم من ٢٧٩٥ رجلا، يضاف إليهم ٢١٥٠ رجلا هم افراد الجناح الجوي الذي يعمل على سطحها. تستطيع حمل ٩٥ طائرة من احدث الانواع المتطورة. ولها ثلاث نقاط دفاع رئيسيـة تطلق صواريخ سطح – جو من طراز «سي سبارو».

(٩) أمين (عيدي)

جنرال ورجل دولة أفريقي، ورئيس أوغندا (١٩٢٥ –). ولد عيدي أمين دادا أومي Idi Amin dada oumée في قرية «كوبوكو» Koboko، وهو ينتمي إلى قبيلة «كاكوا» Kakwa. مسلم متدين، وعصامي ثقف نفسه ذاتياً. كان بطل الملاكمة للوزن الثقيل لمدة عشر سنوات، كما كان من هواة رياضة الركبي.

التحق بجيش المستعمرات البريطاني، واشترك في حملة «بورما» خلال الحرب العالمية الثانية مع فوج «بنادق الملك الافريقية»، وهو فوج مشكل من سكان افريقيا الشرقية، كما اشترك في قمع ثورة الماوماو في كينيا. ورقي إلى أعلى رتبة يصل إليها العسكريون المحليون آنذاك ثم أصبح ضابطاً في العام ١٩٦٢، أي قبل أن تحصل أوغندا على استقلالها بسنة واحدة، حصل على رتبة نقيب.

تدرب عيدي أمين في اسرائيل، واتبع دورة مظليين. وفي العام ١٩٦٤ حل مكان العقيد البريطاني هاملتون كقائد لكتيبة بنادق اوغندا الأولى. ثم غدا في العام ١٩٦٥ نائباً لقائد الجيش. وفي أيار (مايو) ١٩٦٦ وصل عيدي أمين إلى رتبة عقيد، واشترك في الهجوم على قصر «كاباكا» والغيت الملكية آنذاك. وفي تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٠ سيطر «ميلتون أوبوتي» على القـوات المسلحة. وكانت تربطه مع عيدي أمين صداقة حميمة، ولكن خلافهما حول تنظيم الجيش حوّل صداقتهما القديمة إلى عداء. وقام «أوبوتي» بابعاد عيدي أمين (الذي أصبح جنرالا) عن منصب القائد العام للقوات المسلحة وعينه قائداً للجيش، وكان ينوي تسريحه عندما قام أمين بانقلابه العسكري ضد «اوبوتي» في كانون الثاني (يناير) ١٩٧١. وفي ٢ شباط (فبراير) استلم السلطات العليا في البلاد وغدا قائداً عاماً للجيش.

يتحلى الجنرال عيدي أمين بصراحة مذهلة بعيدة عن الاساليب المتعارف عليها في الدبلوماسية. ولقد هاجم تنزانيا وزامبيا وقال أنهما تعدان خطة للاعتداء

على أوغندا. ويعرف عن عيدي أمين عداءه الشديد للاستعمار، وتأييده لحركات التحرر في أفريقيا وآسيا. ولقد طبق منذ استلام السلطة سياسة ترمي إلى تطهير أوغندا من العملاء والأجانب، الأمر الذي جعل الصحف الغربية، والبريطانية بشكل خاص، تشن عليه حملات انتقاد وتجريح وصلت إلى ذروتها في أوائل العام ١٩٧٤ عندما انتحر «أوندونغا» وزير خارجية اوغندا بعد أيام من إقالته. وتصاعدت هذه الحملة في تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٧٤ عندما أقال عيدي أمين وزيرة خارجيته الأميرة اليزابيت باجيا دي تورو. وفي آذار (مارس) ١٩٧٥ سرح عيدي أمين الجنرال «أورروبي» رئيس اركان الجيش.

ونجم عن ذلك ردة فعل عنيفة، رافقتها معارك في «كامبالا»، انتهت بانتصار عيدي أمين وانتحار «أورروبي».

يؤيد الجنرال عيدي أمين العرب في نزاعهم ضد اسرائيل والاستعمار. ولقد لعب دوراً في طرد اسرائيل من اوغندا ومن افريقيا بشكل عام، وطالب بإدانة الدولة الصهيونية نظراً لطابعها العنصري ودورها الاستعماري ولارتكابها جرائم ضد العرب في الأراضي المحتلة. وعندما اندلعت حرب ١٩٧٣ تنقل عيدي أمين بين العواصم العربية، وأبدى استعداد بلاده لإرسال متطوعين مع اسلحتهم للقتال إلى جوار العرب، وأكد ان النصر النهائي سيكون حليف العرب.

ترأس مؤتمر القمة الافريقي الذي عقد في «كامبالا» في تموز (يوليو) ١٩٧٥، واكد في الخطاب الذي افتتح به المؤتمر على ضرورة طرد اسرائيل من هيئة الأمم المتحدة.

(٥) اناب (صاروخ)

صاروخ جو - جو سوفياتي، و(اناب) هو الاسم الذي يطلقه حلف شمالي الاطلسي على الصاروخ الذي تتسلح به طائرات ياك ٢٨، وسوخوي ٩. ظهر لاول مرة عام ١٩٦١. يبلغ طوله ٣٦٠ سم، وقطره ٢٨ سم. هناك نموذجان من هذا الصاروخ: يوجه الاول بالاشعة تحت الحمراء، على حين يوجه الثاني بالرادار. يتراوح مداه بين ٨ و ١٠ كيلومترات.

(٣) الأنبار (أو ذات العيون) ٦٣٣

الأنبار مدينة على الفرات غربي بغداد، وقد جرت الوقعة المسماة باسمها بين خالد بن الوليد قائد

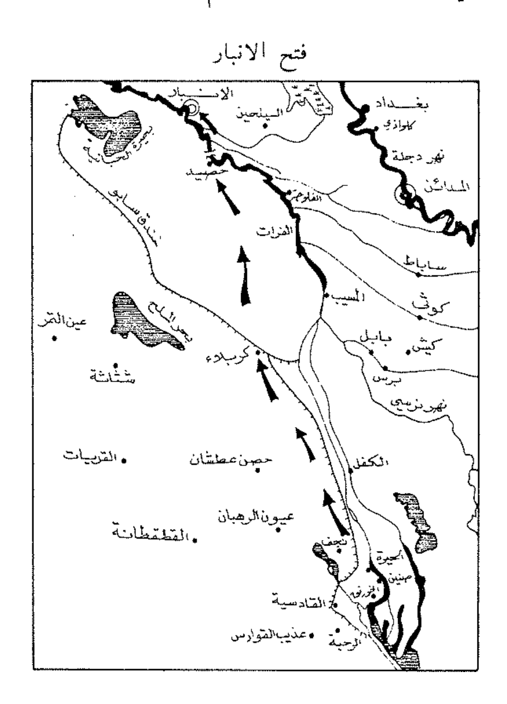

الجنرال عيدي أمين

جيش المسلمين في العراق وبين الفرس وحلفائهم العرب، وعلى رأسهم قائدهم شيرزاد صاحب ساباط (موضع بالمدائن)، وسميت الوقعة «ذات العيون» لكثرة ما فقأ فيها جنود المسلمين من عيون العدو بسهامهم، وكانت سنة ١٢ هـ (٦٣٣ م).

بعد ان تم لخالد فتح الحيرة، واطمأن على الثغور بتعيين حماة لها، وضمن الخراج على يد عماله، اصبح من السهل عليه والمغري له ان يتابع تقدمه نحو القادسية فبادية الشام. بيد أن الخليفة أبا بكر، وهو المطلع على احوال الفرس والروم في العراق والشام، قدر ان توغل خالد باتجاه البادية يجعله محاطاً بعدوين: الفرس عن يمينه، والروم عن يساره، ثم ان ظهره لم يكن محمياً، اذ ان السواد (سواد العراق) نفسه كان لا يزال حديث العهد بالاسلام، فضلا عن ان انباء ترامت الى الخليفة مفادها ان جيوش الروم بدأت تتحرك في الشام تأهباً لصد الفاتحين المسلمين، وان فلول الفرس المنهزمة تجمعت في دومة الجندل قبالة جيش عياض بن غنم. فأمر الخليفة خالداً ان لا ينطلق وراء الحيرة باتجاه بادية الشام، وان يتريث حتى يوافيه زميله عياض من اعلى العراق. ومكث خالد في الحيرة سنة كاملة بانتظار عياض، سماها «سنة نساء» الى ان أذن له الخليفة بالتقدم لملاقاة عياض، فخلف على الحيرة القعقاع بن عمرو، وخرج، وفي مقدمته الاقرع بن حابس، حتى انتهى الى الانبار، وقد تحصن اهلها فيها، وحفروا حولها خندقاً، واشرفوا من حصنهم وقد استعدوا للقتال.

وكان على رأس أهل الانبار يومئذ قائدهم شيرزاد، كما قدمنا. فلما وصل خالد اليهم طاف بالخندق متفحصاً، ثم امر جنده ببدء القتال وقال لرماته: «إني أرى قوماً لا علم لهم بالحرب، فارموا عيونهم ولا توخوا غيرها»، فرموهم فاصابوا ألف عين. وتصايح الاعداء اذ ذهبت عيونهم قائلين: «ذهبت عيون اهل الأنبار»، فلما رأى شيرزاد ذلك ارسل يطلب الصلح على شروط وضعها هو، فرد خالد رسوله خائباً، ثم أتى أضيق موضع من الخندق، وأمر بالابل الهزيلة فجمعها ونحرها وطمر بها ذلك الموضع، ثم اقتحم وجنده الحصن جاعلين جثث الابل جسورهم اليه. والتحم الفريقان في الخندق، ودار بينهما قتال شديد انتهى بانكفاء اهل الانبار الى حصنهم، فتجمعوا فيه. وعاد شيرزاد يطلب الصلح على ما يريده خالد هذه المرة، فقبل خالد. واستأمنه شيرزاد على نفسه فأمنه، ورضي ان يطلق سراحه ويلحقه باصحابه من الفرس مع مفرزة من الخيل بلا متاع او مال. وخرج شيرزاد الى اصحابه فاستقبله «بهمن جادويه» فلما سأله عن الخبر أجابه: «إني كنت في قوم ليس لهم عقول واصلهم من العرب، فسمعتهم، حين قدموا علينا، يقضون على انفسهم، وقلما قضى قوم على أنفسهم قضاء إلاوجب عليهم، ثم قاتلهم جندي، ففقأ اولئك فيهم ألف عين، فعلمت ان المسالمة أسلم».

فتح الانبار



ولما استتب الامر لخالد بالانبار ، واطمأن اهلها اليه ، رآهم يكتبون العربية ، فسألهم : « ما أنتم ؟ » فقالوا : « قوم من العرب نزلنا الى قوم من العرب قبلنا ، فكانت اوائلهم نزلوها أيام بختنصر ، حين أباح العرب ، ثم لم تزل عنها » فقال لهم : « ممن تعلمتم الكتابة ؟ » فقالوا : « تعلمنا الخط من اياد » . وجاء من حول الانبار من العرب والعجم فصالحهم خالد . وتبرز فطنة خالد العسكرية في هذه الوقعة بتطبيقه مبدأ من أحدث مبادئ القتال هو « شل مقاومة العدو » ، وذلك عندما قرر ان يفقأ بسهام رماته أعين الرماة من الاعداء ، فيمنعهم بذلك من متابعة الرمي ، مما سمح لجنوده باجتياز الخندق المحيط بالحصن . كما تبرز فطنته العسكرية كذلك بتقريره ان ينحر الابل العجاف ليطمر الخندق بجثثها ، ويجعل من هذه الجثث جسراً يعبره الى عدوه المحصن .

(٥) انتاك

(انظر الصواريخ المضادة للدبابات) .

(٥) انتربرايس (حاملة طائرات)

حاملة طائرات هجومية نووية من فئة «انتربرايس» . امريكية . دخلت الخدمة في البحرية الامريكية في تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٦١ . يبلغ وزنها القياسي ٧٥٧٠٠ طن ، ووزنها بحمولة كاملة ٨٩٦٠٠ طن ، وهي تعتبر أثقل سفينة في العالم . طولها ٣٤١,٣ متراً ، وعرضها ٤٠,٥ متراً ، وارتفاع غاطسها ١٠,٨ امتار ، وعرض سطحها المخصص للطيران ٧٨,٣ متراً . وتبلغ قوة دفع محركاتها التي تسير بالطاقة النووية ٢٨٠ ألف حصان . وتصل سرعتها الى ٣٥ عقدة . ولها طاقم من ٣١٠٠ رجل ،يضاف اليهم ٢٤٠٠ رجل هم افراد الجناح الجوي الذي يعمل على سطحها . تستطيع حمل ٩٥ طائرة من أحدث الانواع المتطورة . ولها ثلاث نقاط دفاع رئيسية تطلق صواريخ سطح – جو من طراز « سي سبارو » .

(٥) انتربيد (حاملة طائرات)

حاملة طائرات مضادة للغواصات من فئة « هانكوك » ، امريكية . اسمها امتداد لاسم بعض قطع الاسطول الامريكي القديمة . دخلت الخدمة في آب ١٩٤٣ . يبلغ وزنها القياسي ٣٢٨٠٠ طن ، ووزنها بحمولة كاملة ٤٢ ألف طن . طولها ٢٧٢,٦ متراً ، وعرضها ٣٠,٨ متراً ، وارتفاع غاطسها ٩,٤ امتار ، وعرض سطحها المخصص للطيران ٥٨,٥ متراً . وتبلغ قوة دفع محركاتها ١٥٠ ألف حصان . وتصل سرعتها الى اكثر من ٣٠ عقدة في الساعة . ولها طاقم مؤلف من ١٦١٥ رجلا ، يضاف اليهم ٨٠٠ رجل هم افراد المجموعة الجوية المخصصة لحرب الغواصات . تستطيع حمل ٤٥ طائرة مضادة للغواصات ، وتتسلح بأربعة مدافع من عيار ١٢٧ مم . وهي في الاصل واحدة من ٢٤ حاملة طائرات من فئة « إيسكس » أعيد تصنيفها فيما بعد لتصبح من فئة « هانكوك » .

(٨) الانتشار

هو توزع القوى والوسائط على مسرح العمليات وفق مخطط يحقق أفضل الشروط للمحافظة على كفاءة القوات حتى دخولها المعركة ، ثم الاستمرار بتنفيذ الواجب باتخاذ التشكيلات التي تتلاءم والموقف الراهن.

وتعود فكرة الانتشار فوق ارض المعركة الى عهد بعيد. فقد كانت الفلانكسات والليجيونات « الكراديس » تخوض معاركها بقوات متراصة (الكتف الى جانب الكتف) دون ترك ثغرة . وكانت قوة الصدمة هي العامل الاساسي في تحقيق النصر . ثم دخل تعديل على هذا التنظيم القتالي تمثل بالتوزيع غير المتساوي بالقوى (انظر معركة ليفكترا) ، واخذ القادة منذ عهد الرومان يركزون قواتهم على الاتجاهات الاكثر اهمية ، وكانت هذه البداية هي منطلق للعمل على محاور للجهد الرئيسي ومحاور اخرى للجهد الثانوي (انظر محور الجهد) .

بيد أن هذا التعديل لم يبدل كثيراً من طريقه زج القوات في المعركة واسلوب ممارستها الاعمال القتالية وبقي الأمر كذلك حتى دخل البارود في تسليح الجيوش . واخذت الاسلحة النارية والمدفعية منها بصورة خاصة في إنزال خسائر كبرى بالقوات المتراصة، مما دفع الى ادخال تعديل جوهري في تنظيم المعركة وادارتها ، واخذ النظام المتراص في الاختفاء، ليحل مكانه النظام المفتوح أو التشكيلة المفتوحة . وقد لوحظ تناقص الخسائر بدرجة كبيرة ، مما حمل قيادات الجيوش على اعتماد التنظيمات الجديدة وتطويرها بما يتوافق مع المتطلبات المستحدثة ، واستمر هذا التطور حتى أخذ المدفع والطائرة في ممارسة دور كبير لتحويل المواقف القتالية،فأخذت القوات في الانتشار فوق ارض المعركة او قبل ذلك خلال مرحلة التقدم بهدف الانقاص من الخسائر حتى حدودها الدنيا ، وبشكل لا يعيق القوات عن تنفيذ واجباتها ونشأ عن ذلك صعوبات جديدة تتمثل في تعقيد قيادة القوات والمحافظة على السيطرة ، بالاضافة الى احتمال تداخل الوحدات والقوات المشتبكة بعضها مع بعض . وجاء الحل لهذه الصعوبات عن طريق وضع حدود للفصل بين القوات (انظر حدود الفصل) كما جاء التطور في الاجهزة الالكترونية واجهزة الاتصال ليساعد على سد الثغرة وتوفير القدرة على قيادة القوات ، وتنسيق التعاون فيما بينها ، والمحافظة على السيطرة عليها . ولكن هذه الحلول اظهرت عقبة جديدة هي وجود نقاط ضعف عند حدود الفصل الامر الذي تطلب تغطيتها بالحواجز والنيران والقوات المتحركة (دبابات ومشاة ميكانيكية وقوات احتياط م/د ومفارز سدود متحركة) . وبذلك اصبح مبدأ الانتشار في القوى والوسائط فوق ميدان المعركة مبدأ ثابتاً ومتكاملا تتوفر فيه الشروط الضرورية لتلبية متطلبات المعركة الحديثة للأسلحة المشتركة .

ثم أدى ظهور السلاح الذري ، وعمل القوات تحت التهديد باستخدام اسلحة التدمير الشامل ، إلى ارغام القوات على التوسع في مبدأ الانتشار وتطويره في حدود الوقاية ضد الضربات الذرية ، بحيث لا تستطيع هذه الضربات تدمير اكثر من وحدة أو قسم من التشكيل القتالي ، وبحيث يمكن زج الانساق الثانية (سريعة الحركة) لسد الثغرات ، ومتابعة تنفيذ الواجب .

وبقدر ما يكون الانتشار كبيراً في مراحل الاقتراب والعمل بعيداً عن العدو ، بقدر ما تزداد كثافة القوى والوسائط عند الاشتباك بالعدو . ذلك ان الاتصال بالعدو والمحافظة على التماس معه تضع القوى المتصارعة في ظروف متشابهة وواحدة يستحيل معها اللجوء لاستخدام السلاح الذري . ولا يشمل انتشار القوات للعمل تحت تأثير التهديد الذري انتشار القوات في الجبهة فحسب ، وانما يصل الى تحقيق انتشار مماثل في العمق . كما ان عملية الانتشار لا تقتصر على الاعمال الهجومية ، بل تشمل الاعمال الهجومية والدفاعية على حد سواء .

والمهم في مسألة انتشار القوات أنه يضعف قوة النار وقوة الصدمة اللتين تمتلكهما ، ولكنه يؤمن في الوقت نفسه زيادة في الحماية . ولا يكون الانتشار سليماً ومتلائماً مع ضرورات الحرب إلا اذا أمن الانتشار حلا وسطاً يضمن الأمن وقوة النار والصدمة

بآن واحد ، وكانت القوات المنتشرة قادرة على التجمع والتبعثر بسرعة ، وكانت قيادتها تملك وسائط السيطرة اللازمة للقيادة .

(١) الانتفاضة المسلحة

هي حمل السلاح من قبل الجماهير الشعبية ضد السلطة الحاكمة . وهي أعلى أشكال القتال السياسي الرامي إلى الاستيلاء على السلطة بعد قلب الطبقة الحاكمة والتغلب على قواتها المسلحة . وتتطلب الانتفاضة تنظيماً جماهيرياً واسعاً ، وفكرة سياسية مقبولة من قبل جماهير مستعدة لخوض صراع مسلح لا هوادة فيه لقلب السلطة السياسية للطبقات الحاكمة . ويرى الثوريون أن من الضروري جداً أن يكون على قة التنظيم الجماهيري حزب ثوري كبير متماسك ايديولوجياً وتنظيمياً . ويرون أنه عندما تعتمل في صدور الجماهير رغبة اولية للصراع ، وعندما يعي ملايين الرجال « بأن من المستحيل متابعة العيش بالشكل السابق » ويقفون على أهبة الاستعداد لتقديم كل التضحيات ، يصبح دور الحزب الثوري قيادة هذه الجماهير بحكمة نحو مواقع القتال الاساسية واختيار اللحظة الملائمة لشن الهجوم على السلطة ، وقيادة المعركة سياسياً وعسكرياً خلال المجابهة العنيفة نفسها .

ويتبنى الشيوعيون الانتفاضة استناداً الى المفهوم الماركسي لتطور القوى الاجتماعية ، ومن الدور الثوري للعنف في التاريخ ، ومن دور الدولة كأداة تؤمن سيطرة طبقة ما ، ومن فكرة ديكتاتورية البروليتاريا . فلقد رأى ماركس دائماً « ان القوة كانت طوال التاريخ مولدة (قابلة) النظام القديم الذي يحمل بين أحشائه نظاماً جديداً » ،كما اكد بأن « البروليتاريا تضع أسس سيطرتها ، عندما تقلب البورجوازية بقوة السلاح » وأن « الكومونة برهنت بصورة خاصة على أن الطبقة العمالية لا تستطيع الاكتفاء بالاستيلاء على أداة الدولة وتسييرها لخدمة أغراضها » بل لا بد من « تحطيمها ، وهذا هو الشرط الأول لكل ثورة جماهيرية حقيقية في القارة » .

وفي التاريخ انواع متعددة من انتفاضات الشعوب ، فهناك الانتفاضة الفلاحية ، والانتفاضة العمالية . وهناك انتفاضات ذات دافع وطني ، واخرى ذات دوافع اجتماعية واقتصادية . وليس من الضروري دائماً أن تكون ايديولوجية الانتفاضة ماركسية – لينينية ، بل يمكن أن تكون أية ايديولوجية ، شريطة أن تكون هذه الايديولوجية متقدمة على ايديولوجية الطبقة الحاكمة .

ولقد شرح لينين بتفصيل وإسهاب شديدين ، وناقش مطولا في كتابه الشهير « الدولة والثورة » (١٩١٧) مسألة ديكتاتورية البروليتاريا ، وجعل منها شعار نضال البروليتاريا العالمية ، وذكر في عام ١٩٠٢ في كتابه « ما العمل ؟ » ضرورة الاستعداد لشن انتفاضة مسلحة واسعة النطاق . وعندما نضجت ظروف الانتفاضة في عام ١٩٠٥ عمل لينين ما في وسعه ليبرهن على أن الانتفاضة هي اكثر اشكال النضال حدة وحسماً في فترة الثورة ، وأنها السبيل الأوحد لانتصار البروليتاريا . ولقد انتقد بعد انتفاضة موسكو (١٩٠٥) جملة بليخانوف الشهيرة « لقد كان علينا أن لا نحمل السلاح » ورد على هذه الجملة بقوله « لقد كان علينا أن نحمل السلاح بقسط اكبر من الحزم والفاعلية والروح الهجومية » . ثم رد في عام ١٩١٧ على المترددين الذين اتهموا البلاشفة بالبلانكية ، وحدد النقاط التي تميز الانتفاضة المسلحة البروليتارية عن الحركة البلانكية ، وتؤمن بالتالي نجاح الانتفاضة المسلحة بما يلي : ١ – الاستناد إلى الطبقة المتقدمة لا إلى النخبة المتآمرة أو الحزب فقط ، ٢ – الاعتماد على الاندفاع الثوري للشعب ، ٣ – شن الانتفاضة في ذروة الصعود الثوري . واعتبر الانتفاضة كفن واكد أن عدم الاعداد لها سياسياً وعسكرياً ، وعدم تطبيق قواعدها « خيانة للماركسية والثورة » ، ٤ – الاعتماد على حزب الطبقة المتقدمة ، ٥ – قيام منظمي الانتفاضة بتقدير الدفع السياسي والوضع

لقد تطورت أجهزة القمع تنظيمياً وتسليحياً بشكل غدت معه قوة مؤهلة لمجابهة الانتفاضة



الدولي ، ٦ – اكتساب قادة الانتفاضة لتعاطف غالبية الشعب ، ٧ – أن تكون مسيرة الثورة قد حطمت اوهام البورجوازية الصغيرة حول التحالف بين الطبقات ، ٨ – استقطاب اجهزة الصراع الثوري الهامة في حياة الأمة ، ٩ – تذمر القوات المسلحة ضد الحكومة (وخاصة في زمن الحرب غير العادلة) ، ١٠ – طرح شعارات تحظى بقبول واسع لدى جماهير الشعب ، ١١ – إيمـــان العمال المتقدمين بالوضع اليائس الذي تعيشه الجماهير ، ١٢ – التأكد من دعم الريف نظراً لوجود حركة فلاحية قوية ضد الملاكين والدولة التي تدعمهم ، ١٣ – أن يكون الوضع الاقتصادي متأزماً إلى درجة تجعل من المتعذر إيجاد حل مرض بالوسائل السلمية والطرق النيابية .

ومن المؤكد أن أهم أسباب نجاح الانتفاضة هو وجود الوضع الثوري . ويشرح لينين في كراس « إفلاس الأممية الثانية » (١٩١٥) دلائل هذا الوضع بنقاط موضوعية ثلاث نوجزها بما يلي : ١ – تفتت الطبقات الحاكمة وتزايد تناقضاتها ، ٢ – تزايد حرمان الطبقات المسحوقة إلى حد يصبح معه البقاء فيه غير مقبول ، ٣ – تأثير الأمور السابقة على نشاط الجماهير التي تندفع في فترة العاصفة تحت تأثير الأزمة لتأخذ المبادهة وتبدأ عملا تاريخياً . ولقد جاء وضع مماثل لهذا الوضع في روسيا (١٩٠٥) ، وفي المانيا (١٨٥٩ – ١٨٦٠) ، وفي روسيا (١٨٧٩ – ١٨٨٠) ومع هذا فان الانتفاضة لم تندلع كما ينبغي ، ولم تنجح الثورة ، لان الظروف الموضوعية وحدها لا تكفي ، ولا بد من وجود ظرف ذاتي هو : استعداد القوى الثورية للعمل الثوري ، وأهلية الجماهير لشن عمل يهز الحكومة ويسقطها « ولا تسقط الحكومة القديمة حتى في ذروة الأزمة إذا لم تجد من يسقطها » (لينين) .

ويسبق الانتفاضة المسلحة عادة اعداد جماهيري واسع ، وهي لا تنفصل عن نضال الجماهير ولكنها امتداد عضوي للنضال . ويكرس الحزب الثوري في فترة الاعداد للانتفاضة جميع نشاطاته لاعـــداد الجماهير وتعبئتها للانتقال إلى درجة نضالية أعلى . ويمكن الوصول إلى ذلك عن طريق طرح الشعارات المرحلية ذات الفاعلية المتزايدة ، والمشاركة في أعمال الجماهير كالاضرابات ، والمظاهرات ، والمظاهرات المسلحة .

تتبع الانتفاضة قواعد الفن العسكري . وتفترض وجود خطة عسكرية تحمل الطابع الهجومي . وهي تتطلب من الحزب الثوري تضحية وبطولة كبيرتين ، ونشاطاً ملحوظاً في تنظيم الجماهير داخل وحدات قتالية ، على أن يتم كل ذلك بشكل متواز مع العمل الثوري الدؤوب داخل القوات المسلحة . وتنتبه قيادة الحزب الثوري من الانزلاق نحو المغامرة أو الانقلابية أو البلانكية .

وبالرغم من المعرفة النظرية لشروط نجـــاح الانتفاضة ، فان كثيراً من الانتفاضات فشلت بسبب عدم القدرة على تطبيق هذه المعرفة على الواقع ، وتحديد الذروة التي ينبغي أن تبدأ فيها الانتفاضة المسلحة . والحقيقة أن تحديد لحظة البدء مسألة حساسة بالغة الأهمية ، لأن الانطلاق قبل نضج الوضع الثوري تحت تأثير انعدام الصبر الثوري ، وإرهاب الطبقات الحاكمة ، أو سوء تقدير درجة نضج الوضع الثوري ، يؤدي إلى إجهاض الانتفاضة المسلحة (انتفاضة البلانكيين في آب ١٨٧٠) ، كما أن التأخر في شن العمل الثوري يؤدي إلى ضياع الفرصة واعطاء المبادهة للخصم (محاولة زينوفييف وكامنييف لتأخير موعد العمل الثوري في اكتوبر ١٩١٧ ووقوف لينين ضدهما ولولا ذلك لتأخرت الثورة الروسية ولسارت الأزمة الثورية الروسية على طريق مسدود كما سارت الأزمة الثورية الالمانية في عام ١٩١٨) .

ومن أوضح الأمثلة التاريخية على أهمية اختيار لحظة البدء مثال مأخوذ من تاريخ الثورة الروسية . في تموز (يوليو) ١٩١٧ كانت الجماهير وبعض قطعات الجيش تعيش حالة غليان دفعتها إلى شن انتفاضة فاشلة دامت من ٣ – ٥ تموز (يوليو) . وكان حزب البروليتاريا في بتروغراد يود المشاركة في الانتفاضة لقلب الحكومة المؤقتة الخاضعة لسيطرة المناشفة والاشتراكيين – الثوريين ، ولكن البلاشفة حذروا من التدخل بقولهم « ان الوقت لم يحن بعد » . وفي ايلول – تشرين الأول (سبتمبر – اكتوبر) انقلبت الأوضاع ، وتعبأت الطبقة العاملة ، وارتفعت الحماسة الثورية إلى الأوج ، واستقطب البلاشفة عمال المدن الرئيسية ، وحصلوا على تأييد غالبية الجنود بعل فشل انقلاب كورنيلوف ، وتردد أقطاب السلطة وتخلوا عن تحالفهم مع الكاديت ، وتذبذبت البورجوازية الصغيرة ومالت نحو البلاشفة إلى حد ما ، وسيطر الحزب البلشفي على غالبية سوفييتات بتروغراد وموسكو ، واستولت السوفييتات على السلطة في عدة أماكن ، وتضرس مناضلو البلاشفة وسط أهوال القمع ، ومال الفلاحون إلى البلاشفة بعد أن أعلنت السلطات أنها لن تعطي الأرض للفلاحين ، وقطع الشعب الأمل ، ولم يعد أمامه سوى سبيل واحد هو الانتفاضة المسلحة . وهنا فقط قال لينين : « اليوم أو أبداً ! إن الثورة معرضة لخطر الموت » . واستغل البلاشفة ذروة الأزمة ، وشنوا انتفاضتهم المسلحة رغم معارضة زينوفييف وكامنييف ، ونجحت ثورة اكتوبر ١٩١٧ .

ومن الامثلة الصارخة على الفشل الناجم عن سوء اختيار لحظة بدء الانتفاضة ما جرى في احداث آذار (مارس) ١٩٢١ وأزمة ١٩٢٣ في المانيا ، وانتفاضة ريفال في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٤ ، وانتفاضة شنغهاي الثانية في شباط (فبراير) ١٩٢٧ .

وليست الانتفاضة عملا عسكرياً بحتاً ، ولكنها حركة ثورية قوية ، وعمل سياسي – عسكري . وعلى الحزب الذي يقرر قيادة الانتفاضة المسلحة أن يكرس كل جهوده للإعداد لها والبدء بمرحلة جديدة في حياة الحزب ونشاطاته . وتعتبر لحظة اتخاذ هذا القرار مهمة وحاسمة كلحظة اختيار البدء بشن الانتفاضة . ولا يمكن ارتجال العمل العسكري في الانتفاضة أبداً . ولا بد من الاعداد لهذا العمل بشكل منهجي كامل طويل . وكل تخلف في هذا المضمار يؤدي إلى الفشل حتى ولو كانت الظروف السياسية ملائمة ، خاصة وأن الدول الحديثة أعدت جهازها الحكومي وقواتها المسلحة وقوات القمع بشكل جيد ومرن وقادر على مجابهة الانتفاضة المسلحة بفاعلية .

ولا تؤدي الانتفاضة دائماً إلى النجاح ، وقد تنتهي في كثير من الاحيان الى الفشل ، وخاصة إذا كانت الانتفاضة جزئية غير شاملة ، وكانت محدودة لا تمتد على طول البلاد وعرضها . ويكون الفشل في هذه الحالة مدرسة جيدة تستقى منها الدروس والعبر للمستقبل . فلقد قال انجلس « الجيوش المهزومة مدرسة جيدة » . وينطبق هـــذا القول على الجيوش التقليدية كما ينطبق على قوات الثورة . ومن الطبيعي أن تتعرض الانتفاضة المسلحة – كأي عمل عسكري – للنجاح أو الفشل . ولا ينبغي أن يكون هذا الأمر عامل جذب عكسي لمنع القوى الثورية من شن الانتفاضة . ولقد كتب ماركس إلى كوغلمان رسالة يرد فيها على ملاحظات كوغلمان حول كومونة باريس واحتمالات فشلها فقال : « لو لم يخض الناس الصراع إلا بعد التحقق المطلق من النصر لكان خلق التاريخ أمراً في غاية السهولة » .

وهكذا نرى أن على الحزب الثوري الذي يقود الانتفاضة أن يضمن الظروف الذاتية والموضوعية ، ويختار لحظة الاعداد ، ويقوم بالاعداد المكثف بانتظار لحظة البدء التي تختارها قيادته بحكمة ودراية ، ودون تردد أو تسرع ، وما أن تندلع الانتفاضة حتى يكون في المقدمة ، ويأخذ دوره القيادي بكل

بطولة وتضحية . ولكن هناك حالات تضطر فيها الجماهير لبدء العمل المسلح قبل الأوان ، وشن انتفاضات عفوية على غرار انتفاضة كراكوفي في عام ١٩٢٣ ، وانتفاضة فيينا في عام ١٩٢٧ . وهنا يضطر الحزب الثوري إلى الوقوف في مقدمة الجماهير ، وأخذ أخطر أجزاء النضال المسلح ، وتسلم قيادة الانتفاضة المسلحة بغض النظر عن الظروف التي يجري فيها هذا النضال ، سواء كانت فرص النجاح مؤمنة ١٠٠ ٪ أو لم يكن هناك أمل بالنصر ، والتصرف على غرار تصرف ماركس خلال كومونة باريس ، أو تصرف لينين خلال أحداث تموز (يوليو) في بتروغراد . لقد حذر ماركس الباريسيين منذ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠ ، وطالبهم بعدم القيام بالانتفاضة . ولكن ما أن بدأت الاحداث الثورية حتى وقف إلى جانب الثوار وكتب : « ومهما يكن مصير الانتفاضة الباريسية ، وحتى لو سحقتها الذئاب والخنازير والكلاب القذرة في المجتمع القديم ، فانها ستبقى عملا من أمجد أعمال حزبنا منذ انتفاضة حزيران (يونيو) » . وكان لينين يعارض انتفاضة تموز (يوليو) ١٩١٧ ، ويحذر أصحابها بأن الوقت لم يحن بعد ، ولكن ما ان نزلت الجماهير إلى الشارع حتى وجد نفسه معها .

ولا يعني هذا القول أن على الحزب الثوري ، حزب القوى المتقدمة ، أن يتجاهل الظروف ، ويشن الانتفاضة دون دراسة أو إعداد ، وان يشارك في كل انتفاضة حتى ولو كانت بلانكية . ولكنه يعني أن على الحزب أن يسأل : أين الجماهير ؟ ثم يقف مع هذه الجماهير ، ويدعم انتفاضتها مهما كان نوعها ، حتى ولو كانت عفوية غير معدة . ولكن اذا لم تكن الانتفاضة عفوية ، وكانت منظمة من قبله ، وجاءت مشاركة الجماهير بناء على ندائه ، فان عليه أن يحمل على عاتقه مسؤولية اختيار لحظة البدء بروية ، وقيادة الصراع بحزم وإقدام لأن « الانتفاضة كلمة كبيرة ، والدعوة اليها أمر جدي إلى أبعد الحدود . وكلما تعقد النظام الاجتماعي ، وارتفع مستوى تنظيم السلطة ، وتقدمت التقنية العسكرية ، كلما أصبح استخدام هذا العمل بلا روية أمراً خطيراً لا يمكن التغاضي عنه » (لينين) . وكان ماركس قد حذر من اللعب بالانتفاضة ، واعتبرها فناً من الفنون تخضع كالحرب إلى قواعد « يؤدي تجاهلها إلى دمار الحزب الذي يقع في هذا الخطأ » . كما أكد على ضرورة التصميم خلال العمل والتحلي بالروح الهجومية « وفي الدفاع موت كل انتفاضة مسلحة » . وأشار إلى ضرورة استخدام المفاجأة ، وضرب العدو عندما تكون قواته مبعثرة ، والعمل بشكل يتم فيه تحقيق انتصارات يومية مهما كانت صغيرة ، والحفاظ على المعنويات ، والسير وفق قول دانتون « الجرأة ، ومزيد من الجرأة ، والجرأة دائماً » .

يتسم العمل العسكري خلال الانتفاضة المسلحة بثماني سمات : ١ – عدم وجود خط جبهة يفصل بين الخصمين ، ٢ – وجود أنصار يؤيدون الانتفاضة داخل معسكر العدو ، ٣ – عدم وجود قوة مسلحة كبيرة بيد القائمين بالانتفاضة ، ٤ – حساسية الوضع المعنوي داخل القوى المضادة ، ٥ – عدم وجود عدد كاف من القادة الثوريين القادرين على قيادة العمليات العسكرية بشكل ناجح ، ٦ – مساعدة الجماهير المادية والمعنوية لعمل الثوار العسكري ، ٧ – تطابق العمل العسكري مع العمل الدعائي والسياسي بين الجماهير وبين صفوف القوات المسلحة ، ٨ – عدم وجود أسلحة كافية لجميع المشتركين . وتستهدف العمليات العسكرية التي تقوم بها قوات الانتفاضة تدمير القوة المسلحة المضادة وتجريدها من السلاح عن طريق الهجوم المفاجىء (الليلي غالباً) ، وتوزيع الاسلحة على العناصر العزلاء ، والاستيلاء على المؤسسات الحكومية الهامة (الوزارات ، مراكز الشرطة ، الادارات ... الخ) والمؤسسات الاقتصادية (الغرف التجارية ، البنوك ، إدارات المصانع ... الخ) والمحطات ، ومراكز البرق والبريد والهاتف ، ومقرات القيادة والأركان ، ومستودعات الاسلحة ، ومحطات الاذاعة والتلفزيون ، ومراكز المنظمات الفاشية شبه العسكرية المعادية للانتفاضة ، وا ماكن نشر الصحف ، والمطابع ، ومساكن قادة أجهزة القمع ... الخ .
وتتم كل هذه الأمور وفق خطة تضم النقاط التالية : (الانتفاضة في المدينة) .

- تقدير الموقف وميزان القوى في المدينة .
- تاريخ بدء الانتفاضة .
- الاهداف الرئيسية التي لا بد من تحقيقها لأنها تؤثر على مسيرة الحركة .
- الأهداف الثانوية .
- زيع القوات الى مفارز مع تكريس ئبد القوات للاهداف الرئيسية .
- تحديد العناصر المسلحة والعزلاء في كل مفرزة ، ومصادر تسليح العناصر العزلاء خلال القتال نفسه .
- المهمات التقريبية التي ينبغي على المفارز تنفيذها بعد تنفيذ مهماتها الأولية .
- التدابير الواجب اتخاذها عند فشل مجموعة ما .
- التدابير الواجب اتخاذها لمنع قدوم القوات الحكومية من المدن الأخرى (تخريب طرق المواصلات ، شن عمليات الأنصار .. الخ) .
- أساليب اجتذاب السكان .
- توزيع الاسلحة المستولى عليها .
- القضاء على رؤوس أجهزة القمع .
- الارتباط بين مفارز الانتفاضة .
- الارتباط مع قوى الانتفاضة في الريف .
- مكان القيادات والاتصال معها .
- التدابير السياسية التي ينبغي اتخاذها عند نجاح الانتفاضة .

وتبنى خطة الانتفاضة المسلحة عادة وفق المعطيات التالية :

- الخارطة الاجتماعية للمدينة ، والاحياء المؤيدة والمعارضة .
- مواقع الشرطة والقوات المسلحة .
- عناوين رؤوس أجهزة القمع ، وعناوين الموظفين وقادة المنظمات المعادية .
- مواقع مراكز المنظمات المعادية شبه العسكرية
- مكان مستودعات الاسلحة .
- تقييم تكتيكي للنقاط الحساسة والحاكمة في المدينة .
- تحديد الاماكن الصالحة للهجوم أو الدفاع .
- مرائب سيارات الدولة التي ينبغي الاستيلاء عليها لخدمة أعمال الانتفاضة .
- استخدام الهاتف خلال الانتفاضة .
- عدد القوات المتوفرة وطبيعة قادتها .

ويتم اعداد الانتفاضة في وقت يسمح للقادة ومساعديهم وأعضاء التنظيم الموثوقين بدراسة مهماتهم واهدافهم والاستعداد للعمل بأفضل شكل ممكن . وتتخذ كافة التدابير التي تحفظ سرية الخطة والتدابير . بشكل يحقق المفاجأة التي تعوض النقص العددي وتشكل شرطاً من أهم شروط نجاح العمل العسكري خلال الانتفاضة المسلحة .

انتقام (٦)

دفع الضرر بالضرر ذوداً عن النفس . وهو إجراء نشأ منذ نشوء الجماعة ، مارسه افرادها ومارسته الجماعات فيما بينها ، وكرسته القوانين القديمة البائدة كقانون حمورابي الذي نص على ان العين

بالعين والسن بالسن . وبتطور الجماعة وارتقاء القوانين الوضعية ونزول الاديان السماوية ، امتنع على الفرد ان يقتص لنفسه بنفسه واصبح من حقه على الجماعة ان تحميه وتكفل له حقوقه ، واقتصرت ممارسته فيما بين الدول .

والانتقام في عرف القانون الدولي عبارة عن اجراءات مخلة بحق من الحقوق الدولية الطبيعية ، تتخذ للذود عن النفس بقصد استرداد حق او دفع ضرر سواء كان ذلك في زمن السلم او الحرب . وحرية اتخاذ الاجراءات الانتقامية مقيدة في القانون الدولي ، فهو يجيزها في حالة واحدة فقط هي حالة كون الضرر الحاصل ناشئاً عن فعل مخالف لقاعدة من قواعده . ويشترط لاجازتها استنفاد الوسائل السلمية للوصول الى حل منصف وعادل قبل اللجوء الى الاجراء الانتقامي ، وتناسب هذا الاجراء مع الفعل الضار المشكو منه (تطبيقاً لقاعدة « الجزاء من جنس العمل ») .

ان عمليات الفدائيين الفلسطينيين ضد الكيان الاسرائيلي في فلسطين المحتلة (مثل العمليات العسكرية في الداخل ، وعمليات احتجاز الرهائن ، واختطاف الطائرات) تعتبر اعمالا انتقامية لانها تتخذ ذوداً عن النفس لاسترداد حق ، وأرض محتلة دون مبرر شرعي في الاساس ، كما تتخذ للرد على اعمال عنف غير مشروعة تشنها اسرائيل ضد الفلسطينيين في الارض المحتلة وضد مخيمات الفلسطينيين في الدول المضيفة . وقد سبق ذلك استنفاد كافة الوسائل السلميه للوصول الى حل عادل للقضية الفلسطينية بدون جدوى . كما ان العمليات التي يشنها الفلسطينيون متناسبة مع الافعال الاسرائيلية المشكو منها . ولكن لا يمكن اعتبار الردود الاسرائيلية على هذه العمليات (قصف المخيمات الفلسطينية من البحر والجو) من قبيل الاجراءات الانتقامية المبررة في العرف الدولي، اذ لم يسبقها استنفاد للوسائل السلمية للوصول الى حل عادل للمشكلة .

وقد سبقت الاشارة الى ان الدول قد تلجأ الى اتخاذ اجراءات انتقامية سواء كان ذلك في زمن الحرب او السلم . ويشترط لاتخاذها في زمن الحرب ان يسبقها اعلان عام يطلب فيه الى الطرف المعادي وقف الاعمال غير المشروعة . وينبغي ان تكون الاجراءات المتخذة من النوع الذي يتجنب ، قدر الامكان ، إلحاق الضرر باطراف اخرى كالاطراف المعادية التي لم تقم بأعمال مشابهة تستوجب الانتقام، والاطراف المحايدة . كما ينبغي وقف الاجراءات الانتقامية فور استجابة الخصم وقيامه بإيقاف الاعمال غير المشروعة . وتجدر الاشارة الى ان شرعية اجراءات الانتقام البحرية التي من شأنها إلحاق الضرر بتجارة الدول المحايدة كانت موضع خلاف بين الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا العظمى في مرحلة ما قبل حرب سنة ١٨١٢ ، وخلال فترة حياد الولايات المتحدة إبان الحرب العالمية الاولى . ومع ذلك فقد أصدرت محاكم الغنائم البريطانية في سنة ١٩١٩ احكاماً تتضمن الاضرار بمصالح تجارية لدول محايدة — رغم بعض الاصوات المعارضة — معتبرة أحكامها من قبيل الاجراءات الانتقامية (قضية فوكس ، ومتيغستاد ، وليونورا) .

أما في زمن السلم فقد اتخذ الانتقام اشكالا عديدة مثل احتلال الارض ، وفرض الضرائب والرسوم الجمركية ، واحتجاز السفن في الموانئ ، « والحصار الهادئ » Pacific blockade ، (انظر الحصار) . وفي سنة ١٩٢٣ قامت ايطاليا باحتلال « كورفو » كاجراء انتقامي ضد اليونان ، وعلى أثر ذلك شكلت عصبة الامم لجنة قانونية من عصبة الامم ، أفتت بان التزام اطرافها بعدم اللجوء للحرب يمنع القيام باجراءات انتقامية ذات صفة حربية . وتأكد ذلك فيما بعد في نصوص معاهدة كيلوغ — بريان Kellogg Briand Pact سنة ١٩٢٩، وميثاق هيئة الامم التي اوجبت على الاطراف الموقعة اللجوء الى الوسائل السلمية في حل المنازعات الدولية ، والامتناع عن استخدام وسائل التهديد والقوة . وبالتالي منع القانون الدولي اتخاذ اجراءات انتقامية في زمن السلم إلا بموافقة هيئة دولية مختصة . وعلى اي حال فإن المادة (٥١) من ميثاق الامم المتحدة اجازت اللجوء الى الاعمال العدائية الفردية والجماعية في حالة الدفاع عن النفس في مواجهة هجوم مسلح .

ومن اشكال الانتقام التي عرفتها الدول ما يلي :
١) تفويض شخص عادي من قبل حكومته بمهاجمة سفن دولة اجنبية والاستيلاء عليها Privateering اقتضاء لتعويض حق له في ذمة شخص آخر من رعايا الدولة التي ترفع السفن المذكورة علمها ، وذلك في حالة امتناع محاكم تلك الدولة عن اصدار حكم عادل بحقه . وقد انتهت ممارسة الانتقام بهذا الشكل بعد ان تم الاتفاق على منعه بموجب اعلان باريس Paris Declaration الصادر في سنة ١٨٥٦ ، ٢) الرهينة ، وهي في الاصل قيام احد الطرفين المتحاربين بتسليم شخص او اشخاص من رعاياه الى الطرف الآخر كضمان لتنفيذ اتفاق او للامتناع عن الاخلال بقواعد قانون الحرب . وقد عفا الزمن على هذه الوسيلة وكان آخر العهد بها اتفاقية ايكس — لا — شابيل Aix - La - Chapelle في سنة ١٨٤٧، عندما قامت بريطانيا بارسال اثنين من النبلاء الى فرنسا لاحتجازهم كرهينة تضمن إعادة رأس بريتون اليها . اما في الحروب الحديثة فإن احتجاز الرهائن اتخذ كاجراء انتقامي لضمان تقيد العدو بقانون الحرب فيما يتعلق ببعض الامور كمعاملة الاسرى والمرضى والجرحى . وقد حظرت معاهدة جنيف في سنة ١٩٤٩ القيام بأية اجراءات انتقامية ضد اسرى الحرب ، وقضت بمعاملة الرهائن كما يعامل اسرى الحرب ، ٣) الحصار بمختلف انواعه (انظر الحصار) ، ٤) احتجاز السفن التجارية والبضائع في موانئ الدولة لمنع وصولها الى موانئ دولة اخرى Embargo . ولكي يتحقق الهدف المرجو تحقيقه من اتخاذ هذا الاجراء ، ينبغي حظر الشحنات التجارية بطريق الجو ايضاً وبالبر اذا تطلب الامر ذلك . كما ينبغي تمييز هذا الاجراء عن اجراءات اخرى هي : الاحتجاز المؤقت للسفن والطائرات Arret de Prince، الاستيلاء الطارئ على سفن تجارية أجنبية واستخدامها Angary ، والمقاطعة Boycott، و قطع العلاقات التجارية والاقتصادية بين دولة واخرى . وتجب الاشارة ، من ناحية اخرى ، الى ان هذا الاجراء الذي نحن بصدده لا يفرض ضد سفن وممتلكات معادية ، اذ ان صفة العداء تستوجب تطبيق اجراءات من نوع آخر . وتفرضه الدولة ، كشكل من اشكال الانتقام ، ضد دولة اخرى تشعر انها تنتهك حرمة حقوقها المشروعة ، مثال ذلك الاجراء الذي اتخذته الولايات المتحدة في سنة ١٨٠٧ ضد كل من فرنسا وبريطانيا العظمى .

(٦) انتقام شامل

دخل العالم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية مرحلة جديدة من الصراع ، العامل الحاسم فيه أسلحة هجومية من نوع جديد تختلف عن الاسلحة التقليدية من حيث قدرتها على احداث دمار شامل . ثم حذا الاتحاد السوفياتي وغيره من الدول (انجلترا ، فرنسا ، الصين ، الهند) حذو الولايات المتحدة في امتلاك ترسانة من الاسلحة النووية الهجومية . وبدأت مرحلة سباق نووي بين القوتين الاعظم ، واصبح التوازن الاستراتيجي بينهما اليوم قائماً على سياسة

الرعب النووي واعتبار شعب كل منهما رهينة الاسلحة الهجومية الاستراتيجية التي يملكها الطرف الآخر ، مما دعا الى عقد الاتفاقيات التي من شأنها ان تحفظ الميزان النووي في حالة توازن ومنعه من الميل بحدة لصالح احدهما (انظر اتفاقية سولت) . اما التوازن الاستراتيجي الكلاسيكي فقد اصبح مجرد توازن تكتيكي ضمن التوازن الاستراتيجي النووي القائم . ولم تعد هناك الاهمية السابقة لاحتلال الارض . وعلى ضوء هذه الاستراتيجية يمكن تعريف الدولة النووية العظمى بأنها تلك التي تملك قدرة نووية انتقامية بامكانها تفادي هجوماً نووياً تشنه دولة أو مجموعة من الدول الاخرى ، ومن ثم توجيه ضربة انتقامية خاطفة مدمرة .

وضمن هذه المعادلات تتصارع سياسات عديدة متعلقة بسياسة الردع النووي، منها سياسة الانتقام الشامل Massive Retaliation التي ترتكز على المبادرة بالهجوم لدى اي انتهاك او تعد من قبل قوة أجنبية . وكان اول من اوجد رابطاً بين الانتقام وسياسة الردع النووي هو جون فوستر دالاس في حديث له سنة ١٩٥٤ حول « التهديد بالانتقام الشامل » ،وهي عبارة خاضعة لتفسيرات عديدة ، إلا أنها قد تعني من الناحية النظرية شن هجوم نووي واسع النطاق على المنطقة التي بدأ منها التعدي . وقد تعني شن الهجوم على أراضي الدولة المعتدية بغض النظر عن المكان او المناسبة ، وبغض النظر عن مدى خطورة التعدي الحاصل . وقد تعني كلا الامرين معاً . وفي حالة صدور التهديد بالانتقام الشامل من دولة تتمتع بتفوق واضح في تسليحها النووي – وربما كانت الولايات المتحدة كذلك في سنة ١٩٥٤ – فإن التهديد يكون مقنعاً بدون شك ، خصوصاً وان استخدام الاسلحة النووية يكون مغرياً من الناحية الاقتصادية ومن ناحية توفير الجهد والوقت اللازمين للحفاظ على قوات كلاسيكية جاهزة على الدوام لمواجهة اي اعتداء . ولكن تفوق الدولة المعنية لمواجهة كلا التفسيرين السابقين لعبارة دالاس لا يخلو من التعقيدات . فالانتقام الشامل وفق التفسير الثاني يستدعي استخدام كافة الاسلحة النووية وبالتالي فإن من شأنه تحويل اي صراع ثانوي الى صراع مركزي يشمل جميع اراضي الدولتين المتصارعتين ، وتنتج عنه تعقيدات معنوية وسياسية من ناحية ، وتعقيدات من الدول الحليفة التي لا ترغب الدخول في صراع من هذا النوع من ناحية ثانية . وعلى افتراض ان الدولة المعادية تمتلك بعض الاسلحة النووية وتمكنت من الرد بها ، فإن تحقيق نصر هامشي بهذه الطريقة لا يعوض عن الخسارة والمعاناة التي تنشأ في الغالب . والانتقام الشامل وفق التفسير الاول سوف يجلب – الى الحلفاء الثانويين – الخوف والرهبة مما يمكن حدوثه من شرور ، ذلك ان ردود فعل اي صراع ثانوي غالباً ما تسبب اضراراً بالغة لجميع القوى الثانوية الضعيفة في المنطقة .

وفي حالة كون بطلي الصراع الرئيسيين متساويين في القوى ، فإن تبني أحدهما لسياسة الردع الشامل سوف تتبعه معاملة بالمثل من قبل الطرف الآخر ، واي تهديد بالانتقام سوف يواجه بتهديد مضاد حتى ولو كان مجافياً للمنطق . وامام هذه المعطيات ، فإن ظهور أية بوادر صريحة لتناقض او نزاع ، سواء كان عارضاً او مدبراً ، سوف يحفز كل من الطرفين للمبادرة بتوجيه الضربة الاولى للآخر . وواضح من ذلك اننا امام حالة من الردع غير المستقر لا يمكن تلافيها الا اذا قام الطرفان بتدعيم قواتهما النووية بحيث يصبح توجيه الضربة الاولى صعباً او متعذر الحدوث ، كما هو الحال بين الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي في الوقت الحاضر ،نظراً لقدرة كل منهما على الرد بضربة ثانية لا تقل أثراً عن الضربة الأولى . ومع ذلك فإن اغراء توجيه الضربة الاولى سوف يبقى قائماً ، اذا تحصلت لدى الطرف الذي يقوم بتوجيهها قناعة راسخة بأنه سوف يتعرض لهجوم شامل .

(٦) أنتينوف (أ. ك)

اوليغ كونستنتينوفيتش أنتينوف Oleg Konstantinovich Antonov من اشهر مصممي الطائرات في الاتحاد السوفياتي (١٩٠٦ –) ، ورئيس المصممين في « مكتب التصميم التجريبي الجديد New Experimental Design Bureau » (لطائرات النقل التوربينية – المروحية Turboprop ذات المحركات المتعددة) التابع لوزارة الصناعة الجوية في الاتحاد السوفياتي ، وعضو في الحزب الشيوعي السوفياتي منذ العام ١٩٣٠ .

ولد انتينوف في السابع من شباط (فبراير) ١٩٠٦ في « ساراتوف » Saratov ، وظهرت ميوله نحو صناعات الطائرات منذ نعومة اظفاره . ففي السابعة عشرة من عمره انضم الى نادي بناء نماذج الطائرات التابع لجمعية « ساراتوف » لاصدقاء الاسطول الجوي ، وفي الثامنة عشرة التحق بمدرسة للطائرات الشراعية حصل منها على شهادة طيار شراعي في حزيران (يونيو) ١٩٢٦ ، وفي العام ١٩٢٦ أيضاً التحق بكلية الطيران في معهد البوليتكنيك في لينينغراد، وتخرج منه في حزيران (يونيو) ١٩٣٠ بعد ان حاز على دبلوم في الهندسة الميكانيكية لبناء الطائرات . وعرض عليه ، فور التخرج ، منصب نائب رئيس مصنع « توشينو » Tushino ، الذي كان قد بني حديثاً آنذاك ، وهو مصنع تابع للمجلس المركزي لجمعية الاتحاد السوفياتي لتطوير الدفاع والصناعة الجوية ـ الكيماوية. ولقد أثبت أنتينوف جدارته في عمله ، وفي العام ١٩٣٦ رقي الى منصب رئيس المصممين في المصنع نفسه ، حيث قام شخصياً بتنفيذ او الاشتراك في وضع حوالي (٦٠) تصميماً ، وبناء ما يقارب من ٤٠٠ طائرة شراعية . وفي العام نفسه عين رئيساً للجنة تحقيق في اعمال بعض مكاتب تصميم الطائرات ، والمصانع ، ومدارس الطيران الشراعي . وكان من نتيجة التحقيقات التي أجراها توجيه تهمة التخريب الى « إلدمان » Eldman الرئيس السابق ، آنذاك ، للمجلس المركزي لجمعية الاتحاد السوفياتي لتطوير الدفاع والصناعة الجوية ـ الكيماوية.

وفي عشية نشوب الحرب العالمية الثانية ، وضع « أنتينوف » تصاميم طائرة « بيغاسوس » Pegasus وهي طائرة شراعية ذات محركين للنقل العسكري . وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤١ ، أصابت مدينة « موسكو » حالة من الذعر هرب أنتينوف أثناءها من مصنع الطائرات الشراعية ، وقد تسبب ذلك في عزله من منصبه ، وفي توليه مناصب أقل أهمية لسنين عديدة في أماكن مختلفة . وفي حوالي العام ١٩٤٤ عكف على وضع تصميم لطائرة مدنية تستخدم في اغراض جوية خاصة . وفي العام ١٩٤٦ تم بناء نموذج زراعي لهذه الطائرة (س ك هـ – ١ SKH-1) أثبت صلاحيته في الاختبارات الحكومية، وبالتالي بدأ بناء اعداد كبيرة منها لاستخدامها في اعمال الرش الزراعي من الجو للاسمدة والكيماويات لمكافحة الآفات الزراعية . ومن ثم بنيت نماذج اخرى اكثر تطوراً لاستخدامها في اغراض متعددة : كالزراعة ، والاسعاف ، وفي خدمة البعثات في المناطق القطبية . وما ان انتهت الحرب العالمية الثانية حتى أصبح أنتينوف المصمم الاول في الاتحاد السوفياتي للطائرات التي تستخدم في أغراض خاصة . ومنذ العام ١٩٥٢ تحول انتينوف نحو تصميم وبناء طائرات ثقيلة ذات محركات توربينية – مروحية متعددة ، عرض اول نموذج منها في معرض «توشينو»

الجوي في العام ١٩٥٦ . وفي العام ١٩٥٧ عرض نموذج آخر في موسكو هو طائرة « اوكراينا Ukraina أنتينوف – ١٠ An - 10 » . وهي طائرة نقل تستطيع حمل (٨٤) راكباً بسرعة تبلغ (٦٠٠) كيلومتر في الساعة ، وقد منح أنتينوف جائزة ستالين تقديراً لجهوده في وضع تصميم وبناء هذه الطائرة . ومنذ ذلك الحين اتجه بشكل اساسي نحو بناء طائرات النقل التي ظهر منها : أنتينوف – ١٢ ، وأنتينوف – ١٤ ، وأنتينوف – ٢٢ ، وأنتينوف – ٢٤ ، وأنتينوف – ٢٦ . ونال عدة جوائز وأوسمة منها جائزة الدولة (١٩٥٢) ، وجائزة لينين (١٩٦٢) ، ووسام بطل العمل الاشتراكي (١٩٦٦) .

(٥) انتونوف ان – ١٢ (طائرة)

طائرة نقل عسكرية ثقيلة ، متوسطة المدى ، مروحية بأربعة محركات . سوفياتية . ظهرت لاول مرة عام ١٩٥٩ . تستخدم لنقل الجنود والمعدات ، وفي اعمال اسقاط المظليين والمعدات . وهي تطوير لطائرة النقل المدنية « ان – ١٠ » (An-10). ظهر منها بضعة نماذج . هي، بالاضافة الى النموذج الاصلي النموذج « ان – ١٢ ڤي » (An - 12 V) المزود بمحركات أقوى (قوة المحرك فيه ٤٢٥٠ حصاناً مقابل ٤٠١٥ حصاناً في النموذج الاصلي) . ونموذج معدل هو « ان – ١٢ م » (An - 12 M) ونموذج تجاري يستخدم للنقل .

المواصفات العامة : السرعة القصوى ٦٠٠ كم/ الساعة . الحمولة ٢٠ طناً من المواد المختلفة بالاضافة الى ١٤ راكباً ، او ١٠٠ راكب . ويسمح بابها الخلفي بتحميل عربات مجنزرة او بعجلات ، او صواريخ ارض – جو مع كامل تجهيزاتها . وتستطيع حمل عربات ومدافع اقتحام القوات المحمولة جواً ، واسقاطها من الجو. التسليح رشاش ثنائي عيار ٢٠ مم تحت الذيل . الوزن الاقصى للاقلاع ٦١ طناً . المدى مع حمولة ١٠ اطنان وساعة طيران احتياط ٣٤٠٠ كم. الحجم : الطول ٣٣ م ، فتحة الجناحين ٣٨ م ، الارتفاع ٩,٨٣ م .

(٥) أنتينوف أن – ٢٢ (طائرة)

طائرة نقل عسكرية ومدنية ثقيلة ، سوفياتية . واحدى أضخم طائرات النقل في العالم . وهي مزودة بأربعة محركات مروحية توربينية . دخلت الخدمة في ربيع عام ١٩٦٧ . وتمتاز بقدرتها على الاقلاع وهي بكامل حمولتها من مدرج لا يزيد طوله عن ١٣٠٠ متر ، والهبوط على مدرج طوله ٨٠٠ متر .

المواصفات العامة : مدى طيرانها مع حمولة ٨٠ طناً ٥٠٠٠ كيلومتر . وزنها فارغة ١١٤ طناً . وزنها الاقصى للاقلاع ٢٥٠ طناً . طولها ٥٧,٨٠ م . فتحة جناحيها ٦٤,٤٠ م . ارتفاعها ١٢,٥٣ م .

(١) أنجلس (فريدريك)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٥) اندبندنس : (حاملة طائرات)

حاملة طائرات هجومية من فئة « فورستال » . واسمها هذا امتداد لاسم اطلق على سفينة شراعية بصاري واحد بنيت عام ١٧٧٥ . ثم حملته حاملة طائرات خفيفة شاركت في الحرب العالمية الثانية . ثم اعطي الاسم بعد ذلك لحاملة الطائرات الحالية التي دخلت الخدمة في كانون الثاني (يناير) ١٩٥٩ . يبلغ وزنها القياسي ٦٠ ألف طن ، ووزنها بحمولة كاملة ٧٨ ألف طن . طولها ٣١٩ متراً ، وعرضها ٣٨,٥ متراً ، وارتفاع غاطسها ١١,٣ متراً ، وعرض سطحها المخصص للطيران ٧٦,٨ متراً . وتبلغ قوة دفع محركاتها ٢٨٠ ألف حصان . وتصل سرعتها الى ٣٥ عقدة في الساعة . ولها طاقم من ٢٧٩٠ رجلا ، يضاف اليهم ٢١٥٠ رجلا هم افراد الجناح الجوي الذي يعمل على سطحها . تستطيع حمل ٨٥ طائرة مقاتلة . وتتسلح بأربعة مدافع من عيار ١٢٧ مم .

(٥) انذار نهائي

تعبير في القاموس الدبلوماسي ، وهو ترجمة لكلمة (Ultimus) اللاتينية والتي تعني «اخير» . ويمكن تعريفه بأنه تصريح رسمي ومحدد توجهه دولة الى اخرى ، وتشير به الى ان مضاعفات خطيرة ستنشأ ان لم تنفذ مطالب معينة ضمن مهلة محددة تكون في غالب الاحيان قصيرة . وقد تتراوح هذه المضاعفات بين قطع مفاوضات معينة ، او اتخاذ اجراءات اقتصادية محددة ، او قطع العلاقات الدبلوماسية ، او التهديد باستخدام القوة ، الى الاستخدام الفعلي للقوة على شكل عمليات عسكرية ، او اعلان الحرب . ويعرف الانذار النهائي بأنه « بسيط » (Simple) ان لم يشر الى الاجراءات التي ستتخذها الدولة التي توجهه . ويعرف بانه « مشروط » (Qualified) ان كان يذكر نوع الاجراءات المنوي اتخاذها .

ويحدد البند الاول من الاتفاقية الثالثة التي صدق عليها مؤتمر لاهاي الثاني عام ١٩٠٧ ، تفاصيل الاجراءات الواجب اتباعها فيما يختص « بالانذار النهائي الذي يهدد باعلان الحرب » . الا ان اهمية هذه الاجراءات الفعلية قد تدنت كثيراً بعد إنشاء عصبة الامم ، وبعد اعلان ميثاق الامم المتحدة ، الذي حدّ من حق الدول الاعضاء في استخدام الحرب كوسيلة للسياسة الدولية . وقلت أهميتها أيضاً بسبب عدم تقيد الدول بها .

(٤) إنزال بحري

(انظر العمليات البرمائية)

(٤) الانزال الجوي

(انظر القوات المحمولة جواً) .

(٨) أنزيو (انزال)

(انظر شينغل)

(١) الانسحاب (أو التراجع)

عمل تقوم به قطعة مشتبكة مع العدو ، لقطع التماس معه ، والعودة إلى الخلف بانتظام بغية الاختفاء عنه مؤقتاً (في حالة حرب العصابات) أو بغية التمركز على موقع محدد مسبقاً من قبل القائد ومتابعة القتال (في حالة الحرب التقليدية) .

ولا يتم الانسحاب إلا بأوامر خطية . ويفضل أن يتم ليلا ، أو وسط الضباب ، أو في ظروف جوية سيئة . وفي حالة الاضطرار لانسحاب الانساق الأولى نهاراً ، وتحت أنظار العدو ، تتم تغطية المنسحبين بالدخان وبنيران اسلحة الدعم . ويؤدي الانسحاب دوره بشكل جيد اذا كان الموقع الخلفي مستطلعاً ومعداً بشكل مسبق . وهو يحقق أفضل النتائج اذا كان هذا الموقع الخلفي محتلا جزئياً ببعض القوات الصديقة .

يتم الانسحاب عادة وفق مسلك محدد . ويستخدم القائمون به كل أساليب الخداع لعدم لفت أنظار العدو والتعرض للمطاردة . وهو يشكل مرحلة من مراحل الكمين والاغارة ، وجزءاً من المناورة التراجعية ، واسلوباً من اساليب القتال التأخيري .

ويبدأ الانسحاب عندما يختل ميزان القوى بشكل ملحوظ. ومن الطبيعي أن يستمر حتى اللحظة التي يرى القائد فيها أن الانسحاب قد حقق توازن القوى من جديد، سواء تم هذا التوازن نتيجة لدعم قوى طازجة، أو حماية أرض شديدة الوعورة، أو تبعثر قوات المهاجم وإصابتها بالاجهاد خلال المطاردة. وتؤثر كمية الخسائر المادية والمعنوية التي تصيب المنسحبين وطبيعة الخصم على الزمن اللازم لتحقيق التوازن. وهناك حالات حصل فيها هذا التوازن بعد أن أعاد المنسحبون تشكيل قواتهم، دون تدخل عامل خارجي، ويرجع السبب في مثل هذه الحالات إلى ضعف القوة المعنوية للخصم، أو عدم تفوقه بشكل حاسم.

ولا يؤدي الانسحاب دوره إلا إذا تم على وثبات، وبوتيرة معقولة ونظام كامل، مع تسديد الضربات للمطاردين بشكل يجعلهم يدفعون ثمن كل شبر يتقدمونه. وسرعة الانسحاب أمر ضروري شريطة أن لا تؤدي إلى تفكك وحدة القطعة ولا تفقدها قدرتها على القتال. واذا زادت سرعة الانسحاب عن الحد المقبول وتفككت وحدة القطعة، تعرضت هذه القطعة لخسائر إضافية، وفقدت الكثير من الأعتدة والرجال (وخاصة الجرحى والمعدات البطيئة والاعتدة الثقيلة)، وانقلب الانسحاب إلى فرار. ويفضل انسحاب القطعة بشكل مجمع، ولكن هناك حالات يتم فيها الانسحاب بعد تجزئة القوات إلى مفارز منعزلة تتحرك على محاور متباعدة ثم تلتقي بعد ذلك في نقطة الازدلاف Point de ralliement، ويطبق هذا الاسلوب في حرب العصابات بشكل دائم تقريباً، كما يطبق في الحرب التقليدية إذا تعددت محاور الانسحاب الممكنة، وكان التفوق الجوي المعادي كبيراً، وكانت طبيعة الأرض والقدرة الحركية للقطعات المنسحبة تسمحان للأرتال المنسحبة بالتجمع بسرعة عند اللزوم لدخول المعركة بكتلة واحدة.

يغطي القائد جوانب انسحاب كبد قواته بمجنبات متحركة نحو الخلف، كما يغطي مؤخرته بقوات مؤخرة قوية تضم أحسن القطعات وأشجعها وأصلبها وأفضلها قيادة وقدرة على الحركة. ويمكن لهذه المؤخرة أن تؤخر العدو، وتمنح كبد القوات المنسحبة الزمن اللازم لالتقاط أنفاسه، والتمركز على المواقع الخلفية الجديدة، اذا عملت بجرأة وإقدام، وأحسنت استخدام الأرض، وخربت طرق المواصلات، ونصبت الكمائن، وسددت بعض الضربات القوية لطلائع المتقدمين ومجنباتهم، وشنت عدداً من المعارك الصغيرة المتعاقبة، مستخدمة في ذلك وسائطها الخاصة، أو وسائطها الخاصة المدعومة بنيران الطيران وجزء من مدفعية القوات المنسحبة.

يعتبر الانسحاب من أصعب الأعمال القتالية واكثرها تعقيداً، ويتطلب القيام به قيادة حازمة، وتخطيطاً دقيقاً، وقوات تتمتع بانضباط حديدي ومعنويات عالية وثقة مطلقة بالنصر. وتزداد صعوبات الانسحاب اذا تم بعد هزيمة ساحقة تعرض فيها المنسحبون لخسائر كبيرة (معركة يينا، معركة واترلو، معركة بئر السبع في الحرب العالمية الأولى، حرب ١٩٦٧). وتصل هذه الصعوبات إلى ذروتها اذا كانت ارض الانسحاب مكشوفة، وكان الطيران المعادي مسيطراً على سماء مسرح العمليات (حرب ١٩٦٧ على الجبهة المصرية).

(١) الأنصار

(منظمة من منظمات المقاومة الفلسطينية — انظر المقاومة الفلسطينية).

(١) أنصار

لقب أطلقه المسلمون الأوائل على أهل المدينة وخاصة الأوس والخزرج الذين أسلموا ونصروا النبي واستقبلوه مع من هاجر معه من مكة إلى المدينة. ولقد أطلق هذا اللقب أيضاً على اتباع الزعيم السوداني عبد الرحمن المهدي، ولم يكون أنصار المهدي حزباً بل جماعة ذات زعامة دينية. ومن غالبية الانصار تشكل حزب الأمة السوداني.

ويطلق اسم الانصار (تجاوزاً) على مجموع المواطنين المحليين الذين يجندهم الجيش النظامي لمساعدته، وينظمهم داخل وحدات خفيفة نظامية او شبه نظامية.

وهناك حالات يكون فيها هؤلاء الانصار منظمين من قبل الجيش الوطني (بمعنى جيش من سكان البلاد) كانصار الذين نظمهم الجيش اللبناني في مناطق الحدود الجنوبية في مطلع السبعينات ودربهم وسلحهم لحماية القرى الحدودية. كما ان هناك حالات يكون فيها الانصار (من السكان المحليين) منظمين من قبل جيش الاحتلال الاجنبي لمساعدته، كوحدات الانصار التي شكلها ليوتي في المغرب، ووحدات الانصار التي شكلها البريطانيون في ماليزيا والالمان في اوكرانيا والفرنسيون في الهند الصينية، وتدخل وحدات الانصار في هذه الحالة في إطار العصابات المضادة (انظر العصابات المضادة).

ويستخدم في التعابير العسكرية الحديثة تعبير الانصار (جمع نصير) للدلالة على المواطنين (عسكريين أم مدنيين)، الذين يرفضون الخضوع للعدو الذي احتل أراضيهم، ويحملون السلاح ضده، ويشنون عليه حرب عصابات تضرب مؤخراته في الوقت الذي به يكون مشتبكاً مع قوات نظامية وطنية أو حليفة.

ولقد عرف العالم عصابات الانصار في الحرب الاهلية الاميركية، وخلال الحرب الاسبانية ضد قوات نابليون بونابرت (١٨٠٨ — ١٨١٤)، كما عرفها في روسيا القيصرية عام ١٨١٢ عندما شنت هذه العصابات حرباً ضارية ضد الجيش الفرنسي الكبير المتراجع عن موسكو. وشهدت الأرض العربية خلال الحرب العالمية الأولى ولادة حركة أنصار عملت ضد مؤخرات العثمانيين المشتبكة مع القوات البريطانية المتقدمة عبر فلسطين. وفي الفترة ما بين الحربين العالميتين شن الصينيون والكوريون حرب انصار طويلة الأمد ضد اليابانيين. وعندما اجتاحت الجيوش النازية أوروبا، وحطمت قسماً كبيراً من الجيوش الأوروبية النظامية، تشكلت في الاتحاد السوفياتي ويوغوسلافيا وبولونيا واليونان والبانيا وعدد من البلدان الأوروبية الأخرى، حركات انصار قوية عملت على مؤخرات النازيين واجبرتهم على فتح جبهة ثانية، رغم انشغالهم بمقاتلة قوات الحلفاء النظامية على الجبهتين الشرقية والغربية. كما تشكلت في الصين وبورما والفيليبين حركات أنصار لضرب مؤخرات اليابانيين المشتبكين مع جيوش الحلفاء.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بعدة سنوات اندلعت حرب التحرير الوطنية الكورية (١٩٥٠ — ١٩٥٣). ولقد عمل الأنصار الكوريون الجنوبيون على مؤخرات جيش كوريا الجنوبية عندما كان الجيش الشعبي الكوري يتقدم لتحرير الجنوب من سينغمان ري وتوحيد البلاد، كما عملوا على مؤخرات القوات الاميركية وجيش كوريا الجنوبية بعد التدخل الاميركي واجتياح كوريا الجنوبية واحتلال جزء من أراضي كوريا الشمالية (ج. ك. د. ش)، وانضم اليهم خلال هذا القتال عناصر من الجيش الشعبي الكوري التجأت الى الجبال وبقيت فيها طوال الحرب.

ومن هنا نرى أن حرب الأنصار هي حرب القوات غير النظامية على مؤخرة العدو المشتبك مع القوات النظامية. الأمر الذي يجعل دورها الأساسي نقل القتال إلى مؤخرة العدو، واجباره على الشعور بأن المنطقة التي احتلها غير آمنة، وأن تأمينها



نصيران سوڤياتيان يعملان وراء خطوط الالمان

الكولخوزيون السوڤيات المسلحون دعامة الأنصار

يتطلب اقتطاع جزء من القوات التي يحتاجها على الجبهة الأمامية ، واستخدامها لمجابهة الأنصار وتأمين المؤخرات . الأمر الذي يمنعه من تطبيق مبدأي الحشد واقتصاد القوى .

وما عملية الأنصار بجوهرها سوى عمليات تشتيتية يستخدم الأنصار خلالها تكتيك حرب العصابات أو تكتيك الحرب السرية، مع الإفادة من الروح المعنوية العالية ، والمناطق الصعبة (غابات، جبال، مستنقعات) ، وتعاون السكان، ومعرفة الأرض.

وتولد عصابات الأنصار عادة بشكل عفوي ودون إعداد مسبق . ويقودها زعماء محليون عسكريون أو مدنيون يتمتعون بالجرأة والتصميم وقوة الشخصية ، ويضمون إليهم بالرضى أو بالعنف مجموعات الانصار التي تتشكل في منطقة عملهم . ويكون الدافع لنشوء حركات الأنصار التذمر والوطنية . وهناك حالات اجتمع فيها عاملا التذمر والوطنية معاً (الصين ، يوغوسلافيا) .

وبعد تطور عصابات الأنصار وتزايد نشاطها تبدأ القوات النظامية المشتبكة مع العدو بتعزيزها بالضباط ، والمدربين ، والاطباء ، وخبراء النسف والتخريب ، وعمال الاتصال اللاسلكي ، وترسل إليها بمختلف الوسائل البرية والبحرية والجوية الممكنة ، الاسلحة والذخائر واجهزة الاتصال والأدوية ، وتتحول عصابات الأنصار بالتدريج إلى قوات شبه نظامية (سرايا وكتائب وألوية وفرق أحياناً) تزداد فاعليتها مع تزايد مدة صمود الجيش النظامي وفاعليته .

ومن المؤكد أن عمليات الأنصار تصل إلى أفضل النتائج اذا ما تم التنسيق بين قادة الأنصار وهيئات أركان القوات الصديقة العاملة على الطرف الآخر من الجبهة . ولقد أمن الأنصار الاسبان في عام ١٨١٣ — ١٨١٤ هذا الشرط عندما نسقوا نشاطهم مع حملة ويلنغتون البريطانية . كما أمنه الانصار الأوروبيون الذين نسقوا نشاطهم خلال الحرب العالمية الثانية مع هيئات أركان الحلفاء قبل إنزال النورماندي وبعده ، وامنته قوات الثورة الفلسطينية خلال حرب ١٩٧٣ . بيد أن المثال السوفياتي في الحرب العالمية الثانية هو أفضل مثال للتنسيق بين الأنصار وهيئات الاركان النظامية .

فلقد وضعت أركان عصابات الأنصار في عام ١٩٤١ تحت قيادة الجنرال فوروشيلوف . وكانت مستقلة عن الجيش الأحمر وعن مفوضية الشعب للشؤون الداخلية (وزارة الداخلية) ، ولكنها تخضع لمراقبة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي . وفي عام ١٩٤٣ استبدل فوروشيلوف بأحد قادة الحزب (بونوماريكو) وصار الأنصار يعملون بتعاون وثيق مع الجيش الأحمر ، وخاصة بعد أن ألحق بكل نسق من انساق الأنصار ضباط استطلاع واجهزة اتصال لاسلكية بعيدة المدى ، وصار تخطيط عمليات الأنصار الكبيرة يستهدف مساعدة الجيش ، وخلق الظروف الملائمة لانتصاره .

ومن الملاحظ أن الأنصار اليوغوسلافيين بقيادة المارشال تيتو وميخائيلوفيتش لم يقاتلوا في ظروف مماثلة للانصار السوفييت ، إذ لم تكن القوات المسلحة اليوغوسلافية النظامية مشتبكة مع النازيين ، بل كانت إلى جانبهم . وكان على الأنصار أن يقاتلوا النازيين والقوات الحكومية بآن واحد . ولم يؤمن الأنصار اليوغوسلافيون الاتصال مع قوات الحلفاء ولم يتلقوا الدعم منها إلا في مراحل متأخرة .

ومع هذا فان عمليات تيتو وميخائيلوفيتش كانت تدخل في إطار حرب الأنصار ، لأن العدو المحتل كان مشتبكاً مع جيوش الحلفاء في مسارح عمليات أخرى ، وكان نشاط الأنصار اليوغوسلافيين يساعد الحلفاء على المستوى الاستراتيجي، ولو بشكل غير مباشر ، نظراً لوقوع يوغوسلافيا على خطوط إمداد القوات الألمانية العاملة في الجبهة الشرقية .

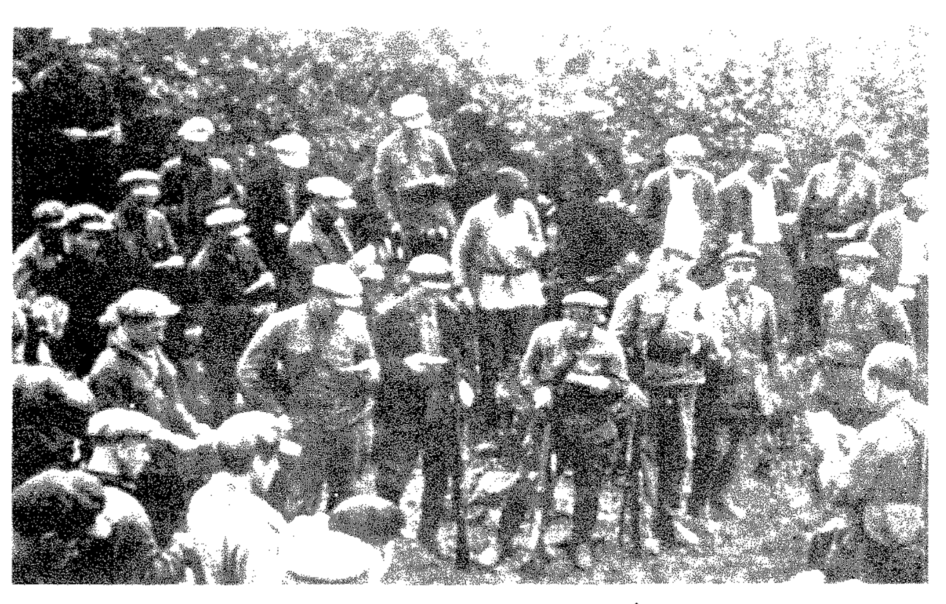
ويختلف بنيان حركة الأنصار باختلاف الوضع السياسي السائد في البلاد ، ومستوى نضالية الاحزاب السياسية وثوريتها . ويظهر في هذا المجال ثلاث حالات رئيسية : وتتميز الحالة الأولى بأن السياسيين يقودون النضال ، وهذه هي الحالة الاعتيادية في حركات الأنصار الشيوعية (أنصار تيتو في يوغوسلافيا ، الاتحاد السوفياتي ، اليونان ، ماليزيا خلال الحرب العالمية الثانية) . وتتميز الحالة الثانية باستقلال المجال السياسي عن المجال العسكري (ايطاليا خلال الحرب العالمية الثانية) . ويكون للعمل السياسي في هذه الحالة قيادة مختلفة عن قيادة العمل العسكري . أما الحالة الثالثة ، فتتميز بسيطرة العناصر العسكرية على قيادة حركة الأنصار (انصار ميخائيلوفيتش في يوغوسلافيا) .

ويتم تطويع الأنصار بمختلف الوسائل الممكنة، وخاصة من قبل المقاتلين أنفسهم ، كما يتم التطويع عن طريق التنظيمات السياسية والشعبية المرتبطة بالأنصار ، أو عن طريق مندوبين يجوبون القرى بحثاً عن المتطوعين ، مع الافادة ما أمكن من الاسرى الهاربين ، ووحدات الجيش المبعثرة التي لم تستطع الانسحاب والالتحاق بقطعاتها الاساسية ، وبقيت معزولة وراء خطوط العدو .

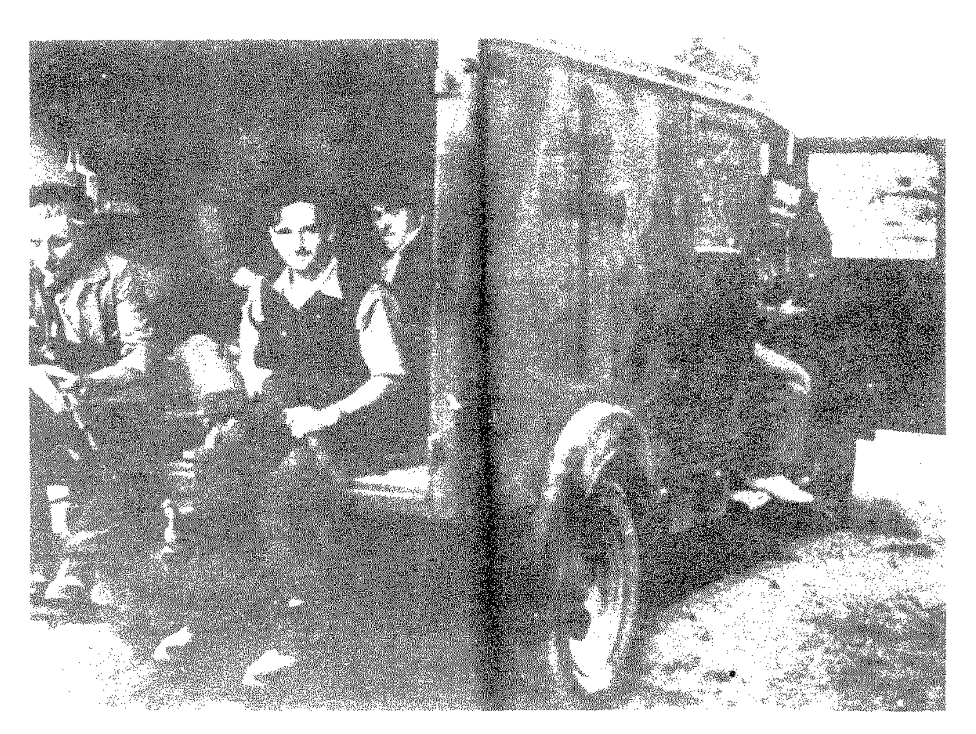
تؤمن حركة الأنصار تموينها ذاتياً من المناطق التي تعمل فيها ، وهي تحصل على سلاحها وذخائرها من الغنائم أو بواسطة الصناعات المحلية البدائية . كما يمكن في حالات كثيرة الحصول على الامداد والتموين من الخارج . فلقد زود البريطانيون أنصار البلدان الأوروبية الخاضعة للاحتلال البريطاني بمعظم حاجاتهم من المؤن والذخائر والاعتدة ، وذلك عن طريق هيئة العمليات الخاصة البريطانية (B.S.O.E.)، ثم أخذ الاميركيون هذه المهمة على عاتقهم ، وكلفوا بها مكتب الخدمات الاستراتيجية الاميركية (A.O.S.S.) . وكانت القيادة العامة السوفياتية ومراكز الحزب ومندوبو الأنصار يشاركون في عمليات التموين إلى حد ما . ومن الواضح أن وجود جهاز خاص للتموين الذاتي أمر يتمتع بأهمية بالغة عندما يحاول العدو قطع الامدادات عن مناطق عمل الأنصار ، أو عندما يعمل الأنصار بعيداً عن المناطق الزراعية والآهلة بالسكان . واخطر ما في مسألة التموين الخارجي هو ارتباط حركة الأنصار به ، واضطرارها للدفاع عن خط المواصلات مع الخارج ، والدخول في معركة تقليدية رغم عدم استعدادها تسليحياً وتدريبياً وقيادياً لهذا النوع من القتال .

تكون وحدات الأنصار عند بداية تشكيلها عبارة عن عصابات صغيرة غير نظامية . فاذا توفر لها الزمن والمساعدات الملائمة تحولت إلى قوات شبه نظامية ، وخلقت قواعد قوية على شكل مناطق محررة (انظر المناطق المحررة) ، وفرضت سلطتها وادارتها داخل هذه المناطق . ولكن المناطق المحررة تغدو عبئاً عن الأنصار ، اذا ما اضطروا للدفاع عنها تحت تأثير سبب من الاسباب . ولقد كان الانصار السوفييت يخلقون مناطقهم المحررة داخل الغابات وفي مناطق المستنقعات التي يصعب على العدو دخولها ، وكان تيتو يتخلى عن القواعد عندما يرى ذلك ضرورياً . وكانت قسوة عمليات القمع الالمانية ضد الأهالي ترفع حدة العداء الجماهيري للمحتلين ، وتساعده على إيجاد الدعم والعون في المناطق الأخرى . ولم يكن تيتو يرتبط بالقاعدة أبداً ، وخاصة خلال صراعه ضد ميخائيلوفيتش ، على حين كان الأنصار الشيوعيون في اليونان مضطرين إلى الحفاظ على بعض المناطق المحررة ، الأمر الذي عرضهم لأفدح الخسائر .

تمارس جماعات الأنصار عملها وفق أساليب وتكتيكات حرب العصابات ، ولكن مهمتها الاستراتيجية العامة تختلف باختلاف قوتها ، وموقع نشاطها بالنسبة لمسرح الحرب ، وقربها أو بعدها



أنصار سوفيات يؤدون القسم في الغابات



أنصار فرنسيون يقومون بدورية في النورماندي

عن جبهات القتال . وتتراوح هذه المهمة بين عمليات التخريب (سابوتاج) ، وعمليات قطع طرق المواصلات ، وعمليات إزعاج المؤخرات ومقرات القيادة وأرتال التموين وتحركات الاحتياطات بالاغارات والكمائن ، وعمليات عسكرية مختلفة في منطقة ما للفت أنظار العدو إلى محور ثانوي أو منطقة هامشية قبل قيام القوات النظامية بشن هجوم قوي على محور آخر . واحتلال مناطق معينة حساسة وممرات اجبارية لعرقلة انسحاب العدو ، ولتستخدمها القوات النظامية في مطاردة العدو بعد نجاح الهجوم النظامي . ولكن هناك مهمة أساسية تشترك فيها كل حركات الأنصار ، مهما كان حجمها ووضعها وموقع بلادها ، وتتمثل

هذه المهمة في جمع أكبر كمية من المعلومات، وارسالها إلى القوات الصديقة النظامية، وممارسة أعمال التخريب السرية بصورة مستمرة.

ان دراسة تاريخ الأنصار تؤكد أن لهم دوراً في هزيمة العدو المحتل، ولقد تضافرت عدة ظروف في الحرب العالمية الثانية (صمود القوات النظامية، سعة مسرح العمليات، الوعي القومي، العسف النازي، تدابير التهجير والعمل الاجباري، ارتفاع مستوى المؤسسات الحزبية والتنظيمات الشعبية، تبعثر القوات المهزومة مع أسلحتها وذخائرها وراء خطوط العدو، ارتفاع مستوى الاتصالات اللاسلكية والنقل الجوي .. الخ) فأدت إلى تزايد أهمية حركات الأنصار، وارتفاع مستوى دورها في إلحاق الهزيمة بالمحور. فلقد جمد الأنصار اليوغوسلافيون، وعددهم ٢٠٠ – ٢٥٠ ألف رجل، حوالي ١٨٠ – ٢٠٠ ألف جندي ألماني وبلغاري وصربي وكرواتي، من أصل ٣٦٠ ألف جندي معادي متمركزين في يوغوسلافيا. واستطاع الأنصار السوفيات، منذ صيف عام ١٩٤٢، مشاغلة وتثبيت حوالي ١٠٪ من مجموع القوات البرية النازية الموجودة على الجبهة الشرقية، والحقوا بها خسائر فادحة. وقام الأنصار في مختلف البلدان الأوروبية بآلاف العمليات. وكان قسم من هذه العمليات ذا فاعلية اكيدة، كقطع الاتصالات الالمانية من قبل رجال المقاومة الفرنسيين عند الانزال في النورماندي، وقيام الأنصار اليونانيين في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٢ بتدمير جسر هام من جسور السكك الحديدية الحيوية، وتحرير ميدان أنفرس على يد الأنصار البلجيكيين في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٤، واستسلام حامية جنوة تحت ضربات الأنصار الايطاليين في نيسان (ابريل) ١٩٤٥، بالاضافة إلى نقل المعلومات إلى الحلفاء بشكل مستمر، وتجميد قوات معادية تعادل قوة الأنصار، وخلق حالة من انعدام الأمن على مؤخرات العدو وطرق مواصلاته.

(١٥) أنصار السلم

عرف العالم منذ بداية القرن التاسع عشر عدداً من الحركات الداعية الى السلام ونبذ الحروب. وكان أقدم هذه الحركات «جمعيات السلم» في الولايات المتحدة الأميركية (١٨١٤)، وفي بريطانيا (١٨١٦) التي كانت تدافع عن «قضية الشعوب» ضد «الفعاليات العسكرية للحكومات»، غير أن طبيعة تشكيل هذه الجمعيات وطريقة حوارها البيزنطي لم يسمحا لها بأن تكون ذات طابع دولي. ويمكن القول أن أول الحركات العالمية الداعية الى السلم كانت «المؤتمر العالمي الأول للدفاع عن السلم» الذي انعقد في لندن في العام ١٨٤٣، وحضره ٢٣٧ مندوباً منهم ٢٠٤ ممثلين من الجنسية البريطانية، و ٢٧ اميركياً، و ٦ من الأوروبيين، ثم انعقد «المؤتمر الثاني للسلام» في بروكسل في العام ١٨٤٨، وضم عدداً أكبر من الممثلين، ثم «مؤتمر باريس للسلام»، بعد عام واحد من المؤتمر الأخير.

ولقد كسبت الحركات السلمية في القرن التاسع عشر إلى جانبها عدداً من الشخصيات الأوروبية والأميركية البارزة بينها المفكرون والكتاب ورجال السياسة والحقوقيون والاقتصاديون: فقد رأس مؤتمر باريس للسلام المنعقد في العام ١٨٤٩ الكاتب الكبير فيكتور هوغو الذي شكل بعد خمسة عشر عاماً من ذلك التاريخ «الرابطة العالمية للسلام والحرية» بالاشتراك مع زميله الفرنسي شارل لومونييه ومع محرر ايطاليا غيوسيب غاريبالدي. وفي اواخر القرن التاسع عشر تشكلت جماعة البرلمانيين الدوليين المسماة «الاتحاد الدولي البرلماني للتحكيم» وعقدت أول اجتماعاتها في باريس (١٨٨٩)، واعتبرت نفسها ممثلة للشعوب لا للحكومات، وبالتالي فإنها أكثر حرصاً على السلام، لأن الحكومات وحدها هي المستفيدة من الصراعات الدولية. وعرضت هذه الجماعة خدماتها على الدول لحل خلافاتها الدولية عن طريق التحكيم. وكانت تنادي بتخفيض التسلح في العالم باعتبار أنه لا يقل في أهميته عن موضوع حل الخلافات الدولية بالطرق السلمية.

ويعتبر مؤتمرا لاهاي الشهيران في ١٨٩٩ و ١٩٠٧، على صعيد القانون الدولي، نتيجة لحركات السلم العالمية في القرن التاسع عشر (انظر نزع السلاح، وتحديد التسلح). وفي الواقع بحث ممثلو ٢٦ دولة في المؤتمر الأول (١٨٩٩) مسألة تخفيض التسلح كسبيل من سبل منع الحرب، كما أعيد بحث هذا الموضوع في المؤتمر الثاني المنعقد في العام ١٩٠٧، والذي ضم عدداً أكبر من الدول المشتركة، ولكن موضوع تحديد التسلح لم يحظ في كلا المؤتمرين باتفاق دولي، في حين تم الاتفاق على عدد كبير من قضايا القانون الدولي التي تساهم مساهمة كبيرة في حل المشكلات الدولية، وتؤدي بالتالي إلى الاقلال من فرص اللجوء الى استخدام القوة في حل الخلافات بين الدول.

وفي العام ١٩٠٨ عقد مؤتمر دولي – وعلى مستوى الحكومات هذه المرة – في مدينة بروكسل. وبحث المؤتمرون موضوع التجارة الخاصة للأسلحة الحربية باعتبار أنها تهدد السلام في العالم، وتقرر فرض بعض القيود على هذه التجارة، إلا أن المؤتمرين لم يصلوا إلى نتائج حاسمة في قضية منع الحرب. وتأكد بذلك رأي أنصار السلام الذين كانوا يعتقدون دائماً بأن كل المحاولات التي تبذلها الحكومات لمنع الحروب ستبوء بالفشل لأنها واقعة تحت تأثير الشركات الخاصة لتجارة السلاح.

واستمر «السلميون»، الذين كانوا يفضلون التوجه الى الشعوب نفسها والى ضمير جميع البشر، في جهودهم الداعية الى السلام. وكانت الدعاية والاعلام سبيلهم الوحيد في تلك الفترة على صعيد الرأي العام الداخلي والعالمي. فأنشأوا «المكتب الدولي للسلام» في مدينة برن بسويسرا، ثم «المعهد الدولي للسلام» في موناكو ثم في باريس. واشترك في حركة السلميين هذه عدد كبير من مفكري أوربا، فبالاضافة الى الأسماء التي سبق ذكرها اشترك كل من «وليام ستيد» الانكليزي و «بول دستورنيل دو كونستان»، و «فريدريك باسي» الفرنسيين وكلاهما حائزان على جائزة نوبل للسلام، و «شارل ريشيه» استاذ الحقوق الفرنسي، و «غاستون موك» الفرنسي مؤلف الكتاب الذي يحمل عنوان «ماذا يكلف السلام المسلح وكيف يمكن انهاؤه» المطبوع في العام ١٩٠٦، والبارونة النمساوية «مارتا فون سوتنر» التي كتبت رواية بعنوان «ليسقط السلاح»، والجنرال الهنغاري «تور»، والسويدي «برانتينغ»، والنرويجي «لانغ»، والايطالي «مونيتا» ... وغيرهم.

وفي الفترة التي امتدت قرابة عشرين عاماً بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، دخل جماعة السلام، من مفكرين ورجال سياسة وقادة أحزاب عمالية وشخصيات متعددة من طبقات اجتماعية مختلفة، في حرب ضروس مع «تجار المدافع» حسب التسمية التي أطلقها في فرنسا الاشتراكي الفرنسي «بول فور» والتي كرست الكراهية العمالية والاشتراكية للحرب. وفي هذه الفترة غيرت حركة السلم من تشكيلاتها ومن أسلوبها في العمل، كما ان اشتراك العمال والطلاب فيها جعلها أكثر قرباً من الجماهير. وكانت الحركات العمالية في أوروبا كلها، منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى، على اتصال دائم بحركات السلم نظراً للشعور السائد في ذلك الحين بأن العمال الأوروبيين قد صنعوا بأيديهم الأسلحة التي وجهت الى صدورهم وصدور أسرهم

ومواطنيهم. وكان تجار الحروب هم وحدهم الذين أفادوا من ثمرة الجهود التي بذلها العمال. والتقت حركات السلم في هذه الفترة بالحركات الاشتراكية الأوروبية وبالتنظيمات الشيوعية. ففي «المؤتمر الاشتراكي العالمي» (١٩٢٥) كان موضوع «نزع السلاح» في مقدمة جدول أعمال المؤتمرين. ويبدو أن كلمة «نزع السلاح» استخدمت لأول مرة من قبل الاشتراكي الانكليزي هندرسون في مؤتمر مارسيليا الاشتراكي.

وفي نيسان (ابريل) ١٩٢٦، قرر المكتب التنفيذي «للمؤتمر الاشتراكي العالمي» تشكيل لجنة خاصة لبحث موضوع نزع السلاح على الشكل الذي كان مطروحاً به على عصبة الأمم. وخلال الاجتماع الذي عقدته اللجنة المذكورة بتاريخ ٢٧ آب (اغسطس) ١٩٢٧ في زيوريخ بسويسرا، جرت دراسة موضوع نزع السلاح لدى الدول المنتصرة والدول المهزومة في الحرب العالمية الأولى، كما جرت دراسة إنشاء رقابة ديموقراطية عالمية على مسألة تسلح الدول ريثما يتم النزع الكامل. ومن جهة أخرى، قدم المكتب التنفيذي «للمؤتمر الاشتراكي العالمي» المعقود في مدينة بروكسل (١٩٢٨) مذكرة تتضمن خطة العمل المقبلة وواجب الأحزاب الاشتراكية في العالم. ولقد تضمنت هذه المذكرة عدة نقاط اهمها: أ – مطالبة الحكومات باصدار تشريعات لمنع التعبئة العامة، ب – تخفيض عدد الجيوش النظامية العاملة، ج – تخفيض مدة الخدمة العسكرية الالزامية، د – منع الحرب الجرثومية، هـ – تخفيض الأسلحة الثقيلة والأساطيل البحرية، و – انشاء رقابة وطنية ورقابة دولية على صناعة الأسلحة.

ثم قام «المؤتمر العالمي الاشتراكي» بالاتفاق مع «المؤتمر النقابي العالمي» بعقد «اللجنة العامة لنزع السلاح» في ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٣١ في بروكسل، و ٢١ حزيران (يونيو) ١٩٣١ في جنيف، ووضعت اللجنة برنامجاً كاملا لنزع السلاح تضمن النقاط السابقة، وأضافت إليه المطالبة بمنع تشكيل قوات جوية لدى الدول.

ويبدو أن هذا العمل الدائب الذي بذلته المؤتمرات الاشتراكية والنقابية والحركات السلمية الأخرى دفع بعض الحكومات الأوروبية (كحكومة العمال البريطانية التي كانت تعتبر في ذلك الحين حكومة تقدمية، وكحكومة الجبهة الشعبية ذات الاتجاه الاشتراكي في فرنسا، وحكومتي الأغلبية الاشتراكية في كل من السويد والدانمارك) الى إعادة النظر في سياسة التسلح، والى تحقيق عدد من النقاط التي تضمنها البرنامج الاشتراكي الذي وضعته «اللجنة العامة لمنع التسلح». ويمكن اعتبار تأميم بعض صناعات السلاح في فرنسا (١٩٣٦) ولا سيما مصانع الطائرات، وكذلك الاتفاق الفرنسي – الانكليزي حول تخفيض اسطولي البلدين في العام نفسه، بمثابة صدى لمطالبات الحركات السلمية والمؤتمرات الاشتراكية – النقابية، غير أن اقتراب الحرب العالمية الثانية، وتزايد خطر النازية والفاشية في ألمانيا وايطاليا، أديا في نهاية الفترة المذكورة الى منع الوصول الى الأهداف التي ظلت تطالب بها حركات السلم والمؤتمرات الاشتراكية النقابية طيلة عشرين عاماً. ولم يعد «المؤتمر الاشتراكي العالمي» يجتمع منذ ذلك الحين وحتى اليوم (١٩٧٥).

(١) الانضباط

يسمى في مصر الضبط والربط، وفي العراق الضبط.

وهو خضوع العسكريين لتعليمات وأوامر السلطة العليا في سبيل تحقيق غاية جماعية تسعى القوات المسلحة إلى بلوغها. ويؤدي الانضباط إلى توجيه الجهد وتركيز العمل وتلاحم القطعة بشكل يجعلها قادرة على تنفيذ مهمتها بنجاح في ظروف القتال الصعبة. وتشعر القطعة العسكرية المنضبطة عادة بقوة معنوية كبيرة لأن كل فرد من أفرادها يحس بوحدة الهدف، ووحدة العمل وفق ارادة واحدة تعمل ما في وسعها للوصول إلى هدف مشترك.

والانضباط ضروري لتلاحم القطعة، كما أنه ضروري لاعطاء القائد حرية العمل الضرورية لتحقيق الهدف. وهو عامل مهم في السلم والحرب، ولكن أهميته في الحرب أكبر بكثير من أهميته في زمن السلم، وكلما ازداد تعقيد الموقف وتزايدت صعوباته ومخاطره كلما زادت أهمية الانضباط وحيويته. والانضباط مهم في الهجوم والدفاع، ولكن أهميته أكبر بكثير في حالة الانسحاب تحت ضغط العدو، أو في حالة ادارة معركة قاسية لا تلوح في أفقها علائم النصر. ويعتبر الفشل المحك الحقيقي لانضباط الافراد والقطعات، لأن الحفاظ على تلاحم القطعة والتماسك الداخلي للأفراد، رغم الفشل وفي جو الهزيمة، أصعب بكثير من الحفاظ عليهما في حالة النصر. والجيوش المنتصرة انضباطية في أغلب الأحيان، أما الجيوش المهزومة الانضباطية فنادرة.

ويعتمد الانضباط على عدة روافع: كالشرف المسلكي، وروح القطعة، والايمان بالواجب، والدفع الناجم عن العمل الجماعي، والضوابط الرادعة، وسلطة القائد وهيبته. ولكن أهم روافع الانضباط تتمثل في الثقة بعدالة القضية والايمان بنزاهة القائد وتجرده وقدرته على العمل لتحقيق الهدف العادل.

وتعرف الجيوش نوعين من الانضباط: الانضباط الفوقي القسري، والانضباط الطوعي. ويختلط هذان النوعان لدى الفرد والقطعة، وكلما ازداد الوعي والايمان بعدالة الصراع ازدادت نسبة الانضباط الطوعي النابع من القناعة الذاتية. وكلما قلت عدالة الصراع أو انخفض وعي الافراد بهذه العدالة ازدادت ضرورة فرض الانضباط الفوقي. ولذا فان نسبة الانضباط الفوقي في جيوش المستعمرات وفي الجيوش البورجوازية اكبر من نسبته في الجيوش الشعبية التي تضيف إلى الروافع المذكورة آنفاً رافعة هامة هي الوعي السياسي والثقة المتبادلة المنبثقة عن وحدة الطبقة بالنسبة لكل المراتب ووحدة اهداف هذه المراتب. ولقد وعت بعض الجيوش البورجوازية هذه الحقيقة، وتوصلت إلى رفع نسبة الانضباط الطوعي بفضل عقيدة ديناميكية (الصهيونية، النازية.. الخ) قادرة على حجب المصالح الطبقية للحرب، واقناع كافة المراتب بوحدة الهدف.

ومن أهم قواعد الانضباط في الجيوش البورجوازية، الطاعة التامة في كل الظروف، وتنفيذ الأوامر بلا تذمر، وتحمل السلطة لتبعة الأوامر الصادرة عنها، وعدم السماح للمرؤوس بالتذمر أو التردد في تنفيذ الأمر إلا بعد تنفيذه، شريطة أن يستهدف الأمر خدمة المصلحة العامة، سواء كان ذلك في التدريب أم في القتال، وأن لا يكون في الأمر أي تجاوز للصلاحيات المحددة في الأنظمة، وضرورة تحلي القائد بالعقلانية والصرامة المشوبة بالروح الأبوية.

ويحاول المنظرون العسكريون البورجوازيون تخفيف حدة هذه القواعد وفوقيتها بالتحدث عن ضرورة التعبئة النفسية اللازمة لخلق القناعات لدى المنفذين قبل إصدار الأوامر، وضرورة استخدام المنفذين لبداهتهم وأفكارهم لتحقيق التنفيذ الواعي للأوامر.

ويقول فوش في كتابه «مبادئ الحرب»: «أن يكون المرء انضباطياً لا يعني أن يصمت، وأن يحجم عن العمل، وأن لا يعمل إلا ما يعتقد أن بوسعه أن يعمله دون أن يورط نفسه. أنه لا يعني ابداً تحاشي تحمل المسؤوليات، ولكنه يعني العمل ضمن روح الأوامر المتلقاة. وان يجد في فكره من أجل ذلك... امكانية تنفيذ هذه الأوامر. وأن يجد في شخصيته القدرة على مواجهة الاخطار

الكامنة في هذا التنفيذ.. لذا فان الانضباط يعني قبل كل شيء نشاط الفكر وتشغيل الشخصية. إن الكسل الفكري يؤدي إلى عدم الانضباط كما يؤدي إلى عدم الطاعة.» وبالرغم من كل المحاولات فان الانضباط في الجيوش البورجوازية يبقى فوقياً، فيه قسط من تعطيل تفكير المنفذين، على حين أنه في الجيوش الشعبية طوعي مبني على الابداع، والانضباط الذاتي الداخلي، والمشاركة الجماعية في انضاج الأوامر، ضمن قواعد الديموقراطية العسكرية (انظر الديموقراطية العسكرية).

(١) الانضباط العسكري

تعبير يطلق في القوات المسلحة العراقية على الشرطة العسكرية (انظر الشرطة العسكرية).

(١) انضباط النيران (انضباط الرمي)

مجموعة التدابير المتخذة لضبط فتح وقطع نيران وحدة عسكرية بغية الحصول على الفاعلية القصوى من الرماية. ويحدد انضباط النيران إشارة بدء الرمي، وإشارة الاقلاع عنه، ومدى رمايات كل سلاح من الاسلحة، وغزارة النيران، وطبيعة الاهداف التي ينبغي ضربها بكل سلاح من الاسلحة. ويستهدف انضباط الرمي تأمين المفاجأة، وتحقيق الفاعلية بعدم الرمي إلا على المدى القتالي وعلى الهدف المناسب، وتوفير الذخائر، وهو ضروري في كل مراحل القتال، ولكن ضرورته تأخذ قيمة كبيرة في العمليات الليلية، وجميع العمليات التي تتطلب المفاجأة التامة عند البدء، والصمت الناري الكامل عند الانسحاب (الإغارة، الكمين). وتزداد أهمية التشديد على تطبيق قواعد انضباط الرمي اذا كانت القطعة حديثة العهد بالقتال، أو كانت معنوياتها منهارة، أو كان بين صفوفها عدد من الأغرار الذين يشتركون في القتال لأول مرة.

(١) الانفجار

يعد الانفجار احتراقاً سريعاً يحدث في غياب الأوكسجين الجوي، ويتميز بتولد حرارة عالية، ووميض، وصوت، وبانحلال سريع للمادة المتفجرة التي تتحول إلى كميات كبيرة من الغاز تنطلق بسرعة عالية مبتعدة عن نقطة الانفجار ومولدة موجة صدمة. وتتراوح سرعة امتداد الانفجار بين ٠,٣ و ٣٠٠ متر / ثانية. وتتوقف هذه السرعة إلى حد بعيد على درجة الحرارة والضغط المحيطين بمركز الانفجار.

واذا دققنا في ظاهرة الانفجار، وجدنا أنها عبارة عن عملية احتراق لسطح من سطوح الجسم المتفجر، ثم ينتقل الاحتراق نحو الداخل في طبقات متوازية، وبسرعة تتناسب مع الضغط. ولكن هذه السرعة لا تتجاوز عدة أمتار في الثانية حتى في حالة وقوع الانفجار تحت ضغط يعادل آلاف قيمة الضغط الجوي.

وينتقل الاحتراق من طبقة إلى طبقة بفعل الحرارة الناجمة عن الاحتراق. وتلعب الحرارة كذلك دوراً كبيراً في تسريع عملية الانفجار. وكلما زادت حرارة الحشوة قبل احتراقها، أصبح هذا الاحتراق بحاجة لحرارة أقل، وتم انتقال الاحتراق من طبقة إلى طبقة في وقت أقصر.

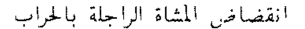
ويأخذ انفجار المتفجرات شكلين: الانفجار العادي déflagration والصعق detonation ويتم الصعق في مدة تعادل $\frac{١}{١٠٠٠} - \frac{١}{١٠٠٠٠}$ السرعة التي يتم فيها الانفجار العادي.

(٨) الأنفورماتيك

(انظر العقل الاليكتروني).

(١) انقضاض

هو القفزة الأخيرة على مواقع العدو في الهجوم. وتقوم به الوحدات الراكبة والراجلة. ولقد كانت القوة المشتركة بالانقضاض قبل ظهور الدبابة على مسرح العمليات في عام ١٩١٦ عبارة عن مشاة وخيالة، وكانت المشاة تستخدم خلال الانقضاض الاسلحة الخفيفة والقنابل اليدوية والحراب، وكانت الخيالة تستخدم السيوف والرماح. ومع استخدام الدبابة على نطاق واسع أصبح انقضاض المشاة الراجلة مع الدبابات الأسلوب المتبع في الحرب، وانضم إلى الوحدات المنقضة مفارز باصقات اللهب الخفيفة لتطهير المواقع ومجموعات قاذفات الصواريخ الخفيفة المضادة للدبابات، ثم تطور الانقضاض مع تطور الحرب الميكانيكية، وصار بوسع المشاة أن تنقض على مواقع العدو وهي راكبة داخل العربات المدرعة بمختلف انواعها (مجنزرة – نصف مجنزرة – ذات عجلات). وتستخدم المشاة في هذه الحالة الرشاش أو المدفع المضاد عديم الارتداد المحمول على العربة المدرعة أو على سيارة الجيب، كما تستخدم اسلحتها الفردية الرشاشة خلال الانقضاض حتى تصل إلى الهدف مباشرة، فتقفز من العربة المدرعة للقيام بالتطهير مستخدمة البنادق الرشاشة،


انقضاض المشاة الراجلة بالحراب



والرشيشات ، والقنابل اليدوية ، وباصقات اللهب . على حين تستخدم الدبابات خلال الانقضاض نيران مدافعها ورشاشاتها . وتكون تشكيلة وحدات المشاة الراجلة خلال الانقضاض على نسق بالنسبة إلى الوحدات الأمامية (حتى تتمكن من استخدام جميع اسلحتها) وبأرتال بالنسبة إلى الوحدات الخلفية والوحدات السائرة وراء الدبابات .

ويتم الانقضاض من **مسافة الانقضاض** . وهي المسافة التي لا تسمح لاسلحة الدعم والمعاونة بالرمي على خط العدو الأول ومساعدة المتقدمين دون أن يتعرض المنقضون لخطر نيرانها . واذا كان الهجوم يتم بمساعدة نيران الدعم (رشاشات ، مدفعية ، هاونات ، طيران) فان الانقضاض يتم دون هذا الدعم . وهو في جوهره حركة إلى الأمام مع النار والصدمة دون مناورة ، لأن مسافة الانقضاض وتزاحم القوات لا يسمحان بهذه المناورة .

ويطلق اسم **مدفع الانقضاض** canon d'assaut على قانصة الدبابات (انظر قانصة) التي تنقض مع الدبابات والمشاة لتدمير اعشاش المقاومة القوية ومرابض الاسلحة المضادة للدبابات . أما **موجة الانقضاض** فقد كانت في الحرب العالمية الأولى تعني تشكيلات المشاة المتقدمة بأنساق وأرتال صغيرة خلال الانقضاض على العدو . وهي تعني اليوم تشكيلات المشاة ودبابات المرافقة المتقدمة بأنساق وأرتال صغيرة خلال الانقضاض على العدو .

الانقضاض العمودي assaut vertical

العمل الذي تقوم به قوات برية خفيفة جيدة التسليح ومحمولة بالطائرات (طائرات نقل خاصة للانقضاض مثل **c-119** و **c-130** الاميركية) أو بواسطة الطائرات الشراعية ، أو طائرات الهليكوبتر الثقيلة . وتستطيع هذه القوات التدخل فوراً ضد عدو حدد مكانه بدقة ، وذلك بعد النزول فوق مواقعه مباشرة أو على مقربة من هذه المواقع. (انظر القوات المحمولة جواً) .

انقضاض الطائرة

هو قيام الطائرة بالاندفاع نحو الهدف البري أو البحري بشكل عمودي en pique أو نصف عمودي en demi pique بغية ضربه بمدافعها ورشاشاتها ، أو قصفه بقنابلها أو صواريخها الموجهة جو – أرض أو قذائفها الصاروخية . وتستخدم هذا النوع من التكتيك الجوي الطائرات القاذفة – المنقضة ، وطائرات الهجوم الأرضي . ويمكن أن يطلق اسم **انقضاض الطائرة** أيضاً على اندفاع الطائرة المقاتلة نحو هدف جوي معاد لضربه برشاشاتها او مدافعها او صواريخها الموجهة جو – جو .

(٦) انقلاب عسكري

عمل مفاجيء ، يشتمل على عناصر واساليب عديدة غالباً ما تستخدم العنف المحدود ، يتمكن بواسطته شخص او مجموعة من الاشخاص من الاستيلاء على مراكز القوة والسلطة السياسية في الدولة من داخلها . ويتميز هذا العمل عن غيره من الاعمال التي تستهدف انتزاع مراكز السلطة في الدولة بميزتين أساسيتين : اولاهما ، انه لا يستلزم بالضرورة دعماً جماهيرياً او عسكرياً . وهذا ، ما يسهل الامور على منظمي الانقلاب في البداية ، ولكنه لا يشكل شرطاً أساسياً لنجاحه . وثانيهما ، ان الانقلاب بحد ذاته ليس له عادة لون سياسي معين ، واي اتجاه سياسي يظهر عليه فيما بعد هو مسألة متعلقة بالفئة التي تتسلم زمام الامور بعد نجاح العملية الانقلابية . وهدف الانقلاب اذاً هو احلال فئة حاكمة جديدة محل الفئة الحاكمة القديمة ، ولا يتم ذلك عن طريق استخدام القوة الساحقة – كما هو الحال بالنسبة للثورة – بل على العكس من ذلك يستخدم الانقلاب قوة النظام نفسه كسلاح لإحداث التغيير ، وهو يستمد هذه القوة من الآلة الحكومية نفسها ، تماماً كما يفعل مقاتل (الجودو) الذي يستخدم قوة خصمه ضد مراكز الضعف فيه . والانقلاب بعبارة اخرى ، هو اختراق قطاع صغير – ولكنه بالغ الاهمية – من جهاز الدولة؛ والسيطرة عليه ،واستخدامه لتغيير الفئة الحاكمة ،ومن ثم السيطرة على باقي أجهزة وقطاعات الدولة .

وبالرغم من ان تعبير الانقلاب العسكري Coup d'Etat استخدم منذ ما يزيد عن ٣٠٠ سنة ، فإن امكانية القيام بالعملية الانقلابية على النحو السابق تطورت بتطور وبروز الدولة الحديثة – وهو تطور حديث نسبياً – ببيروقراطيتها المتخصصة البالغة التعقيد ، وقواتها العسكرية النظامية الدائمة ، والتي تعتمد قوتها بشكل أساسي على أجهزتها الدائمة العمل التي تشبه الآلة في دقتها واستمراريتها . وهذه الآلة البالغة التعقيد هي التي تسيطر على عمل المؤسسات المختلفة والافراد بمختلف فئاتهم . وكان لنمو وتطور البيروقراطية أثران هامان على امكانية تحقيق الانقلاب هما : إيجاد تمييز واضح بين الآلة الحكومية الدائمة وبين النظام السياسي القائد ، وإيجاد هيكل تنظيمي يحدد بوضوح مختلف المستويات الادارية لهذه الآلة . وهناك بطبيعة الحال رباط بين الآلة البيروقراطية وبين القيادة السياسية . واهمية هذا التطور تكمن في حقيقة أنه اذا كان البيروقراطي نفسه مرتبط بقيادته السياسية ، فإن الانقلابي يعمل من خارج هذه القيادة ،ولكن ضمن الدولة المؤلفة من هذه الآلة الدائمة المتخصصة بمختلف أجهزتها المدنية والعسكرية والأمنية ،بهدف السيطرة على قطاعاتها ومستوياتها الادارية المختلفة وعزلها عن القيادة السياسية . ونجاح هذا العمل مرهون الى حد كبير بطبيعة الروابط بين القيادة السياسية والآلة البيروقراطية المذكورة ، فإذا كانت العلاقة بينهما علاقة ولاء تحكمها روابط سياسية ، وعرفية ، وتقليدية متينة ، فإن حظ المحاولة الانقلابية هو الفشل على الاغلب . ويقودنا هذا الامر الى التعرف على الارضية الصالحة لنشوء ونجاح الحركات الانقلابية . وباستعراض قائمة الدول التي مرت بتجارب انقلابية (في الفترة ما بين ١٩٥٨ – ١٩٦٨ حدث حوالي ٧٣ انقلاباً في ٤٦ دولة من دول العالم الثالث) نلاحظ ان تلك الدول بالرغم من اختلاف أجناسها وخلفياتها التاريخية ، تجمعها عوامل اقتصادية واجتماعية معينة من حيث : تخلفها الاقتصادي الذي تنعكس آثاره على شعب الدولة في صورة فقر ، وجهل ، ومرض ، وارتفاع في نسبة المواليد والوفيات ، والمجاعات الموسمية . والانسان في ظل مجتمع متخلف اقتصادياً هو انسان قبلي في العادة ، أمي على الاغلب ، تستغرقه ضغوط الحياة اليومية وهمومها فيعجز عن متابعة الاحداث وبالتالي تكون اهتماماته السياسية معدومة او محدودة ، ووسيلته للاتصال بالعالم الخارجي هو جهاز الراديو الذي يكون أداة موجهة في يد السلطة . ان شعباً بهذه الصفات هو قوة سياسية غير فاعلة تتحكم فيه صفوة حاكمة بالرغم منه ، وليس من المستبعد ان تنفجر نتيجة تراكم الضغوط المستمرة لفترات طويلة ،وبالتالي فإنه يكون بيئة صالحة لنجاح الحركات الانقلابية . ولكن لا يجوز أخذ هذه النتيجة على اطلاقها ، كما لا يجوز أخذ مفهومها المخالف على اطلاقه ايضاً ، فهناك دول متخلفة اقتصادياً ولكنها لا تعتبر بيئة صالحة لنجاح الحركات الانقلابية ،كما هو الحال في الدول التي تتوزع السلطة فيها بين سلطات محلية مستقلة في المناطق تتخذ من الحكومة المركزية ستاراً لها وذلك لصعوبة السيطرة عليها جميعها ، وكذلك في الدول التي توجد فيها مصالح تجارية أجنبية ضخمة (كالمصالح البترولية والصناعية ، ومصالح التنقيب عن المعادن) تؤثر ضخامتها في الحياة السياسية .

وهناك من ناحية اخرى دول متقدمة يمكن للحركات الانقلابية ان تنجح فيها في أحوال معينة كالازمات الاقتصادية المزمنة المصحوبة بالتضخم المالي وازدياد نسبة البطالة، او على اثر هزيمة عسكرية ساحقة، أو في حالة عدم توازن مزمن في ظل حكم فئات حزبية متعددة، واستقلالها السياسي، اذ انه من العبث القيام بالانقلاب في الوقت الذي تتواجد فيه فوق أرض الدولة قوات تابعة لدولة أجنبية كبيرة باستثناء الحالات التي يتم فيها ترتيب الاوضاع مع تلك الدولة الاجنبية بطبيعة الحال.

ان قلب النظام ليس عملا سهلا، فبالاضافة الى وجود اجهزة متخصصة تسهر على حمايـته (القوات المسلحة، واجهزة البوليس والاستخبارات) فهناك قوى سياسية اخرى تقوم بدعمه كالاحزاب السياسية، والمصالح العضوية، والفئات الاقليمية والعرقية والدينية ويؤدي تفاعلها الى احداث توازن في القوى داخل الدولة. وباستعراض قائمة الدول التي مرت بتجارب انقلابية ناجحة، مرة اخرى، نجد انها كانت تتبنى استراتيجية انقلابية تعتمد على التخطيط الدقيق من اجل زعزعة التوازن المشار اليه، وذلك وفق اعتبارين رئيسيين هما: الحاجة الى المفاجأة التامة والسرعة القصوى في التحرك أثناء التنفيذ وفي خلال الفترة الانتقالية التي تعقب مرحلة التنفيذ، والحاجة الى تحييد مختلف القوى التي قد تعارض قيام الانقلاب تحييداً كاملا. ويمكن ان نعدد الاساليب التي لجأت لها تلك الدول على النحو التالي: تحييد القوات المسلحة، عن طريق دراسة تركيبها، واختراقها في الاماكن الحساسة التي يمكن بواسطتها عرقلة تحرك هذه القوات مثل عناصر الاتصال بين القيادة السياسية والقوات، والطيارين او مجموعات صيانة طائرات سلاح الجو الارضيـة، وحرس المطارات، وعناصر ابراج مراقبة التحركات الجوية، ومجموعات صيانة آليات قطعات الجيش المختلفة. ويلاحظ ان هؤلاء بمجملهم هم من الاشخاص الفنيين الذين يؤدي استقطابهم الى عرقلة التحركات العسكرية الى حد كبير بالفعل. وتحييد الشرطة، وهي عملية اسهل من سابقتها، ذلك ان قطعات الشرطة التي تهتم باحوال الامن والجرائم العادية في البلد لا تقوم عادة بالتصدي للانقلاب، أما بالنسبة للشرطة العسكرية (البوليس الحربي) فتتخذ بحقه اجراءات مشابهة لما يتخذ عادة بشأن القوات المسلحة. وتحييد أجهزة الاستخبارات، وهذا امر من الصعب تحقيقه على الاغلب، لذلك يقتصر الاجراء بهذا الشأن في أغلب الاحوال على المحافظة القصوى على سرية العملية الانقلابية من حيث التحضير، والتوقيت، والتحرك. وتحييد القوى والاحزاب السياسية المساندة للنظام، ويتم ذلك عن طريق السيطرة على مختلف وسائل الاعلام والاتصال بالجماهير التي يمكن ان تكون اداة مضادة اذا وقعت في أيدي الساسة، وعن طريق اعتقال رجال الحكومة السابقين ومساعديهم وخصوصاً وزير الداخلية والدفاع ورئيس الوزارة، واعتقال قادة الاحزاب السياسية لعرقلة تحرك هذه الاحزاب المضاد. وتحييد وسائل الاعلام الجماهيرية وبشكل خاص محطات الاذاعة والتلفزيون عن طريق اختراقها، او احتلال منشآتها والاستيلاء عليها ان امكن، او تعطيل عملها. والاستيلاء على وسائل الاتصال السلكي واللاسلكي ومنشآته الثابتة. والسيطرة على عقد المواصلات الهامة، ومداخل ومخارج المدن وبشكل خاص العاصمة لمواجهة أية تحركات مضادة. والسيطرة على نقاط الحـدود والمطارات، ووسائل المواصلات الاخرى، واحتلال بعض المباني العامة كقصر الرئاسة، او مبنى وزارة الدفاع او الداخلية، او مبنى قيادة القوات المسلحة. والمصارف او بعض المباني ذات القيمة الرمزية المعنوية. وتحييد الفئات الاخرى التي يمكن ان تساهم في تحقيق التوازن السياسي داخل الدولة كالجماعات الدينيـة، والاقتصادية، والاقليات كل بحسب ظروفه الخاصة. والاستفادة من الفئات المناوئة للنظام.

وبعد ان تتم سيطرة مخططي الانقلاب على المفاتيح سابقة الذكر، تأتي مرحلة تثبيت اوضاعهم الخاصة، واحداث توازن في عمل الآلة البيروقراطية، ثم احداث التوازن في علاقاتهم بالجماهير غير الفاعلة أو المحايدة حتى يستتب العمل الانقلابي ويمكن تشكيل القيادة السياسية البديلة.

وقد سبقت الاشارة الى ان العمل الانقلابي قد يلجأ الى استخدام العنف وذلك عندما يكون اللجوء الى الاساليب القانونية التي تحددها قوانين الدولة ودستورها لاحداث التغيير عديم الجدوى بسبب جمود تلك القوانين أو ضعفها على السواء. وبذلك يتسع مفهوم الانقلاب ليشمل تصفية البرلمان الطويل Long parliament في ٢٠ نيسان (ابريل) ١٦٥٣ من قبل اوليفر كروموبل في انجلترا، وقيام نابليون بقلب حكومة المديرين Directory في ٩ تشرين الثاني (نوفبر) من سنة ١٧٩٩، وقيام لويس نابليون بتصفية مجلس الجمهورية الثانية الفرنسية في ٢ كانون الثاني من سنة ١٨٥١، والمسيرة الفاشستية التي قادها بنيتو موسوليني الى روما في ٢٧ تشرين اول (اكتوبر) من سنة ١٩٢٢، والمناورات السياسية النازية التي نظمها أدولف هتلر في آذار ١٩٣٣ في المانيا، وتصفية الجمهورية الثالثة في فرنسا باجراء تعديل دستوري وحلول حكومة فيشي محلها برئاسة المارشال هنري فيليب بيتان في تموز ١٩٤٠، وقيام الشيوعيين بتصفية قواعد المعارضة في تشيكوسلوفاكيا في شباط ١٩٤٨.

كما يضيق مفهوم الانقلاب ويقتصر على التغيير المفاجيء للطبقة الحاكمة، دون تغيير السياسات الاقتصادية والاجتماعية الاساسية او القيام باعادة توزيع القوى بين الفئات السياسية المتنافسه. والامثلة على ذلك كثيرة اهمها انقلابات الشرق الاوسط، وافريقيا، وامريكا اللاتينية، التي كانت حدثاً عادياً في الفترة ما بين ١٩٤٥ - ١٩٦٠، والتي تسببت في تغيير اكثر من ثلاثين رئيساً للجمهورية في جنوب ووسط القارة الاميركية. وقد استغل الاستعماريون الانقلاب العسكري وفق هذا المدلول كوسيلة سياسية - بعد زوال فكرة الاستعمار القديم - من اجل احكام سيطرتهم السياسية والاقتصادية على مختلف بلدان العالم النامية، وتصفية الحركات الوطنيـة المناهضة للاستعمار فيها، وذلك عن طريق استمالة عدد من العسكريين والسياسيين الأقوياء، ذوي الطموح الشخصي في داخل تلك البلاد، وتمويل حركاتهم الانقلابية، ودعمها سياسياً بغية إعادة السيطرة الاستعمارية إلى البلاد بشكل غير مباشر.

(١) انكشاري

عندما بدأ السلطان العثماني أورهان (١٣٢٤ - ١٣٥٩) يعد العدة لغزو أوروبا، وجد أنه بحاجة لقطعة عسكرية مدربة ومحترفة لتحل محل القبائل غير النظامية التي كانت تشكل جيشه. لذا شكل جيش الانكشارية المرتزقة من أبناء المسيحيين الذين يؤخذون من أهلهم عنوة، أو ترسلهم الشعوب المغلوبة على أمرها لخدمة السلطان. وكان الانكشاريون يدرسون التعاليم الاسلامية، ويتربون تربية اسلامية شديدة، ويكتسبون بالاضافة إلى ذلك حماسة الدراويش الملحقين بقطعات الانكشارية. وكانوا يتبعون مباشرة للسلطان الذي يعتبر أباهم بالتبني. ولقد أدى عمل الانكشاريين في الخدمة العسكرية طوال حياتهم وممارستهم التمارين العسكرية باستمرار إلى جعلهم من جنود المشاة الذين يخشى بأسهم لشدة انضباطهم وحماسهم.

اجتاحت قوات الانكشارية أوروبا حتى فيينا، ولكنها بدأت تضعف في عهد محمد الرابع (١٦٤٨ -

١٦٩١) عندما انضم إليها عدد من الأتراك ومن أبناء الانكشاريين . عندها غدت حرساً خاصاً يتمتع بسلطة كبيرة ، وصلت في بعض الحالات إلى درجة تنصيب السلطان وخلعه . ولقد وصل عدد الانكشارية في عهد محمود الثاني إلى ٢٢٩ فوجاً تضم ١٤٠,٠٠٠ رجل . بيد أن انخفاض مستوى هذه القوات سمح للامبراطوريتين الروسية والنمساوية بطرد النفوذ العثماني من أوروبا .

وعندما أراد السلطان محمود الثاني خلق جيش حديث ثار الانكشاريون ضده ، الامر الذي اجبر السلطان على تأجيل مشروعه فترة من الزمن . وبعد هزيمة الانكشاريين في مولدافيا واليونان وبلاد الصرب ، دبر السلطان ضدهم مذبحة أبادتهم عن بكرة أبيهم ، وذلك في عام ١٨٢٦ .



جندي انكشاري عثماني

(١) انوال (معركة) ١٩٢١

إحدى المعارك التي نشبت بين قوات المقاومة المغربية بقيادة الأمير محمد عبدالكريم الخطابي والقوات الاستعمارية الاسبانية في عام ١٩٢١ . في شهر تموز (يوليو) حاصرت قوات الأمير الخطابي حامية اجربن ، فتقدم قائد القوات الاسبانية سلفستر لفك الحصار ولكنه وجد المدينة قد سقطت ، فقرر الانسحاب وعدم الاشتباك مع القوات المغربية . ولكن هذه القوات طاردته حتى حققت معه التماس ، واضطرته إلى الاشتباك بالقتال في ١٨ تموز (يوليو) .

ولقد حقق المغاربة في هذه المعركة نصراً ساحقاً ، ودمروا القوات الاسبانية وقتلوا قائدها . ونجم عن ذلك تصاعد روح المقاومة وانتشارها ، وقيام قبائل الريف بمهاجمة المخافر الاسبانية المنعزلة المنتشرة في مختلف أرجاء البلاد ، وتطهيرها . ويبرر الاسبانيون هذه الهزيمة بصعوبة طبوغرافية البلاد ، وسوء تنظيم جيشهم . والحقيقة أن هذين العاملين لعبا دوراً هاماً في الهزيمة ، بالاضافة إلى ارتفاع مستوى القوات المغربية المعنوي ، وحسن ادارتها وتسليحها ، واستخدامها لأساليب الحرب الحديثة .

(٥) أو ــ ت ــ ٦٤ (عربة مدرعة)

ناقلة جنود مدرعة بثماني عجلات ، تشيكوسلوفاكية ظهرت لاول مرة عام ١٩٦٤ كناقلة مدرعة للجنود ، وأغراض النقل المختلفة . ويعتقد بان تصاميمها مأخوذة عن ناقلة الجنود المدرعة السوفياتية ب ت ر ــ ٦٠ ب (BTR-60 P) . وكانت النماذج الاولى منها مسلحة برشاشات خفيفة فقط ، اما النماذج اللاحقة فقد زودت ببرج ؛ وسلحت برشاشات من عيارات مختلفة ، ١٢,٧ ملم ، و ١٤,٥ ملم . وهي برمائية وقادرة على السباحة في الماء بسرعة ١٠ كم/الساعة .

المواصفات العامة : الوزن ١٢,٣ طناً . الطاقم جنديان + ٢٠ جندياً من المشاة . الحجم : الارتفاع حتى اعلى الجسم ٢,٣ م ، الطول ٧,٤ م ، العرض ٢,٤ م . السرعة على الطرقات/المدى : ٩٥ كم/الساعة/ ٤٠٠ كم .

(٥) اوريسكاني (حاملة طائرات)

حاملة طائرات هجومية من فئة « هانكوك » ، امريكية . اسمها امتداد لاسم بعض قطع الاسطول الامريكي القديمة . دخلت الخدمة في ايلول (سبتمبر) ١٩٤٤ . يبلغ وزنها القياسي ٣٣٢٥٠ طناً ، ووزنها بحمولة كاملة ٤٤٧٠٠ طن . طولها ٢٧١,٣ متراً ، وعرضها ٣٢,٥ متراً ، وارتفاع غاطسها ٩,٤ أمتار ، وطول سطحها المخصص للطيران ٥٩,٥ متراً . وتبلغ قوة دفع محركاتها ١٥٠ ألف حصان . وتصل سرعتها الى اكثر من ٣٠ عقدة في الساعة . ولها طاقم مؤلف من ٢١٣٠ رجلا يضاف اليهم ١٥٠٠ رجل هم افراد الجناح الجوي العامل على سطحها . وتستطيع حمل عدد يتراوح ما بين ٧٠ الى ٨٠ طائرة مقاتلة . وتتسلح بأربعة مدافع من عيار ١٢٧ مم . وهي في الاصل واحدة من ٢٤ حاملة طائرات من فئة « ايسكس » اعيد تصنيفها فيما بعد لتصبح من فئة « هانكوك » .

(٥) اوريغان (طائرة)

مقاتلة قاذفة نفاثة ، بمقعد واحد ، فرنسية . من أوائل الطائرات الفرنسية التي حصلت عليها اسرائيل وشاركت فيها بحرب ١٩٥٦ و ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف . من طائرات الخمسينات ، بقيت محدودة الانتشار لم تستخدم على نطاق واسع إلا في سلاح الجو الفرنسي والطيران الاسرائيلي . وفي عام ١٩٧٢ كان ما تبقى في اسرائيل من هذه الطائرات قد سحب من الخدمة الفعلية ، وحُوّل ليصبح طائرات تدريب .

المواصفات العامة : (اوريغان م.د ــ ٤٥٠) السرعة القصوى ٩٣٥ كم/الساعة . التسليح ٤ مدافع رشاشة عيار ٢٠ مم ، و ٤ قنابل زنة الواحدة ٢٢٥ كغ ، او ١٦ قذيفة صاروخية عيار ٥٥ مم . الوزن الاقصى للاقلاع ٦٨١٥ كغ . الحجم : الطول ١٠,٧٠ م ، فتحة الجناحين ١٢,٢٠ م ، الارتفاع ٣,٩٦ م .

(٥) أوريون (طائرة)

(انظر لوكهيد ب ــ ٣ سي) .

(٥) اوسا (زورق صواريخ)

زورق صواريخ سوفياتي . هو أول زورق في العالم بني ليكون زورقاً حاملا للصواريخ . بدئ العمل فيه في اواخر الخمسينات ، وانتجت منه منذ ذلك الحين اعداد كبيرة . من اكثر زوارق الصواريخ انتشاراً في العالم ، ففي عام ١٩٧٣ كان لدى الاتحاد السوفياتي ١٢٠ زورقاً من هذا الطراز ، بالاضافة الى ١١٠ زوارق وزعت على جمهورية المانيا الديموقراطية ، وبلغاريا ، والصين ، والجزائر ، وكوريا الشمالية ، وكوبا ، والهند ، والعراق ، وبولندا ، ومصر ، ورومانيا ، وسورية ، ويوغوسلافيا .

انتج من هذا الزورق ثلاث سلاسل مختلفة ، تميزت السلسلتان الاولى والثانية منها بأن قاذفات الصواريخ سطح ــ سطح التي تحملها ذات شكل مستطيل . وتحمل السلسلة الثالثة ، وهي الاحدث ،

قاذفات ذات شكل اسطواني .

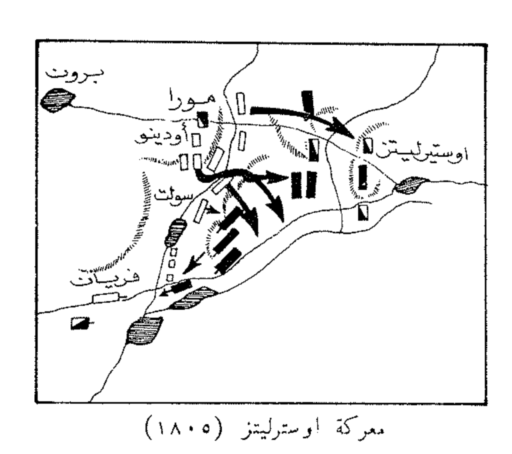
ان استخدام الاتحاد السوفياتي لزوارق الصواريخ هو تقليد لحاجات قديمة فرضتها ظروف البحرية السوفياتية في الفترة الممتدة من اوائل الخمسينات حتى اواخر الستينات ، حين كانت بحاجة الى عدد كبير من القطع البحرية توزعها لحماية شواطئها الشاسعة . ولم يكن بامكان احواض السفن السوفياتية انتاج اعداد كافية من السفن الحربية الكبيرة ، القادرة على العمل في المحيطات ، بالسرعة المطلوبة . فانتجت هذه الزوارق وزودتها بقدرة نارية كبيرة . واستمرت في استخدامها وتطويرها حتى بعد ان اكتملت قوتها البحرية . وذلك لاستخدامها في المناطق البحرية الصغيرة مثل البحر الاسود ، والخلجان والمضائق ، وفي الدفاع عن الشواطئ ، ولتصديرها الى الدول الصغرى الحليفة او الصديقة . واثبتت هذه الزوارق كفاءة عالية في الحرب الهندية – الباكستانية . وشاركت في الحرب العربية – الاسرائيلية عام ١٩٧٣ .

المواصفات العامة : الوزن القياسي ١٦٥ طناً ، و ٢٠٠ طن بحمولة كاملة . الاطوال ٣٧ × ٩ × ١,٨ م . التسليح : ٤ صواريخ سطح – سطح ، ومدفعان ثنائيان من عيار ٣٠ مم . واحد في المقدمة والثاني في المؤخرة . قوة الدفع ٣ محركات ديزل قوة ١٣٠٠٠ حصان . السرعة ٣٢ عقدة . المدى ٨٠٠ ميل (١٢٨٠ كم) بسرعة ٢٥ عقدة . الطاقم ٢٥ رجلا .

(١) أوسترليتز (معركة) ١٨٠٥

إحدى المعارك التي انتصر فيها نابليون الأول على القوات النمساوية – الروسية (٢ كانون الأول ١٨٠٥ وهو يوم عيد تتويج الأمبراطور) . ولقد أدت هذه المعركة إلى تفتيت التحالف الثالث الذي كان يضم روسيا والنمسا وانكلترة .

بعد أسر نصف الجيش النمساوي في أولم Ulm (٢٠ تشرين الأول) احتل نابليون فيينا واتجه نحو الشمال لمقابلة فرانسوا الثاني والكسندر الأول بعد أن اجتمع جيشاهما في مورافيا ، ودارت « معركة الاباطرة الثلاثة » بين برون واوسترليتز على أرض اختارها نابليون لأنه يعرفها جيداً . ونشر نابليون قواته (٧٤٠٠٠ رجل) في مواجهة هضبة براتزن المحتلة من قبل خصومه الذين كانوا يملكون ٩٠٠٠٠ رجل ، ولم يترك على ميمنته سوى قوات خفيفة كيما يستثير لدى القوات النمساوية – الروسية الرغبة في الالتفاف حوله من الجنوب ، وقطع طريق اتصاله مع فيينا ، الأمر الذي سيجبرهم في هذه الحالة على تخفيف قواتهم الموجودة بكثافة في المركز ، والمتمركزة بقوة فوق الهضبة ، وتفكيك ترتيبهم القتالي . ولقد ناور النمساويون والروس تماماً كما توقع نابليون ، واندفعوا نحو ميمنته الضعيفة ، فما كان منه إلا أن انقض على قلب قواتهم ، وحقق نصراً باهراً . اضطر الروس بعده إلى الانسحاب نحو بولونيا ، على حين طلب امبراطور النمسا عقد صلح أنهى به حالة الحرب .



معركة اوسترليتز (١٨٠٥)

(١) اوفرلورد (عملية)

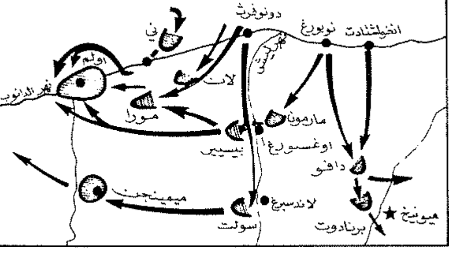
(انظر النورماندي) .

(١) أوكنلك

السير كلود اوكنلك (١٨٨٤ –) ماريشال بريطاني خدم طويلا في جيش الهند حيث كان مساعد رئيس هيئة الأركان من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٨ . قاد خلال الحرب العالمية الثانية فيلق الحملة الانكليزي في النرويج (١٩٤٠) ثم قاد القوات البريطانية في الهند (١٩٤١) . وفي ٥ تموز (يوليو) ١٩٤١ عين أوكنلك قائداً عاماً لقوات الشرق الأوسط بدلا عن الجنرال ويفل . فاعاد تنظيم « قوة الصحراء الغربية » بعد أن عززها بعدة فرق جديدة ، وأطلق عليها اسم « الجيش الثامن » . وعين الجنرال كينغهام قائداً لهذا الجيش ، بعد عودته منتصراً على الايطاليين في شرق أفريقيا . ثم قام بعد تحضير دقيق من حيث الاخفاء والتمويه بهجوم عام فوجئ به رومل في ١٨ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٤١ عرف بمعركة كروسيدر . بيد أن كينغهام استخدم مدرعاته كألوية منفصلة ، على حين حشد رومل قواته المتحركة كلها معاً ، وهاجم بها كل لواء على حدة ، حتى كاد الهجوم أن يفشل لولا تدخل أوكنلك شخصياً ، وتوليه القيادة يوم ٢٥ تشرين الثاني (نوفبر) . ولقد قام أوكنلك بعزل كينغهام من قيادة الجيش الثامن وعين ريتشي بدلا عنه وأجبر رومل على الانسحاب حتى العقيلة . ولم يطبق ريتشي تعليمات اوكنلك خلال معركة الغزالة في حزيران (يونيو) ١٩٤٢ ، ولم يستخدم المدرعات بكتل ضخمة ضد رومل ، الأمر الذي أدى إلى هزيمة الجيش الثامن في هذه المعركـة


الجنرال أوكنلك


معركة أولم (١٨٠٥)



(١٣ حزيران). عندها تولى أوكنلك القيادة بنفسه وقرر الانسحاب من طبرق ليعيد تنظيم قواته، ولكن تشرشل رفض فكرة التخلي عن طبرق، وكانت النتيجة أن سقطت المدينة في يد رومل وأسرت حاميتها. واستطاع أوكنلك أن يسحب جزءاً من قواته إلى خط العلمين الذي كان قد أعده سراً خلال معركة الغزالة، واستطاع أن يوقف هجوم رومل عند العلمين في تموز (يوليو) ١٩٤٢، بعد أن شن ضد الالمان عدة هجمات مضادة قوية. وفي آب (أغسطس) ١٩٤٢ أعفي أوكنلك من منصبه وعين الجنرال الكسندر خلفاً له. وعاد أوكنلك في عام ١٩٤٣ ليكون قائداً عاماً لجيش الهند، وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٤٧. ولقد حصل على رتبة الماريشال في عام ١٩٤٦.

(٧) أولم (معركة) ١٨٠٥

كان نابليون قد شرع في بناء امبراطوريته سنة ١٨٠٥ عندما تحالفت كل من بريطانيا والنمسا وروسيا ضده. ولما اتضح له ان الامل في غزو انكلترا ضئيل وجه انتباهه نحو الشرق. وفي آب من العام نفسه، كانت عدة قوى ضخمة تحشد ضده في محور قتال رئيسي هو وادي الدانوب الذي يجري عبر النمسا ممتداً نحو روسيا. وكانت قوات القائد الفرنسي «مسينا» البالغة خمسين ألف جندي تستطيع حجز اربعة وثمانين ألفاً من النمساويين في ايطاليا الذين يقودهم الارشيدوق شارلز أقدر قادة خصومه. كما كان على نابليون ان يواجه جيشاً نمساوياً قوامه ثمانية وخمسون ألف مقاتل على جبهة الدانوب بقيادة «ماك» وجيشين روسيين أحدهما بقيادة «كونوسوف» وكان على وشك التقدم عبر غاليسيا، والآخر كان يحتشد في بولندا. وكان هناك ايضاً بعض بوادر الخطر الاخرى في البلاد المنخفضة، وفي جنوبي ايطاليا ولكنها لم تكن لتشكل حجر عثرة في طريق نابليون، الذي قدر ضرورة ضرب القوات المعادية قبل ان يحتشد مئة واربعون ألف مقاتل في مطلع الشتاء في «أولم»، حيث يتدفقون الى داخل فرنسا.

وكان نابليون آنذاك في «بولوني» فقدر أن بعده عن «أولم» أقل من بعد الروس عنها، لذلك قرر ان يضرب بسرعة قوات خصومه قبل ان تتجمع بادئاً بالقضاء على الجيش النمساوي قرب «أولم»، ثم يتحرك مع مجرى نهر الدانوب مسدداً الضربة الى الروس. وقد ساعد نابليون أركان قيادته الى ابعد الحدود في التخطيط لتحرك مئة وخمسين ألف مقاتل من ساحل المانش الى الدانوب في اواخر صيف ١٨٠٥. ولكي يخفي قواته ونواياه عن النمسا تجنب نابليون سلوك الطريق المباشر خلال الغابة السوداء، وتحرك عبر «فرنكونيا» و «وورتمبرغ» نحو الجنوب الشرقي، فوصل الى الدانوب خلف «أولم»، مطوقاً مؤخرة الجيوش النمساوية بصورة مفاجئة. وهنا تحرك جيشه الكبير في سبعة أرتال متفرقة حيث يحمي جانبي المشاة المتحركة اثنان وعشرون ألفاً من الفرسان، ومئة مدفع تجرها الخيول. وكانت بقيادة «مورا». وانطلق في المقدمة مع الفرسان سبعة آلاف رجل من الحرس تحت قيادة «بيزيري» ونابليون على رأسهم.

وقد دفع نابليون مختلف القوات بصورة تدريجية عبر المسافة الكائنة بين «مانهايم» و «ستراسبورغ» في ٢٤ رتلا تتحرك شمالي الغابة السوداء، ثم تتقدم سوياً على مواجهة ٨٠ ميلا. وقد ركزت الامدادات في اماكن التوقف المخططة سلفاً.

ان انحراف الجيش الفرنسي في الغابة السوداء دفع «ماك» الى التقدم نحو أعلى الدانوب بغية قطع الاتصال بين مقدمة الجيش ومؤخرته. لكن نابليون تابع مسيرته بكل دقة وفق نموذج تقدم مشابه لتقدم جيش مارلبورو الى الدانوب في عام ١٧٠٤، وذلك ببدء المسيرة عند الفجر، وقطع مسافة ٨ — ٢٥ ميلا في اليوم، والتوقف عند منتصف النهار في معسكر معد سلفاً. وظلت الروح المعنوية عالية في الجيش الفرنسي حتى المراحل النهائية حيث صارت الامدادات اقل انتظاماً والطقس أشد رداءة.

وفي ٧ تشرين الأول (اكتوبر) عبرت الفيالق الاربعة الأولى نهر الدانوب، وفي ٩ منه طوقت القوات الفرنسية «أولم»، وقام الفرسان الفرنسيون بمطاردة ١٨ ألف نمساوي حاولوا الهرب واستسلم «ماك»، ومعه ٣٠ ألف رجل بعد عشرة أيام. وهكذا حقق نابليون المرحلة الاولى من استراتيجيته بانتصار كامل دون اراقة دماء.

(٧) ايبامينونداس

ايبامينونداس (٢٨٠ ق.م — ٣٦٠ ق.م) قائد عسكري من عظماء القادة الاغريق. عاش في مرحلة واحدة مع ابيقراط الذي أنشأ المشاة الخفيفة المختارة بكل عناية، والتي كانت كالمشاة الثقيلة ولكنها تتمتع بصفات خاصة بالحركية (درع من اللباد) وعتاد صالح للرمي (مقلاع) او للمعركة الطائرة (حراب قصيرة). ولقد جاء ايبامينونداس وزاد كمية الخيالة الثقيلة وعلمها عمليات الهجوم في الاستطلاع، وخلال المعركة. وقام بتنسيق استخدام كل هذه الوسائل القتالية. وأوجد تكتيكاً جديداً كان أول اشكال النظام المائل، وطبق هذا التكتيك بنجاح في معركتي لوكترا (٣٧١ ق.م) ومانتينيه (٣٦٢ ق.م).

ففي معركة لوكترا جابه ايبامينونداس جيشاً اسبارطياً يضم ٢٤ ألف جندي مشاة، و ١٦٠٠ خيال، بجيش مؤلف من ٦ آلاف جندي مشاة، و ٤٠٠ خيال. وهنا جمع ايبامينونداس مشاته الثقيلة على جناحه الأيسر بتشكيلات عميقة حماها من أقصى اليسار بالخيالة ومن الطرف الايمن بالمشاة الخفيفة في الوقت الذي كان اعداؤه يصطفون أمامه على شكل «فلانكسات» تقليدية، وتقف خيالتهم أمام جناحهم الأيمن. وهاجم ايبامينونداس وجناحه الأيسر متقدم الى الامام بعد ان ارجع مشاته الخفيفة قليلا كيلا يعرضها للاصطدام العنيف مع المشاة الاسبارطية الثقيلة. وتمكنت خيالة الطيبيين (من مدينة طيبة) من تشتيت خيالة اسبارطة التي ارتدت لتبعث الاضطراب في جناح جيشها الأيمن، في الوقت الذي كان فيه رتل الطيبيين الثقيل يقوم بخرق هذا الجناح. ثم رفعت المشاة الثقيلة رماحها الطويلة واستدارت يميناً وشرعت رماحها من جديد وراحت تكنس الخط الاسبارطي من الجانب. ويعود النجاح في هذه المعركة الى الفوضى التي سببتها الخيالة الاسبارطية داخل صفوف جيشها، بالاضافة الى وجود ٣٠٠ مقاتل من المشاة الثقيلة المختارة «الكتيبة المقدسة» على رأس جيش الطيبيين.

أما في معركة مانتيثه فكان جيش ايبامينونداس مؤلفاً من ٣٠ ألف جندي مشاة، و ٣ آلاف خيال، على حين كان جيش أجيسيلاس الاسبارطي يضم ٢٠ ألف جندي مشاة، وألفي خيال. وكان الاسبارطيون يمسكون ممراً جبلياً ضيقاً لا يزيد عرضه عن كيلومترين. ولكن ايبامينونداس اضطرهم الى الانتشار عندما سار نحوهم بشكل مباشر، ثم تراجع يساراً ليختفي خلف ساتر، متظاهراً بتركيز معسكره هناك. عندها اضطرب الاسبارطيون من الخطر المحدق بميمنتهم، فتركوا مواقعهم المنيعة وانتشروا للقتال، فهاجمهم الطيبيون برتل مائل انطلق من خلف مكمنه، واتجه يساراً ليجابه العدو. وكانت قوات الطيبيين منتظمة داخل رتل مشاة

ثقيلة تغطي ميمنته مجموعة مختلطة من الخيالة والقطعات الخفيفة ويغطي ميسرته نسق مائل معظمه من المشاة الخفيفة . وعلى ذروة المكمن انتشر غطاء من الخيالة والقطعات الخفيفة لتستر مخرج القطعات . وهنا تكرر مخطط معركة « لوكتر » ، اذ تم خرق الجناح الأيسر للاسبارطيين ، واخذ خطهم الهجومي من الجانب . وهنا ايضاً قامت « الكتيبة المقدسة » على رأس الرتل الثقيل باعمال باهرة .

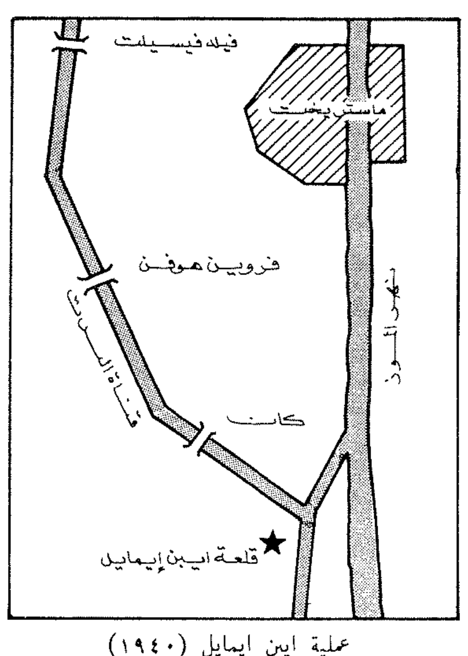
بيد ان نجاح ايبامينونداس لم يدفع سواه الى تقليد اساليبه . ولم يكتشف المعجبون به أهمية نظام القتال المائل (الذي طبقه فريدريك الكبير بعد عدة قرون) ، كما لم يكتشفوا كم كان هذا النصر مديناً « للكتيبة المقدسة » ، ولكنهم اعطوا أهمية بالغة لزيادة عمق ارتال الهجوم . ومن هنا جاءت كل الحجج المؤيدة للنظرية الخاطئة التي تهتم قبل كل شيء بالقيمة الآلية للصدمة بارتال كثيفة .

(٤) إيبن إيمايل (معركة) ١٩٤٠

أقام البلجيكيون قبيل الحرب العالمية الثانية قلعة حصينة حديثة (انتهى بناؤها في عام ١٩٣٥) عند نقطة التقاء قناة البرت بنهر الموز عرفت بأسم قلعة ايبن ايمايل ، كانت تشرف مباشرة على الحافة الغربية لقناة البرت ، التي يبلغ عمق ضفافها العمودية نحو ٣٦ متراً وعرضها نحو ٦٠ متراً ، وذلك لتحمي بمدافعها القوية الجسور الثلاثة المقامة على القناة والمعروفة بجسور « كاني » و « فرونهوفن » و « فيلد فيسلت » وتربط بلجيكا بالاقليم الهولندي المجاور للضفة الشرقية للقناة المعروف بأسم إقليم «ماستريخت» الذي يمتد نحو ٣٢ كم في شكل نتوء بارز من جنوب هولندا يفصل بين حدود المانيا وبلجيكا .

وأقيمت هذه القلعة فوق ربوة تطل على قناة البرت يبلغ ارتفاعها نحو ٣٩ متراً ، كثيرة الآكام ذات خمسة اضلاع ، ويبلغ طولها نحو ٢٧٠ متراً وعرضها نحو ٢١٠ متراً . واحيطت اضلاعها الاخرى غير المطلة مباشرة على قناة البرت بخندق عميق وعريض مضاد للدبابات ، تعلوه من ناحية القلعة جدران يصل ارتفاعها إلى نحو ٦ أمتار ، وزعت بها مجموعة من المنعات المبنية بالاسمنت المسلح جهزت بالانوار الكاشفة والرشاشات والمدافع المضادة للدبابات وكذلك جهز جدار القلعة المطل على الضفة العمودية لقناة البرت بمنعات قوية مماثلة .

ووضع داخل القلعة مدفعان عيار ١٢٠ مم داخل برج فولاذي متحرك ، و ٤ مدافع عيار ٧٥ مم داخل برجين مماثلين ، و ١٢ مدفعاً آخر من عيار ٧٥ مم ايضاً داخل ٤ دشم مبنية بالاسمنت المسلح كل منها مصوب نحو اتجاه مختلف ، هذا فضلا عن بعض المنعات الاخرى المجهزة بالرشاشات والمتناثرة بين مواقع المدافع المذكورة داخل القلعة . وكانت جميع منعات ومواقع القلعة متصلة ببعضها البعض بوساطة شبكة من الممرات والانفاق المبنية بالاسمنت المسلح والصلب تحت سطح الارض بلغ مجموع اطوالها نحو ٥ كم . وقد أعدت انشاءات القلعة كلها بحيث تحتمل اقوى قذائف المدفعية وقنابل الطائرات المعروفة وقتئذ ، وبلغ حجم الحامية الثابتة للقلعة نحو ١٢٠٠ جندي يقيمون في مهاجع وأماكن اقامة تحت الأرض متصلة بشبكة الممرات والانفاق التي تربط الاستحكامات بعضها ببعض . وفي الوقت نفسه جرى تحصين كل جسر من الجسور الثلاثة القريبة ببرجين من الصلب جهزا بالمدافع المضادة للدبابات عيار ٤٧ مم والرشاشات ، فضلا عن بعض المنعات الاخرى المحيطة بكل جسر مبنية بالاسمنت المسلح ومجهزة بالرشاشات . وخصصت لحماية كل جسر قوة ثابتة مؤلفة من سرية مشاة ، وتم تجهيز كل جسر بالالغام والعبوات الناسفة القابلة للانفجار بمجرد الضغط على جهاز التفجير أثر صدور الاوامر بنسف الجسور حال اقتراب أي قوات المانية عبر اقليم « ماستريخت » الهولندي . وفي هذه الحالة تتحول قناة البرت إلى خندق منيع ضد الدبابات لم يكن له مثيل في اوروبا كلها ،



عملية ايبن ايمايل (١٩٤٠)

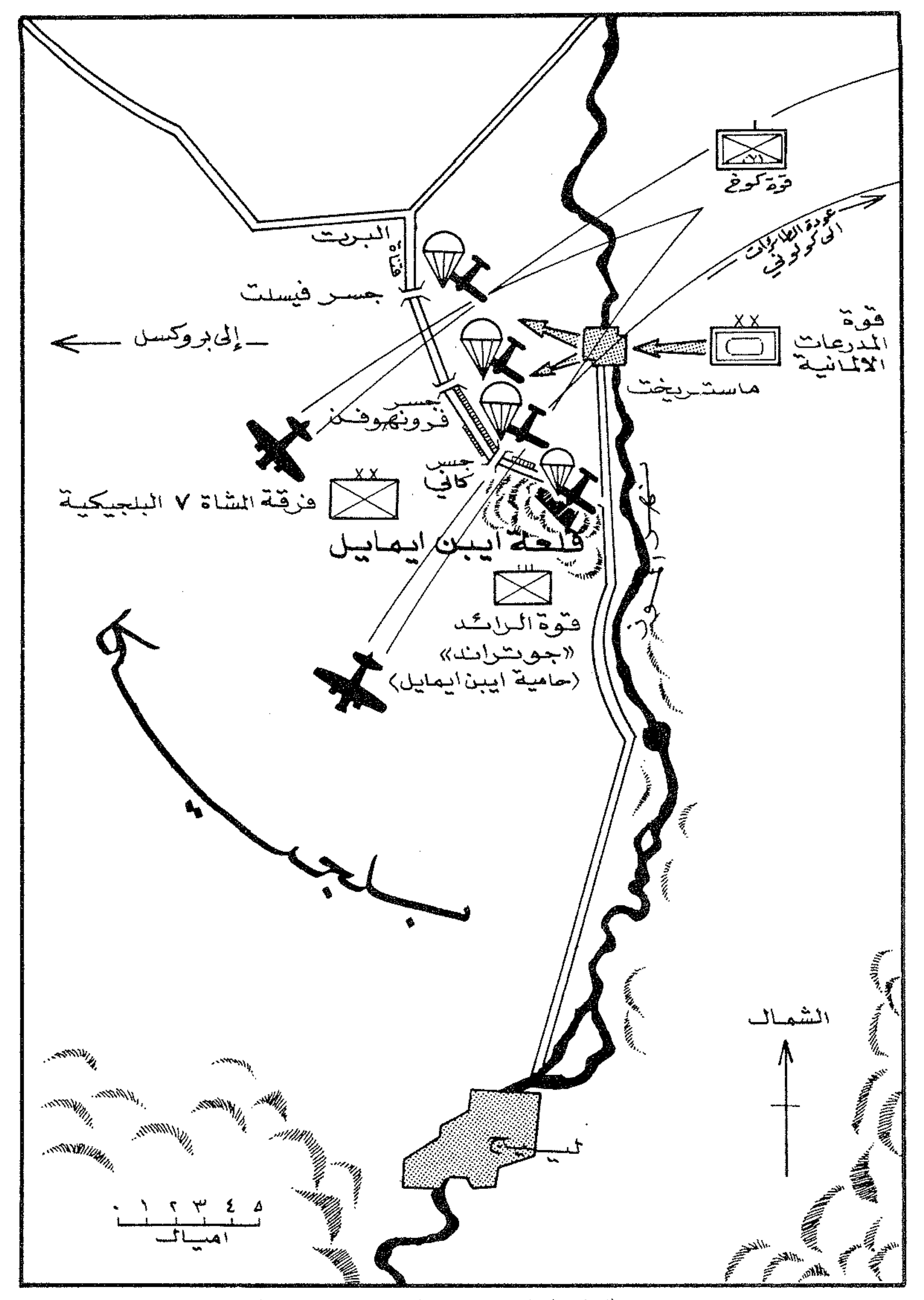
ويصبح من الصعب تماماً على وحدات الهندسة الالمانية أن تقيم جسوراً جديدة بسرعة فوق القناة ذات الضفاف العمودية العميقة ، خاصة تحت نيران مدافع قلعة ايبن ايمايل . غير أن الدفاع الجوي في القلعة المذكورة كان ضعيفاً ، إذ لم يكن فيها سوى ٤ مدافع مضادة للطائرات ، وذلك نظراً لاعتماد القيادة البلجكية على مناعة منشآتها القوية . كما أن أرض القلعة من الداخل لم تكن ملغمة .

وعلى ضوء تقدير مناعة ايبن ايمايل وسهولة نسف الجسور الثلاثة قدر الجنرال « غاملان » ، القائد العام لقوات الحلفاء وقت نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، انه يمكن للقوات البلجيكية أن تصمد خلف خط قناة البرت لمدة خمسة أيام على الاقل حال قيام الالمان بمهاجمة بلجيكا وخرق حيادها فجأة للالتفاف حول جناح خط ماجينو الايسر ، وهي فترة كافية في تقديره لوصول الجيوش البريطانية والفرنسية لتعزيز موقف القوات البلجيكية أو اتخاذ خط دفاعي آخر قريب . وفي الوقت نفسه ادركت القيادة الالمانية وهي تخطط للهجوم الخاطف على فرنسا في ربيع أو صيف ١٩٤٠ ، انه من الضروري لنجاح الهجوم المخادع الثانوي الذي ستشنه على بلجيكا الوسطى من منطقة كولونيا وآخن عبر اقليم ماستريخت وقناة البرت ، واعطاء الحلفاء الانطباع بأن هذا الهجوم هو الهجوم الرئيسي ، (انظر معركة الآردين ١٩٤٠) أن يتم وصول الدبابات والقوات المهاجمة الاخرى إلى السهول المنبسطة وراء قناة البرت خلال اليوم الاول لبدء الهجوم على الاكثر حتى لا تتحول الحرب إلى قتال انهاك واستنزاف طويل الامد عند ذلك المانع المائي القوي ، فتتاح الفرصة لقيادة الحلفاء لتعزيز قواها ، ويتبين لها في الوقت نفسه حقيقة اتجاه الهجوم الرئيسي الذي سيتم عبر منطقة الآردين تجاه « سيدان » للالتفاف حول جيوش الحلفاء في بلجيكا وشمال فرنسا (انظر معركة الآردين) ، وبالتالي يمكنها سحب جزء هام من قواتها الضاربة التي تحركت إلى بلجيكا لتعيد توجيهها نحو منطقة « الآردين » و « سيدان » .

لذلك كله كان من الضروري للالمان ان يستولوا على جسور قناة البرت سليمة ، وأن يبطلوا فاعلية قلعة ايبن ايمايل بسرعة حتى يؤمنوا لجيشهم السادس بقيادة « فون رايخناو » الاندفاع الخاطف السريع إلى قلب سهول بلجيكا الوسطى نحو « بروكسل » فيجذبوا جيوش الحلفاء الضاربة إلى هناك على عجل في ظروف قتالية غير ملائمة لها ، ومن ثم تتحقق

أفضل الشروط لنجاح خطة الاختراق الرئيسي عند « سيدان » . وبطبيعة الحال لم يكن في استطاعة القوات البرية تنفيذ خطة استيلاء مباغت على جسور قناة البرت وقلعة ايبن ايمايل ، نظراً لانه كان يتحمّ عليها اجتياز اقليم ماستريخت الهولندي قبل الوصول إلى اهدافها هذه ، وبالتالي ستتوفر فرصة انذار كافية للقوات البلجيكية كي تنسف الجسور وتتأهب لصد الهجوم بفاعلية .

ولذلك قرر هتلر وكبار قادته ضرورة تنفيذ هذه المهمة بواسطة إغارة فدائية مفاجئة تقوم بها وحدة من القوات المحمولة جواً . ولما كان جنود المظلات لا يصلحون لاداء هذه المهمة التي يتطلب نجاحها تحقيق اكبر درجة ممكنة من المفاجأة ، نظراً لأن طائرات النقل التي ستحملهم إلى هدفهم ستنذر حراس المواقع البلجيكية بصوت محركاتها ، كما أن هبوط الجنود إلى الارض بالمظلات واجتماعهم داخل وحدات قتالية سيستغرق وقتاً ثميناً للغاية في ظروف هذه العملية بالذات ، لانه حتى لو تم الاسقاط المظلي من اقل ارتفاع ممكن، وهو ٣٠٠ قدم، فأن الجندي الواحد سيهبط خلال ١٥ ثانية ، هذا فضلا عن الدقائق الاخرى التي سيستغرقها كل جندي في التخلص من مظلته بعد وصوله إلى الارض وفي جمع سلاحه الرئيسي المسقط في عبوات خاصة ثم في التجمع في شكل جماعات قادرة على مباشرة الاعمال القتالية ، وفي خلال هذه الدقائق الضائعة ستكون فرصة الحراس البلجيكيين في نسف الجسور والتأهب للقتال الفعال كبيرة للغاية . ولذلك فقد رؤي استخدام جنود الطائرات الشراعية لتنفيذ هذه المهمة نظراً لأن فرصتهم في الحصول على عنصر المفاجأة ستكون أفضل بكثير من فرصة جنود المظلات ، وذلك على ضوء التجارب العملية التي أجريت سراً قبل نشوب الحرب في خريف ١٩٣٨ بواسطة قوة اقتحام فدائية صغيرة من هذه القوات ، والتي أثبتت قدرة هذه الطائرات على الطيران دون صوت على الاطلاق بعد فصلها عن الطائرات العادية ذات المحركات التي تجرها بسرعة إلى مسافة قريبة نسبياً من أهدافها . كما أثبتت هذه التجارب أيضاً أن في امكان هذه الطائرات، متى قادها طيارون حسنو التدريب، على الهبوط برفق وفي صمت على مبعدة ٢٠ ياردة تقريباً من أي هدف يراد الهبوط عنده ، هذا فضلا عن أن الجنود سيكونون قادرين على القتال فور الهبوط . ونتيجة لذلك فقد جرى تشكيل قوة خاصة ، على أساس التطوع ودون ذكر طبيعة المهمة ، من حوالي ٤٠٠ جندي من اللغامين التابعين



هجوم القوات الالمانية على قلعة ايبن ايمايل (١٩٤٠)

للفرقة السابعة المحمولة جواً ، وعهد بقيادتها إلى ضابط برتب نقيب يدعى « كوخ » . وكان هؤلاء الجنود هم ربقية جنود القوات المحمولة جواً من غلاة الشباب النازي المتحمس سياسياً لهتلر والنظام النازي واكثرهم استعداداً للقتال في سبيل اهدافه وتشبعاً بروح المغامرة .

وقد تجمعت القوة في معسكر خاص بها منذ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٣٩ وعزل افرادها عن العالم الخارجي تماماً ، ومنعوا من الاتصال بأي فرد من الوحدات الاخرى ، كما خضع بريدهم لرقابة دقيقة ، وأقسم رجالها كتابة على المحافظة المطلقة على كل ما يجري في المعسكر من اعمال ، وانهم يقبلون الحكم عليهم بالموت في حالة مخالفتهم لهذا القسم عن قصد أو عن إهمال ، وقد حكم على

رجلين من القوة فعلا بالموت نتيجة زلة لسان تافهة صدرت عنهما ولم يرفع عنهما تنفيذ الحكم إلا بعد تنفيذ العملية بنجاح .

وقد جرى تدريب القوة تدريباً شاقاً ودقيقاً ومستمراً طوال الشهور الستة السابقة للهجوم على نماذج هيكلية للاستحكامات وتحت جميع انواع الظروف الجوية ليلا ونهاراً ، كما قامت القوة بعمل تجربة كاملة على نموذج بالحجم الطبيعي للقلعة دون أن يذكر اسمها تم بناؤه على ضوء المعلومات الدقيقة التي جمعتها المخابرات الالمانية عنها .

وابتكر خبراء المتفجرات نوعاً خاصاً من الحشوات الجوفاء الناسفة له القدرة على اختراق جدران ودروع التحصينات المقامة بالقلعة ، إذ كانت العبوة الواحدة ذات الخمسين رطلا تستطيع ان تخترق لوحاً من الفولاذ سمكه ست بوصات والعبوة ذات المائة رطل كانت تستطيع اختراق ١٠ بوصات من الفولاذ . وتمت تجربة هذه العبوات عملياً ضد التحصينات التي سبق أن بناها التشيكيون في منطقة « التفاتر » باقليم « السوديت » . وفي الوقت نفسه كان يجري تدريب طياري الطائرات الشراعية بدقة كاملة ، وفي ظروف مماثلة لظروف المعركة . وكان التدريب يشمل الهبوط برفق بطائراتهم ليلا ونهاراً في حيز محدود للغاية من أرض منطقة الهدف ، إذ كان من المقرر فصل هذه الطائرات عن طائرات النقل التي ستقطرها في بداية رحلتها على مقربة من الحدود الالمانية - الهولندية على ارتفاع ٨٥٠٠ قدم وتركها تنحدر هابطة ببطء وبتوقيت محدد بدقة بحيث تصل إلى الهدف تبعاً لسرعة الريح المحسوبة سلفاً على ارتفاع ١٠٠٠ قدم ، حتى يستطيع الطيار أن يختار نقطة هبوط ملائمة ، وأن يقوم بالهبوط قبل بدء موعد بدء الهجوم الالماني العام بخمس دقائق فحسب . وقد تلقى الطيارون تدريباً جيداً على الاعمال القتالية بحيث كان يمكنهم الانضمام فور هبوط طائراتهم إلى جماعات الاقتحام والاشتراك في القتال معها . وكانت الطائرات الشراعية المعدة للاستخدام في العملية من النوع الخفيف الذي تبلغ حمولته نحو طن واحد ، وتستطيع الواحدة منها أن تحمل ٩ جنود بكامل سلاحهم و ١٠٠ رطل من المتفجرات . وجرى تخزين الطائرات المذكورة مفككة داخل صناديق وضعت في حظائر محكمة الاغلاق بمطار قرب مدينة كولونيا بغرب ألمانيا ، على أنها مواد خاصة بعمل غلالات الدخان الصناعي، ودون أن يعرف قائد المطار نفسه حقيقة هذه الشحنات المخزونة لديه .

وعند الشروع في تنفيذ العملية فجر يوم ١٠/٥/١٩٤٠ قسم النقيب « كوخ » قوته إلى أربع سرايا على النحو التالي :

السرية الاولى : وتتألف من ٨٥ جندياً يقودهم الملازم أول « ويتزيج » وقد حملتهم ١١ طائرة شراعية ومعهم اسلحتهم وبعض قاذفات اللهب الفردية الخفيفة فضلا عن ٢,٥ طن من الحشوات الجوفاء . ومهمة هذه السرية مهاجمة قلعة ايبن ايمايل .

السرية الثانية : وتضم ٩٦ جندياً تحت قيادة الملازم « شاخت » تحملهم ١١ طائرة شراعية ، ومهمتها احتلال وتأمين جسر « فرونهوفن » .

السرية الثالثة : وتضم ٩٢ جندياً بقيادة الملازم « ألتمان » تحملهم ٩ طائرات شراعية ، ومهمتها احتلال وتأمين جسر « فيلد فيسلت » وهو أبعد الجسور الثلاثة عن قلعة ايبن ايمايل ، إذ يقع على مبعدة نحو ٦,٥ كم تقريباً إلى الشمال الغربي منها .

السرية الرابعة : وتضم ٩٠ جندياً بقيادة الملازم « شاشتر » تحملهم ١٠ طائرات شراعية ، ومهمتها احتلال وتأمين جسر « كاني » أقرب الجسور إلى القلعة .

وفي الساعة الرابعة والنصف من صباح يوم ١٠ أيار (مايو) ١٩٤٠ بدأت ٤١ طائرة نقل المانية « يونكرز - ٥٢ » في التحليق من مطارين بالقرب من مدينة كولونيا وهي تسحب وراءها ٤١ طائرة شراعية وترتفع بها إلى ٨٥٠٠ قدم ، ثم انطلقت بها عبر ممرين جويين تحددهما علامات أرضية ضوئية لمسافة ٧٢ كم حتى مدينة آخن القريبة من حدود ماسترتخت ، حيث كانت هناك علامات ضوئية اخرى ذات ألوان معينة تحدد نقط فصل الطائرات الشراعية عن الطائرات القاطرة لها . وقد وصلت جميع الطائرات الشراعية إلى هذه النقاط وانطلقت في رحلتها الصامتة عبر الحدود الهولندية نحو اهدافها باستثناء طائرتين من السرية متجهة إلى قلعة ايبن ايمايل قطعت حبالهما نتيجة لحادث بسيط لحق بطائرتي النقل ، وكانت من بينهما الطائرة التي تقل الملازم اول « ويتزيج » قائد السرية ، الذي اضطرت طائرته نتيجة لذلك الحادث أن تهبط اضطرارياً في حقل قريب من « آخن » وقام الملازم فوراً مع رجاله بقطع تجهيزات الصفصاف المحيطة بالحقل تمهيداً لاعادة تحليقها بعد أن تصل إليها طائرة نقل اخرى لتلقي بخطاف يشد حبل الطائرة ، ثم أسرع إلى الطريق العام حيث استقل سيارة عادت به إلى المطار وهو قلق للغاية إذ كانت الساعة قد بلغت الخامسة وخمس دقائق ولم يتبق سوى ٢٠ دقيقة على بدء هجوم سريته ، التي مضت في طريقها نحو ايبن ايمايل داخل طائراتها التسع المتبقية وهي لا تدري بما لحق الطائرتين الاخريتين،ولا تعرف بان قائدها ليس معها . وعلى كل فقد كان الاعداد والتدريب المسبقان يساعدان على تلافي اضرار مثل هذه المفاجآت ، إذ كان طاقم كل طائرة يعرف مهمته بدقة ، وكان كل طيار يعرف المكان الذي سيهبط فيه تماماً .

وقد اطلقت المدافع المضادة للطائرات الهولندية نيرانها على الطائرات الشراعية عندما اقتربت من بلدة « ماسترتخت » ،إلا أن الطيارين المدربين استطاعوا تجنب الطلقات التي كانوا يرونها في ظلمة السحر في شكل كرات حمراء صغيرة ، ثم عبروا الحدود البلجيكية واتجهوا إلى اهدافهم بعد أن سلكوا سبيلا جعلهم يصلون من ناحية الغرب ، حتى تبدو للحراس البلجيكيين وكأنها قادمة من داخل بلجيكا .

ورغم أن الحاميات البلجيكية كانت قد تلقت انذاراً بالتأهب لاحتمال حدوث هجوم ألماني ، وذلك في الساعة الثالثة وعشر دقائق فجر اليوم نفسه ، واستعد كل جندي فعلا في موقعه ، وهو أمر تكرر وقوعه طوال شهور الشتاء والربيع ، ورغم انهم سمعوا اصوات المدافع م/ط الهولندية واستعدوا لاحتمال ظهور القاذفات الالمانية،إلا أنهم لم يسمعوا اصوات محركات طائرات وإنما فوجئوا بمجموعة من الاشباح السوداء تنزلق نحوهم في صمت وسرعة فحاولوا أن يخفضوا سبطانات المدافع المصوبة إلى أعلى بسرعة نحوها إلا أنها هبطت إلى الأرض بعيداً عن زوايا ارتفاع سبطانات المدافع ، وما أن توقفت حتى اندفع منها المهاجمون وهم يطلقون نيران الرشاشات على الحراس الواقفين عند المنعات ومختلف التحصينات التي هبطت الطائرات بجوارها أو فوقها ، ثم أخذوا يلقون القنابل اليدوية على كوات الاسلحة بالتحصينات ويلصقون الحشوات الناسفة بأبراج المدافع أو يدفعون بها داخل سبطاناتها ، كما أخذوا يطلقون ألسنة اللهب داخل هذه السبطانات والكوات وأنابيب التهوية ، وبهذه الطريقة أمكن للقوة المهاجمة أن تدمر خلال الدقائق العشر الأولى ثلاثة مواقع يضم كل منها ٣ مدافع عيار ٧٥ مم والبرج الصلب المتحرك الذي يحمل ثنائي المدافع ١٢٠ مم وسبعة منعات أخرى مختلفة ومواقع المدافع المضادة للطائرات الأربعة ، فضلا عن تدمير نقط المراقبة والتلسكوبات الخاصة ببقية المدافع . وهكذا

أصبحت معظم التحصينات والمدافع الرئيسية بالقلعة مدمرة أو معطلة أو عاجزة عن الرؤية وتحديد الاهداف . بيد أن مواقع الرشاشات والمدافع المضادة للدبابات المثبتة في منعات في الجدار الصخري لقناة ألبرت وفي الجدران المطلة على الخندق المضاد للدبابات المحيط بالقلعة ، بقيت قادرة على اطلاق النار وذلك لتعذر نسفها من أعلى . لذا أخذ المهاجمون يحاولون نسف سقف الممرات الموصلة إليها والمحفورة تحت الأرض ، بعد أن تلقوا مدداً جديداً من العبوات الناسفة بالمظلات أثناء القتال .

هذا وقد تولى الرقيب « وينزل » قيادة السرية إلى أن وصل الملازم أول « ويتزيج » إلى القلعة بطائرته الشراعية في الثامنة والنصف صباحاً حيث تولى القيادة وأخذ يتصل لاسلكياً بقائد القوة كلها النقيب « كوخ » في مقره الميداني عند جسر « فرونهوفن » الذي يتوسط الجسور الثلاثة ، التي هاجمتها السرايا الثلاث الاخرى وفاجأت حامياتها بنيران رشاشاتها وقنابلها اليدوية وقاذفات اللهب داخل خنادقها ومنعاتها واستطاعت أن تستولي عليها بعد دقيقتين من بدء الهجوم ، الذي كان بمثابة مذبحة سريعة . واستطاعت حامية جسر « كاني » فقط أن تنسف الجسر أثناء الهجوم المذكور ، على حين سقط جسري « فرونهوفن » و « فيلدفيسلت » سليمين ، ورفعت منهما العبوات الناسفة . وبعد ٤٠ دقيقة من وصول الطائرات الشراعية إلى الجسور الثلاثة هبط ٤٠ مظلياً ومعهم رشاشات ثقيلة لتعزيز القوة التي استولت عليها . كما قامت القاذفات المنقضة من طراز « شتوكا » بتقديم الدعم الجوي للقوات المسيطرة على قلعة ابن ايمايل والجسور الثلاثة بعد ربع ساعة من بدء الهجوم ، كما كانت طائرات الاستطلاع تقوم بدوريات مستمرة فوق أرض المعركة .

وفي الوقت الذي بدأ فيه الهجوم وتحقق عنصر المفاجأة بالفعل قامت طائرات النقل التي سبق أن قطرت الطائرات الشراعية حتى الحدود الهولندية بالتوغل لمسافة ٤٠ كم داخل الاراضي البلجيكية في منطقة الهجوم وألقت نحو ٢٠٠ دمية على شكل جنود مظلات ألمان أخذت تصدر عنها أصوات رصاص ومفرقعات ذاتية الاشتعال فور وصولها إلى الارض ، مما ساعد على تشتيت جهود الاحتياطي البلجيكي في مؤخرة فرقة المشاة البلجيكية السابعة التي كانت متولية مهمة الدفاع عن القطاع المتعرض للهجوم .

وفي هذه الاثناء كانت حامية « ابن ايمايل » حبيسة الانفاق تحت الارض لا تستطيع الخروج منها نظراً لسيطرة المهاجمين على المخارج وإلقائهم قنابل دخان كثيف داخل فتحات التهوية ، ولذلك طلب قائد الحامية من قيادة الفرقة السابعة أن توجه قصفات مدفعية من عمق الخط الدفاعي البلجيكي على القلعة لتقتل السبعين ألمانياً الرابضين فوقها ، والذين حفروا لانفسهم خنادق صغيرة فردية احتموا بها من قنابل المدفعية والهاونات .

وفي الساعة التاسعة صباحاً تم الاتصال لاسلكياً مع بعض بطاريات المدفعية الالمانية بعيدة المدى التي تقدمت مع القوات البرية المهاجمة لأقليم ماستريخت لتقديم معاونتها بالنيران للقوات المسيطرة على القلعة والجسور . ولم يحدث أي هجوم بلجيكي مضاد على القوات الالمانية المحمولة جواً وإنما تعرضت فقط لنيران مدافع الميدان والهاونات طوال فترة وجودها بمفردها لحين تم اتصالها بطلائع القوات المدرعة الزاحفة عبر ماستريخت مساء اليوم نفسه . وقد تأخر وصول القوات المذكورة بسبب نجاح حراس الجسور الهولندية المقامة على نهر الموز في نسفها رغم محاولات بعض رجال القوات الخاصة الالمانية المتخفين في زي هولندي للاستيلاء عليها سليمة ، ولذلك لم يستطع رجال الهندسة الالمان أن يقيموا جسوراً عائمة بدلا منها إلا في منتصف النهار (كانت ضفاف الموز ليست بعمق ضفاف قناة البرت) ، على حين وقفت أرتال الدبابات والمصفحات والشاحنات الالمانية بلا حركة على الطريق الممتد من الحدود الالمانية حتى نهر الموز في انتظار اعداد الجسور ، ولكن السيطرة الجوية الالمانية حالت دون تعرضها لأي هجمات معادية .

وطوال هذه الساعات كانت السرية المهاجمة لابن ايمايل تعاني بشدة من قذائف المدفعية والهاونات البلجيكية . وفي السادسة من صباح اليوم التالي ١٩٤٠/٥/١١ وصلت إليها الوحدات الرئيسية المدرعة ، ثم استسلمت حامية ابن ايمايل في الواحدة والنصف ظهراً بعد أن تم نسف آخر منعة بالقلعة كانت لا تزال نشطة . وقد وقع في الاسر ١١٠٠ جندي بلجيكي داخل القلعة على رأسهم قائدهم الرائد « جوتراند » ، على حين بلغ عدد القتلى ٢٣ والجرحى ٥٩ ، وبلغت خسائر السرية الالمانية المهاجمة ١٠ قتلى و ١٥ جريحاً . وبلغت جملة خسائر السرايا الثلاث الاخرى عند الجسور الثلاثة ٣٨ قتيلا و ١٠٠ جريح ، وجملة خسائر القوات البلجيكية هناك بما في ذلك من اصيبوا بقنابل الطائرات نحو ٩٠٠ قتيل .

وقد سبب سقوط قلعة « ابن ايمايل » وجسور قناة البرت بهذه السرعة والبساطة التي تمت بها صدمة ذهول شديد لدى قيادة الحلفاء . والواقع أن هذه العملية التي تعد من أوائل عمليات الاقتحام العمودي الفدائية في التاريخ العسكري الحديث ، قد نجحت نتيجة للاعداد الجيد لها من حيث التدريب والمعلومات ودقة التنظيم والسرية وتحقق عنصر المفاجأة بالكامل ، الذي ساعد عليه عدم توقع القيادة البلجيكية التي سرى لديها شعور متزايد من الاطمئنان لقوة تحصينات القلعة ، وهو الشعور الذي يحكم عادة أي قوات تعتمد كلياً على الدفاع داخل الخطوط المحصنة .

(٦) أيخمان (أدولف)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٥) ايرايتاليا ج ٩١ (طائرة)

مقاتلة قاذفة تكتيكية خفيفة ، وطائرة استطلاع ، بمقعد واحد . ايطالية . نفاثة . حلقت لاول مرة في آب ١٩٥٦ . وظهر منها نماذج عديدة منذ ذلك الحين . اهمها ج ٩١ واي (G 91 Y) وقد زود بمحركين بدل المحرك الواحد الذي تطير به النماذج الاولى . وبمعدات طيران (Avionics) متقدمة . يوجد منها نماذج متعددة ، احدها بمقعدين للتدريب .

المواصفات العامة : (ج ٩١ واي) السرعة القصوى ١١١٠ كم/الساعة (٠,٩ ماك) . الحمولة الحربية ١٨١٤ كغ . المدى ٦٣٠ كم . الوزن الاقصى للاقلاع ٨٧٠٠ كغ . الحجم : الطول ١١,٦٧ م ، فتحة الجناحين ٩,٠١ م ، الارتفاع ٤,٤٣ م .

(٥) ايرماكي م. ب ٣٢٦ (طائرة)

طائرة تدريب اساسي ، وطائرة هجوم تكتيكي خفيفة . بمقعدين . ايطالية . نفاثة . طائرة التدريب الايطالية الاساسية . انتج منها ٩ نماذج مختلفة . النموذج م. ب ٣٢٦ ك (M.B. 326 K) بمقعد واحد ، ويستخدم للتدريب العملياتي ، والهجوم الارضي . سرعتها القصوى ٨٦٧ كم/الساعة . حمولتها من المواد الحربية ١٨١٤ كغ . مداها القتالي ٦٤٨ كم . وزنها الاقصى للاقلاع ٥٢١٦ كغ . طولها ١٠,٦٥ م ، فتحة جناحيها ١٠,٨٥ م ، ارتفاعها ٣,٧٢ م . تصنع بموجب ترخيص في عدد من دول العالم .

(٥) ايروسباسيال سا — ٣٣٠ و سا — ٣٢١

(انظر هليكوبتر) .

(١) ايزنهاور (دوايت)

عسكري وسياسي امريكي (١٨٩٠ – ١٩٦٩) . من مواليد تكساس . يرجع أصله إلى عائلة المانية هاجرت إلى أمريكا في عام ١٧٣٠ . تخرج من الكلية الحربية في « ويست بوينت » عام ١٩١٦ ، بيد أنه لم يمارس الخدمة الفعلية في الحرب العالمية الأولى . عمل في هيئة أركان حرب ماك آرثر في الفيليبين خلال فترة ١٩٣٥ – ١٩٣٩ ، ومارس أعمالا هامة في الأركان العامة الامريكية خلال الفترة الأولى من الحرب العالمية الثانية ، ثم قاد جيوش الحلفاء في شمالي أفريقيا (١٩٤٣) وصقلية وايطاليا قبل تعيينه قائداً لقوات الحلفاء المكلفة بغزو النورماندي (١٩٤٤) .

أظهر ايزنهاور في مسرح العمليات الأوروبي موهبة كبيرة في تحقيق الانسجام وتنسيق التعاون بين جيوش الحلفاء . ولم تكن له خبرة ميدانية كبيرة أو قدرة تكتيكية خاصة ، ولكنه كان قديراً في مجابهة المشكلات الادارية ، وتسيير أعمال هيئات الاركان . لذا كان يعتمد على قـادة اختصاصيين أقوياء مثل باتون ومونتغمري وعمر برادلي ، ويمنحهم صلاحيات واسعة على مسارح العمليات . وفي عام ١٩٤٥ أصبح ايزنهاور قائداً لقوات الاحتلال الامريكية في المانيا ، ثم رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش الامريكي (١٩٤٥ – ١٩٤٨) ثم عميداً لجامعة كولومبيا (١٩٤٨) ، وقائداً عاماً لقوات حلف شمالي الأطلسي في أوروبا (١٩٥٠ – ١٩٥٢) . ورئيساً لجمهورية الولايات المتحدة الامريكية (١٩٥٣ – ١٩٦١) . حـاول خلال رئاسته تقوية سياسة بلاده في أوروبا وفي الشرق الأقصى . وطرح في مجال السياسة الخارجية برنامجاً سمي باسم مشروع ايزنهاور . وكان له بالنسبة للشرق الأوسط رأي يقول بأن تصفية الاستعمار ، وزوال نفوذ الدول الاستعمارية القديمة خلق فراغاً (فراغ ايزنهاور) ينبغي على الولايات المتحدة الامريكية أن تملأه . كتب عدداً من المؤلفات العسكرية – السياسية ، أهمها : حرب صليبية في أوروبا ، وإلغاء الانتداب ، وسنوات في البيت الأبيض ، وعن السلام ١٩٥٦ – ١٩٦١ .

(٦) أيزنهاور (مشروع)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)



الجنرال ايزنهاور

(١) أيلول الأسود

(منظمة من منظمات المقاومة الفلسطينية – انظر المقاومة الفلسطينية) .

(٤) ايطاليا (حملة)

(انظر غزو ايطاليا ، حملة) .

(١) إيفيان (اتفاقية) ١٩٦٢

شهد عام ١٩٥٨ تحولا هاماً في أحداث الثورة الجزائرية . ففي ٩ أيلول (سبتمبر) من هذا العام حلت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية G. P. R. A. محل لجنة التنسيق والتنفيذ (C. C. E.) ، وتولى فرحات عباس رئاسة هذه الحكومة . وفي ٢٣ تشرين الأول (اكتوبر) تحدث الجنرال ديغول عن « سلم الشجعان » كوسيلة لحل الصراع الدامي الذي بدأ منذ ليلة ٣١/١٠ – ١/١١/١٩٥٤ ، ولكن جهده السلمي لم يلق النجاح المطلوب . وفي ١٦ ايلول (سبتمبر) من العام التالي تقدمت مسألة حل الصراع خطوة جدية عندما أعلن الجنرال ديغول في خطابه حق الجزائريين بتقرير مصيرهم .

وهنا أعلن الأوروبيون القاطنون في الجزائر غضبتهم ، وأعربوا عن هذه الغضبة بعمليات عنف متصاعدة (« أيام الحواجز » في كانون الثاني ١٩٦٠) كانت عبارة عن طلاق « الجزائر الفرنسية » من الحكومة ، ولكن الحكومة الفرنسية تابعت جهدها للتوصل إلى سلام ينهي هذا الصراع الذي استنزف قوى فرنسة ، وأثار دول العالم ضدها ، وأساء إلى علاقاتها القديمة مع البلدان العربية . وأدت هذه الجهود إلى الاجتماعات الرسمية التي عقدت في ميلون Melun خلال شهر تموز (يوليو) ١٩٦٠ ، والاجتماعات التي عقدت في ايفيان خلال فترة أيار – حزيران (مايو – يونيو) ١٩٦١ .

ولقد أدى الاعلان عن الرغبة في عقد اجتماعات ايفيان إلى اندلاع حركة تمرد فرنسية في نيسان (ابريل) ١٩٦١ ، اشتركت فيها بعض وحدات الجيش بقيادة الجنرالات سالان ، وشال ، وزيلير ، وجوهو . ويذكر الجنرال اندريه بوفر بأن « حركة التمرد كانت عملية أعدت بصورة سيئة ، وتمت قيادتها باستخفاف ورعونة ، ولقد فشلت بصورة محزنة ، بيد أنها مزقت الجيش تمزيقاً رهيباً » . وفي أغسطس (آب) ١٩٦١ غدا بن خدة رئيساً للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية . وتابعت هذه الحكومة المباحثات ، رغم اندلاع العمليات الارهابية التي قامت بها منظمة الجيش السري (O.A.S) التي ضمت العناصر الأوروبية المتطرفة المتمسكة بمبدأ « الجزائر فرنسية » ، والمعادية بعنف لسياسة الجنرال ديغول . ولقد توصلت هذه المباحثات إلى اتفاقية عامة حول تقرير المصير تم توقيعها في ايفيان (أخذت اسم اتفاقية ايفيان) ، وتوقف القتال في ١٩ آذار (مارس) ١٩٦٢ .

لقد كانت اتفاقية ايفيان ثمرة نضال الشعب الجزائري وتضحياته ، واعترفت فرنسا فيها باستقلال الجزائر ، وجرى على أثرها استفتاء عام في ١ تموز (يوليو) ١٩٦٢ . وكانت الغالبية العظمى في هذا الاستفتاء تؤيد استقلال البلاد . وفي هذه الفترة سيطر جيش التحرير الوطني (A.L.N) على الجزائر كلها ، وتجمعت القطعات الفرنسية في ثكناتها استعداداً للرحيل ، ورحل معظم الأجانب المقيمين في البلاد ، وانتهت ١٣٠ عاماً من الاستعمار الفرنسي لأرض الجزائر . ودخلت الجمهورية الجزائرية الأمم المتحدة في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٢ كدولة مستقلة ذات سيادة .

(٣) ايلياء

(أنظر القدس) .

(٨) إيمفال (حملة) ١٩٤٤

حملة ايمفال Imphal أو حملة إيمفال – كوهيما ، هي الحملة التي دارت رحى معاركها على جبهة آسام (في الهند) خلال الحرب العالمية الثانية (من آذار إلى حزيران ١٩٤٤) ، واصطدمت بها

القوات اليابانية مع القــوات البريطانية ، وانتهت بانتصار البريطانيين .

عرفت حملة ايمفال بأنها حملة شديدة الضراوة ، وذلك لأن القيادة اليابانية كانت تأمل في الانطلاق الى الهند ، إن هي استطاعت احتلال ايمفال ، في حين كانت قيادة الحلفاء تجد في سقوط ايمفال خطراً كبيراً لا يهدد باجتياح الهند فقط وإنما يهدد محور الامداد للصين وعزله ايضاً ، الامر الذي يضعف قوة الصين الى حد خطير ، وقد يؤدي الى فشل العمليات الحليفة في آسيا كلها . وترتبط حملة ايمفال باسم الفيلدمارشال سليم الذي خطط لها وقادها في ظروف غامضة ومثيرة .

لم يكن لدى اليابانيين عندما بدأوا اجتياح بورما في ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢ ، مخطط أو تصميم للتوغل في تقدمهم داخل الهند ، ولكن حملة الشنديت الأولى أظهرت في شباط – أيار (فبراير – مايو) ١٩٤٢ بأن نهر شيندوين لا يشكل حداً أميناً يمكن الاعتماد عليه أو التوقف عنده ، ولهذا فانهم عملوا في الخامس عشر من آذار (مارس) ١٩٤٤ على البدء بهجومهم ، وهو الهجوم الذي حددوا له هدفاً رئيسياً وهــو الوصول الى وادي براهما – بوترا ، وتمكنوا بواسطته من احتلال المطار الذي كان يستخدمه الحلفاء لتوفير متطلبات الصين من الامدادات ، بحيث أصبحت الصين مهددة بخطر كبير . وكان هناك احتمال بعيد في ان ينجح اليابانيون في تحقيق ما يريدونه من غزوة الهند الشرقية .

لقي اليابانيون في العمليات التي اعقبت ذلك ، أسوأ هزيمة نزلت بهم في تاريخهم العسكري ، فقد دمرت ٥ فرق يابانية وفقد اليابانيون نتيجة هذه المعركة ما لا يقل عن ٣٥ ألف مقاتل ، كما فقدوا (٢٥٠) مدفعاً . وقد وقعت في صفوف الجيش الاربعين الحليف حوالي ١٦٧٠٠ إصابة ، ولكن هذا الجيش لم يفقد مدفعاً واحداً . وليس من السهل متابعة تاريخ معارك القتال الطويلة والصعبة التي دارت رحاها في حملة ايمفال – كوهيما وذلك من خــلال متابعة تطور مخططات القيادات اليابانية والبريطانية . فقد كانت المعارك تتأرجح بين مد وجزر عبر محيط واسع من الاقاليم المقفرة والموحشة . وكانت الأرتال والألوية والفرق تسير في اتجاه ثم تعود لتسير في الاتجاه المضاد للأول . ويقع أثناء ذلك معارك دموية ضارية بين قوات الطرفين المتحاربين ضمن إطار عمليات منعزلة وفي ظروف غامضة تصعب متابعتها . وعلى كل حال فانه بالامكان تقسيم العمليات القتالية بكاملها الى ثلاث مراحل واضحة : أ – الحشد ، حيث عمل كل طرف من الطرفين المتصارعين الياباني والانكلو – امريكي على حشد قواته كلها للدخول في المعركة ، ب – الاستنزاف ، حيث كان كل طرف من الطرفين يكافح بجهد اسبوعاً بعد اسبوع ، في معارك قتال الالتحام وقتال جسم لجسم من أجل استنزاف قوة خصمه وفرض ارادته عليه ، ج – الهجوم المضاد والمطاردة ، وقد انتقل البريطانيون في هذه المرحلة تدريجياً للعمل على تصعيد هجماتهم حتى تصل ذروتها . وما أن انهارت القوات اليابانية حتى بدأت المطاردة ، وفيها ظهرت المعارك المعقدة والعمليات المتشابكة من اجل اخراج القوات اليابانية من معاقلها ومطاردتها وتدميرها .

أ – مرحلة الحشد : في الأيام الأولى من شهر آذار (مارس) ١٩٤٤ ، بدأت القــوات اليابانية تحركاتها من أجل شن حملة ايمفال – كوهيما . وكانت الفرقة البريطانية السابعة عشرة بقيادة كووان في ذروة خبرتها تتمركز في المنطقة القريبة من تيديم بمهمة إعاقة تقدم اليابانيين وتنفيذ الهجمات الانتقامية ضدهم . وقد افاد كووان من تجاربه السابقة ، فتوقف عن محاولاته لاحــتلال المواقع الدفاعية اليابانية أو الاستيلاء عليهــا بالهجمات المستمرة على امتداد التخوم الحادة – كحد السيف – من تلال الصين . واقتصرت الاعمال القتالية على صدام بين دوريات الاستطلاع والكمائن . وقد استخدم كووان مهاراته ، وحريتــه الكاملة في التصرف لتنظيم عملياته بهدف تجزئة مواقع القوات اليابانية والقضاء عليها، وبذلك استطاع احتلال بعض المناطق الأرضية الهامة التي كان قد أضاعها ، ولكن هذا الموقف لم يلبث ان انقلب بصورة مباغتة . ففي يوم ٦ آذار (مارس) ١٩٤٤ بدأ اليابانيون هجومهم ، وأخذت وحدات اللواء الياباني ٢١٤ من الفرقة الثالثة والثلاثين في تنظيم سلسلة من الاعمال الهجومية ضد المفارز البريطانية التي كانت تحتل جسر ماينبورغ القريب من تونزانغ ،والواقع على مسافة عشرين ميلا من تيديم . فعمل كووان عندها على ارسال إحدى كتائبه لدعم مفارز الجسر ، ولكن تعاظم الهجمات اليابانية لم تلبث ان شملت قوات اللواء الياباني ٢١٤ بكامله . واخذت قوات هذا اللواء الياباني في الاندفاع بقوة لتحطيم المواقع الدفاعية في تونزانغ وصمدت المواقع البريطانية الدفاعية بعناد ، ولكن تطور سير المعركة دفع كووان الى زج اللواء الثالث والستين في ١٣ آذار (مارس) ، حتى يضمن ثبات المواقع واستمرار السيطرة على المراكز الحيوية والهامة عند مؤخرة مواقع الفرقة ١٧ . وفي هذا الوقت ذاته كان اليابانيون قد بدأوا هجوماً آخر من قوات اللواء ٢١٥ ، واخذت وحداتهم في عبور نهر ماينبور من اتجاه الشرق نحو الغرب وعلى بعد اميال فقط الى الجنوب من المواقع البريطانية في تيديم، ثم تابعت تقدمها عبر الممرات الجبلية . وكان باستطاعة القوات البريطانية متابعة تحرك ارتال اليابانيين ، لكنه كان من الصعب تقدير حجمها وقوتها . ولم يكن باستطاعة دوريات الاستطلاع اجراء تماس مع هذه القوة لمعرفة حجمها ، كما كان من الصعب على طيران الاستطلاع ايضاً الحصول على معلومات دقيقة عن قوة اليابانيين نظراً لتحرك هذه القوات تحت ستار غطاء الغابات الكثيفة . وفي يوم ١٣ آذار (مارس) توفرت المعلومات لدى قيادة الفرقة البريطانية ١٧ باقتراب القوات اليابانية من معسكر ميلستون ١٠٩ ، على بعد ستين ميلا تقريباً الى الشمال من تيديم، حيث كان هناك معسكر بريطاني فيه بعض القناصة والمهندسين وزارعي الألغام من القوات الهندية بالاضافة لبعض الوحدات الادارية علاوة على خمسة آلاف عامل غير مسلح كانوا قد توقفوا في هذا المعسكر اثناء انتقالهم في الطريق الى ايمفال . فأرسلت كتيبة من المدافع الرشاشة للقوات الهندية . ونظراً لاستحالة الدفاع عن المعسكر وعن مواقع الفرقة ، فقد صدرت الأوامر الى الفرقة بالانسحاب . وبعد ظهر يوم ١٤ (آذار) بدأ رتل طويل من القوات البريطانية في اختراق الجبال والمرتفعات حيث كانت الفرقة بكاملها بما في ذلك أجهزتها القيادية وهيئات اركانها تتحرك سيراً على الأقدام . أما وسائل النقل والمركبات فقد تركت لنقل المستودعات والذخائر والامدادات والتمـــوين والجرحى والمرضى . وقد وصل عدد المركبات الناقلة الى ٢,٥٠٠ مركبة علاوة على ٣٥٠٠ راحلة لنقل العتاد في الممرات الجبلية . واستطاع هذا الرتل ان يتجاوز في سيره خلال اليوم الأول مسافة ٢٠ ميلا . وتم خلال عملية الانسحاب تنظيم تدمير الجسور بعد اجتيازها وزرع الالغام والافخاخ والمصائد في المعسكرات والمواقع التي تم اخلاؤها والجلاء عنها . ونجح اليابانيون في متابعة مؤخرات الرتل بحذر كبير ضمن اتجاه تكتيكي صحيح وذلك بهدف قطع الطريق امام محور تقدم القوات ، مع تركيز القوى وحشدها في مواجهة القوات البريطانية . واستطاعت القوات اليابانية قطع الطريق في موقعين من المواقع الهامة . وكان المكان الأول على مسافة قريبة من تونزانغ حيث قام اللواء الياباني ٢١٤ باستدارة حول المفارز المتقدمة البريطانية ونظم المواقع عند طرفي الطريق



جنود بريطانيون يطهرون موقعاً يابانياً

على بعد ميلين الى الشمال من « سرج توتيوم » وأخذ في الاشتباك مع المفارز المتقدمة . أما المكان الثاني الذي تم قطع الطريق فيه فكان يقع على مسافة قريبة من معسكر ميلستون ١٠٩ ، وأصبح الطريق الى ايمفال مغلقاً في يوم ١٤ آذار (مارس) ، وأخذت الفرقة البريطانية السابعة عشر بالتعامل فوراً وبفاعلية قوية مع القوة اليابانية التي تمركزت عند المكان الأول وقطعت الطريق . وفي يوم ١٦ آذار (مارس) بدأت قوة هندية (الغوركا) بالهجوم على القوة اليابانية المسيطرة على الطريق عند « سرج توتيوم » بدعم من نيران المدفعية الثقيلة ، ونجحت قوة الهجوم في اختراق المواقع اليابانية والالتحام مع القوة المدافعة عنها بقتال جسم لجسم وبالحراب وأمكن تدمير القوة اليابانية وأصبح الطريق مفتوحاً حتى معسكر ميلستون ١٠٩ فقط . ولم يكن القطاع الذي يضم تسيديم هو القطاع الوحيد المهدد من قبل اليابانيين ، فقد تحركت وحدات الفرقة ١٥ اليابانية للاستيلاء على ايمفال وذلك في ليل ١٥ — ١٦ آذار (مارس) ١٩٤٤ ، وبدأت وحدات الفرقة في عبور نهر شيندوين على ثلاثة ارتال ، وكان واجبها يتمثل في متابعة التقـدم حتى الوصول الى شمال ايمفال، وحصار المدينة وعزلها تمهيداً لاحتلالها . وفي يوم ١٨ آذار (مارس) التقت الارتال الثلاثة للفرقة اليابانية ١٥ عند أوكهرول التي تبعد خمسين ميلا عن ايمفال في الوقت الذي كانت فيه الفرقة اليابانية ٣١ تقوم بعبور النهر لتتابع تحركها الى يمين الفرقة ١٥. وصرح القائد الياباني: « ما ان يبدأ الانقضاض حتى تسقط كوهيما بضربة واحدة ، ويتم لنا القضاء على القوة البريطانية المتواجدة على أرض هذه الجزيرة ».

كانت المعلومات الدقيقـة عن موقف اليابانيين وقوتهم غير متوفرة ، ولم يكن هناك حقائق ثابتة يمكن الاستناد اليها في تقدير الموقف ، ولكن كانت هناك على كل حال حقيقتان ثابتتان تماماً ، اولاهما هي ان الفرقة ١٧ قد أصبحت ممزقة وضعيفة ، والثانية هي ان ايمفال ذاتها أصبحت تحت التهديد القوي والمتطور من جهة الشرق . وقررت قيادة جبهة سيام زج كل قواتها بالمعركة والتضحية بمبدأ ضرورة الاحتفاظ بقوة احتياطية ، فأرسل لواء من قـوة الفرقة ٢٣ ثم تبعه لواء آخر من الفرقة ذاتها بمهمة القتال في الطريق حتى الوصول للفرقة ١٧ ، وتأمين الدعم الضروري لها . وفي يوم ١٩ آذار (مارس) ظهر قسم من الفرقة اليابانية ٣١ وبدأ هجومه ضد لواء المظليين الهندي المدعم بكتيبة من الفرقة ٢٣ . وبعد قتال عنيد ويائس احتلت القوات اليابانية اوكهرول في يوم ٢١ آذار (مارس) ، واعادت القوات البريطانية تنظيمها على بعد تسعة أميال جنوبي أوكهرول واستمرت في قتالها بين ٢١ و ٢٥ آذار (مارس) ، واضطرت بعد ذلك الى الانسحاب . وفي ليلة ٢٥ — ٢٦ آذار (مارس) ، كان لواء المظليين الهندي قد وصل الى مرحلة الاستنزاف الكامل ، فصدر الأمر الى بقية قوة اللواء بالانسحاب والتراجع عن طريق ايمفال . وكانت خسائر الطرفين خلال هذه الفترة من الصراع فادحة ، وفي الوقت الذي كانت تدور فيه رحى هذه المعارك الوحشية في اوكهرول وحولها ، كانت هناك اشتباكات مماثلة في وحشيتها وضراوتها على بعد عشرة أميال تقريباً الى الجنوب — الغربي من طريق أوكهرول . وفي ليلة ٢٤ — ٢٥ آذار (مارس) ، قامت قوات يابانية كبيرة بالهجوم على المواقع البريطانية ، وقامت القوات البريطانية بعدد من الهجمات المضادة تكبدت خلالها خسائر كبيرة . وحاول اليابانيون قطع الطريق الى ايمفال عند مؤخرة القوات البريطانية، لكن قوات الفرقة الخامسة أخذت تتدفق من اراكان عن طريق الجو ، وبدأت هذه القوات في تنفيذ عملياتها ، بحيث كانت المعركة تبدأ عملياً منذ انطلاق قوات الفرقة من طائراتها . ونجحت قوات اللواء ١٢٣ في تطهير الطريق حتى ستة أميال من ليتان . وفي يوم ٢٨ آذار (مارس) صدرت الأوامر الى القوة البريطانية المدافعة عن ليتان بالانسحاب وأمكن نقل اللواء التاسع من فوق الفرقة الخامسة ، وبذلك أصبح التقدم الياباني من أوكهرول الى كوهيما — ايمفال معرضاً للاصطدام بالمقاومة القوية للمواقع الدفاعية البريطانية .

ووقعت المعركة في ظروف قاسيـة ، واستمر الصراع واعمـال الكمائن اسبوعـاً كاملا قبـل ان تتوقف العمليات في هذا القطاع ، ولكن وفي الوقت الذي أمكن فيه احباط الضربة الرئيسية للقوات اليابانية ، كان اليابانيون ينطلقون في هجومهم من اوكهرول بهدف الوصول الى خط كوهيما — ايمفال واختراقه ، وفي يوم ٣٠ آذار (مارس) نجحت القوات اليابانية في تدمير الجسر الواقع على بعد ٣٠ ميلا الى الشمال من ايمفال ، واقامت موقعاً دفاعياً قوياً امكن بواسطته قطع الطريق واصبحت ايمفال بذلك معزولة عن كل محاور الاتصال البرية

الرئيسية ، بحيث لم يبق لها للاتصال بالعالم الخارجي سوى الطريق الضيق الذي يصلها غرباً مع سيلشار .

وعندما كانت تحدث هذه المعارك ، كانت الفرقة الهندية ٢٣ قد تركت لواء من قوتها فقط للدفاع عن ايمفال ، وانطلقت لتخوض معاركها عن طريق تيديم في اتجاه الفرقة البريطانية ١٧ . وقد تحركت الوحدات المتقدمة من اللواء ٣٧ للفرقة ١٧ بسرعة وبقيادة قائد الفرقة ومعها بعض الدبابات الخفيفة واخذت في طرد القوات اليابانية التي كانت تعمل على حصار بعض المفارز الصغرى في ميلستون ١٠٩ ، وعند طريق تيديم . لكن الوحدات اليابانية نجحت في التسلل الى الغابات قبل ان تتمكن وحدات اللواء ٣٧ من متابعة تقدمها حتى المنحدر المشرف على معسكر ميلستون ١٠٩ . واخذت هذه الوحدات اليابانية في تنظيم سلسلة من المواقع التأخيرية على الطريق الواقع خلف القوات البريطانية . وأصبح لزاماً على هذه القوات الاستدارة من جديد لتطهير الطريق الذي يصل في نهايته الى ايمفال في حين كانت قوات اللواء الثاني من الفرقة الهندية ٢٣ تقاتل بدورها في الجنوب وهي تشق طريقها للوصول الى اللواء ٣٧ . وتمكنت القوات اليابانيـــة والانكليزية خلال المرحلة التالية من الصراع من فرض سيطرتها بالتناوب على طريق تيديم . ولكن الموقف عند ميلستون ١٠٩ تزايد خطورة بسبب تأخر القوات البريطانية في تجاوز المنعطفات ، وتعاظم ضغط القوات اليابانية مع اتساع نطاق القصف ، بحيث أصبح من المستحيل على القوات البريطانية الاستمرار في الدفاع بطريقة مجدية ضمن حدود هذه المنطقة الغنية بعوائقها والمكتظة بالافراد غير المقاتلين . وخلال ليل ١٦ – ١٧ أذار (مارس) امكن قيادة هؤلاء غير المقاتلين بمهارة والخروج بهم عبر الممرات التي تخترق الغابات ومن خلال مواقع القوات اليابانية حتى تم الوصول الى منطقة عمل الفرقة ٢٣ . وفي يوم ١٩ آذار (مارس) سقط معسكر ميلستون ١٠٩ في قبضة القـــوات اليابانية مع كل ما فيه من مستودعات كبيرة واعداد كثيرة من الآليات والمركبات التي تركتها القوات البريطانية المنسحبة ، وعـــلى أثر ذلك نظم قائد الفرقة ١٧ (كوان) هجوماً مضاداً قويـــاً استطاع بواسطته استعادة المعسكر في يوم ٢٥ آذار (مارس) ١٩٤٤ . وكانت المستودعات والمركبات كما هي ، فعملت الفرقة ١٧ على سحبها ونقلها كلها .

وعندما كانت القوات المتقدمة للفرقة تتعامل بقوة مع اللواء الياباني ٢١٥ ، كانت المؤخرة في « سرج توتيوم » تقاوم كل ليلة الهجمات العنيفة

معركة ايمفال (١٩٤٤)

التي كانت تقوم بها وحدات اللواء الياباني ٢١٤ المدعمة بقوات متزايدة من المدفعيـــة والدبابات ، واستطاعت هذه المؤخرة الصمود واحباط الهجمات كلها حتى جاء الهجوم الياباني الأخير في يوم ٢٤ آذار (مارس) ١٩٤٤ ، حيث استطاعت القوات المدافعة ايضاً احباط الهجوم الياباني وتدمير عدد كبير من دباباته . وفي يوم ٢٦ آذار أمكن طرد القوات اليابانية التي كانت تغلق طريق التقدم حتى ميلستون ١٠٩ ، وتم تطهير الطريق ، وبعد ذلك بدأت المؤخرة في الانسحاب من « سرج توتيوم » عبر نهر (مانيبور) . وعندما انتهت عملية الانسحاب ، قام المهندسون بتدمير الجسر ، وتابعت الفرقة طريقها .

ولكن اعمال الدوريات والاصطدامات استمرت على نطاق ضيق. فعمل قائد الفرقة ١٧ على تكليف لوائين من قوة الفرقة ٢٣ بمتابعة مطاردة القوة اليابانية، في حين تابعت الفرقة ١٧ طريقها الى ايمفال حيث وصلتها يوم ٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٤. ونجحت الفرقة ١٧ في المحافظة على قوتها اثناء تنفيذ المراحل الأخيرة من انسحابها بفضل الامدادات التي كانت تصلها من الجو، أما سلاح الجو الياباني فانه حاول اكثر من مرة التعرض لهذا الرتل الطويل اثناء انسحابه، ولكن هجوم الطيران الياباني لم يكبد القوات البريطانية خسائر كبيرة. ولم يكن تقلص الجهد الجوي الياباني الا نتيجة للجهود التي بذلتها المجموعة ٢٢١ من سلاح الجو الملكي البريطاني.

انتهت معركة تيديم بتحقيق نجاح كامل بفضل جهود الفرقتين ١٧ و ٢٣ وما تميزتا به من الروح المعنوية العالية والكفاءة في القتال. وكان للطيران دور كبير في دعم عمليات الفرقتين وتحقيق النجاح. وعندما كانت الفرقتان ١٧ و ٢٣ تخوضان معاركهما، كانت بقية الفرق المتقدمة من قوات الفيلق الرابع وقوات غراسي تقوم بعملياتها في منطقة تامو وعند رأس وادي قباس. وقد جابهت هذه الفرق اثناء انسحابها عدداً من الأحداث المثيرة وذلك قبل وصولها الى سهل ايمفال. الا انها لم تجابه على كل حال من المواقف المعقدة والصعبة ما هو مماثل لما جابهته الفرقة السابعة عشرة.

كان اليابانيون قد حشدوا قواتهم الى الجنوب من وادي كاباو. وفي يوم ١٢ آذار (مارس) قاموا بهجومهم في هذا القطاع ثم أمكن ايقاف الهجوم بعد اسبوع من الاشتباكات الدامية، ولكن القوات اليابانية استأنفت هجومها مرة أخرى بعد غروب شمس يوم ٢٢ آذار (مارس) ١٩٤٤. وعلى الرغم من نجاح القوات البريطانية في إيقاف الهجوم الياباني، الا انه اصبح من الواضح خطورة الوضع عند الجبهة الشرقية من ايمفال. وزاد من خطورته التقدير الخاطئ لموقف القوات اليابانية، فقد كانت القيادة تعتقد أن أقصى ما يمكن لليابانيين زجه في هذا الاقليم هو قوة لواء، ونتج عن ذلك خطأ في تقدير قدرة اليابانيين سواء بالنسبة لاتساع جبهة عملياتهم أو في عمقها. وظهر ان القيادة اليابانية قد زجت في هذا القطاع قوة الفرقة ٣١ بكاملها للعمل ضد قطاع كوهيما - ديمابور. ولما لم تكن القيادة البريطانية تتوقع مثل هذا التطور في مسيرة العمليات، فانها وجدت نفسها أمام موقف خطير، فالحامية المدافعة عن كوهيما ضعيفة جداً ومتفرقة، كما أن ديمابور كانت مجردة من الحماية، وكان باستطاعة القيادة البريطانية احتمال نتائج ضياع كوهيما، ولكن ضياع ديمابور كان يشكل ضربة حاسمة، نظراً لأنها تضم القاعدة الجوية الوحيدة، ومحطة الخط الحديدي الرئيسية، وهذا يعني ان فقد السيطرة على ديمابور سيبدد كل الآمال في امكانات انقاذ ايمفال وسيحرم القوات البريطانية من كل فرصة لوضع العوائق امام تقدم اليابانيين واعاقتهم عن الوصول الى وادي براهما بوترا، وفيه سلسلة مطارات ستيللويل الممتدة حتى الليدو والصين، وبهذا ستتوقف الامدادات التي يتم ارسالها الى الصين. وأمام هذا الموقف اضطرت القيادة العامة الى زج احتياطيها الخاص بها والمشكل من الفرقة الهندية الخامسة ولواء العمليات الخاصة ولواء المغاوير البحرية الملكية. واستخدم في ذلك ثلاثين طائرة داكوتا من اصل الاسراب الثمانية المخصصة لنقل الامدادات للصين وكانت هذه الاسراب الثمانية مكونة من (٤ اسراب بريطانية و ٤ اسراب امريكية). وبدأت الفرقة الهندية الخامسة في التحرك جواً الى جبهة آسام لدعم الجيش ٤٠ وذلك يوم ١٧ آذار (مارس). وفي يوم ٢٠ آذار (مارس) انتهت عملية نقل اللواء ١٢٣ وفقاً لما كان مخططاً له. وفي يوم ٢٤ آذار (مارس)، وصلت قيادة الفرقة وهيئة اركانها وجميع الأفراد التابعين لها. ولقد كان تحويل قسم من الجهد الجوي المخصص للصين هو العامل الحاسم في توفير قدرة الحركة والوصول الى المعركة في الوقت المناسب. وبذلك أمكن معالجة الخطأ في تقدير الموقف، بالسرعة في تنفيذ التحرك. وأعيد تنظيم قوات جبهة آسام بعد أن دعمت بقوات كافية حتى تستطيع مجابهة ضغط القوى اليابانية المستمر، واعيد توزيع الواجبات على فرق الجبهة المختلفة بما يتناسب ومواقفها.

ب - مرحلة الاستنزاف: افاد الطرفان الياباني والبريطاني من اعادة التنظيم ومن فترة الهدوء حتى يستكمل كل طرف استعداداته. فلقد شعر الطرفان باخطائهما، كل في تقدير قوة الآخر. ومضى الاسبوع الأول من نيسان (ابريل) ١٩٤٤ والموقف على جبهة آسام لا زال خطراً بسبب اخطاء القيادة البريطانية من جهة، وبسبب استمرار ضغط القوات اليابانية على تخوم سهل ايمفال. رغم كل ما تكبدته من خسائر، ورغم كل اضاعة للوقت لم تكن في صالحها، خاصة وان القوات اليابانية لا تستطيع احتمال حروب الاستنزاف الطويلة. وكان الثمن الذي دفعه اليابانيون من قتلاهم وجرحاهم يزيد كثيراً على ما هو متوقع. وقد بذل طيران الحلفاء خلال هذه الفترة أقصى جهد ممكن يستطيعه، سواء من اجل السيطرة على سماء المعركة أو من اجل نقل متطلباتها من الوحدات والاعتدة. قد برهنت المعارك على جبهة سيام بصورة خاصة ان عمليات النقل الجوي هي الحل العملي للتغلب على الصعوبات في الجبهات الواسعة والعميقة وفي المناطق الصعبة.

ونظراً لأهمية ديمابور، فقد تم تركيز الجهد عندها، وتم ارسال لواء لحمايتها منذ مطلع شهر نيسان، كما اعطيت كوهيما الافضلية الاولى على سلم العمليات، فتم دعم الفيلق البريطاني ٣٣ بالقسم الاكبر من امدادات الذخائر والمواد التموينية. وبذلك أصبح موقف جبهة الحلفاء في أسام متوازناً قدر المستطاع. ونظراً لما أصبح عليه موقف الطرفين المتصارعين، فانه لم يعد بالامكان الوصول الى نصر حاسم. ولهذا كان من الطبيعي ان يتعرض كل طرف للخسائر الفادحة في الاشتباكات المستمرة حتى وصلت الفرقة اليابانية ٣٣ في نهاية شهر أيار (مارس) الى مرحلة الاستنزاف الكامل، وقد أظهر الجندي الياباني خلال هذه المعارك المتواصلة روحاً معنوية عالية وكفاءة قتالية جيدة.

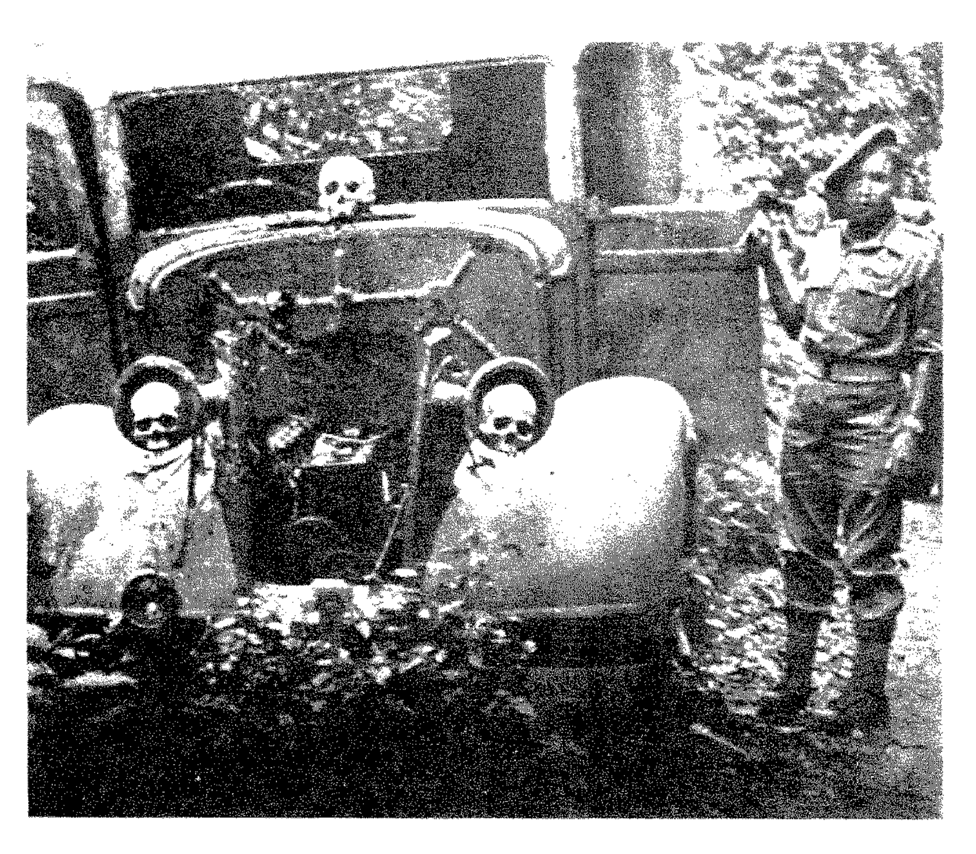
ج - الهجوم المضاد والمطاردة: اصبح الموقف العام على جبهة آسام يشابه الى حد بعيد الموقف في معركة السوم (١٩١٦)، ولكن اعادة التنظيم المستمر للقوات البريطانية وتوفير المتطلبات الضرورية جعل موقف البريطانيين أفضل من موقف اليابانيين لاسيما وان ميزان التفوق في القوى والوسائط اصبح لصالح البريطانيين منذ بداية شهر حزيران (يونيو) ١٩٤٤، ولهذا أصبح باستطاعة القوات البريطانية الانطلاق من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم، فأصدر القائد العام البريطاني في الهند أوامره يوم ٨ حزيران (يونيو) لمعاودة فتح طريق كوهيما في موعد لا يتجاوز منتصف شهر تموز (يوليو) وابعاد كل خطر ياباني يتهدد الجبهة. ووجد قائد جبهة سيام ان هذا الموعد يزيد على ما كان يتوقعه. فتركز جهده على تدمير الفرق اليابانية اكثر مما تركز على اعادة السيطرة على كوهيما، ووضعت قيادة الجبهة مخططها للعمليات بحيث يتم دفع فرق النسق الثاني لجبهة سيام مع مدفعية الفيلق كقوة ضاربة رئيسية تدعمها الدبابات لتنفيذ واجب التقدم على محور طريق ايمفال. وكان على الفرقة الهندية السابعة التقدم بسرعة نحو الجنوب الشرقي وبصورة متوافقة مع تحرك الفرقة الثانية لاختراق الاقليم الى اليسار من الطريق، بحيث تستطيع توفير الحماية لجناح الفرقة البريطانية وقطع الطريق امام كل محاولة تقوم بها

القوات اليابانية للانسحاب نحو الشرق ، مع تكليف لواء الوحدات الخاصة ٢٣ بممارسة مزيد من اعمال الاستنزاف لاجهاد اليابانيين وازعاجهم ، والتقدم حتى اوكهرول ، وهكذا ضمن مخطط العمليات الافادة من الميزات الخاصة لكل تشكيل من التشكيلات المقاتلة التي ستشترك في المعركة ، فافاد من الفرقة الثانية كقوة ضاربة ومن الفرقة السابعة كقوة مرنة ذات كفاءة خاصة على التحرك والتقدم سيراً على الاقدام وبعيداً عن محاور الطرق ومعها القليل من مدفعية الدعم وكمية محدودة من المواد التموينية ، كما افاد من المرونة الكبرى لقوة اللواء الثالث والعشرين للوحدات الخاصة في مجال الامداد الجوي .

كانت القيادة البريطانية تأمل في أن تتمكن الفرقة الثانية من ارغام اليابانيين على التراجع بعيداً عن الطرق ودفعهم نحو الفرقة السابعة واللواء ٢٣ حيث تعمل هذه القوات على تدميرهم . وكان من السهل تنفيذ مثل هذه العملية في اقليم غير هذا الاقليم الصعب الذي تغطيه الغابات والتلال والطرق الضيقة ، بالاضافة الى ضباب الرياح الموسمية وما يرافقه من غيوم كثيفة وامطار غزيرة تشكل عوائق صعبة امام تطوير عمليات القوات بسرعة . وكان باستطاعة وحدة صغيرة من حرس المؤخرة للقوات اليابانية إعاقة تقدم القوات البريطانية بنجاح بينما تقوم التشكيلات اليابانية الكبرى بالانسحاب بعيداً عن المعركة والهرب امـام قوات الهجوم البريطانيـة في حالة من الفوضى تاركة للبريطانيين الكثير من متاعها ومعداتها .

وفي يومي ٦ و ٧ حزيران (يونيو) ١٩٤٤ ، وبعد ان انجزت الفرقة الثانية البريطانية عملية تطهير منطقة ارادورا ، استأنفت تقدمها نحو معسكر ميلستون ٥٥ على طريق ايمفال . ووقع هناك قتال عنيف مع مفارز حرس المؤخرات اليابانية وذلك قبل ان تصل وحدات الفرقة الى اهدافها . وكان أمر مجابهة الصعوبات قد أصبح من الأمور العادية في عمليات القوات ، فكان على وحدات المهندسين الملكية هنا الانطلاق مع الوحدات المتقدمة في نهاية النهار لإزالة كتل ثلاثة انهيارات ورفع المحطومات وتدمير خمس سدادات طرق مع رفع عدد كبير من الالغام الى جانب اقامة جسرين كبيرين . وكان من حسن حظ البريطانيين ان القوات اليابانية عند تدميرها الجسور كانت تهمل تدمير الدعامات والركائز ما كان يجعل عملية اقامة الجسور العسكرية سهلة نسبياً .

كانت أول مقاومة جدية لليابانيين هي تلك



جندي حليف أمام غنائمه

التي تمت مجابهتها عند منيسفيما قريباً من ميلستون ٦٠ وكانت القوات اليابانية قد تركت هنا مفرزة من حرس المؤخرة لاحتلال موقع دفاعي قوي عند منحدر حاد يخترقه الطريق ، وكانت تحيط بالموقع حقول الألغام وتحميه المدفعية وتتشابك أمامه نيران الرشاشات الثقيلة ، وتوقفت وحدات الهجوم البريطانية امام هذا الموقع الدفاعي ، ثم اضطرت الى التراجع قليلا في مساء يوم ٨ حزيران (يونيو) ، بسبب تزايد ضغط القوات اليابانية . وفي اليوم التـالي نظم البريطانيون ضربة قوية جانبية ضد الموقع الياباني ، ولكن الغابات الكثيفة والضباب والامطار خدعت القوة الهجومية البريطانية واعاقتها عن الوصول الى هدفها ، فقامت باحتلال تل يماثل التل الذي كانت تتمركز عنده القوات اليابانية . ولم يتم اكتشاف هذا الخطأ الا في يوم ١١ حزيران (يونيو) حيث ظهرت مقاومة اليابانيين من جديد ، وبعد ان شوهد التل القريب جداً والمقابل للتل الذي يقع فيه الهدف . وهكذا اعيد تنظيم الهجوم وتوجيهه من جديد بصورة صحيحة نحو هدفه . وامكن تنفيذ العملية بنجاح يوم ١٤ حزيران (يونيو)، حيث أبيد عدد كبير من افراد القوات اليابانية اثناء تراجعهم عن التل .

وأمكن اكتساب البريطانيين لأربعة اميال اخرى من الطريق، وعند ذلك حدث تأخر جديد بسبب تدمير اليابانيين للجسر الذي كان من المقرر أن تعبر منه قوات الهجوم .

لقد كان هذا التأخير ، الى جانب مجابهة مفرزة أخرى من وحدات مؤخرات القوات اليابانية، هي العوامل في إعاقة التقدم بحيث لم تتمكن القوات البريطانية من تجاوز اكثر من اميال قليلة فقط وامكنها حتى مساء يوم ١٦ حزيران (يونيو) التوقف عـلى بعد ميل واحـد. فقط من « ماو – سونغ – سانغ » . وكانت « ماو – سونغ – سانـغ » هذه هي الذروة الفاصلة بين « كوهيما و « ايمفال »، وكانت تضم اعلى خطوط الانحدار المتوجهة بشكل حاد وبزاوية قائمة نحو الطريق . وكانت المعلومات المتوفرة للبريطانيين ، تشير كلها الى ان القيادة اليابانية كانت مصممة على الاحتفاظ بهذا الموقع القوي جداً في محاولة اخيرة لايقاف تقدم قوات الفيلق ٣٣ واعاقته عن الوصول الى ايمفال . وكانت القوات اليابانية قد نجحت خلال عمليات سابقة في استخدام فيسفيما كموقع لتأخير تقدم القوات البريطانية أياماً عديدة ، أما هنا في « ماو – سونغ – سانغ » فقد

جهز اليابانيون دفاعهم لمعركة حاسمة . وفي يوم ١٧ حزيران ، انطلقت المدفعية البريطانية في قصف المواقع اليابانية برمايات كثيفة ومركزة . واستمرت عمليات القصف فترة طويلة ، في حين كانت القوات تنطلق في الليل للقيام بحركة التفاف مزدوجة ضد جناحي القوات اليابانية الأيمن والأيسر . وقد بوغتت القوات البريطانية مباغتة تامة عندما وجدت ان المواقع في « ماو – سونغ – سانغ » خالية من كل مقاومة يابانية وكانت هذه هي المرة الاولى في معركة بورما والتي يستسلم فيها موقع ياباني للقوات البريطانية دون قتال أو مقاومة . ويعتبر هذا العمل من الاعمال الخداعية الجيدة التي يتقن اليابانيون استخدامها . وعلى كل حال فقد اندفعت الفرقة البريطانية الثانية يوم ١٨ حزيران (يونيو) بأقصى سرعة لها في اعقاب القوات اليابانية المنسحبة ، ونجحت في تجاوز اكبر مسافة امكن الوصول اليها حتى تلك الفترة ، حيث قطعت مسافة ١٤ ميلا في اليوم الواحد . ولكن هذه الاندفاعة لم تلبث أن توقفت بعد ذلك على مسافة اميال قليلة فقط من مارام بسبب تدمير الجسور تدميراً تاماً وضرورة عمل المهندسين لاعادة بناء الجسور خلال فترة زمنية غير قصيرة .

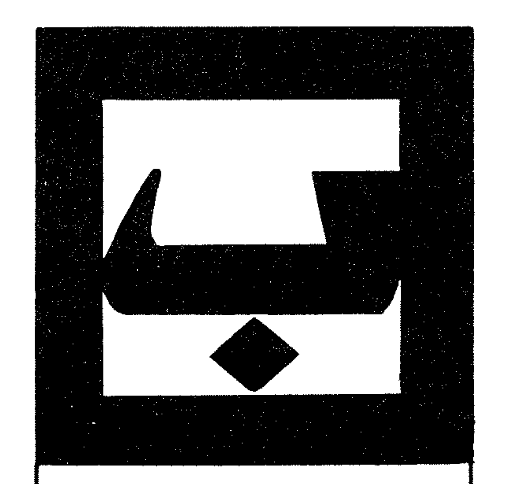
في هذا الوقت ذاته ، كانت الفرقة السابعة تتقدم على جبهة عريضة الى الشرق من الطريق بحيث انها لم تلق في البداية مقاومة كبيرة ، وامكن لها من خلال الاستمرار في ضغطها القوي على القوات اليابانية المتراجعة الاستيلاء على ما تركه اليابانيون من المدفعية ومدافع الهاون والمعدات المختلفة . وفي يوم ٦ حزيران (يونيو) امكن إعادة التماس مع اليابانيين على بعد عشرة أميال الى الجنوب الشرقي من كوهيما . وفي ليل ٧ – ٨ حزيران (يونيو) قامت قوات الفرقة السابعة بعدد من الهجمات الثانوية والضعيفة على المواقع اليابانية في منحدرات «كيليريما» الواقعة على بعد أميال فقط نحو الشرق . وبعد عدد من المعارك والهجمات بين التلال ، انطلقت مجموعة قوية في مسيرة ليلية استمرت عدة ايام عبر الممرات الضيقة في الغابات الكثيفة لتطويق المواقع اليابانية . ونجحت القوات اليابانية بذلك في تأخير تقدم القوات البريطانية حتى يوم ١٣ حزيران (يونيو) حيث تم استئناف التقدم من جديد . وفي يوم ١٦ حزيران (يونيو) وصلت الفرقة السابعة الى هدفها ، وقطعت طريق الامداد الرئيسي للقوات اليابانية ،وهو الطريق الممتد من الشرق الى الغرب بين كوهيما – كوراسوم – ماوسونغ سانغ ، واخذت في الوقت ذاتـــه بتوجيه تهديداتها الى مؤخرة «ماو سونغ سانـــغ» . وفي يوم ١٧ حزيران (يونيو) وقعت معركة ضارية على بعد ميل واحد من القرية . ونجحت الفرقة السابعة بفضل هذه العملية في إرغام القيادة اليابانية على اتخاذ قرارها باخلاء الموقع الذي كان من المقرر له أن يصمد مدة طويلة في مواجهة القوات البريطانية المتقدمة نحوه من الشمال . وأصبح الاحتفاظ بالفرقة السابعة – عند هذه المرحلة – مشكلة حقيقية ، فقد اكلت هذه الفرقة واجباتها المباشرة ، وكان عليها إعادة تنظيم قواتها والتجمع خلال وقت قصير وفي ظروف حرجة . وقد استطاعت الفرقة إعادة تجمعها وتنظيم قواتها الى الشرق من ماو سونغ سانغ وانطلقت للعمل بعد ذلك كمفارز استطلاع قتالية على الطرق الباقية التي لا زالت القوات اليابانية مسيطرة عليها ، وتدمير وحدات العدو الممزقـــة والضائعة في متاهات الادغال . وكان خط الامداد الرئيسي للفرقة في بداية المرحلة على بعد اثني عشر ميلا ، وكان الوصول الى منطقة الشؤون الادارية يتطلب السير فوق شريط متعرج من الأرض الطينية الموحلة ، والتي كانت حتى سيارات الجيب تنزلق فوقها وتتأرجح .أو تغرز بعجلاتها في الطين ، ولم يبق من وسيلة لتوفير الامدادات الا النقل على ظهور الرواحل أو بواسطة زمر الحمالين . وكانت ارتال لواء المهمات الخاصة ٢٣ تندفع طوال الوقت نحو الشرق على جبهة عريضة ، وكانت الجبال والامطار من حلفاء ارتال هذا اللواء ، واستطاعت هذه الارتال بسلسلة من عملياتها الصغيرة وهجماتها المتفرقة في الغابات الكثيفة وكائنها التي اذهلت اليابانيين ان توقع الاضطراب في خطوط مواصلاتهم وأن تدمر أرتال البغـــال الناقلة للامدادات . ومن جديد كان لاشتراك اللواء ٢٣ دور كبير في نجاح عمليات تقدم الفيلق ٣٣ . ورغم أن سيول الامطار قد اعاقت مسيرة العمليات وأوقفت تطورها السريع في قطاعات جبهة أسام كلها ، فقد نجحت الفرقة الخامسة من الفيلق البريطاني الرابع في الاقتراب بصورة بطيئة من كانغبوكبي يوم ١٨ حزيران (يونيو) ،وذلك بعد مجموعة من الهجمات المستمرة على امتداد طريق كوهيما وبواسطة عمليات الالتفاف القصيرة عند كل طرف من طرفي الطريق .

وكان قائد الفيلق الرابع قد اصدر أوامره الى الفرقة الخامسة بالتقدم حتى كارونغ ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد طلبت القيادة العامة فيما بعد ان تتوقف هذه الفرقة عند كانغبوكبي وعدم تجاوزها ، وكان ذلك نتيجة توفر معلومات لدى القيادة عن قيام اليابانيين بحشد قوات كبيرة الى الجنوب من ايمفال وغربها . وقد تطلب هذا الموقف التنسيق بين تقدم الفرقتين الخامسة والسابعة عشرة . وعلاوة على ذلك فقد كان الفيلق ٣٣ قد احرز نجاحاً كبيراً في تقدمه نحو الجنوب . وكان من الافضل للقيادة العامة في الواقع دفع الفرقة الخامسة للتقدم على امتداد طريق كوهيما حتى أقصى مسافة وبأقصى سرعة ممكنة ، عوضاً عن تأخير تقدمها ، فالمبالغة في تقدير قوة اليابانيين واحتمال تجدد هجماتهم على ايمفال ، تعادل في خطورتها التهاون في تقدير الموقف ، وقد ظهرت نتيجة خطأ تقدير الموقف بسرعة ، ذلك ان إعاقة تقدم الفرقة الخامسة وعدم السماح لهـــا بالاندفاع ، اعطت القوات اليابانية الفرصة للانسحاب من بين قوات الفيلق ٣٣ في اتجاه اوكهرول ونهر شيندوين . وظهرت نتيجة هذه الخطيئة الفادحة بشكل اوضح عندما وقفت اوكهرول فيما بعد لتدافع بصورة جيدة ضد القوات البريطانية .

في يوم ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٤٤ ، وصلت القوات المتقدمة للفيلقين اللذين كان يقودهما الجنرال سليم حتى مسافة اربعين ميلا من طريق كوهيما . وكانت الفرقة الثانية تقترب من مارام كما كانت الفرقة الخامسة تقترب من كانغبوكبي . وعلى الرغم من انسحاب القوات اليابانية وجلائها عن اقوى المواقع الدفاعية في « ماو – سونغ – سانغ » ، فان هذه القوات استمرت في بذل جهودها للصمود امام الفرقة الثانية البريطانية ، وتركت لإعاقة تقدمهـــا مفارز حماية المؤخرات لاحتلال المواقع الدفاعية في مارام ، على مسافة ٨ أميال الى الشمال . وجاءت تحضيرات المدفعية البريطانية بكل ثقلها لتشترك مع ضربات الطيران وإغاراته في تمزيق القوات اليابانية ومساعدة الفرقة الثانية على الانتشار بسرعة ودعم هجمات وحدات المشاة ، وبذلك تم تدمير المؤخرات اليابانية واحباط مقاومتهـــا خلال ساعات قليلة . وكانت هذه المؤخرات اليابانية قد تلقت اوامرها بالصمود لفترة عشرة أيام على الأقل ، وبإزالة هذه المؤخرات انتهت كل محاولة جدية قامت بها القوات اليابانية لتأخير تقدم قوات الفيلق ٣٣ ، وأصبح من الواضح بأن الفرقة اليابانية ٣١ قد تمزقت ودمرت بحيث لم يعد باستطاعة القيادة العليا اليابانية السيطرة على المعركة وقيادتها . وفي كارونغ استطاعت الوحدات المتقدمة البريطانية في فترة قصيرة الاستيلاء على كامل معدات القوات اليابانية تقريباً بما فيها خرائطها ووثائقها ، اما عند معسكر ميلستون ٩٢ فان القوات اليابانية اسرعت في انسحابها قبل ان

يتمكن المهندسون البريطانيون من تفجير الحشوات الناسفة التي كانوا قد وضعوها لتدمير الجسر ذي الدعامات المزدوجة لإعاقة انسحاب اليابانيين وتدميرهم. وفي يوم ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٤؛ وبعد ان تم تطهير مركز ارسالية كانغبوكبي من القوات اليابانية ، وهو المركز الذي جعلت منه القيادة اليابانية مقراً لها ، التقت دبابات الفرقة الثانية مع وحدات المشاة المتقدمة من الفرقة ٥ عند معسكر ميلستون ١٠٩ ، وكانت هنـاك قافلة تقف في انتظار هذه اللحظة وهي محملة بالامدادات ،وقـد انطلقت هذه القافلة بأقصى سرعة لها عبر الطريق ، واستطاع الفيلق الرابع ان يحصل على امداداتـه بواسطة الطريق البري وذلك للمرة الأولى منذ نهاية شهر آذار (مارس) ١٩٤٤ .

كانت حملة (ايمفال – كوليما) اول عملية حاسمة في حرب بورما ، ولم تنه هذه الحملة الحرب في سيام ، ولكنها كانت نقطة تحول في الصراع بين اليابانيين والحلفاء للسيطرة على آسيا .



(٥) ب – ٥٢ ستراتوفورتريس (طائرة)

قاذفة قنابل استراتيجية بعيدة المدى . امريكية نفاثة . من اضخم قاذفات القنابل الاستراتيجية العاملة اليوم في العالم . كان لها دور بارز في حرب فيتنام . خلقت لاول مرة في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٢ . وهي طائرة ضخمة ذات ثماني محركات نفاثة قوة الواحد منها ٦٢٥٠ كغ مع حراق خلفي . وكانت حتى فترة قريبة عماد القوة الجوية الاستراتيجية الامريكية ، وذلك قبل دخول القاذفات الاستراتيجية التي تزيد سرعتها عن سرعة الصوت .

ظهر منها عدة نماذج صنعت في الاعوام ما بين ١٩٥٢ – ١٩٦٢ هي : النموذج ب – ٥٢ أ (B-52 A)؛ وصنع منه ٣ طائرات . وب – ٥٢ ب (B-52 B) ٥٠ طائرة. وب – ٥٢ سي (B-52 C) ٣٥ طائرة . و ب – ٥٢ د (B-52D) ١٧٠ طائرة . وب – ٥٢ ي (B-52E) ١٠٠ طائرة . وب – ٥٢ ف (B-52F) ٨٨ طائرة . وب – ٥٢ ج (B-52G) ١٩٣ طائرة . وب – ٥٢ هـ (B-52H) ١٠٢ طائرة . وقد سحبت النماذج الاولى من هذه الطائرات ، ومن المحتمل سحب النماذج المتبقية في موعد اقصاه نهاية السبعينات . وكانت هذه الطائرات قد زودت بمعدات متطورة للحرب الالكترونية ، وادخلت عليها تحسينات اخرى كثيرة ، وذلك بعد التحسن الكبير الذي طرأ على وحدات الدفاع الجوي السوفياتية .

المواصفات العامة : (ب – ٥٢ هـ) السرعة القصوى ١٠٠٨ كم/الساعة . التسليح ٨٥ قنبلة زنة الواحدة ٢٢٥ كغ ، أو ٤٢ قنبلة زنة الواحدة ٣٣٨ كغ داخل جسم الطائرة ، بالاضافة الى ١٢ قنبلة زنة الواحدة ٣٣٨ كغ تحت كل جناح . او حمولات حربية نووية ، مثل الصواريخ النووية الجاهزة جو–ارض ، بالاضافة الى رشاشات في الذيل. المدى ١٤٧٢٠ كم . وزن الاقلاع الاقصى ٢٢١٣٠٠ كغ. الحجم : الطول ٤٨ متراً ، فتحة الجناحين ٥٦,٤٢ متراً ، الارتفاع ١٢,٤٠ .

(٨) باب الابواب (معركة)

(انظر سلمان بن ربيعة البابلي) .

(٦) باب المندب (مضيق)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١١) باب الواد (معركة) ١٩٤٨

منذ اليوم الأول لصدور قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني – نوفبر – ١٩٤٧) أخذ المناضلون العرب يبحثون عن أقوم الطرق وأجداها للاحتفاظ بباب الواد ، بهدف احكام السيطرة على مدينة القدس . وتقع قرية باب الواد على الطريق الرئيسية تل أبيب – القدس . وتمتاز المنطقة بمنحدراتها الجبلية الوعرة ، والممر الاجباري الذي يربط القدس بسهل فلسطين الغربي . ولقد كان العرب على يقين بأن الصهاينة لا بد وأن يحاولوا احتلال هذا الممر والتلال المشرفة عليه ، لضمان وصول النجدات والمعدات الحربية والتموين من تل أبيب الى حاميتهم في القدس .

ولقد كان هذا الممر على مر الدهور ذا أهمية استراتيجية ، من استطاع الاستيلاء عليه ضمن السيطرة على القدس ، ففي هذه البقعة ، أقتتل الكنعانيون وبنو اسرائيل ، كما اقتتل هؤلاء والفلسطينيون ، وكانت الحرب سجالا بينهم . كذلك استعمل هذا الممر فراعنة مصر ، وقادة اليونان والرومان ، ومن هؤلاء كاسنيوس غالوس (٦٦ م) القائد الروماني الشهير . وفي هذه المنطقة صد صلاح الدين الغارات التي شنها ريكاردوس قلب الأسد واستمرت المعارك (من آب – أغسطس – ١١٩١ إلى حزيران – يونيو – ١١٩٢) الى أن تغلب عليه . وتصدى عرب فلسطين (١٨٢٤) في هذا الوادي لجيش ابراهيم باشا الذي قدم لإخماد ثورتهم . كما اشتبك في المنطقة ذاتها الجيشان التركي والانجليزي (١٩١٧) ، وقد بدأ الاتراك باخلاء القدس ، بمجرد احتلال الانكليز لهذا الممر .

وكان من الطبيعي أن يقع صدام بين العرب والصهاينة في عام ١٩٤٨ عند هذا الموقع الهام . ولقد بدأ الصهاينة يتأهبون لغزو الوادي والتلال المحيطة به ، وجاءوا اليه من السهل الغربي ، وراح العرب يعملون لصدهم عنه ، وكانت المعارك التي وقعت في هذه المنطقة أشد خطراً من المعارك التي وقعت في أنحاء فلسطين الاخرى .

كانت أولى العمليات العسكرية التي قام بها المناضلون العرب في هذه المنطقة : تخريب الطريق على مسافة طويلة ، وحماية التخريبات بكمائن المقاتلين المنتشرين على طول الوادي ، بحيث أصبح من العسير اجتياز المنطقة من قبل المشاة أو السيارات ، وكان خط الدفاع العربي يمتد من (البئر الحلو) قرب اللطرون وحتى باب الواد ، وكان القرويون العرب عند بدء القتال يقاتلون دون قيادة ، ثم أشرف على قيادتهم الشهيد عبد القادر الحسيني ، قائد فرق الجهاد المقدس في الجبهة الوسطى .

اعتادت القوافل الصهيونية المرور من الوادي

مرة كل اسبوع ، بحراسة عدد ضئيل من المسلحين. ونتيجة لتصدي المناضلين العرب لهذه القوافل ، فقد كثفت الحراسات وزيد عدد السيارات في كل قافلة ، ولكن العرب تابعوا التصدي لهذه القوافل ، وبلغ حصاد إغاراتهم عليها (من ١ إلى ٢٢ آذار ١٩٤٨) ٤٧ قتيلا و ١٥ جريحاً وإعطاب تسع آليات . وكانت هذه الخسائر سبباً دفع سلطات الاحتلال إلى استقدام كتيبة من الجيش البريطاني لتأمين مرور القوافل اليهودية،وبذلك استطاع الصهاينة امرار ألفاً وخمسمائة مقاتل من رجال البالماخ الى القدس في ١٩٤٨/٣/٢٤ . وقد كرر المناضلون هجومهم في الأيام التالية ، مما دفع الصهاينة إلى استقدام قوات مكونة من ثلاثمائة مقاتل بغية احتلال الوادي ، ونشبت معركة ضارية اشترك فيها مناضلون من القرى المجاورة ، أسفرت عن مقتل سبعة عشر صهيونياً . وفي يوم ١٦ نيسان ١٩٤٨ ، انقض المناضلون العرب على قافلة تضم حوالي ٢٥٠ سيارة ، فأعطبوا ستين منها ، واستولوا على خمس عشرة سيارة . وفي اليوم التالي استطاع الصهاينة إمرار قافلة وصلت الى القدس . وفي العشرين من الشهر نفسه عبرت الوادي قافلة مكونة من ٢٩٤ سيارة ، وكان دافيد بن غوريون ضمن هذه القافلة . وفي الاسبوع الاخير من الشهر ذاته قام رجال الجهاد المقدس وسكان القرى بنسف الجسور ، واغلاق الطريق بالحجارة الكبيرة ، وحفر ثلاثة خنادق على عرض الطريق ، عرض الواحد منها متران وعمقه متر واحد ، ويفصل الواحد عن الآخر مسافة تقرب من المئة متر ، ورابطت على جانبي الوادي قوة عربية قوامها مئة مقاتل ، وبذلك لم تعد القوافل الصهيونية قادرة على المرور ، لذلك قذفت قيادتهم بقوات كبيرة الى المنطقة لفتح الطريق . وحضرت هذه القوات من اتجاهين متعاكسين: القدس وتل أبيب ، وقدر عدد القوات المشتركة في القتال من الجانب العربي بـ ٢٠٠٠ مقاتل تابعين لجيش الانقاذ وجيش الجهاد المقدس ، وبدو الحويطات ، وبني صخر . وكانت اسلحتهم فردية باستثناء مدفعين بحوزة جيش الانقاذ عيار ٦ بوصة ، أما الجانب الصهيوني فقدرت قواته بلواء مزود بعدد من السيارات المصفحة ، ولقد حاول الصهاينة إيهام القوات العربية بأن لديهم عدداً من المدافع ، وذلك عن طريق استخدام المدافع الهيكلية المصنوعة من الكرتون والخشب . ولكنهم ارتكبوا خطيئة تكتيكية عندما وضعوا المدافع الهيكلية في مقدمة القوات المهاجمة ، فانكشفت الحيلة للقوات العربية .

استمر القتال في باب الواد ثلاثة أيام (من ١٠ الى ١٣ أيار – مايو) انتهت بانتصار القوة العربية وتقهقر الصهاينة . وقد غنم العرب في هذه المعركة ١٥٠ بندقية ، وست سيارات مصفحة ، وقتل لليهود ٣٠٠ جندي ، بينهم قائد القوة المهاجمة ، وإعطاب عدد من السيارات . وفي الرابع عشر من الشهر نفسه انسحب جيش الانقاذ ، وقدمت الى المنطقة على أثر انسحابه كتيبتان من الجيش العربي ، الاولى بقيادة حابس المجالي والثانية بقيادة العقيد « سليد » Col. H. Slade . وكانت هاتان الكتيبتان تابعتان للواء الثالث الذي يقوده العقيد أشتون Col. J. O. M. Ashton وقد انحصرت مهام هاتين الكتيبتين بالدفاع . وكان الصهاينة يشنون الغارات الليلية على المدافعين كل ليلة . الى ان كان الهجوم الكبير الذي قاموا به في (٢٥ أيار – مايو) بقوة تضم ٢٠٠٠ – ٣٠٠٠ جندي . وقد مهدت القوات الصهيونية لهجومها بقصف مدفعي استمر حوالي ساعة ، ولكن الهجوم فشل وأسفر عن مقتل ٢٦٦ جندياً صهيونياً ، و ٥٠٠ جريح . ووقع في أيدي العرب ستة أسرى من الهاغاناه . وقدرت خسائر العرب بتسعة شهداء وثمانية جرحى . وغنم العرب في هذه المعركة التي دامت ثلاث عشرة ساعة ٢٢٠ بندقية ، و ٢٥ رشاشاً و ٨ مدافع ، ومقادير كبيرة من الاعتدة والبطانيات والمواد الغذائية . وكانت هذه المعركة من اكبر المعارك في المنطقة . ولم تتوقف الاغارات اليهودية بعد ذلك إلا بعد اعلان الهدنة الثانية ووقف القتال في ١٨ تموز (يوليو) ١٩٤٨ .

وقد خسرت القوات الصهيونية في معارك باب الواد (أو وادي الرعب كما يسميه بن غوريون) ضعفي ما خسرته في انحاء فلسطين كما صرح بذلك بن غوريون في الكنيست في (١١ حزيران – يونيو – ١٩٤٩) ولو عرف العرب كيف يستغلون انتصاراتهم في باب الواد لازدادت الصعوبات التي واجهها الصهاينة في القدس إلى حد بعيد ، ولألحقت القوات العربية بهم خسائر أفدح خلال معارك مدينة بيت المقدس (انظر القدس ، معارك) .

(٣) بابليون او باب اليون، او قصر الشمع (معركة) ٦٤١

اسم قبطي لحصن قيل ان جماعة من أسرى بابل جيء بهم اليه فأقاموا فيه ، وكان اسم المدينة أليونه فسماها المسلمون فسطاطاً .

والحصن هو روماني ؛كان يعتبر قبل الفتح الاسلامي مفتاح مصر السفلى والعليا ، يحيط به سور تبلغ سماكته ١٨ قدماً ، ويبلغ ارتفاع بعض اماكنه ٦٠ قدماً ، وهو يقع على الضفة الشرقية لنهر النيل ، حيث ترتفع على سوره من الشرق والجنوب ابراج محصنة ، ويتصل من الغرب بالنهر بواسطة باب حديدي ودرج ينتهي الى سطح النهر حيث ترسو السفن . والى الغرب من الحصن تقع جزيرة « الروضة » في وسط النيل ، وكانت هذه الجزيرة محصنة ايضاً لكي تزيد من مناعة الحصن الذي يتصل بها بواسطة جسر من السفن . ويحيط بالحصن خندق عليه قنطرة متحركة لا تفتح إلا من الداخل . وكان الخندق يملأ بالماء عند الحاجة وفي اوقات فيضان النيل . وعلى مقربة من الحصن يقوم حصن آخر يدعى « ام دنين »، ويعتبر مركزاً حربياً مساعداً لحصن بابليون . وتقوم القاهرة الآن في المكان الذي وجد فيه قديماً هذان الحصنان .

احتل عمرو بن العاص مدينة بلبيس بعد حصار دام شهراً ، ثم اتجه نحو حصن بابليون بعد ان طلب العون من الخليفة ، وكان في الحصن حامية قوية بلغت نحو خمسة وعشرين ألف مقاتل ، تمدهم سفن النيل بالمؤن والذخيرة دون عائق ، بينما لم يتجاوز جيش عمرو سبعة آلاف مقاتل . ورأى عمرو انه غير قادر على اقتحام الحصن فحاصره بانتظار وصول المدد من الخليفة . وفي هذه الأثناء كانت قوات عمرو تحتل المراكز المحيطة بالحصن ، وتعد العدة في الوقت نفسه لاقتحام الحصن مبادرة الى صنع المجانيق وآلات التسلق . وبينما كان عمرو يقوم بمفاوضات صعبة طويلة مع تيودور الذي تولى الدفاع عن الحصن ، وكيروس (او قيروس) الحاكم الاداري العام في مصر ، كان الزبير بن العوام يصل بمدد قدره ثمانية آلاف مقاتل ، فيتصل بالقائد العام ويضع نفسه وجيشه بأمرته ، ثم يتخذ مراكز قتال له مقابل الحصن .

وبعد حصار دام سبعة أشهر تخللته هدنة موقتة ومفاوضات عسيرة لم يصل اثرها المتفاوضون الى نتيجة حاسمة بسبب رفض الامبراطور هرقل لشروط المسلمين وعزله لقيروس ، عزم عمرو على اقتحام الحصن ، وكانت حاميته قد وهنت من جراء الحصار وكانت فترة فيضان النيل قد انتهت ، فخلا الخندق من المساء ، فمهد عمر للاقتحام بضرب الحصن بالمنجنيق ، ثم اختار الزبير أضعف مكان في الخندق فردمه واجتازه ليتسلق مع كتيبة من كتائبه السور ، ووقف على اعلى الحصن صارخاً ومن معه

« الله اكبر » ، ودارت على السور رحى معركة دامية انتهت باستسلام المحاصرين وتسليم الحصن للمسلمين صلحاً بما فيه من أمتعة وذخائر وغيرها من آلات الحرب والقتال . وكان ذلك سنة ٢١ هـ الموافق لسنة ٦٤١ م .

(٨) باتان (معركة)

(انظر الفيليبين « حملة ») .

(١) باتستا (فوجلنسيو)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١) پاتش (الكسندر)

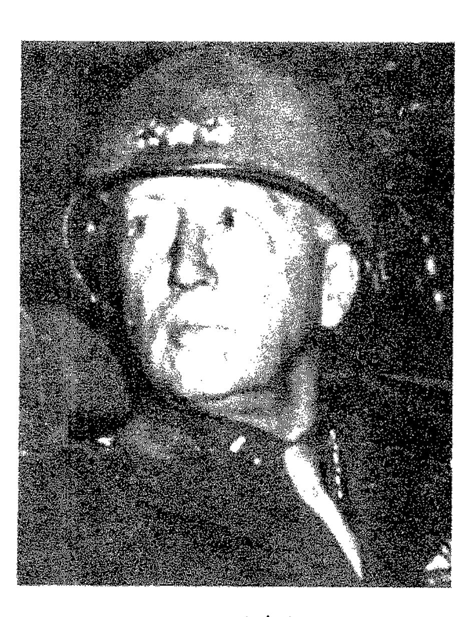
جنرال أميركي (١٨٨٩ - ١٩٤٥) . ولد الكسندر ماك كاريل بـــاتش (Alexandre McCarrell Patch) في فورت هوشوكا (Fort Huchuca) (ولاية أريزونا) ، ودرس في ويست بوينت ، وشارك في الحرب العالمية الأولى وفي احتلال رينانيا .

حصل باتش على رتبة جنرال في العام ١٩٤٢ ، فكلف بقيادة الدفاع عن كاليدونيا الجديدة بالتعاون مع القوات الفرنسية . وفي العام ١٩٤٣ أنهى احتلال غواد القنال . وفي العام ١٩٤٤ عين قائداً للجيش السابع ، واشترك في الانزال على الشاطئ الفرنسي في مقاطعة بروڤانس خلال شهر آب (أغسطس) ، وقام بتحرير فرانش كومتي بالتعاون مع جيش الجنرال دولاتر دوتاسيني . ثم اندفع نحو اللورين فالالزاس ، حيث قامت فرقة لوكلير الملحقة بجيشه بتحرير مدينة ستراسبورغ في ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٤ .

عبر باتش نهر الرين مع جيشه قرب وورمس (Worms) في آذار (مارس) ١٩٤٥ ، ثم احتل باڤاريا ، وأمن الاتصال مع جيش الحلفاء القادم من ايطاليا . وبعد انتهاء الحرب عاد الجنرال باتش إلى الولايات المتحدة ، حيث توفي في سان انطونيو (ولاية تكساس) .



الجنرال باتش



الجنرال باتون

(٧) پاتون (ج. س.)

جورج سميث الابن (G. S. Patton) (١٨٨٥ - ١٩٤٥) . جنرال أميركي ولد في مزرعة عائلته في « سان غبريال » في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأميركية في الحادي عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٥ . برز في رياضة الفروسية والسباحة عندما كان في مرحلة دراسته الثانوية، ثم دخل الى معهد فرجينيا العسكري ، وانتقل بعد ذلك الى الكليـــة العسكرية « وست بوينت » ، ومنها تخرج في سنة ١٩٠٩ برتبة ضابط في سلاح الفرسان .

حل باتون في المرحلة الخامسة في الالعاب الاولمبية التي أقيمت في ستوكهولم سنة ١٩١٢ إلا أنه كان ضعيفاً في الرماية بالمسدس ، ولكنه تدرب بإصرار حتى أصبح مجلياً في هذا المجال ، واشتهر منذ ذلك الحين بمسدساته ذات القبضات اللؤلؤية .
خدم تحت أمرة الجنرال « جون بيرشينغ » في المكسيك ثم رافقه الى فرنسا سنة ١٩١٧ وهناك أظهر اهتماماً كبيراً بالمدرعات وأنشأ مركزاً تدريبياً للدبابـــات الأميركية في فرنسا . وبعد ذلك أنشأ الفرقة الاولى للدبابات التي قادها بنفسه أثناء الهجوم على « سان ميهيل » و « موزأرغون » ، وجرح خلال هذه المعركة ولم يشترك بعدها في أية معركة خلال الحرب العالمية الأولى .

كان خلال فترة ما بين الحربين يؤكد على أهمية دور سلاح المدرعات في الحرب، وساهم بنشاط وفعالية عشية الحرب العالمية الثانية في إنشاء وتدريب القوات المدرعة . قاد في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢ الجناح الشرقي للقوات الحليفة التي غزت شمالي أفريقيا ، ثم لم يلبث أن قاد الفرقة الثانية في تونس . وفي تموز (يوليو) ١٩٤٣ تولى قيادة الجيش الأميركي السابع في الهجوم على صقلية مبرهناً عن مقدرة في سرعة استيلائه على « پالرمو » . وبعد الهجوم على النورماندي عبرت قواته من المملكة المتحدة الى فرنسة ، ولم تلبث هـــذه القوات ان اخترقت الخطوط الألمانية قرب « سان لو » واجتاز بسرعة « بريتانيـــا » وشمالي فرنسا رغم المصاعب اللوجستيكية التي كانت سائدة في الجبهة ، ومن هنا انطلقت شهرته كقائد جرئ صلب .

أدخل أثناء الحرب العالمية الثانية روح سلاح الخيالة الى سلاح الدبابات والفرق الميكانيكية ، فقد قلبت طريقته في استعمال الدبابات كسلاح إقتحامي لخرق صفوف العدو مفاهيم الاستراتيجية الهجومية التي كانت سائدة من قبل . وحققت هجماته الاقتحامية انتصارات براقة في شمالي أفريقيا وصقلية ، ولكن أكبر انتصاراته تحقق في أوروبا أثناء قيادة الجيش الثالث . ففي أقل من عشرة أشهر تنقلت فرقه المدرعة ومشاته بين ستة دول هي: فرنسا وبلجيكا واللوكسمبورغ وألمانيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيـــا . وتمكن الجيش الثالث أثناء ذلك من أسر ما يزيد عن ٧٥٠٠٠٠ جندي ألماني ، ومن قتل أو جرح

ما يزيد عن نصف مليون آخرين . وبعد الحرب العالمية الثانية ظل مع قوات الاحتلال في المانيا ولكنه توفي بحادث سيارة في ٢١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٥ ، ودفن في المقبرة الأميركية العسكرية في « هام » باللكسمبورغ .

كان جنوده يطلقون عليه لقب (Old Blood and Guts) وذلك بسبب تلعثمه في كلامه ، ومزاجه العنيف ، وصرامته في معاملته لهم ولنفسه على السواء ، فقد كان دائماً في مقدمة الصفوف ضارباً المثل الأعلى لجنوده . كما كان يفتقر في كثير من الأحيان الى اللياقة في مخاطبة جنوده ، ولكن شجاعته وانتصاراته جعلتهم يحترمونه ويقدرون مواهبه . من أشهر كلماته : « سنهاجم ونهاجم حتى نحس بالإرهاق وعندها سنهاجم من جديد » .

نشرت مذكراته بعد وفاته تحت عنوان (الحرب كما عرفتها) وذلك في العام ١٩٤٧ . وهو يعتبر واحداً من أبرز الإختصاصيين الغربيين في المدرعات إن لم يكن أشهرهم على الإطلاق . وهذا هو ما جعل الأميركيين يطلقون اسمه على جيل من أقوى دباباتهم التي صنعوها بعد الحرب العالمية الثانية .

(٥) باتون (دبابة)

(انظر م – ٦٠ ، م – ٤٨ ، م – ٤٧).

(٥) باتيت لاو

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١) بادو ليو (بييترو)

مارشال ورجل سياسة ايطالي (١٨٧١–١٩٥٦) ولد بييترو بادوليو Pietro Padoglio في غرازانو مون فيراتو Grazzano Monferrato . كان خلال الحرب العالمية الاولى من أقرب مساعدي الجنرال دياز Diaz ، ثم غدا رئيساً لاركان الجيش (١٩١٩ – ١٩٢١) ، وحاكماً عاماً في ليبيا (١٩٢٨–١٩٣١) . وحل محل دو بونو De Bono في قيادة الحملة الايطالية على الحبشة (١٩٣٥) فاحتل مدينة أديس – أبابا في العام ١٩٣٦ ، وسمي نائباً لملك الحبشة في العام ١٩٣٨ ، ثم رئيساً للأركان العامة (١٩٣٩) .

كان بادو ليو قائداً عاماً للقوات المسلحة الايطالية في مطلع الحرب العالمية الثانية (١٩٤٠) ، ولقد فاوض الفرنسيين على الصلح . ولكن معارضته لحملة اليونان جعلت الدوتشي ينحيه عن منصبه في العام ١٩٤١ ، ويعين بدلا عنه الجنرال كافاليرو



المارشال بادوليو

Cavallero . وفي تموز (يوليو) ١٩٤٣ وبعد اعتقال موسوليني اختاره الملك لرئاسة الحكومة فبدأ « بادو ليو » مفاوضات الهدنة مع الحلفاء . واعلن الحرب على المانيا . ثم ما لبث أن ترك السلطة بعد تخلي الملك عن العرش في حزيران (يونيو) ١٩٤٤ . نشر مذكراته في العام ١٩٤٦، وبقي في ايطاليا حتى وفاته بعد عشر سنوات من نشر المذكرات .

(٦) بادىء التفجير الوسيط

بادىء التفجير الوسيط Booster ، هو مادة متفجرة قاصمة شديدة الانفجار ، تستخدم في التقاط الصدمة Shock الصغيرة المركزة التي يولدها بادئ الصعق Initiator وتحويلها الى موجة Impulse انفجارية لها من القوة ما يفجر الحشوة الرئيسية . وهذه المادة متوسطة في حساسيتها بين بادئات الصعق شديدة الحساسية والحشوات المتفجرة ضعيفة الحساسية نسبياً . ويستخدم بادئ التفجير الوسيط في القذائف ذات الصمامات التمزيقية Disruptive Fuzes ، والنقر (تجويف في داخل حشوة القذائف توضع فيها الصمامات وبادئات التفجير الوسيط) ، وفي سلسلة تفجير القذائف ذات الحشوات شديدة الانفجار .

ويشكل البادئ عادة بشكل اسطواني باطوال واقطار قياسية مختلفة بحسب الحاجة ، وتحتوي كل اسطوانة في داخلها على ثقب مخصص لاستقبال الصاعق او الصمام التمزيقي .

وقد تطورت فكرة بادئ التفجير الوسيط أثر استخدام بادئات الصعق وصنع المتفجرات الحديثة شديدة الانفجار وضعيفة الحساسية (انظر بادئ الصعق) . وكان الدافع الى ذلك ملاحظتين هامتين هما : ١) ان بادئات الصعق باعتبارها فئة متميزة من فئات المتفجرات شديدة الانفجار بالنظر لحساسيتها تختلف فيما بينها من حيث قوة موجة الصعق التي تولدها ، فركب الديازودينتر وفينول Diazodinitro Phenol يولد موجة انفجارية صاعقة لها من القوة ما يصعق متفجر نترات الامونيوم وقوالب الـ ت. ن. ت ، على حين لا تستطيع ذلك مركبات فلمينات الزئبق وازيد الرصاص واستيفنات الرصاص ، ولكنها تستطيع صعق متفجرات أقل حساسية مثل الـ ت. ن. ت المضغوط ومسحوق حامض البكريك المضغوط . ويمكن القول بشكل عام ان قوة الصعق للمركبات من هذا النوع تعتمد على معدلاتها الانفجارية ، ولتوضيح ذلك فإن معدلات انفجار فلمينات الزئبق ، وازيد الرصاص ، والديازودينتر وفينول تبلغ تقريباً ٤٠٠٠ ، و ٤٣٠٠ ، ٥٥٠٠ متر في الثانية على التوالي . ٢) ان تعبئة وتخزين ونقل كميات كبيرة من بادئات الصعق قد تكون عملية شديدة الخطورة بالنظر لشدة حساسيتها للحرارة والاحتكاك والصدم . وكان الحل ، على ضوء هاتين الملاحظتين ، هو استخدام متفجرات وسيطة عند تعبئة الصواعق والذخائر العسكرية ، وبالتالي قرن استخدام بادئات الصعق مثل أزيد الرصاص وغيره بحشوات من المتفجرات الوسيطة الشديدة الانفجار التي لا تنفجر بسهولة عند تعرضها للحرارة والاحتكاك والصدم مثل متفجر التتريل ، و RDX ، و PETN . وقد مكن هذا التطور من استخدام كميات صغيرة من البادئات الحساسة وفي نفس الوقت توليد موجة انفجارية ذات معدل انفجاري أعلى من المعدل الذي يولده انفجار بادئ الصعق لوحده . وقد طبق استخدام هذا المبدأ في قذائف المدفعية والقنابل عن طريق استخدام حشوة وسيطة كالتتريل مغلفة بغلاف معدني اسطواني يوضع في نقرة الحشوة الرئيسية ، ويجري تفجيرها بواسطة صاعق يتم ادخاله في احد طرفي الاسطوانة المعدنية . وبهذه الطريقة يمكن توليد موجة انفجارية تبلغ سرعتها ٧٥٠٠ متر في الثانية ، وبالتالي تفجير جميع انواع المتفجرات العسكرية ضعيفة الحساسية ، والتي تقل معدلاتها الانفجارية عن التتريل .

ومما تنبغي الاشارة اليه ، أن نسبة نقاء وطريقة تشكيل بعض المواد المتفجرة تؤدي الى زيادة او نقصان حساسيتها : فحساسية الـ ت. ن. ت المضغوط اشد من حساسية قوالب الـ ت. ن ت والاماتول ،

وبالتالي فقد استخدم كبادئ تفجير وسيط الى ان استبدل بالتتريل الذي يفوقه حساسية . وفي أثناء الحرب العالمية الثانية طورت العديد من المخلوطات التي استخدمت كبادئات وسيطة مثـل التتريتول (مخلوط من التتريل والـ ت. ن. ت) ، والـ آر. دي. اكس المشمع Waxed RDX ، والـ PETN المشمع .

ومن أنواع بادئات التفجير الوسيطة : مسحوق البكريك . ويقتصر استخدامه عادة على اجهزة تفجير القذائف المحشوة بمتفجر الليديت Lyddite والشليت Shellite المجهزة بصمامة محشوة بالبارود الاسود والتتريل . ويستخدم بعـدة أصنـاف او درجات تتفاوت قليلا في درجة نقاوتها ، وقد تكون على هيئة مسحوق او حبيبات ، ويمكن استخدامه مع جميع المتفجرات العسكرية المعروفة . والمركب سي. إي .C. E ، ويستخدم على هيئة كريات صغيرة مضغوطة في أجهزة تفجير معظم القذائف والقنابل التي تحتوي على حشوات من الـ ت. ن. ت. وبللورات الـ ت. ن. ت ، وهي على درجة عالية من النقاوة ، ويشيع استعمالها في أجهزة تفجير القذائف والقنابل . وحامض البكريك ، وهو يستخدم في سلسلة تفجير القذائف المضادة للدروع . ومتفجر PETN وهو في حالته النقية شديد الحساسية لذلك يكسى بمادة شمعية تقلل من حساسيته .

(٦) بادىء الصعق

بادىء الصعق Initiator ، هو عبارة عن مركب كيماوي متفجر شديد الحساسية ، ينصعق لدى اقترابه من مصدر حراري ، وينصعق لدى تعرضه للطرق او الاحتكاك . يوضع هذا المركب عادة في اغلفة معدنية خاصة مصنوعة من النحاس او الالمنيوم تسمى عندئذ بالصاعق او صمام التفجير . ويستخدم مع المواد الكيماوية الحارقة لبـدء عملية الاحتراق Combustion او مع المتفجرات لصعقها Detonation . وقدرة بادئ الصعق على تفجير المتفجرات ترجع الى خاصية من خصائصها هي حساسيتهـا للحرارة والوميض وقابليتها للانصعاق بتأثير موجة صعق ابتدائية يولدها انصعاق المركب البادئ .

وقد تطورت فكرة بادئ الصعق عندما اخترع نوبل متفجر النيتروغليسرين وطور استخدامه في عمليات النسف والتدمير . في البداية كان نوبل يستخدم خراطيش مملوءة بالبارود السلطاني الاسود لبدء تفجير النيتروغليسرين . إلا أن البارود الاسود لم يكن يحدث انفجاراً منتظماً ، الامر الذي قاد الى تطوير صاعق فلمينات الزئبق (اخترع الكسندر فورسايث مركب فلمينات الزئبق في سنة ١٨٠٧) . وكان هذا اول اختراع لعملية توليد موجة انفجارية ابتدائية كافية لتفجير المتفجرات باستخدام مركب كيماوي متفجر شديد الحساسية للحرارة والطرق او الصدم (١٨٧٦) . وقد مهد هذا الاختراع الطريق أمام صنع متفجرات حديثـة شديدة الانفجار ، ومأمونة الاستخدام ، بالنظر لكونها ضعيفة الحساسية لا تنفجر في حالة تعرضها للحرارة الشديدة او الصدم، وبالتالي يمكن نقلهـا من مكان لمكان باطمئنان ، كمتفجر الـ ت. ن. ت ، والتتريل ، والمتفجر (د) (Explosive (D ، ومتفجر آر. دي. اكس RDX ، و PETN .

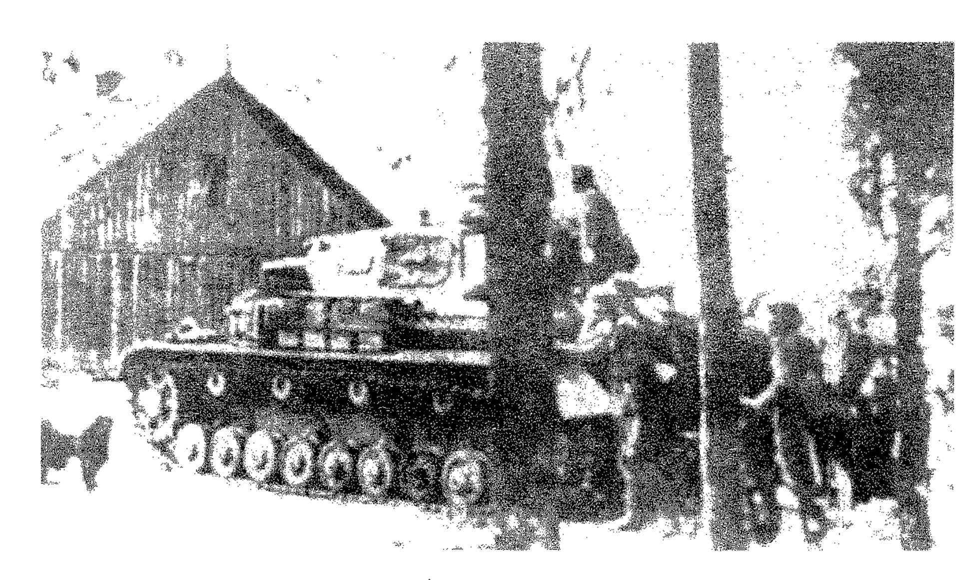
وتتلخص استخدامات بادئ الصعق فيما يلي : ١) تفجير الحشوات شديـدة الانفجار Detonation of high explosive charges كما هو الحال في القنابل اليدوية وقنابل الطائرات والمدفعية والطوربيدات الخ ... والفكرة هنا هي وضع كتلة كبيرة من المادة شديدة الانفجار وتفجيرها بواسطة صمام تفجير يحتوي على كمية ضئيلة من بادئ الصعق . ولضمان تفجير جميع مادة الحشوة تستخدم عادة مادة متفجرة وسطية او متوسطة الحساسية Intermediary or Booster، وظيفتها تضخيم موجة الصعق التي يولدها انفجار بادئ الصعق وبالتالي تفجير الحشوة تمامـاً . ٢) تفجير الحشوات الدافعة Explosion of propellant charges . ويتم عادة بواسطة حشوة من البـارود السلطاني الاسود ، وتؤمن اشتعالها كبسولة طرقية تحتوي كمية من بادئ الصعق يولد انفجارها وميضاً كافياً لإشعال البارود ، لدى طرقها بآلة اطلاق خاصة . ٣) اشعال انواع معينـة من حشوات القذائف وصمامات البارود الاسود . ووظيفة البادئ هنا اثارة عمل البارود وحشوات القنابل المضادة للافراد ، وقنابل الدخان ، والطلقات الخلبية، والقذائف عن طريق احداث لهب او وميض .

ويتضح مما سبق ان هناك فئتين من بادئات الصعق : اولاهما ، بادئات الصعق التمزيقية او التفجيرية Disruptive initiator التي يعتمد عملها على توليد موجة تفجيرية صاعقة اكثر من اعتماده على توليد اللهب او الوميض ، مثل مركب فلمينات الزئبق ، وازيـد الرصاص ، واستيفنات الرصاص ، والمركب .A. S. A ، ومخلوط فلمينات الزئبق (بنسبة ٨٠ ٪) وكلورات البوتاس (بنسبة ٢٠ ٪) . وثانيتهما بادئات الصعق الحارقة Igniferous initiators التي يعتمد عملها على توليد اللهب او الوميض اكثر من اعتماده على توليد موجة الصعق ، مثل المخلوطات المختلفة التي تتكون من نسب مختلفة من فلمينات الزئبق وكلورات البوتاس وكبريتيد الانتيمون ، ومثل مخلوط Q. F. Composition ، ومركب الكبسولة الطرقية Cap Composition .

وقد سبقت الاشارة الى أن بادئ الصعق يوضع عادة في اغلفة معدنية خاصة ويجري اشعاله باستخدام اداة لاحداث اللهب او الوميض او الاحتكاك ويمكن ان يتم ذلك باستخدام الطاقة الحرارية الناتجة عن امرار تيار كهربائي في سلك كهربائي مصنوع من مادة التنغستين . ويمكن تسمية هذه الاداة بالبادئ او بادئ الاشعال ايضاً Primer .

(٤) بارباروسا (عملية) ١٩٤١

في ١٨ كانون اول (ديسمبر) ١٩٤٠ أصدر هتلر التوجيه رقم ٢١ الذي أطلق عليه الاسم الرمزي «عملية بارباروسا» (نسبة إلى فريدرك الأول أحد الأباطرة الألمان القدامى من أسرة «هوهنستاوفن» (١١٥٢ - ١١٩٠ م) الذي اشتهر باسم «بارباروسا» ودفن بعد وفاته في الشرق ، وقد اتخذ إسمه رمزاً لعملية الهجوم على الإتحاد السوفييتي لإعطاء الحرب ضده طابع الحروب الصليبية) وبدأ هتلر الأمر بقوله : «على القوات الألمانية المسلحة أن تستعد لسحق روسيا السوفيتية ، في حملة سريعة قبل إنتهاء الحرب ضد إنجلترا . ويجب تدمير الكتلة الأساسية من الجيش الروسي في غرب روسيا بواسطة عمليات حربية تتمثل في دفع أسافين مدرعة عميقة ، والحيلولة دون تراجع أي قوات سليمة قادرة على القتال إلى داخل مساحات روسيا الواسعة». وهكذا قرر «هتلر» تحت نشوة إنتصاراته الخاطفة في الغرب أن يشن حرباً خاطفة أخرى في الشرق تخضع الإتحاد السوفييتي ، أو على الأقل الجزء الأوروبي منه حتى الأورال تقريباً، وتصبح ألمانيا النازية بالتالي سيدة أوروبا باكلها بلا منازع ، وتضطر بريطانيا أيضاً في هذه الحالة إلى قبول الصلح معها بشروطها . وكان لا بد من أن يلجأ إلى أسلوب «الحرب الخاطفة» هذه المرة أيضاً حتى يتسنى له تحطيم القوة العسكرية الضخمة للإتحاد السوفييتي في وقت سريع قبل أن يعبئ السوفييت قواهم ومواردهم



دبابة « بانزر — ٤ » تتقدم في الاراضي السوفياتية

البشرية والإقتصادية بالكامل ، وحتى لا يضطر إلى خوض حرب طويلة في جبهتين مثلما حدث في الحرب العالمية الأولى .

وتحقيقاً لذلك فقد تم حشد قوة عسكرية ضخمة لتنفيذ أهداف هذه العملية الخاطفة الهائلة بلغ مجموعها ١٥٣ فرقة ألمانية من بينها ١٩ فرقة مدرعة ، و ١٤ فرقة مشاة ميكانيكية تضم ٣٧١٢ دبابة ومدفع مدرع ذاتي الحركة ، ولديها جميعاً نحو ٤٧٢٦٠ مدفع وهاون من مختلف الأنواع ، وتدعمها قوة تتألف من نحو ٤٩٥٠ طائرة من مختلف الأنواع ، من بينها نحو ٢٠٠٠ طائرة للخط الأول . بالإضافة إلى ١٤ فرقة رومانية ، و ١٨ فرقة فنلندية ، وفرقتين مجريتين ، وكانت هذه الدول حليفة لألمانيا النازية وقتئذ . وقد كانت الـ ١٥٣ فرقة ألمانية هذه تمثل نسبة ٧٠,٣ ٪ من جملة عدد فرق الجيش الألماني البالغ عددها حينئذ ٢١٧,٥ فرقة . ولم يكن لهذا الجيش قوات تقاتل في جهات أخرى في ذلك الوقت سوى فرقتين في ليبيا مع « رومل » ، وكانت الـ ٦٢,٥ فرقة المتبقية موزعة في أنحاء ألمانيا وأوروبا المحتلة . وقد قسمت هذه القوات إلى ثلاث مجموعات جيوش رئيسية بالإضافة إلى قوات الجبهة الفنلندية (وكان ملحقاً بها ٨ فرق ألمانية) تبعاً للتقسيم الذي فرضته الظروف الجغرافية ، والطبوغرافية ، والتنظيم الإداري والسياسي للمناطق المتاخمة لحدود الاتحاد السوفييتي الغربية :

أ — مجموعة جيوش الشمال بقيادة الماريشال « فون ليب » ، وكانت مؤلفة من جيشي مشاة يضمان ٢٠ فرقة ومجموعة مدرعة « البانزر ٤ » بقيادة الجنرال « هوبنر » وتتألف من فيلقين مدرعين يضمان ٣ فرق مدرعة و ٣ فرق مشاة ميكانيكية . ويعزز المجموعة الأسطول الجوي الأول البالغ عدد طائراته من الخط الأول نحو ٤٠٠ طائرة (وفقاً لتقدير المؤرخين الغربيين) . وكان هدف هذه المجموعة تحطيم الجيوش السوفييتية في الشمال وإحتلال دويلات البلطيق ولينينغراد .

ب — مجموعة جيوش الوسط بقيادة الماريشال « فون بوك » . وكانت مؤلفة من جيشي مشاة : التاسع بقيادة الجنرال « ستراوس » والرابع بقيادة الجنرال « فون كلوغ » ، ويضمان معاً ٣٣ فرقة مشاة ، بالإضافة إلى مجموعة « البانزر ٣ » بقيادة الجنرال « هوث » وتعمل تحت قيادة الجيش التاسع ، وهي مؤلفة من الفيلقين المدرعين ٣٩ ، ٥٧ اللذين يضمان ٤ فرق مدرعة و ٣ مشاة ميكانيكية ، ومجموعة « البانزر ٢ » بقيادة الجنرال « غوديريان » وتعمل تحت قيادة الجيش الرابع ، وهي مكونة من الفيالق المدرعة الثلاثة ٢٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ؛ وتضم ٥ فرق مدرعة ، و٣ مشاة ميكانيكية . ويعزز جيوش الوسط هذه ، البالغ جملة عدد فرقها ٥٠ فرقة (من بينها ١٥ فرقة مدرعة وميكانيكية) الأسطول الجوي الثاني البالغ عدد طائراته من الخط الأول نحو ١٠٠٠ طائرة . وتهدف هذه المجموعة إلى تحطيم القوات السوفييتية الموجودة في « بيلوروسيا » غرب « الدنيبر » والدفينا الغربي ، والإستيلاء على « سمولنسك » تمهيداً للزحف بعد ذلك نحو قلب البلاد ومركزها الرئيسي العاصمة « موسكو » .

ج — مجموعة جيوش الجنوب بقيادة الماريشال « فون رونشتدت » وكانت مؤلفة من ثلاثة جيوش مشاة ألمانية ، وجيشين رومانيين ، وتضم هذه الجيوش جميعاً ٤١ فرقة ألمانية ، و ١٤ رومانية ، فضلا عن مجموعة « البانزر ١ » بقيادة الجنرال « فون كليست » وتضم ٥ فرق مدرعة و ٣ فرق مشاة ميكانيكية . ويدعم هذه المجموعة الجنوبية الأسطول الجوي الرابع وكان لديه نحو ٦٠٠ طائرة من الخط الأول . وتهدف هذه المجموعة إلى تحطيم الجيوش السوفييتية الموجودة هناك غربي « الدنيبر » ، والإستيلاء على « كييف » وأوديسا تمهيداً لاحتلال أوكرانيا كلها وشبه جزيرة القرم وحوض « الدونيتز » ثم « القفقاس » وحتى « الفولغا » .

وبالاضافة إلى ذلك ، كانت هناك ٢٤ فرقة مشاة وفرقتان مدرعتان وفرقتـــان ميكانيكيتان في الاحتياطي العام فضلا عن الجبهة الفنلندية التي كانت تضم ١٨ فرقة فنلندية ، و ٨ فرق ألمانية كما سبق أن ذكرنا . وقد بلغت جملة القوة البشرية الألمانية المعدة لعملية « بارباروسا » نحو ٣ ملايين و ٢٠٠ ألف جندي وضابط . وكان يواجه هذه القوات من الجانب السوفييتي وقت وقوع الغزو الخاطف المفاجيء فجر يوم ٢٢ حزيران ١٩٤١ وفقاً لما أورده « جوكوف » في مذكراته ؛ وكان يشغل منصب رئيس هيئة أركان الحرب وقتئذ ، ١٤٩ فرقة ومجموعة من ألوية المشاة المستقلة ، موزعة على النحو التالي :

— في منطقة البلطيق : ١٩ فرقة مشاة ، و ٤ فرق مدرعة ، وفرقتان ميكانيكيتان ، ومجموعة ألوية واحدة .

— في المنطقة الغربية (بيلوروسيا) : ٢٤ فرقة مشاة ، و ١٢ فرقة مدرعة ، و ٦ ميكانيكية ، وفرقتا خيالة .

— في منطقة « كييف » (أوكرانيا) : ٣٢ فرقة مشاة ، و ١٦ مدرعة ، و ٨ ميكانيكية ، و ٢ خيالة

— في منطقة « أوديسا » (أقصى الجنوب عند البحر الأسود) المواجهة لرومانيا : ١٣ فرقة مشاة ، و ٤ مدرعة ، و ٣ خيالة ، وفرقتان ميكانيكيتان ، وهذا بالاضافة إلى ٢١ فرقة مشاة ومجموعة ألوية مشاة كانت ترابط في أقصى الشمال المواجه لفنلندا على جبهة طولها ١٢٧٥ كيلومتراً . أما طول الجبهة الممتدة من البلطيق حتى البحر الأسود عند « أوديسا » فكان يبلغ نحو ٢١٠٠ كيلومتر .

وبهذا يكون مجموع القوة السوفيتية الموجودة في المناطق التي تعرضت للهجوم الألماني ١٧٠ فرقة ومجموعتا ألوية ، منها ١٤٩ فرقة في المناطق الرئيسية

للهجوم والممتدة من « البلطيق » حتى « اوديسا » تضم ٨٨ فرقة مشاة ، و ٣٦ فرقة دبابات ، و ١٨ فرقة ميكانيكية ، و ٧ فرق خيالة . ومن بين الـ ١٤٩ فرقة هذه كانت ٨ فرق ترابط في خط الدفاع الأمامي الممتد على مسافة تتراوح بين ١٠ و ٥٠ كيلومتراً من الحدود (المشاة في النسق الأول والدبابات في النسق الثاني)؛أما القوات الرئيسية المتبقية فكانت ترابط على مسافة تتراوح بين ٨٠ و ٢٠٠ كيلومتر من الحدود . أما على الحدود نفسها فكانت توجد وحدات صغيرة نسبياً من حرس الحدود التابع لوزارة الداخلية .

ولكي تكون الصورة موضوعية وواضحة لإجراء مقارنة سليمة بين القوى العسكرية المتجابهة في ٢٢ حزيران ١٩٤١ وطوال الشهور الأولى من الحرب ، لا بد لنا أن نوضح أن التشكيلات السوفيتية لم تكن موازية لمثيلاتها الألمانية ،سواء من حيث عدد الجنود أو كية الأسلحة ونوعيتها في معظم الحالات ، وكذلك من حيث درجة إستيعابها للأسلحة الحديثة والتنظيم الملائم للحرب السريعة ، فضلا عن إختلاف مستوى تدريبها ، وخبراتها العملية ، وتفهمها لأساليب القتال الحديث . فلقد فاجأت الحرب الجيش السوفيتي وهو في حالة إعادة تنظيم وتسليح كاملة لم تتم بعد . ولم يكن الجيش في حالة تأهب للقتال الفوري ، ولم يكن لديه إنذار مسبق بوقت كاف لإحتمال وقوع هجوم ألماني ، إذ أن أمر التأهب والإستعداد التام للحرب الذي أصدرته وزارة الدفاع وهيئة أركان الحرب ليلة ٢٢ حزيران(على أثر وصول ضابط صف ألماني عبر الحدود مساء ٢١حزيران عند منطقة « كييف » وتأكيده بشدة إستعداد القوات الألمانية للهجوم) لم يكن قد وصل إلى كثير من الوحدات في الوقت المناسب بسبب قلة أجهزة اللاسلكي ووسائط الإتصال المباشر . وقد ساهم بطبيعة الحال سوء تقدير الموقف سياسياً من جانب « ستالين » لاحتمالات الحرب مع ألمانيا النازية في هذا الوقت بالذات ، على مضاعفة آثار عدم التأهب للقتال ، وبالتالي ضخم آثار عنصر المفاجأة التي تحققت بالكامل تقريباً ، وعلى النحو النموذجي المطلوب لأسلوب الحرب الخاطفة . وكانت النتيجة أن أحرزت القوات الألمانية المهاجمة تفوقاً كبيراً في نقاط الهجوم؛سواء كما أو كيفاً أو معنوياً،فانطلقت مجموعات البانزر الضخمة في هجومها المركز الهادف إلى تحقيق إختراق إستراتيجي عميق إلى مؤخرة القوات السوفيتية ، تسبقها غارات الطيران الذي أحرز تفوقاً جوياً كاملا منذ البداية ،



الالمان يجتاحون السهوب السوفياتية

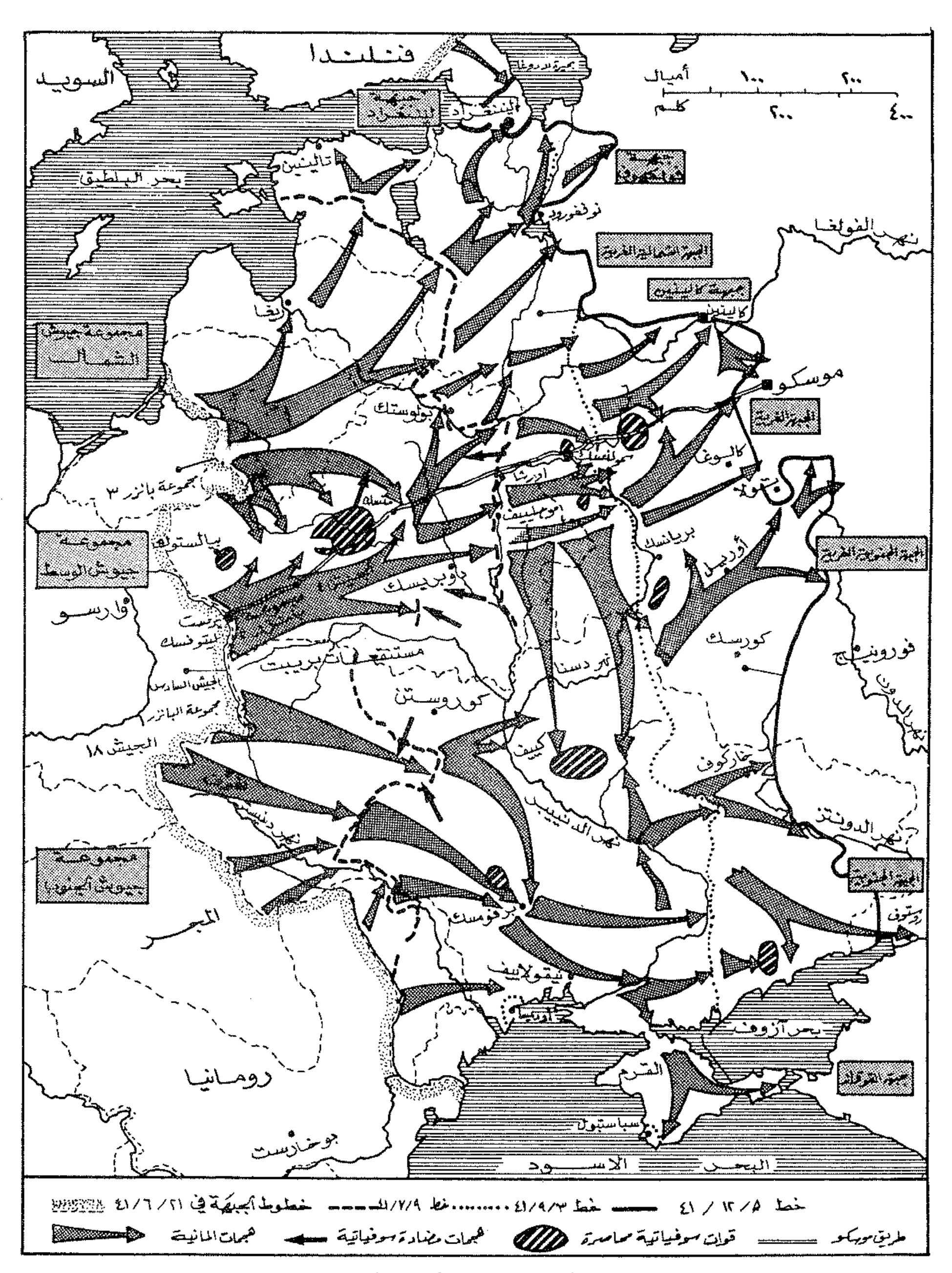
نتيجة لتدمير نحو ١٢٠٠ طائرة معظمها على الأرض من الضربة الجوية الاولى وخلال اليوم الأول فقط ، كما يقول « جوكوف » في مذكراته . وسهل لها مهمتها اضطراب القيادات السوفيتية وعدم معرفتها السريعة لحقيقة تطورات القتال بسبب عمليات التخريب لخطوط التليفون والتلغراف ، وقتل راكبي الدراجات البخارية حاملي الرسائل بواسطة جماعات خاصة معظمها من العناصر الأوكرانية والليتونية البيضاء . وقلة أجهزة الإتصال اللاسلكي لدى الوحدات . (كانت نسبة نقص الأجهزة لدى هيئة أركان الحرب ٦١ ٪ ، وفي منطقة « كييف » ٦٨ ٪ ، وفي منطقة البلطيق ٤٨ ٪) .

وحققت عمليات البانزر نجاحاً أكبر في قطاع مجموعة جيوش الوسط في « بيلوروسيا »، نظراً لأن القيادة الألمانية كانت قد حشدت قوتها الرئيسية هناك ، على حين لم تكن القيادة السوفيتية تتوقع ذلك في مخططاتها قبل الحرب وإنما توقعت في حالة نشوب حرب مع ألمانيا أن تكون الضربة الرئيسية في « أوكرانيا » ،حيث الثروة الزراعية والصناعية ضخمة ، ولذلك حشدت في مواجهة جيوش الجنوب في منطقتي « كييف » و « أودسا » ٤٥ فرقة مشاة و ٢٠ فرقة مدرعة ، و ١٠ ميكانيكية ، و ٥ خيالة . ولذلك تعثر زحف قوات « فون رونشتدت » هناك فترة اطول نسبياً عن باقي القطاعات .

أما في الوسط فقد كان يوجد ٢٤ فرقة مشاة ، و ١٢ فرقة مدرعة ، و ٦ فرق ميكانيكية ، وفرقتان خيالة ، في مواجهة ٣٣ فرقة مشاة المانية ، و ٩ فرق مدرعة « بانزر » ، و ٦ فرق مشاة ميكانيكية .

ورغم التقارب في عدد التشكيلات المدرعة والميكانيكية لدى الطرفين،فقد كان للالمان ميزة التفوق في اسلوب استخدام المدرعات في حشود مركزة تعمل في تعاون تام مع طائرات الهجوم الأرضي ، وبقية الوحدات المعاونة لها من مدفعيـــة ذاتية الحركة ، ومشاة ميكانيكية ، فضلا عن تفوق نوعية دباباتهم بالنسبة لمعظم الدبابات السوفييتية وقتئذ،والتي كان جزء كبير منها من انواع قديمة مثل: « ت ٢٦ » و « ت ٢٧ » و « ت ٣٧ » و « ب . ت ٥ » و « ب. ت ٧ » ، على حين كانت الانواع الحديثة القوية المتفوقة على الدبابات الالمانية وهي الـ « ت ٣٤» و «ك. ف ١» لم ينتج منها بعد سوى ١٨٦١ دبابة فقط ، تسلمت الوحدات منها ١٠٠٠ دبابة « ت ٣٤ » ، و ٥٠٠ « ك . ف ١ » عشية نشوب الحرب ، وكانت الوحدات لا تزال تتدرب عليها، ولذلك لم تستخدم في الايام الاولى لعمليـــة "بارباروسا"، ولم تظهر فاعليتها المرجوة إلا تدريجياً فيما بعد .

ونتيجة لذلك كله احرزت قوات « فون بوك» سلسلة من النجاحات في بدء القتال بواسطة عمليات التطويق المزدوج (كماشة) التي قامت بها مجموعتا البانزر الثالثة والثانية بقيادة « هوت » و «نحوديريان» أدت إلى احتلال « منسك » عاصمة بيلوروسيا «روسيا البيضاء» في ٢٩ حزيران (يونيو) ، وأسر عدد كبير من قوات الجيشين العاشر والثالث حولها وحول « بيلوستوك » . ثم واصلت التشكيلات المدرعة الالمانية زحفها نحو « الدنيبر » فبلغته يوم ١٠ تموز (يوليو) وعبرته في اليوم نفسه . وفي ١٥ تموز (يوليو) كانت « سمولنسك » الواقعة على عمق نحو



عملية باربا روسا (١٩٤١)

٦٤٠ كلم داخل الحدود السوفييتية مهددة بالحصار .

ولكن رغم هذه الهزائم الخطرة بالنسبة للجيش السوفييتي ، إلا أن روح المقاومة كانت تتزايد . ولم تنقطع محاولات الهجوم المعاكس على أجنحة طرفي الكماشة الالمانية . ولم تؤد عمليات التطويق الضخمة الالمانية إلى انهيار معنوي كبير للقوات المحاصرة ، بل كانت تصمد وتقاتل وتفلت اجزاء منها من حلقات الحصار .

وبعد سقوط « منسك » وإلحاق خسائر ضخمة بقوات الجبهة الغربية خلال الأسبوعين الأولين من الحرب الخاطفة ، وفشل الهجمات المعاكسة السوفييتية التي تمت على عجل وبدون تنسيق سليم وفي ظل عدم إحاطة دقيقة بحقيقة الموقف العسكري الناجم عن الضربة المفاجئة في ٢٢ حزيران (يونيو) ، اضطرت القيادة السوفيتية العليا إلى اتباع مبدأ الدفاع الاستراتيجي على طول الجبهة ، حتى يمكن أن تجنب قواتها مضار القيام بهجوم لا تستطيع القيام به فعلياً ، وحتى تتمكن من حشد قواها الإحتياطية الكاملة . واختيار اللحظة المناسبة للتحول إلى الهجوم المضاد العام لانتزاع المبادأة الإستراتيجية من أيدي الالمان .

ولضمان نجاح خطة الدفاع الاستراتيجي هذه حددت القيادة السوفيتية العليا أهم أهداف الدفاع في : ١- وقف القوات الألمانية على الخطوط الدفاعية أطول زمن ممكن لكسب أكبر قدر من الوقت ، تنقل أثناءه القوات الموجودة في أعماق البلاد إلى منطقة القتال ويتشكل خلاله الإحتياطي الجديد ويتم توزيعه بالطريقة المناسبة ، ٢ — تكبيد المهاجمين أفدح الخسائر وإنهاكهم بهدف تحقيق التوازن في القوى إلى حد ما ، ٣ — ضمان التدابير التي اتخذها الحزب والحكومة لإجلاء السكان والمنشآت الصناعية إلى أعماق البلاد ، وكسب الوقت اللازم لتحويل الصناعة إلى احتياجات الحرب .

ورغم عنف الضربة الالمانية الأولى ، وشدة الخسائر المادية والبشرية المترتبة عليها ، وظهور بعض حالات الانهيار النفسي وعدم التماسك لدى بعض الوحدات والأفراد في الأيام الأولى ، فقد فقدت الحرب الخاطفة . أحد مقومات نجاحها وهو الانهيار المعنوي . إذ اشتدت روح المقاومة والعناد في القتال . وساعد على ذلك توفر العمق الجغرافي الكبير الذي أنهك حركة المدرعات المندفعة بسرعة في زحفها إلى المؤخرات ، ومكن القيادة السوفيتية من دفع اجزاء كبيرة من احتياطها العام ، والبدء في تعبئة ٥ ملايين و ٣٠٠ ألف رجل للقوات المسلحة في الفترة من ٢٣ حزيران (يونيو) حتى ١ تموز (يوليو) ١٩٤١ . وهكذا تمكنت هذه القيادة من إلحاق خمسة جيوش مشاة من احتياطياتها بقيادة الجبهة الغربية (التي أصبح « تيمو شينكو » وزير الدفاع يرأسها) في الفترة من ٢٧ حزيران (يونيو) حتى ١٠ تموز (يوليو) ١٩٤١ . كما قامت بالبدء في إعداد سلسلة متوالية من خطوط الدفاع في اتجاه « موسكو » منذ منتصف تموز (يوليو) وصل عمقها إلى ٢٥٠ — ٣٠٠ كيلومتر من « الدنيبر » حتى خط موجايسك ، وفي اتجاه لينينغراد في الشمال بلغ عمق الخطوط الدفاعية ١٠٠ — ١٢٠ كيلومتراً . وصاحب ذلك كله شن بعض الهجمات المضادة الأكثر إعداداً وتنسيقاً ، الأمر الذي أكسب الدفاع الاستراتيجي العام إيجابية وفعالية أكثر .

ولذلك كله انخفض معدل تقدم الجيوش الألمانية المهاجمة . فبعد أن كان معدل هذا التقدم يبلغ في المتوسط أثناء الـ ١٨ يوماً الأولى من الحرب ٢٠ — ٣٠ كيلومتراً في اليوم ، أصبح هذا المعدل

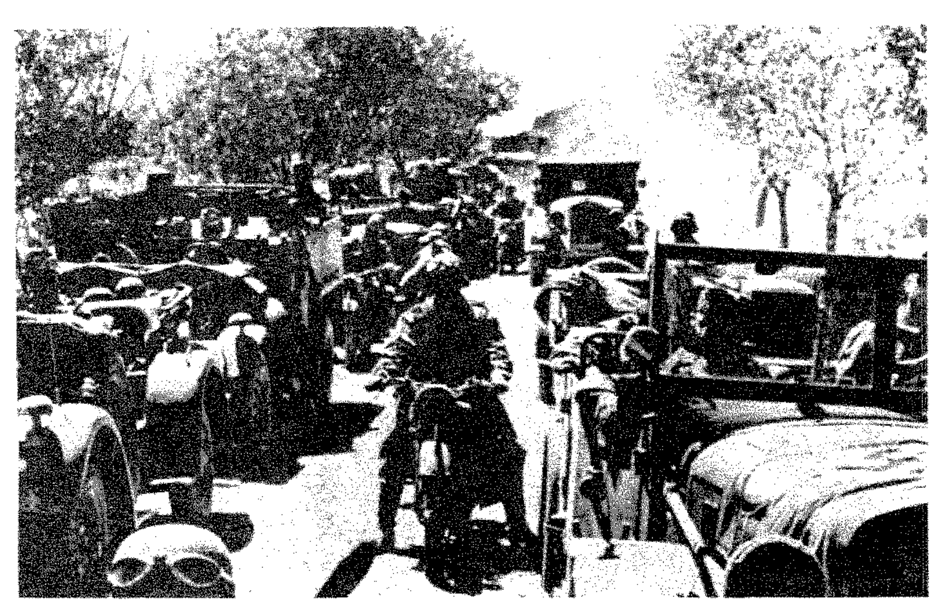
بعد ذلك في ايلول (سبتمبر) وتشرين الاول (اكتوبر) من العام نفسه ٥ كيلومترات في المتوسط يومياً في اتجاه لينينغراد ، و ٢٫٥ كيلومتر/يوم في اتجاه الجنوب الغربي ، بعد أن كان هذا المعدل في الجهات الثلاث ٢٠ ، ٣٠ ، ٢٠ كلم على التوالي . وقد كانت سلسلة المعارك الدفاعية الشديدة والتي تخللتها مجموعة قوية من الهجمات المضادة ، التي دارت عند « سمولنسك » في الفترة من ١٠ تموز (يوليو) حتى ١٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٤١ أحد النماذج البارزة الناجحة في تحقيق الهدف العام المتمثل في كسب الوقت ، وإرهاق العدو ، رغم الخسائر التي تحملتها القوات السوفييتية في هذه المعركة،وسقوط عدد كبير من الأسرى في حصار المدينة بعد تطويقها بقوات « هوث » و « جوديريان » المدرعة .

وقد أدت معارك « سمولنسك » وغيرها من المعارك الدفاعية العنيفة التي كانت تدور في آن واحد عند « كييف » و « أوديسا » وفي منطقة البلطيق على مشارف لينينغراد ، إلى زيادة خسائر الألمان إلى حد كبير هدد باستنزاف إحتياطياتهم من الرجال والتشكيلات القتالية والوقود والعتاد . وبالتالي أصبحت مقامرة الحرب الخاطفة . على حافة هاوية الفشل ؛ لأن ميزان القوى في الموارد البشرية والمادية بدأ يميل تدريجياً لصالح الجيش السوفييتي ، بعد أن فشل سباق الزمن الذي بنيت عليه «عملية بارباروسا» في منع عملية بناء الاحتياطيات البشرية والمادية واعدادها ، أو في تحطيم قوى الانتاج الحربي الرئيسية التي جرى نقل معظمها إلى المؤخرة البعيدة لتدعيم القاعدة الصناعية الموجودة أصلا هناك قبل الحرب . ذلك لأن الخسائر الألمانية أدت إلى أن يصبح العجز في عدد الجنود اللازم في التشكيلات المقاتلة من المشاة مثلا في أوائل ايلول (سبتمبر) ١٩٤١ كالآتي : اكثر من ٤٠٠٠ رجل في كل فرقة ضمن ١٤ فرقة مشاة ، واكثر من ٣٠٠٠ رجل في كل فرقة ضمن ٤٠ فرقة اخرى ، واكثر من ٢٠٠٠ رجل في كل فرقة ضمن ٣٠ فرقة اخرى ، واقل من ٢٠٠٠ رجل في كل فرقة ضمن ٥٨ فرقة اخرى .

وقد انخفض احتياطي القيادة العامة للعملية كلها من ٢٨ فرقة عند بداية الهجوم في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٤١ إلى ٣ فرق فقط عند نهاية صيف العام المذكور . وبلغت جملة خسائر الافراد الالمان حتى ٢٦ آب (اغسطس) ١٩٤١ نحو ٤٤٠ ألف رجل (من بينهم ٩٤ ألف قتيل) ، تم استبدال ٢١٧ ألف رجل منهم فقط في نهاية آب (أغسطس)



المشاة الالمان في احدى القرى السوفياتية



رتل الماني ميكانيكي يتجه نحو الشرق

من جملة قوات احتياطي الإستبدال في ألمانيا وعددها ٤٠٠ ألف رجل . كما بلغت نسبة قوة الدبابات الصالحة للقتال بالنسبة إلى قوتها المفترضة الأصلية في نهاية آب (أغسطس) ١٩٤١ : ٥٣٪ في مجموعة البانزر الأولى (في الجنوب) ، و ٢٥٪ في المجموعة الثانية ، و ٤١٪ في المجموعة الثالثة (في الوسط) ، و ٧٠٪ في المجموعة الرابعة (في الشمال) . ثم تزايدت هذه النسب وتزايدت اعداد الدبابات غير الصالحة للقتال حتى غدت في نهاية أيلول (سبتمبر) ١٩٤١ تعادل: ٧٠ — ٨٠ ٪ ، ٥٠ ٪ ، ٧٠ — ٨٠ ٪ ، ١٠٠ ٪ . وذلك كله وفقاً للأرقام الألمانية التي أوردها « هالدر » رئيس هيئة أركان حرب الجيش الألماني وقتئذ . ولقد أصاب الانهاك القوات الالمانية حتى أن الوحدة المدرعة السادسة بقيادة « موزل » على سبيل المثال قد انخفضت قوة دباباتها الصالحة للقتال في ١٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٤١ إلى ١٠ دبابات فقط ، من جملة نحو ١٥٠ دبابة كانت لدى تشكيلها الأصلي . كما أن سرايا المشاة الميكانيكية

أصبحت تتكون من ٥٠ رجلا فقط . ولقد أدت شدة معارك «سمولنسك» واستمرار صمود « كييف » في الجنوب و « لينينغراد » في الشمال إلى انتهاء مرحلة الزحف السريع الخاطف ، وفشل الهدف الرئيسي لعملية « باربازوسا » وهو تحطيم الكتلة الرئيسية للجيش السوفيتي غرب « الدنيبير » .

ورغم سقوط « سمولنسك » و « كييف » بعد ذلك في ٢٠ ايلول (سبتمبر) لم تستطع عملية « باربازوسا » تحقيق هدفها ، وكانت معركة « موسكو » ، وصمود «لينينغراد» الفصلين الاخيرين في عملية « باربازوسا » التي سجلت اول هزيمة حاسمة لنظرية الحرب الخاطفة الالمانية.

(٥) بارجة

نوع من السفن الحربية . وكانت البوارج اضخم سفن اساطيل دول العالم المختلفة ، وأفضلها تسليحاً وتدريعاً ، في الفترة ما بين اعوام ١٨٦٠ – ١٩٤٣ . وذلك قبل ان تستولي حاملات الطائرات الضخمة على مركزها هذا . وبعد الحرب العالمية الثانية ، توقف بناء البوارج وجمدت عمليات بناء البوارج التي كان قد شرع فيها قبل الحرب . واستمر بعضها في الخدمة حتى اواخر الخمسينيات ، واوائل الستينيات . ولقد اختفت البوارج من معظم اسلحة العالم البحرية بعد ان اختلفت متطلبات القتال البحري الحديثة ، واستعيض عن البوارج بحاملات الطائرات والمدمرات والفرقاطات .

لقد لعبت البوارج دوراً رئيسياً في تاريخ العالم لفترة تزيد على قرن من الزمان . وكان لها الفضل الاكبر في دفع عجلة تطور الصناعة البحرية خاصة في مجال أنواع المعادن والفولاذ اللذين سعى المصممون الى انتاجهما، وفي المعدات الالكترونية المستخدمة في السفن .

ولم تتطور البوارج كطراز منفصل من السفن بل كانت تطوراً تدريجياً لسفينة القتال الشراعية الرئيسية . وتطورت مع ظهور السفن البخارية ، والمدافع المحلزنة (Rifled guns) ، ومع ظهور المعادن في صناعة السفن . والحقيقة ان صناعة السفن كانت عبر التاريخ كله مجرد حرفة ، ولم تتطور الى علم له قواعد واصول الا بظهور البارجة ، التي يعتبرها البعض اروع ما صنع الانسان ، نظراً للدقة العالية في تصميمها . واظهرت البوارج ، خلال كل الحروب التي خاضتها ، من الحرب الصينية – اليابانية الى الحرب الامريكية – الاسبانية ، والحرب الروسية – اليابانية ، كفاءة عالية ، عززت مكانتها وزادت من اعتماد اساطيل العالم عليها ، فضلا عن انها تطورت كثيراً نتيجة للخبرات التي اكتسبت من هذه الحروب .

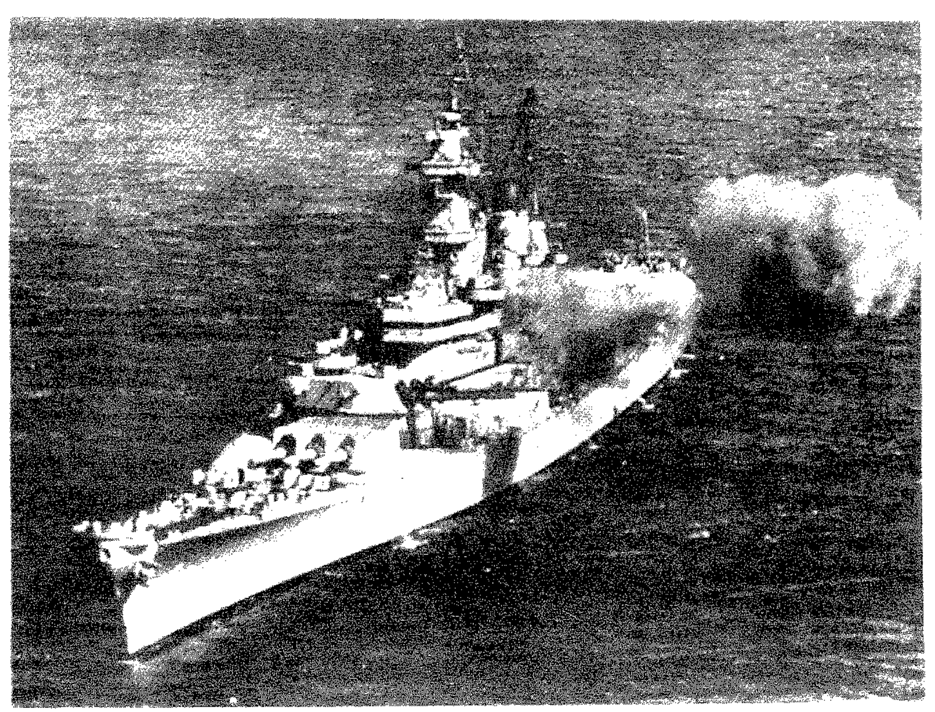
وفي معركة جوتلاند ، خلال الحرب العالمية الاولى ، اظهرت البارجة تفوقها المطلق ، حيث اثبتت البوارج الالمانية انها غير قابلة للاغراق تقريباً ، بفضل تقسيماتها الخاصة ، ووسائلها في تلافي الاضرار وتحمل الضربات المعادية ، وتدريعها الذي جاء على حساب قدرتها الهجومية وراحة افراد طاقها .

وفي الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، وبالتحديد في عام ١٩٣٧ ، طلبت الحكومة البريطانية بناء خمس بوارج من فئة « الملك جورج الخامس » ، وذلك رغم الكلفة العالية التي طرأت على اسعار بناء البوارج ، ورغم الاتجاه الى الحد من استخدامها . وانتهى العمل بهذه البوارج في السنوات ما بين ١٩٤٠ – ١٩٤٢ . وكانت كل بارجة من هذا الطراز تتسلح بعشرة مدافع من عيار ٣٥٥ مم (١٤ بوصة) ، ووزنها ٤٤٤٦٠ طناً ، وسرعتها القصوى ٢٨ عقدة . وبنت المانيا بارجتين من فئة « بسمارك » زنة الواحدة ٥٢٦٠٠ طن ، وتتسلح بثمانية مدافع من عيار ٣٨١ مم (١٥ بوصة) ، وسرعتها القصوى ٣٠ عقدة . بالاضافة الى بارجتين مما كان يعرف باسم « بوارج الجيب » Pocket battelships ، الا ان هذه كانت من فئة الطرادات اكثر منها من فئة البوارج . وبنت اليابان اضخم بارجتين على الاطلاق ، انتهى العمل بهما في الاعوام ما بين ١٩٤١ – ١٩٤٢ ، بلغ وزن الواحدة منهما ٧٢٠٠٠ طن . وكانت الواحدة تتسلح بتسعة مدافع من عيار ٤٦٠ مم (١٨,١ بوصة) وسرعتها القصوى ٢٧ عقدة .

وفي عام ١٩٣٩ ، كان لدى فرنسا ٧ بوارج و ٢ قيد البناء . ولدى المانيا بارجتان و ٤ قيد البناء . وبريطانيا ١٥ و ٦ قيد البناء . واليابان ١٠ و ٢ قيد البناء . والولايات المتحدة ١٥ و ٦ قيد البناء . والاتحاد السوفياتي ٣ و ١ قيد البناء .

وفي الحرب العالمية الثانية ، لعبت البوارج دوراً ثانوياً بالنسبة الى الدور الذي لعبته حاملات الطائرات والغواصات . فقد كان السبب الرئيسي الذي عزز مكانة البوارج في السابق هو قوتها النارية . وقد تفوقت حاملات الطائرات عليها في هذا المجال ، لا بسبب قوة النيران فحسب بل وفي المدى الذي تستطيع العمل فيه . فالبوارج مفيدة بمدى مدافعها الذي لم يكن يزيد عن ٢٢ ميلا بحرياً في افضل الحالات ، على حين يصل مدى نيران حاملات

بارجة تطلق نيران مدافعها الضخمة



الطائرات الى اكثر من ٣٠٠ ميل بحري بفضل قوتها الضاربة المكونة من القاذفات.

(١) باركلي دو تولي (الأمير ميخائيل بوغدانوفيتش)

مارشال روسي من أصل ايقوسي (١٧٦١ – ١٨١٨). ولد الامير ميخائيل بوغدانوفيتش باركلي دوتولي Mikhail Bogdonovich Barclay de Tolly في لوهد غروسهوف (ليفونيا). خدم في الجيش القيصري وقاتل في تركيا (١٧٨٨)، والسويد (١٧٩٠)، وبولونيا (١٧٩٤)، وضد نابليون في بروسيا (١٨٠٦ – ١٨٠٧). وبعد معركة فريدلاند اقترح على القيصر الكسندر الأول المقاومة حتى قلب الاراضي الروسية. حارب في فنلنده (١٨٠٨) واحتل كيوبو (Kuopo) واجتاز خليج بوتني (Botnie) على الجليد.

وفي العام ١٨١٠ غدا «باركلي» وزيراً للحربية، وقاد جيش الغرب الأول خلال صد الحملة الفرنسية على روسيا (١٨١٢)، وكان يخالف كوتوزوف الرأي ويطالب بالانسحاب الاستراتيجي الى عمق البلاد بدلا من الدفاع الثابت عن كل شبر من الأراضي الروسية. عزل «باركلي» من منصبه بعد معركة «بورودينو» ثم عاد إلى الظهور بشكل رائع في حملة المانيا (١٨١٣) وحملة فرنسا (١٨١٤). ولقد رقي إلى رتبة فيلدمارشال بعد احتلال باريس، ووصل في العام ١٩١٥ إلى منصب القائد العام للقوات الروسية.

(٩) بارليف (حاييم)

عسكري (فريق) وسياسي ورئيس الاركان الاسرائيلي السابق (١٩٢٤ –). ولد حاييم بارليف في فيينا في ١٦ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٢٤، ونشأ في زغرب (يوغوسلافيا). وعندما كان في الرابعة عشرة من العمر قدم واخته الى فلسطين، وعرف في ذلك الحين باسم حاييم بروتزلافسكي. ثم لحق به والده. وكان بارليف في طفولته وديعاً ثم تطورت شخصيته فيما بعد، حتى انه اشرف – بصفته رئيس هيئة الاركان الاسرائيلية – على تنفيذ غارات العمق التي شنها طيران اسرائيل على المنشآت المدنية المصرية (مدرسة بحر البقر، مصنع أبي زعبل.. الخ) في اوائل العام ١٩٧٠، وذهب



المارشال باركلي دوتولي

ضحيتها عشرات من الاطفال والعمال المدنيين، كما كان مسؤولا عن السيطرة على العرب الذين يعيشون في المناطق المحتلة عقب حرب ١٩٦٧، وتبنى سياسة نسف المنازل العربية، وارغم الآلاف من العرب على النزوح من الاراضي التي احتلتها اسرائيل. ويرجع التطور في شخصيته الى التعبئة الايديولوجية والنفسية الصهيونية التي تلقاها منذ ان انضم الى البالماخ في العام ١٩٤٢.

تلقى دراسته في مدرسة ميكفه اسرائيل الزراعية، حيث درس عدد من التلاميذ الذين اصبحوا ضباطاً في البالماخ فيما بعد. وعند انتهاء دراسته، انضم الى البالماخ واشترك في دورة قائد فصيلة ضمت معظم من قدر لهم ان يصبحوا قادة في الجيش الاسرائيلي. وخلال هذه الدورة اكتسب بارليف لقب «كيدوني» نسبة لكلمة «كيدون» والتي تعني في العبرية حربة، عندما علقت في رجله حربة أثناء التدريب. ولقد لفت انتباه مدربيه فرقي لرتبة ضابط في البالماخ. ثم اتبع بعد ذلك دورة قائد سرية. وعندما بدأت البالماخ اعمالها الارهابية، أوكلت اليه قيادة المجموعة التي نسفت جسر النبي.

ولقد تحدد مسار خدمته العسكرية خلال حرب ١٩٤٨ إذ عين قائداً لكتيبة آلية في لواء النقب الذي كان يضم العربات المدرعة المعروفة في اسرائيل آنذاك (جرارات وعربات نقل مصفحة محلياً بألواح فولاذية). وواجه بارليف مشاكل الصيانة والعمليات والتحرك في ارض صعبة. فكان عليه ان يحل هذه المشاكل في الحال بشكل مبتكر، دون اي سابق ارشادات تقنية، اذ كان معظم ضباط الجيش آنذاك ينتمون اما الى رجال المقاومة السرية او الى مشاة ومدفعية وطيران الجيش البريطاني، ولا يوجد بينهم من يملك خبرة كافية في صيانة المدرعات والعربات المدرعة، وعلى الرغم من ذلك، استطاعت كتيبة بارليف الآلية احتلال سدوم، وكانت أول من شق الطريق الى شمالي سيناء.

وبعد حرب ١٩٤٨، اصبح قائداً ومدرباً في دورة قادة الكتائب، واتبع دورة قفز بالمظلات، ثم نقل الى اركان القيادة الشمالية. وعمل فترة كقائد في سلاح المشاة بعد ان تسلم قيادة لواء جفعاتي الذي اعطاه فرصة لمعرفة تكتيك سلاح المشاة.

وفي العام ١٩٥٦ عين بارليف رئيساً لشعبة التدريب برتبة عقيد، وقبيل اندلاع حرب ١٩٥٦ عين قائداً للواء المدرع ٢٧ العامل ضمن مجموعة الألوية المدرعة ٧٧ على المحور الشمالي. وكان سلاح المدرعات الاسرائيلي في ذلك الحين مكوناً من دبابات «شيرمان»، ومدافع ذاتية الحركة من طراز «آ. إم. اكس»، ولم يكن لدى اسرائيل دبابات «سنتوريون» أو «باتون»، كما ان مصر لم تكن قد تبنت بعد المذهب السوفياتي في الدفاع. وكان الدفاع المصري يعتمد آنذاك على سلسلة من المواقع الصندوقية المنتشرة في سيناء والقادرة على الدفاع عن نفسها في مختلف الاتجاهات. ولم يكن لدى اسرائيل فرق أو فيالق، بل كان لديها مجموعات ألوية (أوغدا) وكانت مجموعة ألوية بارليف المدرعة تعمل بين رفح والقنطرة مطاردة القوات المصرية المنسحبة، وهي اول وحدة اسرائيلية وصلت الى بعد ١٠ كيلومترات من الضفة الشرقية لقناة السويس. ولقد تعلم بارليف خلال معارك ١٩٥٦ درساً هاماً، وهو ان سلاح المدرعات اهم سلاح في حروب الصحراء.

ونتيجة لتجربته في حرب ١٩٥٦، عين بارليف في العام ١٩٥٧ قائداً لسلاح المدرعات. ثم رقي في العام ١٩٥٨ الى رتبة عميد، واستمر في قيادة سلاح المدرعات حتى العام ١٩٦١. ولقد كرس بارليف فترة (١٩٥٧ – ١٩٦١) لتنظيم سلاح المدرعات وتطويره. فادخل «السنتوريون» الى تشكيلاته، كما تم في عهده تعديل «السنتوريون» و «الشيرمان» بشكل يتلاءم واوضاع اسرائيل العسكرية، إذ زيد مدى اطلاق النار في «السنتوريون»، واحدثت تغييرات هامة في محرك «الشيرمان» ومدافعها واصبحت بعد ذلك تحمل اسم «سوبر شيرمان».

وعندما اتبع المصريون المذهب السوفياتي في الدفاع، (بعد حرب ١٩٥٦)، وحفروا منظومة

الخنادق على طول تحصيناتهم ، ووضعوا الدبابات في مواقع رمي معدة سابقاً ، وركزوا المدفعية في الخلف لمنع تقدم المدرعات الاسرائيلية ، طــور بارليف تكتيك قواته المدرعة ، وتقرر منذ ذلك الحين ان لا تكون المدرعات مجرد ذراع مساعد للمشاة ، بل ان تتقدم باتجاه التحصينات المصرية لتخرق خطوطها . ودرس نقاط الضعف في هــذه الخطوط ، كما أجرى حسابات وتدريبات على تقدم رؤوس الحراب المدرعة التي ستشق الطريق لمجموعة الالوية المدرعة . وكانت التدريبات تتم بالذخيرة الحية .

ولقد رأى بارليف أن المصريين يعتمدون ايضاً على مدرعاتهم التي كانت اقوى سلاح مدرع في الشرق الاوسط . فقرر رفع مستوى تدريب قادة وجنود المدرعات في اسرائيل . ويعتبر بارليف من المع المتخصصين الاسرائيليين في سلاح المدرعات . ويقال انه اعطى هذا السلاح في اسرائيل النموذج ، وشكل سلاح المدرعات الكبير والحديث .

وبعد انتهاء خدمته في سلاح المدرعــات (١٩٦١) ، ذهب بارليف للدراسة في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة (١٩٦١ — ١٩٦٣) وحصل على ماجستير في الاقتصاد وادارة الاعمال بعد ان كان قد تخرج من الجامعة العبرية . وعندما عاد الى اسرائيل تولى في العام ١٩٦٤ قيادة العمليات بهيئة الاركان ، مركزاً على مسائل البناء والتنمية والامن ، وكان هذا اهم منصب في الجيش الاسرائيلي بعد رئاسة الاركان . ثم سافر في العام ١٩٦٦ الى باريس حيث تابع دراسات عسكرية متقدمة ، ولكنه استدعي في ايار (مايو) ١٩٦٧ لتولي منصب نائب رئيس الاركان قبيل حرب ١٩٦٧ . واثناء هذه الحرب اشترك في تسيير القتال مع اسحق رابين رئيس الاركان ، وعيزر وايزمان رئيس شعبة العمليات. وكان مهتماً بشكل خاص بالجبهة الشرقية وبجسر اللنبي على وجه التحديد .

وفي اوائل العام ١٩٦٨ عين بارليف رئيساً للاركان ، واستمر في هذا المنصب ٤ سنوات حتى ١٩٧٢/١/١ . وكان ذلك استثناء لقاعدة مطبقة في اسرائيل ، وتنص على ان لا يخدم رئيس الاركان اكثر من ثلاث سنوات . ولقد بقي في منصب رئيس الاركان طوال حرب الاستنزاف ، وبني في ايامه خط التحصينات على طول قناة السويس اخذ اسمه وكان مزيجاً من الخط الدفاعي المحصن (الدفاع الثابت) ، والقوات الاحتياطية المدرعة القادرة على شن الهجمات المعاكسة (الدفــاع الديناميكي) . (انظر بارليف خط) .



حاييم بارليف

وبعد احالته على التقاعد اصدرت غولدا مائير ، رئيسة الوزراء آنذاك ، مرسوماً بتعيينه وزيراً للتجارة والصناعة في ١٩٧٢/٣/٥ . وأدى هذا التعيين الى تساؤلات داخل المجتمع الاسرائيلي حول تدفــق العسكريين في الحياة السياسية الاسرائيلية . ورغم ان بارليف كان يفخر دائماً بأنه لا ينتمي الى اي حزب من الاحزاب الاسرائيلية ، فانه قبــل الحقيبة الوزارية وحافظ عليها في الوزارتين المتعاقبتين : في آذار (مارس) ١٩٧٤ ، وايار (مايو) ١٩٧٤ .

استدعي بارليف عند اندلاع حرب ١٩٧٣ إلى الخدمة العسكرية ، ووضع تحت تصرف رئاسة هيئة الاركان التي ارسلته إلى الجبهة الشمالية لتنظيم الهجوم المضاد . ثم ارسل الى الجبهة الجنوبية في يوم ٦/١٠ كمندوب لرئيس الاركان في قيادة المنطقة بعد أن اشترط الحصول على صلاحيات قيادية لا استشارية فقط ، وترتيب الأوضاع مع قائد المنطقة « صموئيل غونين » ، والحصول على موافقة وزارة الدفاع .

ويرجع ارساله الى هذه القيادة الى الاسباب التالية : ١ — معرفته لمسرح العمليات الذي خدم فيه طويلا ، ٢ — فشل « غونين » في تدمير رؤوس الجسور المصرية على الضفة الشرقية للقنــاة ، ٣ — الخلاف الذي نشب منذ الأيام الأولى للحرب بين قائد الجبهة الجنوبية « غونين » وأحد قادة مجموعات الالوية المدرعة العاملة في جبهته وهو « اريك شارون » بشكل جعل ادارة العمليــات تتعرض لصعوبات كبيرة ، ٤ — اختلاف وجهات نظر « غونين » و « شارون » ووزير الدفاع « موشي دايان » حول الخطة التي ينبغي تنفيذها . فلقد رأى « شارون » ضرورة شن هجوم مضاد مباشر ، ورأى « غونين » ضرورة الدفاع عن المواقع أمام الهجمات المصرية ، بينما كان « دايان » يرى ضرورة الانسحاب حتى الممرات وعمل خط دفاعي هناك . ولقد كان بارليف منذ وصوله الى الجبهة الحكم بين هذه الآراء . وبقي في مقر القيادة يمارس الأعمال القيادية باسم رئيس الأركان ، وغدا « غونين » القــائد الاسمي للجبهة الجنوبية . وما ان انتهت الحرب حتى عاد بارليف الى وزارته . ولكن سقوط « خط بارليف » في اليوم الاول للحرب اثر على سمعة بارليف كمخطط عسكري ناجح . ولقد طلب منه أحد الصحفيين تفسيراً لتآكل خط بارليف بهذه السرعة ، فانكر بارليف نسبة التحصينات اليه وتسميتها باسمه ، وقال ان التسمية بدعة صحفية وليست تسمية رسمية .

يعرف عن بارليف انه هادئ ومهذب ، ويعتبر من اكثر ضباط الجيش الاسرائيلي ثقافة . وهو يعتبر اهتمامه بالثقافة والتحصيل العلمي القــاعدة الرئيسية في حياته . وهذا ما دفعه الى الدراسة في الجامعات والاكاديميات العسكرية بشغف . وكثيراً ما ارسلته اسرائيل ببعثات الى خارج البلاد . كما انه كثيراً ما كان يحصل على اجازات من اجل التحصيل العلمي .

يعتبر بارليف من القادة الاسرائيليين المعتدلين إزاء فكرة ايجاد حل سلمي مع الدول العربية ، ومن المتشددين إزاء نضال الشعب الفلسطيني وحقوقــه الوطنية . وهو لا يرى أن أمن اسرائيل معرض لخطر مباشر ، ويعتبر أن احتمالات التسوية مع العرب غدت ممكنة بعد حرب ١٩٧٣ اكثر من أي وقت مضى .

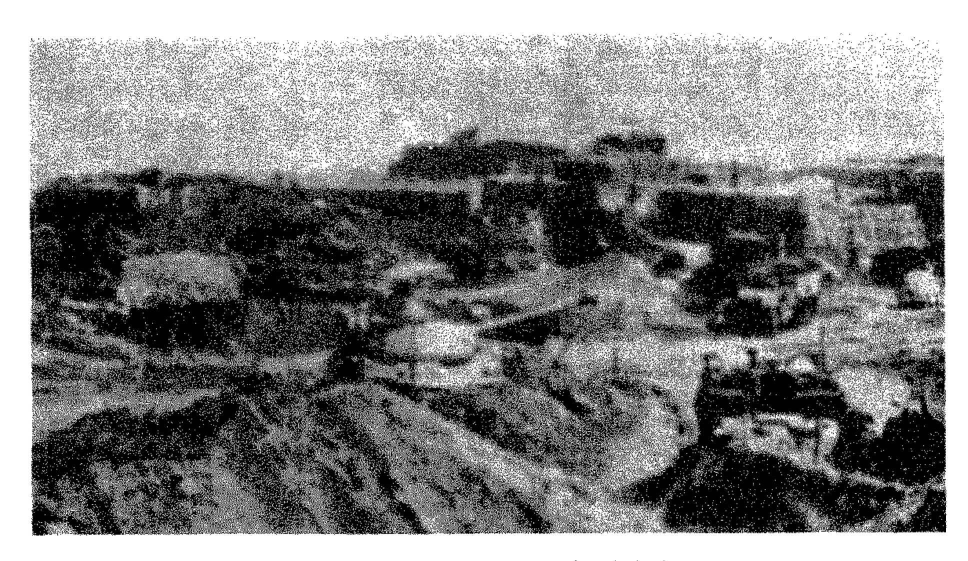
(٤) بارليف (خط دفاعي)

خط دفاعي أقامته القيادة العسكرية الاسرائيلية على امتداد قناة السويس في المناطق الصالحة لعبور قوات كبيرة نسبياً خلال المراحل الاولى من حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩ ، بهدف الدفاع عن القناة — التي تعتبر مانعاً مائياً فعالا — في وجه أية محاولة هجومية مصرية لعبور القناة مع استخدام أقل قدر ممكن من جنود الجيش الاسرائيلي العامل ، وبأقل قدر من الخسائر المحتملة نتيجة لقصف المدفعية أو الطيران ، وبذلك تتوفر للاحتياطي المدرع الموزع في نقاط مختلفة في العمق التكتيكي والعملياتي فترة كافية للانذار والتحرك لصد محاولات العبور الهجومية

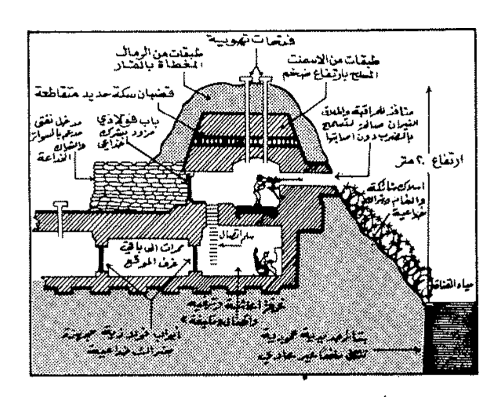
بهجمات معاكسة مشتركة مع الطيران ، وبذلك يساهم هذا التنظيم الدفاعي المتكامل في إيقاف أو تعطيل الهجوم العربي لحين تعبئة وحشد احتياطي الدولة العام في حالة إذا ما كان الهجوم شاملا وبقوات كبيرة يعجز عن قهرها الاحتياطي المدرع العامل .

وقد سمي الخط باسم الجنرال حاييم بارليف الذي كان يشغل وقتئذ منصب رئيس الاركان الاسرائيلية وكان صاحب الفكرة الاساسية في انشائه وإقامة هذا التنظيم الدفاعي . وكان هذا الخط يتألف من سلسلة من المواقع أو النقاط الحصينة يبلغ عددها نحو ٣١ نقطة قوية تبدأ من الشمال عند الكيلو ١٠ جنوب بور سعيد وتنتهي عند « لسان بور توفيق » جنوب السويس ، وكانت كل نقطة تبعد عن الاخرى نحو ٤ كيلومترات وتستطيع أن تتبادل معها المعاونة بنيران الاسلحة الثقيلة ،كما أنها كانت تتصل ببعضها سلكياً ولاسلكياً لتنسيق النيران. واختلفت حامية ومساحة وحجم كل نقطة دفاعية عن الاخرى وفقاً لظروف الموقع من حيث درجة انفتاحه على القناة وأهمية المكان المقامة فيه النقطة ونوعية المواقع المصرية على الجانب المقابل من القناة . وتضمنت تحصينات كل نقطة مواقع لاطلاق نيران أسلحة الرمي المستقيم (بنادق ورشاشات ومدافع مضادة للدبابات) ومواقع اخرى لاطلاق نيران مدافع الهاون والمدافع المضادة للطائرات والدبابات الملحقة بالنقطة . وجميع مرابض وملاجىء النقطة مغطاة بسقوف متينة من الاسمنت المسلح والحجارة وألواح الحديد واكياس الرمال بحيث تستطيع تحمل صدمات القنابل حتّى وزن ١٠٠٠ رطل . وحفرت ممرات تربط بين مختلف المرابض والمنشآت في النقطة الحصينة ، وجهزت النقطة بمواقع مراقبة بالمنظار (التلسكوب) من تحت الارض .

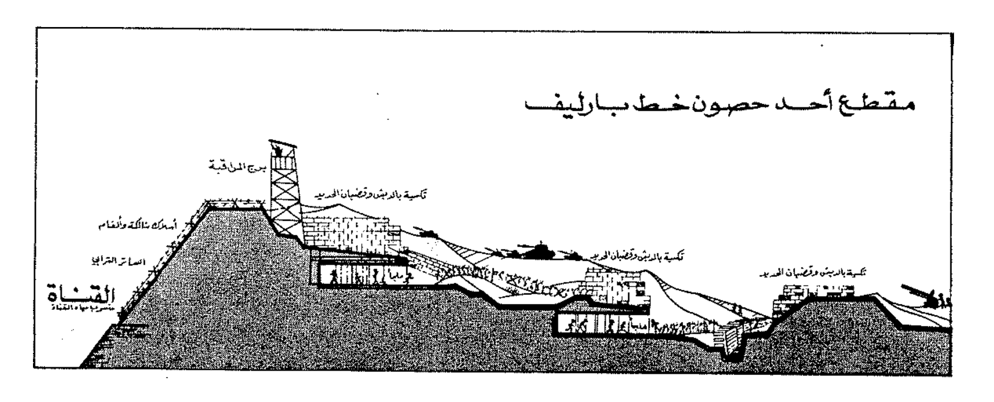
ودرب الجنود داخل النقط على العمل كمراقبين أو ملاحظين مساعدين لتوجيه نيران المدفعية والطيران ، وجهزت النقط بمطابخ ودورات مياه حديثة توجد بها مواقد غاز ومياه جارية تصل من مستودع خاص بالنقطة كانت تصل إليه المياه بأنابيب ممتدة من العمق تحت الارض . وجهزت ملاجىء النوم بأسرة معدنية وسقوف تبلغ سماكتها نحو عشرة امتار من الحجارة والرمال ، محاطة بعوارض وصفائح حديدية . وجرى ربط كل نقطة من هذه النقط الدفاعية بخط هاتفي يربطها بالقيادات وبشبكة الاتصالات المدنية أيضاً ، وألحق بكل نقطة طبيب مقيم ومركز اسعاف اولي ، ووضع بها « بلدوزر » لإعادة فتح



موقع اسرائيلي على خط بارليف قبل حرب ١٩٧٣

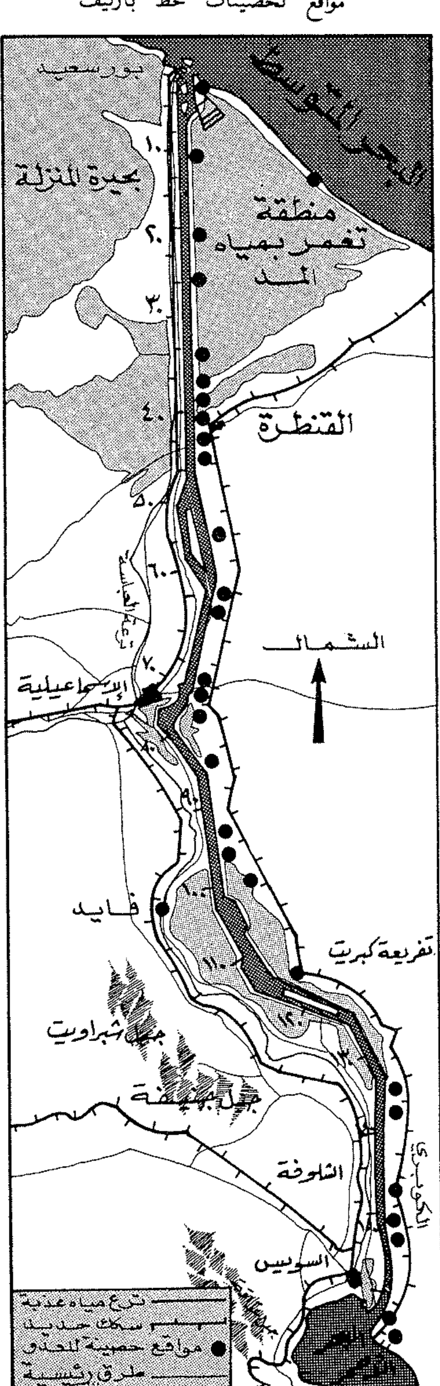


نقطة مراقبة على خط بارليف



الطريق المؤدية إليها في حالة انسدادها نتيجة لانهيار الرمال والحجارة من جراء القصف العربي . واحيطت النقطة بالاسلاك الشائكة الكثيفـة ، كما جرى تجهيزها بأنابيب مطلة على سطح القنـاة ومتصلة بخزانات وقود خاصة لصبه على سطح الماء فيشتعل بصورة شبيهة بـ « النابالم » لمنع وإعاقة العبور . وقد نظمت الدفاعات بكل نقطة وفقاً لاسلوب الدفاع

مواقع تحصينات خط بارليف



الدائري لتواجه الهجمات من أي اتجاه .

بالاضافة إلى النقاط الحصينة أقيم حاجز رملي ضخم يبلغ ارتفاعه ما بين ١٢ و ٢٠ متراً في الاماكن الصالحة للعبور بقوات كبيرة لإعاقة تسلق الضفة الشرقية أمام المهاجمين ولستر تحركات الدوريات الاسرائيلية بين النقاط وبعضها البعض ولاستخدامها أيضاً كرابض مرتفعة لاطلاق نيران الدبابات الموجودة في النقط .

وقد أحاطت الدعاية الاسرائيلية خط بارليف طوال السنوات السابقة لحرب ٦ تشرين اول (اكتوبر) بهالة ضخمة من الدعاية حول مناعته وقدرته على ردع المصريين عن عبور القناة . ولما تم العبور واقتحام الخط في نحو ٦ ساعات يوم ٦ تشرين أول (اكتوبر) وانهارت الاسطورة هاجم دايان الخط ، ووصفه بأنه « مثل قطعة من جبن الغرويير ، فيها من الثقوب اكثر ما فيها من الجبن » ، ثم صرح « بارليف » نفسه بعد ذلك « ان الزعم بأن التحصينات لم تتمكن من صد المصريين هو قول احمق ، لأنها لم تكن معدة لهذه الغاية أصلا . لقد سقطت التحصينات لأنها كانت عبارة عن مواقع أمامية فقط » .

(٦) البارود الاسود

هو الاسم الشائع لمخلوط ميكانيكي يتكون من مسحوق : السلتبتر Saltpetre (نترات البوتاس) Potassium nitrate والفحم النباتي Charcoal والكبريت Sulphur ، بنسب مختلفة اكثرها شيوعاً في الاستخدام العسكري ١ ± ٧٤ و ١ ± ١٥,٦ و ١ ± ١٠,٤ في المائة على التوالي . ويختلف مظهره بين مسحوق دقيق جداً ، وحبيبات صغيرة مصقولة (يقاس حجمها وفق حجم فتحات عيون المنخل الذي يغربل فيه المسحوق) ، وكتل صلبة منتظمة مصقولة . ويتراوح لون البارود الاسود Black Powder بـين الاسود ، والاسود الضارب الى اللون الرمادي ، والبني ، وذلك حسب نوع الفحم المستعمل ، ودرجة تلميع وصقل حبيباته باضافة مادة الغرافيت اليه .

وبالنظر لكون المواد الداخلـة في تركيب البارود الاسود ليست مواد متفجرة ، وبالنظر لكونه مخلوطاً ميكانيكياً وليس كيماوياً ، فهو غير قابل للتفجير ، كما ان حساسيته للصدمات قليلة نسبياً . ولكنه شديد القابلية للاشتعال سواء في الهواء الجوي او في حيز محصور ، وهو يحترق بسرعة عالياً مطلقاً سحباً كبيرة من الدخان الابيض الكثيف .

واحتراقه في حيز محصور يولد ضغطاً عالياً خلال برهة وجيزة ، وبالتالي يمكن استخدامه كمادة دافعة او كمتفجر ضعيف اذا ما قورن بالـ ت. ن. ت . وهو ثابت في حالة تخزينه في مختلف الظروف في حالة بقاءه جافاً ، ولكنه يصبح عسير الاشتعال اذا ما ابتل . كما ان نترات البوتاس تنفصل وتأخذ في التفاعل مع المعادن المحيطة بها اذا ظل رطباً . و رغم ان الزمن قد تجاوز استخدام البارود الاسود كمادة دافعة تماماً ، بعد اختراع وتطوير المتفجرات شديدة الانفجار والمساحيق الدافعة اللادخانية الحديثة ، الا انه ما زال يستخدم استخداماً عسكرياً واسعاً في مجالات عديدة منها : صنع بادئات الاشعال وبشكل خاص في الصواريخ ذات الحشوات الدافعة اللادخانية ، وبادئات التفجير ، والصمامات الملتهبة ، وفي حشوات تفجير انواع معينة من القذائف : كقذائف الشظايا ، والقذائف النجمية ، والقذائف الوثابـة القاعدية الاندفاع Base-ejection shells وفي صنع بعض المركبات النارية ، والفتائل المشعلة ، وصمامات التوقيت والامان ، وفي حشوات الذخائر الخلبية .

والبارود الاسود هو اقدم المتفجرات المعروفة ، تاريخه مغرق في القدم ولا يعرف له اصل او منشأ . ولكن اكتشافه وتطبيق استخدامه في الاسلحة النارية هو احد اهم الاحداث في تاريخ الحضارة الانسانية ، فقد تمكن الانسان باستخدام قوته التفجيرية من القيام باعمال كان القيام بها يتطلب مجهوداً خارقاً . وقد رافق البارود الاسود تطور الصواريخ منذ بدء التفكير فيها ، وكان عاملا هاماً في صنع وتطوير الاسلحة النارية وعلى رأسها مدافع الميدان التي كان لاستخدامها ضد قلاع الاقطاعيين أثر كبير في القضاء على الاقطاع في اوروبا في العصور الوسطى ، وبالتالي كانت له نتائج باهرة على تطور المجتمع الانساني ، وتطور فنون القتال المختلفة .

ولا يعرف على وجه اليقين متى بدأ استخدام البارود الاسود ، ولكن ما من شك في ان الصينيين استخدموه كمادة دافعة في الصواريخ البدائية البسيطة التي كان لهم فضل السبق في اختراعها واستخدامها في الحروب أصلا . وهذا الاصل — بالنظر لعدم معرفته بالتحديد — نجده مغلفاً بهالة من الاساطير . ويبالغ بعض المؤرخين في منشئه الزمني ، ويرجعونه الى سنة ١٩٠٠ قبل الميلاد ، وربما الى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، مما يثير التساؤل حول صحة المراجع التي نقل هؤلاء المؤرخون عنها ، اذ ليس هناك من سبب او داع لتصديق مثل هذا التوقيت المغرق

في القدم ، ذلك ان اقدم مرجع صيني معروف لدى المؤرخين يذكر ان استخدام هذا الاختراع (الصواريخ التي تندفع بواسطة احتراق البارود الاسود) جرب لاول مرة أثناء حصار المغول لمدينة كاي - فونغ - فو الصينية في سنة ١٢٣٢ ميلادية ، وقد سمى المرجع المذكور الصواريخ باسهم النار الطائرة ، وذكر ان المدافعين عن المدينة كانوا يمتلكون قنابل كانت تنفجر محدثة صوتاً كبيراً وآثاراً تدميرية . وهناك اشارات كثيرة تدل على ان الصينيين استخدموا في حروبهم مسحوقاً ملتهباً تحمله اسهم تطلق بواسطة اقواس عادية ، وفي تلك الاثناء اكتشف الاغريق ملحاً إذا أضيف الى مادة ملتهبة زاد من شدة احتراقها - وقد مهد ذلك لاختراع النار الاغريقية - ويظهر ان الصينيين توصلوا بطريقة ما الى معرفة هذا الاكتشاف ، واضافوا اليه اكتشاف خصائص نترات البوتاس بطريق الصدفة ، فحصلوا على نتائج جيدة ، وبدأت بذلك مرحلة تطوير جديدة لتلك المساحيق الملتهبة ، اتخذ بعضها شكل مسحوق البارود الذي استخدم في معركة كاي - فونغ - فو . ولم يبق هذا السر طي الكتمان طويلا لدى الصينيين . والدليل على ذلك انه بعد مرور ثماني سنوات على المعركة المذكورة ، اصدر احد علماء العرب هو « ابو محمد عبد الله بن احمد المالقي المكنى بابن البيطار » مخطوطة ذكر فيها نترات البوتاس او « زهرة حجر العسوس » كما اسماها في مخطوطته ، واضاف ان هذه المادة اخذت تسمى في حينه « بالثلج الصيني » عند المصريين و « البارود » عند باقي العرب . ولكن ابن البيطار لم يذكر ماذا صنعوا بالبارود آنذاك . وفي سنة ١٢٨٠ ميلادية كتب حسن الرماح ، وهو عالم عربي من اذكى علماء عصره ، اطلق عليه معاصروه اسم « نجم الدين » لشدة ذكائه وعلمه ، مخطوطة عنوانها « كتاب اساليب القتال فوق ظهور الخيل باستخدام الآلات الحربية » ضمنها ما اخفاه ابن البيطار من حيث كيفية صنع مسحوق البارود ، ونسباً مختلفة لمزج مكوناته ، وتوجيهات لصناعة الصواريخ التي تسميها المخطوطة « السهام القتالية » وفي ذلك إشارة الى السهام الصينية . وقد أضاف حسن الرماح روحاً جديدة الى الموضوع بوضع تصاميم لاسلحة قتالية اخرى تستخدم البارود كمادة دافعة :

وتبدو قصة دخول البارود الاسود الى اوروبا اكثر وضوحاً ، ذلك ان المؤرخين الاوروبيين أولوها عناية كافية . ومن أهم هؤلاء كان الراهب البريطاني روجر بيكون Roger Bacon الذي كتب رسالة باللغة اللاتينية قبيل سنة ١٢٤٩ ضمنها معلومات عن كيفية تحضير البارود ، وصناعة الصواريخ ، ولكن احداً في تلك الآونة لم يستطع معرفة كيفية تحضيره ، لان بيكون كتب الفقرة الخاصة به باسلوب رمزي غامض لكيلا يعرفه العامة ، الى ان جاء المؤرخ العسكري هنري هايم وفسر رموز بيكون تفسيراً قريباً من المنطق . وكانت النتيجة التي توصل اليها هي طريقة تحضير البارود بخلط سبعة أجزاء من مسحوق نترات البوتاس ، وخمسة أجزاء من مسحوق الفحم النباتي ، وخمسة اجزاء من الكبريت . وكان البارود المحضر بهذه الطريقة ضعيفاً يناسب الاستخدام في الصواريخ الصغيرة البسيطة التركيب . وفي نفس الوقت تقريباً (في وقت ما بين سنتي ١٢٥٠ و ١٢٨٠) كتب الراهب الالماني البرتوس ماجنوس كتاباً اسماه « في عجائب الدنيا » ، ضمنه الحديث عن خليط من البارود ، يتكون من النسب التالية : باوند من الكبريت ، ٢ باوند من مسحوق الفحم النباتي ، ٦ باوندات من نترات البوتاس . وهناك ملاحظتان على هذا الكتاب هما : اولا ، ان البرتوس ماجنوس كتبه بلغة صريحة ، وثانياً ، ان المخلوط الذي وصفه مقتبس عن كتاب آخر بعنوان « كتاب النار » كتبه كاتب آخر قليلا ما ذكر اسمه في كتب التاريخ ويدعى « ماركوس جريكوس » . وهناك شبه اتفاق بين المؤرخين على ان « كتاب النار » هذا هو ترجمة عن الكتب العربية القديمة ، رغم عدم تمكنهم من تحديد الزمن الذي ترجم وكتب فيه .

واستمر تطور البارود الاسود في العصور الوسطى مرافقاً لتطور الصواريخ منذ ان جرى ادخاله الى اوروبا نقلا عن العرب ، ودليلنا على ذلك عناية المؤرخين بوصف أهمية الصواريخ في المعارك التي جرت في تلك الحقبة من الزمان في رسائلهم وكتبهم التي كتبت في القرن الرابع عشر ، مثل رسالة كولون ، وكتابات المؤرخ الايطالي « موراتوري » الذي يعزي الانتصار في معركة جزيرة « تشيوزا » التي جرت في سنة ١٣٧٩ الى استخدام الصواريخ فيها . ومن ناحية اخرى نجد ان المرجع الوحيد في تاريخ تطور الاسلحة النارية يرجع اختراعها واستخدامها الى اوائل القرن الرابع عشر حيث كانت بدائية التصميم محدودة الفعالية (انظر البندقية) . وما من شك في ان اختراعها كان من اهم الاحداث في تاريخ الحضارة الانسانية ومن اهم تطبيقات استخدام البارود الاسود .

وقد اثار ظهور الاسلحة النارية اهتماماً كبيراً بتحسين وتطوير البارود الاسود ، ذلك ان تعبئته في المدافع والبنادق البدائية كان يتطلب مهارة فائقة بغية الحصول على افضل النتائج . ذلك ان كيفية تعبئة الحشوة في الاسلحة النارية بالكثافة المطلوبة كان عاملا هاماً في الحصول على الاحتراق المطلوب . وكان هذا العمل يتطلب عناية كبيرة في تحضير مسحوق البارود بنسب مرضية ، واحجام جزيئات مناسبة . فكثيراً ما كان الاحتراق يتم بسرعة بالغة ينجم عنها ضغط فجائي كبير يسبب انفجار تلك الاسلحة . وبالتالي كان تطور البارود الاسود الذي رافق تطور الاسلحة النارية يستهدف الوصول الى خليط يحترق بمعدل سرعة أبطأ ، ويولد ضغطاً أقل لفترة اطول . ويتلخص هذا التطور فيما يلي : المشكلة الاولى كانت تكمن في أن تحضير البارود الاسود من مواد صلبة يتطلب سحق تلك المواد ، ذلك ان الخليط لا يكون متجانساً ومنتظماً إلا إذا كانت احجام جزيئات عناصر النترات والفحم والكبريت بالغة الدقة . وكان سحق المواد في اول الامر يتم بطريقة بدائية ، باستخدام هاونات مبتكرة صنعت في بعض الاحيان من جذوع الاشجار الكبيرة . ثم ابتكرت طرقاً شبه آلية ، كان يتم فيها السحق بمطرقة تتحرك بقوة المياه الجارية او الحيوانات (كما هو الحال في المطاحن القديمة) ، إلا ان عنف الطرق زاد من خطر حدوث الحرائق والانفجارات الفجائية ، وبالتالي فقد هجرت هذه الطريقة في بعض الاماكن وخصوصاً في انجلترا سنة ١٧٧٢ . والمشكلة الثانية التي كانت تواجه صانعي البارود الاسود هي في طريقة الحصول على مسحوق نقي من نترات البوتاس التي توجد في الطبيعة في انحاء مختلفة من الهند واسبانيا وجنوب الاندلس . وقد طورت طرق عديدة للحصول عليها بواسطة تحلل المواد العضوية في معظم دول اوروبا . واخيراً تم العثور على مخزون ضخم من نترات الصوديوم في تشيلي قبيل نهاية القرن التاسع عشر . وتكمن اهمية نترات الصوديوم في سهولة تحضير نترات البوتاس منها بمعاملتها كيماوياً بمحلول كلوريد البوتاس وبذلك تحسنت مصادر العالم من هذه المادة الهامة ، كما يمكن استبدالها بنترات البوتاس في صنع بارود اسود ، اقل تكلفة وابطأ احتراقاً وان كان اشد استرطاباً ، وفق النسب الحديثة التالية : ٢ ± ٧٢ ٪ من نترات الصوديوم ، ٢ ± ١٦ ٪ من الفحم النباتي ، ٢ ± ١٢ ٪ من الكبريت . والمشكلة الثالثة هي في ان مسحوق البارود الاسود يحترق بسرعة كبيرة ، وقد امكن التغلب على هذه المشكلة في

القرن الخامس عشر عن طريق إضافة سوائل مختلفة الى البارود مثل الكحول او البول وعجنه في الوقت نفسه ، ومن ثم استخدام الضغط لتشكيل المعجون وفق احجام وكتل معينة ، ثم تكسيرها الى حبيبات صغيرة يجري تصنيفها وفق حجم فتحات مناخل خاصة تستخدم لهذه الغاية . ولكن شكل الحبيبات التي كان يتم الحصول عليها وفق هذه الطريقة لم يكن منتظماً، مما يسبب وجود فراغات كثيرة داخل الحشوة تسمح بمرور لهب الاحتراق خلالها .

وعندما اخترعت سبطانة البندقية المحلزنة والمقذوف المخروطي المستطيل (انظر البندقية) ، بدأ البحث مجدداً من اجل الوصول الى بارود بمعدل احتراق ابطأ . وتوصل الضابط الاميركي توماس رودمان في سنة ١٨٥٠ الى صنع حشوات منتظمة الشكل والحجم ذات معدل احتراق منتظم بتطوير طريقة الضغط السابقة واستعمال عوامل مساعدة معينة . وقبيل نهاية القرن التاسع عشر امكن صنع بارود أشد بطئاً ، وذلك عن طريق استخدام فحم بني اللون (بمعنى ان عملية تقطيره الاتلافي لم تتم حتى نهايتها) ، وزيادة نسبة نترات البوتاس الى ٨٠ ٪ لضمان الاحتراق ، وتخفيض نسبة الكبريت الى ٣ ٪ . وقد لعب هذا الخليط المشكل وفق طريقة رودمان دوراً كبيراً في الحرب الاميركية – الاسبانية في سنة ١٨٩٨ ، وكانت هذه الحرب هي آخر حرب لعب فيها البارود الاسود دوراً هاماً كمادة دافعة على اثر اختراع وتطوير المواد الدافعة والمتفجرات الحديثة خلال القرن التاسع عشر . وبهذه النهاية الدرامية انتهى عصر البارود الأسود ، بعد سيطرة دامت ستة قرون . بيد أن انتهاء دور البارود كمادة دافعة في الاسلحة النـارية لم يلغ دوره العسكري في الحشوات التخريبية الدافعة (نسف طرقات بحشوات داخلية مدكوكة جيداً) ، وفي أعمال المحاجر المدنية .

(٦) البارود القطني

من المتفجرات القاصمة ، وهو أفضل انواع متفجر النيترو سيلولوز (نـترات السيلولوز) . اذ يحتوي على اعلى نسبة للنيتروجين من بينها تزيد عن ١٣ ٪ . وهو متفجر شديد الانفجار شديد الحساسية يحضر باضافة مادة سيلولوزية (القطن المحلوج ، ولب الخشب) الى كمية واحدة من مزيج مركز من حامضي النتريك والكبريتيك في أوعية خاصة من الفولاذ الذي لا يصدأ أو من الصلصال . وبعد أن تتم عملية النترجة يجري فصل السيلولوز عن الحامض وغسله جيداً تحت الماء الجاري لإزالة آثار الاحماض ومن ثم تثبيته لكيلا يكون عرضة للتحلل وبالتالي للانفجار التلقائي . ذلك ان نترات السيلولوز المحضرة تحتوي على نواتج لا تتم نترجتها بالكامل . وتتم عملية التثبيت بغلي الناتج في الماء لمدة طويلة تحت شروط حامضية ، واضافة مواد خاصة أثناء مراحل التثبيت ، ثم يجري فصله وغسله جيداً عدة مرات لتنقيته . والبـــارود القطني (Guncotton) في صورته النهائية هو مادة بيضاء خفيفة ، تشبه القطن ، ولا تذوب في الماء، وتتميز عن بقية أنواع النيترو سيلولوز التي تحتوي نسبة أقل من النتروجين ، كالكلوديون والبيروكسيلين والبيروسيلولوز ، من حيث انها تذوب جزئياً فقط في مزيج الكحول والايثانول – بخلاف الانواع الاخرى التي تذوب فيه – ولكنها تذوب في الاسيتون والنيتروبنزين واسيتات (خلات) الايثيل .

وقد بدأ تاريخ البارود القطني في سنة ١٨٣٨ عندما اكتشف پيلوز Pelouze انه يمكن تحويل القطن الى مادة تحترق بشدة بالغة ، بعد معاملته بحامض النتريك المركز . وفي سنة ١٨٤٦ أثبت شونبين Schonbein ان بالامكان استخدامه كمادة متفجرة ، وقام بتحسين طريقة تحضيره باضافة حامض الكبريتيك الى حامض النتريك . وفي الستينات من القرن التاسع عشر بدأ استخدامه في تركيب بارود القذائف . وفي سنة ١٨٦٨ اكتشف براون انه يمكن تفجير البارود القطني بواسطة صاعق سواء اكان رطباً ام جافاً ، وبهذا مهد الطريق امام استخدامه كمتفجر شديد الانفجار . وقد شهد تاريخ البارود القطني كثيراً من الكوارث كان سببها الرئيسي الجهـــل بأن النيتروسيلولوز مادة غير ثابتة كيماوياً ، الى ان جاء السير فردريك آبل، واظهر في سنة ١٨٦٨ ان عملية غسلها بعد نترجة السيلولوز لم تكن كافية وان الحامض المتبقي فيها كان السبب في عدم ثباتها . وتبع ذلك تطوير عملية غسل الناتج المنترج المقرونة بسحقه وعجنه أثناء الغسل ، وبالتالي الحصول على نتائج أفضل . الا ان حوادث الانفجار استمرت بحدة اقل الى ان جاء بول ڤييل Paul Vieille وتوصل الى اضافة مواد مثبتة خاصة وظيفتها معادلة نواتج التفاعل غير الثابتة كيماوياً .

والبارود القطني متفجر شديد الانفجار ، ينفجر لدى تعرضه للحرارة والشرر والاحتكاك والصدم ، وهو يشبه في هذه الخاصية المتفجرات شديدة الحساسية كفلمينات الزئبق وازيد الرصاص . وقد استخدم البارود القطني الرطب بعض الوقت كمتفجر شديد الانفجار ، الا ان استخدامه لم يكن مرضياً لشدة حساسيته وخطورة التعامل بـه . وكان استخدام البارود القطني الجاف اشد خطورة من الرطب . وقد جرت محاولات عديدة في منتصف القرن التاسع عشر وبشكل خاص في استراليا ، من اجل استخدام البارود القطني وحده كمادة دافعة ، الا انها فشلت بسبب خطورته ، ولأن طريقة التخفيف من حساسيته باضافة مواد غرويه اليه لم تكن معروفة آنذاك . وفي الثمانينات من القرن التاسع عشر ادخل استعمال نترات السيلولوز المجلتنة (باضافة مادة جيلاتينية اليها) كمادة دافعة ، واهميتها تكمن في ان احتراقها لا ينتج عنه آثار دخانية تدل على اماكن الاسلحة التي تطلقها في الميدان . وفي سنة ١٨٩١ صنع كل من السير فريدريك آبل Fredrick Abel والبروفيسور جيمس ديوار James Dewar الكوردايت الذي هو عبارة عن مادة دافعة تتكون اساساً من مخلوط غروي متماثل من البارود القطني والنيتروغلسرين ، مضافاً اليهما بعض المواد المثبتة الاخرى. وتطورت صناعة الكوردايت بعد ذلك وتعددت اشكاله وطرق استخدامه ، كالحشوات الدافعة للصواريخ الميدانية والذخائر المختلفة ، واصبح هذا اهم استخدام للبارود القطني حتى الآن .

يستخدم البارود القطني اليوم في العديد من الجيوش لقطع معادن الجسور والسكك الحديدية . والنموذج العسكري المستخدم عبارة عن قالب زنة ٤٠٠ غ من البارود القطني الرطب في داخله تجويف يستوعب مخروطاً من البارود القطني الجاف يكون بمثابة بادئ التفجير (الوسيط) الذي يحمل في منتصفه ثقباً (نقراً) لوضع الصاعق .

(١) بازوكا

قاذف صاروخي خفيف مضاد للدبابات يستخدمه فرد واحد ، ويطلق بواسطته قذائف ذاتية الاندفاع مضادة للدبابات زنة ١,٥ كغ تقريباً ، وعيار ٧٥مم، مزودة بحشوة جوفاء ذات صمامة تصادمية . والبازوكا (Bazooka) سلاح أميركي . صنع في العام ١٩٤٢ ، واستخدمته القوات الاميركية وقوات الحلفاء على نطاق واسع في الحرب العالمية الثانية وفي الحرب الكورية . وبقي مستخدماً في العديد من الدول الغربية وفي اسرائيل حتى الستينات .

ويمتاز هذا السلاح بخفة وزنه (٦ كغ) ، وسهولة استخدامه ، وقدرته على خرق دروع دبابات القتال نظراً لأن قذيفته تخرق ٦٠ م تقريباً، ولكن

مداه العملي القصير (حوالي ٦٠ متراً) يجعله سلاحاً للقتال القريب ضد الدبابات. ولقد زودت به وحدات المشاة والمشاة الميكانيكية، ووحدات المظليين والكوماندس وعصابات الأنصار العاملة وراء خطوط العدو.

وتعطي البازوكا مردودها الأفضل في حالات القتال التي يمكن فيها مجابهة الدبابات من مسافات قريبة (قتال ليلي، غابات، مناطق مبنية، مزروعات عالية، منطقة مرصنة (محكمة) Zone Organisée مليئة بالحفر والخنادق... الخ). وهي لا تستخدم ضد الدبابات فحسب، بل يمكن استخدامها خلال الاقتحام ضد تحصينات العدو ومعاقله (دشمه) وبيوته المحصنة والمعدة دفاعياً. ولقد بقيت البازوكا السلاح الخفيف الفردي الأمثل ضد الدبابات في الحرب التقليدية وحرب العصابات حتى ظهرت قواذف صاروخية أخرى اكثر تطوراً وأخف وزناً وأبعد مدى ومجهزة بأجهزة تسديد ليلية ونهارية دقيقة



البازوكا الاميركية

(٨) بازوكا الجزائر (حادثة)

(انظر الثورة الجزائرية).

(٤) باغراسيون (بيتر إيفانوفيتش)

جنرال (١٧٦٥ - ١٨١٢)، أمير روسي كان ضابطاً في الجيش القيصري القديم، وهو واحداً من أشهر الجنرالات الروس في الحرب ضد نابليون. شارك في الحروب ضد نابليون في فترة ١٨٠٥ - ١٨٠٧، وضد تركيا عام ١٨٠٩، وفي عام ١٨١٢ قاد باغراسيون الجيش الثاني في غرب روسيا ضد نابليون، وهزم في «موجيليف»، ولكنه انضم بعد ذلك إلى القوات الرئيسية تحت قيادة الجنرال «كوتوزوف» واشترك في معركة «بورودينو» في ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩١٢، حيث قاد الجناح الايسر للقوات. وقد جرح في هذه المعركة وتوفي متأثراً بجراحه في ٢٤ ايلول (سبتمبر) من العام نفسه، وقد أقيم له نصب تذكاري في مكان موقعة «بورودينو». وفي عام ١٩٤٤ اطلقت القيادة العسكرية السوفييتية اسمه على عملية تحرير روسيا البيضاء من القوات الالمانية الغازية كرمز تاريخي لتحرير المنطقة وهزيمة الغزاة الالمان كما سبق أن هزمت جيوش نابليون (انظر باغراسيون، عملية).



الجنرال باغراسيون

(٤) باغراسيون (عملية) ١٩٤٤

حتى منتصف عام ١٩٤٤ كانت المانيا النازية لا تزال تمتلك قوة عسكرية لا يستهان بها رغم الهزائم الكبيرة التي لحقت بها في معارك «موسكو» و «ستالينغراد» و «كورسك» و «القوقاز» و «القرم» و «الدنيبر» في الجبهة السوفييتية خلال اعوام ١٩٤١، ١٩٤٢، ١٩٤٣ وبداية عام ١٩٤٤، وهزائمها الأقل حجماً في العلمين وشمال افريقيا وايطاليا في عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٣. إذ انتجت الصناعة الحربية الالمانية خلال النصف الاول من عام ١٩٤٤ حوالي ٩ آلاف دبابة ومدفع ذاتي الحركة قانص للدبابات، واكثر من ١٧ ألف طائرة حربية، كما اصبحت قواتها تضم ٣٢٤ فرقة، حشدت منها ١٧٩ فرقة وخمسة ألوية في الجبهة السوفييتية، بالاضافة لقوات الدول المتحالفة مع المانيا وقتئذ (رومانيا والمجر وسلوفاكيا وفنلندا) والتي كانت تضم ٤٩ فرقة و ١٨ لواءاً. وبلغ المجموع الكلي لهذه القوات ٤ ملايين جندي تقريباً مسلحين بنحو ٤٩ ألف مدفع وهاون، و ٥٢٥٠ دبابة وقانص ذاتي الحركة، وحوالي ٢٨٠٠ طائرة.

وكان لدى الجيش السوفييتي العامل حوالي ٦,١ ملايين جندي مسلحين بنحو ٨٣٢٠٠ مدفع وهاون، وحوالي ٧٧٠٠ دبابة وقانص، و ١١٨٠٠ طائرة حربية. وكانت الجيوش السوفييتية، نتيجة لعمليات ١٩٤٣ وبداية ١٩٤٤، قد تقدمت حتى الحدود الرومانية واقتربت من حدود تشيكوسلوفاكيا واحتلت اجزاء من جنوب شرقي بولندا. ولذلك كان هناك خياران أمام القيادة السوفييتية العليا عند بحث خطط عمليات صيف ١٩٤٤، اولهما يقضي بتطوير الهجوم في الجنوب والالتفاف من هناك حول القوات الالمانية التي لا تزال متمركزة في روسيا البيضاء، ضمن جيب ضخم يمتد لمسافة نحو ١٠٥٠ كم (ابتداء من «برست ليتوفسك» عند حدود بولندا، حتى «بوبرويسك» شرقاً على امتداد الحد الجنوبي لمستنقعات «بريبيت» الضخمة التي تفصل جنوب الاتحاد السوفييتي (أي اوكرانيا) عن وسطه (أي روسيا البيضاء)، ثم يصعد الجيب شمالا حتى «ڤيتبسك» و «بولوتسك» و «ابوتشكا» القريبة من جمهوريتي البلطيق «لاتفيا» و «ليتوانيا» السوفيتيتين) والتي كانت تتألف من ٦٣ فرقة وثلاثة ألوية (تضمها أساساً مجموعة جيوش الوسط وجزء من مجموعة جيوش الشمال) وتبلغ اجمالي قوتها نحو ٨٠٠ ألف جندي، لديهم حوالي ٩٥٠٠ مدفع وهاون، و ٩٠٠ دبابة وقانص، و ١٣٥٠ طائرة.

أما الخيار الثاني فكان توجيه الضربة الرئيسية إلى هذا النتوء مباشرة وتطويق القوات الالمانية الموجودة فيه بضربات موجهة الى اجنحته، على أن يتم

ذلك على مراحل تتفق وتقدم القوات في اراضي المنطقة المليئة بالغابات والمستنقعات . ومن ثم فتح طريق التقدم السريع نحو الغرب تجاه « وارسو » عاصمة بولندا ، وبروسيا الشرقية التي تشكل جزءاً من الاراضي الالمانية ، وهو اقصر الطرق المؤدية إلى نهر « الاودر » و « برلين » بعد ذلك . كما ان الهجوم في هذا الاتجاه ، أي في روسيا البيضاء ، يسهل عمليات الامداد والتموين نظراً لأن طرق المواصلات التي تربط بين موسكو ومراكز الصناعة والتخزين الخلفية تكون في هذه الحالة أقصر كثيراً عن حالة الهجوم في القطاع الجنوبي ، ومن ثم يمكن أن تسير العملية بوتيرة زحف سريعة تكفل بتحطيم القوات الالمانية هناك بصورة أقل تعقيداً في تنظيم وادارة العمليات القتالية مما لو تم الهجوم من الجنوب للالتفاف نحو الشمال .

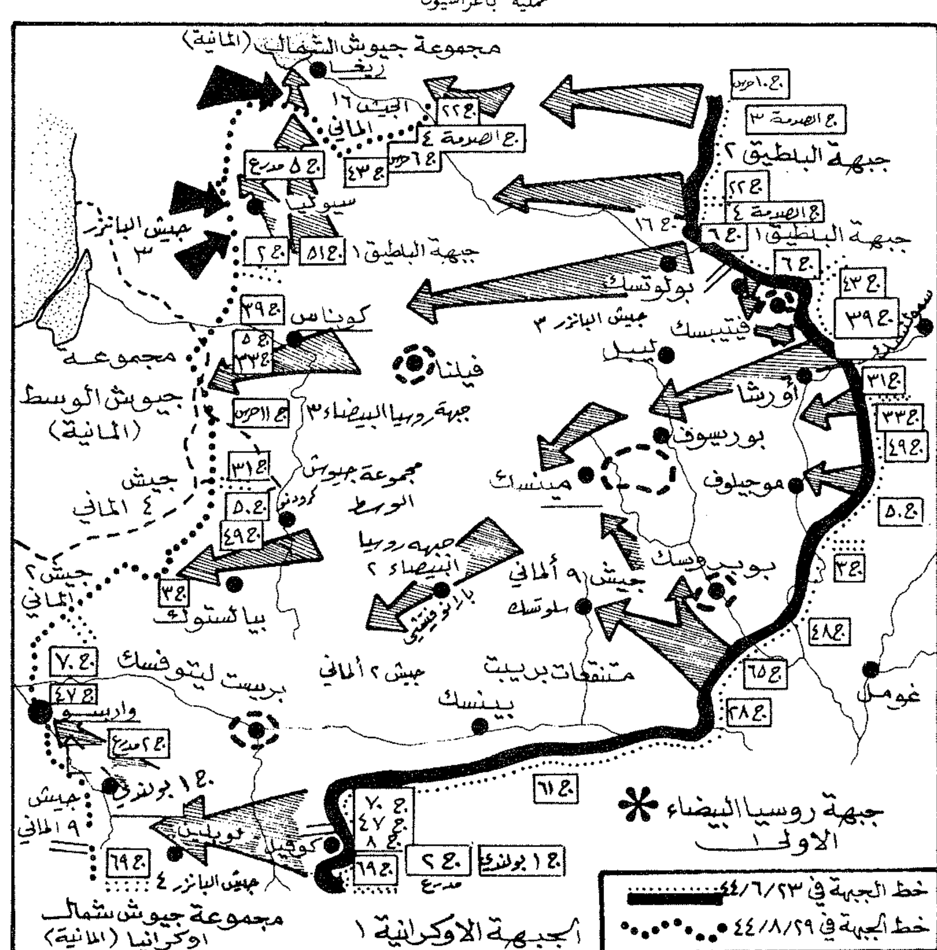
ولهذا وقع اختيار القيادة السوفييتية العليا على توجيه الضربة الرئيسية في هجوم صيف ١٩٤٤ إلى جيب روسيا البيضاء (كانت هذه القيادة تتألف أساساً من ستالين وجوكوف وفاسيليفسكي) مع اتخاذ اجراءات مخادعة لتضليل القيادة الالمانية عن نيتها هذه ، بحيث تجعلها مقتنعة أن الجنوب سيكون محور العمليات الرئيسي وليس الشمال . وكانت هذه الاجراءات تتلاقى مع قناعة « هتلر » القائمة على أساس أن الهجوم في الجنوب يحقق للسوفييت مكاسب اقتصادية وسياسية هامة تتمثل في حرمان المانيا من بترول رومانيا والسيطرة على البلقان بسرعة ، خاصة وأن غزو الحلفاء الغربيين لفرنسا أصبح وشيكاً ويهم قادة الاتحاد السوفييتي تأمين هذه المنطقة تحت سيطرتهم . ولهذا اعتبر « هتلر » التقارير المرفوعة من قائد مجموعة جيوش الوسط ، الماريشال بوش ، حول وصول تعزيزات للقوات السوفييتية المواجهة له في روسيا البيضاء ، إنما تعكس إجراءات تضليل سوفييتية متعمدة لإخفاء نية توجيه الضربة الرئيسية في الجنوب ، ولهذا حشدت القوة الاساسية الالمانية من المدرعات والمشاة الميكانيكية في الجنوب (١٨ فرقة مدرعة وآلية تضم ٢٢٠٠ دبابة وقانص) . وساعد على ذلك الاعتقاد لدى القيادة الالمانية إدراكها لصعوبة الهجوم في غابات ومستنقعات روسيا البيضاء ، خاصة وأن التحصينات الالمانية هناك كانت تمتد ضمن خطوط دفاع متعددة متعاقبة تصل إلى عمق ٢٥٠ — ٢٧٠ كم .

وقامت خطة الهجوم السوفييتي في روسيا البيضاء على أساس توجيه ضربتين رئيسيتين قويتين تلتقيان على جناحي جيب روسيا البيضاء ، وكانت إحداهما تبدأ في الشمال قرب مدينة « فيتيبسك » وتتجه عبر « بوريسوف » نحو « مينسك » عاصمة روسيا البيضاء ، والاخرى تبدأ في الجنوب وتتجه عبر مدينة « بوريسوف » نحو « مينسك » أيضاً ، وذلك بهدف تطويق وسحق قوات مجموعة جيوش الوسط شرقي « مينسك » . وبعد تحطيم مواجهة دفاع العدو الاستراتيجية ومحاصرة تجمعاته الرئيسية في مناطق «فيتيبسك» و «اورشا» و «بوبرويسك» و «مينسك» والقضاء عليها بسرعة، تجري مطاردة القوات الالمانية وتوسيع عرض قطاع الاختراق إلى أقصى حد بضربات في محاور متباعدة ، على خلاف الحال في المرحلة الاولى من العملية حيث توجه الضربات في محاور متلاقية للتطويق وتحطيم القوات داخل الجيوب المحاصرة (انظر إكس كونييف) .

وحشدت القيادة السوفييتية ٤ مجموعات جيوش لتنفيذ هذا الهجوم الاستراتيجي الواسع النطاق الذي سيجري تنفيذه في قطاع يبلغ ٥٠٠ كم ، هي جبهات «البلطيق الاولى» بقيادة الجنرال «باغراميان» ، و « روسيا البيضاء » الاولى والثانية والثالثة بقيادة الجنرالات « روكوسوفسكي » و « زاخاروف » و « تشيرنياخوفسكي » على الترتيب المذكور ، هذا فضلا عن اشتراك الطيران الاستراتيجي (كان الطيران التكتيكي موزعاً على قيادات الجبهات في شكل جيوش وفيالق جوية) واسطول نهر الدنييبر وفصائل الانصار العاملة في غابات روسيا البيضاء ، والتي بلغ حجمها نحو ٣٧٤ ألف مقاتل موزعين على ١١٠٨ مفرزة ، تشكل ١١٩ لواء فدائياً ، مسلحة تسليحاً جيداً ويعززها احتياطي سري بلغ عدده ٤٠٠ ألف فرد، و ٧٠ ألف آخرين من رجال المقاومة السرية داخل المدن والقرى والمراكز . أي أن اجمالي العاملين في مؤخرة القوات الالمانية بلغ نحو ٨٤٤ ألف فرد .

وكانت الجبهات الاربعة المذكورة تضم أكثر من مليون و ٤٣٠ ألف جندي ، وأكثر من ٣١ ألف مدفع وهاون ، و ٥٢٠٠ دبابة وقانص ، وحوالي ٥٠٠٠ طائرة ، فضلا عن نحو ١٠٠٠ قاذفة قنابل تابعة لقيادة الطيران الاستراتيجي .

عملية باغراسيون



وكان لدى كل جبهة نحو ١٢ ألف شاحنة ٣ طن كخط ثالث للنقل، كما تم توفير نحو ٤٠٠ ألف طن من الذخيرة، و ٣٠٠ ألف طن من الوقود والزيوت، و ٥٠٠ ألف طن من المؤن، وتأمين نحو ٢٥٠ ألف سرير في المستشفيات، قبل بدء العملية التي اطلق عليها الاسم الرمزي «باغراسيون» نسبة لبيتر باغراسيون أحد قادة الجيش الروسي المشهورين خلال الحرب ضد نابليون في العام ١٨١٢. (انظر باغراسيون، بيتر ايفانوفيتش).

وبدأ تنفيذ العملية في ١٩٤٤/٦/٢٢، أي مع الذكرى الثالثة لبدء الغزو النازي للاتحاد السوفييتي (عملية باربار وسا)؛ وبعد نحو اسبوعين من غزو الحلفاء لنورماندي. ورغم المقاومة العنيفة التي أبداها الألمان في بداية الهجوم، إلا أن القوات السوفييتية استطاعت أن تطوق وحدات المانية قوية في منطقتي «فيتيبسك» و «بوبرويسك»، مما أدى إلى فتح ثغرات كبيرة في خطوط الدفاع الالمانية، اندفعت من خلالها وحدات المدرعات والفرسان السوفييتية نحو العمق العملياتي، واستطاعت أن تعمق الاختراق مسافة ١٢٠ – ١٥٠ كم خلال ستة أيام من بدء الهجوم. وفي الوقت نفسه تحقق خرق للمواقع الدفاعية في محوري «اورشا» و «موجيليوف». ودفعت القيادة الالمانية بقوات جديدة من مناطق البلطيق، ومن الجانب الجنوبي للجبهة بلغت ٢٨ فرقة، فضلا عن ١٨ فرقة و ٤ ألوية وصلت من المانيا ودول أوروبا المحتلة، وذلك لمحاولة سد الثغرات. ولكن هذه المحاولات المتأخرة لم تؤد إلى إيقاف الهجوم السوفييتي الكاسح، ومضت قوات جبهتي روسيا البيضاء الاولى والثالثة في زحفهما لتطويق «مينسك»، ونجحتا في الالتقاء غربها مباشرة في يوم ١٩٤٤/٧/٣. وتم بذلك تطويق ١٠٠ ألف جندي الماني شرقي المدينة.

وفي اليوم التالي استولت قوات جبهة البلطيق الاولى على مدينة «بولوتسك»، ففتح الطريق المؤدي إلى جمهوريات البلطيق. وهكذا فتحت ثغرة عرضها ٤٠٠ كم في خطوط الدفاع الالمانية، وبهذا انتهت المرحلة الاولى من العملية. وقد تمت تصفية جيب «مينسك» يوم ١٩٤٤/٧/١١ بعد أن جزأ إلى قسمين وفشلت محاولات الخروج من الحصار. وقد وقع في الاسر هناك ٣ من قادة الفيالق، و ٩ من قادة الفرق الالمانية.

ولعب الطيران السوفييتي دوراً بارزاً في كافة مراحل العملية وخاصة في مطاردة القوات المنسحبة أو التي تحاول كسر حلقات التطويق، وذلك كما حدث في منطقة «بوبرويسك»، حيث قصفت ٥٢٦ قاذفة وطائرة هجوم أرضي ومقاتلة على قوة مؤلفة من ١٥٠ دبابة ومدفع ذاتي الحركة، وحوالي ١٠٠٠ مدفع، و ٦٠٠٠ شاحنة وعربة، خلال ساعة ونصف، أثناء محاولتها اختراق الحصار على الطريق من «سافيتشي» نحو «تيتوفكا». وقامت جيوش الطيران الملحقة بالجبهات الاربع طوال فترة العملية التي استغرقت ٧٠ يوماً بحوالي ١٠٠ ألف طلعة طيران، بالاضافة لنحو ٨١١٥ طلعة للقاذفات بعيدة المدى، استهدفت خطوط السكك الحديدية في الاساس.

وبعد انتهاء المرحلة الاولى بدأت المرحلة الثانية لتوسيع الثغرة ومطاردة القوات الالمانية. وزحفت القوات السوفييتية على محاور متباعدة، فتقدمت قوات جبهة روسيا البيضاء الاولى نحو الجنوب الغربي ملتفة حول «برست ليتوفسك» حيث التقت بقوات الجبهة الاوكرانية الاولى، التي انضمت للعملية في مرحلتها الثانية بهجوم ذو شعبتين من منطقة كوفيل، توجهت إحداهما نحو «برست ليتوفسك» عبر نهر «البوج» وزحفت الاخرى نحو «لوبلين» حتى وصلت إلى نهر «الفيستولا»، على مشارف «وارسو»، حيث اوقفتها هجمات مضادة المانية.

وتقدمت قوات جبهة روسيا البيضاء الثانية حتى حدود روسيا الشرقية. ووصلت قوات جبهة البلطيق الاولى إلى مقربة من «ريغا». وتوقف الهجوم السوفييتي في نهاية آب (اغسطس) ١٩٤٤ لإعادة تنظيم خطوط المواصلات والتأهب للمرحلة التالية من العمليات، ولخلق الظروف الملائمة لتطوير الهجوم في الجنوب.

وقد بلغ طول المواجهة خلال عملية «باغراسيون» نحو ألف كم، ووصل عمق التقدم إلى حوالي ٦٠٠ كم، واسفرت عن تدمير ٧٦ فرقة المانية من أصل ١١٤ فرقة اشتركت في مختلف مراحل العملية، أي دمر ما نسبته ٦٨ ٪ من مجموع الفرق الالمانية المشتركة فيها. وكانت هذه الفرق تشكل ٣٢ ٪ من جملة الفرق الموجودة بالجبهة الشرقية كلها.

وقد ساهم الانصار السوفييت في روسيا البيضاء بدور هام في هذه العملية، تركز في نسف وتدمير خطوط السكك الحديدية قبل بدء العملية بيومين، كما دمر الأنصار أو أخرجوا عن الخط الحديدي في الفترة من ٢٦ إلى ٢٩ حزيران (يونيو) ١٤٧ قطاراً، الأمر الذي اربك حركة المواصلات والامداد والتموين في المؤخرة الالمانية، وشغل القوات الاحتياطية المحدودة من قوات مجموعة جيوش الوسط.

ومن أبرز مظاهر هذه العملية أن الماريشالين «جوكوف» و «فاسيليفسكي» كانا يقومان طوال العملية بالتنسيق المحكم بين نشاطات الجهات الاربع المشتركة في القتال.

(ه) باك جت بروفوست (طائرة)

طائرة تدريب اساسي، بمقعدين متجاورين، بريطانية. نفاثة. حلقت لاول مرة في منتصف عام ١٩٥٤. منتشرة على نطاق واسع في الدول التي تتسلح من بريطانيا. ظهرت منها عدة نماذج اهمها باك ١٤٥ (BAC 145).

المواصفات العامة: (باك ١٤٥) السرعة القصوى ٧٠٨ كم/الساعة. الحمولة الحربية القصوى ١٠٠٠ كغ على ٨ نقاط تعليق، ورشاشان عيار ٧,٦٢ م. المدى الاقصى مع خزانات اضافية ١٤٤٨ كم. الحجم: الطول ١٠,٣٦ م، فتحة الجناحين ١٠,٧٧ م، الارتفاع ٣,١٠ م.

(ه) باك ١٦٧ سترايك ماستر (طائرة)

طائرة تدريب اساسي. بمقعدين متجاورين. وطائرة هجوم خفيفة مضادة للعصابات. بريطانية. نفاثة. حلقت لاول مرة في اواخر عام ١٩٦٧. اخذت تصاميمها الاساسية عن طائرة باك ١٤٥. احدث طائرات التدريب الاساسي البريطانية، وهي مستخدمة على نطاق واسع في الدول التي تتسلح من مصادر بريطانية.

المواصفات العامة: السرعة القصوى ٧٦٠ كم/الساعة. الحمولة الحربية ١٣٦٠ كغ. المدى بوزن ٣٧٨٩ كغ: ١١٦٦ كم. الحجم: الطول ١٠,٣٦م، فتحة الجناحين ١٠,٧٧ م، الارتفاع ٣,١٠ م.

(ه) باك لايتننغ (طائرة)

مقاتلة معترضة، ضاربة وللاستطلاع، بمقعد واحد. بريطانية. نفاثة. حلقت لاول مرة في نيسان ١٩٥٧، وصممت في الاصل كطائرة معترضة صالحة لجميع الاجواء، ليلية نهارية، تزيد سرعتها عن ٢ ماك. إلا ان النماذج التي تلت النماذج الاولى صممت لتكون متعددة الاغراض. وقد توقف إنتاج هذه الطائرة إلا أنها ما زالت عاملة في العديد من الاسلحة

الجوية . وآخر نماذجها الطراز ٥٣ (MK 53) للسعودية والكويت . والطراز ٥٥ (MK 55) .

المواصفات العامة : (الطراز ٥٣) السرعة القصوى ٢٤١٥ كم/الساعة (٢,٢٧ ماك) . الحمولة الحربية صاروخان ردتوب ، او ٦ قنابل زنة الواحدة ٤٥٣ كغ . الوزن الاقصى ٢٢٦٨٠ كغ . الحجم : الطول ١٦,٨٤ م ، فتحة الجناحين ١٠,٦١ م ، الارتفاع ٥,٩٧ م .

(٦) بالستيك

البالستيك (المقذافية) (Ballistics) ، هو العلم الذي يدرس قوانين حركة القذائف والعوامل المؤثرة في هذه الحركة . وهو فرع من اعقد فروع العلوم الفيزيائية ، ومثله كمثلها جميعاً من حيث انه مؤسس على الملاحظة والتجربة . ورغم ان هذا العلم لم يشهد التطور نفسه الذي لحق ببعض العلوم الاخرى ، الا انه يشترك معها في ان له هدفاً نهائياً يسعى الى تحقيقه بوضع معادلات لبضع قوانين عامة بسيطة يمكن استخدامها في ايجاد حلول وتنبؤات للظواهر العلمية المعقدة بدون الحاجة الى اجراء المزيد من التجارب في الحالات التي تتضمن معلومات ومعطيات أولية كافية .

ان المدفعية والبنادق هي الفن الذي يتجلى فيه تطبيق هذا العلم ، في خطوات تجهيز ، وتصويب ، واطلاق مختلف انواع هذه الاسلحة . ان هذه الخطوات المتسلسلة هي التي تنتقل بهذا العلم من النظرية البحتة الى واقع التطبيق العملي . وتبعاً لذلك ينقسم البالستيك الى ثلاثة اقسام : ١) المقذافية الداخلية (Internal Ballistics) ، وهي تعنى بدراسة حركة القذيفة داخل ماسورة او سبطانة السلاح والعوامل التي تحكم هذه الحركة ، كما تعنى بدراسة اشتعال حشوة القذيفة داخل السبطانة . ٢) المقذافية الخارجية (External Ballistics) (او علم الرمي) ، وهي تعنى بدراسة حركة القذيفة بعد انطلاقها خارج سبطانة السلاح والعوامل المؤثرة في هذه الحركة ، كجاذبية الارض ومقاومة الهواء ، وحساب مسار هذه القذيفة نحو هدفها . ٢) المقذافية النهائية (Terminal Ballistics) ، وهي تعنى بدراسة تأثير القذيفة على الهدف عندما تصل الى نهاية مسارها . واهمية المقذافية النهائية تبدو في ان تدمير الهدف هو الغرض النهائي الذي تستهدفه العملية العسكرية من وراء دراسة حركة القذائف او بعبارة اخرى من تطبيق علم البالستيك . والمقذافية النهائية هي التي ستحدد في النهاية نوع الأثر المطلوب إحداثه من وراء تصميم القذيفة ، وهل هي قذيفة متفجرة مضادة للافراد ام الدروع .. الخ ، وهي بالتالي تعتمد في ذلك على دراسة نوع الهدف ونوع المادة التي يتكون منها .

أن الاهمية العسكرية للبالستيك بفروعه الثلاث ، تظهر في ان قوانينه تسمح بوضع تصاميم المدافع والبنادق والذخائر ، وعمل لوائح الرماية التي تمكن الرامي من إصابة الاهداف بدرجة كافية من الدقة في مختلف الظروف الجوية التي تؤثر على مسار المقذوف في الهواء (انظر علم الرمي) .

(١١) البالماخ

قوات البالماخ هي وحدات الصاعقة التابعة لمنظمة الهاغانا الإرهابية اليهودية ، واسمها مشتق من العبارة العبرية « بلفات ماهاتز » . وقد أنشئت إبان الحرب العالمية الثانية ، في ١٩ أيار (مايو) ١٩٤١ ، حين كانت قوات المحور تقترب من فلسطين ، وتألفت من وحدات خفيفة الحركة ذات مستوى عال من الكفاءة والخبرة ، إذ اجتاز أفرادها تدريبات خاصة ، شاقة وعنيفة ، وخصوصاً في أعمال النسف والتخريب والهجوم الصاعق .

وكان قائد قوات البالماخ « إسحق سادي »،وهو ضابط سابق في الجيش القيصري ، وواحد من مؤسسي العسكرية الاسرائيلية ، ومعلم عسكري تخرج معظم القادة الاسرائيليين من مدرسته الإرهابية . ولقد تمكن « سادي » من إقامة علاقات وثيقة مع الكابتن « أورد وينغت » (جنرال وينغت فيما بعد) الذي كلفته سلطات الانتداب البريطاني بمهمة حماية أنابيب شركة بترول العراق من هجمات الثوار العرب ، وهكذا تشكلت وحدة يهودية-انكليزية مشتركة عرفت باسم « الفرق الليلية الخاصة » بقيادة وينغت في الظاهر ، ولكنها كانت تخضع في الحقيقة لإشراف الهاغانا ، تخطيطاً وتنفيذاً ، كما كانت تستخدم كغطاء لتدريب الشباب اليهود ، وتأهيلهم للقيام بالأعمال العسكرية الإرهابية .

وقد تمكنت قوات البالماخ من التزود بأحدث الأسلحة ، نتيجة للعلاقة المتينة التي أصبحت تربطها بحكومة الانتداب ، من جهة ، ونظراً للأهمية التي كانت توليها إياها قيادة الهاغانا ، من جهة أخرى ، إذ كانت تعتبرها قوتها الضاربة الاولى ، نظراً لقدرتها على تنفيذ المهمات الهجومية العدوانية البحتة . وهكذا فقد توفر السلاح الشخصي كالبندقية ، او المسدس او الرشيشة لكل فرد من البالماخ ، بالإضافة الى الأسلحة الجماعية كالرشاشات ، ومدافع الهاون من عيار ٦٠ مم ، او ٨١ مم . وكانت الذخائر اللازمة لهذه الاسلحة متوفرة ، عن طريق المساعدات الانجليزية السرية ، او تنتجها المصانع المحلية بصورة سرية . وكان في كل مستعمرة او حي يهودي مخبأ سري للأسلحة والذخائر ، تستخدمه مختلف الفصائل الارهابية والعصابات وقت الحاجة .

وكان تحت تصرف البالماخ اعداد كافية من وسائل النقل الخفيفة والثقيلة ، كسيارات الجيب وغيرها ، لتأمين سرعة الحركة ، ونقل الأسلحة والمتفجرات ، من وإلى مراكز الاشتباك .

وكانت قوات البالماخ تتبع مباشرة قيادتها المفرزة من الوكالة اليهودية ، والمتمركزة في تل أبيب ، كما كانت لها قيادات مستقلة خاصة في معظم المدن الفلسطينية الرئيسية مثل القدس وحيفا . وكانت قواتها في المناطق تخضع لهذه القيادات المستقلة ، بحيث كانت قيادة المنطقة تقود أصغر وحدة في أصغر مستعمرة أو نقطة دفاع صهيونية .

وقد لعبت المرأة دوراً أساسياً في تنفيذ عمليات البالماخ العسكرية ، وبلغ تعداد النساء في بعض سرايا البالماخ اكثر من ٣٠٪ من ملاكه ، حيث كن يتلقين تدريباً خاصاً . وأسهمت الفتيات اليهوديات الى جانب الشباب في تمهيد الشواطئ الفلسطينية لاستقبال المهاجرين المهربين ، كما قمن بعمليات الحراسة والاسعافات الأولية ، وعملن على أجهزة اللاسلكي ، وفي الاذاعة السرية ، وواكبن القوارب أثناء عمليات الإنزال . واشترك بعضهن في عدد من العمليات العسكرية مثل نسف خطوط السكك الحديدية ، وفي الهجوم على معسكر « عتليت » لإطلاق سراح المهاجرين غير الشرعيين الذين أوقفتهم السلطات البريطانية ، بشكل صوري ، هناك . كما أسهم عدد من النساء في تقديم الخدمات الخاصة بالامداد والتموين .

وكان للبالماخ هيئة مخابرات جيدة التنظيم ، حسنة التخطيط ، بارعة التنفيذ ، تمكنت بواسطتها من توفير عوامل الأمن لأفرادها ، وتهيئة الأجواء المناسبة سواء للدفاع او الهجوم . وقد تسلل بعض من يجيدون اللغة الألمانية الى معسكرات أسرى الحرب الألمانية لأغراض التجسس ، كما تخفى كثيرون منهم بالزي العربي واستقروا في سوريا ولبنان للهدف ذاته .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية واجهت قوات البالماخ مشكلة مالية خطيرة كادت تقضي عليها ،

لولا أن بادرت قيادتها الى اتباع خطة مبتكرة لانقاذها، وتقضي هذه الخطة بأن ترابط جميع فصائل البالماخ في «الكيبوتزات» في مختلف أنحاء فلسطين، حيث يقضي أفراد كل مجموعة خمسة عشر يوماً، من كل شهر، يعملون في حقول الكيبوتز، ويقضون بقية أيام الشهر في التدريب، وبهذا تغطي أجرة أيام العمل مصاريف الشهر بأكمله. ونجحت هذه الخطة في حل المشكلة المالية، كما عززت القدرة الدفاعية للكيبوتزات نفسها.

وعند قيام اسرائيل في عام ١٩٤٨، كانت وحدات البالماخ (بقيادة ييغال آلون الذي خلف سادي) هي القوة الوحيدة المعبأة، والمؤهلة لتكوين نواة الجيش الاسرائيلي، لذا أصدرت حكومة اسرائيل قراراً بحل البالماخ ودمجها في الجيش، والافادة من كوادرها القيادية، الأمر الذي جعل بصمات البالماخ تبدو واضحة على تكوين الجيش، واساليبه، وروحه العدوانية.

(٥) بانتام (صاروخ)

(انظر الصواريخ المضادة للدبابات).

(٦) باندونغ (مؤتمر) ١٩٥٥

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٤) باولوس (فريدريك)

قائد عسكري الماني (ماريشال) عمل في القطعات الالمانية المقاتلة خلال الحرب العالمية الاولى وساعد في وضع الخطط العسكرية الالمانية للحرب العالمية الثانية في مرحلتها الاولى نظراً لانه كان يشغل منصب مدير العمليات في رئاسة الاركان الالمانية في الفترة من ايلول (سبتمبر) ١٩٤٠ حتى كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢، حين عينه هتلر قائداً للجيش السادس في جنوب الاتحاد السوفيتي، الذي قاده خلال هجوم صيف ١٩٤٢ حتى وصل به إلى مدينة ستالينغراد، وهناك اشتبك في معركة طويلة مع المدافعين السوفييت الذين صمدوا للهجوم حتى تمكنوا من تطويق قواته، وتوجيه ضربة مضادة على اجنحتها المحمية بقوات رومانية وايطالية تمت في الفترة بين ١٩ و ٢٣ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٤٢ تحت قيادة «جوكوف». وبعد فترة من الحصار فشلت فيها محاولات امداده من الجو وفتح حلقة الحصار بهجوم من الجنوب الغربي بواسطة قوات «فون مانشتاين» اضطر «باولوس» إلى تسليم بقايا قواته في ١٩٤٣/١/٣١، رغم ترفيعه في اليوم



المارشال فون باولوس

نفسه إلى رتبة «فيلدمارشال» من قبل «هتلر» في محاولة لرفع معنوياته ومنعاً لاقدامه على التسليم. وانضم اثناء فترة أسره إلى لجنة المانيا الحرة العاملة ضد النازية، وحضر محاكمات نورمبرغ كشاهد. ثم عاش في المانيا الديمقراطية عقب اطلاق سراحه عام ١٩٥٣، وعرف بعدائه لسياسة المانيا الاتحادية (الغربية) الموالية للولايات المتحدة، حتى توفي في «درسدن» في شباط (فبراير) ١٩٥٧. (انظر معركة ستالينغراد).

(٥) ب ت ـ ٧٦ (دبابة)

دبابة برمائية خفيفة، سوفياتية. ظهرت لاول مرة في عام ١٩٥٠. وتستخدم باعداد كبيرة في الجيش السوفياتي، وفي حلف وارسو، كعربة استطلاع. وصممت في الاصل لتكون عربة برمائية، وكان من نتيجة ذلك ان زاد طولها بالنسبة لوزنها، وقلت مناعة درعها بالنسبة للدبابات الخفيفة التي في مستواها. ورغم هذه النواقص فان لها ميزات اخرى عديدة. فجهاز الدفع النفاث يعطيها القدرة على عبور الانهار ذات التيار السريع، والسير بسرعة في عرض البحر. وهي دبابة استطلاع مثالية، لهـا قدرات حركية ممتازة. ويمكن استخدامها لتقديم الدعم المباشر لموجات العبور الأولى عند عبور الموانع المائية، كما يمكن استخدامها في عمليات الاغارة الساحلية.

المواصفات العامة: الوزن ١٤ طناً. الطاقم ٣ أفراد (قائد هو في الوقت نفسه الرامي وعامل الراديو، وسائق، وملقم). الحجم: الارتفاع ٢,٢٣ م، طول الجسم ٦,٨٥ م، العرض ٣,١٤ م. السرعة على الطرقات/المدى ٤٠ كم/الساعة/٢٥٠ كم. التسليح مدفع عيار ٧٦ ملم.

(٥) ب ت ر ـ ٤٠ (عربة مدرعة)

(انظر ب ر د م ـ ١ و ٢)

(٥) ب ت ر ـ ٥٠ ب (عربة مدرعة)

ناقلة جنود مدرعة، مجنزرة، سوفياتية. اكثر ناقلات الجنود المجنزرة انتشاراً في حلف وارسو. ظهرت لاول مرة في عام ١٩٥٥. ولها مواصفات شبيهة بالدبابة ب ت ـ ٧٦ (PT-76). وهي برمائية قادرة على السباحة بالماء بدفع مائي نفاث (hydrojet). وبالاضافة الى عملها كناقلة جنود فهي تخدم في وحدات الاستطلاع في الجيش السوفياتي. وليس لهذه الناقلة ابواب جانبية ويتم ركوبها والترجل منها من فتحات في السقف.

المواصفات العامة: الوزن ١٤ طناً. الطاقم ١٥ (٣ + ١٢ جندي مشاة). الحجم: الارتفـاع ٢,٠٠ م، الطول ٦,٩٠ م، العرض ٣,٠٩ م. السرعة على الطرقات/المدى ٤٣ كم/الساعة/٢٥٠ كم. ويمكن تسليحها بأربعـة رشاشات من عيـارات مختلفة، ١٤,٥ مم، او ١٢,٧ مم، او ٧,٦٢ مم. ومن مشتقاتها ب ت ر ٥٠ پ يو (BTR 50 PU) التي تستخدم كعربة قيادة واتصال. وقد ظهرت هذه العربة لاول مرة في عام ١٩٦٢.

(٥) ب ت ر ـ ٦٠ (عربة مدرعة)

ناقلة جنود مدرعة، على ثماني عجلات، سوفياتية. ظهرت لاول مرة عام ١٩٦١، بسقف مكشوف مع طاقم من ١٤ رجلا. وفي عام ١٩٦٤ ظهر نموذج آخر منها له سقف مغطى. وفي عام ١٩٦٥ ظهر نموذج آخر له كوتان اماميتان للسائق ومساعد السائق، وبرج صغير لرشاش القائد. وتستخدم هذه الناقلة وحدات المشاة الآلية، ووحدات الاستطلاع. وهي برمائية تسبح وتسير في الماء بدفع مائي نفاث. يمكن اطلاق النار من داخلها. ويتم ركوبها والترجل منها من فتحات في السقف.

المواصفات العامة: الوزن ١٠ اطنان. الطاقم ١٢ (سائق، قائد، ١٠ جنود مشاة). الحجم: الارتفاع حتى اعلى البرج ٢,٢٩ م، الطول ٧,٣١ م،

العرض ٢,٨١ م . السرعة على الطرقات/المدى ٨٠ كم/الساعة ٥٠٠ كم . وتتسلح برشاش عيار ١٤,٥ ملم، ورشاش عيار ٧,٦٢ ملم على البرج . وتتزود احياناً بقاذف لقـذائف التنوير ، او روكت لانشر مضاد للدروع . وهي مزودة بمعدات الرؤية الليلية بالاشعة تحت الحمراء .

(٥) ب ت ر ـ ١٥٢ (عربة مدرعة)

ناقلة جنود مدرعة ، على ست عجلات ، سوفياتية . ظهرت نماذجها الاولى بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة . وهي اقدم ناقلة جنود سوفياتية عاملة ، انتج منها نماذج عدة ، ظهر آخرها في اوائل عام ١٩٦٠ . وقد بنيت النماذج الاولى منها على قواعد شاحنات زيل ١٥١ (ZIL-151) ، والنماذج الاخيرة على قواعد شاحنات زيل–١٥٧ (ZIL-157) ويوجد من هذه العربة ثلاث طرازات اساسية هي : ناقلة جنود مدرعة مسلحة برشاش عيار ٧,٦٢ ملم او ١٢,٧ ملم . وعربة قيادة هي في العادة غير مسلحة ، ولهـا سقف اعلى من سقف الناقلات الاخرى . وعربة حاملة رشاش مضاد للطائرات ، تتسلح برشاش ثنائي عيار ١٤,٥ ملم .

المواصفات العامة : الوزن ٨,٦ اطنان . الطاقم ١٧ (٢ + ١٥ جندي مشاة) . الحجم : الطول ٦,٧ م ، العرض ٢,٣٥ م ، الارتفاع ٢,٠٠ م . السرعة على الطرقات/المدى ٧٥ كم/الساعة/٦٠٠ كم .

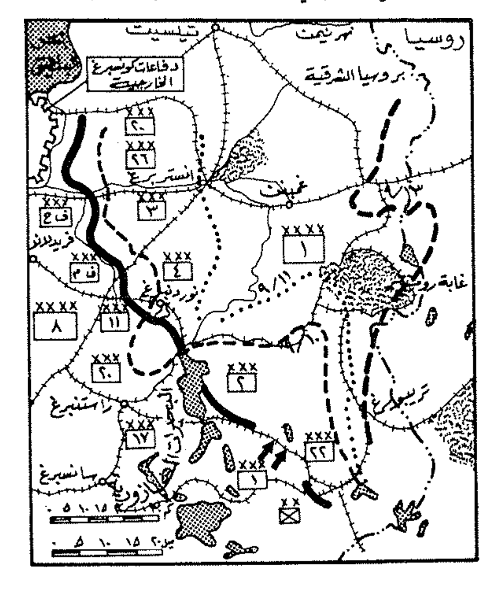
(٦) البحيرات المازورية (معركة) ١٩١٤

معركة فاصلة من معارك الحرب العالمية الأولى ، جرت قرب البحيرات المازورية Masurian Lakes على الجبهة الروسية – الالمانية في الفترة الواقعة بين ٩ و ١٤ أيلول (سبتمبر) ١٩١٤ ، وانتهت بانتصار الالمان .

بعد ان فرغ القادة الالمان (هندنبرغ ، ولودندورف ، وهوفمان) من هزيمة الجيش الروسي الثاني ، بقيادة سمسونوف ، في تاننبيرغ (٢٦–٢٩/٨/١٩١٤) (انظر تاننبيرغ) ، اخذوا يعدون العدة للتخلص من الجيش الروسي الاول ، بقيـادة رننكامبف ، وطرده من الاراضي البروسية ، ولقد عززوا لهذا الغرض قواتهم بمزيد من القوات التي سحبت من الجبهة الغربية واضيفت الى الجيش الثامن . وكان رننكامبف قد عاد ادراجه شمالا ، بعد ان فشل في نجدة سمسونوف في الوقت المناسب ، وبعد ان وصلته انباء الهزيمة التي لحقت به ، في ٣٠ آب (أغسطس) ١٩١٤ . ولقد وزع رننكامبف قواته أثناء عودته إلى الشمال بحيث جعل مجنبته اليمنى تستند على بحر البلطيق ، ومجنبته اليسرى ممتدة الى البحيرات المازورية ، مع الاحتفاظ بفيلق لحماية ثغرة « لوتزن » Lotzen (جيجيكـو Gizycko حالياً) من أي هجوم الماني .

وفي اليومين التاسع والعاشر من شهر ايلول (سبتمبر) ١٩١٤ ، قام الالمان بتأمين مجنبتهم الجنوبية بالقرب من « ليك » Lyck (إلك Elk حالياً) و « أوغسطوف » Augustow ، ثم بادروا بشن هجوم في محاولة لاختراق ثغرة لوتزن . ولكن محاولة الاختراق الالمانية فشلت ، وتمكن رننكامبف من صدهم بعد ان استخدم كل ما لديه من احتياطي لتحقيق ذلك . وبعد ذلك ، قام الفيلق الالماني الاول بمهاجمة الفيلق الروسي الثاني واجبره على التراجع ، وبذلك مهد الطريق الى « غمبينن » Gumbinnen ؛ وبالتالي التقدم لاحتواء القوات الروسية وفق الخطة التي رسمها لودندورف . وعلى الاثر ، اصدر رننكامبف الامر الى قواته بالانسحاب خشية وقوع « تاننبيرغ » اخرى ، وقام في الوقت نفسه بشن هجوم مضاد في الوسط بين « نوردنبرغ » Nordenburg (كريلوفو "Krylovo" حالياً) و « انغربرغ » Angerburg (ويغورزيفو (Wegorzewo) بهدف حماية انسحابه . وقد الحق هجوم رننكامبف المضاد خسائر ضخمة بالفيلق الالماني المجابه ، مما أزعج لودندورف وحمله على تقليص تقدم مجنبته اليمنى ؛ وبالتالي لم يتمكن من تحقيق عمق كاف في حركة التفافه حول القوات الروسية ، كما كان يهدف في الاصل . وقد مكن ذلك ، رننكامبف ، من انقاذ الجزء الاكبر من قواته عبر مسيرات قاسية وصل ما قطعه فيها الى (٥٥) ميلا في (٥٠) ساعة . ورغم ذلك فقد بلغ ما تحمله الجيش الروسي الاول من خسائر حوالي ١٤٥ ألف رجل ، في مقابل عشرة آلاف رجل تقريباً في الجانب الالماني .

ولقد اسفرت معركة البحيرات المازورية عن تطهير اراضي بروسيا الشرقية جميعها من القوات الروسية . وكان من نتيجتها ايضاً إعفاء زيلنسكي (قائد الجيشين الروسيين الاول والثاني) من منصبه في ١٧ أيلول ، وتعيين الجنرال « نيقولا روسكي Gen. Nicholas Russki » خلفاً له .



معركة البحيرات المازورية (١٩١٤)

(٩) البدال

هو نظام تبديل الجند في صدر الاسلام .

كانت الدولة في صدر الاسلام معبأة مستنفرة بشكل دائم نظراً لضخامة الأخطار المحدقة بها ، وقوة الدافع المعنوي الذي كان يجيش في صدور المسلمين ويدفعهم إلى الفتح في سبيل نشر الدعوة . ولذا كان كل فرد قادر على حمل السلاح يعتبر نفسه مقاتلا مستعداً لخوض المعركة . ولم يعرف المسلمون منذ معركة بدر (٦٢٣) حتى نهاية عهد عمر بن الخطاب (٦٤٤) نظام التسريح النهائي أو الاعفاء النهائي من الجهاد ، ولكنهم عرفوا نظـام التسريح المؤقت أو « البدال » . ويذكر الطبري أن أول من طبق نظام البدال هو الخليفة أبو بكر ، يوم سرح المجاهدين العاملين في اليمن واستبدلهم بآخرين غيرهم ، الأمر الذي جعل العرب يطلقون على جيش عكرمة بعد عودته من اليمن اسم « جيش البدال » .

وأخذ الخليفة عمر بن الخطاب عن سلفـه أبي بكر نظام البدال . فكان يبدل الجيوش بشكل مستمر حتى لا تطول غيبتهم عن أهلهم وعيالهم ، وحتى يحصل المسلمون جميعاً على شرف الجهـاد بالتناوب . وبالاضافة إلى العوامل الانسانية والمعنوية فقد كان وراء نظام البدال عامل اقتصادي ، يتمثل في أن معظم المجاهدين من المتطوعين أو المجندين لم يكونوا مقاتلين محترفين يمتهنون الحرب ، بل كانوا يمارسون الحرب إلى جانب أعمالهم الاقتصاديـة

الأخرى ، وكان غيابهم الطويل عن ديارهم يؤدي إلى الاضرار بمصالحهم رغم ما يحصلون عليه من فيء وغنائم .

ولقد تبنى الخليفة عمر قاعدة استبدال الجند كل ستة أشهر ، ويروي ابن الجوزي أن الخليفة حدد هذه المدة بعد أن سمع شكوى امرأة عربية بسبب غياب زوجها فسأل ابنته حفصة أم المؤمنين « كم تحتاج المرأة إلى زوجها ؟ فقالت في ستة أشهر . فكان لا يُغزي جيشاً له اكثر من ستة أشهر » .

(٣) بدر (معركة) ٦٢٣

ماء مشهور بين مكة والمدينة اسفل وادي الصفراء بينه وبين الجار ، وهو ساحل البحر ، وعلى هذ الماء كانت الوقعة المشهورة التي اظهر الله بها الاسلام في شهر رمضان سنة ٢ هـ ، الموافقة لسنة ٦٢٣ م ، وقد جرت الوقعة بين المسلمين من جهة وبين قريش من جهة اخرى . وسببها ان النبي (صلعم) علم ان اباسفيان بن حرب زعيم قريش عائد من الشام الى مكة على طريق الساحل على رأس قافلة تجارية ، فقرر التعرض لها ، وكان الذي أثار هذه الوقعة هو الحروب التي سبقتها بين قريش والنبي . واعد النبي العدة لذلك ، وعلم ابو سفيان بخبر تعرض النبي له ولقافلته فاستنجد بمكة فانجدته بجيش من خيرة شبابها ورجالاتها وعلى رأسهم ابو جهل . ولكن القافلة نجت من تعرض المسلمين الذين اختاروا ماء بدر بالعدوة الدنيا فنزلوا عليه . وابى أبو جهل إلا لقاء المسلمين وقتالهم رغم معارضة الكثير من القادة الذين اشتركوا بالحملة ، فقصدهم الى ماء بدر ، ونزل بجيشه بالعدوة القصوى من الوادي قرب بدر . وكان جيش النبي مؤلفاً من ثلاثمائة وخمسة عشر رجلا من المهاجرين والانصار بقيادة الرسول ، وبرفقته معظم الصحابة امثال ابي بكر وعمر وعلي (رضي) وغيرهم . اما جيش قريش فكان يناهز الالف رجل تقريباً ، بقيادة عدد من ابطال قريش واعيانها ، وعلى رأسهم ابو جهل .

واصطف الفريقان للقتال ، فنظم النبي (صلعم) جيشه صفوفاً وساوى بين الصفوف (وكان سواد ابن غزية ناتيءُ البطن في صفه) فطعنه النبي بالقدح في بطنه قائلا : « إستو يا سواد بن غزية) ، وحض المسلمين على القتال قائلا لهم : « إذا اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ، ولا تحملوا عليهم حتى تُؤذنوا » ، ثم قال : « اللهم انك ان تهلك هذه العصابة اليوم – يعني المسلمين – لا تعبد بعد اليوم » .

وبادر المشركون بالهجوم ، اذ هجم الاسود المخزومي على البئر الذي بناه المسلمون يتحداهم انه « سيشرب منه او يموتن دونه » ، فتصدى له حمزة ابن عبد المطلب فضربه بالسيف ضربة بترت ساقه ثم قتله . وبرز ثلاثة من فتيان قريش من بني عبد مناف ، جد النبي ، يطلبون القتال ، فبرز اليهم ثلاثة من انسبائهم من جيش النبي هم حمزة ابن عبد المطلب ، وعبيدة بن الحارث ، وعلي بن ابي طالب ، فقتل كل من المسلمين الثلاثة واحداً من انسبائه المشركين الثلاثة . ثم انطلق المشركون بعدها في الهجوم على المسلمين ، وبقي المسلمون في وضع الدفاع الى ان استنفد جيش المشركين قواه وعزمه ، عندها صدر امر النبي للمسلمين بالتقدم والانقضاض على المشركين . ونزل النبي بنفسه الى المعركة يقاتل ، وبعد قتال عنيف تصدع جيش المشركين وقتل رأسه أبو جهل ، وفر من بقي منه منهزماً . وقد بلغ عدد قتلى المسلمين في هذه الوقعة أربعة عشر شهيداً ، اما قتلى المشركين فبلغوا السبعين ، كما اسر من قريش سبعون رجلا .

ولقد برز النبي (ص) في هذه المعركة ، كما في معركة احد ، قائداً عسكرياً فذاً ، اذ عرف كيف ينظم صفوفه للقتال ، كما عرف كيف يختزن قوى جيشه للحظات الحاسمة في المعركة فأمر جنده ان يدافعوا ولا يهجموا حتى يأذن لهم . وقد تجلت نباهته العسكرية كذلك حين اقتيد اليه غلامان قادمان من جهة معسكر قريش فسألهما : كم عدد جيش قريش ؟ فأجاباه : لا ندري ، فسألهما : كم ينحرون يومياً من الابل ؟ فأجاباه : يوماً تسعة ويوماً عشرة ، فقدر النبي عدد جيش العدو ما بين التسعمائة والالف مقاتل ، وكان مصيباً في ذلك . وتعتبر غزوة بدر المعركة الحاسمة الاولى في تاريخ الاسلام .

(١) البدل

البدل في القانون العسكري (Taxe) هو مبلغ من المال يدفعه المدعو الى الخدمة العسكرية في بعض الجيوش ليتم إعفاؤه من هذه الخدمة رغم عدم وجود معوقات أخرى تبرر هذا الأعفاء .

والفكرة الكامنة وراء البدل هي حصول الدولة من الموسرين على المال اللازم لإدامة القطعات العسكرية . والفكرة في جوهرها غير عادلة ، لأنها تلقي على عاتق المواطنين غير الموسرين مهمة الدفاع عن الوطن ، بينما تعفي الموسرين من أعباء هذه المهمة . ولكن ضخامة الأعباء المالية التي يتطلبها اعداد الجيوش الكبيرة ، فرضت على بعض الدول الفقيرة اللجوء إلى هذا الاسلوب كحل لمسألة نقص الأموال بالنسبة إلى عدد الجند الذين يمكن تجنيدهم ، وخاصة إذا كان عدد الرجال الذين يمكن تجنيدهم اكبر من متطلبات الدفاع عن البلاد .

ولقد كان المسلمون حتى بداية عهد عمر بن الخطاب (٦٣٤) يجاهدون طواعية بأنفسهم أو بأموالهم ولا يخضعون لأي الزام سوى الالزام المعنوي وكان الجهاد بالمال نوعاً من البدل الطوعي . ومع تعاظم الفتوحات الاسلامية ، وانصراف المسلمين عن الحروب إلى البذخ والترف، ونقص عدد المجاهدين بأنفسهم ، عمد الخليفة عمر بن الخطاب إلى تطبيق التجنيد الالزامي تطبيقاً صارماً على كل مسلم عاقل حر بالغ قادر . ويذكر الطبري أن عمر كتب إلى المثنى بن حارثه وجنده قبل معركة القادسية « لا تدعوا في ربيعة أحداً ، ولا مضر ولا حلفائهم أحداً من أهل النجدات ... ولا فارساً إلا اجتلبتموه، فان جاء طائعاً وإلا حشرتموه » . وكتب إلى عماله على الكور والقبائل: « لا تدعوا احداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إلي ، والعجل العجل » . ثم عاد المسلمون بعد عمر إلى تطبيق الجهاد بالمال والجهاد بالنفس خلال الفتوحات . وتضاءلت بعد ذلك أهمية هذين الجهادين ، وخاصة في أواخر الخلافة العباسية ، عندما تحولت الجيوش الاسلامية من جيوش شعبية إلى جيوش محترفة .

ولقد عاد نظام التجنيد إلى الظهور في مطلع القرن السادس عشر عندما اتسع نطاق الحرب وأصبحت شاملة تحتاج كل طاقات الأمة المادية والمعنوية ، وتتطلب تجنيد جميع ابنائها داخل القوات المسلحة (انظر التجنيد ، والتعبئة) . وعاد معه نظام البدل الذي كان يغطي جزءاً من مصروفات الجيوش الكبيرة . وكانت كل دولة تضع نظاماً لدفع البدل . وكانت بعض الدول تسمح لكل مواطن بدفع البدل ما دام قادراً على ذلك ، بينما كان البعض الآخر يربط دفع البدل بشروط اجتماعية محددة (البدل المشروط) . وكانت الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين تسمح لرعاياها بدفع البدل ، ولكنها لم تكن تعفيهم من الخدمة الالزامية نهائياً ، ولكنها تعفيهم من الخدمة الالزامية في زمن السلم فقط ، فاذا اندلعت الحرب طالبت دافعي البدل

بدفع بدل آخر أو الالتحاق بالجيش لتأدية واجب الدفاع عن الامبراطورية .

ولقد حافظت الدول الأوروبية على نظام البدل في القرن التاسع عشر ، وفي مطلع القرن العشرين ، وأمام الحاجة الماسة لعدد كبير من الجنود ، ووجود أموال كافية لإدامة الجيوش ، وسيادة فكرة المساواة بين المواطنين،ألغي البدل في قوانين التجنيد الأوروبية ، وأصبح كل مواطن ملزماً بتحمل أعباء الدفاع عن الوطن ، إلا اذا منعته المعوقات الصحية من هذا الشرف .

وعندما طبقت بعض الدول العربية بعد استقلالها نظام التجنيد الالزامي ،أدخلت هذه الدول مسألة البدل إلى قوانين التجنيد . وكان الدافع إلى ذلك فقر الخزينة بشكل عام ، وكبر عدد المجندين بالنسبة إلى الميزانيات العسكرية الممكنة . ولقد أدى التطور الاقتصادي العربي ، وضخامة ميزانيات التسليح العربية في النصف الثاني من الستينات (خاصة في دول المواجهة) إلى التوجه نحو إلغاء البدل في غالبية الدول العربية ، وتعميم نظام التجنيد الالزامي على كافة المواطنين القادرين على حمل السلاح . أما في اسرائيل ، فان نظام التجنيد الصادر في العام ١٩٤٩ يشمل جميع اليهود المقيمين في اسرائيل إقامة دائمة ، كما يشمل بعض الفئات غير اليهودية . ويحدد هذا القانون عدداً من حالات الاعفاء من الخدمة ، ولكنه لا ينص على الاعفاء عن طريق البدل . ويرجع السبب في ذلك إلى صغر عدد السكان في اسرائيل ، وحاجة المخططات العدوانية التوسعية الاسرائيلية لقوات مسلحة كبيرة تضم كل فرد قادر على حمل السلاح من الرجال وبعض النساء ، وقدرة اسرائيل على تغطية نفقات جيشها بفضل المساعدات المالية الضخمة التي تحصل عليها من الولايات المتحدة ، والدول الأوروبية ، والصهيونية العالمية .

(٣) البذ (معركة) ٨٣٦

كورة بين اذربيجان وأران ، ومدينة فيها . كان بها بابك الخرمي في أيام المعتصم . وقد جرت فيها الوقعة المسماة باسمها بين قوات الخليفة المعتصم بقيادة الافشين وبين بابك زعيم الطائفة الخرمية ، سنة ٢٢٢ ﻫ الموافقة لسنة ٨٣٦ م.

وكان بابك قد ظهر سنة ٢٠١ ﻫ (٨١٦ م) على رأس طائفة من المجوس المزدكيين تدعى «الخرمية» فاحتل اذربيجان ، وارمينية وخرج عن طاعة الدولة ، وقطع الطرق وقتل وسلب واثار حرب العصابات في جبال اذربيجان ، وخاصة بين البذ واردبيل ، فكان ينصب الكمائن للجيوش فيباغتها وينقض عليها حتى استفحل خطبه واصبح يشكل خطراً حقيقياً على الدولة .

وقد نشط بابك في عهد المأمون الذي لم تسمح له ظروفه الداخلية بالتفرغ اليه ومحاربته ، حتى اذا جاء المعتصم الى الحكم سنة ٢١٨ ﻫ (٨٣٢ م) واستقر الامر له ، اوفد خيذر (او حيدر) بن كاوس (المسمى بالافشين) الى جبال اذربيجان وارمينية للقضاء على بابك الخرمي . وكان ايفاده سنة ٢٢٠ ﻫ (٨٣٤ م) . وقد دامت الحرب سجالا بين الافشين وبابك حتى العام ٢٢٢ ﻫ (٨٣٦ م) ، وهو العام الذي تم فيه فتح « البذ » مدينة بابك . والقضاء عليه نهائياً ، وانتهت بانتهاء بابك « الفتنة الخرمية » التي شغلت الدولة الاسلامية عشرين عاماً .

عندما عزم الافشين على التوجه الى « البذ » لفتحها ، وكان بابك محاصراً فيها وفي الجبال المحيطة بها ، ارتحل من كلان روز ، واخذ يتقدم بحذر وبطء ، خشية ان تباغته كمائن بابك ، وكتب اليه المعتصم ان يظل على تعبئة ، وان يجعل عسكره كراديس بعضها معسكر والآخر واقف على ظهور الخيل خوفاً من البيات والمباغتة . وكان الافشين قد انحدر الى « روذ الروذ » واشرف على مواقع بابك ، فاقام هناك ، وامر بحفر الخنادق حول معسكره ، فحفرت في عشرة ايام ، وكان على جيشه ثلاثة قادة هم : أبو سعيد محمد بن يوسف ، وجعفر الخياط ، واحمد بن الخليل ، وكان كل منهم على رأس كردوس ، وكان بين الافشين وبابك واد فوقه عقبة ، فكان يأمر قادة الكراديس الثلاثة ان يعبروا كل يوم صباحاً الوادي نحو معسكر بابك ويقفوا مقابل باب البذ ، دون ان يحاربوا ، ثم يعودون في المساء ، وكان يأمر قائداً من قادته يدعى « بخارا خذاه » ان يرابط مع ألف فارس وستمائة راجل على رأس العقبة قبل عبور الكراديس ويظل حتى عودتها وذلك كي يؤمن عدم مباغتتها .

وكان بابك يعتصم في عاصمته « البذ » الا انه كان يأمر قائداً من قادته يدعى « آذين » ان يتحرك فيحتل تلا خارج البذ بإزاء الكراديس الثلاثة ، ويراقب كي لا يتقدم احد من جند الافشين نحو باب البذ ، والافشين جالس على تل مشرف على باب قصر بابك يراقب ، فلاحظ ان بابك كان يفرق كل جنده الى كمائن كلما تحركت كراديس الافشين من خنادقها لتعبر الوادي نحو مدينته ، ولا يبقى مع بابك الا شرذمة ضئيلة ، الا انه لم يتمكن من اكتشاف موضع الكمائن ، فكان يرسل مشاته « الكوهبانية » ، وهم رجال الاستطلاع ، للتفتيش عن موضع هذه الكمائن ، وبقي الحال على هذا المنوال مدة من الزمن حتى ضاق جند الافشين وقادته ذرعاً بذلك ، وكذلك ضجرت الخرمية . وفي احد الايام وبينما اخذت الكراديس بالانصراف عبر الوادي أولا بأول ، عبر ابو سعيد ثم ابن الخليل وبعض اصحاب جعفر ، وفتح الخرمية باب خندقهم وانطلق بعض فرسانهم يحملون على من تبقى من جند جعفر في ذلك الموضع،وارتد جعفر نحو جنده المباغتين ليعينهم ، فاستطاع ان يرد جند بابك الى باب البذ ، الا ان الضجة عمت الجميع فرجع الافشين وباقي الكراديس يقاتلون،وخرج بابك وبعض جنده يقاتلون كذلك . وعبر المتطوعة من جند الافشين ، وكانوا بقيادة « ابي دلف » ، الوادي نحو البذ لكي يقاتلوا ، وتحركت الخرمية من مكامنها فاستطاع الافشين ان يميز تلك المكامن ، وكاد جند جعفر ان يدخلوا البذ ، وطلب جعفر من الافشين ان يمده بخمسمائة من الناشبة (الرماة) ليدخلها ، فابى الافشين عليه ذلك ، ولم يمده خوفاً من ان تطبق الكمائن عليه وهو في داخل المدينة ، وانتهى القتال ذلك اليوم وعاد كل الى موضعه ، الا ان جند الافشين لم يعودوا يتحملون القعود عن فتح مدينة بابك ، وقد تمكنوا من الوصول اليها وكادوا يفتحونها .

وسرت إشاعة بين جند الافشين ان قائدهم لا يريد فتح مدينة بابك ، وانه يماطل ويريد التطويل ، فجمع قادته وجنده وخيرهم اي يوم يريدون القتال ، وأمرهم بالاستعداد للهجوم والتأهب للحرب،و « امر الجند والفرسان والرجالة وجميع الناس بالاهبة ... وحمل المال والزاد ، ولم يبق في العسكر بغل إلا وضع عليه محمل للجرحى ، واخرج معه المتطببين ، وحمل الكعك والسويق وغير ذلك ، وجميع ما يحتاج اليه — الطبري » . ووزع المهمات على قادته وجنده كما يلي : ارسل بخارا خذاه مع فرسانه ومشاته الى رأس العقبة للمهمة نفسها التي كان يوكلها اليه في السابق . وخير أبا دلف ومتطوعته من اية جهة يريدون ان يحاربوا ، وقصرهم عليها . و جعل جعفر قائداً على العسكر جميعاً ، وأوكل اليه أمر الناشبة (الرماة) والنفاطين (رماة النفط) وخيره من أي موضع يريد ان يهاجم ، فاختار الموضع الذي كان عليه في آخر هجوم ، فأوكله اليه . وترك بين يديه أبا سعيد مع جنده ، واحمد ابن الخليل مع جنده ، احتياطاً لمساعدة جعفر

عند اللزوم .

وبدأ الهجوم بالمتطوعة مع ابي دلف ، فانحدروا الى الوادي وتسلقوا حائط البذ من الموضع نفسه الذي سبق وتسلقوه في المرة السابقة ، وحمل جعفر على باب البذ بكل قوته فتلقاه جند بابك عنده ودارت بين الفريقين معركة عنيفة كان خلالها الافشين يرسل الى المقاتلين من جند جعفر الزاد والماء والمكافآت (الدنانير) . واشتد القتال واستعرء وفتح الخرمية باب البذ وخرجوا منه ليشدوا على جند جعفر فيردونهم عنه ثم يشدون على المتطوعة كذلك فيطرحونهم عن السور . وكان الافشين قد حمل معه عرادات ، فجعل واحدة مما يلي جعفراً على الباب ، واخرى عند طرف الوادي من ناحية المتطوعة ، فحاول جند بابك الاستيلاء على التي عند جعفر إلا ان جعفراً ردهم عنها وحملها الى المعسكر ، وانتهى القتال ذلك اليوم دون الوصول الى اية نتيجة حاسمة ، فعاد جعفر وجنده والمتطوعة وباقي جند الافشين الى معسكرهم .

وبعـد اسبوعين ، قرر الافشين العودة الى الهجوم ، فاعد ، في الليل ، ألف رجل من المشاة الناشبة (الرماة) وزودهم بالمؤونة وباعلام سوداء ، وارسلهم ، عند مغيب الشمس ، الى جبل عال خلف التل الذي تمركز عليه اذين (تل البذ) وامرهم ان يتخفوا فلا يعلم احد بوجودهم ، حتى اذا رأوا اعلامه (الافشين) ورأوا المعركة ركبوا الاعلام في الرماح وضربوا الطبول وانحدروا من فوق الجبل ورموا بالنشاب والصخور جند بابك ، وامر بشيراً التركي ومن معه من قادة الفراغنة ان يكمنوا في الوادي تحت الجبل الذي يتمركز (آذين) عليه ، وذلك لعلمه ان بابك يوجه كمائنه باستمرار الى ذلك الموضع ، ثم امر باقي القادة ان يستعدوا للقتال ويتأهبوا له عنـد السحر . وفي الصباح ، امر بخاراخداه ان يسير في المقدمة مع ابي سعيد وجعفر الخياط واحمد بن الخليل ، ثم امرهم ان يقتربوا من التل الذي عليه (آذين) فيحيطوا به (وكان ينهاهم عن ذلك قبل اليوم كي لا يكشف للعدو خطته) فأحاط القادة الاربعة بالتل كما يلي : كان جعفر الخياط عند باب البذ وما يليه ، وكان ابو سعيد مما يلي جعفر ، وبخاراخداه مما يلي ابا سعيد ، واحمد بن الخليل مما يلي بخاراخداه ، وهكذا حوصر (آذين) على التل حصاراً محكماً ، واحـاط به جند الافشين من كل جانب .

وتحرك الكمين الخرمي الذي كان تحت التل في الوادي فاصطدم ببشير التركي وجنده واشتبك معه بقتال عنيف ، وعندما سمع الناشبة المتمركزون خلف تل البذ جلبة القتال نشروا اعلامهم السوداء كما أمرهم الافشين ، وانحدروا نحو آذين يرمونه وجنده بالنشاب وبالصخور ، ثم حمل جعفر واصحابه على آذين ، وصعد اليه على التل ، فتقهقر آذين الى الوادي ، حيث تلقاه ابو سعيد بجنده من اسفل وحملوا عليه وعلى جنده ، ثم خرج اليه جند الافشين من كل مكان من سفح التل ، وحملوا عليه حملة رجل واحد فلم يعد يعرف له مخرجاً .

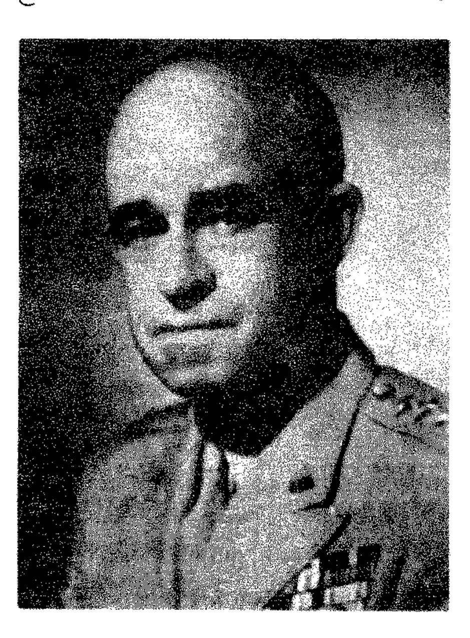
ولما رأى بابك ما حل بجنده خرج من باب البذ يطلب الافشين لعله يرضى بالصلح ، ولكن اعلام الفراغنة من جند الافشين كانت قد اخترقت ابواب البذ وارتفعت على قصور بابك الاربعة وانهزم من فيها من جنده وكانوا ستمائة . ثم باشر جند الافشين بدك هذه القصور وحرقها ، ودارت بين الفريقين امام القصور وفي شوارع المدينة حرب شوارع عنيفة ودامية ، فقاتل الخرمية قتالا شديداً واحضر الافشين النفاطين فاخذ يصب النفط على المنازل والقصور ويحرقها حتى قتل اهل البذ عن آخرهم ، وهدمت بيوتهم كلها ، ونجا بابك واهل بيته ففروا الى ارمينيه ، ولجأ بابك الى سهل بن سنباط الذي وشى به الى الافشين ، فقبض الافشين عليه وعلى اخيه عبدالله ، وكان قد لجأ الى ابن اصطفانوس ، واقتادهما الى سامراء حيث قضى المعتصم عليهما بالموت ذبحاً ، وكان ذلك سنة ٢٢٣ هـ .

(٨) برادلي (عمر)

قائد عسكري اميركي (١٨٩٣ –) .

ولد الجنرال برادلي في مدينة كلارك في ولاية ميسوري في الولايات المتحدة الاميركية في عام ١٨٩٣ ، واكمل دراسته في الكلية العسكرية للولايات المتحدة الامريكية « ويست – بوينت » وتم تعيينه ضابطاً برتبة ملازم في عام ١٩١٥ . ثم عمل في سلاح المشاة وكان من ألمع الاختصاصيين في سلاحه . ومارس التدريب في عدة مدارس عسكرية ، وغدا قائداً لمدرسة المشاة في فورت بيننغ . ونظراً لما تتميز به فترات السلم من ترفيعات بطيئة بين صفوف الضباط ، فان برادلي لم يحصل في عام ١٩٣٦ وبعد عشرين سنة من الخدمة على رتبة اكثر من مقدم . ولكن ما ان اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية حتى انطلق برادلي في تسلق سلم الرتب العسكرية وممارسة القيادات الميدانية بسرعة . فمارس قيادة الفيلق الامريكي الثاني أثناء معركتي تونس وصقلية . ثم اصبح قائداً لوحدات الجيش الامريكي الاول اثناء عمليات « النورمـاندي » ، وانتقل بعدهـا لقيادة مجموعة الجيوش الثانية عشرة ، وهي المجموعة التي كانت تضم اليها اربعة جيوش امريكية . ثم اصدرت القيادة الامريكية قرارها بتعيين برادلي رئيساً لهيئة حرب الجيش الامريكي في فترة (١٩٤٨ – ١٩٤٩) ، حيث اصبح بعدها عميداً لهيئة رؤساء الاركان المشتركة في فترة (١٩٤٩ – ١٩٥٣) .

كان ايزنهاور ينظر بتقدير كبير الى برادلي ، وكانت معرفته به ترجع الى ايام دراستهما معاً في الكلية الحربية « ويست – بوينت » وقد تحدث عنه فوصفه بقوله : « ... لديه امكانات واسعة ، ويتمتع



الجنرال برادلي

بسمعة جيدة ، يتصف بالمثابرة ولديه قدرة كبيرة على الصبر والجلد ، وهو الى ذلك جندي ذو ثقافة واسعة...». ولقد تفرغ برادلي للكتابة بعد اعتزاله مهنة الجندية في عام ١٩٥٣ ، وصدرت له مؤلفات جيدة اهمها مذكراته التي صدرت تحت عنوان « تاريخ جندي » .

عرف عن برادلي الوضوح والصراحة والجرأة التي تصل حد « التهور » ، وكان على طرفي نقيض من « مونتغومري » . وهو يعرف ذلك عن نفسه فيقول في تعليق على مسيرة العمليات عند هجوم الالمان في الاردين : « .. ان الزمن لم يغير شيئاً من تفكيري . واني افضل ان اكون متهوراً على ان اكون حذراً . ولو ان الحذر قد يكون صحيحاً في بعض الاحيان » . وقد يكون هذا القول جديراً

بضابط محدود المسؤولية يقود وحدات خاصة في عمليات خاصة ، الامر يختلف عندما يكون الأمر متعلقاً بقيادة قوات كبرى في معركة « أسلحة مشتركة حديثة » . ومن المحتمل جداً أن يكون هذا الموقف قد اتخذه برادلي بشكل متطرف لاستثارة مونتغومري ، او لاظهار التناقض القائم بين العقليتين ، ذلك لأنه من غير المعقول ان يمتدح قائد كبير ميزة التهور ويفضلها على ميزة الحذر في ممارسة اعمال قيادية يعتمد النجاح فيها بالدرجة الاولى على تدابير الأمن والحيطة التي تضمن سلامة قواته وأمنها .

كان عمر برادلي من القادة الذين تميزوا باحساسهم العميق وادراكهم الحقيقي لواقع معركة الاسلحة الحديثة المشتركة ، مع ما تتطلبه هذه المعركة من استنزاف كبير في الذخائر ضمن حدود زمنية ضيقة تبعاً للتبدل السريع في المواقف. وحدث ان كان عمر برادلي يتفقد تقدم الوحدات بعد الانزال في النورماندي ، وزار قائد إحدى الفرق فقال قائد الفرقة بحماسة وهو يتذمر من التأخر الناتج عن استمرار الالمان في المقاومة: « هؤلاء الالمان، ألا يريدون إنهاء القتال ؟ » . وتوقف برادلي وهو يعالج الموقف ، وانصرف تفكيره مباشرة الى اهمية الشؤون الادارية لضمان الاستمرار في المعركة واجاب قائد الفرقة : « ... ان العملية تتطلب الوقت ، كما تتطلب الذخيرة ، وربما كان حجم متطلباتها من النوعين يزيد عما تم تقديره وحشده للمعركة » .

كان برادلي يضع عند تقديره للموقف مدى التأثير المعنوي لقراراته على القوات المقاتلة العاملة تحت قيادته . ويهتم اهتماماً خاصاً بدراسة مسرح العمليات ، ومعرفة ما يتميز به ، بالاضافة الى التصميم على تنفيذ القرار علاوة على الاهتمام الكبير بالروح المعنوية للقوات المقاتلة والقوات الصديقة . ويتمتع بالعديد من الصفات التي جعلت برادلي يحتل بجدارة مكانة مرموقة ، ويمارس بنجاح قيادة التشكيلات الكبرى ، في الظروف الصعبة لمعركة الاسلحة المشتركة الحديثة . ولم تكن اهتمامات برادلي بشؤون القيادة العليا ، ودراسة الاهداف الاستراتيجية الكبرى ، وممارسة قيادة التشكيلات الكبرى ، لتصرفه عن الاهتمام بالشؤون الفرعية او النظر في الامور الادارية . او التدخل احياناً في بعض المشكلات الثانوية . وبالاضافة الى ذلك فقد ركز عمر برادلي اهتمامه في الفترة الاولى التي اعقبت الانزال في النورماندي على تنظيم شبكة لاسلكية توفر له الارتباط بقادة الفرق ، وقد نجح في ذلك بحيث كان قادراً على تأمين الاتصال مع أي قائد فرقة خلال فترة ٣٠ ثانية فقط ، واصبح باستطاعته بعد ذلك تركيز الجهد على تنسيق التعاون بين القوات ، وهو التعاون الذي اصبح عاملا اساسياً في نجاح معركة « الاسلحة الحديثة المشتركة » . وكان اهتمام « برادلي » بتنظيم شبكات الاجهزة اللاسلكية مستمداً من الشعار المتداول « ... قد يستطيع الكونغرس ترفيع الضابط الى رتبة جنرال ، ولكنه في حاجة للاجهزة اللاسلكية ، وشبكات الاشارة ، من اجل ابلاغ هذا الجنرال ترفيعه وتسليمه القيادة .. » .

عرف عن برادلي قدرته الكبرى على التنظيم ، وبخاصة في تنسيق التعاون بين الاسلحة المشتركة والقوات المختلفة . وكان هذا التنظيم يصل الى حياته الخاصة التي تميزت بالدقة والنظام .

(١٣) براغ (انتفاضة) ١٩٦٨

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١٤) براوخيتش (والتر فون)

مارشال الماني (١٨٨١ – ١٩٤٨) . ولد والتر فون براوخيتش (Walter Von Brawchitsh) في برلين ، وكان يمثل الارستقراطية العسكرية البروسية الحقيقية . خدم في هيئة أركان الحرب الالمانية خلال الحرب العالمية الأولى . ثم غدا في العام ١٩٣٢ قائداً لمدفعية الجيش الالماني . والتحق بالحزب النازي « الذي أرسله لوضع حد لقيود معاهدة فرساي » .

المارشال فون براوخيتش



استلم « فون براوخيتش » قيادة الجيش البري الالماني في العام ١٩٣٨ ، وقاد الحملات الالمانية على بولونيا وفرنسة وبلاد البلقان وبداية الحملة على الاتحاد السوفياتي . ولكن هتلر عزله عن القيادة في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤١ بعد الفشل الذي أصيبت به قواته أمام موسكو . أسرته قوات الحلفاء في العام ١٩٤٥ ، ومات في المستشفى في مدينة هامبورغ .

(١) البرج

هو جزء متميز قوي من التحصينات ، مسلح بقوة ، ومعد للدفاع وتنفيذ الرمايات (الجبهية أو الجانبية أو الشاقولية) حسب تطور الاسلحة واساليب الرمي .

ولقد وجدت الابراج (Tours) البارزة على مقدمة ومجنبات التحصينات والاسوار منذ العصور القديمة . وتقدم آثار بابل ، ومدينة هابو في مصر العليا ، وميسينا في البيلوبونيز أمثلة عن الابراج موغلة في القدم . ولسور الصين (انظر سور الصين) أبراجه الممتدة على طوله . وكانت القلاع في القرون الوسطى مزودة بأبراج حجرية ذات كوى للمراقبة والرمي . وكانت بعض الابراج العالية المعزولة تستخدم لنقل الاشارات الضوئية الخاصة بالاتصالات.

كانت الابراج في البداية مخصصة للرمي على ممر الدوريات ومداخل الحصن اكثر من الرمي الجانبي لحماية الحصن . لهذا نلاحظ أن الابراج عند الاشوريين قليلة البروز . ثم برز البرج بشكل واضح عند الفرس في دفاعات سوز (٦٥٠ – ٥٦٠ ق. م) . وكانت الابراج تعطي السور شكلا مسنناً يسمح بالرمي الجانبي لحماية الحصن بالاضافة إلى الرمي الشاقولي والرمي الجبهي . ولكن الاغريق بنوا سور مونيشي (٤٠٣ ق. م.) بشكل مسنن لتأمين الرمي الجانبي دون الاعتماد على الابراج . ثم تعمم البرج المربع وبقي سائداً حتى نهاية الامبراطورية البيزنطية . ثم جاءت الابراج الدائرية التي تسهل حمايتها بالرمي ، وتستطيع الصمود بشكل أفضل أمام ضربات أعمدة المهاجمين . وكانت الابراج تبنى متباعدة بمسافة ٣٠ – ٥٠ متراً ، أي ضمن حدود المدى المجدي لأضعف الأقواس الرامية لخرق الدروع الزردية . وفي حالة تعدد الأسوار كانت الأبراج توضع بشكل شطرنجي ، بحيث تسيطر أبراج السور الداخلي على الفرجات الواقعة

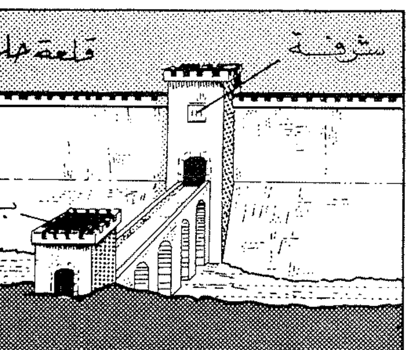
بين أبراج السور الخارجي .

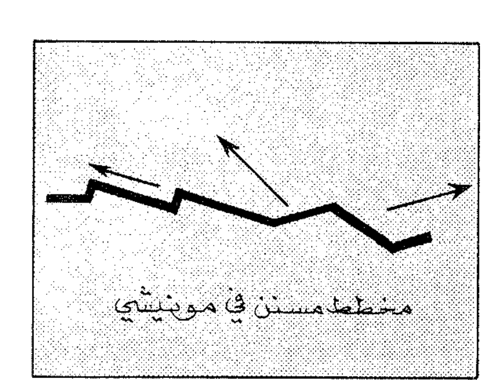
ولقد بقي البرج البارز عنصراً هاماً من عناصر التحصينات حتى القرن السادس عشر وظهور المدفع ذي الكرات المعدنية واتجاه التحصينات نحو الانخفاض للوقاية من نيران المدفعية . وعندها أصبح البرج عبارة عن موقع محصن توضع فيه المدفعية للرمي البعيد أو حملة البنادق للرمي القريب . ومنذ العام ١٥٢٧ صار من مهمات البرج المخصص للرمي القريب استخدام النيران الجانبية لحماية الخندق المحيط بالتحصينات . وعندما وضع ڤوبان المخطط النجمي للتحصينات كان في هذا المخطط ابراج للرمي واخرى للرصد . ولقد بقي هذا المخطط مستخدماً في فرنسا حتى العام ١٨٦٠ ، على حين كان الالمان يفضلون منذ العام ١٨١٥ مخطط التحصينات متعدد الاضلاع الذي كان برج الرمي فيه متميزاً وكبيراً . وفي العام ١٨٧٥ تبنت كافة الجيوش المخطط متعدد الاضلاع بابراجه الكبيرة .

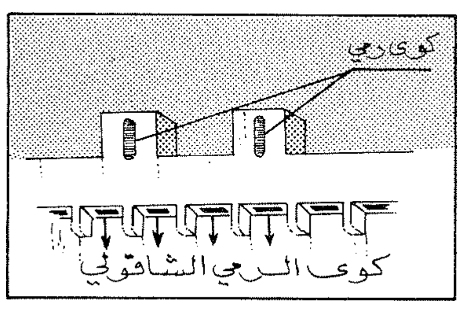
ومع تزايد قوة نيران المدفعية ، اختفت المنشآت القتالية الظاهرة ، واصبحت القوى الحية المدافعة تعمل تحت سقوف من الاسمنت أو الأتربة ذات أبراج صغيرة للمراقبة أو الرمي . وكانت هذه الابراج معدنية أو من البيتون المسلح ، وكان بعضها ثابتاً والبعض الآخر قابلا للحركة صعوداً وهبوطاً . وكان هناك أيضاً ابراج متعددة الطوابق (برج ماكسيميليان) ومزودة بمدافع تستطيع إطلاق كمية كبيرة من القذائف بآن واحد . ولقد استمر التطور في اتجاه تخفيض ارتفاع البرج وزيادة قدرته النارية طوال القرن التاسع عشر ، وخلال الحرب العالمية الأولى وبعدها . وكانت ابراج خط ماجينو وخط سيغفريد وغيرهما عبارة عن منعات ضخمة ، ذات كوى رمي للمدفعية والرشاشات ، ومناظير تليسكوبية للرصد . وكانت مهمة المدفعية الرمي على الاهداف البعيدة ، ومهمة الرشاشات الرمي الجانبي على الموانع الموضوعة أمام خط التحصينات ، ولا يزال هذا الاسلوب مستخدماً في تحصينات ما بعد الحرب العالمية الثانية ، مع الاهتمام باستخدام الدبابات القديمة ، ودبابات الصف الثاني ، والدبابات المعطلة التي لا يمكن إصلاحها كأبراج رمي تدعم خط التحكيمات الميدانية وتعزز قدرتها على الرمي ضد الدبابات.

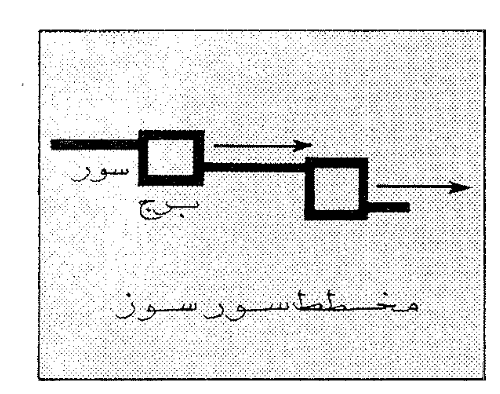
وبالاضافة الى البرج بمعناه السابق كجزء من التحصينات ، فان هناك انواع اخرى من الابراج هي :

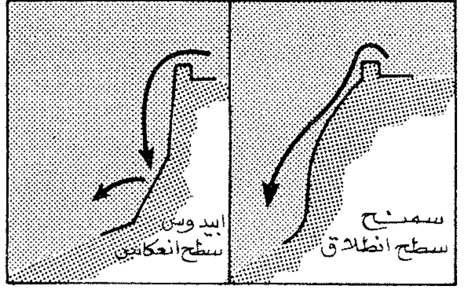
أ - برج البحرية : هو عبارة عن غرفة مصفحة مغلقة ودوارة ، تضم مدفعاً أو أكثر (حتى

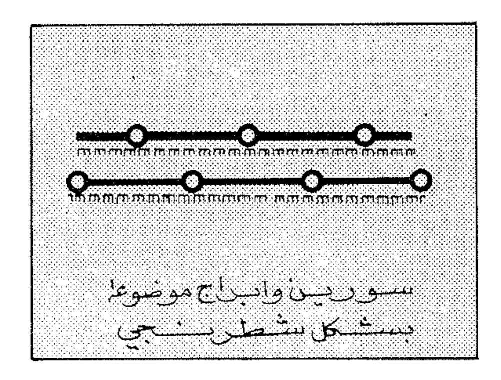


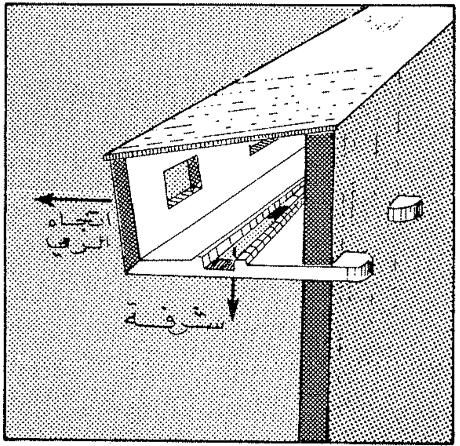


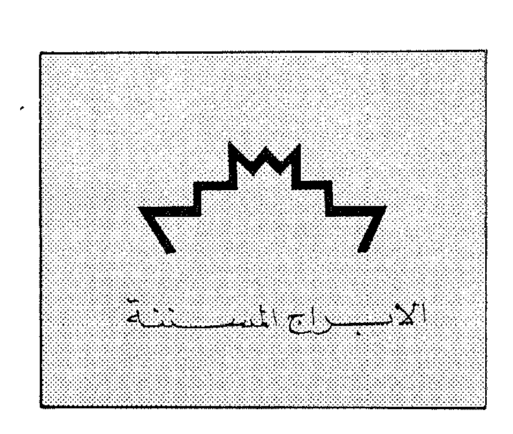












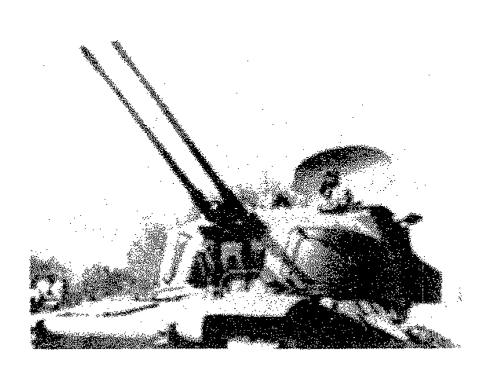
مجموعةصور تطور الأبراج عبر التاريخ

٤ مدافع) . ولقد بدأت البحرية باستخدام الابراج المفتوحة لمدافعها منذ العام ١٨٨٠ ، وكانت الدارعة الفرنسية « الاميرال دوبريه » تحمل في العام ١٨٨٣ أربعة أبراج في كل منها مدفع من عيار ٣٤٠ مم . ولم تكن أبراج البحرية تؤمن في البداية الحماية الكافية . لذا أعيد تصميمها لتأمين هذه الحماية ، وكان المركب الحربي برينوس Brennus الذي نزل إلى الماء في العام ١٨٩١ يحمل برجين : أحدهما مزدوج في الأمام ومجهز بمدفعين من عيار ٣٤٠ مم ، والآخر في الخلف ومجهز بمدفع واحد من العيار نفسه . ولقد فضل الانكليز استخدام الجهاز الهيدروليكي لتحريك أبراج البحرية ، بينما استخدم الفرنسيون المحركات الكهربائية لهذا الغرض . ويتضمن برج البحرية الحديث غرفة للذخيرة ، وعدة غرف لمحركات ادارة البرج وتلقيم المدافع ، وغرفة الرمي حيث يكون المسددون وقائد البرج ، ومن هذه الغرفة تبرز فوهات المدافع عبر كوى . وتمتاز الابراج الحديثة بأنها تسمح بالتسديد عن بعد أو التوجيه عن بعد . وتعمل بعض الابراج المضادة للطائرات بشكل آلي سواء بالنسبة إلى التوجيه المضاد راداريا أو بالنسبة إلى التلقيم والرمي .

ب – برج الحراسة : وهو مخفر مرتفع على أعمدة خشبية أو إسمنتية ، ويشرف على سور الثكنة أو معسكر الاعتقال أو أي مبنى ذي أهمية عسكرية . ويزود هذا البرج بالأسلحة والأنوار الكاشفة، وتنظف الأرض حوله من العوائق والأشجار لزيادة حقل الرمي والرؤية أمامه . وهو يفيد في عمليات الحراسة ، ولكنه لا يستخدم في العمليات القتالية إلا إذا كان الخصم عبارة عن عصابات ضعيفة التسليح . وفي هذه الحالة تؤمن حماية العناصر الموجودة داخل البرج بجدار من اكياس الرمل .

ج – برج الدبابة : (Tourelle de char) وهو كتلة معدنية تستند إلى جسم الدبابة بواسطة جهاز دوراني يؤمن توجيه البرج أفقياً . ويتم دوران البرج كهربائياً أو هيدروليكياً . ويحمل البرج سلاحاً أو عدة أسلحة متمفصلة مع البرج بصورة تسمح بالتوجيه الشاقولي . ويحمل برج الدبابة بالاضافة إلى الأسلحة وأجهزة التسديد مجموعة من أجهزة الرصد والاتصالات والتوجه والجيروسكوب . ويلاحظ في مؤخرة البرج دائماً ثقل معاكس لتأمين توازن البرج وتعديل وزن السلاح الموجود في مقدمة البرج .

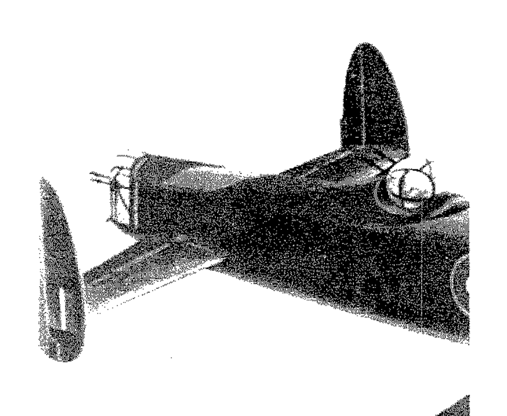
د – برج الطائرة : هو جزء بارز متمفصل



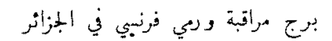
برج مدفع ذاتي الحركة م/ط



برج دبابة



أبراج الرشاشات في قاذفة قنابل



برج مراقبة ورمي فرنسي في الجزائر



على جسم الطائرة القاذفة أو طائرة الاستطلاع ، ومزود بأجهزة تسديد دقيقة ، ومدافع أو رشاشات . ويكون البرج في مؤخرة الطائرة القاذفة لمقاومة المطاردات المعادية التي تهاجمها من جهة الذيل ، كما يمكن أن يكون في سقف الطائرة أو قاعها لمهاجمة المطاردات المعادية التي تنقض عليها من الأعلى أو الأسفل .

هـ – برج القفز (Tour de Saut): هو برج معد لتدريب المظليين على القفز وإعطائهم الجرأة اللازمة للقفز من الطائرة وتعويدهم على الصدمة التي تلي فتح المظلة في الجو . ويكون ارتفاع هذا البرج عشرات الأمتار وهو مزود بمظلة مربوطة بسلك يمكن تعديل سرعة إفلاته حسب السرعة المطلوبة في التدريب .

و – البرج المتحرك (Tourelle mobile)، هو برج فولاذي يدعم التحصينات الثابتة . ويكون هذا البرج دواراً أو قابلا للارتفاع والانخفاض . ويدور البرج الدوار ، الذي يضم السلاح والسدنة ، حول محور مركزي ، ويبقى دائماً على ارتفاع واحد يسمح بالرمي على حقل الرمي الممتد أمامه . وتتأمن الحماية في هذا البرج بادارة القسم المصفح نحو نيران العدو . ونظراً لأن الحماية التي يؤمنها هذا البرج نسبية ، فقد استعيض عنه بالبرج القابل للارتفاع والانخفاض (Tourelle a eclipse) ويستطيع هذا البرج القيام بحركتين : ١ – الدوران حول محور مركزي للرمي في كل الاتجاهات ، ٢ – الارتفاع من أجل الرمي والانخفاض بعد ذلك للاختفاء داخل كتلة من البيتون المسلح . ولقد كانت هاتان الحركتان تتمان في البداية آلياً ، ثم اصبحتا تتمان كهربائياً – آلياً . ويتألف البرج القابل للارتفاع والانخفاض من كتلة من البيتون المسلح سماكتها ٤ – ٦ أمتار ، وفي منتصفها بئر قطره ٢ – ٤ أمتار (حسب نوع السلاح الموجود في البرج) يستوعب الجزء المعدني القابل للارتفاع والانخفاض . ويضم هذا الجزء المعدني : غرفة للرمي حيث يكون السلاح والسدنة ، ومحور الدوران الأفقي القابل للارتفاع والانخفاض . وتزن غرفة الرمي من ١٧ إلى ٨٠ طناً ، حسبما يكون البرج معداً للرشاشات أو المدافع المضادة للدبابات أو مدافع الميدان .

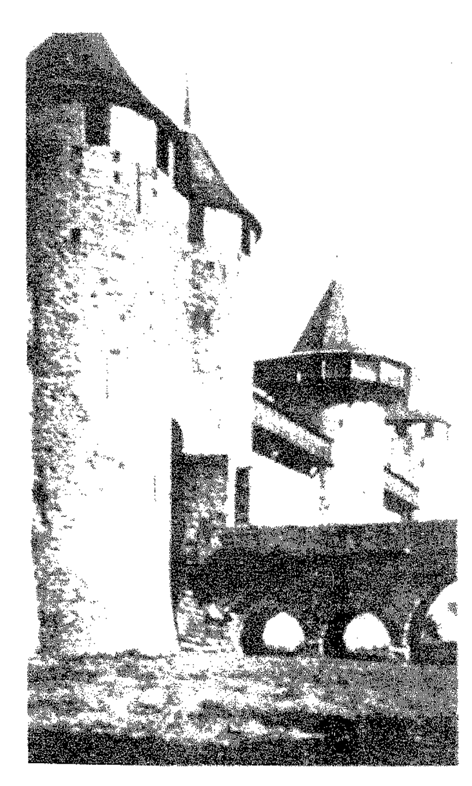
ز – برج المراقبة Tour de controle : هو بناء يضم كل ما يلزم لمراقبة الحركة الجوية في المطار من أجهزة واشخاص . ويقدم برج المراقبة لملاحي الطائرات المقلعة أو الهابطة كل ما يلزمهم من معلومات لاستخدام مدارج المطار .



برج مراقبة فرنسي في الجزائر



برج كاستل نوفو

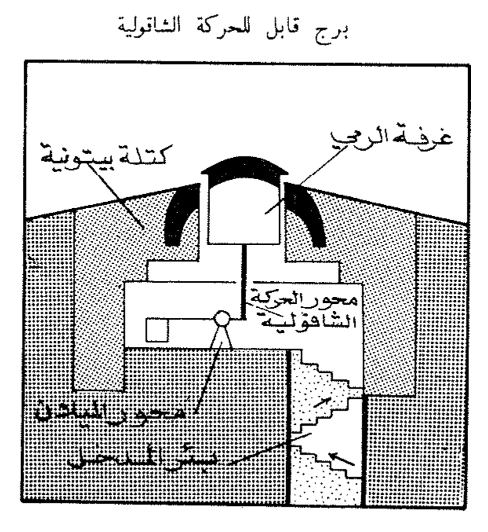


أبراج مستديرة في كاركاسون (القرنان ١٠-١٣)

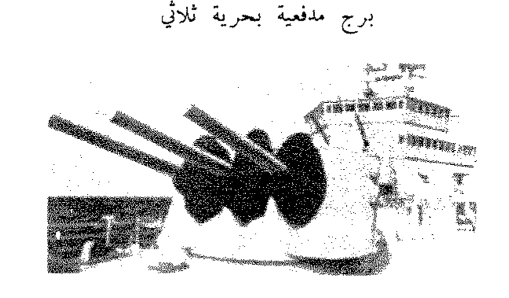


برج من الاسمنت المسلح في خط ماجينو

برج قابل للحركة الشاقولية



برج مدفعية بحرية ثلاثي



برج مدفعية بحرية ثنائي

(٥) ب ر د م – ١ (ب ت ر – ٤٠ ب)

سيارة استطلاع مدرعة ، سوفياتية . يعود اصلها الى فترة ما بعد الحرب والى مصفحة « ب ت ر – ٤٠ » (BTR-40) ، التي كانت نسخة عن سيارة الاستطلاع الامريكية من طراز « وايت » (White) وقد اجريت عليها تعديلات كبيرة جعلتها قادرة على السباحة في الماء بدفع محرك نفث مائي . وحسنت قدراتها على السير في مختلف الاراضي بإضافة ٤ عجلات يمكن رفعها او تخفيضها لتلامس الارض ما بين عجلاتها الاربع الامامية والخلفية . وانتج هذا النموذج باعداد كبيرة ما بين اعوام ١٩٦٤ – ١٩٦٦ .

المواصفات العامة : الوزن ٦,٥ اطنان . الطاقم ٥ افراد (قائد + سائق + ٣ افراد) . الحجم : الارتفاع ١,٩ م ، الطول ٥,٧ م ، العرض ٢,٢٥ م . السرعة على الطرقات/المدى ٨٠ كم/الساعة/٥٠٠ كم . التسليح رشاش واحد ٧,٦٢ في المقدمة ، واحياناً رشاش آخر في المؤخرة . ومن مشتقاتها : عربة قيادة واتصال ، وعربة كشف الاشعاعات النووية ، وعربة تحمل صواريخ مضادة للدبابات .

(٥) ب ر د م – ٢ (ب ت ر ٤٠ ب ب)

سيارة استطلاع سوفياتية مدرعة على عجلات . ظهرت لاول مرة في عرض عسكري في وارسو عام ١٩٦٦ . وهي تطوير لسيارات ب ر د م (انظر ب ر د م – ١) وتختلف عنها بوجود محركها في الخلف وتسلحها برشاش ثقيل عيار ١٤,٥ م موضوع في برج على سطحها . وهي مستخدمة على نطاق واسع في الجيش السوفياتي ، وفي عدد من جيوش حلف وارسو .

المواصفات العامة : الوزن ٧ أطنان . الطاقم ٣ – ٤ أفراد (قائد ، رامي ، سائق ، مساعد سائق) . الحجم : الارتفاع ١,٩ م ، الطول ٥,٥٨ م العرض ٢,١٥ م . السرعة على الطرقات/المدى ٨٠ كم/الساعة/٥٠٠ كم .

(٩) البرزاني (الملا مصطفى عبد الرحيم)

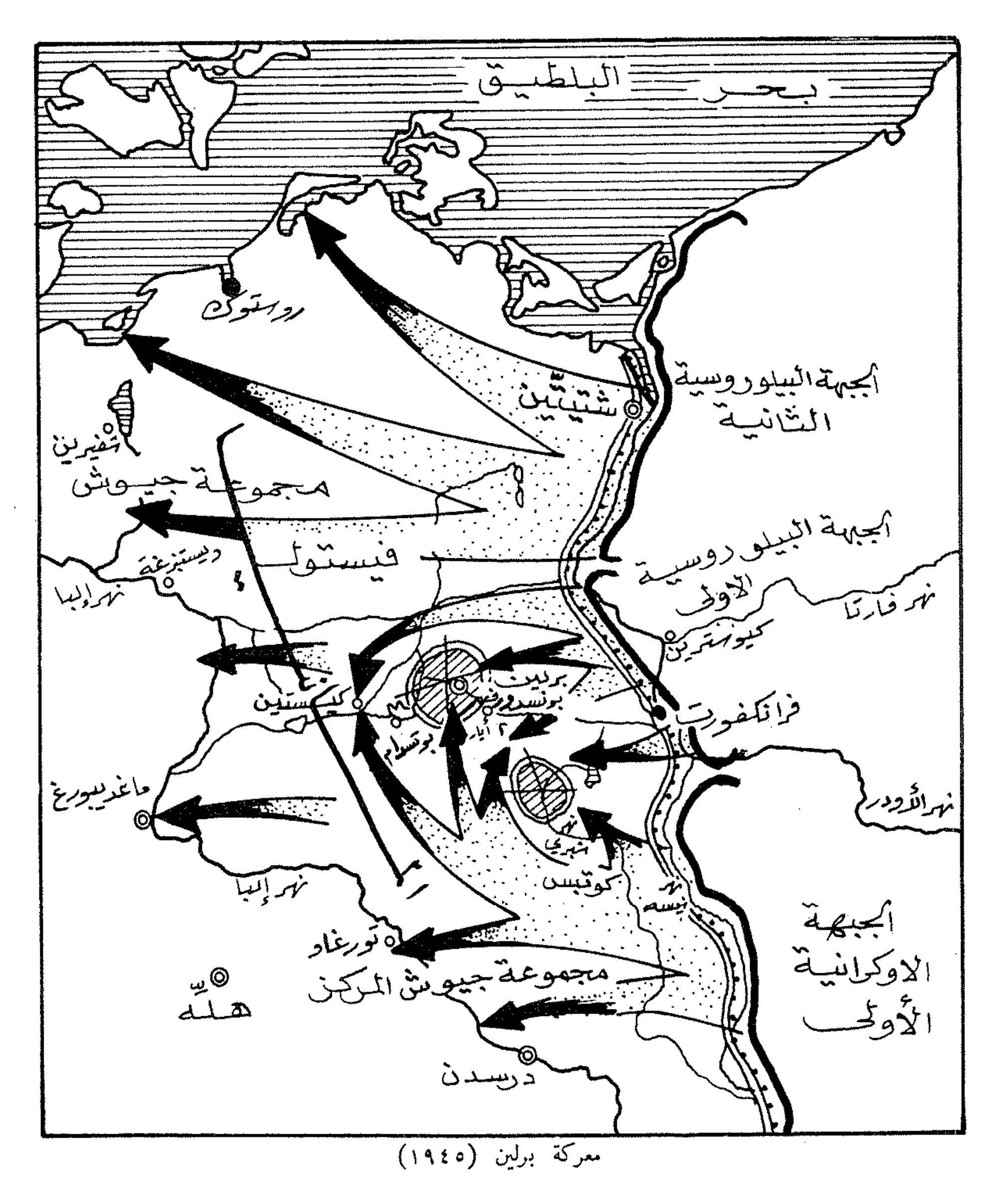
من زعماء أكراد العراق ، ومؤسس الحزب الديمقراطي الكردستاني (١٩٠٦ –) . جاء جده الزعيم الديني الشيخ محمد من ايران الى السليمانية في العراق في أوائل القرن التاسع عشر ، ثم انتقل الى قرية برزان الواقعة في منطقة جبلية وعرة في شمالي العراق . وقد اجتذب ورع جده بعض القبائل الكردية التي التفت حوله . وبعد وفاة الشيخ محمد حل ولده عبد الرحيم محله ، واقام في برزان مركزاً دينياً لاتباعه . وكان له سلطة شعبية ورثها ابناؤه من بعده ، واستغلوها للقيام بعمليات عدوانية في المناطق المجاورة لبرزان . ولكن السلطات العراقية تصدت لهم واشتبكت معهم بعدة معارك في العام ١٩٣٢ ، واجبرت الملا مصطفى واخويه احمد وصادق على الفرار الى تركيا حيث سلموا انفسهم للسلطات التركية .

وفي ١٣ ايار (مايو) ١٩٣٣ عفت الحكومة العراقية عنهم ، وسمحت لرجال القبائل البرزانيين بالعودة الى قراهم . ولكن ما ان استقر الوضع وهدأت المنطقة حتى تحالف البرزاني ، الذي بدأ يحل مكان أخيه الأكبر كزعيم للبرزانيين ، مع احد الزعماء الاكراد (خالي خشوى) وقاما باعمال العصيان . فأرسلت الحكومة قوة عسكرية احتلت المنطقة واجبرت الملا مصطفى على التراجع الى الجبال . وفي العام ١٩٣٦ قبل الملا مصطفى ان يستقر في السليمانية حيث بقي حتى نشوب الحرب العالمية الثانية . ثم عاد الى برزان في تموز (يوليو) ١٩٤٣ ليستأنف اعماله العسكرية ضد الحكومة . ونما نفوذه خلال فترة الحرب نظراً لعجز الجيش عن العمل ضده في تلك الظروف . وفي الفترة ١٩٤٣ – ١٩٤٥ برز البرزاني كأقوى شخصية كردية عشائرية في العراق . وعندما انضم بعض الضباط الاكراد القوميين اليه ، طرح نفسه كزعيم يستند الى الفكرة القومية الانفصالية التي اخذ يبشر بها ، بالاضافة الى مرتكزاته العشائرية . واخذ يوجه نداءاته الى زعماء القبائل الكردية معلناً عن قدرته على تحقيق احلامهم . ولقد ساعد البرزاني في مهمته عدم تحرك الجيش والحكومة العراقية ضده آنذاك ، نظراً لضغوط بريطانيا التي كانت تمده بالمال والسلاح . وكان البرزاني في هذه الفترة على اتصال بالسوفيات ، وكان يفاوضهم حول امكانية إقامة دولة كردية في شمالي العراق .

وفي العام ١٩٤٥ اصدرت الحكومة العراقية ، بدفع من بريطانيا ، عفواً عن الملا مصطفى وزملائه . ولكن ذلك لم يؤد الى احلال الهدوء ، أذ استمر البرزاني في عصيانه المسلح . وفي آب (اغسطس) ١٩٤٥ لم يعد امام القوات العراقية سوى مهاجمته ورجاله . وامام الضغط العسكري العراقي ، اضطر البرزاني الى الانسحاب الى الجبال وعبور الحدود الى ايران . وهناك قام البرزاني بنشاط في ظل الوجود السوفياتي في ايران (١٩٤٦ بعد دخول الحلفاء) ، وطالب بالحكم الذاتي في كردستان الايرانية . ولم تستجب الحكومة الايرانية لمطالبه ، ودفعته إلى العراق من جديد في اواخر نيسان (ابريل) ١٩٤٧ . وعندما طلبت منه السلطات العراقية الاستسلام رفض ذلك ، وغادر العراق الى الاتحاد السوفياتي ، ومكث هناك حتى سقوط النظام الملكي العراقي في ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ . ولقد رحب البرزاني واعوانه بثورة تموز (يوليو) ، فمنحهم عبد الكريم قاسم العفو العام ، واخذ البرزاني وقاسم يتبادلان الزيارات ، وكثيراً ما استعمل قاسم انصار البرزاني لقمع القوى القومية في العراق (مجازر كركوك ١٣ تموز (يوليو) ١٩٥٩) . ولكن سرعان ما تدهورت العلاقات بين قاسم والبرزاني ، وقام الملا مصطفى في صيف ١٩٦١ باعلان الثورة والمطالبة بالحكم الذاتي . وعندما تسلم حزب البعث العربي الاشتراكي الحكم في ٨ شباط (فبراير) ١٩٦٣ ، جدد البرزاني مطالبه ، وأجرى مفاوضات مع الحكومة العراقية في حزيران (يونيو) ١٩٦٣ . ولقد أدى فشل هذه المفاوضات الى تجدد القتال الذي اشتركت فيه قوات البرزاني (الباشمركة) المعززة باسلحة ايرانية وخبراء اسرائيليين من جهة ، والقوات العراقية النظامية المعززة بقوات كردية غير نظامية (فرسان صلاح الدين) تعارض خط البرزاني الانفصالي وترفض زعامته العشائرية . واستمر الوضع قلقاً في شمالي البلاد الى ان تم الاتفاق بين الحكومة العراقية والملا مصطفى في ١١ آذار (مارس) ١٩٧٠ على إعلان الحكم الذاتي . وفي ١٨ آذار (مارس) شكلت لجنة مشتركة للاشراف على تطبيق الاتفاقية وحددت الفترة من آذار (مارس) ١٩٧٠ الى آذار (مارس) ١٩٧٤ كفترة انتقالية تسبق الحكم الذاتي ، الامر الذي ادى الى تهدئة الصراع في الشمال ، وسمح للحكومة العراقية بدفع فرقتين مدرعتين وثلاثة ألوية مشاة الى الاراضي السورية للمشاركة في حرب ١٩٧٣ ضد اسرائيل (انظر الحرب العربية-الاسرائيلية الرابعة) .

ولقد استغل البرزاني هذه الفترة لتدعيم قواته ، وحصل على اعداد كبيرة من الاسلحة والمدفعية والذخائر من ايران التي كانت تساعده على تثبيت اقدامه في شمالي العراق بغية مشاغلة الحكومة العراقية وتشتيت قواها ، وابعاد البرزاني عن اكراد ايران ومنعه من تحريضهم على الثورة كما حصل في العام ١٩٤٦ . وتابعت اسرائيل دعم البرزاني بالاسلحة والمدربين نظراً لان استمرار القتال في شمالي العراق يشتت الجيش العراقي ، ويحرمه من القدرة على المشاركة بفاعلية وقوة في معركة العرب المصيرية في فلسطين . وعندما وجد البرزاني ان قوته غدت كبيرة ، وأن

المنطقة التي يسيطر عليها حصلت على عمق كاف واصبحت متصلة بدولة مجاورة مؤيدة لها ، بدأ ينقض الاتفاقات المعقودة مع الحكومة ، ويطالب بتوسيع منطقة الحكم الذاتي حتى تشمل منابع النفط في كركوك ، وادى كل ذلك الى تجدد القتال في آذار (مارس) ١٩٧٤ . وكانت المعارك هذه المرة عنيفة ودامية نظراً لضخامة القوى المشتركة فيها من الطرفين . وفي ٦ آذار (مارس) ١٩٧٥ ، تم التوصل الى تفاهم عراقي - ايراني ، واعلن خلال مؤتمر الدول المنتجة للنفط المنعقد في الجزائر عن اتفاق ايراني - عراقي حول مختلف المشاكل الحدودية المعلقة ، وتعهد الدولتين بعدم القيام بأي عمل يعتبر تدخلا في الشؤون الداخلية للدولة المجاورة . وكان هذا الاتفاق ضربة استراتيجية للملا مصطفى البرزاني الذي فقدت قاعدته عمقها الجغرافي ، ولم يعد بوسع قواته الحصول على مساعدات من دولة حليفة ، الامر الذي ادى الى انهيار هذه القوات بسرعة امام الضغط العسكري العراقي . وفي ١٣ آذار (مارس) ١٩٧٥ ، توقفت العمليات الحربية في شمالي العراق ، ولجأ البرزاني وعدد من انصاره الى ايران ، على حين استسلم الباقون للسلطات العراقية التي اعلنت عفواً عاماً ، وبدأت تجمع الاسلحة من انصار البرزاني (الباشمركة) . وفي ٣ أيار (مايو) ١٩٧٥ صرح الملا مصطفى بأن انتفاضة الاكراد ضد الحكومة العراقية لن تتكرر ابداً .



معركة برلين (١٩٤٥)

(٤) برلين (معركة) ١٩٤٥

في نهاية عام ١٩٤٤ كانت الجيوش السوفييتية تقف متأهبة على امتداد نهر « الفيستولا » في بولندا على مبعدة نحو ٦٠٠ كم شرق « برلين » عاصمة المانيا النازية ، استعداداً لشن الهجوم الاستراتيجي العام الذي سيصل بها إلى مشارف العاصمة الالمانية .

وكانت هذه الجيوش قد بلغت درجة عالية من التجهيز بالاسلحة والمعدات على كلا المستويين الكمي والنوعي ، نظراً للتطور الضخم الذي حققته الصناعة الحربية السوفييتية بعد ثلاث سنوات من بدء الهجوم النازي على الاتحاد السوفييتي ، الأمر الذي أدى بها إلى إنتاج نحو ٢٩ ألف دبابة وقانص دبابات ذاتي الحركة (من بينها نسبة كبيرة من الدبابات « ت - ٣٤ » المعدلة ذات المدفع ٨٥ م ومن الدبابات الثقيلة الجديدة « جوزيف يستالين - ٢ » ذات المدفع ١٢٢ م ، ومن القانصات ذاتيـة الحركة « س يو - ١٠٠ » ذات المدفع ١٠٠ م) واكثر من ٤٠ ألف طائرة حربية معظمها من الانواع الحديثة من المقاتلات ، وطائرات الهجوم الارضي ، والقاذفات السريعة .

ونتيجة لذلك أصبح الجيش السوفييتي يتألف في نهاية عام ١٩٤٤ من نحو ٦ ملايين جندي مسلحين بأكثر من ٩١٤٠٠ مدفع وهاون وحوالي ١١٠٠٠ دبابة وقانص واكثر من ١٤٥٠٠ طائرة حربية .

وبذلك تحقق للقوات السوفييتية تفوق كبير على القوات الالمانية التي نضبت مواردها البشرية تقريباً ، وانخفضت معدلات انتاجها الحربي . ولقد بلغت القوات الالمانية على طول الجبهة الشرقية نحو ٣ ملايين جندي مسلحين بنحو ٢٨٥٠٠ مدفع وهاون وحوالي ٤٠٠٠ دبابة وقانص ونحو ٢٠٠٠ طائرة حربية .

وفي الفترة من ١٢ إلى ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٥ بدأت الجيوش السوفييتية هجوماً عاماً بهدف تحرير غرب بولندا وبروسيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا والمجر والنمسا ويوغسلافيا والوصول إلى نهر « الاودر » تمهيداً لتوجيه الضربة الاخيرة إلى « برلين » وإنهاء الحرب .

وفي أول شباط (فبراير) ١٩٤٥ وصلت جيوش « جبهة روسيا البيضاء الاولى » إلى نهر الاودر ، بعد أن قطعت نحو ٥٠٠ كم خلال اسبوعين ، ونجحت في احتلال رأس جسر على الضفة الغربية



المتطوعون للدفاع عن برلين ومعظمهم من المسنين

للنهر عند مدينة « كوسترين » . وقد تعرضت القوة التي تمركزت في رأس الجسر لهجمات معاكسة المانية قوية ولكنها نجحت في صدها جميعاً .

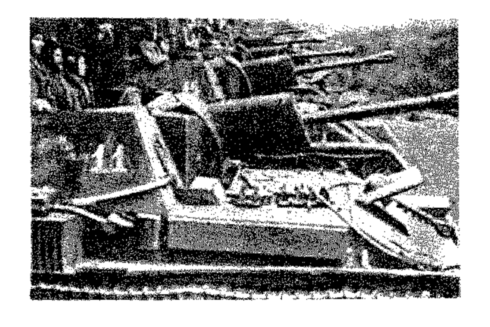
وهكذا وصلت جيوش الماريشال « جوكوف » إلى نقطة تبعد نحو ٧٠ كم فقط عن « برلين » ، ولكنها اضطرت إلى التوقف فترة من الوقت نظراً لتأخر جيوش « جبهة روسيا البيضاء الثانية » ، بقيادة الماريشال « روكوسوفسكي » ، في تصفية الجيوش الالمانية الموجودة في بروسيا الشرقية والبالغ عددها نحو ٥٥٦ ألف جندي ، والتي كانت تهدد جيوش « جوكوف » بضربة مضادة خطيرة على جناحها الشمالي في حالة مواصلة زحفها السريع نحو برلين ، هذا فضلا عن حاجة هذه الجيوش إلى إعادة تنظيم خطوط مواصلاتها ، وسبل امدادها بحاجاتها من الوقود والذخيرة ، وتعويض خسائرها من الرجال والعتاد (كان متوسط عدد فرقة المشاة في جيوش هذه الجبهة قد انخفض إلى نحو ٥٥٠٠ جندي وبلغت جملة الدبابات الصالحة للقتال في الجيشين المدرعين التابعين لها ٧٤٠ دبابة فقط ، وذلك في ١٩٤٥/٢/١) .

وفي ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٤٥ وصلت جيوش « جبهة اوكرانيا الاولى » ، بقيادة الماريشال « كونييف » ، التي تمثل الجناح الجنوبي (الايسر) لقوات « جبهة روسيا البيضاء الاولى » (جوكوف) إلى نهر « نايسه » الذي يمثل شبه امتداد للاودر جنوباً ، ولكنها لم تستطع أن تعبر النهر إلى ضفته الغربية من الحركة ، كما فعلت قوات « جوكوف » عند « كوسترين » ، واضطرت إلى التوقف لإعادة التنظيم على الضفة الشرقية للنهر المذكور .

ونظراً لعدم احتفاظ القيادة السوفييتية العليا في هذه المرحلة الاخيرة من الحرب بأي احتياط استراتيجي ، فقد اضطر « جوكوف » أن يوجه ٦ جيوش من جيوش جبهته العشرة إلى الشمال بصفة مؤقتة لحماية جناحه الايمن والمشاركة في تصفية الجيوش الالمانية الموجودة في بروسيا الشرقية . وهكذا لم يكن هناك سوى الجيش الخامس فقط الذي دافع عن رأس جسر « كوسترين » بصلابة وتعرض لخسائر فادحة نتيجة لغارات الطيران الالماني خلال يومي ٢ و ٣ شباط (فبراير) التي بلغت ٥٠٠٨ طلعة طيران .

وقد تم خلال شهر آذار (مارس) تطهير بروسيا الشرقية بواسطة جيوش جبهتي « روسيا البيضاء » الاولى والثانية . وتمركزت القوات السوفييتية على خط الاودر – نايسه من بحر البلطيق شمالا حتى سيليزيا جنوباً قرب حدود تشيكوسلوفاكيا بالترتيب التالي : جبهة روسيا البيضاء الثانية في الشمال ، جبهة روسيا الاولى في الوسط تجاه برلين ، جبهة اوكرانيا الاولى في الجنوب .

الدبابات السوفياتية على جبهة برلين



وفي هذه الاثناء كانت الاستعدادات الالمانية للدفاع عن برلين جارية على قدم وساق ، وسحبت قوات كبيرة من الجبهة الغربية عند نهر الراين لتعزيز القوات المدافعة عن « برلين » التي لم تكن القيادة الالمانية تريدها أن تسقط في أيدي الجيش السوفييتي ، ولا يعنيها أن تصل إليها القوات الامريكية والبريطانية من الغرب ، بل كانت تفضل ذلك في واقع الأمر . ونتيجة لذلك تم حشد ٤ جيوش المانية في اتجاه برلين تتألف من ٩٠ فرقة (من بينها ١٤ فرقة مدرعة وميكانيكية) مجموع جنودها حوالي مليون جندي ، بالاضافة لنحو ٢٠٠ ألف من متطوعي المقاومة الشعبية داخل برلين نفسها . وكان الالمان مسلحين بحوالي ١٠٠٠٠ مدفع وهاون و ١٥٠٠ دبابة وقانص دبابات ، وتدعمهم حوالي ٣٣٠٠ طائرة حربية . وقد حشد الجيش التاسع ، الذي كان يمثل أقوى الجيوش الالمانية المدافعة عن برلين ، في خط دفاعي أمامي متعدد النطاقات عند نهر الاودر ومرتفعات « زيلوف » الواقعة على مبعدة ١٠ – ١٢ كم من النهر ، والتي كانت تسد الطريق إلى برلين وتشرف على الارض السهلية المحيطة بها .

وكان النطاق الرئيسي من الدفاعات يتألف من خمسة خنادق متصلة متوازية ، وفيما بين الاودر وبرلين أقيم جهاز دفاعي متكامل ومتصل حتى مشارف المدينة نفسها ، حيث أقيمت ثلاثة خطوط دفاعية تشمل منطقة الحواجز الخارجية ثم الطوق الدفاعي الخارجي ثم الطوق الدفاعي الداخلي . وحولت أحياء المدينة إلى حصون تربطها شبكات انفاق المترو تحت الأرض ووسائل الاتصال ، وقسمت إلى ٨ قطاعات دفاعية بالاضافة للقطاع المركزي . وحصن كثير من المباني ودربت كتائب المقاومة الشعبية تدريباً خاصاً تضمن تشكيل مفارز من أعضاء «الشبيبة الهتلرية» مسلحة بقواذف «بانزرفوست» المضادة للدبابات ، وكانت مهمتها أن تربض في حفر خاصة لقنص الدبابات السوفييتية . كما حشدت كتائب وأفواج من الحرس النازي «S.S.» للدفاع عن القطاع المركزي من المدينة الذي توجد به الوزارات ، ومبنى « الريخستاغ » (البرلمان الالماني) ، ومكتب المستشارية الذي به مقر « هتلر » (المقام في ملجأ خاص تحت الأرض) . أما المدفعية المضادة للطائرات التي كانت تحيط بالمدينة للتصدي للغارات الجوية طوال سنوات الحرب ، وكانت تضم اكثر من ٦٠٠ مدفع ، فقد كلفت بمهمات للدفاع ضد الدبابات والمشاة ، كما وزعت الدبابات الموجودة قيد الاصلاح داخل حفر عند تقاطعات الطرق

وجسور السكك الحديدية لاستخدامها كدفعية ثابتة. وشكلت في شمال شرقي المدينة مجموعة الجيش «شتاينر» تعززها وحدات من مشاة البحرية وذلك لتسدد من هناك ضربة مضادة على جناح قوات جبهة روسيا البيضاء الاولى الزاحفة الى المدينة.

وفي مقابل هذه القوات والدفاعات كانت قوات « جبهة روسيا البيضاء الاولى » التي ستقوم بالهجوم الرئيسي تجاه برلين بقيادة « جوكوف » ، والتي تتألف من جيوش الاسلحة المشتركة ٣ ، و ٥ ، و ٨ ، و ٣٣ ، و ٤٧ ، و ٦١ ، و ٦٩ ، و ٣ الضارب، ومن الجيشين المدرعين ١ و ٢ حرس ، وكانت تضم ٦٨ فرقة مشاة و ٣١٥٥ دبابة ومدفع ذاتي الحركة (قانص دبابات) و ١٦٩٣٤ مدفع ميدان وهاونز ر . وبلغ حجم قوات الجبهات الثلاث : روسيا البيضاء الاولى والثانية واوكرانيا الاولى ، نحو ٢,٥ مليون جندي،تدعمهم حوالي ٦٢٥٠ دبابة و ٧٥٠٠ طائرة فضلا عن نحو ٤١٦٠٠ مدفع وهاون و ٣٢٥٥ قاذف صواريخ كاتيوشا متعدد السبطانات .

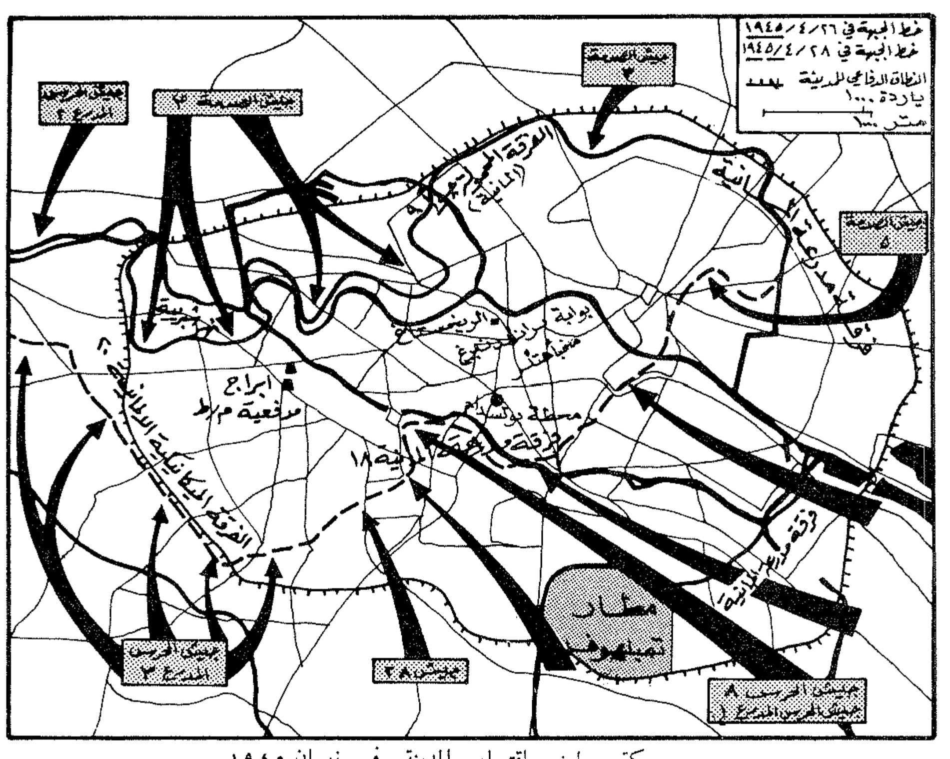
ومنذ أواخر آذار (مارس) بدأت القوات المعدة للاشتراك في الهجوم الرئيسي على برلين (قوات « جوكوف ») تحتشد في نقاط انطلاقها خاصة في رأس الجسر عبر الاودز عند « كوسترين » أثناء الليل حيث حفرت لنفسها مرابض للمدافع والهاونات، وملاجىء للجنود ، وحفراً للذخيرة ، كما أقيم ٢٣ جسراً و ٢٥ معبراً طوفياً عبر النهر لنقل القوات إلى رأس الجسر ، وقامت وحدات الامداد والنقل بجهود ضخمة لتخزين احتياجات الجيوش من الذخيرة والوقود والمؤن ، مستخدمة قطارات السكك الحديدية أساساً ، وبلغ مجموع ما كدسته من قذائف المدفعية وحدها ٧١٤٧٠٠٠ قذيفة .

وفي تمـام الساعة الخامسة من صباح يوم ١٦ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ بدأ هجوم قوات « جوكوف » الرئيسي على قطاع ضيق نسبياً من الجبهة لا يزيد عرضه عن ٢٨ كم تجاه برلين من الشرق والشمال الشرقي . وقامت المدفعية والهاونات، التي بلغت كثافة حشدها ٢٧٠ سبطانة على كل كيلومتر ، برمي تمهيدي شديد استمر نصف ساعة . وتلى ذلك تسليط اضواء ١٤٠ مصباح كشاف (حشدت بواقع مصباح كل ٢٠٠ متر) على المواقع الالمانية لكشفها أمام المهاجمين، وازعاج المدافعين في الوقت نفسه .

وانطلق جنود المشاة ومعهم الدبابات (التابعة لجيوش الاسلحة المشتركة) نحو الخط الدفاعي الالماني الاول ،يتقدمهم سد ناري زاحف مزدوج قامت به المدفعية بعد الانتهاء من الرمي التمهيدي . وقامت القاذفات بقصف الاهداف في العمق الدفاعي . وبعد شروق الشمس ساهمت القاذفات المقاتلة (طائرات الهجوم الارضي) بتقـديم الدعم القريب للقوات المهاجمة . وقد تم تنفيذ ٦٥٥٠ طلعة طيران خلال اليوم الاول من الهجوم ، كما استهلكت المدفعية في اليوم الاول ايضاً نحو مليوناً و ٢٣٦ ألف قذيفة ، تزن ٩٨ ألف طن من الفولاذ ، ولهذا دمرت الدفاعات الالمانية حتى عمق ٨ كم وابطلت فاعلية العديد مـــن المواقـــع الدفاعية حتى عمق ١٠ - ١٢ كم .

وسار الهجوم بنجاح حتى بلغ سفوح مرتفعات « زيلوف » الحادة حيث توقف الزحف نظراً لأن الدفاعات هناك كانت لا تزال سليمة وقوية ، مما اضطر « جوكوف » إلى دفع جيشيه المدرعين في حوالي الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر ، في محاولة لاختراق المرتفعات . ولكن قوة الدفاعات ، وعدم وجود مجال كاف للمناورة بالدبابات ، حالا دون تحقيق ذلك الخرق في اليوم نفسه ، ولم يتم الاستيلاء على هـــذه المرتفعات إلا صباح يوم ١٨ نيسان (ابريل) . ولتسهيل مهمة قوات «جوكوف» التي واجهت مقاومة عنيدة قوية،أصدر « ستالين » إلى « كونييف » أمراً بتوجيه جزء من قوات الجبهة الاوكرانية الاولى ، التي بدأت هجومها خلال نهار يوم ١٦ أيضاً ، في اتجاه برلين من الجنوب لاجتذاب بعض القوات الالمانية إلى هناك . ونظراً لأن جيوشه المدرعة كانت تتمتع بحرية حركة أكبر بسبب ضعف المقاومة النسبي . ومنذ صباح يوم ١٩ نيسان (ابريل) وجه « كونييف » جيشيه المدرعين نحو « تسوسين » و « لوكنيفالده » و« بوتسدام » ، وبدأت سرعة زحف قوات كونييف تتباطأ لدى اقترابها من « تسوسين » ، خاصة وأن طبيعة الأرض التي تنتشر فيها المستنقعات ساعدت على ذلك .

وفي ٢٠ نيسان (ابريل) بدأت مدفعية الجيش الثالث الضارب (التابع لمجموعة جيوش جوكوف) قصف مدينة برلين ذاتها ، وفي اليوم التالي شقت قوات هذا الجيش ، والجيش المدرع الثاني ، والجيش الخامس الضارب ، والجيش ٤٧ ، من جهة الشمال الشرقي على ضواحي المدينة ، وفي ٢٥ نيسان (ابريل) التقى جزء من هذه القوات (فرقة مشاة من الجيش ٤٧ ولواء مدرع من الجيش الثاني المدرع) مع الفيلق السادس الميكانيكي من الجيش الرابع المدرع التابع للجبهة الاوكرانية الاولى (كونييف) عند بلدة « كيتسين » الواقعة إلى الغرب من « برلين » ، كما التقت في اليوم نفسه وحدات اخرى من قوات



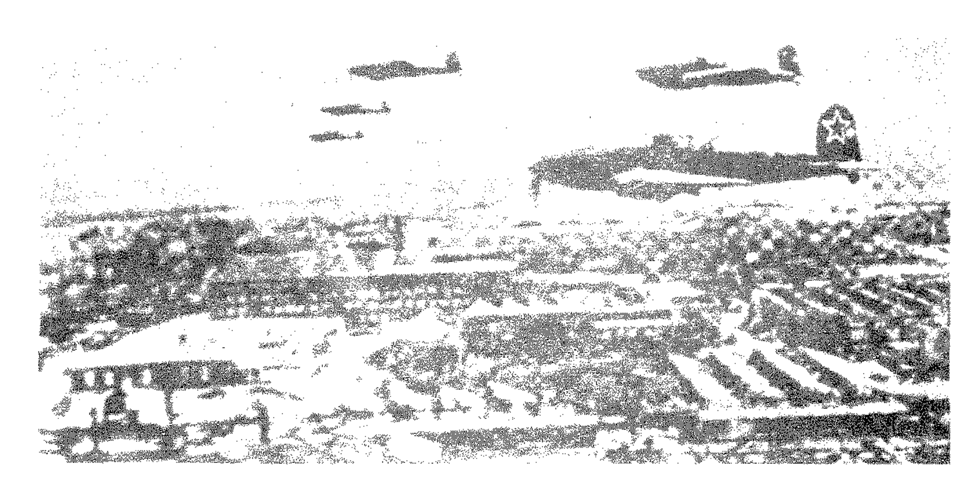
معركة برلين — اقتحام المدينة في نيسان ١٩٤٥

« جوكوف » بوحدات من قوات « كونييف » عند « تويبليستين » إلى الجنوب الشرقي من « برلين » ، وهكذا تم تطويق القوات الالمانية داخل جيبين منعزلين ، واحد داخل « برلين » والآخر إلى الجنوب الشرقي منها بين « فرانكفورت » و « زوسن » يضم جزءاً من الجيش التاسع وجيش البانزر الرابع .

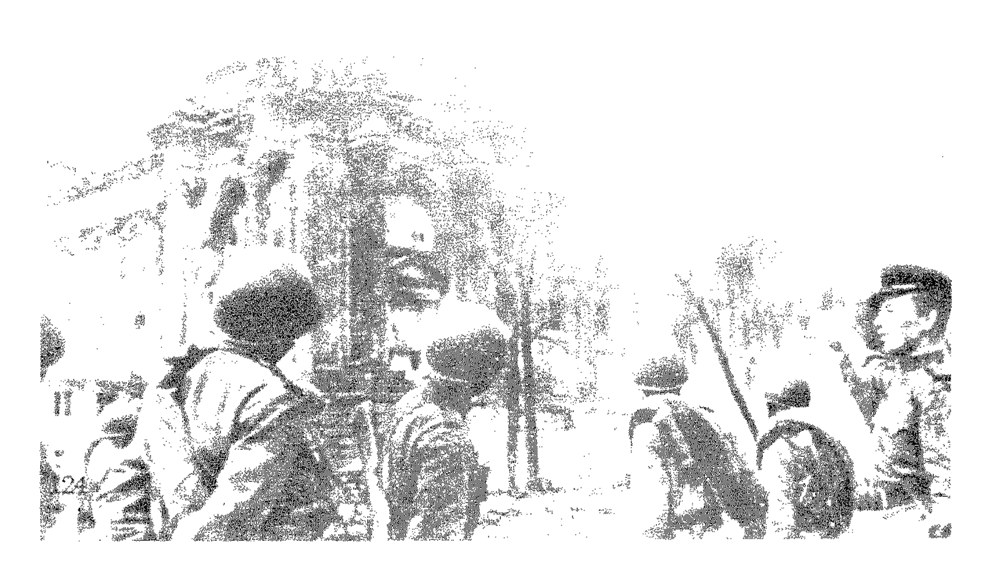
واخذت المعركة داخل برلين نفسها تتطور بسرعة بعد ذلك ، إذ حدد لكل جيش سوفييتي مشترك في اقتحام المدينة أن يهاجم المنطقة أو القطاع المحدد له فيها وفقاً للخطة الموضوعة تفصيلا قبل ذلك ، وذلك بواسطة هجمات من المشاة والدبابات مستمرة ليل نهار بدون توقف (كان النسق الاول يهاجم نهاراً والنسق الثاني يهاجم ليلا) ملتفة حول بؤر المقاومة القوية عازلة إياها عن بعضها البعض ، وذلك بعد التمهيد بنيران المدفعية ، التي استخدم منها في قصف المدينة نحو ١١ ألف مدفع قامت برمي حوالي مليون و ٨٠٠ ألف قذيفة (أي نحو ٣٦ ألف طن من الفولاذ) خلال الفترة من ٢١ نيسان (ابريل) حتى ٢ أيار (مايو) ، كما اشتركت في قصف المواقع والمباني المحصنة بالمدينة مدافع ثقيلة محمولة على عربات سكة حديد كانت تطلق قذائف زنة الواحدة منها نصف طن ، وشاركت القاذفات وطائرات الهجوم الارضي أيضاً في قصف هـــذه الاهداف .

وكانت المقاومة تشتد كلما زاد اقتراب القوات السوفييتية من القطاع المركزي بالمدينة الذي يلتف حوله نهر « شبريه » ذو الضفاف العالية المكسوة بالاسمنت . وكانت تدافع عن كل بناء حكومي رئيسي هناك حامية لا تقل عن كتيبة من جنود الحرس النازي . وزاد من شدة المقاومة أن هذه الكتائب كانت تتحصن في ملاجيء مضادة لقنابل الغارات الجوية ومبان ذات جدران سميكة وابراج مرتبطة فيما بينها بأنفاق تحت الارض . ولذا كانت الوحدات الالمانية تنتقل من حي إلى آخر بواسطة هذه الانفاق (معظمها انفاق المترو) وتهاجم القوات السوفييتية من المؤخرة . إلا أن معركة برلين كانت قد حسمت في الواقع خلال المعارك التي دارت خارجها ، وخلال هذه الهجمات المعاكسة التي شنتها القوات الموجودة خارج المدينة ، وكانت معارك الشوارع في جوهرها معارك تطهير أخيرة .

وفي الوقت نفسه كانت قوات الجبهة الاوكرانية الاولى ، وقوات جبهة روسيا البيضاء الثانية (التي بدأت الهجوم في ٢٣ نيسان ـ ابريل) تحطمان القوات الالمانية شمال المدينة وجنوبها، وتتقدمان بسرعة



القاذفات السوفياتية فوق برلين (أيار ١٩٤٥)



جنود سوفيات في شوارع برلين

ساحة الكسندر في برلين (١٩٤٥)

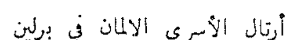


صوب نهر الالب للالتقاء بقوات الحلفاء الغربيين هناك، كما هو متفق عليه من قبل في مؤتمر الاقطاب الذي عقد في «يالطا».

ودارت اعنف معارك الشوارع في المدينة خلال يومي ٢٩ و ٣٠ نيسان (ابريل) حينما احتلت القوات السوفييتية مبنى البلدية في اليوم الأول ثم مبنى «الرايخستاغ» في اليوم الثاني، والذي كان يدافع عنه وحوله نحو ٦٠٠٠ جندي من الحرس النازي مزودين بالدبابات وقانصات الدبابات والعديد من قطع المدفعية. وقد استولت على هذا المبنى فرقة المشاة ١٥٠ التابعة للجيش الثالث الضارب، يدعمها اللواء ٢٣ المدرع، ورفعت راية الاتحاد السوفييتي الحمراء فوق مبنى «الرايخستاغ» في حوالي الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ٣٠ نيسان (ابريل) ١٩٤٥. وفي الساعة الثالثة وخمسون دقيقة من اليوم التالي (١/٥/١٩٤٥) اتصل رئيس اركان القوات البرية الالمانية الجنرال «كريبس» بقيادة الجيش الخامس الضارب، وقدم لها رسالة من «غوبلز» تتضمن أن هتلر انتحر في اليوم السابق وسلم السلطة اليه وإلى «بورمان» والاميرال «دونيتز»، وانه استناداً إلى هذا يطلب عقد هدنة حتى تتاح للحكومة الالمانية الجديدة أن تجتمع لتجري مفاوضات إنهاء الحرب. ورفض «ستالين» قبول مثل هذه الهدنة المتعارضة مع مبدأ التسليم بدون قيد ولا شرط المتفق عليه مع الحلفاء بالنسبة لالمانيا واليابان.

وقد رفض «غوبلز» قبول ذلك الشرط لإنهاء القتال، فاستأنف الجيش السوفييتي هجومه في الساعة السادسة والنصف من مساء يوم اول ايار (مايو). وفي الساعة السادسة والنصف من صباح يوم ٢ أيار (مايو) استسلم الجنرال فايدلينغ قائد حامية برلين واصدر اوامره لقواته بإلقاء السلاح، وكان «غوبلز» قد انتحر هو وزوجته بعد قتل اطفاله الستة، وتم استسلام كافة القوات في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم نفسه، وبلغ عدد الجنود الذين استسلموا اكثر من ٧٠ ألفاً عدا الجرحى والجنود الذين اختفوا وفروا بملابس مدنية. وفي ٨ أيار (مايـو) وقع المـاريشال «كيتل» والاميرال «فريديبورغ» والفريق الجوي «شتوميف» وثيقة استسلام المانيا بدون قيد أو شرط في قاعة مبنى كلية الهندسة العسكرية بالقسم الشرقي من «برلين» بحضور ممثلي جيوش الحلفاء الماريشال «جوكوف» عن الاتحاد السوفييتي، والجنرال «سباتس» قائد القوات الجوية الاستراتيجية الامريكية، وماريشال الجو الانجليزي «تيدر»، والجنرال «دولاتر دو تاسيني» القائد العام للجيش الفرنسي. وهكذا انتهت الحرب العالمية الثانية في أوروبا عقب انتهاء معركة «برلين» التي تكبد فيها الجيش السوفييتي خسائر بشرية بلغت حوالي ٣٠٠ ألف قتيل وجريح.




أرتال الأسرى الالمان في برلين



رفع العلم السوفياتي على مبنى الرايخستاغ

(١) برنادوت (الكونت فولك)

ضابط ووسيط دولي في فلسطين (١٨٩٥ – ١٩٤٩). ولد الكونت فولك برنادوت اوف‌فيسبورغ (Folke Bernadotte af Wisborg) في ستوكهولم. وهو ضابط سويدي يمت بصلة القرابة لغوستاف الخامس. وكان يتمتع بثقافة عالية وشخصية دبلوماسية محترمة. ترأس الكونت برنادوت الصليب الأحمر السويدي، ونقل في العام ١٩٤٥ طلب المانيا بالاستسلام الذي رفضه الحلفاء وأصروا على استسلام دول المحور دون قيد أو شرط. وعند نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين، عين برنادوت في ٢١ أيار (مايو) ١٩٤٨ كوسيط دولي. ولقد أبلغه «تريغفلي» سكرتير عام هيئة الأمم المتحدة أن صلاحياته تتلخص في النقاط التالية: أ– اتخاذ جميع الوسائل التي تضمن سلامة السكان وصيانة الاماكن المقدسة والسعي لاحلال السلم بين العرب واليهود في فلسطين. ب– التعاون مع لجنة الهدنة التي عينها مجلس الأمن في قراره الصادر بتاريخ ٢٣/٤/١٩٤٨. ج– التعاون مع جميع فروع هيئة الأمم الأخرى كالمنظمة الصحية من أجل تأمين مصالح السكان. ويذكر «برنادوت» في مذكراته «أنه لم يكن مقيداً بقرار التقسيم الذي أصدرته هيئة الأمم المتحدة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧».

ولقـد وصل «برنادوت» إلى فلسطين فور تكليفه، وأخذ يتنقل بين تل أبيب وعواصم الدول العربية يرافقه عدد من المراقبين الدوليين الموضوعين تحت تصرفه. وكان يبذل جهوده بحياد لتخفيف

حدة التوتّر ، وإنهاء حالة النزاع . ولكنه استقبل من العرب والاسرائيليين بكثير من الحذر . فلقد رأى العرب أنه وسيلة من وسائل الأمم المتحدة لتحقيق التقسيم بالقوة ، واعتبره الاسرائيليون صنيعة واشنطن ولندن للحيلولة دون توسعاتهم(!) . بيد أنه كتب في مذكراته بأنه كان ينعم بثقة العرب ، وأن الاسرائيليين كانوا يناوئونه بشدة .

وفي ١٩٤٨/٦/٢٧ اقترح « برنادوت » على العرب والاسرائيليين ، في اجتماعات منفردة ، مقترحات أولية لبحث المفاوضات . خلاصتها : تقسيم فلسطين وشرق الأردن إلى وحدتين عربية ويهودية ، وتحديد حدودهما من قبل لجنة فنية ، ودخول هاتين الوحدتين في اتحاد يشرف على شؤونه مجلس مركزي وعدد من المجالس الأخرى ، مع إعطاء الحرية بالهجرة إلى كل وحدة لمدة سنتين ، تحدد الهجرة بعدهما . وفي حالة تعذر حل المعضلات داخل مجلس الاتحاد المركزي يجوز لأي فريق أن يرفع الأمر إلى هيئة الأمم المتحدة . ولقد نصت المقترحات على حرية العبادة وحقوق الأقليات والحفاظ على الأماكن المقدسة وحق العودة للذين تركوا البلاد بسبب الحرب .

وكان من مقترحات « برنادوت » تعديل قرار التقسيم (١٩٤٧/١١/١٩) عن طريق : ضم النقب كله أو بعضه إلى العرب ، وضم الجليل الغربي كله أو بعضه لليهود ، وضم مدينة القدس إلى العرب ، مع إعطاء اليهود حرية العمل بشؤون البلدية وضمان الوصول إلى الأماكن المقدسة ، وإعادة النظر في وضع يافا ، وإقامة منطقة حرة في ميناء حيفا تضم مصافي البترول ، وإقامة منطقة طيران حرة في اللد .

ورفض العرب والاسرائيليون هذه المقترحات . وكان الموقف الاسرائيلي مشوباً بالحقد المكشوف على الوسيط الدولي ، وخاصة على اقتراحه الخاص بالقدس . وأمام هذا الرفض ، تقدم « برنادوت » في ١٩٤٨/٧/٥ بمقترحات معدلة تتضمن : مد أجل الهدنة ، وتجريد منطقة القدس من السلاح ، وتجريد منطقة مصافي الزيت في حيفا من السلاح . وكان رد العرب والاسرائيليين على هذه النقاط مطاطاً وغير واضح . إلا فيما يتعلق بالهدنة التي رأى الطرفان أن من الممكن تمديدها .

وفي ١٣ آب (أغسطس) سافر « برنادوت » إلى ستوكهولم لحضور المؤتمر السابع عشر للصليب الأحمر . وعقد هناك مؤتمراً صحفياً بين فيه تأثره لحالة اللاجئين العرب التي تتطلب سرعة الانقاذ . وكان الكونت برنادوت خلال المؤتمر محروساً بشخصين



الكونت برنادوت



الجنرال بروسيلوف

نظراً لورود معلومات تؤكد أن هناك مؤامرة لاغتياله . وفي ٣١ آب (اغسطس) عاد الوسيط الدولي من دمشق إلى القدس جواً ، وتوجه إلى مشارف الرملة ليتباحث مع العميد « نورمان لاش » القائد البريطاني في الفيلق الاردني المتمركز حول القدس . ثم عاد إلى القدس ، وعندما وصلت سيارته إلى مقربة من جبل المكبر (سكوبس) أطلقت باتجاهه طلقة جاءت من ناحية الجامعة العبرية ومستشفى هداسا . فأصيبت عجلة السيارة الخلفية ، ولكنه استمر في سيره ، وتابع مهمته دون أن يحيط نفسه بحراسة أو يركب سيارة مصفحة ، لاعتقاده بأنه ليس هناك من يجرؤ على قتل إنسان ورع مثله ، وممثل للأمم المتحدة ، ويرتدي شارة الصليب الأحمر الدولي .

في يوم ١٩٤٨/٩/١٧ ، قام برنادوت بزيارة تفقدية لمنطقة القدس . وكان يركب سيارة للأمم المتحدة ومعه سيارتان من سيارات الصليب الأحمر . وعندما وصل الرتل إلى سطح تل الخطيئة أوقف السيارات الثلاث ستة رجال يجلسون على عربة جيب من عربات الجيش الاسرائيلي . وقفز من العربة رجلان مسلحان بمدفعي ستن ، واطلقوا النار على سيارة الوسيط الدولي ، واصاب الرصاص الكونت برنادوت والمراقب الدولي العقيد « اندريه سيرو » الجالس إلى يمينه . فقتل العقيد فوراً وجرح « برنادوت » جرحاً بليغاً أدى إلى وفاته بعد عدة ساعات . ونجا الضابط السابق في البوليس الاميركي « فرانك بجلي » الذي كان يقود الآلية والرائد الاميركي « كوكس » الجالس إلى جواره ، والجنرال « أ . ج . لندستروم » الذي كان يجلس إلى يسار الوسيط الدولي . ولقد وجهت تهمة قتل « برنادوت » إلى أعضاء من منظمة « شتيرن » الارهابية ، ولكن السلطات الاسرائيلية ميّعت الموقف ، وأخفت حقيقة الجناة . وهكذا دفع « برنادوت » دمه ثمن كلمة الحق كما أملاها عليه وجدانه .

(١) بروسيلوف (اليكسي اليكسييفيتش)

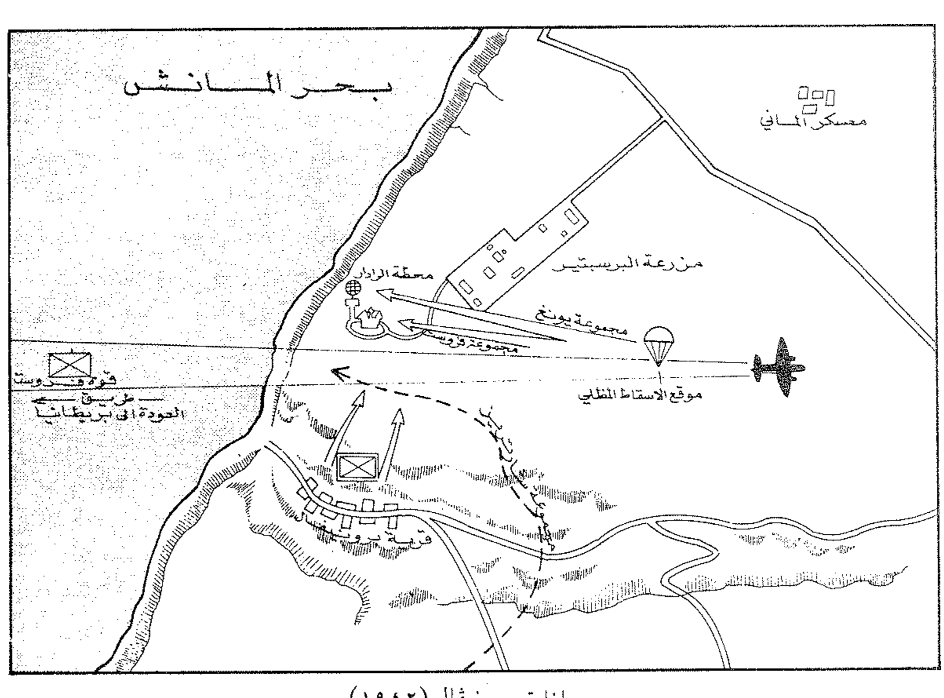
جنرال سوفياتي (١٨٥٣ - ١٩٢٦) . ولد اليكسي اليكسييفيتش بروسيلوف Alexi Alexievitch Broussilov في سان بطرسبورغ وتخرج من المدرسة العسكرية للشبيبة النبلاء ، وشارك في حملة البلقان (١٨٧٧ - ١٨٧٨) وقاد فرقة خيالة . وكان في الحرب العالمية الأولى قائداً للجيش الثامن . ولقد سار على رأس هذا الجيش في العام ١٩١٤ ، واجتاز جبال الكربات ودخل هنغاريا . وفي العام ١٩١٥ عين قائداً للجبهة الجنوبية الغربية . واشتهر بالهجوم الذي شنه على قوات المارشال الالماني فون ماكنسن (Von Makensen) لتخفيف الضغط عن جبهة الفرنسيين في « فردان » (١٩١٦) . وبعد أن حرر بروسيلوف ٤٠ ألف كلم٢ ، وأسر ٤٠٠ ألف جندي اضطر الى التوقف بسبب اضطراب النظام في جيشه . حصل على رتبة جينيراليسيم بعد استقالة القيصر نيقولا الثاني (آذار ١٩١٧) ، ولكنه لم يستطع السيطرة على قواته فحل محله كورنيلوف في ١ أغسطس (آب) من العام نفسه .

انضم بعد ذلك إلى النظام السوفياتي ، وجرح

في موسكو جرحاً بليغاً خلال أحداث تشرين الأول (اكتوبر) وفقد إحدى ساقيه . وفي العام ١٩٢٠ عين في المجلس الاستشاري العسكري للاتحاد السوفياتي ، ولكنه توقف بسرعة عن القيام بدور فعال في هذا المجلس .

(٥) برونكو — اوف — ١٠ (طائرة)

طائرة مضادة للعصابات ، متعددة الاغراض ، بمقعدين . امريكية . مروحية بمحركين . حلقت لاول مرة في منتصف عام ١٩٦٥ . تتسلح باربعة رشاشات عيار ٧,٦٢ ملم ، و ١٦٣٣ كغ حمولات حربية اخرى . يوجد منها نموذج آخر يستخدم لقطر الاهداف لتدريب وحدات الدفاع الجوي . سرعتها القصوى ٤٤٩ كم/الساعة . مداها التكتيكي ٣٦٧ كم . وزنها الاقصى للاقلاع ٦٥٥٢ كغ . طولها ١٢,١٤ م ، فتحة جناحيها ١٢,١٩ م ، ارتفاعها ٤,٥٩ .



إغارة برونيفال (١٩٤٢)

(٤) برونيفال (إغارة) ١٩٤٢

على أثر ثبوت فاعلية الرادار في توفير انذار مبكر لاجهزة الدفاع الجوي أثناء معركة بريطانيا الجوية في صيف وخريف ١٩٤٠ (انظر معركة بريطانيا الجوية)، اسرع الالمان في تطوير بحوث واجهزة الرادار الخاصة بهم ، والتي كانت متخلفة كثيراً وتقتفي عن مثيلتها البريطانية . وقد احرزوا نتيجة لهذه المجهودات تقدماً واضحاً خلال عام ١٩٤١ ، واقاموا شبكة من اجهزة الرادار على طول شواطئ اوروبا الغربية المواجهة للجزر البريطانية .

ولذلك رأت المخابرات البريطانية ضرورة مهاجمة إحدى محطات الرادار الالمانية والحصول على بعض الاجزاء الهامة من جهاز الرادار الموجود بها أو تصويرها بدقة اذا تعذر نقلها سليمة إلى بريطانيا ، ليطلع عليها العلماء المتخصصون لاجراء مقارنة بينها وبين اجهزتهم . واختيرت محطة رادار تقع على مقربة من قرية « برونيفال » الفرنسية الواقعة على شاطئ « نورماندي » ، وتبعد عن ميناء « الهافر » مسافة ١٩ كم تقريباً ، نظراً لأنها كانت تضم جهازاً من أحدث وأقوى أجهزة الرادار الالمانية وتشتـد يعرف باسم «Giant Wurzberg» ، وكان معداً للعمل ضد الطائرات والسفن ، ويستطيع أن يرصد اقترابهما من مسافة ٦٠ كم تقريباً .

وكان هذا الجهاز موضوعاً داخل حفرة غير عميقة مغطاة بسقف من الاسمنت المسلح ولا يظهر منه فوق سطح الارض سوى الهوائي العاكس للموجات ، والذي يبلغ قطره ٧,٥ امتار . وكان الموقع على مبعدة نحو ١٠٠ متر من حافة منحدر صخري شاهق يطل على بحر المانش من ارتفاع ٢٧٠ متراً تقريباً . ولم يكن هناك طريق للاقتراب من الجهاز المذكور بالنسبة لأي قوة فدائية تنزل من البحر سوى اخدود ضيق شديد الانحدار يقود إلى قرية « برونيفال » ، الواقعة على مبعدة نحو ٨٠٠ متر من الجهاز ، وفي الوقت نفسه كان الاخدود المذكور محمياً بصورة جيدة بمرابض للرشاشات ومواقع للاسلحة الصغيرة ، ولذلك كان مصير أية قوة تحاول الصعود إلى الجهاز عبر هذا الاخدود هو الابادة الكاملة بنيران الرشاشات والبنادق والقنابل اليدوية .

وكانت القوة العاملة في محطة الرادار هذه مؤلفة من ٣٠ جندياً من سلاح الاشارة الالماني ، يقيم بعضهم اثناء فترات الراحة في فيلا قريبة شرق موقع المحطة ، كما كانت هناك قوة من ١٠٠ جندي تقيم في معسكر صغير مكون من عدد من المنازل الخشبية يقع على مسافة ٢٧٠ متراً إلى الشمال من الفيلا المذكورة ، داخل مزرعة كبيرة تعرف باسم « البرسبتير » ، هذا فضلا عن حوالي ٤٠ جندياً آخرين يشكلون حامية قرية « برونيفال » ويحتلون المواقع المطلة على الاخدود .

ولقد رأت القيادة العسكرية البريطانية المكلفة بتنفيذ هذه المهمة استخدام قوة من المظليين لتنفيذها والانسحاب عن طريق البحر بعد ذلك . ووقع اختيارها على سرية من الكتيبة الثانية التابعة للفرقة الاولى المحمولة جواً التي كان يجري انشاؤها في بريطانيا ، وكانت هذه السرية تضم ١١٩ رجلا من بينهم جماعة من مهندسي الالغام الحقت بها ورقيب من القوات الجوية خبير في هندسة الرادار واللاسلكي سيتولى فك الجزء الجوهري من جهاز الرادار وتصوير الجهاز كله ، وتولى العقيـد « فروست » قيادة القوة .

وكانت خطة العملية تقضي باسقاط المظليين في موقع يبعد عن المحطة بنحو ١٢٠٠ متر إلى الخلف ، ثم تتوجه القوة أثر ذلك إلى المحطة والفيلا وتهاجمهما ، ويقوم الرقيب الجوي بفك الجزء المطلوب من الرادار وتصوير الجهاز كله ، ثم تنسحب القوة عن طريق البحر بعد أن تهاجم مواقع الرشاشات المشرفة على الاخدود الساحلي من المؤخرة لتهبط إلى الشاطئ حيث تنتظرها قوة من ٣٢ جندياً من البحرية مع قوارب اقتحام يغطون بنيرانهم انسحاب المظليين ، واثر ذلك تعود القوارب إلى مدمرتين تقفان في عرض البحر لتعودان بالقوة كلها إلى بريطانيا . وخصصت ١٢ قاذفة قنابل ذات محركين من طراز « ويتلي » القديمة لنقل المظليين إلى مكان الاسقاط ، كما عهد الى بعض القاذفات الاخرى بالاغارة على ارتفاع منخفض فوق بعض أجزاء الشاطئ القريبة من منطقة الاسقاط

لتغطية اقتراب الطائرات التي تحمل المظليين وعملية اسقاطهم ، وخصص سرب من المقاتلات « سبيتفاير » لحماية المدمرتين أثناء رحلة العودة . وبعد وضع الخطة جرت تدريبات عملية طويلة وشاقة ومفصلة لافرادها المختلفين من جنود المظلات ورجال البحرية والطيارين ، تم خلالها تعارف جميع الافراد المشتركين فيها ببعضهم البعض وعرضوا آراءهم واقتراحاتهم على ضوء الصعاب التي واجهوها في التدريب العملي . ثم ادخل في ضوء هـذه الاقـتراحـات والمناقشات بعض التعديلات التي ساعدت على نجاح العملية . وفي الوقت نفسه كان يجري تزويد جميع افراد القوة بآخر تقارير المخابرات والاستطلاع الجوي الخاصة بهدف العملية .

وقسم « فروست » قوته إلى اربعة اقسام تبعاً للمهام المختلفة التي تضمنتها العملية : القسم الاول بقيادته شخصياً ومهمته مهاجمة الفيلا القريبة من المحطة وقتل أو أسر جنود الاشارة الموجودين بها . والقسم الثاني بقيادة الملازم « يونغ » ومهمته مهاجمة جهاز الرادار نفسه والاستيلاء على الجزء المطلوب منه ثم تدمير باقي الجهاز بعد تصويره . ويبلغ عدد رجال القسمين معاً ٥٠ رجلا . أما القسم الثالث فكان بقيادة الملازم « شارترز » ويتألف من ٤٠ رجلا ومهمته حماية القوات التي ستهاجم الفيلا والمحطة من احتمال هجوم معاكس تشنه القوة الالمانية الموجودة في المزرعة القريبة . والقسم الرابع كان بقيادة الملازم « تيموثي » ويضم ٣٠ رجلا كانت مهمته تطهير الاخدود الموجود عند قرية « برونيفال » وتأمين عملية الاجلاء البحري بعد ذلك.

وكان من الضروري لضمان عنصر المفاجأة بالنسبة للاقسام الاربعة أن يتحرك افرادها بعد هبوطهم إلى نقاط تجمعهم التي سيتم منها الهجوم ، على أن لا يبدأ اطلاق النار إلا بعد صدور إشارة من قائد القوة « فروست » في شكل صوت صفارة إثر وصوله إلى باب الفيلا واستعداده لاقتحامها برشاشه . كما كان من المفترض ألا تبقى القوة المهاجمة لموقع الرادار سوى فترة صغيرة ، وكذلك الحال بالنسبة للقوة كلها عند تجمعها على الشاطئ استعداداً للرحيل ، حتى لا تتعرض القوة للافنا أو الاسر ، أثر وصول التعزيزات الالمانية التي ستسارع الى مكان العملية بعد ابتداء اطلاق النار بفترة قليلة . ولهذا كان لدقة التوقيت اهميته الخاصة في كافة مراحل العملية .

وفي ليلة ٢٧ – ٢٨ شباط (فبراير) ١٩٤٢ اقلعت الاثنتا عشرة قاذفة تحمل القوة من احد مطارات جنوب بريطانيا في الساعة العاشرة مساء ، وكانت الليلة مقمرة والرؤية واضحة . وقد وصلت الطائرات إلى الشاطئ الفرنسي قرب « الهافر » عند منتصف الليل وساعدها على تحديد هدفها الضوء الصادر من فنار « انتيفر » الواقع إلى الشمال من محطة الرادار بنحو ١,٥ كم ، وقد تعرضت أثر ذلك لبعض طلقات المدافع المضادة للطائرات فأصيب بعضها نتيجة لذلك بأضرار طفيفة واضطرت طائرتان كانتا تحملان قوة الملازم « شارترز » إلى الانحراف قليلا عن مسارها لتجنب نيران المدفعية ولذلك هبط هذا القسم من القوة بعيداً بعض الشيء عن المكان المحدد له . وباستثناء هذا الحادث سار تنفيذ العملية وفق الخطة الموضوعة . فقد تمت مهاجمة الفيلا التي لم يكن فيها سوى جندي الماني واحد قتل في الطابق العلوي ، كما هوجم موقع الرادار وقتل فيه ٥ جنود المان وأسر واحد ، ثم انتزع الجزء المطلوب من الجهاز ونقل في عربة ترولي صغيرة مخصصة لذلك من قبل ، بينما كانت قوة « شارترز » تحمي مؤخرة القوتين من محاولات التدخل بالنيران من قبل القوة الالمانية الموجودة في المزرعة القريبة . وبعد تصوير جهاز الرادار كله تم نسفه وانسحاب المهاجمين إلى الشاطئ ، حيث شاركوا مجموعة الملازم «تيموثي» في تطهير الاخدود من المقاومة الموجودة به ، والذي كان يبعد نحو ٥٤٠ متراً عن جهاز الرادار . وتم ارشاد قوارب الاخلاء بواسطة أنوار اشارة ، وتمت عملية الاخلاء تحت نيران قوارب الاقتحام ، وعادت القوة كلها الى السفن ومعها ذلك الجزء المأخوذ من الرادار و ٣ أسرى المان و ٦ جرحى بريطانيين بعد أن تركت على ارض المعركة اثنين من القتلى و ٦ رجال آخرين ضلوا طريقهم إلى الشاطئ في الظلام . واستغرق تنفيذ العملية كلها نحو ساعتين ونصف منذ بدئها . وعادت السفن إلى ميناء « بورتسموث » سالمة دون أن تتعرض لأي هجوم ألماني جوي أو بحري ، وصاحبها في عودتها منـذ الفجر سرب مقاتلات « السبيتفاير » كمظلة حماية جوية .

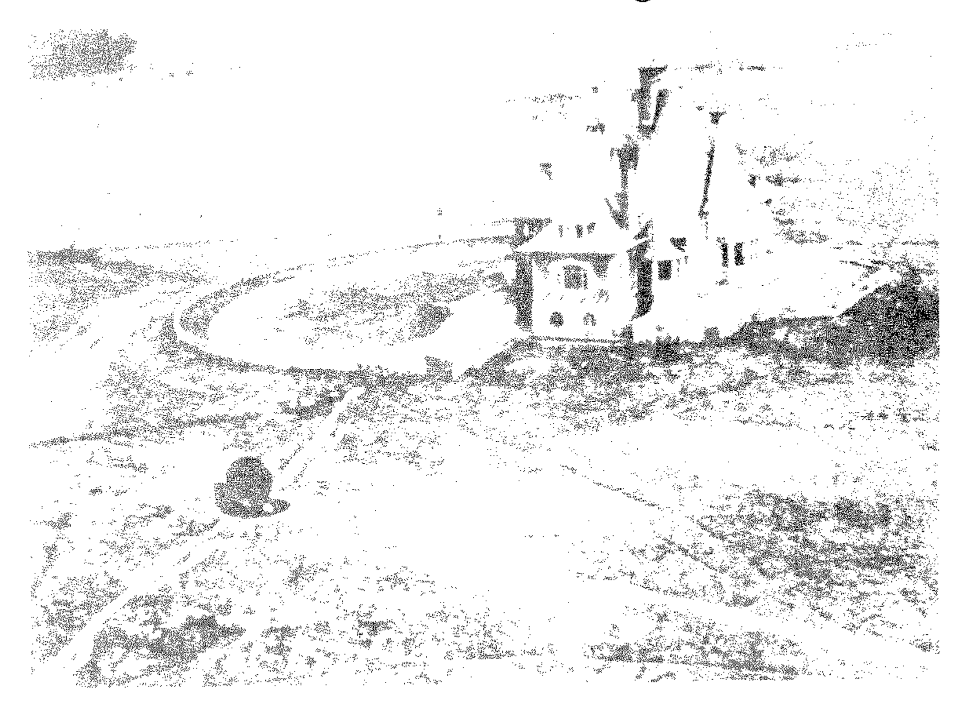
ونتج عن الاغارة فتح ثغرة في الدفاع الجوي الالماني بالمنطقة استمرت عدة أيام ، واستغلتها القاذفات البريطانية بعد ذلك بأربع ليال في الاغارة على مصنع « رينو » القريب من المنطقة وتدميره ، نظراً لأنه كان يساهم في خدمة المجهود الحربي الالماني .

وتعتبر اغارة « برونيفال » من النماذج الناجحة في العمليات المحمولة جواً ، والتي ساهم في نجاحها دقة المعلومات وكفاءة التخطيط ، وارتفاع مستوى التدريب ، والمحافظة التامة على اجراءات السرية .

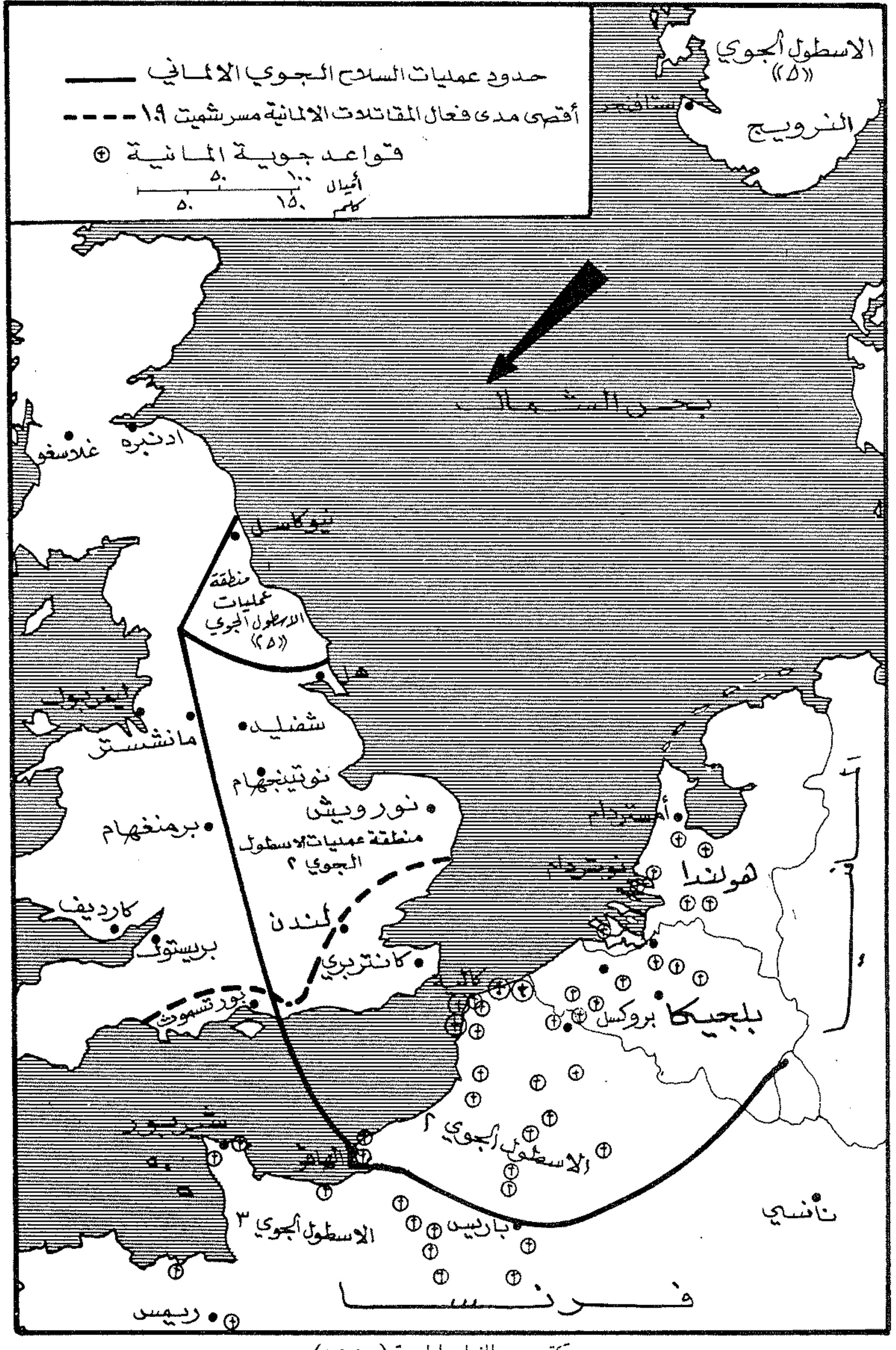
(١٢) بريست لتيوفسك (معاهدة) ١٩١٧

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

موقع الفيلا والرادار الالماني في برونيفال



(٤) بريطانيا (معركة جوية) ١٩٤٠



معركة بريطانيا الجوية (١٩٤٠)

عقب استسلام فرنسا للجيوش الالمانية الغازية يوم ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٤٠ ، قدم «غورنغ» قائد الطيران الالماني اقتراحاً إلى «هتلر» في اليوم نفسه ، يقضي بالقيام بمجموعة من الهجمات تتم في وقت واحد على قواعد المقاتلات في بريطانيا بوساطة حشود قوية من المظليين ، وذلك لإلحاق اكبر قدر ممكن من الدمار والاضطراب بالقوة الرئيسية التي يعتمد عليها نظام الدفاع الجوي البريطاني. وكان من المتوقع أن تحدث هذه العمليات اضطراباً شديداً في هذا النظام ، نظراً للحالة التي كانت عليها الدفاعات البريطانية حينذاك . إلا أن هتلر رفض الاقتراح المذكور وأية اقتراحات اخرى تتعلق بشن هجوم جوي على بريطانيا ، وقال لغورنغ: «ان الحرب قد انتهت ، وانني سوف أتوصل إلى اتفاق مع انجلترا» .

وكان هتلر شديد الثقة في تقديره لرغبة بريطانيا في التوصل إلى صلح معه ، بعد أن اعطى ساستها وقادتها العسكريين درساً لا ينسى في «النرويج» و «فرنسا» ، وسمح لهم بالاحتفاظ بماء وجوههم في «دنكرك» ، حين تغاضى عن تدمير القوات البريطانية هناك ، وسمح لها فعلياً بالنجاة بجلدها تحت سوط طيرانه (انظر معركة دنكرك) . وقد أجرى بالفعل سلسلة من الاتصالات غير المباشرة مع بريطانيا ، في كل من سويسرا ، واسبانيا ، والولايات المتحدة ، وعن طريق وساطة السويد والفاتيكان . ولقد اهتم هتلر بالتوصل إلى مثل هذا الاتفاق مع بريطانيا حتى يكسب حرية العمل في الشرق (ضد الاتحاد السوفييتي) ، ولا يضطر إلى خوض الحرب في جبهتين . وكان لا يريد ثمناً لهذا الاتفاق مع بريطانيا سوى استعادة المانيا لمستعمراتها السابقة في افريقيا (التي أخذت منها عقب الحرب العالمية الاولى) ، واعتراف بريطانيا بسيطرة المانيا على اوروبا الغربية . وقد نظر إلى قول تشرشل امام مجلس العموم البريطاني يوم ٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٠ عقب انجاز الانسحاب من «دنكرك» الذي جاء فيه: «اننا لن نضعف ولن نستسلم ، بل سنمضي في القتال حتى النهاية» على أنه قول خطيب موهوب ، ولا يعكس حقيقة الاتجاه السياسي الحاكم في بريطانيا . وكان لقناعته هذه جذورها الممتدة إلى سجل بريطانيا في ظل سياسة «تشمبرلين» المتهاونة في «تشيكوسلوفاكيا» التي جسدتها اتفاقية «ميونيخ» عام ١٩٣٨ ، ثم مواقفها المترددة خلال المرحلة الاولى من الحرب العالمية الثانية ، ابتداء من غزو بولندا في ايلول (سبتمبر) ١٩٣٩ ، حتى بداية غزو فرنسا في ١٠ أيار (مايو) ١٩٤٠ .

وبعد أن بدأ هتلر ييأس من احتمال التوصل إلى تسوية سلمية سريعة مع بريطانيا ، قرر في أوائل تموز (يوليو) ١٩٤٠ البدء في هجوم جوي وبحري بوساطة الغواصات على طرق امداد بريطانيا البحرية ، لفرض الحصار عليها ، وإجبارها على طلب الصلح . وقد بدأت الهجمات الجوية الالمانية على القوافل البحرية البريطانية في ١٠ تموز (يوليو) ١٩٤٠ فوق بحر المانش ، بهدف شل حركة الملاحة



كنيسة « اولد بيلي » سليمة وحولها الخرائب



آثار غارة المانية ، لا ماء أو كهرباء

فيه ، واجتذاب المقاتلات البريطانية إلى القتال بعيداً عن أرض بريطانيا نفسها . بيد أن قيادة المقاتلات البريطانية تجنبت ابتلاع هذا الطعم لأن ظروف القتال فوق المانش كانت لا تناسبها كثيراً بسبب أن الرادار لم يكن يعطي إنذاراً مبكراً كافياً في هذه الحالة يتيح الوقت اللازم لتحقيق اعتراض فعال من جانب المقاتلات البريطانية في الوقت والمكان المناسبين لها . لذلك اوقفت البحرية البريطانية القوافل الكبيرة في المانش منذ منتصف تموز (يوليو) ، ثم اوقفت أيضاً القوافل الساحلية الصغيرة عند نهاية الشهر ، حتى يتم تجهيز السفن بغلالة ساترة من البالونات لحمايتها من القاذفات المنقضة « شتوكا » . ولهذا اخذت قيادة السلاح الجوي الالماني تدفع مقاتلاتها فوق « دوفر » والمناطق الساحلية الاخرى القريبة من الشاطئ الفرنسي لتهاجم المدمرات البريطانية الراسية هناك ، وتشتبك مع المقاتلات البريطانية . فقامت البحرية نتيجة لذلك بسحب مدمراتها من هذه القواعد الامامية لتخفف بعض العبء عن قيادة المقاتلات .

وقد اسفرت عمليات الهجوم الجوي الالماني ، في مرحلته الاولى الموجهة ضد حركة الملاحة البريطانية ، والتي استغرقت الفترة من ١٠ تموز (يوليو) حتى ١٢ آب (اغسطس) ، عن اغراق ١٨ سفينة نقل صغيرة ، و ٤ مدمرات ، وإسقاط ١٤٨ مقاتلة بريطانية ، مقابل إسقاط ٢٩٦ طائرة المانية مختلفة الانواع . وفي اوائل آب (اغسطس) أصدر هتلر أوامره الاخيرة بضرب الجزيرة البريطانية نفسها من الجو ، لتصعيد الضغط عليها إلى درجة كبيرة تكفل إخضاع ارادتها السياسية .

وقال « غورنغ » لكبار ضباطه وهم يراجعون خطط العمليات الهجومية : « ان المانيا بممارستها السيطرة الجوية عن طريق سلاحها الجوي يمكنها مجابهة المزايا الاستراتيجية لموقع الجزر البريطانية ، وبمجرد القضاء على السلاح الجوي البريطاني سيكون الطريق مفتوحاً لغزو بريطانيا » . ثم عرض تفاصيل الخطة التي تتلخص في شن هجوم مركز لمدة أربعة ايام على قواعد المقاتلات في جنوب بريطانيا ، على أن يدفع الهجوم بعد ذلك تدريجياً إلى الشمال حتى يتم طرد السلاح الجوي البريطاني من قواعده كلها . وفي الوقت نفسه يجري قصف مصانع الطائرات نهاراً أو ليلا . وقدر لهذه العملية ، التي اطلق عليها اسم « يوم النسر » ، أن تتم خلال ٤ أسابيع . وحشد لتنفيذها نحو ١٣٣٠ قاذفة قنابل (٧٠ ٪ منها تقريباً عاملة) ونحو ٣١٦ قاذفة منقضة « شتوكا » (٨٠ ٪ منها تقريباً عاملة) ونحو



قاذفتان المانيتان « دورنيير » فوق بريطانيا



المارشال غورنغ مع طيارين المان



إزالة القنابل المجدبة



طيارون بريطانيون يهرعون نحو مقاتلاتهم

٩٦٣ طائرة مقاتلة (٨٥٪ منها تقريباً عاملة).

وكان يواجه هذه القوة المهاجمة نحو ٩٥٦ مقاتلة بريطانية من مختلف الانواع (من بينها ٥٢٧ طائرة هاريكين، و ٣٢١ سبيتفاير، وكانت ٧٥٪ منها تقريباً عاملة). ولم يكن هناك احتياطي من الطيارين بخلاف المتخرجين الجدد كل اسبوع. ولكن قيادة المقاتلات كان لديها شبكة من محطات الرادار — الذي كان آنذاك اختراعاً انجليزياً متقدماً حديث العهد — ومراكز مراقبة، وغرف عمليات متطورة ترتبط بهذه المحطات اتاحت للقيادة المذكورة التي كان يرأسها ماريشال الجو « داودنغ »، امكانية ممتازة للإنذار المبكر وتوجيه قواتها بطريقة منظمة أثناء المعارك الجوية. وقد تم تدعيم هذه الشبكة المتكاملة من وسائل الدفاع الجوي خلال شهر حزيران (يونيو) وتموز (يوليو) اللذين لم تتعرض فيهما أراضي بريطانيا للقصف الجوي. كما تم خلال الفترة نفسها تحسين كفاءة طائرات « الهاريكين » و « السبيتفاير » بتزويدها بمراوح ذات سرعة ثابتة، وزيادة قوة تحملها، وذلك للتغلب على نواحي النقص الفنية التي ظهرت فيها خلال معركة فرنسا في ايار (مايو). وبهذه الوسائل مجتمعة حصلت قيادة المقاتلات على ميزة أفضلية الكيف الذي تمتعت به في مواجهة الكم الالماني. وقد بدأ الهجوم الالماني يوم ١٢ آب (اغسطس) على خمس محطات رادار في جنوب شرق انجلترا، وبالاغارة على ثلاثة مطارات امامية.

وتمكن الانجليز من اصلاح محطات الرادار المصابة قبل فجر اليوم التالي، ولذلك امكن توجيه المقاتلات بطريقة مجمعة منظمة ضد تشكيلات الطائرات الالمانية المهاجمة قرب الساحل، رغم تباعدها لتشتيت قوات الدفاع الجوي، ولهذا امكن إسقاط ٤٧ طائرة المانية خلال هذا اليوم، مقابل ١٣ طائرة بريطانية، خلال سلسلة الهجمات التي جرت على ١١ مطاراً، واستخدمت فيها ١٤٨٥ قاذفة ومقاتلة المانية. وفي ١٥ آب (اغسطس) قام السلاح الجوي الالماني بهجوم واسع النطاق، بعد أن عزز قواه ببعض المقاتلات الجديدة، ضد ٥ مطارات و ٤ مصانع طائرات، اشتركت فيه ٨٠١ قاذفة، و ١١٤٩ مقاتلة. وخسر الالمان ٧٦ طائرة خلال اليوم كله مقابل ٣٤ طائرة بريطانية. وأثر ذلك اوقف « غورنغ » مهاجمة محطات الرادار، لأن عمليات إصلاحها بسرعة جعلته يعتقد بعدم جدوى قصفها. واستمرت الهجمات ضد المطارات حتى ٦ ايلول (سبتمبر)، واسفرت عن تدمير خمسة منها تماماً في جنوب شرق انجلترا،

وإعطاب ٦ من المحطات اللاسلكية والتحويلية السبع الموجودة هناك ، والتي يعتمد عليها نظام التوجيه الارضي . وقد تكبدت قيادة المقاتلات خسائر شديدة في الفترة من ٢٣ آب (اغسطس) حتى ٦ أيلول (سبتمبر) بلغت ٤٦٦ مقاتلة و ١٠٣ من الطيارين قتلوا و ١٢٨ آخرين أصيبوا بجروح خطيرة ، على حين فقدت القوة الالمانية الجوية ٣٨٥ طائرة . إلا أن « غورنغ » ، بناء على أوامر من هتلر ، أمر بتوجيه الهجوم إلى « لندن » يوم ٧ ايلول (سبتمبر) لتدميرها ، على أمل أن يؤدي ذلك إلى تحطيم معنويات الشعب البريطاني . وقد أدى تحول الهجوم الجوي الالماني على لندن في سلسلة من الغارات النهارية الضخمة ، إلى إعطاء الفرصة لقيادة المقاتلات كي تصلح مطاراتها ومنشآتها الاخرى ، وتعود إلى الاشتباك مع الطائرات الألمانية بطريقة اكثر قوة ، وتكبيدها خسائر فادحة بلغت جملتها في يوم ١٥ ايلول (سبتمبر) ٥٦ طائرة مقابل ٢٦ مقاتلة بريطانية ، مما أدى إلى عدول « غورنغ » عن اسلوب الغارات النهارية لخطورة المقاتلات البريطانية على القاذفات الالمانية ، التي اشتركت ١٢٣ قاذفة منها في غارة هذا اليوم تحت حماية ٦٧٩ مقاتلة، ومع ذلك اسقطت منها ٣٤ قاذفة . ويرجع ذلك في الواقع إلى خطأ تكتيك حماية المقاتلات الالمانية للقاذفات الذي كان يقضي بملازمة المقاتلات لتشكيلات القاذفات من مسافات قريبة، وتجنب تكتيكات الدوريات الحرة ، الامر الذي اتاح للمقاتلات البريطانية فرصة التجمع والهجوم بتفوق ومبادأة. واستمرت الغارات الليلية بشدة حتى نهاية تشرين اول (اكتوبر) ١٩٤٠ ، ثم بدأت تخف تدريجياً ، ولكنها لم تكن ذات فاعلية كبيرة من الناحية العسكرية ، نظراً لأن السلاح الجوي الالماني لم يكن معداً من الناحية الفنية لهذه الغارات بصورة جيدة ، كما أنه لم يكن يملك العدد الكافي من القاذفات بعيدة المدى ، أو الأطقم المدربة الكافية . وقد بلغت جملة خسائر الطيران الالماني خلال الفترة من ١٠ تموز (يوليو) ١٩٤٠ حتى ٣١ تشرين اول (اكتوبر) من العام نفسه ١٧٣٣ طائرة مقابل ٩١٥ مقاتلة بريطانية . وهكذا انتهت معركة بريطانيا الجوية بفشل الهجوم الالماني في تحقيق اهدافه الاستراتيجية والسياسية ، علاوة على تكبده خسائر فادحة في الطائرات والطيارين . ولم تؤد ٢١٩٥٠ طلعة طيران للقاذفات الالمانية قامت بها خلال شهور آب (اغسطس) وايلول (سبتمبر) وتشرين اول (اكتوبر) وألقت خلالها ١٩٠٤٢ طناً من القنابل شديدة الانفجار و ٧٥١ طناً من القنابل الحارقة ، إلى القضاء على السلاح الجوي البريطاني ، أو على صناعة الطائرات الحربية في بريطانيا ، التي استطاعت أن تنتج خلال عام ١٩٤٠ ما مقداره ٤٢٨٣ مقاتلة ، و ٣٧١٠ قاذفات ، مقابل ٢٤٢٤ مقاتلة و ٣٩٠٤ قاذفات انتجتها المانيا في العام نفسه .

ويرجع الانتصار البريطاني إلى جودة المقاتلات « السبيتفاير » و « الهاريكين » ، وكفاءة الطيارين وشجاعتهم ، وكفاءة « داونغ » منظم الدفاع الجوي الاساسي ، وفاعلية شبكة الرادار . وترجع اسباب الفشل الالماني إلى ضعف مدى المقاتلات الالمانية الذي لم يكن يتعدى دائرة منطقة لندن ، الأمر الذي حد من عمق الغارات النهارية للقاذفات ، وبالتالي لم تستطع أن تؤثر على الصناعة الجوية البريطانية التي كانت مركزة داخل البلاد . كما يرجع أيضاً إلى أن السلاح الجوي الالماني لم يكن معـداً أصلا للقصف الاستراتيجي وإنما للمعاونة الارضية والتكتيكية ، وفقاً لنظريات الحرب الخاطفة . ولذلك لم تكن لديه قاذفات بعيدة المدى ، وكانت حمولة معظم قاذفاته محدودة نسبياً . فضلا عن أخطاء هتلر في عدم بدء الهجوم في وقت مبكر .

(٦) بريغيه (مؤسسة صناعة جوية)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٩) البزري (عفيف)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٣) البسوس (حرب) ٤٩٤ ـ ٥٣٤

من ايام ربيعة فيما بينها ، وقعت هذه الحرب بين بكر وتغلب ابني وائل ، وقد دامت اربعين سنة ، وايامها: يوم النهى (والنهى ماء لبني شيبان) وكانت النصرة لتغلب على بكر . يوم الذنائب (والذنائب موضع على طريق البصرة الى مكة) وكانت لتغلب على بكر . يوم واردات (وواردات موضع عن يسار طريق مكة الى البصرة) وكانت لتغلب على بكر . يوم عنيزة (وعنيزة موضع في اليمامة) وقد تكافأ الفريقان . يوم القصيبات (والقصيبات موضع في ديار بكر وتغلب) وكانت لتغلب على بكر . ويوم تحلاق اللمم (وسمي اليوم كذلك لان بني بكر حلقوا فيه رؤوسهم جميعاً) وكانت لبكر على تغلب . ونسبت هذه الحرب الى امرأة تدعى (البسوس) بسبب ناقة كانت لها . وسببها ان كليب ابن ربيعة (ولد سنة ٤٤٠ م ، دربه أبوه على الحرب ، ثم تولى قيادة جيش بكر وتغلب زمناً حتى قتله جساس بن مرة سنة ٤٩٤م) هزم جموع اليمن يوم خزاري ، فانقادت اليه معد ، وتوجته ملكاً عليها ، فدخله الزهو والغرور ، وبغى في قومه ، حتى انه « كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ، واذا جلس لا يمر احد بين يديه اجلالا له ... ولا تورد ابل احد مع ابله ، ولا توقد نار مع ناره ... » . وتزوج كليب جليلة بنت مرة بنت ذهل بن شيبان وكان قومه وقومها يسكنان بدار واحدة ، وكان لمرة عشرة بنين اصغرهم يدعى (جساس) وكان جساس شهماً أبياً ، يلقب بحامي الجار والمانع للذمار ، ودخل كليب مرة على زوجته جليلة وسألها : هل تعلمين على الارض أمنع مني ذمة ؟ فأجابته : نعم ، اخي جساس ، فتركها ومضى . ثم عاد مرة اخرى وسأل زوجته : من أعز وائل ؟ فاجابته : اخواي ، جساس وهمام ، وكانت تغسل له رأسه فنزع رأسه من يديها وخرج .

وكانت لجساس خالة تدعى « البسوس بنت منقذ » وقد نزلت ضيفة على ابن اختها جساس ، ولها ناقة ذات فصيل ، فلما خرج كليب غاضباً من عند زوجته شاهد ناقة خالتها البسوس وفصيلها فرمى الفصيل بسهم فقتله . وعلمت بنو مرة بذلك فسكتت اتقاء للحرب ، ولكن كليباً لم يكتف بذلك ، بل عاد فأمر غلاماً له ان يرمي ناقة البسوس في ضرعها بسهم فاصابه واختلط حليبها بدمها ، وراحت الناقة الى دار البسوس مضرجة بدمها ، وبركت هناك ، فولولت الخالة ، واقسم جساس لينتقمن بأن يقتل « غلالا » وهو فحل ابل كليب .

وعاد كليب فمنع بكراً (قبيلة جساس) من ورود المـاء في موارد عدة (شبث والأحص وبطن الجريب) فسارت بكر حتى نزلت الذنائب فتبعها كليب وحيه ومنعها كذلك من ورود الماء ، ومر جساس وتبادل مع كليب اللوم ثم الشجار ، ثم مال جساس على كليب بفرسه فطعنه برمحه طعنة نفذت الى حضنه فقتله ، وقام المهلهل اخو كليب يطلب الثأر لاخيه ، وكانت بعدها حرب البسوس التي استمرت اربعين عاماً ، وانتهت بقتل جساس على يد ابن اخته الهجرس بن كليب سنة ٥٣٤ م ، فكان جساس آخر قتيل في بكر بن وائل .

(٥) بطارية

البطارية (Battery) اسم يطلق على الوحدة العسكرية التي تشغل المدافع، او القذائف الصاروخية، او الصواريخ ، او الهاون . ولها قائد تكتيكي واحد

ويطلق هذا الاسم ايضاً على الوحدات التكتيكية والادارية في سلاح المدفعية . وفي الجيش الامريكي توازي البطارية من ناحية الحجم سرية من المشاة . وفي الجيش البريطاني يطلق على تشكيل المدفعية الموازي لسرية مشاة اسم (Troop) . اما البطارية البريطانية فهي تشكيل يعادل الكتيبة . وتضم البطارية عادة عدة Troops ، ويضم فوج المدفعية البريطاني بطاريتين او اكثر .

وتعتبر البطارية في الجيوش العربية واسرائيل وحدة المدفعية المعادلة للسرية (سواء كانت مدفعية ميدان ، او مدفعية صاروخية ، او مدفعية م/د ، أو م/ط ،أو هاون) .وهي تضم عادة من ٢ – ٣ فصائل مدفعية ، يبلغ عدد اسلحتها من ٤ – ٦ مدافع .

وفي البحرية ، يطلق اسم بطارية على مدفعين او اكثر لهما العيار ذاتــه ، ويعملان كوحدة واحدة . ويطلق على المدافع الاكبر عياراً التي يمتلكها جيش ما اسم البطارية الرئيسية . وعلى المدافع ذات العيار الاصغر اسمُ البطاريــة الثانوية في حال استخدامها ضد اهداف برية ، ويطلق عليها اسم بطارية مضادة للطائرات اذا استخدمت ضد الجو .

(٩) البغدادي (عبد اللطيف)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٩) البكر (احمد حسن)

عسكري (مهيب) وسياسي عراقي (١٩١٤ –) ورئيس الجمهورية العراقية منذ العام ١٩٦٨ ، وأمين سر القيادة القطرية وعضو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي . ولد أحمد حسن البكر في تكريت وتخرج من مدرسة دار المعلمين في العام ١٩٣٢ . وفي العام ١٩٣٨ التحق بالكلية العسكرية العراقية . وعند اندلاع ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ التي أطاحت بالنظام الملكي العراقي كان البكر من أوائل المشاركين في تخطيط الثورة وتنفيذها . واحتل قاعدة الحبانية الجوية على رأس لواء المشاة الأول . وعين عضواً في المجلس العرفي العسكري ، وكان آنذاك برتبة زعيم (عميد) .

اتهم بالتآمر على الفريق عبد الكريم قاسم ، خلال ثورة الموصل التي قادها العقيد عبد الوهاب الشواف في ٨ آذار ١٩٥٩ بمؤازرة عناصر بعثية وناصرية ، فصودرت أمواله في ١٩ نيسان (ابريل) واحيل الى التقاعد . لم يحتل البكر بعد إحالته الى التقاعد أي منصب رسمي ، وكرس جهوده للنضال



الرئيس المهيب احمد حسن البكر

في صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي . وكان عضواً في القيادة القطرية للحزب حتى العام ١٩٦٣ ، واصبح بعد ذلك عضواً في القيادة القومية ايضاً .

وفي ٨ شباط (فبراير) ١٩٦٣ اسقط البعثيون والقوميون نظام عبد الكريم قاسم . وكان العميد البكر من المشتركين البارزين في هذه العملية ، فعين رئيساً للحكومة . وفي ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٣ أقصى رئيس الجمهورية العراقية عبد السلام عارف عن الحكم معظم البعثيين ، وأبعد البكر عن سدة رئاسة الوزارة،واسند اليه منصب نائب رئيس الجمهورية في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٣ . ولكن سرعان ما دب الخلاف بينه وبين عبد السلام عارف الذي تابع ابعاد العناصر البعثية النشطة عن الحكم بغية إضعاف النفوذ البعثي . ومن جراء هذا الخلاف أبعد البكر عن نيابة الرئاسة وعين سفيراً في وزارة الخارجية في ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٤ . ولكنه استقال من هذا المنصب تعبيراً عن معارضته للحكم . وفي ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٥ كشف النقاب عن مؤامرة لقلب نظام الحكم فأوقف على اثرها حوالي ٣٠٠٠ بعثي،كما اعتقل البكر وفرضت عليه الاقامة الجبرية . وبعد وفاة الرئيس عبد السلام عارف بحادث طائرة في ١٣ نيسان (ابريل) ١٩٦٦ ، خلفه في رئاسة الجمهورية أخاه عبد الرحمن عارف ، وعاد حزب البعث الى القيام بنشاطاته . وكان البكر من العناصر البارزة في إثارة المسرح السياسي . وكان احد القادة العسكريين الكبار الثلاثة عشر الذين وقعوا عريضة في ١٦ نيسان (ابريل) ١٩٦٨ شجبوا فيها الحكم الفردي وطالبوا بتغيير الحكومة وإنشاء مجلس تشريعي يتمتع بسلطة سحب الثقة من رئيس الجمهورية . كما قاد بنفسه التظاهرات الجماهيرية التي شهدتها بغداد في أعقاب حرب ١٩٦٧ .

وفي ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ قام اللواء احمد حسن البكر بثورة بيضاء ارجعت الى الحكم حزب البعث ، وأعلن أن هدف الثورة هو إنهاء حكم الفساد داخل العراق . كما أعلن أيضاً عن تمسك الثورة بميثاق الجامعة العربية والعمل على تحقيق وحدة الوطن العربي سياسياً واقتصاديــاً وعسكرياً ، والتمسك بالحق العربي المغتصب في فلسطين ، والدعم المطلق للعمل الفدائي الفلسطيني . وانتخبه مجلس قيادة الثورة بالاجماع رئيساً للجمهورية في ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ . وفي ٣٠ تموز (يوليو) من العام نفسه تم إقصاء عبد الرزاق النايف من رئاسة الوزارة ، وتولى الرئيس البكر القيادة العامة للقوات المسلحة ومهمة تشكيل الوزارة .

كان العراق يواجه إبان ثورة ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ مشاكل جمة . فكانت الخلافات الحزبية والسياسية تخلق في البلاد نوعاً من الوجوم والبلبلة . وكان عدد من الوزراء والضباط متهماً بالفساد . كما أن قضية الاكراد كانت تزداد تعقيداً . وكانت هزيمة حرب ١٩٦٧ قد تركت أثراً من القلق العميق في صفوف المواطنين والقوى التقدمية . ولقد تمكن البكر أن يحل العديد من هذه المشاكل منذ توليه الحكم مبرهناً على مهارة سياسية كبيرة وبذل اهتماماً خاصاً لحل المشكلة الكردية التي طالما عجزت الحكومة المتعاقبة عن حلها . وبدأ في سبيل ذلك مفاوضات طويلة وشاقة مع زعماء الاكراد ، وفي ١١ آذار (مارس) ١٩٧٠ أعلن الرئيس البكر بياناً على الامة أعلن فيه أن مجلس قيادة الثورة قد توصل الى حل المشكلة الكردية . وكان صدام حسين ، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة آنذاك ، قــد وقع اتفاقية مــع الزعيم الكردي الملا مصطفى البرزاني ، رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني ، في ١٠ آذار (مارس) ١٩٧٠ ، لتنظيم علاقــة الاكراد مع الحكومة المركزية واعطائهم الحــكم الذاتي . ولكن تنفيذ هذه الاتفاقية واجه بعض الصعوبات الناجمة عن قيام البرزاني بدفع من الامبرياليين بتقديم مزيد من المطالب ، ومن بينها

السيطرة على منابع النفط في كركوك . وفي حزيران (يونيو) ١٩٧٢ أعلن الاكراد التمرد ثم تبع ذلك فترة من الهدوء النسبي . وما أن صدر قانون الحكم الذاتي حتى اعلن البرزاني العصيان المسلح . وكان رد البكر صارماً وبمستوى المرونة التي قاد فيها المفاوضات في البدء . حذر البكر في رسالة بعث بها الى البرزاني في نيسان ١٩٧٢ من ان القوات العراقية ستكون قادرة على توطيد القانون والنظام في انحاء البلاد . ولقد قرن القول بالفعل وطبق العمل العسكري والعمل السياسي بشكل متناسق . في الوقت الذي استخدم فيه القوات العراقية المسلحة للضغط المادي على قوات البرزاني ، استطاعت الدبلوماسية العراقية عقد مصالحة عراقية ايرانية (آذار ١٩٧٥) أدت إلى عزل منطقة العصيان الكردية عن المساعدات الايرانية ، الامر الذي أدى الى انهيار استراتيجي مفاجيء بين صفوف البرزاني واستسلام المسلحين الاكراد في ٢٥ آذار (مارس) ١٩٧٥ وفرار البرزاني الى ايران .

وعمل الرئيس البكر على رص الصفوف في الداخل . فأعلن في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ عن ميثاق عمل وطني دعا فيه القوى والعناصر الوطنية والقومية والتقدمية الى تحقيق ائتلاف واسع يكون القاعدة الواسعة للنظام السياسي في البلاد والقوى الدائمة والمحركة له من أجل تعميقه ومنحه قدرات معنوية ومادية اكبر لتحقيق مهماته . وعلى ضوء هذا الميثاق أعلن في العراق في ٢٢ تموز (يوليو) ١٩٧٣ عن تشكيل جبهة وطنية ضمت حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي العراقي ولكن هذه الجبهة كانت مفتوحة امام الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي تردد في الانضمام ، كما كانت مفتوحة ايضاً للقوى التقدمية الاخرى كالقوميين والديمقراطيين المستقلين . أدت هذه السياسة الى خلق جو من الانفتاح السياسي وكان مجلس الثورة قد جدد ثقته في البكر عندما نقل اليه سلطاته في ١٣ حزيران (يونيو) ١٩٧٣ في أعقاب المحاولة الانقلابية الفاشلة التي قام بها اللواء ناظم الكزار مدير الامن العام .

ومن الانجازات الداخلية الكبرى التي حققها العراق في عهد الرئيس احمد حسن البكر ، تأميم شركة نفط العراق في أول حزيران (يونيو) ١٩٧٢ . وكان هذا التأميم منعطفاً هاماً في حياة العراق البترولية ، وتحدياً كبيراً جابهه العراق بكل شجاعة . وعلى الصعيد العربي ، حاول البكر تجاوز الخلافات القائمة بين العراق وبعض الدول العربية وإقامة علاقات أخوية لرص الصف في وجه اسرائيل .

وعندما اندلعت حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ كان البكر وراء الاسراع في ارسال القوات العراقية المدرعة والجوية الى سورية للمشاركة في القتال حتى ولو أدى ذلك الى تجاوز الشروط التقنية والتكتيكية للحركة . وكان على اتصال مستمر مع القيادة العسكرية العراقية طوال القتال للتحقق من سرعة انتقال القوات والامدادات العراقية الى الجبهة السورية . ولكن عندما اعلن عن وقف اطلاق النار في ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ سحب الرئيس البكر القوات العراقية تعبيراً عن معارضة العراق لهذا القرار ، واعلن في ١٧ تموز (يوليو) ١٩٧٥ استعداد العراق لارسال كل الجيش إلى جبهة القتال مع اسرائيل ، ودعا إلى التوجه نحو المعركة كشرط لقيام الجبهة الشمالية الشرقية .

كما تحقق في عهد الرئيس البكر قفزات واسعة في مستوى دخل الفرد العراقي،وحصلت الطبقة العاملة على حقوق وتأمينات هامة وكبيرة . وأدت النهضة الاقتصادية الصناعية والزراعية إلى توفير فرص العمل للمواطنين وفتح المجال امام كل الخبرات العربية للعمل في العراق اسوة بالمواطنين العراقيين وللحصول على الجنسية العراقية .

اما على الصعيد الخارجي ، فلقد حقق البكر للعراق انتصارات سياسية ودبلوماسية كبيرة . فوقع في ٩ نيسان (ابريل) ١٩٧٢ معاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفياتي لتعزيز العلاقات بين البلدين . فكانت هذه المعاهدة وما نجم عنها من تعاون وثيق مع الاتحاد السوفياتي بمثابة رادع بوجه الاطماع والمخططات الايرانية والاميركية في العراق . ولقد أدت سياسة البكر الخارجية وصموده بوجه الاعتداءآت والتجاوزات الايرانية الى اقناع ايران بتعديل سياستها تجاه العراق والاعتراف بأنه ليس من السهل هزم الارادة العراقية . وكان من جراء ذلك التوصل الى اتفاقية الجزائر وبروتوكول طهران (آذار – نيسان ١٩٧٥) اللذين حددا بداية مرحلة جديدة من العلاقات بين البلدين . وبالاضافة الى الانفتاح العراقي على دول المعسكر الاشتراكي ، فان سياسة الرئيس البكر ساعدت على حدوث تفاعل عربي – أوروبي وعربي – فرنسي بشكل خاص ، نظراً للموقف المعتدل الذي أخذته فرنسا وبعض الدول الاوروبية من الصراع العربي – الاسرائيلي ، خاصة بعد حرب تشرين الاول التي استخدم فيها السلاحان العربيان الاقتصادي والعسكري بشكل أدى إلى تبديل ميزان القوى المحلي والعالمي .

(٣) بكّه (وادي)

(انظر : لكه، وادي) .

(٦) البلاستيك (متفجر)

نوع من المتفجرات القاصمة شديدة الانفجار ، يتميز بقوته الانفجارية القاصمة والتدميرية وقوامه اللدن الذي يمكن من تكييف الحشوات المصنوعة منه بواسطة المكابس الضاغطة الخاصة بذلك Presse Loaded بدون التعرض لاخطار غير متوقعة ، كما يمكن تكييفه باليد في الميدان Hand Moulded ايضاً .

وقد تطورت المتفجرات البلاستيكية Plastic explosives أثر تطور المتفجرات الثنائية Binary explosives إبان الحرب العالمية الاولى ، وفي الفترة ما بين الحربين العالميتين ، التي تتكون من مزيج من الـ ت. ن. ت ومتفجر آخر ، أو الـ ت. ن. ت ومتفجر ثان ومادة غير متفجرة في الاصل كمسحوق الالمنيوم ، أو الـ ت. ن. ت ومسحوق الالمنيوم فقط . وذلك لان الـ ت. ن. ت هو المتفجر الوحيد من بين المتفجرات العسكرية جميعاً الذي يتمتع بدرجة ذوبان تقل عن المائة درجة مئوية ، وبالتالي يمكن إذابته ومزجه بالمواد الاخرى ثم سكب المزيج بكامله في الاغلفة المخصصة لذلك بسهولة . ولكن من الواضح ان قدرة الـ ت. ن. ت المذاب على استيعاب نسب مختلفة من المواد الاخرى المذكورة اعلاه وتشكيل مزيج يمكن تكييفه عبارة عن قدرة محدودة ، أضف إلى ذلك نشوء الحاجة الى صنع متفجرات ذات قوة قاصمة وتدميرية أشد يمكن تكييفها بضغط المكبس او اليد ، مهدا الطريق لتطوير نوعين من المتفجرات اللدنة او البلاستيكية : أولها ، متفجرات تتكون اساساً من مزج مادة متفجرة ذات قوة قصم عالية بمادة شمعية للتخفيف من حساسيتها لكي يمكن استخدامها كمادة دافعة للمقذوفات ذات العيار الصغير . وثانيها ، متفجرات تتكون من مزج مادة متفجرة ذات قوة قصم اعلى بمادة رابطة لدنة تساعد على تماسك المزيج لتكوين كتلة متفجرة لدنة تشبه المعجون .

ومن أمثلة المتفجرات البلاستيكية من النوع الاول ، المركب ب (Composition B) ذو اللون الاصفر الضارب الى البني الذي يتكون من متفجر السيكلوتول (مزيج من الآر. دي. اكس والـ ت. ن. ت بنسبة ٥٥،٢ و ٤٠ في المائة على

التوالي) ، مضافاً اليه ١,٢ ٪ من مادة البولي إيزولكتيلين (polyisoluctylene) ، و ٣,٦ ٪ من مادة الشمع . وقد تطور «المركب ب» في بريطانيا في الفترة ما بين الحربين العالميتين لاستخدامه في حشوات القنابل .

ومن الامثلة على النوع الثاني من المركبات البلاستيكية اللدنة التي يمكن تكييفها باليد المركبين سي – ٣ و سي – ٤ (C-4) ، (C-3) ويحتوي المركب سي – ٣ ، ذو اللون الضارب الى الصفار ، على ٢ ± ٧٧ ٪ من متفجر الـآر. دي. اكس ، و ٢ ± ٢٣ ٪ من متفجر بلاستيكي يتكون من اول نترات التولوين mononitratolouene ومزيج سائل من ثاني نترات التولوين dinitratolouene والـت. ن. ت والترّيل والنيترّوسليولوز . ويحتوي المركب سي – ٤ ذو اللون الابيض الوسخ على متفجر الـآر. دي. اكس بنسبة ٩١ ٪ ، ومادة البولي ايزوبوتيلين polyisobutylene بنسبة ٢,١ ٪ ، وزيت السيارات بنسبة ١,٦ ٪ ، ومادة داي – (٢ – ايثيل هيكسيل) سيباكيت — Di (2 ethylhexyl) Sebacate بنسبة ٥,٣ ٪ .

يستخدم البلاستيك في الميدان عادة لقطع الاجسام المعدنية والخشبية التي يتطلب مقطعها المعقد على شكل دائرة أو أحد الحروف H, U, L, T تشكيل حشوة مرنة تلامس السطح المعدني . وهو ينفجر بواسطة الصاعق أو الفتيل الصاعق ، ولا يحتاج لبادئ تفجير خاص . ويعتبر من المتفجرات العسكرية الجيدة نظراً لأمكانية خزنه ونقله في ظروف القتال ، والظروف الجوية السيئة .

(٣) بلاط الشهداء (معركة) ٧٤٢

تعرف هذه الوقعة عند مؤرخي الغرب بوقعة (تور) أو (بواتييه) نسبة الى المكان الذي جرت فيه ، وهو السهل الواقع بين مدينتي تور وبواتييه جنوبي فرنسا وعند فرعي نهر اللوار (كلين وڤيين) ، قرب مدينة تور . اما عند مؤرخي المسلمين فقد عرفت بوقعة (البلاط) او (بلاط الشهداء) لكثرة ما استشهد فيها من اكابر المسلمين ورجالاتهم ، وقد جرت هذه الوقعة في اوائل رمضان سنة ١١٤ هـ (تشرين الاول سنة ٧٣٢ م) ، بين جيش من المسلمين يقوده عبد الرحمن بن عبدالله الغافقي ، وجيش من الفرنجة يقوده شارل مارتل (Charles Martel) وحليفه الدوق اودو (Odo) .

اختلف المؤرخون الغربيون والمؤرخون المسلمون في وصف هذه الوقعة وتحليلها ، فبينما نرى المؤرخين الغربيين يسهبون في الحديث عن انتصار شارل مارتل وهزيمة المسلمين فيها ، نرى معظم المؤرخين المسلمين يمرون على ذكرها مروراً عابراً ، ما عدا بعض المتأخرين من مؤرخي حقبة الحكم العربي في الاندلس. كما اختلفوا في قدر الجيوش التي حشدت في هذه الوقعة ، فبينما يقدر المؤرخون الغربيون عدد جيش المسلمين بنحو اربعمائة ألف مقاتل نرى المؤرخين المسلمين يقدرون عدد هذا الجيش بمائة ألف فقط ، وربما يكون سبب هذا الاختلاف العدد الكبير الذي اصطحبه المسلمون معهم في زحفهم من النساء والاولاد بقصد الاستيطان ، ولكن المؤرخين – الغربيين والمسلمين – اتفقوا على ان جيش الفرنجة كان يفوق جيش المسلمين عدداً .

والمتفق عليه ايضاً هو ان هذه الوقعة كانت حاسمة ومصيرية بالنسبة الى الفتح الاسلامي (والعربي) من جهة ، وبالنسبة الى الصراع بين العقيدتين الاسلامية والمسيحية من جهة اخرى ، اذ وضعت هزيمة المسلمين فيها حداً لفتوحاتهم في أوروبا ، وكانت بداية لتراجعهم وانحسار امبراطوريتهم .

ويوجز معظم المؤرخين تفاصيل الوقعة بما يلي :

وصل الجيش الاسلامي في زحفه الى السهل الواقع بين مدينتي تور وبواتييه ، فاستولى على بواتييه ثم على تور الواقعة على ضفة اللوار اليسرى ، وفي هذه الاثناء ، وصل جيش الفرنجة بقيادة شارل مارتل الى الضفة اليمنى لنهر اللوار دون ان يشعر المسلمون بقدومه . ولما استطلع كشافة المسلمين هذا الجيش استخفوا بأهميته ، واستقلوا عدده ، مما حدا بقائد جيش المسلمين عبد الرحمن الغافقي الى الاندفاع نحو الضفة اليمنى للنهر مهاجماً جيش العدو . إلا أن شارل مارتل كان اسرع منه ففاجأه بجيشه الكثيف ، وفوجيء عبد الرحمن بكثرة عدد جيش الفرنجة ، فارتد الى الضفة اليسرى للنهر ، وتمركز ثانية في السهل بين تور وبواتييه ، الا ان شارل مارتل عبر النهر الى الضفة اليسرى وعسكر على مسافة قريبة من الجيش الاسلامي بين نهري كلين وڤيين ، فرعي اللوار ، وبادر الى مهاجمته ، ودارت ، في خلال اسبوع من الزمن ، معارك متقطعة وغير حاسمة بين الجيشين ، كان يظهر فيها جيش شارل مارتل متماسكاً ، على حين يظهر جيش المسلمين قلقاً مضطرباً ، وسبب ذلك ان جند المسلمين ، في اثناء اقتحامهم لجنوبي فرنسا ، غنموا كثيراً من الاسلاب والغنائم الثمينة فثقلت احمالهم ، وتعلقوا بغنائمهم ، فآثر كثير منهم العودة عن القتال الى ديارهم في الاندلس ، اما حفاظاً على الغنائم التي معهم ، او إعياء وتعباً بعد أشهر من الغزوات والحروب المتواصلة .

ورغم كل ذلك ، صمد الجيش الاسلامي في وجه جيش الفرنجة الذي يفوقه عدداً وعدة ، واخذ عبد الرحمن يتأهب للمعركة الفاصلة ، وفي اليوم التاسع نشبت بين الجيشين معركة استمرت حتى الليل دون ان يتوصل الفريقان الى حسم القتال ، فافترقا ، واستأنفا القتال في اليوم التالي . وكان التعب والارهاق قد بدءا يظهران في صفوف جيش الفرنجة ، عندما تمكن بعض جندهم من فتح ثغرة في صفوف المسلمين نفذ منها الى معسكر الغنائم ، وانطلقت صيحة في صفوف المسلمين ان غنائمهم في خطر ، فاذا بعبد الرحمن يرى قوة كبيرة من فرسانه وقد ارتدت من مقدمة الصفوف نحو مؤخرتها تبغي حماية الغنائم غير مهتمة بمصير المعركة المتأججة . وعبثاً حاول ان يعيد الى الصفوف نظامها ، والى الجند روعه ، فلم يفلح ، عندها تقدم هو نفسه للقتال مع نخبة من الشجعان من جنده ، فسقط قتيلا من على جواده ، وعم الذعر جيش المسلمين ، وقويت عزيمة الافرنج اذ رأوا جند المسلمين مذعورين ، فأعملوا فيهم سيوفهم قتلا ، ولكن المسلمين صمدوا حتى جن الليل ففصل بين الجيشين .

وفي فجر اليوم التالي ، تقدمت طلائع جيش الفرنجة لتستكشف مواقع المسلمين فاذا بخيامهم خاوية فارغة ، وتقدم شارل مارتل ليستولي على الغنائم والاسلاب التي تركها المسلمون في معسكرهم والتي من اجلها هزموا وهزم طموح العقيدة التي حملوها الى اقاصي الارض ، فاكتفى بتلك الاسلاب والغنائم وعاد ادراجه دون ان تحدثه نفسه بمطاردة الجيش المنسحب في ظلام الليل باتجاه الجنوب .

اما خسائر الفريقين في هذه الوقعة فقد اختلف في قدرها ، وكما اسلفنا ، لم يتحدث المؤرخون المسلمون كثيراً عن هذه الوقعة ، اما مؤرخو الفرنجة فقد قدروا خسائر المسلمين فيها بثلاثمائة وخمسة وسبعين ألف قتيل مقابل ألف وخمسمائة فقط من الفرنجة ، وذلك امر مبالغ فيه حتماً اذ لو كان هذا العدد صحيحاً (مع تسليمنا جدلا ان جيش المسلمين كان عدده اربعمائة ألف وليس مائة ألف فقط) لما تردد شارل مارتل من اقتفاء أثر المنهزمين والقضاء على جيش المسلمين قضاء مبرماً ، وقد سنحت له الفرصة ، بالاضافة الى ان انسحاب المسلمين كان تحت جنح الظلام ودون قتال ، ولكن خسارة المسلمين الكبيرة والاكيدة كانت في مقتل معظم قادتهم وابطالهم في تلك الوقعة .

(٦) بلانكي

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١) البلطة أو باتل آكس (معركة) ١٩٤١

تدخـل معركة البلطة Battle Axe ، في اطار الهجوم المعاكس الذي شنه الجنرال « ويفل » القائد العام في الشرق الاوسط في صيف ١٩٤١ لفك التطويق الذي ضربه الالمان والايطاليون بقيادة الجنرال « رومل » حول طبرق ، ومنع قوات المحور من التفكير بالزحف نحو مصر ، بعد أن صدت هذه القوات هجوم القوات البريطانية غير المدبر على السلوم وكابوتزو (١٥ أيار) ، واستولت على ممر حلفايا في الشهر نفسه بفضل هجوم مفاجىء شنته قوة المانية بقيادة « هيرف » في صباح ٢٧/٥ .

ولقد جمع البريطانيون قبل العملية في المنطقة الواقعة بين السلوم وبقبق « قوة الصحراء الغربية » المؤلفة من القوات التالية : ١ — الفرقة المدرعة السابعة (اللواء المدرع الرابع ويضم حوالي ١٠٠ دبابة ثقيلة مرافقة للمشاة من طراز « ماتيلدا » ، واللواء المدرع السابع ، ويضم حوالي ١٠٠ دبابة متوسطة من طراز « كروزر » ، ولواء عربات مدرعة) ، واللواء الهندي ١١ من الفرقة الهندية الرابعة ، ولواء الحرس ٢٢ ، ولواء مضاد للدبابات ، وكتيبة مشاة محمولة ، ووحدات مضادة للطائرات ، ووحـدات معاونة أخرى . ووضعت هذه القوات (٢٠ ألف جندي و ٢٠٠ دبابة نصفها بطيء الحركة لا يصلح لحرب الصحراء الخاطفة) تحت قيادة الجنرال بيرسفورد بيرسي . ولم ينته اعداد القوات للهجوم إلا في نهاية الاسبوع الاول من حزيران (يونيو) . نظراً للصعوبات التي صادفتها قيادة الشرق الأوسط في اصلاح الدبابات المعطلة ، وتأخر وصول الامدادات من بريطانيا .

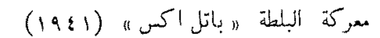
وكانت قوات المحور تضم : القوات المحيطة بطبرق (٢٧ ألف رجل الماني وايطالي) وقوات مشاة ايطالية والمانية متمركزة في مواقع محصنة في السلوم وحلفايا ومساعد وكابوتزو والبردية . وكانت القوة الضاربة لقوات المحور تتمثل في الفرقتين الالمانيتين : الفرقة المدرعة ١٥ المتمركزة في البردية وكابوتزو (٨٠ دبابة من طراز « بانزر ٣ ») ، والفرقة الخفيفة الخامسة المتمركزة كاحتياط في سيدي عزيز جنوبي طبرق (٨٠ دبابة من طراز « بانزر ٤ ») . وكان تموين قوات المحور المتمركزة في المواقع المحصنة الأمامية يتعرض لصعوبات كبيرة نظراً لأن الانكليز أغلقوا الطريق الرئيسي عند طبرق . لذا كان الامداد والتموين ينقل بواسطة القوافل عبر الصحراء المفتوحة جنوبي طبرق . ولقد طلب رومل من القيـادة الايطالية العليا انشاء وصلة فرعية للطريق الرئيسي لتسهيل الأمور الادارية وخاصة نقل المحروقات ، ولكنها لم تستجب لطلبه بسرعة . وبالاضافة إلى ذلك ، كانت المراكب الايطالية تفرغ الامدادات الخاصة بقوات رومل في ميناء طرابلس ، على مسافة تزيد عن ١٠٠٠ ميل عن مكان تمركز هذه القوات .

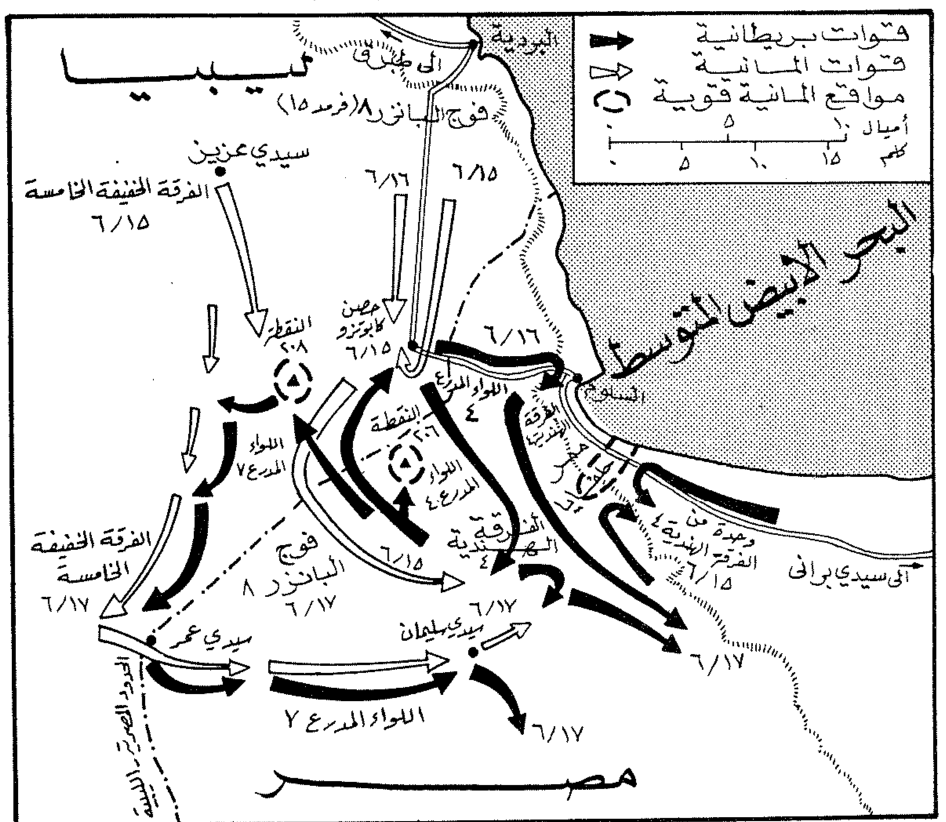
وكانت الخطة الهجومية البريطانية على خط انتشار قوات المحور الممتد من السلوم إلى مادلينا ، تستهدف تدمير هذا الخط قبل أن تتمكن القوات الموجودة حول طبرق من التدخل . ثم الاندفاع بعد ذلك الى منطقة طبرق — العضم لفك الحصار عن طبرق بمساعدة قوات طبرق نفسها . ولقد بنيت الخطة على تقسيم القوات المهاجمة إلى ثلاث مجموعات :

١ — **المجموعة الاولى** ، وتضم اللواء الهندي ١١ المعزز بالمدفعية وسرية ونصف دبابات من اللواء المدرع ٤ ، وسرية مهندسين ومهمتها التقدم على طول الساحل ومهاجمة حامية حلفايا وتدميرها ، ٢ — **المجموعة الثانية** ، وتضم لواء الحرس ٢٢ ، وبقية اللواء المدرع ٤ (من الفرقة المدرعة ٧) وبطارية متوسطة ووحدة مضادة للدبابات . ومهمتها الاستيلاء على النقطة ٢٠٦ ومساعد وكابوتزو عن طريق الالتفاف حول هضبة السلوم من الجنوب ، ٣ — **المجموعة الثالثة** ، وتضم الفرقة المدرعة السابعة عدا اللواء المدرع الرابع . ومهمتها التقدم جنوب المجموعة الوسطى باتجاه سيدي عمر ، وحماية مجنبة الهجوم اليسرى ، ومهاجمة القوات الالمانية المدرعة حيثما وجدتها .

ولم تكن « قوة الصحراء الغربية » تملك قبل بدء المعركة وفي مرحلة اعدادها القوة الجوية الكافية للقيام باعمال الاستطلاع الجوي أو التمهيد للهجوم بضرب مواقع المحور الدفاعية . ولم تصل القوة الجوية المناسبة لهذه المهمات إلا قبيل المعركة مباشرة ، الأمر الذي جعل دورها في المعركة محدوداً ، رغم أن مسرح المعركة الصحراوي كان يسمح لها بالتدخل على نطاق واسع .

وفي الساعة الرابعة من فجر يوم ١٥ حزيران (يونيو) بدأ الهجوم البريطاني على المحاور الثلاثة . ولم تستطع قوات المجموعة الأولى احتلال السلوم أو حلفايا ، وبقيت مجمدة أمام دفاعاتهما طوال القتال . أما قوات المجموعة الثانية ، فقد وصلت إلى مشارف مساعد ، بعد أن دفعت جزءاً من قواتها


معركة البلطة « باتل اكس » (١٩٤١)



لمهاجمة حلفايا من الجنوب ومساعدة قوات المجموعة الأولى. وأرسلت كبد قواتها باتجاه كابوتزو وهاجمتها في الساعة ٩,٠٠ من اليوم نفسه. وفي صباح هذا اليوم كانت الفرقة الخفيفة الخامسة قد تحركت إلى جنوبي جمبوت استعداداً لشن الهجوم المعاكس. ولقد حاولت القوات البريطانية طوال الصباح احتلال ممر حلفايا ولكن قوة الرائد القسيس باخ احبطت محاولاتهم. وكبدتها خسائر فادحة. وفي عصر اليوم نفسه حاصر البريطانيون كابوتزو وبدأوا بمهاجمة التحصينات الجنوبية للبردية. وفي مساء ٦/١٥ احتل البريطانيون كابوتزو وانسحب الالمان الى البردية. ولقد خسرت المجموعة الثانية عدداً من دباباتها في الاشتباكات مع دبابات الفرقة المدرعة ١٥.

أما المجموعة الثالثة فقد وصلت الى النقطة ٢٠٨ في ٦/١٥ واشتبكت مع حاميتها طوال هذا اليوم وخسرت كتيبة دبابات كاملة اصطدمت بستارة نارية كثيفة من المدافع الالمانية المضادة للدبابات من عيار ٨٨مم كانت محصنة ومموهة في النقطة ٢٠٨

وفي ليلة ١٥–٦/١٦ أعد رومل هجومه المعاكس فأصدر أوامره للفرقة المدرعة ١٥ وكتيبة من الفرقة الخفيفة الخامسة بشن هجوم من البردية باتجاه كابوتزو في صباح ٦/١٦، كما أصدر أوامره للفرقة الخفيفة الخامسة بالانطلاق، في الوقت نفسه، باتجاه سيدي سليمان للوصول إلى ممر حلفايا بغية قطع الطريق على القوات البريطانية التي وصلت إلى كابوتزو.

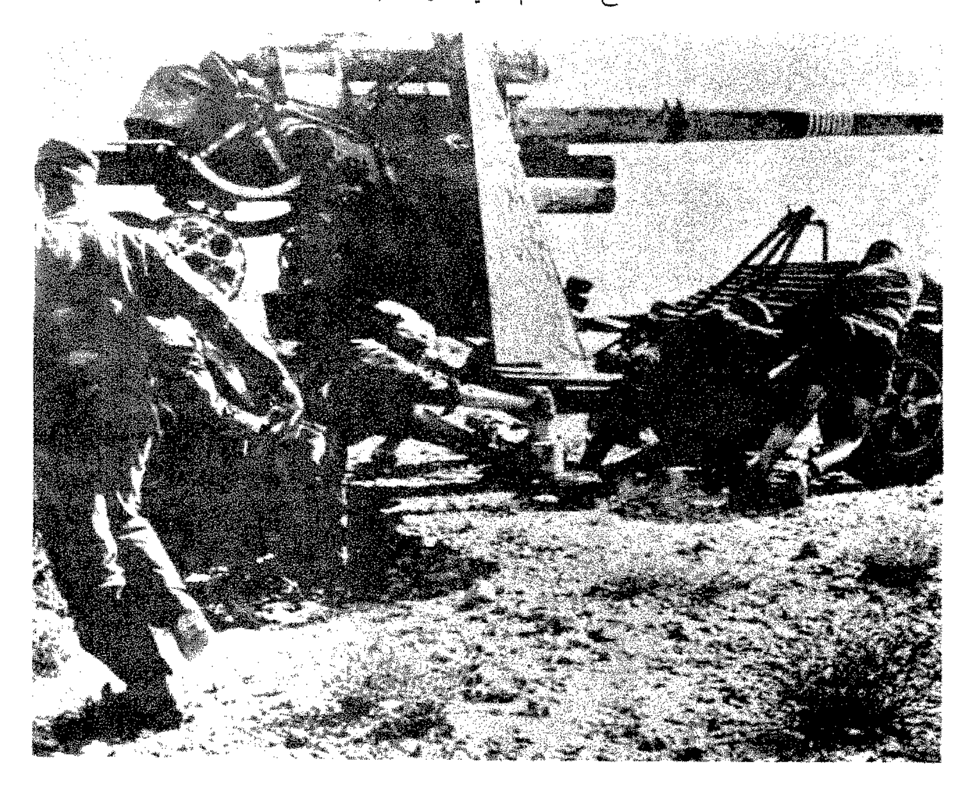
وفي الساعة ٥,٠٠ من صباح ٦/١٦ بدأ الهجوم المعاكس. وقامت الفرقة المدرعة ١٥ بالهجوم على كابوتزو من الشمال، ولكنها لم تستطع احتلالها. واوقفت هجومها في الساعة ١٠,٣٠ بعد أن اصيبت ٥٠ دبابة من دباباتها الثمانين باصابات مدمرة أو قابلة للاصلاح. وفي الوقت نفسه، كانت الفرقة الخفيفة الخامسة التي تحركت من سيدي عزيز باتجاه سيدي عمر، لتتابع التقدم نحو الشرق باتجاه سيدي سليمان، قد اصطدمت باللواء المدرع البريطاني السابع وذلك في منطقة تقع على مسافة ٦ كيلومترات غربي سيدي عمر. وكانت المعركة لصالح الالمان الذين تقدموا الى منطقة في شمال شرقي سيدي عمر بعد أن دمروا دبابات اللــواء السابع المدرع عــدا ٢٠ دبابة، وتابعوا التقدم باتجاه سيدي سليمان. وكانت هذه نقطة تحول المعركة التي التقطها رومل بسرعة، وأمر الفرقة المدرعة ١٥ بترك ستارة خفيفة جنوبي البردية ودفع جميع وسائطها الميكانيكية نحو الجنوب والتقدم على الجناح الأيسر (الشمالي) للفرقة الخفيفة الخامسة.

ولقد حاول البريطانيون انتهاز فرصة ضعف دفاع البردية بعد انطلاق الفرقة المدرعة ١٥ نحو سيدي سليمان، فأخذوا يعدون للقيام بهجوم باتجاه الشمال، ولذا قرر رومل انتزاع المبادأة من ايديهم، وقرر مهاجمة سيدي سليمان بالفرقة الخفيفة ٥ في الساعة ٤,٣٠ من يوم ٦/١٧.

وفي الساعة المحددة تحركت الفرقــة الخفيفة الخامسة نحو سيدي سليمان ووصلت إلى مشارفها في الساعة ٦,٠٠. واشتبكت الفرقة المدرعة ١٥ مع قوات انكليزية حاولت منعها من التقدم نحو الجنوب. ولكن هذه الفرقة شقت طريقها بالقوة. وفي الساعة ٩,٠٠ أصدر رومل أوامره لفرقتيـــه بالاتجاه نحو ممر حلفايا، كما أصدر أوامره للقوات المتمركزة جنوبي البردية بمنع اللواء البريطاني الرابع والقوات المرافقة له من التقدم نحو الشمال. وساء وضع القوات البريطانية التي لم يعد معها اكثر من ٤٠ دبابة مقابل ٧٥ دبابة مع الفرقة الخفيفة الخامسة وبقايا دبابات الفرقة المدرعة ١٥. ووجد ويفل أن وصول الالمان الى ممر حلفايا سيؤدي الى تطويق اللواء المدرع الرابع ولواء الحرس ٢٢ في كابوتزو ومساعد، لذا أمر قواته بالانسحاب نحو الشرق. وكان بوسع الفرقتين الالمانيتين ٥ و ١٥ قطع طريق انسحابه لو أنهما كانتا تملكان القوة الكافية لتغطية الفرجة الواقعة بين سيدي سليمان وحلفايا. ولكن عدم وجود هذه القوة سمح للبريطانيين بالانسحاب عبر هذه الفرجة رغم وصول الفرقتين الالمانيتين إلى الممر في الساعة ١٦,٠٠. وفي يوم ٦/١٨ انتهى انسحاب البريطانيين إلى ما وراء الحدود المصرية – الليبية، بعد أن تركوا خلفهم بعض وحدات المشاة والمدفعية لمراقبة الحدود. ثم تم سحب الفرقة المدرعة السابعة إلى مرسى مطروح لاعادة التنظيم بعد الخسائر الفادحة التي أصابتها. وكانت قوات رومل متفوقة وقادرة على مطاردتها داخل الأراضي المصرية وتدميرها، ولكن هذه المطاردة لم تتم بسبب الصعوبات الاداريـــة، ونقص المحروقات، وطول خطوط مواصلات قوات المحور. وكانت النتائج النهائية لهـــذه المعركة اصابة ثلثي الدبابات البريطانية وثلث الدبابات الالمانية. ولكن الدبابات المدمرة نهائياً كانت ٢٥ دبابة المانية، مقابل تدمير ٩١ دبابة بريطانية (٦٤ « ماتيلدا » و ٢٧ « كروزر »).

وترجع هزيمة « قوة الصحراء الغربية » في معركة

مدافع المانية م/د في معركة البلطة



البلطة إلى الاسباب التالية : ١ – صمود قوات المشاة الالمانية – الايطالية في السلوم وحلفايا الأمر الذي أعطى روميل الزمن اللازم لحشد دباباته وشن هجوم معاكس ، ٢ – بطء الدبابات البريطانية وخاصة الدبابات « ماتيلدا » بالنسبة الى الدبابات الالمانية ، ٣ – الأعطال الميكانيكية التي أصابت الدبابات « كروزر » ، ٤ – استخدام الالمان لتكتيك السيف والدرع بمهارة ، اذ كانت المشاة والمدافع ٨٨ تشكل درعاً لتدمير دبابات الانكليز ومنعها من التقدم ، ثم تقوم الدبات الالمانية بتوجيه الضربة ، ٥ – صمود حامية ممر حلفايا . لأن سقوط هذا الممر بيد الانكليز كان سيؤدي إلى تغيير الموقف جذرياً ، ٦ – القيام بالهجوم دون دعم جوي كاف ، ٧ – عدم انتهاء تدريب طواقم دبابات الفرقة السابعة المدرعة قبل بدء الهجوم ، ٨ – كفاءة القوات الالمانية وقدرتها على الحركة السريعة في الصحراء ، ٩ – عدم تقدير القيادة البريطانية لكفاءة روميل القيادية ، وقدرته على الرد السريع والحشد والمناورة على الاجناب والمؤخرات .

ولقد كان لمعركة البلطة أثر حسن في القيادة الالمانية العليا التي رفعت روميل الى رتبة جنرال البانزر ، وادركت ضرورة تدعيم قوات المحور في شمالي افريقيا بدرجة كبيرة . ولقد كان روميل يعتقد بعد هذه المعركة أن عدد قواته سيصل في خريف العام ١٩٤١ إلى ٤ فرق ، وأن الايطاليين سيحشدون في شمالي أفريقيا فيلقاً مدرعاً (٣ فرق) وفرقتين أو ثلاث فرق محمولة ، وأن هذه القوات ستسمح له بالتقدم إلى مصر وتدمير القوات البريطانية فيها . ولكن متطلبات حملة باربروسا منعت قيادة المحور من تحقيق هذا الحشد .

(٨) بلوخ (اسحاق)

كان اسحاق ستانيسلافوفيتش بلوخ I. S. Bloch (راودوم ١٨٣٦ – وارسو ١٩٠٢) يهودياً بولونياً من أصحاب البنوك في فارسوفيا . وكان من دعاة السلام الى درجة كبيرة وغير شائعة في ذلك العصر . ولم يكن هدفه إلغاء الحرب أو تحديد رقعتها بل كان هدفه بالأحرى اقناع الامم بأن طاقة الأسلحة النارية المتزايدة باستمرار ، بسبب طبيعتها المميتة ، قد ألغت الحرب كأداة للسياسة . وكانت عبادة الهجوم بالنسبة اليه وهماً وسراباً . وللبرهان على ذلك انكب على جمع كل الوقائع التي يمكن لها دعم وجهة نظره . وفي عام ١٨٩٧ عبر عن رأيه في تحليل عميق للحرب في مؤلف من ستة أجزاء كان خليطاً حقيقياً من الاحصاءات والرسوم البيانية والحسابات والاستنتاجات تحت عنوان الحرب المقبلة وعلاقاتها التكتيكية والاقتصادية والسياسية (La guerre Future et ses Rapports Techniques Economique et Politiques).

وفي عام ١٨٩٩ كسب بلوخ الى جانبه الصحفي الانجليزي W. T. Stead الذي طبع ترجمة انكليزية للجزء السادس ، وظهر هذا الجزء تحت عنوان (هل الحرب مستحيلة) (Is War Impossible ?) والأمر الغريب في نظريات بلوخ ان تنبؤه بالمستقبل كان صحيحاً الى حد كبير بالرغم من خطأ الوقائع التي استندت اليها تنبؤاته . ومن أهم أسباب صحة توقعاته انه كان واحداً من اندر الرجال في جيله . هؤلاء الرجال الذين دهشوا إلى درجة كبيرة من ان الدفاع أصبح مع الزمن شكل الحرب الأقوى من الهجوم ، وهكذا توصل الى مفهومه عن الحرب ، وهو مفهوم مغاير تماماً لمفهوم فوش .

كان بلوخ يتفق مع كلاوزفيتز في ان الحرب أداة للسياسة ، ولكن دراسته المنهجية للمسائل الاقتصادية قادته الى اعتبار مفهوم الحرب كأداة للسياسة مفهوماً قد تبدل تبدلا تاماً بخلاف المؤرخين العسكريين الآخرين في عصره ، وذلك لأن المدنية قد انتقلت من أيام كلاوزفيتز من عصر الزراعة الى عصر الصناعة . والواقع ان الحرب كانت في نظره أداة سلبية أكثر منها أداة إيجابية . وقد لخص وجهات نظره في الفقرات التالية : « ما هي الفائدة التي نجنيها من الحديث عن الماضي عندما تعترضنا مجموعة من المسائل الجديدة تماماً ؟ فلنقدر للحظة من اللحظات ما كانت عليه الامم منذ مائة عام ووضعها الراهن . ففي ذلك العصر وقبل اختراع السكك الحديدية واللاسلكي والمراكب البخارية الخ ، كانت كل أمة من الأمم تشكل وحدة متجانسة الى حد ما ومكتفية ذاتياً ومستقلة . وقد تبدل اليوم كل شيء ، ففي كل عام ترتبط الامم بعضها ببعض لضرورات الحياة ، ويزيد هذا الترابط ويكبر بشكل لم يحدث مثله سابقاً ، ومنذ الآن ستكون النتيجة الأولى لحرب من الحروب هي حرمان الأمم التي ستخوضها من كل فرصة للاستفادة من انتاج الامم التي تحارب ضدها»... «يضمحل نفوذ العسكري ويصعد نفوذ الاقتصادي . وليس هناك من شك في هذا فقد تقدمت البشرية الى ما بعد المرحلة التي لا يمكن ان تعتبر فيها الحرب لمدة طويلة محكمة استئناف محتملة » وبناء على هذا فان الحرب بين الدول الصناعية الكبرى ليست إلا انتحاراً متبادلا . فالمفهوم القديم للحرب التي يعتبرها قضية او عملا معيناً مفهوم سخيف . وتعتبر الحرب اليوم نوعاً من السرقة الموصوفة المتسمة بالجنون فهي نوع من نهب الذات وسلبها .

وقال بلوخ عن التسليح الحديث (وهو تعبير عسكري عن الحضارة الصناعية) : « ان الاشارة الخارجية والمرئية لنهاية الحرب كانت تطبيق بندقية التكرار . وقد حسن الجندي بتطوره الطبيعي ميكانيكية الذبح هذه حتى انه أفاد من تطورها وتحسنها فاحتمى خلفها من محاولة إفناء خصمه له » .

ومن الممكن تلخيص تنبؤات بلوخ عن الحرب الحديثة طبقاً لأقواله : « سيكون هناك في البداية أعمال إبادة متزايدة وذبح على نطاق واسع ومرعب حتى يصبح من المستحيل ان يكون هناك جنود يهبون المعركة بشكل حاسم ، وسيحاولون القتال كما كانوا يقاتلون في الشروط السابقة ، معتقدين إمكان ذلك ، غير أنهم سيتلقون درساً يمتنعون بموجبه عن القتال الى الأبد . وسيكون لدينا عندئذ بدلا من حرب تقاد الى النهاية وحتى الموت في سلسلة من المعارك الحاسمة ، مرحلة طويلة من التوتر ، يزداد باستمرار ، في موارد المقاتلين . وستصبح الحرب نوعاً من النزاع النائم تتردد الجيوش فيه عن المجابهة بدلا من قتال الالتحام الذي يحسب فيه المقاتلون تفوقهم البدني والمعنوي . وستبقى الجيوش وجهاً لوجه تهدد بعضها بعضاً بالتبادل ، دون ان تستطيع خوض المعركة النهائية والحاسمة ، وان هذه الحرب هي حرب المستقبل التي لن يكون فيها قتال بل سيكون فيها مجاعة . ولن يكون فيها ذبح بل سيكون فيها إفلاس الامم وتقويض كل نظامها الاجتماعي ، وسيكون كل الناس محميين بالخنادق والملاجئ في الحرب المقبلة . وستكون حرب خنادق كبرى . وسيكون الرفش ضرورياً للجندي كالبندقية تماماً ... وستتخذ كل الحروب بالتأكيد سمة عمليات الحصار . وسيستطيع الجنود القتال كما يحلو لهم . وسيرتبط الحسم النهائي للحرب بالمجاعة ... »

وكان بلوخ يتفق مع الرأي القائل بأنه في حرب بين التحالف المزدوج والاتفاق الثلاثي سيكون هناك عشرة ملايين من الجنود تحت السلاح ، وان خطوط المعارك قد تصبح واسعة جداً لدرجة تصبح قيادتها مستحيلة ، وان المعارك ستستمر مدة طويلة وستزيد تكاليفها ، وستكلف أي حرب من الحروب ما لا يقل عن مائة مليون فرنك ذهبي في اليوم اذا اشتركت فيها الدول الخمس للحلفين . وكان يرى

ان الخيالة لن تكون مفيدة ، وأن الأيام الجميلة للحربة قد انقضت الى غير رجعة . وان المدفعية ستصبح السلاح المسيطر على مسيرة الاعمال القتالية والموجه لها . وكان العسكري الوحيد المشهور الذي يستطيع نقد أفكار بلوخ هو الجنرال العجوز دراغوميروف أحد المحاربين القدماء في الحرب الروسية التركية (انظر دراغوميروف) فقد أدانها لأنها نسيت ان تبرز بأن الحربة كانت ما تزال أقوى سلاح .

(٨) بلوخر (ج. ل.)

فيلدمارشال بروسي ، (١٧٤٢–١٨١٩) . ولد جيرهارد لوبرخت فون بلوخر Gerhar Lebrecht Von Blucher في روستوك ميكلنبرغ شويرن في ١٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٧٤٢ ، وتطوع رغم ارادة أهله وهو في الرابعة عشرة من عمره في كتيبة فرسان سويدية ، وخاض أولى معاركه ضد بروسيا التي أخذته أسيراً . ثم التحق بعد ذلك بالجيش البروسي وعمل خلال حرب السبع سنوات في كتيبة الهوسارد (الخيالة الخفيفة) وهي الكتيبة التي كانت مسؤولة عن أسره ، وأقام فترة في سيليزيا ، ثم عاد خلال فترة حكم فريدريك ويليام الثاني الى كتيبته برتبة رائد ، وبرز اسمه بصورة مذهلة في معارك ١٧٩٣ – ١٧٩٤ ، وتسلق سلم الترفيعات حتى وصل الى رتبة مارشال ، وتسلم قيادة الرين الاسفل ، ثم ترك الخدمة ليعود اليها في الفترة بين عام ١٨٠٥ – ١٨٠٦ حيث مارس الخدمة الفعلية من جديد .

وبعد هزيمة بروسيا في معركة يينا (تشرين الأول – اكتوبر – ١٨٠٦) ، قاد بلوخر حرس المؤخرة بشجاعة عالية واخلاص كبير ، والتي في هذه الظروف وللمرة الأولى بشارنهورست . وقد وقع بلوخر من جديد في الأسر خلال معركة راكو ، ثم تم إطلاق سراحه بسرعة عند التبادل بينه وبين المارشال الفرنسي فيكتور . وبعد صلح تيلست عمل بلوخر في جناح الاعداد للحرب ، ثم تولى قيادة في بوميرانيا واحيل الى المعاش نتيجة لضغط نابليون .

وفي عام ١٨١٣ انفجرت الحرب بين فرنسا وبروسيا وعاد بلوخر الى الخدمة العسكرية على الرغم من بلوغه الواحدة والسبعين من عمره ، ونجح في قيادته خلال معركة لوتزن (٢ أيار – مايو – ١٨١٣) وكان مسؤولا عن تنظيم المقاومة البطولية في بوتزان (٢٠ أيار – مايو – ١٨١٣) ، وبعد ثلاثة أشهر استطاع إلحاق الهزيمة الحاسمة بالقوات الفرنسية



المارشال ج. ل. بلوخر

بقيادة ماكدونالد ، وأسر ١٨٠٠٠ مقاتل ، وغنم ١٠٠ مدفع . ونظراً لما قام به من دور كبير في معركة ليبزيغ (١٦ – ١٨ تشرين الاول – اكتوبر – ١٨١٣) فقد تم ترفيعه الى رتبة فيلدمارشال. وفي الأول من كانون الثاني (ديسمبر) عبر بلوخر الرين ،وبعد قتال عنيد دخل باريس في طليعة قوات الحلفاء الظافرة بتاريخ ٣١ أيار (مايو) ١٨١٤ . وبعد المعركة مباشرة تخلى بلوخر عن عمله وتقاعد . ولكن فرار نابليون من جزيرة إلبا ، وعودته الى فرنسا حملته على الالتحاق فوراً بقيادة القوات البروسية في بلجيكا ، حيث بدأ بتنسيق التعاون مع القوات البريطانية والقوات الحليفة تحت قيادة دوق ويلينغتون . وفي ١٦ حزيران (يونيو) ١٨١٥، استطاع نابليون ان يلحق به الهزيمة ، فقام بالانسحاب في اتجاه ويفر لتنسيق التعاون مع الحلفاء معرضاً خطوط مواصلاته للخطر . وفي ١٨ حزيران (يونيو) ١٨١٥ وقعت معركة واترلو ولم تسهم بها قوات بلوخر في المرحلة الأولى ، ولكن بلوخر قاد قواته بمهارة عالية في مسيرة طويلة حتى ظهر بصورة مباغتة عند الجناح الأيمن لقوات نابليون خلال المرحلة الحرجة للمعركة ، وبذلك تقررت نتيجة معركة واترلو حيث تابعت قوات الحلفاء تقدمها العام ،بينما انطلق بلوخر بقواته لمطاردة القوات المنسحبة في اتجاه باريس دونما توقف في الليل او النهار .

لم يكن بلوخر يتمتع بثقافة عسكرية تؤهله لقيادة العمليات ، مما جعل رئيس اركانه يتولى أمور العمليات . وكان المنظر العسكري الشهير (كلاوزفيتز) في عام ١٨١٣ من ضباط اركانه . ولكن شجاعة بلوخر وحزمه وشخصيته القوية كانت من العوامل المساعدة له لتحقيق النجاح في قيادته .

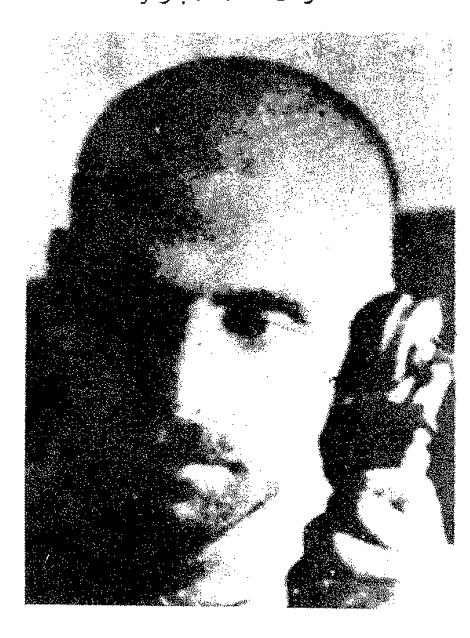
(٨) بلوخر (ف . ك .)

مارشال سوفييتي (١٨٨٩ – ١٩٣٨ أو – ١٩٣٩) . كان فاسيلي كونستانتينوفيتش في مطلع شبابه عاملا في مصنع « ميتيشين » لصنع عربات السكك الحديدية ، والتحق قبل الثورة الروسية بالجيش القيصري ووصل الى رتبة ضابط . ثم التحق بالثورة عند اندلاعها وانضم الى الحزب البلشفي في العام ١٩١٧ وشارك في الحرب الأهلية الروسية بكفاءة جعلته يحمل لقب (بطل الحرب الأهلية الاسطوري)

وعندما انتهت الحرب ، عمل بلوخر على تركيز جهده لخدمة القوات المسلحة ، فكان يعمل باستمرار متنقلا بين القوات والتشكيلات ، متفقداً درجة استعدادها القتالي ، ومهتماً بحياة افرادها ومعنوياتهم وتوعيتهم السياسية .

وفي العام ١٩٢١ غدا بلوخر وزيراً للدفاع في جمهورية سيبيريا ، واستطاع اجبار اليابانيين على اخلاء فلاديفوستوك في العام ١٩٢٢ . ثم عمل مستشاراً عسكرياً لصن يات صن (١٩٢٨ – ١٩٢٩) . ثم عاد الى ممارسة الادوار القيادية حتى عام ١٩٣٨ حيث تم انتخابه عضواً في المجلس. الأعلى لجيش العمال والفلاحين الأحمر . وكان بلوخر واحداً

المارشال ف. ك. بلوخر



من خمسة هم أول من حمل رتبة مارشال الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٣٥ بعد ان اتخذت القيادة السياسية في هذه السنة قراراً بادخال الرتب العسكرية للجيش .

وقد تابع بلوخر دوره في بناء القوات المسلحة السوفييتية ، ولكن الاتحاد السوفييتي تعرض في الفترة ١٩٣٧ — ١٩٣٨ لعهد من التصفيات . فقتل العديد من القادة اللامعين الذين حصلوا على خبرة واسعة خلال الحرب الأهلية وبعدها ، واستمرت الملاحقات والاضطهادات الواسعة ونتج عن ذلك تفريغ الوحدات التكتيكية من قادتها . وكان القائد الكبير بلوخر بين ضحايا هذه التصفيات . ولكن الاتحاد السوفييتي أعاد له الاعتبار في العام ١٩٥٦ .

(٦) بلودان (مؤتمران) ١٩٣٧ و ١٩٤٦

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٥) ب م ب — ٧٦ (عربة مدرعة)

ناقلة جنود مدرعة ، مجنزرة ، سوفياتية . احدث ناقلة جنود سوفياتية ، ظهرت لاول مرة في عام ١٩٦٧ . ويمكن القول بان هذه الناقلة المجنزرة تشكل اتجاهاً جديداً في انتـــاج ناقلات الجنود السوفياتية . وقد صممت لمرافقة الدبابات في عمليات الاقتحام ، والوصول معها الى المواقع المراد احتلالها ، وتجاوزها ايضاً .

وتمتاز هذه الناقلة بقوة نارية لا تجاريها بها اي ناقلة جنود اخرى . فهي مسلحة بمدفع ذي جوف املس ، عيار ٧٦ ملم (يطلق قذائف ذات سرعة عالية) مثبت في برج الناقلة ، وبصاروخ مضاد للدبابات من طراز ساغر ، بالاضافة الى رشاش عيـــار ٧,٦٢ ملم متطابق المحور مع المدفع . وهي تمتاز ايضاً بالحركية الجيدة ، نظراً لكونها برمائية تسير في الماء بقوة دفع جنازيرها . بالاضافة الى تدريعها الجيد ، وانخفاض جسمها الذي لا تجاريها فيه أية ناقلة اخرى . ويمكن اطلاق النيران من داخل هذه الناقلة عبر فتحات على جانبيها . ويتم الدخول اليها ، والترجل منها عن طريق بابين خلفيين ، يعتقد بانهما يستعملان كخزانات للوقود ايضـــاً .

المواصفات العامة : الوزن ١٢ — ١٤ طناً تقريباً . الطاقم ١١ (٣ + ٨ جنود مشاة) . الحجم : الارتفاع حتى اعلى البرج ١,٨٥ م ، ارتفاع الجسم ١,٦٠ م ، الطول ٦,٥١ م ، العرض ٣,١٠ م . السرعة على الطرقات/المدى ٥١ كم/الساعة/٣٢٠ كم تقريباً . وهي مجهزة بمعدات الرؤية الليلية بالاشعة تحت الحمراء .

(٤) بن آري (يوري)

قائد عسكري اسرائيلي برتبة عميد احتياطي (١٩٢٥ —) . ولد في المانيا وهاجر الى فلسطين في العام ١٩٣٩ ، وانضم الى تشكيلات « البالماخ » التابعة لعصابة « الهاغانا » في العام ١٩٤٦ كقائد كتيبة ثم كقائد فوج ، واشترك في حرب ١٩٤٨ بهذه الصفة ، وفي ١٩٥١ كان قد اصبح برتبة مقدم وعين نائباً لقائد اللواء المدرع السابع (الذي كان يتألف في هذا الوقت من كتيبة دبابات وكتيبتي مشاة ميكانيكية وسرايا هاون واستطلاع ووحـــدة مهندسين) ولكنه كان المحرك الفعلي لتنظيم وتدريب اللواء على اساس تكتيك المناورة السريعة في العمق ، ولذلك صمم على المطالبة بتخصيص عدد من ناقلات الجنود نصف المجنزرة لتكون عربات قيادة امامية للواء اثناء الحركة . وفي العام ١٩٥٢ طبق اسلوبه هذا خلال المناورة السنوية الكبرى للجيش الاسرائيلي ، على خلاف ما كان محدداً من قبل لجنة الاشراف والتحكيم الخاصة بالمناورة ، الامر الذي ترتب عليه توجيه لوم شديد له على اتباعه هذا الاسلوب الذي لا يتبناه الجيش الاسرائيلي .

وفي العام ١٩٥٣ كرر « بن آري » اسلوبه مرة اخرى في المناورة السنوية . وزحفت كتيبة الدبابات « س/١٠ » التابعة له بسرعة مسافة نحو ٨٠ كم في عمق دفاعات « القوة الحمراء » ، وفاجأت كتيبة مشاة على تل قرب بلدة « الفالوجا » بصورة جعلت جنودها يفرون من مواقعهم ويلقون اسلحتهم رغم انهم يعلمون بأن العملية ليست حقيقية بطبيعة الحال . وقد اثار هذا المشهد « بن غوريون » ، الذي كان يشغل منصب وزير الدفاع إلى جانب منصب رئيس الوزراء ، والذي كان يعتبر أن المشاة هي سيدة المعارك ، وأن الدبابات ليست اكثر من سلاح مساعد لها ، ولذلك امر باعطاء سلاح المدرعات اولوية في نفقات التسليح والتدريب ، وبدأ السلاح المذكور تطوره الحقيقي من ذلك التاريخ .

وقد رقي « بن آري » في العام نفسه إلى رتبة عقيد وشغل منصب قائد اللواء المدرع السابع ، ثم شارك في حرب ١٩٥٦ بهذه الصفة ، وقاد لواءه في عملية الالتفاف حول موقـــع « ابو عجيلة » و « ام قطف » عبر « القسيمة » وممر « الضيقة » ضمن مجموعة العمليات ٣٨ (انظر معركة ابو عجيلة).

وبعد الحرب سرح بن آري من الخدمة العاملة ، حيث عمل كدير اداري في شركة تمهيد طرق . واستدعي للخدمة مرة اخرى عشية حرب ١٩٦٧ حيث قاد لواء مدرعاً ضمن مجموعة ألوية « ناركيس » التي استولت على « القدس » والمنطقة المحيطة بها . وقد قام بمهاجمة مواقع « تـــل الرادار » و « الشيخ عبد العزيز » و « بيت اكسا » على طريق « القدس — تل ابيب » واستولى عليها مساء يوم ٦/٥ ، ثم قطع طريق « القدس — رام الله » والتفت حـــول « القدس » من الشمال ، كما استولى على « رام الله » ثم « اريحا » (انظر حرب ١٩٦٧) . وسرح « بن آري » من الخدمة العاملة اثر انتهاء الحرب ، ليعود اليها مرة اخرى خلال حرب ١٩٧٣ حيث عمل ضمن طاقم المستشارين من كبار الضباط القدامى. سرح من الخدمة العاملة مرة اخرى عقب انتهاء الحرب . ويعتبر « بن آري » اول من تبنى تكتيك المناورة بالمدرعات في العمق العمليـــاتي في الجيش الاسرائيلي قبل « اسرائيل تال » بفترة طويلة ، ولكنه لم يحظ بما حظي به « تال » من شهرة في هذا المجال .

(٦) بن بيلا (أحمد)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) البندقية

سلاح ناري ، ذو عيار صغير ، خفيف الوزن ، يطلق من الكتف ، يحمله ويستخدمه فرد واحد في مختلف اوضاع الرماية والحركة (واقفاً ، مرتكزاً ، منبطحاً ، رمي غريزي) . وهذا ما يميز البندقية عن بقية أنواع الاسلحة النارية الاخرى المتوسطة والثقيلة ، المرتدة وغير المرتدة ، الثابتة والمنقولة .

وتتألف البندقية بشكل عام من ثلاثة أجزاء هي : ١) السبطانة ، وهي عبارة عن ماسورة معدنية اسطوانية يحتوي سطحها من الداخل على خطوط حلزونية الشكل على طول استقامتها ، ووظيفة هذه الخطوط توجيه مقذوف البندقية في خط مستقيم عن طريق دورانه بسرعة حول محوره ، هذا بخلاف بنادق الصيد التي تطلق كرات معدنية متعددة فهي ذات سبطانات ملساء من الداخل . وتحتوي السبطانة ، على ثقب نافذ في احد جدرانها وظيفته تسريب بعض الغازات الناشئة عن انفجار الطلقة الى منظم للغاز ينظم رجوع اقسام السلاح المتحركة الى الخلف في البنادق نصف الاوتوماتيكية والاوتوماتيكية ، ولا تحتوي على هذا الثقب سبطانات البنادق التي ترجع

اقسامها بقوة ارتداد ظرف الطلقة الفارغ ، او البنادق التي يجري تلقيم طلقاتها يدوياً . وتحتوي مقدمة السبطانة ، في اغلب الاحيان ايضاً ، على شعيرة التوجيه الامامية . كما تحتوي مؤخرتها على حجرة الانفجار حيث يجري اطلاقها . ٢) الجسم ، وهو يضم كتلة الاجزاء المعدنية المتحركة ، ومجموعة الزناد ، وشعيرة التوجيه الخلفية ، ولوحة مسافات الرمي ، وقبضة مسدسية خشبيـــة في أسفله . ٣) الاخمص ، وهو يصنع من الخشب ، وقـــد يستبدل بهيكل معدني (اخمص معدني) قابل للطي تسهيلا لحركة واستخدام البنادق الاوتوماتيكية .

وينطلق من سبطانة البندقية مقذوف معدني صغير مخروطي الشكل مدبب الرأس ، يندفع بواسطة انفجار مادة دافعة في الطلقة تولد غازات مضغوطة تتمدد بصورة فجائية عند الانفجار فتدفع المقذوف بقوة خارج السبطانة . وتستطيع البندقية الحديثة اطلاق انواع متعددة من الذخيرة ذات المقذوفات المعدنية العادية ، والخارقة ، والحارقة ، والخارقة – الحارقة ، والمتفجرة ، والخطاطة ، والخلبية . كما تستطيع اطلاق طلقات الدفع الخاصة بقذف القنابل البندقية المضادة للأشخاص او الدبابات . وسبطانتها مزودة بنتوءات بارزة خاصة لتثبيت السلاح الابيض والقذائف البندقية . وجسمها مجهز لتثبيت منظار مقرب او جهاز رؤية ليلي عليه . ويبلغ عيار اغلب البنادق الحديثة (٧,٦٢) ملمتراً ، ويتراوح طولها حوالي الـ (١١٢) سنتمتراً ووزنها حوالي الـ (٤) كيلوغرامات ويزيد مداها المؤثر عن الـ (٤٥٠) متراً ، ويبلغ مداها الاقصى حوالي (٢٧٠٠) متراً . كما يمكن تزويدها بسبطانة ثقيلة مع منصب ثنائي الارجل لتكون اكثر قدرة على تحمل النيران الاوتوماتيكية . وهناك ايضاً البندقية الخفيفة او الكاربين ، وهي ذات وزن أخف يتراوح بـــين (٢,٥ – ٣,٧) كيلوغراماً ، ومدى أقل ، وطول يقل بحوالي عشرين سنتيمتراً عن البندقية العادية . ذلك انها مصممة لتناسب الاحتياجات الدفاعية للعناصر التي تقوم بالخدمات الميدانية ، والعمليات الهجومية التي تشنها القوات المنقولة جواً ، وللقتال القريب في الغابات . واغلب البنادق مجهزة بحيث يمكن ضبط نيرانها بشكل اوتوماتيكي او نصف اوتوماتيكي بحسب الحاجة . كل ذلك ساهم في تعدد مجالات الاستخدام التكتيكي للبندقية في ميدان القتال .

وقد مرت البندقية بمراحل تطور عديدة حتى اكتسبت شكلها وميزاتها الحديثة منذ ظهورها لأول مرة في الربع الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي .

ولقد تطورت عن المدفع الذي كان اول سلاح ناري ظهر في اوروبا حوالي سنة ١٣٠٠ ، وكانت اول بندقية ظهرت في التاريخ (حوالي سنة ١٣٥٠) عبارة عن مدفع صغير مؤلف من انبوبة من النحاس او البرونز يتراوح طولها بين (٢٠ – ٣٠) سنتيمتراً مغلقة من مؤخرتها ، ولها ثقب نافذ في سطحها العلوي يبعد عن مؤخرتها بمقدار (٥) سنتمترات يستخدم في إشعال البارود السلطاني الاسود الذي يدك في داخلها من الامام . وهذه الانبوبة مثبتة في نهاية عمود خشبي يتراوح طوله بين (١,٥–٢,٥) متر وظيفته حماية يدي الرامي من الحرارة التي تتولد في الانبوبة بفعل الانفجار ، ولكي يستطيع الرامي بواسطة التحكم في قوة ارتداد البندقية عند اطلاقها ، وفي تصويبها نحو الهدف . وكان تجهيز البندقية للاطلاق يحتاج الى تعبئة ثلاثة اخماس انبوبتها بحشوة من البارود السلطاني الاسود من الامام ودكها جيداً في الداخل ، ثم اضافة قطعة من الخشب او اللباد فوقها ، واخيراً يوضع المقذوف الذي هو عبارة عن كرة صغيرة من المعدن . وكان تصويبها يحتاج الى قيام الرامي باسماك العمود الخشبي – خلف مؤخرة الانبوبة – بقبضة يده اليسرى والسيطرة عليه بين ذراعه اليسرى وجسده . امـــا اطلاقها فكان يتم بواسطة إدخال سلك معدني متوهج في الثقب المخصص لذلك ، او بواسطة قطعة فحم متوهجة بين فكي ملقاط معدني خاص يمسكه الرامي بيده اليمنى . وقد استعيض فيما بعد عن اداة الاشعال هذه بفتيل من خيوط القنب مشبع بمحلول نترات البوتاس او الكحول او النبيذ ليبقى مشتعلا عدة ساعات (سنة ١٤٠٠) وبذلك أمكن تلافي صعوبات إبقاء السلك او قطعة الفحم متوهجين في الظروف الميدانية . ان تطوير سلاح من هذا النوع يستطيع فرد واحد حمله واستخدامه كان مبعثه آنذاك ضرورة تزويد جندي المشاة بوسيلة يتمكن بواسطتها من مواجهة سلاح الفرسان الذي كان مبعث رعبه وفزعه الدائم ، وسلاح قادر على اختراق دروعهم الثقيلة . ويتضح من الوصف السابق ان استخدام هذا السلاح كان بطيئاً ، يتأثر بالظروف الجوية وخصوصاً الطقس الممطر ، قصير المدى ، وغير دقيق .

ولكن سرعان ما بدأت الجهود لتطوير البندقية وتلافي هذه العيوب : فتغير وضع ثقب الاشتعال واصبح في جانب الانبوبة الايمن لحمايته الى حد ما من التقلبات الجوية ، واضيف اليه وعاء صغير من الخارج يوضع فيه مسحوق لبدء الاشتعال لضمان اتمام هذه العملية ، ثم جرى تزويد هذا الوعاء بغطاء متحرك لحفظ المسحوق . كما جرى زيادة طول الانبوبة لتحسين مدى البندقية ، وتقصير العمود الخشبي المثبت فيها وزيادة عرضه وسماكته لكي يمكن اسناده الى الكتف وبالتالي زيادة التحكم به والسيطرة عليها . وبالتدريج اخذت مؤخرة العمود الخشبي تأخذ شكلا منحنياً وذلك بهدف توزيع قوة ارتداد البندقية الى الاعلى بدلا من ان ترتد مباشرة الى الخلف بشكل عمودي على كتف الرامي ، واغلب الظن ان تطوير اخمص البندقية القديمة بهذا الشكل جرى في فرنسا قبيل نهاية القرن الخامس عشر . ومن اهم التطورات التي حدثت إبان القرن الخامس عشر (١٤٢٥) إضافة عمود معدني أفعواني الشكل (بشكل حرف S) مثبت من وسطه بشكل يجعله حر الحركة حول محور فوق الوعاء الذي يحتوي مسحوق بادئ الاشتعال ، واعلاه مصمم بشكل فلك مزدوج وظيفته إمساك فتيل الاشعال بحيث ان مجرد الضغط البسيط بالاصبع لرفع الجزء الاسفل من العمود يقرب رأس الفتيل المتوهج من وعاء الاشعال . وقد مكن هذا الاختراع البسيط من تحسين السيطرة على السلاح بشكل لم يسبق له مثيل ، ومهد الطريق لصنع اول مجموعة زناد حقيقية تستخدم الفتيل المذكور اعلاه Matchlock حوالي سنة ١٤٥٠ .

وبعد اختراع الزناد الفتيلي اخذت التطورات التي مرت بها البندقية تهدف الى تخفيف وزنهـــا وتحسين تصميمها بحيث يصبح استخدامها اكثر سهولة . ومن اشهر البنادق ذات الزناد الفتيلي في تلك الحقبة من التاريخ ، الموسكيت Musket وهي بندقية ثقيلة الوزن (٩ كيلوغرامات) ظهرت قبيل سنـــة ١٥٥٠ ، والهركوبوز (الأرقبوز) Harquebus التي يبلغ وزنها (٤,٥ كيلوغراماً) وطولها لا يتجاوز المتر وتطلق مقذوفات رصاصية كروية الشكل يبلغ قطرها (١,٩) سنتيمتر لمسافة (٩٠) متراً .

وبالرغم من أن الزناد الفتيلي كان انجازاً عظيماً إلا أن عيوبه كانت كثيرة ، فقد كان بطيئاً ، وكان على الرامي ان يبقي الفتيل مشتعلا في الظروف الميدانية الامر الذي كان يحتم اتخاذ تدابير احتياطية بالنظر لقربه من المساحيق المتفجرة ، كما كان استخدامه من قبل الفرسان وفي الطقس العاصف الممطر عديم الجدوى ، ومن ناحية أخرى فقد كان توهجه واحتراقه الذي يطلق رائحة مميزة يتعذر معهما استخدام البنادق في نصب الكمائن . كل ذلك أدى الى ضرورة الاستعاضة عن الفتيل بوسيلة اشعال اكثر فعالية وامناً . وفي حوالي سنة



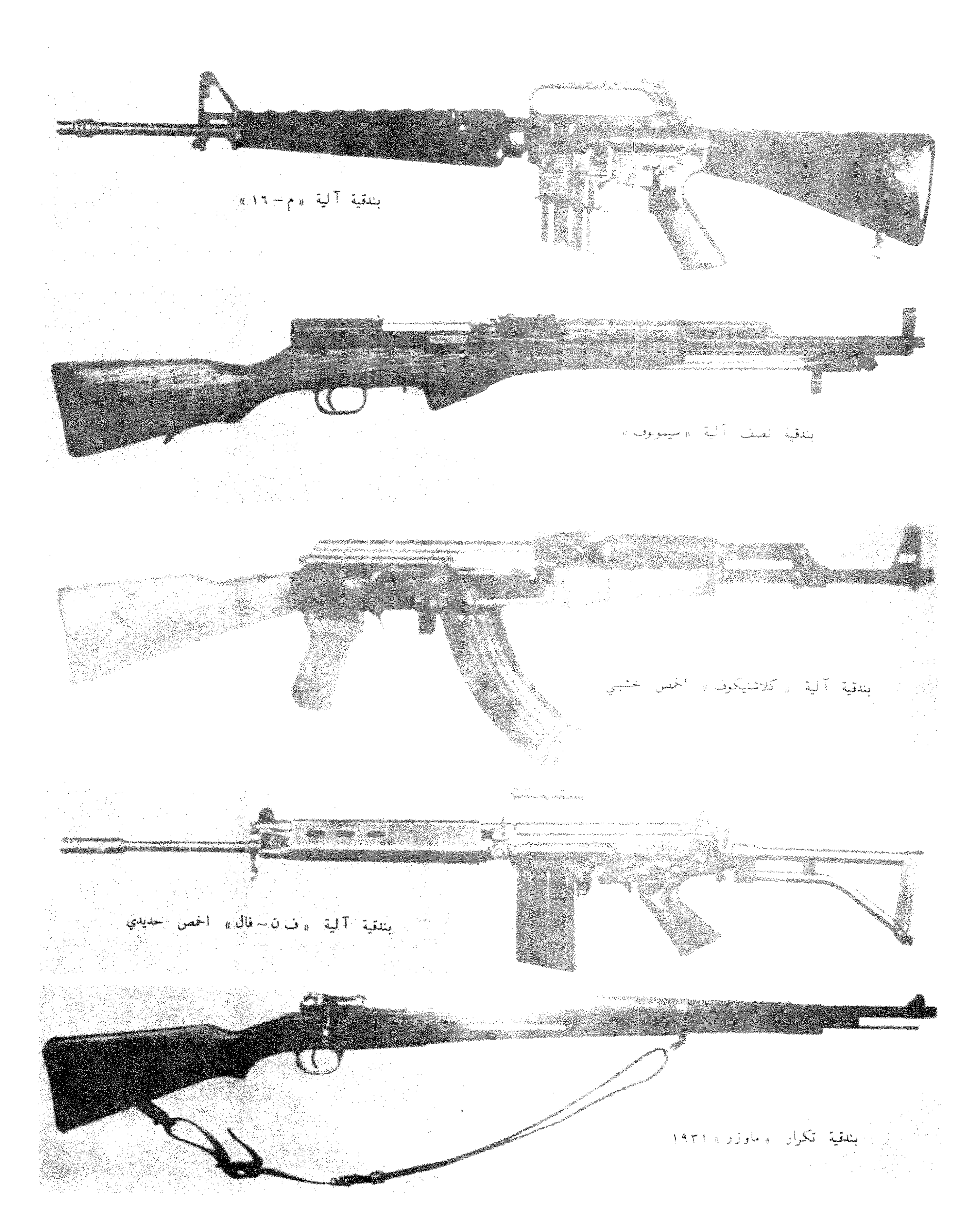
بندقية آلية «كلاشنيكوف» مع وصلة لرمي الرمانات

بندقية آلية «م – ١٦» مع قاذف رمانات

بندقية آلية «ف ن – فال» ذات سبطانة ثقيلة ومنصب

بندقية آلية «ج – ٣»

بندقية قناصة «رمنغتون» مع منظار



بندقية آلية «م-١٦»

بندقية نصف آلية «سيمونوف»

بندقية آلية «كلاشنيكوف» اخمص خشبي

بندقية آلية «ف ن-فال» اخمص حديدي

بندقية تكرار «ماوزر» ١٩٣١

١٥١٥ اخترع يوهان كيفس Johann Kiefuss من نورمبرغ بالمانيا الزناد الدولابي Wheel Lock الذي يعمل وفق مبدأ عمل ولاعة السجائر المعروفة . ويعمل الزند باحتكاك قطعة من بيريت الحديد بدولاب ذي سطح خشن يدور حول محوره لدى تحريك الزناد، فيولد شرراً يشعل مسحوق البادئ الموجود في الوعاء المشار اليه سابقاً . وباختراع الزناد الدولابي اصبح بالامكان تلافي عيوب الزناد الفتيلي الكثيرة، وبالتالي زيادة مجالات استخدام البندقية التكتيكية ، إلا أنه لم يحل محل الزناد الفتيلي تماماً في اوروبا بسبب تعقيده وارتفاع تكاليف صنعه . وكان المطلوب آلة إشعال أقل تعقيداً وتكلفة لكي يمكن تعميم استعمالها ، وقد تحقق ذلك باختراع الزناد الصواني Flintlock في منتصف القرن السادس عشر في البلاد الاسكندنافية .

والزناد الصواني عبارة عن آلية بسيطة تولد شرراً بواسطة احتكاك قطعة صوان مثبتة بين فكي زناد البندقية على حافة قطعة فولاذية يشبه شكلها حرف (L) مثبتة فوق وعاء بادئ الاشتعال ، وفي الوقت نفسه يقوم الزناد بسحب غطاء الوعاء الى الخلف عند تحريكه للسماح للشرر باشعال مسحوق البادئ الموضوع في داخله . وقد تطور الزناد الصواني وشاع استعماله واستمر حتى اوائل القرن التاسع عشر، بالرغم من اختراع وسيلة اكثر تطوراً لتوليد الشعلة المطلوبة لاشعال حشوة البندقية هي الزناد الطرقي Percussion Lock الذي اخترعه رجل الدين الاسكتلندي الكسندر جون فورسايث في سنة (١٨٠٥) ،وحصل على براءة اختراعه في ١٨٠٧ بعد اجراء تجارب عديدة في برج لندن .

وقد اعتمد الزناد الطرقي على مركب كيماوي حساس اوجده فورسايث – اساسه مركب كلورات البوتاسيوم – يتميز بأنه ينفجر بالطرق ويولد شعلة كافية لاشعال الحشوة الرئيسية . وقد احدث هذا الاختراع ثورة في نظرية الاسلحة النارية وفتح آفاقاً تقنية عريضة اذ مهد لصنع الكبسولة الطرقية التي تحوي في داخلها المركب المذكور ، وبالتالي الى صنع الطلقة ذات الظرف المعدني (كلاهما صنع قبل سنة ١٨٢٥) . وقد شهدت سنة ١٨٤٢ تعميم استخدام البنادق ذات الزناد الطرقي في الولايات المتحدة واوروبا ، وهو عبارة عن مطرقة تشبه مطرقة الزناد الصواني، تضرب بقوة كبسولة موضوعة فوق مخروط صغير او حلمة نافرة فوق سطح سبطانة البندقية وتشكل امتداداً لثقب الاشتعال ، فيتكون نتيجة للطرق شعلة تنفذ عبر الحلمة والثقب الى حشوة الطلقة في داخل السبطانة .

ولقد رافق هذا التطور تطور سبطانة البندقية . ولقد ذكرنا من قبل أن سبطانة البندقية الحديثة تطورت عن أنبوبة البندقية القديمة التي ظهرت في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي ، واقتصر تطوير هذه الانبوبة حتى منتصف القرن الخامس عشر على زيادة طولها من اجل تحسين مداها وزيادة دقة اصابتها . وخلال هذه الحقبة من الزمان كانت سبطانة البندقية عبارة عن انبوبة معدنية اسطوانية الشكل ملساء من الداخل ، تطلق مقذوفات رصاصية كروية الشكل تعتمد في اصابتها على كثافة نيران التشكيل اكثر من دقة التصويب .

وفي النصف الثاني من القرن الخامس عشر اخترعت طريقة لولبة او حلزنة السبطانة ، او بعبارة اخرى حفر اخاديد حلزونية الشكل داخل سبطانة السلاح الناري تجعل المقذوف يدور حول محوره أثناء انطلاقه ، ومن شأن هذا الدوران حفظ انطلاقه في خط مستقيم وبالتالي تزداد دقة إصابته . كما كانت لهذه الاخاديد وظيفة اخرى في السابق هي استيعاب نسبة كبيرة من مخلفات انفجار البارود السلطاني الاسود ، اذ كانت المخلوطات القديمة منه تترك مخلفات كثيرة ، وبالتالي امكن اطلاق عدد اكبر من الطلقات بين فترات تنظيف وصيانة سبطانة البندقية . وكان للسبطانة المحلزنة أثراً في تطوير شكل مقذوف البندقية ، ويرجع السبب الى ان السبطانة الملساء كانت تطلق مقذوفات كروية من السهل اسقاطها داخل السبطانة ، ولكن ادخالها في السبطانة المحلزنة كان امراً متعباً يتطلب جهداً ويستغرق وقتاً اطول ، ذلك ان قطر المقذوف ينبغي ان يزيد قليلا عن قطر السبطانة المحلزنة لكي تحدث اللوالب اثرها المطلوب .

وبعد محاولات اجراها صانعو الاسلحة ، لم تكن ذات قيمة عملية ميدانية ، اوجد النقيب الفرنسي كلود إتيان مينيه في العام ١٨٤٩ حلا لهذه الاشكال باسقاط مقذوف مخروطي الشكل ذي قاعدة مفرغة يقل قطره قليلا عن قطر السبطانة بنفس السهولة التي يتم بها تلقيم مقذوف السبطانة الملساء ، مع الفارق الذي يتلخص في ان قطر دائرة المقذوف المخروطي يتمدد ويتسع بفعل الانفجار ليناسب قطر السبطانة المحلزنة ويحدث الاثر المطلوب . وبالتالي امكن بهذه الوسيلة زيادة دقة إصابة الهدف . وباستخدام مقذوف مينييه اصبحت البندقية سلاحاً عملياً ، ولم تكد تمض سنوات قليلة حتى اختفت السبطانات الملساء (بخلاف بعض بنادق الصيد) وتبنت الحكومات المختلفة نظام مينييه ومنها بريطانيا في ١٨٥١ والولايات المتحدة في ١٨٥٥ .

والتطور الهام الثاني في سبطانة البندقية يتعلق بآلية تلقيمها بالطلقات . وواضح من خلال العرض السابق ان تلقيم البندقية كان يتم من فوهة السبطانة الامامية . وقد جرت محاولات عديدة لتطوير آلية يمكن بواسطتها تلقيم البندقية من مؤخرة السبطانة كانت تسير جنباً الى جنب مع امكانية استخدام هذه الآلية في اطلاق طلقات متعددة على نحو تكراري من غير ان يعاد حشوها . وترجع هذه المحاولات لقرون عديدة خلت منذ بدء ظهور الاسلحة النارية . وقد عرفت اسلحة التكرار Repeating Firearms في بداية القرن السادس عشر ، وكان معظمها يستخدم حجرات نار مستقلة تثبت في مكانها بواسطة أسافين أو بزالات (براغي) ، والغريب ان بعضها كان يستخدم انابيب معدنية تشبه الى حد كبير الطلقات الحديثة . ولكن مغاليق (اجهزة الاقفال او الترباس من الخلف) لم تكن محكمة بل كانت تسمح بتسرب كميات كبيرة من الغاز واللهب بشكل يؤثر على قوة انطلاق المقذوف ومداه . ثم ظهرت انظمة تلقيم اكثر تطوراً مثل نظام لورزوني (في النصف الاول من القرن السابع عشر) في مدينة فلورنسا الايطالية ، وبندقية فيرغسون (في القرن الثامن عشر) في النمسا ، وبندقية هول (١٨١٧) في الولايات المتحدة ، وغيرها . الا ان افضلها واكثرها احكاماً كانت بندقية شاربس Sharps Rifle ، نسبة الى صانع السلاح كريستيان شاربس من مدينة فيلادلفيا في الولايات المتحدة ، الذي تمكن في سنة ١٨٤٨ من اختراع اول نظام مقبول لتلقيم البندقية من الخلف . كانت بندقية شاربس تحتوي على كتلة ترباس (مغلاق) ترتفع وتنخفض بشكل عمودي بواسطة تحريك رافعة تستخدم ايضاً كواق للزناد من اسفل جسم البندقية ، وعند خفض كتلة الترباس (المغلاق) تظهر حجرة النار فتلقم فيها الطلقة التي كانت آنذاك عبارة عن ظرف من الحرير او الورق يحتوي الحشوة الدافعة والمقذوف ، وعند رفع الترباس يقوم باغلاق حجرة النار الى جانب تمزيق مؤخر ظرف الطلقة لتعرية الحشوة الدافعة أمام الشعلة التي تنبعث من زناد طرقي . ولكن التطور الحقيقي في آلية التلقيم وفي بنادق التكرار لم يتحقق إلا بعد اختراع الطلقة ذات الظرف النحاسي الذي يحوي الكبسولة الطرقية في قاعدته ، والحشوة الدافعة في

داخله ، والمقذوف المخروطي في أعلاه . وكان أول من صنع طلقة معدنية هو صانع السلاح الباريسي هوليبه Houllier سنة ١٨٤٦ (انظر الطلقة) ، وطورها من بعده عديدون ، منهم تشارلز لانكاستر في بريطانيا سنة ١٨٥٢ ، وسميث وويسون في الولايات المتحدة سنة ١٨٥٦ ، واستمر تطورها حتى سنة ١٨٦٦ . وبعد سنة ١٨٦٧ اتخذ تطورها شكل تحسينات ثانوية كتحسين تصميمها ، وإيجاد تقنية أفضل لانتاجها ، او استبدال حشوة البارود الاسود بحشوة من النيترغلسرين والنيتروسيللوز . وقد منع استخدام هذه الطلقة تسرب الغازات الناتجة عن انفجار الحشوة ، كما مهد لاختراع وصنع مخازن الطلقات المعدنية ، وبنادق التكرار ذات الترباس المزلاجي Bolt action مثل الموزر Mauser الالمانية (١٨٩٨) ، وسبرنغفيلد Springfield الامبركية (١٩٠٣) ، ولي ـ انفيلد Lee-Enfield الانجليزية (١٩٠٢) وجميعها ذات مخازن تتسع لـ ٥ – ٦ طلقات . وبتطور هذه البنادق يمكن القول ان الربع الاول من القرن العشرين شهد مساهمة البندقية ، الى جانب الاسلحة النارية الاخرى ، في القضاء على عصر تفوق سلاح الفرسان ، وايقاع الخسائر الجسيمة بين صفوف المهاجمين من المشاة ، وتغيير ونشوء العديد من التكتيكات الميدانية منها الحاجة الى بناء التحصينات الواقية ، والخنادق لغايات الدفاع بين الاطراف المتحاربة ، الامر الذي سبب نشوء حالة من الركود على الجبهة الغربية إبان الحرب العالمية الاولى ، وكان ذلك دافعاً الى تطوير سلاح جديد هو « الدبابة » التي لعبت دوراً عظيم الاهمية في الحرب العالمية الثانية .

والبنادق سابقة الذكر جميعها بنادق تكرار ذات ترباس مزلاجي ، ينبغي أن يقوم الرامي بتحريكه الى الامام والى الخلف بواسطة اكرة تهيئ خاصة ، لكي يلقم الطلقة في حجرة الانفجار ، ويخرج الظرف الفارغ منها ، ويهيء الزناد للاطلاق في كل مرة يريد اطلاق البندقية فيها . وقد بدأ مصممو السلاح التفكير في أتمتة هذه العملية حوالي سنة ١٩٠٠ ، أي بعبارة اخرى صنع بنادق نصف اوتوماتيكية تقوم بتلقيم نفسها بنفسها ، وتهيئة اقسامها للاطلاق بعد كل طلقة ، وذلك باستخدام قوة ارتداد ظرف الطلقة الفارغ او باستخدام ضغط الغاز الناشئ عن انفجارها ، بحيث يتبقى على الرامي ان يضغط على زناد البندقية فقط لاطلاق كل طلقة من الطلقات التالية . وقد اجريت تجارب في كل من فرنسا والمانيا على بنادق نصف اوتوماتيكية إبان الحرب العالمية الاولى ، ولكن البنادق التي صنعت آنذاك لم تعمل بشكل مرض في الظروف القتالية . وكانت الولايات المتحدة اول دولة تنجح في صنع واستخدام بندقية نصف اوتوماتيكية تعمل بضغط الغاز ، هي بندقية غاراند Garand Rifle (سنة ١٩٣٦) ، وذلك باحداث ثقب صغير في سبطانة البندقية بالقرب من فوهتها يسمح بتسرب كمية من الغاز المضغوط الى اسطوانة تحوي في داخلها مكبساً متصلا بكتلة الترباس يرتد الى الخلف بقوة الغاز المتسرب وترتد معه كتلة الترباس فتخرج الظرف الفارغ من حجرة النار وتقذفه الى الخارج وتهيء الزناد للاطلاق في آن واحد ، وعندما يتلاشى أثر الغاز يقوم نابض خلفي بدفع كتلة الترباس الى الامام فتسوق في طريقها طلقة جديدة وتضعها في حجرة النار . وهكذا حل ضغط الغاز محل يد الرامي في اعادة تلقيم البندقية . ومن البنادق نصف الاوتوماتيكية التي صنعتها مختلف الدول اثر ذلك بندقية ماس – ٤٩ الفرنسية ، وبندقية سيمونوف السوفياتية ، والبندقية – ٥٢ التشيكية .

اما البندقية الاوتوماتيكية ، فهي لاحقة في تطورها للرشاشات (انظر الرشاش) التي ظهرت في الميدان أثناء الحرب العالمية الاولى ، ووصل استخدامها الميداني الى ذروته في الحرب العالمية الثانية . فبعد ان وضعت الحرب الثانية اوزارها ، وعلى ضوء التجارب المستفادة منها ، ودخول العالم عصر القنبلة الذرية والصواريخ الموجهة بعيدة المدى ، نشأت لدى الدول العظمى حاجة الى صنع بندقية أخف وزناً واغزر نيراناً ، اي بعبارة اخرى تجمع بين ميزات الرشاش (غزارة النيران) وبين البندقية (خفة وزنها وسهولة المناورة بها) . وكانت اول بندقية من هذا النوع تستخدم في الجيوش هي بندقية إف. إن FN Rifle (البلجيكية) او بندقية حلف الناتو (سنة ١٩٥٤) ، وهي مزودة بمنظم لضبط النيران الاوتوماتيكية ونصف الاوتوماتيكية . ومن أشهر البنادق المشابهة التي ظهرت فيما بعد ، بندقية كلاشنيكوف Kalashnikov السوفياتية ، وجي – ٣ G-3 الالمانية الغربية ، وإم – ١٦ M-16 الاميركية ، وبيريتا الايطالية .

البنغالور (١)

البنغالور أو البنغالور طوربيدو. Bangalore Torpedo هو حشوة متطاولة نظامية ، تتألف من أنبوب معدني محشو بالمتفجرات القاصمة، يستخدم لفتح الثغرات في الاسلاك الشائكة أو حقول الألغام

استخدام البنغالور لتدمير الشبكات الشائكة



أو في أعمال التخريب المتعددة . ويبلغ طول الانبوب المعدني ١,٥ – ٢ متر، وقطره (٥ – ٦) سم، ووزنه ٦ – ١٠ كغ ، وكمية المتفجرات الموجودة في داخله تعادل (٢,٧٠) كغ لكل متر طولي من البنغالور. (بالنسبة إلى البنغالور الاميركي «م – ١ . أ – ١ ») و (٥,٣) كغ (بالنسبة إلى البنغالور السوفييتي «أوز – ٢ ») .

يشكل كل أنبوب من الأنابيب المذكورة قطعة مستقلة تحمل في أحد طرفيها « نقراً » لوضع الصاعق أو مشعل التفجير . ويحيط بالنقر من الداخل بادئ تفجير لتقوية انفجار الصاعق ونقله إلى متفجرات البنغالور نفسه . ويحمل الطرف الآخر للقطعة تجويفاً محلزناً يمكن بواسطته وصل القطع مع بعضها للحصول على بنغالور بالطول المطلوب .

يؤدي انفجار البنغالور تحت شبكة الاسلاك الشائكة إلى فتح ثغرة بعرض (٣ – ٥) أمتار خالية من الاسلاك والأفخاخ والالغام المضادة للاشخاص . ولفتح ثغرة في حقل الألغام يدفع البنغالور فوق مكان الحقل يدوياً ، بالنسبة إلى الحقول غير العميقة . وعندما يكون الحقل عميقاً يحمل البنغالور على عجلات معدنية صغيرة ، ويدفع آلياً بواسطة الملفاف . ويؤدي انفجار البنغالور الممدود وسط حقل الألغام إلى فتح ثغرة خالية من الالغام المضادة للدبابات بعرض (١ – ١,٥) م . ويتناسب عرض هذه الثغرة بالطبع مع نوع البنغالور نفسه (كمية المتفجرات في كل متر طول) ، وارتفاعه عن سطح الأرض (ملامس لسطح الأرض أو على عجلات) ، ونوع الألغام نفسها وقدرتها على تحمل الضغط .

ويمكن زيادة عرض الثغرة المفتوحة في حقل الالغام المضادة للدبابات عن طريق استخدام بنغالورين متجاورين موصولين بوصلة معدنية خاصة ، أو ثلاثة بنغالورات موضوعة على شكل هرمي وموصولة بالوصلات المعدنية .

ان اصطدام البنغالور أثناء دفعه في حقل الألغام المضادة للدبابات بلغم عاثوري مضاد للاشخاص ، أو مرور عجلات البنغالور على لغم عادي مضاد للاشخاص يؤدي إلى انفجار اللغم الذي قد يسبب انفجار البنغالور وقتل الاشخاص القائمين بعملية الدفع . لذا يركب في مقدمته أنبوب معدني فارغ أو قطعة خشبية لها نفس مقاييس البنغالور مهمتها تلقي الانفجار المحتمل ومنع تأثيرها على حشوة البنغالور نفسه .

تستخدم وحدات المشاة البنغالور لفتح الثغرات في الاسلاك الشائكة في المرحلة التي تسبق الانقضاض، وهي لا تستخدم البنغالور في الإغارة إلا إذا كانت هذه الاغارة صاخبة أساساً ، أو تحولت لسبب من الاسباب من إغارة صامتة إلى إغارة صاخبة (انظر الاغارة) . وتستخدم وحدات المهندسين البنغالور لفتح الثغرات في حقول الألغام في الأراضي التي يصعب فيها استخدام كاسحات الألغام ، أو عندما يكون عدد الكاسحات غير كاف . ويتم التفجير خلال رمايات التمهيد المدفعي والجوي ، بغية إخفاء صوت الانفجار وسط أصوات انفجارات رمايات التمهيد، وعدم لفت أنظار رصاد العدو إلى مكان الثغرة . ومن الأفضل إجراء التفجير بعد رشقة من القنابل المدخنة لاعماء مراصد العدو ومنعها من تحديد مكان الثغرات .

(٦) بن غوريون (دافيد)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٥) بننغتون (حاملة طائرات)

حاملة طائرات مضادة للغواصات من فئة « إيسكس » ، امريكية . اسمها امتداد لاسم بعض قطع الاسطول الامريكي القديمة . دخلت الخدمة في آب (اغسطس) ١٩٤٤ . يبلغ وزنها القياسي ٣٣ ألف طن . ووزنها بحمولة كاملة ٤٠٠٦٠ طناً . طولها ٢٧١,٣ متراً ، وعرضها ٢٨,٤ متراً ، وارتفاع غائصها ٩,٤ أمتار ، وعرض سطحها المخصص للطيران ٥٩,٧ متراً . وتبلغ قوة دفع محركاتها ١٥٠ ألف حصان . وتصل سرعتها الى اكثر من ٣٠ عقدة في الساعة . ولها طاقم مؤلف من ١٦١٥ رجلا يضاف اليهم ٨٠٠ رجل هم افراد طاقم المجموعة الجوية العاملة على سطحها . وتستطيع حمل ٤٥ طائرة من ضمنها ١٦ الى ١٨ طائرة هليكوبتر . وتتسلح بأربعة مدافع من عيار ١٢٧ مم . وهي واحدة من ٢٤ حاملة طائرات من فئة « ايسكس » أوصي عليها خلال الحرب العالمية الثانية ، وانتجت في تلك الفترة .

الجنرال بو



(١) بو (بول ماري سيزار جيرالد)

جنرال فرنسي (١٨٤٨ – ١٩٣٢) . ولد بول ماري سيزار جيرالد بو (Paul Marie Cesar Gerald Pau) في مونتيليمار (Montelimar) ، وتخرج من سان سير ضابطاً في سلاح المشاة في العام ١٨٦٩ . جرح في حرب ١٨٧٠ (البروسية – الفرنسية) وقطعت يده .

اشتهر بو بمزاياه التنظيمية والتدريبية ، ولقد قاد الفيلق ٢٠ بنجاح ، ثم دخل مجلس الحرب الأعلى في العام ١٩٠٩ حيث شارك في وضع قانون الثلاث سنوات عشية الحرب العالمية الأولى . حصل بو على الوسام العسكري في العام ١٩١٣ وغدا ضابطاً احتياطياً . ولكن جوفر استدعاه إلى الخدمة في آب (أغسطس) ١٩١٤ ، وكلفه بقيادة جيش الالزاس الذي استطاع تحت قيادته استعادة الالزاس الأعلى . ثم ترك هذه المهمة في تشرين الأول (اكتوبر) من العام نفسه ، وقام بعدة مهمات في الخارج قبل أن يترك الخدمة نهائياً .

(٣) بواتييه (معركة)

(انظر بلاط الشهداء) .

(٨) بوتسدام (مؤتمر) ١٩٤٥

مؤتمر بوتسدام Conference de Potsdam ' هو المؤتمر الذي عقد في سيسيليانهوف Cecilienhof بوتسدام من ١٧ تموز (يوليو) حتى ٢ آب (اغسطس) ١٩٤٥ . والتقى فيه قادة الدول الثلاثة الكبرى التي حاربت المانيا وانتصرت عليها وهم : ستالين ومولوتوف عن الاتحاد السوفييتي ، وترومان وبيرنز عن الولايات المتحدة الأمريكية ، وتشرشل وايدن ثم اتلي وبيفن عن بريطانيا العظمى . وكان هدف المؤتمر هو تسوية القضايا المطروحة نتيجة للنصر . وقد توقفت جلسات المؤتمر بسبب الانتخابات البريطانية اعتباراً من ٢٥ تموز (يوليو) ، ثم استؤنفت اعمال المؤتمر بعد ثلاثة ايام (اعتباراً من من ٢٨ تموز) بحضور اتلي الذي خلف تشرشل .

وقرر المؤتمر تشكيل مجلس من وزراء خارجية الدول الكبرى الخمسة وهما (فرنسا والصين بالاضافة الى الدول الثلاث سابقة الذكر) وذلك لوضع صيغة الاتفاقيات مع دول المحور بشرط ان يكون الممثلون من اسهمت دولهم بتحقيق النصر – وهذا يعني استبعاد الصين.

ولقد تم الاتفاق في هذا المؤتمر، وحتى تم توقيع المعاهدة مع المانيا، العمل على إبقاء الاحتلال لالمانيا، وتجريدها من اسلحتها، وتصفية النازية فيها، وتكوين محكمة لمحاكمة مجرمي الحرب النازيين، وفرض الرقابة الاقتصادية على المانيا، وتسليم البحرية للمنتصرين، وتجزئة المانيا سياسياً، وتقسيم بروسيا الشرقية بين الاتحاد السوفييتي (الذي ضم كونيغسبرغ Konigsperg اليه) وبين بولونيا، مع الاحتلال (المؤقت) من قبل بولونيا للمنطقة الواقعة شرق الاودر – نيسه (Oder - Neisse)، ورفض طلب ستالين في هذا المؤتمر حول ليبيا، وحق إعادة النظر في قضية المضائق التركية (البوسفور والدردنيل). كما ظهرت صعوبات حول مناقشة قضايا بلغاريا ورومانيا حيث صرح تشرشل بأن هناك (ستار حديدي) يحيط بانصار الغربيين. وأخيراً صدر البيان المشترك عن مؤتمر بوتسدام في ٢٦ تموز (يوليو)، وفيه اشتراك الاتحاد السوفييتي في الانذار الموجه ضد اليابان من قبل الانكلو – اميركيين، والذي طلب فيه الى اليابانيين الاستسلام دون قيد أو شرط.

تقع بوتسدام عند ضواحي برلين في منطقة الاحتلال الروسية، ولهذا فقد وقع واجب الاعداد للمؤتمر والتحضير له على عاتق القيادة السوفييتية. وتم اختيار هذه المنطقة بالذات لعقد المؤتمر نظراً لتوفر الامكنة الضرورية لعقد الاجتماعات وعمل الاخصائيين والمستشارين الكثيرين. وكان يعيش في هذه المنطقة الموظفون الحكوميون الكبار والجنرالات الألمان وغيرهم من الشخصيات الفاشية البارزة. وكانت هذه الضاحية تتألف من عدد من الفيلات ذات الطابقين. ونظراً لعدم تعرض المنطقة للدمار فقد كانت من أفضل الأماكن لاجتماع قادة الحلفاء.

كانت وجهات النظر عند عقد مؤتمر بوتسدام متناقضة بشكل حاد. فقد وجه الاتحاد السوفييتي الدعوة للمؤتمر من أجل بحث التعاون الدولي، واقرار الحلول المشتركة لعالم ما بعد الحرب. وكانت سياسة الولايات المتحدة الخارجية تتزايد تطرفاً مع اقتراب الحرب من نهايتها المتوقعة، وظهرت الاحتكارات الأمريكية تواقة الى تحقيق اهـدافها في السيطرة العالمية، وحشدت معها جميع القوى العدوانية في الولايات المتحدة. وكان الاتحاد السوفييتي يمثل العقبة التي تصطدم بها هذه التوجهات، فقد خرج من الحرب وهو اكثر قوة مما كان يتوقعه الانكلو – اميركيون. وكان هذا هو السبب في تزايد شكوك الغرب نحوه. ولهذا وجهت حكومة ترومان سياساتها ضد الاتحاد السوفييتي وضد حركات التحرر الوطني. وهدفت الحكومة الأمريكية من موافقتها على عقد مؤتمر بوتسدام الى توجيه هجوم جديد على المصالح السوفييتية، واعتقد الأمريكيون أن بوسعهم السيطرة على العالم بواسطة القنبلة الذرية التي اعتبروها وسيلة للارهاب والابتزاز. وكان من المقرر أن تجرى تجربة القنبلة الذرية الأولى في الخامس عشر من تموز (يوليو) ١٩٤٥ في صحراء الأموغوردو (ولاية نيوميكسيكو) ولهذا فقد أصرت الحكومة الأمريكية على أن يعقد مؤتمر بوتسدام أولى جلساته في ذلك التاريخ. وذهل تشرشل من هذا الاصرار الأمريكي على هذا الموعد، إذ أنه لم يكن على علم بالمخطط الأمريكي، وأعرب عن دهشته هذه في رسالتين بعث بهما الى رئيسي الحكومتين السوفييتية والأمريكية في الأول من حزيران (يونيو) وانهاهما بقوله: «لقد اقترحت الخامس عشر من حزيران (يونيو) لا من تموز (يوليو) واذا كان هذا متعذراً، فلم لا يكون الموعد المحدد الأول أو الثاني أو الثالث من تموز (يوليو)». ولكن عندما عرف تشرشل سبب إصرار الحكومة الاميركية على ذلك التاريخ سـارع الى الموافقة عليه. ووصل نبأ تفجير القنبلة الذرية الى الوفد الأمريكي في بوتسدام في السادس عشر من تموز (يوليو) عام ١٩٤٥، وقبيل افتتاح المؤتمر بساعات قليلة.

وبدأ أعضاء الوفد الأمريكي بما فيهم الرئيس ترومان وكبار ساسة أمريكا تلك اللحظة يشغلون أنفسهم في المناقشة عن المزايا التي سيحققها امتلاك الأسلحة الذرية لهم في الصراع من أجل السيطرة على العالم. ويذكر ترومان في مذكراته أن وزير خارجيته قال: «قد يكون السلاح الجديد من القوة بحيث يكون في وسعه إزالة مدن بكاملها من الوجود، وأن يقتل من الناس أعداداً على نطاق لم يسبق له مثيل»؛ وكتب ترومان ايضاً: «وأضـاف وزير الخارجية بأنه يعتقد ان القنبلة ستضعنا في مركز يمكننا من فرض شروطنا في نهاية الحرب». وكان وزير الحربية الاميركي يشاطر وزير الخارجية الأميركية الرأي بأن القنبلة الذرية «ستترك أثراً حاسماً على علاقاتنا مع البلاد الأخرى». وكتب وزير الحربية الأمريكية وهو في بوتسدام، وبطلب من ترومان تقريراً بعنوان «انطباعات عن المشاكل الاساسية التي تواجهنا»؛ ولقد حث وزير الدفاع الاميركي في تقريره على استخدام القنبلة الذرية دون ابطاء للصراع مع الاتحاد السوفييتي، وعـلى ضرورة الاعداد لحرب عالمية جديدة، والسير في حملة من الابتزاز السياسي لم يسبق لها مثيل وكان شطر من تقرير وزير الدفاع الأمريكي موجهاً ضد فكرة التعايش السلمي للدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة. ولكن القادة العسكريين والسياسيين الأمريكيين لم يكونوا على ثقة تامة من ان القادة السوفييت سيضعفون أمام حملة ابتزازهم الذري، وأرادوا أولا استطلاع الموقف، وقرروا السماح للرئيس ترومان بابلاغ ستالين عن امتلاك الولايات المتحدة للقنبلة الذرية، ليرى أثر ابلاغه هذا النبأ عليه. وبادر ترومان الى تنفيذ المخطط في مؤتمر بوتسدام، ولكنه لاحظ ان ستالين قد تلقى النبأ ببرود تام وعدم اكتراث، وأضعف رد الفعل هذا معنويات القيادة الاميركية. ولكن المندوبين البريطانـيين والاميركيين عكفوا على بحث مختلف الخطط الرامية الى شن حرب عالمية في أسرع وقت ممكن، وحدث خلال ذلك ان اتفقت وجهات نظر الجنرال الأميركي أرنولد صاحب نظرية الضربة الحاسمة من الجو، وماريشال الجو البريطاني تشارلز بورتال.

ووصلت الحالة في بوتسدام الى الحد الذي دفع بعض كبار المسؤولين في الحكومة الاميركية الى توزيع مذكرة سرية على اعضاء الوفدين البريطاني و الأمريكي تقول: «ان الطريقة المتبعة في المؤتمر خاطئة من أساسها، اذ أن مصلحتنا الفعلية تتمثل في إعادة بناء ألمانيا بأسرع ما يمكن لتكون سداً منيعاً في وجه الشيوعية». وكانت الفكرة التي تدعو اليها هذه المذكرة، استخدام الروح العسكريـة الألمانية وروح الانتقام لدى الألمان كوسيلة لتنفيذ المخططات الأمريكية المعادية للاتحاد السـوفييتي. وهكذا دارت جلسات بوتسدام في جو من الخلافات الحادة، ولم يظهر الممثلون البريطانيون والاميركيون في المؤتمر أية رغبة في الاهتمام بالمقترحات السوفييتية. وهذا هو السبب الذي دعا الى بقاء عدد من القضايا المعلقة دون حل. ومع هذا فقد احتلت المشكلة الألمانية بطبيعة الحال مكان الصدارة في مؤتمـر بوتسدام. وجاء الوفد الأميركي الى المؤتمر وهو يحمل مشروعاً لتقسيم المانيا الى ثلاث دول: دولة في جنوب المانيا تكون ڤيينا عاصمتها، وتضم ثـلاث مقاطعات المانية هي باڤاريا وروتمبورغ وبادن

بالاضافة الى النمسا والمجر. ودولة في شمال ألمانيا تكون برلين عاصمتها. ودولة ثالثة في غرب المانيا وتضم حوضي الرور والسار. ولكن هذا المشروع فشل. واتخذ مؤتمر بوتسدام قراره في المحافظة على المانيا وتطورها كدولة ديمقراطية ومسالمة واحدة. وعاد المؤتمر فأكد حق الشعب الألماني في الوجود القومي المستقل مع صياغة حياته من جديد على اسس من المبادئ الديموقراطية السليمة.

وتم التوقيع في بوتسدام على اسس المبادئ السياسية والاقتصادية للتحكم في المانيا خلال فترة الاشراف الأولى. وتضمنت هذه المبادئ برامج واسعة لإزالة الصبغة النازية عن المانيا وتحويلها الى النهج الديمقراطي بعد انتزاع الروح العسكرية منها وفرض الاشراف الصارم عليها. وركز الاتفاق تركيزاً شديداً وأولياً على تطوير الصناعات والزراعات لتنميتها. ثم نشب النزاع في المؤتمر من جديد حول حدود بولونيا الغربية، ووصل الى بوتسدام وفد من الحكومة البولونية للاشتراك في المحادثات، فطرح الوفد البولوني الحجج التاريخية والاجتماعية والاقتصادية الشاملة والواسعة لمطالب بولونيا في الأراضي المتنازع عليها. وفي النهاية تم الاتفاق على ان تكون الحدود بين ألمانيا وبولونيا على طول نهري الاودر والنيسا. وتم نقل جزء من بروسيا الشرقية يقع على مقربة من بحر البلطيق ويضم كونغسبرغ (التي أصبح اسمها كالييننغراد) الى أراضي الاتحاد السوفييتي. وانتقل القسم الباقي من بروسيا الشرقية وأراضي منطقة دانزيغ الحرة سابقاً الى بولونيا. وأقر مؤتمر بوتسدام نقل السكان الألمان من بولونيا وتشيكوسلوفاكيا والمجر الى وطنهم في ألمانيا، وخرج الاتحاد السوفييتي من مؤتمر بوتسدام وقد انتزع اعتراف المعسكر الانكلو-اميركي بفضل الوضوح في الرؤيا وتحديد الاهداف بدقة من قبل وفد الاتحاد السوفييتي، في حين أن المعسكر الغربي لم يكن واضحاً في اهدافه، مما أثار السخط في الاوساط الغربية التي رأت «ان الغرب قد حارب حتى يضمن مصالح الاتحاد السوفييتي».

بوديوني (سيميون ميخائيلوفيتش) [1]

مارشال سوفياتي (١٨٨٣ - ١٩٧٢). ولد سيميون ميخائيلوفيتش بوديوني Simion Mikhailovitch Boudyonnyi في مقاطعة روستوف. وكان صف ضابط في الجيش الروسي القيصري. شارك في الحرب الروسية - اليابانية



المارشال بوديوني



الجنرال بور

(١٩٠٤ - ١٩٠٥) وفي الحرب العالمية الأولى كصف ضابط ثم كملازم ثان.

انضم بوديوني الى الثورة البلشفية في العام ١٩١٧، وقاد بعد سنتين فرقة خيالة، وقاتل ضد دينيكين، وورانجل خلال الحرب الأهلية في الاتحاد السوفياتي. وظهر نبوغه القيادي في الحرب البولونية - السوفياتية (١٩٢٠) حيث كان على رأس جيش الخيالة الأول الذي سار به باتجاه الحدود الرومانية. واكتسب بوديوني بعد ذلك شهرة كبيرة بين صفوف الجيش السوفياتي، لذا عينته القيادة السوفياتية مفتشاً عاماً للخيالة في العام ١٩٢٣، ومنحته لقب مارشال الاتحاد السوفياتي في العام ١٩٣٥. وفي العام ١٩٣٧ كان المارشال بوديوني قائداً لمنطقة موسكو العسكرية. ثم غدا بعد سنتين عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، واصبح في العام ١٩٤٠ نائب مفوض الدفاع (وزير الدفاع) السوفياتي.

وعندما اجتاح الألمان الاتحاد السوفياتي في العام ١٩٤١ (انظر بارباروسا) قاد بوديوني الجبهة الجنوبية الغربية، فتعرض لهزائم ساحقة في أومان (Ouman) وكييف (Kiev)، الأمر الذي دفع القيادة السوفياتية إلى نقله من هذه القيادة، وارساله مع فوروشيلوف إلى الأورال لتنظيم القوات الاحتياطية السوفياتية التي كان يجري اعدادها لشن الهجوم المعاكس على الالمان. ولقد بقي هناك حتى نهاية الحرب. وفي العام ١٩٤٦ انتخب بوديوني نائباً عن اوكرانيا في مجلس السوفييت الاعلى وبقي في هذا المجلس حتى عام ١٩٥٢ حيث غدا مستشاراً في وزارة الدفاع السوفياتية وبقي في هذا المنصب حتى وفاته.

بور (تادوز كوموروفسكي) [1]

جنرال بولوني (١٨٩٥ - ١٩٦٦). ولد تادوز كوموروفسكي Tadeusz Komorowski الملقب باسم بور Bor في مدينة لفوف Lvov. وكان خلال الحرب العالمية الأولى ضابطاً في الجيش النمساوي - الهنغاري. قاتل في العام ١٩٢٠ ضد الاتحاد السوفياتي ضمن صفوف الجيش البولوني الجديد. واشترك مع هذا الجيش في القتال ضد الحملة الألمانية (١٩٣٩) خلال الحرب العالمية الثانية.

بقي «بور» بعد هزيمة الجيش البولوني في بلاده، والتحق بالمقاومة، وكان احد قادتها العسكريين البارزين. وكان له الفضل الأكبر في خلق **الجيش السري**، الذي استلم قيادته في العام ١٩٤٣. وعندما بدأ الألمان تراجعهم على الجبهة الشرقية شن **الجيش السري البولوني** بقيادة «بور» انتفاضة وارسو في ١ آب (أغسطس) ١٩٤٤. (انظر وارسو، معارك). وأدى عدم تعاون **الجيش السري**، الذي كان مرتبطاً بالدول الغربية، مع رجال المقاومة الشيوعيين، وعدم تنسيق الانتفاضة مع قيادة الجيش السوفياتي الذي كان على مقربة من وارسو، إلى فشل الانتفاضة التي سحقها الألمان، وسيطروا بعدها على العاصمة البولونية. ووقع «بور» عندئذ في أسر الألمان، ولكن القوات الأميركية حررته من الأسر عندما

اجتاحت معسكر الاعتقال الذي وضعه فيه الألمان ، وعينته خلال فترة محدودة من الزمن قائداً لقوات الحكومة البولونية في لندن .

نشر «بور» في العام ١٩٥٢ مذكراته تحت عنوان « تاريخ جيش سري » (Histoire d'une Armée Secrete) الذي تحدث فيـه عن نشأة **الجيش السري البولوني**، وتناقضاته مع رجال المقاومة الشيوعيين ، ونضاله ضد الاحتلال النازي ، واحداث انتفاضة وارسو .

(٩) البؤرة الثورية

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٤) بور سعيد (معركة) ١٩٥٦

في عام ١٩٥٦ ، وبعد تأميم قناة السويس ، قرر البريطانيون والفرنسيون والاسرائيليون شن عدوان مسلح على مصر . ووضعوا لذلك عدة خطط ، كانت آخرها خطة « موسكتير المعدلة النهائية » (انظر الحرب العربية الاسرائيلية الثانية - ١٩٥٦) ، التي تقرر تنفيذها في يوم ٧ أو ٨ تشرين الأول (نوفمبر) ١٩٥٦ . وكان من بنود هذه الخطة غزو بور سعيد، الذي عرف في الخطة العامة باسم « عملية تلسكوب » . ولقد تم اختيار بور سعيد كهدف للانزال ، لأنها أقصر الطرق إلى الهدف المباشر للعدوان (قناة السويس) ، ولأن النزول فيها يجنب قوات الغزو دخول مدينتي الاسكندرية والقاهرة ، أو التوغل في منطقة الدلتا ، حيث تساعد كثافة السكان وطبيعة مسرح العمليات على زيادة مقاومة المصريين ، الأمر الذي يؤدي إلى إطالة أمد القتال ، ويعرض العملية للفشل بسبب الضغوط الدولية .

تقع مدينة بور سعيد عند المدخل الشمالي لقناة السويس ، على البحر الابيض المتوسط . وهي مقامة على شريط ضيق من الارض بين القناة شرقاً وبحيرة المنزلة غرباً التي تتصل بالقناة في جنوب المدينة عند مجرى مائي صغير يعرف بالقناة الداخلية ، حيث توجد منطقة تعرف بالرسوة على الضفة الشمالية لهذا المجرى ، على حين توجد على الضفة الجنوبية له محطة مياه المدينة . ويعبر المجرى جسران احدهما ثابت للسكة الحديدية ، والآخر عائم لعبور السيارات. وإلى الشمال من منطقة « الرسوة » توجد ارض واسعة تعرف بملعب الجولف ، وتقع إلى الغرب من السكة الحديدية ، وبجوارهـا مخـازن وثلاجـات ومحطة الكهرباء التي تليها غرباً بحيرة المنزلة . وإلى الشرق من السكة الحديدية منشآت الميناء والجمارك ، وحوض الترسانة ، ومبنى البحرية ، حيث توجد على مقربة منه محطة السكة الحديدية ، وإلى الشمال من هذه المنطقة توجد الاحياء السكنية بالمدينة على ارض في شكل مثلث قائم الزاوية تقريباً يستند على الميناء ومدخل القناة ، وتمتد قاعدته على الارض الضيقة التي تفصل بحيرة المنزلة عن البحر الابيض المتوسط ، والتي تقع في اطرافها الغربية حي « المناخ » ، ثم منطقة « الجبانات » ، ثم « مزرعة المجاري » ، ثم مطار « الجميل » . وفي شمال المدينة يمتد شاطئ رملي من مدخل القناة تقريباً حتى حي « المناخ » ، توجد به أكشاك استحمام خشبية ، ويمتد من الميناء حاجز للامواج داخل البحر يعرف باسم الحاجز الغربي ، يقابله على الضفة الاخرى الحاجـز الشرقي ، ويشكلان معاً مدخل القناة . وتوجد على الضفة الشرقيـة بعض منشآت الميناء ، كحوض الترسانة البحرية ، وحي « بور فؤاد » الذي كان يسكنه الاجانب ، وإلى الشرق منه ساحل صغير ثم منطقة الملاحات .

ولم تكن بور سعيد المنطقة الصالحة لتنفيذ عمليات برمائية واسعة النطاق لأسباب عدة ، من أهمها: ضحالة الشاطئ أمامها ، وقلة اتساعه ، مما يحد من حجم وحركة قوات الاقتحام البحري ، فضلا عن ضعف وسائل وامكانات التفريغ بميناء بور سعيد الصغير نسبياً (بالنسبة لميناء الاسكندرية الضخم) . كما أن النزول في بور سعيد لم يكن يوفر للقوات الغازية فرصة ملائمة للوصول السريع إلى منطقة القناة ، وتهديد القاهرة والدلتا ، نظراً لأن بعد بور سعيد مباشرة (أي جنوب القناة الداخلية) يمتد شريط ضيق من الارض بجوار القناة لمسافة ٤٠ كم حتى « القنطرة » ، بعرض لا يزيد عن ٢٠٠ متر في اوسع أجزاءه ، يجتازه الخط الحديدي والطريق المعبد بالاسفلت الموازيين للقناة ، مما يجعل هذه المسافة أشبه بعنق الزجاجة بالنسبة للقوات الزاحفة من بور سعيد في اتجاه الاسماعيلية ، ويعرض زحفها للعرقلة في حالة نسف ولغم الطريق والارض الضيقة المحيطة به. ولكن العوامل السياسية والاستراتيجية العامة التي حكمت خطة الغزو الانجلو - فرنسي من حيث عدم الرغبة في الاصطدام بالكثافة السكانية المصرية ، واظهار الغزو كأنه عملية محدودة موجهة ضد تأميـم القناة فحسب ، واعتقاد القيادتين السياسيتين لبريطانيا وفرنسا بأن مجرد نزول قواتهما العسكرية في بور سعيد سيؤدي إلى انهيار المقاومة المصرية وحدوث ثورة داخلية ضد النظام الحاكم ، هذه العوامل جعلت قيادة الغزو تفضل النزول في بور سعيد رغم عيوب العملية ومخاطرها من الناحية العسكرية . وساعدها على ذلك الاختيار اطمئنانها إلى تمتعها بالتفوق الجوي الذي سيقلل من مخاطر الزحف عبر عنق الزجاجة إلى قلب منطقة القناة .

ولتلافي مخاطر وعيوب الانزال في بور سعيد واحتمالات تأثيرها على سرعة تنفيذ هدف العملية ، (احتلال منطقة القناة كلها بسرعة) ، روعي عند وضع خطة الغزو ضرورة تأمين المخارج الجنوبية للمدينة فوراً والاستيلاء على الجسرين الموجودين بها سليمين بواسطة القوات المحمولة جواً التي يجـري اسقاطها في منطقة « الرسوة » عند بدء الغزو ، بعد انتهاء مرحلة القصف الجوي التمهيدي . ثم دفع قوة لاحقة منقولة بحراً ومدعمة بالمدرعات ، بمجرد تأمين رأس الجسر البرمائي ، إلى منطقة الرسوة لتتقدم فوراً خلال عنق الزجاجة قبل استكمال تطهير المدينة من القوات المصرية المدافعة ، وتعزيز هذه القوة في اليوم التالي بحيث تستطيع قوات الغزو الرئيسية أن تصل إلى شمال الاسماعيلية وحولها بعد ٢٤ ساعة فقط من بدء الغزو ، قبل أن تستطيع القوات المصرية حشد قواها الكاملة لملاقاة هذه القوات هناك .

وقد حشدت قيادة الغزو القوات التالية لتنفيذ العملية : الفرقة الثالثة المشاة ، واللواء ١٦ المظلات ، واللواء الثالث فدائيين بحريين ، والفوج السادس المدرع ، وكلها وحدات بريطانية . الفرقة العاشرة المحمولة جواً وبحراً ، والفرقة السابعة الخفيفة الميكانيكية والفرقة الثانية الاجنبية ، وكلها وحدات فرنسية ويبلغ اجمالي هذه القوات ما يوازي ١٢ لواء مشاة ومظليين وفدائيين بحريين ، ونحو ٥٠٠ دبابة و ١٥٠٠ مدفع وهاون .

أما القوة الجوية التي خصصت لمساندة هذه القوات ، سواء من فوق ظهر حاملات الطائرات ، أو من مطارات قبرص واسرائيل ومالطة ، فكانت تضم ١٨ سرب قاذفات قنابل (كلها بريطانية من طراز « كانبيرا » و « ڤاليـانت »)، و ١٦ سرب قاذفات مقاتلة (١٣ سرب منها بريطانية من طراز « سي هوك » و « فينوم » و « ايفرن » و ٣ أسراب فرنسية من طراز « كورسير » و « اڤينجر »)، و ١٦ سرب من المقاتلات (٧ أسراب منها بريطانية من طـراز « هنتر » و « فينوم ٤ » و « ميتيور » و ٩ أسراب فرنسية من طراز « ف ٨٤ ف » و « مستير ٤ أ ») فضلا عن ٦,٥ أسراب استطلاع (٣,٥ أسراب بريطانية و ٣ فرنسيـة)، وسربين

هليكوبتر اقتحام (بريطانية) و ١٦ سرب من طائرات النقل (٧ أسراب بريطانية و ٩ فرنسية).

وخصصت الدولتان قوة بحرية كبيرة لنقل القوات وابرارها ودعمها بنيران طائرات الاسطول ومدافعه، ضمت ٧ حاملات طائرات (٥ حاملات بريطانية هي «البيون» و«إيغـل» و«بولوارك» و«اوشن» و«تيسوس» واثنتان فرنسيتان هما «اروفانش» و«لافاييت»)، وبارجة فرنسية «جان بارت»، و ٨ طرادات (٥ منها بريطانية و ٣ فرنسية)، و ١٦ مدمرة (١٢ منها بريطانية و ٤ فرنسية)، و ١٥ فرقاطة (٧ منها بريطانية و ٨ فرنسية)، و ١٤ كاسحة ألغام بريطانية، و٩٠ سفينة نقل جنود (١١ منها بريطانية و ٨ فرنسية) و ١١ سفينة بريطانية لإنزال الجنود والدبابات.

وقد اسندت القيادة العامة للقوات المشتركة للجنرال «تشارلز كيتـلي» البريطاني والاميرال «ديسكار بارجو» الفرنسي نائباً له، وكانت القوات البريـة بقيادة الجنرال «ستوكويل» البريطاني، والجنرال «بوفر» الفرنسي نائباً له.

وتلخصت الخطة الموضوعة لاحتلال بور سعيد في قصف الاهداف الحيوية بالمدينة وحولها وعزلها تماماً عن بقية منطقة القناة، وذلك بواسطة الطيران خلال يومي ٣ و ٤ تشرين الثاني (نوفبر)، بعد الانتهاء من مهام القصف الجوي العامة في القطر المصري كله التي ستبدأ يوم ١٩٥٦/١٠/٣١، ثم اقتحام مطار الجميل الواقع على مبعدة ١٢ كم غرب المدينة بواسطة الكتيبة الثالثة المظلات التابعة للواء ١٦ المظلات البريطاني، وذلك في الساعة ٧,١٥ من صباح يوم ١١/٥، والتقدم بعد ذلك شرقاً لاحتلال المدينة في حالة عدم وجود مقاومة عنيفة، أما إذا صادفت الكتيبة المذكورة مقاومة من هذا القبيل، فأن عليها أن تتمسك بمواقعها وتعززها وتنتظر حتى اليوم التالي الذي سيتم فيه إبرار القوات المحمولة بحراً. وفي الوقت نفسه يتم اقتحام منطقة الرسوة، التي تبعد نحو ٥ كم جنوب المدينة، في الساعة ٧,٣٠ من صباح اليوم نفسه بواسطة سريتي مظلات من الفوج الثاني المظلات الفرنسي، ومعهما سرية فدائيين فرنسية، وسرية مظلات بريطانية، وذلك بهدف الاستيلاء على جسر السكة الحديدية والجسر العائم في حالة سليمة، والتمسك بمواقعها لحين وصول القوات المنزلة بحراً التي ستنطلق عبر عنق الزجاجة.

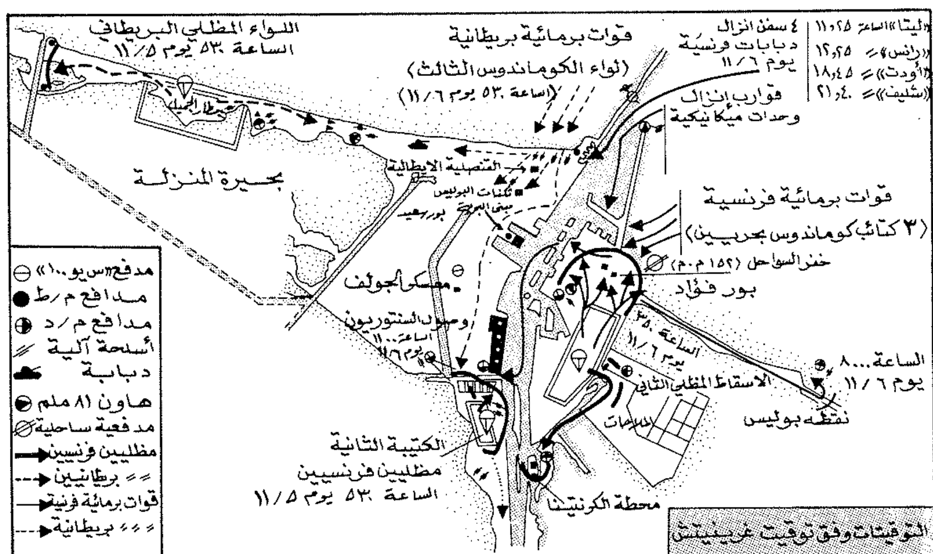
وبعد الظهر، في الساعة ٣,١٥، يتم اقتحام منطقة جنوب بور فؤاد من الجو بواسطة السريتين المتبقيتين من الفوج الثاني المظلات الفرنسي، ومعهما سرية فدائيين، وسرية معاونة (فرنسية أيضاً) وذلك بهدف الاستيلاء على الاهداف الحيوية بها، وهي: موقع المدفعية الساحلية، ومرسى معدية بور سعيد، وورش الترسانة البحرية.

وفي صباح يوم ١١/٦/ يتم ابرار القوات المحمولة بحراً على النحو التالي: الكتيبة ٤٠ فدائيين بحريين البريطانية (مدعمة بفصيلة مدافع م/د مؤلفة من ٦ مدافع)، تقتحم الشاطئ قرب حاجز الامواج الغربي، وتتقدم خـلال شارع السلطان حسين للاستيلاء على ٤ أحواض للسفن لتأمين رسو السفن بعد ذلك في الميناء. والكتيبة ٤٢ فدائيين بحريين البريطانية (مدعمة بفصيلة م/د) تقتحم الشاطئ إلى اليمين من الكتيبة ٤٠ ثم تتقدم خلال شارع محمد علي، لتستولي على محطة الكهرباء في جنوب المدينة، ثم تتصل مع قوات المظلات الفرنسية في منطقة الرسوة. والكتيبة ٤٥ فدائيين بحريين البريطانية (مدعمة بفصيلة م/د)، تقتحم الشاطئ بواسطة طائرات الهليكوبتر بالقرب من منطقة الكتيبة ٤٠، ثم تتجه غرباً لتأمين الجناح الأيمن والاتصال بالقوات الموجودة في منطقة مطار الجميل، والكتائب الثلاث تابعة للواء الثالث فدائيين بحريين، وتدعمها سرية دبابات «سنتوريون» مؤلفة من ١٦ دبابة. وفي الوقت نفسه يجري إنزال ٣ كتائب فدائيين بحريين فرنسية، تابعة للفرقة الثانية الاجنبية، من البحر على شاطئ بور فؤاد، ومهمتها الاستيلاء على مقدمة الميناء والترسانة البحرية، وإلى يسارها ينزل فوج المظليين الاول التابع للفرقة الاجنبية عن طريق البحر ايضاً، ويتابع تقدمه للاستيلاء على بور فؤاد نفسها، ويتصل بالمظليين الفرنسيين الآخرين المسقطين جنوبها. وتدعم هذه القوات سرية من الدبابات الخفيفة «آ. أم. اكس – ٣٠».

وعقب نجاح عمليات الاقتحام المذكورة من البحر يجري إبرار بقية قوات الغزو، وتضم لوائي المشاة ٥٠ و ٥١ التابعين للفرقة الثالثة المشاة البريطانية وبقية الفوج السادس المدرع البريطاني، وبقية الفرقة الثانية الاجنبية الفرنسية، والفرقـة السابعة الخفيفة الفرنسية.

وكانت القوات المصرية الموجودة في بور سعيد عشية بدء الغزو، أي مساء يوم ٥٦/١١/٤، تتألف من اللواء ٩٧ المشاة الاحتياطي، (وكانت وحداته قد استدعيت مؤخراً وتلقت تدريباً مختصراً لا يسمح لها بالاشتراك في القتال المنظم بالخطوط الامامية أو قتال الشوارع. ولذلك كان اللواء مكلفاً في الاصل بحراسة مطار غرب القاهرة، ثم أرسل إلى بور سعيد يوم ١١/٣ بدلا من اللواء الثالث المشاة نظامي، الذي كان مكلفاً أصلا بالدفاع عن بور سعيد، ثم ارسل إلى المحور الاوسط بسيناء لمواجهة العدو الاسرائيلي) وضمت وحدات اللواء ٩٧ الاحتياطي الكتيبة ٢٩١، والكتيبة ٢٩٥ على حين بقيت الكتيبة الثالثة في مطار غرب القاهرة للحراسة. وقد تعرضت هذه الوحدات للقصف الجوي خلال مراحل تحركها النهاوي إلى بـور سعيد، وتحملت خسائر في الارواح والاسلحة والعتاد نتيجة لذلك، هذا فضلا عن أن اللواء كان يعاني نقصاً شديداً في الاسلحة الثقيلة، خاصة المدافع المضادة

معركة بور سعيد (٥ و٦ تشرين الثاني ١٩٥٦)



للدبابات، ولم يكن لديه أية أسلحة مضادة للطائرات، وكانت بعض سراياه ينقصها نصف العدد اللازم من الجنود. ثم وصلت إلى بور سعيد الكتيبة الرابعة المشاة يوم ٥٦/١١/٤ التي كانت مكلفة أصلا بالدفاع عن المدينة، بعد انسحابها من سيناء، ولكنها كانت قد فقدت الكثير من افرادها وعتادها بسبب القصف الجوي، ولذلك كانت قوة سراياها تتراوح بين ٦٠ و ٧٠ جندياً فقط، كما أنها لم تعد تملك سوى ٣ مدافع م/د. وفي اليوم نفسه وصلت من القيادة الشرقية تعزيزات صغيرة اخرى تضم فصيلة قانصات دبابات ذاتية الحركة من طراز «س يو — ١٠٠»، وفصيلة مدفعية صاروخية عيار ١٢٢ مم «كاتيوشا»، وفصيلة مدفعية خفيفة مضادة للطائرات، وقوة صغيرة من الفدائيين.

وكانت توجد بالمدينة أصلا قوة اخرى تضم بطاريتي مدفعية ساحلية احداهما في بور سعيد والاخرى في بور فؤاد، وبطاريـة مدفعية ثقيلة مضادة للطائرات، وفصيلة خفيفة م/ط ايضاً (٦ مدافع عيار ٣٠ مم)، فضلا عن محطتي رادار بعيدة المدى في منطقتي الجميل وبور فؤاد، وكتيبتي مشاة من جيش التحرير الوطني (قوات متطوعين تم اعدادها عقب تأميم القناة) تضم كل منهما ٢٠٠ رجل.

وقد وزعت القوات المصرية المدافعة عن بور سعيد (والخاضعة لقيادة اللواء ٩٧) على النحو التالي:

- الكتيبة ٢٩١ المشاة الاحتياطية، وسرية من الكتيبة ٢٩٥ المشاة، وكتيبة من جيش التحرير الوطني، وبطارية مدفعية ساحلية وفصيلة «س يو ١٠٠»، للدفاع عن المنطقة من مطار الجميل حتى الميناء، بمواجهة عرضها ٨ كم، ويتركز مجهود الدفاع في منطقة الجميل — الجبانات، وتجهيز جسر الجميل للنسف.
- الكتيبة ٢٩٥ المشاة الاحتياطية (عدا سرية)، وسرية من جيش التحرير الوطني، وبطارية مدفعية ساحلية في بور فؤاد، للدفاع بمواجهة ٣ كم، ويتركز مجهود الدفاع في منطقة ورش هيئة القناة ومحطة الرادار.
- سرية من جيش التحرير الوطني في منطقة الرسوة مع تجهيز الجسر العائم للنسف.
- سرية من الكتيبة الرابعة المشاة في منطقة الجبانات على الطرف الغربي للمدينة.
- سرية من الكتيبة الرابعة عند تقاطع الطرق إلى الشرق من الجبانات والمؤدي إلى قلب المدينة.
- سرية من الكتيبة الرابعة جنوب معسكر ارض الجولف وشمال جسر السكة الحديدية، ويتولى قائدها قيادة منطقة الرسوة.
- سرية من الكتيبة الرابعة تبقى كاحتياطي عام في نادي الشرطة قرب معسكر الجولف.

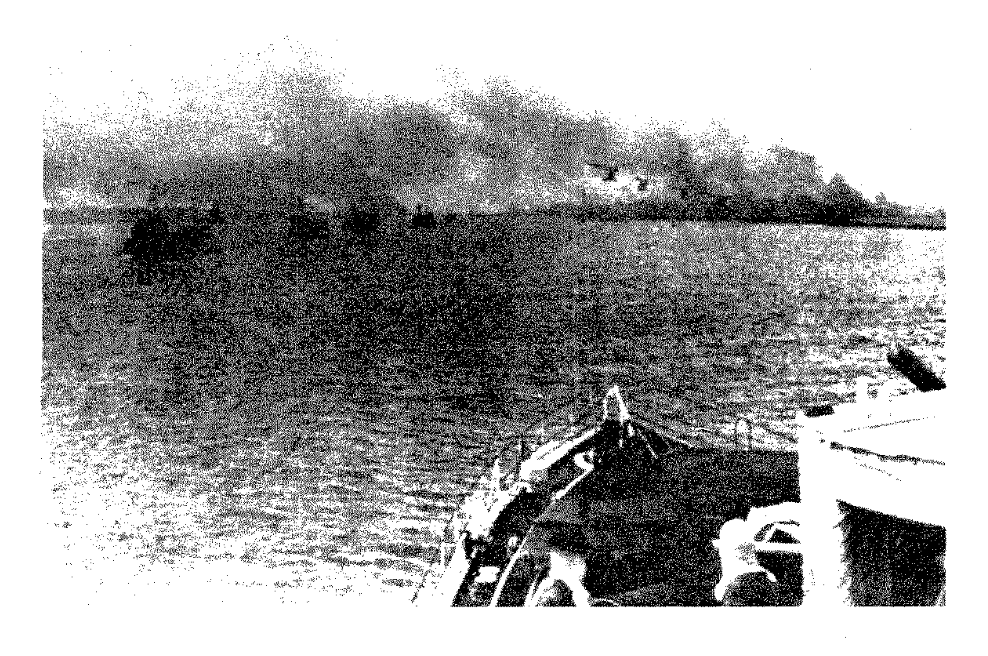
وفي الساعة السابعة من مساء يوم ٥٦/١٠/٣١، بدأت قاذفات القنابل البريطانية قصفها للمطارات المصرية حول القاهرة وفي منطقة القناة. واستمرت غارات الطيران البريطاني والفرنسي ضد المطارات وقطع الاسطول المصري في الاسكندرية، وتحركات القوات المصرية المنسحبة من سيناء، ومعسكرات الجيش في القاهرة ومنطقة القناة الخ، حتى يوم ١١/٢، ثم تركزت خلال يومي ٣ و ١١/٤ على منطقة بور سعيد بكثافة شديدة، مما أدى الى تدمير محطتي الرادار وجسر الجميل، واصابة المدافع الساحلية، وتدمير معظم المدافع م/ط، وقطع المواصلات البرية والحديدية والسلكية بين المدينة وبقية البلاد، باستثناء الكابل البحري الذي كان يمتد بينها وبين الاسكندرية

وخلال مرحلة القصف الجوي العام الذي شاركت فيه الطائرات البريطانية والفرنسية من مطارات مالطة وقبرص واسرائيل ومن فوق ظهر خمس حاملات طائرات هجومية في عرض البحر الابيض المتوسط (كانت هذه الحاملات قد أبحرت من مالطة والجزائر فجر يوم ٥٦/١٠/٢٧ ووصلت إلى أماكن بدء العمليات الجوية مساء يوم ١٠/٣٠)، لجأت القيادة المشتركة البريطانية — الفرنسية لبعض اجراءات مخادعة لتجذب انتباه القيادة المصرية إلى منطقة الاسكندرية بعيداً عن اتجاه الغزو الحقيقي في بور سعيد. وذلك بواسطة استمرار تحركات الفرقة العاشرة المدرعة البريطانية قرب طبرق في ليبيا لتوحي للقيادة المصرية بقرب تقدم هذه الفرقة عبر الصحراء الغربية إلى الاسكندرية، كما اقتربت حاملات الطائرات من الاسكندرية، ووصلت بعض السفن الحربية الاخرى، ليلة ٣ — ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) إلى مسافة ١٨ ميلا من الاسكندرية، وقامت بعض قاذفات القنابل البريطانية من طراز «كانبيرا» بمهاجمة بطاريات المدفعية الساحلية في منطقة «العجمي» غربي الميناء خلال الليلة نفسها.

وفي الوقت ذاته كانت قوات الاقتحام البحري البريطانية قد أبحرت من ميناء «فاليتا» بمالطة في العاشرة من مساء يوم ٥٦/١٠/٣٠ في شكل ٣ أرتال بحرية، تضم ١٤ كاسحة ألغام، و ١١ سفينة نقل جنود، و ١١ سفينة برمائية للجنود والدبابات، و ١٢ مدمرة، و ٧ فرقاطات، وحاملتي الطائرات «تيسوس» و «أوشن»، وعليهما الكتيبة ٤٥ فدائيين بحريين، و ٢٢ طائرة هليكوبتر.

أما قوة الاقتحام البحري الفرنسية فقد أبحرت في ١٠/٢٧ من ميناء «عنابه» بالجزائر، ووصلت فجر يوم ١١/٤ إلى ميناء «ليماسول» في قبرص، ومن هناك أبحرت في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم نفسه، ومعها مجموعة من السفن البريطانية تحمل كتيبتي مظلات من اللواء ١٦ البريطاني التي ستنزل براً في النسق الثاني للهجوم، وكانت سفينة القيادة الفرقاطة «تاين» على رأس القافلة وبها الجنرال «ستوكويل» والفرقاطة «جوزيف زيديه» وبها

زوارق الإنزال وطائرات الهليكوبتر قرب شواطىء بـور سعيد



الجنرال « بوفر » نائبه ، كما كان الجنرال « ماسو » الفرنسي قائد الفرقة العاشرة المحمولة جواً فوق ظهر الفرقاطة « اوديسه » على رأس قوة الاقتحام الفرنسية. والتقت القافلة المذكورة بالقافلة البريطانية القادمة من « مالطة » في الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ١١/٥/ في منطقة التجمع المتفق عليها جنوبي قبرص ، حيث اعيد تنظيم الارتال البحرية في شكل خمسة ارتال تتقدمها كاسحات الألغام،واتجهت كلها نحو بور سعيد لتصلها مساء اليوم نفسه .

وفي الوقت نفسه كانت قوات المظليين البريطانيين والفرنسيين قد حلقت بطائراتها من مطار « تيمبو » في قبرص حوالي الساعة الرابعة من صباح يوم ١١/٥ في طريقها نحو بور سعيد ، التي تعرضت لقصف جوي مركز منذ الساعة الخامسة صباحاً ، ولمدة ساعتين تقريباً ، انصب اساساً على مطار الجميل ، ومنطقة الرسوة ، والميناء ، ومنطقة الجمرك ، وبيت البحرية ، وبور فؤاد . وأدى القصف إلى إحداث كثير من الخسائر وقطع خطوط المواصلات السلكية بين الوحدات المدافعة عن المدينة ، وتعذر استخدام الاجهزة اللاسلكية الميدانية لعدم صلاحيتها في المناطق المبنية .

وفي السابعة والربع صباحاً اسقطت الكتيبة الثالثة المظلات البريطانية فوق مطار الجميل وحوله، وكانت تضم نحو ٦٠٠ جندي ، واستقبلتها على الفور نيران المدافع المضادة للطائرات المتبقية ، ونيران الرشاشات والبنادق ، ونيران هاونات الكتيبة الرابعة والكتيبة ٢٩١ (بعد تجميعها تحت قيادة واحدة في إحدى حدائق المدينة) التي أخذت تطلق قذائفها بالمعدل السريع ، كما اطلقت عليها المدفعية الصاروخية دفعات من « الكاتيوشا » . وتحركت القانصات « س يو ١٠٠ » من مرابضها قرب الشاطىء واخذت تطلق نيرانها على منطقة الجميل . وعلى الفور توجهت الطائرات إلى مرابض المدفعية والهاونات والقانصات وركزت عليها قصفها حتى الظهر ، حيث تم تدمير جميع المدافع الصاروخية والمدافع المضادة للدبابات وبعض القانصات ومعظم الهاونات. وفي حوالي التاسعة صباحاً تحركت سرية من الكتيبة الرابعة كانت رابضة في مزرعة المجاري بالقرب من منطقة الجميل لشن هجوم معاكس ، إلا أنها تعرضت لنيران الطائرات التي شكلت مظلة جوية فوق المدينة فانزلت بها خسائر بلغت ٧٢ فرداً بين قتيل وجريح . وفي الحادية عشرة صباحاً سيطر المظليون على منطقة الجميل وزحفوا شرقاً ، فتحصنت القوات المصرية وجيش التحرير والمقاومة الشعبية (التي وزعت عليها البنادق ٧,٦٢ مم والرشاشات صباح يوم ٥ نفسه دون أن تتدرب عليها من قبل) في منطقة الجبانات وثكنات حرس السواحل القريبة منها ، وامكن لها أن تصد التقدم ، ولذلك قامت الطائرات بتدمير المنطقة تماماً ، واحرقت حي «المناخ» عازلة هذه القوات عن المدينة التي اكتسحت شوارعها بنيران الرشاشات حاصدة العديد من المدنيين . وفي تمام الساعة ١٥,٤٥ أسقط البريطانيون ١٠٠ مظلي آخرين في الجميل ومعهم بعض العتاد الثقيل ، واخلي القتلى والجرحى بواسطة الهليكوبترات ، وانتظر المظليون في المنطقة الانزال البحري في صباح اليوم التالي .

وفي الساعة السابعة والنصف من صباح ١١/٥ نفسه أسقط ٤٨٧ مظلياً فرنسياً وبريطانياً في منطقة « الرسوة » فوق شريط رملي يبلغ عرضه ٢٧٠ متراً وطوله ٧٢٠ متراً ومن ارتفاع ٢٧٠ متراً فقط ، وذلك بالقرب من منطقة تنتشر فيها بعض الاشجار والفجوات الارضية التي احتمى فيها المظليون من نيران الرشاشات والهاونات التي اطلقت عليهم فور هبوطهم . ثم ألقت الطائرات قنابل الدخان لتحجب منطقة الاسقاط عن اعين القوات المصرية جنوب المدينة . كما قامت القاذفات المقاتلة بتدمير المعاقل التي اطلقت منها رشاشات رجال جيش التحرير فدمرتها ، كما دمرت حمالات سرية الكتيبة الرابعة التي خرجت من منطقة معسكر الجولف لشن هجوم معاكس وانزلت بها خسائر فادحة في الارواح (كان عدد جنود السرية أصلا ٥٧ فرداً فقط) . وهكذا سيطر الفرنسيون بسهولة نسبية على المنطقة واستولوا على الجسرين سليمين .

وفي الساعة الثالثة والربع بعد ظهر اليوم نفسه هبطت قوة المظليين الفرنسيين الاخرى جنوب « بور فؤاد » على الشاطىء المقابل لمنطقة « الرسوة » . وكانت وحدات الكتيبة ٢٩٥ المدافعة عن «بور فؤاد» قد خفضت نتيجة لسحب جزء منها لاعداد قوة تقوم بهجوم معاكس ليلي على « الرسوة » ، ولذلك واجهت قوات المظليين في جنوب « بور فؤاد » مقاومة محدودة نسبياً ولكنها أدت إلى استشهاد معظم قوة الكتيبة ٢٩٥ المتبقية هناك وعلى رأسها قائدها . ويقول الجنرال « بوفر » في كتابه « حملة السويس » أن إجمالي عدد المظليين الفرنسيين الذين اسقطوا في كلا المنطقتين بلغ حوالي ١٠٠٠ جندي ، قتل منهم ١٠ جنود ، وجرح ٣٠ آخرون ، وأن الخسائر المصرية بلغت ٥٠٠ فرد بين قتيل وجريح وأسير .

وقد قطعت القوات الفرنسية المياه عن المدينة عند الظهر ، نظراً لسيطرتها على محطة المياه في الرسوة ، وفي الوقت نفسه هاجمت الطائرات السكان المدنيين أثناء محاولاتهم لمغادرة المدينة بواسطة سفن الصيد والزوارق عبر بحيرة المنزلة بنيران رشاشاتها ملحقة بهم خسائر فادحة ، الأمر الذي اضطر قائد المدينة إلى الاتفاق على وقف اطلاق النار بصفة مؤقتة في الساعة الخامسة والنصف لإعطاء المدنيين فرصة لترك المدينة ولاعادة المياه إليها .

وقدم الجنرال ستوكويل مذكرة إلى القائد المصري يعرض فيها شروط التسليم ولكن القائد رفضها ، ولذلك استؤنف القتال مرة أخرى في الساعة العاشرة والنصف مساء ١١/٥ ، وحاول المظليون التقدم من منطقة الجميل ولكنهم صدوا بالنيران . ونتيجة لعنف الغارات الجوية طوال اليوم لم يتبق لدى القوات المصرية بالمدينة من الاسلحة الثقيلة سوى مدفعين م/د عيار ٥٧ مم ، ومدفعي هاون عيار ٨١ مم ، لمواجهة قوات الاقتحام البحري في اليوم التالي ، ولذلك جمعت الوحدات المتبقية داخل المناطق المبنية ، وتركت الاراضي الفضاء خارج المدينة خلال الليل . وحاولت القيادة الشرقية إرسال تعزيزات جديدة عبر بحيرة المنزلة خلال الليل ولكن ضحالة المياه وشدة الظلام حالت دون وصول الزوارق الحاملة لهذه التعزيزات إلى المدينة .

وفي الساعة ٥,١٥ من صباح يوم ١١/٦ تعرض شاطىء بور سعيد لقصف جوي على امتداد ٤ كم ونصف استمر لمدة ١٠ دقائق ، ثم بدأت مدافع ١٢ مدمرة و ١٥ فرقاطة تقصف الشاطىء في الساعة ٥,٢٥ لمدة ٤٥ دقيقة محولة اكشاك الاستحمام والمباني القريبة إلى شعلة من النيران والدمار ، وفي الوقت نفسه كانت قوارب الاقتحام البرمائية تقترب من الشاطىء وقبل وصولها بحوالي ٥ دقائق عادت الطائرات لضرب الشاطىء لمدة ٣ دقائق بالصواريخ والرشاشات بعد توقف القصف البحري ، ثم نزلت كتائب الفدائيين البحريين ومعها الدبابات والمدافع م/د وقد اطلقت القوات المدافعة النار عليها ، وأصابت دبابتين ، غير أن باقي الدبابات دمرت المدفعين المضادين للدبابات وواصلت تقدمها نحو المدينة حتى شارع ٢٦ يوليو أما في بور فؤاد فكانت وحدات المظليين مسيطرة عليها ، كما سبق أن قلنا ، ولذلك لم يطلق الاسطول الفرنسي عليها النيران ، غير أن قنابل الاسطول البريطاني تساقطت عليها بالخطأ مما أدى إلى إصابة بعض المظليين الفرنسيين إلى أن صدرت له الأوامر بوقف اطلاق النار .

وفي الساعة ٩,٣٠ بدأت طائرات الهليكوبتر

تنزل الكتيبة ٤٥ في شرق بور سعيد ، وبعد ٩٠ دقيقة كانت قد أتمت إنزال ٤١٥ جندياً و ٢٣ طناً من المعدات ، وتحركت الكتيبة في الحادية عشرة صباحاً لتنفيذ مهمتها في جنوب المدينة بدلا من غربها . فقد انطلقت الكتيبة ٤٢ الفدائية تتقدم بمركباتها البرمائية ودبابات « السنتوريون » المساندة لها خلال شارع محمد علي ، بعد أن دمرت الطائرات المباني القريبة منه ومنها مبنى المحافظة ، وكانت تطلق نيران رشاشاتها وتتعرض لرصاص المقاومة الشعبية والجنود المتبقين والقنابل اليدوية ، ولذلك عززت بالكتيبة ٤٥ وسرية دبابات أخرى . كما انزلت طائرات الهليكوبتر جنوداً فوق اسطح بعض المباني للسيطرة على الشوارع الجانبية . وفي الساعة الثانية عشر ظهراً وصلت هذه القوات إلى ارض الجولف حيث اشتبكت مع ١٠٠ جندي من الكتيبة الرابعة في قتال مرير ، أسفر عن اقتحام المنطقة في ساعات بعد الظهر والاتصال بالمظليين في «الرسوة». وفي الوقت نفسه كانت الكتيبة ٤٠ الفدائية تواجه مقاومة عنيفة في منطقة الميناء واحواض السفن والجمارك ومبنى البحرية ، الذي اضطرت الطائرات إلى تدميره في الساعة الرابعة بعد الظهر ، للقضاء على المقاومة الصادرة عنه . وعندما حل الظلام كانت المقاومة قد انتهت واستشهد جميع من كانوا بالمبنى .

ومنذ الساعة السابعة صباحاً يوم ١١/٦ كان القنصل الايطالي في المدينة ، باعتباره عميد السلك القنصلي بها ، يحاول ترتيب وقف لاطلاق النار بين الطرفين لتجنيب المدينة الدمار الشامل ، ولذلك أجرى اتصالات هاتفية بالقادة الفرنسيين والقيادة المصرية ، وجرى الاعداد لاجتماع مفاوضات وقف اطلاق النار بين الطرفين في مبنى هيئة القناة ، وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً توجه الجنرال ستوكويل ومعه الجنرال بوفر ومارشال الجو بارنت والاميرال دورند يورد في لنش إلى المبنى المذكور ، وقبل وصول اللنش للمبنى بحوالي ١٠٠ متر اطلقت عليه نيران كثيفة من الرشاشات أصابته عدة إصابات فاستدار اللنش بسرعة عائداً . ويقول « بوفر » في كتابه سالف الذكر انه « لحسن الحظ للغاية لم يصب أحد بسوء وانه لو لم يطلق المصريين النار لوقع هؤلاء القادة أسرى بمجرد نزولهم إلى الشاطىء ، وأن هذا الاستقبال بالرصاص كان يعني أن من ينتظرنا هناك لم يكن هدفه الاستسلام بطبيعة الحال » . واتجه اللنش أثر ذلك إلى ميناء الصيد ، ومن هناك توجه القادة إلى مقر قيادة اللواء الثالث الفدائي البريطاني ، واتصلوا بالقنصلية الايطالية ، ولم يحضر



دورية فرنسية على طريق الاسماعيلية

القائد العسكري المصري الاجتماع ، وحضر المحافظ فقط ، ولم يتوصل إلى أي اتفاق ، فأسره البريطانيون. وفي خلال ليلة ٦ – ١١/٧ ، أُسر ضباط القيادة المصرية في أحد المنازل قرب ارض الجولف ، بارشاد أحد العملاء : كما قُتل ضابطان آخران في احد المنازل بالطريقة نفسها ، وتم إخلاء ما تبقى من قوات بواسطة قوارب الصيد عن طريق بحيرة المنزلة . وهكذا انتهت معركة بور سعيد النظامية في منتصف ليلة ٦ – ١١/٧ ، وتوقف القتال تماماً في الوقت نفسه نتيجة للانذار السوفييتي وقرار الامم المتحدة الذي أيدته الولايات المتحدة الامريكية . وكانت الدبابات البريطانية قد وصلت آنذاك إلى منطقة « الكاب » على مبعدة ٣٥ كم إلى الجنوب من بور سعيد .

وعلى أثر احتلال المدينة والنقاط المحيطة بها بدأ المصريون تنظيم المقاومة السرية الشعبية داخل المدينة ، وتشكلت "لجنة الجبهة الوطنية المتحدة" من بعض العناصر الماركسية المحلية والعناصر الوطنية الاخرى وعناصر المخابرات العامة والعسكرية التي أدخلت إلى المدينة بعض أفراد المغاوير سراً عبر بحيرة المنزلة . وصدرت صحيفة « الانتصار » السرية ، وألصقت منشورات وشعارات تدعو إلى مقاومة الاحتلال ، كما نظمت بعض العمليات العسكرية ضد دوريات العدو وعرباته بالقنابل اليدوية والمسدسات والرشاشات ، وجرح أحد ضباط المخابرات البريطانية خلال هذه العمليات ، كما هاجمت وحدة من المغاوير (الصاعقة) ملجأ للدبابات البريطانية في حي المناخ ليلة ٥٦/١٢/١٥ بقذائف البازوكا والقنابل اليدوية والرشاشات . ونتج عن الهجوم تدمير خمس دبابات وعدة عربات ، وقتل وجرح بعض الجنود مقابل استشهاد « رقيب » من قوة المغاوير المهاجمة . ونظم العمل بعد ذلك بين عناصر المقاومة الشعبية السرية والمغاوير ، بحيث كانت الاولى تقوم بعملياتها نهاراً والثانية ليلا .

وفي ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٦ ، انسحبت القوات البريطانية والفرنسية من المدينة تنفيذاً لقرار الامم المتحدة ، ودخلتها القوات الدولية ثم القوات المصرية بعد ذلك ، وأصبح هذا اليوم يحتفل به رسمياً في مصر كعيد قومي للنصر .

ويرجع نجاح قوات الغزو في الاستيلاء على المدينة خلال يومين فقط إلى تفوقها الجوي الساحق ، وتفوقها البري والبحري الضخم بالقياس للقوات النظامية الضئيلة التي كانت موجودة بالمدينة ، كما أن عدم تجهيز المدينة مسبقاً للقتال من حيث بناء التحصينات القوية والملاجىء وتخزين الماء والمؤن والذخيرة الكافية وسرعة إخلائها من السكان المدنيين ، وعدم تدريب وتسليح المقاومة الشعبية بصورة ملائمة وفي وقت مبكر ، كل ذلك لعب دوره في سرعة انهيار المقاومة ، خاصة بعد أن لحقت بالمدنيين خسائر فادحة ، واندفعوا من حي إلى آخر هرباً من الحرائق ونيران الطائرات والاسطول ، خالقين حالة شديدة من الفوضى والاضطراب كان لها أثرها المادي والمعنوي على القوات المدافعة عنها .

لقد دخلت بور سعيد التاريخ بفضل صمود أبنائها ، وتضحية القوات المسلحة في الدفاع عن

المدينة رغم تفوق المعتدين الساحق ، واستمرار المقاومة السرية بعد الاحتلال ، الأمر الذي جعل بور سعيد رمزاً لارادة الصمود لدى الشعب المصري في وجه المستعمرين ، ووضع بداية النهاية للاستعمار البريطاني في الشرق الاوسط كله ، وللاستعمار الفرنسي في المغرب العربي .

(٥) بورودين (ميخائيل)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٥) بورودينو (معركة) ١٨١٢

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) بوشيخي (احمد)

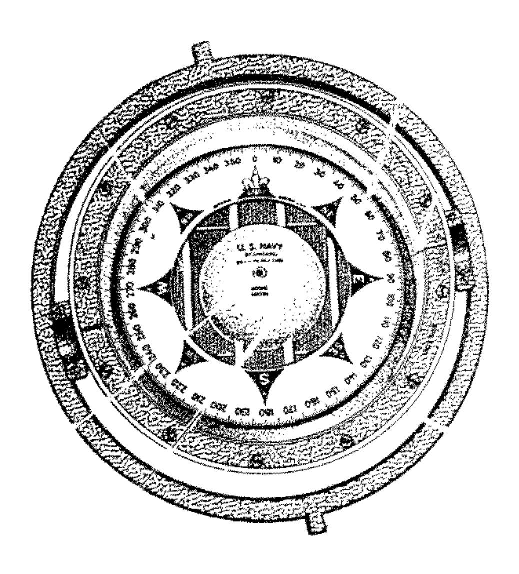
(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

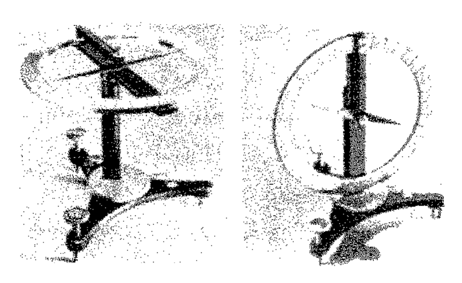
(٥) بوصلة

أداة يمكن بواسطتها تحديد الاتجاهات استخدمت في البدء لتنظيم خط سير السفن وتستخدم البوصلة اليوم في الطائرات ، والعربات وفي توجيه القوات البرية ، وفي اغراض المساحة العسكرية . وتختلف هذه البوصلات قليلا عن البوصلة البحرية إلا أن المبادئ الرئيسية التي تعمل بموجبها تبقى هي ذاتها .

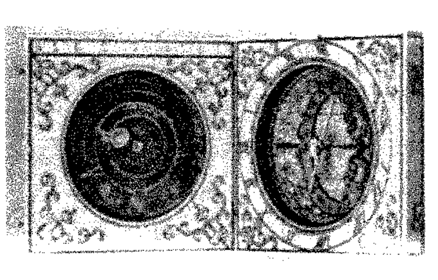
والبوصلات المستخدمة في الاغراض المذكورة ، من ثلاثة أصناف : ١ – البوصلة المغناطيسية وتعتمد على حقل الارض المغنطيسي في توجيهها . ٢ – البوصلة الكهربائية (Gyro compass) وتعتمد في عملها على دوران الارض . ٣ – البوصلة الشمسية (Solar compass) أو البوصلة الفلكية (Astro compass) والتي تعتمد على رؤية الشمس او الكواكب . واذا ما استخدم جيروسكوب ، في إحدى هذه البوصلات ، لتثبيت العامل المغناطيسي او لتلطيف الارتجاجات في نظام الارسال يطلق على هذا الجهاز اسم البوصلة الكهرمغناطيسية ، او باختصار البوصلة الكهربائية .

وتختلف المصادر حول اصل البوصلة . وقد ادعت شعوب عديدة ، مثل الصينيين والعرب واليونانيين والفنلنديين والايطاليين بانهم اول من اكتشف البوصلة واستخدمها . فهناك احاديث في الاساطير الصينية حول استخدام عربة بها تمثال





بوصلة الميلان ، وبوصلة الاتجاه



بوصلة مع ميناء شمسي

بوصلة طبوغرافية ميدانية



لانسان ممدود الذراع يشير دوماً الى الشمال . وذلك في عام ٢٦٣٤ قبل الميلاد . ورغم ان الصينيين قاموا برحلات في الخليج العربي والبحر الاحمر في القرن التاسع الميلادي ، إلا انه ليس هناك ما يشير الى استخدامهم للبوصلة . واقدم تاريخ معروف لاستخدام الصينيين للبوصلة يعود الى اواخر القرن الحادي عشر الميلادي .

ويبدو بان العرب هم اول من استخدم البوصلة الحديثة ، نظراً لتقدمهم العلمي ومهارتهم البحرية ، في الفترة التي شاع استخدامها فيها . ولم يكن لدى العرب والمسلمين اسم للبوصلة ، فاستخدموا كلمة « بوصولا » (Bussola) الايطالية . مما حدا بالبعض الى الاعتقاد بان الاسم والاداة هما غريبان عنهم . ولكن بعض المؤرخين اشاروا الى ان كلمة بوصلة كانت منتشرة بين البحارة العرب العاملين في البحر الابيض المتوسط . الا انها نادراً ما كانت تستخدم في البحار الشرقية . وكانت الكلمات الدارجة لهذه الاداة هي « الدائرة » و « بيت الابرة » . واقدم تاريخ يمكن التثبت منه لاستخدام العرب للبوصلة يعود الى عام ١٢٢٠ ميلادية .

واشار كتاب « كنوز التجار » (١٢٨٢ ميلادية) الى استخدام العرب ابرة مغناطيسية تطفو على سطح الماء بواسطة قطعة صغيرة من الخشب او بوصة ، لتحديد الشمال والجنوب ، في رحلاتهم في البحر السوري ما بين طرابلس والاسكندرية وذلك عام ١٢٤٢ ميلادية . وذكر بان القباطنة الذين يبحرون في البحار الهندية يستخدمون اداة على شكل سمكة مصنوعة من الحديد المجوف ، تطفو حين تلقى على سطح الماء ويشير رأسها الى الشمال وذيلها الى الجنوب . ويرجع اقدم تاريخ معروف لاستخدام البوصلة في البلاد الاسكندينافية الى عام ١٢٥٠ ميلادية . وهكذا يصعب تحديد اول من اكتشف البوصلة واستخدمها . ويحتمل ان تكون قد اكتشفت في عدة بلدان بشكل مستقل وبآن واحد .

وشهدت البوصلة تطوراً ضخماً ، واستخداماً واسعاً خاصة بعد اتساع خطوط المواصلات البحرية والجوية ، والبرية الى حد ما . ويطلق اسم البوصلة المغناطيسية على انواع مختلفة من البوصلات تستخدم جميعها لتحديد الاتجاه الافقي لحقل الارض المغناطيسي. وهي تقسم الى نوعين : ١ – بوصلات ذات إبرة مرتكزة على محور (Pivoted-needle compass) ٢ – وبوصلات تحريض (Inductor compass) وتضم الفئة الاولى البوصلات البحرية ، وبوصلات

الطائرات ، وبوصلات القوات البرية ، ووحدات المساحة العسكرية . وتقسم البوصلات البحرية الى بوصلات سائلية (liquid compass) وبوصلات جافة (dry-card compass) .

البوصلة المغناطيسية السائلة (liquid magnatic compass) وهي مستخدمة على نطاق واسع في مختلف انواع السفن ، وتتكون من لوحة مستديرة من « الميكة » (مادة شبه زجاجية) مقسمة الى درجات تطبع على الوجه السفلي منها ، تبدأ من صفر الى ٣٥٩ درجة ، وتزداد تصاعدياً في اتجاه عقارب الساعة ، وحلت هذه الطريقة محل طريقة الترقيم القديمة التي تتدرج من صفر الى ٩٠ درجة من الشمال الى الجنوب ، وكذلك من اتجاه الشرق الى الغرب . وتتصل هذه اللوحة بطوافة صغيرة تحمل إبراً مغناطيسية وترتكز على محور . وهذه موضوعة ضمن وعاء مغلق مغطى بالزجاج مملوء بمزيج من الكحول والماء الذي لا يتجمد ولا يغلي في درجات الحرارة التي قد يتعرض لها . واللوحة والطوافة وكذلك الابر المغناطيسية مصنوعة بأخف وزن ممكن لمنع احتكاكها بالمحور .

البوصلة الجافة . وتختلف عن البوصلة السائلة بأن لوحتها أخف بكثير . كما ان عزم مغناطيساتها أقل . واللوحة مصنوعة من الورق ، قويت اطرافها بحلقة من الالمنيوم قطرها ٢٥ سم . وهذه الحلقة مثبتة بخاتم مركزي صغير ، تشدها اليه خيوط من الحرير . وتعلق تحت اللوحة إبر صغيرة عددها ، في العادة ، ثمانية . ويحمل الخاتم المركزي كبسولة تضم جوهرة . ويدخل المحور الذي ترتكز الكبسولة عليه في تجويف في وعاء البوصلة يمكن وضعه ونزعه بسهولة . وهذا النوع من البوصلات غير دقيق ويتأثر بالصدمات والاهتزازات .

البوصلة الكهرمغناطيسية (Gyromagnatic compass) لا تلائم البوصلات ذات الابرة المرتكزة على محور الطائرات نظراً لسرعتها . فسرعة الطائرة مع عوامل الجاذبية الارضية تحدث ما يعرف « بخطأ الاتجاه الشمالي » Northerly turning error ،التي تؤدي الى تقليل اتجاه الابرة الى الشمال ، وزيادة اتجاهها الى الجنوب ، اذا حلقت الطائرة ملتفة في اتجاه عقارب الساعة . والعكس يحدث اذا حلقت بطريقة معاكسة . كما ان تحليق الطائرة في اتجاه مستقيم يؤثر على هذا النوع من البوصلات . خاصة اذا كانت الطائرة تطير في اتجاه من الشرق الى الغرب او العكس . وافضل البوصلات للتغلب على الخطأ الناتج عن اسراع الطائرة هي البوصلة الكهرمغناطيسية . لان تركيب هذا النوع من البوصلات ، على سطح ثابت يحافظ على وضعها الافقي بواسطة جيروسكوب ، يسمح لها بتجاوز هذه الاخطاء الى حد بعيد . وقد تستخدم بوصلة الطائرات هذه في العربات ايضاً . كما حدث حين استعملت بعثة بريطانية هذه البوصلة في رحلة لها شمالي غرينلاند.

وهناك انواع اخرى من البوصلات مثل البوصلة الشمسية (Sun compass) وهي اداة يحدد بها الاتجاه التقريبي استناداً الى وضع الشمس . وتعمل بشكل عكسي لطريقة عمل الساعة الشمسية . فالساعة الشمسية توضع، ودائرة خط زوالها في اتجاه شمالي جنوبي ، ويقع ظل ميلها على لوحة الساعة ليشير الى الوقت . اما في البوصلة الشمسية ، فان الساعة توضع حتى يشير ظلها الى الوقت الصحيح ، وتشير دائرة خط زوالها الى الخط الجنوبي الشمالي الصحيح . هذا بالاضافة الى البوصلات المستخدمة في اعمال المساحة البرية والبحرية .

وتستخدم القوات البرية بوصلات جافة متعددة الانواع والاستخدامات . فهناك بوصلة المدفعية والمهندسين المستخدمة على اللوحات الطبوغرافية . وبوصلة المشاة التي تحمل على الرسغ كالساعة ، وكلها مرقة من صفر الى ٣٥٩ درجة مع نقطة فسفورية تشير الى الشمال المغناطيسي ، ولها ابرة ذات رأس فسفوري للاستعمال الليلي .

(١٨) البوصلة الجيرو البحرية

(انظر وسائل الملاحة البحرية) .

(١٨) البوصلة الجيرو مغناطيسية البحرية

(انظر وسائل الملاحة البحرية) .

(١٨) البوصلة المغناطيسية البحرية

(انظر وسائل الملاحة البحرية) .

(١٠) بوفر (اندريه)

جنرال فرنسي (١٩٠٢ — ١٩٧٥) . ولد اندريه بوفر في ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٢ ، وتخرج من مدرسة سان سير العسكرية في العام ١٩٢١ برتبة ملازم في سلاح المشاة ، ورقي الى رتبة عقيد في العام ١٩٤٥ ، والى رتبة عميد في العام ١٩٥١ ، وحصل على رتبة لواء في العام ١٩٥٥ . ففريق في العام ١٩٥٧ . وفي العام ١٩٦٠ رقي بوفر إلى رتبة فريق أول ثم أحيل على التقاعد في ٨ أيلول (سبتمبر) من العام نفسه .

اشترك بوفر في الحرب العالمية الثانية كضابط في سلاح المشاة ، ثم خدم في الهند الصينية بعد الحرب (١٩٤٥ — ١٩٤٨) ، وقاد عملية تونكين « المنطقة العليا » ، وعمل في هيئة أركان الجنرال دولاتر دوتاسيني . ثم انتقل الى الجزائر في مطلع الخمسينات ليعمل قائداً لفرقة المشاة الميكانيكية الثانية التي كانت تمارس عمليات التهدئة في منطقة غيلما . وفي ٦ آب (اغسطس) ١٩٥٦ عين بوفر ، وهو في الجزائر ، كقائد لقوات الانزال الفرنسية (القوة — آ) المعدة للاشتراك في حرب ١٩٥٦ ضد مصر (العدوان الثلاثي) التي كان من مخططيها ومنفذيها الرئيسيين . ولقد كاد أن يقتل في بور سعيد في يوم ٦/١١/٦٥ مع عدد من ضباط قيادة العدوان (أنظر بور سعيد). وبعد انتهاء حرب ١٩٥٦ عاد الجنرال بوفر إلى فرنسة حيث عين كمساعد لقائد القوات الفرنسية في المانيا ، ثم وصل الى منصب رئيس الفريق الفرنسي في حلف الأطلسي ، وعمل فترة من الوقت في نيويورك .

كانت إحالة بوفر على التقاعد مبكرة ، اذ كان يمكنه البقاء في الخدمة ثلاث سنوات اخرى ، إلا أن تركه الخدمة نجم عن أوضاع سياسية فرنسية . ولقد عمل الجنرال بوفر بعد ترك الخدمة الفعلية مديراً « للمعهد الفرنسي للدراسات الاستراتيجية » التابع « لمركز الدراسات السياسية الاجنبية » ، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته في ١٣/٢/١٩٧٥ .

كتب الجنرال بوفر عدة مؤلفات عسكرية يبحث معظمها الأمور الاستراتيجية وهي : مدخل إلى الاستراتيجية ، استراتيجية العمل ، الردع والاستراتيجية ، بناء المستقبل ، من العدوى الثورية إلى الحرب الذرية ، استراتيجية المستقبل ، الحرب الثورية ، عملية السويس ، حلف شمالي الأطلسي وأوروبا ، مذكرات ١٩٢٠ — ١٩٤٠ — ١٩٤٥ ، طبيعة الاشياء ، مأساة ١٩٤٠ ، ثأر ١٩٤٥ . وبالاضافة إلى هذه الكتب ، فقد كتب بوفر العديد من المقالات في مجلة « الاستراتيجية » ، ومجلة « القوات المسلحة الفرنسية » ، ومجلة « باري ماتش » . وكان يشغل بالاضافة إلى ذلك منصب المحرر العسكري لصحيفة « الفيغارو » .

وللجنرال بوفر ، مفهوم خاص في الاستراتيجية ، فهو ينطلق من رفض الاستراتيجية التقليدية التي سادت من كلاوزفيتز حتى ليدل هارت ، والتي تذهب الى ان القوة العسكرية قادرة على حل المشكلات

السياسية ، وترى أن « الحرب فن استخدام القوات العسكرية من أجل تحقيق الاهداف التي تحددها السياسة » ، أو ان « الحرب هي استمرار السياسة بوسائل أخرى » . ولا عجب في خروج الجنرال بوفر على سابقيه من المفكرين العسكريين ، فهو قد عايش تطور التكنولوجيا العسكرية ، وظهور الاسلحة النووية ، حيث أصبح الدمار قدراً يصيب جموع البشر أينما وجدوا ، وحيث ضعف الايمان بفاعلية الجهود الدفاعية واصبحت المشكلة الكبرى في حماية الحضارة الحديثة من الاخطار المتزايدة . ولقد وجد بوفر في الحركات التحررية الجديدة ، ولادة ايديولوجية تنبع من نضال الشعوب في سبيل استقلالها ، تلك الشعوب التي استعاضت عن السلاح الثقيل ، وعن المعدات الحديثة ، بالقيم الانسانية وبالقوى المعنوية ، فلم تعد الاستراتيجية عقيدة محددة ، بل أصبحت « فن الاختيار المناسب للاساليب الممكنة المتفقة مع حالة معينة » وتضم هذه الاساليب ، الى جانب القوة العسكرية ، فنون استخدام القدرات الاقتصادية والسياسية والمعنوية التي تؤدي منفردة ، أو مجتمعة ، الى بلوغ الغايات النهائيـة وتحقيقها .. واستناداً إلى هـذه الأفكار وضع بوفر تعريفاً جديداً للاستراتيجية ، فهي في نظره « فن الاختيار بـين النظريات المختلفة ، والاساليب المتنوعة ، المتاحة ، لما يناسب الحالة التي يواجهها القائد ، تحقيقاً للاهداف السياسية » فبين هذا المفهوم الذي يضعه بوفر ، ومفهـوم الاستراتيجية في اصلها الاغريقي « فن قيادة القوات » رحلة طويلة للكلمة رافقت الانسان منذ الاغريق حتى اليـوم ، وتغيرت بتغيره ، فكراً واساليب ووسائل (انظر الاستراتيجية)

كان الجنرال بوفر في الخمسينات ضابطاً مشبعاً بالافكار التي سادت في فرنسة بين الحربين العالميتين ، ومؤمناً بعظمة دور فرنسة العسكري في العالم . وكان معادياً لحركات التحرر العالمية ، وحركة التحرر الوطني العربية ، ومعجباً بالعسكرية الاسرائيلية ، ويعتقد أن من الضروري القيام بعمل عسكري ضد مصر لاسقاط الرئيس جمال عبد الناصر ، وعرقلة مسيرة ثورة ٢٣ يوليو (تموز) أو اشغالها بشكل يؤدي إلى قتل الثورة الجزائرية في البيضة . ولقد بقي بوفر على موقفه المؤيد لاسرائيل حتى حرب ١٩٦٧ ، وزار اسرائيل بعد هذه الحرب ، واجتمع بقادتها العسكريين وناقش خططهم . ولكن التعنت الاسرائيلي كشف له بعد الحرب حقيقة هذه الدولة العدوانية فتحول موقفه من تأييد اسرائيل المطلق إلى رؤية


الجنرال بوفر


الجنرال فون بوك

الصراع العربي – الاسرائيلي بشكل اكثر موضوعية . الأمر الذي دفعه إلى زيارة عدد من الدول العربية وإلقاء بعض المحاضرات فيها .

وفي حرب ١٩٧٣ كان بوفر يحلل مواقف الطرفين المتنازعين بموضوعية ، وقـل اعجابـه بالعسكرية الاسرائيلية ، وحل محله اعجاب بالجيوش العربية وتطورها وانجازاتها .

وكان يرى أن وجود الثورة الفلسطينيـة المتنامية ، والتطور الذي أصاب الجيوش العربية ، والثروة البشرية والاقتصادية التي يمتلكها العرب عبارة عن عوامل سترجح ميزان القوى لصالح المعسكر العربي ، وستطرح وجود اسرائيل على بساط البحث . وأن الحل الوحيد البعيد الذي يضمن هدوء منطقة الشرق الأوسط وسلام العالم يتمثل في الدولة الديمقراطية وأن الحل المرحلي للحصول على تهدئة مرحلية لأزمة الصراع العربي – الاسرائيلي هو انسحاب اسرائيل من الأراضي التي احتلتها في العام ١٩٦٧ ، وضمان الدول العظمى لحدود دول المنطقة . ولقد بقي متمسكاً بموقفه هذا حتى وفاته في بلغراد (١٩٧٥) خلال عـودته من رحـلة في الشرق الأوسـط .

(٤) بوك (فيدور فون)

مارشال الماني (١٨٨٠ – ١٩٤٥) . ولد فيدور فون بوك Fedor Von Bock في مدينـة كوسترين Kustrin ، وهو ينحـدر من أسرة ذات مجد عسكري قديم يرجع إلى عدة أجيال . ويعتبر فون بوك – وهو ابن أخي فالكنهايم – النموذج التقليدي لضابط الأركان البروسي . وكان يتمتع بميول ملكية واضحة . انضم إلى هتلر عند صعود النازية ، فعينه الفوهرر على رأس القوات المكلفة باجتياح النمسا . وقاد مجموعة جيوش في حملة بولونيا (١٩٣٩) وحملة فرنسا (١٩٤٠) . وأدت انتصاراته في هاتين الحملتين إلى منحه رتبة مارشال في العام ١٩٤٠ .

في العام ١٩٤١ كان فون بوك يقود مجموعة جيوش الوسط خلال الهجوم الألماني على الاتحاد السوفياتي (انظر بارباروسا ، عملية) . وأدى فشله في معركة موسكو إلى تنحيته من قبل هتلر . ولكنه لم يلبث أن أعيد إلى الخدمة ، وقاد الهجوم على القفقاس في العام ١٩٤٢ . ولكن اختلاف وجهة نظره عن وجهـة نظر هتلر بخصوص الوضع في ستالينغراد أدى إلى إبعاده من جديد في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢ . وبقي فون بوك في المانيا بدون مسؤولية طوال الفترة الباقية من الحرب حتى قتل في ليهنساهن Lehnsahn مقاطعـة هولشتاين Holstein خلال غارة جوية شنها الحلفاء على هذه المدينة في العام ١٩٤٥ .

(٥) بوكانير (طائرة)

طائرة هجوم واستطلاع بمقعدين . بريطانية نفاثة . حلقت لاول مرة في نيسان ١٩٥٨ . صممت

لتأمين حاجة الطيران البريطاني لطائرة تحلق بسرعة تقارب سرعة الصوت على ارتفاع سطح البحر. وهي قادرة على حمل الصواريخ جو – سطح من طراز مارتل. اما كطائرة استطلاع فتحمل كاميرا للتصوير الليلي، و ٦ كاميرات للتصوير النهاري.

المواصفات العامة: السرعة القصوى ١٠٤٠ كم الساعة (٠,٨٥ ماك). الحمولة الحربية القصوى ٧٢٥٧ كغ على اربع نقاط تعليق، وداخل جسم الطائرة. المدى التكتيكي من ٨٠٥ كم – ٩٦٥ كم. وزن الاقلاع الاقصى ٢٦٧٦٢ كغ. الحجم: الطول ١٩,٣٣ م، فتحة الجناحين ١٣,٤١ م، الارتفاع ٤,٩٥ م.

(١) بولانجيه (جورج)

جنرال ورجل دولة فرنسي (١٨٣٧ – ١٨٩١).

ولد جورج بولانجيه Georges Boulanger في مدينة رين Rennes. والتحق بالجيش في ١٨٥٦، وخدم في الجزائر وايطاليا والهند الصينية وفي حرب ١٨٧٠. ترفع الى رتبة عميد في العام ١٨٨٠ بفضل توصية دوق دومال. كان ضابطاً لامعاً، ومديراً للمشاة في وزارة الحرب الفرنسية (١٨٨٢). حصل على رتبة لواء وعين قائداً للقوات الفرنسية في تونس في العام ١٨٨٤، ولكنه أعيد من تونس بسبب خلافه مع المقيم العام الفرنسي هناك. ولقد عرف بأفكاره الجمهورية ونال الدعم والتأييد من كليمنصو والحزب الراديكالي حتى غدا وزيراً للحرب في وزارتي فريسينيه Freicinet وغوبليه، Goblet (كانون الثاني ١٨٨٦ – أيار ١٨٨٧).

دعم «بولانجيه» في البداية الجمهوريين، وأبعد الكثير من الكوادر الملكية المناوئة، حتى أنه أعفى «دوق دومال» le Duc d'Aumale من منصبه في العام ١٨٨٦، رغم أن هذا الدوق ساعده على التقدم في مهنته. واكتسب «بولانجيه» تعاطف العمال عندما رفض استخدام القوة المسلحة ضد عمال المناجم المضربين في ديكازفيل Decazeville وأمر الجنود بأن يقاسموا عمال المناجم مخصصاتهم من الاعاشة والمؤن (كانون الثاني ١٨٨٦). وحصل على شعبية كبيرة بين الجنود بعد أن حسن أوضاعهم المعيشية المادية، وعلى شعبية بين الجماهير بفضل وجاهته وهيبة منظره (استعراض لونغ شام في تموز ١٨٨٦)، كما حصل على شعبية بين صفوف الوطنيين عندما قوى الجيش، وأمر بصنع البندقية لوبيل Lebel على نطاق واسع، ودخل في جدل عنيف طويل غير مجد مع المانيا خلال قضية شنابليه (نيسان ١٨٨٧).

وسمحت له هيبته بأن يجمع حوله كل المعارضين: الراديكاليون المناوئون لعدم الاستقرار الوزاري والمطالبون بدولة قوية، واتحاد الوطنيين، والبونابارتيون الذين انتظروا منه القيام باحداث كاحداث ٢ كانون الأول (ديسمبر)، والملكيون السائرون وراء كونت باريس والذين كانوا يمولون الحركة على نطاق واسع، والجماهير الشعبية المتضررة من الأزمة الاقتصادية (كان هناك ٢٠٠ – ٣٠٠ ألف شخص عاطل عن العمل) وغير الراضية عن عدم فاعلية النواب الراديكاليين والتي كانت تعتبره القائد المؤهل للانتقام من الالمان. وكانت الصور والاعلانات والأغاني تزيد من شعبيته.

وعندما خافت الحكومة من تصاعد نجمه أعفته من منصبه الوزاري، وعينته قائداً للفيلق الثالث عشر في «كليرمون فيران». فتظاهر آلاف الباريسيين يوم رحيله أمام محطة ليون احتجاجاً على هذا الإبعاد المقنع (٨ تموز ١٨٨٧). ولكن «بولانجيه» ما لبث أن عاد إلى باريس رغم معاقبته بالتوقيف لمدة ٣٠ يوماً، وهنا ارتكبت الحكومة خطيئة إحالته على التقاعد (٢٧ آذار ١٨٨٨)، الأمر الذي زاد من شعبيته في وقت كانت به هيبة الحكومة في تناقص مستمر. واجتمع انصاره داخل لجنة جمهورية ذات مبادئ عامة حتى لا يعترض عليها أحد. وساعدته هذه اللجنة على النجاح في الانتخابات الجزئية المتكررة، حتى كان انتخابه في باريس، من قبل ٢٤٥ ألف شخص، بتاريخ ٢٧ كانون الثاني ١٨٨٩.

ولم يؤثر على شعبيته عدم تجانس أنصاره، أو انتهازيته السياسية أو مناقشاته السخيفة مع رئيس المجلس فلوكيه Floquet. ولكن الحركة تجاوزت «بولانجيه» الذي غدا أداة هذه الحركة لا رئيسها الحقيقي. ولقد ظهر هذا الأمر بوضوح في مساء ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٩ عندما أحجم عن إعطاء الأمر بالسير نحو قصر الإيليزيه رغم دعم الجماهير وجزء من الجيش والشرطة له. وأدى هذا التردد إلى تدعيم سلطة الحكومة. واستطاع وزير الداخلية كونستانس Constans حل اتحاد الوطنيين، واتهام «بولانجيه» بالتآمر على الدولة. وهنا ارتكب «بولانجيه» خطيئة الفرار إلى بروكسل (١٩ نيسان ١٨٨٩)، وكان عمله هذا برهاناً على صحة التهمة الموجهة إليه. وفي ١٤ آب (أغسطس) صدر بحقه حكم بالسجن مدى الحياة وبقي الجنرال تائهاً يتردد بين بروكسل ولندن واضطربت حالته النفسية، وتضافرت هذه الحالة مع بعض الأسباب العاطفية ودفعته إلى الانتحار في ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١٨٩١.

ولقد اشتق من اسم الجنرال بولانجيه كلمة «بولانجية»، وهي تعني الحركة السياسية التي جمعت تحت لوائها من العام ١٨٨٥ حتى العام ١٨٨٩ جميع معارضي النظام الفرنسي. وكانت هذه الحركة تعبيراً عن حالة أزمة، ولكنها لم تقدم الحلول البنّاءة لها. لذا كان انهيارها سريعاً وكاملا بعد فرار رئيسها إلى بلجيكا.

(٥) بولتافا (معركة) ١٧٠٩

معركة هامة من معارك الحرب الروسية – السويدية التي امتدت من عام ١٧٠٠ الى عام ١٧٢١ (الحرب الروسية – السويدية). وكانت السويد بقيادة ملكها كارل الثاني عشر قد حاولت بسط سيطرتها على بحر البلطيق وشمالي اوروبا إبان الحقبة الزمنية التي دارت فيها حرب الوراثة الاسبانية في اوروبا الوسطى والغربية. فاصطدمت بروسيا القيصرية التي كانت تطمح الى المحافظة على منفذ حيوي على بحر البلطيق. وقد ابتدأت الحرب بانتصارات سويدية على جيوش بطرس الاول الكبير قيصر روسيا، وأوغست (اغسطس) الثاني ملك بولونيا المعروف بأوغست القوي.

وجاءت معركة بولتافا لتنهي المرحلة الثانية من مراحل هذه الحرب، تلك المرحلة التي بدأت بهجوم سويدي في عمق روسيا، وانتهت بتحطم الجيش السويدي، وبالتالي ساهمت في وضع الاساس المادي للانتصار الروسي الكامل بعد ذلك باثني عشر سنة.

كانت الخطة الاستراتيجية الروسية في تلك المرحلة تستهدف تحاشي المعركة الرئيسية مؤقتاً، والقيام باعمال دفاعية في الوقت الذي يتم فيه انهاك العدو بواسطة «الحروب الصغيرة»، او نشاط بعض الوحدات في مؤخرة العدو وعلى خطوط مواصلاته كسباً للوقت من اجل التحضير للهجوم المعاكس العام.

وكانت القوات السويدية بقيادة كارل الثاني عشر قد بدأت التحرك نحو الاراضي الروسية من مقاطعة ساكسونيا في العام ١٧٠٧ بجيش بلغ عدده ٥٦ ألف رجل مستهدفة تدمير الجيش الروسي واحتلال موسكو عن طريق سمولنسك. وفي مطلع العام ١٧٠٨ احتلت القوات السويدية مدينة غرودنا وماجليف

لتندفع نحو سمولنسك في آب (اغسطس) (التقويم الروسي القديم). إلا أن الخطة السويدية لاحتلال موسكو فشلت نتيجة للتعاون الوثيق بين القــوات الروسية والاهالي الذين قاموا بدفن الحبوب والمؤن تحت الارض، وانطلقوا بمواشيهم نحو الغابات. وهكذا اصبح الطريق الى موسكو مقفراً تماماً، وحرم السويديون من امكانات التموين. فاضطر الجيش السويدي الى التوجه نحو اوكرانيا.

وفي نهاية صيف ١٧٠٨ تمكن الروس من تدمير جزء من القوات السويدية يقدر بستة عشر ألف رجل كانت تعسكر قرب مدينة ليبسني. ومع مطلع ربيع ١٧٠٩ قرر كارل الثاني عشر تجديد الهجوم على موسكو عن طريق خاركوف وبيلغورد، مع ان قواته تناقصت الى حوالي ٣٥ ألف رجل فقط. ولتوفير ظروف ملائمة للهجوم، تقرر الاسراع باحتلال مدينة بولتافا الواقعة على الضفة اليمنى لنهر فورسكلا. وكانت حامية هذه المدينة مؤلفة من أربعة آلاف جندي ومن حوالي ٢٥٠٠ من السكان المسلحين. ومع هذا استطاعت الحامية الدفاع عن المدينة طيلة ثلاثة اشهر صدت خلالها اكثر من عشرين هجوماً. وكان لهذا الدفاع البطولي اهميته الاستراتيجية البالغة، اذ انه اعطى القوات الروسية الزمن اللازم للاستعداد من اجل خوض المعركة الرئيسية.

والتحق بطرس الكبير بالجيش الروسي المتمركز قرب المدينة في شهر تموز (يوليو)، مقرراً الاشتباك مع الجيش السويدي في معركة فاصلة. وفي مساء ٦ تموز (يوليو)، بنى الجيش الروسي معسكراً محصناً شمالي المدينة بخمسة كيلومترات، كما شيد سلسلة من المواقع الدفاعية مكونة من أبنية ترابية محصنة مربعة الشكل تبعد الواحدة منها عن الاخرى حوالي ٢٠٠ خطوة، وذلك في فسحة بين الغابات تمتد لمسافة كيلومترين.

وفي مساء ٧ تموز (يوليو) تمركزت افواج المشاة والمدفعية في المعسكر المحصن، كما تمركز فوج واحد في المواقع الميدانية المحصنة. اما الخيالة التي كانت بأمرة مينشيكوف، فقد تمركزت كلها خلف تلك المواقع. وفي الساعة الثانية من فجر يوم ٨ تموز (يوليو)، دفع كارل الثاني عشر جيشه نحو القوات الروسية. فسارت المشاة في الخط الاول منتظمة بأرتال اربعة، وتقدمت الخيالة في الخط الثاني منظمة بستة أرتال. وبدأت المعركة عندما وصلت المشاة السويدية الى المواقع الدفاعية وحاولت احتلالها. وامر كارل الثاني عشر خيالته بأن تتقدم عبر أرتال المشاة، لتقتلع الروس من خلف تلك المواقع.

وقد دارت المرحلة الاولى من المعركة حول المواقع الدفاعية التي كانت بمثابة موضع متقــدم يستهدف انهاك الجيش السويدي. واستمر القتال حول المواقع فترة ساعتين، تمكنت القوات السويدية خلالها من احتلال موقعين من المواقع الاربعة التي كانت امامها. عند ذلك امر كارل الثاني عشر قواته ان تنعطف يساراً لتتجنب باقي المواقع. فأمر مينشيكوف الخيالة الروسية باغلاق الثغرة بين المواقع والغابة، الامر الذي أدى الى تجزئة القوات السويدية، حيث تمكن القسم الاكبر منها من العبور، اما الباقي فتقهقر نحو الغابة قرب بولتافا، حيث طاردته خيالة مينشيكوف وقضت عليه هناك.

وتقدمت القوات السويدية التي تمكنت من تجنب المواقع نحو المعسكر الروسي بغية احتلاله. إلا أنها فوجئت بنيران قوية من المدفعية والاسلحة النارية الاخرى مما اضطرها الى التقهقر الى غابة بود يشنسك.

واثر انسحاب القوات السويدية الى غــابة بود يشنسك قرر بطرس الكبير مواجهة هذه القوات على ارض مكشوفة لتبدأ المرحلة الثانية من المعركة. فخرج بقواته من المعسكر ورتب مشاته على خطين ووضع الخيالة على الاجنحة مبقياً بعض القوات في المعسكر كاحتياطي يشكل الخط الثالث. امــا المدفعية التي كانت بأمرة الجنرال بروسا فقد توزعت على طول الجبهة امام القوات.

وبالمقابل، رتب كارل الثاني عشر مشاته على خط واحد، ووضع الخيــالة على الاجنحة وعلى خطين. وفي الساعة التاسعة صباحاً اقتربت القوات الروسية والسويدية من بعضها البعض، وابتدأت المعركة النارية، ثم بدأ الالتحام بالسلاح الابيض على طول الجبهة. عندها قامت الخيالة الروسية باحاطة اجنحة القوات السويدية، واندفعت نحو مؤخرة تلك القوات التي دب فيها الذعر وابتدأت بالفرار نحو غابة بود يشنسك. وبعد ساعتين فقط من بدء المعركة الرئيسية اصبحت القوات السويدية مدمرة، واستسلم منها ١٥ ألف رجل.

وقد فقد السويديون في هذه المعركة ٩٥٠٠ قتيل من اصل ٣٠ ألف رجل شاركوا في المعركة. كما تم اسر جميع الجنرالات واكثر من ألف ضابط. اما كارل الثاني عشر الذي جرح في المعركة، فقد تمكن من الهروب مع مفرزة صغيرة عبر نهر الدنيبير الى تركيا. وخسر الروس حوالي ١٤٠٠ قتيل فقط من اصل الجيش الذي شارك في المعركة وكان يضم ٤٢ ألفاً.

وجاء النصر الروسي الكبير نتيجة لاعداد مادي وتكتيكي طويل، وتنظيم دقيق لكل جوانب المعركة، وخطة استراتيجية نفذت بشكل صحيح. وقد اظهر الروس تفوقاً تكتيكياً واضحاً برز في تنظيم الموقع المتقدم مع المواقع الدفاعية التي انهكت القــوات السويدية وفصلتها عن بعضها البعض. وكان استخدام التحصينات الميدانية كوسيلة قتالية هامة في معركة بولتافا سابقة لم تكن معروفة من قبل في ظروف التكتيك الخطي.

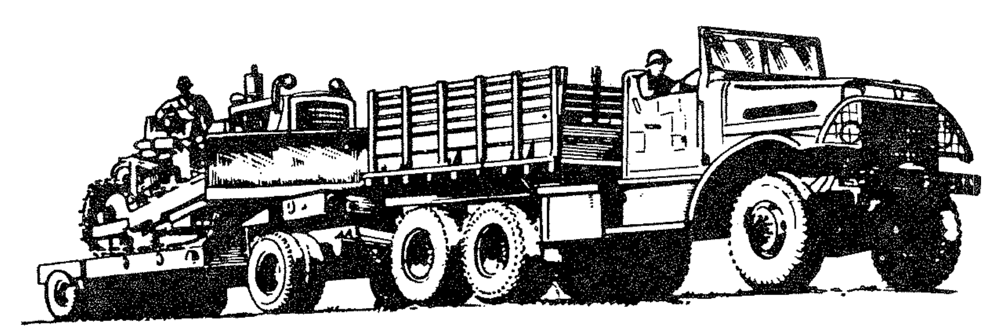
وقد كان لمعركة بولتافا انعكاسات استراتيجية وسياسية واضحة على تطور مجريات التاريخ في اوروبا الشمالية. اذ فقدت السويد على اثر هذه المعركة موقعها بين القوى الكبرى في اوروبا في مطلع القرن الثامن عشر، لتحتله روسيا بقيادة القيصر بطرس الكبير.

(٦) بولدوزر (القاحط، القاشط)

جرار آلي يتحرك على جنازير (سلاسل) معدنية، تشبه جنازير دبابة الميدان، او بواسطة اربع عجلات ضخمة. وتكمن فائدته في نصل فولاذي ثقيل مثبت في مقدمته يتحرك ارتفاعاً وانخفاضاً بواسطة نظام هيدروليكي كما هو الحال في البولدوزرات الصغيرة والمتوسطة الحجم، او بواسطة رافعة وحبل فولاذي في النماذج الكبيرة. ويطلق على البولدوزر Bulldozer اسم دوزر Dozer ايضاً.

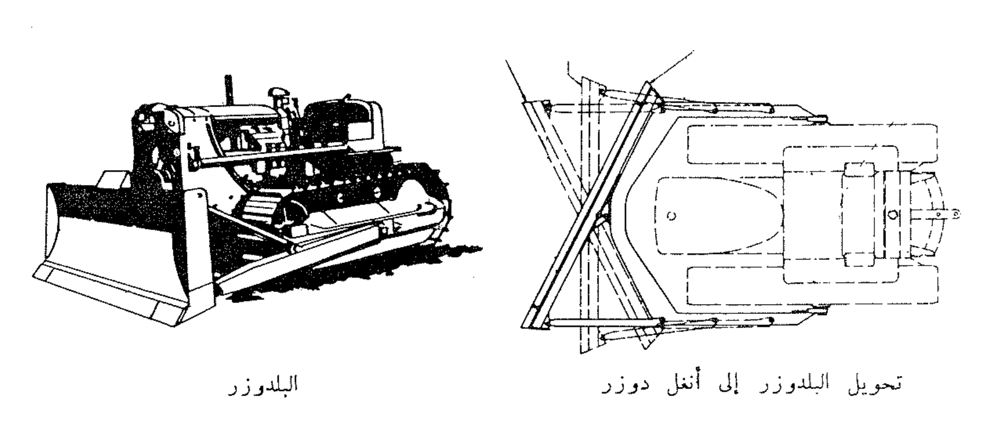
والبولدوزر آلية قوية تستعمل في اعمال الحفر وشق وتمهيد وتسوية الطرقــات، وجرف التراب والانقاض الى جوانب ورشات العمل، او عمل ركام منها ورفعها الى الاعلى مسافة تبلغ المائتي قدم، وذلك عن طريق وضع النصل الفولاذي تحت مستوى سطح الارض وتحريك الجرار الى الامام لاعمال الحفر، وعلى مستوى سطح الارض لتمهيدها وتسويتها، وفوق سطح الارض لتوزيع كيات التراب والانقاض التي يقوم بجرفها. وهناك انواع من البــولدوزرات Angledozer تستطيع تحريــك انصالها بزوايا ميل معينة وذلك لتمهيد وتسوية الارض وفق زوايا الميل المطلوبة. كل ذلك جعل من البولدوزر آلية لا غنى عنها في معظم الاعمال المتعلقة بالارض بما فيها حفر الاقبية والخنادق قليلة العمق، وانقاذ المعدات الغارقة في التراب. كما ان اسلحة الهندسة في الجيوش لا تستطيع الاستغناء عنها للافادة من امكانياتها حتى اثناء القتال في

حفر الخنادق المضادة للدبابات، ومرابض الآليات العسكرية ، والحفر اللازمة للملاجئ، وشق الطرق العسكرية في الاماكن الوعرة ، وقشط الأرض الملوثة بالغبار الذري أو بالغازات السائلة ، وتمهيد الطرق أمام الدبابات المتقدمة لتسهيل حركتها . وتتراوح قوة البولدوزرات بحسب أحجامها من ٢٠ حصاناً الى ما يزيد عن ٤٠٠ حصان ، كما تتراوح اوزانها بين ٢ — ٤٠ طناً .


البلدوزر محمول على مقطورة

(٥) بولوارك (حاملة طائرات)

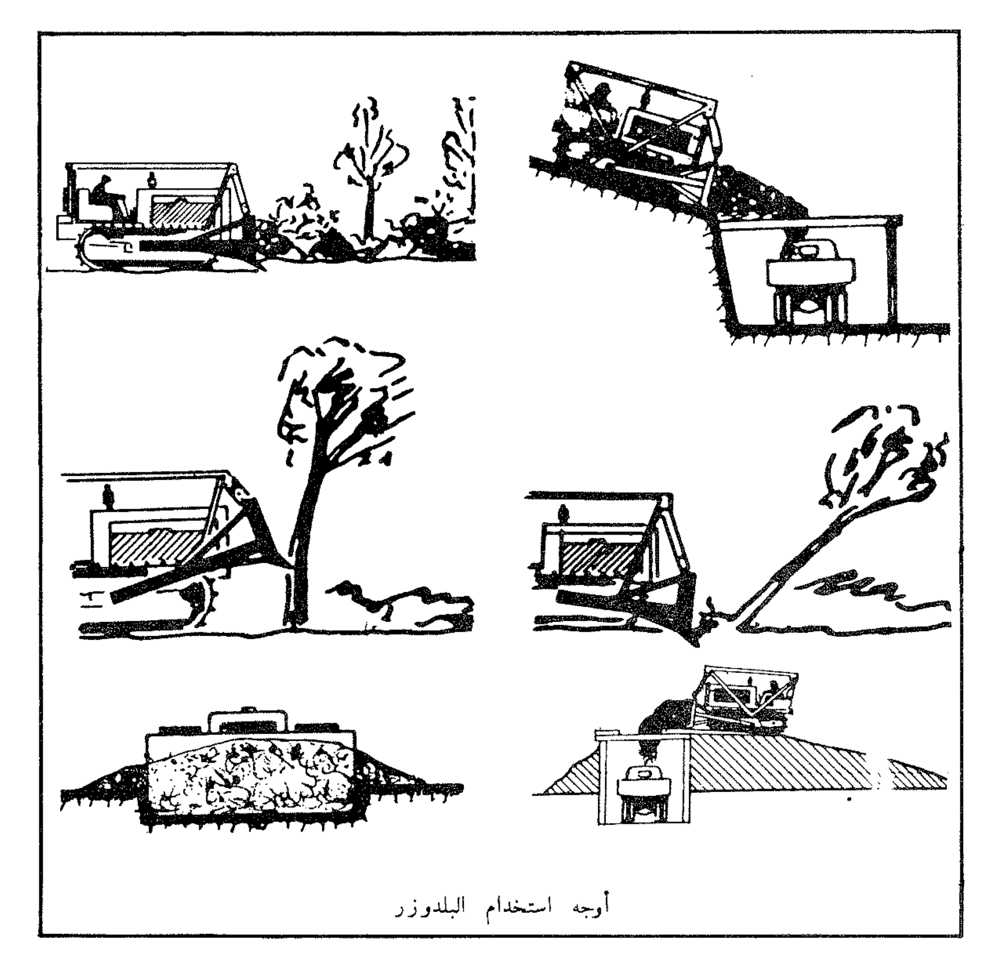
حاملة طائرات هليكوبتر بريطانية ، يطلق عليها في بريطانيا اسم « سفينة حرب برمائية » . انزلت الى الماء في حزيران (يونيو) ١٩٤٨ . وانتهى العمل فيها في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤ . وزنها القياسي ٢٣٣٠٠ طن ، ووزنها بحمولة كاملة ٢٧٧٠٥ أطنان . طولها ٢٢٤٫٩ متراً ، وعرضها ٢٧٫٤ متراً ، وارتفاع غاطسها ٨٫٥ أمتار ، وطول سطحها المخصص للطيران ٣٧٫٧ متراً . وتبلغ قوة دفع محركاتها ٧٦ ألف حصان . وتصل سرعتها القصوى الى ٢٨ عقدة في الساعة . ولها طاقم مؤلف من ١٠٣٥ رجلا يضاف اليهم ٩٠٠ رجل من مشاة البحرية الملكية . تستطيع حمل ٢٠ طائرة هليكوبتر ، و ٤ قوارب إنزال . وتتسلح بمدفعين من عيار ٤٠ ملم ، ونقطتي اطلاق قذائف صاروخية لكل واحدة ست فوهات . كما يمكنها تجهيز طائرات الهليكوبتر التي على ظهرها لمحاربة الغواصات .


تحويل البلدوزر إلى أنغل دوزر

البلدوزر

(٩) بوليڤار (سيمون)

قائد ثوري وسياسي من فنزويلا (١٧٨٣ — ١٨٣٠) . تمتع في حياته بشهرة عالمية ، وزادت شهرته بعد موته وأخذت حجماً اسطورياً في اميركا اللاتينية . وتدين له ست جمهوريات في اميركا اللاتينية باستقلالها عن الحكم الاسباني . ولد سيمون بوليفار Simon Bolivar في كاراكاس (فنزويلا) في ٢٤ تموز (يوليو) ١٧٨٣ . وتوفي والده وهو لا يزال في التاسعة من عمره ، فاهتم عمه بتربيته . ولقد ترك احد اساتذته (سيمون كرينو رودريغز) اثره عليه . وكان هذا الاستاذ مولعاً لحد الشغف بجان جاك روسو ، فادخل بوليفار الى عالم الفكر الذي ساد في القرن الثامن عشر ، واحدث ذلك اثراً عميقاً في شخصية بوليفار . وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره ، سافر بوليفار الى اوروبا وأمضى ثلاث


أوجه استخدام البلدوزر

سنوات في اسبانيا عاد بعدها الى كاراكاس . وفي العام ١٨٠٤ عندما كان نابليون في اوج مجده ، سافر بوليفار الى فرنسا حيث تابع دراسة الفلاسفة الاوروبيين مثـل لوك وهوبز وبوفـون وفولتير ومونتسكيو . والتقى في باريس بالعالم الالماني اسكندر هومبولت الذي كان عائداً من جولة في اميركا الاسبانية فقال لبوليفار انه يعتقد ان المستعمرات الاسبانية هي في حالة استعداد للتحرر . فراقت الفكرة لبوليفار ، وأخذ يمعن الفكر لتحرير بلاده . وهناك حادثة اخرى اثرت على مجرى حياته وهي تتويج نابوليون كامبراطور فرنسا في العام ١٨٠٤ . وكان بوليفار قد حضر هذا الاحتفال واعجب بنابوليون وبقدرته الفردية ، وكان نابليون حافزاً له ولطموحه .

وفي العام ١٨٠٧ عاد بوليفار الى فنزويلا عن طريق الولايات المتحدة ، وزار بعض ولاياتها الشرقية ، واجتمع بعدد من الاميركيين . وفي فنزويلا اشترك بوليفار في عدة اجتماعات وطنية للتآمر على السلطات الاسبانية . واستطاع في ١٩ نيسان (ابريل) ١٨١٠ الاطاحة بالحاكم الاسباني فنسينت دي أمبران واقامة حكم عسكري . ثم سافر الى بريطانيا لطلب السلاح والمال ولكنه لم يفلح في الحصول عليهما ، فعاد الى فنزويلا التي كانت تعيش حالة غليان . وخلال مؤتمر وطني عقد في آذار (مارس) ١٨١١ لوضع مشروع الدستور ، القى بوليفار اول خطاب له ، دعا فيه الى « وضع حجر الزاوية للحرية الاميركية » . وبعد مناقشات طويلة اعلن المجلس الوطني استقلال فنزويلا في ٥ تموز (يوليو) ١٨١١ . فانخرط بوليفار في الجيش تحت قيادة فرانسيسكو ميراندا ، واصبح عقيداً ثم عميداً .

ولكن اسبانيا لم تعتبر نفسها مهزومة فقامت بهجوم على بويرتو كابيلو ، واستطاعت احتلال هذا المرفأ الحيوي بمساعدة ضابط خائن من ضباط بوليفار . فوقع ميراندا الهدنة مع الاسبان في تموز (يوليو) ١٨١٢ ، وغادر بوليفار فنزويلا وسافر الى كارتاجينا Cartagena في غرناطة الجـديدة (التي اصبحت منذ العام ١٨٦١ كولومبيا) . ومن هناك اصدر اول بيان من بياناته السياسية الهامة (بيان كارتاجينا) الذي قال فيه ان عودة فنزويلا الى العبودية لم تتم بسبب الاسبان ، بل بسبب انقسام شعب فنزويلا ، وانه كان باستطاعة حكومة قويه ان تمنع ما حدث . ومنذ ذلك الحين اصبح بوليفار من دعاة حكم قوي في الجمهوريات الفتية في اميركا الاسبانية ، ولقد تجاوب معه شعب غرناطة



سيمون بوليفار

الجديدة ، فعين قائداً لقوة حملة هدفها تحرير فنزويلا . وفي العام ١٨١٣ اشتبك مع الاسبان في ست معارك اشهرها معركة تاغانس Taguanes . وأدى انتصاره في هذه المعركة الى دخول كاراكاس في ٦ آب (اغسطس) ١٨١٣ كمنقذ للبلاد . وحصل من جراء ذلك على لقب « المحرر » ، واستولى على الحكم ، وأقام ديكتاتورية قوية . ولكن لم يتصرف بحكمة مع معارضيه ، فانزل بهم الاحكام القاسية ، واعدم سجناءهم ، وطاردهم بلا هوادة ، مما ادى الى اندلاع الحرب الاهلية . فاستفادت اسبانيا من الفوضى التي نتجت وشكلت مجموعات مسلحة خيالة من رعاة البقر في وادي اورينوكو تحت قيادة خوزيه توماس بوفز J. T. Boves ودفعتها ضد بوليفار الذي لم يستطع صد هجماتها المتكررة التي انتهت باحتلال كاراكاس في العام ١٨١٤ . ولكن بوليفار تمكن من مغـادرة فنزويلا والتجأ الى كارتاجينا . وكلف هناك باخراج الاسبان من بوغوتا ونجح في مهمته هذه ، ولكنه عندما حاصر سانتا مارتا جاءت فرق اسبانية لفك الحصار ، وانتصرت عليه . فلجأ الى جامايكا ، حيث اصدر اكبر وثيقة سياسية في حياته « رسالة من جامايكا » . وأشهر ما قاله فيها ان الروابط التي تربط سكان اميركا الاسبانية مع اسبانيا قد قطعت ، وأن الشعب المحب للحرية لا بد ان يصبح حراً في النهاية . وطرح الخطوط العريضة لحكم دستوري في الجمهوريات الأميركية الناشئة . وظهرت في هذه الرسالة نزعته الاممية عندما عبر عن رغبته بأن يرى اليوم الذي تجتمع فيه شعوب اميركا الاسبانية في تكتل واحد ، ويصبح مضيق بناما بالنسبة اليها كما كان مضيق كورنثيا بالنسبة الى اليونان .

وفي العام ١٨١٥ هاجمته قوات اسبانية تحت قيادة بابلو موريلو واجبرته على مغادرة جامايكا واللجوء الى هاييتي . ولكن بوليفار قرر متـابعة النضال . وفي العام ١٨١٧ اقام مركز قيادته في منطقة اورينوكو Orinoco (فنزويلا) وجند بعض المرتزقة من البريطانيين والايرلنديين ، واتخذ مقره في عاصمته انغوستورا Angostura (سيوداد بوليفار) ، وبدأ باصدار صحيفة ثورية ، واقام الاتصالات مع ثوار السهول ، فاعترف قائدهم خوزيه انطونيو بايز Jose Autonio Paez بقيـادة بوليفار ، وانضم اليه . وفي ربيع ١٨١٩ قاد حملة لضرب القوات الاسبانية في غرناطة الجديدة . ولقد ساعده في حملته هذه انضمام قوات الثوار في سهل كازانار Casanare بقيادة زعيمهم فرانسيسكو دي بولا سانتندر Santander الى قواتـه ، في حزيران (يونيو) ١٨١٩ . ويعتبر هجوم بوليفار على غرناطة الجديدة من اكثر الحملات جرأة في تاريخ الحملات العسكرية . ولقد اتبع الجيش الصغير (حوالي ٢٥٠٠ رجل) طريقاً صغيرة وسط السهول في جو ممطر . وكانت المياه قد غمرت السهل ، لذا مشى المقاتلون سبعة أيام والمياه تغمرهم حتى الأحزمة . وكان عليهم ان يقطعوا عشرة انهار تحول معظمها الى بحيرات . فاستعملوا المراكب المحلية . ثم كان عليهم تسلق جبال الآنديز Andes التي تفصل بينهم وبين بوغوتا هدف حملتهم . واختار بوليفار المرور عبر ممر بيسبا Pisba الجبلي الذي كان الاسبان يعتبرون المرور فيه متعذراً . ولقد خسر بوليفار الكثير من رجاله من التعب والبرد . ولكن المفاجأة التي حققها بالنزول على غرناطة الجديدة عوضت الخسائر . ولقد ذهل الاسبان من المفاجأة . وفي معركة بوياكا Boyaca في ٧ آب (اغسطس) ١٨١٩ استسلمت معظم القوات الملكية لبوليفار . وبعد ثلاثة ايام دخل بوليفار بوغوتا . وكانت هذه نقطة تحول في تاريخ الجزء الشمالي من اميركا الجنوبية .

ولم يكتف بوليفار بذلك . وبعد ان انتخبه المجلس المجتمع في انغوستورا رئيساً وديكتـاتوراً عسكرياً ، عين سانتندر نائباً له للقضايا الادارية ، وطلب من المجلس اعلان « جمهورية كولومبيـا الكبرى » . وبعد ثلاثة ايام أعلن عن قيام جمهورية كولومبيا . ولكن هذه الدولة الفدرالية التي ضمت فنزويلا وكيتو (اكوادور) وغرناطة الجديـدة ، كانت حبراً على ورق ، لأن فنزويلا وكيتو كانتا

لا تزالان تحت سيطرة اسبانيا .

وشعر بوليفار ان الثورة في اميركا الجنوبية اصبحت حتمية ، لأن بذور مبادئ التحرر كانت قد انتشرت فيها . فعاد لمجابهة القوات الملكية واشتبك معها في معركة كرابوبو Carabobo في حزيران (يونيو) ١٨٢١ التي فتحت له ابواب كاراكاس وتحرير بلاده من جديد . وفي خريف العام نفسه دعي المجلس للاجتماع لوضع دستور لكولومبيا . ولكن بوليفار ترك القضايا السياسية والادارية لسانتندر وتابع حملاته العسكرية . وحرر الاكوادور ، بمساعدة احد ضباطه انطونيو خوزيه سوكر Antonio Jose Sucre ، بعد معركة بيشنشا Pichincha في ٢٢ ايار (مايو) ١٨٢٢ . وبذلك تم تحرير جمهورية كولومبيا بكاملها (التي كان قد اعلن عنها في آب ١٨١٩) . ولم يبق في ايدي المستعمرين سوى البيرو Peru . وبعد اجتماع عقد في غواياكيل Guayaquil بين قائد البيرو سان مارتان وبوليفار في ٢٢ تموز (يوليو) ١٨٢٢ ، غادر سان مارتان البيرو تاركاً الفرصة امام بوليفار لاحتلال البيرو . ودخل بوليفار ليما Lima في ٢٣ ايلول (سبتمبر) ١٨٢٣ . وكانت من أهم المعارك التي خاضها بوليفار ومساعده سوكر ضد القوات الاسبانية في البيرو معركة جونين Junin في ٦ آب (اغسطس) ١٨٢٤ ، ومعركة أياكوشو Ayacucho في ٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٢٤ التي تم على اثرها تحرير البيرو واعتبار بوليفار رئيساً على كولومبيا والبيرو . ولم يبق في يد الاسبان سوى القسم الاعلى من البيرو ، فحرره سوكر في ربيع ١٨٢٥ . واتخذت هذه المنطقة اسم بوليفيا تيمناً ببوليفار . ووصل بوليفار الى اوج مجده السياسي – العسكري ، وامتدت سلطته من الحدود الكاريبية الى الارجنتين وبوليفيا .

وفي العام ١٨٢٦ حقق بوليفار احد مشاريعه الهامة ، عندما أقام حلفاً يضم دول اميركا الاسبانية. وكان قد دعا الى عقد معاهدات وانشاء احلاف بين الجمهوريات الاميركية التي كان يخشى ضعفها . ووقعت من جراء ذلك معاهدات ١٨٢٤ بين كولومبيا والبيرو والمكسيك واميركا الوسطى ومقاطعات ريو دي لابلاتا المحررة . وفي العام ١٨٢٦ دعي المؤتمر الاميركي في بناما ، ولم تشارك به جميع الجمهوريات الاميركية ، كما كان يرجو بوليفار ، وكانت الدول المشاركة : كولومبيا والبيرو واميركا الوسطى والمكسيك . ولقد وقعت هذه الدول معاهدة فيما بينها ، ودعت باقي الدول لتوقيعها ، واتخذت قراراً بانشاء جيش واسطول مشتركين ، كما اتخذت قراراً بالاجتماع مرتين في السنة . وتعهدت الدول المشتركة بأن تحل جميع مشاكلها بالتحكيم . ورغم صغر نتائج مؤتمر بناما ، فان من الممكن اعتباره حجر الزاوية للتضامن والتفاهم الاقليمي . ويمكن اعتبار بوليفار اول رجل دولة دعا الى تطبيق التعاون الدولي . ولكن بوليفار كان يعي ان معظم الدول في أيامه كانت تفكر على اساس الامة – الدولة بينما كان هو يفكر بالتعاون على مستوى القارة كلها . وهذا ما دفع البعض الى اتهامه بأنه يود بناء امبراطورية . وفي مطلع العام ١٨٢٧ دب الخلاف في جمهوريته بين فنزويلا وغرناطة الجديدة . فاضطر بوليفار الى مغادرة ليما وذهب الى بوغوتا ليصلح الامور بين مساعديه سانتندر وبايز . وفي ٢٥ ايلول (سبتمبر) ١٨٢٨ تعرض بوليفار لمحاولة اغتيال فاشلة . وفي العام ١٨٢٩ حاولت قوات البيرو غزو كولومبيا فردها سوكر مخلصاً كولومبيا مرة اخرى . وبعد بضعة اشهر قام الجنرال خوزيه ماريا كوردوبا بمحاولة انقلابية . ورغم قمع المحاولة فانها تركت ،مع الاحداث التي سبقتها ، اثراً سيئاً في نفس بوليفار ، كما كان لتدخل فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة في الاوضاع الداخلية في البلاد اثر مدمر تمثل في انفصال فنزويلا عن كولومبيا في شتاء ١٨٢٩ . وامام الضغوط الخارجية وانعدام الوحدة الداخلية ، أصيب بوليفار باليأس ، فغادر البلاد في ١٨ أيار (مايو) ١٨٣٠ ، وقبل دعوة احد الاسبان المعجبين به ، وكان من المفارقات العجيبة ان ينهي حياته في بيت أحد الاسبان قرب سانتا مارتا في دلتا ماغدالينا Magdalena حتى توفي في ١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٣٠ .

ويعتبر بوليفار من اشهر رجالات اميركا الجنوبية السياسيين والعسكريين الثوريين في القرن التاسع عشر ، إن لم يكن اشهرهم على الاطلاق . ومن المؤكد أن احداً من رجالات اميركا اللاتينية في ذلك القرن لم يتمتع بما تمتع به بوليفار من عبقرية عسكرية ، وسعة أفق ، وبصيرة سياسية واجتماعية ثاقبة ، ووعي دولي ، وقدرة على الكتابة السياسية العميقة .

(٥) بوما

(انظر هليكوبتر ايروسباسيال سا – ٣٣٠)

(٩) بومدين (هواري)

ثوري جزائري (١٩٢٥ –) ، رئيس جمهورية الجزائر ورئيس مجلس قيادة الثورة الجزائرية . اسمه محمد بن ابراهيم بوخروبا ، وبومدين هو اللقب الذي اتخذه خلال ثورة الجزائر ضد فرنسا . ولد بومدين في العام ١٩٢٥ في غولما في القسطنطينة ، وتعلم في مدرسة كيتاني التي تتبع المنهج العربي الاسلامي . وفي العام ١٩٥٢ التحق بجامعة الازهر في القاهرة ، وكانت القاهرة آنذاك في خضم الثورة فتأثر بومدين بذلك ، وانضم الى مجموعة من الطلاب الجزائريين ومن بينهم بن بيلا وغيره من الذين اصبحوا فيما بعد من قادة الثورة الجزائرية . وفي هذه الاثناء كانت جبهة التحرير الوطنية الجزائرية (F. L. N) قد بدأت أعمالها العلنية ضد سلطات الاحتلال الفرنسية (تشرين الثاني ١٩٥٤) فعاد بومدين وثمانية من رفاقه الى الجزائر ، وبدأوا نشاطهم الثوري المتمثل في حرب التحرير ضد الحكم الفرنسي . واصبح بومدين عضواً بارزاً في جبهة التحرير الوطنية الجزائرية . وفي العام ١٩٥٧ أصبح قائداً للولاية الخامسة التي تضم قطاع وهران العسكري . وكانت الولاية الخامسة إحدى الولايات الست التي قسمت بها جبهة التحرير الوطنية الجزائرية بلاد الجزائر . وفي حزيران (يونيو) ١٩٥٨ عاد بومدين الى المغرب واصبح قائداً لقوات جيش التحرير الوطني (A. L. N.) المرابط على حدود الجزائر الغربية. وعندما تألفت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في ايلول (سبتمبر) ١٩٥٨ ، والتي كان مقرها الرئيسي في القاهرة ، عين بومدين عضواً في المجلس الوطني للثورة الجزائرية والذي كان بمثابة برلمان وطني للحكومة المؤقتة . وفي ١٥ آذار (مارس) ١٩٦٠ عين بومدين رئيساً لاركان جيش التحرير الوطني الذي كان يضم حوالي ٢٠ – ٣٠ ألف رجل يرابطون على الحدود الجزائرية . ولقد أعطى بومدين اهتماماً خاصاً لتقوية الجيش وتعزيزه وحظي بومدين باحترام وتقدير مرؤوسيه والعاملين معه .

وبعد انتصار الثورة الجزائرية (١٩٦٢) وعقد اتفاقية ايفيان بين الحكومة الجزائرية المؤقتة والحكومة الفرنسية ، ونالت الجزائر استقلالها ، تألفت حكومة جديدة مؤقتة برئاسة بن يوسف بن خده ضمت عدداً من السياسيين « الوسطيين » الذين كان بومدين على خلاف معهم . ولقد أدى هذا الخلاف إلى إقالته من رئاسة الاركان في ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٦٢ . ولكن الجيش استمر في ولائه لبومدين الامر الذي

جعل بومدين وبن بيلا يتغلبان على « الوسطيين » . وفي الانتخابات التي جرت في ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٢ لتشكيل الجمعية الوطنية (المجلس النيابي) انتخب الشعب معظم مؤيدي بن بيلا وبومدين. وفي ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٢ شكل بن بيلا الحكومة وعين بومدين وزيراً للدفاع ونائباً أول لرئيس الوزراء. وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٦٣ انتخب بن بيلا رئيساً للجمهورية لمدة خمس سنوات ، وعين بومدين نائباً لرئيس الجمهورية ، بالاضافة الى مناصبه الاخرى (وزير الدفاع وقائد الجيش). وكان بومدين في البداية على وفاق تام مع بن بيلا. ولكن ما أن بدأ الرئيس بن بيلا بجمع السلطات في يده حتى تأزمت العلاقات بينهما. فقام بن بيلا بعدة اجراءات للحد من سلطة بومدين ، وعين العقيد طاهر الزبيري رئيساً للاركان (في آذار (مارس) ١٩٦٤) ولكن بومدين استطاع التفاهم مع الزبيري وبقي القائد الفعلي للجيش. وبعد بضعة اشهر (تموز (يوليو) ١٩٦٤) أصدر بن بيلا أمراً للاطلاع على تقارير حكام المقاطعات الخمسة عشر قبل مرور هذه التقارير على وزير الداخلية احمد مدغري الذي كان صديق بومدين. وفي أيار (مايو) ١٩٦٥ حاول بن بيلا إخراج وزير الخارجية عبد العزيز بوتفليقه من الوزارة ، فاصبحت المجابهة بين بومدين وبن بيلا أمراً محتوماً. وعندما علم بومدين بأن بن بيلا يحاول اقصاءه من قيادة الجيش ، قام بانقلاب في ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٥ ، وفرض على بن بيلا الاقامة الجبرية ، واستلم زمام الحكم. وفي ٥ تموز (يوليو) ١٩٦٥ اصبح رئيساً لمجلس الثورة وبعد خمسة أيام ألف الوزارة واحتفظ لنفسه بوزارة الدفاع.

تعرض بومدين لعدة محاولات للاطاحة به ، منها المحاولة الانقلابية الفاشلة التي قام بها العقيد الزبيري في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٧، ومحاولة لاغتياله في نيسان (ابريل) ١٩٦٨ . ولكنه تغلب على هذه المحاولات ، وبقي في سدة الحكم. ولقد أعطى بومدين الجزائر الاستقرار السياسي والاقتصادي رغم مشاكل البطالة التي تواجه البلاد. واتبع سياسة براغماتيه ، فدمج الاشتراكية ورأسمالية الدولة. وقام في العام ١٩٦٦ بتأميم المناجم وشركات التأمين. كما أمم في العام ١٩٦٧ الشركات المحلية الموزعة للبترول. وفي حزيران (يونيو) ١٩٧٠ اعلن عن برنامج الاربع سنوات للتنمية الاقتصادية ، كما بدأ بتنفيذ برنامج واسع للتصنيع ، خاصة في حقل انتاج البترول الذي يشكل حجر الزاوية في الاقتصاد



الرئيس هواري بومدين

الجزائري.

أما على صعيد السياسة الداخلية فلقد استطاع بومدين تأمين الاستقرار واستمرارية الحكم الذي لا يزال في يد الحزب الواحد تحت سلطة جبهة التحرير الوطنية. وهو يحاول على الصعيد العربي إقامة علاقة حسنة مع جميع الدول العربية. فلقد انهى النزاع القائم بين الجزائر وكل من تونس والمغرب. وهو من مؤيدي العمل الفدائي الفلسطيني ومن المتحمسين لمشاركة الجزائر في معركة تحرير فلسطين. ولقد ساهم بومدين الى حد بعيد في التقارب الذي تم بين العراق وايران في ٦ آذار (مارس) ١٩٧٥ خلال مؤتمر القمة لزعماء الدول الـ ١٣ المنتجة للنفط المنعقد في الجزائر (من ٤ إلى ٦ آذار ١٩٧٥) ، وذلك بعد نزاع دام سنوات عديدة. ولعب دوراً بارزاً على الصعيد الخارجي وخاصة في العالم الثالث. وكان له الفضل في توجيه اهتمام الامم المتحدة لمشاكل العالم الثالث في السنوات الاخيرة. وترأس مؤتمر دول عدم الانحياز المنعقد في الجزائر (١٩٧٣). ولقد وجه الى الدكتور كورت فالدهايم ، الامين العام للامم المتحدة في ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤ رسالة يطلب فيها تخصيص دورة خاصة لقضايا المواد الخام وقضايا التنمية في العالم الثالث. وجعل اقتراحه هذا على تأييد سبعين دولة ، وعقدت هذه الدورة من ٩ نيسان (ابريل) الى ٢ أيار (مايو) ١٩٧٤ . وركز بومدين على ضرورة اسهام العالم الثالث في حل المشاكل العالمية ، واسهام الدول المتقدمة في إنماء دول العالم الثالث ، وضرورة وجود علاقات متوازية بين الدول المصدرة والدول المنتجة للنفط.

(٥) بون أوم ريتشارد (حاملة طائرات)

حاملة طائرات هجومية من فئة « هانكوك » . امريكية. اسمها امتداد لاسم بعض قطع الاسطول الامريكي القديمة. دخلت الخدمة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤ . يبلغ وزنها القياسي ٣٢٨٠٠ طن ، ووزنها بحمولة كاملة ٤٤٧٠٠ طن. طولها ٢٧٢٫٦ متراً ، وعرضها ٣٠٫٨ متراً ، وارتفاع غاطسها ٩٫٤ امتار ، وطول سطحها المخصص للطيران ٥٨٫٥ متراً. وتبلغ قوة دفع محركاتها ١٥٠ ألف حصان. وتصل سرعتها الى اكثر من ٣٠ عقدة في الساعة. ولها طاقم مؤلف من ٢١٣٠ رجلا يضاف اليهم ١٥٠٠ رجل هم افراد الجناح الجوي العامل على سطحها. وتستطيع حمل عدد يتراوح ما بين ٧٠ الى ٨٠ طائرة. وتتسلح بأربعة مدافع من عيار ١٢٧ ملم. وهي في الاصل واحدة من ٢٤ حاملة طائرات من فئة « ايسكس » اعيد تصنيفها فيما بعد لتصبح من فئة « هانكوك » .

(٣) البويب (معركة) ٦٣٤

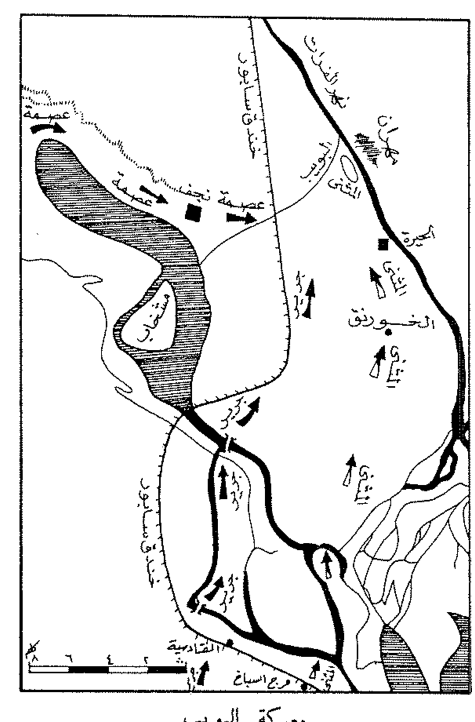
نهر كان بالعراق موضع الكوفة (او مما يلي موضع الكوفة اليوم) يأخذ من الفرات ، وقد جرت الوقعة المسماة باسمه بين المسلمين بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني وبين الفرس بقيادة « مهران الهمذاني » ، والذي أثار هذه الوقعة هو هزيمة المسلمين في معركة الجسر (على الفرات) قبلها ، اذ طمع الفرس ، بعدها ، في اخراج المسلمين من كل العراق ، بينما رغب المسلمون في الثأر للشهداء الذين قضوا فيها وهم نخبة جيشهم ، وكانت في رمضان سنة ١٣ هـ . الموافقة لسنة ٦٣٤ م ، بعد وفاة الخليفة ابي بكر بأشهر قليلة ، وفي بدء خلافة عمر ، وقد استنجد المثنى ، قبل المعركة ، بقبائل العرب في العراق فلبى نداءه كثيرون من قبائل نمر وتغلب ، امثال انس بن هلال النمري ، وابن مردي الفهر التغلبي ، وكانوا من النصارى ، وقالوا للمثنى عندما دعاهم لنجدته : « انا نقاتل مع قومنا وابناء عمومتنا » اي مع العرب ، فكانت معركة البويب اول معركة في تاريخ الفتوح تأخذ الطابع القومي العربي. اذ يحارب المسلم العربي الى جانب المسيحي العربي قوماً من غير جنسهم (الفرس) بصرف النظر عن دينهم.

وامد الخليفة عمر جيش المثنى بجند من المدينة ايضاً ، امده بجرير بن عبدالله البجلي مع سبعمائة

من خيرة رجال بني بجيلة ، كما امده بجماعات متفرقة من قبائل الازد وكنانة وجشم وحنظلة وحنيفة وغيرهم ، فبلغ جيشه ، بعد هذا الامداد ، نحو عشرة آلاف مقاتل ، اما جيش الفرس فقد زاد عن ذلك بكثير .

واختار المثنى « البويب » على الضفة الغربية لنهر الفرات منزلا لعسكره ، على حين اختار مهران الضفة الشرقية للنهر . وحين تمركز الجيشان في اماكنهما ، ارسل مهران الى المثنى يسأله : « إما ان تعبروا الينا ، وإما ان نعبر اليكم » ؟ . وكان المثنى قد تعلم من تجربة ابي عبيد الثقفي قائد معركة الجسر الذي عبر النهر الى الفرس فكان ذلك سبباً لهزيمته . وكان عليه ان ينفذ امر الخليفة ان لا يعبر نهراً او جسراً الا بعد ظفر ، فاجاب مهران : « اعبروا » ، وعبر مهران . وكان المثنى قد عبأ جيشه ، فجعل مركزه في القلب (وكان فيه بنو نمر وبنو تغلب)،وأمر على المجنبتين والمجردة والطلائع خيرة قادته . وكان الشهر رمضان،فأمر جنده ان يفطروا « ليقووا بالطعام على قتال عدوهم » .

واقبل مهران بجيشه نحو جيش المسلمين في صفوف ثلاثة ، امام كل صف فيل ، والمشاة امام الفيلة في طليعة الصفوف يحمون الفيلة ويتعاونون معها كتعاون المشاة والدبابات في الحرب الحديثة ، وكانوا جميعهم يضجون وينشدون ، اما المثنى فأمر جنده بالصمت والائتمار همساً ، واوصاهم ان لا يتحركوا إلا باشارة منه ، ثم امتطى جواده وكان يدعى (الشموس) وكان لا يمتطيه الا للقتال ، ودار على الصفوف يحضها على الصمود والقتال ، ثم قال لجنده : « اني مكبر ثلاثاً فتهيأوا ، ثم احملوا مع الرابعة » . فلما كبر التكبيرة الاولى عاجل الفرس المسلمين بالقتال ، ودارت بين الفريقين رحى معركة دامية ، وطال القتال واشتد ، عندها عمد المثنى الى انس بن هلال فقال : « يا انس ، انك امرؤ عربي وان لم تكن على ديننا ، فاذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي » ، وقال لابن مردى الفهر مثل ذلك ، ثم حمل المثنى بقلب جيشه على قلب جيش العدو فدخل فيه وازاحه عن موضعه ثم مال الى ميمنة العدو فدخل فيها واستطاعت ميسرة جيشه كذلك ان تضغط على الفرس ، فتخلخلت صفوفهم وضعفت مقاومتهم ، وانسل غلام تغلبي نصراني الى مهران فقتله واستولى على فرسه منشداً : « انا الغلام التغلبي ، انا قتلت المرزبان » . عندها تلاشت قوى الفرس بمقتل قائدهم وبدأوا يجتازون النهر منهزمين ، فأسرع المثنى بفصيلة من جنده



معركة البويب

وقطع الجسر الذي كان الفرس يعبرون عليه ، واعمل المسلمون سيوفهم بفلول الفرس حتى قدر عدد قتلاهم بمائة الف قتيل (حسب الروايات الواردة في كتب التاريخ العربية) وهو رقم مبالغ فيه ولا شك ، إلا انه يدل على مدى فداحة خسارة الفرس في هذه الوقعة . وقد قال الطبري ان قتلى الفرس فيها « افعموا جنبتي البويب عظاما » حتى استوى ، وما عفى عليها الا التراب أزمان الفتنة ، وما يثار هنالك شيء إلا وقعوا منها على شيء . وقال المثنى بعدها : « قد قاتلت العرب والعجم في الجاهلية والاسلام ، والله لمائة من العجم كانوا اشد عليّ من الف من العرب ، ولمائة اليوم من العرب أشد عليّ من ألف من العجم » .

وهكذا استطاع المثنى ، في هذه الوقعة ، ان يمحو العار الذي لحق بالمسلمين في وقعة الجسر ، وكانت وقعة البويب هذه مقدمة لانتصار العرب الحاسم على الفرس في وقعة « القادسية » .

(٥) بوينغ سي ٥ — ٤٧

(انظر هليكوبتر)

(٣) بيبرس (الظاهر)

هو الملك الظاهر ركن الدين الصالحي البندقداري (بيبرس الاول) شركسي الاصل ، ورابع سلاطين المماليك البحرية . ولد في كبجاق سنة ٦٢٠ هـ الموافقة لسنة ١٢٢٣ م وقيل سنة ٦٢٥ هـ — النجوم الزاهرة لابي المحاسن) ، استرق في بلده وبيع منها الى سيواس ثم الى حلب (وقيل دمشق) ، فالقاهرة ، حيث اشتراه الامير علاء الدين أيدكين البندقدار ، وبقي عنده حتى اخذه منه الملك الصالح ايوب سنة ٦٤٤ هـ (١٢٤٦م) ورأسه على فرقة من حرسه بعد ان اعجب بنباهته . وتوفي الملك الصالح أيوب سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) فخلفه ابنه طوران شاه الذي لم يعمر بعده طويلا ، اذ قتله المماليك ، وكان بيبرس ضالعاً بالمؤامرة عليه ، الا ان السلطان الجديد (ايبك) امر بشنق المتآمرين فهرب بيبرس الى الشام ولم يعد الى مصر الا بعد اغتيال ايبك وتولي الملك المظفر قطز الحكم . فلما عاد اوكل اليه الملك المظفر قطز مهمة مقاتلة المغول في عين جالوت ، فاظهر بسالة وشجاعة نادرتين،واستطاع وقف زحفهم نحو مصر، بيد انه لم يكافأ على ذلك . وكان ينتظر توليته على حلب ، فتآمر على السلطان قطز وقتله وتسلم الحكم بعده باسم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس . وفي سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) دخل القاهرة بلا مقاومة واستقر فيها ، إلا انه ما كاد يستقر في مصر حتى ظهر عليه عامل دمشق مطالباً بالسلطنة على الشام لنفسه ، ولكن الملك الظاهر بيبرس تمكن من القضاء عليه ، وهكذا استقل في حكم الشام ومصر بلا منازع . واعتبر المؤسس الحقيقي لسلطة المماليك فيهما ، ثم أخذ يوطد ملكه فيهما باستمالته الرعية ، والقضاء على حركات التمرد التي قام بها الايوبيون اصحاب الملك الحقيقيين ، وورثة صلاح الدين . ثم عمد الى إحياء الخلافة العباسية محاولا ان يعطي حكمه صفة الشرعية ، فأتى بابن الخليفة العباسي الظاهر ويدعى احمد بن ابي القاسم ، وبايعه بالخلافة (٦٥٩ هـ — ١٢٦٠ م) ، ولقبه بالمستنصر ، ودعا له على المنابر ، ثم تلقى منه بعد ذلك خلعة السلطنة ، فعزز بذلك مركز المماليك في العالم الاسلامي واظهرهم بمظهر الحماة للخلافة العباسية . ولكن الخليفة المستنصر قتل بعد ذلك بشهور فقط قرب بغداد ، وكان قد قصدها بإيعاز من بيبرس للاستيلاء عليها ، وكان معه جيش صغير فهزمه حاكمها المغولي وقضى عليه ، عندها نصب بيبرس خليفة جديداً هو ابو العباس احمد بن علي بن ابي بكر ابن الخليفة المسترشد ، ولقبه بالخليفة الحاكم ، وجعل مقره مصر ، ولم يعد يفكر بعدها باحتلال بغداد ، ولكنه انصرف الى رد هجمات الارمن والمغول والصليبيين عن الشام ،

واحباط تحركات الحشاشين في الداخل ، وصد غزوات النوبيين جنوبي مصر والبربر غربها ، وذلك يتطلب ولا شك جهداً كبيراً وبراعة فائقة ، فهادن المغول وتحـالف معهم ومع البيزنطيين ، واسكت الحشاشين ، وارضى الامراء الايوبيين باحياء مركز الخلافة العباسية ، وصد غزوات النوبيين والبربر ، ثم تفرغ لمقاتلة الصليبيين . وبدأ الصراع مريراً بين الفريقين فحاصر بيبرس عكا سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٣ م) واستولى على قيسارية ثم ارسوف سنة ٦٦٣ هـ (١٢٦٥ م) ، ثم استولى على صفد وقلعتها سنة ٦٦٤ هـ (١٢٦٦ م) ، ثم على قلعة الشقيف سنة ٦٦٦ هـ (١٢٦٨ م) ، ثم على هونين وتبنين والرملة (في فلسطين) ، وعلى القليعات وحلبا وعرقه (على الساحل الشمالي من لبنان الشمالي). وفي رمضان سنة ٦٦٦ هـ (ايار ١٢٦٨ م) احرز بيبرس اكبر انتصاراته على الصليبيين اذ سقطت بين يديه اكبر مدينة تبقت لهم في الشرق ، وهي انطاكية ، بعد حصار دام خمسة ايام فقط ، ثم سقط حصن الاكراد (وسمي كذلك نسبة الى صلاح الدين وجنده ، وكان يسمى عند الصليبيين حصن الفرسان) ، وتبعه حصن عكار وحصن القرين (٦٦٩ هـ = ١٢٧١ م) ففقد الصليبيون الامل نهائياً باستعادة مملكتهم في بيت المقدس ، وعرضوا على بيبرس الصلح فأجابهم اليه . ثم التفت الى حصون الاسماعيلية ، وكانت معاقل للحشاشين من اتباع الطائفة الاسماعيلية فاحتلها (سنة ٦٦٩ - ٦٧٢ هـ = ١٢٧١ - ١٢٧٣ م) ، وأمن جانب خصومه فيها . وكان على بيبرس بعد كل هذا ان يصفي حساباته مع مملكة ارمينية التي كانت تقض مضجعه في شمالي سوريا ، فقاتل مليكهم في معركة سيس وهزمه ، ثم توغل في آسيا الصغرى وهزمهم في معركة ابلستـين (٦٧٥ هـ ١٢٧٧ م) .

وهكذا استطاع بيبرس ، في خلال اعوام ، ان يوطد حكمه في الداخل ويقضي على معظم خصومه واعدائه في الخارج . وما ان استتب له الامر ، وتوطد له الحكم ، وعاد الى دمشق سعيداً بما فعل ، حتى وافته المنية فيها ، في المحرم من سنة ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م) ولما يسترح بعد من عناء القتال ، وقد توفي عن عمر يناهز الرابعة والخمسين ، قضى منه في الحكم زهاء سبعة عشر عاماً وشهرين ؛ ودفن بدمشق حيث شيد له ابنه الملك السعيد محمد بركه ضريحاً يعرف اليوم بالمدرسة الظاهرية .

كان بيبرس سريع الحركة جريئاً بارعاً في التنظيم ، لا يدع المبادرة تفوته ، كما كان يتقن فن المباغتة في مناوراته العسكرية ، يساعده في ذلك سرعة انتقاله من جهة الى أخرى . وكان يحب المجازفة والمغامرة (مهاجمته حصن الاكراد بأربعين رجلا فقط) ، ويتقن فن الهجوم والحصار ، ولم يعرف عنه قط انه اتخذ في حروبه موقفاً دفاعياً ، بل كان هو المبادر دوماً بالهجوم والتعرض .

(١) بيتان فيليب

مارشال فرنسي (١٨٥٦ - ١٩٥١) . ولـد فيليب بيتـان (Philippe Petain) في كوشي آلا تور (Cauchi-a-la-Tour) . وكان من أصل فلاحي . تخرج من سان سير في العام ١٨٧٨ ، وانضـم إلى كتيبـة القناصة ٢٤ . قبل في مدرسة الحرب في العام ١٨٨٨ ، ثم عين في هذه المدرسة كساعد قائد في ١٩٠١ و ١٩٠٧ ، ولم يلبث أن غدا قائداً للمدرسة في فترة ١٩٠٨ - ١٩١٠ . وكانت المادة التي يدرسها هي مادة المشاة التي أكد خلال تدريسها أهمية النار .



المارشال بيتان

بيتان يزور القسطنطينة (١٩١٧)



قاد بيتن فوج المشاة ٣٣ في آراس في العام ١٩١١ ، وكان في آذار (مارس) ١٩١٤ قائداً للواء المشاة الرابع عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى. ثم رفعه جوفر الى رتبة عميد في ٣١ آب (اغسطس) . وفي ١٤ أيلول (سبتمبر) غدا قائد فرقة بعد الدور الرائع الذي لعبه في معركة المارن . وفي تشرين الأول (اكتوبر) عين قائداً للفيلق ٣٣ ، وأظهر براعة فائقة في أرتوا (أيار ١٩١٥) ثم استلم قيادة الجيش الثاني في ٢١ حزيران (يونيو) ١٩١٥ وقاد هذا الجيش في أيلول (سبتمبر) في هجوم شامبـاني Champagne قبل أن يثبت تفوقه وبراعته في معركة فردان (١٩١٦) التي برهن فيها عن مهارة فائقة في ادارة المعركة الدفاعية العنيدة ، والتي مرت فيها معظم فرق الجيش تحت قيادته .

عين بيتان قائداً لمجموعة جيوش الوسط في الأول من أيار (مايو) ١٩١٦ ، ثم غدا في ١٥ أيار (مايو) ١٩١٧ قائداً عاماً بدلا من نيڤيل Nivelle وكان عليه قبل كل شيء أن يرفع معنويات قواته ، ويحارب الدعاية الانهزامية التي انتشرت بين صفوفها بعـد فشل هجوم شومان دي دام Chemin des Dames . وكانت معرفته الصحيحة للجندي الفرنسي سبباً في نجاح هذه المهمة الدقيقة الحساسة . وتوصل إلى أفضل النتائج مع استخدام الحد الأدنى من العقوبات ، ورفع مستوى حياة المقاتلين ، وشن سلسلة من العمليات المحضرة جيداً والناجحة وذات الهدف المحدود . وكان الجيش الذي أعاد بناءه بهذا الشكل الأداة الفعالة التي استطاع فوش بفضلها أن يحقق انتصاراته في العام ١٩١٨ .

وفي العام ١٩٢٥ استدعي بيتان إلى المغرب لمجابهة الوضع العسكري المتدهور على أثر ثورة الريف . ولقد بقي حتى عام ١٩٣١ نائباً لرئيس مجلس الحرب الأعلى وهيئة التفتيش الأعلى للجيش ، حيث كان ديغول من أقرب مساعديه ، ثم شغل من ١٩٣١ حتى ١٩٣٤ منصب المفتش العام للدفاع الجوي في البلاد . وبعد أحداث ٦ شباط (فبراير) عام ١٩٣٤ اختاره دوميرغ ليكون وزيراً للدفاع ، فانخرط بيتان منذ ذلك الوقت في الحياة السياسية . وفي العام ١٩٣٩ عين سفيراً في اسبانيا . وبعد

نكسات ١٩٤٠ في مطلع الحرب العالمية الثانية ، استدعي بيتان ليكون نائب رئيس الحكومة ، ثم غدا رئيساً للحكومة في ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٤٠ .

وبعد هزيمة فرنسا أمام القوات الالمانية ، رفض بيتان متابعة القتال في أفريقيا كما فعل ديغول والفرنسيون الأحرار ، نظراً لقناعته بأن الألمان منتصرون لا محالة ، وأن الحكمة تفرض عليه أن يحافظ على ما يمكن الحفاظ عليه في فرنسة ، ويحمي بلاده من الدمار . فطلب عقد هدنة مع الالمان في ١٧ حزيران (يونيو) . وبعد هذا القرار ، اجتمع مجلس النواب الفرنسي في ڤيشي Vichy بتاريخ ١٠ تموز (يوليو) . ومنح السلطة الدستورية لحكومة الجمهورية برئاسة بيتان الذي تحمل منذ يوم ١١ تموز (يوليو) مسؤولية رئيس الحكومة الفرنسية . وفي ٢٤ تشرين الأول (اكتوبر) قابل هتلر في مونتوار ، وعبر له عن رغبته في تنفيذ سياسة وفاق مع المانيا . وبدأ بعد ذلك مسيرته لبناء دولة قوية السلطة مبنية على ثلاثة شعارات « العمل ، والاسرة ، والوطن » ، وعلى الاخلاص لشخصه . ولقد أبدى بيتان معارضة لسياسة التعاون بلا حدود التي طرحها لاڤال Laval، وعزله في ١٣ كانون الأول (ديسمبر) ، واستعاض عنه بالاميرال فرانسوا دارلان Francois Darland الذي غدا ، منذ العام ١٩٤١ ، مستشاره الرئيسي في الحكومة .

وقام بيتان خلال هذه الفترة بنشاط سياسي خارجي : كمحاولة الاتصال مع لندن (تشرين الأول ١٩٤٠) ، واللقاء مع فرانكو في مونبلييه (شباط ١٩٤١) ، والاتصال المستمر مع سفير الولايات المتحدة في فرنسة . ولكنه اعتبر متعاوناً مع العدو ، وهوجم بعنف من قبل الفرنسيين الاحرار المتجمعين في لندن تحت قيادة ديغول ، والذين تصاعدت هيبتهم والتفاف الفرنسيين حولهم بسبب تصرفات الالمان الخاطئة في فرنسة ، ودس له المتعاونون مع الالمان الدسائس التي زادت شكوك الالمان به وتذمرهم من شخصيته الغامضة . وأثر سن المارشال على تصرفاته (٨٥ عاماً) فكان يتذبذب بين ضغوط مستشاريه الذين يطالبونه بالتصلب أمام المحتلين ، وضغوط مستشاريه المنادين بضرورة التحالف مع الرايخ الثالث . واستطاع النازيون إجبار بيتان على إعادة لاڤال الذي غدا رئيساً للوزارة في ١٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٢ ، على حين بقي المارشال رئيساً للدولة . ووصلت الأزمة في فرنسة إلى ذروتها بعد إنزال الحلفاء في أفريقيا (تشرين الأول ١٩٤٢) ، واجتياح الجيش الألماني للمنطقة الحرة من فرنسا ولقد وافق المارشال عندئذ على تصرف الاميرال دارلان (الذي كان في مدينة الجزائر في ٨ تشرين الثاني ١٩٤٢ عند نزول الحلفاء ، والذي أمر القوات الفرنسية في شمالي أفريقيا ، في يوم ١٣ تشرين الثاني بالقتال ضد المحور بصفته القائد الأعلى للجيوش الفرنسية البرية والجوية والبحرية)، ولكنه رفض أن يحذو حذوه . ورأى أن واجبه يفرض عليه البقاء في فرنسة مهما كلف الأمر . ومنذ ذلك الحين تحدد مصير المارشال بشكل واضح ، وفقد الجزء الاكبر من سلطته ، وأخذ يقدم التنازلات المتعاقبة للالمان (رسالة إلى الفيلق الفرنسي المعادي للبلشفية الذي كان يقاتل على الجبهة السوفييتية تحت راية الألمان ، وتشجيع الميليشيا المضادة ، والسلبية أمام حملة التهجير ومستقبل الالزاس واللورين) الأمر الذي استثار عداء المواطنين له .

وفي ٢٠ آب (أغسطس) ١٩٤٤ ، كلف بيتان أحد مساعديه (أوفان Auphan) ليكون ممثله الشخصي عند ديغول وقيادة الحلفاء . فاختطفه الالمان بالقوة من ڤيشي ، ونقلوه في البداية إلى بيلفور Belfort ثم إلى سيغمارينجن Sigmaringen، حيث رفض أن يعطي موافقته على الحكومة المنوي إنشاؤها هناك برئاسة ف . دوبرينون .

وفي نيسان (ابريل) ١٩٤٥، وقبيل انتهاء الحرب بأيام، استغل بيتان حالة الاضطراب واستطاع العبور إلى سويسرة . ولكنه لم يلبث أن عاد بمحض إرادته إلى فرنسة ليمثل أمام المحكمة العسكرية . ولقد لزم الصمت المطلق خلال محاكمته التي دامت منذ ٢٣ تموز (يوليو) حتى ١٤ آب (اغسطس) ١٩٤٥ ، وانتهت بالحكم عليه بالاعدام . ثم خفف الحكم الى السجن المؤبد بسبب ماضيه العسكري المجيد . وسجن بيتان في البداية في سجن فورت پورتاليه Fort du Pourtalet ، ثم نقل إلى سجن جزيرة يو Yeu ولم يتركه إلا قبيل وفاته بعدة أسابيع .

(١) البيتون والبيتون المسلح

يتألف البيتون (Béton) من مادة حجرية صناعية يتم الحصول عليها بعد تصلب خلائط الاسمنت (Ciment) ، والماء ، ومواد تحشية صغيرة وكبيرة الحجم ، مأخوذة ضمن نسب محددة . ويسمى هذا الخليط قبل التصلب خليطة بيتونية . أما البيتون المسلح (Béton Armé) فهو البيتون المتحد مع القضبان الحديدية .

يستخدم في بيتون التحصينات اسمنت بورتلاند ماركة لا تقل عن ٤٠٠ ، كما ويمكن استخدام اسمنت بورتلاند سريع التصلب (Super Ciment) واسمنت الغضار الالوميني (Ciment Alumineux) (مزيج البوكسيت والحوار أو الكلس) . وتكون الحصى والحجارة المستخدمة في التحشية خالية من الشوائب (غضار ، طمي ، تراب)، وذات متانة ضد الضغط لا تقل عن ٨٠٠ كغ/سم٢ . ويستخدم في التحشية الرمل بأي شكل حبيبي، شريطة أن لا تكون الشوائب فيه تزيد عن ٥ ٪ من وزنه .

يدخل البيتون العادي في إنشاء جدران الملاجىء والتحصينات وارضياتها والسقوف الممتدة فوق السقف المصنوع من الخشب أو المعدن أو البيتون المسلح اذا كان الملجأ ذا سقف متعدد الطبقات (انظر الملجأ) . ويدخل الاسمنت المسلح في إنشاء جدران الملاجىء والتحصينات وسقوفها . كما يدخل في صناعة قطع الملاجىء مسبقة الصنع وقطع الجسور مسبقة الصنع. ومن الضروري عند اعداد قطع الملاجىء والجسور مسبقة الصنع أن لا تقل متانة البيتون المسلح ضد الضغط خلال يومين عن ١٥٠ كغ/سم٢ ، وأن لا تقل بعد خمسة أيام عن ٢٠٠ كغ/سم٢، وأن تصل بعد ٢٨ يوماً إلى متانة لا تقل عن ٣٠٠ كغ/سم٢.

يتم تحضير الخليطة البيتونية في الخطوط الأمامية على ألواح من التوتياء ممدودة على الأرض قرب مكان بناء التحصينات ، شريطة تغطية مكان الخلط بشبكة تمويه ، والانتباه لإزالة الآثار بعد انتهاء البناء . ويفضل في الخطوط الخلفية تحضير الخليطة البيتونية بواسطة السيارات خلاطات البيتون ذات السطول سعة ٢٥٠ ليتراً أو ٤٥٠ ليتراً . ثم تنتقل السيارة الخلاطة إلى مكان العمل وسطلها دائر لتأمين استمرار مزج المواد . وبعد صب البيتون في المكان المحدد له تزاد كثافته بواسطة الرجاجات الهوائية السطحية أو الداخلية أو الخارجية ، الأمر الذي يرفع درجة متانته ، ويزيد سرعة تصلبه ، كما يزيد كثافته ضد نفاذ الماء .

ويفيد حديد التسليح في تقوية متانة البيتون المسلح ، وهو يعمل مع البيتون بآن واحد . فيمتص البيتون بصورة رئيسية قوى الضغط ، ويمتص الحديد قوى الشد . ولكي يكون العمل موحداً بين البيتون والحديد لا بد أن يكون تماسكهما كاملا ، لأن عدم التماسك يجعل الحديد ينزلق داخل البيتون مما يؤدي إلى تخريب المنشأة . ولتأمين هذا التماسك يتم عمل كلابات (عقفات) في نهاية القضبان ، وتستخدم القضبان المحلزنة من الخارج أو شبكات وهياكل من قضبان الحديد الملحومة ، وتستبعد القضبان الصدئة

أو تنظف قبل استخدامها ، نظراً لأن الصدأ يضعف التماسك .

ولا يعمل كل حديد التسليح بشكل واحد . في شبكة التسليح حديد عامل لامتصاص قوى الشد ، وحديد تجميع ، وحديد الأتاري الذي يؤمن التجميع وعدم التشظي معاً . ولا تضم الصبة شبكة حديدية واحدة ولكنها تضم عدة شبكات موضوعة على مسافات معينة ، ومتصلة ببعضها باطارات معدنية (حديد التجميع) . وقد يكون الحديد في الصبة عادياً بدون شد مسبق ، وقد يسبق الصب شد القضبان الحديدية (وخاصة عند صنع القطع المعدة مسبقاً للملاجىء والجسور) ، وتبقى القضبان معرضة للشد حتى يجف البيتون المسلح ، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة مقاومته.

يحيط بصبة البيتون أو البيتون المسلح عادة قوالب خشبية مدعومة أو محمولة على دعائم خشبية . ولا تفك القوالب إلا بعد ٢٨ يوماً من تاريخ الصب (إذا كان الاسمنت المستخدم عادياً بورتلاند) . أما إذا كان الاسمنت المستخدم سريع التصلب ، فان من الممكن فك القوالب بعد ٣ — ٤ أيام . ولذا تفضل قطعات المهندسين استخدام الاسمنت سريع التصلب في بناء التحصينات بغية كسب الوقت ، وخاصة في الفصول الماطرة والمناطق الرطبة . كما أنها تفضل استخدام الأسمنت الهيدروليكي (Ciment Hidrolique) المقاوم للماء في بناء المنشآت المغمورة تحت الماء (موانع ساحلية ، مرتكزات الجسور .. الخ) .

(١) بيرتران (الكونت هنري)

جنرال فرنسي (١٧٧٣ — ١٨٤٤) . ولد الكونت هنري بيرتران Le Conte Henri Bertrand في شاتورو ، والتحق بالجيش في العام ١٧٩٢ ، ووصل الى رتبة نقيب في سلاح المهندسين في مصر ، حيث منحه بونابرت فجأة رتبة عقيد ثم رتبة عميد .

شارك في جميع معارك الأمبراطورية ، وغدا مرافقاً للامبراطور نابليون بونابرت في العام ١٨٠٤ . وفي العام ١٨٠٧ حصل بيرتران على رتبة لواء ، ثم لم يلبث في العام ١٨١٣ أن أصبح كبير أمناء القصر الامبراطوري . ولقد رافق الامبراطور إلى منفاه الأول في جزيرة إيلبا ، ثم إلى منفاه الثاني في جزيرة سانت هيلانه ، وبقي هناك حتى العام ١٨٢١ ، حيث عاد إلى البلاد ليشارك في العمل السياسي .



المارشال بيرتييه



الجنرال بيرتران

انتخب بيرتران نائباً عن الآندر (١٨٣١ — ١٨٣٤) ، وكان له في المجلس النيابي مواقف ليبرالية . واهتم خلال رحلتيه إلى الولايات المتحدة بمسألة الزنوج ، وناضل في سبيل تحرير العبيد وإلغاء الاستعباد . كتب عدة مؤلفات تاريخية وعسكرية أهمها «حملات مصر وسورية» Campagnes d'Egypte et de Syrie ، وهو مذكرات لخدمة تاريخ نابليون، أملاها عليه الامبراطور شخصياً في سانت هيلانة . ولقد نشر هذا الكتاب في العام ١٨٤٧ . و «دفاتر سانت هيلانة» Des Cahier de Sainte-Helene الذي نشر في العام ١٩٥١ .

(١) بيرتييه (لويس الكسندر)

مارشال فرنسي (١٧٥٣ — ١٨١٥) . ولد لويس الكسندر بيرتييه Louis Alexandre Berthier: أمير نوشاتيل ودوق دوفالانجان في ڤرساي ، وانضم إلى هيئة الأركان وعمره ١٧ عاماً وكانت هذه عادة متبعة في اعداد ضباط الاركان (انظر اركان حرب) ، وحصل على رتبة عقيد خلال الثورة الاميركية . وفي العام ١٧٨٩ غدا جنرالا قائداً للحرس الوطني في ڤرساي . وأمن حماية العائلة الملكية . وفي العام ١٧٩٢ أصبح بيرتييه رئيساً لهيئة اركان جيش لوكنر Lukner ، ثم رئيساً لهيئة أركان جيش ايطاليا (١٧٩٢) ، وارتبط منذ ذلك الحين ببونابرت .

استلم بيرتييه منصب وزير الحربية الفرنسية من العام ١٨٠٠ حتى العام ١٨٠٧ ، وقائداً عاماً للجيش الكبير من ١٨٠٥ حتى ١٨١٤ ، الأمر الذي جعله يلعب دوراً هاماً كمساعد مباشر للامبراطور نابليون الأول .

حصل على رتبة مارشال فرنسا في العام ١٨٠٤ كما حصل على لقب امير واغرام . انضم بيرتييه إلى لويس الثامن عشر بعد سقوط نابليون . وعندما عاد الامبراطور من منفاه لجأ بيرتييه خلال فترة المائة يوم إلى بامبيرغ في بافاريا ، حيث سقط من نافذته ومات .

(٤) بير حكيم (معركة) ١٩٤٢

في الفترة من شباط (فبراير) حتى أيار (مايو) ١٩٤٢ أنشأ الجيش البريطاني الثامن خطاً دفاعياً في الصحراء الليبية يمتد من غرب بلدة الغزالة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط لمسافة ٦٤ كلم تقريباً ، حتى «بير حكيم» في الجنوب . وكانت «بير حكيم» عبارة عن نقطة صحراوية صغيرة بها قلعة قديمة وبئر ماء وصهريجان مكسوران للمياه ، وتلتقي عندها عدة طرق صحراوية ممهدة . وهي تعتبر اكبر نقطة صالحة للحركة بالآليات قبل حافة بحر الرمال الليبي الضخم الممتد مئات الكيلومترات إلى الجنوب . ولهذا اعتبرت مرتكزاً دفاعياً للجناح الجنوبي لخط الغزالة الدفاعي . وقد أقيم حولها موقع دفاعي حصين رابط فيه لواء مشاة من الفرنسيين الاحرار (الديغوليين) يضم نحو ٣٦٠٠ جندي وضابط ، يدعمهم ٢٤ مدفع ميدان فرنسي من عيار ٧٥ مم ، و ٥٥ مدفعاً مضاداً للدبابات من عيارات ٢٥ مم

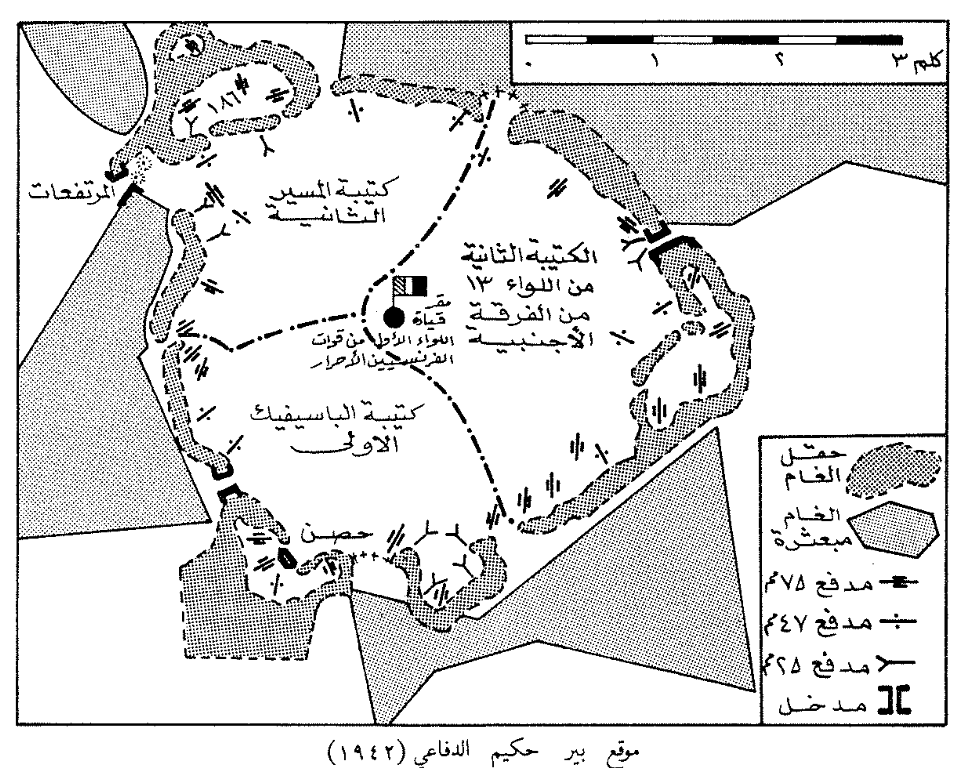
و ٤٧ م و ٧٥ م م ، فضلا عن ٦٤ بندقية مضادة للدبابات ، و ٢٠ مدفعاً مضاداً للطائرات معظمها من طراز « بوفورز » عيار ٤٠ م م ، و ٤٤ مدفع هاون عيار ٨١ م م و ٦٠ م م ، و ٦٤ « حاملة برن » مجنزرة مدرعة تدريعاً خفيفاً .

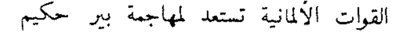
ولقد تخندقت القوات الفرنسية المذكورة داخل ١٢٠٠ موقع دفاعي جهزت بحيث تجعل المدافعين قادرين على اطلاق غلالة من النيران المتقاطعة من كل ركن . وكانت المواقع الدفاعية قادرة على حماية المدافعين من القذائف المعادية التي لا تسقط على الموقع مباشرة . وجرى تمويه هذه المواقع جيداً . واحيطت المواقع بنحو ٥٠ ألف لغم معظمها مضاد للدبابات ، ولم تترك سوى ثلاثة ممرات ضيقة للخروج والدخول ، هذا بالاضافة لنطاق حقل الالغام الرئيسي المقام أمام الموقع كله والممتد حتى الغزالة في الشمال وكان به نحو نصف مليون لغم .

وكان موقع « بيرحكيم » أحد المواقع الدفاعية المماثلة التنظيم والتجهيز التي كان يتألف منها خط الغزالة الدفاعي . وكانت تسمى « الصناديق الدفاعية ». وبكل منها مجموعة لواء مشاة . وفي العمق العملياتي كان يحتشد الاحتياطي المدرع البريطاني على مقربة من الجناح الجنوبي للخط ، وتتوزع مجموعة من ألوية الدبابات المستقلة لحراسة بعض المواقع الهامة المسيطرة على طرق المواصلات ، ومعها ألوية من المشاة المستقلة .

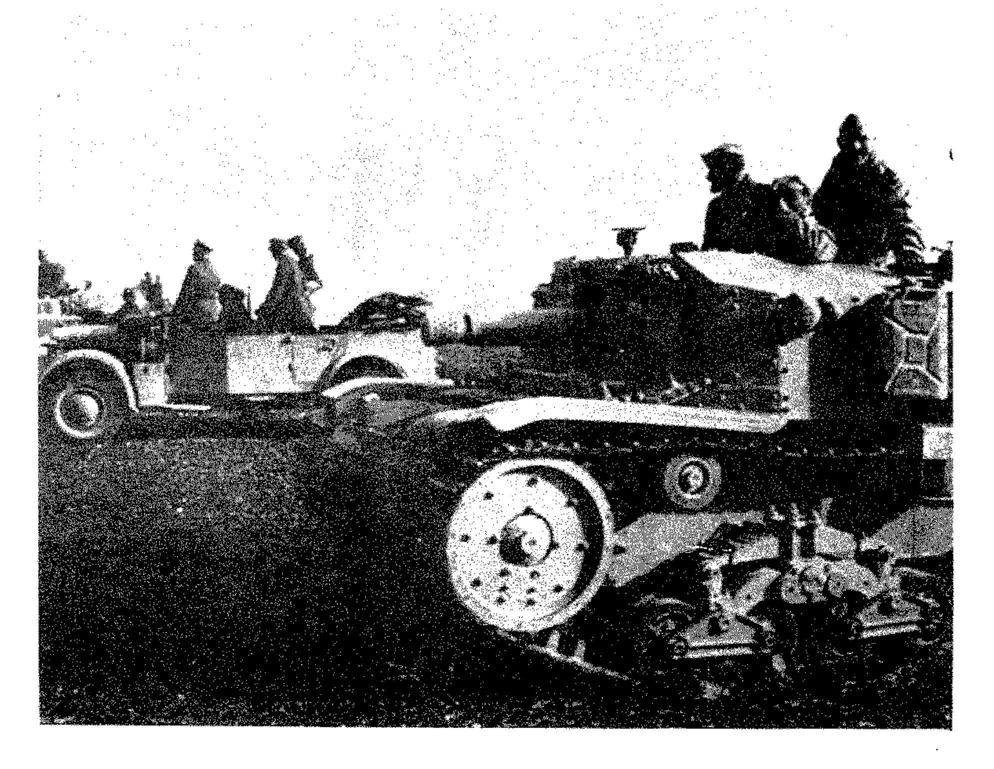
ويرتكز الخط كله على مدينة وميناء طبرق حيث كانت توجد القاعدة الادارية الضخمة للجيش الثامن ، وتحميها فرقة مشاة كاملة داخل نطاق دفاعي يحيط بالمدينة . وكانت الفكرة الرئيسية من إقامة هذا الخط الدفاعي الثابت صد تقدم قوات المحور بقيادة الجنرال « رومل » تجاه مصر ، ريثما ينتهي إنجاز ترتيبات الجيش الثامن واستعداداته لشن هجوم مضاد عام لطرد قوات المحور من ليبيا كلها ، وهي استعدادات كانت تتعلق أساساً بضرورة حشد كمية من الدبابات تحقق نسبة تفوق تعادل ٢ إلى واحد لصالح البريطانيين ، قبل بدء مثل هذا الهجوم ، وذلك وفقاً لقناعة الجنرال «اوكنلك» التي تكونت لديه من خبراته في القتال ضد رومل الذي كان يتمتع بتفوق نوعي في الدبابات وأساليب استخدامها في حرب حركة سريعة .

وكان المعتقد أن حزام الالغام الكثيف الذي تحميه نيران « الصناديق الدفاعية » القادرة على القتال في جميع الاتجاهات ، مع اكتفاء ذاتي لفترة شهر من المؤن والذخيرة ، كفيل بمنع اختراق الدبابات



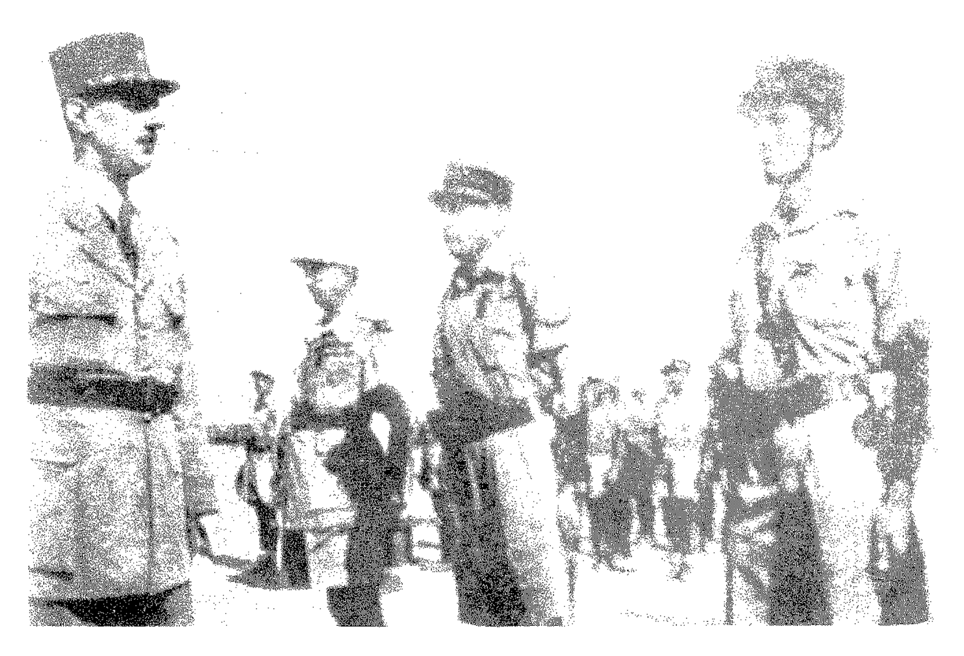

موقع بير حكيم الدفاعي (١٩٤٢)

القوات الألمانية تستعد لمهاجمة بير حكيم





رشاش مضاد للطائرات في بير حكيم



ديغول يهنىء كتيبة الفرنسيين الأحرار الاولى في بير حكيم

الالمانية للخط . وأن الاحتياطي المدرع في العمق العملياتي يستطيع التصدي لأي محاولة التفاف حول الخط من الجنوب .

وفي ٢٦ أيار (مايو) ١٩٤٢ ، بادر رومل بالهجوم ، دافعاً قواته المدرعة والميكانيكية كلها في حركة التفاف واسعة النطاق حول « بير حكيم » لتدمير الاحتياطي المدرع البريطاني وتطويق خط الغزالة بأكمله . وفي الوقت نفسه كانت مشاته تقوم بهجوم تثبيتي في الشمال قرب الغزالة . واستطاعت المدرعات الالمانية أن تصل إلى مؤخرة الخط وتنزل ضربات قوية بالمدرعات البريطانية ، إلا أنها واجهت مشكلة نقص الوقود والذخيرة ، نظراً لطول خطوط المواصلات الممتدة حول « بير حكيم » وتعرضها لنيران مدفعية حاميتها ، ولذا بذل « رومل » جهداً كبيراً للاستيلاء على « بير حكيم » بغية فتح طريق الامدادات ، وتسهيل عملية الالتفاف . وقد صمدت الحامية صموداً قوياً للهجمات الالمانية والايطالية التي استخدمت فيها الدبابات والمدفعية والمشاة وطائرات (شتوكا) لمدة أسبوعين . ثم انسحبت في ليلة ١١ حزيران (يونيو) عبر الخطوط الالمانية بعد أن قاربت ذخيرتها ومؤونها على النفاد . ووصل نحو ٢٥٠٠ جندي فرنسي إلى الخطوط البريطانية في المؤخرة ، على حين وقع في الاسر نحو ٥٠٠ آخرين معظمهم من الجرحى . وبلغت جملة الخسائر الفرنسية في المعركة نحو ٩٠٠ رجل بين قتيل وجريح وأسير . وأثبتت هذه المعركة إمكان احتفاظ قوة مصممة على القتال بمواقعها الدفاعية في الصحراء المكشوفة طالما أن لديها ذخيرة ومؤناً ، والصمود في وجه أشد الهجمات الجوية والبرية متى كانت الاستحكامات جيدة الاعداد والحماية والتمويه . ولكن قيادة الجيش البريطاني لم تستثمر صمود « بير حكيم » التكتيكي بدرجة كافية ، نظراً لعجزها وقصورها في مواجهة حرب الحركة التي مارستها الفرق المدرعة الالمانية في مؤخرة الخط الدفاعي بمهارة ، ومن هنا يتضح أن المواقع الثابتة القوية في الصحراء تلعب دور محاور ارتكاز للقوات المدرعة والميكانيكية التي تلعب الدور الرئيسي في العمليات القتالية بالصحراء بمعاونة الطيران (انظر حرب الصحراء) .

(١) بيرشينغ (جون جوزيف)

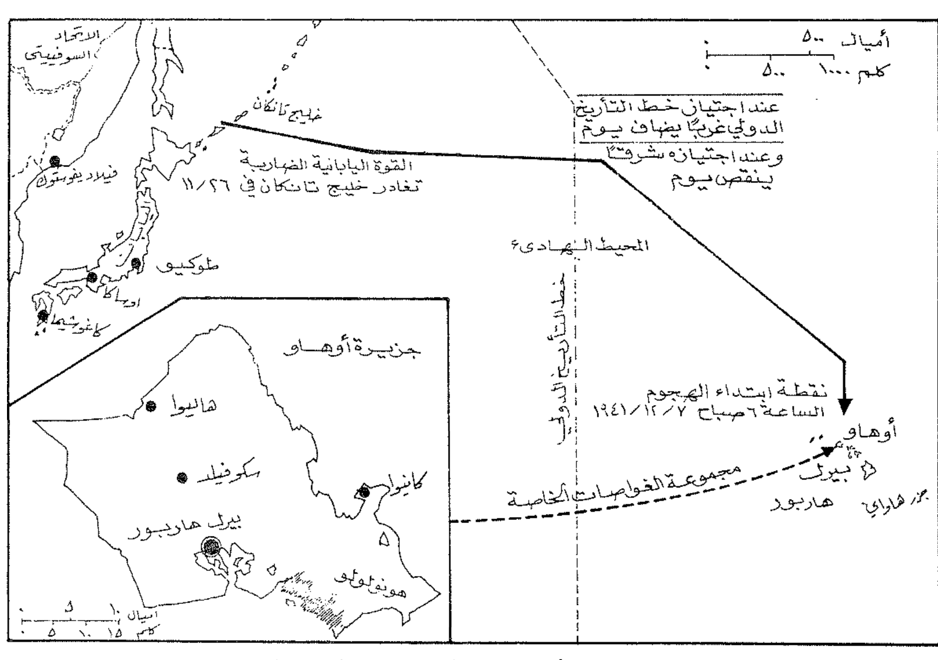
جنرال اميركي (١٨٦٠ – ١٩٤٨) ولد جون جوزيف بيرشينغ (John Joseph Pershing) في ولاية ميسوري ، وهو من أصل الزاسي . تلقى علومه العسكرية في ويست بوينت ، وتخرج منها ضابطاً في سلاح الخيالة . اشترك في المعارك ضد الهنود الحمر في أريزونا ونيو ميكسيكو وداكوتا ، كما اشترك في حصار كوبا خلال الحرب الاسبانية – الاميركية (١٨٩٨) ، وفي قمع انتفاضة الفيليبين (١٩٠٠ – ١٩٠٤) ، وفي الحرب الروسية – اليابانية (١٩٠٥) حيث كان يشغل منصب ملحق في القيادة العليا اليابانية .

حصل على رتبة جنرال في الفيليبين في العام ١٩١٣ ، وأمن تهدئة البلاد ، وقاد حملة ١٩١٥ ضد المكسيك . وفي العام ١٩١٧ عين بيرشينغ قائداً عاماً للقوات الاميركية على الجبهة الفرنسية فقبل تعليمات القيادة الفرنسية العليا الخاصة بتسليح وتدريب قواته التي اشتبكت في القتال لأول مرة في سيشبري Seichepry خلال شهر نيسان

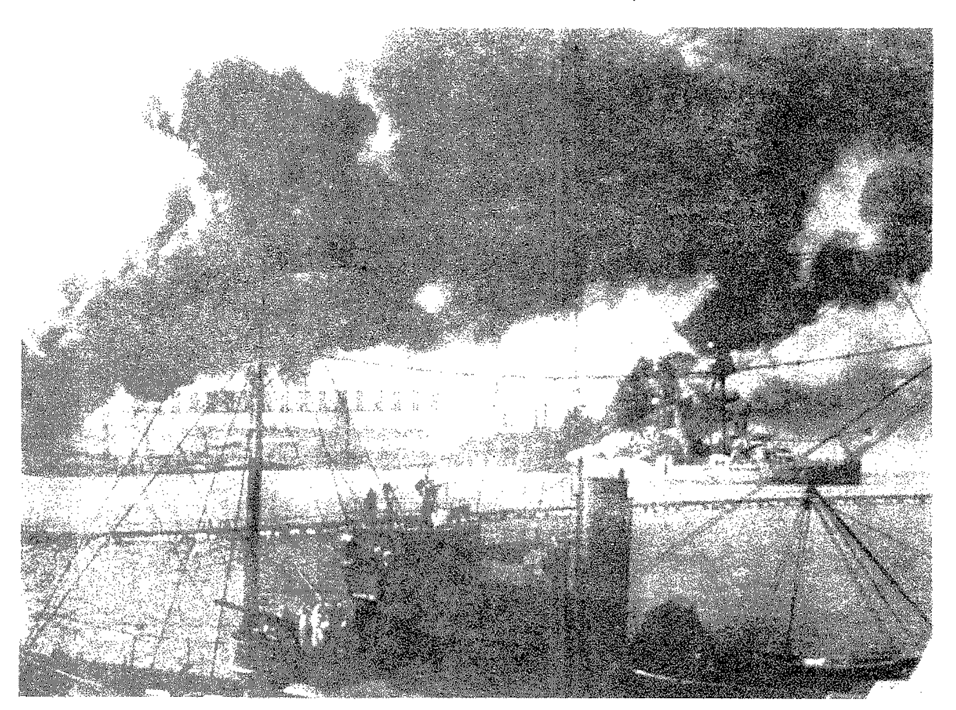
(ابريل) ١٩١٨ . ولم يلبث المارشــال فوش أن أدخل هذه القوات الاميركية بالتدريج ضمن التشكيلة العامة لقوات الحلفاء . ولقد قامت القوات الاميركية تحت قيادة بيرشينغ بأعمال باهرة في غابة بيللو Belleau. خلال شهر حزيران (يونيو) ، وسواسون Soissons خلال تموز (يوليو) ، وسان ميهييل Saint Mihiel خلال أيلول (سبتمبر) . ثم شن بيرشينغ بالتعاون مع جيش غورو Gouraud معركة ضارية ضد الالمان بين أرغون والموز . وفي ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) وصل سيدان واحتلها . كتب بيرشينغ مذكراتــه « ذكرياتي عن الحرب » (١٩٣١) التي ترجمت إلى الفرنسية .

(٤) بيرل هاربور (معركة) ١٩٤١

في الثلاثينيات من هذا القرن تعاظم نمو القوى الاحتكارية ذات الاطماع الامبريالية في اليابان ، ومن ثم اصبحت راغبة في السيطرة الاقتصادية والسياسية والعسكرية على قطاع كبير من القارة الآسيوية يوفر لها حاجاتها المتزايدة من المواد الخام والاسواق التجارية ، وبلورت هذه الرغبة تحت شعار يقول « آسيا للآسيويين » . ولذا كان مــن الضروري لهذه القوى أن تعد القوة العسكرية اللازمة لتحقيق أهدافها هذه . ولما كانت اليابان دولة بحرية ، فقد كان لا بد لها من تدعيم اسطولها الحربي الذي كانت تقيد نموه اتفاقية واشنطن عام ١٩٢٢ التي اتفقت فيها بين كل من الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان على ان تكون نسبة التسلح البحري بين الدول الثلاث ، فيما يتعلق بالسفن الحربية الرئيسية ، ٥ – ٥ – ٣ ، التي تعني أن اليابان كانت لا تستطيع أن تبني سوى ٣ سفن مقابل كل ٥ سفن من هذا النوع تبنيها كل من الولايات المتحدة أو بريطانيا . ولذلك خرجت الحكومة اليابانية ، التي أصبحت خاضعة للعسكريين تماماً ، في عام ١٩٣٤ على هذه الاتفاقية ، وبدأت عملية تنمية سريعة للقوة البحرية ، بحيث أصبحت أقوى من الاسطولين الامريكي والبريطاني الموجودين في المحيط الهادىء خلال خريف عام ١٩٤١ . وركزت البحرية اليابانية في إعادة تسليحها على بناء حاملات الطائرات بحيث أصبح لديها ١٠ حاملات طائرات مقابل ٣ حاملات للولايات المتحدة وحاملة لبريطانيا في هذا المحيط . واتجهت التوسعات الامبريالية اليابانية منذ عام ١٩٣١ إلى الصين ، حيث هاجمت منشوريا واحتلتها ثم هاجمت بقية اراضي الصين عام ١٩٣٧ . الأمر



الهجوم الياباني على بيرل هاربور (١٩٤١)



ميناء بيرل هاربور والسفن الاميركية تحترق

الذي أدى إلى خشية الولايات المتحدة وبريطانيا وهولندا على مصالحها الاستعمارية في جنوب شرقي آسيا وجزر المحيــط الهادىء ، خاصة في الفلبين واندونيسيا .

وفي صيف ١٩٣٩ حاولت الجيوش اليابانية احتلال اجزاء من جمهورية منغوليا الشعبية ، إلا أن القوات السوفييتية بقيادة الجنرال « جوكوف » التي قدمت لمساعدة القوات المنغولية وجهت إليها ضربة مضادة أنزلت بها هزيمة كبيرة خلال شهر آب (اغسطس) جعلت القوى الامبريالية اليابانية تعدل عن كل اتجاه نحو شمال الصين حتى لا تصطدم مع الاتحاد السوفيتي ، خاصة بعد أن تأكدت من عدم وجود نية لدى حليفتها المانيا النازية في مهاجمة الاتحاد السوفيتي بصفة عاجلة أثر توقيع

الاخيرة معاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي في الشهر نفسه ، وبدأت تخطط لتصفية المستعمرات الفرنسية والبريطانية والهولندية والامريكية في القارة الآسيوية والمحيط الهادئ ، ولما كانت السيطرة البحرية تشكل أساس قدرة اليابان على تحقيق اهدافها التوسعية هذه ، لذلك كان لا بد لها من التفكير في شل قدرة الاسطول الامريكي في المحيط الهادئ على التدخل الفعال في بداية العمليات الحربية الخاطفة الهادفة إلى الاستيلاء على معظم المستعمرات البريطانية والهولندية والامريكية بسرعة ، لخلق أمر واقع عسكري وسياسي يصعب على الولايات المتحدة وبريطانيا تغييره بعد ذلك ، خاصة في ظل انتصارات المانيا النازية في اوروبا .

وعقب تولي الاميرال « ايسوروكو ياماماتو » قيادة البحرية اليابانية في آب (اغسطس) ١٩٣٩ بدأ يفكر في خطة جريئة لتوجيه ضربة مفاجئة لقاعدة « بيرل هاربور » الامريكية الموجودة بجزر هاواي على مبعدة (٢٠٩٠) ميلا بحرياً إلى الجنوب الغربي من « سان فرانسيسكو » على الساحل الغربي للولايات المتحدة،وتبعد عن اليابان نحو ٥٦٠٠ كم ، وذلك نظراً لأنها القاعدة الرئيسية للاسطول الامريكي في المحيط الهادئ والمعتبرة في مأمن من أي هجوم بحري ياباني فعال ، وخارج مدى أي قاذفة قنابل يابانية أو غير يابانية . وكان « ياماماتو » من ضباط البحرية القلائل المؤمنين بفاعلية حاملات الطائرات وسيادتها المستقبلية على بقية القطع الحربية الاخرى بما فيها البوارج ، خاصة بعد تجربته تولي قيادة اول حاملة طائرات يابانية عام ١٩٢٨ . ولذلك رسم خطته على أساس إرسال قوة من حاملات الطائرات سراً إلى أقرب مسافة ممكنة من جزيرة « اوهاو » حيث يوجد ميناء « بيرل هاربور » على مقربة من مدينة « هونولولو » ، ثم تقوم الطائرات بالطيران من هناك وتهاجم الميناء المذكور فجأة وتدمر أكبر عدد ممكن من السفن الحربية الامريكية الرئيسية الموجودة به ، بالاضافة إلى تدمير الطائرات الرابضة في مطارات الجزيرة لضمان عدم مطاردة حاملات الطائرات أثناء رحلة العودة إلى اليابان .

وتأكدت أهمية توجيه ضربة جوية مفاجئة لبيرل هاربور عندما حشدت الولايات المتحدة قوة كبيرة من اسطولها هناك خلال شهر أيار (مايو) ١٩٤٠ لتكون بمثابة قوة رادعة لليابان في سياستها التوسعية في جنوب شرق آسيا وجزر المحيط الهادئ ، كما زادت قناعة « ياماماتو » في مدى صلاحية حاملات الطائرات للقيام بهذه المهمة اثر نجاح الهجوم الجوي الليلي الذي شنته الطائرات البريطانية من فوق ظهر حاملة طائرات على القاعدة البحرية الايطالية « تارانتو » يوم ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٠ ونجاحها في إغراق ثلاث بوارج كانت راسية فيها بعد إصابتها بالطوربيدات ، مشكلة بذلك أول سابقة بالغة الأهمية في عمليات حاملات الطائرات في تاريخ الحرب البحرية ضد البوارج التي كانت معتبرة حتى ذلك الوقت القطع البحرية الاساسية في أي سلاح بحري في العالم .

وقام « ياماماتو » ، الذي ظل حتى شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٠ يحتفظ بفكرته هذه كسر خاص به ، باعداد خريطة لبيرل هاربور في قمرته الخاصة الموجودة بسفينة القيادة البارجة « ناجاتو » كانت تحمل باستمرار احدث المعلومات عن القاعدة المذكورة ، وفقاً لآخر تقارير المخابرات، والتي تشمل عدد ونوعيات السفن الحربية الموجودة بها ، وطبيعة الدفاعات البحرية والجوية ، وعمق المياه داخل وخارج الميناء ، وسرعة التيار ، وظروف المناخ والتضاريس في جزيرة « اوهاو » الخ . وقد اطلق على العملية الهجومية ، التي أخذ يخطط لها تنفيذياً ابتداء من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٠ بعد أن باح بنيته الخاصة بها الى رئيس اركانه للمرة الاولى ، اسم « العملية زد » .

وقد اختار « ياماماتو » خليجاً معيناً في الجزر اليابانية يشبه خليج بيرل هاربور لاجراء التدريبات الطويلة الدقيقة لطياري حاملات الطائرات الذين لم يعرفوا الهدف الحقيقي من تدريباتهم إلا عشية الابحار الى « بيرل هاربور » تقريباً .

ولقد عكف الفنيون في الصناعة الحربية على تصميم قنابل خاصة خارقة للدروع لتحملها القاذفات التي ستقصف البوارج والطرادات من ارتفاع عال نسبياً ، وطوربيدات خاصة لقاذفات الطوربيد التي ستهاجم البوارج الراسية على مبعدة نحو ٥٠٠ متر فقط من شاطىء خليج بيرل هاربور الذي لا يزيد عمق الماء فيه عن ٤٠ قدماً ، تكون قادرة على الطفو السريع عقب اصطدامها بالماء عند اسقاطها من الطائرة حتى لا تنغرز في طين قاع الخليج .

وجرى تدريب طياري قاذفات الطوربيد على إصابة نماذج للبوارج الامريكية بنماذج غير متفجرة من هذه الطوربيدات ومن مسافة ٥٠٠ متر تقريباً (١٦٠٠ قدم) الأمر الذي تطلب اطلاقها من ارتفاعات منخفضة للغاية وضمن سرعة بطيئة للطائرة (تبلغ ١٥٠ عقدة) ، كما تم تدريب طياري القاذفات على إصابة سفن تسير بطريقة متعرجة وبسرعة كبيرة حتى بلغت نسبة الاصابة المباشرة في هذه الحالة ٥٠٪ ، وتدرب طيارو الطائرات المنقضة على إصابة الطائرات الرابضة في المطارات ، وأجاد الجميع الاقلاع والهبوط من فوق ظهر الحاملات . وفي الوقت نفسه جرى اعداد مجموعة من غواصات الجيب الصغيرة التي ستحملها غواصات كبيرة إلى قرب بيرل هاربور لتطلقها من هناك حيث تتسلل إلى داخل الميناء ، وتهاجم السفن الراسية فيه بالطوربيدات أثناء الغارة الجوية أو عقبها (تزن الغواصة الجيب اليابانية ٤٦ طناً ويبلغ طولها ٧٨ قدماً ونصف ومجهزة بمحرك كهربائي قوته ٦٠٠ حصان وتبلغ سرعتها القصوى ٢٣ عقدة وهي مسلحة بطوربيدين عيار ١٨ بوصة) .

وفي ٨/٣/١٩٤١ أصدر الرئيس الامريكي قانون الاعارة والتأجير الذي قامت بمقتضاه الولايات المتحدة بارسال الاسلحة (دون مقابل فوري) إلى كل دولة مشتركة في حرب ضد إحدى دول ميثاق المحور الثلاثي (الذي وقعته كل من المانيا النازية وايطاليا الفاشية واليابان في ايلول ـ سبتمبر ١٩٤٠) وبناء على هذا بدأت الولايات المتحدة ترسل اسلحة إلى الصين ابتداء من ١٥ نيسان (ابريل) ١٩٤١ ، الأمر الذي أدى إلى احتدام التناقض بينها وبين اليابان . وفي ٢٠ حزيران (يونيو) من العام نفسه اوقفت الولايات المتحدة تصدير البترول من موانئ الاطلسي والخليج العربي إلى جميع الدول باستثناء بريطانيا وامريكا اللاتينية ، وفي ٢ تموز (يوليو) استدعت اليابان مليون جندي إلى الخدمة ، ثم احتلت الهند الصينية كلها في ٢٤ تموز (يوليو) بموافقة سلطات حكومة فيشي الفرنسية المتعاونة مع المانيا النازية ، فرد الرئيس الامريكي « روزفلت » على ذلك بقرار يقضي بتجميد الاموال والممتلكات اليابانية في الولايات المتحده وإغلاق الموانئ الامريكية في وجه السفن اليابانية وتحريم بيع البترول الامريكي أو منتجاته إلى اليابان ، وذلك يوم ٢٦ تموز (يوليو) . وطالب اليابان بالانسحاب من الهند الصينية والصين مقابل رفع هذه القيود كلها . وأثر ذلك دارت سلسلة من المفاوضات بين البلدين للتوصل إلى حل سلمي ولكنها لم تسفر عن أي نتيجة طوال شهور آب (اغسطس)، وأيلول (سبتمبر) وتشرين الاول والثاني (اكتوبر ونوفمبر) ١٩٤١ . وفي ١٦ تشرين الاول (أكتوبر) اجبر رئيس الوزراء الياباني « كونوي » على الاستقالة تحت ضغط الحزب العسكري المتعاون مع الفئات الاكثر تطرفاً من الاوساط الاحتكارية اليابانية ، وتولى الجنرال

« توجو » رئاسة الوزارة تمهيداً لدخول الحرب ضد الولايات المتحدة وبريطانيا .

وطوال هذه الاثناء كانت خطة العملية « زد » يجري اعداد كافة تفاصيلها بدقة وسرعة وسرية ، وارسلت سفينة تجارية عادية إلى ميناء « هونولولو » وعليها اثنان من كبار ضباط رئاسة اركان البحرية في ثياب مدنية ، عبر الطريق الشمالي غير المطروق عادة في الرحلات إلى جزر هاوي من اليابان ، وذلك لدراسة حال البحر وحركة السفن فيه ، وقدرات الاستطلاع الجوي والبحري الامريكي ، وقد وصلت السفينة في ١٩٤١/١١/١ إلى « هونولولو » دون أن تصادف أية سفينة عادية أو حربية عبر هذا الطريق .

وفي ١٩٤١/١١/٥ أصدر « ياماماتو » أمره الاول الخاص بالعملية إلى الاميرال « ناجومو » قائد القوة البحرية المكلفة بتنفيذها ، التي تألفت من ٣١ سفينة تضم ٦ حاملات طائرات وبارجتين وطرادين ثقيلين وطراد خفيف و ٩ مـدمرات و ٣ غواصات و ٩ ناقلات وقود وتموين . وفي ١١/٢٢ تجمعت القوة سراً في خليج « تانكان » بإحدى جزر « كوريل » المنعزلة اليابانية الواقعة على مبعدة نحو ١٦٠٠ كم إلى الشمال من « طوكيو » استعداداً لتلقي الامر الاخير بالابحار إلى قرب جزر هاواي .

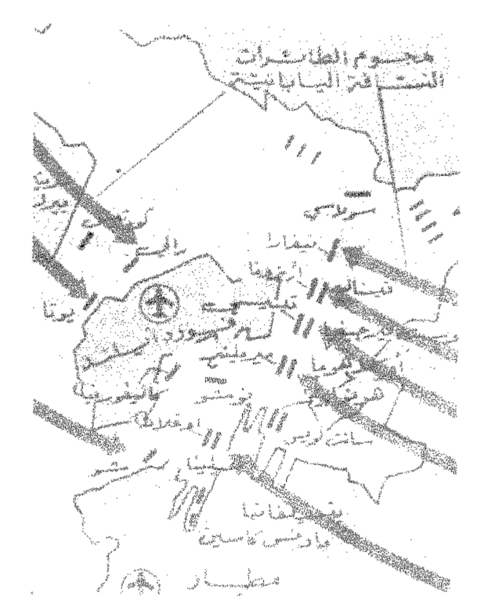
وفي ١٩٤١/١١/٢٥ اصدر « ياماماتو » أمره إلى « ناجومو » بالابحار لتنفيذ العملية ، وفي فجر اليوم التالي بدأت القوة رحلتها وهي في حالة صمت لاسلكي تام ، وفي الوقت نفسه كان هناك ارسال لاسلكي مزيف يظهر لاجهزة التنصت الامريكية أن حركة اللاسلكي البحرية العادية للاسطول الياباني تسير كما هي ، ولذلك اعتقدت المخابرات الامريكية أن حاملات الطائرات اليابانية موجودة في قواعدها الاصلية طوال فترة رحلتها السرية نحو « بيرل هاربور » . وطول هذا كله كان الوفد الياباني لا يزال يتفاوض في « واشنطن » من أجل التوصل الى حل سلمي يرضي مطامع الامبريالية اليابانية ، ولذلك كان هناك اتفاق مسبق بين « ياماماتو » و « ناجومو » على شيفرة معينة تعني الاستمرار في العملية أو إلغاءها .

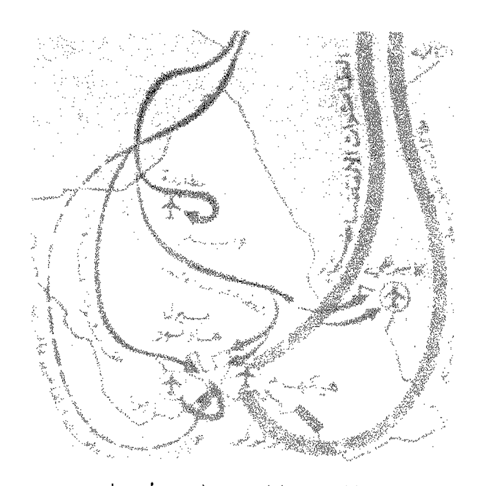
وفي فجر يوم ١٩٤١/١٢/٢ تلقى « ناجومو » في عرض المحيط الهادئ رسالة لاسلكية من «ياماماتو» تقول « اصعد جبل نييتاكا » وكانت تعني نفذ الهجوم على « بيرل هاربور » . وارسلت في الوقت نفسه رسائل بالشفرة إلى سفير اليابان في « واشنطن » وكذلك إلى سفرائها في جنوب شرق آسيا وقنصلها في « هونولولو » كي يقوموا باحراق اوراقهم السرية .

وفي ١٩٤١/١٢/٥ ارسل أحد جواسيس اليابان في جزيرة « اوهاو » رسالة بالشيفرة اللاسلكية إلى طوكيو تفيد بعدم وجود أي حاملة طائرات امريكية في « بيرل هاربور » ، وكان « ياماماتو » يتوقع أصلا وجود ٣ أو ٤ حاملات طائرات امريكية هناك ، ورغم هذا فقد استمرت قوة « ناجومو » في اقترابها من « بيرل هاربور » لأنه اصبح من المتعذر العدول عن الهجوم خاصة وأن البوارج الامريكية كانت لا تزال راسية هناك .

وقبيل فجر ١٩٤١/١٢/٧ وصلت القوة إلى نقطة تبعد نحو ٣٦٨ كم إلى الشمال من « بيرل هاربور » دون أن تعترضها أي سفينة أو طائرة امريكية للاستطلاع ، ومن هناك بدأت الموجة الاولى من الطائرات اقلاعها من فوق سطح حاملات الطائرات الست في الساعة السادسة صباحاً ، وفي خلال ١٥ دقيقة كانت القوة الجوية المؤلفة من ١٨١ طائرة قد اقلعت كلا في طريقها نحو « بيرل هاربور » بقيادة الضابط الطيار المسؤول عن القوة الجوية المشتركة في العملية ويدعى « فوشيدا » ، وكانت تضم ٤٢ طائرة مقاتلة و ٤٨ قاذفة قنابل و ٥١ قاذفة منقضة و ٤٠ قاذفة طوربيد . وفي حوالي السادسة وخمس واربعين دقيقة التقطت إحدى محطات الرادار الامريكية الخمس المتحركة (أجهزة كانت لا تزال في مرحلة اولية من التطور) حركة الطائرات اليابانية وهي لا تزال على مسافة نحو ٢٠٨ كم من « بيرل هاربور » وابلغ الجنديان اللذان كانا يعملان عليها ما شاهداه على شاشة الرادار من اقتراب مجموعة كبيرة من الطائرات إلى الملازم الموجود في مقر قيادة الانذار الجوي تليفونياً ، إلا أنه اعتقد أن هذه الطائرات إما أن تكون إحدى دوريات الطيران الامريكي العادية أو تكون مجموعة القاذفات الامريكية ذات الاربع محركات طراز «ب – ١٧» القادمة من كاليفورنيا لتعزيز قوة الاستطلاع الجوي بالجزيرة ، وبالفعل كانت ١٢ قاذفة من هذا النوع تقترب من الجزيرة وقتئذ من جهة الشمال الشرقي .

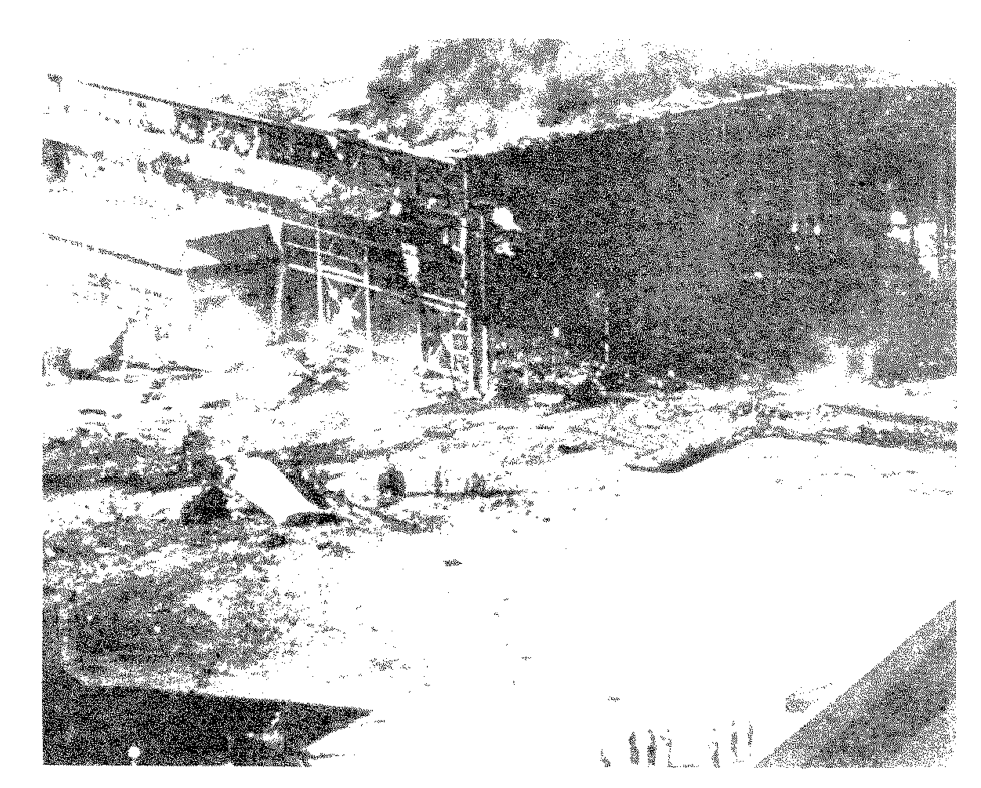
وهكذا افلتت آخر فرصة للقوة البحرية الامريكية في تجنب المفاجأة اليابانية التي قدر لها أن تتحقق بصورة كاملة ، إذ بدأت الطائرات اليابانية هجومها على ميناء « بيرل هاربور » في تمام الساعة ٧,٥٥ بالتوقيت المحلي . وقبل أن يبدأ « فوشيدا » هجومه مباشرة أرسل إشارة لاسلكية إلى قيادته يقول فيها


اتجاهات هجوم الطائرات اليابانية


خطة الهجوم الجوي على بيرل هاربور

سفن الاطفاء في الميناء





عنبر يحترق في محطة الطيران البحري

« تورا ، تورا ، تورا » وهي كلمات تعني « النمر ، النمر ، النمر » وترمز إلى تحقق المفاجأة الكاملة . واستمر هجوم الموجة الاولى لمدة نصف ساعة ، الذي لعبت فيه قاذفات الطوربيد الدور الحاسم ضد السفن الحربية الرئيسية الراسية في الميناء . كما هاجمت الطائرات المنقضة والمقاتلات ايضاً (بعد أن أدركت عدم وجود أي اعتراض جوي امريكي نتيجة تحقق المفاجأة) المطارات الموجودة بالجزيرة ودمرت العديد من طائراتها المصطفة بجانب بعضها (صفت الطائرات على هذا النحو لتسهيل حراستها ضد أي عمليات تخريب برية كانت القيادة الامريكية تتوقعها من عملاء اليابان في الجزيرة) ، ثم وصلت الموجة الثانية من الطائرات اليابانية في الساعة الثامنة وخمسين دقيقة وكانت تضم ١٧٠ طائرة من بينها ٨٠ طائرة منقضة و ٣٦ طائرة مقاتلة والباقي من قاذفات القنابل ، وقد واجهت هذه الموجة مقاومة ارضية مضادة للطائرات اكثر فاعلية من تلك التي واجهتها طائرات الموجة الاولى ، ولذلك بلغت خسائرها ٢٠ طائرة (١٤ طائرة منقضة و ٦ مقاتلات) مقابل ٩ طائرات فقدت في الموجة الاولى التي تحققت فيها المفاجأة الكاملة . واشتركت المقاتلات في مهاجمة الطائرات الرابضة على الارض برشاشاتها وقام اثنان من طياريها أصيبت طائراتهما



أعمال الإنقاذ خلال الهجوم

بالانقضاض فوق حظائر الطائرات والاصطدام بها بطريقة انتحارية سجلت أول عمليات « الكاميكاز » الانتحارية اليابانية التي استخدمت بعد ذلك في مراحل الحرب المتقدمة .

وفي حوالي الساعة ٩,٤٥ بدأت الطائرات اليابانية في العودة إلى حاملاتها الرابضة على مسافة ٣٢٠ كم تقريباً إلى الشمال من « بيرل هاربور » مخلفة وراءها سحباً عالية من الدخان الاسود الكثيف المتصاعد من حرائق السفن ومنشآت الميناء والمطارات ونتج عن الهجوم غرق خمس بوارج (امكن تعويم ثلاثة منها فيما بعد واصلاحها) واصابة ثلاث بوارج اخرى باضرار شديدة جعلتها غير صالحة لفترة طويلة . واصابة ثلاثة طرادات باضرار شديدة (امكن اصلاحها فيما بعد) واغراق مدمرتين واصابة مدمرتين اخريتين باضرار شديدة (امكن اصلاحها فيما بعد) واغراق سفينة بث الغام (امكن تعويمها فيما بعد) واصابة سفينتين اخريتين باضرار شديدة احداهما سفينة تموين والاخرى سفينة اصلاح وصيانة (امكن اصلاحهما فيما بعد) هذا فضلا عن تدمير ١٨٨ طائرة واعطاب ١٥٩ طائرة اخرى ، وقتل نتيجة لذلك الهجوم ٢٣٣٥ من العسكريين الامريكيين في البحرية والجيش والطيران بالاضافة الى ٦٨ من المدنيين ، وجرح ١١٧٨ آخرين . وفقدت القوة الجوية اليابانية ٢٩ طائرة (منها ٩ مقاتلات و ١٥ قاذفة منقضة و ٥ قاذفات طوربيد) كما اغرقت ٥ غواصات جيب وغواصة كبيرة (فشل هجوم الغواصات تماماً) . ولقد عادت الطائرات اليابانية كلها إلى الحاملات حوالي الساعة الثانية عشرة ظهراً . وعرض « فوشيدا » على « ناجومو » معاودة الهجوم مرة اخرى على « بيرل هاربور » قبل الرحيل لاستكمال اغراق ٧٢ سفينة من مختلف الانواع كانت لا تزال موجودة هناك ، خاصة وأن الطيران الامريكي قد دمر على الارض ، إذ لم تستطع أن تقلع خلال الهجمات الجوية سوى ثلاث مقاتلات امريكية فقط . ولكن « ناجومو » خشي معاودة الهجوم وآثر العودة السريعة باسطوله خاصة وأن عدم وجود حاملات الطائرات الامريكية في « بيرل هاربور » كان يثير مخاوفه من حيث احتمال مطاردتها له اذا كانت قريبة منه ، (كانت إحدى الحاملات تحت الاصلاح في الولايات المتحدة وحاملة اخرى كانت تنقل طائرات الى جزيرة « ميدواي » وثالثة كانت عائدة إلى « بيرل هاربور » من جزيرة « واك » كما كانت توجد ٣ حاملات اخرى في الاطلسي) ولذلك استدارت القوة البحرية اليابانية عائدة في حوالي الواحدة والنصف ظهراً ووصلت إلى اليابان سالمة في الفترة ما بين ٢٤ و ٢٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ .

وفي حوالي الساعة العاشرة والنصف بتوقيت جزر هاواي (أي حوالي الساعة الرابعة فجراً بتوقيت واشنطن) سلم السفير الياباني في واشنطن إلى وزارة الخارجية الامريكية قرار امبراطور اليابان باعلان الحرب على الولايات المتحدة، واثر بدء هجوم « بيرل هاربور » بدأت القوات اليابانية هجمات جوية وبرية وبرمائية في أماكن اخرى في جنوب شرقي آسيا وجزر المحيط الهادئ (هوجمت تايلاند، والملايو، وجزر الفلبين ،وجزيرة غوام ، وهونغ كونغ) وهكذا

بدأت الحرب الخاطفة اليابانية في ظل الشلل المؤقت للقوة البحرية الامريكية الناتج عن ضربة « بيرل هاربور » على امل خلق امر واقع بسرعة تقف إزاءه الولايات المتحدة وبريطانيا عاجزتين فتضطران إلى التسليم به وانهاء الحرب ؛ كما كان الجنرال « توجو » رئيس الوزراء الياباني يتصور قبل اتخاذ قراره الاخير بالحرب .

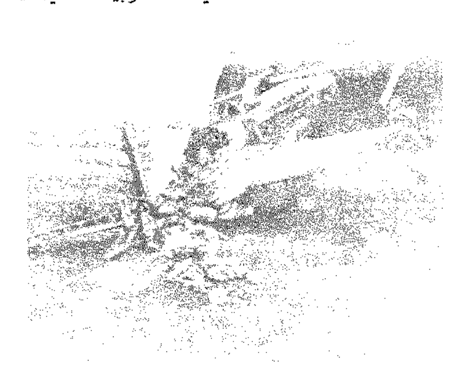
وقد أثار نجاح الهجوم الياباني المفاجئ على « بيرل هاربور » نقاشاً حاداً في الولايات المتحدة خلال الحرب وبعد انتهائها ما زالت تزخر به الدراسات العسكرية التاريخية والدراسات السياسية لهذا الجانب من الحرب العالمية الثانية ، نظراً للسهولة التي تحققت بها المفاجأة اليابانية بالصورة التي لم يكن يحلم بها « ياماماتو » أو « ناجومو » أثناء التخطيط للعملية وتنفيذها ، خاصة وأن فكرة الهجوم الجوي المفاجئ على قاعدة « بيرل هاربور » لم تكن احتمالا بعيداً لدى القيادات العسكرية الامريكية.

في عام ١٩٣٢ ، عقب قرار الرئيس الامريكي باعتبار « بيرل هاربور » قاعدة رئيسية للاسطول في المحيط الهادئ اثر هجوم اليابان على منشوريا ، قام الاميرال « فرانك شوفيلد » قائد اسطول المحيط الهادئ وقتئذ باجراء مناورة بواسطة ١٥٠ طائرة اقلعت من حاملتي طائرات وصلتا إلى مسافة ٩٦ كم تقريباً إلى الشمال الشرقي من جزيرة « اوهاو » قبل الفجر ، ووصلت الطائرات إلى « بيرل هاربور » دون أن تشعر باقترابها وحدات الدفاع الجوي بالقاعدة والتي كانت تضم ٣٨ مقاتلة فقط اعتبرت انها كافية للدفاع عن الجزيرة المفترض بعدها عن مدى أي طائرات معادية ، ونجحت المناورة في تحقيق ضربة مفاجئة (وهمية) للسفن الحربية الراسية في الميناء . وقد اهتمت قيادة البحرية والصحافة بهذه المناورة ذات الدلالة الخطرة إلا أن الاهتمام فتر تدريجياً وتلاشى نهائياً بعد اعتزال « شوفيلد » لمنصبه . غير أن « ياماماتو » لم ينس من جانبه هذه التجربة الامريكية وطبقها بعد ٩ سنوات .

وتكررت التوقعات نفسها مرة اخرى في ١٦/١/١٩٤١ حين رفع اللواء البحري « باتريك بلينجر » قائد الدفاع الجوي في « بيرل هاربور » مذكرة إلى مدير العمليات البحرية اوضح فيها عدم كفاية وسائل الدفاع الجوي بالقاعدة في مواجهة احتمال قيام اليابان بهجوم جوي مفاجئ بواسطة ٦ حاملات طائرات على الارجح تقترب من الاتجاه الشمالي للجزيرة ، خاصة وأن الوسائل المتاحة للمخابرات الامريكية لا تتيح توفير انذار سريع مسبق ،



سفينتان حربيتان امريكيتان مدمرتان في الحوض الجاف



طائرة مدمرة على الارض في قاعدة ويلر

ومن ثم فإنه اكد ضرورة وجود استطلاع جوي مستمر في جميع الاتجاهات حول الجزيرة طوال النهار . وكان هذا يعني ضرورة وجود ١٨٠ قاذفة قنابل ب — ١٧ ذات الأربعة محركات والقادرة على الطيران بعيد المدى، بالجزيرة . ولكن لم يكن يوجد من هذا العدد يوم ٧/١٢/١٩٤١ حين وقع الهجوم الياباني سوى ١٢ طائرة فقط .

وكانت المخابرات الامريكية (وهي جهاز بسيط مختلف تماماً عن الجهاز الحالي الذي انشأ عقب الحرب العالمية الثانية) قد توصلت في نهاية آب (اغسطس) ١٩٤٠ إلى حل الشفرة اليابانية المستخدمة في الرسائل اللاسلكية الديبلوماسية واخذت تترجم هذه الرسائل التي تلتقطها اجهزة التنصت ، ولكن ترجمة الرسائل وتوصيلها إلى قادة القوات المسلحة والرئيس الامريكي كان يستغرق وقتاً طويلا يصل في بعض الاحيان إلى شهرين (كانت الرسائل تجمع من محطات التنصت الموزعة بين جزر الفليبين وواشنطن بواسطة البريد الجوي ثم تترجم وتوصل إلى الرئيس ووزير الخارجية ووزير الدفاع ورئيس الاركان ومديري مخابرات الجيش والبحرية) .

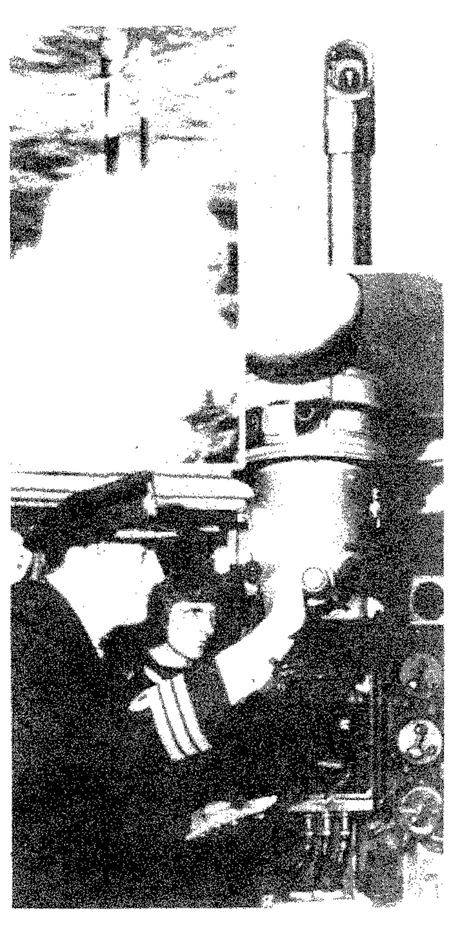
وقد تجمعت لدى السلطات الامريكية ، نتيجة لعدد من الرسائل اليابانية الملتقطة لاسلكياً ، معلومات واضحة تشير إلى اعتزام اليابان شن الحرب على الولايات المتحدة واحتمال توجيه ضربات ما إلى « بيرل هاربور » ، ذلك لأنه في ٢٤/٩/١٩٤١ التقطت رسالة مرسلة من طوكيو إلى القنصل الياباني في « هونولولو » يطلب منه فيها تكليف الجواسيس تجميع معلومات مفصلة عن مواقع السفن الامريكية في ميناء « بيرل هاربور » ، والتقطت رسالة اخرى في ٥/١١/١٩٤١ مرسلة للسفير الياباني في واشنطن تبلغه أن آخر موعد في محاولة التوصل إلى اتفاق ديبلوماسي مع الولايات المتحدة هو ٢٥/١١/١٩٤١ ، ورسالة أخرى إليه التقطت في ٢٢/١١/١٩٤١ مددت الموعد المذكور إلى ٢٩/١١/١٩٤١ وأنه لن يكون هناك تمديد آخر . وفي ١٥/١١/١٩٤١

التقطت رسالة موجهة إلى القنصل الياباني في « هونولولو » تطلب منه جعل تقرير المعلومات عن حركة السفن ومواقعها في ميناء « بيرل هاربور » يتم مرتين في الاسبوع. ورسالة اخرى التقطت يوم ١٩٤١/١١/٢٩ كانت تطلب أيضاً تقريراً عن حركة السفن في الميناء. والتقطت رسالة يوم ١٢/٢/ ١٩٤١ إلى السفير الياباني في واشنطن تطلب منه إحراق أوراقه الهامة.

وكان السفير الامريكي في اليابان « جوزيف كرو » قد ارسل في ١٩٤١/١/٢٧ مذكرة إلى حكومته يبلغها بأن هناك شائعة تقول ان اليابان ترتب لهجوم مفاجئ على « بيرل هاربور »، ثم عاد وارسل برقية يوم ١٩٤١/١١/١٧ يقول فيها ان اليابان قد توجه ضربة عسكرية مفاجئة في أي وقت، دون تحديد مكان الضربة. والتقطت في ١٩٤١/١٢/٦ رسالة من جواسيس يابانيين في « هونولولو » إلى طوكيو، لم تحل شفرتها إلا يوم ١٩٤١/١٢/٨، تقول أن هناك فرصة ملائمة لتوجيه ضربة مفاجئة إلى « بيرل هاربور » وانه ليس هناك دلائل تشير لوجود استطلاع جوي امريكي

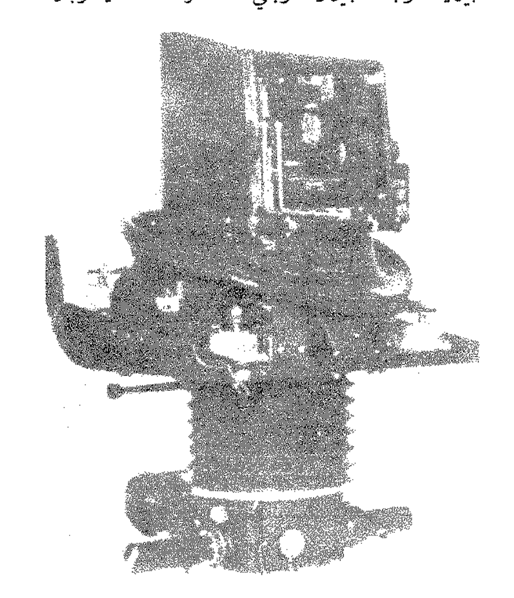
واقتصرت الاجراءات الامريكية المضادة على اصدار اوامر من الاميرال « كيمل » قائد الاسطول الامريكي في المحيط الهادىء في ١٩٤١/١١/٢٨ تقضي بإغراق أي غواصة تكتشف تحت الماء قرب « بيرل هاربور » (وهذا هو السبب الرئيسي لفشل هجوم الغواصات اليابانية على الميناء) وبتعزيز القوة الجوية الامريكية فيجزيرتي « ميدواي » و « واك » (وهذا هو سبب تغيب حاملتي الطائرات الامريكيتين عن « بيرل هاربور » عند وقوع الهجوم).

والغريب أن أول غواصة يابانية اكتشفت واغرقت قرب « بيرل هاربور » في الساعة ٦,٣٥ صباح يوم ١٩٤١/١٢/٧ وابلغ الاميرال « كيمل » بذلك في الساعة ٧,٣٠. ولكن لم تتخذ أي اجراءات انذار للقاعدة البحرية أو القواعد الجوية. وقد ذهب بعض الكتاب بعد الحرب في تفسيرهم لسبب تحقق المفاجأة الكاملة وإلحاق الكارثة بالاسطول الامريكي في « بيرل هاربور » إلى القول بأن الرئيس الامريكي « روزفلت » تغافل عن عمد، رغم علمه بنوايا اليابان العدوانية، عن اتخاذ اجراءات فعالة مسبقة ضد الهجوم الياباني المحتمل حتى يتيح الفرصة لنجاح الهجوم وبذلك تتوفر لها الظروف السياسية الملائمة للتغلب على معارضة انصار العزلة في « الكونغرس »؛ وادخال الولايات المتحدة طرفاً في الحرب العالمية الثانية الدائرة منذ عام ١٩٣٩ ضد



بيريسكوب الغواصة

بيريسكوب جيروسكوبي لطائرات الهليكوبتر



المانيا وايطاليا شريكتا اليابان في ميثاق المحور الثلاثي. (قال بهذا الرأي اللواء البحري الامريكي « روبرت تيوبالد » في كتابه « السر النهائي لبيرل هاربور «The final secret of Pearl Harbor» by "Theoblad"، ولكن هذا الفرض مستبعد من غالبية الباحثين، وهو غير منطقي أيضاً، والواقع أن السبب الرئيسي لغفلة القيادة الامريكية يرجع إلى تصور سياسي معين مؤداه أن اتجاه اليابان الرئيسي هو نحو جنوب شرقي آسيا للاستيلاء على المستعمرات البريطانية والهولندية والفرنسية، وانه ليس في مصلحة اليابان الاستراتيجية جر الولايات المتحدة إلى الحرب ضدها عن طريق مهاجمة « بيرل هاربور » أو غيرها من القواعد في المحيط الهادئ.

أما على المستوى التكتيكي فقد كان ضعف وسائل الاستطلاع البحري والجوي، وتخلف وسائل الانذار الراداري وحداثة استخدامها، فضلا عن وجود حالة من الاسترخاء النابع عن الثقة الكبيرة في القوة الامريكية التي تشكل رادعاً لليابان، هي الاسباب الحقيقية للتقصير والاهمال الذي أدى إلى نجاح الهجوم على « بيرل هاربور ».

(٦) بيريا (لافرينتي)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) بيريسكوب

البيريسكوب Periscope جهاز بصري يستخدم في القتال البري، والبحري، وفي ملاحة الغواصات، وغير ذلك: لتمكين الراصد من رؤية ما حوله من اشياء، مع بقاءه مختفياً خلف درع او ساتر، او تحت الماء دون الاضطرار الى كشف نفسه للاعداء.

ويعتبر البيريسكوب العين التي ترى بها الغواصات، وقد تطور بتطورها: في البداية كان للغواصات فتحات (كوات) زجاجية جانبية تستخدم للرؤية المباشرة، وكان هذا الامر يتطلب ارتفاع جزء من جسم الغواصة فوق سطح الماء، معرضة نفسها بالتالي لخطر الاستطلاع المعادي. وفي عام (١٨٥٤) صمم ماريي – دافي Marie - Davy لأول مرة في فرنسا جهاز رؤية خاص بالغواصات، يتألف من انبوب يرتفع فوق سطح الماء ويحتوي في نهايتيه على مرآتين متقابلتين، ومتعاكستين، ومتوازيتين، ومثبتتين بزاوية مقدارها (٤٥°). وتتلخص طريقة عمل الجهاز في ان المرآة العليا تتلقى الأشعة المنعكسة عن المشاهد فوق سطح الماء

وتعكسها عمودياً ، عبر الانبوب ، الى المرآة السفلى التي تقوم بتحويلها مرة اخرى من الاتجاه العمودي الى الافقي باتجاه عين الراصد . وقد تمكنت الغواصات باستخدام هذا الجهاز من الحصول على درجة من الرؤية فوق سطح الماء دون الاضطرار الى الصعود والتعرض للاستطلاع المعادي ، إلا أن هذا الجهاز – في أحسن حالاته – كان ذا عيوب كثيرة ، اذ كان قوس رؤيته محدوداً بالتصميم الهندسي البسيط للانبوب ، ويقل كلما زاد طول الانبوب أو صغر قطره .

وفي عام ١٨٧٢ استعيض عن المرآة بالموشور في صنع البيريسكوبات . وتلى ذلك تحسين البيريسكوب من حيث صنعه من أجزاء يتداخل بعضها ببعض ، وبالتالي أصبح بالامكان ادخال الجهاز بكامله الى غلاف داخل الغواصة ، واخراجه من غلافه الى الاعلى عند القيام بالمراقبة .

ولقد أدى استخدام انابيب بيريسكوبية ذات مقاطع عرضية مستطيلة الى الحصول على مجال رؤية أفقية عريض . ثم زود البيريسكوب بتجهيزات بصرية مقربة (تلسكوبية) ، وتجهيزات لتصوير الاهـــداف ، وتجهيزات للمراقبة والقتال الليلي ، وتجهيزات لتقدير بعد الهدف واتجاهه ، وتجهيزات ملاحية تمكن من رصد الاجرام السماوية والفضاء المحيط بالغواصة ، بالاضافة الى ما فوق سطح البحر ، وهي متوارية تحت الماء .

ويبلغ طول بيريسكوب الغواصة الحديث حوالي (١٢) متراً ، ويستدق طرفه العلوي الى ان يبلغ قطره ما يقارب (٢,٥) سنتمتر وذلك لتقليل امكانية اكتشافه فوق سطح الماء .

ولم يقتصر استعمال البيريسكوب على الغواصات وحدها ، فقد استخدمت البيريسكوبات البسيطة بشكل واسع إبان الحرب العالمية الثانية في الخنادق وفي دبابات الميدان والعربات المدرعة كأجهزة مراقبة يستخدمها كل من السائق ، ومسدد المدفع ، والقائد. كما زودت بمنظار مقرب صغير الحجم لكي يمكن استخدامها في توجيه مدافع الدبابات والعربـــات المدرعة . وتتميز هذه البيريسكوبات بامكانية فصل واعادة تركيب الجزء الذي يحوي المرآة او الموشور العلوي عنها ، وبالتالي يمكن استبدال هذا الجزء في حالة إصابته أثناء القتال .

(١) بيريكليس

استراتيجي ورجل دولة أثيني (٤٩٥ – ٤٢٩ ق . م) . ولد بريكليس Pericles في أثينا ، وهو ابن كسانتيبوس رئيس الديمقراطيين . تلقى



بيريكليس

على يد معلميه دروساً جعلت منـــه إنساناً متفائلا مؤمناً بالمثل العليا ومستعداً للعمل من أجلها . وعندما بلغ عمره ثلاثين عاماً انخرط في العمل السياسي تحت قيادة إيفياليتس رئيس الحزب الديمقراطي ، فهاجم الارستقراطيين بعنف ، ونادى بالاصلاح .

وبعد اغتيـــال إيفياليتس ، تسلم بيريكليس قيادة حزبه ، وشارك في ادارة الدولة كاستراتيجي . ولقد انتخب لهذا المنصب ١٥ مرة على الأقل في فترة (٤٤٣ – ٤٢٩ ق . م) . فشارك في عملية « دمقرطة » (Democratisation) الحيـــاة السياسية في أثينا ، وطالب بإلغـــاء القوانين التي تميز بين المواطنين .

وفي فترة نضال أثينا ضد كورنيت وايجين واسبارطة وحلفائها من الفرس والبيوسيين (٤٥٩ – ٤٦٦ ق . م) ، قاد بيريكليس العمليات العسكرية وخاصة منذ عام ٤٥٤ ق. م. (الحملة الظـــافرة ضد سيسيون) . وكان من دعاة الحرب العنيفة المستمرة . وما أن تم توقيع معاهدة كالياس للسلام مع الفرس (٤٤٩ ق.م) ومعاهدة الثلاثين عاماً للسلام مع اسبارطة (٤٤٦ ق.م) حتى انصب اهتمام بيريكليس على الاساليب السلمية، وعلى استخدام نفوذه وسمعته في عالم الأدب والسياسة والحرب لتأمين تلاحم المدن اليونانية المستقلة ووحدتها. واستدعى إلى أثينا كبار المفكرين والفلاسفة والفنانين حتى وصلت المدينة في عصره إلى ذروة تقدمهـــا الحضاري .

وبعد أن تخلص من معارضة الارستقراطيين وعلى رأسهم توسيديد ابن ميليسياس الذي نفي في العام (٤٤٣ ق.م) ، مارس بيريكليس ديكتاتوريـــة الذكاء والفصاحة وقوة الشخصية ، ولقب «بالأوليمبي» وجعل بلاده ديمقراطية مثالية تؤمن لكل مواطن من مواطنيها العمل والغذاء . وعندما وجد أن البلاد غدت غنية قام بأعمال التحصين وبناء الأبنية والنصب . وأدت كل هذه المصروفات إلى أخذ الأموال من صندوق الاتحاد الاثيني . كما أدى خوفه على أمن بلاده إلى تقوية سلطة أثينا على حلفائها ، وإنشاء قوات وحصون لحماية أثينا وحلفائها من هجمات البربر .

شارك بيريكليس في حملة (٤٤٤ – ٤٤٣ ق.م) التي أدت إلى إنشاء مستعمرة توريوا في جنوب ايطاليا ، وقمع بشدة عصيان الساميان Les Samiens (٤٤٠ – ٤٣٩ ق . م) ، وفرض عليهم إقامة حكومة ديمقراطية . وفي العام ٤٣٧ ق.م سار بيريكليس على رأس قوة مسلحة عبر البون أوكسين ليظهر قوة أثينا ويفرض سلطتها على هذه المنطقة التي تمون أثينا بالقمح والسمك .

كان بيريكليس يتوقع دائماً عودة النزاع مع اسبارطة . لذا كان يعقد التحالفات ، ويقمـــع حركات العصيان التي تطلب العون من اسبارطة . الأمر الذي أدى في نهاية الأمر إلى حرب البيلوبونيز (٤٣١ ق. م) . وكان الرجل العظيم قد بدأ يتعرض لمعارضة متزايدة من قبل أعدائه الشخصيين ، والرجال الطموحين الذين لم يصلوا إلى ما يصبون اليه ، والامبرياليين ، والاوليغاركيين ، الذين تجمعوا وراء توسيديد بعد أن عاد من منفاه . ولكن جماهير الشعب بقيت ملتفة حول بيريكليس ومستعدة لتطبيق مخططه .

وفي صيف ٤٣٠ ق. م احتل بيريكليس منطقة ايبيدور ، ولكن الطاعون اجتاح أثينـــا . واستغل اعداؤه حبوط حماسة الجماهير ، وحكموه بغرامة ٥٠ تالان (Talent) لأنه لم يستطع تقديم تقرير عن الأموال السرية التي وضعت تحت تصرفه ولكن الأثينين عادوا إلى الالتفاف حوله ، وانتخبوه من جديد ليكون استراتيجياً في ربيع ٤٢٩ ق. م. بيد أنه لم يلبث أن أصيب بالطاعون ، وتوفي في أيلول (سبتمبر) ٤٢٩ ق. م .

(٥) بيرييف م – ١٢ تشايكا (طائرة)

طائرة دورية بحرية ، واستطلاع ، برمائية . سوفياتية . مروحية . ظهرت لاول مرة في عام ١٩٦١. وتعتبر اكبر مركب طائر في العالم ، ونموذج ليس

هناك ما يشبهه في العالم الغربي. وقد سجلت عدة ارقام قياسية في الارتفاع بالنسبة للطائرات التي في مستواها.

المواصفات العامة: (تقريبية) السرعة القصوى ٦١٠ كم/الساعة. التسليح قنابل اعماق، وألغـام بحرية، وطوربيدات، تحت الاجنحة. واجهزة تصنت واستطلاع داخل جسم الطائرة. الوزن الاقصى للاقلاع ٢٩,٥٠٠ كغ. المدى الاقصى ٤٠٢٥ كم. الحجم: الطول ٢٩,٢٦ م، فتحة الجناحين ٣٢,٩ م، الارتفاع ٧,٠١ م.

(١) بيسيير (جان باتيست)

مارشال فرنسي (١٧٦٨ – ١٨١٣) ودوق أيستري. ولد جان باتيست بيسيير Jean Baptiste Bessieres في بريساك، والتحق بالجيش في العام ١٧٩٢. لفت انتباه بونابرت بجرأته وذكائه في العام ١٨٩٦ فسلمه قيادة أدلائه، وأخذه معه إلى مصر.

وصل بيسيير إلى رتبة مارشال الامبراطورية في العام ١٨٠٤، وقاد خيالة الحرس الأمبراطوري في العام ١٨٠٥. وفي العام ١٨٠٩ وصل إلى منصب القائد العام للحرس وحصل على لقب دوق إيستري. ولقد شارك هذا الضابط بشكل رائع في جميع معارك الامبراطورية، ولعب دوراً هاماً في اسبانيا، وغطى الجيش الكبير خلال انسحابه بعد فشل معركة موسكو (١٨١٢). ولقد أدى نشاط خيالته إلى تأمين الانسحاب بأقل خسارة ممكنة رغم ضغط الروس وملاحقتهم، وهذا ما دفع الامبراطور إلى تعيينه في العام ١٨١٣ قائداً لخيالة الجيش الفرنسي كله.

قتل بيسيير بقنبلة مدفع خلال قيامه بالاستطلاع عشية معركة «لوتزن» (١ أيار ١٨١٣).

(٤) بيضاء فم (معركة) ١٩٤١

هي معركة من معارك الحرب العالمية الثانية التي دارت في مسرح شمالي افريقيا في العام ١٩٤١ وانتهت بانتصار البريطانيين على الايطاليين، وانجاز مهمة القضاء على الجيش العاشر الايطالي في الواحد والعشرين من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤١ استولى الفيلق الثالث عشر البريطاني بقيادة الجنرال «اوكونور» على «طبرق»، ووقع في أسره نحو ٢٥ ألف جندي من الفيلق ٢٢ الايطالي، و ٢٠٠ مدفع ميدان، و ٧٨ دبابة (انظر طبرق، معارك)، وبذلك ضعفت قوة الجيش



المارشال بيسيير

العاشر الايطالي، الذي كان قد فقد من قبل في معركة «سيدي براني» (٩ – ١١/١٢/١٩٤٠) نحو ٣٥ ألف أسير وكميات كبيرة من السلاح والعتاد (انظر سيدي براني، معركة)، كما فقد ٤٥ ألف أسير آخر و ١٢٨ دبابة و ٣٠٠ مدفع في معركة «البردية»، التي سقطت بيد البريطانيين في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٤١. وبذلك بلغ مجموع الاسرى الايطاليين نحو ١٠٥ آلاف أسير في ٣ معارك رئيسية استغرقت فترة ٦ اسابيع فقط.

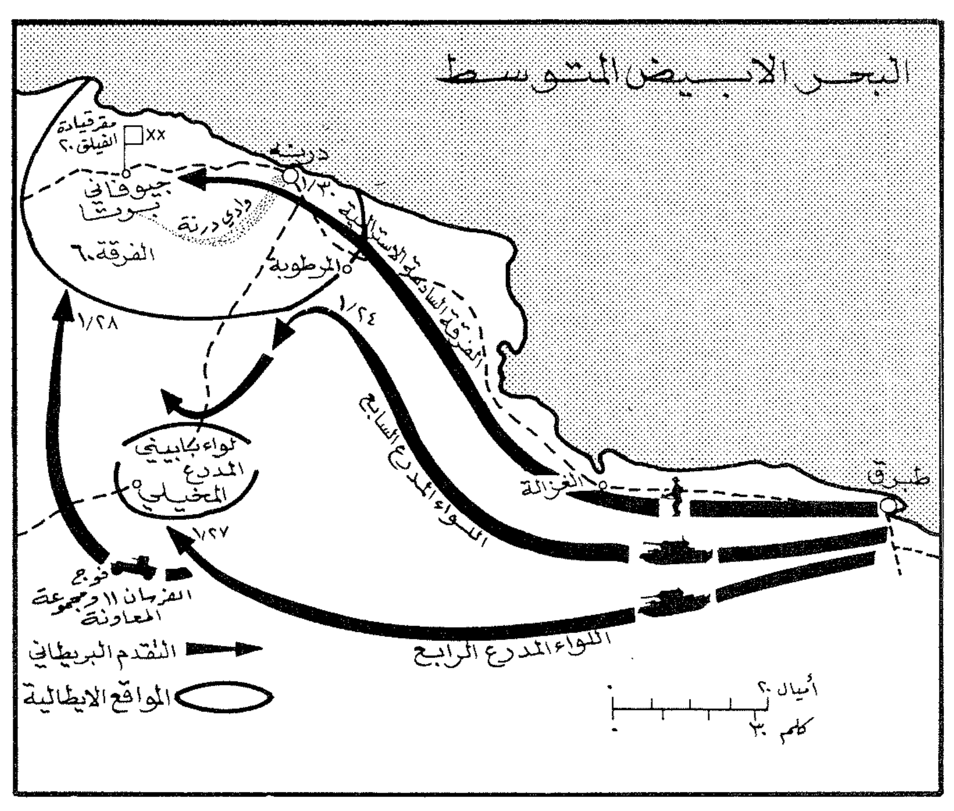
ونتيجة لسقوط «طبرق» اصبح خط الدفاع الايطالي الاخير عن بقية «برقة» وميناء «بنغازي» يمتد من «درنه» على شاطىء البحر الابيض المتوسط لمسافة ٨٠ كم داخل الصحراء حتى «المخيلي»، التي تعتبر نقطة التقاء الدروب الصحراوية الممتدة من شرق «برقة» إلى غربها نحو «بنغازي» و «مسوس» و «اجدابيه». وكان يدافع عن هذا الخط الفيلق ٢٠ المؤلف من فرقة المشاة ٦٠، ولواء «بابيني» المدرع. وقد تمركزت الفرقة ٦٠ (فيما عدا لواء) شرقي «درنه»، عند «المرطوبة» (حيث توجد قاعدة جوية هامة) وكذلك إلى الجنوب منها حيث يمتد درب صحراوي نحو «المخيلي»، التي تمركزت حولها وحدات لواء «بابيني» المدرع ٦٠ دبابة «م ١٣» الحديثة ذات المدفع عيار ٤٧ مم)، لحماية الجناح الجنوبي للخط الدفاعي. ونظراً لأن القوات البريطانية غنمت في مستودعات «طبرق»، التي كانت القاعدة الرئيسية للجيش العاشر الايطالي في برقه، كميات كبيرة من الوقود والمياه والمؤن (ضمت ٤٠٠٠ طن فحم للسفن و ١٠ آلاف طن من المياه) فقد استطاع «اوكونور» أن يدفع اللواء المدرع الرابع من منطقة جنوب «طبرق» يوم ٢٢/١/١٩٤١ للالتفاف حول «المخيلي» من الجنوب، وقطع الدروب المؤدية إليها من الغرب والشمالي الغربي، كما دفع اللواء المدرع السابع (وكلاهما يؤلفان الفرقة المدرعة السابعة) إلى الشمال نحو «المرطوبة» يوم ٢٤/١، لتعزيز جهود لواء المشاة ١٩ التابع للفرقة السادسة الاسترالية الذي كان قد تقدم في اليوم السابق على الطريق الساحلي نحو «درنه»، وذلك لتثبيت قوات فرقة المشاة ٦٠ الموجودة شرقها، في الوقت الذي يقوم فيه اللواء المدرع الرابع بتدمير لواء «بابيني» المدرع في «المخيلي» والتقدم غرباً نحو «الابيار» ومنها إلى «بنغازي» مباشرة، متجنباً المنطقة الساحلية الشمالية في «الجبل الاخضر»، وقاطعاً طريق انسحاب الفرقة ٦٠ من «درنه»، وبذلك يتم القضاء النهائي على بقايا قوات الجيش الايطالي العاشر، وتسقط «برقة» بأكملها في أيدي الفيلق ١٣ البريطاني، وتفتح امام هذا الفيلق سبل التقدم نحو «طرابلس» وطرد الايطاليين من ليبيا تماماً.

وكان «اوكونور» يأمل في أن يستطيع اللواء المدرع الرابع الاستيلاء على «المخيلي» في اغـارة مفاجئة خاطفة، إلا أن وعورة الارض الصحراوية التي سلكها اللواء دون استطلاع مسبق لها ودون توفر خرائط مفصلة للمنطقة، وشدة ظلام ليلة ٢٢ – ٢٣ كانون الاول (يناير) التي حاول اللواء أن يستمر في تقدمه خلالها حتى يستطيع أن يهاجم «المخيلي» في فجر يوم ٢٣/١، أدتا إلى تبعثر دبابات اللواء على مساحة واسعة من الارض، وانحراف بعضها عن الاتجاه السليم للتقدم. وكان بوسع لواء «بابيني» المدرع أن ينزل باللواء المدرع الرابع في هذه الحالة خسائر فادحة، لو أنه قام بشن هجوم مضاد قوي، الأمر الذي لم يحدث رغم صدور أمر من قائد الجيش العاشر بذلك، ويرجع السبب في هذا الخطأ، الى قـلة اجهزة الاتصال اللاسلكي الموجودة في دبابات لواء «بابيني»، وحداثته في الخبرة القتالية اللازمة لذلك، وضعف معنوياته، وعدم كفاءة قائده.

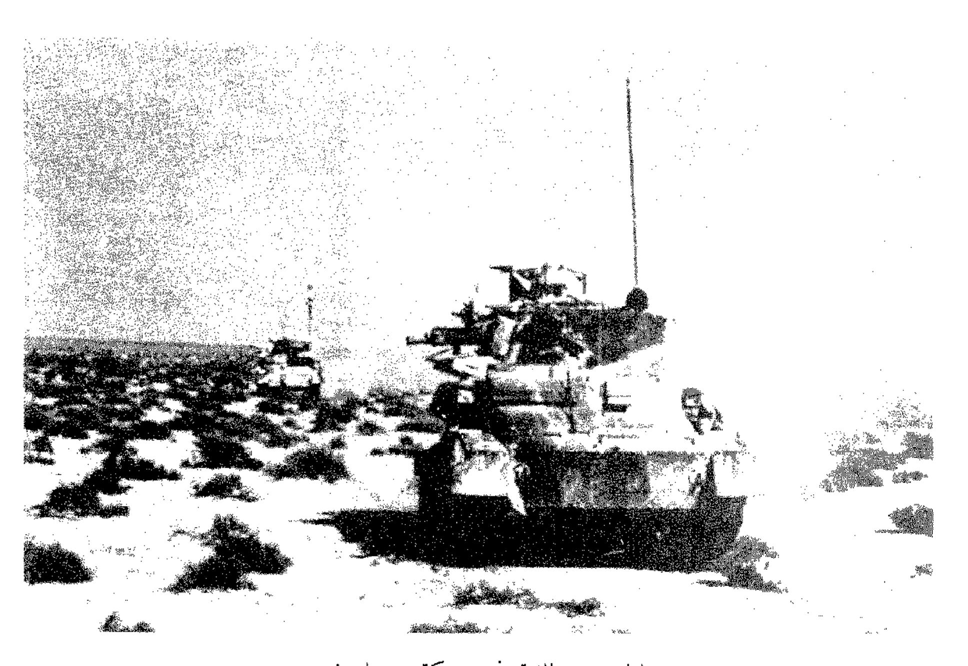
وبعد اشتباكات صغيرة غير حاسمة بين اللواء المدرع الايطالي المذكور ووحدات اللواء المدرع الرابع واللواء المدرع السابع الذي اتجه جنوباً من «المرطوبة» في يوم ٢٤/١ لقطع طريق «درنه – المخيلي»، قاتل فيها الجنود الايطاليون بكفاءة تفوق كفاءة قادتهم، بدأت الخمسون دبابة التي كانت لا تزال في حوزة «بابيني» في الانسحاب خلال ليلة ٢٦ – ٢٧ كانون الثاني (يناير) نحو «سلونتا»

في الشمال الغربي ، بعد أن تلقت أمر الانسحاب من قائد الجيش العاشر الذي خشي تطويق هذا اللواء تمهيداً لتطويق الفرقة ٦٠ في « درنه » ، وبالغ في تقدير حجم وفاعلية اللوائين المدرعين البريطانيين اللذين كانا يتقدمان في المنطقة ببطء . وأدى انسحاب لواء « بابيني » ومعه ٥٠ دبابة سليمة إلى « سلونتا » في منطقة « الجبل الاخضر » ، رغم محاولة الطيران البريطاني تدميرها من الجو في يوم ١/٢٧ ، إلى عدول « اوكونور » عن خطته الاصلية في الزحف غرباً نحو « الابيار » ثم « بنغازي » ، نظراً لأن وجود اللواء المدرع الايطالي على جناحه الشمالي كان سيهدد مؤخرة الفرقة المدرعة السابعة . كما أن نقص الوقود والذخيرة والمؤن ، وكثرة الخسائر والاعطال الميكانيكية التي أصابت دبابات الفرقة (كان لديها وقتئذ نحو ٤٠ دبابة مطاردة « Cruisers » من طراز « P ۹ » و« P ۱۰ » و « P ۱۳ » و ٨٠ دبابة خفيفة) كان يفرض عليها وقفة عملياتية مؤقتة ، ريثما يتم تكديس الوقود والذخيرة والمؤن اللازمة لاستئناف التقدم والقتال ، وانجاز صيانة الدبابات والآليات الاخرى ووصول بعض الدبابات الجديدة . ولذلك امر « اوكونور » الفرقة السادسة الاسترالية بالاستيلاء على « درنه » بسرعة ، حتى يمكن استخدام مرفئها في امداد الفرقة المدرعة السابعة ، دون الاعتماد على النقل البري من « طبرق » عبر الدروب الصحراوية الوعرة . وقد استطاع لواء المشاة ١٩ أن ينجز هذه المهمة في ١/٣٠ بعد انسحاب الفرقة ٦٠ من « درنه » على الطريق الساحلي ، وذلك بعد مقاومة شديدة نسبياً ابدتها خلال ايام ٢٤ — ١/٢٨ .

ونتيجة لانسحاب الفرقة ٦٠ من « درنه » خشي « اوكونور » أن تفلت القوة الرئيسية للفيلق ٢٠ الايطالي ومعها دباباتها لتحتل خطاً دفاعياً إلى الجنوب من « بنغازي » عند « اجدابيه » أو « العقيله » ، قبل أن تبدأ الفرقة السابعة زحفها غرباً لقطع طريق انسحابها والقضاء عليها . ولذلك قرر الاسراع في انجاز الترتيبات الادارية اللازمة لمواصلة التقدم وعدم انتظار وصول الدبابات الجديدة ، والقيام بحركة التفاف جديدة اكثر جرأة من الحركة الاصلية التي كان مخططاً لها من قبل ، وذلك بدفع الدبابات ، وبعض الوحدات المشاة المحمولة ، تساندها المدفعية ، عبر المحور الصحراوي الجنوبي الصعب الممتد من « المخيلي » إلى « مسوس » ، والبالغ طوله نحو ٢٤٠ كم . وهناك يتجه اللواء المدرع السابع (الذي يضم فوج الدبابات الاول ومجموعة المعاونة) نحو

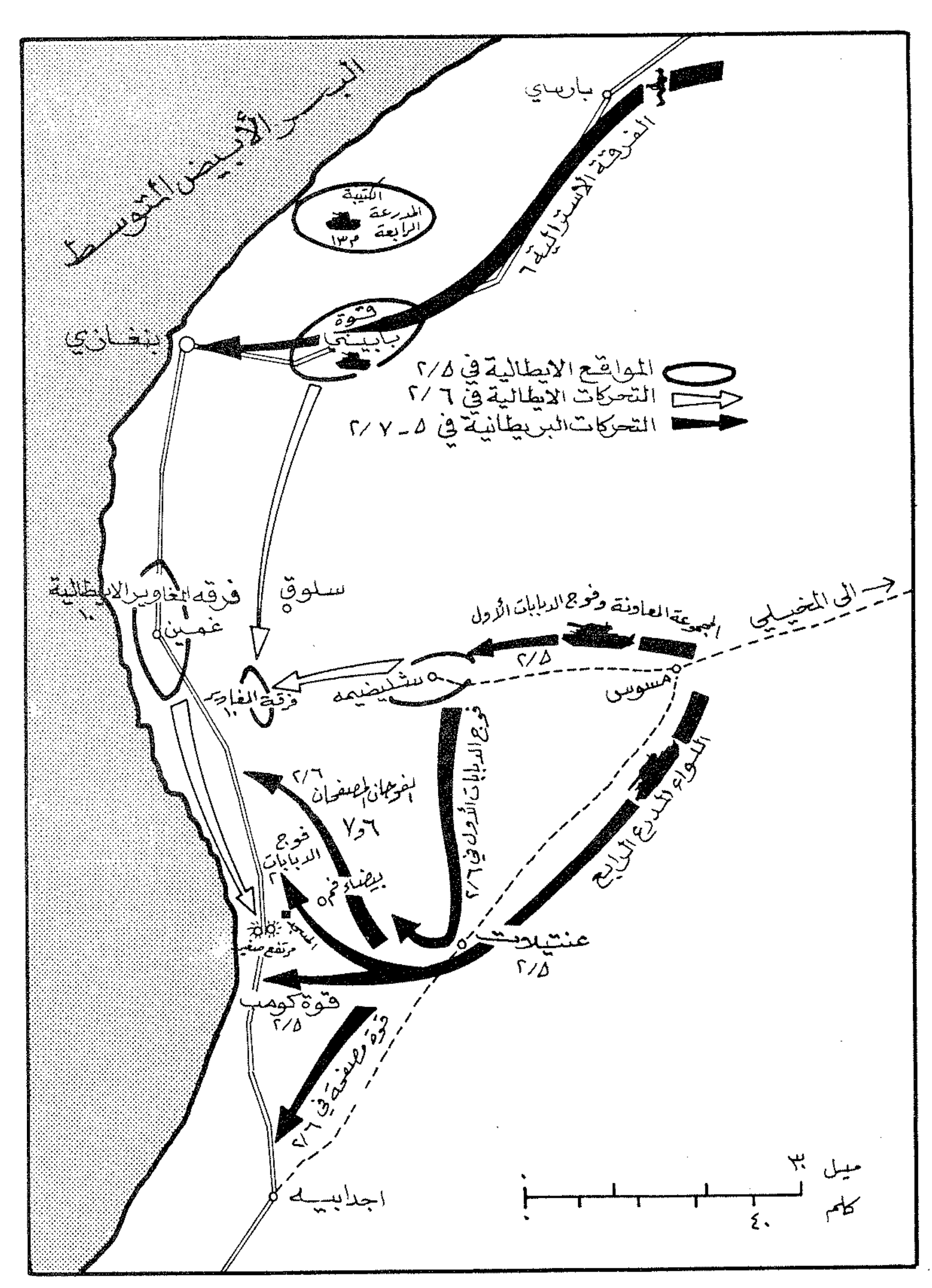


الهجوم البريطاني على خط درنة — المخيلي



دبابات بريطانية في معركة بيضاء فم

« شليضيمه » ، ومنها إلى « سلوق » ، ثم « غمين » على الطريق الساحلي جنوبي « بنغازي » ، على حين يزحف اللواء المدرع الرابع (الذي يضم فوج الدبابات الثاني وفوجي الفرسان ٣ ، و ٧ ، والبطارية الثالثة من المدافع م/د) باتجاه الجنوب الغربي نحو « عنتيلات » ، تسبقه « قوة كومب » الخاصة التي ضمت لواء المشاة الثاني تدعمه بطارية مدفعية عيار ٢٥ رطل (١٥ مدفعاً) وبطارية مدافع م/د



معركة بيضاء فم (شباط ١٩٤١)

محمولة فوق سيارات (٩ مدافع عيار ٣٧ مم) وعدداً قليلا من السيارات المصفحة، والتي كانت مهمتها الزحف بسرعة بواسطة شاحناتها وسياراتها القادرة على السير في الرمال، دون انتظار دبابات اللواء المدرع الرابع التي كانت ستلحق بها بعد استكمال بعض الاصلاحات السريعة الضرورية، لقطع الطريق الساحلي عند «بيضاء فم» الواقعة غربي «عنتيلات». (وقد بلغ اجمالي عدد قوة كومب نحو ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ جندي). ولم يكن من المتوقع أن تلقى الفرقة المدرعة السابعة مساندة جوية تذكر، نظراً لقلة الطائرات البريطانية العاملة في القواعد الجوية الامامية.

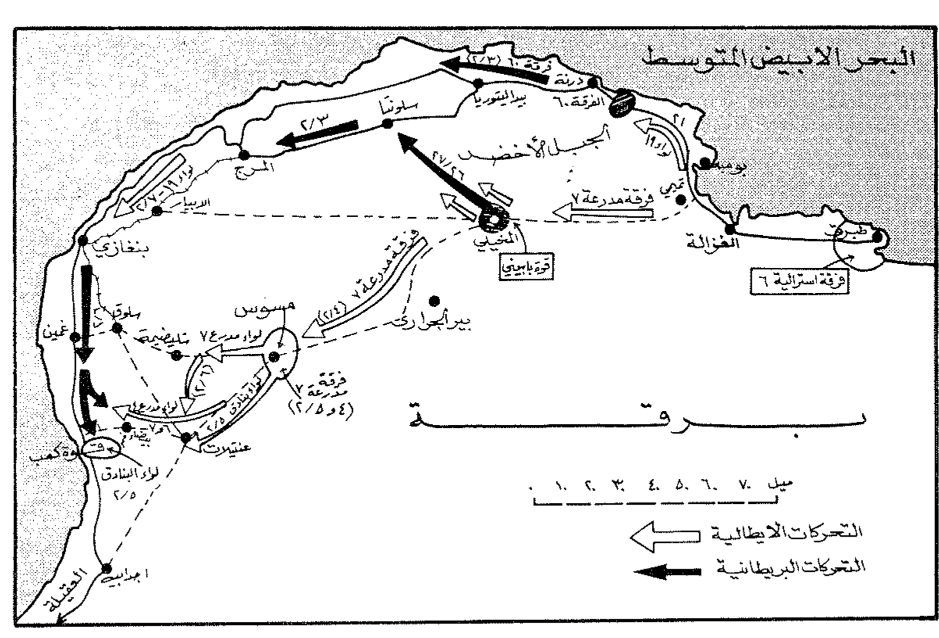
ولضمان تأخير انسحاب الفرقة ٦٠ على الطريق الساحلي في «الجبل الاخضر» جرى تعزيز لواء المشاة ١٩ الموجود غربي «درنه» بلواء المشاة ١٧، وتشديد الضغط هناك، لإيهام القيادة الايطالية بأن المجهود الرئيسي سيوجه على محور «درنه - بنغازي»، على حين بدأت الفرقة المدرعة السابعة زحفها فجر يوم ٤ شباط (فبراير) تتقدمها مصفحات الفوج ١١ لاستطلاع الطريق الذي كانت تفاصيل معالمه وتضاريسه مجهولة تقريباً للقيادة البريطانية. وقد وصلت المصفحات إلى «مسوس» قبيل الغروب، وطهرتها من قوة ايطالية صغيرة كانت تحميها، وأسرعت «قوة كومب» في زحفها خلال الليل نحو «عنتيلات»، نظراً لأن طائرة استطلاع بريطانية من طراز «هاريكين» افادت بأن رتلا ايطالياً كبيراً يسير جنوبي «بنغازي» في اتجاه «غمين» (والواقع أن الكتلة الرئيسية للفيلق ٢٠ كانت لا تزال على بعد كيلومترات قليلة إلى الشرق من «بنغازي»). وعند الظهر تقريباً يوم ٢/٥ كانت طلائع «قوة كومب»، المؤلفة من بعض المصفحات، قد وصلت إلى مرتفع صغير يجتازه الطريق ويقع إلى جواره مسجد ليبي فوجدته خالياً من أية قوات أو آليات ايطالية. ونشر «كومب» قوته فوراً على المرتفعات الصغيرة القريبة من الطريق من الشمال إلى الجنوب، حيث حفر المشاة حفراً صغيرة كمنوا داخلها مع رشاشاتهم وبنادقهم وتمركزت خلفهم مدفعية الميدان والمدافع م/د ذاتية الحركة، وتخندق بعض جنود المشاة في التلال الرملية التي تفصل الطريق عن شاطىء البحر، ووقفت المصفحات بعيداً عنهم في المؤخرة لتحمي جناحهم الشرقي في الصحراء، وتقدم بعضها جنوباً تجاه «اجدابيه» لاستكمال حماية المؤخرة من هناك.

وأرسل «كومب» يستعجل وصول اللواء المدرع الرابع قبل أن تصل القوات الايطالية المنسحبة وتكتشف ضعف قوته وتهاجم مؤخرتها غير المحمية جيداً. وفي حوالي الساعة ٢,٣٠ من بعد ظهر اليوم نفسه، وصلت قافلة ايطالية كبيرة إلى موقع الكمين البريطاني الواقع على مبعدة ٤٠ كم شمالي «اجدابيه»، وكانت تضم وحدات من فرقة المغاوير العاشرة الايطالية المرافقة لمجموعة كبيرة من جنود الصيانة العاملين في القواعد الجوية ببرقة، وجنود الشؤون الادارية، ورجال الادارات المدنية للمستعمرات. وفتحت قوة «كومب» على القافلة السائرة نيران الاسلحة الصغيرة والمدفعية فجأة بصورة اثارت الاضطراب والفزع في صفوف افرادها. وحاول جنود «المغاوير» شن هجمات معاكسة ضد القوة البريطانية إلا انهم فشلوا في فتح الطريق مرة اخرى. ثم وصلت وحدات اللواء المدرع الرابع ووقودها يكاد ينفد، واشتركت في القتال إلى الشمال من «قوة كوبب» قرب المسجد الصغير وإلى الشمال منه ايضاً، كما اخذت المدافع م/د ذاتية الحركة

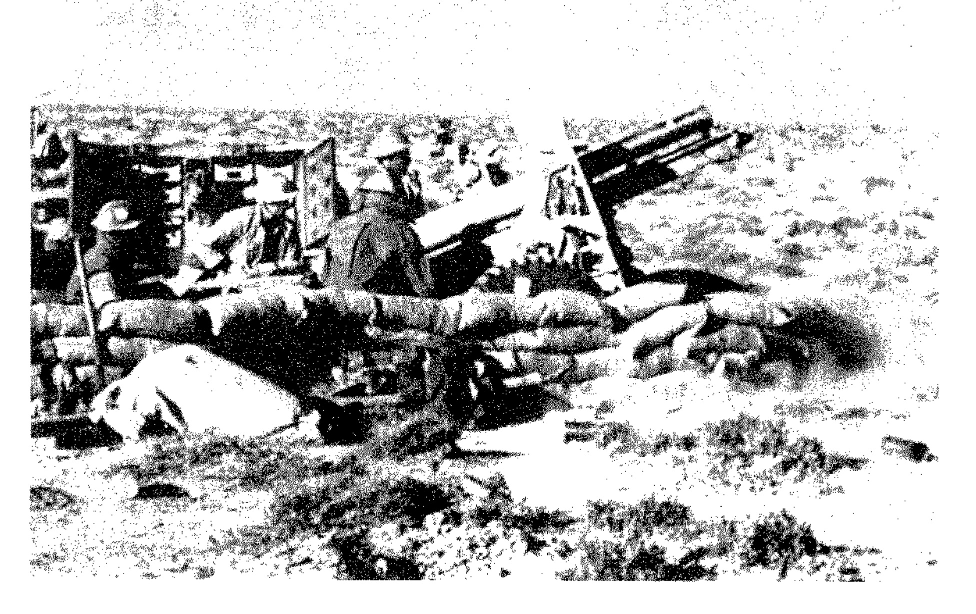
تطلق نيرانها على القافلة ثم تغير مواقعها لتوحي للايطاليين بأنهم امام قوة اكبر مما هي حقيقة. وقد استسلم أثر ذلك نحو ٨٠٠ جندي ايطالي. وفي خلال الليل، وصلت امدادات الوقود للدبابات البريطانية، ولغم المشاة البريطانيون الارض أمـام مواقعهم، واتمت القوات استعداداتها لمعركة اليوم التالي المتوقعة مع القوة الايطالية الرئيسية المنسحبة من «بنغازي»، والتي كانت تلاحقها وحدات فرقة المشاة السادسة الاسترالية على الطريق عند «بارسي» إلى الشمال الشرقي من «بنغازي» بنحو ٨٠ كم.

وكانت فرقة المشاة السادسة الاسترالية قد استولت خلال يوم ٢/٥ نفسه عـلى «بارسي»، حيث نسف الايطاليون قبل انسحابهم مستودعاً ضخماً للذخيرة. وأدى استمرار تقدم الاستراليين أثر ذلك نحو «بنغازي» إلى قيام قائد الجيش الايطالي العاشر، الجنرال «تلرا»، بدفع بعض دباباته على الطريق المؤدي إلى «بارسي» لتكون بمثابة حرس مؤخرة للفرقة ٦٠ (كانت بعض الدبابات م ١٣ قد وصلت إلى ميناء «بنغازي» وتعذر نقلها في الوقت المناسب إلى «درنه» و«المخيلي» ولذلـك اشتركت في تغطية الانسحاب ومحاولة خرق الحصار البريطاني عند «بيضاء فم» في اليوم التالي)، في الوقت الذي كان «برغموزولي» قائد الفيلق ٢٠، في حاجة ماسة لكل دبابة متوفرة، وهو يحشد قواه المدرعة خلال ليلة ٥ – ٦ شباط (فبراير) استعداداً لمحاولة خرق الطوق البريطاني في صباح اليوم التالي عند «بيضاء فم».

وفي اليوم نفسه، ٢/٥، قامت مجموعـة المعاونة التابعة للفرقة المدرعة السابعة (وكانت تضم وحدة مشاة صغيرة وعدد من مدافع الميدان)، يدعمها فوج الدبابات الاول التـابع للواء المدرع السابع، بشن هجوم على «شليضيمة» حيث واجهت مقاومة عنيدة من الحامية الايطالية المعززة بـ ٣٠ دبابة «م ١٣» ارسلت اليها على عجل، الأمر الذي أدى إلى وقف تقدم المجموعة المعاونة، بعد أن سحبت قيادة اللواء المدرع السابع فوج الدبابات الاول (وكان يضم ١٠ دبابات مطاردة و ٨ خفيفة) وأرسلته إلى «عنتيلات» ليكون بمثابة احتياطي مدرع مع بقية وحدات اللواء السابع، وليستعد لمساندة عمليات اللواء المدرع الرابع عند «بيضاء فم». إلا أن عاصفة رملية هبت في اليوم التالي حالت دون اتصال الفوج المدرع المذكور ببقية اللواء السابع وتأخر وصوله إلى «عنتيلات»، واضطر اللواء المدرع الرابع أن يخوض معركة اليوم التالي بمفرده.



زحف الفيلق البريطاني ١٣ من طبرق الى العقيلة

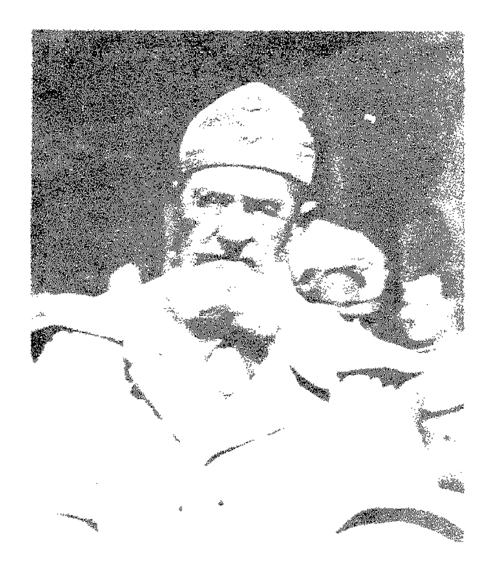


مدفع بريطاني في بيضاء فم

وكان اللواء المدرع الرابع يضم عند صباح يوم ٢/٦ دبابتين مطاردتين و ٣ دبابات خفيفة في قيادة اللواء، و ٧ دبابات مطاردة و ٦ خفيفة في فوج الفرسان الثالث، ودبابة مطاردة واحدة و ٢٩ خفيفة في فوج الفرسان السابع، و ١٢ دبابة مطاردة و ٧ خفيفة كانت لدى فـوج الدبابات الثاني، أي أن مجموع قوة اللواء كانت ٢٢ دبابة مطاردة و ٤٥ دبابة خفيفة. على حين كان لدى «برغموزولي» اكثر من ٦٠ دبابة «م ١٣» متأهبة للهجوم في صباح يوم ٢/٦، وهي دبابات متفوقة على الدبابات الخفيفة البريطـانية ومعظم الدبابات المطاردة. وقد بدأت الدبابات الايطالية هجومها في الساعة ٨,٣٠ من صباح يوم ٢/٦ بدون استطلاع مسبق جيد، وبدون مساندة من المدفعية، كما انها لم يدفع بها دفعة واحدة في الهجوم الاولي، ولذا استطاعت الدبابات البريطانية

المطاردة التابعة لفوج الدبابات الثاني أن تدمر ٨ دبابات منها فور اقترابها إلى مسافة ٥٠٠ متر تقريباً من المرتفع الذي يخترقه الطريق الساحلي قرب « بيضاء فم » ، ثم انحدرت دبابات الفوج الثاني بسرعة إلى الجهة الاخرى المنخفضة من الطريق ، واتجهت إلى الارض الواقعة بجوار المسجد الصغير ، حيث وقفت واطلقت نيرانها على الدبابات الايطالية مرة اخرى وابراجها تطل من منخفضات تخفي هياكلها ، واستطاعت أن تدمر ٧ دبابات ايطالية اخرى ، ثم اخذت المدفعية الايطالية تطلق نيرانها الشديدة على مرتفع الطريق ومنطقة المسجد ، فردت المدفعية البريطانية عيار ٢٥ رطل عليها ، واثر ذلك هاجمت ٧ دبابات مطاردة بريطانية الدبابات الايطالية للمرة الثالثة ، وهي على مرتفع الطريق من الجناح الشرقي ، ودمرت ٨ دبابات اخرى منها . واستطاعت بعض سيارات القافلة الايطالية خلال ذلك أن تواصل سيرها جنوباً إلا أنها صدت بنيران قوة « كومب » . وفي الساعة العاشرة اخلى الايطاليون « شليضيمه » حتى يتمكنوا من إرسال الثلاثين دبابة الموجودة هناك إلى ساحة المعركة الرئيسية الدائرة عند « بيضاء فم » ، ولذلك اشتد ضغط الهجمات المدرعة الايطالية على اللواء المدرع الرابع ابتداء من الساعة الحادية عشرة صباحاً . واستمر القتال العنيف بين الطرفين حتى غروب شمس يوم ٢/٦ . ثم توقف مع هبوط ظلام ليلة ٦ – ٧ ، وقد انخفض عدد الدبابات الايطالية الصالحة للقتال إلى ٣٠ دبابة ، على حين كان لدى اللواء المدرع الرابع ١٥ دبابة مطاردة و ٥١ دبابة خفيفة (بعد أن وصلته بعض الدبابات الخفيفة خلال النهار) . ويرجع سبب تفوق الدبابات البريطانية المطاردة على الدبابات الايطالية « م ١٣ » ، رغم تفوق الاخيرة في نيران مدفعها عيار ٤٧ م ، إلى عدة اسباب : منها أن سدنة (اطقم) الدبابات البريطانية كانت اكثر تدريباً وكفاءة ، كما أن الدبابات نفسها كانت مجهزة كلها باجهزة اتصال لاسلكية ، على حين أن الدبابات الايطالية كان بعضها فقط مجهزاً بهذه الأجهزة ، ولذا تعذر توجيهها بتنسيق سليم وسريع خلال القتال ، كما أن دروعها كانت ضعيفة نسبياً (٣٠ م فقط في الدرع الامامي) وسرعتها بطيئة بالقياس لسرعة الدبابات المطاردة البريطانية (١٣ كم في الساعة فوق الارض غير الممهدة على حين كانت سرعة الدبابة البريطانية « م ١٣ » تبلغ نحو ٢٠ كم في هذه الحالة) .

وعند فجر يوم ٢/٧ كان الفوج المدرع الثاني البريطاني موزعاً غربي الطريق الساحلي ، على حين كان الفوج المدرع الاول (الذي امكن تنظيمه خلال الليل) موزعاً إلى الشرق من الطريق مع « قوة كومب » ، كما كان لواء المشاة ١٩ الاسترالي قد اجتاز « بنغازي » واخذ يهاجم مؤخرة القوات الايطالية . وقام « برغنوزولي » بهجوم اخير في فجر يوم ٢/٧ بواسطة دباباته الثلاثين ، وبمساندة قوية من مدفعيته . وقد اصطدمت الدبابات الايطالية ببطارية المدافع ذاتية الحركة عيار ٣٧ م التابعة لقوة « كومب » ، واستطاعت أن تدمر ٨ مدافع منها قبل ان يصد هجومها وتدمر معظم الدبابات المهاجمة . وصدت نيران المشاة البريطانية المتخندقة قوات المشاة الايطالية التابعة لفرقة المغاوير العاشرة . وبعد هذه المحاولة الاخيرة الفاشلة من اجل اقتحام طوق الحصار البريطاني استسلم « برغنوزولي » ومعه ٢٥ ألف جندي ، ونحو ٢١٦ مدفعاً . وبذلك بلغ مجموع الاسرى الايطاليين منذ معركة « سيدي براني » اكثر من ١٣٠ ألف أسير . ووقعت في ايدي القوات البريطانية ١٨٠ دبابة متوسطة واكثر من ٢٠٠ دبابة خفيفة بالاضافة إلى ٨٤٥ مدفعاً ، وآلاف السيارات والمركبات . وبذلك قضي تماماً على الجيش العاشر الايطالي ، الذي وجد قائده جريحاً في إحدى الدبابات قرب « بضياء فم » ثم مات خلال يوم ٢/٧ متأثراً بجروحه البالغة . وفقدت القوات البريطانية طوال هذه المعارك التي استمرت شهرين نحو ٥٠٠ قتيل و ١٣٧٣ جريحاً فقط .


الجنرال برغونزولي بعد وقوعه في الأسر

وبعد انتهاء معركة « بيضاء فم » تقدمت وحدة من السيارات المدرعة والمجموعة المعاونة التابعة للفرقة المدرعة السابعة نحو « اجدابيه » و « العقيلة » واحتلتهما في اليوم نفسه . ولكن « اوكونور » لم يستطع استثمار نتائج انتصاره ويواصل تقدمه نحو « طرابلس » ، نظراً لأن الجنرال « ويڤل » ، القائد العام لقيادة الشرق الاوسط ، أمره بالتوقف عند العقيلة وتنظيم دفاع هناك بعد انقضاء يومين فقط على انتهاء معركة « بيضاء فم » ، وذلك لأن « تشرشل » ، رئيس الوزراء البريطاني ، طلب منه إيقاف العمليات الهجومية في ليبيا مؤقتاً وإرسال قوات بريطانية إلى اليونان التي كانت مهددة بغزو الماني وشيك . ولذلك سحبت فرقة المشاة السادسة الاسترالية والفرقة المدرعة السابعة إلى مصر لإعادة التنظيم وحلت محلهما الفرقة التاسعة الاسترالية والفرقة المدرعة الثانية (التي كانت تضم لواء مدرعاً واحداً فقط) ، وحرم الفيلق ١٣ من خبرة ضباطه الذين اكتسبوا خبرة في قتال الصحراء ، على حين كانت طلائع الفيلق الافريقي قد بدأت تصل إلى طرابلس في ذلك الوقت بقيادة « روميل » لتساند الايطاليين وتحول دون سقوط ليبيا باكلها في أيدي البريطانيين . كما بدأ الطيران الألماني ، منذ يوم ٢/١٤ ، بشن هجمات جوية مكثفة على طلائع الفيلق ١٣ البريطاني في « العقيلة » وعلى ميناء « بنغازي » ، مما أدى إلى منع السفن البريطانية من استخدامه في امداد القوات البرية المتقدمة ، ولم يكن « روميل » يعلم وقتئذ أن جهوده هذه لا لزوم لها من اجل ايقاف تقدم البريطانيين ، الذين حرمتهم الاستراتيجية العليا للحرب من ثمار انتصارهم العسكري الكبير الذي بلغ ذروته في « بيضاء فم » .

(٣) البيضة

خوذة من الحديد او الفولاذ تلبس على الرأس لرد ضربات الخصم عنه ، وهي مستديرة حسب استدارة الرأس . وفي البيضة : القونس وهو مقدمها ، فاذا لم يكن لها قونس سميت (تركة) ، وفيها : الحبك ، او الطرائق ، وهي خطوطها ، والسابغ وهو الزرد الذي يستر العنق . ويلبس **المغفر** عادة تحت البيضة ، اما الرفرف فيشد بها من الخلف ويطرح على الظهر .

(٩) بيغن (مناحيم)

سياسي وارهابي اسرائيلي (١٩١٣ –) . ولد مناحيم ودلفوفيتش بيغن في بريست ليتوفسك ، وتخرج من كلية الحقوق في وارسو . وأثرت على تكوين شخصيته ثلاثة عوامل جعلته من أخطر

الارهابيين المعاصرين . فلقد كان لوفاة والده على يد الألمان أثر عميق في نفسه لما كان لوالده من منزلة عنده . ووالده هو أول من لقنه تعاليم الصهيونية ومبادئها . ويذكر بيغن دائماً فضل والده عليه بحبه لارض اسرائيل . ولقد ملأت وفاة والده قلبه حقداً وحباً للانتقام . اما العامل الثاني فيرجع الى انتمائه لمنظمة « بيتار » التي التحق بها في سن مبكرة واصبح عضواً نشيطاً فيها ، الى ان ترأسها في العام ١٩٣٩ .

ومنظمة « بيتار » هي اختصار للعبارة العبرية « بريت ترومبلدور » أي حلف ترومبلدور . وهو تنظيم للشبيبة الصهيونية ، قام في بولونيا في العام ١٩٢٣ ، وكان هدفه اعداد اعضائه للحياة في فلسطين ، وتدريبهم لجعلهم مستعدين لبناء الدولة الصهيونية والقتال والتضحية والموت من أجلها . ولقد تأثرت منظمة « بيتار » بالايديولوجيات الفاشية التي كانت سائدة في اوروبا آنذاك . ومن بين تعاليمها ان امام الانسان سبيلين لا ثالث لهما : « الغزو أو الموت » ، وان كل دولة ذات رسالة قد قامت على السيف . وتدين « بيتار » عقائديـاً بافكار جابوتنسكي (زعيم الصهيونية التنقيحية) . ويعتبر سجن السوفيات لبيغن (١٩٤١) العامل الثالث في تكوين شخصيته وبلورة عقليته الارهابية . ولقد قبض على بيغن في بولونيا عندما دخلتها القوات السوفياتية في اوائل الحرب العالمية الثانية ، ووجهت اليه تهمة العمل في المخابرات الانكليزية ، وأمضى فترة في سجن « لوكيشكي » في « ويلنوا » ، حيث صدر عليه الحكم في اوائل نيسان (ابريل) ١٩٤١ بالسجن في معتقل للعمل لمدة ثماني سنوات . وعندما كان في الطريق الى المعتقل وقع سيكورسكي اتفاقية مع ستالين ، أفرج بموجبها عن المعتقلين البولونيين . وكان اسم بيغن من بين الذين افرج عنهم . ولقد انخرط بيغن بعد ذلك في الجيش البولوني لمدة قصيرة .

ومن الواضح ان فترة السجن أكملت تكوين نفسيته ، فكان يمضي مع رفاقه الصهاينة في السجن ساعات من النقاش حول الثورة الروسية وبريطانيا والصهيونية وتيودور هرتزل (مؤسس الصهيونيـة) ، وجابوتنسكي ، ووايزمن ومقابلته لموسوليني ، وحركات الشبيبة اليهودية ، وغيرها من المواضيع . وفي هذه الفترة تفاقم حقد بيغن واصراره على تحقيق الحلم الصهيوني .

وفي العام ١٩٤٢ غادر بيغن بولونيا الى فلسطين ليبدأ حياة حافلة باعمال الارهاب والقتل التي كانت انعكاساً لافكاره الفاشية ولعقده وتشوهاته النفسية

وتبدو النزعة الصهيونية التي نشأ عليها بيغن واضحة في نظرياته وكتاباته وممارساته . وهو يرى ان اساس الصهيونية يرجع الى آلاف السنين ، وانه موجود في علاقة اليهود الروحية بأرض اسرائيل . وأن على اليهود « العودة » الى ارض اسرائيل . اما بالنسبة الى كيفية تحقيق حلم الصهيونية في فلسطين فلقد اعتنق بيغن نظرية جابوتنسكي القائلة بأن اقامة اسرائيل لن تكون الا باستخدام العنف ، والعنف ضد العرب بالذات . وكان جابوتنسكي قد كون مجموعات صهيونية مسلحة مثل البيتار ، والمنظمة العسكرية القومية « ارغون تسفائي ليؤمي » ، التي التحق بها بيغن حين وصوله الى فلسطين ، ثم تولى قيادتها في العام التالي (١٩٤٣) .

يعتـبر بيغن من اشهر المنظرين الاسرائيليين للارهاب المضاد ، وهو يقول بان هناك فترات في تاريخ الشعوب لا يستطيع التفكير وحده أن يبرهن عن وجودها ، فالكفاح وحده يبرهن احياناً عن الحياة . ولقد طبق نظريته هذه عملياً فكانت حياته في فلسطين سلسلة من العمل المسلح السري ضد العرب والبريطانيين (١٩٤٣ — ١٩٤٨) ، والعمل المسلح العلني خلال معارك حرب ١٩٤٨ ضد العرب . وبعد انشاء الدولة الاسرائيلية بدأ ارهابه السياسي والعسكري ضد الفلسطينيين والدول العربية .

تميزت حياته في فترة (١٩٤٣ — ١٩٤٨) باعمال الارهاب والقتل عندما كان يرأس منظمة « الارغون تسفائي ليؤمي » . ولقد انتحل بيغن خلال عمله الارهابي عدة اسماء مثل : « بن زفي » ، و « اسرائيل هلبيرن » ، و « اسرائيل ساسوفر » ، و « الدكتور يوناح كونيغ شوفر » كما انتحل مرة صفة رجل

مناحيم بيغن

دين وتردد على الكنيس للصلاة فترة من الزمن لابعاد الشبهة عنه . وكان يغير مكان اقامته باستمرار . وهو يذكر في مذكراته ان اكبر كسب حققته منظمة الارغون هو ان اسمها أحيط في كل مكان بهالة رهيبة من الرعب الذي لا مثيل له الا في الاساطير . وكانت هذه الهالة الرهيبة تساعدها على تحقيق انتصاراتها .

ولقد مارس بيغن جميع انواع الارهاب ضد سلطات الانتداب والعرب على السواء (المتفجرات ، والجلد بالسياط ، والاعدام ... الخ) . ومن بـين عمليات منظمته الارهابية مذبحة دير ياسين ونسف فندق الملك داوود (انظر الارغون تسفائي ليؤمي ، ودير ياسين) . ويعترف بيغن بأن مذبحة دير ياسين والذعر الذي دب في اهل القرى المجاورة الذين غادروا منازلهم أثر هذه الحادثة ، كان لهما أهمية عسكرية كبيرة اذ ساعدا الارغون في المحافظة على طبريا واحتلال حيفا .

وكان بيغن يشكو خلال اعماله الارهابية من عدم توفر العدد الكافي من المال والسلاح ، لذا كان يدير عمليات السطو على المعسكرات البريطانية (الهجوم على نقطة البوليس بين يافا وتل ابيب ، ومصادرة كميات وافرة من الملابس من مخازن الحكومة في ايلول (سبتمبر) ١٩٤٤ ، والهجوم على مطار اللد ومطار كستينا في تموز (يوليو) ١٩٤٦ ، والسطو على معسكر « روخوبوت » والاستيلاء على مئات البنادق والرشاشات « برن » وكثير من المدافع الخفيفة والذخيرة والاعتدة الحربية) . وعندما نقص عدد رجاله ، قام بيغن ورجاله في ٤ أيار (مايو) ١٩٤٧ بالهجوم على سجن عكا لاطـلاق سراح الارهابيين الذين كانوا محتجزين هناك .

وعند انسحاب سلطات الانتداب البريطانية (١٥ ايار ١٩٤٨) ، واندلاع حرب ١٩٤٨ انتهى العمل الارهابي السري وبدأ الارهاب العلني . ولقد طبق بيغن نظريته العسكرية قبيل اندلاع الحرب ، وأصدر في اوائل كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٧ بيان : « اننا نحذر » . ومن اهم ما ورد في هذا البيان دعوته الى الهجوم العلني المسلح على العرب ، وضرورة تبني الهجوم بدلا من الدفاع لان الهجوم برأيه هو الدفاع الوحيد الفعال . ثم اتبع القول بالعمل ، وقامت الارغون بأول هجوم مضاد للقوات الصهيونية . وفي الفترة الواقعة بين ١١ و ١٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ ، هاجمت وحدات الارغون مراكز العرب في القدس وحيفا ويافا والطيرة ، ثم انتقلت الى قرية شعفاط على طريق الجامعة

العبرية حيث اصطدم مع المناضلين العرب.

ثم بدأ بيغن تنظيم رجاله، وحول مجموعاته السرية شبه النظامية الى وحدات عسكرية نظامية، وفتح باب التطوع، ثم انشأ وحدة للتصميم ووضع الخطط. وفي بيارات البرتقال في «بتاح تكفا» و«رامات جان» انشأ معسكر الارغون الاول. وغيّر طرق التدريب لتتلاءم مع خطط القتال في معارك نظامية. واستمر في هجومه على الاحياء والمناطق العربية لاعتقاده بأن مثل هذه الهجمات ذات اهمية معنوية كبرى، لانها تجبر العرب على التحول من الهجوم الى الدفاع. وكانت هجماته تستهدف ايضاً كسب أراض اكثر، لأنه يعتبر أن أشد الهجمات التي تقوم بها المنظمات الصهيونية لن تحسم الموقف، وأن كسب الارض وحده يبقى الهدف الاول والاخير للعقيدة الصهيونية. فالارض برأيه هي «ارض الاجداد» التي طالما حلم الصهاينة باقامة دولة فيها.

وانطلاقاً من هذا المفهوم، قرر بيغن العمل على اساس «استراتيجية الاحتلال». فوضع امامه في اواخر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ اربعة اهداف استراتيجية: القدس، ويافا، واللد والرملة، والمثلث. ولم يكن لدى الارغون السلاح الكافي لتحقيق هذه الاهداف. وهذا ما دفعها الى القيام بعمليتين للحصول على الاسلحة. أما العملية الاولى فهي الهجوم في ٤ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ على المعسكر البريطاني رقم ٨٠ قرب «باردس حنا». وجرت العملية الثانية بعد اسبوعين عندما هاجمت الارغون قطار اسلحة بريطاني بين حيفا والمثلث، واستولت على ذخيرة للهاونات وبنادق ورشاشات «برن» ومدافع مضادة للدبابات. ولقد مكنتها هذه الاسلحة والذخائر من الهجوم على يافا في (٢٤ - ٢٩ نيسان) والاستيلاء عليها وتشريد سكانها.

وبعد انتهاء حرب ١٩٤٨ واعلان قيام الدولة الصهيونية وحل منظمة الارغون ودمجها في الجيش الاسرائيلي بدأ بيغن حياة سياسية لا تقل عن حياته العسكرية تطرفاً. ولقد تميز بيغن عن معظم الساسة الاسرائيليين بأنه يقول علناً ما يدور في عقل كل قائد اسرائيلي. فهو لا يحب الدخول في اللعبة السياسية التي تفرض التحايل والكتمان احياناً، بل يجاهر بآرائه المتطرفة. ويقود المعارضة داخل اسرائيل.

ويعود الخلاف بين بيغن وسائر الزعماء الاسرائيليين الى ايام المقاومة السرية خلال فترة الانتداب عندما كان بيغن ورجاله يقومون باعمال ارهابية تعارضها المنظمات الاخرى علناً، وان كانت تعود وتوافق عليها ضمناً. ومن بين الخلافات التي تفجرت علناً الخلاف الذي وقع بين بيغن والسلطة الاسرائيلية بعد اعلان الدولة الصهيونية بشهر واحد. ويعرف هذا الحادث باسم «التلينا». و«التلينا» اسم باخرة كان مناحيم بيغن قد شحنها بالاسلحة خلال معارك ١٩٤٨ في احد الموانئ الاوروبية لنقلها الى قوات الارغون في فلسطين. وقبل ان تقلع الباخرة من فرنسا، صدر قرار الهدنة الاولى في حزيران (يونيو) ١٩٤٨، وكان من شروط الهدنة الا يتم نقل اسلحة جديدة الى ساحات القتال. ولم تلتزم الحكومة الاسرائيلية بهذا القرار، ولكنها كانت قد اصدرت قراراً بدمج كل المنظمات المسلحة الصهيونية في جيش اسرائيلي واحد. ولم يرق لها وصول الشحنة الحربية لرجال الأرغون. وعندما ذهب بيغن ورجاله لاستقبال الباخرة وانزال الاسلحة والذخائر اسرع الجيش الاسرائيلي لوقف العملية. ووقع صدام بين الجيش ورجال بيغن، وتوارى بيغن على اثره مؤقتاً عن الانظار. ومن المعتقد انه كان يعد انقلاباً عسكرياً ضد الحكومة. ولكنه لم يوفق في ذلك، وآثر العودة إلى العمل السياسي، والوقوف في صفوف المعارضة السياسية. الأمر الذي جعله زعيم المعارضة في الكنيست (البرلمان الاسرائيلي) في فترة (١٩٤٨ - ١٩٦٧)؛ ومنذ ١٩٧٠ حتى ١٩٧٦.

اسس بيغن حزب «حيروت» في اواخر العام ١٩٤٨. ثم ترأس كتلة جاحال التي ساهم في تكوينها في العام ١٩٦٥ بضم حيروت الى حزب الاحرار. ولم يشغل بيغن أو حزبه أي منصب وزاري الا في الوزارة التي تشكلت عشية حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، اذ دخل على رأس كتلة جاحال التي حصلت على ست حقائب وزارية. وفي الانتخابات التي جرت في ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٩، زادت قوته داخل الكنيست بازدياد تطرف الاسرائيليين، وازدياد املهم في ضم الاراضي المحتلة. ولقد انسحب هو وكتلته من الوزارة عقب قبول الحكومة الاسرائيلية لمبادرة روجرز في آب (اغسطس) ١٩٧٠. واستمر في معارضته لانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية التي احتلتها في حرب ١٩٦٧. ولقد حاولت غولدا مائير، رئيسة الوزراء آنذاك، إبقاءه في الحكومة. فلقد كانت تخشى قدرته على اثارة الشعب ونفوذه القوي لدى عناصر كثيرة داخل المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ولدى الاحزاب الدينية.

ويعتبر بيغن من اشهر «الصقور» في اسرائيل، ومن مؤيدي «اسرائيل الكبرى». وهو لا يعترف بوجود الشعب الفلسطيني ويرفض حتى استعمال كلمة فلسطين، ويرى ان في ذلك نسفاً لحق اسرائيل في البقاء حيث هي. ويعتبر ان اقامة دولة فلسطينية عبارة عن عمل انتحاري للشعب اليهودي.

وبعد حرب ١٩٧٣ استغل بيغن حالة الضياع والنقمة التي عاش فيها الاسرائيليون. وكان يعقد الاجتماعات الانتخابية قبيل انتخابات الكنيست في ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣، ويدغدغ عواطف الجماهير بديماغوجية، ويوجه اللوم لحكومة تكتل «المعراخ» الحاكم المسؤولة عن التقصير الذي عرّض أمن اسرائيل لخطر جدي، محاولا اكتساب المزيد من المؤيدين لتكتل «ليكود» الذي يتزعمه. ومن المؤكد أنه نجح في هذا المجال، وعرف كيف ينتزع بعض المواقع من خصومه السياسيين. ولقد تمسك بيغن بعد حرب ١٩٧٣ بجوهر استراتيجيته التوسعية المبنية على العنف القمعي، ولكنه عدل اساليبه التكتيكية التي غدت أقل تطرفاً واكثر تلاؤماً مع حقائق ما بعد حرب تشرين الأول. ويلاقي بيغن وسياسته تأييداً واسعاً في اسرائيل، ولكنه شخصية غير مقبولة عالمياً، حتى في العالم الغربي. ويعتبره البريطانيون ارهابياً دموياً، ولا تنظر اليه الأوساط الاميركية كمحاور ناجح.

كتب بيغن الكثير من المقالات السياسية، ونشر كتاب «الليالي البيضاء» حول فترة اعتقاله في روسيا، كما نشر كتاباً حول عمله العسكري في فلسطين أطلق عليه اسم «الثورة». ولقد اراد أن يقدم في هذا الكتاب دليلا ثورياً، فجاء كتابه دليلا للارهاب والثورة المضادة.

(١) بيك (لودفيغ)

جنرال الماني (١٨٨٠ - ١٩٤٤). ولد «لودفيغ بيك» Ludwig Beck في «بريبريش» Briebrich قرب «فيسبادن» Wiesbaden. وكان من عائلة من كبار الصناعيين. أنهى الحرب العالمية الأولى كضابط في هيئة أركان ولي العهد. ووصل إلى رتبة عقيد مدفعية في عام ١٩٢٧. وفي عام ١٩٣٣ أصبح «بيك» رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش الذي كان آنذاك جيشاً محدوداً بتحديدات معاهدة فرساي.

ترقى «بيك» في عام ١٩٣٨ إلى رتبة فريق، ولعب دوراً كبيراً في تنظيم القوات المسلحة الالمانية وتطويرها، ولكن عداءه لهتلر جعله يستقيل في العام نفسه. وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية لم يسلم النازيون «بيك» أية قيادة عسكرية. ولكن هذا

لم يمنعه من الاتصال مع أعداء النظام النازي ، والسير على رأس المتآمرين الذين أرادوا الإطاحة بهتلر في ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٤٤ . وكان من المنتظر لو نجحت المؤامرة أن يغدو « بيك » رئيساً مؤقتاً للرايخ . ولكنه اعتقل عند انكشاف المؤامرة فحاول الانتحار دون نجاح . واعـدم في مساء يوم اعتقاله.

(٥) بيل ٢٠٤ ، و٢٠٥ ، و ٢٠٦ ، و د هـ-١٣ ، و ٣٠٩

(انظر هليكوبتر) .

(١) بيلسودسكي (جوزيف)

مارشال ورئيس دولة بولوني (١٨٦٧ - ١٩٣٥) . ولد جوزيف بيلسودسكي (Jozef Pilsudski) في مدينة زيلوڤو (ليتوانيا) . وكان طالباً في كلية الطب عندما نُفي الى سيبيريا لمدة خمس سنوات بسبب أفكاره التحررية الوطنية . وعندما عاد إلى البلاد في العام ١٨٩٢ ناضل في صفوف الحزب الاشتراكي البولوني ، فاعتقل في لودز (١٨٩٩) ، ونقل إلى بتروغراد (لينينغراد حالياً) ، ولكنه ما لبث أن هرب من معتقله ، ولجأ إلى كراكوڤي .

وعندما اندلعت ثورة ١٩٠٥ في روسيا ، قاد بيلسودسكي أعمال العنف ضد السلطة القيصرية في



المارشال بيلسودسكي

بولونيا ، ثم أسس بعد ذلك الجناح الثوري في الحزب الاشتراكي الذي حدد هدفه بتحرير بولونيا بمختلف الوسائل ، وأعـد تنظيماً من المناضلين المتطوعين (Independantistes) ، ولقـد شكل أفراد هـذا التنظيم في ٦ أغسطس (آب) ١٩١٤ الفيالق البولونية التي قاتلت إلى جانب الامبراطوريات المركزية بأمل التخلص من الحكم القيصري الروسي .

شغل بيلسودسكي منصب وزير الحربية في الحكومة البولونية التي خلقها الالمان والنمساويون في العام ١٩١٦ . وفي ٢٢ تموز (يوليو) ١٩١٧ أرسله الالمان والنمساويون إلى ماغدبورغ بسبب حالـة الغليان التي نجمت عن انتصار الثورة الروسية . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ وصل إلى وارسو حيث حصل على سلطات ديكتاتورية واسعة . وفي شباط (فبراير) ١٩١٩ ثبت الشعب البولوني سلطاته كرئيس للدولة وكقائد أعلى للقوات المسلحة . وفي العام ١٩٢٠ أصبح بيلسودسكي مارشالا ، وقاد العمليات العسكرية ضد البلاشفة . وبعد فشل احتلال كييف ، تحصن البولونيون تحت قيادته في وارسو بمساعدة البعثة العسكرية الفرنسية العاملة تحت قيادة ويغـاند

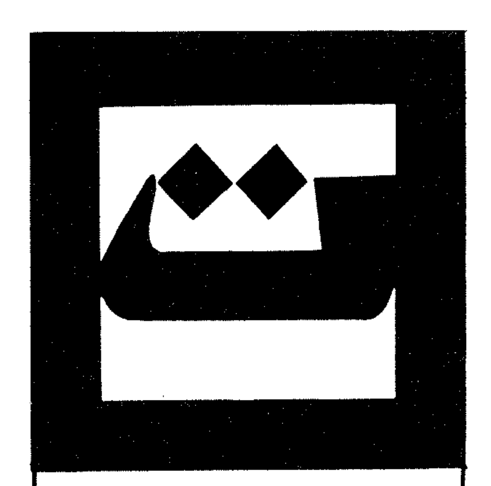
ترك بيلسودسكي الحياة السياسية ، ثم عاد إلى السلطة في العام ١٩٢٦ على أثر انقلاب عسكري في وارسو . ولقد بقي المارشال حتى وفاته السيد الحقيقي في بولونيا ، سواء كان يشغل منصب رئيس الحكومة أو وزير الدفاع . وكانت سلطته نابعة من دعم الجيش والاوساط السياسية الراديكالية والمحافظة . وكان أسلوب ممارسته للسلطة يجرد المجلس النيابي من معظم صلاحياته ، ويقلل مساهمة هذا المجلس في الحكم إلى الحد الأدنى .

(٦) بيلو

(أنظر الاستخبارات الاسرائيلية) .

(٥) بيليزير

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)



(ه) **ت ــ ٣٤ (دبابة)**

دبابة متوسطة ، من أفضل الدبابات السوفياتية والتي كان لها دور رئيسي في الحرب العالمية الثانية . بدئ في بنائها عام ١٩٤٠ ، وظهرت لاول مرة في آب ١٩٤١ . وما زالت هذه الدبابة ، والاصناف المجددة منها قيد الاستخدام في عديد من دول العالم . تعتبر دبابة قديمة بالنسبة للدبابات السوفياتية الحديثة ، سواء من ناحية قوة نيرانها او تدريعها ، او اجهزتها ، او قدرتها على القتال الليلي .

المواصفات العامة : طول الجسم ٥,٩٥ م . العرض ٢,٩٣ م . الارتفاع ٢,٣٣ م . الوزن ٣١,٥ طناً . السرعة على الطرقات ٥٠ كم/الساعة . التسليح مدفع عيار ٨٥ مم ، بالاضافة الى رشاشين عيار ٧,٦٢ مم .

(ه) **ت ــ ٣٧ (طائرة)**

طائرة تدريب ، بمعدين . امريكية . نفاثة . هي اول طائرة تدريب نفاثة صممت على هذا الاساس في سلاح الطيران الامريكي ، حلقت لاول مرة في عام ١٩٥٤ . ظهر منها عدة نماذج . سرعتهـــا ٦٨٤ كم/الساعة . تسليحها رشاشان عيار ٠,٥٠ بوصة في حاضنات خارجية ، او قنبلتان زنة ١١٢ كغ ، او ٤ صواريخ سايدويندر مكان الرشاشين والقنابل . مداها ٥٧٩ كم . طولها ٨,٩٣ م ، فتحة جناحيها ١٠,٣ م ، ارتفاعها ٢,٨ م .

(ه) **ت ــ ٥٤ (دبابة)**

دبابة متوسطة سوفياتية ، ظهرت هذه الدبابة لاول مرة عام ١٩٥٥ وهي ذات تدريع ممتاز حيث لا يوجد في درعها أية زاوية ، وتتسلح هذه الدبابة بمدفع من عيار ١٠٠ مم ، وهو اكبر عياراً من مدافع الدبابات الغربية التي هي من جيل هذه الدبابة . وكانت في الوقت نفسه اخف وزناً وحركة من منافساتها من الدبابات الغربية .

وقد عدد حلف شمالي الاطلسي ثلاثة أصناف من هذه الدبابة :

الاول ت ــ ٥٤ أ وقد أضيفت اليه بوصلة كهربائية (مقر جيروسكوبي) عمودية ، وفتحة إخلاء ، ومعدات أبصار افضل .

والثاني ت ــ ٥٤ ب وقد أضيف اليه مصباح كاشف ذو شعاع ضيق للرمـــاية . وبيرسكوبات افضل ، ومقدرة مدى بصرية .

والثالث ت ــ ٥٩ وهو النموذج الذي تقوم الصين بصناعته . وتفتقر هذه الدبابة الى بعض اجهزة الابصار ، واجهزة ضبط الرمي .

المواصفات العامة : طول الجسم ٦,٢٦ م . العرض ٣,٢٥ م . الارتفاع ٢,٦٨ م . المحرك ديزل قوة ٥٨٠ حصاناً . السرعة على الطرقات والمدى ٥٠ كم/الساعة/٦٢٠ كيلومتراً . الذخيرة : ٣٤ قذيفة التسليح الثانوي رشاش عيار ٧,٦٢ مم ورشاش م/ط عيار ١٢,٧ .

(ه) **ت ــ ٥٥ (دبابة)**

دبابة متوسطة سوفياتية . وهي طراز محسن من دبابات ت ــ ٥٤ وبها تعديلات طفيفة عنها ، تشمل إزالة المنضدة الدوارة عن كوة الملقم ، وإضافة انبوب ذو قطر كبير للغوص وعبور الماء ، بالاضافة الى وجود معدات رؤية ليلية افضل تعمل بالاشعة تحت الحمراء ، واجهزة لتحسين الرماية . وهي اثقل وزناً من الدبابة ت ــ ٥٤ . وحمولتها من الذخيرة اكبر ، حيث تبلغ ٤٣ قذيفة .

المواصفات العامة : شبيهة بدبابة ت ــ ٥٤ ، إلا ان قوة محركها تبلغ ٥٨٠ حصاناً .

(ه) **ت ــ ٦٢ (دبابة)**

دبابة متوسطة سوفياتية ، ظهرت لاول مرة في عام ١٩٦٥ ، وقد حافظت على الشكل الخارجي العام لدبابات ت ــ ٥٤ و ت ــ ٥٥ ، باستثناء ان جسمها وبرجها اكبر من جسم وبرج سابقتيها . وهي تتسلح بمدفع ذي جوف املس من عيار ١١٥ مم ، الذي يحتمل ان يزود بمقدرة مدى تعمل باللايزر . وتعتبر أحدث دبابة ميدان رئيسية سوفياتية في الخدمة .

ورغم التحسينات التي ادخلت على هذه الدبابة ، فان وزنها لا يزيد عن ٣٨ طناً . وهي تتميز عن دبابات ت ــ ٥٤ و ت ــ ٥٥ بوجود خافي لهب لمدفعها في منتصف السبطانة ، ووجود فسحة اكبر بين طلمبتيها (عجلات السلاسل) الاولى والثانية .

المواصفات العامة : طول الجسم ٦,٥٥ م . العرض ٣,٣٧ م . الارتفاع ٢,١٨ م . السرعة على الطرقات ٥٠ كم/الساعة . المدى ٦٠٠ كيلومتر . الذخيرة ٤٠ قذيفة . التسليح الثانوي رشاش عيار ٧,٦٢ متطابق المحور مع المدفع . ورشاش ١٢,٧ مم م/ط على برج بعض النماذج منها . الطاقم ٤ افراد (قائد ، سائق ، ملقم ، رامي) ولها قدرة على عبور

المياه بعمق ٤ أمتار مع سنركل (انبوب تنفس طافي).

(٦) تابون

التابون Tabun غاز قتالي من فئة غازات الاعصاب (انظر غازات القتال)، اسمه العلمي سيانيدات ايثيل ن. ن ثاني ميثيل فوسفور آميد". Ethyl N. N. Dimethyl Phosphoro Amido Cyanidate، واسمه الرمزي في أميركا هو: «ج. أ» (G. A.). وقد اكتشفه الدكتور الالماني «جيرهارد شريدر» Gerhard Schrader في العام ١٩٣٧ عندما كان يدرس بعض المركبات الكيماوية الفسفورية في معامل «ليفر كوزن» Lever Kusen، لإيجاد مادة شديدة السمية لإبادة الحشرات. وفي نيسان (ابريل) ١٩٤٢ بدأت المانيا انتاج غاز التابون على نطاق واسع في «دايهرنفورث» Dyhernfurth، إلا أنه لم يستعمل خلال الحرب العالمية الثانية. ويعتقد بأن لدى الاتحاد السوفياتي مخزوناً كبيراً من هذا الغاز، على حين لا يوجد مخزون مماثل منه لدى دول الغرب نظراً لوجود غازات أقوى وأكثر فعالية لديها.

يحضر التابون إما على شكل سائل أو بخار او رذاذ، ويدخل الجسم تبعاً لذلك إما بالامتصاص من خلال الجلد او بالاستنشاق. وتأثيره عام على كل أعضاء الجسم ذلك أنه يمنع إفراز خميرة «استيل كولين استراز» Acetylcholine Esterase؛ اللازمة لتبديد مادة «الاستيل كولين» Acetyl-choline التي يفرزها الجسم عند ملايين نقاط التقاطع بين الالياف العصبية الدقيقة والخلايا العضلية، وينتج عن ذلك تعطيل عمل حيوي هام في الجسم وهو تقلص وارتخاء العضلات، ويبقى العضلات مشدودة متقلصة في سائر أنحاء الجسم، ويحرم المصاب من قدرة السيطرة على وظيفة هذه العضلات، تستوي في ذلك العضلات التي تتحكم بالتنفس والهضم والافراز وحركة القلب والعين وغيرها.

والتأثير السام للتابون سريع جداً، وتظهر أعراضه بالاستنشاق بعد دقيقة، وبطريق الجهاز الهضمي بعد ٣٠ دقيقة، وعن طريق الجلد بعد مدة (٥ – ٢٠) دقيقة، وعن طريق الجروح بعد دقيقة واحدة. ولا تعتبر الثياب العادية مانعة له اذ انه يخترقها بسهولة وينفذ في الجلد.

وتتلخص الاعراض الأولية للتابون في أنه يسبب ضيق حدقة العين، وفقد حدة البصر، وصعوبة التنفس، ورعشة يعقبها شلل في الاطراف لبضع دقائق تنتهي بالصرع وقد تعقبها الوفاة. وفي مثل هذه الحالة يكون الاسعاف العاجل هو الحقن بالاتروبين، واجراء التنفس الاصطناعي، واستنشاق الاوكسجين. ويزال التلوث بغاز التابون السائل عن طريق الغسل بالماء والتخلص من الثياب الملوثة. ويعتبر القناع الواقي وسيلة حماية فعالة اذ ان التابون لا يستطيع اختراقه، إلا أنه من الصعب اكتشافه في الجو لعدم وجود رائحة مميزة له وبالتالي لا يمكن التحقق من قيام العدو باستعمال الغاز إلا بعد الاصابة.

(١) تاسك فورس

تعتبر «التاسك فورس» Task Force قوة مجمعة بشكل مؤقت، بامرة قيادة واحدة، لتنفيذ مهمة محددة، فهي اذن «قوة مهمة» أو «مجموعة قتالية» ذات تشكيل مؤقت وغير ثابت (انظر الجمهرة والتجحفل). ولقد استخدم هذا التعبير من قبل الحلفاء منذ الحرب العالمية الثانية للدلالة على مجموعة سفن حربية متباينة الأنواع، وتابعة لعدة تشكيلات بحرية مختلفة، تجمع تحت إمرة قائد واحد لتنفيذ مهمة محددة. (يعتبر كل من الاسطول الاميركي السادس العامل في البحر الابيض المتوسط، والاسطول الاميركي السابع العامل في المحيط الهادي «تاسك فورس» مستقل غير ثابت التشكيل). ثم اتسع استخدام هذا التعبير ليشمل القوات البرية والجوية، واصبح من الممكن تشكيل «تاسك فورس» برية تضم المشاة المدفعية والمدرعات والمهندسين.. الخ، و«تاسك فورس» برية – جوية، و«تاسك فورس» بحرية – جوية، و«تاسك فورس» برية – بحرية – جوية. ولكن مبادئ تشكيل «التاسك فورس» بقيت كما هي: ١ – وحدة القيادة، ٢ – عدم ثبات التشكيلة، ٣ – تناسب التشكيلة مع المهمة، ٤ – الطبيعة المؤقتة للتشكيلة، ٥ – وحدة المهمة. ومن الواضح أن تطبيق هذه المبادئ يؤمن المرونة والحشد والاقتصاد بالقوى، ويسمح بخلق الأداة المناسبة لتحقيق الهدف المناسب في فترة زمنية محددة.

(٩) تاشيوميتر

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٤) تال (اسرائيل)

الجنرال يسرائيل تال



قائد عسكري اسرائيلي برتبة لواء احتياطي (١٩٢٤ –) ، ولد في كيبوتز مهانايم، والتحق بالهاغاناه في سن السادسة عشرة، وبعد سنة التحق بكتيبة يهودية متطوعة بالجيش البريطاني في فلسطين خلال الحرب العالمية الثانية، وقد ارسل مع كتيبته الى بنغازي في ليبيا ثم الى ايطاليا، واشترك في عمليات تهريب الاسلحة وتنظيم الهجرة غير الشرعية إلى فلسطين من ايطاليا. وقد وصل إلى رتبة رقيب في سرية الناقلات حاملة مدافع «برن» الرشاشة. وعندما سرح من الجيش البريطاني عمل كمدرب للاسلحة الخفيفة في الهاغاناه، ثم ارسل خلال حرب ١٩٤٨ الى تشيكوسلوفاكيا ليشرف على ارسال شحنة من الاسلحة الى المنظمات الارهابية في فلسطين، ثم عمل مديراً للتخطيط والتدريب في قيادة المنطقة الشمالية، وعين بعد ذلك ضابط اشارة في اللواء المدرع الثامن بقيادة «اسحق ساده» خلال عمليتي «حوريف» و«عين» اللتين جرتا ضد القوات المصرية خلال شهري تشرين الاول (اكتوبر) وكانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨، واثر ذلك عين قائداً لدورة قادة كتائب.

وبعد حرب ١٩٤٨ عين تال قائداً لاحدى كتائب لواء «جيفعاتي»، ثم قائداً لمدرسة المشاة. وسافر بعد ذلك الى بريطانيا حيث اتم دورة دراسية لكبار الضباط، وقد عين اثر عودته قائداً لكلية الضباط، وكان ذلك خلال حرب ١٩٥٦. وبعد الحرب المذكورة عين قائداً للواء المشاة العاشر، وبعد اشهر قليلة أصبح نائباً لقائد سلاح المدرعات، ورقي بعد ذلك الى قائد لواء مدرع (اللواء السابع)، ثم خدم فترة كمساعد لرئيس العمليات في القيادة العامة. وفي العام ١٩٦١ انقطع عن الحياة العسكرية

العاملة لدراسة الفلسفة والعلوم السياسية في جامعة القدس وفي بريطانيا لمدة ثلاث سنوات، عاد بعدها ليعين في ١٩٦٤/١١/١ قائداً لسلاح المدرعات. وقد عمل على تطوير سلاح المدرعات ورفع كفاءته القتالية مركزاً على ضرورة المام الجنود والضباط بالنواحي التقنية في الدبابات والتزامهم الشديد بالانضباط العسكري، دون الاخلال بروح المبادرة.

وقد تبنى «تال» التكتيك الالماني الخاص باستخدام المدرعات في حشود كبيرة يجري تركيزها على نقاط اختراق محدودة، ثم تندفع اثر ذلك الى العمق العملياتي للخصم لتهاجم مراكز الشؤون الادارية والقيادات وتقطع خطوط المواصلات دون التوقف لاستكمال تطهير المواقع الدفاعية أو وصول وحدات المشاة والمدفعية الخ (انظر القوات المدرعة، و الحرب الخاطفة) فساهم بذلك مساهمة كبيرة في تبني الجيش الاسرائيلي لنظرية الدبابة القادرة على القتال بمفردها دون الاعتماد تقريباً على تعاون المدفعية والمشاة، والتي سادت التكتيك الاسرائيلي منذ حرب ١٩٦٧ حتى بداية حرب ١٩٧٣.

وفي خلال حرب ١٩٦٧ تولى «تال» قيادة مجموعة الالوية التي هاجمت القطاع الشمالي من الجبهة («رفح – العريش» وقطاع غزة) وطبق تكتيكه القتالي بنجاح ساعدته عليه ظروف عدة، ابرزها احراز الطيران الاسرائيلي للسيادة الجوية المطلقة منذ البداية، وقلة المدرعات المصرية في المنطقة وسوء استخدامها، وضعف القيادة، وسوء التنسيق بين المواقع الدفاعية المصرية (انظر معركة رفح، و حرب ١٩٦٧). ونتيجة لذلك النجاح اكتسب «تال» شهرة كبيرة في الجيش الاسرائيلي والصحافة والكتابات الاجنبية التي تناولت احداث ومعارك حرب ١٩٦٧. وقد عين بعد ذلك نائباً لرئيس الاركان العامة وظل في منصبه هذا حتى نشوب حرب ١٩٧٣ وخلالها مع أنه كان قد قدم استقالة، لم تقبل في حينها، خلال العام ١٩٦٩ لخلافه مع «حاييم بارليف» رئيس الاركان وقتئذ حول بناء «خط بارليف» ذلك لانه كان يرى: «ان التحصينات ليست سوى دبابات جردت من جنازيرها»، ولكن «دايان» رفض الاستقالة. وفي ١٩٧٣/١١/٢٢ عين قائداً للجبهة الجنوبية بدلا من العميد «صموئيل غونين»، إلا انه لم يمكث طويلا في هذا المنصب، وسرعان ما قدم استقالته من الجيش العامل في ١٩٧٤/٣/٢٠ اثر تخطيه من جانب وزير الدفاع «موشي دايان» وتعيين «اسحق حوفي» رئيساً مؤقتاً للاركان.

(١) تانك دوزر

(انظر الدبابة، والقاحط المدرع)

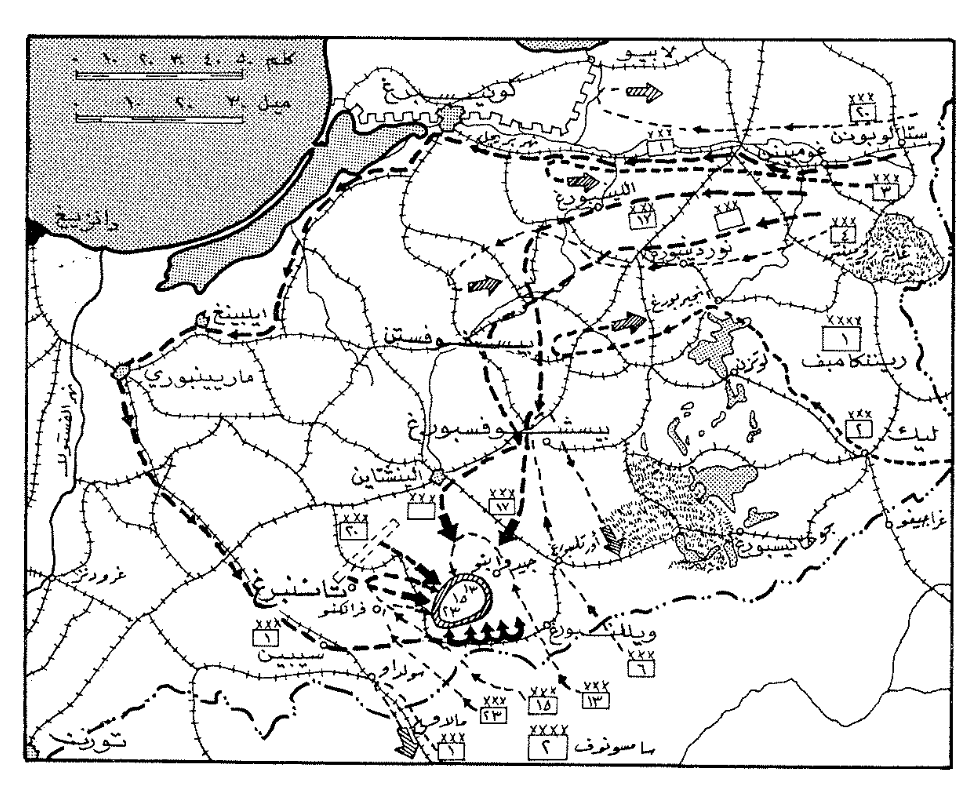
(٦) تاننبيرغ (معركة) ١٩١٤

واحدة من المعارك الحاسمة التي نشبت في بداية الحرب العالمية الاولى (٢٦ – ٢٩ آب ١٩١٤)، وكانت منطقة تاننبيرغ Tannenberg في جنوبي بروسيا الشرقية مسرحاً لها، واسفرت نتيجتها عن هزيمة القوات الروسية امام القوات الالمانية.

عندما اعلنت الحرب العالمية الاولى في آب (اغسطس) ١٩١٤، ونظراً لتخوف فرنسا من هجوم الماني شامل على جبهة اوروبا الغربية، فقد اوعزت الى حليفتها روسيا بضرورة فتح الجبهة الشرقية بهدف صرف انتباه القوات الالمانية وتخفيف العبء عن الجبهة الغربية. وقد انصاعت روسيا لرغبة حليفتها فرنسا، واصدرت اوامر القتال في ١٣ آب ١٩١٤، رغم ان قواتها لم تكن قد اتمت استعدادها للقتال ورغم انها كانت تفتقر الى امداد لوجستيكي هجومي جيد. وعلى اثر ذلك قام الجيشان الروسيان الاول والثاني بالتحرك نحو بروسيا الشرقية. وكان الاول بقيادة الجنرال «بول رننكامبف» Paul Rennenkampf، والثاني بقيادة الجنرال «الكسندر سمسونوف» Alexander Samsonov وكلاهما تحت امرة الجنرال «ايفان زيلنسكي» Ivan Zhilinsky الذي كان يقود المعارك من مقر قيادته في وارسو. وفي ١٧ آب ١٩١٤، عبر رننكامبف الحدود الشرقية لبروسيا تنفيذاً للخطة الروسية التي كانت تستهدف جر القوات الالمانية الى شمال وشرق البلاد واشغالها، لكي يتمكن سمسونوف – بعد خمسة ايام من عبور رننكامبف – من احتواء مؤخرتها في الجنوب والايقاع بها. الا ان هذه الخطة فشلت لاسباب عديدة منها: عدم توفر معلومات كافية حول تنظيم القوات الالمانية، وسوء الاتصالات بين القوات الروسية، وعدم انصياع رننكامبف لاوامر قائده زيلنسكي القاضية بضرورة التركيز على مجنبته الشمالية وحملها على طرد الحامية الالمانية من مدينة كوينغسبرغ (كالييننغراد حالياً)، ولاطلاع الالمان على تفاصيل الخطة الروسية بواسطة جواسيسهم وبواسطة التقاط الرسائل اللاسلكية المتبادلة بين القوات الروسية والتي درجت هذه القوات آنذاك على ارسالها مفتوحة دون استخدام الشيفرة.

اما في المعسكر المقابل، فقد قام قائد الجبهة الشرقية الالماني الجنرال «ماكس فون بريتويتز» Max von Prittwitz، من مقر قيادته في مدينة «الينشتين» Allenstein البروسية، بتوجيه ثلاثة فيالق الى منطقة نهر «انغراب» Angerapp (ويغورابا Wegorapa) لصد الغزو من الشرق، ووجه فيلقاً رابعاً الى منطقة تاننبيرغ لصد الغزو من الجنوب. وكانت خطة بريتويتز تهدف الى خداع رننكامبف وجره غرباً نحو نهر «انغراب» والقضاء عليه قبل انقضاء مدة الخمسة ايام، ثم الالتفاف جنوباً لمواجهة سمسونوف. وكان يمكن لهذه الخطة ان تنجح، لولا ان قائد الفيلق الالماني الاول الجنرال «هيرمان فون فرنسوا» Hermann von Francois بادر الى التقدم الى مدينة «ستالوبونن» Stalluponen (نيستيروف Nesterov حالياً) دون الرجوع الى قائده بريتويتز، وقام من هناك بشن هجوم مضاد على فيلق روسي متقدم نحو حدود بروسيا الشرقية واوقع في صفوفه خسائر جسيمه، مما حمل رننكامبف على وقف زحفه فيما بعد. ورغم ان تحرك فرنسوا كان مقبولا من الناحية التكتيكية، الا انه اخل بالخطة التي رسمها بريتويتز بدقة، والتي كان الزمن فيها عاملا دقيقاً وكبير الاهمية.

وتابع رننكامبف تقدمه، دون ان يحس بالخطر المحدق بقواته، طيلة يومين آخرين بعد تعرض فيلقه الاول لهجوم «فرنسوا»، ولكنه توقف قبل ان يصل الى «انغراب». وفي تلك الاثناء، كان «فرنسوا» قد تمركز حول «غومبينن» Gumbinnen (غوزيف Gusev حالياً) في المكان المعين له قبل اشتباكه بالفيلق الروسي، واخذ يلح على قائده بضرورة القيام بشن هجوم مضاد واسع على الفور. واستجاب بريتوتيز واصدر اوامر الهجوم، رغم معارضة قائد عملياته البارع «ماكس هوفمان» Max Hoffmann، الذي كان يرغب في مزيد من الوقت حتى يلحق بقواته فيلقين آخرين كانا متمركزين غربي النهر. وسرعان ما تبين لبريتويتز ان وجهة نظر هوفمان كانت صائبة، اذ جاء الهجوم الالماني على دفعات، ولم يحقق نجاحاً يذكر، وتمكنت القوات الروسية من صد هذا الهجوم في اغلب خطوط الجبهة مما ادى الى تجميدها. ومضى الوقت سريعاً، ووقع بريتويتز بين خيارين هما: الاستمرار في الهجوم، او الانسحاب غرباً صوب نهر «الفستولا» Vistula. وفي ٢٠ آب (اغسطس)، تلقى مقر قيادته في الينشتين اخباراً تفيد بان سمسونوف عبر بجيشه الثاني حدود بروسيا، فقام بريتويتز على الفور بالاتصال



معركة تاننبرغ ١٩١٤

هاتفياً بقائده « مولتكه » Moltke ، وابلغه انه سينسحب الى « الفستولا » ، وانه يريد المزيد من التعزيزات لمواجهة القوات الروسية هناك . ولكن رد فعل « مولتكه » الفوري كان ، تنحية « بريتويتز » عن القيادة ، وتعيين خلف له هو الجنرال « بول فـون هندنبرغ » Paul Von Hindenburg الذي استدعي الى الخدمة من التقاعد .

وفي ٢٣ آب (اغسطس) ، وصل هندنبرغ الى الجبهة مصطحباً معه رئيس اركانه الجنرال « اريك لودندورف » Erik Ludendorff ، ووجـدا ان هوفان استطاع ان يحكم خطة استراتيجية بارعة بسحب بموجبها فرقة عسكرية وفيلقاً من امام رننكامبف وارسلهما جنوباً لمواجهة تقدم الجيش الروسي الثاني بقيادة سمسونوف . ولقد اقدم هوفان على تنفيذ خطته الجريئة ، رغم انه كان يواجه خطر شق الصفوف الالمانية في حالة تقدم رننكامبف باتجاه شمالي غربي الى خليج دانزيغ ، معتمداً على معرفته بنوايا الجيوش الروسية وتحركاتها التكتيكية اليومية التي كان يستقيها من تقارير الرصد اللاسلكي لمخابراتها اليومية ، ومعتمداً على سوء طرق المواصلات امامها وانعدام الامدادات اللوجستيكية بين سمسونوف وزيلنسكي . وبالاضافة الى ذلك ، فإن فيلقين المانيين كانا متجهين غرباً وكانا على اهبة الاستعداد للالتفاف جنوباً ، في حالة عدم متابعة رننكامبف التقدم . وامام هذه الاعتبارات فقد اقرت خطة هوفان من قبل هندنبرغ ولودندورف .

وفي ٢٤ آب (اغسطس) حدث اول احتكاك بين الجيش الروسي الثاني المتقدم وبين الـقـوات الالمانية المنتظرة ، اذ اصطدم الخط الاوسط لجيش سمسونوف بمواقع المانية في « فرانكنو » Franknau ونشب بينهما قتال ضار استمر طيلة النهار . ورغم ذلك ، فقد استمر سمسونوف على اعتقاده بان القوات الالمانية لا تزال متقدمة باتجاه الغرب ، وأصدر امراً بان يوم ٢٥ آب (اغسطس) هو يوم راحة للقوات . عند ذلك اغتنم هندنبرغ ولودندورف وهوفان الفرصة وسارعوا الى تركيز قواهم واحكام الطـوق حول سمسونوف دونما خشية من تدخل رننكامبف ، متخذين الخطوات التالية : سحب الفيلق العشرين من فرانكنو باتجاه شمالي غربي ومركزته في تاننبرغ . واتخاذ التدابير اللازمة لشن هجوم مفاجيء في الجنوب عـلى « أوسداو » Usdau (اوزدوا Uzdowa حاليـاً) ، و « بيشوفشتين » Bischofstein (بيجتينك Bisztynek حالياً) ، تقوم بـه الحاميات التي تم نقلها من كونيغسبرغ ونهر الفستولا . كما اتخذت العدة للانقضاض على مؤخرة القـوات الروسية في شمال شرقي الينشتين ، بواسطة القوات الالمانية التي تم سحبها من امام رننكامبف .

وفي ٢٦ آب (اغسطس) ، قام الفيلق الروسي الاول التابع لسمسونوف باحتلال « سين » Seeben في الجنوب . وفي اليوم نفسه هزم الفيلق الروسي السادس هزيمة نكراء امـام الفيلقين الالمانيين : السابع عشر ، والفيلق الاحتياطي الاول ، شمـالي « بيشوفسبرغ » Bischofspurg (بيسكوبيـك Biscupiec حالياً) ، وبدأ بذلك احتواء مجنبة سمسونوف الشمالية . وعلى الأثر تراجـع الفيلق الروسي السادس عبر الحدود جنوبي « اورتلسبرغ » Ortelspurg (سجيتنو Szczytno حالياً) ، كما حذا الفيلق الروسي الاول حذوه عبر طريق « ملاوا » Mlawa ، وبقيت الفيالق الروسية الوسطى الثلاث (الثالث عشر ، والخامس عشر ، والثالث والعشرون) مهددة بتطويقها من قبل الفيالق الالمانية الاربعة .

ورغم كل ذلك لم يبد على سمسونوف ما يدل على ادراكه لحجم الكارثة التي ألمت به ، حتى صبيحة يوم ٢٩ آب (اغسطس) عندمـا اصبح الانسحاب الروسي شاملا . وفي ذلك اليوم ارغمت القوات الالمانية الفيالق الروسية الثلاثة المنسحبة من ميدان القتال على الوقوع في جيب اخذ يضيق تدريجياً في منطقة تاننبرغ . وفي يومي ٣٠ و ٣١ آب (اغسطس) ، حاولت القوات الروسيـة كسر الطوق والنفاذ عبر خطوط القائد الالماني فرنسوا ، الا انهـا نجحت في استعادة « نيدنـبرغ » Neidenburg (ندزكا Nidzica حاليـاً) واجبرت على اخلائها في اليوم التالي . وسدت المنافذ جميعها في وجه القوات الروسية بعد ذلك ، وتمكنت القوات الالمانية من اسر ١٢٥ ألف جندي روسي و ٥٠٠ مـدفع في جيب تاننبرغ ، بينما بلغت خسائرها خلال المعركة كلها عدداً يتراوح بين ١٠ – ١٥ ألف قتيل وجريح . ولا يوجد تقدير دقيق لعدد القتلى والجرحى في صفوف القوات الروسية ، الا ان خسائرها كانت ضخمة . وهكذا انتهت معركة تاننبرغ بانتصار كبير للجيش الالمـاني الثامن . وبقي الجيش الروسي الاول بقيادة رننكامبف في مواقعه في الشمال ، واخذ القادة الالمان يعدون العدة لطرده من اراضي بروسيا الشرقية (انظر البحيرات المازورية ، معركة) .

وعندما ادرك سمسونوف ما حل به وبجيشه ، اقدم على الانتحار . ولكن انتحار القائد الروسي لم يكن النتيجة الوحيدة لهزيمته في تانينبرغ . فلقد كانت هذه الهزيمة بمثابة كارثة حلت بالقوات

الروسية ، وأبعدت مؤقتاً اي تهديد روسي لبروسيا الشرقية . وقضت على آمال هذه القوات بغزو المانيا وألغت مكتسباتها السابقة في « غاليسيا » Galicia ومكنت القوات الالمانية من الالتفاف مرة اخرى صوب الجبهة الغربية .

(٢) تأنيس الحرب

أطلق هذا التعبير في الماضي على كل المحرمات في الحرب ، تلك المحرمات التي أدخلتها الكنيسة في بادئ الأمر ، ثم أدخلتها الحضارة أخيراً لجعل الحرب أكثر انسانية او انسانية جزئياً ، وبالتالي حرباً ممكنة . وكان من الممكن ان ترتقي النزاعات في الماضي مختلف درجات العنف ، بدءاً من المناوشات البسيطة الى حرب الاستنزاف والإبادة . وكانت القيادة السياسية للحرب تستخدم العنف طبقاً لاغراض الهدف وأغراضها ، غير ان التصعيد كان متدرجاً ولا تعترضه عقبات هامة . ولهذا لم تكن الحرب تمثل إلا مستوى واحداً ، بالرغم من اختلافها وتنوعها .

وقد برزت كلمة « تأنيس » الحرب بعد ظهور السلاح النووي ويعني هذا التعبير الآن إعادة حدة الحرب الى نسب متواضعة .

(٢) التأهب الدائم

الحالة التي تسمح للقوات بالاشتباك بصورة شبه فورية (دون مدد هامة للتحضير) ، وذلك بأن تملك هذه القوات القدرة على الحركة الجوية والبحرية والبرية .

(٥) تاو

(انظر الصواريخ المضادة للدبابات) .

(٥) تايجر ــ ٢

(انظر نورثروب ف ــ ٥) .

(٥) تايلور (ماكسويل دافنبورت)

ضابط امريكي ، احد رواد استخدام القوات المحمولة جواً . ولد في كينسفيل ، ميسوري ، في ٢٦ آب (اغسطس) ١٩٠١ ، وتخرج من الاكاديمية العسكرية الامريكية عام ١٩٢٢ . شارك في تشكيل



الجنرال ماكسويل تايلور

اول فرقة للقوات المحمولة جواً في الجيش الامريكي ، وهي الفرقة ٨٢ ، في بداية الحرب العالمية الثانية . وفي الحرب العالمية الثانية أمضى تايلور ٢٤ ساعة خلف خطوط العدو (قبل غزو ايطاليا عام ١٩٤٣) للاجتماع بالزعماء الايطاليين في روما والتفاوض معهم حول امكانية الاستيلاء على مطارات روما . وقاد فيما بعد الفرقة ١٠١ المحمولة جواً ، أثناء غزو النورماندي ، والاراضي المنخفضة . ونالت فرقته شهرة عالمية لدفاعها عن باستوني أثناء معركة بلجيكا عام ١٩٤٤ .

قاد الجيش الامريكي الثامن أثناء الحرب الكورية ، واصبح قائداً لقوات الامم المتحدة فيها قبل نهاية الحرب . وبعد الحرب قام بالاشراف على برنامج المساعدات الذي أعاد بناء كوريا الجنوبية . وفي عام ١٩٥٥ عين رئيساً لاركان الجيش الامريكي ، فاعاد تنظيم الجيش وحسن من قدرته في مجال الحرب النووية . وشارك في وضع استراتيجية "الرد المرن والردع المتدرج "واستراتيجية الحرب المحدودة "اللتين تسمحان للولايات المتحدة بخوض الحروب دون أن يهدد ذلك العالم بمواجهة نووية شاملة بين العملاقين .

(١٥) تجارة الأسلحة

هي التجارة التي تستهدف تزويد الجيوش بالاسلحة والذخائر والمعدات الحربية وقطع الغيار عن طريق استيرادها من الخارج حين لا تملك الدول صناعة حربية ، أو تملك صناعة حربية غير متكاملة .

تختلف مصادر تزود الدول بالأسلحة الحربية اختلافاً كبيراً . وهنالك طرق ووسائل لا حصر لها للحصول على المنتجات ذات الاستخدام العسكري.

ويتم تسلح الدول بصورة عامة إما عن طريق اتفاقات دولية تبرم بين الحكومات ، أو عن طريق عقود تتم بين الحكومات والمؤسسات الخاصة الأجنبية ، أو مع شركات أو أفراد يعملون بجهودهم الخاصة لإبرام صفقات تسليح فردية . وتجري أحياناً عمليات سرية للتسليح لا يظهر فيها الوجه الرسمي للدولة المنتجة أو للدولة المشترية أو كلاهما معاً بل تتم العمليات غالباً بين أفراد ووسطاء من جنسيات مختلفة . والمهم في هذه العمليات كلها هو انتقال العتاد الحربي من أراضي دولة الى أراضي دولة أخرى ، سواء كان ذلك بشكل أسلحة كاملة ، أو عتاد ومعدات ، أو وسائل لنقل الأسلحة والأشخاص ، أو قطع تبديلية ، أو براءات صنع أو براءات اختراع أو وسائل تموين وتدريب وأختبار ... الخ .

وقد كانت التجارة الدولية للأسلحة الحربية في القرن الماضي حرة تماماً ، إلا أن الدول شعرت منذ بداية هذا القرن ، وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى ، أن فعاليات الشركات الخاصة لهذه المنتجات يجب أن توضع تحت الرقابة الشديدة للدولة ، كما أن حركات السلم والمؤتمرات الاشتراكية والنقابية كانت تطالب باستمرار فيما بين الحربين العالميتين بتحقيق رقابة وطنية ورقابة دولية على هذه التجارة (انظر أنصار السلم) . ويمكن القول أن التجارة الدولية للأسلحة الحربية أصبحت كلها تقريباً ، في عصرنا الحاضر ، موضوعة تحت الرقابة الحكومية المباشرة للدول المصدرة للسلاح . وهذه التجارة تشكل في الدول الرأسمالية نوعاً من الحصر الواقعي Monopole de fait في مقابل الحصر القانوني Monopole de droit الذي تمارسه الدول الاشتراكية في هذا المضمار . وبالتالي فإن بائع السلاح الحقيقي في المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي ليس هو المشروعات الفردية أو الشركات الخاصة بل هو الدولة نفسها .

ويعتبر تصدير الأسلحة الحربية ، من الناحية التجارية البحتة ، أكثر أنواع التصدير ربحاً وفائدة ، نظراً لأن صفقات الأسلحة التي تنفذ غالباً بسرية تامة تخلو في كثير من الأحيان من عنصر المنافسة المعروف في الصفقات التجارية العادية ، وبالتالي فإن أثمان العتاد الحربي لا تناقش عملياً على أساس سعر معروف مسبقاً ، وخاصة بالنسبة الى الاسلحة الحديثة المتطورة والمطروحة حديثاً أو لأول مرة في الأسواق العالمية . وبصورة عامة كلما كانت الحاجة ملحة الى السلاح المعروض كلما

قل الاهتمام بمناقشة الأسعار، ويلعب عندئذ قانون العرض والطلب لمصلحة البائع حتماً.

وحتى في حال وجود منافسة دولية في بعض الأحيان بين عدد من الدول المنتجة للعتاد الحربي، وكان من شأن هذه المنافسة أن تؤدي الى انخفاض الأسعار بشكل معقول، فإنه من المتعارف عليه أن أسعار المنتجات الحربية المطروحة في الأسواق الدولية بالشكل التجاري تشتمل بصورة أساسية على هامش مهم في السعر يتضمن تحميل المواد المصدرة جزءاً كبيراً من النفقات الباهظة التي أنفقتها الدول المنتجة على عمليات التصميم والاختبار والتجارب والدراسات العلمية والفنية.

وكان الاقتناع السائد بالنسبة للدول المستوردة غير الصناعية في مواجهة الدول الصانعة للسلاح الحربي، أن موقف الدول المستوردة هو موقف منفعل لا فاعل، فهو يتعلق بمدى ارتباطاتها السياسية الخارجية وبعلاقات الحرب والحياد السائدة في زمن معين، دون أن يكون لها في الواقع مجال فسيح للتقديرات الخاصة. ولذا فانها لا تستطيع تغطية حاجاتها الحقيقية من العتاد الحربي دون أن تقع تحت تأثير الدول المصدرة للسلاح، ودون أن ترضخ أحياناً لتنازلات سياسية او اقتصادية مهمة.

وعلى الرغم من ان بعض انواع الضغوط على الدول غير الصناعية قد تشاهد في الوقت الحاضر، إلا ان انحسار الاستعمار في اكثر مناطق العالم، ونمو الوعي السياسي للشعوب، جعل تجارة الأسلحة الحربية تتم بين دول متساوية في السيادة وفي حق الاختيار. وقد اصبح هم الدولة المشترية للسلاح على ان يكون تسليحها متلائماً مع حجم الدولة واتساع حدودها واوضاعها الجغرافية ومركزها الاستراتيجي وامكاناتها الاقتصادية.

وقد ترافق استقلال الدول غير الصناعية مع الصراع العقائدي الكبير الذي تفتحت ابوابه الكبيرة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية بين العالم الرأسمالي والعالم الاشتراكي، وبالتالي فقد قام استقطاب حقيقي لتجارة الأسلحة في العالم، بحيث يمكن القول أن كلا من الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي كانا يتوليان بشكل مباشر أو غير مباشر توجيه صفقات الأسلحة في جميع أنحاء المعمورة ويشترطان في بعض الحالات عدم إعادة تصدير الاسلحة إلى بلد ثالث إلا بعد الحصول على موافقة مسبقة. وكانت هذه الصفقات تخدم في الواقع، وقبل كل شيء، الاستراتيجية العامة لكلا المعسكرين.

ان طبيعة النظام الاقتصادي — السياسي في دول العالم الرأسمالي هي التي تحدد شكل العلاقة بينها وبين الدول المستوردة للأسلحة الحربية، فالتدخل السياسي والاداري الذي تتشدد الدول الغربية في تطبيقه على النشاطات الخارجية لمؤسسات تجارة الأسلحة الحربية مستمد بصورة أساسية من مسلمات الرأسمالية الجديدة التي تقتضي إخضاع الأمم الأخرى لمخططات الاستغلال الاقتصادي رغم تنافسها فيما بينها على أسواق بيع الأسلحة في العالم. أما العلاقات القائمة بين الدول المصدرة للسلاح في العالم الاشتراكي وبين الدول المستوردة للسلاح في العالم الثالث اليوم فهي علاقات من نوع جديد ليس لها أي ارتباط بالماضي، ولم تكن تعرفها تجارة الأسلحة حتى قيام الحرب العالمية الثانية. فن المعروف أن الاتحاد السوفياتي لم يكن يصدر قبل هذه الحرب إلا كميات صغيرة جداً من الأسلحة، وقد اشتهرت في تلك الفترة مساعداته للنظام اليساري خلال الحرب الأهلية الاسبانية (١٩٣٦ — ١٩٣٩). أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد توسع الاتحاد السوفياتي في بيع الأسلحة، وظهرت الى جانبه في أوروبا الشرقية الدول الاشتراكية المعروفة باسم «دول الديموقراطيات الشعبية» التي حذت حذو الاتحاد السوفياتي في بيع الأسلحة الى دول العالم الثالث في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية. وطبيعي أن تجري جميع عمليات بيع الأسلحة الى الخارج في دول العالم الاشتراكي تحت الرقابة الشديدة للدولة. وهكذا فان تحديد الأسعار، وشروط الدفع، وعدد الخبراء والفنيين الذين يمكن أن يرافقوا الأسلحة المصدرة وأولئك الذين يكلفون بإقامة المنشآت المتعلقة بها، وعدد الخبراء والتقنيين الذين سيقومون بتدريب العناصر اللازمة لاستخدام هذه المواد، عبارة عن أمور تتقرر على أعلى مستوى سياسي في الدولة الاشتراكية. وقد تجري احياناً استشارات بين الدول الاشتراكية المتعاونة عملياً ضمن منظمة دولية قائمة وازدواج عمليات التجهيز في قضايا تجارة الأسلحة الحربية. وكل هذا طبيعي بالنسبة لدول العالم الاشتراكي التي يشكل فيها بيع السلاح — من حيث المبدأ — سياسة أكثر من أن يكون تجارة، ولا ينبغي إغفال عامل الربح نهائياً، لأن هذا العامل يبقى مصاناً في بعض الصفقات. ولكن للاعتبارات السياسية دائماً الدور الأول في تجارة الأسلحة لدى دول العالم الاشتراكي.

أما الصين الشعبية فلم تخرج الى ميدان التجارة الدولية للأسلحة الحربية إلا في الستينيات. وهي تتمسك بمبدأ صارم وهو أن أسلحتها يجب أن تستخدم فقط لتحرير العمال والفلاحين من النير الرأسمالي والاستعماري. وهي الدولة الاشتراكية الوحيدة التي لا تطلب فوائد في عقود التسليح التي تبرمها والتي قد تترافق مع تسهيلات ائتمانية لمدة معينة.

(٥) التجحفل

هو توزيع القوى والوسائط النارية ومختلف الأسلحة المساندة الموجودة عضوياً أو مؤقتاً في القطعة، على الوحدات الاساسية لهذه القطعة، بغية خلق الجمهرات المعدة لتنفيذ مهمات تكتيكية معينة (انظر الجمهرة).

ولقد كان للتجحفل في الحرب العالمية الأولى أهمية كبيرة نظراً لأن القطعات الكبيرة كانت مؤلفة من وحدات متعددة تضم كل واحدة منها صنفاً واحداً من الاسلحة. وكانت الغاية من هذا التجحفل الذي يتم قبل المعركة، خلق تشكيلات تضم صنوف الاسلحة اللازمة لتحقيق مهمة تكتيكية تفرضها طبيعة المعركة نفسها. ولكن خلق القطعات التي تضم مختلف صنوف الاسلحة بشكل عضوي في الحرب العالمية الثانية جعل عملية التجحفل تفقد أهميتها، ولا تتم إلا في الحالات التي تفرض فيها طبيعة المهمة تعزيز بعض القطعات التي تضم مختلف صنوف باسلحة اضافية تأتي من النسق الأعلى. ومن الجدير بالذكر أن التجحفل لا يزال يحتفظ بأهميته في الجيوش التي تتألف قطعاتها حتى الآن من وحدات تضم كل واحدة منها صنفاً واحداً من الاسلحة (الفرقة الاميركية) أو تضم صنفاً واحداً معززاً بوحدات عضوية غير كافية من الاسلحة الاخرى (اللواء الاسرائيلي).

(٦) التجسس

التجسس Espionage، نوع من أنواع العمل الاستخباري Intelligence، هدفه البحث والحصول على المعلومات، المتعلقة بدولة ما، ونقلها بطرق سرية خاصة من مكانها الى مكان آخر بواسطة عملاء دولة اخرى. والتجسس، بهذا المعنى، يعني انواعاً مختلفة من النشاطات المتعلقة بالامن القومي والسياسة الخارجية التي تمارسها الدولة. وتنبع أهميته من أن كافة القرارات تتخذ بناء على توافر معلومات معينة، وان يوم رجل الدولة يبدأ وينتهي، عادة، بقراءة تقارير المعلومات قبل ان يتخذ القرارات المناسبة.

وتختلف طبيعة التجسس باختلاف طبيعة المعلومات المطلوبة: وتحتاج وزارة الحربية مثلا الى

معلومات عسكرية عن العدو والارض ، وتحتاج وكالة الطاقة النووية الى معلومات علمية وتقنية ، وتحتاج وزارة الخارجية الى معلومات سياسية ، اما رأس الدولة فإنه يحتاج الى مزيج من هذه المعلومات جميعها بالاضافة إلى المعلومات الاقتصادية والنفسية . ويختلف نوع التجسس ونوع وسيلة جمع المعلومات تبعاً لذلك .

فهناك « **التجسس السياسي** » الذي يحظى بغالبية الاهتمام من بين أنواع التجسس المختلفة ، إلا أنه اقلها اعتماداً ، اذ لا يستطيع احد ان يتنبأ بمحصلة التوترات والقوى السياسية في بلد ما ، وبالتالي يلجأ المحلل السياسي الذي يحلل تقارير المعلومات الى وضع تقدير للبدائل المتاحة على ضوء معرفته بالاتجاهات والاشكال السياسية الموجودة في ذلك البلد ، معتمداً على حقائق يستقيها من تسجيلات النتائج الانتخابية وتفصيلات النظم الحزبية والقيادية والدراسات التحليلية المعقدة للوثائق السياسية وما إلى ذلك . ولقد كانت البعثات الدبلوماسية ، ولا تزال ، الوسيلة الرئيسية لجمع المعلومات السياسية من مصادرها العلنية ، عن البلاد التي تمارس نشاطها فيها ، وارسالها بصورة تقارير معلومات الى حكوماتها ، وتدعمها في ذلك اجهزة الاستخبارات المتخصصة بواسطة عملاء سريين يقومون بالتجسس لحسابها .

وهناك « **التجسس العسكري** » وهدفه الحصول على المعلومات المتعلقة بالقدرات العسكرية لدولة ما . ويتم الحصول على قدر كبير منها بواسطة الملحقين العسكريين في السفارات (انظر الاستخبارات العسكرية) . ومن الملاحظ ان الحصول على المعلومات العسكرية يكون اكثر صعوبة في زمن السلم منه في زمن الحرب . ففي الحرب يمكن الحصول على المعلومات المطلوبة بتحريك مجموعات الاستطلاع العسكرية وعن طريق أسر قوات العدو ومعداته . ومن أهم المعلومات العسكرية التي تسعى أجهزة التجسس للحصول عليها المعلومات الخاصة بتنظيم المؤسسة العسكرية لدولة ما ، وإجراءاتها ، وتحصيناتها ، وانتشارها ، وتدابيرها الاحتياطية والأمنية ، ومعداتها ، وعدد وحداتها ، ومجموع أفرادها ومستوى تدريبهم ومعنوياتهم وروحهم القتالية .

وهناك ايضاً « **التجسس الاقتصادي** » ، وينبع مبعث الاهتمام باقتصاد الدولة من الدور الحاسم الذي تلعبه العوامل الاقتصادية في تشكيل قوتها العسكرية ، وتطورها السياسي ، واتجاه سياستها الخارجية ، لذلك تهتم أجهزة التجسس بتجميع المعلومات المتعلقة بالنشاط التجاري والمالي للدول الاخرى ، ومعرفة مصادرها الطبيعية وقدراتها الصناعية ، واجراء الدراسات التحليلية المعقدة لمعرفة مقدار دخلها القومي الاجمالي .

ولا تقتصر أنواع التجسس على الانواع الثلاثة التي سبق ذكرها ، فقد ولد التقدم التكنولوجي العالمي سباقاً بين القدرات العسكرية والاجراءات الدفاعية ، وبين الاساليب الحديثة لجمع المعلومات الاستخبارية والاساليب الحديثة لحماية المعلومات السرية ، وتبعا لذلك اصبح على أجهزة التجسس ان تبقى مستنفرة لرصد أية تطورات علمية أو تقنية — في مختلف حقول المعرفة الانسانية كالطاقة الذرية والالكترونيات والكيمياء وغيرها — يمكن ان تعطي العدو مجالا للتفوق . كذلك ، فقد ولد تطور وتعقيد العلاقات الدولية الحاجة الى تقدير ردود الفعل والتصرفات المستقبلية لصانعي القرارات في الدول الاخرى ، ولكي يتسنى ذلك فقد نشأت الحاجة الى جمع المعلومات عن شخصيات هؤلاء وأمورهم الحياتية ، ودراستها وتحليلها لمعرفة اطباعهم وانماط تفكيرهم ، وألقيت هذه المهمة على عاتق أجهزة الاستخبارات والتجسس . واخيراً ، فإننا نجد أجهزة الاستخبارات والتجسس تعكف ، بشكل متواصل ، على تجميع معلومات متعلقة بمجالات أخرى متعددة : كالنواحي السكانية ، والطوبوغرافية ، والظروف الجوية ، وعوامل التوازن البيئي في الدول الاخرى ، وذلك لكي يتسنى للمحلل الاجابة على مختلف التساؤلات التي تطرح عليه من قبل صانع القرار .

ويصنف التجسس — بحسب مجالاته — الى فئات ثلاث : اولاها ، **التجسس الاستراتيجي** (ويسمى احياناً بالتجسس القومي) وهو اوسعها مجالا اذ يغطي المعلومات المتعلقة بقدرات الدول الاخرى ونواياها . وثانيها ، **التجسس التكتيكي** (ويسمى أحياناً بالتجسس القتالي) . ويغطي المعلومات التي يحتاجها القائد الميداني . وثالثها ، **التجسس المضاد** وهو عبارة عن مجموعة الاجراءات البوليسية المضادة التي تتخذها إحدى الدول للمحافظة على المعلومات السرية التي تملكها ، ومنع عملاء العدو من الوصول اليها ، والحفاظ على سرية عملياتها التجسسية ، واكتشاف نوايا وعمليات العدو المماثلة .

وأياً كان نوع العمل التجسسي ، فهو عمل شاق ومنظم يهدف الى جمع المعلومات من مصادرها . ويمر هذا العمل بعدة مراحل هي : أ) مرحلة تحديد ماهية المعلومات المطلوبة ، او بعبارة أخرى وضع خطة الاحتياجات من المعلومات . وذلك خوفاً من قيام جهاز التجسس بتجميع للمعلومات بشكل عشوائي يترك صانع القرار في النهاية بدون المعلومات التي تساعده في اتخاذ القرار . ب) مرحلة نقل المعلومات من مكانها الى حيث يمكن تناولها بالتحليل . ج) مرحلة دراسة المعلومات المجمعة وتحليلها وتقديرها . وتهدف هذه المرحلة الى وضع المعلومات في قالب عملي ليتسنى التصرف بها او حفظها للمستقبل . وتنبع أهمية تقدير المعلومات من تعدد مصادرها واختلاف درجة الثقة بهذه المصادر ، لذلك نجد أن أجهزة التجسس تقوم بوضع مقاييس خاصة بها تحدد درجة الثقة بمصادر المعلومات ، ومدى دقة هذه المعلومات . وتهدف هذه المرحلة الى تجنب اتخاذ قرارات مبنية على معلومات خاطئة او غير كافية ، اذ ان هذه القرارات تكون مجلبة للكوارث على الدوام . د) وضع المعلومات تحت تصرف صانع القرار في الوقت المناسب ، اذ لا يعني كون المعلومات صحيحة انها تؤدي بالضرورة الى قرارات نهائية صائبة ، ولا يكفي ان تحتوي ملفات الدولة على معلومات صحيحة ، وانما ينبغي استخدامها في حينها وقبل فوات الأوان .

وتقسم مصادر المعلومات الى قسمين : فهي إما أن تكون **مصادر علنية** ، أو **مصادر سرية** . والمصادر العلنية ، هي المصادر التي يمكن الوصول اليها بدون اللجوء الى وسائل غير قانونية ، وهي تشكل القسم الاكثر اهمية ، اذ تساهم بجمع ما لا يقل عن ٨٠ ٪ من المعلومات المتاحة ، وان كانت هذه النسبة تختلف بحسب سياسة الدولة المعنية ، ونظرتها الى حرية الصحافة والنشر . ومن ضمن مصادر المعلومات العلنية : الاستماع الى برامج الاذاعة والتلفزيون ، وتحليل محتويات الصحافة والمطبوعات الاجنبية في مختلف المواضيع ، وقراءة تقارير المبعوثين الدبلوماسيين والملحقين العسكريين وغيرهم من المراقبين. ويتطلب هذا العمل جهوداً ضخمة تبذل من أجل تسجيل وترجمة وحفظ المعلومات المستخلصة ، يقوم بالجانب الاكبر منها موظفون جامعيون مدربون

أما مصادر المعلومات السرية ، فهي تبدو اكثر درامية ، وتنقسم الى ثلاثة فئات — مرتبة فيما يلي بحسب تدرج أهميتها — هي : أ) الاستطلاع الجوي والفضائي . ب) التنصت او الاستماع الالكتروني . ج) العميل السري . ويختلف هذا التصنيف للمصادر السرية عن التصنيف التقليدي الذي يجعل العميل السري على رأسها ، ذلك ان دور العميل السري قد تضاءل ليحل محله وسائل آلية كطائرات الاستطلاع ، واقمار التجسس ، والتجهيزات الالكترونية الاخرى ، واصبح بالامكان استخدام هذه المعدات

للرؤية والسماع والتصوير عن بعد، سواء في الليل أو النهار، بعد ان تطورت تطوراً عظيماً منذ بداية الاربعينات (انظر الحرب الالكترونية). ومن ناحية ثانية، فإن المعلومات المصورة والمسجلة التي يمكن الحصول عليها بواسطة المعدات المتطورة تتضمن درجة دقة أعلى من دقة تقرير العميل السري الذي قد يتضمن استقراءات واستنتاجات اجتهادية يصعب إثباتها، إلا اذا كان هذا العميل جزءاً من الجهاز القيادي المعادي، وكان قادراً بالتالي على أخذ المعلومات الصحيحة، ومعرفة القرارات المتخذة.

وبالرغم من تعقيد وسائل التجسس الحالية وتعقيد نظمها واساليبها التكنولوجية المتطورة، فإن المعلومات ما زالت تقع ضمن احد تصنيفين رئيسيين هما: معلومات مؤكدة، ومعلومات غير مؤكدة، ذلك انه من الممكن معرفة معلومات دقيقة حول عدد الغواصات التي تملكها دولة معادية مثلا، ولكن من غير الممكن معرفة النوايا السياسية لقادة تلك الدولة على وجه الدقة.

ان تاريخ التجسس مغرق في القدم، ومن أقدم الأمثلة على ذلك ما ذكرته الكتب السماوية عن قيام رسول الله موسى (عليه السلام) بإرسال اثني عشر رجلا من رجاله الى ارض كنعان (فلسطين). فأتوه بعد غياب اربعين يوماً باخبار الارض التي تفيض لبناً وعسلا وبمدى قوة اهلها.

ومن الامثلة القديمة كتاب صن تزو Sun Tzu فن الحرب Ping Fa، الذي كتبه حوالي سنة (٤٠٠) قبل الميلاد، وضمنه تأكيداً لأهمية المعلومات، وتصنيفاً لأنواع العملاء السريين، وبعض ملامح التجسس المضاد والحرب النفسية.

كما عرف التجسس لدى الاغريق، فكان للاسكندر المقدوني جواسيسه، وعرف لدى الرومان، فكان ليوليوس قيصر كشافة يرسلهم لاستقصاء المعلومات وجلبها اليه.

وعرفه العرب المسلمون خلال فتوحاتهم، وكان لديهم عيون يرسلونها الى الامصار للاختلاط بأهلها ومعرفة احوالهم، وقد ساهم ذلك الى حد كبير في انجاح الفتوحات العربية الاسلامية، مما يدل على ان نشاطهم في هذا الميدان كان منظماً وفعالا رغم صعوبة وسائل الاتصال ونقل المعلومات في ذلك الحين.

أما في أوروبا، فقد بدأ التجسس كعمل منظم - وان كان تنظيماً بدائياً - في القارة الاوروبية في القرون الوسطى. وتميزت هذه المرحلة بتعذر عمليات إخفاء الحشود العسكرية البرية والبحرية، وبطء عملية الاتصال، وبالتالي فقد نشأ توازن دقيق بين المعلومات المتوافرة عن العدو وبين إمكانية نقلها في الوقت المناسب. كما تميزت تلك المرحلة بضعف أجهزة التجسس الاوروبية ونقصها وعدم قدرتها على الحصول على معلومات عن الامم التي غزتها كالمغول، والبيزنطيين، والعرب. وقد تسبب هذا النقص في كثير من الهزائم الاستراتيجية لدول الغرب في تلك الآونة.

وفي القرن الخامس عشر بدأت المدن البحرية الايطالية في إنشاء سفارات لها في العواصم الاجنبية، وبدأت في استخدام هذه السفارات كمراكز للتجسس وفي تطوير شيفرات ورموز تنقل بواسطتها المعلومات السرية. وما ان حل القرن السادس عشر حتى حذت بقية الدول الاوروبية حذوها. وعلى أثر توقيع معاهدة وستفاليا للسلام في العام ١٦٤٨، والتي اكدت الاتجاهات الفكرية القومية السائدة في تلك الاثناء، بدأ رجال الدولة في الاحساس بحاجتهم الى تقدير المعلومات عن الدول الاخرى، فعكفوا على إنشاء الاجهزة واتخاذ الاجراءات الكفيلة بذلك. ومن أشهر أجهزة التجسس التي ظهرت في تلك الحقبة: الجهاز الذي أنشأته الملكة «اليزابث الأولى» في بريطانيا برئاسة سكرتير الدولة السير «فرانسيس وولزنجهام» الذي أنشأ شبكات من العملاء السريين، وطور مختلف فنون التجسس وحياكة المؤامرات السياسية، كما طور أساليب وادوات لوضع وحل الشيفرات. والجهاز الذي أنشأه الكاردينال «ريشيليو» في فرنسا. والجهاز الذي أنشأه «اوليفر كرومويل» في بريطانيا برئاسة «جون تيرلو» الذي يعتبر من أوائل قادة التجسس.

ولكن التمييز الواضح بين الامن الداخلي (البوليس او التجسس المضاد) وبين العمل الاستخباري الخارجي لم يظهر في الواقع إلا بعد حلول القرن الثامن عشر. ويعزى ذلك الى التطور السياسي الذي كان من حصيلته ظهور فكرة «الولاء للدولة» بدلا من فكرة «الولاء للحاكم». وكنتيجة مباشرة لذلك، بدأ الحكام يولون عناية متزايدة لمعرفة «الرأي العام» الخارجي، ونشأت بالتالي الحاجة إلى وجود سياسة دبلوماسية، وضرورات استخبارية جديدة. ويعزى الى الملك البروسي «فريدريك الكبير» الفضل في تطوير النظم الاستخبارية خلال تلك الحقبة، وتحت إشرافه وإشراف «بسمارك» من بعده قام «ويليام شتايبر» بانشاء اول نظام تجسسي واسع النطاق جند لخدمته أنواعاً وانماطاً عديدة من العملاء، من بينهم المزارع والتاجر وخدم المطاعم والبيوت، وجعله جزءاً لا يتجزأ من مهام القيادة العامة. وقد اشتهر نظام «شتايبر» بصفته أفضل نظام تجسسي في القارة الاوروبية في العام ١٨٧٠

ثم تطورت نظم التجسس ونشطت وانتشرت في جميع انحاء اوروبا، وساهم في ذلك تطور السياسات الامبريالية الغربية وتطور التكنولوجيا العسكرية. ورغم ذلك فقد دخل معظم الدول الغربية الحرب العالمية الاولى بأجهزة تجسس ضعيفة. ويعزى السبب في ذلك الى وقوع تلك الاجهزة فريسة الصراعات الداخلية والفضائح. وابلغ مثال على ذلك هو الاستخبارات الفرنسية التي عانت كثيراً من المؤامرات الداخلية ومن فضيحة دريفوس Dreyfus Affair التي أضعفتها كثيراً. وقد حققت بعض نظم التجسس نجاحات في العمل: مثل النجاح الذي حققته الاستخبارات الروسية ضد النمسا بسبب خيانة أحد كبار الضباط النمساويين، والنجاح الذي حققته الاستخبارات البريطانية في حل الشيفرات الالمانية وفي عملياتها الشرق أوسطية، والنجاح المحدود الذي حققته الاستخبارات الالمانية في ايران وداخل الولايات المتحدة التي لم يكن لها استخبارات مركزية في ذلك الوقت. إلا أنه لا يعزى إلى أي من هذه النظم فضل الاسهام في إنجاح عمل استراتيجي حاسم لمصلحة أية دولة من الدول المشتركة في الحرب.

ثم أدت الدروس المستفادة من الحرب العالمية الاولى، والتطورات التكنولوجية وخصوصاً في حقلي الالكترونيات والطيران، الى نشوء الحاجة الى اختراق أجهزة التجسس المعادية في فترة ١٩٢٠ - ١٩٣٠. وساهمت السياسات التوسعية في عدة دول مثل ايطاليا، والمانيا، واليابان على نمو هذا الاتجاه، وافرزت بالتالي أجهزة التجسس المضاد - كرد فعل - في الدول الديمقراطية. ثم قادت الحرب العالمية الثانية الى إنشاء وتوسيع أجهزة التجسس في جميع الانحاء. وقامت الولايات المتحدة بانشاء مكتب الخدمات الاستراتيجية (OSS) كأول جهاز استخباري في زمن السلم. وقد ألقت هذه الحرب مهاماً جديدة على عاتق أجهزة التجسس حتمتها التطورات العديدة في حقول التكنولوجيا المختلفة: كالحرب الجوية، ونمو الاتصالات اللاسلكية التي ساهمت بشكل واسع في عمليات الحرب النفسية ومعرفة آثارها. وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها تبعتها مرحلة «الحرب الباردة»، التي دخلت فيها أنظمة التجسس في صراعات خفية. ونمت هذه الأجهزة حتى أصبحت تشكل إدارات بيروقراطية كبيرة تتنافس فيما بينها من أجل الحصول على المعلومات، وأصبحت أسماء أجهزة التجسس مثل: «السي. آي. إي» (CIA)

الاميركية ، و « إم ۱ – ٥ » (M1-5) و « إم ۱ – ٦ » (M1-6) البريطانية ، و « ك. ج. ب. » (.K. G. B) و « غ. ب. أو » (.G. P. ou) السوفياتية ، و « سديس » (SDECE) الفرنسية ، و « الشين بت » (Shin Bet) الصهيونيسة ، أسماء مألوفة في كثير من أنحاء العالم . واتخذت نشاطات أجهزة التجسس هذه الى جانب أجهزة التجسس الكثيرة الاخرى ، صوراً متعددة تتراوح بين التجسس ، والعمل السياسي السري ، والحرب النفسية في البلاد الاجنبية . وفي الوقت نفسه أصبحت القصص التي تروى عن الجواسيس وطرق مكافحتهم موضوعاً تتناوله الجماهير ووسائل الاعلام العامة ، وانتقل الى الادب القصصي والخيالي أيضاً في محاولة لالقاء الاضواء على عمل وظيفي متعب مليء بالمآسي والآلام والفضائح مثـل فضائح ماتا هاري ، ولافون ، وكوهين ، وكيم فلبي ، وكريستين كيلر ، وغيرها .

(١٠) التجنيد

هو دعوة المواطنين القادرين ، أو فئة منهم ، الى خدمة العلم (الخدمة العسكرية الالزامية) وهي تفترق ، من هذه الناحية ، عن الخدمة الطوعية في الجيش المحترف حيث ينخرط المواطنون الراغبون في الخدمة العسكرية لقاء بدل معين .

ولقد كانت القبائل البدائية في العصور القديمة تؤلف جماعات مسلحة ، كل فرد فيها محارب من المحاربين . وبما ان القبيلة كلها تدخل الحرب ، فان الحرب بالنسبة اليها حرب شاملة . ولكن منذ ان تخلى الانسان عن حياة القنص والترحال ، قام هناك تمييز بين المحارب والمزارع غير المقاتل ، وبالتالي بين الحضارة الزراعية والحضارة البدائية القبلية .

أما في عصر الاقطاع ، فقد كان الفرسان ومساعدوهم لا يشكلون ، عندما يدعون الى الخدمة تحت السلاح ، إلا مفرزة صغيرة من مجموع السكان ، وكان السكان المدنيون مستبعدين من المساهمة في الحرب.

ولم تكن فكرة القبيلة المسلحة فكرة جديدة ، وهي تختلف أيضاً عن التجنيد القومي القديم ، كالوحدات الانكلوسكسونية المؤقتة التي لم تكن تدعى الى حمل السلاح إلا زمن الحرب ، على حين كانت الجيوش المجندة جيوشاً دائمة . ويبدو ان « ماكيافيلي » هـو صاحب فكرة الجيوش المجندة الدائمة ، اذ انه وضع في العام ١٥٠٦ ، المذكرة الشهيرة التي صدر بها القانون المعروف بقانون ١٥٠٦ ، والذي يفرض الخدمة الالزامية في فلورنسا ، على الافراد الـذين تتراوح اعمارهم ، بين سن الثامنة عشرة والثلاثين عاماً . وقد هوجم هذا القانون كثيراً ، وقال « فرنسيس بيكون » في دراسته « محاولة في وحدة الدين » ، « ان وضع السيف ، مؤقتاً ، بيد عامة الشعب هو عمل خطير » .

ثم أخذ التجنيد الاجباري يختلف ، أسلوباً منذ ذلك الحين ، باختلاف المجندين من جهة ، وباختلاف مدة الخدمة من جهة ثانية ، فكان يصيب تارة طبقة معينة من الشعب ، حتى ان بعض الدول سمحت بقبول دافعي البدل ، عوضاً عن الانخراط في الخدمة ، كـأن يدفع المطلوب تجنيده مبلغاً معيناً من المال ، فيعفى ، أو كأن يكفل بدلات جندي بديل عنه ، ويمتد تارة أخرى ليصيب القادرين على حمل السلاح ، أو حتى على الخدمة الميدانية ، فجندت النساء ، كما جند الكهول والفتيات (العصر الحديث) . وهناك أنواع فريدة من التجنيد ، كالتجنيد بالقرعة ، التي تصيب ، خبط عشواء ، فئة معينة من المواطنين القادرين . وتستخدم هذه الطريقة عندما يكون عدد المطلوبين للقرعة أكبر من العدد اللازم للقوات المسلحة (لبنان) أو عندما لا يسمح الوضع الاقتصادي للبلد بتجنيد كافة المطلوبين للقرعة (مصر) .

ولقد أخذت مدة الخدمة تتقلص ، من خمس سنوات ، في عهد « ماكيافيلي » ، حـتى ثلاث سنوات ، فسنتين ، فثمانية عشر شهراً ، ثم سنة واحدة في بعض البلدان . بيد أن تطور الأسلحة المستخدمة في الحرب الحديثة ، والزمن الطويل اللازم لتدريب المجندين على استخدامها ، وارتفاع المستوى التكنولوجي للقوات المسلحة ، يجعل مدة التجنيد تتزايد باستمرار ، حتى تصل إلى سنتين في قطعات المشاة ، واكثر من ٣ سنوات في القطعات التقنية الاختصاصية (مدرعات ، مهندسين ، صواريخ ، مدفعية مضادة للطائرات ، بحرية ... الخ) .

كان الناس في التاريخ الاسلامي ، قبل بني أمية ، يذهبون الى الحرب جهاداً فيصيبون الغنائم والفيء ، فلما قامت الفتنة بعد مقتل عثمان ، اشتغلوا فيما بينهم ، فلما أفضى الأمر الى بني أمية ، وصار المسلمون دولة واحدة ، لم يعد الناس يرون مـا يدفعهم الى الحرب طوعاً ، فجعلوا يتقاعدون ، مما اضطر الخلفاء الى التجنيد بالالزام . ويقال ان التجنيد الالزامي بدأ في عهد عمر ، عند تدوين الدواوين ، ولكنه أخذ شكله المتكامل في أيام بني أمية . وكان الجند يتقاضون رواتب تسمى « أعطيات » بلغت ألف درهم في العام للمجند ، فكان الأمويون ينفقون على جيشهم ، البالغ ستين الفاً ، مبلغ ستين مليوناً من الدراهم .

ومما لا شك فيه بأن التجنيد الاجباري ، قد عدل في أسس الحرب ، اذ كانت تكاليف الجيوش ترتفع قبله بشكل رهيب ، وبتطبيقه أصبح تجنيد الجيوش الكبيرة يتم بسعر منخفض ، دون أن تتكلف الدولة سوى إصدار مراسيم الدعوة الى خدمة العلم .

ولقد سمح التجنيد لوحده بسياسة الفتح التي اتبعها نابليون . وفي عام ١٨٠٥ ، كان نابليون يتبجح في « شونبروم » أمام « مترنيخ » بـأنه « يستطيع ان يسمح لنفسه بخسارة ثلاثين ألف جندي شهرياً » . وبدا أثر التجنيد واضحاً في الحربين العالميتين الأولى والثانية ، حيث استطاعت الدول المتحاربة حشد ملايين الجنود في جبهات القتال وفي المؤخرة ، وتطبيق الحرب الشاملة بكل مظاهرها (انظر القوات المسلحة ، والبدل ، والبدّال) .

(٢) التحالفات النووية

أثار دخول بعض الدول « النادي الذري » جدلا ونقاشاً حادين ، واستنتج بعض المحللين ان وجود دولة ثالثة نووية داخلة في حلف من الأحلاف كحلف الاطلسي مثلا سيؤلف عاملا اساسياً في تطور النزاع ، نظراً لوجود مركزين لاتخاذ القرار باستخدام السلاح الذري . بيد ان محللين استراتيجيين آخرين ردوا على هذا بأن من المحتمل للحليف الذري القوي ان يتحلل من التزاماته إزاء طرف ثالث في نزاع يرى أنه هامشي ، ولهذا فإن الوسيلة الوحيدة لإعادة الاستقرار الكبير للتحالفات هي في اعتماد الأحلاف على قوات نووية مستقلة . وهكذا تصبح المصالح الحيوية للحليف الأضعف ، والهامشية بالنسبة للحليف القوي ، حيوية بالنسبة لهـذا الأخير ، ويغدو التضامن أشمل وأتم ضمن اطار التحالفات النووية .

(٦) تحديد الاسلحة الاستراتيجية (اتفاقية سولت)

في ٢٦ أيـار (مايو) ١٩٧٢ ، وقـع كل من رئيس الولايات المتحدة الاميركية (ريتشارد نيكسون) ، والسكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي (ليونيد بريجنيف) في موسكو اول اتفاقية للحد من الاسلحة الاستراتيجية . وبذلك تكون الدولتان الأعظم قد توصلتا الى اتفاقية تاريخية حول الحرب النووية ، مبنية بشكل صريح ومباشر على

كون شعب كل منهما رهينة الاسلحة النووية التي بحوزة الطرف الآخر، ومشترطة الحفاظ على ميزان الرعب النووي القائم وعدم السماح له بالميل بحدة لصالح احد الطرفين. وقد تم ذلك اثر محادثات مضنية بين الدولتين، بدأت في هلسنكي في تشرين الثاني ١٩٦٩ سميت بمحادثات «سولت Salt»، والاسم هو اختصار للحروف الاولى من عبارة «محادثات تحديد الاسلحة الاستراتيجية» Strategic Arms Limitation Talks

وقد وقعت في موسكو آنذاك ثلاث وثائق هي: اتفاقية رسمية دائمة للحد من الاسلحة الصاروخية الدفاعية المضادة للقذائف Anti-Ballistic Missile Agreement، واتفاقية مؤقتة مرافقة للحد من الصواريخ الاستراتيجية الهجومية لمدة تصل الى خمس سنوات Interim Agreement وبروتوكولا يحدد اثر الاتفاقية الاخيرة على الصواريخ التي تطلق من الغواصات. ووقعت في الوقت ذاته في هلسنكي بالاحرف الاولى مذكرة بالتفسيرات والاجتهادات المختلفة. ويبدو من استعراض نصوص الاتفاقية انها توفر المادة التي يبنى عليها التوازن بين القوى الاستراتيجية النووية للقوتين الأعظم. وهي، على كل حال، تبين الحاجة الى الحذر الشديد في تقييم العلاقة الاستراتيجية الاميركية – السوفياتية في حدود المعايير الكمية وحدها.

اتفاقية الحد من الاسلحة الصاروخية المضادة للقذائف: تتكون من ستة عشر مادة، وهي كما فسرت بسيطة نسبياً في مضمونها وواضحة نسبياً في أثرها في برامج الطرفين الموقعين. فالاتحاد السوفياتي يملك شبكة صغيرة من الصواريخ المضادة للقذائف، تتكون من ٦٤ قاذفة لصواريخ «غالوش» Galosh منتشرة حول منطقة موسكو. أما الولايات المتحدة فانها لم تكن قد وضعت بعد – عند توقيع الاتفاقية – أي جزء من سلاحها الصاروخي المضاد للقذائف: «سيف غارد» Safe Guard في الخدمة، ولكنها كانت منهمكة في بناء موقع حول صوامع صواريخ مينيوتمان العابرة للقارات في داكوتا الشمالية ومونتانا استعداداً لتزويدها بصواريخ «سبارتن» بعيدة المدى وصواريخ «سبرنت» قصيرة المدى للدفاع عن هذه الصوامع. ويحق، بموجب المادة الثالثة من هذه الاتفاقية، لكل من الطرفين ان يكون له منطقتان للصواريخ المضادة للقذائف: واحدة حول عاصمته والاخرى حول حقل من حقول الصواريخ الهجومية العابرة للقارات، يمكن ان تضم كل منهما ما لا يزيد عن (١٠٠) قاذفة وصاروخ مضاد للقذائف بشرط ان تكون القاذفة او منصة الاطلاق ثابتة، قائمة على الارض، صالحة لاطلاق صاروخ واحد فقط. وتحريم إنشاء منصات اطلاق متحركة، او بحرية، اوتوماتيكية او شبه اوتوماتيكية، قادرة على اطلاق اكثر من صاروخ بتتابع سريع. كما وضعت المادة الثالثة المذكورة قيوداً على الرادارات المساندة للصواريخ الدفاعية المضادة للقذائف: فقيدت من انتشار الرادارات داخل منطقة العاصمة الدفاعية ولكنها لم تضع قيوداً على حجم الرادارات او عددها، اذ نصت على جواز استخدام ستة شبكات رادار دائرية لا يتجاوز قطر كل منها ٣ كيلومترات، اما داخل المنطقة الدفاعية للصواريخ عابرة القارات فإن حجم الرادارات وعددها مقيد ولكن انتشارها غير مقيد، اذ نصت على جواز استخدام شبكتين ضخمتين مصفوفتين على مراحل وثمانية عشر وحدة رادارية صغيرة لضبط اطلاق الصواريخ. ويقصد بالتقييدات على الرادارات ضمن اطار الاتفاقية العامة، بقاء التغطية الفعالة لشبكات الصواريخ المضادة للقذائف محدودة نسبياً في قطاعات صغيرة من الارض ومنع استخدام الدفاعات على صعيد الامة باسرها. وبالاضافة الى ذلك فقد تعهد الطرفان بالتخلي عن أية مجهودات سرية تهدف الى تطوير الرادارات العادية لتصبح لها امكانيات الرادارات الخاصة بالصواريخ المضادة للقذائف، او استخدام انظمة رادارية جديدة معدة لمتابعة الاجرام الفضائية الصناعية او لاغراض الانذار المبكر تحت غطاء الزعم بأنها أجهزة رادار خاصة بالصواريخ المضادة للقذائف.

وقد تعرضت المادة (١١) لضمانات تنفيذ الاتفاقية والاجراءات السلبية والايجابية التي يحق لكل من الطرفين اتخاذها لمراقبة أي خرق لبنودها، فنصت لا على وجوب استخدام الوسائل الفنية الوطنية المتوفرة لدى كل من الطرفين (مثل أقمار التجسس) للتحقق من صحة تنفيذها فحسب، بل نصت ايضاً على وجوب امتناع كل منهما عن التدخل في وسائل واساليب جمع المعلومات التي يستخدمها الطرف الآخر بهذا الشأن، كما نصت على وجوب الامتناع عن استخدام وسائل التمويه – التي تحول دون قيام الاجهزة الفنية بالمراقبة – لاخفاء خرق بنودها. وتعرضت المادة (١٥) الى مدة الاتفاقية، فهي اتفاقية غير محدودة بأجل مع انها خاضعة لإعادة النظر كل خمس سنوات. كما انها تجيز لأحد الفريقين الانسحاب اذا ما قرر ان احداثاً غير عادية تتصل بموضوع هذه الاتفاقية قد عرضت مصالحه العليا للخطر. وعليه في هذه الحالة ان يخطر الطرف الآخر بقراره قبل ستة أشهر من انسحابه من الاتفاقية، ويضمّن اخطاره بياناً بالاحداث غير العادية التي يعتبرها ضارة بمصالحه.

اتفاقية تحديد الاسلحة الاستراتيجية الهجومية The Interim Agreement، والبروتوكول المرافق لها: ان هذه الاتفاقية ذات طبيعة مؤقتة، ينتهي العمل بها وبالبروتوكول المرافق لها بعد خمس سنوات من تاريخ التوقيع عليهما، الا اذا حل محلهما اتفاق لاحق اكثر شمولا لقضايا الاسلحة الاستراتيجية الهجومية. وتتضمن هذه الاتفاقية بنوداً اكثر مرونة الا انها، رغم التفسيرات الاضافية، اقل وضوحاً من اتفاقية الصواريخ المضادة للقذائف. ولا تحدد الاتفاقية عدد الاسلحة الاستراتيجية، ولكنها تقضي بأن يكون مجموع عدد الصواريخ عابرة القارات والصواريخ التي تطلق من الغواصات الذي يستطيع كل طرف امتلاكه قائماً على اساس الاعداد العاملة او التي هي قيد البناء في ١ تموز ١٩٧٢ بالنسبة الى الصواريخ عابرة القارات، وفي ٢٦ أيار ١٩٧٢ بالنسبة الى الصواريخ التي تطلق من الغواصات. وتحرم بناء أية صواريخ جديدة عابرة للقارات او صواريخ تطلق من الغواصات بعد هذين التاريخين، كما تحرم تحويل قواعد الاطلاق الخفيفة والصواريخ التي بنيت قبل سنة ١٩٦٤، الى قواعد اطلاق ارضية او بحرية صالحة لاطلاق صواريخ ثقيلة عابرة للقارات (مثل الصاروخ السوفياتي س س–٩). والهدف الظاهر من ذلك هو السماح للولايات المتحدة بمجموع موجوداتها البالغة (١٠٥٤) صاروخاً عابراً للقارات و (٦٥٦) صاروخاً هي مجموع الصواريخ التي يمكن ان تطلقها ٤١ غواصة تملكها الولايات المتحدة، والسماح للاتحاد السوفياتي بمجموع موجوداته البالغة (١٦١٨) صاروخاً عابراً للقارات و (٧٤٠) صاروخاً هي مجموع الصواريخ التي يمكن أن تطلقها ٥٦ غواصة يملكها الاتحاد السوفياتي. ويتضمن البروتوكول المرافق لها معادلات معقدة تسمح بحرية تحديث واستبدال الغواصات ومنصات الاطلاق والصواريخ ضمن حدود معينة. ويفصل البروتوكول ذلك، بأن الولايات المتحدة تستطيع ان تمتلك ما لا يزيد عن (٧١٠) صواريخ تطلق من عدد من الغواصات لا يزيد عن (٤٤)، مقابل الاستغناء عن صواريخ (تيتان–٢) القديمة عابرة القارات. وبالطريقة نفسها يستطيع الاتحاد السوفياتي الاستغناء عن الصواريخ عابرة القارات من طرازي "س س – ٧" و"س س – ٨" التي صنعت قبل سنة ١٩٦٤ وعددها

٢١٠ صواريخ، واستبدالها بعدد مماثل من الصواريخ التي تطلق من الغواصات للحصول على قوة مؤلفة من ٩٥٠ انبوبة لاطلاق الصواريخ من غواصات يبلغ عددها ٦٢ غواصة. « فالاستبدال » يعطي للطرفين — من حيث المبدأ — حق الحصول على صواريخ جديدة تطلق من الغواصات بدلا من الصواريخ الهجومية القديمة التي ما زالت في الخدمة. ويستتبع ذلك اما شطب عدد مساو من صواريخها الحالية المطلقة من الغواصات او الاحتفاظ بعدد مساو من الصواريخ عابرة القارات في الخدمة.

اما حرية التحديث فتعطي للطرفين حق استبدال المعدات القديمة بمعدات جديدة ضمن الحدود الكلية المذكورة أعلاه، وعليه فبامكان الاتحاد السوفياتي إحالة الغواصات القديمة (من طرازي G و H) التي تعمل بالديزل واستبدالها بغواصات نووية حديثة، وبامكان الولايات المتحدة مواصلة تطوير أجهزة الصواريخ الجديدة المطلقة من غواصات « ترايدنت » النووية الحديثة. كذلك قد يستبدل الطرفان، عموماً، منصات الاطلاق القديمة والرؤوس الحربية القديمة بمنصات ورؤوس جديدة مع الخضوع فقط للمنع على الصواريخ الثقيلة عابرة القارات مثل الصواريخ السوفياتية من طراز « س س — ٩ ». وهكذا فللولايات المتحدة الحق في الاستمرار باستبدال صواريخ «مانيوتمان — ١ و ٢ » و « بولاريس »، بصواريخ « مانيوتمان — ٣ » و « بوسيدون » ذات الرؤوس المتعددة (الوسائط العائدة ذات الاهداف المتعددة المستقلة MIRV)، كما ان الاتحاد السوفياتي يملك حقاً موازياً في مواصلة تطوير اسلحة مثل صاروخه الجديد المطلق من الغواصات طراز « س س — ن — ٨ ».

ويلاحظ ان هذه الاتفاقية لم تتعرض لقاذفات القنابل الاستراتيجية، وقد كانت الولايات المتحدة تتمتع بتفوق ملحوظ في هذا المجال في الوقت الذي تم فيه توقيع الاتفاقية، فقد كان لديها ٥٣٠ قاذفة استراتيجية معظمها من طراز « ب — ٥٢ » لديها طاقة حمولة تعادل ٣٠,٥ مليون رطل، في مقابل ١٤٠ لدى الاتحاد السوفياتي قادرة على نقل حمولة تعادل ٤,٨ مليون رطل، ومن ناحية أخرى فإن عدد القنابل الذرية التي تستطيع الطائرات الاميركية حملها سيزداد حين تنجز الولايات المتحدة تجهيز قوة قاذفاتها بالصاروخ الهجومي قصير المدى « SRAM ».

ومن ناحية اخرى فإن الاتفاقية المؤقتة لم تأخذ في الاعتبار اعداد الرؤوس النووية في مقابل اعداد الصواريخ الناقلة لها. وقد كانت الولايات المتحدة، لفترة خلت، متقدمة تقدماً كبيراً في برنامجها لإنشاء الوسائط العائدة ذات الاهداف المتعددة المستقلة «MIRV Program» الذي بدأ منذ خمس سنوات، فقد نشرت حوالي ٢٠٠ من صواريخ « مانيوتمان-٣ » عابرة القارات، التي يصل ما يحمله كل منها ثلاثة رؤوس، وحوالي ١٦٠ صاروخاً من صواريخ « بوسيدون » المطلقة من الغواصات التي يستطيع كل منها ان يحمل عشرة رؤوس، وعندما يؤخذ صاروخ «بولاريس — ٣» والوسائط العائدة المتعددة «MRV» بالاعتبار فإن القوة الاميركية الاصغر في العدد تستطيع، نظرياً، ان تنقل على وجه التقريب ٤٣٠٠ رأساً الى ٣٥٥٠ نقطة مستهدفة ومنفصلة، مقابل حد أقصى نظري من ٢٠٩٠ نقطة تهديف منفصلة للاتحاد السوفياتي الذي لم تكن هناك دلائل ايجابية على انه استخدم صواريخ متعددة الرؤوس عند توقيع الاتفاقية.

واذا ما تركنا المجاميع الاجمالية السابقة، يكون الاتحاد السوفياتي متفوقاً بوضوح على الولايات المتحدة في الرؤوس المفردة لصواريخه. ان كلا من الصواريخ السوفياتية الـ(٣٠٩) عابرة القارات « س س — ٩ » المسموح بها بموجب الاتفاقية المؤقتة يستطيع ان يحمل رأساً مفردة تبلغ قوتها الانفجارية ٢٥ ميغاطن، على حين يستطيع اكبر صاروخ اميركي، وهو « تيتان — ٢ » وعددها ٥٤ صاروخاً، ان ينقل رأساً قوتها ١٠ ميغاطن فقط. وفي الحقيقة، فإن القسم الاغلب من الصواريخ الاستراتيجية السوفياتية مصمم ليحمل رؤوساً اكبر من مثيلاتها الاميركية، كما ان تزويد الصواريخ الاميركية برؤوس متعددة يستتبع تخفيضاً في المجموع الكلي للحصيلة الانفجارية في الوقت ذاته الذي تقود فيه الزيادة في المجموع الكلي للاهداف التي توجه ضدها. ان الحد الاعلى لحصيلة الرؤوس التي تستطيع الصواريخ الاميركية الحالية نقلها تعادل حوالي ٢٤٠٠ ميغاطن بينما تعادل حصيلة القوة السوفياتية الموازية في الظاهر ١١٤٠٠ ميغاطن. وهذا يعني ان الاتحاد السوفياتي يتمتع بتفوق في اجمالي الحمولة تبلغ نسبته (١:٣). وينبغي الاشارة ان هذه الارقام هي ارقام نظرية تفترض ان جميع الوسائط الناقلة تحمل رؤوساً تبلغ قوتها الحد الاعلى من الميغاطن، وان جميع هذه الاسلحة مستنفرة وجاهزة للاطلاق على الدوام، وهذا امر مستبعد.

اتفاقية سولت في سنة ١٩٧٤ : عندما افرزت محادثات تحديد الاسلحة الاستراتيجية « اتفاقية سولت » في سنة ١٩٧٢، كان التوازن بين الدولتين الاعظم الموقعتين عليها يتلخص في ان الاتحاد السوفياتي يتمتع بتفوق في عدد صواريخه بعيدة المدى وفي اجمالي الحمولة والحصيلة الانفجارية التي يستطيع نقلها، على حين كانت الولايات المتحدة تتمتع بتفوق في عدد الرؤوس الحربية التي تملكها نتيجة تطبيق برنامج الوسائط العائدة المستقلة MIRV Program التي تتميز بدقة في الاصابة تفوق دقة الصواريخ السوفياتية. وبالتالي كانت الاتفاقية المذكورة بمثابة اعلان موافقة كلا الطرفين على ان تفوق الاتحاد السوفياتي في الحصيلة الانفجارية يكافئ، على وجه التقريب، التفوق الاميركي في عدد الرؤوس الحربية. الا انه حدث شيئان اخلا بهذا التوازن منذ توقيع اتفاقية سولت في ١٩٧٢ : اولهما ان الاتحاد السوفياتي قام في سنة ١٩٧٣ باختبار اربعة انواع من الصواريخ ثلاثة منها « س س — ١٨ » ذات رؤوس متعددة عائدة مستقلة « MIRV » وحمولة تفوق حمولة الصواريخ السابقة. وقد اقلق ظهور الرؤوس المتعددة السوفياتية الولايات المتحدة ذلك انه من السهل بعد ذلك تزويد معظم الصواريخ السوفياتية الاخرى برؤوس متعددة وبالتالي يزداد عدد الرؤوس الحربية التي يصبح بامكان الاتحاد السوفياتي امتلاكها. وثانيهما، وهو يعتبر الى حد ما رد فعل اميركي إزاء التطور السوفياتي السابق، هو التصريح الاميركي الذي ادلى به «شليسنجر»، وزير الدفاع الاميركي، في مطلع سنة ١٩٧٤، بان مزيداً من الانشاءات العسكرية السوفياتية أضيفت الى قائمة الاهداف التي ستضربها الرؤوس الاميركية في حالة نشوب حرب نووية بين الطرفين. وقد رافق هذا التصريح اعلان بأن الولايات المتحدة تقوم بتطوير وسائط عائدة قابلة للمناورة (MARV) تفوق الوسائط السابقة « MIRV » من حيث دقة الاصابة، مما قاد الاتحاد السوفياتي الى التفكير بان الولايات المتحدة في طريقها لتطوير وسائط تمكنها من ضرب الصواريخ السوفياتية على الارض. وهذا الخلل في التوازن السابق قاد الطرفين الى محاولة إيجاد معادلة جديدة مناسبة توجد العلاقة بين اعداد الرؤوس الحربية ومقدار الصواريخ العائدة لها، وطريقة لمعرفة مدى دقة إصابة هذه الصواريخ لاهدافها، ومن ثم التوصل الى صياغة كل ذلك في ميثاق جديد يحل محل الاتفاقية المؤقتة لعام ١٩٧٢ بشأن تحديد الاسلحة الاستراتيجية الهجومية. وقد كان هذا الامر مدرجاً على جدول محادثات نيكسون — بريجنيف إبان زيارة نيكسون للاتحاد السوفياتي

(٢٧/٦ – ١٩٧٤/٧/٣) . ولكن الجانبين فشلا في التوصل الى ميثاق جديد ، الا انهما توصلا الى بروتوكول سري تابع لاتفاقية تحديد الاسلحة الصاروخية الدفاعية المضادة للقذائف ، أعده فريق من الخبراء العسكريين والعلماء من الجانبين قبل اكثر من شهرين من تاريخ توقيع البروتوكول ، ووقعه وزراء خارجية الاتحاد السوڤياتي والولايات المتحدة ، اندريه غروميكو وهنري كيسنجر ، بتاريخ ١٩٧٤/٧/٣ في حفل علني (وهذه اول مرة يتم فيها توقيع بروتوكول سري في حفل علني ، بطلب من الاتحاد السوڤياتي) . ويتعرض البروتوكول للتفاصيل التقنية لاتفاقية تحديد الاسلحة الصاروخية الدفاعية المضادة للقذائف ، وينص على خفض عدد المناطق المحمية بهذه الصواريخ من منطقتين مصرح بهما بموجب الاتفاقية الى منطقة واحدة فقط ، اي بعبارة اخرى الاكتفاء بما انجزته كل من الدولتين بالفعل من انظمة دفاعية . فقد بنى الاتحاد السوڤياتي نظاماً دفاعياً حول موسكو ، وبنت الولايات المتحدة نظاماً دفاعياً حول حقول الصواريخ العابرة الموجودة في ولاية داكوتا الشمالية . وينص البروتوكول ايضاً على ان يقوم الاتحاد السوڤياتي بتفكيك ١٥ صاروخاً مضاداً ، وتقوم الولايات المتحدة من جانبها بتفكيك عدد من الصواريخ المشابهة لم يعلن عنه بالضبط .

(٦) تحديد التجارب النووية (اتفاقية)

في الخامس من آب (اغسطس) ١٩٦٣ ، تم في موسكو توقيع اتفاقية خاصة بالحظر الجزئي للتجارب النووية . وقع الاتفاقية وزراء خارجية الدول الثلاث العظمى : غروميكو (الاتحاد السوڤياتي) هيوم (بريطانيا) ، راسك (الولايات المتحدة) . وحضر التوقيع رئيس الوزراء السوڤياتي (خروتشوف) والامين العام لهيئة الامم المتحدة آنذاك (يو ثانت) . ويلاحظ ان دولا نووية اخرى شملت فرنسة والصين الشعبية لم تشترك في توقيع هذه الاتفاقية .

تضمنت الاتفاقية ديباجة وخمس مواد تدعو الى تحريم التجارب النووية في الجو ، والفضاء الخارجي ، وتحت الماء بما في ذلك المياه الاقليمية واعالي البحار . وبالتالي قصرت التجارب على تلك التي تجري في باطن الارض دون فرض رقابة دولية على هذا التحديد .

وقد جاءت هذه الاتفاقية نتيجة مجهودات هيئة الامم واللجان والمؤتمرات المنبثقة عنها التي كانت ، ولا تزال ، تدعو بشكل ملح منذ سنة ١٩٤٦ الى تحريم التجارب النووية كلياً ، وتنفيذ رقابة فعلية لتحقيق ذلك ، وإقامة اماكن خالية من الاسلحة الذرية ، واستخدام الطاقة النووية في الاغراض السلمية وإيجاد الضمانات الكافية لعدم استخدامها في الاغراض العسكرية .

اتفاقية تحديد التجارب النووية في سنة ١٩٧٤ : في هذه السنة حققت الضغوط التي مارستها هيئة الامم واللجان والمؤتمرات المنبثقة عنها بعض الثمار ، فقد أدرج موضوع إجراء مزيد من التحديد على التجارب النووية على جدول محادثات نيكسون – بريجينيف ابان زيارة نيكسون للاتحاد السوڤياتي (٢٧/٦ – ٣/ ١٩٧٤/٧) . وتوصل الطرفان الى اتفاقية لتحديد التجارب النووية التي تجري في باطن الارض ، وبروتوكول سري تابع وقعه وزراء خارجية الاتحاد السوڤياتي والولايات المتحدة ، اندريه غروميكو وهنري كيسنجر ، بتاريخ ١٩٧٤/٧/٣ . وينص الاتفاق على إيقاف التجارب النووية التي تجري في باطن الارض والتي تبلغ مستوى قوة معين (٤,٥ – ٤,٧٥ بمقياس هزات ريشتر Richter Seismic scale) اعتباراً من آذار ١٩٧٦ ، وتخفيض التجارب الاخرى (ذات مستويات القوة الاكثر انخفاضاً) الى ادنى حد ممكن .

(٤) تحديد التسليح

اتفاق صريح او ضمني بين دولتين أو اكثر يستهدف منع تزايد التسليح بين الطرفين في الكمية أو في نوعية اسلحة معينة أو بالنسبة لعدد افراد القوات المسلحة لكل طرف . وقد يتم تحديد تسلح دولة ما باتفاق مفروض عليها بواسطة مجموعة من الدول الاخرى نتيجة لهزيمة هذه الدول في حرب دارت بينها وبين هذه الدول ، وذلك مثلما حدث في صلح ڤرساي ١٩١٩ حيث فرضت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة على المانيا تحديد حجم جيشها بمائة ألف جندي (من المتطوعين) وحددت حمولة السفن الحربية المسموح لها بها بعشرة آلاف طن وحرمت عليها صناعة أو امتلاك الغواصات والدبابات والطائرات الحربية باعتبار أنها اسلحة هجومية تساعدها على شن حرب جديدة .

(٥) تحصينات

مجموعة منشآت وموانع إصطناعية تقام لتقوية موقع ما ، وحمايته من الهجمات المعادية . وهناك نوعان من التحصينات . تحصينات دائمة ، وغالباً ما تبنى في اوقات السلم من الاسمنت المسلح او الحجارة . والتحصينات الميدانية ، وتقام حين يكون هناك اشتباك مع قوات معادية ، او حين يكون مثل هذا الاشتباك متوقعاً . وهناك سببان رئيسيان لإقامة التحصينات ، أولها الاستفادة من قوة الوحدة المتمركزة في الموقع المحصن الى أقصى حد ممكن، وثانيها منع العدو من الاستفادة من امكاناته لإحراز اي تفوق .

استخدمت الموانع الاصطناعية عبر التاريخ لمنع العدو من الاقتراب من المواقع بسهولة . ولهذه الموانع ، بشكل عام ، قيمة قليلة ان لم ترتبط بنظام دفاع محكم ، (انظر الموانع) .

التحصينات الثابتة : لعبت التحصينات ، خاصة الثابتة منها ، دوراً عظيماً في الحروب القديمة ، اما التحصينات الميدانية فكان لها دور غير بارز في تلك الحروب. ويذكر التاريخ القديم ان بعض القبائل الافريقية كانت تستفيد من مرتفع أرضي تحتمي به ، وتدافع عن نفسها بدحرجة الحجارة وجذوع الاشجار من فوقه على العدو . ثم تطور الأمر في العصر الفرعوني ، فبنيت أسوار بلغ ارتفاعها ٣٦ متراً وسماكتها ١٠ أمتار ، وحفرت حول هذه الاسوار قنوات تبعد المهاجمين عن الاسوار . وكان المهاجمون يعمدون الى تسلق هذه الاسوار ، او الى تكويم الاتربة او اغصان الاشجار القوية ويقفزون منها فوق الاسوار . اما استخدام المعدات الاخرى ، مثل المنجنيقات ، ضد الاسوار فحدث لاول مرة في القرن الثامن قبل الميلاد من قبل الفلسطينيين أثناء حصار اورشليم . وبعد قرنين من هذا التاريخ استخدمت الابراج المتحركة التي كان المهاجمون يقفزون منها على الاسوار .

وعني الاغريق والرومان بالتحصينات عناية كبيرة . وفي زمن الرومان بلغت التحصينات حداً من التطور لم توازيها فيه أية تحصينات أخرى حتى ظهور نظام ڤوبان الذي استخدم لأول مرة عام ١٦٧٣ . وقد برع الرومان بشكل خاص في استخدام معدات ضرب التحصينات ، التي لا تكاد تختلف كثيراً عن المعدات الحديثة إلا في كونها لا تستخدم البارود والآلات التي تعمل بالمحركات الداخلية . وبلغت أبراج الحصار درجة الكمال في عهدهم . وبلغ ارتفاع بعض هذه الأبراج ٤٥ متراً . وكان يشغل الطوابق السفلى فيها رجال دك الاسوار ، ويشغل الرماة الطوابق العليا .

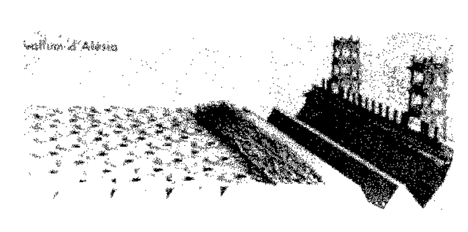
وأشهر التحصينات في التاريخ القديم ، هو سور الصين العظيم الذي بلغ طوله ٢٢٤٠ كم ، وبني فيه ٢٥ ألف برج ، وبلغت سماكته ٥ أمتار

تقريباً ، ومعدل ارتفاعه ٦ أمتار (انظر سور الصين) . ورغم ضخامته هذه فهو لم يمنع الغزوات التي شنتها جيوش كبيرة ضد الصين .

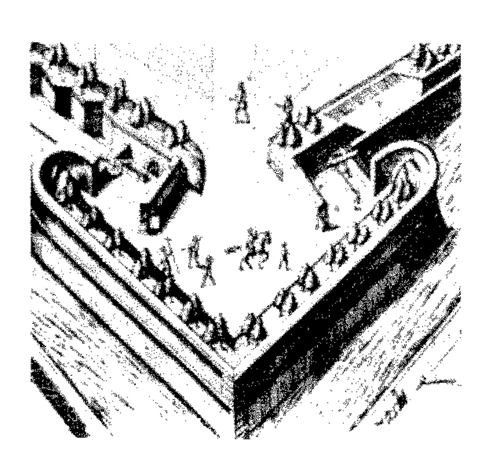
وبنيت الاسوار في زمن الامبراطور الروماني هدريان في بريتانيا ، وبين الرين والدانوب . وصدت هذه الاسوار هجمات البرابرة عن حدود الامبراطورية الرومانية . ومع ازدياد قوة هجمات البرابرة ، كانت التحصينات تزداد قوة واكتمالا . واظهرت التحصينات الرومانية التي كانت تبعد مسافات طويلة عن روما ، وقلة التحصينات حول هذه المدينة ، ان الامم القوية التي تمتلك القوة على مواجهة عدوها في مناطق بعيدة لم تكن بحاجة الى تحصينات تحمي مدنها . وبعد انهيار الامبراطورية الرومانية ساد بناء الحصون في العصور الوسطى . وكانت هذه الحصون معاقل للنبلاء وأسياد الأرض . وكانت تبنى عادة على مرتفعات وعرة ولها في الغالب طبيعة دفاعية . إلا أنها كانت تبنى في مواقع هامة بحيث تهدد طرق القوافل . وكان من الصعب الاستيلاء على هذه الحصون الاقطاعية في اوروبا . لان اسياد الأرض لم يكونوا يملكون وسائل مناسبة لدك التحصينات . ولم يكن لديهم أعداد كافية من الجند لمحاصرة هذه الحصون . وذلك بخلاف الوضع إبان الحملات الصليبية حيث لم يكن بمقدور الحصون التي بناها الملوك والنبلاء الاوروبيون ، الصمود أمام جيوش كبيرة تمتلك وسائل مناسبة لدك التحصينات مثل الجيوش العربية في ذلك الحين .

وبعد ظهور الاسلحة النارية في القرن الرابع عشر أصبح من الضروري تطوير التحصينات بشكل مخالف للطريقة القديمة . في عام ١٤٥٠ تمكن شارل السابع ملك فرنسا ، الذي استخدم المدافع لدك الحصون ، من الاستيلاء على جميع الحصون الانكليزية في نورماندي في عام واحد ، وقبل نهاية القرن زحف شارل الثامن على ايطاليا واحتل عدداً كبيراً من الحصون لدرجة بات واضحاً معها ضرورة إيجاد نظام دفاعي جديد .

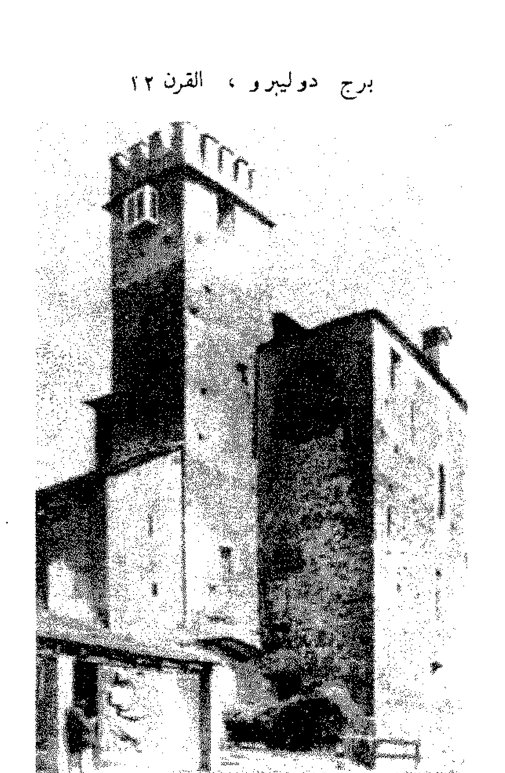
وفي القرن السادس عشر ، وبعد ان فقدت الحصون الخاصة قدرتها الدفاعية ، عاد التركيز على تحصين المدن كما كان سائداً في الأزمنة الغابرة . واصبح للقلاع أهمية خاصة في الدفاع عن المدن . واصبح لمدن الحدود اهمية استراتيجية خاصة . واختلفت اشكال الأسوار المستوية التي كانت سائدة في السابق باضافة حصون بارزة على الاسوار تمكن المدافعين من اطلاق النار في جميع الاتجاهات . وحماية الاسوار ذاتها من الجنود المهاجمين ، كما بنيت هذه الحصون بحيث توفر مدافع كل حصن تغطية نارية للحصن الآخر .



مخطط تحصينات أليزا


حصن من القرن ١٦

برج دوليبرو ، القرن ١٢



وطور المهندسون العسكريون انماطاً هندسية أوجدوها لزيادة قوة الدفاع ، وأدى تنافسهم في تصميم هذه الانماط الى تفوق الدفاع على الهجوم مرة اخرى .

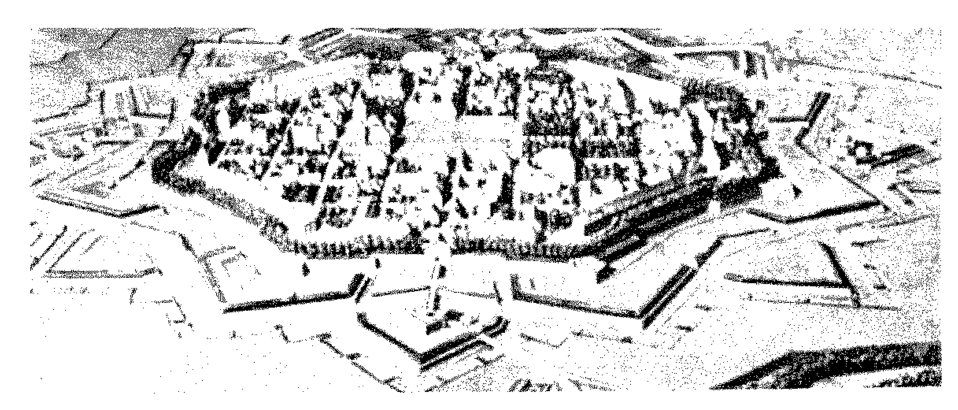
إلا أن هذا النظام لم يستمر طويلا . ففي اواخر القرن السابع عشر ، تمكن ضابط مهندس في جيش لويس الرابع عشر ، هو الماريشال سباستيان دي ڤوبان ، من تطوير وسيلة منسقة لمهاجمة الاسوار ذات الحصون البارزة . عرفت باسم « خطة حصار ڤوبان » وتتلخص خطة الحصار هذه في نقب السور من إحدى الجهات بشكل يسمح بمرور الرتل المهاجم . وللقيام بذلك كان يضع مدافعه في معاقل مواجهة لأسوار القلعة . ونظراً لأن مدى مدافع ذلك العصر لم يكن يزيد عن ٥٥٠ — ٦٠٠ متر ، فقد كان يسعى لوضع مدافعه في معاقل ضمن مداها الفعال ، وبعد ان تتمركز طلائع قوات الهجوم في مواقع قريبة ، يبدأ بضرب مدفعية العدو ، وبعد إضعافها . تحفر القوة خنادق أقرب الى الجبهة ، وتستمر في ذلك حتى تصبح على مقربة من الاسوار .

ثم يقترب من الاسوار رجال مدربون ، أطلق عليهم اسم النقابون ، يحميهم غطاء اسمه القفة (Gabion) ، ويفتحون ثغرة في السور يندفع منها جنود الاقتحام . واطلق على هذه الطريقة اسم نظام الاقتراب بخطوط متوازية ، لأن العملية كانت تتم بإقامة ثلاثة خطوط متوازية من الخنادق تحيط بالقلعة او المدينة المنوي الاستيلاء عليها . واستخدم ڤوبان طريقته هذه في حصار ماسترخت عام ١٦٧٣ ، واتم عملية الاستيلاء عليها في ١٣ يوماً .

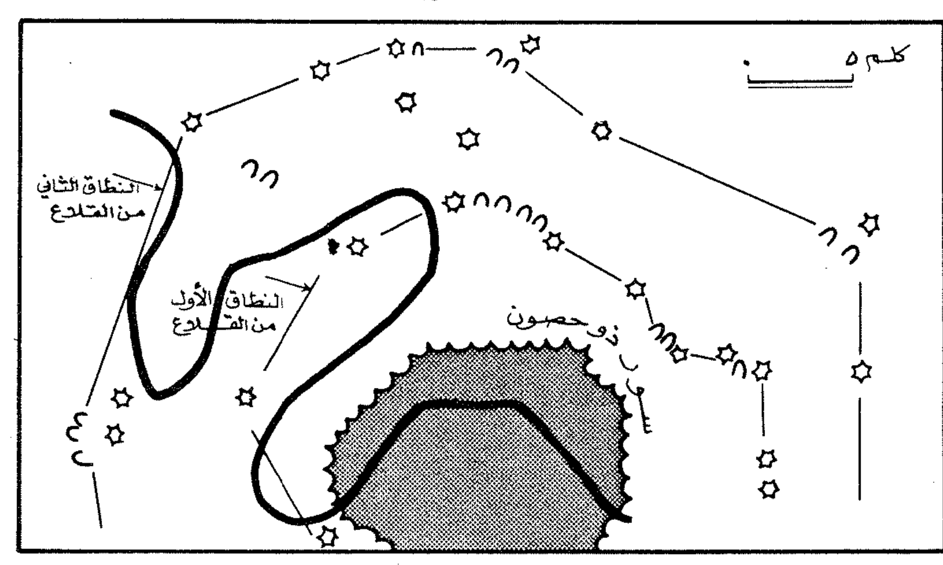
ولم يهتم نابليون باقامة التحصينات ، وكان يعمل كل ما في وسعه لعدم الاصطدام بها . وفي القرن التاسع عشر تطور مدى المدافع تطوراً كبيراً ، واصبح من الضروري بناء تحصينات لها شكل مختلف ووضع مختلف ، تستطيع تحمل قصف هذه المدافع .

وفي الحرب العالمية الاولى ، وعت الجيوش المتحاربة حقيقة ان النصر تحققه العمليات الهجومية ، لكنهم استخدموا التحصينات الثابتة كمراكز تجمع استعداداً للهجوم . واظهر تطور المدافع والاختبارات العملية ضعف هذه التحصينات سواء من ناحية كلفتها او مستوى الحماية التي تؤمنها . لذلك قررت القيادة الفرنسية التخلي عن التحصينات الدائمة واستخدام تحصينات الميدان . واكتملت خبرات الحرب العالمية الاولى بظهور الدبابة ، التي كان لها الأثر الاكبر على تحصينات الميدان والتحصينات الثابتة (انظر دبابة) .

وبعد الحرب العالمية الاولى ، استمرت فرنسا



تحصينات فوبان ، الطريقة الثالثة ١٦٩٨



موقع ذو حصون متباعدة ، باريس القسم الشمالي

في الاعتماد على تحصين مناطق واسعة (انظر خط ماجينو) رغم خبرات هذه الحرب . وأدى ذلك الى انهيارها تماماً امام القوات الالمانية الغازية في الحرب العالمية الثانية ، التي استخدمت تكتيك الحرب الخاطفة . وصمدت تحصينات خط ستالين أمام الهجوم الالماني بنسبة اكثر قليلا من خط ماجينو . وقد كان الهدف من التحصينات الروسية ليس إعاقة الالمان ، بقدر ما كان اجبارهم على الهجوم من مناطق معينة . وفي الشرق الاقصى سقطت الشبكة البريطانية الساحلية للدفاع عن سنغافورة التي كانت تعتبر « قلعة الشرق » . وذلك بان نزلت القوات اليابانية في موقع بعيد شمالي سنغافورة ، وهاجمت المدينة من الشمال ومن الجو . وقد تعرضت القلعة لقصف شديد ومتواصل دون ان تستطيع عمل شيء لأنها لم تكن مزودة بمدافع مضادة للطائرات ، ولم يكن في مقدور مدافعها الضخمة اطلاق النار في غير اتجاه البحر .

وفي عام ١٩٤٣ عاود الالمان استخدام التحصينات الدائمة لحماية المانيا ، « قلعة اوروبا » في ذلك الحين ، واكدوا على التحصينات المصنوعة من الفولاذ ، والاسمنت المسلح . فاقاموا مساحات واسعة منها على الجروف القريبة من الشاطىء ، تصلها الخطوط الحديدية والطرق ، وتتمركز فيها المدافع الثقيلة المنقولة على عربات السكة الحديدية ، والمدافع الضخمة الثابتة الموضوعة في أبراج تكاد لا تظهر (انظر الاطلسي ، جدار) . واكد اقتحام قوات الحلفاء لهذا النوع من التحصينات ، عند النزول في النورماندي ، بالاضافة الى اقتحام خط سيغفريد (انظر خط سيغفريد) والتجارب الاخرى الكثيرة ، ان قيمة التحصينات الدائمة لا تتناسب مع كلفتها الاقتصادية والجهود التي تبذل لبنائها .

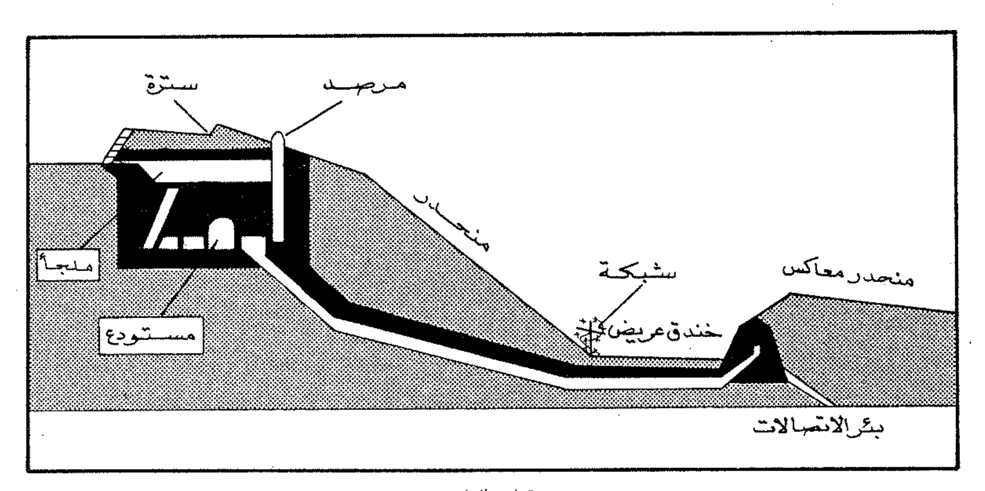
اما في المنطقة العربية ، فقد اعتمدت السياسة العسكرية الاسرائيلية على التحصينات الثابتة بنسبة كبيرة . إذ عملت منذ بداية الاستيطان الاسرائيلي في فلسطين ، على إقامة المستعمرات المحصنة . ويمكن الى حد ما ، اعتبار المستعمرات المحصنة الممتدة على طول الحدود خطاً دفاعياً ثابتاً ذا قدرة محدودة .

ولم تقم القوات الاسرائيلية خطاً دفاعياً ثابتاً بالمعنى الصحيح للكلمة إلا بعد حرب ١٩٦٧ حين أقامت خط بارليف (انظر خط بارليف) . ورغم وجود حاجز مائي يضاعف الصعوبات أمام أية قوة مهاجمة ، فقد تمكنت القوات المصرية من اجتياح هذا الخط في حرب ١٩٧٣ . ولا يعني ما تقدم ان التحصينات الدائمة قد انتهى امرها ، ولم تعد لها أية قيمة فما زال لها أهمية كبرى ، خاصة في الدفاع عن مناطق محددة او لحماية ممر إجباري .

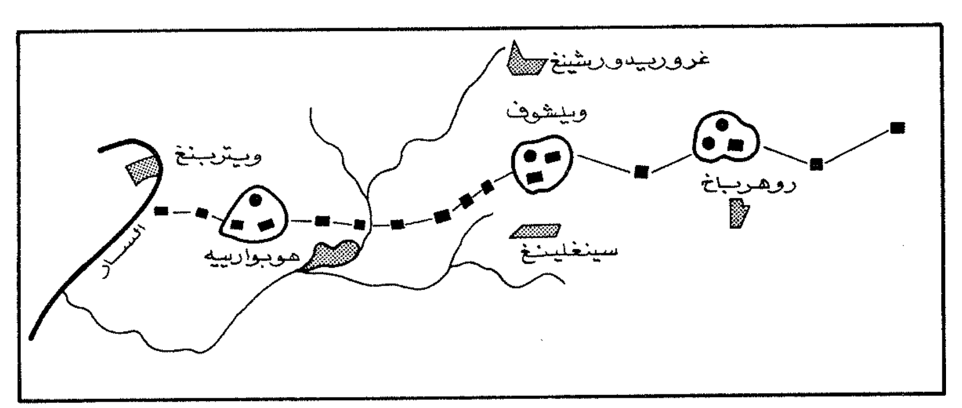
وقد أثرت التهديدات النووية على طبيعة التحصينات ، فزادت أهمية بعضها ، وقللت أهمية البعض الآخر فعلى سبيل المثال لم يعد للتحصينات المقامة لحماية الشواطىء أو الموانىء أية قيمة على الاطلاق اذا ما نشبت حرب نووية .

التحصينات الميدانية : عرفت التحصينات الميدانية منذ أقدم العصور ، وكان الغرض الرئيسي منها تحقيق تفوق على العدو ، او وضع العراقيل أمامه للحد من حركته ، أو حماية الجنود ، وهي الاهداف ذاتها التي للتحصينات الحديثة . وكان الجنود الرومان يحفرون قناة ويضعون سياجاً من الخوازيق حول معسكرهم في كل ليلة يعسكرون فيها . أما الطوابير الرومانية فكانت تلجأ في حال اصطدامها بقوة معادية أثناء سيرها الى الاشتباك بنصف قوتها ، في حين يقوم النصف الآخر باقامة تحصينات على مرتفع من الارض .

وبرع يوليوس قيصر في إقامة تحصينات الميدان أثناء حملاته . فلقد بنى سوراً وصل طوله الى اكثر من ٢٢ كيلومتراً أثناء حملته على بلاد الغوليين ، استخدمه في حصار احد المدن . وحين امتدت الامبراطورية الرومانية وفرضت سيطرتها على معظم أجزاء اوروبا ، أقيم نظام كامل من الحصون الدائمة على طول نهري الرين والدانوب ،كان يشكل خطاً دفاعياً عن الامبراطورية . وفي تلك الفترة نقل الرومان عن البيزنطيين طريقة إحاطة القوات المعسكرة بخندق يحميها من الهجمات المفاجئة ، وعمليات التسلل أثناء الليل . وقد استخدم العرب هذا التكتيك ذاته (انظر غزوة الخندق) . واختفى هذا النظام من اوروبا بعد سقوط الامبراطورية الرومانية . وكان يعتبر منافياً لأخلاق الفروسية في العصور الوسطى .



حصن قبل العام ١٩١٤



تحصينات خطية ، جزء من خط ماجينو

وفي القرن الثالث عشر ، استخدم المغول الخنادق الميدانية في حروبهم الاوروبية مرة اخرى . فكان تيمورلنك يحفر خندقاً لحماية قلب قواته في ميدان المعركة ، ويستغل القوات التي يستغني عنها من القلب لتقوية جناحيه .

وتطورت التحصينات الميدانية في الفترة من القرن السابع عشر الى القرن التاسع عشر . وشارك غوستافوس ادولفوس ابو التكتيكات والتشكيلات العسكرية الحديثة ، الى حد بعيد في تطوير تحصينات الميدان . فكانت قواته تحفر قناة وتقيم سوراً حول الاماكن التي تعسكر فيها . واتقن جنوده السويديون حفر الخنادق واطلاق النار .

واظهرت الثورة الامريكية قيمة الخنادق ، ا‍‍‍‍‍‍‍‍‍ستخدمت على نطاق واسع في جميع مراحل الثورة إلا أن التحصينات الميدانية لم تستخدم على نط واسع بين جيشين حديثين ، حسب مقاييس ذ العصر ، إلا في عصر نابليون ، وبالذات في خ توريس ڤيدراس حين واجه دوق ولنغتون با متخندقة قوامها ٦٠ ألف رجل ، جيوش نابلي التي تزيد على ضعف عدد قواته أثناء الحملة الاسبان وقد بنى ولنغتون خلال شتاء ١٨١٠ سلسلة ٨٧ حاجزاً دفاعياً ، متصلة ببعضها البعض ، أقيم على مسافة تبعد ٦٤ كم شمالي لشبونة . وتمّ بمدافعه الثلاثمائة من حماية منطقة لشبونة المحصورة بين نهر تاغوس والبحر . وقد حاول الجنود الفرنسيون مرات عديدة احتلال مواقع ولنغتون دون جدوى . وفي الربيع اضطر الجانبان الى الانسحاب بعد ان شارفا على الهلاك جوعاً .

ومنذ بداية غزو نابليون لاسبانيا ، استخدمت المتاريس المصنوعة من الحجارة ، وجذوع الاشجار بالاضافة الى الخنادق ، من كلا الفريقين المتحاربين. وكانت الخنادق إحدى وسائل الحصار في الحرب الاهلية الامـيركية ، إذ استخدمت في حصار فيكسبورغ في ولاية مسيسبي . ودام هذا الحصار مدة تزيد على سنة ، واضافت قوات الاتحاد الى قوات نيران مدافعها وبنادقها ، عمليات نسف الاسوار . فكان الجنود يحفرون نفقاً يصل الى اسفل السور ، ويضعون عبوات من البارود تنفجر بعد ان ينسحبوا الى مواقع أمينة . وفي حملة « كولد هاربر » خسر الجنرال غرانت ١٤ ألف رجل من جنوده خلال ثلاثة عشر يوماً ، حين دفع بهم لمهاجمة مواقع متحصنة في الارض تحتلها القوات الاتحادية .

وخلال الحرب العالمية الاولى، سقطت التكتيكات الهجومية التي اتبعتها الجيوش الالمانية والفرنسية ، بعد أشهر قليلة من بدء الحرب . وأدت نيران الرشاشات الى تجميد الجبهات . وتحولت الحرب الى عملية حصار ضخمة ، بعد ان امتد نظامان مختلفان من الخنادق على طول ٩٦٠ كيلومتراً من الحدود السويسرية حتى بحر المانش . ولم يستطع أي من الطرفين التقدم مسافة تزيد على بضع عشرة كيلومتراً . واصبحت كلمة « الجبهة الغربية » تشير إلى نمط من الحياة يحياها عدة ملايين من الجنود . وظهرت الى الوجود تعابير مثل « المنطقة المحرمة » وهي المنطقة الفاصلة بين خنادق الطرفين .

وفي البدء كان كل نظام خنادق من النظامين المتواجهين مكوناً من ٤ خطوط متوازية يفصل بين كل خط وآخر مسافة عمقها أقل من كيلومترين . وكانت الخنادق متعرجة بحيث يصعب على أي جندي يقف على رأس إحدى زوايا تعرجاتها ان يطلق النار لمسافة تزيد على بضعة أمتار ، وكان يصل بين الخطوط الاربعة عدد من خنادق الاتصال العمودية . وكان الخط الاول يسمى الخط الامامي ، ولم يكن يحظى عادة إلا باهتمام قليل . وكان الخط الثاني « خط المقاومة الرئيسي » ، والخط الثالث « الخط المساند » والخط الرابع « خط الاحتياط » . وخلف كل هذه الخطوط كانت تتمركز المدفعية . وبعد اشهر من الجمود ، تطورت تقنيات الدفاع والهجوم على الجبهة فكان « خط هندنبرغ » الذي اقيم خلف النظام السابق لتقوية الدفاع في العمق . وهو خط تحصينات معقد ، أقيمت فيه نتوءات عرفت باسم « المنعات » وهي مرابض للرشاشات من الاسمنت المسلح ، رصت على طول الخط الامامي ، حيث تكون نيران الرشاشات أشد فاعلية ضد المشاة . وخلف المنعات بنيت ملاجئ من الاسمنت المسلح قادرة على الصمود لأي قصف مدفعي . وانتشرت هذه الدفاعات على عمق يتراوح بين ٤ و ٦ كيلومترات .

وأثر ظهور الدبابة قبيل نهاية الحرب العالمية الاولى ، والتطور الضخم الذي أحرزته في الفترة بين الحربين العالميتين (سواء من ناحية المواصفات التقنية للدبابة ذاتها ، او التكتيكات المتعلقة باستخدامها) على التحصينات الميدانية الى حد بعيد.

فاستخدمت الدول الغربية التحصينات الدائرية لمواجهة الدبابات القادرة على المناورة والهجوم من جميع الاتجاهات . في حين استمر الاتحاد السوفياتي في استخدام التحصينات الطويلة التي تمتد على طول مئات الكيلومترات . وساعد تطور الالغام الارضية على تعزيز التحصينات الميدانية ، والتقليل من حركة الدبابات . واستخدمت التحصينات بكافة اشكالها، خلال الحرب العالمية الثانية ، وفي مختلف انواع الاراضي . ففي صحراء شمال افريقيا حفر الجنود نوعاً من الخنادق اطلق عليه اسم « جحر الثعلب » او الخندق الفردي . واستخدموا الاكياس المملوءة بالرمل لإقامة التحصينات . وفي جزر الباسفيك حالت الصخور الصلبة دون حفر خنادق ، فكانت الاكياس المملوءة بالرمل ، وجذوع الاشجار هي الحل الوحيد لإقامة التحصينات . وفي معارك جزر الباسفيك بذل الحلفاء جهوداً عظيمة لطرد القوات اليابانية التي كانت تتحصن في مواقع اقامتها بعناية . وكانت تلك التحصينات هي اصعب ما واجه الحلفاء من تحصينات خلال الحرب . والسبب في ذلك صعوبة كشفها ، حيث كانت أوراق أشجار الغابات المتساقطة تغطي بسرعة آثار حفر الارض والتحصينات وتموهها .

واختلفت طرق خرق التحصينات . فكانت الطريقة الامريكية تقضي باستخدام المعدات بدل الانسان ، وذلك بان تقوم الطائرات والمدافع البحرية بقصف التحصينات فترة قد تمتد أياماً أو أسابيع . ثم تقوم الدبابات ومدافع الميدان بضرب المنطقة بشكل أدق . ثم تقوم وحدات من المشاة بعد ذلك بتطهير تلك المواقع . أما الطريقة الالمانية فكانت تقضي بخرق التحصينات ، ثم استثمار ذلك بالدبابات والطائرات المنقضة . وقد اعتقد الالمان انهم سيكتسحون الاتحاد السوفياتي بمجرد اختراق خط ستالين ، كما حدث بالنسبة لفرنسا بعد الالتفاف حول خط ماجينو . إلا أن لجوء القيادة السوفياتية الى إقامة تحصينات ميدانية على شكل ٣ خطوط متوازية من الخنادق ، وتعزيزها بالالغام والحفر المضادة للدبابات أوقفت الهجمات الالمانية ، وساعدت على تغيير مجرى الحرب .

وأدت شدة المعارك التي نشبت في المدن والقرى الى نوع من التحصينات السريعة في المدن . وكانت تختار لذلك البيوت المبنية من الحجارة او الاسمنت المسلح ، او التي لها موقع مناسب . او تقام هذه التحصينات بين انقاض العمارات والمنازل. واستخدمت هذه التحصينات على نطاق واسع في ستالينغراد ، و برلين .

وتتطلب عملية إقامة تحصينات ميدانية معرفة طبيعة الارض ، وقوة نيران الاسلحة ، والقدرة على تقييم أهمية طبيعة الارض بالنسبة للقوة المهاجمة والمدافعة . وبعد اختيار المنطقة التي ستقام عليها التحصينات ، تقام نقاط الملاحظة والاشارة ، وتزرع الالغام ، وتمد الاسلاك الشائكة ، وتبنى الملاجئ الفردية . ومرابض الاسلحة ، وتكشف ميادين الرمي ، بازالة الاشجار والتلال التي تعيق الرؤية والرمي باسلحة الرمي المستقيم ، وتنصب اشكال مختلفة من الموانع ، وتمهد الطرق الموصلة الى الموقع لتموينه ونقل قوات الاحتياط .

وتستخدم في إقامة التحصينات ، الفؤوس والرفوش ، او القاحطات (البلدوزرات) والجرارات ، والضواغط الهوائية . وغيرها من معدات البناء العادية . وقد تستخدم المتفجرات ايضاً . وتبنى الملاجئ ومواقع الاسلحة من المواد المتوفرة في المنطقة عادة . وتستخدم المواد المصنوعة لنصب حواجز الاسلاك الشائكة ، وفي انشاءات الاسمنت المسلح ، وحقول الالغام .

ومن أبسط أنواع التحصينات الميدانية النوع المعروف بالحفرة الفردية ، او « جحر الثعلب » وهي حفرة طولها ١٠٠ سم تقريباً وعرضها ٦٠ سم وعمقها ١٢٠ سم ، تؤمن لجندي المشاة حماية تامة ضد نيران العدو ومدفعيته ، باستثناء الاصابات المباشرة . وتؤمن كذلك الحماية من الدبابات التي قد تقتحم الموقع . ولهذه الحفرة مسطبة يقف عليها الجندي حين يطلق النار ، وتتجمع في الحفرة التي تحتها المياه إذا ما ساء الطقس . ويمكن تمويه هذه الحفرة ببساطة نظراً لصغرها .

وتتطلب التحصينات الميدانية المخصصة لحماية الاسلحة الكبيرة ، مثل المدافع ، جهوداً اكبر بكثير نظراً للمساحة الواسعة التي يتوجب حفرها . لذلك فقد يكتفي طواقم المدافع بعمل سترة حول المدفع .

وأدى تعداد اشكال العمليات التي تمت خلال الحرب العالمية الثانية والحروب التي تلتها ، مثل الاسقاط بالمظلات ، والانزال البحري ، والانزال بالطائرات الشراعية ، وازدياد استعمال الآليات الحربية ، الى إضافة انواع كثيرة من الموانع تدعم التحصينات ، مثل أسنان التنين ، والقنافذ ، والحوازيق الخ ... (انظر الموانع) .

اما الشكل التقليدي لتحصينات الميدان التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية فتتألف من خندق مضاد للدبابات ، تقف خلفه في خنادق مستورة القوات المدافعة على مسافة حوالي ٤٠٠ متر ، ليكون لمدافعها تأثير جيد على دبابات العدو وآلياته التي ستضطر الى التوقف مؤقتاً أمام الحفرة وليكون لرشاشاتها القدرة على ضرب مشاة المرافقة وفصلهم عن الدبابات . وتحيط بخنادق القوات المدافعة الاسلاك

برج رشاش
برج مدفع ٧٥
برج مدفع ٧٥
برج مدفع ١٣٥ وحصن بورج
برج ١٣٥
برج رشاش
برج ١٣٥
خندق الاتصال
برج رشاش
مدخلين مع مكان منامة على مسافة ٤٠٠ متر

تحصينات متصلة بخنادق



برج من البيتون المسلح

الشائكة، ثم حقل الالغام الرئيسي فأسلاك شائكة وراءه، ثم ألغام مضادة للافراد، فأسلاك شائكة تزرع بينها الالغام. ويتراوح عمق هذا النظام بكامله من ٣٥٠ — ٥٠٠ متر.

ومثال آخر، التحصينات التي اقامها اليابانيون في غينيا الجديدة خلال الحرب العالمية الثانية. وكانت تتألف من مجموعات من المنعات المصفحة لها شكل دائري او بيضاوي، تبعد الواحدة عن الاخرى مسافة ٤ أمتار، وضعت الرشاشات فيها بحيث تطلق النار على ارتفاع يتراوح من ١٥ — ٢٠سم عن الارض. وقد تم كشف ميادين الرمي بشكل بارع للغاية، لدرجة بدا معها وكأن الاحراش لم تمس.

وكـان للتحصينات دور بارز في الحرب الكورية، ولم يكل الكوريون الشماليون والصينيون من الحفر في الارض. وكانوا يحفرون خنادقهم خلال قمة التل كي يصلوا الى مرتفع يواجه اعداءهم. اما خطوط التحصينات فكانت تمتد على طول المواجهة وبعمق يتراوح مـن ٧ — ١٥ كيلومتراً. ولهذه التحصينات خط أمامي كان يستخدم لوضع ملاحظين فيه لاطلاق الانذار في حالة حدوث هجوم.

واستخدمت الخنادق بكثرة في الهند الصينية، وكانت مئات الكيلومترات من الخنادق التي حفرها الفيتناميون عاملا هاماً في نجاح حصارهم لقلعة ديان بيان فو واحتلالها.

إن بناء التحصينات الدائمة أو الميدانية جزء من اعـداد أرض المعركـة للدفـاع، بيد أن هناك حـالات تستخدم فيها التحصينات الميدانية خـلال الهجوم (خـلال فـترة الاعداد للهجوم، وخلال التوقف بعد إنهاء المهمة القتالية، وخلال صد الهجمات المعاكسة، وبعد فشل الهجوم والاضطرار للتشبث بالأرض) ولقد برع المصريون في استخدام هذه التحصينات خلال حرب ١٩٧٣ بعد عبور قناة السويس، الأمر الذي ساعدهم على صد الهجمات المعاكسة الاسرائيلية، وايقاعها في كمائن مضادة للدبابات. وكان نجاح السوريين في هذا المضمار بعد احتلال الجزء الاكبر من الجولان أقل نسبياً من نجاح المصريين، ولو انهم نجحوا في تحصين المواقع المحتلة في الأيام الثلاثة الأولى من الحرب لتبدل وجه القتال على الجبهة السورية.

(٦) تحويل مجرى نهر الاردن

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) التخريب (سابوتاج)

تدمير مدبر للملكية، او تعطيل للانتاج يقوم به العمال انتقاماً من اصحاب العمل، او عمل تخريبي يقوم به احد المدنيين او عميل من عملاء العدو لإعاقة جهود الأمة الاقتصادي او الدفاعي بهدف إضعاف الحكومة او الشعب في أحوال الطوارئ العامة. ويرجع أصل الكلمة التاريخي (Sabotage) الى ايام اضراب عمال السكك الحديدية في فرنسا الذي حدث في سنة (١٩١٠)، عندما قام هؤلاء بتخريب النعال الخشبية (العوارض Sabots) التي تثبت قضبان السكك الحديدية في أماكنها. ثم تطور مفهوم «التخريب» بعد ذلك بسنوات قليلة، في الولايات المتحدة الاميركية، ليشمل حالات تعطيل او إبطاء انتاج المصانع، وخصوصاً في الحالات التي يتعذر فيها الدفاع عن الاضرابات العمالية، كما هو الحال في اضرابات العمال المتنقلين الذين يستخدمون استخداماً مؤقتاً، وذلك نتيجة عدم ارتباطهم الدائم بالعمل.

وفي أثناء الحرب الأهلية الاسبانية (في أوائل الثلاثينات) اتسع مفهوم «التخريب» ليشمل ما يسمى «بالطابور الخـامس Fifth Column» وهو تعبير يستخدم لوصف الاشخاص الذين يتعاملون مع العدو، ويقومون باعمال من شأنها اضعاف قدرة الدولة الانتاجية، والنيل من استقرارها السياسي من الداخل، وبهذا دخل مصطلح «التخريب» ميدان الحرب السرية بين الدول واصبح اداة من أدواتها.

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية، اتخذ مصطلح «التخريب» طابعاً عسكرياً غالباً نتيجة قيـام التنسيق بين الجيوش المتحاربة وفئات المقاومة السرية عن طريق ضباط فنيـين متخصصين في شؤون التخريب. ثم تطورت مظاهر «التخريب» العسكرية والايديولوجية، عقب الحرب، في المواجهات الكثيرة التي حدثت بين قوات العصابات الثورية والقوات المضادة التي قامت بمكافحتها. وقد استمرت ممارسة التخريب الاقتصادي، بشكل أحادي، من قبل المستخدمين الحاقدين على ارباب العمل، كما اعتبر من قبيل اعمال التخريب الاقتصادي، لجوء الدول الامبريالية الى إغراء المواطنين في دول الكتلة الشرقية لدفع الكفاءات الفنية إلى الانسحاب من المشاريع العامة، واتيان الافعال او الامتناع عن القيام بالافعال التي من شأنها عرقلة الخطط الاقتصادية.

وبنشوء الحركات الثورية الشعبية في العالم تطورت تكتيكات التخريب العصابية. وكان اول من وضع أسسها الحديثة الرئيس الصيني «مـاو تسي تونغ»، ونفذها «الجنرال جياب» في فيتنام من بعده، وطور استخدامها ضد الاستعمار الفرنسي ثم ضد حكومة فيتنام الجنوبيـة والجيش الاميركي، ومارسها الثوار الفلسطينيون على نطاق واسع داخل الأرض المحتلة، كما قاموا بعمليات تخريبية ضد المصالح الصهيونية والاسرائيلية والامبريالية العالمية.

وتستهدف تكتيكات التخريب العصابية، التي قام «ماو» بوضع أسسها الحديثة، ارهاق العدو مادياً ومعنوياً تمهيداً للانتصار عليه بواسطة قوات الشعب النظامية، وذلك عن طريق القيام بعمليات عسكرية عصابية لإبقائه في حالة استنفار دائم، ونشر قواته، وعرقلة سير الآلة الحكومية المحلية.

وقد ظهرت صور كثيرة للتخريب بمختلف انواعه منـذ سنة (١٩١٠)، واستخدمت وسائل مختلفة لتحقيقه: فمن استخدام اليد والادوات الحادة، الى استخدام المتفجرات والمواد الكيماوية المختلفة، الى استخدام مختلف انواع المعارف العلمية ووسائل الحرب النفسية، سواء تم ذلك من قبل افراد عاديين ام عملاء للعدو في الداخل ام من قبل قوات شعبية عصابية. ومن هذه الصور: إعاقة المجهود الاقتصادي عن طريق تخريب المصانع، او تعطيلها، او التلاعب بمواصفات الانتـاج القياسية. وتخريب وسائل الاتصال المختلفـة كالطرق، والجسور، والموانئ، والمطارات، وخطوط الهاتف، ومحطات الاتصال اللاسلكي. وتخريب مصادر إنتاج القوى المحركة كمحطات توليد الطاقة الكهربائية، ومصافي البترول. وإعاقة المجهود العسكري عن طريق ضرب خطوط الامداد والتموين الخلفية، وتخريب آليات القتال باستخدام المتفجرات والالغام ووضع المواد الكيماوية المجلتنة في خزانات وقودها ومحركاتها وما شابه ذلك، وتخريب خطوط المواصلات العسكرية بما فيها خطوط الهاتف الميدانية ومحطات الاتصال العسكري اللاسلكي. وخفض الروح المعنوية عن طريق وسائل الاعلام العامة كالاذاعات والصحف والتلفزيون واستخدامها لبث الاشاعات المغرضـة والاخبار الكاذبة، والقيام بعمليات اغتيال قادة أجهزة القمع.

(٨) التخطي «التجاوز»

هو عملية دفع الانساق الثانية عبر الاقسام المتقدمة وتجاوزها لها من اجل المحافظة على معدل سرعة الهجوم، وامداد المعركة بقوة دفع جديدة

تساعد الهجوم على الاستمرار حتى تحقيق الهدف المحدد للوحدة او التشكيل. وتأتي هذه العملية من أن المعركة الحديثة تتميز باستنزافها الكبير للقوى والوسائط، كما تتميز بعمق مسرح عملياتها، ومرونتها، وتطورها السريع. وهذا مما يتطلب دفع قوى جديدة الى ساحة المعركة يمكن بواسطتها المحافظة على معدل سرعة الهجوم، وتطوير المعركة بالعمق مع ما يتطلبه هذا التطوير من اجراء مناورات للالتفاف حول مؤخرات العدو، وضرب قواته الاحتياطية وحرمان العدو من المبادأة. وقد تضطر قيادة الهجوم الى تغيير الاقسام المتقدمة في تشكيل القتال، ودفع قوات لتخطي هذه الاقسام وتجاوزها، وذلك قبل الخطوط المحددة لها سابقاً، بسبب تعرض الاقسام المتقدمة للخسائر الكبيرة في معاركها الضارية والعنيفة مع القوات الدفاعية.

ان عملية التخطي او التجاوز هي من العمليات الصعبة شديدة التعقيد، وتتخذ من اجلها مجموعة من الاجراءات والتدابير منها:

أ) تأمين حماية خط الزج – بواسطة مدفعية القسم المتقدم – ولا تقوم مدفعية النسق الذي يقوم بالتخطي او التجاوز بالفتح إلا عند الوصول الى المواقع المخصصة لها، أو تبقى في تشكيل الرتل. ب) يكون خط الزج على ارتفاع النسق المتقدم بحيث تنطلق منه قوات النسق الثاني وتتجاوز النسق المتقدم الذي يتحول الى قوات احتياطية بعد إعادة تنظيم القوات والوسائط. ج) من المحتمل ان يكون الخط المحدد للتجاوز في قبضة العدو، وتكون قوات القسم المتقدم عاجزة عن الوصول اليه. ولهذا، وعند وصول الحرس الامامي لقوة النسق الثاني، ينظم هجوم بالتعاون بين قوات الحرس الامامي وقوات القسم المتقدم، وعندما يتم الاستيلاء عليه تتوقف القوات حتى وصول الكتلة الرئيسية لقوات النسق الثاني المكلفة بالتخطي او التجاوز. د) تعمل قوات النسق الثاني على احتلال خط الزج بسرعة، ويتسلم قادتها قيادة وحداتهم، ويكون هؤلاء القادة قد سبقوا الى المواقع المحددة لقواتهم، وذلك لقيادتها ومتابعة عملية الهجوم في العمق، وفقاً للاتجاهات والاهداف المحددة لها. هـ) تقوم القوات الجوية بحماية عملية التجاوز، وقصف تحرك قوات العدو ومقاوماته. وقد تستخدم الستائر الدخانية لتوفير مزيد من الحماية للقوات خلال المرحلة الصعبة من عملية التخطي. و) تعمل وحدات الهندسة على إزالة العوائق وتمهيد الطرق وعمل ممرات في المواقع الدفاعية للعدو وتسهم في حماية وتأمين تقدم قوات النسق الثاني، في عملية التخطي.

ويتم تنسيق التعاون من اجل تنفيذ عملية زج الانساق المتتابعة على أعلى مستوى قيادي في مسرح العمليات. وتهدف عملية تنسيق التعاون الى تحديد الواجبات بدقة بين مختلف الاسلحة الارضية وبين الاسلحة الارضية والقوات الجوية ووسائط الدفاع الجوي. وتتخذ التدابير لتأمين الاستمرار في عمل اجهزة الاتصال ووسائط الاشارة لتنفيذ تنسيق التعاون بصورة جيدة خلال مرحلة التخطي، وعند متابعة الهجوم في عمق الترتيب الدفاعي للعدو.

وتختلف عملية دفع الانساق الى التخطي، او التجاوز، تبعاً لعدد من العوامل اهمها: المسافة الفاصلة بين مكان النسق الذي سيتم دفعه للاشتباك وبين خط الزج – او خط التجاوز، وطبيعة الارض، وما يتوفر بها من محاور طرق، وممرات فرعية، والموقف قبل دفع النسق الى خط الزج، او خط التجاوز، والمهمة التي كلفت بها الانساق والخطوط الواجب احتلالها، وطبيعة العملية الهجومية، «على دفاع مجهز – او مجهز على عجل – او معركة تصادمية». وتستخدم عملية التخطي – او التجاوز في الدفاع ايضاً، وذلك خلال مرحلة دفع القوة الاحتياطية او النسق الثاني للقيام بالهجوم المضاد، وذلك بهدف طرد العدو من المواقع التي نجح في احتلالها او تدميره.

وتختلف هنا ايضاً عملية التخطي او التجاوز تبعاً للموقف ولحجم القوات، ونشاط العدو الأرضي والجوي. ففي الهجوم المضاد على مستوى الوحدات تكون العملية اكثر بساطة لان القوى المشتركة في الهجوم المضاد هي غالباً ما تكون من قوة النسق الثاني، ومن القوة الاحتياطية اما اذا كان اختراق العدو كبيراً، واضطرت القيادة على مستوى التشكيلات الى دفع قواتها نحو محور الجهد الرئيسي، ونقل الجهد من محور الى محور، فان العملية تصبح اكثر تعقيداً، ولهذا يتم تنسيق التعاون والاعداد لمرحلة الهجوم المعاكس، وتجاوز القوات بدقة، مما يتطلب فترة زمنية اطول للاعداد والتنفيذ. وفي كل الحالات يجب تحديد خط الزج وخط التجاوز بدقة، مع تحديد خط الفتح لكل سلاح او وحدة. وايضاح طريقة عمل الاسلحة المعاونة خلال مرحلة التجاوز وبعدها.

وقد تتم عملية التخطي، او التجاوز، اثناء الهجوم من الحركة، وذلك عندما تصل قوات النسق السابق الى اهدافها المحددة لها. ويكون قادة النسق التالي الذي سيقوم بالتجاوز قد سبقوا وحداتهم او تشكيلاتهم وتسلموا اوامرهم في النقاط المتقدمة. على حين تكون قواتهم متقدمة خلف الانساق السابقة لها. وتتابع هذه الانساق تقدمها بالتشكيلة العادية (الرتل) وعند الوصول الى خط التجاوز يتسلم قادة هذه الوحدات قيادة قواتهم، ويتابعون التقدم معها في الاتجاهات المحددة لهم. وتبقى مدفعية الانساق السابقة مستعدة لدعمهم حتى تحتل مدفعية الانساق التالية مواضعها، ولتصبح مستعدة لتقديم دعمها للانساق التي قامت بالتجاوز. وهنا ايضاً تتابع وحدات الاستطلاع ووحدات الهندسة واجباتها لدعم تقدم الانساق التي قامت بالتجاوز، وذلك بتعليم وتحديد المحاور للتقدم، ووضع المؤشرات الضرورية لذلك. كما تتابع وحدات الهندسة تمهيد الطريق امام القوات المتقدمة، وازالة الحواجز التي يصنعها العدو. وفي كل الاحوال، فان عملية دفع القوات الى التجاوز هي عملية معقدة، ولهذا تبقى القوات المتقدمة سواء في الهجوم او الدفاع هي المسؤولة عن متابعة الاعمال القتالية في مسرح العمليات وذلك حتى تتم عملية التجاوز، وتغادر قوات النسق التالي خط الزج، وتتقدم لتنفيذ واجباتها المحددة لها، ويصبح باستطاعتها متابعة تنفيذ الواجبات اعتباراً من الخط الذي انتهت اليه الوحدات او التشكيلات السابقة. وتضمن عملية تنسيق التعاون تحديد المسؤولية عند كل خط من الخطوط بشكل لا يترك مجالا للخطأ الذي قد يسبب اضطراباً في مسيرة العملية وفي مراحل تنفيذها المعقدة.

(١) التخلي عن الموقع

عمل جرمي يرتكبه العسكري الذي يترك وظيفته أو مقر عمله أو مركبه الحربي أو أي مكان يحدده له رؤساؤه لتنفيذ مهمة ما. يخضع هذا العمل الجرمي لقانون العقوبات العسكري. وتصل عقوبته إلى الاعدام اذا ما تم في مجابهة العدو. ويطلق اسم التخلي عن الموقع أيضاً على العمل الجرمي الذي يرتكبه مدني معبأ من قبل السلطات المدنية يترك المهمة المكلف بها او لا يلتحق بمركز عمله.

(١٥) التدخل

التدخل L'intervention هو العمل الذي تقوم به دولة لمساعدة أحد فريقين متصارعين في حرب أهلية مع محاولة ألا يوصف هذا التدخل بالعدوان.

وتختلف المبادئ التي تحكم التدخل في القانون الدولي جذرياً عن القواعد التي تتعلق بالحياد . فإذا قامت حرب أهلية داخل حدود دولة ما فإن الدول الأخرى تصبح بصورة آلية خاضعة لمبدأ عدم التدخل ، لا لمبدأ الحياد الذي يفترض وجود صراع مسلح بين دولتين لا في دولة واحدة .

ويمكن أن يأخذ التدخل اشكالا ودرجات مختلفة جداً، فهو يتراوح بين التدخل الدبلوماسي والتدخل العسكري ماراً بالتدخل الاقتصادي الذي يظهر بشكل مساعدات أو ، بالعكس ، بشكل ضغوط اقتصادية . ويعتبر إرسال شحنات الاسلحة دون إرسال الجنود درجة وسطاً بين التدخل الاقتصادي والتدخل العسكري . ومن المعروف أن التدخل الاقتصادي أو الدبلوماسي يؤدي في النهاية إلى تدخل عسكري أو ما يسمى بحرب التدخل Guerre d'intervention .

ويصنف بعض المؤلفين حالات التدخل كما يلي : أ) التدخل بدوافع إنسانية ، ب) التدخل المستند الى موافقة الدولة المعنية مباشرة ، ج) التدخل لتأمين احترام القانون ، د) التدخل للمحافظة على نظام سياسي معين فرضته المنظمات الدولية .

في الواقع ان كل هذه الحالات التي يزعم المؤلفون إمكانية تبريرها من وجهة القانون الدولي يمكن أن يتعرض التدخل فيها لوصمه بالعدوان . ومع ذلك ، فإنه في الحالة الحاضرة للقانون الدولي وللعلاقات الدولية ، وبعد أن أدين العدوان واللجوء الى العنف بموجب ميثاق الأمم المتحدة (وقبله صك عصبة الأمم واتفاق بريان – كيلوغ) أصبح للتدخل شكل جديد لم تكن تعرفه قواعد القانون الدولي التقليدية . فقبل هذه المواثيق كان حق الحرب معترفاً به للدول ، وكان الفقه التقليدي يعمل جاهداً على استخلاص الأسباب القانونية أو الواقعية التي تصنف الدول كدول في حالة حرب أو كدول محايدة ، إذ أنه بمقدار ما كان حق الحرب مطلقاً ، بمقدار ما كانت واجبات الحياد شديدة . أما في الوقت الحاضر فإن منع اللجوء الى القوة قد قلص إلى أدنى حد الأعمال المشمولة بتعبير الحرب ، وفتح المجال بالتالي لكثير من الأعمال التي تدخل تحت تعريف التدخل . وهكذا فإن تدخل الدول في الشؤون الداخلية للدول الأخرى أصبح عملياً أكثر وقوعاً مما كان في الماضي ، لأن التبريرات المحتملة أصبحت تدرس بشكل أكثر دقة لتفادي الوقوع فيما يمكن أن يدعى بحالة الحرب . ويصعب حصر التدخل الاقتصادي أو الدبلوماسي في تاريخ العلاقات الدولية ، نظراً لأنهما يتمّان بشكل مستمر ، ويشكلان جزءاً من العلاقات بين الأمم . أما حالات التدخل العسكري (حروب التدخل) فهي حالات حدية لا تحدث بشكل متواتر ، ومن الامثلة عليها في القرن العشرين حرب التدخل ضد روسيا السوفياتية (١٩١٨ – ١٩٢٠) ، حين ساهمت قوات عدد من الدول الكبرى (الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، واليابان ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولونيا ... الخ) في دعم الروس البيض ضد البلاشفة بعد قيام النظام السوفياتي (انظر الحرب الاهلية الروسية ، والجيش الابيض ، والجيش الأحمر) . والحرب الاهلية الاسبانية (١٩٣٦ – ١٩٣٩) التي تدخل فيها الالمان والايطاليون لدعم قوات فرانكو الانقلابية ، بينما تدخل متطوعون أمميون يساريون لدعم النظام الجمهوري التقدمي (انظر الحرب الاهلية الاسبانية) . وحرب التحرير الوطنية الكورية (١٩٥٠ – ١٩٥٣) التي تدخل فيها المتطوعون الصينيون والطيران السوفياتي لدعم الكوريين الشماليين ، وتدخلت الولايات المتحدة بقوات برية وبحرية وجوية مع قوات من دول أخرى عملت تحت لواء الأمم المتحدة لدعم الكوريين الجنوبيين (انظر الحرب الوطنية الكورية) . والتدخل الاميركي في لبنان (١٩٥٨) . والحرب الفيتنامية الاميركية التي سجلت تدخل الاميركيين لصالح نظام فيتنام الجنوبية ضد جبهة التحرير الوطنية الفيتنامية منذ العام ١٩٦١ وحتى العام ١٩٧٣ (انظر الحرب الفيتنامية الاميركية) . بالاضافة إلى التدخل في كمبوديا والكونغو وغيرها .

وأول من عالج مشكلة التدخل كان العالم فاتيل Vattel في منتصف القرن الثامن عشر حيث صاغ لأول مرة في القانون الدولي نظرية منفصلة عن القواعد العامة للحرب والحياد . وبحسب هذه النظرية فان واجب عدم التدخل هو المفهوم المعكوس لحق الدول في الاستقلال ، ولكن فاتيل يعتقد بأن الثورات الداخلية يمكن أن تبرر في بعض الحالات ، وان من حق الدول الأخرى ، إذا ما وصلت الأمور الى حد قيام حرب أهلية ، أن تساعد أحد الطرفين الذي تعتقد أن قضيته أكثر عدالة . ولقد اخذت الثورة الفرنسية بهذا الاجتهاد ، كما قبلت به بعد ذلك بعض الدول في القرن التاسع عشر ، ولكن لدعم حجج متعارضة تماماً . فبموجب مرسوم صدر في ١٩ تشرين الثاني (نوفبر) ١٧٩٢ ، أخذت الثورة الفرنسية بشكل صريح بمبدأ التدخل إذ جاء في هذا المرسوم ما يلي : « ان الحكومة الوطنية تعلن أنها ستقدم العون لكل الشعوب التي تريد استرجاع حريتها ، وقد كلفت السلطة التنفيذية بأن تعطي اوامرها لجنرالات الجيوش الفرنسية لنجدة المواطنين الذين أوذوا أو سيؤذون بسبب قضية الحرية » . ولكن هذا المرسوم لم يبق طويلا : إذ تعرض لاحتجاجات كثيرة من الدول الأوروبية ، فألغي بتاريخ ١٣ نيسان (ابريل) ١٧٩٣ ، خاصة وأن انكلترا كانت للثورة الفرنسية بالمرصاد كل مرة تحاول فيها فرنسا أن تتدخل في شؤون الدول الأوروبية الأخرى .

وبالمقابل ، فإن تدخل دول الحلف المقدس في اسبانيا (١٨٢٧) ، وفي هنغاريا (١٨٤٨) كان مستكملا تماماً للمعنى الخاص بعبارة « تدخل » في لغة القانون الدولي في ذلك الحين . وعلى النقيض من ذلك فقد تطور في انكلترا تيار معاكس يؤيد تطبيق مبدأ عدم التدخل . والباعث الحقيقي لهذا المطلب كان بالنسبة إلى انكلترا حماية مصالحها الاقتصادية في ظل مبدأ الملاحة الحرة في البحار . وقد ظهر هذا الموقف جلياً في الحروب التي وقعت في أميركا الجنوبية في بداية القرن التاسع عشر وخلال الثورة اليونانية في العام ١٨٢١ . فبالنسبة الى هذه الحرب الأخيرة كانت أكثر المعارك تجري في البحر ، وكان دور الحرب البحرية كبيراً بالنسبة للفريقين المتحاربين ، وخاصة بالنسبة للعثمانيين الذين كانوا يتلقون القسم الاكبر من تموينهم بالعتاد الحربي عن طريق البحر . وبذلك أصبحت السيطرة على المياه المحيطة بشبه الجزيرة اليونانية العامل الأساسي في التأثير على نتيجة الحرب . وكان هذا الوضع يؤثر بطبيعته على مصالح الدول الأخرى وخاصة انكلترا التي كان لها مصالح تجارية هامة ومصالح استراتيجية في هذا الجزء من شرقي البحر الأبيض المتوسط . إلا أنه لم يعرف طيلة القرن التاسع عشر ان اتفاقاً دولياً قد كرس مبدأ عدم التدخل على صعيد القانون الدولي ، كما أن أي عرف دولي لم يكن موجوداً حول هذا الموضوع ، فقوانين الحرب لم تكن تشمل الحروب الأهلية نظراً لعدم وجود متحاربين معترف بهم آنذاك .

وفي العام ١٩٠٠ نص النظام الذي وضعه معهد القانون الدولي في نيوشاتيل على أن « دولة أجنبية في حالة سلام مع شعب مستقل يجب أن تلتزم بألا تعيق التدابير التي يتخذها هذا البلد لدعم طمأنينته في الداخل ، وتتقيد بألا ترسل الى « الثائرين » في هذا البلد أسلحة أو ذخائر أو متطوعين أو مساعدات » . وهكذا تجاهل هذا النظام الاستثناء المتعلق « بالقضية العادلة » التي نبه إليها

فاتيل قبل قرن ونصف من الزمن ، وكرس حجة اللامشروعية للتدخل الى جانب الثائرين ، ولكنه بالتالي اعتبر التدخل إلى جانب الحكومة الشرعية مشروعاً . بيد أن هناك تياراً آخر يقول بمشروعية التدخل الى جانب الحكومة النظامية أو إلى جانب الثائرين اعتماداً على فكرة الكفاح ضد الظلم ، سواء كان الظلم واقعاً من جانب حكومة طاغية أو من قسم من المواطنين المعادين لحكومة ديموقراطية شرعية مؤيدة من أكثرية الشعب . وطبيعي أن الحكومة الشرعية لدولة ما في حالة حرب أهلية لا تستطيع الاعتماد على مبدأ الدفاع المشروع في طلب المساعدة الخارجية لأن الثورة في الداخل ليست من قبيل العدوان ولا يمكن أن تشملها أحكامه وقد أيد قرار صادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢١ تشرين الأول ١٩٤٧ هذا الرأي بصدد الحرب الأهلية التي وقعت في اليونان (١٩٤٧) ، ولم تقرر الجمعية العامة وجود العدوان وإنما أوصت فقط بعدم مساعدة الثوار . غير أن هذا الرأي يفترض أن الثوار أنفسهم لا يحصلون على مساعدة أجنبية . ومع ذلك ، وحتى في هذه الحالة ، فإن المساعدة الآتية من دولة أخرى عن طريق تزويد الثوار بالمعدات العسكرية دون التدخل العسكري المباشر لا يشكل عدواناً مسلحاً وفق ما عرفته المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة ، بينما أن الهجوم المسلح على أرض تسيطر عليها الحكومة الشرعية أو الثوار أنفسهم يعتبر عدواناً سافراً في نظر القانون الدولي .

وتميل الاتجاهات الحالية الى القول بأن الطلب الذي تقدمه حكومة شرعية للتدخل الأجنبي لا يرتكز في كل الحالات على قاعدة عرفية أو مكتوبة من قواعد القانون الدولي ، بل قد يعتبر في بعض الأحيان عملا مخالفاً للنظام العام الدولي ، ومثال ذلك المساعدات والشحنات العسكرية المقدمة لدولة تعتمد على النظام العنصري أو تمارس عمليات الإبادة الجماعية ، ففي هذه الحالات تعتبر كل مساعدة للحكومة النظامية في خلال قيام حرب أهلية عمليات غير مشروعة في نظر القانون الدولي ، وبالعكس فإن المساعدات المقدمة الى الثوار تعتبر في هذه الحالات مشروعة . ويرى بعض الفقهاء أن التدخل بناء على دعوة من الحكومة الشرعية لا يتفق مع قواعد القانون الدستوري الداخلي نفسه ، وقد كتب فونك برنتانو وسوريل في كتابهما « الوجيز في الحق الدولي » (١٨٧٧) « ان الحكومة التي تطلب أو تقبل تدخل دولة أجنبية تسيء بنفسها الى حقوقها في السيادة . فهي تثبت في الواقع ضعفها في فرض احترام سلطتها من قبل مواطني هذه الدولة ، وهي تسيء استعمال حقها ما دامت لا تتصرف كممثلة للشعب » .

هذه التناقضات الكبيرة في وجهات النظر حول موضوع التدخل أدت الى محاولة ايجاد قواعد ثابتة على الصعيد العالمي لمحو الشك وتخفيف الغموض اللذين يشوبان فكرة التدخل منذ زمن بعيد . وفي الواقع ، وعقب عدد من القرارات التي اتخذتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بصدد التدخل ، والتي لم تكن متجانسة تماماً ، أو اختلفت اتجاهاتها حسب الظروف والوقائع ، عهدت الجمعية العامة بموضوع التدخل إلى لجنة خاصة مكلفة بوضع مشروع حول « مبادئ القانون الدولي المتعلقة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول » ، وبعد خمس سنوات من العمل أصبح المشروع الذي أعدته اللجنة الخاصة تصريحاً عالمياً اتخذته الجمعية العامة بقرارها الصادر في ٢٤ تشرين الأول ١٩٧٠ ، وتكرس مبدأ عدم التدخل كمبدأ أساسي من مبادئ القانون الدولي ، ولكنه ليست له قوة الزامية كقاعدة مبنية على اتفاقية دولية ، فالتصريح بمجمله ليس إلا « توصية » من الجمعية العامة ، ولكن له مع ذلك قيمة معنوية كبيرة إذ يفرض على الدول ، أخلاقياً ، أن تستلهم هذا المبدأ في تعاملها الدولي . ومن جهة أخرى فإن تفسير نصوص التصريح يجب أن يأخذ بعين الاعتبار مجموعة المبادئ التي تضمنها النص . فن الضروري بالتالي أن يتحقق الانسجام بين المواد المتعلقة بمبدأ عدم التدخل ، وبين المواد الأخرى التي تكرس حق الشعوب في تقرير مصيرها ، والتعاون الدولي الخالي من التمييز القائم على الاختلافات في النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين الدول .

(١) التدريب العسكري

هو اعداد الأفراد للقيام بالاعمال القتالية الفردية ، والاعمال القتالية ضمن الوحدة ، واعداد القوات للقيام بمهماتها القتالية كقوة متماسكة تتعاون فيها مختلف الصنوف ومختلف القوات لتحقيق الحد الأقصى من النتائج في المعركة .

والتدريب خطوة أساسية للنجاح في القتال . وهناك مبدأ عسكري يقول : إن كل قطرة عرق أثناء التدريب توفر قطرة دم خلال المعركة . ويشمل التدريب العسكري تدريب الأفراد ، وتدريب الطواقم ، وتدريب الكوادر ، وتدريب القطعات ، وتدريب مختلف الصنوف معاً . ولا يكون التدريب كاملا ، إلا اذا شمل كافة الحالات التي يمكن أن تظهر خلال القتال . ويبدأ التدريب باتقان الافراد للجزئيات ، ثم ينتقل إلى اتقان عمل المجموعات ، وعندما تصبح المجموعات مؤهلة لتنفيذ مهماتها تجمع المجموعات لاتقان العمل ضمن الوحدات . وهكذا حتى يتم التوصل إلى اتقان جزئيات أعمال القطعات الكبرى . وعند دمج هذه الجزئيات مع بعضها يمكن التوصل إلى تدريب القطعات الكبرى على الكليات بشكل جماعي .

وكلما ارتفع مستوى الاتقان خلال التدريب كلما تحسن الاداء خلال القتال . ولكي يصل الاتقان إلى أعلى مستوياته ينبغي اجراء التدريب بتكرار مستمر وعلى مختلف المستويات لاكتشاف الأخطاء وتصحيحها . ثم تأتي مرحلة اكتساب السرعة . ومن المعروف أن الاتقان يتناقض مع السرعة الضرورية خلال المعركة الحديثة ، ولكن التكرار بعد الاتقان يكسب الأفراد والقطعات القدرة على التنفيذ الجيد والسريع معاً . ولا ينطبق هذا القول على المستويات الدنيا فقط ، بل ينطبق ايضاً على المستويات القيادية التي تكتسب خلال التدريب نوعاً من المنهج الفكري يسمح لها بالتقاط المعلومات واتخاذ القرارات واصدار الأوامر الصحيحة الواضحة في أحلك ساعات المعركة . ومن المؤكد أن التدريب العسكري هو المكمل الضروري للتعليم العسكري النظري ، لأنه يعطي الهيكل النظري مادة يعمل بها وعليها . ويقلب المعرفة إلى إتقان عملي .

(٦) التدمير

يقصد بالتدمير Destruction في الاصطلاح العسكري القيام بعمل يستهدف أحد الاهداف التالية :

- تدمير منشآت العدو الحيوية (مصانع ، محطات ، مراكز إنتاج الطاقة ، سدود ، مطارات) .
- تدمير مواقع العدو القتالية قبل المعركة أو خلالها ، (معاقل ، تحصينات ، مرابض أسلحة ، مقرات قيادة واتصال) .
- تدمير معدات العدو الحربية لمنعه من استخدامها ، وتدمير المعدات المعادية التي يتم الاستيلاء عليها في الاغارات اذا تعذر سحبها .
- إعاقة حركة العدو في عمق أراضيه عن طريق تدمير المنشآت الفنية المقامة على مواصلاته (طرق ، جسور ، عبارات) .
- إعاقة تقدم العدو داخل الأراضي الصديقة عن

طريق تدمير خطوط المواصلات الموجودة أمامه.
- تدمير المنشآت الحيوية والمواقع القتالية والمعدات الحربية الصديقة قبل الانسحاب حتى لا يستفيد العدو منها.
- فتح الطريق أمام القوات الصديقة المتقدمة عن طريق تدمير حواجز العدو التي تعرقل التقدم.

يتم التدمير باستخدام وسائل مختلفة هي: النار، والمياه، والآلات الميكانيكية، والقصف المدفعي، والقصف الجوي، واستخدام الحشوات المتفجرة التي توضع باليد في الاماكن المختارة، ويجري التركيز عليها باعتبارها اكثر الوسائل فعالية وتوفيراً للجهد من الناحيتين العملية والاقتصادية. كما يمكن استخدام القنابل النووية التي تتميز بقدرتها على إحداث تدمير واسع بأدنى جهد ممكن. ولكن استخدامها لغايات التدمير ينبغي ان يأخذ في الاعتبار مخاطر التلويث بالاشعاعات الذرية - المتخلفة عن انفجارها - على القوات الصديقة.

وهناك نوعان من عمليات التدمير بالمتفجرات: **أولاهما**، عمليات التدمير المدبرة: ويتم اللجوء اليها عندما يكون هناك وقت كاف لتخطيطها وتنفيذها دونما خشية من قيام العدو بالتعرض لها، ويكون ذلك عادة في الأماكن الخلفية التي يتوقع ان يقوم العدو باحتلالها. ويسمح هذا النوع من العمليات بالاقتصاد في كميات المتفجرات المستعملة واعدادها بدقة للحصول على اكبر فعالية ممكنة. **وثانيتهما**، عمليات التدمير غير المدبرة او السريعة: وهي تلك التي تنفذ في مناطق القتال المتقدمة او وراء خطوط العدو، حيث يكون الزمن المتاح لها محدوداً لتوقع قيام العدو بمفاجأتها والتعرض لها. وفي هذه الحالة يصبح عامل الاقتصاد في المتفجرات المستخدمة ثانوياً، ويصبح الحكم عليه نابعاً من التقدير المنطقي المقبول للكميات المستخدمة منعاً لهدرها بدون جدوى. وكنتيجة لوجود خطر المفاجأة، فإنه يجري تطعيم وتجهيز كل حشوة من الحشوات التدميرية للانفجار على حدة، وذلك لكي لا تؤدي مفاجأة العدو الى وقف تنفيذ العملية بكاملها. ولمزيد من الاحتياط، فإن من المحبذ استخدام الفتيل الصاعق بشكل مزدوج لتفجير الحشوات المطمورة في التراب وخطوط التفجير الرئيسية في عمليات التدمير السريعة.

وهنالك مبادئ عدة ينبغي أخذها بعين الاعتبار عند مباشرة تنفيذ عمليات التدمير، أهمها: **معرفة نقاط الضعف** في المباني والمنشآت والتجهيزات والمعدات وتدمير هذه النقاط، ويفيد ذلك في استخدام كمية أقل من المتفجرات لإحداث أكبر أثر تدميري ممكن. ويسبق عمليات التدمير عادة **استطلاع المواقع** جيداً من أجل معرفة خصائصها والحصول على كافة المعلومات المتعلقة بها، وتتلخص هذه المعلومات فيما يلي:

- رسم تخطيطي يبين المواقع المزمع تدميرها، وتضاريس الارض المحيطة، واحداثيات المكان بالنسبة للخرائط العسكرية المتوفرة. مع تبيان الشواهد والعلامات الفارقة التي تسهل الاهتداء الى المواقع المختارة.
- رسوم جانبية لبعض المنشآت، كما هو الحال بالنسبة للجسور، تبين أبعاد الاعمدة والعوارض والمتكآت التي سيتم وضع المتفجرات فيها.
- رسوم للمقاطع العرضية تحتوي على قياسات أقرب ما تكون الى الدقة.
- لائحة بالمتفجرات المزمع استخدامها، تبين كمية المتفجرات المطلوبة ونوعها.
- لائحة بجميع المعدات التي سوف يجري استخدامها في العملية.
- تقدير للزمن والجهد الذي سوف يبذل للتغلب على العقبات التي يمكن ان تواجه التنفيذ.
- تقدير للزمن والجهد الذي يستغرقه تنفيذ العملية بكاملها.
- بيان العوامل الامنية المطلوب توفيرها لإنجاح العملية بالتفصيل.

ويكون التدمير تكتيكياً اذ ما استهدف اهدافاً تقع في العمق التكتيكي، وكانت الاهداف نفسها ذات طابع تكتيكي. ويكون عملياتياً أو استراتيجياً اذا تم في العمقين العملياتي والاستراتيجي، واستهدف اهدافاً ذات طابع عملياتي أو استراتيجي. ويهتم مخططو التدمير التكتيكي والعملياتي بدقة التنفيذ للحصول على اكبر نتيجة ممكنة مع الانتباه الى ضرورة تنفيذ التدمير الذي لا يعيق عمل القوات الصديقة في المستقبل. أما مخططو التدمير الاستراتيجي، فهم يهتمون بالاضافة إلى ذلك بعامل آخر يتعلق بالاستراتيجية العليا، ويتمثل هذا العامل في تحديد مدى إمكانية إفادة القوات الصديقة من المنشآت المنوي تدميرها عندما سيتم احتلال المناطق التي تقع عليها هذه المنشآت، ومدى تأثير التدمير الاستراتيجي على مستقبل السلم الذي سيعقب الحرب.

(٢) التدمير الوقائي للأسلحة الذرية المعادية

ان هذا النموذج من نماذج الاستراتيجية الذرية نموذج هجومي مباشر يعني الهجوم على مراكز اسلحة العدو الذرية وتدميرها بشكل مسبق.

وللتدمير الوقائي ميزتان: الأولى أن من يشنه يتحاشى الضربة النووية الأولى المعادية، والميزة الثانية هي أنه يفاجئ عدوه دون انذار أو استعداد لمقابلة الضربة، لتكون خسائره جسيمة. واذا لم يسمح موقف أحد الطرفين بتنفيذ هذا النموذج أو نفذ جزئياً، تبرز أهمية النماذج الثلاثة الأخرى وهي ملاقاة اسلحته واعتراضها، والوقاية المادية، والقيام بالهجوم الانتقامي النووي الساحق.

وقد بدا في بادئ الأمر أن صيغة التدمير الوقائي لوسائل الانتاج ولوسائل اطلاق الصواريخ - ان لم يكن من الممكن تدمير الاسلحة الذرية نظراً لصعوبة تحديد مواقعها - وكأنها افضل الصيغ وأحسنها، لأن التفوق الامريكي كان تفوقاً هائلا في هذا المضمار، وكانت وسائل اطلاق القذائف الذرية مشكلة فقط من طائرات مرتبطة بقواعد جوية من السهل اكتشاف مواقعها وتحديدها، الامر الذي يسمح بتدمير معظم هذه الوسائل الذرية تدميراً شبه كامل. ولكن هذا الوضع الملائم للولايات المتحدة الامريكية لم يدم وقتاً طويلا، فقد تضاعفت الاهداف وازداد عددها بفضل ازدياد وسائل الاتحاد السوفييتي الذرية وبفضل تكتيك الانتشار والالتجاء الى باطن الارض، وانتشار هذه الأهداف فوق أراض لم تكن معروفة جيداً، وعلى مقربة من الحدود مع اوروبا الغربية. وهكذا اعلنت منظمة حلف شمالي الأطلسي انها لن تتبع استراتيجية القصف الذري إلا كرد على قصف معاد. وهكذا فقدت صيغة تدمير وسائل العدو الذرية طابعها الوقائي بشكل أتاح فيه للنماذج الوقائية الأخرى، كالملاقاة، والوقاية، والتهديد بالانتقام الذري، أهمية أساسية.

(١) التراجع

(انظر الانسحاب).

(٦) الترانسبوندر (جهاز تحديد هوية الطائرة) (انظر الرادار).

(١) التربية العسكرية

هي مجمل التدابير التي تجعل العسكري يتذوق حياة الجندية، ويؤمن بالحياة الجماعية، ويطبق الانضباط بوعي كامل (انظر الانضباط)، ويتمسك بفكرة الواجب وضرورة تنفيذ المهمة المقدسة مهما كانت الصعاب والعقبات.

ولا تتحقق هذه الأمور خلال المحاضرات

النظرية ، ولكنها تأتي من الممارسة اليومية ، والثقة بالقيادة ، وتقديس الهدف . وهي تنمو ذاتياً لتحقق ضرورة حيوية ، وتصل إلى أعلى درجاتها في أي مجتمع عسكري صحيح ، يؤمن أفراده بأن عليهم أن يقاتلوا دفاعاً عن قضية عادلة ، وأن يقدموا اكبر التضحيات في سبيل هذه القضية .

(٣) الترس او المجن

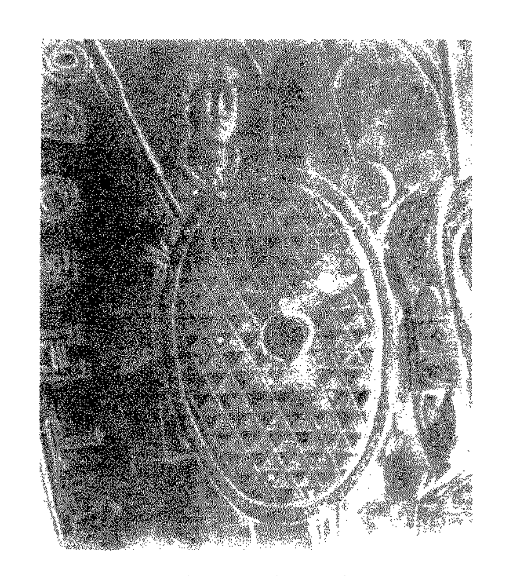
ويسمى كذلك الجنة او الدرقة او الحجفة ، وهو آلة يتّي بها المقاتل نفسه من سهام الاعداء او رماحهم او سيوفهم . ولكل سلاح ترس يناسبه ويستعمل ضده . وقد صنع العرب الترس اولا من جلد البقر او الابل دون خشب ، وكانوا يسمونه درقة او حجفة ، ثم صنعوه بعد ذلك من الخشب وألصقوا عليه جلدة مساوية له . وللترس انواع منها : المسطح الذي يتقى به الرمح ، والمستطيل المخصر الوسط الذي يتقى به السهم ، اذ يستر رأس الفارس وجسمه ، بينما يسمح التخصير في وسطه بالنظر والمراقبة ، والمقبب المنحني الاطراف الى خارج ، ويتقى به السهم والسيف دون الرمح .

(١٢) تركيا الفتاة

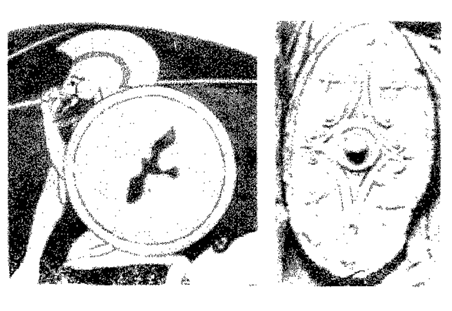
(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١١) تروتسكي (ليون)

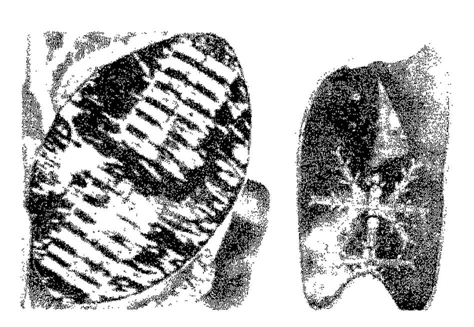
ليف دافيدوفيتش برونشتاين (١٨٧٩ - ١٩٤٠) ، سياسي ثوري روسي ، ووزير شؤون الحرب في الدولة السوفياتية في فترة (١٩١٨ - ١٩٢٣) ولد في مقاطعة خرسون (اوكرانيا) في العام ١٨٧٩ وسط عائلة يهودية تعمل في الزراعة . وقبل أن ينهي دراسته الثانوية كان قد انضم الى خلية ثورية سرية تابعة للشعبيين (النارودنيكيين) ، ثم ما لبث أن اعتنق الماركسية فانتمى الى الحركة الاشتراكية - الديمقراطية ، واشترك في تأسيس وقيادة « اتحاد العمال في جنوب روسيا » . وقد شارك في عدد من التظاهرات والاضرابات العمالية وتوزيع النشرات الثورية مما أدى الى اعتقاله ونفيه . وفي المنفى تزوج ، ثم هرب الى لندن حيث انضم الى أسرة تحرير صحيفة « ايسكرا » - الشرارة ، الى جانب لينين وبليخانوف واكسلرود وزاسوليتش ومارتوف وبترووزوف . وقد اشترك بعد ذلك في المؤتمر الثاني « لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي » الذي عقد بين بروكسل ولندن (١٩٠٣) ، والذي أدى الى الانشقاق التاريخي بين البلاشفة والمناشفة . وكان انحياز تروتسكي في البداية الى جانب المناشفة ، ثم ما لبث أن اتخذ موقفاً مستقلا عن كلا الجناحين . وبعد اندلاع الثورة الروسية الأولى عاد الى بلاده في شباط (فبراير) ١٩٠٥ حيث اصبح قائد الحركة الاشتراكية وخطيبها ، كما ترأس « مجلس مندوبي العمال » في بطرسبورغ ، والذي مثل اول « سوفييت » في التاريخ .



ترس الحرس الفرنج ، القرن ٤



ترس روماني — ترس يوناني



ترسان افريقيان

وبعد فشل الثورة الأولى ، ألقي القبض عليه وأصدرت المحكمة حكمها بنفيه الى سيبيريا وبتجريده من جميع الحقوق المدنية . وفي هذه الفترة انتهى من صياغة نظريته عن « الثورة الدائمة » في مقالة بعنوان « نتائج وتوقعات » ثم ما لبث أن هرب الى اوروبا وارتحل مع زوجته الثانية الى فيينا حيث اصدر مجلة « البرافدا » - الحقيقة ، وبعد نشوب الحرب العالمية الأولى نزح الى سويسرا ثم الى فرنسا .

وقد أدت دعوته لمعارضة الحرب وتأسيس « الأممية الثالثة » الى تقارب وجهات النظر بينه وبين لينين بعد خلاف طويل بينهما . وبعد طرده من فرنسا التجأ الى الولايات المتحدة (١٩١٧) ، ثم عاد الى روسيا عند اندلاع ثورة شباط (فبراير) ١٩١٧ ، وفي هذه الفترة انضم الى الحزب البلشفي رسمياً ، وقاد الى جانب لينين حملة الهجوم على نظام حكم ثورة شباط (فبراير) ، فسجنته حكومة كيرنسكي في العام ذاته . ثم انتخبه عمال بتروغراد رئيساً لسوفييت مدينتهم ، وخلال تبوئه هذا المنصب خطط لثورة اوكتوبر وقادها . وقد عين مفوضاً (وزيراً) لشؤون الحرب في فترة (١٩١٨ - ١٩٢٣) فأسس « الجيش الأحمر » وقاده بنجاح إبان أعوام الحرب الأهلية ، وكان طوال هذه المدة عضواً في المكتب السياسي وفي اللجنة المركزية . وقد كتب في هذه الفترة « من ثورة شباط الى مفاوضات بريست - ليتوفسك » و « الشيوعية والإرهاب » ، كما صاغ جميع بيانات المؤتمرات الخمسة الأولى للأممية الشيوعية وأهم مقرراتها السياسية .

وفي العام ١٩٢٣ قاد تروتسكي اول حركة معارضة لستالين منددا بالبيروقراطية في الحزب والدولة ، ومطالباً بالتصنيع الثقيل في جو من الديمقراطية الموجهة . وعندما تحالف ضده ستالين وزينوفييف وكامينيف وبوخارين وغيرهم ، اضطر الى الاستقالة من مفوضية الحرب في العام ١٩٢٥ ، بعدما أنجز كتابة « الأدب والثورة » ، و « العهد الجديد » ، و « الى اين تسير بريطانيا ؟ » ، و « اوروبا وامريكا » ، و « مشاكل الحياة اليومية » وغيرها . ثم ما لبث ، بعد عام فقط ، أن تحالف مع زينوفييف وكامنييف ضد ستالين ، وأسس الثلاثة « المعارضة الموحدة » ، وكانت النتيجة أن طرد تروتسكي من الحزب الشيوعي (١٩٢٧) ، ونفي من موسكو الى « ألما - آتا » على الحدود الروسية - الصينية في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٨ ، حيث استمر في توجيه المعارضة ضد ديكتاتورية ستالين ، ونقد نظريته حول « الاشتراكية في بلد واحد » ،

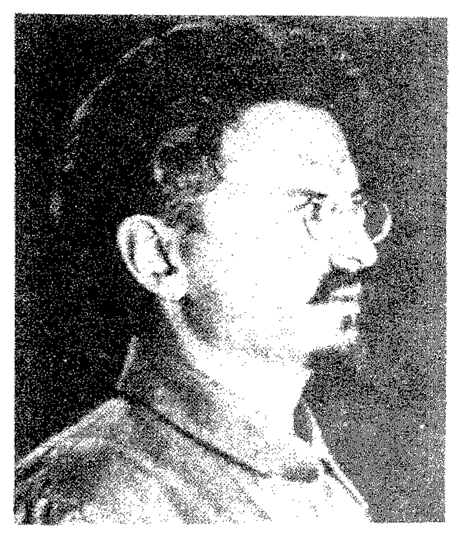
والطريقة التي يعالج بها الشؤون الشيوعية وخاصة سياسته تجاه الثورة الصينية (١٩٢٥ – ١٩٢٧). وفي هذه الفترة انجز تروتسكي كتابة «نقد مشروع برنامج الكومنترن»، و«الثورة الدائمة» ومؤلفات أخرى.

وفي كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٨ تم ترحيل تروتسكي الى تركيا حيث سكن جزيرة «برينبيكو» المعزولة التي بقي فيها حتى العام ١٩٣٣. ولقد كتب في برينبيكو «تاريخ الثورة الروسية». وفي العام ١٩٣٣ سمحت له فرنسا بالاقامة فيها، حيث شرع في تنظيم مؤيديه في بلدان عديدة، وهنا اشتدت وطأة عمليات الملاحقة ضد مؤيديه، فسحبت منه الجنسية السوفياتية، وبدأت حكومة ستالين تلاحقه وتضيق عليه الخناق، وقد بلغت هذه الحملة ذروتها في «محاكمات موسكو» حيث اتهم بمحاولة اغتيال ستالين وعدد من أركان الحزب والحكومة، وكذلك اتهم بالتحالف السري مع هتلر وامبراطور اليابان بهدف تقويض النظام السوفياتي وفي العام ١٩٣٧ سمح لتروتسكي بدخول المكسيك حيث مثل أمام «محاكمة مضادة» ترأسها الفيلسوف الأميركي «جون ديووي»، فدحض تروتسكي جميع الاتهامات الموجهة اليه وحصل على البراءة. وبعدها أعلن عن تأسيس الأممية الرابعة وكتب «البرنامج الانتقالي للأممية الرابعة» وفيه يتنبأ بوقوع الحرب العالمية الثانية ويحلل نتائجها سياسياً واجتماعياً.

وفي العشرين من آب (أغسطس) ١٩٤٠ أقدم رامون ميركادار «جاكسون» على اغتيال تروتسكي، في منزله في المكسيك، وكان على وشك الانتهاء من كتابة سيرة حياة ستالين.

كانت حياة تروتسكي سلسلة من النشاط والتركيز، سواء كان داخل السلطة أم خارجها. ولقد كتب العديد من الكتب وساهم في إصدار النشرات والصحف، وطرح أفكاره حول أهمية الثورة، ودور الطبقة العاملة في الثورة الاجتماعية، ودكتاتورية البروليتاريا، والنظام البرلماني الغربي، والحزب، والاشتراكية في بلد واحد، إلى جانب أفكاره حول الأدب والتاريخ.

وبالاضافة إلى النشاط السياسي العملي والفكري، فقد كان لتروتسكي أيضاً نشاط عسكري على الصعيدين العملي والفكري بصفته مفوض الشعب للشؤون الحربية. وهناك من يؤكد أنه كان رئيس اللجنة الثورية للحرب، والتي كانت تمثل هيئة الأركان العليا لروسيا السوفياتية خلال الحرب الأهلية، على حين يؤكد مؤرخون آخرون أن رئيس



ليون تروتسكي

هذه اللجنة كان لازيمير ثم جاء بعده بودفويسكي. ولكن من الثابت أن تروتسكي شارك في بناء الجيش الأحمر وقيادته خلال الحرب الأهلية، ولم يكن هذا العمل مهمة سهلة بالنسبة إلى ثورة رفعت منذ اندلاعها شعار تحقيق السلام الخارجي وعودة الجنود إلى بيوتهم. ومع هذا فقد تم التوصل إلى خلق جيش جديد على انقاض الجيش القديم. وكان هذا الجيش يتصف بالوعي السياسي، ويقاتل بجرأة في سبيل نظام اجتماعي جديد، ولتصفية سلطة كبار الملاكين، وإعادة الأراضي الى الفلاحين الكادحين، وإدارة المصانع ووسائل النقل من قبل العمال، وخلق مستقبل اشتراكي. وقد ألغيت الرتب من الجيش، وساد في صفوفه انضباط جماعي مع انتخاب القادة الأعوان من قبل المرؤوسين، وأصبح المفوضون السياسيون يمثلون سلطة الحزب داخل صفوف القوات المسلحة.

وكان تروتسكي يأمل أن يحول الجيش الى قوة جماهيرية عامة، وميليشيا اجتماعية، ولذا فقد ركز على اختيار قادة الجيش، وتدريب كوادره، وكان يعتبر اكتساب المترددين والمتذبذبين والفارين عملا لا يقل أهمية عن تدمير المتصلبين المتعنتين. وهو يرى أن تدعيم مقاومة المؤخرة، وتأمين الجبهة الداخلية بتحقيق «الأمان» بين ربوعها، لا تقل أهمية عن التضحيات المطلوبة من المقاتلين العاملين في الجبهة.

وكانت مسألة إعادة تنظيم الجيش السوفياتي ليصبح جيشاً تقليدياً رسمياً، ذا رتب عسكرية ودرجات، من بين المسائل التي أثارت الخلاف بين تروتسكي وستالين، فقد كان تروتسكي يرى أن انتهاء الحرب الأهلية ينبغي أن يترك آثاراً معينة على طبيعة الجيش التنظيمية والتعبوية، خلال فترة يتحول معها الجيش الى ميليشيا شعبية مسلحة، وبما أن هذه الفترة قد تطول، فلذا يجب أن يكون هناك «تنظيم للقوات المسلحة يتجاوب ويتلاءم معها لكي يكتسب العاملون إعداداً عسكرياً ضرورياً، على أن لا يبتعدوا كثيراً، وقدر الامكان عن عملهم المنتج. والنظام الوحيد الممكن في هذه الحالة هو نظام الميليشيا الحمراء التي يشكلها العمال والفلاحون على اساس اقليمي».

ويرى تروتسكي أن يتطابق التوزيع الاقليمي لوحدات الميليشيا (افواج، ألوية، وفرق) مع التوزيع الاقليمي للمشروعات لكي تصبح المراكز الصناعية – وإطارها الزراعي الذي يحيط بها – اساس وحدات الميليشيا.

كما يرى أن تعتمد الميليشيا، فيما يتعلق بالتنظيم، على كوادر مدربة تدريباً قاسياً في كافة المجالات (العسكرية والتقنية والسياسية) وأن يكون تحت تصرف هذه الكوادر سجل دائم للعمال والفلاحين القادرين على القتال، والذين اتبعوا دورات تدريبية، والذين يمكن استدعاؤهم، في أية لحظة، للالتحاق بوحداتهم.

وبالاضافة إلى مسألة الميليشيا، فقد طرح تروتسكي باسهاب مسألة الافادة من ضباط الجيش القديم لاكمال الكوادر اللازمة لبناء الجيش الأحمر العمالي والفلاحي، رغم النقمة التي كانت سائدة على هؤلاء الضباط بين صفوف الشعب، ورغم خيانة الكثيرين منهم والتحاقهم بالحرس الأبيض في سبيل قلب السلطة السوفياتية. ولقد أدت جهود تروتسكي في هذا المجال إلى تطوير بعض الضباط سياسياً، ودفعهم إلى العمل بحماسة بغية بناء القدرة القتالية للجمهورية السوفياتية. ولم يكن تروتسكي يطلب منهم أن يصبحوا بلاشفة، بل يكتفي بكونهم وطنيين راغبين في الدفاع عن بلادهم، وهذا ما جعل آلاف الضباط الاخصائيين ينضمون إلى الجيش الأحمر ويعملون بين صفوفه. وفي الوقت نفسه اهتم تروتسكي، منذ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨، بانشاء الاكاديميات والمعاهد العسكرية، لإعداد أبناء العمال والفلاحين، وتزويدهم بالعلم العسكري، وتأهيلهم لقيادة القطعات في الميدان، كما اهتم بتنظيم العلاقة بين القادة والمفوضين السياسيين، وبكل جوانب بناء الجيش الأحمر، في مرحلة من أحرج مراحل حياة هذا الجيش.

(٥) ت س – ١١ اسكرا (طائرة)

طائرة تدريب مسلحة بمقعدين ، بولونية نفاثة . باشرت الطيران في اوائل عام ١٩٦٠ تصلح للالعاب البهلوانية الجوية سرعتها القصوى ٧٢٠ كم/الساعة . وزن اقلاعها ٣٨٠٠ كغ . طولها ١١,٢٥ م ، فتحة جناحيها ١٠,٠٧ م . تتسلح بمدفع رشاش عيار ٢٣ مم ، وقنبلتين زنة ٥٠ كغ ، وقذائف صاروخية خفيفة .

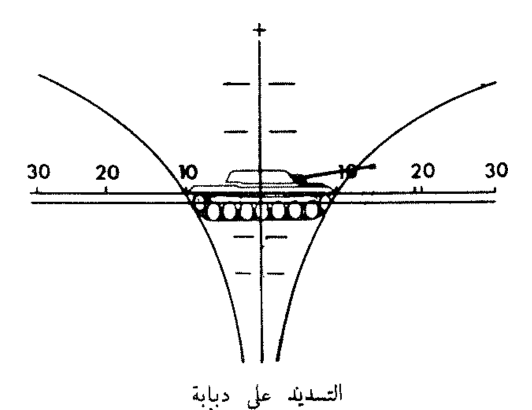
(١) التسديد

هو العملية أو مجموع العمليات التي يقوم بها الرامي (في الاسلحة الفردية) ، أو الطيار ، أو المسدد (في الاسلحة الجماعية) ، بغية إعطاء السلاح الاتجاه والزاوية المطلوبين لاصابة الهدف .

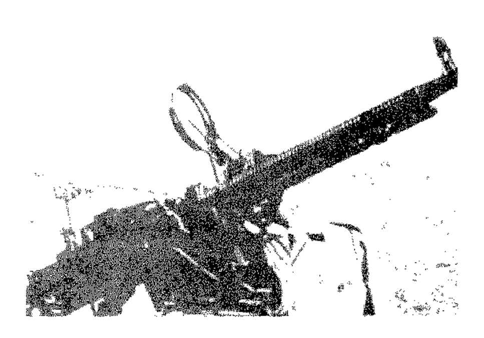
ويختلف التسديد Pointage حسبما يكون الرمي مباشراً (رمي مستقيم) أو غير مباشر (رمي منحني او سابح) ، كما يختلف في الرمي على الاهداف الثابتة عن الرمي على الاهداف المتحركة (انظر الرمي) . ولتحديد ميكانيكية التسديد لا بد من تحديد تعبيرين هما جهاز التسديد وخط التسديد .

أ – جهاز التسديد : هو الجهاز الذي يؤدي استخدامه إلى توجيه السلاح بالمدى والارتفاع واعطائه الزاوية اللازمة لإصابة الهدف . ويكون جهاز التسديد في المسدسات والبنادق والرشاشات (الخفيفة والمتوسطة والثقيلة والقصيرة) والقواذف المضادة للدبابات جزءاً من السلاح نفسه ، أما في المدافع والهاونات والطائرات والدبابات والصواريخ الموجهة ضد الدبابات فيكون جهازاً إضافياً يركب على السلاح أو داخل الدبابة والطائرة .

ويتألف جهاز التسديد في المسدسات من فرضة موجودة على مؤخرة السبطانة ، وتكون هذه الفرضة عادة ثابتة . ولكن هناك مسدسات تحمل فرضة يمكن تحريكها إلى الجانب عند ضبط السلاح (انظر ضبط السلاح) . أو تحمل فرضة قابلة للارتفاع والانخفاض بواسطة زلاقة . ويتألف جهاز التسديد في البنادق والرشاشات من لوحة يمكن تحريكها إلى الجانب عند ضبط السلاح ، كما يمكن تحريكها إلى الأعلى والاسفل بواسطة زلاقة . وتحمل قاعدة الجهاز ترقيمات من ٥٠ إلى ٣٠٠ متر في الرشاشات القصيرة ، ومن ٢٠٠ إلى ١٠٠٠ متر أو أكثر في البنادق والرشاشات . وتحمل اللوحة المتحركة فرضة أو حدقة مستديرة للتسديد . أما جهاز التسديد في القواذف المضادة للدبابات فتتألف من لوحة مرقة وقابلة للطي وتحمل عدة فرضات ، وعندما توضع اللوحة بشكل شاقولي يمكن التسديد من الفرضة المناسبة لمدى الهدف .



التسديد على دبابة



جهاز التسديد م/ط على رشاش

وعند الرمي ضد الطائرات يركب على الرشاشات جهاز تسديد مؤلف من شبكة مؤلفة من دوائر مختلفة الاقطار وخطوط مستقيمة تصل مركز الدائرة باقطار الدوائر (انظر الرمي ضد الطائرات) . وهو مشابه (من ناحية المبدأ) لجهاز التسديد الذي يركب على المدافع المضادة للطائرات .

وتختلف اجهزة التسديد في الهاونات والمدافع والدبابات والطائرات عن اجهزة التسديد المذكورة آنفاً في أنها اكثر تعقيداً ، وتحتوي على منظار ومواشير وعدسات ومرايا عاكسة . ويتألف جهاز التسديد في الهاونات والمدفعية من منظار تحمل عدسته الأمامية خطاً عمودياً ينطبق عند التسديد على أوتاد التسديد المغروسة أمام المدفع باتجاه الهدف . وتحمل قاعدته فقاعتين إحداهما لتأمين وضع السلاح بشكل أفقي عندما تكون الارض مائلة ، والثانية لتأمين إعطاء سبطانة المدفع الزاوية اللازمة لإيصال القذيفة إلى الهدف . ويكون جهاز التسديد في الدبابة او المدفع م/د عبارة عن منظار تحمل عدسته الأمامية خطين متعامدين مرقين لتأمين التسديد على الاهداف الثابتة والمتحركة وتحمل قاعدته فقاعة او شاقول لتأمين أفقية السلاح كما تحمل هذه القاعدة ترقيمات لزاوية الرمي وترقيمات للسمت وتستخدم الأولى للرمي المباشر بينما تستخدم الثانية للرمي غير المباشر . ويكون محور المنظار متوازياً مع محور مدفع الدبابة أو المدفع م/د . ولا يختلف جهاز التسديد في الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات عن جهاز تسديد الدبابة (من ناحية المبدأ) ، ولكن لجهاز التسديد الصواريخ الموجهة م/د مهمة إضافية هي متابعة الصاروخ والهدف بعد انطلاق الصاروخ بغية توجيهه نحو الهدف . أما جهاز التسديد في الطائرة المقاتلة ، والمستخدم عند الرمي بالرشاشات ضد الاهداف الجوية ، أو عند الرمي بالرشاشات والقذائف الصاروخية ضد الاهداف الأرضية فهو منظار عادي أو جيروسكوبي (جيروغان سايت) يتوازى محورهما مع محور جسم الطائرة ، وتحمل عدستهما الأماميتان خطين متعامدين مرقين لتأمين التسديد على الاهداف الثابتة والمتحركة . وليس في قاذفة القنابل جهاز تسديد لأن إلقاء القنابل يتم بناء على حسابات طبوغرافية وجوية يقوم بها الملاح المختص بذلك .

خط التسديد : يختلف خط التسديد باختلاف جهاز التسديد ، فهو في المسدسات والبنادق والرشاشات والقواذف م/د ، عبارة عن الخط الواصل بين عين الرامي ، ومنتصف الفرضة أو الحدقة ، ورأس الشعيرة ، وأسفل ومنتصف الهدف الثابت (أو أمام أو خلف أو يمين أو يسار الهدف المتحرك) . وخط التسديد في الهاونات والمدافع وكل اسلحة الرمي غير المباشر (المنحني أو السابح) هو الخط الواصل بين عين الرامي وعدسة التسديد والخط العامودي في العدسة الأمامية ووتدي التسديد المغروسين أمام السلاح باتجاه الهدف ، وخط التسديد للدبابة والمدفع المضاد للدبابات والصواريخ الموجهة م/د هو الخط الواصل بين عين الرامي وعدسة التسديد ونقطة تقاطع الخطين المتعامدين المرسومين على العدسة الأمامية ، ومنتصف الهدف الثابت ، أو عين الرامي وعدسة التسديد ونقطة الترقيم الموجودة على الخط العامودي والهدف اذا كان الهدف متحركاً إلى الأمام أو الخلف ، (أو نقطة الترقيم الموجودة على الخط الافقي والهدف) اذا كان الهدف متحركاً بشكل جانبي . أما خط التسديد في الطائرة المقاتلة فهو الخط الواصل بين عين الرامي ، وعدسة التسديد ، ونقطة تقاطع الخطين المتعامدين المرسومين على العدسة الأمامية والهدف ، عندما يكون الهدف هدفاً ارضياً

ثابتاً أو عندما يكون هدفاً جوياً مقبلا أو مدبراً . أو الخط الواصل بين عين الرامي ، وعدسة التسديد ، ونقطة على الخط الافقي في الخطين المتعامدين المرسومين على العدسة الأمامية ، والهدف ، عندما يكون الهدف هدفاً جوياً متحركاً بشكل جانبي .

التسديد : يتم التسديد على الهدف في المسدسات والبنادق والرشاشات والقواذف م/د وفق التسلسل التالي : ١ – تقدر مسافة الهدف ، ٢ – توضع زلاقة لوحة التسديد على الرقم المماثل لمسافة الهدف ، ٣ – يأخذ الرامي خط التسديد ، فيكون السلاح موجهاً نحو الهدف ، وتأخذ السبطانة ميلا (زاوية رمي) يكفي لوصول الطلقة إلى الهدف .

ويتم التسديد في الصاروخ م/د والمدفع م/د والدبابة وفق التسلسل التالي : ١ – تقدر مسافة الهدف ، ٢ – توضع زاوية الرمي المناسبة والمأخوذة من جداول الرمي على جهاز التسديد ، ٣ – يحرك السلاح بالاتجاه حتى يصبح باتجاه الهدف ، ثم يحرك بالارتفاع حتى يأخذ المسدد خط التسديد (حسبما يكون الهدف متحركاً أو ثابتاً) .

ويتم التسديد بالهاون والمدفع وكل أسلحة الرمي غير المباشر وفق التسلسل التالي : ١ – تقدر مسافة الهدف ، ٢ – يغرز باتجاه الهدف وتدان (بالنسبة الى المدافع والهاونات) ، ٣ – يوضع على جهاز التسديد زاوية المدى المأخوذة من جداول الرمي حسب مسافة الهدف ، ٤ – يحرك المدفع أفقياً حتى يصبح الخط العمودي المرسوم على عدسة جهاز التسديد الأمامية متطابقاً مع الوتدين ، ٥ – تحرك سبطانة المدفع بالارتفاع حتى تصبح فقاعة جهاز التسديد الخاصة بالارتفاع في مكانها الوسطي بين خطين أو داخل دائرة مرسومة على زجاجة الفقاعة ، ٦ – ينتبه لأن يكون السلاح أفقياً بواسطة فقاعة خاصة لتأمين الأفقية .

يتم التسديد في الدبابة خلال الرمي غير المباشر وفق التسلسل التالي : ١ – تقدر مسافة الهدف ، ٢ – يقدر الراصد الخارجي ، المتصل مع الدبابة لاسلكياً ، سمت الهدف ، ٣ – يوضع على جهاز التسديد السمت المطلوب وزاوية الرمي المأخوذة من جداول الرمي ، ٤ – يحرك المدفع حتى ينطبق مؤشر السمت على السمت المطلوب وحتى ينطبق مؤشر زاوية الرمي على الزاوية المطلوبة .

يتم التسديد في الطائرة المقاتلة عند الرمي ضد اهداف ارضية أو جوية بالرشاشات والقذائف الصاروخية وفق التسلسل التالي : ١ – يتجه الطيار نحو الهدف بطائرته وينقض عليه أو يطارده ، ٢ – يأخذ خط التسديد في جهاز التسديد الثابت أو الجيروسكوبي (جيروغان سايت) بحيث يصبح الهدف داخل الدائرة المرسومة على العدسة الامامية للجهاز ، وعندها يكون الهدف على المسافة المجدية للرمي . وعندما يكون الهدف الجوي متحركاً بشكل جانبي يأخذ الطيار خد التسديد بحيث تكون الطائرة المعادية سائرة على الخط الافقي المرسوم على العدسة الامامية لجهاز التسديد وخارج الدائرة بمسافة معينة (تقدر حسب سرعة الهدف) ، بحيث تلتقي الطائرة المتحركة أفقياً مع طلقات المدفع الرشاش المتجهة على خط يتقاطع مع خط سير الطائرة . ولا يستخدم الطيار المقاتل أي جهاز للتسديد عندالرمي بالصواريخ جو–جو ، لأن الرمي يتم في هذه الحالة بناء على معطيات رادارية يقدمها رادار الطائرة (انظر الرمي ، فقرة الرمي الجوي) كما أنه لا يستخدم أي جهاز تسديد عند القصف بالقنابل (انظر القصف الجوي) .

(١) التسديد عن بعد

نظام التسديد عن بعد Telepointage ، هو نظام يسمح بتوجيه مدافع مركب حربي والتسديد على الاهداف من موقع مركزي للرمي موجود على المركب نفسه .

استخدم هذا النظام على المراكب الحربية حتى الحرب العالمية الثانية ، وكانت الغاية منه تسديد مدافع المركب بشكل مركزي ، وبناء على معطيات دقيقة متوفرة لدى الضابط المسؤول عن ادارة النيران ، بشكل يسهل عمل سدنة المدفع ، ويوفر عليهم مهمة الرصد واختيار الاهداف وتقدير المسافات واحكام الرمي ، ويلقي كل هذه المهمات على عاتق الضابط المسؤول عن ادارة النيران ، والذي يعمل من موقع مجهز بأجهزة دقيقة للرصد وتقدير المسافات وحساب عناصر الرمي بدقة .

والنظام عبارة عن جهازي ارسال موجودين في الموقع المركزي للرمي وجهازي استقبال موضوعين عند كل مدفع : أحدهما لتحديد زاوية الارتفاع والآخر لتحديد زاوية الاتجاه . ويحمل كل جهاز استقبال ابرتين احداهما مقادة من قبل الموقع المركزي للرمي ، والأخرى تدل على عناصر الرمي كما هي موجودة على المدفع . ولم يكن على المسدد العامل على المدفع سوى تنفيذ الامر المنقول بالابرة الاولى وتبديل وضعية المدفع في الاتجاه والارتفاع حتى تتطابق الابرتان المتعلقتان بالمدفع مع الابرتين المقادتين من الموقع المركزي .

وعندما ظهر نظام التوجيه عن بعد Telecommande ، واصبح من الممكن قيادة المدفع مباشرة من الموقع المركزي ، وتبديل زوايا الرمي بالمدى والاتجاه من هذا الموقع ، اختفى نظام التسديد عن بعد ، وحل محله النظام الجديد .

(١٠) التسلل

تقنية خاصة في الحركة تستعمل مع باقي اشكال المناورة ، اذ تتحرك القوة المهاجمة افرادياً ، أو بمجموعات صغيرة ، فوق ، أو حول عناصر المدافعة الامامية للعدو ، بقصد الوصول الى بقعة تجمع ، مختارة ومعينة ، في خطوطه الخلفية .

وتجهد المجموعات أو العناصر المتسللة ، خلال حركتها ، في تفادي إثارة انتباه العدو او الاشتباك معه بحيث تستطيع ، بعد وصولها الى بقعة تجمعها ، والتقاء مختلف المجموعات والعناصر المتسللة ، أن تشكل قوة كبيرة ، قادرة على تنفيذ المهمة التي أوكلت اليها .

وبالاضافة الى المسالك البرية ، فان من الممكن ان يتم التسلل عن طريق النقل الجوي ، كالاسقاط بالمظلات ، أو كالنقل بالطوافات ، كما ويمكن تنفيذه بحراً ، مع استخدام الضفادع البشرية أو جنود المشاة البحرية الذين يتم إنزالهم على الشاطئ من صنادل الانزال ، إلا أنه يفترض في هاتين الوسيلتين الاخيرتين من التسلل ، أن تكون بقعة التجمع على مسافة بعيدة نسبياً ، للتمكن من تغطية عمليات الاسقاط أو الانزال .

يمكن أن يحصل التسلل في أي شكل من أشكال المناورة ، في الدفاع كما في الهجوم ، أمام جبهة ثابتة ، أم أمام جبهة متحركة . وهو يجد أوسع استخدام له في حرب العصابات ، وعمليات المقاومة في الاراضي التي يحتلها العدو ، والعمليات الخاصة التي يقوم بها المغاوير (الكوماندوس) في الحرب التقليدية ،حتى ان التسلل يصبح أو يكاد ، التقنية الخاصة لقتال هذه الوحدات .

يختلف حجم المفرزة المتسللة بالنسبة الى وضع العدو ، ووضع البيئة (الارض والعوامل المناخية) ، والمهمة الملقاة على عاتقها . فهو يصل احياناً حتى بضع مئات من العناصر ، ويتقلص احياناً حتى اربعة الى خمسة رجال ، وقد ينفذ افرادياً في الحالات غير الملائمة . وهناك حالات يتم فيها التسلل بقوات كبيرة نسبياً كتائب وألوية مع دباباتها وآلياتها ومدافعها وشؤونها الادارية ، عبر ثغرات موجودة

أصلا في دفاع العدو (عندما يكون دفاع العدو على جبهة عريضة أو يكون دفاعاً معداً على عجل أو يكون المدافع قد ركّز في خطه الدفاعي ثغرة لاعتقاده بعدم صلاحية الارض للتسلل) ، أو عبر ثغرات فتحها القصف الذري التكتيكي في هذا الدفاع . وتمارس هذه القوات عندئذ قتالا هو أشبه بحرب العصابات المدرعة التي برع فيها فون مانتوفل على الجبهة الشرقية خلال الحرب العالمية الثانية ، أو يكون قتالا عادياً ضد مجنبات الخصم ومؤخراته كما فعل الاسرائيليون في بعض معارك حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . والشرط الأول للقيام بمثل هذا التسلل الكبـــير ، ضعف استطلاع الخصم ، أو سيطرة المتسللين على الجو ، أو الافادة من الاحوال الجوية السيئة أو طبيعة الأرض الملائمة .

ولقد تزايدت أهمية التسلل في الحروب الحديثة ، حيث الخطر الذري يجثم على مسرح العمليات ، خاصة وأن التسلل يؤمن تفادي تعريض القوى لأخطار القصف الذري ، في حال قيام هذه القوى بحركة جماعية نحو العدو ، كما ان الانتشار الذي فرضه ذلك الخطر ، زاد في امكانات التسلل نفسه .

ينفذ التسلل ، عموماً ، عندما تكون الرؤية سيئة (ضباب ، ليل) ويعتبر التستّر بالظلام من أهم الوسائل السلبية في التخفي ، وتكون العناصر التي تعطى مهمات التسلل ، قد تلقت تدريباً خاصاً قوامه الجرأة ، وسرعة المبادرة ، وحس الارض ، واتقان أساليب الاخفاء والتمويه .

يسبق عمليات التسلل دراسة دقيقة للارض تبين المسالك بوضوح وبقعة التجمع ، ويجتهد في توفير معلومات واسعة عن العدو ، وأماكن تمركزه ، وحجمه ، ونوع أسلحته . وتستخدم الوحدات الصغرى عند التسلل أسلحة فردية عموماً ، بالقدر الذي يسمح لها بالتخفي عن أنظار العدو ، كما تستعمل تجهيزات وأعتدة خاصة لتسهيل حركتها ، وتأمين تدخلها الفوري .

ولا يقتصر التسلل على القوات البرية أو المحمولة جواً وبحراً ، ولكنه يشمل أيضاً التسلل الجوي عبر الاجواء غـــير المحمية وغير المتوقعة (حرب ١٩٦٧) ، أو عبر الممرات الجوية الناجمة عن تدمير قوات الدفاع ضد الطائرات في منطقة ما (ثغرة الدفرسوار في حرب ١٩٧٣) .

وللعناصر المتسللة برية كانت أم جوية دور هام ، معنوي على الأخص ، في مساعدة العمليات العسكرية التقليدية ، أو في التمهيد لها ، خصوصاً اذا ما وجهت نحو مراكز قيادة العدو ، أو منشآته الهامة ، أو خطوط تموينه .

وترتدي عمليات مقاومة التسلل الأهمية القصوى ، والأفضلية المطلقة ، وهي ترتكز على تقصي دائم للمعلومات ، وعلى اطلاق دوريات ، واقامة حواجز ضد الاشخاص ، واستخدام وسائل انذار ، ووسائل مراقبة الكترونية ، بالاضافة الى مراقبة جوية عندما تسمح الظروف بذلك ، مع الاهتمام باعداد الرمي المعلم والمعد مسبقاً على هذه المسالك ونصب الحواجز العادية والالكترونية فيها . ويتم التركيز ومراقبة المسالك المحتملة للتسلل ، خصوصاً المسالك في الغابات والاحراج والجبال . مع الاهتمام باعداد الرمي المعلم والمعد مسبقاً على هذه المسالك ونصب الحواجز العادية والالكترونية فيها . ويتم التركيز عند رصد المتسللين على محاولة معرفة بقعة تجمعهم تمهيداً لضربهم وتدميرهم ، قبل أن يتجمعوا ، فيستفحل أمرهم ، أو يصلون الى أهدافهم .

(١) تسليح

تشكل دراسة عمل الاسلحة هدف علم **التسليح** الذي ينطبق بصورة خاصة على الأسلحة النارية . ويشمل هذا العلم البحث عن المعطيات الخاصة باعداد السلاح للرمي (الذخائر المستخدمة ، وأساليب الرمي الممكنة ، واساليب التسديد نحو الهدف) كما يشمل تحليل المراحل المتعاقبة التي ينبغي على صانع السلاح القيام بها حتى يستطيع اعداد السلاح القادر على تنفيذ المهمة المطلوبة منه . ولقد أدى هذا العلم إلى إدخال تعديلات كبيرة على الاسلحة ، وكان سبب تطور الاسلحة في القرن ١٩ ، كاستخدام تلقيم المدفع من الخلف بدلا من تلقيمه من الفوهة ، واستخدام رصاصة البندقية وقنبلة المدفع بدلا من دك البارود أولا ووضع المقذوف فوقه بعد ذلك ، واستخدام الطعم بـــدلا عن الفتيل أو الحجر القادح .. الخ .

وأدى تلقيم السلاح من الخلف إلى ضرورة إيجاد وسيلة للفتح والاغلاق ، من هنا ظهر المغلاق في المدفع والبندقية . كما أدى استخدام الرصاصة والقنبلة إلى ضرورة ايجاد وسيلة للفظ الظرف الفارغ بعد الاطلاق . وكان من الضروري بعد استخدام الطعم إيجاد وسيلة لقدح هذا الطعم ، تتألف من إبرة ونابض . وبعد التفكير باطلاق الرصاصة أو القذيفة جرى التفكير بالمخزن الذي يستوعب الذخائر ويدفعها إلى السلاح واحدة تلو الأخرى . ثم جرى البحث عن القوة التي تقوم بكل هذه العمليات ، فاستخدمت القوة اليدوية في البداية ، ثم استخدم الغاز الناجم عن انفجار البارود لتحريك قطع السلاح اللازمة للتلقيم والإغلاق والقدح واللفظ وظهرت الاسلحة الآلية .

تسليح

مجموع الأسلحة والمعدات القتالية والذخائر الموجودة في قطعة عسكرية ، أو على متن طائرة أو مركب حربي أو عربة من عربات القتال .

يؤمن التسليح عادة مصلحة التسليح المكلفة بصناعة الاسلحة والذخائر ومعدات القتال ، وتوزيعها ، وصيانتها ، واخلائها ، وأصلاحها ، وتخزينها . وكانت مصلحة التسليح في السابق مرتبطة بادارة المدفعية ، ثم انفصلت عنها في معظم الجيوش خلال الثلاثينات من هذا القرن . وتؤمن **مصلحة التسليح** دراسة الاسلحة ومعدات القتال وتصنيعها داخل المصانع الحربية ، أو بواسطة المصانع والمؤسسات المدنية الخاصة التي تتعاون معها ، وتقوم باجراء الدراسات أو بتصنيع السلاح لصالحها . وتضم مصلحة التسليح مهندسين عامين ، ومهندسين عسكريين ، ومهندسين صناعيين ، ومهندسي انتاج ... الخ،يعملون في المختبرات والورشات والمصانع والمستودعات . وكلما ازداد تقدم البلد وتطوره الصناعي اتسع حجم مصلحـــة التسليح وازدادت مهماتها عـــلى صعيد الاختراع والتطوير والتصنيع . أما في جيوش الدولة النامية ، فان عمل مصلحة التسليح يقتصر على حفظ الاسلحة والذخائر ، وتحسينها جزئياً ، وتوزيعها ، واخلائها ، وإصلاحها ، وتصنيع بعض النماذج البسيطة بعد شراء براءة الاختراع من الدول الصناعية المتقدمة ، الأمر الذي يجعل جيوش الدول النامية مرتبطة تسليحياً بالدولة أو الدول المتقدمة التي تزودها بالاسلحة والمعدات والذخائر . وتحاول بعض الدول النامية التخلص من هذا الارتباط عن طريق بناء صناعة تسليح خاصة ، وهي تنجح غالباً في تصنيع الذخائر والاسلحة البسيطة ، ولكن امكاناتها الصناعية والتقنية والمالية لا تسمح لها بتصنيع الاسلحة والذخائر المعقدة اللازمة للحرب الحديثة (انظر الصناعة الحربية) .

(٨) تسوشيما (معركة) ١٩٠٥

(انظر الحرب الروسية – اليابانية ١٩٠٥) .

(١٤) تشابك النيران

(انظر الرمي) .

(١١) تشانغ كاي – شيك

جنرال وسياسي صيني (١٨٨٧ – ١٩٧٥). ولد تشانغ كاي – شيك في تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٨٧، على شاطئ ضاحية شيك يانغ، من عائلة بورجوازية تنتمي الى طبقة التجار والملاك الزراعيين. وتلقى دروسه الابتدائية والثانوية في مدرسة الضاحية، وكان ذا رغبة قوية للالتحاق بالكلية الحربية. ورغم معارضة عائلته إلا أنه التحق بالكلية الحربية Paoting Military academy في شمالي الصين، ودرس بها عاماً واحداً (١٩٠٦)، انتقل بعده الى اليابان حيث تابع علومه العسكرية (١٩٠٧ – ١٩٠٩) ثم بالجيش الياباني (١٩٠٩ – ١٩١١). وقد كان شديد الاعجاب بروحية الجيش الياباني وانضباطيته وتقاليده، كما أنه تأثر خلال وجوده في طوكيو بالافكار التحررية التي يتمتع بها شباب طوكيو، والتي لعبت الدور الاساسي في تحويله الى ثائر وطني. وعند سماعه باندلاع الثورة في الصين (١٩١١) عاد الى الوطن، وساعد في القتال الذي أدى الى الاطاحة بنظام مانشوس، وتنصيب يوان – شيه – كاي Yuan-Shih-Kai حاكماً جديداً، ولكن هذا الحاكم الجديد استفرد بالحكم، وغلب مصالحه الشخصية على المصالح العامة، وحول مكتبه الى أداة لضرب الثوار والتنظيم اللذين أوصلاه الى السلطة، ولذلك حاول الثوار الاطاحة به مجدداً، ولكن محاولتهم باءت بالفشل. وهكذا اضطر تشانغ كاي – شيك الى الهرب من البلاد في العام ١٩١٣ عائداً الى اليابان، حيث بقي هناك حتى العام ١٩١٥.

وفي هذه الاثناء قام يوان Yuan بمحاولة لإعادة الملكية وتنصيب نفسه امبراطوراً، وقد عاد تشانغ ليساهم في الثورة الثالثة التي أدى نجاحها إلى الحفاظ على النظام الجمهوري. بعد ذلك مارس تشانغ الحياة السرية لمدة سنتين (١٩١٦ – ١٩١٧) إذ أقام في شنغهاي، وانضم الى الفرقة الخضراء، وهي جمعية سرية تتعاطى الامور المالية، وفي العام ١٩١٨ عاد الى الحياة الطبيعية، حيث انضم الى صن يات صن Sun Yat - Sen قائد الحزب الوطني «الكومنتانغ» Koumintang وبدأ تشانغ بذلك حياة جديدة، وبدأ اسمه يبرز كواحد من اكثر المقربين الى صن يات صن الذي كان هدفه الاساسي إعادة توحيد الصين وتخليصها من الفساد الذي أورثه إياها حكم يوان Yuan، وتصفية المجموعات المسلحة المدعومة من كبار الملاكين



الجنرال تشانغ كاي – شيك

التحق تشانغ بقوات صن يات سن في الجنوب برتبة لواء، وحاول بناء جيش موال للثورة بمساعدة السوفيات، وزار الاتحاد السوفياتي (١٩٢٣) ثم عاد لاستلام إدارة المدرسة العسكرية في وهام بوا قرب كانتون بناء على نصيحة بورودين رئيس البعثة العسكرية السوفياتية في الصين. ولقد قرأ تشانغ كتابات ماركس ولينين وتاثر بها رغم معارضته لها.

بعد موت صن يات صن عام ١٩٢٥، كان تشانغ خليفته الاقوى، وفي هذه الاثناء بدأ النزاع يشتد بينه وبين الشيوعيين، ولكنه استطاع منع قيام انقلاب شيوعي ضده دون أن يخسر مساعدة السوفيات الذين استمروا في دعمه ومساعدته حتى العام ١٩٢٧ عندما قام بنفسه بحركة دموية ضد الشيوعيين هادفاً الى إبادتهم. وجهز حملة كبيرة وقضى على المناوئين من كبار الملاك وانتهت حملته في العام ١٩٢٨ بدخول بكين العاصمة.

أقام تشانغ كرئيس للحكومة بعد ذلك في نانكينغ في جنوب الصين، وفي العام نفسه (١٩٢٨) اعتنق تشانغ الديانة المسيحية على يد أفراد عائلة سونغ Soong الذين اصبحوا انسباءه بزواجه من ابنتهم الصغرى ماي – لينغ Mai - Ling . بيد أن اعتناقه للديانة الجديدة لم يؤثر على معتقداته واسلوب تفكيره التي اكتسبها من مطالعاته للماركسية – اللينينية، وخبرته المكتسبة من اليابان، ولقد بقي تشانغ ملتزماً بالاصلاح الاجتماعي نظرياً. ولكنه لم يستطع تنفيذ نظرياته نظراً لضعف سيطرته على البلاد

إذ أن زعماء المجموعات العسكرية كانوا ينافسونه في العديد من المواقع، كذلك كان الحال بالنسبة الى الشيوعيين الذين ألفوا حكومتهم الخاصة وجيشهم في الاماكن التي كان لهم فيها قاعدة قوية، بعد أن فشل تشانغ في القضاء عليهم مع أنه أعلن عليهم حرباً بلا هوادة، مفضلا تدميرهم قبل مجابهة الاخطار الداخلية والخارجية العديدة الاخرى.

وفي العام ١٩٣١ قامت اليابان باحتلال منشوريا وأصبحت تشكل بذلك خطراً حقيقياً على الصين. ورغم ذلك، فقد قرر تشانغ عدم مقاومة اليابانيين حتى يسحق الشيوعيين. وقد عارضت حكومته هذا القرار خاصة وأن الشيوعيين كانوا اقوياء لدرجة أنهم بدأوا يهددون نظام حكم تشانغ.

واعتقاداً منه بامكانية التغلب على أفكار الحزب الشيوعي الصيني، نظم تشانغ حركة الحياة الجديدة (١٩٣٤) لبعث تعاليم كونفوشيوس، وحث على اتباع نظام الصحة المعمول به في بلاد اوروبا واميركا، وأوصى باتباع النظام الياباني فيما يتعلق بالقوة والتنظيم والانضباط.

وفي العام ١٩٣٧ اندلعت الحرب مع اليابان، (١٩٣٧ – ١٩٤٥) وحاربت الصين وحدها ضد اليابان لمدة اربع سنوات، تلى بعدها تشانغ نصائح من اصدقائه في الولايات المتحدة أن يقيم صلحاً منفرداً مع اليابان، ولكنه رفض ذلك، وكان نتيجة رفضه أن بقيت الصين في الحرب حتى النهاية، وأصبحت، بعد ثماني سنوات من الصراع ضد اليابانيين، مع المنتصرين كإحدى الدول الخمس الكبرى، وقد أصبح من أبرز الزعماء إبان الحرب العالمية الثانية، وحضر مع زوجته ماي لينغ سونغ مؤتمر القاهرة (١٩٤٣) مجتمعاً مع روزفلت وتشرشل.

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية عاود تشانغ الصراع مع الشيوعيين. وبدأت بذلك الحرب الاهلية في الصين، (١٩٤٦ – ١٩٤٩). (انظر الثورة الصينية) وفي العام ١٩٤٩ خسر تشانغ البر الصيني بأكمله، ونقل حكومته (الصين الوطنية) الى جزيرة فورموزا (تايوان)، وانتقل معه مليون شخص من انصاره. وعلى أمل أن يعود الى البر الصيني اكمل محاربة الشيوعيين في مضائق فورموزا، واعلن عن استعداده لإرسال قوات الى كوريا لمحاربة جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية خلال حرب التحرير الوطنية الكورية، كما أعلن خلال هذه الحرب عن استعداده لغزو البر الصيني لإشغال الصين الشعبية ومنعها من مساعدة الكوريين، ولكن الاميركيين

رفضوا ذلك حتى لا يصعدوا الحرب ويستجروا الاتحاد السوفياتي الى القتال . وبقي مناوئاً للصين الشعبية حتى وفاته في ٥/٤/١٩٧٥ .

ولقد تلقى تشانغ كاي – شيك اول ضربة قوية من حلفائه الاميركيين عندما وافقوا في ١٩٧١/١/٢٦ على دخول الصين الى الامم المتحدة ، واحتلال منصب الصين الوطنية في مجلس الامن . ثم جاءت الضربة الثانية عندما زار الرئيس ريتشارد نيكسون بكين في شباط (فبراير) ١٩٧٢ ، وتوقفت على أثرها المساعدات الاميركية الضخمة التي كانت تصل الى الصين الوطنية . وفي أيار (مايو) ١٩٧٢ سلم تشانغ كاي – شيك سلطاته الى ابنه الجنرال تشانغ تشين كو البالغ من العمر ٦٥ عاماً .

إن أهم أسباب خسارة تشانغ كاي – شيك كان الانحطاط في صفوف الحكومة ، وعدم قدرته على تكييف نفسه مع الاوضاع المختلفة . ولقد كان تشانغ قاسياً ، وقليل التأثر بالشعبية ، وقصير النفس ، وكان يؤمن بالعلاقات الشخصية أكثر من ايمانه بالعلاقات المنظمة والتنظيمية . ولقد بنى سلطته على النظام الشللي في المؤسسة العسكرية ، دون النظر الى الخبرات والكفاءات العسكرية .

ومع تعداد كافة الاشياء التي سقط فيها تشانغ يجب أن لا ننسى أهميته التاريخية المستمدة من المتناقضات التي كون نفسه منها . فهو عسكري وسياسي ، ثائر ورجعي ، مسيحي ومتبع لتقاليد كونفوشيوس ، ضد الشيوعية ومؤمن بتعاليم لينين وماركس . ويمكن القول أن تشانغ كاي – شيك كان يمثل الفوضى وعدم الاستقرار التي اتسمت بها الفترة الانتقالية في التاريخ الصيني الحديث .

(٥) تشايكا (طائرة)

(انظر بيريف م – ١٢) .

(٨) التشتيت

أعمال قتالية هدفها تحويل انظار الخصم عن اتجاه الجهد الرئيسي للعمليات . أو حمله على تخفيف الضغط من جبهة الى جبهة أخرى ، وليست المواقع الخداعية والمناورات الكاذبة والعمل على محاور ثانوية سوى ظواهر مختلفة للاعمال الهادفة لتضليل العدو وخداعه عن اتجاه الجهد الرئيسي للعمليات في الهجوم والمواقع الدفاعية القوية في مجموع تنظيم الدفاع .

وقد يكون من اهداف التشتيت استنزاف قوات العدو المتفوقة بصورة بطيئة، واعداد الظروف المناسبة لتحويل المواقف لصالح القوة التي تمارس اعمال التشتيت .

ولقد عرفت القوات والقيادات التشتيت (كنوع من الاعمال القتالية الخداعية) ومارسته في صراعها منذ القديم ، وكان القصور في أعمال الاستطلاع وعدم توفر الوسائط المتطورة والقدرة على تحقيق المباغتة ، عندما تتوفر قيادات جيدة وقوات على درجة عالية من التدريب ، من العوامل التي تساعد كثيراً على ممارسة عمليات التشتيت، الأمر الذي ساعد بدوره على تطوير مفهوم التشتيت تنظيماً وتنفيذاً، بحيث أمكن تصنيف أعماله في إطارين مستقلين : اولهما المناورات والاعمال القتالية على مسرح عمليات أو جبهة جديدة لتخفيف الضغط أو جذب قوات العدو وحملها على العمل في جبهة أخرى (انظر التقرب غير المباشر) . وثانيهما هو الأعمال الخداعية التي تتم ممارستها لتضليل قوات العدو وقياداته عن الاهداف والواجبات التي يتم التخطيط لتنفيذها . (انظر الخداع) .

ولقد مارست القوات المتصارعة في الحربين العالميتين الأولى والثانية الكثير من اعمال التشتيت سواء على مسارح القتال المتصلة في أوروبا أو تلك الميادين المستقلة عنها . ولم يكن إنزال قوات الحلفاء في غاليبولي ، تلبية لنداء القيادة القيصرية لتخفيف الضغط على الجبهة الروسية ، سوى ظاهرة من ظواهر (الحروب التشتيتية) الهادفة لاستنزاف قوة تركيا ، وحمل القيادة الألمانية على دفع قواتها الى هذا المسرح الثانوي (انظر معركة غاليبولي) ، كما أن عمليات القوات البريطانية في العراق ، وهجوم القوات التركية في سيناء للسيطرة على قناة السويس ، هي بدورها شكل آخر من أشكال العمليات التشتيتية .

وعند الانتقال الى معارك الحرب العالمية الثانية نجد اعتماد القيادات على الأعمال التشتيتية المختلفة لخداع قيادات الخصم بحيث يمكن القول بأنه لم تتم معركة حاسمة من معارك الحرب العالمية الثانية إلا وسبقها او رافقها نوع من الاعمال التشتيتية . ففي غزو أوروبا الغربية ، نجحت القيادة الألمانية في استخدام الاساليب المختلفة لخداع خصومها وتشتيتهم ، حتى جاء الهجوم على الاتحاد السوفييتي ذاته مباغتاً بصورة كاملة للقيادة السوفييتية بفضل تطوير أساليب الاعمال التشتيتية . ومقابل ذلك فقد طور الحلفاء ايضاً وسائلهم ومخططاتهم الخداعية ، ففي العلمين أقام مونتغومري مجموعة من المواقع الكاذبة واستطاع اعطاءها جميع ظواهر المواقع الحقيقية المدروسة بدقة ، حتى تم له تحقيق المباغتة وتشتيت قيادة رومل عن اتجاه المحور الرئيسي للهجوم .

ويعتبر التشتيت في العمليات البرمائية عاملا حاسماً في نجاح الاعمال القتالية، ولقد اعتمد الانزال في النورماندي ونجاح العمليات في أوروبا الى حد بعيد على مجموعة الاجراءات والاعمال التشتيتية التي أمكن بواسطتها تضليل القيادة الألمانية عن مكان العمليات وزمن تنفيذها .

ويعتمد النجاح في ممارسة العمليات التشتيتية الى حد بعيد على مجموعة من المعطيات والمبادئ – هي مبادئ الحرب ذاتها ، وليست تدابير الحيطة والمحافظة على السر والاعداد الدقيق للمخطط الخداعي والمهارة بتنفيذه بدقة سوى بعض المعطيات الاساسية التي يجب الالتزام بها لنجاح هذا النوع من العمليات . وقد تزايدت صعوبة ممارسة الاعمال التشتيتية في الحرب الحديثة للاسلحة المشتركة نظراً لتزايد القدرة على ممارسة الاستطلاع ، والتعقيد الكبير في الوسائط التقنية المتطورة ، وتوفر الامكانات للحصول على المعلومات بدقة ونقلها بسرعة كبرى الى القيادة لأخذ صورة متكاملة عن الموقف . كما ان تطور « الحرب الالكترونية »واستخدام وسائط الرصد الدقيقة قد ساعدا على كشف الاعمال الخداعية . وبذلك أصبحت ممارسة الاعمال التشتيتية على درجة من الصعوبة قد تزيد على صعوبات ممارسة الاعمال القتالية ذاتها ، واصبحت المخططات الخداعية واقامة المعسكرات ومناطق الحشد والمواقع الدفاعية الكاذبة تتطلب تحقيق شروط تجعلها أقرب ما يكون للمواقع والمناطق الحقيقية مما زاد تكاليف العمليات التشتيتية. ولكن امتداد مسارح العمليات والعمق الكبير في ميادين القتال ، وهما من مظاهر الحرب الحديثة للاسلحة المشتركة ، وعدم توفر الامكانات التي تستطيع تلبية متطلبات القتال في جميع المناطق القتالية بوقت واحد ، هي من الاسباب التي تحمل القيادات للتفكير بصورة دائمة لوضع المخططات التشتيتية ، على الرغم مما تتطلبه من جهد وامكانات كبيرة .

وتكتسب العمليات التشتيتية أهمية خاصة في اطار الحروب الثورية ، إذ ان التفوق الكبير لقوات الخصم ، وضعف امكانات القوات الثورية بصورة عامة – لا سيما في المراحل الاولى للثورة – هما من العوامل التي لا يمكن معالجتها إلا بالاعمال التشتيتية . وتلجأ القيادة الثورية الى استخدام الوسائل المختلفة في ممارستها للاعمال التشتيتية مثل نشر الشائعات ، وتحقيق ضربات مباغتة في أماكن غير متوقعة ، وتوجيه مجموعة من العمليات المتواقتة والمرتبطة

بمخطط واحد ، مما يجعل الخصم عاجزاً عن تحديد منطقة الجهد الرئيسي للاعمال الثورية . وتعتمد القوات الثورية في نجاح العمليات التشتيتية على ما يتوفر لديها من روح معنوية عالية ، ورصيد كبير في دعم الجماهير لها ، والمرونة والسرعة في العمل ، وطبيعة الاعمال القتالية التي تمارسها ، وهي تعتبر هذه العمليات عاملا من عوامل تحول «ميزان القوى» لصالحها .

ان اللجوء الى مختلف الاساليب المبتكرة ، والابتعاد عن الجمود ، وعدم اللجوء الى اساليب متشابهة أو أعمال مكررة ، هي من المبادئ التي يجب الالتزام بها في الاعمال التشتيتية لضمان أفضل شروط النجاح . ومن المؤكد أن التطور الكبير في وسائط النقل الجوي بطائرات الهليكوبتر ، وارتفاع مستوى مراكب الانزال البحري ، قد اكسبا الحروب التشتيتية مرونة كبرى ، واصبح بامكان القوات المقاتلة ممارسة اعمال التشتيت في كل وقت وفي كل مكان من مسرح الحرب .

(٤) تشرشل (دبابة)

دبابة بريطانية من دبابات الحرب العالمية الثانية ، تعتبر آخر مجموعة دبابات المشاة البريطانية. كانت تزن ٣٩ طناً ومسلحة بمدفع عيار ٧٥ مم (٦ رطل) ثم أعيد تجهيزها عام ١٩٤٤ قبيل غزو نورماندي بمدفع عيار ٧٥ مم وبعضها جهز بهاوتزر عيار ٩٥ مم للدعم القريب (ضد التحصينات) وكان المدفع عيار ٧٥ مم تستطيع قذيفته اختراق درع سمكه ٧٠ مم من مسافة ٤٥٠ متراً . وتبلغ أقصى سرعة لها ٢٤ كلم/ساعة ، وأقصى سمك لدروعها ٨٨ مم . ويتألف طاقمها من ٥ افراد . وقد استخدمت لاول مرة في اغارة الكوماندوس على ميناء « دييب » الفرنسي عام ١٩٤٢ ، في تونس عام ١٩٤٢ . وكانت بطيئة الحركة وذات كفاءة قتالية ضعيفة ولذلك استخدمت بعد ذلك كقاذفة لهب (تقذف عامود لهب لمسافة ١٠٠ متر تقريباً داخل استحكامات العدو من خزان يسع ٤٠٠ غالون من الوقود) . وقد حصلت اسرائيل على عدد منها عام ١٩٤٨ من القوات البريطانية قبل انسحابها من فلسطين .

(٥) تشرشل (ونستون)

السير ونستـــون ليونـــارد سبنسر تشرشـــل Winston Leonard Spencer Churchill (١٨٧٤ – ١٩٦٥) . رجل دولة وزعيم سيـــاسي بريطاني محافظ . ولد في بلنهايم بالاس ، اوكسفورد شاير ، في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٤ . والده اللورد راندولف هنري سبنسر تشرشل ، وورث عن جده الاكبر جون تشرشل ، دوق مارلبورو ، حب الجندية في مطلع حيـــاته ، ودراسة المفاهيم الاستراتيجية في سنواته اللاحقة .

كان تشرشل رجلا ذا شخصية متعددة الاوجه ، فلقد لعب البولو في صغره ، وتعلم قيادة الطائرات ، وحصل على عضوية الاتحاد العمالي كعامل بناء، كما طور مهارته في فن رسم المناظر الطبيعية عندما تقدم في السن . إلا ان مواهبه وصلت الى قمتها في مجال نشاطه السياسي الطويل . فتمكنه من فن النقاش ، وقدرتـــه في الخطابة وضعاه في مصاف الشخصيات الكبرى في التاريخ البريطاني .

تلقى تشرشل العلم في « هارو » ، ثم انتقل الى اكاديمية ساندهرست العسكرية ، حيث تخرج ليلتحق بفوج الخيالة الخفيفة الرابع في العام ١٨٩٥ . وفي العام نفسه سافر الى كوبا كمراقب في الحملة الاسبانية ضد الثوار الوطنيين . وفي العام ١٨٩٦ انتقل الى الجيش الهندي ، وخدم خلال العـــام ١٨٩٧ ، كضابط في فوج مشاة البنجاب الـ ٣١ ، وشارك في عمليات « الملاكاند » و « التيره » عـــلى الحدود الشمالية الغربية . وقد عمل اثناء هذه الحملات كمراسل حربي لصحيفتي « الدايلي تلغراف » اللندنية ، و « البيونير » الصادرة في الله آباد . كما كانت هذه التجربة منبعاً لاول كتبه العديدة : « قصة قوة حملة الملاكاند » (١٨٩٨) الذي انتقد فيه قياداتـــها . وشهدت هذه الفترة محاولته الوحيدة لكتابة القصص الطويلة ، فكتب « سافرولا » التي نشرت على اجزاء في مجلة « ماكميلانز » ، وظهرت ككتاب في العام ١٩٠٠ .

بعد ذلك انضم تشرشل الى حملة السير هربرت كتشنر (اللورد كتشنر فيما بعد) المصرية لإعادة فرض السيطرة البريطانية على السودان ، وشارك مع خيالة الرماحين الـ ٢١ في آخر هجوم خيالة تقليدي في التاريخ ، وذلك في معركة أم درمان ١٨٩٨ . وقد كتب عن هذه الحملة في « المورننغ پوست » اللندنية ، وفي كتابه « حرب النهر » (١٨٩٩) .

وقد قرر تشرشل اثر انتهاء الحملة اعتزال العمل العسكري وخوض المجال السياسي ، فرشح نفسه كممثل للمحافظين عن « اولدهام » . وعندما سقط في الانتخابات سافر الى كيب تاون ليعمل مراسلا حربياً مرة اخرى « للمورننغ پوست » . وكان جنوبي افريقيا آنذاك مسرحاً لحرب البوير . ولم يمض اسبوعان من وصوله الى كيب تاون في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٩ حتى وقع اسيراً بيد لويس بوثا (الذي اصبح في وقت لاحق اول رئيس وزراء لاتحاد جنوبي افريقيا بمساعدة تشرشل نفسه) وذلك بعد ان شارك في الدفاع عن القطار المدرع الذي كان يستقله ضد كمين اعده البوير في الناتال . وحصل تشرشل على عفو خاص ، وخفضت عقوبة الاعدام التي واجهته لتجاوزه مهامه الصحفية ، وسجن في بريتوريا ، حيث تمكن من الهرب بعد شهر ووضع البوير آنذاك جائزة لمن يلقي القبض عليه حياً او ميتاً . واثر رحلة طويلة عبر افريقيا الشرقية البرتغالية ، وصل الى « دربان » في الناتال ، وجند كملازم في فوج خيالة جنوبي افريقيا الخفيفة . وشارك في القتال حتى استعادة بريتوريا ، وساهم هناك في اطلاق سراح زملائه في السجن . وقد سجل تشرشل مذكراته ومشاهداته خلال هذه الفترة في كتابيه : « من لندن الى ليدي سميث عبر بريتوريا » (١٩٠٠) ، و « مسيرة ايان هاملتون » (١٩٠٠) .

عاد تشرشل الى بريطانيا قبل نهاية العام ١٩٠٠ ، حيث رشح نفسه مرة اخرى للمقعد البرلماني عن اولدهام ، ونجح هذه المرة في الانتخابات . ولم يمض وقت طويل حتى ابتدأ بمهاجمة سياسة الحكومة المحافظة ، التي كان من المفروض ان يعمل تحت لوائها . فعارض زيادة حجم الجيش ، وحث على الليونة في التعامل مع البوير . وفي العام ١٩٠٣ عارض بشدة حملة « تشامبرلين الاصلاحية » والمتضمنة نوعاً من الحماية الاقتصادية . واستمر خلافه مع المحافظين خلال العام ١٩٠٤ ، فاستقال من الحزب في صيف تلك السنة لينضم الى الليبراليين .

وشغل تشرشل اول منصب وزاري عندما بلغ من العمر ٣١ سنة . وكان ذلك المنصب وكيل وزارة الدولة لشؤون المستعمرات في حكومة الليبراليين التي ترأسها السير هنري كامبل – بانرمان . وفي الانتخابات العامة اللاحقة ، اعيد انتخابه عن مقعد مانشستر الشمالية الغربية ، واصبح الناطق باسم حزبه في مجلس العموم . وقد اكتسب تشرشل إبان هذه الفترة شهرة كبيرة بمهارته في الدفاع عن سياسة التوفيق والحكم الذاتي لافريقيا الجنوبية . كما نشر في العام ١٩٠٦ كتاب « حياة اللورد راندولف تشرشل » الذي اظهر تقديره العالي لحياة ابيه السياسية ، وألحقه بكتاب « رحلتي الافريقية » (١٩٠٨) الذى ضمنه ملاحظاته ومشاهداته في رحلة عبر شرق افريقيا من مومباسا الى السودان مروراً بأوغندا .

وفي العام ١٩٠٨ ، شغل تشرشل منصب رئيس مجلس التجارة في الحكومة التي شكلها هربرت اسكيث. وبعد ان خذل في مانشستر الشمالية الغربية ، اعيد انتخابه في دندي . وخلال هذه الفترة ابدى اهتمامه بالتشريع الاجتماعي وساعد في خلق ضمان للعاطلين عن العمل ، كما ساند اجراءات لويد جورج والضرائب العالية التي فرضها . وفي العام ١٩١٠ اصبح وزيراً للداخلية ، فعمل على تحسين اوضاع السجناء ، واصدر عدداً من التشريعات القاضية بتخفيض ساعات العمل وتحديد حد ادنى للاجور ، والتي اعتبرت موجهة ضد عدد من الصناعات .

وفي تلك الفترة ، كان الخلاف محتدماً بين قيادات الجيش والبحرية حول الاستراتيجية الواجب اتباعها في حال نشوب الحرب ، وذلك بعد ان ظهرت طموحات القيصر الالماني غليوم الثاني . وبرزت الحاجة لوجود شخص قوي في وزارة البحرية ، فوقع الاختيار على تشرشل الذي باشر بالعمل على زيادة القوة البحرية البريطانية ، كما انشأ الخدمات الجوية لسلاح البحرية .

وفي تموز (يوليو) ١٩١٤ ، منع تشرشل بعثرة الاسطول بعد زيارة تفقدية قام بها الملك . وهكذا كانت البحرية معبأة تماماً عند بدء الاعمال القتالية بعد اسبوعين . وفي تشرين الاول (اكتوبر) من ذلك العام نظم ورافق الانزال البحري البريطاني في انتورب للدفاع عن المدينة بمواجهة التقدم الالماني .

واثر فشل حملة الدردنيل (١٩١٥) التي كان تشرشل من كبار المتحمسين لها ، دار صراع مكشوف بينه وبين قائد البحرية الملكية الادميرال اللورد جون اربوثنوت فيشر ، مما أدى الى أزمة وزارية . فشكل اسكيث حكومة ائتلافية ، وابعد تشرشل عن وزارة البحرية واسند اليه منصب مستشار دوقية لانكستر . إلا أن تشرشل استقال في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥ ، وعاد الى الجيش ليخدم كرائد في فوج الحرس رماة القنابل الثاني على الجبهة الغربية ، ومن ثم تسلم قيادة فوج الرماة الاسكوتلنديين الملكي السادس بعد ان منح رتبة مقدم . وفي خريف ١٩١٦ استعاد مقعده في مجلس العموم ، ليتبوأ منصب وزير الصناعة الحربية (وزير الذخائر) في حكومة لويد جورج في العام التالي . وخلال وجوده في هذه الوزارة ، امر بتصنيع الدبابة على نطاق واسع بعد ان كان من اوائل المتحمسين لها اثناء وجوده في وزارة البحرية .

وتسلم تشرشل وزارة الحربية والطيران في الحكومة الائتلافية في العام ١٩١٩ ، فاعاد تنظيم القوات المسلحة . وبعد فترة وجيزة تلقى العديد من الانتقادات لدعم الروس البيض ضد الثورة البلشفية في روسيا . واصبح في العام ١٩٢١ وزيراً للمستعمرات ، فشارك في المفاوضات التي نتج عنها الاعتراف بدولة ارلندا الحرة . كما سعى لعقد تسوية مع العرب في الشرق الاوسط بمساعدة لورانس .

خاض تشرشل الانتخابات العامة عن دائرة دندي ، بعد ان ساهم هوسه الحربي وموقفه من الأزمة اليونانية – التركية في انهيار حكومة لويد جورج ، فخذله الناخبون ليتقاعد مؤقتاً . وانصرف الى كتابة الحلقات الاولى من « الأزمة العالمية » ، وهو كتاب من خمسة اجزاء حول الحرب العالمية الاولى ، انتقد فيه بشدة الاستراتيجية المكلفة التي اتبعت على الجبهة الغربية .

وعندما عاد تشرشل الى الحلبة السياسية في العام ١٩٢٤ ، هاجم حزب العمال الذي كان قد اصبح حزب المعارضة الاقوى بدلا من الحزب الليبرالي . وبعد فشله في دائرة وستمنستر ، استعاد مقعده عن دائرة ابينغ كمرشح عن المحافظين بعد طلاق سياسي دام ما يقارب العشرين سنة ، وشغل منصب وزير الخزانة في حكومة ستانلي بالدوين ، فأعاد بريطانيا الى اعتماد قاعدة الذهب في اول موازنة ، الامر الذي عجل في اعلان الاضراب العام في ١٩٢٦ .

وقد أدى مجيء حزب العمال الى الحكم (١٩٢٩) الى ابعاد تشرشل عن المناصب الوزارية ، مع احتفاظه بمقعده في المجلس . فسافر الى الولايات المتحدة حيث القى سلسلة من المحاضرات في العام ١٩٣٠ . كما قام بعدة رحلات في اوروبا . وعاد الى الكتابة ، فنشر « مطلع حياتي » (١٩٣٠) ، و«الجبهة الشرقية» (١٩٣١)، و«افكار ومغامرات» (١٩٣٢)، و«مارلبورو ، حياته وعصره» (١٩٣٣ – ١٩٣٨) ، و « معاصرون عظماء » (١٩٣٧) ، و « السلاح والميثاق » (١٩٣٨) ، و « خطوة خطوة » (١٩٣٩) .

ومنذ العام ١٩٣٢ ، حذر تشرشل بلاده من القوة الالمانية المتزايدة ، لكن صوته لم يسمع في بريطانيا . ولكنه وقع في أكبر أخطائه السياسية عندما دعم فرانكو خلال الحرب الاهلية الاسبانية ، دون أن يعي أهمية انتصار فرانكو المدعوم من قبل المانيا وايطاليا .

وفي فترة (١٩٣٦ – ١٩٣٨) تابع تشرشل تحذير اوروبا من التسلح الالماني ، ونادى بتدعيم العسكرية البريطانية ، وهاجم اتفاقية ميونيخ (١٩٣٨) وطالب في العام ١٩٣٩ بعقد اتفاقية فورية مع السوفيات ، ولكن جهوده باءت بالفشل ، وتابع « تشامبرلين» سياسة المهادنة مع المانيا النازية .

واعلنت بريطانيا الحرب على المانيا في ٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٩ ، بعد ان كان هتلر قد ضم النمسا لالمانيا ، واتم تقسيم تشيكوسلوفاكيا ، واعلن الحرب على بولونيا . وكاستجابة لمطلب الرأي العام البريطاني ، عين تشامبرلين تشرشل وزيراً للبحرية . وعندما استعاد تشرشل المنصب الذي كان قد شغله عندما بدأت الحرب العالمية الاولى قبل ربع قرن ، ساهم في خلق الشعور بالثقة بين مواطنيه الى درجة انه لم يمض وقت طويل حتى تسلم القيادة العامة الادارية لعموم القوات البحرية والبرية والجوية البريطانية .

وفي ١٠ أيار (مايو) ١٩٤٠ ، وبينما كانت القوات الالمانية تتدفق نحو الاراضي المنخفضة ، تبوأ تشرشل منصب رئاسة الوزراء خلفاً لنفيل تشامبرلين ، كما تسلم حقيبة وزارة الدفاع . ووقف أمام مجلس العموم آنذاك ليلقي خطبته الشهيرة التي اكد فيها على ضرورة التضحية لاحراز النصر .

وتلخص سيرة حياة تشرشل خلال سنوات الحرب تاريخ بريطانيا إبان تلك الفترة . ففي العام ١٩٤٠ ، وبينما كان يحرض الشعب البريطاني لبذل المزيد من الجهود لافشال الغزو الخارجي ، اتخذ القرار الخطير بارسال الفرقة المدرعة الوحيدة المتبقية في انكلترا الى مصر لتأمين الطريق الى آسيا . وعندما اغرقت الغواصات الالمانية العديد من السفن البريطانية ،



ونستون تشرشل

تمكن من الحصول على ٥٠ مدمرة اميركية بعد ان وعد روزفلت بتأجير الاسطول الاميركي قواعد بحرية في جزر الهند الغربية. وعندما تصاعد الضغط من اجل فتح جبهة غربية ثانية في العام ١٩٤٢، اقنع السوفيات ان قراراً كهذا قد يقود الى كارثة اذا لم يتخذ في الوقت المناسب. ولم يعط احد مثل تشرشل دعماً واهتماماً وحماسة لمخططات الحلفاء للانزال في شمالي افريقيا عام ١٩٤٢، وفي النورماندي بعد ١٨ شهراً.

وكان تشرشل أميناً ومخلصاً لحلفاء بريطانيا. فعندما هزمت فرنسا، وقبلت توقيع الهدنة مع المانيا، ناشدها تشرشل ان تصمد، واقترح دمج الدولتين. ولم يفقد امله بفرنسا حتى في احلك ساعاتها. وقد تمثل هذا الايمان بالدعم المتواصل الذي قدمه تشرشل للجنرال شارل ديغول.

وعندما غزت المانيا الاتحاد السوفياتي (١٩٤١)، تخلى تشرشل عن مشاعره وعدائه للنظام السوفياتي. وقد قال في هذا الصدد: «اي رجل او دولة يقاتلُ ضد النازية سينال دعمنا، واي رجل او دولة يمشي في ركاب هتلر فهو عدونا». وسافر تشرشل الى موسكو مرتين لمقابلة الماريشال ستالين؛ واجتمع بستالين وروزفلت في طهران وفي يالطا. كما كان تشرشل وراء اقرار معاهدة صداقة بين بريطانيا والاتحاد السوفياتي لعشرين سنة في العام ١٩٤٢.

وكان تشرشل على علاقة صداقة وثيقة بالرئيس الاميركي روزفلت منذ لقائهما بالقرب من شاطئ نيوفاوندلاند في آب (اغسطس) ١٩٤١، لوضع مسودة ميثاق الاطلنطي. والتقى به مرة اخرى في واشنطن في كانون الاول (ديسمبر) من العام نفسه، لينشئا جهاز اركان مشترك للادارة المشتركة للحرب. وزار تشرشل الولايات المتحدة في حزيران (يونيو) التالي، وفي العامين ١٩٤٣ و ١٩٤٤، اثر مؤتمرات عقدت في كويبك (كندا). وكان قد قابل الرئيس روزفلت في شمالي افريقيا في نهاية ١٩٤٢. وبعد سنة اجتمع الرئيسان في القاهرة بكل من تشانغ كاي - شك والرئيس التركي عصمت اينونو.

وعلى الرغم من ان تشرشل قد قطع اكثر من ١٥٠ ألف ميل لزيارة الجهات المختلفة، وللاجتماع بحلفائه، وبرؤساء الدول المحايدة، فإنه لم يفقد الصلة مع مشاكل بريطانيا الداخلية. فقد شارك في توجيه التخطيط لما بعد الحرب. كما تقدم، في آذار (مارس) ١٩٤٣، بخطة اربع سنوات لإعادة التعمير بعد انتهاء الحرب. وشارك في السنة التالية في اعداد العديد من المشاريع للاصلاح الداخلي، كخطة مكثفة للضمان الاجتماعي، ومجانية الخدمات الصحية.

كما ابدى تشرشل خلال سنوات الحرب حرصاً شديداً على مصالح الامبراطورية البريطانية. فعندما تقدم الاميركيون بعدد من المقترحات حول مستقبل الدول المستعمرة (١٩٤٢)، اكد تشرشل انه لم يصبح «رئيس وزراء الملك للاشراف على تصفية الامبراطورية البريطانية».

لقد قاد تشرشل بلاده خلال ما يقارب الست سنوات من الحرب ضد المانيا، ومع ذلك فقد خذله الناخبون قبل إرساء أسس السلام، ففاز العمال بانتصار ساحق في انتخابات تموز (يوليو) ١٩٤٥. وعلى الرغم من احتفاظه بمقعده في مجلس العموم، فإنه تخلى عن رئاسة الوزراء لكليمنت ريتشارد اتلي.

واصبح تشرشل بعد ذلك زعيم المعارضة، وعاد الى الكتابة. فسجل مذكراته عن الحرب في «الحرب العالمية الثانية» في ستة اجزاء (١٩٤٨ - ١٩٥٣). وفي انتخابات تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥١ قاد المحافظين الى انتصار باكثرية ضئيلة، وعاد ليتسلم منصب رئاسة الوزراء. فاجتمع بترومان في واشنطن، وعاد للاجتماع بايزنهاور في جامايكا بعد سنة في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٢. وفي العام ١٩٥٣ حاز على وسام ربطة الساق، وتقلده عندما شهد حفل تتويج الملكة اليزابيت الثانية في نيسان (ابريل) ١٩٥٣. وفي ٥ نيسان (ابريل) ١٩٥٥ استقال من رئاسة الحكومة. كما نجح في الانتخابات العامة في ذلك العام عن دائرة وودفورد.

وقد ابدى تشرشل في سنواته الاخيرة اهتمامات متعددة. فشارك بخمسة لوحات في معرض الاكاديمية الملكية في ايار (مايو) (١٩٥٣)، وحاز على اعجاب النقاد. وأنشأ في الشهر الثاني مؤسسة للتبادل الثقافي بين الدانمارك وبريطانيا. كما منح في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٣ جائزة نوبل للآداب. وفي عام ١٩٦٣ منح تشرشل لقب مواطن شرف في الولايات المتحدة. واعيد انتخابه في العام التالي عن دائرة وودفورد

توفي تشرشل في ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥، ولقد تضاربت الآراء حول تقييم شخصيته. ومما لا شك فيه انه كان من المحافظين المتشددين والمتمسكين بمصالح بريطانيا الاستعمارية والمعادين لحركات التحرر الوطني في العالم. كما كانت له علاقات وثيقة بالحركة الصهيونية. ويروي ليدل هارت في مذكراته كيف التقى تشرتشل في فترة ما قبل الحرب بوينغيت الذي قدم مساعدة جليلة للصهيونية، وكيف تدارس معه كيفية مواجهة حرب العصابات العربية في فلسطين.

ولقد برز التناقض في تقييم تشرشل في الآراء المتضاربة حول مقدرته ومساهماته العسكرية. فإن عدداً من المنظرين العسكريين، ومن ضمنهم ليدل هارت، يؤكدون انه المسؤول عن سقوط النرويج، ويذهبون الى حد قول انه اصبح رئيساً للوزراء بالغلط. بينما يعتبره عدد من المؤرخين من العناصر الهامة التي ساهمت في الصمود البريطاني وفي انتصار الحلفاء ضد النازية. ولعل افضل تقييم وضع عن تشرشل هو ما جاء على لسان اللورد بلفور: «لقد حمل تشرشل مدافع ثقيلة ولكن قليلة الحركة»

(٧) التشكيلة

التشكيلة Formation كلمة تستعمل لوصف ترتيب او تنظيم مجموعة من العسكريين، او القطع العسكرية في جيوش البر والبحر والجو، بشكل يأخذ بعين الاعتبار المهمة، وطبيعة الارض، وحجم القوات، وفكرة المناورة. ويضمن افضل استخدام ممكن للوسائط القتالية المتوفرة.

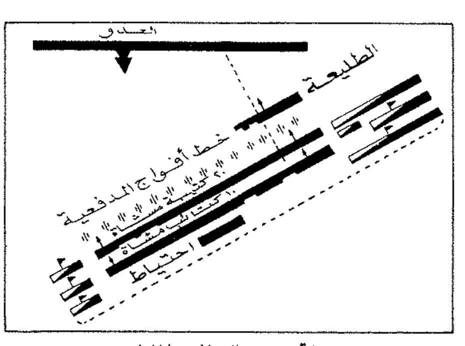
وقد اختلفت التشكيلة عبر العصور باختلاف التسليح والتكتيك. وتبنت الجيوش، في وقت من الاوقات تشكيلة قتالية تنتشر بالعرض بدون عمق يذكر، وذلك لوضع اكبر عدد ممكن من الجنود في مواجهة العدو. هذه التشكيلة اطلق عليها اسم «الترتيب الرقيق او الترتيب الخطي» Ordre mince، اذ كانت الجبهة تمتد احياناً الى ثلاثة كيلومترات تقريباً. وقد تبنى اليونان في عصورهم التقليدية الترتيب الرقيق، حيث كانت القطعة الاساسية في جيشهم، هي الكتيبة التي كانت تتالف من عدة صفوف متقاربة من المقاتلين، تصل الى ثمانية صفوف او اكثر في بعض الاحيان. وفي العام ٣٧١ ق.م لجأ ايبامينونداس قائد جيش الطيبيين الى «الترتيب الخطي المائل» Ordre oblique في معركة لوكترا Leuctres التي خاض غمارها ضد الاسبارطيين. ولقد أمن له هذا الترتيب حرية العمل، والتفوق في نقطة مهاجمة العدو.

وفي العام ٣٦٣ ق.م قام ايبامينونداس في معركة مانتينيه Mantinee بعملية منسقة من

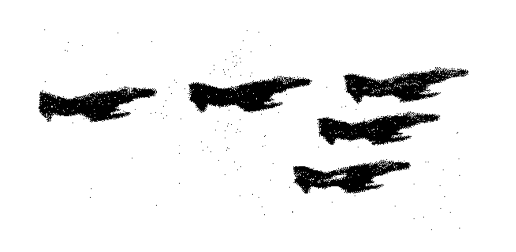
خيالة ومشاة ، اعتبرت هذه العملية تقدماً ملموساً في تكتيك ذلك العصر الذي يمكن تسميته بعصر الرمح L'Epoque de la pique ، وتجديداً في الفن الحربي . وبعد فترة من الزمن اعتمد هذا التكتيك ايضاً فيليب المقدوني الذي عمد الى تخفيف الكتيبة مقسماً اياها الى قسمين ، مع تأمين عنصر لحماية جوانبها . الا ان التشكيلة بقيت على حالها اي على خط واحد . ومع الاسكندر المقدوني ، حافظت اليونان على مبدأ الترتيب الخطي ، الا ان هذا القائد الكبير جزأ الكتيبة اليونانية المتماسكة الى عدة وحدات منفصلة بعضها عن بعض ، الامر الذي جعل الجيش اكثر مرونة ومقدرة على المناورة . في العام ٣٣١ ق. م ، وفي معركة اربيل Arbeles نشر هذا القائد الكبير قواته باتجاه الفرس ، ثم تقدم بها متخذاً اثناء سيره ، ترتيباً مائلاً ، مع مضاعفة الجناحين ، الأمر الذي سمح له باجراء مناورة رائعة على مجنبة العدو ومؤخرته . وبالرغم من هذا التجديد في تشكيلة القتال ، فان الترتيب العميق لم يكن قد عرف بعد .

وعندما جاء عهد السيف l'Epoque de l'Epée وقع تبدل ملحوظ في التشكيلة . وبعد ان كانت « الكتيبة » Phalange هي الوحدة التكتيكية في جيش اليونان ، اصبحت الوحدة التكتيكية ايام الرومان ، « الليجيون » Légion ، التي كانت تتألف من ثلاث كتائب ، وكل كتيبة تضم عشر وحدات Manipules ، وكل وحدة تضم اثني عشر رتلا ، يتألف الرتل الواحد من عشرة رجال . ولكن الكتيبة لم تلبث ان افل نجمها وحلت محلها « الكوهورتال » Cohortale ، وتضم ٦٠٠ رجل ينتظمون على عشرة صفوف ، كل صف يضم ٦٠ مقاتلا . اما الليجيون فقد اصبح يضم عشرة كوهورت (٦٠٠٠ رجل) ، ثم قسمت الكوهورت الواحدة الى ثلاث وحدات ، وكل وحدة تجزأ الى ثلاث Centuries ، وكل Centurie يضم ٧٥ رجلا على وجه التقريب .

انطلاقاً من هذا التنظيم الجديد ، اخذ الجيش ينتشر على خط الليجيونات ، وكل ليجيون ينتشر بحد ذاته على ثلاثة انساق . وهكذا بدأ الرومان باعتماد الترتيب الرقيق في بداية فتوحاتهم الى ان توصلوا ، نتيجة للخبرات الطويلة التي اكتسبوها خلال حروبهم المتواصلة ، الى الترتيب العميق ، الا انهم لم يكونوا بعد قد استوعبوا تماماً فوائد هذا الترتيب . واثناء معركة « كان » ، انتشر جيش الرومان المؤلف



الترتيب القتالي المائل



تشكيلة طائرات فانتوم

من ٧٣٠٠٠ راجل و ٧٢٠٠ فارس اي حوالي ١٥ ليجيونا ، على ثلاثة انساق ، وبشكل شطرنجي (En quinconce) بعد ان وضعت الخيالة على الجناحين ، وبمعدل الثلث على الميمنة والثلثين الآخرين على الميسرة . اما جيش هانيبال فقد كان عديده ٣٢٠٠٠ راجل و ١٠٠٠٠ فارس ، اي حوالي ٨ ليجيونات فقط ، اما التشكيلة التي اتخذها هذا الجيش فهي عميقة ايضاً بحيث انتشرت ليجيوناته الثمانية على ثلاثة انساق بعد ان عزز جناحيه بمجموعة من خيرة رجاله ، ونشر خمس خيالته على الميمنة والاربعة اخماس على الميسرة . وانتهت هذه المعركة بانتصار هانيبال انتصاراً ساحقاً بحيث اجمع مؤرخو الرومان بأن ثلاثة آلاف روماني فقط استطاعوا النجاة من هذه المجزرة ، في حين ان هانيبال الذي استخدم المناورة على جنبي ومؤخرة العدو ، لم يخسر سوى ستة آلاف رجل فقط . واستمر الرومان باعتماد الترتيب العميق الى ان سجلوا انتصاراً رائعاً على هانيبال نفسه في معركة "زاما" ، حيث رتب الرومان جيشهم على ثلاثة انساق قتالية كما فعل هانيبال ، الا انهم تجنبوا الزج بقوات النسقين الثاني والثالث بسرعة ، وتمكنوا من دفع احتياطهم هذا في نفس الوقت الذي بدأت فيه خيالة الجناحين بالانكفاء والمناورة الى جنبي العدو ومؤخرته حتى تمكنت من الاجهاز عليه .

ولكن هذا التطور في الترتيب ، وبالتالي في الفن الحربي لم يستمر ، فقد عاد الرومان ، في عهود تقهقرهم ، الى اعتماد الترتيب الرقيق بشكل عام . اما في عهد الخيالة او الفرسان فقد تطور ترتيب القتال عندما تبنى الجرمان ترتيب الـ Coin وهو تشكيل شبه منحرف ، ضلعه القصير يوازي جبهة الهجوم . ان هذا الترتيب من شأنه ان يؤدي الى فوز سريع او الى فشل سريع ، خاصة اذا قابل العدو هذا الترتيب بترتيب عميق يمكنه من الاطباق على جنبي الترتيب الجرماني من الداخل ، وذلك لان هذه التشكيلة لا تسمح لعناصر الوسط والمؤخرة من توجيه ضرباتها الى العدو ، او القيام بمناورات ، خاصة في الاراضي غير المكشوفة .

وفي هذا العهد كان ترتيب القتال عند العرب ترتيباً كلاسيكياً ، اذ ان الجيوش العربية كانت تتقدم بشكل عادي وعميق ، مجنبتان وطليعة وساقة . اما الجيش المغولي فكان يتقدم بترتيب عميق على ثلاثة ارتال . وكان الجناحان الايمن والايسر يسيران على مستوى واحد تقريباً ، بينما كان الوسط يسير متأخراً قليلا ، حتى اذا اشتبك رتلان متجاوران مع العدو ، كانت بقية الجيش تندفع لتطبق على جناح العدو . هذا الترتيب الذي اعتمده جنكيزخان في القتال سمح له بالقيام بمناورات عديدة كان يبدأها بتراجع عرضي ثم يقوم بعملية التفاف مزدوجة ليمين ويسار العدو تمهيداً للاطباق عليه .

وفي القرن الرابع عشر ، وعلى أثر ظهور الاسلحة النارية غير المحلزنة ، ظهرت تشكيلة جديدة هي تشكيلة المربعات ، واول من اعتمد هذا الترتيب هم السويسريون ، ثم تبعهم الاسبانيون الذين عمدوا الى تخفيف العديد من جهة ، والى وضع رماة البنادق في مربعات صغيرة على زوايا المربع الكبير وفي وسطه .

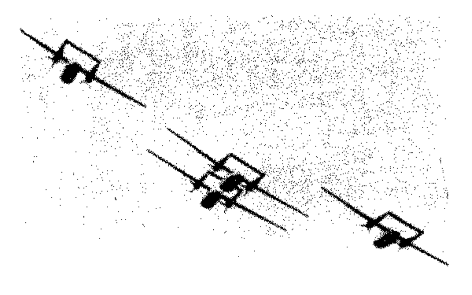
وسرعان ما مر زمن الترتيبات المحتشدة ، فلم يعد يعثر له على أثر الا في معركة Rocroi حيث سحق Condé المشاة الاسبانية سحقاً نهائياً . وفي اواخر القرن السادس عشر برز في ميدان القتال قائد هولندي شهير هو موريس ناسو ، الذي يعتبر باعث نهضة الفن الحربي عندما نادى بفكرة « القتال الهجومي » ، وبانشاء تمارين الاسلحة والنظام المرصوص . ولقد كانت الغاية من هذا النوع من التدريب تعليم الجند اتخاذ مسافات القتال في اقل وقت ممكن تمهيداً لاخذ ترتيبات متراصة جداً اثناء القتال ، او لاجراء حركات نظامية لتغيير جبهة القتال . كان هذا الترتيب يدعى Drillen . واتخذ موريس ناسو الكتيبة كوحدة

تكتيكية اساسية ، وكان قوامها ٥٠٠ مقاتل ، ٣٠٠ يحملون الرماح و ٢٠٠ يحملون البنادق . اما في القتال فقد اعتمد الكتيبة المزدوجة كوحدة اساسية في القتـال ، وبغية تأمين استمرارية فتح نيران البنادق ، وضع الكتيبة المزدوجة على عشرة انساق ، رماة الرماح في الوسط ، ورماة البنادق على جنبي الكتيبة ، وبذلك سمح لرماة البنادق بأخذ الوقت الكافي لاعادة تلقيم اسلحتهم والرمي بها مجدداً . اذ كان على الرامي ، بعد كل طلقة يطلقها ان ينسحب من الصف الامامي الى الصف العاشر .

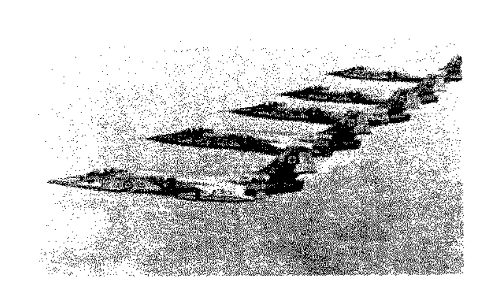
وفي السنين التي اعقبت موريس ناسو ، اصبح عدد رماة البنادق في العمق اقل من السابق ، وذلك بفضل تطور البندقية وقصر الوقت اللازم لاعادة تلقيمها . وكانت كل ثمانية كتائب تؤلف لواء واحداً يصطف بمجمله على ثلاثة انساق ، وبالكتائب المزدوجة ، الموضوعة داخل التشكيلة العامة للجيش بشكل شطرنجي (En quinconce) . اما المسافة بين هذه الخطوط فكانت تتراوح بين ١٠٠ و ٢٠٠ متر .

استمرت البندقية بالتطور في عهد الملك غوستاف أدولف الذي غير تشكيلات المعركة عندما رتب حملة الرماح والبنادق على ستة انساق بدلا من عشرة . وفي العام ١٦٩٧ توحدت اسلحة المشاة عندما حلت البندقية الصوانة المجهزة بحربة وطلقة محل البندقية ذات الفتيلة المشتعلة والرمح معاً . وبذلك اصبحت سرعة الرماية في هذه البندقية الجديدة ضعف سرعة الرماية في البندقية القديمة . ونتج عن ذلك تخفيض في عدد انساق الرماة ، بحيث اصبح عددهم ثلاثة بدلا من ستة . كما ان الرامي لم يعد مضطراً الى الانسحاب الى الصف الاخير بعد الرمي .

وعلى اثر اختراع البندقية عاد للترتيب الرقيق شيء من اهميته ، ذلك انه لا بد من اعداد كبيرة من الجنود المسلحين بالبنادق لتأمين قوة نارية كافية . ولكن هذا الترتيب لم يكن صامداً ، فقد عززت الفرق المسلحة بالبنادق بفرق اخرى تمركزت في العمق لتأمين الاستفادة من النيران التي تطلقهـا الانساق الاولى ، واستغلال مفعولها على العدو بتحقيق الصدمـة القوية بفرق المؤخرة . وهكذا اصبحت التشكيلة مركبة ، لان التقدم يبدأ تقدماً خطياً وافقياً لتأمين قوة نيران شديدة ، ثم تتشكل القوات المتقدمة بتجمعات عمودية عميقة للقيام بالهجوم ، كما حصل في معركة « بلنهايم » عندما عمـد القائد الانكليزي مارلبورو الى تصحيح خطأ الترتيب الخطي ، مستعيضاً عنه بالترتيب العميق في وسط



تشكيلة طائرات نورد أطلس



تشكيلة طائرات ميراج

جيشه ، ومستقدماً وحدات من الخيالة والمشاة الى الوسط ، ومحققاً بذلك قوة هائلة في الوسط ، وامكانية التفاف رائعة على قسم كبير من جيش العدو .

وبقيت هـذه التشكيلة معتمدة حتى الثورة الفرنسية التي احدثت تطوراً كبيراً في الفن العسكري ، وذلك باحداث تغييرات عميقة في التجنيد والاسلحة والترتيب والتنظيم والتكتيك والاستراتيجية . وظهرت في ذلك العهـد مدفعية Gribeauval التي أدت الى ثورة في التكتيك . ولقد أدى انتشار ترتيبات الاميركيين ، وانسجامها مع الارض ، خلال حرب الاستقلال ، الى انزال خسائر فادحة بالوحدات البريطانية التي كانت لا تزال تعتمد على التشكيلة الخطية . ويرى Duteil ، ان على المشاة ان تعتمد ، بغية الحصول على نتيجة قصوى من رماية المدفعية الجديدة ، التكتيك الهجومي ، والمرونـة والمناورة ، كما عليها ان توجه الى العدو صدمة عنيفة بعد ان يكون قد تزعزع نتيجة لرماية المدفعية ، ولا يمكن تأمين الصدمة العنيفة الا بجهاز هجومي عميق . ان هذا التسلسل المنطقي دفـع الى ترك الترتيب الخطي واعتماد الترتيب العمودي . في هذا العهد تجزأت الفرقة الى وحدات صغيرة وضعت على نسقين او على ثلاثة انساق من الكتائب المنفصلة بعضها عن البعض بمسافات وفواصل مـع جبهة محدودة وعمق كاف لرد الخطر عن الجوانب . وكانت الكتيبة تتخذ في القتال ترتيب القطار المزدوج ، اي رتلان متجاوران من اربع سرايا تسير الواحدة وراء الاخرى ، وكل سرية مرتبة على صفين ، وهكذا تكون الكتيبة مغطاة بأجمعها ، اذ كانت تسير في النسق الاول ، بسرية من قاذفي الرمانات والكشافة المنتشرين . ويصبح بامكان الكتيبة الواحدة السير نحو العدو لتقوم بالصدمة او لتقوم باتخاذ ترتيب الانتشار في المقدمة لاستعمال النار ، ويسمى هذا الترتيب (الكتيبة على خط السرايا) ، او لتتخذ ترتيب المربع لرد هجمات الخيالة . وفي هذه الحالة فان السريتين الثانية والثالثة بكل رتل تتحول باتجاه الخارج بينما تتراص السرايا الخلفية .

وعندما أصبح الجيش مجزأ الى فيالق Corps d'armée ، اصبح القائد الاعلى ينسق عمـل قادة الفيالق بعد ان كان ينسق عمل الفرق . وهكذا كان القادة يعتمدون الترتيبات العميقة لاستخدام الجهود المتتابعة Efforts Successifs . كما كانوا يحتفظون بوحدة او اكثر حتى نهاية المعركة .

وفي عهد الامبراطورية كان الجيش الفرنسي يوضع بصورة عامة على ثلاثة انساق من الفرق ، يتدخل النسق الاول في بادئ الامر ، فاذا استنفد جميع امكاناته ونشاطاته تدخل النسق الثاني . وعند تحديد نقطة المهاجمة ، كان القائد العام يتقدم باحتياطه العام الذي يؤلف عادة النسق الثالث . ولقد طور نابليون التشكيلة العمودية واستخدمها بنجاح هائل منذ العام ١٧٩٦ . وهكذا اصبح جيش نابليون جيشاً موحداً ومتمفصلا بآن واحد . وكان جيشه مؤلفاً من تشكيلات مدفعية موضوعة في مقدمة الجبهة . اما تشكيلات الخيالة فكانت تتقدم بترتيبات عمودية عميقة متلاصقة بحيث لا يبدأ عمل اية فرقة خلفية الا بعد ان تستنزف القدرات القتالية للفرقة التي امامها . اما فرق الاحتياط العميقة فقد كانت تتدخل عندما يراد توجيه الضربة القاضية للعدو المنهك . وكان تمسك خصوم نابليون من القادة الاوروبيين بأساليبهم الكلاسيكية لوقت طويل ، السبب في خسارتهم امام تشكيلاته المتطورة المتحركة المتماسكة . ومنذ العام ١٨١٥ ، اثر هزيمة نابليون في واترلو ، وحتى الحرب العالمية الاولى ، عرفت التشكيلة العميقة تراجعاً طويلا ، وقد اقتضى الامر عدة شهور من القتال اثناء هذه الحرب ، لتعود للترتيب العميق مكانته سواء في العمليات الهجومية ، او في العمليات الدفاعية . وبالرغم من ذلك ، وبالرغم من الدروس التاريخية المتعددة ، فقد كانت الجبهة الفرنسية سنة ١٩٤٠ ، في ردها على الهجوم الالماني ، تعتمد التشكيلة الرقيقة ، ولهذا السبب تحطمت خلال

ساعات. اما الماريشال السوفياتي جوكوف، فقد اعتمد منذ العام ١٩٤٢ الترتيب العميق مستوعباً جميع دروس المعارك السابقة، التي اكدت ان الترتيب العميق، هو وحده الذي يؤمن تجميع القوات واستمرارية الجهود. في الهجوم، تستطيع وحدات النسق الثاني او الثالث تأمين هذه الاستمرارية واغراق القوات المدافعة في خضم متلاحق من القوات الطازجة. وفي الدفاع، ومع استعمال الترتيب الخطي، فان انهيار القوات يؤدي الى كارثة لا يمكن تلافيها، على حين تستطيع قوات النسقين الثاني والثالث في الترتيب العميق، وقف مهاجم اضعفته قوات النسق الاول، وتجنب حركات الالتفاف، بل والمبادرة الى الهجوم المعاكس.

ولقد اقتضى ظهور السلاح النووي ضرورة الاعتماد على تشكيلات متفرقة، وفرض وجود مسافات اكبر فيما بينها، واصبح اختلاف مستويات التشكيلات في العمق ضرورة حيوية لان المهاجم سيعتمد على المفاجأة ليستثمر الى ابعد الحدود هجومه النووي، وسيحاول التوغل في اقصر وقت ممكن لأقصى عمق يستطيع وصوله، ولذلك فلا بد من ان يكون العمق قوياً تحميه تشكيلات قادرة في آن معاً على الرد عليه بضربة نووية، وفي الوقت نفسه التصدي لقواته المتوغلة.

(٥) تشيفتن (دبابة)

دبابة ميدان رئيسية، بريطانية، متوسطة بدئ بتصميمها عام ١٩٥٠ لتخلف دبابة سنتوريون، وانتهى العمل بأول نموذج منها في عام ١٩٦٠ وبعد تعديلات واجراءات عدة بدئ بانتاجها في عام ١٩٦٣. ودخل أول نماذجها الخدمة في عام ١٩٦٥.

وتمتاز هذه الدبابة بمدفع دقيق وقوي من عيار ١٢٠ مم، وبدرع صلب. وبها عيب رئيسي هو ثقل حركتها بالنسبة للدبابات الشرقية، او الدبابة الفرنسية ام اكس - ٣٠، أو الدبابة الالمانية ليوبارد. وقد ادت الانتقادات التي وجهت الى ثقل حركتها الى تزويد آخر طراز منها بمحرك اقوى، ٨٤٠ حصان في الطراز «٥» مقابل ٦٥٠ حصاناً في الطراز «٣». وهي من احدث الدبابات في العالم. وتتزود بمقدرة مدى تعمل بأشعة لايزر، وبمعدات الرؤية الليلية بالاشعة تحت الحمراء.

المواصفات العامة: الوزن ٥٢,٨ طناً. الطاقم ٤ افراد (قائد، ملقم، رامي، سائق). الحجم: طول الجسم ٧,٦ م، الارتفاع ٢,٧٥ م، العرض ٣,٥ م. السرعة على الطرقات/المدى: ٤٨ كم/الساعة/٥٠٠ كم.

ويمكن تزويد كل دبابة بشفرة جرافة. وسنركل (انبوب تنفس طافي) يمكنها من عبور الماء حتى عمق ٥ امتار.

(١٠) التصعيد

هو زيادة الضغط أو التشديد بصورة مطردة ومتتابعة لحمل من يوجه ضده على القيام بعمل ما أو الامتناع عن القيام به. أو هو إكراه الخصم بوسائل تتزايد عنفاً، ودفعه لعمل شيء أو الامتناع عن عمل شيء. من هنا نجد أن للتصعيد مدلولا شاملا سواء في السياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد أو في القتال.

ويقصد بالتصعيد، في المفهوم العسكري، استخدام وسائل الحرب بصورة تتضخم وقعاً على العدو، حتى بلوغ الغاية أو الهدف. ومن هذين المنطلقين الاخيرين يمكن ان يقترن التصعيد بغاية استراتيجية، كما ويمكن ان يقترن بهدف عسكري تكتيكي.

وتستخدم في التصعيد الاستراتيجي وسائل متعددة ومتنوعة يكون السلاح احداها. وتتضمن الوسائل بالاضافة الى العمل العسكري وسائل سياسية ومعنوية واقتصادية، كحرب البترول الاخيرة التي خاضتها الدول العربية المنتجة إبان حرب تشرين ١٩٧٣، والتي أصبحت نتائجها ثقيلة على جميع بلدان العالم، بما في ذلك بلدان العالم الثالث غير الصناعية.

ويستهدف التصعيد التكتيكي بلوغ هدف معين ومباشر على الصعيد العسكري، وهو أسلوب يلجأ اليه، مبدئياً، في إحدى الحالتين: الحالة الأولى، عندما تكون هناك رغبة في عدم حسم الموضوع بطريقة عنيفة، اذ يظهر المصعد وكأنه ينذر انذاراً مقروناً باظهار القوة التي يتزايد حجمها. والحالة الثانية عندما لا يكون ممكناً بلوغ الهدف بطريقة الحسم التي أشير اليها: مثل ذلك، الحصار أو التطويق.

ويمكن ان يتأتى التصعيد من استخدام متزايد لوسائل العنف أو الاكراه، كما يمكن أن يتأتى من استخدام نفس الوسائل، دون تكثيف، على أن تراكم نتائجها وتزايد وقع احتمالها على أصحابها، يؤدي الى الهدف.

ومن الضروري عند استخدام الوسائل في تشديد الضغط، أن يتوافق الضغط مع أهمية هدف الرهان L'enjeu، بحيث لا تستنفد تلك الوسائل قبل بلوغه، ويقضي ذلك بتتبع أثر التصعيد على العدو، ليأتي استخدام الوسائل، بالشكل الأكثر فاعلية.

ولا يقتصر استخدام التصعيد على الحرب التقليدية، ولكنه يشمل أيضاً الحرب النووية التي يتم فيها التصعيد من التهديد باستخدام السلاح النووي إلى استخدام السلاح النووي التكتيكي، إلى استخدام الضربات النووية الاستراتيجية ضد القوات المسلحة (انظر معاكس القوات)، إلى استخدام الضربات النووية ضد المناطق الصناعية والآهلة بالسكان (انظر معاكس المدن). بيد أن هذا التسلسل في التصعيد لا يعني بالضرورة أن الخصم يصعد الموقف وفق هذه المراحل المتعاقبة، فهناك حالات يحرق فيها الخصم مرحلة أو أكثر، وينتقل من «عتبة» تصعيد إلى أخرى دون المرور بعتبات أدنى.

إن استخدام التصعيد في الحربين التقليدية والنووية نمط من أنماط حوار الارادات، ولا بد عند استخدامه من الانتباه إلى مسألتين: أ) اختيار «العتبة» الملائمة التي يتوقع خضوع العدو بعدها، ب) حساب إمكانية رد الخصم على التصعيد بتصعيد مضاد، والاعداد لتصعيد جديد إلى «عتبة» جديدة تكون أعلى من «العتبة» التي وصل إليها الخصم خلال التصعيد المضاد.

ويرد الخصم على التصعيد في أغلب الأحيان بتصعيد معاكس، وخاصة إذا لم يكن قد استخدم بعد كل قواته أو وسائطه القتالية، وفي هذه الحالة يرتفع مستوى الصدام كله، ويصبح على المصعد الأول أن يرتفع إلى عتبة جديدة اذا ما شاء ربح الحرب بالتصعيد، وتستمر هذه العملية الجدلية حتى يصل أحد الطرفين إلى حدود التصعيد التي لا يستطيع تجاوزها نظراً لعدم توفر الوسائل اللازمة لهذا التجاوز، أو بسبب صغر الهدف المنشود بالنسبة للخسائر المنتظرة في حالة التصعيد والتصعيد المعادي المعاكس. وعندها يتابع القتال دون تصعيد (اذا كان هدف الرهان هاماً)، أو يوقف القتال (إذا كان هدف الرهان صغيراً).

(٢) التصعيد الارادي بالاستجرار

ان خطر التصعيد بالاستجرار يبقى محدوداً ما دام لا يؤدي الى رد فعل استراتيجي. وقد يؤدي استخدام

عدة اسلحة ذرية تكتيكية سواء بطريق الخطأ، أو لمنع إخفاق محلي، تحريك المذبحة الكبرى المتبادلة. وينتج التصعيد بالاستجرار، موضوعياً، في كل درجة من درجاته، عن قرار يستهدف تجنب وضع أسوأ.

(٢) التصعيد الارادي المحضّر

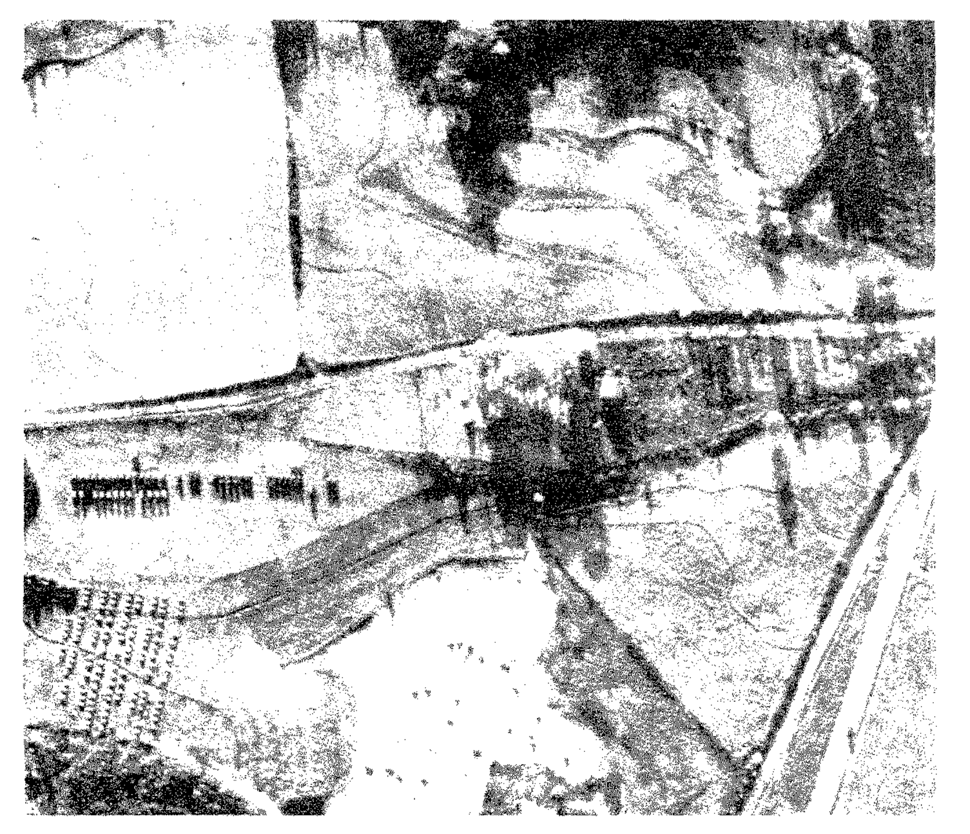
ينبغي ان نميز بين التصعيد الناتج عن التدابير المتخذة مسبقاً، وبين التصعيد الذي ينتج عن قرارات تتخذ تحت تأثير الأحداث. وقد تتبدى التدابير المعدة والمتخذة مسبقاً كثيرة الخطورة لأن طابعها الآلي التلقائي قد يؤدي الى ردود فعل لا يمكن إيقافها عند حد معين. وقد كان الوضع على هذه الشاكلة في المجال الاستراتيجي في عصر «الاقتصاص الكثيف» (Represailles Massives) حيث كان بوسع حادث خطير او معلومات خاطئة ان تسبب مبادرة تعيسة في مرحلة توتّر معينة. اما الآن فان وجود غواصات بولاريس، والمينوتمان في صوامعها «سيلوياتها» المسلحة يعطي الوقت الكافي لاتخاذ قرار الرد وانتظار التأكيد بحدوث الهجوم. ولكن هذا الاستقرار الحالي في الرد الاستراتيجي (الذي يعزى الى جهد الرئيس كينيدي) لا يلغي نهائياً خطورة التصعيد بردود فعل آلية في الميدان التكتيكي.

(٢) التصعيد العفوي

ان التصعيد العفوي يعني ان يحدث أي خطأ في شن القذائف الذرية تصعيداً يهدد العالم بمأساة. فقد يصبح أحد الطيارين مجنوناً فيشعل النار في العالم كله، او يفقد أحد الجنرالات رباطة جأشه فيعطي أمراً قاتلا مدمراً. ولقد اتخذت الدول النووية الآن تدابير دقيقة وعززتها باستمرار لمنع وقوع مثل هذا التصعيد: فالاسلحة النووية موضوعة تحت رقابة حراسة مباشرة ودائمة، وفيها عدد كبير من الاشخاص، وهم في حالة تصنت دائم لأوامر الانذار. وتصل أوامر الضرب النووي من قناتين مختلفتين تراقب كل منهما الأخرى. كما أن الأسلحة الذرية ذاتها، مزودة بتجهيزات الأمن والحيطة التي لا تنزع منها وتحرر إلا ببرقيات اليكترونية مشفرة.

(١) التصفير

(انظر ضبط السلاح).



صورة جوية رأسية

(١٤) التصوير الجوي

هو أسلوب من أساليب الاستطلاع الجوي (انظر الاستطلاع). ويتمثل في التقاط الصور من الجو بغية إعداد الخرائط العسكرية، أو تحديد انتشار قوات العدو وتحركاته، ومعرفة تقدم عمل انشاءاته الهندسية، أو أخذ معلومات دقيقة عن هدف محدد قبل مهاجمته، أو كشف الاضرار التي أصابت الهدف بعد مهاجمته.

ويؤمن التصوير الجوي الحصول على صور رأسية وأخرى مائلة. وتظهر الصور الأولى الأرض كما تشاهد من الأعلى، وتكشف الأهداف وثنيات الأرض والحواجز الطبيعية والاصطناعية، على حين تظهر الثانية الهدف من الجانب وتكشف تفصيلاته بشكل أوضح. ويتم الحصول على الصور الرأسية عند تصوير الأهداف من طائرة محلقة على ارتفاعات متوسطة أو عالية، ومزودة بكاميرات عمودية أو ذات ميلان محدود. أما الحصول على الصور المائلة فيتم عند تصوير الاهداف من طائرة مزودة بكاميرات مائلة، أو طائرة منقضة، أو عندما يكون الهدف على سفح منحدر ويجري تصويره من ارتفاعات منخفضة.

تسير الطائرات المكلفة بالتصوير الجوي على مسارات محددة مسبقة ومتداخلة جانبياً، وتلتقط الطائرة، وبفترات زمنية متعاقبة، صوراً متعاقبة متداخلة رأسياً. ويؤمن هذا التداخل الجانبي والرأسي عدم ضياع أي تفصيل من تفصيلات الأرض، كما يؤمن تجسيم الصور الجوية عند قراءتها بجهاز خاص تظهر الصور تحته وكأنها مجسمة.

ولقد كانت الصور تحمض وتطبع في الماضي بعد هبوط الطائرة، ثم غدا من الممكن تحميض الأفلام وطبعها داخل الطائرة نفسها، بحيث يتم الحصول على الصور جاهزة فور هبوط الطائرة، واستخدامها بأقصى سرعة ممكنة. ويكون استخدام الصور بأربعة أشكال: عمل الخرائط المصورة بعد لصق الصور المتداخلة، وإعداد الخرائط الطبوغرافية العسكرية في مصلحة الجغرافيا العسكرية، وتوزيع الصور على الوحدات المقاتلة للافادة منها خلال المعركة، وتوزيع الصور المزدوجة على شعب الاستطلاع لقراءتها بواسطة الجهاز المجسم وتحليل المعلومات المأخوذة منها وتوزيعها على هيئات الأركان وقيادات الوحدات المقاتلة.

وتحمل الصورة الجوية عادة التاريخ، والساعة،

والارتفاع ، ورقاً متسلسلا ، وعلامات جانبية ورأسية خاصة . ويفيد التاريخ والساعة لمقارنة صورة موقع ما في فترات زمنية متعاقبة ، ومعرفة التطورات والتحركات في هذا الموقع ، ويفيد الارتفاع لتحديد مقياس الصورة ، ويساعد الرقم المتسلسل على حفظ الصورة ومعرفة الصور المتداخلة رأسياً وجانبياً واعداد الخرائط المصورة والخرائط العسكرية الطبوغرافية ، أما العلامات الجانبية والرأسية فتفيد في تحديد مركز الصورة عند عملية التجسيم والقراءة .

ويعتبر التصوير الجوي في الدول الصغيرة من مهمات سلاح الطيران المسؤول عن التقاط الصور الجوية وتحميضها وطبعها وقراءتها أو توزيعها . ولتأمين سرعة نقل المعلومات خلال القتال تلحق القوات البرية بغرفة عمليات قيادة سلاح الطيران ضباط اتصال مهمتهم أخذ المعلومات من الطيارين عن مشاهداتهم، وأخذ تقارير قراءة الصور الجوية ونقلها إلى القوات البرية ، ونقل المعلومات وطلبات التصوير الواردة من القوات البرية إلى غرفة العمليات الجوية . أما في الدول الكبيرة التي تملك جبهات ومجموعات جيوش وجيوش متعددة ، فيكون التصوير الجوي الاستراتيجي فيها من مهمات اسراب الطيران الخاصة التابعة للقيادة العليا ، ويكون التصوير الجوي العملياتي والتكتيكي من مهمات اسراب الطيران الملحقة بقيادة الجبهات أو مجموعات الجيوش أو الجيوش التي يقوم قادتها باصدار أوامر التصوير الجوي بناء على طلبات القطعات الجوية والبرية التابعة لهم .

ولا يكون التصوير الجوي ناجحاً في الحرب الحديثة المتحركة إلا إذا كان مستمراً ومتعاقباً (لتحقيق المقارنة) ، شريطة أن يتم في الزمان والمكان المحددين ، وأن يجري نقل طلبات التصوير من القوات إلى غرفة العمليات الجوية بسرعة ، وأن يجري تحميض الصور وطبعها وقراءتها أو توزيعها على القوات بسرعة أيضاً ، لتتم الافادة منها قبل تبدل الموقف .

ولقد كان التصوير الجوي في الماضي يتعرض للعديد من العقبات (الضباب ، الليل ، التمويه) وكان التصوير الليلي يتطلب إلقاء مشاعل مضيئة ذات مظلة فوق الاهداف قبل تصويرها . ولكن تطور تكنولوجيا التصوير ، وظهور آلات التصوير الحديثة الدقيقة ، جعلا من الممكن إلتقاط الصور من ارتفاعات شاهقة ، وفي الاحوال الجوية السيئة وفي الليل ، مع استخدام الاشعة تحت الحمراء . كما جعل من الممكن إلتقاط الصور العادية (أبيض وأسود) والصور الملونة (لكشف التمويه) والصور الحرارية (لكشف الآليات والدبابات والمطابخ وكل مصادر الحرارة المخفية) الأمر الذي جعل التصوير الجوي قادراً على كشف تحركات ومواقع القطعات في كل الظروف الجوية وفي كل ساعات الليل والنهار وفي المناطق الصالحة للاختفاء (غابات ، احراش ، قرى ، بساتين) ، وجعل القوات قادرة على كشف أصغر التفصيلات الخاصة بطبيعة الأرض ، وبانتشار الخصم ومواقعه القتالية وحواجزه الاصطناعية .

(٢) التضامن النووي

ان القوات النووية المستقلة ، بوجودها ذاته ، تخلق تضامناً عضوياً بين الحلفاء ، يمتد بالضرورة ليشمل مصالحهم الحيوية بمجموعها . ولا يعتبر هذا التضامن خطراً ، لأن ميزته الأساسية هي أن يكون رادعاً . ويرى الجنرال اندريه بوفر ان **وجود القوات النووية المستقلة** يقلص مساحة توسع الحرب الباردة ، **ويضطر** الدول النووية الى التفاهم فيما بينها وممارسة عمل منسق . حتى أن هذا الأثر كان قوياً لدرجة اضطر الخصمين الكبيرين ذاتهما الى اتخاذ احتياطات أمن (كالهاتف الأحمر) لحل الخلافات المحتملة .

(٦) التطهير

التطهير في الاصطلاح العسكري كلمة ذات دلالات عدة : فهي تعني « إزالة التلوث » اذا ما اقترنت بالحرب الكيماوية او البيولوجية او النووية ، كما تعني « القضاء التام على قوات العدو الموجودة في منطقة ما » اذا ما اقترنت بالقتال . نظراً لتباين إساليب التطهير بتباين هدفها فان من الضروري إبراز كل نوع من أنواع التطهير على حدة .

(٦) التطهير البيولوجي

وهو يعني إزالة التلوث بالعوامل البيولوجية (الجرثومية) . وتشير كتيبات « الادلة العملية » التي تنشرها الجيوش المختلفة إلى صعوبة إزالة التلوث بهذه العوامل المسببة للامراض السارية وتعذر هذه العملية في كثير من الاحيان . وبالتالي تترك للعوامل الطبيعية كضوء الشمس ، والحرارة ، وحركة الرياح للتخفيف من آثارها . وتتميز العوامل البيولوجية بصعوبة اكتشافها ميدانياً — كما هو الحال بالنسبة للعوامل الكيماوية — إلا أنها تفوقها في هذا المجال ، وتزداد هذه الصعوبة في حالة استخدام الاسلحة التقليدية او الكيماوية او الذرية الى جانبها — كما هو الحال ايضاً بالنسبة للعوامل الكيماوية — وتزداد بالتالي صعوبة تحديد الوسائل المناسبة لتطهير آثارها .

وهناك وسائل عديدة طورتها الدول المتقدمة لاكتشاف استخدام العوامل البيولوجية في القتال ، إلا أنها جميعاً محدودة الفعالية ، اذ تستغرق وقتاً طويلا في عملية اخذ العينات من الاماكن التي تشتبه إصابتها ، وارسالها الى المختبر لكي تجري عملية زرعها تمهيداً لمعرفتها ومعرفة العلاجات المؤثرة فيها . وبالتالي فهناك احتمال ضئيل لاكتشافها ميدانياً في الوقت المناسب ، وانذار المقاتلين والسكان باتخاذ التدابير الوقائية . لذلك فإن أهم وسائل الوقاية هي : ١ — التحصين ضد مختلف الامراض قبل وبعد استخدام الاسلحة البيولوجية (انظر الحرب البيولوجية) ، رغم محدودية هذه الوسيلة نظراً لعدم وجود امصال ولقاحات تعطي المناعة ضد كافة الامراض ، ٢ — الاستعداد لاستخدام مختلف أنواع المطهرات ومضادات الحيوية ولا سيما ما يصلح منها لعديد من الجراثيم وما يؤثر تأثيراً قوياً ولمدة طويلة، وذلك لكي يمكن تطهير مختلف مصادر العدوى كالماء والاغذية الملوثة والحيوانات والحشرات الناقلة ، ولكي يمكن العناية بالمصابين .

وتنبغي الاشارة أيضاً الى ان عملية التطهير قد تصبح عملية متعذرة — في الغالب — نظراً لكثرة عدد المصابين واللاجئين من مناطق القتال ، وقلة وسائل النظافة ، وسوء التغذية التي تصاحب الحروب فتضعف من مناعة الانسان الطبيعية للامراض والاوبئة. ومن الواجب اللجوء الى العمل السريع والتصرف الحكيم في إنقاذ المصابين أثناء الحروب التي قد تستخدم فيها الجراثيم ، وتستدعي هذه الحالة البحث عن كل ما يمكن استخدامه ضد الجراثيم عموماً وما يستعمل منها في الحروب على وجه الخصوص . وهناك اربعة مصادر للبحث عن وسائل تقتل جراثيم الامراض او توقف نموها ، ويمكن تقسيمها تبعاً لطبيعتها الى :

أ) مصادر طبيعية : كالحرارة التي تعتبر من أقوى المطهرات فتكاً بالجراثيم . وقد يكون التطهير بالحرارة بواسطة استعمال النار في حرق الملابس الملوثة أو بغليها بالماء ، او التطهير بالاشعة فوق البنفسجية : التي يمكن الحصول عليها من أشعة الشمس أو من مصادر صناعية لتطهير أماكن العدوى . كما يمكن استخدام التبريد لوقف نمو بعض أنواع الجراثيم . وهناك وسائل أخرى تفيد في وقف نمو الجراثيم ولكنها لا تفيد في التخلص منها نهائياً

بقتلها، كتجفيف الاغذية وتمليحها وتسكيرها ، لحرمان الجراثيم من السوائل التي تعيش وتنمو وتتكاثر بوجودها. ويمكن إزالة تلوث الهواء والماء بامرارهما في مرشحات خاصة يمكنها في بعض الاحيان تنقيتها بفعالية كافية .

ب) مصادر كيميائية : كاستخدام المـــواد المطهرة المؤكسدة ، كماء الاوكسجين ، وبرمنغنات البوتاسيوم ، وكلورات البوتاسيوم ، وتستعمل بنسب معينة تبعاً للحالة المستعملة فيها . أو استخدام المواد المطهرة المختزلة كالهيبوسلفايت . والمواد الهالوجينية كاليود او الكلورأمين . وبعض المواد المعدنية المطهرة كاملاح كلورور الزئبقيك وسلفات النحاس وسلفات الزنك . ومركبات الفينيك والاصبـــاغ المطهرة . ومركبات السلفـــا كالسلفابيردين والسلفاديازين . ومضادات الحيوية كالبنسلين والاستربتوميسين .

ج) مصادر نباتية : كالزيوت الطيارة والقلويات Alkoloids المطهرة .

د) مصادر حيوانية او بيولوجية : وهي عبارة عن امصال ولقاحات تعطى للعلاج في حالة المرض لكي لا يستمر المصاب كمصدر للعدوى .



التطهير في الأدغال

(۱) التطهير القتالي

وهو يعني تصفية جيوب المقاومة ، والمقاومات المنعزلة ، داخل المواقع الدفاعية . ويتم هذا العمل في آخر مراحل الهجوم عند الانقضاض على الهدف . وتشترك فيه قوات النسق الأول اذا تعذر على هذه القوات التقدم قبل القيام بالتطهير ، أما اذا كان بوسعها التسلل ومتابعة التقدم فانها تترك مهمة التطهير للانساق الخلفية .

ويختلف أسلوب التطهير باختـــلاف حجم المقاومة ، وطبيعة الأرض ، والامكانات المتوفرة للقوات القائمة بالتطهير . ومن الحالات المعروفة في القتال تطهير المنازل المحصنة ، وتطهير أعشاش المقاومة في الجبال والغابات ، وتطهير التحصينات ، وتطهير الخنادق ، وتطهير الانفاق . ورغم تباين اساليب التطهير بتباين الحالات وتعـــدد الوسائط المستخدمة فيه فان للتطهير القتالي سمات واحدة تقريباً في جميع هذه الحالات . فهو عبارة عن عملية اقتحام تقوم بها **مفارز الاقتحام** التي تتقدم من الهدف المراد تطهيره بعد تطويقه ، وتقوم بالتطهير تحت حماية **مفارز التطويق والحماية**.

وتستخدم مفارز التطهير النار والصدمة والحركة، على حين تستخدم مفارز التطويق والحماية النار .

وتكون مفارز التطهير مزودة بالاسلحة الرشاشـــة والقنابل اليدوية ، والقنابل المحرقة والمدخنة ، والاسلحة الخفيفة المضادة للدروع ، والحشوات العادية لتدمير الأبواب ، والحشوات الجوفاء لتدمير الأبواب الفولاذية والجدران والسقوف البيتونية المسلحة ، وقاذفات اللهب الخفيفة . وقد تشترك في التطهير الدبابات والمصفحات والعربات المدرعة والدبابات قاذفات اللهب . كما قد تشترك فيه الطائرات عن طريق تقديم الدعم الناري المباشر إذا كان الهدف المراد تطهيره منيعاً وكبيراً .

أما مفارز التطويق والحماية فمهمتها حماية مفارز الاقتحام خلال التقرب من الهدف ، ومنع المدافعين من الانسحاب ، وصد الهجمات المعاكسة المعادية الرامية إلى تخليص العناصر المحصورة داخل الموقع أو ايصال الذخائر والمؤن إليها . وتكون مسلحة بالرشاشات والهاونات والمدافع عديمة الارتداد المضادة للدبابات . وقد تشترك في مفارز التطويق والحماية الدبابات والمصفحات والعربات المدرعة والدبابات قاذفة اللهب .

يتم عمل مفارز الاقتحام بمجموعات صغيرة (۲ — ۳ أفراد) يعملون كوحـــدة متماسكة يحمي أفرادها بعضهم بعضاً . وهذا تدبير ضروري في التطهير نظراً لكثرة المفاجآت التي يخبئها العدو الذي قرر التمسك بالموقع والدفاع عنه بشكل يائس حتى الرمق الأخير . ويتميز عمل الافراد القائمين بالتطهير باستخدام النيران على نطاق واسع ورمي رشات نارية غزيرة ،أو إلقاء قنابل يدوية ، أو صليات من قاذفات اللهب قبل الدخول إلى أي مكان يحتمل فيه وجود العدو ، حتى لو كان هذا الاحتمال ضعيفاً . ويتم الرمي غالباً بشكل غريزي وسريع على كل ما يتحرك أو يثير الشبهة ، حتى لو لم يظهر هناك أي أثر للعدو . ومن المستحسن استخدام القنابل المدخنة أو المسيلة للدموع عند تطهير الأماكن المغلقة (غرف ، أعشاش رشاشات ، دهاليز وأنفاق) لأن ذلك يجبر العدو على السعال بشكل يكشف به نفسه ويسهل تدمـــيره ، أو يضطره للخروج مستسلماً . ولكن العدو المزود بكمامات الغاز قادر على البقاء في الاماكن المغلقة رغم وجود الدخان والغازات المسيلة للدموع ، وانتظار المهاجم للقضاء



المشاة تطهر الملجأ بالحراب والقنابل اليدوية

عليه . لذا فان استخدام هذا النوع من القنابل لا يكفي لاعتبار المكان المغلق مطهراً .

لا ينتهي التطهير وخاصة في الغابات والبيوت والخرائب إلا إذا تم القضاء على جميع المقاومات ، والبحث عن المخابىء السرية وإخراج العدو منها وجمع القتـــلى والجرحى والاسرى ، والتأكد بكل الوسائل ، بما في ذلك استجواب الأسرى ، بأنه لم يبق هناك جنود مختبئون ، لأن العدو يلجأ في كثير من الحالات الى الاختفاء في أماكن سرية معدة مسبقاً ، أو التظاهر بالموت ، حتى تتوقف مفارز التطهير عن العمل ، أو تخفف تدابير الحيطة ، فيسدد لها الضربات المفاجئة من الخلف أو المجنبات ويوقع بها خسائر كبيرة .

(٦) التطهير الكيماوي

وهو يعني إزالة التلوث بالعوامل الكيماوية (Decontamination) . ويشـــمــل هــــذا العمل مجموعة من الاجراءات التي ينبغي اتخاذها في حالة استخدام الغازات السامة او الكيماويات الحارقة في القتال ضد مجموعات من الانسان او الحيوان ، والتي قد تلوث الملابس ومعدات القتال والمياه والمواد الغذائية وغيرها من المهمات ، وذلك في أنابيب اختبار فتغير ألوانها ، او ملاحظة تأثير الغازات التي لا يمكن اكتشافها بإحدى الطريقتين للتخلص من آثارها العالقة بتلك الاشياء لكي لا تتفاقم ويتزايد خطرها .

وتقوم بالتطهير الكيماوي فرق طبية أو وحدات كيماوية تابعة للتشكيلات القتالية ، ومدربة تدريباً خاصاً ومزودة بملابس واقية وصناديق تطهير خاصة تحتوي على مواد كيماوية وعلاجات معينة ، كما قد يقوم ببعض هذه الاجراءات الشخص المصاب نفسه . وما من شك في ان عملية التطهير ليست عملية سهلة ، ولا تعتبر عملية مجدية في الاماكن المشبعة بالعوامل الكيماوية ، ففي تلك الاماكن يقتصر عمل الفرق الطبية على تخليص المصابين من ملابسهم بالسرعة الممكنة وتزويدهم بغيرها ، ونقلهم الى حيث يمكن ايلاؤهم عناية طبية كافية ، وترك المنطقة للعوامـــل الطبيعية كالحرارة وحركة الرياح لتزيل تلوثها . وعلى أي حال ، فإن اهم ما ينبغي فعله في البداية هو اكتشاف وجود العوامل الكيماوية في الجو فور استخدامها . ووسائـــل اكتشافها هي وسائل محدودة منها : اللون والرائحة التي تميز بعض أنواع الغازات (انظر غازات القتال) ، والطرق الكيماوية التي يمكنها كشف وجود أنواع الغازات التي تتفاعل مع عوامل كيماوية معينة موضوعة السابقتين على المصابين .

وتختلف اجراءات التطهير الكيماوي باختلاف الاصابة ، ويمكن تلخيصها فيما يلي :

أ) في حالة إصابة الانسان : ان غازات القتال سواء كانت في صورتها الغازية او السائلة او أبخرة المواد الكيماوية الصلبة ، قد تلوث الجلد في أجزائه الظاهرة العارية . ولبعض هذه المواد القدرة على النفاذ واختراق الملابس الداخلية واغطية الجسم لتصل الى الجلد فتلوثه وتسبب له الضرر ، واذا لم تتخذ الاجراءات السريعة والاسعافات الضرورية فإن الجسم قد يصاب إصابات بالغة نظراً لاتساع طبقات الجلد وسهولة إصابته . ومن أهم ما يجب اتباعه في هذه الحالة : تطهير الوجه بغسله بالمـــاء والصابون او بالمحاليل الكيماوية – بحسب نوع الغاز – فمثلا يستخدم محلول فينولات الصوديوم (تركيز ١٢ ٪) لتطهير التلوث بالمركبات الفوسفورية العضويـــة وتستخدم بودرة المونوكلور ارسين (تركيز ٢٠ ٪) التي تفيد في حالة الاكسدة . وبعد تطهير الوجه ينبغي لبس القناع الواقي فوراً (انظر قناع الغاز) لإزالة تلوث هواء التنفس . وفي حالة تلوث العين يمكن فتح الاجفان وغسل العين بمحلول بيكربونات الصوديوم (تركيز ٢ ٪) او بتيار مائي خفيف على أن يتم ذلك بسرعة ، اذ ان التأخر في ذلك يعطي الفرصة للمواد السامة فتؤثر في العين وتتلفها وقد تفقدها البصر نتيجة لذلك . وبالاضافة الى ذلك فان من الضروري إزالة الملابس والاغطية الملوثة ، والتخلص منها بوضعها في أماكن خاصة بعيدة معدة سلفاً ، وتطهير الجلد بغسله بالماء الساخن والصابون او بالماء الجاري غسلا جيداً ، ويمكن في هذه الحالة استعمال الرش او الخرطوم او الدش . وفي حالة وجود ذرات أو نقط من المواد السامة على الجلد ، يجب إزالتها بسرعة بخرقة ناعمة او قطعة قطن لامتصاص هذه المواد وغسل الجلد بعد ذلك . ويستحسن دائماً تهوية الاماكن الداخلية الملوثة جيداً .

ب) في حالة إصابة الحيوانات ، ينبغي القيام بالتدابير التالية : إزالة السروج والطقوم والاشلال عن الحيوانات مع اعتبارها ملوثة ووضعها داخل حقائب مميزة بعلامة ظاهرة للتعرف عليها ، تمهيداً لإزالة تلوثها . وفي حالة عدم إمكان تحديد الجزء الملوث بالغاز يغسل الحيوان جيداً بالماء والصابون مع استخدام فرشاة مناسبة لهذا الغرض وتكرار الغسيل بالماء لمدة عشرين دقيقة على الاقل ، ثم يدعك جسم الحيوان بعجينة مكونة من اجزاء متساوية من مسحوق كلورور الجير والماء باستثناء العين والمنخر ، مع

لاحظة عدم ترك العجينة على الجسم اكثر من
نس دقائق منعاً لالتهاب الجلد وازالتها بغسل الجسم
يداً بالماء . وتغسل الاعين جيداً بالماء وبمحلول
للح (ملعقة شاي في ٢٠ أوقية ماء) او بمحلول
بكربونات الصودا بالنسبة السابقة نفسها ، وبعد
لك تدهن العين بالفازلين او زيت الخروع ، كما
غسل المنخر بأي من المحاليل المطهرة كالبوريك
و برمنغنات البوتاسيوم . وعند امكان تحديد الجزء
لملوث ، ينبغي إزالة قطرات السائل الظاهر بامتصاصها
بقطعة قطن ، ومعالجة آثارها بالغسل على النحو
لسابق . وتطهر الاسطبلات الملوثة بفتح أبوابها
نوافذها مدة كافية لتجديد هوائها ، ويساعد على
لك إشعال النيران في أجزاء مختلفة من الاسطبل
حتى يمكن تخلخل الهواء داخله بحلول هواء جديد
محله ، كما تطهر الادوات والمهمات فيها بوضعها
ي الهواء الطلق مدة تتراوح بين (٦ — ٢٤) ساعة
قريباً ويجري غسل ارضية الاسطبل جيداً بالماء .

ج) في حالة تلوث المواد الغذائية : ويتم تلوث
هذه المواد بالغازات او السوائل او الادخنة السامة .
يمكن اكتشاف تلوثها بوسائل كيمائية تحليلية تجهز
بها الوحدات الكيماوية الخاصة . وفي حالة اكتشاف
لتلوث ، ينبغي اتخاذ التدابير التالية : التخلص
ن الاطعمة المكشوفة والمواد التموينية الطازجة الملوثة .
تعتبر غازات الاعصاب والزرنيخات والغازات المنفطة
كثر الغازات سمية في هذه الحالة ، لذلك ينبغي
لتخلص من هذه الاطعمة حتى لا تسمم آكليها .

أما الاطعمة المغلفة المخزونة ، فليس من المحتمل
ن تصل درجة تلوثها الى الحد الذي يوجب إتلافها
ل يمكن إزالة تلوثها في كثير من الاحيان ، ويمكن
صنيف المواد التموينية المغلفة — في حالة تلوثها —
لى ثلاثة أصناف هي : اولا ، المواد المغلفة التي
جرى تعرضها للأبخرة السامة ، ويمكن بشكل عام
زالة تلوثها بتعريضها للهواء فترة كافية لإزالة هذه
لابخرة،وبالتالي تصبح صالحة للاستهلاك . ثانياً ،
لمواد المغلفة التي جرى تعرضها للسوائل السامة ،
هنا ينبغي اعتبار مدى مسامية اغلفتها . فالجهود
لتي تبذل لإزالة تلوث الاغلفة المسامية سوف تفشل
على الاغلب ولن تسفر إلا عن زيادة التلوث ،
وافضل ما يمكن عمله في هذه الحالة هو إزالة الاغلفة
لملوثة لمعرفة مدى التلوث الداخلي . وفي حالة عدم
لعثور على آثار داخلية للغاز يجري التعامل مع
لمواد باعتبارها داخلة في التصنيف الاول أي بتعريضها
للهواء فترة كافية قبل صرفها . ثالثاً ، المواد المغلفة
تغليفاً سيئاً يسمح للأغبرة والسوائل السامة بالتسرب
الى داخلها . وفي هذه الحالة فإن خطوات إزالة
التلوث التي ينبغي اتباعها بشكل عام هي : إزالة
الطبقة الدهنية التي تكسو المواد المحفوظة في حالة
وجودها وإزالة تلوثها بالوسائل الكيماوية ، ومن ثم
غسلها بالماء او بمحلول بيكربونات الصوديوم
(بنسبة ٢ ٪) ، واخيراً غسلها بالماء المغلي . رابعاً ،
يمكن إزالة تلوث الاطعمة المعلبة بأي من الطرق
الكيماوية المطهرة كالغسل بمحلول رماد الصودا ومن
ثم غسلها بالماء .

د) تطهير المياه الملوثة : ان الغازات والابخرة
السامة لا تلوث ماء الشرب ، ولكن السائلة منها
ترسب الى قاع الماء وربما تترك على سطحه طبقة
زيتية عائمة تلاحظ بوضوح على سطح المياه الراكدة،
ويخشى بشكل خاص من غازات الاعصاب ،
والمنفطات ، والسيانيدات وهي اكثر الغازات تلويثاً
للماء . لذلك ينبغي اجتناب السقي من مياه البرك
والعيون . ويحسن عمل الترتيب اللازم أثناء الحروب
بتجهيز موارد للشرب ووقايتها جيداً .

ويتم اكتشاف وجود كميات خطرة من الغازات
في المياه بواسطة طرق خاصة للتحليل الكيماوي ،
كما ان تنقيته صعبة وتتطلب معدات ومواد كيماوية
خاصة لا تصرف وفق نظام محدد عادة في الجيوش
النظامية ، لذلك فإن اللجوء إلى عملية التنقية يتم
فقط في حالة عدم توفر المياه غير الملوثة . وبعد ان
تتم عملية تطهير المياه وتنقيتها ، تجري معاملتها
بالكلور لتعقيمها قبل صرفها للاستهلاك .

هـ) تطهير الالبسة والمعدات الملوثة : في حالة
استخدام الاسلحة الكيماوية في الحرب ، ينبغي
اتخاذ الاحتياطات منعاً لحصول المزيد من الاصابات
التي يمكن ان تسببها الثياب والاغطية والمعدات الملوثة .
واهم هذه الاحتياطات هي إزالة تلوثها الذي يتم
في المراكز الطبية الميدانية المختصة . وينبغي اولا
إزالة ثياب واغطية المصاب في أقرب فرصة ممكنة
ومن ثم التخلص منها بالقائها في حفر خاصة (باستثناء
الملابس والقفازات والاقنعة الواقية وسائر المهمات
التي يمكن إزالة تلوثها في الميدان) تعدها مراكز
الخدمات الطبية وتقوم بابلاغ الهيئات الاخرى
بمكانها ، وحجمها ، ونوع التلوث بالغاز الذي
يمكن التخلص منه بهذه الطريقة . ثم تقوم الهيئات
المختصة بجمع الثياب والاغطية وارسالها الى خدمات
الميدان المركزية لكي تزيل تلوثها . اما الملابس
والقفازات والاقنعة الواقية فيمكن إزالة تلوثها بغليها
في الماء والمحاليل الكيماوية او تهويتها — وذلك
بحسب نوع ودرجة تلوثها — وإعادتها الى الخدمة .
اما المعدات القتالية المعدنية فيمكن إزالة تلوثها بمسحها
بالحروق ، وغسلها بالماء الساخن والصابون او المحاليل
الكيماوية ، وتهويتها لمدة عدة ساعات قبل إعادتها
الى الخدمة .

وينبغي في جميع حالات إزالة التلوث الكيماوي
ان تقوم الهيئات الميدانية المختصة باستكمال النقص
في الاغذية والمياه والالبسة والاغطية والمعدات الملوثة
من الاحتياطي في الوقت المناسب لكيلا يؤثر ذلك
على القدرة القتالية للقطعات .

(٢) التطهير الذري

يؤدي الانفجار الذري الجوي او على سطح
الارض او الماء وتحت الماء إلى التدمير والتلوث
بالغبار الذري . ولا يمكن متابعة الحياة والقتال
على الأرض الملوثة إلا بعد القيام بأعمال الانقاذ
واعمال التطهير . وسنذكر فيما يلي الاعمال التي
يمكن القيام بها عند تدمير المناطق الصناعية
والمؤسسات العسكرية او المرافق العامة وتلوثها .

طرق الانقاذ

يمكن تقليل مخاطر الاشعة النووية في التجهيزات
والمباني باتباع الطرق التالية :

آ — تركها مدة من الزمن .
ب — تطهيرها .
ج — تحريم استعمال المنشآت والتجهيزات كيما
يتناقص النشاط الاشعاعي بصورة طبيعية
ويغدو ضعيفاً .

ويتم **التطهير** اذا كنا بحاجة للمنشآت او
التجهيزات لضرورات عسكرية . وهناك طريقتان :
آ — الطريقة المستعجلة . ب — الطريقة المتقنة .

وتحتل السرعة الاعتبار الأول في **الطريقة المستعجلة**. وتستعمل أبسط المواد والتجهيزات في
هذه الطريقة . وتطبق اعتيادياً لتطهير البواخر
والآليات والدبابات والطائرات والمدفعية . والمثال
للحالة الملحة هو تلوث باخرة وهي في عرض البحر
اثناء انفجار ذري تحت الماء . فالتطهير ضروري
لبقاء البحارة في الباخرة الى ان تعود الى قاعدتها
للتصليح او للتطهير التفصيلي المتقن .

وتعتمد الطريقة الاعتيادية على الغسل بالماء
الاعتيادي او الماء المالح . وليس من الضروري
وصول الافراد الى قرب الأهداف الملوثة ، فيكفي
ان يستخدموا خراطيم المياه . واستخدام الصابون

او غيره من المطهرات يزيد من كفاءة العملية . وتتخذ الترتيبات لعدم إعادة استخدام الماء الذي غسل به لأنه يصبح ملوثاً ويؤذي الافراد .

ولتطهير الاراضي الملوثة تستعمل «البولدوزرات» و«القاشطات» و« الكريدرات » ومختلف الآلات الأخرى . وينبغي قبل استخدامها ترطيب المنطقة برذاذ الماء .

أما بالنسبة للاشعة فيعتبر انحلالها الطبيعي والتدريجي بديلا للتطهير اذا امكن ترك المنطقة بضع ساعات بعد الانفجار . ويمكن للافراد الوصول على مقربة من الأهداف .

ويتم تطهير الطائرات كما يتم تطهير البواخر . واذا تلوث سطح الطائرة فقط يمكن اجراء تطهير مستعجل لها ، وعدم تشغيل محركها بحيث يقل النشاط الاشعاعي . واذا سمحت الظروف بترك الطائرة مدة من الزمن ينحل النشاط الاشعاعي بصورة طبيعية ، ويمكن غسلها بالماء باستخدام خراطيم اطفاء الحرائق بصورة لا تسبب أي ضرر للطائرة . ومن الافضل اضافة الصابون او اية مادة أخرى مطهرة ، لان الصابون يساعد على إزالة المواد الدهنية على السطح على ان يتم الانتباه الى ضرورة التخلص من المياه الملوثة . وبعد هذه العملية تفحص الطائرة بجهاز قياس الاشعاعات . ولا يسمح بطيرانها قبل التأكد من عدم خطورة الاشعاعات على الملاحين .

واذا تلوثت احدى حاملات الطائرات تطهر باستخدام البخار مع اضافة مادة مطهرة كالصابون .

وعندما تتلوث الطائرات او المحركات من الداخل تترك وقتاً كافياً لكي تقل شدة الأشعة وتصل الى الحد المقبول في الحركات العسكرية .

وتتمثل الطريقة السريعة لتطهير الدبابات والعجلات والاسلحة الثقيلة في المواقف التعبوية في غسلها بالماء ، بأنبوب ذي ضغط شديد مع إضافة مادة مطهرة . واذا كان البخار متيسراً فهو افضل عند مزجه بالمطهرات .

يجري التطهير **بالطريقة المتقنة** (التفصيلية) في المناطق الخلفية او قواعد التصليح التي تتوفر فيها كل التجهيزات وأجهزة الكشف الكيميائية .

وهناك ثلاثة اجراءات رئيسية تستخدم في أعمال التطهير :

آ — التطهير السطحي .
ب — التقادم والتغطية .
ج — التخلص .

ويمكن استخدام الطرق الثلاثة اذ تكمل بعضها بعضاً . وفي عملية التقادم تترك التجهيزات والمعدات فترة من الوقت لكي يقل النشاط الاشعاعي . اما عملية التخلص فتعني نقل المواد الملوثة والانقاض الى امكنة بعيدة . اما اذا كان نقلها صعباً فانها تمزج بكميات كبيرة من الماء الى الحد الذي يزيل كل مخاطر التلويث .

وينتبه خلال عملية التطهير إلى حماية الافراد الذين يقومون بعملية التطهير ، والانتباه الى أنه لا توجد طريقة للتطهير الكامل من النشاط الاشعاعي . ولحماية جماعات التطهير يرتدي افراد هذه الجماعات ملابس خاصة تغطي كل اجزاء الجسم ، وفيها أقل ما يمكن من الفتحات . ولا توقف هذه الملابس أشعة غاما ، ولكنها تبعد المواد الملوثة عن الجسم . ويحمل كل فرد جهازاً لقياس كمية الاشعة التي يتعرض لها . كما يجهز المراقب بآلة كشف وقياس الاشعة (عداد غايغر) أو غيره من العدادات لفحص المواد والتجهيزت والتأكد من مقدار شدة الأشعة .

(١٤) التطوع

عمل يتعهد فيه المواطن بالعمل في القوات المسلحة بمحض إرادته خلال فترة معينة من الزمن . ولقد كان التطوع المصدر الرئيسي للحصول على المقاتلين عبر العصور . على حين كان التجنيد عملا يستهدف سد النواقص في ملاك القطعات المحاربة . ثم ازدادت أهمية التجنيد منذ أواخر القرن التاسع عشر ، ولكن التطوع بقي المصدر الرئيسي للحصول على الكوادر اللازمة للجيش العامل ، والكوادر الضرورية لقيادة القطعات الاحتياطية التي يتم تشكيلها عند التعبئة العامة من المجندين الاحتياطيين المستدعين إلى الخدمة . وبالاضافة إلى ذلك فان المتطوعين يشكلون الهياكل الأساسية للقطعات الفنيــة (طيران ، مدرعات ، مهندسين ، مدفعية ، صواريخ ، إدارة ، استخبارات) عاملة كانت أم احتياطية .

يخدم المتطوع في القوات المسلحة مدة خمس سنوات ، بعد توقيع عقد تطوع . ويتلقى خلال خدمته راتباً شهرياً محدداً ، ويحق له بعد انقضاء المدة تجديد عقده اذا لم يكن هناك ما يمنع ذلك . ويكون المتطوع شاباً ، يزيد عمره عن ١٨ عاماً ، صحيح البنية ، سليم التفكير ، أعزب ، يحمل شهادة لا حكم عليه . ويشترط بعض الدول العربية أن لا يكون المتطوع متزوجاً من اجنبية ، وأن يكون من أبوين عربيين .

وهناك دول تتجاوز شروط التطوع المتعارف عليها اذا كان المتطوع ينوي الخدمة في جيوش المستعمرات العاملة وراء البحار (الفرقة الاجنبية La legion étrangère مثلا) .

(١) التطويق

هو الوصول الى مجنبــة ومؤخرات الخصم ، واحاطة قواته بسلسلة متماسكة من القوات قادرة على قطع خطوط مواصلاته ، وضربه من جميع الجهات ؛ واجباره على تشتيت جهوده بالقتال جبهيــاً وعلى جبهة معكوسة بآن واحد .

ويتم التطويق enercelement بعد نجــاح عملية الالتفاف أو الاحاطة سواء كان الالتفاف او الاحاطة من جانب واحــد او من جانبين (كماشة) . ولذا فان من الممكن اعتبــاره النتيجة النهائية لنجاح الالتفاف أو الاحاطة ، وليس من الضروري أن يكون التطويق من جميع الجهات بالقوات ، لأن طبيعة الأرض قد تساعد القائم بالتطويق على تنفيذ عملية التطويق من جانب (أو اكثر) فقط ، بينما تكون مواصلات الخصم مقطوعة من الجوانب الأخرى بسبب وجود بحر أو جبل أو أرض مستنقعية أو منطقة صحراوية لا تسمح بالحركة .

ويستهدف التطويق عزل جزء من قوات العدو ، واعداد الظروف المادية والمعنوية لتدميرها . وهو لا يتحقق إلا اذا تمت حركة الالتفاف او الاحاطة بسرعة وبشكل خفي ، وقبل ان تتمكن القــوات المعرضة للتطويق من الانسحاب خارج حلقة التطويق. ولقد شهدت حملة نابليون في روسيا (١٨١٢) معارك كثيرة قام فيها الجيش الكبير الفرنسي بالتطويق بعد انسحاب القوات الروسية الى عمق البلاد . كما شهدت الحرب العالمية الأولى عمليات تطويق ناجحة جغرافياً ، ولكنها لم تحسم المعركة لأن القــوات انسحبت قبل اغلاق الطوق . أما في الحرب العالمية الثانية فقد استطاعت جيوش المحور (١٩٣٩ — ١٩٤١) وجيوش الحلفاء (١٩٤١ — ١٩٤٥) القيام بعمليات تطويق ناجحة بفضل مرونة القوات المهاجمة وسرعة حركتها .

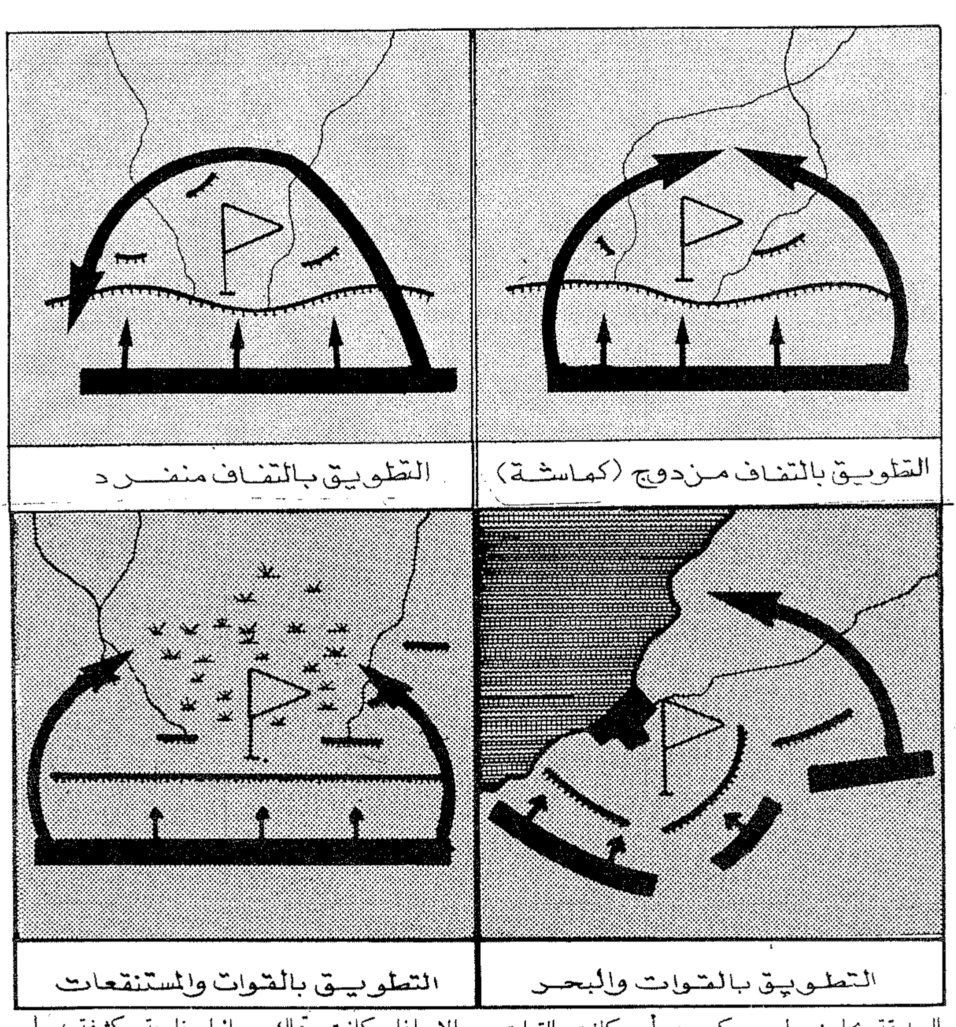
ويحقق التطويق عادة أغراضه من جراء عاملين: أحدهما مادي والآخر معنوي. ويتمثل العامل المادي في قطع طرق الامداد والتموين عن القوات المطوقة واستنزاف هذه القوات بهجمات مستمرة من جميع الجهات واجبارها على استهلاك ذخيرتها ومحروقاتهــا ومؤونتها وموادها الطبية دون السماح لها بتجديد مخزونها

من هذه المواد ، أو تبديل قطعاتها المقاتلة بقطعات جديدة ، في الوقت الذي يستطيع به القائم بالتطويق متابعة الضغط بشكل مستمر بفضل حصوله على قوات وامدادات جديدة . أما العامل المعنوي فهو يأتي من احساس القوات المطوقة بالعزلة عن القطعات الصديقة . ولقد أدى تطور النقل الجوي إلى تخفيف الآثار المادية نظراً لقدرة الجيوش الحديثة على ارسال القوات الى داخل الطوق وامداد وتموين القوات المطوقة عن طريق الجو (انظر الجسر الجوي والامداد الجوي) خاصة اذا لم يكن الطرف القائم بالتطويق مالكاً للسيطرة الجوية . كما أن صمود القوات المطوقة وارتفاع معنوياتها يساعدان على تخفيف الأثر المعنوي للتطويق ، ويسمحان للقوات المطوقة بالمقاومة مدة طويلة والمشاركة في عملية طحن الخصم وتجميد قسم كبير من قواته ومنعها من الاندفاع في العمق ريثما تقوم القوات المطوقة بفك التطويق بقواها الذاتية أو بالتعاون مع قوات صديقة تأتي من خارج الطوق .

ويقاس نجاح التطويق بعدد القوات التي يتم حصرها داخل الطوق ، واجبارها على الاستسلام . والدليل الملموس على التطويق الناجح هو وقوع عدد كبير من الاسرى والغنائم (اسلحة ومعدات) بيد القوات القائمة بالتطويق .

وللتطويق مستويات تكتيكية وعملياتية واستراتيجية . ويتم الأول خلال المعركة نفسها ، وتكون القوات المطوقة من جرائه عبارة عن قطعات محدودة موجودة ضمن العمق التكتيكي . ويتم الثاني في العمق العملياتي ، ويؤدي الى تطويق قطعات كبرى يؤثر تطويقها وتدميرها على مخططات الخصم العملياتية . أما الثالث فيتم في العمق الاستراتيجي . ويؤدي الى تطويق قطعات كبرى يؤثر تطويقها وتدميرها على التوازن الاستراتيجي العام للخصم . وتشارك القوات البرية في الانواع الثلاثة . ولكن الحرب الحديثة تجعل التطويقين العملياتي والاستراتيجي بحاجة لقوات مدرعة وميكانيكية كبيرة قادرة على التوغل بسرعة في عمق ترتيب العدو . ويمكن ان تشارك في هذين التطويقين قوات محمولة جواً يتم انزالها في النقاط الحساسة وراء الخصم لمنعه من الانسحاب قبل اغلاق الطوق ، والمشاركة في تطويقه من الخلف .

ولا يعتبر التطويق قائماً وفعالا إلا اذا تحقق شرطان : ١ — اذا كانت القوة القائمة بالتطويق اكبر من القوة المطوقة ، لأن عدم تحقيق هذا الشرط يجعل القوة المطوقة قادرة على فك التطويق بهجمات من الداخل نحو الخارج ، ٢ — اذا كانت القوات المطوقة معزولة عن بقية القوات



الصديقة بحاجز طبيعي كبير ، أو كانت القوات الصديقة مثبتة ومشغولة بمعارك أخرى ، أو كانت هذه القوات في الأساس صغيرة الحجم أو لا تتمتع بقدرة حركية عالية . وفي الحالة التي تكون فيها القوات المطوقة غير معزولة عن القوات الصديقة ، وتكون هذه القوات كبيرة وقادرة على الحركة وتملك حرية العمل ، يفقد التطويق قيمته ، لأن القوات الصديقة تتحرك باتجـاه مكان التطويق ، وتطوق القوات القائمة بالتطويق (تطويق التطويق) ، وتقوم مع القوات المطوقة بفك التطويق بهجمات من الداخل والخارج . (انظر فك التطويق ، وجزيرة المقاومة) .

واذا كان التطويق العملياتي أو الاستراتيجي يتطلب اغلاق الطوق بالقوات ، فان التطويـق التكتيكي قد يتم باغلاق الطوق بالقوات ، أو اغلاق جزء من الطوق بالقوات واغلاق الجزء الآخر بالنيران التي تمنع حركة القوات المطوقة من داخل الطوق الى خارجه ، وتمنع وصول القوات وقوافل الامداد والتموين من خارج الطوق الى داخله . ومن المؤكد ان قوات التطويق لا تستطيع اكمال الطوق بالنيران الا اذا كانت تملك وسائط نارية كثيفة ، أو كانت طبيعة الأرض تفرض على القطعات وعلى ارتال الامداد والتموين الراغبـة في الوصول الى مكان التطويق ، كما تفرض على القوات المطوقة الراغبة في الخروج من الطوق ، المرور عبر ممرات اجبارية تسهل السيطرة عليها بالنيران . ولكن إكمال التطويق التكتيكي بالنيران لا يمكن ان يستمر طويلا . وهو يفقد جزءاً كبيراً من فاعليته في ساعات الظلام الا اذا كانت امكانات الانارة الاصطناعية غير محدودة . ولذا فان استخدامه في المعركة يكون لمدة محدودة هي المدة اللازمة لمهاجمة القوات المطوقة داخل جزيرة المقاومة وتطهيرها .

ويدخل التطويق في تكتيكات حرب العصابات ، وخاصة في حالة اغارات الاحتلال . كما يدخل ايضاً في تكتيكات القوات المضادة للعصابات ، ويكون في هذه الحالة مدخلا لابادة العصابات عن طريق الخنق أو التمشيط أو التفتيت أو هجوم وحدات الصدمة (انظر تكتيك القوات المضادة للعصابات) . ويتميز التطويق في حرب العصابات

والحرب المضادة للعصابات عن التطويق في معارك القوات النظامية ، في أن التطويق الأول لا يتم غالباً بعد التفاف مفرد أو مزدوج ، ولكنه يتم بعد الانطلاق من مناطق التجمع إلى حلقة التطويق مباشرة . ويتميز التطويق في حرب العصابات عن التطويق في الحرب المضادة للعصابات في أن الأول يتم بقوات مشاة معززة باسلحة ثقيلة ، تتسلل الى حلقة التطويق من عدة جهات ليلا او عبر الغابات والوديان المشجرة سيراً على الأقدام ، بينما يتم الثاني بقوات محمولة معززة بأسلحة ثقيلة ، تتحرك بالآليات او بطائرات الهليكوبتر إلى نقاط قريبة من حلقة التطويق ، ثم تنتقل الى خط التطويق سيراً على الأقدام من عدة جهات . ومن الطبيعي ان القوات المضادة للعصابات تستخدم اسلوب اكمال التطويق بالتطويق الناري اذا لزم الامر اكثر من استخدام العصابات لهذا الاسلوب نظراً لأن العصابات (باستثناء العصابات الكبيرة) لا تمتلك دائماً الوسائط النارية اللازمة لخلق سدود نارية كثيفة ولمدة طويلة .

(١) التعامل مع الاسلحة

(انظر استخدام الاسلحة) .

(٧) التعبئة العامة

مجموعة التدابير التي تتخذها دولة ما عندما تتحول من حالة السلم الى حالة الحرب . ان امتداد رقعة الحروب الحديثة حدت بالحكومات ان تتهيأ لهذا الأمر منذ زمن السلم ، لا عن طريق الجيوش فحسب ، بل باتخاذ تدابير اخرى ايضاً ، تتصل بجميع مرافق الدولة ، بهدف التوحيد والتوجيه السريع لكل القوى الحية في البلد والتي بوسعها ان تقدم للقوات المسلحة الوسائل اللازمة للقيام بمهماتها من جهة ، وتحضير الترتيبات الوقائية اللازمة في أقصر مهلة ممكنة للحد من تدخل الشعوب المعادية من جهة اخرى . ان التدابير الرئيسية للتعبئة العامة تتضمن :

- اعداد الجيوش التام للحرب .
- التعبئة الاقتصادية .
- التعبئة النفسية .
- الحماية الوطنية .

وفي سبيل تنفيذ هذه التدابير والاجراءات اللازمة للتعبئة بشكل سريع ومنظم ينبغي ان تحضر هذه الترتيبات منذ زمن السلم ، وفقاً لمخطط مدروس ، يدعى **مخطط التعبئة العامة** .

ويعني اعـــداد الجيوش التام للحرب : تجميع القوى البشرية (استنفار مختلف فئات الاحتياط ، او استنفار جميع المواطنين أياً تكن نوعية التعبئة العامة) . وتجميع وتوزيع الوسائط المادية (الوسائط المستعملة ايام السلم ، احتياطي الحرب ، المصادرة) ، وتنظيم الوحدات المستنفرة وفقاً لما تفرضه حالة الحرب ، وخلق وحدات مقاتلة جديدة .

أما التعبئة الاقتصادية فتعني : زيادة العديد البشري المتخصص ، وتوفير العتاد والمواد الاولية اللازمة لقيام المنشآت الصناعية المنتجة للمواد والعتاد الواجب استعماله في الدفاع الوطني ، واللامركزية المؤقتة لهذه المنشآت ، وقيام مؤسسات صناعية مدنية غير متخصصة لانتاج المواد اللازمة للدفاع الوطني على ان تكون مجهزة في كل لحظة لتبديل نوعية انتاجها وفق حاجة البلاد ، ومصادرة الآلات والمواد الاولية اللازمة لصالح بعض الصناعات الحربية بغية زيادة انتاجها .

أما التعبئة النفسية فتعني وضع الشعب في حالة نفسية مؤهلة للقتال ذوداً عن الوطن انطلاقاً من الايمان بالقضية التي يدافع من أجلها . وينبغي أن تشترك كافة الأجهزة ووسائل الاعلام في رفع الروح المعنوية عند المواطنين .

وتشتمل الحماية الوطنية على عدد من التدابير التي تتعلق بشكل خـــاص : بالامن الداخلي ، وبالدفاع السلبي .

تكون التعبئة الاقتصادية والمعنوية والحماية الوطنية ، في البلدان المؤهلة للقتال ، معدة مسبقاً بموجب مخطط عام للتعبئة تجهزه قيادة القوات المسلحة ، حيث يقوم كل قطاع من القطاعات العسكرية وكل وزارة من الوزارات المختصة بدراسة تفصيلية حول المواضيع التي تختص بها .

يتم اعلان التعبئة بموجب قرار سياسي تتخذه أعلى سلطة في الدولة . ويمكن أن تكون التعبئة عامة أو جزئية أو موضعية . ويصير الاعلان عنها للجمهور بوسائط سرية أو علنية . وتتمثل الوسائط السرية في أسلوب «كرة الثلج المتدحرجة» التي تتضمن إبلاغ قادة القطاعات برسائل سرية ، ينقلها القادة إلى عدد محدود من الاشخاص المكلفين بابلاغ عدد اكبر . وهكذا يتم إبلاغ أوامر التعبئة بتيسلسل متزايد حتى يصل إلى جميع الاحتياطيين . وهناك وسيلة سرية أخرى مبنية على استخدام رموز غير مكشوفة تذاع من محطات الاذاعـــة والتلفزيون . وتختلف هذه الرموز عن غيرها بأنها لا تلفت انتباه المستمع العادي ، ولكن الجنود الاحتياطيين يفهمونها ويعتبرونها أمراً بالتحرك إلى مكان التجمع . أما الوسائل العلنية فتضم الاذاعـــة ، والملصقات ، والاعلانات الرسمية التي يقوم بتصميمها المخاتير ومخافر قوى الامن الداخلي . ويحدد في هذه الاعلانات يوم وساعة المباشرة بالتعبئة . ويقتضي ان تشير هذه الاعلانات ايضاً الى واجبـــات ومهمات العناصر الخاضعين للخدمة العسكرية ليتمكن كل منهم من الالتحاق في الموعد المحدد بالقطعة التي ينتمي اليها . وتقوم بهذه الترتيبات هيئات الاركان ومراكز التعبئة ووحداتها لتتم مجمل العمليات العسكرية وفقاً لما هو مرسوم في صحائف التعبئة ومواقيتها . وتعطى التعليمات بشأن التعبئة الاقتصادية والمعنوية والحماية الوطنية اما من قبل وزير الدفاع الوطني او قادة المناطق التابعين له او بواسطة الوزراء ذوي الصلاحية .

ان الخطر النووي المداهم في العصر الحديث ، حيث تعتمد الدولة المهاجمة على عنصر المفاجأة الكفيلة بالقضاء على دولة اخرى خلال بضع دقائق بات يستوجب اعادة النظر في مفاهيم التعبئة التقليدية ويستلزم المقدرة على مقاومة كل هجوم مفاجئ مع استمرار بقاء الدولة في حالة عيش طبيعية ووضع يسمح لها بالدفاع .

ولمـــا كـــانت التعبئة بشكلهـــا التقليدي تقتضي فترة من الوقت وايجاد وسائل اتصال جاهزة على الدوام ومخزونات ضخمـــة من سائر المواد والعتاد ... الخ ، فقد غدا من المستحيل ان تتمكن الدولة من اتخاذ كافة تدابير التعبئة على جميع المستويات في الفترة القصيرة التي تفصل حالة الحرب عن حالة السلم كما كان الحال في السابق . ولذلك فان مبدأ استمرارية التعبئة اصبح ضرورة الزامية . ويعني ذلك ان القوات المقاتلة الجاهزة في زمن السلم ينبغي ان تتمكن وحدها من القيام بدور الدفاع ورد الهجوم المعادي وتخفيف وطأته ، وهكذا فان التعبئة العامة باتت تشكل المرحلة الثانية من عمليات الحرب الحديثة . وقد لا يمكن تنفيذ هذه المرحلة اما لأن كل مقاومة ممكنة تكون قد ضربت في المهد منذ الصدمة الاولى التي تلقتها ، وإما على العكس من ذلك ، لأن قوى المقاومة الجاهزة تكون قد قضت على القوة المهاجمة منذ الوهلة الاولى .

(١) التعليم العسكري

هو إعطاء أفراد القوات المسلحة مجموعة من المعلومات الخاصة (العلم العسكري) ، وتعويدهم على التفكير السليم عند معالجة الأفكار ودراستها .

ويشمل التعليم عادة نوعين من المـــواد : ويستهدف النوع الأول إعطاء افراد القوات المسلحة المعلومات الضرورية لتنفيذ النشاطات الحربية التي سيمارسونها . أما النوع الثاني فيستهدف توسيع أفق أفراد القوات المسلحة ، وجعلهم اكثر قدرة على التفكير والمحاكمة .

وتتبدل المعلومات الضرورية لتنفيذ النشاطات الحربية باستمرار نظراً لتبدل التكتيك وتطور المعدات بسرعة وخاصة في العصر الحاضر الذي تنقلب فيه المفاهيم التكتيكية بسرعة مدهشة . أما المعلومات الرامية إلى توسيع الأفق فهي تعتمد أموراً أكثر ثباتاً ، لأنها تهتم بدراسة التاريخ والجغرافيا والاقتصاد وكل ما من شأنه أن يمرن ويعد ذكاء العسكري ليصبح قادراً على التلاؤم مع جميع المتحولات .

ويستهدف التعليم الجيد اعداد العسكري القادر على القيام بعمله المتناسب مع رتبته ، والقيام عند الضرورة بعمل الرتبة الأعلى من رتبته . ويشمل التعليم العسكري النقاط التالية : ١ — رفع قدرات العسكري ، والقائد بشكل خاص ، على التعبير كتابة وكلاماً . حتى يستطيع شرح أفكاره لرؤسائه وصياغة أوامره لمرؤوسيه . واعداد الدراسات المنهجية اللازمة لحل معضلات مطروحة أمامه ، ٢ — رفع قدرات العسكري والقائد على التحليل والتركيب والاستنتاج السليم ، ٣ — رفع مستوى قدرة المتعلمين على اكتشاف العلاقات بين الأشياء ، وتذوق العمل الفكري ، وتملك قاعدة من المعلومات كافية للقيام بأعمال المستقبل ، ٤ — إعطاء المتعلمين مرونة فكرية تسمح لهم بالتلاؤم مع متغيرات الاحداث والأزمان .

ودراسة التاريخ العسكري ضرورية في مجال التعليم البنائي . لأنها تسمح باكتشاف المســتقبل وتوقعه من خلال دراسة الماضي . واهمال التاريخ العسكري خطير كاهمال التقدم والتطور المستمرين . ولقد ذكر نابليون قبل موته بثمانية عشر يوماً :« أود أن يقرأ ابني التاريخ ويفكر به ملياً ، فهو الفلسفة الوحيدة . وأن يقرأ حروب القادة الكبار ، ويمعن فيها الفكر ، فهذه أفضل وسيلة لتعلم الحرب » . ومن المؤكد أن دراسة التاريخ العسكري تنمي حس ومعرفة الممكن ، والتسلسل الزمني الذي تخضع له الأحداث الكبرى . شريطة عدم التعلق بجزء صغير من منحنى التطور التاريخي ، أو بنقاط متقاربة جداً ، أو بنقطة واحدة من هذا المنحنى ، لأن مثل هذا التعلق يؤدي إلى جهل خط السير العام ، ورفع القواعد العرضية والوسائل المؤقتة إلى مستوى المبادئ ، ويجعل التوقع السليم أمراً متعذراً . وتتطلب دراسة التاريخ العسكري قراءة معارك القادة الكبار من الاسكندر الأكبر إلى جياب ، ومحاولة الدخول في دراسة نفسية هؤلاء القادة ، وفهم تصرفهم أمام الأحداث ، وتحديد مخططاتهم وأفعالهم ، دون الضياع في التفصيلات الدقيقة لعملياتهم . ولا يعني هذا الابتعاد نهائياً عن دراسة بعض المعارك الهامة ، وكشف أسرار النصر أو الهزيمة فيها ، ولكنه يعني دراسة التاريخ ضمن إطار البحث عن دروس لا عن نماذج .

ولا تقل دراسة الجغرافيـــا أهمية عن دراسة التاريخ . ولذا فان التعليم العسكري الجيد يشمل دراسة الجغرافيا السياسية ، والجغرافيا العسكرية ، والجغرافيا الاستراتيجية .

ويشمل التعليم العسكري رفع مستوى معرفة المتعلمين في مجالات الرياضيات والفيزياء والكيمياء والاحياء والتشريح والاجتماع والسياسة .

والمهم في التعليم العسكري التوصل إلى النتائج التالية : ١ — إعطاء المتعلمين الحد الضروري واللازم لتنفيذ مهماتهم المستقبلية ، ٢ — تعويدهم على التفكير والاستنباط بدلا من التمسك بعقيدة جامدة أو وصفات مسبقة ، ٣ — انتزاعهم من الكسل الفكري الذي تدعو إليه الحياة العسكرية الميالة إلى تكرار نفس الاعمال والحركات مدة طويلة .

(٦) تعويضات الحرب

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٨) التفتيت

مصطلح حديث يقصد منه : منع العدو من استثمار ميزة تفوقه في القوى ، وذلك باخضاعه معنوياً لظروف نفسية تجعله عاجزاً عن تقدير الموقف السليم ، واتخـــاذ الاجراءات الصحيحة ، واخضاعه مادياً لظروف تجعله عاجزاً عن حشد قواته واسلحته في اتجاه الضربة الحاسمة الموجهة اليه ، وبالتالي وضع القوات وقياداتها في شلل تام يمنعها من تقديم مقاومة حقيقية . ويعتبر التفتيت « المعنوي والمادي » هدفاً من أهداف الاستراتيجية ، ذلك ان التفتيت المعنوي يحطم ارادة القتال عند العدو ويحمله على الخضوع دون قتال ، والاستسلام دون معركة . وحتى اذا لم يستسلم هذا العدو دون قتال ، فانه سيكون في موقف معنوي ومادي غير متوازن مما يجعل أمر القضاء عليه في المعركة واخضاعه في الحرب وتدمير قواته ، امراً سهلا . وبدهي ان تختلف الوسائل المادية والمعنوية التي يمكن استخدامها في « التفتيت » اختلافاً يتوافق مع الموقف ، ومع تكوين العدو وطبيعته . وتكمن المهارة الاستراتيجية عند القائد وجهاز قيادته ، في انتقاء الوسيلة ، أو مجموعة الوسائل ، التي تحقق معادلة « الهدف — الامكانات » والتي تضمن بالتالي النجاح المطلوب للتفتيت .

يعتمد التفتيت المعنوي على مجموعة من المعطيات هي :

أ — معرفة العدو معرفة شاملة وعميقة ، يمكن بواسطتها تحديد نقاط ضعفه ، ومراكز قوته ، والنقاط التي يمكن استثمارها في « الحرب النفسية » الموجهة ضده .

ب — تقدير الموقف الخاص تقديراً صحيحاً ، لا مبالغة فيه ولا استهانة ، مما يسمح بمعرفة الامكانات الذاتية معرفة دقيقة تسمح باجراء معادلة سليمة في ميزان قوى « العدو — الصديق » .

ج — دراسة أجهزة العدو القيادية (القيادات العسكريـــة ، الزعـــامة السياسيـــة ، الفعاليـــات الاقتصادية . الخ ...) ومعرفة وضعها المعنوي ، ونقاط قوتها ، وارادتها للقتال .

د — معرفة مدى التلاحـــم بين القـــاعدة الجماهيرية الواسعة وبين قياداتها ، ومقدار هذا التلاحم ، والسلبيات الموجودة التي يمكن الافادة منها في هذا المجال .

هـ — روابط العدو الوطنية منها والدولية ، وردود الفعل المتوقعة للعدو وحلفائه ، وما يقابل ذلك لمصلحة الطرف المقابل ، واجراء موازنة دقيقة بين ردود الفعل المتوقعة وما يمكن اتخاذه من اجراءات لمجابهتها .

و — انتقاء افضل الوسائل — على ضوء ما سبق ذكره من معارف ودراسات — ثم تحديد الوسيلة المناسبة ، سواء كانت سياسية او غير سياسية ، خوض حرب تقليدية ، او اثارة مؤامرات وفتن داخلية ، او الخوض في معارك عصابات طويلة الأمد ، او اللجوء الى حرب استنزاف بطيئـــة ومتصاعدة ، او حتى استخدام اكثر من وسيلة ودمجها في مخطط واحد متكامل ، بحيث يمكن تحقيق الهدف الاستراتيجي ضمن اطار من الثقة الكبرى بالنجاح . أما التفتيت المادي فيعتمد بدوره ايضاً على مجموعة من المعطيات هي :

أ — ممارسة العمليات والمناورات بصورة مباغتة تعيق العدو عن استخدام امكاناته وزج قواته بصورة صحيحة تضمن له تحقيق التوازن في مسرح عمليات القتال .

ب – حرمان العدو من المبادأة وذلك لوضعه امام مواقف متجددة تجعله في حالة عجز عن اتخاذ القرارات الصحيحة او الاجراءات المناسبة .

ج – توجيه ضربات حاسمة – في عدد من الاتجاهات مع التركيز على محور الجهد الرئيسي – وخداع العدو عنه ، باجراء «مناورات خداعية» أو «مناورات تشتيتية» (انظر التشتيت) .

د – توجيه تهديد قوي لمحاور امداد العدو واخلائه ، وفصل قواته عن القواعد الخلفية .

ه – القيام بمناورات واسعة وعميقة لاحباط حركة القوات الاحتياطية للعدو ، ومنع القوات المنسحبة من اعادة تنظيمها ، وتشكيل مقاومات جديدة .

ان التفتيت المعنوي متلاحم مع التفتيت المادي ، وليس بديلا له ، بحيث لا يمكن الاعتماد كلياً عليه . وان نجاح التفتيت المادي ما هو الا تتويج للجهد المبذول في تنفيذ اساليب التفتيت المعنوي . كما ان الحصول على التفتيت المعنوي الأفضل بحاجة الى تفتيت مادي مستمر . ومن هنا جاءت العلاقة الجدلية بين التفتيتين المادي والمعنوي .

(٦) التفجير عن بعد

التفجير عن بعد Detonation by remote control ، نظــام الكتروني يستخدم الموجات اللاسلكية في تفجير الحشوات المتفجرة .

ويتألف هذا النظام : من جهاز إرسال يبث موجات لاسلكية ذات ترددات معينة وفق شيفرة محددة ، ومن جهاز استقبال معد بحيث يقوم بتحليل الموجات المستقبلة واستبعاد الموجات اللاسلكية غير المرغوبة (كموجات الارسال الاذاعي التي تملأ الجو ، او الموجات اللاسلكية التي تتولد في الجو بشكل طبيعي وتكون متوافقة مع الموجات المستعملة) والسماح للموجات المطلوبة فقط بالمرور الى داخله وذلك خوفاً من حدوث تفجير مبكر غير محسوب . وبعد ان يتم استقبال الموجات المطلوبة يجري امرارها في جهاز يقوم بتحويلها الى جهد كهربائي يستفاد منه – بعد تقويته – في تفجير صاعق كهربائي يؤدي إلى انفجار حشوة أو لغم أو انطلاق قذيفة صاروخية .

ويتم اعداد النظام للعمل ، بوصل جهــاز الاستقبال في صاعق كهربائي داخل حشوة متفجرة ، ووضع الجميع في المكان المناسب . ويمكن تفجير الحشوة ، بعد ذلك ، اذا قام شخص او جهاز توقيت كهربائي او الكتروني بتشغيل جهاز الارسال لاطلاق الذبذبات اللاسلكية المحددة . ويختلف مدى عمل هذا النظام باختلاف ذبذبات الموجات اللاسلكية المستخدمة ، وتبعاً للتضاريس الطبيعية للارض التي تفصل بين موقع جهاز الارسال وموقع جهاز الاستقبال وخلوها من المرتفعات الارضية او المباني . ويتلاشى تأثير هذه المحددات اذا تم تشغيل جهاز الارسال من طائرة محلقة في الجو مهما كان ارتفاعها وبعدها .

ويستخدم هذا النظام عادة في تنفيذ عمليات التفجير ذات الطبيعة الخاصة ، التي تستدعي وجود القائمين بها في مكان بعيد عن مسرح العملية خوفاً من اكتشافهم وإلقاء القبض عليهم ، كما هو الحال في العمليات الخاصة التي ينفذها عملاء العدو وراء الخطوط ، أو العمليات التي تنفذها العصابات الثورية في الحرب السرية . ولحماية جهاز الاستقبال والحشوة من التعطيل في حالة اكتشافهما يفخخ الجهاز نفسه أو يوضع تحت المراقبة المستمرة ، حتى يتم تفجيره عن بعد فور اكتشاف العدو له .

(٨) التفوق

التفوق هو حشد القوى والوسائط في اتجاه المجهود الرئيسي أثناء التقدم او في القطاع الاكثر اهمية في منطقة الدفاع . ويمكن الوصول الى التفوق على العدو في الاتجاه المنتخب باجراء مجموعة من الاجراءات اهمها : أ) اتخاذ تشكيلات القتال ذات العمق ، والتي تضمن في الهجوم استمرار وازدياد الضغط على العدو بزج وحدات الانساق المقاتلة والاحتياط في المعركة في الوقت المناسب . اما في الدفاع فان من شأنه تنظيم القوات في العمق ، وتحقيق الفرص لتحطيم حدة هجوم العدو امام سلسلة من المقاومات المتتالية ، ثم القيام بهجوم مضاد بالقوات الاحتياطية والانساق الثانية عندما تتوقف حدة هجوم العدو ، وتلك هي اللحظة المناسبة لتحويل الموقف . ب) تجميع القوات في الوقت المحدد أثناء القتال في المعارك ذات الطابع السريع . ج) تكوين النسق الثاني والاحتياط ، في الوقت الملائم ، خلال مسيرة المعركة على حساب التشكيلات والوحدات العاملة في المناطق الثانوية . وهو ما يعرف باعادة التنظيم . وتتم عملية اعادة التنظيم بعد كل معركة وعلى مختلف المستويات حتى تستطيع القوات الاستمرار في تنفيذ عملياتها الهجومية او الدفاعية . د) تحطيم اكبر قدر من قوة العدو وتكبيدها الخسائر الفادحة وذلك بالتنسيق الجيد للوسائط النارية ، وبالمناورة الجيدة بالنيران ، والتركيز بصورة خاصة على تحطيم احتياط العدو . ه) المحافظة على المبادأة ، وتجريد العدو من حرية العمل ، ووضعه امام مواقف متطورة باستمرار . و) تدمير الذيل الاداري للعدو واحباط عمل الوحدات الادارية لحرمان العدو من موارده الحياتية ومواده التموينية والغذائية مما ينتهي باحباط ارادة القتال عنده . ز) لا يكفي حشد الاسلحة للحصول على التفوق اذا لم يتحقق تنسيق مجهود الوحدات بالنسبة للاهداف والوقت والمكان وتوفير المساعدة المتبادلة بينها ، لا سيما بعد ان اصبحت المعركة الحديثة ، معركة اسلحة مشتركة تختلف في خواصها وميزاتها وقدرتها . مما يفرض بالضرورة استخدام كل سلاح في المعركة بمهارة على اساس الاستفادة من خواصه وقدرته . ومن المعروف انه لا يمكن لاي سلاح ان يحل محل السلاح الآخر ، فكل سلاح مكمل للآخر ، ويجب استثمار هذه الخواص في المعركة حتى يتحقق الغرض بتنسيق مجهودها المشترك .

إن التفــوق الحــاسم : Superiorite decisive في مفهــوم المعركة الحديثــة للاسلحة المشتركة يعني التفوق الذي لا يتوقف عند حشد القوى والوسائط في اتجاه المجهود الرئيسي فقط ، بل يتجاوزه فيضيف اليه الاعتماد على البنية العميقة للجيوش والجبهات والتشكيلات ، مما يساعد على اختراق جميع الموانع والتحصينات ، ويخلق الظروف المناسبة والامكانات الضرورية لتصعيد الضربة من العمق ، ويوفر الضمانات لتجنب الضربات المعادية على اجناب القوات او مؤخرتها أثناء مسيرة الاعمال القتالية .

ومن الواضح ان التفوق الحاسم لا يستهدف توجيه ضربة واحدة بل سلسلة من الضربات المتلاحقة في معارك متصلة تجعل الخصم محروماً من حرية العمل ، وتضعه أمام مواقف متطورة يصعب عليه مجابهتها . ويتم ذلك عن طريق زج انساق جديدة في المعركة يتم توفيرها بواسطة القوات الاحتياطية ، وبواسطة اعــادة التنظيم المستمر لمجموع القوى والوسائط . وان افضل نموذج لمثل هذا التفوق الحاسم هو تقدم القوات السوفييتية بداية من مواقعها في لينينغراد وموسكو ، حتى وصولها الى برلين ، واجتياحها في طريقها جميع القوات المعادية لها ، وتدميرها بضربات حاسمة .

ولقد جاء التفوق الحاسم في المعركة الحديثة للاسلحة المشتركة تلبية لمتطلبــات التطور التقني والتطور العلمي في الانتاج الحربي ومعدات القتال ، وما رافق ذلك من تطور مماثل في تنظيم الجيوش

وتوسيع قاعدتها ، مع تطوير تنظيم الاعمال القتالية وادارتها . وكانت معارك الماضي وحروبه تنتهي بانتهاء معركة حاسمة لقوات العدو المسلحة ، او القوات التي يتم زجها في مسرح العمليات ، فكان يكفي الحصول على التفوق في ميدان المعركة او ساحة العمليات ، وتوجيه ضربة لتحطيم قوات العدو لانهاء الحرب . اما في الظروف الحديثة ، وبعد اتساع افق المعركة بحيث اصبح شاملا لبلدي الطرفين المتحاربين او مجموعة بلاد الاطراف المتحالفة ، فقد اصبحت هناك امكانات لتحقيق هذا التفوق الساحق وزج قوات جديدة واعتدة جديدة لضمان استمرار القتال حتى يتم تحقيق الهدف النهائي من الصراع .

ويختلف الوضع في الحرب الشاملة عن الحرب الموضعية او المحدودة بسبب حصر الصراع في منطقة معينة هي مسرح العمليات ، ولهذا فان التفوق الحاسم ، وتدمير قوات الخصم او ارغامها على الاستسلام لا يحمل الطرف الآخر على الاستسلام اذا ما اراد الطرف الخاسر الاستمرار في الصراع والحرب العدوانية التي قامت بها اسرائيل ضد البلدان العربية عام ١٩٦٧ هي نموذج واضح لذلك . فعلى الرغم من حصول اسرائيل على التفوق الساحق ، وعلى الرغم من نجاحها في السيطرة على مسارح العمليات واحتلالها ، فانها لم تنجح في اخضاع البلاد العربية وارغامها على الاستسلام ، نتيجة لتوفر الارادة في متابعة الصراع والاستمرار في القتال .

ان الحصول على التفوق الساحق ، على جميع الجبهات عند تعددها ، وعلى جميع المحاور عند توفرها ، من الامور المستحيلة . ولهذا كان لا بد من البحث عن وسيلة لسد هذه الثغرة . ونظراً لما تميزت به المعركة الحديثة من ميزات ، اهمها عدم التوزيع المتساوي في القوى ، فقد اصبح بالامكان تركيز الجهد لتحقيق « التفوق الساحق » في محاور العمل الرئيسية ، مع تخفيف الجهد على المحاور الثانوية التي لا تخدم الهدف الرئيسي أولا تحقق الهدف الاستراتيجي . كما اصبح بالامكان ، وبفضل المرونة في نقل محصلة « القوى والوسائط » ، العمل دفاعياً على جبهة من الجبهات لتحقيق التفوق الساحق في جبهة اخرى ، ثم نقل محور ثقل الهجوم الى جبهة أخرى . وهكذا فقد وفرت المرونة في التحرك الفرصة امام تحقيق عامل « التفوق » .

ان تحليل محصلة « القوى والوسائط » على ضوء مفهوم التفوق يقود بالتالي الى مفهومين مستقلين هما : التفوق بالقوى Superiorite de Forces والتفوق بالوسائط او النار Superiorite de Feu .

ويعني التفوق بالقوى زج وحدات وتشكيلات في مسرح العمليات او في ميدان المعركة تزيد عما يقوم الخصم الآخر بزجه في مسرح العمليات ذاته . اما التفوق بالوسائط او النار فتعني حجم الاسلحة وقدرتها على الرمي بقدر يزيد عن قدرة الوسائط المماثلة عند العدو . ويخضع الاختلاف في محصلة « القوى والوسائط » لتغير البنية التنظيمية عند الجيوش المختلفة وطريقة تسليحها . ويتم حساب التفوق في النار بالنسبة الى الاسلحة المتماثلة (مدفع هاون مقابل مدفع هاون ، ومدفع هاوتزر مقابل مدفع هاوتزر من العيار ذاته ، ومدفع ميدان مقابل مدفع ميدان ، ودبابة مقابل دبابة ، ومدفع ذاتي الحركة مقابل مدفع مماثل، وهكذا) . وباجراء العملية الحسابية على جدول المقارنة يظهر مقدار التفوق في التسليح ، وبالتالي في القدرة على الرمي .

ان من الصعب – وبصورة خاصة في ظروف المعركة الحديثة للاسلحة المشتركة – إجراء تقدير صحيح لعامل التفوق بسبب ما توفر للقوات من مرونة وقدرة على تبديل ميزان القوى بما يضمن التفوق لاحد الطرفين المتصارعين . ولكن هذه الصعوبة لا تعني امكانات الحصول على التفوق من خلال اجراء حسابات تقريبية هي اقرب ما يمكن للواقع مع وضع احتمال ما يمكن للخصم القيام به من مباغتة . ووضع تقدير للموقف يستند الى هذه الحسابات التقديرية التي يتم الاستفادة فيها من المعلومات المتوفرة عن طريق وسائل الاستطلاع المختلفة.

ان تحليل مفهوم « التفوق بالقوى » يقود بدوره أيضاً الى ثنائية جديدة هي : التفوق الكيفي Superiorite Qualitative ، والتفوق الكمي Superiorite Quantitative ، وهما علاقتان متشابكتان و متلاحمتان في مفهوم التفوق .

ويعتمد التفوق الكيفي او النوعي بالدرجة الاولى على الكفاءة القتالية العالية وارتفاع مستواها التدريبي ، كما يعتمد على الخبرات السابقة للحروب ، وعلى مستوى كفاءة القيادات ومهارتها في الافادة من الامكانات المتوفرة لديها وذلك لتحقيق التفوق على العدو . وتتزايد اهمية عامل التفوق الكيفي مع زيادة التطور التقني الكبير الذي وصلته الأسلحة الحديثة المتطورة والمعقدة ، والتي أصبحت تتطلب خبرات خاصة ومهارات عالية علاوة على مستويات ثقافية جيدة . لقد أصبح العلم والتقنية الطابع المميز لمعارك الحروب الحديثة. وهذا ما فرض على المقاتلين أعباء جديدة ، فأصبح التفوق الكيفي يحتل مرتبة أساسية في تقرير نتيجة الحروب ، وأصبح الوصول الى هذا التفوق هو الهدف الاول للقادة على اختلاف مستوياتهم . وقد أظهرت نتيجة المعارك انه باستطاعة قوة مسلحة تتفوق كيفياً إلحاق الهزيمة بقوة اخرى متفوقة عليها عددياً بفضل حسن استخدامها للوسائط الموضوعة تحت تصرفها . أما التفوق الكمي فيعتمد على حجم الوحدات والقوات المتوفرة في مسرح العمليات ، او التي يمكن زجها في ميدان القتال . ولقد برهنت تجارب الحرب أيضاً على أهمية هذا العامل ، ذلك ان التفوق العددي هو الذي يستطيع ان يوفر الظروف الملائمة لاستمرار المعركة عن طريق زج قوات باستمرار ، ومنح المعركة دماً جديداً في كل مرحلة من مراحلها . ويساعد التفوق العددي أيضاً على دعم المجهود الحربي بالقدرة الضرورية لمجابهة الاستنزاف الكبير والذي اصبح طابعاً مميزاً لمعارك الاسلحة المشتركة في الحروب الحديثة . ويفقد عامل التفوق الكمي كل قيمة له إذا لم تكن هناك إرادة لاستثمار هذا العامل والافادة منه .

ويرتبط عامل التفوق المعنوي Superiorite Morale بمفهوم « التفوق بالقوى » ارتباطاً وثيقاً ، ذلك ان ارادة القتال المعتمدة على التفوق المعنوي هي العامل الحاسم في تقرير نتيجة الصراع رغم كل تطور علمي وتقني ، بحيث يمكن القول انه لم تكن هناك معركة خاسرة في التاريخ اراد قادتها او الاطراف المشتركة فيها اكتساب النصر ، واعدوا الظروف الملائمة له، ووفروا الامكانات المناسبة والضرورية لاكتسابه (انظر القوى المعنوية) .

لقد تطورت وسائل القتال واعتدته تطوراً كبيراً ، ولكن هذه الوسائل قد وضعت لخدمة المقاتل وهو الذي يعمل على الافادة من خصائصها وميزاتها . وان الانسان هو الانسان ذاته ، منذ القدم وحتى المستقبل ، بانفعالاته وأحاسيسه ومشاعره في مجابهة الخطر وايمانه بالقضية التي يعمل لها ويقاتل من اجلها . ولهذا يبقى الانسان صانع النصر ، وبارادته وحدها يمكن تحقيق النتيجة الحتمية للصراع . ويبقى عامل « التفوق المعنوي » العامل الحاسم للحصول على التفوق الكيفي او الكمي . وتبرز اهمية هذا العامل بصورة خاصة في الحروب الثورية التشتيتية والصراعات المحدودة .

والتفوق بعد ذلك من صنع الاسلحة المشتركة في المعركة الحديثة . وقد يكون من الصعب احراز تفوق في سلاح من الاسلحة دون وضع

الاسلحة الاخرى في كفة الميزان. وعلى سبيل المثال،فقد برهنت عمليات الانزال في النروج والانزال في النورماندي انه من غير الممكن الحصول على التفوق البحري في حال فقدان التفوق الجوي في المنطقة المعينة. كما انه من الصعب الحصول على التفوق في مسرح العمليات دون الحصول على تفوق جوي يوفر نوعاً من الحماية لكتلة القوات الارضية الضاربة. وهذا النوع من تنسيق التعاون بين الاسلحة المشتركة في المعركة الحديثة هو الطابع المميز لما وصل اليه فن الحرب من تطور تقني وعلمي. ويرتبط التفوق في السلاح الجوي بدوره بقدرة الوحدات الارضية ووسائط دفاعها الجوي على مجابهة سلاح الجو المعادي، والاسهام في استنزاف قوته. وهكذا اصبح تحقيق «التفوق» ثمرة تعاون بين الاسلحة المشتركة ونتيجة للتنسيق الكامل بين مجهوداتها وفقاً لخصائصها المختلفة وميزاتها. ان مبادئ الحرب المعروفة (مباغتة، وأمن، وحركة، وحشد، ووحدة قيادة) أو تلك التي وصفها ماوتسي تونغ (الانسحاب امام تقدم العدو، الكر على العدو المتراجع، استراتيجية واحد ضد خمسة وتكتيك خمسة ضد واحد، والتموين من مؤونة العدو ذاته، وضرورة وجود تلاحم تام بين الجيش والشعب) عبارة عن المبادئ التي تهدف لتحقيق التفوق على العدو. وبالتالي فرض الهدف من الصراع على الخصم. وبذلك يعتبر الحصول على التفوق الهدف الاستراتيجي الأول الذي يمكن بواسطته حسم الصراع وتقرير نتيجته.

والخلاصة، ان التفوق لا يتعلق بالعدد فقط، بل بعوامل اخرى معنوية وتنظيمية وتقنية وحركية. واذا كانت القوة القتالية = العدد × الكفاءة، فان من الضروري تحديد التفوق عن طريق مقارنة القوة القتالية للطرفين.

ويعتبر تحقيق التفوق في المستوى التكتيكي الهدف الاول للقائد العسكري، وهو ايضاً الوسيلة لتحطيم ارادة القتال عند العدو. وعلى مستوى القيادة العامة او عمليات الجبهة او مجموعة الجبهات يبقى التفوق هو الهدف الأول الذي تسعى القيادة لتحقيقه، وهو ايضاً الوسيلة لفرض الإرادة على العدو والحصول على التفوق الحاسم في المعركة الحديثة هو من اكثر الامور تعقيداً، مما يفرض على الاطراف المتصارعة وقياداتها جهداً كبيراً في تنسيق التعاون والمحافظة عليه، ونظراً لارتباط هذا التفوق بعوامل اقتصادية وصناعية،فان تحقيق هذا التفوق والوصول اليه يفترض حدوث تنسيق للتعاون في آفاق واسعة وعلى أرفع المستويات المهيمنة على التقنية والصناعة والاقتصاد والمؤسسات المختلفة التي تسهم برفد المجهود الحربي ودعمه بالطاقة الضرورية للصمود، والقدرة اللازمة للاستمرار. ومن هنا تظهر أهمية التلاحم العضوي والارتباط الوثيق بين القوات العاملة في الجبهة والمشتبكة في الصراع وبين القاعدة الجماهيرية الواسعة التي تعمل على دعم المجهود الحربي وتوفير الظروف المناسبة من اجل الوصول الى التفوق وفرض الارادة على العدو، واخضاع هذا العدو للظروف التي تحمله على الاستسلام. وواضح بعد ذلك ايضاً ان هذه القاعدة الجماهيرية ستكون مستهدفة في حال الصراع المسلح للضغوط النفسية والعدوان المسلح، وذلك لاضعاف القوات المسلحة وحرمانها من الموارد التي تضمن لها التفوق. ولذا فان من الطبيعي أن توضع الاهداف الاقتصادية والمنشآت الصناعية في طليعة الاهداف التي يعمل العدو على تدميرها في بداية كل صراع مسلح. لقد كان البحث عن «التفوق»، وتحقيقه لانهاء الصراع المسلح هدف القادة منذ الازمنة السحيقة في التاريخ. ويمكن العثور على نماذج غير محدودة «للتفوق الذي كان له دور كبير في حسم المعارك القتالية الكبرى». (مارثون، لوكترا، كافكامل).

وعندما وصل الأمر الى العرب المسلمين لم تكن قواتهم في معركة من المعارك الحاسمة تحرز التفوق المادي، ولكنهم كانوا يحطمون التفوق عند خصومهم بأساليب مختلفة اهمها: توفر اجهزة قيادية لديها كفاءة عالية، واتباع اساليب متطورة في فن الحرب، الى جانب روح معنوية عالية عند المجاهدين. وكان تفوقهم المعنوي في كثير من معاركهم هو العامل الاول والحاسم في تحطيم التفوق المادي للعدو والحاق الهزيمة بقواته. (اليرموك، أجنادين وغيرهما من المعارك) فلقد تحقق التفوق العربي في اليرموك مثلا بفضل الروح المعنوية، وكفاءة القيادة، وتنسيق التعاون، وشدة المطاردة بعد تحقيق الفوز، كما تحقق ذلك في أجنادين بفضل تجزئة الحرب الى معارك قتالية، والتحرك على عدة محاور، والمرونة، والمطاردة الحاسمة، وكفاءة اجهزة القيادة، وارتفاع الروح المعنوية. وتابع القادة في جيوش العالم بحثهم عن «التفوق».وعندما تولى نابليون بونابرت قيادة معاركه اعتمد مجموعة من المعطيات للحصول على التفوق في انهاء معاركه الحاسمة.وساعده على ذلك التطور الكبير في حشد القوات والوسائط، وتطبيق الخدمة الالزامية للحصول على التفوق العددي. علاوة على التفوق المعنوي الذي كان لصالح الفرنسيين نتيجة للانتصارات المتتابعة التي حققوها،وكان نابليون يعتمد على تدمير قوات خصمه في معركة حاسمة واحدة والوصول الى التفوق بمجموعة من المعطيات أهمها: أ) حشد القوى والوسائط في نقطة واحدة، واحراز التفوق على العدو في تلك النقطة، وانهاء القتال بمعركة حاسمة. وقد استطاع نابليون في بعض معاركه زج قوات تقارب النصف مليون مقاتل. ب) نقل محور الجهد الرئيسي بسرعة من جبهة الى جبهة للمحافظة على التفوق. وهكذا فقد عمل نابليون بعد انتصاره على النمسا في معركة أولم عام ١٨٠٥ على نقل المعركة الى اوسترليتز لتدمير الجيش الروسي والقوات النمساوية التي انضمت اليه. وفي مقربة من يينا عام ١٨٠٦، وبينما كان نابليون يحقق انتصاره على «بروسيا» كان يعيق في الوقت ذاته تقدم الجيش الروسي المتقدم لدعم جيش بروسيا. وعندما كان نابليون يشتبك في موقعة ما بقوات قليلة ضد عدو متفوق، كان يرى ان القوات القليلة قد تندحر أمام العدو المتفوق، ولهذا كان يسعى لخلق التفوق في قطاع الهجوم،وذلك بزج القوات ضد أحد أجنحة العدو، وبعد تدمير هذا الجناح واستثمار الارتباك الحاصل في صفوف العدو كان يوجه ضربته على نقطة اخرى من ترتيبه القتالي. وهكذا كان نابليون يدمر عدوه المتفوق على أقسام. وبذلك لم يكن النصر الذي يحققه الجيش الفرنسي شيئاً آخر سوى انتصار القوي على الضعيف. وكان نابليون ينفذ في ذلك قوله الشائع «عندما ننوي الدخول في الموقعة من الضروري حشد كل قوانا دون اهمال أصغر الوحدات، وكثيراً ما تقرر كتيبة واحدة مصير المعركة».ج) كان نابليون يعتمد – الى حد بعيد – على القوة الاحتياطية، فيعمل على زج كل القوات وحتى آخر احتياط لديه، وبذلك يستطيع تحقيق التفوق وكسب المعركة. د) كانت المناورة بالقوات والوسائط لمباغتة العدو وتوجيه الضربات الى مجنبات العدو الضعيفة ومؤخراته من الوسائل التي كثيراً ما لجأ اليها نابليون ليضع قواته في موضع التفوق على العدو، وبالتالي ارغامه على الاستسلام او تدميره.

وفي روسيا خسر نابليون الحرب بسبب فقد عامل التفوق. فقد استطاع القائد كوتوزف تحطيم قوة نابليون بمجموعة من المعارك الدفاعية المتتالية، ثم جاءت عمليات الانصار المتصاعدة والاستنزاف البطيء والطويل، لتحطم تفوق نابليون في القوى والوسائط. وجاء الشتاء ليتعاون مع قوات روسيا، فعمل على احباط الروح المعنوية للمقاتلين الفرنسيين،

وعمل كوتوزف على تنظيم قواته وانتزاع المبادأة من نابليون وتحقيق التفوق عليه في مجموعة من المعارك المتتالية التي كان حجم القوات الروسية فيها ٣٠٠٠٠٠ مقاتل ضد قوى ممزقة . وانتهت هذه المعارك بهزيمة الامبراطور .

وعندما رجع نابليون لم يتمكن من احراز النصر على الحلفاء بسبب افتقاره لعامل التفوق . وان ما حدث لنابليون عام ١٨١٢ قد تكرر مرة اخرى عام ١٩٤٢ حيث استطاع الالمان احراز التفوق في المرحلة الاولى والحاق الهزيمة بالقوات السوفييتية والتقدم حتى لينينغراد وتطويق موسكو . ولكن صمود القوات السوفييتية وجماهير الشعب السوفييتي ، واستنزاف القوات الالمانية في معارك مستمرة مع الاستعداد للحصول على التفوق . وعندما أصبح هذا التفوق في القوى والوسائط لصالح الاتحاد السوفييتي تبدل الموقف وانتقل الاتحاد السوفييتي لمواقع الهجوم . وقد ساعده هذا التفوق في التقدم حتى برلين والقضاء على النازية بالتعاون مع قوات الحلفاء .

ان استعراض تاريخ المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية يظهر بوضوح ان النجاح في هذه المعارك لم يكن سوى نتيجة لتحقيق التفوق والحصول عليه ، مقابل تحطيم عامل التفوق عند العدو ، ولم يكن هذا التفوق دائماً بالوسائط والاعتدة — رغم كل تطور علمي وتقني — وانما كان في بعضها تفوقاً معنوياً استطاع كسر التفوق بالوسائط والتغلب عليه والحاق الهزيمة به . (انظر الآردين ، معركة بريطانيا الجوية ، معركة برلين) .

وفي نهاية الحرب العالمية الثانية حقق الحلفاء انتصارهم على دول المحور . ولم يكن هذا الانتصار سوى انتصار للتفوق الذي توفرت له عدة عوامل أهمها : حشد ضخم لم يشهده التاريخ على جبهتين (الحلفاء في الغرب والاتحاد السوفييتي في الشرق) وكانت محصلة « القوى والوسائط » عند الحلفاء تزيد اضعافاً على القوات الالمانية . كما احرز الحلفاء خلال فترة الصراع تفوقاً تقنياً عالياً انتهى بإلقاء القنبلة الذرية التي وضعت تاريخ الحرب امام عهد جديد من التطور . وعلاوة على ذلك فقد كانت الروح المعنوية لقوات الحلفاء وبصورة خاصة على الجبهة الشرقية ، مرتفعة بسبب ايمان جماهير الشعوب بعدالة القضية التي تحارب من اجلها .

ويعتمد الكيان الاسرائيلي على عامل «التفوق» في المحافظة على بقائه ، وفي تنفيذ مخططاته التوسعية . وقد اصبح بحث هذا الكيان عن التفوق الطابع المميز لاستراتيجيته . وتعتمد اسرائيل للوصول الى التفوق على مجموعة من المعطيات يمكن ايجازها بالتفوق التقني ، والتفوق بعدد الاسلحة ، والحشد ، واحباط الروح المعنوية العربية ، ومقاتلة العرب منفصلين ، وأخذ المبادرة الهجومية ، ... الخ . بيد أن العمق البشري الاسرائيلي المحدود يبقى عاملا معرقلا لتأمين هذا التفوق في المستقبل ، عند زج القوى المادية والبشرية العربية في المعركة .

(٢) التفوق المطلق

التفوق المطلق هو حالة أحد الطرفين الذي يضمن لنفسه ان لا يتلقى أي رد من خصمه إذا بادأ بالهجوم . ويمكن تحقيق هذا التفوق في المجالين التقليدي والذري . وهو يعتبر خير وسيلة لتأمين ردع الخصم وشلله . ولقد فقد هذا التفوق الى حد ما تأثير الردع والشل بعد ظهور « الحرب الثورية » التي يتابع فيها الأضعف القتال ضد الأقوى رغم تفوقه المادي المطلق (انظر الحرب الثورية) .

(١) تقدير الموقف

مجموعة الأعمال التي تشمل جمع المعلومات حول العناصر التي ستؤثر على اتخاذ القرار ، وتحليلها ، وتقديمها إلى القائد المسؤول عن اتخاذ القرار . وتشمل هذه العناصر على صعيد تقدير الموقف الاستراتيجي : فكرة القيادة السياسية ، والوضع السياسي العالمي والمحلي ، والحالة النفسية للأمة ، والوضع الاقتصادي ، وميزان القوى العسكرية ، وطبيعة مسارح العمليات ، ومستوى الشؤون الادارية بشكل عام . أما على صعيد تقدير الموقف العملياتي أو التكتيكي ، فان العناصر تقتصر على قوات العدو والصديق ، والحالة النفسية للقوات المقاتلة ، وطبيعة مسارح المعارك المنتظرة ، وحالة الطقس ، والزمن المتوفر ، ومستوى الشؤون الادارية للانساق المحاربة . وكلما صغر النسق الذي يقدر الموقف ضاقت العناصر التي تدخل في هذا التقدير .

ويتم تقدير الموقف بعد تلقي المهمة . وهو ينفذ من قبل هيئات الأركان حتى مستوى اللواء ، (ومن قبل القادة انفسهم في الكتيبة والسرية والفصيلة والجماعة) . ثم يطرح رؤساء شعب أركان الحرب وقادة الاسلحة المعاونة تقديراتهم الخاصة حول الموقف أمام القائد أو رئيس أركانه ، ويقدمون الاقتراحات التي تأخذ قيمة استشارية فقط ، وتكون أرضية موضوعية للقائد الذي سيتخذ القرار . ويكون تقديم التقديرات في اجتماع (مؤتمر) خاص يعقد لهذه الغاية ، ويستمع فيه القائد أو رئيس أركانه للتقديرات المختلفة بشكل مفصل مدعوم بالبيانات والخرائط والجداول . ولكن ظروف المعركة قد تجبر القائد أو رئيس أركانه على سماع تقارير رؤساء الشعب وقادة الاسلحة المعاونة بشكل منفرد ، وتكون التقارير في هذه الحالة قصيرة وسريعة ، وتركز على النواحي العملية بصورة خاصة .

(٤) التقرب غير المباشر

من خلال دراسة مطولة تعتمد على استقراء عديد من الحروب والمعارك في التاريخ ، منذ القرن الخامس قبل الميلاد (وخاصة معارك هانيبال عند غزوه لايطاليا عام ٢١٨ ق.م حيث كان يختار اقل طرق الاقتراب توقعاً من جانب الرومان ويناور على مؤخرات جيشهم ثم يوقعهم في كمائن ضخمة كما حدث في معركة « ترازيمين » ، ومعارك القائد الروماني « فابيوس » الذي اتبع ضد هانيبال بعد انتصاره هذا اسلوب الهجمات الصغيرة على قواعد تموينه وارهاق قواته) حتى القرن العشرين ، بلور المفكر العسكري البريطاني « ليدل هارت » نظرية متكاملة الاركان في مجال الاستراتيجية العسكرية اطلق عليها اسم استراتيجية التقرب غير المباشر ، وقام بصياغتها في كتابه المشهور « Strategy, The Indirect Approach » (الذي ظهرت طبعته الأولى عام ١٩٢٩) . ويمكن أن نوجز الافكار والمبادئ الرئيسية لنظرية التقرب غير المباشر في الآتي : يتوقف نجاح الاستراتيجية العسكرية ، في الاساس وقبل أي شيء آخر ، على اجراء تقدير سليم وتحقيق تنسيق فعال بين غاية الاستراتيجية والوسائل المتاحة للوصول إليها ، فالغاية الموضوعة لها يجب أن تكون متناسبة مع اجمالي الوسائل المتوفرة ، وفي الوقت نفسه فان الوسائل (أو الامكانات) المستخدمة للوصول إلى غاية وسيطة (تؤدي إلى تحقيق الغاية النهائية) يجب أن تكون متناسبة مع أهمية ومتطلبات هذه الغاية ، سواء كانت هذه النهاية الوسيطة تتمثل في احتلال هدف معين ، أو في انجاز عمل مساعد على احداث نتيجة معينة . ذلك لأن أي اختلال في التناسب بين الغاية والوسائل (والعكس صحيح) تكون له نتائج ضارة على العمل والمخطط ، سواء كان هذا الاختلال ناتجاً عن زيادة أو نقص في الوسائل أو الغاية . أي أن المطلوب لنجاح العمل الاستراتيجي العسكري هو ضرورة تحقق مطابقة

حقيقية بين الهدف والوسيلة ، وهو الأمر الذي يعرف في لغة الاستراتيجية باسم مبدأ « الاقتصاد في القوى » .

وبطبيعة الحال فانه من شبه المستحيل تحقيق مطابقة مثلى بين الهدف والوسيلة ، نظراً لأن فن إدارة الحرب يتأثر كثيراً بمدى كفاءة القادة القائمين على تطبيقه ، الأمر الذي يجعل للعنصر الانساني وتفاوت قدراته دوراً هاماً في تقدير عناصر المطابقة المطلوبة ، ومن ثم يعتمد النجاح في النهاية على الاقتراب النسبي من حقيقة التطابق بين الغاية والوسائل المتاحة للوصول اليها . وعلى أي حال فإن حسابات تقدير عوامل المطابقة بين الغاية والوسائل تعد اسهل نسبياً في مجال الاستراتيجية عنها في مجال التكتيك ، حيث يصعب حساب عنصر ارادة المقاومة لدى العنصر البشري . ولذلك تهدف الاستراتيجية إلى تقليل الامكانات والظروف الموضوعية الملائمة لنجاح مقاومة الخصم ، عن طريق استثمار عنصري الحركة والمفاجأة على المستوى الاستراتيجي .

ونظراً لأن عنصر الحركة يتعلق بالحقل المادي للنشاط العسكري ، فان حساب قدراتها يكون سهلا نسبياً ، لأن ذلك يتطلب فقط معرفة الظروف الزمنية والطبوغرافية التي ستجري الحركة في ظلها ، وامكانات نقل القوات التي ستقوم بها . أما عنصر المفاجأة فانه يتصل بالحقل المعنوي للنشاط العسكري ، ومن ثم فان حساب قدراته يشكل مسألة اكثر صعوبة بكثير عما هو الحال بالنسبة لعنصر الحركة ، نظراً لأن التأثير على ارادة الخصم يتوقف على معرفة عوامل متنوعة وفقاً لتنوع الظروف واختلاف الاوضاع في كل حالة ، ومن ثم يصعب تحديدها مسبقاً . والواقع أن عنصري الحركة والمفاجأة يشكلان وجهي عملة واحدة في العمل العسكري ، ويتبادلان التأثير . فالحركة حتى ولو كانت تجري بشكل مكشوف للخصم يمكن أن تولد المفاجأة اذا ما زادت معدل سرعتها أو غيرت اتجاهها بصورة يتعذر مواجهتها من جانب الخصم . والمفاجأة تزيد من قوة دفع الحركة ، كما انها تسهل الطريق امامها بما تخلقه من عرقلة للاجراءات والتحركات المضادة لها . ولذلك فان ما يجب أن يبحث عنه المخطط الاستراتيجي هو خلق وضع استراتيجي ملائم ، إن لم يؤد بذاته إلى نتيجة حاسمة ، فان المعركة التي تتلوه ستؤدي إلى مثل هذه النتيجة . أي أن المعركة لا تصبح الهدف الرئيسي للاستراتيجية ، وفقاً لما كان ينادي به « كلاوزفيتز » وانصار مدرسته في الفكر العسكري ، وإنما يتمثل هذا الهدف في الحركة والمفاجأة اللتين تشلان قدرات الخصم وفاعليته . وهكـذا يتحقق النصر بأقصى اقتصاد ممكن للقوى ، أي بأقل ثمن بشري ومادي . وبتعبير آخر يستهدف العمل الاستراتيجي تفتيت قوى الخصم ، أي إشاعة الاضطراب في صفوفها ، الأمر الذي ينتج عنه بعد ذلك تدمير هذه القوى أو تمزيقها ، وهذا قد يتطلب نشوب بعض المعارك الجزئية التي لن تكون من النوع الضاري .

ويتم التوصل إلى هذا التفتيت أو الشلـل الاستراتيجي لدى الخصم في الحقل المادي (أو اللوجيستيكي) نتيجة حركة تؤدي إلى النتائج التالية : أ) قلب توزيع قوات العدو واجباره على اجراء تغيير مفاجىء في جبهته يربك ويحطم توزيع وتنظيم قواته . ب) تقسيم قوات العـدو . ت) تعريض امداداته للخطر . د) منع أو عرقلة تدابيره للانسحاب ، أو إعادة تنظيم قواته على خطوط جديدة في قاعدته أو في موطنه الاصلي .

ويمكن الحصول على التفتيت الاستراتيجي بأحد هذه الوسائل، ولكنه يتم عادة نتيجة تجمع عدد من هذه العوامل ، ويكون تأثيرها كبيراً كلما كان حجم الجيش كبيراً وكان اعتماده على وسائل مواصلاته ونقل امداداته من قواعده الاصلية . أما في الحقل المعنوي فان الحركة والمفاجأة تؤديان الى نتيجتين : أولاهما ، احداث انطباع مفاجىء في عقول قادة الخصم بأنهم في موقف غير ملائم، وتوليد شعور لديهم بأنهم لا يستطيعون مقاومة حركة العـدو بصورة مجدية . وثانيهما ، فرض حالة من التمزق النفسي الناتج عن احساس القادة بأنهم قد سقطوا في مصيدة بعد قيام العدو بحركة مادية على مؤخرة الجيش ، ومن ثم شعور القوات بعجز القادة وتقلص سيطرتهم . خاصة وأن الجيش مثل الرجل ، لا يستطيع الدفاع بصورة فعالة ضد ضربة تأتيه من الخلف دون أن يضطر للاستدارة نحوها ليستخدم كل اسلحته ضدها . وعملية الاستدارة هذه تفقده توازنه ، وهذا ما يؤدي اليه الاقتراب غير المباشر من جيش الخصم ، على عكس الحال اذا ما كان الاقتراب مباشراً ، إذ أنه يؤدي إلى تقوية توازن الخصم المادي والمعنوي ، وزيادة قدرته على المقاومة ، وحتى اذا ما نجح في دفع العدو نحو الخلف فانه يقربه من قاعدته ، ويدعم قواته الموجودة هناك . وبطبيعة الحال لا يشكل السير مباشرة نحو مؤخرة العدو هجوماً استراتيجياً غير مباشر ، لأن فن الاستراتيجية ليس بهذه البساطة المجردة . ذلك لأن الاقتراب قد يبدأ غير مباشر بالنسبة لجبهة العدو، ولكن متابعة التقدم بعد هذا بصورة مباشرة قد تدفع العدو إلى تعديل توزيع قواته بسهولة ، ومن ثم يجد المهاجم أن حركته غير المباشرة قد انقلبت إلى حركة مباشرة على جبهة جديدة . وإنما لا بد من القيام بحركة أو اكثر تستهدف لفت انتباه العدو بعيداً عن حركة الالتفاف حتى تنجح حركة التفتيت الاستراتيجي الرئيسية ، وتستهدف حركة لفت الانتباه المضللة هذه إلى حرمان العدو من حرية العمل عن طريق توزيع امكاناته وتشتيتها ، بحيث يتعذر عليه التدخل بقوة ضد مناورة الالتفاف الرئيسية (وهذا هو الجانب المادي)، ومن ثم يصيب القيادة شعور بأنها خدعت ، ويسيطر عليها الخوف والاضطراب (وهذا هو الجانب المعنوي) .

وتهدف حركة الالتفاف حول مجنبة جبهة العدو للزحف نحو مؤخرته إلى تجنب المقاومة أثناء اندفاعها نحو العمق ، ولذلك يجب أن تسلك الاتجاه الاقل مقاومة (بالنسبة للحقل المادي)، وفي الوقت نفسه يجب أن يكون هذا الاتجاه هو أقل اتجاهات التقدم توقعاً من جانب العدو (بالنسبة للحقل المعنوي) .

والواقع أن خط المقاومة الاضعف وخط اقل اتجاهات التقدم توقعاً إنما يشكلان وجهي عملـة واحدة ، ذلك لانه اذا اختار المهاجم خطاً يبدو بوضوح كامل انه الاضعف مقاومة ، فان ذلك سيكون واضحاً في الوقت نفسه لقيادة العدو ، ومن ثم لن يكون خط أقل اتجاهات التقدم توقعاً من جانبها ، وستعمد إلى تقوية المقاومة فيه ، الأمر الذي قد يقضي على مناورة التقرب غير المباشر بالفشل منذ البداية . ولذلك يجب أن يقع اختيار خط التقدم بحيث يهدد عدة اهداف في الوقت نفسه ، وبحيث تقع قيادة العدو في حيرة بالنسبة للهدف الحقيقي الذي يمكن أن تتجه اليه حركة الجيش المهاجم ، ويكون لدى قيادة الجيش المهاجم في الوقت نفسه اهداف بديلة ، يختارها على ضوء ردود فعل العدو ، وذلك حتى يكون المخطط الاستراتيجي قابلا للتلاؤم بسهولة مع تغيير الظروف .

ويتطلب نجـاح مخطط التقرب غير المباشر تطبيقاً مرناً وذكياً لمبدأ تجميع القوى ضد نقاط الضعف المعـادية في توقيت مناسب ، ذلك لأن التجميع يتعارض مع نشر القوات لمشاغلة العدو على جبهة واسعة ، ولهذا يجب أن تكون هناك نسبة كافية من القوات للقيام بحركات لفت انتباه العدو بعيداً عن خط التقدم الحقيقي ، على أن يتم التجميع للقوة الرئيسية التي تقوم بحركة التقرب غير المباشر إما بتقدم التشكيلات مبعثرة نحو هدف واحد ، أو تشكيلات مبعثرة نحو سلسلة متعاقبة من الاهداف ، أو بتشكيلات مبعثرة نحو اهداف عدة في وقت

واحد . ويتوقف اختيار طريقة التقدم هذه على الظروف الموضوعية القائمة . وتتوقف كفاءة الجيوش على الاساليب الجديدة التي تبتكرها في تنفيذ هذه المخططات ، على أن يكون هدفها اساساً شل قوات العدو لا مجرد تدميرها بالمعنى الذي قصده كلاوزفيتز . ويجب أن تستهدف حركة الالتفاف حول مؤخرة العدو لقطع خطوط مواصلاته أن يتم قطع هذه الخطوط في اكبر عمق ممكن ، لأن الصدمة الناتجة عن هذه الحركة ستكون مباشرة على تفكير القيادة نفسها ، ومن ثم يكون تأثيرها اضخم من حالة قطع خطوط المواصلات في نقطة قريبة من خط الجبهة الاصلية . وقد لخص « ليدل هارت » المبادئ العملية ، التي يجب على القادة مراعاتها لتحقيق هذا الشكل من تجميع القوى مقابل بعثرة قوى العدو وحرمانه من قدرة تجميع قواه ضد حركة التقرب غير المباشر ، في ثماني مبادئ اساسية ، ستة منها ايجابية الطابع واثنان منها سلبيا الطابع . والمبادئ الايجابية هي : أ — مطابقة الهدف مع الامكانات . ب — ضرورة التمسك بالهدف مع تعديل المخطط تبعاً لتغير الظروف . ج — اختيار الخط الاقل توقعاً من جانب العدو . د — استثمار خط المقاومة الاضعف . هـ — اتباع خط عمليات يؤدي إلى اهداف متتالية وبديلة . و — مراعاة المرونة في التخطيط وتشكيل القوات الملائمة للظروف . أما المبادئ السلبية فهي : أ — عدم إلقاء كل الامكانات اذا كان العدو محترساً . ب — عدم تجديد الهجوم على الخط نفسه او الاسلوب نفسه بعد فشل الهجوم السابق .

وقد لخص الجنرال « اندريه بوفر » استراتيجية التقرب غير المباشر في انها تهدف إلى عدم مجابهة العدو في اختبار مباشر للقوة ، وانها وسيلة تفرض نفسها على احد الخصمين المتصارعين اذا كان لا يثق ثقة تامة بأنه من القوة بحيث يستطيع التغلب على خصمه في معركة تنشب على ارض يختارها عدوه . وان الفكرة الرئيسية فيها هي قلب ميزان القوى المتجابهة قبل اختبار المعركة بالمناورة لا بالقتال .

ولقد شهد التاريخ العسكري القديم عدداً من تطبيقات استراتيجية التقرب غير المباشر كما سبق أن أوضحنا بعضها في عهد الرومان ، ولكن ظهور الطائرة والدبابة والمدفعية ذاتية الحركة والقوات المحمولة جواً واجهزة الاتصال اللاسلكي ، أعطى لهذا الاسلوب الاستراتيجي اهمية كبرى وقدرات هائلة على تنفيذه بنجاح ، كما أن تكتيكات الحرب الخاطفة واعتمادها على ثنائي « الطائرة — الدبابة » في الخرق والالتفاف والحركة والمفاجئة ، أتاحت لهذه الاستراتيجية امكانات كبيرة للتطبيق ، خاصة في حالة عدم ادراك قيادة الخصم لاساليب حرب الحركة ، والامكانات الحقيقية للطائرة والدبابة ، وذلك كما أثبتت خبرات الحرب الخاطفة الالمانية في بداية الحرب العالمية الثانية ، التي شهدت تطبيقاً نموذجياً لاستراتيجية التقرب غير المباشر خاصة في غزو بولونيا (١٩٣٩) ، وغزو فرنسا (١٩٤٠) . ونتيجة لهذه الخصائص التي توفرها استراتيجية التقرب غير المباشر فقد تبنتها اسرائيل في غالبية معارك الحروب العربية — الاسرائيلية ، بحكم ملاءمتها لتكتيكات الحرب الخاطفة ومبدأ الاقتصاد في القوى ، وصلاحيتها في تنفيذ « مناورة الخرشوفة Manoeuvre d'artichaut » ، أي القضم السريع المتتابع لأهدافها التوسعية . ويعتبر الزحف الاسرائيلي نحو العريش عبر محور « العوجة — العريش » في نهاية حرب ١٩٤٨ نموذجاً لهذا التطبيق الاسرائيلي لنظرية التقرب غير المباشر ، وكذلك تعتبر العمليات الاسرائيلية في سيناء في العام ١٩٦٧ عقب خرق النطاق الدفاعي الاول في « رفح » و « أبو عجيلة » نموذجاً كاملا لهذا التطبيق ، وكانت عملية « الدفرسوار » في حرب ١٩٧٣ نموذجاً آخر لهذا التطبيق لم تتح له ظروف النجاح السابقة التي اتيحت في حربي ٤٨ و ٦٧ . (انظر « ليدل هارت » ، و « مناورة الخرشوفة » ، و « الحرب الخاطفة ») .

(١) التقرب في القتال

هو مجموع الحركات البرية التي تقوم بها القطعات على مسرح العمليات منذ انطلاقها من مناطق تحشدها حتى حصول التماس مع العدو .

ويكون التقرب في القتال مكشوفاً إذا لم يكن أمام القوات المتقربة أو على مجنباتها قوات صديقة تحميها ، أو كانت الحماية المؤمنة غير كافية . ويكون التقرب مستوراً أو مغطى ، اذا كانت حماية الاصدقاء كافية . ومن هنا نرى أن التقرب المكشوف يتم بالنسبة الى قطعات النسق الأول بينما يتم التقرب المستور بالنسبة الى قطعات الانساق الخلفية المتقدمة وراء النسق الأول ، أو بالنسبة إلى قطعات الاحتياط المتقدمة وراء جبهة صديقة لأخذ موقع وراءها أو لتبديل قطعة جديدة أخرى منتشرة على خط التماس مع العدو .

تؤثر ضرورات الأمن والحيطة بشكل ملحوظ على تشكيلة القطعات خلال التقرب ، وسرعتها ، وتمفصلها . فكلما تزايد احتمال التماس مع العدو كلما تحولت التشكيلة من تشكيلة الانتقال الى التشكيلة القتالية ، وخفت السرعة ، وزاد التمفصل . واننا نلاحظ هنا أن السرعة والحيطة في التقرب المكشوف عاملان متناقضان ، يحاول قائد القوات القائمة بالتقرب تأمينهما معاً . ولكن الظروف القتالية تجبره أحياناً على تفضيل أحد هذين العاملين على الآخر ، دون أن يتجاهل العامل الثاني بشكل نهائي . فاذا كانت ضرورات الموقف تتطلب وصول القوات بسرعة لانقاذ وضع متدهور أو استغلال وضع ملائم ، أخذ عامل السرعة أفضلية أولى دون أن يؤدي ذلك إلى تجاهل تأمين الحد المقبول من الحيطة ، واذا كان العدو ديناميكياً والوضع غير واضح بدقة فان عامل الحيطة يأخذ افضلية أولى ، دون أن يؤدي ذلك الى جمود القطعة وعطالتها . أما في التقرب المستور ، فان الحيطة البعيدة التي تؤمنها القوات الصديقة الواقفة او المتحركة أمام القطعة القائمة بالتقرب تساعد هذه القطعة على التحرك بسرعة اكبر .

يقسم التقرب المكشوف الى ثلاث مراحل : التقرب البعيد عن العدو ، والتقرب على مقربة من العدو مع عدم وجود احتمال للتماس معه ، والتقرب مع وجود احتمال التماس مع العدو . وليس من الضروري أن يمر كل تقرب بالمراحل الثلاث المذكورة بشكل متعاقب ، لأن سرعة العمليات في الحرب الحديثة قد تجبر القوات على الانتقال من المرحلة الأولى الى المرحلة الثالثة دون المرور بالمرحلة الثانية . أما التقرب المستور فهو يتم على مرحلتين : التقرب البعيد عن العدو ، والتقرب على مقربة من العدو مع عدم وجود احتمال للتماس معه . ولكن قدرة قوات العدو على الخرق وتبديل الأوضاع والتوغل في العمق قد تحول التقرب المستور الى تقرب مكشوف يجبر القوات القائمة بالتقرب على تعديل التدابير المتخذة من قبلها .

تتحرك القطعات في التقرب البعيد عن العدو بتشكيلة الأرتال مع تصغير المسافات بين التشكيلات. ويمكن أن يتم هذا التقرب ليلا أو نهاراً . وتحتل المسائل الادارية في هذا النوع من التقرب أهمية كبيرة . وعندما تقترب القطعة من العدو دون احتمال التماس معه تتجمع القطعة وتوزع اسلحة الدعم على الوحدات (التجحفل) وتأخذ القطعة ووحداتها تشكيلة الارتال التكتيكية (تشكيلة ما قبل القتال) التي تسمح لها بالانتقال إلى تشكيلة القتال في كل لحظة . وتتابع التقرب حتى تصل إلى منطقة التجمع التي تحتلها

قبل أخذ تشكيلة القتال أو قبل الانتقال الى مواقع القطعة الصديقة التي سيتم تبديلها. وتكون المسائل التكتيكية والادارية مهمة في هذه المرحلة من التقرب التي تتم غالباً في الليل. وعندما تتقرب القطعة من العدو مع احتمال التماس مع العدو تتمفصل القطعة، وتأخذ وحدات النسق الأول التشكيلة القتالية وتتابع وحدات الانساق الخلفية التقدم بالارتال التكتيكية (تشكيلة ما قبل القتال). وتحتل المسائل التكتيكية المرتبة الأولى من اهتمام القائد الذي يختار التقرب الليلي أو النهاري حسب متطلبات الوضع التكتيكي.

يتم التقرب في الحرب الحديثة بالآليات، ولقد حل هذا التقرب بشكل عام محل التقرب سيراً على الأقدام، ولكن طبيعة الأرض (جبال، مستنقعات، الخ) قد تجبر القطعات على التقرب سيراً على الأقدام. ولقد أدى تطور سلاح الطيران الى اجبار القطعات على التقرب ليلا للتخلص من مراقبة العدو وهجماته الجوية. ولكن التقرب الليلي مع احتمال التماس مع العدو يضاعف امكانية تعرض القطعات للمفاجأة، ويتطلب زيادة تدابير الحيطة البرية وتخفيف السرعة.

وتشكل الحيطة عاملا هاماً من عوامل التقرب، ومن الضروري أن تكون الحيطة ضد الاخطار البرية والجوية والذرية. ومن الطبيعي أن الاهتمام بتدابير الحيطة البرية في التقرب المستور أقل من الاهتمام بها في التقرب المكشوف. ولكن هذا لا يعني أن التقرب المستور يؤمن الحيطة البرية بشكل كامل، لأن تطور وسائط النقل الجوي، وامكانية التسلل بقوات مدرعة وراء خطوط الاصدقاء، ووجود قوات الانصار المعادية تجعل من الممكن الاصطدام مع دوريات مدرعة متسللة، أو مع قوات معادية محمولة جواً يتم انزالها وراء خطوط الأصدقاء، أو مع قوات الانصار العاملة وراء الجبهة، الأمر الذي يجعل القوات القائمة بالتقرب المستور مضطرة لأخذ تدابير حيطة برية كافية. والحيطة الجوية ضرورية في التقربين المكشوف والمستور إلا اذا كانت سيطرة الطيران الصديق على الأجواء مطلقة، أو كانت القوات القائمة بالتقرب تتحرك في منطقة تقع خارج مدى عمل طيران العدو أو تتحرك في أرض مغطاة (غابات كثيفة). أما بالنسبة إلى الحيطة الذرية فان على القوات القائمة بالتقرب البعيد أن تهتم بها نظراً لامكانية قيام العدو بتسديد ضربة ذرية لها دون أن يؤثر ذلك على قواته. وتقل أهمية الحيطة الذرية بالنسبة الى القوات القائمة بالتقرب على مقربة من العدو، إلا اذا كشف الرصد الصديق ما يدل على أن العدو ينوي القيام بانسحاب سريع يسمح له بتسديد الضربة الذرية دون أن يؤثر ذلك على قواته الامامية.

وتتمثل الحيطة البرية في التقرب بدفع الدوريات والمقدمات أمام القطعات، ودفع الكشافين أمام الوحدات الصغرى، وتغطية الاجنحة بالمجنبات، واعداد مفارز السدود المتحركة واحتياط الاسلحة المضادة للدبابات، وتغطية المؤخرات بوحدات المؤخرة، واستعداد كل وحدة من الوحدات لتأمين حيطتها الذاتية عند تعرضها لهجوم مفاجئ. وتتمثل الحيطة الجوية بالانتشار والافادة من الظلام واعداد الاسلحة للرمي ضد الطائرات، والافادة من التغطية الجوية العاملة بالتعاون مع الاسلحة المضادة للطائرات المنتشرة على طريق التقرب. أما الحيطة الذرية فتتمثل في زيادة المسافات والفرج بين القطعات. واستخدام محاور متباعدة عند التقرب بعيداً عن العدو شريطة أن تتقارب هذه المحاور عند الاقتراب من العدو إلى مسافة تجعل استخدام السلاح الذري من قبله غير محتمل. ورصد الخط الأمامي للعدو لكشف انسحابه المفاجئ الذي يسبق الضربة الذرية.

(٢) التكاثر النووي

يعني التكاثر النووي ازدياد عدد الدول النووية، وزيادة الاستقرار النووي بالتالي. وقد نادى بعض الاستراتيجيين بهذه النظرية، لأن قوة نووية مستقلة حتى ولو كانت متواضعة، ذات سلطة ردع ذاتية وشاملة على المستوى النووي ذي الجانبين. وأن السلاح الذري يجعل الحرب النووية مستحيلة، عندما يكون مملوكاً من كل الاطراف.

(٤) تكتيك

هناك عدة تعريفات في الكتابات العسكرية العالمية للتكتيك يجمل بنا أن نعرضها قبل أن نحدد بدقة المقصود علمياً بالتكتيك الذي يعتبر ركناً أساسياً من أركان نظرية فن الحرب التي تشمل الاستراتيجية والعمليات والتكتيك.

يعرف كلاوزفيتز التكتيك بقوله: «إن التكتيك هو نظرية استخدام القوات المسلحة في الاشتباك». أما «ليدل هارت» فيعرفه بقوله: «عندما يؤدي استخدام وسائط الحرب إلى معركة حقيقية فان الاستعدادات التي تتخذ لإعداد مثل هذا العمل وتنفيذه تشكل ما يسمى التكتيك».

ويقول ماوتسي تونغ أن «دراسة القوانين الموجهة للحرب، والتي تتعلق بأوضاع الحرب الجزئية فهي مهمة علم الحملات وعلم التكتيك».

ويقدم الجنرال اندريه بوفر تعريفه الخاص فيقول: «أن التكتيك عبارة عن فن استخدام الاسلحة في المعركة للوصول إلى المردود الأقصى».

أما دائرة المعارف البريطانية فتعرف التكتيك بأنه «فن وعلم خوض المعارك، وهو يتعلق بكيفية مواجهة الاشتباك، وكيفية توزيع القوات، واستخدام مختلف الاسلحة وتنفيذ التحركات اللازمة للهجوم أو للدفاع».

ويقدم الفكر العسكري السوفييتي التعريف التالي للتكتيك: «يقوم التكتيك بدراسة القوانين الموضوعية التي تحكم الاعمال القتالية، كما يقوم بتطوير أساليب اعداد وتوجيه القتال في البر والبحر والجو».

وباستقراء هذه التعريفات المتعددة للتكتيك، والتي يقدمها مفكرون عسكريون تتباين مفاهيمهم السياسية والايديولوجية والاستراتيجية، يتضح لنا أن هناك قاسماً مشتركاً اعظم بينها جميعاً، ألا وهو تعلق التكتيك كعلم في دراسته أو كفن في تطبيقه باعمال القتال المباشرة فوق مختلف ساحات الاشتباكات الحربية في البر أو البحر أو الجو، وذلك سواء من حيث الاعداد المباشر لهذه الاشتباكات القتالية أو من حيث التنفيذ العملي لها.

والواقع انه عندما تلتقي قوات الطرفين المتجابهين فوق ساحة المعركة تحاول كل قوة منها أن توجه إلى الاخرى اكبر قدر من الضربات وأن تحتمي في الوقت نفسه قدر المستطاع من ضربات القوة الاخرى المضادة لها، وهي في سبيل تحقيق هذين الغرضين تجري الحركة اللازمة لطبيعة كل منهما، وبهذا يمكن القول ان اسلوب اعداد وتنظيم وتنفيذ عمليات الضرب والحماية والحركة يشكل مضمون أو جوهر التكتيك، وأن مختلف انواع الاسلحة ووسائل الحماية والحركة تمثل بالاضافة إلى العنصر البشري المادي والمعنوي، الوسائل التكتيكية التي تنفذ بواسطتها الاعمال أو الانشطة التكتيكية. وكلما كانت طريقة تنظيم وتنفيذ الاعمال التكتيكية ملائمة للوسائل التكتيكية، خاصة المتعلق منها بعنصري الاسلحة والحركة، كلما كانت تلك الوسائل ناجحة في تحقيق الغرض منها، أي كلما أعطت مردودها الاقصى. فالدبابة مثلا كسلاح ميكانيكي يوفر امكانية المناورة بالنار والحركة والتمتع بقدر نسبي من الحماية في الوقت نفسه، اعطت مردودها الاقصى حينما استخدمت بواسطة الألمان في بداية الحرب العالمية الثانية في تحقيق خرق مركز وسريع لخطوط الدفاع المتصلة الثابتة، تحول إلى اختراق في العمق

التكتيكي والعملياتي ثم الاستراتيجي ، بسبب افتقاد قيادات الحلفاء لفهم سليم لامكانات الدبابة واساليب حرب الحركة وعدم توفر احتياطي مدرع . ونتج عن ذلك هزيمة ساحقة لجيوش الحلفاء عام ١٩٤٠ . وكذلك الحال بالنسبة لضرورة وجود تلاؤم بين الوسائل التكتيكية المستخدمة والاعمال أو الاهداف التكتيكية المطلوب انجازها . ففي خلال الحرب العالمية الاولى أدى وجود الجبهة المتصلة المكونة من خنادق متوالية الصفوف مجهزة برشاشات كثيرة ومحمية بالاسلاك الشائكة ومدعومة بنيران مدفعية الميدان إلى استحالة المناورة الاستراتيجية حول الاجنحة وصعوبة تحقيق الخرق التكتيكي والعملياتي للجبهة رغم فداحة الخسائر التي نتجت عن محاولات الخرق المتكررة ، وذلك لأن وسيلة الخرق لهذا التنظيم الدفاعي القوي كانت هي المشاة التي تمهد لها المدفعية بستارة نيران قوية ، وكان الوقت المستغرق في القصف المدفعي وبطء حركة المشاة المترجلة وفاعلية نيران الرشاشات الموضوعة داخل خنادق مستورة تؤدي إلى سهولة تحديد اتجاه الهجوم من قبل القيادة المضادة وسرعة تحريكها للاحتياطي إلى النقاط المهددة بوسائل نقل تزيد سرعة حركتها عن سرعة حركة المشاة المهاجمة (قطارات وسيارات وعربات تجرها الخيول) ولهذا كان الطرف المدافع ينجح دائماً في صد المهاجمين المترجلين الذين لم يكونوا يستطيعون خلال الوقت الفاصل بين بدء الهجوم ووصول الاحتياطي اختراق اكثر من نطاق أو اثنين من خطوط الدفاع المتعاقبة . وهكذا نرى أن كيفية ايجاد التطابق المطلوب بين الاعمال التكتيكية والوسائل التكتيكية اللازمة لإنجازها وتأمين تعاون هذه الوسائل وتناسقها وتناغمها خلال القتال تشكل المحتوى الاساسي للتكتيك ، أي مضمونه المتمثل في القيام بعمليات الضرب والحماية والحركة بكفاءة .

وعنصر الاسلحة هو أبرز الوسائل التكتيكية واكثرها حركة وتغيراً في مجرى التاريخ العسكري . ويترتب على تغيره تغير وسائل الحماية والحركة أيضاً ، وبالتالي تغير أساليب التكتيك ، أي أن تطور السلاح يؤدي إلى تطور طرق إدارة القتال وفن الحرب عامة . ونظراً للأهمية الكبيرة التي يحتلها عنصر الاسلحة ضمن وسائل تنفيذ التكتيك نجد أن هناك عادة ميلا لدى بعض العسكريين للمبالغة في تقدير الدور الذي يلعبه السلاح في التكتيك ، ولكن السلاح أياً كانت قوته وحداثته لا تظهر فاعليته أو لا يعطي مردوده الاقصى إلا ضمن الاسلوب التكتيكي الملائم ، وبشرط توفر الكفاءة البشرية في الاستخدام، وارتفاع معنويات مستخدميه . وقد أدى تطور الاسلحة ومعدات ووسائل النقل والحماية الحديثة إلى زيادة ارتباط التكتيك بالعلم والتقنية وزيادة احتياج الجيوش إلى الجنود الفنيين المتفهمين للاسس العلمية والتقنية التي تحكم عمل الاسلحة والمعدات المتطورة . ولكن أهمية التقنية الحديثة وتأثيرها على التكتيك لا تنفي أن الانسان هو في النهاية مستخدم السلاح ومبتكر أساليب القتال الملائمة له وللظروف المعينة التي يقاتل فيها ، وأن المعنويات وعدالة اهداف القتال وكفاءة الحشد النفسي تلعب دوراً بالغ الأهمية في الافادة من السلاح وتنفيذ التكتيك بكفاءة . وهناك مجموعة من المبادئ العامة الجوهرية ، التي كشفت عنها التجربة البشرية في مجال الحروب ، تؤدي مراعاتها عند ممارسة الاعمال القتالية إلى أفضل النتائج ويفضي تجاهلها إلى عواقب سيئة مهما كانت قوة وكمية الوسائل المادية للقتال . وهذه المبادئ هي : الحيطة والمفاجأة والخداع والسرية والمعلومات والامن والمبادأة والتجمع والاقتصاد بالقوى وملاءمة الوسائل مع الهدف (وتنطبق هذه المبادئ على الاستراتيجية أيضاً بطريقة تتفق وطبيعتها من حيث اتساع مدى التطبيق) ولا تكمن الصعوبة في الالمام النظري بمبادئ التكتيك هذه ، وإنما تكمن اساساً في الكيفية التي يتم بها تطبيق هذه المبادئ عملياً في كل حالة وموقف على حدة ، وفي كل مرحلة من مراحل تطور التكتيك . وعلى ضوء التجارب العملية في استخدام الأسلحة ووسائل الحركة والحماية ضمن أساليب قتال معينة تتحدد في كل مرحلة من مراحل التطور التقني والتكتيكي مجموعة من المناهج العامة تبين أفضل شروط استخدام السلاح والعتاد والقوات في المهام القتالية المختلفة من الهجوم أو الدفاع. وتعرف هذه المناهج بالعقائد التكتيكية . وتتبلور هذه العقائد في شكل تعليمات ونظم تدريب وكتيبات خدمة الميدان التي تقنن الخبرات المعتمدة في مجال البحث عن تطابق الوسائل المادية مع الاعمال القتالية والعكس بالعكس، لتعميمها بصورة نمطية بغية الافادة منها كدليل نظري عام طوال مرحلة معينة من مراحل تطور التسليح والتقنية والتكتيك . ولكن وجود العقائد التكتيكية ، كتجميع مكثف للتجارب العملية التي عمدتها النار والدماء يساعد القائد في وضع وتنفيذ مخططه التكتيكي ، لا يعني ضرورة التطبيق الآلي للمقيدة أياً كانت ظروف الحالة الخاصة التي يواجهها ،لأن طبيعة الاحداث وردود فعل العدو لا تخضع بالضرورة لمناهج ثابتة في معالجتها ، وإنما لا بد من المرونة في التطبيق على ضوء ما يفرضه الواقع .

ويرتبط التكتيك بالاستراتيجية ارتباط الجزء بالكل والخاص بالعام ، ذلك لأن التكتيك ليس إلا تطبيق الخطة الاستراتيجية العامة على جزئيات الاشتباك أو القتال ، والخطة الاستراتيجية لا تتحقق إلا من خلال النجاحات التكتيكية ، ولذلك فإن التكتيك يتبع الاستراتيجية لا العكس بحكم أن الخاص يتبع العام . إن التكتيك هو علم اكتشاف حركة القوانين الموضوعية التي تتحكم في اعداد وادارة أعمال القتال الجزئي خلال مرحلة تاريخية معينة من مراحل تطور قوى الانتاج وتقنية التسليح والحماية والحركة والفكر العسكري المرتبط بها جميعاً ، وهو في الوقت نفسه فن تطبيق هذه القوانين الموضوعية على الحالات الخاصة والمتنوعة والمتغيرة للاشتباكات والمعارك المختلفة في البر والبحر والجو ، أي أنه علم في معرفته واعداده العقائدي أو المنهجي المسبق وفن في تطبيقه العملي المتغير ، وهو يشكل مع الاستراتيجية والعمليات (انظر استراتيجية وعمليات) وحدة عضوية متكاملة ولا يختلف عنهما إلا في جزئية أو خصوصية حقل النشاط الذي يعمل فيه ، وحدوده الزمانية والمكانية .

(١) التكتيك البحري

هو فن مناورة عدة مراكب حربية معاً بغية ايصالها الى الاشتباك في معركة بحرية . ويتمثل هذا التكتيك اليوم بأخذ تشكيلات بحرية نظامية واستخدام اشارات تسمح لقائد التشكيلة البحرية بنقل أوامره إلى قادة المراكب الداخلة في تشكيلته .

تطور التكتيك البحري مع تطور تقنية صناعة المراكب ، وتقنية التسليح ، وتقنية الاتصالات . وكان التكتيك البحري في التاريخ القديم يتمثل في صدام صفين متجابهين من المراكب ذات المجاذيف Galeres . وكان صف المراكب يأخذ في بعض الحالات شكل الهلال الذي يستدير حول نفسه في آخر لحظة ، ويندفع نحو مجنبات مراكب الخصم حتى تصطدم مقدمات مراكب المهاجم بجوانب مراكب الخصم (معركة آكتيوم ، عام ٣١ ق. م.) . ثم زودت المراكب ذات المجاذيف بمزيد من معدات القتال ، وبعبارات انقضاض خشبية تسمح بانتقال الجنود من المركب الحربي الى مركب العدو . ولم يكن التكتيك البحري يستهدف سوى جلب المراكب الى مكان المعركة .

وعندما ظهرت المراكب الشراعية الأولى، كانت هذه المراكب مستديرة، قليلة القدرة على المناورة، وغير ملائمة للقتال في أعالي البحار. وكانت تحمّل بالرجال المسلحين بالأقواس والنبال، ولا تقاتل إلا وهي راسية أو في المياه الهادئة. (معركة ايكلوس ١٣٤٠) وعندما ظهر المدفع الموضوع على مقدمة المركب، والقادر على الرمي وفق خط محور المركب عاد التكتيك البحري الى تكتيك الصدام القديم بين صفين من المراكب. ثم لم تلبث الأمور أن تبدلت جذرياً عندما زودت المراكب بمدافع مثبتة على الجوانب، وقادرة على الرمي وفق خط عمودي على محور المركب، وأصبح التكتيك يتطلب توجيه مجنبة المركب نحو مركب الخصم حتى يمكن للمدافع أن ترمي عليه. وغدت المعركة عبارة عن سير المراكب المتقابلة باتجاه واحد أو باتجاهين متعاكسين وعلى خطين متوازيين حتى تستطيع مدافع مراكب كل طرف الرمي على مراكب الطرف الآخر. وكانت الاساطيل تقوم قبل المعركة بحركات متعددة حتى تأخذ وضعاً تستفيد فيه من الريح خلال القتال وتحرم العدو من استغلال الريح. ولقد جرت معارك القرنين ١٦ و١٧ بهذه الصورة. ومنذ القرن الثامن عشر أوجد الاميرالات مثل هوك وسوفرين تكتيكاً جديداً يتمثل في بلبلة تشكيلة الخصم حتى يتم تقارب مجنبات المراكب المتحاربة الى حد بعيد (معركة الطرف الأغر ١٨٠٥).

ثم ظهر البخار كقوة محركة للمراكب الحربية، واستخدمت هذه المراكب في البداية اسلوب الصدمة بالمقدمة، ولكن تكتيكها لم يلبث أن تحول بسرعة الى تراشق بالمدفعية بين رتلين من المراكب، يحاول اكثرهما سرعة او اكثرهما قوة تركيز نيرانه على المركب الاول من رتل مراكب العدو (معركة جوتلاند ١٩١٦). وفي الحرب العالمية الاولى كانت الدارعات تسير على نسق متراص وراء الطرادات وبحماية المراكب الحربية المضادة للغواصات (زوارق الطوربيد). وما أن تصل المراكب الى مدى مدافع العدو حتى تنتشر من أجل القتال، ويبقى مركب القيادة في الوسط. أما في الحرب العالمية الثانية فقد كانت التشكيلات التكتيكية اكثر انتشاراً. وتم تشكيل المجموعات القتالية (تاسك فورس)، أو مجموعات تضم حاملة طائرات يدافع عنها مركب حربي ثقيل او اكثر، وتحميها مراكب حربية خفيفة. وأصبحت المعركة البحرية تدور بين تشكيلات بحرية متباعدة لدرجة جعلت مدفعية المراكب غير قادرة على التدخل غالباً. واخذت المعركة شكل قتال بين الطائرات وحاملة الطائرات المعادية. وما ان تغرق الحاملة او تخرج من القتال، حتى يبدأ قتال الطائرات ضد المراكب الحربية الثقيلة المحرومة من الغطاء الجوي (معركة الكوريل ومعركة ميدواي في العام ١٩٤٢، ومعركة ليت Leyte في العام ١٩٤٤).

ومع ظهور الصواريخ الخاصة والاسلحة الذرية المحمولة على المراكب الحربية أصبحت التشكيلات والقوافل البحرية مضطرة للملاحة بشكل اكثر تبعثراً، مع اعطاء اهمية اولى للصراع ضد الطائرات وضد الغواصات. وبعد الحرب العالمية الثانية، وتطور الصواريخ الموجهة سطح – سطح، والصواريخ الموجهة بعيدة المدى جو – سطح، أصبح التكتيك البحري يعتمد على الزوارق الحربية الصغيرة المسلحة بالصواريخ الموجهة أو الطوربيدات، وصارت حماية المراكب الحربية بمركب حربي مزود بصواريخ موجهة مضادة للطائرات أمراً حيوياً، كما أصبح استخدام طائرات الهليكوبتر ضد الغواصات من صلب التكتيك البحري (المعارك البحرية العربية – الاسرائيلية في حرب ١٩٧٣).

١) التكتيك البري

ظهرت أولى قواعد القتال منذ بداية الصراعات الدامية بين المجموعات البشرية. وكانت هذه القواعد مستوحاة في جوهرها من الاساليب التي يستخدمها الانسان في الصيد. ويبدو أن الاغريق تلقوا أول دروس التكتيك من بلدان الشرق. وكانت الخيالة مخصصة للهجوم والالتفاف والمطاردة بالعمق بينما كان الدفاع يلقى على عاتق المشاة الذين أدى اختراع النبال إلى انقاص عمق تشكيلاتهم. ثم ظهرت مقاومة الكتل البشرية المجمعة داخل فلانكسات، أو المتحصنة في المدن والمعسكرات. ولقد جاءت المناورة من مرونة الليجيونات الرومانية المتوضعة بشكل شطرنجي، والتي تهاجم بقوة نقاط ضعف الخصم التي تظهر أمامها. واستخدم الغوليون والفرنج التكتيك الروماني. وعندما ظهرت الخيالة الاقطاعية الثقيلة المدرعة، ضعفت قدرة الخيالة على الحركة والمناورة، واصبحت مهمة كتل المشاة خلال القتال ضرب مجنبات الخيالة باسلحة الطعن الطويلة لتفتيت تشكيلاتها المتراصة القادرة على تحقيق الصدمة.

ولم يكن عند العرب في الجاهلية تكتيك محدد. اذ كانت حروبهم بدائية تخضع للنظام الذي يحدده رئيس القبيلة. وكانت المعارك تبدأ بالمبارزة بين ابطال من الطرفين. وكثيراً ما كانت هذه المبارزة تحسم المعركة دون تلاحم القبيلتين. فاذا لم تحسم المبارزة الفردية المعركة توالى المتبارزون، ثم تراشق الطرفان بالنبال ايذاناً بالالتحام الذي يتم باسلوب الكر والفر، حتى يصيب أحد الطرفين الانهاك أو اليأس. وكان الكر والفر يتمان ضمن عمق معين. وحتى لا يتجاوز الفر العمق المحدد كان العرب يضعون الظعائن والابل عند خط معين لا يتراجعون بعده خلال الفر.

واذا استثنينا حروب الرومان ضد زينب ملكة تدمر، وحروب الغساسنة ضد المناذرة على تخوم الشام والعراق، وحروب الغساسنة ضد الفرس أو المناذرة ضد الروم على هذه التخوم، وجدنا أن الحروب العربية – العربية في الجاهلية لم تكن اكثر من صدام محدود بين قوتين مسلحتين صغيرتين بدائيتي التسليح والتنظيم.

ولقد تعلمت القبائل العربية الكثير عن تكتيك القتال من احتكاكها مع الامبراطوريتين الفارسية والرومانية. وفي معركة ذي قار ظهرت آثار هذا الاحتكاك عندما نظمت قبائل بكر بن وائل وبني شيبان وغيرها من القبائل قواتها في كتائب، ووزعتها إلى ميمنة وميسرة وقلب، وتركت الظعائن خلف الصفوف. وقامت هذه الكتائب بمناورة بارعة، وواجهت واحدة منها الفرس بينما بقيت الاخرى بعيدة عن مرمى سهام العدو، ثم فاجأته بهذه الكتائب وربحت المعركة (انظر ذي قار، معركة). ولقد عرف المناذرة والغساسنة وغيرهم الترتيب الخماسي (القلب والميمنة والميسرة والمقدمة والمؤخرة)، كما عرفوا نظام الكراديس. وكان أحد الكراديس يهاجم الاعداء، فاذا اشتبك معهم واضطربت تشكيلتهم شن كردوس آخر الهجوم لاستغلال لحظة الأزمة في الهجوم. وفي بداية العصر الاسلامي قاتل العرب المسلمون بأساليب الجاهلية. ثم عدلوا تكتيكهم، وتبنوا تشكيلة صفوف المشاة المتراصة التي تضع الظعائن خلفها، وتندفع بقوة معنوية هائلة طلباً للشهادة، وتكر دون أن تفكر بالفر. وحقق هذا التكتيك مفاجأة للخصم. وتعتبر معركة بدر (٦٢٣) أول معركة استخدم فيها المسلمون هذا التكتيك. وكانت الخيالة مخصصة للمناورة على الأجنحة والمؤخرات (انظر احد، معركة). وكان ترتيب الجيش في المعركة إلى خمسة اقسام مطبقاً عند العرب المسلمين. وكانت الخيالة تقف في الطليعة أو الميمنة والميسرة. وكانت مهمتها الاستطلاع وبدء الاشتباك، والتطويق والمطاردة. وكانت مهمة الميمنة الهجوم

على ميسرة العدو ودفعها الى الخلف لفصل ترتيب القوات المعادية وتسهيل عملية التطويق. وكان القلب (ومعه القيادة) يمد مجنبته ولا يشترك في القتال إلا لمطاردة العدو بعد تراجع ميسرته، أو صده اذا قام بالهجوم. وكانت مهمة الميسرة الصمود وعدم الانتقال الى الهجوم الا اذا وجدت ذلك مناسباً. وكانت المبارزة على أصحاب الميمنة والقلب، ولا يبارز من الميسرة، إن بارز، إلا من كان أيسر. وكانت المؤخرة تضم الظعائن والعيال والأحمال. ورغم ترتيب الجيش بشكل خماسي، فقد حافظ العرب على الانتماء القبلي داخل كل جزء من الترتيب. وكان مقاتلو كل قبيلة يقاتلون مجتمعين تحت راية رئيسهم لتأمين التلاحم المعنوي والتنافس بين القبائل.

وعندما ظهر البارود والمدفع في أوروبا تأثر التكتيك إلى حد بعيد. ولقد بدا ذلك واضحاً في حرب المائة عام. وكانت الغلبة تتحقق لمن يستطيع تفتيت تشكيلة العدو برمايات المدفعية، ثم يستغل هذا التفتيت بهجوم سريع بالمشاة والخيالة لمنع العدو من استخدام مدفعيته بشكل مؤثر. ولقد حقق دوغيسكلان النصر بفضل انضباط قطعاته وسرعة مناوراته الحذرة. وفي القرن الخامس عشر ظهرت في اوروبا فكرة تقسيم القوات السائرة نحو المعركة الى انساق متعاقبة، كما ظهرت المؤخرات كقوة مخصصة لحماية الأرتال من الضربات الموجهة من الخلف. وتم التدريب على هذا التكتيك لأول مرة في عهد لويس الحادي عشر في فرنسا على يد مدربين سويسريين. وبقيت الخيالة مسيطرة طوال هذا القرن. ولم تعد المشاة لتحتل مكانها كسلاح اساسي إلا في عهد ماكيافللي.

وأدى نشوء القوميات الى دفع الشعوب الاوروبية نحو امتلاك سلاحها الخاص وتبني تكتيك خاص. وفي القرن الثامن عشر وضع غوستاف أدولف مفاهيم تكتيكية جديدة وخطوط عمليات محددة ونقلها الى تورين عن طريق امراء ناسو. ثم جاء مونتيدوكوكولي، ووضع اسس حرب المواقع. وكان معلماً لجنرالات عصره. وفي نهاية هذا القرن، اكد فوكيير على أهمية الحربة التي تجمع قوة النار الى قوة السلاح الأبيض، وتعطي المشاة أهمية أساسية في المعركة. ولقد دار في القرن الثامن عشر جدل طويل حول تبني «الترتيب العميق» أو «الترتيب الرقيق» للكتل المتراصة التي تدخل المعركة بنظام دقيق وعلى صفوف متعاقبة، ولكن هذا الجدل لم يؤد الى تفضيل أحد الترتيبين على الآخر. وفي هذا العصر أيضاً استخدم فريدريك الكبير تكتيك النظام المائل الذي يسمح بتركيز الضربة على مجنبة العدو وتأمين التطويق.

ومع تطور الاسلحة، وتزايد الغزارة النارية في القرن التاسع عشر تبنت الجيوش «النظام المنتشر» لتخفيف الخسائر الناجمة عن رمايات الاسلحة النارية على الكتل المتراصة. ولقد تعلمت الجيوش الأوروبية في حملاتها في افريقيا ضرورة الاعتماد على سرعة العمل، وضرورة الحركة بأرتال صغيرة. وكان الفرنسيون ممن تبنوا هذه الأفكار. ولكن اعتمادهم على بندقيتهم الجديدة «شاسبو» جعلهم يعودون في ١٨٧٠ الى استخدام الدفاع عن مواقع مختارة جيداً.

وحددت الحرب الروسية – اليابانية (١٩٠٥) نهاية قتال الخيالة بالسلاح الابيض، وضرورة تحكيم (ترصين) الأرض لحماية القوات من آثار القذائف. وأدى ظهور القنبلة المتفجرة المحشوة بالميلينيت الى تعديل اساليب بناء التحصينات الدائمة وتكتيك مهاجمتها.

وكان تكتيك القوات المتحاربة في بداية الحرب العالمية الأولى يعتمد على الهجوم الكثيف بعد قصف تمهيدي طويل بالمدفعية. ولقد سمح هذا التكتيك للقوات الفرنسية بان تشن هجوماً شاملا (١٩١٤)، بعد أن تراجعت ٣٠٠ كيلومتراً، وأن تنقذ البلاد في المارن. ثم لم يلبث هذا التكتيك أن فقد قيمته أمام قوة نيران المدفعية والرشاشات المعادية، وقدرة الخصم على جمع قواته الاحتياطية في مكان الهجوم نظراً لبطء حركة القوات المهاجمة. وأدى هذا الأمر وصعوبة الالتفاف حول المجنبات إلى تبني اسلوب حرب الخنادق (انظر الخرق، والحرب العالمية الأولى، وحرب الخنادق).

وادخلت الحرب العالمية الاولى على التكتيك وسائط جديدة (الدبابات، والسيارات، والطائرات) ولكن استخدامها المحدود في هذه الحرب لم يأخذ شكله الواسع والمنسق إلا في الحرب الخاطفة التي شنها الالمان في مطلع الحرب العالمية الثانية (مرحلة ١٩٣٩ – ١٩٤١). ثم لم يلبث اسلوب الحرب الخاطفة أن تعرض للفشل بالتدريج، بسبب استخدام وسائط النار والنقل والارتباط بشكل لم يعرف من قبل. وبعد انتهاء الحرب بدأ المنظرون يضعون التكتيك المتلائم مع استخدام القنبلة الذرية. ولقد أدى اختراع المدفع الذري الاميركي (١٩٥٣) الى تحويل القنبلة الذرية من سلاح استراتيجي الى سلاح يمكن استخدامه تكتيكياً. الأمر الذي دفع الجيوش إلى إدخال تعديلات على تشكيلات القطعات الكبرى لتخفيف تعدادها، وزيادة حركيتها وقدرتها على الانتشار والتجمع الضروريين لتحاشي ضربات القنابل الذرية والصواريخ ذات الرؤوس الذرية (انظر التكتيك الذري).

وليس تكتيك القوات البرية واحداً بالنسبة الى مختلف صنوف الاسلحة أو بالنسبة الى مختلف القوات مهما كان حجمها. فهناك تكتيك المشاة وتكتيك الدبابات وتكتيك المدفعية وتكتيك المهندسين... الخ. ويحدد كل تكتيك منها اساليب استخدام هذه الاسلحة في كل مراحل المعركة. وهناك بالاضافة الى ذلك تكتيك الوحدات الصغرى، وتكتيك القطعات المتوسطة والكبيرة. ولا يختلف التكتيكان في جوهرهما، ولكنهما يتباينان بالاساليب المستخدمة المتناسبة مع حجم القوات والوسائط الموضوعة تحت تصرفها. ولقد أدت حركات المقاومة (الانصار) في اوروبا وآسيا ضد قوات المحور، خلال الحرب العالمية الثانية، والثورات وحروب التحرير الشعبية في النصف الثاني من القرن العشرين، إلى تطوير تكتيك حرب العصابات وتكتيك الحرب المضادة للعصابات. واذا كان التكتيك الأول يعتمد على قتال الوحدات الصغرى الراجلة التي تستخدم الأرض والمفاجأة والحركة والزخم المعنوي لتحقيق النصر، فان التكتيك الثاني يعتمد على الحركة (بالآليات وطائرات الهليكوبتر) والمفاجأة.

واذا نظرنا الى التكتيكات المستخدمة في الصراع العربي – الاسرائيلي، وجدنا ان الدول العربية واسرائيل استخدمت في المرحلة الأولى من الحرب ١٩٤٨ تكتيكات هجوم المشاة المدعومة بالمدفعية وبعدد قليل من المدرعات والطائرات، نظراً لضعف هذين السلاحين عند الطرفين. وفي المراحل الأخيرة من الحرب (بعد الهدنتين الأولى والثانية، انظر حرب ١٩٤٨) استخدم الاسرائيليون تكتيكات هجوم المشاة المحمولة المعززة بدبابات الاقتحام والمدفعية. وكان الدفاع خلال هذه الحرب مبنياً لدى الطرفين على خبرة الحرب العالمية الثانية (نقاط استناد مغلقة)، ولكن الدفاع الاسرائيلي بمجمله كان اكثر من الدفاع العربي ديناميكية. وكان جيش الانقاذ يقاتل في الهجوم والدفاع بقوات شبه نظامية وفق تكتيكات حرب العصابات الكبيرة مع نقص في نيران المدفعية اللازمة لهذه التكتيكات.

وفي حرب ١٩٥٦ قاتل المصريون دفاعياً وفق تكتيكات الحرب العالمية الثانية، وكان دفاعهم في بعض المعارك ديناميكياً (انظر حرب ١٩٥٦) بينما قاتل الاسرائيليون هجومياً وفق تكتيك الحرب الخاطفة، مع الاعتماد اساساً على مجموعات الدبابات والمشاة المحمولة والمدفعية ذاتية الحركة العاملة تحت

غطاء طيران متفوق على طيران الحرب العالمية الثانية بالقوة النارية ودقة الاصابة ومرونة الحركة .

وفي حرب ١٩٦٧ قاتل المصريون والسوريون دفاعياً وفق تكتيكات العقيدة الشرقية (خنادق متصلة ومواضع قتالية متعاقبة ودبابات احتياطية للهجمات المعاكسة) وقاتل الاردنيون دفاعياً وفق تكتيكات العقيدة الغربية (نقاط استناد مغلقة مدعومة بالمدفعية وبالدبابات المعدة للهجمات المعاكسة) بينما قاتل الاسرائيليون هجومياً وفق تكتيك الحرب الخاطفة مع سيطرة جوية كاملة .

أما في حرب ١٩٧٣ فقد قاتل السوريون في المرحلة الاولى من الحرب وفق تكتيك الحرب الخاطفة . وقاتل المصريون وفق تكتيك الهجوم – الدفاعي . وقاتل الاسرائيليون خلال هذه المرحلة وفق تكتيك الدفاع الديناميكي النشط مع الاعتماد على الهجمات المدرعة المدعومة بوحدات محدودة من المشاة والمدفعية ، مطبقين بذلك اسلوب هجوم الخيالة الخفيفة الذي حقق لهم نجاحات كبيرة في حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧. وبعد أن جمع الاسرائيليون قواتهم الاحتياطية ، شنوا هجماتهم على الجبهتين السورية والمصرية باسلوب الحرب الخاطفة . ولكنهم دعموا القوات المدرعة المهاجمة بمزيد من المشاة والمدفعية ووحدات الصواريخ المضادة للدبابات ، لزيادة القوة النارية الداعمة (بعد تحديد عمل الطيران بفضل الصواريخ ارض – جو العربية)، ولحماية الدبابات من هجمات المشاة العربية المسلحة باسلحة متطورة مضادة للدبابات . أما القوات المصرية فقد قاتلت (في فترة ١٦ – ١٠/٢٤) وفق تكتيكات الدفاع الديناميكي . وقاتل السوريون منذ يوم ١٠/٩ والعراقيون منذ يوم ١٠/١٢ وفق التكتيكات نفسها (انظر حرب ١٩٧٣) .

وتعتمد التكتيكات العربية في الهجوم والدفاع بصورة عامة على كثافة القوات وغزارة نيران المدفعية . بينما تعتمد التكتيكات الاسرائيلية على السرعة والمناورة وعنف الصدمة المدرعة ودعم القوات الجوية ، وغزارة نيران الأسلحة ، والمفاجأة الليلية . ولقد زادت القوات الاسرائيلية من اعتمادها على المدفعية والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات بعد حرب ١٩٧٣ ، كما أن هذه الحرب طورت التكتيكات العربية وجعلتها اكثر مرونة ، وادخلت فيها اسلوب الاعتماد على الصواريخ أرض – جو والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ، والصواريخ أرض – أرض التكتيكية التقليدية (بدون رؤوس ذرية) ، وتكتيك القتال الليلي .

ولقد استخدمت الثورة الفلسطينية في بداية انطلاقها (١٩٥٦ – ١٩٦٧) تكتيك حرب العصابات السرية ، وفي مرحلة (١٩٦٧ – ١٩٧٠) استخدمت بنجاح تكتيك حرب العصابات الصغيرة المعتمدة على القواعد الداخلية والخارجية . ولقد حاولت في العام ١٩٧٠ الانتقال الى تكتيك حرب العصابات الكبيرة (العمليات الكبيرة) ولكن نقص الوسائط واختلال ميزان القوى لصالح العدو ، والضربة التي وجهت اليها في ايلول (سبتمبر) من هذا العام ، منعتها من تحقيق ذلك بنجاح ، واعادتها الى تكتيكات حرب العصابات السرية وحرب العصابات الصغيرة المعتمدة على القواعد الخارجية أساساً . أما الاسرائيليون فهم يستخدمون في مجابهة الثورة الفلسطينية تكتيك الدفاع المحلي ، والقصف بالطيران والمدفعية والزوارق الحربية ، وتكتيك الهجوم النشط بقوات محمولة بالآليات والهليكوبترات ، ويطاردون الثوار الى داخل الاراضي العربية ، ويحاولون فصل القواعد الخارجية عن القواعد الداخلية بحواجز ممتدة على طول حدود الاردن ولبنان مع الارض المحتلة (انظر الغور، خط) . وهم يلجأون ، منذ العام ١٩٦٩ ، الى اساليب الحرب السرية المضادة (الارهاب المضاد) في الأراضي العربية وفي مختلف أرجاء العالم . وهي اساليب تدربوا عليها واتقنوا استخدامها في فترة الانتداب البريطاني ، خلال صراعهم ضد سلطات الانتداب وضد القوى الثورية الفلسطينية المناوئة للهجرة والاستيطان .

(٢) تكتيك البقاء على قيد الحياة

ان قيمة الردع مرتبطة بطاقة القوة الضاربة الاساسية على البقاء بعد الضرب . ومن هنا نتج تكتيك البقاء على قيد الحياة ، وهو تكتيك باهظ التكاليف ، وكثير التعقيد ، يستهدف تحقيق انذار شبه فوري باستخدام (اجهزة رادار كبيرة ، واقمار صناعية ، واتصالات اوتوماتيكية ، وآلات حاسبة اليكترونية الخ...) وشن مهمات جوية ورمايات ذرية قبل وصول الصلية الذرية المعادية ، وذلك بواسطة (طائرات محلقة في الجو بصورة مستمرة أو في حالة إنذار لمدة خمس عشرة دقيقة ، وقذائف صاروخية ذات وقود جاف الخ ...) ، وبحماية أدوات الرمي عن طريق الحركة (غواصات ذرية حاملة صواريخ) ، وبالتحصينات الاسمنتية لإرغام الخصم على صرف عدد كبير جداً من الأسلحة الذرية على كل هدف من الأهداف ، أو بالانتشار .

وتتعلق نتائج المعادلة التي تعطي نتائج الضربة المعادية الأولى والرد عليها بالقيمة النسبية لتكتيكات البقاء لكل جزء ، كما تختلف النتائج أيضاً تبعاً للفاعلية المقدرة لتكتيكات الاعتراض ولتقدير الرمايات وتصبح هذه النتائج تدريجياً نتائج تخمينية .

(١) التكتيك الجوي

يرتبط هذا التكتيك ارتباطاً وثيقاً بالامكانات التقنية والقتالية للطائرات المستخدمة . وهو يتسم بالبراغماتية وسرعة التطور . لم تشهد الحرب العالمية الاولى تطوراً كبيراً لهذا التكتيك الذي كان يقتصر على عدد من اساليب القتال (الهجوم والشمس وراء المهاجم ، الخ ...) . ومع هذا فقد ظهرت بسرعة امكانات الحشد والتكثيف الناري التي يقدمها السلاح الجديد . ولكن تخصص هذا السلاح جعل الجيوش تتجاهل مؤقتاً وضع تكتيك عام لاستخدامه . وهكذا تم التطور العفوي لتكتيكات خاصة بالمطاردة أو القصف أو الرصد . ثم لم تلبث هذه التكتيكات بعد انتصار ١٩١٨ أن اعتبرت قواعد ثابتة في النظام العسكري . وظهر دوهي في ايطاليا منادياً بمفهومه الخاص عن قاذفات القنابل الضخمة ، التي اعتبرها الأداة الوحيدة القادرة على كل شيء في التكتيك الجوي . ولكن التطور الحقيقي الجديد الذي أصاب التكتيك الجوي بعد الحرب العالمية الأولى ، هو التطور الذي تم في ألمانيا خلال فترة ١٩٣٥ – ١٩٣٩ . ولم يتمثل هذا التطور بالتدخل الناري المباشر الذي يقوم به الطيران خلال القتال البري فحسب ، بل شمل أيضاً خلق تشكيل الاسطول الجوي الذي يضع تحت قيادة قائد واحد طائرات من انواع مختلفة وذات مهمات مختلفة بغية تحقيق غرض مشترك واحد . ولقد أدت الفاعلية التكتيكية لسلاح الطيران الالماني من جهة ، وترابط التكتيك الجوي مع التكتيك البري من جهة اخرى ، إلى إلحاق هزائم فادحة بالحلفاء . ولم يستطع هؤلاء الحلفاء انتزاع السيطرة الجوية خلال الحرب العالمية الثانية إلا بعد أن حققوا تفوقاً عددياً كبيراً جداً .

ويمكن النظر إلى التكتيك الجوي بعد الحرب العالمية الثانية من زاويتين : ١ – **التكتيك الخاص بسلاح الطيران** ، وهو تكتيك مستقل كل الاستقلال عن الاسلحة الأخرى (أي ان التشكيل الجوي ودعمه الاداري يعملان معاً منذ بدء أخذ التماس مع العدو حتى نهاية القتال) ، ٢ – **تكتيك السلاح كجزء من منظومة تضم مختلف الصنوف** (الدعم الأرضي والدعم البحري) حيث يلعب الطيران دوراً ضمن اطار مجموعة تضم مختلف الوسائط في سبيل تنفيذ مهمة محددة . وهذه هي حالة الهجوم الأرضي الذي

أصبح فيه الثلاثي «طائرة – دبابة – مشاة» العامل القاعدي للقتال. وهو أيضاً العامل القاعدي لعمليات الانزال وحماية القوافل.. الخ. بيد أن هذا التعاون بين مختلف الصنوف لا يترك للطيران عادة سوى امكانات محدودة للمناورة.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بعشر سنوات تبدلت معطيات التكتيك الجوي بسبب التوسع في استخدام الصواريخ الموجهة جو–جو، وجو–أرض، وجو–بحر، وبسبب ظهور الاسلحة النووية، وتقنيات التحليق بسرعات تفوق سرعة الصوت، وامكانات التحليق من مدرج قصير أو التحليق العمودي. وظهور الطائرات المقاتلة متعددة الاغراض. واذا كان ظهور الصواريخ قد بدل شكل تكتيكات القتال الجوي وجعلها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتطور التقني للاجهزة التي تحملها الطائرات، وبمدى كفاءة القيادات الارضية التي توجه المعركة الجوية، فان ظهور السلاح النووي جعل بوسع الطيران دخول المعركة بقوة نارية هائلة قادرة على الحسم. أما تقصير المدرج والقدرة على التحليق العمودي فقد زادا امكانات المناورة التكتيكية للطيران وجعلاه أقل ارتباطاً بالمطارات الكبيرة الحساسة أمام القصف الجوي. واخيراً فان ظهور طائرة متعددة الأغراض قد سهل التكتيك الجوي وجعل ادارة المعركة اكثر بساطة. فبدلا من تنفيذ مهمات القصف بتكتيك الطائرات القاذفة التي تحميها طائرات مطاردة أصبح من الممكن استخدام طائرات من نوع واحد قادرة على القصف والمطاردة معاً.

إن تطور امكانات الصناعة الجوية، جعل الطيران قادراً على القيام بمهمات متعددة (انظر القوات الجوية). ومن الطبيعي أن يختلف التكتيك القتالي باختلاف طبيعة المهمة. فهناك تكتيك خاص يستخدم خلال الاشتباكات الجوية، وتكتيك للدعم الارضي، وآخر للدعم البحري أو دعم عمليات الانزال، وتكتيك لقصف المطارات والمنشآت الحيوية الهامة. وكل هذه التكتيكات المختلفة تعتمد على ثلاثة عوامل: السرعة والمرونة وقوة النيران التي تطورت بعد الحرب العالمية الثانية إلى حد بعيد.

(٦) التكتيك الذري

هو استخدام القوات التقليدية والذرية في المعركة خلال الحرب الذرية.

يتميز التكتيك، بشكل عام، بازدواجية عناصره: كالهجوم والدفاع، الحشد والانتشار، الحماية والحركة، المقذوف وتأثير الصدمة، القيم المعنوية والمادية. ولم تتغير هذه العناصر عبر العصور، بصرف النظر عن تطور الاسلحة ووسائل الاتصال. كذلك فإن مبادئ التكتيك قليلة وبسيطة، ولكن الصعوبة تنشأ عند إعمال وتطبيق هذه المبادئ في حيز الواقع: كالمفاجأة، والسرية، والخداع، والامن، وجمع المعلومات.

ومنذ ان اخترعت الاسلحة الذرية، اخذ كثير من المفكرين يحاولون تصور الشكل التكتيكي لمعارك الغد، ومدى تأثر تطبيق عناصر ومبادئ التكتيك بها. وما من شك في ان استخدام الاسلحة الذرية لاول مرة في الحرب العالمية الثانية، أعاد طرح مسألة علم الحرب كلها دفعة واحدة. ولقد بقي علم الحرب في المجال الذري محصوراً ضمن صدام النظريات. وبغية السعي وراء رسم صورة واضحة لهذه المسألة، لا بد من دراسة صفات السلاح الذري: فالسلاح الذري بغض النظر عن الشكل الذي يتخذه، يصنف في فئة الاسلحة النارية (انظر السلاح الذري)، ومع ذلك فإن هناك صعوبة في اجراء المقارنة بينه وبين الاسلحة النارية التقليدية بالنظر لطبيعته (انظر آثار الانفجار النووي)، وبالنظر لوجود اختلاف جذري في ميزات كل منهما. ويمكن ان تتم المقارنة من ناحيتين: اولاهما، من حيث القدرة الانفجارية، فقنبلة ذرية بسيطة من نوع «٢٠ ك. ط» (ك. ط، او كيلوطن، مصطلح يستعمل للتعبير عن قدرة ألف طن من المادة ت. ن. ت شديدة الانفجار) تعادل في تأثيرها قدرة ٤٠٠ ألف قذيفة عادية ترميها مدفعية ذات عيار متوسط. ولكي نحصل على النتيجة ذاتها في المدة الزمنية ذاتها ايضاً، يجب ان نطلق نيران ٣٥٠٠ مدفع ميدان متوسط العيار، في حين ان مدفعاً ذرياً واحداً يستطيع ان يطلق ستاً من القنابل في الساعة الواحدة. وثانيهما، المساحات التي تستطيع الاسلحة الذرية والاسلحة النارية العادية ان تغطيها بضربها. فالقذيفة الذرية، من نوع ٢٠ ك. ط، تؤثر ضمن دائرة نصف قطرها نحو ٣٢٧٥ متراً اي ما يعادل مساحة قدرها ٣٣،٦٥ كيلومتراً مربعاً. ولكي نغطي هذه المساحة، يجب ان نلقي عليها ما بين ٨ آلاف و ١٠ لاف قذيفة عادية. هذا مع ملاحظة ان اقوى قصف بالمدفعية او بالطيران لا يستطيع ان يقوم باكثر من شل الهدف المعادي مؤقتاً، في حين ان القذائف الذرية تخلف وراءها آثار خراب كامل شامل، وتجعل منطقة الهدف غير قابلة للاستعمال او الاستفادة منها لمدة طويلة، بما فيها من اهداف لا اهمية لها ولا نفع في تخريبها، الامر الذي يجعل من السلاح التقليدي سلاحاً شديد المرونة قادراً على التكيف بالمقارنة بالسلاح الذري. ويلاقي معظم رجال الوحدات الموجودة قرب نقطة انفجار القنبلة الذرية حتفهم، كما يتخرب معظم العتاد. وعلى بعد اكثر من ذلك، تصاب الآليات واجهزة الاتصال بخسائر جسيمة. وتتناقص القوة التخريبية تناقصاً سريعاً كلما تزايد البعد عن تلك النقطة، مهما كان عيار القنبلة. وتستطيع قنبلة ذرية، من نوع ٢٠ ك. ط، في حالة إلقائها في المكان المناسب ان تبيد، نظرياً، لواء كاملا من حيث هو وحدة قائمة بذاتها، وان تنزل به خسائر تعادل ٦٠٪ من تشكيله، فتخرجه بذلك من المعركة، ولا يخفى ما لهذا من تأثير على الروح المعنوية لبقية الالوية المشتركة في القتال. وتخفف التحصينات الميدانية كثيراً من حدة التأثير الذري، فالملاجىء التي يختبىء فيها رجال تحت طبقة من الارض سماكتها متر واحد، تؤمن لهم حماية كافية من تأثيرات العصف والحرارة حتى مسافة يتراوح بعدها عن نقطة الانفجار بين ٧٠٠ و ١٠٠٠ متر، وتمتص هذه الطبقة الارضية الاشعاعات التي يبعثها الانفجار امتصاصاً كافياً، فلا يظهر على الرجال امراض اشعاعية فورية، وانما تظهر عليهم بعض الامراض فيما بعد.

وامام التأثيرات المخربة الهائلة التي تخلفها الاسلحة الذرية، لا بد من ان تتغير قواعد القتال تغيراً جذرياً، خصوصاً عندما لا يكون احد الخصمين وحيداً في استعمالها. وما من شك في ان السيطرة الذرية ستبقى الشرط الاساسي لتنفيذ الحركة والمناورة اثناء الحروب الذرية سواء في الدفاع او الهجوم. ويؤكد هذا القول المنطق القائل بان المهاجم الذي يعمل في ارض مكشوفة يجب ان يكون اكثر قوة من المدافع، ولكن الصعوبة تتمثل في الحد الذي يجب ان تتوصل اليه هذه السيطرة، وبعبارة اخرى في ذلك الفرق الذي يجب ان يملكه المهاجم زيادة عما يملكه المدافع ليستولي على مواضعه. وتوحي التدابير الهجومية والدفاعية المعاكسة ضد تأثيرات الاسلحة الذرية، بوجوب زيادة التمويه والبعثرة. ولكن التمويه في الهجوم اصعب منه في الدفاع، كما ان للانتشار والبعثرة حدودهما: اذ لا يمكن التوصل الى نتيجة حاسمة في العادة بدون حشد القوات في ساحة القتال، وفي حالة حشدها فانها تشكل هدفاً جيداً للاسلحة الذرية، الامر الذي يسمو

بقيمة الدفاع في الحرب الذرية : اذ ان المدافع سوف يتمتع بحماية التحصينات تحت الارض ، وبمزيد من الحرية في بعثرة قواته ، وبسهولة في تجميع وتركيز نيرانه المنبعثة من عدة نقاط موزعة لمنع العدو من الشل وتعطيل عملياته الهجومية . و رغم ذلك ، فإن اهمية الانتشار والتبعثر في الحروب الذرية ستفوق اهميتهما الماضية ، وتتلخص المسألة المطروحة في هذا المجال في معرفة الشكل الذي سيتخذه الانتشار : هل هو انتشار بالعمق ام انتشار بالعرض ، اذ أن كلا من الشكلين يستدعي وجود طرائق وتشكيلات تكتيكية مختلفة (انظر الانتشار) . وستتعاظم اهمية الاستطلاع امام تدابير التمويه والانتشار في الحروب الذرية ، وسوف يقع على عاتق استطلاعات كل من الطرفين واجب اكتشاف مواضع اسلحة الخصم الذرية ، وكيفية انتشار القوات ، وقواعد انطلاق الهجوم والهجوم المعاكس ، والتحركات في المؤخرة ، وذلك بغرض فضح نوايا العدو وغاياته ، واتخاذ الترتيبات لتجنب المفاجأة وتجنب الضربات الذرية وتلافي تأثيرها على فاعلية التشكيلات الدفاعية والهجومية (انظر الحيطة الذرية) ، ومحاولة تدمير الاسلحة الذرية المعادية . وبغية منع الاكتشاف ، ستتعاظم ايضاً اهمية اجراءات الخداع والتشويش الالكتروني في مواجهة اجراءات الخصم الاستطلاعية الالكترونية المحمولة بالطائرات بشكل خاص (انظر الحرب الالكترونية) .

ومن المؤكد ان الحرب الذرية ستغير هيكل الجيوش تغييراً عميقاً ، ومع ذلك فإن استخدام الاسلحة الذرية لن ينقص كثيراً من اهمية العنصر البشري . اذ لا يمكن التوصل الى نتيجة حاسمة ، في ساحة القتال ، الا باشتراك الانسان والسلاح معاً ، مهما كان دور السلاح ظاهراً للعيان بسبب قدرته التخريبية الهائلة . ويمكننا ان نتفهم ذلك فيما اذا تصورنا خصماً يبني جهازه العسكري على اساس نشر قطعاته وقواته نشراً اعظمياً وعلى اساس استخدام التقنية الحديثة استخداماً اعظمياً ايضاً . (انظر الحرب الذرية ، والاستراتيجية الذرية) . وكما هو الحال بالنسبة لاسلحة الدمار الشامل الاخرى (غازات القتال ، والاسلحة البيولوجية) ، يجب ان يقوم التكتيك الذري ، سواء في الهجوم او الدفاع ، على اساس الاستخدام المشترك والتنسيق مع مختلف الوسائل القتالية المتوفرة ، او بعبارة اخرى مع مختلف الاسلحة النارية التقليدية .

ان بعض الظروف المتولدة من ضرورة الانتشار والتشتت في الحرب الذرية ، تضفي على القتال شكلا يشبه الى حد ما شكل « الحرب العصابية » . ذلك ان المبدأ الاساسي للحرب الذرية – كما يتضح مما سبق – يتمثل في اجبار العدو على تجميع قطعاته ، مع تجنب تجميع قوات الصديق . وانسجاماً مع هذا المنطق ، فإن حروب العصابات لا تفقد اهميتها وفاعليتها امام السلاح الذري . وليس على العصابات ان تغير شيئاً من تكتيكها بغية التلاؤم مع المبدأ السابق ، فهي لا تتجمع الا لتهاجم ، ويكون تجمعها في هذه الحالة قريباً من العدو ولمدة جد محدودة . ويبدو ان الحرب الذرية تعطي العصابات ميزات عدة : فانتشار قوات العدو يقدم لها عدداً كبيراً من الاهداف ، دونما خشية من قيام العدو بشن عمليات واسعة النطاق ضدها . الى جانب ان العصابات لا تمثل سوى اهداف صغيرة لا تستحق القصف الذري ، كما ان عملها على مؤخرة العدو وجوانبه يمنعه من تعريض تلك المناطق للانفجارات الذرية .

وللعصابات او الانصار في الحرب الذرية مهام منها : أ) منع العدو من استخدام اسلحته الذرية ، وذلك عن طريق تدميرها ومهاجمة الافراد المكلفين باستخدامها . ومنعه من استثمار الموقف الجديد بعد استخدامها ، وذلك عن طريق منع العدو من استثمار الثغرات التي تفتحها اسلحته الذرية في خطوط القوات الصديقة الدفاعية . ب) مساعدة القوات الصديقة في خلق الظروف الملائمة لاستخدام الاسلحة الذرية ، وذلك بقطع الطرق امام العدو بشكل يجبره على التجمع وسلوك طرق محددة مما يجعل منه هدفاً ثميناً . ومساعدة القوات الصديقة في استثمار الموقف الجديد الناجم عن استخدام الاسلحة الذرية ، وذلك بمنع العدو من سد الثغرات المفتوحة في خطوطه الدفاعية . ج) دعم القوات الصديقة بالمعلومات عن مواقع العدو ، ومواقع اسلحته الذرية ، وتحركاته .. الخ .

ويتلخص تكتيك استخدام السلاح الذري بتكتيكين هما : تكتيك معاكس القوات ، وتكتيك معاكس المدن أو الموارد . (انظر تكتيك معاكس القوات وتكتيك معاكس المدن أو الموارد) . أما تكتيك القوات التقليدية في الحرب الذرية فهو مبني في الهجوم على : التبعثر لتخفيف آثار القصف الذري ، والتجمع قرب العدو بشكل سريع ومفاجىء ، والتداخل مع قوات العدو خلال الهجوم ، والحفاظ على التماس خلال المطاردة ، والتبعثر من جديد عند انقطاع التماس . أما في الدفاع فتكتيك القوات التقليدية مبني على : مسك الخطوط الدفاعية بقوات مبعثرة ومحصنة ، توزيع القوات الاحتياطية مع القدرة على جمعها بسرعة ، ضرب تجمعات العدو بالسلاح الذري ، قطع التماس مع العدو عند تجمعه والانسحاب بغية السماح للاسلحة الذرية الصديقة بقصفه ، شن هجوم معاكس تقليدي بعد الضربة الذرية الصديقة لإعادة الوضع إلى ما كان عليه أو الانتقال من الدفاع إلى الهجوم .

(١) تكتيك القوات المضادة للعصابات

هو التكتيك الذي تستخدمه القوات المضادة للعصابات ، عند مهاجمة معاقل العصابات ومناطق تجمعاتها . وهو يمثل الجانب العسكري في الحرب المضادة التي تشتمل على جوانب نفسية وسياسية واقتصادية (انظر الحرب ضد العصابات) .

تتميز العصابات الثورية بارتفاع معنوياتها ، وتلاحمها مع السكان واعتمادها على مساعدتهم ، ومرونتها وقدرتها على الحركة للتجمع او الاختفاء بسرعة مستفيدة من طبيعة الارض وتضامن المواطنين . ولكن لهذه العصابات سلبيات تتمثل في : ضعف القوة النارية ، وقلة وسائط الاتصال ، وعدم ملاءمة تشكيلات العصابات وتدريباتها لخوض معركة نظامية في أرض مكشوفة . لذا فان تكتيك القوات المضادة للعصابات مبني أساساً على استغلال سلبيات العصابات ، مع العمل ما أمكن على تجريدها من ايجابياتها ، وخاصة المرونة والحركة السريعة واستخدام المباغتة . والافادة من الامكانات المادية الكبيرة الموجودة في الجيوش النظامية لتحقيق ذلك .

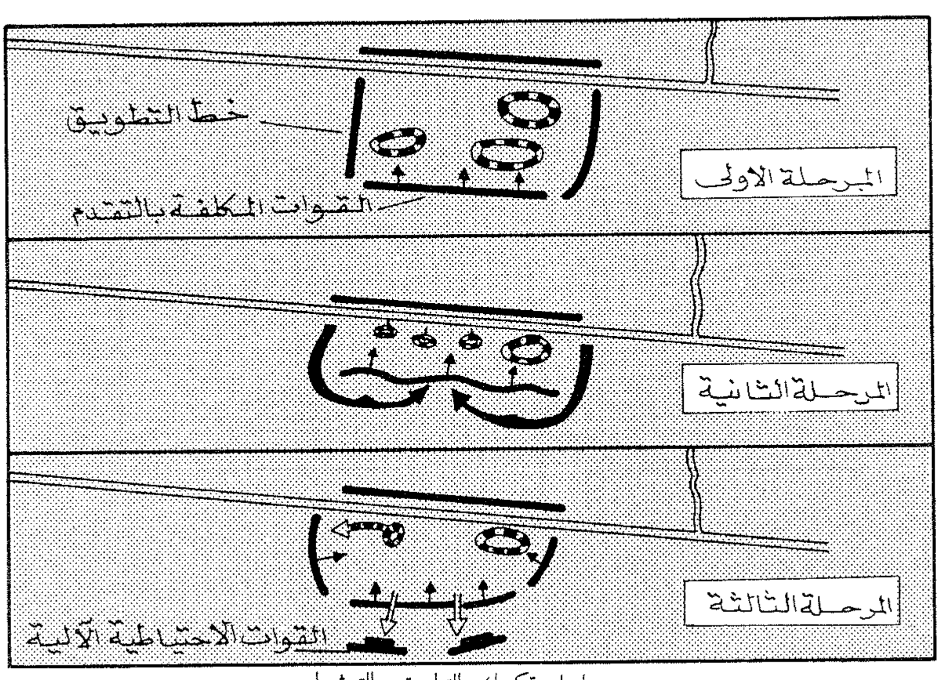
كانت الجيوش وقوات حفظ الامن تجابه العصابات في الماضي بقوات نظامية تقاتل باساليب القتال العادية ، محاولة دائماً جر العصابات الى معركة نظامية مكشوفة ، تستخدم فيها القوات المضادة تفوقها . ومع تطور تكتيك العصابات وارتفاع مستوى اساليبها القتالية بدأت القوات المضادة تتبنى تكتيكات جديدة مستوحاة من تكتيكات العصابات نفسها ، واخذت تخلق « الوحدات النظامية الخاصة » المدربة على تنفيذ هذه التكتيكات ، او تخلق « العصابات المزيفة » التي تضم سكاناً محليين وجنوداً نظاميين يتنكرون في زي العصابات ، ويجوبون في مناطقها ، ويعيشون حياتها ، وينتهزون الفرصة للانقضاض عليها . (انظر كوماندوس المطاردة ، القوات الخاصة ، العصابات المزيفة) .

واذا كانت « العصابات المزيفة » تعتمد على تكتيك العصابات نفسه مع استخدام الحد الأقصى من الخداع ، فان « الوحدات النظامية الخاصة » أو

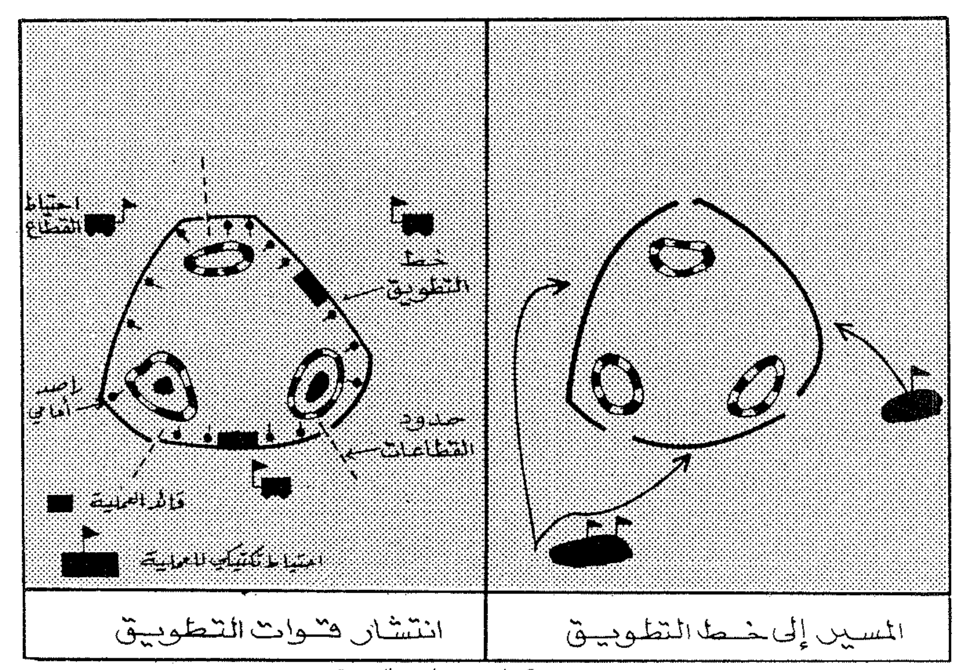
« الوحدات النظامية العادية » تستخدم في الدفاع ضد العصابات اساليب الدفاع العادية مع اعطاء تدابير الحيطة قسطاً اكبر من الأهمية. أما في الهجوم فهي تستخدم ضد العصابات التكتيكات التالية: ١ – التطويق والابادة، ٢ – الهجوم والمطاردة، ٣ – اسلوب « خلاط البيض». ومن المؤكد أن « القوات النظامية الخاصة » المعدة خصيصاً لمقاتلة العصابات أقدر من القوات النظامية العادية على تنفيذ هذه التكتيكات. وتعتمد التكتيكات كلها في جميع الأحوال على القوة النارية الكبيرة، والقدرة على الحركة السريعة بفضل الوسائط الحديثة الموضوعة تحت تصرف القوات المضادة (سيارات، آليات مدرعة، طائرات هليكوبتر). ويتطلب تنفيذ هذه التكتيكات قيادة ديناميكية قادرة على انتزاع المبادرة من العصابات، واستطلاعاً جيداً، وتطبيقاً مستمراً ويقظاً لتدابير الحيطة، وتنظيماً عالياً لوسائل الارتباط، ودرجة عالية من السرية خلال اعداد العمليات او خلال الحركة نحو مكان العملية.

اولا، التطويق والابادة: يستهدف هذا الاسلوب « اغلاق كل سبل الانسحاب أمام العصابات، والقيام بعد ذلك بتدميرها بمنهجية». ولقد طبقته القوات المضادة في الاتحاد السوفياتي ويوغوسلافيا وماليزيا وفيتنام وكوريا وفلسطين. وتبدأ عملية التطويق عادة بدفع القوات المضادة الى نقاط تجمع تقع حول منطقة وجود العصابات، ثم تتحرك هذه القوات من نقاط التجمع نحو خط التطويق وفق جدول زمني يؤمن وصولها الى خط التطويق في آن واحد. وكلما ازدادت آلية القوات المضادة ومرونتها، ازدادت قدرتها على الحركة السريعة وتحقيق التطويق بشكل مفاجيء قبل ان تنتبه العصابات الى ذلك وتنسحب خارج منطقة التطويق. وتستطيع القوات المضادة خداع العصابات وعدم لفت انظارها الى احتمال وجود عملية تطويق، وذلك عن طريق اجراء تحركات مخادعة، واختيار نقاط تجمع لا تحيط بمنطقة وجود العصابات، ولكن يمكن للقوات المضادة أن تنطلق منها بسرعة الى خط التطويق، وعدم التحليق بطائرات الاستطلاع وطائرات الهليكوبتر فوق منطقة العصابات بشكل يلفت الانظار.

وما ان تصل القوات المضادة الى خط التطويق حتى تأخذ جميع التدابير اللازمة لصد محاولات الخرق التي ستلجأ اليها العصابات، وتنظم شبكات النيران، وتؤمن الاتصال بين القوات المنتشرة على خط التطويق، وتمنع التسلل في الفرجات الواقعة

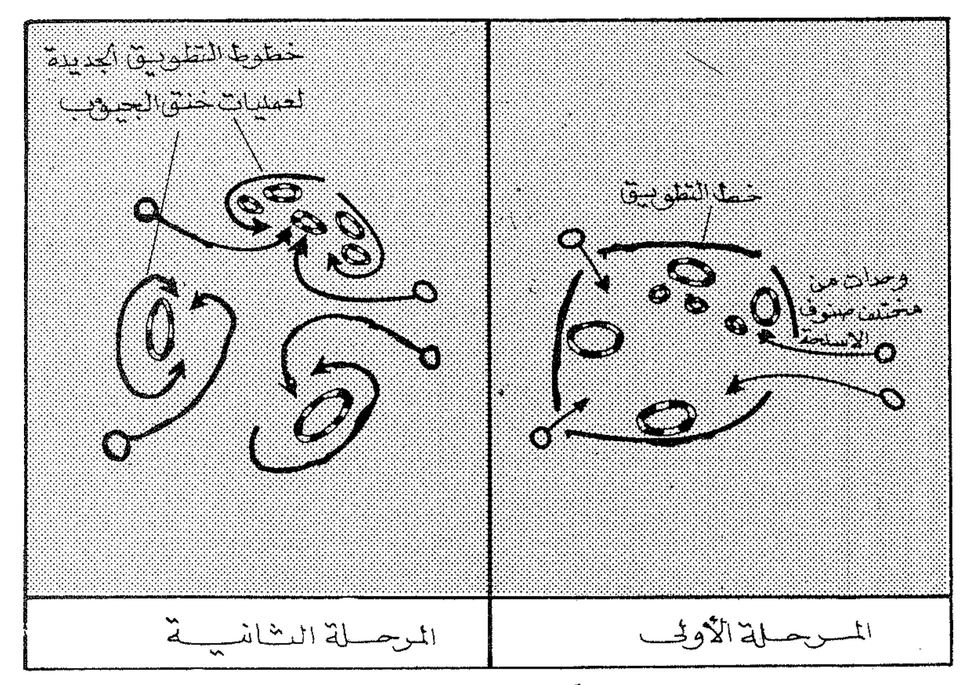


مراحل تكتيك التطويق والتمشيط

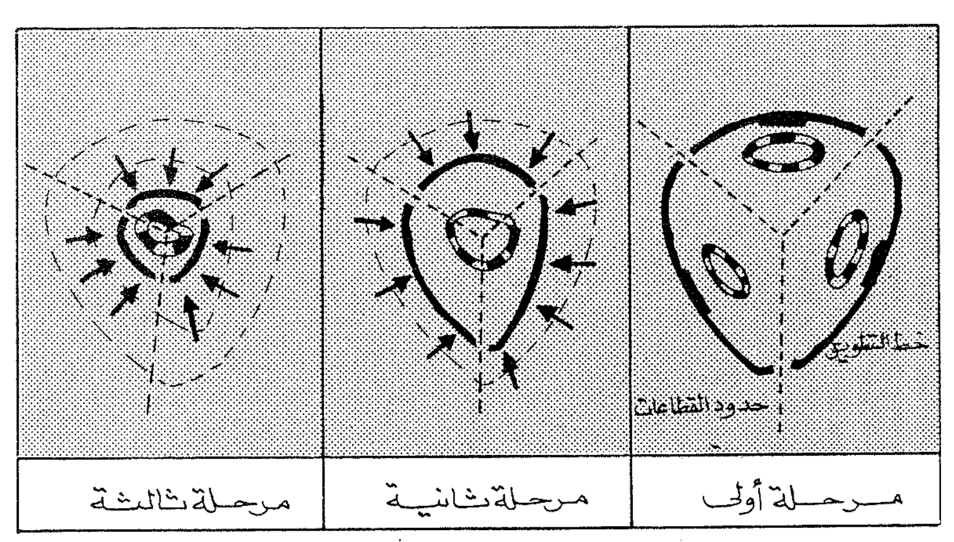


مراحل تكتيك وحدات الصدمة

بين هذه القوات، وتركز اسلحة الدعم الناري، وتجمع قوة آلية سريعة الحركة لتكون احتياط خط التطويق ومؤخرته، وتكثف نشاط طائرات الاستطلاع وطائرات الهليكوبتر فوق المنطقة لكشف نوايا العصابات وتحركاتها. فاذا حاولت العصابات الخروج من الطوق قامت قوات التطويق بتركيز النيران عليها لمنعها من التملص، وان استطاعت بعض العناصر التسلل خارج الطوق تبقى قوات التطويق ثابتة في مكانها، بينما تقوم القوات الاحتياطية المحمولة (عربات مدرعة، او خيالة اذا اقتضى الأمر) بمطاردة المتسللين. ويمكن ان تستخدم طائرات الهليكوبتر في المطاردة أيضاً، سواء لرصد القوات



مراحل تكتيك التطويق والتفتيت



مراحل تكتيك التطويق والخنق (شبكة العنكبوت)

المتسللة وتحديد خط انسحابها ، أو لنقل وحدات محمولة جواً وانزالها عند الممرات الاجبـارية التي سيضطر المنسحبون الى المرور منها . وفي هذه الحالة يكون الاتصال الدقيق بين القوات البرية وطائرات الهليكوبتر عاملا اساسياً من عوامل النجاح .

ويمكن في الجيوش الحديثة استخدام القوات المحمولة بالهليكوبتر لتنفيذ التطويق أو جزء منه (انظر الكرامة « معركة ») . الأمر الذي يضمن سرعة التطويق وتحقيق القسط الاكبر من المفاجأة .

وبعد أن يتكامل الطوق وتتحدد مواقع العصابات عن طريق الرصد البري والجوي تبدأ عملية الابادة وفق اسلوب الخنق ، أو التمشيط ، أو التفتيت أو هجوم وحدات الصدمة . أ – يتم **الخنق او « شبكة العنكبوت »** بتضييق خط التطويق بتقدم مستمر من جميع الجهات نحو المركز . وتبدو هذه الطريقة بسيطة ، ولكن استخدامها لا يعطي نتائج ايجابية الا عند تدمير العصابات المنتشرة في منطقة صغيرة ، لأن سعة منطقة انتشار العصابات وطول محيط التطويق يجعل القوات المضادة عاجزة عن التقدم بسرعة واحدة ، الأمر الذي يؤدي الى انقطاع الارتباط بينها وانفتاح ثغرات تستغلها العصابات للانسحاب خارج الطوق ، ب – ويتم **التمشيط** بتقدم جانب من جوانب الطوق مع ثبات الجوانب الاخرى . وهو يستهـدف تطهير الأرض بشكل منهجي دون ترك أية جيوب منعزلة . ويقوم الجانب المتقدم بدفع قوات العصابات نحو الجوانب الثابتة المستعدة لاستقبالها بالنيران . وهنا ترى العصابات ان تراجعها يعني وقوعها تحت رحمة القوات الثابتة ، فتحاول التسلل عبر التشكيلات المتقدمة ، لهذا تنشر القوات المتقدمة وراءها قوات احتياطية متحركـة مهمتها الاشتباك مع العصابات التي تتسلل عبر خط الهجوم . ويصل التمشيط إلى افضل النتائج اذا كانت الجوانب الثابتة من خط التطويق مستندة الى خطوط دفاعية ملائمة (نهر ، هضبة ، نطاق من الغابات ، ممرات اجبارية) تسهل عمل القوات المضادة المنتشرة على هذا الخط ، وتساعدها على صد العصابات التي تحاول خرق التطويق عند انسحابها أمام ضغط الجانب المتقدم ، ج – **أمـا التفتيت** وتطهير الجيوب ، فيتم بدفع قوات صدمة من عدة اتجاهات نحو مركز منطقة العصابات ، مع بقاء قوات التطويق ثابتة على خط التطويق . الأمر الذي يؤدي الى تجزئة المنطقة المطوقة ، وحرمان العصابات من حرية العمل . وعندما تنتهي عملية التفتيت تنحصر أجزاء العصابات داخل جيوب معزولة وتقوم القوات المضادة الموجودة على خط التطويق الأصلي ، مع قوات الصدمة التي قامت بالتفتيت ، بتدمير الجيوب بواسطة الخنق أو التمشيط ، د – ويتم **هجوم وحدات الصدمة** ، في الحالات التي تكون فيها العصابات متمركزة بقوة في مناطق محصنة ، وتتوفر لدى القوات المضادة معلومات اكيدة عن استعداد هذه العصابات للدفاع عن مواقعها بصلابة دون تفكير بالانسحاب . ويجري الهجوم في هذه الحالات بقوة خاصة آلية (من الاحتياط) تتحرك من محيط التطويق نحو المركز ، بينما تبقى قوات التطويق ثابتة في مكانها . ويكون عمل قوات التطويق منع العصابات من الانسحاب خارج الطوق ، بينما يكون عمل القوة الخاصة عبارة عن إغارة ، تتحول في حالة النجاح الى اغارة احتلال وتطهير منطقة العصابات ، كما تتحول في حالة صمود العصابات الى اغارة كر وفر تعقبها اغارات مماثلة حتى يتم التغلب على العصابات واحتلال المنطقة وتطهيرها .

ومن الضروري هنا أن نلاحظ ، أن طيران القوات المضادة لا ينشط إلا بعد الانتهاء من التطويق والبدء بعملية التدمير . وهو يأخذ على عاتقه مهمة

تدمير المقاومات ودعم القوات المهاجمة ، كما يأخذ على عاتقه مهمة الرصد لتصحيح رمايات المدفعية وكشف مواقع العصابات وتحديد تحركاتها .

ثانياً ، الهجوم والمطاردة : اذا كانت القوات المضادة المتوفرة غير كافية لتطويق العصابات ، أو كان الوقت المتوفر لا يسمح باعداد هذا التطويق وتنفيذه ، تلجأ القوات المضادة إلى الهجوم المفاجيء لاجبار العصابات على الاشتباك ، وتدميرها ومطاردة فلولها التي تتبعثر على شكل جماعات صغيرة . والفكرة الاساسية لهذا الاسلوب هي : تدمير العصابات عن طريق مهاجمتها في نقطة حاسمة وبوسائل متفوقة قبل أن تتمكن من تحصين المنطقة التي تعمل عليها . ويستخدم هذا الاسلوب ضد العصابات التي تنتقل من مكان الى آخر . وهو يتطلب استطلاعاً جيداً ، واستغلالا كاملا لعاملي المفاجأة والتفوق .

وتقسم القوات المهاجمة عادة الى نسقين : نسق الهجوم ونسق الاحتياط . ويضم نسق الهجوم القوة الآلية المكلفة بالصدمة الأولى والوسائط النارية التي تدعمها وتكون مهمتها تحديد التماس مع العصابات ، والانقضاض عليها لتدميرها ، ويكون هدفه الأول تدمير قيادة العصابات أو أسرها . أما نسق الاحتياط فيضم قوة محمولة بالعربات المدرعة أو بالهليكوبترات أو بالوسيلتين معاً ، وتكون مهمته مطاردة العصابات المنسحبة وتدميرها . ويختلف تطور المعركة باختلاف رد فعل العصابات . فاذا ما قررت قياده العصابات الاشتباك مع المهاجمين ، نفذ نسق الهجوم مهمته وفق المخطط المعد لذلك . أما اذا قررت قيادة العصابات الانسحاب والتملص ، تجمع نسق الهجوم على شكل أرتال تندفع بسرعة لتتجاوز العصابات — دون أن تقطع التماس معها — ولتضربها من المجنبة والخلف ، بينما يقوم نسق الاحتياط المحمول بالتقدم السريع ليتجاوز العصابات مسافة واسعة ويأخذ مواقع قتالية على خط انسحاب العصابات المحتمل ، بغية الاشتباك مع المنسحبين وتدميرهم . ومن الطبيعي أن تكون القوات المحمولة بالهليكوبتر أقدر على تنفيذ هذه المهمة من القوات المحمولة بالعربات المدرعة ، نظراً لأنها اكثر منها سرعة وقدرة على تجاوز العصابات وقطع خط انسحابها .

ثالثاً ، خلاط البيض : ويتلخص هذا التكتيك في اعداد دوريات محدودة العدد تتحرك في منطقة العصابات في كل الاتجاهات بغية كشف مواقعها والاشتباك معها وتدميرها . وتتألف كل دورية من هذه الدوريات من قوة محمولة سريعة الحركة يتراوح عددها بين الفصيلة والسرية . وتكون مؤهلة للقيام بعمليات الاستطلاع العنيف أو القتال ضد المقاومات التي تظهر أمامها . ولذا فانها تزود بأسلحة ذات قوة نارية كبيرة (رشاشات ، هاونات ، مدافع عديمة الارتداد ، قنابل يدوية ، بنادق رشاشة) ، ووسائط اتصال جيدة ، وكمية كبيرة من الذخيرة والمؤن ، حتى تستطيع العيش والعمل مدة طويلة دون الحاجة لتموين وامداد جديدين . ويلحق بالدوريات مترجمون وأدلاء موثوق بهم ، ومفارز من الكلاب البوليسية .

ولقد استخدمت هذه الدوريات بنجاح في ماليزيا والاتحاد السوفياتي . وهي تمارس القتال باساليب حرب العصابات في المناطق التي تتجول فيها العصابات للقيام بعمليات التخريب أو لجمع المؤن . ويصعب استخدامها في المناطق التي تتحصن فيها العصابات الكبيرة . ولنجاح اسلوب خلاط البيض تسير الدوريات ليلا وتختفي نهاراً ، وتؤمن حيطتها خلال المسير والاقامة ، وتتحاشى الاختلاط مع المدنيين ، وتتحرك دائماً باتجاهات متضاربة لتشويش رصاد العدو ومنعهم من تحديد نواياها . ولا تشن الهجوم إلا اذا أمنت المفاجأة والتفوق . ولا تتمركز في مكان واحد مدة طويلة ، وتعتمد اعتماداً كلياً على قوتها الذاتية خلال الهجوم أو المطاردة أو الانسحاب أمام هجمات العصابات .

وتستطيع هذه الدوريات جمع المعلومات وارسالها الى قيادة القوات المضادة لاسلكياً ، كما تستطيع بلبلة العصابات وتكبيدها خسائر مستمرة واجبارها على التحول من الهجوم الى الدفاع ، ولكن حجمها وقوة وسائطها لا يسمحان لها بتطويق العصابات الكبيرة أو ابادتها ، كما لا يسمحان لها بتطهير الأرض والحفاظ عليها مدة طويلة . ورغم اعتماد دوريات « خلاط البيض » أساساً على قوتها الذاتية ، فان بوسع قيادة القوات المضادة للعصابات تزويدها بالمعلومات المتوفرة لديها ، واستخدام طائرات الهليكوبتر لامدادها وتموينها واخلاء جرحاها ، او اخلاء رجالها واسلحتهم الخفيفة ، في حالة توغل الدورية بعمق داخل مناطق العصابات ، أو عند قيام العصابات بتطويقها والضغط عليها بقوة لا تسمح لها بالانسحاب براً بوسائطها الخاصة .

(٢) تكتيك معاكس القوات

يقصد بهذا التكتيك تدمير الاسلحة النووية المعادية ووسائل انتاجها ووسائل اطلاق الصواريخ . وهو خطة تدمير تتوقع الهجوم على كل هدف من أهداف العدو النووية المعروفة . وقد بدت هذه الصيغة صيغة ملائمة للامريكيين في البداية عندما كان التفوق الامريكي تفوقاً هائلا . الا ان ازدياد وسائل الاطلاق وظهور القذائف الصاروخية ، وتعدد الاهداف النووية في الاتحاد السوفييتي وفي اوروبا الشرقية ، وتفوق السوفييت وانتشار قواتهم الذرية ، وتعدد مواقعها ، زادت من صعوبة هذه المشكلة الى حد كبير ، حتى ان مدرسة عسكرية بكاملها ادعت ان « تكتيك معاكس القوات » تكتيك معرض للفشل . والحقيقة ، إنه أضحى من المستحيل تدمير كل شيء . وبالإضافة الى هذا فان هذا التكتيك لا يكون فعالا جداً الا اذا استطعنا الوثوق من تحقيقه بصورة كاملة ، فضلا عن أنه باهظ التكاليف ، وغدا تدريجياً غير مؤكد بسبب تحسن تكتيكات البقاء على قيد الحياة وتطورها .

ان « تكتيك معاكس القوات » يؤدي بالضرورة الى « تكتيك معاكس المدن » لأن من الصعب التمييز بين الأهداف العسكرية والمدنية ، ولأن الخصم سيرد على الرمي « معاكس القوات » بالرمي « معاكس المدن » أيضاً .

(٢) تكتيك معاكس المدن أو الموارد

ان « تكتيك معاكس المدن » اسهل بكثير من تكتيك معاكس القوات » ، وأقل التكتيكات الذرية تكلفة . وقد سمي « **استراتيجية الهجوم الرادع الادنى** » . ويعني هذا التكتيك ضرب المدن الرئيسية الكبرى للخصم . وان الذي يختار هذا الحل يؤمن بالقيمة المطلقة للردع الذي يحققه ، وفي حالة النزاع لا يجد أمامه منفذاً إلا في الانتحار المتبادل . وتستفيد الدول الذرية الثانوية من هذا التكتيك ، لأنها لا تملك الوسائل الضرورية لتنفيذ « تكتيك معاكس القوات » . ونظراً لأن طاقات التدمير التي تملكها الدول الذرية الثانوية والدول الذرية الرئيسية غير متساوية ، اذن فلا يمكن إعادة التوازن فيما بينهما إلا بشكل آخر من اشكال الاقناع : الخوف من ان يشن الاضعف منهما الانتقام الذري ضد المدن الرئيسية . فاذا تجني دولة كبرى من احتلال دولة ذرية ثانوية او اخضاعها اذا كان بوسع هذه الدولة الاخيرة تدمير مدينتين رئيسيتين من مدن الدولة الكبرى .

وهناك على ما يبدو كثير من المنظرين الاستراتيجيين على جانبي الاطلسي وفي الاتحاد السوفييتي ، يدافعون عن نظرية الردع المستندة الى التهديد بتدمير المدن الكبرى . وقد اختار السوفيات

في استراتيجيتهم النووية رداً على الضربة الذرية الأولى المعادية ضرب المدن الاميركية الكبرى. ويرى الجنرال بوفر ان الاختيار السوفييتي هذا يدل على ان السوفيات يؤمنون بالقيمة المطلقة للردع. وهناك بين الاستراتيجيين الامريكيين من يدافع عن نظرية الردع المستندة الى معاكس المدن او الموارد، وذلك بالتهديد بتدمير المدن الكبرى. وقد أوصى هؤلاء الاستراتيجيون بإنشاء قوات انتقام كافية، محدودة، وغير معرضة للقصف (ردع محدد).

(٣) التل الكبير (معركة) ١٨٨٢

هو تل يقع على الضفة اليسرى لترعة الاسماعيلية بمصر، بين الصالحية والقصاصين، ويرتفع ثلاثين متراً عن خط السكة الحديدية عند المحطة المسماة باسمه، «محطة التل الكبير»، وعليه جرت الوقعة الحاسمة بين جيش الاحتلال الانكليزي بقيادة الجنرال ولسلي وبين الجيش المصري وحلفائه من رجال الثورة العرابية بقيادة الزعيم احمد عرابي، وذلك في ١٣ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٨٢، في عهد الخديوي توفيق.

كانت هزيمة الجيش المصري في وقعة القصاصين الثانية في ٩ ايلول ١٨٨٢ ضربة قاصمة للمصريين ولرجال الثورة العرابية، اذ ارتد هذا الجيش بعدها الى آخر مواقعه الدفاعية الرئيسية في التل الكبير، واتضح ان هذه المواقع اصبحت هدفاً رئيسياً لهجوم انكليزي كبير، وان سقوطها في يد الانكليز يعني سقوط مصر كلها بأيديهم.

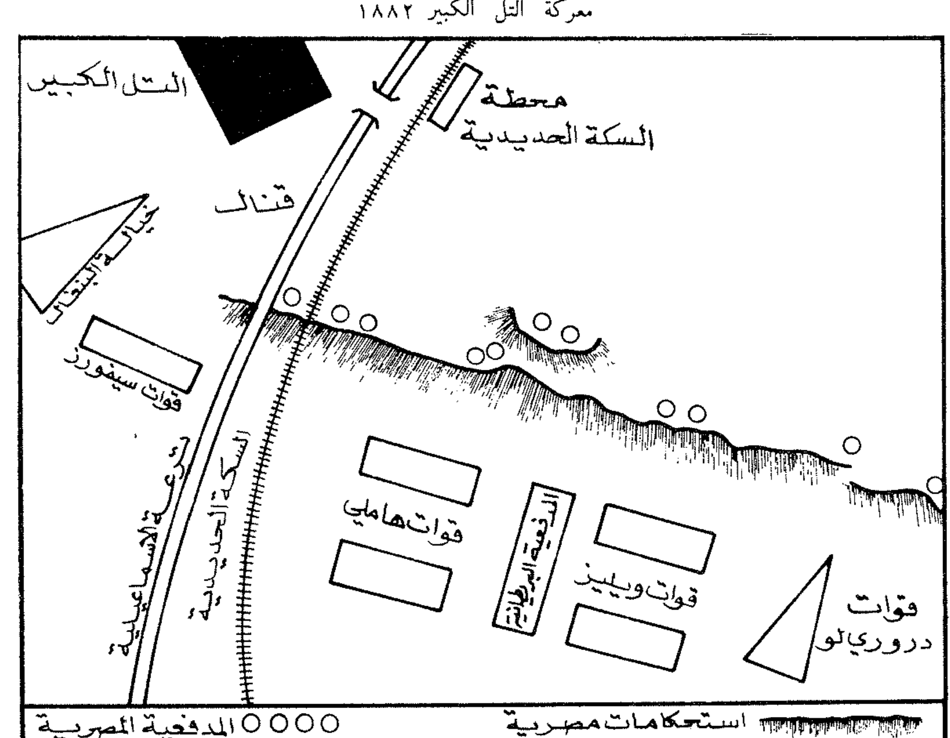
كان الجيش المصري المتمركز في التل الكبير – حسب تقدير الجنرال ولسلي – مؤلفاً من ٢٤ طابوراً (سرايا) من المشاة و ٣ الايات (أفواج) من الفرسان، وستة آلاف من البدو، مع عدد من المدافع من مختلف العيارات يتراوح بين ٦٠ و ٧٠ مدفعاً، بالاضافة الى أورطتين (كتيبتين) من الألاي (الفوج) المرابط بمريوط، وصلتا الى الموقع قبل بدء القتال بيوم واحد (في ١٢ ايلول) برفقة علي باشا الروبي قائد موقع مريوط، الذي استدعاه عرابي على وجه السرعة ليسلمه امر الدفاع عن التل الكبير، بعد إصابة القائد العام للجيش الفريق راشد باشا حسني في وقعة القصاصين الثانية. وقدر المستر بلنت (وهو زعيم انكليزي كان صديقاً لعرابي) عدد الجيش النظامي المصري في موقع التل الكبير بما يراوح بين ١٠ و ١٢ ألف مقاتل. واشترك مع هذا الجيش في الدفاع عن الموقع عدد كبير من الجنود الاغرار الذين لم يسبق لهم ان استعملوا السلاح او حملوا البنادق.

اما الجيش الانكليزي المهاجم، بقيادة الجنرال ولسلي، فقدر بـ ١١ ألف مقاتل من المشاة، وألفين من الفرسان، مع ستين مدفعاً من مختلف العيارات.

كانت المسافة بين القصاصين، حيث جرت آخر معركة مع الجيش المصري، وبين التل الكبير، خمسة عشر كيلومتراً، كان على ولسلي ان يقطعها بسرية تامة كي يفاجئ المصريين في مواقعهم، فعمد الى قطع هذه المسافة بليلة ١٢ – ١٣ ايلول (سبتمبر). وما كاد فجر ١٣ ايلول (سبتمبر) ينبلج حتى كانت قوات ولسلي تشرف على مواقع الجيش المصري في التل الكبير. وكان من حسن حظ الجيش الانكليزي انه لم يصادف في اثناء تقدمه أية من طلائع الجيش المصري كي تقوم على الاقل بمهمة انذار القوى المتمركزة في خطوط الدفاع، باستثناء إحدى الطلائع، وهي من الخيالة، ظلت تتقهقر أمام القوات المهاجمة بدلا من ان تصمد في وجهها فتقاتلها لتعرقل تقدمها ريثما تستعد المواقع الصديقة للدفاع. وهكذا تمكنت القوات الانكليزية من الوصول الى مسافة قريبة جداً من المواقع المصرية (١٥٠ ياردة تقريباً) دون ان يتمكن المصريون من اخذ وضع التأهب للدفاع. وقبل ان تبلغ الساعة الخامسة صباحاً كان الجيش الانكليزي ينقض على المواقع المصرية وقد اتخذ تشكيلا نصف دائري بحيث احاط بمواقع المصريين كافة فاحتضنها وأخذ يهاجمها مخترقاً الاستحكامات الامامية. وكانت المفاجأة تامة وشديدة بحيث لم يتمكن خط الدفاع الاول حتى من استعمال السلاح تقريباً، فقتل منه في الهجمة الاولى نحو مايتين من المدافعين. واحتل الانكليز خط الدفاع الاول بسرعة ثم انقضوا على خط الدفاع الثاني وكان المدافعون عنه لم يستفيقوا بعد من هول المفاجأة، فسقط الخط الثاني كذلك في ايدي المهاجمين الذين لم يتورعوا عن القضاء على كل من صادفوه في خنادق الدفاع من المصريين، بينما قامت خيالتهم بقيادة الجنرال دروري بمهاجمة محطة التل الكبير (على ميسرة الجيش المصري) فاحتلتها.

واستبسل، رغم ذلك، عدد كبير من المصريين في القتال، استبسل الاميرالاي محمد بك عبيد الذي كان يقود ألايين (فوجين) من السودانيين فقاتل حتى استشهد هو ومعظم رجاله. واستبسل كذلك احمد بك فرج وعبد القادر بك عبد الصمد، وكان كل منهما يقود ألاياً (فوجاً) من المشاة. واستبسل اليوزباشي حسن افندي رضوان وكان قائداً للمدفعية، اذ انه، رغم ما اصيبت به وحدات الجيش من

معركة التل الكبير ١٨٨٢



ذعر وتضعضع في اثناء القتال بسبب المفاجأة ، لم تكف مدفعيته عن قصف العدو قصفاً مباشراً وكثيفاً انزل به خسائر فادحة . وكان هذا القائد يجول بين المدافع يعطي اوامره باطلاق النار بجرأة وبأس شديدين ،وظل كذلك حتى سقط في المعركة جريحاً ، مما جعل القائد الانكليزي المنتصر ولسلي ، يعجب ببسالته وشجاعته فيترك له سيفه احتراماً وتقديراً.

ويروي عرابي في مذكراته ان معظم المقاتلين المصريين قد ركنوا الى الفرار في بدء القتال دون ان يقاتلوا ودون ان يتمكن من ردهم الى ساحة المعركة إذ ألقوا بانفسهم في الترعة وسبحوا الى البر الغربي ويؤكد عبد الرحمن الرافعي ذلك في كتابه (الزعيم أحمد عرابي) بقوله ان من بقي في ساحة القتال من المصريين لم يزد عن ثلاثة آلاف مقاتل « اما الباقون فقد تولاهم الذعر فالقوا باسلحتهم ولاذوا بالفرار » .

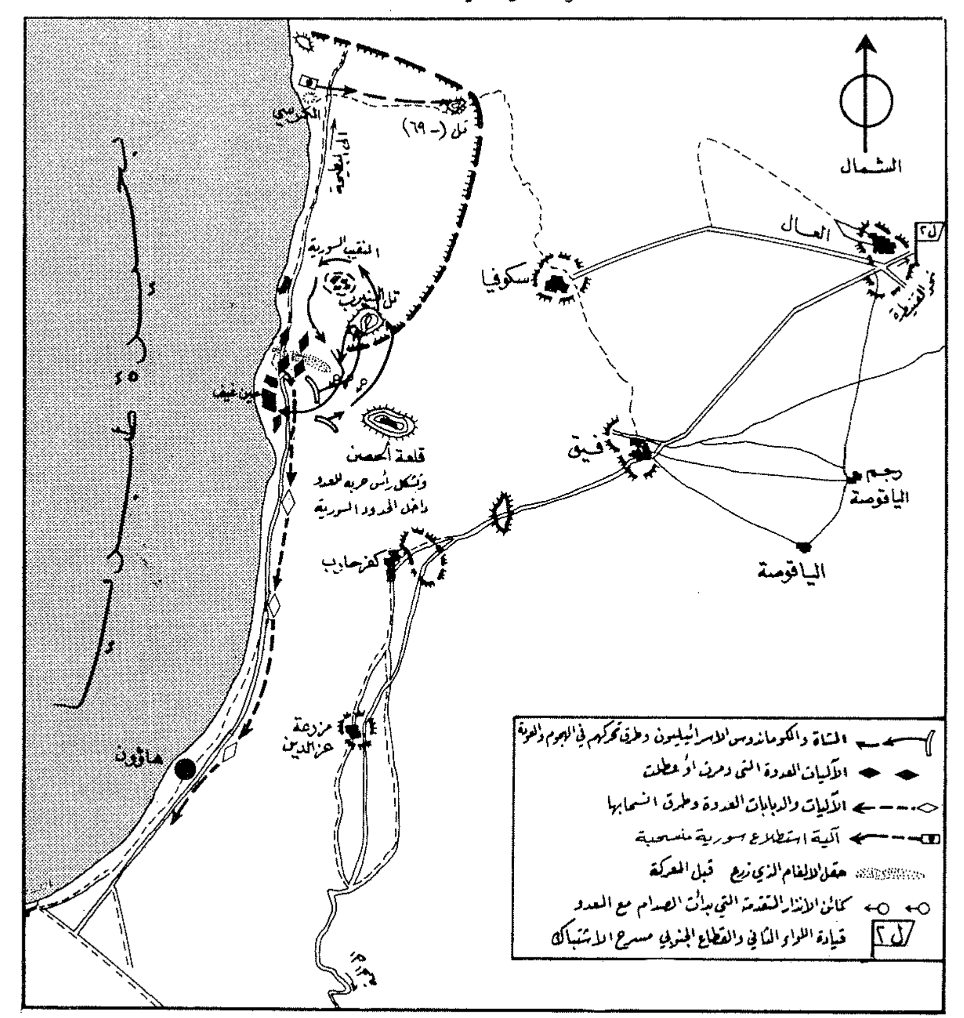
وقد قدرت خسائر المصريين في هذه الوقعة بما يراوح بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ قتيل.اما خسائر الانكليز فكانت ٥٧ قتيلا بينهم ٩ ضباط،و ٤٠٢ جرحى بينهم ٢٧ ضابطاً . وقد غنم الانكليز جميع مدافع الجيش المصري وذخائره ومؤنه وعتاده .

(١١) تل النــيرب (معركة) ١٩٦٢

معركة جرت في ليلة ١٦ – ١٧ آذار (مارس) ١٩٦٢ على الحدود السورية – الاسرائيلية. وتعتبر هذه المعركة إحدى أهم معارك المواجهــة المحدودة ، مع القوات الصهيونية قبل حرب ١٩٦٧ ؛ كما تعتبر ايضاً استمراراً لمجموع الاشتباكات المتتالية التي كانت تقع على الحدود السورية – الاسرائيلية ، والتي كان الصهاينة يهدفون من ورائها الى الاستيلاء على المناطق المجردة الفاصلة بين الطرفين بموجب اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٩ ، وضمان استمرار الاعمال الخاصة بتحويل مياه الاردن بعد تحطيم قدرة الردع العربية .

بدأت القوات الاسرائيلية التمهيد لمعركة تل النيرب منذ الايام الاولى من شهر آذار (مارس) ١٩٦٢ في ظرف سياسي معقد . فقد كان التناقض على أشده بين مجموعــة السياسيين (الانفصاليين) الحاكمين في دمشق ، وبين ضباط الجيش السوري خاصة أولئك الموجودين في الجبهة التي كانت السلطة السياسية تعتبرها منبْع للضباط والجنود المناوئين لسياسة الانفصال . فقد بدأت الزوارق العسكرية الاسرائيلية المسلحة في بحيرة طبريا تقترب من الشواطىء السورية الى الشرق ، وكانت الاوامر الدائمة لدى المخافر السورية أن تطلق النار على كل زورق اسرائيلي يقترب من الشاطىء السوري مسافة مائتي متر ،وكان لا يمضي يوم او يومان إلا وتطلق القوات السورية النار على زورق اسرائيلي يتجاوز الخط الذي لا ينبغي أن يتقدم بعده . ولقد وعت القيادة العسكرية السورية أن الصهاينة يدبرون اعتداء على الحدود وان هذا الاعتداء سينفذ بقوات كبيرة ، لأهداف عسكرية وسياسية واقتصادية ، فقد أفــاد الرصد السوري المستمر أن هناك نشاطاً غير عادي لآليات العدو في الارض المحتلة ، واكد شكوك السوريين ازدياد نشاط الاستطلاع الاسرائيلي في كل من تل المطلة ، وعين غيف ، وتل القصر ، وقيام القادة الاسرائيليين باطلاق التصريحات والتهديــدات ، والتلويح باستعمال القوة ، بالاضافة إلى إخلاء سكان المستعمرات القريبة من الساحل الجنوبي الشرقي ، والجنوبي الغربي لبحيرة طبريا . وكان من الواضح للقيادة العسكرية السورية ، أن القطاع الذي سيقع عليه الهجوم هو منطقة البطيحة (وتشمل مخافر الحاصل العسكري، والمسعدية ، والدوكا، والكرسي، والنقيب السورية) ، بالاضافة الى تل الاعور الذي كانت فيه قيادة كتيبة الحرس الوطني الاولى . وقد قدر أن قوات العدو التي ستقوم بالهجوم لن تقل عن كتيبتي مشاة (كل كتيبة مشاة تعد ٦٠٠ فرداً حسب ملاكات الجيش الاسرائيلي)،معززة بعناصر من المغاوير وبقوات من سلاح المهندسين ،ومدعمة بالآليات المدرعة والدبابات والمدفعية ، وأن الزوارق المسلحة ستشترك بالعملية ، إما بالانزال أو باطلاق النار على المخافر السورية لمشاغلتها وابعاد انتباهها عن الاتجاه الحقيقي للهجوم . وقد اعتبرت القيادة العسكرية السورية أن هدف الهجوم تدمير المخافر التي تسببت في اعطاب عدد من الزوارق المسلحة خلال الأيام التي سبقت الاعداد للهجوم ، واحتلال

معركة تل النيرب ١٩٦٢



منطقة البطيحة والتمركز فيها لفرض شروط حرية العمل في مشروع تحويل نهر الاردن ، وتوجيه ضربة قاصمة لوحدات الجيش السوري في الجبهة والناقة على الوضع السياسي الانفصالي .

ورغم الاهمال المتعمد من قيادة الجيش للمعلومات التي كانت تردها تباعاً من قيادة الجبهة ، وعدم الاهتمام لما قد ينجم عن نجاح هجوم العدو من نتائج سلبية ، فان قيادة الجبهة كان لها موقف آخر ، استوحته من واقع تحسسها للوضع المريب في الجهة المقابلة لها . ولذا لجأت قيادة الجبهة الى اتخاذ اجراءات كان لها اكبر الفضل في احباط ما يدبره العدو . فلقد وزعت وحدات المدفعية والهاون الثقيلة على القطاعات، خاصة القطاع الجنوبي . ودعمت كتائب الحرس الوطني باعسداد اضافية . ودعمت منطقة البطيحة بسرية دبابات وسرية مشاة . ودعمت منطقة فيق بسرية دبابات . وحركت كتائب دبابات القطاعين الاوسط والجنوبي من امـــاكن التجمع الى خطوط الانتشار، واعطتها مهمة الاستعداد للقيام بدورها في الهجمات المعاكسة المقررة فيما لو تم خرق للجبهة . ووضعت وحدة من الانوار الكاشفة في البطيحة . واستحدثت نقطة دفاع جديدة على مرتفع « تل النيرب » مقابل قرية النقيب العربية ووضعت في هذه النقطة مجموعة مختلطة من الجيش والحرس الوطني بقيادة الملازم الاول محمود دباس. وكان مجموع تعداد هذه القوة حوالي ٥٥ مقاتلا . ووزعت بصورة سرية حقل ألغام مضادة للدبابات أمام قرية النقيب العربية ، وعلى حدود المنطقة المجردة بينها وبين مستعمرة عين غيف ، وكان لهذا الحقل ، كما سنرى ، دور عظيم في احباط هجوم العدو وتكبيده خسائر كبيرة في الارواح والعتاد . وعززت قرية النقيب السورية بطاقم رشاش متوسط إضافة للفصيلة المختلطة من الجيش والحرس الوطني والمقاومة الشعبية المتواجدة فيها . وزودت القطاعين الاوسط والجنوبي بأجهزة إضافية للاتصال السلكي واللاسلكي . وأصدرت الاوامر لكافة مقاتلي الجبهة ، وبخاصة في الكتائب الامامية بالبقاء في الخنادق وتحسينها وتحسين مواضع الرمي . ووضعت الذخائر الاضافية تحت تصرف الاسلحة المختلفة ، ووزعت على الجنود اطعمة الطوارئ . وبالاجمال يمكن القول أن القسم الاكبر من خطة عمليات الجبهة وخطط عمليات الألوية والكتائب قد نفذ ، وأصبحت الجبهة بكاملها جاهزة للقتال ، بالاضافة الى بعض التركيز في الاستعدادات على المناطق الأكثر احتمالا للتعرض لخطر الاعتداء .

وترجع شمولية الاستعدادات لمواجهة العدو الى اعتقاد قيادة الجبهة بأن الهجوم المرتقب على منطقة البطيحة قد يكون مقدمة لهجوم شامل يستهدف احتلال المنطقة بكاملها ، أو على الاقل الاراضي والمرتفعات المطلة على نهر الاردن وبحيرة طبريا ، وهي الخط: تل الاحمر — تل العزيزات — البرجيات — البحريات — الدرباشية — تل هلال — الدردارة — جليبينة — الجمرك السوري — تل المشنوق — تل الشعير — البطيحة بكاملها — سكوفيا — مزرعة عز الدين — كفر حارب — العقبات — منطقة الحمة . وبذلك تتمكن اسرائيل من الوصول الى الحـــدود السورية — الفلسطينية (في زمن الانتداب) ، وتحتل قسماً من الارض السورية ، وتضمن لنفسها كل المياه المهددة من قبـــل سوريا ، وتضمن تراجع القوات السورية ، خاصة المدفعية، الى خطوط لا تعود قادرة منها على ضرب أية محاولة اسرائيلية للعمل الحر في المرحلة الاولى من مشروع تحويل نهر الاردن ، والتي كان العدو قد أجل تنفيذها انتظاراً للفرصة المناسبة .

وبعد ظهر يوم ١٩٦٢/٣/١٦ ، تقـــدم زورقان مسلحان اسرائيليان باتجاه مخفر الكرسي ، وكانا يتقدمان بحماية بعضهما ، ففتحت القوات السورية عليهما النـــار ، وحدث اشتباك خاطف أسفر عن اصابة الزورقين اصابات مباشرة ممـــا ادى الى غرق احدهما وانسحاب الآخر والدخان يتصاعد منه . وتوتر الجو على الخطوط الامامية ، واصبح الهجوم الاسرائيلي متوقعاً في كل لحظة ، وفي الساعة العاشرة ليـــلا من يوم ١٦ ، تلقى العقيد جميل فياض قائد القطاع الجنوبي ، مخابرة من الملازم الاول محمود دباس ، تفيد بأن كائنه المتقدمة تصطدم مع العـــدو ، وان قوات العدو تهاجم موقعه (تل النيرب) بسريتي مشاة تدعمهما المدفعية الخفيفة ورشاشات الزوارق . وكان قائد موقع تل النيرب الملازم الاول محمود دباس قد دفع ثلاثة كائن متقدمة عن موقعه حوالي (١ كم) باتجاه مستعمرة عين غيف . وكان دور هذه الكمائن الاشتباك الفوري مستفيدة من عنصر المفاجأة ، وإعطاء انذار للقـــوات الخلفية ، والانسحاب الى الموقع . وقد قامت بدورها خير قيام، إذ فاجأت القوات العدوة المهاجمة من الجنوب بهدف الالتفاف شرقاً حول تل النيرب والمقدرة بسريتي مغاوير (كوماندوس) .

وبعد الصدام مع المخافر الأمامية ، تابعت السريتان الاسرائيليتان تقدمهما في محاولة لاحتلال موقع تل النيرب،ولكن الدفاع القوي اجبر المهاجمين على التوقف ، ثم لم تلبث أن حضرت قوات عدوة جديدة لنفس الهـــدف ،وقدرت هذه القوات بحوالي كتيبة كوماندوس . واستطاعت هذه القوة دخول قرية النقيب العربية ، وطردت اهلها مع مواشيهم باتجاه تل النيرب، ثم تقدمت خلف السكان المذعورين ، ولكن القـــوة المدافعة في تل النيرب فطنت لهـــذه الحيلة ، فتركت السكان يمرون ، واشتبكت مع القوات العدوة في قتال ضار.وكان التفوق في هذا القتال لصالح القوات العدوة المهاجمة ، ومع هذا فقد صمد تل النيرب وتابع اتصاله مع قيادته . وفي الساعة ١٢,٣٠ من بعد منتصف ليلة ١٦ — ١٧ انقطع الاتصال مع الموقع ، وعـــلى الأثر قامت مدفعية القطاع الجنوبي بفتح نيرانها على العدو المهاجم وطرق سيره ، والمستعمرات القريبة ، وكان الرد حازماً وكثيفاً .

وبعد احتلال تل النيرب تقدم المهاجمون باتجاه البطيحة ، وكان قوام القوة المهاجمة ، كتيبتان من المشاة المحمولة بعربات نصف مجنزرة ، يتقدمهما بلدوزر لردم الخنادق المضادة للآليات ، وتحميهما سرية دبابات ، وتدعمهما رمايات مختلفة من المدفعية والهاونات بالاضافة إلى رمايات الرشاشات الثقيلة المحمولة على الزوارق الاسرائيلية المسلحة الموجودة في البحيرة . ولقد وقعت القوة المهاجمة في حقل الالغام الذي زرع قبل أربع وعشرين ساعة فقط ، مما أدى الى تعطيل الآليات الاولى التي سدت الطريق. واضطرت الآليات التالية الى التوقف على أرض مكشوفة ، مما جعلها هدفاً ممتازاً للمدفعية السورية ، فركزت مدفعية القطاع الجنوبي النار عليها . وفي هذه الفترة ، كانت سرية الكوماندوس الاسرائيلية المتقدمة باتجاه مخفر الكرسي للعمل كمقدمة امام القوات الآلية ، تنسحب الى موقع تل النيرب ، بعد عزوف القيادة العدوة عن متابعة الخطة ، نظراً للخسائر التي منيت بها آلياتها بفعل الالغام والمدفعية السورية المضادة . ومع انبلاج فجر ٣/١٧ بدأت القوة المعادية تنسحب باتجاه الارض المحتلة مع قتلاها وجرحاها وبعض آلياتها المعطلة .

ولقد شاركت المدفعية الاسرائيلية في المعركة ، فقصفت المواقع السورية ، ومنطقة الحمة . كمـــا قامت طائرتان في الصباح بقصف قيادة القطاع الجنوبي ، ومنطقة الحمة ايضاً .

وكانت خسائر القوات السورية: ٢٦ شهيداً، بينهم قائد موقع تل النيرب ، و٢٠ جريحاً ، واسير واحد . بالاضافة إلى تدمير موقع تل النيرب ، وإصابة المخافر الامامية ببعض الاضرار المادية .

أما خسائر الاسرائيليين فقد قدرت بمائة إصابة في الرجال (تم اخلاؤها باستثناء جثة ضابط)، وتدمير عدد من الآليات والدبابات التي قام العدو باخلاء بعضها قبل انسحابه، بالاضافة الى تدمير ثلاث بطاريات مدفعية، وإصابة مستعمرات عين غيف، وهاوون، وبيت كاتسير، وسمخ باضرار مادية. ولقد استولت القوات السورية على بلدوزر، ودبابتين و ٤ آليات نصف مجنزرة تركها العدو على أرض المعركة كدليل على أن المهاجمين الاسرائيليين الذين حققوا بعض النجاحات الجزئية، لم يستطيعوا استثمار هذه النجاحات، واضطروا إلى تحديد عمليتهم، والانسحاب تحت النار تاركين بعض معداتهم الحربية المعطلة دون أن يسمح لهم رد الفعل العنيف باخلائها.

(٨) التماس

هو اجراء اتصال قريب بالعدو، في حدود النظر المباشر، وضمن مدى الاسلحة الفردية. ان الهجوم من منطقة على اتصال قريب بالعدو وبتماس معه يساعد على تنظيم وتجهيز القتال من مختلف النواحي، كما يساعد على فتح التشكيلات والوحدات في الوقت المطلوب. وهو يوفر ايضاً الفرصة للهجوم على العدو بسرعة مع السيطرة على القوات في المعركة باستمرار. ومع ذلك فان حشد القوات في مواقع الهجوم، عند التماس مع العدو، يشكل هدفاً صالحاً لرمايات العدو وقيامه بالهجوم. وعلى ذلك فانه يجب حشد القوات التي ستوجه الضربة للعدو بسرعة وبسرية مع توفير وتنظيم الوقاية لها من اسلحة العدو ذات التدمير الشامل.

يتم اجراء التماس بالعدو باشكال مختلفة، وعلى مستويات مختلفة، ولكن الاطار العام هو:

أ) اجراء التماس بالعدو بعد مرحلة التقدم، حيث تعمل وحدات الاستطلاع المتقدمة على تحديد خط المقاومة الرئيسي للعدو، فتعمل الوحدات والتشكيلات الصديقة على احتلال المواقع المناسبة وتبقى على تماس بالعدو وذلك للقيام بهجوم محضر، وذلك بعد احتلال موقع للهجوم، واجراء رمايات محضرة (رمايات تمهيد) لتحطيم مقاومة الخط الرئيسي للعدو في دفاع مجهز، ثم البدء بالهجوم.

ب) بعد انتهاء العمليات الهجومية ووصولها الى مرحلة معينة، ثم التوقف لفترة محددة، عندما يتطلب الاستمرار في العمليات وتطويرها استعدادات اضافية. ونظراً لعدم انتهاء العمليات بصورة حاسمة في مثل هذا الموقف، فان كل طرف من الطرفين المتصارعين يحاول الضغط على الطرف الآخر والمحافظة على التماس معه.

ج) بعد معركة هجومية ناجحة، حيث يحاول العدو المنسحب قطع التماس مع القوات الهجومية المنتصرة. وعلى القوات الهجومية في هذه الحالة المحافظة على التماس مع العدو واجراء مطاردة حاسمة لقواته حتى لا يستطيع اعادة تنظيم قواته وتشكيل مقاومات جديدة.

وتتطلب المحافظة على التماس مع العدو يقظة كبرى من عناصر الاستطلاع، كما تتطلب استخدام الوسائل المختلفة التي توفر للقيادة المعلومات الضرورية عن تحركات العدو، ونواياه، ومواقفه. وقد لا تساعد طبيعة الارض على اجراء تماس مباشر Clos Contact مع العدو فيتم عندها تعيين وحدات وعناصر تماس Contact Elements واجبها هو الحفاظ على التماس.

يكتسب القتال في المناطق الصعبة، كالغابات والمناطق الزراعية صفات خاصة، حيث يستطيع العدو في هذه المناطق التحرك بمرونة والإفادة من الموانع الطبيعية لاجراء مناوراته. ولهذا يقوم الطرف الآخر بارسال عناصر خاصة واجبها استطلاع العدو والمحافظة على التماس معه. وقد يكون من الصعب في بعض الحالات اجراء تماس شديد كالقتال في المناطق الجبلية، فيكون التماس هنا ناقصاً. ويقع واجب استكمال عملية التماس بواسطة «عناصر التماس او وحدات التماس». وقد يحاول احد الطرفين المتصارعين اذا ما شعر بتفوق خصمه ان يعمل على قطع التماس Rompre le Contact تحت ستار من الوحدات الوقائية. وقد ينجح في ذلك فيسرع الطرف الآخر على دفع وحداته بسرعة لاعادة اجراء التماس. وقد تنجح وحدات احد الطرفين في قطع التماس، وتضليل الطرف الآخر، فيقوم الطرف الراغب باجراء التماس بالتقدم بسرعة وحزم تحت حماية عناصره الوقائية لمعاودة الاتصال وعدم فقدان التماس.

لقد أظهرت تجارب المعركة الحديثة للاسلحة المشتركة أهمية الحصول على التماس والمحافظة عليه وذلك بسبب تزايد القدرة التدميرية للوسائل النارية واسلحة القتال بعيدة المدى، وبصورة خاصة منها ضربات المدفعية المركزة، واغارات الطيران الكثيف. وتعتبر عملية المحافظة على التماس في مثل هذه المواقف وسيلة وقائية يمكن بها حماية القوات المتقدمة والمحافظة عليها.

لقد تكبدت القوات السوفييتية خلال معارك ستالينغراد مثلا خسائر كبيرة في القوات والوسائط نتيجة للتفوق الجوي الحاسم الذي كان لصالح القوات الالمانية. وقام قائد الجيش ٦٢ المارشال فاسيلي تشيكوف بدراسة هذه الظاهرة للتخفيف من خطورتها ولانقاص ما تتركه من أثر معنوي في صفوف القوات المقاتلة. ووجد أن الوسيلة الفعالة هي المحافظة على التماس مع العدو، والاقتراب منه قدر المستطاع. وبذلك تصبح القوات الجوية للعدو، ومجموعات مدفعيته، عاجزة عن قصف الخنادق الامامية والقوات المتقدمة. وعلاوة على ذلك اصبح باستطاعة قوات التماس وضع العدو باستمرار تحت رحمتها وحرمانه من ميزة «تفوقه الساحق في الجو». وتفوقه في المدفعية بعيدة المدى.

وتكررت هذه الظاهرة في اكثر من مسرح قتالي في الحرب العالمية الثانية. وامكن للقادة الوصول الى النتائج ذاتها. ففي معركة «سنغافوره» كانت المدفعية البريطانية المتمركزة في الجزيرة لحمايتها والدفاع عنها متميزة بقدرتها الكبرى وفعاليتها واعتمادها على مخزون كبير من الذخائر، ولم يكن امام قائد قوات الهجوم الياباني، الجنرال تومويوكي باماشيتا، وسيلة أفضل من تأمين اقتراب القوات اليابانية حتى إجراء التماس مع القوات البريطانية والمحافظة بعد ذلك على التماس حتى تحقيق الهدف من الصراع وارغام الحامية البريطانية بقيادة «الجنرال بريسفال» على الاستسلام.

كان مفهوم التماس يلتحم التحاماً وثيقاً بالحرب الثابتة وحرب الخنادق (عام ١٩١٤) مع ما عرف عنها من جمود في المواقف والاوضاع. وقد اكتسب هذا المفهوم مزيداً من المرونة مع تطور أساليب الحرب ووسائلها، وأصبحت هناك مجموعة من المفاهيم والتعابير الموضحة له وأولها «الاتصال القريب». كما ان تطور الوسائل اللاسلكية وأجهزة الاستطلاع الالكترونية بالاضافة الى تطور الاسلحة قد جعل موضوع اخذ التماس والاتصال بالعدو ومعرفة مواقفه وتحركاته اكثر سهولة مما كان عليه في الماضي.

إن استخدام الاقمار الصناعية، وأجهزة التصوير الدقيقة التي تعمل بالاشعة تحت الحمراء في الطائرات المقاتلة السريعة، واستخدام الطائرات العمودية لاغراض الاستطلاع، ودفع العناصر المتقدمة حتى مسافات بعيدة امام كتلة القوات الرئيسية، والتنوع في وسائل الاستطلاع، قد جعل موضوع اجراء التماس مع العدو والمحافظة على هذا التماس من العمليات البسيطة غير المعقدة. كما ان تحرك الوحدات المحمولة

جواً ، ونقلها بالطائرات العمودية الى مجنبات ترتيب العدو ومؤخرته ، قد ساعد بدوره على الاحاطة بميدان المعركة ، واخذ التماس مع العدو في جميع انحاء جبهة القتال .

ويكتسب مفهوم التماس في العمليات الخاصة ، والحروب الثورية ، معنى خاصاً يقصد منه بداية الاحتكاك بالعدو والدخول معه في المعركة . ونظراً لما تتميز به العمليات الخاصة والمعارك الثورية من مرونة ، وخفة في الحركة ، وسرعة في التنفيذ ، فان استخدام المصطلحات المختلفة للتماس يحتل مكانة خاصة ، وذلك لإيضاح المراحل المختلفة للعمل : مثل قطع التماس واعادته وفقده الخ ... وقد كان مفهوم التماس في معارك الحرب التقليدية في الماضي يعني نهاية مرحلة التقرب المكونة من مراحل مختلفة : التقرب، البعيد والتقرب المباشر والتماس، وبداية مرحلة القتال المكونة بدورها من مراحل مختلفة : مثل توثيق التماس ، والتمهيد ، والهجوم ، والتوقف دفاعياً ، وتحصين الارض او استثمار الظفر . أما في المعركة الحديثة للاسلحة المشتركة فقد اصبحت هذه المراحل اكثر تلاحماً بحيث غدت مجموعة واحدة ، مثل التحرك حتى الوصول الى الهدف، ثم الاعمال الهجومية حتى تحقيق الهدف .

ولم يفقد مفهوم التماس معناه في الحرب الذرية ، بل ازدادت أهميته بشكل ملحوظ ، وصار من واجب القوات المدافعة المحافظة على التماس مع العدو ، حتى لا تسمح له باستخدام أسلحته الذرية ضد انساقها الأولى ، كما غدا قطع التماس والتراجع المؤقت قبيل الهجوم ، عملا ضرورياً تقوم به القوات المهاجمة قبل تسديد ضربة تمهيد ذرية للمواقع الدفاعية المعادية (انظر التكتيك الذري) .

(٧) التمرد

التمرد Rebellion هو مقاومة السلطة بالقوة ، اي ان الفعل يجب ان يقترن باعمال حسية يستخدم فيها العنف بشكل مباشر . ويمكن ان يكون **التمرد« فردياً »** عندما يقوم به شخص واحد مستهدفاً منع العناصر الممثلة للسلطة من القيام بواجباتها الوظيفية ، وفي هذه الحالة يسمى ، وفقاً لتعريف القوانين الجزائية تمرداً بسيطاً ، لأنه لا يستهدف تقويض أسس السلطة القائمة . ويكون **« جماعياً »** عندما تقوم به مجموعة افراد او جماعات منظمة لوقف او عرقلة عمل قانوني . وكلا النوعين ، يعتبر من الجرائم الواقعة على السلطة العامة ورجالها بمقتضى القوانين الجزائية ، التي ميزت بينهما لجهة العقوبات ، فشددت عقوبة التمرد الجماعي بالنظر لخطورة نتائجه وتأثيرها على النظام العام ، وبالاخص عندما يقترن التمرد الجماعي باستعمال السلاح .

بالاضافة الى النوعين المذكورين ، هناك التمرد العسكري . وهو مقاومة السلطة بالقوة من قبل العسكريين على ان لا يقل عددهم عن حد معين (اربعة عسكريين في قانون العقوبات العسكري اللبناني والفرنسي) . وتختلف عناصر التمرد العسكري عن التمرد العادي ، حيث يفترض في التمرد العسكري اتفاق القائمين به على عدم الاذعان لأوامر رؤسائهم ، أو أخذ أسلحتهم بدون اذن خلافاً لأوامر رؤسائهم ، أو عدم تلبية نداء هؤلاء الرؤساء بالتفرق والعودة الى النظام . وكذلك تختلف عقوبات التمرد العسكري ، فهي أشد بكثير وقد تصل الى الاشغال الشاقة المؤقتة في زمن السلم . اما في زمن الحرب فتكون العقوبة دائماً هي الحد الاقصى . وتشدد العقوبات كذلك اذا حصل التمرد داخل الثكنات ، او المواقع العسكرية ، او في مخازن السلاح والذخيرة ، او على سفينة حربية .

ويطلق تعبير «التمرد الكبير» Big Rebellion على الثورة الانكليزية الاولى التي قامت خلال سنتي ١٦٤٨ و ١٦٤٩ .

(١) التمشيط

(انظر تكتيك القوات المضادة للعصابات) .

(١) التموين

(انظر الامداد والتموين) .

(١) تموين الطائرات في الجو

تموين الطائرات في الجو Ravitaillement en Vol هو نقل المحروقات من طائرة الصهريج إلى طائرة حربية أخرى ، عندما تكون الطائرتان في الجو . ويستخدم هذا النوع من التموين لتوفير الزمن اللازم لهبوط واقلاع الطائرة الحربية بغية التموين بالمحروقات ، أو للحفاظ على الطائرات في الجو لتأمين استمرار المظلة الجوية ، أو عندما يكون مدى رحلة الطائرة الحربية اكبر من مدى عملها ولا يكون على خط سيرها مطار صديق للتموين بالمحروقات . ويستفاد في هذه العملية من قدرة طائرات الصهريج على البقاء مدة طويلة في الجو ١٠ - ١٥ ساعة وحمل كميات كبيرة من المحروقات (١٤ - ٢٠) طناً (انظر طائرة الصهريج) .

ويتم تموين الطائرات في الجو بإحدى طريقتين سريعتين وآليتين تقريباً . وتعتمد الطريقة الأولى Probe and Drogue System ، وهي طريقة بريطانية ، على قيام طائرة الصهريج بمد خرطوم (أو أكثر) من مادة شبه صلبة وراءها . ويكون للخرطوم قمع يدخل طيار الطائرة الحربية فيه بكل دقة مجس موجود في مقدمة طائرته أو على جناحها ، وعندما يدخل المجس في القمع يتم إغلاق القمع على المجس آلياً ، ويضاء على لوحة أجهزة طيار الصهريج نور يشير إلى انتهاء عملية الاغلاق وامكانية البدء بدفع المحروقات إلى خزان الطائرة الحربية . وعند امتلاء الخزان يضاء على لوحة اجهزة الطيار الحربي نور يشير إلى ذلك ، فيطلب الطيار من طيار الصهريج قطع اتصال القمع مع المجس ، وما أن يتم القطع حتى تصبح الطائرة الحربية قادرة على الابتعاد عن طائرة الصهريج ومتابعة مهمتها .

أما الطريقة الثانية Flying Boom System وهي طريقة اميركية ، فتعتمد على وجود مراقب داخل طائرة الصهريج يتحكم يدوياً بأنبوب صلب ذي مجس . ويبرز الانبوب من مؤخرة طائرة الصهريج ، ويستطيع هذا المراقب توجيه الانبوب نحو قمع آخر موجود على مقدمة أو جناح الطائرة الحربية . ويتم الاغلاق ودفع المحروقات من طائرة الصهريج إلى الطائرة الحربية ، وقطع اتصال القمع مع المجس بالطريقة السابقة نفسها . وهناك اجهزة اكثر تطوراً تؤمن دفع المحروقات آلياً عند حدوث الاغلاق ، وتؤمن الفصل عند امتلاء خزان الطائرة الحربية بشكل آلي .

يتطلب تموين الطائرة في الجو انتباهاً كبيراً ، ودقة في الحفاظ على السرعة والارتفاع المماثلين لسرعة وارتفاع الطائرة الصهريج . وترجع أولى تجارب تموين الطائرة في الجو الى العام ١٩٢٦ ، ولكن استخدام هذا الاسلوب عسكرياً لم يتم إلا خلال الحرب العالمية الثانية ، وهو يستخدم اليوم (١٩٧٦) على نطاق واسع في الاسلحة الجوية ، لتموين القاذفات أو المطاردات المتميزة ببعد مداها ، الأمر الذي يسمح بزيادة مدى العمل ، وزيادة الحمولة الحربية بآن واحد . ومن الجدير بالذكر أن الطيران الاسرائيلي يلجأ الى استخدام هذا الاسلوب بفضل طائرات الصهريج ستراتوكروز التي يمتلكها .

(١) التمويه

التمويــه Camouflage ، هــو مجموع التدابير الخاصة التي يتخذها الأفراد أو القوات ، للاختفاء عن رصد العدو البري والجوي بكل اشكاله (البصري والتصوري والاليكتروني) دون أن يعطل هذا الاختفاء المهمة القتالية . ومن هذا التعريف نرى أن كل تدبير يؤمن الإخفاء ويعرقل في الوقت نفسه تنفيذ المهمة القتالية لا يمكن أن يعتبر تمويهاً ، لأنه يحرم القوات المسلحة من القيام بالمهمة التي تبرر وجودها .

يؤمن التمويه مبدأ الحفاظ على القوات ، كما يسمح بتحقيق المفاجأة . وهناك ظروف تصل فيها نسبة الاختفاء إلى ١٠٠٪ ، بينما تصل في ظروف أخرى إلى نسب أقل من ذلك . ومهما كانت نسبة الاختفاء فان لها فائدة لا تنكر ، لأنها تضعف امكانية اكتشاف الهدف بنسبة تعادل نسبة اختفاء الهدف ، وتقلل بالتـالي احتمالات ضربه . واذا افترضنا أن تمويه سرية دبابات منتشرة بالنسبة إلى الرصد الجوي والاليكتروني يعادل ٥٠٪ ، فان رصاد العدو لا يكتشفون سوى ٥٠٪ من السرية ، الأمر الذي يخدع العدو عن حجم القوة الموجودة أمامه ، ويجعل قراراته غير صحيحة ، ويقلل غزارة النار التي يصبها على موقع السرية .

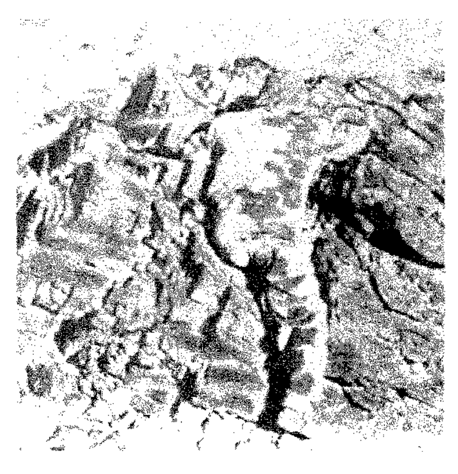
يعتبر التمويه سلاحاً دفاعياً سلبياً،وتزداد أهميته كلما قلت تعاريج الأرض ، وقلت نباتاتها . وهو يعتمد على مبدأ واحد هو الاندماج مع الطبيعة . أي اكتساب الغريزة التي تتصف بها الحيوانات والطيور البرية القادرة على حماية نفسها عن طريق التلاؤم مع المنظر المحيط بها . وتدل تجارب القتال والرمي ، على أن من السهل رؤية الهدف المتميز عن الطبيعة خلال التوقف أو الحركة ، لذا فان امكانية تدميره سهلة ومؤكدة . أما الهدف المندمج مع الطبيعة فان من الصعب كشفه ، وخاصة خلال التوقف ، كما أن إصابته صعبة حتى بعد كشفه . ومن المعروف أن الرامي أو الراصد في ظروف المعركة قد يضيع الهدف بعد رؤيته أو الرمي عليه ، فاذا كان الهدف مموهاً أصبح الاهتداء إليه من جديد يتطلب وقتاً قد يسمح للهدف بالتسلل والنجاة .

ولكي يكون التمويه فعــالا ينبغي أن يؤمن الشروط التالية : أ – الاختفاء عن المراقبة الأرضية ، ب – الاختفاء عن المراقبة الجوية بما في ذلك الصور الجوية العادية والملونة ، ج – الاختفاء عن اجهزة الرصد التي تكشف الحرارة والرائحة وصوت الأقدام أو سلاسل الآليات ، د – أن يتم في كل ظروف المعركة وفي الليل والنهار مهما كان العدو بعيداً ، هـ – أن يكون مستمراً ، و – أن يتأصل في نفس المقاتلين حتى يصبح غريزياً ، ز – أن يتم بابداع وابتكار مستمرين .

تبدأ الخطوة الأولى للتمويــه بدراسة الأرض المحيطة ، وتقييم عواملها : أي ألوانها الغــالبة ، ومدى قدرتها على عكس الاشعة ، وحجم الظــلال المنتشرة فيها ، وتضاريسها،وامكانية انطباع الآثار عليها . ويلي ذلك دراسة نوع التمويه المطلوب حسب بعد العدو وقربه ، والاجهزة التي يستخدمها في رصده . وكلما ابتعدنا عن العدو قلت أهمية التمويه ضد الرصد الأرضي . وكلما انخفض مستوى الأجهزة التقنية التي يستخدمها في رصده الجوي أو الاليكتروني قلت أهمية التدابير المتخذة لمجابهة الاجهزة المتطورة . وتأتي بعد ذلك الخطوة الثالثة المتمثلة في تحديد طبيعة الهدف نفسه ، والعوامل التي تكشفه للرصد الجوي والأرضي (اللون ، والشكل ، واللمعان ، والظــل والقرائن الدالة) ، أو (الحرارة ، والرائحة ، والحركة) التي تكشفه للرصد الاليكتروني . وتتمثل الخطوة الرابعة في العمل على اخفاء هذه العوامل حتى يتم اندماج الهدف مع الطبيعة إلى اكبر حد ممكن . أما المرحلة الخامسة فهي إدامة التمويه باستمرار ، ومحاولة تحسينه مع الزمن .

أ – **تمويه الأفراد :** يتطلب تمويه الأفراد :

١ – إخفاء لون ألبسة المقاتل بارتداء ألبسة تتناسب مع الالوان السائدة في الطبيعة (الالبسة الصفراء للصحراء ، والمبرقشة للاماكن المزروعة أو الصخرية ، والبيضاء للقتال في الثلوج)٠أما في الليل فتستخدم الثياب الداكنة مع دهن الوجه واليدين بلون اسود ، ٢ – استخدام المواد الطبيعية المتوفرة والالوان والخيش والشبكات لتشويه الخطوط المستقيمة التي ترسمها معدات الجندي (الخوذة ، الحقيبة ، .. الخ) ، ٣ – اخفاء لمعان السلاح والخوذة والمعدات العسكرية المعدنية عن طريق دهنها بالطين أو تغطيتها بالشبكات والمواد الطبيعية المتوفرة ، ٤ – اخفاء الظل عن طريق التمركز في الظل ، أو جعل الظل يسقط على مكان قاتم ، ٥ – إخفاء آثار الأقدام وخاصة عند المسير في الوحل أو الثلج أو الأرض المحروثة ، وذلك بالسير مع خطوط الأرض الظليلة أو الخط الفاصل بين قطعتي أرض مختلفتي اللون ، ٦ – عدم التقاطع مع الأفق أثناء المسير أو أثناء التمركز ، ٧ – تخفيف صوت المسير والحفر إلى أبعد حد ممكن وخاصة في الليل ، ٨ – الاقلال من الحركة غير المجدية ، ٩ – استخدام التدابير الخاصة بتضليل الأجهزة

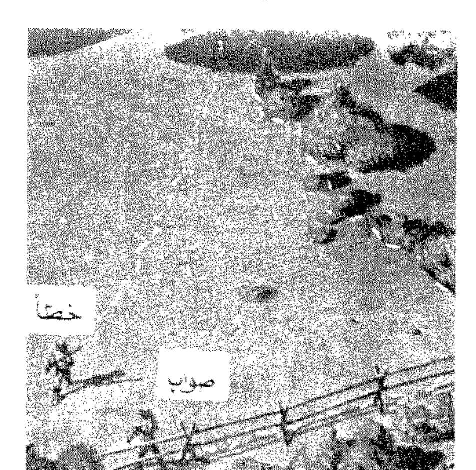


لباس مبرقش للأرض الصخرية



لباس ابيض للقتال في الثلج

اختيار المسلك



المعادية المستخدمة لكشف الحرارة والرائحة والمحركة (انظر الحرب الأليكترونية) .

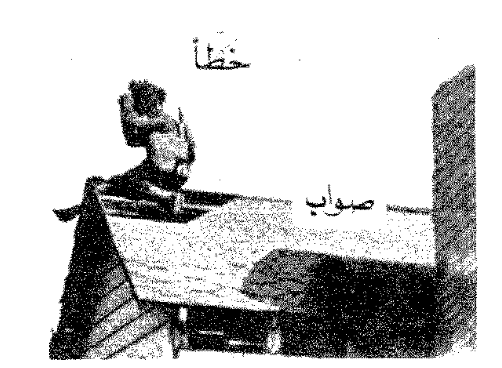
ب – تمويه الحفرة الفردية : الحفرة حصن المقاتل ووكره والمكان الذي يؤمن منه الرصد والرمي . ولا تؤمن الحفرة هذه المزايا إلا إذا اندمجت مع الأرض المحيطة . ويبدأ تمويه الحفرة باختيار مكانها بشكل جيد بحيث لا تكون قريبة من نقطة علاّم ولا تتقاطع مع الأفق ، ولا يتعارض وجودها مع المنظر العام ، وبحيث يكون تمويهها الطبيعي كبيراً ما أمكن. ويشمل إخفاء الحفرة الفردية : ١ – إخفاء التراب الناجم عن الحفر ، ٢ – تمويه السترة الترابية المحيطة بالحفرة بمواد طبيعية متلائمة مع الأرض المحيطة مع عدم المبالغة في تكديس هذه المواد ، ٢ – إخفاء الظل الذي تشكله الحفرة عن طريق تغطيتها بسقف خفيف متحرك (شبكة أو خيش أو غطاء من الخشب أو الأغصان المتشابكة) لا يمنع المراقبة أو الرمي وتمويه السقف نفسه بشكل ينسجم مع الطبيعة ، ٣ – إخفاء آثار الأقدام المؤدية إلى مكان الحفرة ، ٤ – رص الأرض أمام الحفرة أو رشها بالماء (دون تغيير معالمها) ، لمنع ظهور الغبار عند الرمي ، ٥ – تبديل المواد الطبيعية الموضوعة على السترة أو على الغطاء عندما يتبدل لون هذه المواد ويغدو متنافراً مع المنظر المحيط .

ج – تمويه مواقع الرشاشات والمدافع المضادة للدبابات : إن اختيار مكان الرشاش أو المدفع شرط أساسي للتمويه . ويتميز المكان الجيد بالميزات التالية : ١ – عدم الظهور على الأفق ، ٢ – الابتعاد عن النقاط المميزة ، ٣ – الابتعاد عن الأماكن التي يتوقع فيها العدو وجود السلاح حتى لا يرميها العدو بشكل مسبق (وقائي) قبل أن يقوم السلاح بمهمته ، ٤ – الابتعاد عن الاماكن التي يثير الرمي فيها كثيراً من الغبار ، ٥ – الابتعاد عن الأماكن القابلة للاحتراق بتأثير قنابل العدو المحرقة .

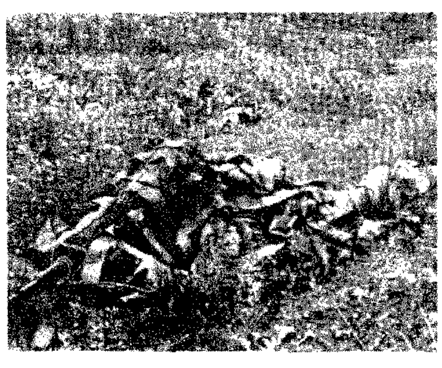
ويختلف تمويه الاسلحة المتوسطة والثقيلة ذات الرمي المستقيم باختلاف طبيعة الأرض ونوع المعركة . ويؤمن التمويه في المدن والقرى بشكل جيد بين الخرائب مع الانتباه إلى أن الرمايات تثير بين الخرائب كثيراً من الغبار الكاشف .

أما في الأرض المكشوفة ، وفي حالتي الهجوم أو الدفاع المعد على عجل فيتم التمويه بتغطية السلاح بغطاء سريع (شبكة مزركشة أو غطاء من الخيش) يلقى بسرعة فوق السلاح ، وترفع مقدمة الغطاء لتأمين الرصد والرمي .

ويمكن استخدام السقف المستوي في المواقع

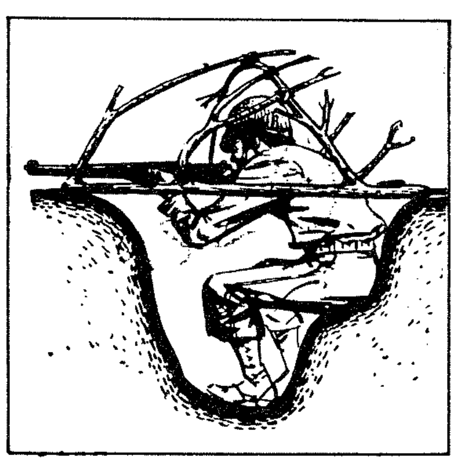


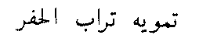
اختيار مكان الرصد


التمويه بشبكة مزركشة

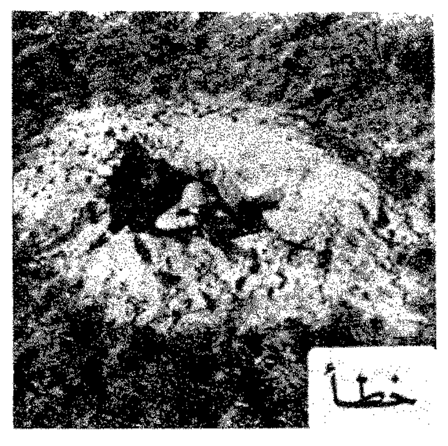


تمويه الحفرة بسقف مستوي


تمويه الحفرة بسقف محدب


تمويه تراب الحفر





الدفاعية عندما تكون الأرض معشوشبة أو جرداء أو عند تخوم الغابات أو على أسطح المنازل . ويكون السقف المستوي عبارة عن شبكة مزركشة أو قماش مبرقش أو أغصان متشابكة أو أي سطح خشبي مموه من الأعلى حسب طبيعة الأرض . ويحمل السقف على أوتاد بارتفاع ٦٠ سنتمتر . ومن الضروري أن يغطي حفرة السلاح والتراب الناجم عن الحفر وخندق المواصلات الذي يصل موقع الرشاش مع الخندق الرئيسي ، وأن يموه الظل الواقع بين السقف والأرض بأغصان الشجر أو بستارة من الخيش .

واذا كان موقع السلاح في أرض تتناثر فيها الشجيرات أو الصخور أو اكوام الحجارة ، أمكن استخدام **السقف المحدب** المؤلف من شبكة أو غطاء قماشي مبرقش . ينبت الغطاء مـن الجوانب بأوتاد صغيرة ، ويرفع من الوسط بأعواد أو أغصان بحيث يظهر سطحه العلوي متكسراً ، ويغطي بعد ذلك بمواد منسجمة مع الأرض المحيطة ، ويترك الطرف الأمامي حراً ليمكن رفعه واجراء الرصد والرمي . ويصل تمويه السقف المحدب إلى أعلى درجاته عندما يندمج مع صخرة كبيرة أو دغلة .

وعندما يدور القتال في الشوارع ، وتـوضع اساحة الرمي المستقيم داخل البيوت يكون التمويه كاملا ضد الرصد الجوي والأرضي اذا طبقت التدابير التالية : ١ – الابتعاد عن البيـوت المنعزلة ، إغلاق كوى الرمي بستارة تفتح من الداخل عند الرمي فقط أما الرصد فيتم عبر فتحات أو شقوق صغيرة ، ٣ – يوضع السلاح وراء باب أو نافذة خشبية تفتح إلى الخارج ويكون السلاح محميـاً باكياس الرمل ، ولا يفتح الباب أو النافذة إلا عند الرمي .

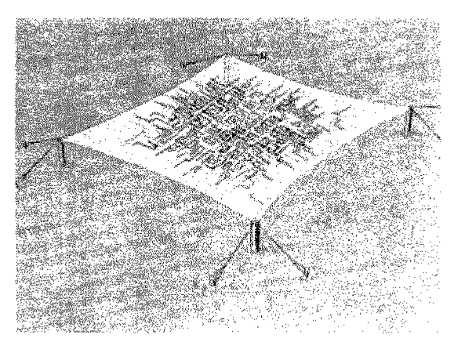
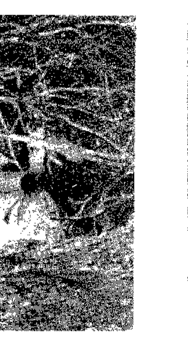
اذا تمركز السلاح داخل مغارة أو على منحدر صخري . أمكن تمويه موقعه ومدخل المغارة ايضاً بجدار من السلك المعدني (سلك الأرانب) المزود بباب قابل للفتح ، والمغطى بكتل من القماش مدهونة بلون الصخور المحيطة وباعشاب مقتلعة من المناطق المجاورة . ويتم الرصد من خلال فتحات السلك ، ولا يفتح الباب إلا عند الرمي . ومن الممكن الرمي من خلال فتحات السلك دون فتح الباب . واذا تعذر عمل جدار ثابت من السلك ذي إطار خشبي يمكن الاستعاضة عنه بستارة من السلك مغطاة بكتل القماش .

د – تمويه الاسلحة المضادة للطائرات : يعتمد تمويه الاساحة المضادة للطائرات على مبدأ إخفاء السلاح حتى آخر لحظة ، وعدم إظهاره إلا عند

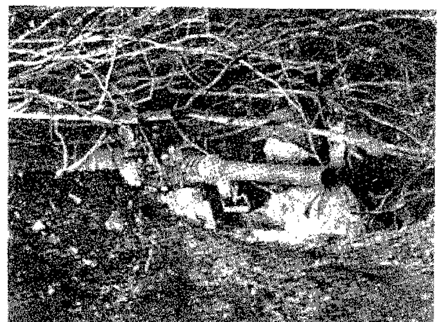



مدفع م/د مموه بشبك أرانب

رشاش مموه بشبكة

سقف مستوي ، شبكة مزركشة

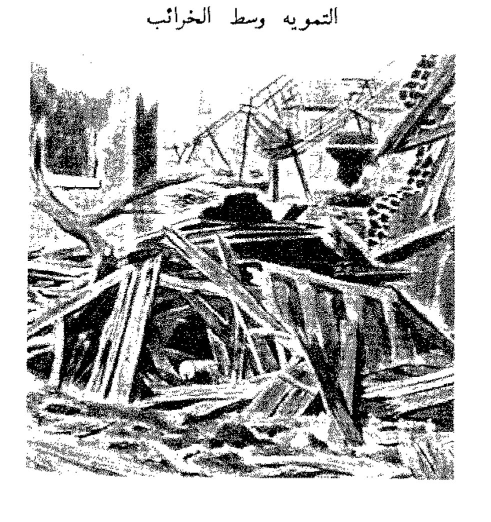


سقف من الأغصان لتمويه رشاش

سقف مزركش لتمويه رشاش



التمويه وسط الخرائب



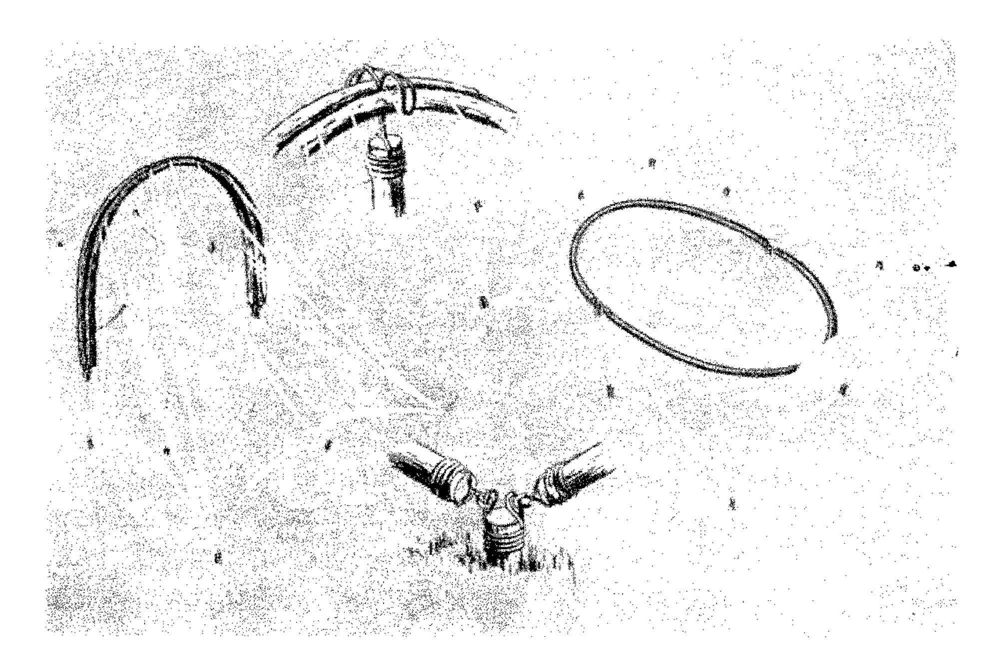
الرمي ، ثم إخفاؤه ثانية بعد الرمي ، شريطة أن تكون عملية إظهار السلاح واخفائه سريعة لا تستغرق سوى عدة ثوان .

ويستخدم لاخفاء الاسلحة م/ط عدة أنواع من السقوف التي يشترط فيها أن تغطي موقع السلاح ، والسترة الترابية الموضوعة حوله ، مع الانتباه الى تغطية الخندق الذي يصل الموقع بالخندق الرئيسي بسقف ثابت .

وهناك **السقف القابل للطي** . ويستخدم هذا السقف في الأراضي المنبسطة . وهو عبارة عن اطار من الأخشاب أو أغصان الشجر ، مغطى بشبكة مزركشة أو خيش مبرقش ، مثبت على الأرض بأوتاد متمفصلة مع الإطار الخشبي . يأخذ السقف الوضع الافقي عندما لا يكون هناك أي خطر جوي ويكون ارتفاعه عن الارض في هذه الحالة ٥٠ — ٦٠ سنتمتراً . ويكسى بالاعشاب أو المـواد المماثلة لطبيعة الأرض . وعندما يستعد السلاح للرمي يطوى السقف عن طريق جر اطرافه بحبل .

ويستخدم في الأراضي المنبسطة أيضاً **السقف الدوار** . وهو عبارة عن إطار خشبي على شكل شوكة مثلثة الأسنان تثبت نهايتها على محور تدور حوله ، وتغطى بشبكة تمويه مزركشة أو غطاء من الخيش المبرقش ، ويوضع فوقها أعشاب أو مواد مماثلة لطبيعة الأرض . ويكون ارتفاع السقف عن سطح الأرض ٥٠ — ٦٠ سنتمتراً . ويبقى السقف الدوار فوق السلاح طالما لم يظهر أي خطر جوي . وعندما يستعد السلاح للرمي يجر السقف من الجانب بحبل فيدور حول محوره كاشفاً السلاح . ويمتاز هذا السقف عن سابقه بأنه لا يكسر الاعشاب من حوله عند الفتح نظراً لأنه يبقى مرتفعاً عن سطح الأرض بشكل دائم .

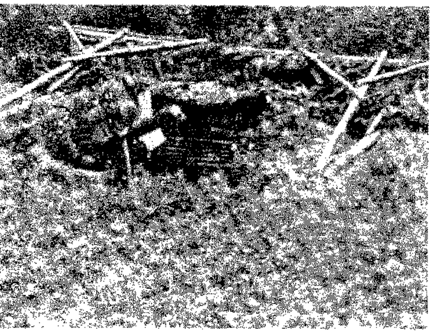
وعندما تكون الأرض متعرجة أو مغطاة بشجيرات مبعثرة يستخدم **السقف القابل للفتح** . وهو عبارة عن غطاء مؤلف من قوسين مصنوعين من أغصان الشجر . ويثبت عليهما شبكتين مزركشتين أو خيش مبرقش . وتثبت اطراف الشبكتين على الأرض بأوتاد ، كما تربط على القوسين بالحبال . وتكون اطراف القوسين متمفصلة مع اوتاد مغروسة في الأرض . وعندما يكون السقف مغلقاً يثبت من الأعلى بكلابة مزدوجة ويأخذ شكل دغلة أو ثنية من ثنيات الأرض وخاصة اذا غطي بأغصان أو أعشاب منسجمة مع الارض المحيطة . وعند الرغبة في الرمي تنزع الكلابة ويفتح القوسان إلى الجانبين ، فيظهر السلاح ، ويصبح جاهزاً للرمي .



سقف قابل للفتح

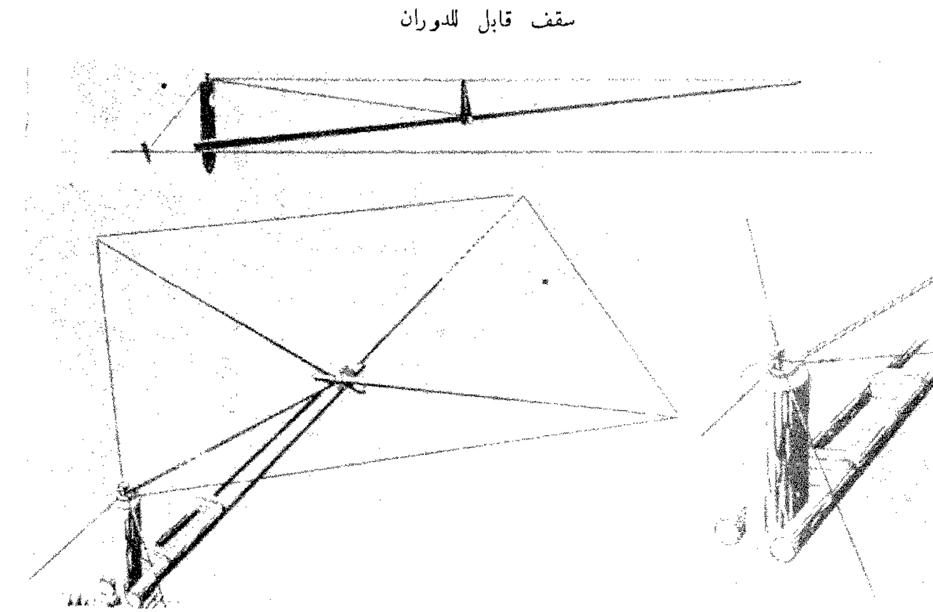


سقف قابل للطي



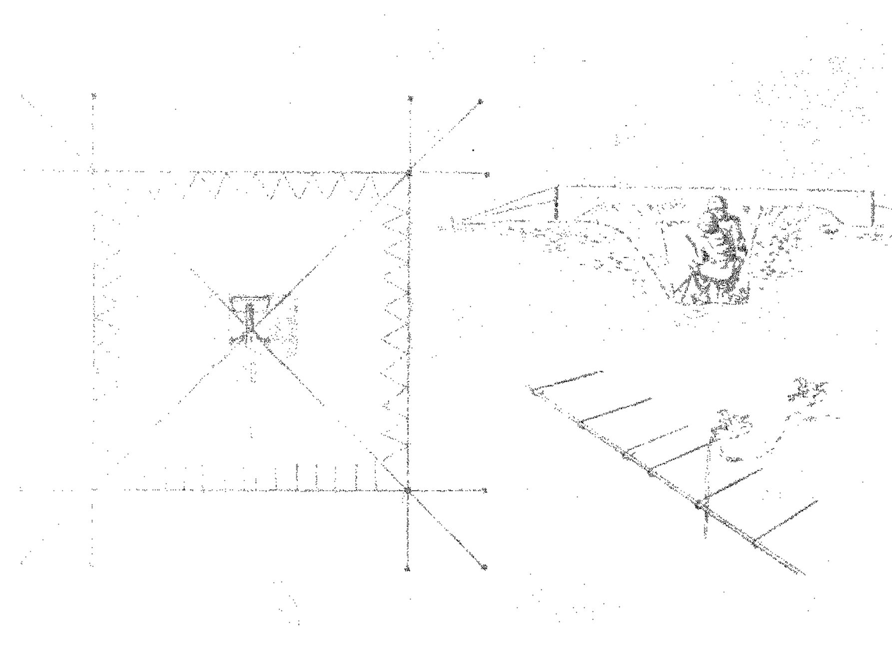
سقف قابل للطي

سقف قابل للدوران



أما في المدن ، حيث توضع بعض الاسلحة المضادة للطائرات على اسطح المنازل ، فان من الضروري حماية هذه الاسلحة بجدار من اكياس الرمل ، وتمويه السلاح واكياس الرمل المحيطة به بغرفة مزيفة من القماش أو الخشب ، يرسم على جدرانها نوافذ وباب . بحيث تبدو وكأنها غرفة منعزلة على السطح . ومن الضروري أن تكون هذه الغرفة المزيفة قابلة للفتح بسرعة (عدة ثوان) . ولذا فهي تقسم إلى عدة أقسام متمفصلة . تبقى الغرفة المزيفة معلقة بصورة مستمرة ولا تفتح إلا عند الرمي . وتكون متصلة مع البناء بثقب مفتوح في السقف يؤمن وصول السدنة والذخائر الى الغرفة المزيفة عبر سلم خشبي .

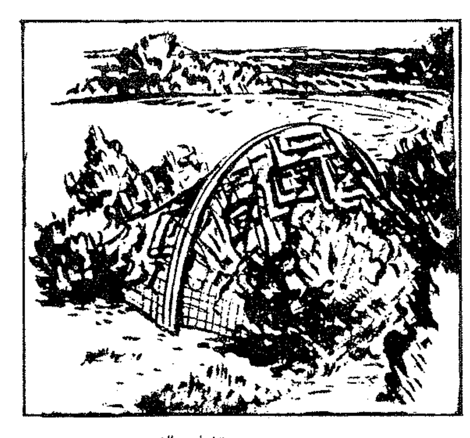
هـ – **تمويه الهاونات** : يبدأ تمويه الهاونات بحسن اختيار مواقعها . وافضل المواقع الغابـات والبساتين والأودية وثنيات الأرض التي تؤمن اخفاء لهب الرمي ليلا ، واخفاء السلاح عن الرصد نهاراً . ويشمل تمويه الهاونات : تمويه موقع السلاح واكداس الذخيرة وصناديق القنابل الفارغة التي تشكل قرائن دالة ، وتمويه الخندق الذي يصل موقع الهاون مع الخندق الرئيسي .



سقف لمربض هاون

يموه الهاون في الهجوم والدفاع المعد على عجل بواسطة **الغطاء السريع** الذي تحدثنا عنه في فقرة تمويه الرشاشات والاسلحة المضادة للدبابات ، وبواسطة السقوف المختلفة **(القابل للطي ، والدوار ، والقابل للفتح)** التي تحدثنا عنها في فقرة تمويه الاسلحة المضادة للطائرات .

وبالاضافة الى ذلك ، فان من الممكن تمويه الهاون في الأراضي المنبسطة بواسطة **السقف المستوي النظامي** . وهو عبارة عن غطاء أفقي من شبكة تمويه مزركشة ، أو من الخيش المبرقش . ويثبت الغطاء على اطار سلكي مشدود على أعمدة مغروسة في الأرض . ويكون للشبكة في منتصفها ، وباتجاه الرمي ، فتحة مثبتة بكلابات أو ملاقط سهلة الفتح . ولا تفتح إلا عند بدء الرمي .



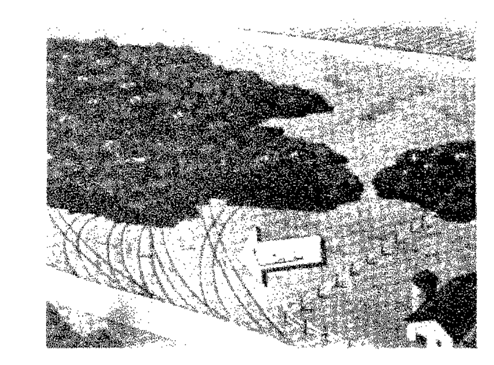
سقف محدب قابل للفتح

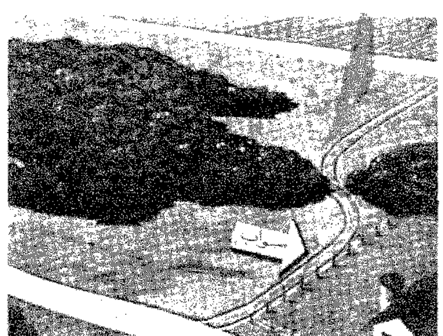


تمويه حفرة هاون

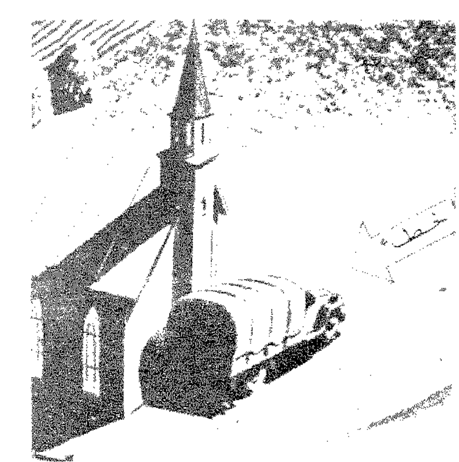
وإذا لم تتوفر المواد الصناعية للتمويه (شبكات ، خيش ... الخ) ، أمكن تمويه الهاون في الأراضي المنبسطة بواسطة **السقف المستوي المبتكر** . وهو عبارة عن سقف من الخشب أو التوتياء أو الاغصان المتشابكة ، محمول على اكياس رمـل ، ومغطى بالاتربة والاعشاب والحصى حسب طبيعة الأرض . ولا يكون السقف كاملا كسقف الرشاشات ، بل يترك قسم منه مفتوحاً للرمي مع مراعاة زاويتي الرمي الكبرى والصغرى . وتغطى الفتحة بخيش مبرقش حتى لا يظهر ظل الفتحة على الصور الجوية على شكل مستطيل أسود . ولا يرفع الخيش إلا عند الرمي .

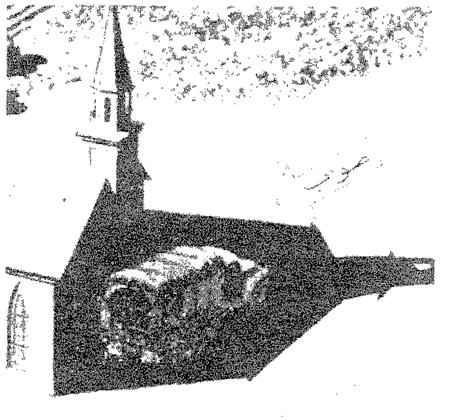
لا يقتصر تمويه الهاونات على تمويه السلاح وحفرته وذخيرته فحسب ، ولكنه يتطلب أيضاً تمويه الوميض الناجم عن الرمي ليلا . ولاخفاء هذا الوميض عن انظـار الرصاد الارضيين والجويين ، توضع الهاونات وراء ستر عال ، ويعد إلى جوارها ، وعلى مسافة ٥٠٠ متر على الأقل مجموعة مهندسين تقوم خلال الرمي بتفجير عبوات صغيرة (١٠٠ – ٢٠٠ غ) ، بشكل يلفت انظار العدو ، ويدفعه إلى الاعتقاد بأن مكان تفجير العبوات هو موقع الهاونات .





آثار العجلات تكشف الموقع

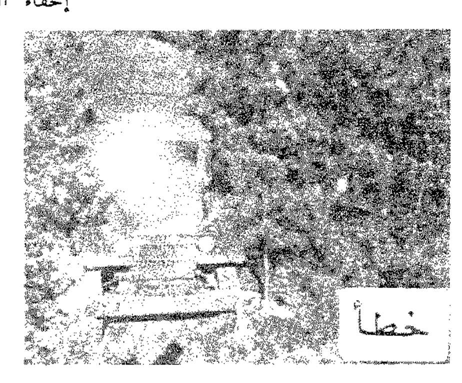


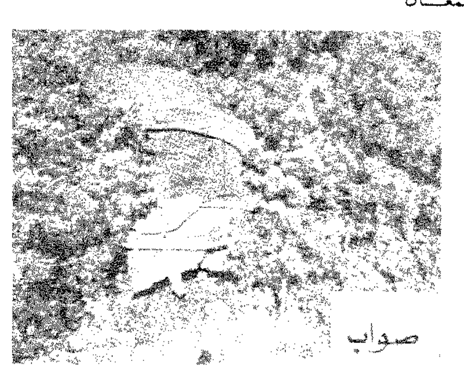


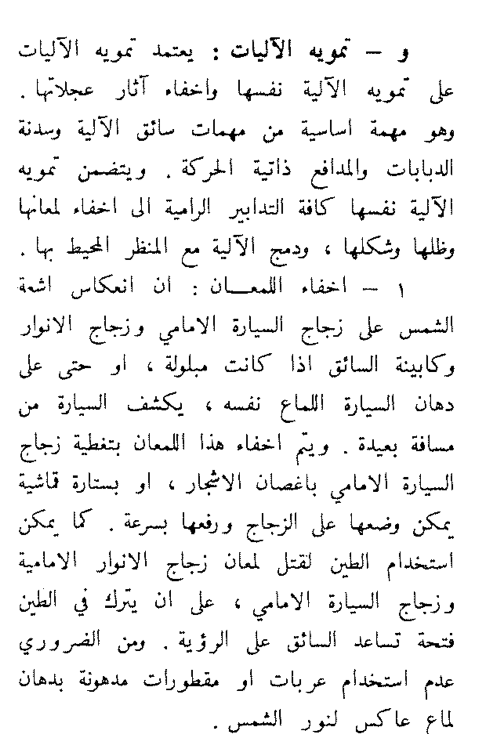
الإفادة من الظل



إخفاء اللمعـــان







و – تمويه الآليات : يعتمد تمويه الآليات على تمويه الآلية نفسها واخفاء آثار عجلاتها . وهو مهمة اساسية من مهمات سائق الآلية وسدنة الدبابات والمدافع ذاتية الحركة . ويتضمن تمويه الآلية نفسها كافة التدابير الرامية الى اخفاء لمانها وظلها وشكلها ، ودمج الآلية مع المنظر المحيط بها .

١ – اخفاء اللمعـــان : ان انعكاس اشعة الشمس على زجاج السيارة الامامي وزجاج الانوار وكابينة السائق اذا كانت مبلولة ، او حتى على دهان السيارة اللماع نفسه ، يكشف السيارة من مسافة بعيدة . ويتم اخفاء هذا اللمعان بتغطية زجاج السيارة الامامي باغصان الاشجار ، او بستارة قماشية يمكن وضعها على الزجاج ورفعها بسرعة . كما يمكن استخدام الطين لقتل لمعان زجاج الانوار الامامية وزجاج السيارة الامامي ، على ان يترك في الطين فتحة تساعد السائق على الرؤية . ومن الضروري عدم استخدام عربات او مقطورات مدهونة بدهان لماع عاكس لنور الشمس .

٢ – اخفاء الظل : ولتحقيق هذا الاخفاء ينبغي التمييز بين الظلال التي تخفي والظلال التي تكشف وتأتي الأولى من تضاريس الأرض ، او تكون ناجمة عن ابنية واشجار وجدران ... الخ . وتبدو هذه الظلال من الجو سوداء أو رمادية قاتمة لدرجة تجعل الآليات المندمجة فيها غير مرئية تقريباً . اما الثانية فتأتي من الآليات نفسها . ويستند استخدام الظلال في التمويه الى مبدأين هما : الافادة من الظلال التي تخفي . واخفاء الظلال التي تكشف .

وتتم الافادة من الظلال التي تخفي بوضع الآليات في هذه الظلال شريطة الانتباه الى دوران الظلال مع ارتفاع الشمس في السماء . وافضل مكان لوضع الآلية في البلاد الواقعة في النصف الشمالي من الكرة الارضية هي الطرف الشمالي من جسم يكون ارتفاعه اعلى من ارتفاع الآلية . ذلك لان الظل في هذا الطرف يبقى اطول مدة خلال النهار . اما الاطراف الشرقية والغربية والجنوبية فهي ظليلة خلال بعض الساعات فقط ، ومحرومة من الظل خلال ساعات اخرى . ويجري اخفاء الظل الكاشف بوضع الآلية في ظل جسم مرتفع بشكل يكون ظله اكبر من ظل الآلية نفسها . اما اذا كان الجسم قليـــل الارتفاع ، وكان ظله صغيراً فان من المفضل وضع الآلية بشكل يتكسر فيه ظلها على الجسم . ولا ينبغي الاهتمام باخفاء ظل الآلية الخارجي فحسب ، بل لا بد من اخفاء الظلال الداخلية ايضاً : اي اخفاء ظلال كابينة السائق ، وما تحت رفارف

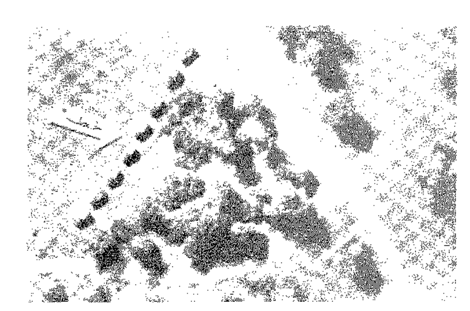
العجلات ، والفتحة الخلفية . مع استخدام المواد الطبيعية والاصطناعية والدهانات لقتل الظل .

٣ – اخفاء الشكل : ترتسم الآلية على المنظر الخلفي بشكل واضح قابل للتميز نظراً لتناقضه مع الطبيعة التي لا تضم اشكالا هندسية منتظمة . لذا فان من الضروري تشويه الخطوط المستقيمة والسطوح المستوية ودوائر العجلات ، وذلك باستخدام المواد الطبيعية او الاصطناعية بالاضافة الى تشويه الشكل بالالوان ، كما سنرى في فقرة استخدام الالوان .

٤ – اخفاء اللون : وهو يتم باعطاء الآلية لوناً ينسجم مع طبيعة الارض المحيطة مع استخدام المواد الطبيعية والدهانات الاصطناعية . ويدخل في المواد الطبيعية في هذا المجال التراب والتبن واوراق الشجر (حسب طبيعة الارض) ، على ان تلصق فوق الآلية بمساعدة مادة لاصقة هي شحم السيارات المستعمل او الصمغ المصنوع من أوراق الشجر بعد غليها .

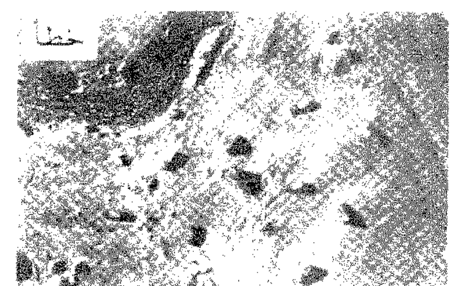
٥ – اخفاء آثار العجلات : ان آثـار العجلات من اخطر ما يكشف الآليات . فهي تكشف مكان الآلية المنفردة المموهة ، كما تكشف وجود تجمع آليات في مكان مخفي (غابة مثلا) . ولاخفاء الآثار ينبغي عدم الانتقال من الطريق العام الى مكان الاختفاء عبر ارض مكشوفة بل السير على محاذاة الظلال . او على محاذاة خطوط الارض الموجودة سابقاً . والدخول الى مكان الاختفاء في نقطة واحدة مع متابعة الآثار لتبدو وكأنها متجهة نحو هدف آخر . واذا اضطرت الآلية الى رسم أثر قصير لعدم وجود حل آخر للوصول من الطريق العام الى مكان الاختفاء ، او لخطأ ارتكبه السائق ، فان من الضروري اخفاء هذا الاثر عن طريق النبش (ارض طينية) ، او نثر اوراق الشجر والاغصان (غابات) ، او التسوية (رمال) .

ان من الممكن اخفاء الآلية عند التوقفات القصيرة عن طريق تغطيتها بشبكات التمويه النظامية المزركشة التي تنشر فوقها بشكل يشوه شكلها ويخفي لونها ولمعانها ، كما يمكن استخدام المواد المحلية التي توضع فوقها الآلية ، مع اختيار المكان الملائم لاخفاء ظلها . ويمكن اللجوء في المدن الى اخفاء الآليات داخل المرائب المدنية وتحت سقوف المنازل المهدمة جزئياً . اما في التوقفات الطويلة ، فأن من الممكن اخفاء الآلية تحت سقف محدب او مستو او مائل مصنوع من الشبكات او المواد المحلية . ولا تستطيع الشبكات او الستائر اخفاء الآليات في الارض الجرداء أو الصحراوية إلا اذا كانت

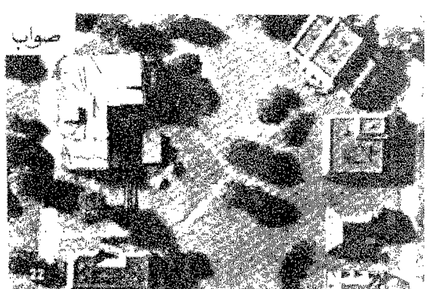


إخفاء رتل آلي في دغل





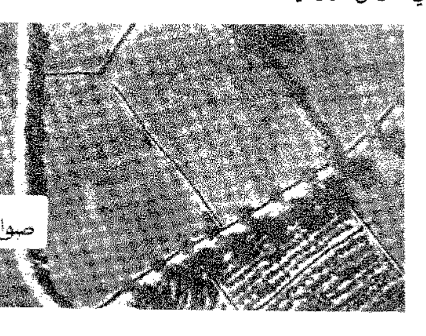
انتشار الآليات في أرض جرداء

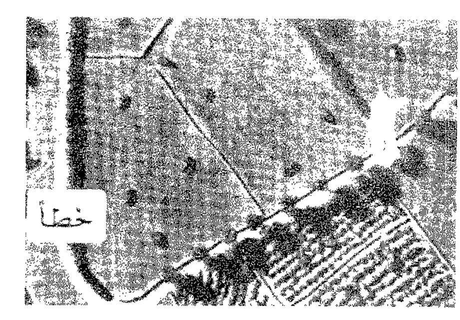




انتشار الآليات في المدن

انتشار الآليات في أرض زراعية





الآليات موجودة داخل حفرة غايتها تخفيف ارتفاع الآلية الى أدنى حد ممكن ، مع الافادة ايضاً من ثنيات الارض .

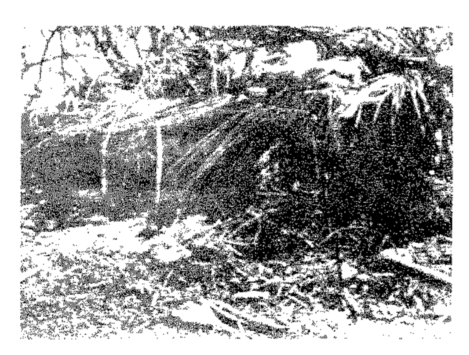
لقد كان اتخاذ تدابير التمويه المذكورة آنفاً عملا كافياً لاخفاء الآلية عن الرصدين البري والجوي . ولكن تطور وسائط الاستطلاع الاليكتروني والحراري والسمعي جعل التدابير السابقة غير كافية ، وفرض على الآليات استخدام عاكسات معدنية ومصادر حرارية في مكان بعيـــد عن مكان الآلية بغية تشويش الرصدين الحراري والاليكتروني . كما فرض على الآليات المتحركة استخدام اساليب التشويش على أجهزة التصنت المعادية (انظر الحرب الالكترونية)

ز – تمويه أماكن تجمع الآليات : يعتبر هذا التمويه من مهمات قائد الرتل المسؤول عن مكان تجمع الآليات . وهو يعتمد قبل كل شيء على حسن اختيار المكان الذي يؤمن تبعثر الآليات والافادة من طبيعة الأرض . وكلما كانت الأرض متقطعة كثيرة الخطوط والنباتات والظلال كلما غدت أفضل لتأمين الإخفاء . ثم يأتي اختيار خطوط سير الآليات داخل المكان ، ونقاط الدخول والخروج ، وتحديد مكان الآليات حسب طبيعة الأرض (مشجرة ، مزروعة ، مبنية ، جرداء) . ويكمل تمويه المكان باستخدام العاكسات المعدنية والمصادر الحرارية .

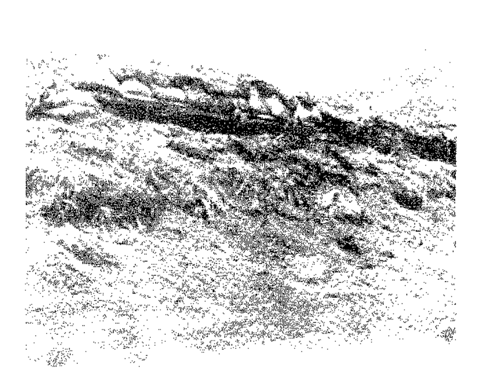
ومن الضروري جداً تطبيق انضباط التمويه المذكور في فقرة لاحقة ، والتحقق من أن الآليات لم ترسم على أرض المكان آثاراً دالة ، واذا كان جزء من الطريق الداخلة إلى مكان التمويـــه أو الخارجة منه مكشوفاً يغطي هذا الطريق بالشبكات كما سنرى في فقرة تمويه الطرق ، أو يمدد نحو هدف آخر غير عسكري .

ح – تمويه الطرقات : يختلف هذا التمويه باختلاف طبيعة الرصد المعادي واختلاف اتجـــاه الطريق . ولتمويه اجزاء من الطرقات العرضانية القريبة من العدو ضد الرصد الأرضي ، يوضع على جانب الطريق جدران متقطعة من الخيش المثبت على أعمدة لحجب الحركة التي تتم على الطريق . واذا كانت الطريق العرضانية حيوية والجبهـــة ثابتة ، تحجب الحركة بستارة ترابية على جانب الطريق تعدهـــا البلدوزرات .

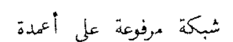
ويتم تمويه الطرق العمودية على الجبهة ضد الانظار البرية بلوحات قائمة ومتعامدة مع الطريق ، ومحمولة على أعمدة عالية . وتستطيع هذه اللوحات إخفاء الحركة لأنها تقطع خط نظر الرصاد البريين . أما التمويه ضد الانظار الجوية فيكون بتغطية



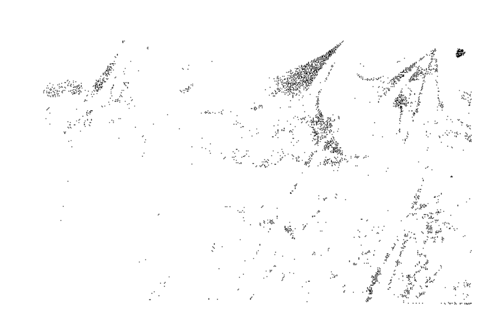
تمويه معقل في الأدغال



تمويه معقل في أرض جرداء



شبكة مرفوعة على أعمدة



الوصلات الحساسة من الطريق بشبكات مزركشة مستوية تتناسب مع طبيعة الأرض . واذا كانت الطريق حيوية تكثر الحركة عليها نهاراً ، تجهز هذه الطريق على طولها بأماكن مموهة متباعدة (سقوف من الشبكات أو المواد المحلية ، اشجار مثنية ومكملة بشبكات ، بيوت فلاحين مزيفة ... الخ) لتلجأ إليها الآليات المنعزلة عند إعطاء إشارة الانذار الجوي.

وللتمويه ضد الرصد الحراري والاليكتروني ، يوزع على طول الطريق عاكسات ومصادر حرارية تشوش العدو وتجعل صوره الجوية غير مقروءة .

ط – تمويه المعسكرات واماكن الإقامة : لاختيار موقع مكان الإقامة أهمية كبيرة في تمويهه . وأفضل الأماكن هي البساتين والأحراش والوديان الصخرية الظليلة . ومن الضروري عند اختيار المكان الابتعاد عن الادغال المنعزلة ، والأماكن المطروقة ، والنقاط المعلمة . ويتم تمويه مكان الإقامة باتباع التدابير التالية : ١ – بعثرة الخيام واخفاؤها ودمجها مع الطبيعة عن طريق تبديل لونها ، وكتم لمعانها ، وتخفيض ارتفاعها ، وتشويه شكلها ، واخفاء ظلالها الخارجية والداخلية ، ٢ – عدم التجمع إلا تحت الاشجار أو تحت سقوف من الشباك المزركشة ، ٣ – إخفاء المطابخ وأماكن توزيع الطعام وتشتيت دخانها عبر سقوف الاغصان المتشابكة ، ٤ – تنظيم الدخول والخروج من مكان الإقامة والسير داخل المكان نفسه بشكل يمنع خلق مدقات (نياسم) دالة ، ٥ – السير داخل مكان الإقامة على المسالك القديمة وفي الظلال ، وعلى حدود منطقة مزروعة حتى لا ترتسم آثار الاقدام على الأرض ، ٦ – إخفاء الغسيل والبطانيات وكل الآثار التي تدل على وجود قطعة عسكرية ، ٧ – إخفاء الآليات ومقطورات المياه وجريكانات الماء والمحروقات في مكان ظليل بعد دهنها بلون ملائم ، ٨ – ردم الأوراق والصناديق والمعلبات الفارغة بصورة يومية ، ٩ – تمويه الأنوار وكتمها ، ١٠ – تطبيق قواعد انضباط التمويه .

ي – تمويه التحصينات : يتألف الموقع المحصن من مجموعة من الخنادق ، وخنادق المواصلات ، والمراصد ، ومعاقل الرمي ، ومقرات القيـــادة ، والمستودعات ، ومرابض الاسلحة الثقيلة . ولا يمكن إخفاء هذه المجموعة بكاملها عن الرصد الجوي . ولكن من الممكن إخفاء النقاط الحساسة (مرابض الاسلحة ، معاقل الرمي ، مقرات القيادة .. الخ) بشكل يحرم العدو من تحديد المكان الذي تشغله القوات ضمن شبكة الخنادق الممتدة على منطقة واسعة من الأرض . ولتحقيق ذلك ، يتم اعداد التحصينات

ومقرات القيادة ليلا ، ويكون المكان مغطى بشبكات تمويه مزركشة أو أية أغطيـة حتى لا يستطيع التصوير النهاري تحديد مكان العمل وتطوره ، ولا تنزع الشبكات أو السقوف إلا بعد انتهاء العمل وتمويه المكان وإزالة كل الآثار الدالة على وجود أعمال تحصينات .

ويبقى تمويه مقرات القيادة والمراصد ومعاقل الاسلحة والملاجئ غير كامل إلا إذا غطيت أجزاء الخنادق الواصلة بين الخندق الرئيسي وهذه النقاط . واذا كانت التغطية متعذرة يمدد الخندق ليبدو وكأنه خندق مواصلات عادي متجه إلى نقطة ما .

تبذل القطعات عناية خاصة لتمويه الحركة نهاراً (الحركة داخل الخنادق) وتمويه الانوار ليلا . وتمنع تجمع الآليات وعربات اللاسلكي قرب مقرات القيادة إلا إذا تحققت من اخفائها بشكل كامل .

ك – تمويه الطائرات واراضي الهبوط المتقدمة :

تموه الطائرات الواقفة على الأرض ببعثرتها ، ودهنها بألوان قاتمة ، وكتم لمعانها ، واخفائها تحت شبكات مزركشة متناسبة مع طبيعة الأرض المحيطة ، مع الافادة ما أمكن من التغطية الطبيعية التي تقدمها الأرض المجاورة لأرض الهبوط المتقدمـة . وتكون الشبكات منشورة فوق الطائرة ومرفوعة بأعمدة تشوه سطحها العلوي ، أو ممددة على شكل سقف مستو .

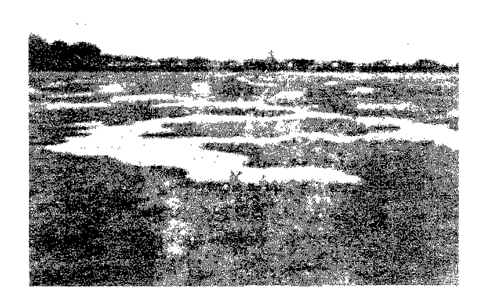
ولتمويه أراضي الهبوط المتقدمة تتخذ التدابير التالية : ١ – إخفاء الابنية المخصصة للطيارين والخدمات الفنية أو تشوه أو تعطى شكل بيوت عادية (انظر الخداع) ، ٢ – دهن أرض الهبوط بالالوان بحيث تبدو وكأنها أرض مزروعة أو محروثة. ولا يمكن للدهانات أن تحقق هذه الغاية إلا إذا خلطت بمواد طبيعية تعطي سطح أرض الهبوط قواماً مماثلا لقوام الأرض المحيطة ، ٣ – إخفاء الطائرات وصهاريج التموين بالمحروقات ، ٤ – الحفاظ على انضباط التمويه ، ٥ – إخفاء الرادارات داخل أبنية مزيفة تبدو كأبنية مدنية ، ٦ – إخفاء المدارج التي تصل أرض الهبوط الرئيسية مع أماكن وقوف الطائرات .

ل – تمويه مرابض المدفعية والصواريخ :

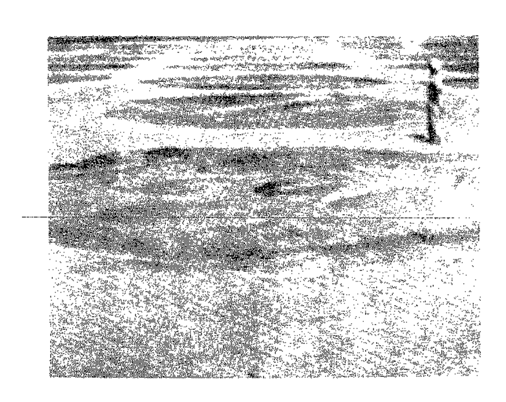
تشمل مرابض المدفعية والصواريخ مرابض الاسلحة نفسها ، ومستودعات الذخيرة ، وأمـاكن وقوف الآليات ، وأماكن إقامة السدنة ، ومهبط طائرة الرصد الجوي ، ولذا فان تمويهها عبارة عن عمل متعدد الجوانب ، يشبه الى حد بعيد ما ذكرناه في فقرات تمويه الهاون ، وتمويه الآليات ، وتمويه الطائرات واراضي الهبوط ، وتمويه اماكن الاقامة ، وتمويه







دهن أرض الهبوط بالالوان بحيث تبدو وكأنها أرض مزروعة أو محروثة.



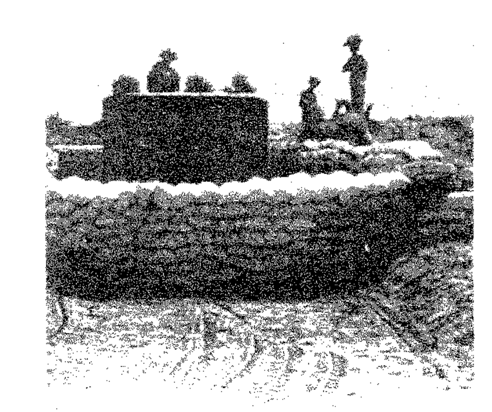
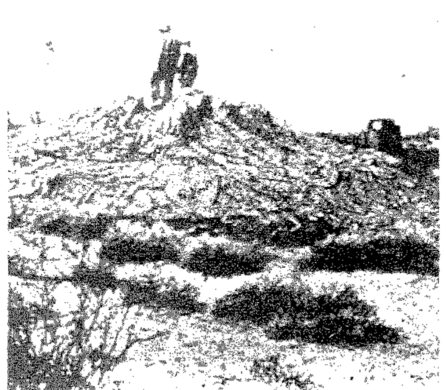




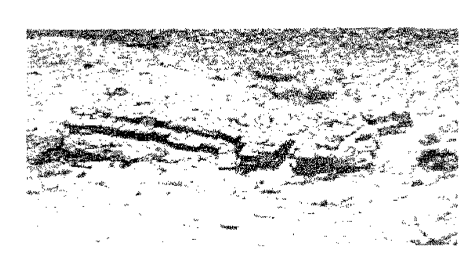
الخنادق . مع الانتباه بشكل خاص الى انضباط التمويه ، وتدابير إخفاء الوميض ليلا ، واستخدام المتفجرات خلال الرمي الليلي لجذب انظار العدو بعيداً عن مكان المربض الحقيقي .

م – تمويه مناطق الشؤون الادارية : تنشأ مناطق الشؤون الادارية على مقربة من الطرقات او المسالك القديمة حتّى لا يؤدي دخول وخروج الآليات الى خلق مسالك جديدة تكشف مناطق الشؤون الادارية . ولتمويه هذه المناطق تطبق القواعد التالية : ١ – يجري اختيار منطقة الشؤون الادارية في مكان مخفي مع الافادة ما امكن من ثنيات الارض والتغطية الطبيعية ، ٢ – يتم تحميل وانزال المؤن والذخائر والمحروقات في منطقة الشؤون الادارية ليلا ، مع اخفات الانوار ما أمكن ، ٣ – تموه صناديق المؤن والذخائر وبراميل المحروقات قبل طلوع الضوء . وتخرج الآليات التي يتم تفريغها من المنطقة وتختفي في مكان بعيد حتى مساء اليوم التالي ، ٤ – عندما يكون من الضروري دخول الآليات الى المنطقة نهاراً ، يتم التحميل التنزيل في مكان مستور بشبكة مزركشة ، ٥ – توزع اكداس الصناديق والبراميل بمجموعات صغيرة تحت الاشجار وتغطى بشبكات التمويه ، ٦ – عندما تكون الأرض جرداء تكدس الصناديق على المنحدرات الصخرية وتغطى بالمواد المحلية لتبدو وكأنها جزء من هذه المنحدرات ، ٧ – يمكن تمويه الصناديق والبراميل في الاراضي الجرداء داخل حفر مغطاة بسقف من الشباك أو المواد المحلية وتستطيع الآليات دخول الحفرة للتحميل والتنزيل تحت السقف ، ٨ – عندما يكون في المنطقة خنادق مهجورة تصف الصناديق في قاع الخنادق لتبدو وكأنها جزء منها . ويستحسن في هذه الحالة دهن سطح الصناديق باللون الأسود ، ٩ – يمكن الافادة من خنادق التحصينات ذات الجدران المدعمة بنزع التدعيم واستبداله بصناديق مؤن وذخائر ، ١٠ – يمكن تكديس الصناديق بشكل تبدو فيه على الصور الجوية وكأنها خنادق ومساند اسلحة مهجورة ، ١١ – يمكن تكديس الصناديق بطبقة واحدة فوق مسلك (نيسم) ترابي غير مستخدم ، كما يمكن تكديسها لتبدو كفرع من مسلك ، بعد دهن سطحها العلوي بدهان من لون سطح المسلك ممزوج بمواد تعطيه قواماً مشابهاً لقوام سطح المسلك .

ن – استخدام الدهان : يستخدم الدهان في معظم أعمال التمويه بغية تحقيق خمسة أغراض هي : ١ – تأمين اندماج الاجسام مع لون المنظر العام المحيط بها ، ٢ – تشويه الاشكال والخطوط المنتظمة

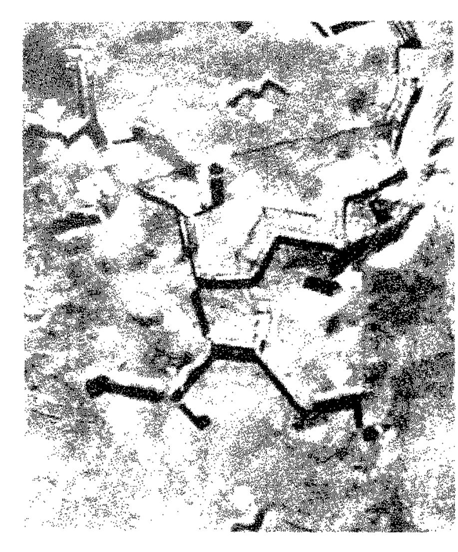
إخفاء عربة في منطقة الشؤون الادارية في الصحراء



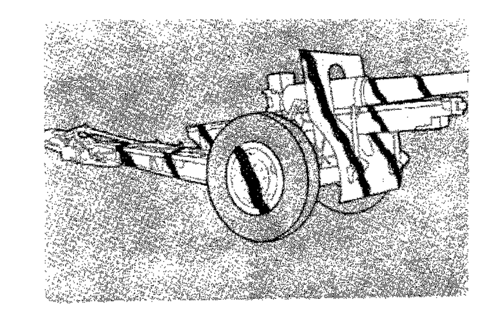
الصناديق على منحدر وفوقها صخور

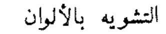


استخدام الوديان لتمويه أكداس المواد

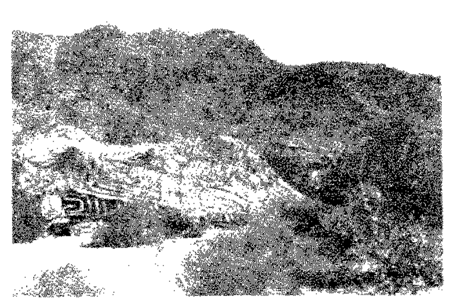


تكديس الصناديق لإعطاء شكل خنادق ومساند

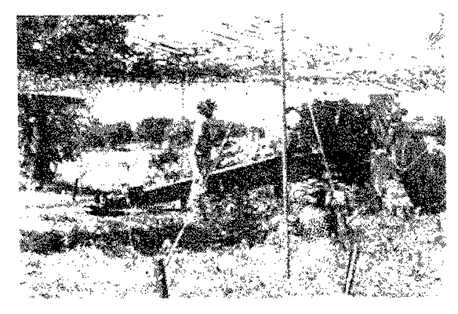




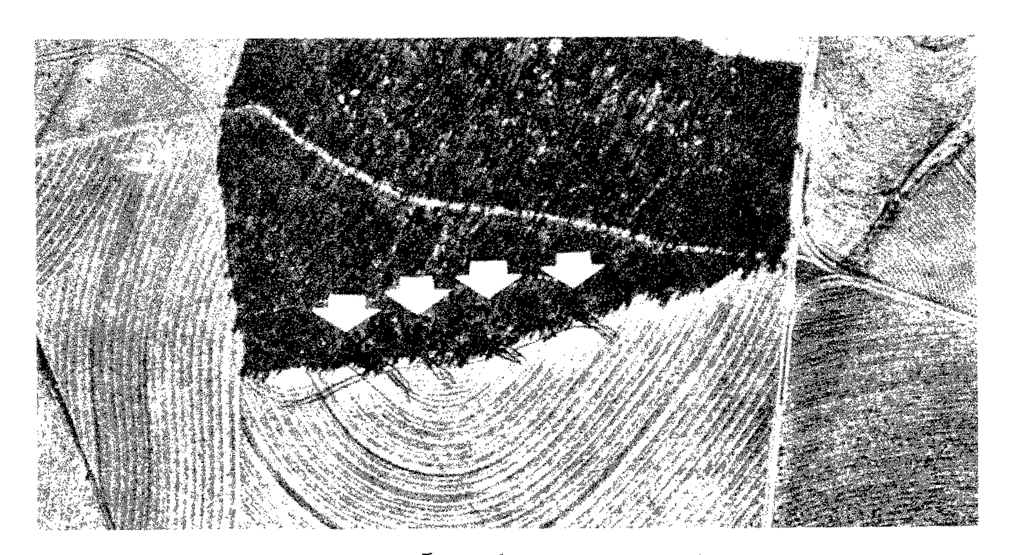
التشويه بالألوان



شبكة مزركشة فوق آلية



موقع تحت سقف مستوي



بطارية مدفعية مخفية تكشفها آثار العجلات

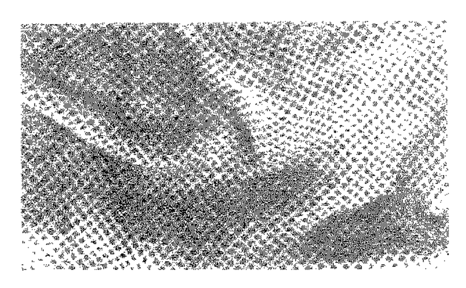
التي لا تتلاءم مع الطبيعة ، ٣ — رسم الظلال أو تخفيفها ، ٤ — الرسم على الطرقات ومهابط الطائرات لجعلها تبدو وكأنها أرض محروثة أو مزروعة ، ٥ — تحقيق الخداع عن طريق تغيير شكل الجسم أو إعطائه مظهر الجسم المدمر (انظر الخداع) .

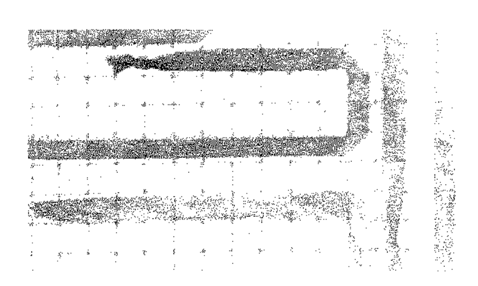
تكون درجة لمعان الدهان حسب الغاية المرجوة منه . فاذا كانت الغاية جذب انظار العدو إلى هدف خداعي دهن هذا الهدف بدهان لماع ينسجم مع طبيعة الأرض من ناحية اللون ، ولكنه يكشف الهدف باللمعان . واذا كانت الغاية تبديل لون الجسم وكتم لمعانه دهن بدهان غير لماع (مات) لتأمين إخفاء اللون واللمعان معاً . ويكون اللون العام للجسم متناسباً مع المنظر المحيط : اخضر زيتوني للغابات ، وبني أحمر للأراضي الزراعية المحروثة ، ورمادي قاتم للاراضي الصخرية ، واصفر رملي للاراضي الصحراوية ، وأبيض للمناطق المغطاة بالثلوج ... الخ .

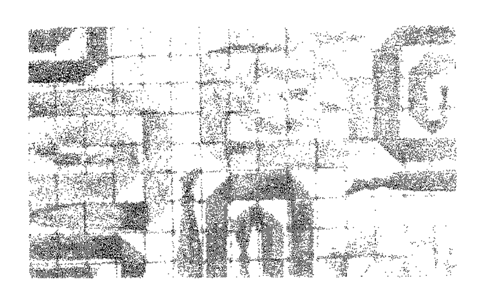
ونظراً لأن الاجسام في الطبيعة لا تكون بلون واحد ، فانه من الضروري برقشة اللون العام ببقع يتناسب اتساعها مع البرقشة الموجودة في الطبيعة .

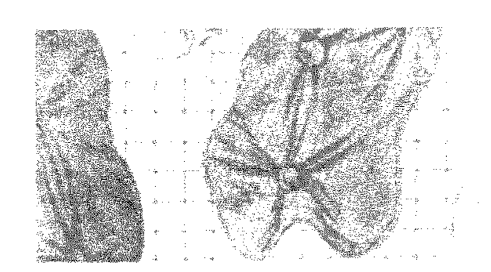
ويكون لون البقع بنياً وأسود في الغابات ، وبنياً فاتحاً وأخضر في الأراضي الزراعية ، ورمادياً وأسود في الأراضي الصخرية ، وبنياً قاتماً ورمادياً في الصحراء ، ورمادياً وأسود في المناطق المغطاة بالثلوج ... الخ .

ولتأمين التشويه تكون البقع بأشكال غير منتظمة ، وتنشر على الأعلى والجوانب ، وتمتد من سطح إلى سطح ، وتكسر الزوايا . وترسم الظلال بلون اسود ورمادي قاتم (حسب تسلسل قتامة الظل) ، أما تخفيف الظلال فيكون بدهن الأماكن الظليلة


شبكة صغيرة الفتحات


زركشة على شكل حرف U


زركشة حلزونية


زركشة على شكل صخور


زركشة على شكل عقد

بلون أبيض أورمادي فاتح.

ولا يستطيع الدهان خداع رصاد العدو أو تحقيق الغاية المرجوة بالنسبة الى الصور الجوية إلا اذا كان قوامه (قدرته على عكس نور الشمس) مماثلا لقوام المادة الطبيعية التي تحيط به. ولهذا الغرض يخلط الدهان بمواد طبيعية مناسبة، ويثبت على الجسم المدهون بواسطة الصمغ مواد طبيعية مدهونة أيضاً.

س – استخدام الشباك : تستخدم الشباك في كثير من تدابير التمويه، وتكون مصنوعة من الخيوط او من السلك المعدني (شبك الارانب). ومن الطبيعي ان تكون شبكة الخيوط أسهل استخداماً من شبكة السلك، لذا فهي تستخدم في الهجوم او الدفاع المعد على عجل، ولكن عدم مقاومتها للظروف الجوية يجعل من الضروري استخدام شبكة السلك في التحصينات الثابتة والدفاع طويل الامد.

يزود الافراد والآليات والاسلحة الثقيلة بشبكات من الخيوط. وتكون هذه الشبكات من النوع ذي الفتحات الصغيرة – ويكون لونها في هذه الحالة منسجماً مع لون المنظر العام. او تكون من النوع ذي الفتحات الكبيرة. وتزركش في هذه الحالة بأشرطة قماشية ملونة (حسب طبيعة الارض). وتكون الزركشة حلزونية او على شكل حرف (U)، وكلاهما صالح لمختلف الاراضي وضد المراقبة البعيدة. او على شكل عقد، وتصلح للغابات والمناطق المزروعة ضد المراقبة البعيدة والقريبة. او على شكل بقع قماشية، وتصلح في الاراضي الجرداء المتموجة او كثيرة البقع ضد المراقبة البعيدة والقريبة. وتكون زركشة الشبكات كثيفة في الوسط وقليلة الكثافة على الجوانب تجنباً لخلق ظلال إضافية. وتتم زركشة شبكة السلك بشكل مماثل لزركشة شبكة الخيوط. وبالاضافة الى الشبكات وشرائط الزركشة يكون مع كل آلية او سلاح ثقيل مجموعة من الحبال والاوتاد والاعمدة اللازمة لتثبيت الشبكات في مختلف الاوضاع.

ع – استخدام المواد المحلية : ان التمويه عبارة عن اندماج مع الطبيعة، لذا فان كل مادة في الطبيعة صالحة للتمويه. وتستخدم المواد المتوفرة محلياً لتوفير استهلاك الدهانات والشبكات، أو في حالة عدم وجودها. ومن المواد الطبيعية المستخدمة الأتربة، والحجارة، والاعشاب المقلوعة مع جذورها، وأوراق الأشجار، والخيش، والأخشاب، والأغصان المتشابكة، والاسفلت، والكلس، والغضار... الخ. ويستخدم بعضها للدهن أو للتغطية، كما يستخدم بعضها الآخر لعمل سقوف أو لزركشة هذه السقوف.

ويشترط عند استخدام الاعشاب والاغصان تبديلها باستمرار عند ذبولها. كما يشترط عند استخدام الأتربة أن تؤخذ من مكان بعيد، وتقشط من سطح الأرض ليكون لونها مماثلا للون الأرض المحيطة. ومن المفضل عند استخدام الأغصان عدم كسرها ان أمكن، بل إمالتها وربطها بالجسم المراد تمويهه. وتقوم القطعات في التحصينات الدائمة بزراعة نباتات واشجار سريعة النمو ومنسجمة مع الاشجار الموجودة في المنطقة لتأمين التمويه الدائم، كما تقوم بحرث التراب الموجود فوق سطح الملاجئ وحرث الأراضي المجاورة، وزرعها بالحبوب التي تعطي المنطقة كلها منظراً متشابهاً.

ف – مسؤولية التمويه : يعتبر الجندي مسؤولا عن تمويه نفسه وسلاحه ومعداته الفردية، ويعتبر سدنة الاسلحة الجماعية والثقيلة مسؤولين عن تمويه مواضع اسلحتهم، ويقوم السواقون وسدنة الدبابات بتمويه آلياتهم، والقطعة بأكلها مسؤولة عن تمويه معسكراتها واماكن إقامتها ومواقع القتال التي تستخدمها. اما تمويه التحصينات الدائمة والمطارات ومستودعات الشؤون الادارية ومقرات القيادة الخلفية، فتقع على عاتق فصائل التمويه المختصة التابعة لوحدات المهندسين. وتكون هذه الفصائل مدربة على عمليات التمويه الكبيرة، ومجهزة بالمعدات والمواد النظامية اللازمة لذلك.

ق – انضباط التمويه : يعتبر انضباط التمويه عاملا اساسياً لنجاح تدابير التمويه. ورغم ان كل جندي وضابط مسؤول عن القيام بالتمويه واستمراريته والحفاظ عليه، فأن القائد مسؤول عن انضباط التمويه في الموقع القتالي، ومكان الاقامة، ومناطق التجمع، وخلال المعركة. ويعاونه في ذلك مفرزة انضباط التمويه. وهي تضم ضابطاً مختصاً ومجموعة من العناصر. وتكون مهمتها مراقبة تنفيذ التمويه وادامته، والاشراف على انضباط التمويه.

وتختلف بنود انضباط التمويه باختلاف المكان الذي تطبق فيه (موقع قتالي، مكان إقامة، منطقة حشد، مستودع شؤون ادارية، مطار أمامي الخ). ولكن المبادئ العامة في جميع الحالات واحدة وهي : ١ – إدامة التمويه، ٢ – مسالك الحركة ليلا ونهاراً، ٣ – نقاط الدخول والخروج إلى المكان، ٤ – نقاط إطفاء الأنوار قبل دخول الآليات إلى المكان ليلا، ونقاط إضاءة الانوار بعد الخروج من المكان، ٥ – إزالة القرائن الدالة (آثار أقدام، آثار عجلات، غسيل، معلبات فارغة، أوراق)،

٦ – التجمع في مكان مستور ، ٧ – إخفاء دخان المطابخ ، ٨ – تبديل الألوان مع تبدل الفصول ، ٩ – تدابير إخفاء النور ، ١٠ – تدابير إخفاء الصوت ، ١١ – تدابير تشغيل المولدات الحرارية ، ١٢ – تدابير التمويه عند تنفيذ الاعمال الهندسية ، ١٣ – التدابير اللازمة عند إعطاء انذار جوي .

وللتحقق من سلامة التمويه وحسن تطبيق انضباط التمويه ، يحلق القائد أو الضابط المسؤول فوق المكان المموه بصورة دورية – اذا كان الوضع يسمح بذلك – لمراقبة تدابير التمويه من الجو ، واكتشاف أخطاء التمويه واصلاحها .

(١) التمويه القتالي

هو مجمل التدابير التي تتخذها القطعــات والتشكيلات بغية إخفاء نواياها عن العدو ، منذ تحركها من منطقة الحشد حتى انجاز المهمة القتالية الملقاة على عاتقها . ويتم هذا التمويه على عدة مستويات (تكتيكي وعملياتي واستراتيجي) ، وهــو يسمح بتحقيق السرية والمباغتة ، ويعطي الصدمة المنفذة فاعلية أكبر .

ويختلف التمويه القتالي باختلاف المهمة المنوي تنفيذها (اغارة ، كمين ، دورية ، هجوم ، دفاع ، مطاردة .. الخ) . ولكن المبادئ واحدة في مختلف الحالات . وهي تشمل النقاط التالية : ١ – تمويه الحشد واجراؤه بعيداً عن انظار العدو البرية والجوية ، ٢ – تمويه الحركة ومنع العــدو من اكتشافها بالوسائط البصرية أو السمعيــة أو التصوير ، ٣ – إجراء الانتشار بشكل لا يكشفه العدو ولا يستطيع عند اكتشافه معرفة الغرض منه ، ٤ – إخفاء اتجاه الجهد الرئيسي ، ٥ – جذب انظار العدو نحو مكان بعيد عن مكان الضربة الحقيقية (انظر الخداع) ، ٦ – الالتزام بانضباط الرمي (انظر انضباط الرمي) ، ٧ – الالتزام بسرية الاتصالات السلكية واللاسلكية ، ٨ – الحفاظ على الصمت اللاسلكي حتى ساعة محددة ، ٩ – الحفاظ على سرية الخطة ، ١٠ – تسريب خطة كاذبة لبلبلة العدو ، ١١ – استخدام الليل والظروف الجوية السيئة ، ١٢ – التظاهر بالضعف عند امتلاك القوة والتظاهر بالقوة عند الضعف ، ١٣ – التظاهر بالدفاع عند الرغبة في الهجوم والتظاهر بالانسحاب عند الرغبة في الصمود ، ١٤ – اختيار محاور التقرب غير المتوقعة .

وهكذا نرى أن التمويه القتالي هو مجمل تدابير التمويه التقنية مضافاً إليها الخدعة والمخاتلة والخداع . وكما أن السرية والمفاجأة تخدمان التمويه القتالي ، فان هذا التمويه يرفع مستوى السرية والمفاجأة . الامر الذي يجعل العلاقة بين التمويه القتالي من جهة والسرية والمفاجأة من جهة أخرى علاقة متبادلة ودائمة .

(١٤) التناثر

التناثر ظاهرة من ظواهر الرمي ، تتمثل في تبعثر الطلقات والقذائف في المدى والارتفاع رغم تماثل عناصر الرمي (زاوية المدى ، وزاوية الاتجاه ، والحشوة المستخدمة) . ويرجع السبب في هذه الظاهرة إلى عدة عوامل هي : عدم تماثل وزن الحشوة بشكل كامل مهما كان المصنع الحربي الذي صنعها دقيقاً . وعدم تماثل الظروف الجوية بين طلقة واخرى . واستحالة التسديد مرتين متتاليتين بشكل واحد مهما كان المسدد دقيقاً . واختلاف درجة حرارة السبطانة بين طلقة واخرى . ويكون التناثر في الاسلحة ذات الرمي المستقيم (بنادق ، رشاشات ، مدافع مضادة للدبابات) أصغر من التناثر في الاسلحة ذات الرمي المنحني (هاونات وقذائف صاروخية أرض – أرض) أو ذات الرمي السابح (مدافع) .

ويطلق اسم **مستطيل التناثر** على المستطيل الذي تسقط فيه مجموعة من القذائف أو الطلقات (باستثناء الطلقات الشاردة) رغم استخدام سدنة السلاح لعناصر الرمي نفسها .

(٢) التناضح التقني

ان الاستقرار والتضامن اللذين حققهما وجود القوات النووية المستقلة يسمح بارساء شكل من العلاقات بين الحلفاء لم يقم حتى الآن الا بين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية بسبب الروابط التي كانت قائمة بينهما عند اختراع السلاح الذري . ولهذا فان من الممكن ان يتم تبادل المعلومات الفنية ، واستخدام المصروفات التي تبدد في الأبحاث لصالح المجموع بصورة عقلانية ، بدلا من التبذير بها كما هي الحال اليوم ، بين الحلفاء .

(٥) ت . ن . ت .

او الترينتروتولووين Trinitrotoluene اكتشفت هذه المادة في المانيا عام ١٨٦٣ ، وجربت لاول مرة في عام ١٨٩٠ . واطلق عليها في ذلك الوقت اسم تروتيل Trotyl . وقد بدأ الالمان في استخدامها كعبوة متفجرة في القذائف والقنابل في عام ١٩٠٢ ، على حين لم يستخدمها الانكليز الا عام ١٩١٤ ، بسبب الصعوبات التي واجهها المختصون في تصميم جهاز تفجير مناسب لها . واستخدمت مادة ت . ن . ت على نطاق واسع خلال الحرب العالمية الاولى . وكانت المــادة المتفجرة الرئيسية التي استخدمتها الدول المشتركة في تلك الحرب . ووصل انتاج هذه الدول منها الى عدة ألوف من الاطنان في اليوم الواحد .

يطلق على مادة ت. ن. ت أيضاً اسم تروتيل أو توليت ، وهي تحضر بتحويــل التولووين $C_6H_5-CH_3$ الذي يستخرج بتقطير قطران الفحم ، او النفط الخام ، او مركبات النفط الاخرى الى نترات . وتمر عملية تحويلها الى نترات بثلاث مراحل . تعطى الاولى مادة المونونيتروتولووين Mononitrotoluene ، وتعطي الثانيــة مــادة دينيتروتولووين Dinitrotoluene ، والثالثة مادة ت. ن. ت .

وتصنف مادة ت. ن. ت تبعاً لدرجة نقاوتها التي تحسب وفقاً لدرجة انصهارها ، الى اربعــة اصناف هي : الصنف ١ (Grade 1) ، والصنف ٢ ، والصنف ٢ أ ، والصنف ٣ . ويعرف الناتج الخام المتولد من معالجة مادة التولووين بالنترات بالصنف ٣ من مادة ت. ن. ت . ولون هذه المادة اصفر ضارب الى البني المشوب بالحمرة ، وتحتوي على ما تتراوح نسبته بين ٤٪ و ٧٪ من الشوائب التي لبعضها رائحة نفاذة . اما الاصناف الاخرى فتحضر من الصنف ٣ بتنقيته من الشوائب . ولون الاصناف الاخرى النقية اكثر شحوباً من لون الصنف ٣ وليست لها رائحة .

وتظهر مادة ت. ن. ت النقية على شكل بلورات ناعمة لونها اصفر باهت وهناك انواع تدعى التوليت الوردي . وتنصهر في درجة حرارة مقدارها ٨٠,٥ درجة مئوية . ووزنها النوعي ١,٦٥ . وهي قليلة الذوبان في الماء . الا انها تذوب بسهولة في البنزين ، والتولووين ، والاسيتون . وتتحلل ببطء اذا ما تعرضت لحرارة تزيد على ١٨٠ درجة مئوية . كما ان استنشاق غبار ت. ن. ت يسبب تسمماً ، واذا ما وقع على البشرة فقد يسبب التهاباً جلدياً .

ومادة ت. ن. ت من المتفجرات القاصمة شديدة الانفجار والعنيفة جداً ، والشديدة القوة . ولا يفوقها في هذه الميزة الا حامض البكريك Picric acid

بدرجة قليلة . وسرعة انفجارها عالية . اذ تبلغ ٦٩٥٠ متراً/الثانية عندما يكون وزنها النوعي ١,٥٧ . بالاضافة الى انها قليلة الحساسية للصدمة والاحتكاك والطلقات . وهي مادة متفجرة شديدة الثبات كيميائياً. وعندما تكون نقية لا تتأثر اطلاقاً بظروف التخزين العادية ، ولا تسترطب . وهي غير ميالة الى التفاعل، بفضل خلوها من الحوامض عندما تكون نقية . ولا تميل الى تكوين املاح حساسة كما يفعل حامض البكريك . غير ان القلويات تتفاعل مع مادة ت.ن.ت وينتج عن تفاعلها مادة حساسيتها للصدمة اشد بكثير من حساسية ت. ن. ت العادية ، كما انها اشد قابلية للاشتعال . ومن ميزات مادة ت. ن. ت الاخرى درجة انصهارها الواطئة ، إذ أن من السهل صهرها بتعريضها للبخار وصبها باشكال مختلفة في القنابل او العبوات .

ومن عيوب مادة ت. ن. ت ان الاصناف غير النقية منها تضم شوائب هي مركبات كيماوية غير متجانسة تشكل خليطاً ذا درجة انصهار منخفضة نسبياً، وعندما تخزن هذه المادة في اماكن حارة تنصهر وتبدأ في الرشحان (النضح) Exudation ، والرشحان هو عبارة عن تكون سائل زيتي هو ذاته متفجر ، قد يولد مضاعفات خطيرة بالانفجار قبل الاوان ، بأن ينساب من بين اسنان القذيفة او القنبلة او غيرها من المخارج ، وينفجر بفعل الارتجاج الذي يصاحب اطلاق القذيفة . ومن عيوب مادة ت. ن. ت أيضاً ان لديها قابلية للصعق بالعدوى Sympathetic detonation ، لذلك تضاف اليها نسبة ضئيلة من شمع العسل، عندما تستخدم كعبوات ضد الدروع . وتستخدم مادة ت. ن. ت كعبوة متفجرة للقذائف ، والقنابل ، والالغام المضادة للدروع . وفي تركيب كل من الاماتول Amatol والباراتول Baratol . كما تستخدم كحشوة للعبوات ، وللفتيل الصاعق ، وبعض انواع الصواعق حيث يكون الـ ت. ن. ت مع متفجرات اخرى ، وفي هذه الحالة لا تستعمل إلا أنقى أنواع مادة ت. ن. ت .

إن ثبات مادة ت.ن.ت ، وقلة تأثرها بالعوامل الخارجية ، وعدم حساسيتها إزاء الصدمات والطلقات يجعلها من أفضل المتفجرات العسكرية التي يستخدمها المهندسون في عمليات التخريب ، وخاصة عمليات التخريب التي لا تحتاج إلى « دكة » . وتزود وحدات المهندسين بمفرقعات من مادة ت. ن. ت مكعبة او اسطوانية مختلفة الأوزان ، ويكون في كل مفرقع ثقب (خلية) لوضع الصاعق الذي يكون من التيتريل أو الفتيل الصاعق . وعندما تكون الحشوة المستخدمة من ت. ن. ت كبيرة أو عندما تكون مادة ت. ن. ت على شكل حبيبات فرط يوضع في داخلها حشوة من ت. ن. ت النقي (بادئ) لتأمين نقل الصعق من الصاعق أو الفتيل الصاعق إلى الحشوة .

تعتبر قوة انفجار مادة ت. ن. ت وحدة قوة الانفجار التي تقاس قوة انفجار بقية أنواع المتفجرات على أساسها .

(٨) تنسيق التعاون

تنسيق التعاون Coordination De Cooperation، هو تنسيق جهد الأسلحة المشتركة في القتال للحصول على أقصى مردود لها . ويتم تنسيق التعاون وفق مخطط دقيق وواضح تحدد فيه طريقة تنفيذ الواجبات في إطاريها الزماني والمكاني . ويعتمد تنسيق التعاون بالدرجة الأولى على دقة المعلومات عن الخصم ونواياه وردود فعله وامكاناته وحجم قواته ووسائطه واساليب عمله ، كما يعتمد ايضاً على المعرفة الصحيحة للقوات الصديقة وامكاناتها وميزات اسلحتها ومستوى تدريبها وروحها المعنوية ، بالاضافة الى معرفة الأرض معرفة جيدة . واستناداً لهذه المعلومات ووفقاً للقرار المتخذ يتم تنسيق التعاون بين صنوف الأسلحة والقوات المشتركة في المعركة .

وتختلف طريقة تنسيق التعاون حسب الواجب القتالي أو طبيعة العمليات القتالية (هجوم على دفاع مجهز ، أو هجوم على مواقع مجهزة على عجل ، أو هجوم في الجبال والمناطق الصحراوية والغابات ، أو الدفاع المجهز ، أو العمل كقوة استطلاع متقدمة الخ.) كما تختلف طريقة تنسيق التعاون حسب حجم التشكيل (مجموعة جيوش أو جيش أو فرقة أو لواء الخ ..). وتأتي مرحلة تنسيق التعاون بصورة عامة بعد مرحلة اتخاذ القرار في مؤتمر يحدد موعده القائد ويناقش فيه قادته المرؤوسين حول واجباتهم ويقوم كل قائد (من القادة المرؤوسين مثل قادة ألوية المشاة في الفرقة على مستوى الفرقة ،وقائد مدفعية الفرقة وقائد التشكيل الجوي الذي يدعم الفرقة وقائد مهندسي الفرقة وقائد الاشارة الخ ..) فيعمل كل قائد على شرح طريقة فهمه للواجب وتنفيذه له . ويعمل القائد الأعلى على تصحيح وجهات النظر الخاطئة ان وجدت او التي تتناقض مع مفهوم القرار ومضمونه . وبنتيجة مؤتمر تنسيق التعاون تتوضح الصورة العامة لتنفيذ العمليات القتالية بكاملها كما تتوضح طريقة تنفيذ المعركة في الواجبات المختلفة (الواجب المباشر – الواجب التالي – واجب اليوم .. وهكذا ..) ثم يعود هؤلاء القادة الى مراكزهم القيادية لتنسيق التعاون وفق المفهوم ذاته والطريقة ذاتها . وتستمر العملية حتى يتم تنسيق التعاون بين الأسلحة والوحدات في الانساق الصغرى وتبقى عملية تنسيق التعاون في جميع مراحلها ملتزمة في حدود القرار الذي وافق عليه القائد الأعلى .

يتم تنسيق التعاون في مختلف مراحل المعركة الدفاعية أو الهجومية . ويبذل القائد خلاله عناية خاصة لطبيعة الأرض ونظام دفاعات العدو وطبيعة المعارك المتوقعة . ويحتاج القتال في اتجاهات منفصلة (مثل العمل على المحاور الثانوية أو عند تنفيذ مناورة الالتفاف او الاحاطة) الى تنظيم التعاون وتنسيقه بدقة اكبر وزيادة تفاصيله لفترة أطول وحتى عمق أكثر، ذلك لأن مسيرة الاعمال القتالية على هذه الاتجاهات المنفصلة وتطوراتها تجعل من الصعب على القائد التأثير على سير المعركة أثناء تطورها . كما ان تنسيق التعاون وتنفيذه في الاتجاهات المنفصلة يتطلب حسابات دقيقة لعمليات النقل للقوات وتوفير مصادرها . وعند القيام بعمليات الالتفاف والاحاطة لتطويق العدو قد تتقدم التشكيلات والوحدات من اتجاهات مختلفة وفي بعض الأحيان من اتجاهات متعاكسة ، وهذا ما يتطلب عناية كبيرة من القيادة لتنسيق عمل الوحدات القائمة بالالتفاف مع الوحدات المتقدمة من الأمام . وتحدد القيادة في مثل هذه الحالة وبصورة مبكرة خطوط الفتح ، والاتجاهات التي تعمل عليها التشكيلات ، سواء كانت قائمة بالالتفاف أو الاحاطة ، مع تحديد توقيت الهجوم وتعيين خط التقابل (اللقاء) مع القوات المتقدمة من الأمام وتحديد شارات التعارف المتبادل .

وفي المعركة الحديثة للاسلحة المشتركة يمارس الطيران دوراً اساسياً وحاسماً في الصراع مما يتطلب تركيز جهد خاص لتنسيق التعاون مع الطيران . وان تعاون القوات الأرضية مع القوات الجوية يفترض توزيع الأهداف في الوقت المناسب لتدميرها من قبل الطيران والمدفعية مع تحديد طريقة توجيه الطائرات الى الاهداف أثناء مسيرة الاعمال القتالية . ونظراً لما تتميز به المعركة الحديثة من سرعة كبيرة في اندفاع القوات الارضية الهجومية ، فان سلاح الجو هو من أفضل الأسلحة لدعم هجوم القوات الأرضية والتوافق مع سرعتها العالية لا سيما عندما يتعلق الأمر بالعمل على محاور مستقلة أو منفصلة . وفي مجال تنسيق التعاون يجب تحديد طرق التمييز بين الطائرات

والقوات الأرضية لا سيما عند تنفيذ الاعمال القتالية في المناطق الصحراوية التي لا يمكن للطيران تمييز القوات البرية فيها بناء على معرفة الخطوط الأرضية الوضحة التي تقف عندها، نظراً لعدم وجود مثل هذه الخطوط.

وهناك ضرورة تفرض بذل عناية خاصة لتنسيق التعاون بين القوات في الحالات التي يجري فيها الهجوم ليلا أو بين منطقة تشكيل تبعد مسافة كبيرة عن خط دفاع العدو الرئيسي، أو عندما تهدف خطة الهجوم تطويق العدو، حيث يصبح من الضروري إعطاء اتجاه واضح التمييز لكل تشكيل أو وحدة، مع تنسيق وقت تحرك القوات حتى خط الاقتحام. وقد يحدث كثيراً أنه بمجرد اختراق منطقة دفاع العدو الرئيسية فان الاهداف التالية التي يجب الاستيلاء عليها تقع على مسافة كبيرة من القوات المتقدمة (٥٠ – ١٠٠ كم) أو أكثر. وهذا يتطلب إعادة تجميع القوات في تشكيلات السير والتقدم الى خط الابتداء التالي (كما يحدث عند تجاوز ممرات سيناء حتى الوصول الى منطقة القتال أو العكس)، وفي جميع الاحوال، فان تنسيق التعاون يشمل بصورة أساسية ايضاحاً للاحتمالات المختلفة التي يمكن مجابهتها أثناء القتال وطرق مقابلتها وذلك قبل بدء الهجوم.

ويتوقف اتخاذ الطريقة المناسبة لتنسيق التعاون على مجموعة من المعطيات مثل طبيعة الأرض وشكل القتال المتوقع وسرعة التقدم. ولا تقف عملية تنسيق التعاون في الانساق العليا عند حدود الاهداف والوقت وانما تتجاوزها الى تحديد الاتجاهات والفواصل بينها.

ان عملية (تنسيق التعاون) هي من العمليات الاساسية في التنظيم لمركة الاسلحة الحديثة المشتركة وهي من العوامل الرئيسية لنجاح القوات في تنفيذها للواجب المحدد لها. وتتزايد أهمية تنسيق التعاون يوماً بعد يوم بسبب التعقيد الكبير في وسائط القتال وبسبب التطور السريع في مسيرة الاعمال القتالية. كما تتزايد أهمية تنسيق التعاون ايضاً كلما تزايد عدد ونوع القوات المشتركة في العملية (قوات بحرية – قوات أرضية – قوات جوية) وذلك بسبب اختلاف ميزات الاسلحة والقوات المشتركة، وتنوع وسائطها واساليب عملها.

(١) التنظيم العسكري

هو تقسيم القوات المسلحة إلى قطعات كبرى وأسلحة متعددة بغية تسهيل اعداد وتدريب وحركة وإقامة القوات، وتسهيل ادارة المعركة وتحقيق عمل مختلف الصنوف في المعركة على أفضل وجه خلال القتال.

وتبقى ادارة المعركة بنجاح الهدف الأساسي للتنظيم العسكري. وتعمل جميع الاسلحة والمعدات خلال المعركة باشكال تتناسب مع صفاتها وأساليبها الخاصة لتحقيق هدف مشترك، لذا فان العامل الأول للتنظيم هو وضع مختلف صنوف الوسائل الحربية اعتباراً من نسق معين تحت تصرف قائد واحد. والعامل الثاني هو تأمين توازن الأسلحة داخل القطعات الكبرى. بحيث تكون أسلحة النار واسلحة الصدمة متناسبة بشكل يضمن تنفيذ المهمات الهجومية والدفاعية في مسرح العمليات العادي، مع امكانية تعديل النسب عند العمل على مسارح تتطلب ذلك أو عند تنفيذ مهمات ذات طابع هجومي أو دفاعي (انظر توازن الاسلحة). والعامل الثالث في التنظيم هو تأمين النسبة الملائمة بين الكم والكيف، بحيث يكون في القطعات الكبيرة والصغيرة عناصر اختصاصية محترفة وعناصر مساعدة تقوم بأعمال إضافية ضرورية وتسد الفراغ الذي تفتحه خسائر الحرب. والعامل الأخير في التنظيم هو توزيع القوات ضمن هرم تسلسلي يسهل عمل القيادة دون أن يشتت جهود القوات، ويضمن وجود الاحتياط بيد القائد حتى يستخدمه لتأمين المناورة عند الضرورة. وقد يكون الهرم التسلسلي ثلاثياً أو رباعياً أو خماسياً. واذا كان الهرم الثلاثي خفيف الحركة ويضمن الحد الأدنى من المناورة فان قدرته على الصدمة واستثمار الفوز محدودة. أما الهرم الرباعي أو الخماسي فهو أقدر على الصدمة واستثمار الفوز ولكنه ثقيل صعب القيادة (انظر توازن التشكيلة).

ويتطلب اعداد التنظيم العسكري، أي تنظيم القوات المسلحة لخوض المعركة، تخيل هذه المعركة وتوقع اجوائها واشكالها، وتحديد فاعلية الأسلحة والمعدات الحربية، والقدرة البدنية على المقاومة، خاصة وأن ضرورات المعركة تسيطر بشكل كبير على قضايا التنظيم، فهي تطرحها وتحدد حلولها. ثم تأتي الأمور الإدارية كعامل إضافي لتعديل التنظيم الذي تتطلبه المعركة.

(٢) التهديد بالانتقام

التهديد بالانتقام وسيلة هجومية غير مباشرة لأن ملاقاة الاسلحة الذرية واعتراضها، والوقاية المادية من آثارها، كلها وسائل دفاعية ذات قيمة متغيرة وغير مؤكدة. وليس هناك أية حماية حقيقية إلا في التهديد بالانتقام. فلهذا لا بد من وجود «قوة ضاربة» ذات طاقة كافية لإرغام الخصم وتحويله عن استخدام قوته الخاصة. هذه الاستراتيجية هي استراتيجية الردع بأبسط أشكالها الأولية: اذ يتم التأثير على ارادة الخصم بصورة مباشرة دون المرور باختبار للقوة. ومن خلال هذه الفكرة العامة جرى تطور استراتيجية اكثر تعقيداً ودقة هي **استراتيجية الردع** المستندة الى الردع النووي، وأعمال الردع الأخرى المكملة لها.

(١٥) التهريب الحربي

التهريب الحربي Contrebande de guerre تعبير يقصد به إرسال بضاعة من قبل دولة حيادية الى دولة محاربة بصورة مخالفة للقانون الدولي وخاصة لقواعد الحرب البحرية.

وعلى الرغم من أن هذا التعبير الذي اشتق من الكلمة الايطالية Contrabando التي تعني «ضد الأوامر» يستخدم بصورة متنوعة جداً في لغة الصحافة اليومية للدلالة على عدم شرعية بعض صفقات السلاح، بسبب عدم حصولها على موافقة حكومة البلد المصدر أو البلد المستورد مثلا، فإن هذا الموضوع يحتل مكاناً مختلفاً تماماً في قواعد القانون الوضعي.

ولا توجد في الواقع مخالفات لأنظمة حكومية تتعلق بالتصدير أو الاستيراد للعتاد الحربي في هذا الموضوع. فقد تكون صفقة من صفقات السلاح مشروعة في بداية رحلتها لأنها حصلت على الموافقات الادارية التي يتطلبها نظام المراقبة الحكومية، ولكنها قد تصبح بعد ذلك عملية من عمليات التهريب الحربي Contrebande إذا وصلت، أو كانت معدة للوصول، الى بلد آخر غير البلد التي كانت مرسلة إليه. ومثال ذلك أن تكون دولة ما هي الدولة (آ) في حالة حرب مع الدولة (ب) التي تتوجه إليها صفقة السلاح، أو مع الدولة (ج) التي أصبحت فيما بعد الهدف الحقيقي الذي تذهب إليه الأسلحة، ففي هذه الحالة يمكن للدولة (آ) أن تتدخل لمنع الصفقة من الوصول إلى غريمتها (ب) أو (ج) وتعتبرها خاضعة لمفهوم التهريب الحربي. ويعترف القانون الدولي بهذا الحق للدولة (آ) مهما كانت ذرائع المشروعية التي توصف بها عملية وصول الأسلحة الى دولة (ب) أو (ج) في قوانينها الداخلية.

ويعرف البروفسور الفرنسي شارل روسو في

كتابه «الوجيز في القانون الدولي» (١٩٦٦) التهريب الحربي بما يلي: «هو البضاعة التي لا تتمكن دولة حيادية بسبب طبيعة هذه البضاعة أو مكان إرسالها أن تنقلها أو تصدرها إلى بلد محارب دون خرق واجبات الحياد، وتتعرض بذلك الى الاستيلاء عليها ومصادرتها». ويعود تاريخ قواعد التهريب الحربي في فرنسا الى القرن السادس عشر، اذ كانت موضوع الأمر الملكي الصادر في العام ١٥٨٤. وجرت بعد ذلك بعض التعديلات على هذه القواعد بأوامر صادرة في العام ١٦٨١، ثم في العام ١٧٧٩. وبعد اندلاع الثورة الفرنسية صدر قرار مؤرخ في ٢ بريرال للعام الحادي عشر للثورة تبنى قواعد معدلة للتهريب الحربي على هدي تطور الحرب البحرية وظروف فرنسا في ذلك الحين. ومنذ ذلك الوقت يجري وضع هذه القواعد ضمن التعليمات البحرية المعطاة الى ضباط القوى البحرية الفرنسية. وأول هذه التعليمات ظهرت في العام ١٨٧٠ أثناء الحرب الألمانية – الفرنسية. ثم وضعت تعليمات جديدة في العام ١٩٣٤، لم تلبث أن عدلت في العام ١٩٣٩ قبيل الحرب العالمية الثانية بفترة قصيرة من قبل وزير البحرية الفرنسية. غير أن هذه التعليمات الأخيرة ظهرت غير كافية على ضوء الخبرة المستقاة من أحداث ووقائع الحرب العالمية الثانية، فوضعت بتاريخ ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٤ تعليمات بحرية كاملة تتفق مع آخر التطورات في هذا المجال.

ومبدأ إصدار قواعد التهريب الحربي، ضمن التعليمات البحرية، هو تقليد متبع في معظم الدول. ونذكر منها التعليمات الأميركية الصادرة في العام ١٩٥٥، والمعدلة في العام ١٩٥٦. والتعليمات البريطانية الصادرة في العام ١٩٥٨. ودليل القانون الدولي البحري للاتحاد السوفياتي الصادر في العام ١٩٥٦. وتقضي مجمل هذه التعليمات بأن التهريب الحربي يعتبر استثناء من حرية التجارة التي تضمن، قواعد الحياد حمايتها زمن السلم والحرب معاً في العلاقات بين الدول الحيادية والدول المحاربة. وقد تأيدت هذه القواعد بالاتفاقيات الدولية التي تنظم القواعد العرفية المتعلقة بالحرب البحرية، فينص تصريح باريس الدولي لعام ١٨٥٦ على ما يلي: «علم السفينة الحيادي يحمي البضاعة العدوة، فيما عدا التهريب الحربي»، وأن «البضاعة الحيادية، فيما عدا الأسلحة المهربة، لا يمكن مصادرتها تحت علم سفينة عدوة».

ولقد ميز تصريح لندن لعام ١٩٠٩ بين نوعين من التهريب الحربي: التهريب المطلق والتهريب النسبي. فالتهريب المطلق يحدد بحسب طبيعته (أسلحة، ذخائر، عتاد حربي) أو بحسب جهة إرساله (بلد عدو، أو بلد خاضع لاشراف العدو). أما التهريب النسبي فيتضمن المواد التي تصلح للاستخدام من قبل القوات العسكرية او الادارة في الدولة العدوة، حتى لو كانت تستعمل عادة لأغراض سلمية. وبالنسبة لهذا النوع الأخير من التهريب الحربي يجب تقديم الدليل على أن المواد المهربة كانت مهيأة فعلا لاستخدامها من قبل القوات العسكرية أو ادارة الدولة العدوة حتى يمكن مصادرتها. وتحتفظ الدول المحاربة عادة بحق مطلق في تحديد أنواع المواد التي تخضع للنوع الأول أو النوع الثاني من أنواع التهريب الحربي، فتصدر «قائمة بالمهربات». ولكن الواقع يجري بصورة أكثر تجاوزاً لهذه الحدود الموضوعة، فتنظيم «قائمة المهربات» سمح للدول عملياً بادخال عدد متزايد من المواد في جدول مواد التهريب المطلق، بينما لم تكن في الماضي معتبرة من هذه المواد، وأصبح كل ما عدا ذلك من مواد من قبيل التهريب النسبي، فالورق والساعات اليدوية مثلا أصبحت مذكورة على قوائم التهريب لدى بعض الدول خلال الحرب العالمية الأخيرة.

وهناك بعض الافتراضات القانونية التي تتمسك بها في حالات التهريب الحربي والتي تلعب دوراً كبيراً في تطبيق قواعده نذكر منها ما يلي:

أ – يقضي تصريح لندن لعام ١٩٠٩، واجتهادات محاكم الغنائم البحرية، ان ارسال بضاعة الى قاعدة حربية عدوة أو الى مكان محصن عدو أو إلى متعهد معروف بقيامه بتزويد القوات العسكرية العدوة باحتياجاتها يمكن أن يعتبر دليلا على وجود التهريب النسبي. ويعتبر مثل ذلك أيضاً عدم صحة أوراق السفينة التي تحمل البضاعة، أو إرسال البضاعة إلى بعض الموانئ الحيادية التي تستخدم بصورة عادية أو علنية كموانئ للترانزيت باتجاه الدولة العدوة، وعدم معرفة الشخص مرسل البضاعة أو الشخص المرسلة إليه البضاعة، أو وجود بضاعة تنقل ملكيتها بالأمر، أو عدم وجود وثيقة شحن، أو أن البضاعة تجاوز الحد الطبيعي لمستوردات الدولة الحيادية التي تعمل كوسيطة لدولة عدوة.

ب – تفترض المادة ٣٠ من تصريح لندن لعام ١٩٠٩، لاثبات وجود التهريب المطلق، أن سفينة حيادية محملة بمواد مهربة الى جهة عدوة، ولكنها توقفت في مرفأ حيادي، يمكن أن تصادر حين خروجها من هذا المرفأ اذا كان هذا التوقف ضمن خط سيرها المعتاد، وعندئذ تخضع المواد المنقولة على هذه السفينة لأحكام التهريب المطلق. وقد نصت التعليمات الفرنسية الصادرة في العام ١٩٦٤ على هذا المبدأ بقولها: «ان السفينة التي تحمل بضاعة مهربة يمكنكم مصادرتها أو الاستيلاء عليها خلال كل مراحل سفرتها حتى لو كانت لديها النية بالتوجه الى مرفأ للتوقف الموقت قبل وصولها الى الجهة العدوة».

ج – ان جميع البضائع الأخرى الموجودة في سفينة محملة بمواد مهربة تصادر اذا كان المالك واحداً.

د – يمكن الاستيلاء على السفينة نفسها اذا كانت البضائع المهربة تشكل بحسب قيمتها أو وزنها و حجمها أو نفقات شحنها أكثر من نصف الحمولة.

وكانت القواعد التقليدية تقضي بأن الاستيلاء على سفينة تنقل أسلحة مهربة (أو ما في حكمها) لا يمكن أن يقع إلا خلال عملية النقل نفسها، بحيث لا يمكن التدخل أثناء عودة السفينة من رحلتها إلا في حالة الغش فقط. ثم جاءت التعليمات البحرية الفرنسية الصادرة في العام ١٩٦٤ فأكدت من جديد أنه «لا يمكن الاستيلاء على سفينة بسبب نقلها لأسلحة مهربة سبق أن نفذ وانتهى تنفيذه». ولكنها تشددت في مسألة الغش، ونصت على أنه «اذا ثبت أن النقل ترافق مع أفعال الغش كاستعمال أوراق مزيفة أو وقوع نوع من أنواع الاحتيال في تحديد المكان المقصود للشحنة، فإن السفينة التي نفذت النقل يمكن أن يجري الاستيلاء عليها وذلك خلال سنة اعتباراً من تاريخ النقل المشبوه».

ان المواد والسفن المصادرة وفقاً للقواعد المتعلقة بالتهريب الحربي تعتبر من قبيل الغنائم الحربية، وتخضع لمبادئ الاستيلاء على الغنائم.

(١٤) توابع

مجموعة القطع الملحقة بالسلاح والمستخدمة للحمل (حمالة) أو التغطية (غطاء الفوهة، غطاء المغلاق) أو التنظيف والصيانة (سيخ تنظيف، فرشاة، علبة زيت). وتكون توابع الاسلحة الثقيلة في حقائب خاصة، أما توابع الاسلحة الخفيفة فتكون مثبتة على السلاح أو موضوعة في تجويف خاص داخل أخمصه، أو محفوظة في علبة صغيرة تكون داخل جعبة الذخيرة.

(١) توازن الاسلحة

هو تأمين نسبه متوازنة من اسلحة النار واسلحة الصدمة واسلحة النار والصدمة داخل تشكيلة معينة أو داخل القوات المسلحة بحيث تكون قادرة على تنفيذ المهمات القتالية التي تكلف بها بنجاح.

ويعتبر تأمين توازن الأسلحة جزءاً من مهمات التنظيم العسكري. وهو ينبع من عاملين:
١ – اختلاف قدرات الاسلحة والمعدات القتالية،
٢ – اختلاف طبيعة الاعمال القتالية ومتطلباتها.
ومن المعروف أن الأسلحة تملك قدرات متباينة، وتقسم الاسلحة اليوم الى: اسلحة النار (المدفعية، والهاونات، والصواريخ، والطيران) واسلحة النار والصدمة (الدبابات والمشاة الآلية). واسلحة الصدمة (القوات المحمولة جواً). وكان التقسيم حتى القرن الثامن عشر يوزع الاسلحة الى: اسلحة نار (المدفعية)، واسلحة الصدمة (الخيالة)، واسلحة النار والصدمة (المشاة). واذا كان الهجوم الحديث يتطلب مزيجاً من النار والصدمة مع التركيز على الصدمة، فان الدفاع الحديث يتطلب مزيجاً مشابهاً مع التركيز على النار. وليس من الممكن خلق تشكيلة تضم اسلحة النار واسلحة الصدمة بكميات تسمح لها بأن تنفذ جميع المهمات وفي كل الظروف، لأن مثل هذه التشكيلة تكون ثقيلة الحركة باهظة التكاليف. ولهذا كان من الضروري خلق التشكيلة المتوازنة، أي التشكيلة التي تؤمن الاسلحة التي تضمها النار والصدمة، ضمن النسب المطلوبة لمهمة محددة. وهذا هو المبدأ الذي بنيت عليه فكرة الجمهرات (انظر الجمهرة) التي لا تضم قطعات مشكلة مسبقاً مع اسلحتها العضوية، ولكنها تضم قطعات تشكل خلال القتال، وتعزز بالوسائط الملائمة لمهمة معينة.

وبالاضافة إلى توازن النار والصدمة، فان من الضروري أن يؤمن توازن الاسلحة داخل التشكيلة توازناً بين السيف والدرع، أي بين القوة الضاربة والقوة اللازمة لحماية القوة الضاربة. فاذا كان السيف قوياً والدرع ضعيفة تعرض السيف للوقوع في الكمائن دون أن يكون لديه الحماية الكافية، واذا كانت الدرع أقوى من السيف ازدادت الحماية وخفت قوة الضربة. وهكذا يمكن القول أن توازن الاسلحة مؤمن في تشكيلة معينة، إذا كانت مختلف الاسلحة موجودة داخل هذه التشكيلة بنسب تؤمن النار والصدمة اللازمتين لمهمة معينة (خلال زمن محدد ومكان محدد)، كما تؤمن حماية السيف بالدرع دون أن يؤدي ثقل الدرع المفرط إلى إبطاء حركة السيف وتخفيف اندفاعه.

(٩) توازن القوى

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١) توازن التشكيلة

تأخذ القوات المهاجمة أو المدافعة تشكيلة تضمن الاستخدام الجيد للوسائط في سبيل تحقيق المهمة. ويلعب في حدود توازن التشكيلة ثلاثة عوامل: فكرة القائد، والمهمة، ورد فعل العدو المنتظر. ويتوخى التوازن في العمليات الهجومية، توزيع القوات المهاجمة على انساق الهجوم، وانساق الاحتياط، والقوات التي تبقى في قاعدة الانطلاق، بحيث تملك انساق الهجوم القدرة النارية وقدرة الصدمة الكافيتين لخرق دفاع العدو، وصد الهجمات المعاكسة المحدودة، وبحيث تكون أنساق الاحتياط قادرة على تطوير الهجوم الناجح وقلبه إلى مطاردة، وصد الهجمات المعاكسة المعادية العملياتية أو الاستراتيجية، واحتلال الأرض والتشبث بها عند اللزوم، وبحيث تكون القوات الباقية مؤقتاً في قاعدة الانطلاق قادرة على استقبال انساق الهجوم، وحمايتها والدفاع عن قاعدة الانطلاق نفسها إذا ما ضغط العدو على هذه الانساق واجبرها على التراجع. ويؤدي اختلال توازن التشكيلة الهجومية إلى ضعف الصدمة الأولى – إذا كان حجم الانساق الأولى أقل مما ينبغي – وإلى ضعف الهجمات المعاكسة وعدم القدرة على تطوير النجاح – اذا كان حجم القوات الاحتياطية والانساق الثانية غير كاف – وإلى تحول الهجوم إلى هزيمة في الحالة التي يستطيع العدو فيها صد انساق الهجوم والانتقال الى الهجوم المعاكس على نطاق واسع – إذا كانت القوات الباقية مؤقتاً على قاعدة الانطلاق غير كافية للدفاع.

أما في الدفاع فيتوخى التوازن توزيع القوات على الانساق الدفاعية المتعاقبة، والقوات الاحتياطية المتحركة، بحيث تضمن التشكيلة الدفاعية صد العدو، ومنعه من الاستيلاء على الأرض، وتكبيده خسائر تمنعه من متابعة الهجوم، وصد قواته التي تستطيع التغلغل داخل الترتيب الدفاعي وتدميرها واعادة الوضع إلى ما كان عليه. ويؤدي تكثيف القوات على الخطوط الدفاعية (على حساب الاحتياط) إلى تثبيت الدفاع وقلبه إلى دفاع جامد، على حين تؤدي تقوية الاحتياط على حساب الخطوط الدفاعية، إلى منح العدو فرصة احتلال بعض الأراضي والتشبث بها وأخذ وضع دفاعي يساعده على صد الهجمات المعاكسة.

(٢) التوازن النووي

ان الخطر الدائم بالتصعيد يردع بتحويل النزاع المحدود الى مقامرة خطيرة النتائج، ويحدث التوازن النووي من خوف الخصمين من ارتكاب حماقة تؤدي الى الانتحار المتبادل، يجعل وجود السلاح النووي كعدمه. ولكن فقدان التوازن الاكيد الشامل، والحصول على قدرة ضاربة كافية، مع قدرة اكيدة على صد الضربات المعادية سيؤدي حتماً الى اندلاع حرب نووية يشنها المتفوق لإبادة خصمه بضربة سريعة مفاجئة. ان التوازن النووي يؤدي الى **العدم النووي**، وكأن هذا السلاح غير موجود. وهكذا نعود الى استراتيجية تقليدية تكلف كثيراً من النفقات، بالاضافة الى نفقات السلاح الذري الباهظة. ولا يتطلب التوازن النووي المساواة العددية في مجموع القنابل المدمرة التي يملكها كل من الفريقين المتحاربين، فمجرد احتمال وجود الحد الادنى من القنابل الهيدروجينية او الذرية كاف في حد ذاته لشل ارادة المعسكر الآخر، الا اذا قرر الطرف الأقوى تحمل الخسائر (انظر الاستقرار النووي).

(١١) التوافيق (معركة) ١٩٦٠

هي معركة جرت ليلة ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٠ بين القوات السورية والاسرائيلية، في قرية التوافيق السفلى السورية الواقعة في القطاع الجنوبي من الجبهة السورية قبالة النصف الجنوبي من بحيرة طبرية، وعلى بعد ١٣٠٠ متر من كيبوتز «بيت كاتسير» تل القصر. (أقامها الصهاينة عام ١٩٥٠ في المنطقة المجردة من السلاح).

وتعتبر معركة التوافيق استمراراً للاشتباكات المتقطعة خلال النصف الثاني من الخمسينات.

كانت الحدود السورية – الاسرائيلية في النصف الثاني من الخمسينات اكثر الحدود العربية-الاسرائيلية توتراً، نظراً لأن الاسرائيليين كانوا يحاولون خلال هذه الحقبة الاستيلاء على المناطق المجردة التي حددتها اتفاقية الهدنة (١٩٤٩) والواقعة بين الاراضي السورية والاراضي الاسرائيلية المحتلة، فتشتبك معهم المخافر الامامية السورية، ويتسع بعد ذلك نطاق الاشتباكات حتى تشمل قطاعاً كاملا من الجبهة أو تشمل الجبهة بأسرها. وكانت القوات الاسرائيلية تكتفي في بعض الاشتباكات بالرد الناري، وتقوم بعد الاشتباكات الاخرى بعمليات انتقامية تنفذها قوات تتوغل ضمن

الاراضي السورية لنصب الكمائن أو شن الاغارات . وكانت الاستراتيجية السائدة على الجانب السوري ، استراتيجية دفاعية بحتة ، بينما كانت القـوات الاسرائيلية تنفذ دفاعاً ذا طابع تعرضي . ومن الحوادث التي جرت في النصف الثاني من الخمسينات كمين تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٥ الذي نصبته قوات اسرائيلية من لواء غولاني على طريق الجمرك – علمين في القطاع الاوسط من الجبهة ، وقتل من جرائه الملازم أشرف حمدي وأحد جنوده ، وأسر الملازم ياسر الكسم وجرح عدد من الجنود السوريين . وفي ليلة ١١/١٢/١٩٥٥ قامت قوات من لواء غولاني بشن اغارة على منطقة البطيحة والمرتفعات المطلة على بحيرة طبريا من الشرق،وهاجمت الحاصل والمسعدية والدوكا والكرسي ونقيب وسكوفيا ، والحقت خسائر كبيرة في كتيبة المشاة السورية التي كانت تشغل هذه المواقع . وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٥٧ وقع اشتباك بين اهالي قرية التوافيق وجماعة اسرائيلية مسلحة تقوم بمسح الاراضي في المنطقة المجردة لحفر قناة للري عبر التوافيق السفلى ، ونجم عن ذلك قتل وجرح عدد من الاسرائيليين ، وقد أدى ذلك الاشتباك الى تخلي الاسرائيليين عن خططهم في حفر القناة عبر البلدة ولكنهم سرعان ما بدأوا العمل بجد لحفر قناة بديلة الى الغرب من القرية مخترقة الاراضي العربية التابعة للقرية ، وتدخلت القوات التابعة للامم المتحدة ، التي اوفدت فريقاً مساحاً أفاد في تقرير عرض فيما بعد على الجانب السوري « ... ان القناة لن تلحق ضرراً بالاراضي العربية..» . ولكن الاسرائيليين ابتدأوا يعتبرون القنـاة حدوداً جديدة ويضيقون على الفلاحين العرب الذين دأبوا على عبور القناة لحراثة وزراعة ارضهم غربها ، وكان طبيعياً أن يصطحب أولئك الفلاحون بنادقهم للدفاع عن انفسهم تجاه عمليات الارهاب المتواصلة من قبل العدو الصهيوني .

استمرت خلال ذلك الاشتباكات الحدودية في مختلف القطاعات . ففي ٣٠ و ٣١ آذار (مارس) ١٩٥٨ وقع اشتباك بالنيران بين القوات السورية والقوات الاسرائيلية شمل القطاع الاوسط بأكمله ، واشتركت فيه من الطرفين المدفعية والهاونات والرشاشات ومدافع الدبابات ، وكانت الاسلحة الاسرائيلية ترمي على المواقع والقرى السوريـة بينما ترمي الاسلحة السورية على تجمعات القوات الاسرائيلية وعـلى المستوطنات الاسرائيلية . وفي ٦/١١/١٩٥٨ حصل اشتباك مماثل في منطقة مزرعة الخوري (القطاع الاوسط) . وفي ٣/١٢/١٩٥٨ حصـل اشتباك في منطقة الدرباشية (القطاع الشمالي) . وكانت خسائر الاسرائيليين في جميع هذه الاشتباكات ، والاشتباكات المحدودة الأخرى (عدا الاغارت) اكبر من خسائر السوريين . ويرجع ذلك الى سببين : ١ – الارض التي تسمح للاسلحة السورية المتمركزة على سفح هضبة الجولان الغربية بالتحكم بقوات العدو التي تحتشد في ارض منبسطة ، ٢ – وجـود القوات الاسرائيلية في مناطق مكشوفة ، وكثافة المستوطنات الواقعة في مدى نيران الاسلحة السورية .

ومع اواخر عام ١٩٥٩ بدأت حالة التوتر تزداد نتيجة للاستفزازات الاسرائيلية ، فقد حاول هؤلاء حفر قناة ثانية ولكن القوات السورية حالت بينهم وبين حفر القناة في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٩ . وفي ٢٤/١٢/١٩٥٩ ، اطلق سكان قرية التوافيق نيرانهم على قوات بوليس الحـدود الاسرائيلي . واستمر الاشتباك مدة اربع ساعات بالاسلحة الفردية أدى الى مقتل شرطي يهودي ، وجرح قروي عربي . وبدأت الاشتباكات تأخذ طابع التصعيد ، واستنفرت الجهة ، واخليت القرية من المدنيين استعداداً لمعركة متوقعة ، وفي ٢٩ – ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٠ كانت التحشدات في تزايد مستمر ، حتى كانت ليلة ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٠ ، حين شعرت الكمائن السورية بحركة تقدم اسرائيلية باتجاه قرية التوافيق ، وقد فتحت القوات السورية النيران عليها . وكانت القوات الاسرائيلية المتقدمة تحت ستار كثيف من المدفعية الاسرائيلية نحو قرية التوافيق تقدر بسرية ذات رأس (طليعة) تعداده (٣٠ – ٤٠) جندياً . وسرعان ما اتسع هذا الاشتباك العنيف ليشمل خط المواجهة في الجبهة الجنوبية كاملا . وقد استطاعت القوات السورية أن تجبر القوات الاسرائيلية المغيرة على قرية التوافيق الى التراجع الى مواقع انطلاقها داخل الاراضي المحتلة ، ونتيجة للضغط الذي واجهته القوات الاسرائيلية فقد حاولت التخفيف بتوجيه مدفعيتها للقرى العربية شمل كلا من سكوفيا وفيق وكفر حارب ومزرعة عز الدين . وقد ردت القوات السورية على ذلك بتركيز نيران مدفعيتها عـلى المستعمرات الاسرائيلية في الجهة المقابلة ، وقد انتهت هذه المعركة مع حلول الفجر . وفي صبيحة اليوم التالي حاولت اربع طائرات (ميستير) معادية اختراق المجال الجوي العربي ، فتصدت لها اربع طائرات ميغ ١٧ واشتركت في معركة مع طائرات العدو استطاعت بها اسقاط طائرة معادية ، دون أية خسائر عربية مقابلة .

لقد هدفت القوات الصهيونية من وراء عمليتها إلى توسيع رقعة حدودها بالاستيلاء عـلى الاراضي الزراعية في التوافيق ، واحتلال تلال التوافيق المتحكمة بمستعمرة (بيت كتسير) تل القصر ، أو تحييدها على الاقل وذلك بمنع الحياة فيها ، إذ اقدم الجنود الصهاينة على نسف معظم منازل البلدة السفلى فقط حيث انهم لم يستطيعوا الوصول الى القسم العلوي من البلدة نتيجة ردع الدفاع لهم . ومهما يكن من أمر ، فان هذه المعركة لم تستطع تحقيق اهداف العدو ، إذ سرعان ما عادت الحياة الى قرية التوافيق رغم كل المحاولات الارهابية الاسرائيلية ، كذلك بقيت القوات السورية ، ومرابض المدفعية متحكمة من مواقعها في سفوح التلال الغربية ، بكافـة المستعمرات المواجهة ، الى أن كان عدوان الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ، إذ سقطت هذه المنطقة كغيرها من مناطق الجولان بيد القوات الاسرائيلية .

(١١) التوباماروس

تقع الأورغواي بين البرازيل شمالا ، ومصب لابلاتا والمحيط الأطلسي جنوباً ، والأرجنتين غرباً ، والمحيط الأطلسي شرقاً . وتقدر مساحتها بـ ١١٧,٥٠٨ كيلومتر مربع ، وهي بذلك أصغر دولة مستقلة سياسياً في اميركا ، وتفتقر للجبال والغابات ، مما يجعل حرب العصابات التقليدية فيها أمراً صعباً . أما سكانها فيبلغ عددهم حوالي ثلاثة ملايين نسمة ، معظمهم من أصل أوروبي .

وقد تعرضت اقتصاديات الأورغواي للتدهور بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، فتفشت الأمراض ، وارتفعت نسبة الوفيات ، وسادت البطالة ، وخاصة بعد أن تمادت العائلات الاقطاعية التي تملك ثلث الأراضي الصالحة للزراعة ، في إهمال أقسام كبيرة من تلك الأراضي ، الأمر الذي ساهم في إبقاء الشعب في حالة فقر مدقع .

ويعتمد إقتصاد الأورغواي بشكل رئيسي على تربية المواشي والزراعة والتجارة . وبسبب العجز الدائم في ميزان المدفوعات فان الأورغواي تزداد تبعيتها للدول الأمبريالية لا سيما الولايات المتحدة عاماً بعد عام ، في محاولة لتخطي الأزمات الاقتصادية المتلاحقة .

ويظهر النفوذ الأميركي في الأورغواي على ثلاثة أصعدة : **١ – الصعيد الاقتصادي :** (مساعدات ، ونشاط مصرفي استغلالي كبير) ، **٢ – الصعيد الثقافي :** (السيطرة على وسائل الإعـلام ، وخلق

« نقابات » عميلة) ، **٣ – الصعيد العسكري :** (دعم أعمال القمع ، ونشاط واسع لوكالة الاستخبارات المركزية) . وتمثل السفارة الأميركية في الأورغواي قلعة حصينة (كلف بناؤها اكثر من ٣ ملايين دولار وفيها مطار وثكنة عسكرية) تدار من داخلها عمليات السيطرة تدريجياً على البلاد ، عن طريق المساعدات المشروطة والتدخل في أدق القضايا الداخلية.

وليس الاستعمار بالأمر الجديد على الأورغواي ، فقد تعرضت للغزو الأجنبي منذ عام ١٥١٦ . وظلت السيطرة فيها تنتقل من أيدي البرتغاليين إلى أيدي الاسبان ، الى أيدي الانكليز ، فالاسبان مرة أخرى ، مما أدى الى تناقص واضح في عدد السكان الاصليين الذين أبوا أن تستباح أرضهم وتداس كرامتهم فهبوا للدفاع عنها ضد المستعمرين ، وسقط منهم عدد كبير في معارك التحرر والثورات التي لم تخمد إلا لتستعر من جديد . وكانت أبرزها ثورة عام ١٨١١ التي استمرت تسع سنوات كاملة ، ولم تخمد إلا بعد فرار قائدها (خوسيه أرتيغاس Artigas) . ثم ثار الشعب عام ١٨٢٥ ضد البرازيليين الذين كانوا آخر الغزاة وأجبروا على ترك البلاد ، ومنحها الاستقلال عام ١٨٢٨ .

وتردت الأوضاع المعيشية بعد الاستقلال من سيء الى أسوأ ، فازدادت المطالب الشعبية ، إلا أن الحكام أصموا آذانهم عنها واتبعوا سياسة قمعية ضد الوطنيين ، مما دفع الثوريين الى انتهاج طريق اكثر جدوى واكبر فعالية من الطرق السلمية للكفاح ، والتي اتبعتها الاحزاب اليسارية والنقابات . وقد تغلب الثوريون على مشكلة انعدام الغابات والجبال في البلاد باتباع اسلوب جديد في حرب العصابات المدينية ، فاعتبروا المدينة هي الغابة ، والجماهير بمثابة الجبل .

وتعتبر حركة التحرر الوطني في الاو رغواي ، والتي يطلق عليها اختصاراً اسم « التوباماروس » (نسبة الى اسم « توباك امـــارو » Tupac Amaro قائد الانتفاضة الكبرى التي قام بها السكان المحليون في القرن الثامن عشر) ، حركة ثورية تجاوزت ما كان يبدو مستحيلا أمام اليسار التقليدي هناك ، وتصدت للنظام في أقوى مواقعه واكثرها طواعية لتحركه ضمن العاصمة نفسهـــا « مونتفيديو » Montovidio ، التي تضـــم حوالي نصف سكان البلاد ، وتمكنت من أن تفرض عليه العجز وتلحق به الهزيمة في أكثر من مجابهة ، رغم عدم التكافؤ بينهما في العدد والعدة .

وقد فهمت حركة « التوباماروس » منذ البداية أن حرب العصابات في المدن هي حرب سياسية ، وهذا ما يتطلب دقة في التخطيط ، مع مراعاة الظروف الاجتماعية المناسبة عند التنفيذ ، حتى لا تنقلب العملية ضد الأهداف المنشودة من ورائها . وهذا يعني أن اختيار الوسائل التكتيكية في حرب العصابات المدينية يرتبط بالزمان والمكان ، ويمكن أن يرتدي عدة أشكال تؤدي كلها بالنهاية الى إضعاف العدو ، لا بالقضاء على قواه الحية فقط ، وانما بإضعاف معنوياته وتسريب اليأس الى نفسه . وقد طبقت التوباماروس في الأورغواي وسائل تكتيكية مختلفة لتحقيق أهدافها وكان من بينها :

أ) تخريب المنشآت العسكريـــة ، والمصالح الرأسمالية أو الحكومية ، بحيث لا يتأثر الشعب كثيراً نتيجة لمثل هذه الأعمال .

ب) مهاجمة قوات القمع ، أو نصب الكمائن لها للتأثير عليها نفسياً ، وجعلها تتساءل عن حقيقة دورها وعما إذا كانت الحكومة تستحق أن يضحي المرء في سبيلها أم لا ، مما يخلق حركة اضطراب في صفوف القوات المسلحة ، تتخذ أشكالا مختلفة مثل : المطالبة الجماعية بزيادة الرواتب ، ورفض إطاعة بعض الأوامر ، أو تطبيق مبدأ الإطاعة المشروطة ، الأمر الذي يؤدي الى انعدام الثقة بين القيادة والأفراد .

ج) القيام بالأعمال الانتقامية : وهي بمثابـــة رد فعل على ظلم لحق بالثوار المعتقلين . ويمكن للأعمال الانتقامية أن تحقق عدة أغراض أساسية ، كتخفيف الضغط عن المعتقلين ، أو الإفراج عنهم – كما حدث أكثر من مرة – ومعاقبة الشرطة والجيش وشهود الزور وممثلي الحكومة بسبب اجراءاتهم المعادية للمجتمع ، مما يكسب هذه الأعمال تأييداً جماهيرياً واسعاً .

د) إلقاء المتفجرات : وهذا النمط من العمليات لم تكن تلجأ اليه حركة التوباماروس إلا مضطرة ، لاعتقادها بأنه لا يؤدي الى نتائج سياسية لصالح حرب العصابات إلا بصعوبة ، ذلك أن القنابل الموقوتة يمكن أن تصيب في مكان الحادث ضحايا بريئة من الشعب نفسه .

هـ) الاحتجاز والسجن الثوري : وهذا الاسلوب ذو تأثير إيجابي مباشر ، لأن احتجاز أعضاء الحكومة ، أو سفراء الدول الاجنبية ، او الاشخاص ذوي النفوذ العام في البلاد يؤدي الى الحفاظ على حياة السجناء السياسيين وتخفيف الظلم اللاحق بهم . بالإضافة الى أن عمليات الاحتجاز تؤدي الى خلق تشتت واسع لقوات القمع التي يتوجب عليها ، في هذه الحالة ، أن تسهر على كل واحد من الاشخاص الذين يمكن أن يستهدفهم العمل الثوري . وقد اتضح من خلال الممارسة أن السجن الثوري – الذي يمكن اعتباره شكلا من أشكال الانتقام – يعتبر وسيلة أكثر فعالية من غيرها في إفشال مخططات الحكومة .

و) احتلال المنازل (عمليات المداهمة) : ويشكل هذا الاسلوب التكتيكي أحد أشكال الإنهاك الرئيسية ، إذ أنه ينقل الحرب الى منازل اركان الحكومة ، مما يضطرهم الى العيش في قلق دائم ، فتتقيد حرية حركتهم داخل بيوتهم ، ويتبين لهم أن في البلاد سلطة موازية لسلطتهم ، أنشأتها قوة عسكرية تسهر على معاقبة الذين ينفذون الأعمال السيئة ، أو الذين يدفعونهم لتنفيذها .

ز) عمليات التموين والتسليح : لقـــد رأت التوباماروس أن حرب العصابات في المدن تحتاج الى أبنية تحتية متينة ودائمة التجدد اكثر بكثير من حرب عصابات الريف ، إذ عليها أن تؤمن المراكز ، والأدوات التقنية والتجهيزات الضرورية لتسهيل القيام بعملياتها . أما فيما يتعلق بالتسلح فان الحركة تلجأ للتزود بالسلاح من العدو عن طريق الكمائن واقتحام المخافر ومراكز الشرطة . كذلك فان أعمال السطو على البنوك تعتبر مشروعة لتمويل حرب العصابات في هذه الحالة .

ح) عمليات الدعاية المسلحة : لا شك في أن أفضل وسيلـــة لشرح دوافع حرب العصابات هي العمليات المسلحة نفسها . وتلجأ التوباماروس بين الفترة والأخرى لاعتماد وسائل أخرى كالصحف ، والمنشورات والبيانات ، بالاضافة الى احتلال المعامل وعقد اجتماع للعمال فيها ، وكذلك احتلال دور السينما وعرض البيانات الثورية على الشاشة ، او إذاعتها بواسطة مكبرات الصوت .

وليست عضوية حركة التوباماروس متوقفة على الذكور ، إذ تلعب المرأة في الأورغواي دوراً أساسياً في العمليات العسكرية الثورية ، بعد أن تمكنت من تخطي الكثير من الصعوبات التقليدية المتوارثة ، وقد أدت المرأة للحركة كثيراً من الخدمات التي لا يتسنى للرجل القيام بها ، مثل التجسس واستطلاع مراكز العدو وتنظيم الاتصال بالأنصار . هـــذا بالإضافة الى أن المرأة ، بمجرد حضورها ، هي دائماً عنصر أساسي في الوحدة والتفاهم بين الثوار .

ومن أبرز العمليـــات التي نفذتها حركة التوباماروس منذ انطلاقها : عملية ايتاكومبو ١٩٦٢ ، وعملية نادي الرماية السويسري ١٩٦٣ ، وعملية

كانتغريلس في العام ذاته ، وعملية مصرف لاكاجا اوبريرا (فرع الاورغواي) في آب (اغسطس) ١٩٦٦ ، وعشرات غيرها من العمليات التي تمكنت الحركة من تنفيذها بفعالية .

والملفت للنظر بالنسبة للتوباماروس هو أنها ظلت عدة سنوات تعمل كمنظمة سرية دون أن تنشر أي تصريح مبدئي ، او بيان علني (ما عدا التعاميم الداخلية ، والتقارير التي تخبر عن نشاطات الأركان) ، على حين أن أول نص مشهور يعبر عن فكرة الحركة ظهر في حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٨ ، دون توقيع شخصي ، بعنوان **« الأجوبة المختصرة على ثلاثين سؤالا محرجاً الى التوباماروس »** . وهذا الصمت من قبل الحركة يؤكد على أنها تؤمن بأن الأفعال أبلغ تأثيراً في النفوس من الأقوال . وقد أصبح معروفاً أن السمة المميزة للتوباماروس هي السرية التامة في الأسماء ، ولكن هذا لا يعني أن الحركة تنظيم إرهابي لا إنساني ، وانما هي من الداخل عائلة كبيرة ، ليس لها « أب » معروف ، ولكنها تتكون من « إخوة » مترابطين ، لا فوارق بينهم إلا بمقدار خدمتهم واخلاصهم للحركة ومبادئها . ولم تعرف الحركة ، في تاريخها السري والعلني ، زعماء لا يمكن أن يحل أحد محلهم ، ولا ضربات عبقرية او فرديات نابغة ، وانما هناك تضامن لا بديل عنه يجمع الكل بالكل .

إن عضو التوباماروس هو نقيض البطل ، إذ أن البطل الوحيد هو المنظمة ، أي الشعب . ومن هنا فان مفهوم الحياة ، عند التوباماروس ، يقاس بمفهوم معين للموت . والطريقة البسيطة الخالية من التعظيم ، وشبه الودية ، التي تكرم بها الحركة ذكرى مناضليها الذين سقطوا في المعركة او أردتهم أجهزة القمع ، تدل على مفهوم جديد للوجود الثوري . **« ليس الموت سمواً بطولياً ولا تجلياً ، بل هو حادث عمل يجب أن نعرف كيف نجابهه في كل لحظة ، ولكن أيضاً أن نتفاداه ونحتاط له بقدر الإمكان »** .

ولا تحاول التوباماروس أن تخلق بين الشعب صورة فرد مثالي ، مطلق ، قدوة فريدة يجب التشبه بها ، بل صورة طليعة مسؤولة جماعياً عن أعمالها ، وتشكل مثلا أعلى رغم الجهل المطبق المحيط بأسماء أعضائها ، وذات سلطة معنوية وسياسية خاصة بها بمنأى عن كل حادث يجري ، وغير مرهونة بالمصير اللاحق بهذا الفرد او ذاك . فالتوباماروس حركة بدون رأس يمكن قطعه ، حركة لا يتركز تمثيلها السياسي والرمزي في نقطة معينة من الجهاز يمكن التعرف اليها عاجلا أم آجلا ، بل إن بامكان كل جزء من هذا الجهاز أن يقوم ، إذا دعت الحاجة ، بتمثيل الحركة وبممارسة خطها العام بقواه وحدها ، ولكن لمصلحة الجميع .

وتضم التوباماروس أرتال مقاتلة (Columnas) مترابطة ببعضها البعض بشكل يجعل تدميرها كلها دفعة واحدة أمراً مستحيلا . أما تدمير تشكيل واحد ، أو عدة تشكيلات منها ، فلا يؤدي الى مضاعفات او يؤثر في وسائل عمل الأخرى . هناك جهاز كثيف ومتشعب ، بطريقة يعمل فيها بشكل مستقل عن الأجزاء ، بالقدر نفسه الذي تكون فيه هذه الأجزاء مستقلة عن بعضها البعض ، وبذلك يكون (الكل) أعلى من مجموع أجزائه . ولا شك في أن الوصول الى مثل هذا التنظيم الحديدي لم يوجد فجأة ، وانما كان في الأساس فكرة ، إلا أن هذه الفكرة — عندما تبلورت — تجسدت في عملية طويلة مليئة بالتجارب والحوادث والمحاولات والأخطاء والتصحيحات والتحسينات . وهذا الخط التنظيمي المتصاعد ، قد عرف ما بين ١٩٦٤ و ١٩٦٩ منعطفات مفاجئة وقفزات نوعية الى الأمام تخللتها تراجعات مؤقتة . لقد كان على هذه الحركة أن تجتاز في بدايتها مطبات خطرة ، وممرات ضيقة حيث كان مصيرها معلقاً بخيط رفيع ، بحفنة من الرفاق المعزولين في بيت سري .

ومما زاد في تماسك حركة التوباماروس أنها وجدت في الواقع حلا عملياً للتناقضات المعهودة وصعوبات التنظيم السري ، وذلك عن طريق التوفيق بين أشياء تتناقض وتتنافى ، كان الكثير من الحركات الثورية يقف أمامها عاجزاً . وفيما يلي أهم السمات المتناقضة التي قامت الحركة بالجمع فيما بينها ، أو بالأحرى بترتيبها وتنظيمها :

أ) تماسك ايديولوجي وتنوع في المناضلين : في البدء كانت الحركة عبارة عن فسيفساء من الايديولوجيات المتباينة ، فقد كان الفوضويون والتروتسكيون والقوميون والماويون يتعايشون حول نواة من المناضلين الوافدين من الحزب الاشتراكي ، والمتأثرين كثيراً بالثورة الكوبية . وكان كل واحد ما زال مشدوداً الى منظمته الأم برباط وثيق ، مما ينذر بوقوع العداوات الشخصية والنزاعات الفئوية والانشقاقات ، إلا أن شيئاً من ذلك لم يحدث ، إذ أن انطلاقة العمل قد تكفلت بامتصاص الاختلافات الايديولوجية . وهكذا استطاعت المنظمة أن تصهر في بوتقتها الثورية مناضلين ذوي اتجاهات اجتماعية وسياسية مختلفة : ماركسيين وكاثوليك ، نقابيين وطلاباً ، مستخدمين وعمالا زراعيين ، عسكريين ومدنيين ، دون أن يؤثر ذلك على متانة بنيتها التنظيمية .

ب) تجانس عضوي وتقسيمات داخلية مغلقة الى أقصى حد : ضمن حركة التوباماروس تتداخل الوحدة في التوجيه وفي القيادة ، بالتقسيم التنظيمي المغلق للتشكيلات المقاتلة . واللجوء الى هذا النمط من تقسيم المنظمة الى وحدات (منطقية) مستقلة ذاتياً ، وليس مجرد قاعدة فردية في السلوك ، أو قانون يسير المنظمة بشكل عام (وهذا كله يشكل قاعدة ذهبية في حرب عصابات المدينية ، بل هو يدخل ضمن التركيب العضوي للحركة ، ففي داخل كل Columna توجد وحدة (منطقية) مستقلة (Comportimentation) مؤلفة من خلايا . وفي داخل كل خلية توجد وحدة مستقلة مؤلفة من المقاتلين . وفي داخل الحركة توجد وحدة مستقلة من الأرتال منظمة ضمن بعضها البعض ، ويملك كل رتل جهاز قيادته الخاص به ، وخدماته وبنيته التحتية واتصالاته ومجموعات عمله ، ويجهل كل شيء عن الأرتال الأخرى . وهكذا فان كل عضو أو قطاع أو مستوى من الحركة يخضع لقانون تنظيمي يحدد له دوره ومكانه ضمن (كل) واضح التقاسيم .

ج) هرمية عسكرية وديمقراطية سياسية : إن التوباماروس بصفتها منظمة عسكرية تخضع لقانون العلاقات الهرمية ، فكل جهاز يتبع بصرامة الجهاز الأعلى منه مباشرة . كما أن قرارات الهيئات القيادية تأخذ طابعاً إلزامياً ، وعدم تنفيذها يؤدي — كما في أي جيش — الى عقوبات . إلا أنها بصفتها منظمة سياسية ، فان الديمقراطية الاكثر شمولا تسيّر الحياة الداخلية للحركة ، فتعمل عندئذ أفقياً ، او من أسفل الى أعلى ، تماماً كما كان الحال في بنية الحزب الشيوعي في بداياته . وقد أثبتت التجارب بأن هذه الديمقراطية الداخلية الخارقة للعادة ، إنما ينظمها رسمياً وبدقة **قانون الحركة** ، وهي ليست عدوة الفعالية في العمليات ، ولكنها شرط من شروطها وضمانة من أكثر ضماناتها أماناً . وهي تؤمن ظاهرتي عافية بالنسبة للتنظيم هما : **الصحة السياسية والأخلاقية للحركة ، أي قدرتها على تخطي التوترات** والاختلافات الداخلية بدون أزمات خطيرة او انشقاقات . **واستمرارية القيادة القائمة ، نوعاً ما ، على تواجدها في كل مكان في وقت واحد .**

د) مركزية استراتيجية واستقلال ذاتي تكتيكي : وهذا الأمر يتيح لكل قطاع أن يعمل وحده ويتخذ

القرارات التكتيكية التي تفرضها عليه الظروف. أما بالنسبة للعمليات الكبيرة، فينبغي أن تستشار القيادة، وتؤخذ موافقتها المسبقة عليها، إذا لم تكن هي التي خططتها أو أوعزت بها.

هـ) انغلاق المنظمة الشديد واستعمال اوسع قاعدة مساندة: إن القوة الذاتية لأية منظمة لا تنفصل في الواقع عن قوة محيطها، رغم أنها غير مرتبطة عضوياً بها. أي أن القاعدة المساندة لا تلعب دورها الاعتيادي كقوة دعم ثانوية، ولكنها تشكل جزءاً لا يتجزأ مما يمكننا أن نسميه بخط الدفاع عن القلعة المركزية، أي عن المنظمة. وهنا تكمن مأثرة أعضاء التوباماروس لأنهم تمكنوا من العيش بنجاح في الوسط السياسي والاجتماعي المحيط بهم، دون أن ينكشفوا أمامه أو أن يرفعوا السدود التي تمنعه بشدة من الدخول في جهاز المنظمة نفسها. إن المحيط المقسم والمنظم بشكل حلقات دائرية من المجندين والمتعاطفين والمتعاونين والأصدقاء والحلفاء المؤقتين الذين تحتاجهم المنظمة، يشكل أطراً تحمي المنظمة وتغذيها بآن واحد. وتكون بمثابة خطوط دفاعية وتموينية بالنسبة إليها. وهكذا تستطيع الحركة أن تؤمن لنفسها الاتصال بأوسع الجماهير الشعبية، وكسبها إلى جانبها، مما يحطم الحصار الذي تفرضه السلطة القمعية من خلال الصمت والرقابة والافتراءات، ويحول التعاطف والتأييد الى تعاون منظم ومستمر، ويؤمن للحركة عدة فوائد كاستعمال أكبر عدد ممكن من العناصر الخارجية ذات الكفاءات المتخصصة دون أن يؤدي ذلك الى تخفيض المستوى النوعي للمنظمة نفسها، والتصرف بمورد دائم يغذي المنظمة بالمتطوعين الجدد من خلال العناصر الخارجية المحيطة بها، بعد أن تلجأ الى عملية غربلة دقيقة، وإنشاء جهاز فعال للمخابرات والاستعلامات ليغطي كل قطاعات العدو.

ولقد وصلت التوباماروس الى درجة من التنظيم، لا تستطيع معها، حتى أعنف الضربات، أن تعرض وجودها للخطر. وهي مهما تكبدت من خسائر، فان الأفواج التي تنضم الى صفوفها، تظل قادرة على تغطية العجز، وهذا ما أكدته عملية «بونتا كارتياس» التي أعادت أكثر من مائة قيادي ومقاتل، دفعة واحدة، الى مواقعهم السابقة، وذلك بتهريبهم من مكان محتل ومحاط بالأسلاك الشائكة، على مرأى من قوات الجيش والشرطة التابعة للنظام. ومن هنا يمكن تفسير التصريح الذي أدلت به التوباماروس سنة ١٩٦٩، دون استخفاف او غرور والذي قالت به: «لم يعد من الممكن تدميرنا».

ولا تزال منظمة التوباماروس قائمة في الأورغواي حتى اليوم (١٩٧٤)، وإن كانت عملياتها العسكرية قد خفت بسبب أوضاعها الداخلية، وعنف هجمة أجهزة القمع عليها.

(١٢) توبوليف (اندريه نيقولاييفيتش)

جنرال روسي (١٨٨٨ – ١٩٧٢)، من أبرز الرواد في اكبر مؤسسة للعلوم الايروديناميكية في موسكو منذ تأسيسها في العام ١٩٢٩، ومن ابرع مهندسي الطائرات الحربية والمدنية في قسم هندسة هياكل الطائرات والخدمات التقنية التابع لسلاح الطيران السوفياتي.

صمم اندريه نيقولاييفيتش توبوليف Tupolev Andrei (Nikolaevich) اول طائرة نفاثة، واول طائرة مروحية توربينية للنقل، واول قاذفة قنابل اسرع من الصوت. وحملت كل طائرة من تصميمه اول حرفين من اسمه. وهو عميد مصممي الطائرات السوفيات، وعضو دائم في اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي. وكان توبوليف في الخامسة والثلاثين من عمره حين بدأ بوضع التصاميم لبناء طائرات حربية ومدنية. ووضع تصاميم لاكثر من ٣٠ نوعاً من الطائرات باستثناء طائرات الهليكوبتر. وكان اول تصميم وضعه لطائرة مقاتلة بمحرك واحد. إلا أنه توصل في النهاية الى تصميم قاذفات قنابل نفاثة وطائرات عابرة للقارات بستة محركات. ولقد ضرب تصميمه الاخير هذا رقماً قياسياً باعتباره من اكثر الطائرات التي صنعت في ذلك الحين سعة وضخامة وسرعة. ويعتبر توبوليف من المواطنين السوفيات الذين منحوا اكبر عدد من الاوسمة، اذ نال ثلاث مرات وسام ستالين، ومرتين وسام لينين، وثلاث مرات وسام بطل الاتحاد السوفياتي.

ولد توبوليف في قرية بستومازوفو التي كانت سابقاً مقاطعة تفير Tver الواقعة شمالي غرب موسكو، في ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٨. ودخل المعهد التقني، في موسكو في العام ١٩٠٨ حيث درس الهندسة الميكانيكية، ثم دخل المدرسة التقنية العليا في موسكو، وتخرج منها في العام ١٩١٥. وقد شغف منذ العام ١٩٠٩ بوضع تصاميم الطائرات، وتخصص بالعلوم الايروديناميكية في العام ١٩١٠. تتلمذ توبوليف على يد جوكوفسكي ابي الطيران السوفياتي، وقد شاركه في العام ١٩١٨ (وكان ما يزال طالباً) في تصميم اول نفق للهواء في الاتحاد السوفياتي. وفي العام ١٩١٦ أسس توبوليف مكتباً لتصميم الطائرات اصبح فيما بعد المؤسسة الرئيسية للبحوث الايروديناميكية في الاتحاد السوفياتي. وما زالت هذه المؤسسة في موسكو، وهي تعتبر المركز الرئيسي للبحوث ولتطوير صناعة الطائرات في الاتحاد السوفياتي. وقد ظل توبوليف منذ العام ١٩١٨ وحتى العام ١٩٣٨ رئيساً لمهندسي هذه المؤسسة، واشرف على صنع اكثر من مائة نوع من طائرات الركاب ذات الحجم المتوسط، والطائرات الحربية وقاذفات القنابل بعيدة المدى.

وفي اوائل العشرينات، وضع توبوليف اول تصميم له في صنع الطائرات، اذ صمم الطائرة الاولى (ANT-1)، التي صنعت معظم اجزائها من الالمينيوم، والثانية وهي (ANT-2)، وكانت كلها مصنوعة من المعدن، وكانتا كلتاهما صغيرتين، بمحرك واحد، وبمقعد واحد. وكان تصميمه التالي في العام ١٩٢٦ لطائرة (ANT-3) بمقعدين. وقد قامت هذه الطائرة برحلة حول العواصم الاوروبية مجتازة ٢٠٤٢ ميلا خلال ٣٥ ساعة و ١٥ دقيقة، واستعملت القوات المسلحة السوفياتية هذه الطائرة للاستطلاع. وفي العام ١٩٢٩ صمم اول طائرة ضخمة بمقعد واحد وبمحركين (ANT-4). وكانت نموذجاً للطائرات قاذفات القنابل، وقد طارت هذه الطائرة في العام ١٩٢٩ من موسكو الى نيويورك عبر سيبيريا والشرق الاقصى. وعدلت القيادة العسكرية هذه الطائرة فصنعت منها نموذجين: الاول طائرة قصف وسميت بإسم (TB - 1) وقد نالت شهرة واسعة آنذاك، والثاني طائرة بحرية وسميت بإسم (MTB - 1)، واستعملت كطائرة طوربيد. وقد تم صنع هاتين الطائرتين في العام ١٩٣٢. وفي العام نفسه صمم توبوليف طائرة بأربعة محركات، قاذفة وناقلة، وقد سميت هذه الطائرة بإسم ANT-6، وصنع منها نموذج عسكري معدل حمل اسم TB-3، وحل محل النموذج (ANT - 4) TB-1 كطائرة رئيسية لسلاح القاذفات السوفياتي. وفي هذه الفترة، اشتهر من تصميم توبوليف نوعان من طائرات النقل المدنية ذات الثلاث محركات هما: ANT - 9، وهو لطائرة مصنوعة من المعدن بالكامل ولها جناحان بسطح واحد، وتقل ٩ مسافرين. و ANT - 14 بخمس محركات وتقل ٣٦ مسافراً. وفي مطلع الثلاثينات أشرف توبوليف على صنع اكبر طائرة بثماني محركات، زنتها اربعون طناً، وتدعى ANT - 20 عرفت باسم الكاتب السوفياتي مكسيم غوركي. وقد منح توبوليف في العام ١٩٣٣ لأجل تصميمه هذا وسام سوفوروف من الدرجة الثانية.

وأعدت هذه الطائرة خصيصاً كطائرة دعائية حيث جهزت بآلة كاتبة ، ومختبر للتصوير وستوديو للتسجيل ، وستوديو اذاعي ، ومكتب للتلغراف ، وآلة لعرض الافلام ، ومكبرات للصوت ، واشارات ضوئية ، وموزع هاتفي . ثم سقطت هذه الطائرة قرب لينينغراد في العام ١٩٣٥ ، بعد اصطدامها بطائرة للالعاب البهلوانية الجوية ، وقتل فيها ٤٩ شخصاً .

وفي العام ١٩٣٥ صمم توبوليف طائرة ANT-22 التي ضربت رقماً قياسياً ، حيث سجلت ارتفاعاً قدره ٦٣٧٠ قدماً بحمولة وزنها ٢٢٠٠٠ رطلا ، وذلك في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٦ ، كما صمم في العام ١٩٣٧ طائرة اخرى بأربعة محركات هي ANT - 25 ذات اجنحة منخفضة وبسطح واحد . وقد اجتازت هذه الطائرة في العام ١٩٣٧ مسافة ٦٢٦٢ ميلا في ٦٢ ساعة ودقيقتين من موسكو الى سان جاسنتو (كالفورنيا) عبر القطب الشمالي . وضربت رقماً قياسياً عالمياً باجتيازها هذه المسافة على خط مستقيم .

وفي العام ١٩٣٨ اتهم توبوليف بافشاء معلومات سرية عن الطيران السوفياتي للولايات المتحدة وألمانيا عندما قام برحلة الى هذين البلدين ، واعتقل بجريمة العداء للشعب ، وحكم عليه بالموت ، إلا أن الحكم خفض الى عقوبة السجن . فقضى في المعتقل خمس سنوات صمم خلالها طائرة قاذفة هجومية بأربع محركات دعيت TU - 2 ، ثم اطلق سراحه على اثر ذلك في العام ١٩٤٣ .

اصبح توبوليف اثناء الحرب العالمية الثانية جنرالا في الهندسة التقنية للقوات المسلحة ، ونال وسام ستالين ، وكانت طائرة TU - 2 من الاسلحة الرئيسية للقوات الجوية السوفياتية . كما صمم طائرة شبيهة بطائرة B - 26 الاميركية . وفي العام ١٩٤٤ أجبرت ثلاث طائرات من سلاح الجو الاميركي من طراز بوينغ B - 29 على الهبوط قرب فلاديفوستوك التي كانت ارضاً محايدة ، فطلب من توبوليف ان يصمم طائرة مماثلة فصمم ، في العام نفسه ، طائرة TU - 4 ، وهي طائرة بأربع محركات شبيهة تماماً بالطائرة الاميركية . وقد وضعت هذه الطائرة قيد الاستعمال خلال سنة . وفي الفترة الاخيرة من الحرب ، وجه توبوليف اهتماماً خاصاً لتصميم طائرات نفاثة ،فكانت اولى تجاربه ان يجمع بين نموذجين احدهما الماني والآخر بريطاني ، ليصنع نموذجاً جديداً . وفي العام ١٩٤٥ — ١٩٤٦ صمم طائرة TU - 70 ، وهي قاذفة قنابل ثقيلة بأربعة



اندريه توبوليف

محركات . وفي العام ١٩٤٧ اختير توبوليف كبطل للعمل الاشتراكي وكعامل شرف في العلوم التقنية في اتحاد الجمهوريات السوفياتية ، كما صمم في فترة (١٩٤٧ — ١٩٥٠) طائرات قاذفات ثقيلة ، وطائرة TU - 6 للاستطلاع بعيد المدى ، وصمم نموذجاً اختبارياً لصنع طائرة ام تحمل طائرتين نفاثتين مقاتلتين من طراز ميغ-١٥ . وفي العام ١٩٤٨ نال وسام ستالين مرة أخرى ، كما نال في العام ١٩٤٩ وسام لينين مرة اخرى . وفي العام ١٩٥٠ وضع تصميماً لطائرة ركاب نفاثة TU - 104 ، وسرعتها ٨٠٠ كيلومتر في الساعة .

اما طائرة TU - 10 القاذفة النفاثة ذات المحركين فقد ظهرت لأول مرة في العام ١٩٤٨ ، ووصفت بأنها من اكثر القاذفات التكتيكية نجاحاً في الاتحاد السوفياتي . وقد استعمل عدد كبير من هذه الطائرات في العام ١٩٥١ في القواعد السوفياتية بألمانيا الشرقية . وتلتها طائرة TU - 141 للاستعمال البحري . وطائرة TU - 37 كطائرة نفاثة قاذفة متوسطة . كما ظهرت في العام ١٩٥٢ طائرة TU - 75 بستة محركات توربينية نفاثة جهزت لها ثلاث قواعد في الشرق الاقصى في العام ١٩٥٣ .

وفي العام ١٩٥٢ نال توبوليف مع ثلاثة عشر عالماً من رفاقه جائزة ستالين وقدرها (١٥٠) ألف روبل ، وذلك لخدماتهم في حقل صناعة الطيران . وقد صمم توبوليف فيما بعد قاذفة اخرى لها محركات توربينية نفاثة اطلق عليها الغربيون اسم Bison وهي شبيهة بالقاذفة الاميركية بوينغ B - 52 ، وتبلغ سرعتها ٥٦٠ ميلا في الساعة ، وحمولتها ٢٠ ألف رطل من القنابل ، وبامكان هذه الطائرة ان تحمل قنبلة هيدروجينية . وفي العام ١٩٥٣ انتخب عضواً في اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي .

وفي العام ١٩٥٥ — ١٩٥٦ وضع توبوليف تصميم طائرة ركاب نفاثة (TU - 106) تتسع لـ ١٧٠ راكباً ، كما وضع تصميماً لقاذفة القنابل TU - 16 وقد صنع منها ستة نماذج اطلق عليها حلف شمالي الاطلسي اسم « تو — ١٦ بادجر أ وحتى بادجر ف » حسب تسلسل الحروف الابجدية اللاتينية . وفي العام ١٩٥٦ ظهرت طائرة (Bear) TU - 95 ، وهي من اكبر قاذفات القنابل،وصنعت في اربعة نماذج من تو — ٩٥ بير أ وحتى بير د . وفي العام ١٩٥٧ صمم توبوليف طائرة ركاب توربينية نفاثة TU - 104 A ، وهي تتسع لسبعين مسافراً بدرجة سياحية . وقد ضربت رقماً قياسياً في الطيران بين لندن وموسكو ، اذ قطعت ١٦٠٠ ميل في ثلاث ساعات و ١٥ دقيقة و ٢٢ ثانية . وأعلن الاتحاد السوفياتي ان ثلاث طائرات من هذا النوع قد وضعت للرحلات بين موسكو والشرق الاقصى . ومنح توبوليف وسام لينين لقيامه بتصميم هذا النوع من الطائرات . كما وضع تصميم الطائرة TU - 110 ، ذات الاربعة محركات التي تتسع لـ ٥٠ راكباً في الدرجة الاولى ، و ١٠٠ راكب في الدرجة السياحية ، وتبلغ سرعتها ألف كيلومتر في الساعة .

وفي العام ١٩٦١ ظهرت قاذفة القنابل (TU - 22 (Blinder ذات المحركات التوربينية النفاثة في ثلاثة نماذج بلندر أ ، وب ، وسي ، وفي العام نفسه ظهرت طائرة Tu - 28 P Fiddler ثم طائرة TU- 114 القادرة على نقل ٢٢٠ مسافراً ، وهي بأربعة محركات ، وقد اعتبرت من اسرع طائرات الركاب واكبرها في ذلك الحين . وهي نوعان : النموذج المدني (TU - 114 (Cled ، والنموذج العسكري (TU - 114 (Moss، وطائرة النقل (TU - 124 (CooKpot ، وقد صنع منها أربعة انواع يرمز إليها بأحرف تبدأ بحرف P وتنتهي بحرف د . وفي العام ١٩٦٧ صمم توبوليف طائرة (TU - 134 (Crusty ثم صمم طائرتي (TU - 144 (Charger ، وطائرة TU - 154 (Careless) وكلتاهما للنقل .

وقد بلغ عدد الطائرات التي صممها توبوليف طيلة حياته مائة وعشرين طائرة . ومن بين الوجوه الجديدة التي ضمها مكتب توبوليف لتصميم الطائرات ، ابنه الدكتور الكسي توبوليف الذي كان مسؤولا عن صنع الطائرة TU-144، وديمتري ماركوف الذي كان مسؤولا عن الطائرة TU-154 .

(٥) توبوليف تو-١٦ (طائرة)

قاذفة قنابل متوسطة ، سوفياتية : تدعى (بادجر) في قاموس حلف الاطلسي ، وهي طائرة بمحركين نفاثين بني منها حوالي ٢٠٠٠ طائرة ، بقي منها حوالي ٧٥٠ قاذفة حوّل العديد منها الى طائرات استطلاع بحري . وسحب الباقي من الخدمة . هناك عدة نماذج منها « بادجرءأ » التي زود بها العراق ومصر ، وهي قاذفة قنابل أساسية ، ذات مقدمة زجـاجيـة ، وجهـاز رادار للكشف الارضي ، وحمولة قصوى من القنابل تصل الى ٩٠٠٠ كغ . اما « بادجر-ب » والتي زودت بها مصر فهي نموذج بحري ، جهز ليحمل تحت الجناحين صاروخين جو - سطح مـن طراز « كينيل » . والنموذج « بادجر-سي » عبارة عن حاملة صواريخ من طراز « كيبر » و « كيلت » المصممة لحمل رؤوس نووية تطلقها حين تكون القاذفة خارج مدى وسائل الدفاع المعادية ، ولهذا النموذج أنف راداري اطـول ، ومعدات الكترونية إضافية لتوجيه الصواريخ .

ويقود القاذفة عادة طاقم من ٧ أفراد ، وهي تحمل ثلاثة ازواج من المدافع الرشاشة عيار ٢٣ م : زوج في البطن ، وآخر في الظهر ، والثالث في الذيل ، ولهذا الأخـير رادار اوتوماتيكي لتقدير المدى . ومدفع سابع مثبت في الانف . وهذا التسليح بالاضافة الى السرعة القصوى التي تصل الى ٠,٨٧ ماك هي من الصفات المميزة لهذه القاذفة التي دخلت الخدمة الفعلية في عام ١٩٥٥ . وتعتبر فاعلية هذه القاذفة ضد وسائل الدفاع الحديثة ضعيفة جداً ، لكنها تبقى سلاحاً ممتازاً في ظروف معينة ، وبخاصة لنماذج التي زودت بمعدات الكترونية حديثة للقيام باعمال الاستطلاع البحري بعيد المدى .

المواصفات العـامـة : الطول : ٣٦,٥ م . فتحة الجناحـين ٣٣,٥ م ، الارتفاع ١٠,٨ م . الوزن الاقصى للاقـلاع ٦٨٠٠٠ كغ . السرعة القصوى ٩٤٥ كم / ساعة . المدى الاقصى مـع ٣٠٠٠ كغ حمولة من القنابل ٦٤٠٠ كم .

(٥) توبوليف تو-٢٢ (طائرة)

قاذفة قنابل سوفياتية متوسطة اسرع من الصوت . يطلق على هذه الطائرة في قاموس حلف الاطلسي اسم (بليندر) . وهي قاذفة قنابل متطورة بمحركين نفاثين . دخلت الخدمة في عام ١٩٦٢ . ولها حمولة من القنابل تصل الى ٥,٥ اطنان . وسرعتها تصل الى ١,٥ ماك . ومداها التكتيكي ١١٢٥ كيلومتراً . ظهرت لأول مرة في عام ١٩٦١ ، ويقود النموذج ب منها طاقم من ملاحين الى ثلاثة ملاحين ، وهـو يحمل صاروخ مباعدة نووي Stand-off missile من طراز « كيتشن » . وهناك ثلاثة نماذج في الخدمة من هذه الطائرة عـلى الأقل ، ومن ملامحها الظاهرة الانف الراداري الطويل ، ورشاش اوتوماتيكي يوجه بالرادار في المؤخرة تحت الذيل ، ونوافذ كاميرات التصوير تحت الانف التي تستخدم للملاحة البصرية ولاسقاط القنابل . وصل عدد من هذه القاذفات الى العراق في ايلول ١٩٧٣ .

المواصفات العامة : (تقديرية) فتحة الجناحين ٢٧,٧٤ م . الطول ٤٠,٥ م . الارتفاع ٥,١٨ م . الوزن الأقصى للاقلاع ٨٤ طناً .

(٥) توبوليف تو - ٢٠ (طائرة)

قاذفة قنابل استراتيجية ثقيلة بعيدة المدى ، وطائرة استطلاع الكتروني سوفياتية . طائرة ضخمة باربعة محركات مروحية توربينية ، يطلق عليها اسم (بير) في قاموس حلف شمالي الاطلسي .

المواصفات العامة : (تقديرية) وزنها محملة ١٥٥ طناً . مدى طيرانها ١٢٥٥٠ كيلومتراً ، مع حمولة ١١٣٤٠ كغ من القنابل . سرعتها ٨٠٥ كم/الساعة على ارتفاع ١٢٥٠٠ متر .

(٥) توبوليف تو - ٢٨ (طائرة)

طائرة معترضة ، وضاربة ، وللاستطلاع . صالحة للعمل في جميع الاحوال الجوية . بعيدة المدى ، بمقعدين ، سوفياتية . طائرة نفاثة بمحركين دخلت الخدمة في اوائل الستينات ، وليس لهذه الطائرة التي صممت في الاصل كطائرة استطلاع ضاربة ، مثيل في العالم الغربي . وهي تقوم الآن باعمال الدورية بعيدة المدى .

المواصفات العامة (تقريبية) : السرعة القصوى ١,٦٥ ماك ، المدى التكتيكي لاعمال الدورية على ارتفاعات شاهقة ما بين ١٤٥٠ و ١٧٧٠ كيلومتراً . وزنها الاقصى للاقلاع ٤٣,٥ طناً . وتتسلح بأربعة صواريخ جو - جو توجه اما بالرادار او بالاشعة تحت الحمراء . طولها ٢٧,٤٣ م . وفتحة جناحيها ١٩,٨٠ م .

(٥) توجيه الصواريخ

(انظر صاروخ) .

(٦) التوجيه عن بعد

التوجيه عن بعد remote control and guidance ، اصطلاح عسكري يطلق للدلالة على اسلوب او نظام يمكن من حفظ مسار بعض وسائط القتال والسيطرة على انطلاقها نحو اهدافها : كالقذائف الصاروخية والصواريخ الموجهـة ، والقنابل ، والطائرات التي تطير بدون طيارين ، والطوربيدات ، او اي وسيلة اخرى تستطيع نقل حمولة متفجرة او اي حمولة اخرى تسبب أذى وضرراً للعدو .

وترجع اولى المحاولات في حقل توجيه وسائط القتال الى الحرب العالمية الاولى ، عندما قامت الولايات المتحدة باجراء ابحاث وتجارب على توجيه طائرات تطير بدون طيارين ، إلا ان نقص الموارد المخصصة للبحث والتطوير أدى إلى عرقلة تطور الابحاث وعدم وصولها الى نتيجة عملية . وفي العام ١٩٢٥ بدأت الابحاث الالمانية في هذا المجال ، وقادت الى تطوير وبناء صواريخ « ف - ٢ » V-2 الالمانية التي استخدمت قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية . في قصف الجزر البريطانية . وقد قادت مختلف التطورات التقنية - وخصوصاً في حقل الالكترونيات - التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، الى احداث تطورات هامة أدت الى انجاز وسائل الحرب الالكترونية (انظر الحرب الالكترونية) ومنها التطورات التقنية الهامة في حقول الايروديناميات Aerodynamics ، ووسائل الدفع والقذف ، ووسائل حفظ التوازن والسيطرة على الاجسام المتحركة في الهواء وتحت الماء ، ووسائل التوجيه . وقد ساهم كل ذلك في احداث ثورة في وسائط القتال الموجهة مكنت من صنع صواريخ عابرة للقارات يمكن توجيهها الى اي بقعة من بقاع الارض .

ويتم التحكم بتوجيه مختلف وسائط القتال الموجهة بوسائل عديدة منها :

أ) انظمة توجيه وسيطرة يتم ضبطها وبرمجتها قبل الاطلاق ، وتستخدم عادة اجهزة جيروسكوبية لحفظ التوازن وقياس درجة الانحراف تعطي المعلومات المتعلقة بخط السير المبرمج الى نظام للتحكم (يتألف من دماغ الكتروني مبرمج سلفاً وآلية للتحكم) يقوم باصلاح الخطأ في حالة حدوثه . وتستخدم هـذه الطريقة غالباً في الصواريخ عابرة القارات .

ب) انظمة توجيه وسيطرة يتم التحكم بها بعد الانطلاق ، ويستخدم هذا الاسلوب معلومات يرسلها شخص او دماغ الكتروني مبرمج الى اجهزة استقبال على متن الصاروخ الموجه او الآلية الموجهة (طائرة ،

او سفينة ، او سيارة) ، وغالباً ما ترسل هـــذه المعلومات مشفرة بالبث اللاسلكي او الراداري ، وقد ترسل في حالات قليلة بالبث السلكي كما هو الحال في الصواريخ الموجهة المضادة للدروع مثل « تاو » الاميركي ، و « مالوتكا » السوفياتي . وتقوم اجهزة الاستقبال هذه بتحويل المعلومات المرسلة الى اشارات توجيه تغذى بها انظمة تحكم اخرى تقوم بالسيطرة على مناورة الصاروخ او الآلية الموجهة اثناء الانطلاق نحو الهدف تبعاً لذلك .

ج) التوجيه الذاتي Homing Systems ، وهي انظمة تزود بها الصواريخ والمقذوفات الموجهة وقنابل الطائرات التكتيكية (كقنابل" سمارت"الاميركية الموجهة بأشعة ليزر ، او قنابل «هوبوز» الموجهة بواسطة كاميرا تلفزيونية) . وتستخدم هذه الانظمة ما يراه الصاروخ ، مثلا ، امامه لتوجيهه نحو الهدف : فقد يرى الصاروخ الضوء المرئي في حالة تزويده بجهاز بصري تلفزيوني ، وقد يزود بجهاز يستطيع مشاهدة الضوء غير المرئي كالاشعة تحت الحمراء او اشعة ليزر فيوجه نفسه ذاتياً نحوها . وقد يزود بجهاز راداري يستطيع التقاط الموجات الرادارية المنعكسة عن الهدف . وتنقسم انظـــمة التوجيه الذاتي الى ثلاثة اقسام : اولا ، انظـــمة ايجابية ، وهي الانظمة التي تقوم باطلاق اشارات تستعين بها على توجيه الصاروخ او المقذوف نحو الهدف ، كصاروخ « سام – ٦ » السوفياتي المضاد للطائرات الذي يطلق موجات رادارية نحو الهدف ، في مرحلة انطلاقه النهائية ، ويوجه نفسه نحوه عن طريق استقبال الموجات المنعكسة عنه . ثانياً ، انظمة سلبية ، وهي الانظمة التي تتوجه نحو الاشعاعات التي تصدر عن الهدف نفسه بشكل طبيعي ، مثل صاروخ « سام – ٧ » السوفياتي الذي يوجه نفسه ذاتياً نحو الاشعة تحت الحمراء المنبعثة من محركات الطائرات ، وصاروخ « شرايك » الامــيركي الذي يتوجه نحو مصدر الموجات الرادارية . ثالثاً ، انظمة نصف إيجــابية Semi - active ، وهي تلك الانظمة التي تتوجــه نحو الاشارات المنعكسة عن الهدف والتي تتولد من مصدر آخر (كمحطة للتحكم والسيطرة مثلا) ، ومن أمثلة ذلك الصاروخ السوفياتي « سام – ٢ » المضاد للطائرات الذي يتبع الموجات الرادارية المنعكسة عن الطائرات والتي تطلقها رادارات ارضية مرافقة للصاروخ ، وقنابل الطائرات « سمارت » التي تتبع مسار أشعة ليزر المنعكسة عن الهدف والتي توجهها نحو الهدف طائرة اخرى مرافقة للطائرة التي تحمل القنبلة وتطلقها . وتتطلب انظمة التوجيه الذاتي معدات الكترونية معقدة تحوي عادة بيانات كافية تفيد في توجيه الوسائط المزودة بها.

د – انظمة التوجيه التي تتبع مسار الشعاع الراداري ، وهي انظمة تزود بها الصواريخ ، وتقوم بالسيطرة عليها اثناء انطلاقها في مسار قريب من محور الشعاع الراداري الموجه نحو الهدف بواسطة محطة رادارية مرافقة .

هـ – انظمة توجيه تتألف من محطتين راداريتين ارضيتين او اكثر ، تطلق موجات رادارية يمكن ان تستخدمها الصواريخ والمقذوفات الموجهة في الاهتداء الى مكانها اثناء الانطلاق وفي الحفاظ على مسارها واصلاح انحرافاتها تبعاً لذلك .

ولا يقتصر التوجيه عن بعد على توجيه المقذوفات أو المعدات الحربية المتحركة ، ولكنه يشمل أيضاً توجيه الاسلحة الثابتة (وخاصة مدفعيــة المراكب الحربية) علماً بأن هذا الاسلوب قد حل محل التسديد عن بعد الذي كان مستخدماً في مدفعية الاسطول (انظر التسديد عن بعد) . والمقصود بالتوجيه عن بعد هنا ، توجيه الاسلحة آلياً ، واجراء التلقيم الآلي والرمي الآلي وتصحيحات الرمي من برج الرصد والقيادة الذي يقود حركة ونيران الصواريخ الموجهة والصواريخ البالستيكية الموجودة في صوامعها ، أو ابراج المدفعية في المراكب الحربيــة ، أو ابراج المدفعية والرشاشات في التحصينات الدائمة .

(١١) توخاتشفسكي (ميخائيل)

ميخائيل نيقولايڤيتش (١٨٩٣ – ١٩٣٧) أحد ألمع المواهب العسكرية في تاريخ الاتحاد السوفياتي . ولد توخاتشفسكي في منطقة بنزا بمقاطعة سمولنسك الروسية في ١٦ شباط (فبراير) ١٨٩٣ ، من عائلة تنتمي لطبقة الملاك الزراعيين المتوسطين ، وكانت غالبية أفراد العائلة إما موظفين في الدولة أو ضباطاً في الجيش الروسي ، باستثناء والده « نيقولا » الذي كان يهتم بالزراعة ، ويمضي معظم أوقات فراغه في المطالعة والعزف على الآلات الموسيقية ، وكان يمقت الحياة العسكرية ، ويكره امتهانها . وخروجاً على تقاليد العائلة ، ورغم احتجاجها ، فقد تزوج الوالد نيقولا فتاة قروية فقيرة ، وترعرع ميخائيل مع إخوته الثمانية ، في جو عائلي كان الفقر أقرب فيه من الترف .

تلقى ميخائيل دروسه الابتدائية في مدرسة «بنزا» ثم انتقل الى موسكو في عام ١٩٠٩ لمتابعة دراسته . ولقد اجتاحته في موسكو رغبة قوية للانخراط في سلك الجندية ، فقد كان يتمتع ببنية قوية ، واتزان عصبي واضح ، فاندفع لممارسة أنواع الرياضــة القاسية ، كما أكب على قراءة كتابي « حيـــاة سوفوروف » و « الحرب والسلم » اللذين أثرا فيه تأثيراً بالغاً ، وانصرف الى تأمل هزيمة الجيش الروسي أمام الغزو الياباني التي كانت برأيه وصمة عار يجب أن تمحى .

وبعد انتهاء دراسته التكميلية ، انتسب الى كلية المبتدئين العسكريين ، فأتم دورته بنجاح ، ونال منحة لكلية الكسندر العسكرية التي كانت من أهم الكليات الحربية في موسكو آنذاك ، وقد تخرج من الكلية برتبة ملازم عشية اندلاع الحرب العالمية الاولى وألحق بفيلق المدفعية لمدينــة « سمينيوفوسكي » وهو الفيلق نفسه الذي خدم فيه « سوفوروف » . وامتازت هذه الفترة من عمر توخاتشفسكي بمخالطته الاوساط الأدبية والفنية ذات الطابع الليبرالي التي كانت منتشرة في العاصمة الروسية . وربما يعود ذلك لتأثره خلال طفولته بوالده الذي كان شديد الاهتمام بالفنون والاداب على مختلف أنواعها وأشكالها .

وقد شارك الملازم الاول ميخائيل في جميع معارك حرب ١٩١٤ التي دارت على جبهة «غاليسيا» بشجاعة واندفاع نالا إعجاب رؤسائه . وفي إحدى معارك الخنادق أسره الألمان . فحاول الهرب من معتقله ثلاث مرات متوالية ، لكن محاولاته باءت بالفشل . وقد نقله الألمان الى معتقل آخر في قلعة « اينغولستاد » التي كانت مخصصة لسجن ضباط الحلفاء . وهناك التقى مع نقيب في الجيش الفرنسي يدعى شارل ديغول الذي غدا فيما بعد رئيساً للجمهورية الفرنسية .

وفي معتقله الجديد حاول توخاتشفسكي الهرب مرتين ففشل ، لكن محاولته الثالثة نجحت ، ففر من القلعة باتجاه سويسرا في أواخر صيف ١٩١٧ ، ومن هناك قصد مركز تجمع لوائه في بتروغراد المهزومة اليائسة ، حيث اختلط منظر البورجوازيين الهاربين المذعورين بمنظر العربات التي تنقل أثاث بيوتهم الفخمة ، ومنظر مظاهرات الشباب والهاربين من الخدمة العسكرية بالاعلام الحمراء والهاتفين « كل السلطة للسوفييت » . عندها وقف توخاتشفسكي بين الطرفين . فهو ليس ضد الثورة ، كما أنه لا يملك شيئاً يهربه أو يخفيه . وكان هدفه واضحاً « إعادة بناء القوات المسلحة ، وإعادة بناء روسيا ، والمشاركة في التنظيم ، والقيام بعمل مثمر لبلاده » .

وبعد انتصار الثورة البلشفية عرض عليــه

« السوفييت » منصباً في الهيئة العسكرية التابعة للجنة التنفيذية لسوفييت عموم روسيا ، بمعاونة أحد أصدقائه الموسكوفيين . ثم انتسب للحزب الشيوعي السوفييتي بعد ذلك . ومع انتهاء الحرب العالمية الاولى انفجرت الحرب الأهلية في روسيا أثر تولي الحزب الشيوعي السلطة في البلاد ، وقد شكلت القوى الرجعية ما سمي بالجيش الابيض الذي رد عليه السوفييت بتشكيل جيش أحمر ، قوامه العمال والفلاحون في ٢٣ شباط (فبراير) ١٩١٨ .

في ١٩ حزيران (يونيو) كلفت قيادة الجيش الاحمر توخاتشفسكي بتولي قيادة الجيش الأول المرابط على الجبهة الشرقية في « الفولغا » . وكانت هذه الفرقة أول وأكبر فرقة أنشأها الجيش الاحمر . ولقد تولى توخاتشفسكي خلال الحرب الأهليـــة (١٩١٨ - ١٩٢١) المناصب التالية : قائد الجيش الاول في المنطقة الشرقية ، وعضو في قيادة المنطقة الجنوبية ، وقائد الجيش الرابع في الجبهة الجنوبية ، وقائد الجيش الخامس في الجبهة الشرقية ، وقائد الجيش الثالث عشر في جبهة القوقاز ، وقائد الجبهة الغربية بالوكالة . كما أنه تولى مهمة قمع حركة تمرد داخلية وقعت في « كرونشتادت» . وفي شهري أيار - حزيران (مايو - يونيو) عام ١٩٢١ ، قاد الجيش الاحمرُ لسحق حركة التمرد المضادة للثورة التي أثارها « انطونوف » في منطقة « تامبوف » .

ان المسؤوليات الكبيرة التي تحمل توخاتشفسكي عبئها خلال فترة مضطربة ودقيقة من تاريخ الاتحاد السوفييتي ، غذت ثقافته السياسية والاجتماعية والعسكرية من خلال معايشته للقسم الاكبر من بلاد السوفييت الشاسعة . يضاف الى ذلك كله أنه لم يكن عسكرياً عادياً ، بل إن جانب المثقف والدارس النظري كان يأخذ قسطاً كبيراً من اهتماماته ، مما أهله لأن يكون أكثر الضباط اطلاعاً على مجمل القضايا رغم صغر سنه . لذا فقد كان توخاتشفسكي أحد أبرز الضباط والحزبيين الذين اختارهم لينين لتنظيف القوات المسلحة بعد الهزات والتقلبات التي رافقت الحرب الاهلية . وقد شارك بهذه المهمة خلال أدوار متعددة ، فتولى أولا ادارة الكلية الاستراتيجيـــة العسكرية في آب (أغسطس) ١٩٢١ ، حيث كانت معظم محاضراته عن الاستراتيجية العسكرية . ثم رقي الى رتبة معاون رئيس الاركان في الجيش السوفييتي (فرونذه) ، ثم تولى رئاسة الاركان العامة للجيش من عام ١٩٢٤ وحتى عام ١٩٢٨ ، ثم أصبح قائداً عسكرياً لمنطقة لينينغراد .

امتازت هذه الفترة من حياة توخاتشفسكي بنشاطه الحزبي ، إذ أنه شارك في العديد من الندوات الحزبية ، كما أنه ألقى العديد من المحاضرات حول الاستراتيجية والقضايا العسكرية ، وكثرت كتاباته في الصحف والمجلات العسكرية حول قضايا الحرب والاستراتيجية ، وأهم من ذلك كله صدور العديد من مؤلفاته حول القضايا نفسها .



المارشال ميخائيل توخاتشيفسكي

وفي عام ١٩٣١ عين وزيراً مساعداً لشؤون الدفاع الوطني ، ومسؤولا عن شؤون تسليح الجيش الاحمر ، وقد أتيح له بذلك أن يطبق عملياً ما كان يدعو اليه من اصلاحات وتجهيزات داخل الجيش الاحمر . وتعتبر الفترة الواقعة ما بين الاعوام ١٩٣١ - ١٩٣٧ ، والتي كان توخاتشفسكي فيها يحتل موقع المسؤولية ، فترة إعـــادة بناء القوات السوفييتية ، فقد أعيد بناء وترميم وتطوير مصانع الاسلحة القديمة ، وتم في الوقت ذاته تدشين مصانع حربية جديدة لصنع الاسلحة ، ووضع في مؤسسات البحوث العلمية نماذج جديدة للاسلحة الفردية ، فأدخلت الخدمة ، ولأول مرة ، رشاشات قصيرة (وطنية الصنع) وحلت مكان البندقية (من طراز ١٨٩١) التي كانت تعتبر السلاح الرئيسي للمشاة . وظهرت الرشاشات الحديثة لوحدات الدبابات وسلاح الطيران . وتطور السلاح على مختلف المستويات ، فادخلت المدفعية الجديدة من مختلف العيارات الى الخدمة ، وجرى لأول مرة تصميم نماذج تجريبية للمدافع ذاتية الحركة ، ونماذج الاسلحة الصاروخية التي اشتهرت فيما بعد باسم « كاتيوشا » . وتميزت هذه الفترة ، بالنمو الكمي والنوعي للدبابات والمدرعات والاسلحة المضادة براً وجواً ، وأسلحة الإسناد الثقيلة والخفيفة .

وفي عام ١٩٣٢ تم تشكيل الفيلق الميكانيكي لأول مرة في التطبيق العسكري العالمي ، وفي السنوات التالية ، ظهرت فيالق الدبابات . ولم تكن الاسلحة الجوية والبحرية أقل حظاً من الاسلحة البرية . ففي هذه الفترة ، تزود سلاح الجو بالانواع الجديدة من الطائرات المقاتلة والقاذفات بعيدة المدى ، وعلى رأسها طائرة « اليوشن » (عام ١٩٣٢)، وظهرت وحدات المظليين ، وتطورت قوات الدفاع الجوي للبلاد ، وأدرجت في الفيالق والفرق كافة أصناف قوات الدفاع الجوي (بطاريات المدفعية المضادة للطائرات ، ووحدات المراقبة الجوية ، والاتصال والرادار) . وبدأ الاسطول البحري السوفياتي يستلم مزيداً من مختلف السفن الحربية (الطرادات والمدمرات والقوارب المصفحة) والمدفعية الساحلية ، والطائرات البحرية . وازدادت قوة الاسطول في هذه الفترة بنسبة ١٣٠ ٪ . وتم في عام ١٩٣٢ تأسيس اسطول المحيط الهادي ، ومن ثم الاسطول الشمالي .

وبسبب إعادة البناء التقني للقوات المسلحة ، فقد طرحت بكل إلحاح مسألة توسيع نطاق إعداد الكوادر العسكرية واستيعاب هذه الكوادر للتقنية الحربية الحديثة التي بدأ الجيش بتطبيقها . وتوسعت شبكة المؤسسات التعليمية العسكرية ، وبلغ عدد الكليات ، في عام ١٩٣٦ ، ٧٥ مدرسة عسكرية وبالاضافة الى ذلك ، فقد أسست الاكاديميـــة العسكرية لمكننة الجيش الاحمر ، والاكاديميـــة العسكرية الكهروتكنيكية ، وأكاديمية الاركان العامة (١٩٣٥ - ١٩٣٦) ، وفي هاتين السنتين أجريت اكبر مناورات في تاريخ الجيش الاحمر .

وفي مجال الفكر العسكري ، تم إحراز نجاحات كبيرة . ولدى التمعن في أهم قضايا بناء القوات المسلحة ووسائل استخدامها في القتال ، استندت نظرية توخاتشفسكي على متطلبات العلم العسكري ، مستوحياً بآراء لينين التي حددت السمات الاساسية لنظرياته وتطبيقاته .

وقد أعد توخاتشفسكي مجموعة كبيرة من القادة العسكريين الذين درسوا معه القضايا الجذرية في النظرية العسكرية دراسة مثمرة ، وصدرت عنهم على أثرها مجموعة كبيرة من المؤلفات القيمة ، احتوت على تحليل عميق للحروب الماضية ، ورسمت طرق متابعة تطوير الجيش الاحمر والفن العسكري .

ويمكن القول أن أي جيش في العالم لم تكن له في تلك السنوات نظرية عسكرية عميقة شاملة

كنظرية الجيش الاحمر. وكان توخاتشفسكي ينتقد بالحجج الدامغة أقوال المنظرين العسكريين الغربيين من أصحاب نظريات «الجيوش الصغيرة»، و«الحرب الجوية»، و«القوة البحرية» الذين كانوا ينيطون الدور الرئيسي في القتال إلى وسيلة تقنية حربية واحدة.

واستندت استراتيجية الجيش الاحمر على شمولية قضايا خوض الحرب. وقيمت تقييماً صائباً طابع الصراع المسلح والوسائل الاساسية لتحقيق النصر على العدو القوي والحسن التجهيز تقنياً. وانجز توخاتشفسكي بنجاح نظرية «الفن العملياتي»، فقد وضع لدى الجيش الاحمر نظرية جديدة نسبياً ومعللة علمياً لاعداد واجراء عمليات الجبهات والجيوش، ودرست في هذه النظرية وبشكل خاص مسائل: الهجوم، والمعارك التصادمية، وتطويق العدو وتحطيمه، والتعاون بين صنوف الاسلحة، وأنواع القوات المسلحة، وعمل مصالح المؤخرة.

ولقد كان من حظ الجيش الأحمر أن عهدت الحكومة الى المارشال توخاتشفسكي في فترات متعاقبة بمهام رسمية أتاحت له فرصة وضع نظرياته على صعيد التنفيذ في مختلف المجالات العسكرية الى أن توقف عن الانتاج وكذلك عن الحياة في عام ١٩٣٧.

كانت القيادة الالمانية تراقب بحذر نمو الجيش السوفييتي بقيادة توخاتشفسكي. لذا فقد صممت أن تضع حداً لهذا النمو، ودبر جهاز المخابرات النازي «سيرشيت دينست» بقيادة «هدريخ»، خطة محبوكة لتحقيق غاية القيادة الالمانية، وذلك عن طريق رسائل مزورة بين توخاتشفسكي واصدقائه في القيادة العسكرية السوفييتية، تتحدث عن الاعداد لمؤامرة انقلابية ضد ستالين، بالاضافة إلى رسائل بينه وبين ضباط من القيادة الالمانية. وقد ادعت القيادة الالمانية فقدان هذا التقرير المكون من خمسة عشر صفحة، في حادث حريق، وسربته عبر أحد العملاء المزدوجين الى ستالين، ولدى وصول هذا التقرير الى ستالين قام باعفاء توخاتشفسكي من مهامه كمساعد لوزير الدفاع، وعينه قائداً عسكرياً لمقاطعة «كويبتشيف» في شهر أيار (مايو) ١٩٣٧، وبعد ثلاثة أيام تم اعتقاله، وفي ١١ حزيران (يونيو) حوكم محاكمة سرية، واعدم بعد تلاوة الحكم. وبعد شهور قليلة أعدمت زوجته واثنان من اشقائه، وتم تهجير ابنته الصغيرة.

وبعد موت ستالين، أعاد الحزب الشيوعي تقييماً موضوعياً لمرحلة الحكم الستاليني، وقد قرر مؤتمر الحزب الشيوعي العشرين عام ١٩٥٦ إعادة الاعتبار للمارشال توخاتشفسكي، فبرأ ساحته من تهمة التعاون مع المانيا النازية، وأبرز دوره في الحرب الأهلية الروسية، وأعيدت اليه مكانته لدوره في بناء القوات المسلحة السوفييتية التي تصدت للهجوم النازي، كما اعيد نشر مؤلفاته وآرائه العسكرية على جماهير الشعب السوفييتي، فعاد المارشال توخاتشفسكي ليجذب بآرائه ونظرياته اهتمامات العسكريين والمدنيين داخل الاتحاد السوفييتي وخارجه. وعاد المنظرون العسكريون لدراسة آرائه الصائبة حول الحرب الخاطفة، واستخدام المدرعات والقوات الميكانيكية ووحدات المظلات، ومجمل افكاره العسكرية التي أثبتت الحرب العالمية الثانية صحتها. (انظر القوات المدرعة). ومن المؤكد أن اعدام المارشال توخاتشفسكي وعدد آخر من الضباط والتخلي عن افكاره العسكرية، قد عرقلا إعادة تنظيم الجيش السوفياتي وأضعفاه إلى حد بعيد، الأمر الذي ساعد القوات الألمانية على إلحاق الهزيمة بالجيش السوفياتي خلال المراحل الأولى من عملية باربا روسا.

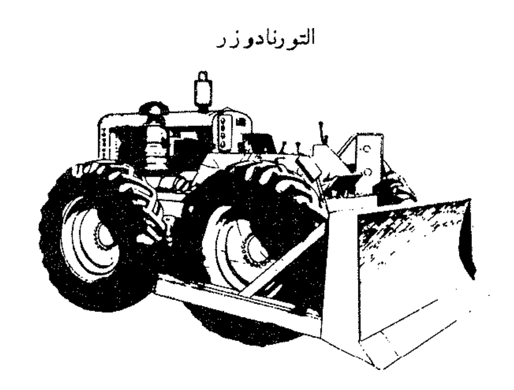
(٤) تورش (عملية)

عملية إنزال الحلفاء في جنوبي فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية (انظر المشعل، عملية).

(١) تورنا دوزر

تتطلب الأعمال الهندسية القتالية (اصلاح الطرقات، اصلاح المطارات، اعداد متكآت الجسور، حفر الحفر للملاجئ أو لمساند الاسلحة أو مخابئ الآليات) جراراً ذا شفرة تدفع أمامها التراب. ومن هنا جاءت الحاجة لوجود البلدوزر (انظر البلدوزر). بيد أن قلة سرعة البلدوزر (٣ – ١٢ كيلومتراً في الساعة)، واضطراره إلى التوقف عند الانتقال من سرعة إلى سرعة، واهتراء سلاسله وسطح الطرقات عند السير على الطرقات المعبدة، جعلت من الضروري وجود آلة هندسية أخرى تصلح للعمل في الأماكن التي تبرز فيها سلبيات البلدوزر (ورشات الطرقات الاستراتيجية، ورشات اصلاح المطارات، ورشات إصلاح الطرق في المدن بعد القصف الجوي ... الخ). وتتألف هذه الآلة من جرار ذي ٤ عجلات، قوته ٣٠ – ٢٠٠ حصاناً، مزود بشفرة عرضها ٣ – ٤ أمتار، ويعمل بمحركات البنزين أو الديزل (انظر الجرار). وتمتاز هذه الآلات بالقدرة على السير بسرعة ٢٥ – ٣٠ كيلومتراً على الطرقات دون تخريب سطح هذه الطرقات. وهي تقوم بنفس مهمات البلدوزر عندما يسمح الوضع أو يتطلب استخدامها. ومن هذه الآليات التورنادوزر Tournadozer. وهو عبارة عن جرار رباعي العجلات من طراز تورنو Tourneau يعمل بمحرك ديزل قوة ١٨٠ حصاناً، ويبلغ وزنه ١٤ طناً، وتتراوح سرعته بين ٢,٧ و ٢٤ كيلومتراً. ولقد زود هذا الجرار بشفرة عرضها ٣٤٠ سنتمتراً معدة لدفع التراب خلال عمليات الحفر.

التورنادوزر



(١٥) تورين (هنري دولاتور دوفيرني فيكونت دو)

أحد مارشالات فرنسا العظام الذين عاصروا الكاردينال ريشيليو ثم مازاران في ظل الملك لويس الرابع عشر (١٦١١ – ١٦٧٥). ولد هنري تورين Turenne, Henri de la Tour d'Auvergne vicomte de في سيدان بفرنسا في العام ١٦١١ من اسرة غنية ذات قرابة مع الأسرة الملكية، وكان بروتستانتياً كأبيه دوق بويون Duc de Bouillon.

عين تورين قائداً للجيش الفرنسي في ألمانيا خلال حرب الثلاثين عاماً حيث ظهرت عبقريته العسكرية وحقق عدداً من الانتصارات، فعين بعد موت الملك لويس الثامن (١٦٤٣) مارشالا، واستطاع أن يحقق مع القائد العسكري الشهير Condé (١٦٢١ – ١٦٨٦) نصراً كبيراً في نوردلينجن Nordlingen (١٦٤٥) ثم حقق انتصاراً آخر في بلاد الرين في معركة سوسمارسهاوزن Zusmarshausen (١٦٤٨).

وفي خلال انتفاضة الفروند Fronde ضد مازاران تورط تورين عن طريق مدام دولونغفيل

de Longueville في الجانب المعادي لمازاران ، ولكنه غلب أمـــام القوات الملكية في Rethel (١٦٥٠) فعاد الى التحالف مع القصر ، وقـــاد الجيوش الملكية ضد صديقه القديم Conde وقهره في سانت انطوان (١٦٥٢) ، ثم اصطدم معه مرة أخرى في معركة الدون Dunes التي تعتبر مـــن أشهر معارك تورين،واضطره الى الهرب الى اسبانيا في العام ١٦٥٨ .

وفي العام ١٦٦٠ عين تورين مارشالا عاماً لجميع القوات الفرنسية ، وفرض على الباقين من الجنرالات نظام التسلسل حسب الرتب ، ووضعوا تحت إمرته وفقاً للاصلاح الذي قام به Le Tellier وفي خلال حرب الوراثة الاسبانية قاد تورين القوات الفرنسية في الفلاندر (١٦٦٧) حيث جرت معركة كبرى انتهت بالصلح المعقود في اكس لا شابيل (١٦٦٨) ، وضمت بذلك الفلاندر الجنوبية الى فرنسا ، كما أنه قاد القوات الفرنسية خلال الحرب الهولندية الثالثة (١٦٧٢) وكاد ان يحتل أمستردام لولا أن المدافعين عن المدينة دمروا السدود فتوقف عند المدينة دون أن يحتلها .

وفي شتاء ١٦٧٥ غزا الألزاس ، ولكنه قتل خلال إحدى المعارك التي جرت بالقرب من ساسباخ Sasback في أراضي الرين بعـــد أن أصابته قذيفة مدفع . كان تورين محبوباً من رجاله الذين كانوا يعجبون بشجاعته وصبره وتخطيطه ، كما كان معروفاً بتحركاته السريعة والحاسمة في المعركة وقدرته على المفاجآت التكتيكية . وفي نهاية حياته أصبح كاثوليكياً على يـــد بوسويه Bossuet أكـــبر خطباء فرنسا في ذلك الحين ، والذي كان معجباً بتورين وبتاريخه العسكري الحافل .

(٥) تومكات

(انظر غرومان ف – ١٤ تومكات) .

(٤) توهاي (معركة) ١٩٦٠

كانت « توهاي » قلعة حصينة في اقليم « تاي نته » في فيتنام الجنوبية ، وهي تبعد حوالي ٥٥ ميلا شمال غرب سايجون . وتمتد ألف ياردة طولا وثمانمائة ياردة عرضاً ، ومحاطة باستحكامات ترابية يبلغ ارتفاعها سبعة اقدام ، وتوجد ابراج للمدافع الرشاشة في كل جانب ، وموقع حراسة اصغر حول كل المنشآت الرئيسية . وتعسكر داخلها حامية يبلغ عددها نحو ٢٠٠٠ جندي من جنود « ديم » . وكانت هذه الحامية قد قامت في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٦٠ ، بحملة قمع للفلاحين المقيمين في المنطقة من اجل القبض على اعضاء المقاومة القدامى ولتصيد الشباب للتجنيد ، وقد قاموا خلال هذه الحملة باعدام العديد من هؤلاء المناضلين السابقين وعرض رؤوسهم في اسواق القرى ، كما التقطوا افلاماً سينمائية لهذه العمليات الوحشية ، اخذوا يعيدون عرضها على الاهالي بغية ارهابهم (انظر الحرب الفيتنامية – الاميركية) ونتيجة لذلك وللحصول على اكبر كية ممكنة من الاسلحة ، قررت اللجنة الثورية في المنطقة ان تشن هجوماً على القلعة في نهاية شباط (فبراير) ١٩٦٠ ، وتجمع لهذا الغرض حوالي ٢٦٠ رجلا من رجال المقاومة السابقين وبعض الشبان الفارين من التجنيد في جيش « ديم » ، وبعض رجال الطوائف الدينية المسلحة ، الذين كانوا من القوات الفرنسية في الماضي ، ولذلك لم ينسحبوا بأسلحتهم الى الشمال (تنفيذاً لاتفاقيات جنيف) ، والذين انضموا الى الحركة الثورية باسلحتهم بعد ان طاردهم « ديم » على اثر تصفيته للوجود الفرنسي في البلاد .

ولم يكن لدى الـ ٢٦٠ رجلا هؤلاء ، اكثر من ١٧٠ قطعة سلاح وعدد محدود للغاية من الطلقات. وقد تولى قيادتهم فلاح يدعى « كيويت ثانه » كان قائد عصابات في إحدى القرى خلال حرب المقاومة الاولى . وقد ارسل بعض الكشافين ذوي الخبرة السابقة الى داخل القلعة ، حيث جمعوا كل المعلومات عن نوبات الحراسة بها ومواقع اطلاق النار...الخ ، كما قاموا ببث الدعاية الثورية بحذر بين بعض جنود الحامية . كما تم جمع ٥٠٠ رجل تطوعوا من القرى البعيدة عن القلعة ، ليقوموا بحمل الغنائم وجرحى الثوار بعد انتهاء القتال مباشرة ، وبذلك تتفرغ القوة المهاجمة للقتال تماماً . وفي الموعد المقرر للهجوم ليلا ، فجر رجال الاستكشاف الموجودين داخل القلعة ألغاماً حول بعض المباني الرئيسية ، ومنها مراكز القيـــادة ومنشآت أجهزة الارسال والاتصال المختلفة ، فكان ذلك بمثابة اشارة الهجوم لبقية القوة ، التي تدفقت بسرعة مفاجئة الى داخل القلعة فوق الاستحكامات الترابية ، من الشمال ١٢٠ مقاتلا ومن الجنوب ٨٠ مقاتلا ، بينما كان الـ ٦٠ الباقون ينصبون كميناً على الطريق القادم من « تاي نته » لمواجهة اي تعزيزات تصل منها . وقد نجح هذا الهجوم المفاجئ وهرب معظم جنود الحامية وقتل البعض منهم ، وانضم البعض الآخر الى الثوار . وقد عاد الـ ٥٠٠ رجل المخصصين لحمل الغنائم الى الغابات القريبة من القلعة ، وهم يحملون حوالي ١٠٠٠ قطعة سلاح من بينها ٨٠٠ بندقية ومجموعة كبيرة من المدافع الرشاشة، وعدداً من مدافع الهاون عيار « ٦٠ مم » و « ٨١ مم » وخمسة مدافع خفيفة مضادة للدبابات عيار « ٥٧ مم » عديمة الارتداد . وذلك بعد ساعة وثلاثة أرباع الساعة فقط من بدء الهجوم . وتم توزيع اول عدد من مجلة « تشير تانغ » اي « النصر » على جنود « ديم » المأسورين داخل القلعة ، والذي كـــان قد أعد من قبل لهذا الغرض ، فور توقف القتال مباشرة . ومن هنا كانت معركة « توهاي » هي البداية الفعلية للمقاومة المسلحة المنظمة على نطاق واسع ، في جنوب فيتنام ضد نظام « ديم » العميل لاميركا .

(١ – ٧) التيت (هجوم) ١٩٦٨

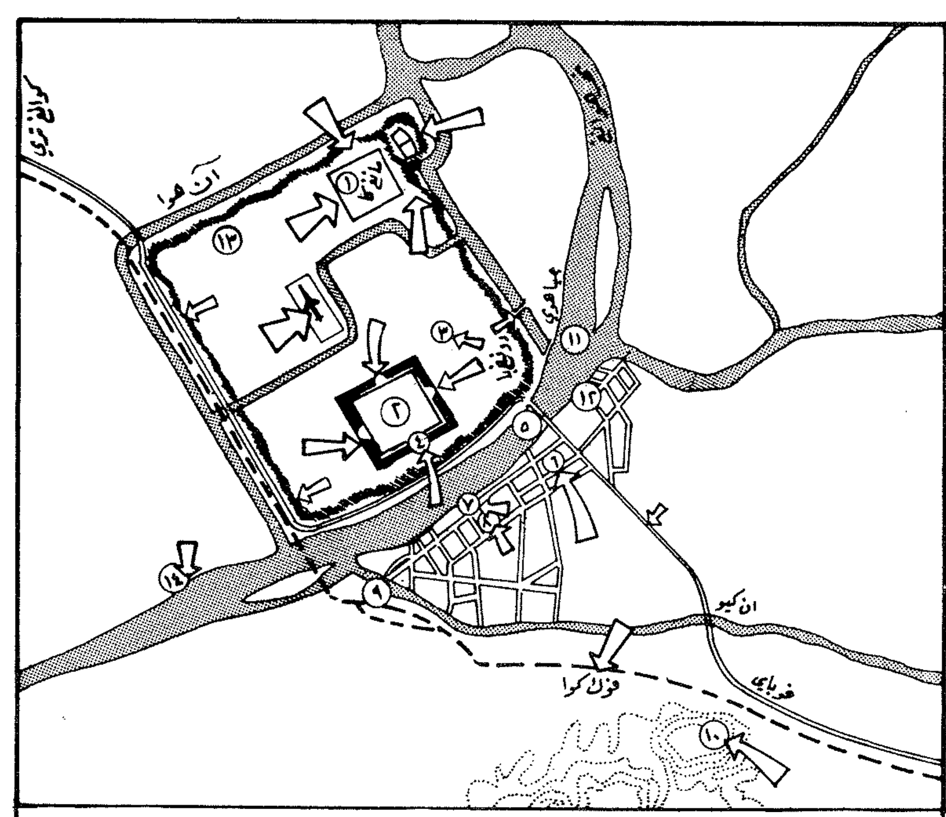
هجوم « التيت » Le Têt او الهجوم العام في رأس السنة الفيتنامية (القمرية) ، هو اكبر عملية هجومية شنتها قوات فييتنام الشمالية وقوات جبهة التحرير الوطنية الفيتنامية في مطلع العام ١٩٦٨ ضد القوات الاميركية ، وقوات فييتنام الجنوبية .

الهجوم الفييتنامي

بدأ هذا الهجوم خلال الاحتفالات بعيد «التيت» بعد منتصف ليلة ٣٠ – ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ ، بمهاجمة السفارة الاميركية في سايغون ثم سرعان ما انتشرت الهجمات في مختلف المدن والمراكز الرئيسية في فييتنام الجنوبية ، كما تم احتلال مدينة هوي (العاصمة الملكية القديمة) .

طبع هجوم « التيت » بطابع « فونغوين جياب » . ولا يمكن تقدير اهداف هذا الهجوم وسعته ونتائجه اذا لم نأخذ بعين الاعتبار فكر هذا القائد الاستراتيجي وشخصيته . فقد اشرف بصورة دقيقة على هـــذا الهجوم وارتباطه بحملة « الشتاء – الربيع » التي كانت جزءاً منه ، وكان خلال مختلف مراحل الاعداد والتنفيذ على اتم الاستعداد لمجابهة اي احتمال . وقد صمم هذا الهجوم واعده ونفذه باتفاق كامل مع حلفائه في الجنوب،ويعبر هذا الهجوم تعبيراً كاملا عن زيادة حدة سلسلة من الاحداث تطلب وضعها موضع التنفيذ كثيراً من الوقت والجهد منذ نهاية صيف ١٩٦٧ .

ولقد بنى جياب على هذا الهجوم آمالا جساماً واعتبره مرحلة جديدة هامة في تطور استراتيجيته .



هجوم التيت — احتلال هوي ١٩٦٨ :
١ — ثكنة مانغ كا ، ٢ — القصر الامبراطوري القديم ، ٣ — شارع مي توك لوان حيث اسرت فصيلة مشاة معادية مع عقيد في ١٩٦٨/٢/٤ ، ٤ — برج على القلعة الامبراطورية القديمة حيث رفع علم جبهة التحرير الوطنية ، ٥ — جسر على نهر العطور دمره الثوار في ١٩٦٨/٢/٦ ، ٦ — فندق ثوان هوا حيث يقطن الضباط الاميركيون ، ٧ — مقر الحاكم الجنوبي المحلي ، ٨ — سجن المقاطعة ، ٩ — محطة ، ١٠ — معسكر الفوج المدرع الجنوبي السابع ، ١١ — تدمير اسطول نهري اميركي في ١٩٦٨/٢/٤ ، ١٢ — مقر الإمداد والتموين الجنوبي هوجم في ١٩٦٨/٢/٤ ، ١٣ — سور قلعة هوي ، ١٤ — قوات ثورية أوقفت النجدات المعادية (١/٣١ — ١٩٦٨/٢/٤) .

وكان يبغي من ورائه تحطيم الاميركيين عسكرياً ونفسياً ، وتفكيك القوات الفيتنامية الجنوبية المسلحة وادارتها ، وتنمية حركة شعبية هائلة موالية لجبهة التحرير ، وطرد حكومة « ثيو — كاي » ، واعطاء الحركة الشعبية دفعاً سياسياً هائلا ، وزيادة الضغط اللازم للمفاوضات مع فتح الطريق الديبلوماسي امامها .

وهكذا كان جياب يربط المغزى السياسي للهجوم مع العمليات العسكرية . وقد زج في هذه المعركة ٥٠٪ من قواته الضاربة التي كانت تقدر بحوالي ١٢٠ ألف رجل . واستخدم قطعات جبهة التحرير اكثر من قطعات الشمال . وتعرض بصورة خاصة لمراكز الخصم العصبية كمراكز قيادته وهيئات اركانه ومراكزه الادارية ومستودعات محروقاته وذخائره ومنشآته الالكترونية . وكان الهجوم العام يستهدف اساساً مناطق هبوط الطيران والتجهيزات التابعة للجيش الجوي ، بغية تسمير اكبر عدد ممكن من الطائرات على الارض ، وجعل قدرة الرد الاميركي غير فاعلة ، دون ان ينسى بالطبع المنشآت والاتصالات من كل الانواع . والمهم هو تفكيك تنظيم الشبكة العسكرية والمدنية الكبيرة المعقدة التي تصل القيادة العليا بمراكز قيادات المناطق واجهزة التنفيذ .

نشب الهجوم بصورة واسعة عنيفة في آن واحد ضد خمسين مدينة وعاصمة من عواصم الولايات . وتعرضت كل مدينة لهجوم كتيبة محلية فيما عدا سايغون وهوي . وتعرضت سايغون وهوي ودانانغ وفينه لونغ وكان تهو وترافينه لتدمير هائل . وفي سايغون ابتدأ الهجوم بعد منتصف ليلة ٣٠ — ١/٣١ وانقض المهاجمون فوراً على السفارة الاميركية واحتلوا منها خمسة طوابق خلال عدة ساعات ، بينما كانت قوات شعبية اخرى تخترق حرمة قصر الرئاسة . واحتل الثوار المقر العام لهيئة الاركان المشتركة الفيتنامية الجنوبية ، ودمروا محطة اذاعة سايغون تدميراً تاماً . وتشبثت قوات (ج ت و ف) بالمقر العام للبحرية الفيتنامية الجنوبية والحقت به اضراراً هائلة . كما تعرضت مستودعات المعتمدية ومستودعات العتاد والذخائر للدمار . وهوجمت المصلحة الرئيسية للشرطة ومخافر الشرطة المتعددة التي تفكك تنظيمها بصورة كاملة . وحدث الشيء نفسه في هوي التي رفرف علم (ج ت و ف) فوق قلعتها منذ الساعات الاولى للقتال . وقطعت كل مواصلات المدينة واتصالاتها مع الخارج . وهاجمت القوات الثورية مراكز القيادات الرئيسية والمراكز الادارية واحتلتها . وتحرر من جراء هذا الهجوم اكثر من ألفي أسير ، وانضم آلاف الشباب الى القوات الشعبية . ودمر عدد كبير من المخافر الواقعة في المرتفعات المجاورة التي تدافع عن المدينة ، وصدت كل الهجمات المعاكسة ، ووضعت الفرقة الاولى الفيتنامية الجنوبية عملياً خارج القتال .

وعلى حين كانت المعركة في أوج ضرامها بدأ نشاط سياسي هائل في العاصمة الملكية القديمة (هوي) ، اذ ظهر للوجود منظمة « تحالف القوات من اجل الاستقلال والديموقراطية والسلام » . وفي ١٤ شباط (فبراير) تألف بتحريض منها « لجنة شعبية ثورية » اخذت تمارس وظيفة سلطة ثورية مؤقتة ، وتضم في عدادها بصورة خاصة ممثلين عن المثقفين « الانتلجنسيا » . وبفضل العمل المشترك بين المواطنين والقوات المسلحة تمكنت (ج ت و ف) من الاشراف بسرعة على المقرات الشعبية في « هوي » حيث تشكلت لجان التسيير الذاتي ووحدات الدفاع الذاتي .

وكانت المفاجأة تامة وشاملة للقيادة الاميركية والفيتنامية الجنوبية خلال عدة ايام ، فلم تستطع القيام بأية عملية تتضمن رداً فعالا . وفي ١٠ شباط (فبراير) ، وجه « جياب » امراً يومياً لقطعات (ج ت و ف) قال فيه : « ان العدو يتلقى الآن ضربة أفقدته صوابه . وجهوا ضربات كبرى في الاماكن الحساسة ، ولا تدعوه يتمالك زمام نفسه ليستعيد قواه . ان خططنا تتحقق بصورة كاملة في الميدانين العسكري والسياسي في كل اتساعها الاستراتيجي وفي كل هدف من أهدافها المرسومة . في بضعة أيام دمرت الجبهة في انتصار اسطورة عدم امكان التعرض للقوات الاميركية وإلحاق الاضرار بها ، وحطمت الجبهة أداتها السياسية وهي ادارة العملاء الحائرين المترددين » .

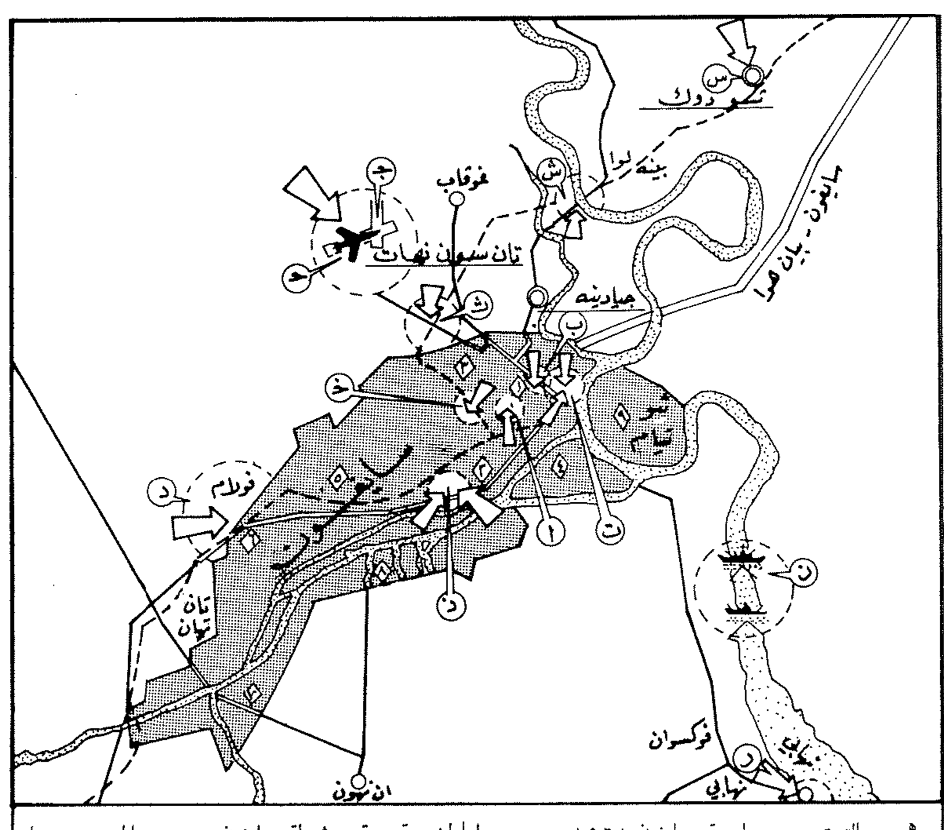
وقد حقق جياب على المستوى العسكري انتصارات مؤكدة . فقد نجح في تجميع قوات هائلة

حول المدن الكبرى والقواعد الكبيرة في منتهى السرية باعداد لم يسبق له ان جمعها وباسلحة لم يعرف اثقل من عياراتها . كما ضمن لنفسه المبادأة في العمليات ، وبرهن ان في وسع افواجه التمركز في المدن اكثر من اسبوع واحد . وقد اضعف الترتيب العسكري الاميركي وقطعه عن مؤخراته ، واضطره الى اجراء إعادة تنظيم شاملة . ووقف ثلث الجيش الاميركي والفيتنامي الجنوبي يواجه في جبهة الشمال ست فرق فيتنامية شمالية متمركزة في مقاطعات هوي وكوانغ تري (فرقة في المناطق المجاورة لكوانغ تري ، و ٣ فرق في منطقة خي سانه ، وفرقة بين الطريق الوطني ٩ وخط العرض ١٧ ، واكثر من فرقة على مقربة من هوي) . وتزايدت حدة الضغط الفيتنامي الشمالي ضد خي سانة بالرغم من سقوط « القفل الغربي » للانغ في ٩ شباط (فبراير) ١٩٦٨ (انظر خي سانة ، معركة) .

وعلى النجود العالية استمر عمل ثوار الفيتكونغ دون بطء ، فهم يشرفون على جزء من مدينتي كونتوم وبليكو ، ويستهدفون تثبيت الفرق التي قد تميل القيادة الاميركية الى نقلها الى مسارح عمليات اخرى . وفي الدلتا مارس الثوار تهديداً عسكرياً دائماً . وكان هناك حوالي ٢٠ ألف جندي يقفون على مسافة أقل من مسيرة يوم واحد من سايغون (عناصر من الفرقتين ٥ و ٩ التابعتين لـ (ج ت و ف) ومن الفرقة الفيتنامية الشمالية الرابعة) ويعملون على إبقاء الفوضى التي نشأت اثناء الهجوم على المدن في ٣١ يناير (كانون الثاني) ، ويخضعون العاصمة لعمليات ازعاج مستمر .

ولقد وضع الهجوم القيادة الاميركية في فيتنام في موقف حرج ، لأن وسائلها لم تكن تسمح لها بتحقيق النصر دون نجدات إضافية لا يستطيع البيت الابيض إرسالها وهو على ابواب الحملة الانتخابية الرئاسية . خاصة وان الرأي العام الاميركي كان يعارض ارسال مزيد من القوات الى فيتنام .

ولم يكن في منطقة سايغون تحت تصرف الجنرال ويليام تشيلد ويستمورلاند ، القائد العام للقوات الاميركية في فيتنام ، في البداية سوى ٤ ألوية (من الفرق ١ و ٩ و ٢٥) تتمركز حول سايغون مع خيرة قطعات فيتنام الجنوبية من المظليين والمغاوير ورماة البحرية . ثم جلب دعماً مدرعاً من لونغ بيه الواقعة على بعد ٢٥ كيلومتراً من العاصمة ، وانزل فوق « تان سون نهوت » قوات محمولة جواً جلبها من قاعدة بين هوا القريبة من العاصمة والتي نزلت فيها وحدات لواء المشاة الاميركي الخفيف ١٩٩

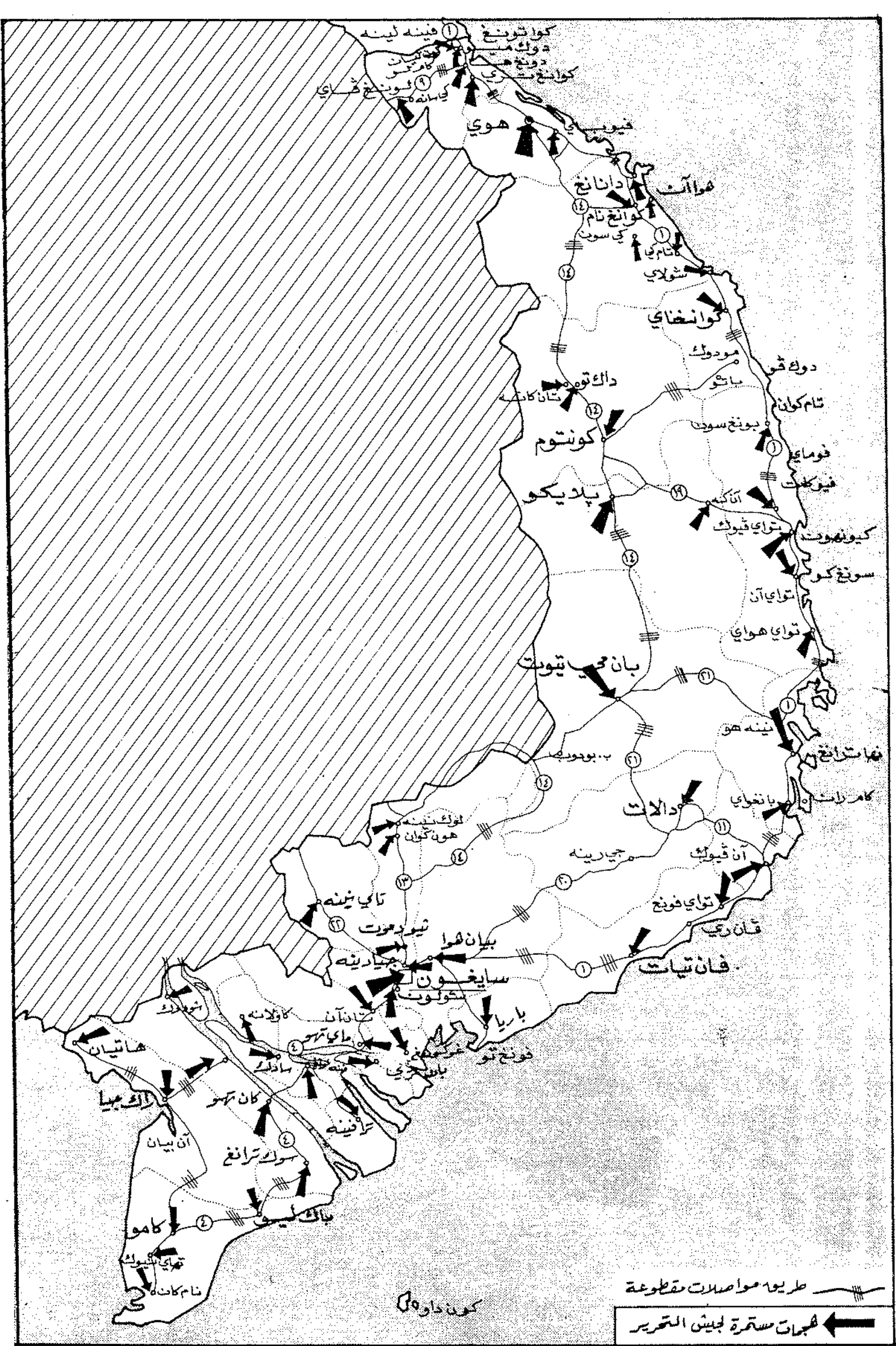


هجوم التيت – مهاجمة سايغون ١٩٦٨ : أ – قصر الاستقلال ، ب – السفارة الاميركية ، ت – قيادة البحرية الجنوبية ومشاة البحرية ، ث – القيادة العامة الجنوبية ، ج – الهجوم على قاعدة تان سون نهات الجوية ، ح – قصف مقر ويستمورلاند ، خ – الهجوم على مقر قيادة الجنوبيين في سايغون – جيادينه ، د – الهجوم على مركز البريد والبرق ، ذ – الهجوم على قيادة الشرطة الجنوبية ومقر شرطة سايغون ، ر – الهجوم على القاعدة الادارية للبحرية الاميركية في نهابي ، ز – زورقا إمداد بالذخيرة (اميركيان) أحرقهما الثوار ، س – الهجوم على المركز الكهربائي ، ش – الهجوم على مستودع الاسلحة والذخيرة عند جسر بينه لوا .
١ – ٢ – ٣ – ٤ – ٥ – ٦ – ٧ – ٨ – ٩ – هي أقسام العاصمة سايغون .

المحمول بالهليكوبتر . واستمر تمشيط العاصمة وضواحيها ١٥ يوماً ، واستخدم الطيران في التمشيط على نطاق واسع ، وابيدت احياء وضواحي كاملة بالنابالم . واختفت مدينة بن ترى من الوجود مع سكانها البالغ عددهم ٣٥ ألف نسمة . وصرح العقيد الاميركي جيمس دراف : « ولانقاذ المدينة كان لا بد من تدميرها تدميراً كاملا » .

وفي الجبهة الشمالية تعرض ٧٥ ألف جندي من مشاة البحرية لهجمات عنيفة مرنة . ودعمهم الجنرال ويستمورلاند بالفرقة الاولى من فرسان الجو ، واللواء الثاني من الفرقة ١٠١ المحمولة جواً ، ومجموعة الفهود السوداء التابعة للفرقة الفيتنامية الجنوبية الاولى . ودارت المعارك الطاحنة عدة اسابيع في هوي وامام نهر العطور . وقاتل الثوار في قلعة هوي التاريخية ببسالة وقدموا تضحيات كبيرة قبل ان تستردها القوات الاميركية في ٢٢ فبراير (شباط) .

وفي مطلع آذار (مارس) انشأ الجنرال كريغتون ابرامز ، مساعد الجنرال ويستمورلاند مقر قيادة متقدم في خو – بي (قرب هوي) ، ولكن ويستمورلاند استدعاه في ٨ آذار (مارس) الى سايغون ، واعلن عن إنشاء قيادة جديدة بامرة الجنرال روسون تضم الفرقة الاولى لفرسان الجو ، والفرقة ١٠١ مظلات والفرقة الجديدة « امريكا » . ولكن هذه القوات كانت تصد بصعوبة هجمات ٦ فرق فيتنامية تقوم فرقتان منها (٣٢٥ ج و ٣٠٤) بمحاصرة خي سانه . وهكذا جمع الاميركيون معظم قواتهم الرئيسية في الشمال ، من خي سانة الى دانانغ ، وفي الجنوب حول سايغون . وتحولوا الى الدفاع ، من خط العرض ١٧ حتى شبه جزيرة كاماو ، معرضين انفسهم بذلك الى حرب استنزاف كثيرة التكاليف ، الامر الذي دفع بعض الاميركيين الى التفكير باستخدام القنبلة الذرية التكتيكية لمنع الانهيار .



الوضع في فيتنام الجنوبية حتى ١٩٦٨/٢/٢٦

الهجوم المعاكس الاميركي

بعد معارك شباط (فبراير) ومطلع آذار (مارس) استطاع الاميركيون والفيتناميون الجنوبيون إيقاف هجمات الثوار، وحماية المدن، فجمعوا ٥ فرق هي: فرق المشاة الاميركية ١ و ٩ و ٥، والفرقتان الفيتناميتان الجنوبيتان ٥ و ٢٥، وشنوا في منتصف آذار (مارس) اكبر عملية حربية اطلقوا عليها اسم «مصممون حتى النصر». ولقد شارك في العمليـــة قطعات خاصة مختارة من المغاوير والمظليين ورماة البحرية. واشترك في العملية مئات الطائرات وطائرات الهليكوبتر بعد وصول ٤٠٠ طائرة و ٨٠٠ هليكوبتر في شهر آذار (مارس) لسد النقص بالطائرات.

ولكن ضربات هذه القوة سقطت في الفراغ لأن قوات (ج ت و ف) التي تحاصر سايغون انسحبت منذ بداية آذار (مارس) نحو مناطق التجمع الآمنة قرب الحدود الكامبودية، تاركة وراءها ستارة رقيقة لإخفاء الانسحاب وازعاج العدو. الامر الذي اجبر ويستمورلاند الى تبني استراتيجية «التطهير والثبات» والتجمع حول المدن لحمايتها.

وادى فشل ويستمورلاند في توقع هجوم «التيت» وفي الهجوم المضاد الى عزله في اواخر آذار (مارس) وتعيين الجنرال ابرامز بدلا عنه. ولقد حاول ابرامز متابعة عملية «مصممون حتى النصر» في شهر نيسان (ابريل). ولكنه فشل في ذلك. فعاد الى تبني استراتيجية اقل طموحاً تعتمد على حماية المدن والقواعد خوفاً من «رأس سنة دام جديد».

ويرجع نجاح هجوم «التيت» الى سوء تقدير القيادة الاميركية او جهلها باتجاه الهجوم الذي يعده الفيتناميون. فلقد اعتقدت ان الهجوم سيتم في خي سانه والجزء الشمالي من فيتنام الجنوبية، لذا حشدت قواتها هناك، ولم تترك في الدلتا سوى ثلاثة آلاف جندي اميركي وعدد من القطعات الفيتنامية الجنوبية التي لا يعتمد عليها كثيراً. وعندما اندلع القتال في الدلتا ظنت القيادة الاميركية، ان هجوم الثوار هجوم تشتيتي يستهدف جذب القوات الاميركية ومنعها من تركيز جهدها على محور الهجوم الرئيسي في الشمال وعند خي سانه، وتابعت تركيز قواتها في الشمال، ولكن تعاقب الاحداث أثبت خطأ هذا الرأي. ورأت القيادة الاميركية ان ترك سايغون (اهم مركز سياسي في فيتنام الجنوبية) تسقط بيد الثوار سيؤدي الى انهيار نظام فيتنام الجنوبية وما يحمله هذا الانهيار من نتائج خطرة، لذا قررت الدفاع عن الشمال والجنوب بآن واحد، والعمل على جبهتين متباعدتين ١٠٠٠ كيلومتر، الامر الذي زاد صعوبات العمل، وجعل الجبهتين ضعيفتين.

نتائج الهجوم

ورغم النجاح الذي حققه هجوم «التيت» في بدايته، فانه لم يحقق كل مطامح جياب، لأنه لم يؤد الى القضاء الكامل على القطعات الجنوبية او الى العصيان العام، كما انه لم يشكل الا مرحلة هامة وجديدة في تطور استراتيجية القائد العام الجديدة، فقد احبط كل منهاج اخماد الثورة الذي وضعه الاميركيون، ودفع للحرب طبقة واسعة من ابناء المدن، وزاد من حدة سيطرة (ج ت و ف) على السكان، ونمى كفاحاً جديداً ضد الاميركيين.

وقد كان من نتيجة هذا الهجوم ان تحطم

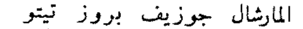
كل الجهاز الجنوبي ، وصفيت ادارة المقاطعات وقضي عليها ، كما تهدمت النواة المركزية للحكم في سايغون ، ونهبت المصنفات والمحفوظات ، ودمرت اجهزة الارسال اللاسلكية ، واحرقت مراكز الاستعلام ، وخربت طرق المواصلات ، واصبح المحور الكبير ماي تهو - فينه لونغ - كان تهو - سوك ترانغ - باك ليو ، الذي يشكل العمود الفقري الحقيقي للمواصلات ، غير صالح للاستخدام . وكان لشل الدلتا آثار اقتصادية هامة ، اذ ان محصول الارز الذي تم جمعه في شباط (فبراير) لم يصل الى سايغون . فقد نظم ثوار (ج ت و ف) عملية الحصاد كما يشاؤون . واخذت مئات من مراكب (السامبان) كل يوم تنقل التموين والاسلحة والذخائر الضرورية للقطعات الموجودة في المعركة عبر الانهار والاقنية العديدة التي تخترق الدلتا في كل مكان .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد كان هجوم «التيت» حاسماً بالنسبة للرئيس الاميركي ليندون جونسون لجهة تعزيز القوات الاميركية في فيتنام ، واعلان التعبئة العامة ، بغية تحقيق النصر في فيتنام ، الامر الذي كان الجنرال ويستمورلاند قائد القوات الاميركية في فيتنام بمساعدة هيئة اركان الحرب الاميركية يسعى الى التوصل اليه . ولكن دراسة البنتاغون حول الحرب الفيتنامية اوضحت ان هذا الضغط من جانب هيئة الاركان ومن جانب القائد العام للقوات المقاتلة في الجبهة ، أدى في نهاية الحرب الى إثارة مناقشات سياسية هامة وحادة في دوائر الحكومة ،انتهت في خاتمة المطاف الى عكس ما كان يتمناه العسكريون . وهكذا واجه الرئيس الاميركي لاول مرة بصراحة احتمال ضياع جميع الجهود التي بذلها طوال ثلاث سنوات من التصعيد المستمر للحرب ، إزاء الاستياء الشعبي الكبير وسيادة عدم الرضا وتبلبل الموقف سواء فيما يتعلق باهداف الحرب او الطريقة التي تدار بها .

وفي ٣١ مارس (آذار) عام ١٩٦٨،أي بعد مرور شهرين بالضبط من بدء الضربات التي وجهها الفيتكونغ والفيتناميون الشماليون في هجوم «التيت» اعلن الرئيس جونسون عن قراره الخاص بالحد من نطاق العمليات الاميركية في فيتنام،وامر باقتصار القصف الجوي لفيتنام الشمالية بحيث لا يتجاوز خط عرض ٢٠،وبعث الى فيتنام الجنوبية بامدادات رمزية من القوات التي لم تتعد عشر القوات التي كان جنرالاته يطالبون بها من اجل تحقيق النصر والتي وصلت الى ٢٠٦,٠٠٠ رجل . لقد فاجأ هذا الهجوم البيت الابيض وهيئة اركان الحرب بشكل مباغت ، كما ان قوته وتركزه والوقت الذي استغرقه ضاعف من وقع الصدمة والمفاجأة التي كانت بالغة الحدة بالنسبة للرئيس الاميركي بشكل خاص،حيث انه كان طوال عام ١٩٦٧ يقلل من تقدير التحليلات السلبية لاستراتيجية الولايات المتحدة المقدمة له من وكالة المخابرات المركزية ومن مكاتب البنتاغون المختصة بشؤون الأمن الدولي ومن الهيئات الخاصة بالتحاليل والدراسات ، بانياً سياسته على التقارير المتفائلة الواردة اليه من الجنرال ويستمورلاند .

(٥) تيتو (جوزيف بروز)

رجل دولة يوغوسلافي ، كان قائداً لقوات الانصار اليوغوسلافيين إبان الحرب العالمية الثانية . واصبح رئيساً للجمهورية اليوغوسلافية في ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٣ . ولد في ٢٥ أيار ١٨٩٢ في كومروفيك قرب زغرب في كرواتسيا التي كانت في ذلك الحين جزءاً من الامبراطورية النمساوية - الهنغارية . وهو الابن السابع للفلاح فرانجو بروز . عاش طفولة فقيرة ، وكان يكسب رزقه كعامل في صنع الادوات المعدنية . وبعد اندلاع الحرب العالمية الاولى ارسل الى جبهة الكاربات،حيث اصيب بجراح،واسرته القوات الروسية في آذار (مارس) ١٩١٥ . وكان هذا الحادث نقطة تحول في حياته ، ففي عام ١٩١٧ التحق بالجيش الاحمر ، وتزوج من فتاة روسية هي بيلاغيا بيلوسوفا


المارشال جوزيف بروز تيتو



Pelagya Belousova وقد طلقها في عام ١٩٣٥ .

وفي عام ١٩٢٠ عاد تيتو الى بلاده ، التي كانت قد نالت استقلالها حديثاً . والتحق بالحزب الشيوعي اليوغوسلافي . واعتقل في عام ١٩٢٨ بتهمة القيام بنشاط هدام وحكم بالسجن لمدة ٥ سنوات . وبعد إطلاق سراحه ذهب الى موسكو حيث عمل في سكرتارية الكومنترن البلقانية . وارسل في عام ١٩٣٦ الى زغرب وباريس لتنظيم التطوع للألوية الاممية التي شاركت في الحرب الاهلية الاسبانية . واصبح في عام ١٩٣٧ سكرتيراً عاماً للحزب الشيوعي اليوغوسلافي . وجعل من زغرب مقراً للحزب . زار موسكو عام ١٩٣٨ و ١٩٣٩ ، وفي خريف عام ١٩٤٠ انعقد في زغرب المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي اليوغوسلافي الذي اتخذ قراراً بوجوب إبقاء يوغوسلافيا بعيدة عن الحرب الامبريالية ، أي الحرب العالمية الثانية .

وفي نيسان ١٩٤١ غزت قوات المحور يوغوسلافيا وتقاسمتها،الا ان تيتو لم يعد الى يوغوسلافيا الا في ٢٢ حزيران بناء على دعوة الكومنترن ، بعد ان قرر القيام بانتفاضة مسلحة ضد الغزاة وسمى نفسه قائداً لهذه الانتفاضة . وفي آب غادر تيتو بلغراد لتسلم القيادة الميدانية بعد ان شكل مجموعات تخريب ومفارز انصار في المدينة . وفي منتصف ايلول (سبتمبر) كانت معظم انحاء صربيا قد طهرت من الالمان . وفي الوقت نفسه حاول التفاوض مع درازا ميخائيلوفيتش Draza Mihajlovič وهو عقيد في الجيش اليوغوسلافي جمع حوله عدداً من ضباط الجيش واعضاء من منظمة الشيتنك Chetnik شبه العسكرية ، بغرض تشكيل قيادة موحدة والقيام بعمل مشترك . الا ان المفاوضات فشلت ، وتمخضت عن صدامات بين الشيتنك وقوات تيتو ، وفي بداية كانون الاول من العام ذاته عاود الالمان احتلالهم لصربيا . فقاد تيتو ما تبقى من قواته الى البوسنة الشرقية ، ثم الى مونتنيغرو Montenegro واخيراً الى البوسنة الغربية . ودعا الى الوحدة بين مختلف الجماعات العرقية والطوائف الدينية لمقاومة الاحتلال . وشكل في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢ نواة لتنظيم سياسي اسماه لجنة التحرير الوطني المناهضة للفاشية .

قام الالمان ومساعدوهم بمحاولات عدة للقضاء على تيتو وقواته . وكادت إحدى وحدات المظلات الالمانية ان تتمكن من اصطياده في مقر قيادته في درفار Drvar في ٢٥ أيار (مايو) ١٩٤٤،

ولكنه تمكن من الفرار الى جزيرة فيز Vis التي كانت تحتلها قوات مشتركة من الانجليز وانصار تيتو. ومن هناك تمكن من الذهاب الى ايطاليا للاجتماع بقائد قوات الحلفاء في البحر الابيض المتوسط، ومع ونستون تشرشل، رئيس الوزراء البريطاني آنذاك. وقبل ذلك بعدة اسابيع قام تيتو بزيارة لموسكو حيث قابل ستالين لاول مرة. وبعد تحرير يوغوسلافيا اصبح تيتو رئيساً للوزراء في ٧ آذار (مارس) ١٩٤٥. وقام بزيارة رسمية لموسكو في نيسان (ابريل) ١٩٤٥.

تدهورت علاقات تيتو بالغرب قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية بقليل، على اثر محاولة تيتو الاستيلاء على تريستا، وبسبب اسقاط طائرة امريكية، واقامته لدكتاتورية شيوعية في يوغوسلافيا. وفي الوقت نفسه حدث توتر غير متوقع في علاقاته مع الاتحاد السوفياتي. فعلى الرغم من مشاركة القوات السوفياتية في طرد الالمان من يوغوسلافيا، فقد أبدى امتعاضه من فشل الاتحاد السوفياتي السابق في مساعدة الانصار، ومن غرور الضباط والمستشارين السوفيات في يوغوسلافيا ومن عدم مساندة الاتحاد السوفياتي لمطالبه في تريستا، ومن المحاولات السوفياتية لاستغلال الاقتصاد اليوغوسلافي. ورغم بقاء تيتو شيوعياً مخلصاً فقد اكتسب وجهة نظر قوية مستقلة. وقال في إحدى المناسبات«ان الطراز اليوغوسلافي للشيوعية قد اكتسب اصوله من الجبال، والغابات. ولم يستورد جاهزاً من موسكو». وانفجر الخلاف مع تيتو في حزيران (يونيو) ١٩٤٨ حين هاجم ستالين وعدد آخر من قادة الاتحاد السوفياتي، ورؤساء الجمهوريات الاشتراكية الاخرى، نظامه بشكل علني. وصمد تيتو والحزب الشيوعي اليوغوسلافي لهذه الحملة، وللضغوط الاقتصادية التي تعرضت لها بلدهما،الا ان ذلك جعله يقترب اكثر من الغرب، وتمثل هذا التقارب في قبول المساعدات الاقتصادية الغربية، والقيام بزيارة رسمية الى بريطانيا عام ١٩٥٣، وتسوية مشكلة تريستا في تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٥٤.

وقامت عده محاولات لاعادته الى حظيرة الكتلة السوفياتية التقليدية، الا انه بقي متمسكاً بموقفه الحيادي. وقوى علاقاته مع رؤساء دول محايدين مثل الزعيم الهندي جواهر لال نهرو، والزعيم المصري جمال عبد الناصر. وكان مضيفاً لمؤتمر دول عدم الانحياز الذي عقد في بلغراد عام ١٩٦١. وتعزى انجازاته الى صفات مميزة فيه، اهمها صلابته البدنية والمعنوية غير العادية، وهدوءه في المخاطر، وسرعته في اتخاذ القرارات الصعبة، وتصلبه في المسائل الجوهرية، وتقبله للتحليلات المنطقية،وانفتاحه على الافكار الجديدة. وهو حاضر النكتة، ودود ينقلب الى جلف اذا غدر به الاصدقاء، محب للحياة، يميل أحياناً الى التباهي والتفاخر.

ويؤيد المارشال تيتو حركة التحرر الوطني العربية والمقاومة الفلسطينية بشكل كامل، ويقف من اسرائيل موقفاً حازماً.

(١٥) تيرميدور

تعتبر أحداث تيرميدور بداية النهاية للثورة الفرنسية وظهور ما سمي بالأفكار المعتدلة التي أدت الى استلام نابوليون بونابرت سلطة الحكم في فرنسا ثم عودة الحكم الملكي. وفي الواقع لم تمض خمس سنوات على الثورة حتى سرح جيش الثورة، وحلت المنظمات الشعبية، وبدأت فترة الارهاب بظهور قانون ٢٢ بريريال للسنة الثانية (١٠ حزيران ١٧٩٤) الذي قصد منه قمع أعداء الثورة في حين أن فيلسوف الثورة سان جوست، أعلن بفطنته ونظره البعيد أن الثورة قد أصابها الجليد.

في خلال الأيام الأولى من تيرميدور بدأ التفسخ يسري بين أعضاء جماعة الجبليين الثوريين les montagnards في المجلس المنتخب، ومن جهة أخرى وقع الخلاف في الحكومة بين أعضاء لجنتي الطمأنينة العامة Sûreté générale والسلامة العامة Salut Public . ولم تؤد محاولة التوفيق بين هاتين اللجنتين يومي ٤ و٥ تيرميدور للسنة الثانية (٢٢ و٢٣ تموز ١٧٩٤) إلى أية نتيجة.

وفي التاسع من تيرميدور للسنة الثانية (٢٧ تموز ١٧٩٤) بدأ الخلاف الحاد بين اللجان الثورية. ثم سقط روبسبير، وحلت جماعة اليعاقبة، ووضع حد لعهد الارهاب، وتخلت الثورة عن الاقتصاد الموجه الذي بدأ بتحديد المكافآت والأجور، وبدأ ظهور أنصار النظام القديم L'Ancien Régime والتكتل البورجوازي المعتمد على فلول الجيش الملكي،

وقد نجم عن هذه الأحداث كلها ضعف فرنسا الثورة أمام أعدائها الأوروبيين، وضياع خمس سنوات من الجهود لإقامة ديموقراطية ثورية،لتأتي بعدها خمس سنوات أخرى من عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي،لتقوم بعدها امبراطورية نابوليون بونابرت مروراً بعهد قنصل فرنسا (استلم بونابرت الحكم في ١٩ برومير للعام الثامن - ١٠ تشرين الثاني ١٧٩٩).

ومن جهة أخرى فقد انتهت حروب الثورة الفرنسية بتوقيع معاهدة الصلح مع البروسيين والاسبان في العام ١٧٩٥ بمدينة بال بسويسرا، كما تم الصلح مع الهولنديين ووقعت المعاهدة في مدينة لاهاي في مايو (أيار) ١٧٩٥، إلا أن الحرب استمرت رغم ذلك مع النمساويين حتى توقيع معاهدة كامبو فورميو Campo formio بتاريخ ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٧٩٧.

(٥) تيكونديروجا (حاملة طائرات)

حاملة طائرات مضادة للغواصات من فئة «هانكوك»، امريكية، اسمها امتداد لاسم بعض قطع الاسطول الامريكي القديمة. دخلت الخدمة في ايلول (سبتمبر) ١٩٤٥. يبلغ وزنها القياسي ٣٢٨٠٠ طن، ووزنها بحمولة كاملة ٤٢ ألف طن. طولها ٢٧٢,٦ متراً، وعرضها ٣٠,٨ متراً، وارتفاع غاطسها ٩,٤ أمتار، وطول سطحها المخصص للطيران ٥٨,٥ متراً. وتبلغ قوة دفع محركاتها ١٥٠ ألف حصان. وتصل سرعتها الى اكثر من ٣٠ عقدة في الساعة. ولها طاقم مؤلف من ١٦١٥ رجلا يضاف اليهم ٨٠٠ رجل هم افراد المجموعة الجوية المخصصة لحرب الغواصات. وتستطيع حمل ٤٥ طائرة مضادة للغواصات. وتتسلح بأربعة مدافع من عيار ١٢٧ مم. وهي في الاصل واحدة من ٢٤ حاملة طائرات من فئة «ايسكس» أعيد تصنيفها فيما بعد لتصبح من فئة «هانكوك».

(٩) تيللي (جان تسير كلاس)

جان تسير كلاس كونت دو تيللي. Jean T'serclaes comte de Tilly (١٥٥٩-١٦٣٢) جنرال بلجيكي والوني، عمل في خدمة الامبراطورية المقدسة بعد ان حارب الاتراك في بلاد المجر. كان له الفضل في اعادة تنظيم الجيش البافاري (١٦١٠)، ثم قاد جيوش الرابطة المسيحية خلال حرب الثلاثين سنة. انتصر في الجبل الابيض (١٦٢٠)، فاستولى على هيدلبورغ Heidelberg، ثم مانهيم Mannheim (١٦٢١). انتصر في ويمبفين Wimpgen على أمير الباد Bade، واعاد للكنيسة ممتلكاتها المنهوبة. وعندما انتصر على الدانماركيين في لوتر Lutter (١٦٢٦)، استولى على سليسفيك Slesvig،

وهولشتــاين Holstein وجيلانــد Jylland حل محــل والنشتاين Wollenstein على رأس القوات الامبراطورية واستولى عــلى ماغدبورغ Magdeburg في ايار (مايو) ١٦٣١ وقام بنهبها وتدميرهــا . ثم هُزم في بريتنفيلد Breitenfeld على يد غوستاف ادولف في ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٦٣١ ، وتوفي اثر جروح اصابته وهو يدافع عن ممر ليش Lech في نيسان (ابريل) ١٦٣٢ .

(١٢) تيليست (صلح) ١٨٠٧

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) التيليميتر

(انظر مقدرة المسافات) .

(١٢) تيمور أو تيمورلنك

تيمورلنــك Timurileng أو تيمــور الاعرج Tamerlan ملك التتار (١٣٣٦ – ١٤٠٥) . زعيم مغولي ، وعبقري في فنون الحرب ، بارع في القيادة . لقب من قبل شعبه بالاسد الفاتك الفاتح ، ومن قبل اعدائه بالذئب المفترس . اعتبره الأوروبيون شخصاً خارقاً ، نظراً لما قام به من فتوحات وانتصارات . شن اعظم غزوات بربرية عرفها التاريخ ، وهب حياته كلها للحرب والغزو والدمار . وكان مغرقاً في سفك الدماء . تغلب على ملوك الهند وفارس وما وراء النهرين كما غزا حلب ودمشق وبغداد وانقره ، وبلغ الصين . وكاد ان يكون ملك العالم القديم . وخلف امبراطورية عظيمة شبيهة بالامبراطورية الرومانية لكنها سرعان مــا انهارت في اواسط القرن الخامس عشر .

وله تيمورلنك في كاش Kesh في « المدينة الخضراء » الواقعة على بعد خمسين ميلا جنوبي مدينة سمرقند (في الجنوب الغربي من الاتحاد السوفياتي) . من أصل تركماني . وكان والده « تراجي » شيخ قبيلة من قبائل التتار « البارلاس » Barlas ، يملك ارضاً صغيرة وماشية قليلة ، ويمتد نسبه لأجداد نبلاء إلا أنه كان فقيراً . وكثيراً ما كان يحدثه والده عن تاريخ اجداده الوثنيين ، وعن حياتهم التي كانت سلسلة من الغزوات والمعارك والمغانم . عاش تيمور في منزل قيّم . وكثيراً ما كان يقصد هذا المنزل جماعات ملتحية غريبة الاشكال والهيئات ، وكانت تتحدث أمام والده عن القوافل في حلهــا وترحالها ، وعن الحروب والمعارك التي كانت تدور امامها في الوديان حول « المدينة الخضراء » . وكان تيمور دائم الاطراق ، كثير التفكير ، قليــل



الجنرال جان تسيركلاس تيللي

الضحك ، هادئ الحديث . وكان يجلس معظم اوقاته على سطح المنزل يرقب قوافل الاعجام والعرب تنقل البضائع . وما ان اشتد ساعده حتى برع في ركوب الخيل والقنص والصيد .

وفي السادسة عشرة من عمره حفظ القرآن وكثيراً ما كان يتردد على المسجد بمجالس العلماء والفقهاء . ولقد نصحه والده بالذهاب الى سمرقند حيث يقيم نائب الملك (الامير كازخان) الذي كان اميراً وقائداً للجيش . ومشى تيمور الى العاصمة لا يملك غير سيفه وخادمه . واعجب الامير كازخان بتيمور بعد ان سمع الكثير عن شجاعته وجرأته ، وقرّبه منه ، وتمكن بواسطته من احراز عدة انتصارات في غزوات قام بها في شمالي البلاد وغربها ، اذ كانت كتائبه تتحرك تحرك الجراد في حلها وترحالها وكثيراً ما كان الامير كازخان يردد على مسمع تيمور انه من اصحاب النسب الشريف المعروف ، ولكنه ليس من سلالة جنكيزخان (الملك الاعظم) وان اجداده قد اتفقوا وابناء جنكيزخان (وكانوا يطلقون عليهم لقب الخان – أي زعيم المغول –) ان يكون ابناء جنكيزخان الملوك الحاكمين وان يكونوا هم امراء الجيش والقواد المطيعين . وذلك وفق النظام الذي وضعه جنكيزخان لدولته (انظر جنكيزخان) . وكان تيمور على علم بذلك . وكان نسب الامير كازخان لا ينتهي الى هذه الاسرة الملكية العظيمة ، ولكنه كان سياسياً داهية لا يدفع جنده لحرب او غزوة الا عند الضرورة القصوى . واثناء وجود تيمور في سمرقند دب الخلاف بين الامراء في المملكة على تقسيم الملك ، وراحوا يطالبون الامير كازخان

بقتل الملك « تغلق تومور » Tughlek Temur خان كشغر ، الذي كان ملكاً بالاسم فقط . ولما فشلوا فتكوا بالامير كازخان فيما كان منصرفاً الى الصيد ، وكان ذلك في العام ١٣٥٧ . وعين الخان ابنه الياس خوجا حاكماً على بلاد التتار ، كما عين تيمور وزيراً على سمرقند ، واوكل اليه قيادة ألف من جنده ، ثم ما لبث ان رقي فاصبح رئيساً لعشرة آلاف من الجند . وحاول الامير حسين ابن كازخان ان يجلس على العرش مكان ابيه ، لكنه فشل ، فهرب من سمرقند . ولم يرض تيمور بمنصبه ، واحتج الى الخان ، الا ان الخان أمر بقتله ، ففر تيمور وانضم الى الامير حسين ، وكان فاراً ايضاً . وفي هذه الفترة توفي والد تيمور وتولى الحاج بارلاس (عم تيمور) زعامة عشيرة البارلاس بعد وفاة شقيقه . ودارت معارك بين جند الخان من جهة وجماعة تيمور والامير حسين من جهة أخرى . وكان تيمور قد تمكن وهو في سمرقند ان يجمع حوله بعض المقاتلين الشجعان من التركمان والعرب وقطاع الطرق الاقوياء . وهكذا تمكن تيمور وجماعته من الاستيلاء على عدة حصون بعد معارك شديدة ، وجرح تيمور خلال هذه المعارك في يده ورجله . وظل يعرج منذ ذلك الحين حيث لقب بتيمور الاعرج . وكان جند الخان لا يعرفون من أمور الحرب سوى السلب والنهب وحرق المدن وتدمير المزارع . وكان تيمور أثناء معاركه يأمر جنده بأن ينتظموا في شبه دائرة بعيداً عن حصون المدينة وان يثيروا من الغبار خلفهم ما يبعث الظن بأن المحاصرين كثيرون . وكانوا يندفعون الى القتــال والابتسامة لا تفارق وجوههم . وقد تمكن تيمور من هزيمة فرقتين من خصومه « تارة بناره » وطوراً « بغباره » ، كما تمكن من القبض على قائد جند الخان . واستعد الخان (الياس) وراح جنده لمقاتلة تيمور ، وكان تيمور يستعد له ، فيبعث بطلائعه ليقف على حركات العدو وعدد رجاله . ولقــد استطاع خلال ذلك توحيد كل جماعات التتار تحت لوائه (الباتور والبارلاس ، وقبائل الافغان وجماعات الجالا) وكانوا جميعهم فرساناً . اما المشاة فقد كان اكثرهم من الخدم والعبيد ، وكانوا يلبسون دروعاً من الفولاذ الفارسي الخفيف وخوذاً من الفولاذ ايضاً تستر العنق . أما سلاحهم فكان الرماح والسيوف والاقواس . وكان تيمور يقسم جنده أثناء معاركه الى ميسرة وميمنة وقلب . وكانت كل فرقة مؤلفة من قسمين ، قسم للقتال ، وقسم للاحتياط لا يبرح مكانه ، ومهمته مساعدة المقاتلين عند الحاجة ، كما

كان يأمر بدق الطبول بقوة وعنف لتشجيع جنده .

بدأ القتال بين تيمور والخان بعد ان نظم كل منهما صفوفه ، الا ان تيمور لم يتمكن، لرداءة الطقس ، من مواصلة المعركة . فانكفأ بقواته ، واغتنم الخان هذه الفرصة فهاجم جيشه فرق تيمور ، وهي منهزمة ، وعاد تيمور الى « المدينة الخضراء » يجمع فرقاً جديدة من الجند . وفي العام ١٣٦٤ تمكنت جماعة تيمور والامير حسين من إنزال الهزيمة بجيش الخان (الياس) . وفي العام ١٣٧٠ انقلب تيمور على الامير حسين ، (وكان شديد الغضب يكره تيمور ويحسده على ما يناله من امجاد) ؛ كما ان سوء التفاهم قد ازداد بين فرق تيمور ورجال الامير حسين ، وكان من نتائج ذلك ان فتك تيمور بحسين ، وتمكن من الجلوس على عرش جنكيزخان واصبح ملك سمرقند ، وكان عمره آنذاك ٤٣ عاماً ، ونقل عاصمة ملكه من « المدينة الخضراء » الى سمرقند . واستمر بعدها طيلة عشر سنوات يحارب الخان في شرقي تركستان (جاتاه والخوارزم) حتى وصل الى مدينة كشغر Kashgar (الواقعة في أقصى الغرب من الصين) فاحتلها في العام ١٣٨٠ .

وفي العام ١٣٨٣ بدأ تيمور غزو فارس ونزلها على رأس سبعين فرقة من جنده ، حتى أشرف على اصفهان . ودارت معركة بين جند التتار وسلطان اصفهان ، هلك خلالها ٧٠ ألف نسمة في يوم واحد . وعلى أثر ذلك اندلعت ثورات في جميع انحاء فارس ،لكنه سرعان ما أخمدها بسرعة وبوحشية متناهية ، فدمر المدن ، واعدم سكانها ، وبنى الابراج من جماجمهم . ثم تابع زحفه نحو هارات Herat (الواقعة شمال غربي افغانستان) واستولى عليها . وفي فترة (١٣٨٣ – ١٣٨٥) استولى على خراسان وسائر مدن شرقي فارس . كما استولى في فترة (١٣٨٦ – ١٣٩٤) على فارس والعراق وازربيجان وارمينيا وبلاد ما بين النهرين وجورجيا وكان سبيله الوحيد للمحافظة على ملكه ، مهاجمة خصمه قبل ان يهاجمه .

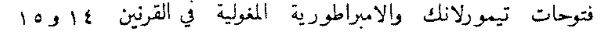
وهكذا فقد تمكن تيمور في العام ١٣٨٨ ، وكان عمره ٥٣ عاماً من ان يحكم امبراطورية واسعة « امبراطورية ما وراء النهرين » .

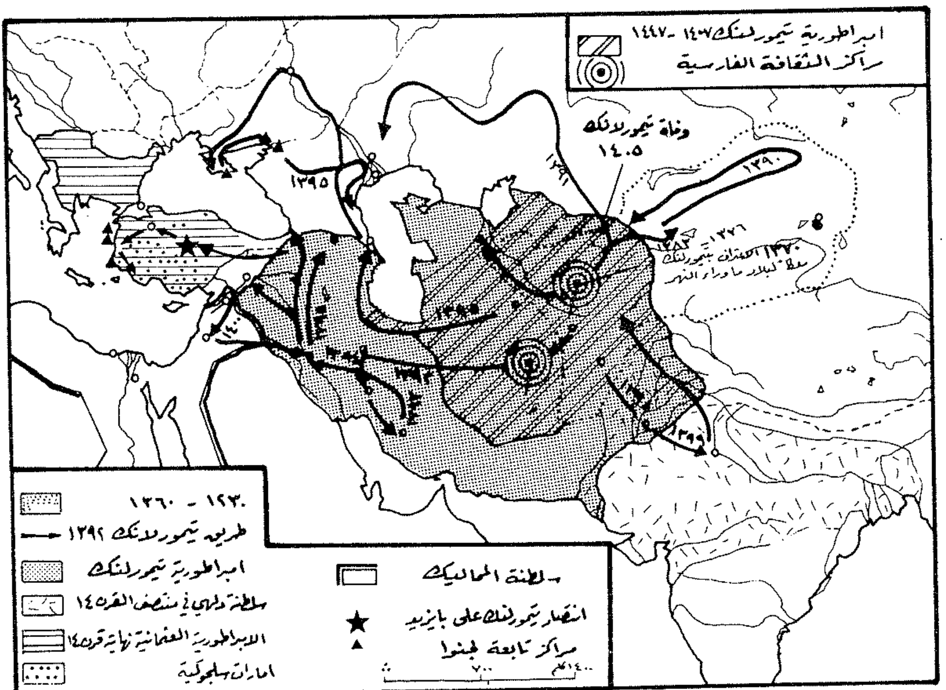
وفي العام ١٣٩١ زحف تيمور نحو روسيا (سيبيريا واوكرانيا وبلاد التركمان) .وكان شعاره في سياسته الحربية لهذه الاصقاع ان يكون في مكان الموقعة مع عشرة من الجند بدلا من ان يكون بعيداً ومعه عشرة آلاف ، وان يسرع لمحاربة خصمه قبل ان يجمع الخصم قواته . وكان تيمور يقود في هذه الاصقاع النائية مئة ألف من الجند . فاحتل موسكو لمدة عام واحد بعد ان حارب تختاميش Tokhtamysh احد أمراء بلاد القرم ، وهزمه واطاح بعرشه .

وفي آذار (مارس) ١٣٩٨ ، وبينما كان تيمور في سن الستين ، غزا الهند ، وسار نحو دلهي ، وانقض وجيشه على جيش محمود تغلق في بانيبات Panipat ، في ١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٣٩٨ ، فهزمه وترك دلهي دماراً . ولم تنهض من جديد الا بعد قرن من الزمن . وفي نيسان (ابريل) ١٣٩٩ رجع تيمور الى عاصمته سمرقند مع ٩٠ فيلا استولى عليها وحمّلها حجارة لبناء جامع في سمرقند

وفي العام نفسه ، وبعد عودته من الهند حيث اهلك زهاء ٢٠٠ ألف نسمة ، زحف تيمور على رأس جيشه نحو العالم العربي لينتقم من سلطان المماليك في مصر لمساندته أحمد جيلار (الحاكم المغولي في بغداد) الذي استولى على اذربيجان ، ولينتقم من السلطان بايزيد لاستيلائه على شرقي الاناضول .

وفي العام ١٤٠٠ اكتسح تيمور بلاد الكرج (القوقاز) ونهبها . وفي العام ١٤٠١ سار باتجاه الحدود السورية . وتقدم جيشه الى عينتاب ففتحها . ولما وصل الى حلب ارسل الى حاكمها (وهو من المماليك) رسولا ، لكن الحاكم فتك بالرسول مما أدى الى حنق تيمور عليه ، وقرر الانتقام من حلب وحاكمها . فزحف الى قرية حيلان واحاط بمدينة حلب حيث دار قتال دام استمر اربعة ايام ،بلغ عدد القتلى فيها عشرون الفاً ، والاسرى ٣٤٠ ألفاً . وبعد عملية النهب والحرق والسبي والتخريب التي قام بها تيمور وجيشه ، اتجه الى حماه والسلمية اللتين لقيتا مصير حلب نفسها ، ولم يصل الى حمص اذ « وهبها لخالد بن الوليد » . ثم تابع زحفه متجهاً نحو دمشق . فنزل في سفح جبل الشيخ حيث دارت معركة قتل فيها ألف من جند تيمور مما حمله على المفاوضة لعقد صلح او يحرق البلدة . وقام اهل دمشق بتحصين مدينتهم ونصبوا المجانيق على القلعة ، كما نصبوا المدافع على اسوار المدينة استعداداً للقتال . ونزل تيمور وجيشه في قطنا ودارت بين جند دمشق وجند تيمور معركة قاسية جعلت اهل دمشق يغلقون ابواب المدينة على انفسهم ليركبوا السور وينادوا بالجهاد ويستميتوا في القتال . وقاتل الدمشقيون ببسالة وردوا التتار عن السور والخندق وأسروا جماعة منهم وقتلوا زهاء ألف منهم . وكان انتقام تيمور من اهالي دمشق حين فتحه للمدينة مخيفاً ، فقد أعمل النار فيها لمدة ثلاثة أيام بلياليها فأصبحت اطلالا ، واقام فيها ثمانين يوماً ، ثم رحل عنها وهو مريض . وأخذ عند رحيله عنها أفضل علمائها وأمهرهم في الصناعة والفنون . ثم اتجه الى طرابلس وبعلبك.وعند مروره بحلب احرقها مرة ثانية ، وهدم ابراجها


فتوحات تيمورلانك والامبراطورية المغولية في القرنين ١٤ و ١٥



وقلعتها واسوارها ومساجدها ومدارسها ، وتابع زحفه حتى بلغ نهر الفرات .

وفي العام ١٤٠١ وصل تيمور الى بغداد بعد مشقة وعناء فاقتحم أحد جانبي سورها ، وأمر رجاله بالهجوم عليها . فدمرت الاسوار واحرقت المنازل وهدمت الآثار . وبلغ عدد القتلى ٩٠ ألف نسمة بما فيهم ٢٠ ألفاً اعدمهم بعد سقوط المدينة . وبسقوط بغداد انتهت معارك تيمور في البلاد العربية بعد ان اقتحم ما يقرب من ١٢ مدينة عربية محصنة .

وفي اوائل العام ١٤٠٢ اتجه تيمور نحو آسيا الصغرى فاقتحم سيواس والاناضول ، ومشى بجيشه نحو انقره حيث هزم جيش السلطان بايزيد هزيمة ساحقة في موقعة انقرة التي جرت في ٢٨ تموز (يوليو) من العام نفسه . وبعد ان حاصر المدينة وسمم عين الماء الوحيدة الموجودة فيها ، توجه نحو ازمير واسر سلطانها بايزيد الذي اقتيد الى خيمة تيمور ، وكان يلعب الشطرنج ، وما ان رآه تيمور حتى ضحك قائلا : « إني اضحك لان الله اعطى ملك العالم لرجل اعرج مثلي واعمى مثلك » . ولقد عامل تيمور السلطان بايزيد معاملة حسنة لم تكن مألوفة عنده بالنسبة إلى الأسرى . وأدى أسر بايزيد إلى استسلام انقرة وباقي المدن التركية .

وفي العام ١٤٠٤ عاد تيمور الى سمرقند وقام باستعدادات كبيرة للهجوم على الصين ، اذ لم يبق امامه سوى تلك البلاد . فمشى نحوها على رأس جيش قوامه ٢٠٠ ألف مقاتل . وكانت قوافل المؤن والذخائر التي اخذها معه عبارة عن مدن متحركة تسير خلف الجيش ومعها كل ما يحتاج اليه . وبلغ بلدة اوترار Otrar (الواقعة غربي كليمكنت Climkent) في الشتاء ، فأقام فيها حتى يستعد لمواصلة الزحف أثناء الربيع ، إلا أنه مرض هناك في اواخر كانون الاول (ديسمبر) ١٤٠٤ ومات في ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٤٠٥ . وكانت وصيته لقواته حين موته : « عليكم بالجيش فحافظوا عليه . واعملوا على اتفاق كلمتكم ولا تتخاصموا فتفشلوا ، وسيروا نحو الصين ولا تتراجعوا » . وبموته سلمت امبراطورية الصين من حرب مدمرة . وارسل جثمان تيمور الى سمرقند حيث دفن في مقبرة « غور الأمير » .

كان تيمور أمياً ، إلا أنه كان يتكلم الفارسية والتركية والمغولية ، وكان قوي الحجة ، شديد الايمان بنفسه وبقوته ، كما كان عنيفاً شديد القسوة ، شديد الدهاء ، كثير الجرأة ، عظيم الطغيان ، ذا مكائد مدهشة في الحروب ، وفراسة قل ان تخطئ . وكان موفور الذكاء ، سديد الرأي ، على معرفة تامة بقوة خصومه وعدد جندهم واحوالهم واخبارهم ومواطن الضعف فيهم . فإذا مشى اليهم مشى الى قوم يعرف عنهم ما لا يعرفونه عنه . وكان محبوباً من الباهاتور (اقوى جماعات التتار) وهذا ما ساعده على احراز انتصاراته . ولقد رقى بالفن الحربي إلى حد لم يكن بامكان احد من القواد الاوروبيين في عهده ان يبلغه . وقد رأى نقاد الفنون العسكرية ما يبعث على الدهشة في معاركه وقوة قواده وبراعتهم وجرأتهم وحسن تصرفهم في الحرب وجريهم السريع الذي كان تيمور يدفعهم اليه لاقتحام العالم . وكان من أغرب ما قام به تيمور وجنده إنشاء الاهرام من جماجم قتلاه من اهل المدن التي اقتحمها . وكانت لعبة الشطرنج المحببة الى قلبه تساعده على استنباط الحيل الحربية ومهاجمة العدو .

ومن مآثره انه شجع الفنون الجميلة وعمل على بناء القصور والمساجد وزخرفتها ، كما شجع الفن والادب والعلم ، واقام المنشآت العامة الضخمة ، وجمل مدينة سمرقند بالبنيان الشاهق ، كما جلب اليها الفنانين والنحاتين من جميع البلدان التي احتلها حتى ضاقت المنازل فيها عن ايوائهم فافترشوا الارض في الحدائق العامة وعلى ضفاف الانهر . ولقد عني بانشاء الطرق ، وإقامة القلاع والحصون حول المدينة ، وانشأ المكاتب ومراكز الاستعلامات للتجارة والصناعة ، وانشأ فيها مرصداً فلكياً حتى اصبحت فتنة المدن وأجمل العواصم . وقد حفظ تيمور سجلا مفصلا لكل ما قام به من غزوات ونسقها بشكل لتكون سيرة رسمية تبرز انتصاراته وامجاده العسكرية .

(٨) تيموشينكو (سيمون)

سيمون كونستنتينوفتش تيموشينكو Timochinko Semyon Konstantinovitch (١٨٩٥ — ١٩٧٣) من مواليد فورمانكا بمقاطعة بسارابيا من أبوين فقيرين لم يتمكنا من اكمال تعليم ابنهما فنشأ دون أن ينال قسطه من التعليم ، وعمل في الزراعة فلاحاً بسيطاً لمساعدة أسرته والاسهام في حمل اعبائها . وفي عام ١٩١٥ ، وتنفيذاً لقانون التجنيد القيصري ، التحق تيموشنكو بالجيش ، وعمل جندياً بسيطاً في إحدى فصائل المدافع الرشاشة التابعة للواء اورانينبوم الأول ، ثم في فرقة الفرسان الرابعة . وقادته طبيعته الثائرة الى ضرب ضابط من قادته أساء معاملته ، فأحيل الى المحاكمة وأدانه المجلس العسكري في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٧ ، وسرعان ما اندلعت نيران الثورة ، وصدر عنه عفو أنقذه من العقوبة .

وعندما بدأت عناصر الثورة المضادة بتحريض من دول الحلف في شن حرب التدخل للقضاء على الثورة البلشفية ، كان تيموشينكو في صفوف الثورة ، وقاد مجموعة من المعارك القتالية كان أكثرها شهرة اقتحام الحصار الذي ضربه الجيش الأبيض حول « تساريتيزين » في تشرين الثاني (نوفبر) ١٩١٨ . وكانت قيادته الماهرة لقوة الفرسان ، وشجاعته في القتال ، سبباً في تركز انظار القادة (ستالين ، وبوديوني وفوروشيلوف) عليه ومتابعتهم لنشاطه . ثم اشترك تيموشينكو في حملة بولونيا ، وأصيب بجراح خطيرة وهو يقاتل ضد جيوش البارون ورانجل في بيريكوب في شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٢٠ .

في عام ١٩١٩ قبل انتساب تيموشينكو لعضوية الحزب الشيوعي . وفي عام ١٩٢٠ قابل لينين تيموشينكو للمرة الأولى في مسرح بولشوي بموسكو ، وأثنى لينين على الكفاءة القتالية العالية والمهارة القيادية لفرقة تيموشينكو خلال الحرب ، فأجاب تيموشينكو ان نجاحه في كثير من الحالات إنما يرجع الى النصائح الثمينة والاقتراحات القيمة التي كانت تقدم اليه من قبل المرؤوسين . وأعجب لينين بهذه الاجابة ، فقال لتيموشينكو : « حسناً . حسناً . حاول دائماً أن تعتمد على معونة رجالك فالمهم أن يكون الجميع كتلة واحدة » . وقد تابع تيموشينكو حياته العسكرية وهو يلتزم بفكرة الأخذ بنصائح مرؤوسيه واقتراحاتهم . وقد شعر تيموشينكو منذ بداية حياته العسكرية بحاجته لتطوير معارفه وقصور تعليمه الذي لم يكن يتناسب مع مستوى طموحه ، فعكف على الدراسة ، واستطاع بجهده ان يتغلب على الصعاب ، وأن يجمع حصيلة جيدة من العلوم والمعرفة ، وكان رائده في ذلك كبار قادة الجيش الأحمر وأساتذته أمثال فوروشيلوف وفرونتزه وشابوزنيكوف وتوخاشيفسكي . وكان ذلك مما ساعده على دخول الاكاديمية الحربية .

وفي عام ١٩٢٥ ، صدر قرار بتعيين تيموشينكو مساعداً لقائد فيلق الخيالة الثالث . وفي ربيع عام ١٩٢٦ ، تم تعيينه قائداً لهذا الفيلق ، وبقي فيه حتى عام ١٩٣٠ . وخلال هذه الفترة أفاد تيموشينكو من الدورات التعليمية التي كانت تنظمها قيادة الجيش الأحمر لرفع الكفاءة القتالية للقوات ، وتأهيل القادة في أكاديمية القادة العظام ، وأسهم في المناورات السنوية وادارة المشاريع التدريبية مما وفر له الفرصة

لوضع المعرفة النظرية موضع التطبيق العملي . وفي عـام ١٩٣٣ حضر تيموشينكو بعض المناورات العسكرية في أوروبا ، ثم شغل خلال الفـترة ١٩٣٣ – ١٩٣٦ منصب القائد المساعد لمنطقة كييف العسكرية ، وكان تعيينه لهذا المنصب برهاناً على ما وصل اليه من القدرة القيادية والكفاءة العالية ، وحصوله على ثقة القيادة . وكانت منطقة كييف من المناطق العسكرية التي تحتل المرتبة الأولى في الأهمية فمضى تيموشينكو في تطبيق برامج التدريب والاشراف على تطوير القوات واعادة تنظيمها وفقاً للتطورات الجديدة في التسلح ، ووضع مخططات المناورات السنوية وأسهم في ادارتها ، وكان مجرد ظهوره كافياً لاثارة الحماسة في صفوف القوات ومنحها الثقة للاندفاع في تماريها واعمالها التدريبية .

وفي عام ١٩٣٧ شغل تيموشينكو لفـترات قصيرة قيادة منطقتي القوقاز وخاركوف العسكريتين ، وعلى الرغم مما تميزت به هذه الفترة من اضطراب في أجهزة القيادة نتيجة لحركة التطهير ، فقد استطاع تيموشينكو المحافظة على مكانته ، واكتساب ثقة القيـادة ، ودون أن يتخلى أيضاً عن مبادئه في تأييـد البرامج التي كانت تستهدف تصحيح الأوضاع في الجيش ، والتخلص من ازدواجيـة جهاز القيادة والمفوضين السياسيين . وفي عام ١٩٣٨ اصبح تيموشينكو قائداً لمنطقة كييف العسكرية ، وفي ٨ أيار (مايو) ١٩٤٠ . عين لمنصب مفوض الشعب للدفاع (وزير الدفاع) ، ووصل بذلك الى ذروة المناصب العسكريـة . ويصف المارشال جوكوف وزير دفاع الاتحاد السوفييتي فيما بعد ما قام به تيموشينكو خلال فترة توليه منصب مفوض الشعب للدفاع فيقول : « ويجب القول بأن المشاريع الاختبارية بحضور القيادات العسكرية العليا كانت تعليمية وحركية الى أبعد الحدود . وكان تيموشينكو يعرف جيداً التدريب القتـالي للمحاربين والقطعات والوحدات ويحب هذا العمل . ومع تعيينه مفوض الشعب للدفاع سار في التدريب القتالي للقوات على هدى متطلبات الحزب والحكومة – أي تدريب كل ما يلزم للحرب – وقد أخذنا بممارسة الاستطلاع بصورة خاصة والاستخدام القتالي للأرض سواء لأغراض الهجوم أو الدفاع . لقد علمنا الكثير حتى نغرس في نفوس المقاتلين وضباط الصف والقادة بأن الوحدات والقطعات لن تصبح قوة جبارة وترهب العدو إلا عندما يصبح جميع المقاتلين مؤهلين تأهيلا جيداً » .

كان تيموشينكو من دعاة حرب الحركـة



المارشال سيمون تيموشينكو

والمطالبين بمكننة الجيش ، ويظهر ذلك من خلال مناقشته لكوليك نائب مفوض الشعب للدفاع لشؤون التسلح . فقد طالب كوليك برفع ملاك فرقة المشاة حتى ١٦ – ١٨ ألف رجل ، ودافع عن المدفعية المجرورة بالخيل ، واقترح تنظيم الدبابات في سرايا وكتائب فقط على اساس استخدامها كأسلحة دعم مباشر للمشاة ، وكان رد تيموشينكو بحضور ستالين وكبار القادة : « ان القوام القيادي للجيش يفهم ضرورة مكننة القوات بسرعة ، ولا يزال كوليك وحده يخطئ في هذه المواضيع » . وكان ستالين من انصار وجهة نظر تيموشينكو ، فأنهى المناقشة بقوله « ان النصر في الحرب سيكون للجانب الذي يملك دبابات أكثر ، وقوات ذات ميكانيكية اكبر » .

وفي ٨ آذار (مارس) ١٩٤١ أعيد تنظيم القيادة وتوزيع اختصاصاتها ، وأصبح تيموشينكو مفوض الشعب للدفاع قائداً للجيش الأحمر ، ويتبعه جهاز الأركان العامة ونوابه ومجموعة الإدارات المركزية والرئيسية ، وترتبط به مباشرة ادارة المركبات والمدرعات العليا ، وادارة الشؤون العامة ، والادارة المالية ، وادارة شؤون الضباط ، ومكتب الاختراعات .

وكان تيموشينكو يدرك الاخطار التي تبرزها القوة الألمانية المتعاظمة في ظل النظام النازي ، ولهذا تقدم الى ستالين في شهر آذار (مارس) ١٩٤١ ، وطالب باستدعاء عناصر التعزيز الاحتياطية لفرق المشاة ، حتى تتم إعادة تدريبهم بسرعة وفق المتطلبات الحديثة . لكن ستالين رفض الطلب حتى لا يوفر للالمان فرصة التدخل بحجة إقدام الاتحاد السوفييتي على اتخاذ (اجراءات استفزازية) . وفي نهاية آذار (مارس) اتخذ قرار باستدعاء ٥٠٠ ألف جندي وضابط صف وتوجيههم الى المناطق العسكرية المتاخمة للحدود . كما تم ، بناء على طلب تيموشينكو ومساعده جوكوف ، إصدار قرار في آذار ١٩٤٠ بالموافقة على تشكيل ٢١ فيلقاً مدرعاً يضم الفيلق الواحد ١٠٠٠ دبابـة . ونظراً لضعف القدرة الانتاجية فانه لم يتم حتى اندلاع الحرب تجهيز اكثر من نصف قوة الفيلقين ، ورغم ذلك ، فقد استطاعت هذه القوة الميكانيكية ممارسة دور كبير في صد الضربات الأولى .

ركز تيموشينكو جهده خلال الفترة التي سبقت الحرب على إعادة تنظيم القوات واكمال متطلباتها الادارية ورفع كفاءتها القتالية وفق التطورات الحديثة في التسليح ووضع مخططات القتال . ولقد أدى فشل القوات السوفييتية في المرحلة الأولى من الحرب السوفييتية – الفنلندية الى تعيين تيموشينكو لقيادة الجبهة الكاريلية في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٩ .

عندما وصل تيموشينكو الى مسرح العمليات عمل على دراسة الموقف ، ودرس اسباب فشل القوات السوفييتية في اقتحام خط مانرهايم الدفاعي على الرغم من التفوق في القوات والوسائط لدى القوات السوفييتية . ثم عمل على إعادة تنظيم القوات ، وطلب قوات دعم جديدة ، ودفع بالمدفعية الى مواقع متقدمة ، وأمر بصنع نموذج مشابه لخط دفاع مانرهايم لتدريب القادة والقوات على اقتحامه . ثم استكمل التجهيز الاداري للقوات ، وعندما انتهت مرحلة الاستعداد أمر ببدء الهجوم ، وانطلقت المدفعية بكثافة لم يعرفها تاريخ الحرب من قبل ، ثم انطلقت القوات البرية في الأول من شباط (فبراير) ١٩٤٠ بهجوم منظم بين مختلف صنوف الأسلحة ، وكان لتعاون المدرعات والمشاة والمهندسين دور كبير في تحطيم مقاومة الفنلنديين ، واخذت الحصون تتساقط واحداً بعد الآخر ، وفي ٢٥ شباط (فبراير) استولى الجيش الأحمر على كويفيستا . وفي ٣ آذار (مارس) وصلت قواته الى ضواحي فيبوري . وفقد الفنلنديون كل أمـل في إيقاف اندفاع القوات الميكانيكية السوفييتية ، فاضطروا في ١٢ آذار (مارس) الى قبول الشروط التي وضعها الاتحـاد السوفييتي لايقاف القتال .

وعلى أثر هذا الانتصار الحاسم منح تيموشينكو رتبة مارشال ، ووسام لينين ، ولقب بطل الاتحاد السوفييتي . وفي يوم ٧ أيار (مايو) ١٩٤٠ ظهر تيموشينكو الى جانب ستالين في مقصورته بمسرح

«بولشوي». وفي اليوم التالي، عين تيموشينكو لمنصب مفوض الشعب للدفاع (وزير الدفاع) وعضواً في مجلس الحرب الأعلى. فبدأ على الفور في الاعداد للحرب واعادة تنظيم الجيش، واليه يرجع الفضل الأول في رفع مستوى التدريب، ووضع النظام العسكري الصارم الذي تميزت به القوات السوفيتية، ونجح في تحقيق انجازين: اولهما إلغاء الأزدواجية في الجيش والقيادة وذلك عن طريق إلغاء الدور القيادي للمفوض السياسي، واقتصاره على الاهتمام بالروح المعنوية فقط، واستصدار مرسوم بذلك في يوم ٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٠. وثانيهما إعادة الألقاب العسكرية والرتب العسكرية للكوادر القيادية وفرض التحية العسكرية بموجب مرسوم صدر في ١٢ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٠. وتابع تيموشينكو بناء القوات المسلحة. وفي ١٣ حزيران (يونيو) ١٩٤١، طلب الى ستالين السماح له باعطاء التعليمات لوضع قوات المناطق العسكرية المتاخمة للحدود الالمانية في حالة استعداد قتالي ونشر الأنساق الأولى حسب خطط التغطية، وفي اليوم التالي ذهب مع جوكوف لمقابلة ستالين وطرح الموقف بكل أبعاده. وبعد نقاش لم يستجب ستالين بصورة تامة، مما دفع تيموشينكو الى إصدار أمر لقادة قوات المناطق العسكرية باجراء مشاريع تكتيكية للتشكيلات باتجاه الحدود، بحيث تصبح القوات قريبة من مناطق الانتشار المحددة حسب خطط التغطية، وقد طبقت المناطق العسكرية هذه التعليمات، إلا أن التطبيق كان مقروناً بنقص أساسي واحد، وهو أن القسم الأكبر من المدفعية لم تشترك في هذه التحركات.

وفي ليل ٢٢ – ٢٣ حزيران (يونيو) توفرت لدى القيادة السوفييتية المعلومات الموثوقة عن اقتراب موعد الهجوم الألماني، فأصدر تيموشينكو وجوكوف أمر الاستنفار ولكن بعد فوات الأوان، فلم يصل هذا الأمر الى المواقع حتى كانت الدبابات الألمانية قد انطلقت في هجومها الكبير. وعقد اجتماع في الكريملين لمناقشة الموقف، وصدر أمر تيموشينكو بتدمير القوات الألمانية واستخدام جميع الوسائط. وفي ٢٣ حزيران (يونيو) تم تعديل القيادة، وبقي تيموشينكو مفوض الشعب المسؤول عن الدفاع اسمياً، وكان ستالين يمارس صلاحيات هذا المنصب عملياً. وعلى الرغم من جميع الاجراءات الدفاعية، فقد نجحت القوات الالمانية في التوغل عميقاً حتى أصبحت تهدد موسكو ولينينغراد. وفي يوم ٣ تموز (يوليو) ١٩٤١ اعلن ستالين على الشعب الموقف، وطالب بحشد الطاقات، وطرح شعار المرحلة الراهنة «الوطن الاشتراكي في خطر. كل شيء للجبهة – كل شيء للنصر». ولم يكن تقدم القوات الالمانية سهلا، فقد اصطدمت هذه القوات بمقاومات عنيفة كبدتها فادح الخسائر، وكان الفضل في تنظيم هذه المقاومات المتتالية في العمق يعود بالدرجة الأولى لقيادة تيموشينكو الماهرة. وقد أعيد تنظيم أجهزة القيادة فتسلم تيموشينكو قيادة الجبهة الغربية، ودعم بعشرين فرقة. وكانت مهمة هذه الجبهة توجيه الضربات من مناطق بيلي يارتسيفو – روسلافل في الاتجاه العام نحو سمولنسك، والقضاء على القوات الالمانية المخترقة، والاتصال مع القوى الرئيسية لقوات الجبهة المقاتلة بعناد ضمن الطوق المضروب حولها في منطقة سمولنسك. وفي النصف الثاني من تموز (يوليو)، وبفضل القيادة التي وجهها تيموشينكو، اكتسبت المعارك في منطقة سمولنسك وشرقيها طابعاً عنيفاً وشرساً. وكانت القوات الالمانية تصطدم حيثما توجهت بهجمات مضادة قوية. وفي ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٤١. بدأ هجوم قوات مجموعة الجيوش ٢٨ من منطقة روسلافل. وفي٢٤ و ٢٥ تموز (يوليو) بدأ هجوم مجموعة قوات الجيشين ٣٠ و ٢٤ من منطقة بيلي يارتسيفو. وتقدمت قوات الجيشين ١٦ و ٢٠ ملتفة شمالي وجنوبي سمولنسك، فما كان من القيادة الألمانية إلا أن دفعت بقوات جديدة الى منطقة سمولنسك في محاولة لتدمير الجيشين ١٦ و ٢٠ المطوقين من الجبهة الغربية، واخذت الموقعة طابعاً عنيفاً جداً. ونجحت معظم قوات الجيشين ١٦ و ٢٠ بمساعدة قوات مجموعة روكوسوفسكي، التي كان يدخل في قوامها قطعات مدرعة، من الافلات من الطوق جنوبي يارتسيف، والخروج الى الضفة الشرقية للدنيبر، حيث اتصلت مع القوى الرئيسية للجبهة، وانتقلت الى الدفاع.

وعملت القيادة الالمانية مقابل مجموعة جيش كاتشالوف المؤلفة من ثلاث فرق، والمتحركة من منطقة روسلافل الى سمولنسك، فدفعت قوة المانية من تسع فرق بينها فيلق ميكانيكي واحد، ونجحت هذه القوة في احتلال روسلافل من الحركة، وطوقت مجموعة كاتشالوف، وتم تدميرها مع قائدها. واحتل الفيلق الألماني الميكانيكي ٤٦ بلدة يلينو، وحاول تطوير الضربة نحو دوروغوبوج، ولكنه أوقف بقوات الجيش ٢٤ من الجبهة الاحتياطية. وهكذا استطاعت موقعة سمولنسك ان تمارس دوراً حاسماً في الفترة الأولى من الحرب.

ورغم فشل تيموشينكو في تحطيم القوات الالمانية، فان مقاومة قواته انهكت قوات العدو، وخسر الهتلريون في موقعة سمولنسك ٢٥٠ ألف جندي وضابط، مما دفع القيادة الالمانية الى إصدار أمرها في ٣٠ تموز (يوليو) الى مجموعة جيوش الوسط للانتقال الى الدفاع. وقد ذكر جوكوف دور هذه الملحمة في مذكراته فقال: «لا بد لي هنا من أن أفي المارشال تيموشينكو حقه من التقدير. في تلك الأشهر الأولى العصيبة من الحرب، قدم الكثير الكثير للوطن، وقاد القوات قيادة حازمة، معبئاً القوى جميعاً لإيقاف زحف العدو وتنظيم الدفاع».

ولكن ستالين لم يكن راضياً عن تيموشينكو بسبب فشله في تحقيق النصر الكامل، فعقد في الكريملين اجتماعاً حضره تيموشينكو وجوكوف وعدد من القادة، وافتتح ستالين الاجتماع بقوله: «المسألة وما فيها أن المكتب السياسي ناقش أعمال تيموشينكو، وقرر إعفاءه من منصبه، وهناك اقتراح بتعيين جوكوف لهذا المنصب». ولزم تيموشينكو الصمت، على حين أجاب جوكوف: «الرفيق ستالين، اعتقد ان تبديل قادة الجبهات بصورة متكررة له تأثير ضار على سير العمليات. ولم يمض على استلام المارشال تيموشينكو قيادة الجبهة اكثر من اربعة اسابيع. ولم يدخر وسعاً ولم يهمل شيئاً كان يمكن ان يفعله في منصبه هذا إلا فعله. وقد أخر العدو لمدة شهر تقريباً في منطقة سمولنسك. واعتقد أن أي واحد كان في مكانه ما كان ليفعل أكثر من ذلك، وان القوات واثقة بتيموشينكو، وهذا هو الأساس، وأعتبر أن إعفاءه الآن من قيادة الجبهة ليس إنصافاً بحقه وليس مفيداً». ووافق المجتمعون على أقوال جوكوف، وعاد تيموشينكو الى الجبهة.

تابع تيموشينكو قيادة القوات، وقاد معارك ضارية وصفها سوكولوفسكي بقوله: «كانت معارك سمولنسك تشابه معارك فردان عام ١٩١٤، وان كانت عوامل الافناء فيها تفوق معارك فردان نحو مائة ضعف». وفي أوائل ايلول (سبتمبر) قام تيموشينكو بهجوم مباغت في يلنا، وتمكن من سحق ثماني فرق ألمانية سحقاً تاماً. ولكن القيادة الالمانية زجت قوات جديدة، وركزت هجومها على الجبهة الوسطى بهدف الوصول الى موسكو. ودارت في الفترة من اول تشرين الاول (اكتوبر) وحتى ٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤١ معارك طاحنة لم يشهد لها التاريخ مثيلا، واشتركت فيها جميع الأسلحة من دبابات وطائرات ومدفعية. وسيطر تيموشينكو على الموقف حتى ٢٠ تشرين الأول

(اكتوبر) ، ثم اضطر الى التراجع امام ضغط القوات الألمانية الكبير ، وتابعت القوات السوفييتية مقاومتها ، وقام جوكوف بقيادة هجوم مضاد استطاع فيه إيقاف التقدم الألماني ، ونقل تيموشينكو لقيادة الجبهة الجنوبية عوضاً عن بوديوني . فقاد هجوماً مضاداً في الجبهة الجنوبية ، وفي ٢٩ تشرين الثاني (نوفبر) استعاد تيموشينكو مدينة روستوف ، وفي ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ قاد تيموشينكو هجوماً مضاداً آخر نجح فيه بالاستيلاء على مضيق كيرش ، وانتزع من الألمان رأس جسر ، ثم تابع بناء الجبهة الجنوبية واعادة تنظيمها ، وتوقع تركيز الألمان جهودهم على هذه الجبهة . ودارت في عام ١٩٤٢ معارك طاحنة تعرض تيموشينكو خلالها لضربات ساحقة وخاصة ضربة خاركوف (أيار ١٩٤٢) ، فنقل الى جبهة اوريل حيث نظم الدفاع عن لينينغراد .

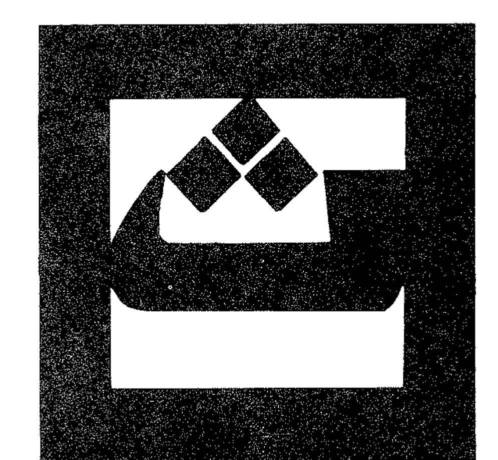
وفي بداية العام ١٩٤٣ تحول الموقف الاستراتيجي لصالح السوفييت الذين بدأوا هجومهم المضاد الشامل . وشارك تيموشينكو في هذا الهجوم ، ووصل في أوائل آذار (مارس) إلى بحيرة ألمن . ثم أعفي تيموشينكو بعد ذلك من قيادة القوات وقام في عامي ١٩٤٣ — ١٩٤٤ بمهمة تنسيق التعاون بين قوات مالينوفسكي وقوات طولبوخين التي حررت أوكرانيا والقرم ، ثم اندفعت لاحتلال الأراضي الرومانية والهنغارية . وفي فترة ١٩٤٥ — ١٩٤٧ أرسل تيموشينكو إلى الصين حيث قام بدور فعال في إعادة تنظيم قوات ماوتسي تونغ . وفي فترة ١٩٥٥ — ١٩٦٠ تولى تيموشينكو منصب قائد منطقة منسك . وفي العام ١٩٦٢ انتخب نائباً عن كازاخستان في مجلس السوفييت الأعلى لمدة ٤ سنوات . وأمضى حياته بعد ذلك متقاعداً حتى توفي في العام ١٩٧٣ .

(٦) تيميستوكل

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٩) تيودوليت

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)



(٨) الثغرة

هي إحداث فراغ محدود ضمن الترتيب الدفاعي للعدو . وتكون هذه الثغرة بصورة عامة في نطاق « الواجب او العمل التكتيكي » . وقد يتم احداث الثغرة إما لخدمة غرض محدد بمسرح العمليات – كالسيطرة على منطقة حاكمة او الحصول على بعض المعلومات او ارغام العدو لاتخاذ اجراء معين ، وإما من أجل أغراض العمليات كتطوير الثغرة الى عملية اختراق عميق داخل ترتيب العدو ، أو احتلال شريط أرضي يخدم اغراض العمليات .

والثغرة شكل من أشكال المناورة الهجومية ، يتم اللجوء اليها عندما لا تكون مجنبات العدو معرضة . بحيث يبدأ الهجوم باحداث ثغرة في الترتيب الدفاعي للعدو وذلك بتركيز نيران المدفعية وضربات الطيران وعمل المهندسين ضمن قطاع معين بهدف تدمير العدو وقواته في هذا القطاع مع احتلال المناطق المسيطرة عليها على امتداد الدفاع ثم تندفع كتلة القوات الرئيسية للهجوم عبر الثغرة . ويرافق عملية الاختراق العميق هذه عمليات مماثلة لتوسيع الثغرة في اتجاه الاجناب والخلف . وتقوم الانساق الثانية عادة بواجب توسيع الثغرة ، وذلك لمنع العدو من دفع قوات تعمل على سد الثغرات وعزل القوات الصديقة المتقدمة الى العمق من أجل تنفيذ عملية الاختراق وتوفير الفرصة لتدمير هذه القوات .

وعندما يكون التنظيم الدفاعي للعدو مجهزاً بالعمق ، فان احداث الثغرة يتم بتوجيه ضربة قوية تشترك فيها جميع الأسلحة لتدمير قوات العدو ووسائطه على امتداد عمق المنطقة الدفاعية التكتيكية بأكملها ، وتقوم بالضربة الأولى المدفعية والقوات الجوية وقوات النسق الأول ، ثم تتزايد قوة الضربة بادخال قوات النسق الثاني والاحتياط .

عندما يكون هجوم القوات كبيراً ، وعلى محور جهد رئيسي ، يتم إحداث مجموعة من الثغرات تندفع من خلالها قوات النسق الاول للهجوم ، ثم تتقدم قوات النسق الثاني والقوات الاحتياطية فتتابع عملية توسيع الثغرة على المجنبات والخلف . ويستمر العمل حتى تتصل الثغرات بعضها ببعض ، ويتم القضاء على بقية المقاومات في خط المقاومة الرئيسي للعدو وتعتبر ع ة توسيع الثغرة ، وتصفية مقاومات العدو، العامل بسمان حماية القوات التي تقوم بالاختراق العميق ، وحرمان العدو من كل مناورة ضدها .

ان احداث الثغرة مرتبط بمجال العمل التكتيكي – وفي نطاق منطقة دفاعية محددة. وقد يتم احداث ثغرة او مجموعة من الثغرات لتحقيق هدف تكتيكي لا علاقة له بمجال العمليات او مسرح العمليات ، مثل القيام بأعمال الاستطلاع بالقوة ، او السيطرة على مواقع محددة ، وحرمان العدو منها . أما عملية الاختراق فترتبط بمجال العمليات ، بحيث يصل واجبها الى عمق مسرح العمليات ، وحتى الوصول الى المناطق الخلفية للعدو ومناطق شؤونه الادارية وقواته الاحتياطية في مسرح العمليات . والطابع المميز لعمليات الاختراق هو خدمتها لاغراض العمليات وعمقها داخل ترتيب العدو وتنظيمه الدفاعي .

يتميز الدفاع عن جبهة ثانوية ، وفي الصحراء ، والدفاع الساحلي ، بأنه يتم على جبهة واسعة محرومة بصورة عامة من العمق . ويتخلل هذه الجبهة عادة كثير من الثغرات ونقاط الضعف في نقاط الفصل بين القوات ، كما انه من المحتمل تنظيم الدفاع في مثل هذه الحالات باحتلال مناطق معينة وترك ثغرات بينها تقوم بالدفاع عنها رمايات اسلحة المدفعية بالاشتراك مع مناورات القوات الاحتياطية الموجودة في الخلف والمكلفة بواجب الهجمات المضادة ، مع اجراء المناورة بالسدود والحواجز المتحركة . وتتم تغطية الثغرات الكبيرة ذات الفواصل الواسعة بين التشكيلات العاملة في الاراضي الصعبة بأعمال الدوريات وعناصر الاستطلاع الميكانيكية .

ان الوحدات والتشكيلات المكلفة بالدفاع في الحالات السابقة ، والتي يشملها جميعاً اصطلاح الدفاع عن جبهة واسعة ، تحتل مواقعها الدفاعية ضمن إطار من تنسيق التعاون المشترك فيما بينها للدفاع عن النقاط الضعيفة وحمايتها . وهي تحتفظ بقوة احتياطية كبرى ، كما تخصص قوة من الدبابات والمدافع ذاتية الحركة لحماية الثغرات وتحقيق التماسك في الدفاع . وتمارس الدبابات والمدافع ذاتية الحركة دورها الهام بالعمل كمواقع نيران ثابتة في تنظيم دفاعي ، كما تستخدم في الكمائن ، وللعمل كاحتياط في الاتجاهات الخطرة ، او للقيام بالهجمات المضادة .

كانت عملية انتقاء المواضع المناسبة لفتح الثغرة في الحروب السابقة تتطلب البحث عن نقاط الضعف في التنظيم الدفاعي للعدو ، وهي : نقاط الاتصال بين الوحدات والتشكيلات في التنظيم الدفاعي المتصل ، ومجنبات الوحدات والتشكيلات المفتوحة وامكانات اجراء المناورات للالتفاف من حولها ، والقطاعات المدافع عنها بقوات أقل ، والمتمثلة بمحاور الجهد الثانوي للعدو ، والقطاعات غير المجهزة جيداً من الناحية الهندسية .

ونظراً لأن عملية فتح الثغرات من العمليات

المعقدة ، فقد كان من المفضل عدم اللجوء اليها إلا عند الضرورة ، وعند عدم توفر امكانات وظروف مناسبة للقيام بالمناورات الاخرى (الالتفاف) . ولكن عندما يصبح فتح الثغرة ضرورة حتمية ، فان العمل يبدأ باستطلاع نقاط الضعف ، وتحديد افضل الاماكن لفتح الثغرات . وقد يتم استطلاع هذه النقاط باللجوء الى عمليات السبر او عمليات الاستطلاع بالقوة ، والقيام بالاغارات المباغتة على نطاق واسع حتى يتم تحديد المناطق الملائمة لفتح الثغرة او الثغرات . ثم يبدأ الاعداد لتنفيذ العمليات الهجومية . ولقد ساعد التطور التقني ، وتطور وسائط النيران ، وما تبع ذلك من تطور في البنية الاساسية لتنظيم القوات ، على دعم فكرة تنفيذ المناورة الجبهية والقيام باختراق دفاعات العدو . ولم تعد عملية فتح الثغرات من العمليات الصعبة عندما تتوفر المتطلبات الاساسية لتنفيذها .

ففي مجال التطور التقني – أصبح بالامكان تحديد نقاط الضعف في ترتيب العدو الدفاعي عن طريق التوسع باستخدام الصور الجوية التي يتم التقاطها بواسطة الاقمار الصناعية او الطائرات المقاتلة وحتى الطائرات العمودية • وقد ساعد هذا التطور لا في التقاط الصور وحدها بل في وضعها في خدمة القوات المستفيدة منها بسرعة مذهلة ، وفور عودة وسائط الاستطلاع الى قواعدها . وفي مجال تطور وسائط النيران ، اصبح بالامكان تركيز كثافة نارية قوية تستطيع تدمير مقاومات العدو في منطقة الثغرة ، وعلى امتداد العمق التكتيكي ، مع امكانية نقل كثافة النيران حتى عمق مسرح العمليات . وفي مجال تطور البنية الاساسية للقوات – اصبح بالامكان توسيع الثغرات . ودعم عمليات الاختراق بفضل التنسيق العميق لقوات الهجوم والذي يضمن للمعركة قوتها واستمرارها .

ويخضع عدد الثغرات واتساعها في كل الاحوال لمجموعة من العوامل اهمها : **طبيعة دفاعات العدو :** دفاع مجهز او دفاع منظم على عجل ، ودفاع متصل او غير متصل الخ ... **وطبيعة الأرض :** صحراوية ساحلية – جبلية – صعبة – رملية ، وتوفر المحاور فيها . **عدد وحجم الوحدات الهجومية** التي ستقوم بالهجوم في النسق الاول . وقوة الاسلحة المعاونة واسلحة الدعم الضرورية لتوفير الكثافة المطلوبة من أجل فتح الثغرات وتطوير العمليات لضمان نجاح الاختراق .

ان فتح الثغرات ، بداية من فتح الثغرات في حقول الالغام والتحصينات الهندسية . ونهاية بتعميق الثغرات حتى العمق التكتيكي هي من العمليات الفنية بالدرجة الاولى ، والتي تعتمد على التعاون الوثيق بين وسائط النيران المختلفة ، وبين الوحدات الاختصاصية والفنية ووحدات الدعم ، وفي طليعتها الوحدات الهندسية .

(١٤) الثغرة الجوية

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١) الثغرة في حقل الألغام

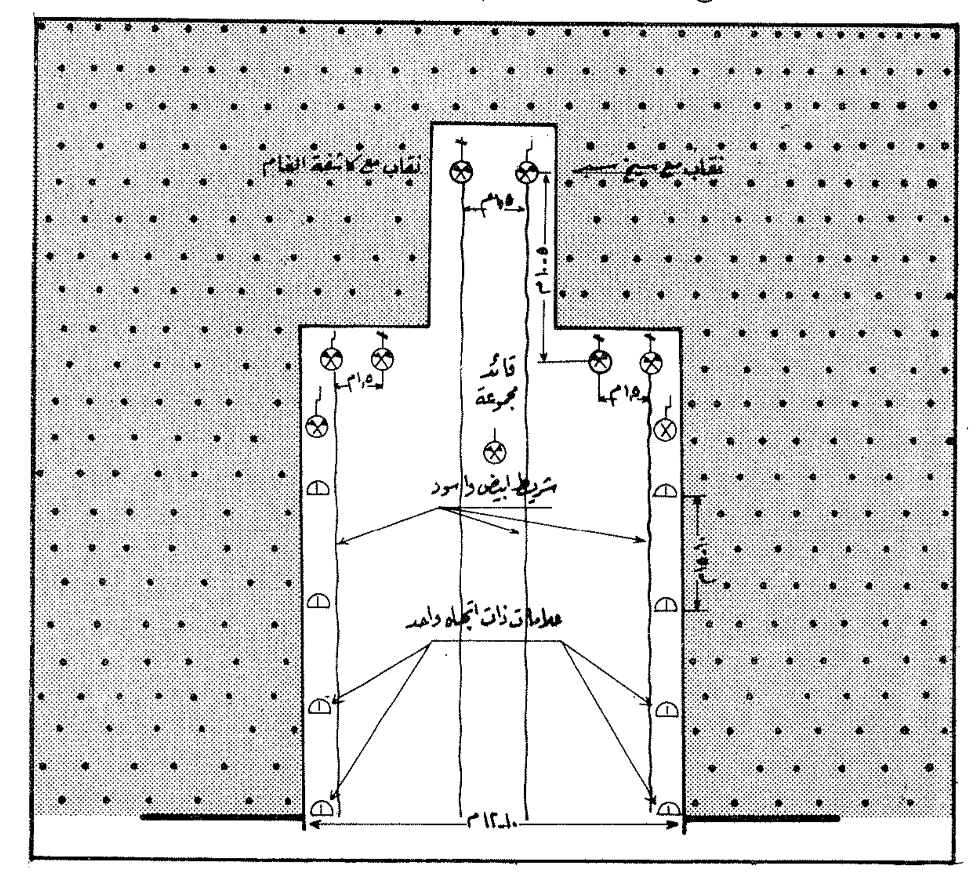
هي جزء من حقل الالغام يجرد من جميع انواع الالغام (المضادة للدبابات والمضادة للاشخاص) والافخاخ ، لتأمين حركة القوات الصديقة في الأراضي الصديقة ، أو تأمين تسلل الدوريات إلى أرض العدو ، أو تأمين تقدم القوات الصديقة خلال مهاجمة مواقع العدو .

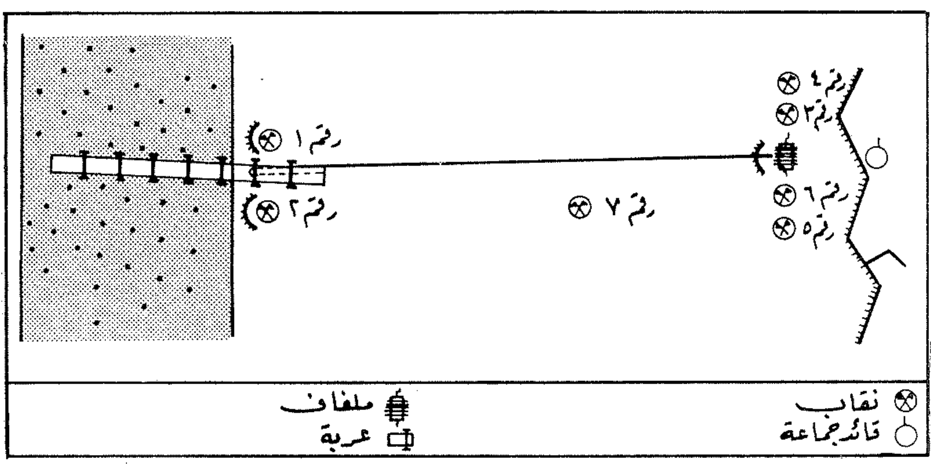
ويدلنا هذا التعريف على أن هناك عدة أنواع من الثغرات :

أ – الثغرات المفتوحة في حقول الالغام الصديقة المزروعة في عمق منطقة انتشار القوات الصديقة : وتكون هذه الثغرات مفتوحة بشكل مسبق بعرض ٨ – ٤٠ متراً ، ومعلمة بوضوح ، وتكون الغاية منها السماح لأرتال القوات الصديقة بالحركة ضمن المنطقة الدفاعية ، والسماح لقوات الهجوم المعاكس الصديقة بالانتقال من منطقة التجمع إلى خط انتشار الهجوم المعاكس . ولا تغلق هذه الثغرات إلا اذا اجتاز العدو الخطوط الدفاعية الأمامية ، واندفع في العمق لمهاجمة الخطوط الخلفية التي تحميها حقول الالغام المزروعة في العمق . وتقوم القطعات الصديقة بحماية هذه الثغرات بالاسلحة ، وتخضعها لرصد مستمر ، وتعد إلى جوارها كميات كافية من الالغام ، ومفارز مهندسين مهمتها سد الثغرة ونزع إشارات التعليم عندما يتطلب الوضع القتالي ذلك .

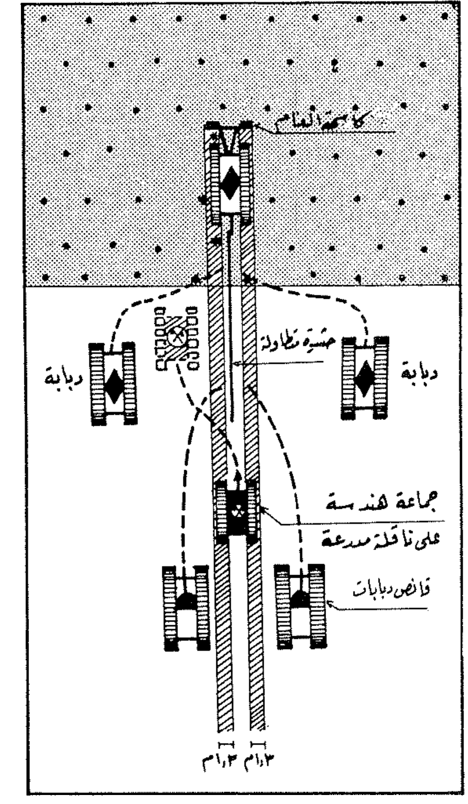
ب – الثغرات المفتوحة في حقول الالغام الصديقة المزروعة أمام خط الصديق الأول : وتكون هذه الثغرات عبارة عن ثغرات مشاة بعرض ١,٥ متر أو ثغرات للدوريات الآلية ، بعرض ٤ أمتار . وتفتح هذه الثغرات بشكل مسبق ، وتعلم بعلامات لا تلفت انتباه العدو . وتكون الغاية منها السماح

فتح الثغرة في حقل الألغام بالطريقة اليدوية

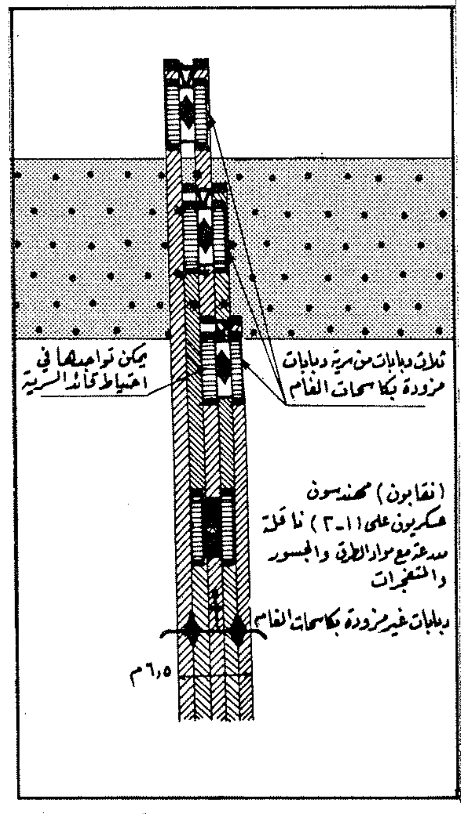




فتح الثغرة بالحشوة المستطيلة التي تدفع بالملفاف



فتح الثغرة بالكاسحة والبنغالور



فتح الثغرة بمجموعة كاسحات

بانطلاق دوريات أو قوات إغارات الاصدقاء من الخط الدفاعي الأول باتجاه دفاعات العدو . وتغلق هذه الثغرات كلياً أو جزئياً في الليل اذا كانت دوريات العدو نشطة ، كما تغلق كلياً عندما يقوم العدو بما يدل على أنه ينوي شن الهجوم . وهي تخضع في الليل والنهار لرصد دقيق ، وتوجه نحوها عدة اسلحة ، وتعد إلى جوارها كميات كافية من الالغام ومفارز مهندسين مهمتها سد الثغرة عند ظهور بوادر الخطر . وتفرض القوات الصديقة المتمركزة انضباطاً صارماً على المرور عبر هذه الثغرات . فهي لا تسمح باستخدامها نهاراً ، وتعمل جاهدة أن لا يؤدي مسير الدوريات عبر الثغرة إلى رسم مسلك يظهر بوضوح على الصور الجوية . وعندما تلاحظ أن مثل هذا المسلك قد تشكل من جراء مرور الدوريات تقوم القوات الصديقة باغلاق الثغرة واستخدام ثغرة اخرى لم تستخدم من قبل أو فتح ثغرة جديدة لمرور الدوريات .

ج – الثغرات التي تفتحها الدوريات أو قوات الاغارات الصديقة في حقول ألغام العدو المنتشرة أمام خطه الدفاعي الأول : وهي ثغرات للمشاة بعرض ١,٥ متر أو ثغرات للآليات بعرض ٤ أمتار ، تعلم بواسطة شريط تعليم أبيض يسمح للدوريات أو قوات الاغارة بالانسحاب بعد انجاز مهمتها .

د – الثغرات التي تفتحها القوات الصديقة في حقول ألغام الصديق المنتشرة أمام خطة الدفاعي الأول : وهي ثغرات للآليات بعرض ٨ أمتار ، تعد للفتح عشية الهجوم ، وتفتح خلال رمي تمهيد المدفعية وتعلم بشكل أولي ، ثم تعرض حتى ٤٠ متراً وتعلم بشكل كامل بعد انطلاق الهجوم واحتلال القوات الصديقة لخط المقاومة المعادي الأول . وتكون هذه الثغرات بمعدل ١ – ٢ ثغرة لكل فصيلة دبابات مرافقة لمشاة النسق الأول ، وهذا يعني أن يكون في قطاع هجوم كتيبة المشاة ٦ – ٩ ثغرات وفي قطاع هجوم اللواء ١٢ – ١٨ ثغرة ، وفي قطاع هجوم الفرقة ٢٤ – ٣٦ ثغرة .

ه – الثغرات التي تفتحها القوات الصديقة في حقول ألغام العدو المنتشرة أمام خطه الدفاعي الأول : وهي ثغرات للآليات تفتح بعرض ٨ أمتار عند بدء رمايات تمهيد المدفعية والطيران التي تسبق الهجوم أو عند الهجوم نفسه ، وتعلم بشكل أولي ، ثم تعرض حتى ٤٠ متراً ، وتعلم بشكل كامل بعد احتلال القوات الصديقة لخط المقاومة المعادي الأول .

و – الثغرات التي تفتحها القوات الصديقة في حقول ألغام العدو المزروعة بشكل مسبق في عمق دفاعه ، أو التي تزرعها مفارز سدوده المتحركة خلال المعركة نفسها : وهي تماثل الثغرات المذكورة في البند السابق ، لأنها تكون عند فتحها ثغرات في حقول ألغام منتشرة أمام خط دفاعي معاد ، موجود في الاساس في عمق دفاع العدو ، ولكن تقدم القطعات الصديقة جعله الخط الأول الذي يتم الهجوم عليه .

طرق فتح الثغرات

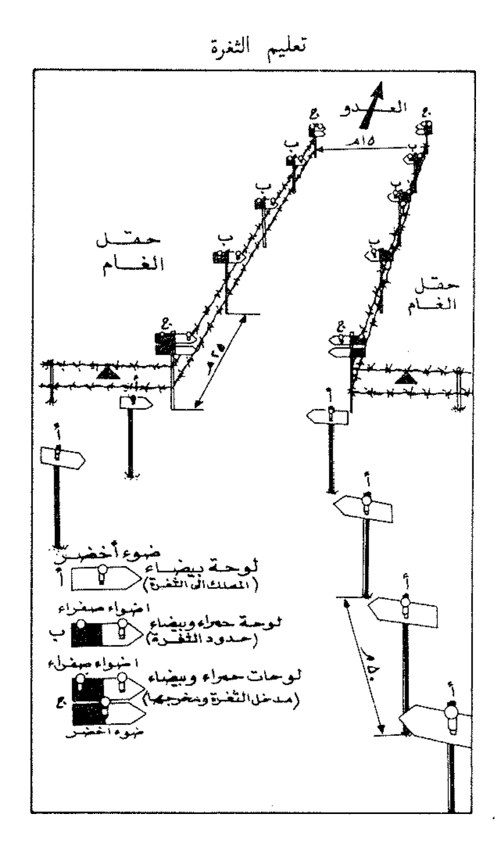
تختلف طرق فتح الثغرة في حقل الالغام حسب العرض المطلوب ، والبعد عن العدو ، وامكانية العمل دون التعرض لأنظاره أو نيرانه ، والرغبة في فتح الثغرة بصمت أو بشكل صاخب .

أ – الطريقة الصامتة : تستخدم الطريقة الصامتة دائماً لفتح ثغرات مرور الدوريات في



أفعى متفجرة (الناسف الأفعواني)

تعليم الثغرة



حقول ألغام العـــدو ، أو ثغرات قوات الاغارة الصامتة ، أو الثغرات التي يتم اعدادها في حقول ألغام الصديق الأمامية عشية الهجوم . وتتمثل هذه الطريقة في دفع جماعـــات من المهندسين مزودة بكاشفات الالغام واسياخ السبر ، وشريط تعليم ، وكلابات واشارات لتحديد مكان الالغام المكشوفة .

وعندما يكون المطلوب فتح ثغرة مشاة (١,٥ متر) بشكل صامت لمرور الدوريات والاغارات الصامتة ، يسير أمام الدورية نقابان (جنديان من سلاح المهندسين) مزودان بأسياخ السبر ومتباعدان مسافة متر واحد . ويسير وراءهما مباشرة نقاب مزود بكاشفة ألغام طويلة المقبض . وتكون مهمة النقاب حامل الكاشفة كشف الأرض أمام زميليه مع أنه موجود خلفهما . ولكن هذا الكشف يبقى أولياً . ولا يتقدم النقابان المزودان بأسياخ السبر إلا بعد أن يسبرا الأرض أمامهما . ويكون التقدم حذراً وبطيئاً خطوة خطوة . وعندما تكشف الكاشفة أو أسياخ السبر جسماً يشك بأنه لغم تضع قربه علامة بيضاء للدلالة عليه وتتابع تقدمها دون نزعه . ويحمل النقاب المزود بكاشفة على ظهره بكرة معدنية تحمل شريط التعليم الأبيض . وكلما تقدم خطوة امتد الشريط الأبيض وراءه . ويقوم قائد المفرزة السائر خلفه على مسافة عدة أمتار بتثبيت الشريط على الأرض بواسطة الكلابات . وعندما ينتهي الكشف ويتجاوز النقابون حقل الالغام تتقدم الدورية أو قوة الاغارة فوق الشريط الأبيض مع الانتباه إلى العلامات البيضاء الموجودة قرب الالغام لعدم التعثر بهـــا .

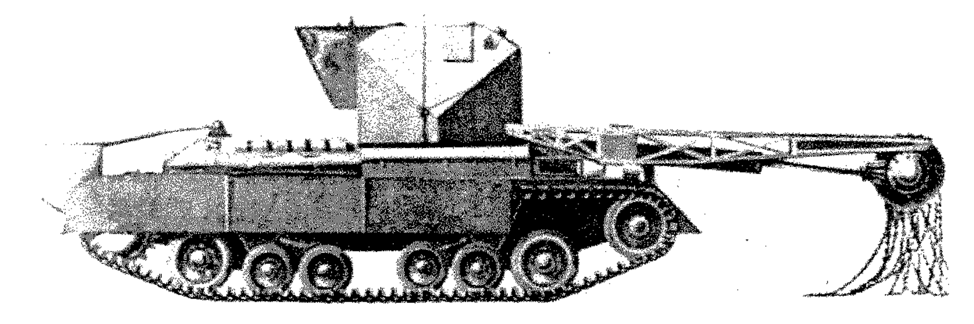
اذا صادف النقابون اسلاكاً ممتدة على الأرض توقفوا عندها ، فان كانت مرخية قطعوها دون شدها وأبعدوها بحذر إلى يمين ويسار الثغرة . وان كانت مشدودة تركوها كما هي (لأن قطعها قد يؤدي الى انفجار لغم بالافلات) ووضعوا أمامها إشارة واضحة حتى ينتبه إليها رجال الدورية السائرون خلفهم .

وعندما يكون المطلوب فتح ثغرة للآليـــات (٨ أمتار) بشكل صامت في حقل الالغام الصديق الممتد أمام الخطوط الصديقة الأمامية . تتم العملية بالشكل نفسه ، مع استخدام ثلاث زمر نقابين مماثلة للزمرة المذكورة سابقاً . على أن تسير الزمرة الأولى في الأمام ، وتسير خلفها (بمسافة ٥ — ١٠ أمتار) ، وإلى يمينها ويسارها بمسافة ١,٥ متر الزمرتان الاخريتان . وفي هذه الحالة يحمل النقاب اليميني في الزمرة الخلفية اليمنى والنقاب اليساري في الزمرة الخلفية اليسرى على ظهرهما بكرات الشريط الابيض الذي يحدد حدود الثغرة من اليمين واليسار . وعندما يجتاز النقابون حقل الالغـــام ، يعودون ادراجهم على هدي الاشرطة البيضاء ، ويقوم نقاب أو أكثر بوضع قوالب من المتفجرات فوق الالغام المكشوفة ويصلونها بفتيل صاعق ، ويعدونها للتفجير الذي لا يتم إلا في المرحلة الأخيرة من رمي التمهيد الذي يسبق الهجوم .

ب — الطريقة الصاخبة : تستخدم لفتـــح ثغرات مشاة أو آليات في حقول ألغام العدو خلال الاغارات الصاخبة ، أو خلال الاغارات التي تتحول من صامتة إلى صاخبة بعد أن يكتشفها العدو (انظر الاغارة) أو عند فتح الثغرات في حقول ألغام العدو تحت نيران العدو ، أو عند فتح الثغرات في حقول العدو خلال المرحلة الأخيرة من رمي التمهيد . ويستخدم في هذه الحالة حشوات البنغالور الاحادية أو الثنائية أو الثلاثية المحمولة على عجلات صغيرة والتي تدفع داخل الحقل بواسطة ملفاف خاص يثبت في مكان أمين أمام الخندق الأول الصديق (انظر البنغالور) . كما يمكن أن تستخدم الأفعى المتفجرة (انظر الأفعى المتفجرة) . وتفتح الأفعى أو البنغالور عند انفجارهما ثغرات لمرور الآليات . ومن الطرق الصاخبة أيضاً تركيز رمايات مدفعية أو هاون أو مدفعية دبابات كثيفة ومتعاقبة على بقعة محددة من حقل الالغام خلال المرحلة الاخيرة من رمي التمهيد . ولكن لهذه الطريقة سيئتين : ١ — عدم التأكد من تفجير جميع الالغام التي يمكن أن تخرجها القنابل من مواضعها دون أن تفجرها ، ٢ — إحداث حفر في مكان الثغرة قد تعيق الآليات المهاجمة .

ج — طريقة الكاسحات : تستخدم الدبابات كاسحات الالغام لفتح الثغرات في حقول الصديق والعدو اذا كانت نيران العدو تمنع فتح الثغرات بالاساليب الاخرى . وفي هذه الحالة يتم فتح الثغرة

دبابة «فالنتين» مزودة بكاسحة ألغام ذات سلاسل



بكاسحات الالغام تحت حماية الدبابات والقانصات . ويمكن عمل الثغرة بكاسحة واحدة تطهر الأرض على عرض الكاسحة (اذا كانت طنابير أو سلاسل تفجير الالغام ممتدة على عرض الكاسحة) ، الأمر الذي يسمح بمرور الدبابات وراء الكاسحة بين الشريطين الابيضين اللذين يمدهما نقابان يسيران وراء الكاسحة . أما اذا كانت طنابير أو سلاسل تفجير الالغام في الكاسحة موضوعة فقط أمام جنازير الكاسحة . فان على الدبابات السائرة في الثغرة أن تسير بحذر أكبر فوق آثار جنازير الكاسحة (٢٫١ متر) لأن الفرجة الواقعة بين الجنازير تكون غير أمينة . وللتخلص من هذه السلبية يمكن أن تسير كاسحتان تعاقبتان على أن تكون طنابير الكاسحة الخلفية فوق الفرجة الواقعة بين سلاسل الكاسحة الامامية الأمر الذي يؤدي إلى فتح ثغرة بعرض (٥) أمتار . ويمكن زيادة هذا العرض بسير ثلاث كاسحات متعاقبة على أن تكون طنابير الكاسحة الثالثة فوق الفرجة الواقعة بين سلاسل الكاسحة الثانية . وعند عدم توفر الكاسحات بأعداد كبيرة تقوم كاسحة واحدة (من الكاسحات التي تمتد الطنابير أمام جنازيرها فقط) بسحب بنغالور بطول ٤٠ – ٦٠ متراً – حسب عمق الحقل – وعندما تجتاز الكاسحة حقل الالغام يقوم النقابون بفصل البنغالور وتفجيره وتحديد الثغرة وتعليمها.

تعليم الثغرة : تعلم المسالك المؤدية إلى الثغرات بلوحات ذات إشارات وألوان مميزة ، بحيث تتحرك كل وحدة نحو الثغرة المحددة لها . وتضاء هذه اللوحات ، في حالة الحركة الليلية ، بأنوار خافتة ومن جانب واحد بحيث لا يراها العدو . أما الثغرة نفسها فتعلم حدودها بلوحات ذات لونين : لون أخضر باتجاه الثغرة ولون أحمر باتجاه حقل الالغام . وتزود كل لوحة في الحركة الليلية ، بضوء أحمر وآخر أخضر

(١) ثكنة

(انظر معسكر) .

(٨) الثورات السورية (١٩١٩ – ١٩٢٩)

في يوم ٢٤ تموز (يوليو) ١٩١٩ وقعت معركة ميسلون ، وسقط وزير الحربية يوسف العظمه شهيداً فوق ارض المعركه . وفي الساعة ١٦٠٠ من يوم ٢٥ تموز (يوليو) دخل الفرنسيون الى دمشق . وفي يوم ٢٨ تموز ، غادر الملك فيصل والحاشية المرافقة له سوريا الى فلسطين ومنها الى ايطاليا . وبدأت فرنسا في حكم سوريا حكماً مباشراً عن طريق المندوبين الذين تعاقب منهم حتى الثورة السورية الكبرى وبعدها ٦ مندوبين هم : **الجنرال بيكو** من ٩ نيسان (ابريل) ١٩١٨ حتى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٩ . **الجنرال غورو** من ٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٩ حتى تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٢٢ . **الجنرال ويغان** من ٩ نيسان (ابريل) ١٩٢٣ حتى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٤ . **الجنرال ساراي** من ٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٥ حتى ٨ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٢٥ . **هنري دي جوفنيل** من ١٠ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٢٥ حتى ٢٧ أيار (مايو) ١٩٢٦ . **هنري بونصو** من ٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٦ حتى ١٢ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٣ . ولقد جاء صك الانتداب مخيباً لآمال السوريين الذين شاركوا في الثورة العربية الكبرى للإطاحة بالحكم العثماني . ولذا فقد بدأت المقاومة ضد الانتداب منذ اللحظات الاولى لاعلانه . واخذت المقاومة في تصعيد فعاليتها وجاءت بعد ذلك سياسة المندوبين السامين في سوريا ، وما تميزت به هذه السياسة من ظلم واضطهاد ، لتقوم بدور المسرع في تفاعل الثورات التي انطلقت في كل مكان . وقد كان من العوامل التي حفزت لاشعال نيران الثورة عدم التزام المسؤولين الفرنسيين بمواد صك الانتداب ، وممارسة الاعمال التعسفية الهادفة الى إذلال الشعب العربي في سوريا وتمزيقه الى خمس دويلات هي : دولة لبنان – دولة جبل الدروز – دولة العلويين – دولة حلب – دولة دمشق واعطاء سنجق اسكندرون – لواء اسكندرون – نوعاً من الاستقلال الذاتي تمهيداً لفصله عن الوطن العربي . وبالاضافة إلى ذلك فقد حاول الفرنسيون كبت الحريات العامة ، وتشديد الرقابة على الصحافة ، واضطهاد الكتاب واصحاب الفكر والعناصر القيادية ونشر الانحلال في اوساط الشعب العربي السوري ، وتشجيع فتح الملاهي ومراكز بيع الخمور ونشر الفساد الخلقي مما كان يتنافى مع طبيعة الشعب العربي المسلم الذي عرف بالمحافظة على التقاليد العربية – الاسلامية ، وتطبيق سياسة عنصرية واقليمية لتمزيق الوحدة الوطنية وضرب جماهير الشعب بعضها ببعض وإضعافها بحيث تسهل السيطرة عليها جميعاً ، وفرض نظام اقتصادي جائر ، والتوسع في نظام السخرة والتغريم وفرض الضرائب المرتفعة مما جعل المواطن العربي عاجزاً عن الاضطلاع بالاعباء المفروضة عليه ودفعت به الى مزيد من البؤس والفقر مما حمله على النقمة فالثورة . وزاد مشاعر النقمة تأججاً التدخل في الشؤون الدينية للمسلمين ، ووضع مسؤولين فرنسيين على ادارة الاوقاف الاسلامية ، واتخاذ اجراءات منافيه للتعاليم الاسلاميه والتقاليد العربيه ، وكان يتم اتخاذ هذه الاجراءات جميعها بصورة استفزازية ومتعمدة ، وضعت جماهير الشعب العربي في موقع التحدي والاثارة .

تميزت الاحداث الثورية السورية ووقائعها بمجموعة من المعطيات يمكن إيجازها بما يلي :

أ) استمرار الثورة واتصالها الزمني : وهو ما عبر عنه الجنرال «اندريا» حاكم جبل الدروز أثناء الثورة السورية بقوله : – «... لقد زرعت بذور الثورة الدرزية التي نشبت عام ١٩٢٥ من قبل الملك فيصل وحاشيته وذلك منذ عام ١٩١٩» ولهذا يطلق على الثورة السورية في الغوطتين ودمشق اسم «الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥» تمييزاً لها عن بقية الثورات التي اتصلت منذ عام ١٩١٩ وحتى عام ١٩٢٩ . ثم استمرت اعمال التمرد والعصيان والاضطرابات حتى الجلاء عن سوريا عام ١٩٤٥ .

ب) الاتصال المكاني ووحدة مسرح العمليات : لقد بذلت فرنسا قصارى جهدها لتجزئة وحدة النضال عن طريق تقسيم البلاد الى دويلات منفصلة ، بيد أنها لم تتمكن من إيقاف الشعور بوحدة الهدف ووحدة المصير ، فكان الاتصال وثيقاً بين عناصر الثورة وفصائلها . وكان كل اقليم ينسق اعماله بالتعاون مع الاقاليم الأخرى ، فزالت الحدود وتساقطت الحواجز ، وصهر لهب الثورة كل العوائق ، ووجدت السلطة الفرنسية أنها مرغمة في النهاية على إعادة وحده الوطن السوري ، باستثناء لبنان الذي أعطته فرنسا وضعاً خاصاً ، وباستثناء لواء الاسكندرون الذي تم فصله عن سوريا .

ج) التلاحم الجماهيري والتعاطف مع فصائل الثورة : ركزت فرنسا جهدها لإثارة النعرات الطائفية بهدف إضعاف روح النضال ، وإيجاد الثغرات بين فصائل الثورة . ولكن جماهير الشعب العربي في سوريا أدركت باحساسها السليم ، وشعورها الوطني والقومي الصادق ، خطورة هذه المخططات الاستعمارية ، فوقفت ضدها ، واندفع المواطنون على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم الى دعم الثورة وتأييدها بشكل أو بآخر . كما شهدت مسارح العمليات تلاحم الجماهير من اقاليم مختلفة ومذاهب متنوعة ، واستطاع لهب الثورة صهر التناقضات المذهبية وإذابتها في بوتقة النضال المشترك .

د) الوضوح في الرؤية ، وتجاوز التناقضات الاجتماعية : لقد ضمت صفوف الثورة جماهير الشعب

العربي في سوريا على اختلاف مستوياتها الاجتماعية. ولم تكن الجماهير في تلك الفترة تعاني من التناقضات الاجتماعية ، ولكن لهيب الثورة في كل الاحوال لم يسمح بظهور هذه التناقضات . فقام المثقفون الثوريون بممارسة دورهم القيادي . وعمل رجال الدين على نشر التوعية في صفوف الجماهير . وقام الاغنياء واصحاب الأرض بتقديم كل دعم ممكن للثورة . واندفع الثائرون لممارسة اعمالهم . والجميع يمارسون دورهم لتحقيق تحرير الوطن . وبذلك يمكن اعتبار الثورة العربية في سوريا نموذجاً للوحدة الوطنية التي غدت فيما بعد مذهباً يستلهم منه الثائرون خطاهم في المراحل المبكرة للنضال ضد الاستعمار والامبريالية .

هـ) العزلة عن الدعم العالمي . خرجت الدول الكبرى من الحرب العالمية الاولى وبدأت هجمتها الشرسة ضد موارد الثروة في البلدان المتخلفة ، ونسقت هذه الدول الكبرى التعاون فيما بينها . ولم تكن الدول المتخلفة في وضع يسمح لها بتأييد بعضها بعضاً ، ولم تكن وسائل الاتصال بين الشعوب قد وصلت الى مرحلتها المتقدمة ، ولم يكن الاتحاد السوفياتي ، الذي انتصرت فيه الثورة الاشتراكية ، قد ثبت أقدامه بعد ، وبنى قوته الاقتصادية ـ العسكرية التي تؤهله لدعم حركات التحرر العالمية . ولهذا كان من السهل على الدول الكبرى ضرب نطاق حول البلدان الواقعة تحت الانتداب او الاستعمار ، وعزلها عن الاتصال العالمي . وفي هذا المناخ تفجرت الثورة العربية في سوريا . ورغم ما أظهره الثوار والمناضلون من بطولات ، ورغم ما حققوه من انتصارات عبر صراعهم المرير والطويل ، فانهم لم يتمكنوا من الحصول على دعم عالمي . كما كانت مواردهم من السلاح والذخائر محدودة ومقتصرة في كثير من الأحيان على ما يمكن الحصول عليه من القوات الفرنسية . وكانت نقطة الضعف هذه من أسباب فشل الثورة وعدم نجاحها في تحقيق أهدافها .

كانت لدى السلطة الفرنسية في مسرح العمليات فوق ارض سوريا العربية قوات تضم عشرات الآلاف من المقاتلين الذين يعملون في مختلف صنوف الاسلحة (مدرعات ، مدفعية ، فرسان ، هندسة) . على حين كانت قوى الثورة لا تتجاوز الآلاف ، وهي دون قوة السلطة الفرنسية في عددها وتسليحها وقدرتها على التحرك . ولكن قوات الثورة كانت تستفيد مقابل ذلك من الدعم الجماهيري القوي ونتيجة للاختلال الكبير في ميزان القوى المادية ، فقد اختلفت مخططات الطرفين المتصارعين. فكانت مخططات الثائرين تعتمد في منطلقاتها على الافادة من دعم المواطنين وتعاطفهم لمراقبة تصرفات العدو وتحركاته ونواياه ، والقيام بضربات قوية وحاسمة ضد قوات العدو المنعزلة ، والاغارة على مراكز مراقبة العدو وثكناته وقواته وهي في حالة الراحة ، وتنظيم الكمائن ضد أرتال العدو ، وبصورة خاصة ضد شؤونه الادارية ودورياته وعناصر استطلاعه وعناصر الأمن المرافقة للأرتال « الحمـلات » ، وتجنب الاصطدام بقوات العدو المتفوقة والعمل على تجزئتها ثم القضاء عليها ، ومحاولة استنزاف اكبر قدر من قوة العدو ، والتمركز في المناطق النائية والمواقع الحصينة وإحاطتها بنطاق من عناصر المراقبة وعناصر الأمن وتنظيم الدفاع عنها ، والاكثار من المواقع التبادلية للانتقال باستمرار من مواقع الى اخرى بهدف حماية الثائرين وتأمين الاستمرار في القتال . وكانت مخططات القيادة الفرنسية تعتمد في عملياتها على امكاناتها الكبرى للحصول على المعلومات المتعلقة بتنظيم الثائرين ، واستخدام طيران الاستطلاع لمتابعة تحركاتهم ، والتوسع في استخدام عناصر الجاسوسية والعناصر الموالية للسلطة لجمع المعلومات الدقيقة ، وعزل مناطق الثورة ، ومحاولة حصرها في منطقة معينة ، والامساك بمحاور الطرق ومحاور الاتصال لإيقاف الامداد بالذخائر والمواد الحياتية عن الثائرين ، وتقسيم مناطق الثورة الى قطاعات ، ومحاولة تصفية الثورة في القطاعات على التتابع ، وخوض حرب نظامية ضد قوات الثائرين (ذلك ان حرب العصابات ، واعمال الثورات لم تكن واضحة المعالم في تلك الفترة ، ولم تكن لدى القوات النظامية الخبرة او الاسس الواجب اتباعها لمقاومة اعمال التمرد والثورات) ، وزج قوات كبرى من مختلف صنوف الاسلحة لضرب مواقع الثورة ومناطق عمل الثائرين ، وتنسيق الهجوم بموجات متتابعة ثم نقل مركز ثقل الهجوم من قطاع الى قطاع ومن منطقة الى منطقة ، والسير نهاراً والتوقف ليلا في معسكرات او مخيمات يتم اعدادها مسبقاً ، وتنظم حراسة قوية حولها لحمايتها من الاغارات والهجمات المباغتة ، ودفع عناصر الاستطلاع أمام الارتال المتحركة على شكل مجموعات متتابعة ، واقامة مراكز دفاعية ثابتة في جميع أنحاء البلاد للحفاظ على الأمن .

كان الثوار يعتمدون في تسليحهم على البنادق والمسدسات والقنابل اليدوية ، ولم يكن هناك تنظيم قيادي في بداية الثورة ، لكن اتساع نطاق الثورة في دمشق وتزايد قوة الثورة من خلال نضالها اليومي ، دفع إلى إيجاد تنظيم اطلق عليه اسم « المجلس الاعلى للثورة » وتشكيل مجلس وطني من عشرة أعضاء يتم انتخابهم من بين الثائرين . وقسمت اعمال المجلس الاعلى بين ثلاث لجان هي : اللجنة المالية ، ولجنة الحركات الحربية ، ولجنة الدعاية والاستخبارات . وقد حققت اللجان نجاحات رائعة في دعم الثورة والدعاية لها وقمع الاعمال المسيئة للثورة والضارة بالعلاقات بين عناصر الثورة وبين القاعدة الجماهيرية الواسعة للشعب . كما نجحت في الكشف عن عدد من شبكات العدو التجسسية . واستطاع الضباط الذين انضموا الى الثورة ، وهم من قادة الجيش العثماني والجيش العربي فيما بعد ، وعددهم ٣٠٠ ضابط في جبل عامل و ٥٠ ضابطاً في ثورة الغوطتين ، وعدد كبير من المناطق الاخرى ، استطاع هؤلاء ان يمارسوا دوراً قيادياً في التخطيط للعمليات وتنفيذها.

كانت الثورة ضد سلطة الانتداب مستمرة ومتصلة ويمكن تقسيمها ضمن إطاريها الزماني والمكاني وفقاً لما يلي :

ثورات المنطقة الساحلية (١٩١٩ – ١٩٢١) بقيادة صالح العـلي . **ثورات المنطقة الشمالية** (١٩١٩ – ١٩٢٦) بقيادة ابراهيم هنانو . **ثورات المنطقة الشرقية** (١٩١٩ – ١٩٢٤) بقيادة رمضان شلاش . **ثورات المنطقة الوسطى** (١٩١٩ – ١٩٢٩) . **ثورات المنطقة الجنوبية الغربية** (١٩١٩– ١٩٢٦) . **الثورة في المنطقة الجنوبية** (١٩٢٥ – ١٩٢٦) . **الثورات في منطقة دمشق والغوطتين** (١٩٢٥ – ١٩٢٦) .

أ) **ثورات المنطقة الساحلية** (منذ بداية ١٩١٩ وحتى نهاية ١٩٢١) بقيادة صالح العلي ، وكان من أشهر معاركها . **معركة النيحا** ، غرب وادي العيون في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ وسقط فيها ٣٥ جندياً فرنسياً . **معركة الشيخ بدر** في ٢ شباط (فبراير) ١٩١٩ ، وسقط فيها للفرنسيين عشرون قتيلا وثلاثة أسرى ، كما استولى الثوار على كميات كبرى من الاسلحة والذخائر . **معركة مخفر بابنا** ، شرقي اللاذقية بمسافة ٤٥ كم تقريباً ، وذلك في ١٦ نيسان (ابريل) ١٩١٩ حيث هاجم الثوار هذه القاعدة لمدة اسبوع كامل وخسر الفرنسيون ١٥ جندياً وضابطين مقابل ٢٠ قتيلا من الثائرين ، وانتقمت السلطة الفرنسية لخسارتها باحراق ٦٠ شخصاً من بابنا وهم احياء . **معركة قرية سلمى ومعركة** قرية ترتاح . وسقط فيها للفرنسيين سبعة قتلى . ولقد توسط الجنرال اللنبي فعقد في قرية الشيخ

بدر مؤتمراً عربياً – فرنسياً – انكليزياً أمكن فيه التوصل الى اتفاق لوقف الصراع . ثم نكثت فرنسا الاتفاقية فتجدد القتال . ومعركة وادي رور في حزيران (يونيو) ١٩١٩ . وهي من أكبر معارك المدن الساحلية حيث اشتركت فيها قوة للفرنسيين تزيد على ألفي مقاتل بقيادة العقيد جان ، وانتهت بسقوط ٨٠٠ قتيل من الجيش الفرنسي مقابل عشرات الشهداء من الثوار . **معركة قلعة المريقب في** ١٩١٩/٧/٢١ . وكانت القلعة تضم سريتين للفرنسيين ، وانتهت المعركة بانسحاب الحامية الفرنسية ، وسقوط ٦ قتلى ، واصيب ٢٤ جندياً وضابطان بجراح بالغة . ثم عقد صلح مع الفرنسيين شريطة إلحاق الساحل السوري بالدولة السورية ، وجلاء القوات الفرنسية عنه ، واطلاق سراح الاسرى والرهائن والمعتقلين ، ودفع تعويضات الى السكان عن الاضرار التي الحقها الجيش الفرنسي بقراهم .

تظاهرت السلطة الفرنسية بقبول هذه الشروط ، وفي الوقت ذاته اخذت في الاعداد لتصفية قيادة الثورة فاجتاحت الحامية الفرنسية للقدموس قرية « كاف الجاع » ، ودمرت منازل القرية فوق سكانها ، فكان رد الثوار قيام ثلاث كتائب بقيادة العقداء سليم صالح واسبر زغيبي وعزيز برير بالهجوم على ثكنات طرطوس ، ودارت معارك طاحنة لصالح الثوار ، مما دفع القيادة الفرنسية الى زج القطع البحرية ، وإنزال مئات الجنود البحارة لانقاذ الثكنات المهددة فاضطر الثوار الى الانسحاب .

وفي يوم ٣ آذار (مارس) ١٩٢٠ قام رجال الشيخ صالح العلي بالهجوم على حامية القدموس وارغامها على الاستسلام بعد أيام من الحصار. وكان لسقوط القدموس أهمية خاصة بسبب موقعها كقاعدة وحيدة في قلب منطقة الثورة . واستمرت اعمال النضال . ولكن سقوط دمشق في يد الفرنسيين أضعف موقف الثورة ، وقطع عنها موارد دعمها الوحيدة ، وساعد فرنسا على تركيز جهدها ، فاستطاعت في النهاية تركيز ثلاث حملات كبرى نجحت بواسطتها في تصفية الثورة واحتلال قاعدة الثورة ذاتها (قرية الشيخ بدر) في ٧ تموز (يوليو) ١٩٢١ .

ب) ثورات المنطقة الشمالية (١٩١٩–١٩٢٦) بقيادة ابراهيم هنانو . لقد قاد حركة المقاومة ضد الانتداب الفرنسي في البداية انصار تركيا ، وحدثت معارك طاحنة اشهرها مخفر الحمام في ١٩٢٠/١/٢٢ . وعندما تم الصلح بين تركيا وفرنسا انسحب هؤلاء القادة وهم صبحي بركات وشقيقه ثريا بركات ، فتولى يوسف السعدون القيادة وتابع النضال ضد السلطة الفرنسية . وشجع والي حلب (رشيد طليع) الثورة بايعاز من حكومة الملك فيصل ، وتم حوار بين والي حلب ورئيس ديوان الوالي (ابراهيم هنانو) تقرر فيه قبول مقترحات ابراهيم هنانو بتشكيل زمر صغيرة ، قليلة العدد ، سريعة التنقل ، تضطلع بواجب ازعاج السلطة الفرنسية في منطقة الاحتلال الفرنسي . وقد حققت هذه الزمر نجاحاً كبيراً في تنفيذ واجباتها ، فانتشرت الثورة وتزايد الضغط على فرنسا . ولكن دخول السلطة الفرنسية وقواتها مدينة حلب في ١٩٢٠/٧/٢٣ ، وضع الثورة في الشمال امام منعطف خطر . فعقد اجتماع تقرر فيه إعادة تنظيم الثورة في المناطق ، وسافر ابراهيم هنانو الى تركيا في أواخر شهر آب ١٩٢٠ لطلب الدعم ، واستطاع ابراهيم هنانو الحصول على مدفع جبلي وكمية صغيرة من الاسلحة والذخائر . ووزعت هذه الاسلحة على المناطق القتالية الأربع : **منطقة القصير** : وتضم ٤٠٠ متطوع بقيادة الشيخ يوسف السعدون ، **ومنطقة كفرتخاريم** : وتضم ٢٥٠ متطوعاً بقيادة نجيب عويد ، **ومنطقة جبل الزاوية** : وتضم ٢٠٠ متطوع بقيادة مصطفى الحاج حسين ، **ومنطقة جبل صهيون** : وتضم ١٥٠ متطوعاً بقيادة عمر البيطار . وعند انتهاء الاستعدادات أصدر ابراهيم هنانو بياناً أعلن فيه استئناف الثورة . وكانت معارك المنطقة الشمالية :

معركة « مزرعة السيجري » في ١٩٢٠/١١/٢٧ حيث قامت كتائب الثورة بحصار المزرعة ، والانقضاض على القوة الفرنسية ، وانتهت المعركة بأسر فصيلة مكونة من ضابط و ٢٥ جندياً فرنسياً ، وفصيلتي اقليات من ٥٧ رجلا بقيادة ضابط . كما استولى الثوار على مدفعي رشاش ، واربعين بغلا ، وكمية من الذخائر والمواد التموينية . وعلى أثر ذلك استسلمت حامية جسر الشغور دون قتال .

معركة استعادة كفرتخاريم حيث هاجمتها مجموعة من الثوار لا تزيد على ثلاثين مقاتلا وقاموا بالهجوم من جهات ثلاث واستطاعوا بعد معركة طاحنة ، وبدعم من أهل القرية ، ان يرغموا الفرنسيين على الانسحاب بعد ان تركوا في ميدان المعركة ١٣٠ قتيلا مقابل ١٢ شهيداً من الثوار وكان ذلك في شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ .

ولقد حاول الفرنسيون إغراء ابراهيم هنانو بتسليمه رئاسة حكومة محلية في حلب ، ولكنه رفض العرض ، ووضع في أول شروطه إلحاق دولة حلب بالدولة العربية وضمها اليها . واستمرت أعمال النضال . بيد أن توقف كل إمكانات للدعم من الخارج ، وضعف إمكانات الثورة المادية ، دفعت قادة الثورة الى التفرق ، فتوجه ابراهيم هنانو ومعه فئة الى شرق الاردن ، وتوجه نجيب عويد ومعه فئة الى تركيا ، وبقيت فئة ثالثة متوارية عن الانظار . وقد تم هذا التفرق في ليل ١١ – ١٢ تموز (يوليو) ١٩٢١ . وفي عام ١٩٢٢ رجع القادة الى قواعدهم ، واستمرت اعمال النضال واتصلت بثورة صالح العلي ، كما تم تصعيد العمليات عند انطلاقة الثورة في دمشق والغوطتين .

ج) ثورات المنطقة الشرقية (١٩١٩–١٩٢٤) بقيادة رمضان شلاش . وصلت القوات العربية الى دير الزور في بداية شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ . واستقبلت من قبل الجماهير العربية استقبالا حماسياً رائعاً . وفي يوم ١١ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ وصلت قوات انكليزية بقيادة الرائد « كارور » واحتلت دير الزور . وفرض الحاكم العسكري البريطاني نظاماً جائراً ، فاتصل زعماء دير الزور بحاكم الرقه القائمقام رمضان شلاش ، وطلبوا اليه احتلال دير الزور وإلحاقها بحكومة دمشق التي كان رمضان شلاش يمثلها . وفي يوم ١١ كانون الاول ١٩١٩ ، اقتحمت دير الزور قوة عربية مكونة من خمسمائة مقاتل يقودها رمضان شلاش . وقامت هذه القوة يدعمها رجال القبائل بالهجوم على القوة العسكرية البريطانية ، وبعد يوم من الحصار ، وفي يوم ١٩١٩/١٢/١٢ ، استسلمت الحامية ، فانذر رمضان شلاش القيادة البريطانية بعدم إرسال أية قوات ، وهدد بإبادة القوات البريطانية التي استسلمت اذا ما ارسلت القيادة البريطانية قوات لاسترجاع المدينة . ووافقت بريطانيا على شروط جماهير المنطقة بإلحاق المنطقة وضمها الى الدولة العربية في دمشق . فتم إطلاق سراح الاسرى في يوم ١٩١٩/١٢/٢٥ . وتابع الثائرون عملياتهم حتى امكن لهم السيطرة على جميع المدن والقرى الواقعة على ضفتي الفرات حتى البوكمال . وكان رد فعل البريطانيين مريراً ضد هذه النزعة الاستقلالية فوصف وزير المستعمرات البريطانية عام ١٩٢٠ ، ونستون تشرشل ، حركة رمضان شلاش بقوله : « .. ان لبريطانيا العظمى عدوين في الشرق : أحدهما هو لينين في الشمال ، والآخر هو رمضان شلاش في الجنوب . » .

تابع وطنيو الجزيرة ثورتهم ضد الفرنسيين . وتركزت هجماتهم على تل أبيض التي حولها الفرنسيون الى قاعدة لقواتهم ، فوجهت القيادة الفرنسية في حلب حملات متتابعة لإخضاع المنطقة الشرقية .

وكانت اكبر هذه الحملات حملة العقيد «ديبيوفر» التي غادرت حلب يوم ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٢١ ، والتي كانت تضم ثلاث كتائب رماة ، وبطارية مدفعية ٧٥مم وبطارية رشاشات عيار ٦٫٥مم وكوكبة خيالة وكوكبة فرسان سباهيين ، ومفرزة رشاشات ، وسرية هندسة ، وسرية أقليات . وأمام ضغط الفرنسيين اضطر شيوخ العشائر الى الاستسلام باستثناء فخذين من قبائل الكعيدات هما بنو خابور وبنو بكر ، اللذان تابعا النضال . وكانت أشهر معاركهم **معركة الطيبة** التي وقعت بين قريتي خشام والطيبة في ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢١ ، والتي انتهت بسقوط ٣٥ قتيلا للفرنسيين منهم أربعة ضباط ، بالاضافة الى ١١٢ جريحاً منهم ستة ضباط . ثم استمرت اعمال النضال فشهدت قرية البصيرة معركة طاحنة أخرى ، وتابعت القيادة الفرنسية ضغطها ، واستطاعت فرض سيطرتها على المنطقة ، ولكنها لم تتمكن من إخماد جذوة النضال حيث استمرت العمليات الصغرى كالكمائن والاغارات حتى عام ١٩٢٤ . ثم استؤنفت مع قيام الثورة في دمشق والغوطتين ، ولم تتوقف إلا عند الاعلان عن الانتخابات للمجلس التأسيسي الاول عام ١٩٢٨ .

د) **ثورات المنطقة الوسطى** (١٩١٩ – ١٩٢٩) بدأ الصدام بين جماهير تلكلخ وبين الفرنسيين منذ شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٩ ، بسبب إصرار الفرنسيين على رفع العلم الفرنسي على دار الحكومة باعتبارها تابعة للمنطقة الساحلية التي كانت تحتلها فرنسا ، وإصرار جماهير تلكلخ بالمقابل على إلحاق مدينتهم والريف وضمها للدولة العربية . وحدثت معارك كثيرة تزعمها « آل الدندشي ».واستمر النضال حتى اوائل سنة ١٩٢٠ ، حيث شدد الفرنسيون قبضتهم وارغموا زعماء الثورة على النزوح الى حمص ودمشق .

أما بالنسبة الى مدينة حماة فقد دخلها الفرنسيون مع بداية شهر آب (اغسطس) ١٩٢٠ . وكانت حماة مركزاً لدعم الثورتين المتقدمتين في الشمال والمنطقة الساحلية ، وذلك قبل وصول الفرنسيين اليها . فلما دخلها الفرنسيون استأنفت جماهير حماة نضالها بقيادة فوزي القاوقجي وسعيد الترمانيني . وتم تنسيق التعاون بين ثورة حماة وثورة جبل الدروز بواسطة اتفاق عمل له منير الريس ومظهر السباعي . كما أقر مشروع الاتفاق سلطان الاطرش وعبد الرحمن الشهبندر ، وتقرر بعد ذلك الانطلاق بالثورة في ٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٥ . وقد وقعت معارك طاحنة بين القوات الفرنسية وقوات الثوار ، ونجح الثوار في السيطرة على المدينة ، لكن السلطة الفرنسية حشدت قوة من حلب وحمص تزيد على ألفي جندي ، وقامت بقصف المدينة بالمدفعية ، ثم زجت قواتها ، ودارت معارك طاحنة بين قوات غير متكافئة اظهر خلالها المقاتلون شجاعة كبرى . وانتهت المعركة بسقوط ٤٠٠ قتيل من الفرنسيين مقابل ٣٥ شهيداً من الثوار . ونجحت القوات الفرنسية في السيطرة على حماة يوم ١٩٢٥/١٠/٧ ، واضطر القاوقجي وزعماء الثورة الى الانسحاب نحو مضارب عشيرة الموالي ، حيث تابعوا نضالهم في القلمون والغوطة ، بعد أن أصبح الاستمرار في الثورة مستحيلا ضمن منطقة حماة بسبب تركيز الفرنسيين قوتهم فيها .

ولقد قاد الثورة في القلمون خالد النفوري وجمعه سوسق ، وامكن لهما في نهاية عام ١٩٢٥ السيطرة على المنطقة حتى حسيا . وقام الطيران الفرنسي بقصف القصير وتوجيه هجوم ضدها ، واستطاع الثائرون إحباط هذا الهجوم . وعندما تسربت أنباء المعركة الى حمص التحق المجاهدون بقاعدة الثورة في القصير ، ثم تابع الثوار نشاطهم وعملوا على تطوير عملياتهم ، ثم تجمعت عصابات ثوار مناطق القلمون وحمص والقصير في جهات النبك ، وذلك في الاسبوع الثاني من آذار (مارس) ١٩٢٦ ، بقيادة فوزي القاوقجي وسعيد العاص ، فوجهت القيادة الفرنسية قوة مكونة من ٤٠٠٠ جندي مسلحة بسبعين رشاشاً . وتصدى الثوار للحملة الفرنسية عند عيون العلق (شمال قرية قاده) وبعد معركة طاحنة اضطر الثوار الى الانسحاب في يوم ١٢ آذار (مارس) ١٩٢٦ ، ثم استؤنف الاشتباك من جديد قرب النبك في يوم ١٤ آذار (مارس) . واستمر النضال بعد ذلك فخاض الثوار معارك مشرفة بقيادة سعيد العاص . كما قاد الثورة في بعلبك هولو حيدر . وخاض معارك ضارية مع القوات الفرنسية . وتابع الثوار نقل عملياتهم حتى وصلوا دمشق . وانضموا الى قوات الثورة في الغوطتين . وكانت تدمر وباديتها مقراً للنشاط الثوري الذي استمر منذ عام ١٩٢٢ وحتى عام ١٩٢٥ . وكانت قوات البدو عماد الثورة ضد الفرنسيين في الصحراء التدمرية .

هـ) **ثورات المنطقة الجنوبية الغربية** (١٩١٩ – ١٩٢٦) – في اواخر شهر آب (اغسطس) ١٩١٩ ، وبينما كان موكب جورج بيكو والاميرال مورني يمر من قلعة « بعقلين » ، تصدى الثائرون للموكب ، واطلقوا النار ، فأصيب الاميرال بجراح بالغة ، وكان هذا الحادث بداية المقاومة في لبنان ، وقد صدمت القوات الفرنسية بالحادث لا سيما وانه وقع في لبنان الذي كانت تعتبره فرنسا قاعدة مأمونة لها . فانطلقت القوات الفرنسية للتنكيل بسكان القرى وتدمير مساكنهم وسقط في الحملة الانتقامية ٤٠ شهيداً اكثرهم من النساء والاطفال . وخلال هذه الحملة الانتقامية تقدمت القوات الفرنسية حتى وصلت منطقة الحوله ، فتصدى لها بعض عناصر عشيرة الفضل وطردوا مجموعة من الجنود الفرنسيين ، فوجهت السلطة الفرنسية حملة كبرى هاجمت قرية الخضاض التابعة للامير محمود الفاعور ، وذلك في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٩ . وكان هذا التحدي كافياً لإثارة الاضطراب في جميع قرى الجولان ونواحي مرجعيون ، واستمرت المعارك حتى نهاية ١٩١٩ ، وحقق الثائرون بعض الانتصارات الحاسمة.

وفي يوم ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٢٠ دخلت القوات الفرنسية دمشق ، مما أثار المشاعر الوطنية فانطلقت مجموعة مكونة من ١٤ ثائراً لقتل الجنرال غورو . ونفذت المحاولة ولكن الجنرال غورو لم يصب بأذى ، فوجهت السلطة الفرنسية حملة انتقامية في يوم ١٩٢١/٦/٢٦ ، وقامت بارتكاب اشنع الجرائم في قرى جباتا الخشب ، وطرنجه ، وجباتا الزيت ، وتل الشيخه . واستطاعت السلطة الفرنسية تحقيق هدوء نسبي طوال عام ١٩٢٢ ، حيث عادت الثورة بعد ذلك الى الاندلاع في عام ١٩٢٣ . واخذ عدد من زعماء المقاومة في المطالبة بفصل منطقتهم عن لبنان وضمها الى سوريا . ثم توسع نطاق الثورة في عام ١٩٢٥ ، واصبحت قرية مجدل شمس هدفاً للسلطة الفرنسية ، فعمل سلطان الاطرش زعيم ثورة الجبل على دعم القرية وارسال الامدادات لها . ووقعت معارك فاصلة انتهت بانتصار الثائرين في مجدل شمس ، فأخذوا في نقل قاعدة عملياتهم الى حاصبيا وراشيا ودارت معارك طاحنة في راشيا استمرت طوال اسبوع ، اظهر فيها الثوار بطولات رائعة ، ولكنهم لم يستطيعوا انتزاع النصر بسبب تفوق القوات الفرنسية الساحق .

وفي اواخر شهر آذار (مارس) ١٩٢٦ ركزت السلطة الفرنسية جهدها لتصفية قواعد الثورة في المنطقة الجنوبية الغربية . فخصصت لها ثلاث حملات بقيادة الجنرال مارتان . وتقدمت هذه الحملات على محاور مختلفة ، ونجحت في تصفية الثورة بعد سلسلة من المعارك التي خاضها الثوار بتصميم وعناد ، وتكبد الفرنسيون خسائر فادحة بالرجال والاعتدة .

و) **الثورة في المنطقة الجنوبية** (١٩٢٥ – ١٩٢٦) ، بقيادة سلطان الاطرش . أصدر المفوض السامي في يوم ٤ آذار (مارس) ١٩٢١ مرسوماً

يمنح بموجبه منطقة جبل العرب (جبل الدروز) نوعاً من الاستقلال الذاتي ، وذلك بهدف تكريس سياسة تجزئة سوريا الى دويلات منفصلة . وبموجب المرسوم المذكور تم تعيين حاكم من أبناء الجبل هو سليم الاطرش ، كما تم تعيين « ترانكا » الفرنسي مستشاراً للحاكم. ورغم ذلك فقد بقي الجبل مضطرباً تتفاعل فيه عوامل الثورة حتى جاء السبب المباشر الذي تمثل باعتقال أدهم خنجر (احد المتهمين بمحاولة اغتيال الجنرال غورو) والقبض عليه وهو في منزل سلطان الاطرش وذلك أثناء غياب صاحب المنزل عن داره . وعلى أثر ذلك حدثت سلسلة من المعارك أهمها :

معركة الكفر : في ٢١/٧/١٩٢٥ وانتهت بقتل قائد الحملة « الكابتن نورمان » ، وإبادة قوة الحملة المكونة من ١٧٤ مقاتلا تقريباً إبادة شبه تامة ، واستشهد من الثوار اربعين ثائراً .

معركة المزرعة : ٢/٨/١٩٢٥ وقد جاءت كرد فعل لفشل الحملة السابقة ، ولفك الحصار عن حامية القلعة التي حاصرها الثوار ، وانتهت بمقتل ما يزيد على الف جندي فرنسي . وغنم الثوار أسلحة ضخمة منها مدفع ١٠٥ مم ، ومدفع ٧٥ مم ، ومدفعان ٦٥ مم ، وكمية كبيرة من الذخائر وسقط من الثوار ٢٥٠ شهيداً . وقد جرت الاتصالات على أثر ذلك لتنسيق التعاون مع ثورة دمشق ، وتوسيع نطاق الثورة . وتوجهت حملة بهدف تحرير دمشق ووصلت الحملة الى قرب قرية الكسوة فاصطدمت بقوة فرنسية كبيرة يدعمها الطيران.ولم تتمكن القوات الثائرة من متابعة تنفيذ عملياتها أمام ضغط القوات الفرنسية .

حملة غاملان ومعركة المسيفره ١٦ – ١٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٥ . على أثر تطور العمليات وجهت السلطة الفرنسية حملة كبرى عرفت باسم حملة غاملان وهي مكونة من ٥ كتائب مشاة ، وكتيبة سباهيين ، وكوكبتي فرسان واقليات ، واربع بطاريات مدفعية ، وسريتي هندسة ، ودبابـــات ، وفصيلة مخابرات هاتفية ، وثلاث كوكبات سيارات رشاشة ، وسرية صحية ، وقافلة امداد وتموين . وكان يدعم هذه القوة سرب طيران مكون من ٢٥ طائرة . وتصدى الثوار لهذه القوة عند قرية المسيفرة. ودارت معارك طاحنة خسر فيها الفرنسيون ٥١ جندياً ،وضابطاً، و ١٠٠ جريح ، منهم أربعة ضباط ، مقابل ٢١٠ شهداء من الثوار . ثم تابعت القوة الفرنسية تحركها واستطاعت رفع الحصار عن حامية القلعة .

استمر النضال ضد السلطة الفرنسية ، وعملت فرنسا على استبدال المفوض السامي الجنرال ساراي بمفوض سام جديد هو عضو مجلس الشيوخ الفرنسي هنري دي جوفنيل ، بغية امتصاص النقمة العالمية التي نتجت عن قصف دمشق وعن المذابح الرهيبة التي ارتكبتها القوات الفرنسية . وحاول هنري دي جوفنيل مفاوضة سلطان الاطرش . وكانت متطلبات زعماء الثورة واضحة اهمها : إعادة توحيد الوطن السوري ، وانسحاب الوحدات الفرنسية . فلم يوافق المندوب السامي الفرنسي عليها ، ووجه حملة اندريا التي وصلت السويداء في ٢٢ نيسان (ابريل) ١٩٢٦ وتابعت بعد ذلك عملية احتلال شهبا في ١٥ أيار (مايو) ، ثم احتلال صلخد في ١ حزيران (يونيو) ١٩٢٦ ، واحتلال اللجاه في ٣ آب (اغسطس) . وقامت فرنسا بتنسيق التعاون مع بريطانيا التي كانت قواتها تحتل شرق الاردن ، وبذلك امكن للقوات الفرنسية تصفية قواعد الثورة في جبل العرب والمنطقة الجنوبية .

ز) الثورات في منطقـــة دمشق والغوطتين (١٩٢٥ – ١٩٢٦) استقبلت جماهير دمشق دخول قوات الانتداب بالوجوم . وقد حاول الفرنسيون خلق التظاهرات المفتعلة ولكن هذه التظاهرات لم تتمكن من إخفاء ما كان يضطرم في قلب دمشق من حقد دفين لما أصاب العرب من غدر قامت بالتخطيط له وتنفيذه فرنسا وبريطانيا . وكانت ردود الفعل الاولى لدخول الفرنسيين دمشق ردود فعل سلبية ، ثم لم تلبث ردود الفعل الايجابية ان ظهرت ، واخذت في التزايد التدريجي حتى وصلت ذروتها عام ١٩٢٥ . فعقد اجتماع في دار عثمان الشراباتي حضره القائمقام يحي حباتي ، والدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، وفوزي ونسيب البكري ، وحسن الحكيم ، وسعيد حيدر ، وسعد الدين مؤيد العظم ، وزكي الدروبي ، ونبيه العظمه ، وتوفيق الحلبي ، وجميل مردم ، وعبد المجيد الطباخ . وانتهى الاجتماع باقرار اعلان الثورة . وبدأت الاعمال القتالية بدعم تحرك القوات من السويداء الى دمشق ثم بدأت بعض الاعمال الصغرى في قرية النشابيه حيث هاجم الثائرون مخفر الدرك وعملوا على قطع الاتصالات الهاتفية . فوجهت السلطة الفرنسية حملة صغرى استطاع الثائرون إيقافها واعتقال عدد من ضباطها . تطورت بعد ذلك الاعمال القتالية فوقعت **معركة « جوبر »** يوم ١٣/١٠/١٩٢٥ حيث تصدت ثلاث مجموعات قتالية بقيادة عبد القادر سكر ، ومحمد حجاز ، وحسن الخراط ، وجابهت حملة فرنسية وارغمتها على الانسحاب واستمرت في مطاردتها حتى باب توما .

وفي يوم ١٤/١٠/١٩٢٥ ، وجهت السلطة الفرنسية حملة كبرى تضم ١٣٠٠ مقاتل بهدف الانتقام لهزيمتها السابقة ، فتصدى الثوار في منطقة « زور المليحه » للحملة ووقعت معركة عند « جسر الغيضة» ، انتصر فيها الثوار . لكن تدخل الطائرات ارغم الثائرين على الانسحاب في اتجاه « الهيجانة » و « حران العواميد » ، واسقط الثوار طائرة فرنسية . فانتقمت فرنسا لهزيمتها في **معركة الزور** التي اطلق عليها الثائرون اسم « معركة الزور الثانية » واقدمت على إعدام ٢٤ رجلا من أبناء القرى المجاورة وحملتهم الى دمشق .

وفي يوم ١٥/١٠/١٩٢٥ قامت مجموعة من الثائرين بقيادة نسيب البكري ، ورمضان شلاش ، بالهجوم على « حامية الضمير » واستطاع الثائرون إلحاق الهزيمة بالحامية . وكاد يتم لهم القضاء عليها ولكن وصول قوات دعم كبرى يدعمها الطيران وتساندها الدبابات ، أرغم الثوار مرة أخرى على الانسحاب بعد ان اصابوا الحملة الفرنسية بضربات قوية وغنموا اسلحة كثيرة وكميات من الذخائر .

في يوم ١٦/١٠/١٩٢٥ عقد زعماء الثورة اجتماعاً في حران العواميد تقرر فيه نقل الثورة الى دمشق ذاتها والقيام بهجوم كبير تقوم بتنفيذه في يوم ١٨/١٠ ثلاث مجموعات : على أن تعمل المجموعة الأولى بقيادة نسيب البكري ، ومعه دروز الجبل ، ومهمتها اقتحام حدود دمشق من منطقة الميدان – « بوابة الله » . وتتقدم المجموعة الثانية بقيادة أبي عبده ديب الشيخ ، ومهمتها اقتحام دمشق من منطقة « باب السلام » ، أما المجموعة الثالثة بقيادة حسن الخراط ، فمهمتها اقتحام دمشق من منطقة « بساتين الشاغور » . وكان مجموع قوة هذه المجموعات القتالية لا يزيد على ٧٠٠ من المشاة و ٥٠٠ من الفرسان .

انطلقت المجموعات القتالية في الموعد المحدد لها وحسب الخطة الموضوعة . وحاولت القوات الفرنسية إيقاف مجموعة حسن الخراط عند « مقبرة اليهود » ، ولكن مجموعة الثوار نجحت في اقتحام المدينة واسقطت ١٠٧ قتلى . وكان الجنرال ساراي في ذلك اليوم يقوم بزيارة تفقدية لقواته في أزرع .وعند عودته من ازرع ، واثناء مرور القطار في منطقة الميدان اطلق ثوار مجموعة نسيب البكري نيرانهم عـلى مقصورته ، ولكنهم فشلوا في قتله .

وكان المفوض السامي الجنرال ساراي ينزل في قصر العظم عند زيارته دمشق . فعمل حسن الخراط

على توجيه مفرزتين الى قصر العظم بمهمة خطف المندوب السامي او قتله . وانطلقت الزمرة الاولى بقيادة حسن المقبعة بالهجوم عن طريق سوق البزوريه على حين انطلقت الزمرة الثانية بقيادة أبي علي كليب بالهجوم عن طريق « زقاق الصواف » . ونجح أفراد الزمرتين في اقتحام القصر ، وكاد الثائرون يحققون أهدافهم لولا سقوط قادة المفرزتين في ساحة القصر واستشهادهما ، مما دفع افراد الزمرتين الى الانسحاب بعد تكبيد الحامية خسائر فادحة . وارسلت القيادة حملة كبيرة لانقاذ المندوب السامي ودعم الحامية ، ولكن الثوار نجحوا في استدراج هذه الحملة إلى أزقة ضيقة ومغلقة ، وكاد يتم لهم القضاء عليها ، لولا تقدم قوات دعم اخرى مجهزة بالانوار الكشافة ، فاضطر الثائرون الى الانسحاب . ونجحت القوة الفرنسية في إنقاذ الحامية ، وأصيب الجنرال ساراي بالهلع فغادر دمشق فوراً بعد أن أصدر أوامره بقصف المدينة . فأصدر قائد منطقة دمشق أوامره بسحب قواته العسكرية من جميع أحياء دمشق ، كما جمع كل الموظفين الفرنسيين وعائلاتهم في حي « الصالحية » ، وبدأ بقصف دمشق في الساعة الثامنة عشرة من يوم ١٨/١٠/١٩٢٥ واستمر حتى ظهر الثلاثاء في ٢٠/١٠/١٩٢٥ . ودمرت خلال القصف أحياء كاملة ومواقع أثرية . وتقدر خسائر القصف بما يزيد كثيراً على مليون جنيه ذهبي . وتدخل قناصل الدول الاجنبية وبعض أصدقاء فرنسا لإيقاف القصف . فاشترطت السلطة الفرنسية فرض غرامة على السكان قيمتها ١٠٠٠٠٠ ليرة عثمانية ، و ٣٠٠٠ بندقية . ونظراً لعدم توفر الاسلحة بهذه الكمية عمدت السلطة الفرنسية عن طريق عملائها الى طرح البنادق المصادرة وبيعها بأسعار مرتفعة . وكان لضرب دمشق أصداء واسعة ، واستقبلها العالم بالاستنكار . فتم عزل الجنرال ساراي واستبداله بعضو مجلس الشيوخ « هنري دي جوفنيل » الذي وصل دمشق في نهاية عام ١٩٢٥ .

وبعد ضرب دمشق ، أعاد الثوار تنظيم قواتهم وجعلوا من قرى الغوطة قواعد لهم . كما أعادت القوات الفرنسية تنظيم قواتها ، وسحبت قواتها من خارج المدينة ، وعززت حامياتها داخل المدينة ، ووضعت سياجاً شائكاً يحيط بالمدينة ، كما أقامت الحواجز المتحركة والسدود في الشوارع ، وأقامت نقاط المراقبة والتفتيش ، وسيرت الحملات المتتابعة الى الغوطه . واعلنت السلطة الفرنسية الاحكام العرفية اعتباراً من ٢٥/١١/١٩٢٥ ، ومنعت التجول بعد الساعة التاسعة مساء ، واخذت في إصدار البيانات الكاذبة حول نجاحها في القضاء على الثورة . واستمر الصراع المرير دون هوادة في قرى الغوطة وكان من أبرز معاركها : **معركة يلدا** ، في ٥/١٢/١٩٢٥ ، حيث زجت السلطة الفرنسية قوة تزيد على ألفي جندي و ١٢ دبابة مقابل ١٥٠٠ — ٢٠٠٠ من الثوار . واستطاع الثائرون تمزيق الحملة الفرنسية ، ومطاردتها حتى حدود دمشق . ثم انقض عليها انصارهم بالسلاح الابيض عند وصولها الى جدران الميـــدان والزفتيه ومقبرة الميدان والقشله العزيزيه « الجزماتيه » . وخسر الفرنسيون مئات القتلى مقابل ١٩ شهيداً من الثائرين . كما غنم الثوار ١٠٠ بندقية و ١٠ صناديق ذخيرة و ١٦ مدفعاً رشاشاً . وعرفت هذه المعركة بمعركة « السبت » .

واستمر النضال طوال عام ١٩٢٦ في ظروف غير متكافئة ، ودارت معارك طاحنة في كل مدينة وقرية وفي كل يوم تقريباً . وسقط عدد من قادة الثورة ، فقد استشهد حسن الخراط في ١٦/١٢/١٩٢٥ في بستان الذهبي قرب مقبرة اليهود . وشهدت قرى : كفر سوسه وداريا والحتيته ومنطقة مئذنة الشحم (في دمشق) والجديده وبرزه والقابون وحرستا وعقربا والست وجسر تورا وغيرهـــا نشاطات الثوار العسكرية . وعرفت انتصاراتهم كما عرفت مدى ما يعانيه الثائرون من ضعف في العدد والتسليح والحاجة الى الذخيرة . وخلال مرحلة الصراع هذه خسر الفرنسيون اعداداً كبيرة من جنودهم ، وجاء انتقامهم من قاعدة الثورة في دمشق فوجهوا نيرانهم في شهر أيار (مايو) ١٩٢٦ ، وضربوا منطقة الميدان ، ووجهوا حملة قوية عملت على تدمير الحي واحراقه . ولكن ذلك زاد في تصميم الثوار ، ودفع العناصر المترددة الى نصرة الثورة والالتحاق بها .

ووجدت السلطة الفرنسية نفسها مرغمة على تركيز جهدها كله للقضاء على الثورة في دمشق والغوطتين . فخصصت لذلك خمسة جيوش ، واصطدمت قوات هذه الجيوش بمقاومة الثائرين العتيدة . بيد أن ميزان القوى ، وضعف امكانات الثائرين ، وتوقف كل امكانات الدعم الخارجي ، والاستنزاف الكبير ، ارغمت الثائرين على إلقاء السلاح في نهاية عام ١٩٢٦ واللجوء الى مصر والاردن . ورغم فشل قيادة الثورة في تحقيـــق تطلعات الجماهير ومتطلباتها ، فقد نجحت في إذكاء الروح الوطنية ، وإرغـــام السلطة الفرنسية عـــلى تعديل مخططاتها الاستعمارية ، والاخذ ببعض وجهات النظر الوطنية ، ومنها : إعادة توحيد الوطن السوري ، ووضع دستور لحكم البلاد .

(٨) الثورات الليبية (١٩١١ — ١٩٣١)

في عام ١٩٠٤ ، عقدت فرنسا مع ايطاليا اتفاقاً يطلق يدها في المغرب ، مقابل اطلاق يد ايطاليا في طرابلس . وفي عام ١٩٠٥ ، أنشأ مصرف روما فرعاً له في طرابلس الغرب وبرقه ، كما أخذت ايطاليا في إرسال البعثات المختلفة لوضع المخططات بهدف احتلال ليبيا . وفي عام ١٩٠٨ حاولت ايطاليا احتلال ليبيا فأرسلت الدولة العثمانية جيشاً قوياً وأحبطت المحاولة الايطالية . وفي عام ١٩١١ ، حصلت ايطاليا على موافقة بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية والمانيا والنمسا لاحتلال ليبيا ، ثم ارسلت انذاراً الى الدولة العثمانية اعقبته باعلان الحرب . وبـــدأت القوات الايطالية احتلال ليبيا بالاستيلاء على درنه وطرابلس وبنغازي وبرقه . وفي عام ١٩١٢ ، تم توقيع اتفاقية لوزان بين ايطاليا والدولة العثمانية ، وكانت الاتفاقية تكريساً لواقع الاحتلال الايطالي .

حكمت ايطاليا القطر الليبي حكماً مباشراً عن طريق الحاكم العام ، وقسمت البلاد الى عدد من الوحدات الادارية الكبرى ، وتم تعيين القادة العسكريين لحكم هذه الوحدات الادارية ، كما كان العدد الاكبر من الموظفين الاداريين ورجال أجهزة الامن من الايطاليين . واخذت السلطات الايطالية في إقامة المراكز الحربية وتوزيع الحاميات على أنحاء البلاد لمجابهة الانتفاضات التي بدأت منذ الايام الاولى للاحتلال الايطالي .

وبدأت السلطة الايطالية عملها في ليبيا باتباع حرب إبادة . ففي ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١١ قتل الجند الايطاليون في ناحية «المنشيه» عدداً يتراوح بين أربعة آلاف وسبعة آلاف نسمة . ومثلوا بالكثيرين منهم . وفي يوم ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) من السنة ذاتها ، اشعلوا النار في أحد أحياء طرابلس الواقع خلف بنك روما ، وذبحوا اكثر سكانه . وفي ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) أعدموا حوالي خمسين نسمة بينهم نساء واطفال في ثكنة الفرسان بمدينة طرابلس . وتحول الجند الايطاليون الى المساجد والاضرحـــة ، فحولوها الى اسطبلات لخيولهم . ومنعوا السكان من إقامة شعائرهم فيها ، وأخذوا يرتادون المساجد وهم سكارى . وعملوا على تدمير كثير من المساجد ، كما منعوا الحج . واقدم قائد حامية طبرق على إلقاء المصحف أرضاً ، وأخذ يطأه بقدمه على مشهد من المسلمين .

كان رد العرب المسلمين في ليبيا تجاه تحديات الايطاليين واستفزازاتهم القيام بثورة عامة ، قادها

في طرابلس سليمان الباروني نائب الجبل وفرحات نائب طرابلس . وقد استجابت القبائل العربية لنداء الثورة ، واخذت في الضغط على القوات الايطالية ، والاغارة عليها . وحاولت القوات الايطالية التقدم من بنغازي الى درنه ، ولكن المقاومة الشديدة للثائرين احبطت محاولتها . وعندما تم الاتفاق بين الدولة العثمانية وايطاليا . أصدرت الدولة العثمانية اوامرها الى ضباطها بالانسحاب من ليبيا ، وبقيت مسؤولية مقاومة الاحتلال الايطالي على عاتق جماهير ليبيا وقياداتها الممثلة « بالاسرة السنوسية » . وفي طرابلس عقد زعماء الحركة الوطنية اجتماعات في لواء الجبل العربي ، ولواء « فزان » ، و « رفله » ، انتهى باعلان استقلال ليبيا ، وإنشاء حكومة وطنية برئاسة الشيخ سليمان الباروني . واخذ الباروني في تنظيم المقاومة ضمن منطقة طرابلس في الوقت الذي كان فيه عمر المختار يتزعم الثورة في برقه . وقد حاولت ايطاليا احتلال فزان طوال عام ١٩١٤ ولكنها فشلت في ذلك وكان فشلها من العوامل الهامة في تعزيز مكانة الثورة .

وعندما اشتعلت نيران الحرب العالمية الاولى ، اعادت الدولة العثمانية اتصالها بزعماء المقاومة في طرابلس . وحصلت المقاومة الليبية على مورد من الاسلحة والذخائر دعمها لتطوير عملياتها التي استمرت طوال الحرب العالمية ، وعندما انتهى الامر في عام ١٩١٨ الى عقد اتفاق بين ايطاليا وتركيا يقضي بانسحاب تركيا من الحرب ، عادت المقاومة لتصطدم من جديد بقوات الاحتلال الايطالي . وانتهجت ايطاليا سبيلا جديداً لإخماد الثورة واضعافها ، فعملت على إثارة الفتنة بين العرب والبربر .

خلال ذلك كله كان عمر المختار يتابع جهده في الجبل الاخضر ، فيعمل على تنظيم معسكرات المجاهدين وتعيين القادة . ويتابع تحركات الايطاليين وينظم الهجمات ضدهم . وفي عام ١٩٢٣ ، أنهى الايطاليون عملياتهم في طرابلس ، واستطاعوا السيطرة على « غريان » (مقر الحكومة الوطنية) واحتلوا مصراته ، ونجحوا في القضاء على الثورة ، واصبح بامكانهم تركيز جهدهم للقضاء على ثورة عمر المختار في برقه ، وتصفية قاعدتها في الجبل الاخضر .

اتبعت القوات الايطالية في القضاء على الثورة الليبية مختلف الوسائل الوحشية . ودعمت ذلك في عهد موسوليني عام ١٩٢٢ بالاعلان عن قرار يهدف الى امتلاك البلدان العربية القائمة على شواطئ البحر الابيض المتوسط ، وإبادة اهل هذه البلاد ، وافنائهم ، وتحويلها الى رقعة لاتينية . وتنفيذاً لهذا القرار ، أصبحت جرائم القوات الايطالية سلسلة متشابهة الاحداث والوقائع في إبادة العرب وقتلهم والضغط على حرياتهم واغتصاب املاكهم ونهب اموالهم وإحراق بيوتهم ، مع التوسع في محاولات القضاء على اللغة العربية ، والعمل على إشاعة الانحلال الخلقي . وعندما دخلت القوات « جفاره » عام ١٩٢٣ ، عملت على قتل ألف رجل أمام نسائهم واطفالهم ، ثم اعتقلت عشر سيدات ، فجردتهن من ثيابهن ، وشنقتهن عاريات ، وأبقتهن سبعة أيام معلقات وهن على هذا الوضع . وكانت هذه التحديات كلها حافزاً دفع عمر المختار نحو مزيد من التصميم لمتابعة النضال والاستمرار في الثورة ، ومجابهة تهديدات السلطة الايطالية دون اهتمام ، بعد ان تكونت لديه القناعة بأن الوعود ليست أكثر من وسيلة لكسب الوقت ، واعداد الظروف الملائمة لمزيد من الاذلال والتنكيل بأبناء البلاد . وامام هذا الموقف قررت السلطة الايطالية احتلال الجغبوب ، وفزان ، والكفره ، بهدف عزل الجبل الاخضر ، وقطع الامداد عنه من الغرب والشرق ، وحصار المناضلين في منطقة جبلية محدودة . واستطاعت القوات الايطالية احتلال الجغبوب في ٨ شباط (فبراير) ١٩٢٦ .

كانت قوة عمر المختار في منطقة عملياته « شحات » لا تزيد على ألف وخمسمائة مقاتل ، منهم أربعمائة مقاتل من الفرسان . ونظراً لتنكيل الجند الايطاليين بعائلات المناضلين ، وحتى يتحرر هؤلاء المناضلون من اعبائهم ، فقد عمل عمر المختار على إبعاد الأسر والعائلات وغير المقاتلين من منطقة العمليات ، وفرض مراقبة دقيقة على محاور الطرق ، كما اهتم بالشؤون الادارية – وخاصة بعد احتلال الايطاليين للجغبوب – فعمل على تزويد الأهالي بعدد من « القرب » لامداد المناضلين بالماء مع تزويدهم بالطعام ، وكانت قوة عمر المختار على استعداد دائم للقتال . كما كانت روحها المعنوية عالية نتيجة لايمانها بعدالة قضيتها . ولقد استمرت الاشتباكات مع الايطاليين دون هوادة ، وشهد شهر تموز (يوليو) ١٩٢٧ نشاطاً ثورياً كبيراً ، ومعارك ضارية ، تكبد فيها الايطاليون خسائر فادحة . ولكن هذه الخسائر لم تؤثر على مسيرة العمليات ، بسبب التفوق الكبير الذي كان الى جانب الايطاليين ، فتابع هؤلاء ضغطهم ، واستطاعوا أن يضيقوا الحصار على الثوار .

عمل الايطاليون على تصعيد عملياتهم مع نهاية كانون الثاني (يناير) ١٩٢٨ . فتوجه غرازياني على رأس جيش كبير بهدف القضاء على الثورة ، وقد عمل غرازياني على تقسيم جيشه الى مجموعتين قتاليتين : خرجت احداهما من « غدامس » ، والثانية من الجبل الاخضر . وحدد للمجموعتين واجب « الاستيلاء على فزان » . وما أن توفرت المعلومات عند عمر المختار عن تحرك القوات الايطالية للاستيلاء على فزان ، حتى تصدى بقواته للأرتال المتقدمة ، ودارت معركة استمرت خمسة أيام متتالية ، تكبد الايطاليون فيها خسائر فادحة ، ووجدوا انفسهم في النهاية مرغمين على الانسحاب . ولكن السلطة الايطالية رفضت الاعتراف بالهزيمة ، فوجهت قوة ثانية ، ولم تتمكن هذه القوة أيضاً من الوصول الى فزان ، رغم ما قامت به من اعمال لا إنسانية . وتوجهت حملة ثالثة ، لكن الانتصارات السابقة عززت موقف الثوار وجعلتهم أكثر ثقة بالنصر ، فتصدوا للحملة الثالثة وهزموها هزيمة منكرة . وتابع المجاهدون أعمالهم الثورية ، وحاولوا توسيع نطاق عملياتهم ، وحققوا عدداً من الانتصارات ، فعادت السلطة الايطالية لاتباع طريقتها التقليدية في التضييق على المجاهدين وحرمانهم من التموين والموارد الحياتية .

نتيجة للفشل المتلاحق الذي لحق بالسلطة الايطالية في القضاء على الثورة الليبية ، عمل موسوليني على تعيين « بادوليو » حاكماً على طرابلس وبرقه ، ومنحه سلطات واسعة لاخضاع الثائرين ، ووصل بادوليو الى طرابلس في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٩ ، وبدأ في وضع مخططه للقضاء على الثورة في برقة والجبل الاخضر . وأخذ بادوليو في تصفية المقاومة داخل اقليم طرابلس ، حتى يستطيع الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة ، ويصبح بامكانه تركيز الجهد ضد الثورة في برقة (ثورة عمر المختار) . ونجح في احتلال منطقة فزان وتصفية كل مقاومة فيها بعد نضال مستمر وصراع دائم استمر ثمانية أشهر ، برز خلالها في صفوف المقاومة اسم « احمد سيف النصر » كقائد كبير من قادة المقاومة . وعندما تم لبادوليو احتلال فزان ، وتصفية المقاومة في طرابلس ، أخذ في التمهيد للعمليات في الجبل الاخضر . واراد بادوليو اكتساب الوقت ، فاتصل بعمر المختار عارضاً عليه الصلح . وبعد مفاوضات طرح عمر المختار شروطه للصلح وكان منها : عدم تدخل السلطة الايطالية في الامور الدينية للسكان ، واطلاق الحرية الدينية ، وعدم المساس بمشاعر المسلمين ومعتقداتهم ، والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية للبلاد ، واستخدامها في دواوين الحكومة والدوائر الرسمية ، والسماح بفتح المدارس الخاصة بتدريس

الشريعة الاسلامية ومواد التوحيد والتفسير والحديث والفقه وسائر العلوم ، وتدريس اللغة العربية وعلومها في المدارس ، وإلغاء القانون الايطالي الخاص بالتفرقة بين الايطاليين وسكان البلاد ، وقانون حرمان المواطنين من الحقوق إلا إذا حصلوا على الجنسية الايطالية .

وتظاهر بادوليو بقبول شروط عمر المختار . واخذ في الوقت ذاته يستعد لضرب ثورة الجبل الاخضر وتصفيتها . ولم تكن استعدادات بادوليو خافية عن مراقبة الثائرين الذين كانوا يتابعون نشاط السلطة الايطالية بيقظة وحذر . وعندما وصلت هذه الاستعدادات الى مرحلة أصبحت معها تشكل تهديداً خطيراً لقاعدة الثورة ، وجد عمر المختار ذاته مرغماً على استئناف القتال ، فأصدر في يوم ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٢٩ نداءه الى جماهير طرابلس وبرقه ، معلناً أن هدف الإيطاليين من التظاهر بالمفاوضات لم يكن إلا لكسب الوقت ، كما أعلن في بيانه انتهاء مدة الهدنة بين المجاهدين والإيطاليين واندلعت نيران الثورة من جديد .

في ١١ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٠ ، أصدرت ايطاليا مرسوماً عينت بموجبه اللواء غرازياني نائباً للوالي في برقه ، ومنحته سلطات واسعة للقضاء على الثورة . وكانت الخطوة الاولى التي اتخذها «غرازياني» هي اعتقال مشايخ السنوسية جميعهم ، والمسؤولين عن الاوقاف الاسلامية ، وأئمة المساجد ، والمؤذنين ، والفقهاء ، ووصل الاعتقال الى « سدنة المساجد » . ثم ألقي بالجميع في سجن « مركز بنينه » . ولم يكن هذا السجن اكثر من بناء قديم لا سقف له ، وحرم السجناء من الطعام والشراب ، وتعرضوا للتعذيب حتى مات اكثرهم جوعاً وعطشاً تحت سياط السجانين ، ونقل من بقي منهم الى السجون الايطالية ، ثم أعيدوا من جديد الى « مركز بنينه » ، واخضعوا لسياسة الافناء بالتعذيب والتجويع حتى لم يبق منهم سوى عدد قليل . وتابع « غرازياني » سياسة العنف . فحشد العرب في معسكرات الاعتقال . وكان مجموعهم حوالي ثمانين ألف نسمة . وكانت هذه المعسكرات تدعى « معسكرات الموت » ، وهي محاطة بالاسلاك الشائكة . وكان معدل موت الاطفال في تلك المعسكرات يصل حتى ٩٠ ٪ . وانتشرت بين المعتقلين أمراض العيون . ولم تحاول السلطة الايطالية بذل العناية الطبية للمرضى ، حتى أصيب أكثرهم بالعمى . وقتل الطليان حوالي ٥٧١ ألف نسمة من سكان طرابلس وبرقة وحدهما .

وعمل غرازياني بعد ذلك على تضييق الحصار وتطويق الثائرين في الجبل الاخضر ، ضمن حدود منطقة ضيقة بين طليحة وبنينه . وقام باعتقال زعماء المنطقة وشيوخها ، واخضعهم لجميع أنواع الاذلال والمهانة ، ثم اختار من بينهم خمسة عشر زعيماً على رأسهم الشيخ سيد الشرقاوي واعدمهم . واقدم غرازياني على توسيع نطاق عملياته ، فأمر بإجلاء سكان « برقة الغربية » عن مناطقهم ، ومصادرة اموالهم وممتلكاتهم ، ونظم تحرك هؤلاء السكان على الطرق ضمن حراسة مشددة تقوم بها المدرعات وقوى الفرسان . ولم يكن يسمح لأحد بالانحراف عن الطريق او الخروج منه ولو للاستسقاء . وكان من يحاول يائساً الخروج عن محور الطريق يلقى جزاءه الفوري وهو القتل . ولم يكن هناك تمييز في المعاملة بين الشباب او الشيوخ ، الرجال او النساء ، الكبار او الصغار . وعندما وصلت قافلة سكان برقة الغربية الى المكان المحدد لاعتقالها « في القطاع » على شريط ضيق من ساحل البحر ، كان عدد كبير منها قد مات على الطريق بسبب الارهاق والجوع والعطش .

بعد انتهاء عملية إجلاء سكان « برقة الغربية » ، انتقلت قوات الاحتلال الايطالي الى « برقة الشرقية » ، حيث كان يستقر فيها ثلاثون قبيلة عربية يبلغ عدد أفرادها ثمانون ألف نسمة . وأخذت القوات الايطالية في مصادرة أموال هذه القبائل وممتلكاتها ومواشيها . ثم اتبعت الاسلوب ذاته في ترحيل القبائل الى العقيله . وتعرض نساء القبائل واطفالها الى عذاب مرير خلال مرحلة المسير . ثم زجت القبائل في بقاع جرداء موزعة بين بنينه وطلمنيه والعقيله . وطبق على أفرادها الاساليب الوحشية التي اسلمتهم الى حياة هي الموت البطيء .

وأضعفت هذه الاجراءات بمجموعها موقف الثورة ، وسيطر الرعب على الجماهير المتعاطفة مع المجاهدين ، ولكن ارادة الصمود لم تنثن عند عمر المختار وقواته في الجبل الاخضر ، فاستمرت قوات الثورة في توجيه الضربات الى القوات الايطالية . وكانت الانتصارات الصغرى حافزاً للحصول على الدعم الجماهيري والتأييد الشعبي . فابتكر غرازياني اسلوباً جديداً لردع هذا التعاطف ، وقد تمثل الاسلوب الجديد بتشكيل ما عرف باسم « المحكمة الطائرة » .

كانت مهمة « المحكمة الطائرة » هي القضاء على المتعاطفين مع ثورة عمر المختار . وكان أعضاء المحكمة ينتقلون بالطائرات من اقليم الى اقليم ، ومن منطقة الى منطقة ، ويعقدون جلسات محاكماتهم بالهواء الطلق في الميادين العامة ، وساحات المدن ، ومناجع القبائل . وكانوا يطبقون في محاكماتهم مواد « القوانين العرفية » . ولهذا كانت اجراءات المحاكمة تسير بسرعة مذهلة ، فيتم اعدام المشتبه بهم ومصادرة اموالهم وممتلكاتهم فوراً ، ثم توزع هذه الاموال والممتلكات على المرتزقة الذين اخذت اعدادهم تتزايد حتى أصبحت تشكل شبكة — كالاخطبوط — تصل الى كل مكان ، ولم يكن يسمح للمتهمين بالدفاع عن أنفسهم أو تكليف من يقوم بذلك من المحامين . ولم تكن هناك حاجة عند المحكمة حتى لدراسة الاتهام او التحقيق فيه . بل كان مجرد الاتهام كافياً لاعدام المتهمين . وسقطت اعداد من الابرياء تحت سيف الارهاب . وهيمن الذعر على سكان البلاد .

استطاعت تدابير الاجلاء والتعذيب والارهاب ان تصيب الثورة بعزلة معنوية ، علاوة على العزلة الجغرافية ، وكان محور الجنوب هو المنفذ الوحيد لقوات عمر المختار ، وارادت السلطة الايطالية اكمال طوق العزلة ، فوجهت قوات كبرى الى الجنوب ، ونجحت في احتلال « الكفره » . وكانت واحة الكفره آخر معاقل السنوسيه وفيها كان تجمع قوات المجاهدين المنسحبين اليها من المناطق الشمالية ، وذلك بعد سقوط « فزان » في قبضة القوات الايطالية . ثم انهت القوات الايطالية تطهير « الكفرة » والسيطرة عليها في ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٣١ . ولم يكن في « الكفره » عند دخول القوات الايطالية اليها سوى الاطفال والنساء والشيوخ . فأصدر قائد القوة الايطالية اوامره باستباحة النساء والفتك بالسكان وانطلق الجند الايطاليون ، فاستباحوا قرى الواحه ثلاثة أيام ، ارتكبوا خلالها من الجرائم ما لا يمكن حصره ، من ذبح للشيوخ والاطفال ، وسبي للنساء ، وفتك بهن ، واحراق للمزارع ، وتدمير للمنازل ، واعتداء على اماكن العبادة . ونتيجة لهذه السياسة ، اخذت موارد الثورة في النضوب والاضمحلال . وتزايدت العوائق والصعوبات ، ولم يعد باستطاعة عمر المختار تنظيم هجمات قوية . وقد حاول الايطاليون ردع عمر المختار واغراءه بالتوقف عن متابعة النضال ، ولكنه بقي على تصميمه في متابعة الثورة حتى نهايتها الحتمية التي أصبحت واضحة أمامه ، فعمل على تقسيم قوة المجاهدين الى مجموعات صغرى وحدد لها واجباتها بممارسة اعمال الاغارات والكمائن وتجنب الدخول في معارك كبرى مع القوات الايطالية المتفوقة تفوقاً ساحقاً في اعدادها وتسليحها . وذكر اللواء « غرازياني » ان المعارك التي وقعت بين جنده وبين مجاهدي عمر المختار قد وصلت حتى ٢٦٣ معركة في مدة لا تتجاوز عشرين شهراً ، هي مدة توليه

قيادة الجيش الايطالي في برقه قبل مقتل عمر المختار .

ركز « غرازياني » جهده وحشد قواته للقضاء على ثورة عمر المختار في نهاية شهر آب (اغسطس) وبداية شهر ايلول (سبتمبر) من عام ١٩٣١ . واصبحت جميع الظروف مهيأة لتوجيه ضربة قاضية ضد قاعدة الثورة . وقد اخذت العمليات طابع الاشتباكات الصغرى . وفي إحدى تلك الاشتباكات قرب « سلطنه » ، تصدت مجموعة من المجاهدين لقوة من خيالة الجيش الايطالي ، وبعد معركة قصيرة وحاسمة ، استطاع الفرسان الايطاليون تطويق قوة المجاهدين والقضاء عليها وأسر من بقي حياً منهـا وكان عمر المختار بين الأسرى . فتم نقله الى بنغازي ، حيث حوكم في ١٥ أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣١ .

وكانت « المحكمة الطائرة » قد أعدت عدتها ، فجهزت « مشنقة الاعدام » ، واتخذت الـترتيبات اللازمة ، وحشدت عشرين ألفاً من أهالي البلاد الذين جمعتهم قسراً . ثم عقدت المحكمة جلساتها ، واصدرت حكمها على عمر المختار بالاعدام شنقاً . وفي الساعة التاسعة صباحاً من يوم ١٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٣١ نفذ حكم الاعدام على مشهد من الجماهير التي حشدت في ساحة بنغازي . وقد عملت السلطة الايطالية على دفن الشهيد سراً واخفاء قبره ، ولكن مراقبـة المناضلين تابعت إجراءات السلطة الايطالية ، وحفظت مكان الشهيد حتى إذا كان الاستقلال ، شيد ضريح للشهيد الثائر ، أصبح مزاراً يستلهم منه المناضلون العزم والتصميم .

تابع « غرازياني » سياسته لإبادة العنصر العربي حتى عام ١٩٣٤ . وكان متوسط اعمال الابادة طوال فترة حكمه تقارب الثلاثين شهيداً في كل يوم . وهكذا نجح « غرازياني » في القضاء على نصف عدد سكان ليبيا ، إضافة الى من هرب لاجئاً نحو البلاد المجاورة ، فاصبحت البلاد خالية من اهلها . واقبل الايطاليون لملء الفراغ الذي مهدت له قواتهم المحاربة .

(٩) الثورة

الثورة Revolution بمعناها العـام تغيير جذري في مجال من المجالات وانقطاع مفاجئ وعنيف في الاستمرارية . وتقرن كلمة الثورة عادة بصفة لتحديد ماهيتها (الثورة الثقافية ، والثورة الصناعية ، والثورة التعليمية ، والثورة الجنسية ... الخ) . ولكن استخدام كلمة الثورة (بمعناها السياسي) له مدلول آخر ، ذو أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية واسعة . والثورة بهذا المنظور هي رفض لقهر لا يمكن احتماله (سواء كان هذا القهر اقتصادياً أم سياسياً أم اجتماعياً أم وطنياً) ، وتجسيد هذا الرفض بالعمل العنيف الجماهيري المنظم ، في سبيل التخلص من القهر ، وبناء حياة أفضل .

عرفت الثورات منذ عهد الاغريق . ولقـد استعملت الكلمة بمعناها السياسي لأول مرة في أواخر القرون الوسطى في المدن الايطالية . ودخلت هذه الكلمة اللغة الانكليزية لأول مرة في حوالي العام ١٦٠٠ في عهد كرومويل . ومن المعتقد أنهـا استعملت في فرنسة لأول مرة في ١٤ تموز (يوليو) ١٧٨٩ عندما أبلغ الدوق دولارو شفوكو - ليانكور الملك لويس السادس عشر بسقوط الباستيل بيد الجماهير الثائرة ، فصاح الملك « إنها هبـة » (Revolte) ، فرد عليه الدوق قائلا : « كلا يا جلالة الملك ، إنها ثورة » (Revolution) . أما العرب فقد عرفوا الثورة (بمعناها السياسي) منذ ثورة الزنج في العام (٨٦٩ - ٨٨٣) ، ثم عرفوها بعد ذلك منذ أيام ثورة عرابي في العام (١٨٨١ - ١٨٨٢) ، ولا يزالون يعيشونها في كثير من أقطارهم.

والثورة (بمعناها السياسي) تعبير يدل على العمل العنيف الرامي إلى احداث تطور جذري في نظام الحكم والنظام الاجتماعي القائمين ، وتحقيق تبديل اساسي في العلاقات بين الطبقات على أثر تحطيم البنية الفوقية للمجتمع ، وإلغاء سيطرة الطبقات العليا ، وتكريس سيطرة الطبقات المقهورة الواقعة تحتها ، واحلال نظام جديد محل النظام القديم . ومن هنا نرى أن المعنى السياسي للثورة يشمل التغيير السياسي والاقتصادي ، وما يرافقه من تغيير اجتماعي وثقافي . فلقد كانت الثورة الفرنسية البورجوازية (١٧٨٩) مثلا ، تستهدف قلب الحكم الملكي المستبد الذي يقع في قمة نظام قطاعي ، وخلق نظام رأسمـالي بورجوازي . أما الثورة الاشتراكية الروسية (١٩١٧) فكانت تستهدف تدمير النظام الاقطاعي - الرأسمالي الروسي ووصول البروليتاريا إلى السلطة ، في سبيل بناء الاشتراكية . ويطلق على هذا النوع من الثورات في الأدبيات السياسية المعاصرة اسم « ثورة التحرر الاجتماعي » .

وهناك نوع آخر من الثورات يطلق عليه في عصرنا اسم « ثورة التحرر الوطني » . وهو يعني ثورة شعب مستعمر خاضع للقهر القومي ، ضد القوى الاستعمارية الاجنبية . ولقد وجد هذا النوع من الثورة منذ أن وجد الاستعمار ، وقامت الدول القوية بالسيطرة على الشعوب الضعيفة لاستغلالها ونهب ثرواتها . وكانت في جميع الحالات عملا عنيفاً يستهدف طرد المستعمر من البلاد ، أو قلب النظام العميل الذي يقيمه المستعمرون ويدعمونه ويختفون خلفه . ولقد عرف العرب هذا النوع من الثورة منذ اندلاع الثورات ضد المستعمرين الأوروبيين في شمالي أفريقيا في القرن التاسع عشر ، ولا تزال أجزاء من الوطن العربي تعيش هذه الثورة .

وتتطابق « ثورة التحرر الوطني » مع « ثورة التحرر الاجتماعي » عندما يضطر شعب من الشعوب لشن النضال العنيف المسلح ضد المستعمر ، وضد القوى المحلية التي تساعده وتشاركه في عملية النهب ومنع الأمة المستعمرة من التطور . وتكون الثورة في هذه الحالة « ثورة تحرر وطني - اجتماعي » .

وتتطلب الثورة بكل أنواعها استخدام العنف لتحطيم الاوضاع القانونية السائدة ، والموضوعة أصلا من قبل الطبقات أو الفئات أو القوى الحاكمة (المحلية أو الخارجيـة) ولمصلحتها . ولكن بعض المؤرخين يرون أن هناك شذوذاً على هذه القاعدة ، ويؤكدون أن من الممكن حدوث الثورة دون خرق الأوضاع القانونية أو الدستورية ، كما حدث في المانيا في العام ١٩٣١ ، وفي اليابان في أواخر القرن التاسع عشر ، عندما وقع التغيير عن طريق التفاف عام حول هدف جديد .

وليس تبديل الطبقات أو الفئات الحاكمة في حد ذاته عملا ثورياً ، بل قد يكون في بعض الحالات عملا مضاداً للثورة . والمهم أن يتم التبديل وفق مسار التطور التاريخي ، أي أن تكون الطبقات أو الفئات القائمة بالتبديل والاستيلاء على السلطة اكثر تقدماً - على منحنى التطور التاريخي - من الحكام الذين يتم اسقاطهم . فاذا كان العمل العنيف يستهدف الانتقال بالبلاد من واقع إلى واقع اكثر تقدماً (من النظام الاقطاعي إلى النظام الرأسمالي البورجوازي ، أو من النظام الرأسمالي البورجوازي إلى النظام الاشتراكي ، أو من الملكية المطلقة إلى الملكية الدستورية ، أو من الملكية إلى الجمهورية الخ) استحق هذا العمل اسم الثورة . أما اذا استهدف العمل العنيف الانتقال بالبلاد الى واقع اكثر تخلفاً ، أخذ هذا العمل اسم **الثورة المضادة** حتى لو استخدم تقنيات الثورة في التحريض والتعبئة والعنف .

أسباب الثورة

تختلف أسباب الثورة باختلاف مكان وزمان اندلاعها . ومهما تباينت السبل التي تتبعها الثورة لتحقيق النجاح ، ومهما تعددت طبيعتها والأهداف

الرامية اليها ، فان هناك أسباباً يمكن اعتبارها المحرك الرئيسي لمعظم الثورات في العالم . وقد تتجمع هذه الاسباب لاشعال الثورة ، وقد يكفي احياناً سبب واحد أو اكثر لاندلاعها . وأهم هذه الأسباب أربعة هي : افلاس الطبقات الحاكمة وانقطاع صلتها مع الشعب ، والأزمات الاقتصادية والاجتماعية ، والحروب ، والقهر القومي . وتتعلق الاسباب الثلاثة « بثورة التحرر الاجتماعي » ، على حين يتعلق السبب الرابع « بثورة التحرر الوطني » . أما الاسباب الأربعة مجتمعة فتتعلق « بثورة التحرر الوطني - الاجتماعي » .

أ - **إفلاس الطبقات الحاكمة :** تمثل الطبقات الحاكمة في بداية حكمها واقعاً متقدماً ، يطرح مقولات مقبولة من الجماهير . وخاصة اذا أتت هذه الطبقات إلى الحكم على أثر ثورة على طبقات اكثر منها تخلفاً . ثم تصبح هذه الطبقات بعد الوصول الى الحكم وضعاً راهناً ، وتفقد مبرر وجودها بمجرد انجاز مهمتها التاريخية ، وتبدأ بالعمل لتحقيق مصالحها على حساب مصالح الطبقات الأخرى ، ويضعف زخمها الثوري مع الزمن ، كما يضعف تماسكها الداخلي ، ويصبح استمرار بقائها في السلطة لتأمين استمرار مصالحها أمراً هاماً يشغل جزءاً كبيراً من اهتماماتها . عندها تبدأ الطبقات الأخرى بالتذمر والمطالبة بالتغيير ، فترد عليها الشرائح المستنيرة من الطبقات الحاكمة بتدابير إصلاحية جزئية لا تتمكن من احتواء التذمر ، على حين ترد عليها الشرائح المتشددة المتخلفة بتدابير قمعية تؤدي إلى ابتعاد الطبقات الحاكمة عن الجماهير ومعاداتها لها . وينتهي الأمر بانعزال الحاكم عن الجماهير المحكومة ، والنظر إليها بريبة واستعلاء ، والتعامل معها بعنف متزايد . وكلما تزايد العنف القمعي تزايد الانعزال ، وتصاعدت النقمة وسارت الأزمة الثورية نحو النضج ، وعندما تجد الطبقات المتقدمة أن الطبقات الحاكمة قد أفلست ، ولم تعد قادرة على تقديم أية انجازات ، وأصبح الحوار معها بالطرق المشروعة أمراً غير مجد ، وأصبح التغيير من خلال الطبقات الحاكمة أمراً مستحيلا ، تتبلور داخل الطبقات المتقدمة نواة ثورية تقرر شن الثورة وإجراء التغيير بالعنف .

ب - **الازمات الاقتصادية والاجتماعية :** تخلق الازمات الاقتصادية والاجتماعية ضغطاً ثورياً ناجماً عن القلق الاجتماعي - الاقتصادي الذي تعيشه الطبقات الاجتماعية المحرومة (وهي تشكل غالباً الاكثرية الساحقة من الشعب) في الوقت الذي تعيش فيه الطبقات الحاكمة حياة بذخ وترف . ويتصاعد القلق كلما لاحظت الجماهير بحسها العفوي أن الطبقات الحاكمة تهمل مطالبها وتتجاهل طموحاتها ، وأن انتظار التغيير سيطول كثيراً دون جدوى ، وأن تغيير النظام بكامله هو المخرج من الأزمة . ويمكن اعتبار جميع الثورات منذ ثورة سبارتاكوس حتى الثورات الفرنسية والروسية والصينية انفجاراً اجتماعياً جاء من تراكم الضغط الاجتماعي . ولكن كل ضغط اجتماعي لا يؤدي بالضرورة إلى انفجار ثوري ، فهناك حالات يؤدي فيها هذا الضغط إلى الفوضى أو الديكتاتورية .

ج - **الهزيمة العسكرية :** « الحرب مولدة الثورة » . ولقد أثبتت معظم الثورات الناجحة والفاشلة في العصر الحديث هذه الحقيقة ، واكدت أن الهزيمة العسكرية في حرب ما تخلق مناخاً ثورياً (كومونة باريس ١٨٧١ ، الثورة الروسية ١٩٠٥ ، الثورة الروسية ١٩١٧ ... الخ) . ولكن النصر لا يمنع اندلاع الثورة ، فهناك بلدان كثيرة منتصرة اندلعت فيها الثورة بعد النصر . لأن الحرب في حد ذاتها تساعد على خلق الضغط الثوري ، وخاصة اذا كانت حرباً غير عادلة وبلا معنى . ومع هذا فان الهزيمة تسرع اندلاع الثورة اكثر من الانتصار ، لأنها تفكك جهاز الدولة المهزومة ، وتخلق احساساً قوياً بالمرارة بسبب التضحيات الكبيرة والكرامة المهدورة والاعباء الاقتصادية الرهيبة ، والبؤس الإنساني . وبالاضافة إلى ذلك فان نتائج الهزيمة تزيد حدة المعضلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في البلاد وتخلق المناخ الملائم للثورة .

د - **القهر القومي :** يأخذ هذا القهر عدة مظاهر سياسية واجتماعية، واقتصادية وثقافية ويتجسد بتجريد الأمة الخاضعة للاستعمار من حريتها السياسية وحقها المشروع في تقرير المصير ، ومعاملة أبنائها معاملة من الدرجة الثانية واستغلالهم اقتصادياً ، ونهب ثروات البلاد وافقارها وحرمانها من فرص التقدم ، وقد يصل الأمر إلى اجبار سكان البلاد الخاضعة للقهر القومي (الاستعمار بمختلف اشكاله) على التخاطب بلغة المستعمرين واكتساب ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم بغية تجريد الامة المستعمرة من روابطها القومية ، الأمر الذي يؤدي إلى تأجج الروح الوطنية وتكوين خلايا ثورة التحرر الوطني . وتتطابق ظروف القهر القومي والقهر الاجتماعي - الاقتصادي في بعض الحالات ، عندما تتحالف طبقات من الشعب الخاضع للاستعمار مع المستعمرين ، أو عندما يتعرض المستعمرون للهزيمة في حرب خارجية ، ويحاولون إلقاء جزء من العبء الاقتصادي للهزيمة على عاتق مستعمراتهم .

ورغم أهمية الاسباب الأربعة المذكورة آنفاً ، فان وجودها لا يعني بالضرورة انفجار الثورة ، لأن هذا الانفجار يتطلب قبل كل شيء الوعي العميق بوجود الأسباب ، سواء جاء هذا الوعي بشكل عفوي أو بعد توعية مستمرة تقوم بها الطلائع الثورية .

وعندما تتجمع العوامل اللازمة لاندلاع الثورة ، يصبح الوضع متأزماً وينتظر سبباً آنياً يلعب دور الشرارة . ويختلف السبب باختلاف الزمان والمكان . فقد يكون اغتيال شخصية جماهيرية ، أو منع اجتماع شعبي ، أو اضراباً عمالياً ، أو صداماً محدوداً مع قوى الأمن ، الى غير ذلك من الحوادث البسيطة التي يمكن تجاوزها في الحالات العادية ، والتي تؤدي إلى الانفجار في حالة الأزمة الثورية .

ومن سمات الثورة أنها تنتشر بالعدوى . فعندما تقع ثورة في بلد ما ، تنتقل العدوى الثورية إلى بلد آخر ، وتشجع على خلق المناخ الثوري فيه . ولقد عرفت اوروبا هذه الظاهرة بعد الثورة الفرنسية (١٧٨٩) ، كما عرفتها في العام ١٨٢٠ بعد الثورة الاسبانية ، وفي العام ١٨٤٨ بعد الثورة الفرنسية ، وفي فترة ١٩١٩ - ١٩٢٠ ، بعد الثورة البلشفية . كما عرفها جنوب شرقي آسيا بعد انتصار الثورة الصينية في العام ١٩٤٩ ، وشهدت اميركا اللاتينية موجة من العدوى الثورية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، كما شهدت افريقيا السوداء موجة مماثلة بعد الحرب العالمية الثانية . أما في العالم العربي ، فقد كانت العدوى ظاهرة واضحة في شمالي أفريقيا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، كما عرفت هذه العدوى في المشرق العربي بعد الحرب العالمية الأولى ، ومن المؤكد أن الثورة المصرية في العام ١٩٥٢ قد أصابت كلا من سورية والعراق واليمن وليبيا بالعدوى الثورية .

ونظراً لخطورة العدوى الثورية وسرعة انتشارها، فان الطبقات الحاكمة في البلدان المجاورة لأي بلد تندلع فيه الثورة، تحاول دعم الطبقات الحاكمة في هذا البلد ومساعدتها على قمع الثورة في بلدها ، حتى لا تنتقل الثورة بالعدوى الى البلدان الاخرى . وتختلف العدوى الثورية عن تصدير الثورة ، لأن تصدير الثورة محاولة مفتعلة لنقل الثورة من بلد إلى بلد ثان قبل أن تنضج الحالة الثورية فيه ، على حين أن العدوى الثورية عبارة عن انتقال ثوري طبيعي من بلد إلى بلد مجاور يعيش في أغلب الأحيان ظروفاً مشابهة لظروف البلد الذي اندلعت فيه الثورة .

العقائد الثورية :

« لا ثورة بدون نظرية ثورية » . يعود المعنى الحديث للثورة، كتطور جذري شامل وفق عقيدة محددة، إلى القرن الثامن عشر . ولكن فكرة إعادة بناء كل شيء من جديد كانت معروفة حتى في العالم القديم . فلقد دعا الطوباويون إلى بناء عالم جديد ، دون أن يكونوا ثوريين في طرح اسلوب هذا البناء .

ولقد ناضل الثوريون في البداية تحت لواء العمل ضد الملكية المطلقة والطغاة . وكانت الثورة الفرنسية وثورات القرن التاسع عشر في البلـــدان الأخرى خير تعبير عن هذا النضال . ويعتبر المحافظون المستفيدون من الوضع القائم ، أن عقيدة التغيير الثورية عقيدة هدامة ، وأن الاستمرارية السياسية والاقتصادية ضروريتان لكل مجتمع منظم. ويأتي اعتبارهم هذا من طبيعة الأشياء ، فكل طبقة مستفيدة تريد الحفاظ على مكاسبها ، وتعتبر عمل الطبقات الاخرى هدماً ، حتى ولو كان هذا العمل يسير مع خط التطور التاريخي ولمصلحة تقدم البلاد ، لأن الطبقة الحاكمة لا تهتم بخط التطور التاريخي قدر اهتمامها بثبات الأوضاع الملائمة لها ، وبقائها على حالها .

وتؤكد النظرية الثورية على أن الثوريين وحدهم قادرون على احداث التغيير لأن هذا التغيير سيكون لمصلحة الطبقات التي يمثلونها ويشكلون طليعتها . واذا كانت عقيدة البورجوازيين والليبراليين الثورية. تتمحور حول ضرورة اسقاط النظام الاقطاعي والحكم المستبد لبناء نظام رأسمالي بورجوازي وحكم ديمقراطي ليبرالي ، فان عقيدة الاشتراكيين الثورية التي تؤكد ضرورة الحكم الديمقراطي ، ترفض في الوقت نفسه النظام الرأسمالي وتنادي بضرورة قلبه إلى نظام اشتراكي يتناسب مع مفهومها الخاص للاشتراكية . أما العقيدة الثورية للماركسيين — اللينينيين فهي تتمحور حول عدة مقولات : كالتطور التاريخي وفق قوانين محددة ، وضرورة العنف لحسم النزاع بين الطبقات عندما تصطدم قوى الانتاج بعلاقات الانتاج ويتأزم الوضع بسبب وجود نظام اجتماعي يحول دون تقدم الانتاج . وتؤكد النظرية الثورية الماركسية — اللينينية على أن هدف الثورة هو استيلاء البروليتاريا على السلطة وإقامة ديكتاتورية البروليتاريا الرامية إلى تطبيق الاشتراكية العلمية بكل ابعادها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، رغم مؤامرات البورجوازية وأخطار الحرب الأهلية . وأن الوصول إلى هذا الغرض سيلغي الطبقات ويلغي بالتالي التناقضات بين الطبقات ، واستغلال الانسان للانسان ، وتتوقف الثورات .

ولقـــد نجحت العقيدة الثورية الماركسية في الأمكنة التي لم يتوقعها ماركس . فبدلا من اندلاع الثورة الشيوعية في الدول الصناعية كأوروبا الغربية والولايات المتحدة ، اندلعت هذه الثورة في روسيا وفي الصين (حيث البروليتاريا صغيرة العـــدد ، والغالبية العظمى من السكان تعيش في الريف) ، كما اندلعت في بلدان العالم الثالث التي تعتبر نفسها دولا بروليتارية ، والتي خلق فيها الاستعمار الغربي حالة ثورية من نوع جديد . ولا يمكن اعتبار عقيدة ثورات العالم الثالث عقيدة الثورة البروليتارية كما طرحها ماركس ، ولم تلعب الطبقة العاملة في الصين وكوبا مثلا دوراً بارزاً في الثورة ، بل كان الفلاحون المعدمون في هذين البلدين العمود الفقري للثورة . بينما كان للبروليتاريا المتحالفة مع الفلاحين دور كبير في الثورتين الفييتنامية والكمبودية . ولقد جاءت هذه الثورات الأربع بأنظمة شيوعية منذ البداية (الصين ، وفييتنام وكمبوديا) أو طبقت النظام الشيوعي بعد النصر بفترة من الزمن (كوبا) .

ومن صلب العقيدة الماركسية — اللينينية ظهرت فكرة **الثورة الدائمة** (تروتسكي) المنادية بضرورة استمرار الثورة حتى يتم اندلاع الثورات في العالم الرأسمالي كله ، **والثورة في بلد واحد** (ستالين) القائلة بامكانية انتصار الثورة في بلد واحد كبير والبدء بالبناء الاشتراكي داخل هذا البلد رغم عدم اندلاع الثورة في البلدان الرأسمالية الأخرى ، **والثورة الثقافية** (ماو تسي تونغ) القائلة بأن وصول البروليتاريا الى السلطة لا يلغي الصراع الطبقي ، لأن المجموعات الحاكمة تتبلور على شكل بيروقراطية ، وتخلق وضعاً راهناً وقشرة لا بد من تحطيمها باستمرار ، **وثورة التحرر الوطني — الاجتماعي** (العالم الثـــالث) الرامية إلى التخلص من الاستعمار والطبقات المحلية المتعاونة معه والمستفيدة منه . ولقد اعتبرت الصين ، منذ انتصار ثورتها ، أن ثورات التحرر الوطني — الاجتماعي ضرورية مهما كانت عواقبها ، على حين رأى الاتحاد السوفياتي ، بعد الحرب العالمية الثانية ، أن بوسع بلدان العالم الثالث تحقيق التحرر الوطني ثم التحول نحو الاشتراكية بالطرق السلمية نظراً لوجود معسكر اشتراكي قوي متقدم قادر عـــلى مساعدتها ، ونظراً لأن التحول العنيف قد يؤدي إلى صدام نووي مع الولايات المتحدة .

مراحل الثورة :

تختلف المراحل التي تمر بها الثورة باختلاف المكان والزمان وطبيعة الثورة نفسها واهدافها . ولكن هناك مراحل متعاقبة تمر بها الثورة عادة وتتمثل هذه المراحل بما يلي :

أ — **مرحلة الاعداد :** تبدأ هـــذه المرحلة بتشكيل النواة الثورية (مجموعة — حزب — بؤرة ... الخ) القادرة على وعي التناقضات ، والمصممة على حلها بالوسائل العنيفة . ثم تنتقل هذه النواة إلى تحديد الاستراتيجية والتكتيك . ورسم اهداف الثورة والاساليب التي ستستخدمها لتحقيق هذه الاهداف . ويلي ذلك تنظيم الجماهير وتوعيتها بالعقيدة الثورية . وفي هذه المرحلة تعقد التحالفات بين الطبقات والجماعات المقهورة وفق برنامج للحد الأدنى . ويبدأ التحريض الثوري على نطاق واسع ، مع استغلال الأزمات التي تمر بها البلاد . وعندما تأتي لحظـــة النضج الثوري تقوم النواة بتفجير الثورة . ويمكن تعريف لحظة النضج الثوري بأنها اللحظة التي تشتد فيها الأزمة الثورية إلى أبعد مدى من جراء تزايد أعمال القمع وتصاعد حدة التناقضات الاجتماعية — الاقتصادية أو الوطنية ، أو الاجتماعية — الاقتصادية — الوطنية ، وتلتف الجماهير حول النواة الثورية ، وتفقد كل ثقتها بالطبقات الحاكمة ، وتصل إلى قناعة كاملة بأنه لم يعد هناك أي أمل بحل الأزمة بالسبل السلمية ، وبأن الوضع غدا غير محتمل ، وتضعف قوة السلطة (المحلية أو الاجنبية) بسبب تناقضاتها الداخلية ومعضلاتها أو بسبب حرب خارجية . وفي هذه **اللحظة** يصبح اندلاع الثورة أمراً ضرورياً ، واذا كان استباق لحظة **النضج الثوري** يؤدي إلى اجهاض الثورة ، فان التأخر في استغلال هذه اللحظة يعني ضياع الفرصة المناسبة . ومن المؤكد أن النواة الثورية هي التي تحدد لحظة النضج الثوري وتستغلها . ولكنها لا تنتظر قدومها بسلبية ، بل تعمل على تسريع الوصول إليها ، ودفع الأوضاع نحو قمة الأزمة الثورية . ولقد فشلت عدة ثورات ، أو تكبدت خسائر لا مبرر لها ، لأن نواتها لم تستطع تحديد لحظة الأزمة الثورية واستغلالها بشكل ملائم .

ب — **مرحلة العمل الثوري لاسقاط النظام القديم :** تسبق هذه المرحلة عادة مؤشرات عديدة : كالاضرابات والمظاهرات والاجتماعات السرية والعلنية ، واضطراب حبل الأمن ، ووقوع أعمال عنف وعصيان وتمرد واغتيالات سياسية ، وطرح شعارات مطالبة باصلاح الاوضاع . وتحاول قوى القمع التابعـــة للطبقات الحاكمة (قوات الأمن ، المنظمات الرجعية ، الميليشيات المضادة) التدخل في هذه الفترة لقتل

الثورة في المهد ، وقد تنجح في ذلك إذا لم يكن التنظيم الجماهيري كافياً ، ولم تكن النواة الثورية مؤهلة لقيادة التحول التاريخي . ولكن متانة التنظيم الجماهيري ، وسلامة الاعداد للثورة ، وأهلية القيادة الثورية ، قادرة على احباط تدابير قوى القمع ، والافادة منها لتسريع النضج الثوري وتهيئة الاوضاع في البلاد للانفجار .

وعندما تأتي لحظة النضج الثوري تبدل الثورة شعاراتها المطالبة باصلاح الأوضاع ، وتطرح شعارات إسقاط النظام وتبديل العلاقات بين الطبقات ، وتندفع الجماهير المنظمة تحت قيادة النواة الثورية لاحداث هذا التغيير بالعنف المسلح . ويأخذ هذا العنف عدة أشكال تختلف باختلاف موازين القوى ، ومساحة البلاد ، ومدى تفتت الطبقات الحاكمة ، ومدى اكتساب الثورة للقوات المسلحة . وهو يستخدم كل التقنيات (حرب العصابات ، حرب التحرير الشعبية ، الحرب السرية ، التمرد داخل القوات المسلحة ، هجوم الجماهير على المؤسسات العامة والمراكز الحساسة للسلطة ، حرب الالغام والمتفجرات) ولكنه يبقى في جميع الحالات جماهيريا لا يعتمد على قلة قليلة ، بل على اكبر عدد من الطبقات الراغبة في التغيير ، لأن كل اعتماد على قلة محدودة لا تتفاعل مع الجماهير ، وتعمل لمصلحتها بشكل منعزل عنها ، يحول الثورة إلى حركة بلانكية .

ورغم العنف المستخدم لاسقاط النظام القديم ، تكون شعارات الثورة في هذه المرحلة معتدلة ترضي طموحات مختلف القوى المتحالفة من أجل التغيير . ولا تشذ على هذه القاعدة سوى الحركات الثورية التي تندلع بعد حرب أهلية طويلة تم خلالها سلسلة من عمليات التصفية والفرز والاستقطاب .

ج – مرحلة بناء النظام الجديد : ما أن يتم انهيار الطبقات الحاكمة القديمة حتى يستولي ممثلو الطبقات الثائرة على السلطة . وينصب اهتمام الحكام الجدد في البداية على تصفية أعداء الثورة ، والاستعداد لمجابهة الهجمات الخارجية والتدخل الاجنبي ، واكتساب الرأي العام العالمي والحصول على اعتراف الدول بالنظام الجديد ، وتسيير الأمور العادية ، وإعادة الحياة الطبيعية إلى البلاد ، وتشغيل عجلة الاقتصاد لمنع الانهيار الاقتصادي الكامل .

وعندما تستتب الأمور تظهر التناقضات بين حلفاء الأمس ، وتطرح كل طبقة أو مجموعة من المتحالفين برنامجها الاقتصادي ـ الاجتماعي ـ السياسي الذي يؤمن مصالحها . ويظهر بوضوح أن برنامج الحد الأدنى لم يعد كافياً ، وأن شعارات البارحة قد تجاوزتها الثورة ، وأن من الضروري طرح شعارات جديدة ، أو تفسير الشعارات القديمة بتفسيرات جديدة اكثر جذرية . وينجم عن هذه التناقضات صراعات داخلية وتصفيات تنتهي بسيطرة مجموعة أو طبقة راديكالية على كل مقاليد الأمور بغية البدء بمرحلة البناء وفق برنامجها الخاص . ولكن هذه الصراعات والتصفيات لا تنتهي دائماً بهذا الشكل ، بل تؤدي في بعض الحالات إلى إضعاف السلطة الجديدة ، وفتح الباب من جديد أمام الثورة المضادة أو أمام المغامرين العسكريين الذين يستغلون حالة الفوضى السائدة ، وملل الجماهير ، ويثبون على السلطة كمنقذين ، ويخلقون ديكتاتورية عسكرية .

إن استقرار الاوضاع بعد الثورة أمر ضروري لبدء البناء الذي يستهدف تحقيق التطورات الجذرية على جميع الأصعدة . ويصادف البناء عادة صعوبات جمة : كخطر التدخل الخارجي ، وخطر التخريب من الداخل ، وانهيار الاقتصاد ، وهروب الكفاءات أو سلبيتها ، وانخفاض المستوى التكنولوجي والاداري والتنظيمي للكوادر الثورية . الأمر الذي يدفع السلطة الثورية إلى اتخاذ تدابير راديكالية ، وتركيز السلطات بيد عدة اشخاص ، أو بيد شخص واحد أحياناً ، وتمر البلاد بفترة من شد الأحزمة ، ويسود الارهاب والعنف ضد أعداء الثورة ، إلى أن تتمكن السلطة الجديدة من ترتيب الأوضاع ، وتثبيت قبضتها الثورية ، واكتساب الثقة بقدرتها على الاستمرار في الحكم ووضع برامجها موضع التنفيذ . عندها تبدأ مرحلة البناء ، مع الإفادة من الدول الصديقة ، وتعمل الثورة على تخفيف قبضتها بالتدريج ، وتلجأ إلى استخدام التقنيين المنحدرين من الطبقات الإخرى والذين عملوا في الماضي لخدمة النظام القديم ، بغية اكمال النقص في الكوادر ، وتسيير الأمور بشكل ملائم ، مع الاستمرار في مراقبة هؤلاء التقنيين حتى لا يلجأوا إلى التخريب أو الاعداد لثورة مضادة ، وحتى يضعوا خبراتهم التقنية في خدمة برامج النظام الثوري الجديد .

جماهير الثورة وقادتها

« الجماهير روح الثورة » ، وهي في الوقت نفسه أداتها وهدفها وقوتها الاساسية . ويختلف التكوين الطبقي لهذه الجماهير باختلاف طبيعة الثورة . فاذا كانت ثورة تحرر وطني ضمت الجماهير جميع أبناء الوطن ، باستثناء المتعاونين مع العدو بوعي أو العاملين في خدمته بدون وعي . واذا كانت ثورة بورجوازية رأسمالية ، ضمت الجماهير البورجوازيين بمختلف شرائحهم ، والعمال والفلاحين والسكان المعدمين في المدن وكل من يعتبرون أن الثورة البورجوازية تحقق جزءاً من طموحاتهم وان لم تحققها كلها . أما اذا كانت الثورة اشتراكية فان جماهيرها تضم العمال والفلاحين والشرائح الدنيا من سكان المدن والشرائح المعدمة من البورجوازية الصغيرة .

ورغم أهمية الجماهير في مسيرة الثورة ، فان للقيادات دوراً حاسماً في انتصارها . فالقيادات الكفوءة قادرة على الرؤية الصحيحة ، وتحديد التناقضات ، وعقد التحالفات ، وطرح الشعارات وتبديلها حسب المراحل ، واكتشاف لحظة النضج الثوري ، وتعبئة الجماهير وتنظيمها خلال المرحلة الأولى وقيادتها خلال المرحلة الثانية ، وترسيخ خط الثورة وتنفيذ برامجها في مرحلة البناء . ومن الملاحظ أن معظم قادة الثورات الاشتراكية والثورات البروليتارية كانوا من انتليجنسيا الطبقات الوسطى . فلقد شعر هؤلاء القادة بالحرمان والظلم . وتاقوا إلى تحقيق المثل العليا التي يؤمنون بها ، وتاق بعضهم إلى السلطة ، فانسلخوا عن طبقتهم ، وانضموا إلى النواة الثورية منذ البداية أو التحقوا بالثورة خلال مرحلة الاعداد . ومن الملاحظ أيضاً أن أبناء الأقليات القومية المضطهدة ميالون إلى الالتحاق بثورة المضطهدين (وجود عدد كبير من اليهود والأرمن والليتوانيين في المرحلة الاولى من الثورة الروسية عام ١٩١٧) .

ويعتبر الطلاب مناخاً جيداً لنمو العناصر الثورية في البلدان التي تعاني من مشكلات اقتصادية وسياسية حادة وفي بلدان العالم الثالث بشكل خاص . ويتوق هؤلاء الطلاب إلى تحقيق ثورة في مجال الطلبات على الاستخدام ، نظراً لأنهم يرون أن الأوضاع المتردية في بلادهم تؤدي غالباً إلى أزمة بطالة بين صفوف الخريجين . ولقد لعب الطلاب دوراً هاماً في الثورات الصينية والروسية وثورات اميركا اللاتينية والشرق الأوسط ومناطق اخرى في آسيا وافريقيا . ولعب المثقفون الثوريون (الانتليجنسيا) دوراً رئيسياً في قيادة الثورات الأوروبية منذ القرن الثامن عشر ، بينما لعب الضباط الشباب (الضباط الأحرار) هذا الدور في الشرق الأوسط واميركا اللاتينية . ومن المؤكد أن عمليات الاستيلاء على السلطة التي قام بها الضباط الشباب ، وكانت أداتها القوات المسلحة ، كانت تحاول بعد تحطيم النظام القديم استقطاب الجماهير . وأنها لم تتحول إلى ثورة إلا في الحالات التي طرحت بها برامج متقدمة تستهدف تغيير العلاقات

بين الطبقات ونجحت في تنفيذها واكتسبت من جراء ذلك دعماً جماهيرياً واسعاً .

نجاح الثورة أو فشلها :

يرتبط نجاح الثورة بعدة عوامل هي : تذمر الجماهير وارتفاع وعيها وفقدان أملها بالتغيير ، ووجود عقيدة ثورية تنسجم مع طموحات الجماهير وتستطيع تحريكها ، ووجود القيادة الثورية (مجموعة ، بؤرة ، حزب) القادرة على تجسيد العقيدة وتنظيم الجماهير وقيادتها ، وادارة البلاد بعد استلام السلطة وفق برنامج واضح المعالم . ويؤدي عدم وجود هذه العوامل إلى اضطراب الثورة أو فشلها . وقد تنجح الثورة في مرحلة اسقاط النظام القديم رغم عدم توفر جميع العوامل ، ولكنها لا تلبث أن تفشل بعد ذلك في مرحلة البناء ، نظراً للخلافات الشخصية التي تحطم النواة القيادية ، أو نظراً لعدم وجود برنامج سليم تسير عليه اثناء البناء . وقد تتوفر كل العوامل اللازمة لنجاح الثورة ، ولكن التدخل الخارجي لصالح النظام القديم يجعل الثورة تنتهي إلى الفشل . وفي هذه الحالة ، تمارس الطبقات الحاكمة عنفاً مضاداً يتسم بالشراسة ، ويستهدف تدمير الكوادر الثورية ، وايقاف التطور التاريخي للبلاد ، أو السير به بعكس اتجاه التيار . ولكن الطبقات الحاكمة تلجأ رغم ذلك — إلا في الحالات التي تكون فيها متخلفة جداً ومحرومة من الرؤية السليمة — إلى تحقيق بعض مطالب الجماهير ، والتقيد تكتيكياً بجزء من برنامج الثورة نفسها .

ولا تعتبر ثورة التحرر الاجتماعي ناجحة — بالمعنى التاريخي — إذا استطاعت تحطيم النظام القديم والاستيلاء على السلطة فقط . لأن نجاحها لا يتكامل إلا إذا استطاعت بناء النظام الجديد ، وبدلت علاقات الانتاج بشكل يضمن حل الأزمة الخانقة التي تعيشها البلاد ويؤمن التطور المنشود الذي يحقق تطلعات الجماهير . أما ثورة التحرر الوطني فان نجاحها يقاس بمقياسين همـا : طرد المستعمرين وعملائهم وتحطيم سلطتهم ، وبناء نظام جديد يضمن تطور البلاد دون الوقوع في حبائل الاستعمار الجديد الذي يحاول العودة متنكراً بثوب اقتصادي أو ثقافي أو على شكل حلف سياسي — عسكري .

وتعتبر الثورة كالحرب عملا عنيفاً مدمراً تتعرض فيه البلاد للنكبات والمآسي . ولكنها تبقى رغم ذلك ضمن إطار العنف التحرري العادل (على اعتبار ان الثورة المضادة عنف قمعي غـير عـادل) الذي يستهدف تحرير الانسان من القهر الوطني ، أو القهر السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي ، بعد فشل جميع السبل الاخرى للتحرير . وتبقى الثورة رغم طابعها العنيف عملا ضرورياً لكسر القشرة التي تمنع التقدم ، واعطاء الشعب زخماً يساعده على الانطلاق نحو حياة أفضل . ولقد أدت الثورات إلى تحقيق منجزات ضخمة في جميع الميـادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ، وحررت شعوباً كثيرة من الاضطهاد والاستغلال ، وسمحت لها بالمشاركة في بناء حضارة العصر ، فكانت من هذه الزاوية عملا حضارياً أفادت منه الانسانية جمعاء .

(١٢) الثورة الاميركية

(انظر حرب الاستقلال الاميركية) .

(١١) الثورة الايرلندية (القرن ٨ -القرن ٢٠)

هي ثورة الشعب الايرلندي ضد الاستعمـار البريطاني عبر قرون عديدة من الزمن ، من أجل تحرير ايرلنده ووحدتها ، ولقد حاول الاستعمار البريطاني خنق هذه الثورة ، مستعملا كافة اسلحته ، وعبر مختلف الوسائل ، ولكن عدالة قضية الشعب الايرلندي ، والوعي السياسي الذي يتمتع به قادة الثورة الايرلندية ، أفشل كافة المحاولات البريطانية ، وأعطى للثورة زخماً جديداً ، فوسع دائرة عملياتها العسكرية حتى شملت لندن نفسها . وقد قوي هذا النضال واشتد مع مطلع السبعينات ، فارتقى بالمستوى التقني للعمليات العسكرية ، وانتقل في مراحل عديدة من الدفاع الى الهجوم ، وشملت عملياته المدن والقرى في الشمال والجنوب وامتدت الى بريطانيا نفسها . وما زال هذا النضال يشتد يوماً فيوم ، ويلاقي كافة أنواع الدعم والتأييد من كافة قوى التحرر في العالم .

تقع جزيرة ايرلنده الى الغرب من بريطانية ، ويفصل بينهما البحر الايرلندي وقنال الشمال وقنال سان جورج . وتنقسم ايرلندة من الناحية السياسية الى قسمين : القسم الشمالي الذي يشكل ايرلنـدة الشمالية ، « أولستر » (ULSTER) وهي تابعة لبريطانية وعاصمتها بلفاست ، وتبلغ مساحتهـا ١٤١٣٨ كم٢ وتعداد سكانها ١,٦٠٠,٠٠٠ نسمة . والقسم الجنوبي ويشكل ايرلندة الجنوبية « إير » (EIRE) وهي جمهورية نالت استقلالها عـام ١٩٢١ ، ولكنها ترتبط بالسياسة الامبرياليـة البريطانية ، عاصمتها دبلن ، وتبلغ مساحتهـا ٧٠٢٨٢ كم٢ أي خمسة أسداس مساحة الجزيرة وعدد سكانها ٢,٩٥٩,٠٠٠ نسمة حسب إحصاء ١٩٥٥ . وتسمى ايرلندة الشمالية باسم اولستر ، وتسمى الجمهورية الايرلنديه باسم مونستر .

وايرلندة بلاد زراعية ، لم تتطور صناعيـاً بسبب السيطرة الانكليزية الاستعمارية طويلة الامد . وسطح الجزيرة مستو وخاصة في الوسط ، ولا يوجد بها جبال بالمعنى الحقيقي بل هي هضاب ساحلية في معظمها ، خاصة في مناطق الشمال ، لا تكثر فيها الاحراش ، وتكاد تنعدم الغابات ، لذلك فإن معظم العمليات العسكرية تجري في المدن حيث كثافة السكان التي تشكل ساتراً لأعضاء الجيش الجمهوري الايرلندي .

خضعت ايرلنده منذ القرن الثامن الى الاستعمار الدانماركي — النورماندي . ومنذ ذلك الحين والشعب الايرلندي يناضل من أجل الحصول على استقلاله ، وقد شهد التاريخ القديم والحديث انتفاضات تحررية رائعة شنها الشعب الايرلندي رغم أنه لم يكتب لها النجاح في النتيجة النهائية ، إذ بعد أن استطاع الشعب الايرلندي أن يطرد الغزاة الدانماركيين ويحرر ايرلنده بكاملها (١٠١٤) ، شن الانكليز في العام ١١٦٩ حرباً استعمارية انتهت بوقوع الجزيرة تحت قبضة الاستعمار البريطاني . ومنذ ذلك الوقت ، وحتى القرن الخامس عشر ، خاض الايرلنديون نضالا تحررياً متواصلا ضد الغزاة ، وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر ونتيجة لتطور الرأسمالية الانكليزية ازداد النهب والاستغلال ، وانتفض الشعب الايرلندي لذلك مرات عديدة في كل من أولستر ومونستر . وقد استخدم المحتلون مختلف الوسائـل والاساليب الوحشية ضد الثوار الايرلنديين .

وفي فترة الثورة البورجوازية الانكليزية في القرن السابع عشر ، رزحت ايرلنده تحت شكل جديد قاس من اشكال الاضطهاد والاستغلال ، الامر الذي دفع الايرلنديين ، في العام ١٦٤١ الى القيام بانتفاضة جماهيرية جبـارة ، حتى أن كرومويل زعيم البورجوازية الانكليزية وقائد ثورتها ، شن هجوماً في آب (اغسطس) ١٦٤٩ على الحاميات الايرلنديه وعلى الجماهير الشعبية على السواء ، ولجأ إلى القمع الدموي في كل مـن « فيكسفورد » و « دروغدا » ، وقضى على الانتفاضة بعد ثلاث سنوات من القتال في العام ١٦٥٢ .

ورغم هذه الهزيمة التي لحقت بالايرلنديين ، وصنوف الظلم الانتقامي الجديد ، فأن الشعب عاد

للانتفاض من جديـــد وتفجرت الانتفاضات التي استمرت من العام ١٦٨٨ حتى العام ١٦٩١ .

وفي اواخر القرن السابع عشر صدر قانون العقوبات الجديد الذي عصف بكل الحقوق المدنية ، والسياسية والانسانية تحت ستار انتساب الايرلنديين للمذهب الكاثوليكي وبالتالي تحويلهم الى عبيد أذلاء وأبيحت بلادهم للسادة البروتستانت . ونظراً للاساليب الهمجية التي اتبعها الاستعمار البريطاني ، فقد نزح الملايين من الايرلنديين الى كل من اميركا واستراليا ، كما هربت اعداد كبيرة من السكان الى الجنوب .

ولقد تأثر الايرلنديون بحرب الاستقلال الاميركية ١٧٧٥ — ١٧٨٣ ، وبالتطور الرأسمالي في اوروبا الغربية ونشوء الدول القومية ، الامر الذي جعلهم يواصلون الكفاح لإقامة دولتهم القومية الخاصة بهم ، فقد شهدت فترة (١٧٩٦ — ١٧٩٨) انتفاضات عديدة كان أبرزها الانتفاضة التي حدثت في حزيران (يونيو) ١٧٩٨ ، والتي نتج عنها أن الغت السلطات البريطانية الحكم الذاتي الذي منحته للايرلنديين ، وقامت بتوحيد البرلمان الايرلندي مع البرلمان البريطاني (١٨٠١) . وفي القرن التاسع عشر نمت الرأسمالية الانكليزية الصناعية وشكلت ايرلنده إحدى مصادر تطورها باعتبارها منطقة زراعية ، وذات قوة عمل رخيصة ، الى جانب استغلال مواردها الطبيعيـــة الاخرى . وقد شهد هذا القرن مقاومة متنامية من جانب الجماهير الايرلندية ضد الاستعمار البريطاني ، حيث لعبت الطبقة العمالية منذ ذلك الحين دوراً مهماً في حركة التحرر الوطني الايرلندي ، وبدأت المنظمات السرية السياسية والعسكرية بقيادة النضال في البلاد ضد بريطانية . وكان من أبرز هذه المنظمات منظمة « الفينيان » في العام ١٨٥٨ ، التي جاء في برامجها « ... النضال السياسي والعسكري من أجل تحقيق استقلال ايرلنده موحدة استقلالا تاماً » .

وأدى ظهور المنظمات التحررية الى ظهور منظمات معارضة مرتبطة بالحكم الاستعماري البريطاني ، وكانت في معظمها من طائفة البروتستانت . وابرز هذه المنظمات المضادة منظمة « الاورانجيين » نسبة الى غليوم دورانج الذي هزم الثوار الايرلنديين والمتطوعين الفرنسيين في معركة بوين (١٦٩٠) . وكانت هذه المنظمات الارهابية تعتبر نفسها ممثلة للعنصر الضروري للحفاظ على السيطرة الانكليزية على ايرلنده .

ومع نهاية القرن التاسع عشر ظهر شعار المطالبة بالحكم الذاتي (Home Rule) الذي نادت به



مقاتل من أولستر

كافة القوى الوطنية ، ورفضته مسبقاً المنظمات الاورانجية . وفي تموز (يوليو) ١٩١٤ وافقت بريطانيا على منح ايرلنده حكماً ذاتياً . وقد رفض الاورانجيون ذلك وشكلوا جيشاً من المتطوعين المعادين للمشروع ، وتشكل مقابل ذلك فيلق من المتطوعين الوطنيين ، بيد أنه كان شبه اعزل من السلاح ، كما شكل الوطنيون في دبلن « جيش المواطن » وهو جيش صغير ينحدر أفراده من البروليتاريا المحلية ، وكانت هذه الوحدات مدعومة من قبل ايرلنديي اميركا الاغنياء ، وقد برز ايضاً تنظيم « سين فين » (ووريث « الفينيان ») . وقد عمل هذا التنظيم تحت قيادة ايامون دوفاليرا .

وكان من الممكن أن تندلع الحرب الاهلية في العام ١٩١٤ رغم الموافقة على قانون الحكم الذاتي ، وفي محاولة لتلافي وقوع حرب اهلية ، قام ريمون رئيس النواب الايرلنديين في المجلس النيابي البريطاني ، بتوجيه شكر الى حكومة بريطانيا معاناً ولاءه لها ، وذلك نظراً لاندلاع الحرب العالمية الاولى ، وفي الاسابيع التالية لهذا الاعلان تطوع ٢٠٠ ٠٠٠ ايرلندي في صفوف القوات البريطانية . واعتقد الايرلنديون أن قانون الحكم الذاتي سيطبق بسرعة ، ولكن أملهم خاب المرة تلو الاخرى وبدأ الساسة البريطانيون يتهربون من تطبيق القانون الجديد .

وخلال احداث الحرب رفضت بريطانيا التعامل مع الايرلنديين كأمة تملك حق تقرير المصير . ولم تستمع إلا للاورانجيين . وبقيت على مواقفها من اضطهاد الحركات الوطنية ، الامر الذي اكسب المنظمات اليسارية دعماً وتأييداً في الاوساط الايرلندية ، تبعه مظاهرات عمالية ايرلندية ضد الحرب وضد الامبريـــالية الانكليزيـــة طالبت بسحب الجيش الانكليزي من ايرلنده . وانتفض « جيش المواطن » ومنظمة « سين فين » اليسارية والمتطوعون الاحرار والجماعات الثورية الاخرى ، انتفاضة عيد الفصح في دبلن في ٢٤ نيسان ١٩١٦ عندما رفعوا علم ايرلنده الحرة المثلث الالوان (الاخضر والابيض والبرتقالي) على مبنى دائرة البريد في دبلن بزعامة القائد جيمس كونالي (الذي أعدمته بريطانية بعد ذلك) . وبالرغم من فشل تلك الانتفاضة (التي حشدت بريطانية ضدها ١٢ ألف جندي بريطاني لقمع ١٢٠٠ ثائر ايرلندي) خلال سبعة أيام من عمرها ، فإن لهذه الانتفاضة قيمة تاريخية نضالية لأنها وضعت أسس نشوء الجيش الجمهوري الايرلندي الذي ترعرع في خضم الكفاح الوطني ضد السيطرة البريطانية .

وعندما اندلعت الثورة البورجوازية — الديمقراطية في روسيا في شباط (فبراير) ١٩١٧ وجدت هذه الثورة صدى واسعاً في ايرلندة . ولكن تأثير ثورة اكتوبر الاشتراكية كان أوسع واعمق من أية ثورة سبقتها ، حيث شمل هذا التأثير فئات واسعة من السكان ، ودفع بهم الى خضم النضال ضد الإمبريالية الانكليزية ، حيث اضربت الجماهير الشعبية اضراباً عاماً ضد حكومة لويد جورج في نيسان (ابريل) ١٩١٨ . وشارك العمال الايرلنديون في الكفاح لمنع التدخل ضد الدولة السوفياتية الفتية ، وضد نقل المواد الحربية من الموانئ الايرلنديه الى قوات ورانجل والبولونيين البيض .

وفي الانتخابات التي جرت في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ نال حزب « سين فين » ٧٣ مقعداً من اصل ١٠٣ . إلا أن نوابه استنكفوا عن المشاركة في البرلمان الانكليزي ، واجتمعوا بناء على قرار الحزب في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ في دبلن واعلنوا عن مطالبهم للبرلمان الوطني ، واكدوا بيان إنتفاضة ١٩١٦ حول إقامة الجمهورية الايرلندية المستقلة المتحدة ، كما اعادت كل من منظمة « سين فين » والمتطوعين الاحرار تنظيم الصفوف ، وشكلا الجيش الجمهوري الايرلندي ، واقاما جهازاً وطنياً للدولة : كالبلديات والمحاكم . إلا أن هذه

التدابير الوطنية جوبهت بمقاومة ضارية من جانب المستعمرين . وإزاء هذا الموقف شن الثوار الايرلنديون في فترة (١٩١٩ – ١٩٢١) حرب انصار ضد الانكليز . وفي صيف ١٩٢١ وعلى أثر خلافات داخل منظمة « سين فين » بين كريفت ، وكولينز ، ودي فاليرا ، تم عقد المعاهدة البريطانية – الايرلندية في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢١ ، والتي تم بموجبها تكوين دولة ايرلنده الحرة من ستة وعشرين ولاية جنوبية ، على أن تتبع بريطانية بسياستها الداخلية والخارجية باعتبارها احد (الدومنيونات البريطانية) . أما الولايات الست الباقية في الشمال « أولستر » فقد ضمتها بريطانية اليها . وبذلك فقد استلمت البورجوازية الايرلنديه السلطة في الجنوب نيابة عن بريطانية ، واستلمت السلطة في الشمال القوى الاكثر رجعية في البلاد ، والتي اتحدت تحت اسم « الحزب الاتحادي » الذي يمثل المصالح الطبقية لمالكي الارض الكبار والصناعيين البروتستانت ، الامر الذي أدى الى حدوث انشقاق في حزب « سين فين » حيث طالب الجناح اليساري والجيش الجمهوري الايرلندي بمواصلة الكفاح من أجل تحقيق جمهورية مستقلة على الفور ، وخاض من أجل ذلك حرباً اهلية دامت منذ ١٩٢٢ الى ١٩٢٣ ، فيما انتهجت قيادة الجناح اليميني في « سين فين » بزعامة كريفت وكولينز اسلوباً ارهابياً ضد العمال والفلاحين ، كذلك سار خلفهما كوسكراف (بعد موت كريفت ومقتل كولينز على ايدي الجمهوريين) الذي اصبح رئيس الحكومة في ايرلندة خلال فترة (١٩٢٢ – ١٩٣٢) .

وشهدت منظمة « سين فين » انشقاقاً ثانياً في نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٣ قاده اليميني دي فاليرا الذي أصدر امراً بوقف القتال ضد الحكومة الجديدة ، وخرج من الحزب وكون لنفسه حزباً اطلق عليه اسم « فيانافيل » ، والذي أوصله الى سدة الحكم في فترة (١٩٣٢ – ١٩٤٨) ، ولقد انتهج خلال الحكم سياسة رجعية على الصعيدين الداخلي والخارجي واعلن ديكتاتورية بوليسية . وفي العام ١٩٣٩ أعلن الجيش الجمهوري الايرلندي الحرب على بريطانية ، وتشكلت بذلك منظمة يمينية ارهابية جديدة اطلقت على نفسها اسم «ذوي القمصان الزرقاء» بزعامة « أو دوفي » .

وفي العام ١٩٤٨ أصبح «كوستيلو» رئيساً للحكومة بعد ان هزم حزب « فيانافيل » في الانتخابات العامة التي جرت في العام نفسه . وكان «كوستيلو» زعيماً لحزب « فاين كايل » . ومن أهم الاجراءات التي اتخذها ، القرار القاضي بانسحاب ايرلندا من الكومنويلث البريطاني ، رغم بقائها خاضعة لبريطانيا اقتصادياً .

وبالرغم من الارهاب البوليسي الذي شنته حكومة دي فاليرا التي عادت الى الحكم ثانية في حزيران ١٩٥١ ، فان نضال الجماهير الايرلندية ضد القوى اليمينية والتدخل الانكلو – اميركي في شؤون البلاد ، بدأ يأخذ طابعاً اكثر رسوخاً وأشد صلابة ، وذلك بفعل تعاظم حركة التحرر العالمية ، وازدياد بأس وقوة المعسكر الاشتراكي . وقد تميز هذا النضال باعتماده على المدن كساحات قتال رئيسية مستفيداً من تعاليم « جيمس كونالي » الذي اقترن اسمه بانتفاضة نيسان (ابريل) ١٩١٦ ، والذي ترك ثروة ثورية لكافة المناضلين من أجل الحرية ، نظراً لأنه استطاع الاستفادة الى أبعد حدود من انتفاضة ١٩٠٥ في روسيا والتي أثبتت حقيقة أنه حتى في الظروف الحديثة لا يمكن للجندي النظامي أن ينتصر دائماً في قتال المدن على مدنيين ثوريين مصممين على القتال ، ويعرف كونالي الشارع قائلا « ... الشارع ممر ضيق في مدينة ولا يمكن للجنود أن يعبروا هذا الممر إلا إذا ضيقوا جبهتهم ، وهذا ما يجعلهم هدفاً جيداً للثوار ، والممر الضيق مكان يصعب المناورة فيه خاصة عندما يسيطر الثوار على جانبي الطريق » .

لقد قام الجيش الجمهوري الايرلندي بحملته الجديدة في ايرلنده الشمالية في الاعوام ١٩٥٦ وما تلاه من سنوات ، ولكنه سرعان ما اكتشف ضرورة العمل في الشمال والجنوب في الوقت نفسه ، فأعاد تنظيم قواه على هذا الاساس ، ونجح في خلق بؤر ثورية في بلفاست ودبلن . وفي العام ١٩٦٩ ظهرت بوادر انشقاق جديد في الحركة الثورية ، فانشق حزب « سين فين » الى منظمتين ، وبالتالي اصبح الجيش الجمهوري جيشين جمهوريين : الاول ويسمى الجيش الاحمر او الرسمي والثاني التقليدي أو المؤقت . وتعتمد استراتيجية الجيش الجمهوري الاحمر على الاستفادة من الدعاية الواسعة ، واستخدام الوسائل السياسية لكسب الجماهير الى جانبه ، ويساهم في كل فعاليات الطبقة العاملة ، ويشارك في الاعتراضات والاحتجاجات ، وقد عبر كاثال كولدنك رئيس اركان الجيش الجمهوري عن أهداف الجيش قائلا : « اننا نريد تحرير الشعب الايرلندي تحريراً تاماً بالطرق السلمية ، ولكن لسوء الحظ ليس بوسعنا إملاء أي من الوسائل التي ينبغي على القوى الامبريالية والاستغلالية استخدامها لمنع حرمان شعبنا من حقوقه ، ولهذا فإننا سنثأر باستخدام القنابل والرصاص » .

أما الجيش الجمهوري التقليدي فهو يعتبر أن الكفاح المسلح هو الوسيلة الوحيدة التي تؤدي الى انهيار الحكم الفاسد في بلفاست وارغام بريطانية على الموافقة على حرية ايرلندة واتحادها ، ولا يعتقد هذا الجيش ان النضالات الاخرى يجب أن تأخذ حيزاً في حياته .

ولم تقتصر الخلافات على طريقة العمل ، بل تعدتها الى الاختلاف في وجهات النظر حول ايجاد الحلول للقضية الايرلندية ، فنظمة « سين فين » التقليدية تستهدف اشتراكية مسيحية . وقد دعا أحد زعمائها الى إقامة جمهورية ايرلندية موحدة « بدون المثل الاشتراكية او الشيوعية » . وقد رحبت دبلن بهذا التصريح . أما الجيش الجمهوري « الرسمي او الاحمر » فتقف منه دبلن وبلفاست ولندن موقفاً آخر . ويرى البريطانيون أنه يشكل تهديداً اكبر من التقليدي ، لأن لديه منهجاً كاملا لحل المشاكل البعيدة لايرلنده ، هذا المنهج الذي اكده المؤتمر السنوي لمنظمة « سين فين » الرسمية أو الحمراء في دبلن في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧١ ، حيث عبرت المنظمة عن عزمها على شن النضال ضد الامبرياليين الانكليز وكذلك ضد الحكومات الرجعية في الشمال والجنوب ، واقامة جمهورية ديموقراطية اشتراكية في ايرلنده بأجمعها تتمتع بها الطبقة العاملة بالسيطرة على وسائل الانتاج والتوزيع والتبادل .

وهكذا فأن منظمة « سين فين الحمراء » وذراعها الضارب الجيش الجمهوري الايرلندي الاحمر يقودان النضال ضد الاحتلال الانكليزي ، وضد المنظمات اليمينية الارهابية (الاورانجيون) وضد حكومة دبلن المرتبطة بالامبريالية البريطانية ، ومن الواضح أن هذه المنظمة تحوز على عطف الجماهير ودعمها وتأييدها لها ، ومن الواضح أيضاً أن هذه المنظمة علمانية ، ويشكل البروتستانت (٢٥٪ إلى ٣٠٪) من عدد أعضائها وقيادتها . ومن اهتماماتها السعي لخلق جبهة وطنية من اجل تعبئة كافة الطاقات في المعركة .

وتمارس السلطات البريطانية اسلوباً بربرياً في حكمها لايرلندة ، فإننا نرى أن الكاثوليك محرومين من ادنى الحقوق المدنية ، فلا يحق للكاثوليكي التصويت إلا إذا كان ملاكاً ، بينما نرى ان البروتستانتي يصوت في محل سكنه ، وفي مكان عمله ، وبهذا فأن أي كاثوليكي لم يستطع أن يصبح وزيراً في حكومة أولستر خلال الخمسين عاماً من حكم

الاتحاديين ، والحقيقة أن الخلفية الدينية لهـذه الممارسات إنما تستهدف اساساً اخضاع العمال والفلاحين لنظام الاتحاديين والامبرياليين البريطانيين، واخفاء واقع الانقسام الطبقي في ايرلنده الشمالية .

وهكذا فإن ايرلنده ، تعتبر منذ مطلع السبعينات ، ساحة حرب حقيقية ، خاصة بعد ان تذرعت حكومة بريطانية بطلب الاتحاديين الذين « ... طلبوا قوات بريطانية لقمع الشغب ... » . وأنزلت في الجزيرة قوات بريطانية مجهزة ومسلحة بأحدث المعدات ، وباشرت عملياتها الارهابية من حرق احياء ، والتصدي للمدنيين ، مما أدى الى لجوء العديد من الاهالي الى خارج البلاد. وادى كذلك الى تشديد ضربات الثوار ضد المحتل وطغمته الحاكمة .

وقد بدأت قضية ايرلنده تحتل مكانها في الاوساط العالمـية ، وشهدت فترة ٧٥ – ١٩٧٦ دعماً وتأييداً عالميين للنضال الوطني وللجيش الجمهوري الذي يقود هذا النضال .

(٥) ثورة البوكسرز (١٨٩٨ – ١٩٠١)

« البوكسرز » Boxers اسم يطلق عـلى اعضاء جماعات صينية ، وهم في الاصل اعضاء في حركة معادية للاجانب اندلعت بعد هزيمة الصين أمام اليابانيين في العام ١٨٩٥ . وظهر هؤلاء لاول مرة بشكل فعلي في الاضطرابات ما بين العام ١٨٩٨ والعام ١٨٩٩ التي اندلعت للمطالبة بطرد الاجانب من الصين مرة والى لابد ، وذلك عندما قامت حكومة تسو – هسي بمحاولة لتحقيق نوع من الدفاع الوطني ضد العدوان الاجنبي ، فدعت الى احياء عصابات القرى الثورية المدربة ، او المليشيا . وبدأ تنفيذ ذلك في المقاطعات الشمالية الشرقية ، وانضم الى هذه العصابات المدربة العديد من المشاغبين ، والجماعات السرية التي كانت منتشرة في كل مكان . وكان الأعضاء يمارسون انواع من الرياضات القتالية ، وعرفوا للاجانب باسم « البوكسرز » وهي ترجمة غير دقيقة للتسمية الصينية « اي هو توان » ، او « اي هو شون » ، اي « عصابات العدالة المتآلفة » ، او « قبضات العدالة المتآلفة » .

ورفع البوكسرز شعار « احموا الوطن ودمروا الاجنبي » . وفي خريف عام ١٨٩٩ ، باشروا حملتهم للقضاء على المسيحيين الصينيين ، الذين اعتبروا « شياطين اجانب ثانويين » ، خاصة في شانتونغ حيث كان حاكم المدينة مناهضاً للاجانب . وفي أوائل حزيران (يونيو) ١٩٠٠ قامت الدول العظمى بمحاولة فاشلة لقذف مزيد من القوات في بكين . وأدت هذه المحاولة إلى زيادة الوضع سوءاً . وفي ١٧ حزيران (يونيو) انفجرت العاصفة حين احتل الاجانب قلاع « تاكو » ، لفتح الطريق الى تينتسين وبكين . فأمرت الامبراطورة العجوز بقتل جميع الاجانب ، وذلك مقابل قتل بعض كبار مستشاري الامبراطورة . فقتل الوزير الالماني كيتلر Ketteler ، وحوصر العديـد من الوزراء الاجانب ومساعدوهم ، وعدد من رهبان الارساليات ، ومئات من الصينيين في حي البعثات الدبلوماسية ، وفي الكنيسة الكاثوليكية في بكين . وقتل العديد من رهبان الارساليـات الكاثوليكية والبروتستانتية والاف من المسيحيين الصينيين خاصة في هوبه ، وشانسي ، ومنشوريا . عند ذلك اعلنت الدول العظمى انها لن تعلن الحرب ضد الصين ، بل ستحاول انقاذ مواطنيها والقضاء على « البوكسرز » . ومن جهة اخرى عارض نواب الامبراطورة في وادي اليانغز ، وفي الشمال ، اعمال « البوكسرز » إلا انهم بقوا على الحياد . وهكـذا فقد اقتصرت اعمال « البوكسرز » على المقاطعات الشمالية الشرقية .

وفي ١٤ آب (اغسطس) ١٩٠٠ احتلت القوات الدولية بقيادة الجنرال الالماني فون ڤالدرسي Von Waldersee مدينة بكين ، ورفعت الحصار عن حي السفـارات والجاليـات الاجنبية والكنيسة الكاثوليكية . وقامت بنهب العاصمة بكين ، وطاردت « البوكسرز » .

ثوار من البوكسرز



وعلى الرغم من ان الدول العظمى لم تعلن الحرب على الصين فقد فرضت عليها شروطاً قاسية اضطرت الصين الى توقيعها في ايلول (سبتمبر) ١٩٠١ . واهم هذه الشروط هي : ان تقوم الصين بمعاقبة بعض كبار المسؤولين مباشرة عن الاضطرابات ، وإقامة نصب تذكارية لبعض القتلى من الاجانب . وتشكيل لجنة رسمية للذهاب الى برلين والاعتذار عن مقتل الوزير الالماني . وتعليق امتحانات الخدمة المدنية لمدة ٥ سنوات في المدن التي قتل فيها اجانب . ومنع استيراد السلاح والذخائر لمدة عامين على الاقل . ودفع تعويض مقداره ٤٥٠ مليون تيل خـلال ٣٩ سنة . وذلك بالاضافة الى العديد من الشروط الاخرى المتعلقة بحمايـة الاجانب ، والتي تعطي امتيازات تجارية لهم .

وباحتـلال بكين اصبحت معظم اجزاء الامبراطورية تحت رحمة الاجانب ، باستثناء منشوريا التي شملتها اضطرابات ١٩٠٠ ايضاً . لذا وجهت روسيا القيصرية قوات ضخمة اليها بحجة حماية مواطنيها واستثماراتها . وقضت القوات الروسية على كل مقاومة واحتلت مساحات واسعة من مقاطعات منشوريا الثلاث . وانتهت الحملة الروسية باتفاقية مع الصين تعطي روسيـا القيصرية بموجبها حق الاشراف على منشوريا . الا ان هذه الاتفاقية لم تلبث ان ووجهت بمعارضة شديدة من الدول العظمى وأدت الى مضاعفات عديدة . وعلى أي حال ، فقد تمخضت « ثـورة البوكسرز » عن وقوع معظم الاراضي الصينية تحت السيطرة الاجنبية .

(١٣) ثورة التايبنغ (١٨٥١ – ١٨٦٤)

عاشت الصين سنوات قاسية بعد الاعبـاء الاقتصادية الضخمة التي ناء تحتها الشعب الصيني ، في اعقاب حرب الافيون الاولى (١٨٤٠ – ١٨٤٢) والتي انتهت باتفاقيات مجحفة ومهينة للصين ، عقدتها الدول الاستعمارية ، بريطانيا وفرنسا والولايـات المتحدة مع حكومة الصين ، وفرضت هذه الدول فيها شروطها على حكومة الصين بعد ان هزمت هذه الحكومة في ميدان القتال. (راجع حرب الافيون). وبعد أن ضربت البضائع الأجنبية ، الوافدة برسوم جمركية جد منخفضة ، الصناعات الوطنية الصينية المحرومة من الحماية الجمركية . واكتسحت تجارة الافيون الصين من اقصاها الى اقصاها .

وعندما اصطدم الشعب بالاستعمار ، حاولت

حكومة المانشو اتخاذ موقف وسط بين الطرفين. ومع اشتداد ساعد الشعب الصيني، انتقلت حكومة المانشو الى صف الاستعمار، خوفاً من حركة الجماهير الصينية. وفيما بين عامي ١٨٤١ و ١٨٤٩، قامت أكثر من مائة هبة فلاحية في الصين ضد الاقطاعيين وجباة الضرائب الذين تزايد عسفهم. وانتشرت المنظمات السرية في انحاء الصين، أبرزها منظمة «ياي شانغ تي هو» التي أسسها «هونغ هسيو شوان»، المدرس الصيني الذي اعتنق المسيحية، وكون مع زميله «فنغ يون شان» المنظمة المشار اليها (١٨٤٣)، ومعناها بالصينية «جمعية عبادة الله». وهكذا لعبت المسيحية دوراً ثورياً كبير الأهمية، وشكل العمال الزراعيون أغلب عضوية هذه المنظمة. وفي العام ١٨٤٤ نقل هونغ مركز نشاطه الى كوانغسي، حيث كان الصراع على أشده بين الفلاحين والسلطة الاقطاعية، ونجحت منظمة «ياي شانغ تي هو» في توحيد أغلب المنظمات السرية الأخرى في تنظيم محكم. وسرعان ما اشتد عود المنظمة وازداد التفاف جماهير الفلاحين الصينيين حولها، وأصبح لها جيش قوي.

وتوالت الأحداث التي زادت الأزمة الثورية في الصين نضوجاً، وكان أبرز تلك الأحداث انتشار المجاعة في اقليم كوانغسي (عام ١٨٤٩). عندها شعر هونغ بحسه الثوري السليم أن اللحظة الحاسمة قد أزفت، فجمع أعضاء منظمه في قرية «شنتيان» بمقاطعة «كويبنغ»، واندلعت الثورة التي عرفت بثورة التايبنغ. ثم اعلنت الثورة رسمياً في ١١/١/ ١٨٥١ بانشاء «مملكة السلام السماوية»، واحتل جيش ثورة التايبنغ «يونغان» بشمال «كوانغسي»، ونقل اليها عاصمة مملكته. وهزم جيش التايبنغ، في نيسان (ابريل) ١٨٥٢، القوات التي ارسلتها حكومة المانشو لسحق الثورة، وتقدم جيش التايبنغ فاحتل هانيانغ، وهانكاو، ووشانغ. وفي آذار (مارس) من العام التالي استولى على نانكينغ، وأسماها تيان شينغ، وحولها الى عاصمته الجديدة. وحرص جيش التايبنغ على ضرب الأسياد الاقطاعيين، كما وزع الأراضي على فقراء الفلاحين ومعدميهم في كل المناطق التي احتلها، تطبيقاً لشعار «الأرض لزارعيها»، فازداد التفاف الشعب حول الثورة، وانعكس هذا الالتفاف على حجم جيش الثورة، فارتفع عدد أفراده من عشرين ألفاً الى أكثر من مليون مقاتل.

وضمنت ثورة التايبنغ أهدافها في شعارات بالغة الدلالة، تقول:

«أينما تكن ثمة أرض ... فسوف نزرعها معاً»

«أينما تكن ثمة ملابس ... فسوف نرتديها معاً»

«أينما تكن ثمة نقود ... فسوف ننفقها معاً»

«لن يكون ثمة مكان لا يعرف المساواة»

«ولن يكون ثمة من يشكو البرد والجوع».

وتعكس هذه الشعارات طابع ثورة التايبنغ الديمقراطي المعادي للاقطاعية. وهي الأهداف التي بهرت كارل ماركس وفردريك انجلز، فكتبا مقالا في «نيو رانيسن ريفيو» في ١٨٥٠/١/٣١، وجها فيه التحية الى ثورة التايبنغ، وتوقعا أن يصطدم الرجعيون الأوربيون عند هروبهم من وجه شعوبهم الثائرة في المستقبل بنقش على جدار سور الصين العظيم، يقول: «هنا الجمهورية الصينية القائمة على الحرية والإخاء والمساواة».

وكشفت الثورة عن وجهها التقدمي حين ساوت المرأة بالرجل، اقتصادياً وسياسياً.

ولم يتدخل الاستعماريون ضد الثورة، توهماً منها أنها قد تفتح البلاد لهم ما دامت تدين بالمسيحية. وظل الاستعماريون قابعين في انتظار الفرصة المناسبة للنفاذ وابتزاز المزيد من المكاسب، خاصة وأن الحرب بين المانشو والتايبنغ ستزيد الصين ضعفاً على ضعف، مما يجعلها أكثر استجابة لمطالب الاستعماريين. إلا أن هؤلاء سرعان ما صدمهم رفض حكومة الثورة الاعتراف باتفاقية نانكينغ مع الانجليز، وان رحبت بالتجارة مع الدول الأجنبية، مع اصرارها على تحريم الافيون وتجارته في الصين. وبذا انقسمت الصين الى دولتين دائمتي الاحتراب: الأولى في الشمال، وهي دولة المانشو، الممثلة لمصالح الاقطاع والبيروقراطية وكبار قادة الجيش، والثانية في الجنوب، وهي دولة التايبنغ الممثلة لمصالح الفلاحين والحرفيين والجنود.

وحاولت التايبنغ توحيد الصين كلها، فاندفعت تستكمل فتح بقية أقاليمها، ونجحت حملة عسكرية للتايبنغ في احتلال الجزء الغربي من الصين، في حين احتلت حملة عسكرية أخرى معظم جزئها الشمالي، حتى انها دقت أبواب بكين العاصمة الامبراطورية. الا ان الجيوش الاقطاعية وحدت صفوفها، ونجحت في لم شتاتها، تحت قيادة قائد عسكري كفء هو «تسينغ كوفان»، ونجحت الجيوش الرجعية في قطع مواصلات قوات التايبنغ المهاجمة مع نانكينغ، لأكثر من عامين، تخللتهما اشتباكات ومعارك ضارية، أخذت بعدها قوات التايبنغ في احراز الانتصارات المتوالية.

وعلى غرار ثورة التايبنغ، وفي موازاتها، وقعت ثورات وانتفاضات اخرى في انحاء متفرقة من الصين. اذ قام فلاحو ناين بثورة في كيانغسو، وانهوى، وشانتونغ، وهونان، ونجحوا في الاتصال مع جيش التايبنغ. وحاصرت قوات الناين، في العام ١٨٦٥، قوات الحكومة في مقرها وأبادتها، الا أن حكومة المانشو نجحت في القضاء على ثورة الناين، بمساعدة الدول الأجنبية (عام ١٨٦٨). كما اشعل مسلمو الصين ثورة عنيفة ضد حكومة المانشو، واحتلوا تالي بوسط يونان، ولم تفلح حكومة المانشو في اخماد ثورتهم قبل العام ١٨٧٣. وفي سينكيانغ قامت العديد من الثورات ضد حكم المانشو.

وبعد حرب الأفيون الثانية في الصين، والتي امتدت من ١٨٥٧ الى ١٨٦٠، بين المانشو والقوات الأنجلو–فرنسية، تضافر أعداء الأمس ضد ثورة التايبنغ، اذ حرصت المانشو على تضمين الاتفاقيات الجديدة التي وقعتها مع الدول الاستعمارية في أعقاب حرب الأفيون الثانية (راجع حرب الأفيون) نصاً تتعهد فيه كل دولة استعمارية على حدة بمساعدة المانشو في القضاء على ثورة التايبنغ. وعليه نظمت قوات مشتركة من أتباع المانشو ومن ضباط بريطانيين وفرنسيين، للقضاء على ثورة التايبنغ غداة انتهاء الحرب بين المانشو والقوات الأنجلو–فرنسية. وفي مطلع العام ١٨٦٢ هزمت قوات التايبنغ بقيادة لي هسيو شينغ، قوات الثورة المضادة قرب شنغهاي، حيث قتل القائد الفرنسي لهذه القوات، الجنرال بروتيه، كما تم دحر قوات المرتزقة التي تحمل اسم «الجيش الظافر أبداً» وقائدها فريدريك تاونسند وارد، الذي قتل في إحدى المعارك مع قوات التايبنغ، حيث خلفه القائد البريطاني غوردون.

إلا أن قوات الثورة المضادة اخترقت صفوف ثورة التايبنغ، مستفيدة من الانشقاقات في صفوف هذه الثورة، فنجحت قوات الثورة المضادة في احتلال نينغبو، وشاوشينغ، ونغشاو. وفي أيار (مايو) ١٨٦٢ وصلت هذه القوات الى أبواب تيان شينغ، عاصمة التايبنغ، وعجزت البطولات النادرة التي أبداها المدافعون عن عاصمة الثورة عن منع سقوط عاصمتهم في أيدي قوات الثورة المضادة في العام ١٨٦٤، بعد أن كان قائد الثورة، هونغ هسيو شوان، قد انتحر يأساً من النصر في حزيران (يونيو) من السنة نفسها. وعندما سقطت تيان شينغ في أيدي قوات الثورة المضادة لم يكن فيها من جيش الثورة سوى أقل من أربعة آلاف جندي، من أصل

جيش قوامه نحو مليون مقاتل . ونجح القائد الرجعي تسينغ كوفان في أسر خصمه القديم ، لي هسيو بنغ ، وأعدمه .

ويعود الضعف الذي تسلل الى ثورة التايبنغ ، الى افتقارها للتخطيط في كافة المجالات ، وبسبب الصراع على السلطة الذي نشب بين قادتها ، وأدى إلى تشرذمها وتقطع جسدها ، بعد ان كانت قد نجحت في السيطرة على سبعة عشر إقليماً من أقاليم الصين الواحدة والعشرين . وبالرغم من هزيمة ثورة التايبنغ ، فقد مهدت هذه الثورة للثورة الصينية الكبرى ، وخصبت لها أرض الصين ، كما حالت دون تحول الصين الى مستعمرة مباشرة في عصر امتداد الاستعمار .

(٨) الثورة الجزائرية (١٩٥٤ – ١٩٦٣)

انتهجت الجزائر والمغرب العربي سياسة استقلالية منذ زوال الوحدة السياسية للعالم الاسلامي . وقد تولى الحكم فيها مع توسع الدولة العثمانية ولاة يخضعون للسلطان العثماني . ثم لم يلبث هؤلاء الولاة (الباي ثم الداي) ان عادوا الى الاستقلال بسبب ضعف السلطنة العثمانية من جهة وبتأثير النزعة الاستقلالية الداخلية من جهة أخرى . وفي إطار هذا الاستقلال أقامت الجزائر مع هولاندا عام ١٦٧٩ علاقات تعاقدية . وفي العام ١٦٨٢ وقعت الجزائر معاهدة صداقة مع بريطانيا العظمى وهولاندا ، وكانت الجزائر من أوائل الدول التي اعترفت باستقلال الولايات المتحدة الامريكية . ووقعت الجزائر مع الولايات المتحدة ثلاث معاهدات في أعوام ١٧٩٥ و ١٨١٥ و ١٨١٦ .

واستمرت الجزائر في انتهاج سياسة مستقلة مما حمل القنصل الامريكي في الجزائر على الكتابة في العام ١٨٢٦ « بأن الداي يمارس كامل حقوق السيادة والسلطة عقب انتخابه مباشرة » . وفي نيسان (ابريل) من عام ١٨٢٧ نشأ نزاع مع الداي بسبب شحنة قمح قام بتوريدها اثنان من الجزائريين . وفي أثناء المفاوضات تجاوز القنصل الفرنسي (دوفال) بصورة متعمدة تقاليد المفاوضات ، واستثار الداي ، مما حمل هذا الأخير على ضرب القنصل الفرنسي بمنشة ذباب . وكانت فرنسا تنتظر هذا المبرر لفرض استعمارها على الجزائر ، فدفعت اسطولها لفرض حصار بحري حول مدينة الجزائر لمدة ثلاثة أعوام ، وعندما لم يحقق هذا الحصار أي نتيجة قامت حملة فرنسية بمهاجمة الجزائر ، وتم إنزال قوة مكونة من سبعة وثلاثين ألف مقاتل على الشاطئ الجزائري في سيدي فرج بتاريخ ١٤ حزيران (يونيو) ١٨٣٠ . ولكن المقاومة لم تستسلم في الجزائر حتى اليوم الخامس من شهر تموز (يوليو) ، ولم تنجح فرنسا حتى عام ١٨٣٤ في السيطرة على أكثر من ثلاث مدن ساحلية منفصلة عن بعضها البعض بسبب مقاومة الشعب الجزائري تحت قيادة الأمير عبد القادر الجزائري . ونتيجة للمقاومة الضارية اضطرت فرنسا الى الاعتراف بسلطة الأمير في الداخل ، فاتخذ الأمير مدينة (معسكر) عاصمة له .

وفي عام ١٨٣٥ تجدد القتال بعنف . وكانت حجة فرنسا هي أن بعض القبائل الجزائرية طلبت حمايتها . ولكن فرنسا اعترفت بسلطة الأمير عبد القادر الجزائري مرة أخرى في العام ١٨٣٧ ، ثم تجدد القتال في العام ١٨٤٠ ، واستمر طوال سبع سنين طرد فيها الفرنسيون الى السواحل الشمالية اكثر من مرة ، كما تقهقر الأمير عبد القادر أيضاً أكثر من مرة حتى اضطر الى اللجوء الى المغرب . فضغطت فرنسا على سلطان المغرب حتى يخرج الأمير من بلاده والا تعرضت بلاده للخراب . واضطر الامير عبد القادر الى التسليم عام ١٨٤٧ ، فقبضت الحكومة الفرنسية عليه ، وألقي به في السجن خمس سنوات ، ثم أفرج عنه الامبراطور نابليون الثالث في العام ١٨٥٢ على ان يقيم خارج البلاد . فاختار سورية مقاماً له وبقي فيها حتى توفي .

ولكن غياب عبد القادر الجزائري لم يخمد لهيب الثورة التي تجددت عام ١٨٥٧ بقيادة لالا فاطمة . ولم يتم للحاكم العام الفرنسي إخماد الثورة الا بعد تركيز جهود كبيرة وقوات ضخمة . وفي عام ١٨٦٤ ثار الشعب الجزائري في جنوب الجزائر بزعامة سي سليمان . ونجح الثوار في تدمير قوات فرنسية كبيرة مع قائدها راندون ، كما استشهد سي سليمان فخلفه أخوه سي الأزرق . فأسرع نابليون الثالث بارسال أفضل قواته الى الجزائر ، وفتك الثوار بالفرنسيين مرة أخرى ، فجردت فرنسا جميع جنودها واستمرت الاشتباكات عشرين عاماً . وأخيراً نجح الفرنسيون في العام ١٨٨٤ بوضع حد مؤقت للصراع .

وفي عام ١٩٣٠ خرج من بين الجماهير الجزائرية زعيم وطني هو خالد الجزائري (حفيد الأمير عبد القادر) وطرح شعار « الجزائر عربية ، ولن تهدأ أو تستكين حتى تتحرر من الاستعمار » . وتوفي خالد الجزائري فخلفه عام ١٩٣٧ الزعيم مصالي الحاج ، الذي كون حزب الأمة الجزائري ، ولكن فرنسا أسرعت الى حل الحزب ومطاردة أعضائه وإلقائهم في السجون . وعندما اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية ، وعلى الرغم من الدعم الذي قدمته الجزائر لفرنسا مما جعل الجزائر مقراً للحركة الفرنسية الديغولية ، فقد أخذت فرنسا في التنكر للجزائر واعداد المخططات للغدر بها .

وعندما تحرك الجزائريون بعد انتهاء الحرب مطالبين باستقلال بلادهم ردت عليهم السلطات الفرنسية بقصف منطقة قسطنطينة وسطيفه بالطائرات والمدافع ، ودمرت المدن والقرى ، فسقط ضحية هذه العملية خمسة وأربعون ألف شهيد .

ولم تكن هذه الحادثة سوى صورة لعمليات القمع التي مارستها فرنسة ضد الشعب الجزائري منذ بداية الاحتلال . فلقد تميزت عمليات القمع الفرنسية دائماً بقسوتها ووحشيتها . واتبعت فرنسا في تثبيت استعمارها للجزائر اسلوبها الذي يوضحه تقرير اللجنة الفرنسية التي ارسلها الملك شارل العاشر بعد ثلاث سنوات من الاحتلال لدراسة الموقف في الجزائر . وجاء في هذا التقرير : « عندما يقف المرء لتأمل الطريقة التي عامل بها الاحتلال سكان البلاد فانه سيجد ان هذه الطريقة ليست مخالفة للعدالة فقط بل انها مخالفة للمنطق والعقل أيضاً . فعلى الرغم من الاستسلام الشريف للجزائريين ، فانه لم تحترم قدسية التقاليد والعادات ، حيث أضيفت املاك المؤسسات الدينية الى ملكية الدولة ، وتم الاستيلاء بالقهر والضغط على الاملاك الخاصة دون أي مقابل ، مع ارغام المالكين الذين صودرت ممتلكاتهم على دفع نفقات تدمير منازلهم فيها ونفقات تدمير مساجدهم أيضاً ، كما أرسل الى ساحات التعذيب والاعدام رجال لم تثبت إدانتهم ولم تتم محاكمتهم ، فقتلوا لمجرد الشك بهم ، وأبيدت مجموعات من السكان ثم ظهرت براءتهم . وقدم للمحاكمة رجال عرفوا بسمعتهم الطيبة في البلاد لأن شجاعتهم جعلتهم يأتون إلينا ويقفون أمام غطرستنا متوسلين لانقاذ مواطنيهم المساكين . ووجدنا قضاة لم يتورعوا عن محاكمتهم ، ورجالا لم يحجموا عن تنفيذ الاعدام فيهم . وألقي في غياهب الزنزانات الفردية المظلمة رؤساء القبائل ممن قدموا لنا ملاجئهم ومؤنهم » .

وكانت السلطات الفرنسية قد أصدرت في العام ١٨٥٩ مرسوماً يخرج القبائل العربية من نطاق القضاء الاسلامي ، ويجعلها تابعة لقضاء خاص . وشجعت التبشير بين صفوفهم ، وكان مما يلقنه المبشرون لهم أنهم أوروبيون في أصولهم وأن العروبة والاسلام أجنبيان عنهم . ومقابل ذلك أخذت فرنسا في تشجيع الفرنسيين على النزوح الى الجزائر لاستثمارها ، فنزح حتى عام ١٩٣١ نحو سبعمائة وثلاثين ألفاً أقطعتهم

السلطات الفرنسية الحاكمة مليوناً وسبعمائة ألف هكتار من اراضي الدولة والبلديات . كما انتزعت من الاهالي اراضيهم مقابل مبالغ زهيدة وأثمان رمزية . واحتكرت فرنسا زراعة الكرمة ، ونصف زراعة الزيتون ، واستثمار المعادن والصناعات ، والادارة الحكومية ، والمراكز القيادية ، وأصبحت الجزائر بعد مائة عام من الاحتلال (في عام ١٩٣٠) في وضع متدهور حيث وصلت نسبة الأمية بين العرب المسلمين الى خمسة وتسعين بالمائة . فكان عدد الطلاب في مدارس الجزائر لا يتجاوز الستين ألفاً من بين ما يزيد على مليون فتى في سن الدراسة . كما تجاهلت المناهج الدراسية تاريخ الجزائر وارتباطها بالعرب المسلمين مقابل التركيز على المناهج التي تسمح (بفرنسة الجزائر) وذلك تطبيقاً للمرسوم الذي صدر بعد احتلال الجزائر بعشرين سنة من قبل (الجمعية الوطنية الفرنسية) وذلك باعتبار الجزائر «أرضاً فرنسية» ، وتطبيق قوانين فرنسا عليها ، دون منح الحقوق السياسية لشعب الجزائر العربي .

وكان اسلوب فرنسا وحده كافياً لوضع البلاد في موقع الثورة الدائمة . وقد تعاظم زخم الثورة مع زوال وجود الاستعمار وانهياره امام حركة تحرر الشعوب التي اعقبت الحرب العالمية الثانية . وبدأت أرض الجزائر تتمخض عن ثورة أصيلة وعميقة الجذور ، بدأت بقوات صغيرة متفرقة ، لم تلبث أن استقطبت قوى الشعب الجزائري وجماهيره كلها .

ففي عام ١٩٥٤ انطلقت الشرارة الاولى للثورة من جبال الاوراس . واخذت قوى الثورة في التعاظم فأسرعت فرنسا الى حشد جيش بلغ تعداده اربعمائة ألف مقاتل مجهزين بأحدث الأسلحة . وأخذت القوات الفرنسية في إبادة أهل الجزائر واستخدمت في ذلك الاساليب الارهابية . وكان القتل والاحراق والتدمير والاعتقالات الاجماعية والتعذيب الوحشي بعض هذه الوسائل . ولكن قوى الثورة استمرت في مسيرتها رغم كل العوائق مما حمل هيئة الامم المتحدة في عام ١٩٥٥ على اتخاذ قرار بمناقشة قضية الجزائر ، فعملت فرنسا على الانسحاب من جلسة المناقشة ، وهددت بأنها ستنسحب نهائياً من هيئة الأمم المتحدة اذا ما أعيد طرح قضية الجزائر . ولكن ذلك لم يمنع ظهور تضامن عربي وعالمي للجزائر وتأييد لقضيتها حتى في بعض الاوساط الاستعمارية الامبريالية ذاتها . واخذ الاهتمام العالمي بأحداث الجزائر يتزايد يوماً بعد يوم . وكان تأييد الصحافة ورجال الفكر والاحرار في العالم كله يتعاظم باستمرار .



دورية فرنسية آلية على الحدود الجزائرية — التونسية .

وتعطي حرب التحرير الجزائرية نموذجاً رائعاً يتميز بصفات خاصة . في بداية الأمر لم تكن نواة الثورة تزيد على مجموعة من الرجال يمتلكون القليل من الوسائط . ووقف هؤلاء لمجابهة فرنسا التي كانت تبدو قوتها في تلك الفترة من قوى العالم الساحقة . وبالاضافة الى هذا ، فقد كان الشعب نتيجة لفشل ثوراته المتكررة في حالة نفسية غير جيدة ، ولكن قادة الثورة التاريخيين صمموا على بدء الاعمال الثورية ، وشكلوا اللجنة الثورية للوحدة والعمل ، وكانت هزيمة الفرنسيين في معركة ديان بيان فو ، ونجاح العصيان التونسي في الحصول على الاستقلال الذاتي الداخلي ، من الحوافز التي دفعت ثوريي الجزائر وشجعتهم على النضال . وتمثل هدفهم في هذه المرحلة بايقاظ وعي الجماهير الجزائرية من غفوتها بتظاهرة عنيفة تثبت ارادة الاستقلال لدى الشعب الجزائري ، وصممت هذه التظاهرة بطريقة رائعة تثير أجمل الخيالات والتصورات . وبالاضافة الى ذلك فقد رسمت اللجنة الثورية للوحدة والعمل خطاً سياسياً واضحاً جداً منذ البداية ، استهدف في الوقت ذاته الاعتماد على التقاليد الاسلامية ، مع ممارسة الارهاب الشديد ضد العناصر المتعاونة مع فرنسا (مثل جدع الأنف ، واغتيال عملاء الادارة الفرنسية من المسلمين ، والذبح أمام شهود لكل من يغدر بالثورة) . وكان لهذا الاسلوب دور حاسم في ردع ضعاف النفوس والمترددين .

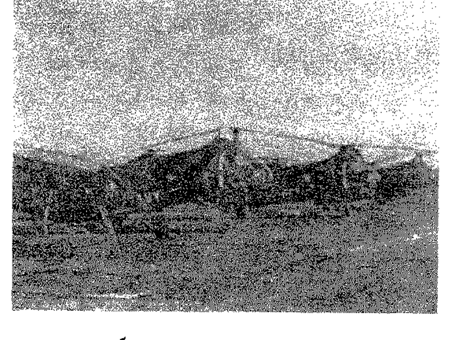
وفي مجال الاعمال القتالية تجنبت اللجنة بذكاء كل مجابهة مباشرة مع القوات الفرنسية المتفوقة ، وحددت عملياتها بالاغارات والكمائن والاغتيالات على اختلاف اشكالها . وكان من حسن حظ الثوريين في هذا الوقت الدقيق انهم هاجموا عملاقاً ذا قدمين من صلصال . فقد كانت الادارة الفرنسية في الجزائر متكلسة متصلبة وغير كافية للاشراف الكامل على البلاد . وبالاضافة الى ذلك فقد شلت مجموعة من القوانين الشرعية عملياً كل قمع فوري للحركة الثورية ، لا سيما القوانين التي تعتبر الجزائر فرنسية ، وتطبق فيها القوانين الفرنسية لزمن السلم . وكانت القوانين المطبقة عام ١٩٤٥ في قسطنطينية مختلفة كل الاختلاف عن القوانين التي طبقت في المنطقة ذاتها عام ١٩٥٤ ، ففي العام ١٩٤٥ كانت الاحكام العرفية والمحاكم العسكرية العرفية قائمة ، وفي العام ١٩٤٥ كان استخدام القطعات مرتبطاً بالسلطة المدنية ، وكان على قوات الدرك ان تحقق في كل المعارك مع تنظيم محضر ضبط واحضار شهود. وهكذا جنت فرنسا على نفسها بالقوانين التي وضعتها . وفضلا عن هذا ، فقدكانت الوسائط العسكرية الفرنسية في البداية . في موقف مساعد للثوار حيث كان مجموع القوى العسكرية لا يزيد على تسعة وأربعين ألف مقاتل نصفهم من الجزائريين . ولهذا السبب ،



جنود الهاركيس المحليون المؤيدون للسلطة الاستعمارية .



ثوار جزائريون في معقلهم



طائرات القوات الفرنسية المحمولة جواً في الجزائر

ونتيجة لوجود رجال في السلطة (مثل ميتران في الداخلية وليونارد في حكومة عموم الجزائر والجنرال شيريير في الفيلق التاسع عشر التابع للجزائر العاصمة والجنرال سبيلمان في فرقة قسطنطينة) كانت عملية القمع الأولية ضعيفة واهية ، على الرغم من الضربة الناجحة التي وجهها العقيد دوكونور للثوار في الأوراس . وفي جميع الأحوال فقد تجاوز الثوار مرحلة خطر خنق الثورة في مهدها ، وشرع الثوريون الجزائريون بعد ان نجحوا في الظهور بشكل بارز على المسرح بتوسيع « بقعة الزيت » التي شكلها مناخ عدم الأمن . وكان لديهم إحساس صحيح ودقيق بالاستراتيجية الملائمة للثورة . فتم تنظيم منطقة القبائل والاوراس وتحويلهما الى مركزي اشعاع للثورة ، حيث انطلقت الثورة تدريجياً من الاوراس حتى شملت قسطنطينة كلها ، على حين تطورت الاعمال الثورية المنطلقة من منطقة القبائل حتى شملت محافظة الجزائر ، والجزائر العاصمة .

وقد حاولت حكومة ادغار فور مجابهة هذا الموقف المتدهور يوماً بعد يوم ، فأرسلت سوستيل الى الجزائر كحاكم عام لها في شباط (فبراير) ١٩٥٥ . وكان سوستيل (كرجل ليبيرالي) يعتقد أن لديه القدرة على تطبيق سياسة اصلاحية . وفي انتظار تنفيذ هذه السياسة طلب سوستيل قوات دعم اضافية ، فارتفع حجم القوة الفرنسية في الجزائر الى ثلاثة وثمانين ألف مقاتل . وخلال هذه الفترة ، وفي شهر تموز (يوليو) نظمت اللجنة الثورية للوحدة والعمل عصياناً عاماً شمل محافظة القسطنطينة ، وانتهى هذا العصيان الى مذابح دموية رهيبة كانت سبباً في احجام سوستيل عن اللجوء الى التسويات أو انتهاج السياسة الاصلاحية التي كان يعتقد ان باستطاعته تنفيذها . وتشددت فرنسا في موقفها ، وارسلت نجدات جديدة كبيرة الى الجزائر ، وامكن للقوات الفرنسية احتلال القسطنطينة ، ولكن مظاهرة القوة الفرنسية كانت تخفي وراءها تناقضات كبيرة في وجهات النظر الخاصة بطريقة التعامل مع الثورة . ونتج عن ذلك انتشار الاضطرابات .

وامتد لهيب الثورة الجزائرية مع بداية عام ١٩٥٦ . وتجاوب المغرب العربي بصورة خاصة والعالم العربي بصورة عامة مع الثوار . وحصلت تونس على استقلالها الذاتي ، وكانت فرنسا تخوض معركة الانتخابات ، وجاءت النتيجة لصالح الاشتراكيين . وعندما وصل « جي موليه » الى منصب رئيس الوزراء أخذ في البحث عن الصيغة الملائمة لتنفيذ ما وعد به ناخبيه (العمل على استتباب السلم في الجزائر) ولكن « جي موليه » لم يكن يعرف مضمون هذا السلم وماذا يعني ، فسافر الى الجزائر العاصمة ، حيث كان في استقباله الاوربيون الذين هاجموه بالطماطم الفاسدة ، ثم قام بزيارته للجزائر كلها ، واستشار العسكريين فيها . وكان كل ما سمعه او لاحظه جديداً بالنسبة اليه ، فالمسألة مختلفة كل الاختلاف عما كان يتصوره . وهذا ما حمله على تغيير سياسته بصورة مباغتة ، فأصدر قرارد بتعيين « لاكوست » وزيراً مقيماً في الجزائر ، واعطى للادارة الفرنسية في الجزائر سلطات خاصة ، واستدعى عدة قرعات من الجنود ، وعزز قوات حفظ النظام في الجزائر حتى وصل عدد القوات الفرنسية فيها الى اربعمائة ألف مقاتل . وبذلك وضع « جي موليه » فرنسا في طريق اللاعودة ، فاما الانتصار السريع والحاسم واما التخلي عن الجزائر . ولم يبق هناك مجال للتسويات السياسية . ولم تكن فرنسة قادرة على تقديم الجهد المطلوب منها طويلا ، في الوقت الذي لم تكن ممارسة عملية إخماد الاضطراب في الجزائر وتهدئتها والعمل على استتباب السلم فيها من الامور التي يمكن إنجازها في أقل من عشر سنوات . وكان استمرار فرنسا عبر هذا الطريق الطويل ، مع ما فيه من عقبات وصعاب ، أمراً مشكوكاً فيه .

حاول « لاكوست » ومعه الجنرال « لوريو » استعادة المبادأة من قبضة (قيادة جبهة التحرير الوطني) التي خلفت اللجنة الثورية للوحدة والعمل ، فتم زج الوسائط والقوى الضرورية ، وبدأ العمل في منطقتي الثورة (الاوراس ومنطقة القبائل) وكان الجنرال « بوفر » قائداً لمحافظة القسطنطينة في تلك

الفترة ، فتم العمل على إخماد الثورة في المناطق الهامة والامساك بها بقوة . اما في منطقة القبائل ، فقد حاول الجنرال « اوليه » القيام بعمل سياسي على مستوى الكوميونات البربرية وتطويره انتهاجاً لسياسة التفرقة المعروفة ، ولاضعاف الثورة من الداخل . وجاء رد قيادة جبهة التحرير قاسياً وعنيفاً ، حيث وقعت مذبحة باليسترو . ثم عززت الجبهة مواقعها بالمؤتمر الذي عقدته بالصمام ، ونجحت في تطوير العنف داخل العاصمة (الجزائر) ، حتى اصبح المناخ المعادي لفرنسا صعباً للغاية . واحبطت مخططات فرنسا من جديد في ضرب وحدة الجزائر .

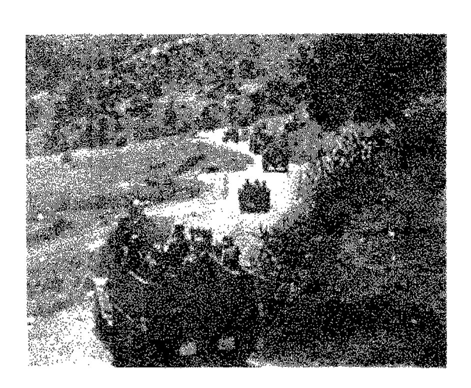
خلال تلك الفترة حدثت تطورات في مصر بسبب تأميم قناة السويس ، وبدأ التخطيط للعدوان ، وظن جي موليه ان هذه العملية ستصيب الثورة الجزائرية في جذورها . لكن العملية الفرنسية – البريطانية – الاسرائيلية انتهت الى الفشل امام مقاومة جماهير مصر الباسلة ، وبسبب تدخل الامريكيين والسوفييت معاً . وكان فشل العدوان على مصر حافزاً قوياً لدفع جبهة التحرير نحو تطوير عملياتها ، لا سيما بعد ان اكتسبت الثورة الجزائرية هيبة مؤكدة وسمعة دولية .

بدأت جبهة التحرير الوطنية الجزائرية مرحلة جديدة مع مطلع عام ١٩٥٧ ، بعد أن شعرت بالأهمية الدولية لموقفها ، وعرفت نقاط ضعف السياسة الفرنسية في العاصمة الفرنسية ذاتها . فعملت على نشر أفقها السياسي ليشمل الجزائر كلها . وتركز جهد الجبهة في ثلاثة اتجاهات : اولها استخدام العاصمة الجزائرية ميداناً للتحرك الثوري وذلك بمضاعفة اعمال العنف فيها بصورة واضحة . والاتجاه التالي هو إبراز الكيان السياسي على المسرح الدولي ، ومنح جبهة التحرير هيبة الحكومة يوماً بعد يوم . أما العمل السياسي داخل فرنسا فقد تركز لاحداث انقسام في الرأي العام تجاه الحرب الجزائرية . وكان هذا هو الاتجاه الثالث .

وامام هذا التطور ، حاولت الحكومة الفرنسية التي عينت سالان في الجزائر حل المشكلة الجزائرية بالوسائل العسكرية ، فمنحت العسكريين السلطات التي كانت تتمتع بها قوات الأمن . وكلفت فرقة المظليين العاشرة بعد عودتها من عملية السويس بواجب تهدئة الوضع في الجزائر العاصمة . وقسمت البلاد الى مربعات ، وجمعت السكان في القرى ، واتخذت التدابير القاسية . وعلى الرغم من قوة هذه الاجراءات وقسوتها فقد استمر الكفاح والنضال في تصاعد مستمر . وكانت الخطيئة الرئيسية التي وقعت فيها



جريح من الفيلق الأجنبي في جبال أوراس



وحدة مدفعية فرنسية



محطة آلية فرنسية في الجبال

فرنسا هي إهمالها إهمالا تاماً للطابع الدولي للصراع ، واصرارها على التمسك بوهمها السياسي في ان الجزائر جزء لا يتجزأ من الأرض الوطنية الفرنسية ، وان منظمة الأمم المتحدة أو أية دائرة دولية اخرى لا علاقة لها بهذه الحرب . ولم يدافع أحد عن أعمال فرنسا في الخارج ، وهذا ما أفاد جبهة التحرير الوطني الى حد كبير للحصول على حق التمتع بالامتيازات على المسرح الدولي .

وفي هذا الوقت ذاته ، تركز الاهتمام السياسي على الجزائر العاصمة حيث نشبت معركة قاسية بين مقاتلي جبهة التحرير الوطني وبين مظليي ماسو . وأعطى وجود الصحافة الدولية في الجزائر لكل ما جرى أصداء بعيدة . فقد رافق هذا الصدام من الظواهر الوحشية واللاانسانية ما أثار الرأي العام العالمي ، وحرك وجدان الجماهير وضميرها في كل مكان ، ووصلت الحملة المضادة للتعذيب ذروتها بحيث انقسم الرأي العام الفرنسي ذاته ، وأصبح لجبهة التحرير أنصارها ومؤيدوها الأقوياء في فرنسا ، وتمزقت الوحدة الوطنية الفرنسية إزاء الحرب الجزائرية ، ولم تلتئم بعد ذلك أبداً . ومن ظواهر تأييد الفرنسيين الأحرار لثورة الجزائر تلك الرسالة التي بعث بها ٣٥٧ مفكراً من الشخصيات الفرنسية المعروفة الى رئيس الجمهورية الفرنسية يحتجون فيها على (الأعمال التي تثير الضمير الانساني) . وقد أشاروا بصورة خاصة الى أعمال التعذيب التي تقترف ضد السجناء الذين يحرمون من المعاملة بموجب اتفاقية جنيف أو بموجب الضمانات القضائية التي يمنحهم إياها القانون الفرنسي . ونوهوا كذلك باعدام الرهائن ، وهدم

القرى ، واعمال الانتقام والتعسف . وكان من بين موقعي هذه الرسالة فرانسوا ميرياك الحائز على جائزة السلام وعدد من الاساتذة الجامعيين في السوربون وليون ومجموعة من الفلاسفة والمفكرين والصحفيين .

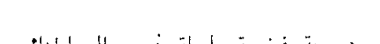
وفي شهر آذار (مارس) ١٩٥٧ ، اجتمع الكرادلة والمطارنة في فرنسا واستعرضوا الموقف في الجزائر وناشدوا فرنسا « أن توفر الضمانات الكافية لاحترام الكرامة الانسانية ، وان تتجنب كل ما من شأنه أن يهتك القانون الطبيعي وشريعة الله » كما حذروا فرنسا من اتباع وسائل الارهاب ، وانه حتى ولو كان الهدف نبيلا فان ذلك لا يبرر « استخدام اعمال العنف والتعذيب » . وكانت اعمال التعذيب سبباً في استقالة ريني كابيتن استاذ القانون في باريس والوزير السابق للتربية الوطنية في حكومة الجنرال ديغول ، والذي تضمنت استقالته : « علمت الآن من أخبار الاذاعة بأن علي بو منجل قد ألقى بنفسه من شرفة عالية في الجزائر وسقط ميتاً وذلك حتى ينجو من التعذيب . وحينما كنت أقود حركة المقاومة في شمال أفريقيا كان علي بو منجل أحد تلاميذي في كلية الحقوق في الجزائر ، لقد أفجعني خبر وفاته وأصبحت أصدق ما كتبه أفري ب . ه . سيمون في كتابه عن التعذيب الفرنسي . وطالما تقوم حكومة بلادي بممارسة هذه الوسائل الارهابية التي لم تمارس ضد أسرى الحرب الألمان ، فانني لا أستطيع الاستمرار في إلقاء دروسي في كلية الحقوق الفرنسية ، ولا سبيل أمامي إلا التوقف عن إلقاء دروسي . ولعلك تقرر استدعائي الى العمل اذا كنت قادراً على ذلك ، وانني مستعد ان اتلقى بكل رضا كل اجراء يساهم في تعريف الرأي العام باحتجاجي على هذه الاعمال المشينة التي تخل بشرف فرنسا اذا اختارت ان تسكت عليها » .



فتيات مناضلات في جيش التحرير



فتيات يقمن بالمهمات الطبية



دورية فرنسية راجلة في جبال الجزائر



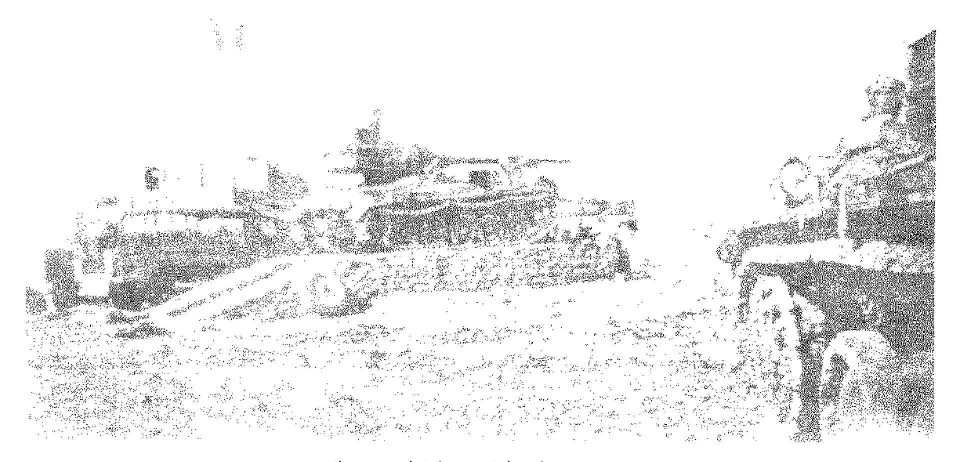
بدأت جبهة التحرير الوطني بعد ذلك بتنظيم أعمالها في إطار جديد ، وافادت من دعم القطرين العربيين المجاورين (تونس والمغرب) لتشكيل نواة جيش نظامي اخذ يحمل اسم جيش التحرير الوطني الجزائري . وتسلمت الجبهة اسلحة من تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتي لتسليح جيشها بالوسائط الحديثة ، فحاولت السلطات الفرنسية مجابهة هذا التطور بتركيز الجهد على الحدود وتحويلها الى حدود مغلقة باحكام وذلك باستخدام تجهيزات دفاعية تجمع بين الشبكات الكهربائية ورادارات الكشف ، وتم إنشاء خط موريس في الشرق وخط آخر لم تطلق عليه أية تسمية في الغرب . وكانت مهمة الخطين تحديد تسلل قوات جيش التحرير الوطني . واصبح هذان الخطان مسرحين لمعارك جدية . وقد فكرت القيادة الفرنسية بالتحرك الى تونس والمغرب لتدمير قوات جيش التحرير الوطني ، لكن ضغط الرأي العام الدولي منعها من ممارسة هذا العمل . وتطور جيش التحرير في هذا المناخ الملائم حتى أصبح قوة سياسية هامة ، وفي الوقت ذاته شكلت جبهـة التحرير الوطني بشكل متماسك ، وانبثق عن الجبهة حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية . وبذلك حصلت جبهة التحرير على كل الواجهة الدولية للثورة .

استطاعت القوات الفرنسية تحقيق بعض النجاحات في المجال العسكري ، ولكن هذه النجاحات خلقت بالمقابل استياء متزايداً في الجيش الذي أحس بحرمانه من جهوده التي بذلها . ووقعت في غضون ذلك حوادث خطيرة أبرزها قضيتا (بازوكا الجزائر) و (قضية فور) . وبازوكا الجزائر هي الحادث الذي وقع في ١٦ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٥٨ ، حيث أطلق الفرنسيون المقيمون في الجزائر طلقة بازوكا من أحد السطوح في ميدان أيسلي على مكتب الجنرال سالان فقتل المقدم روديه أحد مساعديه وجرح العقيد باسيه . وقد اتهمت جبهة التحرير الوطني

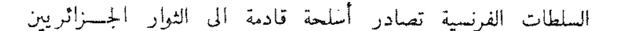
في بداية الأمر بهذا الحادث . لكن التحقيقات أظهرت أن هذا العمل من تدبير الفرنسيين . والحادث الثاني يتلخص في ان الجنرال فور بحث مع مفتش شرطة محافظة الجزائر تيتجن بالانقــلاب الذي يزمع الجنرالات الفرنسيون القيام به في الجزائر . وأعلم تيتجن رئيسه شوساد الذي أخــبر بدوره الوزير الفرنسي المقيم العام في الجزائر (لاكوست) وتم تسجيل حديث فور ثم استدعي الى فرنسا واعتقل ، وتسرب الحادث الى الصحف الفرنسية فهاجم بعضها تيتجن ، واعتــبره البعض الآخر بطلا . وتظهر هذه الاحداث مدى التمزق الذي أصاب الوحدة الفرنسية من جراء حرب الجزائر .

وفي شهر نيسان (ابريل) من عام ١٩٥٨ ، أدت بعض الرمايات التي قام بها جيش التحرير الوطني (على ما تزعم فرنسا) بتوجيه غارة انتقامية على ساقية سيدي يوسف الواقعة على الحدود التونسية . وأثارت هذه القضية التي أثيرت بصورة رائعة انفعالا خطيراً في منظمة الامم المتحدة وفي فرنسا . وقدمت الولايات المتحدة الامريكية عرضاً (بالتدخل الودي للمصالحة) وأرسلت مورفي الى تونس . فهب الجيش الفرنسي ، وثار الرأي العام الأوروبي في الجزائر ، وتحولت الجزائر العاصمة الى مسرح للتظاهرات الشعبية العنيفة ، ولم يتمكن الجيش من السيطرة عليها إلا بعد جهود كبيرة . وفي العاصمة الفرنسية تحركت الحكومة الفرنسية بلا خطة أو هدف ، وهي على ما هي عليه من احتمال تدخل الجيش الفرنسي في الجزائر ضدها . وانهارت الجمهورية الرابعة فاستدعت الجنرال ديغول الذي استلم السلطة . خلال هذه الفترة كانت قضية الجزائر تعرض على هيئة الامم المتحدة في كل دورة من دوراتها ، وتكتسب مزيداً من الانصار والمؤيدين ، وكان من بين مؤيديها عضو مجلس الشيوخ الامريكي جون كنيدي (الذي أصبح رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٦٠) والذي صرح في تموز (يوليو) من عام ١٩٥٧ بقوله : « ان الحالة الجزائرية أشبه ما تكون بقنبلة زمنية ستنفجر يوماً ما في وجه العالم الحر بأشد خطراً من قضية الهند الصينية ». وبدأ الحديث في العالم كله عن ضرورة إجراء مفاوضات لإنهاء الصراع الدامي . وحددت الجبهة الوطنية ومعها العالم العربي وانصار الحرية مطالب الجزائر بوضوح في ثــلاث فقرات : الاعتراف بالاستقلال ، وقيام حكومة جزائرية مؤقتة ، والمفاوضات مع وقف إطلاق النار .

وكان ديغول مع تسلمه لسلطات الرئاسة الفرنسية يعتقد ان باستطاعته حل المسألة الجزائرية بتسوية ليبيرالية مشرفة . وكان يدرك باحساسه السياسي ما يحمله على رفض الصيغة التي ختمت في ١٣ أيار (مايو) حياة الجمهورية الرابعة وهي أن « الجزائر فرنسية » . كما كان يعرف ان هضم الجزائر وتمثلها قد تجاوزته الاحداث منذ اكثر من عشرين عاماً ، وان على فرنسا تقديم تنازلات كبيرة ، ولكنه أخطأ الطريق عندما اعتمد وسيلة الضغط العسكري للعمليات وممارسة الاستراتيجية السابقة من جديد حتى يحصل على التسوية التي يريدها . ذلك ان انهيار الجمهورية الرابعة وقيام الجمهورية الخامسة قد أدى الى إعطاء كل السلطات المدنية لجيش الجزائر . وكانت نتيجة هذا الموقف الجديد بالنسبة لمعظم الجنرالات تحول عملهم عن المهام العسكرية . فعين ديغول الجنرال شال مكان الجنرال سالان بأمل الحصول على نصر عسكري حاسم يسمح له بتنفيذ التسوية السياسية . وأعلن عن هذه التسوية بتصريحات واضحة جداً عن « حق تقرير المصير الذاتي » و « سلم الشجعان » في أيلول (سبتمبر) وتشرين الاول (اكتوبر) من العام ١٩٥٨ . وبدأ الجنرال شال سلسلة من العمليات الكبرى طاردت تجمعات الثوار مما أرغم قيادة جيش التحرير على تقسيم الجيش الى مجموعات صغيرة .



مخفر فرنسي على الحدود الجزائرية — التونسية



السلطات الفرنسية تصادر أسلحة قادمة الى الثوار الجــزائريين



قدمته رسمياً حكومة فرنسا باجراء مفاوضات لاقرار السلام في الجزائر .

أما على ارض الجزائر فقد كانت سياسة ديغول الليبيرالية مخيبة لآمال الفرنسيين ، كما كانت مخيبة لآمال الجيش الذي كان الخصم الأول لجبهة التحرير الوطني الجزائري . فاشتد التوتر في الجزائر ، وانفجرت الأزمة عندما وقع انقلاب الجنرالات في الجزائر العاصمة ، وكان الانقلاب عملية أعدت بصورة سيئة وتمت قيادتها برعونة ، ففشل الانقلاب بعد ان مزق الجيش الفرنسي تمزيقاً رهيباً . وبعد فشل الانقلاب انتفض الفرنسيون في الجزائر عن طريق حركة منظمة الجيش السري (O. A. S.) ، وشنت هذه الحركة حملة ارهاب عنيفة ، ولكنها لم تحقق أهدافها ، وكان من نتيجتها وضع الحد الفاصل في العلاقات بين الفرنسيين والجزائريين . وعبر هذه الاضطرابات اعترف مؤتمر ايڤيان باستقلال الجزائر ، واحتل جيش التحرير الوطني الجزائري مواقعه على امتداد القطر الجزائري ، وتجمعت القوات الفرنسية في ثكناتها وبدأ الفرنسيون المقيمون في الجزائر بمغادرة أرض الجزائر ، وانهار البنيان الذي بذلت فرنسا جهدها طوال مائة وثلاثين عاماً في تشييده .

في ١٩ أيار (مايو) ١٩٦١ أصدرت الحكومة الجزائرية من مقرها في تونس بياناً سياسياً ضمنته بوضوح المبادئ العامة التي تؤدي الى نجاح مفاوضات مؤتمر إيڤيان في حين كان بيان الحكومة الفرنسية يفتقر الى الوضوح . وبدأ المؤتمر جلساته في إيڤيان بتاريخ ٢٠ أيار (مايو) . وطرحت فرنسا خطتها التي لا يمكن للجزائريين حتى مناقشتها بعد تضحياتهم وجهودهم ، والتي تتعارض تماماً مع المبادئ العامة التي حددتها الحكومة الجزائرية المؤقتة ، ورغم ذلك فقد استمر الوفد الجزائري يعارض مناقشاً ومجادلا . وراح يفند الخطة الفرنسية موضوعاً موضوعاً . واستمر الحوار على هذه الصورة . وبعد ثلاثة أسابيع من المفاوضات توقفت أعمال المؤتمر بصورة مباغتة دون بيان الاسباب الداعية الى ذلك .

حاولت فرنسا استغلال توقف مؤتمر إيڤيان لاتباع اسلوب جديد في الضغط على الحكومة الجزائرية المؤقتة ، فارسلت الى الدول الافريقية المجاورة للجزائر لإثارتهم ضد الجزائر بحجة ان مطالب الجزائر بشأن الصحراء لن تترك لمصالحهم أي مجال . فاسرعت حكومة الجزائر بالاتصال بوزارات خارجية هذه الدول واوضحت لها موقفها من الصحراء . وجاء رد الدول الافريقية المجاورة : « ان موضوع الصحراء يمكن ان يحل بصورة ودية بين الدول الافريقية ذاتها ولكن



الوفد الجزائري في مباحثات إيڤيان

ورغم ما حققته هذه العمليات من نجاح عسكري على مسرح الجزائر فانها لم تنجح في إضعاف ارادة الثورة . ووقف ديغول ينتظر عبثاً مندوبي الحكومة الجزائرية المؤقتة الذين يقدمون له تنازلاتهم . واستمرت الحكومة الجزائرية في إصرارها التام مدعومة بالرأي العام العربي والعالمي دون حدود . وهكذا فان الانتصار العسكري الذي حققته فرنسا لم يضمن لها تحقيق الانتصار السياسي . وامام هذا الموقف بدأ القلق يهيمن على الرأي العام الفرنسي في الجزائر وقسم من الجيش الفرنسي بسبب السياسة الليبيرالية التي حاول ديغول تحقيقها بصورة ملتوية ، ونجم عن هذا الوضع سلسلة من الحوادث التي تفاقمت حدتها وخطورتها . فالمتاريس التي أقيمت في الجزائر العاصمة لم تكن أكثر من شواهد على الانفصال التام بين « الجزائر الفرنسية » والحكومة الفرنسية في باريس . وانضمت الحكومة آنئذ الى سياسة الأسوأ ، فدعمت جبهة التحرير الوطني في حمى التظاهرات في المدن التي أعادت للجبهة هيبتها . واعيد الجنرال شال الى فرنسا بعد ان انتهت مهمته العسكرية . وسمحت هذه الضمانات أخيراً بالمفاوضات في مولان . وتم إطلاق زعماء الجزائر المختطفين منذ عام ١٩٥٣ ليمارسوا دورهم في المفاوضات . وأعقب ذلك ديغول بخطاب ألقاه وتحدث فيه للمرة الأولى عن « الجمهورية الجزائرية » .

وقوبلت اجراءات ديغول العسكرية بمزيد من النقمة في الاوساط العالمية ، وعرضت تونس والمغرب وساطتهما للتسوية ولكن عناد فرنسا أفقدها الافادة من هذه الفرصة . وعندما أعلن ديغول في عام ١٩٦٠ استعداده لفتح باب المفاوضات مع الجزائريين ، رفض الجزائريون شروط فرنسا في المفاوضات ، وطلبوا اجراء استفتاء في الجزائر تحت إشراف هيئة الامم المتحدة . وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٦١ اتخذ مجلس تضامن الشعوب الافريقية – الآسيوية بالاجماع قراراته التي جاء فيها بشأن الجزائر « ان المجلس قرر مطالبة جميع الشعوب والحكومات المستقلة في إفريقية وآسيا بتطبيق المقاطعة الاقتصادية ضد فرنسا والاعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية » . وهاجم المجلس المساعدات التي تقدمها منظمة حلف شمال الأطلسي لاستمرار الحرب الاستعمارية التي تشنها فرنسا على الشعب الجزائري ، وأيد اقتراح الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية باجراء مفاوضات مع حكومة فرنسا وفق الشروط والوسائل التي تمليها ممارسة حق تقرير المصير بحرية تامة . وفي ٣١ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٦١ ناقش مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية الذي عقد في بغداد ، والذي اشترك فيه الجزائريون ، قضية الجزائر ، وأصدر قرارات وتوصيات مهمة لتأييد الجزائر . وفي ١٥ آذار (مارس) ١٩٦١ وخضوعاً لقرار هيئة الأمم المتحدة اعلنت الحكومة الفرنسية أنها على استعداد للدخول في مفاوضات رسمية مع زعماء الجزائر . وفي ١٧ آذار (مارس) ١٩٦١ أعلنت حكومة الجزائر موافقتها على العرض الذي

بعد استقلال الجزائر » . وفشلت المحاولة الفرنسية الاولى . اما المحاولة الثانية فقد تجلت بذهاب جوكس الى الجزائر بعد فشل مؤتمر ايفيان مباشرة للاتصال بزعماء المسلمين وانشاء (سلطة تنفيذية) . واتصل جوكس ومعاونوه بجميع زعماء الجزائر المسلمين وكان جوابهم جميعاً « أن لا تفاوض او تعاون عن غير طريق الحكومة المؤقتة » . وفشلت المحاولة الثانية . اما المحاولة الثالثة فهي « تقسيم الجزائر وفق اقتراح الجمعية الوطنية الفرنسية » . وكان الاصرار على الرفض هو رد الحكومة الجزائرية عن طريق استفتاء شعبي في يوم الخامس من تموز (يوليو) ١٩٦١ . وهو اليوم الذي اطلق عليه اسم « اليوم الوطني ضد التقسيم » حيث اجتاحت الجزائر سهولها وجبالها ، مدنها وقراها ، تظاهرات لم تشهد البلاد لها مثيلا ، مما دعم مكانة الحكومة الجزائرية ، واحبط المخطط الفرنسي . فعادت فرنسا الديغولية من جديد الى الاتصال لاجراء المفاوضات ، وتم ذلك في يوم ٢٠ تموز (يوليو) ، حيث عقد المؤتمر من جديد في لوغران . ولكن هذا المؤتمر اصطدم بقضية الصحراء التي ارادت فرنسا الحصول على امتيازات فيها . ورفض الوفد الجزائري كل شرط يتنافى او يتعارض مع سيادة الجزائر واستقلالها ففشلت المفاوضات وتوقفت ، ثم أعيدت ، واخيراً ، وفي آذار (مارس) ١٩٦٢ توقف القتال رسمياً بين قوات الاستعمار الفرنسي وقوات جبهة التحرير الجزائرية . وامكن الوصول الى اتفاق اعترفت فرنسا بموجبه بحق الجزائر في الاستقلال وتقرير المصير ، والاعتراف للشعب الجزائري بحقوق السيادة على أراضيه ، بعد صراع طويل في سبيل الاستقلال والحرية . وكان سبب انتصار الجزائر نابعاً من وجود استراتيجية صحيحة طبقها الثوريون مقابل أخطاء مستمرة من جانب فرنسا . ومن أخطاء فرنسا تجاهلها لروح العصر ، وعدم وجود استراتيجية واضحة لديها في مجابهة الثورة ، بالاضافة الى عناد الفرنسيين في الجزائر وجهلهم بالتطور الذي كان ينمو ويتعاظم ، وهذا ما يوضح سبب خيبة أملهم والذعر الذي أصابهم عندما جوبهوا بهذا التطور . ويمكن فهم غيظ الجنود الذين كانوا يرون حكومتهم وهي تتخلى طوعاً عن كل ما جهدوا وقاتلوا من اجله عبر سنوات طويلة وقاسية . ومما لا جدال فيه ان تحضيرهم لمثل هذا التحول كان سيئاً جداً ، وان انفجاراتهم نتيجة لذلك كانت طبيعية ، بيد أن هذه الانفجارات كانت خرقاء الى حد بعيد ، وساهمت في تفاقم الأزمة . وكان عمل منظمة الجيش السري (O. A. S.) نوعاً من الانتحار للاستعمار الفرنسي في الجزائر ، كما كان الانقلاب انتحاراً آخر للجيش . وقد سهلت كل هذه الاخطاء مهمة جبهة التحرير الوطني الى حد مذهل ، لا سيما وان جبهة التحرير لم ترتكب ما يستحق الذكر من الاخطاء ، على الرغم من عدم وجود تصميم سابق للخط الاستراتيجي للثورة . فقد سارت الثورة في تطور رائع وفق المراحل التالية : بيان عملي لاظهار وحشية فرنسا والتأثير على الرأي العام ، ثم التوسع بالثورة للاشراف على البلاد بفضل عنف قاس ولكنه معد بصورة جيدة ومحكم بصورة صحيحة بحيث انه لا يصل إلا لأعداء الثورة وفي أضيق نطاق . وبعد ذلك تنظيم جيد للعمل في العاصمة الجزائر وتصعيد الأزمة على المستوى العالمي وانشاء جيش التحرير الوطني في المحرمات المراكشية والجزائرية ، وخلق هوة واسعة في صفوف الرأي العام الفرنسي عن طريق دعاية محكمة بدقة لا سيما فيما يتعلق بموضوع التعذيب والارهاب . واخيراً الدخول في المفاوضات لتحقيق اهداف واضحة ومحددة بدقة . وتعتبر هذه اللوحة المتكاملة نموذجاً رائعاً للحرب الثورية .


إخلاء الجرحى الفرنسيين بالهليكوبتر

(١٢) الثورة الروسية ١٩٠٥

في ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٤ هاجم الاسطول الياباني مرفأ بورت آرثر Port Arthur دون اعلان الحرب ، ودمر اسطولا روسياً ضخماً في معركة غير متكافئة استمرت ٤٥ دقيقة ، اظهر خلالها بحارة السفن الروسية بطولات رائعة ، ولم يستسلموا لقوات العدو فاغرقوا سفنهم . ونزلت القوات اليابانية في كوريا ثم في منشوريا . وفي أيار (مايو) ١٩٠٤ حاصرت القوات اليابانية الحامية الروسية في قلعة بورت آرثر ودارت معارك طاحنة استمرت سبعة أشهر ، وأدت الى سقوط القلعة في ٢٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤ ، وقد فقد اليابانيون خلال هذه المعارك زهاء ١١٠ الاف بين قتيل وجريح ، على حين بلغت خسائر الروس ٣٥ ألفاً وهكذا سيطر الاسطول الياباني على بحر البلطيق .

وفي شباط (فبراير) ١٩٠٥ جرت معركة ضخمة بالقرب من موكدن Mukden هزمت فيها القوات الروسية هزيمة فادحة ، وبلغت خسائرها ٨٩ ألفاً ، على حين خسر اليابانيون ٧١ ألفاً . وكانت خاتمة هذه المعارك معركة تسوشيما Tsushima البحرية . وكانت خسائر روسيا في الحرب الروسية – اليابانية نحو ٢٧٠ ألف قتيل وجريح بالاضافة الى تدمير اكبر اساطيلها .

وفي ٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٥ وقعت معاهدة صلح بين البلدين المتحاربين في قاعدة بورتسموث Portsmouth البحرية بالولايات المتحدة ، حيث أنهت هذه المعاهدة الحرب بين روسيا واليابان ، وتعهدت فيها روسيا بالجلاء عن منشوريا ، والتنازل عن القطاع الجنوبي لسكة حديد منشوريا . وحصلت اليابان على النصف الجنوبي من جزيرة سخالين Sakhaline ، وعلى ملكية الامتياز الروسي الخاص باستئجار جزيرة لياوتونغ Liao-Tung .

وعلى أثر هذه الحرب بدأ التذمر يستفحل بين



مظاهرة عمالية في موسكو (تشرين الاول ١٩٠٥)

صفوف الشعب الروسي نتيجة الهزائم التي ألحقها اليابانيون بالجيوش الروسية من جهة ، ونتيجة استبداد الحكم الاوتوقراطي القيصري من جهة أخرى . وكانت المسألة الزراعية من أهم الاسباب التي ساعدت على اندلاع الثورة . فبدأ التمرد بأن عمت البلاد موجة من المظاهرات والاضطرابات والاضرابات . وبدأ تحرك العمال وتبعهم الفلاحون . وكثرت الاحزاب والمنظمات الشعبية المعارضة ، ومن هذه الاحزاب : حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي ، وهو أهمها ، وحزب الحرس الاحمر الذي ضم عمال المصانع المسلحين ، وحزب المناشفة الأممين وهو مؤلف من عمال بتروغراد بقيادة ليون تروتسكي .

وفي ٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ أضرب عمال مصنع بوتيلوف Potelov ، في بتروغراد (وهو الاسم القديم لمدينة لينينغراد) احتجاجاً على طرد بعض العمال المنتسبين الى المنظمة النابونية (منظمة مؤلفة من عمال المصانع في بتروغراد يقودها الاب جيورجي غابون Georgy Gapon)، وعم الاضراب بتروغراد ابتداء من ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ . وبلغ عدد المضربين ١٥٠ ألف عامل . وتوقفت اكثر المؤسسات الكبرى عن العمل ، كما توقفت الصحف عن الصدور .

وفي يوم الاحد ، في الصباح الباكر من ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ (الموافق ٩ يناير حسب التقويم الروسي القديم) صاغ العمال ، بمعاونة الاب غابون ، عريضة حددوا فيها مطاليبهم . وكان أهمها : إنشاء مجلس تأسيسي ، وتقديم الارض للفلاحين ، وحرية الكلام ، والنشر والاجتماعات ، وتحديد ساعات العمل اليومي بثماني ساعات بدلا من ١٦ ساعة . وتوجه عمال بتروغراد بقيادة الاب غابون ، مع زوجاتهم وأطفالهم بثياب العيد ، نحو المقر الدائم للقيصر نيقولا الثاني في قصره الشتوي في بتروغراد ، يحملون صور القيصر والايقونات ويرتلون الصلوات ، وكانت الحكومة القيصرية على علم مسبق بهذه المظاهرة السلمية ، فأعدت للقائها خيرة قواتها التي تضم الحرس القيصري والقوزاق وفرق الخيالة . وما أن اقترب المتظاهرون من البوابات والجسور المؤدية الى وسط المدينة حتى نفذ الجنود اوامر القيصر فضربوا المتظاهرين بالمدافع والرشاشات الثقيلة . وأعملت فرق الخيالة سيوفها برقابهم رجالا ونساء واطفالا واجهزت على الجرحى منهم . فقتل في هذه المجزرة الرهيبة في يوم واحد اكثر من ألف مواطن ، وجرح ما يقارب الخمسة آلاف . وقد عرف هذا اليوم في التاريخ بيوم الاحد الدموي . وأثارت هذه المجزرة الرهيبة سخط الشعب والجيش معاً ، فهب الملايين من العمال الى السلاح ، ودعوا الى النضال والانتقام والثورة .

وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ قامت في موسكو اضرابات جماهيرية رافقتها مظاهرات سياسية تأييداً للبروليتاريا . وجرت في عدد من المدن اشتباكات عنيفة مع الشرطة والقوات العسكرية . كما اضرب ٤٤٠ ألف عامل من عمال المصانع ، وامتدت موجة الاضرابات الى جميع أنحاء البلاد . وشملت الاضرابات في الشهور الثلاثة الاولى من من العام ١٩٠٥ اكثر من ٨٠٠ ألف شخص .

وهب الفلاحون بعد العمال . ففي كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) ١٩٠٥ انفجرت الانتفاضات الفلاحية في مختلف مناطق روسيا . وفي ١٢ أيار (مايو) عام ١٩٠٥ اضرب عمال الحياكة في مدينة ايفانوفو – فوزنسنسك Ivanovo-Vozinsinsk واستمر اضرابهم حتى اواخر تموز (يوليو) ، وكان اضراباً ضخماً اشترك فيه ٣٠ ألف عامل . وفي هذه الاثناء أنشئت أول منظمة للعمال في روسيا (اول سوفييت (او مجالس) مندوبي العمال) في بتروغراد ، وضمت ممثلي المصانع والعمال ، وكانت مهمتها تنظيم الاضرابات المختلفة وقيادتها . وفي صيف ١٩٠٥ ساند الفلاحون العمال وشملت الاضرابات الفلاحية معظم أرجاء البلاد ، وهاجم الفلاحون أراضي الملاكين العقاريين وأحرقوها . وأنشأوا أول اتحاد سياسي لهم هو « إتحاد الفلاحين » كما أنشئت المليشيا للمحافظة على الامن ، وأنشئت مجموعات قتالية لصد الشرطة والقوات العسكرية . وكان لإنشاء هذه التنظيمات الثورية تأثير على الجيش والاسطول ، فانتشرت الافكار الثورية بين الجنود والبحارة . وكانت انتفاضة السفينة بونيومكي Poniomky (السفينة المتمردة) حدثاً ثورياً ضخماً ، إذ انضمت لأول مرة سفينة حربية كبيرة الى جانب الشعب الثائر . وبقيت ، كما قال لينين : « أرض الثورة التي لم تقهر . »

وفي ١٨ تموز (يونيو) ١٩٠٥ أرسلت الحكومة القيصرية اسطولا بحرياً مؤلفا من ١٢ سفينة لقصف السفينة المتمردة في البحر الاسود . فاتجهت هذه السفينة الى الشواطئ الرومانية للتزود بالوقود والمؤن ، إلا أن الحكومة الرومانية رفضت السماح لها بذلك ، فبقيت هذه السفينة أكثر من اسبوع في البحر الاسود تحت الراية الحمراء تثير الذعر والرعب في السلطات القيصرية التي ظلت تطاردها وتقصفها بمدفعية السواحل حتى أضطرتها في النهاية للتوجه الى رومانيا من جديد والاستسلام للسلطات الرومانية .

وفي أيلول (سبتمبر) من العام نفسه جرى بقيادة البلاشفة إضراب جماهيري شامل قام به عمال موسكو ، واشترك فيه عمال المطابع والخبازون وعمال التبغ وعمال السكك الحديدية . وقاد مجلس السوفييت هذا الاضراب ، فكان كما وصفه لينين بالبرق الاول للعاصفة الذي أضاء ساحة المعركة .

وفي تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٠٥ ، بدأ

اضراب عمال سكة الحديد في موسكو ، وامتد الى بتروغراد ، ثم تحول الى اضراب سياسي في جميع أنحاء روسيا . وقد شل هذا الاضراب المواصلات في الامبراطورية . وتوقف عن العمل اكثر من مليون شخص ، فكان اضراباً ضخماً لم يشهده أي بلد حتى ذلك الحين ، واشترك فيه العمال والمثقفون والاطباء والمهندسون والمعلمون والصحفيون ، وتوقفت الجامعات والمعاهد والمخازن عن العمل .

وفي هذا الوقت انشئ حزبان برجوازيان معارضان للثورة هما : حزب الاكتوبريين (Octobrists) ، وهو حزب يميني يمثل البرجوازية من كبار الصناعيين والتجار . وكانت مهمته الابقاء على نظام الحكم . وحزب الكاديت (Kadet) ، وهو حزب الديمقراطيين – الدستوريين وكان مكوناً من الليبراليين المنتمين الى الطبقات المالكة والمثقفين البورجوازيين ، كما كان حزب الاصلاح السياسي .

وفي نهاية تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٠٥ اندلعت انتفاضة البحارة في سيباستوبول Sibastopole وفلاديفوستوك Vladivostock ، ولكن المدفعية القيصرية قصفت السفن الثائرة فحطمتها ، واستسلم بحارتها فاعدموا . وفي ٧ كانون الاول (ديسمبر) من العام نفسه ، بدأ اضراب سياسي عام تلبية لنداء مجلس السوفييت ، وتوقف عن العمل أكثر من مئة ألف شخص ، لكن القوات العسكرية وقوات الشرطة فرقت المتظاهرين ، وتحول الاضراب الى انتفاضة مسلحة ، فأقيمت المتاريس ، وبدأت حرب الشوارع . وكان النضال عنيداً وقوياً ، وسقط خلاله المئات من الضحايا ، واستمرت المعارك الدموية عشرة أيام وصفها لينين « بقمة الثورة وذروتها » .

ونتيجة لهذه الثورة وقع القيصر نقولا الثاني في ٣٠ تشرين الأول (اكتوبر) (١٧ حسب التقويم الروسي القديم) عام ١٩٠٦ بياناً عرف ببيان اكتوبر منح بلاده بموجبه مجلساً نيابياً (دوما) .

ولقد انتخب مجلس الدوما الاول في ١٠ أيار (مايو) ١٩٠٦ ، ونال فيه حزبا الكاديت والترودوفيك اكثرية الاصوات رغم ان الانتخابات جرت في ظروف قمع بوليسي رافقتها اعتقالات جماعية ، وقد سعى القيصر جهده لاضعاف هذا المجلس لأنه لا يتفق وسياسته الزراعية الرجعية ، إلا أنه لم يتمكن من ذلك ، فأقال رئيسه ويت S. Y. Witte من منصبه ، وعين في ٦ تموز (يوليو) من العام نفسه ستوليبين P. A. Stolypin رئيساً للمجلس بدلا منه ، كما اعلن عن عزمه على تأليف



متراس في شارع أرباتسكايا في موسكو ١٩٠٥

مجلس الدوما الثاني وذلك بالاتفاق مع الرئيس الجديد، ثم حل مجلس الدوما الاول في ٢٢ تموز (يوليو) عام ١٩٠٦ .

لقد كانت الثورة الروسية الأولى ١٩٠٥ ، رغم فشلها وعدم وصول القوى الثورية المشتركة فيها الى السلطة ، وتعرض هذه القوى لعملية قمع رهيبة ، مقدمة لتفجير ثورة ١٩١٧ ، كما كان لها أثرها ونتائجها في الحركات العمالية خارج روسيا . فبتأثيرها اندلعت الثورات في كل من الصين وايران وتركيا ، كما اتسعت الحركات العمالية وتطورت في بلدان اوروبا والولايات المتحدة الاميركية . وأثارت شعور التحرر الوطني في الهند واندونيسيا ومصر وبلدان الشرق الأوسط .

(١-١٣) الثورة الروسية (١٩١٧)

هي أول ثورة اشتراكية منتصرة في تاريخ العالم . قامت بها الطبقة العاملة الروسية متحالفة مع الفلاحين والجنود الروس الفقراء . وبفضلها تمت الاطاحة بسلطة تحالف البورجوازية مع كبار الملاك في روسيا ، وعلى انقاض هذه السلطة أقيمت دكتاتورية البروليتاريا .

في مطلع القرن العشرين ، تهيأت الظروف في روسيا للثورة الاشتراكية ، بعد أن دخلت روسيا القيصرية ، مع الدول الرأسمالية المتقدمة الأخرى ، مرحلة تعفن الامبريالية واحتضارها ، تلك المرحلة التي تمثل ، في الوقت نفسه ، عشية الثورة الاشتراكية. وكانت التناقضات الطبقية في روسيا القيصرية ، في بداية القرن العشرين ، أكثر تعقداً وأشد حدة عنها في الدول الأخرى . ووجدت أكثر أشكال الرأسمالية تطوراً جنباً الى جنب مع بقايا المرحلة الاقطاعية، والأساليب الاوتوقراطية، واستبداد الحكومة وارهابها القمعي . الى جانب كل هذا ، كانت الطبقة القائدة للحركة الثورية الروسية (الطبقة العاملة) تنمو وتزداد قوة في روسيا ، ووصل عدد عمال مصانع السكك الحديدية والبناء والزراعة في العام ١٩١٣ نحو ١٢ مليون عامل . وامتزج الكفاح الطبقي الذي شنته الطبقة العاملة ضد الرأسمالية الروسية ، مع كفاح ملايين الفلاحين الكادحين ضد ملاك الاراضي . ولأن روسيا القيصرية كانت دولة متعددة القوميات ، اتبعت القيصرية سياسة استعمارية مكشوفة في قهر القوميات في الاقاليم التابعة لها ، وهي القوميات التي تتكون اساساً من الفلاحين .

ولقد تضافر الاستغلال الرأسمالي والإقطاعي ، والقهر القومي ، والارهاب البوليسي ، والاستبداد السياسي ، وتعفن بلاط القيصر نيقولا الثاني ، وهزائم القوات المسلحة الروسية أمام القوات الألمانية ، وبؤس الجماهير إلى جوار بذخ الأقلية المستغلة التي أفادت من الحرب وازدادت غنى حتى وصل السخط الجماهيري الى ذرى عالية ، ووصلت البلاد

القيصر نيقولا الثاني رومانوف والقيصرة والحاشية قبل الثورة

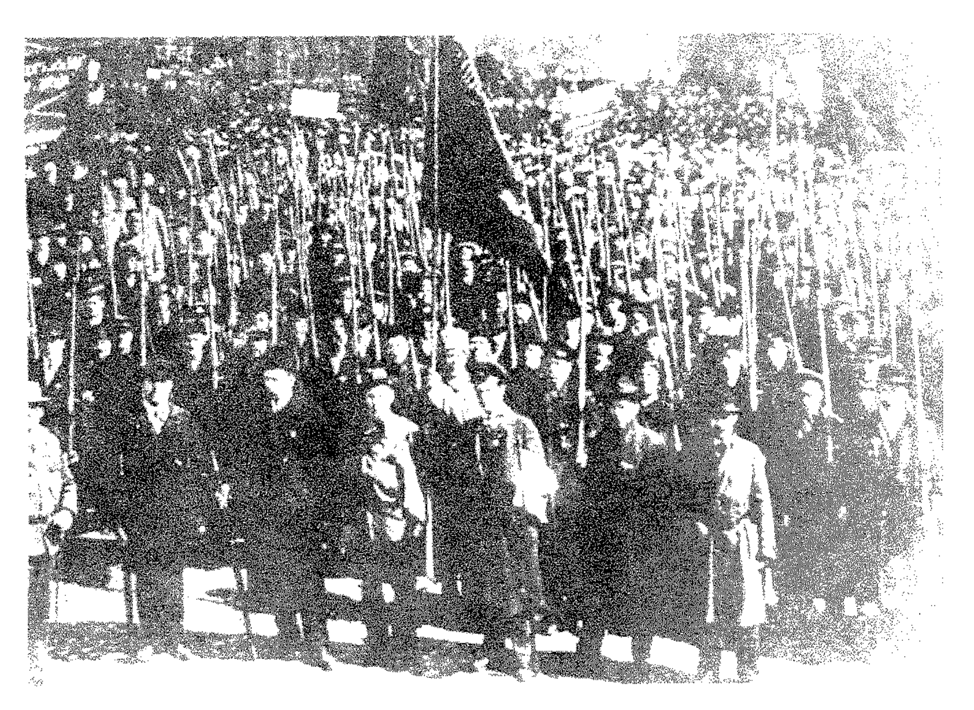
الى ابواب الثورة .

وكانت قد قامت في روسيا ، في العام ١٩٠٥ ثورة بورجوازية ديمقراطية عنيفة ، إلا أنهـا منيت بالفشل ، واعتبرها لينين مجرد « بروفة » لثورة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ . وكانت ثورة شباط (فبراير) (حسب التقويم الروسي القديم الذي يتأخر ١٣ يوماً عن التقويم الميلادي) التي دمرت الاوتوقراطية الروسية ، خطوة هامة قربت ثورة تشرين الاول (اكتوبر) . ولقد سبق هذه الثورة عـدة محاولات قامت بها البورجوازية لإصلاح الاوضاع وانقاذ النظام عن طريق استبداله بنظام دستوري . وكان آخر هذه المحاولات طلب رئيس مجلس الدوما (رودزيانكو) من القيصر في ١٠ شباط (فبراير) ١٩١٧ [تقويم قديم] عزل وزير الداخليـة (بروتوبوبوف) المكروه شعبياً . ولقد رفض القيصر هذا الطلب . وفي ٢/١٤ اضربت ٦٠ مؤسسة صناعية وهتف المتظاهرون ضد الحرب والاتوقراطية ، وفي ١٨ و ٢٢ أضرب عمال مصانع بوتيلوف للاعتدة الحربية . وكان يوم ٢٣ شباط (فبراير) بداية الثورة التي اندلعت على شكل مظاهرات عمالية في بتروغراد اشترك فيها ٩٠ ألف شخص . ثم استمرت الاضرابات والصدامات مع الشرطة في اليوم التالي . واشترك في الاضراب ٢٠٠ ألف عامل ، تظاهروا في بتروغراد ، ونددوا بالحكومة القيصرية . ولم تتخـذ السلطات العسكرية تدابير شديدة لقمع الهبة الجماهيرية ، مع ان تعداد الحامية كان حوالي ١٥٠ ألف رجل . وفي يوم ٢٥ اتسع الاضراب حتى شمل ٢٤٠ ألف عامل واستمرت الصدامات مع الشرطة . ولم يتدخل القوزاق بعنف لقمع المتظاهرين ، مع انهم كانوا يشكلون مع اليونكرز (طلاب المدارس العسكرية) قوة الصدمة التي تعتمد عليها الحكومة لقمع الشغب . امام هذه التحولات الخطيرة ، ابرق القيصر نيقولا في يوم ٢٥ الى الجنرال خابالوف يأمره بوضع حد للفوضى . وفتحت فصيلة من فصائل السيارات المصفحة النار لأول مرة على المتظاهرين . وهدد خابالوف العمال ، وامرهم بالعودة الى اعمالهم قبل يوم ٢٨ ، وإلا فإنه سيرسل الى الجبهة جميع العمال الذين يمكن دعوتهم الى خدمة العلم . وفي ليلة ٢٥ — ٢٦ اعتقلت الحكومة حوالي مائة من المناضلين الثوريين من بينهم ٥ أعضاء من لجنة بلاشفة بتروغراد . ولكن الثوار سيطروا على احياء فيبورغ (ضاحية عمالية من ضواحي بتروغراد) بكاملها ، واستولوا على مراكز الشرطة ، وسيطروا على عدة شوارع في العاصمة نفسها . وفي يوم ٢٦ اتسعت المظاهرات والصدامات وتدخل الجيش ضد الثورة واطلق النار على المتظاهرين . وكان الثوار يحاولون استمالة الجيش وتحييده . وفي المساء تمردت السرية الرابعة من فوج بافلوفسكي ، وتركت الثكنة ونزلت الى الشارع بقيادة ضابط صف واصطدمت مع الشرطة ثم عادت الى الثكنة حيث حاصرها فـوج بريوبرا جينسكي ، وجردها من سلاحها واعتقل عدداً من افرادها . وقام القيصر نيقولا الثاني بحل مجلس الدوما . وفي يوم ٢٧ قرر العمال متابعة النضال ، وكان ذلك يعني العصيان المسلح . ولقد أدى هذا القرار الى اندلاع الثورة بشكل عفوي لم تخطط الاحزاب الثورية له . وحاول العمال استمالة فوج موسكوفسكي وفوج الاحتياط ، ولكن الضباط احبطوا هذه المحاولات ، واطلق الجنود النار على الجماهير التي اخذت تطالب بالسلاح . ونظراً لعدم توفر الاسلحة لدى العمال بشكل مسبق ، فقد بدأ هؤلاء العمال بنزع سلاح الشرطة لاستخدامه ضد الجيش وانتزاع سلاحه ومقاتلته به . وتضافر نضال العمال المسلح ، واساليبهم النفسية لاستمالة الجنود ، وحقد القطعات الاحتياطية على القيادة وعدم ثقتها بها وعدم رغبتها في استمرار الحرب او الذهاب الى الجبهة ، فتمردت الافواج الاحتياطية الموجودة في بتروغراد ، وكان فوج فولهينسكي اول المتمردين وانضم إلى العمال ، وتمرد الفوجان الليتواني وبريوبراجينسكي أيضاً . واستولى العمـال الثوريون على الأسلحة من الثكنات ومن مخافر الشرطة ومستودعاتها . وتضافرت الحركة الثورية العمالية مع الحركة الثورية للجنود الذين نزلوا الى الشارع ، واخذتا تعملان معاً لكنس النظام القديم . وانضم فوج موسكوفسكي الى الثورة التي صارت تملك سيارات مصفحة ورشاشات وآلاف البنادق . ووقعت اشتباكات بين العمال والجنـود الثوريين من جهة ، واليونكرز وقوى الثورة المضادة وبعض قطعات الجيش من جهة اخرى . وانتشرت الانتفاضة داخل الجيش كالنار . وفي مساء ٢٧ انضم فوج سيمينوفسكي الى الثورة . وحاول خابالوف قمع الثورة بالقوة ، ولكن القوات التي كان يرسلها لتنفيذ المهمات كانت تختفي وسط الجماهير . لذا حاول التمترس في مقر الشتاء وتحويله الى قلعة حصينة والاتصال مع كرونشتادت لاستقدام قوات تقمع الثورة ، ولكن العدوى الثورية كانت قد انتقلت الى مختلف المناطق . وعندما احس خابالوف بأن تدابيره غدت بلا جدوى هرب من مقر قيادته في مساء ٢٧ ولم يعتقل إلا في اليوم التالي . وفي يوم ٢٨ ترك القيصر مقر قيادته العليا ، واعتكف في تساركويه — سيلا ، وتم توقيف وزراء الحكومة القيصرية . واعلن الاضراب العام في موسكو .

هكذا وبكل سهولة انهار النظام القـديم ، واستولت الجماهير على السجون واطلقت سراح الموقوفين السياسيين ، وسيطرت على جميع المؤسسات الحيوية في المدينة ، واقامت في قصر توريد هيئة اركان ثورية ، واعتقلت اعداء الثورة . وتحقق انتصار

الثورة بثمن صغير ، اذ قدر عدد الضحايا في بتروغراد بـ ١٤٤٣ قتيلا وجريحاً ، من بينهم ٨٦٩ عسكرياً كان بينهم ٦٠ ضابطاً .

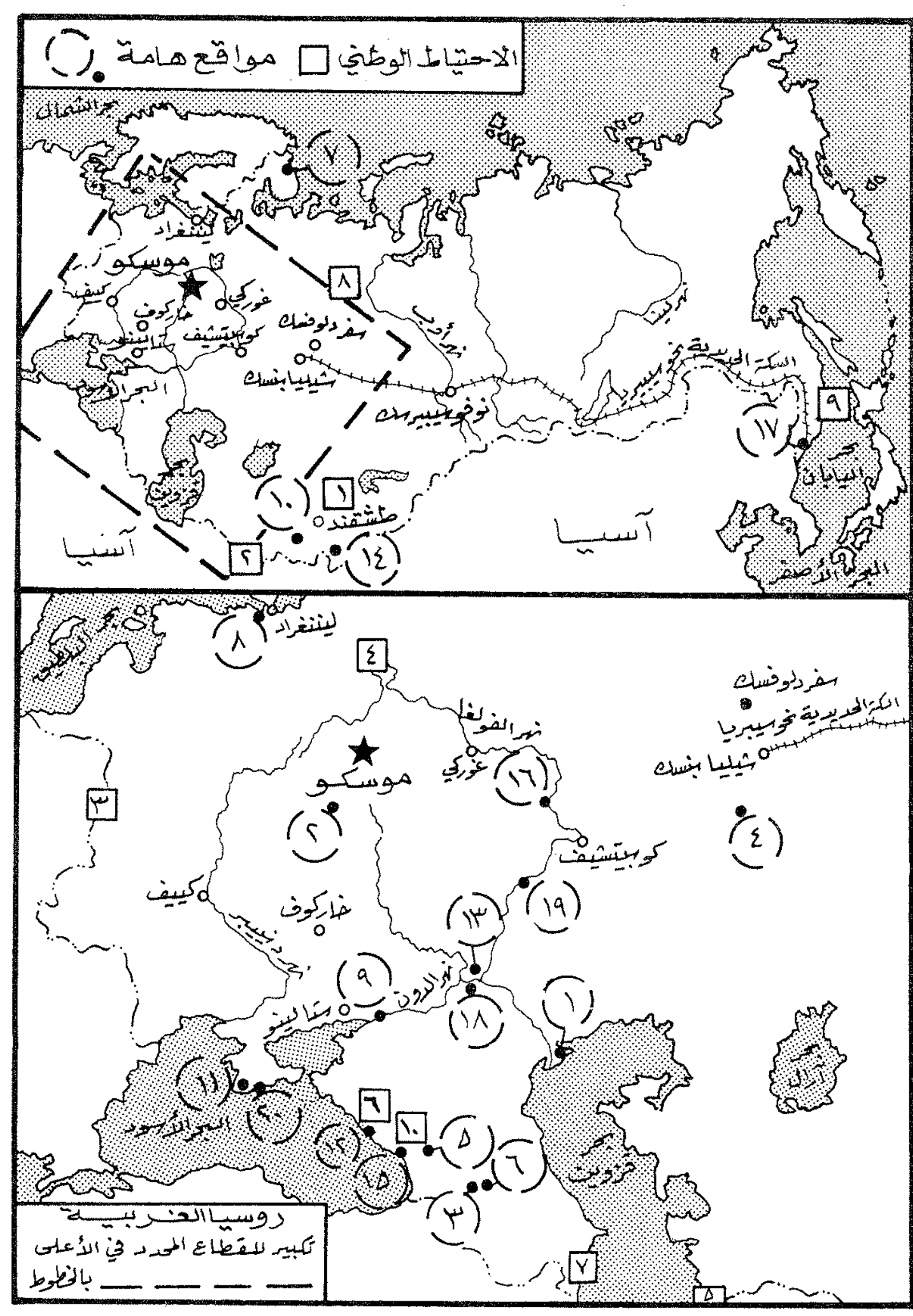
وعلى أثر نجاح الثورة تشكلت مجالس السوفييتات (سوفييتات العمال والفلاحين والجنود) . وفي ٢ آذار (مارس) تشكلت حكومة مؤقتة بورجوازية برئاسة الامير لفوف واستقال القيصر لصالح أخيه ولي العهد الأمير ميخائيل . ولكن ميخائيل استقال في اليوم التالي وتقرر عقد مجلس تأسيسي لتحديد شكل الدولة الروسية المقبل . وفي ٨ آذار (مارس) جرى توقيف نيقولا الثاني وفرض الإقامة الاجبارية على العائلة الامبراطورية في تساركويه سيلا . وكان هناك ازدواج واضح في السلطة بين الحكومة المؤقتة والسوفييتات المنتشرة في كل انحاء البلاد . ولقد طالب الشعب الروسي بعد نجاح الثورة بانهاء الحرب الاستعمارية التي كانت روسيا تخوضها الى جانب الحلفاء ، واقرار السلام ، وإلغاء ملكية كبار ملاك الارض ، وتخفيض ساعات العمل ، كما طالب باطلاق الحريات الديمقراطية ، ووقف القهر القومي . الا ان الحكومة المؤقتة تجاهلت مطالب الشعب هذه ، ووصل بها الامر الى حد انها لم تعلن إلغاء النظام الملكي ، انتظاراً لاول فرصة تمكنها من إعادة القيصر الى عرش روسيا . واعلنت في ٢٧ آذار (مارس) عن عزمها على متابعة الحرب « حتى النصر النهائي » . ورفضت مجالس السوفييتات التي يهيمن عليها ممثلو البورجوازية الصغيرة (المناشفة ، والاشتراكيون الثوريون ، والفوضويون) اخذ زمام السلطة بيدها . وبسبب تمتع البلاشفة بتأييد الشعب المسلح ، أصبحوا مؤهلين للاستيلاء على السلطة دون إراقة دماء ، ودون الحاجة الى تفجير انتفاضة مسلحة . وفي الثالث من نيسان (ابريل) ١٩١٧ [بالتقويم الروسي القديم] عاد لينين الى روسيا من منفاه في سويسرا داخل عربة قطار مغلقة حملته مع ٣٠ ثورياً روسياً منفياً عبر المانيا وبإذن من حكومتها . وفي اليوم التالي اطلع قادة الحزب البلشفي على خطته الرامية الى الانتقال بالثورة من مرحلتها البورجوازية الديمقراطية الى الثورة الاشتراكية . وبعد ثلاثة أيام من وصول لينين ، نشرت « البرافدا » ، جريدة الحزب البلشفي التي انتقلت بعد الثورة البورجوازية من السرية الى العلن ، موضوعات لينين التي تشير الى انتهاء المرحلة الأولى من الثورة ، تلك التي أوصلت البورجوازية الى السلطة ، وبداية المرحلة الثانية التي يجب ان تنتهي بانتقال السلطة الى ايدي الطبقة العاملة المتحالفة مع الفلاحين الكادحين ،



مفارز من الحرس الأحمر تستعرض في ١٩١٧/٥/١

والى ضرورة تحول الثورة البورجوازية الديمقراطية ، الى ثورة اشتراكية . وطالب لينين باتباع تكتيكات مؤداها : عدم الثقة بالحكومة المؤقتة ، وعدم مساندتها ، مع فضحها أمام الشعب نظراً لأنها أدارت ظهرها لمطالبه في السلام والخبز والحرية والأرض . واقناع الشعب بأن سوفييتات نواب العمال والجنود هي المؤهلة للاستجابة الى مطالب الشعب وتحقيقها . ومن هنا رفع الحزب البلشفي شعار : « كل السلطة للسوفييتات » . ووضع لينين منهاجاً لنشاط السوفييتات تضمن ما يلي : في الميدان الدولي ، النضال في سبيل عقد صلح ديمقراطي عام . في الميدان الاقتصادي ، تأميم جميع المصارف ، وإنشاء مصرف شعبي واحد موحد ، وتأميم احتكارات السكر والتعدين ، وفرض رقابة السوفييتات على كل انتاج وتوزيع المنتوجات . في الميدان الزراعي ، مصادرة اراضي الملاك بدون أي تعويض ، وتأميم جميع الاراضي الزراعية في روسيا . في الميدان القومي ، منح شعوب الأقاليم التي تسيطر عليها روسيا حق تقرير المصير .

وفي ٢٤ نيسان (ابريل) [حسب التقويم القديم] . نعقد المؤتمر الثاني للحزب البلشفي الروسي ، فصادق على خطة لينين للانتقال الى الثورة الاشتراكية . وبدأ الحزب البلشفي نشاطاً ضخماً بين جماهير الشعب الروسي ، لتعبئتها في وجه الرأسمالية ، ومن أجل إنجاز الثورة الاشتراكية . وفي أول أيار (مايو) ١٩١٧ ، احتفل العمال الروس بعيد العمال العالمي ، لأول مرة بشكل علني . وفي هذه الاحتفالات جرى التنديد باستمرار الحكومة الروسية في الحرب . وفي اليوم التالي خرجت مظاهرتان في شوارع بتروغراد : الأولى صغيرة الحجم ، تحركها الحكومة المؤقتة ، وتدعو الى الاستمرار في الحرب ، والثانية بلشفية ، ضمت نحو مائة ألف عامل ، تطالب بنقل السلطة للسوفييتات . وفي هذه اللحظة التي وضعت فيها الحكومة في مأزق حرج ، هرع المناشفة والاشتراكيون الثوريون الى مد يد المساعدة للحكومة ، فشاركوا في ٥ أيار (مايو) في تشكيل حكومة مؤقتة ائتلافية من ممثلي الاحزاب البورجوازية (الكاديت أساساً) ، ترأسها الأمير لفوف . وتوالت مظاهرات الاحتجاج ضد الحكومة في موسكو وفي مدن الاورال وفي المراكز الصناعية الاخرى . وأخذت قطاعات واسعة من العمال والجنود في بتروغراد تنفض من حول الاشتراكيين الثوريين والمناشفة . وبدأ العمال يسحبون من السوفييتات النواب المناشفة والاشتراكيين الثوريين ، ليحلوا مكانهم نواباً بلاشفة. وازداد مع الأيام عدد المؤيدين للبلاشفة بين عمال وجنود بترغراد . وبالرغم من تعاظم نفوذ البلاشفة ، الا ان نفوذ الاشتراكيين الثوريين والمناشفة ظل هو السائد في روسيا . واتضح ذلك جلياً في المؤتمر الأول للسوفييتات المنعقد في بتروغراد في ٣ حزيران (يونيو) ١٩١٧ [تقويم قديم] . فقد حضر جلسات



المواقع الهامة ومناطق الاحتياط الوطني في روسيا

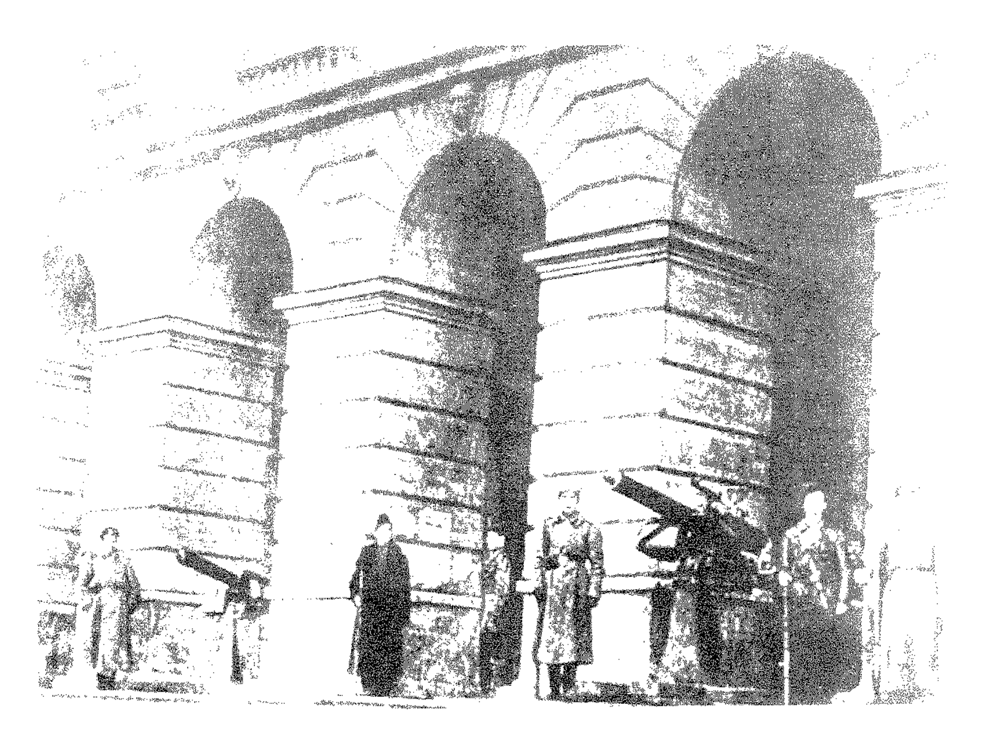
المؤتمر زهاء ألف مندوب ، لم يكن البلاشفة يمثلون وسطهم سوى اكثر من العشر بقليل . واستغل المناشفة والاشتراكيون الثوريون الأغلبية ، ومرروا في المؤتمر مشروعهم بتحبيذ سياسة التحالف مع البورجوازية . ورد البلاشفة بالدعوة الى إقامة مظاهرة في بتروغراد ، في العاشر من حزيران (يونيو) . إلا أن المؤتمر منع المظاهرة ، عشية اليوم المحدد لقيامها . عندها قررت اللجنة المركزية للحزب الباشفي إلغاء المظاهرة ، تجنباً منها للصدام مع السوفييتات . وفي محاولة لامتصاص نقمة العمال ، عاد المؤتمر وقرر إقامة مظاهرة في الثامن عشر من حزيران (يونيو) [تقويم قديم] ، ولكن تحت شعار الثقة في الحكومة المؤقتة . ودعا البلاشفة العمال الى الاشتراك في هذه المظاهرة ، ولكن تحت شعار «كل السلطة للسوفييتات» . وفي اليوم الموعود تجمع نحو ٥٠٠ ألف من العمال والجنود ، سارت أغلبيتهم تحت الشعار البلشفي ، في حين رفعت قلة لافتة «الثقة» بالحكومة . وخافت الحكومة من النفوذ المتزايد للبلاشفة . ولجأ زعماء البورجوازية الى الوسيلة التقليدية لاغتيال الثورات ، وهي ضربها بحجة حماية مؤخرة جبهة القتال . فقررت شن هجوم عسكري على القوات الألمانية ، فاذا نجح هذا الهجوم ، توطدت سلطة الحكومة ، مما يسهل عليها مهمة قمع القوى الثورية ، أما اذا فشل ، فستلقى اللوم على البلاشفة ، الذين يقفون ضد الحرب ويفسدون معنويات الجيش الروسي . وجاء توقيت الهجوم موافقاً ليوم قيام المظاهرة .

ولقد مني الهجوم الروسي بقيادة الجنرال بروسيلوف وتحت إشراف وزير الحربية كيرنسكي بفشل ذريع ، بسبب سوء تحضيره ، مما أعطى الفرصة للقوات الألمانية كي تشن هجوماً مضاداً ، وتستولي على رقعة واسعة من الاراضي الروسية ، وعلى كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر ، كما أسرت العديد من الجنود الروس . وفي الهجوم الروسي والهجوم الألماني المضاد خسرت القوات الروسية نحو ٦٠ ألف بين قتيل وجريح . وفي الثاني من تموز (يوليو) ترك وزراء الكاديت الحكومة الائتلافية المؤقتة . وبمجرد فشل الهجوم ، بدأت الحكومة الروسية في تنفيذ خطتها ، فشددت الصحافة الموالية لها الهجوم على البلاشفة ، بدعوى أنهم أحبطوا الهجوم الروسي بدعاياتهم ضد الحرب . إلا أن سخط الجماهير الكامن سرعان ما انفجر بصورة عفوية ، ففي ٣ تموز (يوليو) [تقويم قديم] نظم جنود فوج الرماة الأول المرابط في بتروغراد ، مظاهرة مسلحة ضد الحكومة ، وأرسلوا مندوبيهم الى المصانع والى بقية افواج حامية بتروغراد ، يحثونهم على الانضمام الى المظاهرة . ولقد انضم اليهم في مساء ٧/٢٣ جنود ٩ قطعات عسكرية بالاضافة الى بحارة كرونشتادت وعمال المصانع الذين تجمعوا في ساعة متأخرة من الليل أمام قصر توريد وأخذوا يطالبون باسقاط الحكومة المؤقتة وتسليم السلطة للسوفييتات . وكان البلاشفة بقيادة لينين قد عارضوا القيام بالمظاهرة ، إذ رأوا أن الظروف لم تنضج بعد لاسقاط الحكومة . فالقوى الثورية الموجودة في العاصمة تكفي للاستيلاء على السلطة ، الا ان الحفاظ على هذه السلطة كان مستحيلا ، بسبب ثقة البلاد وقوات الجبهة بالحكومة ، مما يجعل وقوف أغلبية الشعب ضد الثورة امراً مرجحاً . إلا أن البلاشفة عجزوا عن كبح جماح الجماهير الهائجة ، وقرروا السير في مقدمتها لتنظيمها .

وفي الرابع من تموز (يوليو) [تقويم قديم]

خرج أكثر من ٥٠٠ ألف شخص الى الشوارع ، تحت شعار : « كل السلطة للسوفييتات » . وضمت المظاهرة فصائل من الحرس الأحمر ومن بحارة كرونشتادت والجنود الثوريين . وتردد زعماء اللجنة التنفيذية للسوفييت ، وتمركزت الحكومة المؤقتة في قصر ماري ، واستقدمت من جبهة القتال قوات مضمونة (فرقة الخيالة ١٤ ، وفوج قوزاق الدون ، وفرقة من الأوهالانس ، وفوج ايسبورسكي ١٧٧ ، وفوج مالوروسيسكي) وفتحت هذه القوات النار على المظاهرة وشتتت الجنود والعمال . وفي ليلة ٤ - ٥ تموز (يوليو) حطمت الفصائل الموالية للحكومة مقر صحيفة « البرافدا » ومطبعتها . وعهدت الحكومة الى فصيلة خاصة من اليونكرز (طلبة المدارس العسكرية) البحث عن لينين واعتقاله أو قتله . إلا أن لينين تمكن من الاختفاء مع عدد من قادة البلاشفة .

وحاولت الحكومة المؤقتة إقامة دكتاتورية للثورة المضادة ، وشنت حملة اعتقالات واسعة ، في الشهر نفسه ، ضد البلاشفة ، وسحبت الوحدات العسكرية الثورية من بتروغراد ، وأرسلتها الى الجبهة . وفي الجيش أعيد العمل بعقوبة الاعدام في ٢٧ تموز (يوليو) . وتم اعتقال آلاف الجنود لرفضهم تنفيذ الاوامر الصادرة اليهم ، وتم اعدام العديد منهم رمياً بالرصاص . وانتقلت السلطة بكاملها للبورجوازيين . عندها تأكد الحزب البلشفي ان امكانية وصول العمال والفلاحين الكادحين الى السلطة بطريقة سلمية قد اختفت . واستبدل البلاشفة تكتيكاتهم الكفاحية بما يتلاءم مع الأوضاع الجديدة ، فمنذ ٢٧ تموز (يوليو) وحتى بداية آب (اغسطس) [تقويم قديم] انعقد في بتروغراد ، بصورة شبه سرية ، المؤتمر السادس للحزب البلشفي ، الذي بلغت عضويته ، آنذاك ، ٢٤ ألف عضو . وقرأ ستالين التقرير السياسي الذي أعده لينين ، الغائب عن المؤتمر . ولقد ذكر لينين في تقريره ان من المستحيل على الطبقة العاملة الروسية أخذ السلطة بصورة سلمية ، اذ لا يمكن الاستيلاء على السلطة الا بالقوة ؛ بعد اسقاط حكومة الثورة المضادة . ورأى لينين أن شعار « كل السلطة للسوفييتات » لم يعد يناسب الوضع الجديد ، بعد أن أصبحت السوفييتات ذيلا للحكومة البورجوازية . ودعا لينين المؤتمر الى تشديد الكفاح لكسب السوفييتات الى جانب البلاشفة . وأقر المؤتمر خطة اعداد الانتفاضة المسلحة لإسقاط حكم الرأسمالية . وصادق المؤتمر على خطة الحزب الاقتصادية ، التي صاغها لينين فيما عرف بـ « موضوعات لينين » . وهي التي رأت أن اقتصاد


عمال وجنود يحرسون قصر سمولني في بتروغراد ١٩١٧


مفرزة من الحرس الأحمر أمام قصر سمولني في بتروغراد ١٩١٧

روسيا يتدهور ، وأن الشعب يعاني من الجوع والفقر المدقع ، وأن قيمة النقد الروسي في هبوط مستمر ، في حين اشتدت التبعية لرأس المال الأجنبي ، مما حول روسيا الى شبه مستعمرة للامبرياليين الأجانب . وانتهت الخطة الى أن انقاذ روسيا لا يتم إلا باسقاط الحكومة البورجوازية ، وبنقل السلطة الى الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين .

وفي هذا المؤتمر ضمت الى الحزب الفرقة التي كان يرأسها تروتسكي ، كما ضم الجناح اليساري من المناشفة و « الانتر - ديستريكت » . ودعا المؤتمر الى مضاعفة النشاط وسط الجماهير الروسية ، ورص صفوف كل القوى الثورية الروسية ، من أجل إسقاط ديكتاتورية البورجوازية . وفي ١ آب (اغسطس) تم إبعاد نيقولا الثاني وعائلته إلى طوبولسك في سيبيريا (ولقد بقي القيصر هناك حتى أعدم في العام ١٩١٨) .



كانت الهزيمة العسكرية في الجبهة عاملا محركاًللثورة

وفي خريف ١٩١٧ أوصلت سياسة الحكومة المؤقتة روسيا الى حافة كارثة وطنية ، بعد أن اتسعت أعمال التخريب في الصناعة وفي وسائط النقل ، وتناقصت المواد الخام والوقود مما تسبب في إغلاق مئات المصانع ، وانتشرت البطالة بين العمال ، واختفت معظم مواد التموين الرئيسية ، وارتفعت اسعار كل السلع ، وكادت البلاد أن تشهر افلاسها ، بعد أن أغرقت الحكومة المؤقتة الأسواق بالعملة الورقية دون غطاء ذهبي ، وارتكنت الحكومة المؤقتة ، بالكامل ، على القوى الاستعمارية الغربية ، حتى وصلت ديونها من هذه الدول الى حوالي ٦٠ ألف مليون روبل من الذهب ، ووقعت اضرابات عمالية واسعة ، وتوقف ٧٠٠ ألف من عمال السكك الحديدية عن العمل مطالبين بتحسين شروط حياتهم ، وما كادت الحكومة تسوي أمر هذا الاضراب حتى أضرب عمال التعدين والأحذية ، وتبعهم ٣٠٠ ألف من عمال النسيج . وتميزت هذه الاضرابات عما سبقها من اضرابات ، بطرد العديد من أصحاب العمل ، واستيلاء العمال على ادارة المصانع . واشتعلت هبات فلاحية في سائر انحاء روسيا .

وفي ٢١ آب (أغسطس) سقطت ريغا بيد الالمان . واستغل الجنرال كورنيلوف القائد العام للجيش الروسي هذه الفرصة وحاول القيام بانقلاب عسكري في ٢٧ آب (اغسطس) لإقامة ديكتاتورية عسكرية . وتحركت قواته باتجاه العاصمة . وهنا تضافر البلاشفة مع الحكومة ، واحبطوا المؤامرة الانقلابية . وألقي القبض على كورنيلوف . وعين كيرنسكي قائداً عاماً للجيوش الروسية في ٣٠ آب (اغسطس) ، مما أجج حركة الفلاحين ، فهبوا يطالبون بالارض ، وسيطروا ، في الشهر نفسه ، على ٤٤٠ ضيعة من كبار الملاك . وفي الشهر التالي فرضوا سيطرتهم على ٩٥٨ ضيعة اخرى . وفي ٣١ آب (اغسطس) [بالتقويم القديم] وافق سوفيات بتروغراد على مشروع قرار قدمه النواب البلاشفة بنقل السلطة الى السوفييتات ، فسارع كيرنسكي ، في اول ايلول (سبتمبر) ، الى تشكيل حكومة مديرين من خمسة أعضاء ، وأعلنت الجمهورية الروسية . وفي ٥ أيلول (سبتمبر) وافق سوفيات موسكو على قرار بنفس معنى قرار سوفيات بتروغراد ، وتوالت بقية السوفييتات في تبني قرارات مماثلة . وانحازت حاميتا بتروغراد وموسكو الى صف البلاشفة في الكفاح ضد الحرب الاستعمارية ومن أجل إقرار السلام . وحدث الشيء نفسه مع اسطول البلطيق ، ومع جنود الجبهتين الشمالية والغربية . وتعاظمت حركة التحرر القومي في الأقاليم التي تهيمن عليها روسيا . وفي الوقت نفسه كانت الحكومة المؤقتة تعاني أزمة مستمرة في السلطة ، وجدت تعبيرها في التغيير المستمر في مجلس الوزراء . وعمت الفوضى صفوف المناشفة ، وانفصل عنهم فريق سمى نفسه « الاشتراكيون الديمقراطيون الأمميون » ، وطالب هذا الفريق بضرورة التحالف مع البلاشفة ، وظهر جناح يساري في الحزب الاشتراكي الثوري ، سرعان ما تبلور في حزب « الاشتراكيين الثوريين اليساريين » ، وبادر الى التحالف مع البلاشفة . وتطور الموقف ، حين رفضت « القاعدة » العيش بالطريقة القديمة ، في حين عجزت « القمة » عن الحكم بالطريقة القديمة . ودولياً ، كانت القوى الامبريالية مشتبكة مع بعضها البعض في حرب ضارية ، ولم يكن بوسعها وقف هذه الحرب والتفرغ لوأد الثورة في روسيا . وبذا تكون الأزمة الثورية قد نضجت ، إذ أصبحت الظروف الموضوعية والذاتية مواتية لاشعال الانتفاضة المسلحة ضد الحكومة المؤقتة .

وفي منتصف أيلول (سبتمبر) [حسب التقويم الروسي القديم] أرسل لينين ، من منفاه الاختياري بفنلندا ، عدة رسائل الى اللجنة المركزية للحزب البلشفي ، والى لجنتي بتروغراد وموسكو ، أكد فيها على ضرورة اسراع البلاشفة في الاستيلاء على السلطة في روسيا . وفي السابع من تشرين الاول (اكتوبر) [تقويم قديم] عاد لينين من فنلندا الى بتروغراد ، متخفياً . ومنذ العاشر من الشهر نفسه ، عقدت اللجنة المركزية للحزب البلشفي عدة اجتماعات ، ترأسها لينين ، وكانت بهدف مناقشة الاستعدادات للثورة وخطوات تنفيذها ، كما انتخبت مكتباً سياسياً من سبعة أعضاء . وقرأ لينين ، في الاجتماع الأول (١٠/١٠) تقريراً عن ضرورة اشعال الانتفاضة المسلحة . وصادقت اللجنة المركزية على مشروع القرار الذي صاغه لينين ، والقائل بحتمية الانتفاضة ، وان الظروف الموضوعية والذاتية تامة النضوج . إلا ان اثنين من أعضاء اللجنة المركزية ، هما كامنييف وزينوفييف ، عارضا هذا القرار ، في حين أيده ٢٠ من أعضاء اللجنة المركزية وامتنع ثلاثة آخرون عن التصويت . وكان عدد أعضاء الحزب البلشفي قد بلغ ، حينذاك ، زهاء ٤٠٠ ألف عضو . وعن هذه الدورة للجنة المركزية انبثقت « اللجنة العسكرية الثورية » ، وترأسها لينين بنفسه . وأشرفت هذه اللجنة على مجمل الأعمال في الاعداد وقيادة الانتفاضة المسلحة . وانتشر مندوبو اللجنة المركزية للحزب البلشفي في المناطق الصناعية الروسية بهدف قيادة الانتفاضة . وشكلت اللجنة التنفيذية لمجلس سوفيات بتروغراد لجنة ثورية عسكرية ، ترأسها بودوفويسكي . وأرسلت اللجنة مفوضيها الى كافة الوحدات العسكرية المرابطة في العاصمة وضواحيها . واستكملت قوى الثورة

استعداداتها لشن الهجوم. وفجأة نشر كامنييف وزينوفييف خبراً في صحيفة «نوفاياجيزن» المنشقية عن معارضتهما للانتفاضة التي قررت تفجيرها اللجنة المركزية للحزب البلشفي. وفي الرابع والعشرين من تشرين الأول (اكتوبر) [حسب التقويم الروسي القديم]، ٦ تشرين الثاني (نوفبر) [حسب التقويم الميلادي] دعا لينين قوى الثورة الى «حسم الأمر هذا اليوم، بالذات مساء أو ليلاً». وطلب من اللجنة المركزية للحزب البلشفي السماح له بترك مخبئه في ضاحية فيبورغ والتوجه الى سمولني حيث يجتمع سوفييت بتروغراد، واللجنة المركزية البلشفية، واللجنة العسكرية الثورية بصورة مستمرة. ولكن اللجنة المركزية طلبت منه التريث فترك مخبأه واتجه إلى سمولني. وما ان وصل الى مكان الاجتماع حتى أعطت اللجنة العسكرية الثورية الأمر بشن الانتفاضة المسلحة.



ثوار سوفيات في شوارع بتروغراد

واكتظت بتروغراد ليلة ٢٤ – ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) [حسب التقويم القديم] بفصائل الحرس الأحمر والجنود والبحارة الثوريين وبسيارات الشحن التي تقل المواطنين المسلحين. وبناء على أوامر الحزب البلشفي ولينين، قائد الحزب، احتل الحرس الأحمر والجنود والبحارة الثوريون محطات السكك الحديدية والجسور ومراكز المواصلات ومحطات الكهرباء ودوائر الحكومة ومصرف الدولة. وتم الاستيلاء على هذا المصرف تجنباً لخطأ «كومونة باريس» القاتل، التي لم تجرؤ على المساس بأصحاب المصارف، مما أسلمها للافلاس والجوع. ومخر الطراد الموالي للبلاشفة «أورورا» مياه نهر نيفا، وتوقف عند جسر نيكولايفسكي. وفي صباح يوم ٢٥ كانت أغلب بتروغراد في أيدي الثوار البلاشفة، وان احتفظت قوات الثورة المضادة ببضع مراكز في وسط المدينة، بما فيها «قصر الشتاء»، حيث قبع وزراء الحكومة المؤقتة، تحت حماية كتيبة من اليونكرز، في حين هرب رئيس الحكومة كيرينسكي، سراً من بتروغراد، في سيارة السفارة الاميركية، واتجه إلى قطعات القوزاق المسحوبة من الجبهة، بغية العودة معها إلى العاصمة. وسرعان ما صفت قوات الثورة جيوب قوات الثورة المضادة في بتروغراد. وحتى مساء ٢٥ تشرين الأول (اكتوبر) [بالتقويم الروسي القديم] ظل «قصر الشتاء»، محاصراً بقوات كثيفة من الحرس الأحمر والجنود والبحارة الثوريين. وفي الساعة ٢١ دوت فوق نهر نيفا وبتروغراد، القنبلة الأولى من مدافع الطراد «أورورا»، إشارة للبدء في الهجوم على «قصر الشتاء». وبعد ساعات قليلة احتلت قوات الثورة القصر، حيث اعتقلت الوزراء السابقين، وأودعتهم قلعة بطرس وبولص، حيث كان القيصر يسجن الثوار من قبل. ورفرف العلم الأحمر فوق العاصمة الروسية بتروغراد.

وفي مساء السادس والعشرين من تشرين الأول (اكتوبر) [تقويم روسي قديم] افتتحت جلسة مؤتمر السوفييتات الثاني، الذي ضم اكثر من ٦٥٠ مندوباً، منهم نحو ٤٠٠ بلشفياً، وقرابة ١٨٠ من الاشتراكيين الثوريين اليساريين، وبقي للاشتراكيين الثوريين والمناشفة ما بين ٧٠ و ٨٠ مندوباً، غادر معظمهم مكان المؤتمر، في حين انضمت بقيتهم إلى أغلبية المؤتمر. واتخذ المؤتمر قراراً بانتقال السلطة كلها الى السوفييتات. وألقى لينين في المؤتمر تقارير عن السلام والأرض، اشار فيها الى ان البلاشفة عرضوا على حكومات البلدان المتحاربة جميعها الشروع فوراً بمفاوضات لعقد صلح ديمقراطي عام، بدون الحاقات ولا تعويضات، أي بدون الاستيلاء على أراضي الغير، وبدون ابتزاز التعويضات الحربية من المهزوم، مع منح جميع الامم والشعوب الحق في تقرير مصيرها. واقترح لينين على المؤتمر اقرار «مرسوم الأرض»، الذي ينص على مصادرة جميع أراضي الملاك والأديرة والعائلة القيصرية، بلا تعويض، وتمليكها للشعب. وشكل المؤتمر الحكومة السوفياتية، التي حملت، آنذاك، اسم «مجلس مفوضي الشعب». وتم تعيين لينين رئيساً لهذه الحكومة، كما انتخب المؤتمر اعضاء «اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا» واختار كامنييف رئيساً لهذه اللجنة (في ٨ تشرين الثاني (نوفبر) استبدله بسفيردلوف). وفي إطار الحكومة السوفياتية تم تشكيل «لجنة الشؤون العسكرية والبحرية»، التي ضمت بلاشفة من ذوي الخبرة العسكرية، وهم: انتونوف، وأوفسيينكو، والملازم الثاني كريلينكو، والبحار ديبينكو (رئيس اللجنة المركزية لأسطول البلطيق). وكانت هذه اللجنة أول هيئة حكومية سوفياتية للادارة العسكرية. وبعد فترة وجيزة أضيف الى هذه اللجنة أعضاء جدد، وتحولت الى «مفوضية الشعب للشؤون العسكرية والبحرية».

ولم تستسلم قوات الثورة المضادة للهزيمة، فقاد كيرينسكي مع الجنرال كراسنوف وحدات من القوزاق من مدينة أوستروف في اتجاه بتروغراد، بهدف استردادها من الثوار. وفي ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) [حسب التقويم الروسي القديم]، احتل القوزاق بقيادة كراسنوف «غاتشينا» الواقعة جنوب غربي العاصمة. وفي اليوم التالي احتلوا «تسارسكويه – سيلو» وتقدموا حتى مسافة ٢٠ كيلومتراً من العاصمة، في الوقت الذي احبط فيه الثوار البلاشفة محاولة قام بها طلبة المدرسة العسكرية للتمرد في بتروغراد. وتكاتفت فصائل الحرس الأحمر ووحدات حامية بتروغراد والمدفعية والسيارات المصفحة وسفن أسطول البلطيق الحربية في مواجهة هجوم القوزاق. ونجح الحرس الأحمر والقوات الثورية في وقف تقدم القوزاق والانتصار عليهم على مرتفعات بولكوفو في ٣٠ – ٣١ تشرين الاول (اكتوبر)، واجبارهم على التراجع نحو «غاتشينا». مما هيأ الفرصة للثوار

آخر صورة للاسرة المالكة « رومانوف » مع الحرس الامـبراطوري .

كي ينتقلوا من الدفاع الى الهجوم .

وطلب قسم من القوزاق التفاوض مع البلاشفة ، فتوجه ديبينكو يرافقه بحار ثوري واحد ، مساء الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) [تقويم قديم] الى « غاتشينا » ، حيث يتمركز مقر قيـادة القوات الرئيسية للقوزاق ، ونجح في اقناع جموع القوزاق بوقف القتال ضد البلاشفة وتسليم غاتشينا ، بل وتقرير اعتقال كيرينسكي وكراسنوف ، وتسليمهما للحكومة السوفياتية . وفي اليوم التالي أصدرت « اللجنة الثورية العسكرية » بلاغاً عن العمليات ، أعلنت فيه دحر قوات كيرينسكي ، واعتقال كافة أركانه ، وعلى رأسهم كراسنوف وفويتينسكي ، في حين هرب كيرينسكي متخفياً في زي بحار .

واعتباراً من السابع والعشرين من تشرين الاول (اكتوبر) [تقويم قديم] نشبت في شوارع موسكو اشتباكات دامية ، سرعان ما تحولت الى معركة حقيقية ، بين قوات الثورة وقوات الثورة المضادة . وتصدت فصائل الحرس الأحمر ، والجنود الثوريون ، لقوات الثورة المضادة ، التي نجحت في الاستيلاء على الكريملين وبعض المواقع الهامة في موسكو ، وسارع عمال تولا وفلاديمير وغيرهما من المدن المجاورة لموسكو الى نجدة ثوار موسكو . وترأس فرونزه الفصيلة المؤلفة من عمال مدينتي ايفانوفو وشويا لمؤازرة الثوار في موسكو . ومن بتروغراد وصلت فصائل البحارة الثوريين . وخاض الثوار معارك طاحنة ضد قوات الثورة المضادة ، لانتزاع المواقع التي تسيطر عليها . وفي ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) [تقويم قديم] أعلنت اللجنة الثورية العسكرية تدمير قوات الثورة المضادة في موسكو ، بعد معركة دامت خمسة أيام ، وانتصار السلطة السوفييتية في باكو وبسكوف .

ونشب العديد من الاشتباكات والمعارك الأخرى ، من أجل إقامة سلطة السوفيات ، في كييف وخاركوف وطشقند وفلاديفوستوك ومعظم ارجاء سيبيريا وغيرها من المناطق الروسية . في حين تم انتقال السلطة الى البلاشفة في كثير من المناطق بشكل سلمي . وفي ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) تم احتلال مقر قيادة موجيليف العليا من قبل القوات السوفييتية .

وحاز الحزب البلشفي ، أثناء ثورة تشرين الأول (اكتوبر) ، على تأييد وحدات كبيرة من القوات المسلحة الروسية . في حين وصل حجم « الحرس الأحمر » في العاصمة وحدها زهاء ٤٠,٠٠٠ مسلح ، بينما انتشر ٢٠٠ ألف آخرون من عناصر « الحرس الأحمر » في أنحاء روسيا . ووصل عـدد الجنود الثوريين في حامية بتروغراد ، الى حوالي ١٥٠ ألف رجل ، وفي أسطول البلطيق ، المؤيد للبلاشفة ، بلغ عدد المؤيدين للبلاشفة نحو ١٨٠ ألف بحار ، يعملون على متن ٧٠٠ سفينة حربية وقارب مساعدة . وانضم مئات الألوف من الجنود الثوريين في جيش الميدان وحاميات مؤخرة القوات المسلحة الى الثورة البلشفية . وانعزلت الحكومة المؤقتة عن جماهير الشعب الروسي ، وعن الوحدات العسكرية الروسية . ولم يقف الى جانب الحكومة المؤقتة من القوات المسلحة الروسية سوى اليونكرز ، حتى وحدات القوزاق التي كانت أمل الحكومة الرئيسي ، فانها لم تغادر ثكناتها ، عاصية بذلك أوامر الحكومة . وفي بتروغراد نجحت الثورة البلشفية دون إراقة دماء ، نسبياً ، في حين اتسمت مقاومة القوى المضادة للثورة بالعنف في موسكو ، مما ضاعف عدد الضحايا لدى الطرفين .

وفي نهاية العام ١٩١٧ وخلال العام ١٩١٨ ، تم تأميم المشروعات الصناعية الكبرى ، والبنوك ، والنقل ، والتجارة الخارجية . وحررت السلطة السوفياتية شعوب روسيا من القهر القومي ، واعلنت المساواة والسيادة الكاملتين لشعوب روسيا كلها . وفي ٣ آذار (مارس) ١٩١٨ ، توصل السوفيات الى السلام ، وانسحبت روسيا من الحرب العالمية الأولى ، بعد عقد معاهدة بريست ليتوفسك . ولكن الحرب الداخلية لم تلبث أن اندلعت ، وساعد على اندلاعها تدخل الدول الامبريالية (انظر الحرب الاهلية الروسية وحرب التدخل) .

شكل إعلان حقوق العمال والشعوب المستغلة أساس الدستور السوفياتي الأول (١٩١٨) ، « دستور جمهورية روسيا الاشتراكية السوفياتية المتحدة » . وفتحت الثورة الروسية صفحة جديدة في تاريخ العالم . وانقسم العالم بها الى نظامين متعارضين : النظام الاشتراكي والنظام الرأسمالي . وكانت هذه الثورة بداية عصر الثورات الاشتراكية في الدول الرأسمالية ، وحركة التحرر الوطني . ومهدت السبيل الى الاشتراكية . وتكمن أهمية هذه الثورة ، في النمط الجماهيري الذي قدمته في مجـال المؤسسات الثورية ، ألا وهو السوفييتات . ولم تكن تلك السوفييتات من صنع حزب سياسي ، بل من صنع الجماهير ذاتهـا ، ابتكرها العمال إبان الثورة الروسية الأولى الفاشلة (١٩٠٥) . وفيها رأى لينين النموذج المسبق للسلطة الجديدة . وفي ثورة شبـاط (فبراير) ١٩١٧ ، انبعثت السوفييتات من جديد وانتشرت في عموم روسيا . ونتيجة لانتصار ثورة تشرين الاول (اكتوبر) تحولت السوفييتات من هيئات لتعبئة الجماهير ولاعداد الانتفاضة المسلحة الى هيئات لسلطة جديدة ، هي سلطة العمال والفلاحين . ووفرت السوفييتات أحسن الامكانيات لاشراك جماهير الكـادحين في ادارة الدولة الجديدة وفي بناء الاشتراكية . وقضت ثورة تشرين الأول (اكتوبر) على خطر تقاسم روسيا بين الامبرياليين الأجانب ، وضمنت توطيد استقلال روسيا . وحطمت هذه الثورة نظام الامبرياليـة الروسي الذي طالما عانت منه الشعوب التابعة لروسيا القيصرية . ونالت هذه الشعوب حريتها ، وحقها في تقرير مصيرها . وأمنت ثورة تشرين الاول (اكتوبر) الشروط والظروف للتغلب على تأخر روسيا الاقتصادي والثقـافي المزمنين . وكانت انتصاراً للماركسية – اللينينية ، وأكدت بصورة ملموسة ، لجميع الكادحين أهمية وفعالية الحزب الماركسي الثوري .

ولثورة تشرين الأول (اكتوبر) أهمية عالمية كبيرة . فلأول مرة في تاريخ البشرية تنتصر الطبقة العاملة المتحالفة مع الفلاحين الكادحين في تحقيق ثورة وإقامة دولة مترامية الاطراف ، وتضم مساحات شاسعة من أوروبا وآسيا . وبذا انفصل عن النظام الامبريالي بلد يبلغ عدد سكانه عند الثورة اكثر من ١٥٠ مليون نسمة ، ويشغـل سدس الكرة

الارضية . ويملك إمكانات اقتصادية هائلة . ومن هنا شكلت هذه الثورة ، بحق ، انعطافاً حاسماً في تاريخ البشرية ، حيث أطلقت المبادرات الثورية للعمال في العالم ، كما دفعت حركات التحرر الوطني خطوات واسعة الى الأمام ، ودشنت بداية نضال البشرية للتحرر من نير الامبريالية . وأطل فجر عصر جديد على العالم ، عصر انتهاء الرأسمالية وتصفية الامبريالية ، عصر بناء الاشتراكية .

(٨) ثورة الريف المغربي (١٩٢٠–١٩٢٦)

بدأت فرنسا باحتلال الجزائر عام ١٨٣٤ . وفي العام ١٨٧٠ ، اعلنت فرنسا ان الجزائر جزء منها ، وجعل لها نواب يمثلونها في الجمعية الوطنية الفرنسية . وفي العام ١٨٨٣ ، احتلت فرنسا تونس وارغمت الباي على توقيع معاهدة بوضع بلاده تحت الحماية الفرنسية . وفي العام ١٩٠٤ ، عقدت فرنسا مع ايطاليا اتفاقاً يطلق يدها في المغرب نظير اطلاق يد ايطاليا في طرابلس (انظر الثورات الليبية) . كما عقدت اتفاقاً مماثلا مع بريطانيا لقاء إطلاق يد بريطانيا في مصر . وعقدت اتفاقاً ثالثاً مع اسبانيا يبيح لها احتلال المغرب .

بيد ان تدخل المانيا ومناصرتها للمغرب حمل فرنسا على تأجيل مخططها حتى عام ١٩٠٧ حيث انزلت قواتها في الدار البيضاء وخلعت السلطان عبد العزيز في عام ١٩٠٨ ، وثبتت مكانة السلطان عبد الحفيظ . وفي عام ١٩١١ ، ارسل السلطان عبد الحفيظ الى فرنسا يطلب حمايتها لاخضاع الثورات التي جابهته نتيجة لاستعانته بفرنسا على خلع أخيه عبد العزيز . وتدخلت المانيا . ثم عقد اتفاق بين فرنسا والمانيا اعترفت فيه المانيا بحق فرنسا في احتلال المغرب لقاء احتلال المانيا للكاميرون .

وفي عام ١٩١٢ ، وقع السلطان عبد الحفيظ اتفاقية مع فرنسا وضع فيها بلاده تحت الوصاية الفرنسية ثم لم يلبث ان تنازل عن العرش لأخيه السلطان يوسف . وتنازلت فرنسا لاسبانيا ، وفقاً للاتفاقية المعقودة بينهما ، عن المنطقة المعروفة باسم الريف الاسباني الواقع شمال المغرب وغربيها . ونسقت الدولتان تعاونهما بالنسبة الى ادارة الحكم . وكانت هذه الادارة تشابه الى حد بعيد ما كانت تطبقه فرنسا في الجزائر وتونس . فاستصدرتا من السلطان مراسيم يصبح بموجبها المقيم العام الفرنسي والاسباني الواسطة الوحيدة بينه وبين الدول الاجنبية . وكان هذا المقيم العام القائد الاعلى للقوات المسلحة البرية منها والبحرية ، وهذا ما جعله يمارس دوراً مزدوجاً . فهو يمثل دولته (فرنسا او اسبانيا) من جهة ، ويمثل المغرب سياسياً وعسكرياً . ونتيجة لهذا الاجراء ، فقد الغيت وزارة الخارجية في المغرب ، واصبحت الحكومة المحلية ذات دور اداري فقط ، وانشئت في دار المقيم العام مكاتب سياسية ومدنية وعسكرية لمساعدته في واجباته واعماله المزدوجة ، واصبح هو مصدر السلطات كلها .

بدأت حركة مقاومة الاحتلال الفرنسي–الاسباني للمغرب منذ الايام لتوقيع اتفاقية الحماية . واستقبلت جماهير الشعب العربي الاتفاقية بالنقمة والاستنكار وتحولت هذه النقمة الى ثورة اهتزت لها البلاد . وقد يكون من الصعب فصل ثورة الريف الاسباني (الذي تم تحديده بموجب الاتفاقية في حدود عشرين ألف كيلومتر مربع) وعزلها عن ثورة المغرب التي لم تهدأ في يوم من أيام الاحتلال . ولكن ثورة الريف أخذت طابعاً خاصاً نظراً لظهور قيادة قوية تمثلت في شخص الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي ، الذي عرف عالمياً باسم عبد الكريم .

ولد الامير محمد في « أجدير » قرب « مليلة » . ونشأ في بيئة قيادية تعرف ما يدور عالمها المعاصر من صراعات استعمارية ومطامع توسعية فأدرك الامير منذ نعومة اظفاره الاخطار المحدقة ببلاده ، وما يتوجب عليه من مسؤوليات وواجبات تجاه قومه ووطنه .

كان والد محمد عبد الكريم رائد النضال في قومه . ويقول الامير محمد عن البداية المبكرة للنضال : « ... كان الريف طوال الاحتلال الاسباني مستقلا ، ولم تحتله اسبانيا بعساكرها ، وكانت دائماً تخشى سطوة أهله ، ولكن مظالمهم كانت تمتد شرق الريف وغربه ، ولجأ الاهالي الى والدي مستغيثين فأرسل والدي للاسبان مهدداً بأنه اذا لم تعدل اسبانيا عن سياستها الحمقاء والكف عن ايذاء الاهالي في المنطقة التي يحتلونها شرقاً وغرباً فانه سيحاربهم ... »

في عام ١٩١١ ، ومع المراحل الاولى لاحتلال المغرب ، قتل بعض اهل الريف ستة من العمال الاسبانيين الذين كانوا يعملون في مناجم الحديد ، فكان هذا الحادث مبرراً لتدخل اسبانيا التي دفعت جندها لاحتلال العرائش في حزيران (يونيو) ١٩١١ . وفي العاشر من الشهر نفسه كانت قد احتلت القصر الكبير . ثم تابعت القوات الاسبانية توسعها تدريجياً بحيث انها لم تحتل تطوان إلا في ١٩ شباط (فبراير) ١٩١٣ .

وفي عام ١٩١٥ ، تزايد ضغط القوات الاسبانية واستفزازاتها للجماهير العربية في المغرب فوجه والد الامير محمد انذاره للسلطة الاسبانية ، فاقدمت هذه على اعتقال ابنه محمد عبد الكريم الخطابي ، وكان قاضي القضاة في مليله باسم خليفة تطوان ، وتألف مجلس عسكري لمحاكمته . ولما انتهت المحاكمة الصورية التي قاموا بها ، نقل الى المعتقل حيث وضع في قلعة مليله ، ومكث أحد عشر يوماً في سجن انفرادي . وعلم ان نتيجة محاكمته كانت البراءة نظراً لعدم وجود مواد تدينه في القانون ، بسبب جنسيته « كراكشي » . فاستمروا في اعتقاله رهينة عن والده . وقرر محمد عبد الكريم الهروب من معتقله ، وقام بالقفز من أعلى برج في القلعة بواسطة حبل معلق على طرف حديدي . فلما تدلى به لم يصل الحبل الى الارض ، وبقي فترة معلقاً في الفضاء ، وعندها أراد القفز للوصول الى الارض ، وكانت ليلة عاصفة لم تمكنه من التحكم بوضعه فسقط على قدمه اليسرى التي أصيبت بكسر أفقد الامير الخطابي وعيه ، وعثر عليه الحرس فأعادوه الى المعتقل . وتابع والد الامير ثورته رغم اعتقال ابنه ورغم التهديدات التي وجهت اليه ، فلم يجد الاسبان مفراً من اطلاق سراح محمد عبد الكريم الذي توجه فوراً الى قاعدة الثورة .

كانت الحرب العالمية الاولى مبرراً لتجميد الاوضاع في المغرب العربي ، وعندما انتهت الحرب ، تابعت اسبانيا ضغطها لاحتلال الاجزاء الباقية من الريف ، فاعلن والد محمد عبد الكريم الجهاد ، وانذر الاب السلطة الاسبانية بايقاف الاعمال الاستفزازية ، ولكن السلطة الاسبانية استمرت في تنفيذ مخططاتها ، ونظراً لتقدم الاب في العمر ، وإصابته بالمرض ، فقد حمل محمد عبد الكريم أعباء والده ، واخذ على عاتقه قيادة قوات الثورة . واستجابت القبائل العربية لنداء الثورة . فأخذت في الانضمام الى قوة محمد عبد الكريم حتى اصبح لديه جيش شبه نظامي . واستمرت اعمال الصدام مع القوات الاسبانية على شكل اشتباكات صغرى . وزجت السلطة الاسبانية قوة كبرى مكونة من ٢٥ ألف مقاتل واستطاعت ان تحتل بلدة « انوال » ، فعمل محمد عبد الكريم على قيادة قوة لا تزيد على ألف مقاتل ، وقام بتنظيم هجوم مباغت ونجح في احتلال « أنوال » ، وإبادة الحامية المدافعة عنها ، والاستيلاء على ما كانت تضمه القلعة من سلاح وذخائر ومواد تموينية (انظر انوال ، معركة) . وكان لهذه المعركة عام ١٩٢١ اصداء بعيدة في الداخل

والخارج ، فقد عزز النصر ارادة الثائرين الذين اخذوا في الانضمام الى قوات الثورة من كل أنحاء المغرب واعلان تأييدهم لها ، في الوقت الذي أصيبت فيه السلطة الاسبانية بخيبة أمل مريرة ، وكانت خسائرها فادحة فقد غطت جثث القتلى وارتال الاسرى والجرحى مسافة خمسة أميال ، واستولى الثوار في « أنوال » على عشرين الف بندقية ، وبضعة ملايين من الطلقات .

ونظراً لتزايد قوة الثورة وارتفاع عدد المقاتلين حتى ١٦٠٠ مقاتل ، فقد تم تقسيم القوة الى قسمين ، بحيث يعمل القسم الاول تحت قيادة محمد عبد الكريم الخطابي في الشرق ، على حين يعمل القسم الثاني تحت قيادة شقيقه محمد في الغرب من الريف . واخذ محمد عبد الكريم في تصعيد عملياته وتحويل حرب العصابات الى حرب نظامية . وحقق انتصارات حاسمة على القوات الاسبانية المتفوقة في عددها وتسليحها تفوقاً ساحقاً . ثم أخذت القوات الاسبانية تنهار أمام عنف الضربات المتلاحقة لقوات الثورة ، بحيث لم ينته عام ١٩٢٤ حتى اصبح معظم المناطق الاسبانية تحت سيطرة محمد عبد الكريم . فأعلن الامير استقلال الريف وانشأ جمهورية تولى رئاستها واخذ يمارس سلطاته ويدعم مكانة ثورته . وكرس جهده للبناء الداخلي بالاضافة الى متابعة تطور الاحداث ومراقبة التفاعلات داخل اسبانيا ذاتها .

لم تكن الاعمال القتالية لتصرف محمد عبد الكريم عن الاهتمام بالشؤون الداخلية للريف ، وما تتطلبه مرحلة الثورة من تطوير للبلاد ، فكان يسهر على توطيد الأمن ، ويعمل على القيام بالاصلاحات في جميع المجالات كالادارة والمالية والتجارة والزراعة وتوسيع نطاق التعليم وارسال البعثات العلمية الى اوروبا والاهتمام بالامور الصحية ورعايتها ، علاوة على إقامة شبكة من الطرق لربط البلاد بعضها ببعض بهدف توثيق عرى التضامن ، وتدعيم الجبهة الداخلية .

وفي مجال الاستعداد القتالي ، استطاع محمد عبد الكريم تنظيم قواته وتوفير الأمن لها ، وركز اهتماماً خاصاً لتأمين شبكة استخبارات دقيقة ، وكان يعتمد في عملياته على المعطيات التالية : الحصول على معلومات دقيقة عن استعداد الجيش الاسباني وتحركاته ، والحصول على معلومات دقيقة عن الوضع الداخلي في اسبانيا ، وعن مخططات الحكومة الاسبانية ، واتخاذ تدابير الحذر والحيطة تجنباً لكل مباغتة قد تقوم بها القوات الاسبانية ، واحاطة عملياته بنطاق محكم من السرية ، وعدم الكشف عن اهداف العملية وواجباتها إلا عند البدء بتنفيذها .

ومن اجل حرمان الاسبان من وسائل استطلاعهم نظم الامير قوة لاحتلال إحدى جزيرتين قريبتين من الريف كانت القوات الاسبانية تستخدمها للتجسس ضد الريف . وعلى الرغم من بدائية الوسائل المتوفرة للثائرين فقد نظم محمد عبد الكريم حامية للدفاع عن الجزيرة ، كما نظم الاتصال مع الحامية لتوفير الامداد والتموين لها بصورة مستمرة .

حاولت السلطة الاسبانية الاتصال مرات عديدة مع محمد عبد الكريم والدخول معه في مفاوضات لاحتواء اندفاعه الثوري واغرائه بالحكم مقابل إلقاء السلاح ، ولكن هذه المحاولات انتهت الى الفشل ، وتابع الامير انتزاع البلاد من القوات الاسبانية حتى لم يبق منها في نهاية عام ١٩٢٤ سوى بعض المدن الساحلية المحصنة مثل مليله ، وسبته ، لأنهما كانتا محصنتين تحصيناً قوياً ، وتدافع عنهما حامية اسبانية قوية .

ولقد كان للخسائر الفادحة التي تكبدتها الدولة الاسبانية في حربها ضد الريف ، وللهزائم القتالية التي منيت بها قواتها ، دور حاسم في تغيير الموقف ، فقد ثار الرأي العام الاسباني واعلن استنكاره لهذه الحرب ، كما شاع التمرد بين قوات الجيش ، واخذ الموقف في التدهور ، فاضطر رئيس حكومة اسبانيا « بريمو دي ريفيرا » الى استنفار جميع قوات الجيش الاسباني ، كما استأنف المفاوضات مع جمهورية الريف ، فأصر الخطابي على « مطلب الجلاء عن المغرب ، ودفع تعويضات مالية كبيرة من المال ، وتقديم اعداد من المدافع والطائرات لقوات الجمهورية المغربية » ، فرفضت حكومة اسبانيا طلب محمد عبد الكريم واخذت في الانسحاب من المراكز الدفاعية الثانوية لتركيز جهدها في المواقع الهامة ، وتم خلال هذه العملية الجلاء عن مائتي مركز مما اعطى ثورة الريف حرية اكبر في العمل .

ومقابل ذلك ، وامام هذا الموقف الاسباني ، اخذت الدولتان الاستعماريتان انكلترا وفرنسا تستشعران الخطر من وراء النجاحات التي تحققها ثورة الريف ، وتقدران أهمية امتداد لهيب الثورة الى المغرب العربي كله بصورة خاصة والقارة الافريقية بصورة عامة لا سيما وان شخصية الامير الخطابي وبساطته ، اخذتا تستقطبان عناصر الثورة في كل مكان ، وبصورة خاصة في المنطقة ما بين نهر السنغال والبحر الابيض المتوسط . ولهذا اخذت الدولتان الاستعماريتان في تحريض رئيس الحكومة الاسبانية « بريمو دي ريفيرا » على الصمود في وجه الثورة . وبدأ العمل المشترك لاجهاض الثورة من الداخل مع تطويقها من الخارج وعزلها عن كل اتصال . وعينت فرنسا الماريشال « بيتان » لقيادة العمليات في المغرب ، وعهدت اليه بتنسيق التعاون مع القوات الاسبانية ، واخذت الاساطيل البريطانية تتوجه الى السواحل المقابلة للريف وتعمل على احكام الحصار حولها .

واستطاعت السلطات الاسبانية – الفرنسية ان تجتذب الى جانبها بعض العملاء والعناصر الانتهازية التي انتظمت لمجابهة اعمال الثورة ، ورغم ذلك فقد استطاعت الثورة الصمود للمؤامرات الداخلية وتجاوزها ، وتكتيل القوى الجماهيرية في مواجهة العدو المشترك . وافادت السلطات الفرنسية من الاشتباكات بين القوى الوطنية والقوات الاسبانية فوجهت قواتها في أيار (مايو) ١٩٢٤ ، واستطاعت احتلال « ودغة » بهدف حصار الثورة واحكام طوق العزلة حولها . وتابعت السلطات الاسبانية تنفيذ مخططاتها ، فاعادت تنظيم قواتها في شهر تموز (يوليو) ١٩٢٤ ، وقامت بانزال قواتها في «الحسمية» بدعم من الاسطول الفرنسي ، وقامت هذه القوات باحتلال « أجدير » . وفي الوقت ذاته كانت بقية القوات والحاميات الاسبانية تتقدم في اتجاه الشرق للالتقاء بالجيش الاسباني القادم من « مليله » ، واستمر هجوم الاسبان ثلاثة أسابيع ، استطاع الامير خلالها ان يحافظ على مواقعه ، وأن يجابه الهجمة الشرسة بصمود رائع وعناد كبير ، وان يلحق بالقوات الاسبانية خسائر فادحة ، حتى وصل عدد قتلى القوات الاسبانية الى اربعة آلاف قتيل . وبدأت القوات الاسبانية تعاني من الصعوبات المتزايدة ، فانسحبت عن اكثر المناطق التي تم احتلالها . ورغم الخسائر الكبيرة التي لحقت بقوات الثورة ، فقد خرجت من المعركة وهي اكثر ثقة بنفسها واكثر تصميماً على متابعة النضال .

استمر الصراع المرير حتى ١٥ آب (اغسطس) ١٩٢٤ . واستطاعت قوات الثورة ان تلحق بالقوات الاسبانية هزيمة ثانية ، وتحولت المعركة الى عمليات استنزاف لقوى الجانبين . واستمر الوضع كذلك حتى نيسان (ابريل) ١٩٢٥ ، حيث فتح الفرنسيون جبهة للتخفيف عن الاسبان . وكان تدخل الفرنسيين امراً مباغتاً لقوات الثورة التي وصلت في تلك المرحلة الى ذروة انتصاراتها . واصبح على الامير ورجاله مجابهة الخطر الجديد الذي زاد تعقيداً بإنزال القوات الاسبانية في « أجدير » بحيث أصبحت جبهة القتال تمتد مسافة ثلاثمائة كيلومتر ، مما كان يخلق أمام

قوات الثورة صعوبات كثيرة.

أمام هذا الموقف، وجه محمد عبد الكريم الخطابي مندوبين عنه لاستنفار القبائل. واخذت قوات الثائرين وانصارهم تتدفق من الاطلس لدعم الثورة. واخذ المغرب في الهيجان. فقاطع الشعب مدارس الحماية (خاصة في ناحية فاس) وتعاظم الخطر الذي اصبح يهدد الوجود الفرنسي في المغرب، وفي المستعمرات الفرنسية الافريقية كلها. واستطاعت قوات الثورة الافادة من هذا الدعم، ففرضت سيطرتها على «تازه» و «تطوان».

وعاودت السلطة الاسبانية العمل بالاساليب التقليدية من أجل كسب الوقت، ففرضت على الامير عبد الكريم إيقاف القتال والدخول في مفاوضات لتحقيق السلم والامن والاستقرار في ربوع الريف. ولكن هذه المحاولات كانت تصطدم في كل مرة بمطالب الامير عبد الكريم التي كانت تشكل الحد الادنى لتطلعات جماهير الثورة.

شعرت فرنسا من خلال الاحتكاك بقوات الثورة وعبر الصراع الدائم معها ان وثاق العروبة والاسلام هو الذي كان يجمع فصائل الثورة المختلفة، فاخذت في التمهيد لتطبيق «الظهير البربري» (الذي لم يعلن عنه رسمياً إلا في عام ١٩٣٠، حيث تم استصدار مرسوم بهذا المشروع)، وكان الهدف من تطبيق «الظهير البربري» هو التفريق بين المسلمين عربهم وبربرهم، وتجزئة وحدة النضال، وتوجيه فصائل الثورة بعضها ضد بعض.

وكانت منطلقات «الظهير البربري» تستهدف فصل المسلمين البربر عن المسلمين العرب، والاعتراف بكيان بربري متميز عن الكيان العربي، وبعادات وتقاليد بربرية مختلفة عن العادات والتقاليد العربية والاسلامية، وتكوين هيئات قبلية للنظر في أمور القبائل البربرية وفق عاداتها وتقاليدها القديمة، وبعث هذه التقاليد والعادات التي كانت قبل انتشار الاسلام في افريقية، وتعيين أمين سر فرنسي لكل هيئة من أجل «الاسهام» في حل المشكلات الطارئة، وتوجيه الهيئة وفق السياسة التي تضعها السلطة الفرنسية لتمزيق وحدة المسلمين من عرب وبربر، وارسال المبشرين الى القبائل بعد الادعاء بأن أصل البربر اوروبي، وان دينهم الاصيل هو المسيحية، وان العروبة والاسلام اجنبيان وغريبان عن حياة المغرب.

كانت سياسة «الظهير البربري» قبل الاعلان عنها بصورة رسمية تصطدم بمقاومة الثائرين وتدفعهم الى مزيد من التلاحم. وكانت جميع محاولات التفرقة تنتهي بالفشل أمام صمود الثائرين، ولهذا اصبح القضاء على الثورة هو الهدف الاول للسلطات الفرنسية - الاسبانية. فاخذت في الاعداد لحملة كبرى تستطيع بواسطتها الوصول الى قاعدة الثورة وتصفيتها. واستمرت حرب الاستنزاف طوال عام ١٩٢٥. وكانت مواقع الثورة تعاني من الضعف المتزايد نتيجة للخسائر المستمرة التي لم يكن تعويضها ممكناً، على حين كان باستطاعة القوات الاسبانية تعويض خسائرها باستمرار، ورفد المعركة بالاسلحة والاعتدة والمواد التموينية والرجال. واخذ ميزان القوى في التحول لصالح القوات الاسبانية.

في ربيع عام ١٩٢٦، حشدت فرنسا في مسرح العمليات على حدود الريف قوة كبيرة مكونة من ١٢٠٠٠٠ جندي، تقودهم مجموعة من القادة تضم ٥٢ ضابطاً برتبة جنرال، وجهزت هذه القوة بالأعتدة الضخمة والأسلحة الثقيلة، وكان يدعم هذه القوة ٢٢ سرباً من الطائرات. وتم تنسيق التعاون بين القوات الفرنسية والاسبانية لبدء الهجوم العام. وقامت قطع الاسطول البريطاني بحصار الساحل.

وكانت قوة محمد عبد الكريم الخطابي آنذاك لا تزيد على خمسة آلاف مقاتل. وكانت هذه القوة تفتقر الى الاسلحة الثقيلة والاعتدة الضرورية التي توفر المرونة لحركة القوات وتنقلها. كما كانت الذخائر المتوفرة محدودة. علاوة على الافتقار الى المواد التموينية. وفي هذه الفترة لم يكن الخطابي يأمل في الحصول على مساعدات خارجية سواء على المستوى العربي - الاسلامي او على المستوى العالمي، فقد كانت الهجمة الاستعمارية في أوجها، وكانت قوى التحرر العالمي تعاني من قسوة الضغوط الاستعمارية، وكان العالم العربي خاضعاً بمجموعه لقوى الاستعمار. وعرف محمد عبد الكريم ان الموقف يائس، فقد كان عليه مجابهة قوة ربع مليون مقاتل على جبهتين تدعمهم البوارج والمدمرات والقطع البحرية واسراب الطائرات، وهو لا يملك سوى خمسة آلاف مقاتل فقط، لا أمل لهم في الحصول على دعم خارجي. ورغم ذلك فقد قرر الامير خوض المعركة حتى نهايتها. وانطلقت فصائل الثورة فخاضت مع القوة الاستعمارية معارك غير متكافئة على الجبهتين الفرنسية والاسبانية. واستطاع المناضلون اظهار بطولات رائعة، وتحقيق انتصارات لا تتناسب مع الموقف أو حجم قوتهم. واخذت قوات الحلف الاسباني - الفرنسي تقترب من قاعدة الثورة، وتنتزع منها مواقعها واحداً بعد الآخر، حتى وصل الأمر الى مرحلة خطيرة اصبح معها موقف الثائرين مهدداً بالفناء التام. وتقدمت فرنسا في هذه المرحلة لممارسة دور المنقذ، بهدف توفير الجهد وتجنب المزيد من الخسائر. فعرضت على الامير الصلح، وارسلت اليه عهداً مكتوباً تلتزم فيه برعايته وأسرته، مع عدم ملاحقة الثائرين. وعقد محمد عبد الكريم الخطابي مؤتمراً لمناقشة الموقف. وكان قادة الثورة قد عرفوا النهاية المنتظرة لنضالهم اليائس، فاتخذ الامير الخطابي قراره بالتسليم لفرنسا.

وفي شهر أيار (مايو) ١٩٢٦، وضع محمد عبد الكريم الخطابي نفسه تحت تصرف فرنسا التي لم تلتزم بوعودها، فعملت على نفيه مع اخيه وعائلته الى جزيرة «لاريفيون» الواقعة في المحيط الهندي شرقي مدغشقر. فوصل الجزيرة في ١٠ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٦. وأقامت عليه في الجزيرة حراسة مشددة، ومنعت عنه الصحف والمجلات والكتب طوال عشر سنوات، عانى فيها الامير وأهله مرارة النفي. ثم عملت على تخفيف القيود عنه طوال المدة الباقية لنفيه في الجزيرة. وفي عام ١٩٤٧، وبعد مضي ٢١ عاماً على نفي الامير محمد عبد الكريم في جزيرة «لاريفيون»، قررت فرنسا نقله الى باريس للاقامة فيها اقامة اجبارية. وعلم «مكتب المغرب العربي» بذلك فقرر اختطافه. وبينما كانت الباخرة «كاتوما» تعبر قناة السويس في طريقها الى فرنسا، وخلال توقفها، استطاع افراد «مكتب المغرب العربي» تأمين فراره، حيث التجأ إلى مصر وأقام في القاهرة، وذلك في يوم ٢٩ أيار (مايو) ١٩٤٧.

وفي عام ١٩٦٠، قام ملك المغرب محمد الخامس بزيارة لمصر، فاتصل به محمد عبد الكريم الخطابي، ونجح الملك محمد الخامس في اقناع الامير الخطابي بالعودة الى الوطن والاستقرار في طنجة، ليشهد ثمار نضاله في العيش مع اهله وقومه، ولكن المنية عاجلته في ١١ رمضان ١٣٨٢ (١٩٦٣) قبل أن يتمكن من العودة الى ربوع نضاله.

(٦) ثورة الزنج (٨٦٩ - ٨٨٣)

حدثت في النصف الثاني من القرن التاسع، إبان الخلافة العباسية (٨٦٩ - ٨٨٣ ميلادية، ٢٥٥ - ٢٧٠ هجرية)، ثورة من أفجع الثورات في تاريخ آسيا الغربية، هي ثورة الزنج (من لفظة «زنك» الفارسية ومعناها الحبشة، ومنها «زنكبار» التي حرفت الى زنجبار العربية) الذين جيء بهم أصلا من شرقي افريقيا للنخاسة والعمل الاسترقاقي وكسح السباخ في شواطىء نهر الفرات

الجنوبية في العراق . وقد قاد ثورة الزنج رجل يدعى علي بن محمد لم يكن يقل عن سبارتاكوس من حيث حنكته العسكرية ، بل كان يفوقه حنكة في السياسة وفي قدرته القيادية واستطاع ان يبقي ثورته حية مدة اربعة عشر عاماً وان يبتني معقلين له هما المختاره والمنيعه إبان خلافة المعتمد (٨٧٠ – ٨٩٢ ميلادية) ، كان من نتيجتها خراب البصرة وواسط والاهواز والابله ، وإضعاف الخلافة ، مما ساهم في انفصال مصر عن صلبها على يد ابن طولون ، وسقوط ما يقارب من نصف مليون قتيل .

كان علي بن محمد يهدف إلى إقامة حكم علوي ، بينما كان سبارتاكوس يحاول شق طريقه عبر جبال الالب الى اواسط اوروبا حيث مواطن رجاله الاصلية . وهناك تشابه في الظروف الموضوعية لنشوء كل من الثورتين من حيث اضطراب احوال النظام القائم ، وتذمر الشعب من الفوضى والفقر ، ووجود قطاع واسع من الارقاء المسحوقين . ومن ناحية اخرى فقد اعتصم كل منهما في مناطق صعبة المنال ملائمة لتكتيكات حرب العصابات : سبارتاكوس في ريف ايطاليا ، وعلي بن محمد في مناطق كثيرة المستنقعات والمسالك والاقنية في شط العرب . كذلك لم يقتصر كل منهما على الارقاء فقط ، فقد انضم اليهما اقوام من غير الارقاء : الجرمانيون الناجون من الحروب انضموا الى سبارتاكوس ، وبايعت بعض القبائل العربية علي بن محمد .

في سنة ٢٥٤ هجرية نزل علي بن محمد فرات البصرة واقام في ضبيعة وزعم انه «علي بن محمد بن احمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب» وادعى انه ارسل للناس لخلاصهم بالنبوءة والعلم الروحاني . وقد اختلف المؤرخون في اسمه ونسبه الحقيقيين ، وفيما ذكر قيل ان اسمه هو علي بن محمد بن عبد الرحيم ، ونسبه في عبد القيس ، وأمه قرة ابنة علي بن رحيب بن محمد بن حكيم من بني اسد ابن خزيمة من ساكني قرية من قرى الري يقال لها «ورزنين» بها مولده ومنشؤه . اتبع علي بن محمد جماعة من بني ضبيعة ، ووافق ذلك فتنة بين حزبي البلالية والسعدية من اهل البصرة ، فطمع في استمالة احد الفريقين ، فوجه اعوانه للدعوة اليه في مسجد عباد ، فلم يجبه احد ، بل ارسل الوالي جنوده لاعتقاله ، فخرج من البصرة هارباً الى مدينة السلام ، واقام فيها حتى توفي والي البصرة ، فعادت فتنة البلاليه والسعديه من جديد . واغتنم علي بن محمد الفرصة ، وقفل عائداً الى البصرة ، فوصلها في رمضان سنة ٢٥٥ هجرية ، ومعه من اصحابه علي بن ابان الملقب بالمهلبي ، ويحيى ابن محمد ، ومحمد بن سلم ، وسليمان بن جامع ، واقام في قصر القرشي في برنخل ، واتخذه قاعدة يتسقط منها اخبار البصرة واهلها . وعلى ضوء ذلك غير علي بن محمد تكتيكه فلم يتصل باهل البصرة ، بل اخذ في دعوة ارقائهم من الزنج الذين كان يربو عددهم في تلك المنطقة عن ١٥ ألفاً . وقام بأسر بعض مواليهم ودعوة غلمانهم اليه . وخطب فيهم خطبة مناهم فيها بالحرية ، ووعدهم بأن يقودهم ، وحلف لهم الايمان الغلاظ ألا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيئاً من الاحسان إلا أتى اليهم . ثم دعى الموالي وحرض الزنج على ضربهم انتقاماً لقاء قهرهم لهم ، واطلق الموالي بعد ذلك نحو البصرة لكي يشيعوا خبره . .

واستمر علي بن محمد يجلس الى الزنج في رمضان ، ولما اصبح يوم عيد الفطر ، جمعهم للصلاة ، وأم بهم ، وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال ، وان الله قد ارسله لينقذهم من ذلك ويرفع اقدارهم ويملكهم العبيد والاموال والمنازل ، ويبلغ بهم اعلى المراتب ، وحلف لهم على ذلك . وقد استقطبت دعوته الزنج ، واستأمن اليه رجل من رؤسائهم يكنى بأبي صالح ، ويعرف بالقصير ، مع ثلاثمائة من الزنج ، كما استقطبت دعوته بعض القبائل العربية من سكان الفرات (اهل عبادان ، ودميان روذان ، وسليمانان) فبايعوه . على اثر ذلك تنبهت السلطة الى هذا الخطر النامي ، فهب محمد ابن أبي عون والي الابلة وكور دجلة ليقمع حركة علي بن محمد في مهدها ، وواقعه في موقعة الحول ببيان . وبالرغم من ان علي بن محمد لم يكن يملك سلاحاً يقاتل به ، إلا أنه استطاع ان ينتصر على الوالي بعد ان اوقع الفزع في صفوف جنوده ببث الكمائن في طريقهم ، واستخدام أية أدوات يمكن ان تصلح للقتال كالحجارة والعصي والاواني المعدنية .

وبعد ان تحقق له النصر والغنائم من أسلحة وأموال غير موقعه وسار بجماعته الى سبخة القندل ، وهناك كثر من اجتمع اليه من الزنج ، فقسمهم فرقاً وقود عليهم قواده ، وحضهم على استقطاب المزيد قائلا لهم : «من اتى منكم برجل فهو مضموم اليه» . واتخذ من سبخة القندل منطلقاً يغير منه على القرى والضيع لنهب ما فيها من اموال واسلحة . وراع ذلك اهل البصرة ، فارادوا في بادئ الامر الاحتيال عليه وشراءه وبث التفرقة بينه وبين رجاله ، فانفذوا اليه رجلا يدعى رميساً لاقناعه بتسليم الزنج الى مواليهم لقاء خمسة دنانير عن كل رأس ، الى جانب العفو عنه ، والتعهد بعدم التعرض له أينما حل . ولكن علياً غضب واراد معاقبة رميس لولا تدخل اصحابه . ولما رأى الزنج ما كان من امر رميس ، خافوا ان يحتال علي بن محمد عليهم ، ويردهم الى مواليهم ، فهرب بعضهم ، واضطرب الباقون . فلما علم علي بذلك جمعهم على الفور ، وميز الزنج من اهل الفرات ، وجمع الزنج اليه وطمأنهم وحلف لهم الايمان وتمكن بذلك من تهدئتهم والحفاظ على وحدة صفه ، والنجاة من هذه المكيدة .

ونتيجة لذلك لم ير اهل البصرة ، بعد فشل مكيدتهم ، بداً من قتاله ، فحشدوا له ، واستطاعوا مفاجأته وإلحاق الهزيمة به في يوم الاحد ١٣ من من ذي العقدة سنة ٢٥٥ هجرية . ولما رأوا ما رأوا من ظهورهم عليه بادروا في اليوم التالي الاثنين ١٤ من ذي العقدة الى حشد جيش كبير لتدمير قواته والقضاء عليه ، وجعلوا على رأس هذا الجيش رجلا من أهل البصرة يعرف بحماد الساجي كان من غزاة البحر ، وله علم وخبرة بركوب الشذا (نوع من المراكب) ، والحرب فيها .

جمع حماد الساجي اعداداً غفيرة من المطوعة ، ورماة الاهداف ، واهل المسجد الجامع ، ومن جاء اليه من حزبي البلالية والسعدية ، ودعى عامة الناس لحضور مشهد القتال . وشحن حماد ثلاثة مراكب من الشذا بالرماة ، وجعلت الناس تزدحم في الشذا حرصاً على حضور ذلك المشهد ، ومضت بقيتهم سيراً على الاقدام ، منهم من يحمل السلاح ومنهم نظارة لا سلاح معهم . وسارت المراكب فدخلت النهر المعروف بأم حبيب بعد زوال شمس يوم الاثنين المذكور في المد ، وسار الرجالة والنظارة على شاطئ النهر وقد سدوا منافذ البصر لكثرتهم وشدة تكاثفهم . وكان الزنج يقيمون في تلك الآونة في موضع من النهر المعروف بشيطان ، وقد تجمعوا فيه بعد هزيمتهم في اليوم السابق . أحس علي بحشد أهل البصرة عن طريق طلائعه ، فقام بتوزيع جنده على نحو تجلت فيه حنكته العسكرية : اذ وجه جماعة منهم للكمين في الجانب الشرقي من النهر بقيادة زريق وأبي الليث الاصبهاني ، ووجه جماعة اخرى للكمين في الجانب الغربي من النهر بقيادة شبل وحسين الحمامي ، وأمر علي بن ابان ومن بقي معه من جنده بمواجهة العدو بالجثو على الارض أمامهم والاستتار بالتروس وانتظاره حتى يلتحم بهم بالسيوف وعند ذلك تبادر الكمائن بالخروج والقتال من جانبي النهر ، وامر نساء الزنج بجمع الآجر وامداد الرجال به . ولما اقبل جمع اهل البصرة ،

راعت كثرتهم الزنج ، ولكنهم ثبتوا الى جانب علي ، وعملوا بأوامره ، فأوقعوا الفزع في صفوف أهل البصرة وهزموهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً ، واغرقوا مراكبهم . وكثر المفقودون من أهل البصرة ، وكان فيمن قتل منهم من بني هاشم أفراد من ولد جعفر بن سليمان واربعون رجلا من الرماة المشهورين . وجمعت رؤوس القتلى لعلي — ذلك ان الزنج كانوا يضربون أعناق الاسرى وغير المحاربين بحد السيف جرياً على مبادئ الخوارج التي اعتنقها زعيمهم — فذهب اليه جماعة من اولياء القتلى فعرضها عليهم فأخذوا ما عرف منها ، واطلق ما بقي في النهر فجرفها التيار الى البصرة فجعل الناس يأتونها فيأخذ رأس كل رجل اولياؤه . وقد اعظم الناس هذه الموقعة التي سميت « بيوم الشذا » ، وقوي علي بن محمد بعدها ، وامتنع اهل البصرة عن قتاله ، وكتبوا الى الخليفة المهتدي يستعينون به ، فأمدهم بجعلان التركي ، وعين أبا الأحوص الباهلي والياً على الابله ، وامده برجل من الاتراك يدعى جريحاً .

ولم يشأ علي بن محمد اقتحام البصرة في تلك الآونة ، على الرغم من نصيحة أصحابه وعلى الرغم من ضعفها وعدم قدرتها على القتال ، ظناً منه أنه أمن جانب أهلها خوفاً منه ورعباً. وكانت موقعة الشذا فاصلة في تلك الاثناء مكنته من الاستمرار لفترة طويلة قادمة ومن الانتقال الى سبخة أبي قرة بين نهري أبي قرة والحاجر ، وابتنى فيها الاكواخ له ولجنده ، واخذ يغير بهم على القرى وطرق القوافل التجارية فيقتل وينهب الاموال والماشية . وبهذا انتهت سنة (٢٥٥ هـ) وقد ثبتت أقدام علي ابن محمد ، وقويت شوكة ثورته ، وتبعه خلق كثير ، وظنوا به الخوارق .

ثم جاءت سنة (٢٥٦ هـ) وكان أبرز ما فيها من حوادث ، قيام جعلان التركي باتباع اسلوب جديد في قتال الزنج . اذ عسكر بالقرب منهم وجعل بينه وبينهم خندقاً كبيراً يقيم فيه ويستخدمه لاغراض الدفاع والهجوم ، ومكث فيه مدة ستة أشهر دون أن يحرز نتيجة تذكر ، بل قام الزنج طيلة تلك المدة بشن حرب عصابات عليه استنزفت قواه ، وقتل من جنده من قتل ، واضطرب الباقون ، فاضطر جعلان الى الاستعانة بالبلاليه والسعدية من أهل البصرة ، إلا أنهم هزموا مرة اخرى ، ورجع الى البصرة خائباً ، مما اضطر الخليفة الى إرسال سعيد ابن الحاجب لقتال الزنج . ولحق سعيد بعلي بن محمد ، وقد غير موقعه الى الجانب الغربي من نهر أبي خصيب ، في مراكب كثيرة ، ولكنه هزم أيضاً ، وغنم الزنج منه مغانم كثيرة . وفي هذه السنة أيضاً استولى الزنج على الابلة بعد قتال دام سلمت له عبادان على أثره بدون قتال فدخلها واخذ مماليكها وضمهم الى زنجه ، ثم سار الى الاهواز ودخلها في السادس عشر من رمضان . وقد زاد ذلك في سوء احوال الخلافة ، وزادها سوءاً فوق ذلك ازدياد نفوذ الترك وقيامهم بخلع الخليفة المهتدي إثر قتال جرى بينهم وبينه ، وعلى أثره بويع المعتمد بالخلافة . وقد شهدت سنة (٢٥٧ هـ) هزيمة قاصمة ألحقها الزنج بسعيد بن الحاجب ، ودخولهم البصرة وقتل أهلها واحراقها (في ١٧ شوال) عقاباً لهم لعودتهم الى قتال الزنج . واستطاع علي بن محمد دخول البصرة بعد حصارها وتخريب القرى المحيطة بها وقطع امداداتها مما أضعف مقاومتها وفرق اهلها ، وقد اخبر رفاقه بأن فكرة الحصار راودته بعد ان أتاه الهاتف يقول له: « إنما البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها ، فإذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة » . وبعد ان استتب له أمر البصرة ولى عليها رجلا من قدماء أصحابه يدعى احمد بن موسى بن سعيد المعروف بالقلوص . وعن طريقه أخذ يقدم خدمات للاعراب من اهل الفرات الذين بايعوه في السابق واعانوه على دخول البصرة .

توالت انتصارات علي في السنوات التالية ، وفي سنة (٢٦٦ هـ) استطاع دخول رامهرز بعد قتال اكراد داربان فيها وهزيمتهم . الا انه لم يتمكن من استغلال هذه الانتصارات لتحقيق مآربه السياسية العليا ، فالنبوة والعلم الروحاني لا يكفيان لإقامة كيان متين ، ولا يغنيان عن وجود برنامج ينظم العلاقات الاجتماعية . وبالتالي لم يستطع استقطاب سائر الناس الى دعوته ، وانما كان جل ما صنع هو الاحتفاظ بجيش جرار قوامه الزنج ، لا هم له إلا السلب والنهب واكتساب المغانم — مكنه من ذلك ضعف الخلافة وما كان يتمتع به من صفات قيادية — الامر الذي كان يهدد ثورته بالفناء لدى أية هزيمة حقيقية تحيق بهذا الجيش ، وقد تحقق ذلك في النهاية . فمنذ ان ولي المعتمد الخلافة وضع نصب عينيه القضاء على ثورة الزنج ، وانفذ أخاه الموفق يعاونه أبو احمد أبو العباس ونخبة من القادة لقتال علي بن محمد . وقد اتبع الموفق طرقاً جديدة لمكافحة الثورة لم تتبع من قبل ، اذ بدأ بحصارها وقطع خطوط امدادها ، ثم حارب من عاونها من الاعراب ، ونصب الكمائن لرجالهـــا في المواقع والاماكن التي اعتادوا ارتيادها ، ولجأ الى افساد الزنج بالترغيب والترهيب . ففي سنة (٢٦٧ هـ) تم للموفق الايقاع بالزنج على يد أبي العباس وقتل منهم الكثير واضعفهم واعطى الامان لمن سلم منهم ، وراع ذلك الزنج فامتنعوا عن الظهور لشدة حصار أبي العباس لهم ، وارسل بعضهم الى الموفق يستأمنه ، فأمر أبا العباس بالتحرك لقتالهم في الموضع المعروف بنهر الغربي ففعل ، ودارت بينهما معركة هزم أبو العباس الزنج في اليوم الاول منها ، وهزمه الزنج في اليوم الثاني ، الا ان انتصارهم لم يكتمل فقد فاجأهم الموفق بحشده فهزمهم وحاصر مدينتهم وهدد اسوارها . وكانت هذه السنة فاصلة في تاريخ ثورة الزنج ، أخذ الزنج بعدها يضعفون تدريجياً الى ان انتهى أمرهم .

وفي سنة (٢٦٨ هـ) حاول الموفق دخول مدينة الزنج بعد حصارها وفتح ثغرات في اسوارها ، إلا أنه لم يستطع احتلالها ، بل اجبر على التراجع عنها نتيجة عنف دفاعاتها . وقد شهدت هذه السنة قيام أبو العباس ورشيق (من قادة الموفق) بالايقاع بالاعراب الذين اعانوا الزنج على دخول البصرة واحراقها والذين كانوا يمدونهم بما يحتاجونه من اللوازم ، فاسروا وقتلوا الكثير منهم ، وعلقوا رؤوس القتلى ، وشوهوا من كان يتعامل مع الزنج لإخافة غيرهم . كما شهدت قيام جند الموفق وجند قادته باعتراض الزنج في المواقع التي اعتادوا ارتيادها وأسرهم ، فمن كان منهم قوياً على حمل السلاح ، خلطه بغلمانه ، ومن عليه واراه الاحسان ، ليفسده عن علي بن محمد ، ومن كان ضعيفاً كساه ودرهمه ، ومن أبى منهم قتله . وباتباع هذا الاسلوب تهيأ له ما اراد من استمالة اعداد كبيرة من الزنج . وفي سنة (٢٦٩ هـ) نشب بين الطرفين قتال ضار سقط فيه الكثير ، واستنزفت قوى الزنج ، واقدم الموفق على هدم وتدمير ونهب كل ما كان يصادفه من أبنية وقلاع وحصون بناها الزنج ، ومن اشهرها قنطرتين على دجلة ، كانوا يسيطرون بواسطتهما على المراكب التي تبحر فيه . ولقد اعاد الزنج بناءهما مرة ثانية. ودعموهما بالحديد لكي يصعب هدمهما ، فلم يجد الموفق بداً من احتلالهما مرة اخرى ثم هدمهما ، كما هدم الموفق سوقاً انشأها علي بن محمد على دجله اسماها سوق الميمونه ، ونهب ما فيها ، وهدم مكاناً آخر اسماه علي بالجامع . وفي هذه السنة أصيب الموفق بسهم في صدره سبب له جرحاً خطيراً فاحتجب للعلاج وكتم الخبر عن جنوده خوفاً من اضطرابهم وانخفاض روحهم المعنوية ، ولما شفي منه عاد لحرب الزنج واقتحم مواقعهم واحرق قصر زعيمهم على دجله ونهب ما فيه من حلي وجواهر وذهب بعد أن خاض قتالا عنيفاً في الانهار والسباخ

استخدم الزنج فيه كافة اساليبهم السابقة في القتال من عمليات عصابات ، والقتال من الخنادق ، والكمائن ، واغلاق الأنهار باستخدام سلاسل حديدية ضخمة لمنع عبور مراكب الشذا . ولكن اساليبهم لم تنجح هذه المرة ، بسبب ضعفهم واستنزاف قواهم وقطع خطوط امدادهم ، مما اجبر علي بن محمد على التراجع والتحول الى مواقع متوغلة في ضفة نهر أبي الخصيب الغربية وتحصين نفسه في منازلها . وهناك شاع أمره بين الناس ، فامسكوا عن التعامل معه لضعفه ولخوفهم من انتقام الموفق من ناحية ثانية . وكان حصار الموفق له خانقاً فلم يجد ما يقتات به ، وارتفعت أسعار المواد الغذائية ارتفاعاً فاحشاً لندرتها ، فأكل الزنج القمح فلما عز أكلوا الشعير وسائر الحبوب . وكان الجوع يدفعهم الى القتل والسرقة ، وكان زعيمهم يعاقب الفعلة بالحبس ، ومن طال حبسه اطلقه ، وبطبيعة الحال لم يكن هذا عقاباً رادعاً . وعلى الرغم من ذلك كله فقد استطاعوا الصمود أمام هجمات الموفق ، وكان الفضل في ذلك يرجع الى متانة الحصون التي أنشأوها ، كما أنهم استطاعوا ان يتغلبوا على الموفق في عدة مواقع ، ولكنه عاودهم وهزمهم وقتل منهم عدداً كبيراً . على أثر ذلك طلب بعض رؤساء الزنج الامان من الموفق ، فكان لهم ذلك ، وأدى هذا الأمان الى اختلال جيش علي بن محمد بشكل لم يسبق له مثيل من قبل . ثم اتصلت الحرب وقتل فيها كثير من الزنج وقوادهم ، واستطاع الموفق دخول مدينة علي وتخريب داره ، ولكنه لم يستطع القضاء عليه في تلك السنة . وتابع الموفق الحرب ضد الزنج في سنة (٢٧٠ هـ) ، بعد ان دعم خطوط تموينه ، ودعى الناس للانضمام اليه ، فانضمت اعداد كبيرة من مناطق البحرين ، وكور فارس ، استطاع بهم تطويق ما تبقّى من الزنج (٢٠ ألفاً منهم) وقتل واغراق قسم كبير منهم في النهر المعروف بجوى كور ، فهرب علي بن محمد برفقة بعض أصحابه في النهر المعروف بالسفياني ، وتبعه جند الموفق ، ووصلوا معسكره وهو منهزم ، فتابع الهرب أمامهم الى النهر المعروف بالقريري ، وهناك اوقع به الجند وكشفوه فنفذ منهم وعبر النهر واعتصم مع اصحابه بجبل خلفه : عندئذ انصرف الجند عنه بعد ان نال منهم التعب ، وطالت المطاردة ، وخافوا ان تفوتهم الغنائم . ولما علم الموفق بذلك غضب وخشي ان يفلت زعيم ثورة الزنج من يده ، فجمع جنده وعنفهم وسار بهم على الفور حتى انتهى الى موضع علي بن محمد ، فقام بحصاره وتطويق مخارج ومداخل المنطقة ومسالكها المائية ، ولما تكامل حشده ونزل جنده من المراكب زحف بهم الى الجبل ، فقتلوا واسروا وفرقوا ما تبقّى من الزنج ، وقتل علي بن محمد زعيمهم ، وجيء برأسه الى الموفق حتى يصدق الناس ، وكان ذلك في يوم ٢ صفر ٢٧٠هـ (٨٨٣) . وهكذا انتهت ثورة الزنج بعد أن استمرت مدة ١٤ سنة و ٤ أشهر و ٦ أيام .

(٦) ثورة سبارتاكوس (٧٣ — ٧١ ق. م.)

في سنة ٧٣ قبل الميلاد ، وقعت ايطاليا فريسة مواجهة دامية بين النظام الضعيف الذي خلفه الديكتاتور الروماني سلا Sulla بعد وفاته ، وبين ثورة قادها رجل يدعى سبارتاكوس. وسبارتاكوس رجل من تراقية (اقليم يقع على بحر ايجه يحده شرقاً البحر الاسود وغرباً مكدونيا) نال خبرة عسكرية أثناء خدمته في قوة فرعية في الجيش الروماني . وقد بدأت ثورته في سنة ٧٣ ق. م. عندما هرب من سجنه في مدرسة لتدريب المصارعين في كابوا Capua برفقة سبعين شخصاً كانوا جميعاً يتلقون التدريب فيها لكي يصبحوا مصارعين . ولجأ سبارتاكوس مع رفاقه الى سفوح جبل فيزوف بالقرب من فوهة بركان فيزوف الشهير ، واختبأوا هناك طيلة فصل الشتاء قبل ان يباشروا عملياتهم العسكرية التي عرفت ايضاً باسم ثورة المصارعين Gladiators Revolt و ثورة الارقاء Slaves Revolt ، نسبة الى المصارعين الذين هربوا معه او نسبة الى الارقاء الذين كان الرومان يستحضرونهم من مختلف البلدان للعمل الاسترقاقي ، خصوصاً في الزراعة ، وكانوا يستغلونهم اسوأ استغلال ويعاملونهم معاملة مجافية للروح الانسانية . ولقد دعا سبارتاكوس الارقاء الى جانبه للنضال من أجل نيل حريتهم ، فأجابه الآلاف من الارقاء الهاربين بما فيهم اعداد ضخمة من أبناء موطنه الاصلي « تراقية » ، ومن الغاليين ، والجرمانيين ، كما أجاب دعوته الفلاحون المعدمون ورعاة السهول في جنوبي ايطاليا الذين كانوا يحملون السلاح عادة للدفاع عن قطعانهم . فتنامت قوة سبارتاكوس بسرعة واستطاع تجنيد جيش قوي من هؤلاء بلغ تعداده اربعين ألف رجل كان يزودهم بالاسلحة والاعتدة التي يغنمها من القوات الرومانية التي ترسل لمحاربته . وفي سنة ٧٣ ق. م. تمكن سبارتاكوس ورجاله من التغلب على قوات رومانية أعدت على عجل وارسلت لقتاله . وفي السنة التالية ٧٢ ق. م. تغلبت قواته أيضاً على جيشين آخرين ارسلا للقضاء عليه . اما في الفترات التي تفصل بين الحروب ، فقد كانت قوات سبارتاكوس تقوم بالتجوال في طول البلاد الايطالية وعرضها ، وتعبث في مقاطعات الريف كما يحلو لها .

ولم يتمكن سبارتاكوس من استغلال انتصاراته والنجاح الذي حققه ، اذ لم يكن لديه تصور للنتائج التي يمكن ان تسفر عن نضال لتحرير الانسان يستمر حتى نهايته ، بل كان يحض رجاله على ترك ايطاليا والتوجه عبر جبال الالب الى اوروبا الوسطى حيث المواطن الاصلية للقسم الاعظم منهم. ولكن هذه الدعوة واجهت معارضة منهم اذ لم يشاؤوا ترك مباهج الحرية والمجد الذي نالوه بعد حياة الرق والعبودية ، وبالتالي اخذوا يهيمون في ريف ايطاليا الغني بدون هدف محدد . وفي تلك الاثناء استطاع ماركوس ليسينوس كراسوس Marcus Licinus Crassus نائب سلا حشد قوة كبيرة بلغ تعدادها اربعين ألف رجل ، اخضعهم لتدريب عسكري شاق ، ثم قسمهم الى ستة جيوش ، وحمل بهم على سبارتاكوس في جنوب ايطاليا . ولم تكن مهمة ماركوس سهلة ، ووقعت بينه وبين الثائرين معارك كثيرة استطاع سبارتاكوس التغلب عليه في عدة مواجهات مهيبة . وثابر ماركوس على مطاردة سبارتاكوس أينما اتجه ، وحاول سبارتاكوس الهرب شمالا الى اواسط اوروبا ففشل واستدار الى الجنوب في محاولة للوصول الى جزيرة صقلية الا انه فشل ايضاً فاتجه شمالا مرة اخرى وحاول تضليل ماركوس والافلات من مطاردته عن طريق استئجار سفن من اسطول صغير من اساطيل قراصنة البحر والهروب بها عبر مضائق مسينا . ولكن ماركوس استطاع تطويقه في النهاية في ابوليا Apulia حيث جرت هناك معركة حامية الوطيس ، تمكن ماركوس فيها من قتل سبارتاكوس والقضاء على الجزء الاكبر من قواته ، وكان ذلك في سنة « ٧١ ق. م » . وكان من بين من نجا ستة آلاف من الارقاء الذين لم يعثر على اسيادهم فصلبوا وعلقوا على اعمدة خشبية مغروسة في الارض صفت كأعمدة التلغراف على طول طريق فيا آبيا Via Apia . وحاول آخرون الهرب من ايطاليا إلا ان بومبي Pompey اعترضهم في شمالي البلاد ، بينما كان عائداً من قتال سرتوريوس في اسبانيا ، واستطاع القضاء عليهم . وبذلك انتهت آخر ثورة للارقاء الرومان .

وقد كان لثورة سبارتاكوس نتائج عدة منها :

١) انها اعطت بعض المفكرين من الاقطاعيين درساً

في ضرورة معاملة الارقاء معاملة اكثر ليونة او استبدال العمل الاسترقاقي بالعمل الحر المأجور . ٢) انها اكدت الدروس السابقة المستفادة من ثورات الارقاء في جزيرة صقلية ، وخلاصتها ان العبودية تضع نهايات محزنة لمواهب باهرة كموهبة سبارتاكوس العسكرية وصفات إنسانية كشجاعته . ٣) انها سببت خراباً لكثير من مناطق ايطاليا الريفية الغنية . ٤) انها خلقت أزمة سياسية في العاصمة روما ، وزادت من حدة التناقض بين ماركوس ليسينوس كراسوس وبومبي الذي نسب الى نفسه فضل القضاء على ثورة سبارتاكوس .

(٨) الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥-١٩٢٦)

يطلق المؤرخون اسم الثورة السورية الكبرى على الثورة في المنطقة الجنوبية وفي جبل العرب بصورة خاصة ، والثورة في دمشق والغوطتين الشرقية والغربية ، ولقد توافقت هذه الثورة زمنياً مع الثورات المندلعة في معظم المناطق السورية اعتباراً من عام ١٩١٩ ، والتي استمر بعضها (ثورات المنطقة الوسطى) حتى عام ١٩٢٩ (انظر الثورات السورية).

(١٢) ثورة الشواف (١٩٥٩)

(انظر الشواف ، عبد الوهاب) .

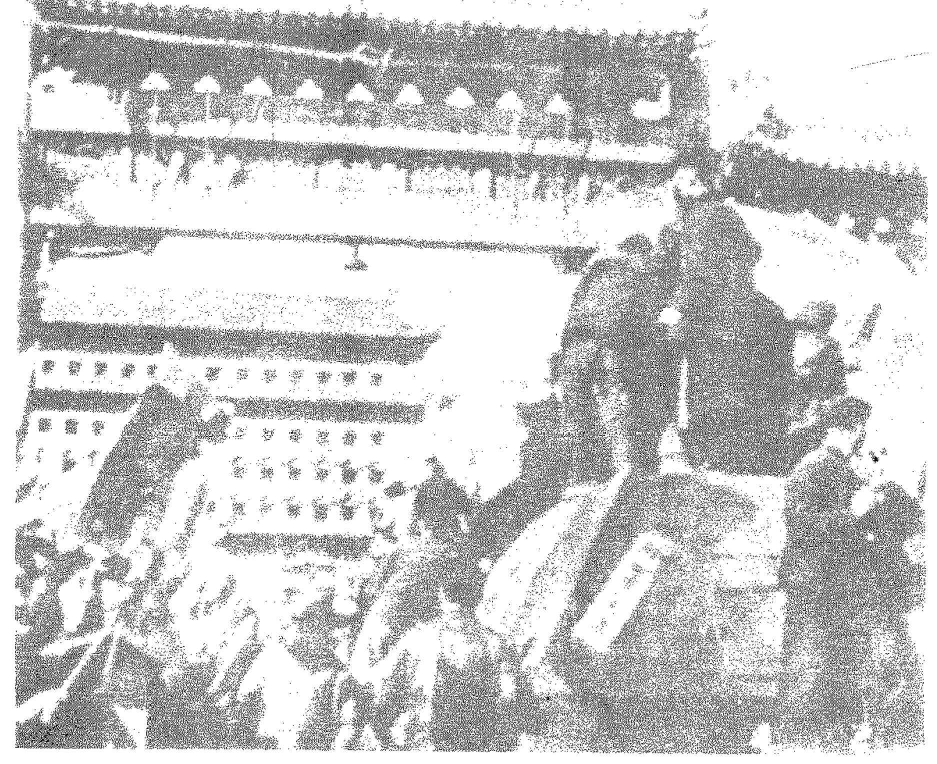
(١٢) الثورة الصينية (١٩١١ – ١٩٤٩)

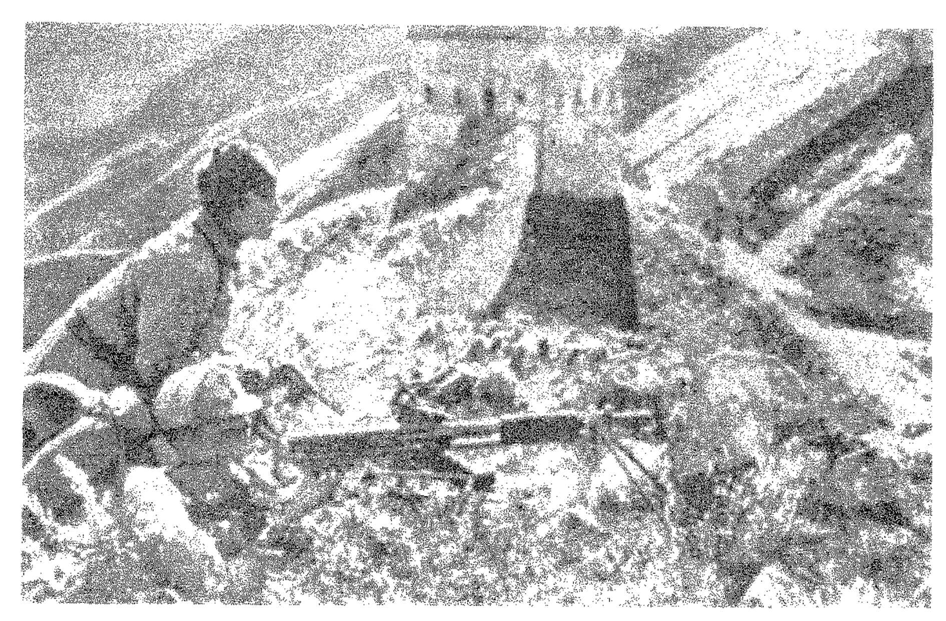
اندلعت هذه الثورة في العام ١٩١١ ، أثر سلسلة من اغتيالات جماعية للاجانب قامت بها فرقة المليشيا (التي عرفت بالريتشوس هرمني باند) The Righteous Harmony band في معظم أنحاء الصين ، وكانت هذه المليشيا قد بدأت نشاطها في العام ١٩٠٠ واعلنت الكفاح المسلح ضد القوى الاجنبية (بريطانيا واليابان وروسيا) لحماية الصين من اضطهادهم . وقد عرفت بثورة البوكسرز Boxers (انظر ثورة البوكسرز) ولقد راح ضحية ثورة البوكسرز مبشر انكليزي ووزير الماني والآف المسيحيين الكاثوليك والبروتستانت في كل من هوبه Hopeh وشانسي Shansi ومنشوريا Manchuria مما اضطر بريطانيا واليابان لانزال جيوشهما في الصين واحتلال بكين Peking دون اعلان الحرب . وانزلت روسيا قواتها في منشوريا واحتلتها . وفي العام ١٩١١ اعلن الاضراب المفتوح ، واندلعت الثورة الصينية ، التي أدت في نهايتها الى الاطاحة



ماوتسي تونغ يعلن في شاتيان (١٩٢٨) قواعد الانضباط الرئيسية الثلاث ونقاط الانتباه الثماني

قوات الثورة في شوارع العاصمة في المرحلة الاخيرة من الثورة





قوات الثوار خلال المعركة عند سور الصين(١٩٣٧)



قوافل إمداد وتموين الثوار

بالحكم الامبراطوري واعلان جمهورية الصين الشعبية .

في كانون الأول (ديسمبر) ١٩١١ ، أطاح الدكتور صن – يات – سن Sun Yat-Sen ، زعيم الكومنتانغ Kuomingtang بالحكم الامبراطوري في الصين وبأسرة مانشو Manchus الحاكمة . وبسقوط الامبراطورية ، قسمت البلاد الى دويلات ومقاطعات صغيرة متفرقة وضعيفة . وفي آذار (مارس) ١٩١٢ انتخب صن – يات – سن رئيساً للجمهورية ، ووضع دستور جديد للبلاد . وفي آب (اغسطس) من العام نفسه أصبح الكومنتانغ (الذي كان تجمعاً يضم القوى الأربع : العمال ، والبورجوازية ، والفلاحون ، والفقراء من سكان المدن) حزباً سياسياً دعي « الحزب الوطني الصيني » برئاسة صن – يات – سن نفسه . وكان شعار هذا الحزب « القومية والديمقراطية والازدهار الاقتصادي » . وفي العام نفسه أرغم صن – يات – سن على التنازل عن رئاسة الجمهورية لقائد الجيش يوان شي كاي Yuan Shih-K'ai ، الذي كان مدعوماً سياسياً ودولياً وعلى أثر ذلك اشتدت المنازعات بين الاحزاب الصينية السياسية واستمر يوان رئيساً للجمهورية حتى عام ١٩١٦ .

وعندما اندلعت الحرب العالمية الاولى ازداد الوضع تأزماً في البلاد وغدت الصين تحت رحمة العسكريين المتنابذين . وفي العام ١٩١٧ أقام صن – يات – سن في كانتون Canton (Kwangchow) حصن الثورة ، ومعقل الدعاية الثورية ، حكومة « وطنية » بقيادة تشانغ كاي – شك Chiang Kai-Shek وكان هدف تشانغ كاي – شك توحيد الصين وتوحيد الاحزاب . وفي العام ١٩١٩ استقلت حكومة تشانغ كاي – شك عن حكومة بكين .

وفي العام ١٩٢١ أسس صن – يات – سن الحزب الشيوعي الصيني . وبدأ عمال الحزب بتنظيم خلايا شيوعية سرية في شمالي شنسن Shen Sin فتعاونوا مع الكومنتانغ وساعدوه في تنظيم اتحادات الفلاحين والعمال . واعلنت الدول العظمى في مؤتمر عقدته بواشنطن (١٩٢١ – ١٩٢٢) سياسة الباب المفتوح ، وحماية الاراضي الصينية من أي اعتداء يقع عليها . ولكن بريطانيا نجحت في ضم تشانغ كاي – شك الى جانبها . وهكذا انحرف تشانغ كاي – شك عن الخط الشيوعي الملتزم بالاتحاد السوفياتي دون ان يعلن انحرافه هذا .

وفي العام ١٩٢٥ توفي صن – يات – سن ، وتولى الجنرال تشانغ كاي – شك ، بوصفه قائداً أعلى ، زمام الحكم وزعامة الحزب . واتخذ نانكن Nan Ken مقراً لحكومته . وما أن حل العام ١٩٢٧ حتى انتشرت الفوضى في البلاد ، وسادت الحرب الاهلية بين حكام الولايات العسكريين ، واستمرت اربع سنوات . وفي نيسان (ابريل) ١٩٢٧ ، فصم الكومنتانغ ، برئاسة تشانغ كاي – شك عرى التحالف مع الحزب الشيوعي ، وانضم إلى الجيش الوطني في الجنوب ، فأصدرت موسكو أوامرها الى هذا الجيش بالتوجه إلى الشمال لمحاربة جنرالات الجيش والحكام الاقطاعيين ، وأرسلت له معونات عسكرية وأسلحة ، وشن الشيوعيون انتفاضاتهم في شنغهاي وكانتون (انظر شنغهاي وكانتون – انتفاضة) لضرب القوات الرجعية من الخلف ومساعدة الجيش الوطني الزاحف من الجنوب . ولكن قوات الكومنتانغ استغلت حملتها العسكرية وأخذت تصفي الشيوعيين في مختلف مناطق البلاد . وعندما اتضحت نوايا الكومنتانغ ، اندلعت الحرب بين الشيوعيين وقوات تشانغ كاي – شك ، وبدأت ثورة الفلاحين في جميع أنحاء الصين ، وأحس الجنرال بالخطر الذي يشكله على زعامته ، فعمد الى تصفية الحزب الشيوعي بعنف . ولكن ماو استطاع الهرب ولجأ الى الجبال هو ومن معه من القوات التي كونها من الفلاحين وعمال المناجم . وخلال العام الذي قضاه ماو في

الجبال انضمت اليه قوات كبيرة من الفلاحين الذين هربوا من المذابح التي كان يقوم بها رجال تشانغ كاي – شك وبهذه القوات اصبح ماو بعد سنوات اكبر قوة عرفت في التاريخ .

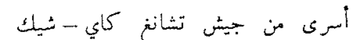
وعكف ماو خلال إقامته في الجبال على دراسة الكتب التي تتناول حرب العصابات . واستقى مبادئه العسكرية من مبادئ صن تسو Sun Tzu في فن الحرب التي كتبت عام ٣٥٠ قبل الميلاد، والتي تتلخص بما يلي : ١ – عندما يهاجم العدو نتراجع ٢ – وعندما يهرب نزعجه بغارات متكررة ٣ – وعندما يتراجع نتعقبه ٤ – وعندما يكون متعباً نهاجمه . وهكذا خاض ماو ورجاله ومن انضموا اليهم معارك ضارية ضد قوات تشانغ كاي – شك خلال العام ١٩٢٨ . إلا أن الجوع والبرد وقلة الاسلحة أدت الى هزيمة ماو ، فسيطر تشانغ كاي – شك على شمالي الصين ، واصبح قائداً عاماً للجيوش الصينية ، واحتل بكين ، وأسس حكومة جديدة في نانكن ، وباشر بوضع مخطط للمشاريع الاصلاحية لكنها بقيت حبراً على ورق لأن سلطته على البلاد قلقة غير ثابتة .

وفي العام ١٩٢٩ ، وفي الوقت الذي بدأ به تشانغ كاي – شك يحقق انتصارات متلاحقة، اضطر ماو ورجاله الى الانسحاب من جبال شينغ كانغشان Ching Kangshan الى منطقة كيانغسي Kiangsi في الجنوب الشرقي للصين . واعتصموا فيها نحو سبع سنوات . وبدأت قوى الغرب تساند تشانغ كاي – شك وتدعمه . في فترة ١٩٣٠ – ١٩٣٤ ، جرد الجنرال خمس حملات عسكرية ضد الشيوعيين في بلاده بإشراف عدد من الضباط الغربيين. كما هاجمت قواته قرية شوشان Shaw Shan مسقط رأس ماو تسي تونغ ، واعدمت زوجته الاولى يانغ كاي هوى Yang Kai Hui ، ولكن قوات ماو انتقمت من القوات المهاجمة فنصبت لها كميناً ، وأبادتها .

وفي العام ١٩٣١ عزت اليابان حاميتها المرابطة في منشوريا لحماية ممتلكات الرعايا اليابانيين ، فضربت قوة صينية قطاراً حربياً يقل جنوداً يابانيين بالقرب من موكدن Mukden ، فانتهزت اليابان هذه الفرصة واحتلت منشوريا .

وفي تشرين الأول اكتوبر ١٩٣٤ بدأت المسيرة الكبرى ، او الزحف الطويل ، سيراً على الاقدام . وقد بلغ طول هذه المسيرة اكثر من ٦٠٠٠ ميل . وابتدأ الزحف من كينانسكي Kianski في الجنوب عبر اراضي الصين الى

مراحل الاحتلال الياباني



أسرى من جيش تشانغ كاي – شيك



مقاطعة شنسي في الشمال الغربي منها . وكان عدد المشتركين في المسيرة الكبرى عند بدايتها ٩٠ ألف رجل وامرأة وطفل وكانوا يحملون اسلحتهم وذخيرتهم، ويواجهون اكثر انهار الصين طولا وعمقاً ، ويشقون قمم الجبال وممراتها في خضم العواصف والثلوج والرياح الرملية القاسية . وفي أثناء هذه المسيرة التاريخية عام ١٩٣٥ أصبح ماو تسي تونغ قائدا للحزب الشيوعي الصيني . وفي تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٥ ، وبعد معارك متواصلة وضارية ضد قوات تشانغ كاي – شك ، وصل ماو الى مقاطعة شنسي Shensi في الشمال الغربي من الصين ، وليس معه سوى ما يقارب الثمانية آلاف ممن بدأوا المسيرة عام ١٩٣٤ ، وفقد ماو طفليه أثناء هذه المسيرة .

وفي كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٣٩ ، قام المارشال شانغ هسوى ليانغ Chang Hsoeh-Liangh بخطف تشانغ كاي – شك، ودعا الشيوعيين الى تأليف جبهة متحدة ضد اليابانيين، وأخذ ماو تسي تونغ ينادي باتحاد الصين ضد الغزو الياباني ، فلاقى نداؤه هذا عطف قادة الكومنتانغ ، وطالب الشيوعيون المتحمسون باعدام تشانغ كاي – شك ولكن ماو أفرج عنه بتدخل من ستالين ، وعقد الجنرال مع الشيوعيين هدنة اضطر على أثرها ان يقبل مبدأ الوحدة الوطنية . لكن هذه الهدنة لم تستمر طويلا ، وعادت الحرب الى الاشتعال من جديد ، واشتد الصراع بين تشانغ كاي – شك والشيوعيين .

وفي العام ١٩٣٧ اندلعت الحرب الصينية – اليابانية . فشنت القوات اليابانية هجوماً شاملا على القوات الصينية عند جسر ماركوبولو Marcopolo قرب بكين ، واحتلت معظم المدن الصينية الكبرى على الشاطئ الشرقي (بكين Peking وشنغهاي Shang hai ونانكن Nanken) . وتحالف الشيوعيون مع الكومنتانغ من جديد للصراع ضد العدو الخارجي . واستمرت قوات الكومنتانغ بقيادة تشانغ كاي – شك ، وقوات جيش التحرير الشعبي بقيادة ماو تتعقب الجنود اليابانيين المحتلين منزلة بهم أفدح الخسائر ، مما أدى الى انتصار الصينيين ، واستعادة جميع الاراضي التي كان اليابانيون قد استولوا عليها ما عدا هونغ كونغ Hong Kong وماكاو Ma-Cao .

وفي العام ١٩٤٦ ظهر التناقض بين الشيوعيين والكومنتانغ من جديد ، وعادت الحرب الاهلية بين ماو تسي تونغ وتشانغ كاي – شك ، واستمرت حتى اول تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٩ ، حيث دخل ماو تسي تونغ بكين منتصراً رغم تفوق خصمه ،

وفي تشرين الأول (اكتوبر) من العام نفسه اعلن إنشاء جمهورية الصين الشعبية واختير ماو رئيساً لهـا . وجعلت بكين عاصمتها .

وهكذا انتهت الثورة بهزيمة تشانغ كاي-شك الذي نقل حكومته الى جزيرة تايوان (فورموزا) حيث استمر يواصل حربه ضد الشيوعيين . وانتصر الشعب الصيني ونال حريته وتخلص من قهر المستعمرين والاقطاعيين والرأسماليين . وبدأ بناء دولة اشتراكية كبرى تدين بالماركسية-اللينينية ومبادئ الرئيس ماو تسي تونغ .

ويرجع انتصار الثورة الصينية على أعدائها الداخليين والخارجيين إلى اعتمادها المطلق على الجماهير والتعبئة النفسية ، ولجوئها إلى حرب التحرير الشعبية طويلة الأمد ، تحت قيادة حزب طليعي مناضل ، عرف كيف يكتسب الطبقات المسحوقة ويؤطرها ويدفعها إلى المعركة ، كما عرف كيف يؤمن تناوب الضغط العسكري والحرب النفسية لتفتيت الخصم الذي لم يكن ، رغم قوته العسكرية ، قادراً على طرح مقولات سياسية تستقطب الجماهير وترفع معنويات القوات المسلحة .

(١١) ثورة ظفار (١٩٦٥ -)

تقع ظفار على شاطئ بحر العرب (على مسافة ٦٤٠ ميلا غربي مسقط) بين المحافظة السادسة (المهرة) في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية غرباً ، وصحراء جدة الحراسيس شرقاً . وتحدها من الشمال صحراء الربع الخالي في المملكة العربية السعودية . وتبلغ مساحة ظفار ٣٨ ألف ميل مربع ، ويبلغ طول شريطها الساحلي ٢٠٠ ميل بين رأس الشوامية شرقاً ورأس خربة علي غرباً . وتقع عليه المدن الرئيسية . وظفار جغرافياً ، عبارة عن سلسلة جبال تنحدر نحو البحر الى الشرق والغرب ، وتنفرج عن سهل ساحلي ضيق ، لكنه بالغ الخصوبة هو سهل صلالة (ويسمى أيضاً سهل جربيب) . تشمخ فوقه جبال القرى (بفتح القاف - وسميت كذلك نسبة الى قبيلة القرى التي هي اكبر وأقوى القبائل العربية في ظفار) ، وهي المنطقة الوحيدة في جنوب الجزيرة العربية التي تهطل فيها الأمطار بانتظام ، إذ تجتذب سفوحها الجنوبية غيوم « الموسم » الهندية التي تتساقط مطراً غزيراً خلال أشهر الصيف ، وهذا ما يجعل منها تلك « الجنة الكلسية » من الكهوف والمغاور والبحيرات والشلالات والأدغال التي فتنت الرحالة منذ القديم بروعتها ومناعتها . وترتفع بين جبال القرى وصحراء الربع الخالي سلسلة أخرى من الجبال .

يقدر عدد سكان ظفار بحوالي ٢٠٠ ألف نسمة ، يعيشون في الريف على الزراعة الموسمية ورعي الإبل والبقر والماعز . غير أن اقتصاد الريف ليس ذا اكتفاء ذاتي ، مما يضطر سكانه للاعتماد على السهل والساحل لمقايضة منتجاتهم الزراعية بالمواد الغذائية الاضافية والمنتجات الصناعيـــة . ويعيش السكان في السهل وعلى الشاطئ على الزراعة والتجارة وصيد الأسماك .

ويسكن في مدن ظفار خليط بشري من العمانيين والأفارقة والهنود والايرانيين والصوماليين والبلوش ، بالإضافة الى سكان ظفار الأصليين . ويشكل العمانيون الفئة الطفيلية الحاكمة ، وهم إما موظفو إدارة وإما قبائل مسلحة . والأفارقة هم الأرقاء (المملوكون) واحفادهم . والبلوش سكان بلوشستان (الواقعة على حدود ايران وباكستان) هم جنود المرتزقة في جيش السلطان . أما الهنود والايرانيون والصوماليون فيتعاطون التجارة والخدمات والربا .

ويعتبر اقتصاد ظفار بدائياً تقليدياً ، بمعنى أن مورد الطاقة الرئيسي ، ووسيلة الانتاج الرئيسية - إن لم نقل الوحيدة - هي العمل البشري . إنه اقتصاد يكاد ينعدم فيه تراكم رأس المال ، ينتج للاستهلاك المباشر ولا يستعين بأية أدوات ، أو هو يستخدم أدوات جد بدائية . وتكاد تنعـــدم التمايزات الاجتماعية بين مختلف الفئات المهنية بسبب التخلف الشديد لقوى الانتاج ، بالإضافة الى أن هذه التمايزات تخالطها تكوينات قائمة على القرابة ، أو عائدة الى « نظام الطوائف المغلقة » ، وهذا ما يسمح بتقسيم الظفاريين اجتماعياً الى فئتين عريضتين : الكادحين والطفيليين . وتضم الفئة الاولى غالبية السكان من العمال (قصابي الحجارة ، الحمالين وعمال الزراعة) والمزارعـــين والصيادين والمملوكين والرعاة . على حين تتكون الفئة الثانية من « طبقة وسطى » من التجار والكتبة والإداريين والمقربين وأصحاب المحسوبيات .

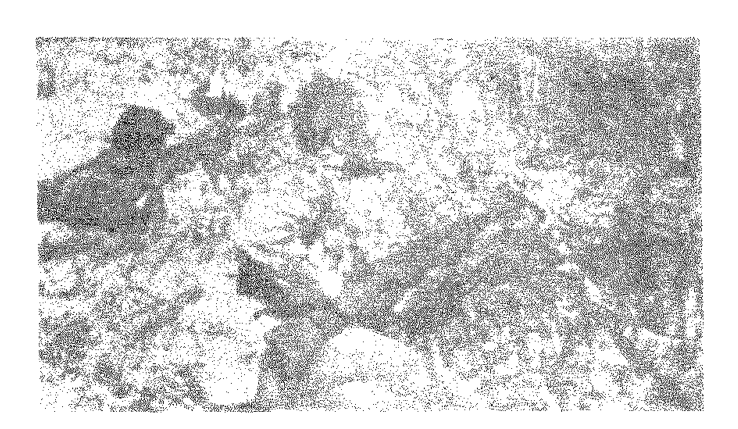
ولما كان الريف يمد المدن بيد عاملة شبه مجانية ، ولما كانت علاقات التبادل التجاري بين الاثنين بالغة التفاوت ، يفيد منها بالدرجة الأولى التاجر والبائع والمرابي ، أمكن الحديث عن تناقض بين المدن والريف ، وأمكن القول إن سكان المدن يشكلون طبقة فوقية تباشر الاستغلال المادي لطبقة أدنى منها تضم سكان الجبل .

وقد جرى إلحاق ظفار رسمياً بسلطنة عمان خلال الأعوام ١٨٧٧ - ١٨٧٩ ، غير أن تدخل مسقط في شؤونها يعود لبداية القرن التاسع عشر . وقد مارس السلاطين ، منذ ذلك الوقت بتأييد من الفرس والانكليز ، سياسات لا إنسانية ضد سكان ظفار ، فعاملوهم كالعبيد وفرضوا عليهم ضرائب فاحشة ، وضيقوا سبل العيش في وجوههم ، وحرموهم من أدنى حقوقهم الانسانية ، فعمت البطالة وسيطر الجهل (لم يكن يوجد في المنطقة كلها سوى مدرسة واحدة في صلالة لا يدخلها إلا أبناء المقربين من السلطان) . وكانت إحدى نتائج هذا الوضع المزري أن التقى - لأول مرة - أبناء الريف مع أبناء المدن وأفراد من القبائل المتنازعة ، واعلنوا الكفاح المسلح للتخلص من العدو المشترك المتمثل بحكم آل « بو سعيد » .

ويعتبر التاسع من حزيران (يونيو) ١٩٦٥ يوماً فاصلا في تاريخ منطقة عمان والخليج العربي ، حيث أعلن فيه الكفاح المسلح ضد الحكم الاستعماري البريطاني الذي امتد اكثر من قرن ونصف نتيجة لتفاوت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وتشتت القوى الوطنية في كل إقليم .

وكان النضال الوطني قبل عام ١٩٦٥ يواجه كثيراً من الصعوبات والعثرات ، وكانت الجماهير - وعلى فترات متقطعة - تهب في انتفاضات عفوية ، ما تلبث أن تخمد نتيجة لعدم التخطيط من جهة ، وبسبب تمزق الحركة الوطنية من جهة أخرى ، بالإضافة الى الشراسة التي كانت قوات الاستعمار البريطاني تواجه بها تلك الانتفاضات . والحقيقة أن تلك الانتفاضات كانت ذات طابع إصلاحي في الأساس ، فهي لا تنطلق من نقطة افتراق كامل عن معطيات النظام القائم ، ولا من تحليل دقيق للقوى المستفيدة منه أو تقف وراءه ، كما أنها ليست نتيجة نضج في وعي العلاقات الأجنبية والطبقية التي تتحكم بالمنطقة . ولم تكن الانتفاضات تلجأ إلى الاصطدام المباشر بالوجود الاستعماري ، الذي كان يتستر بأنظمة الحكم التي يتحالف معها ويربطها بمعاهدات الحماية ، مما يجعل وجوده غير واضح المعالم ، كوجود عسكري فعال (تستثنى من هذه الناحية مياه الخليج حيث كانت البوارج الحربية ، وقطع الاسطول البريطاني تتواجد بشكل دائم) . ولم يكن هناك تنسيق مشترك بين الانتفاضات ، أو حتى مجرد استفادة من التشابه في مجريات الأمور ، مما جعل الانتفاضات والتحركات معزولة ومتفرقة ومحصورة ضمن المناطق التي تحدث فيها .

وخلال هذه الفترة تمكنت بريطانيا من تثبيت بعض الحكام والمشايخ ، كواجهات سياسية تسيطر



الثوار في مواقع القتال

نساء ظفاريات تحملن السلاح

على الوضع السياسي في البلاد من خلالهم ، مما اكسبها امتيازات اقتصادية ضمنت لها احتكار ونهب ثروات المنطقة المعدنية والبترولية ، والاستفادة من ممراتها التجارية البحرية والجوية ، وتحويلها الى سوق لتصريف منتجاتها .

وكي تضمن بريطانيا استتباب الاوضاع لها في منطقة الخليج ، فقد أنشأت هناك عدة قواعد عسكرية : جوية وبحرية ، لتكون منطلقاً للاسطولين البريطاني والأميركي في المحيط الهندي ، ومنطلقاً لسلاح الجو الملكي البريطاني في عملياته العسكرية ضد شعب ظفار (حملة رؤوس الجبال في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧١) ، بالإضافة الى أن تلك القواعد كانت تشكل محطات ارتباط للقواعد البريطانية في الشرق الأقصى وقبرص .

ومن أبرز تلك القواعد : **قاعدة بيت الفلج** الجوية البرية ، وهي مقر القيادة العامة للقوات البريطانية ، **وقاعدة السيب** الجوية البرية وهي تعد لتكون البديل للقاعدة الأولى في بيت الفلج . **وقاعدة الدقم** البرية المقابلة لجزيرة مصيره . **وقاعدة أم الغوارف** البرية قرب صلالة وهي مقر قيادة القوات البريطانية في ظفار ، ومنها توجه العمليات ضد الثورة . **وقاعدة بيت نزوى** . **وقاعدة رأس الحد** البحرية الجوية ، وهي من القواعد الجديدة التي يجري تطويرها . ومراكز عسكرية عديدة في عبرى وبدبد ، ومطارات عسكرية بريطانية في قلية ، وخبية ، وجبل الفهود ، وتمريت ، ومرباط ، وحبروت .

ورغم هذا الوجود العسكري المكثف (وربما نتيجة لوجوده) فقد قرر فرع حركة القوميين العرب في الخليج العربي أن يبدأ الكفاح المسلح في الإقليم الجنوبي من عمان (اقليم ظفار) ، وذلك رداً على الأوضاع المتردية تحت حكم سعيد بن تيمور ، ولطرد الاستعمار البريطاني من المنطقة كلها . وقد حاول فرع حركة القوميين العرب في ظفار الافادة من تجارب الانتفاضات السابقة ، عن طريق تعبئة اوسع الجماهير ، والاتصال بكافة التنظيمات القائمة لتوحيد الجهود وضمان شمول الثورة والتحالف مع القوى الوطنية الأخرى .

وهكذا تم الاتصال مع « الجمعية الخيرية الظفارية » ، وتنظيم « الجنود الظفاريين » من أجل القيام بعمل مشترك ، وتشكيل جبهة نضالية واحدة تفجر الكفاح المسلح . وعقد المؤتمر التأسيسي الأول في « وادي نحيز » حيث تم تشكيل « جبهة تحرير ظفار » التي أقرت بيان إعلان الكفاح المسلح في ٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٥ .

ويرجع اختيار الحركة لاقليم ظفار كمنطلق للثوار إلى عدة أسباب ، من بينها نضوج الأوضاع الجماهيرية والسياسية لحركة مسلحة ضد الاستعمار البريطاني حيث بلغ السخط الشعبي أقصى مداه . وبعد المنطقة ، نسبياً ، عن قواعد الانكليز العسكرية ، ومراكز امداداتهم ، بالاضافة الى صلاحية المنطقة لقيام حرب العصابات .

ونتيجة لرفع شعار إقليمية الثورة ، مراعاة لموقف شريكي « الحركة » في الكفاح المسلح ، فقد عانت الثورة كثيراً من حالات الجمود والانغلاق ، واستمر الوضع كذلك الى أن عقد المؤتمر الثاني للجبهة في وادي « حمرين » في الفترة الممتدة من ٦٨/٩/١ وحتى ١٩٦٨/٩/٢٠ ، حيث توصل المؤتمر الى نتائج ع. هي :

– انتخاب قيادة جديدة ، معظم عناصرها مؤيدة لحركة القوميين العرب واتجاهاتها الفكرية والطبقية .
– وضع ميثاق وطني للجبهة .
– إعلان التزام الجبهة بالعنف الثوري المنظم ، باعتباره المسلك الوحيد لدحر الامبريالية والرجعية والبورجوازية والاقطاع .
– تغيير اسم الجبهة من « جبهة تحرير ظفار » الى « الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل » ، وتبني استراتيجية ثورية ، ذات أبعاد شمولية على مستوى ساحة الخليج ، وذلك بربط نضال ظفار بنضال الجماهير في الخليج العربي حتى تكتسب الثورة معناها الحقيقي .

وكما كان العام ١٩٦٨ بالنسبة لثورة ظفار ، إذ شهد انبثاق التنظيم الجذري الجديد المسمى « الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل » ، كذلك كان حاسماً بالنسبة لحركة القوميين العرب نفسها ، ولكن بشكل معكوس ، إذ انشقت الحركة الى فروع اقليمية نتيجة للاوضاع التنظيمية الخاطئة التي كانت تسودها ، وكان فرع « الخليج العربي » من أوائل الفروع التي أعلنت عن إنهاء علاقاتها مع القيادة المركزية للحركة ، واعلنت عن توجهاتها الجذرية الجديدة . وهكذا شكلت العناصر اليسارية في الفرع تنظيم « الحركة الثورية في عمان والخليج العربي » التي ركزت خلال النصف الأول من عام ١٩٧٠ على الاتصال ببعض العناصر والتنظيمات الصغيرة في عمان للتحضير من أجل تفجير الكفاح المسلح ، وتمخضت هذه الاتصالات عن تكوين « الجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج العربي » ، وبدأت الكفاح المسلح في عمان الداخل (نزوى وازكى) في ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، وطرحت برنامج عمل وطني ، يشكل الرديف الثوري لبرنامج « الجبهة الشعبية لتحرير الخليج » .

وقد أدركت بريطانيا خطورة الوضع الناجم عن تفجير الثورة في عمان الداخل ، بالاضافة الى اقليم ظفار ، ولذا بادرت الى خلع السلطان سعيد بن

تيمور بواسطة ابنه الاكبر «قابوس»، بعد أن حاولت إيهام الناس بأن كل الويلات التي حلت بهم كانت بسببه، ثم طرحت برنامجاً إصلاحياً بغية سحب الأرض من تحت أقدام «الجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج العربي» التي لم يكن قد مضى على إعلان قيامها سوى أيام قليلة، مما اضطر الجبهة لإيقاف النضال العسكري الذي اعلنت عنه، والرجوع الى العمل السياسي السري مؤقتاً.

ولكن الوضع الجديد لم يؤثر كثيراً على الإقليم الجنوبي (ظفار) حيث نجحت «الجبهة الشعبية لتحرير الخليج» في تحرير الجزء الاكبر من الريف، واستطاعت أن تلف الجماهير حولها.

وإزاء الوضع الجديد الناشئ عن تعيين السلطان قابوس بن سعيد خلفاً لوالده المخلوع، فقد أدركت الجبهتان أهمية توحيد القوى الوطنية في عمان، لمواجهة قوى العدو المتزايدة، ودخول اطراف جديدة في الحرب مثل الأردن واتحاد الإمارات، وازدياد الدعم الذي يتلقاه قابوس من السعودية وايران والولايات المتحدة.

ولهذا تداعت الجبهتان للقاء. وعقد مؤتمر توحيدي في (اهليش) المنطقة المحررة، في نهاية عام ١٩٧١ لتوحيد الجبهتين ودمجهما في جبهة واحدة، كي تصب كل المجهودات والطاقات من أجل تصعيد النضال ضد الاستعمار البريطاني وعملائه. وقد توصل المؤتمرون الى القرارات والانجازات التالية:

- دمج «الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل» و «الجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج العربي» في جبهة واحدة تحت أسم «الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي».
- مناقشة وإقرار برنامج العمل الوطني الديمقراطي والنظام الداخلي المقدم من قبل اللجنة التحضيرية.
- انتخاب قيادة موحدة للجبهة الجديدة.

ولقد وضعت «الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي» أمامها عدة أهداف. وكانت **أهدافها على الصعيد المحلي:** تحرير المنطقة من كافة أشكال الوجود الاستعماري، وتحقيق الاستقلال الناجز، والقضاء على أنظمة الحكم العشائرية الاوتوقراطية، والقضاء على التجزئة وتحقيق وحدة المنطقة السياسية، والقضاء على الإقطاع بكافة أشكاله، وتوزيع الأراضي على الفلاحين المعدمين، وإقامة التعاونيات والمزارع الجماعية، وتحطيم العبودية، وتصفية كافة بقايا علاقات الرق، وبناء نظام سلطة الديمقراطية الشعبية، وإنهاء سيطرة واستغلال الطبقة البورجوازية الكومبرادورية، وتصفية الاحتكارات الأجنبية بكافة أشكالها مع تحرير السوق الوطنية من الارتباط بعجلة السوق الرأسمالية العالمية، وبناء اقتصاد وطني مستقل ذي قاعدة صناعية وزراعية ثقيلة، واطلاق حريات الجماهير ومبادراتها، وتعبئة طاقات الشعب سياسياً وعسكرياً، وبناء جيش ثوري قوي، والعمل على إلغاء فوارق التخلف بين الأرياف والمدن، ومكافحة الثقافة الاستعمارية الرجعية وبناء ثقافة وطنية ثورية، والعمل على تحرير المرأة من كافة أشكال الاضطهاد السياسي والاجتماعي والعائلي، ومحاربة أسباب الفساد الخلقي والإداري والسياسي، ومحاربة الجهل والمرض وكافة مظاهر التخلف في المجتمع، وضمان الحقوق الكاملة للاقليات والجاليات الأجنبية، وتأمين حرية العقائد والمذاهب الدينية.

أما **أهدافها على الصعيد العربي** فكانت تتمثل في تعزيز العلاقة الكفاحية بين الثورة في عمان والخليج العربي، والثورة في اليمن الديمقراطية، مع السعي لإقامة أرقى أشكال العلاقة التنظيمية بين التنظيمين الطليعيين: «الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي» و «الجبهة القومية» (التنظيم السياسي لجمهورية اليمن الديمقراطية)، من أجل إقامة جبهة واحدة عريضة على امتداد ساحة عمان والخليج العربي واليمن، والسعي إلى تحقيق وحدة الفصائل الوطنية التقدمية في الساحة العربية، والمساهمة الفعالة في حركة الثورة العربية لإنجاز مهام المرحلة الوطنية الديمقراطية، وبناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد، وإقامة أوثق العلاقات مع الجماهير الشعبية العريضة في الأمة العربية باعتبارها القوة الأساسية والحاسمة في الصراع بين جماهير الشعب العربي من جهة، وبين قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية من جهة أخرى، وتعرية وفضح الانظمة العربية الرجعية والعميلة لقوى الامبريالية، واعتبار وحدة فصائل العمل الوطني الفلسطيني، وشن الحرب الشعبية طويلة الأمد ضد الصهيونية والامبريالية العالمية ومصالحها في المنطقة هما الطريق الصحيح الى تحرير فلسطين وإنهاء الكيان الصهيوني.

وكانت **مواقفها على الصعيد العالمي**: اعتبار الثورة الوطنية الديمقراطية في عمان والخليج العربي جزءاً من حركة الثورة الوطنية الديمقراطية العالمية، والالتزام بدعم ومساندة نضالات الشعوب في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية، في صراعها العادل ضد قوى الاستعمار والاستعمار الجديد، والكيانات والحركات العنصرية في العالم، والوقوف الى جانب القوى الاشتراكية والتقدمية في العالم في صراعها التاريخي ضد قوى الامبريالية والرأسمالية العالمية.

وقد ترجمت «الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي» هذه المهام والمواقف عملياً من خلال ممارساتها في المناطق المحررة، حيث أقامت «مجالس شعبية» لتطوير مشاركة الجماهير ومساهمتها الفعالة في إدارة المناطق المحررة، وتطوير الأرياف في الميادين السياسية والاجتماعية والانتاجية. ويتألف المجلس الشعبي الواحد في كل منطقة من ٧ الى ١١ عضواً، وذلك حسب الكثافة السكانية، ويضم ممثلين عن المواطنين، وممثلين عن إدارات الميليشيا الشعبية، وممثلين عن إدارات جيش التحرير الشعبي.

ويعقد المجلس الشعبي دوراته العادية مرة كل شهر، ويحق له أن يجتمع في دورات استثنائية، في أي وقت، وتتمثل مهماته في كل منطقة بتطوير مبادرات الجماهير وتشجيعها وتوثيق ارتباطها بالثورة، وتجميع آراء واقتراحات وانتقادات المواطنين ودراستها والاستفادة منها في تطوير الممارسة العملية للثورة، والمساهمة في أعمال التوعية السياسية والدعاية والتحريض في أوساط المواطنين، وملاحقة إشاعات ودعايات عناصر الثورة المضادة وتعريتها، وتتبع تحركات العناصر المضادة المندسة في أوساط الجماهير واستكشافها، والعمل على تصفيتها. وحل المشكلات الاجتماعية في أوساط المواطنين، الناتجة عن بقايا النظام القبلي (الثأر ومسائل الإرث.. الخ)، وتطوير الانتاج الزراعي، والانتاج الحيواني، والإهتمام بتنظيم الري وتوسيع مشاريع السدود والأحواض، وتنظيم حملات التوعية في أوساط المواطنين حول أهمية رفع الانتاج وكشف مخططات السلطة العميلة الرامية الى ضرب الاقتصاد الريفي وتضييق الخناق الاقتصادي من حول الثورة والمواطنين في المناطق المحررة.

كما ترجمت الجبهة مهامها عملياً باللقاء مع الحركات الوطنية والثورات الشعبية، سواء في الوطن العربي أو العالم، ولكنها تعرضت لأخطار عديدة استطاعت تجاوزها بفضل قدرتها على فهم طبيعة العدو، وتخطيطاته، ومبادرتها الى وضع خطط مضادة تكون نتيجتها الخروج من المآزق، أقوى مما كانت، واكثر قدرة على مواصلة الكفاح، كما حصل أثناء حركة ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٧١، حيث جرت حركة انقسامية في المنطقة الشرقية من ظفار، مستهدفة جر البلاد الى حرب أهلية واسعة، ولكنها ماتت في مهدها بفضل الوعي الذي اتصفت به الجبهة عند تصديها للحركة المذكورة.

ولقد خاضت «الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي» معارك واسعة مع القوات البريطانية التي كانت تهدف للقضاء على الثورة، وتمكنت من الصمود والمحافظة على المناطق المحررة من إقليم ظفار، وكانت أشد المعارك في «صرفيت» غربي ظفار، وفي «مرباط» حيث تمكنت من احتلال بعض مواقع العدو الحصينة في ٧٢/٧/١٩.

وكان أخطر ما واجهته الثورة بالتأكيد هو الترتيبات التي جرت «لتعريب» الثورة المضادة من خلال المساهمات الفعالة العسكرية والبشرية للسلطات الأردنية والسعودية، والرامية الى إحلال ضباط من العرب محل بعض الضباط الانكليز، بغية إعطاء الحرب طابعاً عربياً يقلل من الانتقادات الموجهة للسلطة خلال ضرب الثورة

وجرت هذه الترتيبات مترافقة مع «اقلمة» الحرب، والزج بالبلاد في حرب أهلية يكون وقودها المواطنون أنفسهم، وهذا ما خططت له الإمبريالية والرجعية عن طريق تشكيل ما يسمى «بالفرق الوطنية» لمقاتلة قوات الثورة. كما ترافقت هذه الترتيبات مع ازدياد التدخل الإيراني والسعودي بشكل مكشوف. ولمجابهة هذه الأخطار سعت قيادة «الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي» لتنظيم الشعب حتى يصبح قادراً على شن النضالات المتعددة والمتنوعة في وجه الأعداء، وكشفت الجماهير، بحسها الثوري، في مختلف مواقع الصدام اليومية مع السلطة، طبيعة العدو ونوعية الأسلحة التي يعتمدها. وتتمثل الاهداف التي سعت اليها «الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي» وكل القوى الوطنية في المنطقة في مرحلة مجابهة الأخطار التي عاشتها بالنقاط التالية:

آ – دحر الغزو الايراني الذي لا يهدد عمان فقط، وإنما منطقة الخليج العربي كلها، ويهدد السلام في المحيط الهندي وجنوب شرق آسيا.

ب – تصفية الوجود العسكري الاجنبي والمتمثل بالقواعد والجيوش الأميركية والايرانية والبريطانية في المنطقة: البحرين، ومصيرة، وصلالة، ورأس الحد وثمريت؛ وخروج الاساطيل الاستعمارية من مياه الخليج العربي.

ج) الإطاحة بالنظام الرجعي في مسقط.

د – استرداد الحقوق الوطنية في الثروات النفطية والزراعية والتجارية، والعمل على تسخير النفط من أجل تطوير المنطقة التي تعاني من التخلف.

هـ – النضال من أجل تحقيق الحريات الديمقراطية، والسماح للجماهير بالتكتل وبناء منظماتها المستقلة للدفاع عن حقوقها أمام تكتل الاحتكاريين.

و – النضال من أجل تحويل الخليج العربي الى بحيرة سلام، حيث تقوم العلاقة بين الدول المختلفة على اساس الاحترام المتبادل، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، ونبذ سياسة الضم والإلحاق والتوسع والهيمنة التي تتبعها إيران في الوقت الحاضر.

ز – النضال من أجل تحويل المحيط الهندي الى منطقة خالية من القواعد (الأساطيل الأمريكية والبريطانية).

ومنذ اندلاع الثورة، خاضت قوات جيش التحرير الشعبي والميليشيا الشعبية معارك حامية ودامية مع قوات العدو التي كانت تساندها القوات البريطانية أولا، ثم القوات الايرانية وقوات الدول العربية التقليدية فيما بعد. وكان «طريق حمرين» الذي يربط قواعد العدو في سهل صلالة بمراكزه الشمالية وقواعده في عمان الداخل الميدان الرئيسي للمعارك بين الطرفين. وقد أطلق عليه الثوار اسم (الخط الأحمر) لكثرة ما أريق فيه من دماء، حيث استطاعت قوات جيش التحرير والميليشيا أن تطرد قوات العدو من الخط الواقع في ريف المنطقة الوسطى، وتحت السيطرة التامة على «طريق حمرين» وتطهيرها بشكل نهائي مع بداية النصف الثاني من عام ١٩٧٠، بعد أن قام العدو بحملات ضخمة استخدم فيها كافة أسلحته (الدبابات – المصفحات الطيران – المدفعية الثقيلة) دون جدوى. ومنذ ذلك الوقت لم يعد بإمكانه استخدامه، واصبحت الطائرات هي الوسيلة الوحيدة للاتصال بمراكزه في الشمال وفي بقية مناطق عمان.

وبعد أن فشل العدو في تحقيق أي نصر في المنطقة الوسطى نقل الحرب الى المنطقة الغربية، وقد خاضت معه قوات الجبهة معارك عنيفة في شعبوت، اضطر بعدها للانسحاب؛ ودمر الطيران البريطاني مدينة رخيوت التي هجرها سكانها الى الجبال المجاورة. وفي ١٤ شباط (فبراير) ١٩٧١ قامت قوات جيش التحرير الشعبي والميليشيا الشعبية بهجوم شامل على معظم قواعد العدو الأساسية في السهل الساحلي، وفي وقت واحد، شمل القاعدة الجوية البريطانية في صلالة – ومركز آنا – قاعدة أم الغوارف للمشاة – مركز المسيلة – مواقع العدو في مدينة طاقة. وقد تكبد العدو خسائر فادحة في الأرواح والمعدات والمنشآت، وكان من بين القتلى ستة ضباط بريطانيين.

وفي بداية شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧١ قام العدو بحملة عسكرية ضخمة على المنطقة الشرقية بقصد إسقاطها. وقد جندت بريطانيا وقوات السلطة امكانيات ضخمة لهذه الحملة منها استجلاب فرق الكوماندوس البريطانية (الشياطين الحمر) وطائرات «سترايك ماستر» الحديثة، ومجموعات كبيرة من المرتزقة. ومنذ اليوم الأول لنزولهم، دارت معارك عنيفة ويومية على طول المنطقة الشرقية. والتفت الجماهير حول قوات جيش التحرير. وبعد شهرين كاملين (تشرين الاول وتشرين الثاني) من المعارك الدامية، دحرت قوات العدو وتقهقرت مهزومة الى مواقعها الأساسية، إثر تكبدها خسائر فادحة في الأرواح والمعدات. وقد اعترفت الصحف البريطانية آنذاك بالهزيمة، وما كان أمام وزارة الدفاع البريطانية إلا إعلان عزل قائد قواتها في السلطنة «غراهام» الذي خطط للحملة ووعد بإنهاء الثورة، واستبدلته «بكريزي» لعله ينجح فيما فشل فيه سلفه.

وبعدما فشلت حملة (تشرين الأول – تشرين الثاني) ١٩٧١ قام العدو بحملة أخرى على الممر في بداية ١٩٧٢، بقصد قطع خطوط التموين للجبهة بين المنطقة الغربية وبقية المناطق الداخلية. ونزلت قواته في العديد من الأماكن الهامة. ونتيجة لوعورة المنطقة وقحطها، وبعد معارك متصلة استمرت اكثر من شهرين لم تستطع أثناءها قوات العدو من تحقيق أهدافها، اضطرت من جديد للانسحاب، او البقاء في مراكز بعيدة، معرضة لهجمات القوات الثورية باستمرار.

وفي أواخر نيسان (أبريل) ١٩٧٢ نزلت قوات العدو في شمال صرفيت بالمنطقة الغربية مستهدفة قطع خطوط مواصلات الثورة (يطلق الضباط الانكليز على هذه المنطقة اسم «عنق الزجاجة» نظراً لأهميتها الاستراتيجية). وشنت قوات الجبهة عند ذلك هجمات عنيفة ويومية على هذه المواقع، ولم يحقق العدو هدفه الاساسي، وانما ظلت قواته مثبتة في مواقعها.

أما في مركز تقبيت الواقع في شمال المنطقة الغربية، فقد تواجد العدو هناك منذ قيام الثورة عام ١٩٦٥. وفي أوائل ١٩٧١ بدأ الثوار يشددون من هجماتهم على هذا المركز. وخلال النصف الأول من عام ١٩٧٢ ازدادت شدة هذه الهجمات اليومية (اكثر من ٣ هجمات في اليوم الواحد). وتحت شدة ضربات الثوار اضطر العدو للانسحاب منه في ٨ أيار (مايو) ١٩٧٢.

. ويعتبر الهجوم الذي شنته قوات الثورة على مدينة مرباط (مدينة الشهداء) علامة فارقة في حياة الجبهة وقواتها المسلحة . وبالرغم من النتائج السلبية التي نجمت عن هذا الهجوم ، إلا أنه برهن عن مدى تماسك قوات جيش التحرير الشعبي والميليشيا الشعبية واستبسالها ، في سبيل تحقيق الأهداف الثورية للجبهة مهما بلغت التضحيات . ففي فجر التاسع عشر من تموز (يوليو) ١٩٧٢ شنت قوات الثورة العاملة في المنطقتين الوسطى والشرقية هجوماً مشتركاً على مدينة مرباط ، وطوقت المدينة ، واقتحمت معاقل العدو حيث خاضت معه معارك ضارية ، وهنا لجأ العدو الى القوات الجوية ، وتم إنزال المظليين خلف الثوار ، واشتبكت معهم القوات الاحتياطية . واستمر القتال ١٨ ساعة ، وانتهى بانسحاب الثوار بعد خسارة ٢١ قتيلا و ١٢ جريحاً .

وتابعت ثورة ظفار نضالها بعد فشل الهجوم الكبير الذي شنته قواتها على بلدة مرباط شرق ظفار . ولكنها وجدت أن عليها أيضاً أن تحارب الوجود العسكري الايراني في المنطقة ، خاصة بعد وصول حوالي ١٢٠٠ جندي ايراني من سلاح المظلات عام ١٩٧٢ لتدريب قوات السلطان ، ومواجهة حرب العصابات التي يشنها ثوار الجبهة . ولقد اشتركت هذه القوة الايرانية في العمليات الحربية ، ولكنها لم تستطع طوال عامي ١٩٧٢ - ١٩٧٣ إلا فتح الطريق بين صلالة ومسقط ، والمعروفة عسكرياً باسم « ميدواي » عند بلدة ثمريت . وهي طريق التموين الأساسية لكل المنطقة الجنوبية ، والتي ظل الثوار يسيطرون عليها عدة أعوام .

وكانت القوات الايرانية العاملة في ظفار عام ١٩٧٤ تملك نحو ١٥ طائرة هليوكبتر من طراز « اوغستابل - ٢٥ » مع طياريها ومهندسي الصيانة والضباط التابعين لها الذين بلغ عددهم نحو ٤٠ ضابطاً كما كانت تملك عدة طائرات نقل من طراز « هركوليس - ١٣٠ - سي » ولذا كان من الممكن اعتبارها قوات صدمة سريعة الحركة وذات اكتفاء ذاتي .وكانت تموّن مباشرة من « بندر عباس » ، وتتكفل إيران بمصاريفها ورواتبها واعبائها لكونها جزءاً من القوات المسلحة الايرانية ، وإن تكن نظرياً تحت إمرة قيادة قطاع ظفار وقوات السلطان المسلحة .

ولقد تعرضت خلال كفاحها المسلح لمصاعب كثيرة ، بعضها ذاتي واكثرها خارجي ، حتى تقلص عدد الثوار واصبح مؤخراً لا يزيد عن ٦٠٠ رجل مسلح ، مدربين تدريباً حسناً ، ومثقفين ثقافة سياسية وعقائدية جيدة ، تدعمهم ميليشيا تضم (٦٠٠ - ١٠٠٠) رجل وامرأة ، مبنية على أساس قبلي ، وتشمل كل منطقة من مناطق الجبال حيث يقيم الثوار . وليست جميع عناصر الميليشيا مسلحة ، ولا يقتصر دورها على المساندة في القتال ، بل يتعداه الى تأدية خدمات تموينية واستطلاعية .

وتقسم قوات الثورة استراتيجياً الى ثلاثة أقسام : أ) القطاع الغربي قرب الحدود مع اليمن الجنوبية ، حيث تعمل فرقة « بن غوثة » وهي مؤلفة من نحو ١٢٠ مقاتلا . ب) القطاع الأوسط في منتصف الطريق الى صلالة ، حيث تعمل كتيبة ٩ حزيران (يونيو) المؤلفة من ثلاث فرق : فرقة « سهيل » وفرقة « أحمد طارش »،وفرقة « بن ظهير » . ج) القطاع الشرقي بالقرب من حدود عمان للداخل حيث تعمل الكتيبة الغربية المؤلفة من اربع فرق : فرقة « بن دهيم » وفرقة « سيف » والفرقة الشرقية والفرقة الجنوبية . ويبلغ عدد كل فرقة نحو ٦٠ مقاتلا .

ويملك الثوار أنواعاً مختلفة من الأسلحة منها رشاشات ثقيلة ، ومدافع هاون ، وأسلحة فردية مختلفة العيارات والمصادر ، ومدافع مضادة للدبابات عيار ٧٥ مم ، وصواريخ كاتيوشا السوفياتية (١٢٢ مم) . واكثر اسلحة الثوار اليوم سوفياتية الصنع ، ولكنها لا تأتي مباشرة من الاتحاد السوفياتي ، وانما عن طريق الدول الصديقة . ولا تزال البؤر الثورية الظفارية تقوم ببعض العمليات العسكرية المحدودة رغم اختلال ميزان القوى .

(٨) ثورة محمد عبد الكريم الخطابي

(انظر ثورة الريف المغربي) .

(٦) الثورة العراقية (١٩٢٠)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٨) الثورة العراقية ١٩٤١ (أو ثورة رشيد عالي الكيلاني)

حاولت بريطانيا في بداية الحرب العالمية الثانية دفع العراق إلى إعلان الحرب على دول المحور . ولكن الوطنيين الاحرار في العراق رفضوا هذه السياسة ، والتفوا حول رشيد عالي الكيلاني (انظر الكيلاني ، رشيد عالي) ، وحصلوا على تأييد الجماهير . وحاولت السلطات البريطانية إثارة القلاقل بمساعدة نوري السعيد وأعوانه ضد حكومة رشيد عالي الكيلاني الوطنية . ولكنها فشلت في ذلك ، الأمر الذي أثار حفيظتها ، ودفعها إلى شن حملة دعائية ضد سياسة الكيلاني « النازية » تمهيداً لشن عدوان مسلح على العراق .

وكان العراق في تلك الفترة يمثل ضرورة حياتية ذات أهمية خاصة بالنسبة لبريطانيا من أجل الوصول الى الهند ، وذلك بسبب الحاجة الى ارض العراق الواسعة ، وما بها من مطارات ، وطرق مواصلات ، وعقد اتصال للخطوط الجوية ، بالاضافة الى وجود حقول النفط في كل من الموصل وكركوك وحاجة بريطانيا الى هذه المادة التي لا غنى عنها للمجهود الحربي . وكانت الاتفاقية المعقودة بين العراق وبريطانيا تسمح لهذه الاخيرة بان تستخدم في حالة الحرب اثنين من المطارات مع حق المرور بكافة الوسائل اللازمة لقواتها . وكان المطار الأول يقع في الحبانية على بعد ستين ميلا تقريباً في اتجاه جنوب غرب بغداد . اما المطار الآخر فهو مطار « سن الدبان - او - شيبا » وهذا يقع على بعد عشرين ميلا في اتجاه الغرب من البصره .

كانت قوة العراق مكونة من اربع فرق : اثنتان منها في بغداد ، بالإضافة الى لواء ميكانيكي مدعم بثلاثين دبابة ، وفوجي مشاة منقولين على عربات نقل كبيرة ، وستين طائرة حديثة نسبياً . أما القوات البريطانية الموجودة في العراق فكانت تضم : سرب قاذفات قنابل (٢٤٤) يضم ثلاثين طائرة في مطار « سن الدبـــان - شيبا » ، وثمانين طائرة اكثرها من النماذج التي ألغي استخدامها في مطار الحبانيه (الذي كان المعهد الرابع لتدريب الطيارين) كما كانت تضم قاعدة الحبانيه ١٨ عربة مدرعة قديمة . وكان مارشال الجو « هـ. ج. سمارت » القائد لهذه القوات جميعها وكان معروفاً بعدم قدرته على مجابهة المواقف المعقدة المماثلة لما كان عليه موقف العراق في بداية عام ١٩٤١ . وكان قد تم في الواقع اعداد مخطط يتضمن زج قوات ميكانيكية وادخالها عن طريق فلسطين بهدف احتلال الحبانيه ، والتقدم منها الى بغداد ، والعمل في الوقت ذاته على انزال لواء من القوات الهندية في خليج البصره للاستيلاء على مطار « سن الدبان - شيبا » لكن هذه القوات كانت ضعيفة . كما ان بعد المسافة وطول الطريق البحري والارضي (عبر الصحراء) كان سيرغم القوات على قضاء فترة زمنية طويلة في التحرك مما قد يجعل وصولها الى اهدافها في وقت متأخر جداً وبذلك تفقد العملية أهميتها مما قد يعرض المخطط باكمله للفشل . هذا بالاضافة الى ان قوات الانزال البحري في البصرة قد تصطدم بالقوات العراقية . وكانت مسيرة الاحداث وتطوراتها

المتسارعة تفرض على القيادة البريطانية العمل بسرعة كبرى والتدخل العاجل بالقوات ، حتى لو كان ذلك بقوات قليلة . ولم يكن هناك وسيلة أفضل من النقل الجوي يمكن اعتمادها لانقاذ الموقف المتدهور .

في يوم ١٧ نيسان (ابريل) تحركت قوة مكونة من اربعمائة ضابط وجندي من قوات اللواء الملكي البريطاني الخاص ، واستقلت الطائرات الى قاعدة « سن الدبان – شيبا » وبدأت في العمل منذ وصولها بهدف مساعدة اللواء الاول للفرقة العاشرة الهندية ، وتمكينه من النزول عند خليج البصره . وبعد تنفيذ هذه المهمة كان على القوة ذاتها ان تتحرك جواً الى الموقف حيث كان الوضع يتزايد خطورة .

وكان رشيد عالي الكيلاني قــد أحاط المطار بأحد عشر فوجاً ، ومعهم ٥٠ مدفعاً ، وعزل القوات البريطانية . كما اوقف تدفق النفط من انبوب كركوك – حيفا . ومنع دخول قوات بريطانية جديدة الى العراق . وقامت القوات العراقية بالهجوم على المركز البريطاني في الرطبة . وارغمت الحامية المتمركزة فيه على التراجع والانسحاب في اتجاه محطة ضخ النفط (H. 4) ، واصبحت قاعدة انطلاق القوات البريطانية ذاتها مهددة . وفي هذا الموقف ، وبعد ان اصبح مارشال الجو « سمارت » في حالة عزلة تامة عن قواته الضعيفة المكلفة بالدفاع ، والتي كانت بعيدة عنه مسافة ثلاثمائة ميل ، أصدر المارشال « سمارت » أوامره بالهجوم ، وكانت أوامره متأخرة جــداً .

كان ونستون تشرشل ، رئيس الوزراء في الحكومة البريطانية آنذاك ، يتابع باهتمام كبير تفاقم الموقف ويقدر خطورته . فأصدر تعليماته لمعالجة الأزمة ، وأمر باستخدام القوة في الوقت ذاته ، والضرب اذا ما اقتضى الأمر ذلك . على ان تكون الضربات قوية وحاسمة قدر المستطاع .

في يوم ٢ أيار (مايو) بدأت طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني ، القاذفة منهــا والمقاتلة ، بالاقلاع من مطار الحبانية والهجوم على القوات العراقية ومواقعها ومطاراتها ومعسكراتها . بالاضافة الى قصف الطرق العراقية . وكان رد فعل رئيس الوزراء العراقي رشيد عالي الكيلاني : الاعلان عن إلغاء المعاهدة العراقية البريطانية ، والتهديد بنسف السفارة البريطانية في بغداد ، اذا ما قام الطيران البريطاني بقصف العاصمة العراقية (وكانت السفارة البريطانية تضم جهاز السلك الديبلوماسي والموظفين البريطانيين في جميع انحاء العراق وعائلاتهم واولادهم) وسحب جميع الخبراء والمهندسين البريطانيين العاملين في منطقة كركوك ، ونقلهم الى السفارة البريطانية في بغداد التي تحولت الى مركز اعتقال للبريطانيين ، واحتلال كركوك من قبل الجيش العراقي ، وتوجيه القوات العراقية لحصار قاعدة الحبانية ، واعلان حــالة الحرب ، واستنفار القبائل وتوجيهها لدعم الجيش .

واستجابت الجماهير العراقية ، والشعب العراقي لنداء الثورة فأسرعت للوقوف الى جانب الجيش . واستطاعت القبائل في منطقة البصرة ان تقدم دعماً حقيقياً للقوات المسلحة ، بحيث لم تتمكن القوات البريطانية من رفع طوق الحصار طوال اكثر من شهر كانت فيه اعمال القتال مستمرة .

نجحت الطائرات البريطانية في السيطرة على سماء المعركة ، ووجهت السلطة البريطانية انذاراً طالبت رشيد عالي الكيلاني والضباط القادة وزعماء الجيش بتسليم انفسهم خلال فترة ٢٤ ساعة كشرط لإيقاف العمليات القتالية . لكن احداً لم يستجب للانذار . واستمرت طائرات سلاح الجو الملكي بقصف القوات العراقية طوال اليوم الاول للعدوان . واضطرت الطائرات للقيام بمائتي وعشر طلعات من أجل إلقاء كمية ٣٥ طناً من القنابل . وبعد ذلك اصبح باستطاعة قوات المشاة التي كانت قد وصلت عن طريق الجو ان تبدأ هجومها على القوات العراقية . واضطرت القوات العراقية امام الضغط المتزايد للقوات المحمولة جواً ان تتراجع حتى مراكزها الاولى وقواعد انطلاقها . واستمرت اعمال القتال دون توقف . وفي ليل ٥ – ٦ أيار (مايو) قامت القوات البريطانية بعملية استطلاع أمكن بواسطتها الوصول الى معرفة دقيقة حول حجم الخسائر التي تكبدتها القوات العراقية ، وكانت في حدود ٥٠٠ قتيل ، بالاضافة الى تدمير ٧٥ مركبة ، ووقوع ٤٠٠ أسير من القوات العراقية بيد البريطانيين . وبدأ الضغط على القوات البريطانية يتراجع تدريجياً .

نتيجة لاعلان الحرب ، ووقوع المعارك ، توجه رشيد عالي الكيلاني الى المانيا النازية يطلب دعمها وتأييدها ، واعلن استقلال الدينار العراقي عن كتلة الجنيه الاسترليني ، وأعد نموذجاً جديداً للنقد ، ولم يكن لدى العراق رصيد ذهبي يكفي لتغطية النقد الذي سيتم إصداره ، ونجح رشيد عالي الكيلاني باجراء اتصالات مع هتلر تم فيها الاتفاق على ارسال الذهب المطلوب لتغطية النقد مقابل حصول المانيا على فائض المنتجات العراقية . وتم إرسال ما يعادل ثلاثة ملايين جنيه ذهبي حملها الى العراق وزير الماني على طائرة المانية خاصة ولكن وصول هذه التغطية كان متأخراً فاضطر الوزير الالماني لحمل الذهب ثانية والعودة به الى المانيا

في يوم ٨ أيار (مايو) وصلت أول طائرة المانية لدعم الثورة العراقية . وهبطت في مطار الموصل وفي يوم ١٦ أيار (مايو) قامت ثلاث طائرات يقودها طيارون ألمان بالهجوم على مطار الحبانيه ، واستمر وصول الطائرات الالمانية الى العراق ، كما وصل مطار الموصل ٢٠ طائرة ايطالية . وفي الوقت ذاته قام رشيد عالي الكيلاني باجراء اتصالات مع الاتحاد السوفييتي للحصول على الاسلحة . واستجاب الاتحاد السوفييتي لطلب حكومة العراق ، واخــذ الجيش العراقي في الاستعداد لاستقبال الاسلحة الجديدة ، وهنا ظهرت مشكلة جديدة هي عدم توفر الوقود للطائرات ، بسبب حصر الكميات والسيطرة عليها بواسطة القوات البريطانية والخبراء البريطانيين . وكان لهذا العامل أثره في إضعاف قوة الثورة .

أمام هذا الموقف ، قررت القيادة البريطانية احتلال مطار الحبانية بأقصى سرعة ممكنة وذلك لأن الجيش العراقي الذي استطاعت القوات البريطانية تجريده من سلاحه في المعارك الجارية قد يتحول الى قوة خطيرة اذا ما وصلت اسلحة الدعم من الاتحاد السوفييتي او المانيا . وفي هذه الفترة لم يكن باستطاعة القوات الهندية مغادرة البصرة بسبب الفيضان الذي أعاق القوات الهندية ، وجعلها عاجزة عن التحرك الى الشمال للتدخل في الوقت المناسب . وكان من الممكن تكليف اللواء الميكانيكي القادم من فلسطين بقيادة غلوب باشا لتنفيذه هذه المهمة نظراً لأنه من التنظيمات سريعة الحركة نسبياً . لكن هذا اللواء كان ملزماً بالسير على محاور الطرق لمسافة اربعمائة ميل عبر الاراضي الصحراوية ، وذلك قبل وصوله الى العراق . ومرة أخرى لم يبق سوى النقل الجوي وسيلة يمكن بها تنفيذ مخطط الهجوم بأقصى سرعة ممكنة .

قامت سرية من اللواء « ايسيكس – الأول » بالتحرك جواً . ووصلت ارض المعركة في الساعة الرابعة صباحاً ، وانضمت اليها قوات أخرى ، وبدأ السباق للوصول إلى الحبانيه من جديد . وقد قامت القوات الآلية بحركة التفاف واسعة نحو الجنوب وذلك لتجنب الصدام مع المواقع الدفاعية العراقية ، وفي الوقت ذاته ، تم تدعيم الحامية المدافعة عن المطار باثنين من أفواج المظليين – وكان الفوج الأول من قوة لواء « ايسيكس – الأول » اما الفوج الثاني فهو فوج « غودكا الرابع » بالاضافة الى لواء البصرة – وكان وصول هذه القوات في يوم ١٨ أيار (مايو) . وفي هذا اليوم تم الاتصال ايضاً مــع عناصر استطلاع اللواء الاول المتقدم من فلسطين بقيادة

غلوب باشا . وبوصول اللواء الاول ، أصبحت هناك قوة كافية لتصفية قاعدة الثورة ، فبدأت القوات البريطانية هجومها على بغداد فوراً .

في يوم ٢٥ أيار (مايو) اقتحمت ثلاثة أرتال بعض الخطوط الدفاعية للقوات العراقية. وقامت سرية من مظليي لواء « ايسيكس الأول » بدعم هجوم هذه الارتال حيث نفذت عملية انزالها على مسافة قريبة من القوات العراقية ، وقد تم إنزال سرية المظليين هذه بمهمة منع وصول قوات الدعم العراقية المنطلقة من بغداد ، وبدأت بذلك مرحلة من المعارك العنيفة على أبواب العاصمة العراقية ، استمرت فترة عشرة أيام ، واشتركت فيها الدبابات العراقية ، كما اسهمت فيها الطائرات الالمانية . ولكن قوة دفع القوات البريطانية المدعمة بامكانات مادية ضخمة ساعدت على تحطيم ميزان القوى واحراز التفوق بصورة تدريجية . وخلال هذه الاشتباكات اطلقت المدفعية المضادة للطائرات نيرانها على طائرة المانية . ونتج عن ذلك سقوط الطائرة وقتل قائدها الالماني « الميجر اكسل فون بلومبرغ » الذي كان يحلق بطائرته فوق ارض المعركة لتوجيه العمليات العراقية ضد البريطانيين .

اظهرت القوات العراقية خلال معاركها بطولات رائعة . وعلى الرغم مـــن التفوق الساحق للقوات البريطانية ، فقد استطاع جيش العراق وجماهير العراق الصمود لمدة شهر كامل. ثم اخذ الموقف في التحول لصالح القوات البريطانية ، لا سيما وان حرب الاستنزاف الطويل ، وعدم توفر دعم حقيقي لقوات العراق ، قد امتص قدرة العراق الدفاعية .

في يوم ٣١ أيار (مايو) ، أصبح الموقف في بغداد يائساً ، وكانت جثث القتلى تسد مداخل العاصمة ، وارتال الجرحى تسير دون انقطاع ، ووجد رشيد عالي الكيلاني نفسه عاجزاً عن معالجة الموقف المتدهور . فقرر مغـــادرة العراق واللجوء الى ايران ووصلها في اليوم ذاته . وفي يوم ١ حزيران (يونيو) دخلت القوات البريطانية بغداد التي اقفرت شوارعها من المارة . وتابعت القوات البريطانية عملها للسيطرة على القطر العراقي . وفي يوم ٢ حزيران (يونيو) تم نقل فوج من المظليين، وهو الفوج الثاني من لواء غوركا الرابع ، وانزاله في الموصل . وقد استطاع هذا الفوج اعتقال عدد من الطيارين الالمان، والاستيلاء على طائراتهم الجاثمة فوق ارض المطار وفي الوقت ذاته تم توجيه رتل ميكانيكي نحو الشمال بمهمة الوصول بسرعة الى حقول النفط في الموصل وكركوك ، وذلك لضمان استمرار تدفق الزيت ودعم المجهود الحربي البريطاني بالقوة اللازمة لتسيير عجلة الحرب . واستطاعت القيادة البريطانية القضاء على الثورة التي كانت تسبب لها قلقاً كبيراً وتهديداً خطيراً خلال مرحلة قاسية جداً من سنوات الحرب العالمية الثانية .

وعلى الرغم من النجاح الذي حققته السلطة البريطانية في القضاء على ثورة الشعب العراقي ، فقد بقيت ذكريات هذه الثورة وعقابيلها متفاعلة في ضمير الجماهير العراقية ووجدانها . واستمرت التفاعلات الثورية ، وعندما انفجرت ثورة بغداد عام ١٩٥٨ واطاحت بالنظام الهاشمي ، اعلن قادة هذه الثورة ان ثورتهم هي ثمرة ثورة رشيد عالي الكيلاني وثأر لها .

(٧) الثورة العربية الكبرى (١٦ - ١٩١٨)

هي الانتفاضة التي قامت بزعامة الشريف حسين امير مكة ضد العثمانيين ، بتشجيع من معسكر الحلفاء ، وخصوصاً بريطانيا التي رأت بعد نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ، ان انضمام العرب اليها من شأنه شل حركة الجيوش التركية في سوريا والعراق والحجاز من جهة ، والحد من تأثير نداء الجهاد المقدس من قبل الخليفة العثماني بدعوة معاكسة يوجهها زعيم يتمتع بمكانة دينية وسياسية تؤهله للقيام بمثل هذا الدور من جهة اخرى .

وتكمن بذور هذه الانتفاضة في مشاعر الحقد والكراهية التي نشأت لدى العرب ، نتيجة للاضطهاد القومي الذي مارسته الامبراطورية العثمانية في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، وادت الى نشوء الحركات القومية العربية الى جانب الحركات التحررية في الاقطار التي كانت خاضعة للامبراطورية لا سيما بعد استيلاء جمعية « الاتحاد والترقي » على مقاليد الحكم سنة ١٩٠٨ ، ومناداتها باعادة تنظيم الامبراطورية على اسس قومية طورانية ، مع ما استتبع ذلك من محاولة لتتريك القوميات الخاضعة لها ، وخاصة القومية العربية ، وخيبة امل العرب بالحكام الجدد الذين تخلوا بسرعة عما كانوا ينادون به مـــن حرية وعدالـــة ومساواة لمختلف قوميات الامبراطورية .

وقد تمثلت الحركات القومية هذه بجمعيات سرية نشطت لنشر الوعي القومي ، واجراء الاتصالات لتهيئة الاجواء ، تمهيداً للتخلص من نير الحـــكم العثماني . وكان من ابرز هذه الجمعيات ، واوسعها انتشاراً ، واوضحها تعبيراً في المناداة بالاستقلال عن العثمانيين ، جمعية « العربية الفتاة » . وقد زاد في تأجج المشاعر القومية العربية ، موقف الاتراك في ليبيا ، عندما تخلوا ، بصورة مهينة ، عن هذا القطر العربي ، ووقعوا سنة ١٩١٢ معـــاهدة « اوشي » ، التي اعترفت فيها الامبراطورية العثمانية بواقع احتلال ايطاليا لليبيا ، وإلحـــاق طرابلس وبنغازي بالمملكة الايطالية .

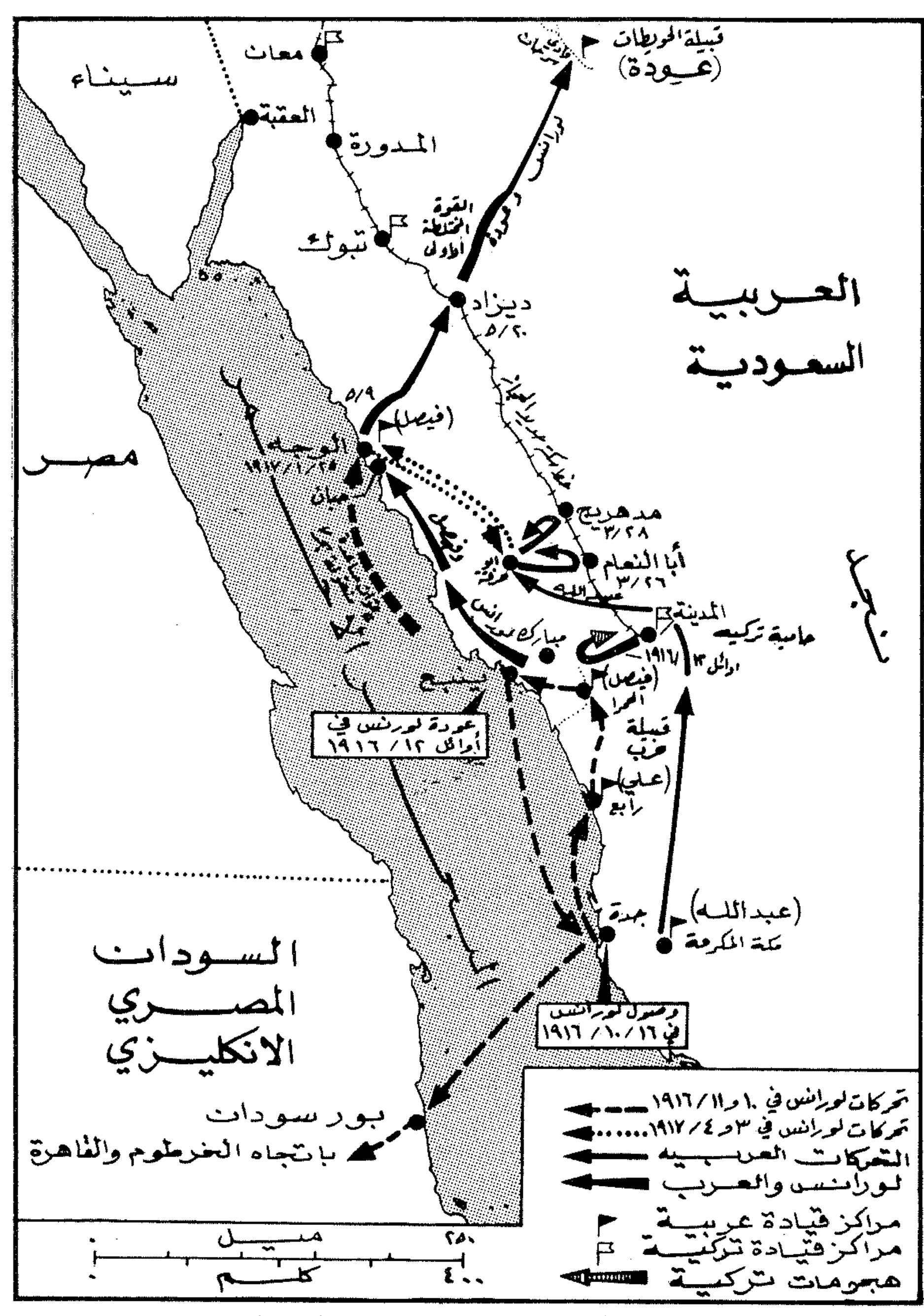
بدأت الاتصالات الاولية بين العرب ومبعوثي انكلترا ، باجتماع عقد بين اللورد كيتشنر المفوض السامي البريطاني في مصر ، والامير عبدالله بن الحسين في القاهرة ، خلال شهر شباط (فبراير) سنة ١٩١٤ ، فيما كان الامير عبدالله في طريقه من الحجاز الى الآستانة . وقد استمزج الامير في هذا الاجتماع رأي الانكليز في مساعدة العرب على القيام بثورة ضد العثمانيين ، الا ان رد كيتشنر كان واضحاً بالرفض ، لان انكلترا كانت لا تزال تأمل في كسب ود السلطان العثماني ، وعدم دفعه نهائياً للسير في ركاب الالمان .

وخلال الاشهر التي تلت ، كانت بريطانيا تتابع تطور الموقف في الآستانة ، فاذا ازداد ميل تركيا للالمان منت العرب بمساعدتهم ، واذا ابتعدت تركيا عن الالمان ، تجاهلت مطالب الشريف حسين . وبعد ان تسلم اللورد كيتشنر وزارة الحربية ، كلف مساعده رونالد ستورز بابقاء باب الاتصالات مع الشريف حسين مفتوحاً . وبالفعل اتصل رونالد ستورز بالامير عبدالله مستوضحاً جوانب الموقف ، دون ان يلزم بريطانيا بأي موقف . وعندما اعلنت الحرب العالمية الاولى في حزيران (يونيـــو) سنة ١٩١٤ ، ولم تدخلها الامبراطورية العثمانية الى جانب المانيـــا ، ضاعفت السياسة البريطانية في الآستانة عروضها الخاصة بضمان استقلال تركيا ، والحفاظ على مصالحها ، لقاء وقوفها على الحياد .

وبعد سلسلة من المواقف التركية الممالئة لالمانيا وحلفائها ، اقتنعت بريطانيا ان جهودها الرامية الى ضمان حياد الامبراطورية العثمانية لن تثمر ، فقرر مجلس الوزراء البريطاني ، بناء على طلب اللورد كيتشنر ، ان يعهد الى رونالد ستورز الاتصال رسمياً بالشريف حسين ، والاتفاق معه على اسس الثورة . واوفد رونالد ستورز رسولا للامير عبدالله ليعلمه عزم تركيا على دخول الحرب في وقت قريب الى جانب الدول المركزية (المانيـــا وحلفاؤها) ، وأبدى استعداد بريطانيا لتأييد حركة والده التحررية ، وتقديم المساعدات المـــالية والعسكرية اللازمة له . وتدارس الشريف حسين الامر مع اولاده ومؤيديه ،

لتحديد الموقف الذي يمكن اتخاذه في حال دخول الامبراطورية العثمانية الحرب الى جانب المانيا ، فتبين ان هناك وجهتي نظر ، عبر عن اولاهما ابنه فيصل ، الذي كان يرى ان لبريطانيا وفرنسا اطماعاً في الشرق العربي لا تخفى على احد ، ويخشى ان ينتقل العرب ، بانتصار الحلفاء ، من الاستعمار التركي الى استعمار انكليزي - فرنسي اشد وادهى ، هذا بالاضافة الى انه لا يجب الاستهانة بقوات الامبراطورية العثمانية الموجودة في بلاد الشام والعراق والجزيرة العربية ، والمجهزة بالاعتدة الالمانية الحديثة ، في حين ان امكانات الحجاز العسكرية والبشرية محدودة . اما وجهة النظر الثانية فكان يتبناها ابن الحسين الآخر عبدالله ، الذي كان مقتنعاً بان النصر سيكتب في الحرب للحلفاء ، وان العرب سيعلنون الثورة على العثمانيين عاجلا ام آجلا ، وأن من الحكمة ان يستبق والده الامر ، ويتولى قيادة هذه الثورة ، ويحصل على تأييد بريطانيا ضمن شروط يتفق عليها مسبقاً ، وتؤدي بالنهاية الى قيام دولة عربية واحدة بزعامة والده . وكان الشريف حسين يميـل الى وجهة النظر الاولى ، الا ان المجتمعين توصلوا بالنتيجة الى حـل وسط يقضي بالتفاوض سراً مع بريطانيا لمعرفة مدى استعدادها لتأييد الثورة عسكرياً في حالة قيامها ، وماهية العهود السياسية التي يمكن الحصول عليها من بريطانيا . كما تقرر اجراء اتصالات مع الزعماء العرب لمعرفة مواقفهم . وعلى هذا الاساس ، رد عبدالله على ستورز مشيراً الى ميل والده للتفاهم مع بريطانيا ، اذا تعهدت هذه الاخيرة بمساعدته عسكرياً ، وضمنت تحقيق مطالبه.

وفي ٢ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩١٤ ، اعلنت روسيا القيصرية الحرب على تركيا ، على اثر قيام البارجتين غوبن وبرسلو الالمانيتين اللتين كانتا في زيارة للموانيء التركية بقصف عدد من الموانيء الروسية الواقعـة عـلى البـحر الاسـود . ثم تبـع ذلك أعلان الحرب من قبل بريطانيا وفرنسا في ٥ و٦ من الشهر نفسه . وهكذا دخلت تركيا الحرب العالمية الاولى رسمياً . وتبع ذلك قيام العثمانيين بارسال وزير الحربية جمال باشا على رأس الجيش الرابع ، الى سوريا وفلسطين لتنظيم حماة على قناة السويس . وفي ٢٣ من الشهر نفسه ، اعلن السلطان العثماني نداء الى العالم الاسلامي ، وقعه شيخ الاسلام و ٢٨ عالماً تركياً ، ناشدوا فيه المسلمين اعـلان الجهاد المقدس في سبيل نصرة الدين ، والدفاع عن مقدساتهم ، وتخليص المـلايين من اخوانهم الذين استعبدتهم بريطانيا وفرنسا وروسيا في مستعمراتها .



العمليات في الحجاز (تشرين اول ١٩١٦-ايار١٧)

واخذ العثمانيون ، بمساعدة الضباط الالمان ، يجمعون جيوشهم في سوريا وجنوبي فلسطين والعـراق ، وعهدوا الى بعثة كلاين العسكرية الالمانية بنسف المنشآت البترولية في عبادان والخليج ، مما دفع بريطانيا لارسال قوات كبيرة من الهند الى جنوبي العراق. وفي الوقت نفسه جدد كيتشنر اتصالاته بالشريف حسين ، مؤكداً له ، بعبارات مدروسة بدقة ، عزم بريطانيا على حماية مركزه في الحجاز اذا انحاز للحلفاء ، والاعتراف به خليفة على المسلمين اذا بايعوه بها . كما تعهد له بمساعدة بريطانيا للعرب ضد كل اعتداء .

رد الامير عبدالله على رسالة كيتشنر ، مبدياً استعداد والده للتحالف مع بريطانيا ، واعلان الثورة على العثمانيين عندما ينتهي الاعداد لها . وفي هذا الوقت كان العثمانيون يلحون على الشريف حسين لتلبية دعوة السلطان للجهاد ، والاشتراك في الحرب



الهجانة سلاح الحركة في الثورة العربية الكبرى

الى جانبه ، الا انه تمكن من مواجهة الضغوط العثمانية ، متعللا بخطر بريطانيا المسيطرة على الخليج والبحر الاحمر ، وقدرتها على فرض حصار اقتصادي على الحجاز يكون له تأثير سلبي على مجهودات الامبراطورية العثمانية . ولتغطية هذا التسويف ، ارسل راية الرسول في احتفال مهيب من المدينة الى دمشق ، ليتبارك بها الجيش الرابع المتأهب لاجتياح السويس ، وتظاهر بتجنيد قبائل الحجاز . ولم تلبث بريطانيا ان اعلنت في ١٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٤ وضع مصر تحت حمايتها ، وخلعت الخديوي عباس حلمي واتهمته بالتواطؤ مع العثمانيين ، وعينت مكانه حسين كامل ، مما زاد في حقد العثمانيين على انكلترا ، وتبرمهم بمماطلة الشريف حسين ، فحاولوا اثارة آل سعود ، وآل الرشيد ، وامام اليمن يحيى ، ومشايخ الكويت على الشريف حسين ، ولكن دون جدوى ، خاصة بالنسبة لابن سعود الذي كان قد وقع مع البريطانيين في ١٩١٥/١/٢ معاهدة اعترفت بريطانيا به (بموجبها) حاكماً مستقلا على نجد والاحساء والقطيف والمرافىء التابعة لها على سواحل الخليج العربي ، وتعهدت بمساعدته اذا امتنع عن الاتصال بأية حكومة اجنبية .

وبسبب موقف الشريف حسين المتلكىء ، اقترح وهيب بك والي الحجاز اعتقال الشريف حسين ، فدعاه جمال باشا الى دمشق ، لكنه اوجس مما يبيت له ، فلم يلب الدعوة متذرعاً بضرورة بقائه في مكة للمحافظة على الامن . وفي اثناء ذلك ، اوفدت جمعية « العربية الفتاة » بدمشق احد اعضائها الى الشريف حسين ليطلعه بأن احرار العرب في الشام والعراق يعدون العدة للثورة ، وانهم يطلبون منه قيادتها اذا رغب . وكان لهذا الحادث وقع كبير في نفس الحسين الذي منى النفس بتأييدهم ، خاصة بعد ان عثر رجاله على حقيبة والي الحجاز الشخصية ، وفيها وثائق تثبت سعي الوالي للتآمر على حياته ، فتظاهر بارسال ولده فيصل الى الآستانة بداعي الشكوى من الوالي ، في حين ان الغاية الحقيقية كانت اتصال فيصل بالزعماء العرب في دمشق . وفي هذا اللقاء ، لمس فيصل حقد القوميين العرب على الترك ، وتخوفهم في الوقت نفسه من اطماع بريطانيا وفرنسا ، ثم تابع سفره الى الآستانة واجتمع بالسلطان الذي طمأنه وزوده برسالة توصية لجمال باشا ، وبرسالة اخرى لوالده جدد فيها الطلب للاسراع بتأييد الدعوة للجهاد علناً ، مؤكداً ان النصر سيكون حليف الدول المركزية . وبالفعل كان الموقف العسكري في سنة ١٩١٥ يرجح كفة الترك والالمان . والتقى فيصل مرة اخرى باعضاء جمعيتي « العهد » و « الفتاة » . وقرر المجتمعون اعداد بيان بالمطالب العربية لتجرى المفاوضات بين العرب وبريطانيا على اساسها وهي :

آ — اعتراف بريطانيا باستقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الحدود التالية : شمالا : خط مرسين — اضنة حتى درجة ٣٧ ، ومنها على امتداد خط بريجيك — أورفة — ماردين — مديات — جزيرة ابن عمرو — عمادية حتى حدود فارس ، وشرقاً : الحدود الفارسية حتى الخليج العربي ، وجنوباً : المحيط الهندي (خلا عدن التي تحافظ على وضعها الحالي) ، وغرباً : البحر الاحمر والبحر والابيض المتوسط حتى مرسين ،

ب — إلغاء الامتيازات الاجنبية ،

ج — عقد تحالف دفاعي بين بريطانيا والدولة العربية المستقلة ،

د — منح بريطانيا الافضلية في الشؤون الاقتصادية .

ولقد حمل فيصل هذه المطالب الى والده ، مع تفويض بالدفاع عن القضية العربية ، واستعداد رجال الفتاة والعهد لتلبية نداء الثورة اذا نال من بريطانيا وعداً بتنفيذ هذه المطالب عند انتهاء الحرب . وفي هذا الوقت عينت بريطانيا هنري ماكماهون مندوباً سامياً في مصر . وكان ماكماهون مقتنعاً بضرورة اعلان الثورة العربية ، لا سيما بعد تدهور وضع بريطانيا العسكري في الدردنيل والعراق ، حيث استسلمت حامية مدينة الكوت البالغة اثني عشر الف جندي للجيش التركي . ثم تلقى الشريف حسين رسالة من الزعيم الديني السوداني علي الميرغني يدعوه فيها الى تزعم الثورة على العثمانيين ، اما بريطانيا فقد اوعزت لماكماهون بالتفاهم مع الحسين على اسس الثورة . فاعلن تعهد بريطانيا بان تجعل الاعتراف بجزيرة العرب وحدها دولة مستقلة كشرط من شروط الصلح ، لكن الزعماء العرب وجدوا في هذا الاعلان نقصاً كبيراً لانه لم يأت على ذكر بلاد الشام والعراق ، فارسل الحسين الى ماكاهون مذكرة في تموز (يوليو) ١٩١٥ بين له فيها شروط العرب ، وضمنها شرطاً اضافياً يتعلق بضرورة اعتراف بريطانيا بالخليفة العربي اذا تمت مبايعته. واحرجت هذه المذكرة موقف بريطانيا التي كانت تتفاوض مع فرنسا لتقسيم البلدان العربية ، ومع اللجنة الصهيونية لاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، فكلفت ماكماهون بالرد على الحسين برسالة مبهمة تحدث فيها عن رغبة بريطانيا في استقلال العرب ، على ان يترك امر تحديد حدود الدولة العربية الى ما بعد اجلاء الترك عن البلدان العربية . ولم يكن بوسع الشريف حسين القبول بما

تضمنته رسالة ماكماهون الاخيرة ، فرد عليها برسالة في ١٩ ايلول (سبتمبر) ، ابدى فيها دهشته لتردد بريطانيا في معالجة مسألة الحدود ، وغمز فيها من محاولة ماكماهون الاطناب بمدحه موضحاً له انه لا يسعى لتحقيق مآرب شخصية ، وان اقتراحه حول قيام الدولة العربية هو استجابة لرغبات الشعب العربي . ورد ماكماهون على هذه المذكرة بمذكرة جديدة في ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٥ تعتبر اهم وثيقة في مراسلات ماكماهون – الحسين . وقد تضمنت هذه المذكرة بياناً بريطانياً يعلن ان قضية مرسين والاسكندرون والاجزاء من بلاد الشام الواقعة الى الغرب من دمشق وحمص وحماه وحلب لا يصح القول انها عربية ، وبالتالي يجب ان تستثنى من الحدود المطلوبة ، وان بريطانيا ترضى بهذه الحدود وفقاً لهذه التعديلات دون المساس بمعاهدات سارية المفعول عقدت بينها وبين الامراء العرب . كما ان بريطانيا مستعدة لتأييد استقلال العرب في المناطق العراقية ضمن الحدود التي يطلبها شريف مكة ، ولضمان الاماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي ، ولاسداء نصائحها للعرب ومساعدتهم على ايجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة . اما بشأن ولايتي بغداد والبصرة ، فاعلن هذا البيان ان العرب لا بد يعترفون بان مصالح بريطانيا فيها تستلزم اتخاذ تدابير ادارية خاصة تقي هذه الاقاليم اعتداء أجنبياً ، وتساعد على ازدياد خيرات سكانها وتحمي مصالح بريطانيا والعرب الاقتصادية المتبادلة .

ورد الحسين على مذكرة ماكماهون ، فوافق على اخراج ولاية أضنة ، وعلى مفهوم حدود الدولة العربية الشرقية ، ولكنه لم يوافق على وضع الحدود الغربية الساحلية . كما رفض استثناء لواء الاسكندرون والمنطقة الواقعة غربي دمشق وحمص وحماه وحلب مؤكداً انها جزء من العالم العربي . اما بالنسبة لتحفظات بريطانيا فيما يتعلق بالمعاهدات المعقودة بينها وبين بعض امراء ومشايخ الجزيرة ، فقد قبل بها ، وابدى ايضاً موافقته على اقتراح ماكماهون فيما يختص بالعراق شرط ان تظل بريطانيا فيه بصورة مؤقتة ، وان تدفع لقاء مرابطة جيوشها فيه اعانة مالية ، وضمن الحسين مذكرته مطالب جديدة لضمان قيام الدولة العربية ملخصها : ١ – رفض عقد صلح منفرد مع تركيا والمانيا لا يضمن حقوق العرب السياسية ، ٢ – اعتبار العرب في مؤتمر الصلح محاربين ، ٣ – قطع وعد من بريطانيا بالدفاع عن استقلال العرب ووحدة بلادهم أثناء مؤتمر الصلح .

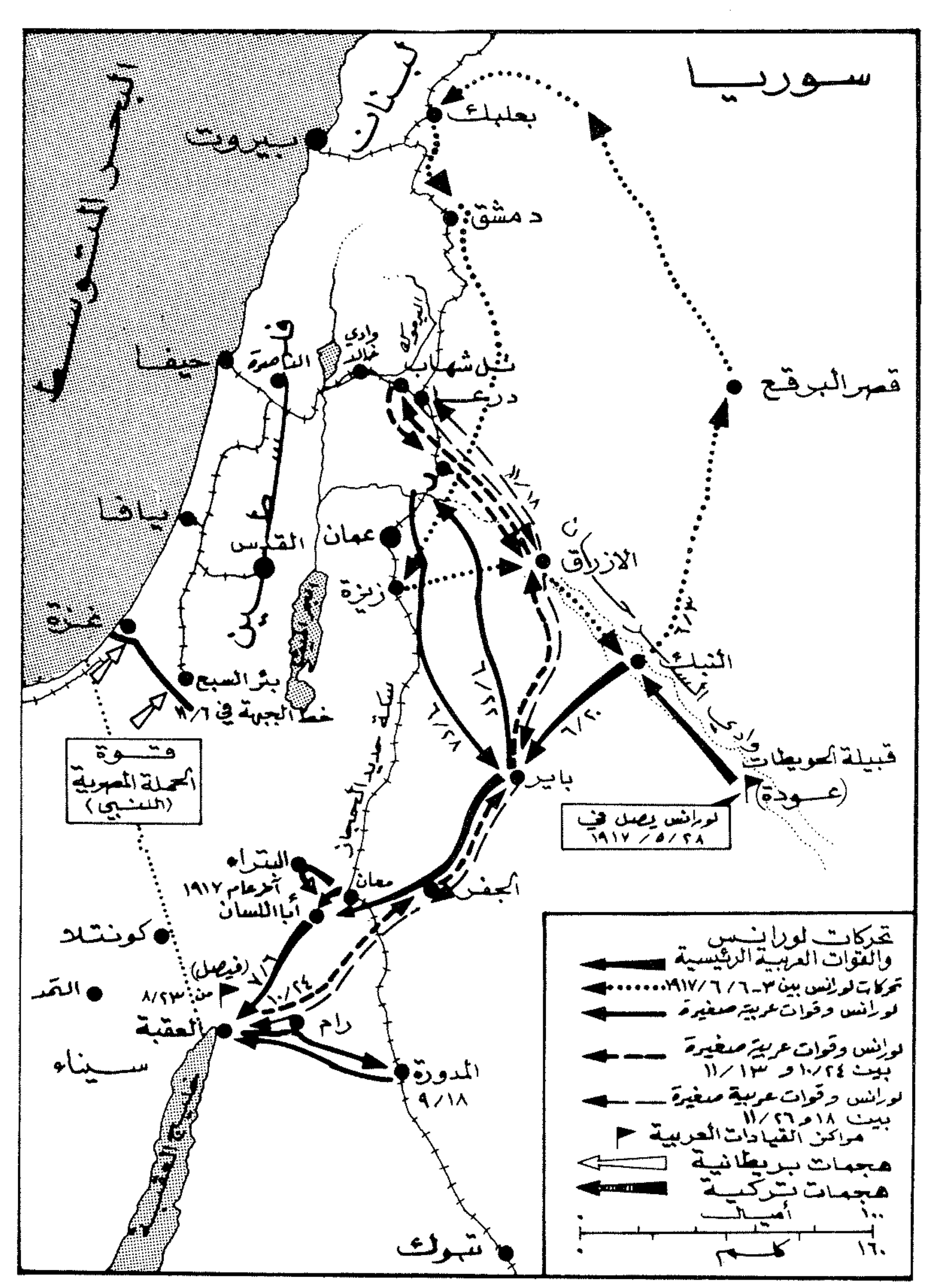
ولقد تأخر رد بريطانيا على رسالة الحسين الاخيرة حتى ١٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٥ ، حين ارسل ماكماهون رسالة ضمنها كل ما لديه من حنكة ودهاء ، وكانت عباراتها مبهمة وقابلة للتفسير بأكثر من شكل . وانهى ماكماهون رسالته بقوله ان بريطانيا العظمى لا تنوي ابرام اي صلح ما لم تضمن شروطه الاساسية حرية الامة العربية وخلاصها من سلطة الالمان والترك . وفي اول كانون الثاني (يناير) ١٩١٦ رد الحسين برسالة بدا فيها التساهل والضعف واضحين ، اذ وافق على الكثير من التنازلات ، واجل البت بكثير من المطالب لما بعد الحرب وفقاً لرغبات بريطانيا . اما اسباب هذا التراجع المفاجيء في موقف الحسين فغير واضحة ، وقد تكون راجعة لاعتقاد الحسين بان فرنسا لن تتنازل عن المنطقة الساحلية ، او لخشيته من المعاهدة التي عقدتها بريطانيا في ٢ كانون الثاني (يناير) ١٩١٥ مع ابن سعود ، وبقية المعاهدات التي عقدتها مع مشايخ الجزيرة . وكانت آخر الرسائل المتبادلة هي جواب ماكماهون في ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٦ ، الذي اكد مضمون رسالته السابقة ، وشكر الشريف حسين على مساعيه الصادقة للتفاهم مع الحلفاء واجتنابه احراج بريطانيا في علاقاتها مع فرنسا . بعد ذلك اخذ الحسين يعد العدة لاعلان الثورة . وفيما كان منهمكاً في استعداداته ، كانت بريطانيا تعقد في ايار (مايو) ١٩١٦ ، معاهدة سايكس بيكو مع فرنسا التي اقتسمت الدولتان ، بموجبها ، بلاد الشام .



جنود من الجيش العثماني

وعندما اخفق جمال باشا في حملته الثانية على قناة السويس ، صب نقمته على العرب متهماً الضباط العرب في الجيش التركي الرابع بالتخاذل والجبن ، فابعدهم الى الجبهات التركية الشمالية ، واتبع سياسة البطش والارهاب في سوريا ولبنان ، وعلق المشانق لاحرارها . كما صادر المؤن والغلال ، مما ادى الى تفشي المجاعة والامراض فمات الآلاف من سكانهما وادت هذه الاحداث الى ازدياد نقمة الحسين ودفعته الى التعجيل باعلان الثورة في ١٠ حزيران (يونيو) ١٩١٦ . وفي ٢٧ منه اذاع بياناً علل فيه الأسباب التي دفعته الى اعلان الثورة ، متهماً الاتحاديين باغتصاب الحكم ، وتجاوز سلطة الخليفة ، وايقاع التفرقة بين المسلمين ، والاستهانة باحكام الدين ، والتنكر للشرع ، وقذف الكعبة بالقنابل . ويتضح من بيان الشريف الحسين انه حاول الايحاء بانه لم يعلن الثورة على الخليفة السلطان العثماني ولا على تركيا ، وانما على الاتحاديين الذين اساؤوا الى المسلمين عامة والى العرب بصورة خاصة .

حاول الالمان والاتراك في بادئ الامر طمس انباء قيام الثورة ، وراحوا يعلنون ان الحسين اعلن خضوعه للسلطان ونادى بالجهاد المقدس . الا ان



النجاح في العقبة والفشل عند جسر اليرموك(١٩١٧)

دعاياتهم صمتت بعد ان عمت اخبار الثورة جميع انحاء العالم العربي، فراحوا يهاجمون الشريف حسين ويتهمونه بالعمالة والخيانة والكفر. وفي ٢ تموز (يوليو) ١٩١٦ اصدرت الحكومة التركية امراً بعزله، وعينت احد اقاربه الشريف علي حيدر خلفاً له.
وتلقى الحلفاء نبأ اعلان الثورة بارتياح في بادئ الامر لانها عرقلت نشاط حملة فون شتوتزنفن، التي لو كتب لها الوصول الى الجزيرة لكانت قد عرضت مراكز الحلفاء في البحر الاحمر والمحيط الهندي وافريقيا الشرقية لخطر عظيم. وكان اهتمام الدول الحليفة باثر الثورة العربية في الحقل السياسي اكثر من اهتمامها على الصعيد العسكري. وكانت فرنسا اشدها قلقاً نظراً للعراقيل التي ستخلفها الثورة في وجه سياستها المقبلة في سوريا ولبنان، الا انها رأت ان مصلحتها تقضي بمساندتها ولو ظاهرياً، فارسلت في ايلول (سبتمبر) ١٩١٦ الى الحسين وفداً عسكرياً وسياسياً، كما كانت الحكومة البريطانية قد خطت الخطوة نفسها. ورأى الحسين ان وصول هذين الوفدين الى جدة اعتراف من بريطانيا وفرنسا بمركزه السامي بين العرب، والخطوة الاولى لتنفيذ تعهدات ماكماهون، فحمل زعماء العرب ومشايخ القبائل في الحجاز على مبايعته في ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٦ ملكاً على الدولة العربية وابلغ ابنه عبدالله، بصفته وزيراً للخارجية، الحكومات الحليفة والمحايدة برقياً بمبايعة ابيه، مشيراً الى ارجاء مسألة الخلافة ريثما يتاح لوالده الملك حسين جمع اكبر عدد من علماء المسلمين وزعمائهم حوله. وتلقت حكومتا باريس ولندن هذا النبأ باستغراب، فابرق ماكماهون الى الحسين مستنكراً، فاجابه انه رضي باللقب الجديد نزولا عند رغبة ممثلي البلدان العربية. ثم ان مبايعة الحسين لم تلق رضى زعماء وامراء الجزيرة من امثال ابن سعود، فاجتمع هؤلاء في الكويت في ٢٠ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩١٦، واعلنوا وقوفهم الى جانب الحلفاء، واغتنمت بريطانيا وفرنسا هذا الانقسام، فاعلنتا الاعتراف بالحسين «ملكاً على الحجاز»، وبررتا قرارهما هذا بحرصهما على وحدة العرب وحسن علاقة الشريف حسين بالامراء الآخرين في الجزيرة العربية. ولم يرق هذا الموقف للشريف حسين، ولكنه اضطر للسكوت على مضض بعد ان ذهب بعيداً في تورطه مع الحلفاء، مما قطع عليه امكانية التراجع والعودة الى صف الاتراك، الذين كانوا قد عزلوه، واستعدوا المسلمين عليه، واتهموه بالخيانة والمروق، وهددوا بقطع رأسه.

ورأت بريطانيا في سكوت الحسين ما طمأنها، فاخذت تسعى لحصر الثورة في الحجاز، وقد تمكنت بذلك عن طريق التقصير في امدادها بالاسلحة الحديثة، واقتصر ما سلمته للحسين على بنادق واعتدة قديمة بالية، وذخيرة ضئيلة، مما قيد حركات الحسين وجعله يقبع في مكة المكرمة في بداية الامر. وقد ادركت تركيا سياسة الحلفاء فقررت احتلال مكة، وخشي البريطانيون مغبة سقوط مكة، وهزيمة الحسين، لما في ذلك من اثر على سمعتهم في الاوساط العربية، فقدموا للحسين بعض المدافع، وزودوه ببعض الخبراء، حتى اذا اطمأنوا لارتداد الترك، عادوا لبث الفتنة بين قواد الجيش العربي النظامي الذي كان قيد الاعداد، فاقصوا الضباط الوطنيين واعضاء جمعية العهد، بل حاولوا الايقاع بين الحسين وابنه فيصل.

كانت القوات التركية الموجودة في الحجاز عند

اعلان الثورة تتألف من عدة حاميات ترابط في المدن المهمة والمواقع الاستراتيجية . وقد كان العدد الاجمالي لهذه القوات عشية اعلان الثورة العربية الكبرى حوالي خمسين ألف جندي . منهم اربعة وعشرون الفاً في المدينة المنورة وحدها ، اما حامية جدة فكانت مؤلفة من ٢٦٠٠ جندي وضابط ، على حين كانت حامية كل من مكة والطائف مؤلفة من حوالي الف جندي وضابط. وكان الدعم الناري لكل حامية من حاميات هذه المدن الثلاث عبارة عن فوج مدفعية يضم ٢٠ مدفعاً . ولا شك ان هذه القوات كانت قليلة بالنسبة لمساحة المنطقة ولبعد الحاميات بعضها عن بعض ، الامر الذي يجعل امكانية نجدة بعضها لبعض شبه محالة .

اما القوات العربية النظامية والقـوات شبه العسكرية فكان عددها يوازي القوات التركية ، ولكن هذه الاخيرة كانت تتمتع بتفوق كبير في الاسلحة والمعدات والذخائر ، خاصة وانه لم يكن لدى القوات العربية اية مدافع . وكانت القيادة البريطانية في الشرق الاوسط تأمل ان يتجه الجهد العربي نحو المدينة المنورة ، في حين ان هذا الجهد وجه ، بناء لتعليمات لورانس ، نحو الشمال باتجاه الوجه ، والتقدم بعد ذلك شمالا . وكان الهدف من ذلك زيادة مساحة منطقة حرب العصابات من جهة ، وتأمين الحماية من ناحية الصحراء لمجنبة القوات البريطانية المتقدمة عبر سيناء باتجاه غزه من جهة ثانية . واستندت العمليات الحربية في هذه الثورة على قاعدة لا تتزحزح (لا تقع في مأمن من كل هجوم فحسب ، بل في مأمن من خشية الهجوم ايضاً) . وبالفعل بدأت العمليات الحربية بمرحلة الاعداد والبناء، ثم بمرحلة الازعاج والمناوشات، اذ عمد الثوار العرب الى تخريب طرق المواصلات وغيرها من الجسور والاسلحة والاعتدة التركية الخ . وساعدهم في ذلك ، مجابهتهم لجيش يحتل مساحة كبيرة من الارض بشكل يمنعه من مراقبتها بفاعلية . على حين كان الثوار العرب يغيرون متنقلين بين اخوان لهم تعاطفوا معهم لدرجة لم تمكن العدو من كشف تحركاتهم . هذا بالاضافة الى وجـود مصلحة استخبارات ممتازة كانت تعمل لصالحهم ، مما سمح بوضع مخططات دقيقة لجميع العمليات التي قاموا بها . كما ان الثوار انفسهم كانوا يتمتعون بميزتي السيطرة على النفس ، وحفظ السر ، والسرعة ، وقوة التحمل الذاتية ، والاكتفاء بامداداتهم الشخصية .

وبعد مرحلة الازعاج والمناوشات هذه ، انتقل الثوار العرب الى مرحلة التوسع الجغرافي ، فقاموا



طائرات بريطانية لدعم الثوار العرب

عربة مصفحة بريطانية استخدمت في تكتيـك « اضرب واهرب »





الأمير فيصل ومجموعة من قوة الثوار المتحركة

بحملة عمقها ١٠٠٠ كيلومتر من الوجه نحو معان ، الواقعـة في الشمال . واستولوا بعـد ذلك على العقبة بفضل عنصر المفاجأة نظراً لهجومهم من الصحراء والبحر معاً ، ثم تقدموا في العام ١٩١٧ نحو الشمال وقاموا بعملية نسف سد اليرموك متحاشين الاشتباك بمعركة نظامية ، لان القاعدة التي اتبعوها في ثورتهم كانت تتلخص بالتعود على عدم قبول الاشتباك ، وقد عاش عدد كبير من الاتراك الحرب كلها في هذه الجبهة دون ان تتاح لهم فرصة واحدة لاطلاق النار على الثوار العرب .

اما المعارك الحربية التي خاضتها القوات العربية الثائرة ، فكان اولها في جدة في ١٣ حزيران (يونيو) ١٩١٦ حيث تمكنت من إلحاق الهزيمة بحاميتها ، بفضل المساعدة التي قدمتها ٣ بوارج بريطانية ، واستولت على المدافع التي كانت فيها . ثم هاجمت مكة في ٤ تموز (يوليو) ١٩١٦ مستخدمة المدافع نفسها التي سبق وغنمتها من حامية جدة ، وتمكنت من احتلال مكة ، ثم استولت في ٩ تموز (يوليو) ١٩١٦ على قلعتها بعد معارك بالسلاح الابيض اسفرت عن اسر حوالي ١١٠٠ جندي وضابط ، وغنيمة خمسة مدافع . وفي ١٥ آب (اغسطس) احتل العرب ثغري «الليث» و«اوملج» الواقعين على البحر الاحمر بين الحجاز واليمن . وحاصر الامير عبدالله الطائف مدة ٣ أشهر و ١٢ يوماً ، وتمكن من اجبار حاميتها على الاستسلام في ١٩١٦/٩/٢٣ ، وأسر الجيش العربي حوالي الفي جندي وضابط ، وغنم احد عشر مدفعاً مع ذخيرتها بالاضافة الى كمية كبيرة من المعدات الحربية .

وهاجم فيصل واخوه علي محطة «المحيط» ، القريبة من المدينة المنورة في ١٩١٦/٦/٨ ، الا انهما فشلا في احتلالها ، فافترقا واتجه علي الى «الغدير» على بعد ٢٥ كلم جنوبي المدينة ، وتوجه فيصل الى «بير العباس» على بعد ٧٥ كلم منها . ولحق الاتراك بالامير علي وهزموه في الغـدير في ١٩١٦/٦/٩ ، ثم عادوا فلاحقوا فيصل ، وهزموا رجاله واحتلوا بير العباس والعلاوة وبير الماشي في ١٩١٦/٦/١٥ . ولكن القائد التركي فخري بك ما لبث ان عاد فجأة الى المدينة ، فعاد فيصل الى بير العباس . واكتفى القائد التركي ، بعد الخسائر التي تعرضت لها قواته ، والنقص في الامدادات التي تصله ، باقامة التحصينات حول المدينة ، وتخلى عن ملاحقة فيصل الذي انتهز فترة الراحة هذه لتقوية مركز والده في الحجاز والاتصال بزعماء القبائل فيها لاقناعهم بالانضمام الى الثورة . وبعد ان تحقق له ذلك ، هاجمت قوة تابعة له المخفر التركي في منطقة «ابو اللسال» على الخط الحديدي الذي يربط دمشق بالمدينة المنورة ، جنوب معان ، وتمكنت من احتلاله في ١٩١٧/٦/٢٨ ، واسرت ١٦٠ جندياً من الاتراك . ومن هناك انطلق فيصل باتجاه ميناء العقبة ، وتمكن من احتلاله في ١٩١٧/٧/٦ في الوقت الذي كان الجنود الاتراك يتتبعون بقلق انباء فشل قواتهم في صد الانكليز عند قناة السويس .

في اثناء ذلك كان الحسين يتلقى بريبة انباء تصرف حلفائه الانكليز ، واحتج على احتلال بغداد في مطلع آذار (مارس) ١٩١٧ فطمأنه مستشاروه الانكليز بان هذا العمل غير ذي بال من الوجهة السياسية وانه تدبير عسكري موقت . وكان الحسين يتقبل هذه التفسيرات دونما كبير اقتناع ، ويتابع السير في حلفه مع البريطانيين .

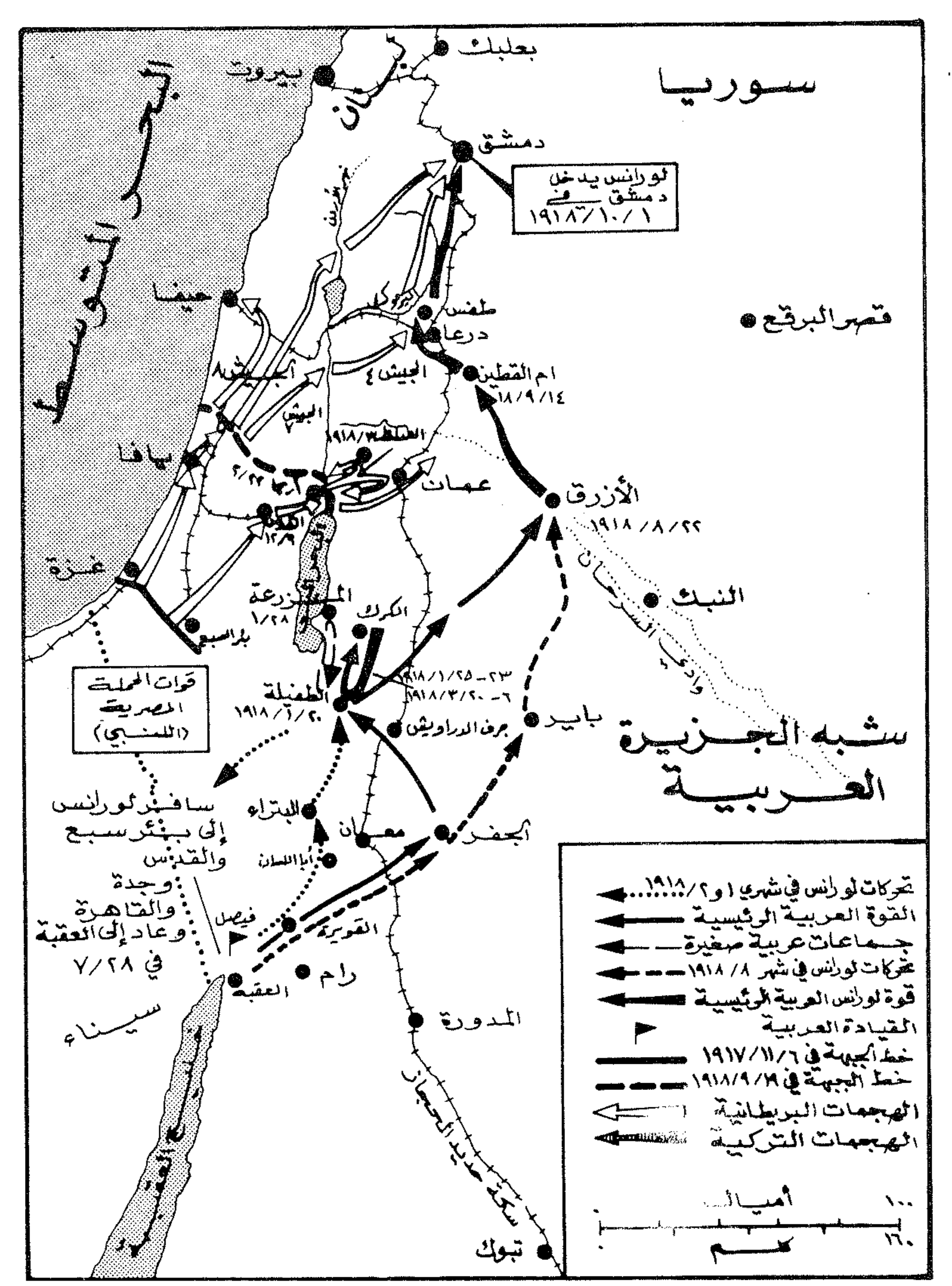
وفي شباط (فبراير) ١٩١٧ اعلنت الثورة في روسيا ، ثم تنازل القيصر عن العرش ، وانتشرت الفوضى في جبهات البلطيق والقفقاس والبلقـان ، وخشي الحلفاء ان يتوقف الروس عن القتال فتتوجه تركيا من جديد الى الجنوب ، فعادت بريطانيا من جديد للتودد الى العرب ، لا سيما بعد ان فشلت حملة الجنرال ارشيبالد موراي على غزة في نيسان (ابريل) ١٩١٧ ، وانتهت بمقتل ما يزيد على ستة آلاف جندي من رجاله ، وخشي الانكليز مغبة استمرار فتور علاقة العرب بهم ، فكتب المندوب السامي البريطاني الجديد في مصر الجنرال دنغت (الذي كان في الوقت نفسه نائباً لملك مصر) رسالة الى الشريف حسين في ١٩ نيسان (ابريل) ، يطلب فيها العون من الشريف حسين ويجدد له تعهدات بريطانيا ، مشيراً الى انها الحليفة التي لا تحنث بالعهود .

قرر الحسين الاستجابة لطلب بريطانيا ، لكن فيصل اصر على ان يسهم الجيش العربي في حملة سوريا ، وقبلت بريطانيا ذلك على مضض ، لحاجتها لعون الجيش العربي . كما ان فرنسا نظرت بريبة الى هذا الامر لانها كانت تخشى «على حقوق فرنسا في المنطقة» . وارسل الحسين رسالة الى فريح المدين شيخ مشايخ منطقة بئر السبع طلب اليه فيها ، الكف عن تأييد تركيا ، وتقديم العون الى الجيش البريطاني ، كما دعى في بيان ألقته الطائرات البريطانية فوق قرى ومدن جنوبي فلسطين ، الجنود العرب في الجيش التركي الى الانضمام الى القوات الحليفة . وفي ٦ تموز (يوليو) ١٩١٧ احتل فيصل العقبة ، وجعلها مركزاً لاعداد قوات الجيش العربي للسير نحو دمشق مع جيوش الحلفاء . واضطر الاتراك لاخلاء العريش في ١٩١٧/١٢/٨ ، فلاحقهم اللنبي الى القدس ، فدخلها في ١٩١٧/١٢/٩ ، وانضم

اليه معظم القواد العرب في الجيش التركي . وادرك الالمان اسباب الانقلاب المفاجيء في وضع الجبهة الجنوبية ، فاقنعوا الاتراك بالاقلاع عن سياسة البطش والعنف تجاه العرب ، فصدر بلاغ عثماني يعلن العفو العام عن جميع الجنود والضباط العرب الذين انضموا الى جيوش الحلفاء اذا هم استسلموا للاتراك خلال مهلة ثلاثين يوماً . وانشأ الالمان مكتباً للدعاوة في دمشق ، واخذوا يعللون العرب بالحرية والمساواة . ولقد أفاد العثمانيون من قيام السلطة السوفييتية بنشر اتفاقية سايكس - بيكو بعد نجاح الثورة الروسية ، وارسل جمال باشا احد رجاله سراً الى العقبة حاملا رسالتين الاولى الى فيصل والثانية الى رئيس اركان جيشه جعفر العسكري . وقال جمال باشا في رسالته الى فيصل ، انه يود محادثته في امر جليل « كمسلمين ؛ لا كتركي يتحدث الى عربي » واكد له كذب وعود الحلفاء ، واستشهد بالاتفاقية المنشورة . وفي ٤ كانون الاول (ديسمبر) عرض جمال باشا الصلح على فيصل مؤكداً له ان وعد البريطانيين للعرب بالاستقلال عبارة عن سراب خادع .

وتلقى فيصل بكثير من الالم اخبار اتفاقية سايكس - بيكو ، واحال رسالتي جمال باشا الى والده . ولكن هذا الاخير كلف فيصل بالرد على القائد التركي « بانه يرفض الاتصال بالعدو » . وفي الوقت نفسه طلب ايضاحـــاً من دنفت ، الذي اجاب مؤكداً ان سياسة تركيا هي خلق الارتياب والشك بين الحلفاء والعرب . وان حكومة بريطانيا ما زالت واقفة موقف المؤيد لكل انتفاضة تؤدي الى تحرير الامم المظلومة ، وتكرر وعدها السابق بخصوص تحرير الأمة العربية . واضاف المنـــدوب السامي البريطاني ان الوثائق التي نشرها السوفييت لا تمثل اتفاقاً فعلياً ، بل مذاكرات ومباحثات مؤقتة جرت في الايام الاولى للحرب وقبل الثورة العربية ، وادعى ان جمال باشا شوه هذه الوثائق ، واغفل ما جاء فيها من ضرورة الحصول على موافقة السكان ذوي العلاقة وصيانة مصالحهم. وصدق الحسين اقوال البريطانيين ، واعتبر ان اتفاقية سايكس - بيكو خدعة لا وجود لها الا في مخيلة الترك . ولا شك ان اسباب هذه السياسة لا تعود فقط الى صفاء نية الحسين ، بل الى دهاء بعض العملاء الذين كانوا يحيطون به من عرب وانكليز ، لا سيما لورانس .

وفي هـــذا الوقت ، ونتيجة لتسرب اخبار الاتفاقات السرية بين بريطانيا وفرنسا الى الجمعيات الصهيونية ، قام الصهيونيون باتصالات مكثفة مع



الهجوم في فلسطين والأردن واحتلال دمشق (١٩١٨)

البريطانيين استمرت حتى ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ ، حين اعلن بلفور تصريحه الشهير الذي اعلن فيه تأييد بريطانيا لقيام وطن قومي يهودي في فلسطين . وعندما عرف الحسين بالتصريح ، اتصل بالمندوب السامي البريطاني يسأله عن كنـــه هذا الوعد ، فاوفد هذا الاخير اليه رسولا يبلغه ان فلسطين كانت مستثناة من تعهداتها للحسين ، وان قيام الوطن اليهودي لا يشكل خطراً على « حرية السكان الموجودين في فلسطين ، سواء من الناحية الاقتصادية ، او من الناحية السياسية » .

وصدق الحسين هذه المرة ايضاً تعليلات بريطانيا ، وارسل الى رجال الثورة والزعماء العرب في مصر وفلسطين وسوريا والعراق يبلغهم ان الحكومة البريطانية اكدت له رسمياً « ان إسكان اليهود في فلسطين لن

لبنان وسوريا من صور جنوباً الى كيليكيا شمالا وكانت ادارتها فرنسية . وادرك العرب من هذا الوضع انه مقدمة لتقسيم بلادهم الى مناطق نفوذ بين حلفائهم الذين خدعوهم ، ولم يكن في نيتهم ، اصلا الوفاء بالوعود التي قطعوها لهم .

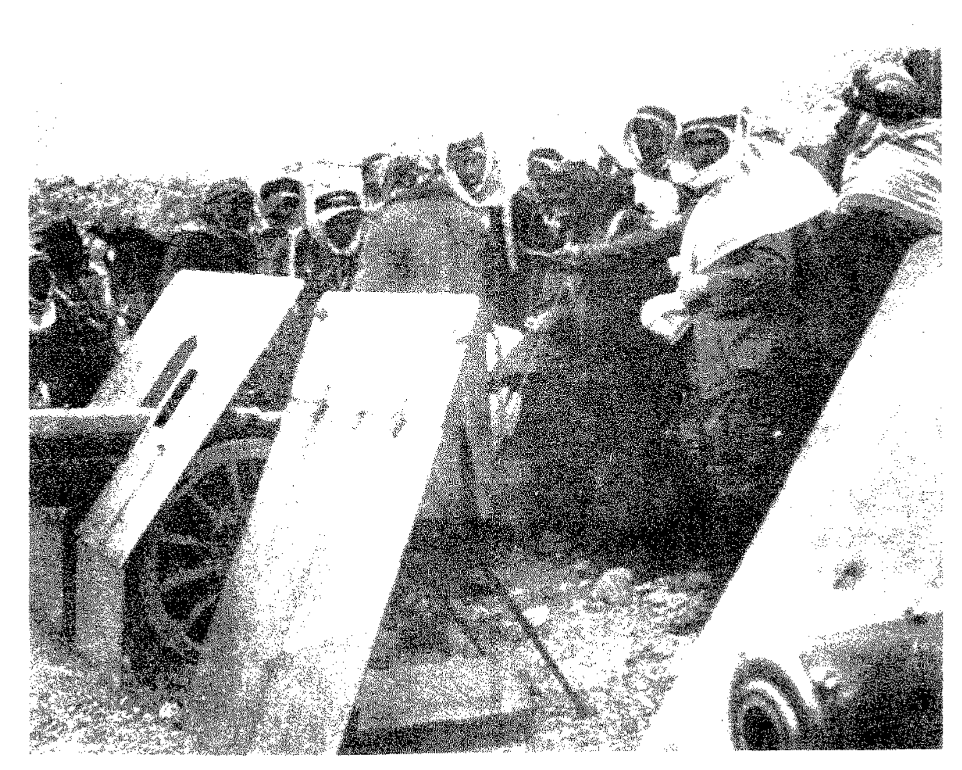
وهكذا استطاعت الثورة العربية الكبرى مساعدة الحلفـــاء (عسكرياً وسياسياً) على طرد العثمانيين من الجزيرة العربية وبلاد الشام . وكان من الممكن ان تؤدي الى خلق الدولة العربية الموحدة في المشرق العربي لولا تكالب حلفائها عليها وطعنهم لها في الظهر .

(٨) ثورة عمر المختار

(انظر الثورات الليبية) .

(١٢) الثورة الفرنسية (١٧٨٩ ـ ١٧٩٩)

تعتبر الثورة الفرنسية ١٧٨٩ من الثورات البورجوازية ، بل قمة الثورات الأوروبية التي أثرت في مجرى التاريخ الى حد كبير ، بدأت بشعار ثوري هو « الحرية والمساواة والاخاء » ، وانتهت بشعار « العمل والوطن والعائلة » . ويختلف المؤرخون في أسبابها : فمنهم من يعتبرها ثورة حقوق الانسان ، وقمة التطور الفكري في أوروبا الغربية في القرن الثامن عشر، اذ جاءت أثر مقدمات فكرية متطورة بثهـــا مفكرون فرنسيون امثال « مونتيسكيو» Montesquieuو « جـان جاك روسو » J. J. Rousseau ، و« فـولتـيـر » Voltaire ، فاحدثت انعطافاً هاماً في تاريخ الانسانية . اذ انه للمرة الاولى في اوروبا يظهر تعبير « الشعب » ، وتبرز حقوق المواطن . ومنهم من يعتبرها ثورة الطبقات المحرومة من الامتيازات ضد الطغيـــان الاقطاعي . ويرى آخرون انها توطيد لسلطـــة البورجوازية الرأسمالية الحديثة ضد النظام الاقتصادي والاجتماعي القديم . ومنهم من يراها نتيجة حتمية لمجمل الحركات الثورية التي سبقتها ومهدت لها ، مثل ثورة المستعمرات البريطانية والاضطرابات التي حصلت في كل من بريطانيا العظمى وايرلندا والولايات المتحدة الاميركية وهولندا والنمسا وسويسرة وروسيا وبولونيا وبلجيكا . وكان يمكن لهذه الثورة أن تكتفي بسقوط الملكية المطلقة واحلال الملكيـــة الدستورية محلها ، ولكن سقوط الباستيل ، وزحف الشعب الفرنسي الى ڤرساي ، والمواجهة الحاسمة التي جرت بين الملكية والشعب في عامي ١٧٩٢ و ١٧٩٣ ،



قائد حامية الطفيلة زيد مع مدفع تركي غنمه الثوار

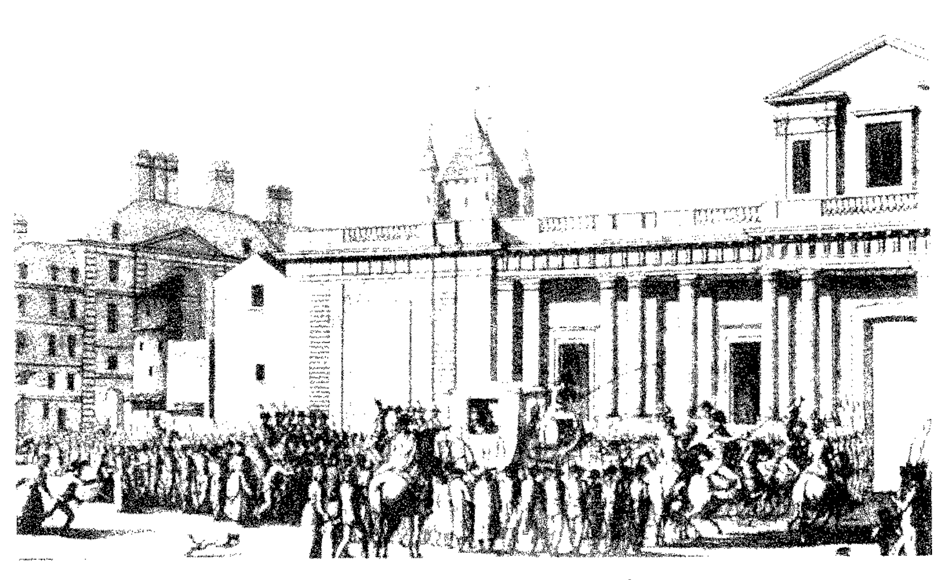
يتعارض مع استقلال العرب فيها » . وتعود اسباب هذا الموقف الى ازدياد اعتماد الحسين مالياً وعسكرياً على بريطانيا ، وقلة ثقته بجيرانه امراء الجزيرة ، وخوفه من ان تقوم بريطانيا بمساعدتهم على الاطاحة به عن عرش الدولة العربية . يضاف الى ذلك ، ان الحسين ورجال بلاطه المقربين منه لم يكونوا ، بسبب الجهل او الاستهتار ، يدركون حدود المسألة الصهيونية او يقدرون اخطارها الآنية والبعيدة على العالم العربي .

وهكذا تابع العرب ثورتهم على الاتراك ، ومضى فيصل في مسيرته مع الجيوش البريطانية شمالا ، واشتركت قواته في معركة طولكرم في ١٩١٨/٩/١٩ التي اصيب بها الاتراك بهزيمـــة منكرة ، وفي ١٩١٨/٩/٢٧ احتل جيشه درعا وهي اهم مركز مواصلات لتركيا في جنوب سوريا . وفي ٣٠ ايلول (سبتمبر) ١٩١٨ احتل الجيش البريطاني ـ العربي المشترك دمشق ، وفي اول تشرين الاول (اكتوبر) ، دخل فيصل عاصمة الامويين فاستقبل استقبالا منقطع النظير . وتركت بريطانيا لفيصل ، ارضاء لمشاعر العرب ، امر احتلال المدن الاخرى ، فاستولى على صور وصيدا وبيروت وطرابلس في ٤ و ٦ و ٨ و ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) ، وحمص وحماه وحلب في ١٥ و ١٧ و ٢٦ من الشهر نفسه . وكان الجيش العربي يقابل حيثما حل بأبلغ مظاهر الترحيب . وفي ٢ تشرين الاول (اكتوبر) ألف شكري الايوبي الحكومة العربية الاولى في بيروت ، ورفع العلم العربي فوق سرايا بيروت ، وعين عمر الداعوق حاكماً على بيروت ، وحبيب السعد حاكماً على جبل لبنان ، وولاه مجلس ادارته ، واعـــاد للجبل امتيازاته المنصوص عليها في بروتوكول ١٨٦١ ، والتي كان جمال باشا قد ألغاها سنة ١٩١٥ . وقد اقسم الحاكمان يمين الولاء للملك حسين . واستاء الفرنسيون من هذه التدابير ، واتهموا اللنبي بالتآمر مع فيصل عليهم ، وطالبوا بانزال العلم العربي عن سرايا بيروت وكاد هذا الأمر أن يؤدي الى انشقاق في صفوف ضباط الجيش العربي ، الا ان فيصل تدارك الامر ، واقام حكومة جديدة برئاسة علي رضا الركابي ، وانزل البريطانيون العلم العربي عن دار الحكومة ببيروت في التاسع من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ . وبعد توقيع الهدنة بين تركيا والحلفاء في جزيرة مودوروس ، قسمت البلاد الى ثلاث مناطق عسكرية تستمد سلطتها المباشرة من القائد العـــام للجيوش الانكليزية . وكانت المنطقة الجنوبيـــة ، وتشمل فلسطين بكاملها تحت ادارة بريطانيـــا ، والمنطقة الشرقية الداخلية وتشمل سوريا الداخلية ، وتمتد من ميناء العقبة جنوباً الى حلب شمالا ، ووضعت تحت ادارة الامير فيصل . اما الثالثة فهي المنطقة الغربية وتشمل المنطقة الساحلية من

كل ذلك جعل الشعب يخطو بخطى ثابتة الى الامام ويتطلع الى تغيير اجتماعي جذري يضمن له مستقبلا زاهراً .

كان لاندلاع الثورة الفرنسية في العام ١٧٨٩ اسباب عديدة ، ترجع معظمها الى الفترة التي امتدت ما بين عامي ١٧٥١ ، ١٧٧٢ (أي عهد لويس الخامس عشر) والتي كانت فترة رهيبة ساد فيها الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي والظلام الفكري . فلقد ظل النبلاء في فرنسا يحتكرون السلطة السياسية ، ويبعدون البرجوازيين الوطنيين والاثرياء عن ممارسة أي نوع من المشاركة . كما ان الثورة الصناعية ، التي بدأت في العام ١٧٧٠ ، زادت من حدة هذه التناقضات ، وكشفت عن تناقضات داخلية أخرى رهيبة . وبالاضافة الى ذلك كله فقد أدت الحروب التي خاضها ملوك اوروبا طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر الى زيادة الضرائب خاصة على النبلاء ورجال الدين الذين كانوا معفيين منها قبل ذلك . وأدت بالتالي الى تزايد النقمة على السلطة الملكية . وكان غلاء المعيشة وتزايد عدد السكان قد اثقلا كاهل عامة الشعب واعدا المناخ المادي للثورة في وقت ظهر به عدد من الموسوعيين الذين قاموا بوضع الاسس الفكرية للنظام الاجتماعي ، وكان رائدهم الفيلسوف « دنيس ديدرو » Denis Diderot (١٧١٣ – ١٧٨٤) الذي جمع حوله كل من الفيلسوف « لونديساك » Londillac (١٧١٥ – ١٧٨٠) ،و « دولباخ » d'Holbach (١٧٢٣ – ١٧٨٩) ، و « فولتير » ، و « مونتيسكيو » ،و « جان جاك روسو » . وانتشرت فكرة المراسلات الأدبية بين المفكرين مما نشر افكارهم التحررية في اوروبا كلها . اما السبب المباشر والرئيسي للثورة فهو حالة الافلاس التي كانت عليها خزانة الدولة من جراء تدخلها في الثورة الاميركية اذ نتج عن ذلك دين عام ضخم .

وفي العام ١٧٥١ ظهر الجزء الاول من الموسوعة الذي تضمن افكاراً ثورية لم يعرفها ذلك العصر ، فلقي الكثير من العراقيل من قبل البابا واليسوعيين ، واصطدم انتشاره بالرقابة الرسمية والمصادرة الحكومية ، خاصة وانه تضمن بحثاً هاماً عن العقل كتبه « دالمبير » Dalembert ، وناقض فيه افكاراً كثيرة كانت سائدة حتى ذلك الحين . وفي العام ١٧٨٤ ظهر كتاب مونتيسكيو « روح القوانين » l'Esprit des Lois وكان بمثابة عرض تحليلي اجتماعي وعلمي للمجتمعات . كما ظهر فيما بعد كتاب « العقد الاجتماعي » Contrat Social لـ « جان جاك روسو » الذي انتقد فيه بكل عنف مبدأ الاستبداد المطلق ، والامتيازات الموروثة ، فكانت هذه الكتب الشرارة الاولى التي انطلقت لتعلن بدء الثورة الاجتماعية في فرنسا .



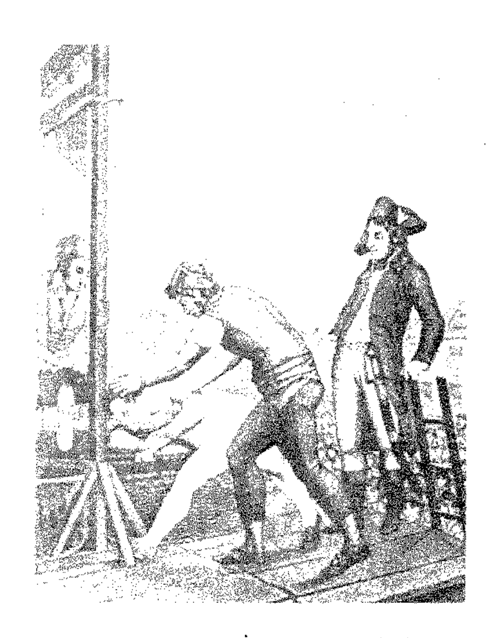
نقل الأسرة المالكة من « التامبل » ، نيسان ١٩٧٢

والتقط البورجوازيون وعامة الشعب في باريس افكار هؤلاء المفكرين الذين كان لهم الفضل في وضع الاسس الفكرية لنظام اجتماعي جديد . وامتلأت باريس بالخطباء الذين كانوا يخطبون حتى في المقاهي (بلغ عددها ٣٠٠ مقهى) . وفي ٥ أيار (مايو) ١٧٨٩ دعا لويس السادس عشر مجلس طبقات الامة للموافقة على زيادة الضرائب على الشعب ، الا ان النواب بعد شهر من المناقشات الحادة ، رفعوا شعار المطالبة بدستور لفرنسا ، وطالبوا باصلاحات سياسية واجتماعية ، ولكن الملك رفض هذه المطالب وشن حملة على النواب واعلن التعبئة العسكرية لتعزيز حاميته في فرساي . وعلى الاثر شكلت جمعية تأسيسية كان من أعضائها ميرابو ، الخطيب المشهور الذي قال للمركيز « دودروبريزيه » De dreux-Breze عندما جاء الى اللجنة التأسيسية في ٢٣ حزيران (يونيو) ١٧٨٩ ليعلمها ان الملك لويس السادس عشر يأمرها بعدم الانعقاد : « اذهب وقل للملك اننا هنا بارادة الشعب ، ولن نخرج إلا على أسنة الحراب . »

وفي ١١ تموز (يوليو) ١٧٨٩ قدم الماركيز دو لافاييت de Lafayette مشروع « اعلان حقوق الانسان والمواطن » آملا بذلك الوصول الى ملكية معتدلة ، كما قاد النائب والمحامي روبسبيير الثورة السياسية الى ثورة اجتماعية ، كما حاول « سان جوست » Saint Just تغيير مجرى الثورة الى مساواة اجتماعية بين المواطنين . وفي ١٣ تموز (يوليو) بدأ الشعب يتسلح استعداداً للهجوم على الملكية . وظهر في هذه الآونة صحفي متطرف هو « كامي دوموﻻن » C. Demoulin الذي أخذ يخطب في حدائق قصر التويلري داعياً الشعب الى الثورة . وفي ١٤ تموز (يوليو) اجتاحت الجماهير قصر الباستيل الذي كان رمز الاستبداد في عصر الملكية في فرنسا . وكان سقوطه بقيادة « كامي دوموﻻن » ، حدثاً عظيماً في تاريخ فرنسا ، اذ انه اشعل الثورات الشعبية في جميع انحاء فرنسا . فقضى على النظام القديم ، وعلى الاقطاع والملكية وعلى عهد الامتيازات . كما هز جميع ملوك اوروبا واباطرتها . وكان من جرائه ان تحول المجلس العام ، الى مجلس أمة ، واصبح الملك لويس السادس عشر (١٧٥٤ – ١٧٩٣) ملكاً دستورياً خاضعاً لسلطة المجلس . وكان عدد الاحزاب والكتل الساعية الى السيطرة في بداية عهد الثورة كبيراً ، فكان هناك الملكيون الذين حاولوا إبقاء لويس السادس عشر ملكاً مطلق السلطة ، والاحرار المعتدلون الذين يرون ان يبقى لويس ملكاً دستورياً محدود السلطة ، والمعتدلون الجمهوريون المعروفون بحزب الجيرونديين Girondins ، والجمهوريون المتطرفون المعروفون باليعاقبة Jacobins ، (وقد لقبوا بذلك لانهم كانوا يجتمعون في دير يعقوب) . وكان يطلق عليهم ايضاً اسم « الجبليين » .



فصل لويس ١٦ عن عائلته



إعدام روبسبير في ١٠ تيرميدور

اعتقال روبسبير في باريس



وانتظمت قوى اوروبا الرجعية في وجه الثورة الفرنسية ، وكان الحزب الحر المعتدل الذي يرأسه « ميرابو » (١٧٤٩ — ١٧٩١) اقوى الاحزاب في مجلس الامة . وفي ٢١ تموز (يوليو) ١٧٩١ حاول الملك لويس السادس عشر والملكة ماري انطوانيت الهرب الى النمسا للحاق بالنبلاء الذين سبقوهما الى الخارج (المهاجرون) إلا أن أحد الفلاحين كشف أمرهما عند (فارين) القريبة من فردان ، فأوقفا وأعيدا الى باريس ، وظل لويس لمدة عام آخر ملكاً اسمياً على فرنسا . وفي ايلول (سبتمبر) ١٧٩١ انهى مجلس الامة الذي كان يتزعمه «ميرابو» اعماله فاسحاً المجال لتأسيس « الجمعية التشريعية » . وكانت هذه الجمعية منبراً للطبقات العليا ، اذ لم يتمثل فيها الشعب الفرنسي تمثيلا كافياً ، وان تمثل فيها اليعاقبة (الجمهوريون المتطرفون) .

وكانت الدول الاوروبية تراقب الاحداث الجارية في فرنسا بذعر وقلق بالغين وتحيك كل انواع المؤامرات ضد السلطة الثورية . وفي ٢٠ نيسان (ابريل) ١٧٩٢ بدأت حروب الثورة الفرنسية ، فأعلنت فرنسا الحرب على النمسا وبروسيا . وزحفت الجيوش النمساوية والبروسية الى داخل الاراضي الفرنسية وهزمت فرقها . وأدت هذه الهزائم الاولى الى اشاعات عن خيانة الملك والملكة ماري انطوانيت . وظن الشعب ان الملك متواطئ مع الغزاة . وهكذا برزت بلدية باريس الثورية لتمسك بزمام الامور . فرفعت العلم الاحمر معلنة حالة الطوارئ . وكان هذا العلم في الاصل العلم الرسمي الذي كانت الحكومة تعلن بواسطته الاحكام العرفية ضد الشعب . وفي ١٠ آب (اغسطس) امرت البلدية الجماهير بالهجوم على القصر الملكي ، وأمر الملك حراسه السويسريين باطلاق النار على الشعب ودارت معركة دامية قتل فيها عدد كبير من الجماهير ، كما قضي على الحرس الوطني ، ولكن البلدية تمكنت من خلع الملك وسجنه .

وفي ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٧٩٢ احرزت الكتائب الفرنسية انتصاراً على جيوش النمسا وبروسيا التي غزت فرنسا في معركة ڤالمي Valmy ، وبانتصارها انقذت الثورة الفرنسية من الهزيمة . وفي ٢١ منه التأمت الجمعية العمومية التي حلت محل مجلس الامة . فكان اول اعمالها إلغاء النظام الملكي واعلان الجمهورية الاولى في ٢٢ ايلول (سبتمبر) ، وجعل الاسبوع عشرة ايام يكون العاشر منه يوم عطلة . كما ظهرت في فرنسا نزعة جديدة تهدف الى الابتعاد عن الكنيسة والتقرب من عبادة العقل . وفي ٢١ كانون الثاني (يناير) ١٧٩٣ حوكم لويس السادس عشر بتهمة الخيانة واطاحت المقصلة برأسه ، كما اطاحت في ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) برأس الملكة ماري انطوانيت بتهمة تسليم اسرار الجيش الفرنسي الى اخيها ملك النمسا . وخلال صراع الثورة ضد اعدائها الخارجيين ، نظم « روجيه دو ليل » Roger de Lille النشيد الحربي « لجيش الرين » والمعروف منذ ذلك الحين بالمارسلييز . وبقي هذا النشيد نشيد فرنسا القومي ، ونشيد الثورة الفرنسية . وهكذا تمكنت جيوش الثورة ، المؤلفة من المتطوعين الذين لم يتم تدريبهم ، من طرد جميع الجيوش الاجنبية من ارض فرنسا رغم افتقار الثوار للطعام ، واللباس والاسلحة ، وبعد ان حول كثير من المواطنين منازلهم الى مصانع للذخيرة راحوا يصنعونها بأيديهم .

واتسعت رقعة الحرب وضربت انكلترا الحصار على جميع الموانئ الفرنسية . وكانت انكلترا يومها قوية بأسطولها البحري بينما كانت فرنسا ضعيفة بحرياً ، أما جيشها البري فكان قوياً . وجذبت الحروب الخارجية اهتمام فرنسا فكرس الشعب جهده لها ، حتى انتهت به الى دكتاتورية عسكرية . وانفجرت في « الڤاندي » غربي فرنسا ، انتفاضة قام بها الفلاحون الذين رفضوا الانضمام الى الجيش الجديد . ولكن هذه الانتفاضة قمعت بعنف وشدة . كما قامت انتفاضة مضادة في ليون ما لبثت ان اخمدت . اما باريس فقد بقيت خاضعة للبلدية بمجلس منتخب جديد وهو المؤتمر الوطني . وظلت الجمعية الوطنية في العام ١٧٩٣ مسرحاً لتنافس الحزبين « الجمهوري المعتدل » و « اليعقوبي المتطرف . » وكانت النتيجة ان انتصر اليعاقبة ، وابعد الجمهوريون عن الجمعية . وتمكنت الجمعية من الغاء الحقوق الاقطاعية ونزع ملكية الاراضي من النبلاء الاقطاعيين وضمها الى البلديات المحلية حيث اصبحت ملكاً عاماً للشعب . كما انبثقت عن الجمعية لجنتان : لجنة المصلحة العامة ولجنة الامن العام . وبانشاء لجنة الامن العام ، بدأ عهد الارهاب الاول فكان لوناً من الدكتاتورية فرضتها ضرورات الموقف المحفوف بالاخطار . وفي ايلول (سبتمبر) من العام نفسه اصدرت الجمعية قانوناً عرف بـ (قانون المشبوهين) قدم بموجبه ، في شهر واحد ، ٢٢ عضواً من اعضاء الحزب الجمهوري للمحاكمة امام محكمة الثورة ، فحكم عليهم بالموت . وكانت لجنتا المصلحة العامة والامن العام مسيطرتين على الجمعية . واعترضت اللجنتان على وجود بلدية باريس فشنت عليها الحرب مع أنها كانت العمود الفقري للثورة .

وفي العام ١٧٩٤ قضي على البلدية واقسامها، مما أدى الى تأزم الامور بسرعة، فدب الخلاف بين رجال حزب اليعاقبة المسيطرين على الحكومة، وانتصر روبسبيير، زعيم اليعاقبة واشهر رجال الثورة، على الجيرونديين المعتدلين واعدم العديد من خصومه في الحزب مثل «كامي دو مولان»، و«دانتون»، و«هيبرت»، وساد حكم الارهاب الثاني الذي استمر ٤٦ يوماً. وكانت السلطة العليا بيد لجنة الامن العام ومحكمة الثورة، واوقف اثناءها ما لا يقل عن ٣٠٠٠٠٠ رجل، واعدم منهم ١٧٠٠٠ كما مات اكثر الباقين في السجن. وانشأت حكومة الثورة جيشاً يزيد على مليون رجل. وفي ٢٧ تموز (يوليو) ١٧٩٤ انقلبت الجمعية على روبسبيير، الذي كان الدكتاتور الفعلي في عهد الارهاب هذا، فسيق الى المقصلة في عربة ساق هو عليها المئات من ضحاياه، وأعدم. وبموته قامت ثورة مضادة، اذ تقدم المعتدلون واحلوا (الارهاب الابيض) محل (الارهاب الاحمر). وفي ٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٧٩٥ حلت الجمعية الوطنية وشكلت حكومة بورجوازيه (حكومة الادارة) من خمسة أعضاء تولت الحكم لمدة اربع سنوات (١٧٩٥ - ١٧٩٩) ساد فيها التضخم المالي والافلاس والدسائس والرشوة. وبقيت حكومة الادارة حتى عاد نابليون بونابرت (احد ضباط الجيش الجمهوي) من حملاته الظافرة من النمسا والبندقية ومصر في ٩ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٧٩٩ واقام حكومة قنصلية في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه الامر الذي جعل الثورة تسقط نهائياً بيد البرجوازية.

كان من اهم نتائج الثورة الفرنسية انها مهدت الطريق الى المذاهب الحرة في القرن التاسع عشر، وعجلت بظهور الروح القومية، وارست في المجتمع مبادئ الحرية والاخوة والمساواة الحقيقية التي نادت بها، فاصبحت شعاراً لها ولجميع احرار العالم. كما نشرت هذه الثورة بذور ثورة اشتراكية وعمالية وفلاحية وصاحبتها إزالة الاقطاعية، وفتحت الطريق أمام التطور الرأسمالي الذي كان له نتائجه الهامة على مجرى التاريخ. كما انها كانت تهديداً صريحاً ومباشراً للملكيات الاوروبية على اختلافها، مما حدا بهذه الملكيات الى التحالف والتوحد ضدها في سبيل حصر خطرها في فرنسا دون سواها من اوروبا والعالم. ولقد كانت الثورة الفرنسية مقدمة لثورات اخرى تلتها في العالم، خاصة في امريكا وروسيا، كما أنها كانت واحداً من الاسباب التي أدت الى اندلاع كثير من الحروب في العالم، مثل حروب البلقان وايطاليا واسبانيا وانكلترا.

(١٢) الثورة الفرنسية (١٨٤٨)

ثورة عمالية اندلعت في ٢٢ شباط (فبراير) ١٨٤٨ في البانتيون Pantheon، وأدت الى الاطاحة بالملك لويس فيليب «العجوز»، دوق اورليان الذي حكم فرنسا ثمانية عشر عاماً (١٨٣٠ - ١٨٤٨)، واعلان الجمهورية الفرنسية الثانية حيث اختير لرئاستها الامير لويس نابوليون (ابن أخ الملك لويس فيليب) الذي استطاع أن ينصب نفسه امبراطوراً في اقل من اربع سنوات.

ترجع اسباب هذه الثورة الى السياسة الرجعية المتزايدة التي كان يمارسها الملك لويس فيليب ووزيره غيزو Guizot، والى سخط العمال الذين ساءت احوالهم اثناء الثورة الصناعية. وفي خريف ١٨٤٧ كثرت «الحفلات الاصلاحية» في جميع انحاء فرنسا حيث كان الراديكاليون والملكيون يترافقون.

ومن أجل توسيع الهيئة الانتخابية، لم يجد الفرنسيون أفضل من إقامة الولائم الاخوية. وكان يتزعم حملة اقامة هذه الحفلات والمآدب النائب اوديلون بارو Odilon Barrot، كما كان المحامي والنائب كريميو Cremieux من المتحمسين للمآدب والاصلاح الانتخابي.

وفي مطلع العام ١٨٤٨ أرادت الدائرة الباريسية الثانية عشرة ان تكون لها وليمتها الاصلاحية. وكانت باريس في ذلك الحين مقسمة الى ١٢ دائرة، وكانت الدائرة الثانية عشرة، ومركزها البانتيون، تضم احياء سان فيكتور وسان مارسيل، معقل الثوريين. وقد اعترى اعضاء القوى الملكية الخوف أمام المشاريع التي رسمها اهالي الدائرة الثانية عشرة ووجدوا فيها تحدياً لهم، خاصة وأن المعارضة خاطبت الحكومة كقوة مقابل قوة. ووجهت الدعوة لاعضاء الحرس الوطني كي يحضروا الحفلة بالزي الموحد، وان تعذر فبالسلاح، كما طلب اليهم الانتظام في أفواج على رأسها ضباط.

وفي ٢٢ شباط (فبراير) ١٨٤٨ ألغيت الحفلة وتدفق على اثرها جمهور من الطلاب في مظاهرة سلمية، كانت قد تشكلت في البانتيون في التاسعة صباحاً واتجهت الى ساحة الكونكورد وهي تنشد المارسيليز، وتنادي بسقوط الوزير غيزو. وبعد ذلك بقليل اجتاح عدد من المتظاهرين العمال قصر البوربون، واندفعوا بسرعة نحو ساحة الكونكورد. ونصبت المتاريس ورفعت الاعلام الحمراء في الاحياء العمالية، مما اضطر الملك الى إقالة غيزو من منصبه. وفي اليوم التالي ٢٣ شباط (فبراير)، وقع هجوم عنيف على وزارة الخارجية، واطلق الجنود الرصاص على المتظاهرين، وتحولت المظاهرة السلمية الى مظاهرة مسلحة. واحرقت عدة مساكن في الشانزليزيه. وجرت مناوشات بين الحرس البلدي والمتظاهرين في شوارع بورج لابي، وموكونساي. فنزل حشد غفير الى جادة الكبوشيين قادماً من ضاحية سان انطوان واتجه نحو المادلين واصطدم بمفرزة من الكتيبة الرابعة عشرة التي كانت تحرس وزارة الخارجية. وكان من نتائج هذا الاشتباك ان سقط ٥٠ قتيلا و٤٧ جريحاً.

وكانت حدود الجزيرة الثورية ممتدة من شارع مونتمارتر غرباً إلى خط الجادات الكبرى ما بين المادلين والباستيل شمالا وشرقاً حتى السين جنوباً. وقد تمركز في هذه الجزيرة عشرة أفواج كان بعضها يرفع شعار «يحيا الاصلاح»، على حين يطالب البعض الآخر بإقالة غيزو.

وفي ٢٤ شباط (فبراير) شكل مجلس حربي عقده بوجو Begeaud في قصر التويلري، وكان مخططاً ان تنزل اربعة ارتال الى باريس لتطهيرها من الثوار، بحيث يتوجه الرتل الاول بقيادة الجنرال تريبورس سيباستياني، أحد اركان الملكية البورجوازية، نحو مصرف فرنسا عبر دار البلدية، ويتوجه الرتل الثاني بقيادة بيدو Bedeau الى الباستيل عبر البورصة والجادات الكبرى، بينما يكلف الرتل الثالث بمهمة منع إعادة المتاريس في النقاط التي يكون جنود الرتلين الاول والثاني قد مروا بها، اما الرتل الرابع فيتجه نحو البانتيون. وكان الجيش في الساعات الاولى من الانتفاضة منضبطاً ولكن التوتر ساد صفوفه عندما تأكد أنه مهدد بتلقي طعنات الحرس الوطني من الخلف. واستسلم معظم الجنود وقدم آخرون اسلحتهم الى المتظاهرين وانسحبوا الى قصر التويلري. وهكذا اوقف رتل سيباستياني اعماله الحربية في ساحة دار البلدية، ودارت اشتباكات عنيفة بين المتظاهرين واعضاء الحرس الوطني الذي كان مكروهاً في الاحياء العمالية. واحتل نقيب من الحرس الوطني دار البلدية وعاد الجنود الى ثكناتهم. واخذ المتظاهرون وحراس البلدية يطلقون النار على قصر التويلري. وفي ٢٤ شباط (فبراير) تنحى الملك لويس فيليب عن العرش لولده الأصغر لويس كونت باريس، الذي كان يبلغ من العمر عشر سنوات. وكانت

الاميرة هيلانه ، والدته ، دوقة اورليان ، الوصية على العرش قد اصبحت تحت رحمة النواب الذين اصبحوا بدورهم تحت رحمة الثوار . وفي ٢٥ شباط (فبراير) اعلن الفونس دو لامارتين قيام الجمهورية الفرنسية الثانية ، من شرفة دار البلدية وكانت هذه الجمهورية بورجوازية معتدلة ، ضمنت حق العمل واقامت المصانع الاهلية .

وفي ٢ آذار (مارس) صدر قرار بتحديد مدة العمل اليومي بعشر ساعات في باريس و ١١ ساعة في المقاطعات . إلا أن رأيين مختلفين برزا حول الثورة : الاول ، وهو رأي الاكثريـة التي يوجهها الكاتب الشهير دو لامارتين ، يقول بأن الثورة تغيير سياسي يهدف إلى إقامة جمهورية ديمقراطية . والثاني ، وهو رأي الاقلية التي يوجهها بلان Blanc ، ويقول بأن الثورة تحول اجتماعي واقتصادي لتخفيض ساعات العمل .

وفي ١٤ آذار (مارس) قررت الحكومة إلغاء سرايا النخبة في الحرس الوطني اذ كانت المساواة احد مبادئ ثورة فبراير (شباط) . وفي ١٦ آذار (مارس) نزلت عدة سرايا من الحرس الوطني « القبعات ذات الوبر » الى الشارع معبرة عن استيائها من إلغاء السرايا المنتخبة . وفي ١٧ منه قامت الطبقة العاملة بتظاهرة شعبية عنيفة مضادة رداً على تظاهرة الحرس الوطني حيث استنفر اكثر من ١٠٠٠٠٠ رجل وانتقلوا في موكب من الكونكورد الى دار البلدية يطالبون بابعاد الجيش النظامي عن باريس وتأجيل الانتخابات .

وفي ١٦ نيسان (ابريل) تحركت مظاهرة عمالية اخرى كانت اكثر عنفاً من مظاهرة ١٧ آذار (مارس) في شان دو مارس الى دار البلدية واندفع رجال الدرك يفرقون المتظاهرين . وانتهت المظاهرة بأن اخمدت من قبل الجناح المعتدل في الحكومة المؤقتة . وشكلت الجمعية الوطنية التأسيسية .

وفي ١٥ أيار (مايو) ١٨٤٨ اجتاح الشعب قصر البوربون وشكلت حكومة ثورية سيطرت على الوضـع . وفي ٤ و ٥ حزيران (يونيو) جرت انتخابات جزئية في السين وبعض المحافظات وكان من بين الفائزين الامير لويس نابوليون الذي أثار انتخابه بعض الاضطرابات في الجمعية . ومضى على اعلان الجمهورية أربعة اشهر لم تقم خلالها بتنفيذ أي من وعودها مما حمل العمال على الاضراب ، وباشرت الصحف اليسارية المتطرفة بابراز عناوين ثورية منادية « بالجمهورية الحمراء » وتنظيم العمل والمطالبة بحقوق العمال . وفي ٢١ حزيران (يونيو) قررت الجمعية حل المعامل الوطنية ، كما اصدرت قراراً بأن ينخرط العمال المسجلون في المعامل الوطنية ، والذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٢٠ سنة في الجيش ، ويذهب الآخرون الى المقاطعات كي يباشروا اعمالهم في استصلاح الاراضي . وفي صبـاح ٢٢ حزيران (يونيو) اغلقت جميع المصانع وتجمع نحو ١٥٠٠ عامل في ساحة البانتيون بقيادة خطيب العمال بوجول ، وتقرر أن يتجه الموكب (الذي كانت أكثريتـه من الصحفيين ، والرسامين ، والسكافين ، والبنائين والهاربين من الجندية) في اليوم التالي نحو الباستيل يهتف « نريد عملا وخبزاً » ، « الحرية أو الموت » . وتوجه الموكب في اليوم المحدد . وفي ٢٤ منه اعلنت حالة الطوارئ وكلف الجـنرال كافينيـاك Cavaignac ، وزير الحربية ، بمهمة قمع الثورة . وشكل كافينياك قواته داخل ٣ فيالق : الفيلق الأول بقيادة الجـنرال لاموريسيير Lamoriciere ، ومهمتـه تغطيـة الجادات في منطقة مون مارتر وحتى التامبل . والفيلق الثاني بقيادة الجنرال بيدو Bedeau ، ويتمركز من دار البلدية وحتى ضاحية سانت انطوان . والفيلق الثـالث بقيادة الجـنرال دايمم Damesme ، ويتمركز بين ضاحية سان جاك وضاحية سان مارسل . وهكذا وقف في وجه الثوار ٤٠٠٠٠ رجل منهم ١٢٠٠٠ من الحرس السيار باستثناء الحرس الوطني الذي لم يشترك . وكانت اعنف الاشتباكات تلك التي دارت في الجادات ، بين الثوار والفيلق الذي يقوده لاموريسيير والمؤلف من رجال الدرك والمشاة والرماحين (القناصة) وبطاريات المدفعية ، حيث سقط الجزء الشرقي بأكمله من العاصمة في أيدي الثوار منذ اللحظة الاولى ، مما حمل لاموريسيير على الاستنجاد بقوة إضافية . وتوجه كافينياك بنفسه على رأس سبع كتائب لنجدته . واستمرت الحرب الاهليـة من ٢٣ حزيران (يونيو) وحتى ٢٦ منه بين باريس البورجوازية وباريس العاملة حيث نصب خلالها ١٤ متراساً من دار البلدية الى الباستيل ، و ٢٩ متراساً من ضاحية سانت انطوان الى ساحة الترون ، و ٣٨ متراساً في شارع سان جاك . ولكن الثوار لم يستطيعوا السيطرة على دار البلدية اذ تمكن بعض الجنود من التسلل عبر المتاريس والوصول الى القصر البلدي وحمايته . وكان الثوار يملكون مواقع دفاعية ممتازة ، كما كانت حواجزهم تشكل حصوناً ونقاط استناد جيدة . وفي ساحة الفوج جرد العمال المتظاهرون مفرزة من الفوج الثامن عشر من سلاحها دون مقاومة . ولكن الجيش النظامي تمكن في النهاية من التغلب على العمال الثوريين المسلحين واخماد انتفاضتهم . ولقد اسفرت المعارك الدامية التي دارت بين الطرفين عن مقتل ١٢٠٠٠ رجـل (في حـين اكـدت الصحف البريطانية مقـتل ٥٠٠٠٠) بالاضافـة الى سـقوط آلاف الجرحى وتهديم مئات المنازل . كما اوقف ما يقرب من ٢٥٠٠٠ ثـائر ، اطـلق سراح ١١٠٠٠ منهم وحوكم ما يقرب من ٢٠٠٠ رجل. وانتهت هذه الانتفاضة العمالية ، والتي اعتبرت الثورة الاشتراكية الاولى ، بأن سيطر الامير لويس نابوليون على الحكم وعلى الجيش معاً في كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٨ ، وقمعت الثورة ، واعتقل قادة الاحزاب ، واحتل الجيش مجلس النواب ، وحل المجلس . ورغم هذه النهاية الأليمة التي اصابت ثورة ١٨٤٨ ، فان البطولة التي اظهرتها الجماهير العمالية في حرب المتاريس في شوارع باريس ، ضد قوات نظامية متفوقة ، اعطت الحركة العمالية الأوروبية مثلا نضالياً وزخماً قوياً ، الأمر الذي أدى الى وقوع انتفاضات مماثلة في مختلف البلدان الأوروبية .

(١٣) الثورة الفلسطينية (١٩٣٦ — ١٩٣٩)

(انظر الحركات الثورية في فلسطين) .

(١) الثورة الفلسطينية (١٩٦٥ —   )

(انظر المقاومة الفلسطينية) .

(٤) الثورة الفيتنامية قبل الحرب العالمية الثانية

اجتذبت تجارة الذهب والحرير والتوابل انظار الاوروبيين الى فيتنام منذ القرن السابع عشر . وعلى نفس سفن التجار وفد المبشرون ايضاً ، وارتبط نشاطهم بنشاط الوكالات التجارية منذ اليوم الاول ، حتى انهم اسسوا فعلا في عام ١٦٦٠ شركة مشتركة مع هذه الوكالات . ولكي يسهل على المبشرين نشر الديانة المسيحية هناك ، قاموا بكتابة اللغة الفيتنامية بالحروف اللاتينية بدلا من الصينية . وهكذا انتشرت الكاثوليكية في فيتنام ، فقدمت بذلك قاعدة اجتماعية للاستعمار الفرنسي فيما بعد .

وفي شباط (فبراير) عام ١٨٥٩ احتلت القوات الفرنسية في عهد « نابليون الثالث » مدينة « سايجون » معلنة ان هدف الحملة هو « ضمان حرية ممارسة الشعائر المسيحية » . وفي عام ١٨٨٥ فقدت فيتنام استقلالها

نهائياً بعد ان تنازلت عنها الصين لفرنسا عقب حرب ١٨٨٣ – ١٨٨٥ . ثم استكملت فرنسا بعد ذلك احتلالها لبقية دول الهند الصينية ، كمبوديا ولاووس في عام ١٨٩٣ . وأنشأت الشركات الفرنسية في فيتنام ، مزارع للمطاط ومناجم الفحم ومصانع للنسيج والاسمنت ، ومعامل لتقطير الخمور . واصبح الفيتناميون يدفعون في بداية القرن العشرين ضرائب للفرنسيين مقدارها ٩٠ مليون فرنك ذهب سنوياً على حين كان مجموع الضرائب التي كانوا يدفعونها للحكومة الملكية قبل الاحتلال لا تزيد على ٣٥ مليون فرنك ، كما خضعوا لاستغلال احتكارات ثلاث ، هي احتكار الخمر والافيون وشراء وبيع الملح .

ولقد قاوم الشعب الفيتنامي الوجود الفرنسي في بلاده منذ اليوم الاول للاحتلال بقيادة الامبراطور السابق في مبدأ الأمر ، الذي قبض عليه ونفي بعد ذلك ، وفي بداية القرن العشرين بدأت بعض العناصر من المثقفين الوطنيين المتأثرين بنفوذ اليابان ونهضتها الصناعية بتنظيم حركة سرية للمقاومة تطورت في اعقاب الحرب العالمية الاولى الى تشكيل حزب سري بورجوازي الطابع عرف باسم حزب « فيتنام كوك دان دونج » احتذى في سياسته حذو حزب الدكتور « صن يات سن » في الصين «الكومنتانغ» وقد استند هذا الحزب في نشاطه الى أسلوب التآمر والارهاب الفردي المنعزل عن حركة الجماهير الشعبية . وعموماً فقد كان نشاط البورجوازية الفيتنامية في بداية القرن العشرين يتسم بالسريـــة حتى في النشاط الاقتصادي، نظراً لقهر الارادة الفرنسية لاي بادرة نشاط اقتصادي من جانب البورجوازية الوطنية ، ولذلك كثرت الجمعيات السرية البورجوازية في بداية القرن ، التي كانت تنــادي بالاستقلال والسماح بالنشاط الاقتصادي الخاص الوطني ، وكانت تجمع اموالا من المساهمين فيها لاجل ذلك الغرض ، ولكن البوليس الفرنسي كان يلاحقها ويقضي عليها ، اما الطبقة العاملة الفيتنامية فقد تزايد عددها مع ازدياد المشاريع الرأسمالية الفرنسية في البلاد ، حتى بلغت في عام ١٩٢٩ حوالي ٢٢٠ ألف عامل ، اي ان عدد العمال قد تضاعف أربعة أضعاف بالنسبة لعددهم في سنة ١٩٠٦ هذا بالاضافة الى الحرفيين ، والى مئات الآلاف من المستخدمين في المؤسسات الخاصة ومدرسي القرى . وكل هؤلاء تتشابه ظروف معيشتهم مع ظروف معيشة الطبقة العاملة .

وكانت الطبقة العاملة تعيش متداخلـــة مع الفلاحين باستمرار ، نظراً لان العمال – وهم اصلا من الريف – كانوا كثيراً ما يتركون اعمالهم في المدن ويعودون مرة اخرى الى قراهم عندما يلمسون ان ظروف معيشتهم الجديدة اسوأ من ظروف معيشتهم في قراهم ، الامر الذي جعـــل الريف الفيتنامي يتقبل شعارات الطبقة العاملة بيسر وسهولة نسبية . وفي الوقت نفسه تقريباً الذي مارس فيه الحزب البورجوازي الوطني نشاطه السري في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، كان هناك شاب لا يتعدى الثامنة والعشرين من عمره يكتب في باريس الى زعماء الدول المنتصرة في الحرب الاولى المجتمعين في « فرساي » في يناير عام ١٩١٩ مطالباً باستقلال فيتنام في عريضة من ثماني نقاط ، موقعاً باسم « نغوين اي كوك » اي « نغوين الوطني » . وقد عرف هذا الشاب بعد ذلك باسم « هو شي منه » . وقد التحق هوشي منه بالحزب الشيوعي الفرنسي وألقى خطاباً في مؤتمره الذي عقد في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٩ بصفته المندوب الوحيد عن شعوب الهند الصينية الفرنسية – فيتنام ولاووس وكمبوديا . وقد قام الحزب الشيوعي الفرنسي بوضع اسم « نغوين كوك» اي هوشي منه ضمن قائمة مرشحيه لانتخابات مجلس النواب الفرنسي في حزيران (يونيو) ١٩٢٣ ، رغم انه لم يكن من الممكن قبول عضويتـــه بالمجلس المذكور نظراً لأنه لم يكن يحمل الجنسية الفرنسية ، وذلك من قبيل تعضيد قضيته العادلة والدعاية لها بين ناخبي الحزب على الاقل ، الذين بلغ عددهم وقتئذ حوالي مليون ومائتي ألف شخص .

ترك « هوشي منه » فرنسا في اواخر ١٩٢٣ بعد ان ضيق عليه البوليس الفرنسي النطاق ، وامضى بعض الوقت في الاتحاد السوفييتي ، ثم سافر الى الصين ، التي كانت تحت حكم « صنن يات سن » حينئذ وحزبه « الكومنتانغ » الذي كان لا يزال حزباً ثورياً . ومن هناك ، من مدينة « كانتون » بالذات ، اتصل هوشي منه بالشباب الوطني الثائر في بلاده ، وعمل على تأسيس منظمة « الشباب الفيتنامي الثوري ». وفي ٣ شباط (فبراير) عام ١٩٣٠ حضر « هوشي منه » مؤتمراً سرياً صغيراً برئاسته ضم ثلاثة مندوبين عن المنظمات الاشتراكية الثلاث في اقسام فيتنام الثلاث ، الشمال والوسط والجنوب ، في استاد رياضي بمستعمرة « هونج كونج » البريطانية ، أثناء مباراة لكرة القدم ، انتهى بتوحيد هذه المنظمات واعلان تأسيس الحزب الشيوعي في الهند الصينية ، ووضع مسودة برنامج الحزب ولائحته الداخلية ، وتعيين اعضاء اللجنة المركزية الاقليمية للحزب . وكانت اهم بنود هذا البرنامج هي : إسقاط حكم الامبريالية الفرنسية والاقطاع والبورجوازية الرجعية الفيتنامية وتحقيق الاستقلال للهند الصينية ، وتوزيع الاراضي التي في حوزة المستعمرين والرجعيين على فقراء الفلاحين ، وتطبيق يوم الثماني ساعات عمل ، وتشكيل حكومة للعمال والفلاحين والجنود الخ .

وفي نفس يوم ٩ شباط (فبراير) عام ١٩٣٠ ، نشبت ثورة مسلحة في مقاطعة « ين باي » بشمال غرب فيتنام بقيادة الحزب البورجوازي « فيتنام كوك دان دونج » ولكن الاعداد لهذه الثورة لم يكن كافياً ، ولذلك سرعان ما فشلت واغرقت في بحر من الدماء وقبض على كثيرين من قادة الحزب واعدموا ، كما حكم بالسجن على كثيرين آخرين . وهناك في السجن دخل الكثير من اعضاء هذا الحزب في الخلايا السرية للحزب الشيوعي التي كانت منتشرة في جميع سجون فيتنام ، والتي كان يوجد فيها كثير من مناضلي الحزب . وهكذا انتقلت راية قيادة النضال الوطني في فيتنام الى حزب « هوشي منه » الجديد .

وفي ذلك الوقت كانت أزمة سنة ١٩٢٩ الاقتصادية العالمية ، في ذروتها ، وكانت انعكاساتها بالتالي عميقة على المستعمرات . ولذلك كانت فيتنام تغلي بالسخط والثورة ، الامر الذي أدى الى تحول احتفالات عيد العمال يوم اول ايار (مايو) سنة ١٩٣٠ ، الى موجة جارفة من الاضرابات والمظاهرات استمرت حتى شهر تموز (يوليو)، وفي شهر ايلول (سبتمبر) قام الفلاحون بهبة ثورية مسلحة في المقاطعتين الشماليتين « نيجي آن » و « هاتينا » ، واقاموا هناك سلطة سياسية ثورية حمراء على النمط السوفيتي ، استمرت ثلاثة أشهر تقريباً ، تم خلالها توزيع الاراضي الحكومية على المعدمين وإلغاء الضرائب الجائرة ، وتنظيم قوة دفاع خاصة . وكان عمال السكك الحديدية في مدينة « فينه » الغربية وعمال ميناء بن ثوى ، يقدمون للفلاحين الثائرين كل المساعدات الممكنة . واخيراً تمكن الاستعمار من سحق هذه الثورة ، التي لم تستطع ان تنتشر في انحاء البلاد الاخرى ، بعد ان قصفت القرى الحمراء بقنابل الطائرات . واعقب ذلك موجة شديدة من الارهاب الرجعي وانحسار مؤقت للموجة الثورية الوطنية في فيتنام «وقد اعلنت لجنة الدفاع عن الهند الصينية » التي تأسست بدعوة من « رومان رولان » – الاديب الفرنسي الشهير – ان « عدد الذين نفذ فيهم حكم الاعدام في الهند الصينية في سنة ١٩٣٠ بلغ ٦٩٩ شخصاً . وانه كان هناك ٢٩٦٣ سجيناً سياسياً . وفي سنة ١٩٣٢ بلغ عدد المسجونين السياسيين ١٠ آلاف شخص » .

وفي سنة ١٩٣٣ بدأت الحركة الثورية تسترد قواها تدريجياً في فيتنام ولاووس ، ثم ما لبثت ان اشتد عودها مرة اخرى خلال الفترة الرابعة بين عامي ١٩٣٦ – ١٩٣٩ ، التي تولت فيها حكومة الجبهة الشعبية – ليون بلوم – الحكم في فرنسا لمواجهة خطر الفاشية المتصاعدة في اوروبا حينئذ . والتي غير فيها الحزب الشيوعي في الهند الصينية شعاره السابق الخاص بالاستيلاء على السلطة وتوزيع الارض على الفلاحين واجله مؤقتاً ، وعمل على تشكيل جبهة ديمقراطية تضم الفرنسيين المعادين للفاشية . ولذلك ازدهرت في هذه المرحلة اشكال النضال القانوني الديمقراطي وحرية الصحافة لاول مرة في تاريخ البلاد ، واصدرت السلطة الفرنسية قرارات بتحريم السخرة وتنظيم عقود العمل وضمان حد ادنى للاجور وافرجت عن كثير من المسجونين السياسيين .

وفي بداية ١٩٣٩ سقطت حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا بعد ان وقعت اتفاقية ميونيخ مع هتلر في ايلول (سبتمبر) عام ١٩٣٨ . وانتهت هذه المرحلة الديمقراطية الهادئة نسبياً ، واغلقت الصحف الثورية وصدر مرسوم باطالة يوم العمل ، وبدأت موجة من الاعتقالات . واخذت العناصر الفرنسية المتهادنة مع الفاشية تعلن استعدادها للتعاون مع الفاشية اليابانية التي كانت تكتسح الصين وقتئذ ، وانتقل الحزب الشيوعي الى العمل السري . ثم قامت الحرب العالمية الثانية في اوروبا في سبتمبر عام ١٩٣٩ ، وفي يونيو عام ١٩٤٠ سقطت فرنسا في أيدي الغزاة الالمان النازيين ، وتشكلت حكومة « فيشي » بقيادة الماريشال « بيتان » . وعندما زحفت القوات اليابانية للسيطرة على فيتنام استسلمت لها الادارة الفرنسية ، ووقعت معها اتفاقية عسكرية في ٢٢ / ٩ / ١٩٤٠ تعطي حقوقاً كبيرة للجيوش اليابانية في استخدام ارض الهند الصينية ومواردها .

وبدأت مرحلة الاستغلال المزدوج من المستوطنين الفرنسيين والغزاة اليابانيين لشعوب الهند الصينية التي دامت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية .

(٤) الثورة الفيتنامية خلال الحرب العالمية الثانية

على اثر قيام فرنسا بتسليم منطقة الهند الصينية كلها الى اليابان ، ونزول الجيوش اليابانية في موانئ فيتنام ومدنها بمقتضى اتفاقية ايلول (سبتمبر) ١٩٤٠ ، هبت جماهير الشعب في مقاطعتي « باك سون » و « لانج سون » بشمال فيتنام ، ثائرة وهاجمت النقاط العسكرية الفرنسية المحلية واستولت على الاسلحة الموجودة بها ، معلنة بتلك الانتفاضة الثورية المسلحة احتجاجها على بيع البلاد الى الامبريالية اليابانية بواسطة المستعمرين الفرنسيين ، وقامت السلطات الفرنسية على اثر ذلك بسحق هذه الانتفاضة بعنف وسرعة ، بينما كانت الجيوش اليابانية تحمي ظهور قواتها . وهكذا اتحدت قوى الاستعماريين الفرنسيين مع الاستعماريين اليابانيين ضد الشعب الفيتنامي .

ولقد قمعت انتفاضة « باك سون » في ايلول (سبتمبر) ١٩٤٠ ، ولكن الاسلحة الفرنسية المستولى عليها انتقلت مع الثوار الى داخل الادغال والجبال في شمال فيتنام ، حيث ولدت نواة قوات العصابات وجيش التحرير الشعبي الفيتنامي . وفي هذه المرحلة العصيبة من تاريخ النضال الوطني في فيتنام ، وصل هوشي منه الى منطقة الحدود الصينية الفيتنامية ، حيث التقى هناك مع مجموعة من المناضلين الثوريين المهاجرين من فيتنام تخلصاً من مطاردة السلطات الفرنسية ، ومن بينهم « فونغوين جياب » الذي عرف فيما بعد باسم « الجنرال جياب » ، واخذ يعدهم سياسياً ونظرياً للعودة الى فيتنام ومباشرة مهام قيادة النضال المسلح ضد اليابانيين والفرنسيين المتعاونين معهم وتحرير البلاد من سيطرتهم المزدوجة .

ثم عبر هؤلاء الرجال القلائل الحدود في عام ١٩٤٠ ، حيث باشروا مهامهم الثورية بالاتصال بخلايا الحزب السرية في الاقاليم المجاورة ، محاولين الوصول الى لجنة الحزب المركزية داخل البلاد لتنسيق العمل معها تمهيداً لدخول هوشي منه الى ارض الوطن بعد ان غاب عنها حوالي ٢٠ عاماً متنقلا بين فرنسا والاتحاد السوفييتي والصين وهونج كونج .

وبعد فترة من الزمن عبر العم « هو » الحدود الصينية الفيتنامية وانضم الى حركة النضال العملي فوق ارض الوطن . وقد اقام العم « هو » مقر قيادته ، الذي كان يعيش فيه بمفرده تقريباً ، داخل كهف صغير ، في منطقة جبلية تبعد عن الحدود الصينية كيلومتراً واحداً فقط . وكان يحرص اشد الحرص على ألا يعرف احد في المنطقة موقع قيادته هذا مطلقاً . ومن هناك كان هوشي منه يمضي كل صباح الى القرى القريبة للقيام بالتعبئة السياسية حول الاستعمار وضرورة النضال ضده واساليب هذا النضال والمكاسب التي سيحصل عليها الشعب من وراء التحرر الوطني والاستقلال . وكانت ظروف معيشة العم « هو » ورفاقه صعبة وشاقة للغاية خلال هذه المرحلة بسبب وعورة المنطقة ونقص الغذاء والكساء والادوية . ولكن هذه الظروف كلها لم توهن من عزيمة النضال لديهم وانما زادتهم اصراراً وعناداً .

وفي شهر ايار (مايو) عام ١٩٤١ ، عقد اجتماع قيادي هام برئاسة هوشي منه ، عرف باسم « المؤتمر الثامن للجنة المركزية لحزب العمال الفيتنامي » ، داخل كوخ صغير في الادغال . وفي هذا الاجتماع اتخذت عدة قرارات ثورية بالغة الاهمية في تاريخ نضال فيتنام . أبرزها هو الدعوة الى توحيد القوى الوطنية بالمعنى الواسع للكلمة داخل اطار جبهة متحدة عريضة تهدف الى تحرير الوطن من القهر الفرنسي – الياباني ، وتشكيل حكومة ثورية لجمهورية فيتنام الديمقراطية عقب ذلك مباشرة ، تطبق برنامجاً وطنياً ديمقراطياً معتدلا ، يكتفي بتوزيع اراضي الخونة على فقراء الفلاحين بالاضافة الى توزيع الاراضي الحكومية وتخفيض ايجارات الارض وفوائد الديون . وقد دعي الى صفوف هذه الجبهة بالاضافة الى طبقات العمال والفلاحين والرأسماليين الوطنيين ، كبار الملاك غير المتعاونين مع المستعمرين الجدد أو القدامى . واطلق على هذه الجبهة اسم « رابطة استقلال فيتنام » واختصارها باللغة الفيتنامية « فييتمنه » . وقد شكلت لجان هذا الشكل التنظيمي لقوى التحالف الوطني عن طريق الانتخاب من أدنى المستويات حتى اللجنة العليا ، التي انتخب هوشي منه رئيساً لها . وتفرعت عن اللجان التنظيمية لجبهة « فييتمنه » اشكال تنظيمية للجماهير العادية العريضة عرفت باسم « جمعيات الخلاص الوطني » . وقد ركز الحزب والجبهة خلال المراحل الاولى من تشكيل وتدعيم جبهة « فييتمنه » على العمل السياسي والنشاط الدعائي بين الجماهير خاصة في الريف ومناطق الاقليات القومية ، التي كانت دائماً مقبرة للحركات الثورية في فيتنام ، لان الفرنسيين كانوا يغذون دائماً بين سكانها الكراهية ضد القوميات الكبيرة في المنطقة . ولكن « الفييتمنه » اعلنت في برنامجها مبدأ المساواة التامة في كل الحقوق بين القوميات المختلفة وبعضها صغيرة كانت او كبيرة ، ووضعته من خلال نشاط اعضائها العملي ، موضع التنفيذ ، فتحولت المناطق الجبلية لهذه القوميات بعد ذلك الى قلاع حصينة لقوات العصابات وجيش التحرير الشعبي .

واصدرت الجبهة صحيفة اسبوعية صغيرة الحجم بسيطة اللغة مطبوعة بحروف كبيرة ليسهل على الفلاحين قراءتها ، اسمها « فيتنام المستقلة » ، كانت تقوم بدور فعال في الدعاية لبرنامج الجبهة . ونظمت حلقات دراسية لاعضاء جمعيات الخلاص الوطني كانت تستغرق بضعة ايام . وشكلت جماعات من الدعاة المتجولين للتنقل بين انحاء الاقاليم والمقاطعات

المختلفة ، وإلقاء محاضرات التوعية السياسية الخاصة ببرنامج الجبهة الوطنية على اعضاء الحلقات الدراسية المحلية التابعة من لجان الخلاص الوطني في كل منطقة من هذه المناطق .

ونتيجة لذلك النشاط الواسع المدى ، في التحضير السياسي والدعائي ، انتشرت لجان « فييتمنه » وخلايا الحزب في أقاليم عديدة ، خاصة في اقليم «كاوبانج» في نهاية عام ١٩٤١ ، حيث نشأت سلطة شعبية موازية سراً للسلطة الفرنسية المحلية ، هي سلطة فييتمنه ، التي كانت تشرف برضى ورغبة السكان على كافة الشؤون والمشاكل المتعلقة بحياتهم . بل لقد امتد نفوذ لجان « فييتمنه » الى داخل صفوف وحدات الحرس الوطني المحلي التابعة للفرنسيين ، والتي كان جنودها يجندون من سكان نفس الاقليم تحت إمره ضباط فرنسيين ، فقد كان معظم هؤلاء الجنود اما أعضاء في لجان الخلاص الوطني واما متعاطفين معها . ولذلك تحولت مراكز الحرس الوطني في القرى ، الى مراكز لمراقبة تحركات العدو والتبليغ عنها ، بدلا من مراقبة ثوار « فييتمنه » ومطاردتهم لحساب السلطات الاستعمارية .

في نهاية عام ١٩٤١ اصدر « هوشي منه » امراً بتشكيل كتيبة مسلحة لحماية مركز قيادة الجبهة في اقليم « كاوبانج » . وعلى اثر ذلك اخذ سكان القرى الذين انضموا الى لجان « الخلاص الوطني » يشكلون فصائل وكتائب مسلحة دفاعية . ومن ناحية اخرى وضعت اللجنة العليا لفييتمنه برنامجاً صغيراً للتدريب العسكري السريع بالنسبة لرجال الكتائب الدفاعية ، بالاضافة الى تنظيم دورات دراسية اعلى للقيادات العسكرية المستقبلة . كما شكلت من بين العناصر التي تظهر كفاءة وشجاعة في التشكيلات الدفاعية وحدات اخرى هجومية فدائية ذات مستوى اعلى في التدريب والقيادة ، كانت هي بمثابة نواة وحدات العصابات الفيتنامية . اما الوحدات الدفاعية فقد تطورت فيما بعد الى قوات الدفاع الذاتي ، وكلا التشكيلين كانا من السكان المحليين ولا يحترف رجالهما القتال بصفة مستمرة . وكان على كل مقاتل ينتمي الى هذه التشكيلات ان يوفر لنفسه سلاحاً مهما كان نوعه ، وفي بعض المناطق كان الاهالي يجمعون التبرعات ليشتروا بها البنادق من الصين . كما اقامت اللجنة العليا مصنعاً صغيراً لصنع القنابل اليدوية والالغام بطريقة بدائية في منطقة جبلية ، وكان الاهالي القريبون يمدون المصنع بما يحتاجه من مواد اولية عن طريق تبرعهم بالاواني النحاسية ومختلف الادوات المعدنية ، كي يعاد صهرها في


الثوار الفيتناميون يعلنون اندلاع الثورة

المصنع وتحول مادتها الى اسلحة .

وفي آب (اغسطس) ١٩٤٢ غادر العم « هو » كهوف وادغال منطقة «كاوبانج » وانتقل الى « شونج كنج » لينظم الاتصال بين حركة « فييتمنه » الآخذة في الاتساع ، والتي بدأت تشن حرب عصابات محدودة النطاق في ذلك الحين ضد اليابانيين ، وبين قوات الحلفاء ، في محاولة للحصول على مساعدات عسكرية لتعزيز نشاط الحركة . وقد تسمى العم « هو » خلال هذه المرحلة بالاسم الذي عرف به حتى الآن ، وهو « هوشي منه » اي « الرجل المستنير » ، وذلك لكي يضلل عملاء وجواسيس العدو الذين يعرفونه باسمه السابق « نغوين اي كوك » . ولكن بوليس « تشانغ كاي شيك » قبض عليه في مدينة صينية لا تبعد كثيراً عن الحدود الفيتنامية ولم يسمح له بالاستمرار في رحلته رغم ان حكومة تشانغ كاي شيك كانت تحارب اليابانيين حينئذ وتقف ضمن صفوف الحلفاء . واخذ « هوشي منه » يتنقل بين سجون مقاطعة « كوانج سي » الصينية ، وامضى اكثر من عامين في هذه السجون يعاني خلالهما المرض والجوع . وفي هذه الاثناء ، خلال عام ١٩٤٣ وحتى منتصف ١٩٤٤ تقريباً ، شددت السلطات الفرنسية المتعاونة مع اليابانيين عمليات المطاردة والقمع ضد انصار حركة

« فييتمنه » الآخذة في الانتشار والتسلح ، وخاصة في الشمال حيث اصبحت ثلاث من مقاطعات اقليم « كاوبنانج » التسعة خاضعة تماماً لنفوذ وسلطة « الفييتمنه » ، بالاضافة الى انتشار قواعد ثورية اخرى كثيرة لها في الاقليمين المجاورين « لانج سون » و « باك كان » .

وقـد اتسمت حملات القمع تلك ، بالعنف الشديد خاصة في صيف ١٩٤٤ ، فقد احرقت قرى كثيرة في هذه المقاطعات ، واتلفت محاصيلها ومخزونها من الارز ، وفر الكثير من الفلاحين الى الادغال والجبال . كما اعدم الكثير من الاشخاص رمياً بالرصاص وعلقت رؤوسهم وايديهم بعد فصلها عن اجسادهم ، في الاسواق العامة بالقرى ، لمجرد حيازتهم منشورات او مطبوعات « فييتمنه » . وفي شهر تموز (يوليو) ١٩٤٤ سقطت حكومة «بيتان» المتعاونة مع الفاشية في فرنسا ، ودخلت قوات فرنسا الحرة بقيادة ديغول باريس ، وخفت حدة حملات القمع الفرنسية بعض الشيء وساد الاضطراب الادارة الفرنسية المحلية للهند الصينية ، واصبح من المتوقع ان يتولى اليابانيون كل السلطة هناك في اي وقت . ولذلك عقدت « فييتمنه » اجتماعاً لقادتها لبحث الموقف السياسي والعسكري ، في كهف واسع داخل الادغال ،

يقع في اقليم « كاوبانج » . وقرر المجتمعون ضرورة القيام بحرب عصابات واسعة النطاق والتمهيد لاقامة سلطة الجبهة محل السلطة الفرنسية المحلية بعد هزيمة اليابانيين . وحددت مهلة زمنية معينة لانهاء الاجراءآت التحضيرية اللازمة لبدء هذه الثورة المسلحة ، (توسيع نطاق التدريب العسكري والسياسي لاعداد القادة العسكريين والسياسيين.المطلوبين للمعركة وتخزين الارز والمواد الغذائية الاخرى ، الخ) .

وفي شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٤٤ كانت جميع الاعمال التحضيرية لشن حرب العصابات على مدى واسع على وشك الانتهاء ، بل كانت بعض الوحدات قد بدأت بعض العمليات الهجومية الصغيرة ، وتقرر دعوة القادة مرة اخرى لتحديد ساعة الصفر لبدء العمليات الهجومية الرئيسية . وفي اثناء ذلك هرب العم « هو » من سجون الكومنتانغ ووصل الى منطقة « باك بو » بشمال فيتنام ، حيث اجتمع مع العناصر القيادية للجبهة ، الذين تجمعوا اصلا لتحديد ساعة الصفر ، وناقش معهم الموقف السياسي والعسكري ومدى ملاءمة الظروف في جميع انحاء البلاد للثورة ، وخاصة بالنسبة لموقف الجماهير واستعدادها سياسياً لها . وكان هوشي منه يرى أن مرحلة النمو السلمي قد فاتت ، دون ان يعني ذلك انه قد حان وقت الثورة الشاملة ، واذا كان النشاط السياسي البحت لم يعد كافياً لضمان تقدم الحركة ، فان شن الثورة العامة والشاملة في هذا الوقت من شأنه ان يضع الحركة في مأزق . لذا فان من الضروري متابعة العمل السياسي والعبور بعد ذلك من العمل السياسي الى العمل العسكري .

ولايجاد بديل مؤقت للثورة المسلحة واعادة الحيوية للحركة الثورية فقد تم تشكيل فصيلة عسكرية نظامية متفرغة تماماً للعمل العسكري وذات مستوى عال من التدريب والشجاعة والاعداد السياسي ، لتصبح نواة لجيش التحرير النظامي ، الذي ستدور حوله كافة النشاطات العسكرية الاخرى لفصائل وكتائب العصابات المحلية وقوات الدفاع الذاتي في القرى ، على ان تكون مهمتها في بداية الامر التنقل في طول البلاد وعرضها للقيام بالنشاط السياسي والدعائي بين الجماهير لاقناعها بفكرة الثورة وتشجيعها على حمل السلاح والانضمام الى مختلف التشكيلات المسلحة الثورية . واطلق على هذه الفصيلة اسم « الفصيلة الدعائية التابعة لجيش التحرير » . وفي يوم ٢٢ من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٤ اجتمع ٣٤ مقاتلا يمثلون اول تشكيل لهذه الفصيلة في ادغال « فييت باك » بشمال فيتنام واقسموا يمين الولاء للثورة امـــام قائدهم « جياب » . وكانت معداتهم تتألف من ٣٤ بندقية من انواع مختلفة ، و ٦ قنابل يدوية حـــارقة ، ولغم واحد ، و ٥٠٠ فرنك فرنسي .

وبعد يومين من تشكيل هذه الفصيلة دخلت في معركتين صغيرتين مع العدو ، وانتصرت فيهما . واصدرت اللجنة العليا للجبهة بياناً يعلن ذلك ويطلب من الشعب الانضمام اليها . وعلى اثر ذلك تحركت الفصيلة في طول وعرض الاقاليم الشمالية على مقربة من الحدود الصينية ، وتجمع حولها المتطوعين ، وزاد نفوذها وعددها بسرعة ، فتحولت الى فرقة كبيرة في زمن يسير ، وكانت تترك بعض فصائلها في بعض المناطق لتقوم باعمال الدعاية ، بينما تستمر قوتها الرئيسية في السير نحو وسط وجنوب البلاد ، حيث اخذت تنزع سلاح وحدات الحرس الوطني وتقيم سلطة ثورية محلية مدعمة بوحدات دفاع ذاتي . كما انطلقت قوات لجان الخلاص الوطني في وسط البلاد بعد ذلك لتشن حرب عصابات وبعد قليل التقت هذه القوات بوحدات جيش التحرير النظامي .

وفي ٩ آذار (مارس) ١٩٤٥ قامت القوات اليابانية في الهند الصينية بانقلاب عسكري خاطف واستولت على السلطة ، بعد ان لمست الفتور الذي يبديه الفرنسيون في مقاومة حركة « فييتمنه » الثورية . واعلن عن قيام حكومة عميلة لليابان برئاسة الامبراطور باواداي ورئيس وزرائه « تران ترونج كم » . وقد استفادت الحركة الثورية من ضعف قوات الاحتلال اليابانية والتناقضات بينها وبين الفرنسيين فقويت شوكتها وتزايد نفوذها واصبح الوضع في البلاد كلها متفجراً وقابلا للثورة المسلحة الشاملة .

(٤) ثورة آب (اغسطس) عام ١٩٤٥ الفيتنامية

تصاعدت موجة حرب العصابات المعـــادية لليابانيين على اثر انقلاب ٩ آذار (مارس) ١٩٤٥ ، واختزل شعار « لنطرد الفاشيين والفرنسيين » الى لنطرد « الفاشيين اليابانيين » . وهاجمت وحدات جيش التحرير ووحدات الخلاص الوطني مدن المقاطعات في الاقاليم الشمالية ، كما هوجمت مخازن الارز الحكومية التي كان يسيطر عليها اليابانيون الذين منعوا الارز عن المناطق الثائرة فتسببوا في حدوث مجاعة رهيبة أودت بحياة نحو مليون شخص من الشعب الفيتنامي . وفي ٤ حزيران (يونيو) اعلنت ست مقاطعات محررة كاملة ، اتخذت كقاعدة اساسية لقوات جيش التحرير .

وفي اوائل آب (اغسطس) هاجم الاتحاد السوفياتي الجيوش اليابانية في منشوريا ، واسقطت امريكا قنابلها الذرية على اليابان ، التي طلبت التسليم فوراً . فقرر حزب العمال وجبهة فييتمنه القيام بالثورة الشاملة فوراً ، وقبل وصول جيوش الحلفاء وتشانغ كاي شيك الى البلاد لتسلم اسلحة واسرى القوات اليابانية . وقامت الثورة فعلا في ١٢ آب (اغسطس) في هانوي ، وفي سايجون يوم ٢٥ آب . وفي ٢٦ آب اعلن الامبراطور « باوداي » التنازل عن العرش وقد عين الامبراطور بعد ذلك مستشاراً سياسياً لهوشي منه في الحكومة الثورية الجديدة . وقد اتخذ الامبراطور هذا الموقف إزاء القوة الجارفة لثورة آب والنفوذ والتأييد الجماهيري الكاسح الذي اصبحت تتمتع به « فييتمنه » وحزب العمال الفيتنامي ، ووقف العم « هو » يعلن يـــوم ٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٥ استقلال فيتنام ويقول:« ان الشعب الفيتنامي بأسره ، والذي يحركه هدف مشترك مصمم على القتال حتى الموت ضد اي محاولة يقوم بها الاستعماريون الفرنسيون لاحتلال بلادنا من جديد » . وهكـــذا استقلت فيتنام بعد مضي ٨٧ عاماً على احتلال الفرنسيين لها ، وبدأت الحكومة الثورية الجديدة ، والتي ضمت عناصر وطنية من مختلف الطبقات والاحزاب برئاسة هوشي منه ، فور اعلان الاستقلال باتخاذ اجراءات منفذة لبرنامج الجبهة ، فالغيت احتكارات الافيون والملح وخفضت ايجارات الارض وفوائد الديون بنسبـــة ٢٥ ٪ ، ووزعت الاراضي الحكومية واراضي المتعاونين مع المستعمرين عـــلى الفلاحين الفقراء ، كما الغيت ضريبة الرأس التي كانت متبقية منذ العهد الاقطاعي ، ومنح العمال يوم عمل ثماني ساعات وحق تكوين النقابات.وبدأت حملة لزيادة الانتاج والتبرع بوجبات يوم كامل كل عشرة ايام للتغلب على المجاعة المصطنعة التي دبرها اليابانيون والفرنسيون . كما بدأت حملة اخرى لمكافحة الامية وتعليم الاميين الكتابة بالحروف اللاتينية خلال ثلاثة شهور فقط ، وتم بالفعل تعليم مليوني شخص بهذه الطريقة خلال ١٥ شهراً فقط وبدأت حملة تبرع بالذهب لتدعيم خزانة الحكومة الجديدة الخاوية ، وتبرعت كل مقاطعة بالغذاء والملابس لفرق جيش التحرير المقيمة فوق ارضها ، ولكن الحلفاء كانوا قد اتفقوا في مؤتمر بوتسدام عام ١٩٤٥ على انـــه لكي يمكن قهر اليابانيين في الهند الصينية ، تدخل الجيوش التابعة لتشانغ كاي شيك من الشمال ، والجيوش البريطانية تنزل في الجنوب وتقسم البلاد عند خط عرض ١٦ ،

وهكذا دخل شمال فيتنام ٢٠٠ ألف جندي صيني . بينما وصلت السفن الحربية الانجليزية الى موانئ الجنوب وانزلت قوات فرنسية مسلحة باسلحة انجليزية تمهيداً لاعادة السيطرة الفرنسية على الهند الصينية كلها مرة اخرى . ووصلت هذه القوات الى مدينة سايجون فعلا يوم ٢١ ايلول ١٩٤٥ ، اي قبل ان يمضي على اعلان استقلال البلاد ثلاثة اسابيع كاملة . وبعد يومين فقط بدأت القوات الفرنسية الجديدة هذه ، تهاجم مكاتب الحكومة الفيتنامية الديمقراطية في المدينة وتطلق النار على من فيها وتغلقها تمهيداً لاحلال السلطة الاستعمارية القديمة محلها مرة اخرى . وهكذا واجهت الجمهورية الوليدة خطر الاشتباك المسلح مع الاستعمار الفرنسي المعزز بالقوى البريطانية العسكريسة وجيوش الكومنتانغ الرجعية ، في وقت مبكر للغاية وقبل ان توطد سلطتها وتدعم جيشها وتعزز موقفها الدولي . ولكن حكمة هوشي منه في توجيه سياسة الحكومة وقتئذ ، والنفوذ المتغلغل العميق للحزب والجبهة بين الجماهير ، استطاعت ان تنقذ استقلال البلاد مؤقتاً وتعطي الوقت الكافي للتأهب لشن مقاومة وطنية جديدة طويلة الامد .

فقد كانت هناك عدة قوى معادية تتآمر وتتصارع كلها وقتئذ على ارض فيتنام ، وهي تستهدف جميعاً القضاء على الجمهورية الفتية . كان هناك الاستعمار الفرنسي الذي اخذ يعزز قواته تدريجياً في الجنوب حسب ما تسمح به سرعة بناء الجيش والدولة مرة اخرى في فرنسا نفسها ، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية والاطاحة بحكومة فيشي المتعاونة مع الالمان ، وكان هناك الجيش الصيني الرجعي ومن ورائه المطامع الامريكية ، يحاول ان يفرض حكومة رجعية من اعضاء بقايا الحزب البورجوازي القديم « فيتنام كوك دان دونج » الذين فروا من الصين منذ فشل ثورتهم في مقاطعة « ين باي » في شباط ١٩٣٠ ، وارتبطوا نهائياً بحزب الكومنتانغ الرجعي ، وقد عادوا الى البلاد مع الجيش الصيني وهم يركبون السيارات الامريكية الفاخرة . بالاضافة الى تآمر حزب آخر موالي لليابان في الاصل اسمه « ديافييت » اي « فيتنام العظمى » .

وحتى يمكن للفرنسيين ان يزحفوا نحو الشمال ويدخلوا « هانوي » كان لا بد لهم من الاتفاق مع الصينيين على الجلاء عن شمال فيتنام ، ولذلك دخلوا في مفاوضات طويلة معهم ، انتهت بتوقيع اتفاق يقضي بجلاء القوات الصينية في موعد غايته ٣١ آذار عام ١٩٤٦ . وقد تم توقيع هذا الاتفاق في ٢٨ شباط ١٩٤٦ ، مقابل التنازل عن بعض الحقوق الفرنسية في الاراضي الصينية . وتلى ذلك توقيع اتفاق آخر بين فرنسا وحكومة فيتنام الديمقراطية في ٦ آذار ١٩٤٦ ، اعترفت فيه فرنسا بفيتنام كدولة حرة لها حكومتها المستقلة ، على ان تكون جزءاً من الاتحاد الفيدرالي للهند الصينية ومن الاتحاد الفرنسي ، مقابل ان يحل ١٥ ألف جندي فرنسي محل القوات الصينية في الشمال ، وعلى ان يجرى بعد ذلك استفتاء عام حول وحدة أجزاء فيتنام ، وان توقف اجراءات العنف في الجنوب ، وان تجلو القوات الفرنسية بعد ذلك تدريجياً عن البلاد نهائياً في موعد اقصاه ١٩٥٢ .

وفي الواقع كانت اتفاقية ٦ آذار ١٩٤٦ تعطي لكل من فيتنام وفرنسا الفرصة لحشد القوى استعداداً للجولة الثانية من الصراع بينهما . ففور توقيع الاتفاقية اخذت فرنسا تعزز وجودها في بقية انحاء الهند الصينية لتحيط تماماً بفيتنام ، فاستولت على كمبوديا وشنت الحرب ضد لاووس ، التي كانت قد اعلنت عقب ثورة آب ١٩٤٥ عن تشكيل حكومة مستقلة في ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) بقيادة ابناء الطبقة الاقطاعية المستنيرين ومنهم الامير «سوفانافونغ». وتمت السيطرة الفرنسية مرة اخرى على لاووس في ٢١ آذار ١٩٤٦ وهرب « سوفانا فونغ » الى سيام . وبدأت سلسلة من الاعمال الاستفزازية الاخرى من قبل القوات الفرنسية ضد استقلال وسيادة هوشي منه ، وتابعت هذه القوات مهاجمة العصابات الفيتنامية في جنوب البلاد وفرضت الحصار على ميناء «هايفونغ» في الشمال . وسافر هوشي منه الى باريس في ٣١ ايار ١٩٤٦ بناء على دعوة من الحكومة الفرنسية للدخول في مفاوضات جديدة حول الوضع في فيتنام ، واستمرت هذه المفاوضات مدة اربعة شهور دون ان تصل الى نتيجة حاسمة حول توحيد اقسام البلاد الثلاثة وايقاف اطلاق النار في الجنوب ... واكتفي بالاعلان في البيان الصادر في نهاية المفاوضات الطويلة الشاقة ، على التأكيد بتنفيذ اتفاقية ٦ آذار وترك باب المفاوضات مفتوحاً لمفاوضات مقبلة في أيار المقبل .

وبدأ الفرنسيون بعد ذلك بشهرين وقد استكملوا استعداداتهم العسكرية ، في تنفيذ خطتهم في القضاء على جمهورية فيتنام . فقاموا في ١٩٤٦/١١/١٩ بمنع مكاتب الجمارك الفيتنامية من تحصيل الرسوم الجمهورية في ميناء « هايفونغ» وتبودل اطلاق النار بين الطرفين . وفي ١١/٢٣ قصفت السفن الحربية الميناء فقتلت ٦٠٠٠ من السكان . وفي منتصف ديسمبر هاجمت القوات الفرنسية كثيراً من مكاتب الحكومة الفيتنامية وطالبت بتجريد قوات الدفاع الذاتي من سلاحها . وفي ١٩ كانون الاول (ديسمبر) هاجمت القوات الفرنسية هانوي وجميع المراكز الفيتنامية عامة . وفي ١٢/٢٠ وجه هوشي منه نداء إلى الشعب الفيتنامي ، واهاب به ان يبدأ النضال ضد الفرنسيين بكل الوسائط المتوفرة لديه ، ومهما كبرت التضحيات ، وبدأت منذ ذلك اليوم معركة جديدة ضد المستعمرين الفرنسيين ، ثم الاميركيين (انظر الحرب الفيتنامية – الفرنسية والفيتنامية – الاميركية) .

(١٢) الثورة الكامبودية (١٩٤٥ — ١٩٧٥)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

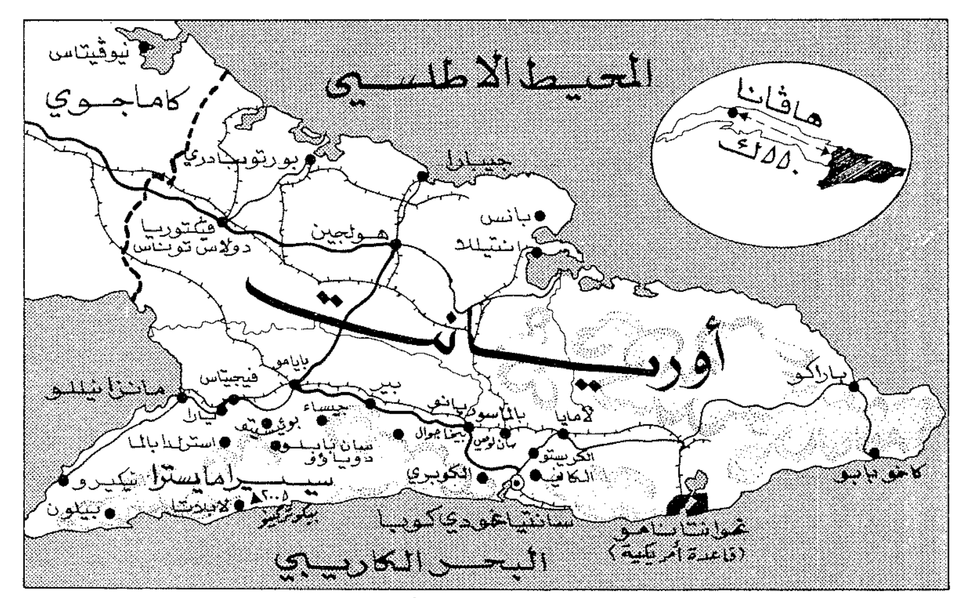
(١) الثورة الكوبية (١٩٥٦ — ١٩٥٩)

هي الثورة التي اندلعت في كوبا منذ نزول المجموعة الثورية الكوبية بقيادة فيديل كاسترو على الأرض الكوبية وتشكيل البؤرة الثورية في ١٩٥٦/١٢/٢ حتى فرار باتيستا إلى الولايات المتحدة في ١٩٥٨/١٢/٣١ . ودخول الثوار إلى العاصمة هافانا في يوم ١٩٥٩/١/٢ .

وقعت الجزيرة الكوبية تحت نير الاستعمار الاسباني منذ العام ١٥١١ . وبعد حرب ضارية دامت من ١٨٦٨ حتى ١٨٩٨ تحررت كوبا من الاسبان . ولكن الاميركيين أرادوا احتلال مكان الاسبان . فنزلوا على الأرض الكوبية ، واحتلوا سانتياغو وبقوا في الجزيرة ٤ سنوات ، ثم تخلوا عنها بعد أن احتفظوا بقاعدة بحرية في غوانتنا نامو ، وركزوا في البلاد نظاماً استعمارياً جديداً يتمثل بحكومة قمعية تقهر الشعب وتستغله ، وتخضع الاقتصاد للاستغلال الرأسمالي الاميركي .

وفي ١٠ آذار (مارس) ١٩٥٢ وقع انقلاب عسكري بقيادة الجنرال باتيستا المدعوم من الولايات المتحدة ، واسقط النظام الجمهوري ، وطرد رئيس الجمهورية بريوسو كاراس من البلاد ، واستولى على السلطة التي احتكرها حزب « الحقيقي Authentique » منذ العام ١٩٤٤ برئاسة غروسان مارتان ، دون أن يحقق أي إصلاح . ولقد أجهض الانقلاب احتمالات وصول حزب الارثوذوكسيين إلى السلطة في انتخابات ١٩٥٢ المنتظرة ، واجهض بالتالي امكانية تحقيق أي إصلاح ، وفرض على البلاد حكماً دكتاتورياً متخلفاً ومرتبطاً بالولايات المتحدة الاميركية ، الأمر الذي زاد النقمة الشعبية وخلق الظروف الاقتصادية والاجتماعية الملائمة للثورة .

ولقد وجد المحامي الشاب فيديل كاسترو (من



مقاطعة اوريانت حيث بدأت الثورة

حزب الارثوذوكسيين) في هذا المناخ المجال لجمع بعض الشبيبة في «حركة ٢٦ يوليو» التي كان هدفها قلب الديكتاتورية بقوة السلاح. وفي العام ١٩٥٣ استطاع كاسترو تدريب واعداد ١٥٠ شاباً في هافانا ونقلهم إلى سانتياغو دي كوبا حيث شنوا هجوماً على ثكنة مونكادا في ٢٦ تموز (يوليو) ١٩٥٣. وكانت غاية كاسترو من هذا الهجوم الاستيلاء على مستودعات الاسلحة في الثكنة وتوزيعها على المناضلين والسيطرة على المدينة. واذا ما فشل في الاحتفاظ بالمدينة، لجأ إلى سلسلة جبال سيرا مايسترا الوعرة المشجرة الممتدة على طول البحر الكاريبي بطول ١٥٠ كيلومتراً وعرض ٣٠ كيلومتراً لبدء حرب العصابات من هذا المعقل الجبلي المنيع. وحصل الهجوم على الثكنة في البداية على بعض النجاح، ولكن قوات الجيش سحقت المهاجمين بفضل تفوق بلغ ١٥ ضد واحد. وقتل وأسر معظم أنصار كاسترو، ونجا البعض والتجأوا إلى سيبوني. وهناك جمع كاسترو ٣٨ شاباً لمتابعة المقاومة. ولكن ٢٠ منهم انفضوا من حوله، فصعد مع ١٨ رجلا إلى الجبل، وهناك تفرقوا إلى مجموعات. وفي ١ آب (أغسطس) ١٩٥٣ أسرته دورية بقيادة الملازم الزنجي ساريا وهو نائم مع زميلين من شدة التعب، وسلمته إلى السلطات التي أحالته إلى المحاكمة. وهناك دافع كاسترو عن نفسه في ١٦ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٣ بخطابه الشهير «سينصفني التاريخ»، وحكمت المحكمة بسجنه ١٥ عاماً لأن باتيستا رفض الحكم عليه بالاعدام - على أثر أزمة دينية - واكتفى بسجنه مع ٣٠ من زملائه في سجن جزيرة الصنوبر.

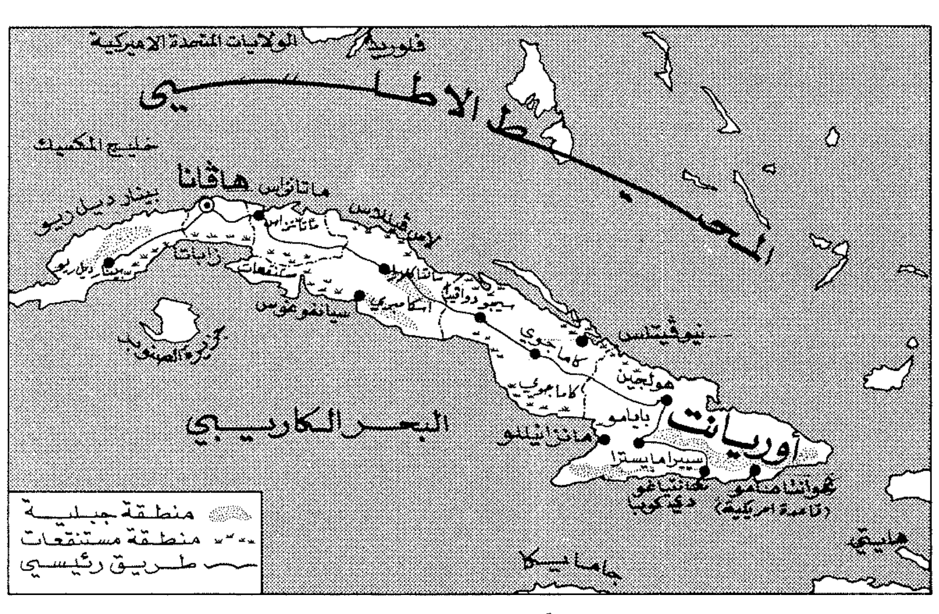
وعلى أثر الانتخابات العامة (١٩٥٥) أصدر باتيستا عفواً على السجناء، وخرج كاسترو من سجن جزيرة الصنوبر في أيار (مايو) ١٩٥٥، ولجأ إلى المكسيك. وهناك بدأ يعيد تنظيم «حركة ٢٦ يوليو» على أسس جديدة، واهتم بتدريب عناصر الحركة في جو من السرية خوفاً من السلطات المكسيكية ومكتب المعلومات الفدرالي الاميركي F. B. I. وجواسيس باتيستا. وكانت المهمة الأولى للحركة تنظيم الجيش الثوري الذي سيتوجه إلى كوبا لتحريرها. ولقد ألقيت مهمة التدريب على عاتق الجنرال البيرتو بايو الاسباني الذي يعيش في المكسيك. وفي المكسيك تعرف كاسترو على ارنستو جيفارا، الطبيب الثائر الارجنتيني الذي لجأ إلى المكسيك في العام ١٩٥٤ بعد اشتراكه في ثورة فاشلة في غواتيمالا تحت قيادة العقيد جاكوب اربنز غوزمان.

وبعد انجاز مهمة التدريب في مزرعة مكسيكية حدد موعد الحركة باتجاه كوبا في آذار (مارس) ١٩٥٦. ولكن الشرطة المكسيكية داهمت المزرعة وقبضت على المجموعة الثورية وسجنتها، وصرف أصدقاء كاسترو الكثير من المال والجهد لتحرير أفراد المجموعة الذين عادوا إلى الاستعداد والتدريب. واشتروا مركباً (غرانما)، وجهازاً لاسلكياً، وبندقيتين مضادتين للدبابات، وتسلحوا بالبنادق والمسدسات والقنابل اليدوية. وفي يوم ٢٥ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٥٦ أقلع المركب (غرانما) من ميناء «توكسبان» وعلى ظهره ٨٣ ثائراً ومن بينهم كاسترو وجيفارا. وبعد رحلة بحرية منهكة في ظروف جوية سيئة وصل المركب إلى كوبا، ونزل الثوار في مكان يدعى «بيليك» قرب «نيكيرو» على شاطىء «دولاس كولورادوس» (مقاطعة اوريانت) في صباح ٢ كانون الأول (ديسمبر). وشاهدهم مركب حراسة شواطىء فأبرق إلى سلطات باتيستا التي أرسلت طيران الاستطلاع للبحث عنهم، ودفعت الدوريات البرية لتحديد التماس معهم.

وبعد مسيرة ٣ أيام وسط الغابات، وصل الثوار في يوم ٥ كانون الأول (ديسمبر) إلى «اليغريا دو بيو» قرب «كابوكروز»، وكانوا قد فقدوا الكثير من متاعهم ومعداتهم، وجلسوا للاستراحة قرب مزرعة لقصب السكر. وهنا هاجمتهم قوات باتيستا من البر، واشتركت الطائرات في الهجوم برشاشاتها، وتبعثرت المجموعة الثورية بعد أن قتل وجرح عدد منها، وسارت كل مفرزة في اتجاه على غير هدى. وكانت قوات باتيستا تطاردهم كما كانت طائرات الاستطلاع تبحث عنهم وتذيع بمكبرات الصوت نداءات الدعوة إلى الاستسلام. ولقد أفادت بقايا المجموعة الثورية من طبيعة الأرض ومن مساعدات الفلاحين، وبعد أيام من السير في الجبال الوعرة اجتمع الباقون من مجموعة «غرانما» في مزرعة «مونجو بيريز»، وكان عددهم ٢١ مقاتلا (١٢ مع كاسترو و ٨ مع جيفارا)، أما الباقون فكانوا قتلى وجرحى واسرى ومفقودون. وانضم إلى المجموعة عدد من الفلاحين غير المدربين. ولم يكن مع المجموعة التي شكلت نواة البؤرة الثورية في السيرا مايسترا سوى ٢٣ قطعة سلاح (٩ بنادق مزودة بمنظار، و ٥ بنادق نصف آلية، و ٤ بنادق عادية، ومسدسان رشاشان تومبسون، ومسدسان رشاشان ستار، وبندقية ١٦).

وفي الساعة ٢,٤٠ من صباح يوم ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٧ هاجمت المجموعة ثكنة «لابلاتا» وفيها ١٥ جندياً، فقتلت جنديين وجرحت ٥ وأسرت ٣ وغنمت عدداً من الاسلحة والذخائر. ثم ضمد الثوار الجرحى من الجنود وتركوهم تحت رعاية الأسرى وانسحبوا باتجاه الجبال. ولقد كان لهذه المعاملة الجيدة للجرحى، والتي استمرت فيما بعد، أثر معنوي كبير، ساعد على اكتساب الجنود، وتفتيت جيش القمع، ونجاح الثورة.

وقامت دوريات باتيستا بمطاردة المجموعة التي كانت تتحرك باستمرار، وتهتم بالحراسة والرصد والاستطلاع. وفي ٢٢ كانون الثاني (يناير) اكتشف الثوار دورية معادية وكمنوا لها وقتلوا ٥ من أفرادها. وفي يوم ٣٠ كانون الثاني (يناير) قامت طائرات



كوبا — خارطة عامة

باتيستا بقصف مكان الثوار بالقنابل وضربته بالرشاشات وشتت افراد المجموعة الثورية الذين ما لبثوا أن تجمعوا في ١ شباط (فبراير)، وانضمت اليهم مجموعة من « مانزانيللو » . ويرجع السبب في اكتشاف الطيران لقاعدة الثوار إلى أن أحد الفلاحين الأدلاء كان خائناً، ولقد أرشد الرائد كاسيلاس قائد قوات المطاردة المعادية على مكان المعسكر .

وللتخلص من الطيران كانت المجموعة الثورية تتحرك باستمرار، ولا تمكث في مكان واحد سوى يوم أو يومين، الأمر الذي أدى إلى انهاك افرادها، وتساقط عدد من المتطوعين الجدد . وفي يوم ١٢ شباط (فبراير) كان عدد المجموعة ١٨ رجلا بعد أن تبعثر بعض المقاتلين القدامى، وانسحب بعض الجدد، وفر البعض من صفوف الثورة . وكانت حياة هذه المجموعة عبارة عن مسيرات مستمرة للتخلص من المطاردات والكمائن .

ولم تكن المجموعة الثورية المتجولة في الجبال كل مظاهر الثورة في كوبا، فلقد اندلعت الاضطرابات في المدن منذ يوم ٣٠ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٥٦، أي قبل نزول رجال « غرانما » إلى الجزيرة بيومين . وكانت ثورة « سانتياغو دي كوبا » بقيادة فرانك بايس الذي قرر أن تكون انتفاضة المدينة متوافقة زمنياً مع نزول ثوار « غرانما » إلى اليابسة وصعودهم إلى « السيرا مايسترا » . وكانت التنظيمات الطلابية والعمالية تشارك في الاضطرابات المدينية وعمليات التخريب . وفي ١٣ آذار (مارس) حاولت مجموعة ثورية مدينية اغتيال باتيستا، ولكن المحاولة فشلت وقتل على أثرها عدد من الثوريين وعلى رأسهم الزعيم الطلابي خوزيه انطونيو ايشيفاريا . وفي يوم ١٦ التحق بالمجموعة الثورية ٥٠ مقاتلا بقيادة النقيب جورج سوتوس جاؤوا من « سانتياغو » ومعهم ٣٠ قطعة سلاح . وبدأت مرحلة تدريبهم على القتال وشظف العيش . واستمر التدريب خلال شهري آذار ونيسان (مارس وابريل) . وعندما تحركت المجموعة باتجاه « اوفيرو » كان تعدادها ٨٠ رجلا، وكانت موزعة إلى مقدمة ومؤخرة وثلاثة فصائل في كل فصيلة ثلاثة جماعات . ولقد أصبح هذا التشكيل فيما بعد تشكيل الرتل في الثورة الكوبية .

تابع رتل الثوار المسير خلال النصف الاول من أيار (مايو) . وكان الافراد يحملون على ظهورهم كل ما هم بحاجة اليه للحياة والقتال . وكانت المجموعة الثورية تعمل ما في وسعها للاندماج بالجماهير ومساعدتهم، وتخلق السلطة الثورية في المناطق الجبلية التي تسيطر عليها . وفي منتصف ايار (مايو) وصلت صفقة جديدة من الاسلحة (٣ رشاشات ثقيلة و ٣ رشاشات خفيفة و ١٩ بندقية)، وارتفع عدد المسلحين الى ١٢٣ رجلا .

وفي ٢٥ أيار (مايو) نزلت على الشاطئ الكوبي من المركب « اورنيتا » حملة من رجال بريوسوكاراس زعيم حزب الـ Authentique ورئيس جمهورية كوبا في فترة ١٩٤٨ — ١٩٥٢ . وكان بريو معادياً لباتيستا الذي أطاح بحكمه، ولذا استغل فرصة اندلاع الثورة وأرسل جماعته للمشاركة في إسقاط باتيستا . ولكن القوات الحكومية بقيادة كاولي سفاح شمال اوريانت تصدت للحملة وقضت عليها . وفي ٢٨ أيار (مايو) هاجم رتل ثوري يضم ٨٠ مقاتلا ثكنة أوفيرا وفيها ٥٣ جندياً واستولى عليها وخسر خلال القتال ٦ قتلى و ٩ جرحى، بينما كانت خسائر الثكنة ١٤ قتيلا و ١٩ جريحاً و ١٤ أسيراً، وفر ٦ جنود . ولقد أدى سقوط ثكنة اوفيرا إلى قيام العدو باخلاء مناطق الشواطئ في السيرا، وسحب المخافر الصغيرة المنتشرة عليها . وتشكلت في جبال اسكامبري وسييرا دو كريستال وسيرا دو باراكو مجموعات من المقاتلين لخلق بؤرات ثورية جديدة . ولقد ضمت هذه المجموعات خليطاً من الثوار الحقيقيين، والمرتزقة النفعيين وبدأت تشن عملياتها ضد القوات الحكومية .

ومنذ أيار (مايو) قسمت مجموعة الثورة إلى أربعة أرتال (كان كل رتل يتألف من مقدمة ومؤخرة و ٣ فصائل تضم الواحدة منها ٣ جماعات والمجموع الكلي للرتل ٨٠ — ١٥٠ رجلا)، وكان المجموع العام لقوات الثورة حوالي ٢٠٠ رجل، وكانت الأرتال تتمركز في قاعدتها الآمنة (جبال سيرا مايسترا) وتعمل على محاور منعزلة وبشكل مستقل تقريباً وتشن الاغارة على مراكز العدو، وتتصل بالمدن الثائرة بواسطة المناضلين المدينيين والقرويين، ولكنها لا تغامر بالابتعاد كثيراً عن القاعدة، ولا تتعرض للقاعدة الاميركية « غوانتانامو » التي كانت تبعد عن قاعدة الثوار حوالي ١٢٥ كيلومتراً، ويمكن الوصول إليها عن طريق جبل « الكوبري » وجبل « الكاني » المتصلين مع جبال « السيرا مايسترا » . وكان ثوار الجبل يحسون بالعزلة إلى حد ما، ويرون أن عملياتهم العسكرية في المناطق النائية بحاجة لدعاية أكبر، وأن من الضروري تقوية النواة الثورية سياسياً وعسكرياً للانطلاق بعد ذلك من « السيرا مايسترا » إلى تحرير البلاد .

وفي ١٢ تموز (يوليو) صدر « بيان السيرا » أو « رسالة السيرا » . وكان هذا البيان الذي وقعه ثوار الجبل ومندوبون عن حزب الارثوذوكسيين وثيقة سياسية تنص على ضرورة إيجاد جبهة وطنية تضم كل الاحزاب السياسية المعارضة وكل المؤسسات الوطنية والقوى الثورية، والانطلاق بعد ذلك من هذه الجبهة الشعبية إلى خلق جبهة كاملة للصراع . ولقد أكدت الوثيقة على ضرورة وضع قواعد للاصلاح الزراعي وتوزيع الأراضي غير المزروعة على الفلاحين، وتحويل الفلاحين إلى ملاك لقطع صغيرة من الأرض

« شريطة تعويض الملاكين » . ولقد وضع الشرط الأخير الخاص بالتعويض لإرضاء الارثوذوكسيين . ولم تكن الوثيقة من وجهة نظر ثوار الجبل سوى بذرة برنامج وافق عليها كاسترو ليكسب مجموعة كبيرة من « الاصدقاء » الذين كانوا يحاولون استغلال القوة العسكرية للثورة . ولكنه كان يعرف أن مركزه لا يتدعم إلا إذا زاد قوة عملياته العسكرية ووسع رقعتها .

وفي شهر تموز (يوليو) شنت أرتال الثوار المستقلة عدة هجمات على مواقع العدو ، ومن بينها الهجوم الذي قام به رتل غيرمو غارسيا على ثكنة استرادا بالما ، وهجوم رتل جيفارا على ثكنة بوئيسيتو . وكانت الاحكام العرفية قد أعلنت في البلاد ، واستطاعت قوات الحكومة قتل الثائر المديني فرانك بايس في سانتياغو في ٣٠ تموز (يوليو) . واعلنت الجزيرة الاضراب في شهر آب (اغسطس) ، وضاعف جنود باتيستا عمليات القتل والاغتيال في جميع أرجاء البلاد التي وقفت على أهبة الحرب . ولقد أثبتت المظاهرات الضخمة التي أعقبت مقتل فرانك بايس على أن قوى جديدة قد انضمت إلى الصفوف المعادية للنظام . وفي اواخر شهر آب (اغسطس) حصلت في السيبرا مايسترا معركة « هومبريتو » التي كانت عبارة عن كمين نصبه الرتل الرابع لسرية معادية كانت تحاول تسلق الجبل ومطاردة الثوار . وفي الشهر نفسه قام رتل كاسترو بمهاجمة قوات باتيستا في معسكر « لاس كويفاس » وقامت الارتال الاخرى بعمليات مماثلة ولكنها بقيت محصورة في مجال جغرافي ضيق . وفي هذه المرحلة احتلت قوات باتيستا نهائياً منطقة السيبرا مايسترا التي لم يعد يدخل إليها سوى قوات السفاح سانشيز موساكيرا الذي اشتهر بشجاعته وبطشه .

وفي ٥ ايلول (سبتمبر) اعلنت القاعدة البحرية في « سيانفوغوس » العصيان بقيادة الملازم سان رومان ، وكان من المفروض أن ترافقه عمليات عصيان أخرى يقودها عسكريون شرفاء لم ينغمسوا في جرائم الدكتاتور (ولقد ظهر فيما بعد أن هؤلاء العسكريين كانوا مدفوعين من قبل الاستخبارات الاميركية) . ولسبب ما أجلت العملية ، ولكن القاعدة « سيانفوغوس » لم تبلغ بالتأجيل . وسيطر جنود سان رومان على القاعدة ، ولكنهم بقوا فيها ولم يتحركوا مع اسلحتهم إلى جبل « اسكامبري » لتشكيل نواة ثورية في منطقة منيعة . واشترك الأهالي في العصيان وحملوا السلاح . ولما علم قادة العصيان أن القطعات الأخرى لم تشترك معهم تمسكوا بالمدينة المستندة إلى البحر ، ولكن القوات الحكومية استطاعت مهاجمتهم وسحقهم، واعدمت الملازم سان رومان فور فشل العصيان .

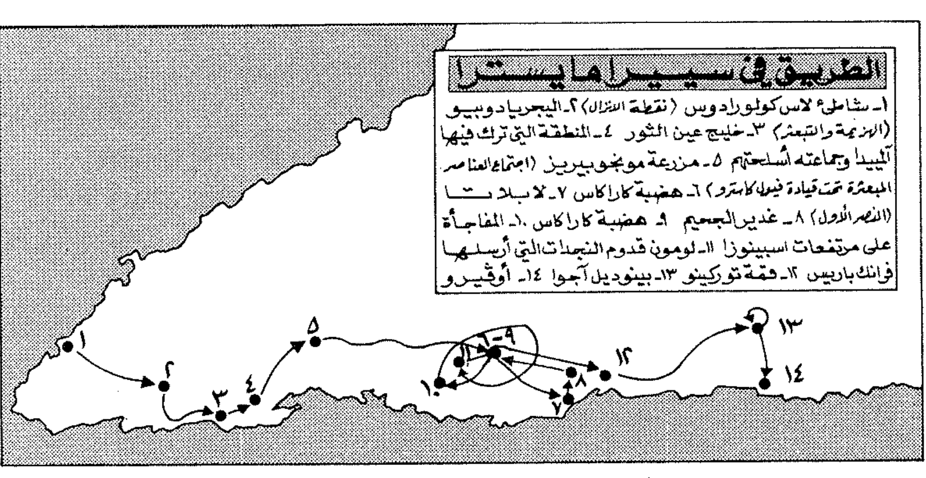
وفي الربع الأخير من العام ١٩٥٧ تابعت المدن انتفاضاتها وكانت العمليات المدينية تتم احياناً بشكل منظم ، وتحقق نتائج جيدة ، ولكنها كانت تتم غالباً بشكل فوضوي ، وتابع ثوار الجبل عملياتهم العصابية (اغارات وكمائن) ، وكان من اهمها كمين « بينوديل آغوا » ومعركة « مارڤيردي » ، ومعركة « مرتفع كوزاد » . وكان على ثوار الجبل أن يناضلوا على عدة جبهات وأن يقوموا بعدة مهمات : أولها ، متابعة الصراع المسلح ضد قوات باتيستا في منطقة السيبرا مايسترا . وثانيها ، تدعيم صفوف الثورة وتطهيرها من ضعاف النفوس والمغامرين والانتهازيين . وثالثها ، النضال ضد قطاع الطرق الذين شكلوا عصابات إرهابية ، واخذوا ينهبون الفلاحين باسم الثورة . ورابعها ، اقناع المنظمات الثورية المدينية « مجموعة السهل » بالأهمية التي يتمتع بها عمل « مجموعة الجبل » . وخامسها ، الحصول على الأسلحة والذخائر والمؤن .

ولقد استطاعت الثورة في هذه الحقبة تطهير المنطقة المحررة من اللصوص ، ورص صفوف الثوار ، وإقامة إدارة ناجحة . كما أنها أنشأت عدداً من المستوصفات الميدانية ، ومصنعاً للاحذية والالبسة وتجهيزات الميدان ، وعدة مصانع بدائية لصنع الالغام والقنابل ، ومصنعاً للسيجار . واسست مطبعة لإصدار صحيفة « الكوبي الحر » على آلة ناسخة (جستتنر) . وبدأت تنظم حياة شبه مستقرة بعد طول ترحال ، وأمنت شراء المواد التموينية من المدن ونقلها إلى الجبل على ظهور البغال ، وطلبت من الفلاحين زراعة الخضار والارز والذرة لحسابها (وكانت تدفع لهم ثمن ما يقدمونه لها) . وأنشأت مسلخاً لذبح الأبقار والمواشي المصادرة من الخونة والمتعاملين مع العدو وكبار الاقطاعيين ، وحصنت المسالك المؤدية إلى المنطقة المحررة لمنع العدو من التقدم نحوها . وكانت سيطرتها على المنطقة قوية لدرجة منعت قوات باتيستا من محاولة اختراق الجبال ، ولكن قوتها كانت أصغر من أن تسمح لها بالنزول من الجبال والتصدي لتجمعات العدو وإبادتها . وفي ١٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٧ ، وبعد اتصالات مع الاحزاب والقوى المناضلة ضد باتيستا في السهل أرسل كاسترو إلى قادة « الحزب الثوري » ، و « حزب الشعب الكوبي » ، و « التنظيم الحقيقي » ، و «اتحاد الطلاب الجامعيين» ، و «الادارة الثورية» ، و «الادارة العمالية الثورية» رسالة أخذت فيما بعد اسم « وثيقة ١٤ ديسمبر » . وكانت هذه الرسالة تدعو إلى الوحدة الوطنية ، وتطالب منظمات السهل بارسال الاسلحة والمقاتلين إلى الجبل ، وتندد بميثاق الوحدة الذي أصدرته في ميامي مجموعة كوبية تدعي الثورية وتعمل تحت اسم « عصبة التحرر » . وترفض الرسالة قيام اللاجئين الكوبيين برسم مستقبل كوبا من اميركا وتؤكد أن مهمة هؤلاء اللاجئين تنحصر في الدعاية للثورة وكشف فظائع باتيستا ، وجمع السلاح والمال وارساله إلى المقاتلين ، كما تؤكد أن قلب الدكتاتورية يعني قلب النظام بكل مرتكزاته ومؤسساته .

واستمرت تقوية القاعدة المحررة في مطلع العام ١٩٥٨ . وفي ١ شباط (فبراير) بدأت الثورة تبث صوتها إلى الشعب الكوبي عن طريق محطة إرسال تم اعدادها في السيبرا مايسترا . وفي ١٦ شباط (فبراير) جرت معركة « بينوديل آغوا » الثانية التي اشتركت فيها جميع أرتال الثورة . وبعد هذا الهجوم تشكل رتلان آخران احدهما بقيادة الميدا والآخر بقيادة راؤول كاسترو . وبدأت الأرتال تمارس عملياتها في مناطق أوسع ، وكانت تنزل من الجبل إلى سهول أوريانت ، فتنشر الدمار في صفوف العدو ثم تنسحب ثانية الى الجبل . وكانت حركة السهل تعمل من أجل اعداد اضراب عام ، وكانت « حركة ٢٦ يوليو » في هذه الفترة تعمل مع بقية المنظمات والهيئات والشخصيات الوطنية لتحقيق جبهة وطنية واسعة . وتم تنظيم جبهة وطنية عمالية . وفي التاسع من نيسان (ابريل) ١٩٥٨ ارتكبت القيادة الوطنية في السهل خطيئة كبيرة عندما حاولت القيام بالاضراب دون أن تعلن عنه مسبقاً معتمدة على المفاجأة والعنف . ولم يشارك العمال في الاضراب الذي فوجئوا به ، واستطاعت السلطات الحكومية قمع الاحزاب وتثبيت وجودها في المدن ، الامر الذي سمح لها بجمع قواتها من عدة مناطق وتوجيهها نحو أوريانت للضغط على ثوار الجبل في « السيبرا مايسترا » . وعندها اضطر ثوار الجبل إلى تقوية دفاعات منطقتهم المحررة ، والتغلغل داخل الغابات بعمق اكبر . وفي أيار (مايو) جمع باتيستا ١٠ آلاف جندي في منطقة اوريانت ، وشن هجومه في ٢٥ أيار (مايو) على قرية « لاس مارسيدس » وهي مخفر أمامي لقوات الجبل . واشترك في هذا الهجوم الطيران والدبابات والمشاة وبعد يومين سقطت القرية بيد المهاجمين. ثم بدأ الهجوم العام على القاعدة الآمنة ، وكان التفوق واضحاً لصالح المهاجمين ،

ولكن سير المعارك كشف مدى فتور همة قوات باتيستا وعدم قناعتها بالحرب التي تخوضها . واستطاع الثوار الافادة من روحهم المعنوية العالية ، ومساعدات الاهالي ، ووعورة الأرض التي باتوا يعرفونها جيداً . ووقعت خلال هذه الفترة عدة معارك ضارية استخدم فيها المشاة والطيران والدبابات والبحرية ، واهمها معركة جيفو (١١ - ٢١) التي انتهت باستسلام الكتيبة ١٨ من قوات باتيستا . وبعد شهرين ونصف من القتال المستمر ، توقف زخم الهجوم ، وخسر المهاجمون ١٠٠٠ رجل (بينهم ٤٥٠ اسيراً تم تسليمهم إلى الصليب الأحمر) . وغنم الثوار ٦٠٠ قطعة سلاح ، من بينها دبابة واحدة و ١٢ هاوناً و ١٢ رشاشاً ثقيلا .

وبعد هذا الهجوم الفاشل انسحب المهاجمون وسيطر الثوار من جديد على جزء من سهول اوريانت ، وبدأ الثوار هجومهم المعاكس . وكانت خطة الهجوم تتمثل في الانطلاق من القاعدة الآمنة في الجبال ، وضرب حصار مرن حول « سانتياغو دي كوبا » بعدة أرتال تعمل تحت قيادة كاسترو ، بينما يتحرك الرتل الرابع (بقيادة جيفارا) إلى « لاس ڤيللاس » و « بينار ديل ريو » في الطرف الآخر من الجزيرة . ويتحرك الرتل الثاني (بقيادة كاميلو سيانفوغوس) الى « لاس ڤيللاس » في مركز الجزيرة . وكان على الرتلين المتحركين إلى وسط الجزيرة وطرفها الغربي قطع طرق المواصلات بين طرفي الجزيرة ، وتأمين الاتصال مع المجموعات الثورية والجماعات السياسية الموجودة في المنطقتين الوسطى (لاس ڤيللاس) والغربية (بينار ديل ريو) . وكان موعد حركة الرتلين اواخر آب (اغسطس) . وفي ٣٠ من هذا الشهر وصلت إلى منطقة « أوريانت » طائرة تحمل اسلحة اشتراها انصار الثورة وشحنوها من القــارة الاميركية ، واكتشفت سلطات العدو الطائرة وقصفت المنطقة بالمدفعية ، الأمر الذي أجبر الثوار على اشعال النار بالطائرة بعد تفريغ شحنتها ، وذلك خوفاً من وقوع الطائرة بيد العدو . وبدأت الحركة بالفعل في ٣١ آب (اغسطس) ، وكانت عبارة عن حركة رتل مستعد لشق طريقه بالقوة ويحمل كل ما يحتاج اليه للقتال وللحياة . ولقد تقدم الرتلان في منطقة « أوريانت » بأمان نسبي . وما أن دخلا منطقة « لافيدرال » حتى اصطدما بكمائن السلطة واخذا يشقان طريقهما بالقوة ، متخفيان وسط الادغال والمستنقعات . وفي منطقة « لا جراند لاجون » تحرك الرتل الثاني بالسيارات باتجاه لاس ڤيللاس بينما تابع الرتل الرابع حركته على الاقدام عبر الادغال



معارك وخطوط تحرك النواة الثورية في المرحلة الاولى

والمستنقعات ، مستفيداً من دعم الفلاحين . وتعرض هذا الرتل لكثير من الصعوبات بسبب كمائن العدو ، وهجمات الطيران ، ووشايات أصحاب المزارع ، وصعوبات المسير في المستنقعات ، ونقص المؤن ، وسوء الحالة الصحية للمقاتلين ، وهطول الأمطــار بغزارة . وفي يوم ١٦ تشرين الأول (اكتوبر) ، وبعــد مسيرة ٤٦ يومــاً في مستنقعات منطقة « كاماغوي » ، وصل الرتل إلى جبال « اسكامبري » في منطقة « لاس ڤيللاس » ، وأحس بالأمــان ، وأخذ يهاجم مواصلات العدو ومخافره المنعزلة .

وفي شهر تشرين الأول (اكتوبر) كانت عدة أرتال بقيادة كاسترو تسيطر على منطقة أوريانت وتفرض على « سانتياغو » حصاراً مرناً . وكان الرتل الرابع يعمل في جبال « اسكامبري » الواقعة جنوبي منطقة « لاس ڤيللاس » . والرتل الثاني يعمل في شمالي منطقة « لاس ڤيللاس » . على حين بقيت مناطق « كاماغوي » و « ماتانزاس » و « بينار ديل ريو » تحت سيطرة باتيستا . وكان على أرتال الثوار أن تقوم بعدة مهمات : ١ - قطع الطرقات وازعاج حركة المواصلات ، ٢ - مهاجمة مخافر العدو والاستيلاء عليها ، ٣ - منع الانتخابات المقرر اجراؤها في يوم ٣ تشرين الثاني (نوفبر) ، ٤ - الاتصال مع جميع القوى المناهضة لباتيستا والعاملة في المدن والأرياف وتنسيق التعاون معها . ولقد نجح الثــوار في تحقيق معظم اهدافهم فتعرقلت مواصلات العدو ، وسقط عدد كبير من مخافره ، وتلاحم ثوار الجبل مع ثوار المدينة ، والتحق عدد كبير من المناضلين بقواعد الثوار للتدرب على عمليات التخريب وقتال العصابات ، ولم تحصل الانتخابات في مقاطعة « أوريانت » ، وامتنع المواطنون عن التصويت في « لاس ڤيللاس » بشكل عفوي ، وكانت نسبة التصويت في « كاما غوي » و « بينار ديل ريو » و « ماتانزاس » اعلى بقليل .

وخلال شهري تشرين الثاني وكانون الأول (نوفبر وديسمبر) شن الثوار عمليات واسعة لقطع الطرق ، وتم عزل شرقي الجزيرة عن غربيهــا . وتعطلت الحركة تماماً في الشمال ، وكان على قوات باتيستا أن تعزز حامياتها في منطقة « أوريانت » عن طريق البحر والجو ، وبدأ التفتت يظهر على العدو . واعتباراً من يوم ١٦ كانون الأول (ديسمبر) أصبح وضع سلطات باتيستا حرجاً اذ استطاع الثوار نسف الجسور على الطريق الرئيسية الممتدة على طول الجزيرة ، وقطع السكك الحديدية الأمر الذي أدى إلى عزل « هاڤانا » عن المنطقة الواقعــة شرقي « سانتا كلارا » . وبدأت قوات الثوار تضغط على القرى وتحتلها واحدة تلو الاخرى ، بينما قامت القوات الثورية في المدن بعمليات تخريب وازعاج داخل المدن وفي ضواحيها . وفي النصف الثاني من شهر كانون الأول (ديسمبر) حرر الثوار معظم مدن وقرى مقاطعتي « أوريانت » و « لاس ڤيللاس » ، وشددوا الحصار عــلى « سانتياغو دي كوبا » (اوريانت) و « سانتا كلارا » (لاس ڤيللاس) . وفي ٢٩ هاجم الثوار « سانتا كلارا » ، وساعدتهم المنظمات الثورية المدينية خلال القتال ، واخذت على عاتقها احتلال الثكنة رقم ٣١ داخل المدينة . واستمر القتــال طوال ايام ٢٩ و ٣٠ و ٣١ كانون الأول (ديسمبر) . وفي الأول من كانون الثاني (يناير) ١٩٥٩ ظهرت على المدافعين بوادر الوهن نظراً لسقوط حصونها وتدمير الدبابات والقطار المدرع المدافعة عنها ، وبعد مفاوضات على التسليم رفض الثوار شروط قائد القوات المدافعة ، واقتحموا آخر حصن في المدينة (ثكنة ليونسيوفيدال) وحرروا

المدينة .

وكان الدكتاتور باتيستا قد انهار في ليلة ٣١ كانون الأول (ديسمبر) أمام أنباء انتصارات الثورة ، خاصة وأن غيفارا قائد الهجوم على «سانتا كلارا» كان قد اعلن من إذاعة الثوار في يوم ٣٠ بأن «سانتا كلارا» قد سقطت بيد قواته . وأمام هذا الوضع المتدهور ، وفقدان الأمل بالنصر ، فر باتيستا إلى الولايات المتحدة حاملا معه ثروة ضخمة . وحصل انقلاب عسكري في العاصمة ، ولكن الثوار لم يعتبروا أن الحرب قد انتهت بفرار الدكتاتور ، واعلن كاسترو في ١ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٩ أن القتال مستمر حتى تستسلم الحاميات العسكرية كلها . وأن الثورة ترفض الانقلاب العسكري الذي سيطمس انتصار الشعب ويفتح الباب أمام ١٠ آذار (مارس) جديد . وأن على العمال أن يستعدوا لاضراب شامل .

وبالفعل شن العمال اضرابهم بأمر من قيادة الثورة ، وتولى الجنرال باركين قيادة الجيش الثوري بعد خروجه من سجن جزيرة الصنوبر . وصدر الأمر لهذا الجيش بالتحرك نحو العاصمة هافانا ، وسقطت «قلعة كابانا» و «سانتياغو دي كوبا» بيد الثوار . وفي الثاني من كانون الثاني (يناير) ١٩٥٩ انهار النظامي العسكري في العاصمة التي دخلها جيش الثوار . وانتخب الثوار في ٦ كانون الثاني (يناير) القاضي مانويل اوروتياليو رئيساً للجمهورية نظراً لمواقفه المشرفة خلال حكم الطغيان ، وألقى فيديل كاسترو خطابه الشهير في معسكر «ليبرتاد» أمام جيش الثوار في ٨ كانون الثاني (يناير) وتشكلت حكومة مؤقتة برئاسة كاسترو .

ومنذ أن تحقق النصر للثورة سار النظام الكوبي على خط اشتراكي ، فأمم الصناعات والمؤسسات الوطنية والاجنبية ، وألغى الملكيات الزراعية الكبيرة (لاتيفوندا) ، وحرم الاجانب من امتلاك الأرض الكوبية ، ونظم العمل ضمن التعاونيات الزراعية ، وحصل على دعم المعسكر الاشتراكي . ولقد تحالف الثوار مع الشيوعيين والقوى الوطنية الاخرى ، وحاربوا الاتجاهات الاصلاحية ، وعندما ظهر تردد الرئيس اوروتيا وعدم قدرته على السير بخطى ثورية واسعة — رغم وطنيته ونزاهته — استبدل في ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٥٩ بالدكتور أوزفالدو دورتيكوس .

(٩) الثورة الكورية (١٩٣٢ — ١٩٤٥)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١٢) الثورة اللاووسية (١٩٤٥ — ١٩٧٥)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١١) ثورة ماليزيا (١٩٤٨ — ١٩٥٧)

تقع ماليزيا Maleysia في جنوب شرقي آسيا عند الطرف الجنوبي لشبه جزيرة الملايو . وتبلغ مساحتها ٣٣٣ ٤٠٠ كلم ، وعدد سكانها حسب إحصاء عام ١٩٧٢ يبلغ ١١,٥٠٠,٠٠٠ نسمة ، يتكلمون اللغة الماليزية والصينية والانكليزية ، ويدين معظمهم بالإسلام . وعاصمة ماليزيا مدينة «كوالالمبور» ويرأسها ملك دستوري ينتخب لمدة خمس سنوات غير قابلة للتجديد ، وصلاحياته محدودة بموجب الدستور الذي يعطي لرئيس الوزراء صلاحيات واسعة في إدارة شؤون البلاد .

وتعتبر ماليزيا اكبر منتج للقصدير في العالم ، كما أنها تشتهر بانتاج خام الحديد والبوكسيت والبترول والذهب ، بالإضافة الى المطاط الذي يشكل نسبة ٤٠ ٪ من صادراتها .

وبما أن ماليزيا غنية بالثروات الطبيعية فقد كانت هدفاً للدول الاستعمارية التي كانت تطمح للاستيلاء عليها والتحكم باقتصادياتها منذ عدة قرون . فقد احتلتها هولندا عام ١٦٤١ ، ثم تنازلت عنها لبريطانيا عام ١٨٢٤ مقابل تنازل البريطانيين عن «حقوقهم» في سومطرة ، لمصلحة هولندا . إلا أن الحكومة البريطانية لم تباشر سلطاتها الفعلية في البلاد إلا في شباط (فبراير) ١٨٧٤ . وبعد ذلك أصبح اتحاد ماليزيا (الذي ولد عام ١٩٦٣ ويضم ١١ ولاية من اتحاد الملايو المعروف بغرب ماليزيا ، وولايتي صباح وساراواك) عضواً في الكومنولث البريطاني ، حيث ما يزال لبريطانيا امتيازات اقتصادية خاصة ، حتى بعد استقلال الاتحاد .

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية ، تحرك الوطنيون الماليزيون للتخلص من الخطر الياباني الداهم ، فاستغلت بريطانيا هذا التحرك لتحقيق أهدافها العسكرية والاستعمارية في المنطقة ، معتمدة على الخصوصية السكانية التي تمتاز بها البلاد ، إذ ليس في ماليزيا شعب موحد ذو قومية واحدة ، وانما هناك مزيج غريب الى حد ما ، من ثلاثة أجناس هم الصينيون ، والماليزيون ، والهندو — باكستانيون .

وقد ظهرت الثورة الماليزية ، التي يمكن اعتبارها أحد آثار الحرب التي شنها اليابانيون ، مختلفة إلى حد ما عن الحروب الثورية في الهند الصينية وأندونيسيا . وكانت نواة الثورة مشكلة من الصينيين ، وخاضعة لنفوذ الحزب الشيوعي . وكانت القطعات المتمردة تأتي خصوصاً من الجيش الشعبي الماليزي المعادي لليابانيين ((M. P. A. J. A.)) ، الذي ورث حرب العصابات ، وقاتل بمعونة انكلترا منذ عام ١٩٤٢ ضد اليابانيين ، ثم نظمه الشيوعيون فيما بعد وشكلوا نواته . وكان هذا الجيش مشكلا من ١٢ كتيبة يضم كل منها بين ٥٠٠ و ٦٠٠ فرد ، وكان مجموع تعداده حوالي سبعة آلاف شخص ، وكان ممكناً أن يكونوا أقوياء ومؤهلين لاستلام السلطة بعد انتهاء الحرب — كما فعل هوشي منه وسوكارنو — لولا أنهم ترددوا في النهاية ، وخضعوا لإرادة الانكليز في نزع السلاح .

ولقد تمكن الشيوعيون في بداية حركتهم من الاستيلاء على معظم المراكز الحساسة ، وخاصة النقابات . وعندما تدهور الوضع الاقتصادي في البلاد ، وسادت البطالة في المدن ، اضطر عدد كبير من المواطنين للجوء الى المناطق القريبة من الغابات ، وكانوا يسمون «واضعي اليد» Squatters وقد قدر عددهم بما يقارب نصف مليون شخص . وكانوا مهيئين للثورة في كل لحظة بسبب تردي الأوضاع من جهة ، وعدم استقرارهم المادي والاجتماعي من جهة أخرى . وقد استغلت الجمعية السرية الصينية «مونه — يوين» وضع هؤلاء البائسين ، واخذت تحثهم على التمرد ، وترفع باسمهم مطالب معينة لا يستطيع الاستعمار البريطاني تحقيقها خوفاً على نفوذه في البلاد .

وفي عام ١٩٤٨ اعتقد الثوار بأن قوتهم تسمح لهم بإعداد خطة لتحرير البلاد تستغرق ١٨ شهراً ، بما فيها المراحل التقليدية الثلاث : (التحريض العام ، تحرير بعض المناطق ، وتوسيع الجيوب الثورية في البلاد) . وابتدأت أعمال الثورة المنسوخة عن التجربة الماوية في الصين تظهر للعيان على شكل اغتيالات سياسية وإغارات وكمائن ومنشورات وقد أوضح المتمردون منذ البداية أن هدفهم هو طرد الامبرياليين البريطانيين والقضاء على نفوذهم ، بالاضافة الى القضاء على الإقطاع وإنشاء جمهورية شعبية ماليزية . وفي العام نفسه (١٩٤٨) أعلنت السلطات البريطانية حالة الطوارئ في البلاد ، وظلت سارية المفعول حتى الاستقلال الذاتي عام ١٩٥٧ .

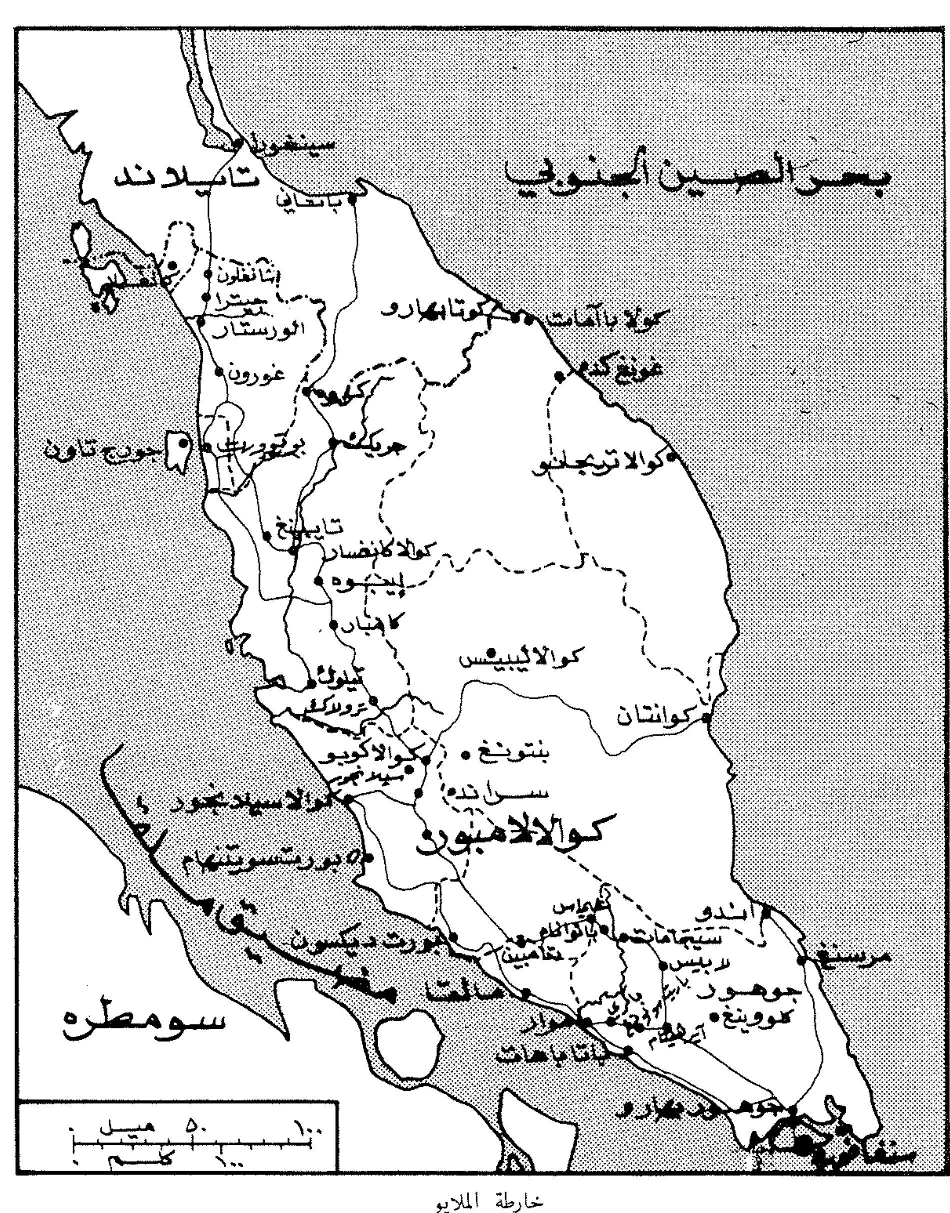
وهناك مرحلة لا بد من الاشارة اليها ، وهي المرحلة التي بدأت في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥١ تاريخ تغيير التكتيك الشيوعي ، وانتهت في كانون

الثاني (ينـاير) ١٩٥٢ ، تاريخ وصول الجنرال « تامبلر » الذي سمي مفوضاً سامياً بعد اغتيال سلفه . وتتميز هذه المرحلة الفاصلة باعتدال الموقف الشيوعي وتصلب الموقف البريطاني . فقد طالب بيان شيوعي صادر في ١ تشرين الأول (اكتوبر)١٩٥١ كل المقاتلين بتلطيف حدة موقفهم إزاء السكان ، واشار هذا البيان الى أن من الواجب عدم مصادرة الهويات الشخصية الحكومية من السكان ، او إحراق القرى ، او مهاجمة مكاتب البريد ، او إخراج القطارات عن سككها ، او إحراق المباني العامة والدينية . ويعزى هذا التغيير الى الموقف الايجابي الذي لاقته المطالب الشيوعية بـين صفوف الجماهير . ولكن البريطانيين تشددوا في موقفهم ، وخاصة بعد اغتيال المفوض السامي الانكليزي السير هنري غورني ، حيث حل محله الجنرال تامبلر الذي اتبع الاسلوب الحازم في معاملة الماليزيين ، ولم يتورع عن ممارسة العقاب الجماعي بحق المواطنين . وقد عمل على تجميع السكان في حوالي ٥٥٠ قرية انشئت خصيصاً كي تكون تحت مراقبة السلطة ، وأمر بتنظيم تقنين الاطعمة حتى يمنع المواطنين من شراء كميات كبيرة من الأغذية خوفاً من التنازل عن قسم منها لجماعات الثوار . ثم أمر بشن حرب نفسية واسعـة ضد المتمردين ، فتم طبع وتوزيع ١٠٠ مليون منشور باللغة الصينية ، وكلها تشير الى عدم جدوى المعركة واخطارها وحالة الحرمان التي ستصيب الثوار . كما لجأت سلطات الجنرال تامبلر الى استخدام طائرات تحمل مكبرات صوت وتطير على ارتفاع منخفض لتحذر الناس من معاونة الثوار او الالتفاف حولهم .

ولا شك في أن هذه الإجراءات قد اضعفت الثورة الى حد كبير منذ عام ١٩٥٣ ، إلا أنها لم تقض عليها . وقد قدرت الخسائر التي تكبدها الثوار في الفترة الواقعة بين ١٩٤٨ و ١٩٥٥ بحوالي ١٠٥٠٠ رجل بين قتيل وجريح وأسير وهارب . على حين خسرت قوات الاحتلال ٤٠٣٤ رجلا ، بينهم ١٧١٧ قتيلا ، و ٢٣١٧ جريحاً . أما خسائر المدنيين فكانت ٣٦٦٩ شخصاً بين قتيل وجريح ، بالاضافة الى اكثر من عشرة آلاف معتقل .

ومع أن الثورة الماليزية لم تكن قوية ، إذ يتجاوز عدد الثائرين عشرة آلاف مسلح مقابل ٤٠٠٠٠ جندي نظامي انكليزي ، ووحـدات اوسترالية ونيوزيلاندية (بضعة آلاف) موالية ، وحوالي ٧٠٠٠ ماليزي موال منتظمين في كتائب مسلحة ، و ٦٠٠٠٠ شرطي ، و ٢٥٠ ألف فرد من الميليشيا الحكومية ، إلا أن السلطات الاستعمارية البريطانية اضطرت الى إعطاء البلاد استقلالها الذاتي عام ١٩٥٧ ، بعد أن أيقنت أن بقاءها في ماليزيا سيعرضها لخسائر أكبر ، خاصة وأن الخطة التي وضعتها لخنق الثورة عن طريق تجميع السكان في قرى محصنة لم تنجح .

وعلى الرغم من نجاح الثورة الماليزية وتحقيق اغراضها ، فان من المتعذر اعتبارها أنموذجاً يحتذى للحرب الثورية ، بسبب خصوصيتها جغرافياً وبشرياً ، ولاختلافها كلياً عن بقية الحروب الثورية الأخرى في العالم .



خارطة الملايو

(١١) ثورة الماو — ماو (١٩٥٢ — ١٩٥٦)

هي الثورة التي شنها الكينيون ، وبخاصة أفراد قبيلة الكيكويو الجبلية ، ضد السلطات الاستعمارية البريطانية في ١٩٥٢ ، وأخذت اسم الماو ماو (القسم) . ولقد استمرت هذه الثورة حتى ١٩٥٦ ، وجرت ذيولها حتى ١٩٦٠ ، وأدت الى إجبار بريطانيا على منح كينيا استقلالها (١٩٦٣) .

عندما احتلت القوات البريطانية كينيا في عام ١٨٩٥ (١١ مليون نسمة في ٦٠٠ ألف كلم) عمدت الى اغتصاب « الأراضي البيضاء العليا » ، بعد

أن طردت سكانها المحليين منها ، وسهلت الإقامة فيها لنحو ٣٠٠٠٠ أوروبي ، أصبحوا يسيطرون على ٦١ ٪ من الدخل القومي في البلاد . وكانت تؤمن الحماية لهم قوات مسلحة قوامها ٧٠٠٠ جندي انكليزي ، و ٢٠٠٠ مستوطن بريطاني مسلح ، وألوف الافريقيين التابعين لفرقة K.A.R. ، بالاضافة إلى ٢٠٠٠٠ رجل شرطة و ٢٥٠٠٠ من حرس « الكيكويوس » وبضع عشرات من قاذفات القنابل التابعة للسلاح الجوي الملكي .

وقد قامت القوات الاستعمارية بعدد من الإجراءات التعسفية ، التي أدت الى خلق مناخ مؤات للتذمر في صفوف أبناء كينيا ، وخاصة بين أفراد قبيلة «الكيكويوس». ومن بين هذه الإجراءات : منع إنشاء أي تكتل سياسي لسكان البلاد الاصليين في عام ١٩٣٩ ، وارغام الأفريقيين على العمل في الاستثمارات الأوروبية طوال فترة الحرب ، وإصدار قرار يقضي باستيطان بعض المحاربين القدماء الأوروبيين في كينيا ، بالأراضي العليا ، ومنع كل افريقي من ذلك . وإضعاف نسبة التمثيل الأفريقي في المجلس التشريعي : (أربعة افريقيين معينين كانوا يمثلون عشرة ملايين من الزنوج مقابل ١٧ من البيض كانوا يمثلون ٣٠٠٠٠ أوروبي) .

ومع ذلك لم يكن هذا الوضع كافياً لتحويل التذمر الى عصيان ، فثورة ، لو لم تكن قبيلة « الكيكويو » قبيلة متطورة لها تقاليد وعادات خاصة ، وتؤمن بنوع من الدين المبني على السحر . وقد قرر زعماء هذا الدين باسم الأجداد ، والأرواح ، والتقاليد المتوارثة ، وباسم الإله القهار «المونيه نياغا» ، الثورة ضد البيض الذين يستبدون بالشعب ويغتصبون خيرات البلاد . وقد عبر « جومو كينياتا » — ويعني اسمه الرمح الناري — عن رفض الشعب الكيني لحضارة الإنكليز ، لأنه يعتبرها أدنى مستوى من حضارته . وفي هذه الفترة (١٩٤٨) ظهر تعبير الماو — ماو ومعناه « القسم » أو « الرجل الذي يختبىء » .

وتمت قيادة هذه الحركة من قبل مجلس مؤلف من تسعة شيوخ يسمى « كياما — كينيه » . وتبدو هذه الحركة معتمدة أساساً على الممارسات السحرية ، وبصورة أخص على تقليد الدين الكاثوليكي : قداس أسود ، أناشيد وتراتيل ، مواعظ يستبدل فيها المسيح بالمسيح الأسود الذي سيطرد البيض . بيد أن الأمر الأساسي في الحركة كان القسم . إذ كان على كل فرد أن يقسم قبل دخول الحركة القسم التالي : « عندما نقرر إجلاء البيض سألعب دوراً فعالا في طردهم وقتلهم . وإذا رأيت أفريقياً يقتل واحداً منهم لن أبوح بشيء ، وإذا رأيت افريقياً يسرق منهم فسأساعده . وعلي أن أدفع ٦٢ شلناً و ٦ بنسات الى جمعية الماو — ماو . وليس علي أن أسأل عن مصير هذا المال . وإذا سألني احد عما إذا كنت عضواً في الماو — ماو ينبغي أن أرد عليه بأنني عضو في الاتحاد الأفريقي الكيني Kenyan African Union . وإذا خنت هذا القسم حكمت على نفسي بالموت الفوري » .

وخلال الثورة أدخلت على القسم التعديلات التالية : « علينا أن نقسم بأن من يضايقوننا ويساعدون البيض ، سيموتون وهم يغطون في النوم مع نسائهم وأولادهم . وسيشرب المحاربون دم أعدائهم ... » ثم أصبح قسم زعماء الماو — ماو فيما بعد أيضاً يشمل قتل كل من يحاكم أسرى الماو — ماو وربط أيديهم « بأعصاب تقطع من أضلاعهم » .

وتضاعفت أيمان الولاء للمنظمة في عام ١٩٥٠ ، وبدأ العمل الثوري في أيار ١٩٥٢ . وهاجم الثوار منذ البداية أفراد « الكيكويوس » الموالين للحكومة ، وخصوصاً الوجهاء ، ورجال الشرطة والموظفين الذين لا ينتمون الى المنظمة . وخلال بضعة شهور ، حصلت المنظمة على السكون التام وسط سكان « الكيكويو » بفضل أعمال الاغتيال المصحوبة في غالب الأحيان بتشويه جثث الضحايا قبل الموت أو بعده . ومنذ ذلك الوقت لم يصدر أي نبأ عن تلك المنطقة . فقد وقف السكان المحليون التابعون لمنطقة « كيكويو » ، طواعية أو بالقوة الى جانب الثوار .

وفي ٢٠ تشرين الأول (ديسمبر) ١٩٥٢ أعلنت الحكومة الانكليزية الأحكام العرفية وبدأت بالعمل ضد الماو — ماو . ولكن هؤلاء كانوا قد بدأوا بمهاجمة الأوروبيين ، وحاولوا خصوصاً خطف بعضهم كرهائن ، بقصد إثارة الرعب في صفوفهم واجبارهم على الفرار . وهاجموا المزارع والمنشآت وكل المؤسسات الاوروبية والحكومية لخلق المصاعب في وجه المستعمرين الأوروبين . وبتاريخ ٢٦ آذار (مارس) ١٩٥٣ اعتقد الماو — ماو أن في وسعهم الانتقال الى عمل واسع فهاجموا قرية « لاري » التي كان من نتائجها ازدياد حدة الكراهية بين الأوروبيين وسكان البلاد الاصليين .

ورد الانكليز على الثورة بالعنف المضاد ، فأوقفوا في بادئ الأمر جومو كينياتا بتاريخ ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٥٣ ، وحكموا عليه بالسجن مدى الحياة ، على الرغم من أنه كان معتدلا في سياسته نحو الانكليز ، ولا تملك السلطات أي دليل ملموس على أنه قاد الثورة أو اشترك في تنظيمها . وأدى اعتقال كينياتا إلى إشعال النار في البلاد . ففي ٢٢ تشرين الثاني (نوفبر) أعدم الماو — ماو زوجين من المزارعين الأوروبيين كانا أول من قتلهم الثوار من البيض . وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٥٤ قتل الثوار عدة مزارعين من البيض . وعلى الأثر طلب المستوطنون الذين جن جنونهم إعدام خمسة آلاف من « الكيكويوس » دفعة واحدة .

وبدأ الجيش البريطاني بتمشيط الغابات ، وفي الوقت نفسه أخذت الإدارة الاستعمارية بضرب الأنصار الحقيقيين او المفترضين للماو — ماو. وقد ارغم آلاف من «الكيكويوس» المقيمين في «نيروبي» العاصمة أو أماكن أخرى على التجمع في معسكرات حيث أخضعوا لحملات دعاوية نفسية قوية . وقام البوليس باجراء عمليات توقيف جماعية في المناطق التي يقطنها « الكيكويوس » حتى أوقف في ٢٤ نيسان (ابريل) ١٩٥٤ حوالي ٣٥٠٠٠ مشبوه . وصعد الثوار القتال في غابات جبال كينيا . واخذ الطيران البريطاني يقصف الماو — ماو ، فيرد هؤلاء بعمليات قتل وتشويه كانت تخيف البيض والسود على السواء .

وفي نهاية عام ١٩٥٥ رأت حكومة لندن أنها ربحت المعركة ضد الماو — ماو ، فلم يبق سوى ٢٠٠٠ ثائر في الغابات بعد أن عجزت الرماح والفؤوس عن مقاومة المصفحات والطائرات . وفي عام ١٩٥٥ تم اعتقال أحد زعماء الثورة الكبار وهو الماريشال « شينا » ، مما أضعف حركة الثورة كثيراً ، وانهار المعقل الأخير لها في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٦ عندما اضطر الماريشال «كيماتي» للاستسلام في غابة «أبردر» .

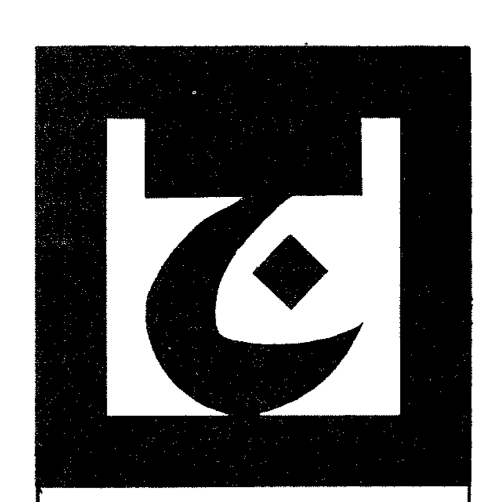
وانتهت ثورة الماو — ماو بعد ذلك تقريباً ، اذ اقتصر نشاطها حتى عام ١٩٦٠ على بعض العمليات المسلحة المتفرقة ، ثم أعلنت الحكومة البريطانية إلغاء الأحكام العرفية . وفي العام ذاته أعلنت بريطانيا استعدادها لمنح كينيا استقلالها الذاتي الذي حصلت عليه في ١٢/١٢/١٩٦٣ .

(١٢) الثورة المهدية (١٨٨١ — ١٨٩٩)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) الثيوقراطية

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)



(١٦) **الجاسوس**
(انظر التجسس والاستخبارات والعميل) .

(٥) **جاغوار (طائرة)**
(انظر « سيبكات جاغوار »)

(١٢) **جان دارك**
(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٤) جبل الشيخ (معركة) ١٩٧٣

يقع « جبل الشيخ » على الحدود السورية – اللبنانية إلى الشمال الشرقي من « هضبة الجولان » التي تنحدر إليها سفوحه الجنوبية الغربية ، وتغطي الثلوج قمه طوال شهور السنة ، إذ يصل ارتفاع أعلى قمة فيه إلى ٢٨١٤ متراً (٩٢٣٢ قدماً) . ولقد اقامت القوات الاسرائيلية ، بعد حرب ١٩٦٧ محطة للرادار واجهزة للرصد الجوي والمراقبة ، في النقطة ٢٢٢٤ تتيح لها انذاراً مبكراً للطيران ، ورؤية لحركة القوات السورية في السهل الممتد بين « هضبة الجولان » و « دمشق » التي يقع الجبل على مبعدة نحو ٤٤ كم إلى الجنوب الغربي منها ، ومن ثم يستطيع هذا المرصد أن يساعد في توجيه المدفعية الاسرائيلية بعيدة المدى المتمركزة في « الجولان » دون حاجة إلى طائرات المراقبة الارضية ، فضلا عن دوره الهام المعاون لعمليات الاستطلاع الجوي الاسرائيلية في المنطقة . ولذلك خططت القيادة العسكرية السورية للاستيلاء على ذلك المرصد الاسرائيلي ، الذي اقيم داخل موقع شديد التحصين ، مجهز بملاجىء مبنية بالاسمنت المسلح ذات ابواب قوية من الفولاذ ، ومحاط بحقول الغام واشراك خداعية واسلاك شائكة ، في المرحلة الاولى من بدء هجومها يوم ١٩٧٣/١٠/٦ ، لحرمان قيادة العدو من ميزات هذا المرصد ، ووضعه في خدمة القوات السورية . وتطلب ذلك اعداد خطة محكمة جرى تجميع المعلومات اللازمة لها قبل بدء حرب ١٩٧٣ بشهور عديدة . ومن المحتمل أن تكون شبكة الاستخبارات السورية التي كانت تعمل في قرية « مجدل شمس » بالجولان وفي « حيفا » ، والتي عمل فيها عدد من اليهود والفلسطينيين من سكان الارض المحتلة ، وتم كشفها بواسطة اجهزة الامن الاسرائيلية قبل بدء الحرب بنحو ٩ شهور ، قد لعبت دوراً هاماً في تسريب المعلومات المفصلة عن هذا المرصد التي ساعدت على سرعة الاستيلاء عليه بواسطة المغاوير المحمولين جواً . ثم جرى تدريب قوة خاصة من المغاوير المحمولين بواسطة طائرات الهليكوبتر على تنفيذ الخطة بكفاءة وسرعة .

وفي تمام الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ١٩٧٣/١٠/٦ ، هاجمت القاذفات - المقاتلة السورية المرصد الاسرائيلي المذكور واجبرت حاميته المؤلفة من نحو ٥٥ جندياً على دخول الملاجىء المحصنة . وبعد قليل اقتربت من المرصد ٤ طائرات هليكوبتر من طراز « مي ٨ » وانزلت قوة المغاوير السوريين ، الذين اندفعوا نحو المرصد الاسرائيلي ، وفجروا أبوابه الفولاذية ، واشتبكوا مع حاميته في قتال متلاحم داخل الممرات والملاجىء لفترة تقل عن نصف ساعة ، استولوا بعدها على المرصد ، وفر نحو ١١ جندياً اسرائيلياً من أحد الابواب الخلفية ، على حين قتل أو أسر بقية افراد الحامية الذين كان الكثير منهم يرتدي لباس النوم أو يلعب النرد عند بدء الهجوم السوري المفاجىء .

وفي اليوم التالي امر اللواء « اسحق حوفي » ، قائد الجبهة الشمالية ، وحدات من لواء « غولاني » بالقيام بهجوم معاكس لاسترداد المرصد المذكور ، إلا أن وحدات المشاة المغربية المسيطرة على سفوح الجبل السفلى صدت الهجوم وكبدت القوة المهاجمة خسائر تقدر بنحو ٣٠ قتيلا و ٥٠ جريحاً . ولقد بقي المرصد بيد القوات السورية حتى صباح يوم ١٠/٢٢ ففي يوم ١٠/٢١ شن الاسرائيليون هجوماً جديداً على جبل الشيخ ، بعد أن أتموا صد الهجوم السوري في الجولان وانتقلوا إلى الهجوم المضاد العام الذي نتج عنه جيب سعسع . وقام بالهجوم على المرصد وحدة من المظليين المحمولين بطائرات الهليكوبتر انزلت في الساعة الثانية بعد الظهر خلف القوة السورية المدافعة عن المرصد ، بعد أن أسقطت منها ٣ طائرات بنيران المدفعية . وقام الطيران الاسرائيلي بمساندة القوة المذكورة عن طريق قصف المقاومات السورية والتصدي للمقاتلات السورية التي حاولت الاغارة على المهاجمين . وفي الوقت نفسه كانت هناك كتيبتان من لواء « غولاني » تهاجمان السفوح السفلى للجبل وتزحفان نحو القمة للالتقاء بقوة المظليين ، تساندهما نيران المدفعية والدبابات والطيران. وقد واجهت الكتيبتان مقاومة عنيفة من الكتيبة السورية المدافعة عن السفوح المؤدية إلى موقع المرصد ، نتج عنها خسائر فادحة بين المهاجمين ، واضطرت القيادة الاسرائيلية أن ترسل تعزيزات للقوات التي تحاول ارتقاء الجبل ، ضمت سريتين من المظليين المحمولين بطائرات الهليكوبتر . وفي الوقت نفسه كانت قوة المظليين الاخرى تهاجم المرصد من جهة الشرق ، وكان الطيران والمدفعية يشددان ضرباتهما .

وفي هذه الأثناء كلف اللواء الجبلي العراقي الخامس بمهمة التحرك لدعم القوات السورية المدافعة فتحرك هذا اللواء إلى « عرنة » ، وانطلق منها باتجاه « العقبات » في صباح ١٠/٢١ ، ولكنه تعرض لقصف مدفعي وجوي عنيف منعه من التقدم ، فاضطر إلى التوقف على المرتفعات المجاورة لمدينة « عرنة » .

وفي ليلة ٢١ – ٢٢ ، وعندما كان اللواء الجبلي العراقي الخامس يدفع الدوريات امامه في محاولة لكشف الموقف التكتيكي الغامض امامه (نظراً لانقطاع الاتصال مع القوات السورية المدافعة عن المرصد) ، شنت القوات الإسرائيلية هجوماً جديداً واستمرت المعركة طوال الليل وجزءاً من صباح اليوم التالي

وفي الساعة العاشرة من صباح ١٠/٢٢ استطاعت القوات الاسرائيلية المهاجمة أن تسيطر على المواقع السورية ، وان تحتل قمة جبل الشيخ (النقطة ٢٨١٤) والمرصد السوري (النقطة ٢٢٠٤) والمرصد الاسرائيلي السابق النقطة (٢٢٢٤) بعد أن فقد لواء «غولاني» ٥١ قتيلا و ١٠٠ جريح على الاقل ، وساعدهم على ذلك إصابة مركز قيادة القوة السورية المدافعة بقذيفة مدفعية مباشرة اثناء الليل ، وترتب على ذلك انقطاع الاتصالات اللاسلكية مع المرصد .

وبعد توقف القتال على الجبهة السورية في ليلة ٢٣–٧٣/١٠/٢٤ استمرت وحدة المظليين الاسرائيليين في احتلال اعلى قمة في « جبل الشيخ » ، لدعم الدفاع عن المرصد ، ولكنها سحبت بعد فترة من الزمن بواسطة طائرات الهليكوبتر نظراً لشدة البرد وكثرة الثلوج وصعوبة امدادها بحاجاتها المعيشية بواسطة هذه الطائرات خلال الشتاء ، الذي تشتد فيه الريح وتتعذر الرؤية بالنسبة لطياريها مما يهددها بالسقوط أو الارتطام بالجبل . ولذلك عادت القوات السورية خلال حرب الاستنزاف ، التي اعقبت حرب ١٩٧٣ واستمرت حتى توقيع اتفاق فصل القوات على الجبهة السورية (٧٤/٥/٢٩) ، واستولت على قمة « جبل الشيخ » مرة اخرى (دون المرصد) في ١٩٧٤/٤/٧ . وتدخل الطيران الاسرائيلي للمرة الاولى خلال هذه الحرب ليجبر القوات السورية على اخلاء القمة ، كما اعادت وحدات المظليين هجومها بواسطة طائرات الهليكوبتر مرة اخرى ، واسقط السوريون عدداً منها بنيران صواريخهم ورشاشاتهم . واشتدت المعارك بعد ذلك طوال حرب الاستنزاف بين الطرفين للسيطرة على القمم العالية في الجبل مثل « قصر شبيب » ، كما اخذ الاسرائيليون يشقون طريقاً في الجانب الغربي من الجبل ، تجاه الاراضي اللبنانية ، حتى يكونوا في مأمن نسبي من



السوريون يحتلون مرصد جبل الشيخ

نيران المدفعية السورية التي كانت تقصفهم بشدة ، وحتى يمكنهم توصيل احتياجات قواتهم المقاتلة فوق الجبل بواسطة الآليات ، نظراً لأن طائرات الهليكوبتر لم تكن قادرة دائماً على القيام بهذه المهمة بسبب نيران الدفاع الجوي السوري من جهة ، وشدة الرياح من جهة أخرى . وكذلك حتى يمكنهم ايضاً دفع بعض الدبابات إلى ارتفاعات معينة تكفل تقديم الدعم الناري لهذه القوات ، للتخفيف من الاعتماد المطلق على المساندة الجوية . وقد مدت القوات السورية هي الاخرى طريقاً مماثلا على السفوح الشرقية للجبل ، لتسهيل نقل احتياجات القوات والمدافع والدبابات تمهيداً لإقامة أجهزة رادار ومراقبة لمواقع القوات الاسرائيلية في شمال الجولان ، وانجزت منه جانباً كبيراً قبل وقف اطلاق النار . وعند توقف اطلاق النار في نهاية حرب الاستنزاف هذه كان لكل من الطرفين سيطرة على جانب من الجبل ، ولكن بقي المرصد في ايدي القوات الاسرائيلية .

(٦) جبل طارق

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١) جبهة التحرير العربية

(انظر المقاومة الفلسطينية) .

(٨) جبهة التحرير الوطنية الجزائرية

(انظر الثورة الجزائرية)

(٤) جبهة التحرير الوطنية الفيتنامية

(انظر الفيتكونغ ، والحرب الفيتنامية – الاميركية)

(٦) الجبهة الشعبية العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١١) الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل

(انظر ثورة ظفار) .

(١١) الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي

(انظر ثورة ظفار) .

(١) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

(انظر المقاومة الفلسطينية) .

(١) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة)

(انظر المقاومة الفلسطينية) .

(١) الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين

(انظر المقاومة الفلسطينية) .

(٩) الجبهة المتحدة لانقاذ فلسطين

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١) جبهة النضال الشعبي الفلسطيني

(انظر المقاومة الفلسطينية) .

(١١) الجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج العربي

(انظر ثورة ظفار) .

(٥) جت رانجر (طائرة)

(انظر هليكوبتر « بيل ٢٠٦ »)

(٦) جدار (او حاجز) الصوت

جدار او حاجز الصوت Sound or sonic Barrier ، اصطلاح يطلق للدلالة على نطاق او حد حرج من السرعة يكاد يقترب من سرعة الصوت انخفاضاً وارتفاعاً Transonic Zone ، وتقل نهايته الصغرى قليلا عن سرعة الصوت وتزيد نهايته الكبرى عنها قليلا . وتزداد فيه المقاومة الديناميكية الهوائية Aerodynamic drog زيادة فجائية كبيرة لأي جسم متحرك (قذيفة مدفع ، طائرة ، صاروخ) تقترب سرعته من سرعة الصوت .

وقد اطلق هذا الاصطلاح على نطاق السرعة المذكور ، لانه كان يشكل عقبة امام الطائرة تحول دون تحقيقها لسرعات تفوق سرعة الصوت ذلك ان الطائرة عندما تحلق في الجو بسرعات تقل عن سرعة الصوت ، فإن حركتها في الجو تولد موجات ضغط صوتية تساوي سرعتها سرعة الصوت ، وبالتالي فإنها تتجاوز الطائرة وتنتشر امامها كما تنتشر امواج الماء في بركة ساكنة عند القاء حصاة فيها . وعندما تزداد سرعة الطائرة تبدأ هذه الموجات بالتضاغط امام مقدمتها كالثلج امام مجراف الثلوج وعندما تقارب سرعتها سرعة الصوت وبالتالي سرعة الموجات الصوتية التي ولدتها ، فإن هذه الموجات لا تجد مهرباً امامها فتتولد موجات صدامية موضعية قوية على اجنحة وجسم الطائرة بشكل فجائي يرافقها اضطراب في انسياب الهواء حولها وتغييرات في ضغطه ودرجة حرارته وكثافته ، وقد ينشأ عن ذلك اصابة الطائرة بصدمة عنيفة خطرة تفقدها التوازن والقدرة على السيطرة اثناء التحليق . وحيث ان سرعة الصوت هي الحد الذي لا تستطيع الموجات الصوتية تجاوزه ، فإنه من الواضح ان الجو في الامام لا يتأثر بدخول جسم الطائرة التي تجاوزت سرعتها سرعة الصوت فيه ويكون هذا التجاوز او الاختراق لحاجز الصوت مصحوباً بصدمة وتغييرات في انسياب الهواء ، وازدياد في الضغط والحرارة ، ويتسبب كل ذلك في احداث صوت او فرقعة كبيرة في الفضاء . وتسمع هذه الفرقعة في كل مرة تخترق فيها طائرة جدار الصوت وبوجه عام ، فإن الطائرة المصممة للتحليق بسرعة تفوق سرعة الصوت لا تواجه صعـوبة كبيرة في اختراق جداره ، ولكن تأثير هذا الجدار قد يكون قاتلا اذا ما حاولت طائرة عادية اختراقه . ومن ناحية اخرى ، فإن الفرقعة التي تتسبب الطائرة بحدوثها بتجاوزها لسرعة الصوت لا تؤذي الانسان او الحيوان في العادة ، ولكنها تشكل خطراً جدياً في حال

مخروط الماك (الماخ)

تحليق الطائرة على ارتفاع منخفض فوق المدن اذ يتسبب ضغطها في تكسير وتناثر زجاج المنازل كما قد يتسبب في تصديع جدران المباني ، اما تأثيرها على الطائرة نفسها اثناء التحليق فيمكن تلافيه بالتحكم بنمط طيرانها .

ولقد وجد ان معامل المقاومة الديناميكية الهوائية لجسم الطائرة في حال تحليقها بسرعة تقارب سرعة الصوت ، يزيد بنسبة تتراوح بين (٣٠٠ – ٦٠٠٪) عنه في السرعات الاكثر انخفاضاً . **ويوضح هذا** الامر السبب الذي حدا ببعض العلماء الى الاعتقاد، حتى العام ١٩٤٨ ، بان الوصول الى سرعات تتضاعف عندها المقاومة على هذا النحو غير ممكن ، رغم ان المقذوفات التي تطلقها البنادق والمدافع تجاوزت سرعة الصوت منذ امد بعيد ولكن عندما امكن صنع محركات صاروخية تستطيع توليد الدفع الكافي للوصول الى سرعات تقارب سرعة الصوت وتتجاوزها ، راقت هذه الفكرة للخبراء العسكريين ، وكان من نتيجة ذلك قيام شركة « بل الاميركية لبناء الطائرات Bell Aircraft Company » ببنـاء طائرة الاختبـار الصاروخية « اكس – ١ X - 1 » في العام ١٩٤٦ التي كان بناؤها يتناقض مع آراء العلماء المشار اليهم آنفاً . وفي ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧ ، قام طيار الاختبار الكابتن « تشارلز ييجر Charlee Yeager » بقيـادة الطائرة الجديدة مخترقاً بها جدار الصوت لاول مرة في التاريخ . وبدأت الدول المتقدمة ببناء العديد من طائرات الاختبار التي تفوق سرعتها سرعة الصوت . واصبحت سرعات الطائرات الحديثة تقاس بوحدة جديدة خاصة هي « الماخ أو الماك Mack Number » نسبة الى العالم النمساوي « ارنست ماخ » (انظر الماخ أو الماك) الذي كان اول من صنع جهازاً يمكن الحصول بواسطته على صور فوتوغرافية للموجات الصدامية الناشئة عن حركة قذائف المدفعية في الهواء بسرعة تفوق سرعة الصوت (١٨٨٧) .

(٢) جدلية الضربتين الثانيتين

ان تقدير التوازن النووي يرتبط مباشرة **بجدلية الضربتين الثانيتين** ، أي بالمقارنة بين فاعلية ردود الخصمين ، معتبرة كنتيجة متوقعة لمجموع ما تبقى لكل منهما من قوات . وإن القيمة المتعلقة بفاعلية طاقتي الرد لكل من الخصمين هي التي تحدد « الوضع النووي » ، أي استقراره او عدم استقراره .

ان أساس الردع النووي هو **اليقين من التدمير** الذي ينجم عن استخدام الأسلحة النووية ، لأن أي طرف من الأطراف لا يستطيع ان يحمي نفسه منها بصورة كاملة ولكي نتعرف على مدى أهمية الخطر النووي لا بد من التمييز بين المعسكر الذي يبدأ أولا ، والمعسكر الذي يرد عليه . فالبادئ يتمتع بكل المزايا ، إذ أنه ينتقي فرصة القصف النووي ولحظته ، ويستفيد من عامل المفاجأة ، وتكون كل وسائله سليمة . أما الذي يرد على الرمي ، فهو على العكس ، مباغت من خصمه ، وقد رأى تدمير أو تفكيك جزء من وسائله . ولكن لوحظ فيما بعد ان احتمال مثل هذه المبادأة قد اصبح ضعيفاً مع تزايد قوة الرد على الهجوم التي أصبحت أمراً مؤكداً واكثر احداثاً للدمار . وهكذا توصل العلماء إلى ما يلي : **ان القدرة على الرد هي مفتاح الردع النووي ، على حين أن القدرة على تخفيف الرد مفتاح المبادأة بالهجوم النووي .**

والواقع أنه إذا لم يكن الهجوم بالضربة الأولى ممكناً ، ولا يمكن تقبله ، إلا لأنه يمكن أن يحد من رد الخصم في الضربة الثانية المعادية ، فإن من الطبيعي أن تصبح صفته الأساسية كامنة في قدرته على تدمير اكبر جزء ممكن من قوى الرد : **فينبغي اذن ان تعطى الافضلية الى جعل الضربة الأولى ضربة معاكس القوات . ويرد عليها الخصم بضربة معاكس المدن والموارد بالافضلية .** وينتج عن جدلية الضربتين الثانيتين ثلاثة أوضاع نووية متميزة هي: وضع « مستقر بصورة مطلقة » ، وضع « غـير مستقر بصورة مطلقة » ، « تفوق مطلق » لأحد الطرفين

(١٢) جدة (اتفاقية) ١٩٦٠

(انظر حرب اليمن) .

(١) الجدول

هو لوحة تحمل المعطيات الموجزة اللازمة لتنفيذ مهمة محددة . ويعد الجدول قبل بدء العمل، قتالياً

كان أم لوجيستيكياً (ادارياً)، وينظم وفق الحسابات الخاصة بكل سلاح أو مصلحة ووفق المعطيات ووتيرة العمل المتوسطة المستقاة من التجربة العملية ومن امكانات الاسلحة والمعدات والقوى البشرية المستخدمة في تنفيذ المهمة. ويعتبر المسؤول عن تنفيذ المهمة أن الجدول هو دليل العمل الذي يحاول تطبيقه وتنفيذ محتوياته المتعلقة بالمدد الزمنية، والوسائط المستخدمة، ومراحل تنفيذ المهمة، والمعطيات التقنية المحددة للتنفيذ.. الخ، ولكنه لا يعتبره شيئاً جامداً لا يقبل التعديل الذي تفرضه ضرورات المعركة وردود فعل العدو. وهناك عدد كبير من الجداول المستخدمة في الجيوش، وأهمها:

جدول الاخلاء والاصلاح: وهو الجدول الذي يعده مسؤول الشؤون الادارية في الوحدة بعد تنفيذ صفحة من صفحات المعركة، ويستهدف تنظيم إخلاء الاشخاص الجرحى أو المصابين بتأثيرات اسلحة الدمار الشامل، وجمعهم وارسالهم الى النقاط الطبية، وإخلاء الأسلحة والمعدات والآليــات المعطلة، وإصلاحها ميدانياً أو ارسالها إلى ورشات الاصلاح الخلفية ويشمل هذا الجدول قسمين: قسم يذكر عدد الجرحى والمصابين واماكنهم ونوعية إصاباتهم، وافضليات معالجتهم ونقلهم، والمدد الزمنية اللازمة لذلك. وقسم يذكر عدد الاسلحة والآليات المعطلة، واماكنها، ونوعية اعطالها، وتسلسل افضليات الاصلاح على أرض المعركة أو النقل إلى ورشات الاصلاح، والمدد الزمنية اللازمة لعودة هذه الاسلحة والمعدات إلى وحداتها المقاتلة.

جدول الاعمال الهندسية: هو الجدول الذي يعده القائد الهندسي في الوحدة الصغرى أو المسؤول الهندسي في اركان الوحدة الكبرى، في كل مرحلة من مراحل القتال، ويستهدف تنظيم الاعداد الهندسي للمعركة في كل صفحة من صفحاتها. ويشمل هذا الجدول: الاعمال الهندسية المطلوبة، وافضليات التنفيذ ومراحله المتعاقبة، والمدد الزمنية اللازمة لانجازها، والقوى التي يقع على عاتقها هذا التنفيذ، والوسائط والمعدات المستخدمة في كل مهمة.

جدول الامداد والتموين: هو الجدول الذي يعده المسؤول الاداري في الوحدة في كل مرحلة من مراحل القتال، ويستهدف تنظيم عملية تكديس المؤن والاعتدة اللازمة للمعركة، ونقلها براً أو بحراً أو جواً، وايصالها إلى الوحدات المقاتلة. ويحتوي هذا الجدول على كمية المؤن والذخائر والمحروقات والتجهيزات اللازمة لكل قطعة، ومكان تكديسها، وأفضليات نقلها، والوسائط المستخدمة في النقل، والطرقات والمسالك المتبعة، وتوقيتات حركة أرتال الامداد والتموين، وتوقيتــات حركة المستودعات الخلفية ومسالك هذه الحركة والوسائط المستخدمة فيها

جدول الانزال: هو الجدول الذي ينظمه مسؤول العمليات في قيادة الانزال (الجوي أو البحري)، ويستهدف تنظيم هذه العملية، وتأمين وصول القوات إلى مكان الانزال في الوقت المناسب، وتجمعها بعد ذلك لمتابعة مهمتها القتالية. ويشمل هذا الجدول: المعلومات الخاصة بالتحميل (انظر جدول التحميل)، وموجات الانزال، وتوقيتات الانزال المتعاقبة للموجات المتعاقبة، وتوقيتات اخلاء نقاط الانزال من قبل هذه الموجات، ونقاط التجمع بعد الانزال، وتوقيتات عودة وسائط الانزال لإعادة تحميل الموجات التالية. وتوقيتات بناء المنشآت في نقاط الانزال لتسهيل انزال الموجات التالية (مطارات ميدانية أو أرصفة بحرية عائمة)، والوحدات المكلفة بهذا البناء والوسائط الموضوعة تحت تصرفها لذلك

جدول التحميل والتنزيل: هو الجدول الذي يعده المسؤول عن عملية تحميل الوسائط والذخائر والاسلحة والمعدات أو تحميل القطعات مع معداتها واسلحتها وذخائرها وتنزيلها، سواء كان التحميل بالسيارات أو بالسكك الحديدية أو بسفن النقل أو بالطائرات، ويستهدف تنظيم عملية التحميل والتنزيل والوصول بهما إلى أعلى مستوى من الكفاءة والسرعة، رغم تدابير العدو المعاكسة. ويشمل هذا الجدول قسمين: قسم التحميل، الذي يذكر المعدات والاسلحة والذخائر وحجم القوات المنوي حملها، ووزن الحمولة وحجمها، وأماكن التجمع والصعود أو التحميل، والوسائط المستخدمة في عملية الحمل، وتوقيتات الحركة من أماكن التجمع إلى أماكن التحميل، والزمن اللازم للتحميل، والقوى البشرية المستخدمة في التحميل، والمعدات أو الآلات التي تساعد في عملية التحميل. وقسم التنزيل الذي يذكر أماكن التنزيل، والزمن اللازم للتنزيل والقوى البشرية والآلات المساعدة المستخدمة في التنزيل، واسلوب وتسلسل تفريغ مكان التنزيل، ونقل المعدات والاسلحة والذخائر إلى نقاط التكديس

جدول التخريب: هو الجدول الذي يعـده المسؤول الهندسي في اركان الوحدة الكبرى، أو قائد عملية تخريب معينة ويستهدف تنظيم عملية (أو عمليــات) التخريب destruction قبل المعركة أو خلالها. ويشمل هذا الجدول: عـدد التخريبات، ونوعها، والمتفجرات اللازمة لتنفيذها، والوحدات المكلفة بالتنفيذ، وتسلسل الأفضليات، والمدد اللازمة لاعداد التخريب، ونتائج التخريب المحتملة، وتعاقب التخريب في حال وجود مجموعة تخريبات تنفذ بالتتالي، والسلطة المسؤولة عن إعطاء أمر التخريب لكل تخريبة على حدة

جدول التطهير: هو الجدول الذي يعده المسؤول عن الوحدة الكيماوية في الوحدة الكبرى أو في قطاع معين. ويستهدف تنظيم عملية تطهير الأفراد والمعدات والاسلحة والتحصينات والطرقات وأماكن الاقامة من آثار السلاح الكيماوي أو النووي عند استخدام العدو لهذا السلاح. ويشمل الجدول الأماكن المصابة التي ينبغي تطهيرها لمتابعة سير المعركة بنجاح، والاسلحة والوسائط والقطعات التي ينبغي تطهيرها، وأفضليات التطهير، والوحـدات والمعدات الكيماوية المستخدمة في التطهير، وتوقيتات بدء وانتهاء كل عملية تطهير على حدة.

جدول الحركة وتنظيم السابلة: هو الجدول الذي يعده المسؤول عن تنظيم السابلة على محور استراتيجي أو عملياتي، تستخدمه عدة قطعات في الحركة أو الامداد والتموين أو الإخلاء. ويستهدف هذا الجدول تنظيم الحركة عـلى المحور، ومنع الازدحام، وتلافي العرقلة الناجمة عن تجاوز الارتال ذات السرعات المتباينة أو تلاقي الأرتال المتقابلة في نقاط ضيقة وحساسة من هذا المحور. ويشمل الجـدول: أقسومات المحـور، وتوقيتات حركة الارتال على الاقسومات، ونقاط الوقوف للاستراحة، وساعات عودة رؤوس الارتال المستريحة من نقاط الاستراحة إلى المحور، واقسومات المحور التي يسمح فيها بالتجاوز أو التلاقي، ووحدات الانضباط المركزية (الشرطة العسكرية) المسؤولة عن تنظيم الحركة على المحور بالتعاون مع مفارز الانضباط التابعة للارتال

جدول الرمي: هو الجدول الذي يعده قائد الوحدة الصغرى، أو قائد مدفعية الوحدة الكبرى ويستهدف تحديد عناصر الرمي على الاهداف المرئية أو المحتملة، وتنسيق عمل مختلف الأسلحة ضدها ويشمل هذا الجدول: الأهداف المرئية أو المحتملة واحداثياتها، ومسافاتها، واسماؤها الرمزية، وعناصر الرمي التي ينبغي استخدامها لاصابة الاهداف (انظر لوحة الرمي)، ونوع الرمي المطلوب عليها، والاسلحة أو الوحدات المكلفة بتنفيذ هذه الرمايات.

جدول العبور: هو الجدول الذي يعده المسؤول الهندسي في الوحدة الكبرى قبل القيام بعبور مجرى مائي، ويستهدف تنظيم عملية العبور، واستخدام وسائط العبور، ومنع الازدحام في نقاط العبور

أو النقاط المقابلة على الضفة الاخرى ، سواء كان العبور بالقوة أو بعيداً عن انظار العدو ويشمل هذا الجدول : الوحدات المكلفة بالعبور ، ودورها في موجات العبور ، وساعات حركتها من أماكن تجمعها إلى نقاط العبور ، وتوقيتات عبور كل وحدة ، والوسائط اللازمة لها (جسور ، عبارات ، مخاضات ، أطواف ، قوارب ، عربات برمائية) ، وتوقيتات عودة وسائط العبور المتحركة لنقل الموجة الثانية ، وتوقيتات إخلاء نقاط الوصول على الضفة الأخرى من قبل موجات العبور المتعاقبة ، والوحدات الهندسية المكلفة بادامة نقاط العبور ، ووحدات الانضباط المركزية المكلفة بتنظيم الحركة في نقاط العبور ونقاط الوصول على الضفة المقابلة

جدول الملاحة : هو الجدول الذي يعده الضابط الملاح في الطائرة أو المركب الحربي ، ويستهدف تنظيم حركة الطائرة أو المركب منذ الاقلاع (أو الإبحار) حتى العودة الى المطار (أو الميناء) . ويشمل هذا الجدول اتجاهات خط السير ، والسرعات ، والارتفاعات وسرعة الريح ، ونقاط تبديل الاتجاه

(١) الجذامير

موانع هندسية اصطناعية مضادة للدبابات (انظر الموانع الهندسية) .

(١) جرائم الحرب

هي الجرائم وأعمال العنف التي ترتكب خلال الحرب ضد اسرى الحرب أو الجرحى أو السكان المدنيين أو القتلى .

حاولت الحكومات والمنظمات الدولية عبر التاريخ تنظيم الحرب وتخفيف عنفها وأثرها المدمر ، وخاصة بالنسبة إلى المدنيين والجرحى وأسرى الحرب ، بالاضافة إلى الحفاظ على الممتلكات الخاصة ، والآثار الانسانية الهامة ، والمستشفيات ، وأماكن العبادة . ولكن جميع المحاولات لم تستطع منع وقوع حوادث الاعتداء على المدنيين وممتلكاتهم ، وقتل الجرحى والاسرى أو تعذيبهم ، وتدمير الآثار الانسانية وتدنيس أماكن العبادة ، وكلها جرائم كبيرة ، لأنها تطبع الحرب بطابع وحشي ، وتجعل المجموعات المسلحة تتصرف تحت دفع غرائزها البدائية بشكل يهدد المجتمع البشري والحضارة الانسانية بالفناء .

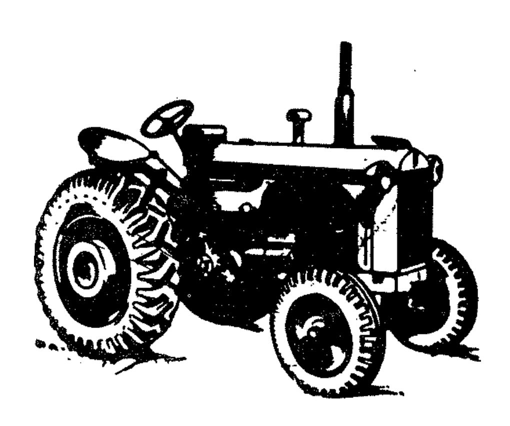
ولقد ظهر مفهوم « جرائم الحرب » بمعناه الدقيق بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) وشمل الجرائم وأعمال العنف الموعز بها أو التي سمح بها ضد أسرى الحرب ، أو المهجرين عنوة deportés أو القتلى في ساحة المعركة واستخدم مفهوم « مجرم حرب » بصورة محددة للدلالة على المسببين والمسؤولين عن أعمال العنف المذكورة . والذين حوكموا في محاكات نورمبورغ وغيرها بعد استسلام المحور . ولم يشمل مفهوم « مجرم الحرب » المنفذين الذين ثبت خلال المحاكمة أنهم كانوا أدوات تنفذ ارادة الرؤساء دون أن يكون لديها القدرة على الرفض ، ودون أن تقوم بمبادرات اجرامية ذاتية

وتتميز «جرائم الحرب» عن غيرها من الجرائم، بأن مرتكبيها لا يحاكمون إلا اذا تعرضوا لهزيمة ساحقة . فلقد ارتكب النازيون في أوروبا والفاشيون في الحبشة جرائم حرب رهيبة قبل الحرب العالمية الثانية دون أن يتعرضوا لأية محاكمة ، ثم ارتكبوا جرائم مماثلة خلال الحرب ، وكان من الممكن أن لا يحاكموا عليها لولا هزيمتهم في عام ١٩٤٥ ولو عدنا الى تاريخ الاستعمارين البريطاني والفرنسي في آسيا وأفريقيا ، وتاريخ الاستعمار الياباني في شرق آسيا ، وتاريخ الامبريالية الاميركية الحديدة في كوريا وفيتنام ، وتاريخ الغزوة الصهيونية في فلسطين ، لوجدنا آلاف جرائم الحرب المرتكبة ضد الشعوب والأفراد والممتلكات ، والتي نجا مرتكبوها من العقاب لأنهم كانوا الأقوى . ومن هنا ياخذ مفهوما « جرائم الحرب » و « مجرم الحرب » معناهما النسبي ويبقيان مع التعابير وحيدة الجانب ، طالما أنه ليس هناك منظمة دولية قادرة على كشف « جرائم الحرب » ومحاكمة « مجرمي الحرب » المنتصرين

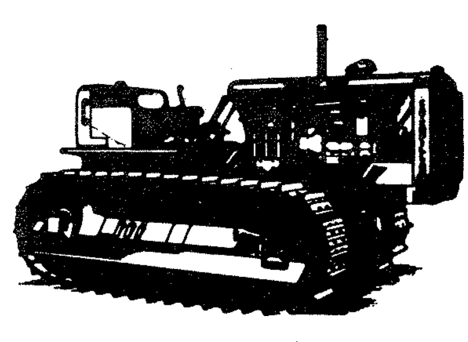
(١) الجرار

الجرار Tracteur هو آلة هندسية مدنية – عسكرية أساسية للجر لا للحمل ، ولذا فهو يقطر خلفه عادة مقطورة للحمل ذات عجلتين او ذات أربع عجلات وتستند المقطورة ذات العجلتين جزئياً على الجرار بينما تستند المقطورة ذات العجلات الاربع على عجلاتها وتعطي الجرار مرونة اكبر

يعتبر الجرار جزءاً من معظم الآلات الهندسية المستخدمة في الحفر وأعمال الطرقات والمطارات ويزود الجرار بمحرك قوي يؤهل الآلة للقيام بأعمال الشد والسحب والدفع . وتعمل الجرارات ذات المحركات الصغيرة (٢٠ – ٤٠ حصاناً) بالبنزين ، بينما تعمل



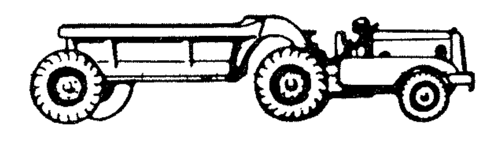
جرار ذو أربع عجلات

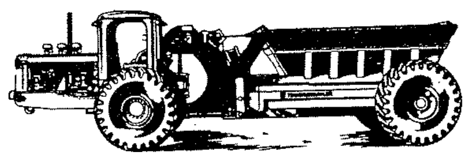


جرار ذو سلاسل

جرار ذو عجلتين







جرار ذو عجلتين مع مقطورة

الجرارات ذات المحركات الأقوى (من ٤٠ — ١٥٠ حصاناً) بالمازوت (ديزل) في مختلف بلدان العالم نظراً لأنها تستهلك محروقات أقل وأرخص ثمناً. وفي هذه الحالة يضاف إلى محرك الجرار محرك إضافي لبدء الاشتعال يعمل بالبنزين. وتزود محركات جميع الجرارات بمعدل يسمح للمحرك بالحفاظ على نظام احتراقه ودورانه المحدد عندما تزيد الحمولة دون أن يضطر سائق الجرار إلى التدخل.

الجرار ذو السلاسل Tracteur a Chenilles

ولكي يستطيع الجرار السير على مختلف الأراضي يزود بسلاسل ذات اظلاف تمنع تزحلق السلسلة على الأراضي الرخوة، وذات عجلات داخلية اضافية (٤ — ٦ عجلات) تؤمن توزيع الضغط على طول السلسلة. وكلما زاد عدد العجلات الداخلية الاضافية كلما كان توزيع الضغط أفضل. ونظراً لكبر مساحة السلاسل فان ضغط الجرار على الارض يكون ضعيفاً ويتراوح بين ٠٫٣٥ و ٠٫٦ كغ/سنتمتر مربع، الأمر الذي يسمح للجرار بالسير على الأراضي الرخوة والرملية دون أن يغوص في هذه الأراضي. وبالاضافة إلى السلاسل التي تصلح للسير في معظم الأراضي، يمكن أن يضاف إلى فقرات السلسلة فقرات خاصة للسير على الطرقات (حتى لا يؤدي سير الجرار على الطريق إلى تخريب سطح الطريق)، أو فقرات للسير في الوحل، أو للسير على الجليد، أو للسير على الثلج .. الخ.

استخدم الجرار ذو السلاسل للاعمال المدنية في الولايات المتحدة منذ القرن التاسع عشر. وكان استخدامه العسكري الأول على نطاق عملي في الحرب العالمية الأولى ولقد بقيت الولايات المتحدة الاميركية حتى الحرب العالمية الثانية الصانع الأول للجرارات في العالم، ثم اتجهت بقية البلدان خلال هذه الحرب وبعدها لصنع جراراتها الخاصة ويتراوح وزن الجرارات ذات السلاسل بين ٦ و ١٠ أطنان، وهي تقسم الى نوعين خفيف وثقيل حسب وزنها وقوة محركها وتبلغ سرعة مسيرها ٢ — ١٠ كيلومترات في الساعة

الجرار ذو العجلات Tracteur Sur Pneumatiques: نظراً لبطء الجرارات ذات السلاسل، واهتراء السلاسل وسطح الطرقات عند السير على الطرقات المعبدة، فقد تم صنع جرارات تسير على عجلات ضخمة ذات بروزات وتجاويف تؤمن لها التماسك مع الأرض وعدم الانزلاق. وتتسم العجلتان الخلفيتان بأنهما كبيرتا القطر، ومن النوع الصالح للسير على مختلف الأراضي (ضغط الهواء داخل الاطار يعادل ٣ كغ تقريباً). ويبلغ ضغط العجلات على الأرض حوالي ١ كغ/السنتمتر المربع وتستطيع الجرارات ذات العجلات التحرك على الطرقات بسرعة ٢٥ — ٣٠ كيلومتراً في الساعة، ولكن سرعتها في مختلف الأراضي اكبر من ذلك ومن الجدير بالذكر أن الجرارات ذات العجلات نوعين: الجرارات ذات الأربع عجلات، والجرارات ذات العجلتين Tournapull ويتراوح وزن الجرارات ذات العجلات بين ٤ و ٢٢ طناً ومنها ما هو مزود بمحركات تعمل بالبنزين أو بمحركات ديزل تعمل بالمازوت.

ونظراً لتباين مزايا ومساوئ الجرارات ذات السلاسل والجرارات ذات العجلات، فان من الممكن اعتبار كل نوع منهما مكملا للنوع الآخر، وهما يستخدمان معاً في مختلف الجيوش لتنفيذ مهمات متكاملة حسب طبيعة الأرض ونوع المهمة.

وعلاوة على أن الجرار ذا السلاسل أو ذا العجلات هو الهيكل الاساسي للبلدوزر والتورنادوزر وحفارة الخنادق والحفارة متعددة الأغراض والكريدر، فان الجرار يستخدم في الورشات الهندسية لجر مقطورات نقل المواد أو جر السكريبر كما يستخدم في عمليات انقاذ الآليات المنزلقة خارج الطرقات (وهو يزود لهذا الغرض بملفاف سحب)، أو إخلاء الآليات المصابة على أرض المعركة الأمر الذي يجعله يدخل في تشكيل كتائب المهندسين الفرقية، وأفواج المهندسين الاحتياطية، ومفارز اخلاء المعدات، ومفارز اصلاح الطرق الاستراتيجية أو اصلاح المطارات.

(١٤) الجرذان الخضراء

قوات خاصة استخدمها الاميركيون في فيتنام لمجابهة حرب الانفاق التي طبقها الثوار الفيتناميون على نطاق واسع كأسلوب من اساليب الحرب الثورية. (انظر حرب الانفاق).

وكانت هذه القوات تضم جنوداً فيتناميين جنوبيين يتمتعون بالقوة والمرونة في آن واحد. على ان تتوفر لهم الجرأة وقصر القامة (١٥٨ سنتمتراً) كحد أقصى.

وكان الاختيار يتم من بين الجنود الذين لا يدخنون ولا يشربون الكحول، ويستطيعون العيش والتنقل والقتال طويلا وهم يرتدون أقنعة الغاز أو يسيرون في ظلمة الأقبية. وكانت مهمتهم تتمثل في تطهير شبكات الانفاق الفيتنامية المتطورة الممتدة حتى حدود كامبوديا. وكان هؤلاء الرجال يرتدون لباساً لا يقبل نفوذ الماء يلاصق اجسادهم، وقفازات وواقيات ركبة من الجلد تساعدهم على الزحف والسير على اربع، وخوذة لها واقيات للأذنين. ويحملون مصباحاً يدوياً قوياً يستخدمونه لإصابة عدوهم بالبهر، ومسدساً كاتماً للصوت عيار ٣٨، وبندقية صيد براونينغ مثلثة السبطانات تطلق حزمة من حبات الرصاص، وحشوات (ت. ن. ت) مقادة كهربائياً عن بعد، وقنابل يدوية صغيرة مدخنة يستخدمونها لإعلان خروجهم من الدهاليز وكيلا يقوم زملاؤهم بالرماية عليهم تحت تأثير المباغتة. وكان سلاحهم الاساسي هو المتفجرات التي ينسفون بها مداخل الانفاق لردمها وخنق الثوار في داخلها، والقنابل الغازية المسيلة للدموع التي يلقونها داخل الانفاق قبل ولوجها لاجبار الثوار على الاستسلام أو الموت. وكانوا يدخلون الانفاق بعد إلقاء القنابل الغازية وارتداء اقنعة الغاز، ويطلقون النار على الثوار الذين يكشفهم سعالهم الناجم عن استنشاق الغازات. ولقد حققت الجرذان الخضراء في البداية نجاحات ملحوظة، والحقت بالثوار خسائر كبيرة، إلى أن تمكن الثوار الفيتناميون من الرد عليها باستخدام الأفخاخ النظامية والافخاخ البدائية التي كان يستخدمها الصيادون في الغابات، وتزويد الثوار المقاتلين داخل الانفاق بأقنعة واقية تساعدهم على متابعة القتال رغم استخدام الجرذان الخضراء للقنابل الغازية المسيلة للدموع.

(١) جرش وعجلون (معركة) ١٩٧١

معركة جرش وعجلون أو معركة الأحراش ، هي المعركة التي جرت بين القوات الاردنية وقوات الثورة الفلسطينية المتجمعة في منطقة احراش جرش وعجلون (الاردن) ، في تموز (يوليو) ١٩٧١ ، وادت الى تصفية الوجود العسكري العلني للثورة الفلسطينية في الاردن .

دخلت الثورة الفلسطينية العام ١٩٧١ بعد ان فقدت الكثير من قوتها ومواقعها داخل الاردن ، بنتيجة معارك ايلول ١٩٧٠ (انظر معارك ايلول) وكانت المقاومة مقيدة في الاردن باتفاقيتي القاهرة (ايلول ١٩٧٠) وعمان (كانون الاول ١٩٧٠) وكانت قواعد الثورة محصورة جغرافياً في منطقتي جرش وعجلون الجبليتين المشجرتين وكانت القوة العسكرية للثورة قد تأثرت من جراء خسارة عدد كبير من المقاتلين والقياديين الذين قتلوا او جرحوا خلال معارك ايلول ، وخروج معظم القيـــاديين العسكريين والسياسيين من الاردن ، وبقاء عـــدد محدود من قياديي الصف الاول في الجبل ، مع تكليف قياديي الصف الثاني بمهماتهم ، وانخفاض عدد المقاتلين بعد انسحاب قواعد متعددة الى جنوب سورية ، وانخفاض عدد معسكرات التدريب التي يسمح فيها باعداد المقاتلين والقيـــاديين وتدريبهم عسكرياً ، وانخفاض الروح المعنوية بعد وقف اطلاق النار على جبهة قناة السويس منذ آب (اغسطس) ١٩٧٠ ومعارك ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ في الاردن ، واحساس المقاتلين الفلسطينيين بانهم في موقع معرض لحصار ، وابتعاد الثورة عن قواعدها الشعبية في المخيمات ، بعد الانسحاب من المدن الى الجبل ، وايمان الثورة بان النظام الاردني يعد العدة لمتابعة حملته ضدها .

ولقد أدت هذه العوامل كلها ، وخاصة العامل الاخير ، الى دفع الثورة في الاردن الى اخذ مواقف الدفاع عن النفس ، والانشغال بمعارك ومشاكل يومية مع السلطات الاردنية التي قامت في اواخر العام ١٩٧٠ بمجموعة تحركات هدفها تطويق مناطق تجمع الثورة وعزلها نهائياً عن مختلف ارجاء البـــلاد ، (احتلال الجبل المشرف على مخيم البقعة ، وتجميع قوات آلية عند جسر الزرقاء ، واحتلال موقع حاكم في عجلون ، واحتلال ثغرة عصفور على خـــط المواصلات الذي يصل جرش بشمال البلاد) . وكان من الواضح ان السلطة الاردنية تنفذ مخططاً كاملا يستهدف استكمال السيطرة على المـــدن ، ومتابعة التعبئة النفسية ضد الثورة بين صفوف الجيش وصفوف المواطنين الاردنيين ، وتقليص مساحة الارض التي تتمركز فيها الثورة تمهيداً للقضاء عليها .

ولقد ساعد هذا المخطط مجموعة عوامل ذاتية داخل المقاومة : الخلافات الداخلية حول عدد من الموضوعات (الوحدة الوطنية ، خروج اسلحة الميليشيا من المدن ، التنازلات الممكنة للبقاء في الاردن) ، وعدم تحقيق الوحدة الوطنية ، وعدم تجاوز الثغرات التنظيمية او الخروج من تجربة ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ بصيغ جديدة ملائمة للوضع الجديد ، وارتباط قواعد الثورة الجديدة تموينياً بالمدن نظراً لفقر مناطق التحشد وعدم القدرة على تأمين التموين الذاتي من المناطق نفسها ، وسيطرة القوات الاردنية على محاور الامداد والتموين ، واعتقاد بعض قيادات الثورة بامكانية التعايش السلمي مع النظام الاردني . ومن التدابير التي اتخذتها السلطة الاردنية واكدت وجود هذا المخطط منذ بداية العام قيامها في الثامن من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ بدفع قوات انطلقت من جبل طلوزة ، وهاجمت مناطق تجمع الثورة على محورين يستهدف اولهما السيطرة على مثلث جلعد – رميمين – ام الجوزة ، ويستهدف الثاني طرد الثورة من احراش عجلون باتجاه الشمال كما قامت قوات اخرى بمحاصرة عمان من جميع مداخلها ، ومشطت مناطق الرصيفة والزرقاء ومخيم شنللر ومخيم البقعة . ولقد جرت كل هذه العمليات تحت انظار لجنة الرقابة العسكرية العربية ، الامر الذي دفع العميد احمد حلمي رئيس اللجنة الى ابلاغ السلطات الاردنية عن توقفه رسمياً عن اداء مهمته ، وبقائه في عمان بانتظار تعليمات تتعلق بالتصرف النهائي بعد المشاورات التي كان رئيس لجنة الوساطة العربية الباهي الادغم يجريها في القاهرة ، ثم تابع اجراءها مع الملك حسين في لندن .

ولم ينته التوتر بعد توقف اشتباكات شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ ، اذ كانت حالة انعدام الثقة المتبادلة مصدر توتر دائم ، وكانت محاولات السلطة للسيطرة على مداخل المدن والبحث عن اسلحة الميليشيا نقـــاط احتكاك ادت الى اشتباكات متعددة في عمان (جبل هملان والهاشمي والنصر والمحطة) في فترة ١٠ – ١٢ شباط (فبراير) وفي ٢٦ آذار (مارس) حاصرت وحدات من الجيش وقوات الامن مخيم اربد ، وهاجمت مقر الكفاح المسلح وقصفته بمدافع ١٠٦ مم ودمرته . ولقد ردت الثورة على ذلك بمهاجمة مخافر السلطة في اربد ، الامر الذي دفع السلطة الى استدعاء وحدات من قواتها المتمركزة في الغور لدخول المدينة . واستمرت الاشتباكات طيلة ليلة ٢٦ – ٣/٢٧ . وفي مساء ٢٧ تمركزت مدرعات الجيش الاردني في قلب اربد ، ثم شنت في صباح ٢٨ ثلاث هجمات متعاقبة على المخيم . وفي مطلع نيسان (ابريل) قامت قوات الجيش بقصف قواعد الثورة في منطقتي جرش وعجلون واربد ، وحاولت دخولها ولكنها جوبهت بمقاومة وموانع الغام . ولم تكن الاشتباكات مقتصرة على المدن ومناطق الداخل بل شملت ايضاً منطقة الاغوار حيث تتمركز بعض قواعد الثورة للانطلاق والعمل داخل الارض المحتلة . وكانت دوريات الثورة التي تحاول تنفيذ مهامها والتسلل الى الارض المحتلة للعمل ضد العدو الاسرائيلي تلاقي مقاومة فعلية من قوات الجيش الاردني ، وتصطدم معها خلال الذهاب والعودة.

وكان في النظام الاردني عناصر ترى ان سيطرة السلطة على الوضع لا تتم الا بعد الغاء اتفاقيتي عمان والقاهرة ، وتصفية الوجود العسكري والسياسي للثورة وان حصر قوى الثورة في الجبل ، وعزلها عن الجماهير في المخيمات ، وفصلها عن الحدود الاردنية – الاسرائيلية ، عبارة عن عوامل تزيد سيطرة الحكومة الاردنية على الاوضاع وتلغي ازدواجية السلطة في المدن ، ولكنها لا تعطيها حرية العمل السياسي الكاملة ولا تؤمن لها السيطرة الكاملة على البلاد . وكانت هذه العناصر تنتظر الظروف المناسبة لشن معركة التصفية . ويمكن اعتبار العمليات التي شنتها قوات الجيش الاردني على قواعـــد الثورة في فترة (٢١ – ٢٥) نيسان (ابريل) ، وشملت الاغوار وام السرب وجابر والشجرة والمشيرفة والروسان ودير الكهف وجبل ساكب وسوف ورميمين في ٥/٣ ، بداية الفصل الاخير من مرحلة الاستنزاف المادي والمعنوي لقوات الثورة ، قبل شن العمليات الهجومية على مناطق التجمع في جرش وعجلون

ولقد استمرت حرب الاستنزاف بعدة اشكال طوال شهري ايار وحزيران والنصف الاول من شهر تموز ١٩٧١ ، واستطاعت السلطات الاردنية خلالها السيطرة الكاملة على مدينة اربد ، واحتلال مجموعة من التلال الحاكمة المسيطرة على محاور الطرق والمشرفة على مواقع الثورة في جرش وعجلون ، والسيطرة على منطقة الحدود الاردنية السورية ، والهيمنة التامة على القرى الاساسية في جرش وعجلون ، وعزل الثورة عن التجمعات السكانية في الداخل ، وضمان هدوء الداخل وعدم قدرة المخيمات على شن عمليات مسلحة في المدن خلال الهجوم المقبل على قواعد الجبل ، خاصة بعد انسحاب ميليشيا الثورة شبه الكامل من

عمان في فترة ٩ – ١٢ نيسان (ابريل)

وعندما رأت السلطة الاردنية ان كافة معطيات التصفية السريعة مؤمنة ، وان قوات الثورة المنتشرة في الاغوار ، وخاصة الغور الاوسط (الكرامة دير علا – الكريمة) اصبحت محاصرة ، وان جميع مواقع المقاومة في جرش وعجلون غدت في مدى رماية اسلحة الجيش المتمركزة على التلال المواجهة لها ، وان الجيش يسيطر على جميع خطوط الامداد والتموين والاخلاء التي تستخدمها المقاومة ، شنت الفرقة الاولى والفرقة الثانية ولواء الامن الاردنية (٣٠ – ٣٤ ألف رجل) ، تساندها قوات شبه نظامية (١٢ ألف رجل) ، الهجوم على مناطق جرش وعجلون والغور التي كان يتمركز فيها ٣٥٠٠ – ٤٠٠٠ مقاتل بما فيهم الميليشيا الشعبية المنسحبة من المدن . واستمرت المعركة من ١٣ حتى ١٩ تموز (يوليو) ، واضطرت الثورة الفلسطينية الى مجابهة خصم متفوق عددياً وتسليحياً وتنظيمياً في معركة دفاعية لا تتلاءم مع طبيعة مهماتها وتسليحها وتدريبها ومستوى قياداتها ، وعلى ارض ضيقة ، تندر فيها مصادر المياه والغذاء ، ويقطنها سكان معبؤون ضد المقاومة ولا يتعاطفون معها ، ولا تشكل امتداداً طبيعياً لدولة صديقة قادرة على مد الثورة بالرجال والاسلحة والذخائر خلال القتال وانتهت المجابهة بسيطرة القوات الاردنية على المناطق الثلاث ، وتدمير القوة العسكرية للثورة او اسرها والضغط على بعض عناصرها من الشرق ودفعها بعد استشهاد قائدها ابو علي اياد ، والضغط على حوالي ١٠٠ من عناصرها ودفعهم نحو الغرب للوقوع اسرى بيد القوات الاسرائيلية . دون ان تتمكن قوات اليرموك ومعظم قوات جيش التحرير المتمركزة في جنوبي سورية من دخول المعركة . وكان من نتيجة ذلك انتقال بقايا مقاتلي الثورة الى سورية ولبنان ، واستعادة الحكومة الاردنية لزمام السيطرة على كافة اراضي الضفة الشرقية ، الامر الذي اعطاها على الصعيد العسكري القدرة على تهدئة الحدود مع اسرائيل ، ومنحها على الصعيد السياسي حرية عمل واسعة في مجال التحدث باسم الشعب الفلسطيني .

ولقد حاولت الدول العربية التدخل بعد العملية لتخفيف آثارها وانقاذ ما يمكن انقاذه ، فاستطاعت تحرير بعض الاسرى وارسالهم الى سورية والعراق ولقد وقع عدد من الصدامات خلال محاولة عناصر الثورة المشتتة في الشمال الانسحاب الى سورية وكانت القوات الاردنية تطارد هذه العناصر ، وتجتاز الحدود السورية خلال المطاردة ، الامر الذي دفع الحكومة السورية الى سحب ممثليها من اللجنة العسكرية العربية في الاردن ، واغلاق الحدود السورية – الاردنية في ٢٥ تموز (يوليو) . وكان العراق قد اغلق حدوده مع الاردن منذ التاسع عشر من الشهر نفسه وتابعت القوات الاردنية مطاردتها لرجال المقاومة وادى ذلك الى وقوع صدامات مسلحة بين المخافر السورية والدوريات الاردنية ، استخدم الاردنيون فيها نيران المدفعية والدبابات . وكان الرد السوري على ذلك اغلاق الاجواء السورية أمام الطيران المدني الاردني في آب (اغسطس) ١٩٧١ .

وحاول وزير خارجية تونس محمد المصمودي تصفية الجو من جديد . وقام النظام الاردني بحركة سياسية واعلامية واسعة لتبرير موقفه ، واظهار استعداده للتعاون مع الثورة الفلسطينية في نضالها داخل الارض المحتلة ، وقام بعدة محاولات لاحتواء اجنحة او اشخاص من تنظيمات الثورة بغية تخفيف حدة التناقض . واعلن الاردن عن استعداده لقبول « ورقة العمل المصرية – السعودية » التي قدمتها بعثة « الخولي – السقاف » كوثيقة تنظم العلاقة بين النظام الاردني والثورة . وكانت غايته من ذلك اخراج الاردن من عزلته ، وفتح الحدود مع سورية والعراق ، والحصول على المساعدة الليبية والكويتية التي اقرت في مؤتمر الخرطوم عقب حرب ١٩٦٧ ، ثم قطعت من قبل ليبيا والكويت على اثر معارك ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، وربطت مسألة اعادتها بتطبيق اتفاقيتي القاهرة وعمان اللتين تحددان العلاقة بين النظام الاردني والثورة الفلسطينية . ورغم الجهود « المصرية - السعودية » ، فقد ظهر واضحاً ان النظام الاردني ينوي استغلال الوضع لتصفية الثورة بشكل نهائي سياسياً وعسكرياً ، واحتواء بعض اطرافها بعد تدجينه وقبول جزء من قوات « فتح » وجيش التحرير وقوات التحرير الشعبية فقط على الاراضي الاردنية شريطة اخضاعها لقيادة القوات المسلحة الاردنية ، واجبارها على تكريس عملها فقط في عمق الارض المحتلة بعيداً عن الحدود . ولقد احبط الموقف الاردني مؤتمرات جدة الثلاثة التي انتهت في يوم ١٩٧١/١١/٢٦ دون اتفاق .

(١٨) الجرف القاري

(انظر الرصيف القاري)

(٨) الجزائر (مؤتمر) ١٩٧٣

مؤتمر الجزائر ، أو مؤتمر القمة العربي التاسع ، هو المؤتمر الذي عقده الملوك والرؤساء العرب بدعوة من الجامعة العربية وموافقة الملوك والرؤساء في أعقاب الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، وذلك بهدف التخطيط للمرحلة التالية من الصراع مع العدو الصهيوني ، ووضع أسس عمل للتحرك في المجال السياسي من اجل المحافظة على المبادأة السياسية بعد أن أمكن الحصول على المبادأة القتالية في الصراع المسلح ، ولتأكيد وحدة الصف العربي في مواجهة التحدي الموجه ضد الأمة العربية .

وقد أحيط المؤتمر بظروف ميزته عن جميع مؤتمرات القمة السابقة ، ذلك أن حرب تشرين الاول (اكتوبر) استطاعت اخفاء التناقضات التقليدية ، وتحقيق وحدة الصف العربي الى حد ما ، واستخدم البترول لخدمة المعركة ، وامكن انتزاع المبادأة العسكرية من اسرائيل وكان لهذه المتحولات دورها في تحقيق العبور النفسي للأمة العربية من مرارة الهزيمة الى الشعور بالقوة الذاتية ، ولهذا فقد توافد الى المؤتمر اكبر عدد من ملوك العرب ورؤسائهم . فحضر من المملكة العربية السعودية الملك فيصل ، ومن المغرب الملك الحسن الثاني ، ومن الامارات العربية المتحدة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، ومن الكويت الشيخ صباح السالم الصباح ، ومن جمهورية مصر العربية الرئيس أنور السادات ، ومن جمهورية السودان الديموقراطية الرئيس جعفر النميري ، ومن اليمن الجنوبي الرئيس سالم ربيع علي ، ومن اليمن الشمالي القاضي عبد الرحمن الإرياني ، ومن لبنان الرئيس سليمان فرنجية ، ومن الجمهورية العربية السورية الرئيس حافظ الأسد ، ومن الجمهورية التونسية الرئيس حبيب بورقيبه . وكان المؤتمر برعاية الرئيس الجزائري هواري بومدين وحضره أيضاً السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية . والرئيس الموريتاني مختار ولد داده والشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر وتخلف عن حضور المؤتمر الرئيس العراقي أحمد حسن البكر ، والرئيس الليبي معمر القذافي ولم يحضر الملك حسين هذا المؤتمر بسبب التناقض الحاد الذي كان قائماً بين الاردن ومنظمة التحرير .

وقد عمل الأمين العام للجامعة العربية محمود رياض على تنسيق اعمال المؤتمر سواء خلال الاجتماع التمهيدي الذي عقده وزراء خارجية الدول العربية لوضع جدول اعمال المؤتمر أو خلال عقد مؤتمر القمة ذاته وكان مؤتمر وزراء الخارجية قد عقد جلسته الأولى مساء السبت ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ وافتتح الجلسة الأولى السيد محمود رياض بكلمة أوضح فيها أن هدف المؤتمر هو « تقييم الفترة الحالية التي تمر بها الأمة العربية ، وما تم انجازه في المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية ».

عقدت الجلسة الأولى لمؤتمر القمة في الساعة الثانية عشرة من يوم ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ في الجزائر (قصر الأمم). وحضر جلسة الافتتاح الجنرال موبوتو رئيس جمهورية زائيري (الكونغو البلجيكي سابقاً) كممثل للدول الأفريقية وكان وفد موريتانيا يحضر للمرة الأولى جلسات الجامعة العربية (حيث اعلن الرئيس الجزائري بومدين ان الرؤساء العرب قد عقدوا جلسة قرروا فيها قبول موريتانيا عضواً كامل العضوية في الجامعة العربية) وتلقى المؤتمر برقيات دعم وتأييد من مجلس السوفييت الأعلى، والحكومة السوفييتية، ورئيس مجلس الدولة في المانيا الديمقراطية، والرئيس الغيني (سيكوتوري)، ورئيس جمهورية كوريا الديموقراطية المارشال كيم ايل سونغ، وسام نجوما رئيس المنظمة الشعبية لتحرير جنوب غرب افريقيا.

بحث مؤتمر القمة في جلساته خمسة تقارير مقدمة من وزراء الخارجية العرب للمؤتمر، ووافق عليها. وقد تضمنت هذه التقارير:

أ - مشروع قرارات سرية في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية والاعلامية، وتتضمن مسألة الدعم السياسي والعسكري، والتحرك الدولي في إطار خطة منظمة، ومخاطبة العالم اعلامياً.

ب - بيان عام من المؤتمر يتضمن الأفكار والمبادئ العامة للدول العربية وأهدافها.

ج - بيان موجه الى الدول الافريقية، يتضمن مجموعة من الاجراءات التي تعالج قضية دعم التعاون والتضامن الافريقي العربي في جميع المجالات، كما يتضمن الاشادة بالموقف الافريقي الذي بدأ بالظهور خلال حرب تشرين الاول (اكتوبر) واستمر بعدها.

د - بيان موجه الى دول عدم الانحياز، يذكرها بالقرارات التي اتخذت في مؤتمر الجزائر، والخاصة باتخاذ اجراءات عملية ضد اسرائيل في مجال المقاطعة السياسية والاقتصادية، نظراً لاستمرار احتلالها الأراضي العربية واغتصاب حقوق شعب فلسطين ويدعوها الى تنفيذ القرارات

هـ - بيان موجه الى دول اوروبا الغربية، يحثها على اتباع سياسة غير موالية لاسرائيل، ويدعوها الى وقف معوناتها السياسية والعسكرية والمادية اليها، واتخاذ موقف يتسم بالعدل الى جانب العرب لاستعادة حقوقهم، ورفع الحظر المفروض على بيع السلاح للعرب. كما قدم اقتراح بتوجيه نداء الى أميركا لتغيير موقفها المنحاز لاسرائيل.

وفي ختام المؤتمر وجه بيان الى الدول الاشتراكية، اعرب فيه ملوك ورؤساء الدول العربية عن تقديرهم لموقف البلدان الاشتراكية لقطع علاقاتها مع اسرائيل بعد العدوان الاسرائيلي في العام ١٩٦٧. وذكر البيان ان الملوك والرؤساء العرب يقدرون المواقف الايجابية للاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية من أجل تحرير الأراضي العربية المحتلة، واستعادة الحقوق الشرعية للشعب العربي الفلسطيني.

واختتم مؤتمر القمة اعماله في الساعة الثالثة والربع من بعد ظهر ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ واصدر بياناً جاء فيه:

ان ملوك ورؤساء دول جامعة الدول العربية قد تدارسوا في اجتماعهم في الجزائر الموقف العربي وخاصة في ضوء ما قدمه وزراء الخارجية، واتخذوا القرارات السياسية والدفاعية والاقتصادية التي يتوجبها الموقف. ان الوطن العربي يمر بفترة حاسمة في تاريخه، والكفاح ضد الغزو الصهيوني مسؤولية تاريخية طويلة الأمد تتطلب المزيد من البذل والتضحية. واذا كانت حرب تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣ قد أبرزت تصميم الأمة العربية لتحرير اراضيها المحتلة مهما كان الثمن، فان وقف اطلاق النار في الميدان لا يعني اطلاقاً ان الكفاح قد توقف، او ان البلدان العربية يمكن أن يفرض عليها حل لا يحقق اهدافها العادلة، وما زالت الحروب العدوانية التوسعية التي تضع العالم على حافة صراع شامل لم يقض على أسبابها، ولن يستتب في الشرق الاوسط سلام دائم أو أمن حقيقي ولا يمكن التوفيق بين العدوان والاحتلال والتوسع والهيمنة، وبين مبادئ الاستقلال الوطني، والتنمية والتقدم والسلام العادل. ان حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، انما هي مثل سابقاتها نتيجة حتمية لسياسة العدوان والأمر الواقع التي تنتهجها اسرائيل ضاربة عرض الحائط بالمبادئ والقرارات الدولية وحقوق الشعوب، وذلك ان اسرائيل لم تفتأ منذ ان سلبت حقوق الشعب الفلسطيني وطردته من وطنه تعمل على التوسع معتمدة في ذلك على تواطؤ الدول الاستعمارية ودعمها الاقتصادي والعسكري لها خاصة من الولايات المتحدة الأمريكية. ولقد برز هذا التواطؤ مؤخراً في تجنيد الوسائل المالية بشكل لم يسبق له مثيل وفي جلب المرتزقة المتخصصين، وفي تنظيم حملة سياسية التي على صعيدها كل اعداء تحرر العالم الثالث. وأشار البيان الى ان اسرائيل بالاضافة الى سياسة الحرب والتوسع ترمي كذلك في اطار الاستراتيجية الاستعمارية الى القضاء على امكانات التنمية التقدمية لشعوب المنطقة. وأكد البيان على الطبيعة العنصرية للنظام الاستيطاني، كما وجه تحية للمقاتلين العرب الابطال.

ومضى البيان يقول ان وقف اطلاق النار الذي مضى عليه اكثر من شهر لا يزال يصطدم بمناورات وتخريب الطرف الاسرائيلي، كما تؤكد مواقف اسرائيل الرسمية وتصرفاتها على الصعيد الدولي ان اسرائيل لم تتخل عن سياستها القديمة، ولم تتراجع عن مطامعها الاستعمارية التوسعية. ان وقف اطلاق النار ليس هو السلام، فالسلام يستلزم توفير عدد من الشروط، في مقدمتها شرطان اساسيان ثابتان هما: ١ - انسحاب اسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة وفي مقدمتها القدس ٢ - استعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية الثابتة واعلن البيان انه ما لم يتحقق هذان الشرطان فان الوضع سيتفاقم في الشرق الأوسط الى أوضاع متفجرة وقيام مجابهات جديدة. واختتم بيان الملوك والرؤساء العرب بالقول ان الأمة العربية مصممة على اداء واجبها، وهي مستعدة لبذل المزيد من التضحيات، وعلى العالم كله أن يحمل مسؤوليته التصدي للعدوان ودعم النضال العربي.

ولقد تميز البيان الختامي لهذا المؤتمر بتحديد نقطتين واضحتين هما: استعادة الشعب العربي الفلسطيني لحقوقه، والانسحاب الكامل من الأراضي العربية المحتلة، وهي المرة الأولى التي يذكر فيها مثل هذا التحديد على مستوى بيانات القمة. وكان في البيان تأكيد على التنسيق بين الجهد السياسي والجهد العسكري والجهد الاقتصادي. وفي هذا المجال انتهى المؤتمر الى اتخاذ قرار بانشاء بنك عربي للتنمية الصناعية والزراعية في أفريقيا، يحدد رأس ماله مبدئياً بمبلغ خمسة وعشرين مليون دولار كمرحلة أولى كما تقرر في المؤتمر تخصيص مبلغ خمسة ملايين دولار للاعلام العربي. وكان توجيه بيانات مختلفة الى كتل العالم بمثابة دعم لاستراتيجية العالم في تعدد الأقطاب، مما يعتبر دعامة لصالح السلم العالمي.

لقد اطلق على هذا المؤتمر اسم (مؤتمر المصير). وقد بذلت بعض المحاولات لاحباطه، ومع هذا فقد امكن الخروج من المؤتمر والتضامن العربي في وضع سليم وكان استعمال سلاح النفط بمرونة لدعم المعركة هو أحد المواضيع التي استأثرت باهتمام المؤتمر، وتقرر ايفاد الرئيس سليمان فرنجية الى الولايات المتحدة لشرح وجهة النظر العربية، كما كلف المؤتمر وزير البترول السعودي الشيخ احمد زكي اليماني ووزير الطاقة الجزائري بلعيد عبد السلام بزيارة دول أوروبا وشرح حقيقة مواقف الملوك والرؤساء العرب خلال فترة قطع البترول، ورفع

الحظر عن اوروبا في آذار (مارس) ١٩٧٤ وقد برز دور دول المساندة او الدعم في هذا المؤتمر بقـــدر يزيد عما كان عليه في المؤتمرات السابقة ، مما يشير الى التلاحم الوثيق الذي ظهر بين دول المواجهة ودول الدعم .

(٣) الجزائري (عبد القادر)

هو الامير عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري ، ينتمي الى قبيلة هاشم وهي إحدى القبائل العربية التي نزلت قرب مدينة « معسكر » عاصمة وهران القديمة ، وكانت أسرته تحتل مكاناً بارزاً في القبيلة ، وقد لعب والده دوراً هاماً في الثورة التي قامت في وهران ضد الحكم العثماني قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر .

ولد عبد القادر في قرية من قرى وهران تدعى (القطينة) سنة ١٢٢٢هـ (١٨٠٧) وتلقى العلم في وهران ، وزار مكة مع والده حاجاً ثم زار مصر ودمشق وبغداد ، وفي عام ١٨٣٢، وكان لا يزال في الخامسة والعشرين من عمره ، انتخبته القبائل في وهران لقيادة المقاومة الجزائريـــة ضد الاستعمار الفرنسي .

بدأ عبد القادر نضاله صيف عام ١٨٣٢ عندما اجتمعت قبائل هاشم وعزبه وبني عامر ، وهي قبائل عربية من وهران ، وبايعت الامير الشاب لقيادتها في الجهاد ضد الحكم الفرنسي ، فبدأ برسم خطة المقاومة بشكل سري ، وكان اول همه ان يقطع التموين عن القوات الفرنسية فالزم القبائل النازلة في منطقة الاحتلال الفرنسي ان تنزح عنها وان تقطع التموين عن القوات المحتلة ، ثم اتخذ عاصمة له مدينة « معسكر » كما أمن لنفسه مرفأ يصله بالخـــارج عن طريق البحر ، فسيطر عـــلى ميناء « ارزو » غربي وهران ، وبعد ان رسم كل خططه باشر عملياته الحربية التي كانت تقوم على مفاجأة العدو وضربه ثم الاختفاء ، وهي الاسلوب المتبع في حرب العصابات ، وكان غالباً ما يقود هذه العمليات بنفسه ، ولما وجد حاكم وهران الفرنسي « ديميشيل » صعوبة في التغلب على عبد القادر حاول مصالحته ووقعت بين الطرفين معاهدة صلح ، الامر الذي أثار بعض الحاقدين على الامير والحاسدين له لنجاحه في قيادة المقاومة فثاروا عليه ، الا انه احبط ثورتهم ، كما ان معاهدة الصلح بينه وبين « ديميشيل » لم تنفذ وفي نهاية عام ١٨٣٤ كان عبد القادر قد سيطر على اقليم وهران بكامله ما عدا مركزين فرنسيين عـــلى الساحل هما « وهران » ومستغانم » وفي نيسان (أبريل) عام ١٨٣٥ احتل ميدية وواحة بسكرة جنوبي اقليم قسنطينة ، وعينت الحكومة الفرنسية حاكماً جديداً لوهران بدلا من « ديميشيل » هو « تريزل » . ورغب « تريزل » ان يدشن عهده بدرس يلقنه للامير فدخل منطقة وهران التابعة للمقاومة، ولكن الامير كمن لقوات « تريزل » في مكان يسمى « وادي المقطع » وانقض عليها فانزل بها خسائر فادحة بلغت ٢٥٤ قتيلا و ٤٠٠ جريح ، وكانت هذه الهزيمة في وادي المقطع اكبر هزيمة مني بها الجيش المحتل حتى ذلك التاريخ



الأمير محمد عبد القادر الجزائري

وفي خريف ١٨٣٥ حاولت الحكومة الفرنسية توجيه ضربة إلى الأمير ، ولكنها فشلت ووجدت نفسها مضطرة لمهادنته لاسباب عديدة اهمها انها كانت ترغب في التفرغ لاحتلال قسنطينة التي كانت لا تزال بيد حاكم تركي يدعى احمد بك (وكان كلوزيل قد سبق له وجرب احتلالها في العام نفسه ١٨٣٦ ففشل لصعوبة الوصول الى المدينة القائمة على هضبة عالية والتي تحميها مدفعية قوية) ، فعرضت فرنسا على عبد القادر التفاوض للصلح فرضي الامير وفي اوائل عام ١٨٣٧ بدأت المفاوضات بين «بيجو» حاكم وهران ممثلا لفرنسا وبين مولود بن عراش وزير خارجية الامير ، ووقعت في « تافنه » اتفاقية الصلح بين الفريقين في ٣١ أيار (مايو) ١٨٣٧ واهم ما في هذه المعاهدة هو اعتراف الدولة الفرنسية بسلطة الامير على القسم الاكبر من وهران وكل اقليم تيطري ، اي على ما يوازي ثلثي ارض الجزائر (باستثناء الصحراء) ولم تحتفظ فرنسا إلا بخمسة مراكز ساحلية مع الاراضي المحيطة بها ، كما تخلت عن بعض الحصون التي كانت تحتلها داخل اراضي الامير ، واهمها قلعة تلمسان .

وما ان اطمأنت القوات الفرنسية للصلح مع الامير حتى انطلقت لتنفيذ مآربها باحتلال مدينة قسنطينة ، فحاصرتها مدة طويلة ثم احتلتها بيتاً بيتاً وفقدت فيها زهاء ألفي مقاتل بينهم « دامريمون » الحاكم العام نفسه ، وفي هذه الاثناء كان عبد القادر يوسع دائرة نفوذه في المناطق الجنوبية من الجزائر فسيطر على بعض الواحات جنوبي وهران وتيطرى حتى واحة توغرت في الصحراء الكبرى ، وامتد نفوذه شرقاً الى بسكره ، واستطاع كذلك ان يخضع واحة عين ماضي التي كان يحكمها احد ابناء التيجاني ، وذلك بعد ان حاصرها زهاء ستة أشهر وهكذا ، فقد بلغت قوة الامير في فترة الصلح هذه ذروتها ، اذ تمكن بالفعل من إنشاء سلطة وطنية داخل الجزائر ، بل اكثر من ذلك ، فانه حاول تكوين دولة بالمعنى الصحيح ، اذ دعا نفسه امير المؤمنين ، وألف حكومة كاملة وجيشاً منظماً أحدث تنظيم يضم ثمانية آلاف من المشاة وألفين من الفرسان ، واستعان لتدريبه بالخبراء الاوروبيين من مختلف الجنسيات ، كما انه انشأ مصانع للذخيرة ومصنعاً لصب البنادق في « معسكر »، واهتم ببناء الحصون وانشاء الحاميات خاصة على حدود الصحراء الكبرى ووراء جبال الاطلس مثل حصون تقدمت وسعيدة وبسكره . ورغم كل ذلك ، فان الامير عبد القادر لم يعلن نفسه رئيساً « لدولة الجزائر » ولم يخرج عن طاعة سلطان مراكش وسيادته

الا ان فترة الصلح لم تدم طويلا بين عبد القادر والفرنسيين ، اذ سرعان ما نقضت المعاهدة بعد ان حققت غايتها التي من اجلها هادنت عبد القادر ، وهي احتلال قسنطينة ، فما ان وصل الحاكم العام الجديد « ڤاليه » الذي خلف « دامريمون » حتى اخذ يتعمد إثارة المشاكل مع الامير . ورغم كل محاولات التوفيق ، فان أياً منها لم تفلح في الجمع من جديد بين الطرفين ، عندها ادرك الامير ان السلطات المحتلة ترغب جادة في نقض معاهدة « تافنه » فجمع مجلسه الاستشاري في « تقدمت » في تموز (يوليو) ١٨٣٩ ، حيث قرر المجلس اعلان الحرب عند قيام فرنسا بأي عمل يخالف شروط الصلح . وامعن ڤاليه في تحديه للامير بعد ذلك ، فبنى مستوطنة في

اقليم قسنطينة ، وهو الاقليم الذي وقع الخلاف عليه بين الطرفين ، ونقل اليها عدة افواج من المستوطنين الزراعيين (الفرنسيين) وسماها أسماً فرنسياً، كما قرر امعاناً كذلك في التحدي ، ان يقوم بجولة عسكرية في الاقليم ويعود الى الجزائر ماراً بالاراضي التابعة للامير ، عندها قرر الامير اعـلان الحرب في ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٣٩ عندما وصلته هذه الانباء . وكان اول عمل عسكري قام به هو انه قضى على الافواج الاولى من المستوطنين الذين كانوا قد استقروا في سهل المتيجه ، وسقطت بعض الحاميات الداخلية ، حتّى ان ضواحي مدينة الجزائر نفسها اخليت من السكان الاوروبيين ، وفي نيسان (ابريل) ١٨٤٠ تمكن الامير من محاصرة مدينتي ميدية ومليانة اللتين احتلهما ڤاليه ، وفي هذه الاثناء ، قررت فرنسا عزل ڤاليه وإعادة بيجو الى الجزائر بعد ان امدته بأعداد كبيرة من الجند بلغت حتّى عام ١٨٤٧ ماية ألف وثمانية آلاف جندي ، اي ما يوازي ثلث مجموع الجيش الفرنسي

وبدأ بيجو حرب إبادة ضد الثوار الجزائريين اتسمت بالقسوة والوحشية، واعاد الى تنظيمه العسكري نظام الأرتال الخفيفة ، سريعة الحركة ، والمزودة بأسلحة صغيرة بدلا من نظام الحاميات ، محاولا اتباع اسلوب الثوار نفسه ، كما اتبع اسلوب السلب والنهب لتموين الجند ، وقد ذكر احد الضباط الفرنسيين الذين عـاشوا تلك الحرب ان السكان الجزائريين نقصوا خلال سبع سنوات هي فترة حرب الابادة هذه نحو ٣ أو ٤ ملايين نسمة ويذكر احد الجزائريين في تقرير له ان هذه الحرب قضت على ما يراوح بين ٣ و ١٠ ملايين جزائري ، وهكذا اخذت المدن والمراكز العسكرية التابعة للامير تتهاوى أمام الجيش الفرنسي ، حتّى استسلمت آخر حامية للمقاومة الجزائرية في اوائل سنة ١٨٤٢ وهي حامية « تقدمت » . واضحى الامير مع من بقي له من الانصار اشبه بمدينة متنقلة بين جبـال الاطلس وحافة الصحراء ، يرسل من حين لآخر زمراً خفيفة لتقوم بغارات بسيطة على الفرنسيين ، لذلك كان هم الفرنسيين في ذلك الحين ان يعثروا على مدينة الامير المتنقلة او « الزمالة » ، كما عرفت في الجزائر ، وكانت تتألف من ١٢ قبيلة رئيسية ومن رؤساء العائلات والمتدينين الذين رفضوا ان يتبعوا قبائلهم في الخضوع لفرنسا . وصدف ان كانت مدينة الامير في أيار (مايو) ١٨٤٣ قرب إحدى الواحات (بوغار) جنوبي وهران ، عندما عثرت عليها قوة فرنسية بقيادة الدوق دومال، فاسر معظم من فيها بما في ذلك معظم أفراد أسرة الامير ونجا الامير من الاسر بصعوبة ، عندها اصبح بقاء الامير في الجزائر مستحيلا فلجأ الى مراكش في تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٤٣ . مما أدى الى حرب واسعة بين مراكش وفرنسا عندها اضطر سلطان مراكش ان يطلب من الامير عبد القادر مغادرة بلاده ، فعاد عبد القادر الى الجزائر ليستأنف القتال في ايلول (سبتمبر) ١٨٤٥ ، فالتف زعماء القبائل حوله من جديد ، وانضم اليه بعض الذين تابعوا القتال في أثناء غيابه بمراكش مثل بومعزه ومصطفى بن سالم ، ولكن قوة عبد القادر اخذت تتضاءل اذ قضي على اهم اعوانه : بو معزه في نيسان (ابريل) ١٨٤٦ ، ومصطفى بن سالم في آذار (مارس) ١٨٤٧ ، فقرر اللجوء من جديد الى مراكش عند بعض القبائل الموالية له ، إلا ان سلطان مراكش مولاي عبد الرحمن علم بأمره فقرر إخراجه بالقوة ، فاضطر عبد القادر أن يحارب الجيش المراكشي في ١٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٧ فهزم عبد القادر ، عندها عبر الحدود الجزائرية ليستسلم للفرنسيين على يـد « دومال » في العام نفسه (١٨٤٧) فاقتيد أسيراً الى فرنسا حيث قضى في الاسر منذ استسلامه حتّى تولى نابليون الثالث الحكم سنة ١٨٥٢ فاطلقه في العام نفسه بعد ان اهداه سيفاً ورتب له راتباً شهرياً ، ونقل عبد القادر ومن معه على مركب حربي الى الآستانة ثم رحل منها الى دمشق واستقر بها حتّى وفاته سنة ١٨٨٣.

بالاضافة الى مزاياه الوطنية والعسكرية والخلقية ، كان الامير عبد القادر الجزائري مفكراً واديبـاً وشاعراً ، ومن آثاره : رسالة في العلوم والاخلاط ، عنوانها « ذكرى العاقل وتنبيه الغافل » وديوان لشعره ، وكتاب في الخيل يسمى « الصافنات الجياد » وكتاب في التصوف من ثلاثة أجزاء يسمى «المواقف» و « المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الاسلام من اهل الباطل وا لالحاد » .

(١٢) الجزار (احمد باشا)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٨) جزيرة المقاومة

يطلق عـلى « جزيرة المقاومـة » Ilot de resistance أحيانـاً اسم « جيب المقاومـة » دون أن يكون هناك أية علاقة بين « جيب المقاومة » و « الجيب » بمعناه العملياتي أو الاستراتيجي . (انظر الجيب) . و « جزيرة المقاومة » قطاع أرضي أو منطقة أو مركز هام ، تحتله قوة مقاتلة للدفاع عنه ، ويكون لدى هذه القوة التصميم عـلى الاستمرار في القتال على الرغم من تطويق العدو لها . وتقدمه عنها وبقائها ضمن محيط من القوات المعادية لها

ان الشكل الاكثر وضوحاً وشيوعاً في جزر المقاومة هو ذلك الذي تتركه العمليات الهجومية حيث تندفع القوات في قلب الترتيب الدفاعي للعدو ، بينما تبقى بعض الجزر الدفاعية تحت سيطرة حامياتها المدافعة عنها بتصميم وعناد ، متصدية لهجمات العدو ، محافظة على مواقعها على الرغم من تطويق العدو لها من جميع جهاتها أو أكثرها وتحاول جزر المقاومة المنفصلة تعطيل الاقسام المتقدمة ، على حين تستمر القوات المهاجمة في متابعة الضغط عليها أو تدميرها بواسطة القوات المقدمة او الحرس الامامي في حين تتحرك القوات الرئيسية للقسم المتقدم تبعاً للموقف إما على شكل أرتال أو بتشكيل القتال . وبصورة عامة لا تتخذ القوات الرئيسية للقسم المتقدم تشكيل القتال إلا عند الاقتراب من الخط الذي كلف القسم المتقدم بالاستيلاء عليه والاحتفاظ به حتّى اقتراب القوات الرئيسية للهجوم .

ان القتال داخل جزيرة المقاومة هو أحد أشكال المعركة الاكثر تعقيداً ، فالقوات المدافعة عـن « الجزيرة » هي قوات معزولة تماماً عن القوات المجاورة ، والتي في الخلف ، بواسطة قوات العدو كما انها محرومة من الاتصال بالقوات الصديقة التي تقع خارج الحصار سواء براً أو بحراً . ويجب التفريق في كل الاحوال بين الحصار الكامل للقوات في جزيرة المقاومة حيث يكون العدو قد نجح في تنظيم جبهة متصلة حول القوات المحصورة في الجزيرة ، وبين الموقف الذي يمكن منه الاتصال بوحدات ولو كانت وحدات فرعية مستقلة. في الحالة هذه لا تعتبر جزيرة المقاومة محصورة أو منعزلة .

ان الحصار لا يحدث مباغتة وبصورة غير متوقعة . ذلك انه من الممكن وضع احتمال حدوث الحصار وتوقعه من خلال متابعة تطورات القتال ، وقيام قوات الهجوم بمناورات سريعة ومرنة ، أو ظهور تطور غير متساو في أعمال القتال فوق ارض المعركة . بالاضافة الى امكانـات القوات المتصارعة وقدرتها على تغيير نسبة التفوق بالقوى والوسائط أثناء القتال . ويمكن العامل الاخير القوة الهجومية من اختراق تشكيل القوات الدفاعية بعمق . كما ان احتمال إنزال القوات جواً او بحراً يساعد العدو كثيراً على حصار القوات المدافعة ويفرض عليها القتال داخل جزر مقاومة . وكقاعدة عامة

يتّم القتال داخل جزر المقاومة في ظروف غير متكافئة ، يكون فيها العدو المحاصر للجزر متفوقاً على القوات المحاصرة والمرغمة على القتال دفاعياً .

ومن المحتمل في ظروف المعركة الحديثة وقوع حصار للقوات في جزر للمقاومة ضمن إطار من الظروف المختلفة : أثناء المعركة الهجومية ، أو الدفاعية ، أو أثنـــاء مطاردة العدو المنسحب أو المتقهقر ، أو أثناء المعركة التصادمية . وفي هذه الظروف المختلفة جميعها تكون طبيعة القتال واحدة وذلك لاشتراكها في صفة واحدة : وهي ان قوات محدودة تعمل في منطقة أرضية محددة تحيط بها قوات العدو المتفوقة عليها . وبما أن حدوث التطويق أمر متوقع ومحتمل ، ولكنه غير محتّم ، فانه يجب إحباط محاولات القوات الهجومية ومنعها من تطويق القوات داخل جزر مقاومة وذلك بحماية نقط الاتصال ، وإعاقة أعمال القوات الهجومية في الوصول الى مجنبات القوات المقابلة او مؤخرتها ، ومن أهم الاجراءات التي يمكن اتخاذه كوسيلة لمنع عزل القوات داخل جزر للمقاومة : ممارسة أعمال الاستطلاع الشامل والمستمر بواسطة مختلف الوسائل ، وحماية المجنبات ونقط الاتصال والمؤخرة ، والمناورة بالموانع ، واقامة العوائق على اكثر محاور الاقتراب اهمية ، وتنظيم التعاون بين القوات المختلفة لحماية نقاط الاتصال والمجنبات ، واستخدام القوات الجوية للقيام بهجمات مركزة لدعم نيران المدفعية في ضرب القوات الهجومية التي تحاول الالتفاف على مجنبات القوات المواجهة لها ، وتنفيذ المناورة بالمدفعية وقوات الاحتياط ، واحتياطي الدبابات منها بصورة خاصة ، واحتياطي المدفعية المضادة للدبابات ومفارز السدود المتحركة ، ودفع الانساق الثانية للاشتباك بسرعة مع القوات التي تحاول الالتفاف على مجنبات أو مؤخرة القوات المواجهة لها ، واعادة تجميع القوات والوسائط في الاتجاهات المهددة بهجمات او اعمال التفاف ، والعمل على تدمير القوات المحمولة جواً او التي يتّم انزالها بحراً بسرعة

وعلى الرغم من اتّخاذ الاجراءات المختلفة ، فانه من المحتمل حدوث التطويق للقوات داخل مناطق محددة . وعلى القوات ان تدافع في هذه الحال ضمن « جزر المقاومة » وقد تختلف الظروف التي تقاتل فيها القوات داخل هذه الجزر تبعاً لعدد من العوامل كتجمعات القوات القائمة بالتطويق وطبيعة أعمالها ، وموقف القوات التي تقاتل خارج الطوق والصديقة للقوات داخل جزر المقاومة ، وتكوين وقدرة القوات داخل جزيرة المقاومة على القتال والاستمرار في الصراع ، وخصائص وميزات المنطقة التي تعمل فيها القوات ، ونوع او شكل المعركة التي حوصرت خلالها القوات داخل « جزيرة المقاومة » .

قد تكون القوات الهجومية متفوقة بدرجة كبيرة مما يساعدها على تطويق القوات داخل جزر مقاومة مع العمل في الوقت ذاته على عزل ميدان المعركة وتركيز الجهد للقضاء على جزر المقاومة ، بالتتابع وعلى أجزاء . ولكن من المحتمل أيضاً ألا تكون لدى القوات الهجومية قوات كافية للقيام بأعمال قتالية على الجبهة الداخلية والجبهة الخارجية في وقت واحد مما يضطرها الى تركيز مجهودها الرئيسي على أعمال الجبهة الخارجية ، وترك بعض القوات لتطويق جزر المقاومة وعزلها تدريجياً دون القيام بأعمال حاسمة ضد هذه الجزر بعد اكمال حصارها مباشرة .. وتختلف عندئذ طبيعة القتال للقوات الهجومية في الجبهة الخارجية . ويكون لهذا الاختلاف تأثيره على مدى دعم القوات خارج جزر المقاومة للقوات الصديقة لها داخل جزر المقاومة . ومن المحتمل ان تظهر هناك بعض المواقف التي لا تسمح للقوات المقاتلة خارج الجزر بالقيام بهجمات حاسمة لفك التطويق بسرعة عن القوات داخل الجزر ، فتطلب اليها القيام بأعمال ايجابية لتثبيت اكبر قوة ممكنة من قوات الهجوم وإعاقة تقدمها . ومقابل ذلك قد تقوم القوات المقاتلة خارج جزيرة المقاومة باعادة تجميع قواتها في الحال والاستعداد للقيام باعمال حاسمة لدعم القوات داخل جزيرة المقاومة واخراجها من عزلتها وفك التطويق عنها وعلاوة على ذلك فانه من المحتمل ان تكون جزر المقاومة على مسافة غير بعيدة من قوة اصدقائها وفي هذه الحالة يمكن تقديم دعم فعال لها بواسطة نيران المدفعية وهجمات القوات الجوية ، اما اذا كانت المسافة الفاصلة بين القوات المحصورة داخل جزيرة المقاومة وبين القوات الصديقة لها بعيدة فان تقديم الدعم المدفعي يكون مستحيلا ، ويبقى الدعم الوحيد الممكن عندئذ الدعم الجوي أو البحري — اذا كانت الجزيرة قرب الشاطىء —

وهناك عامل آخر له اهميته في طبيعة قتال القوات داخل جزيرة المقاومة وهو حجم القوات داخل الطوق . فقـــد يكـــون التشكيـــل داخـــل الطوق كبيراً — وقد يكون مدعماً بأسلحة دعم مختلفة — او قد يكون محروماً من اسلحة الدعم ومن البديهي ان يكون لذلك كله دور حاسم في شكل وطبيعة قتال القوات داخل جزيرة المقاومة وفي كل الاحوال يجب ان تكون قيادة القوات داخل جزيرة المقاومة موحدة — لا سيما عندما تكون هذه القوات من وحدات مختلفة وتشكيلات منوعة وتتأثر معركة جزيرة المقاومة في تنظيمها وادارتها بعدد من العوامل التي يجب إضافتها الى ما سبق ذكره وهي : مساحة المنطقة التي تسيطر عليها القوات داخل الجزيرة الدفاعية ، وطبيعة الارض وما تقدمه من مساعدات للقوات المدافعة عنها ، والتنظيم الهندسي للارض وطبيعة التنظيم الدفاعي للمواقع ومدى قوة هذا التنظيم وطبيعة أعمال القوات قبل التطويق في جزيرة المقاومة « هجومية — دفاعية » . وبصورة عامة ، اذا حوصرت القوات أثناء قيامها بمعركة دفاعية فسيكون لدى القوات — على الاغلب — نطاق دفاعي منظم ومجهز مع وجود أرض كافية لادارة المعركة أثناء الحصار وتقاتل القوات هنا على أرض تعرفها ، مع وجود خطة نيران وخطة حواجز منظمتين في معظم الاتجاهات ، وهذا ما يساعد القوات داخل الجزيرة على ممارسة عملياتها القتالية بسهولة . أما اذا حوصرت القوات أثناء معركة هجومية ، أو أثناء المطاردة فسيختلف الوضع ، وستجد القوات نفسها مرغمة على القتال داخل منطقة غير معروفة جيداً لديها ، كما انها ستكون محرومة من المواقع المجهزة من قبل وفي هذا الموقف يصبح عـــلى القوات المطوقة ان تبدأ عملها باحتلال مواقع ارضية هامة حتى تكون لديها المساحة الأرضية الكافية لضمان حرية المناورة أثناء القتال داخل الجزيرة .وتكون مهمة القوات المطوقة هي التمسك بالمنطقة المحتلة ، وتثبيت اكـــبر قـــوات ممكنة من العدو وذلك بالقيام باعمال إيجابية تساعد القوات الصديقة خارج « جزيرة المقاومة » على تنفيذ واجباتها بنجاح .

يكون واجب القائد « داخل جزيرة المقاومة » اتخاذ القرارات لتنظيم الاعمال القتالية وادارتها . ويتطلب تنظيم الاعمال القتالية تكوين قوة احتياطية لمجابهة الاحتمالات المختلفة ، وتكوين مجموعات من المدفعية يكون الهدف منها تركيز النيران وادارتها بشكل قوي ، ووضع قوة من الدبابات كاحتياط في قبضة القائد من أجل دعم الهجمات المضادة عند حدوث اختراق ، بالاضافة الى احتياط من المدفعية المضادة للدبابات ، وتكوين مفرزة سدود متحركة لسد كل ثغرة قد ينجح العدو بفتحها .

ان استمرار القتال في جزيرة المقاومة يعتمد بالدرجة الاولى على كفاءة الجهاز الاداري في حصر وتقنين ومراقبـــة استهلاك الذخائر والمواد التموينية المختلفة نظراً لصعوبات الامداد ، او استحالتها ، في كثير من الاحيان .

ومن واجب قـــائد القوات المدافعة في « جزيرة

المقاومة » البحث باستمرار عن الطريقة التي يمكن بها اختراق الطوق المضروب حوله والخروج بقوته (انظر التطويق) وهو لذلك يعمل على استطلاع قوات العدو المحاصرة له . فاذا ما وجد فرصة مناسبة عمل على تنظيم قواته وقام بهجوم مباغت لفتح ثغرة يمكن من خلالها اختراق الطوق للوصول الى القوات الصديقة .

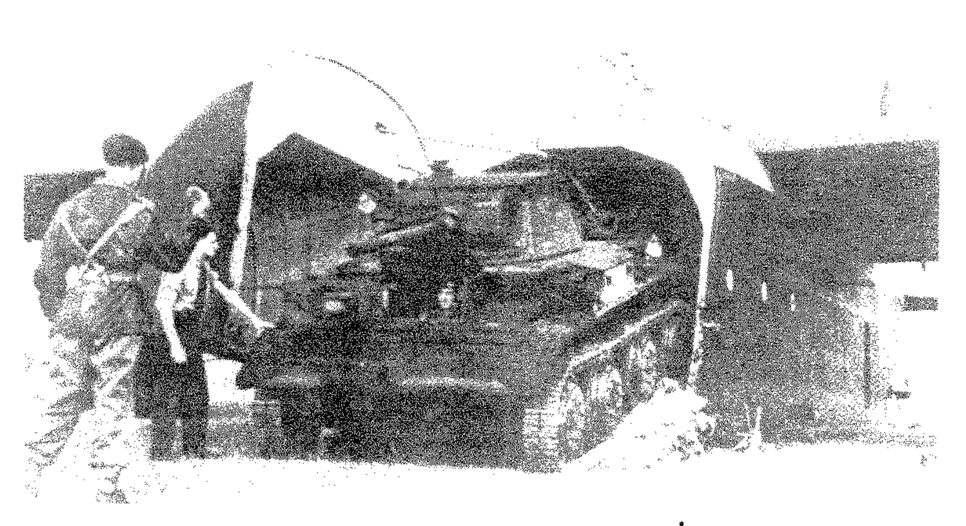
كانت الجزر الدفاعية ممثلة في الماضي بالحصون الثابتة ، والقلاع الحصينة التي تحشد فيها المواد التموينية والاسلحة من اجل الدفاع لفترات طويلة . وكانت هذه الجزر الدفاعية تغتنم كل فرصة للانقضاض على مؤخرات العدو . وكثيراً ما كانت سبباً في إلحاق الهزائم بقواته واستنزاف قدراتها القتالية ويضم التاريخ العسكري أمثولات غير محدودة للمدن القديمة التي صمدت طويلا للحصار ، وأبرز مثل هو صمود عكا في وجه جيوش نابليون بونابرت . وقد استمر هذا المفهوم واكتسب ابعاداً جديدة مع تطور فن الحرب ، فقد اصبح باستطاعة الطائرات العمودية امداد القوات داخل «جزر المقاومة» والعمل على إخلاء الجرحى . ومن أبرز أمثلة جزر المقاومة في معارك الحرب العالمية الثانية ، صمود طبرق في وجه الغزو الالماني ، وبقاء حاميتها في جنب القوات الالمانية فترة طويلة (انظر طبرق — معركة). كما حدث أثناء اجتياح دول الحلفاء لأوروبا بعد الانزال في النورماندي بقاء جزر كثيرة للمقاومة ، لكن تفوق الحلفاء ساعد على تصفية هذه الجزر تدريجياً . وتكررت هذه الصورة ذاتها على الجبهة الشرقية — في مرحلتي المد والجزر — فكانت جزر المقاومة في المرحلة الاولى سوفييتية ، ثم غدت في المرحلة الثانية المانية . وفي كلتا الحالتين أمكن تصفية جزر المقاومة بطريقة متشابهة .

(٨) الجسر (معركة)

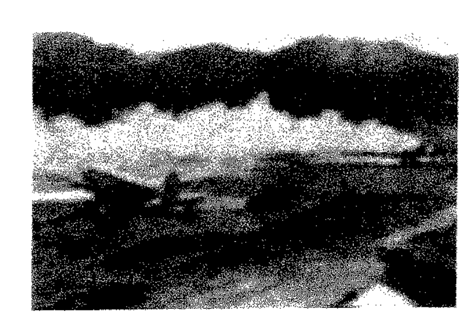
(انظر ممس « معركة ») .

(١) الجسر الجوي

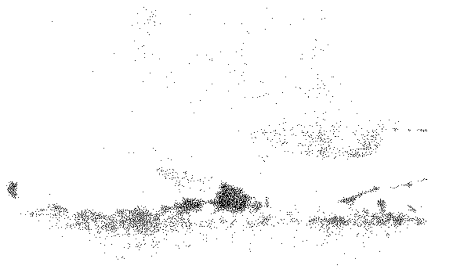
هو عملية نقل مكثفة طويلة الأمد ، تقوم فيها طائرات النقل المدنية والعسكرية بنقل قطعات أو اسلحة ومعدات وذخائر بين نقطتين متباعدتين (نقطة الانطلاق ونقطة الوصول) بشكل يجعل النقل البري أو البحري بينهما متعذراً أو بطيئاً إلى حد



نقل أسلحة ثقيلة جاهزة لدخول المعركة بواسطة الجسر الجوي



الجسر الجوي الفرنسي في ناسان (ڤيتنام)



سي — ٥ » تنقل ذخيرة لإسرائيل (١٩٧٣)

يمكن أن يؤثر على الوضع العسكري في نقطة الوصول .

وما الجسر الجوي Pont aerien في الحقيقة سوى امداد جوي ونقل جوي على مستوى استراتيجي . (انظر الامداد الجوي والنقل الجوي) . ويتطلب هذا الجسر امكانات نقل جوية ضخمة ، ولا يمكن أن يعطي نتائج ايجابية إلا اذا تم بعيداً عن مدى عمل طيران الخصم ، أو كان الطرف القائم به يتمتع بتفوق جوي على خط مرور الجسر ، أو كانت الطائرات المشتركة فيه طائرات دولة كبرى تساعد دولة حليفة صغرى ضد دولة لا تجرؤ على التعرض لطائرات الدولة الكبرى .

ولقد كان الجسر الجوي الذي استخدم خلال الحرب الأهلية الاسبانية لنقل قوات فرانكو من المغرب إلى اسبانيا في تموز (يوليو) ١٩٣٦ أول جسر جوي في العالم . ويرجع سبب استخدام هذا الجسر إلى أن الاسطول الإسباني كان يؤيد الحكومة اليسارية الشرعية (حكومة جبرال الجمهورية) ويعارض العصيان العسكري اليميني بقيادة الجنرال فرانكو ، الأمر الذي جعل مراكب الاسطول تنتقل بأسرها إلى معسكر الجمهوريين اليساريين (عدا دارعة وطرادين) وتسيطر على مضيق جبل طارق وتمنع حركة القوات من المغرب إلى اسبانيا واستمر الجسر الجوي بين المغرب واسبانيا حتى ٦ آب (اغسطس) حيث استطاعت المراكب الحربية المؤيدة لفرانكو ابعاد مراكب الاسطول الجمهوري عن جبل طارق ، وصار من الممكن نقل القوات الى اسبانيا عن طريق البحر . ولقد استخدم في هذا الجسر ، الذي دام حوالي اسبوعين ، طائرات نقل المانية من طراز « يونكرز — ٥٢ » وضعتها المانيا تحت تصرف فرانكو لمساعدته على العصيان ضد النظام اليساري .

ثم وجد الجسر الجوي استخدامه الواسع خلال الحرب العالمية الثانية ، وخاصة لامداد وتموين القطعات الكبرى المطوقة (ستالينغراد في العام ١٩٤٣ — ١٩٤٤) أو القطعات الكبرى النازلة وراء خطوط العدو (آرنهم في العام ١٩٤٤) ، أو القوات التي يتعذر الوصول إليها عبر أي سبيل سوى السبيل

الجوي (قوات تشانغ كاي – شيك الصينية في العام ١٩٤٥) . ومع تطور الطيران وتزايد امكانات النقل الجوي بعد الحرب العالمية الثانية أصبح من الممكن إقامة جسور جوية ضخمة جداً وعالية الكفاءة.

واهم الجسور الجوية التي شهدها الربع الثالث من القرن العشرين : الجسر الاميركي الجوي في كوريا (١٩٥٠ – ١٩٥٣) ، والجسر الجوي الاميركي – البريطاني خلال حصار برلين (١٩٤٨ – ١٩٤٩) ، والجسر الجوي السوفياتي إلى سورية ومصر ، والجسر الجوي الاميركي الى اسرائيل خلال حرب ١٩٧٣ .

وتقاس كفاءة الجسر الجوي .بالعوامل التالية : الوزن العام للامدادات أو القوات أو الامدادات والقوات المنقولة ، ٢ – الوزن الشهري للامدادات والقوات المنقولة ، ٣ – طول الجسر الجوي ، ٤ – عدد الطلعات الجوية ، ٥ – عدد الكيلومترات المقطوعة يومياً ، ٦ – الكفاءة الشهرية بالطن/كم ذهاباً فقط ، ٧ – وزن الحمولة للطلعة الواحدة بالطن ، ٨ – حجم الحمولة للطلعة الواحدة (امكانية نقل معدات ضخمة جاهزة للقتال) ، ٩ – مدة التنزيل ، ١٠ – استهلاك المحروقات لكل طن منقول جواً .

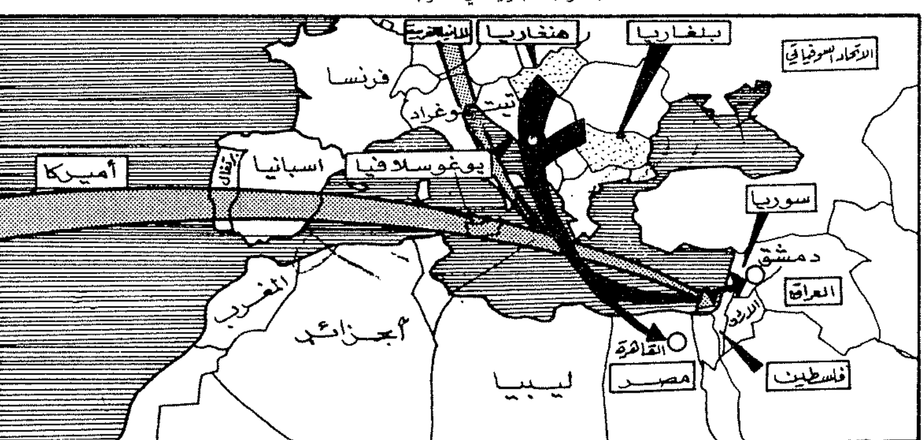
ولقد أقام الاميركيون الجسر الجوي لتدعيم الجيش الصيني في العام ١٩٤٥ (عملية هومب Hump) عندما كان هذا الجيش مشتبكاً مع اليابانيين ويحس بحاجة ماسة للامدادات . وبلغ الحجم العام للامدادات التي نقلها ٥٠٠ ألف طن ، تم نقلها بواسطة ٢٣٧ ألف طلعة جوية . وكان الحجم الشهري الأقصى للامدادات ٧١ ألف طن في تموز (يوليو) ١٩٤٥ . وبلغت الكفاءة الشهرية لهذا الجسر في شهر تموز (يوليو) ١٩٤٥ ، ١٧٠ مليون طن/كيلومتر ، وكانت المسافة المتوسطة المقطوعة عبر جبال هيمالايا ٢٥٠٠ كيلومتر . وكان وزن الحمولة المتوسطة للطلعة الواحدة ٢,١ طن .

وأقام الأميركيون والبريطانيون الجسر الجوي الى برلين خلال حصار برلين (١٩٤٨) من قبل القوات السوفييتية (انظر حصار برلين) . ولقد فرض الحصار في يوم ٢٣ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، وبدأ الجسر الجوي عمله منذ ٢٨ وأنتهى في ايلول (سبتمبر) ١٩٤٩ ، رغم أن رفع الحصار عن برلين تم في ١٢ أيار (مايو) ١٩٤٩ . ولقد بلغت تكاليف هذا الجسر ١٧٠ مليار دولار . وكان يعمل باتجاهين : فهو ينقل المؤن والامدادات إلى برلين ، وينقل من برلين المنتجات الصناعية التي تراكمت في المدينة رغم تباطؤ الانتاج . ولقد بلغ وزن ما نقله الجسر إلى برلين ٢٤٠٠٠٠٠ طن ، وهناك مصادر تقول أن وزن المؤن المنقولة كان ١٥٨٣٦٨٦ طناً . ولقد تم نقل كل هذه الامدادات بواسطة ٢٧٤ ألف طلعة جوية . وكان الوزن الشهري الاقصى للامدادات ١٢٠ ألف طن في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٨ (٢٠ الف طلعة) . وبلغت الكفاءة الشهرية لهذا الجسر في شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٨ ، ٣٦ مليون طن/كيلومتر ، وكانت المسافة المتوسطة المقطوعة أقل من ٣٠٠ كيلومتر ، ووزن الحمولة المتوسطة للطلعة الواحدة ٦ – ٨ أطنان في فترة تموز (يوليو) ١٩٤٨ – كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ .

وكان الجسر الجوي الذي أقامه الاميركيون خلال حرب التحرير الوطنية الكورية (١٩٥٠ – ١٩٥٣) بين اليابان – وكوريا الجنوبية من جهة ، والساحل الغربي للولايات المتحدة الاميركية – وكوريا الجنوبية من جهة أخرى ، عبارة عن جسر انقاذ لقوات كوريا الجنوبية والقطعات الاميركية الداعمة لها ، بعد أن تقهقرت هذه القوات أمام هجوم الجيش الشعبي الكوري وتجمعت في جيب بوزان وغدت مهددة بالاستسلام . ولقد بدأ هذا الجسر بين اليابان وكوريا الجنوبية منذ ١ تموز (يوليو) ١٩٥٠ عندما نقل طليعة القوات الاميركية البرية المتمثلة بقوة سميث (الكتيبة الأولى من الفوج ٢١ من الفرقة ٢٤) من مطار اتازوكي (اليابان) إلى مطار بوزان (كوريا الجنوبية) بواسطة طائرات C 45 . ثم تحول إلى جسر لامداد وتموين القوات الاميركية وقوات الامم المتحدة المتدخلة في حرب التحرير الوطنية الكورية . وكانت طائرات الجسر الجوي الاميركي تقطع ٤٠٠ ألف كيلومتر يومياً فوق المحيط الهادي .

وفي الحرب العربية – الاسرائيلية الرابعة مد السوفيات والاميركيون جسرين جويين لدعم الدول العربية واسرائيل ، والحفاظ على قوتهما الحربية رغم ضخامة الخسائر التي أصيب بها الطرفان ، ورغم معدل الاستهلاك العالي للذخائر وقطع الغيار . ولقد بدأ الجسر السوفياتي إلى سورية ومصر منذ ١٠ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣ . وبلغ وزن ما نقله هذا الجسر من ١٠/١٠ إلى ١١/٢٢ حوالي ١٥ – ١٧ ألف طن ، خلال ٩٣٤ طلعة جوية . وكانت كفاءة الجسر خلال ٤٣ يوماً اكثر من ٥٠ مليون طن/كيلومتر ، والمسافة المتوسطة المقطوعة حوالي ٣٠٠٠ كيلومتر نظراً لانطلاق الطائرات من مطار قرب كييف . وكان وزن الحمولة المتوسطة للطلعة الواحدة ١٧ طناً ، مع استخدام الطائرات السوفياتية AN-12 و AN-22 . ولقد دعم هذا الجسر الجوي بجسر بحري نقل الى مصر وسورية حوالي ٢٢٥ ألف طن . أما الجسر الجوي الاميركي فقد بدأ في ١٠/١٣ بعد ٩ ساعات من قرار الولايات المتحدة بالتدخل لصالح اسرائيل وكلف ملياراً من الدولارات . ولقد انطلقت أول طائرات هذا الجسر ، وهي من طراز غالاكسي « C5A » من قواعد MATS . وحطت أولى هذه الطائرات في مطار اللد في الساعة ٢٢ من يوم ١٠/١٤ وفي داخلها ٨٧ طناً من الحمولات الحربية وبلغ مجمل ما نقله الجسر الجوي بطائرات النقل الحربية الاميركية إلى اسرائيل من ١٠/١٣ إلى ١١/١٥ حوالي ٢٢,٣ ألف طن ، بالاضافة إلى ٥,٥ الف طن نقلتها طائرات العال الاسرائيلية ، وحمولة اضافية نقلتها طائرات اميركية مدنية مؤجرة . وكانت كفاءة الجسر الجوي الاميركي خلال ٣٣ يوماً اكثر من ٢٤٠ مليون طن/كيلومتر . وكانت المسافة القصوى

الجسور الجوية في حرب ١٩٧٣



المقطوعة ١١ ألف كيلومتر ، تخللتها وقفة للتموين بالمحروقات في قاعدة لاجيس Lages التابعة لحلف شمالي الأطلسي ، والواقعة في جزيرة آشـوريس البرتغالية ، بحيث كانت المسافة القصوى المقطوعة ٧ الاف كيلومتر . ولقـد قامت طائرات النقـل الاميركية بـ ٥٦٥ طلعة جوية (٤٢٠ طلعة C141 و ١٤٥ طلعة C5A) وكان وزن الحمولة المتوسطة للطلعة الواحدة ٢٧ طناً لطائرات ستارلفتر C 141 و ٧٥ طناً لطائرات غالاكسي C5A ، و ٣٩ طناً لطائرات العال الاسرائيلية التي قامت بـ ١٤٠ طلعة جويـة ، وكان عددها : ٢ بوينغ ٧٤٧ ، و ٢ بوينغ ٧٢٧ ، و ٨ بوينغ ٧٠٧ . ويجدر بالذكر أن طائرتي بوينغ ٧٤٧ أعدت لضرورات النقل خلال أقل من ست ساعات ، وكانت حمولة الواحدة منها ٧٥ طناً . ولقد كان زمن التفريغ للطائرة C5A حوالي ساعتين ، بينما كان زمن التفريغ الوسطي للطائرة C-141 حوالي ٥٥ دقيقة وهو معدل مماثل لمعدل التفريغ في جسر برلين الجوي ، علماً بأن بعض الطائرات فرغت حمولتها خلال ١٥ دقيقة . وبالاضافة إلى ضخامة الحمولة وسرعة التفريغ ، فقد كانت الطائرة C5A تنقل المعدات الحربية (دبابات م — ٦٠ ، ومدافع ذاتية الحركة من عيار ١٧٥ مم) وهي جاهزة لدخول المعركة نظراً لسعة الطائرة الناقلة من الداخل . وكان استهلاك المحروقات بالنسبة إلى الطن الواحد في طائرات C5A أقل من الاستهلاك المماثل في طائرة C-141 بحوالي ٣٦٪ .

إن ضخامة حمولة طائرات النقل الحديثة ، وطول مداها ، وسعتها الداخلية ، وسرعتها ، وامكانية تموينها في الجو (انظر تموين الطائرات في الجو) ، وسرعة عملية التفريغ ، وانقاص الاستهلاك بالوقود ، الى غير ذلك من العوامل ، تجعل امكانية مـد الجسور الجوية قائمة وممكنة ، وتخفض قيمة القواعد التي تنشئها الدول العظمى في الدول الصغرى التي تحتاج لدعمها ، وتجعل الدول الكبرى ، والدولتين العظميين بشكل خاص ، قادرتين (مادياً) عـلى التدخل بسرعة وكفاءة لدعم حلفائهما في كل بقعة من العالم .

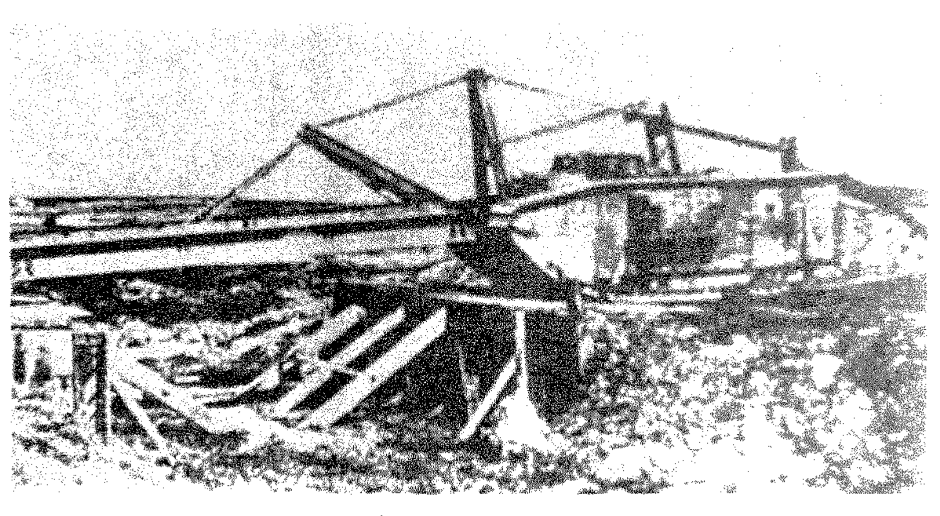
(١) الجسر العسكري

هو جسر قابل للفك تنصبه القوات خلال القتال بعد عبور الأنهار الى الضفة المعادية خلال الهجوم ، أو تنصبه على الأنهار والوديان في عمق الأراضي الصديقة لتأمين مواصلات القوات البرية في الهجوم والدفاع ، أو تنصبه لتأمين اجتياز القوات المتقدمة لانهيارات أو حفر واسعة أو خنادق م/د عريضة تعترض تقدمها (جسر انقضاض) .

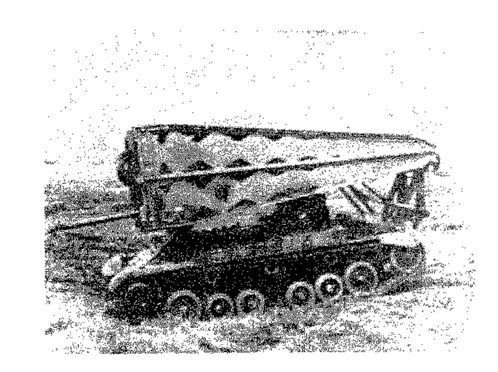
ولقد استخدمت الجيوش الجسور العسكرية منذ أقدم العصور . وتظهر على النقوش التي تغطي أبواب « بالاوات » خيالة الآشوريين وهي تجتاز جسراً عائماً تتألف حوامله من حزم الأغصان ، كما أن يوليوس قيصر دفع قواته عبر نهر الرين على جسور ثابتة محمولة على دعائم ثابتة ، ويتسم بكل السمات التقنية للجسور المعاصرة . ولقد أخذت الجسور العسكرية أهمية بالغة في العمليات الحربية التي جرت في العصور القديمة والحديثة في منطقة ما بين النهرين ، وأوروبا ، وأميركا الشماليـة ، وكافة مسارح العمليات التي تقطعها انهار كثيرة ووديان سحيقة . ولكن هذه الأهمية تزايدت مع مرور الزمن ، ومع تزايد حجم القوات المتحاربة ، وتطور الاسلحة والمعدات ، وتضخم متطلبات القوات المسلحة من المؤن والذخائر والمحروقات . وكان للجسور العسكرية دور كبير في عمليات الحرب العالمية الثانية على المسرحين الأوروبي والآسيوي اللذين استخدم فيهما تدمير الجسور الحديثة على نطاق واسع كوسيلة من وسائل عرقلة حركة القوات المعادية في مسرح القتال وفي العمق الاستراتيجي أو العملياتي . كما كان لها دور كبير أيضاً في الحرب الكورية (١٩٥٠ — ١٩٥٣) والحرب الهندية — الباكستانية (١٩٧١) والحرب الفيتنامية ضد الفرنسيين أو الاميركيين ، والحرب العربية — الاسرائيلية الرابعة (١٩٧٣) .

ويعتبر الجسر العسكري في ظروف الحرب الحديثة (التقليدية أو النوويـة) ، التي تستخدم القطعات فيها معدات ووسائط آلية كبيرة ، وسيلة اساسية لعبور القطعات الكبرى ، ولا يعتبر العبور في الحقيقة منجزاً إلا بعد نصب الجسر اللازم لمرور الدبابات والمدفعية والآليات المتعددة ، إلى رأس الجسر المعد سابقاً (انظر رأس الجسر) ، بوتيرة مرور عالية تعادل حوالي ٢٠٠ آلية في الساعة نهاراً ، و ١٠٠ آلية في الساعة ليلا . ورغم قدرة الدبابات وكثير من العربات المدرعة على عبور الموانع المائية ، ورغم وجود الطوافات النظامية والمبتكرة قوارب العبور المطاطية ، فان تأمين عبور القوات والامدادات والمؤن إلى رأس الجسر بحجم كاف قادر على صد الهجمات المعاكسة الكبيرة ، أو تطوير رأس الجسر ، وتوسيعه ، وقلبه إلى قاعدة انطلاق ملائمة لهجوم مقبل ، تتطلب وجود جسور عسكرية بمعدل ٢ — ٣ جسور على الأقل لكل فرقة مهاجمة .

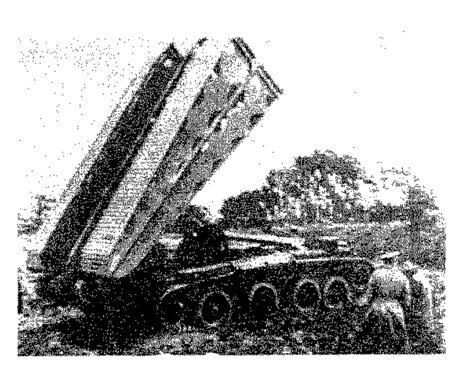
ويتألف الجسر العسكري من قطع قابلة للفك يسهل نقلها بالآليات ، ويمكن حملها خلال التركيب بواسطة الرجال أو الرافعات الخاصة ، الأمر الذي يجعل بالامكان نصب الجسر في ظروف القتال خلال ٤ — ٦ ساعات (حسب عرض الجسر وسرعة التيار) . ويضم كل جسر : ١ — الحوامل الثابتة أو العائمة ، ٢ — المتكآت المستندة إلى الضفتين ، ٣ — العوارض الخشبية أو المعدنية التي تشكل أرضية الجسر ، ٤ — التغطية الخشبية أو المعدنية التي تكسو الممشى ، ٥ — أرصفة التمديد التي تحدد عرض الممشى وتمنع انزلاق الآليات ، ٦ — الدرابزون الذي يحمل الأنوار ذات الاتجاه الواحد لتحديد



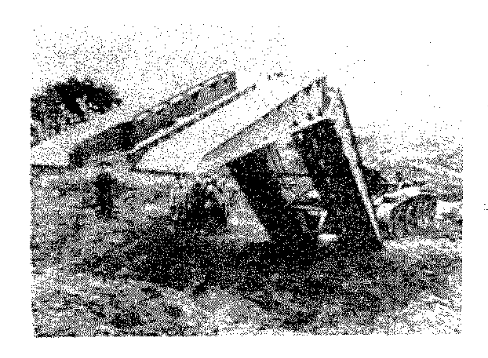
جسر انقضاض بريطاني في الحرب العالمية الأولى (دبابة مارك — ٥)



جسر الانقضاض أثناء المسير

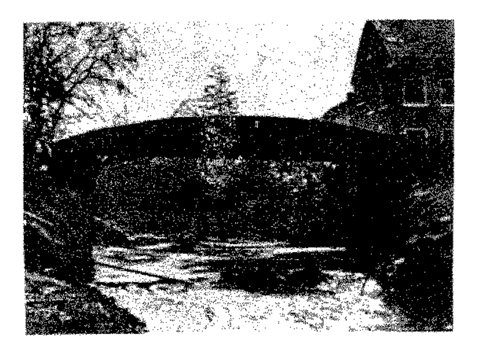


جسر الانقضاض عند بداية النصب



جسر الانقضاض خلال النصب

جسر الانقضاض جاهز للاستخدام



عرض الجسر ليلا .

اختيار مكان الجسر :

يتم اختيار مكان الجسر العسكري بحيث يكون من السهل ربطه مع خطوط المواصلات الموجودة على الضفتين . وتتحاشى القطعات عند نصب الجسر اختيار المكان الذي يتطلب إنشاء وصلات طرق نظراً لصعوبة هذا العمل وارتفاع تكاليفه وحاجته لزمن ومعدات لا تتوفر دائماً في ظروف القتال . ولهذا تضطر القطعات غالباً إلى نصب الجسور على مقربة من جسور قديمة مدمرة أو سليمة للافادة من الطرقات المعدة سابقاً . ويستفيد العدو من هذا الأمر ، فيقصف الطرق المؤدية إلى النهر لمنع وصول القوات إلى الجسور حتى لو لم يكن قد حدد مكان الجسور نفسها بدقة ، الأمر الذي يتطلب تنظيم السير لا على الجسر نفسه فحسب بل على المحاور المؤدية إليه أيضاً .

والعامل الثاني الذي يؤثر على اختيار مكان نصب الجسر هو تيار الماء (بالنسبة الى الجسور المحمولة على حوامل عائمة) . ومن الضروري اختيار الأمكنة التي يكون فيها التيار معتدل الشدة ومـوازياً لمجرى النهر .

وتعتبر طبيعة قاع النهر عاملا ثالثاً يؤثر على اختيار المكان ويستحسن عند نصب جسر ذي حوامل ثابتة ، أن يكون القاع خالياً من الصخور أو الرمال أو الطين الرخو . كما يفضل عند نصب جسر ذي حوامل عائمة أن يكون القاع صالحاً لتثبيت المراسي .

والعامل الرابع هو طبيعة الضفتين ، وامكانية إنشاء المتكآت عليهما مع الحد الأدنى من الأعمال الهندسية المطلوبة ، وامكانية اخفاء قطع الجسر على الضفة الصديقة قبل النصب . وامكانية نصب الجسر على الضفة الصديقة ودفعه فوق النهر .

والعامل الخامس ، هو صلاحية المنطقة لتأمين الدفاع عن الجسر ضد الأخطار الجوية ، وهجمات القوات المحمولة جواً ، واغارات مدرعات العدو التي تتسلل لاحتلال الجسر أو تدميره .

والعامل السادس ، هو عرض النهر ، إذ يفضل نصب الجسر في النقاط التي يكون فيها العرض محدوداً وخاصة بالنسبة إلى الجسور الثابتة بدون حوامل . أما الجسور العائمة (الطوفية) فان نصبها في الأماكن الضيقة مرتبط بسرعة التيار ، علماً بأن ضيق مجرى النهر يرفع أحياناً سرعة جريان الماء .

والعامل السابع ، هو وجود جزر في وسط النهر ، لأن من الممكن استخدام هذه الجزر كحوامل ثابتة سهلة الاعداد .

ويمكن في كثير من الحالات نصب الجسر العسكري في مكان جسر مدني مدمر جزئياً ، مع الافادة من ركائز ومتكآت هذا الجسر .

أنواع الجسور :

تقسم الجسور حسب حمولتها إلى جسور خفيفة لمرور الأفراد والآليات (زنة ٦ – ١٢ طناً) ، وجسور ثقيلة لمرور الدبابات (٥٠ طناً) وجسور ثقيلة جداً حمولتها اكثر من ٥٠ طناً . كما تقسم حسب نوعها إلى جسور نظامية واخرى مبتكرة . والتقسيم الثالث للجسور هو حسب طبيعة الحامل الذي يحدد ما اذا كان الجسر ثابتاً أو عائماً (طوفياً) . أما التقسيم الرابع فيتعلق بمدة استخدام الجسر : جسر مؤقت وجسر شبه دائم . وهنـاك بالاضافة إلى ذلك انواع اخرى من الجسور مثل : جسر الانقضاض ، والجسر المغمور ، والجسـر الكاذب ، وجسر المشاة (عبارة المشاة) .

أ – **الجسور النظامية :** هي جسور يستخدم في نصبها قطع نظامية (عوارض ، تغطية ، قوارب ، حوامل) تحمل عادة في آليات خاصة تستطيع الاقتراب من مكان نصب الجسر حيث تنزل القطع وتكدس بانتظار بناء الجسر . وتمتاز الجسور النظامية بكفاءتها العالية ، وسهولة نصبها ، وقدرتها الكبيرة على الحمل ، ومقاومتها الطويلة للحمولة وللظروف الجوية . وتكون ثابتة أو عائمة ، ومؤقتة أو شبه دائمة .

ب – **الجسور المبتكرة :** هي جسور يستخدم في نصبها مواد محلية خشبية أو معدنية (جذوع أشجار ، أعمدة خشبية مربعة ، الواح خشبيـة ، قوارب مدنية ، سكك حديدية ... الخ) ، تجمع من الأماكن المجاورة لنصب الجسر .

تستخدم الجسور المبتكرة عند عدم توفر العدد الكافي من الجسور النظامية ، أو عند الرغبة في نصب جسر كاذب مع الاقتصاد في استخدام القطع النظـامية ، أو عند الرغـبة في استبدال الجسور النظامية بجسور اخرى ودفع الجسور النظامية لتأمين عبور موانـع أخرى . وتتصف الجسور المبتكرة بتعقيدها وطول المدة اللازمة لانشائها ، وصغر حمولتها نسبياً ، وتكون هذه الجسور ثابتة أو عائمة ، وهي مؤقتة في أغلب الأحيان . ويتطلب انشاؤها استخدام آلات هندسية متعددة مثل الطارق الآلي ، والمنشار الآلي .. الخ . ويمكن أن تكون بحمولات مختلفة من ١٠ إلى ٧٠ طناً .

ج – **الجسر الثابت :** هو الجسر الذي ترتكز متكآته على الضفتين بدون حوامل في وسط الجسر

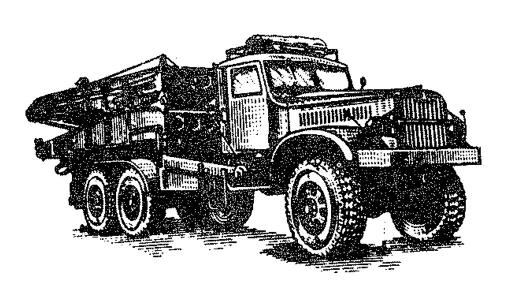
(الجسور الصغيرة) أو مع حوامل ثابتة في وسط الجسر (الجسور الكبيرة). ويمكن أن يكون هذا الجسر مبتكراً أو نظامياً. ومن الجسور النظامية الثابتة جسر «بيلي» Bailey المؤلف من قطع يحملها الأفراد ويصلونها بواسطة محاور وكلابات. ويكون جانبي الجسر منفرداً أو مزدوجاً وبطابق واحد أو طابقين أو ثلاثة طوابق حسب عرض النهر والحمولة المطلوبة.

تركب اجزاء الجسر على الضفة الصديقة فوق بكرات تدحرج ثم يدفع الجسر يدوياً حتى يلامس طرفه الضفة الأخرى ويستند إلى المتكأ. ولكي لا يختل توازن الجسر عند اجتياز النهر أو الحفرة يكون طوله أكبر من ضعف عرض النهر اذا سمحت الضفة الصديقة بذلك. ويلعب القسم الباقي على الضفة الصديقة دور الوزن المعاكس. وعندما يتم تثبيت الطرف الآخر على الضفة المقابلة يفك القسم الذي كان يلعب الدور المعاكس. واذا لم تسمح الضفة الصغيرة ببناء جسر يفوق طوله ضعف عرض النهر (ضفة ضيقة أو منحدرة أو عندما يقع مكان نصب الجسر وراء منعطف) تكدس قطع الجسر فوق القسم الصغير الباقي على الضفة الصديقة بحيث تؤمن الوزن المعاكس. وفي هذه الحالة تكون آلية نصب الجسر اكثر تعقيداً وتتطلب وقتاً أطول.

يمكن نصب جسر بيلي الثابت بأطوال متباينة، ويفضل بناؤه بدون حوامل إذا كان عرض النهر أقل من ٥٠ متراً. واذا زاد العرض يمكن استخدام الحوامل الثابتة (جسر بيلي ثابت) أو الحوامل العائمة (جسر بيلي عائم) أو على حوامل ثابتة وأخرى عائمة (جسر بيلي مختلط).

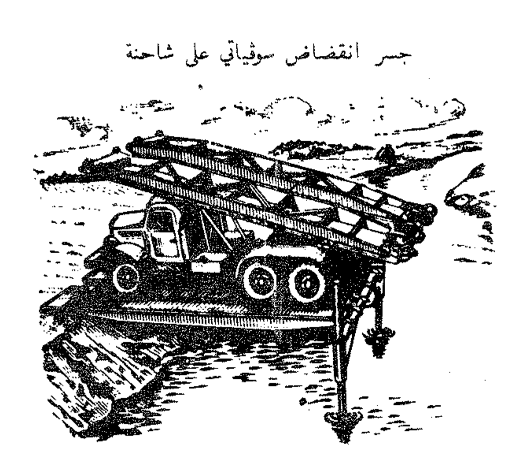
د – الجسر العائم (الطوفي) : هو الجسر الذي ترتكز متكآته على الضفتين، ويكون وسطه حوامل عائمة (قوارب). ويمكن أن يكون هـذا الجسر مبتكراً أو نظامياً. ولا يمكن إنشاء هذا الجسر إلا إذا كان عمق الماء كافياً ويزيد عن المسافة القائمة بين سطح الجسر وأسفل القارب.

كانت قطع الجسر العائم وقواربه حتى العام ١٩١٤ مصنوعة من الخشب وتسمح ببناء جسر حمولته ٣ – ٥ أطنان. ثم ظهرت في العام ١٩١٥ قطع وقوارب مصنوعة من معادن خفيفة قوية التحمل تسمح ببناء جسر حمولته ١٤ طناً. وفي الحرب العالمية الثانية استخدمت جسور صنعت عوارضها وأرضياتها من الحديد، وصنعت قواربها من المعدن أو من المطاط. ومن الجسور النظامية العائمة التي استخدمت خلال الحرب، الجسر «م – ٢» حمولة ٦ طن ذو القوارب المعدنية، وجسر «تريدوي» (Treadway) حمولة ٤٠ طن ذو القوارب المطاطية، والجسر «هيفي بونتون» (Heavy-Ponton) حمولة ٤٠ طن ذو القوارب الخشبية، والجسر «بيلي» العائم حمولة ٧٠ طن ذو القوارب المطاطية أو المحمول على صنادل نقل مدنية. ولا يزال الجسران العائمان «بيلي» و «تريدوي» مستخدمين حتى اليوم في جيوش الدول الغربية بالاضافة الى جسور عائمة أخرى للقوات البرية والقوات المحمولة جواً. أما جيوش الدول الشرقية فتستخدم الجسر العائم الخفيف «ل. ب. ب» المؤلف من قوارب وعوارض معدنية خفيفة ويصلح لمرور المشاة والآليات الخفيفة، والجسر العائم الثقيل «ت. ب. ب» المؤلف من كتل معدنية عائمة غير قابلة للغرق وعوارض وماشي معدنية. ويمكن عمل جسر «ت. ب. ب» بحمولة ١٦ و ٥٠ و ٧٠ طن، والجسر العائم «ب. م. ب» المعدني المؤلف من أقسام قابلة للطي. ويمكن عمل جسر «ب. م. ب» بحمولات خفيفة وثقيلة وثقيلة جداً. والجسر «ب. ف. د – ٢٠» الخفيف المستخدم مع قوات الانزال الجوي العاملة وراء خطوط العدو. ويمكن نقل هذا الجسر بالآليات وبالطـائرات وطائرات الهليكوبتر. وتتألف قطع الجسر مـن الالمنيوم، أما الحامل فهو عبارة عن قارب من القماش العازل للماء والمقسم إلى ١٥ قسماً معزولة بعضها عن البعض الآخر بحواجز هوائية غير نافذة. ويتطلب تركيب هذا الجسر ٥٠ دقيقة تقريباً

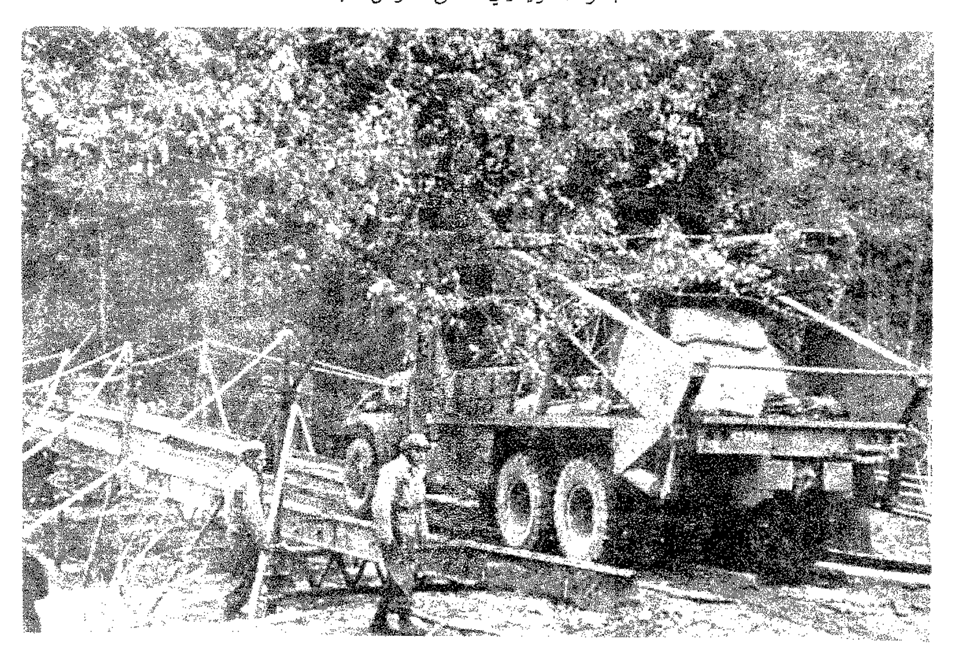


جسر انقضاض سوفياتي أثناء النقل

جسر انقضاض سوفياتي على شاحنة



جسر «تريدوي» على حوامل ثابتة



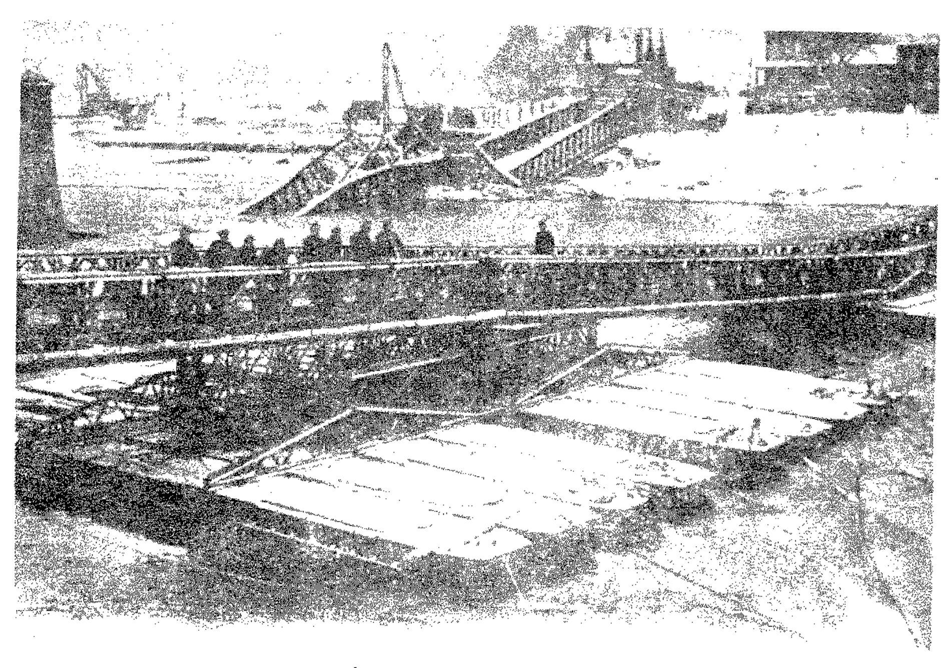
(بطول ٦٠ — ٨٠ متراً) وتتراوح حمولته بين ٤ و ٨ أطنان حسب وضع القوارب .

ويستخدم الفرنسيون جسراً عائماً حديثاً هو جسر جيلوا (Gillois) ، الذي وضع في الاستخدام في أواخر الخمسينات . ويتألف هذا الجسر من آلية برمائية ذاتية الحركة تحمل قطعة جسر طولها ٨ أمتار يمكن أن تعمل كعوامة (معدية) منفصلة كما يمكن أن تتصل مع بعضها لتشكيل جسر . ويستطيع سدنة الآلية (٤ لكل آلية) نصب جسر طوله ١٠٠ متر خلال ساعة ونصف فقط . وتأتي سهولة نصب هذا الجسر من أنه لا يحتاج إلى رافعات أو أية معدات مساعدة للنصب . إذ يكفي أن تغوص الآلية في الماء وأن تناور حتى تأخذ مكانها في الجسر وتوصل اطراف قطعة الجسر مع أطراف القطعة المجاورة .

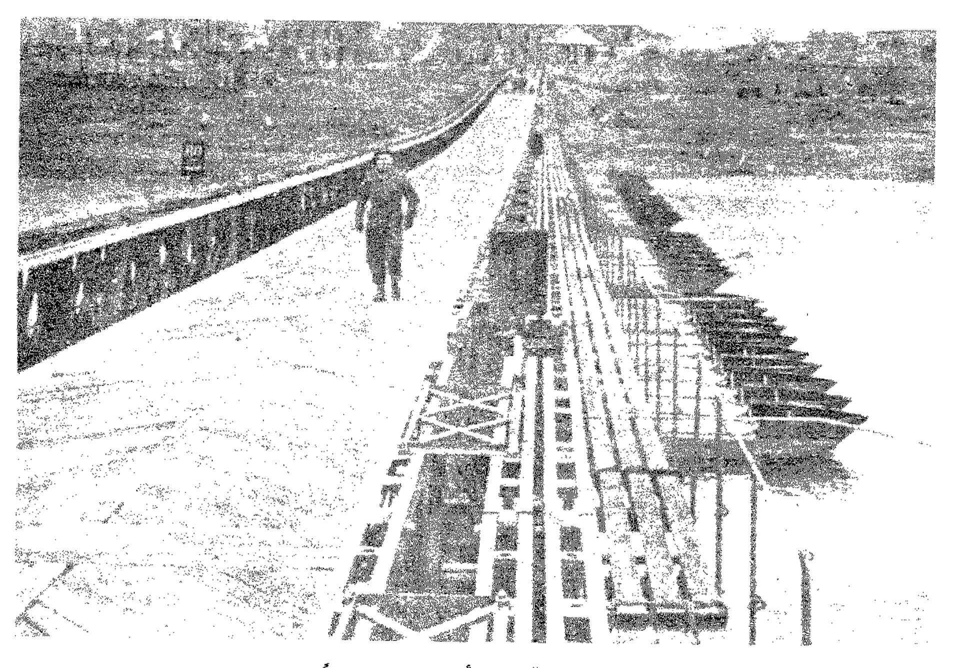
ينصب الجسر العائم (الطوفي) عادة بعمل المتكآت الثابتة ، ووضع القطع على القوارب ، ودفعها إلى مكان الجسر بقوارب ذات محركات ، ثم توصل القطع بواسطة محاور ، وتلقي القوارب مراسيها في النهر ، كما تربط القوارب القريبة من الضفة بحبال مثبتة على الضفة حتى لا يجرف التيار الجسر بعد نصبه . واذا كان التيار قوياً يمد بين الضفتين سلك معدني أو حبل غليظ تربط إليه القوارب بحبال تثبيت .

ولتسهيل إخفاء الجسر العائم وعدم نصبه في مكانه إلا عند آخر لحظة ، تعد المتكآت ، ويركب الجسر بأقسام متعددة تبقى مموهة قرب الضفة ، ثم تدفع هذه الأقسام بقوارب ذات محركات لتأخذ مكانها وتوصل ببعضها ومع المتكآت وتلقى المراسي في الماء فيصبح الجسر جاهزاً لمرور القوات . ومن الواضح أن جسر « جيلوا » يوفر الكثير من الصعوبات خلال هذه العملية بسبب قدرة قطعه على المناورة الذاتية .

يمتاز الجسر العائم عن الجسر الثابت بأن رمي المدفعية والطيران المعادين لا يؤدي إلى تدميره نهائياً بل يؤدي إلى تدمير اجزاء يمكن استبدالها بأجزاء أخرى احتياطية جاهزة قرب الشاطئ . ولكن الجسر العائم اكثر تعرضاً للتدمير بالالغام العائمة التي تلقيها طائرات الهليكوبتر ، وتبقى سائرة مع التيار حتى تصطدم بالقوارب وتنفجر . كما أنه حساس أمام هجمات الضفادع البشرية المعادية .



جسر « بيللي » على دعائم عائمة

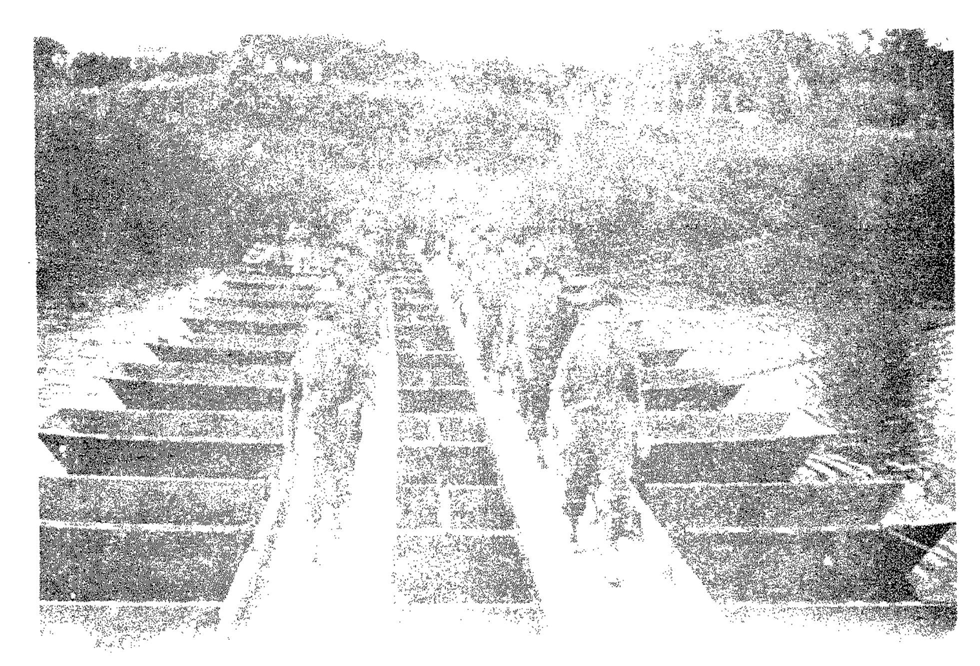


جسر « بيللي » عائم حمولة ٨٠ طناً

٥ — الجسر المؤقت والجسر شبه الدائم :

تعتبر كافة الجسور العسكرية جسوراً مؤقتة نظراً لحساسيتها وصعوبة صيانتها ، ولأنها لا تسمح بمرور الآليات إلا باتجاه واحد ، وبسرعة محدودة ، الأمر الذي يحد من وتيرة مرور القوات . وبالاضافة إلى ذلك ، فان قطع وقوارب الجسور محدودة في القطعات ، ولا يمكن لهذه القطعات أن تتخلى عنها مدة طويلة ، خاصة إذا كان عليها أن تتابع تقدمها في أرض تقطعها مجاري المياه . ولذا فان من المفضل فك هذه الجسور واستبدالها بجسور شبه دائمة عندما تسمح الظروف بذلك .

وتتسم الجسور شبه الدائمة بأنها أقدر من الجسور المؤقتة على تحمل العوارض الطبيعية وفيضانات الأنهار وقصف العدو البري والجوي . وتنصب هذه الجسور مع الافادة من حوامل ثابتة أو عائمة ، وتكون حمولتها ١٠٠ طن ، والسير فيها باتجاهين الأمر الذي يسمح بحركة الأرتال المتجهة إلى الجبهة



جسر مشاة عائم « م – ٢ »



جسر عائم « تريدوي » حمولة ٤٠ طناً

والعائدة منها دون الاضطرار لاجراء التوقفات الضرورية لتنظيم المرور . وبالاضافة إلى ذلك ، فان الارتال تستطيع اجتياز الجسر بسرعة اكبر . وهذا ما يزيد وتيرة المرور ويرفع مستوى كفاءة الجسر .

و – جسر الانقضاض : هو جسر من المعدن الخفيف محمول على آلية (سيارة نقل أو هيكل دبابة) ويستخدم لعبور الأنهار الضيقة والخناد والوديان . وتعتبر الآلية المستخدمة واسطة نقل ا ر ونصبه . وتكون سيارة النقل المستخدمة في هذه المهمة ذات قابلية مرور عالية ، أما في حالة استخدام هيكل الدبابة فن الضروري أن يكون هيكل دبابة متطورة الصنع ، حتى يستطيع الجسر مواكبة القوات المدرعة والتقدم بسرعة مماثلة لسرعتها . ويمتاز جسر الانقضاض المحمول على هيكل دبابة عن جسر الانقضاض المحمول على سيارة نقل ، في أن بوسع الأول العمل تحت نار العدو وفي المناطق الملوثة بالاشعاعات . لذا فهو يستخدم في الانساق الأمامية ، على حين يستخدم جسر الانقضاض المحمول على سيارة نقل في الانساق الخلفية .

وتقسم جسور الانقضاض حسب طريقة نصب الجسر على المانع إلى ٤ أنواع : القلاب ، والمتحرك ، والمطوي (المقص) ، والسطحي . ولقد استخدمت هذه الانواع خلال الحرب العالمية الثانية ، فأمنت اجتياز الموانع التي صادفتها القوات بسرعة فائقة دون الحاجة لاعداد مسبق لمكان الجسر . ثم تطورت جسور الانقضاض بعد انتهاء هذه الحرب وظهرت منها نماذج حديثة مجهزة في نهايتها بقوائم (احصنة) تستند على سرير الجسر ، وتسمح بنصب جسر انقضاض مؤلف من عدة قطع تحملها عدة آليات .

ولنصب جسر الانقضاض ذي القطعة الواحدة تتقدم الآلية وتقف على حافة المانع (نهر ، حفرة ، خندق) ثم يقوم السائق بتحريك آلية نصب الجسر الذي يتحرك بالانزلاق أو الانفتاح أو الانقلاب ويأخذ وضعاً مستوياً ويستند أحد أطرافه على الضفة الصديقة على حين يستند الطرف الآخر على الضفة المقابلة ، عندها تنفصل الآلية وتثبت قطعة الجسر بأوتاد معدنية على الأرض وتصبح جاهزة لمرور القوات . وتكون الآلية في جميع هذه الحالات بمثابة الوزن المعاكس .

ويتم نصب جسر الانقضاض المؤلف من عدة قطع بأن تقوم الآلية الأولى بعمل مماثل لما ذكر أعلاه . وعندما تصبح قطعة الجسر في وضع أفقي تنزل القوائم ذات الطول القابل للتعديل ، ويعدّل طولها حتى تلامس الارض . وتنفصل العربة وتثبت القطعة على الضفة بأوتاد معدنية . ثم تتقدم آلية آخر وتقف على حافة القطعة المنصوبة سابقاً وتقوم بالعملية نفسها ، ثم يجري وصل القطعتين مع بعضهما بمحاور معدنية ، وهكذا حتى يتم الوصول إلى الضفة الأخرى .

أما جسر الانقضاض ذي النوع السطحي فيستخدم عندما يكون المانع قليل العمق . ويتم اعداد الجسر بنزول الآلية إلى المانع ، ويصبح الجسر المحمول على سطحها ممراً للقوات . واذا كان عرض المانع اكبر من طول جسر الانقضاض السطحي ، يستخدم جسران أو أكثر . وذلك بأن ينزل الجسر الأول الى المانع ويتقدم حتى يصل طرفه إلى الضفة المقابلة ، ثم يليه جسر آخر ، يتقدم حتى يلامس

طرفه الأمامي الطرف الخلفي للجسر الأول ، وهكذا حتى يكون الطرف الأخير للجسر الأخير ملامساً للضفة الصديقة .

ومن أحدث جسور الانقضاض المستخدمة في المعسكر الغربي جسر الانقضاض « جيلوا » (Gillois) الذي جرب في العام ١٩٦١ . ويتألف هذا الجسر من هيكل دبابة (مدى عملها ٦٠٠ كيلومتر) . ويحمل على الهيكل جسر مطوي طوله ٢٢ متراً وحمولته ٣٠ طناً ويمكن نصبه خلال ١٥ دقيقة . واذا استخدم حصان معدني عند طرف الجسر أمكن نصب جسر طوله ٤٠ متراً وذلك بواسطة جسري انقضاض .

أما جسور الانقضاض الحديثة المستخدمة في المعسكر الشرقي فهي جسر الانقضاض السوفياتي « ك م م » . وهو جسر انزلاقي محمول على سيارة « زيل — ١٥٧ » ، وتبلغ حمولة الجسر « ك م م » ١٥ طناً ، وطوله ٣٥ متراً ، وجسر الانقضاض الثقيل السوفياتي « ت م م » ، وهو جسر منطو (مقص) محمول على سيارة « كراز ٢١٤ » ، وهو يسمح بمرور الدبابات المتوسطة ، وطوله ٣٥ متراً ، وجسر الانقضاض « م ت د » المحمول على هيكل دبابة « ت — ٥٤ » ، وطوله ١٥ متراً ، ويستخدم لعبور الدبابات المتوسطة على الموانع الضيقة .

ز — الجسر المغمور : هو جسر ينصب تحت الماء ، على عمق صغير (حسب نوع الآلية المطلوب مرورها وقدرتها على الغوص تحت الماء) بغية اخفائه عن رصد العدو الجوي . ولا يظهر هذا الجسر لرصاد العدو الجويين كما لا يظهر على الصور الجوية العادية . ولكن استخدام وسائط الرصد الاليكترونية المتطورة المخصصة لكشف قاع المياه العميقة يؤدي إلى كشفه بوضوح . ولقد استخدمه السوفيات على نطاق واسع في فترة (١٩٤١ — ١٩٤٥) كما استخدمه الصينيون في كوريا (١٩٥٣) .

ولكي لا يستطيع رصد العدو الجوي (غير الاليكتروني) كشف هذا الجسر ، يحظر المرور عليه نهاراً ، وتموه مداخله ومخارجه بشكل جيد ، وينصب على مقربة منه جسر كاذب ، وتغطى المنطقة الواقعة بين الجسر الكاذب والجسر المغمور (على الضفتين) بآثار العجلات ، بحيث يعتقد العدو أن آثار العجلات المتجهة إلى الجسر المغمور أو المنطلقة منه هي آثار عجلات آليات اتجهت نحو الجسر الكاذب . ويتم التمويه ضد الرصد الاليكتروني باستخدام عاكسات مغمورة في أماكن اخرى على عرض النهر لخداع العدو .

ويمتاز الجسر المغمور عن الجسور الأخرى ، بأنه لا يتأثر بالالغام العائمة التي يلقيها العدو من طائرات الهليكوبتر إذا كان عمق الغمر اكبر من غاطس اللغم أو غاطس الطوف حامل المتفجرات .

ح — الجسر الكاذب : هو جسر هيكلي مصنوع من مواد محلية رخيصة مهمته تشتيت نيران العدو ، وتخفيف حدة القصف على الجسور الحقيقية ، أو المساعدة على الخداع عند استخدام الجسر المغمور ، أو خداع العدو عن حجم القوات التي قامت بالعبور ، وإعطائه فكرة بأنها اكبر من حقيقتها .

ولقد كان اتقان تقليد الجسر ، واستخدام الدهانات لتبدو اجزاء الجسر الخشبية وكأنها أجزاء معدنية ، واستخدام آليات مزيفة متحركة وتبديل أماكنها باستمرار قرب الجسر ، واستخدام آلية أو دبابة مزيفة تتحرك على الجسر الكاذب بملفاف عند ظهور الطيران المعادي ، واحداث آثار عجلات عند مدخل الجسر ومخرجه واعداد مواقع دفاعية كاذبة قرب الجسر ، وتكديس أعتدة مزيفة على الضفة الصديقة ، عبارة عن تدابير تكفي لخداع رصاد العدو وصوره الجوية واظهار الجسر الكاذب وكأنه جسر حقيقي . ولكن تطور التصوير الجوي ، واستخدام الرصد الراداري والاليكتروني والحراري ، جعل من الضروري دهن قطع الجسر بدهانات ممزوجة ببرادة معدنية ، أو وضع صفائح من التوتياء على الجسر ، وتزويد الآليات المزيفة بمصدر حراري ، وإلا فقدت تدابير الخداع فاعليتها .

ط — جسر المشاة (أو عبارة المشاة) (Passerelle d'infanterie) ، هو جسر مؤلف من عدة قطع خشبية أو معدنية قابلة للفك ، يمكن وصلها على الضفة الصديقة ودفعها نحو الضفة المقابلة لتأمين مرور المشاة . ويتم نصب هذا الجسر عندما لا يتجاوز عرض المانع المائي ٤٠ متراً ، ويمكن استخدامه على الموانع الموجودة في عمق المنطقة الصديقة أو عند اقتحام الانهار . وفي هذه الحالة يتم اعداده ليلا ودفعه نحو الضفة المقابلة خلال رمي تمهيد المدفعية . ويمكن استخدام جسر المشاة العائم المؤلف من قطع معدنية غير قابلة للغرق أو قطع خشبية ، اذا كانت سرعة التيار لا تتجاوز نصف متر في الثانية . كما ويمكن استخدام جسر المشاة المعلق على الوديان أو الانهار .

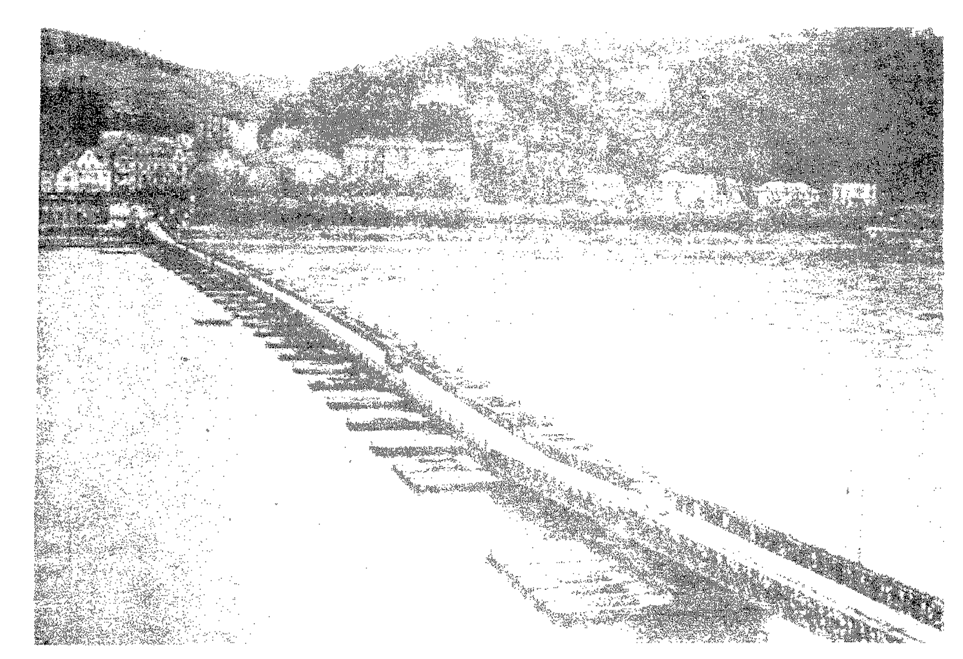
يسمح هذا الجسر بمرور المشاة الراجلة بمعدل ٧٥ رجل في الدقيقة نهاراً ، وتنخفض وتيرة المرور إلى النصف ليلا . ولتأمين سلامة المرور يكون بين الجندي والآخر مسافة ٥ أمتار ، ويثبت على ارتفاع رأس الجندي حبل ممدود بين الضفتين يمسك به الجنود العابرون خشية الانزلاق والوقوع في الماء .

نصب الجسور واستخدامها :

يبدأ نصب الجسر عندما يتم احتلال وتعزيز رأس جسر على الضفة المقابلة ، بشكل يبعد نيران العدو عن الجسر . وكان بناء الجسر قبل استخدام الرصد الجوي (قبل الحرب العالمية الاولى) ، يتم عندما تحتل الموجات الأولى كافة النقاط التي يستطيع العدو منها رصد مكان الجسر ، الأمر الذي كان يضمن عدم قدرة العدو على كشف مكان الجسر ، وعدم تعرض الجسر بالتالي لقصف المدفعية . وفي الحرب العالمية الأولى غدا الرصد الجوي قادراً على تحديد موقع الجسر ، وتصحيح رمي المدفعية وأصبح من الضروري تعميق رأس الجسر مسافة تعادل مدى أطول مدفع معادي قبل بناء الجسر . وفي الحرب العالمية الثانية ، فقدت هذه القاعدة جزءاً كبيراً من أهميتها ، نظراً لأن الطيران غدا قادراً على رصد مكان الجسر وقصفه مهما كان عمق رأس الجسر . ثم اختفت هذه القاعدة نهائياً بعد الحرب العالمية الثانية بسبب التطور الهائل الذي حققه الطيران في مجالي الرصد ودقة الرمي . وأصبح نصب الجسر بعد احتلال رأس الجسر وتعزيزه مرهوناً بقدرة اسلحة الدفاع ضد الطائرات على طرد طائرات العدو من الجو . وعندما دخل الصاروخ أرض — جو المعركة على نطاق واسع ، عاد الوضع الى ما كان عليه قبل الحرب العالمية الاولى ، وصار بوسع القطعات نصب الجسور فور تدمير معاقل الرشاشات ومراصد المدفعية المشرفة على مكان الجسر ، نظراً لأن الصواريخ أرض — جو أصبحت قادرة على منع طيران الرصد والاستطلاع والقصف من الاقتراب من مكان الجسر وهذا ما حصل في الحرب العربية — الاسرائيلية الرابعة (١٩٧٣) . ولكن تطور التصوير بالأقمار الصناعية قد يجعل الجيوش التي تقابل عدواً يملك أقماراً صناعية ، تؤجل نصب الجسر حتى يتم تعميق رأس الجسر إلى مدى أطول مدفع معادي (العودة إلى وضع الحرب العالمية الأولى) .

ومع هذا فان من الممكن تجاوز هذه التقييدات في بناء الجسور عن طريق استخدام الدخان الذي يغطي الجسر ومنطقة واسعة حوله ، إلا اذا كان العدو يمتلك أجهزة رصد وتصوير جوية متطورة قادرة على تحديد مكان الجسر رغم وجود الدخان أو الضباب .

تنصب الجسور التي تبلغ حمولتها ٥٠ — ٦٠ طناً لمرور الدبابات ومختلف العربات الأخرى .

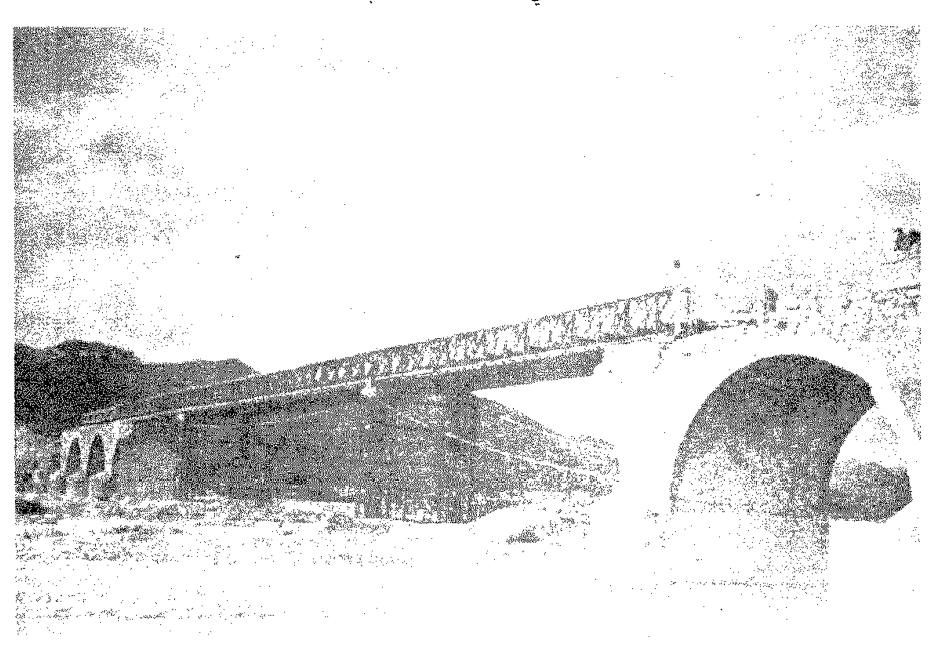


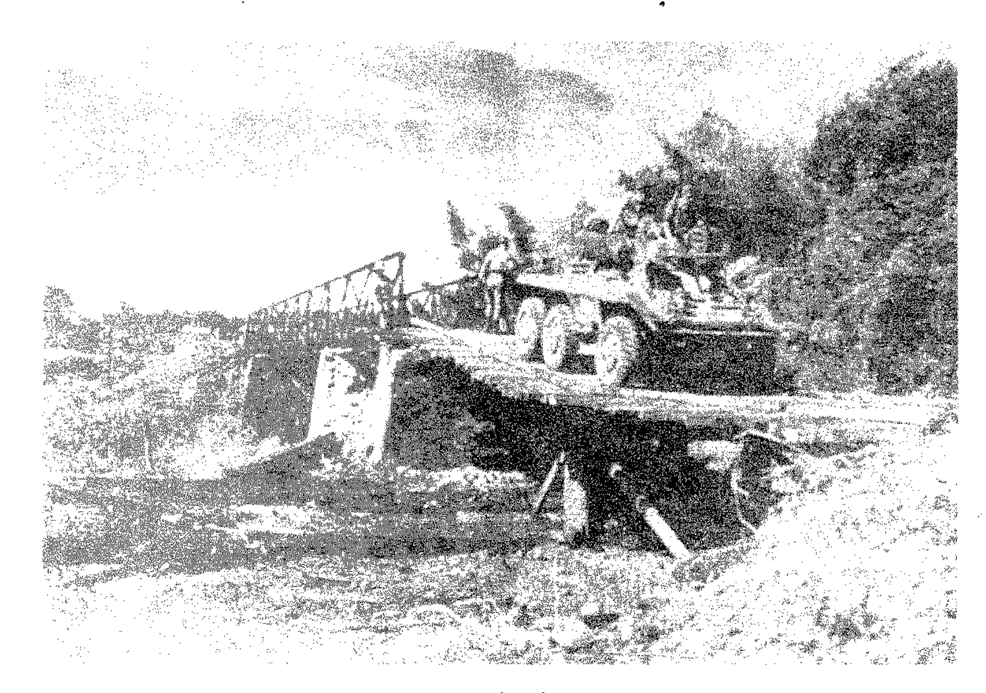
جسر شبه دائم على نهر الرين



عبارة المشاة على قوارب مطاطية

جسر « بيللي » ثابت على نهر ڤولتورنو





جسر مبتكر في الهند الصينية

ولكن عدم توفر المعدات اللازمة لنصب جسور متعددة حمولة ٥٠ – ٦٠ طناً لمرور القطعات متكاملة ، يجعل من الضروري بناء جسور حمولتها ٥٠ – ٦٠ طناً لمرور الدبابات وجسور تبلغ حمولتها ١٦ – ٢٠ طناً لمرور المدفعية والعربات المدرعة والجرارات الأخرى . ولكن هذا الاسلوب يجبر القطعات على تفكيك تشكيلاتها ، وفصل آلياتها المدرعة ومدفعيتها عن دباباتها ، ولذا فان من المفضل عدم استخدامه إلا عند الضرورة القصوى .

عندما يكون طيران العدو فعالا . أو عندما يكون العدو مستعداً لاستخدام سلاحه الذري ، تفك الجسور العائمة نهاراً وتستخدم اقسامها كطوافات مستقلة ، ولا تجمع على شكل جسر إلا ليلا .

لتأمين الاستخدام الجيد للجسور ، ينظم عند كل جسر ضابطة ومفرزة إخلاء وانقاذ ومفرزة صيانة . وتكون مهمة الضابطة تنظيم الوصول إلى الجسر ومنع الازدحام عند مداخله ومراقبة سرعة الآليات على الجسر نفسه ، ومنع مرور الآليات التي لا يتجاوز وزنها حمولة الجسر ، وتأمين انضباط الأنوار . وتعمل مفرزة الاخلاء والانقاذ على سحب الآليات المتعطلة على الجسر ، وانقاذ الغرقى ، وتخليص الآليات المنزلقة في الماء أو المغرزة في الوحل . وتكون المفرزة مزودة بالرافعات والأوناش والمراكب السريعة واطواق النجاة والمعدات الطبية اللازمة للاسعاف وورشة تصليح ميدانية ودبابة نجدة . أما مفرزة الصيانة فمهمتها صيانة الجسر ، ومراقبة كلابات ومحاور التثبيت ، وتبديل القطع المهترئة أو المدمرة من جراء رمي العدو المدفعي أو الجوي ، والتحقق باستمرار من نقاط تثبيت الجسر على المتكآت وحبال تثبيت القوارب .

حماية الجسر :

إن أهمية الجسر بالنسبة إلى عمليات القوات الموجودة على الضفة المعادية ، وارتباط مصير هذه القوات بمصير الجسر ، يدفعان العدو إلى بذل كل الجهود لتدمير الجسر ، بغية عزل القوات العابرة عن مؤخراتها ، وحرمانها من الامداد والتموين ووصول التعزيزات قبل مهاجمتها والقضاء عليها . ويتعرض الجسر للأخطار التالية : الخطر الجوي ، خطر الالغام العائمة ، هجمات القوات الخاصة البرية أو المحمولة جواً ، إغارات الدبابات المتسللة عبر القوات الصديقة ، عمليات الضفادع البشرية . ولذا لا بد من تأمين الحماية من هذه الاخطار مجتمعة .

أ – الحماية من الخطر الجوي : وتتم هذه الحماية باستخدام الجسور المغمورة ، وبناء الجسور الكاذبة ، واستخدام الدخان على نطاق واسع ، وقيام المطاردات بتأمين مظلة جوية فوق الجسر ، والدفاع الايجابي ضد الطائرات بواسطة الرشاشات م/ط ، وبطاريات المدفعية م/ط من مختلف العيارات ، والصواريخ الموجهة أرض – جو . ولقد طبق المصريون هذه التدابير لحماية جسورهم على قناة السويس منذ صباح ١٩٧٣/١٠/٧ خلال الحرب العربية – الاسرائيلية الرابعة (١٩٧٣) ، وحققوا في هذا المجال نجاحاً كبيراً ، الأمر الذي حرم الطيران الاسرائيلي من القدرة على تدمير الجسور طوال مدة الحرب رغم محاولاته المتعددة لتحقيق ذلك .

ب – خطر الالغام العائمة : يستخدم العدو ألغاماً عائمة تلقيها الهليكوبترات أو حشوات متفجرة محمولة على قوارب أو أطواف مبتكرة . وهو يلقي بهذه الالغام والمتفجرات ليحملها التيار حتى الجسر ، وعند اصطدامها به تنفجر وتدمر الحوامل . ولقد استخدم الالمان هذا الاسلوب على نطاق واسع لتدمير الجسور السوفياتية على نهري « الأودر » و « ايلدا » خلال الحرب العالمية الثانية . وللوقاية من أخطار هذه الوسيلة يجري استخدام دوريات محمولة بزوارق سريعة مجهزة بمدافع م/د . وتكون مهمتها حراسة الجسر ، وتدمير الحشوات والألغام . ولتأمين الرؤية ليلا تجهز هذه الدوريات بالأنوار الكاشفة (البروجيكتورات) ، أو بأجهزة الرؤية الليلية . وتنصب في أعلى النهر وعلى مسافة من الجسر شبكات معدنية عائمة أو حواجز من الاعمدة الخشبية الممدودة عرضانياً . وتكون مهمتها إيقاف الالغام والحشوات العائمة . وعند وصول الالغام والحشوات الى الحاجز فانها تتوقف أو تنفجر فاتحة ثغرة في الشبكة أو الحاجز الخشبي . ولذا ينبغي أن تكون الحواجز والشبكات متسلسلة بالعمق لمنع تسلل الغام وحشوات عائمة اخرى من خلال الثغرات المفتوحة .

ج – الحماية من القوات المحمولة جواً : تؤمن قوات المشاة حول الجسر طوقاً دفاعياً يمنع قوات العدو المحمولة جواً من مهاجمة الجسر ، وتجهز على مقربة من الجسر وحدات آلية مهمتها التحرك نحو مكان إنزال القوات المحمولة جواً فور اكتشاف الانزال ، وتطويقها ، وإبادتها .

د – الحماية من اغارات الدبابات المعادية : لتأمين الحماية من دبابات العدو التي تتسلل عبر القوات الصديقة المنتشرة على الضفة المعادية تحاط منطقة الجسر بحقول ألغام مضادة للدبابات مسيجة بالاسلاك الشائكة وفيها ثغرات لمرور القطعات الصديقة . وتؤمن القطعات المكلفة بحماية الجسر الرصد البري لكشف تسلل الدبابات المعادية ، كما تحيط الجسر بمجموعات الاسلحة الرشاشة والاسلحة المضادة للدبابات لحماية الجسر من أي خطر بري مفاجيء .

ه – الحماية من الضفادع البشرية : يقوم العدو بدفع ضفادع بشرية تسبح تحت الماء للوصول

إلى الجسر وتدميره . ويأتي هؤلاء الضفادع مع اتجاه التيار ، ولكن هذا لا يعني أنهم لا يأتون في بعض الاحيان من الاتجاه المعاكس لاتجاه التيار خاصة اذا انزلتهم الزوارق المطاطية أو طائرات الهليكوبتر قريباً من مكان الجسر . ولحماية الجسر من هذا الخطر تحاط الحوامل الثابتة والعائمة بشبكات معدنية تثبت أطرافها العلوية بطوافات أو اسلاك ممدودة بعرض النهر وتعلق في اطرافها السفلية أثقال تجعلها تشكل حاجزاً شاقولياً داخل الماء . وتقوم الدوريات المحمولة على زوارق سريعة بالتجول على جانبي الجسر لاكتشاف زوارق العدو المطاطية وطائرات الهليكوبتر التي تنقل الضفادع البشرية ، وتلقي داخل الماء وعلى فترات زمنية متقطعة قنابل يدوية أو متفجرات تحدث في الماء ضغطاً يؤدي إلى قتل الضفادع البشرية السابحين تحت الماء .

اعداد الجسر للنسف .

يكون الوضع في المراحل الأولى للعبور قلقاً ، وتكون رؤوس الجسور معرضة لهجمات معاكسة معادية قوية خاصة اذا كان العدو ديناميكياً ويملك قوة ضاربة سليمة . ولذا فان من المحتمل القضاء على رأس الجسر بهجوم معاكس قوي يحاول العدو تطويره والانتقال الى الضفة الصديقة . وهو يلجأ في هذه الحالة إلى المفاجأة للاستيلاء على الجسر سليماً واستخدامه لاغراضه الخاصة . ولا يكتفي العدو بالاستيلاء على الجسور الأمامية ، ولكنه يحاول أيضاً الاستيلاء على الجسور الموجودة في عمق الأراضي الصديقة ، بغية منع القطعات الصديقة من استخدامها في الانسحاب ، أو منع وصول النجدات والقوات الاحتياطية إلى ساحة المعركة ، والافادة منها فيما بعد خلال المطاردة . لذا تعد وحدات المهندسين كافة الجسور (العسكرية والمدنية) للنسف بشكل مسبق بغية حرمان العدو من الاستيلاء عليها سليمة . ولضمان عدم وقوع أية أخطاء تعرقل سير العمليات يربط اصدار أمر نسف الجسور بقيادة الفرقة ، ولا ينفذ النسف إلا في حالات الضرورة القصوى . (انظر نسف المنشآت والمعدات) .

(٥) الجغرافيا الاستراتيجية

وهي الجغرافيا التي تهدف الى جمع ، ومقارنة ، وتفسير المعلومات الجغرافية الاساسية لاستخدامها في اعداد الخطط لادارة الحرب ، او ادارة العمليات خلال الحرب .

ويمكن تلخيص اهداف الجغرافيا الاستراتيجية Strategic geography في ستة عناصر هي : ١) امكانية الوصول . ٢) الحركية . ٣) امكانية الرؤية . ٤) امكانية الاتصال . ٥) امكانية التوافر . ٦) المناعة . وتتمحور جميع هذه العناصر حول العامل الرئيسي وهو امكانية الوصول . والحقيقة أن هناك تفاعل بين مختلف القوى والمكونات لتحقيق امكانية الوصول سواء بطريقة بصرية ، او الكترونية ، او مباشرة . سواء كان هناك اشتباك بالاسلحة ، او لم يكن هناك ما يمكن الاشتباك او التعامل معه .

امكانية الوصول : يقصد بهذا التعبير المعنى المادي للكلمة ، وهو يقتضي وجود اجهزة او منشآت خاصة لتمامه . ويتضمن اعتبارات كثيرة مثل حرية اختيار المسالك المختلفة وتقييمها ، والمسافات ، ووقت الحركة ، والموانع ، والقواعــد ، وطرق الوصول . وتتعلق امكانية الوصول باستخدام العربات والطائرات والسفن . وهناك فروق كثيرة بين هذه الوسائل ، فالطائرات تطير بسرعة عالية إلا أنها تحتاج الى اراض للهبوط ، كما ان هناك فرق كبير بين امكانية الوصول والهبوط ، وامكانية الوصول بالطيران فوق المنطقة فقط . وقد يتطلب الامر للطيران بين مطارين ساعة كاملة من الوقت او يوماً حسب حالة الطقس . اما العربات والشاحنات فقد تسير بشكل جيد على الارض المستوية او الطرق المعبدة ، إلا أن سيرها صعب في الغابات والمستنقعات . ويتــأثر استخدام العربات كثيراً بالاتجاه واحتمال وجود طرق تصل الى المنطقة المراد بلوغها . أضف الى ذلك ان امكانية الوصول تقاس من مركز الانطلاق الى الهدف . فالوصول الى هانوي من بكين مثلا ، يختلف عن الوصول اليها من سايغون .

الحركية : وهي القدرة العامة على التحرك . وتتضمن سرعة التقدم ، وحرية اختيار وسائل النقل ، وازدحام حركة السير ، والطرق الضيقة ، وتأثير التغيرات الجوية الموسمية ، ووجود طرق معبدة ومرافق ملاءمة في محطات الوصول . ولا تعتمد الحركية من ناحية القدرة ومرونة الحركة على اتجاه الحركة فحسب ، بل على ما يجب تحريكه ، وعلى تنظيم الحركة ايضاً . فالاسلحة الخفيفة اسهل نقلا من الاسلحة الثقيلة ، والمدافع ذاتية الحركة افضل حركية من المدافع المقطورة . والقوات المنظمة انشط حركة من ارتال اللاجئين المدنيين غير المنظمين . والحقيقة ان الحركية تعني اكثر بكثير من تنظيم معدات النقل . فهي تشمل تنظيم الحركة وتأخذ في حسابها تناسق جميع وسائل النقل مع الحمولات أو الاجسام او المواد المراد نقلها ، وتقترن بسرعة ردة الفعل والحرية في الاختيار . وهي ترتبط قبل كل شيء بمرونة عقل الاشخاص المكلفين بها .

امكانية الرؤية : ويشتمل التعبير هنا مجالات الابصار الافقية والعمودية ، والحواس الاخرى . بالاضافة الى المعوقات التي قد تعرقلها مثل الارض ، والطقس ، والظلام ، وجهود الانسان . وهي تتضمن التغطية ، والمخابىء ، والتمويه ، والتعرف على الهدف ، ومجال الرمي المجدي ، واقسومات الارض ، والتوجيه ، ومجال البصر . وتتضمن كذلك الاختلافات في قيمة هذه المكونات فوق منطقة القتال المأخوذة في الاعتبار . وتختلف امكانية الرؤية تبعاً لاتجــاه الملاحظة ، وللظروف الخاصة المحيطة بالمراقب . ويمكن ان تتغير بسرعة مع مرور الوقت ، مثل طلوع الفجر ، او انقشاع الضباب ، او سكون العاصفة ، او توقف هطول الامطار او العكس . وتعتمد المسافة التي يستطيع مراقب ما رؤيتها في احد المطارات على ما اذا كان ينظر في اتجاه مرآب ما ، او في اتجاه احد المدارج . وقد يعتمد مدى الرؤية في احدى السفن على وقوف المراقب على الجسر الرئيسي ، او على منصة المراقبة . وتستخدم العوامل الجغرافية في تحليل امكانية الرؤية ، وفي وضع مقاييس المسافات ، وفي التنبؤ بدرجات الرؤية لأخذها بعين الاعتبار في وضع الخطط .

امكانية الاتصال : وتعني القدرة على نقــل المعلومات . وهي تتضمن تأثير الطقس ، والعواصف المغناطيسية ، والارض ، ومستوى التقدم العلمي الحاصل ، بالاضافة الى سهولة بناء اجهزة الاتصال ، وكفاءتها العملية ، وصيانتها . وتتعلق النــواحي الجغرافية فيها بامكانية وجود اوضاع قد تؤثر على اجهزة الاتصال في اماكن معينة . وعلى سبيل المثال . فان اجهزة الاتصال الثابتة في المناطق قليلة الكثافة السكانية اقل منها في المناطق كثيفة السكان . كما ان من الاسهل نصب اجهزة البث ونشر الاسلاك في المناطق التي تتوافر فيها الطرق اكثر من المناطق التي لا توجد فيها اية طرق . وتختلف اهمية العواصف الثلجية ، والاعاصير ، واضطرابات الغلاف الايوني من منطقة لاخرى . وبالتالي تسبب اختلافات في درجة الاعتماد على اجهزة الاتصال حسب كل منطقة . وقد تحجب الغابات والجبال في بعض المناطق بحيث تحد من سيطرة القيادة وتشتت نشاطات القوات .

امكانية التوافر : لا يعني هذا التعبير مجرد توافر الرجال والمعدات والامدادات ، بل وضرورة وجودهم في المنطقة المطلوبة وفي الوقت المطلوب . وعلى سبيل المثال لم يكن توافر الوقود لدى الالمان في ايطاليا يعني بالضرورة انه متاح لقوات رومل

في شمال افريقيا. وهكذا يمكن القول ان امكانية التوافر تتعلق بالقوى البشرية، والامدادات، والنقل، وغير ذلك من نواحي الامداد والمواقع التي تتواجد فيها. وتعكس مواصفات، ودرجة تطور، وتنظيم جميع الوظائف المتعلقة بامداد اي تشكيلة عسكرية.

المناعة: ويقصد بها هنا خلاصة قدرات العدو على الوصول والتحرك وامكانية التوافر. وتعني ضرورة توافر القوى البشرية، ومرافق الانتاج، والمنشآت العسكرية، وخطوط المواصلات اللازمة للحماية. وهي تشمل الاسكان، وموارد العيش والمرافق العامة والرفاهية وغيرها من الاشياء الضرورية للمحافظة على معنويات الاهلين وولائهم. أضف الى ذلك انها لا تشمل الحماية من الهجمات العسكرية المباشرة فحسب، بل والحماية من الدعاية المضادة والنشاطات الهدامة والتخريب والاخطار الطبيعية.

ويعتمد التقييم الاستراتيجي لمنطقة ما على ٣ مبادئ عامة هي: الاهداف، وطريق الوصول اليها، والعوائق. والعامل الهام في الاهداف الاستراتيجية هو ان احتلالها يمنع عن العدو حرية الاختيار والحركة. فاحتلال منطقة صناعية يمنع استمرارها في الانتاج. واحتلال مركز تجاري يمنع وصول البضائع ويحد من حرية الحركة على الطرق المؤدية اليه. اما احتلال الاراضي فله ميزة ان كان يؤثر على سير العمليات من ناحية مضايقة العدو وتحديد اماكن تواجده وتقييده.

ورغم اهمية كل هذه الاعتبارات فان الهدف النهائي يبقى قوات العدو نفسها.

اما طرق الوصول فيقصد بها المناطق التي تحتشد وتتركز فيها الحركة. وتختلف الظروف التي توجد بها طرق الوصول باختلاف انواع المعدات المستخدمة. فالرغبة في تقصير فترة طيران الطائرات خلال الحرب العالمية الثانية أدت الى تغيير خطوط الطيران فوق المحيطات بنقلها لتمر عبر سلسلة من الجزر او المحطات المتقاربة في المحيط، كما كان الحال بين البرازيل وافريقيا. اما في البحر فان طرق الوصول تعني المضائق، التي تؤدي السيطرة عليها الى السيطرة على مساحات واسعة من البحر، كما هو الحال بالنسبة الى جبل طارق، والبسفور، والمضائق الدانماركية التي كان لها اهمية تاريخية بالغة، ولكن اهميتها الحالية تقل كثيراً عن اهمية الممرات الاصطناعية مثل قناة السويس وقناة باناما.

وطرق الوصول البرية اكثر تنوعاً واختلافاً من الطرق البحرية والجوية. وقد تمر عبر الوديان أو بين التلال، او الاراضي الجافة المحيطة بالمستنقعات، والمناطق الجرداء في الغابات، والسهول الساحلية، ومخاضات الانهار. وبالرغم من مجالات الاختيار الواسعة التي تؤمنها الاراضي البرية، فان من الملاحظ تكرر استخدام بعض الطرق في الغزوات التاريخية، او تجنب المرور من طرق اخرى.

والعوائق جزء من طرق الوصول او هي تتمة لها، فالعديد من المناطق يجري تجنبها اختيارياً، والبعض القليل الآخر من الطرق يجري تجنبه اجبارياً. وتعتمد اهمية الاحوال الجوية، ونوعية الارض، او قوى العدو كعوائق على ما تواجه به، وعلى الثمن الذي يجب دفعه للتغلب عليها. وما قد يكون عائقاً في وجه شاحنة قد لا يكون كذلك بالنسبة لدبابة، والمساحات الشاسعة من صحاري او بحار او مناطق مغطاة بالثلوج ليست بذات بال بالنسبة للطائرة. ويعتمد التغلب على العوائق الطبيعية كثيراً على الوقت ودرجة التطور التقني. كما تعتمد العوائق الاصطناعية على المعدات وموقف العدو. واخيراً يجدر بنا ذكر الطبيعة النسبية وغير الثابتة للعوائق فهي قد تؤخر او تعيق او تفرض ثمناً فادحاً على من يحاول تجاوزها، إلا انها لا تشكل سداً قوياً إلا امام القيادات الحائرة المترددة.

(١٠) الجغرافيا السياسية (الجيوبوليتيكا)

هي فرع حديث وجديد من العلوم الجغرافية المختلفة، يتناول بالبحث، العلاقات التي تربط الدول بعضها ببعض، وعلاقة ذلك بمعطيات الطبيعة وقوانينها. ولقد كانت اهداف الجغرافيا السياسية معروفة من قبل، ولكنها مبعثرة بين مجموعة من العلوم الجغرافية، كالجغرافيا الاقتصادية، والجغرافيا البشرية، والجغرافيا لاقليمية، والجغرافيا الطبيعية، والجغرافيا المناخية، وقد استخرج من هذه العلوم، بالاضافة الى المعطيات التاريخية، هذا العلم الجديد.

ويعتبر الجغرافي «فردريك راتزل» اول من قدم صياغة للجغرافيا السياسية كدراسة علمية فنية، وقد ناقش في كتابه «الجغرافيا السياسية» (١٨٩٧) اغلب الموضوعات الرئيسية التي قد قبلت منذ ذلك الوقت، على انها من الاتجاهات الهامة الضرورية في العلم، وقد اعتبر «راتزل»، فيما قدم من موضوعات رئيسية، ان الحرب مرحلة هامة من السياسة ومن الجغرافيا، وان الدولة كائن حي، وان هناك تشابهاً بين البناء الجغرافي والبناء السياسي من جهة، وبين الكائن العضوي من جهة ثانية. وقد اخذ الجغرافيون السياسيون عن «راتزل» كثيراً من آرائه، خصوصاً نظريته في الفضاء او المنطقة التي تحتلها مجموعات سياسية، واطلقوا عليها اسم «منطقة البقاء» او «منطقة الحياة»، ثم رأوا للدولة حقاً في منطقة الحياة، او في «المجال الحيوي» كما عرفه هتلر في كتابه «كفاحي».

ثم تعهد علم الجغرافيا السياسية بعد «راتزل» جغرافيون آخرون كان اشهرهم، قبل الحرب العالمية الاولى، العالم السياسي السويدي «كيلن»، الذي وضع دراسة جغرافية لثمان دول في العام ١٩١٤، وفي كتابه «الدولة كعضو حيوي» أعتبر وجود خمسة أقسام فرعية للسياسة اطلق على احدها إسم الجغرافيا السياسية (الجيوبوليتيكا)، وقد تأثر «كيلن» بالحرب العالمية الأولى، واصدر مؤلفات اخرى استخدم فيها علم الجغرافيا السياسية للدفاع عن قضية المانيا، وبنهاية الحرب العالمية الاولى كانت قد اصبحت الجغرافيا والسياسة توأمين لا ينفصلان، فنما هذا العلم وازدهر، في المانيا خصوصاً. واستخدم آراء «كيلن» ونظرياته نفر من العلماء الالمان، التواقين لاستخدام كل ما يتوافر لهم من معرفة عن الارض لمعاونة المانيا في استعادة مكانتها في مصاف الدول الكبرى، كان أبرزهم الجنرال «كارل هوزهوفر» مدير معهد الدراسات الجغرافية السياسية بجامعة ميونيخ، ومن ثم عميد الاكاديمية الالمانية، ولهذا العالم الجغرافي كتب عدة ومؤلفات في الجغرافية السياسية «الجيوبوليتيكا»، وكان تأثيره في المانيا واليابان — الدولة العسكرية الثانية التي كتب عنها كتابه الشهير «اليابان الكبرى» — تأثيراً بالغ المدى والأهمية. فهو، مع بعض الجغرافيين الآخرين، أخرج علم الجغرافيا السياسية الى الوجود السياسي للدولة، وغدا تعلم الجغرافيا السياسية مرادفاً لتعلم تقنية خاصة في ادارة السياسة في الدولة.

بنى العلماء الالمان، من الجغرافيين السياسيين، آراءهم الجغرافية، على مبادئ منها مبدأ **الاكتفاء**، اي العمل للاكتفاء الذاتي القومي القائل بأن على الدولة أن تملك توازناً اقتصادياً، مع استقلال في الانتاج عن غيرها من بلاد العالم، وهذا ما على السياسة تأمينه، ومبدأ **المجال الحيوي**، المعروف منذ أيام الجغرافيين السياسيين الأوائل، والذي يعني المجال اللازم لشعب في ان يعيش، وينمو، ويتحرك، ويفجر طاقاته وامكاناته، وهذا المجال يستتبع السماح لأي شعب «مضغوط» ان يمتد، فيضم اليه اجزاء الأرض التي تؤمن له التفاعل الاجتماعي

والاقتصادي الكاملين . ومن مبادئهم ايضاً قولهم بحق الامة في الحصول عن حدود طبيعية ، تقع عادة وراء الحدود السياسية القائمة ، فاذا ما كان هذا حقيقة واقعة ، كانت الحدود السياسية عاملا يدعو الى الحرب التوسعية . ويقصدون بكلمة حدود طبيعية، حواجز مانعة ، كالغابات والانهر والجبال . ومن مبادئهم أيضاً ، النزعة الاقليمية بان تنضم جميع الشعوب التي تتكلم لغة واحدة او حتى تلك التي تتقارب لغاتها ، وفي هذا ، كما نرى ، شيء من الدعوة القومية وان كانت تقصر عنها في الحجم والعمق .

من مختلف الآراء والمبادئ ، تبلور هذا العلم ، وانتشرت المؤلفات الجغرافية السياسية ، وتنوعت ، وظهرت مصورات « لمنطقة الثقافة الالمانية » ومصورات « لمنطقة التجارة الالمانية » ، على انه ، من اطرف المصورات ، تلك التي قسمت العالم الى ثلاثة أقاليم، على رأس كل اقليم واحدة من الدول الكبرى : الاقليم الاميركي أبرز الاقاليم الثلاثة لانه ينفصل عن الاقليمين الباقيين بمحيطات واسعة ، تتولى الولايات المتحدة الاميركية السيطرة عليه ، ويشمل قارة اميركا . ثم الاقليم الآسيوي ، ويتكون من شرق آسيا واوستراليا ، والسيادة عليه لليابان ، وقد اطلق اليابانيون على هذه المنطقة او الاقليم اسماً مستحباً « منطقة المشاركة في الرخاء لشرق آسيا » ، مع العلم بان اليابان كانت الدولة الوحيدة ، خارج الاراضي الالمانية ، التي تحول جغرافيوها الى جغرافيين سياسيين (جيوبوليتيكيين) . اما الاقليم الثالث فهو ما تبقى من العالم ، اي اوروبا وافريقيا ، وتشرف عليه المانيا ، وكانوا قد فكروا كحل لمشكلة الاتحاد السوفياتي ، ان يخلقوا منطقة اقليمية رابعة تضم الاتحاد السوفياتي مع الارض التي في جنوبه حتى الهند وساحل بحر العرب ، ولكن ، بما ان هذه الارض المقترحة لا تصل الى خط الاستواء ، فانها ستفتقر الى جو المنطقة الاستوائية ، اي الجو الذي توافر لكل الاقسام الاخرى ، وبالتالي فقد صرف النظر عن هذا الاقليم الرابع والحق الاتحاد السوفياتي ، بالمنطقة التي ستسودها المانيا ، وذهبت الهند الى المنطقة اليابانية . وهكذا خدم علم الجغرافيا السياسية العقيدة النازية خدمة اوصلتها الى الحرب، ومثل فيها العلماء الجغرافيون مستشارين للزعامة النازية .

ولقد انتشر علم الجغرافيا السياسية بعد الحرب العالمية الثانية ، ورأى فيه الفرنسيون ، دراسة للعلاقات الرابطة بين الطبيعة والمجتمع والدولة ، فوضعت مؤلفات عديدة في هذا الباب ، ويمكننا الاشارة هنا الى ان ابن خلدون قد اتى ، في المقدمة الخاصة لكتابه الشهير ، على كثير من مبادئ الجغرافيا السياسية التي نحن بصددها .

وعلى الرغم من ان علم الجغرافيا السياسية ، لم يعد اليوم ، كما كان بالامس ، من حيث المرتبة والاهمية ، فانه ما يزال يلجأ اليه في أمور دولية كثيرة ، فكما كانت الجماعات التي نظمها « كارل هوفر » ، في معهد الجغرافيا بجامعة ميونيخ ، وفي اماكن متعددة اخرى ، تعمل من أجل الحرب المتوقعة ، فان جغرافيي الولايات المتحدة ، والكثير من الوكالات والهيئات ، بما فيها وزارة الحرب ، تعمل اليوم ، من أجل القوات المسلحة الاميركية . ولقد كان مفهوم الحرب الشاملة العامل الأول الذي دفع علم الجغرافيا السياسية الى مركز الصدارة في أماكن متعددة من العالم . ومن الجدير بالذكر أن نظرية الامن القومي الاميركية ، ونظرية الحدود الآمنة الاسرائيلية ترتكز على هذا العلم بأسلوب جديد لا يختلف في جوهره عن الاسلوب القديم .

(١٠) الجغرافيا العسكرية

قد لا نجد ، في المدلول العلمي كلمة جغرافيا عسكرية ، اذ ليس هناك كعلم إلا كلمة جغرافيا . إلا أن هذه الجغرافيا ينظر فيها أحدنا من الزاوية التي تهمه ، أو في ضوء المعلومات التي يحتاج اليها ، فيستخلص العسكري ، مثلا ، من الجغرافيا الطبيعية والبشرية ، كل ما يراه مؤثراً على سير عملياته المرتقبة أو الحالية . من هنا درج العسكريون ، وجاراهم أهل العلم ، على اطلاق اسم « جغرافيا عسكرية » على تلك المعلومات ، التي تهم العسكريين، من الجغرافيا ككل .

ومن الضروري التفريق بين الجغرافيا العسكرية، لاهداف استراتيجية وبين الجغرافيا العسكرية لاهداف تكتيكية . فالأولى تلبي حاجات الاستراتيجية العسكرية والسياسية ، بمعنى أنها أشمل وأبعد أثراً ، فهي تتناول عامة ، بالاضافة الى الجغرافيا الطبيعية والبشرية ، العناصر الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية التي تسهم جميعها في تقييم قوة العدو ككل : نقاط ضعفه وامكاناته . وتلبي الجغرافيا العسكرية التكتيكية حاجات الوحدات المقاتلة ، في معرفة خصائص منطقة القتال ، حيث ستدعى للتمركز ، أو للحركة ، أو للقتال .

تتناول الجغرافيا العسكرية حقولا أربعة، لكل منها، منفردة ومجتمعة ، تأثير مباشر على سير العمليات العسكرية في منطقة العمليات : فسطح الارض وباطنها ، تعاريجها ، ومجاري المياه فيها ، وأغطيتها (الاحراج والمزروعات) ، وعناصرها البشرية ، تلتصق التصاقاً مباشراً بشكل المناورة ، سواء للقتال ، أو للتحرك ، أو للتمركز ، أو للخدمات اللوجستيكية (الادارية) . ويدرس العسكريون ، في مسطح الارض وفي باطنها ، عدة أمور بهدف معرفة إمكانات الحركة في منطقة ما ، وامكانات إقامة انشاءات الميدان ، وموضوع التموين بالمياه ، والمصادر المعدنية اللازمة لاعمال الجبهة وللتشكيلات اللوجستيكية ، كما يهدف هذا الدرس الى معرفة المخابئ الطبيعية المتوفرة وأثر كل ذلك ، على تمركز الوحدة وانتقالها .

أما تعاريج الارض فيستفاد من دراستها في معرفة نوع المناورة أو اتجاهاتها ، خصوصاً في الحروب الحديثة ، حيث لم تعد الآلة ، ولها التزاماتها التقنية ، عنصراً هاماً في المعركة فحسب ، بل غدت أيضاً العمود الفقري لتلك المعركة . ويشمل درس تعاريج الارض ، ومجاري المياه . فتدرس الانهار ، من حيث عرض كل منها ، وعمقه ، ونوع التربة في قعره ، وسرعة جريانه ، وأهم من كل ذلك ، تدرس امكانات عبوره من قبل الآليات جميعاً ، ومن قبل المشاة .

وتشمل الأغطية في المفهوم العسكري المزروعات والاحراج ، وهي عناصر هامة في تأثيرها على شكل المناورة . والمعلومات التي تستقى من الجغرافيا العسكرية ، في هذا الصدد هي ما يتعلق منها ، بامكانية المراقبة ، وبفعالية النيران . فالمزروعات العالية تحد من امكانات المراقبة ، كما تسهل عمليات التخفي ، وعمليات التسلل والكمائن ، وبعض الحقول المزروعة يعتبر صعباً سلوكها من قبل الآليات ، كما أن الأرض المحروثة تعرقل سير تلك الآليات . وتعتبر الغابات والأحراج ، نسبة إلى كثافتها ، حاجزاً أو شبه حاجز ، وهي في أكثر الاحيان تحد من المراقبة ومن النار أيضاً ، كما أنها تسبب المفاجآت ، وعلى ذلك فهناك تقنية خاصة في قتال الاحراج والغابات ، مرتكزة على عنصر المفاجأة ، يعتمدها العسكريون وتختلف اختلافاً كاملا عن المناورة في منطقة غير مغطاة .

أما العناصر البشرية في الجغرافيا العسكرية ، فهي تتناول الطرق ، والجسور ، والحدود ، ومسالك الملاحة وأعمال تنظيم (تحكيم) الاراضي (Organisation du terrain) ، والمجموعات السكنية ، والمدن ، والمصادر الطبيعية المحلية ، واخيراً السكان . وفي كل بند من البنود المشار اليها ،

يجهد العسكريون في معرفة مدى تأثيرها على المناورة : فشبكة الطرق عنصر أساسي ، وهي التي تحدد اتجاه الحركة ، وسعتها ، اما الجسور فتعتبر مسالك مفروضة وجد حساسة ، فيدرس في الجسر ، عرضه ، وسعته ، وقوة احتماله لأوزان المعدات العسكرية ، كذلك السدود تؤلف حاجزاً مانعاً اذا كانت على نوع من الضخامة والحجم ، وبتهديمها يمكن ان تحول مساحات شاسعة ، حولها ، الى اماكن غير صالحة للتحرك .

وعند دراسة مسالك الملاحة يقتضي تحديد قيمة المسالك من حيث حجم المركبة المائية الممكن أن تمخر عليه ، وتحديد الوسائل اللازمة لاجتيازه ، والمهل الضرورية لإقامة الجسور . تستجمع المعلومات حول الانشاءات الدفاعية التي أقامها العدو ، وأعمال تنظيم (تحكيم) الاراضي في منطقة من المناطق . أما ما يعود الى المجموعات السكنية ، والمدن ، فانها تعتبر من الحواجز أو موانع الحركة ، قريبة نوعاً ما الى الاحراج والغابات ، إلا أنها ، بخلاف تلك ، قد تسهل أعمال التمركز والتخييم في حال كون السكان موالين ، وتعتبر الاماكن الآهلة صالحة للعمليات الدفاعية أكثر منها للعمليات الهجومية ، بما توفره للمدافع من اختفاء ، ولأنها تحد مدى النيران والمراقبة أمام المهاجم .

ولا تهدف دراسة المصادر الطبيعية في بقعة ما الى اجراء دراسة اقتصادية أو صناعية ، بل الى معرفة ما تؤمن هذه البقعة من تسهيلات عسكرية في اعمال التحصين ، والتموين ، والصيانة ، والتمركز .

ويبذل جهد خاص في معرفة ميول السكان السياسية ، والدينية ، بهدف معرفة امكانات مؤازرتهم من جهة ، أو مدى عدائهم من جهة أخرى ، فقد يجد العدو بينهم عملاء أو أنصاراً أو مخربين . وهكذا فان دراسة السكان هي موضوع بالغ الاهمية ، يملي على القائد اتخاذ تدابير حماية ، أو حيطة خاصة ، وتدابير حذر يحيط بها عملياته وتحركاته : « فالطابور الخامس » ، كما درج الناس على تسميته ، وهو تلك المجموعة العقائدية من السكان التي تناوئ وتناهض حتى القتال ، تعتبر مادة اساسية من مواد دراسة السكان .

ولقد درج العسكريون في التنظيمات العسكرية القيادية على ايكال مهمة دراسة الجغرافيا العسكرية الى شعبة الاستخبارات في الاركان ، وذلك لان المعلومات الجغرافية العسكرية ، تدخل كفقرة هامة من فقرات تقرير المعلومات ، الذي تضعه الشعبة المذكورة ، بمعنى ان المعلومات الجغرافية تلك ، تؤلف عنصراً أو عناصر هامة من عناصر اتخاذ القرار من قبل القائد (انظر اتخاذ القرار) .

(٦) جلجنايت (الجيلينيت أو الديناميت الجيلاتيني)

عبارة عن ديناميت استبدلت فيه مادة الكيسلغور (Kieselguhr) الحاملة التي تقلل من فعالية النتروغليسرين (انظر الديناميت) بمواد اخرى تمتص النتروغليسرين مثل لب الخشب او الدقيق ، او نشارة الخشب او قش الحبوب ، وذلك بعد إضافة املاح معدنية مؤكسدة اليها مثل نترات الصوديوم ، وكمية قليلة من مادة تقاوم الحامض (Antacid) وتوقف تأثيره مثل كربونات الكالسيوم ، اذ يتبقى بعد تحضير مادة النتروغليسرين كمية من الحامض الزائد تتسبب في تحلل جزء منه . والجلجنايت (Gelatin dynamite) متفجر قاصم ويعتبر من أقوى أنواع الديناميت ، ويحضر بخلط نسبة تتراوح بين ٤٥ — ٦٠ ٪ من الجيلاتين المتفجر (Blasting gelatin) (وهو الاسم الذي يطلق على النتروغليسرين في حالته الجيلاتينية ويحضر باضافة ٧ — ٨ ٪ من النتروسليلوز في صورة كلولوديون القطن ، أي القطن المندوف المذاب في حامض النتريك ، الى النتروغليسرين) ، و ٥٥ — ٤٠ ٪ من لب الخشب ، ونترات الصوديوم والمادة التي تقاوم تأثير الحامض . وهو عبارة عن مادة صلبة باهتة اللون مطاطة الى حد كبير تعبأ في أغلفة اسطوانية غير معدنية (ورق مشمع) زنة ٥٥ ، و ١١٠ ، و ٢٠٠ غرام . ويتميز بأنه يحترق ببطء في الهواء الطلق ويتحول الاحتراق الى انفجار اذا كانت كمية المتفجر كبيرة ، وينفجر باطلاق الرصاص عليه ، ويتأثر بالرطوبة فيصبح خطراً ولكنه يحافظ على قوته وبذلك يصلح لاستخدامه تحت الماء ، ويتجلد في درجة ١٢ مئوية ويصبح خطراً ولكن قوته تضعف ، كما انه متفجر سام يسبب آلاماً في الرأس عند لمسه .

وهناك نوع حديث من الديناميت الجيلاتيني يسمى بالديناميت النشادري الجيلاتيني Ammonia Gelatin Dynamite يشابه هذا النوع في خواصه كثيراً ، وهو يحضر باستبدال جزء من النتروغليسرين الداخل في تركيبه بملح نترات الامونيوم . وقد طور منذ أن بدأ تطوير المتفجرات التي تعتمد على نترات الامونيوم في سنة ١٩٣٥ . يعتبر الجلجينايت من المتفجرات العسكرية ، وهو يستخدم في الحشوات الداخلية والحشوات السطحية اللازمة لقطع القطع المعدنية ذات المقاطع المعقدة (دائرة ، أحرف U, L, T, H) التي تتطلب حشوة عجينية سهلة التشكيل . ولكن حساسيته للطلقة وللظروف الجوية تجعله أقل استخداماً في الجيوش من الـ ت. ن. ت أو البلاستيك .

(٣) جلولاء (معركة) ٦٣٦

جلولاء بلدة عراقية على طريق خراسان قرب حلوان في نحو اربعين ميلا شمالي المدائن ، جرت فيها الوقعة المسماة باسمها سنة ١٦ (هـ) بين المسلمين وعليهم سعد بن ابي وقاص والفرس وعليهم « مهران » وقد سميت كذلك لكثرة قتلى الروم في هذه الوقعة (قيل مائة الف) حتى « جللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه ، فسميت جلولاء ... فهي جلولاء الوقيعة » . واهمية هذه الوقعة انها انهت حكم الفرس في العراق ودفعت بهم الى ما وراء جبال زغاروس ، وهي الحد الفاصل بين العراق وفارس .

بعد ان فتح سعد المدائن ، هرب الجنود الفرس منها نحو ارض فارس ، ووصلوا الى جلولاء ، على ابواب فارس ، فرأوا انهم « ان افترقوا لن يجتمعوا ابداً » فاستقر رأيهم على ان يجتمعوا لقتال المسلمين بجلولاء « فان كانت لنا فهو الذي نريد ، وان كانت الاخرى كنا قضينا الذي علينا ، وابلينا عذراً » . ووافقهم يزدجرد على ذلك وأمر عليهم « مهران الرازي » ثم انتقل الى حلوان . اما مهران فعسكر بجيشه في جلولاء ، واقام حوله خندقاً احاطه بالحسك الشائك من الخشب ، وقعد ينتظر المسلمين .

وكتب سعد الى الخليفة عمر ينبئه بامر الفرس ، فكتب اليه الخليفة يأمره أن يعد جيشاً من اثني عشر ألف مقاتل ، يؤمر عليه هاشم بن عتبة ، ويجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو (وهو الذي قال فيه : ان جيشاً فيه مثل القعقاع لا ينهزم ابداً) وعلى ميمنته سعر بن مالك ، وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبه ، وعلى الساقة عمرو بن مرة الجهني ، ثم يسيره لمنازلة الفرس في جلولاء . وكانت اوامر الخليفة بصدد مهمة هذا الجيش ما يلي : « قدم القعقاع حتى يكون بين السواد — سواد العراق — والجبل — جبل فارس — على حد سوادكم ، ... فان فتح الله عليكم جلولاء فسرح القعقاع بن عمرو في آثار القوم حتى ينزل بحلوان ، فيكون ردءاً للمسلمين ويحرز الله لكم سوادكم » . بمعنى آخر ،

كانت مهمة هذا الجيش ان يطرد الفرس نهائياً من ارض العراق ويقف على ثغرها حلوان فيرابط فيه مانعاً الفرس من العودة الى العراق.

وسار هاشم بن عتبة على رأس جيشه الى جلولاء، وفي الجيش وجوه المهاجرين والانصار واعلام العرب، فوصل اليها بعد اربعة ايام، وضرب، فور وصوله، حصاراً حول معسكر الفرس، فطاوله هؤلاء، «وزاحفهم المسلمون بجلولاء ثمانين زحفاً» دون ان يكون بين الفريقين قتال حاسم. ودمر المسلمون حسك الخشب المحيط بمعسكر الفرس فاستبدله هؤلاء بحسك الحديد تاركين فيه مسالك لمرورهم.

ورأى الفرس ان لا مناص من منازلة المسلمين في معركة حاسمة، وانهم ان لم يخرجوا لقتالهم سيبقون على حصارهم، خاصة وان مدداً للمسلمين كان يصل تباعاً، اذ امدهم سعد «بمائتي فارس، ثم مائتين، ثم مائتين» كما ان يزدجرد كان قد امد مهران بمدد من اهل الجبال، فتقووا به.

وخرج الفرس على المسلمين يبغون قتالهم، فاقتتل الفريقان قتالا شديداً «لم يقتتلوا مثله الا ليلة الهرير» حتى نفذ النبل، ونفذ النشاب، وتقصفت الرماح، ودار القتال بالسيوف والطبرزينات (الفؤوس)، وضغطت خيل المسلمين وعليها طلحة ابن فلان من بني عبد الدار على خيل الفرس وعليها خرزاد بن خرهرمز، حتى تهافت فرسان العجم في الخندق، فاضطر هؤلاء لان يجعلوا فيه فرضاً تصعد منها خيولهم، فافسدوا بذلك الخندق المحيط بمعسكرهم، واصبح سهلا على المسلمين اقتحامه.

وفي هـذا الوقت بالذات انطلق المسلمون بهجومهم على معسكر الفرس، فخرج الفرس اليهم، ورموا حول خندقهم حسك الحديد كي يمنعوا المسلمين من ولوجه، ولكن القعقاع استخدم الممرات الضيقة الخالية من الحسك، والفرض التي سبق واقيمت في الخندق، كي يقتحم بواسطتها الخندق ومعسكر العدو، ولما انتهى القعقاع الى باب خندق الفرس نادى قومه: «يا معشر المسلمين هذا اميركم قد دخل خندق القوم واخذ به فاقبلوا اليه»، وظن المسلمون ان اميرهم هاشم قد اقتحم الخندق فاقتحموه ليجدوا بداخل المعسكر القعقاع يقاتل فانضموا اليه. وبدأ الفرس ينهزمون، فوقعت خيولهم في الخندق وهم هاربون، فولوا مشاة وقتل منهم عدد كبير.

وبعد انتهاء القتال في جلولاء، امر هاشم القعقاع بمطاردة فلول الجيش المنهزم، تنفيذاً لاوامر الخليفة، فطارد القعقاع فلول الفرس حتى بلغ خانقين، حيث ادرك مهران فقتله، وتابع تقدمه حتى وصل حلوان، وكان يزدجرد قد غادرها نحو الجبال هارباً، فاقام القعقاع في حلوان وظل فيها حتى عاد الجيش من المدائن إلى الكوفة فعاد معه.

(٦) جمال باشا

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٤) الجمسي (محمد عبد الغني)

قائد عسكري مصري (فريق أول) ووزير الحربيـة، (١٩٢١ –). تخـرج محمـد عبد الغني الجمسي من الكلية الحربية في العـام ١٩٣٩، والتحق بسلاح الفرسان، ثم انتـدب للعمل بسلاح الحـدود في الصحراء الغربية حتى العام ١٩٤٤. وفي ١٩٤٨ اوفد في بعثة تخصص بالدبابات بالولايات المتحدة مددت عاماً آخر، وفي ١٩٥٠ اتبع دورة دراسات عليا في كلية الاركان المصرية، ثم تولى قيادة بعض الوحدات المدرعة، وفي ١٩٥٩ اصبح قائداً للواء المدرع الثاني، ثم اوفد في بعثة للمدرعات باكاديمية فرونزه العسكرية بالاتحاد السوفييتي، واسندت اليه رئاسة مدرسة المدرعات في ١٩٦١، وفي العام ١٩٦٦ اتبع دورة دراسات عليا باكاديمية ناصر العسكرية، ثم عين في العام نفسه مديراً للعمليات بقيادة القوات البرية.

وعقب هزيمة ١٩٦٧ عين الجمسي رئيساً لاركان الجيش الثاني على جبهة القناة، ثم اصبح نائباً لمدير الاستخبارات الحربية (١٩٦٨). وفي العام ١٩٧١ اسندت اليه رئاسة هيئة تدريب القوات المسلحة، التي قامت بدور هام في تدريب القوات المصرية تمهيداً لعبور القناة واقتحام خط بارليف. وفي ١٩٧٢/١/١ عين مديراً للعمليات في رئاسة الاركان العامة، ومن ثم اصبح نائباً لرئيس الاركان الفريق «سعد الدين الشاذلي»، وساهم معه ومع الفريق اول «احمد اسماعيل علي» وزير الحربية والقائد العام مساهمة فعالة في التخطيط والاعداد لعمليات الحرب العربية-الاسرائيلية الرابعة (١٩٧٣). وقد اشار «احمد اسماعيل» عقب الحرب المذكورة إلى اهمية الدور الذي قام به «الجمسي» في التخطيط للعمليات في حرب ١٩٧٣ فقال: «لقد شارك الجمسي معي في التخطيط للحرب. ان التقدير الاكبر يعود اليه للدراسة الدقيقة التي أعدها».



الفريق أول محمد عبد الغني الجمسي

ثم عين «الجمسي» رئيساً للاركان العامة في ١٩٧٣/١٢/١٢ خلفاً للفريق «سعد الدين الشاذلي»، الذي كان قد نحي فعلياً عن منصبه في الايام الاخيرة لحرب ١٩٧٣، نتيجة للخلاف في تقدير الموقف العسكري والاجراءات المترتبة عليه بينه وبين القيادة السياسية والعسكرية العليا.

شارك «الجمسي» عقب الحرب في مفاوضات الفصل بين القوات على الجبهة المصرية، التي جرت في خيمة الكيلومتر ١٠١، بصفته رئيساً للوفـد العسكري المصري. ووقع على الاتفاق المذكور بهذه الصفة. وقد وصفه رئيس الوفد الجنرال «اهارون ياريف» بأنه «عربي معتز بعروبتـه ويكره اسرائيل». وقد رقي في بداية العام ١٩٧٤ إلى رتبة فريق، ثم تولى في الشهور الاخيرة من العام نفسه المهام الفعلية لوزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة نظراً لاشتداد وطأة المرض على المشير «احمد اسماعيل علي»، ثم عين وزيراً للحربية وقائداً عاماً للقوات المسلحة في ١٩٧٤/١٢/٢٦ أثر وفاة المشير «احمد اسماعيل»، ورقي نتيجة لذلك إلى رتبة فريق اول. وقد بذل «الجمسي» جهوداً كبيرة عقب انتهاء حرب ١٩٧٣ في إعادة تدريب القوات المصرية على ضوء دروس الحرب، وكذلك في اعداد التحصينات القوية على ضفتي القناة لمواجهة احتمالات نشوب حرب جديدة.

(٩) جمعية انقاذ فلسطين

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٣) الجمل (معركة) ٦٥٦

وقعة جرت بين عائشة أم المؤمنين (رض) وبين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) سنة ٣٦ هـ الموافقة لسنة ٦٥٦. وسببها في الظاهر مطالبة

عائشة وانصارها بالثأر لدم عثمان ، وفي الحقيقة صراع بين الهاشميين والامويين على الخلافة . وهكذا انقسم المسلمون فريقين : فريق يتحزب لعائشة وعلى رأسه طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وابنه عبد الله ، ويشد أزر هذا الفريق الامير الاموي في الشام معاوية بن ابي سفيان ، الذي رفع قميص عثمان الملطخ بالدم على منبر المسجد مطالباً بالثأر للخليفة المقتول ظلماً . وفريق آخر يتحزب للإمام علي باعتباره الخليفة الشرعي ، وغير مسؤول عن مقتل سلفه ، وعلى رأسه محمد بن ابي بكر اخو عائشة ، والقعقاع بن عمرو ، والاشتر مالك بن الحارث ، وعدي بن حاتم ، وهند بن عمرو والهيثم ابن شهاب وغيرهم . وقد اختارت عائشة لدعوتها ارض العراق فنزلت بالبصرة ، وسبقها علي الى هناك لمنع الفتنة ، فانقسم اهل العراق (الكوفة والبصرة) الى قسمين انحاز كل منهما الى فريق من الفريقين المتنازعين . والتقى الفريقان في موقع يقال له (الخريب) بالقرب من البصرة .

وجرى القتال بين الفريقين اياماً قتل في خلالها من المسلمين عدد كبير ، كأنما العرب المسلمون عادوا الى عصبيتهم الجاهلية . وكانت عائشة (رض) قد حملت في هودج على جمل أضحى كأنه لجيشها راية ، فكانت تحض الناس على القتال من هودجها ، وتستحثهم وهم يثبتون حول الجمل ويستقتلون ، وما ان رأى علي ذلك المشهد حتى قال : اعقروا حماته وابتعدوا عنه ، ولكن طلحة ظل يقاتل بمن معه حتى قتل ، وقتل الزبير كذلك ، كما قتل كثير من اهل الكوفة والبصرة . وقد اختلف الرواة في قدر عدد القتلى فمنهم من بلغ بهم عشرين الفاً ومنهم من لم يتجاوز العشرة آلاف (جاء في الاخبار الطوال للدينوري ان الحسن (رض) أحصى قتلى المسلمين في هذه الوقعة فبلغوا تسعة آلاف وستمائة وخمسين رجلا) والمتفق عليه هو انه قتل في هذه الوقعة خيرة رجال المسلمين من اصحاب النبي (صلعم) ومن فقهاء المسلمين وقرائهم . اما عائشة فقد اعادها علي سالمة الى منزلها في المدينة فاستقرت فيه الى ان وافتها المنية .

(١٠) جمهرة

الجمهـــرة Groupement تجميـــع تحـــت قيادة واحدة ، لعناصر او وحدات من مختلف الاسلحة بطابع تنظيمي مؤقت ، للقيام بعملية محددة ، في الزمان والمكان . وتسمى الجمهرة أيضاً لفيفاً ، مضافاً اليها صفة أخرى للدلالة على قوامها الاساسي : فالجمهرة التكتيكية .G. T تتألف عادة من وحدة بقوام لواء ، معززة بوحدات من المدفعية والمدرعات والمهندسين . وتتألف الجمهرة الفرعية .S. G. T من وحدة اساسية بقوام كتيبـــة معززة بوحدات من الاسلحة الاخرى المذكورة . وقد تكون الوحدة الاساسية ، سواء بقوام لواء او بقوام كتيبة ، من المدرعات او من المشاة ، ولا يمكن ان تكون من المدفعية او المهندسين لأن هذين السلاحين هما سلاحا اسناد وليس سلاحي قتال .

ليس للجمهرة تنظيم موضوع سلفاً ، بل يرتكز تنظيمها على نوع المهمة المطلوبة منها بحيث تلتحق ، بانتهاء تلك المهمة ، كل وحدة منها بقطعتها الاصلية . فتلتحق كتيبة أو سرية المدفعية بكتيبتها ، وكتيبة أو سرية الدبابات بوحدة الدبابات الاصلية وهكذا .

ان اعتماد الجمهرة ، كتقنية خـــاصة ، قد فرضته الحرب العالمية الثانية ، وقبل ذلك ، عموماً ، كان تنظيم الجيوش يرتكز على ضم وحدات عضوية ، في كيانات هرمية ، ثلاثية او رباعية ، ولكنها متجانسة ، اي من سلاح واحد على الاغلب ، وهو تنظيم كان صالحاً للحرب بمقدار ما كان صالحاً للسلم . أما دور الاسلحة في المعركة فقد كان في التنسيق بين هذه الاسلحة ، بحيث تتضافر جهودها لبلوغ الهدف ، دون ان تمتزج تحت قيادة واحدة ، ومرد ذلك ان وحدات الدعم والاسناد ، اذا بقيت بقيادة السلطة الاعلى ، امكن استغلال عملها حيث تدعو وحين تدعو الحاجة ، بدلا من وضعها منفصلة بمساندة وحدة عضوية ووقف عملها على هذه الوحدة ، يضاف الى ذلك ان هزج وحدات من اسلحة مختلفة ، أعباء واحدتها تختلف عن أعباء الأخرى لوجستيكياً وحركياً ومفعولا ، كان أمراً غير مستساغ ولا مألوف .

وجاءت الحرب العالمية الثانية حرباً متطلبة ، باهظة ، قوة النيران فيها على حجم كبير ومتزايد ، فكان قائد الكتيبة ، حتى مع اسلحته العضوية ، يحتاج الى دعم ناري هائل يحصل عليه بطلب من النسق الاعلى ، فيهدر بعض الوقت بين تبلور الحاجة إلى الدعم وبين تلبيتها ، يكون في اكثر الاحيان ، على حساب تنفيذ المهمة . لهذه الاسباب ، اعتمد اسلوب جديد في القوات المتصارعة ، يقضي بدمج المشاة والمدفعية الى جانب الدبابات والمهندسين في تشكيل مؤقت ومتلائم مع المهمة المطلوبة .

وهكذا تلقى لواء المشاة الاميركي وحدات اضافية من الدعم الناري كالمدفعية المضادة للدبابات ومدفعية الميدان . اما السوفيات فقد ادخلوا على تنظيم لواء المشاة ، تعزيزاً اوسع بالحاق وحدات مدفعية ومدرعات ومهندسين ووحدات خدمة ميدانية كجزء لا يتجزأ من اللواء ، بحيث ان هذا الاسلوب ، في إلحاق وحدات من مختلف الاسلحة سواء للدعم او للخدمة الميدانية ، مكن القادة من الحصول على نتائـــج باهرة ، واعتبر من منجزات تطور الفن العسكري في الحرب العالمية الثانية ، وبهذا الاسلوب ايضاً ، اصبح بالامكان تجميع قوى معينة من مختلف الاسلحة واناطة مهمة معينة بها ، تنفذها منفردة دونما الحاجة الى النسق الاعلى .

وبعد ان فوجئ البريطانيون مرتين قرب بنغازي ، قامت قواتهم بالانسحاب نحو العلمين في حزيران (يونيو) ١٩٤٢ ، ووقفوا هناك عند موقع يستند الى البحر من الشمال ، ووقف الالمان امامهم ، واخذت الجبهة في شمالي افريقيا لاول مرة ، شكل جبهة ثابتة تتطلب الخرق نظراً لتعذر الالتفاف . ولقد حقق الانكليز الخرق بعد قتال ضار دام عشرة أيام ، وكانت الجمهرات الاداة التكتيكية في هذا القتال ، اذ بعد رمي تمهيدي عنيف بنيران المدفعية ، وبعد فتح الثغرات في حقول الالغام ، انقضت تلك الجمهرات ، ولكل منها هدف معين واتجاه معين ، انقضاضاً هائلا كان من اهم ركائز الانتصار الساحق الذي حققه البريطانيون في شمالي أفريقيا .

في المفهوم الجديد ، اصبح تداخل الاسلحة المختلفة عضوياً في التنظيمات العسكرية ، قاعدة عامة ، فاللواء يضم وحدات من مختلف الاسلحة خصوصاً المدفعية ، وحتى على صعيد الوحدات الصغرى نرى في التنظيمات العسكرية ميلا الى ادخال اسلحة من اصناف مختلفة ، ففي الخلية العضوية الصغرى ، اي الفصيلة او الجماعة (الحضيرة) اسلحة مضادة للدروع ، ومدفعية خفيفة (هاون) كما نجـــد على صعيد سرية المشاة مدافع مضادة للدروع واسلحة مضادة للطائرات ، وتضم في بعض الجيوش مفارز مهندسين ايضاً . والقول صحيح بالنسبة الى المدرعات التي ابتدأت تضم ايضاً وحدات من المشاة تسمى وحدات المساندة ، او المساندة المباشرة . إلا أن جميع هذه التنظيمات لم تكن لتغني عن خلق الجمهرات . فالفرق بين التنظيم الجديد للواء مثلا ، الذي يضم مختلف الاسلحة ، وبين الجمهرة ، وفق ما نعني بهذا المجال ، يعود الى ان الاول يعتبر تنظيماً نظرياً اي سابقاً للمهمة ، في حين ان الثاني

هو تنظيم على ضوء المهمة ، وهو تكييف للوسائل بما يعطي الحظ الاوفر للقيام بتلك المهمة. فتنظيم وحدة متكاملة ، تنظيماً عضوياً تدخل فيه صنوف الاسلحة الاخرى ، يهدف الى تمكين هذه الوحدة ، عموماً ، من القيام بمهمة جد نظرية ، او بالاحرى تمكين تلك الوحدة من القيـام ، دون تغيير في تشكيلها ، بمهمة تكتيكية دنيا ، ولما كانت ظروف المعركة المتعلقة بالعدو والارض ، هي التي تحدد حجم القوة وتشكيلها ، وهي لا تأخذ حقها في التقدير إلا بعد تلقي المهمة ، فاننا لنتساءل عن جدوى تلك التنظيمات المتعددة الاسلحة تنظيماً مسبقاً .

ولقد ساد هذا التساؤل خلال مدة طويـلة ، وكان التنظيم يتأرجح بين فكرتين عامتين : فكرة تنظيم بسيط للسلم يصبح قتالياً بالحاق اسلحة اخرى على ضوء المهمة وظروف المعركة ، وحسناته مرونة كاملة في تكييف القوى وتشكيلها . وفكرة تنظيم مسبق يضم مفارز او وحدات من باقي الاسلحة وسيئاته شيء من الجمود،اذ يضطر القائد ، في اغلب الاحيان ، الى اقتطاع جزء من وحدة لتعزيز وحدة اخرى من عناصر قيادته ، كما أنه توزيع مسبق للوسائل يتعارض مع احد مبادئ القتال اي مبدأ الاقتصاد في القوى ، الذي يتأتى من تركيز الوسائط في يد القائد . إلا أن سيئات الفكرة الاولى ، التنظيم البسيط لكل سلاح بمفرده ، وفي رأسها عدم مؤالفة قوى الدعم والاسناد مع القوى المدعومة او المسندة التي تنتج عن وجود كل سلاح منفصلا عن الآخر ، وتؤدي الى عدم معرفة القائد لعناصره الجدد، وطاقاتهم وامكاناتهم ، فتنعدم في هذا الهرم التنظيمي، المعرفة المتبادلة واحياناً الثقة والتوافق خلال القتال، هذه السيئة جعلت فكرة الابقاء على تنظيمات خاصة لكل سلاح تتلاشى ، واصبح التنظيم المختلط عرفاً .

ولقــد برهنت الحرب العربية — الاسرائيلية (١٩٧٣) على حقيقة ان بناء سلاح المدرعات ينبغي ان يرتكز على دمج الدبابات والمشاة والمدفعية في تشكيلات مدرعة ، وذلك بعــد فشل المفهوم الاسرائيلي السابق ، المبني على اسلوب حرب الدبابات ضد الدبابات او « حرب الفولاذ بالفولاذ » . والذين عملوا بوحي هذا المفهوم الاخير ، قد اخفقوا وتكبدوا افدح الخسائر . ذلك لأن نجــاح المفهوم السابق « الفولاذ ضد الفولاذ » ، كان نجاحاً في معارك ذات طابع خاص(١٩٥٦و١٩٧٦)، والمفهوم الصحيح كما أظهرت حرب١٩٧٣، هو بناء تشكيلات مدرعة تدمج الدبابات والمشاة والمدفعية على ضوء المهمة وظروف الزمان والمكان .

على اننـا نرى ، اخيراً ، لفت النظر الى نقطتين : النقطة الاولى ان بعض الجيوش ما تزال تعتمد الاسلوب القديم، اي الحفاظ قدر الامكان على كيانات الاسلحة ، وضمها ، وفق المهمة والخطة عندما تدعو الحاجة ، في تشكيل قتالي مؤقت. ومن ذلك مثلا الفرقة الاميركية الجديدة التي تضم عدداً معيناً من كتائب المشاة والدبابات والمدفعية ، الى جانب ثلاث هيئات اركان الوية ينتظم تحت قيادتها ، على ضوء المهمة المتلقاة ، عدد معين من هذه الكتائب جميعاً ، بمعنى ان لا تنظيم جامد مسبق على صعيد الفرقة ، بل مرونة كاملة في خلق جمهرات قتال وفق ما يتطلب الوضع التكتيكي .

والنقطة الثانية هي ان الجمهرة ، اذا كانت مرتبطة بحجم معين للقوة التي تتألف منها كما سبق ذكره فيبدو ان المجموعة القتالية « task force » لا ترتبط بحجم معين ، اذ يمكن ان تتألف من قوام سرية معززة حتى وحدة كبرى بحجم لا يحده سوى نطاق المهمة التي تألفت من أجلها ، وتدعى هذه المجموعة غالباً للقيام بمهمة يبتعد مكانها بالقدر الذي يستدعي تأمين اكتفاء ذاتي للمجموعة ، وعلى هذه الاسس عرفت الحروب المحلية الحديثة ، مجموعات مختلفة الاشكال ، مظليين او محوقلين ، او قوى برية تقليدية او قوى مختلطة من تلك جميعها ، في اماكن مختلفة من جبهات القتال .

على صعيد القوى البحرية ، يبدو ان الامثولة المستخلصة من قتال القوى البرية قد اتسعت لتشمل القتال البحري ، فقبل الحرب العالمية الثانية كان متعارفاً ان السيطرة في معركة بحرية تفترض حشد قطع تفوق امكاناتها أية قطع مماثلة للعدو ، وكان يترجم هذا العرف ، عملياً ، بحشد قوى بحرية من نوع واحد مقابل قوى بحرية عدوة من النوع نفسه ، الا ان هذا العرف سرعان ما ترك بعد السنة الاولى من معارك المحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية . وعمد الخصمان الى تجزئة اساطيلهما في قوى بحرية بشكل اساطيل صغيرة تضم عدة انواع من القطع البحرية المدمرات والغواصات وحاملات الطائرات وسفن الانزال . وهدف ذلك ، كما هي الحال في المعركة البرية ، هو تمكين كل مجموعة من القيام بمهمة معينة دون الحاجة الى النسق الاعلى ، اي باكتفاء ذاتي بحيث تعتبر المجموعة وحدة تكتيكية مستقلة . وكانت النتيجة الفورية المحصلة ، السيطرة على مساحات اوسع من الميدان البحري ، بتوجيه كل مجموعة الى جهة معينة ، وامكانية اجراء البدل بينها ، مما حرر القادة من الزامية حشد اسطول بكامله في بقعة واحدة ، وترك فراغات هائلة قد لا يستطاع التدخل فيهـا في الوقت المناسب ، بالاضافة الى النتائج السلبية المحصلة وهي عدم تعريض الاسطول الى الغارات الجوية ، بتوزيعه في عدة اماكن من البحر . وتجدر الاشارة هنا الى ان خلق اساطيل صغيرة لم يكن جديداً كلياً ، فقد كانت تفرز من الاسطول ، عدة قطع بحرية من صنوف مختلفة للقيام بمهمة معينة ، إلا أن الجديد كلياً هو ان الاسطول كتنظيم عضوي ، لم يعد كذلك في حرب المحيط الهادي ، بل اذيب تماماً في تلك المجموعات طيلة مدة المعارك .

(١٠) الجندي المجهول

ظهر هذا التعبير لأول مرة في فرنسا للدلالة على جندي فرنسي مجهول الهوية ، استشهد في ساحة الشرف خلال الحرب العالمية الاولى ونقل جثمانه الى باريس ، قوس النصر ، في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ . وكان يرمز الى التضحية التي قدمها مليون وثلاثمائة وتسعون ألف عسكري فرنسي استشهدوا في تلك المعارك . وقـد نقش على الضريح العبارة التالية : « هنا يرقد جندي فرنسي مات في سبيل الوطن » وأقيمت شعلة فوق الضريح تبقى مشتعلة ومضاءة ، لتعهدها من قبل مجموعة من قدامى المحاربين .

اخذت كثير من الدول ، التقليد عن الفرنسيين ، واقامت نصباً للجندي المجهول ، رامزة ايضاً ، الى تكريم شهدائها من العسكريين الذين سقطوا في ساحة الشرف ، دون ان يرافق ذلك ، أو يسبقه ، نقل رفاة شهيد من الشهداء في معركة معينة ، من مكان استشهاده الى النصب حيث سيدفن ، ليصبح رمزاً للجندي المجهول وبالتالي للشهداء العسكريين جميعاً معروفين ومجهولين .

ونشير ، في هذا الصدد ، الى ان عمليات التقاط القتلى في المعارك ، والتعرف عليهم ، ومن ثم دفنهم لم تكن تجري على يد وحدات عضوية مخصصة لهذه الاعمال إلا في مطلع الحرب العالمية الاولى . ففي بريطانيا ، نجد محاولة أولى في العام ١٩١٤ عندما وجه السيد « فابيان واير » وحدة متحركة مـن الجيش ، الى الجبهة الغربية للتفتيش عن الجنود المفقودين ، اما في الولايات المتحدة الاميركية ، فقد أنشئت وحدات خاصة ، لدى دخولها الحرب ضد المانيا القيصرية (١٩١٧) ، للاهتمام بالتفتيش

عن القتلى واحصائهم والتعرف عليهم وتسجيلهم ومن ثم دفنهم ، وهي العمليات المتتابعة التي تدخل ضمن مهام وحدات الخدمة المذكورة . وقد وضعت حينذاك ، وسائل تعرف على البذات العسكرية ، كما اخضعت الوحدات تلك ، من قوام سرية كل منها ، الى تمارين وتدريبات تؤهلها للقيام بمهامها ، ودلت الاحصاءات ان وحدات الخدمة هذه قد استطاعت التعرف على ٩٥ بالمئة من القتلى ، أي لم يبق سوى خمسة بالمئة فقط مجهولين .

وفي الحرب العالمية الثانية ، تكثفت المقاييس ، على جميع الاصعدة : فالآلة الحربية تطورت ، والتقنية القتالية ، الجامدة نسبياً في الحرب العالمية الاولى ، تعدتها التقنية الخاصة بالوحدات المتحركة والسريعة ، فالقتال يجري في أي مكان ، بحراً وجواً وبراً ، والآلة النارية تقذف على مسافات شاسعة ، ونيران الاساطيل البحرية ، وقصف الطائرات ، والدمار الشامل الذي احدثته اول قنبلة ذرية ، كل ذلك جعل مهام وحدات الخدمة الميدانية ، من مختلف وجوهها ، على جانب كبير من الصعوبة ، ولم يعد ممكناً التقاط جميع القتلى العسكريين ، فمنهم من فقدت أثارهم كلياً ، كالغرقى ، ومنهم من فقدت بعض أجزائهم كحوادث الطيران ، ومنهم من تغيرت ملامحهم تغيراً كاملا بالاحتراق او التشويه ، بحيث ان الضرورة حتمت وضع تقنية جديدة ، في التعرف على القتلى ، ارتكزت على فحوصات مخبرية وشعاعية . فانشئت خدمة مركزية لمعالجة اوضاع شهداء المعارك ، وانشئت لها مختبرات عدة ، استطاعت بها ان تتعرف على ست وتسعين بالمئة من الضحايا الذين تم التقاطهم.

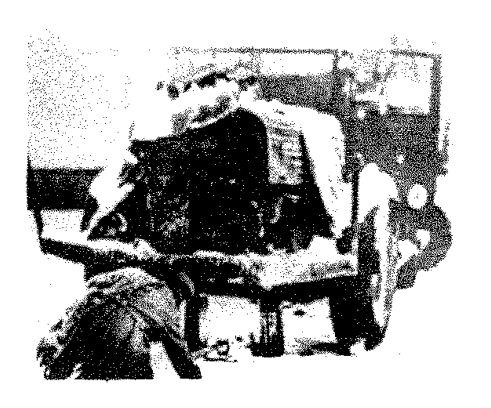
يدفن الشهداء العسكريون في مقابر عسكرية عموماً ، ووفق مراسم وشكليات محددة ، اما الجندي المجهول ، فيمكن ان يقام نصبه في اي مكان ، انما ينتقي لذلك أنسب الامكنة ، لما يستتبعه من احتفالات وتكريمات ، كما أشير .

في الولايات المتحدة الاميركية ، نقلت رفاة ٩٧٠٠٠ جندي اميركي استشهدوا في الحرب العالمية الاولى ، منها ٤٦٥٢٠ جثماناً الى الولايات المتحدة الاميركية ، والباقي الى ثمان مقابر عسكرية ، واحدة في بريطانيا ، وواحدة في بلجيكا ، وست مقابر في فرنسا . وقد ضمت المقابر العسكرية في الولايات المتحدة رفاة الجندي المجهول حيث احتفل بذلك في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢١ في مقبرة « ارلنغتون » الوطنية .

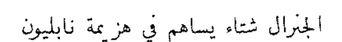
في العام ١٩٥٨ ، احتفل في الولايات المتحدة الاميركية بذكرى الجندي المجهول الذي سقط في



كابوس ١٨١٢ يخيم على جنود هتلر



الجنرال شتاء يعرقل تشغيل الآليات



الجنرال شتاء يساهم في هزيمة نابليون



ميدان الشرف في الحرب العالمية الثانية وفي حرب كوريا ، وقد نقش على ضريح النصب « هنا يرقد ، بنصر مشرف ، جندي اميركي لا يعرفه إلا الله » . كما اطلق اسم جديد على النصب « قبر المجهولين » ، بدلا من « قبر الجندي المجهول » .

في بعض الاحتفالات الوطنية ، خصوصاً احتفالات الاستقلال ، او احتفالات تذكار الشهداء ، يكرم نصب الجندي المجهول ، فيعزف لحن الموتى ، ويضع رئيس الاحتفال اكليلا من الزهر على قبر ذلك الجندي .

ان منطلق هذا التقليد ، أي تقليد تكريم الشهداء العسكريين ، بتكريم نصب الجندي المجهول ، يعود الى صعوبة تكريم جميع الشهداء العسكريين ، من الناحية العملية ، من جهة ، والى ان بعض الشهداء ليس بالامكان التعرف على هوياتهم ، بعد استشهادهم ، بفعل الفقدان ، او التشويه ، او ضياع وثائق هوية الشهيد من جهة ثانية .

(٩) جنرال

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١) الجنرال شتاء

تعبير رمزي ظهر في الأدبيات العسكرية لأول مرة خلال حملة نابليون الأول ضد روسيا في العام ١٨١٢ ، وكان المقصود منه التأكيد على ان سعة الأراضي الروسية وقسوة الشتاء تشكلان عاملا فعالا في صد أية حملة تشنها دولة أوروبية أو أكثر ضد روسيا القيصرية . ولقد جاء هذا الاعتقاد بعد أن تعثر « الجيش الكبير » رغم احتلال موسكو نظراً لحلول الشتاء ، وانسحاب الجيش الروسي سليماً إلى داخل البلاد ، وبدء حرب العصابات ضد خطوط مواصلات القوات الفرنسية ، وضعف الزخم الهجومي لهذه القوات وعجزها عن احتلال كافة الأراضي الروسية الشاسعة .

ولقد عاد الحديث عن « الجنرال شتاء » مرة ثانية خلال الحرب العالمية الثانية عندما تعثرت جيوش الالمان في شتاء ١٩٤١ – ١٩٤٢ وبدأت تتراجع أمام هجمات الجيوش السوفياتية المضادة . وفي العام ١٩٥٠ وبعد أن توغلت قوات ماك آرثر في أراضي جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية خلال حرب التحرير الوطنية الكورية ، وتقدمت في المناطق الجبلية المجاورة لحدود الصين الشعبية ومنشوريا ، قامت قوات كبيرة كورية – صينية بشن هجوم مضاد واسع النطاق طرد الفيالق الاميركية والكورية الجنوبية من الجبال المغطاة بالثلوج ودفعها باتجاه

الجنوب . وكانت قسوة الطقس « الجنرال شتاء » أحد الأسباب التي برر بها القادة الاميركيون انسحابهم السريع نحو خط العرض ٣٨ .

(٧) جنكيزخان

قائد عسكري وسياسي مغولي (١١٦٢-١٢٢٧) .

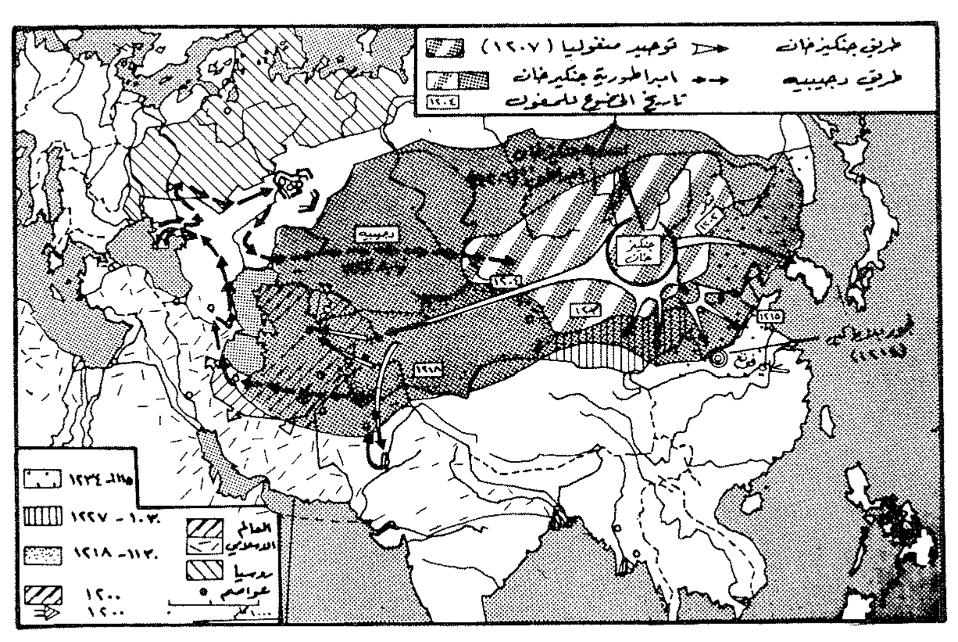
ولد جنكيزخان على ضفاف نهر اونون بين قبائل المغول ، وفي الثالثة عشرة من عمره توفي والده ، فأخذت القبائل التي كانت خاضعة لابيه بالتفرق ، إلا أنه لم يلبث ان فرض نفسه عندما اصبح شاباً ، فجمع حوله عدداً من القبائل حارب بها قبائل « الكيريت » و « النايين » و « المركيت » الى ان تمكن من اخضاعها تحت سلطته . اما القبائل الاخرى فاخذت تتهافت عليه للتحالف معه طمعاً بمغانم الحرب . وفي العام ١٢٠٦ شرع بفتوحاته الكبيرة بعد ان اعلن نفسه خان الخانات (امبراطوراً).

كان جنكيزخان قائداً عسكرياً وسياسياً فذاً في نفس الوقت ، فقبض على زمام امور امبراطوريته بيد من حديد ، وتمكن بفضل عبقريته واستراتيجيته وأساليبه الحربية من تحقيق اوسع امبراطورية عرفها العالم ، اذ امتدت فتوحاته في اقل من ثلاثين سنة من المحيط الهادي الى نهر الدنييستر ، ومن سيبيريا حتى سهول الهند . اما الصين ودوقيات اوروبا فقد ارغم حكامها على دفع الضرائب له ، حتى ان البابا ولويس التاسع الفرنسي ارسلا اليه البعثات الدبلوماسية لاسترضائه .

بنى جنكيزخان امبراطوريته على اسس دينية تقر بإله واحد ، وابقى تسلسل الطبقات حيث كان في القمة عائلة جنكيزخان التي تستولي بنفسها على البلاد المحتلة ، ثم تليها طبقة النبلاء ، فطبقة الرجال الاحرار او المحاربين ، ثم طبقة العبيد وهم من غير المغول . كما ابقى على التنظيم العشائري ، لكن الخان كان يحتفظ لنفسه بصلاحية تنظيم العلاقات بين هذه الطبقات والعشائر وتحديدها .

نشر جنكيزخان « الياساك » وهي مجموعة قوانين ساذجة ، الا انها كانت لا تعرف الرحمة أو الشفقة ، ونشر ايضاً « بيليك » وهي مجموعة تعاليم تظهر فيها عقيدته الدينية التي تعكس النسطورية . اما بالنسبة الى الجمعيات فقد سمح بانشاء واحدة فقط كانت تدعى « كوريلتاي » ، وهي جمعية عامة للشعب المغولي ، كانت تجتمع مرتين في السنة ، وتعتبر بمثابة مجلس دولة ومجلس حربي لتـأمين الاتصال الدائم بين السلطة والشعب .

نظم جنكيزخان جيشه على التدرج العشري ،



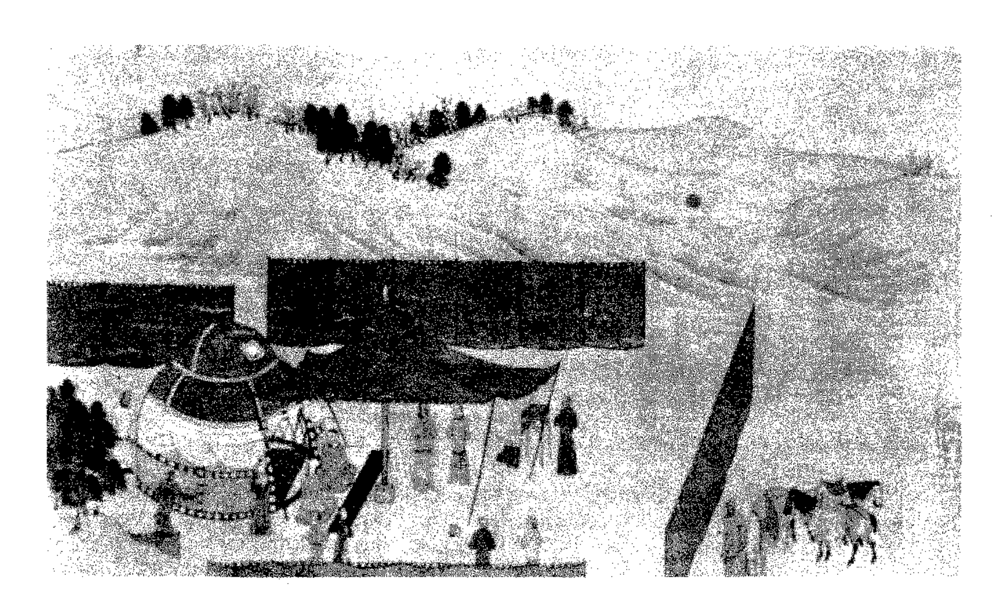
امبراطورية جنكيزخان

فكانت وحدة الميدان تتألف من عشرة آلاف فارس ، وكانت تدعى « التومان » . اما الوحدة التكتيكية فكانت تدعى « غيرهان » ، وكان قوامهـا ألف فارس . اما باقي الوحدات فهي الكوكبة وقوامها ١٠٠ محارب ، ثم الجماعة وقوامها ١٠ محاربين . وهذه الاخيرة هي اصغر وحدة مقاتلة بحيث يحظر تجزئتها فتقاتل وتعيش وتموت سوية . وكانت جميع هذه الوحدات معززة بخيول من لون واحد ، وبمعدل خمسة خيول احتياطية لكل فارس ، اذ ان الجواد كان في جيش المغول السلاح الاساسي . اما الاسلحة الاخرى فكانت عبارة عن درع من الجلد ، وسيف ، ورمح ، وقوسين احدهما للرمي اثناء ركوب الخيل والثاني للرمي بدقة ، وثلاث كنانات معبأة بسهام مختلفة . وبالاضافة الى هذه الاسلحة كان كل جندي مزود بأدوات خفيفة للحفر ، وبجرايـة احتياطية ، وقربة كانت تعلق في ذيل الجواد لوضع اجهزته فيها ولتساعده في اجتياز مجاري المياه .

انشأ الخان ايضاً جهازاً خاصاً لنقل البريد ، ودوائر رسمية كانت مهامها محصورة بتزويد الجيش بالخيول من اراضي الامبراطورية كافة ، اما اشارات القتال فكانت تعطى اثناء المعارك بواسطة الرايات نهاراً ، وبواسطة المصابيح واضرام النيران ليلا .

كان الجيش المغولي يتقدم بقيادة جنكيزخان على جبهة عريضة وبثلاثة ارتال : جناح ايمن وجناح أيسر والوسط . كان الجناحان الايمـن والايسر يسيران على مستوى واحد تقريباً ، على حين كان وسط الجيش يسير متأخراً قليلا عن الجناحين الاولين بحيث يسمح له بمساندة اي منهما دون ان يعرض نفسه للصدمة ، كما يسمح بالوقت نفسه للجناحين الآخرين بالاطباق على مؤخرة العدو اذا تعرض الوسط نفسه للمهاجمة . اما الفواصل التي تفصل بين الارتال الثلاثة فكانت لا تتعدى مسيرة يوم واحد . وبانشاء هذا الجيش المعتمد على مذهب الشعب المسلح يكون جنكيزخان قـد سبق اوروبا بستة قرون ، وباعتماده خطة الحرب الصاعقة ، يكون قد سبق الالمان بثمانية قرون . كان جنكيزخان يسير بجيشه ليلا ونهاراً وتمكن هذا الجيش من قطع مسافة ١١٣٠ كلم في مدة ١٥ يوماً اثناء حملته على بولونيا ، ومسافة ٤٥٠ كلم في مدة ثلاثة ايام اثناء حملته على هنغاريا . الا انه كان يكتفي بالسير ليلا فقط وفي منتهى الخفاء قبل وصوله الى هدفه بأيام قليلة ، ثم يعقب هذا التسلل هجوم عنيف ومفاجيء عند انبلاج الفجر .

بالاضافة الى هذا الجيش الجبار ، كان لجنكيزخان حرسه الامبراطوري المؤلف من احتياطه العام ، كما كان له جند لتأمين مصالحه في المؤخرة ، وجند آخرون لادارة المقاطعات المحتلة . وقد اوجد مصلحة خاصة للاستخبارات ، وانشأ طابوراً خامساً في الدول المجاورة ، معتمداً في ذلك على الهدايا والوعـود والزواج ، وتوصل الى وضع جيش كان بقيادة معاونه



مخيم قوة مغولية

جيبي نويـــان تحت تصرف الامبراطور الصيني (امبراطور الكينز) لمقاتلة سلالة السنغ ، وبهذه الطريقة تعرف جنكيزخان على امبراطورية الكينز واساليبها وخططها ، وكشف سر قلاعها وحصونها ونقاطها الحساسة ومواردها الاقتصادية .

وفي العام ١٢١١ شن جنكيزخان حملته الكبيرة على الصين ، ولما رأى ان وسائله غير كافية لاحتلال قلعة بكين الحصينة لجأ الى الحيلة ، فاحتل في بادئ الامر اراضي الصين الخصبة موجهاً للامبراطورية الصينية ضربة في اقتصادياتها ، ثم تظاهر بالضعف معلناً نيته في التراجع عن الاراضي التي احتلهـــا لتجنب مجابهة خصم قوي . وبالفعل بدأ بالتراجع ، عندها وقع الصينيون في الفخ الذي نصبه لهم عندما حاولوا اللحاق به بقواتهم كافة ، بما فيها تلك المكلفة اصلا بحماية اسوار بكين ، فما كان من جنكيزخان الا ان ارتد عليهم ودمرهم في العراء ، ولم تلبث اسوار بكين العظيمة ان سقطت دون اية مقاومة لخلوها من اي دفاع . ثم تابع زحفه حتى كوريا . وفي العام ١٢١٨ قام بغزو تركستان الشرقية مدمراً بذلك امبراطورية قره خيتاي .

اما حملته الكبيرة الثانية فكانت على امبراطورية الخوارزميين ، التي كانت حدودها تمتد حتى نهر الهندوس والمحيط الهندي وبحر الخزر وبلاد ما بين النهرين ، والتي كانت دولة قويـــة ومتينة بفضل حداثتها . وكان الشاه محمد ينوي تحطيم قوة المغول المنافسة الوحيدة له ، فعمد في بادئ الامر الى توقيع اتفاق تجاري مع جنكيزخان ، سمح بموجبه للتجار المغوليين بالتردد الى خوارزم . فما كان من هؤلاء ، وبناء لاوامر جنكيزخان ، الا ان بدأوا بخداع الشاه محمد عندمـــا بدأوا يسربون الاخبار الكاذبة عن قوة المغول العسكرية الحقيقية ، وفي العام ١٢١٨ القى الشاه محمد القبض على عدد من هؤلاء التجار واتهمهم بالتجسس واعدمهم ، بعد ان انزل بهم ضروباً من التعذيب . وكان رد جنكيزخان على هذا العمل ارسال بعثة الى الشاه للاستفسار عن اسباب خرق الاتفاق التجاري ، فظن الشاه ان جنكيزخان يفاوض بسبب ضعفه ، فما كان منه الا ان اقدم على قتل رئيس بعثة المفاوضة . ولدى عودة من بقي من اعضاء البعثة ، جمع جنكيزخان جيوشه وشرع بتحضيراته لمهاجمة خوارزم .

كان جيش الشاه يتألف من ٤٠٠ ألف رجل مدربين احسن تدريب لا تنقصهم الشجاعة ورباطة الجأش . الا ان الشاه كان لا يجرؤ على اقتحام الهضبة والتوغل فيها ، لذلك اخذ يتحرش بالمغول لدفعهم لمهاجمته ، هذا مع العلم ان الشاه كان بامكانه دعوة جميع المسلمين الى حرب مقـــدسة لتدمير المغول ، ولكنه لم يفعل ، بل شرع بتوزيع قواته في جميع الاتجاهـــات التي يحتمل ان يشن جنكيزخان هجومه منها ، عوضاً عن حشدها في مجموعة قوية لمجابهة قوات خصمه . وبدأت قوات جنكيزخان المسيرة الكبرى في شتاء عامي ١٢١٩ — ١٢٢٠ ، عندما عبر القائدان المغوليان جوجي وجيبي نويان الممرات الشرقية الواقعة في مقاطعة يبلغ متوسط ارتفاعها ٥٠٠٠ متر . وفي ربيع العام ١٢٢٠ توغلا معاً في وادي فرغانه ، بعد ان انهكهما التعب ، وبعد ان فقدا ١٥ ٪ من رجالهما و ٥٠ ٪ من الخيول ، ولما وصلا الى السهول بدءا بالنهب وجمع المواشي والخيول . وما كاد خبر هذا الهجوم يصل الى الشاه حتى هب لملاقاة المغول وتمكن من طردهم ودخل سمرقند منتصراً .

بعد هذه المعركة انفصل جوجي عن جيبي نويان وانطلق جيبي نويان باتجاه الجنوب الغربي ، على حين عاد جوجي وهبط ثانية الى وادي فرغانة ، وضرب حصاراً حول خوند . في هذه الاثناء كان جنكيزخان قد وصل من الشمال ، فارسل ولديه اوغتياي وجاكلتاي الى اوترار حيث قاما بحصارها . وبالرغم من تحركات جيش المغول هذه ، لم يتحرك الشاه لمجابهة هذه القوات ، بل بقي منتظراً ومترقباً الوضع لمعرفة مكان هجوم جنكيزخان الرئيسي حتى يصل اليه خبر الحشود الضخمة التي يقوم بها جيبي نويان حول ترمد . عندها شعر الشاه بالخطر في مؤخرة قواته ، فما كان منه الا ان ارسل القسم الاكبر من قواته الاحتياطية الى ترمد لاعتقاده ان التهديد المغولي من الغرب لم يكن خطراً بسبب وجود صحراء قيزيل ، ولاعتقاده ايضاً ان اوترار ستصمد الوقت اللازم لسحق جيبي نويان الموجود في الشرق .

كان جيش جنكيزخان يتألف من ٢٠٠ ألف مقاتل ، ومليون جواد ، وقافلة كبيرة من الجمال والجواميس وآلات صينية للحصار . وكانت فكرة جنكيزخان في هذه الحملة محصورة في اعتماد كلابة رباعية يسحق بها الخوارزميين اي المربع المؤلف مع اوترار وبخارى وترمد وخوند . ولقد تابع جنكيزخان من بقية جيشه المؤلف من ٥٠ ألف رجل السير باتجاه الغرب ، واجتاز صحراء قيزيل تحت حرارة شمسها المحرقة ، فوصل الى نهر اموداريا الاسفل ، ثم صعد النهر مجدداً الى ان وصل الى بخارى ، فضرب حصاراً حولها ، قاطعاً بذلك على الشاه خط الرجعة من الغرب والشرق معاً ، فما كان من الشاه الى ان ألقى جيشه في سمرقند وهرب باتجاه الغرب . لجأ جنكيزخان الى الحيلة لاخراج حامية بخارى من هذه المدينة وذلك بعدم وضعه مراقبة على ابواب المدينة ، فما كان من هذه الحامية الا ان تسللت ليلا ولاذت بالفرار دون مراقبة حسب ظنها ، ولكنها لم تكن تعلم ان المغول كانوا يواكبونها خلسة . وما

ان طلع الفجر حتى بدأت المعركة التي انتهت بفناء الحامية ، ثم عـــاد المغول الى المدينة التي اعلنت خضوعها دون اية مقاومة . بعد هذا الانتصار تابع جنكيزخان سيره باتجــاه سمرقند على حين كانت جيوشه في الشرق والجنوب والشمال تتقدم بسرعة الى ان تم تدمير جيش الشاه ، ومن ثم بدأت المراكز المنعزلة بالسقوط تباعاً . وتجدر الاشارة هنا الى ان المسافة التي كانت تفصل بين جنكيزخان وقادته العسكريين في الشرق والجنوب كانت كبيرة للغاية ، وبالرغم من ذلك ، كانت حركات الالتفاف والتقدم تتم بتنسيق يثير الدهشة ، لا سيما ان الخرائط لم تكن معروفة بعد .

تابع جيبي نويان وسوبوتاي ومعهما ٤٠ ألف رجل مطاردة الشاه . فكانوا يسيرون بسرعة ١٠٠ كم في اليوم الواحد ، فاجتازوا بلاد فارس وجورجيا والقفقاس ، وسحقوا جيشاً تابعاً للامراء الروس على الدنيبير ، ووصلوا الى الفولغا ، ثم توغلوا حتى القرم ولكنهم توقفوا عند ذلك ولم يتابعوا التقدم رغم عدم وجود مقاومة أمامهم ، وقفلوا عائدين إلى منغوليا ، بعد ان قاموا بغارة طولها ٨٠٠٠ كلم استكشفوا خلالها الاراضي الاوروبية وتعرفوا الى شعوبها التي اجتاحها المغول بعد سنوات قليلة .

وفي العام ١٢٢٧ مات جنكيزخان ، ولم يكن قد مضى على اجتياحه بلاد خوارزم سوى سنوات قليلة . وبهذا يكون قد انشأ امبراطورية مترامية الاطراف تقاس بخطـــوط الطـــول والعرض لا بالكيلومترات ، وبقيت هذه الامبراطورية راسخة الدعائم بعكس فتوحات الاسكندر وشارلمان التي زالت بسرعة بعد موت صاحبيها ، وبعكس فتوحات نابليون وهتلر التي تهدمت قبل موت القائمين بها .

(١٢) جنيف (اتفاقيات)

اتفاقيات جنيف Geneva Conventions ، هي مجمل الاتفاقيات التي عقدت في جنيف في الفترة من ١٨٦٤ حتى ١٩٤٩ ، والتي تتعلق بتحسين حالة ضحايا الحرب من أسرى ، ومعتقلين ، وقتلى ، وجرحى ، ومواطنين يعيشون على مسرح الحرب .

يعود تاريخ انعقاد أول مؤتمر دولي في جنيف الى ٢٢ آب (اغسطس) ١٨٦٤ ، وذلك بناء على اقتراح تقدم به جان هنري دونان Jean Henry Dunan ، مؤسس الصليب الاحمر ، لتحسين حال الجرحى من افراد القوات المسلحة في الميدان . وقد تم التوقيع على هذه الاتفاقية الاولى من جانب الدول الاوروبية ، والولايات المتحدة ، وبعض دول آسيا واميركا اللاتينية التي اشتركت في هذا المؤتمر ، ويبلغ عددها ١٦ دولة . ويرتبط تاريخ هذه الاتفاقية بتأسيس اللجنة الدوليــــة للصليب الاحمر (انظر الصليب الاحمر) . وفي ٦ تموز (يوليو) ١٩٠٦ اعيد النظر بالاتفاقية الاولى بموجب اتفاقية ثانية ادخلت على الاولى بعض التعديلات بحيث شملت جرحى القوات البحرية . كما اتت اتفاقية لاهاي المؤرخة في ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٧ وطبقت مبادىء اتفاقية جنيف ١٩٠٦ على الحرب البحرية . وفي ٢٧ تموز (يوليو) ١٩٢٩ اعيد النظر بالاتفاقية الثانية بموجب اتفاقية ثالثة ادخلت على الثانية بعض التعديلات بحيث شملت اسرى الحرب (انظر اسرى الحرب) . وفي الفـــترة من ٢١ نيسان (ابريل) الى ١٢ آب (اغسطس) ١٩٤٩ عقد في جنيف مؤتمر دعا اليه مجلس الاتحاد السويسري Swiss Federal Council وذلك بقصد اعادة النظر في الاتفاقيات الثلاث الاولى ، ووضع اتفاقية رابعة خاصة بحماية الاشخاص المدنيين اثناء الحرب . وهكذا فقد كانت المؤتمرات الاربعة التي عقدت في جنيف سلسلة لاربع اتفاقيات دولية هدفها حماية ضحايا الحرب . وقد وقعت في ١٢ آب (اغسطس) ١٩٤٩ في جنيف ومن قبل ٥٨ دولة الاتفاقيات الاربع التالية : ١) اتفاقية جنيف لتحسين حال الجرحى والمرضى بالقوات المسلحة في الميـــدان . ٢) اتفاقية جنيف لتحسين حال الجرحى والمرضى والغرقى بالقوات المسلحة في البحار . ٣) اتفـــاقية جنيف الخاصة بمعاملة اسرى الحرب . ٤) اتفاقية جنيف الخاصة بحماية الاشخاص المدنيين وقت الحرب. وقد وضعت نصوص هذه الاتفاقيات الاربع باللغتين الفرنسية والانكليزية على ان يتولى مجلس الاتحاد السويسري ترجمتها الى اللغتين الاسبانية والروسية . كما اتخذ المؤتمر ١١ قراراً ارفقت بهذه الاتفاقيات .

وتنص **اتفاقية جنيف الاولى** ، الخاصة بتحسين حال الجرحى والمرضى من افراد القوات المسلحة في الميدان على احترامهم وحمايتهم بما في ذلك افراد الميليشيا وافراد الوحدات المتطوعة ، وافراد القوات المسلحة النظامية ، والافراد الذين يرافقون القوات المسلحة كملاحي الطائرات الحربية والمراسلين الحربيين ومتعهدي التموين ، شريطة ان يكون لديهم تصريح بذلك من القوات المسلحة . وكذلك الافراد الملاحون ومساعدوهم في البحرية ، وسكان الاراضي غير المحتلة الذين يحملون السلاح بمحض ارادتهم عند مداهمة العدو لارضهم وذلك لمقاومته . وعلى اطراف النزاع بعد الانتهاء من القتال ، ان تقوم بالبحث عن الجرحى وجمعهم وحمايتهم كما يترتب عليها البحث عن جثث القتلى ومنع تلفها . ويجب ان يتفق الفريقان على هدنة او وقف لاطلاق النار كي يتمكن كل منهما تبادل الجرحى وتسجيلهم بما فيهم القتلى . وتنص الاتفاقية على انه لا يجوز الاعتداء على الوحدات الطبية المتحركة التابعة للخدمات الطبية ، ولا على بواخر المستشفى الخاصة بالقوات المسلحة في البحر . كما يجب حماية افراد الهيئة الطبية ورجال الدين الملحقين بالقوات المسلحة والممرضات والموظفين التابعين لجمعيات الصليب الاحمر الوطنية وغيرها المرخص بها . وتنص الاتفاقية كذلك على ان تبقى المباني والمخازن الخاصة بالمنشآت الطبية التابعة للقوات المسلحة خاضعة لقوانين الحرب ، وتظل مخصصة للعناية بالجرحى والمرضى . ولا يجوز الاعتداء على الطائرات الطبية . وتستعمل الشارة المميزة للصليب الاحمر والهلال الاحمر والاسد والشمس الحمراء على الاعلام وعلامات الذراع وجميع المهمات المستعملة في الخدمة الطبية . ولا يجوز الاعتداء على المناطق الصحية المميزة بهذه الشارات الظاهرة على الحدود الخارجية للمنطقة وعلى المباني . ويمكن تمييزها في المساء بوسائل ضوئية مناسبة .

وتنص **الاتفاقية الثانية** ، الخاصة بتحسين حال الجرحى والمرضى والغرقى من القوات المسلحة في البحار على حمايتهم واحترامهم ، كذلك حماية سواهم ممن يكونون في البحر جرحى او مرضى او غرقى . وتنص ايضاً على ان للبوارج الحربية التابعة لفريق محارب الحق بأن تطلب تسليـــم الجرحى والمرضى والغرقى الموجودين على ظهر باخرة مستشفى عسكرية او بواخر مستشفى تابعة لجمعيات اغاثة او لافراد ، ولا يجوز الاعتداء على بواخر المستشفيات الحربية او اسرها بل يجب احترامها وحمايتها . وعلى هذه البواخر ان تتميز بعلامة خاصة وذلك بأن تطلى اسطحها الخارجية بطلاء ابيض ويرسم عليها صليب او اكثر بلون احمر وبأكبر حجم ممكن ويرسم الصليب الاحمر هذا على كل جانب من جوانب السفينة وعلى الاسطح الافقية وذلك لرؤيته من البحر ومن الجو . كما يجب ان يرفع علم الصليب الاحمر على سارية السفينة ، وعلى قوارب النجاة المستعملة للخدمات الطبية .

وتنص **الاتفاقية الثالثة** الخاصة بأسرى الحرب على ان يعامل الاسرى معاملة حسنة دون تمييز للون او الجنسية او العقيدة الدينية او السياسية ، وان يمنحوا الحماية ضد اعمال العنف والتحقير واعمال الانتقام ، وان تتكفل الدولة الآسرة بتقديم العناية

الطبية اللازمة لهم . كما ان على الدولة الآسرة نقلهم بعد اسرهم الى معسكرات بعيدة عن مناطق القتال لكي يكونوا بمأمن من الأخطار . وان يزودوا بطعام ومياه صالحة للشرب وبملابس ، وان يلقوا العناية الطبية اللازمة لضمان سلامتهم . وان يوضع سجل خاص بهم . ويحق لمندوبي اللجنة الدولية للصليب الاحمر زيارتهم والاطلاع على احوالهم (انظر اسرى الحرب).

وتنص **الاتفاقية الرابعة** الخاصة بحماية الاشخاص المدنيين وقت الحرب على ان يمنح للعجزة والحوامل والاطفال حماية خاصة ، وتحمى النساء بصفة خاصة من الاعتداء على شرفهن ، كما يعامل جميع الاشخاص المحميين دون تمييز للون او العنصر او المعتقد الديني او السياسي . ويسمح للاجانب الذين يرغبون في مغادرة الاراضي بالرحيل عند نشوب النزاع . كما يجوز لدولة الاحتلال ان تقوم باخلاء كلي او جزئي لمنطقة معينة وذلك لاسباب حربية . ولا يحق لدولة الاحتلال ان ترغم الاشخاص المحميين على الخدمة في قواتها المسلحة او على مساعدتها . وعليها توفير المؤن الغذائية والطبية للاهالي . وتبقى قوانين العقوبات الخاصة بالاراضي المحتلة نافذة ما لم تلغ او تعطل بقرار من دولة الاحتلال . اما فيما يتعلق بمخيمات الاعتقال فتتميز بوضع الحرفين I. C Internment Camps . ويفصل المعتقلون عن اسرى الحرب من جهة الاقامة والادارة ، ويفرج عن كل شخص معتقل بمجرد زوال الاسباب التي قضت باعتقاله . كما يفرج عن الاسرى عند انتهاء الحرب .

(٩) الجهاد

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) الجهاز الاشعاعي لكشف المتفجرات والمعادن

(انظر الفلوروسكوب) .

(١٤) جهاز التجسيم

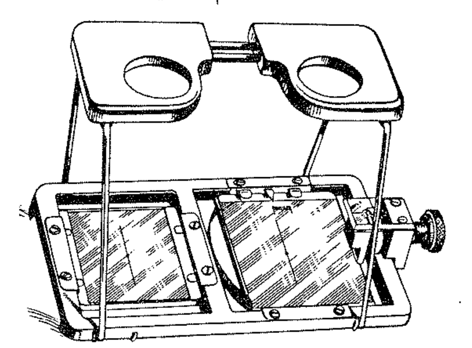
جهاز التجسيم (ستير يوسكوب Stereoscope) عبارة عن جهاز بصري يتمكن قارئ الصور الجوية بواسطته من رؤية الأغراض المصورة مجسمة بارزة بأبعادها الثلاث كما لو كان يراها طبيعياً (على الطبيعة) .

وتعتبر أجهزة التجسيم بأنواعها المختلفة أدوات معاونة للقارئ على تأدية مهمته ، وتوجيه عينيه توجيهاً صحيحاً ، وتوضيح الأغراض والاهداف المصورة . وليس لهذه الأجهزة القدرة الذاتية على اعطاء صورة مجسمة بالإضافة الى انه من الواجب لرؤية الصورة مجسمة أن تكون الصور متداخلة بنسبة ٥٠ — ٦٠٪ ، ذلك لأنه لرؤية الاهداف في الصور بأبعادها الثلاثة ، يجب ان تؤخذ الصور التي تقرأ بواسطة أجهزة التجسيم من زاويتين مختلفتين اختلافاً بسيطاً كالاختلاف الذي يتشكل للصور في كلتا العينين (اليمنى واليسرى) ، وهذا ما يعبر عنه بالصور المتداخلة . وينبغي أن تكون نسبة التداخل ٥٠ — ٦٠٪ أي أن كل صورة جويه متداخلة تحوي ٥٠ — ٦٠٪ من الصورة التي قبلها و ٥٠ الى ٦٠٪ من الصورة التي بعدها .

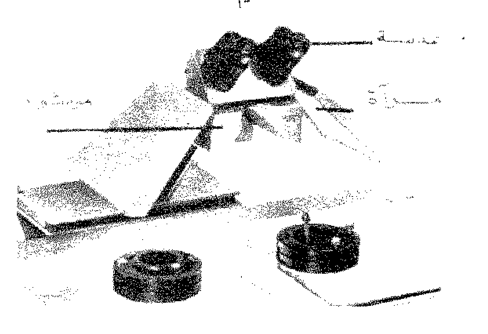
وعند النظر الى صورتين متداخلتين بجهاز تجسيم ، فان المنطقة المتداخلة ترى بارزة بأبعادها الثلاثة شريطة وضع الصورتين على مسافة معينة من جهاز التجسيم وبصورة صحيحة تساعد على أن تجري في الجهاز البصري والعصبي الأعمال الفزيزية التي تجري بصورة لاشعورية (تكيف العين ، الالتقاء ، الادراك الخ ...) . فاذا أخذنا صورة واحدة بآلة تصوير خاصة لها عدستين (البعد بينهما مساو لبعد العينين) ونظرنا الى الصورة الناتجة بجهاز تجسيم ، فإننا نرى هذا الهدف بارزاً مجسماً بأبعاده الثلاثة .

إن الأجهزة التجسيم المستعملة في قراءة الصور الجوية المتداخلة نوعين هما : الجهاز ذو العدستين ، والجهاز ذو المرايا والمواشير . **والنوع الأول :** (ذو

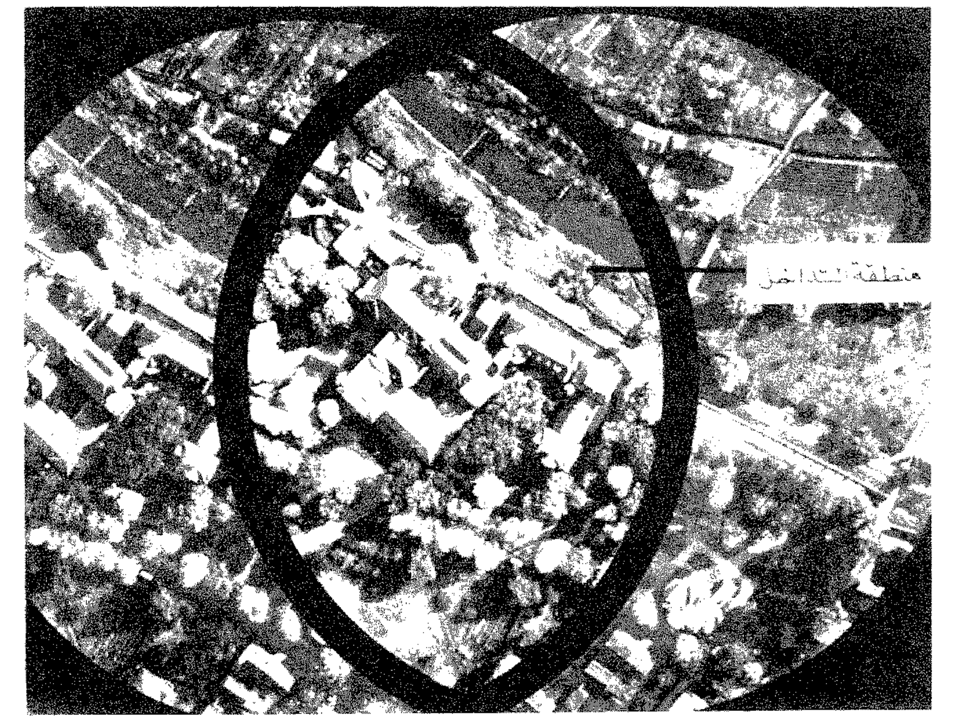
جهاز التجسيم العادي



جهاز التجسيم ذو العدسات



تداخل صورتين جويتين تحت جهاز التجسيم



العدسات) مبني على نظرية انكسار الضوء. وهو النوع الأكثر شيوعاً في قراءة الصور الجوية لبساطته وسهولة حمله واستعماله ، فهو يشبه النظارة العادية ، ويتألف من عدستين مكبرتين على حامل مؤلف من اربعة قوائم متحركة الى اليمين واليسار ، تدخل في قاعدة متحركة أيضاً للأعلى والأسفل ، الامر الذي يجعل من الممكن ضبط الجهاز بإمالة الحوامل فتقرب الصور الجوية أو تبعد . **أما النوع الثاني :** فبني على نظرية انعكاس الضوء . ويستخدم في صنعه عدة مرايا توضع بطريقة فنية بصورة تنعكس فيها الصور المتداخلة ، وتحصل انعكاسات أخرى بواسطة مواشير اصلية واضافيـة ، فتظهر بواسطتها صورة واحدة مجسمة بارزة للمنطقة المتداخلة بأبعادها الثلاث ، الأمر الذي يسهل تفسير تفاصيل الهدف . ولتوضيح الرؤية ، ركب على بعض الاجهزة منظار مكبر بعدسات اضافية لتكبير تفاصيل الهدف وتجسيم بروزه ، بحيث يمكن أخذ مقاساته بدقة .

(٦) جهاز تحديد هوية الطائرة

(انظر الرادار) .

(١) جهاز التسديد

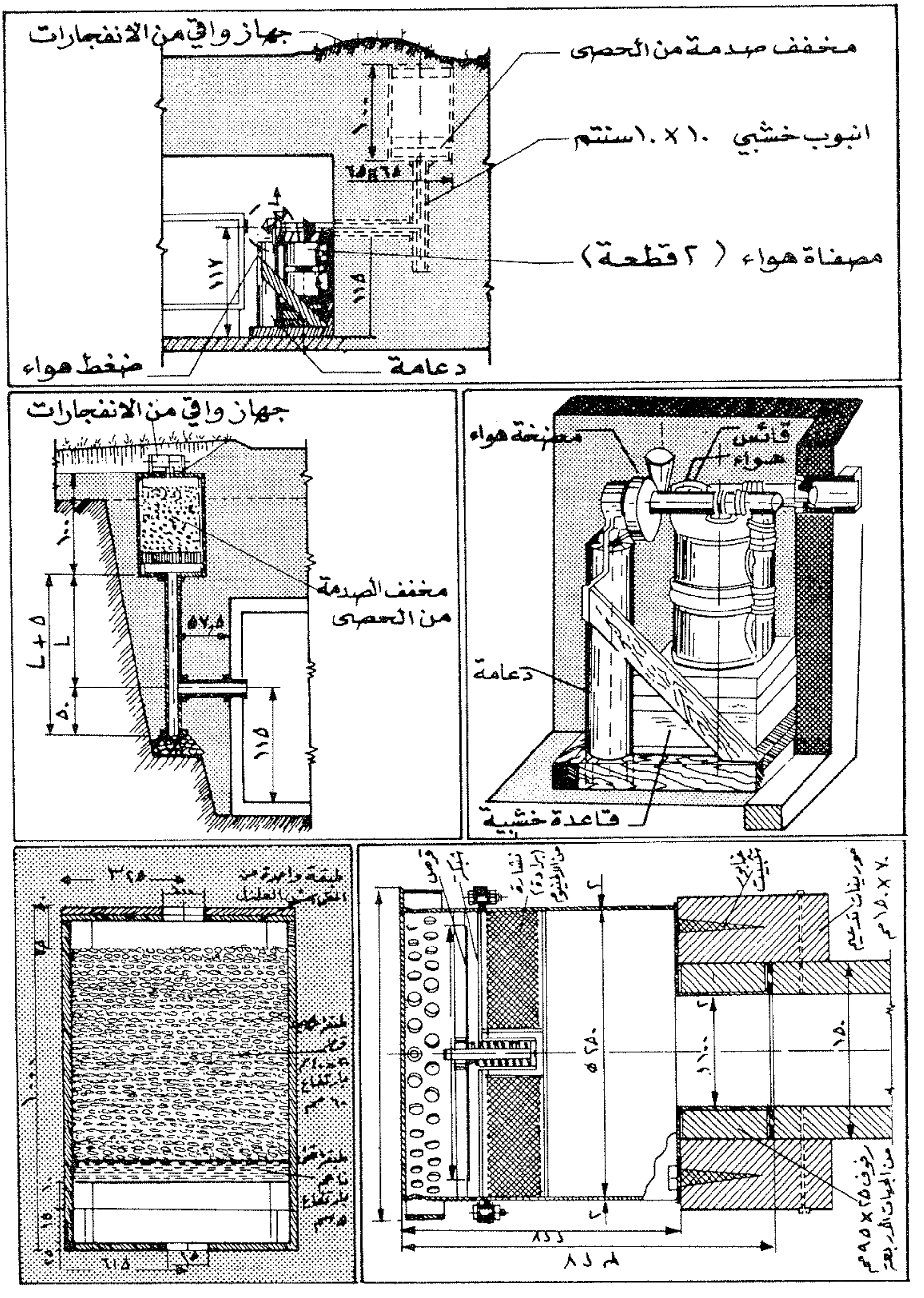
(انظر التسديد) .

(١) جهاز تنقية الهواء في الملاجئ

هو الجهاز الذي يرفع الضغط داخل الملجأ لمنع الهواء الخارجي الملوث بالغازات من التسرب عبر الشقوق الموجودة في الابواب والجدران ، كما يصفي الهواء قبل دخوله إلى الملجأ ، ويسمح للرجال الموجودين في الملجأ بالعمل دون استخدام اقنعة الغاز رغم استخدام العدو للغازات السامة .

يشمل تجهيز الملجأ ضد الغازات السامة تدبيرين هما : عزل الملجأ عن المحيط الخـارجي الملوث بالغازات ، وادخال هواء نظيف صالح للتنفس إلى داخل الملجأ . واذا كان عزل الملجأ يتطلب تدابير مثل سد الشقوق في السقوف والجدران ، وردم التراب بسماكة كافية فوق الملجأ وعلى جوانبه ، واغلاق المداخل بأبواب محكمة الاغلاق ، فان رفع الضغط داخل الملجأ لمنع تسرب الهواء من الشقوق المتروكة ، وتصفية الهواء قبل دخوله إلى الملجأ ، يتطلبان استخدام جهاز تنقية الهواء .

ويختلف حجم الهواء النقي الذي يسمح الجهاز بدخوله باختلاف حجم الملجأ وعدد الاشخاص الذين يشغلونه . ويبلغ حجم الهواء الذي ينقيه جهاز التنقية المستخدم في ملاجئ القوات المقاتلة حوالي ١٠٠ متر



جهاز تنقية الهواء في الملاجئ

مكعب في الساعة ، بينما يبلغ حجم هذا الهواء في الجهاز المستخدم في ملاجئ النقاط الطبية حوالي ١٥٠ متراً مكعباً في الساعة . أما ملاجئ مقرات القيادة ، وملاجئ وقاية المدنيين من الغارات الجوية فتزود بأجهزة ذات قدرات متباينة تحسب وفق سعة الملجأ وعدد الاشخاص الذين سيشغلونه ، وعلى أساس أن الشخص الجالس بهدوء يحتاج إلى ٢ – ٢,٥ متر مكعب من الهواء النقي في الساعة ، وأن الشخص العامل داخل الملجأ ، والشخص الملتجئ في النقطة الطبية يحتاج إلى ٤ – ٧,٥ أمتار مكعبة من الهواء النقي في الساعة .

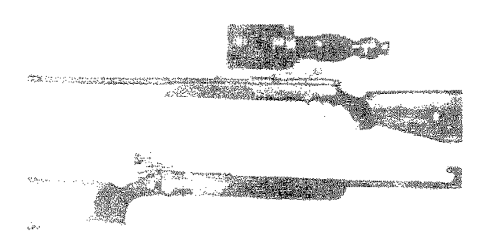
ويدخل جهاز التنقية عادة الى الملجأ كية من الهواء تفوق حاجة الاشخاص الملتجئين داخله كواسطة اضافية لاحكام سد الملجأ وعدم نفاذ الهواء الخارجي الملوث إلى داخله . واذا كان الملجأ متصلا ببرج رمي فولاذي أو بيتوني محكم الاغلاق (انظر البرج) ، فان من الضروري

زيادة كمية الهواء التي لتعويض الاوكسجين الذي يفقده الهواء عند انفجار القذائف داخل الاسلحة ، وتنقية الهواء من الدخان الناجم عن هذا الانفجار .

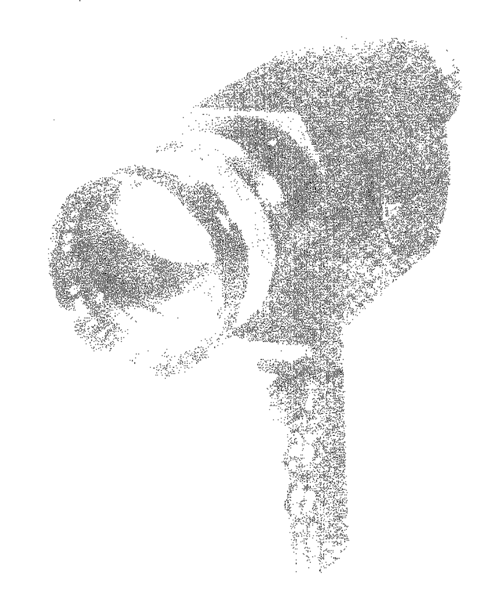
يتألف جهاز تنقية الهواء من مصفاتين ماصتين (أو ثلاث) ، ومروحة شفط تدار باليد او كهربائياً ، ومخرج تصريف ، وموزع المصافي الماصة ، وماسورة دخول الهواء ، وفاصل واصل احتكاكي من المطاط ذي اطارات ماسكة ، وجهاز واقي من صدمة الانفجارات الذرية . وتكون مهمة المصافي تنقية الهواء الخارجي الداخل من الغازات السامة التي يحملها ، بينما تكون مهمة مروحة الشفط خلخلة الهواء وجذبه من الخارج عبر المصافي وماسورة دخول الهواء ، أما الجهاز الواقي من صدمة الانفجارات الذرية (ويكون جهازاً نظامياً أو جهازاً مبتكراً من الحصى) ، فمهمته تخفيف صدمة الانفجارات الذرية ومنعها من الدخول إلى الملجأ عبر فتحات دخول الهواء .

اذا كانت كافة أقسام الملجأ محكمة السد ، وعمل جهاز تنقية الهواء بشكل مستمر ، تشكل داخل الملجأ ضغط يفوق الضغط الجوي . ويستطيع هذا الضغط المعاكس منع الهواء الخارجي الملوث من التسرب عبر الثغرات أو الشقوق الموجودة في بعض اجزاء الملجأ . وتتعلق كمية الضغط المعاكس بطريقة احكام سد الملجأ ، فكلما كان احكام السد سيئاً ، كلما تطلب ذلك ادخال كمية اكبر من الهواء النقي إلى داخل الملجأ . ويقاس الضغط المعاكس بواسطة عمود الماء المليمتري . ويستطيع هذا الضغط المعاكس منع تسرب الهواء الخارجي عبر الشقوق والثغرات اذا كانت قيمته ٠,٥ — ١,٥ مم من عمود الماء المليمتري . ولكي لا يتشكل في الملجأ ضغط معاكس زائد عن الحد المطلوب ، يركب في القسم العلوي من الباب الواقي صمام لتهريب الهواء الزائد الى الخارج وتنظيم قيمة الضغط المعاكس داخل الملجأ .

ولتلافي تسرب الهواء الملوث بالغازات إلى الملجأ عند دخول وخروج الاشخاص يزود مدخل الملجأ بغرف وقاية متعاقبة (١ × ١ متر في الملاجىء الميدانية ، و ٣ × ٤ أمتار في ملاجىء النقاط الطبية) ، يفصلها عن بعضها أبواب عازلة . وعند دخول الشخص من الخارج إلى الغرفة الاولى تدخل معه كمية من الغاز السام تختلط بهواء هذه الغرفة ، وعند الانتقال إلى الغرفة الثانية تدخل معه كمية من الغاز السام أقل من الكمية السابقة ... وهكذا حتى يصل الشخص الى الملجأ ، فتدخل معه كمية صغيرة جداً من الغاز السام . وكلما ازداد عدد غرف الوقاية كلما قلت

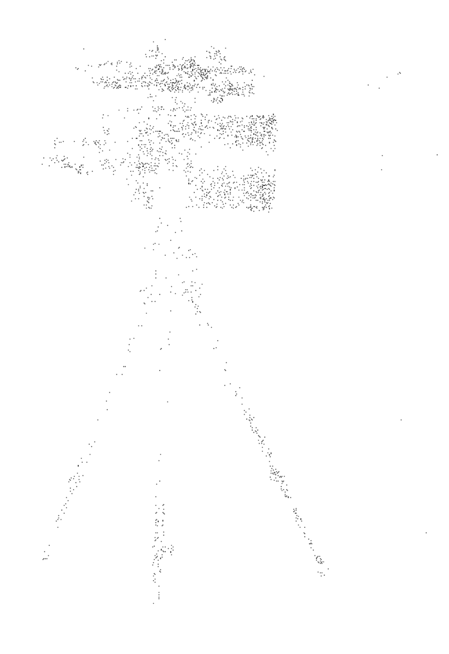


جهاز رؤية ليلية بتكثيف نور النجوم



جهاز للرؤية الليلية السلبية (N.Y.X. 2002)

جهاز رؤية ليلية بعيد المدى « كولسمان »



كمية الغاز التي تدخل الملجأ عند دخول وخروج الاشخاص . وبالاضافة إلى تخفيف تركيز الغاز السام الذي يدخل الملجأ عند دخول الاشخاص وخروجهم ، فان لغرف الوقاية فائدة أخرى ، وهي أن الجنود يخلعون فيها الاحذية والمعاطف الملوثة بالغاز السائل قبل دخول الملجأ . وللحصول على الفائدة القصوى من غرف الوقاية يشغل جهاز تنقية الهواء بأقصى سرعته عند دخول الافراد وخروجهم حتى يرتفع الضغط داخل الملجأ ، ويندفع الهواء النقي من الملجأ إلى غرف الوقاية عند فتح باب الملجأ بدلا من أن يندفع الهواء الملوث من غرف الوقاية إلى الملجأ .

(٦) جهاز الرؤية الليلية

هو جهاز تستخدمه الجيوش لتحسين مراقبة مسارح العمليات الحربية في الليل ، ولتحسين إمكانات القتال الليلي . ويمكن تصنيف أجهزة الرؤية الليلية الى فئتين :

أ) **نوع إيجابي** (Active) ، يحتاج الى أنوار كاشفة مساعدة مرئية وغير مرئية . والانوار المرئية هي أقدم طريقة للمراقبة الليلية . وتصدر هذه الأنوار إما من الارض او من الجو لإنارة مكان الاشتباك ، واستعمالها هو سلاح ذو حدين : اذ انه يكشف أماكن العدو ، ولكنه يكشف في الوقت نفسه اماكن القوات التي تطلقها ، لذلك فإن إمكاناتها محدودة من الناحية العسكرية . أما الانوار غير المرئية بالعين المجردة ، فهي الانوار الكاشفة تحت الحمراء Infra red search light ، التي تصدر عن كاشفات تطلق الاشعة تحت الحمراء لإنارة مكان الاشتباك ليلا ، وتتم مشاهدة نور الاشعة المنعكس عن الاجسام بواسطة منظار خاص للأشعة تحت الحمراء Infra red binocular . ويمكن تركيب الكاشف والمنظار على مدفع م / د أو على بندقية لاستعمالهما عند تصويب السلاح ، كما يمكن تركيبه على سيارة عسكرية لتأمين القيادة الليلية بدون أنوار . ونقطة ضعف الانوار تحت الحمراء ، هي ان بوسع العدو مشاهدتها أيضاً ، إذا استعمل منظاراً للاشعة تحت الحمراء ، وذلك من مسافة تزيد عن مدى البندقية .

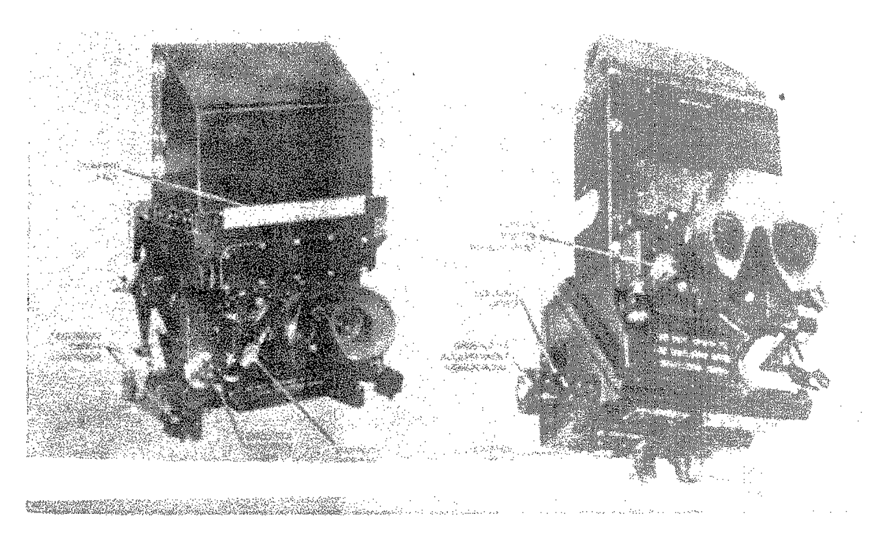
ب) **نوع سلبي** (Passive) ، لا يحتاج إلى أنوار كاشفة مساعدة . وهو ينقسم الى فئتين أيضاً : اولاهما ، فئة « مقوي الصورة» Image Intensifiers . وثانيتهما ، فئة «المنظار

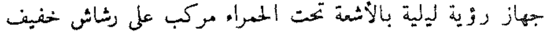
الحراري » Thermal Image Devices .

ومقوي الصورة، منظار يعتمد على طريقة بصرية الكترونية Optical - electronic Procedure لتقوية النور الطبيعي، الموجود ليلا، والصادر من القمر او النجوم. ان نور القمر او النجوم المنعكس عن الاجسام المصوب اليها المنظار يقوى في هذه الحالة داخل المنظار حتى أربعين ألف مرة تقريباً، وبذلك يصبح مرئياً بالعين. ويتراوح مدى «مقوي الصورة» بين ٣٠٠ و ١٠٠٠ متر تقريباً، حسب نوع الجهاز وقوته، وحسب كمية النور الموجودة. ويصبح المنظار عند وجود غيوم كثيفة، غير صالح للاستعمال، لانعدام أو ضعف كمية النور الطبيعي المتبقي لكنه يمكن عندها الاستعاضة عن النور الطبيعي بأنوار اصطناعية ضعيفة تطلق من الارض أو من الجو. ومن الصعب كشف مكان مستعملي المنظار لأنه من النوع السلبي الذي لا يحتاج إلى أنوار كاشفة مساعدة مرئية وغير مرئية. ويمكن تركيب «مقوي الصورة» كمنظار على بندقية أو سيارة عسكرية واستعماله للتصويب والقيادة. ان استعمال «مقوي الصورة» لمدة طويلة يتعب النظر كثيراً، ويمكن للعدو إبطال مفعوله باطلاق سحب من الدخان الكثيف الذي يجعل الصورة غير واضحة، أو بإرسال أنوار كاشفة قوية لتعميته، اذ ان النور القوي يجعله غير صالح للاستعمال، ويستمد مقوي الصورة طاقته من مصدر مناسب للطاقة الكهربائية كالبطاريات الجافة.

أما المنظار الحراري، فهو يجعل من الممكن رؤية الاشياء ليلا بواسطة الموجات الحرارية المنبثقة منها، ذلك ان الموجات الحرارية او الحرارة هي أشعة تحت الحمراء غير منظورة بالعين المجردة. وهذا يعني انه بواسطة المنظار الحراري يمكن رؤية الاجسام ليلا، شريطة أن تكون حرارتها اعلى من حرارة المحيط الموجودة فيه: كسيارة يعمل محركها منذ مدة (ليكون هيكلها حاراً) او كالانسان. يبلغ مدى المنظار الحراري ١٠٠٠ متر تقريباً. إلا ان هذا المدى يقصر عند سوء الاحوال الجوية. ومن الصعب كشف مكان مستعملي المنظار الحراري لأنه من النوع السلبي الذي لا يحتاج الى أنوار كاشفة مساعدة مرئية وغير مرئية. ولا يمكن إبطال مفعوله أو تعميته بإرسال انوار كاشفة قوية وحيث ان المنظار يعمل بطريقة تمييز الفرق في درجات الحرارة بين الهدف وما يحيط به من أشياء، لذا يمكن استخدامه في الليل والنهار (يمكن رؤية آلية او إنسان مختفيين ومموهين بين أشجار الغابات مثلا، سواء في الليل او النهار)، كما يمكن استخدامه للرؤية في الضباب الخفيف لأنه يلتقط موجات الاشعة «البعيدة» تحت الحمراء Far Infra red ويستمد المنظار الحراري الطاقة اللازمة له من مصدر كهربائي مناسب كالبطاريات الجافة.

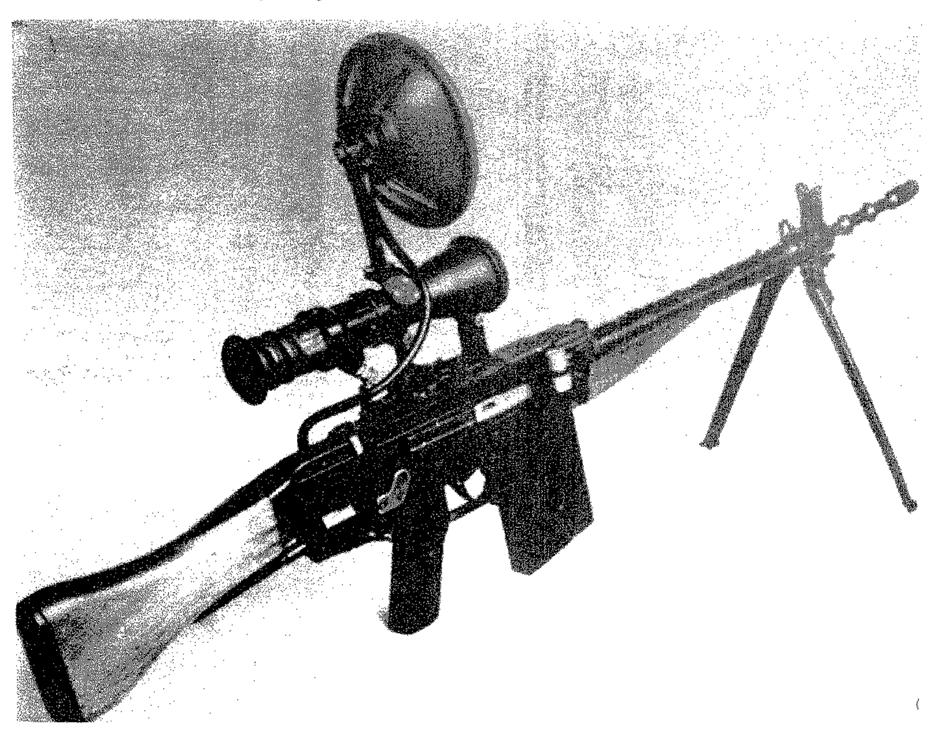
ومن الجدير بالذكر أن مبدأ عمل كل من مقوي الصورة والمنظار الحراري، يستخدم، منذ مدة وجيزة، في صنع البريسكوبات التي تساعد في قيادة الدبابات والآليات المدرعة الاخرى اثناء القتال الليلي. (انظر البريسكوب).





جهاز MEL البريطاني للرؤية الليلية بالاشعة تحت الحمراء، لقائد الدبابة وسادن المدفع.

جهاز رؤية ليلية بالأشعة تحت الحمراء مركب على رشاش خفيف



(٨) جوبر (معركة)

(انظر الثورات السورية).

(١٨) جهاز قياس الاعماق

(انظر وسائل الملاحة البحرية وقياس الاعماق)

(٨) جودل (الفرد) أو يودل

جنرال الماني (١٨٩٠ - ١٩٤٦). ولد الفرد جودل (Alfred Jodel) في فيرزبورغ في بافاريا (Wurzburg - Bavaria) وعندما بدأت الحرب العالمية الاولى كان جودل ضابطاً يحمل رتبة صغيرة، وقد عمل خلال الحرب في هيئات الاركان اكثر مما عمل في قيادة القوات المقاتلة. واستمر كذلك حتى بداية الحرب العالمية الثانية، حيث صدر أمر الفوهرر بتعيينه رئيساً لهيئة اركان حرب القوات المسلحة الألمانية، واشترك مع ويلهيلم كيتل بالتخطيط لعمليات الغرب الهجومية كلها. ولكنه لم يشترك في التخطيط لحملة روسيا، ذلك لأن هيئة الاركان العامة هي التي كلفت من قبل هتلر لتخطيط العملية متجاوزة جودل.

وفي عام ١٩٤٤ تم ترفيع جودل الى رتبة فريق أول. وكان جودل القائد الالماني الذي وقع اتفاقية استسلام القوات الالمانية للحلفاء في ريمس (١٩٤٥/٥/٧). ولكن القيادة السوفييتية لم تعترف بهذه الاتفاقية، واعتبرها ستالين بروتوكولا أولياً، وأصر على ان يتم التوقيع في برلين ذاتها وفي مقر القيادة السوفييتية. وفي ٩ أيار (مايو)، تم توقيع وثيقة استسلام المانيا. وكان يمثل المانيا كايتل وفريديبورغ وشتوميف. ولم يكن جودل بينهم.

كان جودل خلال عمله كرئيس لهيئة اركان العمليات قد أصدر كثيراً من الأوامر التي تتناقض ومضمون القوانين الدولية، فقدم الى محكمة نورمبرغ العسكرية الخاصة بالنظر في جرائم الحرب. وأصدرت المحكمة حكمها على جودل بالموت شنقاً. ونفذ الحكم في يوم ١٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٦. ولقد عرف عن جودل اخلاصه التام لهتلر حتى آخر أيام حياته. وهذا ما ضمن له البقاء في مركزه القيادي على الرغم من التبدل الكبير الذي طرأ على الأدوار القيادية خلال الحرب. وبالاضافة الى ذلك فان جودل لم يتميز بكفاءة عسكرية خاصة. وقد ظهر ذلك واضحاً خلال مرحلة التحقيقات التي قامت بها قيادات الحلفاء مع الضباط الألمان القادة بعد انتهاء الحرب. واضافت قيادات الحلفاء الى جودل صفة اخرى هي افتقاره للشجاعة الاخلاقية، التي لو توفرت



الجنرال ألفرد جودل

له، لاستطاع مجابهة هتلر في المواقف اللاانسانية، أو الاستقالة وعدم تحمل تبعات هذه المواقف.

(١٢) جورغو (غاسبار)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) جوفر (جوزيف)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٨) جوكوف (غيورغي) أو زوكوف

مارشال ورجل دولة سوفياتي (١٨٩٦-١٩٧٤).

ولد غيورغي كونستانتينوفيتش جوكوف في قرية «ستركلوفكا» عام ١٨٩٦. وفي عام ١٩٠٦ أنهى جوكوف دراسته الابتدائية في أبرشية القرية. ثم انتقل في عام ١٩٠٧ الى موسكو للعمل عند خاله في ورشة للفراء. واستمر في عمله حتى عام ١٩١١، حيث أصبح «معلماً في صناعة الفراء». وكان جوكوف خلال عمله نهماً للمطالعة. فكان يستثمر كل فترة فراغ للمطالعة وزيادة معارفه في اللغة الروسية والحساب والجغرافيا مع مطالعة الكتب العلمية الشعبية. وبعد سنة من الدراسة انتسب الى دورات مسائية للثقافة العامة، واستطاع ان يجتاز امتحانات المدرسة المدنية بنجاح.

كانت عوامل الثورة تضطرم في الاتحاد السوفييتي، فتجد لها أصداء عميقة في قلب «جوكوف» ووجدانه. ولكن الامور الحياتية وصغر سنه كانت تحمله على متابعة تفاعلات الثورة ومراقبة الداعين لها وتحليل الحوافز اليها دون الاشتراك بنشاطاتها. وبقي كذلك حتى شهر تموز (يوليو) عام ١٩١٥ حيث تم استدعاؤه للخدمة في الجيش القيصري بصورة مبكرة نتيجة لتطورات الحرب العالمية الأولى. وفي السابع من آب (أغسطس) ١٩١٥ التحق جوكوف بقاعدة التدريب في مدينة مالايا روسلافيتس، وتم اختياره للعمل في سلاح الفرسان. وفي ربيع عام ١٩١٦ انتهت الدورة التدريبية، وتم تشكيل كوكبة من الفرسان «لسد الخسائر» في حين تم انتقاء ٣٠ شخصاً من أفضل الجنود تدريباً لتعليمهم كصف ضباط. وكان جوكوف من بين هؤلاء الجنود.

في أوائل آب (أغسطس) ١٩١٦ صدر أمر من الفوج بإرسال من أتم دورة التعليم الى الكوكبات تعويض الخسائر، وأمر بارسال مجموعة من ١٥ شخصاً الى الجبهة مباشرة. وفي الأول من ايلول (سبتمبر) خاضت فرقة جوكوف معركة في منطقة بيستريسك الجبلية المغطاة بالغابات. ولم تستخدم الفرقة خيولها بسبب طبيعة الارض الصعبة. وفي تشرين الاول (اكتوبر) وبينما كان جوكوف يقوم بجولة استطلاعية على مشارف ساي - ريغين مع اثنين من رفاقه، اصطدمت قوائم أحد الخيول بلغم فأصيب الاثنان اصابات خطيرة، وانتزعت قوة الانفجار جوكوف عن صهوة حصانه وقذفت به ارضاً وهو فاقد الوعي. وبقي جوكوف تحت المعالجة حتى كانون الاول (يناير).

في صبيحة ٢٧ شباط (فبراير) ١٩١٧، اقتيدت كوكبة جوكوف مع غيرها من القطعات لقمع الثورة في «لاغيري» ولكن قوات الجيش انضمت الى الثائرين، وحدث اختلاف بعد ذلك بين فصائل الثورة من البلاشفة وخصومهم الثوريين الاشتراكيين، والمناشفة، فاختفى جوكوف، ثم عاد نهائياً الى موسكو في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧. وفي آب (اغسطس) عام ١٩١٨ التحق بفوج الخيالة الرابع من الفرقة الاولى الموسكوفيه، كتطوع.

اشترك جوكوف بالحرب الأهلية التي كان يقودها م. ف. فرونزه ضد اعداء الثورة البلشفية. واظهر شجاعة جعلته موضع التقدير من رؤسائه وموضع الاحترام من رفاقه مما أهله للانتساب للحزب - حيث قبل انتسابه في أول ايار (مايو) ١٩١٩ - وانتسب بعدها الى دورة القادة الحمر التي عقدت في

كانون الثاني (يناير) ١٩٢٠ . وكانت هذه الدورة مخصصة للخيالة الذين أبدوا تفوقاً في المعارك .

شغل جوكوف في الفترة بين حزيران (يونيو) ١٩٢٢ وآذار (مارس) ١٩٢٣ منصب قائد كوكبة في الفوج ٣٨ خيالة ، ثم أصبح قائداً لفوج بوزولوك ٣٩ خيالة . وقد ركز جهده خلال قيادة الفوج على رفع القدرة القتالية لفوجه ، واحرز نجاحات رائعة . وكان خلال ذلك يطالع بنهم الكتب والانظمة استعداداً لدخول مدرسة الخيالة العليا في لينينغراد . وقد اجتاز امتحانات القبول بسهولة وسجل في المجموعة الاولى . ولقد انتهت دورة مدرسة الخيالة العليا في خريف عام ١٩٢٥ . وكانت إعادة التنظيم في الجيش السوفييتي تسير بخطوات سريعة . وأصبحت الفرقة تضم أربعة أفواج خيالة ، وبينما كان الفوج القديم يضم اربع كواكب اصبحت الافواج الجديدة مؤلفة من ٦ كتائب وتسلم جوكوف قيادة الفوج ٣٩ . وكانت المعرفة النظرية التي اكتسبها جوكوف خلال الدورة إضافة الى الخبرة العملية مساعداً له للارتفاع بمستوى الفوج من الناحية التدريبية واعداده القتالي . وحقق الفوج نجاحات كبرى خلال مناورات الخريف السنوية فتم إلحاقه بدورة إعداد العناصر القيادية العليا مع نهاية عام ١٩٢٩ :

في أيار (مايو) ١٩٣٠ تم تعيين جوكوف قائداً للواء الثاني خيالة من فرقة « سمارا » السابعة وفي نهاية عام ١٩٣٠ ، صدر الامر بتعيينه معاوناً لمفتش خيالة جيش العمال والفلاحين الاحمر . وخلال هذه الفترة ركز جوكوف جهوده لرفع الكفاءة القتالية لقوات الخيالة وتطوير التدريب التقني بعد إدخال المركبات المدرعة في تنظيم فرق الخيالة . ووضع نظام خدمة الميدان المؤقت للجيش الاحمر الذي اعتبر منهج عمل لقتال الفرقة والفيلق المدرعين . وفي ربيع عام ١٩٣٣ صدر الامر بتعيينه قائداً للفرقة الرابعة خيالة ، فاستطاع في عام ١٩٣٥ ان يكرس واقع الفرق الميكانيكية الجديدة ، ويظهر أهميتها . وقد أصبحت تحمل اسم فرقة الدون القوزاقية الرابعة .

في عام ١٩٣٧ تم تعيين جوكوف قائداً للفيلق الثالث خيالة . واستمرت قيادته للفيلق سبعة أشهر . ثم ضمت اليه قيادة الفيلق القوزاقي السادس . واظهر كفاءة في قيادة هذا التشكيل الكبير وعندما قامت القوات اليابانية بعدوانها على منغوليا ، كلفت القيادة السوفييتية جوكوف لقيادة العمليات ضد القوات اليابانية نظراً لارتباط منغوليا مع الاتحاد السوفييتي



المارشال غيورغي جوكوف

بمعاهدة صداقة ، ونجح جوكوف في طرد القوات اليابانية في شهر آب ١٩٣٩ ، بعد معارك ضارية عند نهر خلخين - غول . وفي اوائل أيار (مايو) ١٩٤٠ صدر مرسوم بمنح جوكوف رتبة فريق ، وعين قائداً لمنطقة كييف العسكرية .

وعندما اجتاحت القوات النازية حدود الاتحاد السوفييتي (١٩٤١/٦/٢٢) كلف ستالين جوكوف وخروتشوف بالتوجه الى الجبهة الجنوبية الغربية كممثل عن هيئة القيادة العامة . واستمرت القوات الالمانية في تقدمها، واستطاع جوكوف ان يعدل اوضاع القوات ، ويقود بنجاح بعض العمليات التي ساعدت على إعاقة تقدم القوات النازية . وفي يوم ٩ أيلول (سبتمبر) كانت القوات النازية قد أحاطت بلينينغراد . فاستدعى ستالين جوكوف وكلفه بقيادة جبهة لينينغراد . وفي يوم ١٠ أيلول كان جوكوف قد بدأ عمله في قلب المدينة المحاصرة ، واستطاع إعطاء المعركة زخماً جديداً وذلك باعادة تنظيم المواقع القتالية وتنسيق التعاون بين القوات . وفي مساء ٥ تشرين الأول (اكتوبر) اتصل ستالين بجوكوف وطلب اليه الحضور الى موسكو . وبعد المقابلة ، تم تكليف جوكوف بقيادة الجبهة الغربية . واستطاع جوكوف سد الثغرات ومعالجة نقاط الضعف في هذه الجبهة ، كما أسهم بدور كبير في الدفاع عن موسكو .

خلال فصل شتاء ١٩٤٢ - ١٩٤٣ تبدل الموقف العسكري لصالح الاتحاد السوفييتي ، وبدأ الاعداد للهجوم المضاد الكبير . وكان جوكوف واحداً من الذين اعتمدهم ستالين لقيادة الاعمال الهجومية ، حتى الوصول الى برلين وتدمير آخر معاقل المقاومة الالمانية فيها (انظر برلين-معركة) . ثم كلف جوكوف باجراء مفاوضات الصلح ، حيث كان ممثلا للاتحاد السوفييتي في مجلس الاشراف على ادارة المانيا في مؤتمر بوتسدام ، الذي عقد في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ . كما اشترك في التمهيد لاجتماع رؤساء دول الحلفاء الذي أنهى اجتماعاته في ٢ آب (أغسطس) ١٩٤٥ . ولقد تم تعيين جوكوف قائداً عاماً للقوات البرية في نيسان (ابريل) ١٩٤٦ ، ثم غدا المساعد الأول لوزير الدفاع في عام ١٩٥٣ ، وفي شباط (فبراير) ١٩٥٥ أصبح جوكوف وزيراً للدفاع ، وفي تموز (يوليو) ١٩٥٧ غدا عضواً كامل العضوية في البريزيديوم السوفياتي . ولقد بقي جوكوف في البريزيديوم ووزارة الدفاع حتى ٢٦ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٧ حيث أعفي من منصبه كوزير للدفاع وبعد أسبوع أعفي من منصبه في البريزيديوم .

عكف في الفترة الأخيرة من حياته على كتابة مذكراته ، واصدر كتابه عام ١٩٦٩ بعنوان « مذكرات وآراء » . وعندما توفي جوكوف في عام ١٩٧٤ كان من القادة القلائل الذين احتفظوا بحب شعبهم وتقديره حتى نهاية حياتهم .

(٨) الجولان

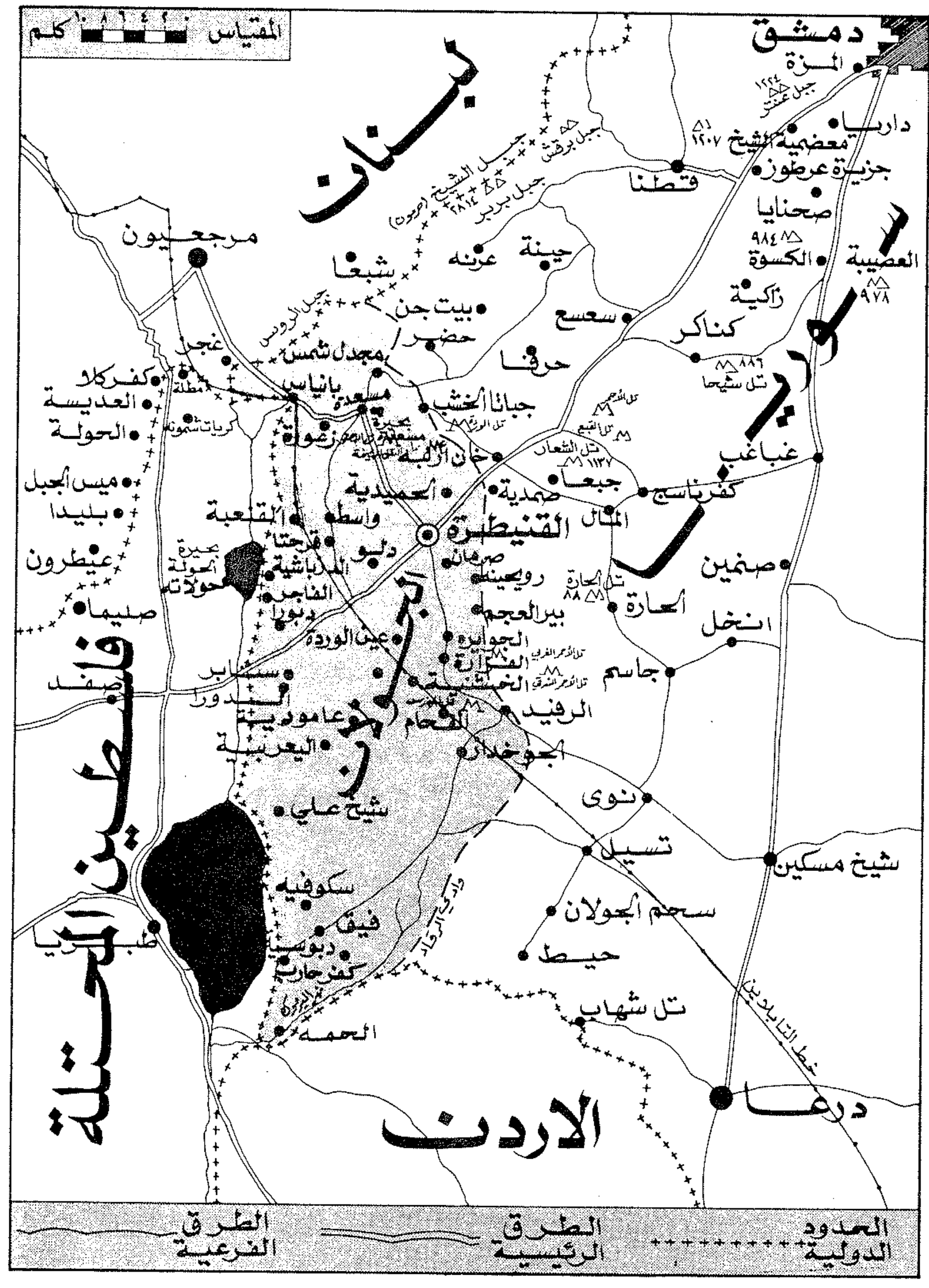
الجولان ، هضبة من الأرض العربية في سوريا ، وهي واحدة من ثلاث عشرة محافظة وفق التقسيمات الادارية للجمهورية العربية السورية . ومركز المحافظة مدينة القنيطرة .

يقع الجولان في الجزء الجنوبي الغربي من سوريا ويحده غرباً فلسطين (نهر الاردن ، وبحيرة طبريا) . ومن الشمال الغربي الجمهورية اللبنانية ومن الجنوب المملكة الاردنية الهاشمية . ويبلغ طول حدود الجولان مع فلسطين (الأرض المحتلة) مسافة ٨٠ كيلومتراً ، يمر فيها خط الهدنة . وتبلغ مساحته ١٨٠٠ كيلومتر مربع . وكان عدد سكانه (قبل حرب ١٩٦٧) مائة ألف مواطن تقريباً وتبلغ كثافة السكان في الجولان ٧٩ نسمة في الكيلومتر المربع . ومن أشهر مدنه القنيطرة ، وهي مركز المحافظة ، وفيق وهي مركز قضاء الزويه .

وقد قسم الجولان عسكرياً الى خمسة قطاعات ، وأشهر القرى في هذه القطاعات : **١ – القطاع الشمالي :** مجدل شمس ، بانياس ، مسعدة عين قنيه ، جباتا الزيت ، زعورة ، عين فيت ، **٢ – القطاع الاوسط :** كفر نفاخ ، العليقه ، الفاخوره ، تل الأعور ، حسينيه الشيخ علي ، الدوكا ، الخشنيه ، القصبيه ، اليهوديه . **٣ – قطاع واسط** (بين القطاعين السابقين) : واسط ، حفر ، قنعبة الدرباشيه . **٤ – القطاع الجنوبي :** البطميه ، خسفين ، العال ، حيتل ، الياقوصه ، كفر حارب ، الحمـه . **٥ – قطاع القنيطرة :** جباتا الخشب ، المنصورة ، الصرمان ، عين زيوان ، الدلوه ، المومسيه ، الجويزه ، بريقه ، بير عجم ، الفحام .

وتتميز منطقة الجولان بعدد من الخصائص ، فهي تحتل المرتبة الأولى بين المحافظات السورية من حيث خصوبة الأرض وغناها الطبيعي وتوفر المراعي على امتداد السنة واختلاف اجوائها ضمن حدود مسافات متقاربة . فبينما تتميز الحمة بدفئها شتاء تكون القنيطرة في أشد درجات برودتها ، والمناخ بصورة عامة جبلي ، جاف ، ومعتدل مع غزارة في الأمطار شتاء .

كان الجولان قبل حرب ١٩٦٧ ، أفضل نموذج لتعايش السكان باختلاف عروقهم ودياناتهم ومذاهبهم فهو يضم من العناصر العرب والشراكس والداغستان والاتراك والتركمان والاكراد ، وفيهم مسلمون سنيون وشيعة ودروز وعلويون ومسيحيون كاثوليك وارثوذكس وبروتستانت . وقد شهدت المحافظة ، بسبب وجود الجيش فيها منذ استقلال سوريا وبدء الصراع العربي – الاسرائيلي ، نهضة اجتماعية واقتصادية وفكرية وثقافية واسعة ، وقد عمل الجيش السوري ذاته على تطوير المحافظة وإقامة المشاريع باشرافه وتحت ادارته . ويتميز الجولان بوفرة المياه وغزارتها . فهناك نهر الاردن ، على حدوده ، وبحيرة طبريا . ونهر بانياس الذي يشكل ثاني روافد نهر الاردن ، وينبع من ارتفاع ٣٠٠ م ولا يسير في الأرض السورية أكثر من ألف متر ويبلغ تصريفه السنوي ١٥٧ مليون متر مكعب من المياه العذبة . ونهر اليرموك الذي يبلغ طوله ٥٧ كيلومتراً يسير منها ٤٧ كيلومتراً داخل الأرض السورية معظمها في الجولان ، ثم يرفد نهر الاردن جنوب بحيرة طبريا ، وهناك قناة العفريتيه المأخوذة من نهر الاردن لتأمين الري في معظم منطقة البطيحه . ونهري زاكيه ومسعديه وهما يصبان مباشرة في بحيرة طبريا . وبحيرة مسعده وهي عبارة عن تجويف كبير



خارطة عامة للجولان

بركاني يقع على ارتفاع ٩٥٠ متراً ويشكل تساقط الامطار المصدر الاكبر لمياهها وفي أرضها بعض الينابيع . وعلاوة على هذه الانهار والموارد فهناك ينابيع محلية وعيون كثيرة موزعة في كل وديان أرض الجولان وسهولها وهي تشكل مصادر وفيرة للمياه . ومن أهم هذه الينابيع ، نبع البرجيات وتذهب مياهه مباشرة الى الأرض المحتلة قرب كفر شامير ، وعين الكبش في وادي الدبوره ويسيل في الوادي حتى يلتقي مع ينابيع جليبينه وتصب جميعها في نهر الأردن قرب بستان الخوري . ونبع الجوخدار وهو مستغل على أفضل وجه لتأمين المياه للقرى المحيطة له والقريبة منه . ونبع سنابر وهو ايضاً مستغل بشكل جيد لتوفير الري للقرى الكثيرة حوله وتأمين سقاية (الأرز) في قرى جرابا وسيرة الحرفان والقراعنة . وهناك ايضاً ينابيع القصبيه وهي مستغلة جيداً وعلى مياهها يزرع الأرز في منطقة القصبيه . نبع الدورة (أمام سنابر) وكانت الفائدة منه محدودة على احد سفوح وادي حواء . وتأتي ينابيع الحمه في الدرجة

الأولى من حيث الفائدة والاهمية نظراً لكونها مياهاً معدنية .

تنتشر فوق أرض الجولان مجموعة من التلال ذات الأهمية العسكرية . ومنها في القطاع الشمالي تل الفخار ، تل الأحمر (أمام بانياس) وتل العزيزيات مضافاً اليها تل الأحمر قرب بقعاثا الذي تكمن أهميته في سيطرته على الارض . وفي قطاع واسط تنتشر التلال التالية : تل شيبان ومرتفع الدرباشيه . أما في القطاع الأوسط فهناك مرتفع الدبوره ومرتفع جليبينه والمرتفع ٢١٧ ومرتفع أم العسل وتل المشنوق وتل ٦٢ وتل الأعور . وفي القطاع الجنوبي ، تل الفرس وتل السقي وتل (– ٦٩) ومرتفعات سكوفيا وبيرشكوم ومرتفعات كفر حارب ومزرعة عز الدين ومرتفعات العقبات التي تتحكم ببداية الطريق النازل الى الحمه . أما في قطاع القنيطره فهناك مرتفعات (خان ارينبه ، وتل النبي محمد ، وتل العرام ، وتل أبي الندى ، وتل خنزير) .

ترتبط قرى الجولان بمجموعة من الطرق الطولانيه والعرضانيه وأهمها ضمن القطاعات :

١ – **الطرق الطولانية :** في القطاع الشمالي ، القنيطره – بانياس ، وفي قطاع واسط ، المنصورة – واسط متفرعاً عن طريق القنيطره – منصوره – مسعده (طريق معبد) . وطريق واسط – راويه – حفر – الدرباشيه (طريق ممهد) . وفي القطاع الاوسط ، محور كفر نفاخ – عين السمسم – سنابر – أبو فوله – حرابا (طريق معبد) ، ومحور الخشنيه – القصبيه – اليهوديه (طريق معبد) . وفي القطاع الجنوبي ، محور القنيطره – الرفيد – العال – فيق – سكوفيا – (التل – ٦٩) – الكرسي (طريق معبد) . وفي قطاع القنيطره ، دمشق – القنيطره مروراً بالحميديه ومنها يتفرع على النحو السابق الى بانياس ، وجسر بنات يعقوب والحمه (طريق معبد) ، وهناك ايضاً اوتوستراد الحميديه – المنصوره وأوتوستراد الحميديه – الصرمان .

٢ – **الطرق العرضانية :** في القطاع الشمالي ، بانياس – تل العزيزيات – البرجيات . وفي القطاع الاوسط ، الجمرك السوري – سنابر ، وجسر بنات يعقوب – أبو فوله مروراً بنقطة استناد اشرف حمدي (طريق ممهد) . وفي القطاع الجنوبي ، خسفين – جسر الرقاد – تسيل (جزء معبد والآخر ممهد) ، والعال – حتيل – كفر الما (نصف معبد) . وفي قطاع القنيطره ، حضر – جباتا الخشب – خان ارينبه – جبا (طريق ممهد) ، والصرمان – بير العجم – بريقة – كودنا (طريق ممهد) .

تنبع أهمية هضبة الجولان الاستراتيجية من موقعها وطبوغرافية الأرض المحيطة بها ، فهي تستند إلى جبل الشيخ من جهة الشمال ، وتستند إلى وادي اليرموك من جهة الجنوب ، وتشرف اشرافاً مباشراً على الجليل الأعلى وسهلي الحولة وطبريا . وتعتبر سيطرة السوريين عليها مفتاحاً للسيطرة على المناطق المذكورة آنفاً في اسرائيل ، كما أن سيطرة القوات الاسرائيلية تعطي الدولة الصهيونية عمقاً دفاعياً ، وتؤمن لها ابعاد الخطر المباشر عن المناطق الحيوية الآهلة بالسكان في شمالي فلسطين المحتلة ، وتجعلها قادرة على التحرك بسهولة اكبر نحو دمشق سواء عبر محور القنيطرة – دمشق ، أو عبر محاور الحركة في منطقة حوران . ولهذه الاسباب الاستراتيجية ، ولاسباب اقتصادية تتعلق بالمياه والأراضي تمسكت اسرائيل بالجولان بعد حرب ١٩٦٧ ، وبنت فيها ١٨ مستوطنة دفاعية بغية ترسيخ اقدامها في الهضبة ، وادخال هذه المستوطنات ضمن منظومة الدفاع التي كانت قبل حرب ١٩٧٣ تستند إلى خط آلون ، ومجموعة التدابير الدفاعية الاسرائيلية في عمق الجولان .

جوميني (انطوان هنري) (٧)

جنرال ومؤرخ سويسري (١٧٧٩ – ١٨٦٩) . ولد البارون انطوان هنري دو جوميني Antoine Henri baron de Jomini في بايرن Payerne في الجزء الفرنسي من سويسره . ومات في باريس . وهو سليل أسرة موسرة هاجرت من ايطاليا قبل ذلك بعدة اجيال . تلقى جوميني الثقافة التقليدية لابناء الطبقة البورجوازية الذين يستهدفون العمل في التجارة او المصارف . وكان يعمل في أحد مصارف باريس عندما حصل على مركز غير رسمي وغير مأجور في هيئة اركان حرب الجيش الفرنسي . ومكنته درايته بالأعمال الادارية من العمل في ادارة تموين الجيش . ولم يلبث ان عاد من جديد الى الحياة التجارية اثناء فترة السلم التي جاءت عقب صلح « أميان » ولكنه مع تجدد الحرب وجد نفسه رئيساً لاركان حرب المارشال « ني » في معركة أوسترليتز . وساعده وجوده بين العسكريين ، وطاقته الذهنية السريعة التقبل للمسائل العسكرية ، في ان ينظر اليه « ني » نظرة الجندي الشجاع العارف بأصول القتال خلال العمليات .

وفي الفترة التي جاءت في اعقاب صلح « أميان » عاونه « ني » على نشر أول مجلدات دراسته لحملات فريدريك الأكبر التي قدم فيها جوميني بعض الآراء العامة في الفكر العسكري وعرض بعض المقارنات بين قيادة فريدريك وقيادة نابليون . وقد استطاع جوميني بمساعدة «ني» ان يهدي نسخة من كتابه الى نابليون الذي اعجب به ، فنظم له عمله ، ومنحه رتبة عقيد في الجيش الفرنسي ، وارسل اليه من يبلغه هذا في ميتز (١٨٠٦) .

ورغم ان جوميني قد توصل الى رتبة عميد في الجيش الفرنسي ، ورغم أنه خدم كرئيس هيئة اركان الحرب للماريشال « ني » في بروسيا واسبانيا وبعد التقهقر من موسكو ، ورغم انه خدم كحاكم لـ « ڤلنا » ثم لـ « سمولنسك » خلال الحملة الروسية ، الا انه لم يتول قط قيادة مستقلة . وينسب ذلك الى العداء الشخصي الذي كان بينه وبين « بيرتييه » رئيس هيئة اركان الحرب العامة لبونابرت الذي كان يكره هذا السويسري الواثق بنفسه . والواقع ان جوميني ايضاً كان كثير الاستقالة من عمله دائم العودة الى الخدمة من جديد . فقد استقال وسحب استقالته اكثر من مرة في هذه السنوات ، مما جعل رؤساءه ، بمن فيهم الامبراطور نفسه ، غير قادرين على توليته قيادة مستقلة للجنود في الميدان .

وعندما يئس جوميني من الترقي ، ولى وجهه في آب (اغسطس) ١٨١٣ نحو خطوط الحلفاء ، وعرض خدماته على الكسندر قيصر روسيا . ولما كان مواطناً سويسرياً فلم يعتبر عمله خيانة لوطنه بكل ما في كلمة الخيانة من معنى . واذا كان هذا قد حال دون ان يكون جوميني بطلا في اعين الفرنسيين فانه لم يجعل مؤرخيهم قساة في الحديث عنه ، ولم يمنع مدرسيهم من أن يستخدموا كتاباته كمراجع للدراسة . وقد منحته روسيا رتبة جنرال حتى وفاته ، وعمل في جيشها مستشاراً عسكرياً ، وقام بدور حاسم في ايجاد الاكاديمية العسكرية الروسية ، ووجد الفرصة لاتمام دراساته التاريخية والتحليلية التي بدأها بعد معركة مارنغو . وقد قضى اواخر ايام متنقلا بين روسيا وفرنسا . واثناء حرب القرم كان قيصر روسيا يديم مشاورته ، كما استشاره نابليون الثالث (١٨٥٩) قبل ان يبدأ مغامرته ضد ايطاليا . وفي العام ١٨٦٩ عندما وافته المنية كانت كتبه تستخدم على نطاق واسع في الدراسات العسكرية في العالم كله .

كانت حياة جوميني العسكرية حياة غير عادية . فهو لم يتسلق درجات السلم العسكري بجهد وتعب مثل سائر الجنود المقاتلين ، كما لم يرتقها ايضاً بالاسلوب العادي الذي يصل به طلاب العسكرية من الضباط ، بل انه دخل وظيفة ادارية في الجيش

دون سابق تدريب عسكري. ثم ان اصله السويسري، الذي جعله الى حد ما غريباً، حال دون وصوله الى الزمالة الكاملة في السلاح. ولكن من الخطأ ان نفكر في جوميني «كجندي كل عمله على الورق»، وانه كان منظراً فحسب، وانه لم تكن له صلة مباشرة بالجيوش. فالواقع انه ساعد في تحريك الجيوش في الميدان، وتحمل المسؤولية كرئيس اركان الحرب للماريشال «ني» في غاية ما يمكن من الدقة، حيث كان عليه ان يصدر قرارات هامة وخاصة في «أولم» وفي اسبانيا.

ويمكن ان تقسم كتابات جوميني عن الحرب الى مجموعتين: الاولى هي الكتابات الخاصة بالتاريخ، والثانية هي الكتابات النظرية أو التحليلية. والواقع ان هذا التقسيم ليس فاصلا، لأن جوميني كان في كتابة التاريخ العسكري يعمل دائماً للوصول الى المبادىء والأصول التي توضح «لماذا وكيف» حدث القتال. وقد صدرت كتابات جوميني اصلا في سبعة وعشرين مجلداً، جمعت حروب فريدريك الأكبر، وحروب الثورة الفرنسية، وحروب نابليون من العام ١٧٩٢ حتى العام ١٨١٥. ولكنه وان كان قد قدم حرب السنوات السبع وحروب الثورة الفرنسية بافاضة، فقد أوجز في سرد حياة نابليون بعد العام ١٧٩٩. وقد جاءت حياة نابليون في اربعة مجلدات وسميت «الحياة السياسية والعسكرية لنابليون» ونشرت في العام ١٨٢٧.

وكانت كتابات جوميني العسكرية تحمل الطابع الأدبي للقرن الثامن عشر. وقد أفرد مجلداً خاصاً من كتابه للحديث عن معركة «واترلو» وحدها. ونستطيع القول ان كتابات جوميني العسكرية، وان كانت قد اوجدت آفاقاً جديدة، الا انها تعتبر قديمة، ومن النادر ان تقرأ الآن. ولكن كتابات جوميني النظرية الخاصة بالعلم العسكري عاشت وبقيت مرجعاً للدراسة لأكثر من قرن من الزمن.

واول بحث لجوميني في النظريات العسكرية جاء في كتابه «دراسة للعمليات العسكرية الكبرى» الذي خصص اصلا لدراسة في نهج حرب السنوات السبع. ويقدم جوميني في الفصل السابع من كتابه هذا نظريته عن «خطوط العمليات». ويعرض التباين الهام بين الخطوط الخارجية والخطوط الداخلية. ويبين كيف يتم الاختيار بين هذه الخطوط بتأثير العوامل والاعتبارات الجغرافية. ويحاول ان يختم الدراسة في عرض صورة عامة لكل تجاربه وتجسيد المبادىء الأساسية التي تقوم عليها كل العمليات الحربية. وقد جاءت اهم دراسات جوميني النظرية



الجنرال انطوان جوميني

في كتابه «دراسة في فن الحرب» الذي صدر في مجلدين (١٨٣٨). وقد ظهرت عدة طبعات حديثة لهذا الكتاب الذي ترجم لأغلب اللغات الحية.

وقد عني جوميني بشكل خاص بمسألة أهمية صلاحية «الآراء العامة» في دراسة العلم العسكري. والواقع ان جوميني وقف موقفاً مضاداً من كل الآراء التي اعتبرها مخالفة للبحث والدراسة أو التجديد والاصلاح، وبقي مصراً على ان العقل البشري يستطيع ان يقدم بصورة منطقية الوسائل التي تمكن من النجاح في الحرب. ويقول جوميني ان هذه الاصول والمبادىء لا تتغير ولتتوقف على نوع السلاح، كما تتوقف على الزمان والمكان. وقد عارض جوميني «طرق الحرب» التي توضع لكل الحالات التي يمكن ان تحدث في الحرب. هذه الطرق التي هي مجرد تقديرات للعمل، مثلها مثل مواصفات كتب الطهي التي تضع قواعد جامدة لكل مسائل التنظيم العسكري. وادرك جوميني ان الذكاء البشري لا يستطيع الوصول الى شيء كهذا، وليس من الممكن وضع طريقة تصلح لكل الحالات، ذلك لأن الحرب مأساة غامضة وليست عملية حسابية. واعتبر ان التفكير السليم وحده لا يكسب المعارك، وان الصفات الاخرى كالشجاعة، وقوة الابتكار، والمبادأة اكثر أهمية من غيرها، ولكن للذكاء الأفضلية في نطاق الاستراتيجية لأن في ميدان الاستراتيجية مبادىء عامة وقواعد ذات صلاحية دائمة يمكن ان يلتقطها العقل البشري ويشكلها تبعاً لاستخدامه لها. وقد قال جوميني ان الضابط القائد بعد ان يسهم في

اثنتي عشرة حملة، يجب ان يعرف ان الحرب مأساة كبرى تعمل فيها آلاف العوامل المعنوية والمادية بقوة كبيرة أو صغيرة، ولكن لا يمكن تخفيض هذه القوة بوساطة العمليات الحسابية. وقد خلص جوميني الى ان المبادىء والاصول الأساسية للاستراتيجية هي:

أ – احضار القائد للجزء الأكبر من قوات جيشه لينقض بها على المناطق الحاسمة في مسرح الحرب والى غاية ما يمكن على خطوط مواصلات العدو دون ان تتعرض مواصلات جيشه هو للخطر.

ب – القيام بالمناورة في حالة تمكنه من ان يشتبك بالجزء الاكبر من قواته ضد اجزاء صغيرة فقط من قوات العدو في كل مرة لسحقها.

ج – القيام، اثناء المعركة، بمناورات تكتيكية تمكنه من احضار الجزء الأكبر من قوات جيشه لزجها في المنطقة الحاسمة من مسرح المعركة او على ذلك الجزء من خطوط مواصلات العدو، والتي يكون من الأهمية بمكان سحقها وتدميرها.

د – تنظيم الاجراءات الى الحد الذي يمكن، ليس فقط من احضار هذه الحشود من القوات للزج في المكان الحاسم، بل وان تشترك هذه الحشود في المعركة مجتمعة وبالسرعة القصوى. وبذلك تستطيع القيام بجهد مزدوج في وقت واحد.

ولقد استطاع جوميني ان يدعم هذه الآراء العامة بقصص التاريخ العسكري التي اتبعت وطبقت فيها هذه الاصول. ولما كان فن الحرب يتكون من وضع اكبر عدد ممكن من القوات في النقطة الحاسمة من مسرح العمليات (الحشد)، فان وسيلة تحقيق ذلك هي اختيار خط العمليات الصحيح. وهذه هي القاعدة الأساسية للتخطيط الجيد للحملة، وبالتالي مركز كل النظريات العسكرية وقلبها. وقد اوضح جوميني ان «خط العمليات» هو جزء منطقة العمليات الذي يغطيه الجيش اثناء قيامه بالمهمة المحددة له سواء كان طريقاً واحداً أم عدة طرق. وقد شرح مفصلا الفوائد النسبية لخط العمليات الواحد وخط العمليات المزدوج، وشرح العوامل التي تؤثر في اختيار كل من هذين النوعين، وفي مقدمتها تلك التي تنتج عن طبيعة ارض العمليات، والتي تنشأ عن الطرق والنقط الاستراتيجية الكائنة في مسرح الحرب.

وكان جوميني يرى ان عمل القائد انما هو من ناحية أولية عمل ذهني. فالجمع بين الحكمة والخلق هو الذي يصنع القائد العظيم. كما ادرك ان اهمية «المفاجأة» بالغة للغاية. فلا يكفي عادة

ان تقوم بمهاجمة نقطة محددة بقوات اكبر اذا كان العدو يثق بانك ستقوم بالهجوم في تلك النقطة وفي ذلك الوقت . ويقترب جوميني من عقيدة كلاوزفيتز باعتقاده ان الغرض من الحرب هو تدمير قوات العدو المسلحة ، ولكنه يختلف احياناً عنه حيث يؤكد ان المشكلة المركزية للحرب هي الاختيار الصحيح لخط العمليات ، وان اهم غرض للقائد هو السيطرة على منطقة العمليات . وتستحيل هذه السيطرة ما لم تدمر قوات العدو . ولكنه يجب ان نذكر انه عندما يختار القائد خط العمليات الصحيح فانه يترك للعدو طريقي عمل مفتوحين ، فاما القتال في ظروف سيئة واما الانسحاب من منطقة العمليات . ومن اجل هذا وحده كان جوميني يتجه اتجاهاً ملحوظاً نحو تفضيل الهجوم ، حتى لو اضطر القائد تبعاً للاعتبارات السياسية او غيرها ، لاتخاذ موقف دفاعي . وقد قصد جوميني بهذا الهجوم ما أسماه بـ « الهجوم الدفاعي ». وهــو احتلال موقع نعاونه اغارات مستمرة وهجمات مخادعة وغير ذلك من الوسائل الضرورية للحؤول دون ما يسببه حرب المواقع الدفاعية من اجهاد عقلي ومعنوي . ولم يكن بين كتاب العصر الحديث من هو اكثر إضراراً من جوميني على ابراز ضعف سيكولوجية التحصينات الثابتة ، وذلك في حديثه عن المشاعر الوهمية التي توجدها خطوط التحصينات . وعلى نقيض كلاوزفيتز ، فان جوميني يعتبر في سجل تاريخ الفكر العسكري كرجل عمل من اجل النظريات الاستراتيجية وحدها دون أن يعنى بالمشكلات الفلسفية بقدر ما يعني بالنواحي العلمية . وقد استطاع جوميني ان يميز بوضوح بين الاستراتيجية وبين الميادين الاخرى من النشاط العسكري كالتكتيك مثلا ، اثناء تقسيمه العام للعلم العسكري بصورة مقبولة يستخدمها الجميع .

ويعتبر فكر جوميني العسكري دليلا يستحق التنويه لحقيقة رفض الكثيرون من المفكرين الأحرار في القرن التاسع عشر تقبلها ، وهي ان الحرب ليست صورة شاذة من الحياة البشرية لها تاريخها الخاص بها المنفصل عن غيره من صور التاريخ ، بل انها جزء مكمل لتاريخ الحضارة ، ذلك لأن رأي جوميني يجسد الى حد ما المثل الكامل لما أسماه كارل بيكر « جو الرأي في القرن الثامن عشر ». وبالرغم من ان كل كتابات جوميني تعنى بالمسائل العسكرية الا انها من نتاج عصر النهضة الفكرية بدون اي شك . والواقع انه مع مرور الايام غدا الكثير من كتابات جوميني ضئيل القيمة . الا ان بعض نظرياته الاخرى ستبقى ذات أثر ملموس ، واهمها نظرياته حول ايضاح الاصول الاساسية للعلم العسكري ، وتعريفه لمدى عمــل الاستراتيجية في الحرب ، واصراره على اهمية التخطيط للعمليات ، والدور الذي يمكن ان تلعبه الاستخبارات في الحرب ، واهمية انشاء هيئة اركان الحرب وانشاء الاكاديميات العسكرية .

(٥) جون ف. كينيدي (حاملة طائرات)

حاملة طائرات هجومية من فئة « كيتي هوك » ، امريكية . سميت إحياء لذكرى الرئيس الامريكي جون كينيدي الذي اغتيل في دلاس عام ١٩٦٣ . دخلت الخدمة في البحرية الامريكية في ايلول (سبتمبر) عام ١٩٦٨ . يبلغ وزنها القياسي ٦١ ألف طن ، ومع حمولة كاملة ٨٧ ألف طن . طولها ٣١٩,٣ متراً ، وعرضها ٣٩,٦ متراً ، وعرض سطحها المخصص للطيران ٧٦,٩ متراً ، وارتفاع غاطسها ١٠,٩ امتار . وتبلغ قوة دفع محركاتهــا ٢٨٠ ألف حصان . وتصل سرعتها الى ٣٥ عقدة في الساعة . ولها طاقم من ٢٧٩٥ رجلا ، يضاف اليهم ٢١٥٠ رجلا هم افراد الجناح الجوي الذي يعمل على سطحها . وتستطيع حمل ٩٥ طائرة مقاتلة من احدث الانواع المتطورة . ولها ثلاث نقاط دفاع رئيسية تطلق صواريخ سطح – جو « سي سبارو » .

(٦) جوهو (ادمون)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) جياب (فو نغوين)

جنرال ثوري فيتنامي (١٩١٢–   ) وعضو القيادة ووزير الدفاع في فيتنام الشمالية . ومن كبار منظري الحرب الثورية .

ولد فونغوين جيــاب في العـــام ١٩١٢ ، في آن – كسا An-Xa في مقاطعة كوانغ بينه Quang-Binh ، إحدى أفقر مقاطعات ڤيتنام الوسطى ، وتقع شمــالي خط العرض ١٧ الذي يفصل بين ڤيتنام الشمالية والجنوبية بموجب اتفاقية جنيف ١٩٥٤ . ونشأ في كنف والد معدم كان يعمل مدرساً في عهد الاستعمار الفرنسي ، ولكنه – شأنه في ذلك شأن العديد من المدرسين في تلك الحقبة – كان وطنياً اشترك في الثورة ضد الفرنسيين وكان عضواً في إحدى المجموعات الثورية الوطنية التي استمرت ترفع راية النضال من اجل التحرير.

وفي الثانية عشرة من عمره ارسل جياب لتلقي العلم في مدرسة هوي Hue الوطنية التي أسسها نغو دينه كا Ngo Dinh Ka (عضو المحكمة العليا ، ووالد الرئيس نغو دينه دييم Ngo Dinh Diem رئيس ڤيتنام الجنوبية) لتكون مدرسة متطورة لتدريس الثقافة الوطنية الحديثة . وكان قد تلقى العلم في هذه المدرسة قبل انضمام جياب اليها كل من نغو دينه دييم وهوتشي منه رئيس جمهورية ڤيتنام الديمقراطية . واثناء وجوده في هوي بدأت ميوله الوطنية تتكشف للسلطات الفرنسية بسبب أشعاره المثالية ، ودفاعه الحار عن أفكار فــان بوا تشو Phan Boi Chau ، احد وطنيي ڤيتنام الذي كان ينظر اليه كبطل قومي من قبل الجماعات الوطنية والشيوعية الڤيتنامية . وفي سنة ١٩٢٦ انضم جياب الى حزب فيتنام الكبرى الثوري السري (تان فييت كاتش مينه دانغ Tan Viet Cach Menh Danh .

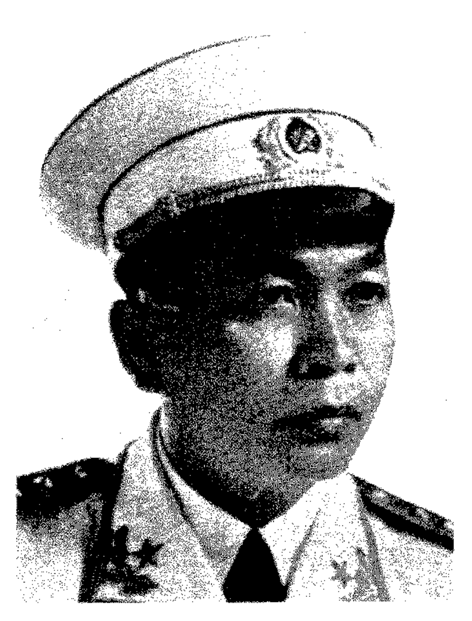
وفي سنة ١٩٣٠ – وهو عام مرت فيه البلاد عامة ومسقط رأس جياب بصورة خاصة بما يشبه المجاعة – ذاق جياب طعم السجن لاول مرة اثر قيامه بقيادة تظاهرة في هوي احتجاجاً عــلى قيام السلطات باستخدام السلاح لإيقاف مسيرة قام بها ستة آلاف مزارع ، وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات . ولكن السلطات أفرجت عنه بعد مضي بضعة شهور بسبب حسن سلوكه . وبعد خروجه من السجن عكف جياب على استكمال تحصيله العلمي ، وحصل على البكالوريا الفرنسية ، ثم انتقل الى هانوي التي كانت فيها جامعة الهند الصينية الفرنسية في ذلك الوقت ، وبدأ دراسة القانون . وأثناء وجوده في هانوي ، أقام جياب في بيت استاذ جامعي فيتنامي هو دانغ تاي ماي Dang Thei Mai وتزوج من ابنته فيما بعد (١٩٣٨) .

وفي سنة ١٩٣٦ ، وبوصول الجبهة الشعبية الى الحكم في فرنسا ، خففت السلطات الفرنسية من بعض القيود على الحريات السياسية والصحافية في ڤيتنام ، وسمحت بقيام بعض النشاطات الحزبية واصدار الصحف الوطنية . وفي سنة ١٩٣٧ ارسل الحزب الشيوعي الفرنسي ممثلين عنه الى ڤيتنام للمساعدة في تنظيم الحزب الشيوعي الڤيتنامي الذي كان في طور البداية . وقد شهد شهر آذار من سنة ١٩٣٧ قيام الجبهة الوطنية في الهند الصينية بقيادة الحزب الشيوعي بحملة للسيطرة على الحركة الوطنية في ڤيتنام . ويعتقد أن جياب كان منضماً الى الحزب الشيوعي الڤيتنامي آنذاك ، ويستدل على ذلك من إحدى صوره الفوتوغرافية التي يشاهد فيها وهو يعمل مع طاقم صحف ڤيتنام الشيوعية الشمالية : الاخبار

تن – تك Tin Tuc ، والشعب نان – دان Nhan Dan وهي الصحف الرسميـة للحزب الشيوعي حتى يومنا هذا . وهناك تعرف جياب على فام فان دونغ Phan Van Dong ، ذي التاريخ الحافل بالعمل الثوري بالرغم من خلفيته الارستقراطية ، واصبحا صديقين حميمين .

وفي سنة ١٩٣٧ حصل جياب على درجة الليسانس في القانون ، وقد لوحظ ان التقديرات التي حصل عليها في مواضيع القانون العام هي تقديرات منخفضة بمقارنتها بالتقديرات التي نالها في مواضيع الاقتصاد السياسي . بعد ذلك صمم جياب على متابعة دراسته لنيل درجة الدكتوراه ، ولكن امكانيات عائلته المادية كانت على وشك النفاذ ، فكان لا بد من العمل لكسب قوته ، ولم يطل به الامر ، اذ استطاع العثور على وظيفة مدرس للتاريخ في مدرسة ثانغ لونغ Thang Long القانونية وفي ذلك الوقت اصبح جيـاب مقتنعاً بالمذهب الماركسي ، بالاضافة الى كونه وطنياً ڤيتنامياً ، فكانت معظم محاضراته لتلاميذه في مدرسة ثانغ لونغ تتطرق الى السياسة . وفي سنة ١٩٣٨ منح جياب شهادة الدكتوراة وتزوج .

وعندما بدأت الاعمال العدائية النازية التي مهدت لنشوب الحرب العالمية الثانية في سنة ١٩٣٩ ، قامت السلطات الفرنسية بمنع نشاطات الاحزاب الشيوعية داخل فرنسا وفي المستعمرات ، واصدرت مذكرات توقيف بحق قادة تلك الاحزاب ، فاختفى جياب وزوجته وغادرا هانوي الى اواسط ڤيتنام ، وهناك في مدينة ڤنه Vinh عاصمة مقاطعة نغي – آن Nghe-An استطاعت السلطات الفرنسيـة القبض على زوجته وقدمتها للمحاكمة امام محكمة فرنسية عسكرية بتهمة التآمر على أمن فرنسا ، وحكم عليها بالسجن ، ولكنها توفيت في سجنها عام ١٩٤٣ بسبب معاملتها الوحشية كما يقول جياب . وهرب جياب على أثر اعتقال زوجته الى الصين الجنوبية المتاخمة التي كانت ، في واقع الحال ، ارضاً محايدة في ذلك الوقت يحتمي بها الثوريون . وهناك أقام جياب في قلعة ينان Yenan الحصينة مدة تتراوح بين سنة وثمانية عشر شهراً ، حصل أثناءها على خبرته التكتيكية العسكرية . وعندما ظهر جياب في المؤتمر الثامن للجنة المركزية للحزب الشيوعي الڤيتنامي الذي عقد في تشينغ – هسي Ching-Hsi في مقاطعـة كوانغسي Kwangsi في أيار (مايو) ١٩٤١ ، كان ينظر اليه بصفته من خيرة منظمي الحركة الشيوعية الڤيتنامية . وفي ذلك المؤتمر ،



الجنرال فونغوين جياب

الذي تقرر فيه إنشاء حركة الڤييتمنة Vietminh قابل جياب الزعيم هو تشي مينه Ho chi Minh لاول مرة واعجب هو تشي مينه به وكلفه القيام بمهمة من أصعب المهام ، وهي إنشاء قوة عسكرية شيوعية في داخل ڤيتنام . وعلى الفور حزم جياب أمره على بدء العمل في أعالي جبال ڤيتنام ، بين الاقليات من القبائل الدينية التي تقيم فيها ، بدلا من سهولها وهناك انضم اليه زعيم قبائل ثو Tho تشو ڤان تان Chu Van Tan الذي كان صاحب تاريخ طويل في اعمال العنف ، وقرر العمل لمكافحة الاستعمار الفرنسي . وقد أصبح العمل في الجبال الوعرة بدلا من السهول ، منذ ذلك الوقت ، قاعدة هامة في استراتيجية جياب العسكرية .

وبعد مضي سنتين من العمل الدؤوب والتدريب الشاق في الجبال شعر جياب ان وقت العمل قد أزف . وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ اصدر هو تشي منه الامر اليه بتشكيل لواء يبدأ العمل الدعاوي العسكري من أجل تحرير ڤيتنام ، والمقصود بذلك بدء عمل يغلب عليه الطابع السياسي وذلك من أجل توعية الجماهير الى الهدف من القيام بالحشد العسكري . وفي ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) من السنة نفسها نظم جياب اول مجموعة من هذا اللواء مؤلفة من ٣٤ رجلا في وادي دينه – كا Dinh - Ca بالقرب من كاو – بـانـغ Cao-Bang على الحدود الصينية ، وفي ليلة رأس السنة الميلادية قـام بمهاجمة موقعين فرنسيين صغيرين على الحدود في فاي – خات Phy-Khat ونا نغان Na-Ngan وقتل عناصرهما . وكان ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) من سنـة ١٩٤٤ هو بمثابة تاريخ ميلاد جيش الشعب الڤيتنامي ، وهو حالياً من الاعياد الرسمية في ڤيتنام الشمالية .

ثم بدأ جياب حملة دموية مقصودة ، بهدف تصفية زعماء القرى وغيرهم من الشخصيات المعروفة بولائها وتعاملها مع الفرنسيين . وقد سهل الاحتلال الياباني ودحرهم للفرنسيين في الهند الصينية في ٩ آذار (مارس) ١٩٤٥ مهمة جياب ، ومكنه من الاستيلاء على مخازن الاسلحة التي هجرها الفرنسيون . ولما لم يكن باستطاعة القوات اليابانية سوى السيطرة على المدن الرئيسية وعقد المواصلات الهامة في البلاد ، فقد ترك ذلك المجال واسعاً أمام جياب للعمل في السهول الريفية . ومـا ان حل يوم ١٥ آب (اغسطس) ١٩٤٥ حتى كانت قواته قد سيطرت على مناطق واسعة من البلاد . وكان نشاط جياب ضد اليابانيين حذراً وذكياً باستمرار ، اذ كان يعرف ان الهدف الرئيسي من العمل سياسي بحت ، وبالتالي لم يكن يشتبك معهم إلا اذا كان واثقاً من النصر .

وفي ١٥ آب (اغسطس) ١٩٤٥ دخلت قوات جياب العاصمة هانوي برفقة هو تشي منه ، وفي ٢ أيلول (سبتمبر) اعلن استقلال جمهورية ڤيتنام الديمقراطية ، وعين جياب قائـداً لجيش الشعب الڤيتنامي ، ورئيساً للبوليس وقوى الامن . وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٤٦ ، وعلى أثر انتخابات فازت فيها الڤييتمنه بالاغلبية المطلقة للحكم ، أنشئت لجنة المقاومة الوطنية برئاسة جياب ، واستطاعت بقيادته استيعاب معظم صلاحيات وزارة الدفاع ، وبالتالي اطلقت يده في تسليح القوات المسلحة للجمهورية المستقلة وتنظيمها . وقد ظهرت قدرات جياب القيادية في الاشهر الاربعة التي اعقبت حزيران (يونيو) ١٩٤٦ ، عندما كان هو تشي منه وباقي اعضاء الحكومة في باريس للمفاوضة ، وبقي جياب لادارة شؤون الدولة ، بالاضافة الى قيامه بمهام وزير الداخلية . في تلك الفترة قام جياب بحملة من التحركات السريعة قضى بواسطتها على معاقل الاحزاب المعارضة ، واعدم المئات من عناصرها بما فيهم بعض رفاق السلاح القدامى ، مثل زعيم التروتسكيين تا – ثو – ثاو Ta-Thu-Thau صديق هو تشي منه الشخصي . واخيراً ، في ١١ تموز (يوليو) ١٩٤٦ ، شن جياب حملة تطهير عامة

قضى فيها على جميع زعماء الاحزاب المعارضة ، واغلق صحيفة ڤيتنام ، آخر صحيفة للمعارضة ، وعندما سمح لها بالظهور مجدداً في ١٨ تموز (يوليو) كانت منسجمة تماماً مع الحكم .

أما على الصعيد العسكري ، فقد قام جياب بنشاط مكثف لتدعيم صفوفه عن طريق الحصول على الاسلحة – ولو كانت بطريق التهريب – من الخارج ، وإنشاء وحدات عسكرية جديدة ، ومركزين للمقاومة ولتخزين الذخيرة ، ومصنعين للاسلحة الخفيفة : ثاو ناوغين Thau-Naugen وهوا بينه Hoa-Binh . وكان يؤكد دوماً في العديد من خطاباته التي وجهها الى الشعب في تلك المرحلة « بأنه يعتبر السلام مع الفرنسيين مجرد وقف مؤقت لاطلاق النار » . وقد صدقت نبوته بالفعل ، اذ سرعان ما اخذت القوات الفرنسية المسلحة بالدروع والاسلحة الثقيلة تتوافد . وبعد سلسلة من العمليات العسكرية الجانبية والمعارك الدفاعية التي كان هدف جياب فيها انقاذ قواته من الدمار بين براثن القوات الفرنسية المتفوقة ، وتحسين أوضاعه على الجبهات ، استطاع تحصين عدة مواقع لم يستطع الفرنسيون زحزحته عنها . وبعد وصول قوات الصين الشعبية الى الحدود الڤيتنامية في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٠ قام بشن هجوم واسع على مواقع الفرنسيين بالقرب من الحدود الصينية واستطاع احتلال جميع نقط الحراسة الفرنسية على الحدود وقتل ما يقارب السبعة آلاف جندي فرنسي . وقد شجعه الانتصار على مواجهة الفرنسيين في معارك اخرى هزم فيها ، وكلفه ذلك آلاف القتلى . ولم ينكر جياب هزائمه بل ذكرها ، وتعلم درساً قيماً منها ، واصدر على ضوئها اول كراس له حول حرب العصابات وضمنه خلاصة خبرته وتجاربه مؤكداً على ضرورة اتباع اسلوب الحرب الشعبية لتحقيق النصر في مواجهة عدو متفوق ، وهو الاسلوب الذي حافظ على اتباعه فيما بعد ، واستطاع بواسطته انتزاع النصر .

وما ان انتهى عام ١٩٥٢ حتى كان لدى جياب نواة جيش نظامي بالاضافة الى قواته شبه النظامية ، و ١٥٠٠٠٠ من الميليشيا الشعبية ، استطاع به تحقيق النصر في معركة ديان بيان فو في أيار (مايو) ١٩٥٤ التي حسمت مصير الاستعمار الفرنسي في الهند الصينية .

وفي أيار (مايو) ١٩٥٤ تم توقيع اتفاقية جنيف التي نصت على انسحاب فرنسا وتقسيم ڤيتنام الى ڤيتنام شمالية وجنوبية وإنشاء هيئة رقابة دولية . كما نصت على ان تجرى انتخابات عامة من اجل وحدة جميع اراضي ڤيتنام خلال سنتين من تاريخ توقيع الاتفاق . ولكن هذه الانتخابات لم تجر مما دفع الڤييتمنه الى متابعة النضال من اجل ڤيتنام موحدة ، فبدأت الولايات المتحدة التدخل لصالح ڤيتنام الجنوبية إبان ولاية الرئيس ايزنهاور . ومنذ ذلك الحين بدأ التدخل الاميركي التدريجي في التصاعد حتى وصل الى ما يزيد عن نصف مليون جندي اميركي (٥٤٣٤٠٠ جندي) في ٣ نيسان سنة ١٩٦٩ . وبطبيعة الحال فقد تابع جياب حربه الشعبية ضد الاستعمار الجديد بمنتهى الصلابة ، واستطاع ابتكار وسائل كثيرة لمجابهة الحرب الجوية والالكترونية والكيماوية الاميركية ، وإلحاق الخسائر الجسيمة في صفوف القوات الضخمة الغازية ، الأمر الذي أثار ردود فعل داخلية ، في الولايات المتحدة ، وعالمية كثيرة كان من نتيجتها بدء انسحاب اميركي تدريجي انتهى في عام ١٩٧٣ ، ولم يبق في ڤيتنام الجنوبية سوى عدد محدود من المستشارين العسكريين.

وفي سنة ١٩٦٠ أعيد انتخاب جياب لعضوية الهيئة التشريعية الڤيتنامية مرة اخرى (المرة الاولى كانت في سنة ١٩٤٦) ، وعين نائباً لرئيس مجلس الدفاع الوطني الذي يرأسه هو تشي منه ، هذا بالاضافة الى كونه عضواً في المكتب السياسي لحزب العمل الڤيتنامي . وفي ٣ أيلول سنة ١٩٦٩ توفي الرئيس هو تشي منه ، وفي اليوم السادس من نفس الشهر أعلن في ڤيتنام انه ستخلف الرئيس « هو » قيادة جماعية تقوم عليها مجموعة مختارة ومدربة من قبل الرئيس الراحل ، وعلى أثر ذلك أصبح جياب من ضمن الصفوة المختارة التي تحكم جمهورية ڤيتنام الديمقراطية الآن .

ويعتبر جياب طرازاً من العسكري العصابي ، الذي يجمع بين التكتيك المبدع والقدرات السياسية المتعددة الجوانب ، يندر مثاله . واذا كان الرئيس هو تشي منه هو الذي اعطى الحركة الڤيتنامية صورتها الشعبية وجزءاً كبيراً من سلاحها الايديولوجي ، فإن جياب هو الذي أعطاها الآلة العسكرية العصابية ، التي جعلت من جيش الشعب الفيتنامي قوة فاعلة عملت ، بقيادة جياب ، لمساعدة ثوار فيتنام الجنوبية على تحقيق انتصارهم في العام ١٩٧٥ .

(١) الجيب

الجيب Poche هو التحدب الذي يصيب خط الجبهة على أثر هجوم نجح إلى حد ما في أحد نقاط الجبهة ولكنه لم ينجح على طول الجبهة كلها ، ولم يؤد إلى خرق الخطوط الدفاعية المعادية وتحقيق التطويق العملياتي أو الاستراتيجي . وهو يختلف عن جيب المقاومة (جزيرة المقاومة) في أن الجيب منطقة مطهرة من العدو وممتدة كلسان داخل منطقته الدفاعية ، على حين أن جيب المقاومة هو منطقة محتلة من قبل العدو ، ومحاصرة من قبل قوات الصديق .

يعتمد الدفاع الحديث على الدفاع بالعمق ، أي على الخطوط الدفاعية المتعاقبة (انظر الدفاع والخط الدفاعي) ، وعلى القوات الاحتياطية القادرة على شن الهجمات المعاكسة (انظر الهجوم المعاكس) . وهذا ما يجعله قادراً على احتواء الهجوم المعادي وإيقافه ومنعه من الوصول إلى المؤخرات وتحقيق التطويق الاستراتيجي أو المطاردة (انظر التطويق والمطاردة) رغم نجاح الهجوم في خرق الخطوط الدفاعية الأولى . ومن المعروف أن الهجوم لا يكون متماثلا في قوته على طول الجبهة . وأنه يكونه قوياً على محور الجهد الرئيسي ، وأقل قوة على محاور الجهد الثانوية (انظر محور الجهد) ، كما أن الدفاع لا يتمتع بالقوة نفسها على طول الجبهة . ولذا فان من الطبيعي أن يحقق الهجوم نجاحاً اكبر في بعض نقاط الجبهة ، وأن تتقدم القوات المهاجمة في هذه النقاط اكثر من تقدمها في النقاط الاخرى .

ويستهدف الهجوم على محور الجهد الرئيسي تحقيق الخرق (انظر الخرق) والوصول إلى مؤخرة الدفاع ، والانفتاح بعد ذلك على شكل مروحة أو نصف مروحة بشكل يؤمن التطويق وتصفية القوات المدافعة . ولكن صلابة الدفاع وعمقه الكبير وقوة الهجمات المعاكسة قد تحد من اندفاع الهجوم وزخمه وتمنعه من تحقيق غرضه . وفي هذه الحالة يحاول الطرف المهاجم زج قواته الاحتياطية في الاتجاه الذي تحقق عليه النجاح الأولي بغية متابعة التقدم ، فاذا لم يتمكن من ذلك ، واستطاع الطرف المدافع امتصاص القوات الاحتياطية ، توقف زخم الهجوم ، وحصل في الجبهة انحناء (جيب) يتفاوت عرضه وعمقه حسب قوة القوات المهاجمة . فلقد كان جيب كورسك الذي فتحته القوات السوفياتية في منتصف شباط (فبراير) ١٩٤٣ بعرض ١٩٠ كيلومتراً وعمق ١٠٠ – ١٠٥ كيلومترات ، وكان جيب سعسع الذي فتحته القوات الاسرائيلية في حرب ١٩٧٣ على الجبهة السورية بعرض ٢٤ كيلومتراً وعمق ٢٠ كيلومتراً .

ويؤدي حدوث الجيب إلى إطالة خطوط الجبهة ، وخلق بروز يسهل قطعه بهجمات جانبية قرب قاعدة

البروز ، ترافقها هجمات جبهية على مقدمة البروز . لذا يحاول المهاجم الذي فتح الجيب تقوية الخطوط التي وصل إليها وتحكيمها والتمركز عليها دفاعياً بانتظار حشد القوات اللازمة لمتابعة الهجوم من الجيب ، وقلب الجيب إلى خرق ، أو الضغط على خطوط الجهة الواقعة يمين الجيب ويساره لتحقيق تقدم يعيد إلى خط الجبهة استقامته . ولقد حاول الالمان في ٥ تموز (يوليو) ١٩٤٣ مثلا قطع جيب كورسك بهجوم مزدوج تشنه من الشمال قوات مجموعة جيوش الوسط ، وتشنه من الجنوب قوات مجموعة الجنوب ، وكان هدف هذا الهجوم المزدوج الالتقاء عند كورسك وتطويق القوات السوفياتية الموجودة فيه (قوات جبهة فورونيج وقوات الجبهة المركزية) . واستطاعت مجموعة جيوش الوسط الالمانية بالفعل التقدم مسافة ١٢ كيلومتراً باتجاه مالوا ارخانجيلسك وبونيري واولوخوفانكا وجنيلتس ، على حين استطاعت مجموعة جيوش الجنوب الالمانية التقدم ٤٠ – ٤٥ كيلومتراً باتجاه رجافيتس وبيلينيخينو وبروخوروفكا ونوفينكويه وتشابابييف ، ولكن قوات الجيب تصدت لها وأوقفتها . وفي فترة (١٢ تموز- ٢٣ آب) قامت القوات السوفياتية الموجودة شمالي الجيب (جبهة بريانسك والجبهة الغربية) ، بالتعاون مع الجبهة المركزية الموجودة داخل الجيب ، بهجوم تقدم مسافة ١٤٠ كيلومتراً ، وحرر أوريول وبولخوف وجيزدرا وكاراتشييوف ودميتروفسك – اورلوفسكي ، بينما قامت القوات السوفياتية الموجودة في الجنوب (الجبهة الجنوبية الغربية وجبهة السهوب) ، بالتعاون مع جبهة فورونيج الموجودة داخل الجيب ، بهجوم تقدم مسافة ١٠٠ كيلومتر تقريباً ، وحرر ليبيدين واختيركا وبوجودوخوف وخاركوف ، الأمر الذي أدى الى اعطاء خط الجبهة السوفياتية – الالمانية في ٢٣ آب (اغسطس) شكلا أكثر استقامة (انظر كورسك « معركة ») .

(٦) الجيروسكوب

الجيروسكوب Gyroscope ، جهاز يستخدم لحفظ توازن الطائرة او الباخرة او الصاروخ .. الخ ، أو لتحديد الاتجاه .

وهو يتكون من دولاب (عجل) دوار مثبت بشكل يمنح محوره حرية عمومية كاملة في الدوران . ويمكن التوصل الى تحقيق حرية الحركة هذه ، بتثبيت الدولاب الدوار في مركز كرة عائمة ، ولكنه يتم في الغالب بتركيبه داخل اطارات تدور حول محاورها تسمى « الجمبل Gymbals » . وبتركيب الجهاز على هذا النحو ، فانه يغدو قادراً على المحافظة على ثبات اتجاه محور دورانه في الفضاء ، ما لم تؤثر عليه قوة خارجية ذات عزم ازدواج Torque يحرفه عن اتجاهه ، وفي هذه الحالة فإن الانحراف الناتج لا يدور حول محور عزم الازدواج وانما يكون متعامداً معه . وينطبق هذا القانون (من الزاوية العلمية البحتة) سواء في حالة وجود عزم ازدواج او انعدامه ، ولذلك فإن اصطلاح « الجيروسكوب » يطلق بشكل عام على كل جهاز له دولاب دوار سواء كانت حركة هذا الدولاب مطلقة ام مقيدة بشكل او بآخر .

ولقد كانت الجيروسكوبات البدائية عبارة عن لعب للاطفال كلعبة « البلبل » Top ، ولعبة « الطوق المتدحرج » Rolling hoop . وقد لوحظ بمراقبة هذه الالعاب ، ان من صفات الجسم عند دورانه حول محوره انه يكتسب قدراً من الاستقرار ومقاومة التأثيرات الخارجية التي تحاول حرف اتجاه محور دورانه ، وهذا ما يفسر بقاء « البلبل » Top قائماً على الارض ما دام يدور بسرعة ، كما يفسر سبب الضغط على « الطوق المتدحرج » Rolling hoop من اعلاه باتجاه اليمين او اليسار ، وليس من مقدمته لكي يمكن حرفه باحد الاتجاهين . وفي منتصف القرن التاسع عشر ، اخذ العلماء في استخدام اجهزة جيروسكوبية والافادة منها في توضيح بعض قوانين الميكانيكا في علم الفيزياء. وفي العام ١٨٥٢ ، قام العالم الفيزيائي الفرنسي جان ليون فوكو Jean Leon Foucault باستخدام دولاب دوار لتوضيح حركة الارض حول نفسها ، واطلق اصطلاح « جيروسكوب » لاول مرة . ومنذ ذلك الحين وحتى بداية القرن العشرين ، بقي الجيروسكوب جهازاً يثير الفضول في المختبرات ، واي تطبيقات عملية لمبادئه لم تكن سوى حوادث عرضية . وفي بداية القرن العشرين بدأ استخدام الجيروسكوب عملياً ، ويعزى الفضل الاكبر في ذلك الى العالم الاميركي المر سبيري Elmer A. Sperry . وتتابعت تطبيقاته العملية ، بعد ذلك ، واحتل مكاناً كبيراً في الحربين العالميتين الاولى والثانية بسبب نجاح استخدامه في مختلف المركبات البرية والجوية والبحرية .

وتتلخص طريقة عمل الجيروسكوب بما يلي : اذا علقنا ثقلا ما بالجمبل الداخلي (الافقي) في نقطة قريبة من محور الدولاب الجيروسكوبي ، فإن توازن الجمبل يختل بتأثير عزم ازدواج (ناتج عن جذب الارض للثقل المعلق) حول كراسي محور الجمبل المذكور ، ويحدث الجيروسكوب سبقاً او تقدماً Precession حول كراسي الجمبل الخارجي (العمودي) ، او بعبارة اخرى ، يحدث التأثير تغيراً في اتجاه محور الجيروسكوب بمعدل يتناسب مع مقدار عزم الازدواج المؤثر ويكون متعامداً مع محور دوران هذا العزم .

وفي حالة دوران الجيروسكوب بسرعة كافية ، فإنه يغدو من الناحية العملية حراً من تأثير اي عزم ازدواج ، ويحافظ على خط استقامته ثابتاً في الفضاء لمدة طويلة ، وبالتالي يمكن استخدامه كرجع لقياس مقادير دوران قاعدة ما اذا ثبت عليها ، وهذا ما فعله العالم « فوكو » لقياس دوران الارض حول نفسها . ومن ناحية ثانية ، فإن ربط حركة محور الجيروسكوب بموازين خاصة تشبه الى حد ما الميزان ذا النابض ، ووضع الجهاز بكامله في مركبة دوارة ، يؤمن قراءة وتسجيل تأثر الجيروسكوب بعزوم الازدواج المختلفة المؤثرة عليه اثناء دوران المركبة . وتستخدم هذه الطريقة في صنع الجيروسكوبات الخاصة بقياس درجات الانحراف الخاصة بالطائرات ، وغير ذلك من التطبيقات .

يغلب استخدام الجيروسكوب في الحالات التي تتطلب ادراك مقادير او معدلات بعض انواع الدوران ، وهو يستخدم في هذه الاحوال اما كجهاز للقياس او كجهاز حساس ضمن انظمة السيطرة على المعدات الاوتوماتيكية . ويستخدم الجيروسكوب، في بعض الاحيان ، كمصدر لتوليد القوى او عزوم الدوران ، كما هو الحال في المقر الجيروسكوبي Gyrostabilizer الذي يستخدم لحفظ توازن السفن والطائرات والصواريخ الخ .

ويطبق استخدام الجيروسكوب بشكل رئيسي في حقلي البحرية والطيران : فقلما تخلو سفينة عابرة للمحيطات من بوصلة جيروسكوبية Gyrocompass يمكن استخدامها في القيادة اليدوية او الاوتوماتيكية . هذا الى جانب استخدام جيروسكوبات عديدة متنوعة الاشكال والاحجام ، يستخدم بعضها في حفظ توازن بعض السفن ، ويستخدم البعض لآخر ضمن معدات السيطرة والتوجيه الخاصة بمدفعية السفن الحربية ، كما تستخدم انواع اخرى في اجهزة القيادة الاوتوماتيكية الخاصة بالطوربيدات البحرية . ولا تخلو طائرة – ما عدا بعض انواع الطائرات الخفيفة الخاصة – من معدات جيروسكوبية تعطي معلومات دقيقة تفيد في حفظ توازنها وفي ملاحتها الجوية . وتتضمن هذه المعدات اجهزة جيروسكوبية خاصة بتحديد

الافق ، وتحديد الاتجاه ، وقياس درجة الانحراف . وهي اما ان تزود بعدادات تسهل قراءتها ، او تكون جزءاً من طيار آلي ، او تجهز بحيث تؤدي الوظيفتين معاً . ويزود العديد من الطائرات ايضاً بجيروسكوبات خاصة بحفظ توازن بعض معداتها : كالبوصلة المغناطيسية ، ومناظير الانحراف ، واجهزة التصوير ، وآلات السدس (انظر آلة السدس) . كما تزود الطائرات العسكرية بجيروسكوبات اضافية في اجهزة تسديد مدافعها (انظر جيرو غاند سايت) . وقد اعتمد العديد من الاسلحة الحديثة والانجازات التقنية المتطورة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية على مختلف التطبيقات الجيروسكوبية سابقة الذكر : كالصواريخ الموجهة بما فيها الصواريخ والمركبات الفضائية ، والصواريخ عابرة القارات ، والغواصات ، ومدفعية بعض انواع دبابات القتال ، وكجهاز لتحديد الاتجاه تزود به آليات القتال المدرعة ، وغير ذلك .

ولكي يمكن للجيروسكوبات ان تؤدي مختلف المهام ، فانها تصنع باحجام واشكال متنوعة تعتمد على نوع الوظيفة والدقة المطلوبة منها . كما تختلف الدواليب الجيروسكوبية تبعاً لذلك : فتتراوح اقطار هذه الدواليب في اجهزة القياس والاجهزة الحساسة بين (١٥-٨) إنشات في الغالب ، وتستخدم القياسات الصغيرة منها في حقل الطيران عادة . بينما تصل اقطار الدواليب المستخدمة في المقرات الجيروسكوبية الى عدة اقدام احياناً .

(١) الجيش

تنظيم تسلسلي هرمي يضم رجالا مسلحين ، ويستطيع صد المعتدين ، ونقل الحرب خارج البلاد ، وحفظ النظام في الداخل . ويبنى وجوده على حقيقة الحرب التي تعتبر صراعاً مسلحاً بين طرفين يحاول كل واحد منهما فرض إرادته على الآخر . وعملا عنيفاً ساد تاريخ الانسانية منذ عصور ما قبل التاريخ (انظر القوات المسلحة) .

وكان حجم الجيش وشكله في كل زمان يعكسان حقيقة الوضع الجغرافي للبلاد ، وثروتها ، وتطورها التقني ، كما يعكسان خاصة إرادة الشعب الذي ينحدر منه هذا الجيش . وليس هناك قاعدة لتشكيل الجيش . ولقد أدى تحول ظروف القتال ، والتقاليد ، والمؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى تحول المؤسسات والتقاليد والبنيات العسكرية . وهكذا شهد الجيش تطوراً ، انطلق من المبدأ الطبيعي للجيش الوطني ، ثم عاد إلى هذا المبدأ بعد أن خضع لتبدلات عديدة متعاقبة تمت وفق التسلسل التالي :

الجيش الوطني :

في البداية كان كل رجل جندياً . وكان المجتمع كله مندمجاً مع الجيش . وخاصة في حضارات البدو الرحل ، حيث كان على القبائل في كل لحظة أن تدافع عن أراضيها وتغزو أراضي جيرانها لتعيش . وينطبق هذا الوضع على القبائل الجرمانية تماماً كما ينطبق على القبائل العربية أو المغولية . وكان رئيس القبيلة الزعيم الروحي والعسكري لقبيلته . وعندما ظهرت المدن ، ظهر التخصص بين السكان ، اذ ترك المجتمع السلاح ، وتشكل الجيش بشكل عرضي في بداية الأمر ، وكانت غاية هذا الجيش الدفاع عن الأرض وإرث الأجداد . وكان المواطن في المدن الحربية يبقى معبأ في زمن السلم ، على حين كان غير المواطنين من الشعوب المهزومة يعملون لاعاشة المواطنين المقاتلين (اسبارطة) . وكان هؤلاء المواطنون يشكلون نوعاً من الميليشيا الجاهزة للقتال ، مع نواة من الكوادر المحترفة أو بدون نواة . وعندما تدعو الحاجة يعبأ المواطنون أو جزء منهم ، حسب ظروف اعمارهم واوضاعهم الاجتماعية ، وتحمل المدينة السلاح ، وتتم التعبئة العامة ، ويتكون الجيش الوطني .

الجيش المرتزق

ولاسباب سياسية واقتصادية ، تثبتت تسلسلات اجتماعية ، واتحدت مدن ، وظهرت امبراطوريات ، وانشقت ثم اتحدت من جديد ، واندلعت ثورات ، وفقد المجتمع تلاؤمه مع السلاح . ومع هذا فقد كان هناك ضرورة للدفاع عن حدود طويلة ضد غزوات الشعوب الهمجية أو ضد حملات الامبراطوريات والممالك المجاورة . وفي هذه الفترة أصبح حمل السلاح مهنة ، وصارت الدول تبني جيوشها على أساس المتطوعين بعقد أو بصورة اجبارية ، وكان المتطوعون يشملون المواطنين والأجانب ومعظمهم ممن لا عمل لهم . وظهرت **الجيوش المرتزقة** التي كانت تتضخم وتزداد أهميتها عادة في فترات الاضطرابات ، أي عندما كان غياب السلطة المركزية القوية يشجع الزعماء والولاة والمغامرين والطامعين في الحكم (نهاية الامبراطورية الرومانية ، نهاية الخلافة العباسية ، فترات حكم المماليك ، حرب المئة عام ، ايطاليا عصر النهضة الخ) — (انظر المرتزقة) .

الجيش الاقطاعي

وفي القرون الوسطى ، صار من المألوف استخدام نوعي الجيوش الوطنية والمرتزقة معاً لوقت محدد أو بصورة دائمة ، وأدت الانقلابات العلمية والاختراعات التقنية إلى تعديل تنظيم الجيوش بشكل مستمر . وأدى تقسيم الأراضي والممتلكات إلى خلق أعداد كبيرة من الامارات والدوقيات والكيانات الصغيرة ، التي كان يسيطر عليها أمير أو دوق اكثر طموحاً من غيره . واخذت القوة المسلحة شكل مجتمع مسلح يأخذ كل انسان فيه دوره الخاص ، وظهر الدوق الحامي والاقطاعي المحمي .

وعندما استخدمت الحدوة ، والشكيمة في القرن الحادي عشر ، وصار بوسع الفارس أن يستخدم سلاحه وهو راكب على ظهر جواده ، ظهرت **الخيالة أو الخيالة الاقطاعية** ، وهي قوة عسكرية كثيرة التكاليف ، يتم اختيار عناصرها من بين صفوف الاغنياء أو الاقطاعيين ، لذا كان عددها صغيراً . وكان جندي المشاة يلعب دوراً ثانوياً تكميلياً . وكانت مدة الخدمة في صفوف هذه القوات في البداية غير محدودة ، ثم تناقصت مع الزمن ، وأصبحت محددة بعقد ، وتبلورت الملامح الخاصة للجيوش الاقطاعية التي عرفتها أوروبا في فترة (القرن العاشر — القرن الرابع عشر) .

الجيش الدائم

وبعد هذه الفترة أصبح العقد نفسه غير كاف . ولتأمين الخدمة العسكرية كان على السلطة أن تخلق الجيوش الدائمة . ولقد ظهرت هذه الجيوش في أوروبا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر . وكانت الجيوش الدائمة تضم المرتزقة ، والمجندين من أبناء الوطن سواء تم تجنيدهم عن طريق التعاقد أو عن طريق التطويع الاجباري . وأدى التقدم التقني واستخدام البارود إلى ظهور أسلحة معقدة عدلت التكتيك من جذوره ، وصار من الضروري تدريب الجيوش بشكل جيد ، وإعادة تنظيمها ، وتأمين القيادات القادرة على إدارة المعركة . وصارت الجيوش تعيش خارج المجتمع ، وكأنها خارج الأمة نفسها ، وتعمل وفق أوامر السلطة التي تنقل اليها عن طريق رؤسائها . وكان من المألوف في حالة الخطر الخارجي الكبير دعمها بعدد من المجندين الذين تؤمن التعبئة والتجنيد الاجباري جمع أعداد كبيرة منهم . وكان هذا الدعم البشري مؤلفاً في أغلب الأحيان من رجال الميليشيا المحلية المنظمين وفق تنظيم لا يزال مستخدماً في الجيش السويسري .

الجيوش الحديثة

إن الجيوش الحديثة مبنية وفق مبدأ الجيوش الوطنية ، وخاصة بعد أن استخدم البروسيون هذا المبدأ في القرن ١٨ ، واكدت الثورة الفرنسية صحة

هذا الاستخدام . وعندما خففت تدابير الخدمة الالزامية طويلة الأمد ظهرت **الجيوش المحترفة** ، المخلصة للسلطة ، والتي أمكن للشعوب بواسطتها أن تتابع حياتها العادية خلال الحروب . وكانت نسبة قليلة من السكان تعمل في الخدمة الدائمة ، وتتألف غالبيتها من عسكريين محترفين . ولكن الخدمة الالزامية قصيرة الأمد ، التي لا تستثني أحداً ممن هم في سن التجنيد الاجباري ، وتحتفظ بجزء من المواطنين في وحدات الاحتياط ، أدت إلى ظهور **الأمة المسلحة** التي لجأت جميع الدول إليها منذ الحرب العالمية الأولى . وأدى طول مدة هذه الحرب ، واتساعها ، وضراوتها ، إلى مد تأثير الحرب وانعكاساتها على كل نشاطات الامم .

ثم جرى تجاوز هذا التنظيم في الحرب العالمية الثانية التي كانت شاملة إلى درجة دفعت المتحاربين إلى تعبئة كافة قواهم العسكرية والاقتصادية والمالية والنفسية وزجها في المعركة . وتحافظ الجيوش الحديثة اليوم على دور رئيسي في الدفاع عن البلاد ، ولكنها لا تشكل قوة وحيدة مستقلة للدفاع ، لأن تكوينها واستخدامها ومتطلباتها تجعلها مرتبطة إلى حد بعيد بالقدرة الصناعية للبلاد ، وبالقوة المعنوية التي يتحلى بها الشعب .

ومنذ العام ١٩٤٥ تبدلت اشكال الجيوش إلى أبعد مدى ، نظراً لبدء العصر الذري ، وانتشار الحروب الثورية على نطاق وأسع . ومن الملاحظ أن هذين العاملين اللذين يجعلان الحرب شاملة اكثر من ذي قبل ، قد أثرا بشكل معاكس على بنية الجيوش في منتصف القرن العشرين : فعلى حين اتجهت بعض الجيوش نحو تنظيم قوي ولكنه محدود العدد ، وذو طابع علمي وصناعي ، فاننا نجد جيوشاً أخرى تتجه نحو تنظيم يضم الكتل البشرية ، ويستمد قوته من حماسة القوات المسلحة وتعبئتها الايديولوجية اكثر من ان يستمد هذه القوة من التسليح . وهناك جيوش من طراز ثالث تحاول تحقيق تنظيم يتسم بالطابعين السابقين نظراً لعدم تأكدها من طبيعة الحرب المقبلة .

الجيش الشعبي

تطلق هذه التسمية على جيوش الدول الاشتراكية ، وعلى الجيوش المنبثقة عن تطور العصابات خلال الحرب الثورية . وتتميز هذه الجيوش عن الجيوش التقليدية بأنها تمثل الشعب ، وتدافع عن حقوقه ، وتقاتل من أجل مصلحة الجماهير الواسعة المنخرطة في حروب عادلة ، لا من أجل مصلحة الطبقات الحاكمة (الأقلية) التي تستخدم الجماهير (طعام المدافع) في حروب تستهدف مآرب هذه الطبقات ومصالحها المتناقضة مع مصالح الجماهير نفسها ، ومع مصالح غالبية الجنود المنحدرين من أصول عمالية وفلاحية وبورجوازية صغيرة معدمة . (انظر الحرب العادلة والحرب غير العادلة) .

وتكون العلاقات داخل الجيوش الشعبية علاقات رفاقية نابعة من أن الكوادر والجنود يمثلون طبقات ذات مصالح واحدة . ويكون الانضباط بين صفوف هذه الجيوش انضباطاً طوعياً مبنياً على ارتفاع مستوى الوعي السياسي ، والاخلاص ، والاستعداد للتضحية ، لا انضباطاً قسرياً فوقياً نابعاً من الرهبة والقوانين الصارمة . وتطبق الجيوش الشعبية ، بنسب متفاوتة ، مبدأ الديمقراطية العسكرية (انظر الديمقراطية العسكرية) ، ويلعب المفوضون السياسيون في داخلها دوراً كبيراً في السلم والحرب (انظر المفوض السياسي) .

تتسلح الجيوش الشعبية بأسلحة ومعدات عادية غير متطورة ، وخاصة في مراحل تشكيلها الأولى وعندما تكون امتداداً وتطوراً للعصابات . ولكنها تسعى بعد ذلك إلى تحسين أوضاعها التسليحية ، والحصول على الاسلحة المتطورة بكل أنواعها ، ورفع مستوى وحداتها التنظيمي والقتالي والتكنولوجي (الجيش الشعبي الكوري ، جيش فيتنام الديمقراطية) . ولا ينطبق هذا القول على الجيوش الشعبية للبلدان الاشتراكية المتقدمة التي لا تختلف في تسليحها وتنظيمها ومستوى امتلاكها للتكنولوجيا وفن القتال عن الجيوش التقليدية ، وان كانت تختلف عنها بتكوينها ، وأهدافها ، وعلاقاتها ، ودوافعها المعنوية والايديولوجية .

(١) الجيش

قطعة عسكرية كبيرة (٨٠ - ١٢٠ ألف جندي) ، ظهرت في بداية الحرب العالمية الاولى . وهي تنظيم عسكري يقع بين المستوى التنظيمي الاستراتيجي (الخاص بمجموعة الجيوش ، الجبهة) والمستوى العملياتي (الخاص بالفيالق) . ولا يوجد مثل هذا التنظيم إلا في الدول التي تمتلك قوات مسلحة كبيرة يمكن تقسيمها إلى عدة جيوش . ويختلف تشكيل الجيش باختلاف المهمة الموكولة له . وهو يضم عادة عدداً من الفيالق (أو الفرق) وقوات احتياطية ، وشؤون ادارية ، وتشكيلات جوية عضوية . وهناك جيوش مدرعة تكون نسبة القوات المدرعة فيها كبيرة ، وجيوش مشاة تكون نسبة المشاة فيها أعلى من نسبة المدرعات . ويضم الجيش المدرع أو جيش المشاة قطعات عضوية من المدفعية والمهندسين والكيماويين ووحدات الصواريخ .. الخ . وينقسم مسرح عمليات الجيش جبهياً إلى قطاعات عمل للفيالق أو الفرق ، كما ينقسم هذا المسرح بالعمق إلى منطقة أمامية تنتشر فيها القطعات الكبيرة وتقاتل ، ومنطقة خلفية تنتشر فيها وحدات الشؤون الادارية التابعة للجيش .

تتشكل الجيوش عادة في زمن الحرب أو في فترات الاستعداد للحرب . ويكون استخدام الجيش في القتال ضمن مجموعة جيوش أو جبهة ، وهناك حالات يعمل فيها الجيش مستقلا على مسرح عمليات بعيد منعزل (الجيش الثامن في شمالي افريقيا خلال الحرب العالمية الثانية) . أما في زمن السلم فان تشكيل الجيوش المستقلة أمر غير مألوف كثيراً في الوقت الحاضر . ولقد كانت الدول الاستعمارية تشكل جيوشاً مستقلة لحفظ النظام في مستعمراتها البعيدة وراء البحار مثل : جيش الهند (البريطاني) وجيش الشرق (الفرنسي) ، ولكن هذه الجيوش اختفت بالتدريج بعد الحرب العالمية الثانية ، وبدء عصر تصفية الاستعمار في معظم بلدان العالم الثالث .

(٨) الجيش الابيض

الجيش الابيض او الحرس الابيض ، هو اسم اطلق على الجيش الروسي الذي شكلته الطبقات المعادية للثورة في روسيا في العام ١٩١٨ ، بغية اسقاط نظام الثورة البلشفية بالتعاون مع قوات المتدخلين الامبرياليين (انظر حرب التدخل في الاتحاد السوفياتي) . ويطلق اسم **الجيش الابيض** اليوم على جميع الجيوش المحلية المضادة للثورة ، والتي تشن حرباً أهلية ضد القوى الثورية ، سواء قام الجيش الابيض بالحرب لوحده او بالتعاون مع قوى اجنبية تدعمه في سبيل عودة النظام القديم .

وقد ضم الجيش الابيض الروسي مجموعات المتطوعين المناهضين للثورة الروسية من أفراد الحرس الابيض القديم ، وقاد هذا الجيش ونظمه « الاتمان » كاليدين ، وضم في بداية نشأته حوالي ٢٠ ألفاً من القوزاق البيض ، واستولى على روستوف وتاغانروغ ، وأعد حملة على الدونباس ، وشكل مجلس (الرادا المركزي) وانتهج سياسة معادية للسوفييت . وترأس في جيوب الأورال (الاتمان دوتوف) تمرد الكولاك والقوزاق فاحتل مدينة اورينبورغ ، وقطع الطريق من روسيا السوفييتية الى تركستان . وقد تصدت

فصائل افراد الحرس الاحمر للصراع مع الجيش (الحرس) الابيض ، واستطاع الحرس الاحمر تحقيق اول انتصاراته ضد القوزاق الذين يقودهم (الاتمان دوتوف) في ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ ، حيث هرب الاتمان دوتوف وهيئة اركانه من اورينبورغ . واستمر الصراع بعد ذلك حيث بدأ الامبرياليون التدخل العسكري ضد روسيا السوفييتية. وزجوا كطليعة لهذا التدخل الفيلق التشيكي ، مع دعم بالاموال لتنظيم التمرد ضد الجمهورية السوفييتية. فاتسعت انتفاضة التشيكيين البيض المدعومين من قبل عناصر الثورة المضادة المحلية اتساعاً سريعاً ، وشملت خلال فترة قصيرة مناطق الفولغا الوسطى والاورال وسيبيريا والشرق الأقصى. وتشكلت حكومات الرادا المحلية في سامارا وأومسك وغيرهما من المدن . ووقعت في ايدي الحرس الأبيض والمتدخلين اغلبية المناطق التي كانت تزود مراكز البلاد الصناعية بالفحم والبترول وخامات المعادن والقطن والمواد الغذائية . وكانت عمليات التشيكيين البيض تشكل خطراً مميتاً حقاً بالنسبة الى الجمهورية السوفييتية . فاصدرت الحكومة السوفييتية قراراً بتسليم قيادة القوات المقاتلة ضد التشيكيين البيض للعقيد السابق فاتسيتيس في صيف ١٩١٨ . وتتابع تنظيم الجيوش لا سيما بعد ان احتل الجيش الابيض مدينة قازان في آب (اغسطس) ١٩١٨ . ونظم عملية اغتيال القادة السوفييت (حيث اصيب لينين نفسه بجراح بليغة في ٣٠ آب (اغسطس) ١٩١٨) واستطاع السوفييت توجيه ضربات مشتركة بقوة جيشين واسطول الفولغا النهري والفصائل الجوية السوفييتية فالحقوا الهزائم الكبرى بالجيش الابيض في قازان . وفي ١٠ ايلول (سبتمبر) ١٩١٨ تم تحرير قازان ، وبعد يوم واحد طرد محاربو الجيش الأول افراد الجيش الأبيض من سيمبيرسك . وفي النصف الثاني من العام ١٩١٨ بلغ عدد افراد الجيش الأحمر مليون مقاتل ولكنه لم يكن كافياً لصد المتدخلين والنضال في الوقت نفسه ضد الجيش الأبيض على جبهات طولها آلاف الكيلومترات . وكان يجري وراء الثورة المضادة وعمليات الجيش الأبيض اعداد هجوم على السوفييت من قبل قوة اكثر خطراً ، وهي قوة البرجوازية العالمية المعادية للثورة بزعامة البرجوازية الانكلو - اميركية والفرنسية بالدرجة الأولى . وخلال هذه الفترة حقق الجيش الابيض عدة انتصارات على قوات الجبهة الجنوبية السوفييتية ، كما حاول القوزاق البيض احتلال مدينة تساريتسين (فولغاغراد) مرتين ، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك . وفي أوائل العام ١٩١٩ انتقلت جيوش الجبهة الجنوبية السوفييتية الى الهجوم بعد ان صلب عودها ، وألحقت هذه الجيوش هزيمة كبيرة بالقوزاق البيض . وفي مناطق الشرق الأقصى وسيبيريا كان هناك ٢٠٠ ألف مقاتل تقريباً من الجنود الأجانب (التشيكيين البيض واليابانيين والأميركيين والكنديين وغيرهم) وقوات بحرية كبيرة . ونصب المتدخلون على رأس قوات الثورة المضادة الروسية هناك الأميرال القيصري الروسي كولتشاك ، الذي اسرع للاعلان بأنه الحاكم الأعلى لروسيا . وحتى ربيع ١٩١٩ حاربت ضد الغزاة الأجانب وافراد الجيش الأبيض ، خمس جبهات و ١٩ جيشاً ميدانياً واسطول البلطيق واسطول استراخان - قزوين ، وعدد من الاساطيل الصغيرة العاملة في الانهار والبحيرات . واستطاعت هذه القوات ان تثبت عملياً قدرتها على دحر قوات الجيش الابيض والغزاة الأجانب . ولكن مجموعة هذه القوى المضادة للثورة لم تقنع بفشلها فقررت متابعة القتال ضد الجيش الأحمر بواسطة جيوش الحرس الابيض التابعة لكولتشاك ودينكين ويودينيتش وغيرهم .

وفي ربيع العام ١٩١١ بلغ تعداد مقاتلي قوات الجيش الأبيض ٥١١ ألف رجل . ولكن التناقضات ظهرت بين صفوف قادته الذين قاتلوا تحت شعار «روسيا الموحدة غير المجزأة» ، على حين لم يكن هذا الشعار مقبولا من الحكومات الاوروبية . ومع ذلك استطاع قادة الجيش الابيض تركيز جهودهم للتوفيق بين تطلعاتهم وبين الخطة العامة للدول الاوروبية . وفي أوائل ربيع ١٩١٩ . وعندما كان استراتيجيو دول الوفاق لا يزالون يتابعون في باريس تنسيق وتدقيق خطة الهجوم الشامل ، كان الحاكم الأعلى لروسيا الاميرال كولتشاك أول من حرك قواته ضد الجيش الأحمر . وكانت لدى كولتشاك قوات كبيرة ، فقد جمع اكثر من ٣٠٠ ألف جندي وضابط . وقدمت له الدول الغربية كمية هائلة من السلاح والمعدات الحربية . وبدأ هجوم قوات كولتشاك في ٤ - ٦ آذار (مارس) ١٩١٩ . واحرز افراد الجيش الابيض نجاحاً كبيراً . وعند ذلك اسرعت قيادة الجبهة السوفييتية الشرقية فوضعت خطة الهجوم المضاد على قوات الجيش الابيض المنطلقة نحو الفولغا . وعندما كانت الوحدات الأمامية لقوات الجيش الابيض مندفعة على بعد ٥٠ - ٨٠ كيلومتراً من الفولغا ، تلقت الضربة الجانبية التي وجهتها القوات السوفييتية ، واستطاع السوفييت انتزاع المبادأة من قوات كولتشاك على الجبهة الشرقية ، وتابعوا تقدمهم في أوائل حزيران (يونيو) ١٩١٩ ، وفي ٩ حزيران (يونيو) ، انسحبت قوات الجيش الابيض الى خط سلسلة جبال الأورال بعد ان حررت القوات السوفييتية مدينة (أوفا) . وكان دحر قوات كولتشاك عند خط نهر بيلايا بداية الهجوم الشامل لقوات الجبهة السوفييتية الشرقية . وحاول الغزاة وافراد الجيش الابيض فتح جبهات ثانوية . ولكن القوات البيضاء التي هجمت على بتروغراد (لينينغراد) منيت بهزيمة كبرى . ودارت معارك طاحنة في وسط الأورال انتهت بهزيمة أخرى لقوات الجيش الأبيض ، وتحرير زلاتو أوست في ١٣ تموز (يوليو) . واستمر الصراع حتى تم تدمير اسطول البيض النهري القوي في الفولغا ، وتحرير مركزين هامين في الأورال وهما «كونفور» و«بيرم» في الأول من تموز (يوليو) ١٩١٩ . وبذل عمال الاورال جهوداً كبيرة لتوجيه ضربات قوية لمؤخرات الجيش الابيض في الاورال ، وبذلك اسهموا الى حد كبير في تحقيق النصر . وفي خريف وشتاء ١٩١٩ انجزت قوات الجبهة الشرقية والجبهة التركستانية نهائياً دحر وتصفية قوات كولتشاك المسلحة . وفي أوائل العام ١٩٢٠ سيطر العمال الثوريون في ايركوتسك على المدينة ، وامكن القبض على حاكم روسيا الأعلى (كولتشاك) ومصادرة القطار الذي كان يقل احتياطي ذهب الجمهورية . واعدم كولتشاك رمياً بالرصاص وتمت تصفية اقوى مجموعات الحرس الابيض .

لكن موت كولتشاك لم يضع نهاية للصراع اذ كان الامبرياليون قد شكلوا ثلاثة جيوش بيضاء بقيادة دينيكين في القفقاس . وهذه الجيوش هي : جيش المتطوعين ، وجيش الدون ، وجيش القفقاس . ونظراً لما كانت تعانيه الجيوش السوفييتية من صعوبات بسبب الصراع المستمر والاستنزاف لقواتها والاوبئة. التي تعرضت لها ، فقد كانت الظروف مهيأة لهجوم الجيوش البيضاء . وانتقل دينيكين الى الهجوم في ايار - حزيران (مايو - يونيو) ١٩١٩ ، واحتل قسماً كبيراً من منطقة الفولغا الاسفل ، ومنطقة الدون ، والدونباس ، واوكرانيا . واستولت الجيوش البيضاء على تساريتسين وبوفورينو وليسكي وخاركوف ووصلت الى حدود المحافظات الوسطى في روسيا السوفييتية . ووجه الجنرال دينيكين اوامره للهجوم على موسكو في أوائل تموز (يوليو) ١٩١٩ . وهكذا في الوقت الذي شرع فيه الجيش الاحمر بتحرير الأورال في الشرق ، أحاق بالجمهورية خطر جديد من الجنوب . وفي أواخر آب (اغسطس) اخذت قوات الجيش الابيض المبادرة من جديد نتيجة للمناورة

الواسعة بخيالتها الضخمة ، واستطاعت في ٢٠ ايلول (سبتمبر) احتلال مدينة كورسك وفي ٦ تشرين الأول (اكتوبر) احتلت مدينة فورونيج . وكانت القيادة السوفييتية تتابع حشد قواتها ، واستطاعت الانتقال دون توقف الى الهجوم المضاد في اواسط تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٩ . وكان ذلك مباغتاً بصورة تامة لقوات الجيش الأبيض ، وامكن للقوات السوفييتية تحقيق بعض الانتصارات مثل احتلال اوريل . وفي فترة اشد المعارك ضراوة قرب اوريل وفورونيج ، حاول افراد الجيش الابيض مساعدة دينيكين بكل الوسائل ، حيث كان معرضاً للهزيمة ، فوجهوا الى بتروغراد من جديد هجوماً قوياً ، ولكن الجيش الابيض دمر تدميراً تاماً ، ولم ينجح في الوصول الى اهدافه .

عند ذلك اخذت جيوش دينيكين في التراجع . وفي اوائل العام ١٩٢٠ كلفت الجبهة القفقاسية باتمام دحر قوات دينيكين التي هربت الى جنوب اوكرانيا والى القرم وشمال القفقاس . ونفذت هذه المهمة بنجاح . ولكنها لم تتمكن من تحرير القرم ، حيث تحصنت مجموعة الجيوش البيضاء بقيادة البارون ورانجل ، وذلك بمساعدة اسطول الدول الغربية . ومع دحر الثورة المضادة في الجنوب كلياً أتم الجيش الاحمر تصفية الجيوش البيضاء في الشرق وطرد المتدخلين وقوات الجيش الابيض من الشمال .

وفي ربيع ١٩٢٠ ، كانت الحكومة البولونية الرجعية قد شكلت بمساعدة الدول الغربية قوات مسلحة حسنة التجهيز يبلغ تعدادها ٧٣٨ ألف جندي وضابط ، في حين كان لا يزال تحت قيادة ورانجل اكثر من ١٢٥ ألف مقاتل من الجيش الابيض .

بدأت بولونيا هجومها على الحدود السوفييتية في ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٢٠ ، ووصلت في تقدمها حتى كييف . وفي ٢٦ ايار (مايو) ١٩٢٠ ، قام الجيش الأحمر بالهجوم المضاد واستطاع دحر مجموعة البولونيين البيض في كييف وكان ذلك بداية اندحارهم كلياً في اوكرانيا ، حيث بدأت الجيوش البولونية بالانسحاب . وحاولت قوات الجيش الابيض بقيادة ورانجل مساعدة البولونيين البيض ، فاندفعت من القرم الى جنوب اوكرانيا وشكلت خطراً مباشراً على الدونباس . ودارت رحى معارك طاحنة بين القوات الحمراء والبولونيين البيض في مدينة (لفوف) واستطاع البولونيون تحويل الموقف ، والانتقال الى الهجوم المضاد في غرب بيلوروسيا وغرب أوكرانيا . ونظراً لعدم توفر قوات كافية لدى بولونيا لمتابعة الهجوم فقد وافقت على عقد صلح مع روسيا السوفييتية في ٢٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠ ، وفق شروط تعين الحدود بين الدولتين لمسافة تبعد ١٠٠ — ٢٠٠ كيلومتر غرب الخط الذي كانت الحكومة السوفييتية قد اقترحته قبيل بدء الحرب .

وبعد ان انهت روسيا السوفييتية الحرب مع بولونيا ، أصبح بامكانها توجيه جهودها لتصفية بقية الجيش الابيض الذي يقوده ورانجل . وفي اوائل تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٠ ، قامت قوات الجيش الابيض بالهجوم ، وحاولت التوغل في اوكرانيا الضفة اليمنى ، حتى تشكل جبهة مشتركة مع القوات الأخرى . ولكن الجيش الأحمر أحبط هذا الهجوم . وفي ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ بدأت القوات الحمراء عملياتها لتصفية آخر قوات الجيش الابيض ، وامكن بعد جهود كبيرة عزل هذه القوات عند بيريكوب . وحاول ورانجل ايقاف القوات السوفييتية عند مواقع ايشون المعدة سابقاً . ولكن هذه المحاولة فشلت . واخذت فلول جيش ورانجل في الهرب نحو موانىء القرم ، ولحق قسم منها السفن الأجنبية ، واستسلم القسم الآخر للجيش الاحمر ، وتمت تصفية آخر قوات الجيش الأبيض في روسيا الاوروبية . ولكن تصفية وحدات الجيش الأبيض المدعوم من اليابان في الشرق الأقصى ، لم تتم إلا في العام ١٩٢٢ .

اتسمت عمليات الجيش الابيض خلال الحرب الاهلية وحرب التدخل بالحركية الكبيرة (نظراً للاعتماد على الخيالة) ، كما اتسمت بالوحشية والعنف دون تمييز بين المقاتلين وجماهير العمال والفلاحين ، ورافقها كثير من عمليات النهب والسلب والتخريب التي الحقت بمسارح العمليات خراباً كبيراً .

(١١) الجيش الأحمر

اسم يطلق حالياً على بعض الجيوش الثورية وعدد من الجيوش الشعبية في البلدان الاشتراكية . ولقد اطلق هذا الاسم لأول مرة على الجيش السوفياتي بعد انتصار ثورة ١٩١٧ .

(١٢) الجيش الأحمر الايرلندي

(انظر الثورة الايرلندية) .

(٦) الجيش الأحمر التركي

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

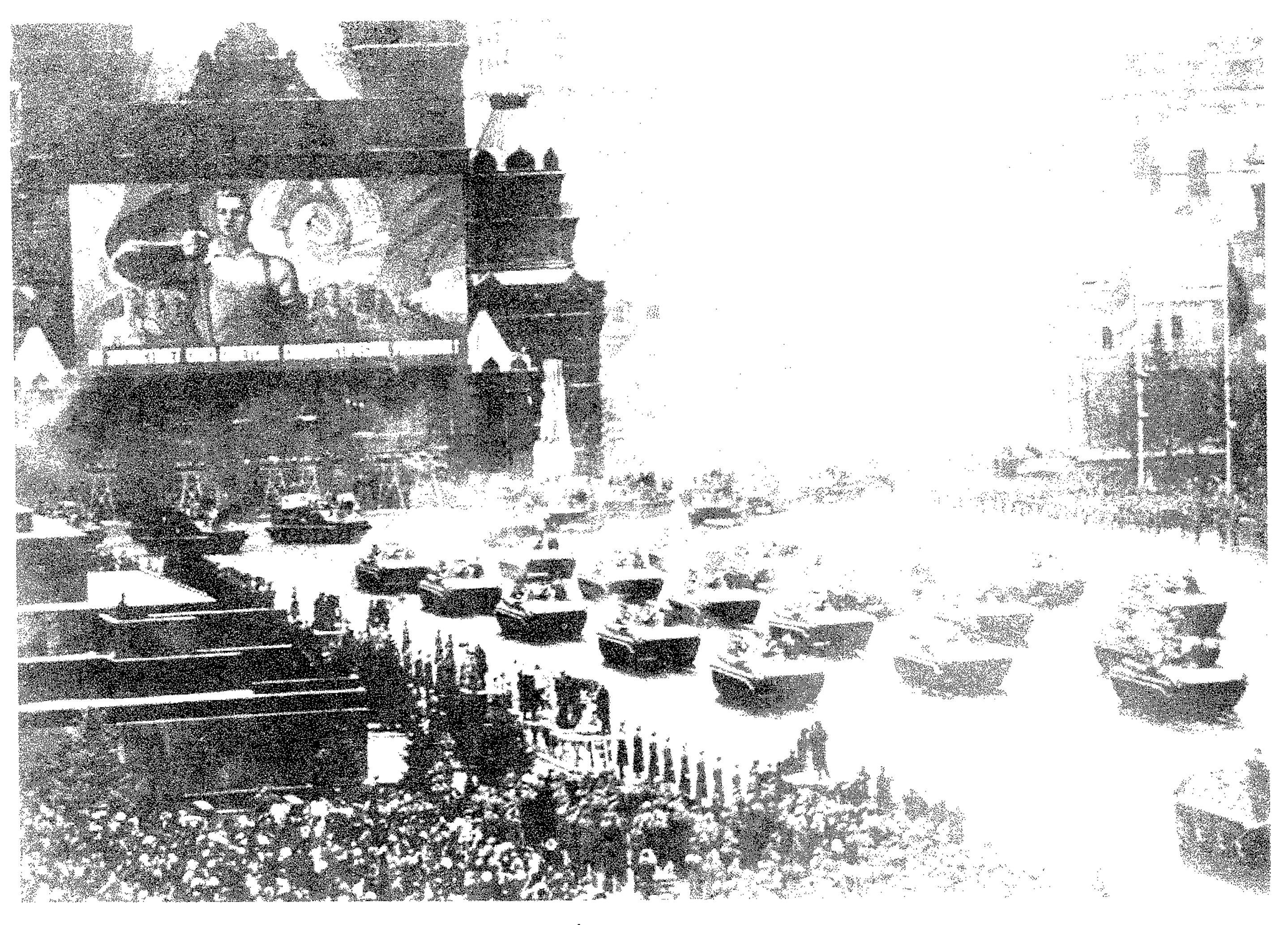
(١١) الجيش الاحمر السوفياتي

اطلق اسم الجيش الأحمر لأول مرة على جيش الاتحاد السوفييتي بعد ثورة اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٧ الاشتراكية وذلك لاعتبار العلم الاحمر ، علم الثورة . وبدهي أن هذا الجيش لم يولد من فراغ ، بل كانت نواته تضم المقاتلين الثوريين في الانتفاضات الجماهيرية ضد سلطة القيصر ، وهم أفراد الحرس الاحمر ، وأفراد مفارز ١٩٠٥ ، والجنود والبحارة الثوريون .

لقد قام الحرس الاحمر بدوره كاملا بالاطاحة بسلطة الطبقات الاستغلالية وإخماد اولى هجمات قوى الثورة المضادة في الداخل . ولكن سرعان ما اتضح ضرورة تشكيل جيش جماهيري من طراز جديد يكون قادراً على تنفيذ المهمات المرحلية القادمة وهي : تأمين سلامة الوطن الاشتراكي الفتي ، والقضاء على خطر هجوم الغزاة الامبرياليين ، والثورة المضادة .

ولم يكن سهلا خلق جيش في ظروف اقتصادية صعبة ، وانعدام الموارد الغذائية بسبب ظروف الحرب العالمية الاولى ، وانعدام الكادر القيادي العسكري ، والى جانب هذه الصعوبات فقد برزت معارضة قوية لتشكيل هذا الجيش ، وأوجدت المعارضة صيغة نظرية تعبر عن وجهة نظرها ، إذ أنها كانت تعتبر الجيش المركزي أداة من أدوات الدولة الامبريالية ، وأن طبيعة الثورة مبنية على الحركة والهجوم الجريء والقدرة على المناورة ، وأن هذه السمات تفرض الاستغناء عن حرب المواقع ، وكذلك عن الجيش المركزي . ولكن اهوال الحرب الاهلية كذبت هذه الأفكار بسرعة وظهرت ميزات التنظيم والاستراتيجية المركزيين ، وتفوقهما على الارتجال المحلي والاستقلالية ، وكان ظهورها واضحاً لدرجة جعلت المبادئ الاساسية لبناء جيش مركزي أمراً مؤكداً لا يقبل أية مناقشة .

وفي مؤتمر السوفييتات الثالث لعموم روسيا في كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ ظهر « اعلان حقوق الشعب الشغيل والمستثمر » ذلك الاعلان الذي اقر يوم ١٦ كانون الثاني (ينـاير) ١٩١٨ وأعلنت الجمهورية السوفييتية لأول مرة رسمياً المبادئ والاهداف الاساسية للجيش الجديد . وجاء في الاعلان : « لأجل تأمين كامل السلطة للجماهير الكادحة وإزالة كل امكانية لعودة سلطة المستثمرين ، يرسم تسليح الشغيلة ، وتأليف جيش أحمر اشتراكي ، قوامه العمال والفلاحون ، ونزع سلاح الطبقات المالكة نزعاً تاماً » . وفي مساء ٢٨ كانون الثاني (يناير)



الجيش الأحمر السوفياتي يستعرض أمام ضريح لينين

١٩١٨ ، عقدت الجلسة السابعة والاربعون لمجلس مفوضي الشعب ، ومن بين المسائل التي تضمنها جدول الاعمال مسألة « مرسوم حول الجيش الاحمر » وقد اتخذ المجتمعون القرار التالي : قرر مجلس مفوضي الشعب : تنظيم جيش جديد باسم « الجيش العمالي الفلاحي الاحمر » على الاسس التالية :

« أ - يتشكل الجيش العمالي الفلاحي الاحمر من اكثر عناصر طبقات الشغيلة وعياً وتنظيماً» .

« ب - يفتتح باب الالتحاق بصفوفه امام كافة مواطني الجمهورية الروسية . وينخرط في الجيش الاحمر كل من له استعداد لتقديم طاقاته وحياته للدفاع عن مكتسبات ثورة اكتوبر وسلطة السوفييتات والاشتراكية » .

وقد أوضح القرار اسلوب الانخراط في الجيش ، وتحدث كذلك عن الضمانات المالية للجنود وعائلاتهم ، وجاء في القرار أن الهيئة القيادية العليا للجيش هي مجلس مفوضي الشعب . وفي ١١ شباط (فبراير) ١٩١٨ صدر قرار تشكيل الاسطول العمالي الفلاحي الاحمر .

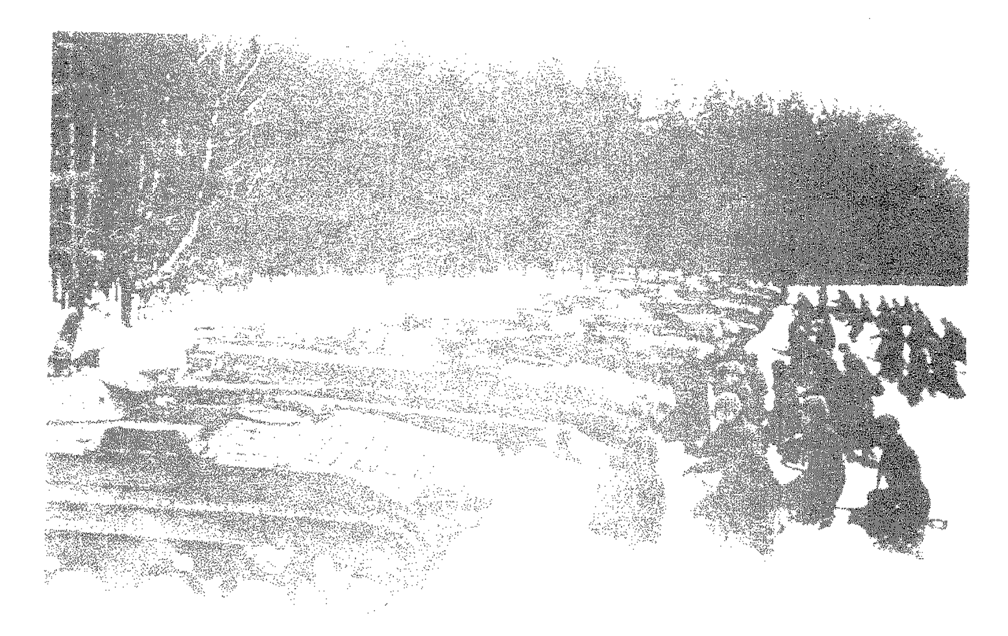
وهكذا فان الجيش الاحمر منذ ميلاده بني وترعرع وتعلم وقاتل تحت قيادة حزب البلاشفة . وكان أول من وقف تحت راية الجيش الاحمر أعضاء الحزب والعمال من أفراد الحرس الاحمر والاجراء الزراعيون المعدمون والفلاحون الفقراء والجنود والبحارة الثوريون . وكان التسجيل في الجيش يتم على انفراد وبشكل جماعات ، بل واحياناً بشكل فصائل كاملة وحتى افواج كاملة . ففي ٣١ كانون الثاني (يناير) عام ٩١٨ قرر جنود فوج حرس القناصة الانضمام الى الجيش الاحمر بكامل فوجهم .

وقد واجه الجيش الاحمر ، في بداية تكوينه ، صعوبات جمة . فقد كان الفلاحون يرفضون التطوع في الجيش . وكان الحال كذلك بالنسبة للعمال . ولم يشترك في خلق نواة الجيش سوى مجموعات المتطوعين البروليتاريين المفعمين بالحماسة وروح التضحية ، وتزايدت وحدة الجيش وثقته بنفسه بصورة مستمرة ، وأخذت الحالة الفكرية عند الفلاحين تتطور . ففي البداية كانت الافواج المشكلة من الفلاحين ، والمحرومة في أغلب الاحيان من التوعية السياسية والاعداد التقني ، تستسلم للعدو دون مقاومة . ولكنها ما أن تعمل تحت لواء البيض حتى تهرب ثانية الى صفوف الجيش الاحمر ، وكان الفلاحون يظهرون في بعض الحالات رغبة في الاستقلال فيتخلون عن الحمر والبيض ويلجأون الى الغابات ويشكلون ما كان يدعى « المفارز الخضراء » ولكن أنعزالهم وعدم حصولهم على الدعم السياسي كان يؤدي الى فشلهم ، وفي نهاية مرحلة التردد التي كان يعاني منها الفلاحون كان هؤلاء الفلاحون يجدون أنفسهم الى جانب العمال ، ولذلك فأنه كان يلاحظ

باستمرار ان ميزان القوى يميل دائماً الى جانب العمال بفضل جماهير الفلاحين التي كانت تلتحق يومياً بالجيش الاحمر، خاصة في المناطق النائية، لدى ظهور قوات الجنرالات البيض، وهكذا عملت طبقة الفلاحين الى جانب العمال، وكانت هذه الحقيقة الاجتماعية بلا شك سبباً اساسياً من اسباب انتصار الثورة.

ولكن تعاظم قوة المتدخلين من الدول الامبريالية أظهر أن تجربة تجنيد القوات عن طريق التطوع لن يبني جيشاً قوياً، يملك القوى الاحتياطية الاستراتيجية، ويكون قادراً على حماية الدولة الفتية، فقد بلغ تعداد الجيش الاحمر في ربيع ١٩١٨، ١٩٦ ألف متطوع، وكان واضحاً أن هذا العدد غير كاف لتحمل الاعباء، لذلك قررت اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا في ٢٢ نيسان (ابريل) ١٩١٨، تطبيق التدريب العسكري الالزامي الشامل في الجمهورية السوفييتية.. وفي صيف ١٩١٨ عندما اشتعل لهيب الحرب الاهلية، تم تطبيق نظام الخدمة العسكرية الالزامية الشاملة. وقد جرى بناء الجيش على مبدأي التكافؤ والصداقة بين الشعوب، باعتباره جيش التحرير المناضل ضد كل أشكال العبودية والاضطهاد والاستغلال.

ولقد واجهت السلطات السوفييتية قضية معقدة للغاية وهي تشكيل مجموعة القيادة العسكرية العليا، إذ أن أساس أي جيش وهيكله ونواته تتكون من الملاكات القيادية. فهي التي تجسد التشكيلة الدقيقة للتنظيم والانضباط العسكري، ولم يكن قادة الفصائل والوحدات الاولى للجيش الاحمر يعينون تعييناً، بل كان افراد الجيش الاحمر ينتخبون هؤلاء القادة من بين عناصر البلاشفة، ومناضلي الحزب العسكريين، إلا أن بناء الجيش الاحمر الكبير كان يتطلب عدداً كبيراً جداً من القادة العسكريين الصغار والمتوسطين والكبار الذين يتحلون بمستوى المعرفة العسكرية اللازم. ولهذا فقد افتتحت في العديد من المدن على جناح السرعة دورات القادة، حيث كان يتم تخريج دفعات من قادة الفصائل والسرايا خلال فترات تتراوح بين ٤ و ٦ أشهر، وفي العام ١٩١٨ افتتحت اول اكاديمية عسكرية سوفييتية (وهي التي تحمل اسم فرونزه حالياً) والى جانب القادة العسكريون انتدبت السلطات السوفييتية مفوضين سياسيين، وبهذا وجدت الازدواجية في القيادة داخل الوحدة، وقد احتفظ القائد العسكري بمهمة ادارة الشؤون العسكرية البحتة، على حين كانت مهمة التوعية السياسية بيد المفوضين السياسيين (انظر المفوض السياسي).

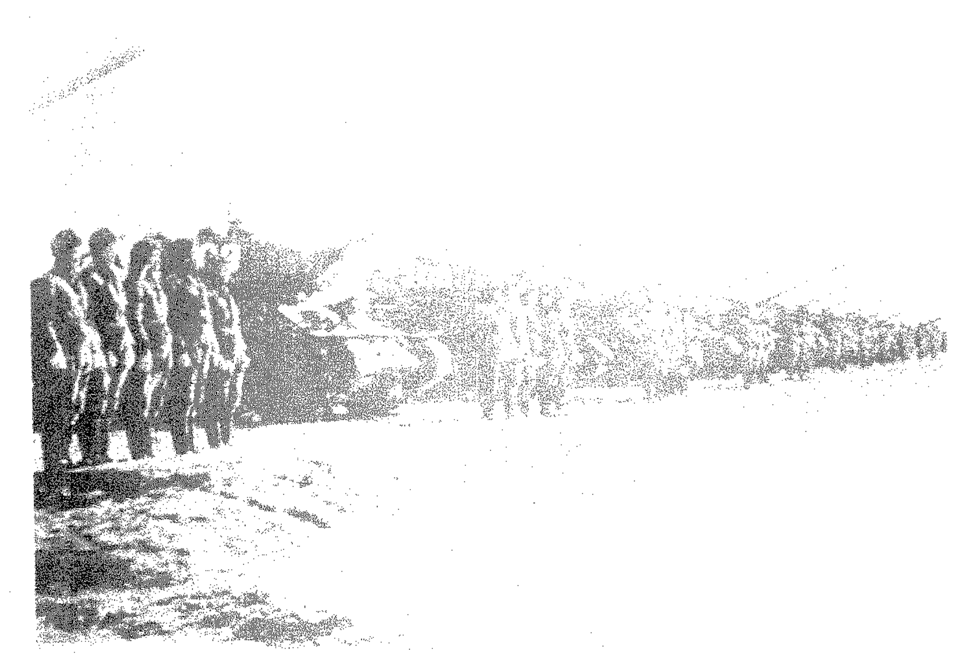


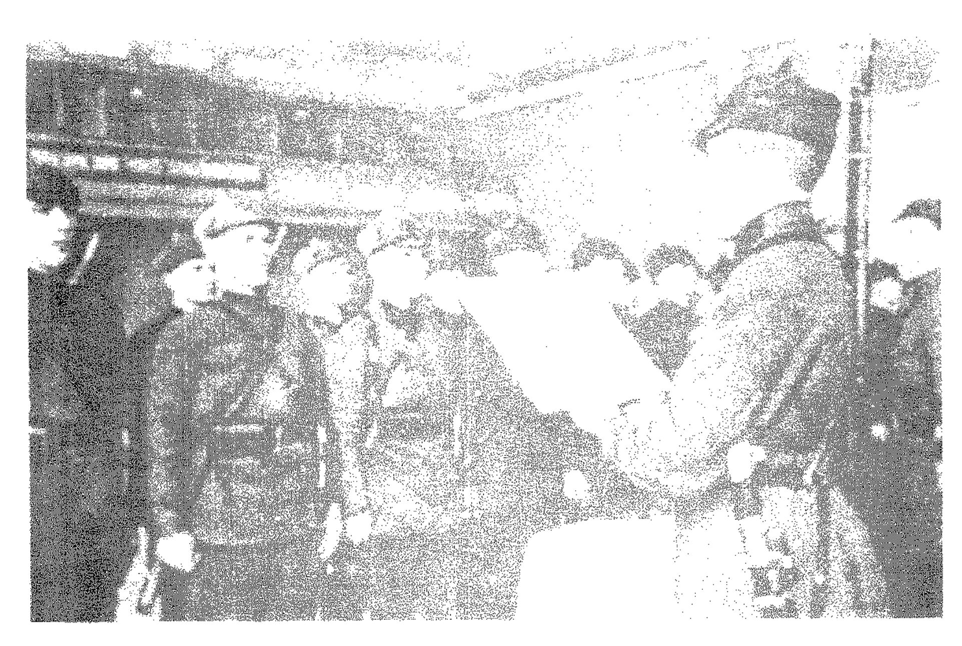
وحدة مدرعة سوفياتية حديثة أثناء التدريب



طلاب الكليات الحربية السوفياتية أثناء العرض

وقد طرح موضوع الاستفادة من الكوادر العسكرية السابقة خاصة في ظروف الحرب الاهلية، ورفع شعار «الاختصاص لا تعوضه الحماسة الثورية» وقد برز لهذا الشعار انصار واعداء، وبعد محاورات ومناظرات بات واضحاً أنه كي يتم بناء جيش أحمر قوي لا بد من اعادة عدد من الضباط المحترفين الذين خدموا في جيش القيصر الى الجيش الجديد، وتسليمهم مراكز هامة، ليصار الى الاستفادة من اختصاصاتهم، على أن يبقوا تحت مراقبة المفوضين السياسيين الذين انيطت بهم مهمة تحقيق المراقبة العامة على سير الامور، وقد زودوا بسلطات غير محدودة. وخلال الاعوام ١٩١٨ – ١٩٢٠ استدعي للخدمة في الجيش الاحمر اكثر


وحدة دبابات من الجيش الأحمر السوفياتي


جنود الجيش الأحمر يؤدون القسم (١٩٣٩) .

من ٤٨ ألفاً من الضباط السابقين . وخدم هؤلاء في مختلف مناصب القيادة والاركان تحت اشراف المفوضين الشيوعيين . وقد نفذت اغلبية هؤلاء الضباط واجباتها في الخدمة بنزاهة وبحسن نية ، حتى أن لينين قال فيما بعد : « لو اننا لم نستدعهم للخدمة لما استطعنا بناء الجيش » .

وفي السادس من ايلول (سبتمبر) ١٩١٨ اتخذ مجلس السوفييت قراراً بحل المجلس العسكري الاعلى الذي كان قد تشكل مع قرار تشكيل الجيش الاحمر ، وذلك لأنه تم انجاز تشكيل المجلس العسكري الثوري للجمهورية في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩١٨ ، وهو القيادة العسكرية المركزية ، وبذلك خضعت له هيئات مفوضية الشعب للشؤون العسكرية في المناطق ، والاركان العامة لعموم روسيا . وكان المجلس يضم كل من : تروتسكي (رئيساً للمجلس العسكري الثوري) ، وفاتسيتيس (قائداً عاماً للقوات المسلحة) ، ودانيشيفسكي ، وكوبوزيف ، وميخونوشين ، وراسكولنيكوف ، وروزينهولتس ، وسميرنوف ، وبعد فترة التحق بالمجلس أرالوف وبودفويسكي وسكليانسكي (نائباً للرئيس) ويورينييف . وكان المجلس العسكري الثوري للجمهورية والقائد العام يمارسان قيادة الجبهات والجيش المقاتل كله بواسطة الاركان الميدانية التي تشكلت في اوائل تشرين الاول (اكتوبر) . وكلفت الأركان العامة لعموم روسيا بمهام التجنيد وتدريب الاحتياط ووضع الانظمة وأدارة المؤسسات العسكرية التعليمية . ولم يكن للجيش الاحمر أنذاك بزة عسكرية موحدة . وكان أفراد الجيش الاحمر يرتدون الملابس العسكرية المتبقية من الجيش القديم او يرتدون الملابس المدنية العادية . وحتى صيف ١٩١٨ كان أفراد الجيش الاحمر يحملون شارة صدرية بشكل نجمة حمراء محاطة بأكليل من أوراق الغار والبلوط ، وفي وسط النجمة صورة منجل ومطرقة ، وهما رمز تحالف الطبقة العاملة والفلاحين . وبعد ذلك اصبحت شارة محاربي الجيش الاحمر هي نجمة حمراء معدنية صغيرة مطلية بالميناء وعليها صورة منجل ومطرقة ، وهي تثبت الى قبعة الجندي . واتخذت الاجراءات لوضع تصاميم بزة عسكرية موحدة . وكان وضع البزة العسكرية الموحدة واحدة من درجات الانتقال الى الجيش الاحمر النظامي . فقد أدى تعزيز التنظيم والانضباط الى زيادة القدرة القتالية لدى القوات ، وتزايد المهارة العسكرية . واقتنع افراد الجيش الاحمر ، من خلال تجربتهم الشخصية ، بأن الانضباط الثوري الحديدي ، وقيادة القوات قيادة حازمة ، يساعدانهم في حل اعقد المهام الحربية ، وفي دحر العدو بصورة اكثر توفيقاً ، وبذلك تغلغل هذا الانضباط في القاعدة العسكرية عن طريق ايقاظ الشعور بالمسؤولية ، وما أن وعت جماهير الجنود أن الانضباط لم يعد يستهدف الدفاع عن مصلحة البرجوازية أو إعادة الأرض الى المالكين السابقين ، ولكن يستهدف على العكس تدعيم مكتسبات الثورة والدفاع عنها ، لم يعد الانضباط في نظرها انضباط العصا ، بل أصبح الانضباط الواعي الجماعي المبني على الحماسة الثورية ، وفهم الجنود بوضوح لواجبهم إزاء طبقتهم (انظر الانضباط) .

وللجيش الاحمر استراتيجيته الحربية التي نشأت وتطورت مع نشوئه وتطوره ، وقد استندت هذه



وحدة قانصات دبابات « سي يو – ٨٥ » المحمولة جواً

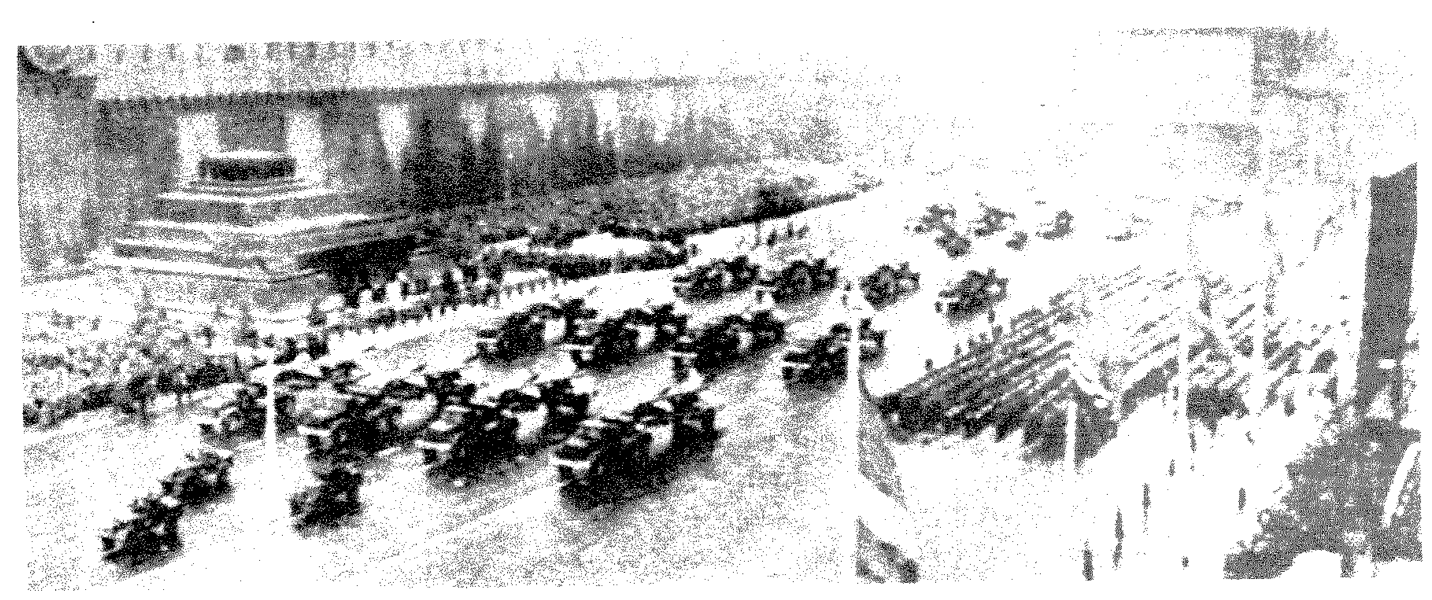
الاستراتيجية في بنائها وتكوينها على النظرية الماركسية التي عالجت موضوع الصراع المسلح ، وخرجت بمفاهيم واضحة عن مختلف جوانب الصراعات المسلحة والحروب ، كما أنها لم تهمل امكانية الاستفادة من التجارب الحربية التاريخية في روسيا القيصرية وفي حروب عصر الاستعمار ، وهكذا فإن النظرية الاستراتيجية للجيش الاحمر السوفييتي لم تولد من فراغ ، فلقد كانت روسيا سباقة في مضمار التشكيلات العسكرية وبلورة قوانين الحرب ، (كان الجيش الروسي في القرن الثامن عشر مشابهاً من حيث التشكيل والتنظيم للجيوش التي انشئت في الغرب في النصف الاول من القرن التاسع عشر) وتطورت الاستراتيجية الحربية الروسية تطوراً سريعاً في بداية القرن التاسع عشر ، وكانت بمجملها تعتمد على العمل السريع والحاسم . ولقد لعب المنظرون العسكريون الروس دوراً ايجابياً في تطور العقيدة العسكرية الروسية . ولكن عدم فهمهم لطبيعة الحرب السياسية والطبقية ، جعلهم عاجزين في ذلك الوقت عن ايجاد حل صحيح لمسائل اندلاع الحروب والعلاقة بين الحرب والسياسة ، وبقي ذلك غامضاً الى أن أزاح الفكر الماركسي – اللينيني الستار عن الطبيعة الطبقية للحروب . ولقد لقيت هذه المسائل حلا عملياً ، وأصبح واضحاً أن الهدف السياسي يؤثر تأثيراً حاسماً على إرادة الحرب وبالتالي على الاستراتيجية الحربية . ولقد كان الهدف السياسي للطبقات الكادحة في الجمهورية السوفياتية خلال الحرب الاهلية ازال الهزيمة الكاملة بالمتدخلين والجيش الابيض ، واستعادة المناطق التي تشكل المصادر الرئيسية للمواد الخام والقمح ، بغية تأمين الاستقرار اللازم لبناء المجتمع الاشتراكي . وقد تطلب هذا الهدف استراتيجية حاسمة ونشيطة . وقد كان ذلك واضحاً في كافة الاعمال الحربية مما جعلها احدى الخصائص الاساسية التي اتسمت بها الخطط الاستراتيجية التعبوية للعمليات الرئيسية للجيش الاحمر التي قام بها ضد جيوش كولتشاك ، دينيكين ، ورانجل ، والبولنديين البيض ، وقوات المتدخلين الاستعماريين .

لقد كانت الجمهورية السوفياتية ، خلال الحرب الاهلية وحرب التدخل ، محاطة بالاعداء من كل الجهات ، وكانت الجيوش العدوة متفوقة بالعدة والعدد ، وتضغط من مختلف الاتجاهات بهدف الوصول الى مركز البلاد . ولم تكن ظروف الجيش الاحمر تسمح له القيام بعمليات عسكرية واسعة على مختلف الجبهات بآن واحد . لذا كان هذا الجيش يركز مجهوده الرئيسي ضد العدو مرة في ذاك الاتجاه ، واخرى في اتجاه آخر ، تبعاً للموقف العسكري والسياسي . مع حشد الجزء الرئيسي من قواته في الاتجاه المحدد كهدف رئيسي .

ولقد راعت استراتيجية السوفيات آنذاك ضرورة حل المهام السياسية والاقتصادية الى جانب المهام العسكرية ، وفي كثير من الحالات كان حل المهام السياسية والعسكرية هو هدف العملية . وكان من صلب الخواص المميزة للاستراتيجية الحربية السوفياتية في فترة الحرب الاهلية ، تنسيق الاعمال

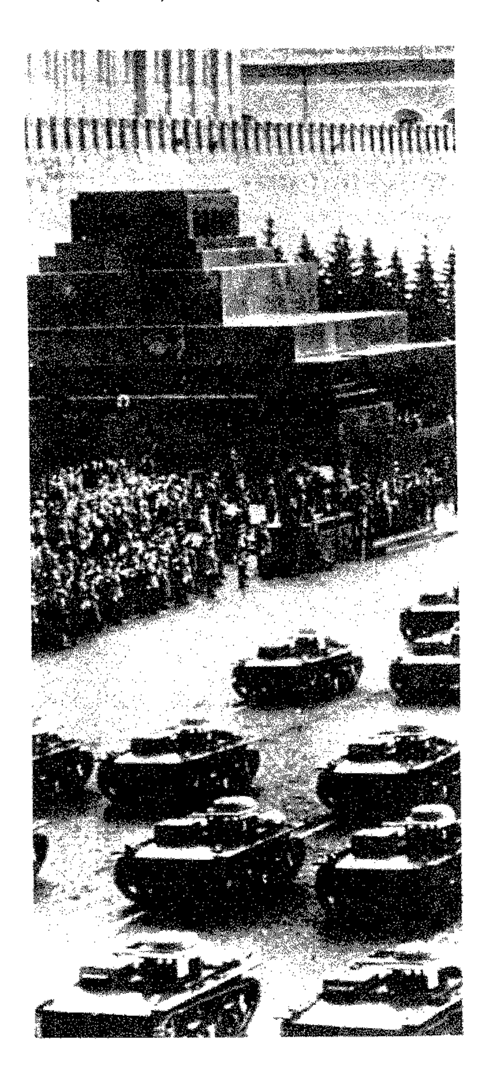
جنود الجيش الأحمر (١٩٢٠)





وحدة صواريخ سوڤياتية في الساحة الحمراء

مدرعات الجيش الأحمر (١٩٣٨)



القتالية للجيش الاحمر مع منظمات الأنصار التي قامت بأعمال فعالة طيلة الحرب الاهلية ضد الحرس الابيض والمتدخلين الامبرياليين.

ومع نهاية الحرب الاهلية، كان تعداد الجيش الاحمر ٥,٥ ملايين شخص، ونسبة التمثيل الطبقي فيه ١٥ ٪ من العمال، و ٧٧ ٪ من الفلاحين، و ٨ ٪ من الفئات الاجتماعية الاخرى. ولقد استطاع هذا الجيش خلال فترة قصيرة أن يجمع بين خبرة ومعارف الاخصائيين العسكريين السابقين وبين الحماسة الثورية لدى القادة الجدد. وبانتهاء الحرب وخروج الجيش الاحمر منها ظافراً، بدأت عملية تسريح أفراده، وفي خريف عام ١٩٢٣ انجزت عملية نقل الجيش الاحمر الى حالة السلم، وتقلص عدد افراده من ٥,٥ مليون الى ٥١٦ ألف شخص.

اتسمت فترة السلم التي مر بها الجيش الاحمر السوفييتي خلال السنوات ١٩٢٢ - ١٩٤١ بأهميتها الخاصة في إعادة بناء القوات، إذ أن هذه الفترة شهدت تقدماً وتطوراً في وسائل الانتاج الاقتصادي، فقد تقدمت الزراعة، وانشئت المصانع (خاصة مصانع الحديد والصلب، والطائرات، والسيارات) وارتفع المستوى الثقافي للمجتمع ارتفاعاً واضحاً، وشكلت كل هذه الحقائق أساساً متيناً للبناء الاقتصادي المتقدم الذي ساعد على إعادة تسليح الجيش الاحمر بأحدث الاسلحة آنذاك، ومضاعفة قدراته القتالية. كذلك استحدثت الفروع الجديدة في الجيش، وتمت إعادة تنظيم التشكيلات، وكانت هذه الفترة فترة ذهبية في عمر الجيش الاحمر، استطاع فيها تحقيق الانجازات الهائلة في بنائه وتكوينه وقدراته. وكانت القيادة الالمانية تراقب نموه بحذر، وتحيك ضده المؤامرات. ولقد استطاع «سيرشيت دينست» جهاز المخابرات النازي الشهير أن يوحي الى ج. ستالين (الامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي آنذاك) بأن قيادة الجيش الاحمر تحيك مؤامرة لقلبه عن الحكم، فقام ستالين بحملة تصفيات راح ضحيتها ثلاثة ضباط برتبة مارشال، وثلاثة عشر ضابطاً برتبة فريق اول، وسبعة وخمسين ضابطاً برتبة فريق، ومئة وعشرة ضباط برتبة لواء من قادة الفرق ومئتين وعشرين عميداً أي ما نسبته ٩٠ ٪ من قيادة الجيش الاحمر، كما قتل أو أبعد ٨٠ ٪ من العقداء، وما مجموعه ثلاثون ألف ضابط من مختلف الرتب، ونتيجة لهذه التصفيات، وافراغ الجيش من معظم كوادره وقادته، لم يستطع هذا الجيش، في بداية الغزو النازي للاتحاد السوفياتي، الصمود في وجه الموجات العسكرية النازية (انظر عملية بارباروسا). ولكن تلك الحالة لم تدم، ولم يلبث هذا الجيش أن التقط انفاسه، وبدأ الاستعداد من جديد، وعادت القوانين العسكرية والفنون الحربية التي انتابها ضعف في الفترة الماضية (١٩٣٧ - ١٩٤١) الى البروز مجدداً، وأخذت تتطور تطوراً ملموساً. وساعد على سرعة هذا التطور، اندفاع جميع قوى الشعب لصد العدو، وزيادة الانتاج الحربي، وتدعيم الجبهة الداخلية، الامر الذي زاد في قدرة الجيش الأحمر القتالية، ورفع الروح المعنوية وروح القتال عند أفراده (منح خلال فترة الحرب العالمية الثانية ١١٠٠٠ مقاتل لقب

بطل الاتحاد السوفياتي وحصل اكثر من ٧ ملايين على اوسمة وميداليات) .

ولقد استطاع الجيش خلال مدة وجيزة تنفيذ مهمة الدفاع الاستراتيجي ، وخلق الظروف الملائمة للتغيير الجذري في مسيرة الحرب والانتقال الى الهجوم الاستراتيجي ، ومن المؤكد أن الجيش الاحمر اكتسب خبرات عظيمة خلال سنوات الحرب خاصة في استخدام فروع القوات المسلحة ، كما اعيد النظر بقوانين تشكيلات الافرع على ضوء المهمات التكتيكية والاستراتيجية المستجدة خلال سنوات الحرب ، خاصة في الفترة التي شهدت انتقال الجيش من الدفاع الاستراتيجي الى الهجوم الاستراتيجي .

وبدأ الجيش مع بداية مرحلة السلام الجديدة عملية تسريح واسعة إذ كان تعداده يوم النصر (١٩٤٥/٦/٢٤) ١١ مليون و ٣٦٥ ألف شخص . وفي العام ١٩٤٨ بلغ تعداده مليونين و ٨٧٤٠٠ ألف شخص . ولقد خرج الجيش الاحمر من الحرب قوياً مزوداً بأحدث الاسلحة والتقنية ، ومتسماً بالخصائص المعنوية والقتالية العالية لدى افراده وبالخبرة لدى قادته . وبعد انتهاء الحرب بدأت الولايات المتحدة بشن حربها الباردة ضد الاتحاد السوفياتي ، وزادت من تعداد وقدرات قواتها المسلحة ، وكذلك فعلت بريطانيا وفرنسا ، وأنشأت العديد من القواعد على طول حدود الاتحاد السوفياتي ، واستلم الجيش الامريكي قاذفات القنابل الاستراتيجية الجديدة القادرة على حمل القنابل الذرية ، والصواريخ متوسطة المدى التي لو اطلقت من القواعد العديدة على حدود الاتحاد السوفياتي ، لاصابت اعماق مؤخرته ، لذا قام الجيش الاحمر باعادة تسليحه وتجهيزه التقني . وفي العام ١٩٦١ انهى الجيش الاحمر عملية تسليحه بالتقنية الصاروخية النووية .

(١) الجيش الأحمر الصيني

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١١) الجيش الأحمر الياباني

هوتنظيم ثوري ياباني ، يؤمن بالماركسية – اللينينية وأممية النضال ضد الامبريالية ، ويتبنى الكفاح المسلح كوسيلة اولى من وسائل هذا النضال .

يعود الاعلان عن تشكيل هذا الجيش الى العام ١٩٦٩ . ولقد ظهر على أثر انشقاق جرى في صفوف رابطة الشيوعيين اليابانيين ، وكان سبب انشقاقه هو إصرار رابطة الشيوعيين على رفض اسلوب الكفاح المسلح لحسم التناقض مع البرجوازية اليابانية الحاكمة ، وقد اعتقلت رابطة الشيوعيين اليابانيين زعيم الجيش الأحمر الياباني في ٢٥ آب (اغسطس) ١٩٦٩ ، ولكنه استطاع الافلات . وقد وزع الجيش الاحمر اول بيان سياسي له يؤكد فيه على الخط الاستراتيجي الذي يسعى الى تحقيقه : « النضال العالمي ضد الامبريالية ... دون انقطاع وفي كل مكان » ، ويطرح اهمية تلاحم قوى الثورة في العالم ، ويؤكد على اعتبار نفسه الفرع الياباني للجيش الأحمر العالمي .

وقد قام رجال الجيش الأحمر بسلسلة من الهجمات المسلحة الجريئة على مراكز الشرطة اليابانية خلال شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ ، كما حصل بعد الاضراب الكبير الذي قادوه في مدينة اوساكا ثاني اكبر مدن اليابان ، وبعد اسبوع هاجم الجيش الاحمر في طوكيو العاصمة ، وقد كان الجيش الاحمر يعمل حتى نهاية ١٩٦٩ بشكل شبه علني مستغلا « الديمقراطية الليبرالية » التي يتمتع بها العمل السياسي في اليابان ، ولكن نشاطه جعل السلطة تكشف عن حقيقتها القمعية وتباشر بضربه ومهاجمة مركزه الرئيسي في قرية داي بوساتسو في ٤ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٦٩ . ولقد استطاعت السلطات اليابانية خلال هذا الهجوم اعتقال ثلاثة وخمسين من افراد الجيش الاحمر ، وبعدها بأربعة اشهر (شباط (فبراير) ١٩٧٠) اعتقلت قوات البوليس زعيم الجيش الاحمر ، وبذلك وجهت ضربة قوية للتنظيم وأفقدته عدداً لا بأس به من كوادره الاساسية . ولهذا بدأت الهيئات القيادية إعادة تقييم ممارساتها . واعتبرت النقاط المركزية لنضالها : أ – بناء حزب مقاتل . ب – إقامة التحالفات الاممية . ج – الشروع في الكفاح المسلح (الريف والمدينة) ضد البرجوازية اليابانية . د – البحث عن قاعدة ثورية ينطلق منها مناضلو الجيش الأحمر مع فصائل ثورية عالمية اخرى .

وفي نهاية آذار (مارس) ١٩٧٠ قام تسعة من اعضاء الجيش الاحمر باختطاف طائرة يابانية تعمل على الخطوط الداخلية ، وتوجهوا بها الى كوريا الشمالية بعد رحلة دامت ٥٠ ساعة افشلوا خلالها العديد من مؤامرات الايقاع بهم ، وقد حققوا بذلك هدفين : الاول ، اعتبار كوريا قاعدة آمنة للتدريب . والثاني ، تهريب عدد من الكوادر المطلوبة للشرطة في اليابان . وفي ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ ، وبعد محاورات فكرية وسياسية ، تم الاتفاق بين الجيش الاحمر وكاهين امبو (حركة تقدمية معادية للامبريالية) واندمجت كاهين امبو بالجيش الاحمر الياباني . وكاهين امبو تنظيم ياباني ماركسي – لينيني معظم اعضائه من الطلبة الماويين ، وقد سمي التنظيم الجديد الذي تبنى استراتيجية الكفاح المسلح لتدمير البورجوازية في اليابان « الجيش الاحمر الموحد » . ومن الجدير بالذكر ، أن الجيش الاحمر الياباني يؤيد الكفاح المسلح الفلسطيني ضد الدولة الصهيونية ، ويتعاون مع بعض فصائل الثورة الفلسطينية على صعيد العمليات والاعلام والمعلومات . واهم عملية قام بها على صعيد الكفاح المسلح ضد الصهاينة ، بالتعاون مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، عملية مطار اللد التي هزت الكيان الصهيوني في ٣٠ أيار (مايو) ١٩٧٢ ، وسقط من جرائها ٢٧ قتيلا و ٨٠ جريحاً ، مقابل مقتل فدائيين انتحاريين يابانيين (ياسويوكي ياسودا ، وتسويوش اوكوديرا) ، وأسر فدائي واحد (كازو أوكاموتو) .

(١١) جيش الانقاذ أو قوات الانقاذ

هو جيش المتطوعين العرب الذي تشكل في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧ بمبادرة من الجامعة العربية ، للدفاع عن عروبة فلسطين ومساندة مناضليها ، وبقي يقاتل في فلسطين حتى تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٨ ، ثم سحب إلى جنوبي لبنان لإعادة تنظيمه ، وانتقل بعد ذلك إلى سورية حيث قامت الجامعة العربية بحله في أيار (مايو) ١٩٤٩ .

شهدت فلسطين في نهاية الاربعينات تنفيذ المخطط الصهيوني – الامبريالي ، في إقامة وطن قومي يهودي فوق الارض العربية في جزء من فلسطين . وكانت السنوات التي سبقت قيام اسرائيل (١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨) سنوات تأهب واستعداد وتعبئة وتدريب وتنظيم لليهود بينما كانت سنوات ضياع للعرب ، بسبب سياسة الأنظمة القائمة آنذاك ، وضعف الحركة العربية الوطنية التي كانت تصفيتها إحدى مهمات الاستعمار القديم .

وكانت السيطرة البريطانية واضحة وملموسة من خلال الامتيازات والاحتكارات الاقتصادية التي حصلت عليها في هذه الاقطار مثل نفط العراق ومنتجاته الزراعية ، وقطن مصر وقناة السويس ، كذلك فقد تم لبريطانيا اخضاع منطقة الخليج العربي والشواطئ الشرقية والجنوبية للجزيرة العربية لنفوذها المباشر ، فيما كانت السعودية ، وامامة

اليمن مضطربتين بحكم أوضاعهما ، إلى الخضوع لضغوط بريطانيا العظمى التي كانت آنذاك في عداد الدول الكبرى . وكانت السعودية قد قامت بفتح الباب واسعاً أمام شركات النفط الاميركية منذ الثلاثينات لاستغلال واستثمار الكنوز الدفينة فيها . وفي فلسطين قامت بريطانيا الى جانب اعمال القتل ، والاعتقال والمطاردة والنفي التي مارستها ضد الشعب الفلسطيني وقياداته الوطنية ، بفتح باب الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، وسهلت لهم سبل الاستقرار والسيطرة الاقتصادية ، كما تم تدريب آلاف الصهاينة في معسكرات بريطانيا وقواعدها ، فساعدت بذلك على إرساء اسس « الدولة اليهودية » التي اصبح اعلان قيامها مطلب الحركة الصهيونية وشعارها منذ مؤتمر بلتيمور في ايار ١٩٤٢ .

كانت سوريا ولبنان البلدان الوحيدان اللذان نجحا في الحصول على استقلالهما عام ١٩٤٦ ، ولكنهما بقيا ضمن دائرة المطامع البريطانية ، ولم يتخلصا من المؤامرات التي كانت تحيكها بريطانيا او عملائها في المنطقة .

وفي الوقت الذي كانت بـه الأوضاع السياسية المتردية سائدة في المنطقة العربية ، كانت القوى السياسية في الغرب تشهد تزاحماً وتنافساً على اكتساب ود الحركة الصهيونية التي اصبحت نيويورك مركز ثقلها وتواجدها الاساسي بدل لندن .

وفي ٢ نيسان (ابريل) ١٩٤٧ احيلت قضية فلسطين الى الأمم المتحدة للبت فيها على ضوء التطورات الجديدة . فشكلت الامم المتحدة لجنة دولية من ١١ عضواً لدراسة هذه القضية وتقديم المقترحات بشأنها . وبعد صدور تقريري اللجنة الدولية ، اجتمع مجلس الجامعة العربية في عاليه بلبنان من ٧ – ٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧ ، خلال عرض قضية فلسطين أمام هيئة الامم المتحدة ، وكان جدول اعماله يتضمن دراسة ما يجب اتخاذه من اجراءات للوقوف في وجه المؤامرة على عروبة فلسطين . ولقد عقد هذا المؤتمر في غياب ممثلي فلسطين ومن وراء ظهر حركتها الوطنية ، إلا أن مفتي فلسطين فاجأ المؤتمرين بأن دخل عليهم محدثاً أزمة بين الوفود انتهت بقبول حضوره ، ولكن مجلس الجامعة رفض معظم مقترحاته ، وفي مقدمتها اعلان حكومة عربية تتكلم باسم عرب فلسطين .

وكانت أهم قرارات مجلس الجامعة العربية « تأليف لجنة عسكرية من ممثلي الدول العربية لدرس القضية الفلسطينية من الناحية العسكرية ومعاونة اهل فلسطين في الدفاع عن أنفسهم وكيانهم ، وذلك بالاشراف على ادارة العمل وتنظيمه وصرف الاموال التي تخصصها الدول العربية لمعاونة اهل فلسطين » . وتشكلت هذه اللجنة برئاسة اللواء الركن اسماعيل صفوت (العراق) وعضوية العقيد محمود الهندي (سورية) والمقدم الركن شوكت شقير (لبنان) وصبحي الخضراء (فلسطين) ولم ترسل مصر ، والاردن ، والسعودية ، واليمن ، أحداً من رجالها العسكريين ليمثلوها في اللجنة .

وفي ٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧ قدمت اللجنة العسكرية تقريرها الاول الى مجلس الجامعة ، وقد تضمن تأكيداً أن لدى العدو في فلسطين ، منظمات وتشكيلات سياسية وعسكرية وادارية ، وفي وسعها أن تتحول بسرعة الى حكومة ، وأن لديها قوة كبيرة من الرجال والعتاد والسلاح قدرت بحوالي ٦٥ – ٧٥ ألف مقاتل تابعين للمنظمات الصهيونية الارهابية . وشدد التقرير على خطورة مصير شعب فلسطين خاصة اولئك الذين يقطنون في المناطق التي يشكل اليهود غالبية فيها ، ولهذا طلبت اللجنة في تقريرها بوجوب المباشرة فوراً بتسليح عرب فلسطين وتدريبهم وتنظيمهم ، وطلبت امدادهم بعشرة آلاف بندقية ورشاش مع المواد الهندسية اللازمة لبناء التحصينات في المدن والقرى العربية . وفتح باب التطوع أمام العرب للمشاركة في الكفاح في فلسطين ، وحشد الجيوش العربية على حدود فلسطين لتكون جاهزة للتدخل في حال انسحاب بريطانيا ، حتى لا يبقى ميزان القوى لصالح العدو .

وكان الرأي يميل يومذاك الى انه يجب أن يترك للفلسطينيين انفسهم عبء الدفاع عن بلادهم ، على أن تزودهم الحكومات العربية بما يحتاجونه من عتاد وسلاح ، ولكن هذه السياسة لم تكن لترضي البريطانيين الذين سارعوا بالضغط لتغيير مضمون هذه السياسة ، والعمل على جعل قضية فلسطين بيد الحكام العرب . وبرز على الصعيد العربي تياران اساسيان لمعالجة قضية فلسطين ، دعا اولهما الى وجوب قبول العرب بتسوية سياسية يتفق عليها مع الانكليز ، وتقضي بقبول تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية ، وذلك انطلاقاً من « عدم قدرة العرب على مواجهة الانكليز ، وبالتالي القبول بالحلول الواقعية » . وكان وراء هذا الموقف اصدقاء الانكليز وعلى رأسهم الملك عبدالله بن الحسين والامير عبد الإله ونوري السعيد . وكان الموقف الثاني يرفض الاتجاه الاول بقوة ويرى فيه انحرافاً وتنازلا عن حقوق شعب فلسطين في وطنه ، ويؤكد على وجوب اعلان استقلال فلسطين . وأن الطريق الوحيد لذلك هو المقاومة المسلحة والقتال ، وأن على شعب فلسطين يقع العبء الاساسي في هذه المعركة ، وكان على رأس هذا الموقف القيادات الوطنية الفلسطينية وفي مقدمتها الحاج أمين الحسيني والوطنيون العرب ، وكافة القوى التي اعلنت مباشرة بعد قرار التقسيم تشكيل « قوات الجهاد المقدس » بقيادة عبد القادر الحسيني .

وقد جاء قرار تشكيل جيش الانقاذ ليحتل موقفاً وسطاً بين التيارين ، فقد اتخذت اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية قرار تشكيل الجيش في تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٤٧ ، وذلك بموافقة عبد الرحمن عزام ، الامين العام للجامعة آنذاك . وقد اعتبرت بريطانيا تشكيل جيش الانقاذ شراً لا بد منه ، وامتصاصاً للحالة الثورية العارمة التي شهدتها الساحة العربية من غليان جماهيري ورفض لقرارات التقسيم . واعتبره العرب عملا وطنياً خارقاً . وسارع المتطوعون من مختلف بقاع الوطن العربي الى الانضمام لجيش الانقاذ ليشاركوا شعب فلسطين قتاله ، فقد وصل الى فلسطين اكثر من (١٥٠٠) مقاتل من الاردن ، وشاركوا في معارك القدس وباب الواد والجليل ، وحاول مثل هذا العدد الالتحاق بجيش الانقاذ من المغرب وتونس وليبيا والجزائر، ولدى وصولهم الى مصر ، الحقتهم حكومة النقراشي بقوات المتطوعين في جنوب فلسطين ، والى جانب هذا الاندفاع الجماهيري ، فقد انتظم في صفوف جيش الانقاذ العشرات من قيادات الحركة الوطنية آنذاك ، وقد ترك العديد من الضباط السوريين وحداتهم للانضمام الى جيش الانقاذ ، وحاولت هيئة الضباط الاحرار بقيادة جمال عبد الناصر المشاركة في الكفاح المسلح ولكن حكومة النقراشي وقفت في طريقها .

اتخذت اللجنة العسكرية قرية قدسيا القريبة من دمشق مقراً لها ، وقد انضم بعد ذلك طه الهاشمي الى عضوية اللجنة العسكرية بصفة خبير ، ثم كمفتش عام لجيش الانقاذ ، وذلك بناء على اقتراح قدمه الرئيس السوري شكري القوتلي الى عبد الرحمن عزام ، المشرف على اللجنة العسكرية . وبدأت اللجنة بالاتفاق مع وزارة الدفاع السورية على فتح معسكر قطنا قرب دمشق لاستقبال المتطوعين العرب وتدريبهم من قبل ضباط سوريين افرزتهم قيادة جيشهم لهذا الغرض . وقد برزت مشكلة صعبة لدى محاولة اللجنة تعيين قائد لجيش الانقاذ ، اذ كان الرئيس القوتلي يضغط لتعيين فوزي القاوقجي ، وذلك لاعتبارات محلية وعربية ، بينما كان مفتي فلسطين يعارض ذلك بشدة . وعند احتدام القتال بين الفلسطينيين والصهاينة ، حسم الموضوع ، وعين فوزي



فوزي القاوقجي مع جنود جيش الإنقاذ في فلسطين

القاوقجي قائداً للجيش في اوائل كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ ، بعد مرور شهرين من تأليف اللجنة .

ولم تكن استراتيجية الجيش واضحة ودقيقة ، ويمكن اعتبار اسباب تشكيل جيش الانقاذ ، الى جانب الاستعراضات العسكرية والتلويح بالقوة بعد فشل الدبلوماسية العربية ، الوعاء الذي يستطيع احتواء الحالة الثورية العربية العامة التي بدأت تعي واقعها على ضوء بداية ضياع فلسطين .

وكانت قيادات جيش الانقاذ الملحقة مباشرة بالجامعة العربية تتشكل على النحو التالي ، على رأس الهرم العسكري كان المفتش العام لقوات المتطوعين (طه الهاشمي) ، تليه اللجنـــة العسكرية برئاسة اللواء اسماعيل صفوت ، والعضوية العاملة فيها لمندوبي العراق وسورية ولبنان وفلسطين ، ولم ترسل بقية الدول العربية مندوبيها الى اللجنة ، والصف الثالث في القيادة هو القيادة الميدانية ، أي قائد الجيش (فوزي القاوقجي) ، ويليه مباشرة قادة الكتائب (كان اسمها آنذاك الأفواج) ثم قادة السرايا وكان للقيادة الميدانية عملياً منطقتان مستقلتان . إذ كانت غالبية قطعات الانقاذ بقيادة القاوقجي في المنطقة الوسطى وتشمل مناطق نابلس وطولكرم وجنين ، وامتدت حتى حدود منطقة القدس ، وقد اتخذ (جبع) مقراً لقيادته في آذار (مارس) ١٩٤٨ .

وكانت هناك المنطقة الشمالية حيث عملت مجموعة وحدات بقيادة المقدم أديب الشيشكلي (سوريا) ومقر قيادته في قرية الصفصاف . وبقي هذا الاستقلال قائماً حتى وصول القاوقجي الى المنطقة الشمالية في حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، حيث الحقت به كافة القوات ، واتخذ مقراً لقيادته قرية عيترون في جنوبي لبنان ، أما قيادات الافواج فكان لكل فوج مركز قيادة في منطقة انتشار سراياه . ولقد افتقد جيش الانقاذ الى هيئة اركان عامة ، مع انه كان يوجد مع القاوقجي عدد من الضباط الاداريين الذين كانوا يرافقونه في كافة تنقلاته ، ويشرفون على الامداد والتموين والشؤون الادارية الاخرى .

وكانت اوضاع اللجنة العسكرية في دمشق افضل نسبياً من الناحية التنظيمية ، بسبب وجود مجموعة من الضباط والرتباء الذين تطوعوا من الجيش السوري ودوائر الحكومة . وقد انعكس هذا الوضع غير المنظم على طبيعة العلاقة بين قيادات الافواج ، وقائد الميدان ، وبين هذا القائد والمفتشية العامة في دمشق ، وكثيراً ما كان يحصل تناقض ، وتعترض القيادة على تصرفات بعض قادة الافواج ، ولذلك فقد طالبت القيادة بحل بعض الافواج ، كما انه برزت بعض الخلافـــات بين القاوقجي واللجنة العسكرية ، فبينما كان القاوقجي يصر على تسمية جيشه « جيش الانقاذ » كانت اللجنة العسكرية تطلق عليه اسم « قوات الانقاذ » . وهناك خلافات اساسية مثل حادثة مرور فوج اليرموك من سوريا الى فلسطين عن طريق الاردن في ١٩٤٨/١/٢٢ إذ طلب الهاشمي أن يمر الفوج من الاردن دون استئذان الحكم الاردني ، ولكن القاوقجي خالفه وطلب إذناً بالمرور ، كذلك فقد سجل العديد من حوادث تجاوزات اللجنة العسكرية للقاوقجي ، كالاتصال بقادة الافواج دون علمه واعطائهم التعليمـــات . وأثرت هذه الأمور بطبيعة الحال على نمط العلاقات الدنيا بين الافواج والقيادة ، وبين السرايا والفوج .

وكانت جامعة الدول العربية تمول جيش الانقاذ عن طريق لجنة الخبراء الماليين التي كان يرأسها أحمد عبد الغفار باشا ، ولم يكن هناك ميزانية محددة لجيش الانقاذ ، كما أنه كان يصعب تحديد ميزانية سنوية او شهرية بسبب التفاوت الواضح بين نفقات كل شهر بالنسبة للشهور الاخرى . وكانت المفتشية العامة تدفع عن (طريق دائـــرة المحاسبة فيها) الرواتب الى الجنود في اماكن تواجدهم .

بلغ عدد مقاتلي جيش الانقاذ في حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، حوالي أربعة آلاف منهم ١٥٠٠ فلسطيني . ولم يكن هذا الرقم ثابتاً بل كان معرضاً للزيادة والنقصان . وكان الجيش موزعاً الى مجموعتين :

١ — مجموعة المنطقة الوسطى بقيادة فوزي القاوقجي وتألفت من :

— فوج اليرموك الاول ، قاده المقدم محمد صفا (سوريا) ، وقد دخل فلسطين في ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ ، واتخــذ مراكز له في منطقة جنين — بيسان ، وخاض عدة معارك أهمها معركة الزراعة في شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، ثم انتقل الى الجليل في اوائل حزيران (يونيو) ١٩٤٨ .

— فوج القادسيه، قاده المقدم مهدي صالح العاني (عراقي) ، دخل فلسطين في شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، وكان بتصرف القيادة في جبع . شارك في معارك مشمار هاعيمك ، وباب الواد ، والقدس ، ثم اعيد تنظيمه ودمجه بفوج اجنادين وسمي فوج اجنادين بقيادة العاني ، وقد اشترك الفوج الجديد بالدفاع عن منطقة ترشيحا في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ .

— فوج الحسين ، قاده الرائد الطيار محمود هندي (سوري) ، وقد دخل الى منطقة المثلث ثم ما لبث أن اعفيت قيادته ووزعت سراياه على الافواج الاخرى .

— فوج حطين ، قاده النقيب مدلول عباس

(عراقي)، وقد دخل فلسطين في آذار (مارس) ١٩٤٨ وتمركز في منطقة طوباس، شاركت سراياه في معارك مشمار هاعيمك والقدس. وانتقل الى الشمال في اوائل حزيران (يونيو) حيث تحمل عبء القتال في الشجرة والناصرة ونزلت به خسائر كبيرة واصابات عديدة شملت كل ضباطه تقريباً. فقد استشهد النقيب هرمز شابو والشاعر الفلسطيني الملازم عبد الرحيم محمود وجرح قائده مدلول عباس جراحاً بليغة كما جرح الملازم اكرم ديري.

— فوج اليرموك الثالث، قاده الرائد عبد الحميد الراوي (عراقي)، وقد دخل منطقة القدس ورام الله في نيسان (ابريل) ١٩٤٨ واشترك في معارك باب الواد، والقدس.

— فوج اجنادين، قاده النقيب ميشال العيسى (فلسطيني)، واشترك في معارك يافا وباب الواد ثم انتقل الى الشمال.

— فوج العراق، قاده المقدم عادل نجم الدين (عراقي)، وقد دخلت معظم مراتب هذا الفوج الى يافا. وتولى نجم الدين قيادة حاميتها المحلية مع وحداته في ١٩٤٨/٢/١٦. وبقي فيها حتى ١٩٤٨/٤/٣٠ حيث ترك المدينة دون اذن قيادته ودون أن يسلم مسؤولياته فيها الى خلفه النقيب ميشال العيسى.

وقد تواجد في المنطقة الوسطى ايضاً عدة سرايا، مثل السرية اللبنانية التي كان يقودها النقيب حكمت علي. وقد جرى توسيع هذه السرية عندما انتقلت الى الجليل لتصبح فوجاً، بقيادة النقيب حكمت علي، وشارك هذا الفوج في معارك صغيرة اهمها كفرمندا، واشترك في الدفاع عن السموعي وكفرعنان. وكانت هناك سرية الفراتيين التي قادها النقيب خالد مطرجي وقد وصلت هذه السرية الى المنطقة الوسطى في ١٩٤٨/٢/٣ وبقيت فيها حتى ٥/٢٤/ ١٩٤٨، وكانت زرعين اولى معارك هذه السرية في منطقة السامرة في ١٩٤٨/٢/٢٣، ثم نقلت السرية الى الجبهة السورية، وفي اول تموز (يوليو) الى الجليل، وبقيت حتى نهاية تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨، وقد اشتركت في معارك ترشيحا والمغار وسعسع والمناره في المنطقة الشمالية. وكانت هناك سرية منكو الاردنية التي اشتركت في معركة باب الواد. وسرية اسود الشهباء التي قاتلت في القدس، وقد الحقت بهذه الافواج بطارية ونصف من المدفعية بقيادة النقيب مأمون البيطار ومعه الملازم الاول عفيف البزري وسليمان الحلو، وكان تعداد بطارية المدفعية يتراوح بين ٨٠ الى ١٢٠ جندياً ومعهم اربعة مدافع حسب الترتيب الفرنسي في سورية.

٢ — مجموعة المنطقة الشمالية وكان يقودها المقدم أديب الشيشكلي وتتألف من:

— فوج اليرموك الثاني بقيادة الشيشكلي، وقد دخلت هذه القوة المنطقة الشمالية عن طريق لبنان في ١٩٤٨/١/٢٣، وفي شهر شباط (فبراير) توزع على المناطق التالية: صفد بقيادة الملازم الاول احسان كالماز، وعكا بقيادة الملازم عدنان مراد، والمالكية بقيادة الملازم الاول فتحي الاتاسي، والصفصاف بقيادة الملازم الاول محمد جديد غريب. وفي شهر نيسان (ابريل) افرزت قيادة الجيش السوري بطارية مدفعية مع الملازم الاول فائز القصري والملازم وديع نعمة.

والى جانب قوات الشيشكلي كان هناك فوج جبل العرب الذي قاده الرائد شكيب وهاب، وتمركز في منطقة شفا عمرو قرب الناصرة، ولم يرتبط هذا الفوج بالشيشكلي اذ كان له شيء من الاستقلالية، والحق بالمقدم الشيشكلي المفارز التالية: المفرزة العراقية بقيادة الملازم حسين عبد اللطيف، المفرزة الحمويه، بقيادة الملازم صلاح الشيشكلي، المفرزة الشركسية بقيادة الملازم جلال برقوق، المفرزة الادلبية بقيادة الرئيس عبد الغفار، المفرزة الاردنية بقيادة الرئيس ساري فنيش، السرية السورية النظامية بقيادة الملازم عثمان حاجو، المفرزة اللبنانية بقيادة الملازم الاول محمد زغيب، حامية عكا بقيادة خليل كلاس، المفرزة البدوية بقيادة الملازم محسن يعيش، مفرزة مجدل شمس الدرزية، واخيراً التحقت المفرزة اليوغوسلافية بقيادة الرئيس الاول شوقي اليوغوسلافي، وفصيل مدفعية بقيادة الملازم فائز القصري.

وقد اعيد تنظيم قوات الانقاذ كلها في الشهر الثالث من العام ١٩٤٨ على أساس ألوية هي: لواء اليرموك الاول بقيادة المقدم محمد صفا، ولواء اليرموك الثاني بقيادة المقدم أديب الشيشكلي، ولواء اليرموك الثالث بقيادة المقدم مهدي صالح العاني والفوج العلوي بقيادة غسان جديد.

لقد افتقرت قوات جيش الانقاذ الى الكوادر العسكرية والتنظيمية والادارية، فلم يتوفر نصف الحد الادنى المطلوب من الضباط والرتباء، فمثلا لم يتواجد في الفوج الواحد اكثر من اربعة الى خمسة ضباط. وكذلك فقد انعدم وجود الوعي السياسي في هذه القوات — رغم تمتعها بالحماسة السياسية — مما أفقدها شرطاً أساسياً من شروط الانتصار. وقد كان واضحاً تدني مستوى التدريب والانضباط والانسجام داخل الوحدات، وقد وصل بعض المتطوعين الى ميادين القتال دون أي تدريب، وربما يكون الاسراع في تشكيل الجيش هو العامل الاساسي الذي لم يمنح قيادته فرصة لتدرب المتطوعين التدريب الكافي.

ومن اصعب المشاكل التي عاناها جيش الانقاذ كما عانتها كل الجيوش العربية، قضية التسليح التي أثرت على مصير الجهاد. وكانت الاسلحة في جيش الانقاذ خليطاً من انواع مختلفة من البنادق الانكليزية والفرنسية والبلجيكية ومن نزر قليل من مدافع الهاون المختلفة العيارات وقليل من الرشاشات المختلفة، مع بعض المصفحات التي غنمها الجيش من الصهاينة. وكانت الاسلحة على قلتها غير متناسقة في انواعها ولم تكن مصنفة بحيث يسلح الفوج بنوع واحد من السلاح. كذلك فقد كانت الذخيرة قليلة، وكان هذا الوضع المتردي يعكس حالة الجيوش العربية قاطبة التي لم يكن تسليحها افضل من تسليح الانقاذ، على الرغم من أن بعض هذه الجيوش كان لديها سلاح مخزون، لو استخرج لعوض بعض مساوئ التسليح في وحدات الانقاذ.

أما الشؤون الادارية والتموين فقد اشرف عليها شباب من غير العسكريين، معظمهم ممن عملوا في الميدان الوطني في سورية. وقد زود الجيش السوري هذا المرفق بالعديد من الرتباء ووضع تحت تصرفه مخازن ومستودعات، وكان التموين يتم من المخازن أو محلياً. وقد شهد هذا المرفق الكثير من النواقص، فبسبب فقدان الخيام والاغطية الكافية كانت الوحدات تضطر للاقامة في القرى. ولقد أنشأت اللجنة العسكرية دائرة صحية خاصة، وعينت لها الطبيب امين رويحة الذي أسس مستشفى في نابلس يضم ٢٠٠ سرير، وبقي هذا المستشفى يستقبل الجرحى حتى انسحبت قوات الانقاذ الى الشمال فسلم الى القوات العراقية، وقد أنشأ رويحة مستشفى ميدان في الرامة ثم نقله الى ترشيحا في ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨. كما كان لقوات جيش الانقاذ محكمة عسكرية يرأسها ضابط حقوقي متطوع، تنظر في قضايا المخالفات الداخلية او قضايا المواطنين في المناطق التي يتواجد فيها الجيش.

خاض جيش الانقاذ مجموعة من المعارك في المنطقتين الوسطى والشمالية، ومن أهم المعارك التي خاضها: الزراعة، ومشمار هاعيمك، ونبي يعقوب، وباب الواد والقسطل والقدس وحيفا ويافا والمطلة والمنارة وجدين والهراوي والنبي يوشع والشجرة ورامات يوحانان وطبريا وصفد وعكا. وكان تكتيكه في القتال مزيجاً من تكتيك القوات النظامية

وتكتيك حرب العصابات . ولقد لوحظ في عدد من المعارك وجود ثغرات تتعلق بالحشد والمرونة وادارة القتال والتنسيق مع المجموعات العربية المسلحة . كما لوحظ من جانب آخر ارتفاع مستوى رباطة الجأش ، والجرأة والاقدام لدى المقـاتلين ، رغم افتقارهم للتدريب الجيد والتسليح المطلوب .

بعد سقوط الجليل ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ بيد الصهاينة ، اضطر جيش الانقـاذ للانسحاب من شمال فلسطين ، الى جنوب لبنان. وقد بدت حالته سيئة جداً وبحاجة ماسة لإعادة التنظيم من جديد على ضوء الاحداث التي شهدتها المنطقة . وبدلا من إعادة تنظيم كافة القوى العربية المقاتلة نظراً لنجاح الصهيونية في اجتزاء الارض العربية وإقامة الكيان الصهيوني ، فقد بدأت الكيانات العربية حينذاك التمهيد لتوقيع اتفاقات الهدنة وإنهاء القتال .

وانطلاقاً من هذا المفهوم العـام للأرضاع فقـد استدعى الامين العام لجامعة الدول العربية القاوقجي الى القاهرة في ١٩٤٨/١١/٢٢ بحجة البحث معه في إعادة ترتيب الانقاذ ، وهناك أبلغه أن مهمة جيش الانقاذ القتالية قد انتهت ، وكلف على أثر ذلك العقيد انور بنود (من الجيش السوري) بقيادة وحدات الانقاذ ، فأعاد تشكيل بقاياه بثلاثة افواج حملت اسم لواء اليرموك. وبقيت هذه القوة في جنوب لبنان، ثم انتقلت في اواخر آذار (مارس) ١٩٤٩ الى سورية ، وفي اوائل ايار (مايو) ١٩٤٩ وبعد أن بدأت الدول العربية توقع اتفاقات الهدنة الدائمة في رودس ، صدرت الأوامر من المفتشية العامـة لقوات الانقاذ ، بتوجيه من الامانة العامة للجامعة العربية ، بتسريح هذه القوة وانهاء مهمتها وجرى فعلا منذ ذلك التاريخ حلها رسمياً .

(٦) جيش التحرير الفلسطيني

شهد العمل الوطني الفلسطيني عام ١٩٦٤ اوسع تحرك على نطاق العمل الجماعي العربي الرسمي منذ حرب ١٩٤٨ . في ١٩٦٤/١/١٣ عقد اول مؤتمر قمة عربي – أثر خطاب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر – لبحث الموقف الذي ينبغي ان تواجه به المؤامرة الاسرائيلية لتحويل مجرى مياه نهر الاردن. وقد صدر عن هذا المؤتمر قرار يقضي بتخويل السيد احمد الشقيري ، ممثل فلسطين في الجامعة العربية آنذاك ، صلاحية الاتصال بالدول العربية وشعب فلسطين أينما وجد لبحث الطريقة المثلى لتنظيم هذا الشعب تمهيداً لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بذلك .

وفي ١٩٦٤/٢/٢٠ بدأ الشقيري جولته العربية بزيارة عمان ثم دمشق وبغداد والكويت وبيروت ، وفي ١٩٦٤/٥/٢٨ عقد في القدس مؤتمر فلسطيني وختم اعماله في ١٩٦٤/٦/٢ بإصدار عدة قرارات على الاصعدة العسكرية والاعلامية والتنظيمية . وكان من اهم القرارات المتعلقة بالناحية العسكرية : المباشرة فوراً بفتح معسكرات لتدريب جميع القادرين على حمل السلاح من الشعب الفلسطيني رجالا ونساء ، وبصورة الزامية ودائمة ، تهيء اعداد كل فرد منهم ليكون على مستوى معركة التحرير . وتشكيل كتائب فلسطينية عسكرية نظامية وكتائب فدائية قادرة وفعالة . وإنشاء جهاز عسكري متخصص في القيادة العربية الموحدة يساهم فيه الفلسطينيون لتنظيم الافادة من طاقات الشعب الفلسطيني في الميدان العسكري على النطاق الواسع .

وقد تم بالفعل إنشاء اول معسكر للتدريب العسكري في شهر أيار سنة ١٩٦٤ في قطاع غزة ، ثم أعلنت الجزائر عن افتتاح معسكر لتدريب أبناء فلسطين . وقد اشتركت وحدات رمزية باسم جيش فلسطين لاول مرة في العرض العسكري بمناسبة احتفالات عيد الثورة ٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٦٤ في الجمهورية العربية المتحدة . وفي ١٩٦٤/٩/٥ عقد مؤتمر القمة العربي الثاني واتخذت فيه قرارات الموافقة على إنشاء منظمة التحرير ، وقيام جيش فلسطيني تابع لها ، ورصد ميزانية خاصة بهـذا الجيش . وفي جلسة المؤتمر الختامية أعلنت ليبيا تبرعها بنصف مليون جنيه لميزانية هذا الجيش . وبتاريخ ١٩٦٤/٩/١٥ أعلن الشقيري بدء العمل بإنشاء « جيش التحرير الفلسطيني » وتعيين المقدم وجيه المدني اول قائد لهذا الجيش ومنح فيما بعد رتبة لواء لتيسير مسؤولياته الادارية والعسكرية كقائد لهذا الجيش . وقبيل انتهاء عام ١٩٦٤ كانت الخطط الكاملة لانشاء جيش التحرير قد وضعت بالاشتراك مع القيادة العربية الموحدة، وأعلن انه ليس تابعاً لأية حكومة عربية . وقد مر جيش التحرير الفلسطيني بعد إنشائه بمراحل عدة :

المرحلة الاولى (١٩٦٥ – ١٩٦٦) : أهم ما فيها تشكيل فرق خاصة بالجيش هي قوات حطين في سورية ، وقوات القادسية في العراق ، وقوات عين جالوت في مصر . وفتح باب التطوع أمـام الفلسطينيين أينما كانوا للانضمام اليه . وقد بدأ ذلك في غزة ثم في العراق وسورية والاردن ولبنان والكويت . وفي ١٩٦٥/٥/٣١ عقد المؤتمر الفلسطيني الثاني في القاهرة وكان من اهم القرارات العسكرية التي صدرت عنه : الاسراع في تحصين القرى والخطوط الامامية ، وإنشاء ادارة للتعبئة العامة في المنظمة ، وتسهيل مهمة قيادة جيش التحرير في اختيار وانتقال الضباط والعناصر العسكرية الاخرى في وحدات الجيش المختلفة وفقاً للحاجات العسكرية للجيش . وتمكين القيادة من تدريب الفلسطينيين في اراضي تلك الدول . وقد تم على أثر المؤتمر تعيين السيد علي الحياري مديراً عاماً للدائرة العسكرية للمنظمة في القدس .

المرحلة الثانية (عام ١٩٦٦) : وقد بدأت تظهر في هذه المرحلة أزمة حقيقية بالنسبة للعمل العربي الجماعي الموحد ، الذي بدأت معه ولادة منظمة التحرير الفلسطينية وجيشها ، من حيث ازدياد الشكوك العربية بقدرة مؤسسات مؤتمر القمة على تلبية مهمات المرحلة التي كانت تجتازها الأمة العربية آنذاك . وكان من الطبيعي ان تتأثر المنظمة بهذه الازمـة ، الامر الذي زاد الصعوبات التي واجهت تنفيذ مخططاتها ونقلها الى حيز الممارسة العملية ، ومن ضمنها السير قدماً في دعم جيش التحرير . وفي هذا العام عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته الثالثة في غزة في ١٩٦٦/٥/٢٠ ، وكان من أبرز قراراته العسكرية مناشدة الدول العربية الوفاء بالتزاماتها المالية تجاه قيادة جيش التحرير واعتبار مخصصات الجيش التزامات على الدول العربية وليس وفورات من القيادة العربية الموحدة ، وتحويل جميع ايرادات الصندوق القومي لحساب الجيش ، ووضع الدائرة العسكرية تحت اشراف قيادته . وعلى أثر المؤتمر قام الاردن بقطع علاقاته مع المنظمة .

وبالرغم مـن سوء الاحوال المالية للمنظمة والجيش ، وسوء علاقاتهما ببعض الدول العربية فقد تمت انجازات ايجابية تتلخص في تحسين مستوى الجيش تدريبياً وتسليحياً ، وتخريج دفعة من الضباط الفلسطينيين من الكليات الحربية العراقية بعد ان مكثوا في دوراتهم مدة ثلاث سنوات ، وقيام المنظمة بتخصيص ٨٥ ٪ من ميزانيتها للجيش ، وتحديد مدة الخدمة الاجبارية للفلسطينيين في جيش التحرير بسنتين بدلا من ثلاث سنوات ، وارسال دورات لتلقي التدريب في الصين الشعبية ، وتطوير علاقاته مع دول الكتلة الشرقية (الصين ، وروسيا ، وفيتنام) وكان ذلك دافعاً الى ظهور اول رد فعل اميركي على لسان الناطق الصحفي للبيت الابيض الذي أعلن أن الولايات المتحدة ستقطع عن اعضاء جيش التحرير إعاشات وكالة غوث اللاجئين . كذلك شهد هذا

العام منعطفاً خاصاً في تاريخ نشأة الجيش . في ١٩٦٦/٦/٧ أصدر الشقيري قراراً بوضع جيش التحرير في سورية تحت أمرة القيادة السورية ، وذلك أثر التهديدات والتحرشات الاسرائيلية على الجبهة السورية . واخيراً فقد كانت العقبة المالية التي واجهت المنظمة سبباً في توقف المرحلة الثانية من خطة إنشائه في نهاية عام ١٩٦٦ .

المرحلة الثالثة (عام حرب حزيران ١٩٦٧) : وقد تميزت هذه المرحلة بحدثين هامين ، أولهما : هزة داخلية تعرض لها الجيش في شباط (فبراير) ١٩٦٧ كشفت عن وجود خلافات في وجهات النظر بين قيادة الجيش من جهة وبين القيادة السياسية لمنظمة التحرير من جهة ثانية . وثانيهما : ان اشتراك جيش التحرير في معركة حزيران كان بمثابة نقطة تحول جذري في مسيرته ، اذ استنفرت قواته استنفاراً عاماً ، ووضعت وحداته في سورية والعراق تحت أمرة كل من البلدين ، كما وضعت في قطاع غزة تحت أمرة مصر في ١٩٦٧/٥/٢١ . وكان عدد قوات جيش التحرير في ذلك الوقت – بحسب تقديرات معهد الدراسات الاستراتيجية البريطاني – حوالي ٣٠ ألف جندي نظامي منهم حوالي ١٠ آلاف فقط كانوا مرابطين في الخنادق الاولى من الجبهة الجنوبية في قطاع غزة عشية حرب حزيران . وعند انفجار الجبهة في صباح الخامس من حزيران اختارت قوات الغزو الاسرائيلية بقيادة الجنرال « تال » مهاجمة مدينة رفح من جهة خان يونس فتصدت لها قوات جيش التحرير الفلسطيني في اول مواجهة واسعة وشاملة . وبرغم القتال الدامي سقطت مدينة رفح بيد القوات المعادية (انظر رفح ، معركة) . وفي صباح اليوم الثاني قام لواءان مصفحان اسرائيليان يدعمهما غطاء جوي كثيف بمهاجمة العريش ، كما قامت القوات الاسرائيلية التي كانت تهدد غزة وخان يونس بالهجوم على مواقع جيش التحرير . وقد وصف الجنرال « تال » هذه المعركة « بأنها كانت وحشية ، فالمواقع العربية كانت مخبأة باحكام والنيران المضادة للدبابات بصورة خاصة بالغة الدقة ، لكن التفوق الجوي الاسرائيلي الكامل هو وحده الذي جعل من الممكن الاستيلاء على خط رفح – العريش بعد ٢٦ ساعة من القتال المستمر » . ولم تنته مقاومة افراد جيش التحرير في القطاع بعد الاحتلال الاسرائيلي . ورغم أنه لا توجد تفصيلات عن دور الجيش الفلسطيني خلال معارك حزيران ، إلا أن المصادر الغربية والاسرائيلية أجمعت على ان القوى التي قاتلت في القطاع هي قوى جيش التحرير الفلسطيني ، وان هذا الجيش قاتل ببطولة حتى الموت .

المرحلة الرابعة (ما بعد الحرب حتى نهاية سنة ١٩٦٨) : بعد انتهاء الحرب كانت الهزيمة العسكرية والسياسية التي ألحقتها اسرائيل بالدول العربية قد أدت – على الصعيد الفلسطيني – إلى إعادة النظر في أوضاع منظمة التحرير . ومع بداية شهر كانون الاول سنة ١٩٦٧ ، بدأ وضع المنظمة الداخلي يتأثر بفعل التطورات التي شهدتها الساحة الفلسطينية . وكان من نتيجتها استقالة الشقيري وتولي السيد يحيى حموده – أحد أعضاء اللجنة التنفيذية – رئاسة المنظمة بالوكالة . كما أدت الهزيمة الى اتساع نطاق الدعوة الى الكفاح المسلح القائم على الحرب الفدائية ، الامر الذي تأثر به جيش التحرير بصورة خاصة بعد ظهور اتجاه في منظمة التحرير ولدى الرأي العام الفلسطيني يدعو الى تطوير الجيش واستخدام كافة امكاناته الفنية والبشرية والمادية بما يخدم خط الكفاح الشعبي المسلح ، وقيام المنظمة باعادة تنظيمه وتدريبه على عمليات قوات الصاعقة وتسليحه بأسلحة تلقتها من دول عدة بينها الصين الشعبية . وكان لبروز دور المنظمات الفدائية الفلسطينية بعد ذلك أثر في تبني الجيش لفكرة الكفاح المسلح من خلال إنشاء قوات فدائية هي « قوات التحرير الشعبية » التي تم تشكيلها في شباط ١٩٦٨ ، وأعلن عنها في بيان وجهته قيادة الجيش الى مؤتمر المحامين العرب الذي عقد في ايلول سنة ١٩٦٨ .

وقد تميزت هذه المرحلة أيضاً بدخول القيادة العامة للجيش في صراع مع القيادة السياسية للمنظمة بدأ مع اول مؤتمر وطني فلسطيني بعد الهزيمة ، في ١٩٦٧/٧/١٠ ، الذي صدرت عنه عدة قرارات عسكرية منها « العمل على تدعيم جيش التحرير وزيادة حجمه وتطويره وجعله حر الارادة والقيادة وتكليف اللجنة التنفيذية باتخاذ جميع الاجراءات اللازمة لذلك ، والعمل على تمكين قوات جيش التحرير من ان ترابط في الاماكن التي ينبغي ان ترابط فيها لصالح الثورة الفلسطينية » ، ومنها تعديل المادة (٢٢) من النظام الاساسي للمنظمة بحيث اصبحت كما يلي : « تكون لجيش التحرير الفلسطيني قيادة مستقلة تعمل تحت اشراف اللجنة التنفيذية وتنفذ تعليماتها وقراراتها الخاصة والعامة » . ثم قامت اللجنة التنفيذية على أثر ذلك باقرار بعض التغييرات ، منها منصب رئاسة الاركان ، واجراء بعض التنقلات في صفوفه جوبهت بمعارضة داخلية انتهت باستقالة العميد الركن عبد الرزاق اليحيى وتعيين العميد الركن مصباح البديري رئيساً للاركان العامة ، ومنحه اختصاصات القائد العام للجيش في ١٩٦٨/١٢/١٤ .

المرحلة الخامسة (١٩٦٩ – حرب تشرين ١٩٧٣) : حين عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته الخامسة في القاهرة في الفترة ما بين الاول والرابع من شباط (فبراير) سنة ١٩٦٩ ، شهدت هذه الدورة تبدلا هاماً في تركيب المنظمة وذلك بانتخاب لجنة تنفيذية جديدة برئاسة السيد ياسر عرفات (أبو عمار) وتضم ممثلين عن معظم التنظيمات الفلسطينية ، كما اسند الى السيد ياسر عرفات رئاسة الدائرة العسكرية علاوة على رئاسة المنظمة . وبعد انتهاء جلسات المجلس الوطني قام ياسر عرفات يرافقه أعضاء اللجنة التنفيذية بزيارات تفقدية لجيش التحرير في جبهة السويس والاردن وسورية ، واعلن ان قطاعات من جيش التحرير الفلسطيني سوف تنتقل بمعداتها ورجالها الى الارض الفلسطينية وان الجيش سيحول الى جيش ثوري وسيتم تطويره وزيادة عدده وانه لن يكون مجرد جيش نظامي تقليدي بل سيكون النواة المركزية الاساسية لجيش الثورة . وقد قوبل هذا التصريح بالاستجابة في اوساط الجيش . وفي أوائل شهر حزيران ١٩٦٩ أصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير قراراً يقضي بقبول استقالة العميد مصباح البديري وتعيين العقيد الركن عثمان حداد رئيساً للاركان خلفاً له ، وقراراً بتعيين العميد عبد الرزاق اليحيى قائداً عاماً للجيش والعميد فتحي سعد الدين نائباً للقائد العام .

وتتميز هذه المرحلة بأن جيش التحرير الفلسطيني في ظل قيادته الجديدة اصبح اكثر التصاقاً بالاحداث الفلسطينية ، كما شارك قوات الفدائيين الفلسطينيين عملياتهم ضد اسرائيل بشكل مادي ومباشر ومنها عملية « الحزام الاخضر » في آب ١٩٦٩ وعملية « البكر » في ايلول ١٩٦٩ . وشارك في صد الهجمات الاسرائيلية التي شنتها اسرائيل على القوات الفلسطينية في جنوب لبنان وعلى المخيمات الفلسطينية ، كما شارك مشاركة إيجابية في الدفاع عن حركة المقاومة الفلسطينية خلال ازمات نيسان وتشرين الثاني من سنة ١٩٦٩ في لبنان ، وشباط وحزيران وايلول سنة ١٩٧٠ في الاردن ، وايلول سنة ١٩٧٢ في لبنان ، وايار سنة ١٩٧٣ في لبنان .

وعلى صعيد العلاقات الداخلية الفلسطينية شهدت هذه المرحلة أيضاً فصلا جديداً من النزاع بين القيادة الجديدة لجيش التحرير والقيادة السياسية للمنظمة حول وجهات نظر كل منهما : ومنها إعادة النظر

في تشكيل المجلس الوطني الفلسطيني . وفي النصف الاول من تموز ١٩٧١ عقد المجلس الوطني دورته التاسعة بعد ان أعيد تشكيله « تلبية لرغبة جماهير الشعب واستجابة لطلب القوى العاملة في الساحة الفلسطينية والمذكرات التي تقدم بها جيش التحرير ». وقد ألغى هذا المؤتمر منصب القائد العام للجيش وابقى على منصب رئيس الاركان ومنحه صلاحيات القائد العام ، كما عين المجلس العميد مصباح البديري رئيساً للاركان ومنحه صلاحيات قائد الجيش العميد عبد الرزاق اليحيى الذي قدم استقالته . ولكن الخلاف في وجهات النظر استمر وتبدل نوعياً أثر قيام العميد البديري بشجب عملية مقتل السيد وصفي التل رئيس وزراء الاردن السابق في أواخر تشرين الثاني ١٩٧١ التي نفذتها حركة المقاومة الفلسطينية . ومنذ ذلك الحين لم يجز أي تبديل في موقف جيش التحرير من القضايا الفلسطينية والعربية غير عودة قوات القادسية الى العراق، وقوات عين جالوت الى السويس ، وبقاء قوات حطين في مواقعها على الاراضي السورية . كما ان هناك كتيبة من قوات جيش التحرير في الاردن بقيادة العقيد نهاد نسيبه وكتيبة أخرى في جنوب لبنان .

المرحلة السادسة (حرب تشرين ١٩٧٣) :

تميزت هذه المرحلة بدخول جيش التحرير الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل تحت قيادة البلاد العربية المضيفة . وعندما دخل الجيش هذه الحرب كان عبارة عن وحدات مشاة نظامية خفيفة مسلحة بأسلحة خفيفة ومتوسطة ، تتمتع بمعنويات عالية وتدريب راق ومعرفة جيدة بالاراضي المحتلة ، وتستطيع القيام بمهمات وحدات المغاوير المحمولة بالهليكوبتر ومهمات المشاة المرافقة لدبابات الاقتحام ومهمات التخريب وحرب العصابات وراء خطوط العدو . وقد اسهمت قواته اسهاماً جيداً الى جانب الجيوش العربية وذلك بهدف تصعيد الحرب والمحافظة على استمرارها ، ففي جبهة القناة ساهمت عين جالوت (٣ كتائب مغاوير ووحدات إسناد ودعم) وعملت مع قطعات الجيش المصري وبقيت متمركزة عندها بعد وقف اطلاق النار . وفي الجولان قاتلت قوات حطين (٣ كتائب مغاوير ووحدات اسناد ودعم) الى جانب قطعات الجيش السوري وساهمت في تحرير رؤوس الجبال على حدود الارض المحتلة وهي لا تزال متمركزة معها على الجبهة السورية ، كما انتقلت قوات القادسية (كتيبتا مغاوير ووحدات اسناد ودعم) برفقة قطعات الجيش العراقي الى سوريا وشاركت في القتال وبقيت متمركزة على الجبهة السورية حتى الآن ولم تعد الى العراق بعد وقف اطلاق النار ، واشتركت كتيبة جيش التحرير المتمركزة في لبنان في العمليات عبر الحدود اللبنانية – الاسرائيلية ، على حين أدى الموقف الأردني ، وعدم فتح الجبهة الشرقية إلى تجميد كتيبة جيش التحرير المتمركزة في الأردن .

(٨) الجيش الثامن

في عام ١٩٣٩ ، ومع بداية الحرب العالمية الثانية ، عين الجنرال « ويفل » قائداً عاماً للقوات البريطانية في الشرق الاوسط . وكان جيش النيل المكلف بالدفاع عن مصر لا يضم اكثر من ٨٠٠٠ جندي بريطاني ولواء من الفرقة الهندية الرابعة . وبعد اعلان الحرب وصل لواء هندي آخر . وفي شباط (فبراير) ١٩٤٠ وصل ارض مصر لواء استرالي وآخر نيوزيلاندي . وفي ربيع ١٩٤٠ ، كان مجموع قوة جيش النيل تساوي ٣٦٠٠٠ مقاتل تقريباً . ونظراً للتفوق الساحق في ميزان القوى لصالح الجيش الايطالي ، فقد نظم « ويفل » الاعمال القتالية على الجبهة الغربية (جبهة ليبيا) بممارسة اعمال الاغارات والهجمات الموضعية الصغرى وسميت القوة البريطانية المخصصة لهذه المهمة بقوة الصحراء الغربية وعهد بقيادتها الميدانية إلى الجنرال «اوكونور».

وفي ١٣ ايلول (سبتمبر) بدأ الجنرال الايطالي غرازياني هجومه ضد مصر ، ووصلت قواته بعد ثلاثة أيام الى سيدي براني ، مبتعدة عن قواعد انطلاقها مسافة ٦٠ ميلا . ثم توقفت هناك . وفي ليل ٩ كانون الاول (ديسمبر) وبعد ان وصلت امدادات لقوة الصحراء الغربية ، وامكن إنهاء التدريب والتحضير للمعركة ، بدأ « ويفل » هجومه المضاد الذي استمر شهرين كاملين . وفي يوم ١٠ شباط (فبراير) ١٩٤١ كان جيش «اوكونور» قد استولى على شريط ارضي يمتد ٨٠٠ كم ، واحتل مدن بنغازي والعجيلة. وكانت نتيجة المعركة تدمير جيش ايطالي باكله مكون من اربع فيالق فيها تسع فرق وجزء من فرقة عاشرة ، وأسر ١٣٠٠٠٠ مقاتل، والاستيلاء على ٤٠٠ دبابة و ١٢٩٠ مدفعاً ، علاوة على كميات كبرى من الاسلحة والذخائر والاعتدة المختلفة .

واضطر « ويفل » ، بعد معركة بنغازي الى نقل قسم من الجيش الى اليونان لمواجهة القوات الالمانية المتقدمة هناك . ووقعت معارك بين أنصار حكومة فيشي وانصار ديغول في سوريا ولبنان . وتفاقمت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق مما تطلب ارسال قوات لتحقيق الاستقرار . واصبح موقف قوة الصحراء الغربية ضعيفاً ، ولقد وصفه «ويفل»ذاته بقوله « لقد كانت الواجبات والاعمال تزيد كثيراً على الامكانات والوسائل » .

وفي ٣١ آذار (مارس) بدأ « ويفل » بسحب قواته أمام استمرار الضغط الذي كان يمارسه رومل، فأخليت بنغازي ، وأبيدت الفرقة المدرعة الأولى التي كانت قد وصلت من انكلترا حديثاً ، واجتاح الالمان اللواء الهندي الميكانيكي الثالث ، كما ضربوا حصاراً على الفرقة الاسترالية التاسعة في طبرق ، وضاعت البردية والسلوم وكابوزو . وفي شهر حزيران (يونيو) عين « ويفل » قائداً عاماً لقوات الحلفاء في الهند . وتم تعيين اوكنلك قائداً عاماً في الشرق الاوسط . وكان الجنرال كننغهام يقود العمليات على الجبهة الغربية .

وقبيل بدء هجوم الشتاء البريطاني الكبير الذي عرف بمعركة « كروسيدر» اعيد تنظيم قوة الصحراء الغربية وزاد حجمها بحيث أصبحت تضم فيلقين (الفيلق ١٣ ، والفيلق ٣٠) واطلق عليها اسم «الجيش الثامن» وذلك بعد أن وقع الجنرال « اوكونور » في الاسر عند بلدة المخيلي أثناء هجوم رومل . ولكن فشل كننغهام في معركة سيدي رزق ، حمل الجنرال « نيل ريتشي » على قيادة العمليات في الفترة من تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٤١ حتى حزيران (يونيو) ١٩٤٢ . واستطاع رد جيوش المحور بقيادة المارشال رومل حتى العجيله في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ . ولكن الخسارة الكبيرة في دباباته وسرعة قيام رومل بهجوم مضاد بعد اسبوعين فقط، حملتاه على التراجع حتى خط الغزاله – بير حكيم . وسقطت طبرق واستسلمت حاميتها المكونة من ٣٠٠٠٠ رجل بعد نجاح رومل في الالتفاف حول بير حكيم والقضاء على القوة الرئيسية للمدرعات البريطانية .

وعلى أثر هذه العمليات البريطانية الفاشلة تم نقل اوكنلك ، وتعيين الكسندر للقيادة العامة و « غوت » لقيادة الجبهة في آب (اغسطس) ١٩٤٢. بيد أن طائرة المانية اعترضت الطائرة التي تحمل « غوت » واسقطتها ، فتم تعيين مونتغومري للقيادة . ووصل مونتغومري مصر ، وبدأ عمله في يوم ١٣ آب (أغسطس) ١٩٤٢ .

عمل مونتغومري على إعادة تنظيم القوات ودراسة الموقف ، والقيام بجولة استطلاعية وجولات تفقدية متتابعة لوحداته المقاتلة المنتشرة في الصحراء . وكانت القوات في حالة معنوية سيئة نتيجة للخسائر الكبيرة التي أصابتها. وكانت قوات الجيش الثامن مكونة من الفيلق العاشر المدرع (الذي يضم ثلاث فرق) ، ولواءين

مدرعين ، و ٦ فرق مشاة هي : الفرقة الاسترالية التاسعة ، والفرقة الهندية الرابعة ، وفرقة جنوب افريقيا الاولى ، والفرقة هايلاندرز الواحـــدة والخمسين والفرقتين البريطانيتين ٤٤ و ٥٠ ، ومجموعات قتالية للقوات الفرنسية واليونانية .

وكان هذا الجيش منتشراً عــلى خط طوله ٤٠ ميلا يمتد من منخفض القطارة حتى قرية العلمين. فعمل مونتغومري على اعتماد قوة المشاة للاعمال الدفاعية. واستهدف فصل المشاة الالمانية عن مدرعاتها ، وعمل على تكوين قوة احتياطية في المنطقة الخلفية . كما شكل مجموعة اقتحام تضم فرقتين مدرعتين والفرقة النيوزيلاندية الثانية ، واطلق على هذه المجموعة اسم الفيلق العاشر المدرع . وكانت القوى المدرعة مسلحة بالدبابات الاميركية التي وصلت حديثاً الى مصر ، وبمدافع ذاتية الحركة . وركز مونتغومري جهده لإعادة التدريب ورفع الروح المعنوية . واصبح الجيش الثامن على استعداد كامل للبدء في تنفيذ العمليات الهجومية . وذلك بعد أن نجح في صد هجوم رومل في معركة علم حلفا . (انظر علم حلفا) .

في يوم ٢٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٢ ، بدأ الجيش الثامن الهجوم العام في العلمين بعد مرحلة من التحضير الدقيق . وقد حاولت القوات الالمانية التمسك بمواقعها ، ووقعت معارك طـاحنة انتهت بنجاح الجيش الثامن في أحداث خرق في القطاع الاوسط . ثم بدأت القوات في توسيع الثغرة التي انتهت الى خلف القوات الالمانية . وبدأت المرحلة الثانية من العملية حيث دارت أعنف معارك الدبابات عند تل المقاقير ، بين دبابات الجيش الثامن والدبابات الالمانية ، وانتهت المعركة بوقوع ٧٨٠٢ الماني و ٢٢٠٧١ ايطالياً في قبضة الجيش الثامن حتى يوم ٤٢/١١/٣ (انظر معركة العلمين) .

استمرت معركة العلمين تسعة أيام هي فترة المرحلة الاولى . اما المرحلة الثانية والتي تم فيها القضاء على السلاح المدرع الالماني فانها لم تستغرق اكثر من ساعات معدودة . وتابع الجيش الثامن بعد ذلك تقدمه بسرعة لمطاردة القوات الالمانية . وقد نجحت بعض قطعات الفيلق الافريقي من الانسحاب بسرعة والوصول الى تونس . فاستولت قوات الجيش الثامن على ممر حلفا ، والسلوم ، وطبرق ، ودرنه ، وبنغازي ، والعجيله ، خلال فترة ١٣ أسبوعاً اجتازت فيها قوات الجيش الثامن مسافة ١٣٠٠ ميل ، عبر سلسلة من الصعوبات الادارية والمعارك الدامية .

كانت القوات الاميركية وقوات الحلفاء قد عملت على إنزال قطعاتها فوق اراضي المغرب العربي في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢ ، ولكن هذه القوات لم تنجح في الاستيلاء على بعض الموانئ الهامة كميناء بنزرت وميناء تونس . فدفـع مونتغومري قوات الجيش الثامن المدرعة للقيام بحركة التفاف واسعة حول خط الدفاع الالمـاني (خط ماريت) . ووجدت القوات الالمانية نفسها – بعد عدة معارك خاسرة في تونس– مرغمة على الاستسلام . وامكن بذلك القضاء على وجود قوات المحور في شمالي افريقيا ، واصبح بامكان الحلفاء نقل عملياتهم الى مسرح آخر هو اوروبا .

أعاد مونتغومري تنظيم الجيش الثامن بعـد المعركة ، ثم انتقل به الى صقلية . وفي شهري تموز وآب (يوليو واغسطس) ١٩٤٣ ، خاض الجيش الثامن أعنف معاركه واكثرها قسوة في صقلية . وعندما انتهت تلك العمليات كان الجيش الثامن اول قوة تقتحم اوروبا . في ٣ ايلول (سبتمبر) ، وهو اليوم الذي وقعت فيه ايطاليا الهدنة ، نزلت قوات الجيش الثامن في ريجيو كالاريا ، في الوقت الذي كان فيه الجيش الخامس الامريكي يقوم بالانزال في سالرنو . ونظراً لان الجيش الثامن كان عماد القوة الضاربة في ايطاليا فقد تولى مونتغومري قيادة العمليات فيها حتى ٢٤ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٤٣ حيث نقل « مونتغمري » إلى بريطانيا لتولي قيادة القوات البرية في عملية «اوفرلورد» (غزو النورماندي) . وفي ١ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٤ أسندت قيادة الجيش الثامن للجنرال «اوليفرليس» الذي بقي في هذه القيادة خلال المرحلة المتبقية من الحملة الايطالية .

(١١) جيش الجهاد المقدس

تشكل جيش الجهاد المقدس في فلسطين نتيجة لتلاقي عدة تنظيمات سرية شبه عسكرية ، في الفترة الواقعة بين ٢٥ و ٣٠ نيسان (ابريل) ١٩٣٦ ، لتوحيد جهودها ، وتنظيم نضالها ضد الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية ، بهدف الحفاظ على عروبة فلسطين . وقد كانت هــذه المنظمات تعمل بمعرفة القيادة الوطنية الفلسطينية وتوجيهها ، إلا أن الامكانات العسكرية والمادية المحدودة لهذه المنظمات كانت تؤثر على أعمالها وتجعلها تشتد وتهدأ حسب الظروف .

في شهر آذار (مارس) عام ١٩٣٦ تأزمت الاوضاع في فلسطين وشملت الاضطرابات كافة المدن والمرافق الحيوية ، واستمرت حتى ١٩ نيسان (ابريل) عام ١٩٣٦ .

وعلى أثر ذلك تشكلت اللجان القومية في جميع المدن الفلسطينية للإشراف على الاضراب وشد أزر القائمين به ، وتنادت الاحزاب الوطنية، شعوراً منها بالخطر المحدق على البلاد ، من أجل توحيد الجهود وتشكيل هيئة موحدة تمثل إرادة الشعب الفلسطيني وتعبر عن آماله وأمانيه، وكان ذلك يوم ٢٥ نيسان (ابريل) في دار اللجنة القومية في القدس . وقد انبثقت عن هذا الاجتماع اللجنة العربية العليا التي ضمت تسعــة أشخاص يمثلون مختلف الأحزاب الفلسطينية ، واسندت رئاستها الى سماحة مفتي فلسطين محمد أمين الحسيني .

وكان أول قرار لهذه اللجنة هو دعوة الشعب الى مواصلة الإضراب ، وإعلان الكفاح حتى تبدل الحكومة البريطانية سياستها ، وتعدل عن خطتها الرامية الى تحقيق وعد بلفور وإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، عن طريق تشجيع الهجرة ، ومنح الصهاينة تسهيلات كبيرة لاغتصاب الأراضي ومزاحمة السكان العرب على ممتلكاتهم . وقد كان لهذا القرار أثره في نفوس قادة المنظمات السرية ، شبه العسكرية ، التي قررت بدورها توحيد جهودها وتنظيم صفوفها ، أسوة بالأحزاب السياسية . وبعد عدة اجتماعات ، اتصفت بالايجابية والحماس ، تم الاتفاق على توحيد كافة المنظمات في جيش واحد ، اطلق عليه اسم « جيش الجهاد المقدس » ، وذلك في الثلاثين من نيسان (ابريل) عام ١٩٣٦ ، وقد اسندت قيادته الى القائد عبد القادر الحسيني . وتعبيراً عن مباركة اللجنة العربية العليا لتشكيل جيش الجهاد المقدس ، فقد أخذت على عاتقها مهمة الانفاق على هــذا الجيش والإشراف على تسليحه وتطويره ، وأوعزت الى فروعها في البلاد ، ومناصريها في الخارج ، كي يجمعوا التبرعات ويتصلوا بالمسؤولين العرب طلباً للمعونة والسلاح .

ولكن الظروف لم تمهل قيادة جيش الجهاد المقدس كي تتمكن من تدريب المتطوعين وتزويدهم بالاسلحة والذخائر اللازمة لأي مواجهة محتملة مع الاعداء ، فدعا عبد القادر الحسيني اعضاء مجلس القيادة وزعماء المجاهدين الى عقد اجتماع في زاوية تقع داخل ساحة الحرم المقدسي الشريف ، في أول أيار (مايو) ١٩٣٦ ، حيث تـدارس المجتمعون الاوضاع المستجدة في البلاد ، وتشكلت لديهم قناعة تامة « بأن الحكومة البريطانية لن تبدل موقفها ، ولن تدخل أي تعديل على سياستها الظالمة ، وانها مصممة على تحقيق خطتها التي تستهدف تهويد فلسطين

وإزالة طابعها العربي . لأجل هذا ولقصد الدفاع عن فلسطين وحماية شعبها وصيانة عروبتها ، اتخذ المجتمعون قراراً بوجوب التمرد والعصيان على الحكم البريطاني ، والقيام بثورة مسلحة عامة ، وبتفويض عبد القادر الحسيني ومكتب القيادة العامة للتنظيم في القدس إعلان بدء هذه الثورة في الظرف الذي يرونه مناسباً .

وإزاء إصرار بريطانيا على تحديها للعرب ، و سماحها للهجرة اليهودية بالاستمرار ، ونظراً لعدم جدوى المظاهرات والاحتجاجات والبرقيات في حمل الحكومة البريطانية على تبديل سياستها ، فقد عقد مجلس قيادة التنظيم السري لجيش الجهاد المقدس ، اجتماعاً طارئاً في القدس قبل ظهر ٦ أيار (مايو) برئاسة عبد القادر الحسيني للبحث في الوضع ، والنظر في تنفيذ القرار الذي اتخذه المجلس في أول أيار (مايو) بإعلان الثورة في الظرف المناسب . ونتيجة للمداولات التي دارت في هذا الاجتماع ، والاتصالات التي جرت مع الزعامة السياسية ، تقرر إعلان الثورة في السابع من أيار (مايو) عام ١٩٣٦ .

وهكذا بدأت ثورة فلسطين الكبرى في عام ١٩٣٦ . فعلى أثر صدور القرار بإعلان الثورة وتعميمه على المجاهدين خرج عبد القادر الحسيني في منتصف ليل ٦ — ٧ أيار (مايو) ، ومعه عدد من رجال جيش الجهاد المقدس ، الى أماكن جبلية كانت قد اختيرت من قبل لتكون قواعد للمجاهدين ومراكز لانطلاقهم . وفي فجر السابع من أيار (مايو) اطلق عبد القادر الرصاصة الاولى ايذاناً ببدء الثورة ، وذلك في قرية « بيت سوريك » (شمال غربي القدس) وانقض المجاهدون على ثكنة للجيش البريطاني بالقرب منها ، ودمروا مركز الرادار فيها ، ثم انطلقوا الى منطقة القسطل لقطع طريق المواصلات الرئيسي بين يافا والقدس . وفي الوقت نفسه اندفعت قوات الجهاد المقدس من قواعدها في بتير وقالونيه وعين كارم وساريس وابوديس وقطنه وصوبا والعيسوية وغيرها من قرى قضاء القدس لمهاجمة ثكنات الجيش ومراكز الشرطة وحرس المعسكرات اليهودية ، في حين انطلقت فرق التدمير التابعة للجهاد المقدس لنسف الجسور وبعض طرق المواصلات ، وزرع الالغام تحت الخط الحديدي ، وعلى الطرقات التي كان من المتوقع وصول النجدات العسكرية البريطانية عبرها ، وتقويض أعمدة الهاتف والبرق وقطع الاسلاك ... اما في مدينة القدس نفسها ، فقد انطلقت فصائل المجاهدين وخلاياهم المخصصة للعمل داخل المدينة ومهاجمة مراكز الجيش والشرطة ، وإشعال النيران في دوائر الحكومة وزرع الالغام في المناطق المحيطة بها وفي الاحياء اليهودية . ووقعت في سائر أنحاء فلسطين أعمال مماثلة لتلك التي قام بها المجاهدون في منطقة القدس .

وكان لهذا النضال المسلح أصداؤه الواسعة في البلاد العربية ، اذ سرعان ما انضم اليه المتطوعون والمجاهدون من ابناء سورية والعراق ولبنان وشرقي الاردن ، وكان معظمهم يحسن استعمال الاسلحة ، نظراً لخدمته العسكرية السابقة . وهكذا اشتد أزر جيش الجهاد المقدس ، وتمكن من خوض عدة معارك ناجحة ضد المستعمرين الانكليز والصهاينة . **(انظر الحركات الثورية في فلسطين–ثورة١٩٣٦)** .

وعندما توقفت الثورة ، إثر تدخل الملوك والرؤساء العرب ، لم يلق جيش الجهاد المقدس سلاحه ، وانما لجأ الى اسلوب جديد في العمل ، وهو إنشاء الخلايا السرية داخل البلاد وخارجها ، وتزويد المتطوعين بالسلاح والذخيرة والمال ، استعداداً لخوض معارك جديدة متوقعة مع القوات الانكليزية والصهيونية .

وبعد اغتيال حاكم لواء الجليل البريطاني أندروز في ٢٩ أيلول (سبتمبر ١٩٣٧) في مدينة الناصرة ، استأنف الفلسطينيون ثورتهم ، وشملت هذه المرة كافة المدن والمرافق الحيوية في البلاد . وقد سيطرت قوات الثورة وجيش الجهاد المقدس على القدس القديمة وبيت لحم وبئر السبع واللد وجنين وغيرها من المدن الرئيسية ، بالاضافة الى عشرات القرى المجاورة لها . واستمرت الثورة حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية ، حيث قطعت بريطانيا على نفسها وعداً بإنصاف الفلسطينيين وتحقيق مطالبهم ، مقابل إيقاف العمليات العسكرية .

كان جيش الجهاد المقدس ، بسبب ظروف نشأته وتكوينه ، يتألف من عدة تشكيلات خاصة ، حسب ظروف العمل والمهمات المنوطة بكل منها ، ومن أهم هذه التشكيلات : **أ — الفصائل المقاتلة :** وتضم الفلسطينيين والمتطوعين العرب ، ومهمتها نشر الثورة ، وقطع طرق المواصلات ، ومواجهة أعمال الإرهاب الصهيوني . وكانت الهيئة العربية العليا تساهم في تمويل وتسليح هذه الفصائل التي كان يتراوح عدد كل واحدة منها بين ٨ — ١٠ مقاتلين من مستويات عسكرية متباينة ، **ب — المجاهدون المرابطون :** وتتكون تنظيماتهم من المواطنين المقيمين في القرى ، للدفاع عن قراهم ، والتصدي لهجمات العدو . وقد قدر عددهم باكثر من ١٨ ألف مجاهد ، متوسطي التدريب والتسليح ، **ج — فصيل التدمير :** وكان هذا الفصيل يتألف من الاختصاصيين بعمليات النسف والتدمير . وقد شهد هذا الفصيل تطوراً نوعياً بفضل من انضم اليه من العناصر المدربة والجنود الفلسطينيون الذين خاضوا غمار الحرب العالمية الثانية الى جانب القوات البريطانية ، **د — فصيل الاغتيال :** وكان عموده الفقري من العناصر الفلسطينية المتحمسة ، ومهمته الاساسية اغتيال الخونة ، وباعة الأرض لليهود ، والعناصر الانكليزية المعادية لعروبة فلسطين . وقد احدث هذا الفصيل ارهاباً فكرياً قوياً في البلاد ، خاصة بعد اغتيال حاكم الجليل . ولم تنج من عملياته الشخصيات الفلسطينية المتعاملة مع الانكليز ، او التي يشك بولائها للشعب الفلسطيني وقضيته النضالية .

اعتمد جيش الجهاد المقدس على مصادر مختلفة لتأمين السلاح . فكان يشتري البعض ويتلقى البعض الآخر كتبرعات من الدول العربية المتعددة ، مما أدى الى عدم توحيد السلاح والذخيرة ، الأمر الذي اضعف القوة العسكرية للجيش ، وخلق المشاكل والصعوبات الإدارية لتزويد الفصائل المختلفة بالذخيرة وقطع التبديل ، إضافة الى ضعف الجهاز الفني المختص بالتخزين والتوزيع والصيانة والتصليح . وقد حصل جيش الجهاد المقدس ، بوسائل مختلفة ، على اسلحة متعددة الانواع بعضها مصنوع قبل الحرب العالمية الأولى . وأهمها : ٥٣٩٦ بندقية مختلفة الصنع (بما فيها بعض البنادق الألمانية والبلجيكية) ، ٣٦٤ رشيشة (رشاش قصير) توميغن وستن ، ٣٠٩ مسدسات من أنواع مختلفة ، ٣١٩ رشاشاً خفيفاً انكليزياً ، ١٤٦٧٤٠ قنبلة يدوية (دفاعية وهجومية) ، ١٨٠ رشاشاً ، ٢٣ مدفع هاون فرنسي وانكليزي ، ١٩٠ قاذفاً صاروخياً مضاداً للدبابات ، ٣٨٦٧ لغماً من انواع مختلفة ضد الآليات والافراد ، ٣٣٠٠٠ صاعق عادي ، ٨٠٠٠ كلغ متفجرات معظمها بارود أسود ، ٦ ١٠٢ ٢١٦ طلقة بندقية (كان قسم منها غير صالح للاستعمال) ، ٥٦٦ ٢٥٧ طلقة رشاش خفيف ، ١١٨ ٢٦٧ طلقة رشاش ، ٢٤٢ ٤ طلقة مسدس ، ٥٤٤ ٦٧ قذيفة مدفع ضد الآليات ، ٤٨٣ ١٢ قذيفة هاون من عيارات مختلفة ، بالاضافة الى بعض التجهيزات العسكرية .

وكانت قيادة جيش الجهاد المقدس تشكو من قلة الامكانات المادية المتوفرة ، وعدم توفر وسائط الاتصالات السلكية واللاسلكية بشكل منتظم ، وندرة وسائل النقل الضرورية لدفع النجدات من قرية الى اخرى عند الحاجة ، وعدم توفر الكوادر الفنية من عسكريين ومدنيين . ولقد أدت كل هذه الاسباب

إلى جعل قوات جيش الجهاد المقدس تمر بمواقف يصعب حلها حتى على القوات النظامية التي تفوقها عدداً وعتاداً . ومع هذا فقد تمكنت وحداته من خوض عدة معارك ناجحة بالقياس الى الامكانات الضئيلة المتوفرة لها ، وسعة منطقة انتشارها .

وكانت قوات جيش الجهاد المقدس موزعة على سبع مناطق رئيسية تغطي معظم الأراضي الفلسطينية قبل احتلالها ، وهي :

أ – **منطقة القدس** ، وتضم قواتها ٤ سرايا متحركة ، و ٤ سرايا تدمير ، ووحدة طبية ، وعدة مفارز دفاعية موزعة في انحاء القدس . وكانت المهام الموكلة الى هذه السرايا هي الدفاع عن القدس وضواحيها ، حيث كانت تتمركز في الشيخ جراح ، وباب الزاهرة ، والقلعة ، وقرية ابو ديس ، وصور باهر ، وبيت صفافا ، والقلمون ، ودير أبو ثور ، والبقعة ، والمنطقة الممتدة من القدس حتى الشيخ جراح وسلوان ووادي سواحرة والطور .

ب – **منطقة بيت لحم** ، وتضم قواتها ٥ سرايا متحركة ، وعدة مفارز دفاعية ، وفصيل فدائيين . وكانت هذه القوات مكلفة بالدفاع عن المناطق التالية : بيت لحم ، وبيت جالا ، وجبل المكبر ، والقاهرية ، وأرنا العروب ، والجبعة ، وصوريف ، وبيت عامر ، ودوره ، وترقومية ، وبيت عولا ، وصراس ، ونوبـا ، ووادي القف ، وبطـا ، والسموع ، وبني نعيم .

ج – **منطقة رام الله** ، وتضم قواتها سريتين متحركتين ، و ٦ سرايا من المتطوعين . وكانت هذه القوات موزعة على خط يمتد من شعفاط شمالي القدس الى باب الواد على طريق « يافا – القدس » ، حتى يصل الى طيرة بني صعب ، وتدخل ضمن هذا الخط الأماكن والقرى التالية : شعفاط ، والنبي شمويل ، وبيت فوريك ، وعين كارم ، وقالونيا ، والقسطل ، وبدو يالو ، وباب الواد ، وبيت تول ، ودير العرب ، وسريس ، وبيت محسير ، والأطرولة .

د – **المنطقة الغربية الوسطى** ، وتضم قواتها ٣ سرايا متحركة ، و ٣ سرايا تدمير ، ووحدتين طبيتين ، وبين ٢٠ و ٢٥ مفرزة ، و ٣ فصائل تدمير . وقد تم توزيع هذه القوات بشكل تتمكن معه من الدفاع عن يافا والرملة واللد والمجدل ووادي الصرار ، ولذا فقد قسمت الى عدة جبهات هي : جبهة مدينة يافا ، وجبهات القرى الواقعة الى الغرب من مدينة يافا ، وجبهات مدينة اللد والقرى المحيطة بها ، وجبهات الرملة وقراها ، وجبهات المجدل والقرى المحيطة بها .

هـ – **المنطقة الجنوبية** ، وتضم قواتها ٣ سرايا متحركة ، وعدة مفارز دفاعية ، وفصيل تدمير واحد . وكانت هذه القوات تتوزع على المدن والقرى التالية : غزة ، والمطار ، وجبل منطار ، والبريج ، وعران ، وسويدان ، ونقطة جمارك البحر ، وخان يونس ، ودير البلح ، والمجدل ، وبئر السبع .

و – **المنطقة الغربية** ، وتضم قواتها عدة مفارز لا يتجاوز عدد افرادها عن سريتين كاملتين . اما مناطق دفاعهـا فكانت تشمل : قلقيلية ، وطولكرم ، وجنين ، وبيادر عدس ، وجت ، ودير الغصون ، وعلار ، وقاقون ، وزيتا ، وشويكة ، وباقا ، وعنبتا ، وكفر اللد ، والطيبة ، وأم الفحم ، وصانور ، وقرى اللجون ، وفقوعة ، وزرعين ورمانة .

ز – **المنطقة الشمالية** ، وتضم قواتها ٤ سرايا متحركة ، و ٣ سرايا تدمير ، ووحدة طبية ، وبين ٣٠ و ٣٥ مفرزة ، و ٤ فصائل تدمير . وتشمل أماكن عمليات هذه القوات المناطق التالية : حيفا ، وعكا ، والناصرة ، وطبريا ، وبيسان ، وصفد ، بالإضافة الى اكثر من مائة قرية عربية موزعة في لواء الجليل . أما الاعمال التي قام بها جيش الجهاد المقدس في كافة ثوراته وانتفاضاته ، سواء كان ذلك بمفرده ام بالاشتراك مع المجاهدين بمبادراتهم الذاتية ، وقوات جيش الانقاذ فيما بعد ، فقد كانت في غالبيتها من نوع حرب العصابات ، كقطع طرق القوافل الانكليزية والصهيونية ، والإغارات الليلية على معسكرات الجيش البريطاني والمستعمرات اليهودية . وكانت أعنف مواقع المواجهة هي معركة الخضر (١٩٣٦) التي استشهد فيها المجاهد السوري سعيد العاص ، وجرح خلالها القائد عبد القادر الحسيني ، فاعتقله الانكليز وهو بين الموت والحياة ونقلوه الى المستشفى . إلا أن رفاقـه من فصائل الفدائيين قاموا بعملية فدائية على المستشفى وتمكنوا من انقاذه ونقله الى دمشق ، فعولج هناك من جراحه .

ومن أشهر المعارك التي خاضها جيش الجهاد المقدس ، معركة القسطل التي استشهد فيها القائد عبد القادر الحسيني في ٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ . وقد تولى قيادة الجهاد المقدس بعده ابن عمه خالد شريف الحسيني .

ثم شارك جيش الجهاد المقدس – وبعض عناصره احياناً – في معظم المعارك مع جيش الانقاذ ، فخاض غمار المعارك في شوارع القدس واحيائها كالقطمون والشيخ جراح وذلك في آذار (مارس) ونيسان (ابريل) ١٩٤٨ ؛ وفي القسطل من ٤ الى ٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ، وفي كفار عصيون ٢٧ نيسان (أبريل) ١٩٤٨ ؛ وفي الحي اليهودي ضمن القدس القديمة في ٢٦ – ٢٨ أيار (مايو) ١٩٤٨ . ولقد قامت فصائل التدمير التابعة لجيش الجهاد المقدس بعدة عمليات نسف مشهورة ، من بينها : نسف محلة المونتفيوري وشارع بن يهودا ، ونسف دار الوكالة اليهودية وعمارة جريدة البالستاين بوست (Palestine Post) ، ونسف شـارع هاسوليل ؛ ونسف معمل السبيرتو الواقع عند مدخل يافا ، ونسف عمارة حزبون التي كانت تقطع طريق يافا – الرملة – القدس ، ونسف معمل الجير (الكلس) الواقع قرب مستعمرة بتاح تكفا ، ونسف عمارة المطاحن في حيفا ، وغيرها من عمليات التدمير المشهورة داخل الاحياء اليهودية .

ونظراً لما قد يشكله بقاء جيش الجهاد المقدس من خطر على الخطة الرامية الى تهويد فلسطين ، وضم القسم الباقي الى شرق الاردن ، فقد صدر أمر بحل جيش الجهاد المقـدس من عمان في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ ، إلا أن وحداته بقيت مرابطة في بعض الخطوط الامامية ، على أمل استئناف القتال ، الى أن أتاها أمر من الهيئة العربية العليا في القاهرة ، فانقطعت عن العمل نهائياً في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٩ ، وانتهى بذلك دور جيش الجهاد المقدس كقوة مقاتلة في فلسطين . ولقد قدم هذا الجيش خلال مرحلة كفاحه المسلح الخسائر التالية : **٣٠٠٠ شهيد في ثورة ١٩٣٦ ، و ٨٠٠٠ شهيد و ١٥٠٠ جريح في فترة ١٩٤٧ – ١٩٤٨ .**

لقد كان جيش الجهاد المقدس من طلائع العمل النضالي العربي التي انبثقت تنظيماتها من صميم الشعب الفلسطيني ، وكان في جوهره اول مظهر من مظاهر القوات الشعبية التي تحمل في داخلها بعض سمات الجيش الشعبي شبه النظامي . ولـو توفرت لهذا الجيش القيادات الكفؤة (على مستوى المناطق) ، والامكانات المادية المطلوبة (التسليح والمعدات وأجهزة الاشارة والتموين) لكان بوسعه ان يكون نواة قوة شعبية ثورية فلسطينية مؤهلة للتطور والنمو خلال النضال المسلح ضد الاستعمار والصهيونية .

(٦) جيش الشرق

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١٢) الجيش الشعبي المالیزي

(انظر الثورة المالیزية) .

(١٠) جيش العاصفة الالماني

يرتبط تاريخ الحركة النازية الالمانية ارتباطاً وثيقاً بالتنظيمات شبه العسكرية التي رافقت نشوء وانطلاق الحزب النازي ، والتي صبغته بتلك الصبغة من العنف التي اشتهر بها . وقد اعتبرت التنظيمات شبه العسكرية تلك من احد الاسباب الرئيسية للمد النازي عبر المانيا ، وللسيطرة على الشارع . وهي ما اطلق عليه اسم فصائل الهجوم او وحدات العاصفة او جيش العاصفة (Sturmateilungen) وكلها اسماء لمسمى واحد ، تعني تلك الميليشيا العسكرية من النازيين التي كانت ترتدي القمصان البنية والتي لقبت فيما بعد « برجال القمصان البنية » منطلقة من بضع افراد في اوائل العشرينات حتى اصبحت في الثلاثينات كابوساً رهيباً تداخل تاريخه مع تاريخ المانيا النازية سواء في الخارج او في البلدان المحتلة .

ويتبين المتتبع لتاريخ الحركة النازية الوضع العام الذي كانت عليه المانيا بعد الحرب العالمية الاولى من تشتت وبطالة . وقد بلغ عدد العاطلين عن العمل حوالي الستة ملايين ، فاضطرب الامن ، واسقط في يد الدولة ، وتدافع الناس الى اعتناق أفكار الاحزاب ، والانضمام الى التكتلات والمنظمات ، واخذ الصراع بين هذه جميعاً يتصاعد ويزداد عنفاً، وكان المد الشيوعي اقواها واشملها واكثرها أتباعاً .

في هذا الجو برز الحزب النازي ، (الحزب الوطني الاشتراكي) ، واخذ يمتد ببطء متلمساً له مكاناً في الشارع ، ويقول هتلر في كتابه كفاحي « وهكذا وجدنا السلطة في كل مرة يهدد فيها النقابيون بتعطيل اجتماعاتنا تبادر الى منعنا من عقد الاجتماع بدلا من ان تعتقل هؤلاء وتلاحقهم قضائياً ، فتأكد لدينا ان السلطة لن تحمي نشاطنا الحزبي ، لذلك وجب علينا ان نحمي انفسنا بانفسنا ... فقررنا الدفاع عن كياننا بالقوة ، وسحق ارهاب خصومه بوسائلنا الخاصة . وقد تم لنا ذلك بفضل ارادتنا الحازمة ، وشجاعة رجالنا الذين عهدنا اليهم الحفاظ على النظام » . ويقول هتلر في مكان آخر من الكتاب نفسه: « في ربيع عام ١٩٢١ توسعت دائرة نشاطنا ، فاصبح علينا ان نعزز الحرس بعناصر جديدة . وفي العام ١٩٢٢ عندما جعلنا من الحرس نواة وحدة مقاتلة ، اخترنا للوحدة علماً خاصاً بها . »

هكذا نشأت ميليشيا الحزب النازي بهدف تأمين اجتماعات الحزب ، والرد عن اعضائه تهجمات عناصر باقي الاحزاب ، وانطلقت « فصائل الهجوم » ، وهو الاسم الجديد للحرس ، تتكاثر يوماً بعد يوم. وقد حرص هتلر على اظهار « فصائل الهجوم » بمظهر يستهوي الجمهور « كما حرصنا على ان نجعل منها قوة معنوية مشبعة بالمثالية الوطنية الاشتراكية . فلا يكون لها طابع الجمعية السرية ، ولا عقلية المنظمات البورجوازية المنشأة لاغراض دفاعية ... وانصرفنا الى العناية بأمور ثلاثة هي : التدريب ، وعلنية الاجتماعات والاستعراضات ، واللباس الخاص فجيش الهجوم ، هو جندي الحركة وعنوان قوتها وحامي مثاليتها » .

كانت مدينة ميونيخ اول من شهد هذه النواة شبه العسكرية تنمو الى جانب امتداد الحركة النازية . وقد شهدت شوارع هذه البلدة في العامين ١٩٢١ و ١٩٢٢ بضعة فصائل بلباس موحد ، بنية القمصان ، على زند افرادها عصبة النازية ذات الصليب المعقوف ، وعلى رؤوسهم قبعات خاصة ، تسير حاملة الاعلام بخطوات متزنة تضرب الارض ضرباً كأنها كتلة واحدة لا انفصال بين اجزائها ، بقيادة « ارنست روهم » الذي اظهر مقدرة فائقة على ضبط فصائله وفرض نظام حديدي عليها ، بالاضافة الى التدريب العنيف الذي كان يخضعها له باعتبارها قوة الصدم النازية وحامية الحزب وافراده . وفي العام ١٩٢٢ ، أي قبل قيام النازيين بمحاولتهم الفاشلة للاستيلاء على السلطة في مدينة ميونيخ ، تأسس في صفوف تلك الفصائل وفي عناصر مختارة منها « وحدات الحماية » (Schutzstaffeln) التي كانت مهمتها الاساسية حماية « اودولف هتلر » نفسه ، وبعض القادة النازيين ، والقيام بالاستعراضات الحزبية العلنية لاستمالة الجماهير . الا ان هذه الوحدات ، ويرمز اليها بالحرفين (S. S.) ، لم تبرز كقوة طاغية الا على يد قائدها الجديد « هنريخ هملر » الذي استلم قيادتها في العام ١٩٢٩ ، وكان عمره لا يزيد عن الثانية والعشرين عاماً ، وتميز بالولاء الكامل للحزب وبتعصبه الشديد لعنصره الآري الامران اللذان ساعداه للوصول الى المرتبة الاولى في التنظيمات العسكرية للحزب النازي .

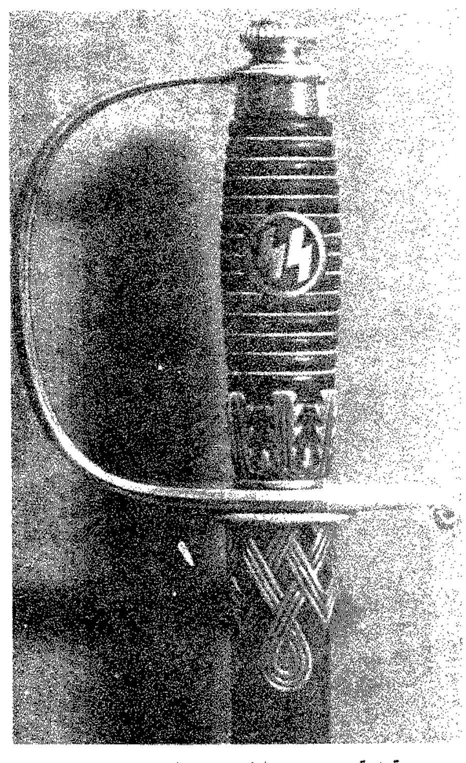
عندما استلم « هملر » قيادة وحدات الحماية داخل جيش العاصفة ، لم يكن عدد عناصره يزيد عن مئتي عنصر، الا ان « هملر » كان يطمح لان يجعل من هذه القوة أداة فعالة داخل الحزب النازي ، فأخذ يتقرب الى « هتلر » مظهراً في كل مناسبة اخلاصه وتفانيه ، وعاكفاً في الوقت نفسه على اعداد عناصره اعداداً عسكرياً باهراً زارعاً فيهم الحيوية



جنود جيش العاصفة أثناء الاستعراض



علم جيش العاصفة


قبضة سيف ضباط جيش العاصفة

والاندفاع والتلبية الدائمة لأوامر القائـد ، وكان « هملر » لا يزال آنذاك مرؤوساً « لروهم » حتى اصبح عدد عناصره في العام ١٩٣٠ ضعفي عددها في العام السابق بينما كان مجموع عديد وحدات الهجوم او جيش العاصفة لا يزيد عن مئة ألف متطوع .

في حزيران (يونيو) من العام ١٩٣١ ضم « هملر » الى عناصر قيادته شاباً يدعى « رينهار هايدريك » ، وكان ملازماً اول في البحرية وصرف من الخدمة لاسباب نسائية ، وكان « هايدريك » في نظر « هملر » مثالياً للعمل في فصائل الحماية ، فهو من عائلة كبرى ، ثم انه طويل القامة ، يتقد ذكاء ، بارع في معظم انواع الرياضة بالاضافة الى اجادته لعدد من اللغات وميله الفطري الى العنف .

عين « هايدريك » رئيساً للاستخبارات السرية ، وهو فرع كان قد انشئ حديثاً في فصائل الحماية باسم (Sicherheitsdienst) ويكتب اختصاراً (S. D.) وقد قام « هايدريك » بنشاط بالغ في تنظيم هذا الفرع الجديد ، موزعاً عيونه ورصاده في كل ناحية ، حتى امتلأت محفوظاته بملفـات معظم السياسيين والعقائديين ورجال الاعمال ، واصبح اليد اليمنى « لهملر » ، والاداة التنفيذية الاولى فيما حدث بعد ذلك من تصفيات فردية سياسية وحزبية .

واخذ « هملر » يتقرب من الزعيم النازي ، دون أن يكون ذلك على حساب « روهم » . فكلا القائدين كان يتمتع بثقة الزعيم وقد اخذ « روهم » (بعد ان استدعي من بوليفيا في العام ١٩٣١ لاستئناف قيادة جيش العاصفة وكان قد ابعد عنه في العام ١٩٢٥) يعمل مع « هملر » بتفاهم كامل ، وكان عملهما من التنسيق والانتاجية بحيث جعل الحكام الالمان يضيقون ذرعاً بهذه التنظيمات شبه العسكرية فاصدروا قراراً بحل جيش العاصفة في نيسان (ابريل) من العام ١٩٣٢ ، الا ان هـذا القرار ألغي على يد حكومة جديدة لالمانيا ، في شهر تموز (يوليو) من العام نفسه .

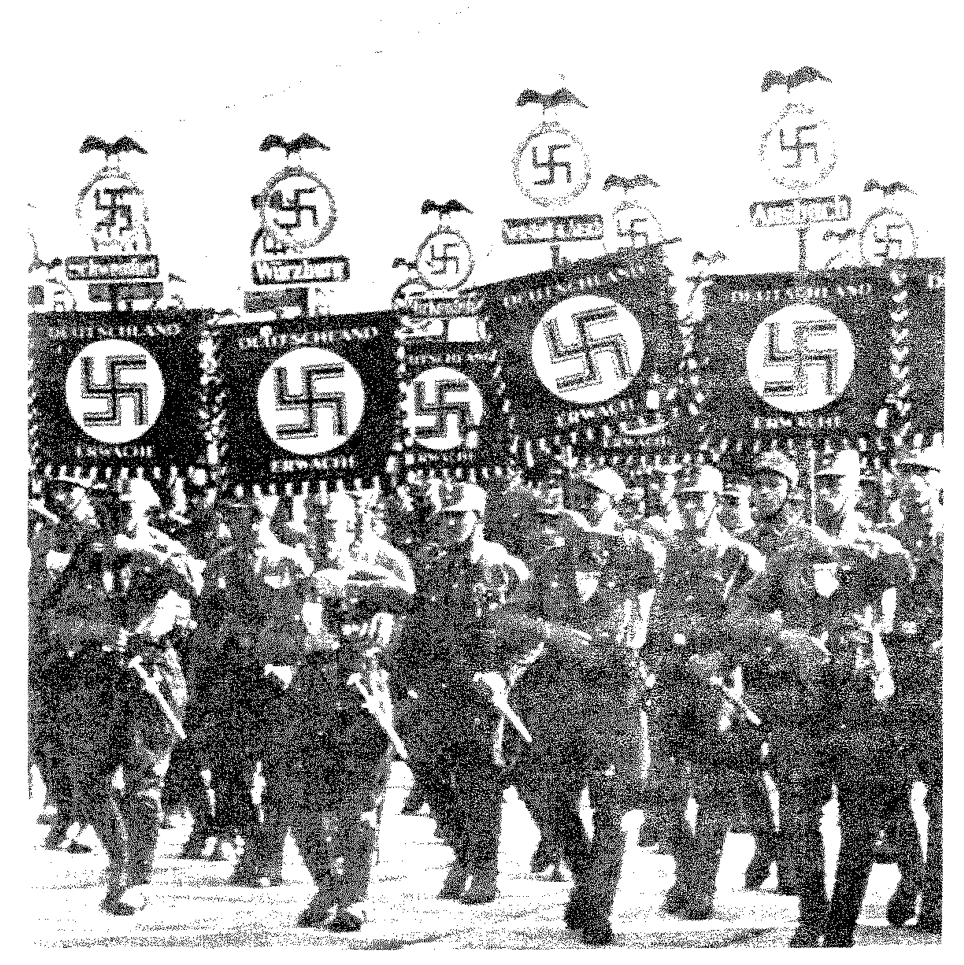
الى جانب جيش العاصفة ، أنشأ « غورنغ » وزير داخلية بروسيا في ذلك الحين ، التي تضم العاصمة برلين ، نواة للبوليس السياسي الذي اطلق عليه الاسم الشهير « غستابو » ووضع على رأسه « رودولف يلز » زوج قريبته ، كما انتقى من جيش العاصفة خمساً وعشرين ألفاً ضمهم الى البوليس بالاضافة الى عشرة آلاف من فصائل الحماية . وكان « غورنغ » يعتمد اعتماداً كلياً على وحدات البوليس السياسي « غستابو » والبوليس العادي حتى انه قال « ان رصاصة من مسدس بوليس هي رصاصة من مسدسي » .

ان هذا الاقتطاع لم يضعف جيش العاصفة ، بل على العكس فقد أخذ عديد هذا الجيش يتصاعد فوصل في العام ١٩٣٢ الى ثلاثة ملايين متطوع ، بينما وصل عديد وحدات الحماية الى خمسين الفاً جميعهم بقيادة « روهم » طالما ان وحدات الحماية هذه كانت حتى هذا العام تعتبر من الوحـدات العضوية لجيش العاصفة . وفي العام ١٩٣٤ في العشرين من نيسان (ابريل) عين هملر قائداً لوحدات البوليس بالاضافة الى قيادة وحدات الحماية (S. S.) واعطي في العام ١٩٣٦ مركزاً وزارياً .

وصل هتلر الى مركز المستشارية في العام ١٩٣٣ ، وبوصوله الى هذا المركز اخذ يشعر بتباعده عن جيش العاصفة ، فالفوهرر لم يعد بحاجة الى هؤلاء الشبان من ذوي القمصان البنية لحمايته . لقد اصبح في مركز السلطة ، وعليه ان يكسب مودة واحترام الشعب ، علية القوم منهم ، وخصوصاً القادة العسكريين في الجيش الالماني ، وهكذا اخذ يشعر بأن هذه الملايين من وحدات العاصفة اصبحت تنازعه سلطاته ، وتحول بينه وبين بروزه كزعيم لالمانيا بجميع فئاتها . وبالاضافة الى كل ذلك ، فان سياسة « فرق تسد » قد اظهرت فائدتها الايام على التوالي . وهكذا برزت لهتلر فكرة تعزيز الوحدات (S. S.) على حساب جيش العاصفة ككل ، هذا الجيش غير الرسمي الذي كان يفوق الجيش الالماني عدداً والذي روع الشارع منذ اوائل العشرينات ، وخلق اخصاماً لهتلر بقدر ما حمل اليه من انصار .

ولم يكن التخلص من « روهم » أمراً صعباً ، اذ ان سيرته واضحة في ملفات « هايدريك » السرية . وانحرافاته الجنسية المعززة بالشواهد والوثائق محفوظة ايضاً في تلك الملفات ، لكن مخططات هتلر لتعزيز مكانته الحزبية تمهيداً للجلوس في المركز الاول في المانيا ، واحتلال مكان الرئيس هندنبرغ ، أجبرت هتلر على الانتظار ليأتي تبوؤه الرئاسة امراً عادياً طبيعياً ، وكانت زعزعة الكيانات القائمة في الحزب النازي خلال فترة الانتظار امراً غير مستساغ ، وهكذا عندما طالب « روهم » بدمج جيش العاصفة بالجيش الرسمي الالماني ، لم يجد امامه من هتلر سوى الرفض .

والواقع ان جيش العاصفة قد اصبح من اهم شواغل المستشار الالماني الجديد « هتلر » وغدا هماً من اكبر همومه لا لوطأة هذا الجيش على الشارع الالماني فحسب ، بل ايضاً لانه كان يدين هتلر بطابع العنف امام الدول الاوروبية وعلى الاخص



رايات قطعات جيش العاصفة

بريطانيا وفرنسا ، وتلك البلاد البعيدة التي لم يكن يعرف عنها الكثير ، اي الولايات المتحدة الاميركية ، وهكذا عندما زاره « انطوني إيدن » في المانيا (١٩٣٤) لم يتردد هتلر عن اعلان استعداده لحل ثلثي جيش العاصفة .

الا ان الانتظار لم يدم طويلا ، فقد خضع هتلر لمشورة مستشاريه بضرورة ذهاب « روهم » وذهاب جيش العاصفة معه ، فالترتيبات جميعاً قد اتخذت ، ووثائق الادانة بالخيانة قد جمعت ورتبت في ملفات « هايدريك » السرية ، بعد ان اصبح هذا الاخير وجهازه (SD) معترفاً به كقسم الاستخبارات الخاصة بالحزب النازي . كانت الخطوة الاولى في ضرب جيش العاصفة ان اعطي افراده اجازة جبرية لمدة شهر ، بينما اعتكف « روهم » في بافاريا مريضاً في احدى المستشفيات .

في الثلاثين من حزيران (يونيو) عام ١٩٤٣ ، وعلى ضوء تقرير هام وقعه هملر ، وكان قد وضع من قبل استخبارات هايدريك ، واشير فيه إلى ان « روهم » يحاول القيام بحركة انقلابية ، داهم رجال هملر (SS) ذوي البزات السوداء وعلى رأسهم هتلر نفسه « روهم » في مستشفاه وكان لا يزال نائماً ، فألقي القبض عليه ، مع بعض رفاقه (ليل السكاكين الطويلة) واخضعوا لاستجوابات عنيفة .

وفي الثاني من تموز (يوليو) اعدم رمياً بالرصاص في مدينة ميونيخ وبموت « روهم » وبعض اعوانه من قادة جيش العاصفة اخذ دور هذا الجيش يتضاءل بسرعة ويتفكك حتى اضمحل تماماً واختفى بين طيات صفحات التاريخ النازي ، ولم يبق منه سوى فرق الحماية (SS) التي بقيت كقوة اعلى لفرض الانضباط باسـم هتلر والحزب النازي ، ولرصد وتقصي المعلومات بواسطة رجال « هايدريك » الذين اصبحوا اسياداً في هذا المضمار .

وقد شعر « هملر » بعد ان اصبح الاوحد بحرية واسعة في التحرك ، فعكف على تقوية هذا الجيش السري الخاص ، وفتح باب التطوع ، واضعاً شروطاً قاسية يجب توفرها في المرشحين ، في رأسها جميعاً نقاء الاصل الآري . ولقد سرح ستين الفاً من عديد وحدات الحماية (SS) ممن لم يعودوا يتوافقون مع الشروط الجديدة ، وفي خلال عامي ١٩٣٤ — ١٩٣٥ وصل عدد هذه الوحدات الى ٢٠٠ ألف تقريبا وبقيت منفصلة تماماً عن الجيش الالماني ، كما كان تنظيمها وتدريبها مختلفين تماماً عن تنظيم وتدريب الجيش. فمن حيث التنظيم، كانت الوحدات اقرب الى المفارز منها الى الوحدات العسكريـة المقاتلة التقليدية في اي جيش ، وكانت تتدرب على اعمال الشجاعة والمشقات العسكرية وقوة الاحتمال واللياقة البدنيـة ، اما اسلحتها فكانت فرديـة (المسدس ، والرشاش القصير ، والبندقية) ، وهناك فرق ايضاً بينها وبين الجيش من حيث الهندام ، اذ كانت هذه ترتدي البزات السوداء ، والاحذية العالية ، وبالاضافة الى شعارات خاصة بها وحرفي (SS) على ياقة البزة ، وحتى بين هذه الوحدات نفسها ، كان هناك تغيير بسيط في الهندام بين وحدات الاستخبارات (SD) التي كانت ترتدي سروالا كسروال ركوب الخيل وقبعة ، وبين الوحدات العادية (SS) التي كانت ترتدي سروالا عادياً ، وخوذة فولاذية على مقدمتها حرفا (SS) كتبا بشكل عامودي كما يشار الى الصاعقة .

ولقد ربيت فصائل الـ (SS) على التلبية الدائمة والخضوع الكامل لشخص هتلر . فكان كل منخرط جديـد يقسم الولاء « اقسم لك ، ادولف هتلر ، كرئيس ، وكمستشار للرايخ ، بالولاء والشجاعة وانذر لك ولأي ممن تعين لقيادتي ، الطاعة حتى الموت ، والله يساعدني على ذلك » .وكانت قد افتتحت في العام ١٩٣٢ مدرسة خاصة لتنشئة وتدريب عناصر وحدات الحماية هذه ، انشئت المدرسة في « باد-تولز » في بافاريا ، حيث تخرج منها ألوف رجال البزات السوداء وكانت تعتني ليس فقط باللياقة البدنية لتلامذتها بل بتنمية مواهبهم الفكرية ايضاً ، لان اي فرد من وحدات الحماية كان مفروضاً ان يتمتع بدرجة واسعة من الثقافة والذكاء والمبادرة وحسن التصرف ، مما جعل وحدات الحماية تتبوأ مركزاً من الاهمية بحيث جعل العديدين من خيرة الشعب الالماني ككبار الاطباء والمحامين والاقتصاديين ووجوه المجتمع يتدافعون للانتماء الى هذه الوحدات ، ولو كأعضاء شرف ، واصبح ذلك الانتماء فيما بينهم مدعاة مباهاة وفخر .

في العام ١٩٣١ ، انتسب الى وحدات الحماية

« والتر داري » ، صاحب كتاب « دم وتراب » . والمعروف بميله الشديد الى العنصرية والى العنف ، فأسس في أركان هملر مكتباً خاصاً لمراقبة صفاء العرق الآري ، ووضع مواصفات وشروط الانتماء الى وحدات الحماية ، ونتج عن ذلك قانون كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣١ الذي يفرض شروطاً خاصة على طالبي الزواج من عناصر الحماية في انتقاء شريكة حياتهم ، ومخضعاً ذلك الزواج الى ترخيص مسبق من قيادة وحدات الحماية ، وكانت عقوبة من يخالف ذلك القانون الطرد من سلك (SS) وذلك رغبة في المحافظة على نقاء الدم الآري لعناصر وحدات الحماية التي اصبحت الركيزة الاكبر في تدعيم زعامة هتلر .

ولقد لعب «داري» دوراً كبيراً في مسألة العرق هذه وكان تأثيره على هملر فعالا وشديداً ، حتى ان هذا الاخير لم يتأخر في وضع جميع افكار « داري » موضع التنفيذ ، وفي العام ١٩٣٦ انشئت مساكن الامومة ، وهي ما كان يعتبره هملر من منجزاته الهامة ومن دواعي اعتزازه الدائم . وكانت مساكن الامومة هذه عبارة عن مساكن معدة خصيصاً لانجاب اطفال اصيلين من ذوي الدماء الجرمانية الصافية ، وكان عمل عناصر وحدات الحماية القيام بدور « التلقيح » في حين يهيأ لامهات المستقبل على عاتق الدولة جميع اسباب الراحة حتى يلدن ، وقد فرضت ضرائب على عناصر وحدات الحماية خصوصاً تلك التي تفضل العزوبية بشكل مقتطعات من رواتبهم للانفاق على مساكن الامومة .

وكانت مهمة وحدات الحماية فرض الانضباط وتقصي المعلومات ، ولقد لازم الشق الاول هذه الوحدات منذ انشائها في العشرينات داخل جيش العاصفة . وقد تدخلت مرات عديدة لقمع اعمال شغب كانت تقوم بها بعض عناصر جيش العاصفة ، والشق الثاني من المهمة فقد اقترن بها « هايدريك » في العام ١٩٣١ . الا ان شقي المهمة تضخما مع اطلالة اعوام الحرب ، فاذا بوحدات الحماية تبسط سلطانها على المانيا جميعها وخارج المانيا واذا بشخص « هملر » يقفز الى المراتب الاولى ليصبح ارهب رجل في المانيا اطلاقاً ، وذلك يعود الى الدور الكبير الذي قامت به وحدات الحماية (SS) في مراقبة الحياة المدنية من كل جوانبها ، ومراقبة بعض القضايا العسكرية ، وكانت تداهم المنازل والمقاهي والدور والأماكن العامة ، وتوقف وتسجن ، وتنفي الى معسكرات خاصة اقامتها في بعض انحاء المانيا ، وتخضع من فيها من المنفيين ، الى انواع مختلفة


جيش العاصفة يرتكب جريمة إعدام الأسرى والرهائن

من التعذيب لم يستطع اكثرهم تحملها ، بالاضافة الى التصفيات الجماعية التي كانت تجري في غرف الغاز الخانق .

ومع كل عام كانت تنشأ معسكرات جديدة للاعتقال . ففي العام ١٩٣٦ ، اقيم معسكر كبير قرب برلين في « ساشن هوزن » . وفي العام ١٩٣٧ اقيم معسكر اعتقال في « بوشنوالد » وفي العام ١٩٣٨ اقيم معسكران في « موثوزن » في النمسا قرب مدينة « ليز » مسقط رأس هتلر ، وفي « رافنسبروك » وقد خصص للنساء ، وبلغ مجموع العناصر من وحدات الحماية (SS) التي كانت تشرف على معسكرات الاعتقال خلال الحرب حوالي اربعين الفاً ، بالاضافة الى فرق الاستجواب الخاصة بالبوليس السياسي « الغستابو » (انظر معسكر الاعتقال) .

وعلى حين كان الواحد من عناصر وحدات الحماية ، ينتقى وفق شروط غاية في الصعوبة ، اصبح يطوع للقيام بمهام مراقبة المعسكرات ، عناصر من السجون ، ومن المجرمين والمنحرفين والاشقياء ، وما ذلك الا لان التطوع في وحدات الحماية — وهو الاسلوب الذي بقي متبعاً — لم يعد يفي بالغرض ، اذ قل الاقبال على التطوع ، ولم يعد من سبيل الا التنازل عن بعض الشروط المفروضة في المرشح ، هذا بالاضافة الى ان مراقبة معسكرات الاعتقال تتطلب كفاءات جد خاصة ، تتوفر على الاغلب في تلك الفئة من الخارجين عن المجتمع .

في كانون الثاني (يناير) من العام ١٩٣٧ وفي اجتماع ضم بعض الضباط من الجيش الالماني ، دعي هملر الى الكلام فاذاع ارقاماً عن عديد وحدات الحماية كما يلي :

العناصر المسلحة ٢٥٠٠٠ ، الجسم العام للوحدات ٢٠٠٠٠٠ ، بالاضافة الى ثلاث مفارز مغاوير انشئت لتكون منطلقاً لاسهام وحدات الحماية بدورها المقبل في الحرب ، والمفارز تلك هي «حرس» ادولف هتلر» حرس المانيا .

وبعد احتلال بولونيا ، انطلقت من هذه المفارز ما سمي (بمجموعات العمل) ، قامت بمهمة تنظيف بولونيا ، واذا كان احتلال بولونيا قد عنى « لهتلر » خطوة اولى في سبيل تطبيق نظرية « الجيوبوليتيكا » في خلق المانيا الموحدة ، فقد عنى له ايضاً التخلص من جميع العناصر غير المرغوب فيها سواء على صعيد عنصري ، او على صعيد سياسي ، وحيث لا يمكن تكليف الجيش النظامي بهذه المهمة ، اي بالتصدي للمدنيين وتصفيتهم بالالوف ، فان باستطاعة « هملر » ومجموعات العمل من وحدات الحماية (SS) القيام بذلك ، وهكذا تحدد دور رجال الـ(SS) في الحرب ، واختاروا لانفسهم مهمة القيام بها طيلة أعوام الحرب العالمية الثانية ، فكانوا يؤلفون مجموعات صغيرة ، تعمل خلف الجيش ، بين المدنيين لفرض النظام واخضاع المناطق المحتلة وإزالة اعشاش المقاومة ، فكانوا البوليس الحربي السري العامل في كل مكان كعيون وآذان .

وعندما هاجمت المانيا الاتحاد السوفياتي في العام ١٩٤١ ، كان تخطيط « هتلر » ان يصل الى موسكو ولينينغراد قبل الشتاء . فترجمت رغبة الفوهرر بمهمة على صعيد وحدات الحماية ، هي تأليف مجموعات عمل تتبع الجيش المهاجم وتسير في ركابه ، وعلى ذلك انشئت اربع مجموعات ضمت كل منها بين خمسمائة وألف عنصر بحيث ان كامل عديدها لم

يكن يزيد على ثلاثة آلاف ، وكان عمل هذه المجموعات رهيباً ، اذ قدر انها قتلت خلال بضعة اشهر حوالي مليوناً من المدنيين ، واظهر احد التقارير الرسمية العسكرية في ايار (مايو) من العام ١٩٤٤ ، الارقام الاحصائية التالية : مجموع اسرى الحرب من الروس ٥ ١٦٥ ٣٨١ ، مات منهم حوالي المليونين متأثرين بجراحهم ، ومات ٢٨٠ ٠٠٠ خلال عمليات النقل من معسكر الى آخر ، اما الثلاثة ملايين والنصف الباقية فقد قتلوا على يد الالمان من قبل وحدات الحماية (SS) .

قامت مجموعات العمل بمهامها في جميع الجبهات الاوروبية ، وتركت الدمـاء والجثث حيثما مرت وزرعت الخوف والهلع ، حتى اصبحت كلمة (SS) تعني القصاص او العقاب . وكان « الغستابو » يعمل بتنسيق دائم مع وحدات الحماية وبترابط كلي معها ، في نطاق الاستجوابات التي اصطبغت بالعنف ولازمته طيلة فترة الحرب .

في العام ١٩٤٢ ، وبعد ان ظهرت الفعالية الكبرى للفرق المدرعة الالمانية ، رفعت المانيا عدد فرقها المدرعة الى خمس وعشرين فرقة ، واضافت الى هذا العدد ثمان فرق مدرعة من وحدات الحماية الـ (SS) وقد عملت هذه الفرق خصوصاً في الجبهة الروسية حيث استخدم فيلق مدرع كامل من الوحدات المذكورة للمرة الاولى في معركة « كورسك » عام ١٩٤٣ لقي هزيمة قاسية في معركة دبابات ضخمة جرت فيها قرب قرية « بروخورفكا » (انظر معركة كورسك) . وتجدر الاشارة هنا الى ان فرق (SS) المدرعة لم يكن لها دور أساسي في الجبهة ، ويظهر ان الحاجة الى العديد لانشاء وحدات مدرعة جديدة قد دفعت « هتلر » الى الاستعانة بجيش العاصفة ، كما انه قد قيل ان استعانة « هتلر » بوحدات الحماية (SS) كان مبعثها عدم اطمئنانه الى جنرالاته ، خاصة بعد مؤامرة ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٤٤ التي كادت أن تقضي على حياته وخوفه الدائم من تمرد هؤلاء ، او عصيانهم اوامره ، وقد عزز هذا القول ان فرق الـ (SS) تلك في ميدان المعارك ، لم تكن تؤلف وحدات عضوية من الكيانات الهرمية للجيوش المقاتلة ، بل كانت توضع بالتصرف العملاتي لتلك الجيوش بحيث انها تأتمر تكتيكياً فقط بأوامر القادة المسؤولين عن سير المعارك ، كما تتلقى منهم امداداتها اللوجستيكية ، امـا خلاف ذلك من تنظيماتها وشؤونها الداخلية ، فكانت ترتبط مباشرة بالفوهرر عبر « هملر » .



جيش العاصفة متلبساً بإعدام الأسرى



نابليون في موسكو المحترقة

(١) الجيش الكبير

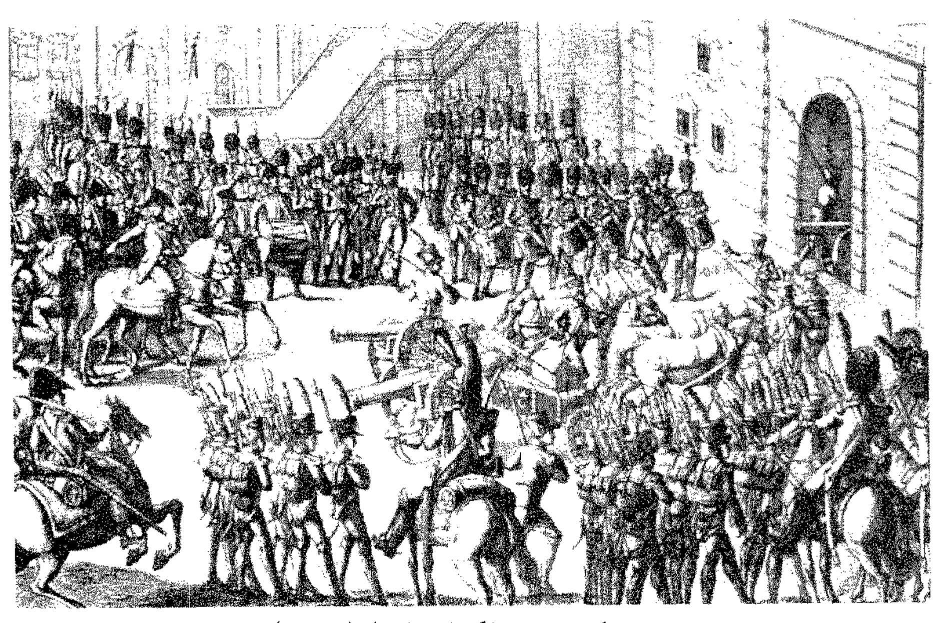
عندما خرق سلم أميان في العام ١٨٠٣ ، أسس بونابارت **جيش شواطىء المحيط** لمجابهة انكلترة . وعندما تحالفت اوروبا ضده للمرة الثالثة ، وهددت النمسا مؤخراته ، اضطر الى التوجه نحوها ونحو روسيا في آب (أغسطس) ١٨٠٥ ، وأعطى قواته آنئذ اسم **الجيش الكبير** . وكان هذا الجيش يضم الحرس الامبراطوري ، وستة فيالق فرنسية ، واحتياط الخيالة ، وفيلق بافاري ، وفرقة باد ، ووحدات متعددة مستقلة من جنسيات مختلفة ، تعمل تحت راياتها وبأمرة قادتها الأصليين .

وكان الجيش الكبير أول جيش لأوروبـا كلها . ولقد حاول نابليون بونابرت تطبيق مخططه الخاص بخلق اتحاد يضم مختلف الدول الاوروبية لذا فقد احتفظ (حتى العام ١٨١٤) باسم الجيش الكبير للقوات العاملة تحت امرته مباشرة ، والتي كانت تتزايد باستمرار ، وتضم جنوداً ايطاليين ، وبرتغاليين ، وكرواتيين ، واسبـان ، وبولونيين ، وبروسيين ، وهولنديين ، ونمساويين . ولقد حقق الجيش الكبير الكثير من الانتصارات خلال حملات نابليون . وكان أداة الامبراطور لتحقيق طموحاته الأوروبية (انظر نابليون ، حملات) . ولقد وصل إلى أوج قوته إبان الحملة على روسيا . اذ كان يضم ٦٠٠ ألف جنـدي : ٣٠٠ ألف فرنسي و ٣٠٠ ألف من جنسيات أخرى (منهم ٣٤ ألف نمساوي بقيادة الجنرال شفارزنبرغ و ٢٠ ألف بروسي بقيادة الجنرال يورك) . ولقد اجتمع هذا الجيش في المانيا في العام ١٨١١ وتوجه نحو النيمن ، ثم اجتاز نهر النيمن عنوة في ٢٤ حزيران (يونيو) ١٨١٢ . وكانت مقدمـة الجيش وقلبه يضمان ٢١٨ ألف رجل يقابلهم الجيش الروسي الأول بقيادة باركلي دو تولي (١٢٠ ألف رجل) . وكانت ميمنته بقيادة جيروم وتضم ٧٥ ألف رجل ، والى يمينها يتقدم شفارزنبرغ ومعه ٣٤ ألف رجل . وكان أمام جيروم وشفارزنبرغ الجيش الروسي الثاني بقيادة باغراسيون (أقل من ٤٠ ألف رجل) . وكانت الميسرة بقيادة يورك ومعه ٢٠ ألف رجل ، والى يساره ماكدونالد ومعه ٣٢ ألف رجل مهمتهم التقدم باتجاه ريغا التي كانت تحميها قوة مؤلفة من ٢٠ ألف رجل تحت قيادة ويتجنشتاين مساعد باركلي دوتولي .

ولقد اندفع هذا الجيش في عمق الاراضي الروسية بسرعة ليحسم الموقف قبل وصول جيشين روسيين : جيش تورمازوف (٤٣ ألفاً) وجيش الدانوب بقيادة تشيتشاغوف . وفي ٢٨ حزيران (يونيـو) احتل الجيش الكبير مدينة بليفنا ، ثم احتل فيتبسك في ٢٨ تموز (يوليو) . وفي ١٦/٨ حاول تطويق الروس في سمولنسك ولكنهم تمكنوا من الانسحاب في يوم ١٨/٨ دون معركة حاسمة . وفي ٧ ايلول (سبتمبر) اصطدم الجيش الكبير مع الجيش الروسي في بورودينو ، وانتصر عليه ولكنه لم يدمره لأن الروس كانوا ينسحبون أمام الهجوم الفرنسي الى عمق البلاد . وفي ١٤ ايلول (سبتمبر) وصل الجيش الكبير الى موسكو ودخلها في ١٥/٩ . ووقف ينتظر استسلام القيصر . ولكن القوات الروسيـة انسحبت من العاصمة بعد أن احرقتها ولم تستسلم . وأمام قدوم فصل الشتاء انسحب الجيش الكبير (في ١٩ تشرين الاول) متجهاً إلى سمولنسك عبر

بورودينو. واضطر لعبور نهر البرزينا (٢٦ — ١١/٢٩) للتخلص من التطويق الذي حاول القيام به جيشا ويتجنشتاين وتورمازوف. وتعرض الجيش الكبير خلال الانسحاب للتعب، ولبرد الشتاء الروسي (− ٣٥ درجة)، واغارات عصابات القوزاق والانصار والفلاحين، وضغط الجيش الروسي بقيادة كوتوزوف. وفي ٥ ديسمبر (كانون الأول) ترك الامبراطور نابليون الجيش الكبير في سمورغوني عائداً الى باريس على زحافة، بعد أن سلم القيادة لمورا.

ورغم خيانة يورك في الجناح الشمالي وعطالة شفارزنبرغ في الجناح الجنوبي، استطاع ١٠ آلاف جندي من الجيش الكبير عبور نهر النييمن في ٣٠ ديسمبر (كانون الأول). وتبعثروا في المستشفيات الالمانية للعلاج. واوقف يورك القتال في ٣٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٨١٢ وعقد اتفاقات حياد مع الروس، كما أوقف شفارزنبرغ القتال في ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٨١٣ وعقد اتفاقات مماثلة. الأمر الذي كشف جناحي الجيش الكبير واجبره على الانسحاب الى المانيا. ولم يعد من الجيش الكبير من حملة روسيا (بالاضافة إلى العشرة آلاف الذين عبروا النييمن مع مورا) سوى ٥٥ ألف جندي كانوا تحت قيادة ماكدونالد ورنييه وشفارزنبرغ. وخسر هذا الجيش في الحملة حوالي ٥٠٠ ألف رجل (٤٠٠ ألف قتيل، و ١٠٠ ألف أسير). وكانت هذه الحملة بداية أفول نجمه كقوة مسلحة ذات طموحات على مستوى القارة الاوروبية.



الجيش الكبير يدخل الكرملين (١٥/٩/١٨١٢)

(١١) جيفارا (أرنستو) «تشي»

طبيب ثوري أرجنتيني الأصل، أممي النزعة (١٩٢٨ — ١٩٦٧) وأحد قادة الثورة الكوبية، وزير كوبي، رمن منظري الحرب الثورية والفكر الاشتراكي.

ولد ارنستو في ١٤/٦/١٩٢٨ في «روزاريو» (الأرجنتين) من أب ايرلندي وأم اسبانية. أصيب بالربو منذ طفولته، ولازمه هذا المرض طوال حياته. انتقل به والداه الى مدينة «بيونس ايريس» العاصمة، إلا أن صحته ساءت كثيراً هناك، مما اضطر والديه للانتقال به الى كوردوبا، ثم استقر بهم المقام في «التاغراسيا».

دخل جيفارا المدرسة وهو في السابعة، إلا أن مرضه حال دون مواظبته على الدروس، فكان اخوته ينسخون له الدروس ليستذكرها في البيت، ثم تابع دراسته الثانوية في كوردوبا، وهناك تعلم اللغة الفرنسية، وامتهن الطب، إلا أنه ظل مولعاً بالأدب والسياسة والفلسفة. كما انه استطاع التغلب على المرض ليمارس الرياضة، وقد انتسب الى «أتالايا» احد الأندية الرياضية الشهيرة في البلاد، فأكسبته الرياضة صلابة من الناحيتين الروحية والجسدية.

وفي مطلع شبابه كان يرتاد مقر الجمعيات الطالبية المتمردة، دون أن يناضل في أي اتجاه خاص، على الرغم من انه كان يشعر — حتى قبل أن ينهي دراسته — بأن شيئاً آخر يجذبه. وبدافع من هذا الشيء أراد أن يتعرف الى القارة فانطلق لاستكشافها، على دراجة نارية، مع صديقه «غرانادوز» (البرتو غرانادوز، زميله في الدراسة، وهو الآن عالم كيميائي)، وقطعها من الأرجنتين الى فنزويلا، ثم توقف في ميامي، حيث اعيد الى الارجنتين في طائرة خاصة لنقل الخيول. ويعتقد بأن رحلته تلك هي التي أشعرته بأمريكيته — اللاتينية، إذ تجلى له «أن وحدة بلاده، وحدة عميقة لا تتحطم، رغم الحدود المصطنعة.»

سافر جيفارا عام ١٩٥٤ الى غواتيمالا، على أمل الانضمام الى صفوف الثوار، ولكن حكومة كاستيلو آرماس العميلة للولايات المتحدة الأمريكية، قضت على الثورة، فاجتاز جيفارا الحدود الى المكسيك، حيث اضطر الى القيام بأعمال ثانوية (طباخ ومصور متجول) لكسب عيشه، ومع هذا فقد كانت فترة مكوثه في المكسيك ذات تأثير كبير على حياته، إذ التقى هناك بفيدل كاسترو، وقد روى قصة لقائهما الأول في كتاب (ذكريات عن الحرب الثورية) بقوله: «تعرفت اليه في إحدى الليالي الأمريكية الباردة، واذكر ان حديثنا الأول دار حول السياسة الدولية. وفي ساعات الصباح الأولى، كنت واحداً من الغزاة المستقبليين».

وبعد أن تدرب جيفارا على استعمال السلاح في المكسيك، انتقل مع كاسترو و ٨٢ مقاتلا آخر، على متن المركب «غرانما» الى كوبا في الخامس من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٦، حيث اشعلوا الثورة ضد نظام حكم «باتيستا» الرجعي، في ظروف صعبة. وقد اتخذ معظم الثوار أسماء حركية، وأصبح جيفارا يعرف منذ ذلك الوقت باسم «تشي Che». ولقد بقي جيفارا بين صفوف الثوار مقاتلا وطبيباً وقائد رتل حتى تم تحرير الجزيرة الكوبية في أول كانون الثاني (يناير) ١٩٥٩ (انظر الثورة الكوبية).

واكتسبت شخصية تشي (جيفارا) خلال حرب التحرير الشعبية الكوبية شهرة خاصة، لأنه قام بالإضافة الى عمله كمقاتل وطبيب بكتابة مذكرات تفصيلية هامة عن تلك الحرب، والمعارك التي خاضها الثوار، مهما كانت نتائجها، بصدق وموضوعية، بدءاً من اعداد الطليعة الثورية في المكسيك، والانزال على شاطئ كوبا (ديسمبر ١٩٥٦) حتى النصر. وقد كان جيفارا خلال ذلك كله مثالا يحتذى للمقاتل في حرب العصابات، والذي يهمه الحفاظ على حياة رفاقه بقدر ما يهمه الحفاظ على حياته الشخصية، وكان في كثير من الحالات يحاول

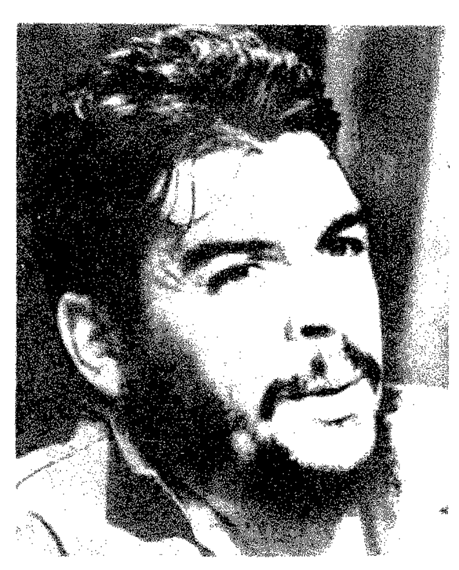
التضحية بنفسه في سبيل بقـــاء الآخرين وضمان سلامتهم . وبذلك كانت حياة جيفارا ترجمة عملية لأفكاره ومعتقداته ، فهو يعتقد أن كل مقاتل في حرب العصابات ، وكل عضو في الجيش الشعبي ، يجب أن يتحلى بأفضل صفات الجندية ، وعلى هذا الجيش أن يتبع نظام طاعة صارم نظراً لأن الانضباط لا يعتبر فقط ضرورة تحقيق فعالية الجماعة المسلحة التي ينتمي اليها ، ولكنه ضروري أيضاً للدفاع عن النفس . ففي الجيش النظامي تجري مراقبة كل إهمال يصدر عن أي جندي من قبل أقرب رفيق له . ولكن الأمر يختلف في حرب العصابات حيث يعتبر كل مقاتل وحدة قائمة بذاتها ، وكل خطأ يكون مهلكاً . فلا يمكن لأحد أن يكون مهملا ، أو أن يقترف خطأ صغيراً ، ذلك لأن الخطر يتهدد حياته وحياة رفاقه .

ولم يكن جيفارا يعتبر رجل العصابات مقاتلا فقط ، ولكنه كان ينظر إليه كمصلح اجتماعي « يحمل السلاح تعبيراً عن انتفاضة الشعب ضد مضطهديه بكل الطاقات التي تتيحها له الظروف » .

وقد واجه جيفارا خلال الفترة التي قضاها على رأس الثوار في الحرب الكوبية ، كثيراً من المصاعب والمشقات : كتساقط بعض العناصر ، وانكشاف مواقع الثوار ، ونقص الاسلحة والذخائر والمؤن ، وندرة الأدوية ومستلزمات الجراحة ، وسوء حالتـــه الصحية (نظراً لاصابته بالربو) وعدم ملاءمة صحته لصعوبات حرب العصابات . إلا أن جيفارا كان يتغلب على كل هذه العقبات بالحيلة حيناً ، وبالروية حيناً آخر ، وبالروح الثورية في كل الأحيان .

وتقديراً من زعماء الثورة للجهود التي بذلهـــا جيفارا ، خلال الحرب الثورية ، وللاستفادة من خبرته وبعد نظره في القضايا الثورية ، من أجل الاستمرار في خدمة الشعب ، فقد عين جيفارا وزيراً للصناعة ، في أول حكومة كوبية ، بعد الاستقلال ، ولكنه لم يكن يهتم بالمناصب ، او السلطة والأمجاد ، إذ كان يؤمن بأن حرب العصابات الثورية هي الوسيلة الوحيدة لتخليص البلاد المقهورة جميعها من التسلط الأمبريالي على مقدرات شعوبها ، على أن يبتعد القتال ما أمكن عن النظرة الشوفينية الضيقة الى شعوب القارة .

ولقد اعتبر جيفارا أن من الضروري شن نضال ضد هذه الشوفينية التي كثيراً ما تؤثر على عناصر ثورية في بلدان مختلفة من امیرکا اللاتينية ، فقال في رسالته لمؤتمر القارات الثلاث : « .. وسوف تكون الراية التي نقاتل تحتها هي القضية المقدسة



الدكتور ارنستو تشي جيفارا

لخلاص الانسانية . إن الموت تحت راية فيتنام او فنزويلا او غواتيمالا او غينيا او كولومبيا او بوليفيا — ذكرنا عدداً قليلا من مسارح الكفاح المسلح اليوم — سوف يكون [ذلك الموت] مجيداً ومقبولا بصورة متساوية بالنسبة للأمريكي والآسيوي والأفريقي ، وحتى بالنسبة للأوروبي . إن كل نقطة دم يريقها إنسان في أي بلد يوجد تحت رايته ، إن هي إلا تجربة تنقل لأولئك الأحياء ، ومن ثم لتضاف فيما بعد للنضال التحرري لبلاده نفسها . وإن كل أمة تتحرر ، هي مرحلة انتصار في معركة تحرير بلاد المرء ذاتها » .

وفي العام ١٩٦٦ انتقل جيفارا الى بوليفيا ليطبق معتقداته الثورية على أرض الواقع الحي ، وكان يؤمن بأن على المقاتلين من مختلف بلدان امیرکا اللاتينية الاشتراك في مفرزة حركة العصابات ، حتى تكون الثورة في بوليفيا مدرسة للثوار الذين يتعلمون فوق أرض المعركة . وكان يؤمن بالبؤرة الثورية منطلقاً للتحرير الشامل ، ولذا فقد اعتمد في بناء البؤرة على مجموعة من المقاتلين الشجعان كان اكثرهم من رفاقه في السييرا مايسترا خلال الثورة الكوبية . لقد تصرف جيفارا في تجربة بوليفيا بكل مقدرة وحنكة وتقشف ورزانة ، وكان مستغرقا تماماً في أهمية الرسالة التي نذر نفسه لها ، إذ تابع عمله بروح تحمل المسؤولية في كل الأوقات ، رغم تضافر العوامل المعادية ضده : من الانقسام الذي حدث لجزء من حركة العصابات ، والذي استمر شهوراً طويلة حتى التأم الوضع من جديد ، الى

داء الربو الذي كان يشكل عدواً مزعجاً له ، وخاصة بعدما صادرت القوات الحكومية شحنة الأدوية الخاصة للثوار ... ومع هذا فقد تمكن جيفارا ، بارادته الحديدية ، من التحكم في مرضه العضوي ، فلم يؤثر على نشاطه قط ولم يضعضع معنوياته العالية .

وكان لجيفارا اتصالات عديدة مع الفلاحين ، بالرغم من طباعهم الحذرة والشكاكة للغاية ، لأنه كان على معرفة تامة بعقلياتهـــم ، وخاض معهم تجارب طويلة أيام الثورة الكوبية . وكان يعرف أن من الضروري القيام بعمل طويل صبور مواظب من اجل كسبهم للقضية ، دون أن يخامر نفسه أي شك في أن هذا سوف يتحقق في المدى البعيد . وعندما اضطر مع رجاله للتوجه في وضح النهار الى منطقة فلاحية اكثر تطوراً من الناحية السياسية ، كان يدفعه الى ذلك عاملان : أولهما توصيل المفرزة الى بيئة اكثر أمناً وأوفر حظاً بالحماية . وثانيهما مساعدة طبيب المفرزة الذي كان في وضع صحي سيء جداً . وعلى الرغم من علمه المسبق بأن ذلك يشكل مغامرة غير مأمونة الجوانب ، إذ كان من المتوقع أن يقطع عليهم العدو الطريق في أية لحظة ، إلا أنه لم يتراجع ، لأن مشاعره الانسانية كانت تدفعه للمخاطرة . وقد كتب في مذكراته واصفاً ذلك بقوله : « في ١٣ (أيلول سبتمبر ١٩٦٧) ، تحركت الطليعة لتجرب الوصول الى جاغوي Jeguey ، في محاولة يائسة لمساعدة الطبيب المسكين ، ولكنها قبل أن تصل الى الهدف ، وقعت في الكمين المميت الذي أدى بالمفرزة الى وضع لا يطاق » . وبعد ذلك بأيام تم تطويق جيفارا ورفاقه الابطال في « كويبرادا دل يورو » في ظروف سيئة للغاية . وقد كتب جيفارا اسطره الأخيرة في السابع من تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٧ ، فتحـــدث ، متفائلا ، عن مساعي المفرزة للخلاص من الطوق المحكم حولها ، عند حلول الظلام ... ولكن فرقة كبيرة من قوات العدو هاجمتهم قبل ذلك ، فراحت المفرزة تقاتل ببطولة حتى الغسق ، من مواقع فردية قائمة في بطن الشعب الضيق ، وعلى رؤوس النتوءات ، ولم يبق أحد حياً من اولئك الذين قاتلوا بالقرب من جيفارا ، باستثناء الطبيب الذي كان في وضع سيء جداً ، والى جانبه مغاور من البيرو كان هو الآخر في حالة سيئة . وهذا يدل على أن جيفارا ، كان حتى لحظة سقوطه جريحاً ، يبذل قصارى جهده ليؤمن انسحاب هذين الرفيقين الى موقع أفضل .

وقد ثبت فيما بعد أن جيفارا استمر في القتال ، على الرغم من جراحه حتى دمرت فوهة بندقيتـــه

الـ « م – ٢ » من جراء إصابتها بطلق ناري محكم ، فتعطلت تماماً . أما المسدس الذي كان يحمله فلم يكن له ذخيرة ، وهذا هو السبب الذي أدى الى اعتقاله حياً ، خاصة وأن الاصابات التي تعرضت لها ساقاه لم تكن مميتة . وبعد أسره ، نقل جيفارا الى بلدة هيغوراس وعاش حوالي ٢٤ ساعة اخرى . وقد امتنع عن التكلم مع آسريه ، وعندما حاول ضابط مخمور أن يستفزه ، أجابه بصفعة على وجهه . ثم اجتمع في لاباس كل من بارينتوس واوفاندوا (المسؤولين ، من قبل قيادة الجيش البوليفي ، عن العمليات العسكرية ضد الثوار) وقادة عسكريون آخرين حيث قرروا اغتيال جيفارا ، فأصدر كل من الرائد ميغويل أيورو والعقيد اندريس سيلنخ ، وهما من عملاء المخابرات الأميركية ، اوامرهما الى الضابط « ماريو تيران » لتنفيذ العملية . وعندما ذهب هذا الأخير الى المكان وكان سكراناً تماماً ، مما جعله متردداً بعض الشيء ، فقال له جيفارا بثبات « اطلق النار .. لا تخف ! » فتراجع ماريو تيران ، ولكنه ما لبث أن أطلق الرصاص من مدفعه الرشاش على القسم السفلي من جسد جيفارا ، بناء على اوامر جديدة من قيادته ، وكان القصد من ذلك أن لا يموت جيفارا فوراً ، حتى يتعذب أطول فترة ممكنة . وبالفعل ظل جيفارا يعاني الأمرين من جراحه الثخينة الى أن جاء رقيب مخمور فأجهز عليه بطلقة مسدس استقرت في جانبه الأيسر .

وهكذا مات جيفارا شهيد المبادئ التي آمن بها كوسيلة وحيدة لتحرير أميركا اللاتينية من براثن الأمبريالية الأميركية التي اصبحت تواجه في كل مكان من تلك القارة دفعات جديدة ومستمرة من البذور الثورية التي غرسها جيفارا في حياته ، ورواها بدمائه ، مؤمناً بأنها ستؤدي في النهاية الى تحقيق الانتصار لشعوب أميركا اللاتينية ، وكل الشعوب المضطهدة الأخرى ، في كل مكان من العالم ، دون اعتبار للحواجز المصطنعة والحدود المزيفة . وقد عبر « فيدل كاسترو » عن ذلك في ختام مؤتمر القارات الثلاث بقوله : « انضم إلينا الرفيق جيفارا عندما كنا منفيين في المكسيك ، ومنذ اليوم الأول ، لم تكن تفارقه الفكرة التي عبر عنها بوضوح ، وهي أنه عندما ينتهي الكفاح في كوبا ، فان عليه واجبات اخرى ينبغي أن يقوم بها في أمكنة اخرى من العالم . ولقد قطعنا له على أنفسنا وعداً بأننا لن نطلب منه البقاء في بلادنا ، من أجل أية مصلحة للدولة ، أو أية مصلحة قومية خاصة ، وأي ظرف . ولن نمنعه من تحقيق هذه الرغبة ، أو هذه الدعوة » .

وتعتبر مؤلفات جيفارا ، سواء منها ما كان على شكل مذكرات تؤرخ للثورة الكوبية او لانتفاضة بوليفيا ، وما كان منها على شكل رسائل او مقالات صحفية او مقدمات لكتب ، ترجمة حية لسيرة هذا المناضل ، ولطريقته في التفكير والعمل .

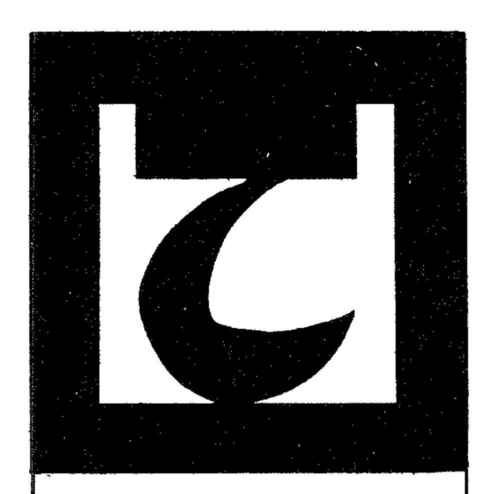
ويأخذ بعض النقاد على جيفارا أنه لم يتمثل تماماً النظرية الثورية التي وضع أسسها مفكرو الاشتراكية من كارل ماركس الى ماو تسي تونغ ، وأنه حاول ، مع آخرين ، أن يجعل من التكتيك الذي طبقته الثورة الكوبية (البؤرة الثورية) نظرية جديدة منفصلة عن النظرية الثورية العلمية ، واحياناً متعارضة معها .

وتتلخص معتقدات جيفارا الثورية ونظرته الى الصراع الحتمي بين الشعوب المضطهدة والامبريالية العالمية ، بايراد هذه الفقرة الهامة المأخوذة من دراسة لجيفارا نشرت في ملحق خاص لمجلة (القارات الثلاث) بتاريخ ١٩٦٧/٤/١٦ : « .. ويجب ان نتذكر دائماً أن الامبريالية نظام عالمي ، هو المرحلة الأخيرة من الاستعمار ، وانها يجب أن تهزم بمواجهة عالمية . إن الهدف الاستراتيجي لهذا النضال ينبغي أن يكون تدمير الامبريالية . ونصيبنا هو مسؤولية المستغلين والمضطهدين في استئصال مؤسسات الامبريالية : وهي أممنا المتخلفة التي يستمدون منها رؤوس الأموال والمواد الخام والتقنيين والعمل الرخيص ، والتي يصدرون اليها رؤوس اموال جديدة (أدوات السيطرة) اسلحة وكل انواع السلع لنبقى غارقين هكذا في تبعية مطلقة . وسيكون العنصر الاساسي في هذا الهدف الاستراتيجي هو التحرير الحقيقي لكل الشعوب ، هذا التحرير الذي يتم من خلال الكفاح المسلح في معظم الحالات ، والذي سيكون في امريكتنا ثورة اشتراكية دائمة تقريباً . وبينما نحن نواجه تدمير الامبريالية ، من الضروري أن نحدد رأسها ، التي هي ليست غير الولايات المتحدة الأميركية .

ويجب أن نحقق مهمة عامة ، هدفها التكتيكي استدراج العدو من بيئته الطبيعية ، لنجبره على القتال في مناطق تصطدم فيها حياته وعاداته مع الحقيقة القائمة . ويجب أن لا نقدر خصمنا دون قدره : فالجندي الأميركي يملك كفاءة تقنية ، وتدعمه اسلحة وموارد تبلغ من الضخامة حداً تجعل هذا الجندي مخيفاً ، وهو يحتاج الى الحافز الايديولوجي اللازم الذي يملكه اشد اعدائه اليوم ، وهم الجنود الفيتناميون ، في أعلى درجة من درجاته . وسنكون قادرين على قهر ذلك الجيش باضعاف روحه المعنوية ، ويتم هذا بهزيمته والحاق الخسائر المتكررة به .

ولن تكون البدايات سهلة ، إنها ستكون في منتهى الصعوبة . إن كل قدرة الاقليات الحاكمة على القمع ، وكل كفاءتها في الوحشية والتضليل ستوضع في خدمة قضيتها . ورسالتنا ، في المرحلة الأولى ، هي أن نبقى ، وسنتبع فيما بعد ، مثل العصابات الدائم وهو تحقيق الدعاية المسلحة (بالمعنى الفيتنامي) أي طلقات الدعاية ، في معارك تكسب أو تخسر ، ولكنها تجري ضد العدو . إن استثارة روح الأمة ، والتهيئة لمهمات اصعب (ضرورية) لمقاومة أعمال قمع اكثر عنفاً . وهناك الحقد كعنصر من عناصر الكفاح : حقد لا هوادة فيه للعدو ، يدفعنا فوق ، وما وراء ، الحدود الطبيعية التي ورثها الانسان ليحوله الى آلة فعالة عنيفة انتقائية ومحترفة قتل . إن جنودنا يجب أن يكونوا كذلك ، فشعب بلا حقد لا يستطيع أن يقهر عدواً متوحشاً . ويجب أن ننقل الحرب الى كل زاوية يصدف أن ينقلها العدو اليه : الى بيته ، الى مركز لهوه ، حرب شاملة . ومن الضروري أن نمنعه من أن تكون له لحظة سلام ، لحظة هادئة خارج ثكناته وداخلها ، ويجب أن نهاجمه حيث يكون ، وأن نجعله يشعر شعور الوحش المحاصر حيثما يتحرك . وعندئذ فان معنوياته ستبدأ بالانهيار ، حتى إنه سيصبح اكثر وحشية ، ولكننا سنلاحظ كيف تبدأ علائم الانحلال في الظهور .

دعونا نطور امية بروليتارية حقيقية ، بجيوش امية بروليتارية ... لقد حان الوقت الذي نحسم فيه تناقضاتنا ، ونضع كل شيء في خدمة كفاحنا العادل . »



(٦) الحاجز الالكتروني

الحاجز الالكتروني Electronic Barrier عبارة عن نظام لكشف الاختراق المعادي في ميادين القتال والدفاع عن القواعد العسكرية .

ويضم هذا النظام شبكات مؤلفة من مختلف انواع الاجهزة الالكترونية الحساسة السمعيـة ، والبصرية ، والمغناطيسية ، واجهزة كشف الذبذبات الناشئة عن تحرك الافراد والآليات ، واجهزة رادارية لكشف الحركة في ميدان القتال ، واجهزة تستخدم تقنية الاشعة تحت الحمراء والليزر . كما يضم عدداً من مراكز تحليل المعلومات المستقبلة ، واستبعاد التعامل مع الهدف . وبما ان هذه الشبكات تنشر في مناطق عمل واسعة ، فإن عملية السيطرة عليها وتحليل المعلومات المستقاة منها عملية معقدة ، مما حدا بالبعض الى تسميتها باسم « ميدان القتـال الآلي Instrumented battlefield » .

ولكي تستطيع اجهزة المعلومات المبعثرة في الميدان — او بعبارة اخرى وحدات الكشف الحساسة — نقل المعلومات الى مراكز المراقبة والتحليل في الخلف ، فإن كل جهاز منها يتألف من وحدتين هما : وحدة الكشف ، ووحدة نقل المعلومات عن طريق البث السلكي او اللاسلكي ، وبطريقة رمزية خاصة بكل من وحدات الكشف ، وذلك لكي يمكن التعرف على المكان الذي تم فيه الاختراق المعادي . وبالاضافة الى ما سبق ، ولكي يصبح استخدام اجهزة الكشف مجدياً ، فان من الضروري ان تتوفر فيها الصفات التالية : ١) امكانية الزرع او البعثرة السريعة . وتتم عملية الزرع هذه بواسطة الطائرات او الآليات او اية وسيلة اخرى ملائمة . وللزرع بواسطة الطائرات اهمية كبيرة ، اذ ان المعلومـات المطلوبة تكون متوفرة في بعض الاحيان في مناطق لا تقع تحت سيطرة القوات الصديقة او غير ملائمة لسير الآليات العسكرية العادية . كما ان زرع الاجهزة باليد عملية غير مجدية بالنظر لضخامة عدد الاجهزة التي ينبغي زرعها (تقدر عـادة بعشرات الألوف) . ٢) المتانة ومقاومة التقلبات الجوية . اي ان تتوفر فيها المتطلبات التقنية التي يشترط توفرها في المعدات العسكرية عادة ، كصمودها في وجه درجات الحرارة والرطوبة المختلفة وتقلبات الطقس ، وصمودها في حالات نقلها جواً وانزالها بواسطة المظلات . ٣) ان تحتاج الحد الادنى من الصيانة قبل نشرها ، وان لا تحتاج لأية صيانة بعد ان تتم عملية الزرع . ٤) ان تكون تكلفتها زهيدة ، بحيث تكون عملية نشرها باعداد كبيرة واستخدامها مرة واحدة دونما حاجة الى اعادة جمعها عملية مجدية من الناحية الاقتصادية . ٥) ان تنقل الحد الادنى من الانذارات الكاذبة . وللتحقق من ذلك ، يتم عادة استخدام انواع مختلفة من اجهزة الكشف ، تقوم كل مجموعة متجانسة منها بنقل معطياتها الى شبكات المراقبة المركزية الارضية او الجوية لكي تستخلص صورة متكاملة ومفصلة عما يجري في المنطقة المراقبة .

وتختلف الحواجز الالكترونية عـن الحواجز الكهربائية (انظر الحاجز الكهربائي) من حيث كونها شبكة استطلاع وانذار . وتنبغي الاشارة الى ان هذه الشبكة الاستطلاعية قد توصل بشبكة دفاع آلية (اوتوماتيكية) بواسطة ادمغة الكترونية وظيفتها استقبال المعلومات وتحليلها ، ومن ثم الايعاز الى شبكة الدفاع بضرب منطقة الاختراق .

وقد استخدم الاميركيون ساحة الحرب الفيتنامية كمختبر ضخم لتجربة اجهزة التقاط المعلومات ، وجربوا انواعاً كثيرة منها ، ابتداء بأجهزة لاسلكية صغيرة ملتصقة باجسام الكلاب العسكرية التي تجوب المناطق لمراقبتها ، وانتهاء بأجهزة التقاط متطورة . الا ان جميع هذه الاجهزة لم تفلح في مواجهة الثوار الفيتناميين الذين استطاعوا اكتشاف وسائل فعالة تمكن من تضليلها وابطال عملها . وتستخدم اسرائيل اجهزة كشف الكترونية لكشف تسلل الثـوار الفلسطينيين وبشكل خاص في النقاط الحدودية .

ومن الاجهزة التي تستخدم عـادة في صنع الحواجز الالكترونية ما يلي :

أ — رادارات لكشف الافراد والآليـات : ويستخدم العديد من جيوش العالم هذه الاجهزة لكشف عمليات وحدات المشاة الصغرى وتحديدها . ويتراوح مدى احدث الاجهزة من هذا النوع بين كيلومتر وبضعة كيلومترات ، وذلك حسب حساسية الجهاز ، والتضاريس الطبيعية للمنطقة المحمية بواسطتها ، وطبيعة الهدف المستطلع (ان مدى اكتشاف الافراد يقل عن مدى اكتشاف الآليات بمقدار النصف تقريباً) .

والرادارات اجهزة خفيفـة الوزن (بضعة كيلوغرامات) لذلك يمكن استخدامها اثناء الدوريات والحراسات . كما يمكن استخدامها على شكل شبكات انذار رادارية تتضمن عدداً كبيراً من الرادارات توزع على طول امتداد المنطقة المطلوب حمايتها ، وتكون حساسية الاجهزة محدودة في هذا الوضع ببضع عشرات من الامتار ، ويتم استقبال اشاراتها في غرفة مراقبة مركزية تشير بدقة الى منطقة التسلل . ويفيد في التقليل من فعالية هذه الرادارات ، التي تكشف حركة الافراد والآليات ، دراسة التضاريس

الطبيعية للاراضي ، والافادة من التلال والمرتفعات كحواجز واقية من الموجات الرادارية ، كما ان السير ببطء شديد يؤدي الى الافلات من المراقبة اذ ان هذه الرادارات تستطيع تمييز حركة الافراد اذا كانت واضحة . ومن الامثلة على هذه الاجهزة الرادار الفرنسي « اوليفنت ١١ » والرادارات الاميركية « AN-PPS9 و ١٠ و ١١ »، وتصنعها في الدولة الصهيونية شركة « موتورولا للصناعات الالكترونية » بتصريح من شركة « جنرال الكتريك » الاميركية .

ب – اجهزة التقاط الذبذبات الارضية الناشئة عن سير الافراد والآليات : وتعرف باسم «جيوفون» وهي تلتقط الاهتزاز الذي يتولد في الطبيعة عند سير الافراد او الآليات بقربها ، ويشبه مبدأ عملها عمل اجهزة « السيسموغراف » التي تلتقط اهتزاز الارض الناشئ عن الزلازل . وقد كانت الاجهزة الاولى التي طورت من هذا النوع بدائية ، وبالتالي كانت تتسبب في ارسال انذارات كاذبة كثيرة عند مرور الحيوانات او دحرجة الصخور بقربها ، لذلك فقد جرى في نهاية الستينات ومطلع السبعينات تحسين هذه الاجهزة وتعديلها واضافة اجهزة الكترونية مختلفة اليها لتتمكن من تمييز تحركات العدو من الارتجافات الناتجة عن الحركات العادية الاخرى ، اعتماداً على ان شكل الذبذبات الملتقطة يعتمد على نوع الحركة المسببة لها ، وبالتالي يمكن تمييز اقتراب الافراد سيراً او زحفاً ، واقتراب الآليات ، من اقتراب الحيوانات البرية او دحرجة الصخور . ويمكن معرفة ذلك من خلال المعلومات الشاملة المستقبلة في محطات ومراكز الرقابة والسيطرة المركزية التي تظهر على لوحاتها رموز معينة تدل على شكل ونوع الاختراق . ويتم نشر هذه الاجهزة على شكل شبكات ، على طول المنطقة المحمية ، تتكون من عدد كبير من الاجهزة التي تزرع او باليد او تلقى بواسطة الطائرات او الصواريخ او قذائف الهاون (عيار ١٢٠ في اكثر الاحيان) . وغالباً ما تكون هذه الاجهزة مموهة وفق الاشكال المألوفة في الطبيعة ليصعب اكتشافها وتعطيل عملها . ويتراوح مدى عمل كل جهاز منها بين (٥٠ – ٣٠٠) متر ، ويتوقف ذلك على طبيعة الارض ، وهي تستطيع ارسال اشاراتها اللاسلكية الى قواعد ارضية او جوية تبعد عنها (٢٥) كيلومتراً .

ج) اجهزة الالتقاط السمعية : وهي عبارة عن اجهزة التقاط ميكروفونية صغيرة تلتقط اصوات المنطقة على الطبيعة وترسلها بشكل رموز لاسلكية الى مراكز المراقبة التي تقوم بتحليلها وفرز البيانات التي تحتوي على اصوات المتسللين (احاديثهم او اصوات سيرهم او زحفهم او اصوات آلياتهم) . وهي تلقى عادة من الطائرات لتعلق باغصان الاشجار .

د – اجهزة الشم (اجهزة الكشف الكيماوية) : وتتلخص طريقة عملها في انها تسحب كمية كبيرة من الهواء الجوي ، وتحللها كيماوياً بصورة مستمرة ، بهدف كشف افرازات جسم الانسان العضوية التي تتطاير في الهواء مثل الاحماض العضوية وغيرها . وتشير المعلومات المتوفرة الى ان مدى حساسية هذه الاجهزة للمواد المذكورة تبلغ بضعة مئات من الامتار . وقد استعملت في فيتنام اما محمولة على ظهور الجنود او مركبة على متن السيارات او طائرات الهيليكوبتر .

هـ – اجهزة التقاط الحرارة : وتعمل بطريقة ملاحظة التغيرات الحرارية الضئيلة من حولها والناتجة عن الطاقة الحرارية المنبعثة من جسم الانسان او محركات الآليات ، او بعبارة اخرى التقاط الاشعة تحت الحمراء التي تنطلق من جميع مصادر الحرارة دون استثناء . وتبث هذه الاجهزة معلوماتها بطريقة الارقام المنفصلة (مثلاً ، ينتقل الانذار في صورة اشعال ضوئي في مركز المراقبة يدل على ان الحرارة على بعد ما حول الجهاز – ٣٠ متراً – تتغير بقوة تلائم مرور الانسان او الآلية) ، او باسلوب العرض المستمر وفي هذه الحالة يظهر الانذار في مركز المراقبة بشكل صورة حرارية متواصلة على شاشة تشير الى وجود و حركة مصادر الحرارة في الميدان . وهناك مجموعة كبيرة من اجهزة الالتقاط الحرارية منها على سبيل المثال « اجهزة الرؤية بالاشعة تحت الحمراء Forward Looking Infra Red » المنقولة جواً . وبامكان هذا النوع من الاجهزة ملاحظة التبدلات الحرارية الصغيرة جداً (جزء من عشرة من الدرجة) من ارتفاع مئات وآلاف الامتار بطريقة العرض المتواصل . ولا تؤثر الادغال الكثيفة او المواد التي تستخدم في تمويه الآليات والاسلحة وغيرها على اداء هذه الاجهزة طالما ان هناك فرقاً في درجة حرارة كل من هذه الاجسام والاشياء ، ولذلك فهي تستطيع اكتشاف نيران المعسكرات كما تستطيع اكتشاف الآليات المموهة او حركة الافراد والآليات داخل الادغال الكثيفة . ولهذه الاجهزة مهام اخرى تستطيع اداءها كاكتشاف وجود حقول الالغام وطريقة زرع الالغام فيها اعتماداً على وجود فرق بين درجة حرارة جسم اللغم وحرارة الارض المحيطة به في الليل وفي النهار ، اذ ان الالغام اسرع في اكتساب حرارة الشمس في النهار وفي فقدها في الليل ، وبالتالي فإن لها صورة حرارية مختلفة ، وبقليل من الخبرة يمكن تمييز انواع الالغام المختلفة اذ ان لكل نوع من الالغام صورة حرارية تميزه عن غيره . وقد استخدمت هذه الاجهزة في فيتنام لكشف جماعات الثوار ومعسكراتهم والطرق والمسالك الخفية التي يسلكونها . وكانت تحمل على متن الطائرات ، او تعلق فوق الاشجار او الجدران ، او تستخدم على شكل مناظير حرارية للرؤية الليلية (انظر جهاز الرؤية الليلية والقتال الليلي) .

و – اجهزة الانذار المغناطيسية : وتستخدم لكشف وجود وتنقل المعدات المعدنية والاسلحة والآليات في الادغال والطرق والمسالك الخفية . وهي اما ان تكون محمولة جواً ، او ثابتة على شكل اسلاك مدفونة في التراب بطول عدة كيلومترات . وترسل هذه الاجهزة اشاراتها الى مراكز المراقبة لدى اي تغيير في المجال المغناطيسي للارض ناشئ عن مرور معدات او آليات في نطاق عملها .

ز – اجهزة كشف مواقع رماية المدفعية المعادية : كان كشف وتحديد مواقع رماية مدفعية في الماضي يتلخص في تحليل عدد من المعطيات منها الصوت والوميض اللذان ينتجان عن اطلاق قذائف المدفعية والهاونات ، ومسار هذه المقذوفات . ثم امكن تطوير رادارات خاصة تستطيع مشاهدة القذائف في مسارها، وتحليل هذا المسار بمساعدة ادمغة الكترونية غاية في الدقة، من اجل تحديد مواقع انطلاقها . وتستطيع هذه الاجهزة تحديد مواقع الرماية بدقة تبلغ (± ٢٠) متراً وذلك بعد ثوان قليلة من انطلاق القذائف ، وهي تتميز بسهولة استخدامها ، وخفة وزنها ، بحيث يمكن حملها ونقلها بواسطة الآليات .

ح – الاسلاك الالكترونية الدقيقة : وهي عبارة عن اسلاك شعرية ، تقل سماكتها عن سماكة شعر الانسان ، وبالتالي تصعب رؤيتها وخصوصاً في الليل ، وتكون هذه الاسلاك موصولة بكابلات مركبة على جدران قائمة حول المنشآت المراد حمايتها ، ويسري فيها تيار كهربائي . ويؤدي قطع احد الاسلاك الشعرية المذكورة الى وقف سريان التيار ويتسبب ذلك في انذار مركز المراقبة بوجود اختراق ما . وتعد هذه الوسيلة في الوقت الحاضر وسيلة بدائية محدودة الفعالية بالنظر لكون الاسلاك مكشوفة يمكن ضبطها بجهد محدود ، وبالنظر لارتفاع احتمالات الحصول على انذارات كاذبة باستخدامها ، اذ قد تقوم الحيوانات بقطعها اثناء مسيرها . ولكنها تستخدم بكميات كبيرة بالنظر لبساطتها ، وانخفاض تكلفتها ، وسهولة استخدامها من قبل افراد غير مدربين مسبقاً .

وهناك دلائل قوية تشير الى قيام العدو الصهيوني باستخدامها على طول الحدود اللبنانية ، وحول بعض مستعمراته الحدودية لمراقبة تسلل الثوار الفلسطينيين . كما ان تصنيعها يجري داخل الارض المحتلة من قبل شركة « التا » للصناعات الالكترونية .

ط – اشعة ليزر والاشعة تحت الحمراء: ويطبق استخدام هذه الاشعاعات غير المرئية بالعين المجردة لكشف التسلل عن طريق تركيب شبكات ميدانية مؤلفة من اجهزة توليد واطلاق الاشعة ، توضع في مقابلها اجهزة استقبال لها . ويتم توليد هذه الاشعاعات واستقبالها بشكل مستمر ، ولكن مرور الانسان او الآلية او الحيوانات وغيرها في مسار الشعاع يحجبه عن جهاز الاستقبال . ويترتب على ذلك ارسال انذار الى مركز مراقبة خلفي . ويمكن توجيه الشعاع اما بخط مستقيم الى جهاز الاستقبال، او استخدام مرايا عاكسة مرتبة بزوايا جانبية، وفي هذه الحالة يمكن استخدام جهاز ارسال واحد ذي طاقة عالية مع عدة اجهزة استقبال . وتتلخص نقاط ضعف هذه الاجهزة في حساسيتها للضباب والغبار اللذين يمكن ان يحجبا الاشعة عن جهاز الاستقبال ، فيتسببا في احداث انذارات كاذبة ، كما ان مرور الحيوانات والطيور في مسار الشعاع يؤدي الى اصدار انذارات كاذبة ايضاً . ومن ناحية اخرى فإن هناك مناظير خاصة يمكن بواسطتها رؤية الاشعة ، وفي حالة مشاهدتها فإن المرور من فوق او تحت الشعاع يمكن من التسلل بدون ان يحدث الانذار المطلوب . وللتغلب على بعض هذه العيوب تستخدم قواعد ثابتة لوضع اجهزة تطلق شعاعين متوازيين في آن واحد ، وبمساعدة شبكة الكترونية خاصة يمكن التمييز بين تسلل الانسان والحيوان .

(٦) حاجز الحرارة (جدار الحرارة)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) حاجز الصوت

(انظر جدار الصوت) .

(٦) الحاجز الكهربائي

الحاجز الكهربائي (Electric Barrier) عبارة عن مانع من الاسلاك المعدنية (غالباً ما تكون اسلاكاً شائكة لغايات الخداع والتمويه) الموصلة لتيار كهربائي ذي فلطية عالية (١٠٠٠ فولط فما فوق) وذبذبة لا تقل عن ٥٠ دورة/ثانية ، تستخدم لمنع الاختراق والتسلل المعادي الى الاماكن العسكرية كالمعسكرات وسائر المنشآت الهامة ونقاط الحدود . وفائدة استخدامها هي في توفير الطاقة البشرية ، ولكنها لا تغني عنها، اذ أن وجود حواجز كهربائية يتطلب وجود قوة بشرية تقوم بمراقبتها وصيانتها ومراقبة وصيانة مصدر الطاقة الكهربائية الذي يغذيها أيضاً . وهي من ناحية اخرى تطبيق لاستخدام الطاقة الكهربائية لغايات عسكرية ولغايات الحفاظ على أمن المنشآت والاماكن الهامة ، باستغلال تأثيرها الضار بالخلايا والانسجة الحية : اذ انها تتسبب في حرق واتلاف الانسجة الحية والعضلات (وبخاصة عضلات القلب) ، وشل الاجهزة العصبية للكائنات الحية وذلك عند لمس الاسلاك المكهربة او الاقتراب منها مسافة تتناسب طرداً مع فلطية التيار الكهربائي . ويأتي خطر الاقتراب من خطر حدوث تفريغ كهربائي بين الاسلاك التي يسري فيها تيار كهربائي ذي فلطية عالية وبين جسم الانسان الواقف على الارض بقربها، نتيجة وجود فرق جهد كهربائي عال بينهما ، يتأين الهواء بسببه ويصبح موصلا للتيار الكهربائي فتنتقل الشرارة الكهربائية عبره بين الاسلاك المكهربة وجسم الانسان . وفيما يلي جدول بالمسافات التي يمكن الاقتراب بها الى الاسلاك المكهربة او أية اجهزة ذات فلطية عالية .

مقدار الفلطية	المسافة
أقل من (١٥) كيلو فلط (كيلو فلط = ١٠٠٠ فلط)	٧٠ سنتيمتراً
١٥ – ٣٥ كيلو فلط	١٠٠ سنتيمتر
١١٠ كيلو فلط	١٥٠ سنتيمتراً
٢٢٠ كيلو فلط	٣٠٠ سنتيمتر
٢٢٠ – ٥٠٠ كيلو فلط	٥٠٠ سنتيمتر

ويختلف تأثير التيار الكهربائي من شخص الى شخص باختلاف قابلية جسم الانسان واختلاف الظروف الطبيعية المحيطة التي قد تكون عاملا مساعداً في زيادة خطر التيار الكهربائي : فالتيار الواحد يؤثر بدرجات متفاوتة من الخطورة على الاجسام ، فخطره على جسم المريض اكبر من خطره على السليم ، وخطره على شخص كان قد تناول المشروبات الروحية قبل لمس السلك المكهرب او الاقتراب منه اكبر من خطره على شخص لم يتناولها ، وخطره في الطقس الحار اكبر من خطره في الطقس البارد ، كما ان خطره يزداد بارتفاع نسبة الرطوبة في الجو (إن تياراً ضعيفاً يشكل خطراً كبيراً عندما تصل نسبة الرطوبة إلى ٧٥٪) . ومن ناحية ثانية فإن الارض المحيطة بالحاجز الكهربائي تصبح موصلا جيداً للكهرباء اذا كانت رطبة ، وتزداد خطورتها كلما اقترب الشخص من نقطة اتصال الاسلاك بالارض كما تزداد خطورة الارض كلما ارتفعت درجة مقاومتها النوعية . ووجود العوامل المساعدة المذكورة يجعل بالامكان استبدال التيار ذي الفلطية العالية بتيار ذي فلطية أقل ، وبالتالي يمكن خفض التكاليف الناجمة عن هذه العملية .

ويختلف تأثير التيار الكهربائي باختلاف فلطيته : فالتيار الذي تزيد فلطيته عن ٣٦ فلطاً يشكل خطراً على الانسان يزداد بوجود العوامل المساعدة . ويختلف التأثير باختلاف شدة التيار الكهربائي : فالتيار الذي تتراوح شدته بين ٠٫٥ – ١٫٥ ميكرو امبير يؤذي الانسان ، ولكنه يميته اذا بلغت شدته ١٠٠ ميكرو امبير فما فوق . ويختلف التأثير باختلاف نوع التيار الكهربائي : فالتيار المتناوب AC والتيار المستمر DC كلاهما خطر ، وتزداد خطورة التيار المتناوب الى ان تصل الى ٤٥٠ فلطاً ، وتكون خطورتهما واحدة فيما بين ٤٥٠ – ٥٠٠ فولط ، ثم يصبح خطر التيار المستمر اكبر اذا تجاوزت فلطيته الـ ٥٠٠ فلط حتى لو تساوت مع فلطية التيار المتناوب . كذلك يختلف خطره باختلاف عدد الذبذبات فيزداد طرداً الى ان تصل الذبذبة الى ٥٠ دورة/ثانية، ثم تتساوى درجة الخطر فيما بين ٥٠ – ٥٠٠ دورة/ثانية، ويكون له تأثير واحد تقريباً على جسم الانسان . وباعتبار العوامل السابقة ، يستخدم التيار المستمر في أغلب الاحيان لكهربة الحواجز ، وتتجاوز فلطيته عادة الـ ١٠٠٠ فلط .

وتختار الجيوش اشخاصاً من ذوي القابلية الجسمانية الجيدة ومن غير المدمنين على تعاطي المشروبات الروحية للقيام بالاعمال الفدائية التي تتطلب اجتياز الحواجز الكهربائية ، وتقوم بتدريبهم على اجتيازها واختيار الوقت المناسب لذلك باعتبار الظروف المساعدة المختلفة . وتدريبهم على القيام بالاسعافات الاولية وخصوصاً إجراء عملية التنفس الاصطناعي ، اذ ان الانسان المكهرب يفقد الرشد ، وقد لا تعود عضلات قلبه الى العمل بدون اجراء التنفس الاصطناعي له . ثم يجري تزويدهم بتجهيزات خاصة تناسب التعامل مع التيار الكهربائي العالي مثل : القفازات المطاطية العازلة ، والاحذية الطويلة المطاطية السميكة العازلة ، وقطع من المطاط (على شكل مفروشات) لفرشها في المناطق الخطرة

والقريبة من الاسلاك المكهربة زيادة في الاحتياط ، ومن أجل تأشير الممرات المحاذية الصالحة للسير ، واجهزة لكشف الفلطية وشدة التيار الكهربائي ، وادوات لربط وقطع الاسلاك المكهربة ذات مقابض طويلة (يمكن فصلها وربطها تسهيلا لنقلها) معزولة بالمطاط لكي يمكن قطع وربط الاسلاك عن بعد كاف (انظر الجدول السابق) ، وكلابات خاصة تلقى على الاسلاك الكهربائية ثم تربط اطرافها بقضبان – يتناسب طولها وقطرها مع مقدار الفلطيه – تدفن في الارض على بعد كاف من المنطقة التي يجري فيها قطع الاسلاك المطلوب اجتيازها قبل البدء بقطعها ، وتجهيزات خاصة يمكن بواسطتها قطع التيار الكهربائي من الاسلاك بإحداث دائرة القصر (أي تعويق او تقصير الدائرة الكهربائية) وذلك بوصل سلكين من الاسلاك المقطوعة احدهما بالآخر او برمي قطعة معدنية يزيد طولها عن طول المسافة بين السلكين المتجاورين.ويكون تعويق الدائرة الكهربائية عادة لمدة قصيرة ينتبه خلالها الخفراء المكلفون بمراقبة الحاجز الكهربائي . ولكن يمكن استغلال هذه الفترة الزمنية لقطع الاسلاك واجتيازها .

استخدمت الحواجز الكهربائية في بناء خطوط « مكنمارا » و « موريس » و « الغور » وعلى الحدود اللبنانية – الاسرائيلية .

(٦) حارم (قلعة)

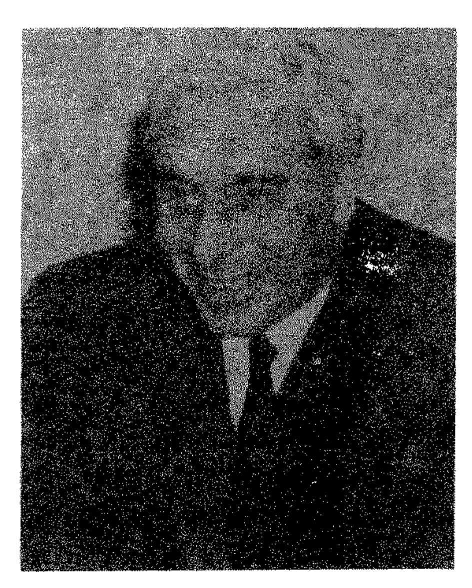
(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) حافة الهاوية

(انظر سياسة حافة الهاوية) .

(٩) الحافظ (امين)

عسكري (فريق) ورجل دولة سوري (١٩٢١ –) . ولد امين الحافظ في حلب ، ودخل الكلية العسكرية السورية في حمص في العام ١٩٤٧ ، وتخرج منها برتبة ملازم ثان في العام ١٩٤٠ ، وانضم الى حزب البعث العربي في الاربعينات . استلم عدة قيادات عسكرية ميدانية ، واتبع دورة اركان في القاهرة وكان برتبة رائد . وفي العام ١٩٦١ ارسل الى الاتحاد السوفياتي لاتباع دورة عسكرية عليا في كلية فوروشيلوف وكان برتبة عميد. وعندما وقع انفصال سورية عن الجمهورية العربية المتحدة في ايلول (سبتمبر) ١٩٦١ اعيد امين الحافظ الى سورية حيث وقف من الانفصاليين موقفاً معارضاً ، الامر الذي دفع قيادة الجيش الى نقله من منصبه كقائد للمنطقة الشرقية (الجزيرة



الفريق أمين الحافظ

والفرات) ثم ارساله الى الارجنتين كملحق عسكري .

وبعد ثورة ٨ آذار (مارس) ١٩٦٣ ، عاد الحافظ الى سوريا وشارك في الحكم . ورفع الى رتبة لواء واسندت اليه وزارة الداخلية في حكومة ٩ آذار (مارس) ، كما عين ايضاً نائباً للحاكم العسكري . وفي حكومة ١٣ ايار (مايو) ١٩٦٣ عين الحافظ نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية . وبعد المحاولة الانقلابية الفاشلة التي قام بها رئيس الاركان ووزير الدفاع اللواء زياد الحريري في اوائل تموز (يوليو) ١٩٦٣ ، تولى رئاسة الاركان ووزارة الدفاع في ١٠ تموز (يوليو) ١٩٦٣ مع احتفاظه بالمراكز التي كان يشغلها آنذاك (نيابة رئاسة الوزراء ، ووزارة الداخلية ونيابة الحاكم العسكري) . وفي اعقاب فشل الحركة العسكرية الناصرية (١٨ تموز ١٩٦٣) اعفي الفريق لؤي الاتاسي من رئاسة مجلس قيادة الثورة ومن القيادة العامة للقوات المسلحة ، فخلفه الحافظ في هذين المنصبين في ٢٧ تموز (يونيو) ١٩٦٣ ، وكان قد غدا آنذاك فريقاً .

وعندما شكلت الوزارة الجديدة في ٤ آب (اغسطس) ١٩٦٣ تخلى الحافظ عن نيابة رئاسة الوزراء ووزارتي الدفاع والداخلية واستبقى المناصب الاخرى . وفي ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٣ شكل الحافظ الوزارة واستمر في رئاسة مجلس قيادة الثورة وقيادة القوات المسلحة .

وفي ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٦٤ صدر الدستور السوري المؤقت الذي حدد أسس السلطات التشريعية والتنفيذية ، وانشئ بموجبه مجلس الرئاسة (١٤ أيار ١٩٦٤) وعين الفريق الحافظ لرئاسته وكان هذا المنصب بمثابة رئاسة دولة . وشكلت وزارة جديدة في ١٤ أيار (مايو) ١٩٦٤ وكانت مؤلفة من بعثيين ووحدويين مستقلين . ولقد حاول الفريق الحافظ اخراج سوريا من العزلة العربية التي كانت تعيشها . فترأس وفد سورية في مؤتمر ملوك ورؤساء الدول العربية (١٣ – ١٧ ايلول ١٩٦٣) في الدار البيضاء . كما ترأس وفد سورية الى مؤتمر القمة المنعقد في القاهرة في العام ١٩٦٤ . الامر الذي خفف حدة التوتر المصري – السوري ، دون ان يعيد العلاقات بين البلدين الى الشكل الطبيعي .

وفي ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٦٦ وبعد خلافات طويلة داخل حزب البعث العربي الاشتراكي ، قام الجناح العسكري في الحزب بحركة اطاحت بالفريق الحافظ واعتقلته . وتسلمت اللجنة العسكرية الحكم ، وعلقت الدستور وحلت المجلس الوطني لقيادة الثورة ، وتسلمت السلطتين التشريعية والتنفيذية . وفي حزيران (يونيو) ١٩٦٧ أفرجت السلطات السورية عن الفريق أمين الحافظ الذي غادر البلاد الى لبنان ثم الى العراق ، حيث لا يزال منذ العام ١٩٦٨ .

(١٢) الحاكم العسكري

هو الحاكم الذي يتولى السلطة العامة في اقليم او مقاطعة او بلد ما ، اما في ظروف حكم عرفي ، او في ظروف احتلال عسكري، ويتمتع بالصلاحيات التنفيذية والتشريعية والقضائية اللازمة لتسيير الادارة في الاقليم او المقاطعة او البلد الذي يحكمه . كما يعود له الحق في سن انظمة وقوانين وإنشاء محاكم عسكرية مؤقتة .

ولقد وضعت بعض الاسس التي تتعلق بصلاحيات الحاكم العسكري ، منذ العهدين الروماني واليوناني ، وفيها احترام القوانين المحلية والعادات والتقاليد والمعتقدات الدينية . وحتى مطلع القرن التاسع عشر كان الفاتح يعتبر نفسه المالك الوحيد للمنطقة المحتلة وذلك بصرف النظر عن القوانين المعمول بها في هذه المنطقة . ولقد انتهكت هذه القوانين في الحربين العالميتين الاولى والثانية (انظر الحكومة العسكرية ، وقانون الحرب) . هذا في ظروف الاحتلال العسكري ، اما في الظروف التي تفرضها حالة الطوارئ او الاحكام العرفية في بلد ما ، فالحاكم العسكري هو الحاكم الذي تعينه الدولة إبان اصدار الاحكام العرفية . وفي مثل هذه الظروف يحق لمجلس الوزراء ان يحيل امام المحكمة العسكرية الجرائم التي

يعاقب عليها القانون العام. بيد ان نظام الاحكام العرفية، وان يكن نظاماً قانونياً، إلا انه نظام استثنائي لا يجوز التوسع في تطبيقه او تقسيم احكامه، وتعتبر قوانينه استثنائية تسن في ظروف غير عادية.

(١) حالة الاستنفار

(انظر استنفار).

(١) حالة الحرب

يطلق اسم حالة الحرب **Etat de guerre**، على الوضع الذي يسود بين دول مشتبكة في صراع مسلح. ويعتبر القانون الدولي ان حالة الحرب تبدأ منذ إعلان الحرب الذي اكدت عليه اتفاقية لاهاي الثالثة (١٩٠٧)، وأصبح قاعدة قانونية دولية متعارفاً عليها. ولكن القانون الدولي المتبع، والنابع من العقيدة الانكلوسكسونية يعتبر اعلان الحرب عبارة عن مسألة شكلية اختيارية. واذا كانت الحروب الماضية تهتم بهذه الشكلية لتحديد بداية حالة الحرب فان العديد من الحروب المعاصرة بدأت دون التقيد بهذه الشكلية بغية تحقيق المفاجأة الاستراتيجية (انظر بورت آرثر). ولا تنتهي حالة الحرب عند عقد اتفاقية هدنة مؤقتة، أو اتفاقية لوقف اطلاق النار، ولكنها تنتهي عندما تعقد اتفاقية صلح او اتفاقية او معاهدة انهاء حالة العداء بين الاطراف المتنازعة، أو عندما يستسلم احد الاطراف دون قيد او شرط.

وتؤدي حالة الحرب الى قطع العلاقات الدبلوماسية بشكل آلي، وإلغاء بعض الاتفاقات – وخاصة الاتفاقات التجارية – وايقاف المبادلات الاقتصادية بين الدول المعنية. ولا تؤدي حالة الحرب عادة الى ايذاء رعايا البلد المعادي المقيمين على اراضي دولة دخلت الحرب ضد بلدهم، كما لا تؤدي الى مصادرة اموالهم وممتلكاتهم. ولكن الدول المتحاربة بدأت، منذ الحرب العالمية الأولى، بوضع رعايا الخصم في معسكرات اعتقال، ووضع ممتلكاتهم تحت الحراسة.

ولا تنعكس حالة الحرب على العلاقات بين الدول المتحاربة فحسب، بل تنعكس أيضاً على الاوضاع الداخلية لهذه الدول. وتؤثر على نشاطاتها الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والاعلامية وتكرسها لخدمة المجهود الحربي (انظر اقتصاد الحرب) كما تدفع السلطات الى فرض حالة الطوارئ بكل ما يمثله ذلك من تركيز للصلاحيات بيد السلطة العسكرية، وتقييد للحريات العامة والخاصة (انظر حالة الطوارئ).

(١٢) حالة الطوارئ

تعتبر حالة الطوارئ **Etat de Siege** حالة استثنائية تتسلم فيها السلطة العسكرية ادارة شؤون البلاد عندما لا تستطيع السلطات المدنية متابعة مهامها لقمع ثورة او فتنة او تمرد او خطر خارجي مداهم، فتقوم هذه السلطة مقام السلطات المدنية في تنفيذ الاجراءات اللازمة لحفظ الامن الداخلي والاشراف على السلامة العامة والنظام العام او اعداد البلاد لصد الخطر الخارجي. وفي هذه الحالة توضع قوات الامن الداخلي، والشرطة، والدرك والتشكيلات شبه العسكرية، والجمارك ومخافر حراسة الموانىء والمطارات، ورجال الاطفاء بتصرف السلطة العسكرية التي تختار قوى خاصة تكلفها بمهمات تتعلق بالنشاط الحربي والامن والحراسة وعمليات الانقاذ، وتنشىء المحاكم العرفية. اما السلطات المدنية فلا تحتفظ الا بما تتخلى عنه السلطة العسكرية من صلاحيات.

ويحق للسلطة العسكرية العليا عند اعلان حالة الطوارئ:

– مصادرة الاشخاص والممتلكات.
– تحري المنازل ليلا نهاراً.
– التفتيش عن الاسلحة والذخائر واعطاء الاوامر بتسليمها ومصادرتها.
– اعتقال المشبوهين أو ابعادهم.
– تحديد اقاليم دفاعية واقاليم حيطة بحيث تصبح الاقامة فيها خاضعة لنظام معين.
– فرض الاقامة الجبرية على الاشخاص الذين يقومون بنشاطات تشكل خطراً على أمن وسلامة البلاد.
– اعطاء الاوامر الخاصة باقفال مختلف اماكن التجمع بصورة مؤقتة (قاعات السينما والمسارح والملاهي).
– منع التجول في الاماكن وفي الاوقات التي تحدد بموجب قرار.
– فرض الرقابة على الصحف والمطبوعات والنشرات المختلفة وجميع وسائل الاعلام، بما فيها الاذاعة والتلفزيون والافلام والمسرحيات.
– احالة جميع المخالفات الى المحكمة العسكرية، بما في ذلك الجرائم الواقعة على امن الدولة وعلى الدستور وعلى الأمن والسلامة العامة حتى وان وقعت هذه الجرائم خارج الاقاليم التي اعلنت فيها حالة الطوارئ، وكذلك يحق للسلطة العسكرية العليا ان تحيل امام المحكمة العسكرية جرائم اجتياز الحدود بقصد الاعمال العدوانية او المخلة بالامن.
– تعطيل بعض احكام الدستور، وتطبيق قانون الطوارئ الذي يخولها سلطات واسعة واستثنائية.

تعود صلاحية اعلان حالة الطوارئ او رفعها الى السلطة التشريعية، الا انه يعود لرئيس البلاد امر اعلان هذه الحالة بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء اذا اقتضت الظروف ذلك.

(٥) حاملة الطائرات

إن حاملة الطائرات (**Aircraft carrier**) عبارة عن سفينة حربية ضخمة، تعمل كمطار عائم له كل ميزات التنقل في البحار والمحيطات. وللحاملة كل مقومات السفن الحربية الضخمة من حيث القوة والقدرة على العمل في اعالي البحار. أما من الناحية الاستراتيجية، فهي سفينة حربية توجه ضرباتها، لا عن طريق نيران مدافعها او طوربيداتها، بل بواسطة طائراتها المقاتلة. ولقد قامت الحاملة بتحرير الطائرات من اشد قيودها صرامة، اي قصر المدى، فزادته بأن قربت القاعدة من الاهداف المنوي ضربها.

بدأت التجارب الاولى للاقلاع بطائرة من فوق سطح سفينة عادية في العام ١٩١٠، حين نجح طيار مدني امريكي في الاقلاع بطائرته من فوق مدرج أعد فوق احد الطرادات. ورغم ان السفن التي اطلق عليها اسم «حاملات الطائرات» لم تظهر لاول مرة الا في اثناء الحرب العالمية الاولى، الا ان هذه السفن لم تزود بسطح كامل (يمتد على طول الحاملة كلها)، ولم يكن هذا السطح متسعاً لدرجة تسمح باقلاع الطائرات او هبوطها عليه. لذلك كانت الطائرات التي تنطلق من الحاملة لا تتمكن من الهبوط عليها ثانية، فكانت تهبط فوق سطح الماء ثم تعوم على اكياس من الهواء حتى ترفع ثانية على السفينة الحاملة. وكان هناك حاملات للطائرات البحرية، كانت الطائرات تدلى منها الى الماء بواسطة رافعات، وترفع مرة اخرى بعد انجاز مهمتها. وبنيت اول حاملة طائرات حقيقية في بريطانيا في العام ١٩١٧، ودخلت الخدمة في اواخر الحرب العالمية الاولى. ولكن هذا الدخول كان متأخراً لدرجة انه لم يستفد من الحاملة في تلك الحرب، ولكنها خدمت في الحرب العالمية الثانية. واطلق عليها اسم «ارجيوس»، وبلغت حمولتها ١٤ ألف طن، وطول سطحها المعد للطيران

١٧٠ متراً ، وعرضه ١٩,٥ متراً .

اما في بحرية الولايات المتحدة ، فقد دخلت اول حاملة طائرات ذات سطح كامل الخدمة في العام ١٩٢٢ ، وهي الحاملة « لانجلي » التي تم تحويلها عن سفينة ناقلة فحم . اما الحاملتان الثانية والثالثة فكانتا في الاصل طرادين لم يكن بناؤهما قد اكتمل بعد ، ثم تم تحويلهما الى حاملتي طائرات هما الحاملتان الشهيرتان «لكسنغتون» و «ساراتوغا» ، اللتان شاركتا في الحرب العالمية الثانية ، واصبحتا مقياساً لسلسلة من حاملات الطائرات من ناحية الوزن (٣٣٠٠٠ طن) ، والسرعة (٣٤ عقدة) .

وكانت اول حاملة امريكية بنيت لتكون حاملة طائرات هي حاملة الطائرات « رانجر » التي كانت اصغر من سابقتيها حيث لم يزد وزنها عن ١٤٥٠٠ طن .

وكانت الولايات المتحدة اكثر الدول استخداماً لحاملات الطائرات وتطويراً لها ، ويرجع ذلك الى أن الاستراتيجية البحرية الامريكية مبنية على اساس الحفاظ على المصالح الامريكية فيما وراء البحار ، والى توافر القدرة الاقتصادية لبناء حاملات الطائرات ، التي تتطلب اموالا طائلة . ولقد اهتمت كل من بريطانيا واليابان ، بالاضافة الى الولايات المتحدة ، ببناء حاملات الطائرات . وبنت فرنسا عدداً منها . ولعبت حاملات الطائرات دوراً خطيراً وحاسماً خلال الحرب العالمية الثانية ، خاصة في المحيط الهادي (الباسيفيكي) الشاسع ، الذي يعتبر مثالياً لمناورات الاساطيل الكبيرة . واستفادت الحاملات من امكاناتها في تلك البحار الى اقصى حد ممكن . وكانت اليابان قد بدأت تلك المعارك حين شنت هجومها المفاجئ على الاسطول الامريكي المرابط في قاعدة « بيرل هاربر » في جزر هاواي يوم ٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ . واستخدم اليابانيون في هجومهم هذا خمس حاملات طائرات (انظر بيرل هاربر) وعقب ذلك حشدت الولايات المتحدة خمس حاملات طائرات قامت بالدور الرئيسي في التصدي للهجوم الياباني على جزر المحيط الهادي واستراليا خلال معارك بحر الكورال ، وميدواي في العام ١٩٤٢ .



طائرات قاذفة منقضة مصفوفة على ظهر الحاملة الأميركية «انتربرايز» خلال الحرب العالمية الثانية .

وفي اثناء الحرب ، بدأت الولايات المتحدة حملة ضخمة لبناء حاملات الطائرات على هياكل السفن الحربية والتجارية التي كانت قيد البناء ، وقد زاد عدد الحاملات الامريكية ، في الفترة الاخيرة من الحرب ، عن ١٠٠ حاملة . وعرفت الحاملات التي بنيت على هياكل السفن التجارية باسم « حاملات الحراسة » (CVE) . واهم فئات هذا النوع ، فئة « كازبلانكا » ، وعددها حوالي ٥٠ حاملة ، ويبلغ الوزن القياسي لكل من هذه الحاملات ٧ آلاف طن ، وسرعتها ١٨ عقدة ، والفئة الثانية هي « كومنسمنت باي » ، وعددها ٢٣ حاملة ، ووزنها القياسي ١٢ ألف طن ، وسرعتها ١٨ عقدة . وكان طول المدرج المخصص للطيران يتراوح بين ٥٠٠ و ٥٥٠ قدماً (١٥٢ – ١٦٧ متراً) ، وزودت بمنجنيق لقذف الطائرات ، وكان عدد الطائرات التي تحملها يتراوح ما بين ٢٠ و ٣٠ طائرة . أما حاملات الاسطول (CV) ، والحاملات الخفيفة (CVL) فبنيت على الهياكل التي صممت لبناء سفن حربية ، وتوافرت فيها ميزات السرعة والقدرة على المناورة ، مع كل المزايا التي تملكها السفن الحربية العادية ، وذلك خلافاً للحاملات من الفئة الاولى .

وطوال الحرب العالمية الثانية ، اعتمدت المعارك البحرية والبرمائية في المحيط (الباسيفيكي) ، على حاملات الطائرات بشكل رئيسي ، وكانت موازين الربح والخسارة تحسب على اساس الخسائر في الحاملات . واستخدمت حاملات الطائرات الامريكية والبريطانية في المحيط الاطلسي في العمليات ضد الغواصات الالمانية التي كانت تهاجم القوافل البحرية المحملة بالمؤن والاسلحة والعتاد من الولايات المتحدة الى بريطانيا وشمال افريقيا ، ولقد أدى تدخلها الى حسم معركة الاطلسي لصالح قوات الحلفاء خاصة وأنه لم يكن لدى المانيا حاملات طائرات نظراً لانها دولة قارية . كما استخدمت في تقديم الدعم الجوي

لعملية الانزال البحري في المغرب والجزائر التي قامت بها جيوش الحلفاء في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢. ويقول احصاء امريكي عن الخسائر التي ألحقتها حاملات الطائرات الامريكية بقوات المحور، خلال الحرب العالمية الثانية، انها تمثلت في تدمير ١٢ ألف طائرة (دمرت في الجو او على الارض)، واغراق ١٦٨ سفينة حربية، من بينها ١١ حاملة طائرات يابانية، و ٥ بوارج يابانية، و ١٩ طراداً، و ٣١ مدمرة معظمها يابانية، وذلك مقابل خسارة ١٠ حاملات في المحيط الهادي (الباسيفيكي) وواحدة في المحيط الاطلسي.

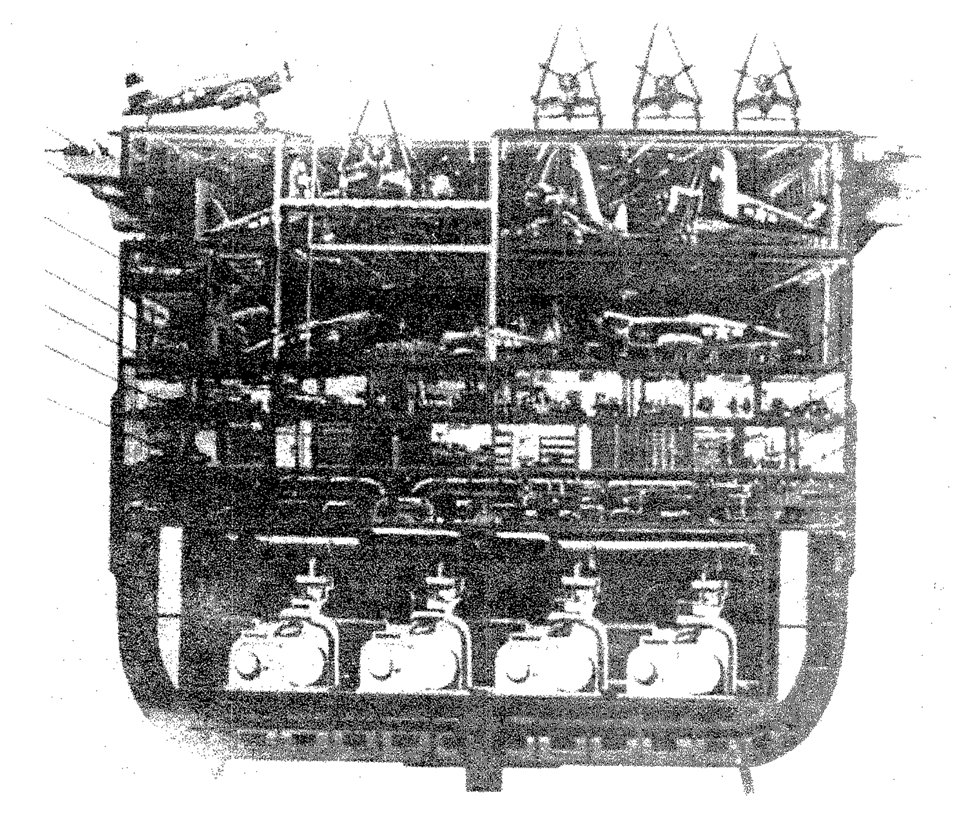
وبعد الحرب العالمية الثانية ركزت الولايات المتحدة جهودها على بناء نوع جديد من حاملات الطائرات اطلق عليه اسم حاملات الطائرات الهجومية (CVA). وكانت هذه حاملات ضخمة مكونة من فئتين: الاولى «ميدواي»، زنة ٤٥ ألف طن، والثانية «فورستال» زنة ٦٠ ألف طن، وزادت سرعة كلتا الفئتين عن ٣٣ عقدة.

ولقد حدثت بعض التطورات على حاملات الطائرات بعد الحرب العالمية الثانية، اهمها اثنان: الاول، هو اضافة مدرج آخر على سطح الحاملة العلوي. ويسمح هذا المدرج الاضافي بنزول الطائرات بزاوية بعيدة الى حد ما عن محور الحاملة او حدوث اي تشابك بين الطائرات المقلعة او الهابطة. والثاني، هو الاعتماد الكلي على اجهزة قذف الطائرات التي تعمل بالبخار لاطلاق الطائرات في الجو، التي اصبحت ضرورية بسبب ازدياد سرعة الطائرات النفاثة الحالية، وحاجتها الى مدارج اطول، للاقلاع والهبوط، وازدياد وزنها. ولقد فرضت على الطائرة التي تعمل من حاملة الطائرات، قيوداً كثيرة، تتعلق بوزنها، وحجمها. وكان لصغر حجم الطائرة اهمية قصوى، فقد كان من الضروري الا تشغل فراغاً كبيراً في مخزن الحاملة، او على السطح. لذلك صممت بحيث يكون بالامكان طي أجنحتها في اتجاه الجسم لهذا الغرض بالذات. ومن الواضح انه ليس في مقدور حاملات الطائرات استقبال اضخم انواع الطائرات الحربية المنطلقة من مطارات برية، الا ان تطور الصناعة الجوية جعل بالامكان انتاج طائرات خاصة تعمل من الحاملات يمكنها ان تنافس افضل انواع الطائرات المنطلقة من مطارات برية.

لقد اكتسبت حاملات الطائرات، خلال الحرب العالمية الثانية، مكانة لم تنازعها عليها أية سفينة اخرى. ومكنتها قدراتها الهجومية من انتزاع مكان الصدارة من البارجة، وأدت بكفاءة عالية المهمات الدفاعية، وعمليات الاستطلاع، التي تعتبر من صميم دورها الكبير في العمليات الحربية. الا ان ذلك لم يجنبها حملات النقد، منذ ظهورها وحتى الآن، سواء من رجال البحرية المحافظين، او من متطرفي المتحمسين للقوات الجوية. واول من سطر هذا النقد القائد الايطالي «جوليو دوهي»، صاحب نظرية السيطرة الجوية (انظر دوهي)، الذي كان يؤمن ان بالامكان بناء طائرات تعمل من قواعد ارضية، يكون مداها كبيراً لدرجة يمكن معها الاستغناء عن حاملات الطائرات. وقد وافق الجنرال الامريكي «وليم ميتشل» على آراء «دوهي» مع بعض التحفظ، وكان يعتقد انه ما من وحدة بحرية تستطيع النجاة من التدمير، لو دخلت ضمن مجال عمل طائرات معادية تعمل من مطارات برية. الا ان خبرات الحرب العالمية الثانية اثبتت خطأ كل هذه النظريات، وبرهنت حاملة الطائرات على انها سلاح لا غنى عنه، بسبب قدرتها على اداء مهماتها الهجومية التي اثبتت فيها عدم امكانية احلال الطائرات التي تنطلق من قواعد برية محلها. يضاف الى ذلك ظهور قدرتها على الدفاع عن نفسها ومقاومة الطائرات المعادية. ومن جهة اخرى، اثبتت حاملة الطائرات قدرة عظيمة على العمل، حتى مع وجودها ضمن مدى الطائرات المعادية التي تنطلق من قواعد ارضية.

وعززت قدرة حاملات الطائرات عوامل ثلاثة هي: اولا، تقسيم هيكلها الى اقسام مستقلة، بحيث اذا اصيب قسم بقذيفة او طوربيد لا يتسرب الماء الى الاقسام الباقية، هذا بالاضافة الى تدريعها، حيث تبلغ سماكة هذا الدرع في بعض اجزائها حوالي ٤٥٠ مم، وتزويدها بأجهزة مراقبة لكشف اي عطل فيها في الوقت المناسب. ثانياً، المظلات الجوية الواقية القوية التي كانت تظلل الحاملات، وتؤمنها الطائرات التي تحملها على سطحها. ثالثاً، وفرة الاسلحة المضادة للطائرات في الحاملة. ولقد اضيف الرادار الى هذه العوامل، حيث اثبت قدرته على انذار الحاملة بمداهمة الاخطار لها، في الوقت المناسب. الا ان تطور الاسلحة في العالم لم يبق هذه الميزات على حالها، فقد ظهر تحديان قويان لهذا النوع من السفن هما: وفرة الاسلحة الذرية لدى العديد من الدول العظمى، وتطور الصواريخ المضادة للسفن بمختلف اشكالها. ويجعل التحدي

مقطع جسم حاملة طائرات. وتبدو فيه غرف المحركات ومستودعات الطائرات والمصعد وجسر الإقلاع والهبوط.



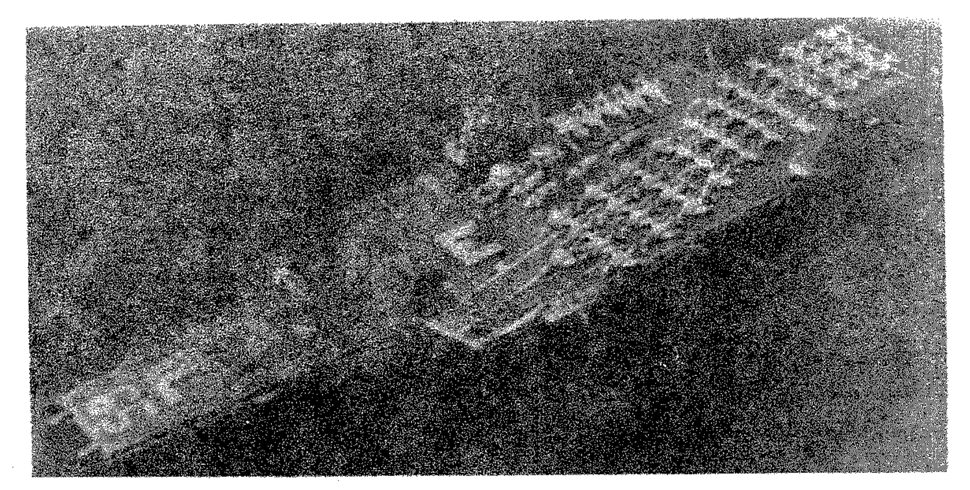
اسماء حاملات الطائرات في العالم وانواعها (في العام ١٩٧٤)

البلد	هجومية نووية	هجومية	هليكوبتر	مضادة للغواصات	اسطول	غير ذلك
الولايات المتحدة الامريكية (١)	* نيمتز * دوايت د. ايزنهاور * انتربرايس	* ميدواي * كونستلاشن * امريكا * جون ف. كينيدي * فورستال * كورال سي * رانجر * فرانكلين د. روزفلت * بون اوم ريتشارد * هانكوك * اوريسكاني		* انتربيد * تيكونديروغا * شانكريلا * هورنت * بننغتون	* كيتي هوك * ساراتوغا * اندبندانس	* ليكسنغتون
الاتحاد السوفياتي	* كييف(٢)		* موسكفا * لينغراد			
فرنسا		* كليمنصو	* ارومانش			
بريطانيا		* ارك رويال	* بولوارك(٣) * هيرمز(٣)			
استراليا						* ميلبورن * سيدني(٤)
البرازيل				* ميناس جيرايس		
الهند					* فيكرانت	
اسبانيا			* ديدالو			

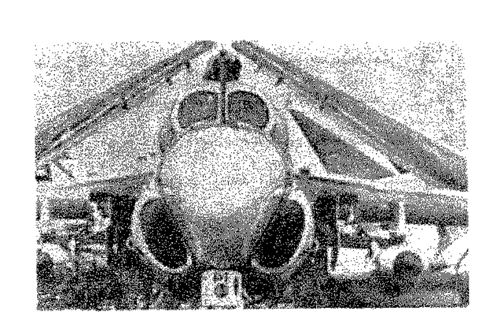
(١) بما في ذلك الحاملات قيد البناء وعددها حاملتان نوويتان ، والتي في الاحتياط وعددها ٥ حاملات مضادة للغواصات وواحدة هجومية .
(٢) ما زالت قيد البناء ، ولم يتأكد ما اذا كانت ستدفع بالطاقة النووية .
(٣) حاملتا طائرات حولتا الى سفينتي قتال برمائي ، تحمل كل واحدة ٢٠ طائرة هليكوبتر تستخدم لنقل الجنود والمعدات من السفينة الى البر ، وفي الحرب المضادة للغواصات .
(٤) صنفت كسفينة نقل سريع ، وحاملة طائرات للتدريب . وتستطيع تشغيل عدد من طائرات الهليكوبتر المضادة للغواصات .

الاول من الحاملة غرضاً سهل الاصابة والتدمير . على حين ينتزع الثاني من الحاملة فوائدها وميزاتها ، ويجعل منها جهازاً لا ضرورة له . بيد أن هذين التحديدين ينطبقان على ظروف الحرب النووية ، وهو موضوع ما زال مثيراً للجدل بين مؤيد ومعارض . الا ان الحاملة اليوم ما زالت احد افضل وسائل الحروب المحدودة ، واظهار التواجد في البحار والمحيطات ، وابراز هيبة الدولة صاحبة الحاملة . وهذه الاسباب الاخيرة هي التي دفعت الاتحاد السوفياتي نحو الشروع في بناء حاملات الطائرات ، واولها حاملة الطائرات « كييف » .

وفي العام ١٩٧٤ كان للولايات المتحدة الامريكية اكبر اسطول من حاملات الطائرات في العالم ، فهي تمتلك ١٥ حاملة طائرات في الخدمة الفعلية بالاضافة الى ٦ حاملات في الاحتياط . ويكاد استخدام حاملات الطائرات يكون محصوراً بها ، رغم انها مستخدمة في عدد آخر من اساطيل العالم ، ولكن على نطاق ضيق . وتمتلك كل من



حاملة الطائرات « فورستال » بكامل حمولتها



طائرة « غرومان » بأجنحة مطوية

حاملة الطائرات « بيننغتون »

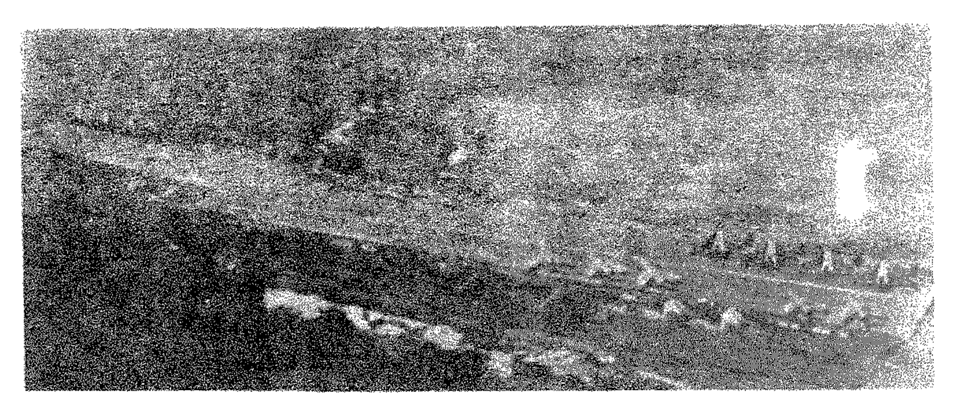


طائرات على سطح الحاملة « روزفلت »

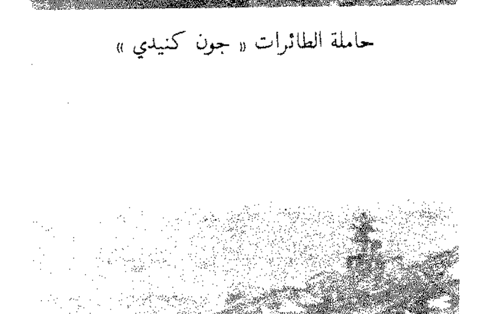
حاملة الطائرات « انفنسيبل »



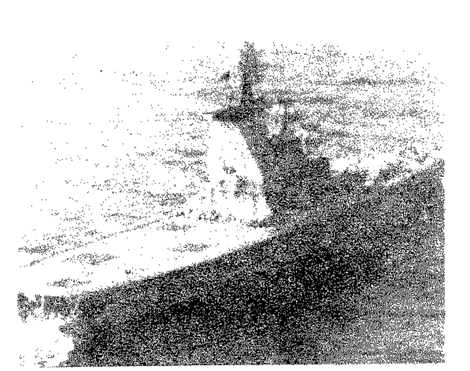
حاملة الطائرات « فوش »



حاملة الطائرات « جون كنيدي »



حاملة الطائرات « ملبورن »



حاملة طائرات الهليكوبتر « موسكفا »

الهند والبرازيل واستراليا والارجنتين حاملة طائرات واحدة وزنها في حدود ٢٠ ألف طن . وتمتلك اسبانيا حاملة طائرات واحدة زنة ١٥ ألف طن . وفرنسا حاملتي طائرات وحاملة طائرات هليكوبتر . وبريطانيا ٤ حاملات من ضمنها حاملتي طائرات هليكوبتر .

ويمكن تقسيم حاملات الطائرات الى ثلاثة انواع رئيسية تصنف حسب حجمها ، واتساع مدرجها ، ونوع الطائرات التي تستطيع استقبالها وهي :

١) **حاملة الطائرات الهجومية** ، ويحمل هذا النوع مختلف انواع الطائرات المقاتلة القاذفة ذات الاجنحة الثابتة ، وهو يضم اضخم انواع السفن على الاطلاق ، حيث يصل وزن بعضها الى ٨٥ ألف طن . وتحمل عدداً من الطائرات يصل الى ١٠٠ طائرة تقريباً ، هي خليط من القاذفات المقاتلة ، وطائرات الاستطلاع التكتيكي والاستراتيجي ، وطائرات الدعم القريب ، والقاذفات الاستراتيجية ، والطائرات المضادة للغواصات . وتنفرد الولايات المتحدة بامتلاك الانواع الضخمة من هذا الطراز . ولدى الولايات المتحدة نوعان من هذه الحاملات : حاملات الطائرات الهجومية النووية (CVAN) ، واحدثها فئة « نيمتز » (انظر نيمتز ، حاملة الطائرات) . وحاملات الطائرات الهجومية (CVA) ، وتدفع هذه بمحركات تعمل بالديزل ، وهي تشكل غالبية حاملات الطائرات في العالم . (انظر كيتي هوك ، حاملة الطائرات) .

٢) **حاملة الطائرات المضادة للغواصات** ، (CVS) وهي تحمل طائرات نفاثة او مروحية ذات اجنحة ثابتة ، وطائرات هليكوبتر مجهزة لحرب الغواصات وتنفرد الولايات المتحدة بامتلاك ٥ قطع من هذا النوع . ولا تختلف حاملات الطائرات من هذا الطراز عن الحاملات العادية الا في نوعية الطائرات التي تحملها ، وبالتالي في نوعية المهمات التي تنجزها . الا انها جميعها من حاملات الطائرات الصغيرة نسبياً ، حيث يبلغ وزنها القياسي ٣٣ ألف طن تقريباً . وتحمل ٤٥ طائرة من طائرات الدورية البحرية وطائرات الاستطلاع الاستراتيجي والتكتيكي .

٣) **حاملة طائرات الهليكوبتر** ، وهي نوع حديث بدأ في الانتشار بعد التوسع الضخم في الاستخـــدام العسكري لطائرات الهليكوبتر . ولا يطلق على هذا النوع من السفن اسم حاملة طائرات في معظم اسلحة العالم البحرية . وهي تصنف في البحرية السوفياتية كطرادات حاملة لطـــائرات الهليكوبتر . وتطلق بريطانيا اسم « سفن الحرب البرمائية » على هذا النوع من الحاملات . وليست هذه التقسيمات مطلقة ، لأن للعديد من هذه الانواع من السفن مهمات متشابهة . فحاملات الطائرات المضادة للغواصات تقوم بمهام محاربة الغواصات مثلها مثل حاملات طائرات الهليكوبتر ، ويتمثل الفرق بين الاولى والثانية في ان الاولى مزودة بسطح يستطيع استقبال الطائرات النفاثة والمروحية التي لا تهبط عمودياً ، على حين لا يستقبل النوع الثاني سوى طائرات الهليكوبتر . وهناك اختلاف ايضاً بين سفن الحرب البرمائية ، والطرادات حاملة طائرات الهليكوبتر ، في ان الاولى مخصصة لعمليات الانزال البحري السريع ، بطائرات الهليكوبتر او مراكب الانزال الصغيرة . وهناك اتجاه واسع نحو حمل الطائرات على انواع مختلفة من السفن الحربية ، حيث طورت فرنسا نوع من الطرادات يحمل ٨ طائرات هليكوبتر مضادة للغواصات مثل الطرادة « جان دارك » . ومنذ العام ١٩٧٣ تسعى بريطانيا لانتاج نوع من الطرادات ذي سطح كامل يحمل طائرات هليكوبتر ، وعدداً آخر من الطائرات النفاثة التي تقلع وتهبط عمودياً . وتطور البحرية الامريكية نوعاً من السفن ، تطلق عليه اسم « سفن مراقبة البحار » ، وقد صممت هذه السفن التي سيصل وزنها بحمولة كاملة الى ١٤ ألف طن ، لتحمل ٣ طائرات نفاثة تقلع وتهبط عمودياً ، بالاضافة الى ١٤ طائرة هليكوبتر . ويفترض في هذا النوع من السفن ان يؤمن الحماية لسفن الامداد والتموين ، وللقوات البرمائية ، ولقوافل السفن التجارية ، وان يؤمن الصيانة لطائرات الهليكوبتر العـــاملة على سطوح الطرادات الاخرى . ولن تعمل هذه السفن الا في المناطق التي يكون التهديد المعادي فيها قليلا ، نظراً لقدراتها القتالية المحدودة . وتمتلك الولايات المتحدة سفينة تجريبية من هذا الطراز هي السفينة « غوام » Guam ، وهي في الاصل سفينة اقتحام برمائية استخدمت لتطوير القدرات التكتيكية والميدانية للنوع المذكور من السفن . ورغم ان هذه الفئة من السفن تكاد تكون في مستوى حاملات الطائرات بعض الدول الصغرى ، الا انها لم تصنف كحاملات طائرات في الولايات المتحدة .

(٨) الحامية

قوة عسكرية تقيم في موقع من المواقع ويشرف عليهـــا قائـــد يسمى ناظر موقع Garrison Adjudant . وتضم الحامية قوات من مختلف صنوف الاسلحة والمصالح ، بشكل تحقق الاكتفاء الذاتي من الناحيتين القتالية والادارية . وترتبط المواقع بقيادة مستقلة هي قيادة المنطقة . وتقسم البلاد ايام السلم حسب توزعها الجغرافي الى مناطق عسكرية . وتقسم هذه المناطق بدورها الى مواقع ، وذلك بهدف توفير الحماية للاقليم او القطر بكامله . ويوفر هذا التوزيع الظروف المناسبة لاعمال التدريب وتنظيم الشؤون الادارية . ويعتبر الموقع تنظيماً ادارياً وقتالياً في وقت واحد . وناظر الموقع مسؤول ضمن حدود موقعه عن القطعات المتواجدة فيه . ولهذا فانه يمارس الاشراف على تنفيذ البرامج التدريبية ، ويحرص على رفع الكفاءة القتالية للقوات . ويعاون ناظر الموقع جهاز قيادة يتراوح في حجمه حسب أهمية الموقع وتبعاً للمسؤوليات الملقاة على عاتقه . ويدعم هذا الجهاز في الحرب بعناصر قيادية كما ويمكن دعمه بقوات إضافية ، من احتياط القيادة العامة ، أو من قوات يـــتم نقلها من المواقع الأخرى التي لا تتعرض للتهديد . وتكون مسؤولية قيادة الحامية بصورة عامة : أ — وضع المخططات الدفاعية أو مخططات العمليات وفق توجيهات القيادة العامة وتكون مسؤولة عن تنفيذها بعد مصادقة القيادة العليا عليها . ب — الاشراف على تنفيذ مناهج التدريب للحامية المتواجدة في الموقع ، والقيام بجولات تدريبية على الوحدات والتشكيلات للتأكد من سير العمل بصورة صحيحة ، والعمل على تصحيح الأخطاء وإعطاء الملاحظات بصورة فورية ، مع دراسة اسباب القصور فيما اذا ظهر هناك ضعف ، والعمل على معالجته ، ج — توزيع استخدام الاماكن المشتركة بشكل دوري مثل : حقول الرمي ، وميادين التدريب ، بين قوات الحامية المختلفة ، والتأكد من الالتزام بهذا التوزيع تجنباً لكل اضطراب أو خطأ ، د — القيام بالتفتيش الاداري للتأكد من كفاءة الاجهزة الادارية وقيامها بعملها لتنفيذ طلبات القوات ، ومراقبة المخزون الاحتياطي من المواد المختلفة (ذخائر ، محروقات ، مواد غذائية ، خيام ، اعتدة الخ ...) هـ — وضع برامج تدريب القادة وفق مخطط التدريب العام للقوات ، والاشراف على تنفيذه ، والعمل على رفع الكفاءة القتالية للقادة ، و — توزيع الخدمات العامة المشتركة بصورة دورية على قوات حامية الموقع ، مثل : اعمال الحراسة المشتركة للمرافق العامـــة ، والخدمة في الموقع ، واعمال السخرة التي تتطلبها وحدات الشؤون الادارية الخ ... ز — المحافظة على انضباط القوات في الموقع ، وتكوين دوريات مشتركة من الموقع وسرايا تنظيم الدفاع والمرور والشرطة العسكرية والشرطة المدنية في بعض الأحيان ، عندما يكون

هناك علاقات مشتركة بين افراد الجيش والمدنيين، مما يتطلب تدخلا مشتركاً من عناصر الأمن. وتكون هذه الدراسات بقيادة ضابط يتم تعيينه دورياً من قوات الحامية المتواجـدة في الموقع. ح – وضع تعليمات دائمة لمجابهة حالات الطوارئ (طوفان، اندلاع حريق، حدوث شغب أو تمرد، حدوث هجوم مباغت بقوات صغيرة او قوات كبرى)، مع تحديد الاجراءات الواجب اتخاذها. ط – اتخاذ تدابير الحيطة (دفاع سلبي ودفاع إيجابي)، وتنظيم أجهزة الرصد والانذار، وتنسيق التعاون مع السلطات المدنية والمواقع المجاورة وفقاً للخطة العامة التي تضعها قيادة المنطقة. ي – وضع تدابير «المحافظة على السر»، مع السهر على تنفيذها في قوات الحامية. واتخاذ رقابة صارمة حول المعسكرات، ووضع حرم: الثكنات، وتحديدها بدقة بهدف ابعاد الفضوليين. ك – القيام بالاعباء الادارية لمجموعة قوات الحامية (إجازات، حالات مرضية، عقوبات)، والقيام بزيارات للمستشفيات والمصحات، ومراقبة الحالة الصحية والادارية في المرافق المشتركة. ل – المحافظة على الروح المعنوية للقوات، واتخاذ التدابير القاسية ضد الانهزاميين أو المتخاذلين، مع عقد ندوات للتوعية بهدف ايضاح الحرب النفسية التي يشنها العدو، واتخاذ الاجراءات المضادة وفـق تعليمات القيادة وتوجيهاتها.

يلحق في حالات الحرب على المواقع والمناطق قوات إضافية، وتكون قيادة المواقع مسؤولة عن هذه القوات من ناحية التسلسل القيادي، ومن ناحية تنفيذ الواجبات. فيكون قائد الحامية أو ناظر الموقع هو المسؤول عن تأمين تحرك واقامة القوات في حدود موقعه، والحرص على توفير متطلباتها الادارية المختلفة. كما يعتبر مسؤولا عن توجيهها لتنفيذ واجباتها القتالية وفق المخطط العام الذي تصادق عليه القيادة العامة. وان عدم تحديد واجب للقوات الملحقة على الحامية من قبل القيادة لا يعني قيادة الحامية من مسؤولية اقتراح ووضع مهمة للقوات الملحقة، واخذ موافقة القيادة عليه، وابلاغه لقيادة القوات الملحقة لتنفيذه. وتعمل قيادة الحامية أثناء الحرب على تنسيق التعاون بين قوات الحامية بما يضمن تنفيذ الواجب المحدد ضمن أفضل الشروط.

لقد تطور مفهوم الحامية المدافعة عن موقع تطوراً كبيراً عبر تاريخ الحرب. ومن الممكن مشاهدة أول نماذج الحاميات في الليمات Limes التي انشأها الرومان على تخوم بلادهم بهدف دفاعي.

وعندما فتح العرب المسلمون الشام والعراق، وانطلقت جيوشهم في اتجاه فارس شرقاً وفي اتجاه مصر وافريقيا غرباً، وجد الأمويون انفسهم مرغمين على الالتزام بمبدأ «الاقتصاد بالقوى»، والعمل دفاعياً على بعض الجبهات، لتركيز الجهد وحشد الامكانات على الجبهات الاخرى، فلجؤوا الى التحصينات والمواقع على الحدود. واطلقوا عليها اسم الثغور. ولكن طبيعة المقاتل العربي الهجومية لم تتقبل الوقوف بجمود خلف الأسوار، فتم مزج «مفهوم الدفاع بالفكرة الهجومية»، فتحولت الثغور في كثير من الحالات الى قواعد لانطلاق الهجوم في اتجاه «الدروب» التي تخترق جبال الشمال على الحدود السورية، وتصل حتى «بيزنطه». وكانت الحاميات في مواقع الثغور تمارس حياتها العادية، حتى اذا جاء وقت توجيه الصوائف والشواتي، انضمت الحاميات الى قوة الصوائف والشواتي، وانطلقت معها في الهجوم.

وعندما سيطر العرب المسلمون على الاندلس، وجدوا انفسهم في موقف مماثل امام الدولة الكارولنجية، فاعادوا تنظيم الحاميات في الثغور على ضوء تجربتهم القتالية الناجحة في حدود الشام مع بيزنطه. وكانت الحامية تخزن في موقع «الثغر» من المواد الغذائية والأسلحة ما يكفي للحصار فترة طويلة. وقد تعرضت بعض هذه الحاميات في اوقات مختلفة لهجمات قوية، واستطاعت الصمود في وجه الحصار فترات طويلة، حتى أمكن ارسال نجدات وقوات دعم من الخليفة في دمشق أو قرطبة. وكان الهدف الواضح من الثغور، هو تأمين حرية العمل للقوات الهجومية. ولم يكن حجم الحاميات المدافعة عن الثغور يشكل جزءاً كبيراً من حجم القوات الهجومية، لا سيما وأن الحاميات كانت من السكان انفسهم، ويشترك معهم في الدفاع جميع أفراد أسرتهم. وعلى الرغم من عدم وجود إحصاء دقيق لإقامة توازن بين حجم قوات الحاميات وحجم القوات الهجومية في عصر دولة العرب المسلمين، إلا أنه بالامكان القول ان حجم الحاميات لم يكن يشكل نسبة كبيرة من الجهد الهجومي أو من قوة جيش الدولة.

ثم أصبح تنظيم المواقع في القرون الوسطى مؤلفاً من الحصون الملائمة لالتجاء الرجال والعتاد والأرزاق والممثلة بالمدن القلاع. ويرتبط هذا الجهاز بالممتلكات المحلية، ويحميها مباشرة. ولكن عناصره غير متلاحمة مع بعضها، ولا تعمل ضمن تنسيق دفاعي واحد. ولقد كان جهاز التحصينات الطبيعي يراقب بصورة آلية المسالك الكبرى، وتبنى اجزاؤه على مواقع ذات قيمة عسكرية، الأمر الذي يجعل فاعليته جيدة نسبياً. وكانت مساوئه ناجمة عن احتوائه لعناصر مدنية وعسكرية في آن واحد. اذ كانت العناصر المدنية تشكل عبئاً ثقيلا على الدفاع، مما دفع بعض القادة الى المطالبة بانشاء حصون ذات صفة عسكرية بحتة، كما دفع قادة عسكريين آخرين الى طرد جميع الأفواه العاطلة غير المجدية، والتي لا يزعج العدو نفسه بمطاردتها أو التعرض اليها. بيد ان السكان المدنيين يقدمون في ظل ادارة جيدة ميلشيا مقاتلة ويداً عاملة لا يمكن تجاهلها، مما دفع بعض القادة الى وضع جميع المواطنين الموجودين في الموقع للمساعدة في الدفاع عن المدينة، حتى ان النساء كن يأخذن مكانهن في خطوط القتال، ويقفن للحراسة على الأسوار. وتلك هي الصورة العامة للحاميات في جهاز التحصين الطبيعي.

وقد امكن تمييز انواع مختلفة من التحصينات مثل التحصينات المكشوفة والتحصينات المغلقة، وكلها تهدف الى تحقيق هدف واحد هو: توفير القطعات اللازمة للدفاع، بدلا من تكديس عدد كبير من القطعات لحمايتها، علماً بأن التوازن بين القوات الميدانية والقوات التي تحتل التحصينات كان في جميع الاوقات عملية حساسة. ولقد كانت الحاميات في القرون الوسطى تشغل قـوات اكبر من قطعات العمليات. كما كانت بورجوازية المدن تقـدم للحاميات دعماً لا ينكر. ومن المعروف ان موريس دوساكس استخدم خمس قواته في مواقع وحاميات الشمال خلال حملة بلجيكا. وهناك حالات متعددة لم تتجاوز بها حاميات التحصينات القوات الميدانية الصديقة فحسب، ولكنها تجاوزت قوات العدو المهاجمة ايضاً، كما كانت الحالة في اليزا عندما حاصرها يوليوس قيصر، وحالة ميتز وباريس عندما حاصرهما الألمان في العام ١٨٧٠ ولقد حمدت ميتز للدفاع عنها حامية مكونة من ١٧٩٠٠٠ رجل، كما كانت حامية باريس مكونة من ٥٣٩٠٠٠ مقاتل، كان منهم ١٤٠٠٠ رجل فقط يعملون في خدمة الحصون، على حين كانت القوات الالمانية المهاجمة لميتز مؤلفة من ١٦٠٠٠٠ رجل، والمهاجمة لباريس ٢٣٤٠٠٠ رجل. وفي الوقت نفسه كانت القوات الفرنسية الميدانية داخل كافة جيوش الدفاع الوطني الفرنسي عبارة عن ١٢٠٠٠٠ رجل قبل معركة سيدان، و ٣٥٠٠٠٠ رجل بعدها.

وفي الحرب العالمية الثانية وضع الفرنسيون على خط ماجينو قوات ميدانية بكثافة تعادل على الأقل كثافة القوات المنتشرة في المناطق غير المحصنة. ولقد اظهرت تجارب الحرب جميعها ان حاميات

الحصون عاجزة عن الصمود اذا لم يقدم لها الجيش القتالي دعماً كبيراً. فاذا لم يتحقق ذلك كان ضررها اكبر من فائدتها. والمهم في الأمر تأمين التوازن بين قوة الحاميات الثابتة وقوة الجيش القتالي.

(٦) الحبيب بن مسلمة الفهري

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٢) الحجم الخطر

يمكن تقليل عدد النوترونات التي تهرب من قطعة اليورانيوم ٢٣٥ او البلوتونيوم بتغيير حجمها وشكلها. ومن البديهي انه كلما كبرت قطعة اليورانيوم، كلما قل احتمال هروب النوترونات من نوايا ذراتها، الامر الذي يزيد في احتمالات التفاعل النووي المتسلسل. على اننا لا نستطيع ان نزيد في مقدار اليورانيوم الى اكثر من حجم معين يكون فيه عدد النوترونات الناتجة من عمليات الانشطار المتسلسلة معادلا على وجه التقريب لعدد النوترونات التي تهرب من هذه العمليات بتأييد العوامل المختلفة التي ذكرناها اعلاه. ويسمى هذا الحد **بالحجم الخطر**. فاذا كانت قطعة اليورانيوم ٢٣٥ أو البلوتونيوم أقل من الحجم الخطر فلا يحدث فيها تفاعل نووي متسلسل، واذا كانت اكبر من الحجم الخطر فانها تنفجر من تلقاء نفسها. (انظر القنبلة الذرية).

(٥) الحدود الآمنة

نظرية توسعية اسرائيلية تبلورت بعد حرب ١٩٦٧، واحتلال اسرائيل لشبه جزيرة سيناء، والضفة الغربية، ومرتفعات الجولان، وقيام ضغوط دولية لاجبارها على الانسحاب منها. ورفض اسرائيل الانصياع لهذه الضغوط حتى يتم وضع «حدود آمنة يمكن الدفاع عنها». ويعرف المنظرون الاسرائيليون الحدود الآمنة بأنها «الحدود التي تردع العرب عن شن الحرب، وتكون قوية بما فيه الكفاية لصدهم اذا ما قاموا بالهجوم، وتعطي دولة اسرائيل عمقاً استراتيجياً يؤمن لها المناورة، ويضمن سلامة المناطق الحيوية والآهلة بالسكان ويبعدهـا عن مسارح المعارك».

وباعث هذه النظرية هو المنظر الاستراتيجي الاسرائيلي ييغال آلون، الا انها في الحقيقة ليست نظرية جديدة. فقد شهدت الصراعات الدولية، منذ القدم، نظريات مشابهة، تختلف في اطارها العام الا انها تسعى الى الهدف نفسه، وهو ايجاد مبرر يبدو منطقياً للاستيلاء على اراضي الغير، مثل نظرية المجال الحيوي النازية. وغالباً ما يطلق هذه النظريات طرف قوي متسلط لا يملك حقاً قانونياً او تاريخياً حقيقياً يبرر توسعه او احتلاله لاراضي الغير، وهو لا يأخذ في اعتباره عادة الا النواحي المتعلقة بمصالحه.

وترتكز نظرية آلون في الحدود الآمنة على عوامل جيواستراتيجية وصهيونية وسياسية يصنفها على الشكل التالي: ١) احتياجات اسرائيل الدفاعية. ٢) الولاء التاريخي للشعب اليهودي تجاه وطنـه. ٣) الاحتمالات السياسية. ويفسرها على اساس الوضع الذي كان قائماً في الفترة التي تلت حرب ١٩٦٧ وحتى حرب ١٩٧٣. ومن ناحية احتياجات اسرائيل الدفاعية، يرى آلون ان الرجوع الى حدود العام ١٩٤٩ يشبه الى حد كبير الدخول في مصيدة استراتيجية. ويصف مفهومه للحدود الآمنة بقوله «ان الحدود الآمنة في رأيي هي حدود سياسية ترتكز على عمق اقليمي وموانع طبيعية من مجاري المياه والجبال والصحراء والممرات الضيقة لمنع تقدم الجيوش البرية والميكانيكية. وهي حدود تضمن اولا امكانية إقامة نظام انذار مبكر ضد اقتراب الطائرات المعادية. وهي التي تتيح قواعد مريحة للهجوم المضاد. ولا يمكن ان يكون لمثل هذه الحدود اي بديل». ويرفض هذا المفهوم الضمانات الدولية، او الضمانات التي يقدمها «طرف ثالث»، كما يرفض إقامة مناطق مجردة من السلاح، او عقد معاهدة صلح، على اساس انها جميعاً ليست ضمانة للسلام ولا تصلح للدفاع عن الدولة.

ولا يقتصر مفهوم الحدود الآمنة على المتطلبات المادية والطبيعية التي تسهل الدفاع عن الدولة، بل هو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما يسميه آلون «بالحق التاريخي للشعب اليهودي تجاه وطنه»، وهو ما يجب اخذه في الاعتبار عند تقرير وضع حدود آمنة لدولة اسرائيل، وهذا الحق التاريخي لا يفترض خريطة الحدود القصوى التي عرفها التاريخ العبري القديم، بل يأخذ بحق اليهود التاريخي في ارضه كمبدأ قومي وأدبي وسياسي». ويعني هذا النص الغامض، بعض الشيء، ان اسرائيل لن تطالب بحدودها التاريخية، من الفرات الى النيل، بشكل علني ومفضوح، بل هي ستحتفظ «بحقها القومي، والادبي، والسياسي» في تحرير «اراضي اسرائيل» كلما نشبت حرب مع العرب. ويقول آلون في تفسير هذا الحق، «لولا ضعف موقف اسرائيل في العام ١٩٤٩، ولو انها سمحت لجيش الدفاع الاسرائيلي ان يحرر بقية اجزاء فلسطين الغربية لما كان من المعقول ان يحتج البعض اليوم ضد حق اسرائيل في البقاء في القدس والخليل ونابلس، على الرغم من ان هذه الاماكن تقع خارج الحدود التي خصصت لاسرائيل في مشروع التقسيم لسنة ١٩٤٧» ويضيف، مقارناً ذلك الوضع بالموقف الناشئ بعد حرب ١٩٦٧، «لقد تعدينا في ذلك الوقت – عام ١٩٤٩ – حدود التقسيم بقيـامنـا بحملة للدفاع عن النفس، وتجاوزنا الحدود ايضاً في عام ١٩٦٧ بواسطة حرب الانقاذ التي شنتها اسرائيل ضد مؤامرة ابادتها. ووصلنا الى ضفاف الاردن وهضبة الجولان وسيناء. فما هو الفـارق الجوهري الآن؟ من الممكن ان نتنازل عن مساحة من الارض في نطاق معاهدة للصلح لكي نحقق هدفاً اكثر اهمية، ولكن علينا الا نتنازل عن اية منطقة من المناطق يتعارض تركهـا مع حقنا التاريخي في كل ارض فلسطين».

وتفترض نظرية الحدود الآمنة ايضاً الحفاظ على الطابع اليهودي للدولة عبر السنين، لذلك فانها تأخذ المشكلة الديموغرافية في الاعتبـار، فضم الاراضي العربية قد يؤدي الى زيادة نسبة السكان العرب في دولة اسرائيل مما يطمس طابعها اليهودي تدريجياً بسبب التكاثر الطبيعي السريع بين السكان العرب. والحل الذي يضعه آلون لهذه المشكلة يتمثل بزيادة الهجرة اليهودية، وزيـادة نسبة التكاثر الطبيعي للاغلبية اليهودية بالتشجيع، بالاضافة الى تشجيع العرب على الهجرة الى الخارج. ومن جهة اخرى تفترض النظرية ان يخضع العرب الموجودون داخل حدود الدولة الآمنة، او قرب «الحدود الآمنـة الامامية» للنفوذ الاسرائيلي تماماً، وان يمنعوا من التجمع في أي تنظيم قد يوجه ضد اسرائيل.

ولا تنسى هذه النظرية ان الحدود الآمنة تتطلب تهدئة الجانب صاحب المصلحة الاولى في القضية، اي الفلسطينيون، ويرى آلون انه اذا كان عرب فلسطين يرغبون حقاً في تقرير مصيرهم «فليس هناك ما يحول دون تحقيق هذه الرغبة في الضفة الشرقية للاردن»، ويعتقد «ان الشخصية الفلسطينية لم تتبلور الى حد تقرير المصير داخل حدود الضفة الغربية وقطاع غزة.

اما من جهة الاحتمالات السياسية، وهي احدى العوامل الرئيسية الواجب اخذها في الاعتبار عند تخطيط حدود الدولـة الآمنة، فيربطهـا آلون بالامكانات المتوافرة، على اساس ان من الضروري

كسب تأييد الرأي العالمي لتأييد القضايا الاسرائيلية. الا ان هذا ليس اساسياً اذا كان مشروطاً بأن تكون اسرائيل الجانب الخاسر والمضروب الذي يثير العطف في الصراع من اجل وجوده، فانها عندئذ تفضل السياسة التي تضمن التفوق الاستراتيجي لها، حتى وان ادى ذلك الى حرمانها من التأييد لقضاياها. وهذا الموقف لن يكون في الحقيقة الخيار الوحيد امام اسرائيل، «لان السياسة الواعية، والدعاية الواسعة قادرة على كسب الرأي العام الموضوعي الذي لا ينحاز والذي يفهم افعالنا الضرورية ودوافعها الادبية والدفاعية».

وتفترض النظرية ضرورة إقامة جسر للتفاهم بين اسرائيل وعرب فلسطين، قد يدفع الدول العربية الى التغلب على التردد والشروع بالتفاوض مع اسرائيل. وليس الهدف من هذا الجسر في الحقيقة التفاهم مع العرب بقدر ما هو اضعاف الجبهة العربية وتفكيكها.

وتمثل نظرية الحدود الآمنة اقصى ما اظهره مسؤول اسرائيلي من اطماع صهيونية. والحقيقة ان في النظرية قدر كبير من سياسة الامر الواقع التي ميزت الطابع الاستيطاني الصهيوني لفلسطين كما يتضح مما سبق ذكره، ومن قول آلون «قد يكون من الجائر ان تستوجب الاعتبارات السياسية عدم الادلاء بتصريحات وبيانات قوية عن الضم - ضم الاراضي العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ - غير ان النشاط الاستيطاني الواسع لا يحتاج الى اعلان عن الضم». ويضيف «انه لا يمكن الانتصار في الحرب بدون معارك... وهكذا فانه لا امل في الانتصار في الصراع السياسي حول الارض دون خلق واقع استيطاني مخطط ومحصن ومسلح.»

ويجدر الذكر ان نظرية الحدود الآمنة قد ظهرت في اعقاب حرب حزيران (يونيو) وتشبعت بالروح التي سادت المجتمع الاسرائيلي في تلك الفترة. وقد وضعت على اساس ان اسرائيل هي سيد المنطقة المطلق، والقادرة على فرض شروطه على الدول العربية المجاورة، وانها المتفوقة من الناحية الاستراتيجية. لذلك لم يكن غريباً ان تهتز هذه النظرية بعد حرب ١٩٧٣ التي وازنت الوضع العسكري الى حد كبير.

(٨) حدود الفصل

هي الحدود النظرية التي يتم وضعها من قبل قيادة الجبهة أو قيادة الفرق او الالوية بهدف تقسيم مناطق العمل بين التشكيلات والوحدات. وتستند هذه الحدود الى هيئات ارضية واضحة وثابتة من السهل التعرف عليها. ويتم تحميل هذه الحدود على خرائط العمليات والمخططات باشارات مختلفة حسب حجم التشكيل فتكون شارات الحدود بين الالوية مختلفة عن تلك الشارات بين الفرق وهكذا.

ولقد فرضت متطلبات العمليات وضع هذه الحدود بعد أن أصبحت المعركة الحديثة للاسلحة المشتركة تتطلب زج تشكيلات وقوات كبرى وفق «النظام المتمفصل»، وضمن حدود ارضية واسعة. علاوة على ضرورة عمل هذه الوحدات داخل عمق كبير في مسرح العمليات. فكان لا بد من اللجوء الى هذا التقسيم حتى لا تختلط الوحدات والتشكيلات بعضها ببعض، وحتى لا يكون هناك ثمة مجال للخطأ بين عمل القوات.

تعتبر حدود الفصل بين القوات من نقاط الضعف التي يحاول كل طرف من الاطراف المتصارعة البحث عنها واستغلالها لتنفيذ المناورات بالعمق، والوصول الى المنطقة الادارية للخصم، وتطويق مجنباته ومؤخراته بهدف إنهاء المعارك في مسرح العمليات بشكل حاسم. وكان البحث عن هذه الخطوط في الحروب الماضية يقع على عاتق المقدمات والقوات الاستطلاعية المتقدمة، علاوة على أجهزة الاستطلاع والاستخبارات المختلفة. وكانت قوات الاستطلاع تمارس عملياتها باستخدام القوة لسبر النقاط الضعيفة (Sondage)، ولكن التوسع التقني والتطور الحديث في وسائط القتال، واستخدام الأقمار الصناعية وجهاز المعلومات «الانفورماتيك»، قد ساعد الى حد كبير على تحديد مواقع القوات والكشف عن حدود الفصل بينها. ونتيجة للاخطار المتعاظمة التي تهدد باستمرار نقاط الضعف في المجنبات والمؤخرات وعند حدود الفصل بصورة خاصة، أصبح من واجب قيادة مسرح العمليات، أو قيادة الجبهة، توفير الحماية الضرورية لتأمين حدود الفصل، وذلك عن طريق اتخاذ التدابير التالية:

أ - تكليف كل وحدة أو تشكيل بحماية حد الفصل الواقع على يمينه مثلا، وتغطيته بالنيران والقوات.

ب - دفع وحدات خفيفة الحركة وقوية من المدرعات والمشاة الميكانيكية والمدفعية للعمل في منطقة حدود الفصل. وغالباً ما تكون هذه الوحدات او القوات من الانساق الثانية ومن القوات الاحتياطية.

ج - تكليف «مجموعات المدفعية» التابعة للقائد، بتحضير رماياتها على منطقة حدود الفصل، وذلك للتدخل بأسرع ما يمكن ضد كل تهديد يوجهه العدو اليها، وتدمير كل قوة تحاول التسلل عبر حدود الفصل.

د - اجراء الاستطلاع المستمر، وعلى كافة المستويات، لاكتشاف محاولات العدو تجميع قواته وحشدها ضد حدود الفصل. واجهاض هذه المحاولات بنيران مركزة من قبل الطيران والمدفعية بعيدة المدى.

ان الاساس في حماية حدود الفصل هو تنسيق نيران مجموعات المدفعية لتغطية هذه الحدود بنيران قوية، مع تكليف القوات الاحتياطية بتدمير كل محاولة قد يقوم بها العدو للتوغل عبر حدود الفصل. وان تدمير قوة العدو وهي في بداية وصولها لحدود الفصل قد يكون أسهل بكثير من تدميرها بعد نجاحها في الوصول الى مؤخرة القوات. وفي كل الأحوال يجب تدمير كل هجوم في مناطق حدود الفصل بحزم وقوة وبأسرع ما يمكن. ويتطلب ذلك اتخاذ القرارات المناسبة بسرعة، وزج القوات المناسبة، الى جانب ضرورة توفر كفاءة قتالية جيدة وروح معنوية عالية لدى القوات التي تعمل ضد هجوم العدو.

ان التوزيع غير المتساوي على امتداد الجبهة، وتركيز محاور ثقل الهجوم على اكثر المناطق اهمية بهدف الاقتصاد بالقوى، والتخفيف بالقوات عن المحاور الأخرى الثانوية، ثم الاندفاع بعمق حتى أقصى حدود مسرح العمليات، هو الطابع المميز لمعركة الاسلحة الحديثة المشتركة. وخلال هذا التنظيم أصبح وجود نقاط ضعف من الأمور الحتمية. ولكن تنظيم الدفاع عند نقاط الضعف هذه وتوفير الحماية لها بكل «القوى والوسائط» هو الواجب الأول للقادة وجهاز أركانهم على جميع مستوى التشكيلات والوحدات. وان التنسيق الجيد للتعاون بين القوات والأسلحة كفيل بمعالجة نقاط الضعف، وبصورة خاصة عند حدود الفصل، وازالة الاخطار قبل وقوعها، أو التخفيف من تأثيراتها الضارة حتى حدودها الدنيا عند وقوعها. ولقد تميزت معارك الحرب العالمية الثانية بتوغل المهاجم بعمق، وفي كثير من الاحيان عبر حدود الفصل بين القوات. كما أمكن في كثير من الحالات معالجة نقاط الضعف ودعمها قبل ان تتحول النتائج الى كوارث حتمية.

ففي صباح يوم ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٤١، اجتاحت القوات الالمانية حدود الاتحاد السوفييتي. وفي نهاية يوم ٢٣ حزيران، وجدت القوات الالمانية مكاناً ضعيفاً فوجهت ضربة قوية الى الفاصل الكائن ما بين منطقتي راڤا - روسكايا وبيربيميشل. وكان

يدافع عن حدود الفصل فرقتا المشاة ٩٧ و ١٥٩. وعلى الرغم من اجراءات قيادة الجيش السادس المضادة فقد نجحت القوات الالمانية في استثمار نقطة الضعف، وركزت «قواتها ووسائطها»، وارغمت قوات الفرقتين ٩٧ و ١٥٩ على الانسحاب. ويذكر جوكوف اسباب الضعف عند خطوط الفصل بين القوات خلال المرحلة الاولى من الحرب بقوله: «وهناك واقعة كان لها تأثير سيء على سير المواقع الحربية التي دارت في الأيام الأولى، ذلك أن بعض القادة بدلا من أن ينظموا السيطرة الحازمة على القوات من مقرات قيادتهم، ويحافظوا على الاتصال مع الجوار واركان الجبهة، اسرعوا الى القطعات لاعطاء تعليماتهم، دون أن يعرفوا الموقف في قطاعات الجيش الأخرى. وبذلك وضعوا قادة القطعات والتشكيلات في ظروف صعبة. ونظراً لعدم وجود اتصال مضمون مع القيادة الأعلى، فقد كانوا مضطرين لى العمل حسب تقديراتهم الشخصية كما تتراءى لهم المصلحة، وغالباً ما كان ذلك يؤدي الى ضرر بالغ» ويبرز هذا القول جميع النقاط الضرورية لتأمين حدود الفصل بين القوات. وهي: أ - الاتصال المستمر بالقيادة واعلامها عن الموقف وتنفيذ تعليماتها، ب - تأمين الاتصال مع الجوار وتنسيق التعاون معهم لحماية حدود الفصل، ودعم نقاط الضعف، ج - السيطرة الحازمة والقوية على القوات، د - اتخاذ القرارات المناسبة وتنفيذها بسرعة من قبل القوات.

استمرت المعارك بين القوات السوفييتية والقوات الالمانية على جميع الجبهات. وفي يوم ١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١، قام الالمان بهجوم مباغت تماماً. واخترقوا قلب جبهة موسكو في منطقة الفصل بين الجيشين ٣٣ والخامس. ولكن الفرقة ٢٣ استطاعت إيقاف تقدم الهجوم الالماني، ودمرت بنيران مدفعيتها جزءاً من دباباته، كما دمر الكثير من الدبابات أمام حقول الالغام، ثم تدخل «احتياط الجبهة» من الجيشين ٣٣ والخامس، فاكمل تدمير القوة الالمانية. وفي يوم ٤ كانون الاول (ديسمبر)، ترك الالمان فوق ارض المعركة ما يزيد على عشرة آلاف قتيل وخمسين دبابة وكمية كبيرة من الاعتدة والاسلحة والذخائر. وواضح هنا ان تغطية حدود الفصل وحمايتها قد تم بفضل: تنسيق التعاون بين الجيشين لحماية حدود الفصل، والتنسيق الجيد للوسائط والنيران، مما ساعد على إيقاف زخم الهجوم، وتدخل القوات الاحتياطية بقوة مناسبة وفي الوقت المناسب، بحيث امكن تصفية قوات الهجوم بصورة تامة.

وكثيراً ما يحدث أثناء القتال ان تتقدم إحدى الجبهات وتندفع مسافة اكبر من الجبهة المجاورة لها، وهنا لا تصبح القضية قضية حدود فصل فقط، وانما تصبح قضية أجنحة مكشوفة. وتعمل قيادة الجبهة على زج قوات احتياطية لحماية هذه الاجنحة المكشوفة، وتبقى هذه القوات الاحتياطية متقدمة مع الجبهة الاكثر تقدماً حتى تلحق بها الجبهة الاخرى. ويعاد تنظيم التعاون من جديد لحماية حدود الفصل بين الجبهات. وعند ممارسة العمليات على مستوى مجموعة من الجبهة، ومن أجل تنسيق التعاون فيما بينها وحماية حدود الفصل، كثيراً ما يتم تشكيل قيادة خاصة تمارس هذا الدور، وتكون واسطة الاتصال بين قيادات الجبهات المختلفة وبين القيادة العليا، وذلك على نحو ما تم تنظيمه منذ بداية الهجوم المعاكس العام على جبهة الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٤٣ وحتى نهاية الحرب.

ومن أهم الأمثلة على تركيز الجهد الرئيسي للهجوم على حدود الفصل بين القوات، اختراق القوات السوفييتية للحصار الالماني حول ستالينغراد، ثم اختراق الدفاع الالماني على أبواب برلين، واختراق مونتغومري للتنظيمات الدفاعية في الجنوب عند حدود الفصل بين القوات. وكان الهجوم العام للحلفاء بعد إنزال النورماندي في ٦ حزيران (يونيو) ١٩٤٤، كثيراً ما توغل عميقاً عند حدود الفصل، كما ان عملية الاردين والهجوم المضاد الالماني الاخير ضد الحلفاء قد اعتمد على نقاط الضعف عند حدود الفصل بين القوات. واخيراً فان استثمار حدود الفصل بين الجيشين المصريين الثاني والثالث، هو الذي ساعد اسرائيل على الاندفاع في سيناء، والوصول إلى قناة السويس، وعبورها الى الضفة الغربية وتحقيق ثغرة الدفرسوار، في يوم ١٦ تشرين الأول (اكتوبر) خلال الحرب العربية - الاسرائيلية الرابعة (١٩٧٣).

(٣) حديقة الموت (معركة)

(انظر عقرباء).

(٥) الحرب

هي شكل من اشكال العلاقات الدولية. يستخدم فيها العنف المسلح بالاضافة الى ادوات اخرى من ادوات السياسة. وبمعنى اوسع واشمل، هي استخدام القوة بين جماعتين من البشر، تخضعان لنظامين متعارضين لهما مصالح متعارضة. وتعمد الدول عادة الى محاورة سياسات الدول الاخرى لكي تحمي مصالحها، وتوسع دائرة نفوذها السياسي الذي يضمن تلك المصالح. ويتحرك هذا الصراع عادة على اصعدة عدة، دبلوماسية، وتجارية، ومالية، ودعاوية. ثم يتطور الى حرب سياسية، وحرب اقتصادية، ثم الى التهديد بالحرب، واخيراً الحرب. وهذه هي النظرة التقليدية الى الحرب التي يعرفها كلاوزفيتز بأنها «عمل عنف يقصد منه اجبار خصومنا على الخضوع لارادتنا». ويرى كلاوزفيتز بان «الحرب ليست مجرد عمل سياسي، ولكنها أداة سياسية حقيقية» و «امتداد للسياسة بوسائل أخرى». وهناك خلط واضح في مفهوم كلاوزفيتز للحرب مع مفهوم الحرب الشاملة، ولكن من الواضح ان وجهة نظره تعرف حرباً أقل من الحرب الشاملة. خاصة مع وجود اسلحة الدمار الشامل، وقدرتها على إلحاق خسائر فادحة لدى الطرفين. كما ان افتراض كلاوزفيتز بوجود هدف سياسي من وراء الحرب يفرض تحديداً لها.

وقد يصبح الدمار الشامل هدفاً في حد ذاته اذا كان هدف الحرب عقائدياً، اي حين تصبح الحرب مقدسة. ففي حين تنظر الحرب التقليدية الى حساب الارباح والخسائر، فان الحرب العقائدية، او المقدسة، تشن ضد اعداء لا يمكن التسامح مع عقائدهم السياسية والدينية. وفي هذه الحالة لا يمكن الوصول الى اتفاق. وتستمر الحرب الشاملة حتى الاستسلام غير المشروط، او القضاء على الكيان السياسي لاحد الطرفين. وعلى حين يكون الوصول الى اتفاق، وحتى تعاون فيما بعد، عمل من صلب الحرب كأداة سياسية، فانه يغدو مستحيلا حين تكون اسباب الحرب عقائدية.

ولا يمكن في أيامنا هذه القيام بالحرب الشاملة، أو «الحرب لتحقيق أهداف سياسية» بين القوى العظمى بسبب قدرة هذه الدول التدميرية العالية، التي أوجدت ما يعرف بالردع النووي. وذلك طبقاً لنظرية كلاوزفيتز في ان الحرب هي أداة سياسية لحماية مصالح الدولة وتوسيع دائرة نفوذها. إلا أن عدم رغبة الدول العظمى في الدخول في صراع نووي، دفع بها الى شن حروب محدودة خارج حدودها. وبالتحديد في مناطق النفوذ المتنازع عليها. وتقوم بهذه الحروب في اغلب الاحيان الدول التي تدور في فلكها، مع استمرار استخدام وسائل الصراع الاخرى.

وتتعارض وجهة النظر التقليدية في الحرب،

والقائلة بأنها احد اشكال الحياة الاجتماعية ، مع المفهوم الماركسي اللينيني للحرب ، الذي يرى انها نتاج لصراع الطبقات على المسرح الدولي . فالطبقات الراسمالية التي تقف على رأس السلطات في دولة ما تقوم بالحرب كأداة لصراعها الدائب من أجل مزيد من العمل ، ومزيد من المواد الخام ، ومزيد من الاسواق . على حين تقاد الطبقات العمالية بالاكراه الى حرب يفترض انها قومية ، الا انها ليست سوى أداة لخدمة اغراض الطبقة الرأسمالية ، عن طريق استغلال الشعوب الاخرى . وقد تعمد القوى الرأسمالية الى شن حروب ذات طابع قومي لامتصاص المشاعر الثورية لدى جماهيرها .

وينظر المذهب الماركسي الى الحرب بين الدول الاشتراكية والرأسمالية كشكل مباشر من اشكال صراع الطبقات . حيث يسعى كل طرف الى استغلال مصادره لتحقيق مكاسب طبقية . ويفترض هـذا المفهوم الذي يفسر دوافع الحرب ، بأنها مستحيلة بين الدول الاشتراكية ذاتها . لان الحرب هي أداة صراع الطبقات ، ولانه لا يمكن ان يكون هناك صراع داخل الطبقة العمالية العالمية ، لذلك فلا يمكن ان تنشب بينها حرب . وهكذا فان المذهب الماركسي اللينيني للحرب يرى انها ظاهرة مؤقتة ، ترتبط بحكم الطبقة الرأسمالية وغيرها من الظواهر السياسية الآيلة الى الزوال . وهذا ما يعارض وجهة نظر كلاوزفيتز وغاستون بوطول في ان الحرب ظاهرة انسانية .

ويرى اتباع مذهب اللاعنف بأن الحرب ليست ضرورية كأداة سياسية . وانه لا يجوز لأي قائد سياسي ان يشن حرباً ، او ان يبني قوة عسكرية . وان الدفاع الوطني يمكن ان يتم بالمقاومة السلمية التي ستقضي على أية مكاسب يطمع العدو في تحقيقها من وراء الحرب . كما ان الدعاية والتظاهرات السلمية ستكون قادرة على تحطيم روح العدو المعنوية ، مما يجبر القوات المحتلة على الانسحاب . ولكن ليس في هذا المذهب اي حساب لمواجهة القصف الجوي مثلا ، او الحصار البحري او اي شكل من اشكال العمليات العسكرية التي لا تتطلب تواجد افراد من القوات الغازية على اراضيهم . كذلك فان مبدأ اللاعنف لا يصح الا مع غزاة يعملون ضمن قواعد مسلكية واخلاقية صارمة . ولا يمكن العمل به ضد غزاة يستخدمون مختلف اشكال العنف دون رادع .

ويرى مفهوم الحرب للبحث عن السلام ، او الحرب لحل نزاع ، ان الحرب حادثة عابرة اكثر من كونها أداة في يد الدولة . وينظر اليها كنتاج للصراعات السياسية ، والحقائق الموضوعيـة اكثر من كونها نتيجة لقرار سياسي واع . ويختلف هذا المفهوم ايضاً مع وجهة نظر كلاوزفيتز في ان الحرب هي أداة مختارة في أيدي السياسيين ، لانها تحدث نتيجة لوضع مضطرب . ونظراً لكون الحرب « حدث » عابر فان الدول تلجأ عادة الى ايجاد الاسباب التي أدت اليها ، وخلق البنية السياسية والاقتصادية القادرة على تحاشي الحرب في المستقبل . وتلعب الامم المتحدة اليوم دوراً بارزاً في هذا النوع من الحروب . وغالباً ما تبحث هذه المنظمة الدولية عن الاسباب التي أدت الى الحرب ، اكثر من بحثها في الحرب ذاتها . ولقد ادى عدد من الحروب التي تحمل طابع البحث عن السلام الى خلق دول جديدة ، كحل لفصل جماعات قومية .

ومهما يكن من أمر ، فطالما وجدت جماعات انسانية منظمة ، وطالما تجمعت هذه الجماعات في كيانات أقيمت كتجميع للقوى ، وطالما بقيت الحرب الوسيلة الفعالة لتحقيق اهداف تجمعات القوى ، وحل خلافاتها ، فسوف يكون هناك طرف يشن الحرب على طرف آخر . وسيكون هناك آخرون يضطرون الى خوض غمارها .

وهناك انواع ثلاثة من الحروب فهي « دولية » حين تنشب بين دولتين او اكثر ، تتمتعان بمستوى حضاري واحد ، و « استعمارية » حين تنشب بين أمتين بينهما تباين حضاري واسع ، و « اهلية » حين تنشب بين فريقين داخل دولة أو أمة ما ، بين مجموعة ثائرة او متمردة وحكومة رسمية .

وللحرب أشكال وتقنيات متعـددة ، فهي « تقليدية » حين تستعمل فيها معدات القتال العادية التي لا تشمل اسلحة الدمار الشامل . وغالباً ما تحدد امكانات القوى المتحاربة شكل وتقنيات هذه الحروب ، كما تحددها هذه المعدات التي تملكها والمستوى الحضاري الذي وصلت اليه . فالحروب **الذرية ، والبيولوجية ، والكيماوية ، والالكترونية ، والجوية الاستراتيجية ،** لا يمكن ان تخوضها إلا دول لديها الوسائل لشن حرب مشابهة . وتخوض الشعوب الفقيرة عـادة انواعاً اخرى بسيطة من الحروب ، مثل **الحرب الثورية** التي تستخدم تقنية حرب العصابات .

وتضع الدول التي تخوض غمار حرب ما كل امكاناتها لكسبها ، وتكون هـذه الحرب محصلة لاشكال اخرى من الحروب تدور على أصعدة اخرى منها : **الاقتصادية ، والنفسية ، والسياسية ،** بالاضافة الى العمليات العسكرية العادية .

وقد تدوم الحرب أياماً قليلة ، او سنوات عديدة . وتعمل الدول عادة ما في وسعها لتقصير أمد الحرب لما فيها من معاناة ، وخسائر مادية وبشرية . او لان ذلك راجع لاسباب موضوعية تتعلق بالدولة ذاتها . كما هي الحال بالنسبة لاسرائيل التي تسعى الى تكتيل كل جهدها واطلاقه في فترة زمنية قصيرة ، بسبب ضآلة عدد سكانها ومواردها بالنسبة لسكان وموارد الدول العربية المحيطة بها ، ورغبتها في تحقيق الحسم على مسارح العمليات قبل استكمال تعبئة القوى العربية ، وقبل وقوع اي تدخل دولي . الا ان معظم الحروب الحديثة تستمر عادة لفترة طويلة ، بشكل متصل على كل الجبهات ، او على شكل حملات تدار في منطقة معينة لفترة محدودة ، وتقوم بسلسلة من المعارك التي تدوم عدة أيام . وقد تتعمد احدى القوى اطالة امد الحرب بشن **حرب طويلة الامد ،** نظراً لاعتقادها بأن هذا هو الاسلوب الملائم لها وغير الملائم لعدوها .

وتشمل الحرب الحديثة مختلف الميادين . فهي تدور في الجو ، والبحر ، والبر بكل اشكاله ، سواء الصحراء ، او السهول ، او الجبال ، او التلال ، او المدن او الغابات . ويتفوق في كل ميدان من هذه الميادين نوع معين من الاسلحة . ففي الجو تسود الطائرة والاسلحة المضادة لها ، وفي البحر السفن الحربية ، وفي الصحراء والسهول الدبابة والمدفع والطائرة ، وفي الجبال الهاون والمدافع القوسية الخفيفة والهليكوبتر المسلحة ، وفي المدن والغابات الاسلحة ذات المدى القصير ، مثل الاسلحة الخفيفة ، وقاذفات اللهب . وقد أدى تطور الاسلحة الحديثة الى إضافة أبعاد جديدة لجبهات القتال التي لم تعد محصورة في خطي مواجهة بين جيشين ، بل غدت تشمل كل اراضي البلدان المتحاربة ، واجوائها ، ومياهها الاقليمية ، وعرض البحار ، وذلك نظراً لامتلاك الجيوش الحديثة للقدرة على الضرب في العمق ، وشن الهجمات البحرية ، وفرض الخنق الاستراتيجي . وقد لا تظهر الجبهات في بعض الاحيان على الاطلاق كما في حرب العصابات .

والحرب بمعناهـا العسكري هي فن تحقيق مطالب جماعية باستخدام القوات المسلحة . وهي تخضع للسياسة العسكرية ، وتطبق الاستراتيجية العليا ، والاستراتيجية ، والعمليـات ، والتكتيك . وتعمل السياسة العسكرية على اعداد القوات المسلحة لتكون قادرة على تأمين متطلبات الحرب . وهي تتعاون في سبيل ذلك مع دوائر الدولة السياسية الاخرى .

او انها تخضع هذه الدوائر لتحقيق سياستها ، في بعض الدول . وللسياسة العسكرية الاثر الرئيسي في كسب الحرب او خسارتها ، فالسياسة العسكرية التي تؤمن تسليحاً افضل ومنظومة جيدة ، وقادة مهرة ، قد تحقق انتصاراً حاسماً على دولة في مستواها . كما ان وجود تفوق تقني قد يسمح لقوة صغيرة ان تقاوم قوى اكبر منها ، او ان تتغلب عليها . وقد أدى التطور التقني الضخم في المجالات العسكرية وعدم قدرة الدول الصغرى على مجاراته ، الى اهمال العديد من هذه الدول للسياسة العسكرية ، واعتمادها على حماية الدول الكبرى وضماناتها .

وللحرب نتائج غالباً ما تكون اهم من الحرب ذاتها . وتؤثر هذه النتائج على مجرى حياة الانسان ، من الناحية الاقتصادية ، والعلمية ، والاجتماعية ، والاخلاقية . فللحرب الحديثة طابع تدميري مدني وعسكري للانسان والممتلكات . والحرب بسبب كونها صراع دام ، وتنافس شديد ، تشحذ الهمم وتقوي الحوافز ، ويمكن رد التقدم الهائل في مختلف العلوم التقنية والانسانية الى الحرب . وقد عملت الحرب ، منذ القرن السابع عشر ، على دمج التطور التاريخي لشعوب العالم ، وصهر الدول القومية ، في عالم واحد تربط شعوبه شبكة واسعة من المواصلات ، والتجارة ، ويلتزم باحترام قيم متشابهة ، ويعترف بسيطرة قانون دولي ، وتتعاون دوله مع بعضها بموجب اتحادات دولية لها اهداف اقتصادية واجتماعية وسياسية . ورغم هذه النواحي الايجابية ، فان للحرب نواحي سلبية عديدة . فهي ذات طابع تدميري للانسان والممتلكات . وتلي الحروب عادة موجات من الاجرام ، والتعصب ، وانحطاط الاخلاق ، وتراجع لكل القيم التي كانت في دولة ما قبل الحرب .

وتحرم لوائح الامم المتحدة اليوم البدء بالقتال إلا ضمن اوضاع محددة هي : القتال لاخماد العنف الغوغائي ، والقتال لاخماد عصيان او ثورة داخل الحدود الاقليمية لدولة ما ، والقتال للدفاع المسلح عن الافراد او الجماعات ، والقتال تنفيذاً لنص صريح في معاهدة تلزم الدولة التي تجري العمليات فوق اراضيها ، والقتال بموجب سلطات الامم المتحدة ، او تنفيذاً لالتزامات تنص عليها لوائحها . وليست الشروط التي تضعها الامم المتحدة للبدء بالقتال نهائية ، فهي تحمل في طياتها تفسيرات متعددة ، ولم تعدم الدول طريقة لايجاد اعذار قانونية للبدء بالقتال .

وتفرض لوائح الامم المتحدة والاتفاقيات الدولية كذلك شروطاً حول آداب الحرب بشكل عام مثل : معاملة الاسرى ، والمدنيين ، والجرحى ، وضرب الاهداف المدنية ، وتحريم استخدام اسلحة معينة لاسباب انسانية . الا ان هذه الاتفاقيات غالباً ما تخرق . وتدخل عدم مراعاة بعض هذه الشروط مثل قتل الاسرى ، والرهائن ، والقضاء على المدنيين بشكل متعمد ، في عداد جرائم الحرب . وفي حين يسهل كشف الجرائم التي ترتكبها الجيوش المهزومة ، فانه يصعب كشفها في الجيوش المنتصرة .

وتنتهي الحرب عندما تنهزم ارادة القتال لدى أحد الطرفين المتحاربين ، ويقتنع قادة هذا الطرف بأنه لم يعد هناك فائدة من استمرار الصراع المسلح ، أو أن الاستمرار في الصراع المسلح سيكبده خسائر مادية ومعنوية تفوق الربح المنتظر ، أو لا تقدر الأمة على احتمالها .

وتأتي هذه القناعة عادة عندما يستطيع أحد الاطراف تدمير القوات المسلحة للطرف الآخر ، أو تشتيتها ، أو محاصرتها ، أو يدفعها إلى وضع يهدد بدمارها . كما أنها قد تأتي من جراء احتلال أراضي الطرف الآخر ، أو عاصمته ، أو مراكز ثروته الاقتصادية ، أو التهديد باحتلالها أو تدميرها . بيد أن هناك حالات لا تتم فيها هذه القناعة رغم وقوع كل هذه الأمور أو بعضها (انظر الحرب الثورية) .

وعندما تنتهي الحرب باستسلام أحد الطرفين ، يثبت الوضع الجديد بمعاهدة تحدد توزيع الأراضي والمصالح ، وتضمن للمنتصر فرض شروطه التي تحقق اهدافه السياسية . ويسود في هذه الحالة السلم الذي لا يخرج عن كونه مرحلة هدوء بين حربين ، وتعود السياسة إلى استخدام وسائلها الأخرى لتحقيق أغراضها .

وقد تنتهي الحروب المحدودة في العصر الحاضر من جراء تدخل الأمم المتحدة ، أو تدخل دولة كبرى (أو اكثر من دولة) ، خوفاً من امتداد الصراع المسلح ، وتصعيده ، وتورط الدول الكبرى فيه . ولا يكون السلم في هذه الحالة سلم الغالبين والمغلوبين ، بل سلم الحلول الوسط الذي يوقف الصراع المسلح ، دون أن يحقق أحد الطرفين اهدافه السياسية (الصراع الهندي – الباكستاني ، والصراع العربي – الاسرائيلي) .

(٨) الحرب الاستعمارية

هي الحرب التي تشنها قوى كبيرة ، متفوقة تقنياً وعسكرياً ومتقدمة صناعياً على دولة صغيرة (أو مجموعة دول) للسيطرة عليها والافادة من موقعها الاستراتيجي الهام وامكاناتها الاقتصادية وغناها بالمواد الأولية .

وقد تميز القرن التاسع عشر بصورة خاصة بكثرة الحروب الاستعمارية . وتظهر أهمية الحرب الاستعمارية من انها تجمع بالضرورة عدة نماذج حربية ، وتشكل المجال الأمثل لاندلاع الحرب الثورية . وتأتي التركيبات المتعددة الممكنة من أشكال الحروب ذات الصفات المتباينة كل التبـاين . وان ابسط اشكال حرب الاستعمار هي الحرب التي يقوم بها فيلق غزو منعزل وسط السكان الذين يقاتلهم ، وهذا هو الوضع الذي ظهر في العام ١٨٣٠ بعد الانزال البحري في مدينة الجزائر . ولقد تكرر هذا الأمر ذاته في العـام ١٩٠٧ بعد الانزال في الـدار البيضاء (كازابلانكا) لاحتلال سهل شاوايا في المغرب . وفي مثل هذه الحالات يكون على فيلق الغزو مجابهة حالة فقد الأمن بصورة عامة نتيجة لانتفاضة السكان . ويطبق هؤلاء السكان عادة الحرب البدائية المبنية على الكمائن وحرب العصابات . وينخدع السكان احياناً فيخطئون في تقدير قوتهم الحقيقية ، ويحاولون عندئذ تحدي فيلق الغزو بمعركة تقليدية ، لكن انضباط فيلق الغزو وقوته النارية يبرهنان ويثبتان على ساحة المعركة ضعف جماهير السكان الأصليين المجهزين بمعدات سيئة ، وبعد مثل هذه التجارب المريرة الأولى يقتصر الدفاع على حرب العصابات ، وعندها يصبح على فيلق الغزو تطبيق اجراءات أمن واسعة ودقيقة جداً . وبعد فترة محددة من الزمن ، وبعد أن يحقق فيلق الغزو عدة نجاحات ، يبدأ هذا الفيلق في اكتساب تعاطف السكان المحليين . وما ان يتوصل فيلق الى جمع الأنصار أو تطويع وحدات خفيفة مساعدة (زواف ، غوم ... الخ) ، ويعتمد على السلطات المدنية المحلية الصديقة ، حتى يتخلص من عزلته ، ولا يعود وحيداً . وتبدل الحرب عندئذ صفتها وتصبح حرباً أهلية يتجابه فيها السكان الأصليون مع السكان الأصليين وفق الوسائل الخاصة بحرب العصابات ، على حين يصبح فيلق الغزو العمود الفقري ورأس رمح مجمل القوى التي نظمها .

وتشمل المنطقة الاستعمارية عادة منطقتـين مختلفتين هما : المنطقة المهدأة التي يسيطر عليها فيلق الغزو مع حلفائه ، والمنطقة الثائرة ، وتكون المنطقة المهدأة أمينة نسبياً ، وتسود حرب العصابات المتبادلة على حدود المنطقتين . وتتقدم عملية التهدئة على شكل توسع مستمر كبقعة الزيت . وتكون حرب العصابات القائمة على الحدود والمدعومة من قبل السكان

المقيمين على مقربة من المنطقة المهدأة عبارة عن عبء ثقيل على الغزاة. ويتعب السكان في الوقت ذاته نظراً لتعرضهم للدعايات القادمة من المنطقة المهدأة فيتخاذلون، وتقوم قبائل اخرى بمتابعة حمل عبء حرب العصابات على الحدود.

ان السمة المميزة لحرب الاستعمار هي أن القوى المقابلة تكون قليلة التنظيم أو معدومة التنظيم، على حين تتم التهدئة تحت اشراف سلطة مركزية تمتلك وسائط قوية وحديثة. ويفسر هذا التباين القائم لدى الطرفين النجاحات السابقة للحرب الاستعمارية بشكلها الذي يطلق عليه اسم (حرب الاستعمار التقليدية). بيد أن اصطدام الحرب الاستعمارية بالحرب الثورية أدى الى ظهور حرب الاستعمار الثورية. وتأخذ حرب الاستعمار شكلا ثورياً عندما يستند الطرف المجابه للمستعمرين على ايديولوجية قادرة على انتزاع تعاطف عناصر عديدة في معسكر الخصم وبين صفوف المحايدين. ومنذ هذه اللحظة تتبدل صفة الحرب تبدلا عميقاً. والحقيقة ان استغلال ايديولوجية ديناميكيـة يعطي للثورة امكانات كبيرة مرموقة. فهو يسمح قبل كل شيء بزرع بذور الثورة في المنطقة المهدأة. وتستطيع الثورة بفضل الارهاب ايقاف سيل المعلومات التي يستقيها المستعمرون من السكان. أي تخفيض مستوى الأمن الذي كان فيلق الغزو وانصاره يتمتعون به حتى ذلك الوقت. ويسمح استغلال الايديولوجيـة الديناميكية ايضاً بربط علاقات وثيقة داخل البلدان المحايدة، والحصول على مساعدة معنوية ومادية من البلدان المتعاطفة مع الايديولوجية التي ينادي بها الثوار. وتتلقى الثورة بفضل ذلك تبرعات وأسلحة، الأمر الذي يسمح بخلق نوع من التنظيم المدعوم بالايديولوجية المختارة، وما ان تقوى الثورة على هذا النحو حتى تأخذ شكلها الواسع، وتضايق فيلق الغزو الذي يضطر الى توزيع قواته محاولا حماية مجمل المنطقة المهدأة سابقاً. عند ذلك تبدأ مرحلة جديدة حيث تأخذ الثورة بعداً عالمياً، ويهتم بها الرأي العام الداخلي في بلد الغزاة، ويبدأ بالضغط على حكومة الغزاة التي تأخـذ في العمل لتحقيق سلطتها. ويهتم بها الرأي العام العالمي ايضاً، ويبدأ بالضغط على حكومة الغزاة التي تود أن تفرض أو تعيد فرض سلطتها على المنطقة المستعمرة. ويبدأ انقسام الرأي العام في هذا البلد حول صحة هذه الحرب الاستعماريـة التي تدوم بشكل لا يمكن تفسيره، وتفرض من جراء ذلك جهوداً متجددة. ويطول الصراع المسلح مسبباً تذمراً وتزايداً على حين يتزايد الضغط المعنوي العالمي بشكل مستمر. وبعد سنوات عديدة من الصراع غير المجدي، يظهر هدف هذه الحرب الاستعمارية غير معقول بالنسبة للتضحيات البشرية والاعباء المالية التي تفرضها، عندها يقرر البلد الغازي البحث عن حل وسط مشرف مع الثوار.

هنا تبدأ مرحلة طويلة من المفاوضات قد تمتد سنوات عديدة، والحقيقة ان اي طرف من الطرفين المتنازعين لا يستطيع ارغام الطرف الآخر واجباره على قبول شروطه. وينجم عن ذلك مساومات طويلة صبورة هدفها استنزاف ارادة الخصم وتعويده على فكرة تقديم تنازلات جديـدة، ويتضاعف عنف العمليات العسكرية خلال هذه الفترة، الا اذا كان هناك اتفاق ضمني خفي يسوغ ممارسة نشاط عسكري محدود، مع الحفاظ دائماً على تهديد خفي بالعودة الى العمليات النشطة الفعالة. وأخيراً يقبل الطرفان حلا وسطاً ينهي الصراع. وتبقى قيمة هذا الحل الوسط عادة قيمة مؤقتة ومرحلية.

إن متابعة تطور الفن العسكري، تدل على أن هذا الفن تركز في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على ما يسمى (بالحرب الكبيرة) مع تقليد سيء لنابليون. وفي الوقت ذاتـه انطلق الأوروبيون لغزو العالم، فاخضعوا جميع الشعوب الملونة تقريباً، ولم تعد الحرب (حرباً كبيرة) بل حرباً استعمارية. ويعتبر نابليون بونابرت الرائد الكبير للقرن التاسع عشر في مختلف المجالات، بما فيها مجال الحرب الاستعمارية، لأنه قدم انموذجاً لهذه الحرب عندما غزا مصر. وكان في هذه الحرب تفاوت تقني كبير بين الطرفين المتحاربين. ويعود هذا التفاوت الى اختلافات السلاح والنظام. ولقد تم حصد المماليك في معركة الاهرامات من قبل مربعات بونابرت — تماماً كما حصل بعد قرن من الزمن عندما وقف رجال المهدي في أم درمان ضد رشاشات كيتشنر، أو عندما جابه الثوار المغاربة مدافع مانغان من عيار ٧٥ م. وهكذا كانت الحرب الاستعمارية حرب عدم تعادل الطرفين المتحاربين. ولقد نجحت القوات الاستعمارية في تحقيق انتصاراتها العسكرية بسهولة، ونتج عن ذلك احساس العسكريين الأوروبيين بتفوقهم المطلق، الأمر الذي دفعهم في أغلب الاحيان الى تجاهل تأثيرات النيران والتقنيات الحربية التي تم تحسينها وتطبيقها خـلال الحرب الأوروبية الكبرى. ويمكـن اعتبار الحملـة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر السبب الذي أضعف كفاءة العسكريين الفرنسيين الذين لم يلبثوا أن هزموا في عام ١٨٧٠ أمام بروسيا. وهذه هي فكرة الألمان الذين لم يخوضوا أية حروب استعمارية تقريباً، والذين يعتبرون أنفسهم خبراء في الحروب الأوروبية. لكن الحرب الاستعمارية غنية في الواقع بدروس اكثر عمومية من دروس الحرب الكبرى التي كانت تطبق في ذلك العصر. ويرجع السبب في ذلك الى ان الحرب الاستعمارية حرب شاملة يطرح فيها الحجم الحقيقي لجميع المعضلات المتعلقة بالحسم السياسي الذي يعتبر في الحقيقة هدف الحرب. ومن الملاحظ في الحروب الاستعمارية أن من المحتمل جداً ألا يؤدي الانتصار العسكري الى أي حسم اذا لم يعترف الخصم بهزيمته. أي عندما تحل محل المجابهة العسكرية غير المتكافئة حرب شعبية يصعب حسمها اذا لم يكن بوسع الغزاة استخدام اساليب ذكية جداً. وقد ظهرت ثلاث مدارس تستخدمهـا الشعوب الاستعمارية في حروبها الاستعمارية بعد احتلال البلد المستعمر أو جزء منه:

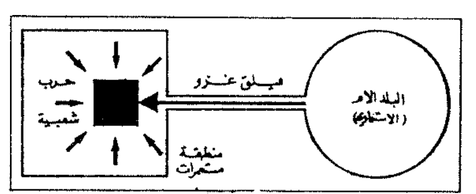
١ — **المدرسة الانكليزية**، وهي تهدف الى تهدئة مناطق واسعة (الهند وأفريقيا). وتميل هذه المدرسة الى محاربة الثوار وتهدئة السكان بسلطات مختارة من السكان المحليين. وهذه هي الطريقة غير المباشرة عن طريق الوصاية. ويكون الحليف المحلي مراقباً ومدعوماً بقوات بريطانية نظامية لا تمارس عادة الحرب ضد الثوار. وتأتي قوة هذه القوات من تصرفهـا المدهش، وانضباطها، واسطورة التفوق المطلق الذي يتمتع به الرجل الأبيض. وتعتمد الحرب الاستعمارية في هذه المدرسة على المراهنة على زعيم محلي يضطلع هو ذاته باخضاع البلاد وفق الطرق والأساليب المحلية. وهذه في جوهرها استراتيجية العمل عن طريق رجل ثالث. ومن الطبيعي أنه ما ان تتم سيطرة هذا الحليف على الموقف حتى يصبح هو الحاكم، ويكون ذلك تطبيقاً كاملا لصيغة الوصاية:

٢ — **المدرسة الفرنسية**، وهي ترتكز عـلى استخدام قطعات من السكان المحليين، والانصار المحليين ايضاً، ممن يعملون كعملاء منفذين، على أن يحتفظ الاوروبيون (الفرنسيون خاصة منهم) بادارة العمليات. وتعتبر القطعات النظامية الأوروبية العمود الفقري الذي يضمن قوة هذا الاسلوب المعقد وصلابته. بيد أن عدداً كبيراً من الأوروبيين يبقى مبعثراً ككوادر وسط القوات المحلية. وما ان تتم تهدئة البلاد حتى تكون مهمة هذه الكوادر ادارة القادة المحليين ومراقبتهم عن كثب. وتكون السيطرة العملية بين ايدي الأوروبيين، وهذا ما يمكن تسميته بالوصاية الاسمية.

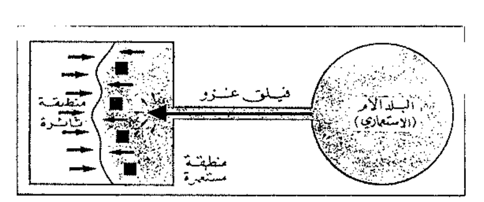
٣ – **المدرسة الاسبانية (والبرتغالية)**، وتتلخص في مقاتلة الثوار ، والسيطرة على البلاد بقوات اوروبية فقط . وهذا ما فعله الاسبان في أمريكا وفعلته البرتغال في افريقيا . وتكون هذه الطريقة ضرورية لا غنى عنها في المرحلة الأولية للاحتلال طالما ان القوات المحتلة لم تكتسب بعد حلفاء محليين . وهي تفترض ان تكون القوات الأوروبية معدة جيداً للقتال في المستعمرات ، وهذه حالة نادرة لكن التكيف والتلاؤم مع الوجود الاستعماري يتم بصورة تدريجية .

ولقد استخدمت هذه المدارس الثلاث معاً في الواقع وبشكل متعاقب ، اذ كانت القطعـات الأوروبية النظامية تقوم في بداية الأمر بتحطيم المقاومة العسكرية التي تبديها القطعات المحليـة النظامية . وبعد هذا الانتصار الأول الذي يضطر المنتصر بعده الى ادارة البلاد بنفسه ، تجد القيادة الاستعمارية ذاتها وهي في حاجة لتكوين عدد من التجمعات حولهـا . ثم يصبح بالامكان استخدام الطريقة الأولى أو الثانية وفقاً لنوعية هذه التجمعات . وبما أن منطلق الفرنسيين الأصلي يعتمد على تقليد مركزية الدولة الملكية ، فانهم يميلون الى تطبيق القيادة والادارة بصورة مباشرة . ويفضلون السيطرة المباشرة على السيطرة عبر شخص ثالث . امـا البريطانيون فانهم يبحثون دائماً على العكس عن طريقة يتخلصون بها من اعبـاء الحرب المضادة للعصابات واعباء الحكومة وذلك بالقاء هذه الاعباء على عاتق الرؤساء المحليين عندما يجدون أن ذلك ممكناً . ولا يحتفظون في النهاية الا بمراكز التوجيه الأعلى .

ولقد أدت مقاومة الشعوب للحرب الاستعمارية الى تقسيم البلاد التي تجري على أرضها هذه الحرب الى منطقتين : المنطقة المراقبة أو المهدأة ، والمنطقة الثائرة أو المحررة . ويكون العنصر الهام من استراتيجية الصراع في هذه الحرب بالنسبة للطرف الاستعماري هو في كيفية تحديد المنطقة المراقبة ضمن الحدود التي يستطيع مسكها حقاً بالوسائل التي يمتلكها بدلا من أن تتبعثر قواه على مساحات واسعة بشكل يساعد الثوار على ممارسة نشاطاتهم . وهذا ما لم يفهمه نابليون في اسبانيا أو في روسيا ، كما لم يفهمه بشكل أفضل منذ هجومه على مصر . ولقد أدى هذا الأمر في كثير من الأحيان (في المغرب العربي والجزائر أو حتى في الهند الصينية) الى وقوع الاحتلال بشكل متدرج وبطيء في دائرة بقعة الزيت ، مع ارتباط كل توسع بالوسائط الاضافية الناجمة عن انضمام قوى جديدة الى صف الغزاة الاستعماريين . ومن



مخطط الحرب الاستعمارية بشكلها الكلاسيكي



مخطط حرب استعمارية تقابلها حرب ثورية

المعروف أن عملية احتلال البلاد احتاجت في الامثلة السابقة (الجزائر ، الهند الصينية الخ ...) الى عشرات السنين . ان هذه **الحروب الاستعمارية طويلة الأمد** ، التي تتناظر تماماً مع الحرب طويلة الأمد (انظر الحرب طويلة الأمد) . تمتاز بأنها تتطابق مع سرعة فهم الظواهر النفسية . وقد تستطيع الحرب الاستعمارية طويلة الأمد وحدها اقناع البلد المحتل بقبول السيطرة الأجنبية والتخلي عن الصراع . وبعد مضي عشرين سنة من الحروب يكون الجيل الذي ينضم الى الغزاة الاستعماريين ويقبل بسيطرتهم غير الجيل الذي بدأ الصراع . ويسمح هـذا التبدل بوقوع التطورات الضرورية ، نظراً لأن الانسان يتعود بالتدريج على قبول ما كان يعتقده من قبل مستحيلا . وتتمتع الحروب الاستعمارية طويلة الأمد أيضاً بميزات عديدة من الناحية العملياتية . فهي متدرجة ، وهذا ما يسمح للغزاة بشنها مع استخدام وسائط محدودة نسبياً . ويسمح لبلد الغزاة بتحمل هذا العبء الخفيف بسهولة . ومع انضمام الجماعات المحلية الى الحرب تتغذى هذه الحرب وتتطور ذاتياً . واذا كان البلد المستعمر (غنياً) فانه يستطيع على الأقل تقديم جزء من تكاليف الحرب . وأخيراً فان اتساع بقعة الزيت (التهدئة) تسمح باجراء ترحيل تدريجي لسكان منطقة الحدود بهدف توطين مستوطنين جدد محلهم . وهنا يمكن رؤية التعارض بوضوح بين هذه الصيغ التي طبقت في مرحلة امتداد الاستعمار مع المراحل التي طبقت في مرحلة تصفية الاستعمار ، فلقد اعتقد المستعمرون في هذه الفترة الأخيرة أن بوسعهم حل معضلة الثورة بسرعة وبتكاليف باهظة . بينما مارس الثوار اللعب بورقة الوقت . وكان النصر الحتمي الى جانب الثوار ، اذ ان الاستنزاف المعنوي تم بسرعة اكبر داخل صفوف المعسكر الاستعماري الذي زعم ان باستطاعته تحقيق نصر سريع .

ولقد كان العامل الجوهري في الحرب الاستعمارية هو (عامل الهيبة) ، ذلك أن الرجل الأبيض بمعداته ووسائطه ومنهجيته كان ينتزع اعجاب السكان الذين يخضعهم والذين كانوا أقل منـه تقدماً . وكانت نجاحاته الاولية وضغطه الدائم والمستمر تدهش السكان الذين يجابهونه ، فتتغلغل داخل هؤلاء السكان بشكل متدرج بطيء الفكرة القائلة بأن مستقبل عرقهم مرتبط بقبول الحضارة الجديدة . وكان الوصول الى هذه اللحظة يدل على انتصار الحرب الاستعمارية ، واخضاع البلاد لقبضة تتمتع بقوى كبيرة . ولكن اذا تعرضت هذه (الهيبة) لهزة من الهزات بسبب نكسة أو خطيئة سياسية فادحة ، أصبح من المتعذر على لمية قوة إعادة فرض الهيبة من جديد . ولقد ظهرت هذه الحقيقة خلال مرحلة تصفية الاستعمار ، بعد أن اظهرت احداث الحرب العالمية الثانية أن مستقبل العالم لم يعد في أوروبا بل في الاتحاد السوفياتي أو أمريكا . وبالاضافة الى ذلك فان الطرف الاستعماري القديم ، اضطر الى التخلي عن جزء كبير من مكانه بسبب متاعبه الاقتصادية الداخلية . وجاء عدد من التصرفات الحمقاء والأنانية التي تميز بها سلوك الشخصيات الاستعمارية فكان من جملة الأسباب التي عجلت بقدوم ساعة تصفية الاستعمار .

(١٢) حرب الاستقلال الاميركية (١٧٧٥ – ١٧٨١)

اندلعت الثورة الاميركية البرجوازية المعروفة بحرب الاستقلال الاميركية American war of Independence في العام ١٧٧٥ بـين المستعمرات الامـيركية الشماليـة والامـبراطورية البريطانية ، وذلك اثر حادث الشاي بعام ونصف . وكان هذا الحادث بمثابة الشرارة الاولى التي أدت الى اشتعال نار الحرب بين الطرفين . وكان الهدف من وراء هذه الثورة رفع الظلم والضرائب والقيود التجارية التي كانت تفرضها السلطة البريطانية على المستعمرات آنذاك بموجب قوانين المنع التي صوت عليها البرلمان في نيسان (ابريل) ١٧٧٤ .

وهذه القوانين هي : قانون ميناء بوسطن ويقضي باغلاق الميناء بعد أول حزيران (يونيو) ١٧٧٤ . وقانون حكومة ماساتشوساتش ويقضي بحرمان الشعب

من حقوقه وتوسيع سلطان الحاكم الانكليزي ، وقانون ممارسة العدالة ويقضي بأن الاشخاص المتهمين باقتراف جريمة خطيرة ضد الحكومة يحاكمون في انكلترا او في مستعمرة غير تلك التي ارتكبت فيها الجريمة . وقانون الاقامة ، وقانون كويبك .

ابتدأت الحرب في لكسنغتون Lexington الواقعة شرقي ماساتشوساتس Massachussetts في الشمال الغربي من بوسطن Boston في ١٩ نيسان (ابريل) ١٧٧٥ ، وانتهت باستسلام القائد البريطاني شارل كورنوالس Charles Cornwallis في مدينة يورك تاون Yorktown في ١٩ تشرين الأول (اكتوبر) ١٧٨١ ، امام جيوش الثوار التي كانت بقيادة جورج واشنطن George Washington وكان من نتائج هذه الثورة انفصال المستعمرات الاميركية عن الامبراطورية البريطانية ، وحصول الولايات الثلاث عشرة المطلة على المحيط الاطلسي في امبركا الشمالية على استقلالها وتحررها من قيود الاقتصاد البريطاني في ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٧٨٣ ، واعلان النظام الجمهوري ، واعلان دستور الولايات المتحدة الاميركية فيما بعد (١٧٨٧) وانتخاب جورج واشنطن اول رئيس للجمهورية في ٣٠ نيسان (ابريل) ١٧٨٩ ، كما كان لها اثرها على اندلاع الثورة الفرنسية .

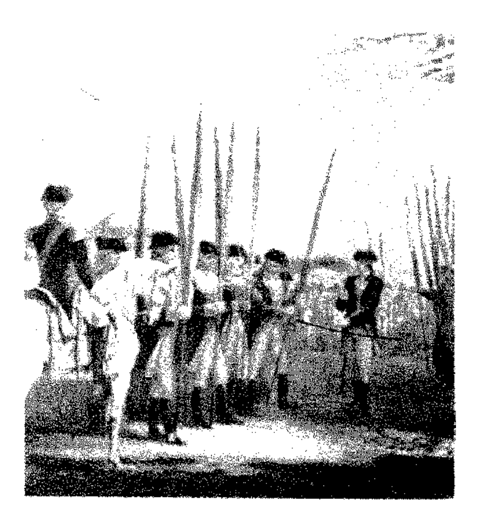
في كانون الأول (ديسمبر) ١٧٧٣ وقع حادث أثناء تفريغ إحدى شحنات الشاي التابعة لشركة الهند الشرقية ببوسطن . وكانت انكلترا تحاول ارغام المستعمرات على شراء شاي هذه الشركة التي كان اثرياء انكلترا من اكبر المساهمين فيها ، لكن مقاطعة سكان المستعمرات لهذه التجارة أدت الى وقوع هذا الحادث . اذ تنكر بعض اهالي المستعمرات في زي الهنود الحمر ، ودهنوا وجوههم ، وهاجموا ثلاث سفن قادمة من انكلترا محملة ١٨ ألف رطل من الشاي ، وقذفوا بالشحنة في البحر أمام جمهرة من المواطنين ، وذلك احتجاجاً على احتكار الشركة البريطانية لتوريد الشاي ، مما دعا الملك جورج الثالث لاصدار خمسة قوانين عرفت بالقوانين الصارمة.

وفي ٥ أيلول (سبتمبر) ١٧٧٤ ، انعقد اول مؤتمر للمستعمرات في اميركا الشمالية في فيلادلفيا ، حيث تم الاتفاق على مقاطعة المستعمرات للبضائع البريطانية ، كما صاغ المؤتمرون ، في جو مشتعل ، مشروع الاستقلال . واستمرت المفاوضات مع بريطانيا سبعة أشهر دون الوصول الى أية نتيجة . وفي ١٩ نيسان (ابريل) ١٧٧٥ ابتدأت الحرب بمناوشة وقعت في لكسنغتون ، على الطريق المؤدية الى كنكورد ، بين قوات بريطانية مرابطة مؤلفة من ٧٠٠ جندي وبين قوات تضم ٧٧ ثائراً ، اذ اطلق احد الثوار النار على القوات البريطانية وأسفرت هذه المناوشة عن مقتل ثمانية وجرح عشرة من قوات الثوار .

وفي المؤتمر الثاني الذي عقد في ماساشوسيتس في ٢ أيار (مايو) ١٧٧٥ ، اختير جورج واشنطن لتولي قيادة القوات المسلحة الاميركية وتشكل خلال ٤٨ ساعة « رجال اللحظة » وعددهم ١٣ ألفاً . وفي ١٠ أيار (مايو) استولت بعض القوات الاميركية بقيادة العقيد أثن الن Ethan Allen ، والمنتمية الى مستعمرة فيرمونت Vermont الواقعة شمال غربي فرجينيا ، على قلعة بريطانية في فورت تيكندوروجا Ticondoroga الواقعة شمال شرقي نيويورك . وفي ١٣ تشرين الثاني (نوفبر) من العام نفسه هاجمت القوات الاميركية ، بقيادة الجنرال ريتشارد مونتغمري وبنيديكت أرنولد مقاطعة كيوبيك بعد أن ضم القائدان جيشيهما إلى بعضهما ، لكن الفشل كان نصيب هذا الهجوم . وقد قتل في هذه المعركة الجنرال ريتشارد مونتغمري ، في ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ١٧٧٥ وجرح أرنولد جرحاً خطيراً ، مما اضطره الى التراجع في شهر أيار (مايو) ١٧٧٦ .

وفي ١٧ حزيران (يونيو) ١٧٧٥ أي بعد شهرين من حادث لكسنغتون وقعت المعركة الاولى ، معركة بنكر هيل Bunker Hill في تشارلستون Charleston شمالي ماساتشوساتس ، حيث هزمت القوات الاميركية ، وكانت خسائرها ٤٥٠ مقاتلا بين قتيل وجريح وأسير وذلك من أصل ١٥٠٠٠ مقاتل . أما القوات البريطانية فقد خسرت ثلث قواتها ، اي نحو ١٠٤٥ مقاتل بين قتيل وجريح ، من بينهم ٨٩ ضابطاً ، وذلك من أصل ٥٠٠٠ مقاتل . وهكذا تمكنت القوات البريطانية من طرد الجيش الوطني في المستعمرات من تحصيناته التي أقامها عند تل بريدز هيل Breed's Hill (ويسمى اليوم بنكر هيل Bunker Hill)، بغية ضرب بوسطن بالمدافع والاستيلاء على مقاطعة كيوبك Quebec شرقي كندا ، الامر الذي لم يتمكن الجيش الوطني الاميركي من تحقيقه .

وفي ٢٧ شباط (فبراير) ١٧٧٦ ، تقدم قائد القوات البريطانية هنري كلنتون Henry Clinton لمهاجمة كارولينا الشمالية مع وحدات محدودة من قوات بوسطن ، تعاونه مجموعة كبيرة من السفن الحربية ولم يكن معه العدد اللازم من الجنود ، كما لم يكن هناك تنسيق بين خطط القادة البريين


استسلام كورنواليس في « يوركتاون » (١٧٨١)


مناوشة في معركة « كاوبنز » (١٧٨١)

الأميركيون يهاجمون « تشوهاوس » (١٧٧٧)



والبحرين ، وكان اعتماده الاساسي على قدرات القوات الموالية . لكن القوات الاميركية تمكنت من دحر القوات البريطانية وتكبيدها خسائر فادحة . وفي ١٧ آذار (مارس) من العام نفسه اخلت القوات البريطانية بوسطن ، وتقهقر قائدها الجنرال وليم هاو William Howe ، وبذلك انتهى هجوم القوات البريطانية على المستعمرات الاميركية بفشل ذريع .

وفي ٤ تموز (يوليو) ١٧٧٦ ، صدر اعلان الاستقلال في فيلادلفيا ، موقعاً من مندوبي ١٣ مستعمرة . وأصبحت هذه الوثيقة التي صاغها الكاتب الاميركي توماس جيفرسون Thomas Jefferson من أهم الوثائق التاريخية السياسية في العالم . اذ نصت على ان الناس جميعاً يولدون متساوين ولهم الحق في الحياة والحرية والملكية . وبالرغم من هذه العبارة التي وردت في هذه الوثيقة ، فقد ظل الزنجي محروماً من الحقوق الانسانية التي لم يحصل عليها إلا بعد ان قامت الحرب الاهلية الاميركية (١٨٦١ – ١٨٦٥) بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية ، وانتهت بإلغاء الرق وتحرير العبيد .

وفي أيلول وتشرين الأول (سبتمبر واكتوبر) من العام ١٧٧٧ ، دارت معركة ساراتوغا Saratoga في شرقي نيويورك . وكانت هذه المعركة نقطة تحول في الحرب . اذ خسرت القوات البريطانية خلالها خسائر فادحة ، وانتهت باستسلام القائد البريطاني جون بورغوني John Burgogne في ١٧ تشرين الأول (اكتوبر) مع جيشه المؤلف من ٢٠٠٠٠ مقاتل للقائد الاميركي هوراتيو غتس Horatio Gotes ، وتوقيع معاهدة ساراتوغا التي نصت على عودة الجيش الى بريطانيا عن طريق بوسطن ، شرط ان لا يشترك ثانية في الحرب ضد اميركا الشمالية . وكان استسلام بورغوني اول انتصار اميركي حاسم في هذه الحرب . وقد سهل انتصار القوات الاميركية فيما بعد تحالفها مع فرنسا وتوقيع معاهدة هذا التحالف في ٦ شباط (فبراير) ١٧٧٨ ، حيث اشتركت على اثر هذه المعاهدة قوات فرنسية الى جانب القوات الاميركية . ولعبت الدبلوماسية الفرنسية دوراً كبيراً فأرسلت سفيراً كان ينقل المؤن والذخائر والاسلحة للثوار الاميركيين « بالوسائل الدبلوماسية » . كما دخلت اسبانيا وهولندا الحرب الى جانب القوات الاميركية في ٢١ أيار (مايو) ١٧٧٩ .

وفي شباط (فبراير) ١٧٨٠ تحركت القوات البريطانية في اتجاه كارولينا الجنوبية واخذ الجنرال البريطاني كلنتون نصف الجيش المعسكر في نيويورك ، ويبلغ عدده أربعة عشر ألف مقاتل ، ليقوم بهجوم بحري على تشارلستون Charleston . ثم اعقب هذا الهجوم حصار طويل إرغم الجنرال الاميركي بنجامين لنكولن Benjamin Lincoln على أثره على تسليم تشارلستون في ١٢ أيار (مايو) من العام نفسه ، كما استسلم معه جيشه المؤلف من خمسة آلاف جندي . إلا أن مقاومة عنيفة ظهرت في المستنقعات والاقاليم الجنوبية على شكل حرب عصابات ، وقد شنها المقاتلون الاميركيون بقيادة الجنرال فرانسيس ماريون Francis Marion الملقب « بثعلب المستنقعات » وبذلك عجزت القوات البريطانية عن بسط سيطرتها على تلك المناطق .

وفي أيار (مايو) ١٧٨١ قاد كورنوالس ، قائد القوات البريطانية ، جيشه نحو فرجينيا . أما القوات الاميركية الفرنسية المتحالفة ، فقد كانت بقيادة جورج واشنطن يعاونه الماريشال جان بابتيست روشامبو J. B. Rochambeau قائد الجيش الفرنسي . وقد بلغت هذه القوات عشرة آلاف وخمسمائة مقاتل (٥٠٠٠ من الاميركيين و ٥ الاف من الفرنسيين) وقد اتجهت هذه القوات نحو فرجينيا حيث التقت بقوات المشاة الفرنسية التي كان يقودها المركيز لافاييت Marquis de la Fayette والتي كانت معسكرة في فرجينيا . وفي هذه الاثناء وصل الاميرال دوغراس Francoise de Grasse بأسطول فرنسي مؤلف من ٣٠٠٠ محارب لكي يغلق خليج « تشيزابيك » في وجه السفن البريطانية ، وهكذا تجمعت القوات الاميركية الفرنسية المتحالفة بقيادة واشنطن في فرجينيا . وكان هدف واشنطن ان يستخدم الاسطول والفرق المحاربة لاسترجاع نيويورك ، إلا انه ابتدأ بمهاجمة يوركتاون Yorktown حيث أقام كورنوالس تحصينات دفاعية على جانب كبير من القوة . وفي ٢٨ أيلول (سبتمبر) من العام نفسه حاصرت القوات المتحالفة (١٦ ألف رجل) يوركتاون . وفي ١٩ تشرين الأول (اكتوبر) ١٧٨١ ، استسلم كورنوالس لجورج واشنطن بعد ان وجد نفسه امام جيش يفوقه مرتين ، ومحاصراً في الاحراش الواقعة الى الشمال من نيويورك ولا يستطيع الحصول على المؤن والامدادات ، وبعد أن فشل كلنتون في التوصل الى طريقة لانقاذه . ولقد دام الحصار ثلاثة أسابيع وكان عدد الاسرى البريطانيين الذين استسلموا مع كورنوالس ٧٠٠٠ رجل .

وفي العام ١٧٨٢ تم جلاء القوات البريطانية عن تشارلستون كما تم جلاؤها عن نيويورك في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٧٨٣ . وفي العام نفسه اعترفت معاهدة باريس بمولد الامة الجديدة ، ومنذ ذلك الحين اصبحت المستعمرات الاميركية الثلاث عشرة مستقلة ، واخذت لنفسها اسم الولايات المتحدة . وبعد عامين (أي في العام ١٧٨٥) اعترف الملك جورج الثالث ، ملك بريطانيا بالهزيمة ، ووقع معاهدة يعترف فيها باستقلال هذه الولايات .

وتعتبر هذه الثورة من أهم ثورات التاريخ ، نظراً لأنها حررت قارة غنية ، وسمحت بظهور الولايات المتحدة الاميركية فيما بعد ، بكل ما تملكه هذه الدولة من قوة وتأثير على الاقتصاد والسياسة والثقافة في العالم . ويعتبر الكثيرون الثورة الاميركية بداية العصر الحديث ، إذ انها سبقت الثورة الفرنسية ببضع سنوات ، واعطت النموذج المبكر لامكانية استقلال المستعمرات عن الدول الكبرى التي تستعمرها . كما كان لها صدى واسع في اوروبا ، حيث ان بعض المفكرين الذين اشتركوا فيها ، ومنهم توم بين الذي قال للاميركيين : « الحرية مطاردة من الجميع . فاجعلوا بلادكم مأوى للهاربين من الاضطهاد . ومن السخف ان تحكم جزيرة (بريطانيا) قارة بأكملها (اميركا) » ، والمفكر الفرنسي سان سيمون Saint Simon احد اوائل الاشتراكيين الذين تطوعوا وحاربوا في صفوف الاميركيين .

(٤) حرب الاستنزاف

(انظر استنزاف)

(٤) حرب الاستنزاف المصرية (١٩٦٩ – ١٩٧٠)

رغم احراز اسرائيل لنصر عسكري كبير في حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ على القوات العربية المسلحة ، فإنها لم تستطع أن تحقق النتيجة الحاسمة التي كانت تستهدفها من وراء عدوانها العسكري ، وهي فرض اتفاقية سلام اسرائيلية على العرب ، نظراً لأن هبة الجماهير الشعبية المصرية في يومي ٩ ، ١٠ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ورفضها قبول الهزيمة كواقع سياسي ، والدعم العسكري والسياسي السوفييتي ، وتطهير الجيش المصري إلى حد ما واعادة تنظيمه ، جعلت القيادة السياسية المصرية بزعامة الرئيس عبد الناصر ، قادرة على إعادة بناء القوات المسلحة المصرية مرة اخرى واعداد خطوط الدفاع الجديدة على الضفة الغربية لقناة السويس .

واقتصرت الاعمال العسكرية المصرية خلال الفترة المتبقية من عام ١٩٦٧ على إيقاف أنشطة العدو الرامية الى زيادة السيطرة على ضفة القناة الشرقية مثل معركة « رأس العش » التي دارت يوم ٨ يوليو ١٩٦٧ بين قوة من جنود الصاعقة وبين قوة من الدبابات والمشاة الآلية الاسرائيلية والتي انتهت بوقف تقدم هذه القوة جنوب « بور سعيد » ، أو الأنشطة الرامية إلى إثبات السيطرة الاسرائيلية على مياه قناة السويس حين أنزلت قيادة العدو بعض القوارب في القنـاة يوم ١٤ يوليو ١٩٦٧ وأطلقت القوات المصرية النار عليها وأسرت اثنين من بحارتها ، أو دخول المدمرة الاسرائيلية «إيلات» المياه الإقليمية قرب « بور سعيد » فأغرقتها زوارق الصواريخ المصرية يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ . وقد رد العدو الاسرائيلي وقتئذ على عملية إغراق « إيلات » بقصف مدفعي شديد على مدينة السويس مركزاً ضرباته على معامل تكرير البترول ومصنع السماد . وقد تكررت خلال ١٩٦٨ عمليات القصف المدفعي هذه على مدينتي «السويس» و «الإسماعيلية» . وكانت المدفعية المصرية والدبابات ترد على النار بالمثل ضمن حدود عدم التصعيد العام للقتال في المنطقة كلها ، وكان يتم وقف إطلاق النار في كل مرة بعد تدخل مراقبي الهدنة الدوليين . إلا أنه مع تزايد المقدرة العسكرية للقوات المصرية خلال عام ١٩٦٨ ، نتيجة لاستمرار وصول إمدادات جديدة من الأسلحة السوفيتية ، وإستكمال تدريب وتشكيل الوحدات الجديدة في مختلف فروع القوات المسلحة ، أخذت فاعلية المدفعية في الرد على القصف الإسرائيلي لمدن الضفة الغربية من القناة تزداد بصورة واضحة وتأخذ طابع الشمول للجبهة كلها ، وذلك مثلما حدث في اشتباك يوم ٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٨ ، ويوم ٢٦ تشرين الاول (أكتوبر) من العام نفسه عند « السويس » و « الإسماعيلية » ، وحيث أقترن قبول القيادة المصرية العامة لوقف إطلاق النار وقتئذ بإحتفاظها بحق الدفاع الوقائي ضد العدو الاسرائيلي في حالة إطلاق النار على المدنيين ، أو في حالة تعزيزه لخطه الدفاعي الأول الذي كان قد بدأ بإقامته على إمتداد القناة تقريباً وعرف بخط « بارليف » وهو الخط الذي تم إنشاؤه من مجموعة نقط حصينة تشرف على مياه القناة بعد تولي الجنرال « حاييم بارليف » رئاسة الأركان العامة خلفاً للجنرال « إسحق رابين » عقب إنتهاء حرب ١٩٦٧ ، ليكون خطاً دفاعياً أولياً يعيق أي محاولة من جانب الجيش المصري لعبور القناة .

ومع فشل الجهود الدبلوماسية الدولية المختلفة التي بذلت طوال عام ١٩٦٨ بواسطة المبعوث الدولي « يارنغ » ، ومحادثات الدول الأربع الكبرى في التوصل إلى تسوية سلمية على أساس قرار مجلس الأمن الصادر في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، وتأكد نية الولايات المتحدة في المضي في سياسة الدعم لإسرائيل عسكرياً واقتصادياً خاصة بعد إعلان صفقة بيع ٥٠ طائرة « فانتوم » إليها في ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٨ قبـل أن ينهي الرئيس الأمريكي السابق « جونسون » فترة رئاسته ، ومع تزايد نمو القوات المسلحة المصرية كما وكيفا ، ووصول الكثير من الأسلحة السوفيتية من دبابات ومدافع وطائرات وصواريخ مضادة للطائرات منذ إنتهاء حرب ١٩٦٧ .

على ضوء هذه العوامل كلها والتي يضاف إليها أيضاً إستمرار العدو الاسرائيلي في تدعيم دفاعاته المسماة بخط « بارليف » تأكيداً لإستراتيجية الردع الدفاعي التي أخذ يمارسها منذ إنتهاء حرب ١٩٦٧ بهدف تحقيق ما يتصوره من شرعية التواجد المستقر الهادئ على طول ضفة القناة إلى أن تقبل مصر شروطه من أجل فرض « السلام الإسرائيلي » المزعوم ، قررت القيادة السياسية والعسكرية المصرية بـدء تطبيق استراتيجية عسكرية إيجابيـة جديدة تتفق وظروف توازن القوى القائم وقتئذ ، عرفت في بادئ الأمر بإسم « استراتيجية الدفاع الوقائي » ثم اكتسبت بعد ذلك مع تصاعد العمليات ذات الطابع الهجومي المحدود إسم « حرب الاستنزاف » .

إن استراتيجية « حرب الإستنزاف » هذه هي نموذج من نماذج استراتيجية الصراع المسلح طويل الأمد التي يفرضها عادة توفر حقل حرية عمل عنيف بصورة كبيرة بالنسبة للطرف الذي يمارسها نظراً لعدالة الحرب التي يخوضها ضد عدو غاصب يحتل أراضيه كلها أو بعضها ، مع عدم توفر الوسائل العسكرية الكافية للحصول على نتيجة عسكرية حاسمة في وقت قريب . وهذا النموذج الاستراتيجي تمارسه عادة الشعوب المقهورة في نضالها ضد الغزو الاستعماري من خـلال مختلف أشكال « حرب العصابات » التي تتطور تدريجياً إلى نوع من أنواع الحرب النظامية . ولكنه طبق هذه المرة من خلال صيغة « حرب الاستنزاف » بواسطة قوات نظامية وطنية ، تمثل شعباً احتلت قطعة من أرضه ذات أهمية استراتيجية شديدة في تحقيق أمنه الدفاعي ، وتمثل في الوقت نفسه أمة كاملة تواجه الضغط الأمبريالي والاستعمار الصهيوني .

ولم تكن القوات النظامية المصرية تملك الوسائل الكافية لخوض غمار القتال ضد عدوها بالأساليب العادية التي تمارس بها الجيوش الحرب النظامية عادة ، وتحقق نتيجة حاسمة عسكرياً في زمن قصير نسبياً . ولذلك رأت القيادة السياسية والعسكرية الضغط على العدو بالطريقة التي تجعله يفقد شعوره بالأمن وفرضه سياسة الأمر الواقع التي يتصورها ، ودون السماح له باستخدام عناصر تفوقه العسكري من حرب الحركة والحرب الجويـة بحريـة ، وذلك باستثمار مزايا التفوق المصري في ممارسة حرب المواقع الثابتة مع إعطائها طابعاً إيجابياً عن طريق إستخدام نيران المدفعية إستخداماً منهجياً منظماً مركزاً ، وتوجيه ضربات هجوميه محدودة مفاجئة تؤمن تفوقاً تكتيكياً مباشراً في مكان وزمان توجيه الهجمات ، بواسطة عمليات القوات الخاصة من وحدات مغاوير برية وبحرية ومنقولة جواً وعلى درجات متفاوتة في العمق داخل جبهة العدو ومؤخرته وأجنحته البعيدة شمالا وجنوباً ، مع تأمين دفاع جوي ثابت عن طريق المدفعية المضادة للطائرات وبطاريـات صواريخ « سام ٢ » ، ودفاع جوي متحرك إحتياطي في حالات الضرورة بواسطة المقاتلات المعترضة دون الزج الكامل لسلاح الطيران الآخذ في استعادة قوته تدريجياً بعد حرب ١٩٦٧ .

وهكذا عهد إلى المدفعية الميدانية المصرية ذات التقاليد العريقة من كافة الحروب التي خاضها الجيش المصري منذ عهد محمد عـلي في القرن التاسع عشر ، وذات الكفاءة المعروفة في القصف من المواقع المجهزة الثابتة ، بأن تبـدأ « حرب الإستنزاف » عـن طريق قصف مركز منظـم لاستحكامات « خط بارليف » .

وفي مساء السبت ٨ آذار (مـارس) وفي الساعة ١٧,٤٠ بينما كانت الشمس في ظهر المصريين وتبهر أبصار رجال المدفعية الإسرائيليين بدأت المدفعية المصرية ضرباً مركزاً . وهبط الظلام بسرعة ، وبذلك ضمن المصريون عدم تدخل الطائرات الاسرائيلية . وفي ذلك الوقت ضربوا حوالي عشرة آلاف قذيفة . واستمرت عملية القصف حتى الغد ولمدة يومين متتاليين خلال هذا الأسبوع ، وخلال سلسلة القصف هذه أطلق المصريون حوالي ٤٠ ألف قذيفة . وقد استمرت معارك المدفعية هذه نحو شهرين،وأسفرت عن تدمير نحو ٦٠ ٪ من تحصينات الخط . وقد حاولت القيادة إعادة بناء هذه المواقع أو تعزيزها إلا أنها كانت تواجه في كل مرة بسيل مبادر ومركز من نيران المدفعية المصرية يعترض طريقها ونشاطها ،



بارليف يعلن أن صواريخ « سام – ٣ » المصرية ضربت الطائرات الإسرائيلية فوق قناة السويس



مدفع إسرائيلي ذاتي الحركة في سيناء أثناء حرب الاستنزاف

دايان يزور مقابر قتلى حرب الاستنزاف



الأمر الذي اضطر قيادة العدو أن تسحب الجزء الأساسي من قوات الخط الدفاعي الأمامي إلى مسافة تبلغ نحو ١٥ كيلومتراً إلى الخلف، وذلك حتى لا تكون تحت المرمى المباشر للمدفعية المصرية، وتركت على مقربة من ضفة القناة نقط إنذار أمامية وبعض المواقع الدفاعية الخفيفة، التي ما لبثت هي الأخرى أن تعرضت لهجمات دوريات القتال ومجموعات القوات الخاصة وسرايا المشاة المدعومة بوحدات من المهندسين التي أخذت تعبر القناة،تدعمها نيران المدفعية منذ ١٩ نيسان (إبريل) ١٩٦٩ .

وتتابعت بعد ذلك عمليات العبور من مختلف قطاعات الجبهة . كما تقاربت فترات القيام بها . وأحياناً كانت تتم عمليتان أو ثلاث في ليلة واحدة . كما ازدادت جرأة أهدافها ومسافات تعمقها شرقاً حتى وصلت إلى نحو ٥ كيلومترات في بعض الحالات . هذا بالإضافة إلى اتساع نطاق نوعية القوات المشتركة فيها . بحيث أصبحت تشترك فيها وحدات المشاة العادية بتشكيلات سرية، ثم بسريتين تقريباً يوم ٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٩ حيث احتل المصريون رأس جسر عبر الضفة الشرقية للقناة من منطقة « البلاح » ومكثوا فيه لمدة ٢٤ ساعة . وفي يوم ١٢ تموز (يوليو) ١٩٦٩ مثلا شنت القوات الخاصة عبر القناة هجوماً نفذ بمهارة عالية . وقد ذكر البلاغ المصري الصادر بشأن هذه العملية وقتئذ أن القوة التي هاجمت الحصن الواقع أمام لسان « بور توفيق » كانت سرية كاملة وأنها قتلت وجرحت ما لا يقل عن ٤٠ جندياً من العدو وأسرت أحد جنوده وأعطبت ٥ دبابات .

وفي إطار استراتيجية « الردع المتدرج » و « الرد المرن » التي انتهجتها القيادة العسكرية الإسرائيلية خلال مرحلة « حرب الإستنزاف.» ، قامت القوات الإسرائيلية بعدة عمليات انتقامية تستهدف تشتيت إنتباه وتركيز القيادة المصرية على جبهة القناة . فشنت وحدة مغاوير بحرية إغارة على الجزيرة الخضراء في مدخل قناة السويس والتي تبعد نحو ٤ كم عن غربي « بور توفيق » مستخدمة عشرة زوارق في فجر يوم ١٩٦٩/٧/٢٠،أسفرت عن قتل وجرح ٦ جنود مصريين وقتل ٦ جنود إسرائيليين وجرح نحو ٩ وتدمير زورقين . كما سبق هذه الغارة إغارة أخرى ليلة ١٩٦٩/٤/٣٠ بواسطة قوة محمولة بطائرات هليكوبتر على الأرجح ، استهدفت أحداث تخريب في خط كهرباء السد العالي عند « نجع حمادى » وقناطر « نجع حمادى » نفسها وجسر « إدفو » وكلها تقع في صعيد مصر على مسافة نحو ٥٠٠ كم من القاهرة . وفي ١٩٦٩/٦/٨ قامت قوة مدرعة إسرائيلية منقولة بحراً بالنزول على شاطئ خليج السويس عند « رأس زعفرانه » تحت غطاء جوي كثيف وهاجمت بعض مواقع حرس السواحل المنعزلة هناك ، كما هاجمت الطائرات محطة الرادار الموجودة على مقربة من منطقة الأزال وبطارية صواريخ مضادة للطائرات ، وقد أسقطت المدفعية المضادة للطائرات طائرة إسرائيلية سقطت في مياه الخليج وغرق طيارها كما يعترف الإسرائيليون في كتاباتهم .

وكانت أخطر الإغارات الإسرائيلية هي الإغارة التي تمت ليلة ٢٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٩ قرب « رأس غارب » والتي انتهت بنقل جهاز رادار مصري لكشف الطيران المنخفض إلى سيناء بواسطة طائرات هليكوبتر ضخمة . وقد غطى تقدم القوة التي المقتحمت المحطة هجوم الطيران على المناطق القريبة . وفي ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ قامت قوات المظليين الإسرائيلية بهجوم على جزيرة « شدوان » الواقعة عند مدخل « خليج السويس » على مبعدة ٢٠ كم جنوبي غربي « شرم الشيخ » مستخدمة الهليكوبتر في النزول على الجزء الشمالي المرتفع من الجزيرة ، بعد أن مهد لها الطيران بقصف مركز على مواقع الحامية الصغيرة في الصباح الباكر ، ودار قتال عنيف أثر ذلك في جنوب الجزيرة ، حيث كانت القوة المصرية تتمركز حول « الفنار » ومحطة الرادار البحري استمرت حتى الخامسة مساء ، وحدثت خلالها اشتباكات بالسلاح الأبيض والقنابل اليدوية ، وقتل فيها نحو ٧٠ جندياً مصرياً،وأسر حوالي ٦٠ آخرين،وقتل وجرح نحو ٥٠ إسرائيلياً فضلا عن إسقاط طائرة « ميراج » وأخرى « سكاي هوك » وإغراق زورقي طوربيد مصريين . ثم انسحبت القوة الإسرائيلية عن الجزيرة من المساء ومعها الأسرى وكانت حامية الجزيرة لا تزيد عن سرية واحدة .

ولم تكتف القيادة المصرية بعمليات القصف المدفعي وعبور الوحدات الخاصة ووحدات المشاة لقناة السويس ومهاجمة القوات الإسرائيلية داخل مواقعها الحصينة ، وإنما قامت أيضاً بتنظيم عدة عمليات ناجحة وجريئة في عمق « سيناء » ضد أهداف إسرائيلية مختلفة . فقامت قوة من المظليين منقولة بطائرات الهليكوبتر يوم ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ قبيل الفجر بقليل بمهاجمة مركز إداري وقيادي للعدو الإسرائيلي عند منطقة « مصفق » الواقعة على مبعدة ٨٥ كم من قناة السويس على طريق سيناء الشمالي الممتد من « القنطرة » حتى « العريش »

و « رفح » بواسطة الصواريخ « كاتيوشا » . كما قامت قوة أخرى منقولة بطائرات الهليكوبتر أيضاً تعاونها قوة أخرى من المغاوير البحريين بمهاجمة مواقع إسرائيلية بالصواريخ أيضاً في منطقة « رأس مطارقة – رأس ملعب » على الساحل الشرقي لخليج السويس ، هذا كما قام رجال الضفادع البشرية المصرية بمهاجمة « ميناء إيلات » ثلاث مرات : الأولى في ١٩٦٩/١٠/٨ والثانية في ١٩٧٠/١/٢٥ والثالثة في ١٩٧٠/٢/٦ . وقد نقل رجال الضفادع البشرية إلى قرب « إيلات » بواسطة الهليكوبتر وأسفرت هذه الغارات عن إغراق سفينتين إسرائيليتين سبق إشتراكهما في عملية « الزعفرانه » ، وتدمير أرصفة ومنشآت وسفن أخرى في الميناء ، وعادت الضفادع المصرية سالمة في جميع هذه العمليات .

وفي الوقت نفسه كانت هذه التشكيلات فدائية خاصة تعمل بشكل ثابت داخل أرض سيناء المحتلة عرفت بأسم « منظمة سيناء العربية » وتقوم ببث الألغام على الطرق ، ونصب الكمائن للقوافل المنعزلة ، ومهاجمة بعض المراكز القيادية أو الإدارية بنيران الهاونات الثقيلة « ١٢٠ مم » وصواريخ « كاتيوشا » .

وقد كانت مسألة إستخدام الطيران على نطاق واسع في ردع المصريين عن ممارسة حرب الإستنزاف محل نقاش طويل في القيادة العسكرية الإسرائيلية العليا ، إذ كان « عيزر وايزمن » – مدير شعبة العمليات – يرى ضرورة إستخدام الطيران كقوة أساسية لمواجهة الاستراتيجية المصرية الجديدة لأن إسرائيل « ليس لديها رد حقيقي على الإصابات التي يحدثها المصريون » على حين كان دايان – وزير الدفاع – يرى أن « الموقف الذي يجب في رأيه أن يستعمل فيه سلاح الطيران هو فقط عندما يحاول المصريون عبور القناة ، أو القيام بأية عمليـــة متطرفة أخرى تضطر فيها إسرائيل للتعجيل بضربة للجيلولة دون العملية المصرية » .

ونتيجة لعجز الجيش الإسرائيلي ، بأساليبه التقليدية وإغارات المغاوير في العمق المصري وعلى الجناح الجنوبي للجبهة عند شاطئ البحر الأحمر ، عن إيقاف عمليات حرب الإستنزاف المصرية التي تساهم فيها المدفعية ووحدات العبور وإغارات القوات الخاصة في العمق الإسرائيلي ، قررت القيادة الإسرائيلية إدخال الطيران في المعركة بصورة هجومية مباشرة .

وبدأت هذه العمليات الجوية بصورة منتظمة منذ يوم ١٩٦٩/٧/٢٠ بهجوم على بور سعيد استهدف بطارية صواريخ « سام ٢ » وغيرها من الأهداف ، وفقدت طائرة إسرائيلية خلال هذه الغارة .

وتتابعت الهجمات بعد ذلك في أماكن مختلفة من الجبهة مركزة ضرباتها على مواقع بطاريات الصواريخ والمدافع م/ط ومحطات الرادار . وقام الطيران المصري بغارات كثيفة على بطاريات « صواريخ هوك » وغيرها من مواقع العدو ، ووصلت هـــذه الغارات حتى « العريش » واشتركت في بعضها مجموعات بلغ عددها نحو ٤٠ طائرة « سوخوي ٧ » و « ميغ ١٧ » تحميها « ميغ ٢١ » . ودارت معارك جوية عديدة طوال أشهر تموز وآب وأيلول (يوليو وأغسطس وسبتمبر) ، وفي كل مرة كانت الطائرات الإسرائيلية تدمر فـــيها بطاريات صواريخ « سام ٢ » كان المصريون يعيدون تركيب غيرها ، وتتجدد الهجمات الإسرائيلية والهجمات الجوية المصرية المضادة . وأصبح من الواضح أن دخول الطيران الإسرائيلي بغاراته المركزة على الجبهة لم يقهر إرادة الجيش المصري في الاستمرار في خوض معـــارك حرب الإستنزاف . ومع بدء وصول الدفعات الأولى من طائرات « الفانتوم » الخمسين التي اتفق عليها في نهاية عام ١٩٦٨ أخذت القيادة العسكرية والسياسية الإسرائيلية تفكر في نقل الهجوم الجوي إلى العمق الإستراتيجي المصري . وفي كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٩ بعد وصول طائرات الفانتوم الأولى بثلاثة أشهر ، أصبح هناك جو سياسي ملائم لعمليات قصف العمق المصري . وزاد إهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بما يحدث في الشرق الأوسط ، ورأى خبراء وزارة الخارجية الأمريكية ورجال المخابرات الأمريكية أن القيادة السياسية المصرية قد استفاقت من جديد . وأثبتت مرة أخرى قدرة على الحياة غير عادية بالرغم من الضربات التي كالتها لها إسرائيل، ونجحت في جمع الدول العربية في مؤتمر قة ، وبدأت تفتح لنفسها موارد إقتصادية جديدة . وقد قال أحد مسؤولي وزارة الخارجية الأمريكية ، كما لو كان الحديث صدفة، لأحد رفاقه في الخارجية الإسرائيلية ، أن الولايات المتحدة الأمريكية تعارض النشاط الإسرائيلي ضد اللبنانيين والأردنيين ولكنها لم تقل شيئاً على الإطلاق بشأن عمليات القصف ضد مصر . وهكذا تلقت إسرائيل إشارة الضوء الأخضر من الولايات المتحدة بتصعيد الحرب الجوية للضغط على القيادة السياسية المصرية الوطنية، ومحاولة تشكيك الجماهير في قدرتها عـــلى ممارسة حرب الاستنزاف، ومحاولة إسقاطها إذا أمكن .

وتمشياً مع هذا الهدف السياسي والنفسي بدأت غارات العمق يوم ٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ بواسطة طائرات « الفانتوم » أساساً ، بالإضافة إلى زيادة التركيز في قصف الجبهة على القناة ليل نهار بواسطة « السكاي هوك » والطائرات الأخرى القديمة . فضربت معسكرات « دهشور » و « أنشـــاص » و « التل الكبير » يوم ١٩٧٠/١/٧ ، وضربت مخازن « الخانكة » للذخيرة وقطع غيار الطيران يوم ١٩٧٠/١/١٣ ، وضربت معسكرات «وادي حوف» و « هاكستيب » يـــوم ١٩٧٠/١/١٨ ، ومصنع « أبو زعبل » يوم ١٩٧٠/٢/١٢ ، و « مدرسة بحر البقر الإبتدائية » يوم ١٩٧٠/٤/٨ . واضطرت وحدات الجيش المصري في المؤخرة إلى الإنتشار الواسع ، الأمر الذي ترتب عليـــه تعطيل جزئي لتدريبها ، كـــما نقلت الكليات العسكرية إلى « السودان » ونقلت بعض أسراب القاذفات إلى « ليبيا » و « السودان » . وشعرت أجهزة الدفاع الجوي المصري أن هناك وسائل إلكترونية جديدة تستخدمها الطائرات المغيرة وطائرات الإستطلاع الاليكتروني بعيد المدى تعيق عمل أجهزة الرادار وتوجيه الصواريخ « سام ٢ » والمقاتلات المعترضة . فلقد وضعت الولايات المتحدة الأمريكية تحت تصرف إسرائيل معدات حديثة فضلا عن طائرات « الفانتوم » البالغ عددها ٥٠ طائرة و « السكاي هوك » التي كان عددها لا يقل عن ٨٠ طائرة . فضاعفت بذلك من قوة السلاح الجوي الإسرائيلي الضاربة إلى حد كبير بغض النظر عن عدد طائراته واحتمال تساويها مع عدد الطائرات المصرية .

وكان لا بد من إيجاد وسائل حديثة كفيلة بمواجهة طائرات العدو وأجهزة « الحرب الألكترونية » التي يستخدمها . وقدم الإتحاد السوفيتي دعماً عسكرياً جديداً لمواجهة هذا الضغط الإسرائيلي – الأمريكي على الجبهة المصرية عقب زيارة « عبد الناصر » المشهورة إلى « موسكو » في ١٩٧٠/١/٢٣ . فوصلت بطاريات صواريخ « سام ٣ » الجديدة ومعها أجهزة رادار حديثة وطائرات « ميغ ٢١ م ف » متطورة وكلها معها أطقم تشغيلها من جنود وفنيين وطيارين سوفييت نظراً لضيق الوقت بالنسبة لإمكانية تدريب الأطقم المصرية اللازمة . وتمت حماية العمق المصري كله إبتداء من « الإسكندريـــة » و « بلطيم » و « المنصورة » شمالا حتى « أسوان » و « السد العالي » جنوباً .

وفي ١٣ نيسان (إبريل) وقعت آخر غارات العمق الإسرائيلية. وكانت إحداها ضد محطة رادار على مقربة ٣٠ كم من « حلوان » والأخرى عند بحيرة « المنزلة » في شمال الدلتا . وفي ١٩٧٠/٤/١٨ حاولت طائرتا « فانتوم » الوصول إلى منطقة « الفيوم »

فصعدت ٨ طائرات « ميغ ٢١ » إلى الجو لإعتراضها واكتشفت محطة الإتصال الأرضية الإسرائيلية صعود المقاتلات المصرية فأمرت طياريها بالعودة سريعاً قبل أن تسقطا في الكمين الجوي الذي ينتظرهما ، وقد عادت الطائرتان فعلا بسرعة كبيرة دون أن تحققا أية نتيجة هجومية .

وبدأت معركة عنيفة طوال شهور نيسان وأيار وحزيران (إبريل ومايو ويونيو) ١٩٧٠ بين الطيران الإسرائيلي والقوات المصرية المدعومة بالخبراء السوفييت . وكانت غاية هذه المعارك إدخال الصواريخ المتقدمة إلى الجبهة لتخفيف حدة الهجوم والضغط الجوي عليها . وبذلت عدة محاولات وتجارب مختلفة في كيفية إدخال الصواريخ ، استشهد خلالها مئات من العمال والجنود المصريين الذين كانوا يقومون بهذه المحاولات تحت حماية بطاريات المدفعية م/ط ، وبلغ معدل الإنفاق اليومي مليون جنيه لمدة أربعين يوماً كاملة من أجل إنهاء هذه المهمة الصعبة التي كانت تتم تحت القصف النهاري والليلي شبه المستمر . وأخيراً وضعت خطة من أجل تركيز بطاريات الصواريخ في القطاع الأوسط من الجبهة بعرض ٧٠ كم تقريباً ، على أن تدخل البطاريات فجأة أثناء الليل وتنتشر بصورة مكشوفة دون سواتر مبنية وما إلى ذلك،وبشكل يجعل كل بطارية في حماية الأخرى على المجنبة والمؤخرة وتحيط بكل منها عشرات من المدافع م/ط من مختلف الأنواع وحاملي الصواريخ المضادة (ستريلا) التي تطلق من الكتف ضد الطائرات المحلقة على ارتفاعات منخفضة وبسرعات بطيئة . وكان إطلاق الصواريخ يتم بدفعات كبيرة في وقت واحد حتى لا تستطيع الطائرات أن تناور كلها في الوقت نفسه ، ودون أن يتم تشغيل الرادارات قبل الإطلاق منعاً للتشويش الألكتروني . وكانت شبكة الصواريخ تتقدم كل ليلة إلى منطقة أكثر تقدماً في حماية حزام خلفي من البطاريات ، وهكذا إلى أن تم وصول البطاريات الأمامية بهذا النظام إلى بعد يكفل السيطرة على ضفة القناة نفسها على الأقل . وفي صباح ٣٠ حزيران (يونيو) بدأت المعركة وفقاً لهذه الخطة وأسقطت فيها طائرتا فانتوم .

وهكذا بدأ تساقط « الفانتوم » . وفي يوم ٥ تموز (يوليو) أسقطت طائرتان أخريتان ، ثم طائرة أخرى يوم ١٨ تموز (يوليو) . ثم توقفت مهاجمة بطاريات الصواريخ أثر ذلك مباشرة .

وركزت الطائرات الإسرائيلية غاراتها بعد ذلك على شريط ضيق من الأرض بجوار القناة لا يزيد عرضه عن ٢٠ كم تقريباً تجنباً لبطاريات الصواريخ إلا أن الصواريخ واصلت تقدمها وأسقطت «فانتوم» أخرى يوم ١٩٧٠/٧/٣١ في هذه المنطقة أيضاً . وهكذا تحطمت أسطورة « الفانتوم » التي لا تسقط . ثم توقف إطلاق النار أثر ذلك نتيجة لقبول القيادة السياسية المصرية لمبادرة « روجرز » ، وانتهت مرحلة « حرب الاستنزاف » التي استغرقت الفترة الممتدة من ٨ آذار (مارس) ١٩٦٩ حتى ٧ آب (اغسطس) ١٩٧٠ .

(٦) الجانب الالكتروني من حرب الاستنزاف

تميز هذا الجانب من الصراع في الشرق الاوسط، بأنه اول حرب الكترونية في التاريخ (انظر الحرب الالكترونية) ، واول مواجهة « بالوكالة » بين القوتين الاعظمين استخدمتا فيها ميدان القتال كحقل للتجارب في الالكترونيات والالكترونيات المضادة . ولا يمكن اعتبار الحرب الالكترونية في فيتنام ، الحرب الالكترونية الاولى (انظر الحرب الفيتنامية ، قسم الجانب الالكتروني من الحرب) ، اذ ان الجانب الاكبر من القتال في فيتنام دار بين قوات برية ضخمة ، اما الجانب الالكتروني منه فقد لعب دوراً ثانوياً واقتصر استخدام وسائله على الطرف الاميركي في معظم الاحيان . في حين ان ميدان حرب الاستنزاف شهد مبارزة حامية بين الاجراءات الالكترونية والاجراءات الالكترونية المضادة ، دار رحاها بين الطرفين ، وغطت على دور القوات الارضية عبر قناة السويس بدرجة ملحوظة .

كانت المشكلة الرئيسية التي واجهت الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، حين كانت حرب الاستنزاف في بدايتها ، هي طريقة الاحتفاظ برأس جسر على الضفة الشرقية من قناة السويس . ولم يكن هذا الامر ممكناً إلا عن طريق بناء نظام متين للدفاع الجوي ، يستطيع مواجهة سيطرة سلاح الجو الاسرائيلي الكاملة فوق الاجواء المصرية آنذاك ، واحباط مخططات العدو الرامية الى تحقيق انهيار النظام المصري عن طريق شن غارات جوية في العمق ، واظهار النظام بمظهر العاجز امامها . وامام هذا الوضع الحرج اخذ الرئيس عبد الناصر ، بمساعدة الاتحاد السوفياتي ، في بناء شبكة للصواريخ المضادة للطائرات غربي القناة وفي العمق المصري : للحد من السيطرة الجوية المعادية ، وحماية المرافق الحيوية في العمق ، وتمكين سلاح الجو والقوات الارضية المصرية من العمل بحرية . ولم تكن الصواريخ ارض — جو المضادة للطائرات من طراز «سام—٢»، التي كانت مصر تملك اعداداً منها في حرب ١٩٦٧ وفي حرب الاستنزاف ، بقادرة على تأمين السيطرة المطلوبة على الاجواء المصرية : ذلك انها لم تكن فعالة ضد الطائرات التي تغير على ارتفاعات منخفضة (٥٠٠ — ١٠٠٠) متر من ناحية ، ولأن الولايات المتحدة الاميركية زودت طائرات « الفانتوم » و « السكايهوك » الاسرائيلية بخواص خاصة تحتوي معدات الكترونية تعطي الطيار انذاراً عند انطلاق الصواريخ في اثره ، وتمنحه بالتالي فرصة كافية للمناورة والهروب من امامها ، وزودتها بمعدات اخرى تستطيع التشويش على الموجات الرادارية التي توجه تلك الصواريخ ، من ناحية اخرى . وقد تمكنت الولايات المتحدة من تطوير هذه المعدات بعد تعرفها على خصائص ونقاط ضعف صواريخ « سام — ٢ » التي استخدمها الفيتناميون الشماليون أثناء الحرب الفيتنامية . ونتيجة لذلك ، فقد استمر سلاح الجو الاسرائيلي يحتكر السيطرة على الاجواء المصرية ، كما تمكن من تدمير معظم قواعد هذه الصواريخ حول قناة السويس وفي اماكن اخرى من الاراضي المصرية .

ولم يكن من السهل الحصول على معدات قتالية متطورة تستطيع التغلب على المعدات الالكترونية الاسرائيلية المضادة . وقد تطلب الامر اتصالات مكثفة وزيارات قام بها الرئيس الراحل عبد الناصر للاتحاد السوفياتي . وعلى الأثر ، وفي ١٦ شباط (فبراير) ١٩٦٩ ، اعلنت وكالة انباء « تاس » السوفياتية بأن الاتحاد السوفياتي سوف يقدم للدول العربية الدعم اللازم لضمان سلامتها ضد الغارات الاسرائيلية . وفي ١٨ آذار (مارس) ، بدأت مصادر في الولايات المتحدة في الاعلان بأن شحنات سوفياتية كبيرة من الصواريخ ارض — جو المتطورة من طراز « سام — ٣ » ، واعداد غفيرة من الخبراء السوفيات بدأت في الوصول الى الاراضي المصرية . وقد وصفت تلك المصادر الصاروخ « سام — ٣ » في حينه بأنه شوهد لأول مرة في خدمة القوات السوفياتية والبحرية في العام ١٩٦٤ ، وبأنه : يفوق الصاروخ ارض — جو الاميركي هوك الذي زودت اسرائيل به . وهو صاروخ محمول من مرحلتين تعملان بالوقود الجاف يبلغ طوله حوالي خمسة أمتار ونصف ، يستطيع الانطلاق بخط مائل لمدى يقارب ٥٠ كيلومتراً ، ويصلح للعمل ضد الاهداف على ارتفاعات منخفضة ومرتفعة (حتى ١٧٠٠٠ متر) ، كما انه مزود بأجهزة توجيه رادارية والكترونية متطورة يصعب التشويش عليها كما هو الحال بالنسبة

« لسام – ٢ » . وفي الايام القليلة التي تبعت الاعلان عن وصول هـذه الصواريخ لمصر ، استطاعت الاستطلاعات الاسرائيلية ان ترصد ما يزيد عن ١٥ قاعدة لاطلاق صواريخ « سام – ٣ » موزعة حول القاهرة ، والاسكندرية ، والسد العالي ، وبعض المطارات . وبالاضافة الى ذلك فقد بدأ الاتحاد السوفياتي في تزويد مصر بصواريخ ارض – جو من طراز ستريلا المحمولة بواسطة الافراد والآليات ، والتي تستخدم ضد الطائرات المنخفضة (لغاية ارتفاع ثلاث كيلومترات) ، وتتعقب الاشعة تحت الحمراء المنبعثة من محركات الطائرات . كذلك استمرت شحنات من صواريخ « سام – ٢ » ، في الوصول .

وبدا واضحاً منذ ذلك التاريخ ، ان مصر بدأت – تحت اشراف سوفياتي – ببناء جدار من الصواريخ المضادة للطائرات على شريط عرضه ٣٠ كيلومتراً ، ويزيد طوله عن ٧٠ كيلومتراً ، بموازاة قناة السويس ويتراوح بعده عنها غرباً بين ٣٠ – ٥٠ كيلومتراً ، ويمر مركزه بالطريق العام الذي يصل الاسماعيلية بالقاهرة . ويتألف هذا الجدار من الصواريخ « سام – ٢ » المدعمة بمدافع مضادة ، واجهزة رادارية والكترونية للانذار المبكر والسيطرة على توجيه هذه الاسلحة . ولتأمين سواتر فعالة من النيران المضادة للطائرات، فقد وزعت بطـاريات الصواريخ بشكل متراص تفصل بينها مسافات قليلة . أما الصواريخ « سام – ٣ » فقد احتفظ بها لحماية الجبهة الداخلية ، في حالة قيام الطائرات المعادية باختراق هذا الجدار . وفي الوقت نفسه ، ونظراً لخشية العدو حرمانه من السيطرة الجوية التي يتمتع بها ، فقد وضع نصب عينيه العمل على عرقلة بناء ذلك الجدار وتحطيمه ، وبدأ ذلك بغارات مركزة عليه استمرت طيلة الايام العشرة الاخيرة من شهر آذار (مارس) . وامتدت هذه المحاولات حتى نهاية حرب الاستنزاف ووقف اطلاق النار في ٧ آب (اغسطس) ١٩٧٠ . وبرغم كل محاولات العدو ، فقد كان يجري إعادة بناء القواعد المحطمة واستبدال الصواريخ والرادارات فوراً ، وبدأ جدار الصواريخ يتخذ الشكل المرسوم له بفضل شجاعة وصبر العمال والجنود المصريين . واستمرت عمليات العدو الجوية في العمق المصري الى ان توقفت في حوالي منتصف شهر نيسان (ابريل) ١٩٧٠ ، اثر تزويد مصر بطائرات « ميغ – ٢١ جي » Mig-21 J المحسنة وبطيارين سوفيات لحماية الجبهة الداخلية ريثما يتم استكمال الدفاعات الصاروخية جميعها ، وسقطت بذلك استراتيجية الضرب في العمق الاسرائيلية .

وفي ٢١ نيسان (ابريل) والاول من ايار (مايو) ١٩٧٠ ، القى الرئيس عبد الناصر خطابين اعلن فيهما ان مصر قد استكملت قوتها الدفاعية وان بامكانها الانتقال الى الهجوم واخذ زمام المبادرة. ويتضمن هذا الاعلان ، بطبيعة الحال ، الاشارة الى ان نظام الدفاع الصاروخي عن الاراضي المصرية اصبح كاملا . واصبح واضحاً ، منذ ذلك الحين ، ان صيفاً الكترونيا حامياً ينتظر الطرفين في جبهة القناة .

ومع بداية شهر ايار (مايو) بدأت القوات المصرية ، الجوية بشكل خاص ، تشعر بمزيد من الحرية في التحرك والعمل ، كما بدأت سلسلة من العمليات الجوية في سيناء . وفي ١٤ أيار (مايو) ، عادت الطائرات الاسرائيلية مرة اخرى لقصف منطقة القناة دون ان تتعرض لمقاومة تذكر . واستمر نشاط الطائرات الاسرائيلية على هذا المنوال اياماً بدأ بعدها سلاح الجو المصري بالتدخل تدريجياً واعتراض العمليات الجوية المعادية في المنطقة التي تفصل جدار الصواريخ عن القناة . وفي ١٩ أيار (مايو) ، أخذ العدو في قصف منطقة الصواريخ لعرقلة اعمال إعادة بناء ما تم تدميره منها خلال الغارات الجوية . وحتى ذلك الوقت لم تشترك الصواريخ في القتال ، كما لم يرصد اي وجود لصواريخ « سام – ٣ » ضمن جدار الصواريخ المذكور ، مما اثار استغراباً عرف سببه فيما بعد ويتلخص في ان صعوبة في معايرة Calibrating هـذه الصواريخ واجهت الخبراء الروس ، خاصة وانها لم تستعمل سابقاً في ظروف قتال حقيقية : وحتى ذلك الوقت ايضاً ، فقد كان بامكان الاستطلاعات الالكترونية الاسرائيليـة اكتشاف شبكات الصواريخ «سام – ٢» و«سام – ٣» واستطاعت هذه الاستطلاعات ان تكتشف وجـود ٢٥ بطارية من صواريخ « سام – ٣ » حتى نهاية شهر أيار (مايو) ، وكانت هذه الصواريخ توضع عادة في بنائين مستطيلين ومنخفضين، يبلغ طول الواحد منهما حوالي ١٢ متراً ، بما في ذلك العقول الالكترونية والرادارات الملحقة بها . وكان احد الرادارات الملحقة بها يحتاج الى بناء يبلغ ارتفاعه حوالي ٢١ متراً ، الامر الذي يفسر ظهور اشاعة في تلك الاثناء بأنها كانت توضع في مآذن الجوامع لغايات التمويه .

ولقد كان يوم ٣٠ حزيران (يونيو) من صيف العام ١٩٧٠ ، يوماً مشؤوماً في تاريخ سلاح الجو الاسرائيلي اذ فقد فجأة ثلاثاً من طائراته (اثنتان من طراز فانتوم والثالثة من طراز سكايهوك) اثناء تحليقها فوق قناة السويس ، اسقطت احداها بواسطة المدفعية المضادة للطائرات واسقطت الثانية والثالثة بالصواريخ . وبعد بضعة ايام اسقطت له طائرات « فانتوم » اخرى بواسطة صواريخ موجهة .

واكتشف طيـارو العـدو ان اجهزتهم لم تعد تعطي الانذار اللازم ، ولم تعد قادرة على التشويش على اجهزة الصواريخ المصرية ، وبالتالي فقد اوقف العدو عملياته الجوية بانتظار قيـام الولايات المتحدة بتزويده بأجهزة الكترونية اكثر تطوراً لمواجهة الخطر الجديد . وهكذا بين ليلة وضحاها ، رجحت كفة الميزان في صالح الجانب المصري ، مما شكل مصدراً للقلق والازعاج لسلاح الجو الاسرائيلي والاميركي على حد سواء، اشار اليه الجنرال الاسرائيلي بارليف في مؤتمر صحفي عقده في السادس من تموز (يوليو) بقوله : ان المصريين قاموا بنصب نظام جديد للصواريخ ، في ليلة ٢٩ – ٣٠ حزيران (يونيو) ، يتألف من ١٢ بطارية للصواريخ ، تدعمها مدفعية مضادة للطائرات موجهة بالرادار في منطقة يبلغ طولها حوالي ٤٥ ميلا .

ولم يكن الخطر الذي ازعج العدو ، سوى نوع جديد محسن من صاروخ « سام – ٢ » . فقد قام السوفيات ، مستفيدين من الدروس السابقة من المواجهات بين « سام – ٢ » والطائرات الاميركية بتعديل هذا الصاروخ : باضافة عقل الكتروني حاسب اكثر سرعة اليه ، وتزويده بأجهزة توجيه ذاتي رادارية – تعمل في المرحلة الاخيرة من انطلاقه نحو الهدف – ذات نطاق اكبر من الذبذبات بحيث لا تستطيع الاجهزة الالكترونية المضادة في طائرات العدو التقاطها ، وتحسين قدرته على المناورة ضد الطائرات المنخفضة . وقد زاد من خطر هذا الصاروخ ، قيام المصريين باتباع تكتيك جديد في اطلاقه، يعتمد على اطلاق موجات كثيفة منه على الطائرات المغيرة ، الامر الذي جعل من المتعذر على الطائرة المغيرة الافلات من المطاردة عند اطلاق بطارية بكاملها مؤلفة من ستة صواريخ بتتابع زمني سريع ومحكم باتجاهها .

وفي الوقت نفسه كانت الولايات المتحدة تعمل على تطوير مجموعة متطورة من الانظمة الالكترونية المصغرة . وفي خلال الايام القليلة الاولى لبدء الصراع الالكتروني ، قامت بارسال حوالي المائة من الحواضن التي تحتوي اجهزة الكترونية مضادة ذات نطاق اكبر من الترددات ومزيد من اجهزة الكشف ، لتركيبها عـلى طائرات سلاح الجو

الاسرائيلي . ويتلخص عمل هذه الحواضن في اكتشاف الصواريخ المضادة ، واطلاق موجات تشويش كهر - مغناطيسية على الترددات نفسها التي تستخدمها اجهزة المتابعة والتوجيه الرادارية فيها لحرفها عن اتجاهها . ولكن الصاروخ « سام - ٢ » الجديد كان متفوقاً على مجموعة الحواضن الاولى التي ارسلت الى العدو ، في نطاق الذبذبات التي يملكها ، مما دعى الى ارسال المزيد من الحواضن الاكثر تطوراً . وفي مواجهة الحواضن الجديدة ، وكاجراء مضاد ، اخذت اطقم الصواريخ الارضية في التبديل السريع لذبذبات الاجهزة الارضية التي تسيطر على عمل انظمة التوجيه الرادارية في الصواريخ لتمكينها من المتابعة رغم التشويش . فاضيفت اجهزة كشف جديدة الى الحواضن ، تقوم بانذار الطيار فور حدوث تغيير في ذبذبة التوجيه الرادارية في الصواريخ لكي يتمكن بدوره من الاستمرار في عملية التشويش بتغيير ذبذبته تبعاً لذلك . وهكذا وجدت اطقم الصواريخ العربية الارضية ، كما وجد طيارو العدو ، انفسهم في خضم صراع الكتروني محموم ، كانت السرعة - في تطبيق الاجراء الالكتروني ، والاجراء الالكتروني المضاد - العامل الاكثر اهمية فيه . وقد لجأ العدو الى دعم عمليات طائراتــه بطائرات « ستراتوكروزر » الاستطلاعية الالكترونية الضخمة التي يملكهــا ، والمزودة بمختلف الاجهزة الالكترونية المتطورة ، ولكن الصواريخ العربية تمكنت من اسقاط إحداها ، وكان ذلك بمثابة انتصار كبير للاجراءات الالكترونية العربية . واستمر الصراع الالكتروني على هذا المنوال طيلة شهر تموز (يوليو) وحتى نهاية حرب الاستنزاف في ٧ آب (اغسطس) ١٩٧٠ ، وبدا فيه ان الجانب العربي يمتلك معيناً لا ينضب من الصواريخ وسائر الاجهزة الملحقة بها أثار جزع العدو وساهم في حمله على وقف اطلاق النار .

ولا يوجد هناك تقدير دقيق لخسائر كل من الطرفين خلال فترة الصراع الالكتروني التي دامت ما يقارب الستة أسابيع ، وهي الفترة الاخيرة من حرب الاستنزاف . وليس هناك سبيل لمعرفة اعداد مواقع الصواريخ التي تم تدميرها ، بسبب إعادة البناء والترميم المستمر لها ، ولوجود الكثير من المواقع الكاذبة . ولكن الطرفين ظهرا - لاول مرة - على درجة واحدة من المساواة والندية ، وفقد كل منهما العدد نفسه من الطائرات تقريباً (حوالي ست طائرات) . ذلك ان سلاح الطيران المصري لم يقف آنذاك مكتوف الايدي ، بل شارك في استكمال حلقة الدفاع الجوي عن الارض المصرية ، وكان يحلق بعيداً اثناء تشغيل الدفاعات الصاروخية، ثم ينقض على طائرات العدو المغيرة في اللحظة التي تتوقف فيها هذه الدفاعات عن العمل ، وبتوقيت دقيق مع اطقمها الارضية ، ليتجنب خطر الصواريخ الموجهة التي لا تستطيع التمييز بين الطائرات العدوة والصديقة .

(٨) حرب الأصوات

هي حرب علمية تقنية ، هدفها تحديد مواقع العدو وتحركاته عن طريق كشف الاهتزازت الصوتية التي يثيرها التحرك . ويمتـد افق حرب الأصوات الى جميع مناطق العمل في البر والبحر والجو .

وليست حرب الأصوات جـديدة ، وإنما هي تطوير للوسائط البسيطة والأولية التي عرفتها البشرية منذ القدم . فقد عرفت القوات المتشابكة كيفية كشف تحركات العدو بواسطة الاصوات . وكان الصمت والتوقف عن التحرك او الحركة في اتجاه مضاد للريح هي الوسائل المستخدمة لإخفاء الاصوات ومنع العدو من الافادة من الاصوات للكشف عن الحركات . وفي القرن العشرين ، أدى تطـور الاكتشافات العلمية التقنية وتطبيقاتها العملية الى تطوير حرب الأصوات . وكانت الجيوش المتحاربة في الحرب العالمية الأولى تقيم في الخنادق مراكز للتصنت ، مستخدمة في تصنتها النماذج الأولى من المسماع المائي لكشف الغواصات الألمانية . وفيما بعد كان التسديد على الصوت في المدافع المضادة للطائرات قبل اكتشاف الرادار هو الوسيلة لاحكام الرمي في الليل أو في جو غائم . ثم تطور الأمر في السنوات الأخيرة الى وضع أجهزة مستحدثة للكشف الصوتي من أجل حرب الأصوات في الأرض والأجواء. ومن أمثال هذه الأجهزة جهاز إنذار صغير الحجم، يستطيع كشف تحرك مقاتل العدو على مدى خمسة وعشرين متراً . ويستند مبدأ هذا الجهاز الى ما يثيره تحرك العدو من اهتزازات في الأرض ، فيعمل الجهاز الكاشف على التقاط هذه الاهتزازات وتحديد اتجاهها ومسافتها ، وقد زود هذا الجهاز الكاشف بمجموعة من المرشحات لتنقية الصوت من التشويش الذي يحدثه المطر أو مرور الطائرات ، أمـــا الاهتزازات المعنية فتثير في الجهاز بث إشارة هرتزية يبلغ مداها عدة مئات من الأمتار .

وقد حققت وسائل الكشف الصوتية اكبر تطور لها في مجال عمل الغواصات . ويعود السبب في ذلك الى استحالة استخدام اجهزة الرادار الارضية أو الجوية (وهي أجهزة كشف ضوئية غير صوتية) للعمل ضد الغواصات التي تتجول في الاعماق ، بالاضافة الى الصعوبة التي تواجهها الغواصة ذاتها عند تنفيذ واجب اعتراض سفينة حربية على سطح البحر أو غواصة أخرى ، وقد تم إنجاز نجاحات جيدة في حرب الاصوات بالافادة من ميزة انتشار الاهتزازات الصوتية انتشاراً جيداً في الماء ، بعكس الاشعاعات الكهرطيسية المستخدمة في أجهزة الرادار ، والتي لا تنفذ في الماء إلا في حالة التواترات المنخفضة ، والتي غالباً ما يمتصها الماء حتى في هذه الحالة الاستثنائية .

والاهتزازات الصوتية هي الاهتزازات الوحيدة القادرة على الانتشار في أعماق البحار ، وعن طريقها يمكن كشف الغواصات المعادية وتحديد موقعها ، وتطبيقاً لهذا المبدأ أمكن استخدام الطوربيدات التي توجه بتتبع الصوت لتدمير القطع البحرية المعادية . واستخدام الالغام التي تتفجر بتأثير الاهتزازات الصوتية .

ويستعمل علم الصوت في المجال العسكري في أعماق البحار حسب طريقتين رئيسيتين : أولاهما وضع الاصغاء لالتقاط التواترات الصوتية التي تثيرها تلقائياً سفينة حربية أو غواصة . ويحصل المراقب هنا على اتجاه مصدر الصوت دون تحديد مسافته ، ذلك ان الحصول على مسافة مصدر الصوت يتطلب وضع جهازي استقبال يبتعدان عن بعضهما مسافة معينة . وبعملية التقاطع بين جهازي الاستقبال يتم تحديد المسافة . أما الطريقة الثانية لاستخدام علم الصوت فتتلخص في ارسال إشارة صوتية في اتجاه معين ودراسة صداها . وعندئذ يحصل المراقب على اتجاه السطح العاكس وعلى مسافته في وقت واحد . وتساوي هذه المسافة نصف حاصل ضرب الوقت الذي تضيعه الموجة الصوتية في اجتياز المسافة ذهاباً وإياباً بسرعة الصوت في الماء . والميزة الأساسية لجهاز الارسال بهذه الطريقة ، هي قدرته على التوجيه (حيث ان الطاقة الاشعاعية لجهاز الارسال محصورة في مخروط ذي فتحة ضيقة) . وترتبط هذه القدرة على التوجيه بحجم جهاز الارسال ، وبطول موجة الاشارة الصوتية . ولهذا ، ومن اجل الحصول على قـــدرة توجيهية جيدة لجهاز إرسال صغير الحجم ، يجب استخدام موجات ذات تردد مرتفع تتمثل بالموجات فوق الصوتية .

ان اجهزة الارسال فوق الصوتية (أي أجهزة السونار لالتقاط الأصوات) أفضل من غيرها بسبب

دقتها في عملية الكشف . ولكن لهذه الاجهزة مساوئها أيضاً ، فماء البحر يمتص الاصوات ذات التواترات المرتفعة بسرعة اكبر من السرعة التي يمتص فيها التواترات المسموعة ، الأمر الذي يجعل مدى الكشف محدوداً حتى في حال تقوية قدرة جهاز الارسال . كما ان ارسال جهاز إيجابي لالتقاط الاصوات سونار ليس أمراً صالحاً في جميع الاحوال من الناحية العسكرية ، ذلك ان هذا الارسال يسمح لأجهزة الكشف المضادة باكتشاف وجود سفينة حربية أو غواصة ، على حين يبقى الاصغاء السلبي خفياً (الطريقة الأولى في الاصغاء) ولكن ظهور الغواصات الحديثة التي يتزايد صمتها دفع الى استخدام الجهاز الايجابي لالتقاط الأصوات (السونار) . ولا يقتصر استخدام السونار على القطع البحرية الحربية بل يستخدم ايضاً في مجالات مختلفة ، ومن المعروف اعتماد رجال الصيد على السونار في تطوير السبر بالاصداء لكشف أسراب السمك ولدراسة قاع المحيطات والبحار أو اكتشاف الحواجز . وتبقى الطريقة المستعملة في جميع الحالات هي ذاتها ، (استخدام الناقل الكهربي - الصوتي) . وقد يكون هذا الناقل منتجاً للكهرباء (عن طريق ضغط بعض الاجسام البلورية) ، أو عاملا بواسطة المغناطيس ، أو جهازاً بخزف يعمل بواسطة الكهرباء . وهذا النوع الثالث هو من أحدث المنجزات، إذ يمكن بواسطته الحصول على ارسال ذي قوة هائلة .

ولقد تطورت حرب الأصوات تطوراً كبيراً في جميع المجالات . ويتطلب الحصول على المردود الاقصى ، في المجال العسكري ، تنسيق التعاون بين أجهزة مختلفة ، لا سيما عندما يتعلق الأمر بموضوع الحرب البحرية ، حيث يفترض التعاون هنا بين الغواصات التي تعمل في الأعماق ، وبين القطع البحرية التي تعمل على سطح الماء ، وطائرات الهليكوبتر المحلقة في الجو . وعلى الرغم من حل كثير من المشكلات التي تجابه هـذا التعاون ، فان بعض المشكلات لا زالت مستعصية على الحل . وتحيط الدولتان العظميان أبحاثهما ودراساتهما في هذا المجال باطار قوي من السرية . ولكن من المعروف ان الولايات المتحدة قد اعتمدت حتى الآن مشاريع ضخمة ، منها مشروع (ارتميس) لمراقبة اعماق البحار على مسافة بعيدة بواسطة جهاز كاشف سونار إيجابي وزنه ثلاثون طناً . ويكون عمله متناسقاً مع شبكة تصنت . ويستطيع هذا النظام كشف كل ما يتحرك بين السطح والقاع على مدى خمسمائة ميل بحري . هذا بالاضافة الى مشروع آخر لإقامة شبكات تصنت توضع في قاع المحيطات والبحار ، على اعماق مختلفة ، لمراقبة الطرق البحرية ، وحماية الشواطىء . وتستطيع هذه الشبكات في عرض البحر تقديم معلومات عن تحركات الغواصات المعادية أو ارغامها على الحد من تحركاتها . كما تستطيع الشبكات الأرضية منع اقتراب الغواصة المطاردة - القانصة المعادية من الشواطىء . ولكن الغواصات القاذفة للصواريخ لا تحتاج للاقتراب من هذه الشواطىء . وتتابع السلطات العسكرية في العالم كله تقريباً تمويل مجموعة من المشاريع المماثلة لتطوير حرب الأصوات . ولكن فائدة هذه المشاريع لا تقف في كثير من الاحيان عند التطبيقات العسكرية ، وانما تتجاوزها الى آفاق اخرى تحقق فوائد غير محدودة عند تطبيقها في الحياة المدنية . (انظر الحرب المضادة للغواصات ، والحرب الالكترونية ، والسونار) .

(١٣) حرب الأفيون (١٨٤٠ - ١٨٤٢ ، و١٨٥٧ - ١٨٦٠)

حدث أول اتصال لأوروبا بالصين في أوائل القرن السادس عشر ، حين قدم السفير البرتغالي ، توماس بيريز ، الى بكين ، عارضاً على امبراطورها « كانغ تي » ، من أسرة « منغ » ، إقامة علاقات تجارية بين البرتغال والصين ، الا ان الامبراطور أوجس خيفة من هذا العرض ، فرفضه . وفي العام ١٥٥٧ ، سمحت السلطات الصينية بتأجير جزيرة « ماكاو » الصينية للبرتغال ، لتتخذها قاعدة بحرية لسفنها . وظلت البرتغال تدفع ايجار تلك القاعدة ، بانتظام ، حتى العام ١٨٤٩ . وسرعان ما لحق الأسبان بالبرتغاليين ، فأقاموا علاقات تجارية مع الصين ، وتبعهم الهولنديون ، الذين طردوا البرتغاليين من أمبونيا في العام ١٦٠٥ ، وحلوا محلهم في جزر أندونيسيا وجاوة ، وإن فشلوا في طردهم من ماكاو في العام ١٦٦٢ .

وكسبت هولندا ود الصينيين بمجرد انتهاء حكم أسرة « مينغ » ، وتولي « نورهاتش » ، مؤسس أسرة المانشو ، الحكم في الصين ، والتي ظلت تحكم البلاد حتى العام ١٩١١ ، أي عام سقوط الملكية في الصين . وسمح للهولنديين بإرسال قافلة تجارية ، مكونة من أربع سفن محملة بالبضائع الى الصين ، مرة كل ثماني سنوات . وان ظل القصر الصيني يرفض إقامة علاقات ديبلوماسية مع أية دولة .

ودخل الانجليز ، في منتصف القرن السابع عشر ، السباق على أسواق الصين . ودبت الخلافات بين شركة الهند البريطانية وشركة الهند الهولندية ، لكن سرعان ما سويت هذه الخلافات ، واتفقت الشركتان على احتكار تجارة الصين . إلا أن الهولنديين نكثوا بالاتفاق ، وعملوا علـى الاستئثار بتجارة الصين وحدهم . وتوجهت سفن حربية بريطانية الى نهر كانتون لضرب الصين ، إلا أن الأسطول الصيني ردها على أعقابها ، فاكتفت بالقيام ببعض أعمال القرصنة والنهب على الشواطىء الصينية . ومع ذلك حصلت شركة الهند الشرقية [البريطانية] على فرع لها في كانتون ، في العام ١٦٨٥ . وفي العـام ١٧٨٤ ، أرسلت الولايات المتحدة أولى سفنها التجارية الى ميناء كانتون ، وأخذت تجارتها مع الصين في الاتساع ، في حين كانت روسيا القيصرية تتبادل التجارة مع الصين على طول حدودها البرية الشمالية ، ورفضت الحكومة الصينية طلباً لروسيا القيصرية ، في العام ١٨٠٥ ، بمنحها امتيازات مماثلة لامتيازات الدول الاوروبية الأخرى . وما أن أشرف القرن الثامن عشر على الانتهاء ، حتى كانت شركة الهند الشرقية [البريطانية] تحتكر نحو ستة أسباع تجارة الصين ، على حين توزع السبع الباقي على ما تبقى من شركات الدول الاستعمارية الاخرى .

وما أن انتصف القرن التاسع عشر حتى تصدرت بريطانيا مجموعة الدول الرأسماليـة ، في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، وقد حققت هذا التقدم بفضل ثورتها الصناعية ، والاستقرار السياسي التي تمتعت به دون بقية الدول الرأسمالية الأخرى ، وبسبب توسعها في فتوحاتها ، وما عادت به تلك الفتوحات عليها من فوائد .

وبعد احتلال بريطانيا للهند ، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، رنت بريطانيا ببصرها الى الصين . ووصلت أول بعثة ديبلوماسية بريطانية الى الصين ، في العام ١٧٩٦ ، برئاسة لورد ماكادتني ، ولكنها عجزت عن التوصل الى اي اتفاق مع امبراطور الصين . وفي العام ١٨١٦ ، وصلت بكين بعثة ديبلوماسية بريطانية اخرى ، برئاسة اللورد أمهرست ، كان نصيبها من النجاح دون سابقتها ، اذ رفض الامبراطور الصيني مجرد استقبال رئيسها . وتوالت بعد ذلك اجراءات التضييق الصينية على التجارة والتجار البريطانيين في كانتون . مما اثار حفيظة الانجليز على الصين ، واخيراً وجد الأنجليز الذريعة لاعلان الحرب على الصين في اعتراض حكومة الصين على تجارة الأفيون .

كانت الفضة هي قاعدة المبادلات التجارية الدولية حينذاك . وأحس الانجليز أنهم يدفعون

كثيراً للصينيين مقابل المواد التي يستوردونها من الصين ، وبذل الانجليز قصارى جهدهـم لحمل الصينيين على شراء بضائع انجليزية ، دون جدوى ، مما جعل ميزان المدفوعات بين البلدين يميل لصالح الصين بصفة دائمة . وأخيراً تفتقت عقلية الانجليز عن حل فريد ، يستردون به كميات الفضة الهائلة التي دفعوها ويدفعونها للصينيين . وتمثل ذلك الحل في الأفيون . وكان البرتغاليون أول من أرسل شحنات الأفيون الى الصين . وبالرغم من تحريمه بمرسومين امبراطوريين صينيين (عامي ١٧٢٩ و ١٨٠٠) إلا أن تعاطي الأفيون انتشر بشكل واسع في أوساط الشعب الصيني . وفي العام ١٧٧٣ ، قررت شركة الهند الشرقية [البريطانية] احتكار زراعة الأفيون في الهند ، وأرسلت الشركة أول شحنة كبيرة من الأفيون الى الصين (١٧٨١) وسرعان ما احتلت تجارة الأفيون المحرمة المركز الأول – من حيث الحجم – في المواد المصدرة الى الصين ، وقفزت تجارته الى أضعاف التجارة المشروعة ، اذ بلغ حجم تجارة الأفيون ، في العام ١٨٣١ ، أحد عشر مليون دولار ، على حين لم يصل حجم التجارة المشروعة للعام نفسه الا الى نحو سبعة ملايين دولار . وتوالت بعد ذلك معدلات الزيادة في نسبة تجارة الأفيون الى الصين ، حتى غدت تعادل ١٧٪ من مجمل التجارة البريطانية الى الصين في العام ١٨١٨ ، و ٥٠٪ في العـام ١٨٣٣ ، ووصلت الى نحو ٤٠ ألف جوال أفيون في السنة الأخيرة . ثم دخل الامريكيون كشركاء للانجليز في هذه التجارة المحرمة ، بأن ساعدوا على نقل الأفيون التركي بسفنهم ، من ميناء سامرا الى الهند ، حيث كان التجار الانجليز يقومون بتهريبه الى الصين .

وانتشرت عادة تدخين الأفيون بين أفراد الشعب الصيني على نطاق واسع ، حتى بلغ عدد مدمني الأفيون في الصين (عام ١٨٣٥) حسب تقرير رسمي ، نحو مليوني شخص . وبذا فتك الأفيون بصحة الشعب وبالاقتصاد الصيني ، الذي عجزت صادراته كلها عن سداد ثمن الأفيون المجلوب على السفن الانجليزية والأجنبيـة الاخرى ، مما اضطر الصينيين الى دفع ثمن الأفيون بالفضة ، التي أخذت تتسرب من الصين الى الخارج . وفي ثلاثينات القرن التاسع عشر كانت الصين تدفع ما بين ٢٠ – ٣٠ مليون تايل [اوقية صينية] من الفضة كل سنة ثمناً للأفيون المهرب اليها . وبذا نجح الانجليز في استرداد الفضة التي سبق ودفعوها طوال عشرات السنين المنصرمة ، كما استولوا في الوقت نفسه على منتجات الصين بأبخس الأثمان .

ووصلت الصين الى حافة الإفلاس ، ووقع عبء الأزمة الاقتصادية الرئيسي عـلى الفلاحين الصينيين ، الذين هبطت أسعار غلالهم وتضاعف قهر الإقطاعيين وجباة الضرائب لهم ، لانتزاع أكبر قدر من المحاصيل والضرائب تعويضاً لما يفقـده هؤلاء الاقطاعيون والجباة من كميات الفضة ثمنـاً للأفيون . وتوالت هبات الفلاحين ، منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر ، حتى أن مجموعة من الثائرين نجحت في اقتحام قصر الامبراطور في بكين في العام ١٨١٣ ، وكادت أن تفتك به لولا مسارعة الحراس الى طردها .

وانتقل الصراع الى أجهزة الحكم نفسها ، حيث طالب جناح في الحكم – يرأسه « لين تسي هسو » نائب الامبراطور في « هونان » و « هوبيه » – بالقضاء على الأفيون ، على حين ظل الجناح الأقوى في الحكم مع استمرار تجارة الأفيون ، وهو الجناح المستفيد من هذه التجارة . الا ان جناح « لين تسي هسو » انتصر على خصومه ، تحت ضغط الرأي العام الصيني ، والخوف على البلاد ، فأصدر الامبراطور « تاوكوانغ » مرسوماً مشدداً بتحريم تجارة الأفيون ، وعين « لين تسي هسو » (عام ١٨٣٩) مندوبـاً امبراطورياً سامياً في كانتون ، لتنفيذ هذا المرسوم . وأخذ هسو في تشجيع التجارة المشروعة وملاحقة تجارة المخدرات . وتوهم أن حكومة لندن لا بد تعارض تجارة الافيون ، متصوراً أن هذه التجارة من فعل بعض المهربين الانجليز ودون رضى الحكومة البريطانية . إلا أنه صدم بصد حكومة بريطانيا وملكتها فيكتوريا ، حين طلب مساعدتها في مكافحة تجارة الأفيون ، بل أن البرلمان البريطاني ، بمجلسيه : العموم واللوردات ، ناقش هذه التجارة وأعرب عن تمسكه بها ، باعتبارها « مصدراً للايراد له مثل هذه الأهمية القصوى » . وهنا استدار هسو الى التجار الأجانب في كانتون ، وطالبهم بضرورر تسليمه ما لديهم من الأفيون ، مع التعهد بعدم الاتجار به . إلا أن المشرف التجاري البريطاني في كانتون ، الكابتن تشارلز اليوت ، رفض الانصياع للامر ، وسار التجار الانجليز في المدينة الصينية على منواله ، وان عادوا وأذعنوا جميعاً لتعليمات هسو ، بعد أن حاصرهم ثلاثة أيام كاملة ، وحجب عنهم أثناءها الزاد والماء ، فسلموه ٢٠ ألف صندوق ، تضم حوالي مليون كيلوغرام من الأفيون ، منها أكثر من ألف صندوق لتجار أميركيين . ثم تعهد التجار الأنجليز بعدم العودة الى الاتجار بالأفيون . وفي الثالث من حزيران (يونيو) ١٨٣٩ ، أحرق هسو الأفيون المضبوط ، وسط احتفال جماهيري حاشد . ثم فشلت محاولات عديدة ، بعد ذلك ، لتهريب الأفيون الى الصين ، اذ اصطدمت بالتـدابير والتحصينات التي أقامها هسو على شواطىء الصين .

حرب الأفيون الأولى (١٨٤٠ – ١٨٤٢)

حدث أن اعتدى بعض البحارة الانجليز السكارى على عدد من الصينيين في كانتون ، وقتلوا أحدهم . فانفجر الموقف ، الذي ما كان له أن ينفجر بسبب هذه الحادثة الصغيرة لولا تراكم سخط الشعب الصيني ضد التجار الأجانب ، ولولا فقدان الأنجليز لصبرهم بعد تحريم الأفيون واحراقه ، وحرمانهـم – بالتالي – من الارباح الطائلة . وطلب هسو الى المشرف التجاري البريطاني في كانتون ، تشارلز اليوت ، تسليمه الجناة لمحاكمتهم ، ورفض اليوت الطلب ، فتوجه هسو بطلبه هذا الى السفن الانجليزية الراسية في ميناء كانتون ، وقرن طلبه هذا بمحاصرة السفن الأنجليزية ، فسارع الانجليز بإرسال سفينتين حربيتين ، هما « الفولاج » و « الهياسنت » الى ميناء كانتون ، واطلقتا نيرانهما فور وصولهما الى الميناء على السفن الصينية وأغرقتا أغلبها . وبذا بدأت حرب الأفيون الأولى . وأعلنت بريطانيا الحرب على الصين ، في نيسان (ابريل) ١٨٤٠ ، وادعت أن سبب الحرب هو وقوف الصين في وجه التجارة الحرة ومعاملتها السيئة للتجار الانجليز ، وأخفت السبب الحقيقي للحرب ، وهو تحريم الصين لتجارة الأفيون . وعجز الأسطول البريطاني ، بقيادة جورج اليوت ، عن اقتحام كانتون نظراً لقوة تحصيناتها ، فاتجه صوب الشمال ، حيث عجز أيضاً عن احتلال آموي باقليم فوكين ، وأخيراً نجح في احتلال تينغهاي ، على خليج كوشان ، بسبب افتقارها للتحصينات القوية . وانهار الامبراطور الصيني لدى سماعه نبأ سقوط تينغهاي ، وسعى للصلح ، فعزل هسو من جميع مناصبه ، وقدمه للمحاكمة بتهمة التسبب في هذه الكوارث بأفعاله الرعناء . وحل « شي شان » محل هسو في كانتون ، وكان شي من الجناح المؤيد لعودة تجارة الأفيون ، فسارع الى إزالة العوائق التي وضعها هسو في مدخل نهر بيرل ، وحل فرق المقاومة الشعبية ، وأزل المدافع من القلاع الصينية . وانتهز الأنجليز فرصة التراجع الصيني ، وانقضوا من جديد قاصفين بمدافعهم قلاع « يوغو » ، خارج كانتون ، واحتلوها ، وطالبوا بتسليمهم مناطق أخرى ، ودفع غرامة كبيرة لهم ، ووقع « شي شان » مع الانجليز اتفاقية شوينبي ، وبموجبها سلمت هونغ كونغ

للانجليز ، كما دفعت الصين ستة ملايين ريال فضة غرامة للانجليز ، وتم فتح كانتون للتجارة البريطانية . إلا أن الامبراطور غضب لتوقيع اتفاقية شوينبي ، فعزل شي شان وقدمه للمحاكمة . فعادت القوات البريطانية الى مهاجمة قلاع « يوغو » ، بعد أن كانت قد انسحبت منها ، وفقاً لاتفاقية شوينبي . وتصدت لها القوات الصينية بقيادة « كوان تيان بي » ، ولكن بسالة القوات الصينية لم تحل دون سقوط القلاع في أيدي القوات البريطانية الغازية . وفي أيار (مايو) ١٨٤١ ، رفع مندوب الامبراطور ، « يي شان » ، العلم الأبيض على أسوار كانتون ، وتوقفت الحرب مؤقتاً . ودخلت القوات البريطانية كانتون ، وارتكب أبشع الفظائع وأفحش الجرائم ضد أهاليها ، فتصدى لها أهالي كانتون والقرى المجاورة ، المسلحين بالفؤوس والهراوات وغيرها من الأسلحة البدائية ، وحاصروا القوات البريطانية ، التي كانت قد وصلت الى « سانيوانلي » ، وتصادف هطول الأمطار الغزيرة التي أوقعت الفوضى في صفوف القوات البريطانية المحاصرة ، مما ساعد الصينيين على اقتناص القوات البريطانية ، وسقوط مئات القتلى والجرحى من الانجليز ، وفرار قائدهم ، جورج اليوت ، وكاد يقضى على الحملة البريطانية بأسرها ، لولا تدخل « يي شان » ، وطلبه الى الفلاحين الصينيين وقف القتال . وكان طلب يي شان هذا يعكس خوف السلطة الصينية – حينئذ – من الجماهير ، كما كان إقدام الامبراطور الصيني على تفريق حراس الشواطىء الصينية ، تعبيراً آخر عن فزع السلطة الصينية من حركة الجماهير .

وفي آب (اغسطس) ١٨٤١ عادت القوات البريطانية وغزت ساحل الصين للمرة الثانية . وأدت عوامل عديدة الى هزيمة الصين . فبالاضافة الى التخلف الحضاري في الصين ، فقد كانت حكومة المانشو متذبذبة في مواقفها بين الحرب والسلام ، والأقاليم الصينية تفتقر الى الخطة الموحدة والموقف الواحد ، مما جعل حاكم أحد الأقاليم يحارب القوات البريطانية ، على حين كان زميل له يفاوضها على الصلح مع اقليمه . ووقع العبء في كل الأحوال على الشعب الصيني ، الذي تحمل الأعباء المادية الباهظة (نفقات حربية في الحرب ، وغرامات صلح عقب كل استسلام) . وتدفقت التعزيزات على القوات البريطانية ، ورفضت الحكومة البريطانية العودة الى اتفاقية شوينبي ، وشنت القوات البريطانية هجوماً مفاجئاً في مناطق متناثرة على الساحل الصيني ، فاحتلت آموي ، وتينغهاي ، ونينغبو ، وكانتون ، وشنغهاي ، ثم توغلت في الأراضي الصينية ، وقطعت القناة الامبراطورية الكبرى ، وسيلة الملاحة الرئيسية بين شمال الصين وجنوبها ، واحتلت هذه القوات شينكيانغ ، ووصلت الى مشارف نانكينغ ، مدخل بكين العاصمة . عندها قررت حكومة المانشو إيقاف الحرب بأي ثمن ، ووضع حد نهائي للقتال ، الذي استمر عامين . وفي ٢٩ آب (اغسطس) ١٨٤٢ ، وقعت اتفاقية نانكينغ ، بين الصين وبريطانيا ، على ظهر إحدى السفن البريطانية الراسية بالقرب من نانكينغ ، قبلت فيها الصين اغلب الشروط البريطانية ، اذ نصت الاتفاقية على أن تدفع الصين ٢١ مليون دولار ، تعويضاً للانجليز عن الأفيون الذي صادره لين تسي هسو وأحرقه ، وأن تتنازل الصين عن ميناء هونغ كونغ ليتحول الى مستعمرة بريطانية ، وأن تفتح خمسة موانىء كبيرة للتجارة البريطانية الحرة ، وهي كانتون ، وفوشاو ، وآموي ، ونينغبو ، وشنغهاي ، مع إعفاء الرعايا البريطانيين من الخضوع للقانون الصيني ، وأن تتمتع بريطانيا بامتياز « الدولة الأولى بالرعاية » في معاملاتها التجارية مع الصين ، وأن تهبط الرسوم الجمركية على الواردات البريطانية للصين الى أقل من ٥٪ من قيمة الواردات .

وتكالبت الدول الرأسمالية على الصين ، كل تريد الحصول على غنيمة في حرب لم تشترك فيها ، مهددة الصين بأنها ستحذو حذو بريطانيا ، إن لم تستجب الصين لمطالب تلك الدول . فأوفدت الولايات المتحدة مبعوثاً خاصاً الى ماكاو ، هو : كالب كوشينغ ، الذي أوضح للسلطات الصينية أن رفض الصين منح امتيازات للولايات المتحدة على غرار الامتيازات البريطانية ، يعتبر إهانة وطنية لا تمحوها الا الحرب . وفزعت حكومة المانشو من هذا التهديد غير المستتر ، فسارعت الى توقيع معاهدة وانغهيا مع الولايات المتحدة ، في تموز (يوليو) ١٨٤٤ ، في قرية تحمل هذا الاسم ، وزادت الامتيازات الأمريكية عن الامتيازات البريطانية ، في مجال الاعفاءات القضائية ، والمعاملة الجمركية ، والملاحة في الأنهار الداخلية . وحذت فرنسا حذو الولايات المتحدة ، فحصلت – بموجب معاهدة وامبو في تشرين الأول (اكتوبر) ١٨٤٤ – على كافة الامتيازات الأمريكية، بالإضافة الى حق فرنسا في نشر المسيحية بالصين ، وحماية معتنقي المسيحية فيها . واضطرت حكومة المانشو الى الاعتراف بمشروعية الكاثوليكية والبروتستانتية في الصين ، تحت ضغوط أمريكا وبريطانيا وفرنسا .

وعلى الرغم من المهانة التي تضمنتها هذه الاتفاقيات للصين ، فان الدول الرأسمالية أخذت تحصل على امتيازات خارج نطاق هذه الاتفاقيات . وفي هذا المجال ، حصلت بريطانيا والولايات المتحدة على حق إقامة مستوطنات لرعاياهما داخل شنغهاي وخارجها . ومن الطريف أن حكومة المانشو ظلت ترفض إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول الغربية ، وهي التي فرطت لهذه الدول بالكثير ، توهماً من هذه الحكومة انها انما تحافظ ، بهذا الموقف ، على التقاليد الامبراطورية الصينية القديمة .

وبالرغم من أن حكومة المانشو تخاذلت وألقت السلاح امام الاستعماريين ، إلا أن الشعب واصل الكفاح ضد المحتلين ، وتحولت كانتون الى مركز للصدام بين المحتلين والشعب الصيني . إذ كان في كانتون نائب الامبراطور المهادن للاستعمار ، وفيها تتركز الشركات الأجنبية ، وتعسكر بالقرب منها القوات البريطانية ، وفيها الجزء الأكثر احتكاكاً بالأجانب من الشعب الصيني . وحدث عند توقيع معاهدة نانكينغ ، أن طلب البريطانيون دخول قواتهم كانتون ، فانتفض الشعب رافعاً لافتات حمراء وبيضاء تدعو للمقاومة ، وتكونت منظمة سرية حملت اسم « شنغ بنغ شيه سويه » ، للدفاع عن كانتون ، ووصلت عضويتها الى نحو مائة ألف من الفلاحين والحرفيين والتجار الصينيين ، وحالت هذه المنظمة دون دخول القوات البريطانية كانتون ، لأكثر من عشر سنين .

ووقعت عدة صدامات بين القوات البريطانية وأهالي كانتون . كما انتشرت ملصقات ومنشورات سرية صينية ، تهاجم التجار الأجانب والسلطات الصينية المتخاذلة على حد سواء . وفي كانون الثاني (يناير) ١٨٤٦ ، وافق نائب الامبراطور الصيني في كوانغتون ، وكوانغسي ، وكي يينغ ، على فتح كانتون للأجانب . ولكن الأهالي انتفضوا معارضين هذا القرار ، مما حدا بالامبراطور الى خلع « كي يينغ » وتعيين « هسو كوانغ شين » خلفاً له في منصب نائب الامبراطور في كوانغتون وكوانغسي وكي يينغ . وفي العام ١٨٤٩ ، قرر الانجليز فتح كانتون بالقوة ، فقام حاكم هونغ كونغ البريطاني ، على رأس قوة بريطانية مسلحة ، بشق طريقه بالقوة في نهر بيرل ، مطالباً بفتح كانتون لقواته . وعبأت منظمة « شنغ بنغ » أهالي كانتون ضد هذه الحملة ، مما اضطر « هسو كوانغ شين » الى رفض مطالب الانجليز ، فقام الانجليز باحتجازه في إحدى سفنهم ، ثم اضطروا للافراج عنه بعد أن حاصرهم

الآلاف من أعضاء «شنغ بنغ»، وعادت السفن البريطانية من حيث أتت دون أن تحقق أغراضها.

ومرت بالصين سنوات قاسية، بسبب الاعباء الاقتصادية الضخمة التي ناء تحتها الشعب الصيني، وبعد أن نجحت البضائع الأجنبية في ضرب الصناعات الوطنية المحرومة من الحماية الجمركية اللازمـة. واكتسحت تجارة الأفيون الصين من اقصاها الى اقصاها. (لم تحرم هذه التجارة، فعلا، إلا في العام ١٩١٧)، وكان حجمها قد وصل في العام ١٨٥٣ إلى ٨٠ ألف جوال. وظلت الامتيازات الاجنبية الاقليمية قائمة في الصين حتى العام ١٩٤٢، ولم يطبق القانون الصيني على الأجانب – عملياً – الا بعد انتصار الثورة الاشتراكية في الصين عام ١٩٤٩).

وعندما اصطدم الشعب الصيني بالاستعماريين، حاولت حكومة المانشو – في البداية – اتخاذ موقف وسط بين الطرفين المتصادمين، لكنها انتقلت بعد ذلك إلى صف الاستعماريين. وفيما بين ١٨٤١ و ١٨٤٩، قامت في الصين أكثر من مائة هبة فلاحية، ضد الاقطاعيين وجباة الضرائب، الذين تضاعف عسفهم وتزايد ظلمهم للفلاح. وانتشرت المنظمات السرية في انحاء الصين، أبرزها منظمة «ياي شانغ تي هو» التي أسسها «هونغ هسيو شوان»، الذي اعتنق المسيحية، وكون مع زميله «فنغ يون شان» هذه المنظمة عام ١٨٤٣، ومعناها بالصينية «جمعية عبادة الله». وفي ١٨٤٩ أشعل «هونغ» الثورة، التي عرفت باسم «ثورة التايبنغ» (انظر ثورة التايبنغ).

حرب الأفيون الثانية (١٨٥٧ – ١٨٦٠)

فتحت الحرب الاهلية الصينية، بين المانشو والتايبنغ، شهية الدول الاستعمارية، فألحت على ضرورة تعديل اتفاقيـات حرب الأفيون الأولى لصالحها. وفي العام ١٨٥٣ اقترحت بريطانيا على الولايات المتحدة الأمريكية القيام بعمل مشترك، لإرغام الصين على فتح أسواقها كلها للتجارة الأجنبية. وفي العام التالي قدم روبرت ماكلين، الوزير الأمريكي في الصين، مذكرة الى «يي ليانغ»، نائب الامبراطور الصيني في ليانغ كيانغ، طالب فيها بتعديل اتفاقيات حرب الأفيون الأولى مقابل تقديم الولايات المتحدة المعونة لحكومة المانشو للقضاء على ثورة التايبنغ. وسرعان مـا تقدم الممثلون الدبلوماسيون لبريطانيا والولايات المتحدة، في العام نفسه، بطلب مشترك الى حكومة المانشو، بتعديل الاتفاقيات المشار اليها، بما يقضي على ما تبقى من القيود المحدودة على التجارة الأجنبية، ويمنح أقصى درجات حرية الحركة للممثلين الديبلوماسيين الأجانب في الصين والتجار التابعين لهم. واختار المانشو الطريق الأسهل، طريق تقديم المزيد من التنازلات للاستعماريين. وفي شنغهاي حيث اشتد خطر «منظمة السيف الصغير» على حكومة المانشو، أقدم حاكمها الصيني «ووشين شانغ»، في العام ١٨٥٤، على إعفاء التجار الأجانب من الرسوم الجمركية، وشكلت لتطبيق ذلك الاعفاء لجنة ثلاثية (بريطاني وأمريكي وفرنسي)، تعين بمعرفة الممثلين الدبلوماسيين للدول الغربية الثلاث المذكورة في الصين. ونصح حاكم كيانغسو الامبراطور الصيني بضرورة الاستجابة للمطالب الأجنبية.

وفي تشـرين الأول (اكتوبر) ١٨٥٤، فشلت مفاوضات أجراها المبعوثان البريطاني والامريكي منع مندوب للامبراطور الصيني، بغية الحصول على المزيد من التنازلات للاجانب في الصين. وتذرعت بريطانيا باحتجاز حكومة المانشو لسفينة قرصنة صينية ترفع العلم البريطاني. وطالب المندوب البريطاني بالافراج عن السفينة وبحارتها. ولما لم تستجب حكومة المانشو، قصف الأسطول البريطاني كانتون بالقنابل. في الوقت الذي تذرعت به فرنسا بمقتل أحد مبشريها في كوانغسي، في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٥٧، واشتركت مع بريطانيـا في حربها ضد الصين. فسقطت كانتون في أيدي القوات الأنجلو– فرنسية، واحتلت هذه القوات قلاع «تاكو» قرب تيانتسين. وفي حزيران (يونيو) ١٨٥٨ وقعت حكومة المانشو اتفاقية «تيانتسين» مع الانجلـيز والفرنسيين، وأصبحت الصين بموجـبها مباحة للاستعماريين وتجارتهم. ونصت هذه الاتفاقية على تخفيض التعرفة الجمركية الى ٢,٥٪، وعلى دفع حكومة المانشو غرامة قدرها ستة ملايين تايل من الفضة، ثلثها للبريطانيين، وثلثها الثاني للفرنسيين، وثلثها الأخير للتجار الأجانب. وبعد انسحاب القوات الأنجلو– فرنسية من تيانتسين، طلبت حكومة المانشو إلغاء النص القاضي بإقامة الأجانب في بكين من الاتفاقية الجديدة. وتجدد القتـال، حين سارع الوزيران البريطاني والفرنسي الى تاكو، ومنها حاولا التقدم الى بكين لتبادل وثائق التصديق على اتفاقية تيانتسين، ففتحت قلاع تاكو النار على السفن الحربيـة الأنجلو– فرنسية، وأنزلت بها خسائر فادحة، مما حدا بأنجلترا وفرنسا الى إعلان الحرب على الصين من جديد. وفي العام ١٨٦٠ احتلت قواتهمـا المشتركة تيانتسين، وتقدمت شمـالا حتى احتلت بكين واستباحتها القوات الأنجلو– فرنسية المشتركة. وفر الامبراطور، ثم عادت حكومته وصادقت على معاهدة تيانتسين، بعد أن زادت غرامة الحرب الى ثمانية ملايين تايل من الفضة. وضربت كل من الولايات المتحدة وروسيا القيصرية على الحديد وهو ساخن، فطالبتا بالمساواة مع الانجليز والفرنسيين في الامتيازات، وكان لهما ما أرادتا.

واستعانت حكومـة المانشو بالجنود الانجليز والفرنسيين في القضاء على ثورة التايبنغ، مستفيدة من نص اتفاقيات حرب الأفيون الثانية على ضرورة مساعدة الدول الاستعمارية لحكومة المانشو في القضاء على الاضطرابات ونشر الأمن في الصين. وفي العام ١٨٦٤، تم القضاء على آخر معقل لثوار التايبنغ. (انظر ثورة التايبنغ).

(١٢) الحرب الاقتصادية

تدابير تتخذ لإنزال الهزيمة بالعدو وحرمانه من الوسائل المادية للمقاومة وتخريب اقتصاده القومي كي لا يستمر في الحرب. وقد شاع استعمال هذا الاصطلاح في العلاقات الدولية قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية مباشرة لا سيما في بريطانيا والولايات المتحدة. وكانت بريطانيا اول من استعمل هـذا الاصطلاح واعتبرتـه انعكاساً للتطورات في الآراء والنظريات القديمـة لمفهوم «الحصار البحري» Blockade (انظر الحصـار البحري).

في ثلاثينات القرن العشرين وضعت الحكـومة البريطانية الخطط لإنشاء وزارة جديدة هي وزارة الحرب الاقتصادية لتحل محل وزارة الحصار التي انشئت إبان الحرب العالمية الاولى. وبدلا من ان تقتصر هذه الوزارة الجديدة في مهمتها على الاعمال التقليدية لحصار موانىء العدو وإيقاف السفن في عرض البحار، فقـد استهدفت – وفقاً للتخطيط الموضوع – السيطرة على تجارة العدو في مصادرها. وبذلك تحول اهتمامها من «البحار» الى المرافىء.

وقد اعطيت الحرب الاقتصادية في كل من بريطانيا والولايات المتحدة، طابعاً عسكرياً، فكان التعريف البريطاني للحرب الاقتصادية كما اشار اليه مدليكوت M. N. Medlicot في كتابه «الحصار الاقتصادي» كما يلي: «الحرب الاقتصادية عملية عسكرية يمكن ان تقارن بعمليات الاسلحة المقاتلة الثلاثة – اسلحة البر والبحر والجو– في ان هدفها هو هزيمة العدو. وانها استمرار لعمليات الاسلحة

الثلاثة هذه ، من حيث ان مهمتها هي حرمان العدو من الوسائل المادية للمقاومة ، ولكن خلافاً لعمليات القوات المسلحة فان نتائجها لا تتحقق بالهجوم المباشر على العدو فحسب ، بل كذلك بالضغط على الدول المحايدة التي يحصل العدو منها على تموينه وامداده » .

ويعتبر الحصار الاقتصادي اهم وسيلة من وسائل الحرب الاقتصادية ويشكل عاملا من عوامل الضغط على العدو لإيقاعه بأزمة اقتصادية وشل فعالياته الاقتصادية والحد من امكاناته القتالية ، اذ يتوقف نجاح اية دولة في الحرب على تحويل مواردها الاقتصادية الى قوة ضاربة ، ويعتمد اعتماداً كلياً على التعبئة البشرية والمخزون والقدرة الانتاجية ، لذا ، اصبح اضعاف قاعدة اقتصاد العدو هو الهدف المباشر في الحروب .

وتشتمل تدابير الحرب الاقتصادية على عناصر عديدة هي :

أ — تقييد التصدير الى الدولة المعادية والاستيراد منها ، ومراقبة هذا التقييد . ويجب ان يشمل ذلك تبادل النقد الاجنبي ، وتصدير الذهب والفضة واوراق النقد واستيرادها ، بالاضافة الى جميع السلع الحيوية وخاصة ما يستعمل منها لتعزيز الامكانات القتالية للعدو (المواد الاستراتيجية) .

ب — مراقبة الاتفاقات التجارية التي تعقدها الدولة المعادية مع الدول المحايدة ، والعمل على التقليل منها .

جـ — مراقبة الشحن البحري .

د — استخدام القائمة السوداء التي تمنع التعامل مع الشركات والمؤسسات المتعاملة مع العدو .

هـ — منع تهريب البضائع ومختلف السلع الى العدو .

و — اتخاذ التدابير المالية اللازمة لمحاصرة صادرات العدو .

وتستهدف الحرب الاقتصادية ضمان موارد المواد الخام ، وضمان الاسواق ، وتحسين مستوى التبادل التجاري ، مقابل منع الدولة المعادية من الحصول على المواد الخام او السلع ذات القيمة الاستراتيجية والحؤول دون سيطرتها الاقتصادية . وبما ان الحرب الاقتصادية تعتبر من اهم عناصر الحرب النفسية ، فان من اهدافها القضاء على معنويات العدو وذلك بخلق جو من عدم الاستقرار الداخلي بواسطة محاربته اقتصادياً . وقد لعبت الحرب الاقتصادية في القرن العشرين دوراً هاماً يعادل دور الحرب العسكرية والسياسية ، نظراً لأن إدامة القوات في الحرب الحديثة تتطلب اقتصاداً متكاملا وقوياً ، وانتاجاً ضخماً من المحروقات والذخائر والاسلحة والمعدات الحربية . كما اعتبرت المعلومات الاقتصادية عن العدو في الحرب في مستوى المعلومات العسكرية والسياسية ، اذ يكفي ان يكتشف البلد المحارب اهم الاهداف الاقتصادية للبلد العدو ويدمرها بقاذفاته بعيدة المدى (الحرب الاقتصادية جواً)، او ان تتقدم قوات ارضية محاربة في بلد عدو وتحتل مراكزه الصناعية الرئيسية (الحرب الاقتصادية براً)، او ان تسد اساطيل البلد المحارب الطريق البحرية المؤدية الى البلد العدو لقطع الواردات الاساسية عنه (الحرب الاقتصادية بحراً) حتى تشل امكانات العدو القتالية بشكل يساعد على إلحاق الهزيمة به .

(١) حرب الألغام والمتفجرات

هي تعبير يطلق للدلالة على تقنية من تقنيات حرب العصابات أو الحرب السرية . وتتمثل هذه التقنية باستخدام الالغام والمتفجرات على نطاق واسع لتدمير قوة العدو المادية ، واستنزافه معنوياً ، وخلق حالة من القلق وانعدام الأمن على مؤخراته .

تستخدم العصابات حرب الالغام والمتفجرات في كل مراحل حرب العصابات . وتكون في هذه الحالة تقنية من التقنيات المستخدمة . أما في الحالة التي يتعذر فيها شن حرب العصابات بشكلها العادي نظراً لعدم توفر الظروف الملائمة لها (عدم صلاحية الارض ، اختلال ميزان القوى .. الخ) فان حرب الالغام والمتفجرات تصبح التقنية الاساسية لمجابهة العدو .

وتتمثل حرب الالغام والمتفجرات بالتدابير التالية : ١ — زرع الالغام على الطرقات والمسالك على شكل شبكات ألغام عادية أو مفخخة أو مقادة عن بعد ، ٢ — زرع الالغام من مختلف الأنواع قرب مناطق حركة القوات وخطوط مسير الدوريات ، ٣ — زرع الالغام المضادة للآليات في مناطق عمل الآلات الزراعية التي يستخدمها المستوطنون ، ٤ — نسف الجسور والطرقات ومحطات المياه وخطوط الكهرباء والسدود ، ٥ — نسف آليات العدو المتوقفة ، ٦ — تخريب المستودعات والمصانع الحربية ووسائل انتاج المستوطنين بالمتفجرات ، ٨ — استخدام الطرود والرسائل الملغومة ، ٩ — زرع الافخاخ في أرض العدو أو في الأراضي التي تتخلى عنها العصابات ، ٨ — اغتيال قادة أجهزة القمع ، ١١ — استخدام ملاغم الحجارة في الممرات الصعبة التي يمر منها العدو .

وتؤمن حرب الالغام والمتفجرات الحد الأقصى من الأمن بالنسبة إلى رجال العصابات ، نظراً لأنها تسمح لهم بالابتعاد عن المكان قبل وقوع الانفجار أو قبل اصطدام رجال العدو وآلياته بالالغام . ويستخدم فيها على نطاق واسع التفجير بالتوقيت والتفجير عن بعد لتأمين حيطة رجل العصابات ، كما يستخدم فيها التفجير عن بعد ، والتفجير المقاد كهربائياً لضمان الانفجار في اللحظة المناسبة .

يتطلب القيام بهذه الحرب بداهة وقدرة على الابداع والخداع ، وعناصر كفؤة مدربة تدريباً عالياً على استخدام الالغام والمتفجرات وتفخيخها وتوقيتها وحفظها ونقلها وتصنيعها محلياً . ومن صعوبات هذه الحرب أنها بحاجة إلى كميات كبيرة من الالغام والمتفجرات والافخاخ ووسائط التفجير . ونظراً إلى عدم امكانية الحصول دائماً على هذه المواد بكميات كبيرة ، فان المقاتلين العصابيين يستخدمون المتفجرات والالغام والافخاخ التي يصنعونها محلياً من مواد متوفرة وغير خاضعة لمراقبة العدو . فهم يحصلون على المتفجرات من القذائف المتروكة أو غير المتفجرة أو الالغام المضادة للدبابات التي ينزعونها من حقول الالغام ، ويبتكرون مختلف انواع الافخاخ والاشراك الخداعية ، ويصنعون في ورشات سرية المتفجرات من الاسمدة الكيماوية والكبريت والفحم ، كما يصنعون الالغام والعبوات المحرقة من مواد أولية محلية (انظر كوكتيل مولوتوف) .

ولتحقق حرب الالغام والمتفجرات التأثير الاكبر ، ينتقي المقاتلون العصابيون الأهداف الحساسة ، ويبدلون اساليبهم وحيلهم بشكل مستمر لخداع العدو ، ويحرصون على أن تكون عملياتهم منتشرة في المكان وممتدة في الزمان ، ويتركون قرب مكان انفجار الحشوة أو مكان زرع اللغم حشوة أخرى موقوتة تنفجر بعد عدة دقائق أو حشوة تنفجر بوسائط التفجير عن بعد ، حتى يؤدي الانفجار الثاني إلى تدمير قوات العدو التي تهرع إلى مكان الانفجار الأول للكشف أو للانقاذ .

استخدمت هذه الحرب خلال الثورة العربية الكبرى ضد العثمانيين ، ثم اتسع استخدامها من قبل الانصار العاملين وراء خطوط الألمان في الحرب العالمية الثانية ، كما استخدمت على نطاق واسع في جميع الثورات التي اندلعت بعد هذه الحرب في افريقيا وآسيا واميركا اللاتينية وايرلندة وقبرص واليونان . ومن الجدير بالذكر أن القوى المضادة للثورة تستخدم هذا الاسلوب ، وخاصة حرب المتفجرات ، في عملياتها ضد العصابات والقوى المؤيدة لها . ولقد لجأت العصابات الصهيونية الى

هذا الاسلوب خلال إرهابها المضاد ضد العرب في فلسطين قبل حرب ١٩٤٨ ، ثم لجأت إليه ضد الدول العربية بعد الحرب ، ووسعت نطاق استخدامها لحرب المتفجرات ضد الثورة الفلسطينية منذ العام ١٩٧٢ ، كما لجأت إليه منظمة « أيوكا – ب » بقيادة غريفاس ضد نظام الأسقف مكاريوس (انظر غريفاس ومكاريوس) .

(٦) الحرب الالكترونية

الحرب الالكترونية Electronic Warfare وميدان الحرب الالكترونية Electronic Battlefield ، ووسائل الحرب الالكترونية Electronic Measures ، مترادفات تفيد معنى واحداً هو استخدام العلوم التطبيقية الحديثة – خصوصاً تلك التي تحققت في ميدان الإلكترونيات على الصعيد العسكري – في خدمة التكتيكات العسكرية الهجومية والدفاعية . واستخدام هذه العلوم أيضاً لمجابهة التدابير الالكترونية المعادية واحباط فاعليتها . وتستخدم الحرب الالكترونية المعدات التالية :

١ – معدات عسكرية للانذار والكشف Military warning and detection systems

ان الانذار والكشف وظيفتان مستقلتان . فمعدات الانذار تعمل على تلافي المفاجأة التكتيكية في الميدان ، بينما تقوم معدات الكشف بالابلاغ عن حدوث الهجوم او احتمالات الهجوم ، ومدى قرب القوات المعادية ، ومكان تواجدها ، وحجمها ، ونوع نشاطها ، واسلحتها . ولكن وظيفة الانذار اعم ، اذ انها تشمل اجراءات الكشف بالاضافة الى عملية اتخاذ القرارات المناسبة بعد تلقي المعلومات من مختلف اشكال الاجهزة الالكترونية ، وتحليلها . ولقد تطورت اساليب الانذار منذ القدم ، فقد استخدم الرصاد البشريون في الحروب القديمة ، كما استخدمت الحيوانات والطيور لكشف اقتراب القوات المعادية . وما أن حل العام ١٩١٤ حتى اصبح استخدام المناظير والتلسكوبات ، ووسائل الاتصال السلكي واللاسلكي ، كمعدات قتالية امراً عادياً . وفي الحرب العالمية الاولى ، استخدمت الانوار الكاشفة ، وقذائف الانارة ، على نطاق واسع لمشاهدة الطائرات والقوات المغيرة في الليل ، كما استخدمت – على نطاق اضيق – اجهزة سمعية مزودة بأبواق خاصة لتحديد مكان الطائرات المغيرة . وفي الحرب العالمية الثانية، ظهرت اختراعات متقدمة تقنياً : كالرادار ، ووسائل الاتصال اللاسلكي وخصوصاً في حقل الموجات ذات الترددات العالية جداً . وكان لاستخدام هذه المعدات أثر رئيسي في كسب معركة بريطانيا الجوية . وبادخال الاسلحة الذرية في العام ١٩٤٥ ، ودمجها فيما بعد بسرعة ومدى الصواريخ عابرة القارات ، ظهرت ابعاد جديدة زادت القدرة على تحقيق المفاجأة في القتال ، فأصبحت الحاجة ماسة الى وجود نظام انذار مبكر . ولهذا السبب ، تضافرت جميع أوجه النشاط العلمي والتقني لخدمة متطلبات المعركة الحديثة ، وظهرت في مجالات انظمة الكشف والانذار اجهزة متنوعة خاصة بالطائرات النفاثة والمروحية ، وطائرات الهليكوبتر ، والغواصات ، والاقمار الاصطناعية .. الخ ، تستخدم وسائل عدة مثل التلفزيون ، والليزر ، واجهزة الكشف المغناطيسية والسمعية ، واجهزة الكشف التي تستخدم الاشعة تحت الحمراء ، واجهزة كشف الاشعاعات الذرية ، واجهزة الكشف الكيماوية . ولقد شهدت أجهزة الكشف عدة تطورات أهمها :

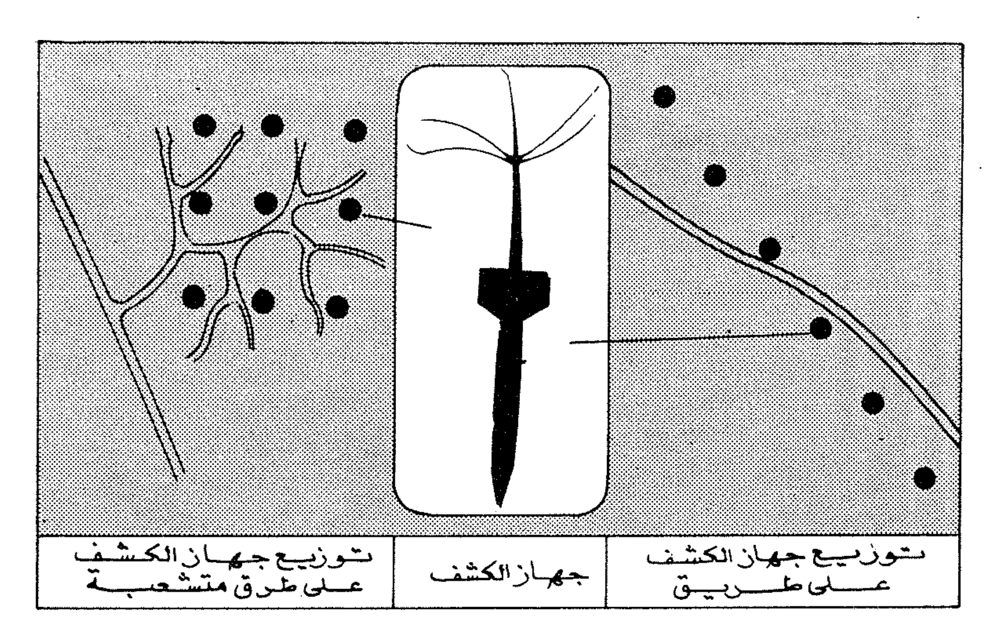
أ – في حقل أجهزة الكشف التي تستخدم الموجات الكهر – مغناطيسية ، كموجات الضوء المرئي، وموجات الضوء غير المرئي (الاشعة تحت الحمراء ، وأشعة ليزر) ، وموجات الرادار ، والموجات اللاسلكية الاخرى : في حقل البصريات ، حدث تطور جديد يتلخص في ابتكار اجهزة للرؤية والقتال الليلي (انظر جهاز الرؤية والقتال الليلي) ، كما حدثت تطورات عديدة في أجهزة كشف تستخدم الاشعة تحت الحمراء تستطيع كشف النقاط الساخنة، كمحركات السيارات ، والطائرات ، والصواريخ ، ونيران المعسكرات ، كما تستطيع تمييز الفرق في درجات الحرارة بين الاجسام (انظر القمر الاصطناعي) . وفي حقل الرادار ، حدثت تطورات زادت مجالات استخداماته التكتيكية (انظر الرادار). وفي حقل اجهزة الكشف اللاسلكية ، صنعت اجهزة استقبال حساسة لاعتراض بث موجات الارسال اللاسلكي المعادي ، واجهزة لالتقاط البث الراداري المعادي واستخلاص الانذار المناسب منها ، واجهزة تحديد اتجاه لاسلكية يمكن استخدامها لاكتشاف حدوث الانفجارات الذرية التي تطلق كيات كبيرة من الطاقة في نطاق الترددات اللاسلكية .

ب – في حقل اجهزة الكشف السمعية ، لاكتشاف العدو تحت سطح الماء وفوق اليابسة (انظر حرب الاصوات ، والسونار) .

ج – في حقل اجهزة كشف الذبذبات Geophones ، وتستخدم لالتقاط الموجات الصوتية التي تنتقل عبر طبقات التربة وكشف اختراق افراد العدو او آلياته بواسطتها (انظر الحاجز الالكتروني) .

د – في حقل اجهزة الكشف المغناطيسية Magnetometers ، وتستخدم لكشف الاجسام المعدنية الكبيرة التي يؤثر تحركها على المجال المغناطيسي للكرة الارضية في نقطة ما : كالغواصات تحت الماء ، والقوافل العسكرية فوق اليابسة . ويمكن نقلها بواسطة الطائرات او غرسها في الارض .

هـ – اجهزة كشف الاشعاعات الذرية ، وهي عبارة عن اجهزة لقياس الاشعاعات الناتجة عن



الانفجارات الذرية . ويمكن استخدامها في الطائرات ، والصواريخ ، والاقمار الاصطناعية .

و – اجهزة الكشف الكيماوية ، وتمكن من اكتشاف وجود الروائح والافرازات العضوية التي يفرزها جسم الانسان وتنتشر في الجو بنسب ضئيلة . ويجري اخفاؤها وتمويهها في الميدان لاكتشاف مرور افراد العدو في مناطق عملها (انظر الحاجز الالكتروني)

وشهدت أنظمة الإنـــذار التطورات التـــالية :

أ – في حقل انظمة الدفاع الجوي : وهي انظمة عمادها استخدام الرادارات بمختلف احجامها واشكالها ، واستخدام المعدات التي تميز بين الطائرات العدوة والصديقة ، والانذار الكاذب وخصوصاً في حالة استخدام وسائل الخداع الراداري . ومن اشهر انظمة الانذار والدفاع الجوي المعروفـــة : نظام «ساج SAGE» الاميركي ، ونظام «نادج NADGE» الاوروبي التابع لدول الناتو ، ونظام ياباني شبيه بنظام دول الناتو . كما ان لدى الاتحاد السوفياتي نظاماً متطوراً ومعقداً ومحاطاً بنطاق كثيف من السرية .

ب – في حقل انظمة الانذار المضادة للصواريخ عابرة القارات : وهي انظمة ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين ، على اثر تطور الصواريـــخ عابرة القارات ، وتزويدها برؤوس نووية مفردة او متعددة . وتتألف هذه الانظمة من شبكات رادارية ارضية ضخمة ، تستخدم موجات ذات ترددات عالية جداً وفوق العالية ، وتقوم بمسح السماء ومتابعة الاجرام المحلقة فيها . وتدعم هذه الانظمة شبكات من الرادارات الخاصة بكشف ما فوق الافق ، تستطيع اكتشاف مرور الصواريخ في طبقـــة الايونوسفير . وتدعمها ايضاً اقمار اصطناعية مزودة بأجهزة كشف بالاشعة تحت الحمراء .

ج – في حقل انظمة الدفاع المضادة للصواريخ عابرة القارات : وهي اكثر تعقيداً من سابقتها ، وتحوي انظمة انذار وتحديد للاهداف خاصة بها تتألف من شبكات رادارية كبيرة ، مهمتها تحديد مسار الاشتباك بالهدف ، وتمييز الاهداف الحقيقية من الكاذبة ، والتغلب على الاجراءات الالكترونية المضادة .

د – في حقل انظمة الانذار الفضائية : وهي انظمة معدة لاكتشاف ومتابعة الاجرام الفضائية ، تستخدم رادارات متنوعة ذات حجم كبير جداً . وتتميز هذه الانظمة بسرعتها في اجراء عمليـــات المتابعة ، وقدرتها على تتبع عدة اجرام في الوقت نفسه . ولزيادة فعاليتها فقد جرى تصميم تلسكوبات ملحقة بها ، وظيفتها اجراء المتابعة البصرية للاقمار الاصطناعية التي تدور في مدارات منخفضة نسبياً حول الارض .

هـ – في حقل الاستطلاع الجوي : وتستخدم في هذا النوع من الاستطلاع مختلف انواع الطائرات ، وطائرات الهليكوبتر ، والطائرات التي تطير بدون طيارين ، والمنصات الطائرة ، والاقمار الاصطناعية ، والصواريخ . ولكي تتمكن هذه المعدات من انجاز مهامها الاستطلاعية ، فإنه يجري تزويدها بمختلف انواع اجهزة الكشف : اجهزة رؤية ليلية ، واجهزة كشف مغنـــاطيسية ، واجهزة كشف الانفجارات الذرية .

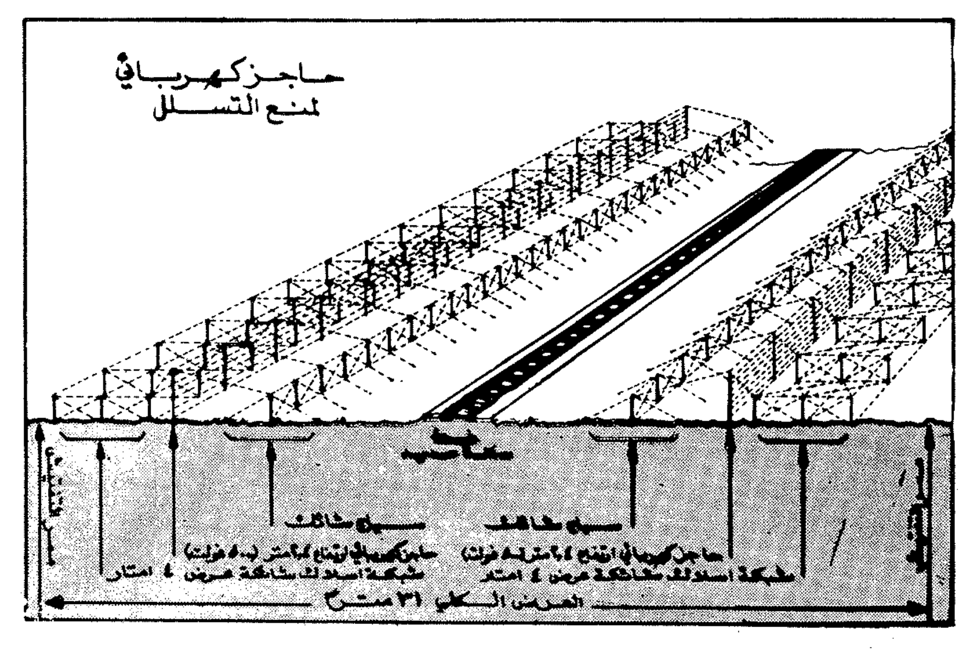
و – في حقل انظمة كشف الاختراق المعادي والدفاع عن القواعـــد والمنشآت العسكرية : (انظر الحاجز الالكتروني) .

٢ – معدات السيطرة والضبط Command and Control Equipment

وهي معدات تعتمد تقنية العقول الالكترونية التي تقوم بخدمة القوات المسلحة ، وتحل محل الافراد في اداء العديد من المهام : فبعضها يستقبل المعلومات من اجهزة الكشف ويتناولها بالتنسيق والتحليل ، بغية حساب وتحديد اماكن النشاط المعادي بدقة ، ومعرفة نوع هذا النشاط واتجاهه . بينما تقوم عقول الكترونية اخرى ببث الموجات الرادارية واستقبالها وتحليلها ، ومقارنة قراءاتها بطوبوغرافية الارض من اجل تحديد ماهية مصدر النشاط . ومن فوائـــد استخدامها ايضاً ، توجيه نيران المدفعية الى اهدافها : فهي تقوم بحساب احداثيات الهدف من معطيات اجهزة الكشف ، ثم تصدر الايعـــاز الى اجهزة اوتوماتيكية تقوم بتوجيه الاسلحة واطلاقها . وخلاصة القول ، ان عملية تحويل معلومات ومعطيات انظمة الانذار الى بيانات واضحة يمكن الافادة منها ، هي المدخل الى ميدان الحرب الالكترونية ، والعقول الالكترونية جزء لا يتجزأ منها . وهناك اهتمام بالغ لدى الدول الكبرى يهدف الى تطوير انظمة ومعدات تستطيع تحديد نوع وطبيعـــة السلاح الذي ينبغي استخدامه ضد هدف ما ، بحيث يتوسع في استخدامها ويمكن وضعها في خدمة المستويات العسكريـــة الصغيرة نسبياً (مثل قادة الالوية والكتائب) ، وتتمكن من نقل صورة واضحة عما يجري في الميدان دون الحاجة الى دوريات ومراكز رصد .

٣ – اجهزة الملاحة Navigational Equipment

انسجاماً مع المنطق السابق ، كان لا بد من تطوير اجهزة ملاحة وتوجيه تضمن وصول الاسلحة المختلفة الى اهدافها المحددة بدقة . ولقد جرى تطوير العديد من الاجهزة لتستخدم استخداماً ملاحياً لخدمة اساطيل الجو والبحر ومختلف صنوف الاسلحة ، ظهر منها : أ) اجهزة ملاحة وتوجيه الكترونية – بصرية ، تستخدم تقنية التلفزيون : مثل قنـــابل الطائرات الاميركيـــة «وول آي Walleye» ، و«هوبوز Hobos» ، وكلاهما يوجه بواسطة جهاز تلفزيوني . ويتم ذلك بان يختار الطيار الهدف الذي يظهر على شاشة تلفزيونية موجودة في مقصورته ، ويناور بحيث تلتقط الكاميرا التلفزيونية الموجودة في رأس القنبلة صورة الهدف ، ثم يطلقها فتتجه



اوتوماتيكياً نحو هدفها. ب) اجهزة ملاحة وتوجيه الكترونية، تستخدم اشعة ليزر: مثل قنابل الطائرات «الذكية» Smart Bombs الاميركية الموجهة بأشعة ليزر. وتستخدم في هذه الطريقة طائرتان، اولاهما توجه الشعاع نحو الهدف المطلوب، والثانية تطلق القنبلة التي تتبع مسار الشعاع المنعكس عنه. ج) اجهزة ملاحة وتوجيه الكترونية، تستخدم الاشعة تحت الحمراء: مثل جهاز توجيه الصاروخ السوفياتي، ارض – جو، (سام – ٧) المحمول بواسطة الافراد، والموجه نحو الاشعة تحت الحمراء المنبعثة من محركات الطائرات. د) اجهزة توجيه رادارية: مثل جهاز الرادار الاميركي «سكاي سبوت» Sky Spot Radar الذي يحتوي على عقل الكتروني، يستطيع في حالة اعطائه بيانات عن موقع هدف معين، ان يوجه اليه طائرة بدقة عالية، في حين يقتصر عمل الطيار على اتباع التعليمات المعطاة له من الرادار المذكور.

٤ – الاتصالات الالكترونية

وهي عبارة عن معدات اتصال، سلكية، ولاسلكية بشكل خاص، لها اهمية بالغة في ربط المعدات والانظمة سابقة الذكر بالاسلحة التابعة لها، وبالقيادات التكتيكية والاستراتيجية. ورغم ان هذا النوع من الاتصالات كان معروفاً من قبل، الا ان طبيعة الحرب الالكترونية حتمت تطوير معدات اتصال الكترونية جديدة: لضمان الحد الاقصى من الفاعلية، والسرعة الفورية في نقل الرسائل والمعلومات من مصادرها الى محطات السيطرة والضبط، بغية اتخاذ القرارات وردود الفعل المناسبة، وبثها الى مختلف الاسلحة التي تتعامل مع الهدف. ولقد أدى ذلك الى بناء شبكات اتصال بالغة التعقيد، بما فيها محطات لتقوية الاتصالات وتحويلها، وشبكات من اقار الاتصال الاصطناعية العسكرية لتغطية الكرة الارضية باكلها.

تقنية الحرب الالكترونية: لقد اصبحت الوسائل الالكترونية في الحروب الحديثة الوسائل الرئيسية في السيطرة على القوات والاسلحة في جميع الجيوش المحاربة، ولا يمكن ان تنجح تلك الجيوش في عملياتها القتالية بدون توفير وسائل الكترونية يعتمد عليها. وواضح من الاستعراض السابق لمعدات الحرب الالكترونية، انها تستخدم بشكل رئيسي: في الحصول على المعلومات المتوفرة في ميادين القتال، اي بعبارة اخرى القيام بمهام استطلاعية بواسطة معدات الكشف والانذار العسكرية. وفي السيطرة على الاسلحة والقوات، باستخدام انظمة الانذار، ومعدات السيطرة والضبط، ومعدات الملاحة والتوجيه.

ولما كان لبعض هذه المعدات خواص اعلانية تكشف عن اسرارها ومكانها بمجرد استخدامها: كالاجهزة اللاسلكية والرادارية التي تطلق موجات كهر – مغناطيسية يمكن استقبالها، والاجهزة التي تطلق اشعاعات غير مرئية بالعين المجردة (كالاشعة تحت الحمراء واشعة ليزر) ولكن يمكن مشاهدتها باستخدام وسائل مناسبة. فقد استخدمت العلوم التطبيقية استخداماً مضاداً يهدف الى ابتكار وسائل واجراءات تعمل على التقليل من فاعليتها. الامر الذي قاد الى تطوير تقنية استطلاعية اخرى مضادة Electronic Countermeasures هدفها معرفة الخواص الاعلانية واكتشاف وسائل العدو الالكترونية: كمعرفة الخواص الاعلانية للرادار مثل تردد الموجة الحاملة، وعرض نبضة الارسال، ومعدل تكرار النبضات في الثانية، ومعدل دوران الهوائي او معدل المسح الهوائي في الدقيقة، ومكان الرادار، وشكل وحجم الهوائي، وتجميعات الرادار. وذلك بغرض تحديد مواقع المعدات الالكترونية، وتحليل خصائصها لاستخلاص المعلومات اللازمة للقوات المحاربة لتمكينها من اتخاذ الوسائل المناسبة للتعامل مع العدو.

ومن الصفات المميزة لهذه المعدات الالكترونية المضادة: سرية عملها، حيث انها عبارة عن اجهزة استقبال لا تكشف عن نفسها عند عملها كما هو الحال في اجهزة الارسال اللاسلكي او الراداري. هذا بالاضافة للميزات التالية: كبر مدى الاكتشاف لهذه الاجهزة، وخفة الحركة، مما يجعل من المتيسر وضعها في اماكن بعيدة عن العدو، والاستمرار والمرونة في تجميع المعلومات، وعدم اعتماد هذه المعدات على الاحوال الجوية. ومن اهم الوسائل الالكترونية المضادة المستخدمة: أ) وسائل محمولة ارضية، مثل اجهزة الاستطلاع اللاسلكي والراداري الارضية. ب) وسائل محمولة جواً، مثل اجهزة الاستطلاع اللاسلكي والراداري المحمولة بطائرات الاستطلاع. ج) وسائل محمولة بحراً، مثل اجهزة الاستطلاع اللاسلكي والراداري المحمولة بالقطع البحرية. د) طائرات استطلاع بدون طيار Drones يتم توجيهها من الارض لاستطلاع مواقع الرادار في المدى التكتيكي لخط المواجهة. ه) الاستخبارات باستخدام العملاء المجهزين بوسائل استطلاع محمولة.

وكشأن التطور الدائم في التقنيات العسكرية، لم يتوقف الامر عند هذا الحد من حوار الارادات بين الاجراءات والوسائل الالكترونية والاجراءات والوسائل الالكترونية المضادة. بل ادخل الى ساحة هذا الصراع عامل جديد استهدف زيادة فعالية الاجراءات والوسائل الالكترونية في مواجهة الاجراءات والوسائل المضادة لها، وبعبارة اخرى تمكنت الجيوش من استحداث اجراءات ووسائل مضادة للالكترونيات المضادة Electronic Counter-Countermeasures: منها ما هو سلبي، ومنها ما هو ايجابي.

العوامل السلبية: وتقسم الى نوعين من الاجراءات هما الاخفاء والخداع الالكتروني:

أ – اجراءات الإخفاء الالكتروني: وهي تقسم الى نوعين من الاجراءات ايضاً، هما:

١) اجراءات الاخفاء اللاسلكي، وهي عبارة عن اجراءات تتبع بغرض اخفاء عمل المواصلات السلكية، ومنها استخدام التلغراف الكاتب اللاسلكي مع اجهزة التشفير المعقدة في الارسال والاستقبال، واستخدام اجهزة الاتصال اللاسلكية التي تعمل بنظام النطاق الجانبي المفرد (S. S. B.) في الشبكات والاتجاهات اللاسلكية، واستخدام اقل قدرة خرج ممكنة في الارسال اللاسلكي لتحقيق الاتصال، واستخدام اجهزة الاتصال اللاسلكية ذات الموجات القصيرة جداً على مستوى السرايا والفصائل، او في الاتصالات القريبة كما هو الحال في التشكيلات البحرية والجوية، واستخدام الهوائيات الموجهة، لتوجيه الاتصال في الاتجاه المطلوب، والارسال في ظل او تحت ستر محطة ارسال قوية، والارسال لفترة متناهية في القصر، بهدف تفويت الفرصة على اجهزة تحديد الاتجاه التي بحوزة العدو لاكتشاف مواقع محطات الارسال، والمناورة بالترددات والشبكات اللاسلكية.

٢) اجراءات الاخفاء الراداري، وهي عبارة عن اجراءات أمن تتبع لاخفاء اشعاعات الرادار، ومنها: الحد من زمن تشغيل الرادارات، مما يقلل من فرص التقاط اشعاعاتها وبالتالي تحديد مدلولاتها ومعرفة اماكنها، وتحديد قطاع امان، او استخدام الهوائي المكافئ عند تشغيل الرادارات بغرض ضبطها وتوليفها او اختبارها، واعداد جداول عمل الرادارات مع مراعاة عدم التكرار اليومي او الاسبوعي او الشهري لفترات العمل، والتقليل من عدد محطات الرادار المشعة في المنطقة الواحدة، واستخدام الهوائي المكافئ، او نقل محطات الرادار خارج مناطق استطلاع العدو الالكتروني، اثناء القيام بالتدريبات القتالية، وتشغيل محطات الرادار بأقل قدرة خرج تمكن من اكتشاف الاهداف المخصصة لها، لكي يتعذر على استطلاعات العدو الالكترونية تحديد مواقعها بدقة، وتضليل العدو عن معرفة عدد الترددات الثابتة للمحطات

الرادارية وطرق إعادة ضبط تلك الترددات ، وذلك بتغيير تردد الموجات الرادارية الحاملة وتغيير معدل تكرار النبضات وتغيير انواع وعـدد الشيفرات ، ووضع محطات الرادار خلف سواتر او مرتفعات بشرط عدم الاخلال بمـدى الكشف الراداري ، والمناورة والتوسع في استخدام المواقع التبادلية ، وحظر تشغيل الرادارات عند تنفيذ اجراءات الاخفاء التعبوي او عند ظهور طائرات استطلاع معادية او عند تمركز المحطات في المواقع التبادلية ، والاحتفاظ باجهزة رادار سرية او ترددات سرية لا تستخدم الا في العمليات الهجومية فقط .

ب – **اجراءات الخداع الالكتروني :** وهي عبارة عن سلسلة من الاجراءات يقصد بها الاستخدام المدبر لاشعاعات وموجات الوسائل الالكترونيـة الصديقة لتضليل العدو عن شكل التجميع الحقيقي للقوات وعن مقاصدها وخصوصاً أثناء العمليـات القتالية . ومن اساليب الخداع الالكتروني المعروفة : وضع القواعد الصارمة لاستخدام الوسائل الالكترونية اثناء التحضير للعمليات القتالية بغية ستر نشاط القوات واعطاء العدو انطباعاً بأنه لم يحدث تغيير في موقف القوات ونشاطها عند تحركها للعمليات الفعلية ، وتنظيم استخدام الوسائل الالكترونية بهدف اعطاء استطلاعات العدو الالكترونية معلومات خاطئة عن اوضاع القوات ومراكز السيطرة على الوحدات ومواقع محطات الرادار وتمثيل تجميعات وسائل الكترونية لقوات ضاربة في مناطق عمل ثانوية ، والتداخل على شبكات العدو مع دس الاوامر والتعليمات المضللة له . ويستخدم هذا الاجراء حيث لا يكون لدى العدو الوقت الكافي للتأكد من صحة التعليمات المضللة .

العوامل الايجابية : وهي الاجراءات والوسائل تتبع بهدف للتشويش على وسائل العدو الالكترونية او تدميرها وتتلخص فيما يلي :

١ – اجراءات التشويش والخداع الالكتروني : وهي عبارة عن اجراءات يقصد بها اخفاء الاهداف الحقيقية عن طريق احداث اضطرابات على اجهزة ارسال العدو وعلى شاشات اجهزته الرادارية بشكل خاص . ومن هذه الاجراءات : أ) بث موجات ذات قوة عالية بشكل متصل على الموجات التي يستخدمها العدو مما يؤدي الى تعطيل اجهزة ارساله وراداراته تماماً . ويتطلب هذا الامر قوة بث عالية ، لا يتسنى توليدها في الاجهزة التي تحملها الطائرات عادة . وقد لا تكون موجة ارسال العدو معروفة ، وفي هذه الحالة يتم التشويش على كل نطاق الذبذبات. ولتحاشي عمليات التشويش ، تلجأ الرادارات الى تغيير ذبذبتها ، الامر الذي يضفي اهمية خاصة على سرعة تغيير الذبذبة كاجراء مضاد للتشويش مما أدى الى صنع اجهزة تستطيع تغيير ذبذباتها مع كل نبضة . ب) التشويش بالمسح ، حيث تقوم اجهزة التشويش بمسح كل الموجات مشوشة على كل موجة لفترة قصيرة ، ثم تعيد الكرة وهكذا دواليك . ج) التشويش بالاعـادة ، حيث تقوم الاجهزة بالتقاط اشارات العدو واعادة بث ترددات مشابهة تعطي للعدو بيانات خاطئة ، او بالتدخل لاحداث تأخير بسيط في الاجابة على الترددات مما يؤدي الى خداعه . ولمواجهة هـذا النوع من التشويش ، تستخدم اشارات ذات لائحة تغييرات معينة لتردداتها بحيث يصعب تقليدها . د) رش اعداد كبيرة من الشرائط المعدنية في الفضاء ، لخلق نوع من « الضباب الالكتروني » يجعل من الصعب رؤية الطائرة من خلاله . ويتم ذلك بواسطة حواضن خاصة تحملها الطائرات . وتتلخص عيوب هذه الطريقة في ان هذه الشرائط سرعان مـا تصبح خلف الطائرة ، بالاضافة الى امكانية التمييز بينها وبين الطائرة بسبب اختلاف السرعة بينهما . هـ) التقليل من فاعلية الرادارات باستخدام مواد ذات خاصية انعكاس ضعيفة ، او استخدام تصاميم تقلل الى حد كبير من امكانية كشفها بالرادار ، او استخدام انواع خاصة من الدهانات لهـا قدرة على الامتصاص الكهر – مغناطيسي . و) استخدام وسائل التضليل الحرارية في مواجهة الاجهزة التي تستخدم الاشعة تحت الحمراء ، كاطلاق بالونات او دفقات حرارية لتضليل الصواريخ المضادة للطائرات الموجهة بالاشعة تحت الحمراء .

٢ – تدمير الوسائل الالكترونية ، والمقصود في هذه الحالة مهاجمة وسائل العدو الالكترونية ، بعد ان يتم تحديد مواقعها باستخدام وسائل الاستطلاع الالكترونية ، وباتباع التكتيكات العسكرية المعتادة. ومن ناحية ثانية ، فقد تم صنع اسلحة تكتيكية متطورة تستطيع ان توجه نفسها توجيهاً ذاتياً نحو الاهداف الرادارية مثل الصاروخ « شرايك » الذي يلتقط الاشعاعات المنبعثة من هوائي الرادار ويستخدمها في التوجه تلقائياً نحوه لتدميره .

ولقد استخدمت المعدات والوسائل والوسائل سابقة الذكر ، والتي جعلت من الحرب الالكترونية امراً ممكناً ، في عدد من المواجهات التي حدثت في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية . وقد اظهرت هذه التجارب فعالية تلك المعدات والوسائل ، كما اظهرت محددات هذه الفعالية . ومن الامثلة على هذا النوع من الحروب : الحرب الالكترونية في فيتنام (انظر الحرب الاميركية الفيتنامية – قسم الجانب الالكتروني من الحرب) ، والحرب الالكترونية في الشرق الاوسط (انظر حرب الاستنزاف – قسم الجانب الالكتروني . وحرب ١٩٧٣ – قسم الجانب الالكتروني) .

(٦) الحرب الالكترونية الباردة

هي مجمل استخدام الاليكترونيات في عمليات التجسس التي تقوم بها اجهزة الاستخبارات لدى الدول في وقت السلم او الحرب .

في العام ١٩٤٠ وجه الاتحاد السوفياتي اتهاماً الى الولايات المتحدة يحملها فيه تبعة اطلاق بالونات تحمل اجهزة تصوير استطلاعية خاصة ، لتحلق فوق اراضيه ، وتقوم بتصوير منشآته العسكرية والصناعية. وقد كشفت هذه الحادثة عن بداية تطور في وسائل وطرق جمع المعلومات الاستخبارية (انظر الاستخبارات والتجسس) . ثم تـوالى اكتشاف وسائل مختلفة استخدمت التطورات التقنية الحديثة ، في ميـدان الالكترونيات ، في اعمال الاستخبارات والاستخبارات المضادة ، ومنهـا : طائرة الاستطلاع الاميركية (يو – ٢) التي اسقطت في سماء الاتحاد السوفياتي في العام ١٩٦٠ ، وحادثة « شعار السفارة الاميركية » الذي استخدمه السوفيات في التجسس على المحادثات التي تدور في غرفة مكتب السفير الاميركي بموسكو بوسيلة استماع الكترونية مبتكرة في العام ١٩٦٠ ايضاً ، وسفينة التجسس اللاسلكية الاميركيـة (بويبلو Pueble) التي أسرتها كوريا الديمقراطية الشعبية عام ١٩٦٨ ، وسفينة التجسس « ليبرتي » .

ومن المعروف اليوم أن طائرات واقمار التجسس التابعة لاجهزة استخبارات الدول الكبرى تقوم لا في زمن الحرب فقط ، وانما في زمن السلم ايضاً ، بنقل كميات ضخمة من المعلومات المتباينة المتعلقة بالمنشآت العسكرية ، والصناعية ، والاقتصاديـة ، والمحاصيل الزراعية ، والفيضانات ، ومناطق القحط والجفاف ، وغيرها من المعلومات التي تمكن من تقييم الوضع الاقتصادي والعسكري لبلد ما ، ومحاولة استشفاف التوترات السياسية فيه بناء عليها .

ولقد استخدمت اجهزة الاستخبارات بدرجات متفاوتة ، تتناسب مع امكاناتها وقدراتها ، مختلف الانجازات الالكترونية في عمليات جمع المعلومات السرية من مصادرها . ومن اهم الوسائل الالكترونية

المستخدمة : أ) وسائل محمولة ارضية مثل اجهزة الاستطلاع اللاسلكي والراداري الارضية . ب) وسائل محمولة جواً مثل اجهزة الاستطلاع اللاسلكي والراداري ، واجهزة التصوير بالاشعة تحت الحمراء ، وغيرهـا (انظر الحرب الالكترونية ، والاستطلاع ، والقمر الاصطناعي) المحمولة بطائرات الاستطلاع او الاقمار الاصطناعية العسكرية . ج) وسائل محمولة بحراً مثل اجهزة الاستطلاع اللاسلكي والراداري المحمولة بالقطع البحرية سواء منها الحربي او التجاري . د) طائرات استطلاع بدون طيار Drones يتم توجيهها من الارض بأجهزة للضبط النائي Remote Control لاستطلاع مواقع العدو (انظر الطائرة بدون طيار) . هـ) الاستخبارات باستخدام العملاء السريين المجهزين بوسائل استطلاع محمولة ، ووسائل استحدثت وطورت وصنعت باشكال واحجام عديـدة مختلفة لتناسب طبيعة عملها الخاصة . وتتميز هذه الوسائل برخص تكلفتها وسهولة التدريب عليها واستخدامها ، بمقارنتها بوسائل التجسس والاستطلاع سابقة الذكر . ومن اهمها :

– اجهزة التجسس الالكترونية عـلى المحادثات في الاماكن المغلقة :

أ – باستخدام ميكروفونات لاسلكية : وهي عبارة عن اجهزة ارسال لاسلكية صغيرة مموهة باشكال كثيرة . وتتراوح قياساتها – بحسب نوعها – بين قياسات علبة السجائر وطابع البريد . وتحتوي هذه الاجهزة على ميكروفونات حساسة لالتقاط الكلام ، وبطاريات جافة صغيرة الحجم لتغذيتها بالطاقـة الكهربائية لمدة تتراوح من عشرات الى مئات الساعات. وتتم تخبئتها في مكان مخفي من الغرفة التي يريد العميل الاستماع الى الاحاديث التي تجري فيها ، ويمكن التقاط ارسالها باجهزة استقبال تحتوي على موجة (اف. ام FM) موضوعة في غرفة مجاورة ، او في بناء يبعد بضع عشرات او مئات الامتار ، بحسب نوع الجهاز المستخدم وقوته .

ب – باستخدام ميكروفونات سلكية : وهي عادة ميكروفونات صغيرة يمكن ان تتخذ اشكالا مختلفة لكي لا تلفت النظر اليها . ويتم اخفاؤها ووصلها بأجهزة تسجيل بواسطة اسلاك كهربائية دقيقة لا تسترعي الانتباه ، وقد يوضع جهاز التسجيل في الغرفة نفسها او في غرفة مجاورة ، كما قد تستخدم اجهزة تسجيل من النوع الذي يعمل ويوقف تلقائياً لدى سماع او انقطاع الاصوات Voice activated ، الامر الذي يوفر استهلاك الطاقة الكهربائية .

ج – بواسطة اجهزة تسجيل صغيرة تحتوي على ميكروفونات حساسة جداً ، تعمل وتوقف تلقائياً لدى صدور الاصوات وتوقفها ، ويخفيها العملاء في الغرف او في ملابسهم اثناء اجراء الحديث مع الاشخاص المتابعين .

– اجهزة التجسس على المحادثات الهاتفية :

أ – بواسطة اجهزة ارسال لاسلكية مغذاة من اجهزة الهاتف : هي عبارة عن اجهزة ارسال صغيرة لا يتجاوز حجمها حجم علبة الكبريت ، ولا تحتاج الى مصادر للطاقة الكهربائية بل تستمد طاقتها بشكل دائم من الخط الهاتفي نفسه . وتوصل هذه الاجهزة بخطوط الهاتف داخل او خارج الجهاز الهاتفي ، وبامكانها ان تنقل المكالمات التي تجري على الخطوط المتصلة بها لاسلكياً الى اجهزة استقبال تحتوي على موجة (اف. ام FM) تبعد عنها مسافة تقارب ٢٥٠ متراً .

ب – بواسطة اجهزة مراقبة توضع داخل اجهزة الهاتف : وفي هذه الحالة فإن على الشخص المكلف بالمراقبة ان يطلب رقم الهاتف الموضوع تحت المراقبة بواسطة جهاز تلفون خارجي مهما بعدت المسافة ، عندها فإن جرس الهاتف المطلوب لا يقرع ، بل ان الطالب يبدأ بالاستماع الى الاحاديث التي تجري في الغرفة . وينقلب جهاز الهاتف الى ما يشبه الميكروفون السلكي بدون ان يشعر احد من الموجودين في الغرفة بذلك .

ج – بواسطة استبدال كبسولة جهاز الهاتف الميكروفونية بكبسولة اخرى مشابهة تماماً من حيث الشكل ، ولكنها تحتوي على جهاز ارسال لاسلكي . وينقل هذا الجهاز جميع المكالمات حتى ١٠٠ متر تقريباً ، وهو لا يحتاج الى بطاريات اذ انه يتغذى بالطاقة من جهاز الهـاتف نفسه . ويتم التقاط الارسال بواسطة جهاز استقبال يحتوي على موجة (اف ام FM) .

– اجهزة تسجيل الاحاديث بطريقة سرية :

أ – بواسطة الميكروفون اللاسلكي : وهو عبارة عن جهاز ارسال صغير الحجم يضعه العميل في جيبه ، وله ميكروفون صغير مموه الشكل يوضع في ثقب زرار سترته ويتصل بجهاز الارسال بواسطة شريط كهربائي دقيق يمر في داخل ثيابه . ويتم الارسال حتى مسافة ٣٠٠ متر بواسطة جهاز استقبال يحتوي على موجة (اف ام FM) ، ويمكن تسجيل الالتقاط بوصل جهاز الاستقبال بجهاز للتسجيل.

ب – هناك حقائب يد خاصة تحوي اجهزة تسجيل وارسال ، يمكن تشغيلها بواسطة زر مركب بالقرب من يد الامساك في الحقيبة وبالتالي يمكن استخدامها وهي مقفلة .

– اجهزة ارسال لاسلكية تستخدم في تعقب السيارات : وهناك نوعان من هذه الاجهزة اولها – اجهزة التعقب الداخلية : وهي عبارة عن اجهزة ارسال صغيرة يمكن تثبيتها في محرك السيارة او في اسفلها ، ووصلها بحيث يستعمل مفتاح تشغيل السيارة لبث الارسال . وترسل هذه الاجهزة نغمات متقطعة تتراوح ترداتها بين (٢٠٠ – ١٠٠٠) وحدة (CPS) في كل ثانية او ثانيتين . وثانيها – اجهزة التعقب الخارجية : ويختلف جهاز التعقب الخارجي بكونه وحدة متكاملة ، تحوي مصدر الطاقة وهوائي الارسال . ويكون موضوعاً داخل مغناطيس يلتصق جيداً بأي معدن في اسفل السيارة . وهو يشبه الاجهزة السابقة من حيث مبدأ عمله . ويمكن التقاط بث وتموجات هذه الاجهزة بواسطة اجهزة استقبال تحتوي على موجة (اف ام FM) موضوعة في سيارات المتابعة المستخدمة في التعقب . ويستطيع الشخص الخبير – في الاحوال العادية – تعقب السيارة الكترونيا ضمن منطقة يتراوح قطرها بين ميل ونصف في داخل المدن ، و ١٤ ميلا في المناطق المنبسطة والصحراوية .

– اجهزة التجسس على المحادثات الخارجية :

ان عملية التنصت على المحادثات التي تتم خارج الغرف والاماكن المغلقة عملية صعبة من الناحية التقنية ، وغير مجدية في كثير من الاحيان . وهناك عدد قليل من الاجهزة الالكترونية التي يفيد استخدامها في هذا المجال ، وهي غالباً ما تستخدم في الاماكن التي تعقد فيها المؤتمرات والاجتماعات العامة . وتملك الاجهزة الاستخبارية المتخصصة ميكروفونات موجهة ، يمكن توجيهها نحو تجمعات تبعد بضع مئات من الامتار ، والتقاط الاحاديث التي تدور فيها ، ولكن قدرة هذه الميكروفونات وفعاليتها محدودتين عـادة بالمؤتمرات الخـارجية . ويمكن التغلب على بعض الصعوبات باستخدام ميكروفونات لاسلكية حساسة واخفائها على اجساد الكلاب المدربة على الاقتراب من مصدر الحديث والتقاطه بواسطة اجهزة استقبال مناسبة . كما يمكن اخفاء هذه الميكروفونات في ثياب الاطفال ، وقد استخدمت هذه الطريقة ابان الاحتلال النازي لفرنسا في الحرب العالمية الثانية .

الاجراءات المضادة للتجسس الالكتروني :

كما استحدثت الوسائل الالكترونية سابقة الذكر

من اجل الحصول على المعلومات السرية ، ضمن إطار الحرب الالكترونية الباردة ، فقد استحدثت ايضاً وسائل الكترونية مضادة للحفاظ على سرية الاحاديث والمعلومات الهامة ، وتفويت فرصة التقاطها على القوى المضادة . وهذه الاجراءات اما ان تكون سلبية او ايجابية . ومن الاجراءات السلبية : أ) **الاخفاء اللاسلكي** : وهو عبارة عن اجراءات تتبع بقصد اخفاء عمل الاتصالات اللاسلكية ، كاستخدام التلغراف اللاسلكي الكاتب Teleprinter مع اجهزة التشفير المعقدة في الارسال والاستقبال ، واستخدام الهوائيات الموجهة لتوجيه المواصلة اللاسلكية في الاتجاه المطلوب كما هو متبع في لاسلكي التتابع Radio relay . والارسال في ظل او تحت ستار محطة ارسال لاسلكية قوية . والارسال لفترة متناهية في القصر بهدف عدم تمكين اجهزة تحديد الاتجاه لدى العدو من اكتشاف مواقع محطات الارسال اللاسلكية او افلاتها من استطلاع العدو اللاسلكي . ب) **الاخفاء الراداري** : وهو عبارة عن اجراءات تتبع بقصد اخفاء الموجات الرادارية (انظر الرادار) . ج) **الخداع الالكتروني** : وهو عبارة عن سلسلة من الاجراءات تتبع بقصد استخدام الوسائل الالكترونية الصديقة لتضليل العدو . ومن اساليب هذا الخداع وضع قواعد صارمة لاستخدام الوسائل الالكترونية من اجل ستر نشاط القوات الصديقة . وتنظيم الخداع الالكتروني ، ويقصد به قيام العدو بالتقاط اشارات مدبرة تتضمن معلومات خاطئة يقتنع بصحتها .

اما الاجراءات المضادة الايجابية ، فهي مجموعة الوسائل التي تستهدف اكتشاف وسائل التجسس الالكترونية المعادية وتدميرها او التشويش عليها او استخدام وسائل تعطل عملها . ومن اهم هذه الوسائل : أ) الاجهزة الالكترونية التي تكشف وجود مصادر ارسال لاسلكي معادي . وهي عبارة عن أجهزة لقياس الترددات اللاسلكية تحتوي على مكبرات للصوت او او مؤشرات يمكن بواسطتها الاهتداء الى وجود اجهزة الارسال ومن ثم ابطال مفعولها . ويمكن استخدام تجهيزات مشابهة لتفتيش الغرف التي تجري فيها المحادثات السرية . ب) اجهزة تشويش لاسلكي وراداري : هي عبارة عن اجهزة تنشر في الفضاء موجات تشويش على وسائط العدو اللاسلكية او الرادارية (انظر الحرب الالكترونية) . ويمكن استخدام اجهزة خاصة توضع في الغرف وتنشر فيها موجات التشويش على الميكروفونات اللاسلكية التي تستخدم للاستماع الى الاحاديث السرية في الغرف .

ولا تستطيع هذه الاجهزة التشويش على الاجهزة السلكية الموضوعة في الغرف والتي ينبغي اجراء الكشف الحسي للعثور عليها . ج) أجهزة لحفظ سرية المكالمات الهاتفية : وهي اجهزة يمكن وصلها بخط التلفون فتمنع عمل أجهزة المراقبة التي قد تكون موصولة به . كما ان هناك اجهزة اخرى توصل باجهزة التلفون لتقطيع الكلام (Scramblers) ، وهي تقوم بتقطيع ترددات الكلام بحيث يصبح غير مفهوم ، وفي هذه الحالة يجب ان يكون لدى الشخص الذي تجري معه المكالمة على الطرف الثاني من الخط جهاز آخر من هذا النوع لاعادة الكلام الى سابق عهده . وتمتاز اجهزة تقطيع الكلام بأن لها عدة شيفرات يمكن اختيار احداها ، وتغييرها من يوم لآخر بغية تحقيق مزيد من السرية .

(٩) الحرب الأميركية – الاسبانية (١٨٩٨ – ١٨٩٩)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٩) الحرب الأميركية – المكسيكية (١٨٤٦ – ١٨٤٧)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١) حرب الانفاق

هي اسلوب قتالي تستخدمه العصابات الثورية لتأمين الحركة والمباغتة والحماية حتى في المناطق غير الصالحة لحرب العصابات .

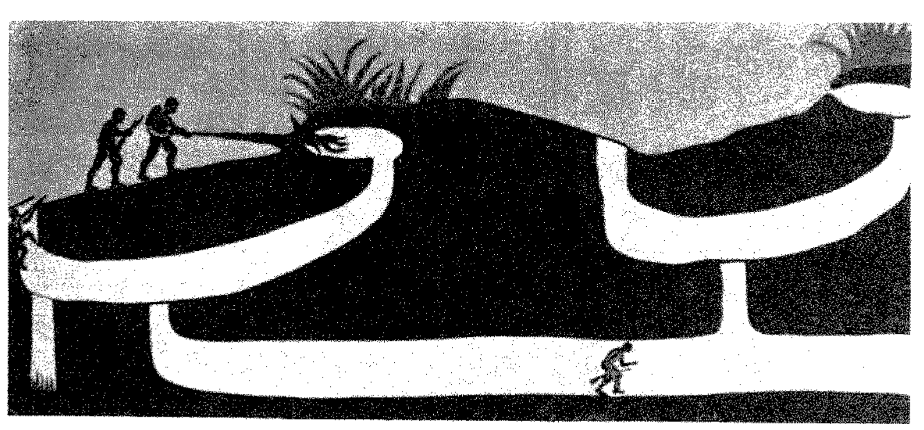
أطلق على هذا الاسلوب تجاوزاً اسم الحرب ، مع انها جزء من اساليب حرب العصابات لمجابهة التفوق المعادي بالقوى والوسائط ، ولقد استخدمه الثوار الصينيون في حربهم ضد اليابانيين وضد قوات تشانغ كاي – شيك في المناطق المحررة ، كما استخدمه الثوار الفيتناميون في حربهم ضد الفرنسيين ثم في حربهم ضد الاميركيين في المناطق ذاتها . وقد ساعد تضامن السكان مع الثوار ، وطبيعة مسرح العمليات وما يتوفر فيها من مغاور وغابات كثيفة على نجاح هذا الاسلوب .

وتعتمد حرب الانفاق على مبدأ الحركة الخفية الآمنة لمواجهة العدو بشكل مفاجىء في مكان وزمان لا يتوقعهما . ويتم التوصل إلى ذلك عن طريق اعداد مواقع قتالية خفية بعيدة عن القرى وأماكن سكن الثوار ، ووصل هذه المواقع القتالية ببعضها من جهة وبأماكن السكن من جهة اخرى بأنفاق تساعد على الحركة بعيداً عن انظار العدو ، وتؤمن الظهور على مؤخرته ومجنباته في اللحظة التي يعتقد فيها أنه يسير في منطقة آمنة . وتتألف هذه الانفاق من براميل محروقات فارغة وضعت طرفاً الى طرف تشكل من خمسة الى ستة طوابق ، وبين ١٥ – ٢٠ متراً في العمق شبكة معقدة من الأنفاق تمتد على عدة كيلومترات . فعندما يقوم العدو بهجوم كثيف ومباغت ، تسمح هذه الشبكة الممتدة في الأعماق للمدافعين بالظهور الى ساحة المعركة في المكان الذي لا يتوقعه المهاجمون . وتتصل هذه الأنفاق طبقاً لمسالك مؤشرة بأسهم ودلالات بملاجىء محصنة ومستودعات سلاح وذخائر ومؤن ومطابخ وورش ومستوصفات وملاجىء يتم فيها التدريب والراحة ايضاً .

وتشكل الانفاق خلية محمية بصورة رائعة ، ومموهة باتقان ، ومجهزة بجهاز انذار فوري وسلسلة من الموانع والافخاخ ، وهي تحوي بالاضافة الى



نفق ياباني في الحرب العالمية الثانية (إيوجيما)

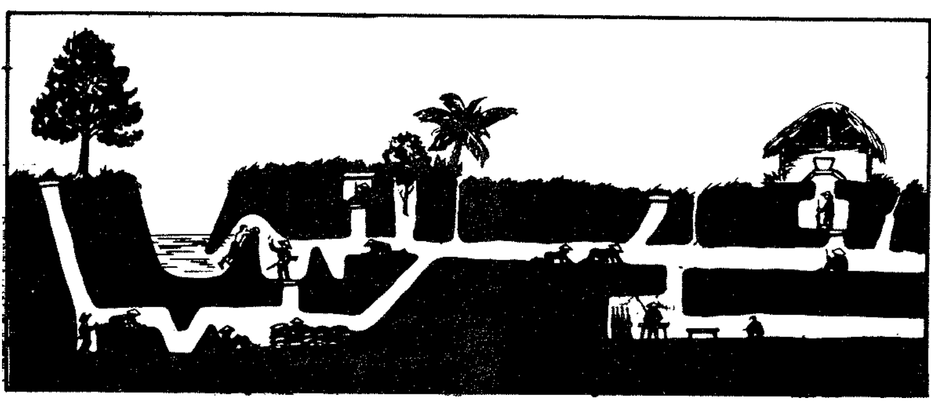


ذلك ممرات للاتصال والتموين والاخلاء ، الأمر الذي يسمح للقوى الثوريـــة بتحقيق الحشد والمفاجأة والاقتصاد بالقوى .

ولقد تطورت حرب الانفاق خلال الصراع ، وتحولت من مجموعة من الحفر والملاجىء ضد القصف إلى مدن كاملة تحت الأرض وقلاع رهيبة مدججة بالسلاح . في العام ١٩٦٧ مثلا ، عمل الثوار الفيتناميون كحيوان الخلد ليلا ونهاراً خلال عدة أشهر حتى خلقوا في منطقة النجود العالية (داك تو) شبكة ضخمة من الخنادق والانفاق المتصلة مع مئات الابراج الاسمنتية دون أن ينتبه العدو إلى ذلك ، واستطاعت هذه الشبكة المتحكمة بحوض (داك تو) تجميد ١٦ ألف جندي اميركي قدموا الى الحوض ليتمركزوا فيه ، ويسيطروا على مواصلات الثوار عند مخرج طريق هو شي منه ، وأوقعوا بالاميركيين خسائر كبيرة .

وتتوافق حرب الانفاق بشكل كبير مع طبيعة المحارب الصيني ، أو المحارب الفيتنامي الذي شبهه «هو شي منه» بالنمر الذي لا زال ضائعاً في الغابات والأدغال نظراً للتشابه في السلوك والوسائل بين قتال الاثنين ، فالنمر المختبىء في عرينه يغلق العرين على نفسه بفن وبصمت رائع « انه صمت الخطوة التي يقوم بها حينما ينطلق للبحث عن فريسته ، بقدم كأنها محشوة باللباد وإحدى عينيـــه نصف مغمضة . وهو يلتزم بصمت مطبق عندما يتربص بالظلام خلف ثنية من ثنايا الأرض ، يراقب فريسته أثناء مرورها . ثم يزحف نحوها وينقض عليها بلا رحمة ويمزقها قبل أن تتمكن من التفكير بالفرار . وهو يحافظ على الصمت والسكون ايضاً عندما يجرح أو يقع في فخ أو مكيدة ، ويجتهد بكل قواه لاستعادة حريته ليزرع الرعب والخوف من جديد . ان اي حيوان لا يستطيع الابتعاد عن نظره أو مقاومته . ويتوصل احياناً الى القضاء على الفيل . ان الفيل (أي المقاتل الامريكي) سيطعنه طعنات نافذة بأنيابه القوية ، لكن النمر لا يتوقف أبداً ... انه يندفع نحو الفيل ويحيل ظهره مزقاً . ثم يختفي من جديد في الادغال المعتمة . ويموت الفيل ببطء من الانهاك والنزيف » .

ويعتبر الجنرال فونغوين جياب حرب الانفاق جزءاً مكملا للحرب الشعبية . ويحدد أن هذا النوع من القتال يقع على عاتق القوات المحلية التي تعمل بتنسيق كامل مع القوات النظامية الثورية ، وقوات العصابات المتحركة . وأن انواع القتال المتعددة التي تمارسها هذه القوات الثلاث عبارة عن منظومة متكاملة



نموذج لأنفاق الفيتكونغ خلال الحرب الفيتنامية — الأميركية



ثقب مخفي داخل النفق للتسلل (١٩٦٦)

يأخذ أحد الأنواع فيها أهمية اكبر من الانواع الأخرى حسب طبيعة المرحلة التي تمر بها الحرب الثورية (انظر الحرب الثورية). وهو يؤكد أن حرب الانفاق لا تشكل بديلا عن الحرب النظامية أو حرب العصابات، ولكنها ضرورية للحفاظ على المواقع التي تسيطر عليها القوات الثورية واحباط الهجمات المعاكسة المعادية . وحرمان العدو من الأمن واغراقه ببحر الجماهير ، واجباره على القتال دون رؤية الخصم ، وتسديد ضرباته الى الفراغ ، الأمر الذي يزعزع معنوياته ، ويمنعه من استخدام تفوقه المادي .

ولقد شارك الشعب كله في حرب الانفاق في الصين وفيتنام . وكان لكل فرد مهمة يقوم بها (الرصد ، الانذار ، نصب الافخـــاخ ، الحفر ،

التمويه ، القتال ، نقل المؤن والذخائر) . وكانت نتيجة تضافر جميع هذه الجهود والمهمات الارتفاع بمستوى حرب الانفاق الى حد ألحق بالعدو خسائر كبيرة واجبره على استخدام تدبير مزدوج يتمثل في إبادة الغابات بالمواد الكيماوية والجرافات الثقيلة من جهة، واستخدام قوات خاصة (الجرذان الخضراء) ضد الثوار المقاتلين في الانفاق (انظر الجرذان الخضراء) . ولكن هذا التدبير الذي ألحق بالسكان والطبيعة خسائر فادحة لم يستطع حسم حرب الانفاق التي استمرت حتى تحقق النصر الفيتنامي الكبير في العام ١٩٧٥ .

(١٥) الحرب الأهلية

يقصد بالحرب الأهلية La guerre civile الصراع المسلح الذي يقع في أراضي دولة واحدة بين فريقين يسعى أحدهما الى استلام السلطة في الدولة أو في قسم من إقليمها بينما يعمل الآخر على الحفاظ على مكتسباته السابقة .

وليست الحرب الأهلية حرباً بالمعنى التقليدي المعروف في القانون الدولي ، فهي انتفاضة مسلحة أدت الى قيام صراع بين الثوار الذين أصبحوا جيشاً ، وبين القوات النظامية للدولة . إلا أن تطور المعارك أدى إلى سيطرة ظروف تشبه ظروف الحرب العادية . وفي الواقع يمكن أن تتسم الحرب الأهلية بصفة الحرب العادية بمعناها التقليدي عندما يتم الاعتراف للثوار بصفة المحاربين . وقد يتم هذا الاعتراف من قبل الحكومة النظامية نفسها للتخفيف من ويلات المعارك وعدم الأخذ بالثأر، فتلتزم الحكومة النظامية بمعاملة الثوار كمحاربين نظاميين ، وبالتالي تنطبق عليهم قواعد أسرى الحرب ، فلا يجوز محاكمتهم واعدامهم كخائنين حسب القانون الداخلي . أما حين يصدر الاعتراف للثوار بصفة المحاربين من قبل الدول الأجنبية ، فإن تطبيق قواعد القانون الدولي المتعلقة بالحرب يقتصر على العلاقات بين الثوار وبين أولئك الذين قدموا مثل هذا الاعتراف ، ويشترط لذلك حسبما بينه مجمع القانون الدولي المنعقد في نوشاتيل (عام ١٩٠٠) الشروط التالية :

أولا) أن يكون الثوار قد بسطوا سيطرتهم الفعلية على قسم من اقليم الدولة التي حدثت فيها الحرب الأهلية .

ثانياً) أن يكونوا قد قاموا بتشكيل حكومة أو هيئة تمارس السلطة والسيادة على الاقليم الذي يسيطرون عليه .

ثالثاً) أن تكون القوات الثورية خاضعة للنظام العسكري وتطبق قواعد الحرب في القانون الدولي بصورة عادية .

وينتج عن الاعتراف للثوار بحقوق المحاربين عدد من الآثار الحقوقية وأهمها : أ — تطبيق نظام الحياد على الدول الأجنبية تجاه الفريقين المتصارعين في الحرب الأهلية ، وبالمقابل التزام الفريقين المتصارعين باحترام حقوق الدول المحايدة . ب — امكانية امتداد الحرب الأهلية إلى أعالي البحار ، وبالتالي فإنه يحق للمحاربين ممارسة الحصار البحري وأخذ الغنائم . ج — إمكانية تطبيق أحكام معاهدة جنيف لعام ١٩٤٩ على الأسرى والجرحى من الثوار ، رغم أن القانون الداخلي ، في الأصل ، هو واجب التطبيق .

ولا يعتبر القانون الدولي الحرب الأهلية عملا مخالفاً لمبادئه ، بل ان عدداً من الوثائق ذات الصفة الدولية قد أقرت حق الثورة ومقاومة الظلم ، وبالتالي فقد ظهرت منذ منتصف القرن الثامن عشر نظرية فاتيل Vattel في مشروعية التدخل لخدمة « القضية العادلة » التي يناضل الثوار من أجلها (انظر التدخل) ، كما نادت الثورة الفرنسية بحق الانتفاضة ضد الظلم ، فنص تصريح « حقوق الانسان والمواطن » الذي يتصدر الدستور الصادر في ٢٤ حزيران (يونيو) ١٧٩٣ على ما يلي : « عندما تخل الحكومة بحقوق الشعب فإن الثورة هي بالنسبة الى الشعب وإلى كل فئة من الشعب ، حق من أقدس الحقوق ، وواجب من ألزم الواجبات » ، كما أن مبادئ التصريح العالمي لحقوق الانسان ، الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٨ ، تعترف بهذا الحق ، بالاضافة الى المبدأ الرئيسي الذي تضمنه ميثاق الأمم المتحدة والمتعلق بحق الشعوب في تقرير مصيرها . إلا أن مشروعية التدخل في الحرب الأهلية ما زالت غير مؤكدة حتى اليوم في القانون الدولي .

ويهتم القانون الدولي فيما يتعلق بالحرب الأهلية أيضاً بمسألة التعويضات عن الأضرار التي يمكن أن تلحق بممتلكات أو أموال الدول الأجنبية ومواطنيها بسبب المعارك الحربية . ويفرق فقهاء القانون الدولي هنا بين حالات ثلاث : أ — أن تكون الأضرار ناشئة عن المعارك وحدها ، دون أن تتحدد مسؤولية فريق من الفرقاء المتحاربين عن الاضرار الواقعة . وتعتبر هذه الحالة من حالات القوة القاهرة التي لا يجري التعويض عنها . ب — أن تكون الأضرار ناشئة عن تدابير اتخذتها الحكومة النظامية في الحرب الأهلية ضد أملاك أو أشخاص من جنسية أجنبية ، شريطة أن تكون هذه التدابير تتجاوز الحد المعقول الممكن تحمله في حالات الحرب (مثال ذلك تدمير المباني أو المنشآت دون أن تكون هنالك دواعي عسكرية حقيقية — الحوادث التي تؤدي الى قتل الأشخاص دون أن تكون هنالك معركة حربية — عمليات النهب والسلب — الاعتداء الجسماني على الأشخاص ... الخ)، وفي هذه الحالة تعتبر الحكومة مسؤولة . ج — أن تكون الأضرار ناجمة عن تدابير اتخذها الثوار . وفي هذه الحالة يفرق الاجتهاد في القانون الدولي بين حالتين : أولا) إذا قُهر الثوار لا تكون الدولة (الحكومة النظامية) مسؤولة عن التعويض عن الاضرار إلا إذا ثبت أن الحكومة كانت مقصرة في اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع هذه الأضرار ، أو أن الحكومة أصدرت قانوناً بالعفو العام عن الثائرين ، وفي هاتين الحالتين تلتزم الدولة (الحكومة النظامية) بتعويض المتضررين من أعمال الثوار . ثانياً) إذا انتصر الثوار ، وزالت الحكومة النظامية ، فتقع المسؤولية عندئذ على الدولة التي يسيطر عليها الثوار ، ويعتبر الفقه الدولي الثوار المنتصرين ، بسبب انتصارهم وحده ، ممثلين لإرادة الأمة منذ قيام الحرب الأهلية ، وبالتالي فهم مسؤولون عن التدابير التي اتخذوها خلال الحرب الأهلية وعليهم تعويض المتضررين .

وتتسم الحرب الأهلية بأنها اكثر الحروب ضراوة وعنفاً ، نظراً لطول مدتها ، وعنف الدوافع (الدينية أو العرقية أو الايديولوجية) الكامنة وراءها ، واندلاعها في قلب المناطق الآهلة بالسكان . ويطبق احد الطرفين أو كلاهما في هذه الحرب اساليب حرب العصابات أو الحرب شبه النظامية التي تتخللها عمليات تصفية حسابات ، وعمليات انتقامية تلحق بالمدنيين خسائر رهيبة . وتتعرض البلاد التي تشهد حرباً اهلية لدمار اقتصادي كبير ، وتصاب العلاقات الاجتماعية فيها بشروخ يصعب رأبها ، وينشأ بين المواطنين أحقاد تبقى أمداً طويلا ولا تنتهي بانتهاء الحرب بل تختفي تحت الرماد بانتظار الفرصة المناسبة للظهور بشكل أشد عنفاً . ولقد أثبتت الحرب الأهلية الروسية (١٩١٨ — ١٩٢٠)، والحرب الأهلية الاسبانية (١٩٣٦ — ١٩٣٩) ، والحرب الاهلية اليونانية (١٩٤٧ — ١٩٤٩) ، ان الدول التي تتعرض لحرب أهلية طويلة ، قد تحتاج إلى عدة عقود حتى تعيد بناء اقتصادها ، وتؤمن التوازن الداخلي لمجتمعها من جديد .

(١١-١) الحرب الاهلية الاسبانية (١٩٣٦ – ١٩٣٩)

هي مجموع المعارك الدموية التي وقعت احداثها في اسبانيا، منذ تموز (يوليو) ١٩٣٦، على أثر فوز الجبهة الشعبية (تحالف القوى اليسارية والاشتراكية) باكثرية المقاعد في الانتخابات البرلمانية، مما حدا بالقوى اليمينية الى التمرد على النظام الجمهوري الديمقراطي، واعلان حرب مدمرة بالتحالف مع قوى الجيش، ضد الطبقة العاملة الاسبانية وحلفائها، استغرقت اربع سنوات، وانتهت في ٢٩ آذار (مارس) ١٩٣٩ بانتصار القوات المتمردة اليمينية على الديمقراطية، واعلان الحكم العسكري الدكتاتوري بقيادة الجنرال فرانكو. ولقد حصلت القوات اليمينية في هذه الحرب على دعم المانيا النازية وايطاليا الفاشية، بينما حصل الجمهوريون على دعم سوفياتي فرنسي بريطاني.

شهدت اسبانيا مع انتهاء الحرب العالمية الاولى، وانتصار الثورة الاشتراكية في روسيا، نمواً مطرداً في بنيان الحركات والاحزاب الديمقراطية والاشتراكية، وكان ابرزها الحزب الشيوعي الاسباني. وكان طبيعياً أن تنمو هذه الحركات بسرعة نظراً للتباين الواضح في الاوضاع الاجتماعية، فمثلا كانت بعض العائلات تملك عشرة ملايين هكتار من الارض وتستثمرها بشكل سيء، على حين كان هناك خمسة ملايين مالك صغير يملك الواحد منهم أقل من هكتار واحد. وكانت اسبانيا تعيش حالة تخلف عامة بالمقارنة مع الدول الاوروبية الاخرى، ولم تكن الحكومات المتعاقبة تضع الاسس للتخلص من هذا التخلف، ولقد لعبت الكنيسة والاقطاع الديني دوراً استغلالياً ضد طبقات الشعب الفقيرة، وكانا عاملا من عوامل التخلف وعرقلة النمو الاقتصادي - الاجتماعي للبلاد.

وفي ظل النمو الثوري من جهة، والعوامل الاجتماعية الآنفة الذكر، بدأت البلاد تعاني من أزمات سياسية حادة، كان ابرزها ترك الملك الفونس الثالث عشر لاسبانيا دون التنازل عن العرش، وأعلان الجمهورية في مدريد بتاريخ ١٤ نيسان (ابريل) ١٩٣١، اثر الانتخابات العامة التي جرت في ١٩٣١/٤/١٢ وفوز القوى الثورية المتحالفة. فمن أصل ٤٧٠ نائباً فاز ٢٩٠ نائباً يسارياً، منهم ١١٥ اشتراكياً، وحصل الوسط على ١٣٥ مقعداً، ولم يحصل اليمين إلا على ٤٥ مقعداً. ولقد تشكلت على الفور حكومة مؤقتة برئاسة الكالا زامورا (الملكي القديم الذي اصبح رئيساً للجنة الثورية) وبعد ٣ ساعات اعلن العقيد ماسيا انفصال جمهورية كاتالونيا. وكانت اول اعمال المجلس النيابي الجديد التصويت على دستور للبلاد، وقد تم اعلان هذا الدستور في ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣١. وفي اليوم التالي انتخب آزانيا (وهو رئيس الحكومة الذي حل محل زامورا الذي استقال في تشرين الاول) رئيساً للجمهورية. وكانت بنود الدستور تتسم بالعمومية والغموض في معظم الاحيان، وقد ولد ذلك عدم رضى عام بين مختلف اوساط الشعب، وشهدت البلاد تطور تنظيمات عمالية مثل الاتحاد الوطني للعمل (C.N.T.) وهو تنظيم ذو اتجاهات شيوعية، والاتحاد العام للعمال (ذو الاتجاهات الاشتراكية)، والحزب العمالي للوحدة الماركسية (P. O. V. M.). ومنذ ١٤ نيسان (ابريل) ١٩٣١، اصدر الحزب الشيوعي الاسباني صحيفة «El Mundo Obrero» التي كانت تطبع ٣٥ ألف نسخة. وفي نيسان (ابريل) ١٩٣٢ وصل عدد اعضاء هذا الحزب الى ١٢٠٠٠ عضو، و ٨٠٠٠ منتسب جديد، فأسس نقابة عمالية خاصة به تدعى (C.G.T.V.). وكان وراء العديد من الاضرابات.

وفي ظل هذه الاوضاع حاول اليمين والجيش إفشال تجربة الجمهوريين، بينما طالب الفلاحون والعمال باعلان النظام الشيوعي. ولقد حاول آزانيا تحطيم مقاومة الجيش عن طريق إصدار قانون يسمح للضباط بترك الخدمة والحصول على معاش تقاعدي يعادل راتبهم اذا رغبوا في ذلك. ورغم هذا التدبير، فقد قام سان جورجو بانقلاب عسكري في اشبيلية بتاريخ ١٠ آب (اغسطس) ١٩٣٢. ولكن رئيس الجمهورية قمع هذا الانقلاب بسرعة. بيد أن معارضة الجيش لنظام الحكم، وتكتل اليمين ضده، وعداء زامورا للرئيس آزانيا، أدت الى سقوطه، واجراء انتخابات ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٣، التي مالت فيها موازين القوى نحو اليمين، اذ حصل اليسار على ٩٠ مقعداً من أصل ٤٠٧ مقاعد، وحصل الوسط على ١٦٧ مقعداً، بينما نال اليمين ٢٠٧ مقاعد. وعاد اليمين الى الحكم، وعاد الكالا زامورا رئيساً للجمهورية، فقمع الحركات الانفصالية، كحركة كومبانيس جوفر في كاتالونيا (٦ تشرين الأول ١٩٣٤). كما قمع الانتفاضة التي قام بها الثوريون الشيوعيون وحلفاؤهم في ٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٤ رغم استبسالات عديدة في مناطق متفرقة خاصة في مقاطعة الاستوري، حيث تتركز مناجم الحديد والفحم، وقوة العمال هناك ومقدرتهم على استعمال المتفجرات بشكل جيد، وكانت نتائج هذه الانتفاضة، مقتل ثلاثة آلاف مواطن، و ٥٠٠ رجل من القوات الحكومية. وقد تعلم الحزب الشيوعي درساً من هذه الاحداث، انه قبل القيام بالانتفاضة المسلحة يجب أن يجري تقييم صحيح وصادق للقوى الذاتية، وقوى الخصم، وان يستفيد الى ابعد الحدود من الحلفاء.

وفي ٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٦ حل رئيس الجمهورية الكالا زامورا المجلس النيابي، وجرت انتخابات جديدة في ١٨ شباط (فبراير) من العام نفسه. وكانت القوى الثورية قد أجرت استعدادات هامة قبل خوض المعركة الانتخابية، وتوصلت في الفترة الواقعة بين حزيران وآب (يونيو وأغسطس) ١٩٣٥ الى تشكيل الجبهة الشعبية (Frent Popular). وكانت نتائج هذه الانتخابات انتصاراً للجبهة التي حصلت على ٢٥٦ مقعداً من اصل ٤٧٠، وحصل الوسط على ٤٥ مقعداً فقط، وغدا آزانيا من جديد رئيساً للحكومة، ثم انتخب رئيساً للجمهورية مرة ثانية في ١٠ أيار (مايو) ١٩٣٦، وهنا بدأت القوى اليمينية (الملكيون، وكتائب بريمو دو ريفيرا، والكارليين بقيادة الجنرال مولا) محاولاتها لتخريب الاوضاع وافشال حكم الشعب، فقامت تحت قيادة سانجورجو وكالفو بـ ١١٣ اضراباً كبيراً، و ٢٧٨ اضراباً محلياً، و ١٧٨ عملية نهب شملت مؤسسات عامة ومساكن خاصة، و ١٧٨ حريقاً، و ٧١٢ اعتداء على اشخاص قتل من جرائها ٧٤ شخصاً.

كان الجيش يرقب هذه الحالة ويخطط سراً مع قوى اليمين على إثارة المزيد من الفوضى والعراقيل في وجه الحكومة الشعبية، بهدف الانقضاض على السلطة، وكان الجيش يتكون من ١٤٥٠٠٠ رجل مؤطرين داخل ٨ فرق مشاة، وفرقة خيالة، وفوجي مدرعات (في كل فوج ٦٠ دبابة)، و ٢٠٠ طائرة، وقوة بحرية مكونة من ٣٥ سفينة حربية منها دارعتان و ٧ طرادات و ١٠ زوارق طوربيد. وكانت قوات الجيش موزعة بين الارض الاسبانية (١١٥ ألفاً)، والمغرب (٢٥ ألفاً)، وجزر الكاناري (١٠ آلاف). وبالاضافة الى قوة الجيش كان هناك شرطة الأمن (الشرطة المدنية) وتضم ١٧٠٠٠ رجل، وهم موزعون سياسياً على جميع الاتجاهات. ثم تأتي قوات الحرس المدني (أي درك المقاطعات المتحرك) ويضم ٣٤٠٠٠ رجل. وكان اتجاه الحرس المدني يميل بحكم سطوته وعلاقاته الى

القوى الرجعية ، لذا كان الاشتراكيون ينظرون اليه بعين الحذر ، وسرعان ما شكلت الحكومة الثورية قوات حرس الانقضاض بهدف الحلول محل الحرس المدني .

في ١٢ تموز (يوليو) ١٩٣٦ ، اغتال ضباط من الشرطة الزعيم اليميني كالفو سوتيلو ، فتوترت الاوضاع في البلاد ، واعلنت الحاميتان الاسبانيتان في المغرب وجزر كاناري (٣٥ ألف رجل) العصيان على حكومة مدريد الجمهورية في يوم ١٧ ، وتولى فرانكو حاكم جزر الكاناري قيادة العصيان منذ يوم ١٩ ، وأخذ يجمع قواته في تطوان لغزو البر الاسباني . وفي يوم ١٨ ، وتحت ضغط الاحزاب والتنظيمات اليمينية ، انضم إلى قوات العصاة عدد كبير من القطعات العسكرية المتمركزة في بورغوس وساراغوس وفالادوليد . وكان من المفروض أن يقود هذه القطعات الجنرال سانجورجو اللاجئ في البرتغال ، ولكن سانجورجو توفي في حادث طائرة في ٢١ تموز (يوليو) ١٩٣٦ وبذلك اصبح فرانكو قائد قوى العصيان .



أحد شوارع برشلونة بعد غارة جوية قامت بها الطائرات الحكومية

وكانت القوات الجمهورية تستطيع الاعتماد بشكل كامل على غالبية سلاح الطيران ، وقوات الشرطة (١٧٠٠٠ رجل) ، وحرس الانقضاض (٣٣٠٠٠ رجل) ، والدرك حرس الحدود (Carabiniers) الذين كانوا يؤمنون حراسة الحدود الشمالية للبلاد ، ويتمتعون باستقلالية واسعة . ولكن حجم هذه القوة لم يكن يسمح لها بمجابهة قوى العصيان ، لذا وزعت الحكومة الجمهورية الاسلحة على العمال والفلاحين ، وخلقت من ميليشيا « الجبهة الشعبية » قطعات الجيش الجمهوري ووضعتها تحت قيادة الجنرالات مياجا وپوزاس ثم روخو . ومنذ بداية القتال بين الجمهوريين والعصاة تدخلت الدول الأجنبية فيه بشكل خفي . وكانت فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفياتي إلى جانب الجمهوريين ، بينما كانت المانيا وايطاليا إلى جانب العصاة . ويمكن تقسيم هذه الحرب التي دامت ٣٢ شهراً ، وزج فيها كل طرف حوالي ٨٠٠ ألف رجل إلى أربع مراحل عسكرية :

أ – المرحلة الأولى ، خلق الجبهة الثابتة : منذ الأيام الأولى للقتال سيطرت القوات العسكرية العاصية في الشمال على بامبيلون وكاسيرس وليون وبورغوس ونافار . وقدم الالمان لفرانكو طائرات « يونكرز – ٥٢ » لنقل قطعاته المغربية إلى اسبانيا نظراً لسيطرة الاسطول الجمهوري على مضيق جبل طارق . واستطاعت القوات العسكرية السيطرة على المدن الجنوبية : غرناطة واشبيلية وقرطبه ، واندلعت الانتفاضة اليمينية في برشلونة ، ولكن الجماهير العمالية استطاعت قمعها واستعادت المدينة وفرضت سلطتها في مدريد وسانتاندر وفالانسيا وتوليدو . وهكذا شكلت قوات العصيان جيبين منفصلين عند باداخوز ، احدهما شمالي بقيادة الجنرال مولا والآخر جنوبي بقيادة فرانكو ، وبقيت القوات الجمهورية مسيطرة على القسم الشرقي من البلاد . ولذا جمع فرانكو قواته في الجنوب وساعده على ذلك انتصار اسطول العصاة على اسطول الجمهوريين وطرده من مضيق جبل طارق ، وبدء نقل القوات الى اسبانيا بحراً . وبعد أن تجمع مع فرانكو الحجم الكافي من القوات اندفع باتجاه الشمال ، محاولا الوصول إلى مدريد . واستطاع في ١٤ آب (أغسطس) احتلال باداخوز التي لم يكن يدافع عنها سوى ٨٠٠ مقاتل ، وفي ٢ أيلول (سبتمبر) حقق في اوروبيزا الاتصال مع قوات العصيان القادمة من كاسيرس . واتصل الجيب الشمالي للعصاة مع الجيب الجنوبي . ولكن مدريد لم تسقط بيد العصاة . وانتهى النجاح الناجم عن المفاجأة الأولية ، وأصبح على قوات العصاة الذين سلموا قيادتهم لفرانكو القيام بعمليات حربية حقيقية ضد الجمهوريين . ولقد استطاعت قوات العصاة القادمة من الجنوب احتلال تافاليرا في ٤ أيلول (سبتمبر) ، وتوليدو في ٢٧ منه . وفي ١ تشرين الأول (اكتوبر) قامت الزمرة العسكرية في بورغوس بفرض فرانكو كرئيس أعلى للحكومة الاسبانية . وفي هذه الفترة شنت قوات مولا العاملة في الشمال الهجوم على الشريط الساحلي الشمالي الذي بقي في يد الجمهوريين ، فاستولت على ايرون في ٢ أيلول (سبتمبر) ، وسان سباستيان في ١٣ منه ، وأوفيدو في ١٧ تشرين الأول (اكتوبر) . ووصلت في الشرق إلى خط هوسكا – تيرويل .

ب – المرحلة الثانية ، تصفية الجبهة الشمالية : بعد خلق الجبهة المتصلة الممتدة من الحدود الفرنسية حتى جبل طارق ، أقام فرانكو قيادته العامة في سالامنك ، وكان مقر قيادته المتقدم في بورغوس . وابتدأ العام ١٩٣٧ باستيلاء قوات فرانكو على مالاغا في شباط (فبراير) ، ولكن هذا العام انتهى بفشل كامل لجميع الهجمات المتكررة على العاصمة مدريد ، التي كانت ميليشيا الجمهوريين بقيادة الجنرال مياجا تدافع عنها بصلابة . وبالاضافة إلى ذلك فقد تعرض الفرانكيون خلال هذا العام لهجمات معاكسة قوية شنها الجمهوريون الذين حرروا مؤقتاً برونيت في ٦ تموز (يوليو) ، وتيرويل في ١٥ كانون الأول (ديسمبر) . ولقد تركز القتال في ربيع هذا العام في منطقة بيسكاي ضد نطاق التحصينات المحيط بميناء بيلباو الذي استولى عليه الفرانكيون في ١٩ حزيران (يونيو) ، كما تركز في منطقة ميناء سانتاندر الذي سقط بيد الفرانكيين في ٢٥ آب (اغسطس) بفضل المساعدة التي قدمها

لهم المتطوعون الايطاليون الذين كانوا قد تعرضوا لهزيمة شنعاء في غوادالاخارا . خلال شهر آذار (مارس) ١٩٣٧ . وفي ٢١ تشرين الأول (اكتوبر) سقطت غيخون بيد الفرانكيين وتمت تصفية الشريط الساحلي الشمالي .

وفي العام ١٩٣٧ تزايدت المساعدات الخارجية المقدمة إلى الطرفين رغم المحاولات الانكلو- فرنسية لخلق مراقبة بحرية دولية تستهدف منع ارسال الرجال والاسلحة والذخائر إلى اسبانيا ، ورغم تشكيل لجنة عدم التدخل في لندن منذ ١٩٣٦/٩/٩ . ولقد غدت هذه المراقبة شكلية عديمة الجدوى بعد أن قصفت السفن الحربية الالمانية ميناء الميريا في ٣١ أيار (مايو) ١٩٣٧ ، وانسحب الالمان والايطاليون من مجموعة الدول المشتركة بالمراقبة ، رداً على قيام طائرة جمهورية بقصف المركب الحربي الالماني « دوتشلاند » . ولقد كان التدخل الايطالي اكبر من أي تدخل آخر في هذه الحرب ، اذ قدمت ايطاليا لقوات فرانكو ٥ فرق قمصان سوداء (حوالي ٤٠ ألف رجل) ، و ٢٠٠٠ مدفع ، و ٧٠٠ طائرة ، و ١٧ مليار لير إيطالي . وأرسلت المانيا إلى فرانكو من جزر الكناري ١٦ ألف رجل ، و ٥٠٠ مليون مارك ، وعدداً من الدبابات ، وعدداً من قاذفات القنابل من فيلق كوندور . ولقد ارتبط اسم هذه القاذفات بإبادة مدينة غيرنيكا الذي كان له صدى سيء لدى الرأي العام العالمي . وبالمقابل فقد حصل الجمهوريون على كوادر ومعدات وطائرات وذخائر من الاتحاد السوفياتي ، كما حصلوا على مساعدة الالوية الاممية ، التي كان فيها ١٠ آلاف متطوع فرنسي ، و ٣٠٠٠ متطوع سوفياتي ، ومتطوعون أمميون ثوريون من جنسيات مختلفة .

ج - المرحلة الثالثة ، الاندفاع باتجاه البحر : بعد أن نظم فرانكو مؤخراته ، وحصل على الامدادات والاسلحة اللازمة لتبديل ميزان القوى ، حشد في منطقة آراغون قوات كبيرة ، وشن في ٣ آذار (مارس) ١٩٣٨ هجوماً عاماً على جبهة عرضها ٨٥ كيلومتراً ، فاحتل ليريدا في ٢ نيسان (ابريل) ، وتورتوزا في ١٠ منه ، ووصل إلى شاطئ البحر الابيض المتوسط عند ميناء فيناروز في ١٦ منه ، وقطع الاراضي التي يسيطر عليها الجمهوريون إلى جيبين . وفي حزيران (يونيو) قام فرانكو بهجوم باتجاه ساغونت ، فاستولى على كاستيلون في ١٤ منه ، ولكن قوات الجمهوريين أوقفته عند نهر ايبر Ebre ، ثم اجتازت النهر عند مورا في محاولة لتحرير ترويل . وتجمدت الجبهة بعد ذلك حتى نهاية العام ١٩٣٨ .

د - المرحلة الرابعة ، الهجوم النهائي : في ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨ بدأ الهجوم الحاسم على منطقة كاتالانيا (الجيب الجمهوري الشمالي) ، في القطاع الواقع بين ليريدا وبالاغير . وبسقوط ارتيزا ومانريزا في كانون الثاني (يناير) غدا وضع الجمهوريين حرجاً . وفي ٢٥ كانون الثاني (يناير) احتل الفرانكيون برشلونة ، وفي ٥ شباط (فبراير) انسحبت بقايا الجيش الجمهوري إلى فرنسا عبر جبال البيرنيه (جبال البرانس) ، كما التجأت بقايا سفن الاسطول إلى ميناء بنزرت في تونس . وتمت تصفية الجيب الشمالي . وعندها بدأ الضغط على الجيب الجنوبي وحامية مدريد . وفي ٢٨ آذار (مارس) سقطت العاصمة مدريد في يد قوات فرانكو بعد أن قدم لها الطابور الخامس اليميني في المدينة مساعدة كبيرة ، وفي ٢٩ منه سقطت فالانسيا وانتهت الحرب التي قدرت بعض المصادر أن خسائرها البشرية بلغت مليون قتيل ، بينما قدر الجنرال اندريه بوفر هذه الخسائر بحوالي ٢٨٥ ألف مقاتل من الطرفين ، و ٢٠٠ ألف مدني مات معظمهم من الاوبئة وسوء التغذية . بالاضافة إلى ١٢٦ ألف شخص قتلوا غيلة أو اعدموا بعد محاكمة ، وكان ثلثهم من الجمهوريين والثلثان الآخران من انصار اليمين .

اتسمت الحرب الأهلية الاسبانية بكل ملامح الحرب الاهلية : كعنف الصراع الايديولوجي ، وظهور العداوات الكامنة بين المناطق والاقاليم ، وعمليات الانتقام الفردية والجماعية ، وعدم تنفيذ قواعد الحرب وقوانينها (كالاعدام بدون محاكمة ، واغتيال اسرى الحرب ، واطلاق النار على الجماهير العزلاء ، ونسف المساكن ، والمصادرة التعسفية) ، ولكن الطرفين طبقا في الوقت نفسه اساليب الحرب النظامية : كاشتراك التشكيلات النظامية ، وخلق الجبهة المستمرة ، وقوة النيران ، واستخدام المعدات والاسلحة الحديثة براً وبحراً وجواً ، الأمر الذي سمح للدول الأوروبية الكبرى التي تدخلت في الحرب باختبار معداتها الحربية الحديثة وعقائدها الحربية .

ويمكن إعادة انتصار فرانكو في هذه الحرب إلى العوامل التالية :

أ - وحدة قيادة قوات العصيان العسكرية والقوى الاجتماعية المؤيدة لها ، وتمركز السلطة بيد فرانكو منذ ١ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٦ .

ب - ضخامة الدعم الالماني - الايطالي لفرانكو وخاصة في مجال الاسلحة المتطورة ، وصغر الدعم الفرنسي للجمهوريين وضآلة الدعم البريطاني الذي لا يكاد يذكر ، وبعد الاتحاد السوفياتي عن اسبانيا وعجزه عن تقديم المساعدة اللازمة للجمهوريين .

ج - ارتفاع مستوى تدريب وكوادر القوات المسلحة العاملة تحت قيادة فرانكو ، بالنسبة إلى مستوى تدريب وكوادر ميليشيا الجمهوريين .

د - عدم تماسك الوحدة الوطنية في معسكر الجمهوريين ، وتفتت « الجبهة الشعبية » منذ انتخابات ١٦ شباط (فبراير) ١٩٣٦ التي نجم عنها مجلس نيابي صغير يضم نواباً شيوعيين .

هـ - معارضة الفوضويين والنقابيين الكاتالانيين لفكرة إقامة الدولة الاشتراكية التي كان الاشتراكيون بقيادة رئيس الحكومة ، لارغو كاباليرو ، ينادون بها . ومعارضتهم لإقامة ديكتاتورية البروليتاريا التي نادى بها الشيوعيون .

و - الصراع الذي دار بين الشيوعيين والفوضويين الكاتالانيين منذ استيلاء الشيوعيين على السلطة في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٦ ، بعد وزارة كاباليرو ، وقيام الشيوعيين تحت قيادة الدكتور نيغرين لوبيز ، الذي غدا رئيساً للحكومة ، بحسم هذا الصراع بمعركة دموية دارت في شوارع برشلونة في أيار (مايو) ١٩٣٧ .

ز - قيام الجنرال الجمهوري مياجا ، المعارض للشيوعيين ، بانقلاب عسكري في مدريد التي تحاصرها قوات فرانكو ، واستيلائه على السلطة ، وتشكيل « مجلس الدفاع الوطني » والاصطدام مع الشيوعيين وتصفيتهم في حرب شوارع ، وفرار نيغرين إلى خارج البلاد (٦ آذار ١٩٣٩) ، قبيل سقوط العاصمة بيد فرانكو بحوالي اسبوعين .

نتائج الحرب : انهت الحرب الأهلية الاسبانية التجربة الجمهورية الديمقراطية التي حاولت القوى التقدمية فيها تنفيذ التطور الاشتراكي بالسبل السلمية بعد الوصول الى السلطة بشكل شرعي ، واوقفت المد اليساري في شبه الجزيرة الايبرية ، واعادت الحكم الديكتاتوري إلى البلاد ، ودمرت الاقتصاد الاسباني ، وسببت مآس انسانية رهيبة ، ودفعت الكثير من الاسبان الى الهجرة نحو فرنسا ونحو العالم الجديد ، الأمر الذي جعل اسبانيا تتخلف عن مسيرة الحضارة التي عرفتها أوروبا . ولقد كان جرح الحرب الأهلية بليغاً لدرجة جعلت فرانكو يحجم عن زج بلاده في الحرب العالمية الثانية إلى جانب دول المحور ، رغم تأييده لها ، ورغم المساعدة التي حصل عليها من الالمان والايطاليين ، كما جعلته يكتفي خلال هذه الحرب بارسال المتطوعين للقتال مع القوات النازية ضد الاتحاد السوفياتي .

(١٢) الحرب الاهلية الاميركية (١٨٦١ – ١٨٦٥)

نشبت الحرب الاهلية الاميركية او (الحرب بين الولايات) بين حكومة الولايات الشمالية الاتحادية وحكومة الولايات الجنوبية الاحدى عشرة التي انفصلت عن الاتحاد . وكانت الثورة الصناعية التي اكتسحت الشمال من الاسباب التي أدت الى نشوب الحرب . استمرت هذه الحرب أربعة أعوام واتهت باستسلام الجنرال روبرت ادوارد لي Gen. Robert Edward Lee قائد جيش الجنوب في أبوتوماكس كورت هاوس Appotomax Court House (ولاية فرجينيا) في ٩ نيسان (ابريل) ١٨٦٥ ، وباستسلام الجنرال جوزيف جونستون Gen. Josephe. Johnston في دورهام ستيشن Durham Station (ولاية كارولينا) في ٢٦ نيسان (ابريل) ١٨٦٥ . وكان من نتائجها ان الغي الرق في جميع ارجاء الولايات المتحدة ، وعادت الولايات المنشقة الى الاتحاد ، واقيمت حكومة مركزية قوية .

قبل نشوب الحرب الاهلية الاميركية كان يسيطر على الولايات المتحدة مجتمعان اقتصاديان متناقضان : مجتمع اقطاعي زراعي في الجنوب ، مؤلف من السادة والعبيد ، ومجتمع صناعي حديث متطور في الشمال ، مؤلف من اصحاب الثروات الضخمة والعمال والبورجوازيون من مختلف الشرائح . وكان نظام الرقيق آنذاك نظاماً قانونياً معترفاً به في الدستور ، ومعمولا به في خمس عشرة ولاية من الولايات المتحدة ، باستثناء ولايات الشمال التي الغته منذ اواخر القرن الثامن عشر . وكانت مناطق الرقيق مفصولة عن مناطق الاحرار بخط يدعى : « خط ماسون وديكسون » (وهو خط الحدود بين بنسلفانيا Pennsylvania وماريلاند Maryland في الجنوب) ، وكان هذا الخط يقسم الولايات المتحدة الى قسمين : الولايات التي تبيح الرقيق والولايات التي لا تبيحه .

وفي خريف عام ١٨٦١ انتخب ابراهام لنكولن Abraham Lincoln (الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة) وبفوزه ، اي بفوز الجمهوريين ، انفصلت ولاية كارولينا الجنوبية عن الولايات المتحدة الاميركية ، وحذت حذوها كل من ميسيسيبي والاباما وفلوريدا وجورجيا ولويزيانا وتكساس ، وكونت لنفسها حكومة مستقلة برئاسة جيفرسون ديفيز Jefferson Davis اسمتها الولايات التعاهدية الاميركية . وكان مركزها مونتغمري Montgomery عاصمة الاباما . وهكذا اعلن ديفيز قيام الجمهورية الجنوبية في ٤ شباط (فبراير) ١٨٦١ ، ونقل مركزها الى رتشمند Richmond عاصمة فرجينيا .

وفي آذار (مارس) ١٨٦١ القى الرئيس لنكولن خطاباً أوضح فيه سياسة حكومة الاتحاد وعدم تدخلها في شؤون الولايات الداخلية ، كما دعا الى عقد مؤتمر في واشنطن ، عاصمة الشمال ، وخلال المفاوضات التي كان يجريها حصلت احتكاكات بين الاتحاديين والانفصاليين ، وكادت تقع مذبحة رهيبة لولا ان تداركها قائد المدرسة الحربية واعاد الطلبة الى ثكناتهم ، فقد رفع انصار الاتحاد علم الولايات المتحدة في الشارع الرئيسي في لكسنغتون Lexington لكن طلاب المدرسة الحربية اطلقوا عليه النار ، ورفعوا مكانه علم الولاية ، واقاموا عليه حرساً طوال الليل . وفي الصباح تواردت الانباء بأن سرية من الميليشيا قد أبعدت الحرس لبلا محاولة رفع علم الاتحاد من جديد ، فتطور الحادث وتأزم الوضع ومزقت اعلام الاتحاد في جميع انحاء فرجينيا .

وفي ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٨٦١ فتحت القوات الجنوبية النار على السفينة « نجمة الغرب » التي ارسلت لتموين قلعة فورت سمطر Ft Sumter في ميناء شارلستون Charleston (ميناء كارولينا الجنوبية) وذلك بأمر من الجنرال بيار بورجارد Pierre Beruregard قائد جيش الجنوبيين التعاهديين المنشقين عن الاتحاد ، وكان في القلعة حامية صغيرة من جنود الاتحاد لا يزيد عددها عن مئة جندي بقيادة الرائد اندرسون Anderson فاحتلت قوات الجنوبيين القلعة وانزلت علم الولايات المتحدة ، وهكذا سقطت قلعة فورت سمطر في ايدي الجنوبيين .

وفي ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٨٦١ وقع الرئيس لنكولن مرسوماً دعا فيه ٧٥ ألفاً من رجال الميليشيا لمدة ثلاثة اشهر . وفي ١٧ من الشهر نفسه أعلن الحصار على جميع السواحل الجنوبية بعد ان ادرك خطورة الوضع ، كما اصدر مرسوماً لاحقاً يدعو فيه ٤٢ ألف متطوع لمدة ثلاث سنوات . وفي ٣ أيار (مايو) طلب ٨٠٠٠ من البحارة الى الخدمة ووضع حوالي ١٢ ألف جندي في بنسلفانيا و ٣٠٠٠ في شامبرسبورغ ، وجهز اسطولا من ٢٦٤ سفينة ، وبلغ مجموع هذه القوات في البداية ١٥٠ ألف جندي ، تجمع معظمهم حول واشنطن . اما قوات الجنوب فكانت لا تزيد عند اندلاع القتال عن ١٦ ألف جندي وضابط ، واسطولا مؤلفاً من ست سفن صغيرة ، واحدة منها فقط كانت صالحة للاستعمال ، وخمس قاطرات بحرية ، وحوالي ٢٠ سفينة شراعية معظمها من طراز قديم ، كما وضع الجنوبيون في احواض نورفولك Norwalk ١٠٠٠ ضابط وجندي و ١٢٠٠ مدفع على طول ساحل فرجينيا اي على بعد مئة ميل من العاصمة الجنوبية ريتشمند .

كان النصر ، في المعارك الاولى لهذه الحرب ، حليف التعاهديين الجنوبيين ، اذ هزم جيش الولايات الشمالية في معركة ماناساس Manassas المعروفة باسم (بول رن الاولى) Bull Run في ٢١ تموز (يوليو) ١٨٦٢ . وفي شباط (فبراير) ١٨٦٢ اقتحم الجنرال يوليسس غرانت Ulysses Grant قائد جيش الشمال حصني فورت هنري Fort Henry وفورت دونلسون Fort Donlson . وكان استسلام فورت دونلسون كارثة كبيرة لحقت بالجنوبيين . وفي ٩ آذار (مارس) من العام نفسه ، دارت معركة بحرية بين السفينة مونيتر التابعة لقوات الشمال والسفينة ماريماك التابعة لقوات الجنوب في مرفأ نورفولك . وكانتا قد انزلتا حديثاً الى الماء . وقد اسفرت هذه المعركة عن تدمير السفينة ماريماك ، وانزال الهزيمة بالبحرية الجنوبية . ويرجع الفضل في ذلك الى البرج المتحرك المزود بمدفع في داخل السفينة مونيتر الذي كان يطلق القذائف كل سبع دقائق ويدور بسرعة . وقد اعتبرت هذه المبارزة البحرية بين السفينة الصغيرة مونيتر والسفينة الضخمة ماريماك ، حدثاً جديداً وثورة في الفن الحربي البحري بحيث اثبتت السفينة الصغيرة فعالية كبيرة نظراً لسهولة تحركها ودورانها . وفي ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٨٦٢ دارت معركة انتيتام Antietam الشهيرة التي عرفت بشارسبورغ Sharpsburg والتي تم النصر فيها لقوات الشمال . وكانت خسائر التعاهديين الجنوبيين في هذه المعركة ١٠ آلاف قتيل ، و ٩ آلاف مفقود من اصل ٤٠ ألف جندي (وقيل ٦٠ ألفاً) ، على حين خسرت قوات ماكليلان MeClellan الشمالية ١٢ ألف قتيل ، من اصل ٧٥ ألفاً . وبعد هذه المعركة اعلن لنكولن تحرير العبيد في ٢٢ ايلول (سبتمبر) ١٨٦٣ وايدته كل من انكلترا وفرنسا .

وفي ٤ تموز (يوليو) ١٨٦٣ انتصر الاتحاديون الشماليون في غيتسبرغ Gettysburg . وكانت هذه المعركة نقطة تحول في الحرب كما كانت اسوأ معركة خاضها الجنوبيون ضد الشماليين . وقد بلغت خسائر الجنرال لي قائد جيش الجنوب في هذه المعركة

٢٨ ألف قتيل من اصل ٧٥ ألفاً ، على حين كانت خسائر غرانت قائد جيش الشمال ٢٣ ألفاً من أصل ٨٨ ألفاً . وبعد هذه المعركة تقدم غرانت لمواجهة لي وارغمه على الاتجاه نحو رتشمند . وفي ٥ أيار (مايو) ١٨٦٤ خاض غرانت معركة دموية طاحنة في سبوتسلفانيا Spotsyilvania (ولاية فرجينيا) فكان النصر حليفه . وفي ٢ ايلول (سبتمبر) ١٨٦٤ انتصر الجنرال وليم شيرمان William Sherman قائد القوات الشمالية في معركة اطلنطا Atlanta ، كما قاوم غرانت جيش الجنرال الجنوبي ماكلن وهزمه . وهكذا تم جلاء التعاهديين الجنوبيين عن رتشمند في نيسان (ابريل) ١٨٦٥ بعد ان استسلم لي إلى غرانت في ابوماتوكس كورت هاوس ، وبعد ان دافع عن رتشمند دفاعاً مجيداً وأوقع بالشماليين خسائر فادحة . واستسلم مع لي ٧٨٩٢ جندياً من المشاة الجنوبية بأسلحتهم و ٢١٠٠ من الفرسان و ٦٣ مدفعاً.

تعتبر الحرب الاهلية الاميركية اول حرب اهلية شاملة في التاريخ الحديث . ووصفت بأنها أول حرب صناعية حديثة ، فقد كلفت الولايات المتحدة ٥ مليارات من الدولارات ، كما كلفت التعاهديين ٣ مليارات من الدولارات . واشترك فيها ٤ ملايين جندي ودارت فيها خلال اربع سنوات اكثر من ٢٣ معركة برية وبحرية بقيادة ٢٣ قائداً . وبلغ عدد ضحاياها ٦١٧ ألف قتيل (قتلى الشمال ٣٥٩ ألفاً وقتلى الجنوب ٢٥٨ ألفاً) اما الجرحى فبلغ عددهم ٣٧٥ الفاً (جرحى الشمال ٢٧٥ الفاً وجرحى الجنوب ١٠٠ ألف) واستخدمت في هذه الحرب شتى انواع الاسلحة والمدافع والقنابل اليدوية والقنابل المجنحة والصواريخ . ولاول مرة في هذه الحرب عرف العالم السفن المدرعة ، والقطارات المسلحة ، والالغام ، والطوربيد ، ولاول مرة اخترع المدفع الرشاش «ركوا» ، كما استخدمت المناطيد والبالونات في الاستطلاع ، وقنابل الغاز ، وتم استخدام الاعلام والمصابيح واجهزة الارسال السلكية لتأمين الاتصالات. كما تم اختراع قاذفات اللهب في العام ١٨٦٤ ، وبنيت اول غواصة اميركية .

(١٢) الحرب الأهلية الانكليزية (١٦٤٢ – ١٦٤٩)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١٣) الحرب الأهلية الروسية وحروب التدخل الأجنبي (١٩١٨ – ١٩٢٠)

هي الحرب التي دارت على الاراضي الروسية بعد ثورة تشرين الأول (أكتوبر) الاشتراكية ، واشتركت فيها القوات البلشفية النظامية (الجيش الأحمر) وشبه النظامية (الحرس الأحمر) ضد التشكيلات المسلحة التي أنشأتها القوات المضادة للثورة (الجيش الابيض) ودعمتها كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا والنمسا واليابان وتركيا بالسلاح والمال والخبراء وبفيالق تدخل نظامية (انظر الجيش الاحمر والجيش الابيض).

بعد انتصار ثورة تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٧ الاشتراكية في روسيا ، خاضت الطبقات المستغلة الروسية مقاومة مسلحة ضد السلطة الجديدة . ومدت الحكومات الاميركية والبريطانية والفرنسية والألمانية يد العون لقوى الثورة المضادة الروسية . وفي العام ١٩١٨ ، بدأت القوات الألمانية – النمساوية هجومها المسلح على روسيا السوفياتية . وصد الجيش الأحمر الروسي (الوليد) المتدخلين في بسكوف ونارفا . إلا أن ميزان القوى كان يميل لصالح قوى التدخل الأجنبي ، مما اضطر الحكومة السوفياتية الى عقد معاهدة صلح مع ألمانيا وحلفائها ، في الثالث من آذار (مارس) ١٩١٨ ، عرفت بمعاهدة بريست ليتوفسك .

وفي الشهر المذكور والشهر الذي تلاه ، احتلت قوات التدخل الألمانية – النمساوية أوكرانيا والقرم ومناجم الفحم في دونيتز ، كما اشتركت مع القوات التركية في غزو منطقة القفقاس . وكون الجنرال الروسي ، كراسنوف – بمعاضدة قوات التدخل الاجنبي – جيش الدون للثورة المضادة ، جند فيه القوزاق ، وشن هجوماً مسلحاً على تساريتزين (فولغاغراد الآن).

وفي ربيع ١٩١٨ ، تدخل الحلفاء والولايات

هجوم معاكس سوفياتي أمام بسكوف (شباط ١٩١٨)

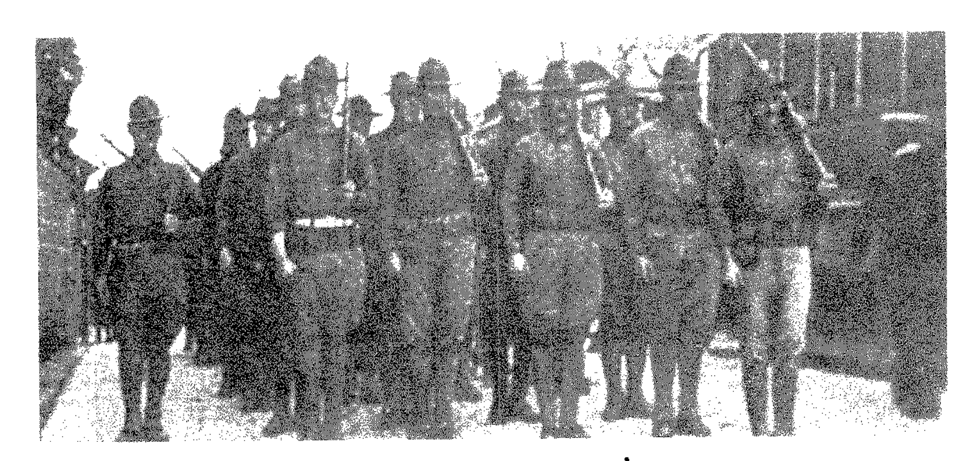


المتحدة الامريكية . وفي السادس من آذار (مارس)، نزلت القوات البريطانية ، ثم الأمريكيـــة ، في مورمانسك . وفي الخامس من نيسان (ابريل) ، نزلت القوات اليابانية في فلاديفوستوك ، وتلتها القوات البريطانية والأمريكية والفرنسية .

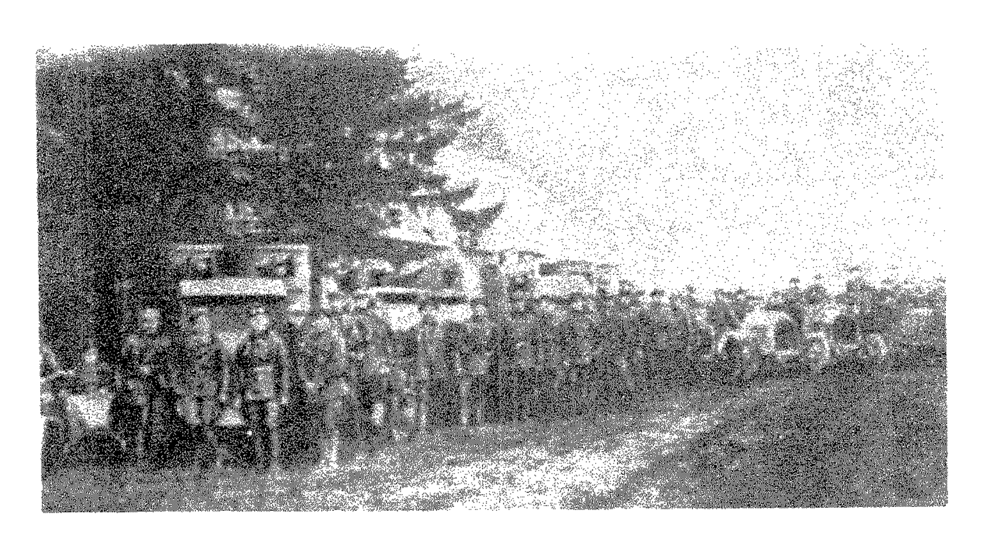
وفي آب (اغسطس) ، احتلت القوات البريطانية مدينة باكو ، وغزت تركستان .

وكون الجـــنرالات الروس : كورنيلوف ، وألكسييف ، ودينيكين ، جيشاً من المتطوعين ، أسموه « الحرس الأبيض » في الدون ، في أواخر العام ١٩١٧ . ومارس الحرس الأبيض نشاطه المعادي للثورة الاشتراكية في شمال القوقاز ، إلا أنه تقهقر مع بداية العام ١٩١٨ . وفي الخامس والعشرين من أيار (مايو) بدأ تمرد القوات التشيكية (المشكلة من أسرى الحرب النمساويين – المجريين في وقت سابق) على امتداد سكة حديد سيبيريا ، وفي بعض الأقاليم الروسية على نهر الفولغا . وجاء هذا التمرد بتحريض من القوى الاستعمارية . وأجتاحت البلاد موجة من الهبات والانتفاضات الثورية ضد مقاومة الكولاك للتحولات الاشتراكية الثورية في الريف الروسي .

وفي صيف عام ١٩١٨ ، سقطت ثلاثة أرباع الأقاليم الروسية في قبضة الحرس الأبيض وقوات التدخل الأجنبي . وانقطعت الصلة بين الجمهورية السوفياتية ومناطق إمدادها الرئيسية . إلا ان الجيش الأحمر أخذ – منذ النصف الثاني من العام ١٩١٨ – يحرز المزيد من الانتصارات ، فحرر بعض المدن الواقعة على ضفاف الفولغا . وبعد استسلام ألمانيا (تشرين الثاني [نوفمبر] ١٩١٨) للحلفاء ، سارع هؤلاء الى الحلول محل القوات الألمانية ، فضربوا حصاراً حول روسيا السوفياتيـــة ، وحلت القوات الفرنسية والبريطانية محل الغزاة الألمان والأتراك ، في جنوب أوكرانيا والقرم والقوقاز . وأعلن الأميرال كولتشاك ، حاكماً أعلى لروسيا ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ . وفي بداية العام ١٩١٩ ، أصبح دينيكين قائـــداً لجيش المتطوعين وجيش القوزاق الأبيض ، في الدون والكوبان والتريك . وفي أواخر العام ١٩١٨ وبداية العام ١٩١٩ ، انقض الجيش الأحمر على قوات كولتشاك في منطقة بيرم ، وحرر جزءاً كبيراً من أوكرانيا ومناطق البلطيق وروسيا البيضاء . وأعاد بناء خطوط مواصلاته مع تركستان . ومع ذلك ، شنت قوات كولتشاك – يدعمها الحلفاء – هجوماً على الأورال ، في آذار (مارس) ١٩١٩ ، في محاولة منها للوصول الى نهر الفولغا والالتقاء بقوات دينيكين . إلا أن الجيش الأحمر قطع الطريق



جنود أميركيون من فيالق التدخل في فلاديفوستوك



وحدة سيارات مصفحة قرب يامبورغ (١٩١٩)



جنود يابانيون من فيالق التدخل



على قوات كولتشاك ، بمجرد اقترابها من الفولغا ، وألحق بها الهزيمة .

وفي العام ١٩١٩ ، تم للجيش الأحمر تحرير جبال الأورال وغرب سيبيريا ، كما هزم الحرس الأبيض في الشمال عند بتروغراد (لينينغراد الآن) : فأثرت هذه الهزائم على الروح المعنوية لقوات التدخل الأجنبي ، ووقع تمرد في نيسان (ابريل) بين صفوف القوات الفرنسية في البحر الأسود . وبدأت حركة «ارفعوا أيديكم عن روسيا» ، في اوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية ، مما اضطر الاستعماريين الى الكف عن إرسال النجدات الى قواتهم في روسيا ، بل والى سحب قواتهم من أوكرانيا والقرم : في نيسان (إبريل) ١٩١٩ ، ومن منطقة بحر الخزر في تموز (يوليو) ، ومن باكو في آب (اعسطس) . واستعاض الاستعماريون عن التدخل المباشر بمضاعفة مساعداتهم المادية للجنرال دينيكين .

وفي صيف عام ١٩١٩ ، بدأت قوات دينيكين هجومها على موسكو . وفي تشرين الأول (أكتوبر) وصلت الى أوريول والى مشارف تولا . ولكن القوات السوفياتية شنت هجوماً مضاداً خاطفاً على قوات الثورة المضادة المهاجمة ، وذلك مع نهاية العام ١٩١٩ وبداية العام ١٩٢٠ ، حيث التقت بالحرس الأبيض في أوريول وفورونيج وروستوف ، على نهر الدون وشمال القوقاز وهزمتها . كما تم تحرير الجزء الأكبر من أوكرانيا . وفي آذار (مارس) ١٩٢٠ ، تم دحر بقايا قوات دينيكن الى القرم ، حيث تولى الجنرال الروسي الابيض ورانجل قيادة قوات الثورة المضادة . وفي خريف ١٩١٩ ، هزمت قوات الجنرال يودينيش في مدينة بتروغراد . وفي بداية العام ١٩٢٠ قطعت خطوط المواصلات والتموين عن قوات كولتشاك في سيبيريا ، وطرد الجيش الأحمر قوات التدخل الأجنبي من الشمال ، وحرر منطقة القوقاز . وفي نيسان (ابريل) من السنة نفسها ، استرد الجيش الأحمر أذربيجان . وأرغمت الحركة الديمقراطية في أوروبا الغربية الاستعماريين على سحب قواتهم ورفع الحصار عن الدولة السوفياتية ، وان بقيت قوات اليابان في الشرق الأقصى حتى العام ١٩٢٢ .

وأحبط الجيش الأحمر محاولة بولونيا السيطرة على أوكرانيا وروسيا البيضاء ، وألحق الهزيمة بالقوات البولونية ، وان فشل الجيش الأحمر في احتلال العاصمة وارسو . وسارعت الحكومة البولونية الى طلب الصلح مع الحكومة السوفياتية . وفي الوقت نفسه أحبط الجيش الأحمر هجوماً لقوات ورانجيل شنته



كانت الخسائر في الرجال كبيرة ووسائط الإخلاء والإسعاف محدودة



من غنائم الجيش الأحمر على الجبهة الشرقية (١٩١٩)

من القرم . وفي عامي ١٩٢١ و ١٩٢٢ سحق الجيش الأحمر تمردات الحرس الأبيض والكولاك والعناصر البورجوازية القومية في كرونشتادت ومنطقة تامبوف وأوكرانيا والقوقاز والشرق لأقصى . وفي الخامس والعشرين من تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٢ أتم الجيش الأحمر تطهير منطقة فلاديفوستوك ، آخر معقل لقوات التدخل الأجنبي في روسيا .

وأثناء الحرب الاهلية الروسية وحروب التدخل الأجنبي ، برز العديد من القادة الموهوبين من بين صفوف الجيش الأحمر

وبانتهاء هذين الحربين أخذت الثورة الاشتراكية الروسية تدعم مواقعها في الداخل ، وبدأت في حياة البشرية صفحة جديدة بترسيخ أقدام ثورة اشتراكية في العالم .

(١٢) الحرب الأهلية القبرصية (١٩٦٣ — ١٩٦٤)

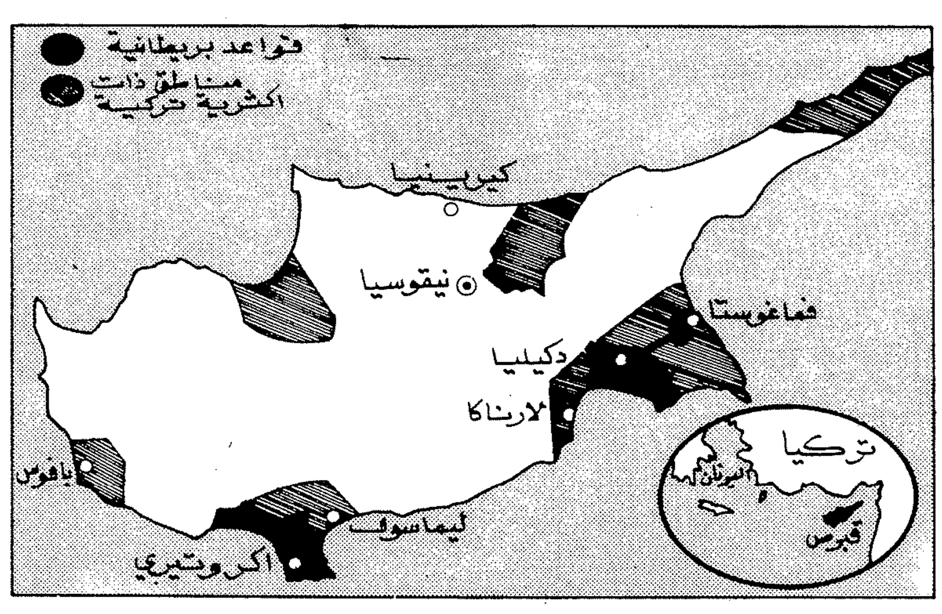
(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٨-١١) الحرب الاهلية القبرصية (١٩٧٤)

هي الحرب التي اندلعت في قبرص في الفترة الواقعة بين ٧/٢٠ و ١٩٧٤/٧/٢٣ بين الحرس الوطني المدعوم من اليونان والقوات التركية التي هاجمت الجزيرة في ٧٤/٧/٢٠ لمنع القبارصة اليونانيين ، الذين اطاحوا بحكم الاسقف مكاريوس في ١٩٧٤/٧/١٥ ، من ضم الجزيرة إلى اليونان .

تحتل جزيرة قبرص في البحر الابيض المتوسط موقعاً استراتيجياً فريداً في اهميته بسبب قربها من مضيق الدردنيل الاستراتيجي ومنطقة الشرق الاوسط الحساسة اقتصادياً واستراتيجياً ، والتي تعيش حالة عدم استقرار بسبب العدوان الصهيوني المستمر على البلدان العربية . وتستطيع أية دولة عظمى تسيطر على قبرص التحكم بشكل فعال وسريع في النزاعات التي يمكن ان تندلع في ملتقى القارات الثلاث ، وعقدة خطوط نقل النفط من ايران والعراق والخليج العربي والسعودية الى اوروبا . ولقبرص اهمية استراتيجية اخرى تتمثل في أن بوسع الولايات المتحدة أن تجعل منها جزءًا من خط التطويق الثاني الذي يحيط بالاتحاد السوفياتي ، ويدعم خط التطويق الاول الذي يسير بمحاذاة الحدود السوفياتية الجنوبية ويمتد عبر باكستان وايران وتركيا واليونان .

تبلغ مساحة الجزيرة ٣٥٠٠ كم٢ وعدد سكانها ٦٥٠ ألف نسمة . ونظراً لأهمية موقع الجزيرة ، فقد كانت عبر التاريخ مركز صراع الطامحين للسيطرة على شرق البحر الابيض المتوسط . في العام ١٨٧٨ فرضت بريطانيا سيطرتها على الجزيرة حتى نالت قبرص استقلالها في العام ١٩٦٠ ، واحتفظت وما تزال (بناء على معاهدة لندن من نفس العام) بقاعدتين هما «ديكيليا» و«اكروتيري» ، وتضمان ٨ آلاف جندي بريطاني ، وسربين من الطائرات القاذفة من نوع « فولكان » يمكنها نقل حمولة نووية ، وسرب من الطائرات المعترضة من نوع « لايتنينغ » وسرب من طائرات النقل من نوع « هيركوليس » ترابط معظمها في « اكروتيري » ، التي تعتبر انشط قاعدة جوية بريطانية خارج انكلتره . أما القاعدة الثانية « ديكيليا » فتشغلها القوات البرية البريطانية مع افواج مدرعة ، وافواج الاستطلاع والمشاة ، وهناك وحدات من السلاح المضاد للطائرات مزودة بصواريخ ارض - جو من نوع « بلودهون » مرابطة في « كاب - غاتا » على مقربة من قاعدة « اكروتيري » . ويملك البريطانيون في قبرص وحدة متخصصة في اعمال الارسال بعيد



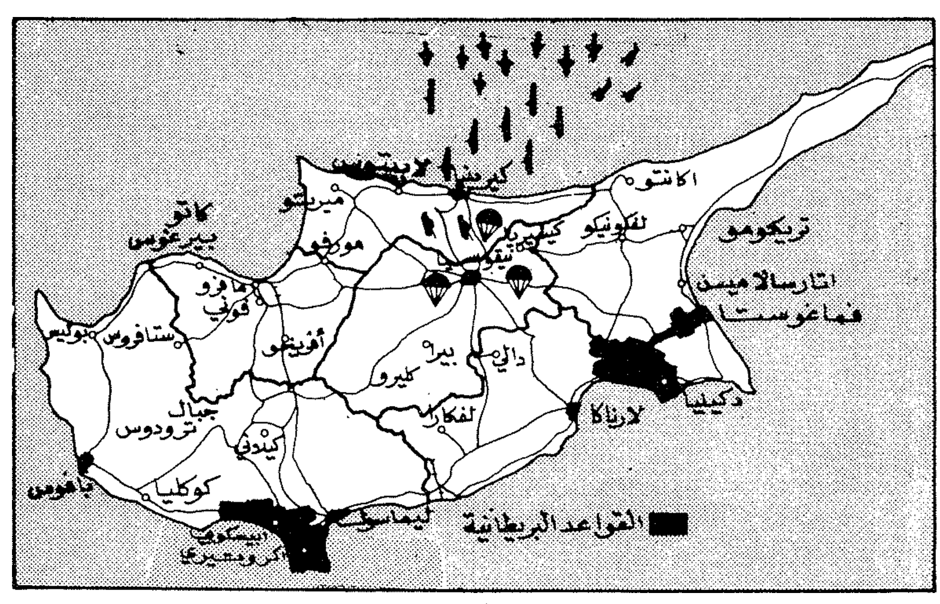
التوزيع السكاني في قبرص عشية اندلاع الحرب

المدى . ولهم على جبل الاولمب (ارتفاعه ٢٠٠٠ متر) محطة رادار عملاقة تسمح لهم بتغطية قسم كبير من سماء الشرق الاوسط . وبواسطة طائراتهم التي يوجد قسم كبير منها مزودة بوسائل استطلاع الكترونية بعيدة المدى ، يستطيع البريطانيون الاشراف على مضيق الدردنيل وقناة السويس فضلا عن الخليج العربي وقسم من جنوب الاتحاد السوفياتي . وغالباً ما تعير القوات البريطانية المسلحة بعض وسائل الاستقبال للقوات الجوية والبحرية الاميركية . ولقد وضعت الولايات المتحدة بتصرف القيادة العسكرية لقوات الحرس الوطني القبرصي ، وبادارة مشتركة ، مركزاً الكترونياً يسمح لها بمراقبة تنقلات الوحدات السوفياتية في البحر الابيض المتوسط .

يتكون سكان الجزيرة من جاليتين رئيسيتين : اليونانية (ويبلغ عدد افرادها ٥٢٠ ألف نسمة) والتركية (وعدد افرادها ١٢٠ ألف نسمة) . وقد كان عدد الاتراك في الجزيرة كبيراً ، ولكن السياسة التي اتبعت منذ القديم حملت على انقاص عدد الاتراك باستمرار ، فقد كانت الاضطرابات الطائفية تنفجر بين فترة واخرى فيهاجم اليونانيون احياء القبارصة الاتراك ، ويدمرون منازلهم ، ويعملون على إبادتهم ، وكانت مذبحة ١٩٦٠ اكبر المذابح التي تعرض لها القبارصة الاتراك ، ونتج عنها تقسيم مدن الجزيرة الى احياء تركية واخرى يونانية ، يفصل بينهما (حزام اخضر) تشرف على مراقبته قوة تابعة لهيئة الامم المتحدة ، يبلغ عدد افرادها ٢٣٠٠ رجل تقدمهم سبع بلدان هي : النمسا ، وبريطانية ، وكندا ، والدنمارك ، وفنلندا ، والسويد ، وايرلنده ، وتعمل هذه القوة بقيادة جنرال هندي . وكذلك فأن للامم المتحدة شرطة مدنية قوامها ١٥٠ رجلا تابعين لأربعة بلدان هي : استراليا ، والنمسا ، والدنمارك ، والسويد . وعلى اثر الاحداث القبرصية في ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٧٤ طلب الدكتور كورت فالدهايم الامين العام للامم المتحدة ، زيادة عدد افراد قوة السلام الدولية في الجزيرة الى ٥٠٠٠ رجل .

وبمجيء الرئيس مكاريوس الى الحكم انتهج سياسة داخلية محايدة ، واستطاع أن يحافظ على التوازن في الجزيرة ، ويحقق فيها الهدوء والاستقرار . كما أن سياسته في الحياد الدولي ، والعمل على تحقيق السلم العالمي ، وتأييده لمبادئ الحق والعدل ، جعلت معظم دول العالم تحترمه . ولكن السياسة الاميركية القائمة على مبدأ « كل من ليس معنا فهو ضدنا » وقفت ضده ، لانها لم تستطع تحقيق هدفها في جعل الجزيرة حاملة طائرات اميركية تسخرها لقهر الشعوب المتطلعة الى حريتها . لذلك فقد سعت الولايات المتحدة الاميركية الى التخلص من مكاريوس وسياسته المحايدة ، بغية السيطرة على الجزيرة وتحويلها الى قاعدة اميركية ، وتصفية القواعد البريطانية (الجوية والبحرية) في جنوب الجزيرة ، وامتلاك حرية العمل والتدخل في أزمات الشرق الاوسط . خاصة بعدما أخذت بريطانيا سياسة متميزة واكثر حيادية واتزاناً في المنطقة .

ولقد حاولت الولايات المتحدة تنفيذ هذا المخطط عدة مرات، وكانت في كل مرة تبوء محاولتها بالفشل ،



الغزو التركي جواً وبحراً (١٩٧٤)

في العام ١٩٦٣ قدم وزير الخارجية الاميركي دين اتشيسون اقتراحاً بتقسيم الجزيرة الى قسمين يضم أحدهما الى اليونان، والآخر الى تركيا، الامر الذي ينهي حالة التوتر بين الدولتين (تركيا واليونان) الحليفتين، ويعزز موقف المعسكر الغربي إزاء الاتحاد السوفياتي، ولكن عناد مكاريوس، وحرصه على استقلال الجزيرة وسيادتها احبط هذا المشروع، وفي العام ١٩٦٧ توترت الاوضاع بين تركيا واليونان من جديد فتدخلت الولايات المتحدة تحت شعار إزاحة الرئيس القبرصي مكاريوس ونظامه الوطني من الوجود، وتقسيم الجزيرة، ولكن موقف مكاريوس احبط هذه المحاولة من جديد، ومنذ ذلك الوقت بدأ «نظام العقداء» العسكري في اليونان مؤامراته ضد قبرص، فشن على مكاريوس حملة دعائية واسعة معتبرة إياه أنه شيوعي ومرتبط بالسوفيات. ونظم محاولة اغتياله الفاشلة في العام ١٩٧٠. وبعد ذلك نجح العسكريون اليونانيون في عملية اغتيال وزير الدفاع القبرصي السابق (بوليكاربو جورغازي) صديق مكاريوس الحميم، والمعادي للمخططات الاميركية، كما أنهم سمحوا للجنرال غريفاس قائد منظمة «ايوكا» بالعودة الى قبرص (بعد ان ابعد الى اليونان منذ العام ١٩٦٧)، لتنظيم المقاومة ضد نظام مكاريوس، ولما توفي غريفاس في العام ١٩٧٣ وخلفه الرائد كاروسوس المعادي للفاشية، حاربه نظام العقداء ونظم ضده المؤامرات حتى اجبره على الفرار، وبذلك تمت سيطرة الضباط اليونانيين البالغ عددهم ٦٥٠ ضابطاً على الحرس الوطني،

وبدأت الحملة النفسية ضد مكاريوس، وتصاعدت هذه الحملة بمباركة الولايات المتحدة، حتى دفعت الضباط اليونانيين (قيادة الحرس الوطني)، بتخطيط من القيادة اليونانية، للقيام بانقلاب عسكري في الخامس عشر من تموز (يوليو) سنة ١٩٧٤ أطاحت بحكم الرئيس مكاريوس. ولم يكن هذا الانقلاب الذي قام به الحرس الوطني حدثاً داخلياً، ولكنه كان تدخلا يونانياً سافراً، خطط له الحكم العسكري في اثينا، واشترك فيه الضباط اليونانيون وكتيبة «ايلديك» الموجودة في الجزيرة بموجب اتفاقات لندن وزوريخ.

وتضم قوات الحرس الوطني (أي القوات المسلحة القبرصية) ما يزيد على عشرة آلاف رجل يتولى قيادتهم في معظمهم ضباط يونانيون، وتضاف اليه قوة شرطة وطنية تضم نحو ثلاثة آلاف رجـل. وبالاضافة الى ذلك، تملك الفئتان اليونانية والتركية في الجزيرة، قواتهما الخاصة من الجيش والشرطة، فلليونانيين كتيبة «ايلديك» البالغ عدد افرادها ٩٥٠ رجلا تابعين للقوات المسلحة اليونانية. وتمتلك الطائفة التركية بالمقابل قوة عسكرية شبه نظامية تعدادها ثلاثة آلاف جندي، يضاف اليها قوة من الشرطة يبلغ عددها ١٥٠٠ رجل، وبعد استنفار قوات الحرس الوطني للطائفة التركية القبرصية يبلغ تعدادها ٢٠ ألف رجل.

أما على صعيد القوتين المعنيتين مباشرة بأي تغيير داخلي في قبرص (تركيا واليونان)، فهناك تفاوت واضح بقوتيهما رغم أن مصدر التسليح واحد (اميركي)، ورغم أن الدولتين عضوين في حلف واحد (حلف شمال الاطلسي)، وتملك تركيا ١٥٠٠ دبابة مقابل ٦٥٠ دبابة في اليونان، ويبلغ عدد افراد الجيش التركي ٣٥٠ ألف جندي في الاحوال العادية، بينما يبلغ تعداد الجيش اليوناني ١٢٠ ألف جندي. أما القوة الجوية التركية، فهي معادلة تقريباً للقوة الجوية اليونانية، إذ تملك تركيـا ٢٨٨ طائرة، بينما تملك اليونان ٢٢٥ طائرة، وميزان القوى البحري مائل لصالح تركيا وخاصة في حقل الغواصات (١٥ الى ٧) والمدمرات (١٤ الى ٩).

وصبيحة يوم الانقلاب (١٩٧٤/٧/١٥)، أعلن الانقلابيون عن عزمهم على توحيد الجزيرة مع «الوطن الأم» رغم أنهم تعهدوا باحترام المواثيق والمعاهدات الملتزمة بها الحكومة السابقة، كما أنهم طمأنوا الطائفة التركية، «أن هذا التغيير ليس موجهاً ضدها».

ولقد نجا مكاريوس من الموت، وغادر الجزيرة الى لندن ومنها الى الامم المتحدة للمطالبة باتخاذ ما هو ضروري من اجراءات لإعادة فرض الشرعية. وتحركت تركيا على اثر الانقلاب، وجرت اتصالات بينها وبين الحكومة اليونانية حتى تم إعادة الاوضاع الى ما كانت عليه في الجزيرة. وقد اشترطت تركيا شرطين اساسيين لإنهاء الوضع المتفجر، الشرط الاول أن يتم سحب الضباط اليونانيين البالغ عددهم ٦٥٠ ضابطاً يونانياً، كذلك سحب الكتيبة اليونانيـة «ايلديك»، والشرط الثاني كان إعادة الرئيس مكاريوس الى الحكم. وقد رفضت اليونان هذين الشرطين، وردت بأنها توافق على استبدال الضباط الـ ٦٥٠، ولكنها بدأت بإرسال تعزيزاتهـا الى الجزيرة، وتدخلت بريطانيا للوساطة بين الدولتين، كما تحركت الولايات المتحدة الاميركية وكذلك الاتحاد السوفياتي، لكن موقف اليونان المتصلب احبط جميع المحاولات الدبلوماسية والسياسية، وأخذ الجو المشحون بالتوتر ينذر بانفجار خطير بين دولتين عضوتين في منظمة حلف شمال الاطلسي.

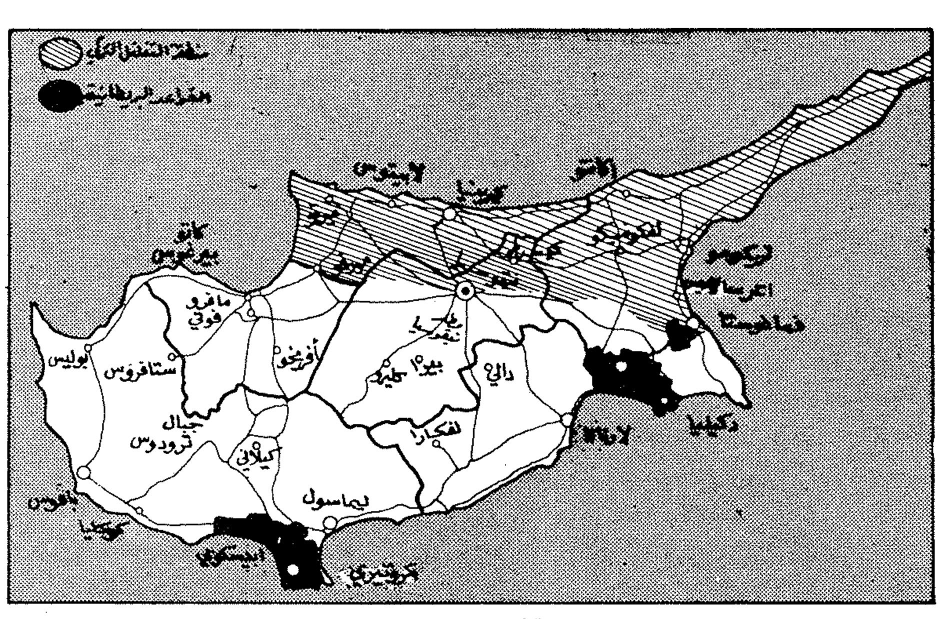
وبعد مضي اقل من اسبوع على الانقلاب اليوناني القبرصي، وفي الساعة الثالثة من صباح يوم السبت ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٧٤ بدأت القوات التركية انزالها في جزيرة قبرص عند الساحل الشمالي قرب ميناء «كيرينيا»، في الوقت الذي كانت فيه الطائرات التركية تحلق فوق العاصمة نيقوسيا (عدد سكانها ١٢٠ ألف نسمة بينهم ٢٠ ألف تركي) لدعم انزال المظليين الذي بدأ في أحد أحياء العاصمة الذي تقطنه الجالية التركية، كذلك الانزال الجوي

الذي بدأ بالقرب من العاصمة . أما الانزال البحري فكانت موجته الاولى مكونة من ستة آلاف جندي تركي بعربات مدرعة وتدعمهم قوة مدرعة من اربعين دبابة . وقد حاولت قوات الحرس الوطني والقبارصة اليونانيون التصدي للانزال التركي ، فدمر زورق قبرصي . وبعد سبع ساعات ونصف من القتال والمعارك الضارية استطاع الجيش التركي المهاجم السيطرة على مدينة «كيرينيا» . ثم تابع تقدمه في اتجاه نيقوسيا عـلى الطريق الذي يبلغ طوله اربعة وعشرون كيلومتراً .

وفي العاصمة اصطدمت قوة المظليين الاتراك بمقاومة رجال الحرس الوطني ، الذين كانوا قـد تمركزوا بكامل قوتهم تقريباً في العاصمة بسبب المؤامرة الانقلابية . ورغم ذلك ، فقد استطاعت قوة المظليين الاتراك احكام السيطرة على مناطق واسعة بالقرب من العاصمة وبدأت بتوجيه هجومها عـلى المطار ، وقد زجت القيادة التركية بطائراتها من نوع «ف - ١٠٤» وقصفت بها مناطق المقاومة اليونانية ، كما عملت القيادة التركية على انزال قوة اخرى من المظليين بواسطة ٢٢ طائرة نقل ، وذلك بين نيقوسيا ومطارهـا ، وقامت ٨٠ طائرة هليكوبتر بنقل القوات ودعمها . وخلال هـذه العمليات كان قصف المقاومة في العاصمة والمدن الاخرى مستمراً .

وقد أسرع القبارصة الاتراك الى استقبال القوات التركية وتقديم المساعدة لها . وانقسمت مدن الجزيرة بكاملها الى ميادين قتال ، ونجحت القوات التركية باحتلال قواعد انطلاق ساحلية ولكن هذه القوات لم تجرؤ على الاندفاع في العمق والابتعاد عن الشاطىء قبل قيام الاسطولين الجوي والبحري بنقل آلاف الاطنان من المعدات والذخائر والمحروقات ، الأمر الذي تطلب مدة ليست قصيرة ، وأثر بالتالي على وتيرة العمليات العسكرية ، وعرقل عملية استثمار الفوز ضمن هامش الزمان المحدود . وبالاضافة الى ذلك فأن قلة عدد المظليين الاتراك (لواء واحد) لم يسمح للقيادة التركية بتنفيذ إنزال جوي كثيف للجنود والمعدات ، فحرمها بالتالي من امكانيـة استغلال المفاجأة لاحتلال أقسام أوسع من الجزيرة .

وفي مساء اليوم الذي تم فيه الانزال التركي ، أنعقد مجلس الامن الدولي ودرس التقرير المقدم من الامين العام حول الاحداث الجارية في قبرص ، واستمع إلى كلمات القاها رئيس جمهورية قبرص السابق ، ومندوبو قبرص ، وتركيا واليونان ، وغيرهم من مندوبي الدول الاعضاء ، وقد اعرب المجلس



مناطق الاحتلال التركي عند انتهاء المعارك (١٩٧٤)

عن عميق أسفه لاحتدام القتال واستمرار إراقة الدماء ، معتبراً ذلك تهديداً خطيراً للسلام العالمي ، وأمام ذلك ، وضرورة إعادة الحياة الدستورية الى قبرص اتخذ مجلس الامن قرارات أهمها وقف اطلاق النار ، واحترام سيادة قبرص ووحدة اراضيها ، والانسحاب العسكري الاجنبي مـن الجزيرة ، والدخول في مفاوضات فورية بين الدول الضامنة لاستقلال قبرص (تركيا واليونان وبريطانيا) ، كذلك الطلب الى كل الاطراف التعاون مع قوات الامم المتحدة في الجزيرة التي أناط بها مجلس الامن مهمة الاشراف على تنفيذ هذه القرارات .

ورغم صدور هذا القرار فقد استمر القتال في الجزيرة . وقد هاجم الاتراك في اليومين التاليين لبدء القتال مقر القوات اليونانية (٩٥٠ رجلا) الموجودة بموجب معاهدة استقلال قبرص (١٩٦٠) . واستطاعت القوات التي نزلت في منطقة «كيرينيا» الاتصال بقوات المظليين التي نزلت في نيقوسيا وشمالها . وقد تم إنزال مجموعـات اخرى من المظليين في «كوكيني» الى الشمال الغربي من نيقوسيا وفي «لابيتوس» غرب «كيرينيا» على الساحل الشمالي ، وامتد القتال العنيف الى مختلف المناطق والمـدن الرئيسية ، وبدأ قتـال اليوم ١٩٧٤/٧/٢١ في «فاغوستا» . واغرقت تركيا سفينة حربية يونانية بينما كانت في طريقها الى قبرص تجاه ساحل «بافوس» .

وقد اسفر القتال الذي استمر ثلاثة أيام من (٢٠ - ٢٢ تموز) عن احتلال القوات التركية لحوالي ٣٠ الى ٣٥ ٪ من مساحة الجزيرة ، بما فيها اجزاء واسعة من العاصمة نيقوسيا ، وفتحت القوات التركية ممراً عرضه ١٨ ميلا من نيقوسيا الى البحر وعلى امتداد ٢٣ ميلا على الشاطىء من «كيرينيا» . واستطاعت هذه القوات أن تبني جسراً يصل «كيرينيا» بالحي التركي في نيقوسيا على طول ٣٢ ميلا . واعلنت الحكومة التركية انها لن تفرط بهذا الجسر اطلاقاً ، كما لن تتخلى عن «كيرينيا» التي تعتبر نافذة اقتصادية واجتماعية وانسانية للاتراك بعد أن كانت مسدودة في وجوههم . وقد سيطرت على المطار ، الذي دارت حوله معارك طاحنة ، قوات تابعة لقوة السلام الدولية ، بعد أن استبسل الطرفان في محاولاتهما الاستيلاء عليه .

وفي يوم ١٩٧٤/٧/٢٠ هددت حكومة اليونان بالرد العسكري إذا لم توقف تركيا هجومها وتسحب قواتها ، بعد أن كانت قد اعلنت التعبئة العامة منذ الساعات الاولى لبدء الغزو التركي للجزيرة ، واستقبل الشعب التركي انباء الغزو التركي بابتهاج واضح . وصدرت كافة الصحف بعناوين «الانتصار ، والتمجيد للخطوة المباركة» ، «... واننا انتظرنا عشرات السنين حتى تحين هذه اللحظة ...» . وكان رئيس وزراء تركيا (بولانت اجاويد) قد أعلن في بيان له بدأه بعبارة (نحن في قبرص) الهدف من تنفيذ غزو الجزيرة ، وجاء في البيان : «انزل الجيش التركي قواته في قبرص لا من أجل الحرب وإنما من أجل تحقيق السلام ، ونأمل الا يستخدم أحد السلاح ضد قواتنا ...» كما كانت تركيا قد

اعلنت حالة الطوارئ في اربعة عشر ولاية من مناطق الحدود التركية لمدة أربعة شهور . وأغلقت اجواءها امام الطيران التجاري . واعلن وزير الاعلام التركي أن حكومته تعتزم استئناف المفاوضات بين الجاليتين في قبرص في اسرع وقت ممكن وفور عودة النظام الشرعي الى البلاد . كما أعلن وزير خارجية تركيا أن بلاده قامت بتنفيذ عمليتها ، وهي تمارس حقها بصفتها إحدى الدول الضامنة لاستقلال الجزيرة .

وفي ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٧٤ وافقت تركيا واليونان على وقف القتال وبدء المفاوضات بين الدولتين بالاضافة الى بريطانية في جنيف ، وتقرر يوم ٢٥ تموز (يوليو) للبدء في هذه المفاوضات ، وخلال هذه الفترة سقط نظام الانقلاب في الجزيرة ، واختفى سامبسون (الرئيس الجديد) عن المسرح بعد اقل من ثلاثة أيام ، كما ابتدأ تحرك سياسي مضاد لنظام الحكم في اليونان ، انتهى هذا التحرك باعلان رسمي في اثينا مفاده ، أن القوات المسلحة التي انهت الحكم المدني فجر ٢١ نيسان (ابريل) ١٩٦٧ ، عادت الى ثكناتها اليوم بعد أن قررت تسليم الحكم للمدنيين ، وقد طلب الجنرال فيدون غيزيكس رئيس جمهورية اليونان حينـــذاك من السيد قسطنطين كارامنليس، أحد أبرز معارضي الحكم العسكري منذ قيامه، تشكيل حكومة مدنية جديدة .

لقد توقف القتال بين الطرفين في قبرص فـــي الساعة الخامسة مساء يوم الاثنين ٢٣ تموز (يوليو) واعلنت تركيا أن قواتها حققت انتصارات عظيمة خلال الايام الثلاثة وذلك بالمشاركة مع المحاربين القبارصة الاتراك . ولكن توقف القتال لا يعني أن المسألة قد سويت . ولا تزال الحرب السياسية قائمة بين الاطراف المتنازعة . ولقد قدمت لنا احداث قبرص مدلولا مهماً أن حلفـــاء الامس المسلحين بأسلحة اميركية قد يتعادون إذا اقتضت مصالحهما الاقليمية ذلك .

(٥) الحرب الأهلية اللبنـــانية (١٩٧٥ – ١٩٧٦)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

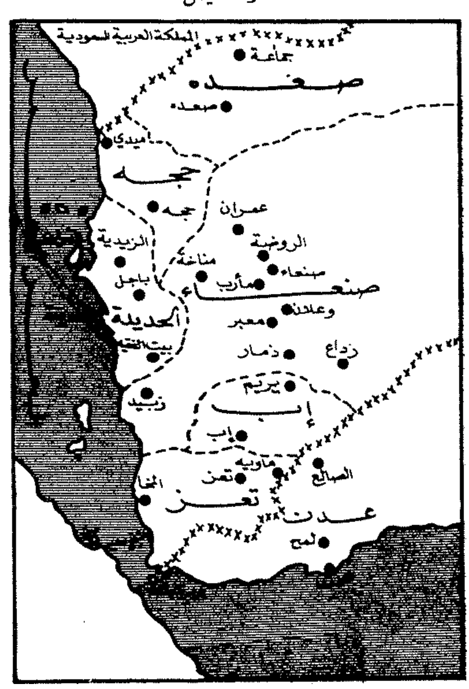
(١٢) الحرب الاهلية اليمنية (١٩٦٢– ١٩٧٠)

حرب اهلية اندلعت في اليمن الشمالية ، بين الجمهوريين ، تساندهم الجمهورية العربية المتحدة (ج.ع.م) من جهة ، والملكيين ، تساندهم المملكة العربية السعودية من جهة اخرى ، وذلك اثر الثورة التي قادها المشير عبدالله السلال في ٢٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٢ ، مع نخبة من الضباط الاحرار في الجيش اليمني ، ضد حكم الامامة واعـــلان الجمهورية العربية اليمنية . استمرت هذه الحرب ثماني سنوات ، وانتهت في ١٩٧٠ بالاتفاق على تأليف مجلس جمهوري مشترك يمثلهما معاً ، مع الابقاء على النظام الجمهوري في البلاد .

في ١٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٢ توفي الامام أحمد ، بعد أن حكم اليمن خمسة عشر عاماً ، وخلفه ابنه محمد البدر ، الذي عين العقيد عبدالله السلال قائداً للحرس الملكي ، واعلن عن اهدافه ومخططاته التي سينتهجها في سبيل احياء البلاد ، ورفع مستواها الثقافي والاقتصادي والسياسي ، إلا أن الضباط الاحرار في اليمن ، بزعامة العقيد السلال ، كانوا قد عقدوا العزم على الخلاص من حكم الامامة وإقامة النظام الجمهوري . ولذا عمل السلال بحكم منصبه في قصر الامام ، على تدبير الامور بشكل يتناسب وامكان نجاح الثورة المرتقبة ، فأقنع الامام البدر بضرورة استقدام قوات ميكانيكية الى صنعاء لتشكل احتياطاً عاماً للقوات المسلحة اليمنية في العاصمة ، ولتتدخل في حال قيام الحسن (عم الامام البدر ومنافسه على الامامة) ، بأية حركة انقلابية . وما ان تسلم السلال الامر بالتصرف المطلق في هذا المجال حتى انطلق ينفذ الخطة المرسومة لقيام الثورة .

ونفذت الخطة بأن تحركت مجموعة من الدبابات

خارطة اليمن



والمصفحات من إحدى ثكنات صنعاء ، في الساعة الخامسة من مساء ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٢ ، نحو قصر الامام البدر (دار البشائر) ، وقامت بقصفه وقضت على كل مقـــاومة فيه ، الا ان الامام البدر تمكن من التسلل من باب خلفي وفر الى «مسور» بضواحي صنعاء ، حيث حـــاولت إحدى كتائب الثورة في حامية «حجة» القبض عليه ، ففر منها الى «جيزان» على الحدود اليمنية السعودية ، ونجا بنفسه ليقود انصاره من الملكيين فيما بعد خلال حرب اليمن الطويلة . وبعد ساعات من قيام الثورة تم الاستيلاء على جميع المراكز والمباني الحكومية في صنعاء ، كما احتل الجيش المواقـــع والامكنة الاستراتيجية ، وسيطر على تعز والحديدة وبعض المدن الصغيرة الواقعة في المثلث : صنعاء ، تعز ، الحديدة . وفي ٢١ ايلول (سبتمبر) اعلن السلال مقتل الامام البدر ، إلا ان ذلك لم ينه القتال بين الملكيين والجمهوريين الذي تدخلت فيه المملكة العربية السعودية فوراً الى جانب الملكيين ، مما دفع القيادة السياسية في الجمهورية العربية المتحدة (برئاسة جمال عبد الناصر) الى التدخل المباشر دفاعاً عن الثورة ، فأرسلت في ٢٨ أيلول (سبتمبر) الى صنعاء وتعز ، قوات كوماندوس معززة بالطيران ، كما ارسلت في اليوم التالي الى الحديدة سفناً تنقل الذخائر الحربية اللازمة لهذه القوات . وبدأت الحرب الفعلية بين الطرفين : الملكيين (يمنيين وسعوديين) من جهة ، والجمهوريين (يمنيين ومصريين) من جهة اخرى . وكان مبرر تدخل المملكة العربية السعودية في القتال هو خوفها من ان يمتد لهيب الثورة الى بلادها . وقد تحسست المملكة الاردنية الهاشمية معها هذا الخطر ، فحالفتها في محاربة الثورة ، وأمدت الملكيين بالمال والرجال والسلاح والعتاد عن طريق السعودية . أما تدخل الجمهورية العربية المتحدة فقد جاء تنفيذاً للمبدأ الذي قامت عليه ثورة ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ والقائل بحماية كل ثورة تندلع في ارجاء الوطن العربي ضد اي حكم متخلف .

وفي ٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٢ ، أصدر مجلس قيادة الثورة اليمني قرارات تتضمن كيفية حكم البلاد خلال فترة الانتقال . وقد تضمنت هذه القرارات شرح اهداف الثورة بالشكل التالي : ١ – إقامة جمهورية ديمقراطية عربية تعتمد على النظم العصرية للحكم ، ٢ – العودة الى شريعة الاسلام التي اهدرها الأئمة السابقون (بلغ عددهم ٦٦ إماماً خلال ١١٠٠ سنة) ، ٣ – إلغاء التفرقة المذهبية واعتبار اليمنيين جميعاً متساوين امـــام

القانون ، ٤ – إزالة الاحقاد بين المذهبين الزيدي والشافعي ، ٥ – إصدار قانون يوضح حقوق المدنيين ، فلا عقوبة إلا بعد محاكمة ، ٦ – التمهيد لإجراء انتخابات حرة في جميع انحاء البلاد لانتخاب مجلس نيابي يختار بدوره رئيس الجمهورية ، ٧ – تحقيق أهداف القومية العربية ، ٨ – تحقيق العدالة الاجتماعية ، ٩ – إقامة جيش قوي ، ١٠ – إلغاء جميع المظالم التي يشكو منها الشعب ، ١١ – رفع مستوى المعيشة في البلاد .

وكان الاتحاد السوفياتي أول دولة اعترفت بالنظام الجديد في اليمن ، فقد اعترفت به بعد يومين من قيام الثورة ، أي في ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٢ . وفي اوائل تشرين الاول (اكتوبر) من العام نفسه اعترفت الجمهورية العربية بهذا النظام .

ولم يحسم الصراع في العام ١٩٦٢ ، مما حدا بالجمهورية العربية المتحدة ، استجابة لنداء الثورة اليمنية ، لأن تعزز قواتها في اليمن ، حتى بلغت في اوائل العام ١٩٦٣ حوالي ١٥ ألف جندي ، ودعمتهم بالدبابات والمدفعية وبنحو ٢٠٠ طائرة . كما اقيم جسر جوي بين القاهرة وصنعاء وشبه جسر بحري بين الموانئ المصرية وميناء الحديدة . ولم يشهد البحر الاحمر في القرن العشرين نشاطاً كالذي شهده بعد أن باشرت (ج . ع . م.) بإرسال النجدات الى اليمن . وقد ارسلت (ج . ع . م.) قوات إضافية الى اليمن فيما بعد حتى بلغ مجموع قواتها هناك في مطلع العام ١٩٦٥ نحو ٤٨ ألف جندي ، بالاضافة الى مئات الدبابات والعربات المدرعة وعشرات الطائرات المقاتلة من طراز ميغ وعشرات من طائرات الهليكوبتر .

اعتمدت المملكة العربية السعودية في تدخلها بالحرب طريقة التسلل المباشر عبر الحدود اليمنية – السعودية المشتركة ، وكانت القوات اليمنية ـ المصرية تتصدى بصورة دائمة لهذا التسلل دون ان تتمكن من وضع حد له . واقامت السعودية القواعد وحشدت الحشود في نجران ، كما اقامت القوات المصرية مطارات وثكنات في مختلف الانحاء اليمنية التي تسيطر عليها القوات الجمهورية . وخسرت (ج . ع . م.) في هذه الحرب خيرة شباب الصاعقة (الكوماندوس) المصرية على يد رجال القبائل الملكية الذين انتشروا في الجبال . وقد حصل خلال هذه الحرب أن تمرد بعض افراد القوات المقاتلة السعودية ، ففي الاسبوع الاول من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٢ رفض أربعة من ضباط الطيران السعودي نقل السلاح والذخيرة الى منطقة نجران لاستخدامها ضد ثورة اليمن ، وحولوا وجهة سيرهم نحو الجمهورية العربية المتحدة ، حيث هبطوا بطائراتهم في مطار القاهرة ، واعلنوا لجوءهم اليها . وفي الاسبوع نفسه ، أعلن جميع بحارة الباخرة السعودية (عرفات) لجوءهم الى (ج . ع . م) تضامناً مع ثورة اليمن .

وفي مطلع تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٢ اعلن الامير الحسن نفسه إماماً ، وقاد القوات الملكية لمحاربة الجمهوريين ، فحصلت المعركة الاولى بين الفريقين في صعده على بعد بضعة كيلومترات من الحدود اليمنية ـ السعودية بمواجهة نجران ، وانتهت بهزيمة الملكيين ، اما المعركة الثانية فقد دارت في العاشر من الشهر نفسه وبدأت بغزو مدينة مأرب (بالقرب من الحدود الشمالية الشرقية المجاورة لإمارة بيحان الواقعة تحت الحكم البريطاني) ومحاصرتها وقصفها بالمدافع والرشاشات ، وتمكن الملكيون من الاستيلاء على مأرب . وواصلت هذه القوات تسللها الى داخل الاراضي اليمنية ، ولكن القيادة اليمنية ـ المصرية المشتركة وجهت من صنعاء عدة حملات عسكرية جوية وبرية ، وقامت بشن هجوم عام على المتسللين وقبضت على بعضهم . ثم دارت معركة ثالثة في «حرض» على الحدود الشمالية وعلى بعد عشر كيلومترات من مقاطعة جيزان في المملكة العربية السعودية . وكان معظم القوات الملكية التي حشدت هناك من المرتزقة المعززين بعناصر نظامية سعودية واردنية ، إلا أن هذه القوات دحرت امام القوات اليمنية ـ المصرية المشتركة .

ولم تستمر إمامة الحسن طويلا ، إذ أنه في التاسع من تشرين الاول (اكتوبر) ظهر الامام محمد البدر في نجران ، واعلنت إذاعة مكة في ١٣ منه انه ما زال حياً . وفي الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) بدأت المقاتلات المصرية بقصف نجران في المملكة العربية السعودية في محاولة لوقف التدخل السعودي . وازداد القتال ضراوة في اصعب أرض وفي أقسى ظروف . وفي ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٢ عززت القوات المصرية في منطقة صعدة حيث قامت في ١٠ منه بأول هجوم بحري وجوي على جيزان في المملكة العربية السعودية . وفي ١٠ و ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) لجأ طيارون اردنيون بطائراتهم الى (ج . ع . م.) . وفي ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) تم توقيع اتفاقية دفاعية مشتركة بين (ج . ع . م.) واليمن ، وفي ٢٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٢ اعترفت الامم المتحدة بنظام الحكم الجديد في اليمن وصار لها مقعد في هذه الهيئة .

وتدخل البريطانيون المتمركزون في إمارة بيحان لمصلحة الملكيين . فحشدوا قواتهم في اطراف المنطقة الشرقية ، واخذوا يدفعون بالمرتزقة لقتال الجمهوريين ، وما ان تمكن الجمهوريون من استرداد مأرب حتى قصفتها الطائرات البريطانية بالقنابل والصواريخ في ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٦٣ دون ان تتمكن من إجلاء الجمهوريين عنها . وفي ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٤ تم الاتفاق على وقف اطلاق النار بين الفريقين ، إلا أن الملكيين ، خرقوا هذا الاتفاق في كانون الاول (ديسمبر) من العام نفسه . وحاولت الامم المتحدة التدخل لإحلال السلام لكنها فشلت ، واندلع القتال من جديد بين الملكيين والجمهوريين وتمكن الملكيون من احتلال حريب في ١٠ آذار (مارس) ١٩٦٥ واحراز انتصارات عدة في جبل الرازح وبيت معران مما أدى الى تغيير في القيادة السياسية لدى الجمهوريين ، اذ تسلم احمد النعمان ، زعيم القوة الثالثة في النظام الجمهوري ، رئاسة الوزارة ، وألف مجلساً من ستة وزراء (بما فيهم السلال كرئيس للمجلس) وذلك في ١٥ نيسان (ابريل) ١٩٦٥ ، إلا أنه ما لبث ان استقال بعد ثلاثة أشهر ، وعقد في خمر ما بين ٢ و ٥ أيار (مايو) مؤتمر لفض النزاع بين المتحاربين إلا أنه لم يسفر عن نتيجة . وفي ١٢ أيار (مايو) حل النعمان المجلس الرئاسي . وفي ٢٤ منه استولى الملكيون على سروة كما استولوا في ١٤ حزيران (يونيو) على قفله . وفي ٢٨ حزيران (يونيو) سقطت وزارة النعمان وخلفه في ١٨ تموز (يوليو) ١٩٦٥ الفريق حسن العمري الذي ما لبث ان استقال بعد شهرين واصبح السلال رئيساً لوزارة من اربعة اعضاء . وفي ٢٤ تموز (يوليو) استولى الملكيون على جهانة كما استولوا في ٢٥ منه على مأرب .

وفي ٢٢ – ٢٤ آب (أغسطس) ١٩٦٥ عقد في جدة مؤتمر حضره الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل . واتفق العاهلان العربيان في ٢٥ منه على وقف اطلاق النار ، وتضمن الاتفاق النقاط التالية :

١ – يترك للشعب اليمني تقرير نوع الحكم الذي يرتضيه لنفسه في مدة أقصاها ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ وذلك وفق استفتاء شعبي ، ٢ – تتعاون الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية في تشكيل مؤتمر انتقالي مؤلف من ٥٠ عضواً يمثل جميع القوى الوطنية للشعب اليمني وذلك بعد التشاور مع الفئات اليمنية المختلفة على ان يكون عقد المؤتمر في حرض في ٢٣ تشرين

الثاني (نوفبر) ١٩٦٥ ، وتشكيل وزارة مؤقتة تباشر الحكم خلال فترة الانتقال ، ٣ – توقف المملكة العربية السعودية جميع المساعدات العسكرية الى الملكيين في اليمن ، ٤ – تسحب الجمهورية العربية المتحدة قواتها العسكرية من اليمن في فترة عشرة اشهر ابتداء من ٢٣ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٦٥ ، ٥ – تتوقف الاشتباكات المسلحة في اليمن فوراً وتشكل قوات مشتركة من الجانبين مؤلفة من لواء مشاة مسلح بالاسلحة الخفيفة وسرب مقاتلات وسرب قاذفات ، مهمتها مراقبة وقف اطلاق النار ومراقبة الحدود والموانئ بقصد ايقاف المساعدات العسكرية ، ٦ – يؤمن تنفيذ هذا الاتفاق ويفرض الاستقرار في الاراضي اليمنية حتى إعلان نتيجة الاستفتاء .

وفي تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٦٥ عقد المؤتمر في حرض ، ولكن الجانبين (الملكي والجمهوري) لم يتوصلا الى اتفاق ، اذ انهما اختلفا في تفسير اتفاقية جدة ، واستؤنف القتال من جديد . وفي ١٨ ايلول (سبتمبر) من العام نفسه ألف السلال حكومة جديدة ، وعززت الجمهورية العربية المتحدة قواتها في اليمن حتى وصلت الى ٨٠ ألف مقاتل ، فكان ذلك أعلى رقم وصلت اليه هذه القوات في حرب اليمن .

وفي ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ اندلعت الحرب بين العرب واسرائيل ، وكان من نتائج هذه الحرب ان عقد مؤتمر قمة عربي في الخرطوم ، – من ٢٨ آب (اغسطس) الى ٣ أيلول (سبتمبر) – تم فيه الاتفاق بين المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة على ان تسحب كل منهما قواتها من اليمن اعتباراً من ١٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٧ . وفي ١٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٧ سحبت الجمهورية العربية المتحدة قواتها من تعز كما اوقفت المملكة العربية السعودية مساعداتها للملكيين في ١٢ منه . وفي ١٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٧ انسحبت القوات المصرية من صنعاء . وهكذا تم سحب آخر جندي مصري من اليمن .

وفي ٥ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٦٧ أقيل السلال من منصبه بينما كان في بغداد . وتشكل في اليمن ، بعد إقالة الرئيس السلال ، مجلس رئاسي من ٣ أعضاء برئاسة القاضي عبد الرحمن الارياني ، وعضوية كل من احمد النعمان ومحمد عثمان ، وألفت حكومة من ١٦ وزيراً برئاسة محسن العيني .

وفي أول كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٧ بدأ الملكيون محاصرة صنعاء . وفي ١٨ منه عين الفريق حسن العمري رئيساً للوزراء خلفاً للعيني حيث شكل حكومة جديدة في ٢٣ منه ، وفي ٨ شباط (فبراير) فك الحصار عن صنعاء بعد ان دام ٧٠ يوماً وفي ١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٨ سقطت حجة في أيدي الجمهوريين ، كما سقطت صعدة في ايديهم في ٣ أيلول (سبتمبر) من العام نفسه .

وفي العام ١٩٧٠ انتهت الحرب بتسوية بين الجمهوريين والملكيين الذين التأموا جميعاً في نظام الجمهورية .

ان الحرب الطويلة التي دارت في اليمن بعد ثورة ١٩٦٢ انتهت بالقضاء على الملكية وتبني النظام الجمهوري ، والتوجه نحو تطوير البلاد في مختلف المجالات . وقد عمل النظام الجديد ، بعد الحرب ، على تعزيز الجيش اليمني ، وبدأت نواة هذا الجيش في العام ١٩٧١ بأحد عشر ألف مقاتل مزودين بمائة عربة مدرعة واربعين طائرة سوفياتية .

(٦) الحرب الأهلية اليونانيــــة (١٩٤٧ – ١٩٤٩)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١٢) الحرب الايطالية – التركية (١٩١١ – ١٩١٢)

هي الحرب التي دارت في شمالي افريقيا (طرابلس وبرقة) في فترة ١٩١١ – ١٩١٢ بين ايطاليا وتركيا ، وانتهت بهزيمة تركيا وخسارتها ولايتي طرابلس وبرقة بناء على شروط صلح لوزان ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٢ .

احتلت فرنسا في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين الدول العربية في افريقيا الشمالية التي كانت تخضع للامبراطورية العثمانية (تونس ١٨٨٣ والجزائر ١٨٣٠ ومراكش ١٩١١) ولم يسلم من احتلالها سوى ولايتي طرابلس وبرقة (ليبيا اليوم) اللتين لم تلبثا ان اصبحتا هدفاً للاطماع الايطالية . ومنذ ان تم توحيد ايطاليا في العام ١٨٦١ ، وهي ترقب بعين ساهرة تطور أحوال تركيا وتدهور أوضاعها المالية والسياسية ، وتنتظر الفرصة للاستيلاء على طرابلس وبرقة في شمالي افريقيا ، ولقد اخذت ايطاليا منذ مؤتمر برلين (١٨٧٨) تسعى الى هذا الاستيلاء وذلك بقيامها باستعدادات عسكرية وبسلسلة اتفاقيات سرية مع الدول الاوروبية الكبرى . وكانت اولى هذه الاتفاقيات الاتفاقية التي عقدتها مع حكومة لندن في ١٢ شباط (فبراير) ١٨٨٧ وتعهدت فيها بتأييد سياسة بريطانيا في مصر لقاء تأييد بريطانيا لها في السيطرة على ليبيا ، وذلك في حال استيلاء دولة ثالثة على أي جزء من افريقيا الشمالية . وكانت ايطاليا خلالها تخشى مزاحمة فرنسا لها بعد أن استقرت في تونس على التخوم الليبية . فسعت اليها واوقفت الحرب الجمركية على بضائعها في العام ١٨٩٨ . وفي ١٤ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٠٠ عقد اتفاق سري بين ايطاليا وفرنسا تناول شؤون البحر المتوسط . واعترفت الحكومة الفرنسية بحق ايطاليا بوضع طرابلس تحت نفوذها لقاء اطلاق يد فرنسا في المغرب . وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٩ زار قيصر روسيا نيقولا الثاني ايطاليا ، وكان في نتيجة هذه الزيارة ان عززت ايطاليا مركزها الدبلوماسي في حوض البحر الابيض المتوسط بعد ان عقدت حكومة روما مع روسيا اتفاقاً سرياً اعترفت فيه بحقوق ايطاليا في طرابلس الغرب كما اعترف فكتور عمانوئيل الثالث بمصالح القيصر في البلقان .

وفي ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩١١ وجه رئيس الحكومة الايطاليــة جيوليتي Gioliti انــذاراً الى الحكومة العثمانية مدته ٢٤ ساعة يطالبها فيه بالمحافظة على مصالحها الحيوية في ولايتي طرابلس وبرقه ، مبيناً من وراء ذلك احتلال هاتين الولايتين احتلالا عسكرياً . ورفضت الحكومة العثمانية الانصياع لهذا الانذار . وفي ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩١١ اعلنت الحكومة الايطالية الحرب على تركيا .

الفترة الاولى من الحرب (٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩١١ – مارس (آذار) ١٩١٢) : لم تتخذ تركيا للحرب اهبتها في شمالي افريقيا ، فقد كان قوام قواتها المرابطة في طرابلس حوالي ٦ آلاف مقاتل اغلبيتهم الساحقة مزودة بالاسلحة القديمة والسيوف والخناجر ، وكانت التحصينات الساحلية في طرابلس الغرب وبنغازي وغيرهما من المدن مجهزة بمدفعية قديمة وضعيفة . اما القوى الاساسية للاسطول التركي فكانت ترابط بالقرب من شواطىء بيروت .

أما ايطاليا ، فقد حسبت للحرب حساباً دقيقاً ، مستندة في ذلك الى المعلومات التي تلقتها من شبكة عملائها . ورأت أن عليها أن تبدأ بالسيطرة على المدن الساحلية ، فدخلت احدى عماراتها بقيــادة الاميرال فرافيللي ميناء طرابلس الغرب في ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٩١١، ودمرت سفينة النقل التركيــة « درنة » وقصفت مدينة طرابلس الغرب وأنزلت فيها خلال ليلة ٤ – ٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١١ قوة قوامها ١٦٠٠ مقاتل . وهكذا احتلت القوات

الايطالية المدينة دون مقاومة فعلية . ثم استمر فيما بعد وصول قوات الحملة الايطالية التي بلغ عددها ٣٥ ألف رجل ، مع ٧٢ مدفعاً ، بقيادة الجنرال كارلو كانيفا Carlo Caneva ، فاحتلت في ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١١ مدينة طبرق ، كما احتلت في ١٩ منه مدينة درنه . اما بنغازي فلم تغادرها القوات التركية والمقاومون العرب بعد معارك طاحنة وقصف مدمر استمر من ١٩ الى ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) .

وقد حاولت القوات المحتلة اجتذاب سكان البلاد بمختلف الاغراءات لكنها فشلت واندلعت المقاومة المسلحة ضد قوات الحملة الايطالية في كل من برقـة وطرابلس والخمس ودرنة وبنغازي . وكان منطلقها ما يسمى « بحوادث شارع الشط » . او « معركة المنشية » . وكانت المقاومة عنيفة جداً حتى انها اضطرت القوات الايطالية للانتقال من الهجوم الى الدفاع عن مدينة الخمس ، كما فكرت قيادة هذه القوات في اخلاء المدينة ، الا انها تخلت عن هذه الفكرة عندما اسكتت المقاومة بقصف مدفعي بحري . وقد استعمل الطيران في هذه المعارك للمرة الاولى ، وذلك بهدف رصد القصف واحكامه . واقترن الكفاح المسلح بتنظيم مرن لجميع فئات الشعب . وكان هذا الكفاح جزءاً من حركة التحرير العربي الذي عم البلاد العربية فيما بعد ، اذ شاركت فيه حركات ومنظمات قومية في تونس (تونس الفتاة) ومصر (عزيز علي المصري والشيخ علي يوسف) والجزائر (ابن الامير عبدالله) وكان هذا النضال جهاداً دينياً مقدساً على نحو ما سماه السنوسي الكبير سيدي أحمد .

ولم تقم حكومة الآستانة (حكومة حزب الاتحاد والترقي) بأعمال جدية لوقف الهجوم الايطالي وازالة اثاره ، بالرغم من ان الحزب كان قد أرسل إحدى شخصياته المعروفة(الضابط أنور بك) لتنظيم وسائل الدفاع عن طرابلس وبرقة ، ولكن أنور بك ذهب بروح المستسلم . أما وحدات الفرقة الطرابلسية العثمانية الـ « ٤٢ » فقد قامت بمهمات بوليسية ضد عناصر المقاومة الشعبية .

وكان من آثار المقاومة العنيفة للقوات الايطالية المهاجمة ان اضطرت هذه القوات الى زيادة عددها زيادة ملحوظة كما ارغمت على اتخاذ موقف الدفاع امام هجمات المقاومة بعد أن تكبدت خسائر فادحة في العتاد والارواح ، وانتشرت في صفوفها الامراض والاوبئة .

واعلنت الاحكام العرفية ، وقامت قوات الاحتلال بأقسى الاعمال الارهابية ، فكانت تحكم على اهالي البـلاد وتعمد الى اعدامهم دون محاكمة او تحقيق كما تعمد الى نفيهم وابعادهم بمجرد أمر صادر عن الجنرال كانيفا . وقامت قوات الاحتلال كذلك بتسميم منابع المياه وتجويع السكان . ولقد رفع كانيفا إلى مجلس الوزراء الايطالي تقريـراً شرح فيه وضع قواته والصعوبات التي تجابهها ، وتنبأ بأن هـذه الحـرب ستكون طويـلة ومرهقة لايطاليـا .

الفترة الثانية من الحرب (نيسان (ابريـل) ١٩١٢ – تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٢): كانت الحكومة الايطالية تركز على انهاء الحرب . فطالبت قائد حملتها بالانتقال الى الهجوم . غير ان قائد الحملة الجنرال كانيفا والجنرال ترومبي قائد القوات الايطالية كانا يريان الاكتفاء بما احتل من الساحل ايماناً منهما بعبثية الهجوم . ومع هذا فقد قررت الحكومة الايطالية في اواسط شهر شباط (فبراير) ١٩١٢ ، وبحضور كانيفا ، الانتقال الى الهجوم مهما كان الثمن . وكان الوضع العسكري كما يلي : كان عدد افراد الحملة قد بلغ مائة ألف مقاتل ما عدا ملاحي السفن الحربية الحديثة ذات المدافع بعيدة المدى ، والطيران ، والمناطيد المزودة بالمحركات. وفي ربيع ١٩١٢ بدأت الحكومة الايطالية تتوسع في استعمال سكان مستعمراتها في شرقي افريقيا (أريتريا) في المعارك الحربية بعد ان كانت قد بدأت بتشكيل ثلاث كتائب منهم ، ونقلتها عبر البحر الاحمر الى طرابلس الغرب ، كما استخدمت القيادة الايطالية بعض السكان المحليين للقيام بمهام الشرطة .

وفي نيسان (ابريل) ١٩١٢ باشرت القوات الايطالية اعمالها الهجومية . وفي تموز (يوليو) احتلت القوات الايطالية واحة مصراته فهاجمت كهدف استراتيجي صرف، واحة زوارة، غير أنه لم يتم الاستيلاء عليها إلا في آب (اغسطس) ١٩١٢ . ثم هاجمت واحة جنزور ولم تستول عليها إلا في أيلول (سبتمبر) ١٩١٢ . ورغم افتقار القوات المحلية الى وحدة القيادة ، وتخـلي الوحدات النظامية التركية عن المناضلين المحليين ، فقد ثبتت المقاومة الشعبية ولم تتقهقر ، وتمكنت بفضل هجماتها حيناً ، ومناوشاتها حيناً آخر ، وضع القوات الايطالية في وضع حرج ، مما أدى الى استقالة الجنرال كانيفا في ايلول (سبتمبر) ١٩١٢ اقراراً منه بالفشل . وعين الجنرال راين قائداً للقوات الايطالية في طرابلس والجنرال بريكولا قائداً للقوات الايطالية في برقة .

وعندما وجدت ايطاليا صعوبة في استتباب الامر لها في شمالي افريقيا واجبار تركيا على عقد صلح ، وبعد ان لعبت العمليات الحربية التي نفذتها ايطاليا في بحر إيجه والدردنيل منذ نيسان (ابريل) ١٩١٢ دوراً كبيراً في هذا المجال ، بدأت الدوائر الايطالية بأخذ رأي باقي الدول المعنية . فخالفتها حكومات فرنسا وبريطانيا وفيينا ووافقتها روسيا ، ثم وافقت حكومة فيينا على آراء ايطاليا شرط ان يؤدي ذلك الى تقسيم تركيا ولا يشكل خطراً على النمسا والمجر . ولم يقع الخلاف بين الدول المتحالفة حول الخطة العامة . ولقد حرص الايطاليون على ان تنفذ خطة الهجوم في يوم افتتاح البرلمان التركي ، وتوجهت قوات الاسطول الايطالي في ١٨ نيسان (ابريل) ١٩١٢ الى مضيق الدردنيل ، وكانت مؤلفة من ثمانية طرادات واسطول من المدمرات بقيادة الاميرال فيالي ، ولكن الانوار الكاشفة التي كشفتها ، والالغام التي كانت تركيا قد ثبتتها في المضيق ، حالت دون دخول هذه القطع البحرية اليه . فعادت ادراجها ، وتوجه قسم منها الى ميناء تورنتو، بينما توجه القسم الآخر الى طبرق .

وادى اغلاق مضيق الدردنيل الى اثارة ثائرة الدول ، لا سيما المستفيدة منه مباشرة ، كروسيـا وانكلترا . واعلنت روسيا ان مسؤولية الاغلاق تقع على عاتق تركيا واحتجت لديها على هذا العمل . وبضغط من الدول المعنية (روسيا ، وفرنسا ، وانكلترا ، وألمانيا) اضطرت الحكومة التركية للانصياع وفتح مضيق الدردنيل محتفظة بحق اغلاقه مجدداً عند ظهور بوادر خطر هجوم جديد . وقد فتح المضيق فعلا في ٥ أيار (مايو) ١٩١٢ . وكان من نتائج تخلي الدول عن الحياد تجاه النزاع المذكور تفكير ايطاليا بمواصلة العمليات الحربية في المضائق ، ونقل مركز الثقل الى القسم الجنوبي من بحر إيجه . وقد تم بالفعل نقل كتيبتي مشاة وكتيبة من رماة الالب ، وبطارية جبلية من افريقية ، وتشكيلات عسكرية من ايطاليا ، بلغ مجموعها ٩ آلاف مقاتل حشدتها ايطاليا تمهيـداً لغزو جزر الدوديكانيز Dodecanese ، فأنزلت قوات في جزيرة رودس – اهم تلك الجزر – ثم احتلتا جزر سكاربانتو وكاسوس وبيسكوبيس ونيزيرو وكاليمنوس وليبدوس وباتموس دون عناء (لقد بقيت ايطاليا تملك هذه الجزر حتى عام ١٩٤٥ حينما هزمت في الحرب العالمية الثانية فضمت الجزر الى اليونان) . ومع ان الحكومة الايطالية كانت قد اعلنت ان احتلالها لجزر الدوديكانيز عمل مؤقت ، فإنها اخذت تتصرف وكأنها باقية فيها ابداً . الامر الذي أثار قلقاً بالغاً

لدى بقية الدول ، لخرقــه « مبدأ توازن القوى » ، وأثره على سمعة نظام الاتحاديين وهيبتهم في تركيا ، وخاصة عندما طالبت المعارضة بمتابعة الحرب خشية ان يثير الاستسلام سخط المسلمين في الامبراطورية العثمانية .

وازاء اصرار ايطاليا على الاحتلال الدائم للجزر اخذت الدوائر الحاكمة في انكلترا وفرنسا تعيد النظر في مواقفها السابقة ، عاملـة على انهاء الحرب الايطالية – التركية بسرعة ، وعلى تقليص هيمنة ايطاليا قدر المستطاع . ونشطت الدبلوماسية الأوروبية في هذا الاتجاه وكان من آثار نشاطها معاهدة صلح لوزان .

وقد عقدت الجلسة الاولى لمفاوضات الصلح في لوزان في ١٢ تموز (يوليو) ١٩١٢ . ولكن المفاوضات انقطعت بسبب عملية الدردنيل . فاستدعت الحكومة التركية وفدها وجردت رئيسه من صلاحياته . الا ان المفاوضات عادت فاستؤنفت من جديد في آب (اغسطس) من العام نفسه . وكان من اعضاء الوفد الجديد نابي بك ، وكان دبلوماسياً مرموقاً ، وفخر الدين بك ، قنصل تركيا في المجر سابقاً . وكان الايطاليون قد مهدوا للاجتماع بتعهدهم ان يوقفوا العمليات الحربية لمدة عشرة أيام تستأنف بعدها ان لم يتم الاتفــاق . وتعرضت المفاوضات لصعوبات جمة ، وكانت ايطاليا تلجأ بين الحين والآخر الى التهديد باستئناف العمليات الحربية . وفي ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٢ تم توقيع معــاهدة الصلح بين تركيا وايطاليا في اوشي **Ouchy** بسويسرا بالقرب من لوزان . وقد شملت هذه المعاهدة قسمين علني وسري ، أكد القسم العلني منها على انهاء الحرب بين الدولتين وانسحاب الجيش العثماني من ليبيا والجيش الايطالي من الجزر . اما القسم السري فقد نص على اعتراف السلطان محمد رشاد بتخليه عن طرابلس وبرقة لايطاليا كما وافق على انسحاب القوات التركية من ليبيا . وهكذا اوقف الفريقان المتحاربان العمليات الحربية . ووافقت الحكومة الايطالية على ان تدفع للحكومة التركية مقابل تخليها عن ولايتي طرابلس وبرقة مبلغاً لا يقل عن مليون لير ايطالي . كما وعدت بمساندة تركيا اثناء اعادة النظر في الامتيازات امام المحافل الدولية . وكان من نتائج هذا الاتفاق ان عادت الاغلبية الساحقة من الجنود والضباط الاتراك الموجودين في طرابلس وبرقة الى تركيا ، واعترفت الدول بالسيادة الايطالية على هاتين الولايتين .

وتكمن اهمية الحرب الايطالية – التركية في انها كشفت لشعوب البلقان موقع تركيــا الضعيف ، وأدت بالتالي الى سلسلة من الاحداث الهامة التي كانت نتيجة يقظة الشعوب الخاضعة للامبراطورية العثمانية ، ورغبتها في التحرر من سيطرتها ، وأول هذه الشعوب ، شعوب بلاد البلقان التي نشبت الحرب بينها وبين الامبراطورية العثمانية ١٩١٢ – ١٩١٣ وأدت الى تحررها ، ثم بدأت بقية الشعوب تنسلخ عن جسم الرجل المريض شيئاً فشيئاً الى ان وقعت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٨) ، وانتهت بنهايتها الامبراطورية العثمانية ، وعادت الى حجمها التركي الحقيقي .

(٧) الحرب الباردة

الحرب الباردة هي صراع تمتنع خلاله الاطراف المتنازعة عن اللجوء الى السلاح الواحدة ضد الاخرى . ولقد استخدم هذا المفهوم للمرة الاولى من قبل الأمير خوان مانويل **Juan Manuel d'Espagne** في القرن الرابع عشر ، ثم من قبل الاقتصادي الاميركي برنــارد باروش **Bernard Baruch** في مطلع العام ١٩٤٧ ، واصبح تعبيراً شائعاً مع الصحافي والتر ليبمان **Walter Lippman** . ويفهم منه بصورة عامة وصف حالة التوتر بين الدول الغربية والكتلة الشرقية التي حصلت بعد العــام ١٩٤٥ ، على أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية . ولكنه لم ينحصر في هذا النطاق فحسب ، فقد اطلقت تسمية الحرب الباردة على النزاع القائم بين الاتحاد السوفياتي والصين ، كما اطلقت إيضاً على حالة التوتر داخل فرنسا إبان احداث ايار (مايو) ١٩٦٨ ، وسميت آنذاك الحرب الأهلية الباردة .

ان حالة التوتر التي كانت تحصل في الماضي بين الشعوب كانت تحل باعلان الحرب ، ولكن منذ منتصف القرن العشرين وبسبب قوة التدمير المرعبة للاسلحة النووية ، والدقة التي وصلت اليها اساليب التوجيه والقذف ، اصبحت الحرب العلنية بين الدول القوية أو مجموعــات من الدول لمحاولة لفرض غايات سياسية ، عبارة عن طريق انتحار متبادل مؤكد ، وذلك لأن نتيجتها قد تكون التدمير التام للحياة في الدول المعنية . ولا توجد بالطبع دولة ترغب في الانتحار . وفي جميع الحالات يلجأ المتنازعون إلى تضخيم مساوئ الخصوم باستخدام جميع وسائل التهويل والدعايــة والتخريب وخلق المشاكل المحلية مع التحسب الشديد لعدم التورط في عمليات حربية مباشرة . وهكذا نرى انه عندما تتغلب رغبة عدم المجابهة على رغبة المجابهة يتحول التعايش الى نوع من الحرب الباردة . هذا التعايش في زمن السلم ينقلب هو نفسه الى حرب باردة ويصبح البديل الحتمي الذي تفرضه الظروف . ان وجود السلاح الذري في حوزة الدول الكبرى يجعل من المستحيل « حــل النزاع بالدم » أو اللجــوء الى الحرب ، التي هي صراع المصالح الكبرى حسب تعريف كارل فون كلاوزفيتز ، ولكنه لا يكفي ابداً لتوفير سلام حقيقي بين هذه الدول الكبرى التي تحمل مبادئ وايديولوجيات ذات صفة عالمية . وقد حولت هذه الدول فترات السلم الى أحد أشكال الحرب المصغرة ، وذلك بالتخريب ، واثارة العصيان في المستعمرات ، والانتهاك ، والتجسس عن طريق الاقمار الصناعية ، وخلق صورة للحرب غير العسكرية من الناحية الاقتصادية والسياسيــة والنفسية ، وتحريض الدول الصغيرة على العدوان المسلح ومعاونتها مادياً وامدادها بالأسلحة ، وكل هذه الاعمال التي تقل عن مستوى الحرب الشاملة إنما هي جزء من الحرب الباردة .

وباختصار فان الحرب الباردة هي سياسة القيام بايقاع الشقاق في العالم بكل الوسائل غير المستخدمة في الحرب الفعلية، مع عدم تورط الدول الكبرى في صراع مع بعضها البعض . فالتعايش السلمي ليس في الواقع الا تواجد آني لدولتين أو نظامين يرغب كل منهما في القضاء على الآخر مع ادراكه استحالة ذلك . وقد تكون الظروف الراهنة سبباً ملزماً بقيام تعاون واتفاق بين مثل هذه الدول اذا وجدت نفسها امام عــدو مشترك يهدد مصالحها معاً . ويقــدم تزايد التفاهم بين الاتحاد السوفياتي والعالم الرأسمالي الادلة العديدة على مثل هذا التحول . ولقد كان الروس يعتقدون في العام ١٩١٧ ان الثورة ستمتد في البلدان الرأسمالية . ولكن عدم تحقق أحلامهم بصورة فوريــة ، ومحاولات الدول الرأسمالية لخنق النظام الشيوعي في المهد ، أدى الى وجود أول مرحلة من التعايش تميزت بالتعاون الوثيق بين الاتحــاد السوفياتي وحكومة ويمار **Weimar** الألمانية . ولكن ظهور النازية قلب الموقف رأساً على عقب ، فقد تحالف ستالين مع فرنسا ، وذلك لحماية بلاده من هتلر الطامع باستعمارها ، مما اجبر الاحزاب الشيوعية في العالم كله على التفاهم مع سائر الدول البورجوازية الراغبة في ضرب الفاشية .

وفي العام ١٩٣٨ حصل تحول جديد ، فقد اعتبر الاتحاد السوفياتي ابعاده عن اتفاق ميونيخ إهانة له فعاد واتجه نحو المانيا . وهكذا وفي خلال

سنتين تقريباً مارس الكرملين سياسة التضامن الوثيق مع الرايخ (المانيا).

ولكن الغزو النازي للاتحاد السوفياتي (١٩٤١) جعل ستالين يتحالف مع بريطانيا والولايات المتحدة. لكن هذا التحالف الذي خلقته حالة الحرب لم يدم طويلا. وخلافاً لما فعل فرانكلين روزفلت فقد كان هاري ترومان حذراً من ستالين. واقنعته حيازته للسلاح النووي بأنه يستطيع إقامة سد في وجه طموحه. ولم تكن مساعدة اليونان وتركيا، ومشروع مارشال، والحلف الاطلسي، وإعادة تسليح المانيا الغربية، إلا دلالة واضحة على مراحل هذه السياسة المسماة بسياسة السد أو التطويق التي أراد بها ترومان الرد على تصلب الاتحاد السوفياتي وسيطرة الاحزاب الشيوعية على دول اوروبا الشرقية، وحصار برلين، والحرب الكورية... الخ. ولكن موت ستالين (١٩٥٣) بدل الاجواء، فقد قامت عدة اتفاقات وضعت حداً للصراعات المكشوفة في معظم بقاع العالم. وأدت النزعة المعادية لستالين بالمقابل، الى تدخل روسيا في المجر (١٩٥٦)، في الوقت الذي كانت فيه أزمة السويس قد بلغت أوجها. وهنا برزت الحرب الباردة في كل مكان حتى تجلت في العام ١٩٦٢ في أزمة الصواريخ الكوبية، التي أوجدت ولو الى حين، نوعاً من الهدنة بين العملاقين. فبعد أن سويت القضية سلمياً عمدت الدولتان الى تجنب الوصول الى أية مواقف خطيرة مماثلة. وكذلك فبالرغم من حرب فيتنام ومن الصرع العربي — الاسرائيلي، قامت الدولتان بعقد عدة اتفاقات حول الحد من سباق التسلح الاستراتيجي.

واخيراً فان الصراع السوفياتي — الصيني، الذي تولد من اختلاف وجهتي النظر بين الدولتين حول تقييم قوة الامبريالية وخطرها، اتسع لدرجة اصبح معها من الواضح ان العدو الرئيسي لموسكو أصبح بكين وليس واشنطن. ويعتقد الصينيون أن التحالف السوفياتي الاميركي الذي قام في السابق ضد هتلر مؤهل للقيام مجدداً ضد الصين الشعبية. ولكن السوفيات لا يستطيعون السير قدماً في هذا الاتفاق مع واشنطن دون أن يؤدي ذلك الى تقوية التيارات المناوئة داخل المعسكر الاشتراكي. وعندما تدخل الاتحاد السوفياتي في تشيكوسلوفاكيا (١٩٦٨)، أعلن القادة السوفيات ان التساهل الفكري لا يعني انحلال الكتلة الايديولوجية الشيوعية. وذلك يشير الى ان خط الحرب الاميركية — السوفياتية الباردة اذا كان سيؤدي الى حرب شاملة على المدى البعيد، فان احتمال (امكانية) التعايش السلمي الحقيقي يصبح هزيلا للغاية.

وهكذا فقد مرت العلاقات الدولية بين الاتحاد السوفياتي واميركا في مراحل عديدة من الصراع المستمر، تارة بشكل مباشر واطواراً بشكل غير مباشر، في مناطق النفوذ العائدة لكل من الدولتين العظميين في الشرق أو الغرب. وبلغت حساسية هذا الصراع، المستتر حيناً والعلني حيناً آخر، درجة اقتنع عندها المسؤولون بأن اي احتكاك بين الدولتين سيؤدي الى حرب عالمية مدمرة، وهذا ما كاد يحصل أثناء أزمة الصواريخ الكوبية. ويرجع السبب في هذه الأزمة إلى أن النظام الاشتراكي في كوبا أراد حماية بلاده من أي غزو اميركي مفاجئ، فحصل من الاتحاد السوفياتي على كميات كبيرة من الاسلحة. فصرحت اميركا بانها لن تقف مكتوفة الايدي أمام امداد كوبا بالاسلحة الاستراتيجية. ولكن الاتحاد السوفياتي تابع تدعيم وسائل الدفاع الكوبية، وفي ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٢، ارسل السوفيات وسائل الاستطلاع فوق كوبا، وركزوا الصواريخ التي بوسعها ضرب الولايات المتحدة الاميركية نفسها. وفي ٢٢ تشرين الأول (أوكتوبر) أمر كنيدي جهاز الاستطلاع البحري المتواجد حول كوبا بمنع وصول أية صواريخ سوفياتية جديدة، وإرغام السوفييت على سحب الصواريخ من الجزيرة الكوبية. وبعد أسبوع مثقل بالرعب العالمي قبل خروتشوف بسحب الصواريخ، واعلنت الولايات المتحدة بالمقابل عدم عزمها على غزو جزيرة كوبا في حال عدم تواجد اسلحة استراتيجية فيها. وكان هناك اتفاق ضمني بسحب الصواريخ الاميركية الموجودة في تركيا. وبذلك انحسر خطر الحرب. وكانت هذه المجابهة المباشرة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية الأولى من نوعها. وقد ادخلت في الحرب الباردة بين الدولتين نوعاً من الهدنة بعد أن لمستا خطر المجابهة النووية بينهما، واستخلصتا نتيجة هامة هي ضرورة عدم التوصل الى وضع مجابهة مماثل. ولم يبدل هذا الموقف اغتيال كينيدي في تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٦٣، ولا إقالة خروتشيف (١٩٦٤) بل توثقت الصلات بين الدولتين فأقامتا «الهاتف الأحمر» الشهير بين واشنطن وموسكو، ومنذ ذلك الحين لم يعد لأزمة برلين من وجود حساس. كما اقيمت عدة معاهدات واتفاقات بين الدولتين، كالاتفاق من حول حظر معظم التجارب النووية، وعدم انتشار الاسلحة النووية، والاتفاق حول عدم استخدام الاجواء الا للاغراض السلمية.

وبالرغم من قلة جدوى الاتفاق الاول فانه كان منعطفاً حقيقياً بين الشرق والغرب، مما اظهر عمق الثغرة بين كتل الحرب الباردة. ولاول مرة بعد عشرين سنة قام قادة المعسكرين بنوع من التقارب دون استشارة اهم حلفائهما. لذلك قام الجنرال ديغول بخطوات منفردة، فقرر ان يحل ارتباطه مع منظمة حلف شمالي الاطلسي N. A. T. O. تدريجياً، بغية إعادة السيادة الكاملة لبلاده، وذلك بتزويدها بالاسلحة النووية بالسرعة القصوى، وكان ينتظر ان تزول في يوم من الايام كتل الحرب الباردة، ولم يكن في الحسبان آنذاك أن تتكرس السيطرة السوفياتية الاميركية على السياسة العالمية. وبعد فترة وجيزة انسحب ديغول من الـ N. A. T. O، وانتقد السياسة الاميركية في حرب فييتنام، وراح يتقرب من موسكو حيث زارها في حزيران (يونيو) ١٩٦٦، وأدان اسرائيل بسبب حربها مع العرب (١٩٦٧)، وحاول كسر قوة الدولار. وكانت زيارة الرئيس الاميركي نيكسون لباريس في آذار (مارس) ١٩٦٩ بداية لنوع من الصلح ظهرت نتائجه في انتخابات رئاسة الجمهورية التي فاز على أثرها جورج بومبيدو بعد عدة أسابيع.

ومن ناحية ثانية، لم تكن العلاقات بين موسكو وبكين لتتبع نفس التطور. فان تركيز الصواريخ السوفياتية في كوبا كان من قبيل ظهور التفوق السوفياتي. ولكن سحبها كان مثاراً للجدل، وقد صادف قيام معاهدات حظر التجارب النووية المذكورة مع اول اعلان شعبي طلع به الكرملين ضد قيادة الثورة الصينية. وبالرغم من محاولات التقريب بين كبيري رواد الاشتراكية بعد سقوط خروتشيف، فان الهوة ازدادت اتساعاً، حتى وصلت الى صطدامات مسلحة على الحدود في العام ١٩٦٩. واستمرت الحرب الباردة بعد ذلك بشكلها الاعلامي والايديولوجي بين العملاقين الاشتراكيين.

واذا كانت «سياسة الوفاق» قد خففت من حدة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، فان هذه الحرب لا تزال قائمة بأشكال متباينة وبحدة متباينة بين الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية، وبين الدول الامبريالية ودول العالم الثالث، وبين الولايات المتحدة وحليفاتها الأوروبيات. وبالاضافة الى ذلك، فان «سياسة الوفاق» بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لم توقف الصراع الايديولوجي بين الدولتين العظميين، كما لم تلغ احتمالات الصدام في المناطق الحساسة من العالم. ولقد اكد استنفار الأسلحة الاستراتيجية الذي اعلنه

الرئيس نيكسون في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ خــلال الحرب العربية – الاسرائيلية الرابعة ، ان العودة الى الحرب الباردة الشديدة ، او الى الحرب ، امر ممكن اذا تعرضت مصالح الدول الكـــبرى الى خطر جسيم .

(١) الحرب البدائية

هي حرب تتجابه فيها بشكل بدائي مجموعتان بشريتان أو قبيلتان بكل ما تملكانه من قوى بشرية وامكانات اقتصادية . وتعتبر هذه الحرب ابسط اشكال الحروب واكثرها ايغالا في القدم . وكانت تأخذ شكل عصابات متبادلة ، أو عمليات غزو تشنها القبيلة الأفقر على جارتها الغنية ، أو عمليات إبادة جماعية لاحتلال المجال الحيوي الذي تشغله قبيلة مجاورة . ويشترك فيها كل شخص قادر على حمل السلاح في الطرفين ، على اعتبار أن القتال كان مهنة يمارسها كل فرد قادر في القبيلة ويستخدم فيها الاداة الحربية التي يمتلكها .

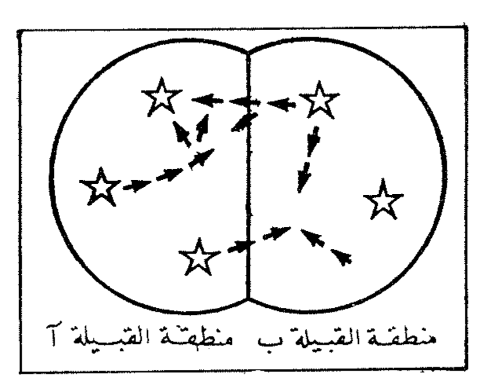
والحرب البدائية بجوهرها نوع من الاغتيــال الجماعي ، الذي يحاول فيه أحد الطرفين القضاء على خصمه دون أن يتعرض هو للخطر . ولقد مارستها معظم الشعوب في مرحلة تطورها الأول ، وطبقها العرب في الجاهلية بأسلوب الكر والفر ، مع تجنب المعركة الصدامية الحاسمة . وكان الكر يستخــدم المفاجأة والحيلة لتحقيق الغرض ، ثم يبدأ بعد ذلك الفر مع الغنائم المؤلفة من المواشي والامتعة ، بالاضافة إلى النساء والأطفال الذين كانوا يعتبرون عبيداً .

ولتأمين الحماية من هذه الحرب كانت الشعوب تستخدم الاسوار الخشبية والترابية لتجنب المفاجأة ، ثم تطورت هذه الاسوار إلى جدران حجرية وحصون يلجأ إليها معظم السكان عند الخطر ، ويتركون الأرض للمهاجمين الذين ينهبونها ويكتفون غالباً بما يجدونه فيها من غنائم . ولقد عرفت أوروبا والصين هذا النوع من الاسوار والحصون ، أما العرب فكانوا نادراً ما يلجأون إلى هذا النوع من الدفاع ، ويعتبرون المسافات الصحراوية التي تفصلهم عن خصومهم كافية لتحقيق الهامش الأمني . ولقــد جابهت بعض الشعوب والقبائل هذه الحرب بالالتجاء إلى مناطق صعبة كالجبال والغابات ومناطق المستنقعات التي لا تصلح للحياة الرغدة مثل السهول، ولكنها تضمن الأمن بشكل أفضل . وهكذا نرى أن للحرب البدائية مخططان يتمثل أولهما في صدام القبيلتين المتجاورتين بشكل مباشر ، أما الثاني فهو صدام قبيلتين تشترك فيه التحصينات والمدن المنيعة ، ويقاتل فيه المحاربون خارج التحصينـــات بأسلوب حرب العصابات .

والجدير بالذكر ، أن الحرب البدائية عادت اليوم بشكل حديث أخذ اسم الحرب الشعبية والحرب الأهلية التي يشترك فيها كل الشعب وتطبق خلالها اساليب حرب العصابات .

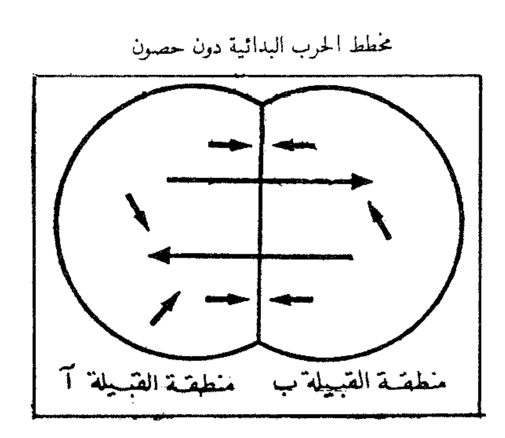
(١٤) حرب البلقان الروسية – التركية (١٨٧٧ – ١٨٧٨)

هي الحرب التي شنتها الامبراطورية الروسية بالتعاون مع البلغاريين والرومانيين (من ١٢ نيسان ١٨٧٧ حتى ١٩ شباط ١٨٧٨) ضد الامبراطورية العثمانية في البلقان ، تحت لواء تخليص الشعوب السلافية من الحكم العثماني . وانتهت بانتصار روسيا وحلفائها ، وتوقيع اتفاقيـــة « سان ستيفانو » في ٣ آذار (مارس) ١٨٧٨ ، التي تم تعديلها بناء على « مؤتمر برلين » (١٣ حزيران (يونيو) – ١٣ تموز (يوليو) ١٨٧٨) .



مخطط الحرب البدائية مع حصون

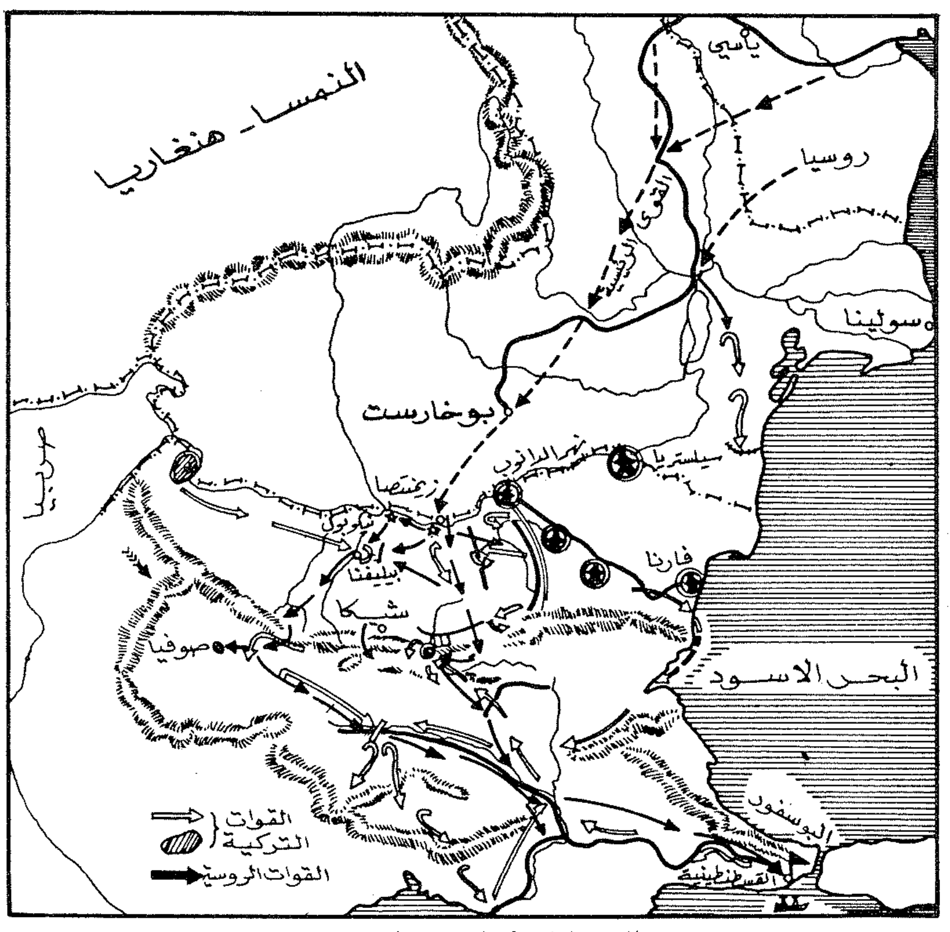
مخطط الحرب البدائية دون حصون



خرجت روسيا من حرب القرم ولم تحقق تطلعاتها ومطامعها التوسعية على حساب جارتهـــا الامبراطورية العثمانية (انظر حرب القرم) . وقد أفادت الحكومة القيصرية من الاخطاء التي كشفتها الحرب ، فوضعت خطة لاصلاح النظام الاجتماعي مع إعادة تنظيم القوات المسلحة ، وأصدرت في العام ١٨٦١ قراراتها بإلغاء نظام الأقنان، ورافق ذلك مجموعة من الاصلاحات فسار التطور الاقتصادي والاجتماعي بخطوات متسارعة وامكن تحقيق انقلاب صناعي وصل ذروته في العام ١٨٨٠ . واحتل العمل الصناعي المعتمد على الآلة المكان الأول ، وانتقل انتاج العمل اليدوي الى المرتبة الثانية في اقتصاد البلاد . وحصلت بعض الاصلاحات العسكرية بعد إلغاء نظام الاقنان ولكنها كانت اصلاحات محدودة نظراً للأوضاع الخاصة في تطور روسيا الرأسمالية . وكان من بين هذه الاصلاحات تطبيق نظام التجنيد الاجباري في روسيا (١٨٧٤) مما سمح بوجود عدد عدد كبير من الاحتياطيين المتعلمين وبتعبئة جيش كبير زمن الحرب ، وكانت الخدمة الالزامية في الجيش محددة بخمسة عشر عاماً منها ستة أعوام في الخدمة الفعلية ، وتسعة أعوام في الخدمة الاحتياطية . أما مدة خدمة الاسطول فكانت محددة بعشر سنوات منها سبع سنوات في الخدمة الفعلية وثلاث سنوات في الخدمة الاحتياطية . ولكن كان من سيئة نظام التجنيد الاجباري العام في روسيـــا ، التوسع في الاعفاءات والاستثناءات مما جعل عبء الخدمـــة العسكرية يقع على عاتق الطبقات الفقيرة .

وفي العام ١٨٦٤ ، قسمت روسيـــا الى خمسة عشر منطقة عسكرية مما أدى إلى إلغاء المركزية القوية . وفي العام ١٨٦٨ انتهت مرحلة إعادة تنظيم وزارة الدفاع ، وغدا سير العمل في أجهزة القيادة اكثر بساطة ، وتعرضت تنظيمات الجيش الى تبدلات هامة بحيث ارتفع عدد الفرق من ٢٨ الى ٤٧ فرقة ، بالاضافة الى عدد من ألوية المدفعية التي زاد عددها من ٢٨ الى ٤٧ لواء ، بحيث أصبح لكل فرقة من المشاة لواء من المدفعية . ورافق ذلك تطوير في اسلوب تدريب الضباط واعدادهم في المدارس العسكرية .

وتم خلال إعادة تنظيم الجيش الروسي تسليح القوات بالأسلحة الحديثة . وسارت عملية إعادة التسلح جنباً الى جنب مع الاصلاحات العسكرية ، فادخلت الى الجيش نماذج جديدة من البنادق ، وفي العام ١٨٧٠ ادخلت البندقية المعروفة باسم (بندقية بردان) ذات المغلاق المتحرك ، وكان عيارها ١٠,٦٧ مم ،



المجرى العام للأعمال الحربية في البلقان

ومداها ١٥٠٠ متر، وسرعة رميها من ٨ الى ٩ طلقات في الدقيقة. وفي العام ١٨٦٧ أدخلت النماذج الأولى للمدفعية المحلزنة في الجيش الروسي وكانت تلقم من قسمها الخلفي كما كانت مجهزة بكتلة الارتاج.

وعند بدء حرب البلقان الروسية - التركية، كانت القوات البرية الروسية تتألف من قوات نظامية قسمت الى قوات ميدانية وقوات مؤخرة وقوات احتياطية كانت تستدعى زمن الحرب. بالاضافة الى قوات مساعدة تتألف من المهندسين والمدفعية والصحة، علاوة على القوات غير النظامية (وهي قوات المتطوعين من قبائل القوزاق وغيرها). وكان من منجزات إعادة تنظيم الجيش الروسي في فترة (١٨٦٠ - ١٨٧٠)، تقسيم المشاة فيه الى قسمين، الرماة وكانت مهمتهم الأساسية تنفيذ المعركة النارية، ثم المشاة العادية ومهمتها الاساسية تنفيذ المعركة بالحراب، وكان ينظر الى نسق المشاة كجزء ثانوي من الترتيب القتالي. أما المشاة العادية فقد كانت تعمل بالصفوف المتراصة التي كانت تعتبر الترتيب القتالي الأساسي. وكان الترتيب القتالي لكتيبة المشاة المؤلفة من خمس سرايا كما يلي: سريتان في الخط الأول وسريتان في الخط الثاني وفي الأمام تنتشر سرية مشاة بتشكيلة انساق المشاة. وكان الترتيب القتالي لسرية المشاة يتألف من ارتال الفصائل، وكانت السرية ترسل الى مسافة ثلاثمائة متر، نصف فصيلة تنتشر بترتيب نسق المشاة. وكان الرماة عند الهجوم يتقدمون نحو العدو بالقفز من مستر لآخر، وعند وصولهم الى مسافة تتراوح من خمسين الى مائة متر من العدو كانوا ينقضون عليه بالحراب بايعاز واحد. وكان يسمح للسرايا بالانتشار في عدة صفوف والالتجاء الى الأرض عند وجود تأثير ناري معاد قوي.

كان القرن التاسع عشر هو قرن ظهور الروح القومية وتطورها. وكانت شعوب البلقان من أول الشعوب التي تجاوبت مع الشعارات القومية لا سيما وانها كانت على مقربة منها وعلى احتكاك بها (في ايطاليا وألمانيا) وقد وجدت هذه الروح من يغذيها ويدعمها لتحقيق اهدافه التوسعية. وقد اشتعلت الثورات ضد الحكم العثماني في البلقان في عامي ١٨٧٥ و ١٨٧٦. وقامت الامبراطورية العثمانية بدفع قواتها لقمع الحركات الثورية في حزيران (يونيو) ١٨٧٦، وركزت القوات التركية جهدها للعمل في صربيا والجبل الأسود. ووجدت الحكومة القيصرية في ذلك فرصة مناسبة للتدخل انتقاماً لهزيمتها في حرب القرم. وقررت العمل ضد تركيا تحت شعار «حماية الأخوة السلاف». وساعدها في ذلك رومانيا وعدد من المتطوعين البلغار.

وكانت تركيا قبل الحرب دولة متأخرة، تعتمد في تسليحها على دول أوروبا الغربية، وكان حوالي سبعين بالمائة من المشاة التركية مسلحة بأسلحة محلزنة من نوع «مارتين» ذات مدى رمي يصل حتى ١٨٠٠ متر، وكان القسم الأكبر من المدفعية الميدانية يتكون من مدافع فولاذية محلزنة تلقم من قسمها الخلفي.

وضعت القيادة الروسية خطتها للعمليات على أساس انتشار القوات الروسية فوق مسرحين في وقت واحد: مسرح البلقان ومسرح القفقاس، ووجهت الضربة الرئيسية على المسرح البلقاني بهدف احتلال القسطنطينية. وبلغ عدد قوات الجيش الروسي على هذا الاتجاه ٢٦٠ ألف مقاتل تقريباً. وكانت خطة القيادة التركية بالمقابل تهدف الى دعم الدفاع على امتداد نهر الدانوب وعلى جبال البلقان. وبلغ عدد افراد القوات التركية ١٩٠ ألف مقاتل تقريباً، تم توزيعهم على شكل حاميات للدفاع عن مدن روشكا، شوملا، فارنا، سيليستريا، فيديني، أي على أجناب الجيش المهاجم.

كان التفوق في ميزان القوى والوسائط لصالح الجيش الروسي، كما كانت خطة عملياته هجومية في حين كانت خطة العمليات التركية دفاعية جامدة. ولهذا كانت فرص النجاح متوفرة للروس اكثر مما هي متوفرة للأتراك.

يمكن تقسيم حرب البلقان الى مرحلتين اساسيتين، تبدأ المرحلة الأولى منهما مع بداية الاعمال الهجومية للقوات الروسية في القفقاس في ١٢ نيسان (أبريل) ١٨٧٧، واقتحام نهر الدانوب بالقوات الرئيسية في الخامس عشر من حزيران (يونيو) حتى سقوط مدينة بليفنا في ٢٨ كانون الأول (ديسمبر). وتبدأ المرحلة الثانية اعتباراً من سقوط بليفنا وحتى وصول القوات الروسية الى ضواحي القسطنطينية في حزيران (يونيو) ١٨٧٨. في ١٥ حزيران، بدأت القوات الروسية باقتحام الدانوب عند القرية الرومانية (زيمنتصا) المقابلة

للمدينة البلغارية (سفيستوف) وكانت الفرقة الرابعة عشرة للمشاة أول من عبر النهر بقيادة الجنرال « دراغوميروف » . وقد عبرت الكتائب الروسية الأولى الشاطئ المقابل في الساعة الثالثة على العوامات وخاضت المعركة مستخدمة ترتيب انساق المشاة . وقد اخطأت القيادة التركية في عدم دفعها قواتها الرئيسية لمقاتلة القوات الروسية أثناء مرحلة العبور الدقيقة ، أو بعد العبور مباشرة، وتركت قواتها متفرقة في القلاع دون استخدامها لممارسة الأعمال الهجومية . وبعد أن احتلت القوات الروسية رأس جسر على الضفة المقابلة تم تقسيمها الى ثلاثة اقسام ، وهاجمت على ثلاثة اتجاهات مستقلة : بحيث تقدمت المفرزة المتقدمة (الطليعة) والبالغ عددها حوالي عشرة آلاف رجل الى ممرات البلقان ، بينما تقدم القسم الثاني وعدد افراده ٧٥ ألف مقاتل تقريباً الى بليفنا . وهكذا تبدل المخطط الاساسي الذي يهدف الى زج القوى الرئيسية الى الجنوب فيما وراء البلقان بسبب النقص في القوى والوسائط وبسبب الخوف من القوات التركية المتمركزة في القلاع (على الأجناب) . وانطلقت المفرزة المتقدمة (الطليعة) نحو البلقان واستطاعت السير عبر الممرات الصعبة دون ان تكتشفها القوات التركية . واحتلت في ٥ تموز (يوليو) بضربة مباغتة من الفرسان (الخيالة) مدينة شيبكا . كما احتلت القسم الجنوبي لممر شيبكا ثم توقفت هناك في انتظار تطور العمليات . أما القوات المتجهة نحو الغرب فقد احتلت في الرابع من تموز (يوليو) قلعة نيكوبول ، ثم تابعت تقدمها نحو مدينة (بليفنا) حيث حصلت ثلاث معارك : الأولى في الثامن من تموز (يوليو) ، والثانية في الثامن عشر من تموز (يوليو) ، والثالثة في السادس والعشرين من آب (أغسطس) ١٨٧٧ . وقد خسرت القوات الروسية المعركتين الأولى والثانية نظراً للأسباب التالية :

١ – كانت القوات التركية قد نظمت دفاعها بشكل جيد حيث كانت هناك شبكة من الحفر والتحصينات ذات التعاون الجيد فيما بينها . وقد نظمت القوات الروسية هجومها وقامت بتنفيذه بشكل متقطع غير مستمر في حين كانت مجابهة مثل هذه التنظيمات الدفاعية تتطلب هجوماً مستمراً على طول الجبهة .

٢ – حاولت القوات الروسية اقتحام بعض النقاط القوية بشكل جبهي ، ولم تكن لدى هذه القوات فكرة عن ضرورة الهجوم على هذه النقاط القوية بالالتفاف عليها أو المناورة للوصول الى مجنباتها .

٣ – اعتمدت القوات الروسية في هجماتها على التراتيب القتالية المتراصة التي سببت وقوع خسائر كبيرة في صفوفها دون مبرر .

وخاضت الطليعة الروسية بالتعاون مع المتطوعين البلغار معارك ضارية خلال الفترة بين ٩ و ١٤ آب (أغسطس) من أجل الاحتفاظ بممر شيبكا ، ونظم الروس والبلغار مواقعهم الدفاعية على ميول المرتفعات وعلى عدة طبقات . وبدأ بعد ذلك موسم الثلوج الذي استمر أربعة أشهر مع الصقيع القوي المصحوب بالعواصف الشديدة .

بدأت الموقعة الثالثة في ٢٦ آب (أغسطس) قرب بليفنا . وقد قدرت القوات الروسية بحوالي ٥٢ ألفاً من المقاتلين ومعها ٣٢ ألفاً من المقاتلين الرومانيين . أما القوات التركية فكانت معادلة للقوات الرومانية (٣٢ ألف مقاتل) . وبدأت المعركة بالتمهيد المدفعي الروسي الذي استمر أربعة أيام وتقدمت القوات الروسية خلاله بالتدريج نحو المواقع التركية المحصنة ، وعلى الرغم من الفترة التحضيرية الطويلة للتمهيد المدفعي إلا أن تأثيره كان ضعيفاً بسبب ضعف قوة التفجير للقذائف . وفي ٣٠ آب (أغسطس) انقضت قوات روسية واحتلت ذرى المرتفع الأخضر وصفين من التحصينات التركية ، وفي اليوم الثاني صدت بنجاح أربع هجمات تركية معاكسة ، وقد لاحظ القائد التركي العام (عثمان باشا) عدم وجود أي نشاط للقوات الروسية على بقية القطاعات فقرر زج اكثر من نصف قواته لمجابهة القوات الروسية في الجبل الأخضر ، والقيام بالهجوم الخامس القوي . وبعد هذا الهجوم لم تتمكن القوات الروسية الاحتفاظ بمواضعها فانسحبت الى مواقعها الأصلية التي انطلقت منها في هجومها .

وهكذا كان خطأ القيادة الروسية في أنها قررت احتلال بليفنا بقوات قليلة فأرسلت لتنفيذ هذا الواجب قوة ٢٢ كتيبة فقط، وتركت اكثر من ٦٠ كتيبة دون عمل ، كما انها لم تعزز بصورة مباشرة الأعمال الناجحة التي حققتها قواتها في هجماتها الأولى ، وعلاوة على ذلك فقد كانت المدفعية تفتح نيرانها طوال اليوم فيعمل الاتراك في الليل على اصلاح الاضرار التي نزلت بمواقعهم خلال قصف النهار . ولم تكن المدفعية الروسية تركز نيرانها على نقاط الهجوم بل كانت توزع قذائفها بشكل متساو على طول الجبهة . ومقابل هذه السلبيات ظهرت بعض النقاط الايجابية الجديدة في الاساليب التكتيكية لخوض المعارك . فقد انتظمت القوات الروسية خلال عمليات الهجوم على التحصينات التركية في ثلاثة أنساق ، وكانت الانساق تتألف من صفوف المشاة في الأمام وتتبعها أرتال المشاة في الخلف . وكانت الصفوف المهاجمة تعزز خلال الهجوم بزج الأنساق الأخرى المتقدمة من العمق . وخلال هذه المعركة غيرت المدفعية مرابضها لدعم المشاة المنطلقة في الهجوم .

في يوم ١٢ تشرين الأول (اكتوبر) نجحت مفرزة روسية معززة برجال الحرس في احتلال قرية دجورني دوبنيك وتمكنت القوات الروسية بذلك من احكام الطوق حول مدينة بليفنا من الغرب . وقد هاجم رجال الحرس الذين اشتركوا لأول مرة في القتال بتراتيب الأرتال ولكنهم لم يلبثوا أن انتشروا بتشكيلة أنساق المشاة تحت تأثير النيران الغزيرة للقوات التركية ، وكان الجنود يلتجئون الى الى مختلف أنواع الحفر والثنيات الأرضية ، ثم يقفزون من مستر الى مستر ، وفي النهاية ينقضون على الاتراك .

وكان الأمر الجديد في التكتيك هو استخدام القفز والزحف قبل الانقضاض . ثم تجميع المشاة على خط انطلاق أقرب ما يكون للعدو والانقضاض عليه مباشرة من هذا الخط . وفي ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ، وبعد حصار شهرين ونصف تقريباً استسلمت حامية بليفنا التركية البالغ عددها اكثر من ٤٣ ألف رجل .

انتهت المرحلة الأولى من حروب البلقان دون أن يحقق الجيش الروسي الحسم على المسرح الرئيسي . مما دفع الحكومة الروسية تحت ضغط قيادتها الى اتخاذ قرار بدفع قواتها لعبور جبال البلقان خلال فصل الشتاء واثناء الصقيع والعواصف بهدف تحقيق المباغتة . وكانت الخطة تقضي بهجوم الجيش الغربي البالغ عدده حوالي ٧٠ ألف رجل نحو صوفيا ، وبهجوم الجيش الأوسط البالغ عدده حوالي ٥٠ ألف مقاتل للالتفاف حول المواضع الدفاعية في منطقة شيبكا ، أما المفرزة الباقية وقوتها لا تزيد على ٦ آلاف رجل فواجبها المرور عبر مضيق ترايانوف .

بدأ الجيش الغربي عبور البلقان في ١٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٧ وبعد عشرة أيام وصلت القوات الروسية الى صوفيا واحتلتها . كما بدأ الجيش الأوسط بعبور البلقان قرب مدينة شيبكا اعتباراً من يوم ٢٤ كانون الأول ، وقد عبر الرتل الأيمن احد الدروب الجبلية الذي كان يعتبر غير سالك في الشتاء نظراً لتراكم الثلوج في كثير من أقسامه وارتفاع هذه الثلوج حتى اربعة أمتار احياناً، وكان

طول هذا الدرب ثمانية عشر كيلومتراً تقريباً يسير اكثر من نصفه في طريق صاعدة وقد تم عبوره خلال فترة ٧٢ ساعة . وفي ٢٣ كانون الأول ، عبرت المفرزة الصغرى (القوة الثالثة) ممر تريانوف الصعب .

عملت القوات الروسية جميعها على الالتفاف حول المواقع التركية من الجانبين بهدف الوصول الى مؤخرة القوات التركية . واستطاعت قوات رتلين الاحاطة بتجمعات القوات التركية قرب شينوفا ، فأسرت منها حوالي ٣٠ ألف رجل . وقدم الشعب البلغاري مساعدة كبرى للقوات الروسية ، اذ كان ينظف الطرق من الجليد ، كما كان يقدم الغذاء والكساء وغير ذلك من متطلبات الوحدات المقاتلة .

بعد اجتياز جبال البلقـــان اندفعت القوات الروسية بسرعة نحو القسطنطينية . وفي ١٩ شباط (فبراير) توقف القتال بناء على طلب الاتراك . ثم عقد الصلح في « سان ستيفانو » قرب القسطنطينية في ٣ آذار (مارس) ١٨٧٨ . وقد امتنعت القوات الروسية عن احتلال مدينة القسطنطينية بسبب الخطر الانكليزي — النمساوي وتهديدهما الامبراطورية القيصرية .

وفي مسرح عمليات القفقاس نفـــذ الجيش الروسي (خلال المرحلة الاولى للحرب) واجباً ثانوياً هو تجميد اكبر قسم ممكن من القوات التركية ، عندما انطلقت القوات الروسية يوم ١٢ نيسان (ابريل) في هجومها واحتلت بيازيد ثم ارض خان وحاصرت قلعة قارس . وفي الخامس من كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٧ بدأت القوات الروسية باقتحام قلعة قارس من عدة اتجاهات ، وكان بناء هذه القلعة قد جدد بمساعدة المهندسين الانكليز بعد حرب القرم بحيث أصبحت تتسع لحامية عدد أفرادها من ٢٠ حتى ٢٥ ألف مقاتل معهم اكثر من ثلاثمائة مدفع . وتم احتلال قلعة قارس يوم ٦ كانون الأول ، وأسر فيها ١٧ ألف مقاتل تقريباً . وباحتلال هذه القلعة انتهت الاعمال القتالية في منطقة القفقاس .

استمرت حرب البلقان الروسية — التركية مـــدة ١٤ شهراً ، وخلال هذه الحرب وصل الصراع بين القديم والجديد الى ذروته . وكان القديم يتمثل بترتيب ارتال المشاة بينما كان الجديد يتمثل بترتيب انساق المشاة . وكان هذا الصراع قد بدأ منذ حرب القرم حيث ظهرت ولادة ترتيب أنساق المشاة ، وانتهى الأمر بانتصار التكتيك الجديد الذي يتلاءم مع العتاد الحربي الجديد أي مع الأسلحة النارية المحلزنة والمدافع الفولاذية المحلزنة التي تلقم من الخلف .

وشهدت حرب البلقان الروسية — التركية بعض العمليات القتالية المميزة مثل اقتحام المانع المائي الكبير (نهر الدانوب) وعبور جبال البلقان الذي تم على جبهة واسعة (تعادل مائة وخمسين كيلومتراً تقريباً) وبقوة ثلاثة جيوش . بالاضافة الى ممارسة المعارك الليلية عند قلعة قارس ثم المناورة من أجل الالتفاف على القوات التركية قرب شينوفا من الجانبين وتطويقها .

انتهت حرب البلقان الروسية — التركية ، كما رأينا ، باتفاقية « سان ستيفانو » التي تم التفاوض عليها بين الروس والأتراك مباشرة . ولقد نصت هذه الاتفاقية على استقلال رومانيا وبلاد الصرب والجبل الاسود . وكانت كلها خاضعة للحكم العثماني . كما نصت الاتفاقية على استقلالية البوسنة والهرسك . وتشكلت بلغاريا الكبرى التي تضم بلغاريا وروميلي ومقدونيا . وأخذت روسيا من رومانيا مقاطعة باسارابيا وعوضتها باعطائها مقاطعة دوبرودجا . واقتطعت روسيا من تركيا الجزء الشمالي من أرمينيا (قارس وباطوم) . وكان من نتائج هذه الحرب ، بالاضافة إلى النتائج الجيوبوليتيكية المذكورة اعلاه ، اتجاه تركيا نحو التحديث واقتباس الحضارة الأوروبية ، وتحول منطقة البلقان إلى منطقة نفوذ روسية ، الأمر الذي دفع انكلترة والنمسا الى المطالبة باعادة النظر في هذه الاتفاقية وادخال التعديلات عليها حتى لا يختل التوازن في البلقان ولا تصل روسيا إلى البحر الابيض المتوسط عن طريق بلغاريا الكبرى . ولقد عقد لهذا الغرض مؤتمر برلين (١٣ حزيران (يونيو) — ١٣ تمـــوز (يوليو) ١٨٧٨) وكان المندوبون الرئيسيون فيه هم مندوبو انكلترا والنمسا وروسيا وفرنسا وايطاليا . وترأس المؤتمر بسمارك نظراً لأن بروسيا شاءت الوقوف على الحياد . وكان من أهم التعديلات التي أدخلها المؤتمر على اتفاقية « سان ستيفانو » تقليص مساحة بلغاريا الكبرى ، وحصول بريطانيا على جزيرة قبرص .

(٨) حرب البوير (١٨٩٩ — ١٩٠٢)

هي الحرب التي اندلعت في العام ١٨٩٩ بين سكان جنوبي افريقيا البيض (البوير) والقوات الانكليزية ، وانتهت في العـــام ١٩٠٢ بانتصار القوات الانكليزية ، واحتلال جمهوريتي ترانسفال واورانجي .

البوير هم احفاد المهـــاجرين الهولانديين والهوغنوت الفرنسيين (الافريكندر) الذين استوطنوا جنوبي افريقيا . بالاضافة الى اقليات من جنسيات أوروبية اخرى . وكان هؤلاء البوير قد اقاموا لهم في جنوبي افريقية عند نهاية القرن الماضي جمهوريتين عرفتـــا باسم جمهوريتي (الترانسفال واورانجي) ، وتملكوا قطعاً كبيرة من الأراضي يعود تاريخ ملكيتها الى القرن السابع عشر . وكان البوير يعيشون على زراعة الأرض وتربية المواشي فيها . ولم يكن لدى جمهوريتي الترانسفال واورانجي جيوش نظاميـــة دائمة ، وانما كانت لديهما قوات خاصة من الشرطة للدفاع وحفظ الأمن . وكان عدد أفراد هذه القوات لا يتجاوز الستين ألف رجل . وكانت حـــدود جمهوريتي الترانسفال واورانجي محاطة بالمستعمرات البريطانية . وعندما علمت السلطات البريطانية بتوفر الذهب والمـــاس في مناجم أرضي الجمهوريتين الصغيرتين ، وقدرت أن احتلالهما لا يتطلب جهداً كبيراً ، بسبب عزلتهما ، واحاطتهما بالمستعمرات البريطانية من كل جانب ، وعدم توفر قوات كبيرة فيهما ، قررت هذه السلطات احتلال الجمهوريتين ، وضمهما الى الامبراطورية البريطانية .

في العام ١٨٩٩ حشدت بريطانيا قوات كافية في جنوب افريقيا ، وبدأت حربها ضد جمهوريتي البوير . وكانت الحرب بالنسبة الى سكان الترانسفال واورانجي حرباً عادلة ، خاضها السكان دفاعاً عن حريتهم واستقلالهم ، ولكنها لم تكن حرباً عادلة بالنسبة الى بريطانيا التي استهدفت العدوان والاحتلال . واستطاع البوير المشبعون بالاهداف العادلة للحرب ، ان يكبدوا الانجليز خسائر فادحة في العام ١٨٩٩ . وكان البوير يتقنون استخدام سلاحهم بشكل ممتاز وكان هذا السلاح عبارة عن بندقية سريعة مجهزة بمخزن بالاضافة الى بعض المدافع . وبالاضافة الى ذلك فان معرفتهم الجيدة للأرض والتمويه الجيـــد ساعداهم على توجيه ضربات مباغتة للخصم ، وكانوا يتجنبون الهجمات المفتوحـــة والضربات المباشرة . ومقابل ذلك ، فقد اتسم اسلوب عمل القـــوات الانكليزية بالجمود ، اذ نظمت هذه القوات عملياتها مستخدمة التشكيلات المتراصة دون استخدام المناورة والتمويه . ولهذا لم تحقق الهجمات الانكليزية اي نجاح . وكانت تتكبد عند تقدمها نحو قوات البوير الخسائر الكبيرة . وفي العام ١٩٠٠ حشد الانكليز قوة كبيرة في حدود مائتي ألف مقاتل مقابـــل خمسة واربعين ألفاً من البوير . ودارت معارك طاحنة تكبدت فيها القـــوات الانكليزية خسائر فادحة . ولكن الاستنزاف المستمر لامكانات البوير ، وتناقص الذخائر ، وعدم توفر امكانات الدعم ، اعاقت كلها تحطيم المحاولات البريطانية ، ونجحت

القوات الانكليزية في احتلال جمهوريتي الترانسفال واورانجي .

ولم يضع هذا الاحتلال نهاية للصراع فقد استمر البوير في مقاومتهم البطولية ، وتابعوا نضالهم ضد الانكليز ، ونشروا حرب الانصار في جميع المناطق المحتلة ، واتبع الانكليز جميع وسائل الارهاب واكثرها وحشية لاخماد الحركة التحررية الوطنية . ولم يكن الحرق والسلب والقتل والتدمير واعمال الابادة سوى بعض وسائل الانكليز في حربهم ضد البوير . واصبحت حرب البوير مدرسة حربية للضباط البريطانيين الذين عرف منهم تشرشل وويفل وغيرهما ، كما اصبحت ايضاً منطقة للتجارب القتالية . فقد حشدت بريطانيا فيها قوات كبرى وصلت حتى ٤٥٠ ألف مقاتل . وكان التفوق الكبير في الوسائط والقوى لصالح القوات الانكليزية مقابل استنزاف جميع امكانات البوير البشرية والحربية سبباً في وصول القتال الى نهايته الحتمية في العام ١٩٠٢ . وانتهى الصراع بين البريطانيين والبوير بعد ثلاثة اعوام من القتال بانتصار البريطانيين واخضاع جمهوريتي ترانسفال واورانجي . وكانت الوحشية التي طبقتها بريطانيا ضد البوير من الاسباب التي استثارت نقمة بعض الاوساط الاستعمارية الاوربية ذاتها ، فأخذت في التنديد بالاستعمار البريطاني والتشهير به .

ولقد كشفت حرب البوير الدور الهام للعامل المعنوي في حروب العصر الامبريالي بصورة خاصة – وفي الحروب الثورية بصورة عامة – واستخدمت في هذه الحرب وللمرة الأولى البنادق المجهزة بالمخازن ، والرشاشات ، والمدافع ذات الرمي السريع . وقد تحولت النار في هذه الحرب الى عنصر حاسم من عناصر المعركة ، مما تطلب التخلي عن التشكيلات القتالية المبنية على نظام الارتال والانتقال إلى نظام الانساق المنتشرة .

لقد تميزت حرب البوير مثلها مثل بقية الحروب الاستعمارية التي حدثت في نهاية القرن التاسع عشر بكونها حرباً لا تتوفر فيها فرص التعادل والتوازن بين القوى المادية للطرفين المتحاربين . وظهرت من خلال هذه الحرب بصورة خاصة ميزة المدرسة الانكليزية الاستعمارية التي تميل الى محاربة العصابات وتهدئة السكان بسلطات مختارة من السكان المحليين (وهذه هي الطريقة غير المباشرة التي طبقت في الوصاية والانتداب) حيث يكون الحليف المحلي مراقباً ومدعوماً بقوات بريطانية نظامية لا تمارس عادة الحرب ضد العصابات . وتعتمد الحرب الاستعمارية في هذه المدرسة على المراهنة على زعيم


معركة في شمالي مافيكنغ

محلي ، يقوم بنفسه باخضاع البلاد ، وفق الطرق والاساليب المحلية . وهذه في جوهرها استراتيجية العمل عن طريق رجل ثالث . ومن الطبيعي انه ما ان يسيطر هذا الحليف المحلي حتى تصبح السلطة الفعلية بيد المستعمرين الذين لم يدفعوا ثمن السلطة من دمائهم . وكانت حرب البوير ايضاً برهاناً على صعوبة تحقيق انتصار حاسم في الحروب الثورية او الاستمرار فيها دون اتصال بالعالم الخارجي ، ودون الحصول على تأييد مادي ومعنوي من قبل حركات التحرر المماثلة في العالم (انظر الحرب الثورية ، والحرب الاستعمارية) .

(٦) الحرب البيولوجية (الاحيائية)

تعرف الحرب البيولوجية Biological Warfare في المفهوم العسكري الحالي بانها الاستخدام العسكري (المتعمد) للكائنات الحية او سمومها لقتل الانسان وانزال الخسائر به او بممتلكاته من ثروات حيوانية او زراعية بغية اضعاف مقدرته على شن الحرب . ويطلق البعض على هذا النوع من الحروب مصطلح « الحرب البكتيرية » او « حرب الجرثومية » ، إلا ان لفظ « البيولوجية » هو المفضل بسبب شموله للبكتيريا وغيرها من انوع الكائنات الدقيقة ، بالاضافة الى اشكال ارقى من الحياة كالحشرات وسائر الكائنات المؤذية بما فيها النباتات .

والحرب البيولوجية هي نوع من الحروب التي شنتها الطبيعة ضد الانسان منذ القدم ، وغالباً ما حسم مرض او وباء نتيجة العديد من المنازعات والحروب . « فالطاعون » فتك بالصليبيين عند ابواب القدس ، وحصد مرض « التيفوس » المغاربة في اسبانيا ، كما اضعف « الزحار » صفوف جيش نابليون في زحفه على موسكو ، وفي حرب البوير صرعت « حمى التيفوئيد » من الجنود اكثر مما فعل الرصاص . ومن الطبيعة تعلم الانسان كيفية استخدام الكائنات الحية او سمومها . ولعل من اقدم الامثلة على الاستخدام المتعمد للعوامل البيولوجية في الحروب قيام « سولون » حاكم « اثينا » في العام ٦٠٠ قبل الميلاد برمي جفور نبات اسمه هيليبوروس Helleborus في نهر صغير كان يستعمله اعداؤه للشرب ، فكانت النتيجة اصابتهم بنوبة حادة من الاسهال ادت الى هزيمتهم . وفي العام ٢٠٠ قبل الميلاد انسحب قائد قرطاجي امام اعدائه تاركاً وراءه كميات من النبيذ بعد ان وضع فيه جذور الماندراغور Mandragora وهو نبات ذو تأثير مخدر ، فلما نام اعداؤه بعد شرب النبيذ عاد اليهم وذبحهم جميعاً . وفي العام ١٨٤ قبل الميلاد استقدم « هانيبال » خوابي مملوءة بالثعابين والقاها على ظهور سفن اعداءه مما ادى الى ذعر وارتباك البحارة وبالتالي هزيمتهم . ومنذ ذلك الحين اصبح تسميم مياه الشرب والنبيذ والمأكولات امراً شائعاً في الحروب ، وكانت الطريقة المتبعة هي إلقاء جثث الحيوانات والجنود المتفسخة في الآبار التي يشرب منها الاعداء . وفي العام ١١٥٥ استطاع الامبراطور « فريدريك بربروسا » احتلال مدينة « تورتونا » الايطالية بعد تسميم خزانات المياه فيها بهذه الطريقة . ولقد جربت الحرب البيولوجية في الحروب الصليبية بواسطة إلقاء جثث الموتى بالطاعون في معسكرات المسلمين لنشر الطاعون بينهم .

ومن الامثلة الحديثة على الاستخدام المتعمد للعوامل البيولوجية قيام السير جفري أمهرست Sir Jeffry Amherst – قائد الحملة الانجليزية إبان غزوات المستعمر الاوروبي ضد الهنود الحمر في القارة الاميركية – بإرسال غطائين ومنديل من مستشفى الجدري الى رؤساء القبائل الهندية في العام ١٧٦٣ ، وكانت النتيجة انتشار وباء الجدري بين الهنود الحمر . وفي العام ١٨٦٣ ملأ الجنرال جونستون Johnston من « فيكسبرغ » البحيرات بجثث الخنازير والخراف أثناء هربه من ملاحقة الجنرال شيرمان Sherman ابان الحرب الاهلية الاميركية التي درج الطرفان فيها على تلويث مياه الشرب قبل الانسحاب . وفي الحرب العالمية الاولى قام عملاء الالمان بحقن الخيول المشحونة من الولايات المتحدة الى خيالة القوات الرومانية بالجراثيم ، مما أدى الى القضاء على عدد كبير من تلك الخيول .

ولقد نشرت تفاصيل كثيرة عن تقدم العوامل والاسلحة الكيماوية وخاصة بعد الحرب العالمية الاولى

(انظر الحرب الكيماوية)، الا ان المعلومات عن الاسلحة البيولوجية بقيت وراء ستار كثيف من السرية والكتمان. وكان من الامور المعروفة ان النازيين بدأوا ابحاثاً واسعة حول هذه الاسلحة في العام ١٩٣٦، لذلك اعلن السوفيات في العام ١٩٣٨ عن استعدادهم لاستخدام مثل هذه الاسلحة في حالة قيام النازيين باستخدامها ضد قواتهم. وعلى اي حال فليس هناك تقرير واضح عن قيام اي من الاطراف المتحاربة باستخدام الاسلحة البيولوجية في الحرب العالمية الثانية، رغم ان هذه الاطراف كانت قد اعدت اسلحة بيولوجية هجومية ووسائل دفاعية لمقاومتها، ومن الأمثلة على ذلك: تصريح الميجر جنرال الاميركي بروك تشيزولم Brock Chisolm في العام ١٩٤٦، وخلاصته ان الحلفاء خافوا من احتمال قيام النازيين باستخدام قنابل مملوءة بسم جرثومة «العصيات الحاطمة Botulinus» فارسلت اميركا (٢٣٥٠٠٠) لقاح مضاد لها الى لندن، ومع كل لقاح منها حقنة خاصة يلقح بها الانسان نفسه بنفسه، ووزع اللقاح على (١١٧٥٠٠) جندي بريطاني واميركي وكندي.

ثم جاءت الحرب الكورية فاتهم الصينيون والكوريون الشماليون اميركا باستعمال اسلحة بيولوجية في كوريا، ودعيت اللجنة العلمية الدولية للتحقيق، وبعد دراسة مستفيضة قامت بها اللجنة تقدمت في الثامن من تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٢ بتقرير الى الامم المتحدة تضمن مزيجاً من الملاحظات الدقيقة عن «اشياء ملوثة بجراثيم الكوليرا والجمرة الخبيثة، وبراغيث مصابة بجراثيم الطاعون، وبعوض يحمل فيروس الحمى الصفراء، وحيوانات قاضمة مصابة كالارانب استعملت لنشر الامراض الوبائية المذكورة». ولكن هذا التقرير لم يتعرض بشيء عن مدى انتشار اي من تلك الامراض في كوريا الشمالية او في الصين، الامر الذي حدا بالعديد من المعلقين الغربيين الى تناوله بكثير من التحفظ والاستخفاف. ورغم ظهور اعداد كبيرة من الاصابات بوبائي الطاعون والكوليرا في فيتنام — وهما من الامراض المستوطنة في تلك البلاد — فليس هناك من دليل يقطع بقيام الولايات المتحدة باستخدام اسلحة بيولوجية في قتالها ضد الثوار والشعب في فيتنام.

ويتضح مما سبق ان الحرب البيولوجية لم تستخدم في الحروب الحديثة استخداماً حقيقياً، لذلك يتعذر معرفة مدى فعاليتها كسلاح من اسلحة الحرب بشكل دقيق. وبالتالي فإن القدرة على تقييم امكانات استخداماتها التكتيكية والاستراتيجية ضئيلة جداً. ولكن لا ينبغي ان تقود هذه الحقيقة الى التقليل من خطر الحرب البيولوجية، وذلك لاسباب عديدة منها: ١ — أن كل الدول تقريباً — بما فيها الدول النامية والبلاد الصغيرة — قادرة على امتلاك الاسلحة البيولوجية لسهولة تحضير بعضها بمصاريف زهيدة وسرعة فائقة في مختبرات ومعامل بسيطة. ٢ — ان الابحاث العلمية في هذا المجال أدت الى تحضير جراثيم لا تتأثر بمضادات الحيوية Anti-biotics، كما ادت الى انجاز وسائل متطورة لنشرها. ٣ — أن الاسلحة البيولوجية تعتمد على المباغتة والاستعمال الخفي ضد مجموعات كبيرة من السكان، ويزيد في تلك الاهمية صعوبة كشف نوع السلاح البيولوجي المستعمل وارسال انذار سريع للمناطق الاخرى بسبب طول الفترة بين الهجوم وظهور اعراض المرض.

وأياً كان الامر، فإن الهدف الاساسي من استخدام الاسلحة البيولوجية هو الانسان. والهجوم على هذا الانسان اما ان يكون مباشراً او غير مباشر عن طريق انزال الخسائر بموارده الغذائية او الحيوانية في بعض الاحيان. فالحرب البيولوجية اذاً هي حرب تستهدف الافراد والاحياء بصفة عامة ولا تلحق أية خسائر بالممتلكات المادية كالابنية السكنية والمنشآت الصناعية التي تبقى سليمة ويمكن إعادة استخدامها بعد وقت قصير من اصابتها بالعوامل البيولوجية.

الخصائص العامة للعوامل البيولوجية: رغم ان علم البيولوجيا (الاحياء) يتناول جميع الكائنات الحية، الا ان البيولوجيا العسكرية تتعلق فقط بتلك الاحياء التي تؤذي الانسان والحيوان او النبات. وقد صنفت المجموعات الخمس التالية، التي تبدو لها اهمية عسكرية ويحتمل ان يستخرج من بينها جراثيم وسموم تتوفر فيها الخصائص الملائمة للاستخدام العسكري، كعوامل للحرب البيولوجية وهي: ١) الكائنات الدقيقة Micro-organisms: مثل البكتيريا، والفيروسات، والريكتسيا (كائنات طفيلية)، والفطريات، والبروتوزوا (كائنات طفيلية). ٢) السموم الجرثومية الحيوانية والنباتية. ٣) ناقلات العدوى: مثل الحيوانات المفصلية (اللافقرية) كالحشرات (القمل، والبراغيث، والقراد) وغيرها من الحيوانات. ٤) الحشرات والنباتات المؤذية. ٥) المركبات الكيماوية المضادة للمزروعات: كالمركبات التي توقف نمو النباتات، والمركبات المسقطة للاوراق النباتية، والمبيدات النباتية. ويلاحظ ان بعض هذه المركبات الكيماوية يصنف ضمن هذه المجموعة من العوامل البيولوجية لأن الابحاث التي تجرى عليها تتم عادة في المختبرات البيولوجية، ولكن من الافضل بحثها ضمن العوامل الكمياوية بالنظر لطبيعتها الكيماوية الصرفة وطرق تحضيرها (انظر الحرب الكيماوية).

وهناك خصائص عامة يجب توفرها في العوامل البيولوجية لكي يمكن استخدامها في الاسلحة البيولوجية وحتى تكون فعالة في تأثيراتها. ومن هذه الخصائص: ١) قابلية وبائية عالية. ٢) قدرة على مقاومة الظروف الطبيعية، كالحرارة، وضوء الشمس (الاشعة فوق البنفسجية)، والجفاف. ٣) قابلية التكيف، وسرعة الانتشار. ٤) القدرة على انزال خسائر عالية عند بدء الهجوم اما عن طريق القتل او التعجيز. ٥) يجب ان يكون العامل البيولوجي المستخدم غريباً عن منطقة الهدف بحيث لا تتوفر المناعة الطبيعية لدى سكان تلك المنطقة، وذلك لتحقيق اكبر خسائر ممكنة. ٦) ثبات وملائمة العامل للاستخدام في الظروف الميدانية. ٧) سهولة انتاج العامل البيولوجي، وسهولة تخزينه.

العوامل البيولوجية التي يحتمل استخدامها في الحرب البيولوجية:

١) الفطريات: وهي كائنات حية احادية الخلية او عديدة الخلايا. وتشمل الفطريات: العفنات، يرقان النبات، والخميرة. وهي تسبب امراضاً نباتية عديدة، اما بالنسبة الى الانسان او الحيوان فإن الامراض التي تسببها قليلة نسبياً، ومنها على سبيل المثال «قدم العداء Athlete's Foot» ويمكن معالجتها بسهولة، على ان هناك امراضاً اشد خطورة تسببها بعض انواع من الفطريات ومن الامثلة عليها: الهستوبلازموس (انكماش البلازما)، والكريبتوكوكوزس، والبلاستومايكوزس. ومن الامراض النباتية التي تحدثها الفطريات مرض النقطة البنية التي تصيب الارز، وآفة البطاطا، وآفة قصب السكر، وتعفن الحبوب.

٢) الطفيليات (البروتوزوا): وهي مجموعة غير متجانسة من الكائنات ذات الخلية الواحدة واغلبها لا يسبب امراضاً بشرية او حيوانية، إلا ان بعضها يسبب امراضاً خطيرة مثل الزحار الاميبي (الديزنتاريا)، ومرض النوم الافريقي، والملاريا، وامراض التريبانوسوم التي تصيب الخيول والماشية والحيوانات الاخرى.

٣) البكتريا : وهي كائنات مجهرية ذات خلية واحدة . وتنتشر البكتريا بكثرة في الطبيعة ومنها انواع كثيرة للغاية ، الا ان عدداً قليلا نسبياً من هذه الانواع يسبب الامراض . ومن الامراض التي تحدثها بعض انواع البكتيريا : تسمم الاغذية ، والحمى القرمزية ، والتهاب السحايا . وهناك انواع من البكتريا العضوية التي تسبب السل ، والجمرة الخبيثة ، والتيفوئيد ، والطاعون ، والسفلس . ومن الامراض التي تسببها السموم Toxins التي تفرزها بعض انواع البكتريا : الخناق ، والكزاز . ومن الامثلة على الامراض النباتية التي تسببها البكتريا الذبول البكتيري الذي يصيب القمح والخيار .

٤) الريكتسيا : وهي عبارة عن كائنات طفيلية تعيش في خلايا الجسم وتنتقل عادة عن طريق لسعات القمل والبراغيث والقراد ، وتحدث انواعاً مختلفة من الامراض مثل : حمى التيفوس ، والحمى المنفطة ، وحمى كيو ، ويصاحب الحمى طفح جلدي او بقع جلدية داكنة واضطراب في الجهاز العصبي المركزي . ومن الامراض الحيوانية التي تسببها الريكتسيا مرض المروج الذي ينتقل بواسطة القراد، وهو مرض خطير ومميت بالنسبة الى الماشية . اما بالنسبة الى النبات فلا توجد امراض ريكتسية معروفة .

٥) الفيروسات : وتشمل هذه المجموعة اصغر الاحياء المجهرية وأدقها . وتحتاج الفيروسات إلى انسجة حية لنموها وتكاثرها ، إلا انه من الممكن تطوير الوسائل الفنية لانتاجها على نطاق عسكري . وتسبب بعض انواع الفيروسات امراضاً وبائية خطيرة تصيب الانسان منها الجدري ، والحمى الصفراء ، والانفلونزا ، وداء الكلب ، والنكاف . ومن الامراض التي تصيب الحيوانات طاعون الماشية ، ومرض الفم والاطراف ، وهيضة الخنازير ، وطاعون الدجاج . ومن الامراض التي تصيب النباتات فسيفساء التبغ والخيار ، وبعض امراض قصب السكر .

ولكي يمكن استخدام هذه العوامل استخداماً عسكرياً ، فإنه ينبغي — في جميع الحالات — عزل العامل البيولوجي المنوي استخدامه ووضعه في ظروف حياتية لنموه وتكاثره وانتاج اعداد كبيرة منه واخيراً تخزينه تحت ظروف خاصة لحين الحاجة . وعند الاستخدام ، يجري نقل العامل الى قوات الهجوم في حوافظ خاصة ، ثم يتم نشره بين صفوف الاعداء بطريقة تضمن عدم إصابة القوات التي قامت باستخدامه .

وسائل قذف وايصال العوامل البيولوجية الى اهدافها :

هناك ثلاث طرق للعدوى هي :

أ) العدوى من خلال الجلد ، كما يحدث عندما يتعرض الانسان الى لدغ البعوض او القمل او البراغيث المصابة . واستخدام هذه الحشرات كناقلات للعدوى هو امر معروف ، كما ان بالامكان نشرها بين صفوف الاعداء بواسطة اطلاق بعض انواع الحيوانات كالجرذان المحملة بالبراغيث باتجاه خطوط العدو . ويمكن اطلاق الجرذان في حاويات خاصة يتم اسقاطها من الجو بحيث تنفتح تلقائياً عند ارتطامها بالارض . ولكن هذه الطريقة تحتاج الى اعداد كبيرة من الجرذان ، وقد تجد هذه الجرذان صعوبة في التأقلم مع بيئتها الجديدة ، كما أن بوسع العدو أيضاً القضاء عليها . أما عملية اطلاق البعوض المصاب بين صفوف الاعداء فإنها تواجه صعوبات اكثر تعقيداً .

ب) العدوى بواسطة المأكولات والمشروبات الملوثة : من الواضح ان تلويث مياه الشرب بالجراثيم والسموم هي الطريقة التي يمكن ان يلجأ اليها الاعداء في هذا المجال . ومن الممكن قيام أحد العملاء بتلويث مياه الانهار والخزانات بالعوامل البيولوجية كوسيلة من وسائل التخريب في الداخل ، كما ان من المتصور قيام العدو بقصف مصادر المياه بالقنابل التي تحوي عوامل بيولوجية . ولكن من المشكوك فيه ان تؤدي طريقة تلويث مياه الشرب الى النتائج المرجوة من قبل العدو ، اذ ان اجراءات تنقية وتعقيم المياه العادية التي تستخدم حالياً قد تمنع العديد من الجراثيم من الوصول الى المستهلك .

حـ) العدوى بواسطة الهواء : ان من غير المشكوك فيه ، ان اكثر طرق نشر الأوبئة فعالية هي نشرها بواسطة الهواء . ومعروف ان كثيراً من الاوبئة العادية تنتشر بهذه الطريقة ، كالانفلونزا وامراض البرد . ولضمان إصابة اكبر عدد ممكن من افراد العدو وجماهيره بواسطة استنشاق الجراثيم المسببة للامراض مع الهواء ، فإن من الضروري نشرها فيه على شكل ضباب محمل بالجراثيم (ايروسول Aeorosol) بواسطة مولدات خاصة . ويتطلب نشر الجراثيم على هذا النحو ان تكون جزيئات الضباب المذكور اصغر ما يمكن . وقد يتم اطلاقه بواسطة الطائرات ، والسفن ، والغواصات ، والقنابل ، والمدفعية ، والصواريخ .

ولا تخلو طريقة نشر العوامل البيولوجية بواسطة الهواء من صعوبات تحد من استخدامها : إذ أن ضوء الشمس ، يقتل الجراثيم في وقت قصير ، وحتى في حالة وجود ظروف مثلى فإن اكثرها لا يستطيع العيش لاكثر من ٢٤ ساعة . لهذا فإن نشر الوباء في منطقة ما يتطلب تغطيتها بالجراثيم في اقصر وقت ممكن . وحيث ان اغلب الاوبئة يمر بفترة حضانة Incubation period تتراوح بين ثلاثة واربعة ايام قبل ظهور اعراضها واكتشافها ، فإن العدو سوف يحاول نشرها بطريقة سرية وإصابة جميع المناطق التي ينوي مهاجمتها في وقت واحد قبل ايام من توقيت هجومه الواسع ، بحيث يتم الهجوم في الوقت الذي تكون فيه قوات التصدي في الجانب الآخر عاجزة عن القتال نتيجة المرض .

ان اكثر وسائل القتال ، التي يمكن استخدامها لشن هجوم بالعوامل البيولوجية ، فعالية هي استخدام طائرات تطلق خلفها سحباً محملة بهذه العوامل بحيث تتجه هذه السحب فوق المناطق المنوي مهاجمتها . والعوامل التي تضمن نجاح الهجوم البيولوجي بهذه الوسيلة هي ان يتم الهجوم بشكل سري ، وربما تطلب ذلك ان تقوم الطائرات بالتحليق على ارتفاعات منخفضة لتتجنب رادارات العدو ، وان يرافق الهجوم توافر ظروف جوية ملائمة من ناحية ثانية . والمقصود بتوافر الظروف الجوية الملائمة هنا توافر الشروط الثلاثة التالية : اولا — ان يتم الهجوم في الليل ، وذلك لان العوامل البيولوجية لا تستطيع احتمال ضوء الشمس لفترة طويلة ، ومن ناحية ثانية لان فعالية اجراءات الاستنفار في صفوف القوات المعرضة للهجوم تقل اثناء الليل . ثانياً — ان تكون تيارات الحمل الهوائية الساخنة على ارتفاعات مناسبة فوق سطح الارض ، حتى لا تحمل معها اثناء ارتفاعها اعداداً كبيرة من الجراثيم الى اعالي الجو ، ولتلافي ذلك فإن انسب الاوقات لشن الهجوم البيولوجي هو الليل ايضاً . ثالثاً — ان تهب الرياح بثبات فوق منطقة الهدف بكاملها ، وان تكون من القوة والسرعة بحيث تستطيع حمل العوامل البيولوجية ونشرها في ارجاء المنطقة كلها خلال فترة بقاء الجراثيم حية .

مما سبق يمكن استخلاص النتيجة التالية : ان الوسائل التي تستخدم لقذف وايصال العوامل البيولوجية الى اهدافها ، هي نفس الوسائل التي تستخدمها الاسلحة الاخرى بما فيها الاسلحة الكيماوية . ومن هذه الوسائل : أ) حاويات خاصة تلقى من الجو بواسطة الطائرات . ب) آلات رش ومولدات ضباب تحملها الطائرات . ج) استخدام ذخائر خاصة بالحرب البيولوجية كقذائف المدفعية والهاون . د) الصواريخ . هـ) بواسطة عمليات تخريبية

يقوم بها عملاء من الطابور الخامس.

الدفاع ضد العوامل البيولوجية: يشكل الدفاع ضد الحرب البيولوجية مشكلة عظيمة الاهمية، ويشك بان هناك علاجاً ناجحاً لحل هذه المشكلة حتى في اكثر الدول تقدماً. ومن اعقد المسائل التي تواجه هذا النوع من الدفاع هي ضرورة السرعة في كشف الهجوم وتعيين المرض او الوباء الذي يسببه العامل المستخدم في السلاح البيولوجي. والواقع ان الكشف عن العوامل البيولوجية صعب للغاية لصعوبة تحديدها بواسطة الحواس الخمس، ولعدم وجود تأثير سريع لها على الاشخاص يستدل منه على حدوث هجوم بالاسلحة البيولوجية، لان للعوامل البيولوجية ادوار حضانة مختلفة المدة لا تظهر اعرض الامراض الا بانتهائها، كما ان وسائل الكشف المجهرية قد تحتاج عدة ايام قبل اعطاء نتيجة التحليل وتحديد العامل ونوع المرض الذي يسببه. ورغم وجود ألبسة خاصة واقنعة تنفس واقية تعطي قدراً من الحماية، فان المشكلة التي تواجه هذه التجهيزات وتضعف من فعاليتها تكمن في تحديد الوقت المناسب الذي ينبغي فيه ارتداء او خلع هذه التجهيزات. وحيث ان الهجوم باستخـدام السحب المحملة بالعوامل البيولوجية يعتمد على الظروف الجوية، فيمكن بالتالي تحديد الليالي التي يحتمل ان يتم فيها هجوم بالاسلحة البيولوجية، ولكن ابقاء جميع السكان في حالة تأهب وهم يرتدون الالبسة والاقنعة الواقية أمر غير عملي البتة، حتى في تلك الليالي الخطرة. على ان هناك آمالا كبيرة معقودة على اجهزة كاشفة طورت خصيصاً لكشف العوامل البيولوجية، وهناك جهازان للكشف احدهما لتحليل حجم الدقائق والآخر لتحليل الدقائق (بارتيكروم) للتمييز بين المواد البروتينية والمواد العضوية، كما ان هناك جهازاً طور في بريطانيا يدعى «ليدر» Lidar، ويطلق اشعة ليزر لتمييز سحب العوامل البيولوجية التي تطلقها الطائرات المهاجمة. والمأمول ان يعطي الربط بين اشارات التحذير من هذه الاجهزة وبين بقية التدابير، ولا سيما اعمال المراقبة والرصد، دليلا مناسباً على حدوث الهجوم، وفترة زمنية كافية لارتداء الالبسة والاقنعة الواقية على الاقل. وفي حالة الانذار بهجوم بيولوجي ينبغي ان يبادر سكان المناطق الواقعة باتجاه الريح باتخاذ التدابير الوقائية المناسبة وتأمين الخدمات الطبية في الوقت المناسب.

ومن الامور الهامة التركيز على دور اجهزة الاستخبارات لتقدير نوايا العدو وامكاناته للقيام بهجوم بيولوجي، الامر الذي يتطلب استعداداً تقنياً خاصاً من قبل الاجهزة المعنية.

وفي حالة انتشار وباء ما في إحدى المناطق ينبغي دراسة ذلك الوباء والقيام بالتحري عن مصدره وتعيين سببه، فإذا استبعدت المسببات الطبيعية، فمن الممكن عندئذ افتراض وجود هجوم بيولوجي، الامر الذي قد يعطي انذاراً كافياً باحتمالات هجمات اخرى.

وفي الوقت الذي تؤمن فيه الملابس والاقنعة الواقية اجراء دفاعياً اوليـاً، فإن الحل الحقيقي للمشكلة هو الدفاع البيولوجي الذي يؤمنه التطعيم Vaccination. وقد أجرت الدول المتقدمة ابحاثاً مستفيضة في ميدان الطعوم المضادة للاوبئة. وبدهي ان من المستحيل عملياً انتاج وتخزين طعوم مضادة لكل وباء من الاوبئة التي يحتمل نشرها بواسطة الاسلحة البيولوجية، لذلك فإن هناك حاجة ماسة لمعرفة انواع الاوبئة التي يحتمل ان يقوم العدو بنشرها. وفي المقابل فإن العدو يرغب في معرفة انواع الطعوم المضادة التي يحوزها المدافع، وذلك لكي يختار وباء لا يملك المدافع طعماً مضاداً له. وعليه فان المختبرات البيولوجية هي من اهم الاهداف التي تسعى اجهزة الاستخبارات لكشف نشاطها وطبيعة عملها.

وبالاضافة الى ذلك فإن هناك اجراءات وقائية ينبغي اخذها بعين الاعتبار عـلى الدوام، قبل واثنـاء وبعد الهجوم بالاسلحة البيولوجية، ومنها: أ) حفظ الماء والاطعمة من التلوث، وحفظ مخزون كاف منهما في حاويات محكمة تمنع التلوث. ومن الضروري تطهير هذه الحاويات من الخارج لمنع تلوث المواد التي بداخلها عند فتحها. ب) رفع مستوى الاجراءات الصحية والنظافة لتقليل قابلية التلوث وحوادث الاصابـة. ج) الحجر الصحي للاشخاص والمناطق التي تعرضت للهجوم لمنع انتشار الاوبئة بالملامسة، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن الاعراض المرضية تتأخر في الظهور. ولهذا فإن على الفرق الطبية الخاصة ان تكون ذات قدرة وقابلية للتحرك أثناء فترة الحضانة. د) تطهير الاشخاص والتجهيزات والمناطق الملوثة عندمـا يسمح الموقف بذلك، كما يجب التأكد من سلامة الماء والطعام قبل الاستهلاك. وتفيد التدابير الوقائية المذكورة في تقليل تأثير العوامل البيولوجية ويحتمل ان تطيل فترة الحضانة المرضية وان تقلل من حدة الاوبئة والامراض، ولكنها لا تمنع مخاطر هذه العوامل.

ان الحرب البيولوجية تمثل مشكلة معقدة من وجهة النظر الدفاعية، كما انها تشكل سلاحاً هجومياً يصعب استخدامه. فهي، على نقيض الاسلحـة الاخرى، سلاح لا يمكن اجراء المناورة العسكرية به مهما كان نطاق هذه المناورة. لهذا يرى الشراح العسكريون، بشكل عام، ان احتمال استخدام الاسلحة البيولوجية لا يرقى الى احتمال استخدام الاسلحة الكيماوية في الحرب، إلا انه لا يجوز اسقاطها من الحساب.

التطهير البيولوجي: ان غرض عمليات التطهير من العوامل البيولوجية هو سلامة الاشخاص والمواد والاراضي بعد تعرضها للهجوم بالاسلحة البيولوجية، وذلك بإبادة الكائنات المجهرية او إبطال تأثير سمومها. اما عندما يكون هذا غير عملي، فإن التطهير يكون بمنع وصول هـذه الكائنات الى الاشخاص. وتستخدم في ذلك المطهرات، ويجب ان تتوفر في المطهرات من العوامل البيولوجية الخواص التالية: أ) التأثير على اكبر عدد ممكن من العوامل البيولوجية التي يحتمل استخدامها. ب) سرعة التأثير. ج) توفرهـا في زمن الحرب وبأسعار معقولة. د) ان لا تسبب تلف التجهيزات والمواد التي يجري تطهيرها من التلوث. هـ) ان تكون تأثيراتها الجانبية قليلة الخطورة، وفي حالة ترك رواسب سامة لهذه المطهرات فينبغي معرفة وسائل إزالتها ومقاومة سميتها.

وانواع المطهرات الكيماوية المعروفة كثيرة، منها على سبيل المثال: مسحوق القصر او المركبات التي تحتوي على الكلور. ومحلول دانك. ومحلول الفينول. ومحلول الكريزول (تركيز ٥٪). والكحول. والفورمالين. ومحاليـل بيروكسيد الهيدروجين، وبرمنغنـات البوتاسيوم، وفلوريـد الزئبقيك. وبيتابروبيولاكتون، وتستخدم لتطهير المباني. ومن اكثر وسائل التطهير توفراً في الظروف العادية الماء المغلي والصابون او الصابون المعقم.

وتستخدم هذه المطهرات في تطهـير الملابس والتجهيزات والابنية والارض، وفي الحالات التي يتعذر فيها اللجوء الى استخدام المطهرات الكيماوية فينبغي استخدام وسائل التطهير الفيزيائية كالتعريض لأشعة الشمس او الحرق. وتختلف اجراءات تطهير الهواء والماء والطعام والاشخاص عما سبق كما يتضح مما يلي:

بالنسبة الى الهواء: لا يمكن تطهير الهواء الموجود في الاماكن المغلقة، اذ ان تعقيمه والاستمرار باستنشاقه لا يجدي، وفي هذه الاحوال يفضل تزويد الملاجىء العامة بوسائل تهوية وترشيح واقية جماعية تضمن الحصول على هواء خال من العوامل البيولوجية وان كانت لا تضمن حماية فعالة ضد الفيروسات.

بالنسبة الى الماء : من المفروض ان تضمن وسائل التنقية والتعقيم العامة لمصادر المياه حماية فعالة . اما في الميدان ، فإذا تعذر استبدال الماء الملوث والاستغناء عنه كلية فيمكن تطهيره بغليه لمدة (١٥) دقيقة او استخدام حبوب خاصة لتعقيمه ، وقد يستخدم الكلور شريطة ان لا تزيد نسبته على جزء لكل مليون جزء من الماء .

بالنسبة الى الطعام : ان طبخ الطعام بدرجة حرارة عالية يكفي لقتل معظم الكائنات المجهرية . اما الطعام المحفوظ في اكياس من الورق الشفاف او الفواكه ذات القشور فإن تطهيرها يكون برشها او غمرها بالمطهرات ثم غسلها بالماء لإزالة اثر المطهرات منها . وفي جميع الاحوال ، ينبغي ان تقوم اجهزة الخدمات الصحية بالتأكد من خلو الاطعمة والمياه من التلوث قبل تناولها .

اما بالنسبة الى الاشخاص : فأن من الضروري خلع ملابسهم فوراً عندما يسمح الوقت بذلك ، واخذ حمام حار بالماء والصابون لمدة لا تقل عن عشر دقائق . واذا تعذر ذلك غدا من الضروري غسل الاجزاء الظاهرة من الجلد وتضميد الجروح بعد تعقيمها . كما يجب على الافراد تعقيم انفسهم اثناء القتال باستخدام محلول « المونوكلورامين » .

تقوم باجراءات وعمليات التطهير عادة فرق طبية خاصة مزودة بتجهيزات خاصة من بينها وحدات متنقلة تحتوي على مراجل بخارية ومضخات وخراطيم وغيرها . (انظر التطهير) .

مقارنة مع عوامل الحرب الكيماوية : تتشابه عوامل الحرب البيولوجية والكيماوية في كثير من الاوجه ومنها : أ) ان كلاهما — باستثناء العوامل الحارقة — يصيب الانسان ولا يدمر الممتلكات المادية . ب) ان كلاهما يمكن نشره في الهواء ونقله مع الريح بطريقة مشابهة ، وله قابليـة لتلويث الارض ، والالبسة ، والمعدات ، والماء ، والاطعمة . ويتفاوت تأثيره بدرجات مختلفة على الانسان والحيوان والنبات . ج) وبخلاف المقذوفات العادية ، فإنهما يستطيعان النفاذ الى اي بقعة يمكن للهواء ان يصلها . د) تستطيع الملابس والاقنعة الواقية واجراءات الحماية الجماعية ان تؤمن وقاية ضدها بدرجات متفاوتة . د) كلاهما يحدث اثراً معنوياً مشابهاً ، وخصوصاً بين الافراد الذين يجهلون خصائص كل منهما ، وحدود فعاليتهما ، واجراءات الدفاع ضدهما .

وتتميز العوامل البيولوجية بأنها تستطيع النمو والتكاثر بعد نشرها في حال توفر ظروف بيئية ملائمة ، لذلك فإنها تستخدم بكميات اصغر وبالتالي تنخفض تكلفتها ، ويمكن ان تحدث وباء سارياً . كما تتميز بان اعراضها تتأخر كثيراً في الظهور بمقارنتها بالعوامل الكيماوية . وتتميز العوامـل البيولوجية من ناحية اخرى بتعذر اكتشافها في الميدان في الوقت الحاضر ، ويستلزم ذلك ارسال عينات من المواد التي يشتبه بتلوثها الى المختبرات التي تقوم بعمليات زرع للجراثيم وفحصها ومعرفة نوعها ، الامر الذي يستغرق وقتاً طويلا ، على حين يمكن اكتشاف العوامل الكيماوية ميدانياً ، (انظر الحرب الكيماوية) .

الحرب البيولوجية دولياً : في حزيران (يونيو) من العام ١٩٢٥ قامت معظم الدول الكبرى آنذاك بتوقيع بروتوكول في جنيف يمنع استخدام الغازات الخانقة والسامة وغيرها ، كما يمنع اللجوء الى استخدام الوسائل البكتيريولوجية في الحروب . وقد اقرت تسع وعشرون دولة هذا البروتوكول ، بوجود استثناء هام واحد هو الولايات المتحدة الاميركية . وفي كانون الأول (ديسمبر) من العام ١٩٦٦ اتخذت الجمعية العمومية للامم المتحدة قراراً يقضي بضرورة الالتزام بما ورد في بروتوكول جنيف سابق الذكر . وفي العام ١٩٦٢ اثارت بريطانيا مسألة نزع السلاح البيولوجي في مؤتمر لنزع السلاح وإعادت طرح المسألة مجدداً في جنيف في آب (أغسطس) من العام ١٩٦٩ على أمل تقديم مسودة اتفاقية حول حظر استخدام وانتاج وحيازة أسلحة بيولوجية . وقد لاقى هذا التحرك البريطاني دعماً واسعاً وعلى الاخص من قبل الاتحاد السوفياتي ، الا ان احتمال الوصول الى اتفاق فعلي حول هذه القضايا لا يزال ضعيفاً ، نظراً لصعوبة ايجاد رقابة فعالية . وتنفيذ رقابة دولية على انتاج الاسلحة البيولوجية هو امر شبه مستحيل ، فليس بالامكان معرفة ما اذا قامت إحدى الدول بتربية العوامل البيولوجية المناسبة في الوقت الذي تقوم فيه دول عديدة بذلك علناً بداعي دراسة الوسائل الدفاعية المضادة للحرب البيولوجية .

وتختلف السياسات المعلنة وغير المعلنة للدول بخصوص الحرب البيولوجية ، فقد اعلنت الولايات المتحدة في العام ١٩٦٠ إبان ادارة روزفلت بأنها لن تكون البادئة بشن حرب بيولوجية او كيماوية ، وقدمت مذكرة بهذا الخصوص الى مجلس النواب للموافقة على هذه السياسة ، الا انها جوبهت بمعارضة عنيفة من قبل وزارتي الخارجية والدفـاع . وفي ٢٥ تشرين الثـاني (نوفمبر) ١٩٦٩ اعلن الرئيس نيكسون استنكار الولايات المتحدة لاستعمال الاسلحة البيولوجية ، وأمر بتدمير كل ما ادخرته اميركا منها ، ومما قاله يومئذ : « ان للاسلحة البيولوجية نتائج واسعة لا يمكن السيطرة عليها ، ولا التكهن بمداها ، فقد تثير وباء يعم العالم ويخرب صحة الاجيال المقبلة ، لذلك قررت : اولا — أن تمتنع الولايات المتحدة عن استعمال المواد والاسلحـة البيولوجية القاتلة وكل اساليب الحرب البيولوجية . وثانياً — ستحدد الولايات المتحدة ابحاثها البيولوجية بالتدابير الدفاعية كااللقاحات واحتياطات الوقايـة والسلامة » . ولقد اعلنت بريطانيـا العظمى في عدة مناسبات ، بأن أية ابحاث تجربها في نطاق الحربين البيولوجية والكيماوية هي ابحاث ذات طابع دفاعي محض ، وبأنها لا تملك اي مخزون من هذه الاسلحة او اي وسائل هجومية لاطلاقها تمكن من شن مثل هـذه الحروب . وفي آب (اغسطس) ١٩٦٩ اثارت بريطانيا في جنيف مسألة التقيد ببروتوكول جنيف للعام ١٩٢٥ واعربت عن رغبتها ، فيما بعد ، بتقديم مسودة معاهدة لحظر استخدام وانتاج الاسلحة البيولوجية . وقد أيد الاتحاد السوفياتي موقف بريطانيا ولاقى في ذلك استحساناً دولياً كبيراً . ولكن رغم هذا الموقف السوفياتي المعلن ، فإن لدى الاتحاد السوفياتي ابحاثاً متقدمة في ميدان الحرب البيولوجية وعدداً كبيراً من مراكز الابحاث المتخصصة التي تعلن بانها تستخدم لغايات دفاعية . ولا يشذ الموقف الفرنسي عن المواقف السابقة ، ففرنسا ايضاً تعلن موقفاً دفاعياً ولكنها تشارك في تبادل المعلومات السرية الدفاعية والهجومية — المتعلقة ببرامج الحرب البيولوجية والكيماوية في اوروبا . وفي آب (أغسطس) عام ١٩٦٩ ، اجتمع في جنيف ممثلو اثنتي عشرة دولة من دول عدم الانحياز ، وطالبوا بضرورة صدور قرار عن الامم المتحدة يمنع استعمال الاسلحـة الكيماوية والبيولوجية في المنازعـات الدولية . ومن الجدير بالذكر ان كل الدول العاملة في هذا الميدان تدعي انها تكرس اعمالها وابحاثها لغايات الدفاع . ولكن رغم السياسات الدولية المعلنة وغير المعلنة ، فإن الشعور الذي يسود العالم في الوقت الحاضر هو شعور بالقلق المشوب بكثير من الحذر وعدم الثقة . فالاتحاد السوفياتي لا يثق بنوايا الولايات المتحدة ، وليس هناك من سبيل لاقناع الولايات المتحدة بأن الاتحاد السوفياتي لا يملك مخزوناً من الاسلحة البيولوجية ، وكلاهمـا لا يستطيع تقييم قدرات الآخر في هذا المجال . وفي ظل ظروف دولية كهذه ، فإن احتمال استخدام الاسلحـة البيولوجية بشكل او بآخر في النزاعات المستقبلية امر لا مفر منه ، وسوف تجد الدول التي لا تستطيع

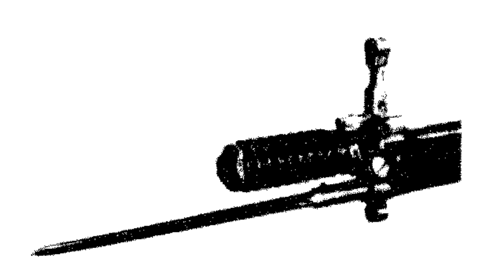
استخدامها نفسها عاجزة عن التصدي مهما حسنت وسائل دفاعها.

اما في الشرق الاوسط، فقد سبق لدولة الكيان الصهيوني ان هددت في صحيفة «جيروزاليم بوست» عدد ١٣ تموز (يوليو) عام ١٩٦٩ التي تعكس عادة وجهة النظر الحكومية، باستعمال الاساليب المرنة لاجهزتها الحربية المتخصصة في حروب الغد التي تستخدم فيها أسلحة الدمار الشامل ومنها الاسلحة البيولوجية. ويشير بعض الكتاب الغربيين الى ان الدولة الصهيونية هي في طليعة الدول التي تقوم بابحاث سرية جادة الى تطوير وانتاج اسلحة من هذا النوع. وما من شك في ان هناك تعاوناً قائماً بين علماء غربيين – وجلهم من اليهود – وبين علماء اسرائيل في هذا النطاق. وهناك قرائن تشير الى نوايا اسرائيل في هذا الصدد منها: انها غير مرتبطة باتفاقية جنيف لعام ١٩٢٥ ولم تنضم اليها حتى الآن، الامر الذي يدفع الى الاعتقاد بأن اقدام اسرائيل على استخدام هذه الاسلحة أمر لا يمكن استبعاده، خاصة في حالة يأسها وبمجرد شعور مؤسستها العسكرية ان ميزان القوى اخذ ينقلب ضدها.

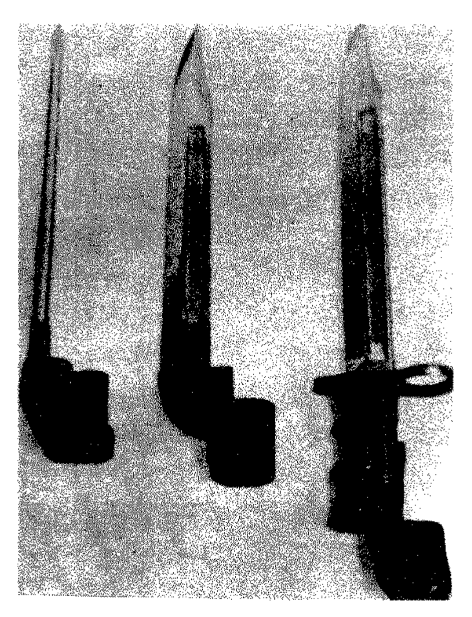
(٧) الحربة

نوع من السيوف القصيرة التي يمكن تثبيتها في رأس البندقية. يعتقد ان جماعة من «الباسك» (سكان المنطقة الشمالية الغربية من اسبانيا) استخدموها حوالي سنة ١٦٤٠ عندما نفذت ذخيرتهم النارية فثبتوا خناجرهم في رأس سبطانات بنادقهم. ثم تركزت صناعة الحراب في مدينة بايون في فرنسا. وفي سنة ١٦٧٠ جهزت إحدى فرق الجيش الفرنسي بأول حراب ذات جفيف Douille يسمح للرامي باطلاق النار، والحربة مثبتة على البندقية. وفي اوائل القرن الثامن عشر عم استعمال الحربة، فاصبحت البندقية سلاحاً نارياً وسلاحاً ابيض في آن واحد. وخلال هذا القرن لم تكن الحربة تثبت بالبندقية الا عند الانقضاض. ثم زودت بها فرق الخيالة المسلحة بالبنادق الصغيرة. ومن سنة ١٨٦٦ عم استعمال «الحربة – السيف» وجهزت بها فرق الخيالة والمدفعية. وتنوعت اشكال الحربة فاصبح نصلها مسطحاً او مثلثاً، قصيراً او طويلا او متوسطاً.

وظلت الحربة تعتبر السلاح الامثل للمشاة في قتال الالتحام، ولكن اهميتها تضاءلت اثناء الحرب العالمية الثانية نتيجة لتطور استخدام القنبلة اليدوية والرشاش القصير (الرشيشة). ومعظم البنادق الحديثة



حربة مثلثة الأضلاع



حراب: مثلثة ومسطحة، قصيرة وطويلة

الحربة – الخنجر



مجهزة بما يمكن حاملها من تثبيت حربة في مقدمتها بل ان بعض الرشاشات القصيرة مزود بمثل هذه التجهيزات ايضاً.

وتكون الحربة عادة منفصلة عن البندقية وموضوعة داخل غمد معدني يحمله الجندي مثبتاً في نطاقه، بيد أن الرغبة في تخفيف حمولة الجندي المثبتة على النطاق دفعت بعض الدول إلى تثبيت الحربة على البندقية نفسها. وفي هذه الحالة تكون الحربة قابلة للطي على الحاضن (البندقية نصف الآلية سيمنوف والبندقية الآلية كلاشنيكوف المصنوعة في الصين الشعبية) أو تكون داخل الحاضن (البندقية الفرنسية طراز ١٩٣٦).

ورغم تزايد القوة النارية للاسلحة الخفيفة التي يحملها جنود المشاة، فان الحربة لا تزال حتى اليوم سلاحاً من اسلحة الصدمة يستخدمه جنود المشاة والمظليون خلال الانقضاض والتطهير والقتال الليلي وقتال الغابات والمدن وكل الحالات التي يمكن أن يتم فيها الاشتباك بالسلاح الابيض (انظر السلاح الابيض وقتال الحراب).

(١) حرب التحرير الشعبية

هي شكل من اشكال الحرب الثورية، يتجابه فيها شعب مسلح قرر التخلص عن طريق العنف من القهر الوطني أو القهر الوطني الاجتماعي الذي تحاول فرضه عليه دولة أجنبية غاصبة تشن حرباً استعمارية، أو تشن حرباً مضادة للعصيان، مستندة إلى قواها الذاتية أو قواها الذاتية المدعومة بقوى محلية عملية. ومن هنا يمكن اعتبار حرب التحرير الشعبية الرد الشعبي العنيف والعادل على العنف الأجنبي غير العادل.

وبما أن حرب التحرير الشعبية هي في جوهرها حرب ثورية، فان من الطبيعي أن تطبق استراتيجيتها (استراتيجية الحرب طويلة الامد) وتلجأ إلى اساليبها وتكتيكاتها المتعددة (انظر الحرب الثورية).

(١) حرب التحرير الوطنية الكورية (١٩٥٠ – ١٩٥٣)

تعرف أيضاً باسم الحرب الكورية، وهي الحرب التي اندلعت في ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٠ بين قوات جمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية (كوريا الشمالية) وجمهورية كوريا (كوريا الجنوبية)، ثم لم تلبث أن تدخلت فيها لصالح

الجنوبيين قوات برية وبحرية وجوية ، اميركية ، وبريطانية ، وفرنسية ، وتركية ، واوسترالية ، وهولندية ، وكندية ، وفيليبينية ، وتايلاندية ، وافريقية جنوبية ، وبلجيكية ، ولوكسمبورغية ، وكولومبية ، وحبشية ، ونيوزيلندية ، ويونانية ، عملت تحت راية الأمم المتحدة ، على حين حصل الشماليون على دعم الطيران السوفياتي ، وعلى دعم قطعات من المتطوعين من جمهورية الصين الشعبية ، وانتهت باتفاقية بانمونجوم في ٢٧ تموز (يوليو) ١٩٥٣ ، التي كرست تقسيم البلاد إلى شمال وجنوب ، بحدود مصطنعة تسير على خط يتطابق تقريباً مع خط العرض ٣٨ الذي كان يقسم شبه الجزيرة الكورية قبل الحرب إلى دولتين : شمالية وجنوبية .

في شهر آب (أغسطس) ١٩٤٥ ، وقبيل انهيار العسكرية اليابانية في الشرق الأقصى ، اجتاح الجيش السوفياتي الخامس والعشرون (١٠٠ ألف جندي) بقيادة الجنرال تشيستياكوف الحدود السوفياتية – الكورية ، وانضمت إليه قوات الجيش الشعبي الكوري التي كانت تقاتل اليابانيين تحت قيادة المارشال كيم ايل سونغ في منشوريا وكوريا منذ العام ١٩٣٢ . ثم اجتازت قوة سوفياتية اخرى حدود منشوريا لتطهيرها من اليابانيين ، وهكذا تم تطويق ٦٠٠ ألف جندي ياباني ، وبدأت العمليات التالية لتصفيتهم . وفي ٢ ايلول (سبتمبر) وقعت اليابان وثيقة الاستسلام ، في الوقت الذي كانت به القوات الاميركية على بعد ٦٠٠ ميل بحري في جزر اوكيناوا . وبعد حوالي اسبوع نزل الفيلق الاميركي الرابع والعشرون بقيادة الجنرال هودج في ميناء انتشون الكوري . وكان دخول السوفيات والاميركيين إلى كوريا متفقاً عليه في مؤتمري يالطة وبوتسدام . ولقد أقر مؤتمر بوتسدام أن يقوم الاميركيون بنزع سلاح اليابانيين جنوبي خط العرض ٣٨ ، على حين يقوم السوفيات بنزع سلاح اليابانيين شمالي هذا الخط ، الذي لم يكن اكثر من خط وهمي لا يرتبط بأية اعتبارات تاريخية أو استراتيجية . وهكذا انقسمت شبه الجزيرة الكورية إلى شطرين : شمالي ، ويقطنه ٩ ملايين نسمة ، وتتركز فيه الصناعات الثقيلة ومصادر المواد الأولية ومنابع الطاقة . وجنوبي ، ويقطنه ٢١ مليون نسمة ، ويعتمد على الزراعة ، ويفتقر إلى الصناعات والمواد الأولية ومصادر الطاقة . وتصرف الاميركيون في الجنوب كقوات احتلال ، على حين تصرف السوفيات في الشمال كقوات محررة مستعدة للانسحاب بعد عودة البلاد الى حالتها الطبيعية . ولقد ظهر منذ البداية أن الاميركيين يريدون ترسيخ اقدامهم في كوريا الجنوبية ، وخلق قاعدة قوية تكون رأس جسر في آسيا ، وجزءاً من خط تطويق الجناح الشرقي للاتحاد السوفياتي . واعتبروا خط العرض ٣٨ الوهمي حدوداً حقيقية تفصل بين دولتين ونظامين ومعسكرين متجابهين .

ورد ابناء الشعب الكوري في الشمال والجنوب على هذا التقسيم التعسفي بعنف وطالبوا بتوحيد بلادهم . وعندما وجد الجنرال ماك آرثر قائد القوات الاميركية في الشرق الأقصى ، أن الاضطرابات ستتزايد ، أعلن أن « توحيد كوريا عمل يفوق طاقته » ، ورفعت المسألة إلى اجتماع وزراء خارجية الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا المنعقد في موسكو (كانون الأول ١٩٤٥) . واقر وزراء الخارجية في هذا الاجتماع ايقاف التسابق الاميركي – السوفياتي في كوريا ، وتشكيل لجنة مشتركة سوفياتية – اميركية للسير بالبلاد نحو الاستقلال الوطني والتقدم ، وتشكيل هيئة وصاية اميركية – سوفياتية – انكليزية – صينية للاشراف على البلاد ولمدة خمس سنوات ، تحصل كوريا بعدها على الاستقلال . ولكن الكوريين عارضوا هذه البنود واعتبروها مجحفة بحقهم ومتجاهلة لتطلعاتهم في الوحدة والتحرر . وعرقل الاميركيون تنفيذ البنود ، ثم ازداد موقفهم تعنتاً منذ شباط (فبراير) ١٩٤٦ عندما انتخب الشعب في كوريا الشمالية « اللجنة الشعبية المؤقتة لكوريا الشمالية » برئاسة كيم ايل سونغ . ورد الشعب في الجنوب على العنف بالعنف ، وفي نهاية العام ١٩٤٦ استبدلت « الادارة العسكرية الاميركية في كوريا » (USIMGIK) بحكومة كورية مؤقتة رفض حزب العمل الكوري والزعيم اليميني سينغمان ري المشاركة فيها . ولكن هذه الحكومة عجزت عن تأمين الاستقرار ، فرفعت مسألة كوريا إلى الأمم المتحدة (ايلول ١٩٤٧) التي شكلت «لجنة مؤقتة لشؤون كوريا» تضم مندوبين عن ٨ دول للاشراف على اجراء انتخابات في الشمال والجنوب ، تنبثق عنها حكومة مركزية . وأمام رفض الجماهير والقوى الوطنية والتقدمية لتدخل هذه اللجنة ، وللانتخابات التي ستجري تحت اشرافها ، اجرى الاميركيون في الجنوب انتخابات منفصلة في ١٠ أيار (مايو) ١٩٤٨ ، وتشكل « مجلس وطني » جنوبي ، انبثق عنه في ١٥ آب (أغسطس) حكومة يرأسها سينغمان ري وظهرت إلى الوجود « جمهورية كوريا » وعاصمتها سيئول .

ولم تعترف غالبية الاحزاب والشخصيات الكورية الجنوبية بهذه الانتخابات المنفصلة أو بالمجلس أو الحكومة ، واجتمعت في نيسان (ابريل) في هيجو ، شمالي خط العرض ٣٨ ، وقررت اجراء انتخابات جديدة في الشمال والجنوب . ولقد جرت هذه الانتخابات رغم تدابير السلطات الجنوبية ، وكانت نسبة الاقتراع في الشمال ٩٩ ٪ وفي الجنوب ٧٧,٢ ٪ ، واسفرت عن انتخاب ٣٦٠ نائباً جنوبياً و ٢١٢ نائباً شمالياً . وانتقل النواب الجنوبيون إلى بيونغ يانغ (في كوريا الشمالية) وشكلوا مع النواب الشماليين « مجلس الشعب الأعلى » ، الذي أعلن في ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ تشكيل حكومة « جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية » برئاسة المارشال كيم إيل سونغ ، ومقرها بيونغ يانغ . وفي كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٨ انسحبت القوات السوفياتية من كوريا الشمالية . وبعد تردد طويل انسحب الاميركيون في حزيران (يونيو) ١٩٤٩ تاركين وراءهم بعثة عسكرية استشارية (KAMG) ، تضم ٥٠٠ خبير برئاسة الجنرال وليام روبرتس .

وهكذا انقسمت شبه الجزيرة الكورية إلى دولتين : الأولى شمالية سارت على الخط الاشتراكي التقدمي ، تحت قيادة حزب العمل الكوري ، وصفت الاقطاع ، وحررت الفلاح ومنحته الأرض ، وأممت المصانع والبنوك والشركات الاحتكارية ، وبدأت تصنيع البلاد ، وإزالة كل آثار التخلف الموروثة من الاستعمار الياباني . والثانية جنوبية ، سارت على الخط الرأسمالي ، تحت قيادة الاقطاعيين والرأسماليين الكومبرادوريين والبيروقراطيين المنتفعين (ومعظمهم من البيروقراطيين القدامى الذين خدموا السلطات اليابانية) ، وقهرت الجماهير وتابعت استغلالها ، وربطت الاقتصاد الكوري بعجلة الاقتصاد الاميركي . وفي الوقت الذي كان فيه الشماليون يمحون الأمية ويعيدون تنظيم البلاد وتدعيم الاقتصاد في جو من الهدوء والاستقرار ، كان الجنوبيون يناضلون ضد النظام الجديد ، ويتعرضون لأسوأ التدابير القمعية ، وسط جو من الاضطرابات وعمليات العصيان وحملات التأديب .

وكان وجود هذين النظامين المتناقضين ، وعدم اعتراف القوى الوطنية التقدمية في الجنوب بتقسيم البلاد ، وارتباط هذه القوى مع مثيلتها في الشمال ، ومناداة الشماليين والقوى الوطنية التقدمية في الجنوب بضرورة توحيد البلاد ، ورغبة الامبرياليين والرجعية الكورية بتدمير النظام الشمالي قبل أن تترسخ أقدامه ويمتد تأثيره إلى الجنوب ، العوامل التي جعلت شبه الجزيرة الكورية منطقة غير مستقرة . ولقد زاد من عدم الاستقرار تحرش السلطات الجنوبية بجيرانها

الشماليين منذ العام ١٩٤٨ ، وكان التحرش يتمثل بالاغارات والدوريات وعمليات القصف البري والجوي والبحري . ولقد تصاعدت هذه التحرشات في العام ١٩٤٩ والنصف الاول من العام ١٩٥٠ ، ووقع في فترة (كانون الثاني ١٩٤٩ – حزيران ١٩٥٠) ١٨٦٠ اعتداء جنوبياً على اراضي الشمال ، منها ٢٥٩ غارة جوية و ٤١ غارة بحرية . وفي ٧ حزيران (يونيو) توتر الوضع بين الدولتين إلى درجة كبيرة عندما اقترحت «اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية لتوحيد الوطن» عقد مؤتمر لتوحيد البلاد ، يضم ٣٠٠ شخص من كافة التنظيمات الجماهيرية والشخصيات والاحزاب في كوريا الجنوبية (باستثناء ٨ أشخاص ومن بينهم سينغمان ري) ، وردت السلطات الجنوبية على هذه الدعوة بمنع المدعوين الجنوبيين من السفر إلى الشمال لحضور المؤتمر ، واعتقال المبعوثين الشماليين الذين جاءوا إلى كيوهون (على خط العرض ٣٨) لتسليم الدعوات . واعلن بريزيديوم المجلس الشعبي الأعلى لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية في ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٥٠ عن اصراره على توحيد البلاد (الذي يمثل مطلباً جماهيرياً ملحاً) ونيته للعمل في سبيل ذلك ، واقترح دمج المجلسين التشريعيين الشمالي والجنوبي في مجلس واحد . واعتبرت سلطات كوريا الجنوبية أن هذه الدعوة عدوان عليها ، وتدخل في شؤونها الداخلية ، ومحاولة لتبديل النظام ، فردت عليها بشن الحرب .

ميزان القوى :

كانت القوات الجنوبية عشية اندلاع القتال تضم ١٥٠ ألف رجل (١٠٠ ألف في الجيش النظامي ، و ٥٠ ألفاً في قوات الدفاع الوطني) بالإضافة إلى ٢٥ طائرة ، و ٧١ مركباً حربياً . وكانت القوات البرية مؤطرة داخل ٨ فرق في كل منها ٦٩٠٠ – ٩٧٠٠ رجل وهي : (الفرق ١ و٢ و٣ و٥ و٦ و٧ و٨ وفرقة العاصمة) وكتيبتان مستقلتان ، وفوج مصفحات ، وفوج مدفعية . وكان تسليحها الاساسي البنادق والرشاشات والهاونات الاميركية بالاضافة إلى ٣٧ مدفعاً مضاداً للدبابات ، و ٣٧ عربة مدرعة ، و ٨٩ مدفع هاوتزر من عيار ١٠٥ مم .

وكانت القوات الشمالية تضم ١٤٠ ألف رجل ، منها ٩٠ ألف رجل مؤطرين داخل القوة الضاربة التي كانت تضم ٧ فرق مشاة في كل منها ١٠ آلاف رجل ، واللواء المدرع ١٠٥ ، ولواء مشاة مستقل ، ولواء راكبي الدراجات النارية ، ولواء حرس حدود . وكانت الفرقة تضم ٣ أفواج في كل منها ٣ كتائب مشاة ، وكتيبة مدفعية ذاتية الحركة ، وفوج مدفعية مقطورة ، ووحدات م/د ، ووحدات المساندة . وكانت اسلحة الشماليين عبارة عن بنادق ورشاشات وهاونات سوفياتية الصنع ، بالاضافة إلى المدافع عيار ٧٦ و٨٢ مم ، ومدافع الهاوتزر ١٢٢ مم ، ودبابات «ت – ٣٤» . و ٣٠ – ٤٠ طائرة مقاتلة من طراز «ياك» .

واذا قارنا بين قوات الشمال والجنوب وجدنا : ١ – معنويات جيش الشماليين افضل من معنويات جيش الجنوبيين الذي أثرت عليه اوضاع البلاد السياسية وجعلته عرضة للتفكك ، ٢ – القيادات الشمالية تملك خبرة قتالية اكتسبتها من القتال في صفوف الأنصار خلال الصراع ضد اليابانيين ، أو اكتسبتها خلال الاشتراك في العمليات الحربية داخل جيش ماو تسي تونغ . بينما لا تملك القيادات الجنوبية مثل هذه الخبرة ، ٣ – الوعي السياسي في جيش الشماليين أعلى من مثيله في جيش الجنوبيين ، ٤ – المدفعية الشمالية متفوقة بنسبة ٣ إلى واحد علاوة على أن المدفع ١٢٢ مم السوفياتي قادر على الرمي لمسافة ١٢٥٠ متر ، على حين لا يزيد مدى المدفع ١٠٥ الاميركي عن ٧٥٠٠ متر ، ٥ – التفوق الشمالي في الدبابات ساحق ، ٦ – مكننة القوات الشمالية وبالتالي فان مرونتها اكبر من مثيلتها في القوات الجنوبية ، ٧ – الطيران الشمالي متفوق على الجنوبي بنسبة ١,٥ إلى واحد .

ورغم كل هذه العوامل التي تدل على أن ميزان القوى كان لصالح الشماليين ، فقد شن الجنوبيون الحرب ، نظراً لاعتمادهم على الافادة من عامل المبادرة وتسديد الضربة الأولى ، واستنادهم إلى «الاتفاقية الكورية الجنوبية – الاميركية للدفاع والمساعدة المتبادلين» ، الموقعة في ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٠ ، والتي كانت تعطي الولايات المتحدة الحق بالتدخل العسكري في كوريا عند اللزوم . وتسمح للكوريين بالافادة من القوات الاميركية البرية والبحرية والجوية التابعة «لقيادة القوات الاميركية في الشرق الاقصى» العاملة بأمرة الجنرال ماك آرثر . ولقد كان مقر هذه القيادة في طوكيو ، وترتبط بها كافة القوات البرية والبحرية والجوية العاملة في المحيط الهادي الغربي ، بما في ذلك الاسطول السابع . وهي تعادل ٥٠ ٪ من القوات الاميركية العاملة وراء البحار وتضم : الفيلق الثامن (الفرق ٢٤ ، و٢٥ ، و ٧ ، وفرقة الخيالة الاولى) . و ٦ أفواج مستقلة ، وحوالي ١١٤٢ طائرة ، والاسطول السابع (اكثر من ١٠٠ مركب حربي ، منها حاملات طائرات ومدمرات وطرادات وغواصات ومراكب إنزال ، وسفن مساندة) .

المرحلة الأولى : مرحلة الحرب الخاطفة (٢٥/٦/١٩٥٠ – ١٥/٩/١٩٥٠)

في فجر ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٠ ، اجتازت قوات كوريا الجنوبية خط العرض ٣٨ بعد قصف مدفعي عنيف امتد على طول الحدود . وكانت قوات الهجوم تتألف من ٦ فرق (٤ في النسق الأول و ٢ في النسق الثاني) . وكانت خطة الهجوم تستهدف احتلال بيونغ يانغ خلال ٣ أيام واسقاط النظام الاشتراكي الشمالي . واهتز العالم لنبأ هذا الصراع المسلح الذي اندلع في منطقة حساسة من مناطق المجابهة الباردة بين المعسكرين العملاقين ، وعلى مقربة من الحدود الشرقية لأكبر دولتين اشتراكيتين (الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية) .

وكان الشماليون يمسكون الحدود عند بدء القتال بثلاثة ألوية مشاة ، بينما كانت قواتهم الضاربة بقيادة الجنرال شاي يونغ كون تتمركز داخل البلاد . وقاومت الالوية الثلاثة هجوم الجنوبيين ومنعته من التوغل شمالي خط العرض ٣٨ اكثر من ١ – ٢ كيلومتر . وبعد عدة ساعات من بدء القتال ، اندفعت القوات الشمالية بقيادة الجنرال شاي من عمق البلاد ، وقامت بهجوم معاكس أوقف تقدم الجنوبيين ، ثم طورت النجاح واجبرتهم على الانسحاب ، وطاردتهم على ثلاثة محاور : المحور الغربي الرئيسي ويتجه نحو سيئول ، والمحور الأوسط المتجه نحو تشون تشون – هونغ تشون ، ومحور يسير مع الشاطىء الشرقي . ولقد تمت خلال المطاردة خمس عمليات :

العملية الأولى : (من ٢٥/٦ إلى ٢٩/٦) : ولقد جرى خلالها عبور نهر ايمجين ، وصد الهجمات المعاكسة الجنوبية عند ايد جونغ بو ، وتدمير الفرق الجنوبية الثانية والسابعة والثالثة والرابعة في يومي الخامس والعشرين والسادس والعشرين .

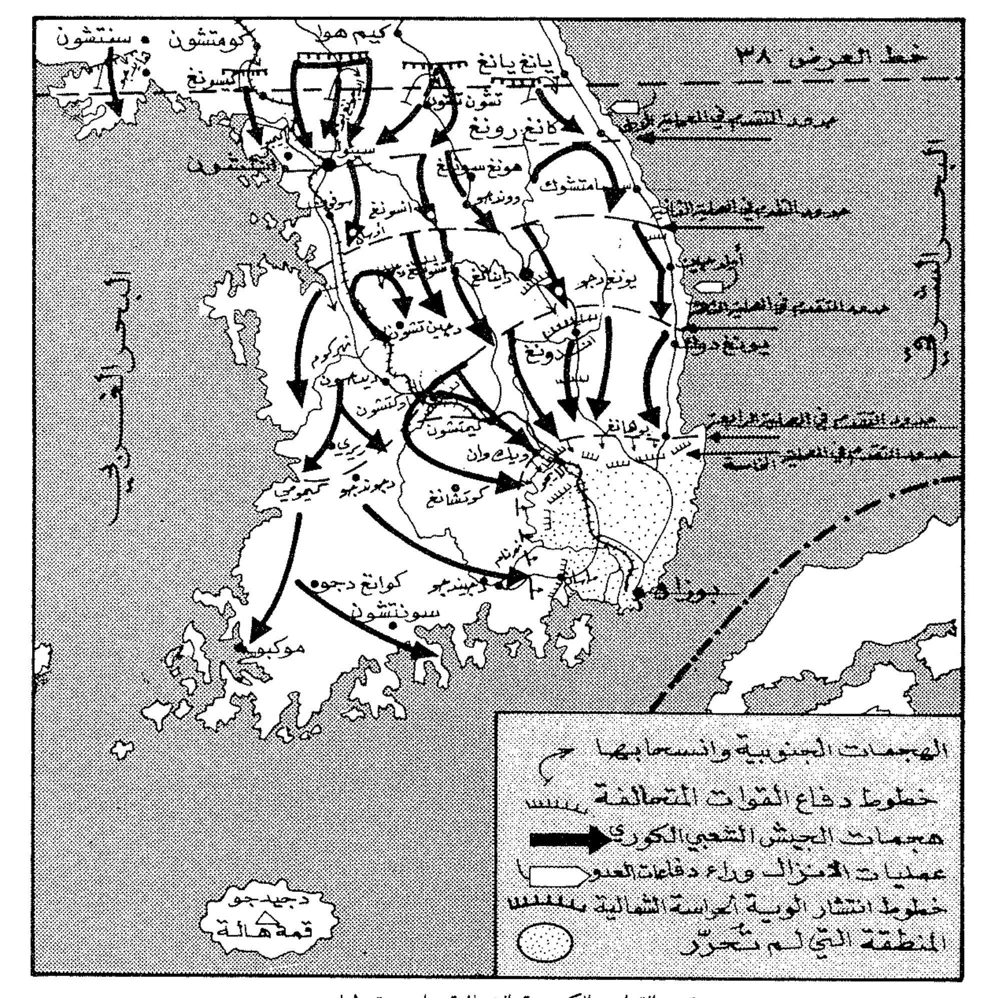
وتحت إلحاح الجنرال ماك آرثر ، والسفير الاميركي في سيئول جون موسيو ، قرر الرئيس الاميركي ترومان طلب عقد اجتماع مجلس الأمن . ودعا تريغفلي الأمين العام لهيئة الامم المتحدة مجلس الأمن الى الانعقاد في يوم ٢٥ (حسب توقيت نيويورك) ٢٦ حسب توقيت كوريا . وعقدت الجلسة في غياب المندوب السوفياتي . وأدى هذا الغياب الى تصويت مجلس الأمن على قرار يدين كوريا الشمالية وينادي بوقف اطلاق النار وانسحاب الشماليين إلى شمالي خط العرض ٣٨ ، دون أن يستطيع

الاتحاد السوفياتي ممارسة حق النقض (الفيتو) ضد هذا القرار. وبعد اتخاذ هذا القرار اجتمع مجلس الدفاع الاميركي الاعلى وقرر التدخـل إلى جانب كوريا الجنوبية، واعطيت الأوامر إلى ماك آرثر للتدخل بحراً وجواً لمنع سقوط منطقة انتشون – تيمبو – سيئول، فبدأت طائرات الموستانغ الاميركية المتمركزة في اليابان وطائرات الاسطول الاميركي بقصف أرتال الشماليين، كما قام الاسطول بقصف الأرتال المتقدمة على طول الشاطىء الشرقي.

وفي يوم ٢٧ (توقيت نيويورك) اجتمع مجلس الأمن من جديد وأصدر قراراً يقضي بتقديم المساعدة لكوريا الجنوبية؛ وبدأت الدول السائرة في ركب الولايات المتحدة تعرض ما تستطيع تقديمه من قوات برية أو بحرية أو جوية للمشاركة في القتال ضد الكوريين الشماليين.

وفي ليلة ٢٦ – ٢٧ وصلت القوات الشمالية (٤ فرق مشاة ولواء مدرع) إلى ضواحي سيئول التي غادرتها حكومـة سينغمان ري إلى ديدجون. وكانت الحالة المعنوية للقوات المدافعة عن العاصمة متدهورة. وزاد من تدهورها قيام الجنوبيين، وسط الفوضى والاضطراب، بنسف الجسر الواقع على نهر هان في ليلة ٢٧ – ٢٨، الأمر الذي قطع هذه القوات عن مؤخراتها. وفي يوم ٢٨ سقطت العاصمة تحت ضربات القوات الشمالية التي ساعدتها انتفاضة الجماهير داخل العاصمة نفسها. وبسقوط سيئول اختفت وحدات الدفاع المحلي، وهبط عدد الجيش الجنوبي من ١٠٠ ألف إلى ٢٢ ألفاً، وزحف الشماليون خلال أربعة أيام ٧٠ – ١٠٠ كيلومتر.

العملية الثانية: (٦/٣٠ – ٧/٦): في يوم ٦/٢٩ حضر الجنرال ماك ارثر الى كوريا، وزار خطوط القتال، ورأى أن التدخل الجوي – البحري غير كاف، وأن من الضروري تدخل اميركا بقوات برية لإيقاف الهجوم. وأرسل إلى واشنطن تقريراً بهذا الصدد. وكان يعتقد أن وصول فرقتين اميركيتين سيقلب الموقف لصالح الجنوبيين. وكان رد فعل الرئيس الأميركي ترومان إصدار الأوامر بإرسال فرقتين من اليابان إلى كوريـا. وتلقت الفرقة ٢٤ الأمر بالحركة من اليابان إلى كوريا لتكون طليعة قوات التدخل، وبدأت مقدمة الفرقة الحركة بالفعل في يوم ٧/١، وزاد نشاط الطيران والبحرية الاميركيين. ولكن القوات الكورية الشمالية تابعت التقدم، وعبرت الفرقة الثالثة نهر هان بالقوة في ٦/٣٠، وشكلت رأس جسر لعبور الفرقة الرابعة، وصدت الهجمات المعاكسة التي شنهـا



تقدم القوات الكورية الشمالية على عدة وثبات

الجنوبيون. وفي ليلة ٢ – ٣ تموز (يوليو) عبرت الدبابات، واستطاع المهاجمون تحرير يونغ دونغ بو في يوم ٧/٣. وفي هذه الأثناء كانت القوات الاميركية قد وصلت إلى كوريا. فلقد نزلت قوة سميث (كتيبة من الفوج ٢١ من الفرقة ٢٤) في مطار بوزان في يوم ٧/١، وفي يوم ٢ وصلت المراكب الحربية الاميركية حاملة الفوج ٣٤ من الفرقة ٢٤. وفي يوم ٧/٣ تمركز الفوج ٣٤ عند خط بيونغ تايك – أترونغ، وتمركزت قوة سميث شمالي أوسان على طريق سوفون – أوسان. وفي اليوم التالي دخل الشماليون سوفون ودمروا القوات الجنوبية المدافعة عنها، ولم يبق بين الشماليين والاميركيين أية قوات جنوبية. ووقعت المجابهة الكورية – الاميركية الأولى في يوم ٧/٥، وكانت نتيجتها اختراق مواقع قوة سميث وتدميرها. وفي اليوم التالي اصطدم الشماليون مع الفوج ٣٤ ودحروه وأجبروه على التراجـع

٢٤ كيلومتراً. وكانت عصابات الانصار الكورية تعمل وراء الخطوط، وتهاجم خطوط المواصلات، وتساعد المهاجمين على التقدم، وكان التقدم شاملا على طول الجبهة، وتحول انسحاب الكوريين الجنوبيين إلى عملية فرار. وفي يوم ٧/٧ تم تعيين ماك آرثر قائداً عاماً لقوات الأمم المتحدة التي بدأت تصل إلى منطقة العمليات بالتتابع.

العملية الثالثة: (٧/٧ – ١٩٥٠/٧/٢٠): قضى الشماليون يوم ٧/٧ في إعادة التنظيم، وفي اليوم التالي تابعوا الهجوم، واحتلوا في يوم ٧/٨ مدينة تشونان التي كان يدافع عنهـا القسم الباقي من الفوج ٣٤، وأصدر ماك آرثر أوامره للقلاع الطائرة ب – ٢٩ (التابعـة للقوات الجوية الاستراتيجية S. A. C.) لقصف الطرق والأهداف الاستراتيجية في يوم ٧/٩. وبعد معارك عنيفة على جميع المحاور ضد القوات الكورية الجنوبية والفرقة الاميركية ٢٤ كلها،



تدريب الكوريين الشماليين على الرمي



مظلي شمالي ومعدات الحرب البيولوجية

وصل الشماليون إلى نهر كوم في يوم ١٢ ، وأخذوا يستعدون لاحتلال عقدة المواصلات البرية ديدجون . وكانت خطة الجنرال دالتون ووكر الذي وصل إلى كوريا يوم ٧/٨ ليقود الجيش الثامن (الفرقة ٢٤ والفرقة ٢٥ التي وصلت بعدها ، والفوج ٢٧ المسمى «وولف هاند»، والذي وصل إلى كوريا في ٧/١٠)، تتمثل في الصمود على نهر كوم ، وتعطيل الهجوم على المحاور الأخرى وخاصة المحور الشرقي بغية الاحتفاظ بميناء بوهانغ الذي قررت فرقة الخيالة الاميركية الاولى النزول فيه عندما تكمل استعداداتها. وفي يوم ١٤ بدأ الشماليون عبور نهر كوم وانتهى العبور وسقوط خط الجنرال ووكر في يوم ٧/١٦ . وبعد يومين نزلت فرقة الخيالة الاميركية الاولى في بوهانغ وتحركت لأخذ مواقعها عند يونغ دونغ . وفي يوم ٢٠ سقطت مدينة ديدجون التي تمركزت فيها قيادة الفرقة ٢٤ . وتشتتت الفرقة ، ووقع قائدها

الضغط على جيب بوزان



اعداد غزو كوريا الشمالية

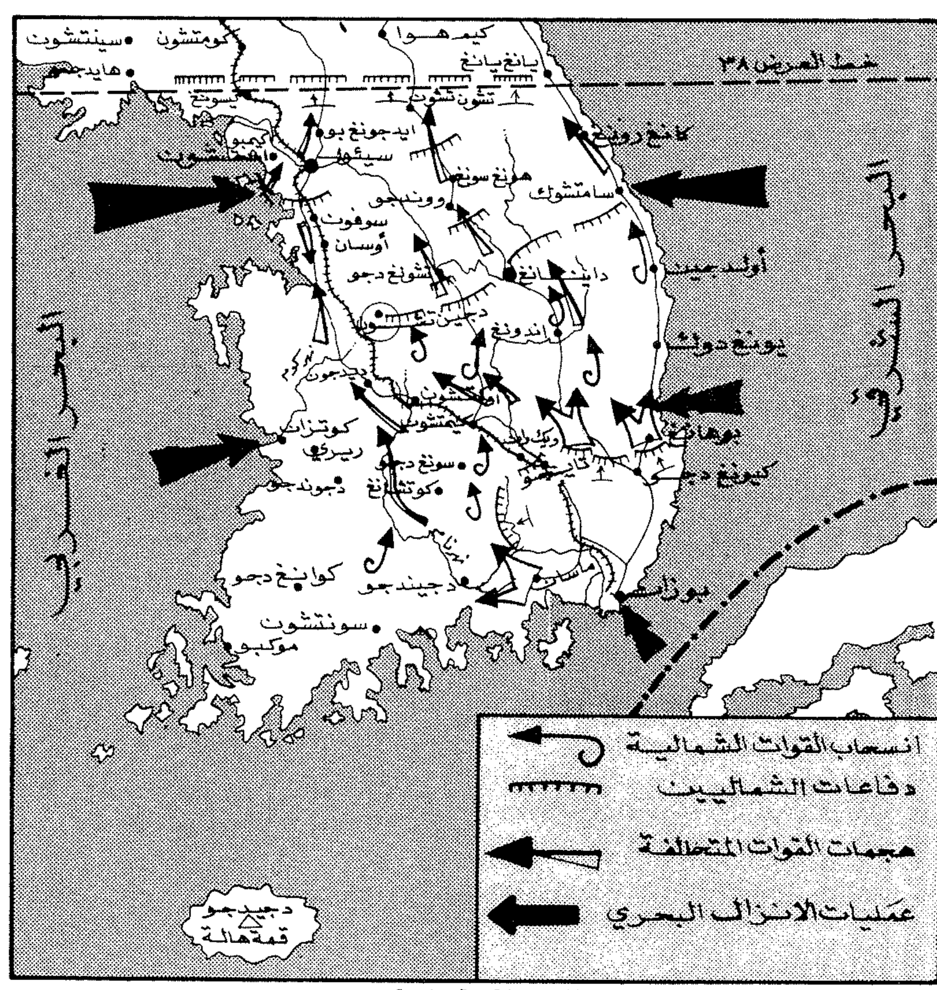
الجنرال وليام دين في الأسر .

العملية الرابعة : (٧/٢١ — ١٩٥٠/٨/٢٠):

في مطلع هذه العملية كان الجيش الاميركي الثامن قد وصل إلى كوريا بكل وحداته . وكان الاميركيون يحاولون إعادة تنظيم قوات كوريا الجنوبية ورفع عددها إلى ٨٥ ألف رجل . ومقابل هذه القوات حشد الجيش الشعبي الكوري ١٢ فرقة وضع ٨ فرق منها في انساق القتال الأولى و ٤ فرق في الاحتياط العملياتي . وكانت خطة الشماليين التقدم على أربعة محاور وتطهير الجزء الجنوبي من البلاد بالتعاون مع قوات الانصار العاملة وراء خطوط العدو . على حين كانت الخطة الأميركية الاستناد الى نهر ناكتونغ ، وإعاقة التقدم إلى أبعد وقت ممكن ريثما يقوم الطيران الاستراتيجي بانهاك الشماليين ، وريثما يتكامل وصول الامدادات الاميركية والوحدات التي وعدت الدول المتحالفة بارسالها . وعلى الرغم من وصول طائرات المجموعة الجوية الأميركية الخامسة إلى قاعدة تايجو ، وقيام طائرات الموستانغ وشوتينغ ستار ومراكب الاسطول بقصف القوات الشمالية ، قد استطاعت هذه القوات متابعة التقدم على المحور الشرقي حتى بوهانغ ، ووصلت على المحور الأوسط الى شمالي تايجو ، ووصلت من الغرب الى نهر نـام ونهر ناكتونغ ، وعبرت طلائعها هذين النهرين ، وأقامت عدة رؤوس جسور . وحاول المدافعون تصفية رؤوس الجسور بهجمات معاكسة مدعومة بالطائرات والدبابات ، ولكنهم فشلوا في ذلك . ولقد ظهر خلال هذه العملية أن القوات الشمالية كانت تبذل جهداً جباراً لتصفية جيب بوزان بعد أن حررت ٩٠ ٪ من البلاد . وكانت غايتها من ذلك تحرير الجنوب قبل انقلاب ميزان القوى بشكل جذري لصالح الخصم . وكان أهم ما يتميز به هجوم الشماليين من ١ إلى ٢٠ آب (أغسطس) بشكل خاص ، متابعة الضغط الهجومي رغم عدم وجود التفوق بالقوى والوسائط ، (٧٠ ألف شمالي مقابل ٩٢ ألف اميركي وكوري جنوبي) ، ورغم بعد قواعد المهاجمين واعتماد المدافعين على قواعد قريبة وامدادات مستمرة ، ورغم تعرض قوات الهجوم لضربات جوية مستمرة وتعرض أرتال الامداد والتموين لقصف القلاع الطائرة ب — ٢٩ نهاراً وب — ٢٦ ليلا .

العملية الخامسة (٨/٢١ — ١٩٥٠/٩/١٥) :

كانت منطقة بوزان الباقية بيد القوات الاميركية تنكمش يوماً بعد يوم ، ولقد طالب الجنرال ووكر قائد الجيش بارسال الدعم السريع وإلا تعرضت قواته لدنكرك جديدة . وحتى نهاية شهر آب (أغسطس) تجمع في منطقة بوزان ٥٠٠ دبابة اميركية و ٥ فرق اميركية معززة (١٠٠ ألف رجل) ، و ٨ فرق كورية جنوبية . وكان حجم القوات الشمالية المعدة لتصفية هذه المنطقة ١٣ فرقة مشاة وفرقة مدرعة (٩٨ ألف رجل ثلثهم من المتطوعين الجدد) . وكانت هذه القوات تعمل تحت قيادة الجنرال كيم شايك الذي حل محل الجنرال شاي يونغ . وفي يوم ٨/٢٤ بدأ كيم شايك هجومه الشامل رغم تفوق قوات الخصم وخاصة في المدرعات والمدفعية ووسائط النقل ، بالاضافة إلى التفوق الكامل في البحر والجو. واستعادت قوات المحور الشرقي بوهانغ (الذي كان الخصم قد اعاد احتلالها) وأنغ أنغ . وقامت قوات شمالية كبيرة حوالي ٨ فرق بالهجوم على تايجو من ٤ محاور محاولة تطويقها ، واندفعت ٤ فرق من الغرب ، واجتازت نهر نام وتقدمت باتجاه بوزان



الهجوم الأميركي المعاكس

محاولة قطع طريق بوزان – تايجو . وفقدت قيادة المدافعين المبادهة ، وكان من الواضح أن الهجمات المعاكسة التي تشنها القوات الأميركية غدت محدودة الفاعلية ولا تستطيع ايقاف الزحف الشمالي ، وأن استمرار الوضع على ما هو عليه سيؤدي إلى انهيار الخط الدفاعي وتفتته إلى جزر وسط بحر من المهاجمين . وأن انقاذ بوزان والقوات المدافعة عنها يحتاج إلى معجزة .

المرحلة الثانية : الانزال الاميركي والانسحاب الاستراتيجي (من ٩/١٦ الى ١٩٥٠/١٠/٢٤)

في ١٥ ايلول (سبتمبر) ، وبعد أن حرر الشماليون ٩٠ ٪ من مساحة كوريا الجنوبية و ٩٢ ٪ من عدد سكانها ، وأخذوا يضغطون على بوزان استخدم ماك آرثر تفوقه البحري والجوي ، وقام بحركة استراتيجية غير مباشرة على مؤخرة القوات الشمالية ، تمثلت في إنزال الفيلق العاشر (الفرقة الأولى من مشاة البحرية الأميركية ، والفرقة الاميركية السابعة ، والفرقة الكورية الجنوبية ١٧ ، ووحدات من الدول المتحالفة) في ميناء انتشون القريب من العاصمة سيئول . وكان الهدف من هذا الانزال الوصول بسرعة إلى عقد مواصلات القوات الشمالية ، وقطعها ، وتطويق الجيش الشعبي الكوري وإبادته بعد ذلك بهجوم مزدوج تشنه قوات الإنزال وقوات الجيش الثامن الموجودة في منطقة بوزان .

وبدأت العملية بأعمال تشتيتية خداعية ، مثل قصف ميناء كونزان في ٩ ايلول ، والاغارة عليه في يوم ١٢ ، والهجوم على ميناء نام بو يوم ١٣ ، وقصف سامتشوك ، من البحر في يوم ١٤ ، حتى لا يستطيع الشماليون تقدير أهمية قصف جزيرة وولمي الواقعة عند مدخل ميناء انتشون ، والذي بدأ منذ يوم ١٠ . وفي يوم ١٣ تعرضت الجزيرة وولمي لقصف عنيف قامت به ٤ طرادات و ٦ مدمرات بالاضافة إلى طائرات الكورسير المنطلقة من حاملات الطائرات ، وفي صبيحة يوم ١٥ نزلت مشاة البحرية على أرض الجزيرة واحتلتها ، وفي الساعة ٤,٤٥ من بعد ظهر اليوم نفسه تم الانزال في انتشون ، واستمرت معركة انتشون حتى مساء ١٦ . ولم تتوقف القوات الاميركية عند المقاومات المحلية التي أخذ الجنوبيون على عاتقهم مهمة تصفيتها ، بل انطلقت باتجاه مطار كيمبو فاحتلته في ليلة ١٧ – ٩/١٨ . وصار بوسع المهاجمين عمل جسرين أحدهما جوي والآخر بحري ونقل القوات اللازمة لاحتلال سيئول .

أمام خطر التطويق الاستراتيجي قرر الكوريون الشماليون تطبيق خطة تتمثل في الدفاع في منطقة الانزال أطول مدة ممكنة ، لترك الطريق إلى الشمال مفتوحاً ، وسحب القوات المحيطة بمنطقة بوزان ، بعد تركه ستارة تأخيرية تعرقل تقدم العدو ، وخلق « الجبهة الثانية » العاملة على مؤخراته ، وإعداد قوات احتياطية جديدة مهمتها التعاون مع العصابات والجبهة الثانية في سبيل تحويل الوضع العام لصالح الجيش الشعبي الكوري . وفي يوم ٢٠ ايلول (سبتمبر) وصلت طلائع فرقة المشاة البحرية الأميركية الأولى إلى أبواب سيئول ، ولكن عنف الدفاع واستبساله أجبر الأميركيين على دعم هذه الفرقة بالفرقة الكورية الجنوبية ١٧ والفوج ٣٢ من الفرقة الاميركية ٧ . وجرت المعركة داخل العاصمة الجنوبية من بيت إلى بيت ، وكان تفوق المهاجمين بنسبة ٤ إلى واحد . وفي يوم ٩/٢٨ سقطت سيئول بيد المهاجمين ، بعد أن دمرها القصف الجوي العنيف . وقامت القوى الرجعية بتصفية الوطنيين الوحدويين التقدميين .

وفي الوقت الذي بدأ فيه ضغط قوات الانزال من انتشون باتجاه سيئول ، قام الجيش الثامن (الفيلق الاميركي الأول ، والفيلق الاميركي التاسع ، واللواء ٢٧ البريطاني ، وعدة فرق كورية جنوبية) الموجودة في منطقة بوزان بشن هجوم من الجنوب إلى الشمال في يوم ٩/١٦ ، وكان ميزان القوى على هذه الجبهة لصالح المهاجمين بنسبة ٢,٤ إلى واحد . ولقد تقدمت الفرقة الجنوبية الثالثة على الشاطىء الشرقي بصعوبة وراء الفرقة الشمالية الخامسة المنسحبة . وكانت غاية هذه الفرقة الاتصال مع وحدات الانزال التي نزلت في سامتشوك وراء الشماليين في يوم ٩/٢٠ . أما الفيلقان الاميركيان الأول والتاسع فكانا يحاولان ، مع القوى المتحالفة الأخرى ، خرق الستارة الشمالية والاندفاع باتجاه سيئول للاتصال مع الفرقة السابعة (من الفيلق العاشر) التي اندفعت إلى الجنوب عن

طريق سيئول – ديدجون . وكان المهاجمون يصادفون السدود والمقاومات المتعاقبة ويتعرضون للهجمات المعاكسة واغارات العصابات على مؤخراتهم . وفي ليلة ١٩ – ٢٠ سحبت القيادة الشمالية الفرقتين ٦ و ٧ العاملتين أمام الفيلق الاميركي التاسع وامرتهما بالتوجه نحو الشمال عبر الجبال . وبقي الوضع غامضاً على الجبهة حتى يوم ٩/٢٢ حيث أصدر الجنرال ووكر قائد الجيش الثامن أمراً بشن هجوم عام يدعمه الطيران . ولكن تداخل القوات أدى إلى وقوع أخطاء كبيرة تمثلت في قيام الطيران الأميركي بقصف القوات المتحالفة (مثل قصف اللواء البريطاني ٢٧ عند التل ٢٨٢ قرب سونغ دجو في يوم ٩/٢٣) . وفي يوم ٩/٢٦ تم اتصال القوات المتقدمة من الجنوب مع الفرقة السابعة المتقدمة من الشمال . ولكن الطوق أغلق على فراغ تقريباً ، لأن الشماليين أفادوا من مقاومة سيئول الطويلة ومن العمليات التأخيرية التي قامت بها الستارة أمام الهجوم القادم من الجنوب ، فانسحبت نحو كوريا الشمالية قبل إغلاق الطوق ، بينما توزعت بعض قواتها في الجبال والقرى بمساعدة السكان .

وفي ١٠/١ انتهى انسحاب كبد القوات الشمالية إلى ما وراء خط العرض ٣٨ . وظهر في قيادة القوات المتحالفة رأيان : يرى أولهما ضرورة مطاردة الشماليين داخل كوريا الشمالية لتدمير قواتهم قبل أن يعيدوا تنظيمها ، بينما يرى الثاني ان من الأفضل الوقوف عند خط العرض ٣٨ ، بغية عدم استفزاز الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية . وكان الاميركيون قد استعدوا لهذا الموقف من قبل، بأن عرضوا المسألة على الجمعية العامة للأمم المتحدة بغية منع السوفيات من استخدام حق النقض « الفيتو » . وفشلت محاولات السوفيات لايقاف القتال عند خط العرض ٣٨ . وفي ١٠/٤ حصلت الولايات المتحدة على التغطية السياسية الدولية عندما صوتت الجمعية العامة إلى جانب اقتراح تقول إحدى فقراته: « تتخذ كل الخطوات المناسبة لتأمين شروط الاستقرار في كوريا كلها » ، ولكن الاجراءات الشكلية عطلت صدور هذا القرار حتى يوم ١٠/٧ .

بيد أن القوات الجنوبية لم تنتظر قرار الأمم المتحدة بل دفعت الفرقة الجنوبية الثالثة التابعة للفيلق الاول منذ يوم ١٠/١ عبر خط العرض ٣٨ . وفي اليوم نفسه أذاع ماك آرثر بياناً طالب فيه كوريا الشمالية بالاستسلام . وفي ١٠/٢ اجتازت فرقة الكابيتول الجنوبية خط العرض ٣٨ وتقدمت بسرعة ٢٤ كيلومتر في اليوم نظراً لأن الشماليين سحبوا



ضباط كوريون وصينيون يخططون للمعركة



جنود من المتطوعين الصينيين في كوريا

قواتهم على هذا المحور ووجهوها إلى الجبال الوسطى في كوريا الشمالية استعداداً لتشكيل « الجبهة الثانية » . وفي يوم ١٥ وصل الجنوبيون إلى ميناء هونغ نام واستولوا عليه . وفي هذه الاثناء كانت الفرق الجنوبية ٦ و ٧ و ٨ تتقدم نحو المثلث الحديدي . وفي يوم ١٠/٩ اجتازت القوات المتحالفة خط العرض ٣٨ ، بعد أن اتخذت القيادة الاميركية قراراً بالتقدم حتى نهر آمنوك (يالو) ، بعد أن اعتقدت أن التهديدات الصينية – السوفياتية بالتدخل عبارة عن دعاية وتهديدات غير قابلة للتنفيذ .

وكانت الخطة الاميركية تتلخص بما يلي :

١ – سحب الفيلق العاشر من الجبهة ، ونقله بحراً وإنزاله في ونسان (على الساحل الشرقي) ،

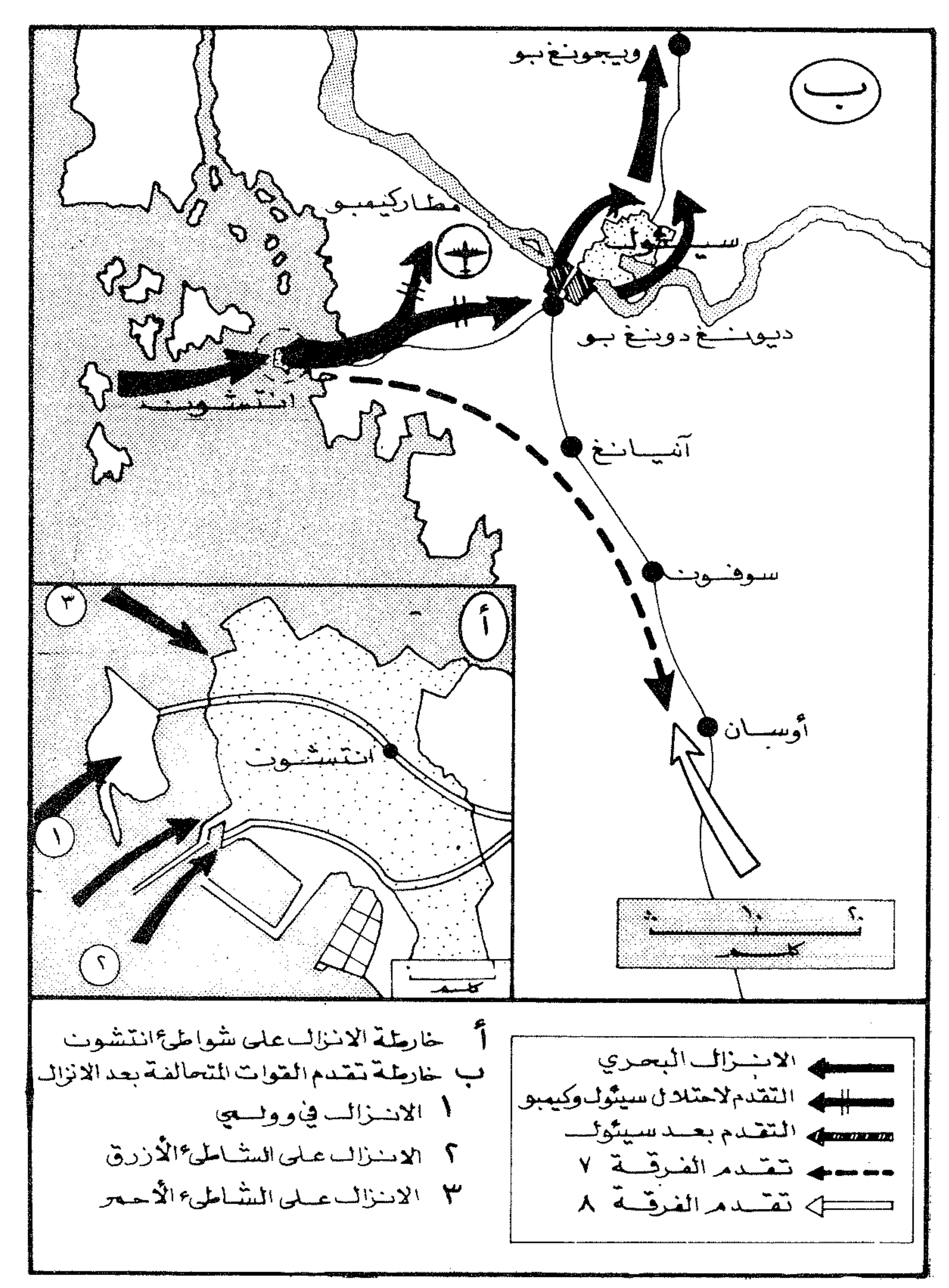
٢ – دفع الجيش الثامن باتجاه سيئول – بيونغ يانغ ،

٣ – دفع الفيلق العاشر – بعد إنزاله في ونسان – على المحور العرضاني ونسان – بيونغ يانغ ، ليدخل العاصمة الشمالية من الشرق . ورغم اعتراض قائد الجيش الثامن وقادة الفيلق العاشر على هذه الخطة ، فقد أصر ماك آرثر على تنفيذها . وشكل قوة مشتركة خاصة قوامها ٢٥٠ سفينة ، مهمتها نقل فرقة مشاة

البحرية الاميركية الاولى وانزالها في ونسان . ثم قام بنقل الفرقة الاميركية السابعة بالقطارات من الجبهة الى بوزان ليحملها من هناك بالسفن وينزلها في ونسان وراء فرقة مشاة البحرية الأولى . وكان موعد انزال ونسان في ١٠/٢٠ . بيد أن مدخل ميناء ونسان كان مزروعاً بالألغام البحرية ، الأمر الذي عرقل عملية الانزال . وبينما كانت كاسحات الالغام والطائرات تحاول فتح الثغرات في حقول الالغام البحرية تكبدت الكاسحات خسائر كبيرة تمثلت في غرق الكاسحتين الاميركيتين «الرهينة» و«القرصان» والكاسحة اليابانية رقم ١٤ ، والكاسحة الكورية الجنوبية رقم ٥١٦ . وقبل أن يتم فتح الثغرات ويتم الانزال ، استطاعت الفرقة الجنوبية الثالثة احتلال ميناء ونسان من البر . وبقي جنود فرقة مشاة البحرية الأولى على مراكبهم ، ولم يدخلوا الميناء إلا في يوم ١٠/٢٦ .

وفي هذا الوقت كانت قوات المحور الغربي (فرقة الخيالة الأولى ، والفرقة الاميركية ٢٤ ، والفرقتان الجنوبيتان ١ و ٨ ، ووحدات انكليزية واسترالية) تتقدم باتجاه بيونغ يانغ . وفي يوم ١٩ وصلت هذه القوات إلى مشارف بيونغ يانغ . وفي اليوم التالي انزل الجنرال ووكر فوج المظلات الاميركي ١٨٧ على مسافة ٤٠ كيلومتراً شمالي بيونغ يانغ . واحتل الفوج مدينتي سوكتشون وسونتشون. واجتازت القوات المتحالفة نهر ديدونغ واحتلت بيونغ يانغ في يوم ١٠/٢١ ، بعد أن انسحب منها ٣٠ ألف جندي ، رغم وجود فوج المظلات ١٨٧ على خط انسحابهم . وبدأت سلطات سينغمان ري حملة ارهاب شملت العاصمة والمناطق المحتلة في كوريا الشمالية ، وراح ضحيتها ١٣٠ ألفاً من المدنيين .

وبعد احتلال العاصمة تابعت القوات المتحالفة تقدمها باتجاه الشمال . ولكن مؤخراتها تعرضت لهجمات « الجبهة الثانية » شمالي خط العرض ٣٨ وجنوبه . وكانت الجبهة الثانية في الجنوب تضم اكثر من ٤٠ ألف رجل من العصابات والقوات النظامية التي التحقت بها . أما الجبهة الثانية في الشمال فكانت تحتل الجبال الوسطى وتقطع الاتصال بين الفيلق العاشر المتقدم على الشاطىء الشرقي ، والجيش الثامن العامل في الغرب . وفي يوم ١٠/٢٤ عبرت القوات الجنوبية واللواء البريطاني ٢٧ نهر تشونغ تشونغ ، وسارت خلفها الفرقة الاميركية ٢٤ ، بينما كانت قوات الفيلق العاشر تتقدم في الشرق على شكل مروحة . وساد الاعتقاد بأن الحرب سائرة نحو نهايتها . وصرح ماك آرثر بأن الجنود سيعودون



الإنزال في انتشون واحتلال سيئول

إلى بلادهم في عيد الميلاد .

المرحلة الثالثة : (١٩٥١/٦/١٠ - ٥٠/١٠/٢٥)

العملية الأولى (٥٠/١٠/٢٥ - ٢٥/١١/ ١٩٥٠) : في نهاية تشرين الأول (اكتوبر) ، بدأ الاعداد لشن المعركة النهائية ، فأصدر ماك آرثر أوامره إلى الفيلق الاميركي الأول بالتقدم على الساحل الغربي ، كما أصدر أوامره الى الفيلق الجنوبي الثاني بالتقدم على المحور الأوسط ، وأعطى الفيلق الاميركي العاشر والفيلق الجنوبي الأول مهمة تطهير الساحل الشرقي والجزء الشمالي من البلاد . وفي يوم ١٠/٢٥ ، وبينما كانت الفرقة الجنوبية الثالثة منطلقة من هونغ نام باتجاه خزان جانغ جين ، اصطدمت وحداتها بقوات صينية ، وعلمت أن الفرق ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦ من الجيش الصيني ٤٢ التابع للجيش الميداني الرابع قد عبرت نهر آمنوك (يالو) متجهة نحو خزان جانغ جين . ورغم خطورة هذا الصدام ، فان القوات الأميركية لم

ألف رجل) الهجوم فجأة ، وقطعت التماس مع العدو ، وانسحبت ، تاركة القوات المتحالفة أمام موقف غامض لا تستطيع تفسيره .

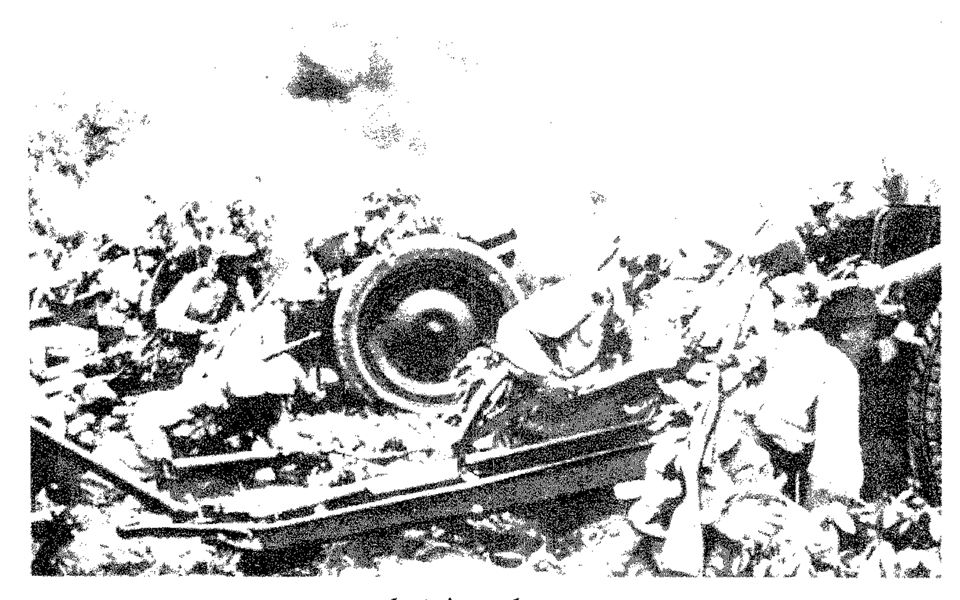
ولقد حاول ماك آرثر في هذه الفترة قصف مناطق الحشد الصينية في منشوريا ، وقصف الجسور المقامة على نهر آمنوك (يالو) لمنع وصول الامدادات والنجدات إلى كوريا الشمالية . ولكن واشنطن رفضت السماح بقصف منشوريا حتى لا يؤدي ذلك إلى تصعيد القتال . وسمحت بقصف الجانب الكوري من جسور نهر آمنوك (يالو) فقط ، دون التعرض للمنشآت الكهربائية المقـامة على النهر . وكانت طائرات الدول المتحالفة تصطدم مع طائرات الميغ - ١٥ الشمالية المنطلقة من المطارات المنشورية ، ولا تستطيع مطاردتها داخل الاجواء المنشورية . ولقد طالب ماك آرثر بأن يسمح له بقصف المطارات في منشوريا أو مطاردة الطائرات داخل الاجواء الصينية ، ولكن هذا الطلب جوبه بالرفض ، نظراً لأن قيادة المتحالفين السياسية كانت تعمل ما في وسعها لتهدئة الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي وعدم استفزازهما .

وفي الفترة ما بين ٧ و ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ساد الهدوء النسبي في جبهات القتـال . وعادت القوات المتحالفة الى التقدم من جديد وبشكل حذر ، دون أن تصطدم بقوات كورية - صينية كبيرة . واستمرت عمليات الجبهة الثانية على مؤخرات القوات المتحالفة . وكانت قوات المتطوعين الصينيين تتدفق خلال هذه الفترة عبر نهر آمنوك (يالو) وتتقدم نحو مناطق الحشد ليلا للتخلص من خطر الطيران . وفي النصف الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) عبرت قوات من الجيش الثامن نهر تشونغ تشونغ ، وتابعت قوات الفيلق العاشر تقدمها في شعاب الجبال الشرقية المغطاة بالثلوج . وأكملت فرقة مشاة البحرية الاميركية الأولى تقدمها نحو منطقة خزان دجونغ جين ، وتحركت الفرقة السابعة على محور هيبسا نجين ، وتابعت قوات كوريا الجنوبية زحفها على الساحل الشرقي .

العملية الثانية (٢٦/١١/٥٠ - ٣١/١٢/١٩٥٠) : أمام اختفاء القوات الكورية - الصينية ، سمحت القيـادة السياسية للمتحالفين بشن عمليـة هجومية « لتحديد قوة الجهد الصيني واتجاهه وهدفه » . ولكن ماك آرثر قرر شن « الهجوم الذي ينهي الحرب » . وكانت خطته دفع الجيش الثامن على جبهة عريضة من المحورين الغربي والأوسط ، ومتابعة التقدم بقوات كورية جنوبية على الشاطىء الشرقي ، على حين يقوم الفيلق العاشر بالتقدم باتجاه الشمال

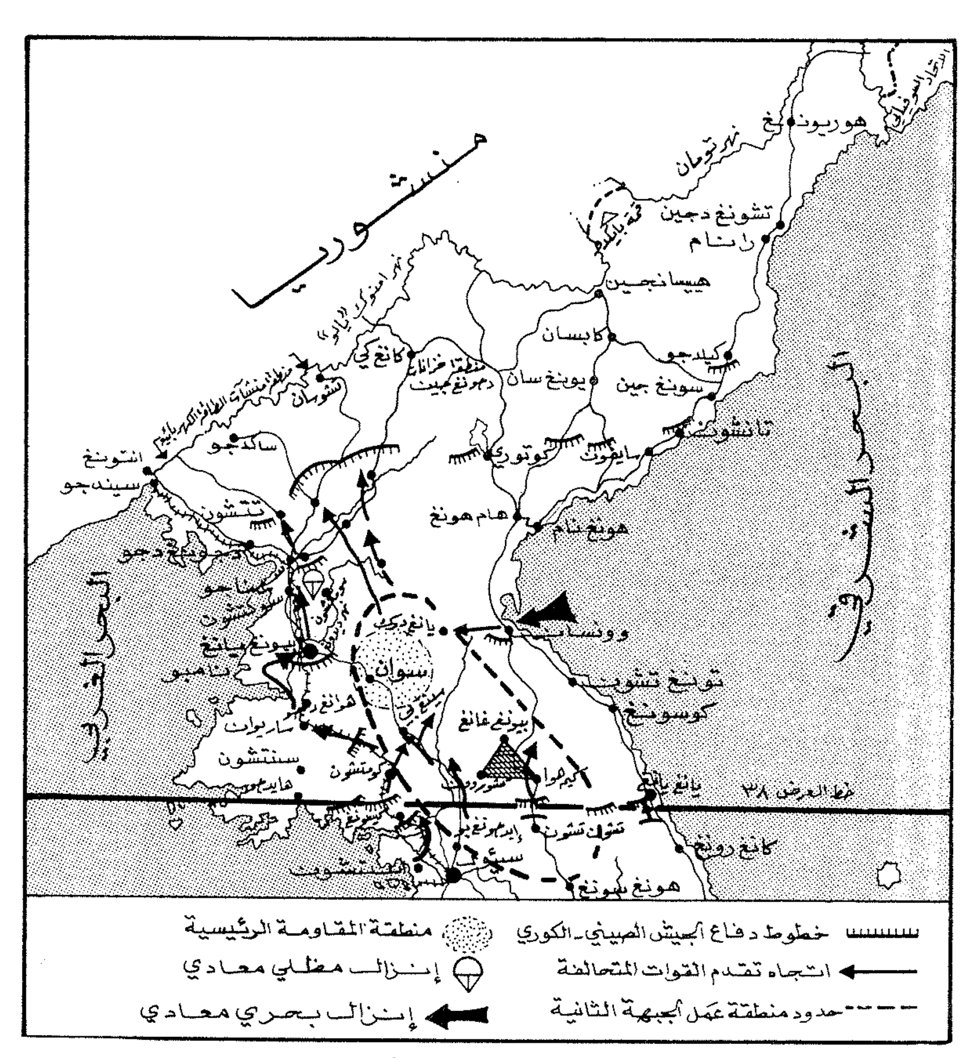


الجيش الشعبي الكوري عند تحرير كوريا من اليابانيين (١٩٤٥)



المدفعية الكورية في المعركة

تأبه له كما ينبغي ، وتابعت عملياتها وتقدمها نحو الشمال . وجاءت الصدمة العنيفة في القطاع الأوسط في ٢٩ و ٣٠/١٠ حيث تعرضت الفرقة الكورية الجنوبية السادسة من الفيلق الثاني لصدمة أبادت ثلثها ، فانهارت معنويات الفيلق بأسره وبـدأ الانسحاب نحو الجنوب في ١/١١ ، وفي أقصى الغرب تعرض الفوج البريطاني ٢٧ لصدمة قوية عند دجونغ دجو في ٣٠/١٠ ، فسحبته القيادة إلى الخلف ودفعت الفوج ٢١ من الفرقة ٢٤ إلى الأمام ، ولكنها لم تلبث أن أمرته بالانسحاب إلى ما وراء نهر تشونغ تشونغ نظراً لوجود بوادر هجوم مضاد قوي . ومنذ مطلع تشرين الثاني (نوفمبر) أخذ الهجوم المعاكس الكوري - الصيني شكلا كاسحاً . وظهر بوضوح أن القوات المتحالفة تواجه قوات ذات حجم هائل ، وتتحرك باصرار لفصل الفيلق العاشر عن الجيش الثامن وتدميرهما . وبدأ انسحاب القوات المتحالفة على جميع الجبهات . وفي يوم ٧/١١ أوقفت القوات الكورية - الصينية (١٢٠



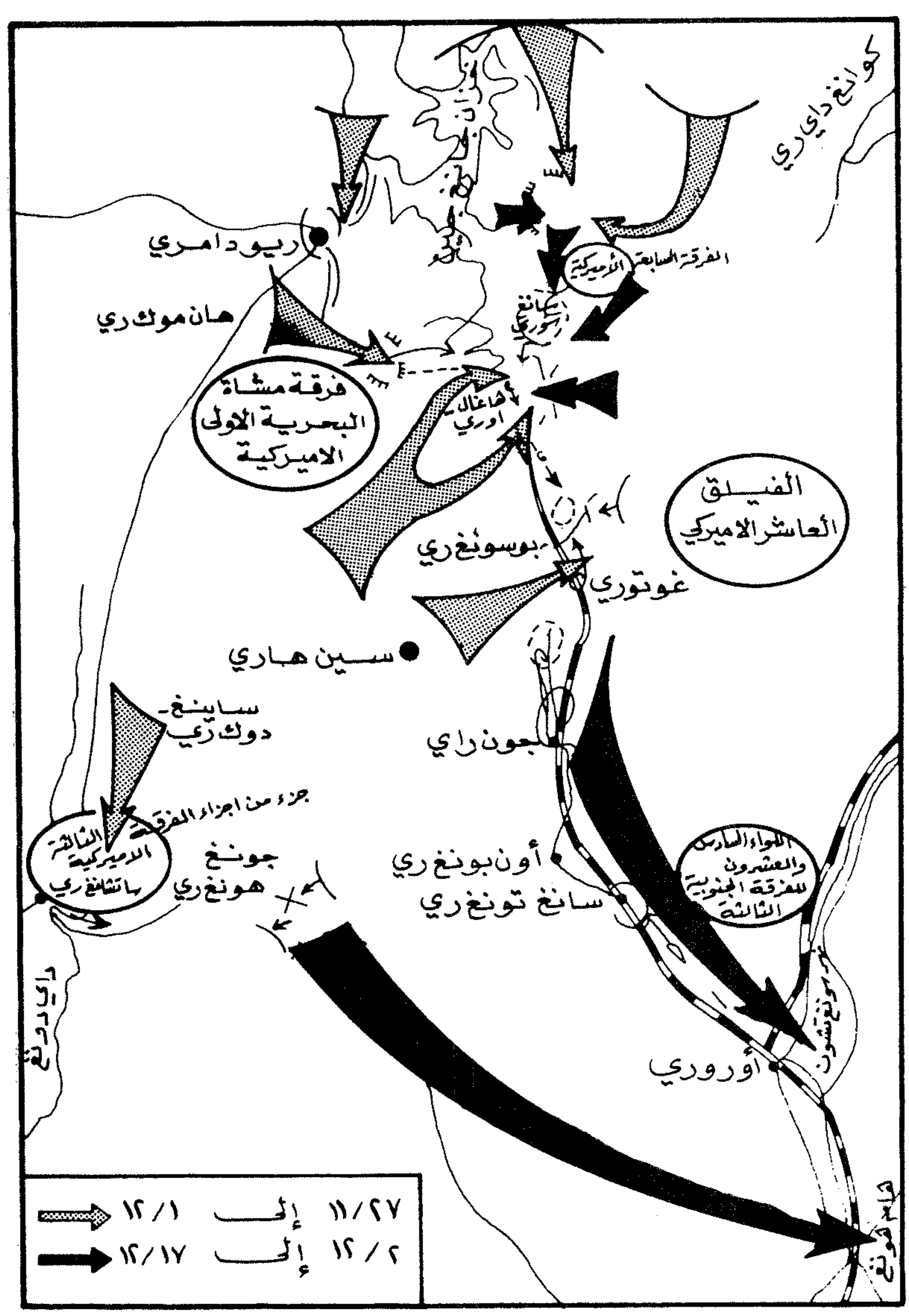
القوات الأميركية تتجه نحو نهر أمنوك (يالو)

الغربي لقطع الامدادات الكورية – الصينية وتطويق الحشود الكورية – الصينية وتدميرها . واعطيت مهمة مراقبة الكتلة الجبلية الفاصلة بين الجيش الثامن والفيلق العاشر الى سلاح الطيران الذي كان عليه قصف القوافل الكورية – الصينية السائرة على المحاور الجبلية ومنع حركتها . وكان ماك آرثر يعتقد أن القوات المحتشدة أمام الجيش الثامن تعادل ١٠٠ ألف رجل ، وأن القوات المحتشدة أمام الفيلق العاشر تضم ٦٠ – ٨٠ ألفاً . وأن قواته البالغة ٢٥٠ ألف رجل قادرة على تحقيق النصر نظراً لضخامة القوة النارية التي تملكها . والحقيقة أن القوة الكورية – الصينية كانت اكبر من ذلك . فلقد بلغت الحشود أمام الجيش الثامن ١٨٠ ألفاً ، بينما بلغت الحشود أمام الفيلق العاشر ١٢٠ ألفاً .

وفي يوم ١١/٢٤ بدأ هجوم القوات المتحالفة في جو بارد ، وفوق منطقة مغطاة بالجليد . وكانت قوات الجيش الثامن تتحرك على جبهة عرضها ٨٠ كيلومتر بالتشكيلة التالية من اليسار إلى اليمين : الفيلق الأول (الفرقة الاميركية ٢٤ والفرقة الكورية الجنوبية الأولى) ، والفيلق التاسع (الفرقتان الاميركيتان ٢٥ و ٩) ، والفيلق الجنوبي الثاني (الفرقتان الجنوبيتان ٧ و ٨) . وكان الاحتياط يضم فرقة الخيالة الأولى ، والفرقة الجنوبية ٦ واللواءان البريطانيان ٢٧ و ٢٩ ، واللواء التركي . وحقق الجيش الثامن نجاحاً في يومي ٢٤ و ٢٥ ، رغم الهجمات المعاكسة المحدودة على جناحيه الأيمن والأيسر . وفي ليلة ٢٥ – ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) بدأ الهجوم المعاكس الشمالي العام من المجنبتين . واستغل الهجوم الموجه نحو المجنبة اليمنى للجيش الثامن الثغرة القائمة بين الفرقة الاميركية الثانية والفيلق الكوري الجنوبي الثاني ، واستطاع تدمير الفرقتين الجنوبيتين ٧ و ٨ . وفي يوم ٢٦ أصبح الجيش الثامن مهدداً بالتطويق . فدفع الجنرال ووكر اللواء التركي لسد الثغرة ومنع تقدم المهاجمين ، ولكنه لم يستطع الصمود ودمرت وحداته . واضطرت فلوله إلى الانسحاب نحو بيونغ يانغ ، بعد أن انسحبت القوات الاميركية المجاورة له (الفرقة ٢) دون أن تعلمه . وانسحب الجيش الثامن بسرعة إلى جنوبي نهر تشونغ تشونغ . وفي يوم ١٢/١ عبرت القوات الكورية – الصينية النهر الذي وقفت وراءه الفرقة الثانية للدفاع عنه . ولم تستطع الغارات الجوية الاميركية منع الشماليين من العبور أو من مطاردة الفرقة الثانية وايقاع ارتالها المنسحبة في الكمائن . وخسر الجيش الثامن في الاسبوع الأول من العملية الثانية ٢٢٢٠٨ قتلى ، بالاضافة الى ١١٧٥ أسيراً اميركياً وبريطانياً وتركياً و ٥٣٣٥ أسيراً كورياً جنوبياً . وتابع الكوريون والصينيون اندفاعهم نحو بيونغ يانغ التي حرروها في يوم ١٢/٦ . وتم طرد القوات المتحالفة إلى ما وراء خط العرض ٣٨ في يوم ١٢/١٠ . وفي ١٢/٢٦ تم تحرير هايدجو ، ووجه الجنرال تشوته ، قائد قوات المتطوعين الصينيين في كوريا ، انذاراً ذكر فيه ضرورة الانسحاب الكامل من كوريا . وتمركزت قوات الجيش الثامن جنوبي خط العرض ٣٨ بعد انسحاب طويل فقدت خلاله ٣٦ ألف رجل من بينهم قائد الجيش الجنرال ووكر الذي قتل في يوم ١٢/٢٣ .

وكان الفيلق العاشر في مطلع تشرين الثاني (نوفمبر) أسعد حظاً من الجيش الثامن ، إذ أنه تابع تقدمه دون أن يلاقي مقاومة تذكر . وكانت صعوبة الأرض وقسوة الطقس العائقين الوحيدين أمام التقدم . وفي ١١/١٩ ، اعطيت الأوامر لفرقة مشاة البحرية الاميركية الأولى ، التي وصلت إلى سهل غوتوري ، باعداد الهجوم على منطقة خزان جانغ جين . ولقد اصطدمت أرتال الفرقة المهاجمة على طريق هام هونغ – دجونغ جين بكمائن واغارات على خطوط المواصلات ، ولكنها تابعت تقدمها ، وخاصة بعد أن تعرض الجيش الثامن للهجوم الساحق في يوم ١١/٢٦ . وكان قائد الفيلق العاشر الجنرال فان فليت يعتقد أن بوسعه الوصول إلى مجنبة ومؤخرات القوات الكورية – الصينية التي تهاجم الجيش الثامن ، وتخفيف الضغط عن هذا الجيش .

وترك الشماليون القوات الاميركية تتوغل بعمق بعد ريودامري . وفي صبيحة ١١/٢٨ بدأ الهجوم الشمالي على الرتل الممتد على الطريق ، واستطاعوا خلال ٣ أيام اغلاق الطريق على امتداد ٥٠ كيلومتراً . وبدأوا بتصفية القوات الموجودة على هذا الطريق ،



المعركة على شواطىء بحيرة « جانغ جين »

على حين تجاوزت قوات شمالية أخرى هذه السدادة واتجهت نحو ميناء هونغ نام. وفي هذه الفترة ارغمت القوات الكورية الجنوبية العاملة على الشاطىء الشرقي، والفرقة الاميركية السابعة، على الانسحاب نحو ميناء هونغ نام. واستطاعت امواج الهجوم الشمالي تقتيت فرقة مشاة البحرية الاميركية الاولى الى جيوب. واستخدم الاميركيون الطائرات C - 119 لتموين الجيوب ومساعدتها على الانسحاب، كما استخدموا طائرات الكورسير التابعة للاسطول لتغطية المنسحبين نحو هونغ نام، وحمايتهم من هجمات الطائرات ميغ – ١٥. وفي يوم ١٢/٩ خرجت القوات الاميركية المنسحبة من وادي الجحيم وتدفقت باتجاه هام هونغ. ومنذ يوم ١٢/١٢ شدد الشماليون هجومهم على دفاعات خط هام هونغ – هونغ نام التي تدافع عنها الفرقتان الاميركيتان ٧ و ٣، بينما أخذت قوات الفيلق العاشر تنسحب بحراً وجواً من ميناني ونسان وهام هونغ، مستخدمة طائرات (DC-4) و ١٩١٣ سفينة تعمل تحت حماية ٧ حاملات طائرات ومدفعية ١٣ سفينة حربية (بارجة وطرادان وزورقان قاذفان للصواريخ و ٨ مدمرات). وفي يوم ١٩ انسحبت الفرقة السابعة تاركة مهمة حماية عملية الجلاء البحري على عاتق الفرقة الثالثة. وفي يوم ٢٤ انتهى الانسحاب الذي استطاع الاسطول خلاله اخلاء ١٠٥ آلاف رجل من الفيلق العاشر و ٩١ ألف لاجيء مدني و ١٧٥٠٠ سيارة و ٣٥٠ ألف طن من المواد والمعدات. ومنذ يوم ١٢/٢٦ لم يعد الفيلق العاشر قوة مستقلة تابعة لماك آرثر مباشرة، وإنما الحق بالجيش الثامن الذي أصبح يضم ٣ فيالق (الأول والتاسع والعاشر) بقيادة الجنرال ريدجوي الذي حل محل ووكر بعد مقتله. ومن الجدير بالذكر أن قوات «الجبهة الثانية» قامت خلال هذه العملية بتنفيذ مهمات كثيرة على مؤخرات العدو وكان لها تأثير كبير في معارك ونسان، ونهر تشونغ تشونغ، وبيونغ يانغ، وتشو لوون وغيرها.

• أمام هذه الهزيمة، طالب ماك آرثر وعدد من صقور السياسة والعسكرية في اميركا بتصعيد الحرب ضد الصين الشعبية. واستخدام السلاح الذري ضد القواعد المنشورية، والاستعانة بقوات تشانغ كاي شيك في غزو البر الصيني، الأمر الذي أثار قلق فرنسا وبريطانيا، وخلق تناقضاً داخل معسكر المتحالفين الغربيين، خاصة وأن الدول الأوروبية كانت تشعر بأنها ستكون ضحية أي تهور اميركي في الشرق الأقصى، وقد تتعرض لضربة انتقامية سوفياتية اذا ما تعرضت الصين لضربة نووية.

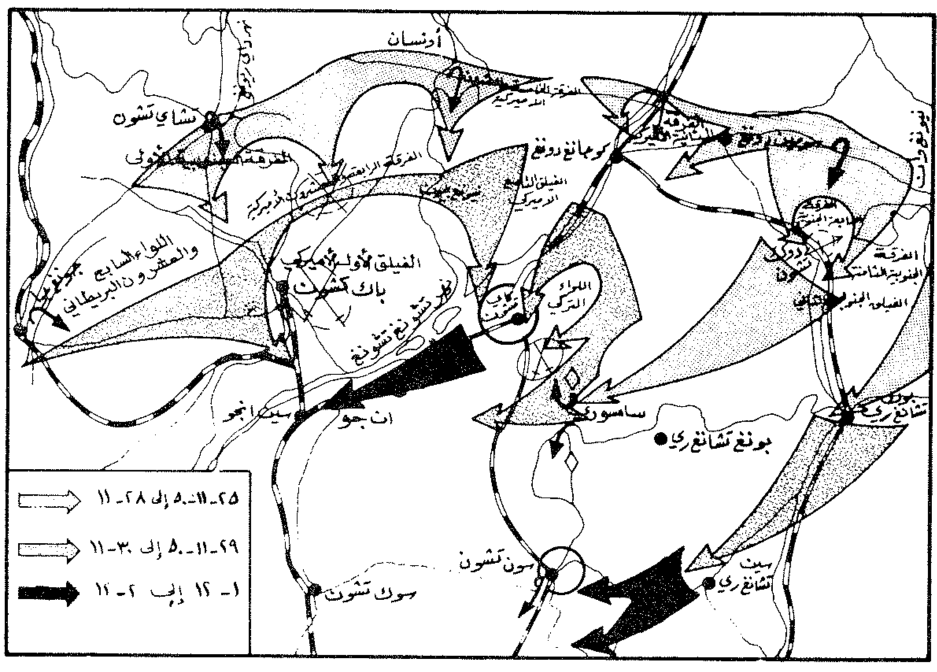
العملية الثالثة (١/١/٥١ – ١٩٥١/١/٨) :
أصيبت القوات المتحالفة بعد الانسحاب من كوريا الشمالية بانهيار معنوي واصبحت تعيش كابوس مجابهة الصين القادرة على زج ملايين الجنود في الحرب. ورغم ارتفاع عدد قوات الجيش الثامن إلى ٣٦٥ ألف رجل، ووصول الطائرات سابر ف – ٨٦ إلى كوريا، واكتمال القوات التي أرسلتها الدول المتحالفة الـ ١٥ وانضمامها إلى الفرق الاميركية (عدا اللوائين البريطانيين اللذين بقيا يعملان كوحدتين مستقلتين)، فان ريد جوي لم يكن يملك القوة المؤهلة معنوياً لمجابهة هجوم القوات الكورية ـ الصينية التي تضم ٤٨٥ ألف مقاتل بقيادة كيم إيل سونغ. ولقد نشر ريد جوي قواته بالترتيب التالي: الفيلق

الاميركي الأول على الجبهة الغربية ، والفيلق الاميركي التاسع على الجبهة الوسطى ويستند إلى سلسلة الجبال التي تدافع عنها الفيالق الجنوبية ١ و٢ و٣ والفيلق الاميركي العاشر .

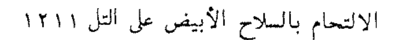
وفي ٥١/١/١ بدأ الهجوم الشمالي على طول الجبهة ، وكان محور الجهد الرئيسي على الجبهة الغربية . وحقق المهاجمون خرقاً بين الفيلقين الأول والتاسع ، ثم اندفعوا إلى الجنوب واجتازوا نهر هان وطوقوا العاصمة سيئول التي انسحب الاميركيون منها في يوم ١/٢ . وفي يوم ١/٤ تم تحرير سيئول وانتشون . وفي يوم ١/٨ سقطت وونجو وسامتشوك . وتوغلت قوات المحور الأوسط ٥٠ كيلومتراً جنوبي وونجو . وكان بوسعها الالتفاف إلى الشرق أو الى الغرب لتطويق القوات المتحالفة وإبادتها . ولكن الشماليين أوقفوا الهجوم دون سبب واضح ، وبدأوا الانسحاب باتجاه الشمال . الأمر الذي أقلق ريدجوي . وفي ١/١٥ انسحب الشماليون من جبهة سيئول ، وفي ١٩ جرى الانسحاب من وونجو .

العملية الرابعة (٥١/١/٢٥–١٩٥١/٢/٢٠) :
في يوم ١/٢٤ تأكد ريدجوي أن المنطقة أمامه خالية فعاد إلى التقدم نحو الشمال دون أن يصطدم بمقاومات فعالة . وفي نهاية شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٥١ وصل الفيلق الاميركي الأول إلى مقربة من نهر هان ، واستعادت قوات الفيلق التاسع مدينة وونجو ، وتقدم الفيلق العاشر والفيلق الجنوبي الثالث حتى مسافة ٣٠ كيلومتراً من خط العرض ٣٨ .

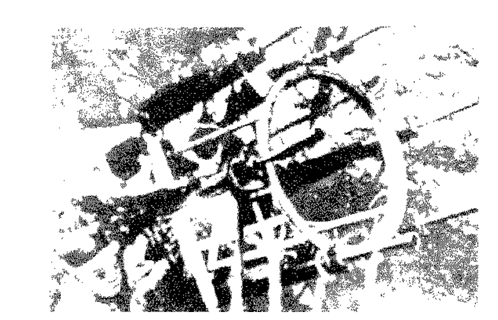
وفي مطلع شباط (فبراير) بدأت الهجمات المعاكسة الشمالية ، ولكنها كانت هجمات محدودة ومحلية . وفي ٢/١٠ سقطت انتشون ومطار كيمبو بيد القوات المتحالفة ، واحتل الجنوبيون ميناء كونغ رونغ على الشاطىء الشرقي ، على حين تعثر تقدم الجبهة الوسطى . واستغل الشماليون هذا التعثر فشنوا في ٢/١٢ هجوماً لدق اسفين بين الجبهتين الغربية والشرقية . وكان عدد القوات المهاجمة ١٤٠ – ١٧٠ ألف كوري – صيني . وفي ٢/١٣ فتح المهاجمون ثغرة اندفعوا منها بعمق ٣٢ كيلومتراً واحتلوا وونجو ، ثم وصلوا الى بيونغ تشانغ في يوم ٢/١٨ . وبعد أن خف زخم الهجوم الشمالي قام ماك آرثر بهجوم معاكس في ٢٠ شباط (فبراير) أطلق عليه اسم « عملية القاتل » . وأدى هذا الهجوم إلى تقدم القوات المتحالفة حتى خط انتشون – نهر هان – هونغ سونغ – وجوموندجين . وفي ٧ آذار (مارس) شن ماك آرثر هجوماً جديداً أطلق عليه اسم « ريبر » . وجرى



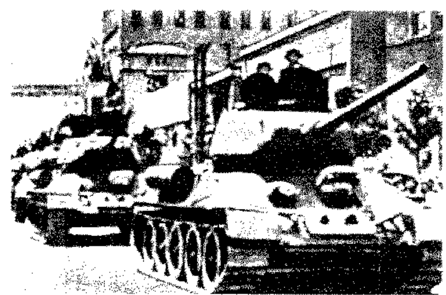
إبادة القوات المتحالفة على نهر « تشونغ تشونغ »


الالتحام بالسلاح الأبيض على التل ١٢١١





رشاش « م ١ ط » مبتكر



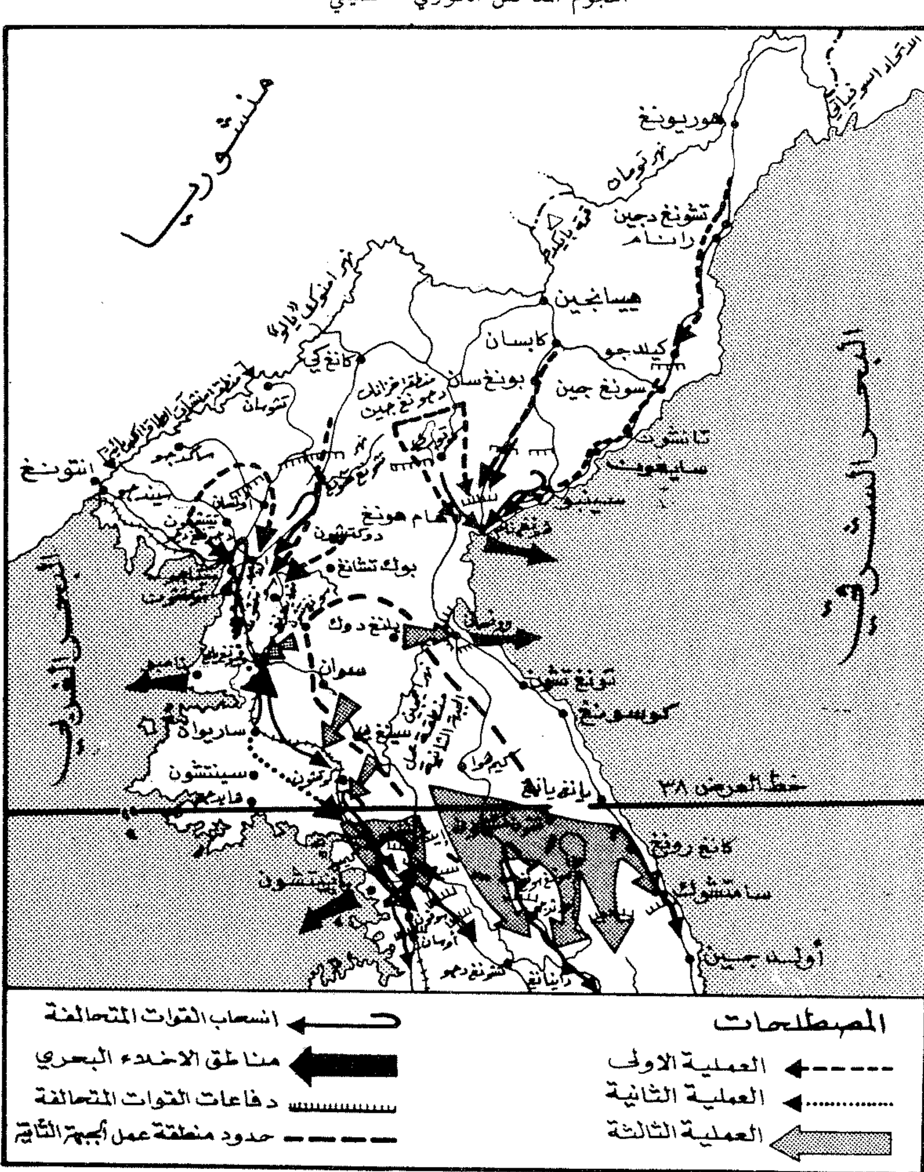
دبابات الشماليين تتقدم نحو الجنوب

القتال في الوسط على المرتفعات المغطاة بالثلوج جنوبي خط العرض ٣٨ . أما القتال في الغرب فكان يستهدف عبور نهر هان . وفي ١٤ آذار (مارس) دخلت القوات المتحالفة سيئول فوجدتها مهجورة . وفي نهاية شهر آذار (مارس) وصل الجيش الثامن إلى خط مونسان – شمالي تشون تشون – يانغ يانغ . وأخذ يستعد لعبور خط العرض ٣٨ من جديد . ولقد أدى حذر القيادة السياسية – العسكرية الأميركية وضغوط بريطانيا وفرنسا إلى اتخاذ قرار يقضي بضبط تصرفات ماك آرثر حتى لا تؤدي هذه التصرفات إلى تهديد السلام العالمي . ولكن ماك آرثر كان عنيداً وعدوانياً بآن واحد . الأمر الذي أدى إلى خلافه الدائم مع واشنطن . وفي ١٠ نيسان (ابريل) حسم الخلاف القائم بين مـاك آرثر المقيم في طوكيو والقيادة السياسية – العسكرية في واشنطن بعزل ماك آرثر من قيادة منطقة الشرق الأقصى ، وقيادة قوات الامم المتحدة في كوريا . وتعيين ريدجوي خلفاً له .

العملية الخامسة (٢٢/٤/٥١ – ١٠/٦/١٩٥١) : تابعت قوات الجيش الثامن تقدمها بحذر نحو الشمال تحت قيادة الجنرال فان فليت الذي أصبح قائداً للجيش الثامن محل ريدجوي الذي انتقل إلى طوكيو ليشغل مكان ماك آرثر : وكان ميزان القوى البرية العددي يميل لصالح الشماليين (حوالي نصف مليون جندي مقابل ٢٥٠ – ٢٦٠ ألف من القوات المتحالفة) . أما ميزان القوة النارية فكان لصالح المتحالفين نظر لضخامة عدد الدبابات والمدفعية والطائرات ونيران الاسطول الداعمة . ومن الملاحظ أن نشاط الطيران الصيني العامل من مطارات منشوريا كان قد تزايد في هذه الفترة ، بعد أن حقق هذا الطيران سيطرته على شمال غربي كوريا ، وخاصة في منطقة « طريق الميغ » الواقعة بين شينغ ونهر آمنوك (يالو) . وفي ٢٢ نيسان (ابريل) شن الشماليون هجوماً على جبهة عرضها ١٥٠ كيلومتراً . واجتازت القوات الكورية – الصينية نهر ايمجين في ٢٣ أبريل (نيسان) واندفعت نحو سيئول . وفي ٢٨ انسحب كبد القوات المتحالفة إلى ما وراء نهر هان . وكان عمق التقدم على الجبهة الوسطى حوالي ٥٦ كيلومتراً . وفي أواخر شهر نيسان (أبريل) توقف الهجوم الشمالي . عندها قرر الجنرال فان فليت العودة إلى خط ريد جوي الواقع على مسافة ١٣ – ١٦ كيلومتراً شمالي خط العرض ٣٨ ، ولكنه لم ينجح في ذلك . فعادت القوات المتحالفة الى التمركز دفاعياً . وفي ليلة ١٥ – ١٦ أيار (مايو) شن الشماليون هجومهم



الهجوم المعاكس الكوري – الصيني



على الجبهتين الشرقية والوسطى حيث يدافع الفيلق العاشر والفيلق الكوري الجنوبي الثالث ، وحققت بعض النجاحات . وكان الكوريون – الصينيون في هذا الهجوم والهجوم الذي سبقه يستخدمون تكنيك « أمواج البحر » ويهجمون بكثافة كبيرة لتعويض النقص بالغزارة النارية .

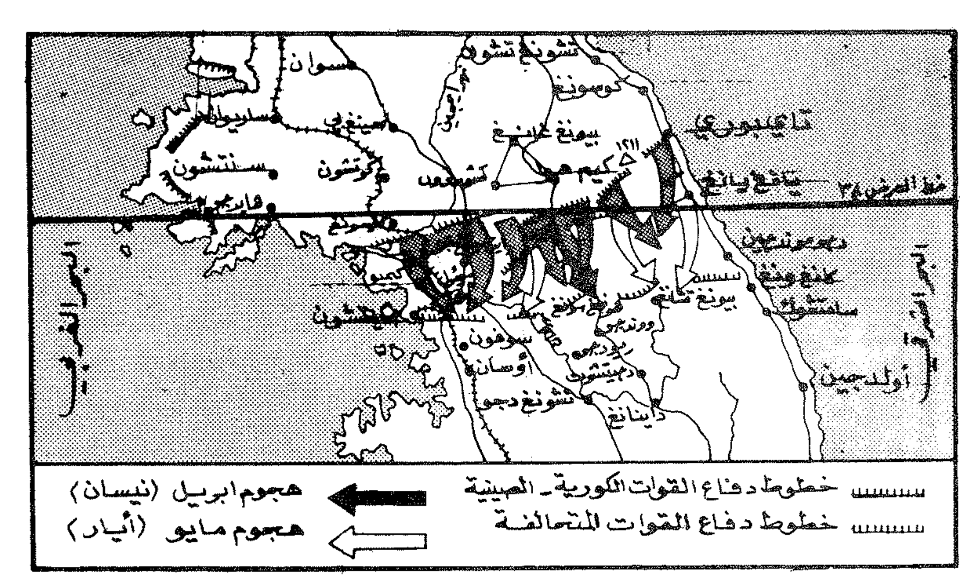
وبعد أن حقق الهجوم بعض أهدافه ، انسحب الشماليون إلى ما وراء خط العرض ٣٨ دون مبرر ظاهر . وطاردتهم ٤ فيالق متحالفة اجتازت خط العرض . وفي نهاية أيار (مايو) وصل الجيش الثامن إلى مواقع الخط الدفاعي القديم (خط ريد جوي) . وفي مطلع حزيران (يونيو) تم احتلال المثلث الحديدي ، وأصبح خط الجبهة يمر من مونسان الواقعة على مسافة ١٦ كيلومتراً جنوبي خط العرض ٣٨ ثم يمتد نحو الشمال الشرقي حتى قاعدة المثلث الحديدي ، ويسير حتى يصل إلى البحر . ولقد فكر فان فليت باستثمار هذا النجاح المحلي والتقدم داخل أراضي كوريا الشمالية . ولكن القيادة العليا كانت ترى الأمور بمنظار آخر ، ولا تريد التورط وتكرار مأساة هونغ نام .

وفي هذه الفترة حققت الجهود السياسية المبذولة لاحلال السلام في كوريا نجاحاً ملحوظاً ، واتجهت الدول الكبرى نحو ضرورة إيقاف القتال . ولقد وافق الكوريون والصينيون في ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٥١ على اجراء مباحثات تتعلق بوقف العمليات العسكرية واستتباب السلام . وصمتت المدافع مؤقتاً وبدأت المفاوضات في كيسونغ .

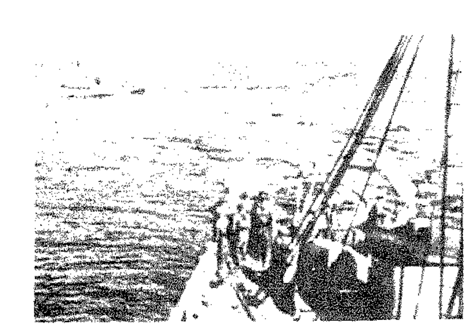
المرحلة الرابعة (٥١/٧/١٠ – ١٩٥٣/٧/٢٧)

بعد عدة اجتماعات تمهيدية على خط وقف اطلاق النار بدأت المباحثات الرسمية في كيسونغ في ١٠ تموز (يوليو) بين الوفد الكوري – الصيني ، ووفد الأمم المتحدة . ولقد اعترض سير المباحثات عدة عقبات ، وكانت نوعاً من الصراع السياسي المدعوم بالقوات المسلحة المستعدة لمتابعة القتال . وكان فان فليت يمتلك عند بدء المفاوضات ٥٨٦ ألف جندي (الجيش الثامن ٢٢٩ ألفاً ، والكوريون الجنوبيون ٣٥٧ ألفاً) ، على حين كانت القوات الكورية – الصينية تضم ٦٠٠ ألف رجل . وكانت قوات الطرفين متمركزة في مواقع محصنة هندسياً ومدعومة بمدفعية قوية وطيران قادر على الانطلاق من مطارات قريبة من خط وقف القتال .

ولقد نجم تعثر المفاوضات عن عدة مشكلات



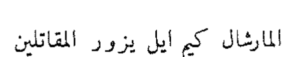
مطاردة القوات المتحالفة جنوبي خط العرض ٣٨



زوارق حربية شمالية تحرس الشواطىء



خبير أميركي يدرب الجنوبيين

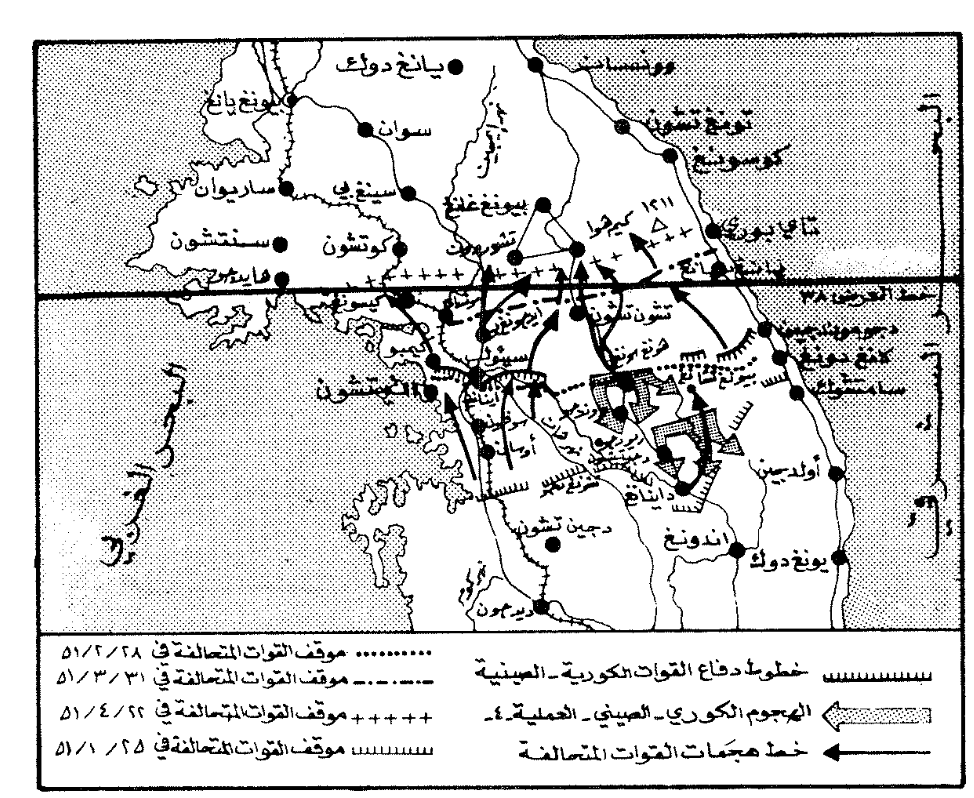


المارشال كيم ايل يزور المقاتلين



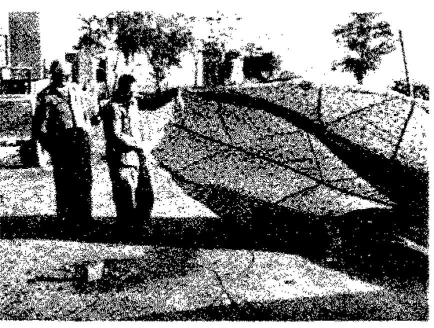
تتعلق بتحديد خط الهدنة ، وتبديل القوات العاملة في كوريا ، وحرية بناء المطارات ، وتبادل الاسرى مع إعطائهم حق الذهاب إلى المكان الذي يختارونه . ونظراً لعدم صلاحية كيسونغ أمنياً لمتابعة المفاوضات ، انتقل المتفاوضون إلى بانمونجوم . وتخللت المفاوضات معارك محدودة ومعارك شاملة (هجوم القوات المتحالفة في صيف ١٩٥١ ، وهجومها في خريف العام نفسه ، وهجوم الشماليين في أيار (مايو) ١٩٥٢ ، وهجومهم في حزيران (يونيو) ١٩٥٢ على المرتفعات الشرقية ، وهجوم القوات المتحالفة في مطلع العام ١٩٥٣ ، ورد القوات الكورية – الصينية بهجوم أيار – حزيران من العام نفسه) . ورافق المفاوضات أيضاً قصف جوي بحري – استراتيجي عنيف شمل مدن وقرى كوريا الشمالية لقهر ارادة الشماليين . واستمرت عمليات العصابات وراء خطوط قتال القوات المتحالفة كما استمرت التهديدات الاميركية باستخدام السلاح الذري . وفي العام ١٩٥٢ اتهم الكوريون الشماليون قيادة القوات المتحالفة باستخدام السلاح الجرثومي لإبادة الشعب الكوري ، وشكلت اللجان الدولية للتحقق من ذلك ، وتضاربت التقارير والشهادات . ولكنها اكدت كلها انتشار عدد من الأوبئة في كوريا الشمالية دون أن تتفق على مصدر هذه الأوبئة .

وأدى طول مدة الحرب ، وزيادة الخسائر المادية والبشرية ، إلى ملل الشعب الأميركي ، وزيادة التناقض داخل معسكر المتحالفين ، والتناقض بين الاميركيين وسينغمان ري الراغب في استمرار القتال وعدم السماح للاسرى الشماليين بالعودة إلى بلادهم . وبدا واضحاً ان سيغمان ري هو العقبة الوحيدة أمام السلام . وفي يوم ١٠ تموز (يوليو) اجتمع المتفاوضون في بانمونجوم بعد انقطاع طويل ، وبعد ٣ أيام شن الكوريون – الصينيون هجوماً عنيفاً على الفرق الجنوبية التي انحدرت وخسرت ٧٨ ألف رجل ، الأمر الذي دفع سينغمان ري إلى الرضوخ ، وتم توقيع الهدنة في قاعة السلام في بانمونجوم بتاريخ ١٩٥٣/٧/٢٧ دون أن يتبادل رئيسا اللجنتين الجنرال نام إيل والجنرال هاريسون كلمة واحدة . وحدد خط الحدود بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية على خط قريب من خط العرض ٣٨ ، ولكنه يتجه في بعض أجزائه نحو الجنوب ، ويضم حوالي ١٢٢٠ كيلومتراً مربعاً من أراضي كوريا الجنوبية الزراعية إلى جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ، وينحرف في بعض أجزائه الى الشمال ، ويضم حوالي ١٥٣٠ كيلومتراً مربعاً من أراضي كوريا الشمالية



المجوم الكوري – الصيني والهجمات المعاكسة الأميركية (١٩٥١)


أوعية الحرب البيولوجية



مظلة جندي جنوبي شارك بالحرب البيولوجية

رشيشة صنعت أثناء القتال



المصانع الحربية في خدمة الجبهة



الجبلية الى جمهورية كوريا . والحقيقة ان هذه الحرب ، التي دمرت فيها كوريا الشمالية تقريباً ، وخسر فيها الطرفان اعداداً كبيرة من القتلى والجرحى ، لم تحسم المسألة الكورية ، ولم تحقق تطلعات الشعب الكوري في الوحدة والتحرر ، بل كرست تقسيم شبه الجزيرة الكورية ، وخلقت فيها وضعاً قلقاً قابلا للتفجر ، ونقطة صدام محتملة بين المعسكرين العملاقين . ولقد استخدمت في هذه الحرب كل الاساليب القتالية المعروفة (الحرب الخاطفة ، حرب العصابات ، الجبهة الثابتة وحرب الخنادق ، الدفاع الديناميكي ، الضربات غير المباشرة ، الهجوم بموجات كثيفة) .مع الاعتماد على اسلوب قتالي جديد هو خلق «الجبهة الثانية» وراء العدو ، واستمرار هذه الجبهة النظامية في القتال بالتعاون مع العصابات ، رغم تجاوز العدو لها وتطويقها استراتيجياً .

(١٥) حرب التدخل

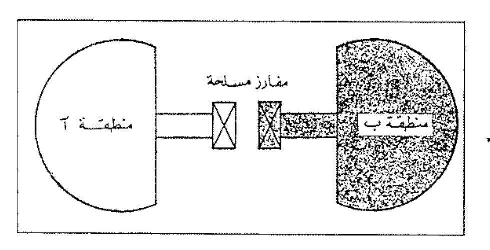
(انظر التدخل) .

(١) الحرب التقليدية

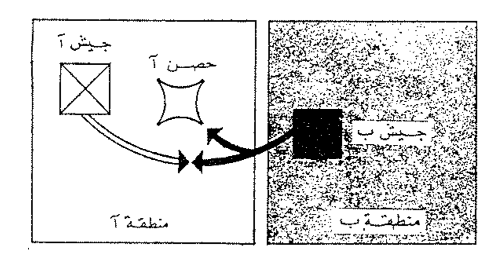
هي صراع مسلح بين دولتين أو اكثر من مستوى حضاري متقارب ، تشترك فيه جميع أو بعض الاسلحة البرية والبحرية والجوية ، وتستخدم خلاله كافة أنواع الذخائر باستثناء اسلحة الدمار الشامل الكيماوية والبيولوجية والنووية .

تأتي الحرب التقليدية كمرحلة متطورة عن الحرب البدائية التي كانت تجري في العصور القديمة بين قبيلتين (انظر الحرب البدائية) . نظراً لأن تطور التحصينات في الحرب البدائية ، أجبر المهاجم على خلق أداة عسكرية فعالة قادرة على اقتحام هذه التحصينات . من هنا جاء أصل تشكيل الجيوش النظامية التي تضم عدداً من السكان الذكور في مجتمع ما ، يخضعون لتدريب معين ، ويتسلحون بأسلحة فعالة ، ويخضعون لسلطة قائد عسكري مؤهل ، ويشتبكون مع العدو بشكل نظامي يختلف عن حرب العصابات التي كانت سائدة في الحرب البدائية . وهكذا تحول الصراع من صدام بين قبيلتين إلى صدام بين مجموعتين مسلحتين يفرزهما شعبان حتى تقاتلا باسمهما ، ونيابة عنهما ، ودفاعاً عن مصالحهما .

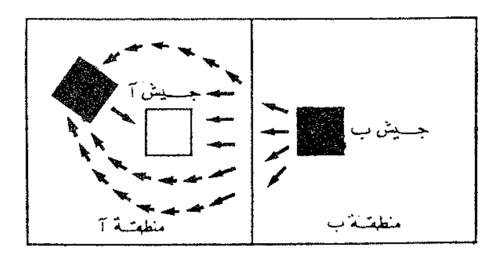
ولقد تطورت الحرب التقليدية بتطور الاسلحة



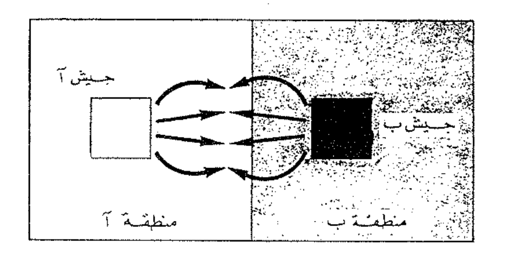
الحرب التقليدية دون حصون



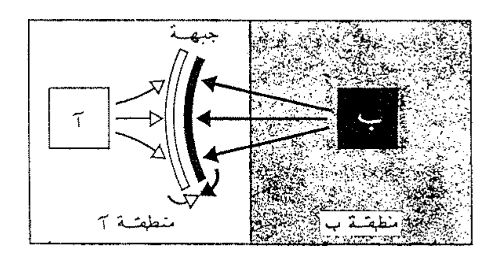
الحرب التقليدية مع حصون



الحرب التقليدية أيام نابليون



مخطط الحرب التقليدية (١٨١٤)



مخطط الحرب التقليدية (١٩١٤)

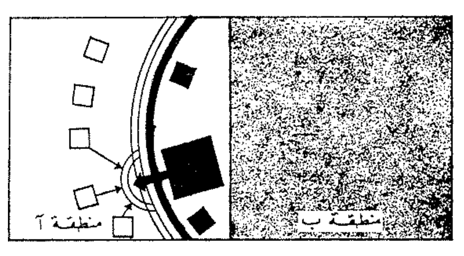
واساليب القتال التي تفرضها هذه الاسلحة . فعندما كانت الجيوش في العصور القديمة تستخدم السيف والرمح والقوس ، كانت الحرب التقليدية تتلخص في معركة واحدة تحدد مصير الجيشين ومصير الشعبين ايضاً . وكان فن العمليات متميزاً عن المعركة ويسبقها . وكان هذا الفن يتلخص في تنفيذ المعركة في أفضل الظروف . ونظراً لأن الجيشين كانا عبارة عن مفرزتين صغيرتين من الشعبين ، ولا تشكلان سوى نقطتين في الزمان والمكان ، فقد كان على كل جيش من هذين الجيشين أن يتحرك نحو الجيش الآخر بكتلة واحدة حتى تتم المعركة . وكان المدافع يستطيع تحاشي المعركة وإطالة أمد الحرب ، لذا كان المهاجم يلجأ عادة إلى اجتياح البلاد المعادية وتخريبها ونهبها لاجبار الجيش المعادي على قبول المعركة . ولكن المدافع لم يكن يقبل دائماً هذا التحدي ، بل كان يلجأ في كثير من الحالات إلى الحصون ، الأمر الذي جعل المهاجم مضطراً للقيام بالحصار بغية الاستيلاء على الحصون . ولهذا كانت الحرب التقليدية طويلة وغير حاسمة إلا إذا كان المهاجم متفوقاً بشكل ساحق (مادياً أو معنوياً) ، وقادراً على اقتحام الحصون وتدميرها (أتيلا ، الفتح العربي الاسلامي ، جنكيزخان) . ولقد بقيت الحروب التقليدية تدور بهذا الشكل منذ العصور القديمة حتى نهاية القرن الثامن عشر .

ولقد استطاع نابليون بونابرت ، في نهاية القرن الثامن عشر ، تطوير مخطط الحرب التقليدية ، بأن استخدم أساليب جديدة للعمليات تجبر الخصم على خوض المعركة في جميع الحالات . وساعده على ذلك أن القوة النارية للجيوش تزايدت بشكل جعل كل مفرزة (ذات حجم معين)منهذه الجيوش ، قادرة على القتال والمقاومة خلال فترة محددة من الزمن . ولم يعد الجيش مضطراً للحركة بكتلة واحدة ، بل صار بوسعه الانتشار بالنظام الفرقي Divisionnaire ، والتحرك على ارتال متوازية ، والتمون من البلاد التي يجتازها . وأصبح الترتيب العام للجيش أشبه بشبكة واسعة تتجمع في فترة المعركة . وهكذا استطاع نابليون ايجاد تمييز مطلق بين العمليات التي تتم بتشكيل مبعثر ، والمعركة التي تتم بعد التجمع ضمن تشكيل كثيف . ولم يكن خصومه المتمسكون بمبدأ الحركة بكتلة واحدة قادرين على توقع المكان الذي سيجتمع فيه جيشه . ولذا كان نابليون قادراً على تطويقهم إن بقوا ثابتين (انظر اولم «معركة») أو تجاوزهم والوقوف على خط مواصلاتهم ، وعمل سد استراتيجي يجبرهم على القتال على جبهة معكوسة

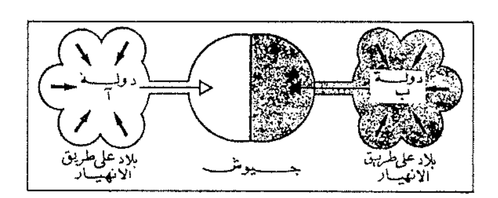
(انظر يينا « معركة ») ، الأمر الذي جعل نابليون قادراً على فرض المعركة على خصومه في جميع الحالات، حتى لو لم تكن المعركة ملائمة لهم . ولذا تعاقبت المعارك في الحروب النابليونية ، وعادت الحروب فاصبحت حاسمة وسريعة . ومن المؤكد أن نابليون استطاع فرض اسلوبه هذا بفضل ارتفاع مستوى تدريب جيشه ، وديناميكية قواته ، ومهارته في توزيع وجمع القوات وفق حسابات دقيقة تتعلق بالحركة والتجاوز والانسحاب والشؤون الادارية .

ثم تعلم خصوم نابليون اصول اللعبة ، فنشروا جيوشهم على شكل شبكة واسعة تغطي جزءاً كبيراً من مسرح العمليات ، فتزايدت صعوبة مناورة نابليون باستمرار ، واصبحت الحرب التقليدية سلسلة من المعارك الجزئية . وعندما مال ميزان القوى لصالح أعداء فرنسا تعرضت جيوش نابليون للهزيمة (انظر واترلو « معركة ») .

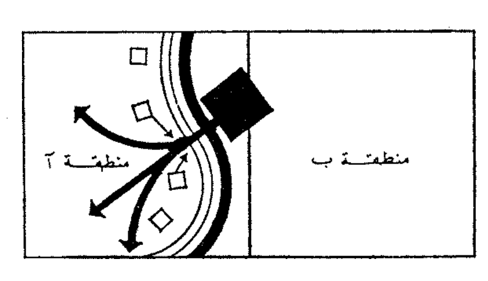
واستمر تزايد القوة النارية خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، وتضخمت الجيوش بفضل التجنيد الاجباري ، وضخامة الانتاج الحربي ، ووجود السكك الحديدية ، وازدادت قدرة التشكيلات على الحركة والقتال منعزلة . ولم تعد الشبكة التي تنتشر عليها التشكيلات « شبكة حركة » فحسب ، بل أصبحت « شبكة حركة وقتال » كثيفة ، وجداراً بشرياً يتطلب الخرق باستمرار ، وامتزجت المعركة مع العمليات ، واختفى فن العمليات كما ابتدعه نابليون والمارشال دوساكس . ولكن تزايد قدرة القطعات على الصمود زاد صعوبات الخرق ، وصار من الضروري في الحرب التقليدية تنفيذ عمليات الالتفاف على الاجنحة (ووبرت ، سيدان ، موكدن ، المارن) . وكانت عمليات الالتفاف تجابه بالتفاف معاكس ، وتحولت الحرب التقليدية إلى سلسلة متعاقبة من عمليات الالتفاف الرامية الى تطويق الخصم وتدميره . وكان الالتفاف يتطلب سرعة الحركة حتى يتم التطويق قبل انسحاب الخصم أو تدخل قواته الاحتياطية . ولقد كان ذلك ممكناً عندما كان عرض الجبهات صغيراً . وفي مطلع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) حاول الالمان استخدام قوات تسير على الاقدام لتطويق جناح جبهة الفرنسيين التي يبلغ عرضها ٣٠٠ كيلومتر . وأدى بطء الحركة إلى فشلها ، واستطاع الحلفاء الانسحاب ، وجمع الاحتياطات بالسكك الحديدية ، واستعادة التوازن . وجمعوا في باريس قوة قادرة على اجراء مناورة التفاف على جناح الالمان الراغبين في الالتفاف (انظر المارن « معركة ») ، ولكن الالمان تمكنوا من الانسحاب .



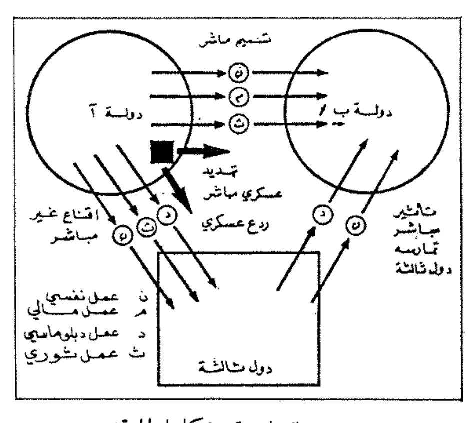
الحرب التقليدية (١٩١٥ – ١٩١٧)



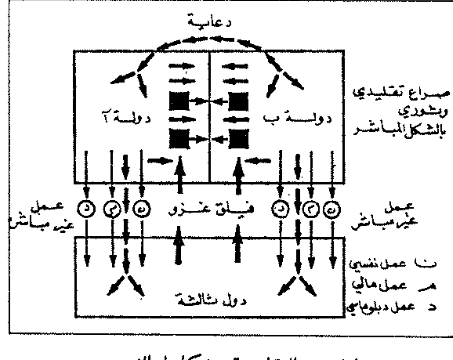
الحرب التقليدية والانهيار الداخلي (١٩١٨)



الحرب التقليدية الخاطفة (١٩٤٠)



الحرب التقليدية بشكلها المعقد



الحرب التقليدية بشكلها الثوري

وكان الالتفاف ، والالتفاف على الملتفين في بداية الحرب العالمية الأولى عبارة عن سباق نحو البحر . وعندما وصل الخصمان إلى البحر ، واستندت جبهتاهما إلى البحر من الشمال والى الحدود السويسرية من الجنوب ، اختفت امكانات الالتفاف ، وفقدت الحرب التقليدية شكلها الحركي ، وأصبحت الجبهات في نهاية العام ١٩١٤ ثابتة .

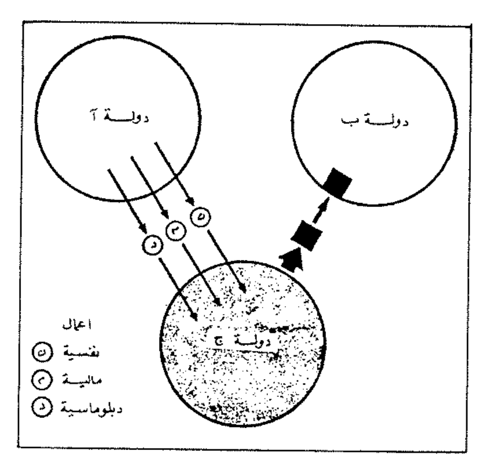
كانت الجبهة في نهاية العام ١٩١٤ متصلة بدون أجنحة مكشوفة . كما كانت رقيقة قليلة العمق، واصبحت المعركة معادلة لمسرح العمليات . ولقد زادت صلابة الجبهة بسبب استخدام الرشاشات ، والخنادق ، والاسلاك الشائكة ، والمدفعية ، وقوات ضخمة تضم جميع الرجال القادرين على حمل السلاح في البلدان المتحاربة ، وامكانية امداد هذه القوات وتموينها بالسكك الحديدية وسيارات النقل . ومع اختفاء امكانات التطويق بدأ البحث عن وسيلة لتحقيق الخرق بالقوة ، واستغلال الخرق بكتل كبيرة من المشاة .. وصار من الضروري استخدام وسائط نارية كبيرة (مدافع ، رشاشات) لفتح الثغرة في نقطة محددة والاندفاع من خلالها (أنظر الخرق والثغرة) . ولكن بطء حركة المشاة المندفعة من الثغرة، وقدرة الاحتياطات على الحركة واخذ مواقع مقابل الثغرة لسدها ، جعلا المهاجمين يدخلون في جيوب صغيرة العمق ثم يتوقفون (انظر الجيب) ، واصبحت الحرب حرب استنزاف (فردان والسوم) . ولقد اعتقد القادة العسكريون آنذاك ، وفي مقدمتهم فوش ، أن الخرق يتطلب مزيداً من الامكانات والوسائط النارية لتحقيق « الضرب المتتابع » الذي يضمن تنسيق عمل الجيوب المتعاقبة وتصاعدها . وتطلب هذا الأمر تضحيات ضخمة من الطرفين . وأخذت الحرب شكل استخدام عنيف للقوة . واختفت الحركات غير المباشرة ، رغم المحاولات الأولية لاستخدام الدبابات في المرحلة الثالثة من معركة السوم (ايلول ١٩١٦) ، وفي معركة الآيسن الثانية (نيسان ١٩١٧) ، ومعركة كامبري (تشرين الثاني – كانون الأول ١٩١٧) ، ومعركة اميان (آب ١٩١٨) ، والهجوم الفرنسي المضاد شرقي ريمز (تموز ١٩١٨) . ونظراً لضخامة الخسائر الناجمة عن حرب الاستنزاف ، اتجهت جميع مصادر البلاد المتحاربة (البشرية والمادية) لاطعام وحش الحرب ، الأمر الذي انهك هذه البلدان وجعلها معرضة للانهيار من الداخل لا في جبهات القتال . ولذا انهارت روسيا القيصرية في العام ١٩١٧ ، وكادت فرنسا أن تشهد في العام نفسه انهياراً مماثلا . وفي العام ١٩١٨ انهارت

الامبراطورية النمساوية - الهنغارية وتلتها ألمانيا ، وانتهت الحرب العالمية الثانية بسبب تفتت الجبهة الداخلية ، قبل أن تحسم الحرب عسكرياً في ساحات القتال .

ولقد فهم الالمان اكثر من غيرهم مغزى استخدام الدبابة في الحرب العالمية الأولى ، كما فهموا مغزى التعاون بين الطائرة والدبابة ، وخاصة بعد دراسة هجوم قمة فليكسيير (شباط ١٩١٨) الذي قامت به دبابات الحلفاء ، وتعرضت خلاله لخسائر جسيمة من جراء رمايات المدفعية الالمانية ، ودراسة تنظيم التعاون الذي حققه الانكليز بين الدبابة والطائرة المحلقة على ارتفاعات منخفضة منذ آب (اغسطس) ١٩١٨ ، على حين استنتج الفرنسيون من الحرب العالمية الأولى درساً آخر ، هو ضرورة الاعتماد على التحصينات (انظر ماجينو « خط ») .

وساعد تطور المحرك الانفجاري على تطوير الدبابة والطائرة ووسائط النقل . كما ساعدت ضخامة الانتاج على خلق قطعات مدرعة كبيرة ذات قوة نارية هائلة وقدرة حركية كبيرة . وفي المرحلة الأولى من الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤١) ، استخدم الألمان الثنائي «طائرة - دبابة» لتحقيق الخرق الذي تندفع المشاة الآلية والمشاة المنقولة من خلاله لتقوم مع الدبابات بالالتفاف والتطويق وتفتيت دفاعات العدو إلى جزر مقاومة والقضاء عليها (انظر الحرب الخاطفة) وأصبحت المعركة مدخلا للعمليات ، وانقلب المخطط النابليوني الذي كانت فيه العمليات مدخلا للمعركة ، وعاد للحرب التقليدية طابعها الحركي . ثم ثبتت الجبهات من جديد عندما ضعف زخم الهجوم الالماني ، وحصل الحلفاء على الأسلحة والاساليب القتالية الملائمة لإيقاف اندفاع المدرعات ، وفقدت الحرب بعضاً من حركيتها ، وظهرت الجبهات الثابتة في بعض مسارح القتال كما ظهرت الضربات المتتابعة . وعندما مال ميزان القوى لصالح الحلفاء ، عادت الحرب الخاطفة الى الظهور على الجبهتين الشرقية والغربية ، وعادت الحركية إلى الحرب التقليدية ، وجرت سلسلة من المعارك والحركات وعمليات استثمار النصر . ولكن الحركة المجردة - على غرار حركات القرن الثامن عشر - لم تظهر إلا في شمالي أفريقيا ، حيث كانت القوات المشتركة في القتال صغيرة جداً بالنسبة إلى سعة مسرح القتال .

وبعد ظهور السلاح النووي في العام ١٩٤٥ ، اعتقد البعض أن عصر الحرب التقليدية قد انتهى ، وأن الحرب المقبلة ستكون ذرية حتماً . ولكن امتلاك



الحرب التقليدية غير المباشرة

السوفيات للاسلحة النووية في ايلول (سبتمبر) ١٩٤٩ وتوسع عدد أعضاء النادي الذري (انظر النادي الذري) ، واختراع القنبلة الهيدروجينية ، وتزايد القوة التدميرية للسلاح النووي كانت وراء الردع المتبادل ، وشلل السلاح النووي إلى حد ما ، والعودة إلى الحرب التقليدية في المناطق الهامشية ، وبين قوى صغيرة متحالفة مع القوتين النوويتين العظميين ، وأخذت هذه الحرب شكل الحروب التقليدية المحدودة ، والحروب المحلية التي شهدها العالم خلال خمسينات وستينات وسبعينات القرن العشرين .

تعتبر المعركة بالاسلحة التقليدية سمة الحرب التقليدية (انظر المعركة) . وتستهدف المعركة تحقيق الحسم عن طريق تدمير قوات الخصم المسلحة خلال صدام يتم وفق الاساليب النظامية التي يتقبلها منطق المؤسسة العسكرية . ورغم تطور الاسلحة ومعدات القتال ، وتفوق الدفاع على الهجوم أو تفوق الهجوم على الدفاع ، ورغم لجوء المتحاربين في بعض الحالات إلى استراتيجية التقرب غير المباشر ، فان جوهر الحرب التقليدية هو تدمير ارادة الخصم عن طريق تحقيق النصر العسكري سواء تم هذا النصر عن طريق التقرب المباشر أو غير المباشر .

ومن المؤكد أن تحقيق النصر العسكري في الحرب التقليدية لا يعني بالضرورة التدمير المادي لقوات الخصم المسلحة ، ولكنه يعني تفتيت نظامها ، وتأمين انهيارها المعنوي ، وافقادها الأمل بالنصر . وقد يتم الوصول إلى هذه النتائج بشكل مباشر أو غير مباشر ، وقد يتم من جراء الهزيمة في المعركة أو من جراء الخوف من الهزيمة في المعركة ، والمهم أن تحقيق هذه النتائج يؤدي إلى هزيمة الجيش المعادي نفسياً ، الأمر الذي يجعل حكومة الخصم تخضع لارادة المنتصرين السياسية . ومن هنا نرى أن جوهر الحرب التقليدية جوهر نفسي ، أما العمل الحربي فيها فهو مجرد أداة للوصول إلى انهيار العدو نفسياً ، واجباره على الاستسلام . وهنا لا بد لنا من الاشارة إلى أن انهيار جيش الخصم ، واستسلام دولته ، لا يعنيان بالضرورة انتهاء النزاع المسلح ، لأن ضخامة هدف النزاع ، وارتفاع مستوى التعبئة المعنوية ، والطبيعة الطبوغرافية للبلاد ، ودقة التنظيم السياسي الجماهيري ، قد تدفع شعب البلد المهزوم إلى متابعة الصراع المسلح ضد العدو المنتصر ، مع استخدام اساليب أخرى غير تقليدية (انظر الحرب الثورية) . واذا كان الانهيار أو احتمال الانهيار في الماضي يدفعان الخصم إلى الاستسلام ، فان الانهيار أو احتمال الانهيار في العصر النووي ، قد يؤديان إلى تصعيد الحرب التقليدية الى مستوى آخر هو مستوى الحرب الذرية (انظر الحرب الذرية او النووية) .

(٤) حرب التوريط

اصطلاح خاص بالحرب النووية ، يقصد به التعبير عن نوع من الصراع المسلح الذي يمكن أن ينشب بين طرفين نتيجة لعمل عسكري قام به طرف ثالث ضد احدهما بحيث يبدو له أن هذا الطرف هو الذي قام به ومن ثم يرد عليه وهكذا ينجح الطرف الثالث في توريط الطرفين في صراع مسلح يعتقد أنه سيستفيد منه بصورة غير مباشرة . وقد كان احتمال نشوب مثل هذا النوع من الحروب بين القوى العظمى النووية قائماً إلى حد ما في المراحل الاولى من تطور وسائل ونظم حمل القنابل النووية إلى أهدافها ، حين كانت هذه الوسائل (قاذفات أو صواريخ) غير محمية جيداً في قواعد اطلاقها وتحتاج إلى وقت طويل نسبياً لتحضيرها للانطلاق ، ومن ثم لن يكن هناك وقت كاف ، في حالة وقوع أي ضربة ذرية مجهولة الجهة ، للتروي في اتخاذ قرار الرد الهجومي المضاد ، خشية استمرار الضربات الذرية وتحطم كل القوى القادرة على توجيه الضربة الانتقامية . أما الآن وبعد تطور وسائل الانذار والاتصال وحمل القنابل بسرعة ومن قواعد متحركة ومحمية (من طائرات تحمل صواريخ موجهة بعيدة المدى أو غواصات نووية تحمل صواريخ ذات رؤوس نووية الخ) وفي ظل وجود نظم للاتصال المباشر السريع بين القوى العظمى (الخط الاحمر مثلا بين موسكو وواشنطن) فقد تضاءل للغاية احتمال نشوب مثل هذه الحرب بين القوى العظمى النووية نتيجة لعمل مدبر من طرف ثالث مستتر .

(٧) حرب الثلاثين سنة (١٦١٨-١٦٤٨)

هي الحرب الدينية الثانية بين الكاثوليك والبروتستانت في ألمانيا. وتعتبر في الواقع سلسلة من الحروب حيث لعبت فرنسا والسويد (خصما الامبراطور) واسبانيا (حليفته) دوراً اكثر أهمية من الدويلات الألمانية نفسها. فقبل تخلي شارل كانت Charles Quint عن العرش حصل الامراء اللوثريون على «سلم أوغسبورغ» Paix d'Augsbourg ١٥٥٥ الذي يجيز لكل منهم اعتناق المذهب الذي يشاء والاحتفاظ بالاملاك التي كانت بحوزته. وبالرغم من تزايد عدد الكلفينيين Calvinistes ظل اللوثريون يتمتعون بهذا التساهل، بل انهم استمروا في الاستيلاء على الاملاك الكنسية بالرغم من المنع. وهكذا ازدهرت البروتستنتية في هابسبورغ وبوهيميا بشكل خاص. وكان الكاثوليكيون في الوقت نفسه يبنون المدارس وينجحون في كسب ثقة بعض الامراء الألمان.

اندلعت الحرب في بوهيميا عام ١٦١٨، حيث ثارت بوهيميا البروتستنتية ضد النمسا، واختارت فريدريك ملكاً عليها، وهو كالفيني المذهب. وقد تمكن الامبراطور فرديناند الثاني الذي دعمته بافاريا من سحق الثائرين وطرد فريدريك. وقد قرر ملك الدانمرك البروتستنتي كريستيان الرابع التدخل، ولكنه اضطر الى الانسحاب في عام ١٦٢٩، بعد بقائه اربع سنوات في المانيا على أثر الهزائم القاسية التي انزلها به ولنشتين Wallenstein. وقد أصدر الامبراطور فرديناند الثاني المنتصر امراً الى البروتستانت باعادة جميع الممتلكات الكنسية التي استولوا عليها منذ «سلم اوغسبورغ»، وهكذا بقي اللوثريون وحدهم يتمتعون بحريتهم الدينية منذ ذلك الحين. ولكن السلطة القوية التي كان يتمتع بها قائد جيوش الامبراطور Wallenstein اقلقت الكاثوليكيين كما اقلقت الامبراطور نفسه ففصله عنه. واستغل ملك السويد غوستاف ادولف هذه المناسبة بالذات ليتدخل بوصفه بروتستنتياً متحمساً لنصرة البروتستانت، رامياً الى بلوغ مصالح في المانيا من وراء هذا التدخل. ولم يقبل الامراء الالمان نجدته إلا بعد الدمار الرهيب الذي حل بماغدبورغ Magdbourg على يد الكاثوليك الذين رأسهم تيلي Tilly (قتل ٢٠٠٠٠ مواطن واحترقت المدينة)، وبعد انتصاره على Tilly في مدينة بريتنفيلد Breitenfeld سنة ١٦٣١.

وقد تلقى تيلي هزيمة اخرى في بافاريا، حيث مات عام ١٦٣٢. كما انتصر السويديون ايضاً في لوتزن Lutzen ولكنهم فقدوا ملكهم. وقد تحولت المانيا الى مسرح معارك دموية متواصلة وانصبت كل الاحقاد على ولنشتين فاغتيل في عام ١٦٣٤.

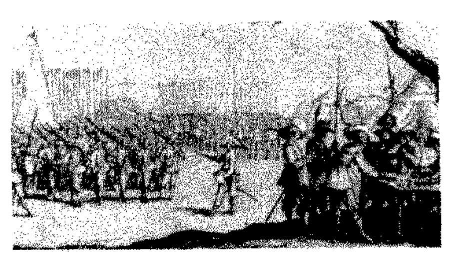
ولكن ريشيليو الذي كان يستخدم لمصلحته برنارد دو ساكس - فيمار، وغوستاف ادولف كان يهدف الى حرب واسعة النطاق ضد اللوثريين أو الهابسبورغيين Habsbourgs بغية اضعافهم وتوسيع الحدود الفرنسية على حساب اسبانيا بشكل خاص. لذلك اعلن الحرب على اسبانيا في ايار ١٦٣٥، بعد أن عقد معاهدات واتفاقيات مع اعداء الامبراطور. وبعد إحدى الهزائم المنكره التي أنزلها السويديون بفرديناند الثالث (١٦٣٧ - ١٦٥٧) أرسل هذا الأخير أحد الآباء الدومينيكيين الى ريشيليو لينقل اليه احتجاجاً حول تحالفه مع المنشقين. وقد مات الكردينال في عام ١٦٤٢، وتمكنت فرنسا من احتلال الألزاس وروسيون.

وهكذا لم تتمكن معاهدة سلام واحدة من وضع حد لهذه الحرب، فقامت عدة معاهدات واتفاقيات استمرت حتى عام ١٦٤٨. وكانت نتائجها ان كرست التساهل مع الكلفينيين، وابقت للامراء البروتستانت الاملاك الكنسية التي استولوا عليها عام ١٦٢٤، واباحت لهم عقد التحالفات بين بعضهم البعض، شريطة ألا تكون موجهة ضد الامبراطور، ونالت السويد ملكية بعض الاراضي من شمالي المانيا، كما نالت فرنسا ميتز، وفيردان، وتول، وتمتعت بحقوق متعددة في منطقة الألزاس (ما عدا ستراسبورغ التي بقيت للامبراطورية) كما اعترف باستقلال هولندا وسويسرا.

اما المانيا التي دمرت آلاف قراها، ومات نصف سكانها تقريباً. فقد اصبحت شبه خراب، لأن الحرب كانت شديدة الوطأة، وفجرت البربرية في نفوس الدول المتحاربة، وقد بقيت نتائج هذه الحرب المأساوية حتى اواخر القرن الثامن عشر.



مآسي حرب الثلاثين سنة



القوات تستعد للحرب

(٦) حرب الثمانين سنة (١٥٦٨-١٦٤٨)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١) الحرب الثورية

الحرب الثورية Guerre Revolutionnaire هي صراع عادل تستخدم فيه القوى العسكرية والنفسية والسياسية لشعب من الشعوب ضد قوة محلية متسلطة أو قوة أجنبية مستعمرة. وتختلف هذه الحرب عن الحرب التقليدية بعدة سمات:

أ - انها لا تتم بين شعبين أو مجموعتين متماثلتين على المستوى الحضاري والتنظيمي والعسكري ولكنها تتم بين شعب (أو مجموعة) ضعيف مادياً ولكنه يملك دفعاً معنوياً عالياً، يسمح له بخوض الحرب مهما كانت التضحيات، وشعب (أو مجموعة) يعتمد على قوته المادية القاهرة، ولكنه لا يملك الحافز المعنوي أو السبب السياسي القوي اللازم لمتابعة الحرب.

ب - انها لا تتم بين جيشين تابعين لشعبين، ولكنها تتم بين شعب مسلح يملك قواته المسلحة ويقاتل معها، ويمنحها زخمه ودعمه، وجيش يعززه شعب آخر لقهر الشعب الأول بعد تدمير قوته المسلحة.

ج - أن أحد الطرفين لا يعتمد على القوة المادية فحسب، ولا يضعها في المقام الأول دائماً، ولكنه يعتمد أيضاً على الدافع المعنوي النابع من الاحساس بالظلم (الاجتماعي أو الوطني)، وعلى التوعية السياسية المبنية على فكرة سياسية عادلة ومقبولة وقادرة على استقطاب الجماهير الشعبية.

ومن هنا نرى أن الحرب الثورية تتقارب إلى حد بعيد مع الحرب البدائية (انظر الحرب البدائية)، وتعتبر الشكل العصري لهذه الحرب، مع فارق واحد هو أن أحد الطرفين فقط يلجأ إليها، على

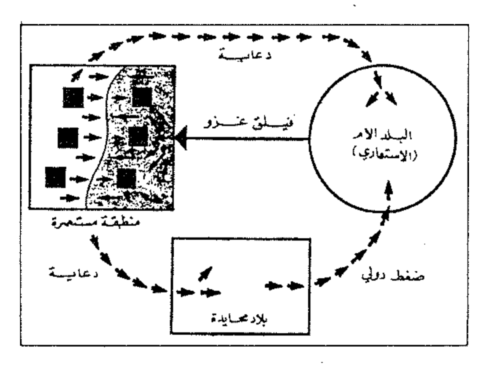
حين يلجأ الطرف الآخر إلى أساليب الحرب الاستعمارية أو الحرب المضادة للعصيان. ولكن هناك حالات يمارس فيها الطرفان الحرب الثورية التي تأخذ شكلا حديثاً للحرب البدائية مثل الحرب الدينية والحرب الأهلية التي يكون فيها الدافع المعنوي والزخم السياسي والدعم الجماهيري لدى الطرفين المتحاربين قوياً جداً. ويكون الطرفان مستوى حضاري وعسكري متقارب.

وتختلف الحروب الثورية باختلاف الدوافع الكامنة وراءها. فان كانت الدوافع وطنية أخذت الحرب الثورية شكل حرب تحرير شعبية أو ثورة وطنية يشنها شعب مستعمر ضد المستعمرين وعملائهم المحليين (انظر الثورة – ثورة التحرير الوطني). واذا تحالف المستعمر مع جزء من الأمة المقهورة واستطاع تعبئته وزجه في المعركة أخذت الحرب الثورية شكل ثورة تحرير وطني – اجتماعي (انظر الثورة) أو شكل حرب أهلية متداخلة مع الحرب الاستعمارية (انظر الحرب الأهلية والحرب الاستعمارية). واذا كانت الدوافع اجتماعية أخذت الحرب الثورية شكل هبة شعبية أو ثورة اجتماعية ضد الطغاة المحليين (انظر الثورة – ثورة التحرير الاجتماعي).

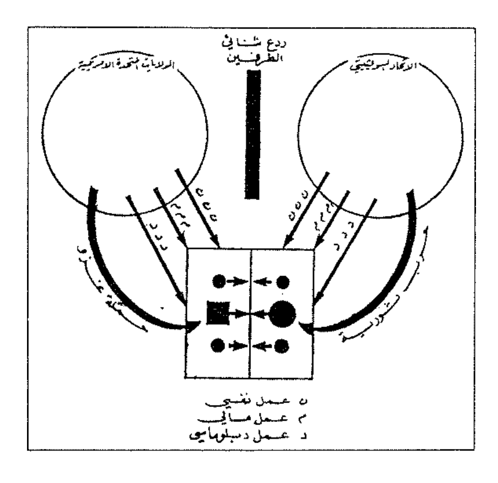
واذا استطاع الطغاة استقطاب جزء من الشعب، بعد إثارة النعرات الدينية أو الطائفية أو العنصرية أخذت الحرب الثورية شكل حرب أهلية أو حرب دينية (انظر الحرب الأهلية والحرب الدينية). ولا يستبعد أن تتداخل هذه الحرب مع تدخل خارجي لمصلحة أحد الطرفين وعندها تتداخل الحرب الأهلية او الدينية مع حرب التدخل ضمن اطار عام من الحرب الثورية. ومن هنا جاء تعدد أنواع الحرب الثورية وتشابكها.

ومهما كان نوع الحرب الثورية وطبيعة الدافع الكامن وراءها فانها تتشابه من زاويتين هما: إعطاء المجال المعنوي مكانة هامة، والاعتماد الكلي على جماهير الشعب، وتماثل الاساليب المستخدمة في الصراع.

تجد الحرب الثورية في المجال المعنوي معيناً لا ينضب للقوة. ولا يقتصر استخدام المجال المعنوي على تدعيم قوى القائم بالحرب الثورية فحسب، بل يمتد أيضاً إلى معسكر الخصم لاضعاف معنوياته، كما يمتد إلى المعسكر العالمي لاكتساب الاصدقاء بالمناورة الخارجية، الأمر الذي يجعل الحرب الثورية حالة خاصة من حالات الاستراتيجية غير المباشرة. ومن المؤكد أن العمل في المجال المعنوي صعب



الحرب الثورية متعددة الأطراف



المجابهة عن طريق طرف ثالث

وحساس، ويحتاج إلى دأب طويل مستمر، وانتباه دائم حتى لا ينعكس أثره السلبي على معسكر الصديق نفسه. وما دام الانتصار في جوهره معنوي أساساً، فان الحرب الثورية تركز على هذا المجال الذي تتجابه فيه الارادات. ولكن الجهود في المجال المعنوي تبقى بلا جدوى إذا لم ترتكز على فكرة سياسية واضحة تتلاءم مع الهدف المنشود والمناخ العام السائد واتجاه تطور الخط الفكري، وتعتمد على تحليل موضوعي لدوافع الصراع لدى الطرفين المتجابهين.

بيد أن الاعتماد على العامل المعنوي لا ينفي بشكل مطلق ضرورة الاعتماد على العامل المادي. لأن هذا العامل موجود دائماً في صراع الارادات. وكثيراً ما استخدم العامل المعنوي لاستثارة القوى المادية، وبفضل هذه القوى يمكن رفع مستوى العامل المعنوي. وهكذا يكون تصاعد الضغطين المادي والمعنوي تكاملياً، ويكون التأثير السلبي أو الايجابي لأحد العاملين على الآخر تأثيراً متبادلا. الأمر الذي يؤدي في بعض الاحيان إلى تطابق الحرب الثورية مع بعض اشكال الحرب التقليدية المطبقة بروح ثورية. ويندر أن يكون العمل المادي في الحرب الثورية دفاعياً. وهو في غالب الأحيان هجومي يستهدف تحقيق غرض معنوي أو سياسي.

ومن الضروري الانتباه دائماً إلى توافق العمل المعنوي مع العمل المادي، مع الأخذ بالاعتبار أنه عندما يكون «هدف النزاع» هاماً بالنسبة الى العدو، فان العمل المادي يحتل أهمية كبيرة. ويكون دور العمل المعنوي تفتيت العدو واعداد الظروف الملائمة لانهياره تحت تأثير الضربات المادية. ولذا فان من الممكن اعتباره رمي تمهيد يسبق الصدمة. أما إذا كان «هدف النزاع» محدود الأهمية بالنسبة الى العدو، فان العمل المعنوي يحتل مكان الصدارة ويغدو بالامكان إلحاق الهزيمة بالعدو عن طريق إطالة أمد الصراع واستمرار الضغط المعنوي حتى لو كان العمل المادي محدوداً. وهكذا نرى أن اختلاف ظروف الحرب الثورية يحدد حجم العمل المادي المطلوب تحقيقه في الحرب الثورية لتأمين انهيار العدو.

إن الحرب التقليدية تتجه نحو نقاط قوة الخصم (قواته المسلحة) لتدميرها خلال المعركة، ولكن الحرب الثورية تتجه إلى نقاط ضعف العدو. وتبحث عن نقاطه الحساسة، وتناقضاته الداخلية والخارجية، بغية التوجه نحوها، وتحويل الصراع من صدام مسلح عنيف قصير الأمد إلى صدام مسلح مزمن، وشكلا دائماً من اشكال المفاوضات، حتى يصل العدو إلى مرحلة الملل، والاستعداد بالتالي للتخلي عن هدفه السياسي، وفي هذا انتصار للحرب الثورية.

ومهما كانت طبيعة الدوافع الكامنة وراء الحرب الثورية، وسواء أخذت هذه الحرب شكل ثورة اجتماعية أم ثورة تحرير وطني أم حرب أهلية... الخ فانها تستخدم دائماً استراتيجية الحرب طويلة الأمد (انظر الحرب طويلة الأمد) وتطبق اساليب الحرب النفسية، وحرب العصابات، والحرب السرية بكل أنواعها، والارهاب الثوري، وتعبئة الجماهير، وحرب الانفاق، وحرب الالغام والمتفجرات، شريطة اختيار الاسلوب المناسب لموازين القوى ومعطيات الوضع، مع محاولة الارتقاء بالصراع من مستوى إلى مستوى أعلى واكثر تطوراً، حتى يتم انهيار العدو من الداخل أو من الداخل والخارج معاً.

(٤) الحرب الجوية

كان أول استخدام للطائرة في العمليات الحربية فوق أرض عربية ، إذ استخدمتها ايطاليا في غزوها الامبريالي لليبيا عام ١٩١١ . وجرت أول عملية جوية حربية في التاريخ العسكري يوم ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) من ذلك العام . وكانت القنابل الاولى التي ألقيت من الطائرات الايطالية البدائية الصنع تزن نحو ٤,٤ أرطال ، ويلقيها الطيار بيده بعد أن ينزع منها مسمار الأمان . وقد أبرزت العمليات الحربية الجوية في ليبيا عامي ١٩١١ و ١٩١٢ عدة مسائل لازمة في الاستخدام العسكري للطائرات أهمها ضرورة توفر الخرائط الدقيقة ، والصور الجوية ، أو الاستطلاع ، وضرورة تطوير الطائرة تقنياً حتى تستطيع أن تطير على ارتفاعات تزيد عن ٣٠٠٠ قدم لتجنب النيران الأرضية ، وتطوير قدرة الطائرة من حيث الحمولة ومعدات القصف . ولكن معظم القادة العسكريين في أوروبا لم يهتموا بدراسة خبرات استخدام ايطاليا للطائرات في ليبيا قبيل الحرب العالمية الاولى ، ولم يحسنوا تقدير حقيقة الامكانات الكامنة في الطائرة كسلاح حربي فعال ، واعتبروها نافعة في الاستطلاع والمراقبة الجوية فقط ، ولذلك جرى تطوير معدات القصف الاولى والمدافع الرشاشة التي سلحت بها الطائرات في بادئ الأمر بواسطة الجهود الفردية لبعض المخترعين من هواة الطيران .

وقد جرى استخدام الطائرة في عام ١٩١٤ أساساً كأداة استطلاع ومراقبة جوية ، ولذلك قرر القادة ضرورة تطوير فاعلية المقاتلات لطرد طائرات استطلاع العدو من أجواء جبهة القتال ومؤخرتها . وكان الألمان أسبق من غيرهم في صناعة مقاتلات حديثة ذات قوة نيران أقوى عام ١٩١٥ وذلك بواسطة طائرات من طراز « فوكر » ذات جناح واحد مسلحة برشاش مثبت داخل المحرك ، ولذلك احرزوا التفوق الجوي خلال هذا العام ، بحيث كان البريطانيون حتى عام ١٩١٦ يضطرون أحياناً لحراسة طائرة استطلاع واحدة بواسطة ١٢ مقاتلة . وخلال معارك « فردان » و « السوم » استخدم الحلفاء الطيران لدعم قواتهم ، وفي قصف محطات السكة الحديدية والمطارات وخطوط المواصلات في مؤخرة الجبهة ، الامر الذي أدى إلى زيادة حجم المعارك الجوية وتطورها ، ومن ثم تطوير المقاتلات لدى الطرفين . وفي عام ١٩١٧ كانت تجري معارك تشتبك فيها ١٠٠ طائرة في وقت واحد . ولمعت



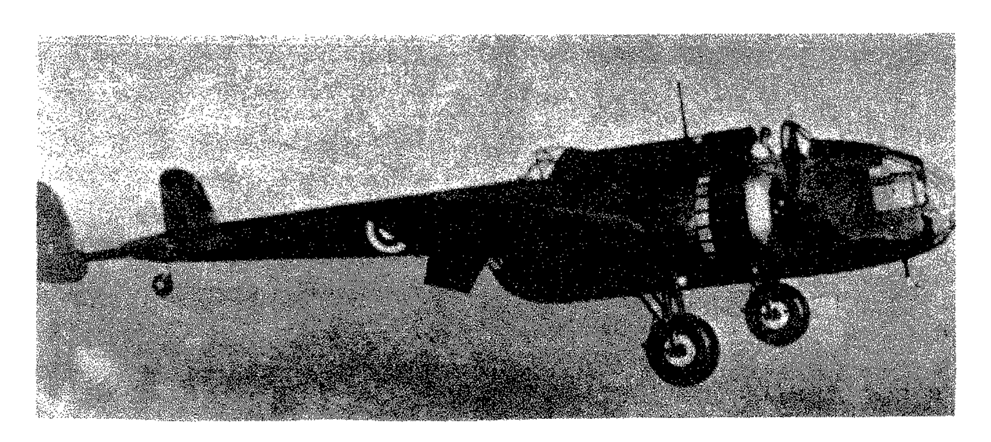
قاذفة أميركية « ب — ٥٢ » تقصف فيتنام الشمالية

أسماء العديد من الطيارين الذين أحرزوا الانتصارات في هذه المعارك مثل « فون ريختوفن » الالماني و « إدوار مانوك » البريطاني وغيرهما ممن أصبحوا حديث الصحافة وقتئذ .

وقد تركز استخدام الطائرات خلال الحرب الاولى في عمليات دعم القوات البرية فوق الجبهة مباشرة أو في العمق القريب منها . واستخدم الالمان نحو ٩٠٠ طائرة في دعم هجومهم الكبير الذي قاموا به في الجبهة الغربية في ربيع ١٩١٨ . واستخدم الحلفاء نحو ٢٠٠٠ طائرة في دعم هجومهم بمنطقة « السوم » في آب (أغسطس) عام ١٩١٨ في مواجهة ٣٦٥ مقاتلة ألمانية . وأدى تزايد القوة العددية لطائرات الحلفاء إلى احرازهم التفوق الجوي قرب نهاية الحرب ، رغم الخسائر الفادحة التي كانت تلحق بهم ، ورغم إحراز الطيران الالماني تفوقاً محلياً في كثير من المرات نتيجة تركيز قواه .

وقد شهدت الحرب العالمية الأولى أيضاً بداية عمليات القصف الجوي الاستراتيجي في التاريخ العسكري الحديث . إذ استخدمت المانيا مناطيد « زبلن » في قصف بريطانيا ومدينة لندن بالذات في أعوام ١٩١٦ — ١٩١٨ ، كما استخدمت قاذفات قنابل بعيدة المدى من طراز « غوتا » في قصف منظم لبريطانيا ابتداء من ٢٥ أيار (مايو) ١٩١٧ حتى ٢٠ أيار (مايو) عام ١٩١٨ . وقد استخدم الألمان خلال غاراتهم على بريطانيا طوال الحرب الاولى ٤٣٥ طائرة و ٢٠٨ منطاد زبلن ، وألقوا خلالها نحو ٣٠٠ طن من القنابل نتج عنها قتل نحو ١٣٠٠ شخص وجرح نحو ٣٠٠٠ آخرين واضرار مادية بنحو ٣ ملايين جنيه استرليني ، ولكن الخسارة في ساعات العمل طوال فترة الانذار كانت هي الأثر الرئيسي لهذه الغارات على الانتاج الاقتصادي والحربي في بريطانيا .

وقد شن لواء القاذفات البريطاني الثامن الذي شكل في ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ نحو ٥٧ غارة على أهداف عسكرية في المانيا حتى ٦ حزيران (يونيو) ١٩١٨ ، حين تسلم الجنرال ترنشارد قيادة قوة القاذفات المستقلة وبدأ يزيد من حدة الغارات الاستراتيجية بواسطة القاذفات البريطانية المسماة « هاندلي باغ » التي استطاعت أن تلقي في تشرين الاول (اكتوبر) اكبر قنبلة جوية



القاذفة البريطانية « هاندلي باغ »

خلال الحرب الاولى (بلغ وزنها ١٦٥٠ رطلا) وكانت أكبر قاذفة من هذا النوع ذات أربعة محركات ، ويتألف طاقمها من ٦ أفراد ، وتستطيع أن تحمل ٣٠ قنبلة زنة الواحدة ٢٥٠ رطلا . كما صنعت ايطاليا خلال الحرب – وبتوجيه الجنرال جوليودوهي – قاذفة ذات ثلاث محركات من طراز كابروني كانت تستطيع أن تحمل ٣٠٠٠ كغ من القنابل كحمولة قصوى . وقد استخدمت هذه القاذفات بفاعلية نسبية في الجبهة الايطالية عام ١٩١٧ ، ١٩١٨ ضد الاهداف العسكرية النمساوية .

وقد استخدمت القوة الجوية البريطانية التي كانت ملحقة بقوات « اللنبي » في فلسطين عام ١٩١٨ بفاعلية ، وكانت تتألف من خمسة أسراب ، وأحرزت تفوقاً جوياً كاملا على الاتراك في أيلول (سبتمبر) ١٩١٨ حيث استطاعت أن تقصف مركز قيادة الجيش التركي ومراكز الاتصال الهاتفي والمطارات. ولعب سرب آخر يضم ٦ طائرات دوراً فعالا في دعم عمليات حرب العصابات التي قام بها «لورانس» وقتئذ .

واستخدمت طائرات الاسطول أيضاً خلال الحرب الاولى ، وظهر منها طراز قادر على البقاء في الجو لمدة ٨ ساعات للقيام بأعمال الدوريات البحرية لدى الاسطول البريطاني . وأمكن لإحدى هـــذه الطائرات إغراق اول غواصة ألمانية من الجو في ٢٠ أيار (مايو) ١٩١٧ .

كما استخدمت طائرات من حاملة طائرات بريطانية تدعى « فيوريوس » في شن هجوم جوي مركز يوم ١٩ تموز (يوليو) ١٩١٨ على حظائر مناطيد « زبلن » في ميناء « توندرن » ، حيث قصفت هذه الحظائر بقنابل زنة ٥٠ رطلا من ارتفاع ٢٠٠ قدم فقط والحقت بها خسائر فادحة .

وعند نهاية الحرب كان للسلاح الجوي البريطاني ٩٧ سرباً في فرنسا ، و ٥٥ سرباً في الجزيرة البريطانية ، و ٣٦ سرباً أخرى فيما وراء البحار ، و ١٩٩ سرباً في حالة التدريب والتشكيل . وكان السلاح الجوي الفرنسي يضم ٢٦٠ سرباً في الجبهة الغربية ، و ٧٢ سرباً آخر للدفاع الجوي داخل البلاد وفيما وراء البحار . وفي آذار (مارس) ١٩١٨ كان لدى السلاح الجوي الالماني ٢٠٠ سرباً موزعة بين الجبهتين الغربية والايطالية بالاضافة لستة أسراب أخرى في تركيا .

وأدى هذا التطور السريع في حجم الاسلحة والعمليات الجوية ونوعيتها خلال الحرب العالمية إلى تأكيد الاهمية البالغة للطائرات كسلاح بالغ الخطورة في القتال ، بالاضافة الى قيمتها كأداة فعالة في اعمال الاستطلاع . ولذلك أخذت الدول الكبرى تبذل جهوداً مستمرة لتطوير صناعة وبحوث الطيران ، ودعم سلاحها الجوي . فقام ماريشال الجو اللورد « ترنشارد » قائد السلاح الجوي البريطاني بتطوير قيادة القاذفات كقوة جوية استراتيجية ، ودافع بعناد عن استقـــلال السلاح الجوي عن الجيش والبحرية . وقد لعبت قيادة القاذفات دوراً هاماً فيما بعد خلال الحرب العالمية الثانية . وقامت الولايات المتحدة الامريكية بتطوير قاذفاتها عقب انتهاء الحرب الاولى مباشرة أثناء تولي الجنرال « وليم ميتشل » قيادة سلاح طيران الجيش ، والذي كان شديد الاقتناع بأن القوة الجوية تفوق في الاهمية الاستراتيجية القوة البحرية ، وذلك نظراً لتأثره القوي بآراء كل من الجنرال « ترنشارد » قائد السلاح الجوي البريطاني والجنرال « جوليو دوهي » الايطالي الذي أصدر كتاباً بعنوان « السيطرة الجوية » عام ١٩٢١ دعا فيه إلى نظرية الحرب الجوية الإستراتيجية ضد الاهداف الصناعية والعسكرية والمدنية في عمق العدو باعتبار أنها الوسيلة الوحيدة التي يمكنها أن تحسم حروب المستقبل لأنها هي التي ستحول المدن إلى خرائب وتدفع السكان المدنيين إلى اليـــأس والحكومات إلى الإستسلام . وقد واصل « دوهي » الدعوة إلى نظريته في عدد من المقالات التي نشرها فيما بين ١٩٢٧ و ١٩٣٠ التي ضمت إلى الكتاب الاصلي وترجمت إلى الفرنسية ثم الانجليزية عامي ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ على التوالي (انظر دوهي) .

وقد أثرت آراء « دوهي » في قادة الاسلحة الجوية الاوروبية المختلفة طوال فترة ما بين الحربين العالميتين . وكانت الدولتان الكبيرتان الوحيدتان اللتان لم تتأثرا بآراء « دوهي » هما اليابان والاتحاد السوفييتي ، حيث كان الطيران تابعاً للجيش والبحرية في الدولة الاولى وللجيش في الثانية .

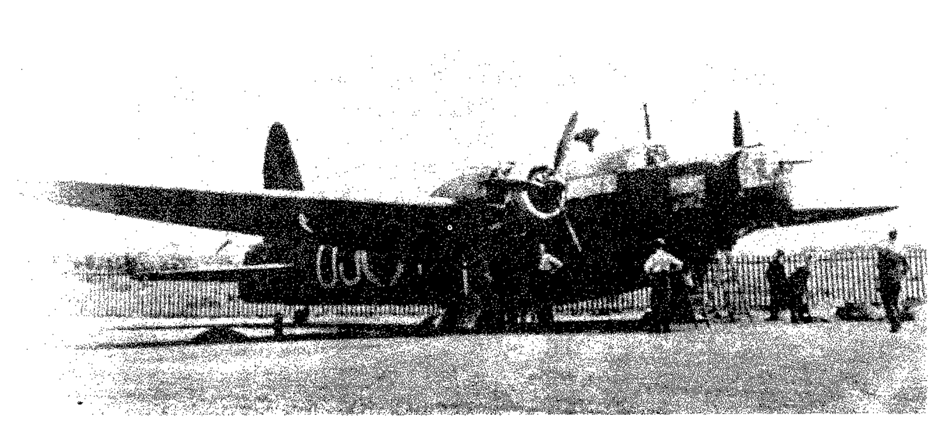
وفي عام ١٩٣٢ صنعت في الولايات المتحدة أول قاذفة قنابل ذات هيكل معدني بالكامل . وكانت اول طائرة تصنع من المعدن كلها قد انتجت في المانيا عام ١٩١٥ ، ثم انتجت الطائرة الثانية من هذا النوع في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٢٦ بواسطة مصمم الطائرات الشهير « توبوليف » . وابتداء من عام ١٩٣٠ أصبحت معظم طائرات الاسلحة الجوية العالمية من المعدن ، وهذا ما ساعد كثيراً على تطور قدراتها التقنية من حيث قوة المحركات وسرعتهـــا وحمولتها ومدى عملها . ثم صنعت في الولايات المتحدة قاذفة قنابل ذات أربعـــة محركات عرفت باسم « القلعة الطائرة » أو « ب – ١٧ » عام ١٩٣٥ . ولقد لعبت هذه القلعة دوراً هاماً في عمليات القصف الاستراتيجي خلال الحرب العالمية الثانية بعد ان ادخلت عليها تطورات تقنية مختلفة . وفي الحقبة نفسها انتجت ايطاليا قاذفة قنابل ذات ثلاثة محركات من طراز « فيات » استخدمتها في حربها ضد الحبشة عام ١٩٣٥ . وبدأت بريطانيا تطور قاذفاتها بعيدة المدى عام ١٩٣٦ ، فصنعت قاذفات ذات أربعة محركات من طراز « هاليفكس » و « ستِرلينغ » . وركز الاتحاد السوفييتي في الثلاثينات على صناعة المقاتلات وطائرات الهجوم الارضي الخاصة بالدعم التكتيكي للقوات البرية .

وقامت المانيا – رغم تجريدها من سلاحها الجوي بمقتضى معاهدة فرساي بعد هزيمتها في الحرب العالمية الاولى – بتطوير طيرانها عن طريق التركيز على تحسين الطيران المدني والشراعي ، وبحوث تكنولوجيا الطيران وبالذات منذ عام ١٩٢٦ . ثم قامت بتكوين بعض أسراب من الطائرات الحربية سراً قبل أن

يتولى «هتلر» الحكم عام ١٩٣٣ ويعيد تسليح المانيا علانية. ولذلك كان من السهل عليه الاسراع في إنشاء السلاح الجوي الالماني (اللفتواف). وأن يمتلك قوة جوية تفوق قوة كل من بريطانيا وفرنسا عام ١٩٣٩. بل أخذ يعلن منذ عام ١٩٣٥ أنه أصبح لديه سلاحاً جوياً يعادل في القوة السلاح الجوي البريطاني، الامر الذي أثار فزعاً لدى الرأي العام والحكومة في بريطانيا.

ولقد اراد «هتلر» من وراء ذلك الاعلان استثمار حالة الخوف من احتمالات الحرب الجوية، ومدى الدمار الذي تلحقه الغارات الجوية الذي لمسته الدول بصورة أولية خلال الحرب الاولى، ثم بصورة اكثر وضوحاً خلال الحرب اليابانية – الصينية التي بدأت منذ عام ١٩٣١، وخلال غزو ايطاليا للحبشة عام ١٩٣٥. أراد «هتلر» استثمار هذا الخوف في خلق قوة ردع تمنع بريطانيا وفرنسا من التصدي بحسم ضد أعماله التوسعية في النمسا ثم تشيكو سلوفاكيا.

ولقد بدأت بريطانيا أثر هذا التهديد الالماني تزيد من قوتها الجوية، فوضعت حكومة «بولدوين» – التي كانت تنتمي لحزب المحافظين – برنامجاً لزيادة هذه القوة إلى ١٢١ سرباً قوامها ١٥١٢ طائرة صف أول قبل نيسان (إبريل) ١٩٣٧. وكانت للقاذفات الاسبقية في هذا البرنامج، ذلك لأن الرأي السائد في السلاح الجوي البريطاني كان متأثراً باستراتيجية الهجوم الجوي التي وضع «ترنشارد» أسسها. بيد أن ماريشال الجو «داودنغ»، الذي أصبح قائداً عاماً لقيادة المقاتلات عند إنشائها عام ١٩٣٦، كان يعارض هذا الرأي من حيث التركيز الشديد على القاذفات، وكان يرى ضرورة تدعيم المقاتلات بسرعة نظراً لأنه في المراحل الاولى لأي صدام مسلح مقبل سيكون السلاح الجوي البريطاني أقل عددياً من سلاح الجو المعادي، وسيضطر لاتخاذ موقف الدفاع. ولكن رأيه هذا لم يتغلب وقتئذ، ولهذا لم يكن لدى قيادة المقاتلات في ايلول (سبتمبر) ١٩٣٨ (أي قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بعام) سوى ٤٠٦ طائرات عاملة، و ١٦٠ طائرة في الاحتياطي، و ٣٥ طائرة تصنع شهرياً. وعند نشوب الحرب الثانية في اول ايلول (سبتمبر) ١٩٣٩ كانت القوة التقريبية للسلاح الجوي الالماني نحو ٥٠٠٠ طائرة عاملة في الصف الاول، تساندها نحو ١٠٠٠ طائرة اخرى في الاحتياطي، وكان السلاح الجوي البريطاني يتألف من نحو ١٩٠٠ طائرة من الصف الاول، وكانت



القاذفة البريطانية «ولينغتون»

لدى فرنسا ٦٠٠ طائرة صف اول، أما بولندا التي وقع عليها الهجوم الالماني الخاطف الاول فقد كان لديها نحو ٤٠٠ طائرة قديمة الطراز. وبعد ثلاثة أيام من بدء الهجوم الجوي الالماني على المطارات البولندية كانت هذه القوة قد دمرت تقريباً. ثم حولت الطائرات الالمانية غاراتها إلى جسور السكك الحديدية والطرق ووسائل المواصلات عامة، ثم انتقل تركيزها ضد الأرتال المتحركة من السيارات والعربات والرجال. وبعد ذلك ركز الطيران الالماني غاراته على العاصمة «وارسو» آخر معاقل المقاومة، وانزل بها خسائر فادحة في المنشئات والارواح، حتى سقطت في ٢٧ ايلول (سبتمبر)، وانتهت بسقوطها الحملة الخاطفة على بولندا.

وقد بدت الطائرات الالمانية القاذفة – المنقضة من طراز «شتوكا» (المخصصة للدعم الارضي) ذات الازيز الرهيب عند الانقضاض العمودي الذي كانت تقوم به، بدت للمراقبين العسكريين الذين تابعوا حملة بولندا عام ١٩٣٩ بالدراسة، انها بتعاونها مع أرتال دبابات فرق البانزر الالمانية تشكل سلاحاً وتكتيكاً ثورياً جديداً في القتال لا يقهر.

ولقد لعب ثنائي «الطائرة – الدبابة» الدور نفسه خلال كافة الحملات الخاطفة الالمانية التالية ضد هولندا وبلجيكا وفرنسا عام ١٩٤٠، والبلقان والاتحاد السوفييتي عام ١٩٤١. وهكذا قدر لاختراعين حديثين كانا لا يزالان في دور الطفولة تقريباً خلال الحرب العالمية الاولى أن يلعبا دوراً حاسماً في الحرب العالمية الثانية، لم يكن متصوراً من قبل على هذا المدى. وهكذا اصبحت القوة الجوية والقوة المدرعة هما عماد الجيوش العالمية.

وعلى أثر بدء المانيا هجومها على بولندا، أعلنت كل من بريطانيا وفرنسا الحرب عليها، فسارع «داودنغ» مطالباً بتعزيز قيادة المقاتلات البريطانية إذ كان لديه ٣٩ سرباً فقط، ارسل ٤ منها إلى فرنسا في الاسبوع الاول من الحرب، وعينت ٤ أسراب أخرى لحراسة القوافل البحرية على الشاطئ الشرقي والشمالي للجزيرة البريطانية، وبهذا لم تعد الاسراب الباقية كافية لتوفير الحماية اللازمة للعاصمة البريطانية والمراكز الصناعية والسكانية الهامة داخل بريطانيا. ولذلك طلب «داودنغ» تشكيل ١٢ سرباً آخراً. بيد أن إنتاج المصانع الشهري البالغ ٩٣ طائرة مقاتلة من طرازي «هاريكين» و «سبيتفاير» في بداية الحرب لم يكن كافياً لإمداد الاسراب القائمة فعلا وسد خسائرها في فرنسا، وكانت أولوية الانتاج لا تزال معطاة للقاذفات التي كان لديها وقتئذ ٥٥ سرباً، ويجري إمدادها بطائرات من طراز جديد بمعدل ٢٥٠ قاذفة شهرياً. ولذلك وافق مجلس الطيران على إنشاء سربين فقط من الاثنى عشر سرباً المطلوبة. وفي الوقت نفسه لم تقم قيادة القاذفات بغارات استراتيجية فعالة على المانيا طوال شهور الشتاء التي تلت سقوط بولندا حتى بداية الهجوم الالماني على فرنسا في ١٠ أيار (مايو) ١٩٤٠، وذلك نظراً لأن الحكومتين البريطانية والفرنسية كانتا تخشيان غارات الالمان الانتقامية على باريس والمدن الاخرى، فضلا عن استمرار تأثرهما بالسياسة المهادنة التي كانتا تتبعاها إزاء المانيا النازية قبل الحرب، والتي جسدتها اتفاقية «ميونيخ» عام ١٩٣٨ التي مكنت هتلر من التوسع في تشيكوسلوفاكيا. وهكذا أدت الاستراتيجيـة السياسية الانهزامية لكلتا الدولتين الى تجميد قوتهما الجوية، وعدم تطويرها، وتعريض مصالح شعبيهما للخطر النازي، مما ساعد على سقوط فرنسا فريسة الاحتلال الالماني عام ١٩٤٠، وكاد يعرض بريطانيا

المصير نفسه .

وفي أثناء الهجوم على فرنسا (الذي بدأ في ١٠ أيار (مايو) ١٩٤٠ وانتهى في ٢٢ حزيران (يونيو)) لعبت القوة الجوية الالمانية دوراً فعالاً للغاية في دعم القوات المدرعة المهاجمة وحماية عمليات المظليين التي جرت في هولندا وبلجيكا ، ولقد كان تركيز القوة الجوية الالمانية قوياً ، خاصة بعد أن حصلت على السيادة الجوية نتيجة لضعف الطيران الفرنسي وعدم دفع « داودنغ » لغالبية قوته من المقاتلات إلى فرنسا خشية تجريد بريطانيا من درعها الواقي . الأمر الذي ساعد تقدم أرتال الدبابات الالمانية الزاحفة في العمق الاستراتيجي داخل فرنسا عبر ثغرة « سيدان » حتى بحر المانش، مطوقة جيوش الحلفاء البرية في بلجيكا وشمال فرنسا البالغ قدرها نحو مليون جندي ، إذ لم تصادف هذه الأرتال سوى صعوبات قليلة براً وجواً .

وأثر بدء الهجوم الالماني، قررت الحكومة البريطانية توجيه غارات استراتيجية إلى منطقة الرور الصناعية في المانيا على أمل جذب جانب من الطيران الالماني هناك بعيداً عن المعركة في فرنسا ، ولكن هذا الهجوم الذي بدأ متأخراً للغاية لم يكن فعالا ، واستطاع « اللفتواف » صده بسهولة ، والاستمرار في تقديم دعمه للقوات البرية الزاحفة في فرنسا . وهنا اضطر « داودنغ » إلى دفع بعض اسراب مقاتلاته من الجزيرة البريطانية أثناء الانسحاب من « دنكرك » لحماية القوات البريطانية والفرنسية الجاري إجلاؤها بواسطة البحرية البريطانية (انظر دنكرك ، معركة) في الفترة من ٢٦ أيار (مايو) حتى ٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٠ . ودارت سلسلة من المعارك الجوية خلال هذه المرحلة اسقطت فيها نحو ٢٦٢ طائرة المانية مقابل ١٦٠ طائرة بريطانية . وبلغت جملة خسائر قيادة المقاتلات البريطانية طوال معركة فرنسا ٤٦٣ طائرة و ٢٨٤ طياراً .

لقد استخدمت المانيا سلاحها الجوي خلال المرحلة الاولى من الحرب العالمية الثانية في مهام تكتيكية متوافقة مع عمليات القوات البرية . وكانت قاذفاتها المنقضة بمثابة مدفعية جوية ثقيلة معاونة لزحف المدرعات في العمق العملياتي والاستراتيجي ، وذلك وفقاً لاسلوب الحرب الخاطفة الذي لا يتطلب قصفاً استراتيجياً للمراكز الصناعية ومصادر الطاقة بقدر ما يتطلب تدمير الطيران المعادي لإحراز السيطرة الجوية ، وتخريب المواصلات ، وقصف الامدادات ومراكز القيادة والاتصال والنقط الدفاعية القوية لشل العدو ، ومساعدة المدرعات والقوات

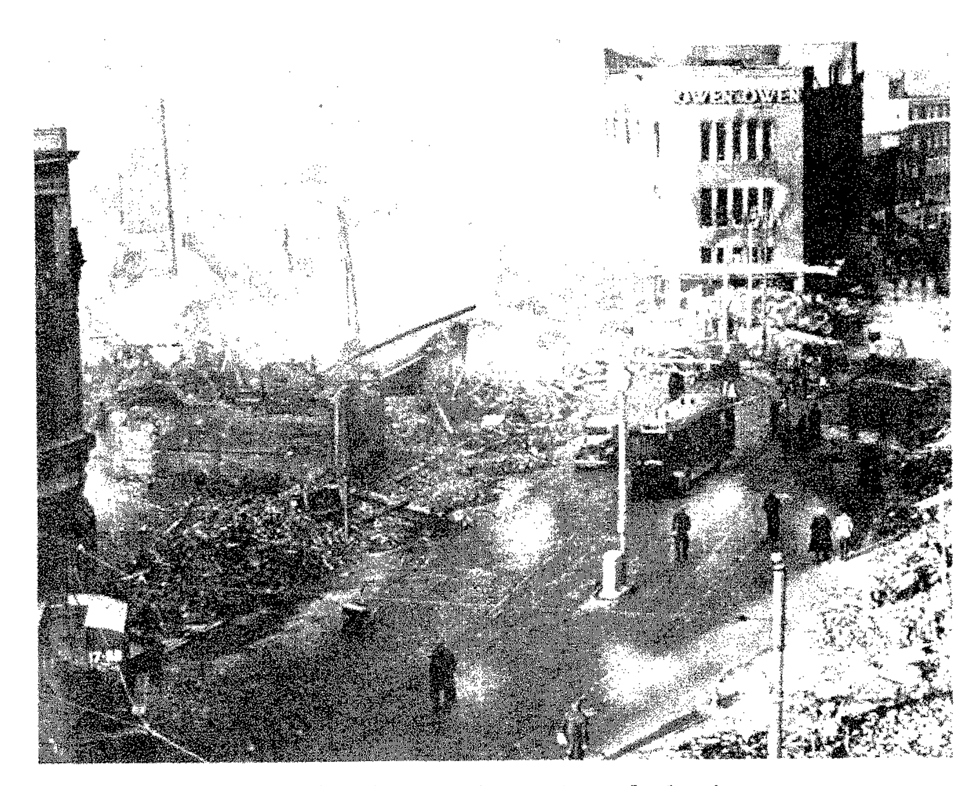


أحد أحياء لندن بعد غارة جوية ألمانية (١٩٤٠)

الميكانيكية على تحقيق خرقها ومناوراتها في الالتفاف حول الاجنحة وإشاعة الاضطراب والفوضى في المؤخرة ، ولذلك يركز الطيران على مساعدة هذه التكتيكات ولا يبعثر قواه في قصف استراتيجي .

وقد حقق « اللفتواف » دوره هذا بنجاح سواء في بولندا أو النرويج أو فرنسا ثم في البلقان والاتحاد السوفييتي عام ١٩٤١ ، لأنه أعد من قبل لهذا الغرض ، وزود بالمقاتلات السريعة مثل «مسر شميت ١٠٩»، والقاذفات المنقضة «شتوكا»، والقاذفات المتوسطة «هينكل ١١١» إلخ . ولكنه فشل بعد ذلك في قصف بريطانيا استراتيجياً في عامي ١٩٤٠ و ١٩٤١ (انظر معركة بريطانيا الجوية) وفشل في شل قدرات الاتحاد السوفييتي الصناعية والاستراتيجية في عامي ١٩٤١ و ١٩٤٢ ، بسبب عدم توفر القاذفات الاستراتيجية الملائمة لديه كماً أو نوعاً . ولقد شنت القاذفات الالمانية في الفترة من ٢١ تموز (يوليو) إلى ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ نحو ١٣٢ غارة على موسكو اسقطت خلالها ١٠٣٥ طائرة المانية بواسطة وسائل الدفاع الجوي التي كانت تضم المدافع المضادة للطائرات والمقاتلات الممتازة النوع من طراز « ياك » و « ميغ » ، وكانت نتائج هذه الغارات قليلة الخطورة . وفي عام ١٩٤٢ ، اضطر الطيران الالماني أن يبعثر قواه على طول الجبهة السوفييتية البالغ قدره نحو ٤٠٠٠ كم ، بالاضافة لوحداته الاخرى العاملة في حوض البحر الابيض المتوسط ، وفي مسرح عمليات الصحراء الليبية والمصرية مع قوات روميل ، ووحداته الموجودة في غرب أوروبا . وفي الوقت نفسه كان الطيران السوفييتي يزداد قوة (بعد ان نقلت المصانع الجوية إلى سيبيريا وداخل البلاد وعاودت إنتاجها مرة أخرى) ولذلك أحرز الطيران السوفييتي تفوقاً واضحاً خلال معركة ستالينغراد ، واستطاع أن يمنع الطيران الالماني من تموين القوات الالمانية المحاصرة حولها . وعقب ذلك استمر الطيران السوفييتي مسيطراً على الجو طوال المعارك في الجبهة السوفييتية حتى نهاية الحرب . وقد استخدم الطيران السوفييتي كقوة جوية معاونة للجيش ، باستثناء قوة محدودة من القاذفات بعيدة المدى التي استخدمت في قصف بعض الاهداف والمدن في العمق الاستراتيجي (انظر القوات الجوية) .

وفي المحيط الهادئ استخدمت كل من اليابان والولايات المتحدة قواتهما الجوية التابعة لاسطوليهما في دعم العمليات البحرية والبرمائية أساساً ، وذلك بواسطة حاملات الطائرات والقواعد الجوية المنتشرة في جزر المحيط الهادئ . وكانت المعارك البحرية تحسم بواسطة القوات الجوية بشكل رئيسي ، ولذلك



الدمار في « كوفنتري » (بريطانيا) بعد غارة المانية (١٩٤٠)

كانت نتائجها تحدد على ضوء عدد الطائرات المصابة وعدد حاملات الطائرات المغرقة أو المعطبة . وقد افتتحت العمليات الحربية هناك بهجوم جوي ياباني على قاعدة الاسطول الامريكي الرئيسية « بيرل هاربور » اشتركت فيه طائرات ست حاملات طائرات يابانية (انظر بيرل هاربور) . وفي المراحل الاخيرة من الحرب استخدمت الولايات المتحدة قاذفاتها بعيدة المدى من طراز « ب ٢٩ » « القلاع الطائرة » المطورة في قصف المدن والمصانع اليابانية . ثم أنهت الحرب بإلقاء قنبلتي «هيروشيما» و «ناغازكي» الذريتين بواسطة طائرتين من النوع نفسه يومي ٦ و ٩ آب (أغسطس) ١٩٤٥ على التوالي . وقد بلغ مجموع وزن السفن اليابانية التي أغرقتها الطائرات الامريكية عام ١٩٤٤ وحده حوالي مليون طن . وهكذا تحققت الحرب الجوية كما تصورها الجنرال « ميتشل » عام ١٩٢١ (انظر القوات الجوية) التي تفوق أهميتها الصورة التقليدية للحرب البحرية .

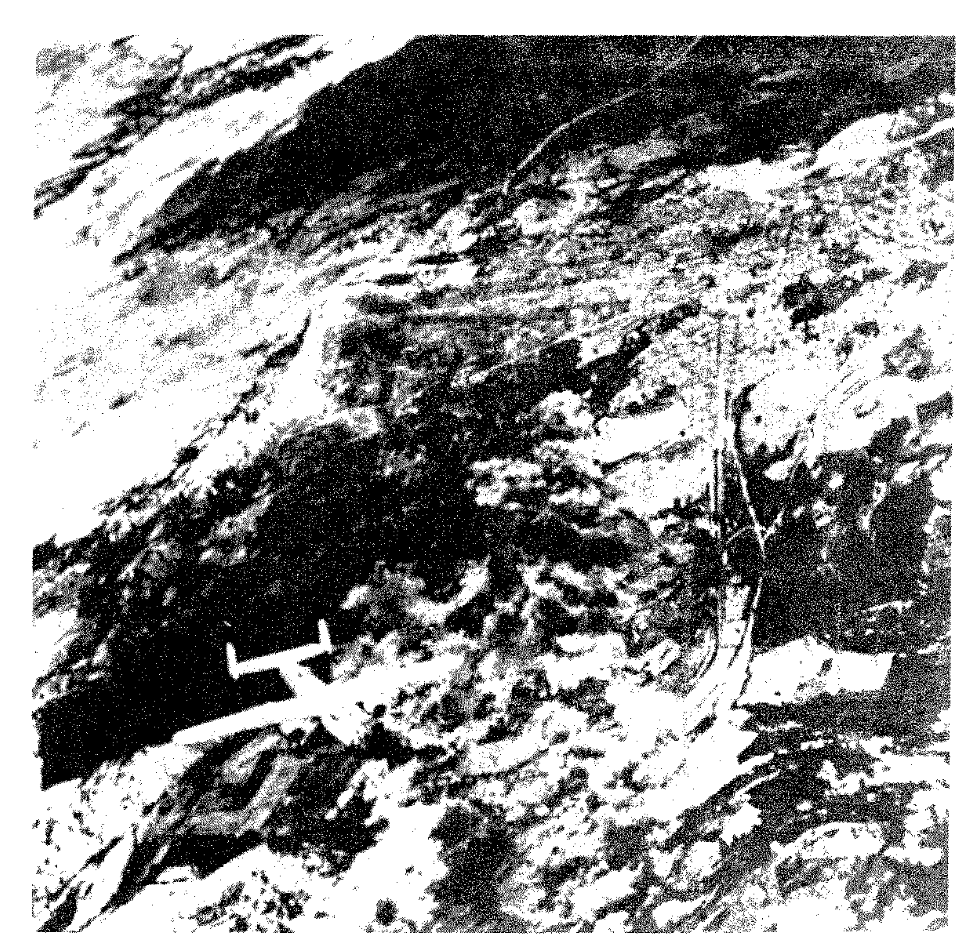
واستخدمت بريطانيا طائراتها بفاعلية ضد قوافل تموين « رومل » في البحر الابيض المتوسط خلال اعوام ١٩٤١ — ١٩٤٣ ، خاصة من القواعد الموجودة بجزيرة مالطة . بالاضافة لاستخدامها في دعم القوات البرية في معارك الصحراء ، خاصة في « العلمين » وما تلاها من معارك حتى استسلام قوات المحور في تونس عام ١٩٤٣ .

ولكن أكبر أحداث الحرب الجوية حجماً وإثارة للأهمية بالنسبة لنظريات استخدام القوة الجوية ، كان يتمثل في عمليات القصف الاستراتيجي التي قام بها الطيران البريطاني والامريكي ضد المانيا خلال الحرب العالمية الثانية . وقد بدأت قيادة القاذفات البريطانية تنظيم غاراتها الاستراتيجية ضد ألمانيا بصورة مخططة ابتداء من ايلول (سبتمبر) ١٩٤٠ ضد مصانع النفط الصناعي ، ومراكز السكك الحديدية . فشنت القاذفات ٣١٤١ طلعة طيران ليلي خلال هذا الشهر ، فقدت خلالها ٨٥ قاذفة ، ولكن آثار القصف كانت ضئيلة للغاية ، لأن القاذفات لم تكن مجهزة بالرادار ، ولذلك كان يصعب عليها الوصول إلى أهدافها بدقة خلال الليل ، كما أن عدم توفر أجهزة التصويب الدقيق للقنابل كان يؤدي إلى سقوطها بعيداً عن الاهداف في معظم الحالات ، ولذلك فإنه في خلال الفترة م أيار (مايو) ١٩٤٠ (أي منذ المحاولات الاولى ل القصف الاستراتيجي ضد حوض الرور) حتى أيار (مايو) ١٩٤١، سقطت ٤٠ ٪ على الاقل من القنابل التي ألقتها القاذفات البريطانية على جنوب غرب ألمانيا بعيداً عن أهدافها تماماً . كما أن غالبية القاذفات التي كانت مستخدمة حتى عام ١٩٤٢ كانت ذات محركين ومحدودة الحمولة والمدى ، ومنذ عام ١٩٤١ بدأت القاذفات الجديدة ذات الأربعة محركات من طراز « سترلنغ » و « هاليفكس » تدخل الخدمة العملية ، ولذلك بدأت الهجمات الجوية الاستراتيجية تتزايد فعاليتها تدريجياً .

وفي ليلة ٣١ أيار (مايو) ١٩٤٢ بدأت أول غارة تشترك فيها نحو ١٠٠٠ قاذفة ضد المدن الالمانية من أجل تحقيق سياسة هدم معنويات الشعب الالماني (وفقاً لنظرية دوهي) وكانت مدينة «كولونيا» الواقعة على نهر الراين هي الهدف الاول لهذه المرحلة الجديدة من القصف الاستراتيجي ، حيث ألقيت عليها آلاف القنابل دون أي تمييز لأي أهداف عسكرية أو اقتصادية . وفي ليلة ٢ حزيران (يونيو) قامت قوة مماثلة من القاذفات البريطانية بغارة ليلية على مدينة إيسن الالمانية مطبقة الاسلوب نفسه . وقد نظمت عمليات القصف الاستراتيجي البريطاني — الامريكي ضد المانيا عقب اجتماع « الدار البيضاء » الذي انعقد في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٣ بالمغرب بين تشرشل وروزفلت الذي وضعت فيه « خطة الهجوم الجوي المشترك للقاذفات » التي استهدفت « تخريب وتعطيل الصناعات الحربية الالمانية والاقتصاد الالماني وتقويض الروح المعنوية للشعب الالماني إلى الحد الذي تصل قدرته فيه على المقاومة المسلحة إلى الضعف المميت » .

وتقرر في هذه الخطة أن تقوم القاذفات البريطانية بالغارات الليلية وأن تقوم القاذفات الامريكية بالغارات النهارية ، وبحيث يستمر الهجوم يومياً طوال الاربع وعشرين ساعة .

وبدأ السلاح الجوي الامريكي غاراته النهارية يوم ١٣ آب (اغسطس) ١٩٤٣ بالغارة على مصنع لطائرات « مسرشميت » المقاتلة بالقرب من فيينا ، وكانت قد سبقتها غارة نهارية أخرى على آبار ومعامل تكرير البترول في رومانيا يوم أول آب (اغسطس) من العام نفسه ، اشتركت فيها ١٧٧ قاذفة متوسطة امريكية حيث أنزلت بها خسائر فادحة ، ولكنها فقدت مقابل ذلك ٥٤ قاذفة . وفي ١٧ آب (اغسطس) أيضاً شنت ٣٧٦ قاذفة امريكية غارة على مصنع طائرات « مسرشميت » آخر في المانيا وفقدت خلالها ٦٠ قاذفة ، وفي غارة أخرى شنتها ٢٩١ قاذفة امريكية على مصنع للرصاص في مدينة « شوينفورت » بالمانيا تمت يوم ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٣ فقدت ٦٢ قاذفة وأعطبت ١٣٨ قاذفة أخرى وقتل ٥٩٩ من أطقم القاذفات . وكان السبب الرئيسي لهذه الخسائر الفادحة



الطائرات الأميركية تقصف طرق المواصلات في ايطاليا

في القاذفات الامريكية التي تشن الغارات النهارية هي تعرضها للمقاتلات الالمانية في العمق البعيد عن مدى المقاتلات التي كانت تصحبها لمنتصف الطريق تقريباً فقط ، ولذلك ركزت صناعة الطائرات الامريكية على تصميم وانتاج مقاتلة جديدة بعيدة المدى عرفت باسم « بي — ٥١ » أو « الموستانغ » (التي وصل مدى عملها الاقصى إلى ٥٢٠ ٣كم) .

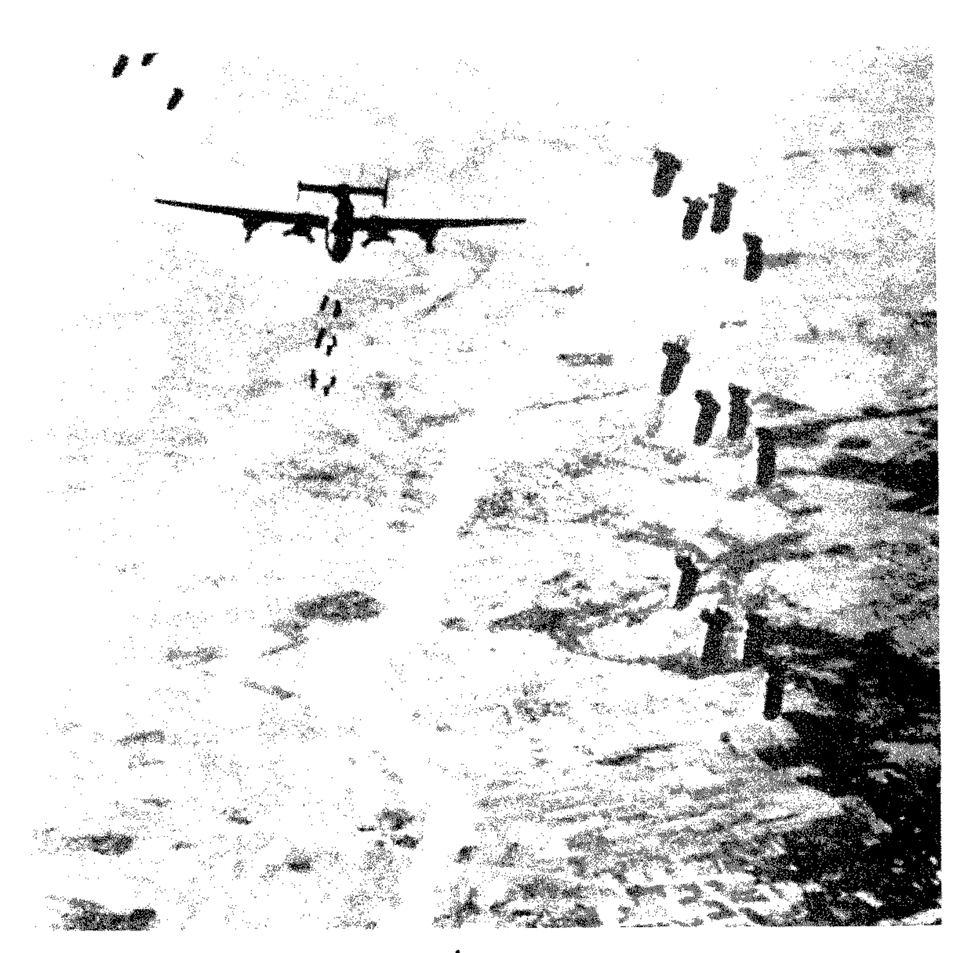
وابتداء من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٣ بدأت « الموستانغ » تصاحب القاذفات حتى عمق المانيا الكامل الذي يصل لبرلين . وفي بداية ١٩٤٤ كان تحت تصرف القيادة الجوية المشتركة للحلفاء نحو ٣٠٠٠ قاذفة ثقيلة امريكية (معظمها ب — ١٧) و ١٦٠٠ مقاتلة بعيدة المدى ونحو ١٤٠٠ قاذفة بريطانية عاملة . وبدأت الغارات ضد المصانع الالمانية (اساساً مصانع الطائرات والنفط الصناعي) تؤتي ثمارها . وفي الوقت نفسه كان الطيران الالماني يطور قدراته على القتال الليلي لمواجهة الغارات البريطانية المتزايدة ، فصنعت مقاتلات جديدة قوية مجهزة بالرادار ، ولذلك فقدت قيادة القاذفات البريطانية خلال غارة ليلية تمت خلال شهر آذار (مارس) ١٩٤٤ على برلين ٧٢ قاذفة من جملة ٨١٠ قاذفة اشتركت في الغارة ، و ٩٤ قاذفة من جملة ٧٩٥ قاذفة اشتركت في غارة ليلية اخرى خلال الشهر نفسه على نورمبرغ . ونتيجة لتزايد خسائر قاذفات الحلفاء في غاراتها على مصانع الطائرات والصناعات الاخرى المتصلة بالمجهود الحربي (النفط والمطاط الصناعي الخ) ، والتي بلغ حجمها بالنسبة للقوة الجوية الثامنة الامريكية مثلا خلال شهري كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) ١٩٤٤ ، نحو ٣٥١ قاذفة أسقطتها المقاتلات الالمانية فضلا عن ٩٨ قاذفة أخرى اسقطتها المدفعية المضادة للطائرات ، اتجه المجهود الرئيسي للقصف الاستراتيجي إلى المدن الآهلة بالسكان مثل «برلين» و «هامبورغ» و « كولوني » و « فرانكفورت » ، وإلى طرق المواصلات المؤدية إلى « نورماندي » بفرنسا تمهيداً للإنزال الكبير الذي تم يوم ٦ حزيران (يونيو) ١٩٤٤ . وكانت اكثر هذه الغارات بشاعة في الخسائر المدنية الغارة التي قامت بها ٨٠٠ قاذفة على مدينة « درسدن » ليلة ١٣ شباط (فبراير) ١٩٤٥ نظراً لصفاء الجو وعدم وجود مقاومة المانيـة (وقد قتل في سلسلة الغارات التي تمت على هذه المدينة ما لا يقل عن ١٣٥ ألف من السكان المدنيين) .

وبعد تعمق الجيوش البرية السوفييتية والبريطانية والامريكية داخل اراضي المانيا في بداية ١٩٤٥ اوقفت قيادة القاذفات البريطانية القصف الاستراتيجي يوم ٧ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ ، وتبعتها قيادة القاذفات الامريكية في ذلك الوقف يوم ١٦ من الشهر المذكور .

وبلغ مجموع الطلعات التي قامت بها القاذفات البريطانية والامريكية خلال الحرب العالمية الثانية على المانيا والمناطق المحتلة في اوروبا نحو مليون ونصف مليون طلعة ،ألقيت فيها قنابل مجموع وزنها حوالي ٢٧٠٠٠٠٠ طن منها نحو ١٣٥٠٠٠٠ طن على المانيا وحدها ، أي بنسبة ٥٠ ٪ ، ومن هذه الكمية الاخيرة ٤٣٠٧٤٧ طناً ألقتها القاذفـات البريطانية على المدن الالمانية من ضمنها ١٩٠٣٣٥ طناً من القنابل الحارقة ، و ٨٠ ألف طن ألقتها القاذفات الامريكية على المدن . وقد ترتب على هذه الغارات مقتل عدد كبير من المدنيين يتراوح ما بين ٥٠٠ — ٨٠٠ ألف شخص .

وفقدت خلال هـذه الغارات طوال الحرب نحو ٢٠ ألف قاذفة بريطانية وامريكية ، وحوالي ١٦٠ ألف رجل من أطقم هذه القاذفات ، وذلك مناصفة تقريباً بين بريطانيا والولايات المتحدة .

ولم يؤد القصف الاستراتيجي لالمانيا إلى تخريب الصناعة الحربية الالمانية كما كان متصوراً في«مؤتمر الدار البيضاء» ، أو إلى إنهاء روح المقاومة المسلحة الالمانية ودفع الحكومة الالمانية إلى طلب الاستسلام كما كان يتصور أنصار « دوهي » من قبل ، وانما تمت هزيمة ألمانيا باحتلال اراضيها بالقوات البرية وإلحاق الهزيمة بجيوشها في معارك «برلين» و «الرين». وتوضح ارقام الانتاج الحربي الالماني هذه الحقيقة إذ أن إنتاج الطائرات الالمانية كان خلال عام ١٩٤٢ مثلا ١٢٩٥٠ طائرة ، وقد ارتفع في نهاية عام ١٩٤٣ إلى ٢٢٠٥٠ طائرة ، وكان إنتاج الدبابات والمدرعات عموماً عام ١٩٤٢ أيضاً ٥٥٧٣ مدرعة فإذا به يصل إلى ١١٨٩٧ مدرعة في نهاية عام ١٩٤٣ ، وارتفع إنتاج الذخيرة خلال الفترة المذكورة من ١٢٧٠٠٠٠ طن متري إلى ٢٢٥٨٠٠٠ طن متري ، وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٣ زاد معدل إنتاج الاسلحة والذخائر



القصف الجوي الكثيف أداة الحرب الجوية

عما كان عليه في شباط (فبراير) ١٩٤٢ بنحو ١٥٠ ٪ على الرغم من الخسائر المادية والانسحابات التي اضطرت إليها القوات الالمانية البرية في مختلف الجبهات (روسيا وشمال افريقيا وجنوب ايطاليا) ولذلك كان الجيش الالماني مجهزاً في بداية عام ١٩٤٤ بالاسلحة والعتاد بطريقة أفضل مما كان عليه عند بدء هجومه على الاتحاد السوفييتي عام ١٩٤١ . ويرجع هذا إلى كون القصف قد تركز على المدن الآهلة بالسكان بعد أن لمست القيادة الجوية الاستراتيجية الامريكية — البريطانية قوة الدفاع الجوي الالماني (مقاتلات ومدفعية م/ط والمناطيد المثبتة فوق الاهداف) حول الاهداف العسكرية والصناعية ، كما يرجع إلى حسن تنظيم الصناعة الالمانية الحربية تحت إشراف الوزير « البرت سبير » ، ووجود كثير من المصانع داخل أنفاق قوية تحت سطح الارض بعيداً عن تأثير القنابل ، فضلا عن أن الطائرات الامريكية تجنبت قصف بعض المصانع الالمانية التي كانت تشارك فيها أو تمولها الاحتكارات الامريكية . وتوضح ارقام تقرير وحدة القصف البريطاني المنشور عام ١٩٦١ أن نسبة خسائر الانتاج الالماني بصفة عامة (حربي ومدني) الناتجة عن القصف الاستراتيجي عام ١٩٤٣ كانت ١٠,٩ ٪ من جملة الانتاج ، وفي عام ١٩٤٤ كانت ١١,٦ ٪ وفي النصف الاول من عام ١٩٤٥ كانت ٩,٧ ٪ . ولذلك يعلق التقرير المذكور على هذه النتائج قائلا: « لقد كانت جهود القصف في النهاية طريقة باهظة التكاليف للغاية لتحقيق النتائج التي توصلت اليها » .

ولذلك يمكن القول أن استخدام القوة الجوية خلال الحرب العالمية (استناداً إلى الذخيرة التقليدية غير الذرية) كان أكثر تأثيراً وفاعلية واقتصاداً في القوى على المستويين التكتيكي والعملياتي سواء في العمليات البرية أو البحرية ، وأن القصف على المستوى الاستراتيجي باستخدام القنابل شديدة الانفجار أو الحارقة كان قليل التأثير على مجرى الحرب وحسم نتائجها، خاصة عند النظر إلى تكلفة هذا القصف العالية المادية والبشرية على المستويين العسكري والمدني . وهذا يثبت خطأ نظرية الجنرال « دوهي » حين يواجه الطيران تنظيماً دفاعياً وانتاجياً كفؤاً .

وإزاء قصف المدن الالمانية وعجز الطيران الالماني على شن هجوم استراتيجي مضاد، طور الالمان صواريخهم الاستراتيجية الموجهة بسرعة ، وامر « هتلر » باستخدامها ضد المدن البريطانية (لندن وغيرها من المدن الكبرى) وبدأت عمليات القصف هذه يوم ١٣ حزيران (يونيو) ١٩٤٤ باطلاق صواريخهم « ف — ١ » (V-1) التي تسير بدون طيار ، ويحركها محرك نفاث ، وتحمل شحنة متفجرات . وقد اطلقت من قواعد خاصة في شمال فرنسا وبلجيكا ، واستخدم الالمان منها نحو ٨٠٠٠ صاروخ سقط منها في منطقة «لندن» و « مانشستر » ٢٤٢٠ صاروخاً ، ونتج عنها قتل ٦١٣٩ شخصاً ، وإصابة ١٧٢٣٩ آخرين . واستطاعت المدفعية المضادة للطائرات أن تسقط منها ١٨٧٨ صاروخاً ، واسقطت المقاتلات ١٨٤٦ أخرى ، كما اصطدمت ٢٣١ صاروخاً بالمناطيد الدفاعية المثبتة في الجو لعرقلة حركة الطائرات التي تطير على ارتفاع منخفض . واطلق الالمان عدة آلاف من صواريخ ارض — ارض أيضاً من طراز « ف — ٢ » (V-2) من قواعد في هولندا وشمال المانيا استهدفت منطقة لندن ونورويش وميناء انتويرب في بلجيكا بعد استيلاء قوات الحلفاء عليه في خريف ١٩٤٤ واستخدامه في إمداد قوات مونتغمري هناك ، انفجر منها في بريطانيا حوالي ١١٠٠ صاروخاً وفي بلجيكا ١٦٧٥ صاروخاً وقد نتج عن إطلاق الصواريخ الموجهة هذه مقتل ٢٨٥٥ شخصاً في بريطانيا ، وإصابة ٦٢٦٨ آخرين بجراح شديدة ، و ١٥٤٣٨ بجراح طفيفة .

وقد بلغت نسبة الصواريخ الموجهة بنوعيها التي أصابت هدفها ٢٩ ٪ من الصواريخ المطلقة ، ونسبة المسقط منها ٤٦ ٪ ونسبة ما انحرف منها بعيداً عن وجهة السير المحددة لها ٢٥ ٪ . واضطرت قيادة القاذفات المشتركة للحلفاء أن تحول جزءاً رئيسياً من قوتها ونشاطها لتدمير قواعد هذه الصواريخ والمصانع التي تنتجها أيضاً، مستخدمة في ذلك نحو ١٠٠ ألف طن من القنابل ، الأمر الذي ترتب عليه تخفيف نسبي لحدة عملياتها الاستراتيجية الاخرى.

وقد لعبت الطائرات دوراً هاماً في المعارك ضد الغواصات خلال الحرب العالمية الثانية ، خاصة في المحيط الاطلسي ، سواء كوسيلة كشف واستطلاع للغواصة أو كأداة فعالة في الهجوم عليها لتدميرها . فقد اغرقت الطائرات البريطانية والامريكية طوال سنوات الحرب حوالي ٣١٠ غواصة المانية وايطالية ،

فضلا عن تدمير ٦٤ غواصة اخرى وهي راسية في قواعدها ، كما ساهمت الطائرات المذكورة في اغراق ٥٣ غواصة اخرى بالاشتراك مع السفن الحربية المختلفة التي أغرقت بمفردها نحو ٢٨٥ غواصة (انظر حرب الغواصات والحرب المضادة للغواصات)

وقد لعب طيران الحلفاء دوراً فعالا للغاية في الدعم التكتيكي للقوات التي نزلت على شاطىء نورماندي يوم ٦ حزيران (يونيو) ١٩٤٤ حيث قامت طائراته في خلال الاربع وعشرين ساعة الاولى من الغزو بحوالي ١٥ ألف طلعة . كما قدمت القاذفات المتوسطة والثقيلة دعماً مباشراً قوياً للقوات الامريكية قبل اختراقها الخط الدفاعي الذي أحاط بمنطقة رأس الجسر في نورماندي عند « سان لو » خلال شهر تموز (يوليو) ١٩٤٤ .

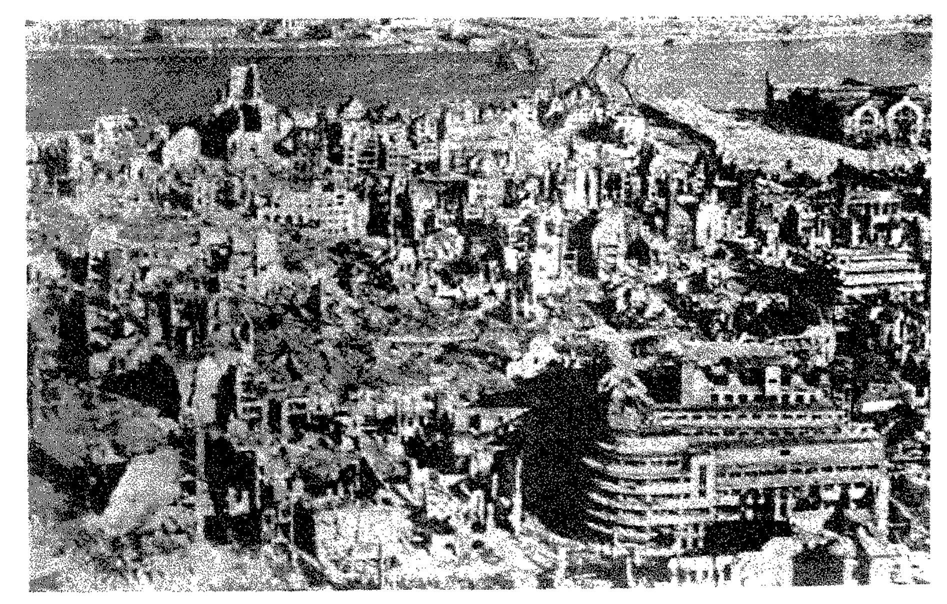
واستخدم الطيران الياباني في المرحلة الاخيرة من الحرب في المحيط الهادىء خلال ربيع ١٩٤٥ حين أصبح يواجه نقصاً خطيراً في الطائرات وحاملات الطائرات ، وموقفاً عسكرياً يائساً ، اسلوب الغارات الانتحارية ضد السفن الحربية الامريكية بواسطة طائرات من نوع خاص يقودها الطيار وهي محملة بشحنة قوية من المتفجرات ليسقط بها فوق هدفه مباشرة « الكاميكاز » وقد قام طيارو الطائرات الانتحارية هذه خلال تلك المرحلة التي بدأت أثناء معركة جزيرة « اوكيناوا » بنحو ٢٥٠٠ طلعة ، أصابت ٤٧٥ منها أهدافها ، وأدت إلى إغراق نحو ٤٠ سفينة ، معظمها من حاملات الطائرات والبوارج ، وإصابة عدد آخر من السفن إصابات شديدة أدت لسحبها لاصلاحها .

واستخدمت الولايات المتحدة خلال الحرب الكورية طيرانها بكثافة فوق جبهة القتال وفي مؤخرة القوات الكورية الشمالية والصينية (طرق المواصلات والمدن والمصانع ومحطات القوى الكهربائية الخ) وألقت خلال هذه الحرب التي استمرت من ١٩٥٠ حتى ١٩٥٣ حوالي ٦٩٨ ألف طن من القنابل والنابالم والصواريخ وطلقات مدافع الطائرات . وقد استخدمت الطائرات النفاثة خلال هذه الحرب على نطاق واسع ، وتطورت أساليب القتال الجوي الحديث أيضاً نتيجة لذلك (اشتباكات « الميغ ١٥ » مع ف - ٨٤ وف - ٨٦) وحاول الجنرال « ماك آرثر » استخدام القصف الاستراتيجي فيما وراء نهر « يالو » داخل اراضي الصين الشعبية ولكن « ترومان » خشي من التورط في حرب مع الصين والاتحاد السوفييتي فمنعه (انظر حرب التحرير الوطنية الكورية) ورغم كل الجهود الجوية المبذولة من جانب الولايات المتحدة وحلفائها فإنها لم تستطع أن تؤثر على النتيجة النهائية للحرب وتحقق نصراً أمريكياً ، بل لحقت عدة هزائم ضخمة بالقوات الامريكية دون أن يكون للقوات الكورية والصينية شرط التفوق الجوي ، واضطرت في النهاية لعقد هدنة والتوقف عند حدود كوريا الجنوبية. وهكذا فشلت القوة الجوية في إحراز النصر بمفردها كما كان يتصور قادة السلاح الجوي الامريكي من دعاة نظرية « دوهي » .

وتكررت التجربة نفسها وعلى نطاق واسع كما وكيفا خلال الحرب الفيتنامية ضد التدخل الامريكي في الجنوب والشمال ، فقد ألقت الطائرات الامريكية وطائرات كوريا الجنوبية طوال السنوات من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٢ ما مجموعه ٧٤٠٤٥٥٤ طناً من الذخيرة الجوية (من بينها ٣٧٢٥٣٧ طناً من النابالم) ، واستخدمت القيادة الجوية الامريكية ابتداء من عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٧٢ قاذفاتها الاستراتيجية الثقيلة من طراز « ب - ٥٢ » في مهام الدعم التكتيكي للقوات البرية في فيتنام الجنوبية وذلك من قواعد في تايلاند وجزيرة « غوام » ، وكان أبرز نموذج لهذا الاستخدام خلال الحرب هو معاونة قوة مشاة البحرية الامريكية المؤلفة من نحو ٦٠٠٠ جندي التي حوصرت في قاعدة « خي سانه » ، القريبة من حدود لاوس في أقصى شمال فيتنام الجنوبية لمدة ٧١ يوماً خلال شهور كانون الثاني (يناير) وآذار (مارس) ١٩٦٨ ، فقد ألقت القاذفات المذكورة نحو ١٠٠ ألف طن من القنابل حول القاعدة الامريكية للحيلولة دون اقتحامها من قبل قوات جبهة التحرير الفيتنامية ، وكان هذا القصف الجوي المستمر هو السبب الرئيسي الذي حال دون هزيمة أمريكية من نمط « ديان بيان فو » .

ويعد هذا الاستخدام الامريكي لذلك النوع من القاذفات مخالفاً لقواعد الاقتصاد بالقوى في مجال الحرب الجوية إلى حد بعيد . وهو يعكس بطبيعة الحال مدى خطورة موقف القوات البرية الامريكية وخشية تعرضها لهزيمة حاسمة تعرض سمعة الولايات المتحدة كقوة عالمية للخطر الشديد . ذلك لأن هذا النوع من القاذفات الثقيلة بعيدة المدى ليس مخصصاً أصلا للدعم التكتيكي المباشر وإنما للقصف الاستراتيجي في العمق البعيد . (تستطيع القاذفة الواحدة أن تحمل نحو ٣٠ طناً من القنابل في الطلعة الواحدة وتصل لمدى أقصى ٩٢٠٠ كم وأن تلقي قنابلها من ارتفاع ١٣٥٠٠ متر وتحدث ٦ قاذفات من هذا النوع تدميراً مساوياً لما يحدثه ١٨٠ مدفع هاوتزر من عيار ١٥٥ مم تطلق قذائفها بدون انقطاع لمدة ١٥ دقيقة على مساحة قدرها ٢ كم مربع) وقد استخدمت هذه القاذفات بعد ذلك في قصف أهداف استراتيجية في فيتنام الشمالية ابتداء من نيسان (ابريل) ١٩٧٢ شمال خط عرض ١٧ ، وحتى خط عرض ٢٠ ، ولمدة ٩ شهور متواصلة . وتدعي المصادر الامريكية أن طائرة واحدة فقط أصيبت خلال هذه الفترة بواسطة صاروخ « سام ٢ » وذلك نظراً للارتفاع العالي الذي تطير عليه الطائرات

لتدمير جسر « لندنبرغ » دمر الحلفاء حياً كاملا في كولونيا



ولفاعلية أجهزة التشويش الالكتروني الموجودة بها .

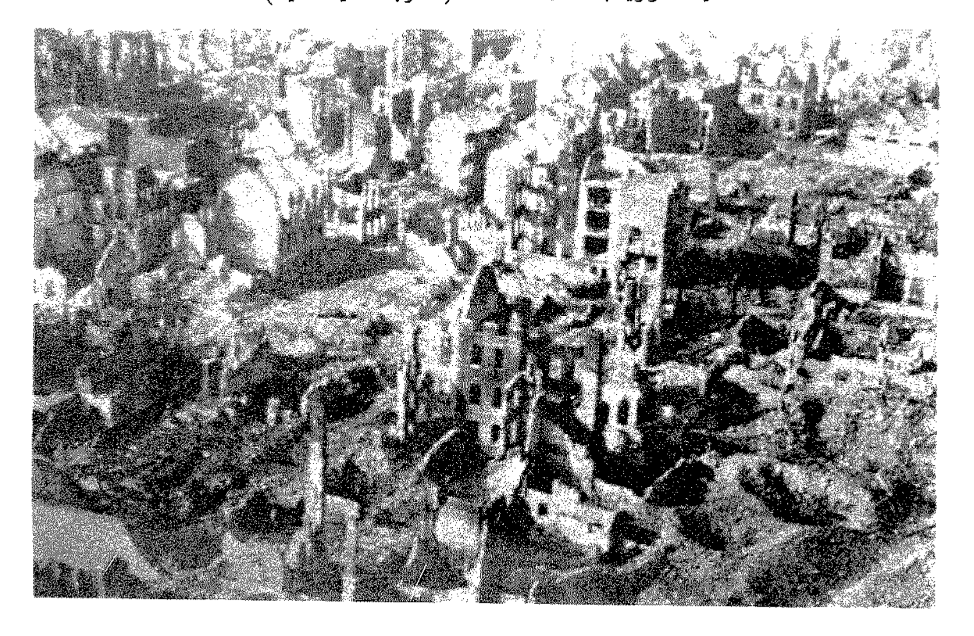
وفي ١٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ هاجمت القاذفات المذكورة منـــاطق «هانوي» و «هايفونغ» لمدة ١٢ يوماً متواصلة ألقت خلالها نحو ١٥ ألف طن من القنابل أثناء ٧٥٠ طلعة طيران قامت بها هذه القاذفات (كانت الحمولة الاعتيادية للقاذفة ب - ٥٢ خلال الحرب الفيتنامية تتألف من ١٢ قنبلة شديدة الانفجار - تحت كل جناح - زنة ٣٤٠ كغ أو زنة ٢٢٧ كغ الخاصة باختراق سطح الارض لمسافات تصل لعشرين متراً . بالاضافة الى ٤٢ قنبلة زنة ٣٤٠ كغ في جسم الطائرة أو ٨٤ قنبلة زنة ٢٢٧ كغ). وقد أدت هذه الغارات إلى مقتل ١٣١٨ من المدنيين ، وإلى انقاص حجم الامدادات الشهرية من الصين الشعبية والاتحاد السوفييتي من ١٦٠ ألف طن إلى حوالي ٣٠ ألف طن ، وانقاص الطاقة الكهربائية في منطقة هانوي من ٩٢ ألف كيلووات إلى ٢٤ ألف كيلووات شهرياً ، كما قال الجنرال «جيمس الن» مدير العمليات الجوية الامريكية بالقيادة الجوية الاستراتيجية في ٣ أيار (مايو) ١٩٧٣ . وقد فقدت خلال هذه الفترة القصيرة من الهجوم الجوي المذكور ١٥ قاذفة امريكية بواسطة صواريخ «سام ٢» التي كان يوجد منها ٢٦ بطارية حول هانوي بكل منها ٦ صواريخ ، فضلا عن ٣٦٠ بطارية مدفعية مضادة للطائرات من مختلف العيارات (٣٧ م ، ٥٧ م ، ٨٥ م ، ١٠٠ م) وهذه نسبة كثافة عالية جداً بالقياس لنسبة كثافة الدفاع الجوي في المانيا خلال الحرب العالمية الثانية، حيث كانت تحمي ميناء «هامبورغ» مثلا ٢٦ بطارية مدفعية م/ط ثقيلة و ٥٤ بطارية م/ط خفيفة . وتقول المصادر الامريكية انه تم إطلاق نحو ١٠٠٠ صاروخ «سام ٢» خلال الاثني عشر يوماً المذكورة معظمها أطلق على شكل صليات تضم عدة صواريخ على كل طائرة لارباك أجهزة التشويش الخاصة بها . وهذا رقم كبير بالقياس لنحو ٢٠٠٠ صاروخ «سام ٢» اطلقت عـــلى مختلف أنواع الطائرات خلال التسعة شهور من القصف الجوي الذي كان يتم حتى حدود خط عرض ٢٠ . وتقول المصادر الامريكية انه من جملة نحو ٤٩ ألف قنبلة ألقتها القاذفات الاستراتيجية في هجومها الاخير سقطت منها نحو ١٦ ألف قنبلة على الاهداف العسكرية .

والنتيجة الجوهرية المستفادة من خبرة الحرب الفيتنامية - الامريكية أن الحرب الجوية لم تستطع أن تقهر إرادة الشعب الفيتنامي أو تحقق نصراً أمريكياً ، وان كانت قد ساعدت على إرساء حالة توازن مؤقت في القوى بين الطرفين ، وهي نتيجة متواضعة إذا ما نظر إلى حجم القوة الجوية المستخدمة وكلفتها المادية . وهكذا أثبتت نظرية «دوهي» القائلة بأن القصف الاستراتيجي الجوي يستطيع وحده أن يقهر إرادة شعب أو دولة ويجبرها على طلب إنهاء الحرب أو التسليم بشروط الخصم خطأها وذلك من خلال ثلاث تجارب عملية كبرى في تاريخ الحرب الجوية ، وهي : القصف الالماني لبريطانيا عام ١٩٤٠ ، والقصف البريطاني - الامريكي لالمانيا في اعوام ١٩٤٢ - ١٩٤٥ ، والقصف الامريكي في فيتنام في أعوام ١٩٦٥ - ١٩٧٢ .

ولم يستطع الطيران أن يحسم نتيجة صراع مسلح إلا في حالتين استثنائيتين للغاية (وفي ظروف شديدة الخصوصية) هما: حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ (بين العرب واسرائيل) . فلقد دارت الأولى بين مصر من جهة واسرائيل وبريطانيا وفرنسا من جهة ثانية حيث استطاع الطيران البريطاني أن يدمر معظم الطيران المصري على الارض ، فأتاح الفرصة الكاملة للقوات البرية الاسرائيلية كي تتحرك في سيناء بحرية واجبر القوات المصرية على التراجع السريع من هناك وتحملها خسائر فادحة أثناء ذلك الانسحاب ، على حين أن الطيران الاسرائيلي كان عاجزاً عن تحقيق التفوق الجوي خلال المعارك الجوية التي جرت قبل التدخل الانجلو - فرنسي في الفترة من ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) حتى ١ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٥٦ وهي الفترة التي تعادلت فيها تقريباً قوى الطيران المصري والاسرائيلي، وجمدت تحركات لواء المظليين الاسرائيلي عند ممر متلا نتيجة مقاومة كتيبتي مشاة مصريتين ، وقيام القاذفات المقاتلة المصرية بنحو ٤٩ طلعة طيران فوق القوات الاسرائيلية. هناك ، والتي أسفرت عن إسقاط ٢٠ طائرة اسرائيلية مقابل ٩ طائرات مصرية في مختلف العمليات الجوية .

وتكررت الظاهرة نفسها في حرب ١٩٦٧ حيث تمكن الطيران الاسرائيلي هذه المرة من توجيه ضربة مفاجئة صباح يوم ٥ حزيران (يونيو) للطيران المصري الجاثم على الارض ، اسفرت عن تدمير نحو ٣٣٠ طائرة (وقد قامت الطائرات الاسرائيلية بنحو ٣٠٠٠ طلعة خلال هذا اليوم فقط) ، مما أدى إلى حرمان القوات البرية المصرية من كل غطاء جوي فعال في معارك سيناء الصحراوية . وقد حاول الطيران الاسرائيلي أن يلعب الدور نفسه في حرب ١٩٧٣ فيحسم المعارك منذ الساعات الاولى لبدء القتال باعتباره القوة الاستراتيجية الضاربة القادرة على توفير الوقت اللازم لحشد وتعبئة الاحتياطي الاسرائيلي ، ولكن شبكة الدفاع الجوي الفعالة المستندة إلى تعاون بطاريات صواريخ سام ٢ ، ٣ ، ٦ ، وبطاريات المدفعية المضادة للطائرات مع المقاتلات العربية من طراز ميغ - ٢١ . واحتماء الطائرات العربية (أثناء وجودها في قواعدها) داخل ملاجىء محصنة ، أديا إلى فشل الطيران الاسرائيلي في حسم

مدينة كولونيا بعد غارات الحلفاء (الحرب العالمية الثانية)



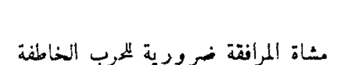
المعركة بقواه الذاتية كما تعود أن يفعل من قبل في حرب ١٩٦٧ ، ولو أنه أدى إلى تحديد مدى تقدم القوات العربية ، خاصة في سيناء ، بمدى حماية مظلة الصواريخ المضادة للطائرات . وضمن هذه الحدود كانت فاعلية الطيران الاسرائيلي غير مباشرة النتائج على الاستراتيجية العسكرية العربية ، كما كانت فاعليته اكثر وضوحاً في جبهة الجولان رغم شدة الخسائر التي لحقت به والتي بلغت ٣٠ طائرة في يوم واحد فقط وفقاً للمصادر الاجنبية ، وذلك نظراً لتركيزه على هذه الجبهة بعد ان اخترقتها مئات الدبابات السورية وصارت تهدد سهل الحولة في شمال فلسطين . وقد اضطر الطيران الاسرائيلي إلى الاستعانة بالدبابات والمشاة الميكانيكية لفتح ثغرة في جدار الصواريخ على الضفة الغربية لقناة السويس ليستعيد قدراً من حرية حركته وتأثيره من حيث توفير الدعم المباشر والقريب للقوات المدرعة . كما قام الطيران الاسرائيلي – متحملا خسائر فادحة – بعدة غارات استراتيجية في عمق سوريا ضد الاهداف الصناعية ومصادر الطاقة الكهربائية والنفطية لإجبارها على الخروج من الحرب ، ولكن هذه الحرب الجوية الاستراتيجية المحدودة فشلت في تحقيق هدفها نظراً لفاعلية الدفاع الجوي (على الرغم من حدوث خسائر مادية فادحة بالمنشئات الصناعية المختلفة التي ضربت) واستمرار وجود الطيران السوري في سماء المعركة ، وصمود القوات البرية السورية والعراقية في مواقعها الدفاعية وإيقافها التقدم الاسرائيلي تجاه دمشق .

وهكذا أثبتت حرب ١٩٧٣ ، رغم فاعلية وتأثير الطيران الاسرائيلي ، أن الحرب الجوية لا تستطيع أن تحسم القتال وحدها متى كان الدفاع الجوي منظماً بصورة جيدة ،وارادة القتال متوفرة لدى القوات المسلحة والقيادة السياسية العليا .

وهكذا يمكن القول ان الحرب الجوية كما ينظر لهـا أنصارها ، هي العمل العنيف الذي يعتمد على الحسم الاستراتيجي عن طريق استخـدام القـوات الجوية الكثيفة المسلحـة بأسلحة تقليدية غـير نووية . والهدف منها تدمير قوى العدو (المادية والمعنوية) التي تدعم الحرب بشكل رئيسي ، وذلك عن طريق توجيه هجمات مختارة ضد مراكزه الحيوية مثل المنشآت الصناعية ، ومرافق الطاقة ، وخطوط المواصلات . وضد مدنه ومراكز تجمعاته السكانية ولا تتبع القوى العظمى فيما بينها هذا النوع من الحروب في الوقت الحاضر ، وان كان هذا متبعاً في الحقبة قبل النووية . الا انها قد تستخدمه ضد الدول الصغرى ، كبديل عن توجيه ضربات نووية ،



الحرب الجوية حاسمة في الصحراء



مشاة المرافقة ضرورية للحرب الخاطفة



كما حدث في فيتنام وكوريا .

ونظراً لان القوى الصغرى تستورد اسلحتها ومعداتها الرئيسية عادة من الخارج ، ولا تنتجها ، لذلك فان الاهداف التي تستطيع الحرب الجويـة الاستراتيجية التوجه إليها في هذه الدول تكون محدودة ، وتنحصر في المدن ، وخطوط المواصلات ، والموانئ ، ومرافق الطاقة ، والسدود التي يؤدي تدميرها إلى اغراق مناطق واسعة من البلاد .

(٤) الحرب الخاطفة

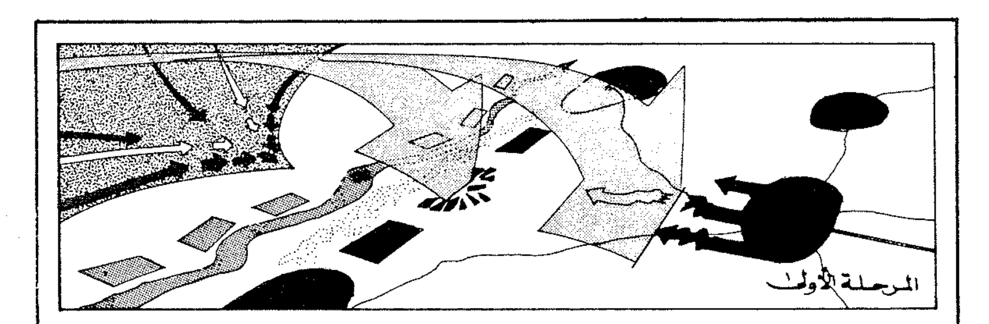
أسلوب خاص في تكتيكات القتال يقوم على استخدام الطيران والقوات المدرعة والميكانيكية في تحقيق اختراق عميق في جبهة العدو من أجل قطع خطوط مواصلاته وتدمير مراكزه الاداريـة والقيادية وتطويق الدفاعات التي تكون قد أصبحت غير منظمة في هذه الحالة . ويتم الاختراق الأول للجبهة بواسطة تعاون وثيق بين حشود المدرعات ، التي تتركز على مواجهة ضيقة تصل أحياناً إلى عدة كيلومترات ، والقاذفات – المقاتلة التي تقدم دعماً قريباً تكتيكياً ،بالاضافة للدعم الجوي غير المباشر المتمثل في قصف خطوط المواصلات والمراكز الادارية والقيادية في العمق العلمياتي ، وبالاضافة إلى مساندة المدفعية التي تقصف بتركيز شديد لتليين الدفاعات الامامية تمهيداً لاحداث الخرق الذي ستندفع منه المدرعات والمشاة الميكانيكية نحو العمق دون التوقف لتصفية جيوب المقاومة التي يمكن لها تجنبها أثناء تقدمها، والتي تتركها خلفها لتسقط تلقائياً بعد ذلك أو تصفيها وحدات المشاة المترجلة بمساندة المدفعية المقطورة ،وهذا حتى تحافظ على قوة وسرعة اندفاعها ،وحتى لا تترك لقيادة العدو الوقت والقدرة على تركيز قواتها ضد هذه الاختراقات في العمق والتي يجري العمل على إخفاء مقاصدها واتجاهات تقدمها المقبلة قدر الامكان من جانب قـادة التشكيلات الزاحفة في العمق ،للمساعدة على زيادة بلبلة قيادة العدو واضعاف وتشتيت جهودها في تركيز قواتها على محاور التقدم المتوقعة . ولذلك تقترن تكتيكات الحرب الخاطفة هذه بتطبيق فعال لاستراتيجية التقرب غير المباشر (انظر تقرب غير مباشر) . وتتطلب عمليات الحرب الخاطفة درجة معينة من التفوق الجوي ،ودرجة كافية من سرعة الحركة ،وبنية قيادية خاصة تؤمن لضباط الميدان قدراً كبيراً من المرونة،وتتيح اكتشاف وتعيين النقاط الضعيفة على محور التقدم العام للقوات المهاجمة

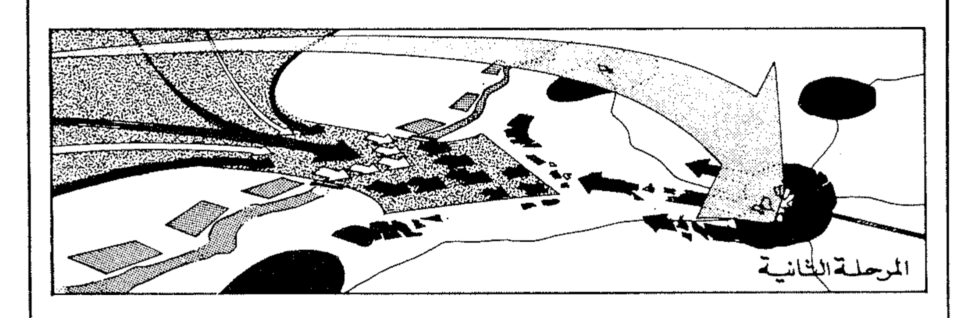
واستثمارها بسرعة وكفاءة .

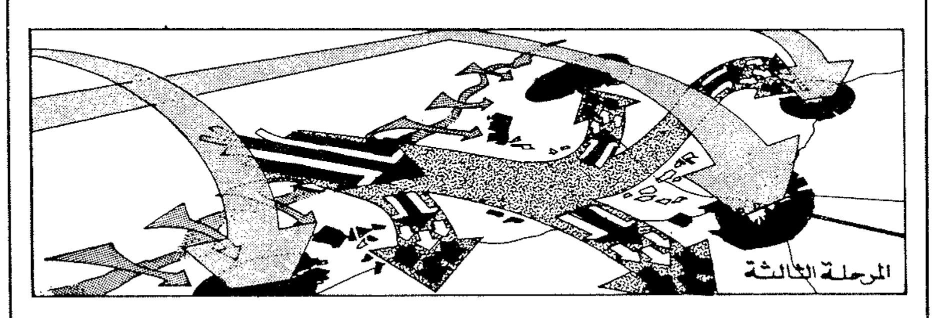
وقد وضعت الاسس الفكرية العامة لتكتيكات الحرب الخاطفة في بريطانيا خلال العشرينيات بواسطة كل من « ليدل هارت » والجنرال « فولر » الكاتبين العسكريين المشهورين،عقب نجاح تكتيكات استخدام الدبابات البريطانية بالتعاون مع الطيران في معركة « كامبري » بفرنسا عام ١٩١٨ قرب نهاية الحرب العالمية الاولى . وقد قام ليدل هارت بالذات بالدور الرئيسي في محاولة صياغة هذه النظرية الحديثة في الحرب،ولكنه لم يطلق عليها اسم « الحرب الخاطفة » وإنما أسماها « السيل المتدفق »، لأن ذلك التعبير كان يعبر في رأيه عن تجميع بعض مبادىء الحرب مثل الحشد والاختراق المبدئي والتوسع العرضي واستغلال النجاح بالاختراق العميق .

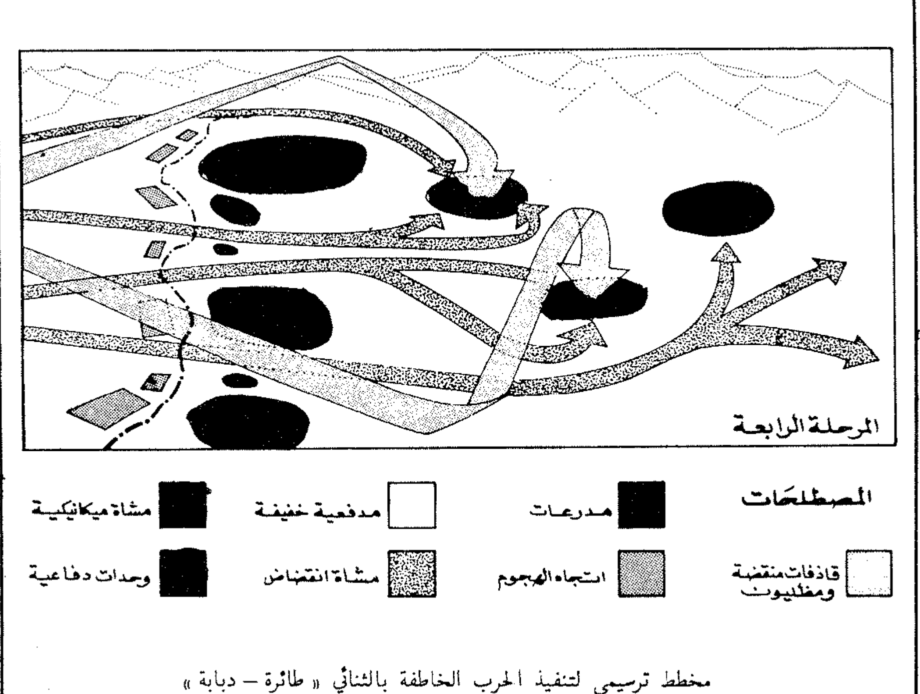
وقد كان الجنرال الالماني « فون سيكت » هو الذي أطلق ، في كتاباته عام ١٩٢٩ المتعلقة بتشكيل جيش صغير محترف مشكل من وحدات ميكانيكية قوية ، اصطلاح « الحرب الصاعقة » على هـذا الاسلوب القتالي . وهذه الكلمة هي ترجمة للكلمة الالمانية « بليتزكريج » (Blitz Krieg) .

وقد تبنى النظرية أيضاً في فرنسا الجنرال ديغـول في كتابه « نحو جيش محترف » الذي نشره عام ١٩٣٤ ، وناقش فيه مشكلات الدفاع عن فرنسا ، على ضوء إعادة تسليح المانيا الذي بدأه هتلر بعد توليه السلطة في يناير ١٩٣٣ ، والذي دعا فيه إلى إنشاء جيش جديد محترف من ٦ فرق مدرعة تضم الواحدة منها ٥٠٠ دبابة ، ومدفعية ذاتية الحركة ، ومشاة ميكانيكية ، وتدعمه قوة جوية خاصة به ، على أن يقاتل هذا الجيش بأسلوب حرب الحركة السريعة ، أي وفقاً لتكتيكات الحرب الخاطفة . وأثار الكتاب اهتمام الصحافة الفرنسية . ولكن قادة الجيش ذوي العقلية التقليدية عارضوه بشدة،ولم يتبن الجيش الفرنسي الافكار الواردة فيه، سواء من حيث تنظيم الفرق المدرعة ، أو تكتيكات استخدامها بمعزل عن المشاة الراجلة . وفي الوقت نفسه كان المارشال « توخاتشيفسكي » رئيس الاركان السوفييتي يؤيد هذه الآراء ، وينظم ويدرب فرقاً مدرعة وميكانيكية ، وفرق مظليين في عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٥ ، على أساس حرب الحركة الخاطفة . إلا أن محاكمة « توخاتشيفسكي » وأعوانه من الضباط السوفييت أثناء حركة التطهير الكبرى عام ١٩٣٧ ، والتي انتهت باعدامه لاتهامه بالتجسس بناء على وثائق دستها المخابرات الالمانية ، أدت إلى القضاء على افكاره وأسلوب تنظيمه العسكري .









مخطط ترسيمي لتنفيذ الحرب الخاطفة بالثنائي « طائرة – دبابة »



إلقاء المتفجرات على خنادق العدو .



جنديان مجهزان لحرب الخنادق

الخندق يتحول إلى مسكن وموقع قتال

وفي انجلترا نفسها لم تؤد افكار « ليدل هارت » وجهوده إلى تطوير أساليب تنظيم وقتال الجيش البريطاني وفقاً لنظريته . وإن كانت قد ساعدت على إجراء بعض التجارب العملية على تنظيم الالوية المدرعة ، ومناوراتها ، نظراً لسيطرة الفكر التقليدي على القيادات العسكرية . ولذلك لم تخرج هذه التكتيكات النظرية إلى مجال التطبيق العملي إلا على يدي « هتلر » الذي وجد فيها أداة ملائمة لتنفيذ استراتيجيته التوسعية التي تقوم على اساس مناورة « الخرشوفة » (انظر مناورة الخرشوفة) . وامكن لهتلر أن يطبق هذه التكتيكات بفضل جهود الجنرال « غودريان » الذي أنشأ الفرق المدرعة الالمانية وقادها بنفسه وفقاً لهذه التكتيكات ، واستراتيجية العمليات في حملات « بولندا » عـام ١٩٣٩ ، و « فرنسا » عام ١٩٤٠ ، والاتحاد السوفييتي عام ١٩٤١ ، كما طبق هذه التكتيكات أيضاً الجنرال « رومل » ببراعـة في حملة فرنسا ، وفي معارك ١٩٤١ ، ١٩٤٢ في الصحراء الليبية والمصريه .

وقد استوحى العدو الاسرائيلي هذه الاساليب الالمانية واعتبرها عنصراً رئيسياً في نظريته القتالية القائمة على الضربة الاجهاضية المضادة المباغتة ، ونقل المعركة بسرعة إلى أرض العرب ، وفقاً لمناورة الخرشوفه واستراتيجية التقرب غير المباشر (انظر تقرب غير مباشر) .

ويعتمد نجاح الحرب الخاطفة على عنصر المفاجأة وبطء حركية ورد فعل الخصم ، وعدم إدراكه أو استيعابه لأساليب حرب الحركة ، وضعف سيطرته الجوية .

وليس هذا الاسلوب القتالي الخاطف وقفاً على الدول الامبريالية المتقدمة تقنياً ، وإنما يمكن للجيوش الشعبية الوطنية أن تطبقه متى استوعبت تكتيكاته ، وأحسنت اعـداد قواتها ، وتخطيط عملياتها ، وذلك كما فعل جيش الشعب الكوري مثلا في المرحلة الاولى من الحرب الكورية عام ١٩٥٠ . وكما فعل الجيش السوفييتي في المراحل الاخيرة من الحرب العالمية الثانية .

(١٤) حرب الخنادق

هي الحرب التي تتوقف فيها حركة القوات المتحاربـة ، ويتعذر عليها القيـام بالخرق أو الالتفاف ، نظراً لضعف قدرتها الحركية ، أو لقوة اسلحة الدفاع بالنسبة لاسلحة الهجوم ، أو لتوازن القوى المتجابهة ، أو لأن طبيعة الأرض تعرقل الحركة وتمنع احد الطرفين أو كلاهما من استخدام اساليب الحرب الخاطفة (انظر الخرق والحرب الخاطفة والالتفاف) .

وتمتد القوات المتجابهة في هذه الحالة على جبهة عريضة تستند مجنباتها إلى موانع طبيعيـة يتعذر اجتيازها . وتحفر القوات المتقابلة الخنادق والملاجىء وحفر الاسلحة ، وتنصب أمامها كل انواع الموانع المضادة للاشخاص والدبابات ، ويتحول القتال الى تراشق بالنيران ، تتخلله هجمات تكتيكية صغـيرة واغارات ودوريات استطلاع . وتثبت الجبهات فترة طويلة يحاول كل طرف خلالها استنزاف خصمه مادياً ومعنويـاً ، وحشد القوات والوسائط وتحقيق التفوق اللازم للخرق والعودة الى حرب الحركة . ولقد شهدت حرب القرم ، والحرب العالمية الأولى ، وبعض مراحل الحرب العالمية الثانية ، والمرحلة الاخيرة من حرب التحرير الوطنية الكورية والمرحلة الأخيرة من الحرب العربية – الاسرائيلية الرابعة ١٩٧٣ هذا النوع من الجمود (انظر الحروب المذكورة) . واذا كان الحلفاء قد خرقوا هذا الجمود في حرب القرم والحرب العالمية الثانية بفضل التفوق الذي حققوه ، وحاولوا خرقه في الحرب العالمية الأولى بفضل استخدام الدبابة ، فان الطرفين المتحاربين لم يستطيعوا خرقه في حرب التحرير الوطنية الكورية والحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، اللتين انتهتا والقوات المتجابهة متخندقة ثابتة تتراشق بنيران الاسلحة ، دون أن تكون قادرة على الانتقال ثانية إلى حرب الحركة . (انظر الحرب التقليدية مرحلة ١٥ – ١٩١٨).

(٦) الحرب الذرية (النووية)

الحرب الذرية Atomic Warfare وتسمى ايضاً الحرب النووية Nuclear Warfare ، وتعني استخدام الاسلحة الذرية او النووية استخداماً استراتيجياً او تكتيكياً بصورة مستقلة أو بالتنسيق

مع الاساحة التقليدية الأخرى ، بغية ازال الخسائر والخراب في صفوف العدو ، بغرض سحقه والقضاء على قدراته القتالية ، وتحطيم معنوياته واجباره على الاستسلام .

ويختلف الشكل الذي يتخذه السلاح الذري ، فقد يكون مقذوفاً يرميه مدفع ، او قنبلة تلقيها طائرة ، او صاروخاً موجهاً أرض – أرض أو بحر – أرض ، او قمراً اصطناعياً مزوداً بجهاز لاطلاق مقذوف ذري من مداره حول الارض ، او غير ذلك من الاجهزة الاستراتيجية لايصال المتفجرات الذرية الى اهدافها . ولقد كانت جميع الابحاث المتعلقة بالقنابل واجهزة التفجير الذرية نظرية حتى العام ١٩٤٣ ، حين نشطت بعض الدول في تطوير وسائل استخراج المواد الاولية اللازمة لصنعها ، وما ان حل ربيع العام ١٩٤٥ حتى دخلت صناعتها مرحلة الانتاج الفعلي في الولايات المتحدة الاميركية التي اجرت اول تفجير ذري اختباري في تموز (يوليو) من العام نفسه (انظر السلاح الذري) .

اما اول استخدام للاسلحة الذرية في الحرب فقد كان في ٦ آب (اغسطس) ١٩٤٥ ، في الأيام الأخيرة من الحرب العالمية الثانية ، عندما ألقت طائرة قاذفة تابعة لسلاح الجو الاميركي قنبلة ذرية تقدر قدرتها الانفجارية بحوالي ٢٠ كيلو طن (٢٠ الف طن) من مادة ت. ن. ت الشديدة الانفجار ، على مدينة هيروشيما اليابانية . وقد تسببت هذه القنبلة في ازهاق ارواح ٦٦ ألف ضحية ، وجرح ٦٩ ألف جريح من مجموع سكان المدينة البالغ عددهم ٣٤٣ الفاً ، وإلحاق الدمار بحوالي ٦٧ ٪ من مباني ومنشآت المدينة . وفي ٩ آب (اغسطس) ١٩٤٥ ألقت الولايات المتحدة قنبلة ذرية ثانية فوق مدينة ناغازاكي اليابانية ايضاً ، تسببت في قتل ٣٩ ألفاً ، وجرح ٢٥ ألفاً من سكانها ، وتدمير اكثر من ٤٠٪ من مباني ومنشآت تلك المدينة . وبعد خمسة ايام من قنبلة ناغازاكي اعلنت اليابان استسلامها دون قيد او شرط ، وانتهت بذلك الحرب العالمية الثانية بعد حوالي اربع سنوات من نشوبها وثماني ايام فقط من إلقاء القنبلة الذرية الاولى على هيروشيما . وشهد العالم بعد ذلك سباقاً على التسلح الذري بين الدول ، تميزت مرحلته الاولى في الفترة ما بين ١٩٤٥ – ١٩٥٥ باحتكار الولايات المتحدة الاميركية لحيازة السلاح الذري ، ثم تبعها الاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا والصين والهند (انظر النادي الذري) .

ولقد اصبح واضحاً ، منذ قنبلة هيروشيما ، ان سلاحاً نارياً ذا قدرة دمار رهيبة قد دخل ميدان الحرب ، وتسبب في خلق ظروف واوضاع جديدة اثرت بشكل مباشر وجذري في النظرة الى الحرب واحدثت ضغوطاً حاسمة على اساليب التحرك السياسي في زمن السلم ، واضافت مستويات جديدة من الاستراتيجية ، فاصبح هناك اربعة مستويات هي : السلم ، والحرب او الحرب الباردة ، والمستوى التقليدي ، والمستوى النووي ، بدلا من مستويين هما : السلم والحرب او الحرب الباردة (انظر مستويات الاستراتيجية في العصر النووي) .

ولكن استيعاب الدول لهذه الظروف والاوضاع الجديدة تم تدريجياً ، وكان من نتيجته نشوء وتطور استراتيجية وتكتيك جديدين هما الاستراتيجية والتكتيك الذريين (انظر الاستراتيجية الذرية ، والتكتيك الذري) في الفترة ما بين ١٩٤٥ – ١٩٦٥ . وقد ساهم في رسم الاستراتيجية والتكتيك الذريين ، دراسة صفات السلاح الذري والآثار التي يخلفها انفجاره (انظر آثار الانفجار النووي) الى جانب التطورات التقنية الهامة في القدرة التفجيرية للقنابل الذرية ، واستحداث القنابل الهيدروجينية التي تقاس قدرتها التفجيرية بالميغاطن الذي يساوي ١٠٠٠ كيلوطن (انظر القنبلة الهيدروجينية) ، واستحداث القنابل الذرية التكتيكية ذات العيار الصغير التي يمكن اطلاقها بواسطة الاسلحة البرية كالمدافع والصواريخ التكتيكية والعملياتية (انظر القنبلة الذرية التكتيكية) . هذا الى جانب التطورات التقنية الحديثة في وسائل نقل وايصال القنابل الذرية الى اهدافها : كالقاذفات الاستراتيجية بعيدة المدى ، والصواريخ عابرة القارات ، والصواريخ المنطلقة من الغواصات الذرية ، وغيرها من الوسائط التي يقوم بالسيطرة عليها افراد قلائل يستطيعون توجيهها الى اي بقعة من بقاع الارض وبمنتهى السرعة . وقد احدثت هذه التطورات ثورة في السلاح الذري ، واوجدت ظاهرة جديدة هي ظاهرة فقدان العلاقة القديمة بين القدرة النارية والعدد . اذ اصبح بمقدار قوة ذرية صغيرة (انظر القوة الضاربة النووية) احداث دمار تعجز عنه جيوش بكامل اسلحتها دفعة واحدة (انظر الاقتصاد بالقوى). كما اظهرت هذه التطورات الجيوش التقليدية بمظهر العاجز عن تنفيذ الواجبات القتالية الملقاة على عاتقها ، خاصة وانها لا تملك دائماً حماية فعالة ضد آثار الانفجارات الذرية المادية والاشعاعية ، الامر الذي اثار في البداية تساؤلات حول جدوى هذه الجيوش في العصر النووي . الا ان هذه التساؤلات رفضت واستقر الرأي على ان الجيوش التقليدية ما زالت قادرة على ان تلعب دوراً لا يجوز اهماله – وان كان جزئياً – كالتسلل ، والاحتلال ، وحماية مرابض المدفعية الذرية ، وقواعد اطلاق الصواريخ ، ومهابط الطائرات التكتيكية ، وجميع المصالح المساعدة الاخرى . وبطبيعة الحال فإن القوات الضاربة النووية ستقوم بالواجب القتالي الاكبر (انظر الهجوم النووي . والتكتيك الذري) ، اذ انها معدة بحكم طبيعتها لمعادلة موازين القوى في حالة امتلاك الطرف الآخر لاسلحة مماثلة (انظر التوازن النووي) . وقد حتم كل ذلك اعادة النظر الى مبدأ التوازن العام في القوى ، واعادة بناء القوات التقليدية في ضوء الواجبات الجديدة الملقاة على عاتقها . وامام هذه الاعتبارات وجدت القوى غير النووية ، ان من مصلحتها ربط نفسها بقوة نووية اخرى لتكسب حمايتها ، ونتيجة لذلك فقد اصبح للاستراتيجية تأثير كبير على الاوضاع السياسية الداخلية والخارجية وبشكل خاص في زمن السلم .

وبازدياد القدرة على استيعاب وفهم الاستراتيجية الذرية والمنطق الذي يحكمها ، امكن التوصل الى اخضاع نظريات الحرب الكلاسيكية الى مراجعة واسعة النطاق بعيدة النظر . وكان الاعتقاد السائد في البداية ان احتمال حدوث حرب عامة شاملة – كالحرب العالمية الثانية – تستخدم فيها الاسلحة الذرية بحرية ، هو احتمال وارد (١٩٤٥ – ١٩٥٥). ولكن امتلاك الدولتين العظميين لمخزون ضخم من هذه الاسلحة يكفي للرد على اي هجوم ذري (انظر الانتقام الشامل) ، فيما بعد ، استبعد قيام هذا الاحتمال لما يمكن ان تجره الحرب من دمار شامل لكلا المعسكرين ، الامر الذي يجعل منها عملية انتحارية (انظر الرعب النووي) ، وبالتالي تم إسقاط الحرب العامة من الحساب ، باعتبارها اداة غير معقولة من ادوات السياسة . ونشأت نتيجة لذلك رغبة في تجنب مثل هذه الحرب ، واحدثت هذه الرغبة تغيراً راديكالياً في اهداف الاستراتيجية الذرية ، وتوجه خبراء الاستراتيجية الى البحث عن المناهج والاساليب التي تؤدي الى منع نشوب الحرب بدلا من التركيز على استقراء مجرياتها كما كان حالهم في السابق . وقد توصل هؤلاء الخبراء في ابحاثهم الى خلق وضع عالمي حرج لا يجرؤ امامه اي رجل دولة عاقل على اصدار القرار بشن الحرب الذرية خوفاً من دفع الامور الى نهايتها القصوى ، وهذا الوضع هو في حقيقته استراتيجية ردع او بعبارة اخرى منع استخدام الخصم للاسلحة الذرية المستند الى القدرة على القيام بهجوم نووي ساحق يردعه عن

البدء ، وقد اعتبرت هذه الفكرة فيما بعد جوهر الاستراتيجية الذرية (انظر الردع النووي) .

ولقد ادى هذا الوضع الى تطبيق نوع من الاستقرار والامر الواقع ، الا ان التساؤلات عادت الى الظهور من جديد حول طبيعة المتنفس الذي سوف تسلكه التغيرات والتوترات في موازين وعلاقات القوى . وقد امكن الاجابة على هذه التساؤلات تدريجياً من خلال تتابع ومسيرة الاحداث العالمية ، وبدا من الواضح ان اللجوء الى الخيار النووي يعتمد في الاساس على مدى ارتباط تناقض مصالح القوى النووية العظمى . ففي بقاع العالم التي لهذه القوى مصالح حساسة وحيوية فيها (كاوروبا مثلا) ، يتميز الوضع بثباته النسبي واحتوائه على درجة عالية من الردع ، وفي ظل وضع كهذا فإن احتمال حدوث مواجهة بالاسلحة التقليدية وارد طالما ان هناك قناعة بأن الخصم لا يملك الشجاعة لاستخدام اسلحته الذرية ، وهناك احتمال بأن يتم اللجوء الى مواجهات تقليدية سريعة قصيرة الامد ، ولكن اي اعتداء واسع النطاق يواجه خطر التصعيد الشامل او المواجهة الذرية على النطاق التكتيكي في احسن الاحتمالات . اما في تلك البقاع التي تتميز مصالح القوى النووية فيها بالهامشية ، فإن احتمال نشوب صراع مسلح محدود هو الاحتمال المرجح طالما انه لا يؤدي الى صراع مباشر بين هذه القوى (الحرب الكورية ، وحروب الشرق الاوسط ، وحرب فيتنام) ، ذلك ان هذا الشكل من الحرب يسمح بممارسة الصراع دون خطر تصعيده الى مستوى ممارسة الخيار النووي في اغلب الاحوال (انظر الحرب المحدودة) .

وتتميز الحروب التي جرت في كوريا والهند الصينية بأنها حروب ثورية تعتمد تكتيكات الحرب العصابية المختلفة ، وقد اظهرت الاساليب التي اتبعها الثوار فعالية كبيرة في مواجهة القوى التقليدية المتفوقة ، كما اثبتت انها الاسلوب الوحيد الناجح الذي يضمن قدراً كبيراً من حرية الحركة في مواجهة استراتيجية نووية رادعة ، وذلك لاعتماده تكتيك الانتشار في مناطق عمل واسعة ، والتغلغل بين الجماهير ، وعدم التجمع او تمكين القوى المضادة من العثور على اهداف حيوية يمكن استخدام الاسلحة الذرية الاستراتيجية او التكتيكية ضدها ، الامر الذي سيمكن الحروب الثورية الشعبية من الاستمرار والانتصار في ظل العصر النووي طالما ان هنالك تناقض بين مصالح الشعوب ورغبتها في الحياة من جهة ، وبين مصالح الدول الاستعمارية النووية من جهة اخرى .

وبخلاف الاحتمالات سابقة الذكر لنشوب الحروب الذرية ، يبدو هناك احتمال اخير هو خطر نشوب الحرب بين الدول النووية بفعل الصدفة ، او نتيجة الخطأ او الجنون (انظر حرب التوريط) ، او كنتيجة لتصعيد الحرب المحدودة (انظر الردع المتدرج) .

واذا كانت القدرة على الرد هي مفتاح الردع النووي ، فإن القدرة على تخفيف الرد هي مفتاح المبادأة بالهجوم النووي بهدف تحطيم حلقة الردع النووي (انظر الضربة النووية الاولى) . وقد حتم هذا الحوار بين الهجوم والردع ايجاد مجموعة من الاجراءات والاساليب لاستخدامها في تجنب الضربات الذرية وما ينتج عنها من اضرار ، وذلك حتى لا تؤثر هذه الضربات على فاعلية التشكيلات الهجومية او الدفاعية (انظر الحيطة الذرية) . كما مكنت التطورات التقنية في صنع الاسلحة الذرية ووسائل توجيهها ، من تطوير نماذج هجومية ودفاعية من الاستراتيجية الذرية ، تستهدف تدمير اسلحة العدو الذرية بالهجوم على مراكزها قبل ان يبادر هذا العدو الى استخدامها وتوجيه الضربة الاولى (انظر التدمير الوقائي للاسلحة الذرية والتصعيد العفوي) . كما تستهدف تدمير هذه الاسلحة بعد انطلاقها وقبل وصولها الى اهدافها (انظر ملاقاة الاسلحة الذرية واعتراضها) .

ان من اليسير التحدث عن كيفية قيادة معركة ذرية ضد خصم لا يملك اسلحة ذرية ، اذ يكفي للتغلب عليه ان نرمي قذيفة او قنبلة ذرية او اكثر ، على بعض النقاط الهامة لديه كما حدث في الحرب العالمية الثانية . ولكن المسألة تصبح معقدة حينما يملك كلا الفريقين الاسلحة ذاتها . وقد كان للتطورات التقنية الحديثة دور كبير في تطوير الاستراتيجية الذرية والنماذج الهجومية والدفاعية المتفرعة عنها . وكلما اوغلت الحرب في التقنية ، كلما غدا تقدير التأثيرات التي تخلفها الاسلحة امراً صعب المنال ، لان دور العناصر الغامضة التي لا يمكن تبينها وتقديرها يتضاعف . وبالتالي ، فإن من العسير ان نقدر الفرق بين قوتين ذريتين لخصمين ، تقديراً دقيقاً .

ولقد احدثت الاسلحة الذرية منذ اول استخدام لها في الحرب العالمية الثانية ، ردود فعل عنيفة لدى محبي السلام في العالم ، ومطالبات بضرورة السيطرة على انتاج الطاقة الذرية وحظر السلاح الذري ، داخل منظمة الامم المتحدة وخارجها (انظر مراقبة التسلح . ونزع السلاح . واتفاقية حظر التجارب النووية . واتفاقية سولت) . ورغم النجاح الجزئي لهذه الضغوط ، الا انه ليس بمتصور في المدى المنظور قيام مراقبة فعالة للسيطرة على اجراء التجارب وحظر انتاج الاسلحة الذرية .

الصراع الذري في الشرق الاوسط : كان من الضروري ان ينتقل الحوار الذري الى منطقة الشرق الاوسط ، بصفتها ساحة تصطرع فيها القوى النووية العظمى صراعاً غير مباشر ، وبصفتها مسرحاً لحرب محدودة بين دول المواجهة العربية ودولة الكيان الصهيوني ، ومسرحاً لحرب ثورية فلسطينية ضد هذا الكيان . ولكن هذا الحوار نحى منحى آخر في هذه البقعة من العالم ، في المرحلة التي اعقبت حرب تشرين الاول ١٩٧٣ . اذ اخذت تلوح في الافق بشكل جدي ، معقولية قيام احد طرفي الصدام بتملك السلاح الذري ، ومصداقية قيام هذا الطرف باستخدامه ، وخصوصاً بعد ان ادلى « افرايم كاتزير » رئيس دولة الكيان الصهيوني (١٩٧٤/١٢/٢) امام حشد من الكتاب والعلماء بتصويح حول مقدرة الكيان الصهيوني على امتلاك السلاح النووي . ورغم ان هذا التصريح لم يفاجيء الجانب العربي ، لان احتمال ان يكون العدو قد امتلك القنبلة الذرية او انه في سبيله الى امتلاكها مسألة واردة منذ العام ١٩٦٥ على الاقل ولم تمنع الدول العربية من المجابهة ، الا انه أثار ضجة واسعة عربياً وصهيونياً وعالمياً ، خصوصاً وان الجديد في هذا التصريح اظهار استعداد دولة الكيان الصهيوني لانتاج السلاح الذري ، في حين ان التصريحات الرسمية السابقة كانت تشير الى ان المفاعلات الذرية التي يملكها هذا الكيان انشئت لاغراض علمية وسلمية . وهناك العديد من القضايا التي تجعل من الضروري أخذ تصريح « كاتزير » على محمل الجد ، من اهمها : أ) امتلاك العدو لعدد من المفاعلات الذرية ، ومراكز البحث والتدريب على استخدام النظائر والمواد المشعة المتصلة بالعديد من الهيئات الغربية المتخصصة في الولايات المتحدة واوروبا (انظر المفاعلات الذرية الاسرائيلية) ب) اتخاذ العدو لبعض الاجراءات ، ذات الدلالة ، على اثر تصريح « كاتزير » : كتعيين البروفسور « يوفال نيئمان » عالم الذرة ليكون المستشار العلمي لوزارة الدفاع . وقد سبق لهذا العالم ان عمل نائباً لمدير الاستخبارات العسكرية في جيش العدو (انظر الاستخبارات الاسرائيلية) ، وافتتاح مركز جديد للتدريب على استخدام المواد المشعة ، والاعلان عن بعض البرامج الذرية . ج) احتمال امتلاك العدو بالفعل لعدد من القنابل الذرية .

د) امتلاك العدو لوسائط يمكنها ايصال القنابل الذرية الى اهداف عربية : كالصاروخ « اريحا » الذي يصل مداه الى حوالي (٣٠٠) ميل، وطائرات الفانتوم التي بحوزة سلاحه الجوي . هـ) رفض العدو التوقيع على اتفاقية تحريم التجارب النووية رغم توقيع عدد من الدول العربية على الاتفاقية والمصادقة عليها ، وتوقيع عدد آخر من هذه الدول على الاتفاقية مع ربط المصادقة عليها بتوقيع اسرائيل (انظر نزع السلاح) . و) معارضة العدو للاقتراح المصري – الايراني (٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٤) المقدم للجمعية العامة للامم المتحدة ، والذي يقضي بان تمتنع جميع دول منطقة الشرق الاوسط طوعاً عن انتاج واستخدام وشراء اسلحة ذرية .

ولقد جاء تصريح « كاتزير » في ظروف يمكن تحديد ملامحها كالتالي : أ) انهيار معنويات العدو داخلياً وفقدان الثقة بتفوقه العسكري بعد حرب ١٩٧٣ ، ومن هنا يمكن ان يخدم هذا التصريح اغراضاً داخلية تتعلق بمعنويات المستوطنين والجيش باشعارهم ان الدولة قوية وقادرة على حمايتهم . ب) حاجة العدو الى امتلاك قوة ردع في مواجهة الجيوش العربية والرأي العام العربي ، بعد ان فقدت اسلحته التقليدية هذه القوة . ومن هنا يمكن ان يكون لهذا التصريح قيمة عملياتية لمنع الجيوش العربية من اخذ زمام المبادأة في حرب جديدة ، وقيمة استراتيجية بالايحاء انه من غير الممكن القضاء على الكيان الصهيوني ، وقيمة اخرى في اعطائه موقعاً للمساومة عند حدوث اية مفاوضات سياسية . ج) حاجة العدو لتقوية ترسانته التقليدية من الاسلحة ورغبته في الضغط على الولايات المتحدة الاميركية لتقديم الاسلحة المطلوبة ، وذلك عن طريق التهديد بانتاج واستخدام السلاح الذري . د) حاجة العدو لايجاد ضغوط جديدة لشل حركة الاتحاد السوفياتي في المنطقة سواء من ناحية التسليح او الضغوط السياسية عن طريق التهديد باحتمال دخول السلاح الذري ميدان الصراع ، والوصول بهذا الصراع الى مرحلة خطرة يفضل الاتحاد السوفياتي تجنبها . هـ) حاجة العدو الى استعادة هيبته العسكرية والسياسية واشعار العالم انه لا يجب الاستهتار بالكيان الصهيوني او الامعان في تحديه والضغط عليه ، والا تعرض الوضع في المنطقة لخطر التصعيد الى مستوى الحرب الذرية .

ان ادراك هذه الظروف يضع تصريح « كاتزير » في موقع اقرب ما يكون فيه الى عملية ابتزاز عسكرية وسياسية ونفسية يراد بها تحطيم ارادة العرب ، واستعادة العدو لما فقد في حرب ١٩٧٣ . ومن ناحية ثانية ، فإن مصداقية استخدام العدو للسلاح الذري ، في حالة امتلاكه ، ستظل ، في الظروف المعطاة ، مسألة ضعيفة لما يقوم في وجهها من سلبيات بالنسبة اليه والى للولايات المتحدة الاميركية التي تدعمه . وذلك لان استخدامها لن يمنع حالة العداء في المنطقة بل سوف يزيد من استعارها ، كما ان استخدامها او تقوية مصداقية استخدامها يحتّمان على الجانب العربي الحصول على السلاح الذري . وكل ذلك يجعل مصداقية استخدام السلاح الذري من قبل العدو ، كما يرى بعض الاستراتيجيين ، مثل الجنرال بوفر ، غير وارد الا في حالة تعرض حدود الكيان الصهيوني ما قبل ١٩٦٧ الى عمليات اجتياح عسكرية واسعة النطاق، شريطة أن يرافق ذلك عجز الولايات المتحدة الاميركية عن وقف هذا الاجتياح حتى بالتدخل المباشر ، وعدم امتلاك الجانب العربي لأي سلاح ذري ، أما اذا كان الجانب العربي يمتلك هو الآخر السلاح الذري ، فان مصداقية استخدام العدو لسلاحه الذري سوف تتدنى الى أقصى الحدود ، لأن وضعه الجيو– ديموغرافي (تكاثف السكان والمناطق الآهلة على أرض محدودة جداً) سيجعل الضربات الذرية العربية المعاكسة ذات أثر كارثوي عليه .

(٥) الحرب الروسية – التركية (١٧٦٨ – ١٧٧٤)

هي حرب خاضتها روسيا القيصرية التي كانت تحكمها القيصرة كاترين الثانية لمعاقبة الدولة العثمانية بسبب تدخلها في الشؤون الداخلية لبولونيا الخاضعة للروس في تلك الحقبة . وقد حققت القوات الروسية انتصارات كبيرة خلال هذه الحرب ، فاستولت على آزوف ، وشبه جزيرة القرم ، وبلاد الصرب . كما يمكن اسطول روسي بقيادة الاميرال الكسي أورلوف من تدمير الاسطول التركي في « سسمي » بالقرب من الشاطئ التركي (١٧٧٠) ، وذلك بعد رحلة من بحر البلطيق وحول اوروبا الغربية . وانتهت الحرب بمعاهدة « كتشك كينارجي » التي تخلت الدولة العثمانية بموجبها عن شمال القوقاز وآزوف شاطئ اوكرانيا الشرقي وبلاد الصرب . كما نصت المعاهدة على تعهد تركي بعدم اضطهاد المسيحيين القاطنين على ارض الامبراطورية العثمانية والتخلي عن شبه جزيرة القرم .

وقد قاتلت القوات الروسية خلال هذه الحرب تحت قيادة الجنرال روميانستوف الذي كان يعتبر الاعمال الهجومية الوسيلة الاساسية لتحقيق النصر . وكان الترتيب القتالي للقوات الروسية يتألف من ثلاث فرق تنظم كل منها على شكل مربع مع ترك احتياطي مناسب ، وتتمركز الخيالة على الاجنحة وبين المربعات ، كما تتوزع المدفعية على المربعات . اما المشاة الخفيفة فتتمركز في المقدمة . وكانت القوات تتوزع بحيث يكون كل مربع قادراً على خوض المعركة على اضلاعه الاربعة في وقت واحد ، وذلك لمجابهة الخيالة المعادية .

وقد طبق الجيش الروسي خلال حملات ١٧٧٠ نموذجاً واضحاً للهجوم الحاسم ، اذ انتصرت القوات الروسية خلال شهر واحد في ثلاث معارك كبيرة كان آخرها معركة كاجول (١٧٧٠) (انظر كاجول « معركة ») واستمرت القوات الروسية بتكبيد العثمانيين خسائر جسيمة حتى اضطرتهم للاستسلام وطلب الصلح في العام ١٧٧٤ .

(٥) الحرب الروسية – التركية (١٧٨٧ – ١٧٩٢)

هي حرب شنتها الدولة العثمانية لاستعادة شبه جزيرة القرم التي كانت روسيا القيصرية قد سيطرت عليها في العام ١٧٨٣ اثر الحرب الروسية – التركية (١٧٦٨ – ١٧٧٤) . وكانت كل من انكلترا وبروسيا قد حرضت الدولة العثمانية على شن هذه الحرب بهدف اضعاف روسيا التي تزايدت قوتها في عهد القيصرة كاترين الثانية ، بينما دخلت النمسا الحرب كحليف للروس منذ مطلع ١٧٨٨ .

وعلى الرغم من ان السويد استغلت القرار التركي باعلان الحرب لتشن هجوماً في الشمال ، إلا أن القوات الروسية بقيادة الجنرال سوفوروف حققت سلسلة من الانتصارات الباهرة ، كما تمكن الاسطول الروسي من انزال هزيمة كبيرة بالاسطول التركي في البحر الاسود . وانتهت الحرب بمعاهدة « جاسي » التي تخلى العثمانيون بموجبها عن الشاطئ الاوكراني الجنوبي الغربي للروس .

وقد تمكنت القوات الروسية خلال هذه الحرب من انزال سلسلة من الهزائم الكبيرة بالجيوش العثمانية خلال عدة معارك اهمها معركة فوكشاني (١٧٨٩) ، التي استمرت عشر ساعات ، تمكنت خلالها قوات روسية – نمساوية تقدر بسبعة عشر ألف رجل من تدمير جيش تركي بلغ عدده ٣٠ ألف رجل . وفي ايلول (سبتمبر) ١٧٨٩ ، وقعت معركة ريمنيك (انظر ريمنيك « معركة ») حيث تمكن جيش روسي – نمساوي يقدر عدده بخمسة وعشرين ألف

رجل من اجتياح ثلاثة معسكرات محصنة للقوات العثمانية ، يبعد كل منها عن الآخر ٦ – ٧ كم ، وتدمير جيش تركي يبلغ عدده حوالي ١٠٠ ألف رجل .

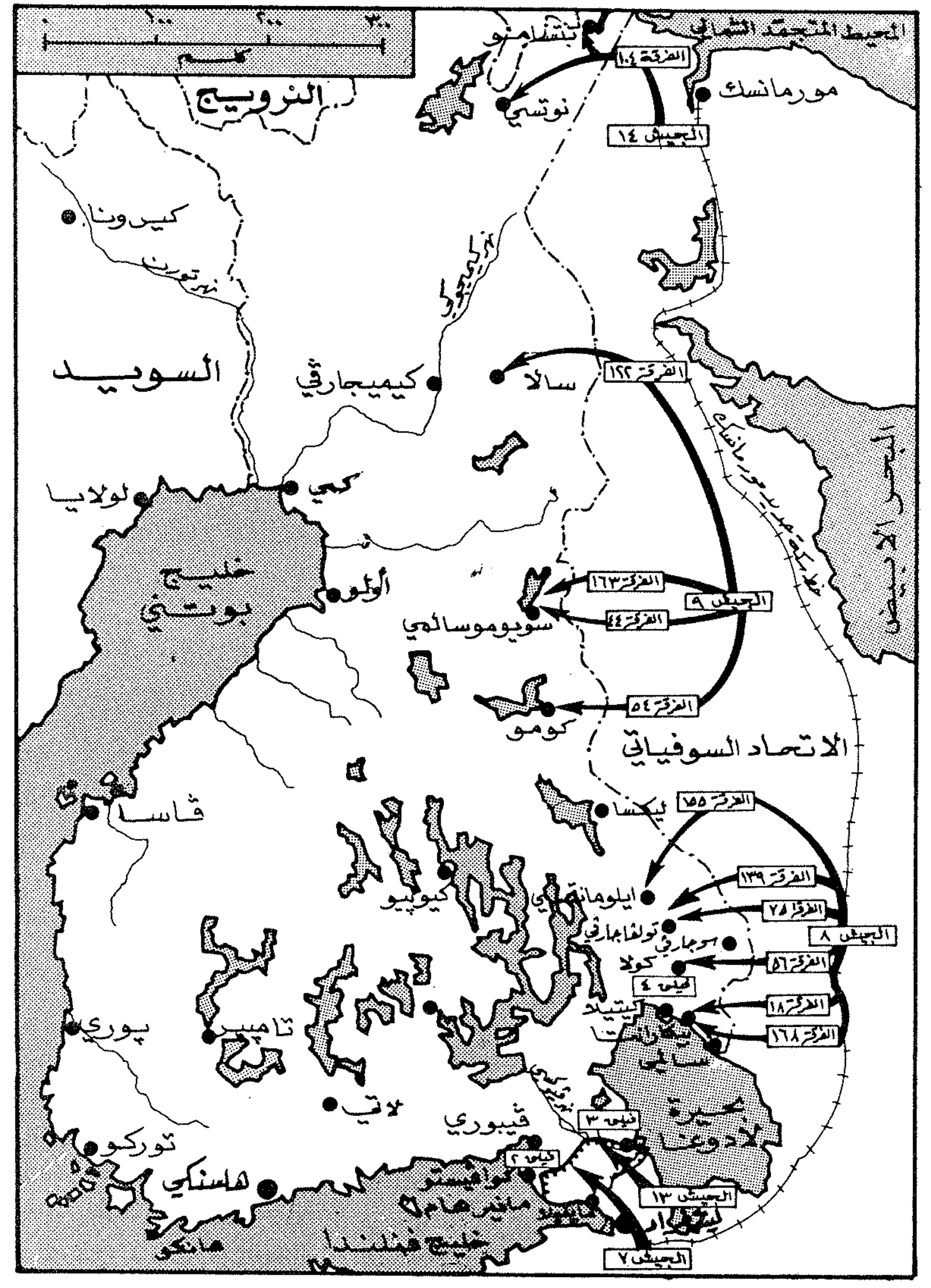
وفي العام ١٧٩٠ ، استطاعت القوات الروسية اقتحام مدينة اسماعيل وتدمير الاسطول التركي وحققت النصر الذي قاد الى توقيع الصلح الذي نالت روسيا بموجبه ممراً الى البحر الاسود (انظر مدينة اسماعيل « معركة ») . ويعتبر احتلال مدينة اسماعيل المحصنة باستخدام اساوب الهجوم المكشوف على القلاع انقلاباً في الاسلوب الذي كان سائداً آنذاك خلال اقتحام الحصون والقلاع ، والقائم على الاعمال الهندسية بالدرجة الاولى .

ويرجع الفضل الاكبر في الانتصارات الروسية في هذه الحرب الى قيادة سوفوروف والتجديدات التي ادخلها على الفن الحربي . ومن اهم ما ساهم به سوفوروف من اجل زيادة كفاءة الجيش الروسي القتالية ، الاهتمام بالتربية وخلق الشجاعة والجرأة والثبات ، بالاضافة الى التدريب في المعركة ، والطابع الهجومي الحاسم ، والسرعة الفائقة نسبياً في التنقل النابعة من تقدير عال لعامل الزمن . ولقد كان سوفوروف قائداً خلاقاً ينفر من الاشكال القتالية الجامدة ، ومجدداً مبدعاً اخذ بتكتيك جديد هو تكتيك الارتال او التكتيك الضارب المبني على الحسمية ، والمناورة العميقة ، وربط النار بضربات الحراب ، والتعاون والتنسيق بين مختلف صفوف القوات

(٨) الحرب الروسية – الفنلندية (١٩٣٩ – ١٩٤٠)

هي الحرب التي اندلعت بين الاتحاد السوفييتي وفنلندا في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٩ وانتهت في آذار (مارس) ١٩٤٠ بهزيمة الفنلنديين .

الحرب الروسية – الفنلندية ، هي إحدى تجارب الحرب التي سبقت الحرب العالمية الثانية . وهي واحدة من ثلاث : الاولى هي الحرب الاسبانية ٣٦–١٩٣٩ ، والثانية الحرب في خالخين – غول (منشوريا) بين القوات السوفييتية واليابانية (١٩٣٩) ، ثم الحرب الروسية – الفنلندية . وكان الجو العالمي المتوتر الذي سبق اندلاع الحرب العالمية الثانية مسيطراً على العالم في تلك الفترة . في العام ١٩٣٨ احتلت المانيا النمسا . وفي النصف الاول من العام ١٩٣٩ احتلت المانيا كلايبر ، وضمت رومانيا وهنغاريا الى الحلف العسكري المشكل مع ايطاليا واليابان ، كما احتلت في آذار (مارس) ١٩٣٩



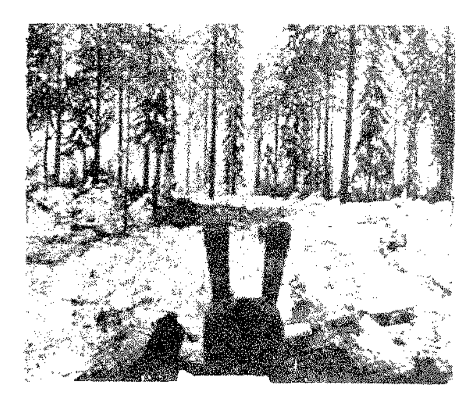
الهجوم الروسي الأول على فنلندة (١٩٣٩)

تشيكوسلوفاكيا بكاملها ، واخذت في المطالبة بفصل ممر دازيغ عن بولونيا وضمه الى المانيا . وقد حاول الاتحاد السوفييتي تنظيم حلف مع انكلترا وفرنسا لضرب المعتدين الالمان ولكن فشل المحاولة دفع الاتحاد السوفييتي لعقد معاهدة عدم اعتداء مع المانيا في آب (اغسطس) ١٩٣٩ . وفي الأول من ايلول (سبتمبر) اعتدت المانيا على بولونيا ، وفي ٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٩ اعلنت انكلترا وفرنسا الحرب على المانيا تضامناً مع بولونيا .

وفي ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٩ ، دفع الاتحاد السوفياتي قواته لاحتلال فنلندا ، معتمداً على تفوقه في الوحدات الميكانيكية والدبابات . وكان الاعتقاد السائد ان فنلندا ستسحق بضربة واحدة سياسية – عسكرية ، وان الحرب لن تستمر سوى فترة قصيرة على نحو ما حدث لبولونيا وغيرها من دول أوربا التي لم تصمد امام حرب الصاعقة الحديثة . وتقدمت القوات السوفييتية (من جنود الخط الثاني) وهي على ثقة بتقرير نتيجة الحرب بسرعة . وكانت

القوات الفنلندية قد نظمت دفاعها على خط مانرهايم وعلى جبهة واسعة ، تمتد بصورة موازية لمورمانسك ولينينغراد (من الشمال الى الجنوب) وقامت القيادة الفنلندية بتوجيه قواتها عبر طرق الغابات المنتشرة في وسط فنلندا وشمالها . وقد نفذت القوات الفنلندية الصغيرة تحركاتها بسرعة ومرونة كبرى ، واستطاعت تدمير القوات السوفييتية المتقدمة ، وإلحاق الخسائر الكبيرة بها وايقاف تقدمها ، واثبتت التحصينات الدفاعية في خط مانرهايم كفاءتها وقدرتها على مجابهة الهجوم ، كما اثبتت القوات السوفييتية ضعفها في عدد من النقاط مثل احتراق الدبابات بسرعة بسبب عمل محركاتها بالبنزين سريع الاشتعال ، وضعف تصفيحها ، بالاضافة الى القصور في تسليح المدفعية السوفييتية . وقد برهنت هذه المعارك الأولى على الكفاءة العالية والتدريب الجيد للقوات الفنلندية ، بالاضافة الى الروح المعنوية العالية ، مقابل ضعف مستوى التدريب في قوات الاتحاد السوفييتي .

وقد ترك فشل الاتحاد السوفييتي في اجتياح فنلندا اصداء بعيدة ترددت في العالم كله . كما تركت شعوراً من الاستياء في اوساط القيادة السوفييتية . فأصدر ستالين أوامره بتعيين تيموشنكو لقيادة الجبهة الكاريلية . وكلفه باقتحام الخط الدفاعي في مانرهايم والاستيلاء على فنلندا . وذلك في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٠ . وعندما وصل تيموشنكو كانت



راصد مدفعية امامي لاحكام الرمي

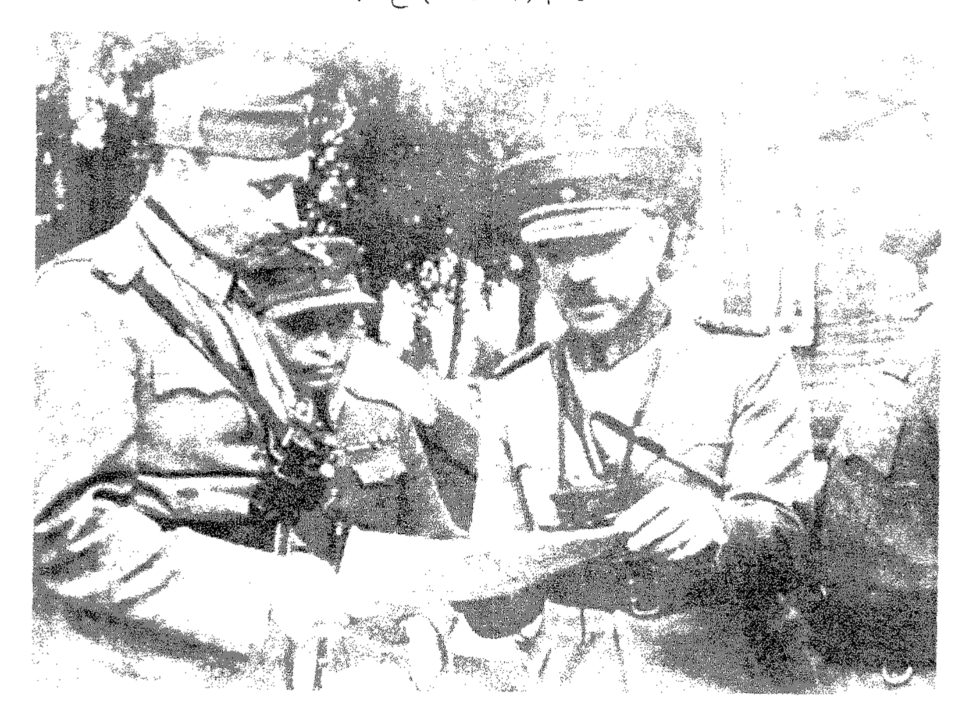


دورية فنلندية مع زحافات تجرها الوعول

الاشتباكات مستمرة في اطار من الاستنزاف دون حدوث معارك حاسمة . وقد عمل تيموشنكو على اجراء استطلاع لمناطق القتال ، والقيام بدراسة موقف الوحدات المقاتلة ، مع اجراء دراسة دقيقة للمواقع الدفاعية الفنلندية في خط مانرهايم . وعندما انهى دراسته بدأ في اعداد الخطة الجديدة للعمليات ، فأمر بصنع نموذج مجسم لتحصينات خط مانرهايم بهدف تدريب القوات ، ووضع مخطط العمليات . وأمر بانشاء المستودعات الضخمة لحفظ الذخائر والمواد التموينية . ثم عمل على إعادة تنظيم القوات . ودفع بأسلحة المدفعية حتى الخط الأول للاشتباك . وتم تحسين خطوط المواصلات . وطلب قوات جديدة . وكانت عملية تدريب القيادات والقوات تنفذ خلال ذلك على النموذج المجسم خلف الخطوط الروسية . واستمر الاعداد للمعركة الحاسمة طوال شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٠ . وعندما انتهت الاستعدادات وأصبح تيموشنكو على ثقة بقدرة القوات على بدء التنفيذ ،حدد موعد استئناف الاعمال الهجومية ضد الجبهة الفنلندية بقوات الجيوش الرابع عشر والتاسع والتاسع والخامس عشر والثالث عشر والسابع . وقد تم تركيز الجهد على جنوب الجبهة وفي منطقة عمل الجيشين السابع والثالث عشر . وأمكن تحقيق التفوق في الوسائط والقوى في هذه المنطقة .

وفي صباح يوم أول شباط (فبراير) ١٩٤٠ ، بدأت المرحلة الثانية من الحرب الروسية الفنلندية ، وقد تم التمهيد للهجوم بكثافة من نيران المدفعية لم يشهد تاريخ الحرب مثيلا له من قبل ، وامكن بواسطة هذا التمهيد إضعاف المقاومة الفنلندية في خط مانرهايم . ثم انطلقت القوات السوفييتية ، وظهر الوجه الحقيقي لها بحيث لم تعد تتوقف عند المقاومات ، ولم تعد تسقط في الكمائن التي كان ينظمها الفنلنديون على نحو ما كان يحدث في المرحلة الأولى من الحرب ، واعطى التدريب الجيد ثماره ، كما ساعد التفوق الساحق في المدفعية على تدمير جميع المقاومات . واحتل الجنود السوفييت الخط الدفاعي « مانرهايم » ، واخذت المقاومة الفنلندية في التراجع امام ثقل الهجوم السوفييتي وقوة صدمته ، وكانت المدفعية السوفييتية تعمل في الليل والنهار بفضل الامداد المستمر والمنظم بصورة جيدة ، ولم يتمكن الفنلنديون بالمقابل من توفير الامدادات لقواتهم . وخلال هذه المرحلة ظهر تنسيق التعاون الجيد بين صنوف الاسلحة السوفييتية ، فكان المهندسون والمشاة يزيلون الموانع ويفتحون الثغرات تحت حماية المدفعية ، ثم تندفع القوات الميكانيكية والدبابات . وقد استخدم المقاتلون

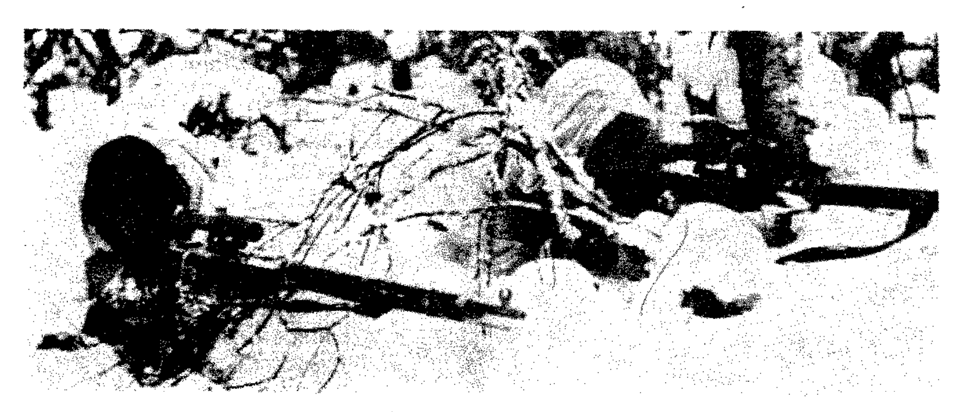
المارشال مانرهايم (إلى اليسار) مع ضباط أركانه



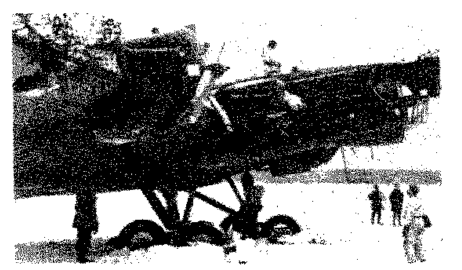
السوفييت الزحافات المقطورة بالدبابات لتأمين السرعة في نقل المشاة ، والوصول بهم الى قلب المعركة . وكانت المدفعية تقدم معاونتها في كثير من الاحيان بالرمي المباشر ، كما كانت تستخدم قذائفها الشديدة الانفجار للرمي أمام الملاجئ المحصنة وفق المخطط الذي تم وضعه خلال مرحلة التدريب على هيكل التحصينات الدفاعية الفنلندية . ونظراً لأن التحصينات الفنلندية كانت مجردة من الستائر الامامية المصنوعة من الاسمنت المسلح ، فقد كانت تتساقط بسرعة امام ضربات المدفعية السوفييتية المركزة ، وتفتح المجال أمام اقتحام المشاة والمدرعات المتقدمة . واخذت الحصون تتساقط واحداً بعد الآخر . في حين استمر تراجع القوات الفنلندية من موقع دفاعي الى موقع دفاعي آخر في الخلف .

وتابعت القوات السوفييتية تقدمهـا كالآلة الضخمة التي تسحق كل عقبة في طريقها . ورغم شجاعة الفنلنديين وتصميمهم على متابعة المقاومة ، فقد اضطروا الى التراجع ، وعجزت قواتهم الاحتياطية الصغيرة عن التحرك بسبب الهجمات المركزة التي نظمتها القيادة السوفياتية ، وسرعة تطوير العمليات السوفييتية ، وبصورة خاصة في شمال بحيرة لادوغا . وفي ٢٥ شباط (فبراير) وبعد معارك مستمرة ومتصلة ، استولت القوات السوفييتية على كويفستا ، وهي المركز الشرقي لخط مانرهايم الدفاعي . فعمل تيموشنكو على نقل ثقل الهجوم ضد فيبوري ، ودفع القوات للتقدم بسرعة فوق الجليد الذي كان يغطي خليج كرونشتادت . وكانت هذه المناورة الجريئة والحاسمة كافية لتطويق الموقع الفنلندي الذي استمر في مقاومته . وفي ٣ آذار (مارس) ١٩٤٠ ، وصلت القوات السوفييتية الى مخارج فيبوري وأصبح موقف الفنلنديين يائساً تماماً ، وظهر عجزهم عن مجابهة القـوات الميكانيكية المتقدمة الى خطوط دفاعهم ، فاضطروا الى الاستسلام ، والقبول بالشروط التي فرضها الاتحاد السوفييتي . وتم التوقيع على الاتفاقية في يوم ١٢ آذار (مارس) ١٩٤٠ . وتوقف القتال بعد مائة يوم تقريباً من بدء الحرب .

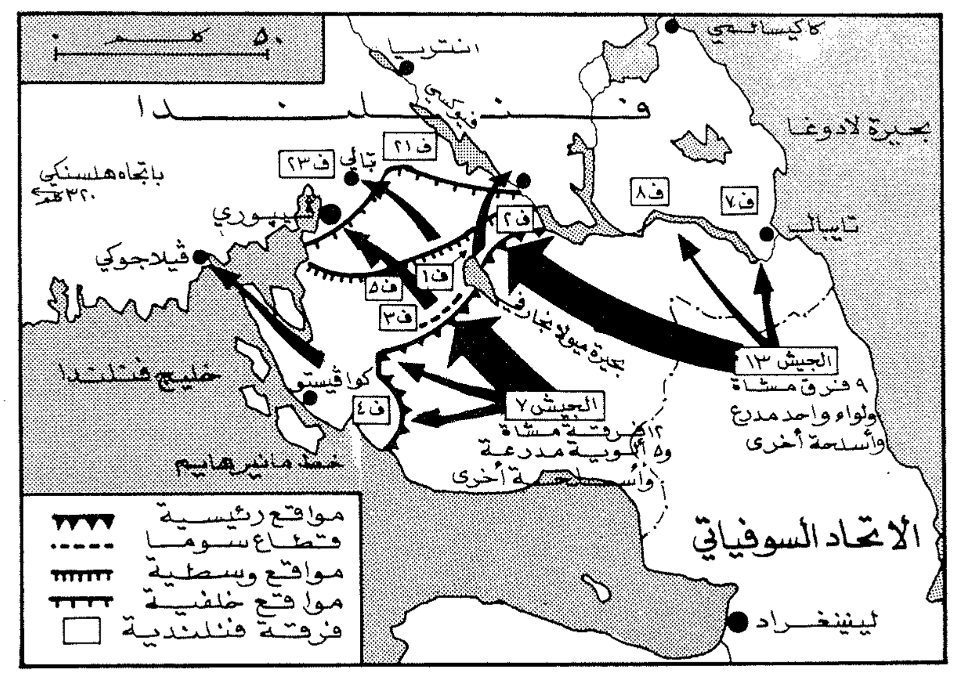
وقد تميزت المرحلة الثانية من الحرب ؛ من ١ شباط (فبراير) حتى ١٢ آذار (مارس) ، بتنظيمها الجيد والمتوافق مع معطيات الحرب الحديثة . ويعود فضل النجاح فيها ، بالدرجة الأولى للقيادة الجيدة ، والتنظيم الكبير الذي وضعه وأشرف عليه تيموشنكو. ولقد حصل الجيش الاحمر خلال الحرب السوفييتية — الفنلندية على خبرة في خوض العمليات الهجومية على مستوى الجبهة ، وفي خرق المناطق المحصنة . ونفذت


قام القناصة الفنلنديون بدور كبير في تأخير تقدم السوفيات


وحدة هاون مموهة وسط الثلوج


نزول طائرات الإمداد على مطار ثلجي

الخرق السوفياتي الحاسم في برزخ كاريلي (١٩٤٠)



القوات السوفييتية هجومها في ظروف الشتاء المثلج ، وعلى الأراضي المرزغية التي تكثر بهـا القنوات والمستنقعات . ومارست قوات المشاة والمدفعية الدور الاساسي في اختراق الدفاع المحصن المعادي . وقام الطيران والاسطول الحربي بدعم هجوم القـوات البرية ، اما الدبابات والقوات الميكانيكية ووحدات المظلات فانها لم تستخدم على نطاق واسع في هذه الحرب . وقد استخدم مبدأ حشد القوى والوسائط على الاتجاه الحاسم بشكل واضح في العمليات الهجومية التي حصلت خلال مسيرة القتال . إذ قد حشد ٦٠ ٪ من المشاة و ٦٥ ٪ من مدفعية الجبهة الشمالية الغربية على اتجاه الضربة الرئيسية (محور الجهد الرئيسي) عند اختراق خط مانرهايم المحصن ، الأمر الذي حقق كثافة قدرها ثلاثة كتائب وخمسون مدفعاً في كل كيلومتر من الجبهة . ولقد استنتج من ذلك ان هذه الكثافة غير كافية لاختراق الدفاع المعادي بايقاع سريع ، إذ لم يتجاوز عمق العملية الهجومية ٤٠ كيلومتراً بسبب الظروف الخـاصة بمنطقة الاعمال القتالية وأبعادها المحدودة . كما افاد الاتحاد السوفييتي من تجربة الحرب الروسية – الفنلندية ، فألغى استخدام الدبابات الخفيفة العاملة بوقود الطائرات (البنزين والكازولين) ، وطور تسليح مدفعيته ، وتبع ذلك تطور مماثل في التنظيم القتالي ، وزج القوات المتتابع ، والاحتفاظ بقوة احتياطية .

ولقـد فتحت الحرب الروسية – الفنلندية ، والاحقاد التي رافقتها المجال لثورة عامة بدأت في حزيران (يونيو) ١٩٤١ ، حيث انضمت فنلندا لالمانيا ، وزجت في الحرب ضد الاتحاد السوفييتي خمس فرق وجيشين فنلنديين يضمان ٢٢ فرقة دعمت القوات الالمانية عند هجومها على الاراضي السوفييتية (انظر بارباروسا «حملة») .

(٥) الحرب الروسية – السويدية او حرب الشمال (١٧٠٠–١٧٢١)

هي حرب خاضتها روسيا القيصرية بقيادة بطرس الاول الكبير من اجل الحصول على منفذ حيوي على بحر البلطيق ، ومن اجل استعادة الاراضي الروسية التي احتلتها السويد في القرن السابع عشر . وقد دارت هذه الحرب التي تعرف ايضاً باسم حرب الشمال الكبرى في نفس الحقبة الزمنية لحرب الوراثة الاسبانية التي شغلت اوروبا الغربية والوسطى في مطلع القرن السابع عشر . وكانت السويد في عهد ملكها كارل الثاني عشر (حكم من سنة ١٦٩٧ الى سنة ١٧١٨) قد حاولت بسط سيطرتها على اوروبا الشمالية . إلا ان الروس تمكنوا من تحقيق النصر بعد قتال امتد عبر حقبة طويلة من الزمن . وانتهت الحرب بمعاهدة « نيستادت » (١٧٢٠) التي سلمت فيها السويد مقاطعتي « ليتونيا » و « استونيا » الى الروس .

تقسم هذه الحرب الى ثلاث مراحل رئيسية : **المرحلة الأولى** (١٧٠٠ – ١٧٠٦) ، وقاتلت فيها بولونيا الى جانب روسيا . ولقد بدأت الحرب بانتصار سويدي في معركة « نارفي » . ثم اعقب ذلك الانتصار سلسلة اعمال هجومية قام بها الروس ، تمكنوا على اثرها من تحرير عدد من المدن على شاطىء الخليج الفنلندي . وهكذا تمكن الروس من الحصول على منفذ الى البحر إبان هذه المرحلة ، وبدأوا بتشييد مدينة « بطرسبورغ » (لينينغراد حالياً) على مصب نهر « نييفا » في العام ١٧٠٣ . اما **المرحلة الثانية** (١٧٠٦ – ١٧٠٩) ، فقد اتسمت بهجوم سويدي في عمق الاراضي الروسية ، لم يتوقف إلا بعد معركة « بولتافا » التي تحطم فيها الجيش السويدي (١٧٠٩) ، وكانت من المعارك الفاصلة في هذه الحرب الطويلة ذات الطابع الاستنزافي . وانتقل الروس الى الهجوم مجدداً خلال **المرحلة الثالثة** (١٧١٠ – ١٧٢١) ، حيث حسموا الصراع لصالحهم في بحر البلطيق وفنلندا ، ومن ثم انتقلوا للقتال على الاراضي السويدية . وحققوا النصر النهائي هناك .

ويعتبر النصر الروسي في هذه الحرب من العوامل التي ساهمت في تغيير مجرى التاريخ في اوروبا . اذ كانت السويد تعتبر ، قبل نشوبها ، من اقوى الدول الاوروبية .

كما كانت تملك جيشاً قوياً ومدرباً وصل عدده احياناً الى ١٥٠ ألف رجل ، بالاضافة الى اسطول بحري كبير . وقد اعتمد السويديون بقيادة الملك كارل الثاني عشر استراتيجية تدمير العدو على دفعات ، واضعاف جبهته عن طريق دق اسفين في تحالفاته ، وبهذه الطريقة تم اخراج الدانمارك حليفة روسيا من دائرة الصراع منذ بدء الحرب . وبعد ذلك حاول السويديون اخراج بولونيا التي شاركت في القتال الى جانب الروس خلال المرحلة الاولى من الحرب .

اعتمد السويديون في قتالهم التكتيك الخطي ، فكانت المشاة تتوزع على خطين او ثلاثة خطوط ، لتنقض بالحراب بعد المعركة النارية . اما الخيالة فقد كانت تستخدم السلاح الابيض لتسديد ضربتها .

ولقد صممت استراتيجية الجيش الروسي لتخدم سياسة الدولة المتجهة نحو تحقيق المصالح الحيوية لروسيا . واتسمت هذه الاستراتيجية بالحسم في تحقيق اهداف الحرب ، والمرونة في اشكال الصراع المسلح . وقد استهدفت تدمير القوى البشرية للعدو لا التأثير على خطوط مواصلاته . ولذا احتلت المعركة الدامية المباشرة المكانة البارزة في استراتيجية القادة الروس الذين لم يعتبروا المناورة على خطوط مواصلات العدو (التقرب غير المباشر) عاملا حاسماً لتحقيق النصر . ولقد تأثرت الاستراتيجية الروسية بفكر بطرس الاول الذي كان يقول: « قاتل العدو في ارضه لا في ارضك » . ومن هنا كان الطابع الهجومي غالباً على عمل العسكريين الروس الذين ازلوا قواتهم في الاراضي السويدية . ومن هنا ايضاً جاء تركيز القوات وحشدها على الاتجاه الحاسم وعدم بعثرتها خلال مختلف مراحل الحرب .

استخدم الروس في عملياتهم القتالية انماطـاً استراتيجية عديدة ، مثل تدمير العدو على دفعات وشن ما يعرف « بالحرب الصغيرة » التي كانت تقوم بها بعض الوحدات العاملة في مؤخرة العدو وعلى خطوط مواصلاته . واحتلت مسألة التموين موقعاً هاماً في أولويات القادة الروس الذين نظموا قواعد تموينية خاصة بالاضافة الى اعتمادهم على المصادر المحلية في الاراضي المحتلة . وكانت القوات تملك احتياط شهر من المؤن في معظم الاحيان . وكانت القوات الروسية القريبة من العدو تتمركز في معسكرات بحيث تكون جاهزة للمعركة في أية ساعة . اما القوات البعيدة فكانت تتمركز في المناطق السكنية .

ولقد أمنت القيادة العسكرية الروسية تعاوناً دقيقاً بين الاسطول والقوات البرية . واتصفت الاعمال الحربية في البحر كما في البر بالحسم . وقد بنى بطرس الاول سلسلة من القواعد البحرية التي أمنت الحماية الكاملة للمياه الاقليمية الروسية على بحر البلطيق ومدخل الخليج الفنلندي .

وجاء التكتيك القتالي الروسي لينسجم مـع الاستراتيجية العسكرية كما حددها بطرس الاول وقادته العسكريون . وبما ان المعركة اعتبرت الوسيلة الحاسمة للحرب ، فقد اعطيت اهمية بالغة . وكانت ترتيب القتال الخطي معتمداً من قبل القادة الروس . وكان الشكل الاساسي لترتيب المعركة حسب نظام قتال ١٧١٦ يعتمد على المبادىء التالية : وضع المشاة على خطين يتكون كل منهما من اربعة صفوف ، ووضع المدفعية في الامام وعلى امكنة مرتفعة ان توفرت في ساحة المعركة . اما الخيالة فكانت تحتل الاجنحة . وكان القائد يحتفظ بقوة احتياطية توضع على الخط الثالث . وكان هذا الشكل الاساسي مرناً

تختلف فيه اعداد القوات في الخطوط القتالية ومواقع المدفعية باختلاف الحالة الملموسة وتطورات الموقف قبل المعركة .

وكانت القوات في جميع الصفوف والوحدات ترمي برشقة تطلق في وقت واحد . كما اصبح الانتقال الى الهجوم بالحراب بعد اطلاق الرشقة النارية قاعدة عامة للمشاة . اما الخيالة ، فقد اصبح الهجوم بالسلاح الابيض وسيلتها الاساسية في المعركة .

من هنا جاء تبدل ترتيب المشاة والخيالة كتلبية لحاجات التكتيك ومتطلباته . اذ ان الجيش الروسي كان اول من استخدم الحربة كأداة هجومية فعالة ، في حين كانت تستخدم في جيوش الغرب كأداة دفاعية . ولقد استخدم الروس التحصينات الميدانية كوسيلة قتالية هامة لم تكن معروفة في ظروف التكتيك الخطي ، وذلك لاول مرة في معركة بولتافا (١٧٠٩).

كما امتازت القوات الروسية إبان هذه الحرب بازدياد التعاون بين مختلف اسلحتها وتحسن مناورة القوات حتى بالنسبة الى المدفعية . حتى ان المدفعية الخفيفة كانت تتحرك مع المشاة لترمي العدو بنيران قذائف المنثار .

(٨) الحرب الروسية ــ اليابانية (١٩٠٤ ــ ١٩٠٥)

كانت اسباب الحرب الروسية – اليابانية تتمثل في التنافس الروسي – الياباني على منطقة الشرق الأقصى بعد توسع روسيا القيصرية الى الشرق . وكان هذا التوسع يستهدف ضم كوريا وضرب زخم الامبريالية اليابانية . وقد عرف اليابانيون أن قوتهم لن تكون قادرة على مجابهة القوات الروسية عندما ينتهي اصلاح قطع خط حديد سيبيريا عند بحيرة بايكال . ولهذا اتخذوا قرارهم بضرب الروس ، طالما أن الموقف الاستراتيجي يمنحهم بعض المميزات . خاصة وان تعزيز القطعات الروسية في منشوريا سيكون بطيئاً طالما بقي الخط الحديدي الروسي متوقفاً عن العمل . وكان ميناء فلاديفوستوك مغلقاً بالجليد طوال فصل الشتاء على عكس ميناء بورت آرثر Port Arthur فإذا ارسل الاسطول الروسي في البلطيق الى الشرق الأقصى فانه لن يتمكن من التصرف بقاعدة عمليات خالية من الجليد اذا فقد الروس بورت آرثر . وهكذا كانت خطة اليابانيين ترتكز في أساسها على انتزاع بورت آرثر من قبضة الروس ، ثم حشد قواتهم البرية كلها فيما بعد لخوض معركة كبرى يمكن من خلالها اقناع الروس بانهاء الحرب بعد تكبيدهم خسائر فادحة .

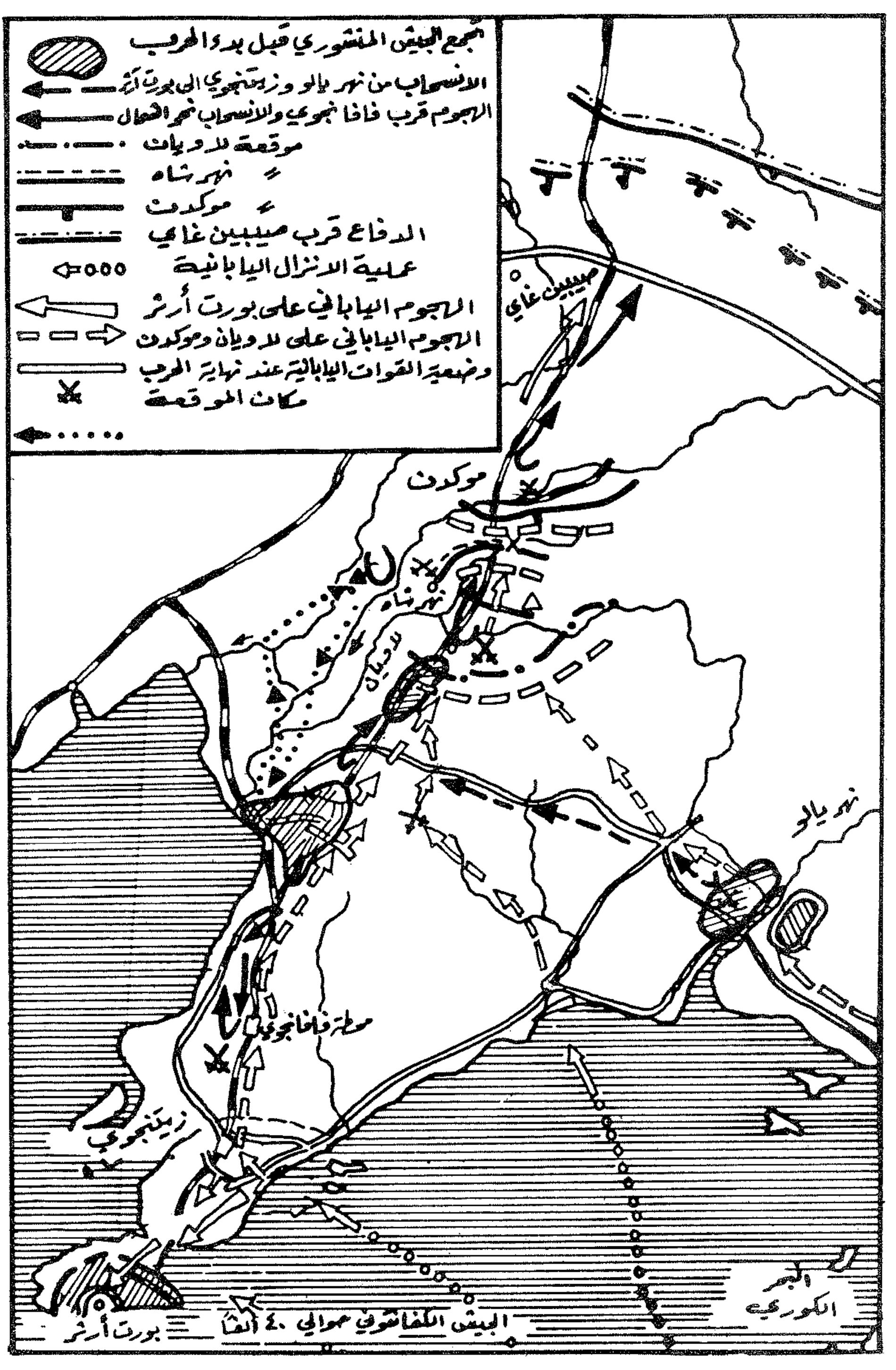
وكانت اليابان اكثر استعداداً للحرب من روسيا ، فقد كانت تملك صناعة متطورة ووسائط مواصلات جيدة ، وعدا ذلك فقد عملت كل من انكلترا والولايات المتحدة الأمريكية على دعم اليابان خوفاً من التوسع الروسي في منطقة الشرق الأقصى . واستطاعت اليابان بمساعدة انكلترا والولايات المتحدة تشكيل اسطول حربي قوي مؤلف من ١٧٠ مركباً حربياً و ٢٦٢ مركب نقل . كما شكلت جيشاً كبيراً يزيد على ٣٧٠ ألف رجل في أيام السلم . وكانت قواعد الاسطول الياباني قريبة من مناطق الأعمال القتالية . وهكذا كانت القيادة اليابانية قادرة على ارسال الجيوش والعتاد الى منطقة الأعمال القتالية عن طريق البحر فقط . ولذلك فقد مارس موضوع التفوق البحري والتعاون بين القوات البرية والاسطول الحربي دوراً كبيراً في هذه الحرب . ويعتبر التأخر الاقتصادي الروسي وقصر نظر الحكومة القيصرية سبباً لاستعداد روسيا السيء للحرب . وقد قدرت القوات الروسية الموجودة في منطقة الشرق الأقصى عند بداية الحرب بحوالي مائة ألف رجل و ١٦٨ مدفعاً و ٦٣ مركباً حربياً . وكانت هذه القوات موزعة على مساحات واسعة ، كما كانت تتصف بتسليحها السيء ، وكان تنظيم الاستطلاع فيها يتم بشكل متقطع ورديء الأمر الذي ترك القيادة الروسية دون معلومات صحيحة عن حجم القوى اليابانية ونوايا قياداتها . وعلاوة على ذلك فقد كانت الخطة الاستراتيجية الروسية تحمل الطابع السلبي ، اذ قررت القيادة اللجوء الى الدفاع لفترة طويلة تقدر بسبعة أشهر ريثما يتسنى لها حشد القوات فيما بعد للانتقال الى الهجوم . ولم تكن خطط عمل الاسطول الحربي الروسي والقوات البرية الروسية منسقة بعضها مع بعض . أما الخطة الاستراتيجية اليابانية فكانت تعتمد على الهجوم المباغت بضرب القوة الرئيسية للاسطول الروسي في بورت آرثر للحصول على السيطرة البحرية والانفراد بميزة حرية العمل لإنزال الجيوش البرية على الشاطىء واحتلال شبه جزيرة (لياوتونغ) ومنشوريا . ثم انتظار وصول القوات البرية الروسية الرئيسية والاشتباك معها وتدميرها .

بدأت الحرب الروسية – اليابانية بصورة غير رسمية في ٨ شباط (فبراير) ١٩٠٤ ، عندما وجه الاسطول الياباني ضربة قوية ومباغتة للاسطول الروسي المتمركز في منطقة بورت آرثر سببت تدمير ٣ قطع بحرية روسية . وفي ١٩ شباط (فبراير) ١٩٠٤ ، اعلنت الحرب بصورة رسمية .

المرحلة الأولى :

وتتضمن هذه المرحلة تدمير الاسطول الروسي في ميناء بورت آرثر . ولقد تمكنت القيادة اليابانية في بداية هذه المرحلة من دفع جيوشها البرية الى كوريا ومنشوريا دون عائق تقريباً . ولم يستطع الاسطول الروسي في المحيط الهادي القيام بأعمال قتالية نشيطة الا في شهر آذار (مارس) . ولكن هذا النشاط الذي جاء في أعقاب تغيير ادميرال الاسطول لم يستمر طويلا . وتوقف نشاط الاسطول الروسي توقفاً تاماً مع مصرع قائد الاسطول الروسي (الادميرال مكاروف) في ١٤ نيسان (أبريل) ١٩٠٤ . وانزلت اليابان أربعة جيوش الى البر توجه ثلاثة منها للعمل ضد الجيش الروسي العامل في منشوريا في منطقة لاويان ، وتوجه الجيش الرابع ، الذي نزل في ميناء تاي – لان ، الى محاصرة بورت آرثر ، وبلغ تعداد القوات اليابانية حوالي ١٧٥ ألف رجل ومعهم ٩٠٠ مدفع . وكان تعداد حامية الميناء الروسية ٣٠ ألف رجل و ٦٠٠ مدفع . ولقد حاول الاسطول الروسي في المحيط الهادي الخروج من بورت آرثر مع بداية شهر آب (أغسطس) ١٩٠٤ بغية التوجه نحو فلاديفوستوك ، لكنه فشل في محاولته حيث هاجمه الاسطول الياباني وأغرق بعض قطعه الأمر الذي دفع القطع الأخرى الى الفرار واللجوء الى الموانىء المحايدة ، أو العودة نحو قاعدة الانطلاق في ميناء بورت آرثر . وفي النصف الثاني من آب (اغسطس) ، حاول اليابانيون اقتحام بورت آرثر بشكل مباغت ، ولكن القوات الروسية المدافعة عن الميناء نجحت في صد الهجوم الياباني بعد معركة استمرت ستة أيام تكبدت القوات اليابانية خلالها خسائر فادحة جداً نظراً لهجومها في ترتيبات قتالية متراصة . واستطاعت القوات الروسية المدافعة عن بورت آرثر أن تخرج من المعركة ما لا يقل عن ١٥ ألف جندي وضابط ياباني . وأنهت القوات الروسية العاملة في منشوريا انتشارها حتى نهاية شهر آب (أغسطس) ١٩٠٤ . وتوقفت على مقربة من مدينة لاويان . وفي ٢٤ آب (أغسطس) بدأت الجيوش اليابانية هجومها ضد القوات الروسية قرب لاويان . وكانت الخطة اليابانية تستهدف مهاجمة الجيش المنشوري من كلا الجانبين ثم تطويقه وتدميره ، وفي الحقيقة كانت هذه الخطة بعيدة عن الواقع ، إذ أن القوات الروسية كانت متفوقة من حيث العدد ، كما كانت تحتل خطوطاً دفاعية محضرة جيداً . واستمرت موقعة لاويان مدة أحد عشر

يوماً، صدت القوات الروسية خلالها جميع الهجمات اليابانية، واستطاعت المحافظة على مواقعها الدفاعية، ومع ذلك فان القائد العام للجيش الروسي (الجنرال كوراياتكين) لم يقدر الموقف بشكل صحيح، وأمر القوات دون أي سبب بالانسحاب نحو الشمال في الوقت الذي كان فيه اليابانيون يستعدون للانسحاب بعد ان تكبدت قواتهم خسائر ضخمة. وهكذا انسحب الجيش الروسي الى منطقة موكدن. ثم قررت الحكومة الروسية متابعة الهجوم في ٥ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٠٤، وبلغ عدد افراد الجيش الروسي في ذلك الوقت قوة ٢١٠ آلاف مقاتل تقريباً و ٧٥٨ مدفعاً، في حين كان عدد افراد الجيش الياباني ١٧٠ ألف رجل و ٦٤٨ مدفعاً. وقد تم تنظيم الهجوم الروسي بشكل سيء جداً، كما كان تنفيذه بطيئاً، بحيث لم تتوفر له ظروف الحسم في الصراع. وفي ١٠ تشرين الأول (اكتوبر) انطلق الجيش الياباني بدوره في الهجوم المعاكس مما سبب وقوع بعض المعارك التصادمية على بعض الاتجاهات. وبما أن كلا الطرفين لم يكن مستعداً لخوض مثل هذا النوع من المعارك فقد تحولا سريعاً الى الدفاع على امتداد نهر شاه. واتخذ الصراع من قبل الجانبين طابعاً دفاعياً ثابتاً. وتكونت لديهما جبهة دفاعية متصلة وثابتة، ذات امتداد يتجاوز الـ ٦٠ كم. وانتظر الطرفان التعزيزات لتقوية الدفاع ودعمه خوفاً من هجوم الطرف الآخر. وحضرت القوات الروسية موضعين دفاعيين: الموضع الرئيسي وموضع المؤخرة. وقد تألف الموضع الرئيسي من ثلاثة أو أربعة خطوط من الحفر المتقطعة ومن بعض المنشآت الدفاعية الترابية ومن الحواجز المختلفة. وبلغ العمق العام للموضع الرئيسي حوالي ٤ كم وحفر موضع المؤخرة على مسافة ٣٠ كم من الموضع الرئيسي. وكانت كثافة القوات في الدفاع عالية، اذ بلغت حتى ٢,٦ كتيبة مع ٩ مدافع في الكيلومتر الواحد، وقد تحولت نيران المشاة والمدفعية الى الوسيلة الاساسية للدفاع. كما اتخذ المدافعون عن بورت آرثر الكثير من التدابير الجديدة، فقطعوا كافة الممرات المؤدية الى المدينة بتحصينات دفاعية مختلفة، وقسمت المدينة الى مناطق وقطاعات دفاعية. كما غطيت بعض الاتجاهات الهامة بشبكة من الاسلاك الشائكة المحملة بطاقة كهربائية ذات جهد مرتفع، واستخدمت الهاونات لأول مرة من قبل القوات المدافعة عن مدينة بورت آرثر، كما استخدمت الأنوار الكشافة عند صد الهجمات الليلية المعادية. وتكبدت القوات اليابانية المهاجمة خسائر فادحة (اكثر من ٥٠ ألف

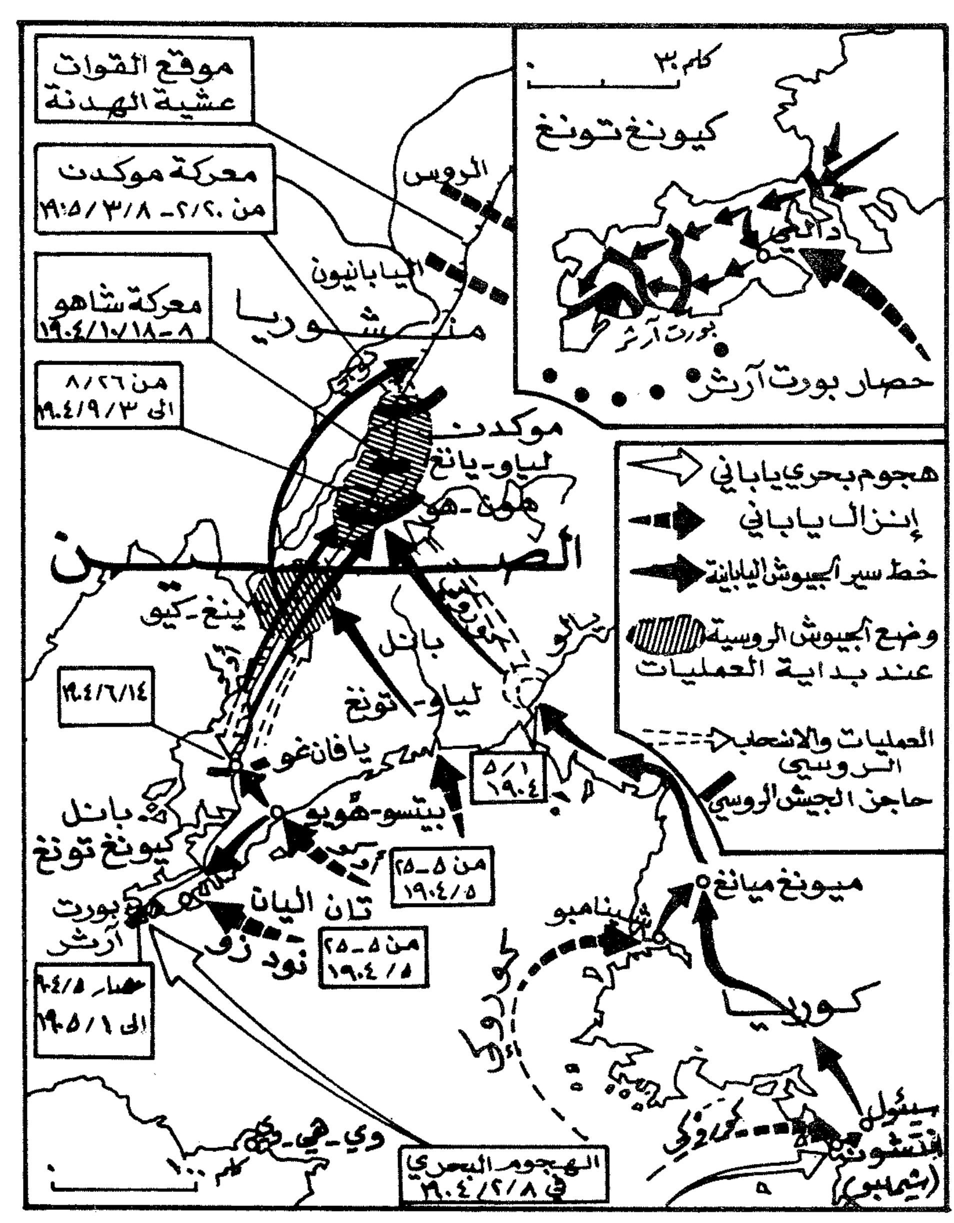


الحرب الروسية - اليابانية، الحركات في العام (١٩٠٤)

رجل) من نيران الرشاشات والبنادق والمدفعية الروسية، وصدت القوات الروسية المدافعة بقيادة الجنرال كوندراتنكو جميع الهجمات اليابانية المتفوقة التي لم تستطع احتلال الميناء في ٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ الا بسبب تخاذل الجنرال ستيسل الذي استلم القيادة بعد مصرع الجنرال كوندراتنكو.

المرحلة الثانية:

بعد سقوط بورت آرثر حشدت القيادة اليابانية قواتها كلها ضد القوات الرئيسية للجيش الروسي المتمركز جنوب موكدن على جبهة طولها حوالي



الحرب الروسية – اليابانية ، الحركات في العام (١٩٠٥)

١٥٥ كم . وكان الجيش الروسي في منشوريا يتألف من ثلاثة جيوش ميدانية هي الجيش الأول والثاني والثالث . وبلغ تعدادها جميعاً أكثر من ثلاثمائة ألف مقاتل معززين بـ ١٢٦٦ مدفعاً و ٥٦ رشاشاً . أما الجيوش اليابانية فقد بلغت ٢٧٠ ألف رجل مع ١٠٦٢ مدفعاً ومائة رشاش ، وانتشرت على جبهة ١١٠ كم . وقررت القيادة اليابانية تدمير الجيش المنشوري الروسي قرب موكدن ، مستفيدة من سلبية قيادة هذا الجيش وترددها . وحسب فكرة القيادة اليابانية كان على القوات اليابانية ان تهاجم القوات الروسية من الأجناب ، ثم تعمل على تطويقهـا وتدميرها . وكانت هذه الفكرة مبنية على المغامرة في الأساس ، اذ أنها لم تأخذ بعين الاعتبار النسبة الحقيقية للقوى وعدم توفر الاحتياطات العملياتيه الكافية لدى اليابانيين . وانطلقت القوات اليابانية في الهجوم بتاريخ ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٠٥ ونظراً لسوء القيادة لدى القوات الروسية اضطرت هذه الى التخلي عن موكدن في ٨ آذار (مارس) ، والانسحاب الى المواضع الدفاعية المحضرة في منطقة صيبين غاي .

لوحظ في موقعة موكدن الكثير من الصفات والعلائم التي أشارت الى ظهور العملية على مستوى الجبهة أو عملية الجبهة . فقد اشترك في هذه الموقعة ثمانية جيوش ، بلغ تعدادها حوالي ستمائة ألف رجل و ٢٣٠٠ مدفع . كما انتشرت الأعمال القتالية على امتدادات شاسعة تجاوزت مسافة مائة وخمسين كيلومتراً في الجبهة ، وخمسين كيلومتراً في العمق . واستمرت الموقعة طوال سبعة عشر يوماً خسر الروس خلالها تسعين ألف مقاتل ، بينما وصلت خسائر اليابانيين الى واحد وسبعين ألفاً . وظهر خلال الموقعة ان القيادة العسكرية لدى الطرفين كانت عاجزة عن قيادة القوات في مثل هذا المستوى الكبير . وقد عجزت القيادة اليابانية عن تحقيق الأهداف الموضوعة لتدمير الجيش الروسي اذ لم تستطع ان تفعل اكثر من دفع هذا الجيش الى الشمال دون تدميره ، وكانت الخسائر الكبيرة التي تكبدها الجيش الياباني عائقاً له عن متابعة الأعمال القتالية الفعالة .

المرحلة الثالثة :

توقفت الأعمال القتالية النشيطة لدى الجانبين بعد موقعة موكدن وقررت الحكومة القيصرية تغيير مجرى الحرب بدفع اسطول حربي من بحر البلطيق إلى المحيط الهادي ، يضم ١٢ دارعة و ٨ طرادات و ٩ زوارق طوربيد ، بقيادة الاميرال رودجيستفنسكي وبعد رحلة بحرية طويلة دامت ٨ أشهر اصطدم هذا الاسطول في ٢٧ أيار (مايو) مع الاسطول الياباني (١٢ دارعة و ١٦ طراداً و ٦٥ زورق طوربيد) بقيادة الاميرال توغو عند مدخل المضيق الكوري وعلى مقربة من جزيرة تسوشيما . وكان الاسطول الروسي يسير بثلاثة أرتال عندما هاجمه اليابانيون . وبعد عدة ساعات تبعثرت الأرتال البحرية الروسية بسبب دقة رماية الزوارق الحربية اليابانية ، وأخرجت الدارعات الأربع السائرة في المقدمة من القتال . وفي اليوم الثاني تابع اليابانيون الهجوم فاستسلمت المراكب الروسية ، وأسر الامـيرال رودجيستفنسكي بعد أن جرح على ظهر زورق طوربيد ، ولم ينج من المراكب الحربية الروسية سوى الطرادات التي استطاعت الانسحاب تحت قيادة إنكيست . وكان انتصار تسوشيما الذي لم يفقد فيه اليابانيون أي مركب ، انتصاراً ساحقاً جعل القيادة الروسية تفقد الأمل بالانتصار .

وبعد توسط فرنسة وبريطانيا والولايات المتحدة وقع اليابانيون والروس اتفاقية هدنة ، تلتها معاهده سلام بورتسماوث في ٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٠٥ التي قبلت روسيا بموجبها اخلاء منشوريا والتنازل عن شبه جزيرة لياوتونغ لليابان ، وعن نصف جزيرة سخالين ، واعترفت لها بالنفوذ في كوريا . وانتهت هذه الحرب التي كلفت الروس ٢٤٠ ألف رجل ، وكلفت اليابانيين ١٩٠ ألفاً .

اظهرت الحرب الروسية – اليابانية (١٩٠٤ – ١٩٠٥) كثيراً من الدروس المستفادة التي كان لها أثر كبير في تطوير فن الحرب . وتأكد خلالها بشكل واضح النمو المتزايد للعوامل المعنوية والاقتصادية . وقد اكدت هذه الحرب انه عند استخدام الجيوش الكثيفة المجهزة بكميات كبيرة من المدفعية والرشاشات والبنادق وبوسائط اشارة ذات مدى بعيد (هاتف ، راديو ، تلغراف) فان الأعمال القتالية تنتشر على مساحات واسعة وتبتعد تماماً عن مفهوم الموقعة واطارها . كما اكدت بشكل موضوعي تكون الكثير من عناصر عملية الجيش وعملية الجبهة . وقد حاول كلا الطرفين استخدام اسلوب الالتفاف على اجناب الطرف الآخر للوصول الى مؤخرته ، الأمر الذي دفع الطرف الآخر (المدافع) الى تشكيل احتياطات عملياتية والى تحضير مواضع دفاعية في المؤخرة لتلافي مناورة العدو الجانبية ، وبهذا الشكل امتلك الدفاع عمقاً عملياتياً . ولقد امتدت المواضع الدفاعية على طول عشرات الكيلومترات وكانت تتألف من حفر متقطعة ومن ملاجيء ومن اسلاك شائكة وغيرها من الحواجز المختلفة . كما تم تنظيم جهاز النـــار الذي استطاع صد الهجمات الكثيفة للمشاة العـــدوة . وأثر الاستخدام الواسع للمدفعية السريعة وللرشاشات (٣٠٠ رشاش في كل جانب) وللبنادق المجهزة بالمخازن ، تأثيراً عميقاً على التكتيك ، وتزايد دور النار في المعركة زيادة كبيرة ، ولم تعد ضربات الحراب تتصف بالأهمية الأولى على نحو ما كان عليه الأمر في السابق ، كما لم يعد بامكانية وحدات المشاة الهجوم بالصفوف المتراصة وتقرير مصير المعركة بضربات الحراب وحدها (قتال الصدمة)، بل أصبح النجاح ممكناً في المعركة نتيجة للربط الماهر بين النـــار والمناورة والصدمة . وكانت المشاة عند دخولها في منطقة تأثير المدفعية تجبر على التجزؤ وعلى متابعة التقدم بأرتال صغيرة . وعند دخولها في منطقة عمل الرشاشات ، كانت الكتائب والسرايا مجبرة على الانتشار في صفوف المشاة ومتابعة التقدم بالقفز والزحف . وبعد وصولها الى خط الهجوم كانت المشاة تنقض على العدو بترتيب الصفوف المتراصة محاولة اقتلاعه من المناطق المحتلة وتدميره . وهكذا فقد انقسمت المعركة الهجومية الى ثلاث مراحل . ولقد أدى تزايد فاعلية نيران المدفعية والرشاشات الى اقلال كثافة المشاة في الهجوم وفي الدفاع أيضاً . فاذا كانت فرقة المشاة في بداية الحرب تهاجم على جبهة ٢ كم ، فانها هاجمت في نهايتها على جبهة ٣ ، أو ٣,٥ كم . وكذلك فان جبهة الدفاع للفرقة اتسعت من ٢ حتى ٥ كم ، كما ان التراتيب القتالية زادت من انتشارها بالجبهة والعمق للاقلال قدر المستطاع من الخسائر الناتجة عن نيران مختلف انواع الأسلحة .

وعلى الرغم من الهزائم المتلاحقة التي نزلت بالجيش الروسي في كل معركة خاضها ضد اليابانيين ، إلا أنه لم يتعرض لهزيمة حاسمة ، وكان يتزايد قوة يوماً بعد يوم ، على حين كانت الطاقة الحربية لليابانيين قد بدأت تنزف وتستنزف . ومن وجهة النظر الاستراتيجية الصرفة ، كانت اليابان اذن لا تملك سوى احتمالات ضئيلة لربح الحرب على الرغم من انتصاراتها التكتيكية . وكان سبب انتصارها في النهاية ناجماً عن انهيار الجبهة الداخلية الروسية . فقد أدى القهر والفساد والمآسي التي تعرضت لها البـــلاد الى اغتيال وزير داخلية روسيا « بلهيف plehve » في ١٤ تموز (يوليو) ١٩٠٤ ، ثم تلى ذلك اغتيالات واضرابات . وفي ٤ شباط (فبراير) ١٩٠٥ م اغتيل عم القيصر « سيرج » . وقد اقنع حادث الاغتيال والاحداث التي تبعته القيصر نيقولا الثاني بضرورة العمل والتفاهم مع الثوريين . وفي ٦ حزيران (يونيو) وعد القيصر بدعوة الدوما ، ولكن ، وعندما وجدت المعارضة أنه ينوي ان يحوله الى مجلس استشاري صرف ، قامت اضطرابات عنيفة وصلت ذروتها في ايلول (سبتمبر) ، حيث حدث اضراب عام شل روسيا خلال عدة أيام . وكان لانهيار الجبهة الداخلية أثر كبير على قرار الحكومة الروسية لانهاء الحرب وقبول وساطة الدول الثلاث (فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة) .

ومن أهم نتائج هذه الحرب أنها جعلت من اليابان الدولة الآسيوية الأولى ، وأضعفت روسيا ، وجعلت من ألمانيا ، بعد تحريرها من مخاوف الحرب على جبهتها الشرقية مع روسيا ، الدولة الأقوى في أوروبا ، وبذلك تطورت مراكز القوى السياسية في العالم وتبدلت بصورة اساسية نتيجة للحرب الروسية - اليابانية . مما اضطر الولايات المتحدة الى التخلي عن سياسة عزلتها التقليدية والاشتراك بصورة اكثر ايجابية في الاحداث على مسرح أوروبا ، الأمر الذى انتهى باشتراكها في الحرب العالمية الأولى . وبالاضافة الى ذلك ايقظت هذه الحرب آسيا وأفريقيا لانها شككت في تفوق الرجل الأبيض (الأوروبي) – بحسب ما كانت تشيعه السياسات الاستعمارية وتنشره – واخذ الرجل الافريقي والآسيوي (الملون) يتحرك في الاتجاه المضاد ، ويستعد لتوجيه ضربة قاتلة الى كل الامبراطوريات الاستعمارية الأوروبية.

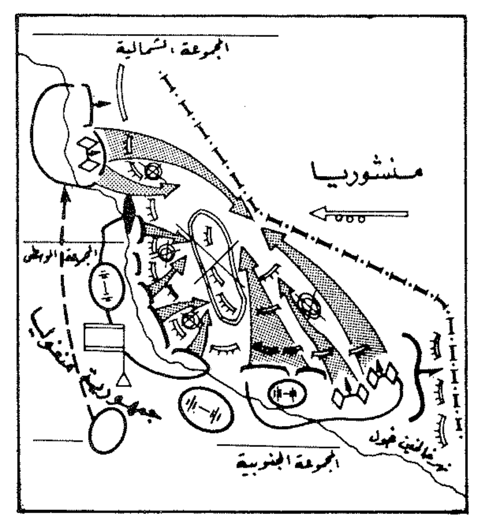
(٨) الحرب الروسية – اليابانية في منغوليا (١٩٣٩)

هي حرب غير معلنة ، دارت رحاها في الفترة الواقعة بين ١ حزيران (يونيو) و ٣٠ آب (أغسطس) ١٩٣٩ بين القوات اليابانية التي انطلقت من منشوريا واعتدت على حدود جمهورية منغوليا الشعبية شرقي نهر خالخين – غول ، والقوات المنغولية المدعومة بقوات سوفييتية تحت قيادة المارشال جوكوف. ولقد انتهت هذه الحرب بتدمير القوات اليابانية التي اعتدت على منغوليا ، وطردها الى ما وراء نهر خالخين - غول وتطهير المنطقة الواقعة بين النهر والحدود المنشورية من القوات اليابانية .

كانت التناقضات الدولية في العام ١٩٣٦ قد وصلت إلى ذروتها . واخذت الحروب تندلع في كل مكان منذرة بانفجار شامل وحرب غير محدودة . وكان التضخم الاقتصادي والتطور الصناعي والتقدم التقني قد أفسح المجال للمنافسة على أوسع نطاق ممكن . وكانت الشواهد كلها تشير الى ان اليابانيين لم يعدلوا عن أهدافهم التوسعية بعد حرب (١٩٠٤ – ١٩٠٥) فيما يتعلق بالشرق الأقصى وجمهورية منغوليا الشعبية ، وكان من المتوقع ممارسة أعمال أوسع خلال فترة قريبة . وأمام هذا الموقف عقدت حكومة منغوليا معاهدة عدم اعتداء وصداقة مع حكومة الاتحاد السوفييتي بتاريخ ١٢ آذار (مارس) ١٩٣٩ . وكانت هذه المعاهدة تلزم الاتحاد السوفييتي بحماية منغوليا من جميع الاعتداءات الخارجية . وفي الأول من يونيو (حزيران) ١٩٣٩ . قامت القوات اليابانية بهجوم مباغت على حدود جمهورية منغوليا الشعبية وكان الموقف يوم ٣٠ أيار (مايو) يتلخص باغارات استفزازية خفيفة على قوات الحدود المنغولية استمرت فترة طويلة ، كما قامت القوات اليابانية بمهاجمة الحدود المنغولية والاعتداء على قطعات الحدود فيها شرق نهر خالخين – غول . وتنفيذاً للاتفاقية المعقودة مع الاتحاد السوفييتي ، دفعت القيادة السوفييتية قوات الفيلق ٥٧ بمهمة دعم القوات المنغولية . وفي الخامس من حزيران (يونيو)، عينت القيـــادة السوفييتية الجنرال جوكوف لقيادة عمليات القتال ضد اليابانيين في خالخين – غول . وعند وصول جوكوف الى قيادة الفيلق ٥٧ تبين ان القوات تبعد مسافة ١٢٠ كم عن مسرح العمليات ، وأنها في حاجة للدعم ، وتم وضع مخطط عمليات القوات السوفييتية – المنغولية وفق الاسس التالية : التمسك برأس جسر على الشاطيء الشرقي لنهر خالخين– غول ، مع اجراء الاستعدادات لتوجيه ضربة معاكسة من العمق . وقد وافقت القيادة

السوفييتية العليا على المخطط، ودعمت القوات الأرضية والجويـــة السوفييتية بقوات اضافية بحيث تحـــول الفيلق ٥٧ الى مجموعة الجيش الأول . كما تم تدعيم القوات الجوية بالطائرات والطيارين (منهم ٢١ طياراً يحملون لقب بطل الاتحـاد السوفييتي) علاوة على الوسائط وقطع التبديل للطائرات السوفييتية الحديثة (ي – ١٦ ، وتشايكا) .

وفي ٢٢ حزيران (يونيو) اشتبكت الطائرات المقاتلة السوفييتية ، وعددها ٩٥ طائرة ، مع ١٢٠ طائرة مقاتلة يابانية في معارك جوية عنيفة فوق حدود جمهورية منغوليا الشعبية . وفي ٢٤ حزيران (يونيو) حاول الطيران المقاتل الياباني توجيه ضربة كثيفة ضد القوات السوفييتية والمنغولية ، لكن الطيران المقاتل السوفييتي تصدى له وأحبط هجومه ، بعد أن كبده خسائر فادحة ، مما اضطر القيـــادة اليابانية الى سحب طائراتها من المعركة بشكل غير منظم . وفي ٢٦ حزيران (يونيو) ظهرت حوالي ٦٠ طائرة يابانية فوق بحيرة (بويهير – نود) في منطقة منغولريا ، واشتبكت مع الطائرات السوفييتية في معركة ضارية . ورغم قيام القيادة اليابانية بزج أفضل طياريها من جميع الاسراب العاملة في الصين ، فقد استطاع الطيران السوفييتي منع الطيران الياباني من تحقيق أي انتصار ، وخسر اليابانيون في معاركهم الجوية بـين ٢٢ و ٢٩ حزيران (يونيو) ٦٤ طائرة مقاتلة . وكان هدف القيادة اليابانية من تصعيد نشاط طيرانها تدمير الطيران السوفييتي للحصول على التفوق الجوي ، وتوفير الفرصة لدعم العملية الهجومية الكبيرة للقوات اليابانية البرية . وفي حزيران (يونيو) حشدت القيادة اليابانية قواتها الهجومية في منطقة خالخين – غول لتنفيذ مخطط العمليات الذي حمل اسم (المرحلة الثانية من حادثة نامونخانسك) . وكان الهدف المباشر لعمليات القوات اليابانية ينحصر بما يلي : ١ – تطويق تجمع القوات الروسية والمنغولية بكاملها ، وتدميرها ، والتمركز شرقي نهر خالخين – غول ، ٢ – عبور نهر خالخين – غول ، والوصول الى الشاطىء الغربي للنهر بمهمة تدمير القـــوات الاحتياطية الروسية – المنغولية ، ٣ – احتلال رأس الجسر غرب خالخين – غول وتوسيعه لتأمين الاعمال المتبقية . وقد أرسلت القيادة اليابانية لتنفيذ هذه العملية قوات من منطقة (خايلار) كانت مخصصة للعمل مع الجيش السادس المنتشر على الحدود المنشورية وكان المفروض تنفيذ العملية الهجومية وفقاً لتقديرات القيادة اليابانية في منتصف شهر تموز (يوليو) ، بحيث تنتهي الأعمال القتالية جميعها في جمهورية



تدمير القوات اليابانية شرقي خالخين غول

منغوليا الشعبية قبل حلول الخريف . وكانت القيادة اليابانية واثقة جداً من نجاحها حتى أنها دعت الى منطقة الأعمال القتالية بعض المراسلين الأجـــانب والملحقين العسكريين لرؤية الأعمال الناجحة المقبلة ، وكان في عداد المدعوين مراسلون وملحقون عسكريون من ألمانيا النازية وايطاليا الفاشية . وقبيل فجر يوم ٣ تموز (يوليو) عبرت القـــوات اليابانية نهر خالخين – غول سراً ، وهاجمت وحدات فرقة الفرسان السادسة لجمهورية منغوليا الشعبية ، واحتلت قبيل فجر ٣ تموز (يوليو) جبل باين – تساغان مستفيدة من التفوق بالقوى ، وتحصنت في مواقعها الجديدة . أما فرقة الفرسان السادسة لجمهورية منغوليا الشعبية فقد انسحبت نحو الشمال من قطاع جبل باين – تساغان . عندها قامت القيـــادة السوفييتية بتقدير سريع للموقف وتبين لها صعوبة توجيه ضربة الى مجنبات التجمع الياباني أو مؤخرته ، فقررت توجيه ضربة جبهية ، وأصدرت أوامرها الى اللواء المدرع الحادي عشر ومعه لواء المشاة الرابع وكتيبة مدفعية بالقيام بالهجوم من الحركة ضد القوات اليابانية ، مع توجيه لواء المشاة السابع لتسديد ضربة من الجنوب تدعمه الكتيبة المدرعة التابعة لفرقة المشاة الثامنة المنغولية . وفي صباح ٣ تموز (يوليو) – أي صباح الهجوم الياباني ذاته – وصلت القيادة السوفييتية الى جبل باين – تساغان وأصدرت أوامرها الى كتيبة المدفعية الثقيلة من فوج المـــدفعية ١٨٥ بارسال استطلاع الى جبل باين – تساغان ، وفتح النار على التجمع الياباني . وفي الوقت ذاته صدرت الأوامر الى المدفعية المتمركزة خلف نهر خـــالخين – غول (الداعمة للواء التاسع الميكانيكي) بنقل نيرانها الى

العدو في جبل باين – تساغان . كما أقلع الى الجو الطيران السوفييتي بكامله بعد انذاره . وفي الساعة السابعة من صباح ٣ تموز (يوليو) وصلت المجموعات الأولى من الطيران القـــاذف والمقاتل السوفييتي ، وبدأت بقصف جبل باين – تساغان ، وكان من الضروري جداً ، بالنسبة الى القوات السوفييتية ، تجميد القوات اليابانية وتأخيرها بضربات الطيران ونيران المدفعية في باين – تساغان ، وذلك حتى وصول الاحتياطات المعدة للضربة المعاكسة . وصدرت أوامر القيادة السوفييتية بضرب المعابر على نهر خالخين – غول بالطيران وبنيران المدفعية بصورة مستمرة بهدف عرقلة تجميع القوات اليابانية في الجبال وايقـــاف عبورها .

كان ميزان القوى في منطقة باين – تساغان بالذات كما يلي : نجحت القوات اليابانية في تجميع ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل في جبل باين – تساغان ، على حين لم تستطع القوات السوفييتية تجميع أكثر من ألف مقاتل . وكان مع القوات اليابانية حوالي مائة مدفع وحتى ستين مدفع م/د على حين لم يكن لدى القوات السوفييتية سوى خمسين مدفعاً ، بما في ذلك المدافع الداعمة من الشاطىء الشرقي لنهر خالخين – غول . وكان اللواء الحادي عشر المدرع (١٥٠ دبابة) ، ولواء المشاة السابع (١٥٤ آلية مدرعة) ، والكتيبة المدرعة المنغولية الثامنة المسلحة بمدافع ٤٥ ملم ، تمثل القوة الداعمة للهجوم السوفييتي ، ولهذا كانت القوات المدرعة وتشكيلاتها هي الاساس في خطة الهجوم السوفييتية . وقد تم اتخاذ القرار باستخدامها للهجوم من الحركة ، وتدمير القوات اليابانية التي قامت بالعبور فقط ، وعدم السماح لها بالتثبت بالأرض وتنظيم الدفاع المضاد للدبابات . ونظراً لاكتشاف اليابانيين لعملية اقتراب القوات المدرعة السوفييتية ، فقد أصبح من المستحيل الابطاء في تنفيذ الضربة المعاكسة ، لا سيما بعد ان اتخذت القوات اليابانية موقف الدفاع ، واخذت في تركيز نيرانها لضرب ارتال الدبابات السوفييتية . ومما ساعد على تطوير العمليات بسرعة وجود القوات في منطقة مكشوفة تماماً وخالية من الاشجار ، تمتد حتى مسافة مائة كيلومتر . ولهذا تم زج الطيران السوفييتي بكامله مع دفع الدبابات والمدفعية للتحرك بسرعة . وتقرر أن يبدأ الهجوم المعاكس السوفييتي في الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين . وفي الموعد المحدد بدأ الهجوم المعاكس من الحركة . واستمرت المعركة خلال يوم ٤ تموز (يوليو) وليله ، وفي الساعة الثالثة من صباح ٥ تموز (يوليو) ، أصبحت مقاومة

القوات اليابانية ضعيفة للغاية ، وبدأت في انسحابها بسرعة نحو المعبر الذي كان قد دمر من قبل المهندسين السوفييت الذين عملوا على تأمين عبور دباباتهم . ودمرت القوات اليابانية الباقية والتي كانت تحتل جبل باين –تساغان بكاملها في السفوح الشرقية للجبل في منطقة انحسار مياه نهر خالخين – غول . كما دمر في المعارك الجوية في تلك الأيام ٤٥ طائرة منها ٢٠ طائرة انقضاض . في صباح ٥ تموز (يوليو) ، كان كل شيء هادئاً على جبل باين – تساغان ، وعلى الشاطىء الغربي لنهر خالخين – غول ، بعد أن انتهت الموقعة بتدمير التجمع الرئيسي للقوات اليابانية . وتعتبر هذه الموقعة من المعارك الدفاعية النشطة ، ولم تحاول القيادة اليابانية بعدها دفع قواتها لعبور النهر والوصول الى الشاطىء الغربي لنهر خالخين – غول ، واقتصرت عملياتها على اعمال الاستطلاع القتالي .

بعد انجاز الهجوم المضاد السوفييتي بنجاح ، بدأت القوات السوفييتية (بقيادة الجنرال جوكوف) باتخاذ الاستعدادات الضرورية لتنفيذ مرحلة الهجوم الاساسية بهدف تدمير القوات اليابانية التي قامت بالعدوان على حدود جمهورية منغوليا الشعبية . وتنفيذاً لهذه العملية تم تدعيم مجموعة الجيش الأول بسرعة بالقوى والوسائط المادية والتقنية من الاتحاد السوفييتي ، وتم نقل فرقتي مشاة ، ولواء مدرع ، وفوج مدفعية ، ووحدات اخرى مع دعم الطيران القاذف والطيران المقاتل . كانت عملية التحضير للهجوم معقدة للغاية . وقد تطلبت نقل كميات كبيرة من الامدادات والتموين للوصول بها من محطة التموين الى نهر خالخين – غول على طرق ترابية تمتد مسافة ٦٥٠ كم . وكانت الامدادات تشمل ١٨٠٠٠ طن ذخيرة مدفعية ، و٦٥٠٠ طن ذخيرة طيران ، و١٥٠٠٠ طن وقود وزيوت من مختلف الأنواع ، و٤٠٠٠ طن مواد غذائية متنوعة ، و٧٥٠٠ طن محروقات ، و٤٠٠٠ طن مواد تموينية اخرى . وكان نقل جميع هذه الحمولات حتى بدء العملية يتطلب ٣٥٠٠ سيارة نقل ، و١٤٠٠ صهريج . ولم يكن تحت تصرف قيادة مجموعة الجيش الأول سوى ١٧٢٤ سيارة نقل و٩١٢ صهريجاً . وبعد ١٤ آب (اغسطس) استلمت قيادة هذه المجموعة ١٢٥٠ سيارة نقل و٣٧٥ صهريجاً ، وبذلك بقي النقص في وسائل النقل . وبما أن العبء الرئيسي في عملية النقل يقع على عاتق آليات نقل القوات وآليات الخدمة بما فيها قاطرات المدافع ، فقد اضطر السائقون للعمل في ظروف الحر المضني ولمدة خمسة أيام متواصلة ، كان السائقون خلالها يقطعون ١٢٠٠ – ١٣٠٠ كم في اليوم لتنفيذ المهام الموكولة اليهم . ولقد عملت قيادة منطقة ما وراء البايكال العسكرية على تقديم مساعدة ضخمة للقوات بانشاء المؤخرة وتنظيم النقل . وبفضل هذه المساعدة امكن انشاء الاحتياط المادي والتقني الضروري للعملية خلال وقت قصير .

كانت قيادة مجموعة الجيش الأول تعتمد في نجاح مخططها القتالي على تحقيق المباغتة العملياتية والتكتيكية بغية وضع القوات اليابانية امام موقف يصعب عليها معه منع الضربات المدمرة او القيام بمناورة معاكسة ، وقد وضعت القيادة السوفييتية في اعتبارها عدم توفر القوات المدرعة والقوات الميكانيكية لدى الجيش الياباني ، بحيث يصعب عليه نقل قطعاته من المحاور الثانوية ومن العمق لمجابهة المجموعات السوفييتية الضاربة والعاملة على جوانب دفاع العدو بهدف تطويق الجيش السادس الياباني . ولهذا ، ومن أجل التمويه والمحافظة على الكتمان الشديد ، وضعت قيادة مجموعة الجيش الأول خطة عملياتية لخداع العدو اعتمدت على سرية تحركات القوات ، وبث معلومات كاذبة لتضليل العدو عن نوايا القيادة السوفييتية . وكان الهدف من هذه التدابير خلق انطباع لدى القيادة اليابانية بعدم وجود أي نوع من التدابير التحضيرية ذات الطابع الهجومي من الجانب السوفييتي ، واشعار الجانب الياباني ان الاستعدادات السوفييتية هي لدعم الدفاع فقط . وتنفيذاً لهذه الغاية صدرت التعليمات باجراء التحركات والتحشدات واعادة التجميع في الليل فقط حيث تكون اعمال الاستطلاع الجوي للعدو والمراقبة بالنظر محدودة جداً ، وبقي تحرك القوات محظوراً الى المناطق التي يفترض الانطلاق منها للهجوم بهدف الوصول الى جوانب ومؤخرة القوات اليابانية . واستمر هذا الحظر حتى ليل ١٧ – ١٨ آب (اغسطس) . وعلاوة على ذلك ، فقد الزمت عناصر القيادة بأن تقوم باستطلاع الأرض وهي ترتدي لباس جنود الجيش الأحمر واستخدام آليات النقل فقط . وعملت قيادة مجموعة الجيش الأول السوفييتي على وضع نظام كامل للاتصالات اللاسلكية والهاتفية في اطار معاكس الاستعلام ، وتضمنت الخطة الاقتصار في المحادثات على مواضيع الدفاع فقط ، وتحضير الدفاع من اجل حملة الخريف والشتاء ، كما تقرر القيام بالخداع اللاسلكي عن طريق تبادل البرقيات المزيفة مع استخدام شيفرة سهلة الحل . وصدرت آلاف المنشورات والمذكرات الخاصة بالدفاع ، وتم ايصال هذه المنشورات والمذكرات للقوات اليابانية . ولقد تقرر حشد المجموعات الضاربة الجانبية ووضعها في مناطق الانطلاق للهجوم في ليلة ١٩ – ٢٠ آب (اغسطس) ، بحيث يكون الجميع في ملاجىء الأدغال على طول النهر ، وتم اعداد الملاجىء الضرورية بصورة مسبقة ، كما تم ستر المدفعية ومدافع الهاون ووسائل الجر والأعتدة الأخرى بشبكات التمويه المحضرة من المواد الطبيعية المحلية . وتمت حركة قطعات الدبابات الى مناطق الانطلاق بمجموعات صغيرة ، ومن اتجاهات مختلفة ، وذلك قبل بدء التمهيد المدفعي والجوي مباشرة ، وتم تمويه التحركات الليلية بالطيران ورمايات المدفعية ومدافع الهاون والرشاشات وطلقات البنادق التي نفذت من قبل القطعات حسب مخطط صارم يتوافق مع التحركات . ولأغراض تمويه التحركات ايضا استخدمت الأجهزة الصوتية التي تحدث ضجيجاً مزيفاً لتمثيل تحركات الآليات وطلعات الطيران وتحركات الدبابات ... الخ . وبدأ تعويد القوات اليابانية على سماع الضجيج المزيف قبل ١٢ – ١٥ يوماً من بداية تحرك المجموعات الضاربة السوفييتية . واعتبر اليابانيون في بداية الأمر هذا التزييف كأعمال حقيقية للقوات ، وقاموا برمي المناطق التي يصدر عنها الضجيج ، ثم اكتشفوا حقيقته ، وتوقف اهتمامهم بمتابعة أو ممارسة الرمي في اتجاهه ، وكانت هذه النتيجة مفيدة جداً للقوات السوفييتية خلال مرحلة إعادة تجميعها واجراء حشدها الحقيقي . اما على مستوى القيادات والعمليات السوفييتية فقد اتخذت الترتيبات بهدف عدم تسرب اية معلومات عن العملية الهجومية ، فاقتصر وضع خطة العمليات على العناصر الضرورية فقط (اركان مجموعة القائد) أما قادة ورؤساء مختلف الصنوف ورئيس المؤخرة فقد عالجوا المواضيع الخاصة بهم فقط حسب خطة مصدقة من القائد ، ولم يستخدم سوى ضاربة واحدة على الآلة الكاتبة من أجل طبع خطة العمليات والأوامر وتعليمات القتال والوثائق العملياتية . وتم بعد ذلك تعريف المجموعات المختلفة من الأشخاص القياديين بالتتابع على خطة العمليات وذلك وفقاً لاقتراب المواعيد ، واعتباراً من يوم (ي – ٤) أي قبل يوم الهجوم بأربعة ايام . وتلقى صف الضباط والجنود واجباتهم القتالية قبل بداية الهجوم بثلاث ساعات فقط . واستطاعت التدابير الخاصة بالتمويه ومقاومة الاستطلاع المعادي وجميع التدابير الأخرى المتعلقة بتأمين المباغتة ممارسة دور حاسم بالنسبة لمسيرة الأحداث التالية وتنفيذ الأعمال الهجومية ، وأخذت القوات اليابانية

فعلا على حين غره .

وفي ٢٠ آب (اغسطس) ١٩٣٩ ، بدأت القوات الروسية والمنغولية العملية الهجومية العامة من اجل تطويق القوات اليابانية وتدميرها . وفي الساعة ٥,٤٥ فتحت المدفعية السوفييتية نيرانها بصورة مباغتة ضد المدفعية اليابانية والمدافــع الرشاشة المضادة للطائرات ، واستخدمت المدفعية قنابلها الدخانية للرمي على الاهداف المحددة بدقة بهدف توجيه الطيران لقصفها . واشتركت في القصف مائة وخمسون طائرة قاذفة وحوالي مائة طائرة مقاتلة . وفي الساعة ٨,١٥ بدأت المدفعية ومدافع الهاون من جميع العيارات برمي رشقة نارية على أهداف العدو . وفي الساعة ٨,٣٠ استخدم الطيران السوفييتي من جديد . وفي الساعة ٨,٤٥ تماماً ، وعندما كان الطيران السوفييتي ينقض على القوات اليابانية ويقذف مدفعيتها . بدأ تحرك قوات الهجوم ، واندفعت الوحدات المهاجمة الى الأمام تحت غطاء ستار كثيف من نيران المدفعية . وكان رمي الطيران والمدفعية قوياً ومثمراً الى حد تم فيه تحقيق ابطال كامل لفاعلية القوات اليابانية بحيث لم تبدأ مدفعيتها بالرد على الهجوم السوفييتي قبل مضي ساعة ونصف من بداية الهجوم . وكانت مرابض المدفعية اليابانية ونقاط مراقبتها ووسائــل اتصالها قد دمرت تدميراً تاماً . ولم يتمكن اللواء السادس المدرع من عبــور نهر خالخين – غول بكامله ، فاشتركت في معركة اليوم الأول بعض قواته فقط . وانتهى عبور اللواء وتحشده بكامله في نهاية اليوم .

جرت في يومي ٢١ و ٢٢ معارك عنيفة جداً وخاصة في مناطق (الرمال الكبيرة) حيث أظهرت القوات اليابانية مقاومة شديدة اكثر مما كان متوقعاً ، ولهذا تم زج اللواء الميكانيكي التاسع (من الاحتياط) ، كما دعمت المدفعية بوحدات اضافية . وفي ٢٦ آب (اغسطس) ، أنهت القطعات المدرعــة والميكانيكية السوفييتية تطويق الجيش الياباني السادس بكامله بعد أن دمرت تجمعه الجانبي . ومنذ ذلك اليوم بدأت تجزئة القوات اليابانية وتدمير تجمعها المطوق . وبذلت القوات السوفييتية جهوداً كبيرة للتغلب على عوائق الأرض ، وما سببته الرمال سريعة الانهيار والمنخفضات العميقة والتــلال الرملية من موانع حقيقية . وحاربت القوات اليابانية حتى آخر رجل ، غير ان الجنود اكتشفوا تدريجياً خطأ الدعاية الموجهة اليهم عن استحالة هزيمة الجيش الامبراطوري الذي تكبد خسائر فادحة ، ولم يربح معركة واحدة خلال أربعة أشهر من الحرب . وكاد الجيش الياباني في ذلك الوقت يعير اهتماماً كبيراً للتوجيه المعنوي للجنود ضد الجيش الأحمر ، وكان الخطأ الكبير هو تصوير الجيش السوفييتي على أنه جيش قديم متخلف ، لا يمتاز في مستواه القتالي عن الجيش القيصري القديم خلال الحرب الروسية – اليابانية (١٩٠٤ – ١٩٠٥) ، وعندما وجد الجنود اليابانيون في المواقع على نهر خــالخين – غول أنفسهم تحت الضربات القوية من الدبابات والطيران والمدفعية وقوات المشاة المنظمة جيــداً ، كان ذلك بالنسبة اليهم مباغتة غير متوقعة .

وفي ٣٠ آب (أغسطس) انتهى تدمير الجيش الياباني السادس وتطهير المنطقة الواقعة بين حدود منشوريا ونهر خالخين – غول ، وتوقفت العمليات الحربية ، واضطرت الحكومة اليابانية إلى ايقاف اعتداءاتها على جمهورية منغوليا الشعبية ، والحد من أطماعها في المناطق الواقعة وراء الحدود المنشورية الغربية .

(١) الحرب السرية

هي تقنية من تقنيات الحرب الثورية ، ومرحلة قد تمر بها حرب العصابات عندما لا تكون الظروف ملائمة لشن حرب العصابات بشكلها العادي .

تشن العصابات الحرب السرية وراء خطوط العدو عندما يكون ميزان القوى مائلا لصالح العدو بشكل حاسم ، أو عندما تعمل العصابات على أرض غير ملائمة أو غير متسعة بمــا فيه الكفاية . وتستهدف هذه الحرب تدمير قوى العدو المادية ، وتفتيته معنوياً ، وخلق حالة انعدام الأمن على مؤخراته ، وتوعية الجماهير واستقطابها . وتلجــأ العصابات إلى هذا الأسلوب عادة في بداية نشوئها أو عند تعرضها إلى نكسة عسكرية خطيرة مع احتفاظها بقوتها السياسية وتأييد الجماهير لها .

استخدمت العصابات المعاصرة هذا الاسلوب في أوروبا عند بداية تشكيل منظمات المقاومة السرية الأوروبية الغربية ضد النازيين في مطلع الحرب العالمية الأولى . واستخدمها الثوار الجزائريون في مدينة الجزائر والمدن الأخرى ضد مظليي ماسو في العام ١٩٥٧، بعد أن شن سالان حملة عسكرية واسعة النطاق لتهدئة الأرياف الجزائرية . كما لجأ اليها الثوار الفلسطينيون ضد العدو الاسرائيلي منذ العام ١٩٦٥ في جميع الارض الفلسطينية ، وخاصة في قطاع غزة (١٩٦٨ – ١٩٧١) . وتطبقها الحركات الثورية في اميركا اللاتينية المعاصرة ضد الطغاة المحليين . والسلاح الأول في هذه الحرب هو الجماهير التي تخفي المقاتلين العصابيين وتساعدهم وتموّنهم . ولذا فان مجــال نشاطها الاساسي هو المناطق الآهلة بالسكان ، والمدن المكتظة .

يطبق المقاتلون العصابيون (المغاورون) في هذه الحرب عدة تقنيات ، كاغتيال قادة أجهزة القمع ، وتصفية العملاء والمتعاونين مع العدو ، ومهاجمــة الدوريات بالقنابل اليدوية ثم الذوبان بين السكان ، ومهاجمة المخافر الصغيرة المنعزلة ومراكز الشرطة ، وعمليات الاختطاف وأخذ الرهائن ، وحرب الالغام والمتفجرات بكل أبعادها (انظر حرب الالغــام والمتفجرات) ، والقنص ، وتوزيــع المنشورات التحريضية ... الخ . ويكون سلاح المقاتلين بسيطاً وخفيفاً (مسدس ، قنبلة ، رشيشة ، لغم ، حشوة ناسفة ، سكين ، بندقية قناصة) ويستحسن عند استخدام الاسلحة النارية في هذه الحرب تزويدها بكاتم صوت .

تتطلب الحرب السرية استخدام السرية والخدعة والمرونة والمبادهة على اوسع نطاق . وتأتي السرية في رأس شروط النجاح . ومن الضروري تطبيقها في كل مراحل التنظيم ، والاعــداد للعمل ، والعمل نفسه ، والاختفاء بعد العمل . ولتحقيق هذه السرية تنظم الخلايا السرية بشكل يجعل كشف فرد أو خلية من قبل العدو لا يؤدي إلى كشف الأفراد أو الخلايا الأخرى . وتضم كل خلية عدداً محدوداً من الأفراد . ولا يكون لها أي اتصال بالخلايــا الأخرى . وهناك حالات لا يعرف فيها الأفراد المكلفون بالمهمة بعضهم إلا في ساعة التنفيذ . ويكون الاستطلاع الذي يسبق المهمة محفوفاً بالسرية ، وتقوم به عناصر من غير المنفذين ، دون أن تعرف هؤلاء المنفذين . ويستلم المنفذون الاسلحة أو القنابل أو المتفجرات من أماكن تحدد لهم ، بعد أن ينقلها إليها أشخاص لا يعرفونهم . أما الاتصال فيتم عبر نقاط استلام رسائل يخضعها العصابيون لمراقبة بعيدة مشددة ، حتى لا يقع المراسلون بيد العدو في حالة الوشاية . وتكون الرسائل عادة بالحبر السري أو مشفرة . ويتوخى منظم العملية أن يقوم بالعملية الحد الأدنى من الأشخاص لتسهيل عملية اختفائهم بعدها .

وتلعب صناعة الالغام والمتفجرات المبتكرة دوراً هاماً في الحرب السرية . كما تمثل مسألة اخفاء الاسلحة ومعدات القتال والاشخاص قبل العملية وبعدها جزءاً هاماً من اهتمام المقاتلــين العصابيين الذين يستخدمون في هذا المجال كل اساليب الحيلة والابداع (التنكر ، استخدام الأوراق الثبوتيــة المزورة ،

استخدام الحقائب والصناديق والخزائن ذات القعر المزدوج ، حفر الانفاق السرية بين البيوت ، عمل أبواب سرية للتسلل ... الخ) .

إن حرب العصابات العادية تتطلب رجالا اشداء قادرين على تحمل مشاق هذه الحرب في المناطق الوعرة التي تصعب الحياة فيها ، أما الحرب السرية فهي تصلح لكل رجل أو امرأة ، شاباً كان أم عجوزاً أم يافعاً ، شريطة أن تتوفر فيه الرغبة النضالية والوعي السياسي والصمود والكتمان والاستعداد للتضحية . وليس من الضروري أن يكون المقاتل العصابي في الحرب السرية محترفاً يكرس كل وقته لهذه الحرب (كما هي الحالة في حرب العصابات العادية) ، وغالباً ما يكون هؤلاء المقاتلون أشخاصاً يمارسون أعمالهم العادية ، ويقومون بالمهمات الموكولة اليهم (مراقبة ، اتصال ، نقل سلاح ، عمليات) ثم يعودون إلى اعمالهم . وقد يعمل بعضهم في مؤسسات العدو الصناعية أو الادارية أو الامنية ليبعد عن نفسه الشبهات ، ويؤمن جمع المعلومات .

يختلف هدف الحرب السرية باختلاف المرحلة التي تتم فيها . فان جاءت في بداية حرب العصابات ، كان هدفها اطلاق شرارة الكفاح المسلح ضد العدو ، وممارسة الدعاية المسلحة لتوعية الجماهير واستقطابها ودفعها الى حمل السلاح والانضمام إلى صفوف العصابات . أما اذا جاءت بعد نكسة عسكرية ، فان مهمتها تكون تأمين استمرارية حرب العصابات وبقائها ، والحفاظ على شعلة الكفاح المسلح متقدة ، ورفع معنويات الجماهير واقناعها بأن الكفاح المسلح مستمر رغم النكسة ، وسائر حتماً إلى النصر .

(٨-١٢) حرب السنوات السبع (١٧٥٦ – ١٧٦٣)

حرب السنوات السبع أو الحرب السيليزية الثالثة (انظر الحروب السيليزية الثلاث) ، هي حرب حلفين اشتركت فيها بروسيا وانكلتره ضد روسيا والنمسا وفرنسا وسكسونيا والسويد . وقد ألقت انكلترا اثقال المعارك البرية في هذه الحرب على عاتق بروسيا ، التي كانت تحت حكم الامبراطور فريدريك الثاني ، في حين تركز جهد انكلترا على احتلال المستعمرات الفرنسية وتجريدها من مواردها ومصادر قوتها .

ولقد كانت حرب السنوات السبع صورة للتناقضات السياسية السائدة خلال تلك الحقبة التاريخية ، وكان العداء بين فرنسا وانكلترا عميق الجذور يعود الى عهد بعيد يرتبط بقدم الدبلوماسية الاوروبية ذاتها . كما كان العداء بين النمسا وبروسيا يرجع الى القرن السابع عشر . ثم استمر في فترات متناوبة بين السلم والحرب حتى تفجر في حرب السنوات السبع . وزاد من حدة التناقضات ، توفر الرغبة للسيطرة على اميركا ، وتنافس انكلترا وفرنسا على استعمارها ، بينما كان هدف التنافس بين النمسا وبروسيا هو السيطرة على المانيا . وكان الامر الغريب هو وقوف فرنسا والنمسا في حلف واحد ضد بروسيا ، على الرغم من وجود عداء قديم بينهما يعود بجذوره الى حرب وراثة العرش النمساوية (١٧٤٠ – ١٧٤٨) . ولكن هذا العداء التقليدي بين البوربونيين وآل هابسبرغ قد زال في الواقع بفضل جهود رئيس وزراء النمسا (فون كونيتز) Von Kaunitz W. A. الذي وقع تحت هيمنة فكرة استعادة اقليم سيليزيا بعد ان كانت بروسيا قد استولت عليه . ولما كانت انكلترا حليفاً غير ملائم فقد توجهت الديبلوماسية النمساوية نحو فرنسا . وأدركت انكلترا ان اشتراكها في حرب ضد فرنسا قد يعرض مقاطعة هانوفر (مسقط رأس ملك انكلترا جورج الثاني) للهجوم الفرنسي. ولهذا تمت الاتصالات بين انكلترا وبروسيا للدفاع عن هانوفر . وكانت النتيجة انه عندما بدأت حرب السنوات السبع وقفت النمسا وفرنسا في جانب واحد مقابل جانب آخر تقف فيه انكلترا وبروسيا .

كان الجيش البروسي خلال حرب السنوات السبع من أقوى الجيوش في بلاد اوروبا الغربية . وفي عهد فريدريك الثاني (١٧٤٠ – ١٧٨٦) وصل تعداد الجيش الى مائتي ألف رجل . وكان اسلوب التدريب والتربية يستند الى اسس خلق التنفيذ الآلي لدى الافراد ، فلم يكن ينظر الى الجندي كإنسان بل كقطعة ميكانيكية عليها تنفيذ ما يطلب منها دون تفكير او شعور وبذلك تم التوصل الى التنفيذ الميكانيكي لكل اساليب القتال وطرقه المحتملة ، مع الاستعانة بالانضباط الصارم ، ومراقبة الضباط الدائمة للجنود في سبيل الحفاظ على هذا الانضباط .

وكان التكتيك القتالي الذي يطبقه فريدريك الثاني عبارة عن اسلوب قتالي جديد عرف باسم الهجوم الجبهي المائل ، او النظام المائل (انظر فريدريك الثاني) . وكانت الجيوش الاوروبية الاخرى تطبق في تلك الحقبة اسلوب القتال وفق « ترتيب المركة الخطي » الذي لم يكن يستطيع الصمود امام « الهجوم الجبهي المائل » . وكانت القوات الروسية ايضاً تلجأ الى « ترتيب المعركة الخطي » ، ومع ذلك ، فان نظام قتال المشاة لعام ١٧٥٥ تضمن بعض المبادئ الجديدة عن ترتيب القوات في الارتال ، وعمل هذه الارتال في المعركة .

آ – **العمليات في القارة الاوروبية :** بدأت الحرب السيليزية الثالثة في ٢٩ آب (أغسطس) ١٧٥٦ ، عندما اجتاح فريدريك الثاني الحدود السكسونية بجيش قوامه ٧٠ ألف مقاتل ودخل درسدن العاصمة في ١٠ أيلول (سبتمبر) ، وأجبر القوات السكسونية المؤلفة من ٢٠ ألف مقاتل على الاستسلام في بيرنا Pirna ، كما هزم قوات نمساوية مؤلفة من ٣٢ ألف مقاتل بقيادة فون براون M. U. Von Browne كانت متجهة من بوهيميا لتنضم الى القوات السكسونية في معركة لوبوسيتز Lobositz (الواقعة بين درسدن وبراغ) في ١ تشرين الأول (اكتوبر) ١٧٥٦ . وهكذا تم الاستيلاء على سكسونيا في ١٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٧٥٦ . ولكن فريدريك لم ينجح في التخلص من النمساويين .

وفي نهاية العام اتسع نطاق الحرب الى مدى بالغ بعد ان قررت بريطانيا وفرنسا التدخل بصورة فعلية . وصمم الامراء الالمان المؤيدين للحكم الامبراطوري على دعم النمسا . وقد اشتركت فرنسا بقوة ١٢٠٠٠٠ مقاتل . كما ان روسيا تمسكت بمعاهدة دفاعية كانت تربطها بالتحالف النمساوي الفرنسي . وعلى هذا فان شكل الحرب اصبح واضحاً . فوجهت ضد بروسيا وهانوفر هجمات مجمعة من جانب روسيا وفرنسا والنمسا ، ووجد فريدريك نفسه إزاء تفوق عددي بعد عجز بريطانيا عن مده بعون عسكري .

وفي نيسان (ابريل) ١٧٥٧ هاجمت القوات البروسية (بقيادة فريدريك) بوهيميا ، وفي ٦ أيار (مايو) هزمت القوات البروسية المؤلفة من ٦٤ ألف مقاتل ، بقيادة فريدريك ، القوات النمساوية المؤلفة من ٦٦ ألف مقاتل بقيادة فون براون وشارل امير اللورين في معركة براغ التي خسرت القوات النمساوية خلالها اكثر من ١٤ ألف قتيل ، في حين فر ١٦ ألفاً والتحقوا بقوات داون Daun ، أما الباقون منهم فقد تحصنوا في براغ . وفي حزيران (يونيو) ، اسرعت قوات نمساوية بقيادة داون قدر عددها بأكثر من ٥٠ ألف مقاتل لنجدة المحاصرين ، ولكن فريدريك سار لمواجهة هذه القوات بقوة مؤلفة من ٣٤ ألف مقاتل ، ودارت معركة كولن Kolin في ١٨ حزيران (يونيو) ١٨٥٧ التي هزم فيها فريدريك ، وكانت خسائر قواته ١٣ ألفاً بينما بلغت خسائر القوات النمساوية ٨ آلاف .

وهكذا اضطر فريدريك الى رفع الحصار عن براغ والجلاء عن بوهيميا .

وخلال ذلك اجتاح الجيش الفرنسي ولايات الرين ، وألحق الهزيمة بقوة غير متناسبة من أبناء هانوفر وهيس كانت تحت قيادة دوق كمبرلاند الذي اضطر الى الموافقة على اتفاقية كلوستر زيفين التي وضعت اقليمي هانوفر ووستفاليا فعلياً تحت الاشراف الفرنسي . وفي الوقت ذاته كانت القوات الروسية تجتاح حدود بروسيا الشرقية . واصبح الامبراطور فريدريك الثاني في موقف صعب للغاية .

وفي ٥ تشرين الثاني (نوفبر) ١٧٥٧ ، طوقت القوات البروسية بقيادة فريدريك الاكبر ، والمؤلفة من ٢١ ألف مقاتل ، الجيش الروسي – الفرنسي المشترك ، وهزمته في معركة روسباخ Rossbach ، التي لم تستغرق اكثر من ساعتين . وبلغت خسائر الروس والفرنسيين في هذه المعركة ٧ آلاف قتيل ، بينما لم تتعد خسائر فريدريك ٥٠٠ قتيل . وكان الى جانب فريدريك في هذه المعركة اشهر فرسانه بقيادة فون سيدليتز F. W. Von Seydlitz . ثم سار فريدريك بقوة مؤلفة من ٤٣ ألف مقاتل الى سيليزيا وهزم القوات النمساوية المؤلفة من ٧٢ ألف مقاتل يقودهم شارل امير اللورين وداون معاً ، في معركة لوثن Leuthen ، في ٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٧٥٧ ، وانزل بخصومه خسائر جسيمة . واعتبرت هذه المعركة من اكبر انتصاراته . حيث بلغت خسائره ٦ آلاف رجل ، بينما بلغت خسائر اعدائه ٢٢ ألفاً بما فيهم الاسرى ، (١٢ ألف أسير) . ويرجع هذا الانتصار الى قيام فريدريك باستخدام «الهجوم الجبهي المائل» . الذي أمن له تفوقاً بالقوى والوسائط على الاتجاه الحاسم ، رغم تفوق خصومه العام . وبفضل هذا الانتصار صار بوسع فريدريك إلغاء اتفاقية كلوستر زيفين واعادة ثقة بريطانيا في حليفتها بروسيا .

وكانت بريطانيا منذ شهر حزيران (يونيو) من العام ذاته (١٧٥٧) قد اصبحت تحت اشراف قيادة ناجحة اتخذت قرارها لارسال المزيد من المساعدات الى ابناء اقليم هانوفر . وامكن بذلك صد الفرنسيين وإلحاق الهزيمة بهم مما دعم موقف الامبراطور فريدريك وساعده على تطوير عملياته بشكل ناجح . وفي ٢٥ آب (اغسطس) ١٧٥٨ هزم فريدريك القوات الروسية – النمساوية في معركة زورندورف Zorndorf التي اعتبرت من اشد معاركه ضراوة . وقد بلغت خسائره ١٣٥٠٠ رجل من أصل ٣٦ ألفاً . بينما خسرت قوات خصومه ٤٢ ألفاً ، من بينهم ٢١ ألف قتيل . إلا أن قوات نمساوية تحركت من جديد بقيادة داون بلغ عددها ٩٠ ألف رجل ودخلت لوساتيا Lusatia الواقعة بين نهري الاودر Oder والإلب Elbe شرقي ألمانيا ، وهزمت القوات البروسية في هوتشكيرتش Hochkirch قرب مدينة بوتزن Bautzen في صبيحة ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٧٥٨ . واسفرت المعركة عن مقتل ٧٥٠٠ رجل من قوات داون ، و ٩٥٠٠ من القوات البروسية . ولكنها لم تؤد الى طرد فريدريك من سيليزيا . لان النمساويين لم يلجأوا الى المطاردة بعد النصر .

وفي العام ١٧٥٩ ابتدأت قوات فريدريك تعاني انتكاسات حادة ، نتيجة للحروب المتلاحقة التي خاضتها طيلة السنوات المنصرمة . وفي ١٢ آب (اغسطس) من العام نفسه وقعت معركة كونرسدروف Kunersdorf بين القوات البروسية (٤٨ ألف رجل و ٢٠٠ مدفع) والقوات الروسية النمساوية (٦٠ ألف رجل منهم ٤١ ألف روسي ، و ١٩ ألف نمساوي ، بالاضافة الى ٢٤٨ مدفعاً) . ولقد وضع القائد العام للقوات الروسية – النمساوية قواته في هذه المعركة جنوب شرقي مدينة فرنكفورت بالترتيب القتالي الخطي ، مع الاحتفاظ باحتياط مناسب . ورتب القوات على مرتفعات كونرسدورف الثلاثة (مولبرغ ، شبيتص ، يودنبرغ) . وكانت الوديان العميقة تفصل بين هذه المرتفعات . وقد بلغ الطول العام للمواقع المعتمد عليها حوالي ٤,٥ كم . وحقق البروسيون – على عادتهم – تفوقاً عددياً ملحوظاً على اتجاه الضربة الرئيسية ، وهاجموا الافواج الروسية المتمركزة على مرتفع مولبرغ من الجبهة والجانب . واستطاعوا احتلال هذا المرتفع . وبعد ذلك هاجموا منتصف الموضع الروسي اي مرتفع (شبيتص) حيث نشبت معركة دامية كان يتم خلالها دفع القوات الروسية الى المعركة من الجناح الايمن ومن الاحتياطات ، مما اوقف تقدم القوات البروسية ، وحمل فريدريك الثاني على زج القوى الرئيسية لخيالته التي كانت تعتبر افضل خيالة اوروبا . رمع ذلك فقد صدت هذه الخيالة متكبدة خسائر فادحة . بعد صد الخيالة البروسية انطلقت الافواج الروسية بانقضاض سريع مستخدمة ضربات الحراب ، وطردت المشاة البروسية من المرتفع نحو الوادي ، ثم طورت هجومها نحو مرتفع (مولبرغ) . ولم تنجح القوات البروسية في صد ضربات الحراب الروسية فلاذت بالفرار . وبذلك انتهت معركة كونرسدورف ، التي استمرت ٧ ساعات ، خسر خلالها الجيش البروسي حوالي ١٩ ألف رجل بين قتيل وجريح ، و ١٧٢ مدفعاً . وكانت خسائر القوات الروسية حوالي ١٣ ألف رجل ، وخسائر النمساويين حوالي ألفي رجل . وفي موقعة كونرسدورف خسر فريدريك الثاني معظم جيشه ، واقتربت بروسيا من حافة الهاوية ، ولم تحاول القوات الروسية مطاردة القوات البروسية بعد هذا النصر ، ولهذا استطاع القسم المتبقي من جيش فريدريك إعادة تجمعه مرة ثانية على بعد كيلومترات قليلة من فرانكفورت . ولكن داون هاجم الجيش البروسي من جديد والحق به هزيمة في ٢١ تشرين الثاني (نوفبر) ، في ماكسن Maxen الواقعة جنوب درسدن ، واستولت القوات النمساوية على درسدن .

وفي ١٥ آب (أغسطس) ١٧٦٠ احرز فريدريك انتصارات على لودون Laudon (Loudon) عند بفافندورف Pfaffendorf قرب ليينيتز Liegnitz ، كما احرز آخر انتصار له على داون في معركة تورغو Torgau في ٣ تشرين الثاني (نوفبر) من العام نفسه . وفي العام ١٧٦١ استمر فريدريك في دفع الهزائم عنه ماضياً في زحفه دون كلل او تعب من معركة الى معركة ، ولكن اعداءه كانوا يطبقون عليه ويضيقون عليه الخناق حتى ظهر وكأن استسلامه النهائي قد اصبح محتماً . وبينما كان فريدريك ذاته على وشك الانتحار ، حدثت إحدى معجزات التاريخ ، ففي ١٥ تشرين الثاني (نوفبر) ١٧٦٢ توفيت قيصرة الروسيا (اليزابيت) وخلفها بطرس الثالث . وكان من اشد المعجبين بالامبراطور فريدريك الثاني ، فبادر بتحويل الروسيا من عدو الى صديق . وتوفرت الفرصة من جديد امام بروسيا لوقف زحف النمساويين .

ب – العمليات وراء البحار : اشتركت في هذه العمليات قوات فرنسية وانكليزية . وفي هذا المجال ، فان استخدام تعبير «حرب السنوات السبع» انما هو تسمية خاطئة . اذ كان القتال دائراً على هذا المسرح منذ العام ١٧٥٤ ، عندما تجاوزت قوات بريطانية جبال أليغاني Alleghany (اميركا الشمالية) . ولكن هذه القوات لقيت هزيمة منكرة على ايدي الفرنسيين ، ثم حدثت بعد ذلك اشتباكات خلال فترات متباعدة ، ولكن الرجحان على المدى الطويل كان في صالح بريطانيا ، ذلك لان تفوقها البحري الذي ما لبث ان تحول الى سيطرة تامة ، منع الفرنسيين من نقل امكاناتهم القتالية وتحويلها من اوروبا الى اميركا .

وكان العام ١٧٥٨ م إيذاناً بأن تصبح سيطرة بريطانيا البحرية حاسمة. ففي موقعة ايكس رودز Aix-Roads استطاعت البحرية البريطانية تحطيم قافلة بحرية فرنسية كانت متجهة الى كندا، بينما تعرض تشكيل بحري فرنسي خرج من ميناء طولون للهزيمة على بعد مسافة قريبة من شواطىء قرطاجنة. ونجح اسطول النقل البريطاني في نقل قوة ١٢٠٠٠ مقاتل للمساعدة في الاستيلاء على الحصن الفرنسي في لويزبرغ (كندا) وكانت هذه المنجزات الكبيرة بداية لعمليات «عام الانتصار» الكبير بالنسبة الى بريطانيا (١٧٥٩). وفي شهر ايلول (سبتمبر) نجحت القوات البريطانية في اقتحام مرتفعات ابراهام في كندا، وإلحاق الهزيمة بالقوات الفرنسية، واستولت على مدينة كيبيك Quebec . وقد شهد العام ذاته هزيمة منكرة للاسطول الفرنسي. وفي شهر آب (اغسطس)، نجحت القوات البريطانية في إحراز نصر في لاغوس Lagos . وفي تشرين الثاني (نوفبر) أدت معركة خليج كويبرون Quiberon الى تدمير الاسطول الفرنسي، بحيث لم تعد لديه قوة تشكل خطراً على انكلترا.

وأدت سيطرة بريطانيا البحرية الى سقوط الممتلكات الفرنسية فيما وراء البحار واحدة بعد الاخرى (غواديلوب، والدومينيك، والمارتينيك، وسانتا لوتشيا، وبل ايسل)، كما تم الاستيلاء على هافانا من اسبانيا التي انضمت الى فرنسا في العام ١٧٦٢.

وعلى هذا النحو شهدت حرب السنوات السبع حملات كبرى بمنأى عن اوروبا. ولكن ميدان الحرب نقل الى أماكن بعيدة اخرى خارج البلاد الاوروبية (الى الهند) حيث نجحت القوات البريطانية في احتلال شاندرناجور وطرد الفرنسيين من البنغال، وتم الاستيلاء على بونديشيري لحساب بريطانيا في كانون الثاني (يناير) ١٧٦١.

نهاية الحرب: في نهاية العام ١٧٦٢ تكونت القناعة لدى جميع الاطراف المتنازعة بضرورة الوصول إلى السلام. وفي ١٥ شباط (فبراير) ١٧٦٣ عقدت معاهدة هوبرتسبورغ بين النمسا وبروسيا وسكسونيا. وتم بموجبها جلاء القوات البروسية عن سكسونيا، واحتفظ فريدريك بسليزيا فقط. ثم عقدت معاهدة فونتينبلو. وبموجبها احتفظت بريطانيا بكندا والدومينيك وسان فنسان وتوباجو في العالم الجديد، كما اعيد الى فرنسا كل من بونديشيري وشاندرناجور في الهند.

وتظهر عمليات نقل تبعيات الاراضي المستعمرة غير متناسبة مع حجم الخسائر التي تكبدتها الدول المتحاربة في الارواح والاموال، ومع ذلك فقد خرجت بروسيا من الحرب واحدة من اقوى الدول في اوروبا. وتوطد بصفة نهائية تفوق بريطانيا على فرنسا في كل من امريكا الشمالية والهند. وكان نجاح بروسيا والامبراطورية البريطانية من الاحداث التي مارست دوراً حاسماً فيما تبع ذلك من تطورات عالمية.

وكانت حرب السنوات السبع ذات أثر كبير في تطوير فن الحرب، في المجالات الاستراتيجي والعملياتي والتكتيكي. وأبرزت كثيراً من بواكير التطور في مجال دخول جيوش العصر الحديث، لا سيما وان تجارب هذه الحرب قد بدأت مع بداية التوسع في استخدام الاسلحة النارية. وكانت هذه الحرب في طابعها حرباً محدودة رغم اتساع أفقها الى ما وراء البحار. وتعود صفتها (كحرب محدودة) الى اقتصار الاعمال القتالية على مسرح العمليات، وعدم تطورها بعد ذلك. كما تميزت هذه الحرب في المجال الاستراتيجي بأنها تستهدف الانهاك لا الابادة، واستنزاف العدو لا قتله. وقد تميزت حرب السنوت السبع بملامح عامة اخرى منها: الانفصال التام بين الاعمال القتالية في مسرح العمليات وبين تطلعات الجماهير ومشاركتها في هذه الاعمال. وكانت التجارب التي انتهت اليها هذه الحرب مع ما رافقها من ظواهر مختلفة، القاعدة التي استندت اليها التطورات الحربية اللاحقة، والتي اخذت كامل ابعادها في الحروب التي شهدتها اوروبا بعد ذلك.

(٥) الحرب السياسية

هي استخدام القوى السياسية داخل معسكر الخصم او العدو، وتتضمن استخدام النشاط الهدام، وغيره من النشاطات السرية. وهي تعتمد على الحرب النفسية اكثر من اي شيء آخر. وقد تكون الحرب السياسية مرتبطة بصراع مسلح او مجابهة، الا ان بعض اشكال الحرب السياسية (باستثناء النشاط الهدام) هي من صلب العلاقات الدولية، والنشاط الدبلوماسي. فقيام مسؤول في دولة ما بشرح وجهة نظر بلاده لدى دولة اخرى، قد تحسن من وضع بلاده في مفاوضات تجري بين الطرفين، او تعتبر متطرفة وتثير معارضة داخلية.

وتعتبر الحرب الباردة جزءاً من الحرب السياسية، وأسلوباً من أساليبها، على اعتبار انها تؤثر على معنويات الخصم، وتؤثر على قرارات قياداته بشكل يؤمن مصالحنا. ويلاحظ أن هذا النوع من الحرب قد استخدم عبر القرون. وكان في مرحلة ما قبل العصر النووي نوعاً من الضغط لتحقيق الغرض، مع التهديد بالحرب بمعناها القتالي إذا ما تعذر تحقيق الغرض بالوسائل السياسية. أما في العصر النووي فان الحرب السياسية تشكل مع الحرب المحلية المحدودة الوسيلة الممكنة لحل النزاعات، طالما أن اللجوء إلى الحرب النووية غدا متعذراً لخطورته على الطرفين.

ومن هنا نرى أن الحرب السياسية هي أعلى درجة من درجات حوار الإرادات السياسية، قبل أن تتحول السياسة إلى استخدام أعنف وسائلها: الحرب.

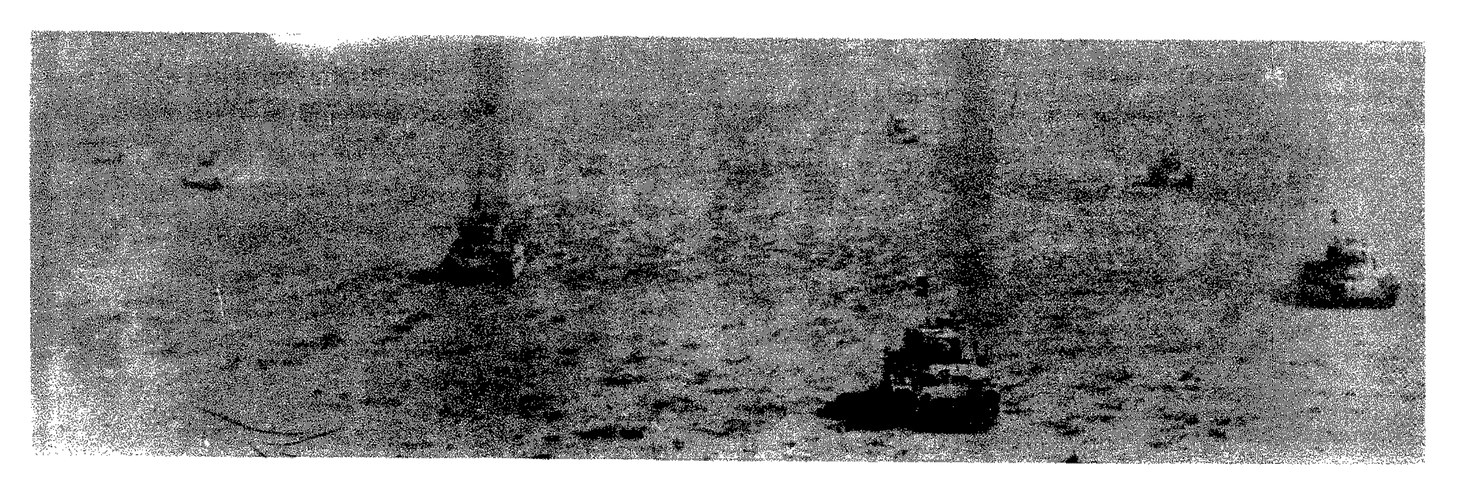
(٤) حرب شاملة

إصطلاح يقصد التعبير عن حالة الصراع المسلح الذي ينشب بين قوتين أو أكثر، ويتم فيه استخدام كافة الاسلحة دون تمييز بين الاهداف المدنية والعسكرية. ولكن لم يحدث عملياً خلال الحروب الحديثة استخدام شامل لكافة انواع الاسلحة التقليدية أو النووية ضد مختلف الاهداف العسكرية والمدنية، ولذلك فأن هذا الاصطلاح، الذي نشأ في أعقاب الحرب العالمية الاولى أثر شيوع استخدام الطائرات في القتال ومن ثم امكان نقل الحرب بسرعة إلى المؤخرة عن طريق القصف الجوي، أصبح يعني وفقاً لاستخدامه الادبي الجاري، الحرب التي لا تقف عند خط جبهة القتال الميدان فحسب وإنما تتعداها إلى العمق أو المؤخرة العسكرية والاقتصادية والسكانية بواسطة السلاح الجوي عادة.

تندلع الحرب الشاملة عندما يكون هدف النزاع بين الطرفين كبيراً جداً، وعندما يحس كل طرف بأن التخلي عن هدفه يشكل خسارة حيوية. ويكون هذا النوع من الحروب عنيفاً كبير التكاليف، ولا ينتهي بعد خسارة معركة أو أكثر، بل يستمر حتى يتم الحسم الاستراتيجي على أرض المعركة، أو يتم انهيار الخصم بسبب ضغط الحرب. ويعتبر لودندورف من أكبر منظري هذه الحرب (انظر لودندورف).

(٥) حرب الشمال (١٧٠٠–١٧٢١)

(انظر الحرب الروسية – السويدية)



التشكيلات المدرعة الكبيرة تناور في الصحراء كما تناور السفن في عرض البحر

(٤) حرب الصحراء

تختلف الحرب في الصحراء عن الحرب في الاراضي الأخرى ، وذلك لافتقارها الشديد إلى الموارد الطبيعية والمياه وخطوط المواصلات الكافية ، وبسبب إتساع رقعة الصحراء وخلوها تقريباً من الموانع الطبيعية والسواتر ومن المواقع الدفاعية الصالحة للدفاع الثابت القوي .

وقد خلق اتساع الارض في الصحراء موقفاً لم يسبق حدوثه من قبل في الحروب فوق الاراضي الاخرى ، إذ كثيراً ما كانت قوات الطرفين تتداخل وتتشابك أثناء القتال بدرجة من شأنها تلاشي الخطوط المحددة لكل منهما ، وهذه نتيجة طبيعية لظروف الحرب المتحركة خفيفة الحركة التي تمارسها القوات المدرعة والميكانيكية ، أبرزتها بوضوح تام طبيعة الارض في الصحراء خلال معارك الحرب العالمية الثانية ، وحرب السويس عام ١٩٥٦ ، وحرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، الأمر الذي يجعل المعركة الصحراوية المتحركة تتشابه كثيراً بالمعارك البحرية التي تدور بين الاساطيل المتحركة .

إن اتساع الصحراء وخلوها من الموانع الطبيعية وصلاحية تربتهـا في اجزاء كثيرة متصلة لسير الآليات ، فتح آفاقاً واسعة لامكانات المدرعات ، والتشكيلات الميكانيكية الاخرى ، في القيام بعمليات الخرق والتطويق والالتفاف والمطاردة السريعة للوصول إلى قواعد الامداد ومراكز القيادات والمواصلات . ومن جهة أخرى فأن اتساع الصحراء يجعل من الصعب حصار القوات فـيها حصاراً متكاملا في معظم الحالات ، خاصة إذا كانت هذه القوات محمولة على آليات قادرة على السير فوق الرمال ، هذا لأن أية قوة مقاتلة يمكنها في أغلب الحالات اختراق حلقة الحصار بسرعـة ، والافلات إلى الصحراء الفسيحة أثناء الليل ، متى كان بناء هذه القوة التنظيمي سليماً متماسكاً ، وكانت قيادتها حازمة هادئة الاعصاب سليمة الاختيار لأهدافها التكتيكية .

وتشكل الصحراء أيضاً ميدان رماية ممتاز للغاية بالنسبة للمدفعية بمختلف أنواعهـا ، وبالنسبة للصواريخ الموجهة المضادة للدبابات بمختلف أنواعها ، سواء اطلقت من فوق سطح الارض ، أو من طائرة مقاتلة نفاثة ، أو هليكوبتر مسلحة .

ويتمتع الاحتفاظ بالأرض بأهمية ثانوية في حرب الصحراء ، إلا إذا كانت هذه الارض في بعض الحالات ذات أهمية تكتيكية أو استراتيجية معينة ، ذلك لأن العامل الرئيسي في قتال الصحراء ذات الاتساع الكبير هو المحافظة على القوات ، وخاصة المدرعة والميكانيكية منها ، وتدمير قوات العدو الرئيسية وخاصة المدرعة منها .

ويؤدي افتقار الصحراء إلى موارد الغذاء والمياه وصعوبة المواصلات إلى خلق صعوبات شديدة من الناحية الادارية (اللوجيستيكية) ذلك لأن كل قطرة ماء (في أغلب الاحوال) ، وكل وجبة طعام ، وكل طلقة ذخيرة ، وكل جالون وقود ، يجب أن تنقل عبر طرق مواصلات غير كافية في معظم الظروف ، ومعرضة لغارات الطيران المعادي فوق الصحراء المكشوفة ، ولذلك فأن كفاءة الخطة الادارية (اللوجيستيكية) قد تفوق كفاءة خطط العمليات الحربية نفسها من حيث الاهمية ، وقد عبر عن هذه الحقيقة المتعلقة بحرب الصحراء الجنرال « رافنشتين » — قائد الفرقة المدرعة الالمانية ٢١ أثناء معركة الكروسيدر عام ١٩٤١ — بقوله المعروف « ان الصحراء هي جنة رجل التكتيك ، وجحيم رجل الشؤون الادارية » .

وتلعب الدبابات أو المدرعات بصفة عامة ، الدور الحاسم في حرب الصحراء ، وذلك في حالة تساوي الجانبين في القوة الجوية ، والقيادة ، والشؤون الادارية والتدريب . ويرجع هذا إلى قدرة الدبابات على الحركة والمناورة السريعة الواسعة ، دون أي قيود تقريباً على حركتها فوق الأرض الصحراوية .

ويلعب الطيران دوراً خطيراً للغاية في حرب الصحراء ، نظراً لقدرته على استخدام القنابل والصواريخ العادية أو الموجهة بسهولة ، وارتفاع قدرته على إصابة الدبابات ، أو الآليات ، والشاحنات المعادية التي تشكل ، في حالة عدم وجود حماية جوية مناسبة أو دفاع جوي فعال ، اهدافاً مكشوفة للغايـة للطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة .

وتعتبر حرب الصحراء نوعاً شاقاً من أساليب القتال ، يتطلب اعداد قوة برية على مستوى عال من القدرة على القتال المتحرك ، والمرونة في القيادة والشؤون الادارية ، تعاونها قوة جوية فعالة ، ودفاع جوي قوي ، ويتمتع رجالها بقـدر مرتفع من التدريب ، وقوة الاحتمال ، وثبات الاعصاب ، والقدرة على التصرف السريع من جانب القيادات على مختلف المستويات .

(٦) الحرب الصينية — الهندية (١٩٦٢)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٥) الحرب ضد العصيان

هي حرب تشنها حكومة شرعية (او يفترض انها شرعية) ضد جماعة او جماعات تشن حرباً ثورية، او تدير ثورة مسلحة محلية (عصياناً).
ولقد اصبح للحرب ضد العصيان شكلا محدداً تبلور نتيجة لحرب فيتنام والحروب الاستعمارية الاخرى. وفي حين تطورت وسائل وتقنيات مكافحتها، الا انها لم تستطع تقديم مبادئ عامة يمكن تطبيقها في كل الحالات.

اما اهم اشكال الحرب ضد العصيان فهي «العمل المدني» على مستوى القرية، ويتضمن هذا العمل تقديم المساعدات الاقتصادية والتقنية والدعائية للقرية، بالاضافة الى استخدام مجموعات مسلحة من المشاة على نطاق ضيق ضد قوات العصابات. اما على المستوى الوطني العام فيأخذ «العمل المدني» شكلا اوسع يتضمن تقديم المساعدات الاقتصادية والتقنية واستخدام القوات التقليدية في عمليات واسعة النطاق (انظر التكتيك المضاد للعصابات)

وتعتمد الحرب ضد العصيان على تقنيات خاصة تتسم بالعنف والعقوبات الجماعية، والقمعية، مثل جمع السكان في قرى معزولة لمنعهم من مساعدة الثوار، وتدابير الانتقام كنسف المنازل، واسلوب اخذ الرهائن واعدامها. بالاضافة الى استغلال التناقضات الدينية والعرقية والمذهبية في البلد الواحد لاثارة جزء من السكان ضد الجزء الآخر. واستخدام الحرب التعسفية على نطاق واسع.

وكان سائداً حتى فترة قريبة ان تقوم دولة كبرى بتقديم المساعدة الاقتصادية والعسكرية والتقنية للحكومة الشرعية (او التي يفترض انها كذلك). وقد تغير هذا الوضع في اواخر حرب فيتنام، حين رأت الولايات المتحدة ضرورة «فتنمة الحرب» وفق مبدأ «محاربة الآسيويين بالآسيويين»، ثم غدت هذه الفتنمة منهجاً جديداً يتلخص في ان تقدم دولة كبرى الى الحكومة الشرعية (او التي يفترض انها شرعية)، المساعدات السابق ذكرها، دون ان يشارك افراد من قواتها في العمليات الفعلية المدنية او العسكرية، وان يحل افراد من البلد ذاته محلها قدر الامكان (انظر الفتنمة)

(٨) حرب طرواده (١٢٤٠ ق. م)

عرفت حرب طرواده Guerre de Troie من خلال أشعار الشاعر اليوناني العظيم هوميروس



الصراع بين آخيل وهيكتور

في ملحمتيه: الاليـاذة Iliade والأوديسه Odyssée، حتى ساد الاعتقاد طويـلا انه لا وجود في الواقع لحقيقة حرب طرواده، وان هذه الحرب ليست إلا من نسج خيال شاعر، وضعها لاثارة حماسة شعبه اليوناني في الريف والمدينة، وحشد طاقات ابناء الامة اليونانية، وذلك خلال الفترة التي عاشها هوميروس (القرن التاسع قبل الميلاد). ثم جاء الشاعر فيرجيل بعد عدة قرون، ليضع في القرن الأول الميلادي، في عهد صديقه الامبراطور اوكتاف (الذي لقب باسم اوغوست بعد وصوله إلى العرش) قصيدة الإنيادة Eneide ويضمنها الكثير من حلقات حرب طروادة، وخاصة هروب الامير انياس، الذي استطاع الهروب وحده من مدينة طرواده بعد تدميرها، ليستقر في سهـل لاتيوم Latium، وينجب أسرة عملت على تأسيس روما.

وكان اول من حاول اثبات حقيقة طرواده الالماني هنريخ شليمان الذي قام بالحفريات، ونجح في تحديد مكان طرواده والكشف عن آثارها. ثم جاء علماء الآثار المحدثون، وفي طليعتهم ويلهلم دوربفلد الالماني الجنسية، وكارل بليجين الأمريكي الجنسية، فأعادا الحفريات، وامكن الكشف عن آثار تسع مدن بعضها فوق بعض، كلها تحمل اسم طرواده. وكانت طرواده المعنية بالحرب هي طرواده السابعه التي عاشت في الفترة (١٢٧٥ — ١٢٤٠ ق. م) وبذلك امكن تحديد زمن هذه الحرب بدقة واحكام. وكانت طروادة السادسة قد دمرت بتأثير زلزال فعمل من بقي من اهلها على إعادة بنائها واحاطتها بأسوار كثيفة ومنيعة وتوسيعها حتى تضم آلاف المواطنين في اكواخ صغـيرة متجمعة بعضها الى بعض. واعتاد الطرواديون لعدة قرون ان يختزنوا المواد الغذائية والزيت والنبيذ في جرار ضخمة يصل طول الواحدة منها الى مترين تقريباً.

وقد غاص عدد كبير من امثال هذه الجرار حتى حوافها تحت أرضيات البيوت وغطيت بأغطية من الحجارة. وكان التنظيم الدفاعي للمدينة وتحصينها مساعداً على الصمود في مجابهة الحصار الطويل. وكان ارتفاع الأسوار الكثيفة لا يقل عن ثمانية أمتار.

وتقع مدينة طروادة على تـل ميسارليك Hissarlik في موقع مشرف على السهول المجاورة التي تمتد حتى البحر، حيث تقف في مواجهتها جزيرة تينودس الصغيرة عند المدخل الجنوبي لمضيق الدردنيل. وكانت المدن اليونانية خلال تلك الحقبة تتنافس فيما بينها للحصول على السيطرة التجارية. وكانت طروادة، أو ايليون Ilion كما تذكرها بعض المصادر التاريخية، من اقوى المراكز التجارية بسبب سيطرتها على بحر ايجه، ومنعها بقية المدن اليونانية من استثمار خيرات شواطئ البحر الأسود، مما اثار هذه المدن ودفعها الى التكتل جميعاً والعمل بصورة مشتركة لتدمير طرواده وإزالتها من الوجود. ولكن ملحمتي الالياذه والأوديسه تتجاهلان هـذا الحافز، وتزعمان ان الحرب قد وقعت بسبب ذهاب باريس الكسندر Paris Alexandre ابن ملك طرواده العجوز بريام Priam لزيارة اسبارطه حيث استقبله ملكهـا منيلاوس Menelaus. وخلال الزيارة التي باريس بزوجة ملك اسبارطه واسمها هيلانه Helen، واعجبه جمالها، فغدر بمضيفه، واختطف زوجته، وقام ملك اسبارطه بطلب الدعم من ملوك المدن اليونانية لتحرير زوجته، فأسرع هؤلاء لنجدته، وكانوا جميعاً محـاربين اشداء، منهم أخيل وأجاممنون وأوليس وديوميـد وأجاكس. ولقد جهز كل واحد منهم جيشه، وأقلعوا معاً بسفنهم (١٢٠٠ سفينة) متجهين الى طرواده، وعقدوا لواء قيادتهم لأجاممنون الذي انتخب قائداً للحملة المشتركة.

ألقى الاسطول اليوناني مراسيه في خليج طرواده، وأقام الجنود خيماتهم حول خيمة الملك التي تميزت بانها اكبر حجماً واكثر فخامة، ثم قام أجاممنون بتنظيم الهجوم، وأعطى الشارة المتفق عليهـا، فانطلقت القوات اليونانية جميعها في الهجوم على طرواده. ولكن اهل طرواده استطاعوا احباط الهجوم بفضل مقاومتهم الباسلة ودفاعاتهم الحصينة، مما ارغم القوات اليونانية على الانسحاب والاكتفاء بحصار المدينة. وقد استمر هذا الحصار عشرة أعوام كاملة حاول اليونانيون خلالها اقتحام طرواده مرات عديدة، وكان الفشل نصيبهم باستمرار. وكان اهل طرواده

كثيراً ما ينظمون اغارات مباغته، فيتسللون من حصونهم، وينطلقون الى مخيمـات خصومهم، ويعملون على احراقها، او اشعال النيران في السفن اليونانية، ثم يعودون بعدها الى ما وراء اسوار المدينة. وكان هكتور ابن بريام واينياس من اشجع محاربي طرواده على الاطلاق.

وخلال هذه الحرب انقسمت الآلهة اليونانية على نفسها. فوقف الى جانب اليونانيين كل من هيرا زوجة زوس، وأتينيه إلهة الحكمة، وبوسيدون إله البحر، على حين وقف الى جانب طرواده مارس إله الحرب، وأفروديت إلهة الجمال، وأبوللو إله الشمس. وفي العام الأخير من الحرب دارت معركة عنيفة فريدة في نوعها عندما غادر هكتور أقوى محاربي طرواده تحصينات مدينته للقاء أخيل البطل اليوناني تحت اسوار طرواده. وخلال هذا اللقاء قذف أخيل رمحه أولا، ولمس الرمح درع هكتور ولكنه لم يتمكن من اختراقه، وخلال الصراع انحنى هكتور لالتقاط سيفه فوجه أخيل رمحه (الذي أعطته له أتينيه) الى عنق خصمه، فقتله وحمل أخيل جثمان عدوه الى معسكره بعد ربطه من قدميه الى مركبته وطاف به حول أسوار طرواده متحدياً لها، وفي اليوم التالي جاء بريام الى اعدائه محملا بالهدايا وأخذ يتوسل الى أخيل وهو راكع تحت قدميه أن يعيد اليه جثة ابنه فوافق البطل اشفاقاً عليه.

فقدت طرواده بمقتل هكتور اكبر المدافعين عنها بعد عشر سنوات من الحرب، ولكن لم تمض سوى فترة قصيرة حتى اتيحت الفرصة امام طرواده للانتقام فقد استطاع باريس (بمساعدة أبوللو) توجيه سهم مسموم الى عقب أخيل، وهو المكان الوحيد الحساس من جسمه، فسقط أخيل قتيلا (انظر اخيل). وانتقم باريس لمقتل هكتور وتعادلت الخسارة.

كان أوليس من أكثر الاغريق دهاء ومكراً. ووجد ان الحصار الطويل لم يضعف من ارادة طرواده ولم يحملها على الاستسلام فوضع مخططاً للغدر بالمدينة. وحمل الجيش اليوناني على التظاهر بالانسحاب ورفع الحصار، واقلعت السفن بالجيش اليوناني الذي لم يتحرك لمسافة بعيدة واختفى خلف جزيرة غير بعيدة عن الشاطئ (هي جزيرة ثينودس على الأغلب) وترك اليونانيون حصاناً خشبياً ضخماً اتقن صنعه الى درجة مذهلة، وكان يختفي في جوف الحصان أوليس ومعه عدد من زملائه، وعندما وثق اهل طرواده من رحيل اليونانيين خرجوا من مدينتهم وهم يعتقدون ان الحرب قد انتهت وانطلقوا الى السهول، فوجدوها خالية إلا من الحصان الخشبي الضخم، وهنا تقدم احد اليونانيين، وتظاهر بخيانة قومه، واقنع أهل طرواده بضرورة نقل الحصان الى داخل اسوار طرواده. ولكن الحصان كان كبيراً الى درجة ان ادخاله المدينة اضطر الطرواديين لفتح ثغرة في جدران الحصن. وبعد الانتهاء من هذه العملية انطلق اهل طرواده الى احتفالاتهم بالنصر وانتهاء القتال، واستغرقوا في مرحهم وهم يصخبون ويرقصون فرحين. وما ان نامت المدينة حتى انفرج بطن الحصان وخرج منه أوليس والمقاتلون اليونانيون وانطلقوا الى الابواب يفتحونها والى الحراس يقتلونهم. وكان اليونانيون قد عادوا بجيوشهم الكبيرة فاقتحموا الابواب الكبيرة المفتوحة، وتبع ذلك مذبحة رهيبة ابيد خلالها المقاتلون من رجال طرواده في حين كان الأسر من نصيب النساء، حيث حملن الى أثينا لبيعهن في سوق الرقيق. وقد قتل الملك العجوز بريام، وأحرقت طرواده، وتمكن منيلاوس اخيراً من العثور على زوجته واسترجاعها من خصمه.

لقد كانت ملاحم الالياذه والاوديسه والانياذه المصدر الوحيد الذي سجل وقائع هذه الحرب واحداثها. وعلى الرغم من ظهور آثار مدينة طرواده المطابقة لما جاء في الملاحم فان الشك لا زال عالقاً في الاذهان حول حقيقة هذه الحرب، وحول صحة وقائعها. وهناك بعض المصادر التي تطعن حتى بوجود الشاعر هوميروس ذاته، وتنسب الالياذه والاوديسه الى عدد من الشعراء اليونانيين الذين وضعوا هذه الملاحم في عصور متتالية.

(١٤) الحرب طويلة الأمد

الحرب طويلة الأمد، هي نوع من الصراع المسلح بين قوتين متمايزتين بخصائصهما الاساسية. وتحاول احداهما تبديل ميزان القوى وتحقيق الحسم عن طريق إطالة أمد الصراع.

ولا يأتي طول مدة الحرب نتيجة لكون أحد الطرفين قوياً في حين يكون الطرف الآخر ضعيفاً، أو لأن أحد البلدين كبير والبلد الآخر صغير، أو لأن أحدهما تقدمي والآخر رجعي، أو لأن الأول يحظى بدعم دولي كبير في حين يكون البلد الثاني محروماً من هذا الدعم، فقد يحدث أحياناً أن يبتلع الكبير الصغير أو العكس حيث يعمد الصغير الى ابتلاع الكبير، وحكم الدول في هذه الأمور كحكم الأشياء. اذ لا يستبعد مثلا أن يقضي نظام رجعي أو دولة رجعية على دولة تقدمية أصغر منها أو أضعف منها، وهنا تشكل المساعدة الخارجية عاملا هاماً، ولكن هذا العامل يبقى في كل الاحوال عاملا ثانوياً لان الاعتماد على مصادر القوة الخارجية شيء والاعتماد على الامكانات الذاتية شيء آخر.

وهكذا فقد يكون سبب اللجوء الى الحرب طويلة الأمد التقاء كل هذه العوامل او معظمها، حيث يكون لكل طرف من الطرفين المتصارعين نقاط ضعفه ونقاط قوته. ونظراً لتوفر ارادة الصراع عند الطرفين فسيحاول الطرف الضعيف (مرحلياً) بالعمل لمعالجة نقاط ضعفه وزيادة نقاط القوة مع العمل في الوقت ذاته على اضعاف القوة (المرحلية) التي يتميز بها العدو، وزيادة نقاط ضعفه، وبذلك يمكن الوصول الى تبديل ميزان القوى وتحقيق النصر. ونظراً لما تتطلبه هذه التفاعلات عبر الصراع المسلح من زمن، فان الصراع يأخذ طابع الاستمرار لفترة طويلة، وهذا هو سبب طول مدة الحرب طويلة الأمد.

يتميز أحد الخصمين عادة، في الحرب طويلة الأمد، بميزة واحدة (مرحلية مؤقتة) هي تفوقه في الناحية العسكرية، في حين تكون صفاته الأخرى مليئة بنقاط الضعف. ويكون الخصم الآخر ضعيفاً (مرحلياً ولفترة مؤقتة أيضاً) في الناحية العسكرية، في حين تكون صفاته الأخرى مليئة بنقاط القوة. ويعمل الطرف الأضعف على معالجة السلبيات بسرعة لخلق التوازن وذلك عن طريق خلق جبهة داخلية موحدة. وتعبئة كل القوى، والاعتماد على العامل المعنوي. وعلى الرغم من أن هذا التبدل لا يأخذ الصفة الجذرية إلا أنه كاف لاجراء التعادل في الموقف وفي ميزان القوى مع الخصم. وقد يحدث خلال هذا الصراع الطويل، أن يحقق الطرف الأقوى (عسكرياً) على الطرف الأضعف (عسكرياً) انتصارات كبيرة، وأن يلحق به هزائم شديدة، ولكن هذه الانتصارات نسبية وغير مطلقة لأن الطرف الأضعف (عسكرياً) يستند الى تفوقه السكاني، واتساع رقعة بلاده، وعدالة قضيته، والدعم العالمي للقوى المحبة للسلام – حتى داخل معسكر خصومه – بينما يكون الطرف المتفوق (عسكرياً) ضعيفاً في عدد سكانه، ويحتل رقعة محدودة من الأرض ويقاتل في سبيل قضية غير عادلة، وليس له سوى دعم عالمي محدود.

هنا، ومن خلال المقارنة بين خصائص الطرفين المتصارعين في الحرب طويلة الأمد، تظهر بشكل واضح نسبية القوة، وعدم أخذها الصفة (المطلقة). وهذا يعني ان التفوق غير ثابت وغير أبدي وفي غير صالح الطرف المتفوق عسكرياً خلال فترة

مرحلية ، اذا كان لهذا الطرف نقاط ضعيفة كثيرة أخرى .

يتطلب النجاح في الحرب طويلة الأمد توفر شروط ثلاثة وهي : أ — تكوين جبهة وطنية موحدة ضد عدو الوطن ، وتجاوز التناقضات الثانوية في سبيل الصراع لحل التناقضات الرئيسية مع المستعمر . ب — تنظيم جبهة عالمية موحدة ضد عدو الوطن على المستوى الدولي . ج — تنظيم الشعب في اطار ثورة جماهيرية تشمل القطاعات المختلفة في البلاد من أقصاها إلى أقصاها . ويحتاج توفير هذه الشروط الى فترة زمنية طويلة ، وعلاوة على ذلك فان هذا النوع من الحروب ليس من الحروب السهلة ، انه صراع حياة أو موت ، صراع يدور بين خصمين يختلف احدهما عن الآخر بكثير من الصفات الاجتماعية والانسانية .

ويتميز أحد الخصمين (الطرف العدواني) عادة بالخصائص التالية : ١ — كونه عدواً يعتمد على دولة قوية امبريالية تؤهله قواته المسلحة وقدرته الاقتصادية وجهازه الدولي لأن يكون في الصف الأول بين الدول . وهو يعد من بين الدول الامبريالية التوسعية في العالم . وتلك هي العوامل الاساسية للحرب العدوانية التي يشنها هذا العدو الذي تقصر الامكانات المقابلة عن مجابهته (مرحلياً) ، ٢ — ان الطبيعة الامبريالية ، والاخلاق الاجتماعية للعدو تحدد وحشية هذا العدو واستخدامه للاساليب اللاانسانية واللااخلاقية التي يتبعها في هذه الحرب ، ومما لا ريب فيه هو أن محصلة هذه العوامل ستثير التناقضات حتى حدودها القصوى ، حتى بين طبقات الشعب داخل الدولة المعتدية ذاتها . كما تعمق جذور التنافر والتباعد بين شعب العدو والشعب الذي يقع عليه العدوان ، وفي الوقت ذاته بين هذا العدو وبين كثير من شعوب العالم التي تقاوم الظلم وتحارب العدوان وتتصدى لمجابهة كل عقلية متسلطة . كما أن الاساليب العنيفة والطرق الهمجية التي يتبعها العدو في حربه ، والمعاملة غير الانسانية التي يعامل بها السكان أصحاب البلاد ستكون من العوامل الرئيسية التي تضمن هزيمة العدو الحتمية ، ٣ — على الرغم من اعتماد المعتدي في حربه الظالمة على قوته العسكرية وامكاناته الاقتصادية فان هذه الارضية التي يستند اليها غير كافية أبداً لضمان نجاحه على المدى البعيد . ذلك أن هذا التفوق هو تفوق نوعي لا يمكن أن يجابه التفوق الكمي الذي يتحول الى تفوق نوعي مع طول مدة الحرب . ولهذا فان المعتدي لا يستطيع الاستمرار في الحرب طويلة الأمد مهما حاول حكام هذا الطرف العدواني تغطية قصورهم بستار من دخان الدعاية المضللة المخادعة . ويأمل حكام هذا الطرف العدواني تجاوز الصعاب والعقبات عن طريق الحرب . ولكنهم يصلون بالنتيجة الى عكس ما يأملون تماماً ، أو بعبارة أخرى ، انهم يشنون الحرب العدوانية لحل صعوباتهم ولكن الحرب تزيد من هـذه الصعوبات وتضاعف من تعقيداتها اكثر فأكثر . وينتهي الصراع الى ابتلاع كل شيء كان يملكه العدو قبل كل عدوان ، ٤ — وأخيراً ، وعلى الرغم من حصول المعتدي على مساعدات خارجية غير محدودة (من مصادر عدوانية أيضاً) فان القوى الدولية والرأي العام العالمي الذي يدعم السلم وحق تقرير المصير ، ويشجب الاستعمار بجميع صوره وأشكاله ، لا بد له وأن يصطدم مع الدول التي تساند العدوان ويعمل على عزلها دولياً . ويكون لهذا الدعم الدولي المتعاظم يوماً بعد يوم والمتعاطف مع القضية العادلة دور كبير على الصعيد العالمي وهنا يدخل في الحساب القانون التابع من طبيعة الحرب نفسها : وهو ان الحرب غير العادلة لا تجد من يدعمها ولا تلقى من يؤيدها .

ويتميز الطرف المعتدى عليه عادة بمجموعة من الخصائص : ١ — وجود تناقضات اجتماعية هائلة ، وتمزق اقليمي رهيب ، واقطاع رجعي جائر الى جانب وجود ثورات تقدمية قديمة وحديثة وذلك بسبب الوقوع تحت براثن الاستعمار لوقت طويل . وتؤثر هذه العوامل بالبلد المعتدى عليه فتجعله ضعيفاً ، ويكون من الطبيعي نتيجة لذلك ان تكون القوات العسكرية دون المستوى المطلوب ، وان تكون القدرة الاقتصادية محدودة ؛ وان تكون الادارة الحكومية اقل كفاءة من جهاز ادارة العدو الذي يخطط للتوسع عن طريق العـدوان ، ٢ — لكن حركة التحرر التي تنمو وتتطور باضطراد متسارع على مر السنين ، بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ ، تتابع طريقها دون توقف . ومن المحتمل ان تجابه قوى التحرر بعض الانتكاسات ، ولكن اصالة هذه القوى واستنادها الى منطلقات سليمة ستجعلها تتجاوز العقبات والصعاب لتخرج من كل انتكاسة وهي أصلب عوداً واكثر عناداً في تصميمها على رفض الاستسلام وعدم قبول الظلم والعدوان . وهكذا ومن خلال الصراع اليومي تكتسب القوى الوطنية صلابتها التي تساعدها على رسم ابعاد الحرب طويلة الأمد وقبول كل ما تفرضه طبيعة هذه الحرب لانها حرب من أجل التقدم ، وهي حرب عادلة بالنسبة للطرف المعتدى عليه ، وهي حرب ستوحد البلاد حول اهداف نبيلة ، وهي ايضاً حرب ستثير التناقضات بين صفوف العدو وكتله الجماهيرية وستمزق امكاناته ، ٣ — وعادة ما يكون الطرف المعتدى عليه في الحرب طويلة الأمد متميزاً بمجموعة من الخصائص ، مثل كونه من البلاد الكبرى في العالم التي تمتد فوق مساحات واسعة من الأرض تتوفر فيها موارد طبيعية وثروات غنية تجعلها من أغنى بلاد العالم . وهي بالاضافة الى ذلك كثيرة السكان ، ويمكنها تكوين قوات عسكرية كبيرة يحسب حسابها ، كما أنها قادرة على احتمال اعباء الحرب طويلة الأمد بسهولة وذلك مهما طال أمد الحرب — على عكس عدوها تماماً ، ٤ — واخيراً ، فان الدعم الدولي واسع النطاق الذي تحظى به البلاد المعتدى عليها (على الصعيد العالمي) لكونها تقاتل دفاعاً عن حقها في الوجود ، وتخوض حرباً عادلة لتحرير أراضيها من الاحتلال الجائر والعدوان الغاشم ، يقابله في الجهة الثانية استنكار وشجب لما يقوم به الطرف العدواني من اعمال تتنافى مع منطق العصر ومع القيم الانسانية الحقيقية .

وما دامت الحرب طويلة الأمـد ستكون في جوهرها مع عدو تقليدي (هو الاستعمار) فان النصر النهائي سيكون الى جانب الطرف المعتدى عليه ، مهما طال الزمن .

وتمر الحرب طويلة الأمد أثناء تطورها وخلال مسيرتها بثلاث مراحل : ١ — مرحلة هجوم العدو الاستراتيجي وفترة الدفاع الاستراتيجي للطرف المعتدى عليه ، ٢ — مرحلة قيـام العدو بالتحصين الاستراتيجي لمواقعه وفترة استعداد الطرف المعتدى عليه للقيام بالهجوم المعاكس ٣ — مرحلة قيام الطرف المعتدى عليه بالهجوم المعاكس الاستراتيجي وانسحاب العدو الاستراتيجي . وليس من الضروري دائماً أن تمر الحرب طويلة الأمد بهذه المراحل بشكل حتمي ، فقد يتم حرق مرحلة منها ، أو الانتقال الى مرحلة أعـلى ثم العودة إلى المرحلة السابقة . ولكن هذه المراحل ترسم المسار الطبيعي لحرب طويلة الأمد مقادة جيداً نحو النجاح .

ويكون الشكل الاساسي للعمليات العسكرية في المرحلة الأولى هو « حرب الحركة » أما الشكل الثانوي فهو « حرب الانصار » و « حرب المواقع » . ويجب الا يغيب عن الذاكرة أن أهم عمل يجب القيام به خلال المرحلة الأولى للحرب هو إنشاء الجبهة الموحدة وتحقيق وحدة الصف ، حتى تصبح الأمة بكاملها كتلة متراصة واحدة . ان الطرف العدواني في الحرب طويلة الأمد ، يستخدم في سبيل الوصول الى اهدافه أبشع الاساليب الهمجية وأقذر

الأعمال الوحشية وأقسى الاجراءات التعسفية بهدف ارغام الطرف المعتدى عليه وحمله على الاستسلام واذلاله عن طريق تنفيذ اعماله العدوانية بمعركة خاطفة للوصول الى حدود الخارطة الجغرافية للبلاد التي يريد احتلالها. وستعاني البلاد المعتدى عليها من الخسائر المادية والمعنوية الكبيرة، ولكن ذلك يجب الا يكون عائقاً في مجال متابعة الاستعداد للاستمرار في الحرب خلال المرحلة الثانية. وان متابعة الاستعداد والصمود للعدوان مع الاستناد الى دعم ثابت لتأمين التسلح واستمرار الصمود والمقاومة في هذه المرحلة سيساعد على تحطيم قوى العدو المعنوية تدريجياً. وتبدأ ملامح التحول تظهر في الافق لتشير نحو انتقال الطرف العدواني من عجز الى عجز في موازنته واقتصاده، ويظهر التذمر في أوساط شعب الطرف العدواني ويبدأ الهجوم ضد الطغمة التي تدير الحكم وتجر البلاد الى النكبات والدمار. وتبدأ نتائج (حرب الانهاك) في الظهور على ملامح قوات العدو من خلال التشاؤم المتصاعد الذي يأخذ في الانتشار بين اوساط العدو وأنصاره.

أما المرحلة الثانية فيمكن أن يطلق عليها اسم «مرحلة الاستقرار الاستراتيجي». ومن ضروراتها الالزامية النجاح في ارغام الطرف العدواني مع نهاية المرحلة الأولى للحرب على ايقاف هجومه الاستراتيجي عند نقاط محددة نتيجة لعاملين اساسيين هما المقاومة الضارية التي امكن مجابهته بها، وقصور قواته المسلحة عن التوغل في العمق خلال هجومه اكثر مما وصل اليه. وما ان ينتهي الطرف العدواني من اكمال المرحلة الأولى حتى ينتقل بسرعة الى المرحلة الثانية وهي: تحصين المواقع التي احتلها. اذ يحاول في هذه المرحلة تقوية الأراضي المحتلة لصالحه، سواء في إقامة التحصينات الاصطناعية المختلفة، أو بتشكيل حكومات وسلطات صورية مهلهلة تخدم أفكاره وتأتمر بأمره، ولا يتوانى على أي حال عن أعمال السلب والنهب جهد طاقته، ولكنه يواجه بعد ذلك حرب الانصار الضارية. وقد يكون من المحتمل ان يترك الطرف العدواني وراءه مناطق خالية أثناء توغله في عمق اراضي البلاد المعتدى عليها. فيستفيد الانصار من هذه المناطق لتنظيم مقاومتهم وتطوير حربهم وانشاء عدد من قواعد الدعم فيها مما يشكل تهديداً حقيقياً للاعمال التحصينية التي يقوم بها الطرف العدواني في الأرض المحتلة. ولهذا السبب تبقى هناك عمليات عسكرية واسعة النطاق تدور رحاها في جهات مختلفة من جبهات القتال خلال المرحلة الثانية. والشكل الرئيسي لهذه العمليات هو «حرب العصابات» بينما تأخذ «حرب الحركة» دوراً ثانوياً.

وقد يكون بوسع المعتدى عليه الاحتفاظ بجيش نظامي كبير. غير أنه من المتعذر على هذا الجيش الانتقال فوراً الى الهجوم المعاكس الاستراتيجي لسببين: اولهما، هو أن الطرف العدواني سيضطر الى اتخاذ وضع الدفاع الاستراتيجي في المدن الكبرى، وعلى خطوط المواصلات الرئيسية التي احتلتها. وثانيهما، هو أن تجهيز هذا الجيش لن يكون مكتملا من ناحية العتاد ومن الناحية التقنية. واذا ما وضعت القوات المكلفة بالدفاع عن الجبهة جانباً فان باستطاعة القوات الأخرى الانتقال بأعداد كبيرة الى مؤخرة الطرف العدواني للعمل في تنظيم قتالي موزع نسبياً. وبذلك يمكن القيام بنشاط واسع ضد العدو المحتل باعتماد هذه القوات على المناطق غير المحتلة، وبالتعاون مع مفارز العصابات المسلحة التي شكلها الشعب لارغام العدو على التنقل باستمرار، وتدميره اثناء تحركاته وتنقلاته. وفي هذه المرحلة بالذات تتعرض مناطق العمليات العسكرية الى الخراب والدمار اكثر من غيرها، بيد أن حرب العصابات ستحقق نجاحات رائعة اذا احسنت قيادتها، وسترغم الطرف العدواني على التخلي عن جزء كبير من الأراضي التي احتلها حتى يستطيع حشد قواته الموزعة على جبهة واسعة، وستتابع القوات المسلحة في البلاد المعتدى عليها نضالها لارغام عدوها على التخلي عن الأجزاء الباقية.

وفي هذه المرحلة تكون المناطق التي يحتلها الطرف العدواني مقسمة الى ثلاثة انواع: النوع الأول ويشمل قواعد دعم العدو. النوع الثاني ويشمل قواعد دعم العصابات. النوع الثالث ويشمل المناطق التي تتنازع عليها كل من قوات الطرف العدواني وقوات الثوار للاستيلاء عليها.

ولا يمكن تحديد المدة التي تستغرقها المرحلة الثانية للحرب. اذ ان ذلك يتعلق بمجموعة متغيرات منها التطورات الطارئة على ميزان القوى بين الطرفين المتصارعين ومنها ايضاً التبدلات التي تطرأ على الموقف الدولي. ولكن مهما كان عليه الموقف فان على الطرف المعتدى عليه ان يتوقع استطالة هذه المرحلة، ويستعد لاحتمال المزيد من المشاق والصعوبات، ويتخذ الاجراءات الضرورية لمجابهة المشاكل وفي طليعتها مشكلتين رئيسيتين: اولاهما الصعوبات الاقتصادية الخانقة في الداخل، وثانيتهما النشاطات التخريبية الهدامة التي يقوم بها الخونة والعملاء. ويستميت العدو عادة لتفتيت الجبهة الداخلية في البلاد المعتدى عليها مستخدماً مختلف الوسائل واساليب الحرب النفسية، ويسعى الى صهر المناطق المحتلة في تنظيم واحد يطلق عليه ما يسمى (حكومة موحدة). وبما ان الطرف المعتدى عليه يكون قد فقد مدنه الكبرى، واصبح يعاني من ويلات الحرب ومآسيها، فان العناصر المتواطئة مع الطرف العدواني تنطلق للتجول بين صفوف الشعب لتنفث فيها سمومها، ولتبث الروح الانهزامية ولتنشر البلبلة والتشاؤم في كل مكان. ويرد الطرف المعتدى عليه على ذلك بالعمل بكامل فاعليته لتعبئة جماهير الشعب في طول البلاد وعرضها لمتابعة الحرب وتشكيل سد منيع في وجه العدو الغاصب، وعدم الاستسلام لدعاياته المدمرة، وكشف المتآمرين والخونة، واكمال البناء الداخلي، مع العمل في الوقت ذاته للتأثير على الوضع الدولي، واجتذاب الرأي العام العالمي، والحصول على مساعدات الدول الصديقة، وعدم الركون الى مساومات المصالحة والتوفيق واساليب المراوغة والخداع في سبيل فرض الأمر الواقع الذي يرسخ جذور الاحتلال.

وهنا يجب الأخذ بعين الاعتبار ان الطرف العدواني سيحاول بدوره التأثير على الرأي العام العالمي مستخدماً جميع الوسائل المتوفرة له. ويجب الاعتراف ان العدو سيستثمر دون ريب عمليات السلب والنهب والسرقة التي يقوم بها داخل المناطق المحتلة. الا ان ما سيتكبده من خسائر مادية ومعنوية يومية سيضعف قواه ويبدل ميزان القوى ضده.

وتعتبر المرحلة الثانية المرحلة التحضيرية للحرب بكاملها. وهي أصعب وأدق مرحلة، بل هي المنعطف الذي يقرر مصير الحرب. واذا كانت مرحلة الهجوم الأولي للطرف العدواني قد انتهت بضياع بعض المدن والقرى والمناطق من الطرف المعتدى عليه. فان المرحلة الثانية (مرحلة التحضير) والتي تتضافر فيها جهود الأمة كلها، تعتبر المرحلة الفاصلة بين الاستقلال والاحتلال وبين التحرر والاستسلام. فاذا ما امكن المحافظة خلال حرب التحرير على الوحدة في الصف وإطالة أمد الحرب، فان الطرف المعتدى عليه سيظفر في النهاية حتماً. أما المرحلة الثالثة فهي «مرحلة القيام بالهجوم المعاكس لاستعادة الأرض المحتلة» ويعتمد الطرف المعتدى عليه في استرجاع أرضه المحتلة على القوى التي تم اعدادها في الفترة التحضيرية والتي يجب على هذا الطرف زيادتها وتطويرها. وقد تكون هذه القوى غير كافية لدحر العدوان، وعندئذ يجب على الطرف المعتدى عليه الاعتماد ايضاً على دعم القوى الدولية

الصديقة، مع الاعتماد على التبدلات الحتمية في اوضاع العدو الداخلية من جراء تذمر السكان من مآسي الحرب وعدم الاستقرار، وعلاوة على ذلك فان النشاط الدبلوماسي في الخارج للطرف المعتدى عليه ودعايته القائمة على الحق والعدالة ستمارس دوراً بارزاً على الصعيد الدولي.

ولا يبقى الطرف المعتدى عليه، في هذه الفترة، في وضع الدفاع الاستراتيجي، بل ينتقل الى الهجوم المضاد الذي يأخذ شكل الهجوم الاستراتيجي. وتدور الحرب من الناحية الاستراتيجية على الخطوط الداخلية للعدو بل تنتقل تدريجياً الى خطوطه الخارجية. ولا تنتهي ما لم يتحقق النصر النهائي.

وتكون «حرب الحركة» في مرحلة الهجوم المعاكس الاستراتيجي الشكل الرئيسي للعمليات العسكرية للطرف المعتدى عليه، بينما تكون «حرب المواقع» ذات أهمية خاصة أيضاً، وتمارس «حرب العصابات» من جديد دور دعم استراتيجي مساعد لحرب الحركة وحرب المواقع.

وبعد تحقيق النصر يخرج الشعب من هذه الحرب طويلة الأمد وقد اكتسب خبرات كثيرة، بعد ان تكون المحن وويلات الحرب قد صهرته في بوتقتها، وتخرج الأحزاب التي شاركت في القتال وقد اكتسبت الخبرة، وتجمعت حول هدف واحد، وأزالت عوامل الفرقة.

ان الحرب طويلة الأمد غير محددة بمدة زمنية، وقد يكون من الصعب – ان لم يكن من المستحيل – افتراض أو توقع عدد الأشهر أو السنين التي يستمر الصراع خلالها. ذلك لان مدة الحرب تتعلق كلياً بالتغير الذي سيحصل في ميزان القوى بين الطرفين المتصارعين. واذا ما أريد تقليص مدة الحرب فان على الطرف المعتدى عليه بذل الجهود لتنمية قواته وانقاص قوى الخصم. أو بكلمة أوضح فان الوسيلة الوحيدة لتقليص مدة الحرب، هي مضاعفة الجهود لتسجيل اكبر عدد من الانتصارات العسكرية لصالح الطرف المعتدى عليه، وتدمير اكبر عدد من قوات المعتدين المسلحة، وذلك في سبيل تطوير حرب المقاومة، وتضييق رقعة المناطق المحتلة، ودعم الجبهة الموحدة وتوسيعها. ويضاف الى ذلك ضرورة إنشاء قوات مسلحة جديدة وتطوير صناعات حربية جديدة لتحقيق الاسراع في احراز التقدم السياسي، والاسراع في احراز التقدم الاقتصادي، والاسراع في احراز التطور التقني، والاسراع في احراز التقدم الثقافي والعلمي، وتأمين جميع فئات الشعب وحشدها في جبهة النضال ضد المعتدين والقصد من ذلك هو تحطيم الروح المعنوية في جيش العدو، واجتذاب جنوده نحو قضية الشعب المعتدى عليه، وحملهم على التمرد ضد قادتهم وحكامهم، وإلقاء السلاح كرهاً بالحرب، واقتناعاً منهم بأن الشعب المعتدى عليه هو ضحية العدوان الغادر الذي دبره قادتهم، واجتذاب شرائح واسعة من الرأي العام العالمي.

(١) الحرب العادلة والحرب غير العادلة

الحرب العادلة La Geurre juste، هو تعبير تقدمي حديث ورد في ادبيات ماركس ولينين وماوتسي تونغ وكيم ايل سونغ وكارل ليبنخت للدلالة على طبيعة الحرب التي يشنهـا المظلومون ضد قوى القمع. ولقد عرّفت هـذه الادبيات الحرب العادلة بأنها الحرب التي تقودها قوى متقدمة، بغية قلب القهر الطبقي أو القومي أو الطبقي والقومي معاً، وتأمين التطور وفق مسار حركة التاريخ. أما **الحرب غير العادلة** La guerre injuste، فهي الحرب التي تقودها قوى متخلفة، بغية تدعيم القهر الطبقي أو القومي او الطبقي والقومي معاً، وعرقلة حركة التطور وفق مسار حركة التاريخ. ولقد عرف ماوتسي تونغ الحربين العادلة وغير العادلة بقوله: «كل حرب تقدمية حرب عادلة، وكل حرب تعيق التقدم حرب غير عادلة».

ومهما اختلفت اشكال الحروب حسب اختلاف الظرف التاريخي الذي تشن فيه، وحجم القوى والوسائط التي تشترك فيها، فانها تنقسم بطبيعتها إلى حروب للاستعمار، وحروب للتحرر. حروب لتثبيت دعائم الدكتاتورية والقهر، وحروب في سبيل الديمقراطية. حروب تشن لصالح المستغلين، وحروب تشن لانقاذ الواقعين تحت الاستغلال. وتعتبر الحرب الاولى في كل مجموعة غير عادلة والحرب الثانية عادلة. ومن هنا فان بوسعنا القول أن تحديد طبيعة الحرب وعدالتها تتطلب معرفة الاهداف التي ترمي إلى تحقيقها، والقوى التي تقودها وتستفيد منها، ومجمل الدوافع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الكامنة وراءها.

واذا أردنا تصنيف الحروب في عصرنا، وجدنا أن الحروب الامبريالية، وحروب التدخل لصالح الدكتاتوريات والانظمة الرجعية، وحروب الطبقات المستغلة ضد الجماهير المقهورة، هي حروب غير عادلة، وأن حروب التحرر الوطني، وحروب الجماهير ضد المستغلين المدعومين بقوى خارجية أو غير المدعومين، هي حروب عادلة.

تقاد الحروب العادلة من قبل القوى السياسية المتقدمة (تاريخياً)، على حين تقاد الحروب غير العادلة من قبل القوى السياسية المتخلفة (تاريخياً). أما الأداة في كلتا الحربين فهي الجماهير الشعبية التي تقاتل في الحروب العادلة دفاعاً عن مصالحها وفي سبيل قضية تؤمن بعدالتها، بينما تقاتل في الحروب غير العادلة لمصلحة الفئات التي تستغلها وتعبئها وطنياً أو دينياً أو قومياً، وتدفعها إلى المجزرة. ولذا فان الجماهير المقاتلة في الحروب العادلة تزداد مع الأيام تماسكاً ووعياً بأهمية دورها وضرورة انتصارها وعدالة نضالها، على حين أن الجماهير المخدوعة والمدفوعة إلى الحرب غير العادلة، تكتشف عند تزايد حدة الصراع وطول مدته، زيف الدعاية، وترى بشكل ملموس حقيقة اهداف المعتدين، الأمر الذي يؤدي إلى انخفاض مستوى حماستها للحرب، ويفتح المجال أمام تفتتها المادي والمعنوي.

ويحـاول الامبرياليون والمستغلون إعطـاء حروبهم غير العادلة مظهر عادلا، عن طريق الدعاية التي تؤكد أن هذه الحروب تستهدف حماية الديمقراطية، أو الدفاع عن «العالم الحر»، أو ايقاف «الخطر الشيوعي»، أو حماية الشرعية، أو تأمين الاستقرار والأمن في البلاد، الى غير ذلك من الأهداف التي يمكن أن تدغدغ عواطف الجماهير وتخدعها. وليست هذه الأهداف في الحقيقة سوى نسخة حديثة عن أهداف استخدمت في القرون الماضية لتعبئة الجماهير ودفعها إلى الحرب غير العادلة، كانقاذ بيت المقدس من يد المسلمين (الحروب الصليبية)، وحماية المسلمين (الحروب العثمانية ضد شعوب البلقان)، وحماية السلاف (الحروب الروسية ضد تركيا)، وضمان سلامة المسيحيين (الحروب الاستعمارية التي شنتها الدول الأوروبية ضد الأقطار العربية)، وحماية الجاليات الأوروبية (الحروب الاستعمارية الأوروبية ضد الصين)، ونشر الحضارة والعلم (الحروب الاستعمارية التي شنها الأوروبيون في آسيا وأفريقيا)، وحماية الشعب الفرنسي من ارهاب الثوار (حروب الملكيات الأوروبية ضد الثورة الفرنسية)، وانقاذ الشعب الروسي من حكم البلاشفة واعادة الشرعية إلى البلاد (التدخل الامبريالي ضد روسيا السوفياتية). وليس من الممكن حصر جميع الأهداف المزعومة التي تشن الحروب غير العادلة تحت لوائها، فهي متبدلة

بتبدل العصور ، وتتناسب مع مكامن الحساسية عند الجماهير في فترة تاريخية محددة .

ولا تتعلق عدالة الحرب بطبيعة العمليات الحربية هجومية كانت ام دفاعية . ولا يعتبر الدفاع بالضرورة عادلا ، كما لا يعتبر الهجوم دائماً غير عادل، فهناك دفاع يقوم بـه معتدون استنزفت قواهم وكسرت شوكتهم بعد هجوم فاشل (مثل دفاع الالمان في العام ١٩٤٣ على الجبهة الشرقية أو دفاعهم عن جدار الأطلسي) ، وهناك دفاع يقوم به معتدون احتلوا مناطق يرغبون في الحفاظ عليها (مثل دفاع الاسرائيليين على خطي بارليف وآلون في الحرب العربية – الاسرائيلية الرابعة ١٩٧٣) . كما أن هناك هجوماً تشنه قوى تقدمية (بطبيعتها الوطنية أو الاجتماعية) لصد العدوان أو لتحرير مناطق محتلة (هجوم الجيش الأحمر على الجيش الأبيض خلال الحرب الأهلية الروسية ، وهجوم الجيش الشعبي الكوري على كوريا الجنوبية ١٩٥٠ ، وهجوم التيت الفيتنامي ١٩٦٨ ، وهجوم القوات المسلحة العربية المدبّر على خطي بارليف وآلون في حرب ١٩٧٣ ... الخ) . ويذكر لينين في هذا الصدد « ... وبصورة عامة فان الحرب مشروعة (عادلة) من جهة الأمم المضطهدة (سواء كانت الحرب على الصعيد العسكري هجومية أم دفاعية) » .

إن تقسيم الحرب إلى حرب عادلة وأخرى غير عادلة يجعل الموقف من الحرب متبدلا بتبدل طبيعتها . وهذا ما يفسر وقوف القوى الاجتماعية المتقدمة من الحرب غير العادلة موقف المعارضة والتنديد ، ووقوفها من الحرب العادلة موقف التأييد والدعم، على اعتبارها الوسيلة العملية المثلى للرد على الحرب غير العادلة ومنعها من تحقيق أهدافها .

(١٠) الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨)

الوضع السياسي في أوروبا . ان دراسة اسباب الحرب الاولى تتطلب التمييز ، بين الاسباب الخفية والاسباب المباشرة للحرب ، وبين تراكم المواد القابلة للالتهاب تدريجياً على مدى عدة سنوات ، والشرارة الاخيرة التي اشعلت نار تلك الحرب ، اذ قد تلام دولة من الدول بخلقها الظروف المهيأة للحرب على مدى سنين طوال ومع ذلك لا يكون لتلك الدولة اي يد في نشوبها . وقد تبين من الوثائق التي نشرت في إبان الحرب وبعدها ، خصوصاً وثائق «كاوتسكي» ، ان المانيا القيصرية لم تعد العدة لحرب اوروبية ولا كانت راغبة فيها ، ويرى الكثيرون ان الاسباب البعيدة للحرب العالمية الاولى ترجع الى ما قبل الحرب البلقانية ، والى الوقت الذي ترك فيه « بسمارك» مركزه كمستشار للامبراطورية الالمانية ، في العام ١٨٩٠ ، لأن السياسة تطورت بعده تطوراً كان من اثره البعيد انقسام اوروبا الى فريقين ينظر كل منهما الى الآخر نظرة الحذر والتهيب .

كانت سياسة « بسمارك» ترمي الى تطويق « فرنسا » وجعلها منفردة عن غيرها من الدول حتى لا تستطيع محاربة « المانيا » والثأر لحرب ١٨٧٠ وبالتالي استرداد « اللورين » و « الالزاس » . الا ان ورثة السياسة « البسماركية » لم يوفقوا في متابعة المنهج فنتج اول صدع في البنيان الدولي الاوروبي . وجاءت حرب « البلقان » فقطعت كل امل في رأب ذلك الصدع ، بل على العكس زادته اتساعاً .

كان من نتائج الحرب البلقانية ، ان تنبهت معظم الدول الاوروبية الى الاخطار المحدقة بها ، فتسابقت الى زيادة وتكثيف عديد قواتها والى التسلح . وهكذا رفعت « المانيا » عدد جيشها وطلبت من الشعب الالماني ٥٠ مليون جنيه كاعتمادات اضافية لتعزيز قواتها المسلحة ، وحذت « فرنسا » حذوها ، كما استدانت « روسيا » ١٠٠ مليون جنيه من « فرنسا » صرفتها في إنشاء شبكة من الخطوط الحديدية لاغراض عسكرية . اما « النمسا » فقد اثار انتصار الصرب في الحرب البلقانية خوفها ، واخذ الحزب العسكري فيها يزداد اعتقاداً بأن سلامة الامبراطورية النمساوية (المؤلفة من احد عشر شعباً) لا يتم إلا بتمزيق « صربيا » والقضاء عليها قبل ان تتم « روسيا » استعداداتها وقبل ان تأخذ « صربيا » باستثمار فوائد الحرب البلقانية بما ضمته اليها من املاك واراض.

وكان الاتراك بعد الحرب يوثقون صلاتهم بالمانيا ، فاستقدموا بعثة عسكرية المانية بقيادة الجنرال « ليمان سندرس » لا ليكون مدرباً للجيش التركي فحسب ، بل ليقود فيلق الآستانة ايضاً . ولقد احتجت « روسيا » على ذلك وايدتها بعض الدول فعدل الاتفاق واصبح الجنرال الالماني مستشاراً عسكرياً للجيش التركي دون قيادة أية قوة تركية .

بنظرة عامة يمكن الاشارة الى سببين بارزين أديا الى الحرب العالمية الاولى ، اولهما نظام المحالفات السرية الذي تطور بعد حرب ١٨٧٠ ، فقسم اوروبا الى فريقين من الدول اخذ كل فريق يعزز جيشه واسطوله ويتربص بالفريق الآخر الفرص السانحة ، وهو واقع جعل احتمالات الحرب اكثر بروزاً وامكانات الاشتباك العام بين مختلف الدول الاوروبية اكثر توفراً . وقد كانت دول كل فريق تشعر بالتزامها بمساعدة حلفائها حتى في تلك الامور التي لا يكون لها مصلحة مباشرة فيها ، فكانت المانيا تشعر بأنها ملزمة بتأييد « النمسا » و « المجر » في سياستهما البلقانية ، بينما شعرت « فرنسا » و « روسيا » بالالتزام المتبادل فيما بينهما ، كما كان موظفو وزارة الخارجية الانكليزية يؤمنون بأن « انكلترا » يجب ان تؤازر « فرنسا » و « روسيا » وتدعم الوفاق الودي في وجه التقارب الثلاثي الالماني النمساوي والمجري .

اما ثاني السببين المباشرين الهامين للحرب فكان الاستعمار الاقتصادي الذي هو عبارة عن طائفة من المنافسات الدولية نشأت اكثرها عن الثورة الصناعية في « انكلترا »، وامتدت فيما بعد الى البلاد الاخرى . وقد ادت هذه الثورة الى انتاج كميات كثيرة من البضائع كان من نتائجها التزاحم في سبيل الحصول على اسواق وعلى مصادر جديدة لاستيراد المواد الخام ، كما كان من نتائجها زيادة البطالة بين السكان زيادة أدت الى هجرتهم إلى العالم الجديد . وقد كان من نتيجة ذلك ايضاً ، ان شرعت الدول العظمى في استغلال افريقيا وفي الحصول على امتيازات ومناطق نفوذ في غيرها من البلدان الواسعة . وما اشرف العام ١٩١٤ حتى كانت الدول الاوروبية تزاحم بعضها بالمناكب .

الوضع العسكري في أوروبا . كانت العقيدة العسكرية في اوروبا ، في مطلع القرن العشرين ، من الناحية التكتيكية والاستراتيجية والتنظيمية ، تطبيقاً للمبادئ العسكرية في القرن الثامن عشر ، مع تغيير بسيط حملته احداث القرن التاسع عشر ، اذ بقي الصراع الدولي يرتكز على الاحلاف والمعاهدات ، وعلى الجيوش المحترفة تقاتل بعضها بعضاً ، في حين بقيت شعوبها تتفرج كأنها في مسرح تعاين نتائج ابطالها . المانيا وحدها كانت لها افكار جديدة ، فلقد كانت ترى الحرب يشترك فيها الشعب والامة (الجيش الامة) حيث لكل مواطن دور مرسوم ، وتتضافر جهود جميع المواطنين نحو الهدف العسكري الواحد ، صحيح ان فكرة (الجيش الامة) لم تكن جديدة في المانيا فلقد ظهرت بذورها قبل الحروب النابوليونية ، وتناولتها اقلام العسكريين في معظم البلدان الاوروبية ، إلا ان تطبيقها الكامل ، كعقيدة عسكرية ، لم يكن قد أخذ معناه العملي إلا في المانيا .

ولد الجيش الالماني في الحروب النابوليونية ، رعى طفولته «غنيز ناو» و« شارنهورست » وتعهد

تدريبه في صباه « مولتكه الاكبر » و « رون » فبلغ أشده في حرب ١٨٧٠ . وكأن عمله كان اختباراً ضد الجيش الفرنسي المحترف . وكان كل مواطن قادر يدعى لخدمة العلم فيدرب مدة متواصلة حتى اذا انهى تدريبه عاد الى الحياة المدنية ، وبهذه الوسيلة نما الجيش الالماني واصبح يشتمل على احتياط كبير كان موضع سوء تقدير من القادة الاوروبيين جميعاً . وفي الواقع ان هذا الاحتياط الضخم ، لم يكن ينظر اليه خارج المانيا ، الا كتنظيمات تصلح للخدمات العسكرية العادية دون ان تتجاوزها الى الميدان ، بينما اظهر الالمان ان احتياطهم كان من التدريب والكفاية القتالية مما جعلهم يضعون فيالق منه في خطوط القتال الاولى . اما الملاكات القيادية ، سواء على صعيد الاحتياط ، او على صعيد القوى في الخدمة الفعلية ، فقد كانت شابة في معظمها ، اذا ما قورنت بالملاكات في الجيوش الاوروبية الاخرى .

والى جانب ذلك فقد برع الالمان في بعث الروح الوطنية في الشعب الالماني ، وفي الجيش خاصة وخلقوا في نفوس المواطنين والجنود العنفوان الجرماني ، ليحاربوا بايمان واقتناع وعقيدة ، ثم ان تطويرهم للرشاش واستخدامه مجموعاً على صعيد الفوج بدلا من توزيعه على الكتائب ، لضرب تجمعات وتحشدات مشاة العدو ، قد اعطى قواتهم القدرة على تركيز النيران كما أن مدفعيتهم الثقيلة « الهاوتزر » جعلت القدرة التدميرية لجيشهم كبيرة وذات أثر حاسم . وفي إطار الاعداد للحرب نظم الالمان أمور التموين تنظيماً دقيقاً ، فشقوا الطرقات ، وانشأوا المواصلات والسكك الحديدية رابطين اطراف بلادهم ، فكانت شبكة المواصلات تلك تؤمن لهم التموين الدائم بالسرعة القصوى لتغذية الجبهة .

كانت القوات الفرنسية تبلغ حوالي ٦٠ ٪ من حجم القوات المسلحة الالمانية ، وعندما ابتدأ خطر الحرب يلوح في الافق ، بدأت فرنسا تعبىء قواها ، فجندت كل قادر على حمل السلاح للخدمة الفعلية مدة ثلاث سنوات ، يصبح بعدها المجند من عديد الاحتياط لمدة احد عشر سنة ، وفي نهاية هذه المدة يدخل في هيكل القوى الاقليمية . بهذه الطريقة ارتفع عديد القوات الفرنسية قبيل الحرب الى اربعة ملايين رجل ، اي ما يعادل حجم القوات الالمانية ، انما لم يكن للقوات الاحتياطية الفرنسية تلك القيمة القتالية التي عرف بها الجيش الالماني .

وكانت القوات المسلحة الروسية تعادل القوات الالمانية ، من حيث الحجم . وكانت ولا شك اكثر شجاعة واقدر على تحمل الميدان ، بالاضافة الى الامكانات البشرية الروسية الواسعة ، الا ان الملاكات القيادية ، في تلك القوات لم تكن بمستوى الملاكات الالمانية ، كما كان تسليحها متدنياً لا يضاهي تسليح جيوش الدول الصناعية الاوروبية المتمثلة بالمانيا .

وعلى رغم الفوارق بين الجيوش الالمانية والفرنسية والروسية (الدول القارية) ، فان الاساس كان واحداً . اما بالنسبة الى بريطانيا فكان الامر مختلفاً إذ اهتمت بريطانيا (وهي دولة جزيرية) على صعيد القوات المسلحة باساطيلها البحرية معتبرة البحر مناخها العادي ، ومجالها الحيوي ، فلم تول قواها البرية الا عناية محدودة ، فبقيت قليلة نسبياً ، بالقدر الذي يلزم لفرض الامن والنظام في مستعمراتها . واذا كان للقادة البريطانيين ، في تلك القوى خبرة نادرة في قيادة الارتال في الحروب الاستعمارية ، الا انه لم يكن لهم ذلك في قيادة الجيوش في معارك كبرى ، بيد أن قواتهم تميزت ، على الجيوش الاوروبية جميعاً ، بقدراتها الفردية على صعيد مهرة الرماة . اما القوة الاقليمية (الحرس الوطني) ، فكانت مهيأة للدفاع الداخلي عن ارض الوطن ، لا للدخول في معارك حربية ، ضد جيوش نظامية .

اندلاع الحرب : نشبت الحرب العالمية الاولى بسبب مقتل ولي عهد النمسا « فرانز فردينان » وزوجته في مدينة « سيراييڤو » على يد طالب صربي يدعى « جيفريللو برنسيب » في ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩١٤، وتوجيه الانذار النمساوي الشهير الى بلاد الصرب (صربيا) في ٢٣ تموز (يوليو) السماح لبعثة قضائية نمساوية الدخول الى الصرب للاشراف على التحقيق ، بالاضافة الى بعض المطالب الاخرى . وكانت مدة الانذار ٤٨ ساعة لم تستجب بنهايته صربيا لقبول الطلب النمساوي الخاص بالبعثة القضائية ، مما أدى الى اعلان الحرب عليها في ٢٨ تموز (يوليو) ومهاجمتها من قبل النمسا . وبتاريخ ٣١ تموز (يوليو) ١٩١٤ اعلنت روسيا التعبئة العامة، فشنت المانيا عليها الحرب في أول آب (اغسطس) من العام نفسه ، كما شنت الحرب على فرنسا في الثالث منه .

الجبهة الغربية :

في العام ١٩٠٥ كان الماريشال « شليفن » رئيساً لاركان حرب الجيش الالماني . ووضع هذا القائد خطته الشهيرة في مهاجمة فرنسا بهدف سحق الجيش الفرنسي بحركة التفاف واسعة النطاق خلال بلجيكا ودوقية «لكسمبورغ» (انظر شليفن «خطة») ، على ان تبقى فرق قليلة من الجيش الالماني على حدود روسيا لان هذه الاخيرة كانت باعتقاد « شليفن » بحاجة الى اكثر من شهرين لتنتهي من حشد جيوشها وإرسالها الى الجبهة بسبب رداءة المواصلات في روسيا ، حتى اذا انتهى الجيش الالماني من فرنسا

المشاة الروسية تتجه نحو الجبهة



دفع بكل قواته الى روسيا . واذ قدر للجنرال « مولتكه الاصغر » رئيس اركان حرب الجيش الالماني العام ١٩١٤ ان يقود الجيش الالماني في معاركه الاولى ، فهو لم يطبق خطة « شليفن » تطبيقاً كاملا ، فانقص عديد القوى الموجهة نحو فرنسا بمقدار عشرين بالمئة ، معززاً قواته المرابطة في بروسيا ، ثم ان المانيا لدى اقتحامها دوقية لوكسمبورغ ، في ٢ آب (اغسطس) ، ارسلت انذاراً الى بلجيكا بالسماح لجنودها بالمرور من اراضيها الى فرنسا ، ولكن بلجيكا رفضت وقاومت . وهكذا فمن جهة خفض « مولتكه » حجم قواته المهاجمة غرباً عبر بلجيكا ، ومن جهة ثانية خسر عنصر السرعة بتوجيه انذاره الى بلجيكا بالمرور ، وهما ركيزتان كانتا في اساس خطة « شليفن » .

ابتدأت مهاجمة القوات الالمانية لبلجيكا في الخامس من آب (اغسطس) وانتشر الهجوم على محاور خمسة ، يتألف كل منها من جيش يقود الاول الجنرال « فون كلوك » وقد كلف بالتقدم باتجاه « بروكسل » ، ويقود الثاني « فون باولو » وقد اتجه نحو « نامور » ، والثالث يقوده الجنرال « فون هوسن » باتجاه « دينان » ، والرابع بقيادة الدوق « ورتبرغ » يتقدم باتجاه « لكسمبورغ – نوفشاتو » ، اما الخامس فكان بقيادة ولي العهد نفسه ، وكان عليه ان يتجمع بين « ميتز » و « تيونفيل » ، ثم يتقدم نحو « لونغواي – مونميدي » . وكان على الجيش الثاني اقتحام مدينة « لييج » على محور تقدمه ، واسقاط حصونها المنيعة ، فارسل فيلقاً بقيادة « فون اميش » جوبهت قواته بدفاع ضار ، فارسل « فون بولو » رئيس اركان حربه الجنرال « لودندورف » ليكون مع « فون اميش » وفي ليل ٦ – ٧ آب (أغسطس) نصب « لودندورف » نفسه قائداً لإحدى الفرق مكان قائدها الذي قتل في المعركة ، وتمكن من المرور بين ضفين من المدافعين والاستيلاء على مدينة « لييج » نفسها ، وكان هذا الحدث كافياً لوضع اسم الجنرال « لودندروف » في الواجهة حتى اصبح فيما بعد رئيساً لاركان حرب الجيش الالماني .

عندما رأى ملك البلجيك ، الذي كان يقود الجيش البلجيكي بنفسه ، قوة اندفاع الجيش الالماني ، ورأى عجزه ، قرر التراجع نحو حصون « انفرس » في ٢٠ آب (اغسطس) . ودخلت انكلترا الحرب بجانب بلجيكا وفرنسا في ٤ آب (اغسطس) ، لأنها كانت ضامنة سلامة بلجيكا بموجب اتفاق دولي . وبين التاسع من آب (اغسطس) والثاني والعشرين منه ، ظلت السفن البريطانية تنقل القوى من انكلترا الى مرفأ « بولون » في فرنسا ، تحت ستار كثيف من السرية ، حتى ان الشعب البريطاني لم يعلم به في حينه . وبلغ حجم القوات البريطانية التي انزلت حوالي سبعين ألفاً ، بقيادة الجنرال « فرنش » . وفي اليوم الرابع والعشرين من آب (اغسطس) دخلت هذه القوات المعركة في جبهة « مونس » بينما كان الالمان قد دخلوا العاصمة (بروكسل) ، (١٩ – ٢٠ آب (اغسطس)) بقيادة الجنرال « فون كلوك » . وتتابعت الجيوش الالمانية في التقدم غرباً ، وغرباً جنوباً ، داحرة امامها الجيش الفرنسي الخامس بقيادة الجنرال « لانرزاك » والجيش الانكليزي حتى وصلت الى نهر « المارن » . ومنذ الايام الاولى للمعارك وجهت القيادة الفرنسية (الجنرال « جوفر » رئيس اركان حرب الجيش الفرنسي) جيشين نحو « الالزاس » و « اللورين » ، بعد ان خيل لها ان الحامية الالمانية هناك غير منيعة ، الا ان تخيلها كان خاطئاً ، لذا صد الجيشان بسهولة .

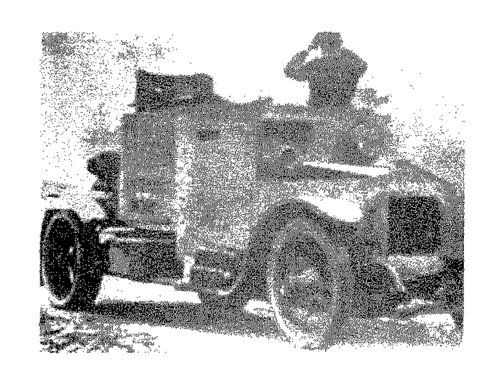
وفي مطلع أيلول اقترب « فون كلوك » من باريس وتجاوزها دون مهاجمة نطاقاتها الدفاعية القوية ، وكانت الحكومة الفرنسية قد اخلتها الى « بوردو » في اليوم السابق – الا انه ترك قرب العاصمة فرقة الحماية مجنبته فيما تابع التقدم غرباً ، وفي اليوم الخامس من ايلول (سبتمبر) هاجم الجيش الفرنسي السادس بقيادة الجنرال « مونوري » تلك القوة فدفعها امامه وانزل بها خسائر فادحة ، وعندما علم الجنرال « فون كلوك » بهذا الامر اضطر الى ترك مراكزه على نهر المارن والتوجه لنجدة الفرقة الالمانية المتقهقرة ، فانكشف الجناح الايمن للجنرال « فون باولو » . وكان الجنرال « جوفر » يتحين الفرصة للانقضاض على الجيوش الالمانية ، ولما سنحت له بوجود تلك الثغرة بين الجيشين الالمانيين الاول والثاني ، اصدر اوامره في السادس من ايلول (سبتمبر) بالهجوم العام فتحرك الجيش الفرنسي الخامس بقيادة الجنرال « فرانشه دي سبري » الذي عين مكان الجنرال « لانرزاك » ، والجيش الفرنسي التاسع بقيادة الجنرال « فوش » ، والجيش البريطاني بقيادة الجنرال « فرنش » . وكان معهم ما لا يقل عن ألف مدفع . ودار القتال بين مليونين من الجنود بحيث اعتبرت معركة « المارن » هذه من اكبر المعارك في التاريخ (انظر المارن « معركة ») .

اضطر الالمان الى الانسحاب ، وقد تقهقروا على محاذاة نهر « ألايسن » اما الجنرال « مولتكه » رئيس اركان حرب القوات الالمانية فقد دفع ثمن فشل المعركة بأن عزله الامبراطور من منصبه وعهد برئاسة الاركان العامة الى وزير الحربية « فالكنهاين » .

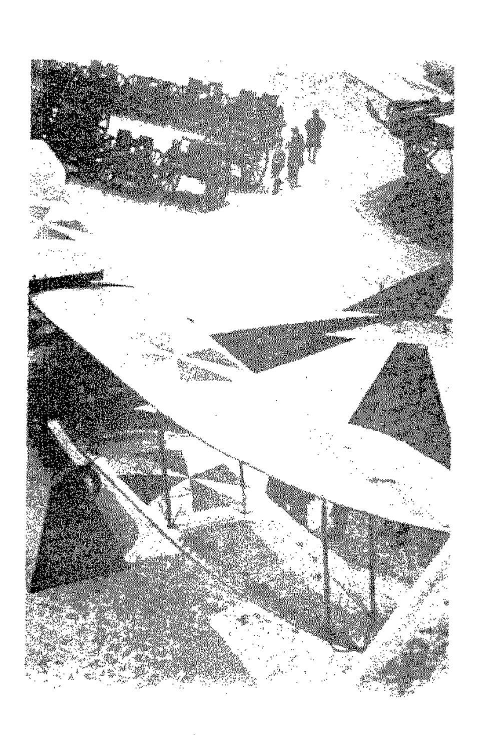
واذا كان الالمان قد اعتبروا معركة المارن فشلا لهم ، فان الفرنسيين لم يستطيعوا التهليل لانتصاراتهم ، ذلك انهم استطاعوا وقف الزحف الالماني عبر المارن ولكنهم لم يقدروا على تنظيف الاراضي الفرنسية التي ظل الالمان يقاتلون فيها طوال أعوام الحرب الاربعة كراً وفراً ، حتى ان معركة المارن لم تكن بالفعل معركة واحدة بل عدة معارك اطلق على مجموعها اسم المكان الذي جرت فيه وهو ضفاف نهر المارن . واشهر معركة كانت معركة « فردان » التي حصلت في العام ١٩١٦ وبطلها الجنرال « بيتان » الذي لقب ببطل « فردان » (انظر فردان « معركة ») ومعركة « شومان دي دام » ، في

جنود ألمان ذاهبون إلى الجبهة

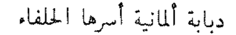
جنود فرنسيون ذاهبون إلى الجبهة



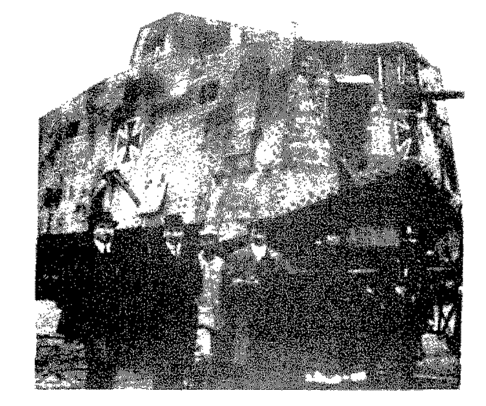
عربة مدرعة بلجيكية (منيرفا)



طائرة حربية المانية (افياتيك)



دبابة ألمانية أسرها الحلفاء



العام نفسه (انظر شومان دي دام « معركة ») . وكانت حصيلة المعارك تلك ، اي مجمل معارك المارن ، حوالي المليون من القتلى .

المعارك النمساوية الصربية :

اعلنت النمسا الحرب على صربيا في ٢٨ تموز (يوليو) ١٩١٤ ، وتقدمت ثلاثة جيوش نمساوية الى حدود صربيا ، وعهد بالقيادة الى حاكم « البوسنة » و « الهرسك » الجنرال « بوتوراك » وقاد الجيش الصربي الجنرال « بوتنيك » . في ٢ آب (أغسطس) بدأ الجيش النمساوي الخامس بالتقدم فاجتاز « درنيا » بين « رفورنيك » و « ليزبوفيا » بعد مقاومة عنيفة من الصربيين ، بينما كانت الفرقة الرابعة من الجيش الثاني تدخل « شابات » بدون مقاومة ، وكانت القوة النمساوية ضد الصرب غير كافية . وأدى ذلك الى فشل الهجوم النمساوي الذي انتهى بمعركة « جادار » ثم باسترداد « شابات » على يد الصربيين بعد اثني عشر يوماً من انطلاقه .

في الثالث من شهر تشرين الاول (اكتوبر) اطلق النمساويون ٣٠٠ ألف جندي استطاعوا بهم احتلال قسم كبير من الصرب ودخلوا « بلغراد » في ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) وتابعوا تقدمهم في الاراضي الصربية ما يقارب سبعين ميلا . إلا ان الصربيين تلقوا معونات كبيرة ونجدات من الحلفاء ، مكنتهم من القيام بهجوم عام في الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ، تراجع الجيش النمساوي على اثره نحو نهر « درنيا » ، واستعاد الصربيون بلغراد (الخامس عشر منه) وطردوا النمساويين من اراضيهم منزلين فيهم خسائر قدرت بما لا يقل عن ١٠٠ ألف جندي . اما على الجبهة الروسية–النمساوية ، فقد بدأت المعارك في « غاليسيا » في ١٥ آب (اغسطس) واشتركت فيها ثلاثة جيوش نمساوية مقابل اربعة جيوش روسية ، وكان الهجوم الروسي شديداً حتى انه تمكن من دحر النمساويين مسافة ١٥٠ ميلا من نهر « ويساوكا » ، بينما كانت القوات النمساوية تهاجم في بولونيا الروسية ، وتصل حتى بلدة « كراسنيك » وتدحر جيشين روسيين على التوالي ، ولكن انتصارات الروس في « غاليسيا » لم تمكن النمساويين من متابعة تغذية جبهتهم في بولونيا ، فاضطروا الى التراجع آخذين مراكزهم الدفاعية حول حصون « برذميسل » المنيعة .

الجبهة الشرقية :

بدأ القتال بين القوات الالمانية والقوات الروسية في بروسيا الشرقية في اوائل شهر آب (اغسطس) ١٩١٤ عندما هاجمها الروس بجيشين الاول بقيادة الجنرال «رننكامف» والثاني بقيادة الجنرال «سافرونوف» ويعدان حوالي ٥٠٠ ألف جندي . اما عديد القوى الالمانية في بروسيا فكان الجيش الثامن بقيادة الجنرال « برتيوتز » . دار القتال في الايام الاولى لشهر آب (اغسطس) واحرز الروس انتصارات على الجيش الالماني ، الذي اضطر الى التراجع تحت ضغط الجيش الروسي الاول فيما كان الجيش الروسي الثاني يوالي زحفه فتسقط في يده المدينة تلو الاخرى .

امام هذه الهزائم الالمانية عزل « مولتكه » قائده في بروسيا واستقدم الجنرال المتقاعد « هندنبرغ » الذي كان قد ذاع صيته في حرب ١٨٧٠ ، واسند اليه قيادة القوى في بروسيا وعين له رئيساً لاركان حربه الجنرال « لودندورف » الذي طارت شهرته في معارك بلجيكا . وفي ٢٣ آب (اغسطس) وصل « هندنبرغ » و « لودندورف » الى مركز قيادتهما الجديد في بروسيا الشرقية وكان الالمان قد جلوا عن شمالي بروسيا الشرقية وارتدوا الى « كونغسبرغ » ، حيث تحميهم حصونها الامامية ، بينما احتل الروس اكثر بروسيا الشرقية ، الا ان الجيشين الروسيين المهاجمين ابتعدا الواحد منهما عن الآخر ، دون ان يؤمنا الارتباط والتنسيق ، وقد اسكرتهما نشوة النصر .

بدأت القيادة الالمانية الجديدة تستعد للهجوم ، فجمعت ما لا يقل عن ١٥٠ ألف جندي ، واستقدمت جميع المدافع التي كانت في الحصون ، وذلك بسرعة مدهشة مكنتها من اطلاق هجومها على الجيش الروسي الثاني في السابع والعشرين من آب (اغسطس) فطوقته ودمرت اكثر من اربعة اخماسه في معركة «تاننبرغ» (انظر تاننبرغ « معركة ») ، حيث القت ثلاث فرق السلاح من اصل خمسة ، وتمزق باقي الجيش (٣١ آب اغسطس) وانتحر قائده برصاص مسدسه .
وبقي الجيش الروسي الاول في تقدمه المنتصر ، ويظهر بأنه لم يكن على علم حتى ذلك الوقت بما حل بالجيش الثاني ، فابتعد كثيراً عن مركز تموينه حتى اشرف على منطقة البحيرات المازورية التي تعتبر حاجزاً طبيعياً هاماً .

كانت الخطة الالمانية تقضي بمهاجمة الجنرال « رننكامف » ودفعه نحو البحيرات المازورية تمهيداً للانقضاض عليه وسحقه ، وقد حصل ذلك بالفعل ، وما ان اطل يوم التاسع من ايلول (سبتمبر) حتى اطلق « هندنبرغ » هجومه دافعاً الجيش الروسي امامه ومضيقاً عليه الخناق حتى انزل فيه خسائر فادحة اضطرته الى اصدار اوامره بالتراجع تاركاً بعض

القوى في مشاغلة الالمان، ومنعهم من اللحاق بجيشه المتقهقر وسميت المعركة «بمعركة البحيرات المازورية» (انظر البحيرات المازورية «معركة»). والتصقت معركتا «البحيرات المازورية» و«تانينبرغ» باسم القائدين الالمانيين «هندنبرغ» و«لودندورف» واعتبرتا من اهم المعارك في الحرب العالمية الاولى، اذ خسر فيهما الروس نصف معداتهم الحربية تقريباً.

تابع الالمان تقدمهم شرقاً حتى تم لهم طرد الروس من بروسيا الشرقية، وبالنظر الى تدهور وضع النمسا في بولونيا، أنشأ الالمان الجيش التاسع، واسندوا قيادته العامة الى الجنرال «هندنبرغ» بالاضافة الى قيادة الجيش الثامن، وبدأ الهجوم الالماني على بولونيا في ٢٨ ايلول (سبتمبر) سريعاً وقوياً. وفي اوائل تشرين الاول (اكتوبر) وصل الالمان الى نهر الفيستولا.

كان الروس خلال هذه الفترة، يحشدون قوات كبيرة، اذ انهم حشدوا اربعة جيوش قادها عم القيصر (الغراندوق) «نيقولا» الذي كان يشغل منصب القائد العام للقوات المسلحة الروسية، وانطلقت دافعة امامها الجيش التاسع الالماني الذي اضطر الى التراجع متكبداً نحو اربعين ألف قتيل وجريح وأسير، ولم يكن امام «هندنبرغ» اي سبيل الا تغيير خطته فاستطاع قطع التماس مع الروس ونقل الجيش التاسع بالسكك الحديدية على غفلة منهم، الى مواقع اخرى واطلقه في العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) على ميمنة الجيوش الروسية. وفي ١٨ منه اتم تطويق «لودز» والقوة الروسية التي حولها، والتي لا تقل عن مئة وخمسين ألف جندي، الا ان الروس استداروا فيما بعد على هذا الجيش الالماني، واضطروه الى الانسحاب دون أن يستطيعوا دحره.

المعارك البحرية :

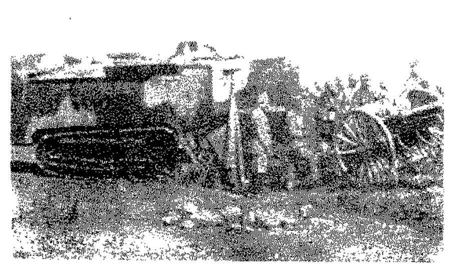
عندما نشبت الحرب، كان للالمان خارج بلادهم المراكب الحربية الآتية: «شارنهورست، غنيسناو، امدن، نورمبرغ»، بالاضافة الى «ليبزيغ» في الصين، و«كونغسبرغ» في شمالي افريقيا والمحيط الهندي، ومراكب حربية اخرى صغيرة. وكان لالمانيا بواخر تجارية جهزتها بالمدافع عند اعلان الحرب وأمرتها بالبحث عن السفن الانكليزية والفرنسية واقتناصها. ولما كانت الامبرالية البريطانية قد جمعت معظم اساطيلها في بحر المانش تحسباً لأي هجوم الماني على الجزيرة البريطانية، فقد خلا الجو للسفن الالمانية فسيطرت على البحار مدة من الزمن حتى اعلنت اليابان الحرب في اواخر شهر آب (اغسطس) ١٩١٤، وخففت عبئاً ثقيلا عن بريطانيا مكنها من نقل بعض سفنها الى المحيط الهندي، والتفرغ ببعضها الآخر لملاحقة الاسطول الالماني.

حصلت بعض المواجهات البحرية اهمها، ما حصل في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) وأدى الى اغراق الطرادين الانكليزيين «موغوث» و«غودهب»، وما حصل في ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٤ في جزر «فالكلاند» وأدى الى اغراق الدارعتين الالمانيتين «شارنهورست» و«غنيسناو»، اما المجابهة الكبرى فهي التي حصلت بين الاسطولين الالماني والبريطاني في ٣١ آذار (مارس) ١٩١٦ وكان الاسطول الألماني بقيادة الاميرال «شير» والاسطول البريطاني بقيادة الاميرال «جليكو» ودارت معركة عنيفة كان يمكن للبريطانيين فيها ان يقضوا على الاسطول الالماني لولا ان استطاع الافلات ولم يقم البريطانيون بملاحقته. وكانت حصيلة المعارك التي انتهت في اليوم نفسه، خسارة ثلاث مدمرات بريطانية، وثلاثة طرادات، وثمان مدمرات، وخسر الالمان دارعة واحدة، وخمس مدمرات، وخمسة طرادات.

تجميد الجبهة الغربية :

اخذ الالمان، بعد انكسارهم في معركة «المارن» يفكرون جدياً بمهاجمة الشمال، خصوصاً بعد ان احتلوا «انفرس» ودكوا حصونها، مكرهين الجيش البلجيكي على اخلائها، ودافعين امامهم الجيش الانكليزي الذي خف للمساعدة. وقد تم الاتفاق بين «غليوم الثاني» والجنرال «فالكنهاين» القائد العام للقوات الالمانية على ان يقوم الالمان بهجوم جديد يكون هدفه احتلال «كاليه» والقضاء على المواصلات الانكليزية في بحر «المانش» بين جزيرتهم والقارة الاوروبية. وكان الجنرال «فرنش» القائد العام للقوات الانكليزية، كثير الاهتمام بالمرافئ الفرنسية «دنكرك» و«كاليه» و«بولوني»، وكان يعتقد انه اذا تمكن الالمان من احتلال هذه المرافئ فان انكلترة تتعرض للخطر. ولذلك قرر الانسحاب بجيوشه من «الايسن» الى «الفلاندر» رغم اعتراضات «جوفر»، بينما كان الجيش البلجيكي، الذي تمكن من مغادرة «انفرس» ويعد ثمانين ألف جندي، قد اخذ مكانه على نهر «الايسن» والتحق به الملك «البرت»، رافضاً ان يتبع حكومته الى «الهافر»، ومصمماً على الدفاع عن الارض البلجيكية او ما تبقى منها.

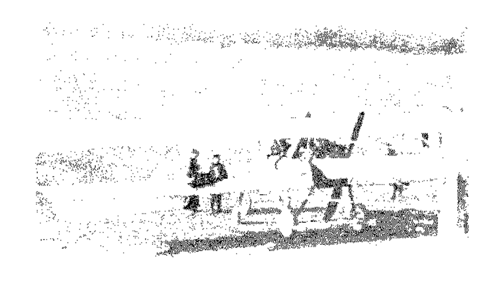
بدأ الالمان هجومهم في ١٩ تشرين الاول



دبابة تقطر مدفعاً المانياً من الغنائم



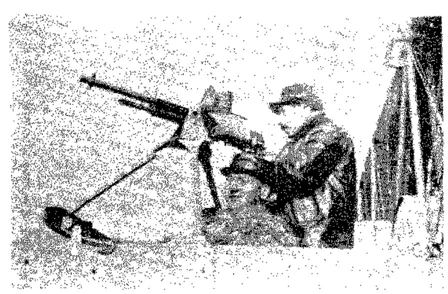
القناع والبندقية والخندق : أسلحة الحرب



طائرة حربية فرنسية



رشاش مركب على طائرة



تجميد الجبهة الغربية وبدء حرب الخنادق

(اكتوبر) ١٩١٤ ، واجبروا القوة البلجيكية التي امامهم على التراجع . وفي اليوم التالي استطاعوا تدمير تلك القوة ومواجهة الجيش البريطاني ، فدارت معارك بقيت عدة ايام قاتل فيها الجنود من الطرفين ، دون راحة أو توقف ، وانتهى القتال بان تمكن الالمان من الاستيلاء على « ديكسمود » . ثم وقف الحصمان الواحد قبالة الآخر، ومن حدود سويسرا الى البحر ابتدأت حرب الخنادق،ثم تجمدت الجبهة الغربية على ذلك الشكل من القتال ، طيلة سني الحرب ، ويبدو ان احراز اي انتصار حاسم ، من قبل اي من الفريقين ، كان بعيد الاحتمال ، حتى ان بريطانيا كانت تحجم عن تعزيز قواتها في الجبهة الغربية مفضلة توجيه ثقلها الى مواطن الضعف خارج تلك الجبهة ، ومعتبرة ان اي جهد عسكري يبذل في الساحة الغربية هو جهد ضائع . ولما كانت بريطانيا قد تزعمت السياسة الحليفة كلها اعتباراً من العام ١٩١٥ ، فلقد اثرت بشكل غير مباشر في تجميد الجبهة الغربية ، يضاف الى ذلك ان اتساع الجبهة وطولها الهائل وتحولها الى حروب خنادق وتحصينات قد جعل امكانات المناورة محدودة جداً بحيث اقتصرت على القتال الجبهي او كادت ما افقد القادة العسكريين جزءاً كبيراً من حرية العمل .

دخول تركيا الحرب :

كانت تركيا ، منذ عدة سنوات ، تتجاوب مع السياسة الالمانية ، ويرجع ذلك الى ان المانيا ساعدتها في قروضها الخارجية ، كما قامت بانشاء الخطوط الحديدية وبتدريب الجيش التركي على يد بعثة عسكرية المانية . وكان رجال « حزب الاتحاد والترقي » الذين يسيطرون على سياسة الدولة العثمانية يميلون الى المانيا بطبيعتهم، وهم: طلعت، وأنور، وجمال (وزراء الداخلية والحربية والبحرية) . وفي اوائل خريف ١٩١٤ والحرب مشتعلة في اوروبا ، كان يكفي اي حدث في تركيا ، ولو بسيط الى دفع الدولة الى الحرب ، والواقع ان التجاء الطرادين الالمانيين « غوبن » و « برسلو » الى الدردنيل هربا من الاسطول الانكليزي الذي كان يطاردهما ، واعلان الاتراك شراءهم لهذين الطرادين قولا لا فعلا، باعتبار ان معاهدة ١٨٤١ حظرت مرور السفن في الدردنيل، خلال الحرب ، قد جر تركيا الى نصف المسافة بينها وبين الحرب . ولم يكن حجز الباخرتين التركيتين من قبل بريطانيا ، اللتين اوصت تركيا على صنعهما في الاحواض الانكليزية ، وكان ثمنهما قد صار جمعه بواسطة اكتتابات شعبية ، الا الدفعة الاخيرة التي اوصلت تركيا الى ساحة المعارك . يضاف الى كل ذلك ان الاتراك كانوا يشعرون ، منذ مدة بالخطر الروسي على حدودهم ، ولما كانت انكلترا بعيدة عنهم وعن مساندتهم ، فلم يكن امامهم سوى مسايرة الالمان . وعلى ذلك عقدوا سراً معاهدة مع المانيا بتاريخ ٢ آب (اغسطس) ١٩١٤ .

كانت أولى دلائل الحرب التركية ارسال الطرادين الالمانيين ، فجأة ودون سابق انذار ، نحو ميناء « اوديسا » الروسي ، وضربه بالقنابل في ٢٨ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩١٤ ، ودخلت تركيا الحرب في اليوم التالي . وبمجرد دخول تركيا الحرب اغلقت « الدردنيل » ، وكان ذلك العمل ضربة كبرى لروسيا ، لأنه قطع عنها طريق الامدادات عبر البحر الابيض المتوسط ، فارسل الغراندوق « نيقولا » عم القيصر ، رسالة الى اللورد « كيتشنر » وزير الحربية البريطاني ، يستحثه فيها على فتح جبهة جديدة لتخفيف الضغط عن روسيا ، فكانت حملة « الدردنيل » في اوائل شهر شباط (فبراير) من العام ١٩١٥ .

كانت اكثر الاستعدادات البحرية لمهاجمة الدردنيل قد انتهت وقررت الحكومة اليونانية التخلي عن جزيرة « مدروس » لتكون قاعدة للاعمال البحرية ضد الدردنيل ، ولكن اللورد « كتشنر » رفض ان يقدم للبحرية البريطانية في مهاجمة الدردنيل جندياً واحداً ، اذ لم يكن بوسعه اقتطاع أية قوى من الجبهات البرية ، كما انه كان يعتقد ان هجوماً بحرياً لوحده كافياً لتدمير قلاع الدردنيل وفتحه والدخول الى بحر « مرمره » .

ابتدأ الهجوم في السادس من آذار (مارس) وظل الاسطول البريطاني يهاجم المضائق والحصون الداخلية حتى ١٢ منه دون التمكن من الحصول على سيطرة ما ، وعندما عاود البريطانيون الكرة في ١٨ آذار (مارس) ، كان الاتراك قد بثوا كثيراً من الالغام حول المكان الذي حصل فيه الهجوم اول مرة ، مقدرين ان الهجوم التالي سيقع في المكان نفسه . وقد صح ما توقعه الاتراك ، وكانت النتيجة ان مني الاسطول بخسائر كبيرة من جراء الالغام . (انظر الدردنيل ، حملة)

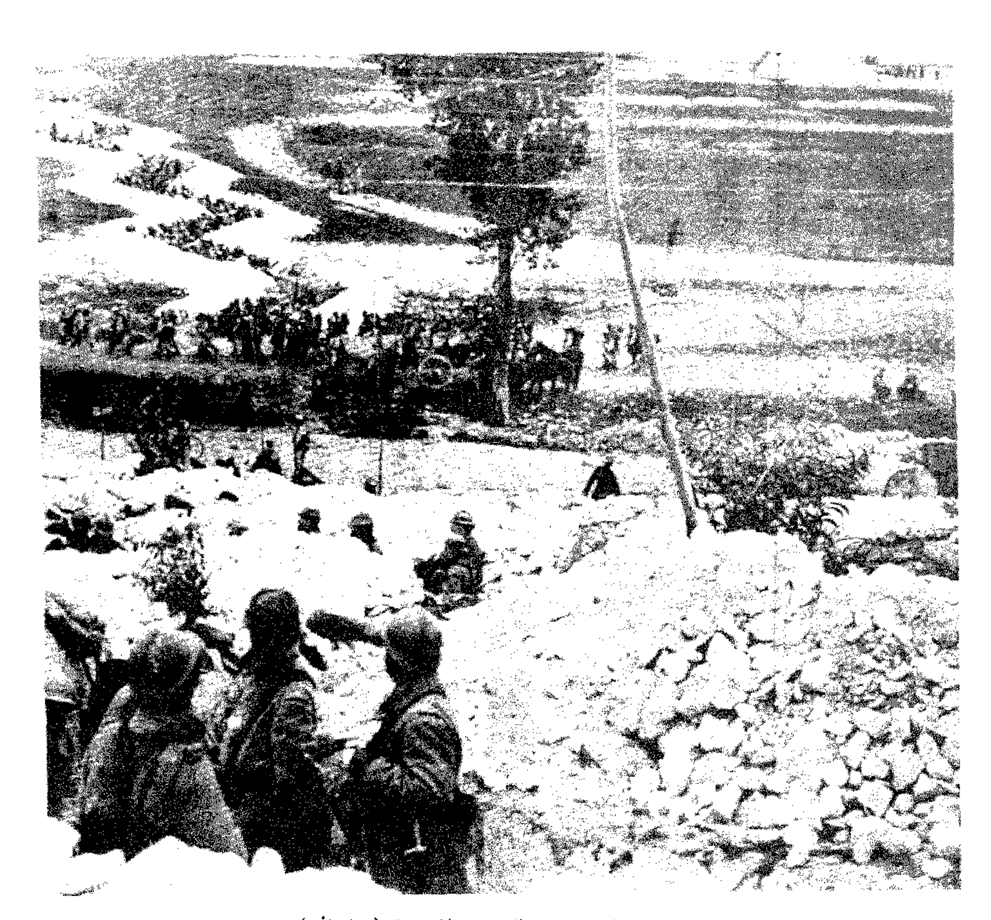
بعد هذه الفواجع ، قررت بريطانيا استئناف القتال براً وبحراً ، فارسلت امدادات وتعزيزات وقوى برية وعينت الجنرال « هاملتون » قائداً لهذه القوى ، بينما بقي الاميرال « غاردن » قائداً للاسطول البحري امام « الدردنيل » وكان لا بد ، لأجل الانزال في « غاليبولي » من التنسيق بين الاسطول والقوى البرية .

الانزال في غاليبولي :

في ٢٤ آذار (مارس) سافر الجنرال « هاملتون » الى الاسكندرية ليقوم فيها بتنظيم الجيش الذي سيكلف باقتحام الدردنيل . وفي اليوم نفسه عينت الحكومة العثمانية الجنرال « فون سندرس » الالماني ورئيس البعثة العسكرية الالمانية في تركيا ، قائداً للقوات العثمانية في الدردنيل، وكانت تتألف من الجيش

واعظم قدراً ، وظل يتفاعل على ضوء حرب الغواصات التي فرضتها المانيا ، حتى قادها الى أتون النار . الى جانب اغراق « لوزيتانيا » دخلت ايطاليا الحرب مع الحلفاء في ٢٠ أيار (مايو) ١٩١٥ مما اعطى لهؤلاء دفعاً جديداً ، وجعل الحرب تأخذ مجرى آخر . في اليوم التالي لدخول ايطاليا الحرب شنت القوات الايطالية هجوماً على النمسا في محاذاة نهر « ايزنزو » . وفي اواخر شهر ايار (مايو) كان الايطاليون قد تقدموا ما يقارب ١٠٠ كيلومتر في الاراضي النمساوية ، وظلت المعارك تحتدم بين الايطاليين والنمساويين في شهري حزيران وتموز (يونيو ويوليو) ولكن دون نتائج ظاهرة ، وبالنسبة الى الخسائر الكبيرة التي مني بها الجيش الايطالي فقد اضطر الى التمركز في خنادقه بمواجهة القوى النمساوية .

وفي الجبهة الشرقية تمكن الالمان من دحر الروس وطردهم من الاراضي النمساوية ، كما احتلوا بولونيا الروسية ، ولما كانت الجبهة الغربية قد تجمدت في الخنادق ، وكذلك الجبهة الايطالية النمساوية ، فقد حول الالمان جهودهم الى صربيا بقصد فتح طريق (برلين — الأستانة) وزاد الالمان قوة في عزمهم هذا انضمام بلغاريا اليهم وتوقيعها معاهدة عسكرية مع تركيا



الجبهة تتحول إلى خط من الخنادق المتعرجة (شامباني)

الخامس التركي . وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان (ابريـــل) ١٩١٥ اصدر الجنرال « هاملتون » أمره الى الجنود بالنزول الى البر في الجبهة الغربية من « غاليبولي » ، كما نزلت القوة الفرنسية على الضفة الآسيوية ، وكان مجموع القوى المعدة للانزال ستين ألف جندي . ودارت على الشاطىء معارك شديدة وحامية ، وبمضي اربع وعشرين ساعة تمكن الحلفاء من انزال عشرين ألف جندي ، وبقيت المعارك حتى التاسع من شهر ايار (مايو) خسر فيها الحلفاء عشرين ألفاً ، ولقد كان مصطفى كـــال (رئيس الجمهورية التركية فيما بعـــد) قائداً للفرقة ١٩ التي حاربت هذا الانزال ، كما ان الجنرال « غورو » القائد العام للقوات الفرنسية في « غاليبولي » قد جرح بقنبلة واخلي الى فرنسا . ولقد استطاع « مصطفى كمال » رد جميع الهجومات الانكليزية حتى ذاعت شهرته . وأدى فشل الحلفاء الى عزل الجنرال « هاملتون » وتعيين الجنرال «مورو» مكانه . ونصح « مورو » القيادة السياسية البريطانية بالانسحاب من « غاليبولي » ، ولكن اللورد «كتشنر» رفض فكرة الانسحاب حتى زار الجبهة بنفسه ، وابتدأ الانسحاب الانكليزي من « غاليبولي » في اليوم السابع من كانون الاول (ديسمبر) ، وانتهى جلاء آخر جندي للحلفاء في ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٦ وكان الجلاء منظماً ، لم يفطن اليه الاتراك إلا في اواخر مراحله .

تطور جديد :

في الساعة الثانية من ٧ ايار (مايو) ١٩١٥ اغرقت غواصة المانية البـــاخرة الاميركية العظيمة « لوزيتانيا » وكانت في طريقها من « نيويورك » الى « ليفربول » . وهي باخرة غير حربية وعلى متنها ألفا راكب ، غرق منهم ١٢٠٠ معظمهم من الاميركيين ، مما احدث ضجة كبرى في الولايات المتحدة كانت من اهم اسباب حمل الولايات المتحدة الاميركية على دخول الحرب الى جانب الحلفاء في ٢ نيسان (ابريل) ١٩١٧ . ومع ان الولايات المتحدة كانت تقدم طيلة المدة السابقة لاغراق السفينة ، المساعدات المادية الى الحلفاء ، الا ان هذا الحادث قد جعل تلك المساعدات اكبر حجماً

قطعت القوات الالمانية — النمساوية بقيـــادة الجنرال « ماكنزن » قائد الجيش الحادي عشر نهر الدانوب واستولت على بلغراد في ٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٥ ، بينما تمكن الجيش البلغاري من قطع الخط الحديدي بين صربيا وسالونيك في ١٦ منه ، ثم دخل « اسكوب » . وفي ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) استولوا على « نيس » . وقد تم في تلك المعارك سحق الجيش الصربي وما تبقى منه نجا باتجاه الاراضي الالبانية . ثم تابع الجيش النمساوي تقدمه واحتل الجبل الاسود ، واضطر ملكه الى الالتجاء الى فرنسا مع عائلته . والواقع انه بعد نجاح القوات الالمانية والنمساوية والبلغارية في احتلال صربيا ، تمكن البلغاريون من صد الهجوم الذي قام به الحلفاء من جهة « سالونيك » ، كما ان طرد الروس من النمسا اثار غضب القيصر فعزل قائد جيشه الغراندوق « نيقولا » وتولى القيادة العامة بنفسه .

المعارك الجوية :

لم يكن سلاح الجو في اوائل الحرب العالمية الاولى من الخطر بحيث يؤثر على سير الحرب ، كما ان الدول المتحالفة لم تكن قد اولته العناية

الكافية ، فلقد كانت بريطانيا لا تملك من هذا السلاح سوى ستين طائرة ارسل منها ست وثلاثون الى الجبهة الفرنسية ، كذلك كانت باقي الدول المتحاربة لا تملك من الطائرات سوى أعداد هزيلة . وقد كلف سلاح الجو في ابتداء الحرب ، بعمليات استكشاف واستطلاع تمهيداً لتعيين الاهداف للقصف المدفعي ، او تمهيداً لرصد تحركات العدو ومعاينة نشاطاته ومراكز قيادته ، ولكن بعد اشهر من ابتداء المعارك ، عكفت الدول المتحاربة على تطوير امكانات الطائرة ، فابتدأ الفرنسيون بتجهيز طائراتهم بالقنابل الصغيرة ، وتوجيه تلك الطائرات نحو اهداف تكتيكية هامة ، ثم سرعان ما اخذت الطائرة كوسيلة قتال ، تكبر حجماً ، وتزداد فعالية ، ويزيد الى جانب ذلك استعمالها . ويذكر في هذا الصدد هجوم الطائرات الانكليزية على قرية « تلت » مقر هيئة اركان الجيش الالماني ، كما صادف وجود القيصر فيها ، فنجا بأعجوبة .

الا ان العمليات الجوية بين المتحاربين ، وتطوير الطائرة كسلاح هام في المعركة ، لم تكن وقفاً على دولة دون اخرى ، بل كان هناك نوع من التعادل في القوى الجوية ، ولكن الالمان تفوقوا على خصومهم بعمليات المناطيد « زبلن » حيث وقعت اول غارة من هذا النوع في ١٩ كانون الثاني (يناير) من العام ١٩١٥ ، عندما اغار منطاد الماني على مرفأ « نورفلك » وتعددت بعد ذلك غارات المناطيد ، الا ان تأثيرها كان محدوداً .

قناة السويس :

كانت مصر لا تزال ، بالاسم فقط ، مقاطعة من مقاطعات الامبراطورية العثمانية ، اما بالفعل فقد كانت تحت السيطرة البريطانية ، وما ذلك الا لاهمية قناة السويس كطريق يصل انكلترا بالهند واوستراليا ونيوزيلندا ، بالاضافة الى كونها طريق المواصلات البحرية التجارية لدول العـالم . وعند اندلاع الحرب انصرفت بريطانيا الى تحصين قناة السويس بمساعدة فرنسا ، كما رفعت عديد حاميتها من خمسة آلاف حتى وصلت الى ستين ألفاً تقريباً بقيادة الجنرال « ماكسويل » . وعندما اعلنت تركيا الحرب ، كان الجيش الرابع ومركز قيادته دمشق ، يضم حوالي ستين ألف جندي ، وفي شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤ عين احمد جمال باشا قائداً لهذا الجيش . فاخذ يعد العدة لاقتحام قناة السويس وتحرير مصر من الاحتلال البريطاني . ولم يكن يعتمد فقط على القوة العسكرية ، بل كان اعتماده في الدرجة الاولى على تجاوب الشعب المصري ، آملا بأن ينتفض هذا الشعب على البريطانيين بمجرد وصول حملة جمال باشا الى اراضيه .

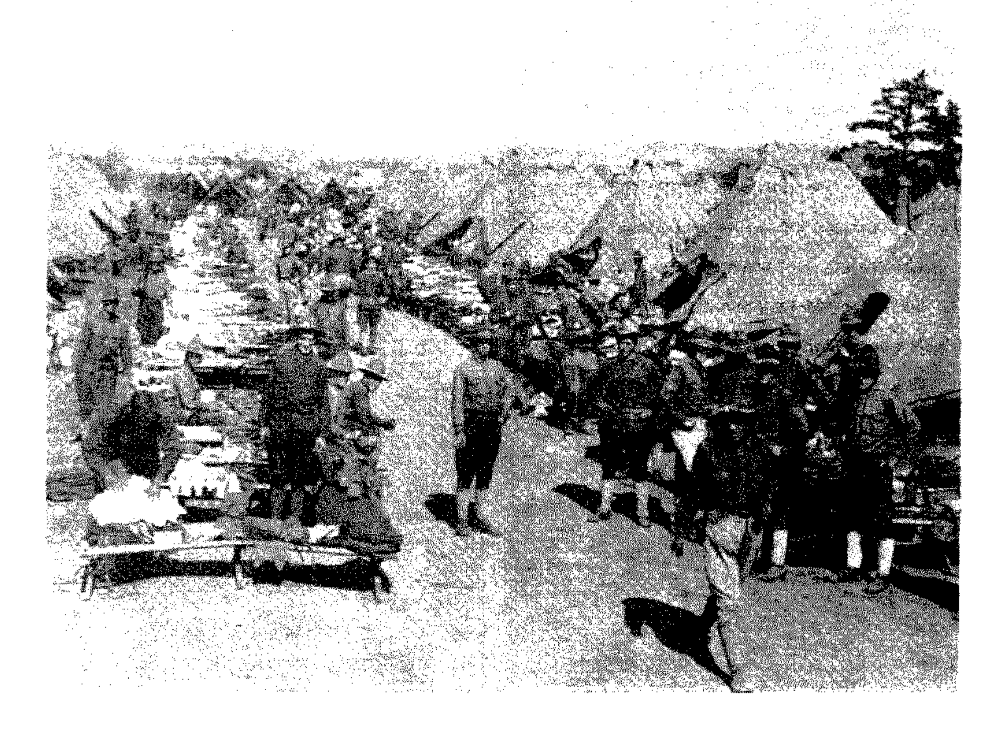
كانت خطوط المواصلات ضيقة جداً في تركيا ، والسكك الحديدية قليلة ، وما يوجد منها لا يزيد عن خط واحد ، فقد كان لدى تركيا خط حديدي يمتد من محطة حيدر باشا في العاصمة الى رياق ، ولكنه لم يكن متصلا بخط حلب بسبب قيام جبال طوروس حاجزاً منيعاً . ومن رياق يمتد خط ضيق الى بيروت من جهة ، والى دمشق من جهة اخرى ، ومن دمشق يبتدئ خط الحجاز الذي يؤدي الى حيفا .

كانت خطة جمال باشا ترمي الى مفاجأة البريطانيين والاستيلاء على الاسماعيلية ، فاذا تم له ذلك ، اغرق في القناة من السفن ما يمكنه من اغلاقها ومنع البواخر من عبورها ، ثم يقتحم مصر ويطرد البريطانيين منها .

وبعد ترتيبات واستعدادات هائلة دامت عدة اشهر ، انطلقت الحملة ، بقيادة جمال باشا الصغير قائد الفيلق الثامن ، وضمت حوالي عشرين ألف جندي مع تسع بطاريات مدفعية ، عبر صحراء سيناء في مسيرة عسكرية كبرى ، كانت فيها الجمال والدواب الوسيلة الوحيدة في عمليات النقل اللوجستيكي . وقد مشت الحملة في وسط الصحراء ، ولم تأخذ طريق البحر ، لان الطريق القديم (طريق العريش) كانت تحت رحمة سفن الحلفاء ، وكذلك كان الطريق الآخر من « معان » الى « نخل » الى « العريش » تحت رحمة قنابل البريطانيين .

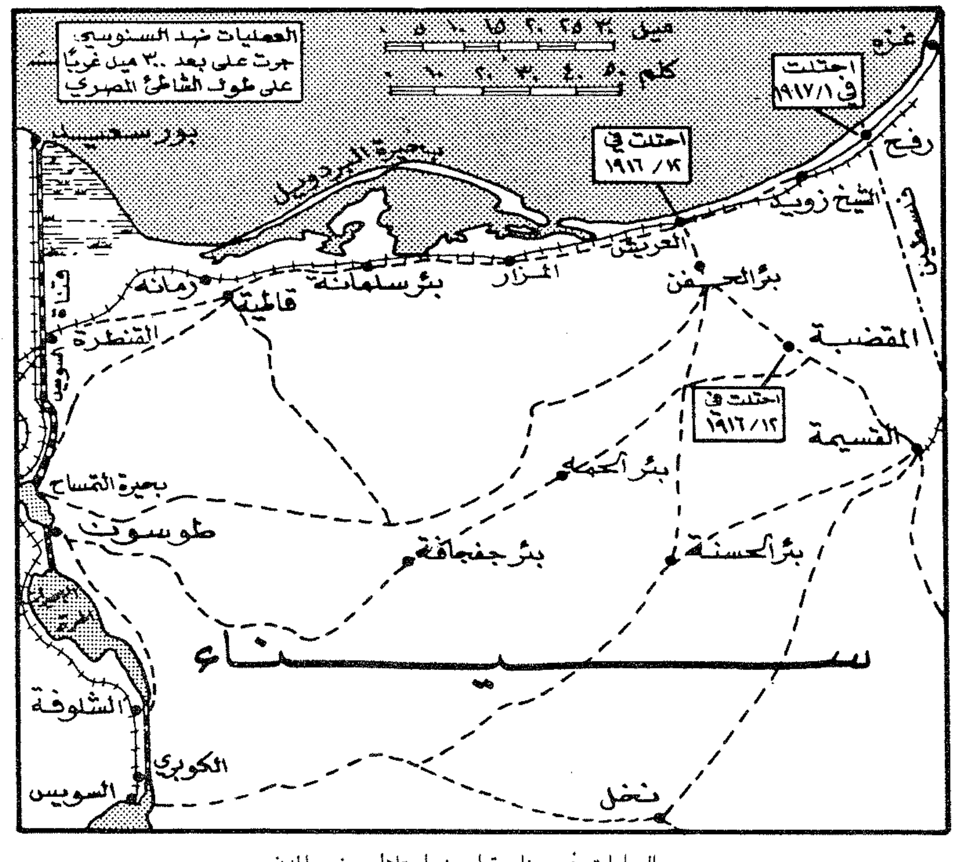
تقدمت القوة الاساسية للحملة ، من بئر السبع في طريق « العوجة » الى « الاسماعيلية » . وتقدمت قوة اخرى بطريـق « العريش » نحو « القنطرة » . وكان جمال باشا الذي واكب الحملة بنفسه يهدف من وراء هذا التوزيع ايهام البريطانيين حول الهدف الاساسي لهجومه ، وجعلهم يعتقدون ان الهجوم سيكون عـلى اكثر من جبهة ، فيوزعون قواتهم على القنال ، بحيث يتمكن الجيش التركي من احتلال «الاسماعيلية». بدأت المناوشات بين الحملة والبريطانيين في ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩١٥ لكن المعركة لم تبدأ قبل الثالث من شهر شباط (فبراير) . وفي الثاني من ذلك الشهر هبت عاصفة هوجاء كانت سرعة الريح فيها تزيد عن الخمسين ميلا في الساعة ، فاغتنم الترك الفرصة وشنوا هجومهم فانزلوا عشرين زورقاً محملة بالجنود ناحية « طوسوم » ، ولكن الانكليز كانوا يتوقعون ذلك ، وهذا ما جعلهم يتصدون لهذا الانزال ، فلم يصل الى الضفة المصرية غير زورقين تمكن البريطانيون ، من أسر الجنود الذين فيهما . عندئذ امر جمال باشا الفرقة الخامسة بالهجوم جهة « سرابيوم » ، وبدأت المدفعية تطلق قنابلها على

الوحدات الأميركية تستعد للتوجه نحو اوروبا



السفن الحربية التي كانت في بحيرة التمساح فقامت السفن بالرد عليها واسكتتها ، ولم تنجح المحاولة التركية كما لم تنجح جميع العمليات العسكرية التي تلت ذلك ، مما اضطر الاتراك الى الانسحاب والتراجع ، ولم يفكر البريطانيون في اللحاق بهم .

حين وصل جمال باشا الى سوريا ، عائداً من حملته الفاشلة على قناة السويس ، اضمر ان يعاود الكرة ، فاستدعى المهندس الالماني الشهير « يسنر باشا » وطلب اليه مد خط حديدي الى بئر السبع . ولقد تم تنظيم العمل ، ولم يكن ثمة نقص في القضبان الحديدية ، اذ كان الاحتياطي منها في مستودعات سكة الحجاز يناهز المائتي ميل ، ولكن الدعائم الحديدية كانت قليلة ، فاستعيض عنها ، بانتزاع قضبان السكة الحديدية الفرنسية الممتدة من يافا الى « اللد » ومن « دمشق » الى « درعا » وتحويلها الى دعائم حديدية ، اما الدعائم الخشبية فقد اقتطعت من شجر الصنوبر في لبنان ، واقيم الخط بعناية فائقة ، وبنيت الجسور والاقنية بناء متيناً ، بواسطة ملتزمين وطنيين ، وافتتح الجزء الواصل الى بئر السبع والبالغ ١٠٠ ميل في ١٧ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩١٥ . الا ان هذا العمل لم يعط الحملة الثانية على مصر في العام ١٩١٦ حظاً جديداً اذ بقيت الحملة مشروعاً في فكر جمال باشا .



مسرح العمليات في سيناء وتواريخ احتلال بعض المدن

ثورة السنوسي :

في ٩ حزيران (يونيه) ١٩١٥ تمكنت سفينة حربية فرنسية من أسر باخرة تركية تحمل بعثة تركية في طريقها الى السنوسي ، ومعها هدايا عظيمة تقدر بخمسة آلاف ليرة ذهبية ، وكتاباً من السلطان محمد رشاد ينبئه فيها بأنه انعم عليه برتبة وزير ، ويطلب منه اعلان الجهاد ضد انكلترا وفرنسا وروسيا ، وقد دلت هذه المعلومات على أن السنوسي كان على اتصال بالترك في حين كان الالمان يراقبونه ويرصدون حركاته .

وفي خريف العام ١٩١٥ ثار السنوسي على الانكليز ، وابتدأت المعارك بينه وبين قواتهم في ليبيا ، والواقع انه لم تكن الحملة التركية على مصر تحمل في نظر البريطانيين خطورة تماثل خطورة حملة عربية سنوسية تتقدم من الحدود الغربية نحو وادي النيل ، وكان السيد احمد السنوسي يقيم بين اتباعه في « برقة » وجهات « بني غازي » ، وقد ظل يناوئ الايطاليين المسيطرين على شمالي ليبيا بموجب معاهدة ١٩١٢ ، حتى اضطرهم الى تجميع قواتهم العسكرية وسحب معظمها من الداخل الى الشواطىء ، وعندما ابتدأ بمقاومة الانكليز في مصر ، كانت قواته قد تدربت على يد « نوري بك » شقيق « أنور باشا » من أمه و « جعفر باشا » العربي البغدادي اللذين قادا تلك القوات ، وبقي يشن غاراته على الحدود المصرية حتى العام ١٩١٦ ، حين سحبت بريطانيا قواتها من الدردنيل ، وعززت حامية مصر ، مما مكنها من دحر السنوسي وتشتيت قواته واسر « جعفر باشا » وتولية السيد ادريس مكان احمد على رأس السنوسيين .

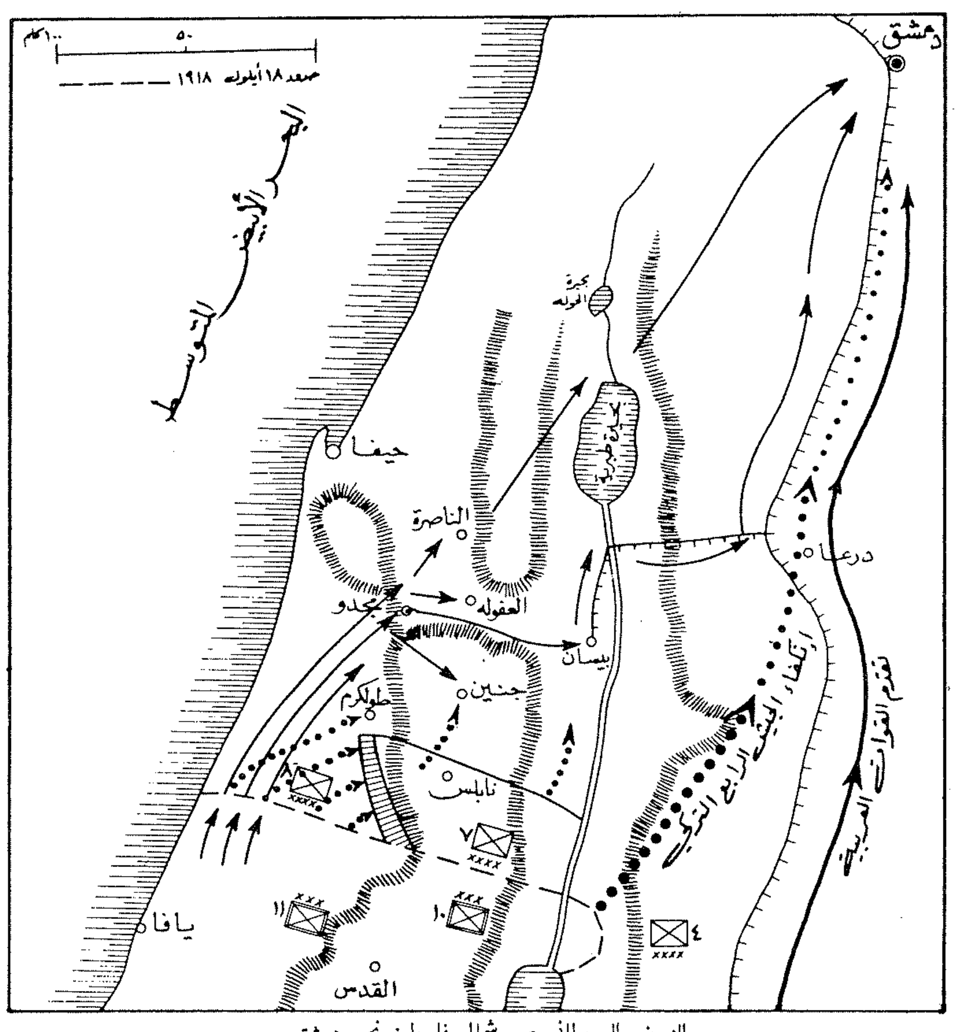
احتلال العراق :

كانت غاية البريطانيين من احتلال العراق حماية انابيب النفط العائدة الى شركة الزيت الانكليزية - الايرانية ، وقد عهدت بريطانيا الى قوى حكومة الهند القيام بهذه الحماية ، فابحرت اول قوة مؤلفة من حوالي خمسة آلاف مقاتل ، بقيادة الجنرال « ديلامين » من بومباي ، وبلغت البحرين في الخليج العربي في ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٤ . وفي الشهر التالي احتلت هذه القوة حصن « الفاو » التركي ، ثم اتخذته رأس جسر ، واخذت تتلقى التعزيزات . وتسلم أمرة القوى جميعاً في العراق الفريق السير « باريت » الذي اعطي امراً باحتلال البصرة ، فقامت القوات الانكليزية باحتلال تلك البلدة دون عناء في ٢٣ تشرين الثاني (نوفبر) . ثم توالى تقدم البريطانيين ، واهتمت تركيا بأمر هذا الغزو ، فعززت قواتها في العراق بالفرقة الخامسة والثلاثين ، التي استقدمتها من حلب ، وعينت قائداً عاماً لقواتها في العراق سليمان عسكري باشا ، بدلا من « جاويد باشا » . وفي ١٤ نيسان (ابريل) ١٩١٥ هجم سليمان عسكري على القوى البريطانية بقوة مؤلفة من عشرين ألف جندي ، وبعد معارك دامية في « الشعيبة » و « البرجسية » تراجعت القوى التركية الى « الناصرية » حيث انتحر سليمان عسكري للفشل الذي اصابه ، بعد ان تكبدت قواته خسارة اكثر من ثلاثة آلاف جندي .

احدثت الانتصارات الانكليزية في العراق تأثيراً عظيماً في اوساط القيادة العامة فقررت المضي في خططها واحتلال العراق بكامله ، فعينت الجنرال « نيكسون » لقيادة القوى البريطانية في العراق . وكان اول عمل قام به القائد الجديد ان قسم قواته الى قسمين احدهما بقيادة الجنرال « تاوسند » والآخر

بقيادة الجنرال « غورينغ » الذي زحف على الناصرية في ٢٤ تموز (يوليو) ١٩١٥ . ولم يمض الشهر حتى سقطت المدينة . اما المعارك الهامة في العراق فكانت معركة « كوت العمارة » وهي تعتبر مفتاح المواصلات الى دجلة والفرات ، وابتدأت المعركة خلال شهر ايلول (سبتمبر) ، وسقطت المدينة بيد الانكليز في اواخر الشهر نفسه ، بعد خسائر فادحة مني بهـا الطرفان . (انظر كوت العمارة « معركة ») .

بعد الانتصارات الجديدة هذه ، للقـوى الانكليزية الغازية ، ارسلت الإستانة امدادات وعينت « خليل باشا » لقيادة القوى ضد الانكليز في العراق ، وبالفعل خاض هذا القائد مُعارك عديدة انتزع فيها النصر من البريطانيين واجلاهم عن مدن كثيرة كانوا قد احتلوها ، كما استطاع دحر الجنرال « تاوسند » من « كوت العمارة » وأسر معظم قواته ، الامر الذي احدث اثراً بالغ السوء في نفس سلطات « لندن » التي شكلت لجنة تحقيق لدراسة اسباب الفشل الذي منيت به القوات البريطانية . وقد حصلت الانتصارات التركية تلك في ربيع العام ١٩١٦ واستسلم « تاوسند » في ٢٩ نيسان (ابريل) حيث سيق الى جزيرة « برينكيبو » . الا ان البريطانيين لم يتركوا الجبهة العراقية نهائياً فبعد اشهر من التحضير ، وفي شهر شباط (فبراير) ١٩١٧ تقدم الجنرال « مود » باتجاه نهر دجلة ، فاستعاد « كوت العمارة » في ٢٤ منه وسقطت بغداد في ١١ آذار (مارس) من العام نفسه .



الزحف البريطاني عبر شمالي فلسطين نحو دمشق

جبهة الاناضول :

في ايلول (سبتمبر) ١٩١٥ عين الغراندوق « نيقولا » نائباً للقيصر في القفقاس ، بعد ان أقيل من قيادته الروسية في الساحة الشرقية . وكانت روسيا بحاجة الى نصر عاجل ، ولما كانت الجبهة التركية اضعف الجبهات فقد اختارت روسيا ان تحرز فيها انتصاراً يعيد اليها ثقتهـا ، فكانت « ارضروم » الهدف الظاهر للهجوم الروسي ، يضاف الى ذلك ان « ارضروم » عاصمة « ارمينيا » وان الاستيلاء عليها يهدد الاناضول بكامله .

انطلق الهجوم في ١١ كانون الثاني (يناير) ١٩١٦ واخذ الاتراك على حين غرة ، وانطلق في محاور ثلاثة : احدها في الوسط باتجاه وادي « اراكس » على طريق « قارس » ، وثانيهما في الشمال ملتفاً من ناحية « كاراكوبك » ، وثالثهما في الجنوب من ناحية بحيرة « فان » وقد سار الهجوم من حصن الى آخر موالياً انتصاراته حتى أسقط « ارضروم » في ١٦ شباط (فبراير) ١٩١٦ ، بعد خسائر كبرى من الجانبين خصوصاً الجانب التركي . ولم تشهد الاشهر الاخيرة من العام ١٩١٦ غير نشاط ضئيل بين الفريقين لم يبدل شيئاً في الموقف العام ، على الرغم من التعزيزات التركية الهائلة التي اعطيت لـ « وهيب باشا » لاسترجاع ارمينيا ، فقد وطد الروس اقدامهم فيها ، كما وطدوا اقدامهم في الشمال الغربي من بلاد العجم ، واكتفى الغراندوق بانتصاراته ، وظل محتفظاً بارمينيا حتى اندلاع الثورة الروسية عام ١٩١٧ .

معركة « السوم » ١٩١٦ :

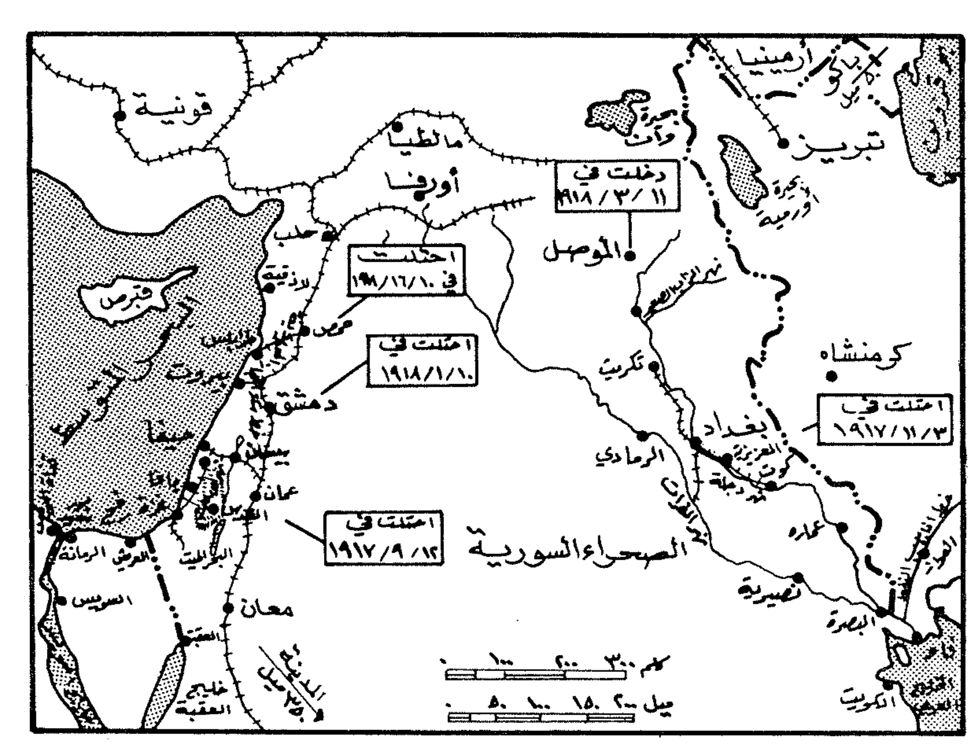
اذا كانت الجبهة الغربية قد تجمدت طيلة الحرب بعد ان اتخذت طابع قتال الخنادق فهذا لا يعني ان العمليات الحربية قد توقفت ، بل عنينا في ذلك التجميد الجغرافي . اما على صعيد العمليات فقد بقيت الجبهة تشتعل طيلة سني الحرب ، واهمها كما اشرنا معارك « فردان » ومعركة « السوم » التي نشير اليها لظهور الدبابة لاول مرة على مسرحها ، والواقع كان اختراع الدبابة قد بقي سراً مجهولا حتى تلك الساعة ، وبعد تجربتها وظهور فوائدها ، صدر الامر بصنع وحدات منها ووصل اولها الى السوم في اول المعارك على الرغم من اعتراض بعض السلطات البريطانية على اظهار هذا السلاح ، وهو اختراع بريطاني ، قبل ان يصبح لدى البريطانيين الكمية اللازمة منه ، بحيث يمكن معها الحصول على نتائج حاسمـة . ولكن القيادة البريطانية قررت استعمال الموجود منها باسرع ما يمكن ، وصار هذا الامر واقعاً في ١٥ ايلول (سبتمبر) من العام ١٩١٦ عندما انزل على الشاطئ الفرنسي ٦٩ دبابة وصل منها الى ساحة القتال في « السوم » ٤٩ استعمل منها ٣١ في الهجوم حيث وصل بعضها

كان البريطانيون قد خسروا ما لا يقل عن ستين ألف جندي ، وهي اكبر خسارة اصابت الجيش الانكليزي في يوم واحد ، من تاريخه العسكري ، عاد الحلفاء الى الهجوم ثانية في ٢٠ من الشهر نفسه واستطاعوا الحصول على انتصارات محلية أسر فيها حوالي اثني عشر ألف جندي الماني . ثم اشتد الهجوم البريطاني الفرنسي خلال شهر ايلول (سبتمبر) على المراكز الالمانية اشتداداً هائلا وصفه «لودندورف» بانه عبارة عن مجزرة ، وكان الالمان فيه يدافعون دفاع المستميت ، والحلفاء يقاتلون قتالا عنيداً ومع ذلك فان الارباح كانت فيه قليلة بالنسبة للخسائر وان تمكن الحلفاء في ١٧ ايلول (سبتمبر) من أسر ٥٦ ألف الماني ، وربح ١٨٠ كيلومتراً مربعاً فقط من الارض ، اما خسائرهم فكانت كبيرة جداً ، وفي ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) اقتنع السير «دوغلاس هيغ» القائد العام للقوات الانكليزية بأن الخط الالماني لا يمكن اختراقه خلال تلك السنة . (انظر السوم « معركة ») .

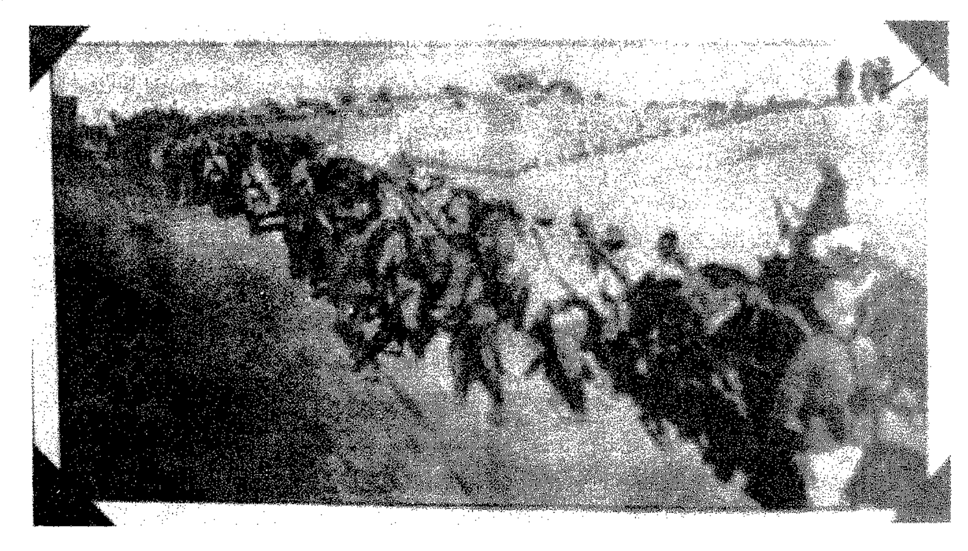
اما في الجبهة الشرقية ، فقد سحبت النمسا معظم قواها وهاجمت ايطاليا في العام ١٩١٦ وتوغلت بعيداً في انتصاراتها ، مما حمل ايطاليا على طلب النجدة من روسيا ، فاستجابت وسيرت اربعة جيوش بقيادة الجنرال « بروسيلوف » : وضع الجيش الثاني بقيادة « كاليدين » ، والجيش الحادي عشر بقيادة « ساخاروف » ، والجيش السابع بقيادة « شكير باكيف » ، والجيش التاسع بقيادة « لشيتسكي » . وابتدأ الهجوم في الرابع من شهر حزيران (يونيو) على جبهة بلغ طولها ٢٧٠ ميلا ، وما حل اليوم الثاني من الشهر نفسه ، حتى كان الروس قد حرروا معاقل « فولهينيا » ، محدثين ثغرة في الخط النمساوي بلغت خمسين ميلا ، ثم اخذت تتسع بتقدم الروس فاصبحت في اوائل تموز (يوليو) جبهة مساحتها ٢٠٠ ميل ، وعمقها ٦٠ ميلا ، آسرين فيها اكثر من ٣٥٠ ألف جندي مع ٤٠٠ مدفع و ١٣٠٠ رشاش . ولم يتوقف الزحف الكبير على النمسا الا بعد تدخل الالمان وتعيين «هندنبرغ» قائداً للجبهة الشرقية بكاملها ، بما فيها الجبهة النمساوية من « البلطيق » الى « لمبرغ » .

الزحف البريطاني على فلسطين :

بعد فشل حملة جمال باشا على السويس وانكفائه نحو فلسطين ، ترك في سيناء قوة تركية عهد بقيادتها الى « فون كرس » الالماني الذي كان رئيساً لاركان حرب الفيلق الثامن الذي قام بحملة السويس ، وفي الواقع فقد ظلت المناوشات قائمة



تواريخ احتلال بعض المدن السورية والعراقية



رتل من القوات الفرنسية العاملة مع البريطانيين في فلسطين

فعلا الى الخطوط الالمانية وكان تأثيرها عليهم مذهلا ، وقد أخطأ الحلفاء في اظهار سلاحهم الجديد قبل ان يتمكنوا من انزال الاعداد اللازمة منه الى الجبهة ، كما سبق ان اخطأ الالمان في العام ١٩١٥ في اظهار سلاحهم الجديد ، الغازات السامة ، دون ان يستطيعوا الحصول به على انتصار حاسم .

كانت خطة الحلفاء في « السوم » تقضي بأن يصار الى هدم الخنادق الالمانية والمواقع الدفاعية السلبية بالقصف المدفعي ثم الى الهجوم من جهتين يتقدم الافرنسيون من شرقي « السوم » الى جنوبي «برون» ،ويتقدم البريطانيون الى «بابوم» و«اشيت لوغران». وقد بدأت المعارك في الساعة السابعة والنصف من اليوم الاول من تموز (يوليو) ،الا ان الهجوم لم يفاجىء الالمان الذين كانوا يشاهدون الاستعدادات العسكرية منذ اشهر ، وذلك النشاط في خطوط العدو القابع امامهم . وما كاد ينقضي ذلك اليوم حتى



وحدة سنغالية على قاعدة الانطلاق

بين هذه القوة وبين القوى البريطانية في السويس طيلة العام ١٩١٥ وحتّى اواخر العام ١٩١٦، دون ان يستطيع اي من الخصمين احراز نصر حاسم.

وكانت القيادة السياسية البريطانية في تلمسها الحصول على كسب استراتيجي ومعنوي، قد رأت في احتلال فلسطين ودخول القدس، ما يحقق لها ذلك الكسب، فاخذت تستعد للزحف عبر صحراء سيناء، نحو العريش فأقـامت خطوط السكك الحديدية، وفي آذار (مارس) من العام ١٩١٦ اوصلتها الى «القنطرة» ثم بعد ذلك الى «القطية» بالاضافة الى مد انابيب المياه وهي انابيب كبيرة تم تحضيرها وصنعها في الولايات المتحدة الاميركية بناء على طلب بريطانيا. وفي خريف ١٩١٦ كانت خطوط السكك الحديدية قد وصلت الى منتصف الطريق بين القنطرة وحدود فلسطين، وبذلك تم التحضير المادي للزحف، وبلغ عـديد القوى البريطانية في مصر بقيادة الجنرال «موراي» مائة وخمسون ألف جندي، وستة آلاف جندي هندي، اما القوات التركية في فلسطين وسوريا، فلم تكن تتجاوز الخمسة وخمسين ألفاً، منها في العريش ١٦٠٠٠ جندي.

في نفس اليوم الذي تم فيه التحضير الكامل للهجوم، وكانت القوات البريطانية قد عززت بثمان دبابات وبعض المدافع الثقيلة، افادت التقارير الجوية ان الاتراك قد اخلوا مدينة العريش، فدخلتها القوات البريطانية في ٢١ كانون الاول (ديسمبر) وشرعت بجمع الالغام من المرفأ، وتشييد رصيف للميناء حيث وصل في ٢٣ منه اول مركب مـن «بور سعيد» ناقلا المؤن والذخائر. ووالى البريطانيون زحفهم فاحتلوا «رفح» في ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٧ ووجهوا قواهم نحو «غزة».

لم تكن حامية «غزة» تزيد عن اربعة آلاف جندي، وعلى الرغم من ذلك لم يستطع البريطانيون مهاجمتها قبل شهر آذار (مارس) ١٩١٧، كما ان الهجومين اللذين قاموا بهما قد باءا بالفشل خصوصاً الهجوم الثاني بقيادة الجنرال «شتود» قائد الفيلق الصحراوي في النصف الثاني من شهر نيسان (ابريل) الذي أدى الى تأجيل فكرة احتلال «غزة».

لما وصل الجنرال «اللنبي» الى القاهرة في ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩١٧ كانت الحكومـة البريطانية قد صممت على احتلال فلسطين واصدرت اليه اوامرها بذلك. وفي السابع والعشرين من شهر تشرين الاول (اكتوبر) بدأت المدافع الانكليزية تطلق قذائفها على «غزة» وكان عدد المدافع لا يقل عن ثلاثمائة مدفع بالاضافة الى مدافع بعض القطع من الاسطـول الانكليزي التي شاركت في تحضير الهجوم. وفي الواحد والثلاثين من الشهر نفسه تم الاستيلاء البريطاني على «بئر السبع». ما كاد الجنرال «اللنبي» يطمئن الى سقوط «بئر السبع» حتى اطلق هجومه على «غزة» في الثاني من شهر تشرين الثاني (نوفبر). ودامت المعركة خمسة ايام استطاع بعدها البريطانيون اسقاط المدينة ودخولها (انظر غزة «معارك» ١٩١٧). وتابع الجنرال «شتود» تقدمه نحو القدس، في الخامس من كانون الاول (ديسمبر) حيث استطاع دخول المدينة بعد اربعة ايام وكان ذلك بالنسبة الى البريطانيين امراً غير منتظر، اذ كانوا يتوقعون مقاومة تركية عنيفة، بينما لم يضطروا الى اطلاق رصاصة واحدة (انظر القدس، معارك).

والواقع ان انكفاء الاتراك المتتالي، وتسليمهم معاقلهم الواحد تلو الآخر لم يكن سببه قوة الدفع البريطاني فحسب، بل ايضاً والى حد كبير، ثقل الهزائم التي منوا بها خصوصاً على الارض العربية سواء في العراق، او في الحجاز حيث رفع «الشريف حسين»، في حزيران (يونيو) ١٩١٦، علم الثورة معلناً استقلاله في «مكة» ومذيعاً نداءه الشهير الى العالم الاسلامي بضرورة طرد العثمانيين تمهيداً لاستقلال البلاد العربية، وكان من اثر هذا النداء ان اثيرت العواطف وخمدت الاختلافات القبلية.

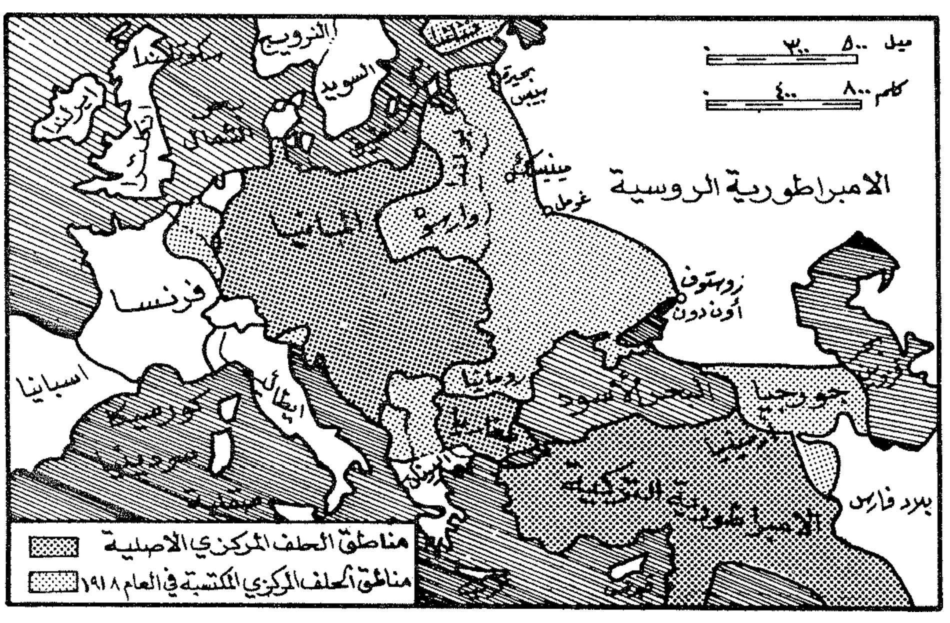
بدأت حملة «الشريف حسين» في «مكة المكرمة» وقادها بنفسه وانتصر فيها انتصاراً كاملا على الاتراك (انظر الثورة العربية الكبرى)، ثم قسم قواته من المشاة والهجانة والخيالة الى اربع مجموعات بقيت واحدة في مكة وتوجهت المجموعات الثلاثة الباقية بقيادة انجاله، غرباً الى «جدة» وشـمالا الى «المدينة» وجنوباً الى «الطائف». واهتمت بريطانيا اهتماماً كبيراً بالثورة، فشحنت الاسلحة الى الحجاز، كما اعيد تنظيم القوات العربية فتولى الامير «عبدالله» مجموعة من اربعة آلاف، والامير «علي» مجموعة من ثمانية آلاف، وعهد الى المجموعتين بمهاجمة «المدينة المنورة». ومجموعة الامير «فيصل» في «ينبع» وقوامها ثمانية آلاف، وقد ابلت هذه القوات البلاء الحسن في معظم معاركها ضد الاتراك، كما قـدم العقيد «لورانس» خدمات كثيرة للامير «فيصل» في مطاردته فلول العثمانيين في شرقي الاردن وفلسطين وسوريا. وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٦ اعترفت حكومات بريطانيا العظمى وفرنسا وايطاليا رسمياً بالشريف حسين ملكاً على «الحجاز» فزار «جدة» بصحبة وزرائه وتلقى التهاني من قـادة الطرادات الانكليزية والفرنسية، في البحر الاحمر.

انتهاء الحرب :

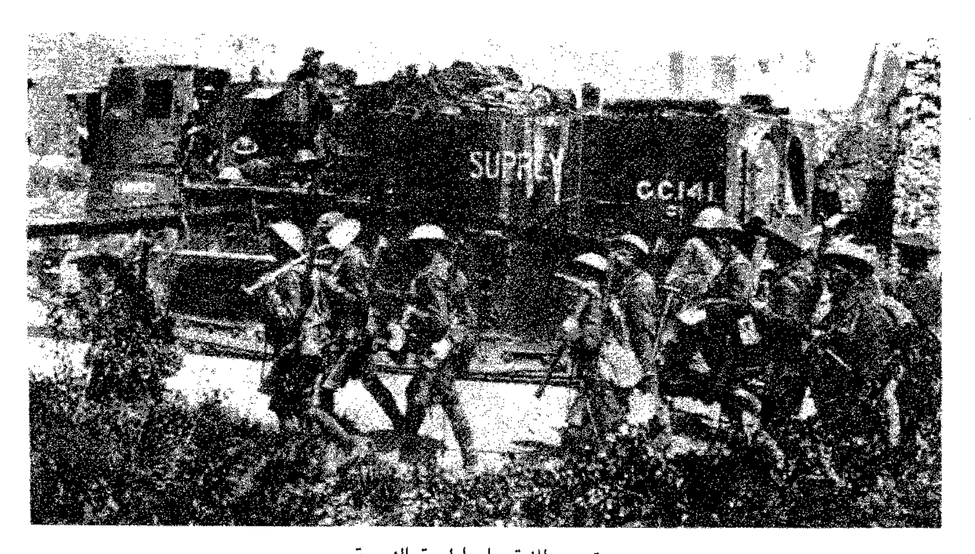
في اواخر العام ١٩١٦ شهدت الجبهة الغربية ، وكانت نقطة الثقل في ميزان الحرب ، تغييراً في القيادة الفرنسية ، فقد اقيل الماريشال « جوفر » وعين مكانه في القيادة العامة للجيوش الفرنسية الجنرال « نيفل » وهو من ابطال « فردان » الا ان هذا القائد لم يوفق في الهجوم العام الذي امر به خلال شهر كانون الاول (ديسمبر) والذي انكشفت خططه للاعداء قبل انطلاقه ، وجعل الالمان يتراجعون مسافة خمسين ميلا ، ويتحصنون في مواقع جديدة ، تاركين الهجوم العام الفرنسي يقع في الفراغ ، فأقيل هو ايضاً وعين الجنرال « بيتان » مكانه . وجاء العام ١٩١٧ متميزاً بحدثين هامين قدر لكل منهما ان يؤثر تأثيراً بعيداً في تاريخ الحرب : اولهما دخول الولايات المتحدة الحرب فعلياً ، وثانيهما الثورة الروسية . اما الحدث الاول فكان سببه المباشر حرب الغواصات الالمانية واغراق الباخرة «لوزيتانيا» والحدث الثاني ارتبط بفشل الجيوش الروسية المتتابع ، والثورة الروسية شباط (فبراير) ١٩١٧ .

وإذا كانت الثورة قد هزت الروس ودفعتهم نحو التفاوض مع ألمانيا ، فإن حرب الغواصات التي علق عليها الألمان آمالا كبيرة قد فشلت في اخضاع بريطانيا، بل لقد بلغ من تغلب الاسطول البريطاني على هذا السلاح ان جاء وقت لم تكن ترجع فيه سوى غواصات قليلة العدد الى قواعدها . واذ تحطمت آمال « لودندورف » على صفحات البحر ، فقد ظل موقفه في البر قوياً راجحاً . في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ارسل الالمان ست فرق ركبت القطارات الى الجبهة النمساوية – الايطالية وانضمت الى تسع فرق نمساوية مؤلفة الجيش الرابع عشر بقيادة « فون بيلو » ، وشنت هجوماً عاماً في المنطقة الجبلية نحو الشمال الشرقي من ايطاليا ، بالتنسيق مع جيشي « بورفيك » اللذين يقومان بالهجوم على الشاطئ الادرياتيكي ، فتمكنت جميعها من تمزيق الجيش الايطالي ، واضطرت مليون جندي ايطالي الى التقهقر والانكفاء ، بينما اسرت بعد بضعة ايام للهجوم ، مائتي ألف جندي و ١٨٠٠ مدفع ، وتابعت انتصاراتها على الجبهة الايطالية بتدمير حوالي ثمانماية ألف جندي بين قتيل وجريح وأسير ، الا ان الايطاليين استطاعوا اخيراً وقف التقدم الالماني – النمساوي مع اطلالة الشتاء وثلوجه .

بحثت في فترات متفاوتة من العام ١٩١٧ مشروعات لعقد صلح بين المانيا والحلفاء ، وجاءت العروض من بعض المسؤولين الالمان انفسهم ، ولكن مجلس الوزراء البريطاني كان يشترط لقبول الصلح جلاء المانيا عن بلجيكا، وإعادة الالزاس واللورين الى فرنسا، ودفع تعويضات للحلفاء . وكان ان قرر « لودندورف » القيام بهجوم في الجبهة الغربية لعله يوفق في فرض صلح على الحلفاء ، فسحبت اربعون فرقة من الجبهة الشرقية ، ودفع بها الى الجبهة الغربية في محاولة لانزال ضربة حاسمة بالجيشين البريطاني والفرنسي ، عند منطقة اتصالهما . ووقعت الضربة التي لم تكن حاسمة كما اريد لها ، في شهر آذار (مارس) من العام ١٩١٨ ، بعد ان مهد لها اربعة آلاف مدفع بسيل من النيران على الجيش الخامس البريطاني بقيادة الجنرال « غوف » . وعلى الرغم من تدمير الجيش البريطاني الخامس ووصول القوات الالمانية الى جنوبي « اميان » فقد تمكن الحلفاء آخر الامر من وقف الهجوم رغم عنفه ، واستعادوا روعهم ، واخذوا بالتحضير للهجوم العام المقبل ، وكان ذلك بفضل توجيه القيادة وتعيين الجنرال « فوش » قائداً عاماً لقوات الحلفاء في فرنسا في ١٤ نيسان (ابريل) ١٩١٨ . وشعر الالمان بالترتيبات القائمة في خطوط الحلفاء فارادوا مجدداً القيام بهجوم عام ثان ، وكان ذلك في ١٥ تموز (يوليو) ،



التوسع الجغرافي الأقصى للحلف المركزي



وحدة بريطانية على الجبهة الغربية

الا ان هذا الهجوم لم يكتب له النجاح ، كما اعطى المبادرة للحلفاء بالبدء بعملياتهم الهجومية اعتباراً من الثامن عشر من الشهر نفسه . وبغية الحفاظ على تلك المبادرة واستغلالها ، عمد « فوش » الى شن عدة هجمات ليمنع خصمه من استعادة روعه وتجميع احتياطه ، ولقد عهد بهذه الهجمات الى « هيغ » و « بيتان » و « برشينغ » وكان هذا الجنرال قائداً للقوات الاميركية التي ابتدأت تنزل على الساحل الفرنسي بناء لطلب من الحلفاء ، اعتباراً من شهر نيسان (ابريل) باعداد كبيرة .

وعهد « فوش » الى « هيغ » بهجوم مفاجيء في جبهة « اميان » . وشن هذا الهجوم الجيش الرابع البريطاني بأمرة « رولنسون »، بينما أمر الجيش الثالث الفرنسي بقيادة « دبني » (وكان قد وضع بالتصرف العملياتي للجنرال « هيغ ») بتوسيع القتال نحو الجنوب.

في الثامن من آب (اغسطس) انطلق الهجوم ، ونزل على الالمان نزولا مفاجئاً حطم معنوياتهم ومكن الجيش الرابع البريطاني من أسر ٢١٠٠٠ جندي الماني ، بينما اكتسحت قوات الفيلق الاوسترالي والكندي الفرق الالمانية الامامية .

قال « لودندورف » : « ان يوم الثامن من آب (اغسطس) كان اليوم الاسود للجيش الالماني في تاريخ الحرب » فقد بدد كل شك حول هزيمة قوتنا المحاربة ... فالحرب يجب ان تنتهي» . وبينما كان « لودندورف » يحاول تجميع قواته المبددة ، والانكفاء الى خطوط دفاعية خلفية ، قرر « فوش » عدم ترك الفرصة له وضربه الضربة الحاسمة خلال خريف ١٩١٨ بدلا من تأجيل ذلك حتى العام التالي .

وعلى جبهة بلغاريا ركز « فرانشيه » قائد القوى الفرنسية في « سالونيك » على تحضير قوة مشتركة فرنسية صربية ودفعها في هجوم عام ، في الخامس عشر من ايلول (سبتمبر) بالتنسيق مع القوى البريطانية فشطر الجيوش البلغارية الى شطرين ، وانزل بها خسائر جسيمة ، أدت ببلغاريا الى طلب الصلح الذي وقع في ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩١٨ .

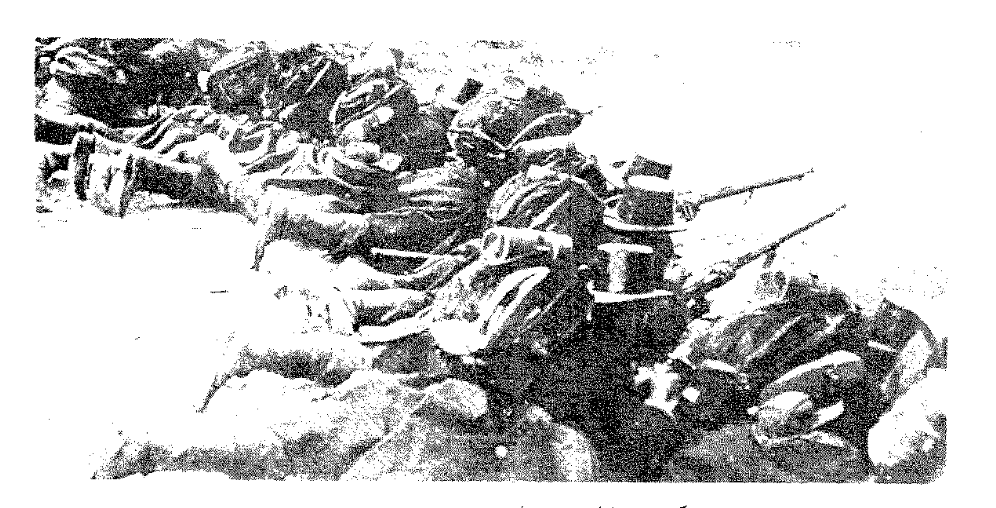
تلا استسلام بلغاريا إلقاء السلاح من قبل تركيا . فقد قاد الجنرال « اللنبي » هجوماً على شاطيء البحر الابيض المتوسط ، بعد ان مال ميزان القوى من ٢ ضد ١ الى ٤ ضد ١ لصالحه ، في ١٩ ايلول (سبتمبر) انطلق الهجوم دافعاً الاتراك امامه باتجاه الشمال نحو داخل البلاد ، واحرزت خيالته نصراً ساحقاً في « مجدو » في فلسطين قرب حيفا ثم تدافعت نحو « دمشق » فحلب ، وكان استسلام تركيا في الثلاثين من الشهر التالي .

على الجبهة الغربية ، وضعت خطة هجوم كانت هذه المرة حاسمة ، وشارك في اعدادها « فوش » وقادة جيوش الحلفاء ، وقضت باطلاق التقدم على محاور أربعة في وقت واحد كما يلي :

- محور غربي « الموز » يقوم به الاميركيون ، وآخر غربي « ارغون » يقوم به الفرنسيون ، وكلاهما باتجاه « ميزير » وذلك في ١٦ ايلول (سبتمبر) .
- محور ثالث عهد به الى البريطانيين في « كانتان – كامبري » باتجاه « موبوج » ، وحدد انطلاقه في ٢٧ ايلول (سبتمبر) .
- محور رابع ينطلق فيه الهجوم بتاريخ ٢٨ ايلول (سبتمبر) باتجاه « غانت » وعهد به الى القوات البلجيكية المعززة بقوى الحلفاء .

بدأ الهجوم العام على شكل كماشة بين « ايبرز » و « فردان » ، واستطاع « هيغ » الانقضاض على خط « هندنبرغ » الحصين واجتياز اصعب بقعة فيه (قنال الشمال) . وفي الخامس من تشرين الاول (اكتوبر) كان البريطانيون وراء الخط وانكشفت امامهم ارض منبسطة سهلة العبور .

على الجبهة الايطالية بعد ان اوقف المد الالماني – النمساوي عند نهر « بياف » طيلة شتاء ١٩١٨ بفضل التعزيزات التي قدمها الحلفاء ، استمر ثبات الايطاليين خلال الصيف ايضاً ، وفي ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) تحرك « كافان » فاجتاز نهر « بياف » بهجوم كبير نحو « فينيريوفينيتو » بهدف شطر النمساويين الى قسمين ، بين سهل الادرياتيك والجبال ، وفي ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) حقق الهجوم غايته وحمل النمسا على



البلجيكيون يقاتلون بوحدات غير معدة لحرب طويلة قاسية

مدفع ثقيل محمول على عربة سكة حديدية

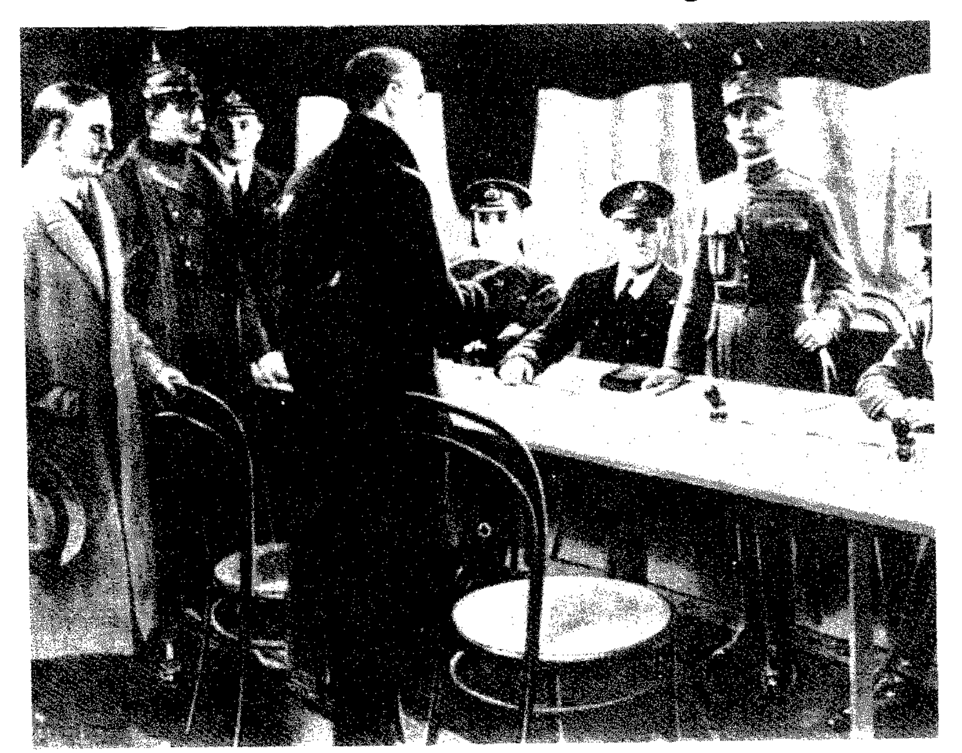


طلب الصلح والحصول عليه في اليوم نفسه .
وأضنى الجوع الشعب الالماني ، وضاقت به السبل ، وتحطمت معنوياته وارادة القتال فيه ، ودب اليأس الى قلوب القادة والجنود ، فعرفت القوات المسلحة نوعاً من العصيان ، عندما رفض بحارة الاسطول الخروج به من الموانئ ، لملاقاة اساطيل الحلفاء وكان ذلك اول مظهر لاندلاع الثورة (٤ تشرين الثاني (نوفبر))، فتنازل الامبراطور « غليوم » عن العرش وفر الى « هولندا » في التاسع من تشرين الثاني حيث اعلنت الجمهورية في اليوم نفسه . وكان الالمان في الثالث من الشهر قد طلبوا من رئيس الولايات المتحدة الاميركية « ولسون » الموافقة على هدنة ، ولكن طلبهم لم يقترن بأي تجاوب من الحلفاء .
اما وقد تقوضت اركان الدولة الالمانية فاصبح لا بد من القبول باستسلام غير مشروط ساعد في فرضه على الالمان متابعة الضغط العسكري الذي قام به « فوش »،فقد جمع ٢٨ فرقة أميركية و ٦٠٠ دبابة لتوجيه ضربة شرقي « اللورين »، وكان قد ارتفع عديد القوى الاميركية في فرنسا الى ٤٢ فرقة .
وهكذا ألقت المانيا السلاح ، واضطرت الى توقيع صلح غير مشروط في الساعة الخامسة من صباح اليوم الحادي عشر من تشرين الثاني (نوفبر) ١٩١٨ في عربة « فوش » في « كامبييني » ، واضعة بذلك نهاية حرب استمرت ٤ سنوات ، وثلاثة اشهر ، وعشرة ايام .

نتائج الحرب

احدثت الحرب العالمية الاولى تغييرات جذرية في خريطة اوروبا السياسية . فقــد اختفت من الخريطة اربع امبراطوريات كبرى هي الامبراطورية الالمانية ، والامبراطورية النمساوية – الهنغارية ، والامبراطورية الروسية ، والامبراطورية العثمانية ، وفي مقابل ذلك ظهر على خريطة اوروبا عدد من الدول الجديدة والكيانات السياسية المستحدثة . ففي شمال اوروبا ظهرت دولة فنلندا وجمهوريات البلطيق التي سلخت من الاراضي الروسية وهي استونيا ، ولاتفيا ، وليتوانيا ، كما عادت الى الظهور دولة بولونيا بعد غياب اكثر من قرن . وانشئت مدينة « دانزينغ الحرة » التي وضعت باشراف عصبة الامم وادارتها. اما الى الوسط فقد ظهرت دولة تشيكوسلوفاكيا ودولة هنغاريا التي انفصلت عن النمسا .
التغييرات تلك نص عليها مؤتمر باريس وهو المؤتمر الذي عقد في باريس ، في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ لتسوية المشاكل التي خلفتهــا الحرب ، واشتركت فيه الدول الحليفة والدول المشاركة في الحرب وعددها جميعاً اثنتـان وثلاثون دولة واستبعدت عنه جميع الدول المحايدة ، والدول المركزية ، وروسيا .
بالاضافة الى وفود الدول المنتصرة ، ذهب الى باريس عدد من الوفود غير الرسمية التي لم تكن تمثل دولا مستقلة بل فئات خاصة ، كاللبنانيين والمصريين والارمن والاكراد والكوريين والايرلنديين والروس البيض وغيرهم . وانحصر نشاط هذه الوفود بالنظر الى عدم اعتراف المؤتمر بصفة رسمية لها ، في السعي لمقابلة اعضاء المؤتمر البارزين وعرض مشاكلهم القومية، أملاً في كسب العطف والفوز بتأييد مطالبهم .
إن معاهدات الصلح التي اعدها مؤتمر باريس وفرض على الدول المركزية التي خسرت الحرب ان توقعها ، هي ست معاهدات اكبرها واهمها معاهدة فرساي (انظر فرساي معاهدة) . اما المعاهدات الباقية فقد نسجت على منوال معاهدة فرساي فتضمنت اقساماً او فقرات كاملة من تلك المعاهدة ، بمعنى ان معاهدة فرساي كانت المعاهدة الأم او الاساس بالنسبة لباقي المعاهدات . ولقد خسرت المانيا بموجب معاهدة فرساي ٨٨ ألف كيلومتر مربع من اراضيها وثمانية ملايين من ابنائها الذين تحولوا الى اقليات في الدول المجاورة لها ، وعادت مقاطعتا « الالزاس واللورين » الى فرنسا ، كما انشئت مدينة « دانزيغ الحرة » ووضعت باشراف وادارة عصبــة الامم . وبالاضافة الى هذه الاقتطاعات فقد فرضت على المانيا شروط عسكرية قاسية ، اذ حدد حجم القوات التي لا يحق لها ان تتجاوزه ، وفرضت شروط اقتصادية كانت من اصعبها جميعاً اذ بلغت الغرامة المتوجب دفعها ٣٣ بليون دولار تعويضاً عن الاضرار التي احدثتها الحرب والتي تحمل المانيا مسؤوليــة اشعالها (انظر فرساي ، معاهدة) .
وضع مؤتمر باريس نصوص معاهدة « سيفر » لتطبق على الامبراطورية العثمانية . وكان من اهم ما نصت عليه بنودها سلخ مناطق واسعة من الممتلكات العثمانية كأرمينيا والبلاد العربية وتراقيا ومنطقة ازمير في غربي آسيا الصغرى . ورافق ذلك عمليات عسكرية قام بها الحلفاء على الرغم من استسلام تركيا ، في اواخر العام ١٩١٨ واوائل العام ١٩١٩، اذ غزت اليونان منطقة ازمير وسيطرت عليها،وهاجمت اساطيل الحلفاء العاصمة اسطنبول واحتلتها ، ونزل الايطاليون في اضاليا ، ودخل الفرنسيون كيليكيا كما اعلن الارمن استقلالهم . كل هذه العمليات اجبرت الحكومة العثمانية على توقيع المعاهدة كما

توقيع اتفاقية الهدنة ١٩١٨/١١/١١ (غابة كامبييني)



هيأت الظروف النفسية والشعبية لمصطفى كمال ، المفتش العسكري العام في منطقة الاناضول ، لأن يقود جيش الاناضول ويحرر بلاده ويؤمن وحدة شبه الجزيرة وسيادتها واستقلالها ، ويجبر الحلفاء على تعديل معاهدة « سيفر » بمعاهدة لوزان .

(١٠) الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥)

بدأت الحرب العالمية الثانية في أول أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩ ، وانتهت في اوروبا في الثامن من أيار (مايو) ١٩٤٥ ، كما انتهت في الشرق الاقصى باستسلام اليابان في الثاني من أيلول (سبتمبر) ١٩٤٥ . وقد دامت هذه الحرب حوالي ست سنوات واشتركت فيها معظم دول العالم ، وتسبب عنها من الخسائر البشرية والعمرانية ما يعادل خسائر حروب العصور الحديثة بكاملها .

انقسام العالم الى معسكرين : المحور والحلفاء : انقسم العالم قبيل الحرب العالمية الثانية الى معسكرين هما : المحور والحلفاء . (انظر المحور ، والحلفاء) . وكان الحزب النازي قد سيطر على المانيا بزعامة ادولف هتلر منذ العام ١٩٣٣ وفرض عليها نظاماً دكتاتورياً . فأخضع الاقتصاد الالماني لتوجيه الدولة الصارم ، وانشأ قوة عسكرية ضخمة في البر والبحر والجو ، وضرب عرض الحائط بمقررات عصبة الامم ، وطالب بتكوين « الرايخ الثالث » من جميع المناطق والدول الناطقة باللغة الالمانية ، مما جعل النازية تصبح خطراً على جميع الدول المجاورة لالمانيا ، حيث تستعمل اللغة الالمانية . والتقت مطامع النازية الالمانية بمطامع الفاشية في ايطاليا،حيث كان الحزب الفاشي بزعامة « بنيتو موسوليني » قد سيطر على ايطاليا منذ العام ١٩٢٢ ، وفرض عليها نظاماً دكتاتورياً ، كما أنشأ قوة عسكرية كبيرة في البر والبحر والجو ، ورفض مقررات وانذارات عصبة الأمم حول سياسة موسوليني التوسعية في شرقي افريقيا (الحبشة والصومال) .

الاسباب المباشرة للحرب : كشفت المانيا النازية منذ العام ١٩٣٥ عن نواياها التوسعية التي أدت الى إشعال نار الحرب فيما بعد . ونقض هتلر معاهدة فرساي في العام ١٩٣٥ بشأن بناء القوة العسكرية الالمانية ، وكذلك بشأن التمركز الالماني العسكري في منطقة الرين المنزوعة السلاح (١٩٣٦) بموجب المعاهدة المذكورة ، ثم ضم النمسا (الانشلوس) (١٩٣٨) ، وضم مقاطعة السوديت وفرض سيطرته على تشيكوسلوفاكيا بعد مؤتمر ميونيخ (٢٩ أيلول ١٩٣٨) .وقد أظهر الحلفاء ، وبشكل خاص نيفل تشمبرلين رئيس وزراء انكلترا ، الكثير من الخوف من القوة الالمانية وتهديدات هتلر ، مما جعل المؤتمرين في ميونيخ ، وتشمبرلين منهم ، يرضخون لمطالب هتلر خوفاً من الحرب . ونجم عن ذلك زوال دولة تشيكوسلوفاكيا ، وتأكد للحلفاء أن مطامع النازية لن تقف عند حد ، فبدأت فرنسا وانكلترا بالتسلح والاستعداد منذ العام ١٩٣٨ . ثم طمع هتلر بتوسع بلاده على حساب ليتوانيا وبولونيا ، فتمكن من انتزاع ميمل من ليتوانيا (آذار ١٩٣٩) ثم بدأ يطالب بولونيا بمقاطعة دانتزيغ ، وأرفق مطالبته بالتهديد . ووقف الحلفاء : فرنسا وانكلترا الى جانب بولونيا يشجعونها على عدم الرضوخ لارادة هتلر . وفي غمرة التهديدات وقع هتلر معاهدة سرية مع الاتحاد السوفياتي في ٢٣ آب (اغسطس) ١٩٣٩ لتحديد مناطق نفوذهما في بولونيا وبلاد البلطيق . وحاول الانكليز التخفيف من حدة التوتر وابعاد شبح الحرب ، فاقترحوا في أواخر آب (اغسطس) ١٩٣٩ البدء بمفاوضات دبلوماسية بين بولونيا والمانيا ، ففشلت المحاولة ، وكان بدء الهجوم الالماني على بولونيا في أول أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩ ، وبذلك بدأت الحرب العالمية الثانية .

الوضع العسكري العام قبيل الحرب :

أ - في المانيا : ثلاثة عناصر رئيسية حددت الطابع الذي جعل لعمليات الحرب الالمانية ميزة خاصة مختلفة عن الماضي : فاعتماد الآلية من جهة وقوامها الفرق المدرعة ، ومكننة الوحدات من جهة ثانية الذي يسمح بالتصرف بالقوات في الزمان بالسرعة التي تقتضيها ظروف المعركة ، واخيراً بروز الطيران كقوة شبه حاسمة ، وامكاناته في عزل حقل المعركة عن المؤخرة وفي ضرب المراكز الاستراتيجية ومراكز القيادات ، كل ذلك جعل من الحرب العالمية الثانية حرباً ذات طابع خاص لم يعرف في الحرب التي سبقتها .

اما الاسلوب ، فهو ايضاً تغير ، فقد اقتضت التقنية الجديدة استخدام عنصر السرعة استخداماً كاملا ، فعلى امتداد الجبهة بكاملها لا يحصل الخرق إلا في مكانين او ثلاثة أمكنة ، عرض كل منها لا يتجاوز الكيلومترات الثلاثة ، ولا يتحقق ذلك الخرق بشكل موجات متتابعة ، بل بشكل حاشد وعميق ومتصل ، تندفع فيه الفرق المدرعة متبوعة بفرق المشاة الآلية لتفتك بالاحتياط ولتصل الى الهدف الذي يعين في مؤخرة جهاز العدو ، بينما تكلف وحدات أخرى من المشاة بتوسيع الثغرة ، ووحدات غيرها بحماية مجنبة السهم ضد هجمات الدبابات العدوة . (انظر الخرق ، والثغرة ، والحرب الخاطفة) .

ان أسلوباً قتالياً كهذا يتطلب تجزئة الوحدات الكبرى الى مجموعات تكتيكية ذات تشكيل متغير وفقاً للظروف ، وتكون مجهزة بكافة انواع الاسلحة بصورة تمكنها من الاعتماد على نفسها دون أن تنتظر ، على الأقل في بدء عملياتها ، أية مساعدة خارجية (انظر التجحفل والجمهرة) . لكن الالمان مع استعمالهم دباباتهم بالعمق وبحشد وكثافة ، مددوا عمل السلاح المدرع من المجال التكتيكي ، الى المجال الاستراتيجي ، بتأليفهم جيشاً مدرعاً مستقلا ، تدخل فيه عضوياً الاسلحة الاخرى من مشاة منقولة ، ومدفعية وهندسة محمولة ، وبغية مكافحة الدبابة العدوة والطيران المعادي ، لحظ في صلب التنظيم العضوي للفرق المدرعة أسلحة مضادة للدبابات واخرى مضادة للطائرات . (انظر « غودريان » و « القوات المدرعة »)

كانت ألمانيا تملك في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩ ، ١٠٣ فرق ، و ٢٧٠٠ طائرة مقاتلة . وفي ١٠ أيار (مايو) ١٩٤٠ ارتفع عدد الجيش الالماني الى ١٧٥ فرقة عاملة ، منها عشر فرق مدرعة واربع فرق ميكانيكية ، وفرقة محمولة . وفي العام التالي رفع العدد الى ٢٦٠ فرقة منها ٢٤ فرقة مدرعة . أما في العام ١٩٤٣ فقد وصل عديد الجيش الالماني الى ٣٢٥ فرقة من المانيا فقط . وعلى أثر ادخال بعض الوحدات الاجنبية ، والاعتماد على الحزب اصبح عدد القوات الالمانية ٣٥٠ فرقة . على صعيد البحرية كان لالمانيا دارعتان جبارتان تزن الواحدة منهما ٣٥ ألف طن هما: « بسمارك » و « تربتز » ، ودارعتان تزن كل منهما ٢٧ ألف طن هما « شونهورست » و« غنيزناو » ،بالاضافة الى ثمانية طرادات ثقيلة ، وعشرة طرادات خفيفة ، وثلاثين مدمرة،وواحد وسبعين غواصة . على صعيد الطائرات ، كان لدى ألمانيا ٣٦٥٠ طائرة صف أول في ١/٩/١٩٣٩، فكانت النسبة إزاء طائرات الحلفاء منذ اليوم الاول للمعارك من ٢ الى واحد فيما يخص طائرات المطاردة ، ومن ٧ الى واحد فيما خص طائرات القصف وذلك لصالح المانيا .

في فرنسا : كان الجنرال غاملان يتوقع استعمال الوسائل الحديثة (الدبابة والطائرة) في حرب مقبلة ، إلا أن الاوساط العسكرية والمدنية الرسمية بغالبيتها ، كانت تثق بخط « ماجينو » وتشعر بأن الاسمنت يتفوق على الفولاذ « لن تجتاح أرض الوطن بعد اليوم .... سيتكسر نشاط العدو على الاسمنت

والصخور ... يمكن بثمن دبابة شراء عدد من المدافع المضادة للدبابات ... لم تربح اية معركة من قبل الطيران ... عندما يصبح العدو منهوكاً على أثر محاولاته الفاشلة ضد خط « ماجينو » ينتقل الفرنسيون الى العمل الهجومي . » تلك كانت بعضاً من تكهنات المنظرين العسكريين الفرنسيين . وعلى الرغم من دروس الحرب الاهلية الاسبانية ، فقد بقي الجيش الفرنسي ينكر الاهمية الرئيسية للمساندة الجوية في المعركة ، ولا يرى في الدبابة سوى الاداة التي تفتح الطريق أمام المشاة بشل الاسلحة الآلية (الاوتوماتيكية) ، فهي أداة نار لا أداة للمناورة . وعلى ذلك فقد كان الفرنسيون يستخدمونها على جبهات فسيحة وبترتيبات خطية . وفي حين كان الالمان قد تفهموا الاهمية الجازمة للحركة بالسيارات على الطرقات ولتعميم استعمال اللاسلكي، بقي الفرنسيون خاضعين للاطار الصلب ، باعتمادهم على النقل بالسكك الحديدية والاتصال بالهاتف السلكي . (انظر القوات المدرعة) .

وكان الجيش الفرنسي مؤلفاً من ٩٤ فرقة ، يضاف اليها ٤ فرق انكليزية عاملة في فرنسا وذلك في أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٩ ، وبتاريخ ١٠ أيار (مايو) ١٩٤٠ ارتفع عديد القوات الفرنسية وكانت موزعة على أربعة مسارح عمليات كما يلي : ضمت الجبهة الشمالية الشرقية (من جبال الجورا حتى بحر الشمال) بقيادة الجنرال « جورج » :

- ٧٥ فرقة مشاة ضمنها فرقتان بولونيتان و ٢٦ فرقة احتياط (تتألف الفرقة من ٣ أفواج مشاة وفوج مدفعية) .
- ١٤ فرقة مشاة وفوج مدفعية .
- ٦ فرق مدرعة ثلاث منها ثقيلة ، وثلاث خفيفة التدريع . وتتألف الفرقة من لواء دبابات (١٥٦ دبابة) و فوج مدفعية ، ووحدة مضادة للمدرعات ، ومهندسين ، واشارة ، ومصالح ، وكتيبة مشاة واحدة .

ان قلة عدد مشاة الفرقة المدرعة ، وخلو الفرقة من عناصر الاستطلاع ، جعلا منها أداة غير مكتملة ، وبالتالي أقل إمكانات من الفرقة المدرعة الالمانية .

أما الجبهة الجنوبية الشرقية بقيادة الجنرال « اورلي » فقد ضمت أربع فرق مشاة وأربعين كتيبة مشاة جبلية . كما ضمت جبهة افريقيا الشمالية بقيادة الجنرال « نوغي » عشر فرق مشاة ، وثلاث ألوية من الخيالة. يضاف للاعداد اعلاه قوام جبهة الشرق بقيادة الجنرال « ويغان » أي ما مجموعه ثلاث فرق غير كاملة .

ضمت البحرية الفرنسية ٧ دارعات ، وطرادي قتال ، وحاملة طائرات واحدة ، و ١٨ طراداً ثقيلا، و ٣٢ طراداً خفيفاً ، و ٢٧ مدمرة ، بالاضافة الى الغواصات . أما على صعيد القوات الجوية فكان مجموعها في مسرحي العمليات الشمالي الشرقي والجنوبي الشرقي ٥٠٠ طائرة مطاردة ، و ٢٩٢ قاذفة ، و ١٥٦ طائرة استطلاع ، و ٢٨٠ طائرة للمراقبة ، مع العلم بأن حوالي ثلث هذا العديد كان حديثاً كما أن ستين طائرة فقط من سلاح الجو الفرنسي كانت قادرة على اجتياز المسافة بين فرنسا وبولونيا .

في بريطانيا : لم يكن البريطانيون غريبين عن أهمية الدبابة في المعركة ، فهم بناة هذه الآلة منذ الحرب العالمية الاولى ، الا أنهم لم يكونوا يستخدمونها بالكثافة التي استخدمها بها الالمان ، فهي وان بقيت العمود الفقري في التنظيمات البريطانية إلا أنها كانت محاطة بعناصر أخرى من باقي صنوف الاسلحة . فعناصر الاقتحام الخاصة التي ألفها البريطانيون ، قد جسدت نظرتهم الى المعركة الجديدة ، اذ تألفت من مشاة ومهندسين ودبابات ثقيلة ، تعمل جميعها بترابط كامل ، وتنسيق مع المدفعية الكثيفة النيران ، لفتح ثغرة في جزء من النسق الدفاعي الاول ، وعندما يتم الخرق تندفع وحدات استثمار الفوز لتلاحق العدو ، وتدمره (انظر القوات المدرعة) . أما الطائرة فقد كان لها أيضاً مركز الصدارة في الجزيرة البريطانية ، واعتبرت الذراع الذي تستطيع بريطانيا بواسطته التدخل في أية معركة خارج أراضيها ، بالاضافة الى شهرتها التقليدية في البحار ، وقد تعلمت بريطانيا درساً مفيداً من الحرب العالمية الاولى عندما اضطرت الى خوض الحرب في الجبهة الغربية ، فعكفت على رفع مستوى قواها الجوية والبرية تنظيماً وتدريباً .

في الاتحاد السوفياتي : على تلك الجبهة الواسعة التي تمتد من البلطيق الى البحر الاسود ، سيحقق الروس ، عندما تتوفر لهم الوسائل الالتفاف المزدوج على الحشود العدوة الضخمة ، وستنفذ كل عملية تطويق على جبهة فسيحة وفي قطاعات جد متباعدة . فبعد أن اعتمد الروس تكتيك الضربات المتكررة ، بالعمق والتي أدت الى نجاح جزئي ، اذا بهم يعتمدون تكتيك الضربات الجانبية التي تؤدي الى بعثرة جهود العدو ومنعه من تجميع قواته وحمله على ادخال احتياطه في المعركة .

وكان السوفيات ينظرون الى الدبابة كأحد العناصر الرئيسية للنجاح ، ويعتمدون اعتماداً كلياً على كثافة نيران المدفعية التي تكون ساحقة في كل مكان . ولما كان للدبابة مركز حاسم في المعركة ، فقد استعاض السوفيات عن الدبابات الخفيفة بالدبابات المتوسطة والدبابات الثقيلة . ومع أن الانكليز وحتى الاميركيين لم يتجاوز عيار مدافع دباباتهم ٧٦ مم والالمان ٨٨ مم ، نرى السوفيات يجهزون دباباتهم بمدافع عيار ١٢٢ مم . ان قوة هذا السلاح ستحقق للسوفيات فوائد مضاعفة ، بحيث تسمح لهم بالقيام بمهمة تدمير التحصينات المعادية وبخوض المعركة على مسافة أبعد .

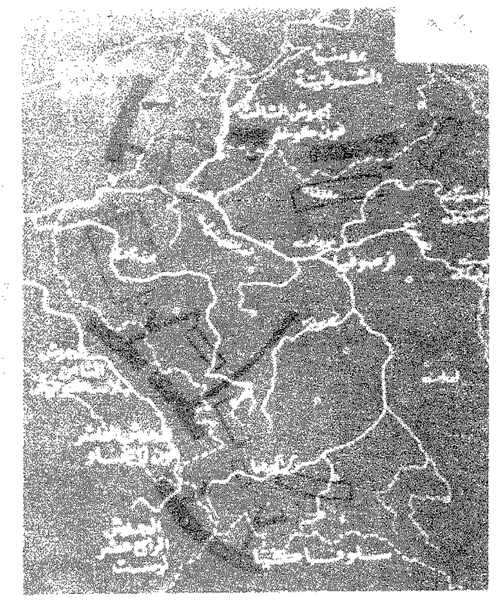
أما المدفعية ذاتية الحركة المتميزة بطاقاتها النارية الهائلة ، وبمدى رميها البعيد ، فلم تكن تسهم في التحضير للعمليات ، متسترة حتى آخر لحظة ، بل تدخل المعركة عند اشتباك الوحدات المدرعة ، فيأتي مفعولها شديد الوطأة ، عميق الاثر .

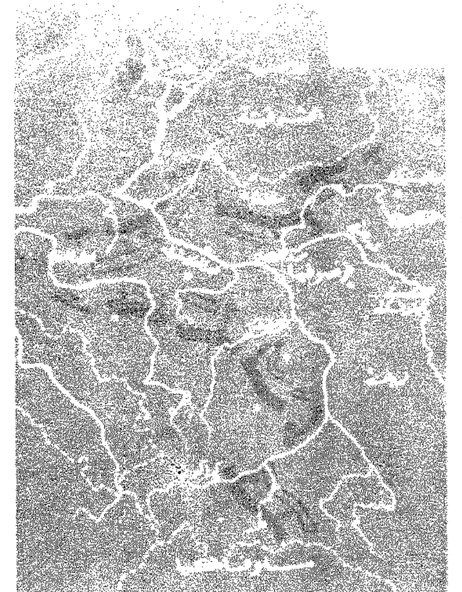
وتجدر الاشارة الى أن السوفيات كانوا يعولون خاصة على اشراك حشود هائلة من الدبابات في المعركة ، ولهذا نفذت معظم عملياتهم تحت طابع التفوق الملحوظ على العدو سواء من الناحية العددية ، أم من الناحية النوعية . ولقد أعاد السوفيات إلى الخيالة أهميتها الغابرة ، ذلك أن طرق المواصلات في الاتحاد السوفياتي ، وصعوبة المسالك في شتائها الابيض ، اضطرتهم الى الالتجاء مجدداً الى ذلك السلاح ، وهكذا كانت الخيالة تؤلف تارة أحد عنصري الثنائية الروسية : خيالة — دبابات ، لارهاق العدو وتطويقه ، وطوراً الموصل المرن ، أو الحلقة الناقصة بين الوحدات المدرعة السريعة والوحدات المتنقلة على الاقدام ، وكانت القوات الروسية في مطلع أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩ مكونة من ١٠٠ فرقة تقريباً .

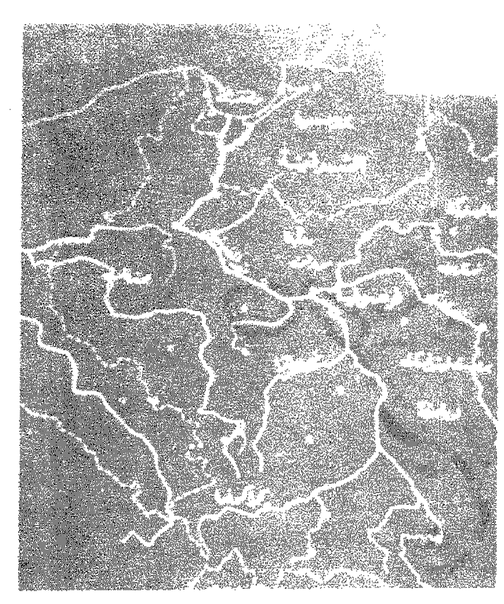
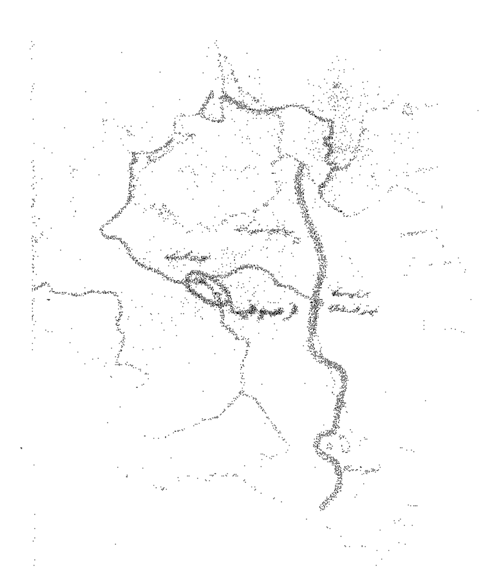
العمليات على المسرح الاوروبي

حملة بولونيا : أراد هتلر بهجومه على بولونيا تسوية مسألة « دانتزيغ » ومسألة الممر البولوني . ولكي ينجح في هذا الهجوم كان عليه أن يقوم بتغطية المانيا من جهة الغرب ضد احتمال تدخل فرنسا التي تحمي بولونيا وكذلك ضد بريطانيا العظمى التي قد تدعمها في تدخلها ، كما أن المعاهدة الالمانية — السوفياتية (٢٣ آب اغسطس) ١٩٣٩ أمنت المانيا من الشرق .

انطلق الهجوم الالماني على بولونيا بتاريخ أول أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩ وخصص الجيش الالماني لهذا الهجوم ٤٢ فرقة عاملة و ١٦ فرقة أخرى احتياطية عبئت في خمسة جيوش وانطلقت في اتجاهين : شمالي بقيادة الجنرال « فون بوك » وتضم مجموعته الجيش الثالث والجيش الرابع ، وجنوبي بقيادة الجنرال « فون رونشتيدت » وتضم مجموعته الجيوش الثامن





تسلسل سير العمليات في بولونيا من ١ حتى ١٧ أيلول (سبتمبر)١٩٣٩

والعاشر والرابع عشر، حيث اعتبر الجهد الرئيسي للهجوم . ولقد قيدت هذه الحرب بشكل خاطف ، وأعطت الجيوش الالمانية فيها الدليل الاول أو التطبيق الاول لنظرية حرب المدرعات الخاطفة (انظر الحرب الخاطفة) .

كان الجيش البولوني يضم ٣٠ فرقة مشاة و ١١ لواء من الفرسان ، بالاضافة الى لوائين مدرعين ، الا انه كان يفتقر الى التجهيز والاعتدة . وقد تمكن الالمان من الحصول على حسم سريع للمعركة ، اولا بقضائهم على الطيران البولوني في الايام الاولى ، مع أن هذا الطيران كان يضم ٦٠٠ طائرة ، وثانياً بالحركة والاندفاع المتواصلين ، وتطويق وحدات البولونية ، وقد أظهر البولونيون مقاومة مستميتة حتى اليوم الذي اجتاحهم فيه السوفيات في ١٧ أيلول (سبتمبر)، فانتهوا بدفاع مستميت عن « وارسو » في ٢٨ منه ، وتقاسمت المانيا والاتحاد السوفياتي بولونيا ، حسب خط يفصل بين نهري « سان » و « ناريف » رافدي « الفيستولا » .

في الثالث من ايلول (سبتمبر ١٩٣٩)، أي بعد اندلاع العمليات على الجبهة البولونية ابلغت فرنسا وانكلترا حكومة الرايخ تصميمها على مساندة بولونيا ، فعرض هتلر الصلح عليهما ولكنهما رفضتاه. أما ايطاليا فقد التزمت الحياد ، وادعت بأن حلفها مع المانيا (ايار ١٩٣٩) لا يلزمها بخوض الحرب .

ثم عمدت روسيا في ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٩ الى مهاجمة فنلندة ، فاخضعتها في آذار (مارس) ١٩٤٠ (انظر الحرب الروسية-الفنلندية) .



كانت الخيالة البولونية سلاحاً غير فعال أمام الزحف المدرع الالماني



دبابات بولونية تتجه نحو الجبهة

واثناء ذلك حاول هتلر مجدداً عرض الصلح على فرنسا وانكلترا ، ولكن هاتين الدولتين رفضتا المصالحة. وبينما كانت المفاوضات السرية تدور لانهاء النزاع في اوروبا ، على اساس ان المانيا حصلت على مطالبها ، اذ بالمانيا تزحف بسرعة خاطفة على الدانمارك فتجتاحها بسرعة هائلة في ٩ نيسان (ابريل) سنة ١٩٤٠ ، ثم تنتقل الى النرويج طمعاً بالحديد المتوفر لديها وتأميناً للمواصلات البحرية بين بحر البلطيق وبحر الشمال . وفي أسبوع واحد كان الالمان يسيطرون على النرويج ، دون ان يتركوا للحلفاء فرصة التدخل او المساعدة الجوية ، ما عدا محاولتهم السيطرة على ميناء نارفيك النرويجي . والتجأ الملك هاكون السابع ملك النرويج مع وزرائه الى بريطانيا ليتابعوا من هناك محاربة الالمان ، كما كان البولنديون قد فعلوا قبل ذلك بسبعة أشهر .

الجبهة الغربية : على أثر انتصاراته في النرويج ، توجه هتلر بضربته نحو الغرب ، ففي العاشر من أيار (مايو) وجه مجموعة الجيوش (ب) بقيادة الجنرال « فون بوك » والتي تضم الجيش الثامن عشر والجيش السادس ، اللذين ضما ٣٠ فرقة مشاة وفرقة خيالة بالاضافة الى ٣ فرق مدرعة ، وقوات من المظليين ، بهجوم كاسح عبر هولندا وبلجيكا . كان على «بوك» أن يجابه الجيش الهولندي ، والجيش البلجيكي ، والحملة البريطانية التي أنزلت لمؤازرة الحلفاء (بلغ مجموعها ١٣ فرقة تسع منها على المسرح الهولندي البلجيكي) ، بينما تقدمت مجموعة جيوش (أ) بقيادة الجنرال «فون رونشتيدت» ، وكانت تضم الجيش الرابع والجيش الثاني عشر والجيش السادس عشر ومجموعة « كليست » المدرعة وتتألف من ٤٦ فرقة ، بينها ٧ فرق مدرعة ، و ٢٧ فرقة في الاحتياط العام باتجاه الحدود البلجيكية عبر (الآردين) لكي تجابه جيشين فرنسيين يتألفان من ١٢ فرقة مشاة وأربع فرق خيالة . أما في الجنوب وعلى الحدود الالمانية - الفرنسية بين الموزل وسويسرا فقد حشدت مجموعة جيوش (ج) بقيادة « فون ليب » وتتألف من جيشين . الاول والسابع ، لديهما ١٨ فرقة مشاة ، بمهمة تهديد خط « ماجينو » وتضليل القيادة الفرنسية حول الجهد الرئيسي للهجوم ، إذ أن الفرنسيين كانوا قد حشدوا على هذا الخط ٤١ فرقة ، مقابل ٣٩ كانت منتشرة بين الخط المذكور والشاطئ .

كان الجيش الهولندي يتألف من عشر فرق ، بالاضافة الى ما مجموعه عشر فرق أخرى في تنظيمات عضوية أدنى . وعلى الرغم من أن المهاجمين كانوا لا يزيدون عدداً عن سبع فرق وبعض القوات المظلية ، فان الجيش الهولندي لم يستطع الثبات أمام الزخم الزاحف ، بالنظر الى اتساع الجبهة التي كان عليه مسكها ، والى تدني نوعية تسليحه .

اعتمد « فون بوك » على المظليين فأنزل أربع كتائب مع فوج منقول جواً للاستيلاء على الجسور في « موردیك » و « دوردرشت » و « روتردام » على الطريق الرئيسي الممتد من الجنوب الى قلب هولندا ، بينما أنزلت كتيبة مظليين أخرى مع فوجين منقولين جواً للاستيلاء على المطارات حول « هاغ » . استولى المظليون على المطار قرب « روتردام » وعلى الجسرين الواسعين في « موردیك » واستطاعوا تأمين وصول النجدات البرية اليهم ، وبالتالي تأمين الاتصال مع القوات البرية النازية . ان هذه العملية الواسعة النطاق التي شملت بدفعة واحدة قلب هولندا ، ألقت الذعر وثبتت نهائياً في هولندا الغربية ، الفيلق الاول الهولندي والفرقة الخفيفة التي سارعت لنجدته .

أثناء ذلك تقدم الجيش الثامن عشر الالماني في سرعة فاجتاز في نهاية النهار « آرنهيم » كما اجتاز « الموز » في الجنوب . ولقد كانت المفاجأة تامة ، وبتاريخ ١٣ أيار (مايو) ثبتت القوات الهولندية في كل مكان في موقع « غريب » ، وفي ليلة ١٣ - ١٤ تراجع الجيش الهولندي على الجبهة الغربية من هولندا ، ولم يستطع مقاومة المد النازي العسكري . ولما وجه الالمان انذارهم بتدمير مدينتي « روتردام » و « لاهاي » تدميراً كلياً ، استسلمت جبهة هولندا الغربية بكاملها (١٥ أيار - مايو) وألقى الجيش الهولندي السلاح ، ما عدا بعض الوحدات الزيلندية التي تابعت القتال حتى ١٧ منه ، ووحدات البحرية التي التجأت الى بريطانيا العظمى لتتابع القتال الى جانب البحرية الملكية .

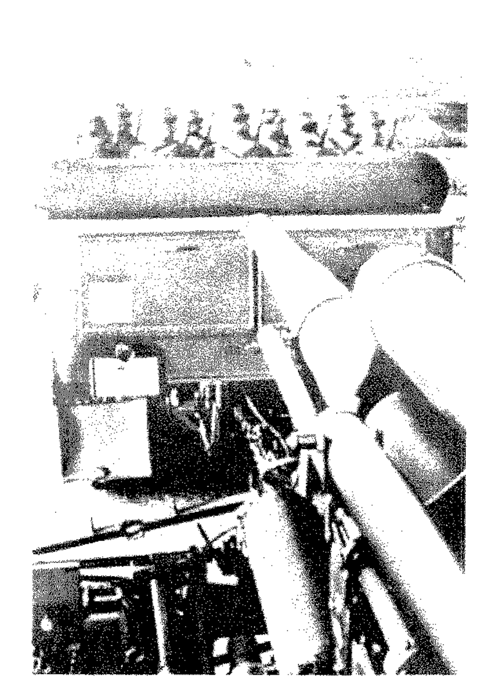
وفي بلجيكا اندفع الجيش السادس الالماني ، بأربعة فيالق جبهية للاستيلاء على جسور قناة « البرت » ، فاستطاع تأمين ذلك بسهولة مدهشة ، بانزال مجموعة لا يزيد حجمها عن الفصيلة ، خلف كل جسر من الجسور ، بالطائرات الشراعية ، وانزال مفرزة أخرى بالاسلوب نفسه ، في حصن

« ايبن ايمايل » الشهير ، استطاعت الفتك بالسدنة ، وتدمير المدافع ، او بعضاً منها ، وشل عمل معظم اسلحة الحصن . (أنظر معركة ايبن ايمايل) . ان هذا التمهيد الذي ساندته العمليات الالمانية الجوية مساندة جبارة ، فتح محور التقدم امام الجيش الالماني السادس ، فاجتاز قناة « البرت » ، بينما أعطى الملك « ليوبولد الثالث » البلجيكي أمره الى قواته بالانكفاء الى خط « ديل » بين « نامور » و « انفرس » . ولما كان الجيش الفرنسي الاول بقيـــادة الجنرال « بلانشار » يمسك القطاع بين « نامور » و « وافر » والبريطانيون يتمركزون في القطاع بين « وافر » و « لوفان » ، فقد انحصر البلجيكيون بمسك القطاع بين « لوفان » و « انفرس » .

أما على خط « ديل » فقد أظهر المدافعون (الجبهتان الفرنسية والبلجيكية ، اذ لم يحصل أي ضغط الماني على الجبهة البريطانية) عناداً شديداً ، ولم يمكنوا الألمان من خرق هذا الخط خلال أيام ١٢ و١٣ و ١٤ أيار (مايو) . وفي الوقت الذي كان يأمل فيه البلجيكيون بوقف الزحف الالماني أصدر « غاملان » أوامره الى القوات الفرنسية على خط « ديل » بالانسحاب (١٥ أيار) اذ استطاع « فون رونشتدت » الاندفاع عبر « سيدان » والتوجه الاراضي الفرنسية . وضمت مجموعة «فون رونشتدت» من اليمين الى اليسار : الجيش الرابع «فون كلوغ» ، والجيش الثاني عشر « ليست » ، والجيش السادس عشر والجيش الثاني احتياط ، وعززت هذه المجموعـــة بمجموعتين مدرعتين ، واحدة كبيرة بقيادة « فون كليست » واخرى اقل حجماً بقيادة « هوث » .

انطلق هجوم « فون رونشتدت » من الجنوب ، وقاد الدفع الرئيسي الأمامي الجنرال « غودريان » ، فاجتاز الحدود اللوكسمبورغية واندفع عبر « الآردين » وسط دهشة الفرنسيين والبلجيكيين ، الذين كانوا يعتبرون هذه المنطقة منيعة طبيعياً وغير صالحة للعمليـــات العسكرية الواسعة ، خصوصاً لعمل المدرعات . وعلى هذا الأساس لم يجابه الالمان في « الآردين » سوى قطعات خيالة فرنسية قديمة التنظيم والتسليح وقطعات مشاة بلجيكية ، بحيث لم يكن هناك أي احتمال لوقف المدرعات الألمانية الزاحفة .

وفي مساء ١٢ أيار (مايو) وصل الاندفاع الالماني الى نهر « الموز » ، وكاد يقطع الجيشين الفرنسيين شرقي « سيدان » (الجيش الثاني الفرنسي بقيادة «هنتزيجر» والجيش الفرنسي التاسع بقيادة « كوراب »). وفي ١٣ منه استطاع « غودريان » اجتياز نهر « الموز » عند نقطتين قرب « سيدان » ،



الالمان يندفعون عبر ممر « دانتزيغ »

واستطاع الفيلق المدرع العائد للجنرال « ريهاردت » اجتيازه ايضاً ، وذلك بفضل اسناد جوي قام به حوالي ألف طائرة . وبعد يومين وصلت القوات العابرة الى أرض مفتوحة اندفع فيها « غودريان » متجهاً نحو الشاطئ الفرنسي . وتتابع عبور نهر « الموز » عند « نامور » بقيادة الجنرال « رومل » ، واندفعت الجيوش الالمانية في الثغرة المفتوحة امامها خلف مواقع جيوش الحلفاء المتمركزة في بلجيكا . (أنظر الآردين « معركة ») .

ارسلت القيادة الفرنسية الجـــنرال « جيرو » ليتسلم قيادة جيش « كوراب » مع تعزيزات قوية ، وعندما أراد القائد صد الزحف الالماني تبين له أن هؤلاء قد تجاوزوه فانسحب الى خط « الواز » بغية إيقاف هجومهم على هذا النهر ، الا انه في هذه المرة ايضاً وصل متأخراً ، وكان الهجوم الالماني قد تجاوزه مرة ثانية (١٥ أيار) عندها أعلن «غاملان» الى الحكومة الفرنسية أنه لن يستطيع ايقاف الالمان ، وأنه لن يضمن حماية « باريس » إلا لمدة يوم واحد ، فقرر « رينو » رئيس الوزراء انسحاب الحكومة الى مدينة « تور » . ولكن قبل التنفيذ جاءته بعض الاخبار المطمئنة ، فألغى فكرة انتقال الحكومة ، كما عزل « غاملان » ، واستدعى الجنرال « ويغان » من سوريا ، وسلمه القيادة العامة ، إلا أن « ويغان » لم يصل الا في ١٩ أيار (مايو) ، مما أدى الى اهراق أيام كانت الجيوش الفرنسية فيها بدون قيادة عامة تقريباً .

وتسابق الالمان نحو الشواطئ الفرنسية ، ووصلت طلائع « غودريان » الى « اميان » في ١٩ أيار (مايو) قاطعة بذلك ومطوقة جميع قوات الحلفاء المقاتلة في بلجيكا ، وبوصولها الى « آبفيل » قطعت كل اتصال بين الشمال والجنوب ، ثم اندفعت شمالا نحو « كاليه » و « دنكرك » (٢٢ أيار-مايو) .

وعلى جبهة « ديل » ، اضطر البريطانيـــون والبلجيكيون ، بعد انسحاب القوات الفرنسية ، الى الانكفاء بدورهم حتى خط « إيسكوت » ، إلا أن بوادر الفشل في معركة بلجيكا كانت ظاهرة ، ومنذ ١٩ أيار (مايو) اخذ القائد البريطاني « غورت » يفكر بركوب البحر مع قواته عائداً الى الجزيرة البريطانية ، اذ لم يجد مفراً آخر ، فأمرته السلطة السياسية البريطانية بمحاولة خرق الحصار ، ولكنه لم يفلح في ذلك . وهكذا حصرت قوات الحلفاء بين فكي الكماشة ، شمالا من قبل قوات الجيش السادس الالماني ، وجنوباً من قبل قوات « فون رونشتدت » وطليعتها « غودريان » . وعندما خرق الالمان الخط البلجيكي الجديد على « ايسكوت » اضطر البلجيكيون الى طلب الهدنة (٢٨ أيار) والاستسلام . وبقيت عمليات الانسحاب من « دنكرك » على قدم وساق من ٢٦ أيار (مايو) حتى ٣ حزيران (يونيو) ، واستطاع خلالها ٢٣٣٠٣٩ جندياً بريطانياً ركوب البحر بطريق العودة ، ومعهم ١١٢٥٤٦ جندياً فرنسياً ، بعد أن ترك الجميع اعتدتهم العسكرية وولوا الادبار . وقد ساعد على نجاح هذا الانكفاء ترتيبه من جهة ، وانضباط عملياته من جهة أخرى ، ورغبة الفوهرر من جهة ثالثة الذي كبح جماح « غودريان » ، الذي وصل الى « دنكرك » في ٢٣ أيار (مايو) ، من متابعة وتدمير القوات المنكفئة ، على رغم المساندة الجوية الجبارة التي أمنها البريطانيون لعمليات الانكفاء . (انظر دنكرك « معركة ») .

كانت حصيلة المعارك ، في الاسابيع الثلاثة من شهر أيار (مايو) استسلام وأسر حوالي مليون جندي من الحلفاء ، مقابل ستين ألفاً من الالمان بين أسير وقتيل وجريح .

معركة فرنسا : بعد « دنكرك » أمر هتلر قواته المدرعة بالتوجه الى جبهـــة «السوم» و«الايسن» . وكان الفرنسيون الذين خسروا حتى تاريخه ثلاثين فرقة من قواتهم العسكرية قد جمعوا ٤٦ فرقـــة استقدموها من خط « ماجينو » الى هذه الجبهة ، تاركين هناك ١٧ فرقة فقط . وبالاضافة الى قوى الجبهة الجديدة ، لم يبق في الميدان من القوات البريطانية

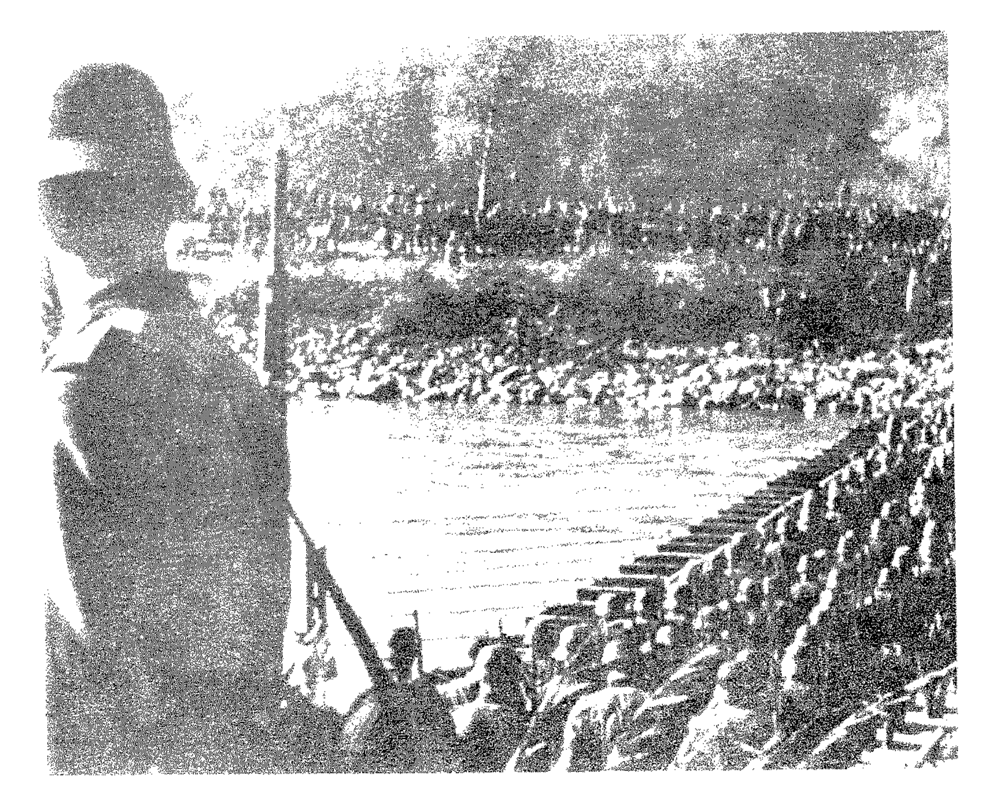
سوى فرقتين اثنتين . في هذا الوقت كان الالمان قد أعادوا تنظيم قواتهم فدفعوا بجيشين جديدين الى جبهة « الإيسن » هما : الجيش الثاني والجيش التاسع ، كما أولوا « غودريان » قيادة فيلقين مدرعين تاركين « كلينست » لقيادة فيلقين فقط .

انطلق الهجوم في الخامس من حزيران (يونيو) على القطاع الغربي بين « لاون » والبحر ، ولم تكن المقاومات الفرنسية لتستطيع صد المتقدمين . وفي السابع منه اخترق « رومل » (الفيلق الخامس عشر) المقاومة الفرنسية وسار باتجاه مدينة « روان » . وفي التاسع منه اجتاز نهر « السين » . وكان الهجوم الغربي هذا تمهيداً لهجوم الكبير على خط « الايسن » ، لأن الالمان استهدفوا من هذه المناورة تجميد القوات الفرنسية في ذلك القطاع ، وتضليل الفرنسيين ، واجبارهم على اقتطاع قوات من خط المقاومة الرئيسي على نهر « الايسن » بغية مجابهة التهديد الجديد في الغرب . وفي الواقع فقد أخر الالمان هجومهم العام على خط المقاومة هذا حتى التاسع من حزيران (يونيو)،واستطاعوا بغير جهد كبير ، اختراق الخطوط الفرنسية ، والاندفاع جنوباً وجنوباً شرقاً لتطويق القوات الفرنسية المدافعة عن خط « ماجينو » .

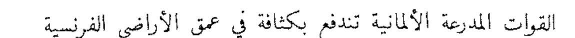
في العاشر من حزيران (يونيو) أعلنت ايطاليا الحرب الى جانب المانيا ، وفي ١١ منه أعلن « ويغان » ان المعركة خاسرة ، وانه لا بد من الصلح . فانتقلت الحكومة الفرنسية الى مدينة « بوردو » . وفي ١٤ حزيران (يونيو) دخلت القوات الالمانية « باريس » ، واستقالت حكومة « رينو » ، وتألفت حكومة برئاسة المارشال « بيتان » التي طلبت الصلح في ١٦ منه . وفي ٢٥ أعلنت الهدنة مع المانيا ثم أعلنت مع ايطاليا في اليوم التالي ، وكانت شروط الصلح قد وقعت في نفس قاطرة « فوش » التي وقعت فيها المانيا وثيقة استسلامها في الحرب العالمية الاولى ، وقد عرفت حكومة « بيتان » بحكومة « فيشي » لجعلها هذه المدينة عاصمة لها بعد ان قسمت فرنسا الى منطقتين : شمالية تحت الاحتلال الالماني وجنوبية (فيشي) جمهورية حرة .

كان أحد مساعدي « رينو » العسكريين الجنرال « ديغول » قد غادر فرنسا سراً الى بريطانيا . وفي ١٨ حزيران (يونيو) أذاع نداءه بمتابعة المقاومة من راديو لندن ، كما أعلن بعد ذلك قيام حكومة فرنسا الحرة ، نواة المقاومة الفرنسية التي انتقلت الى الجزائر بعد أن اجلى الحلفاء انصار « فيشي » عنها .

بانهيار فرنسا ، ظن هتلر بأن انكلترا ملقية



الالمان يعبرون نهر « الموز » عند « سيدان » (١٩٤٠)



القوات المدرعة الألمانية تندفع بكثافة في عمق الأراضي الفرنسية



السلاح لا محالة . ولما عرض الصلح اصطدم بتصميم رئيس وزرائها الجديد ، « ونستون تشرشل » على مواصلة المقاومة ولو منفرداً . ومنذ الثامن من آب (اغسطس) ١٩٤٠ افتتح قائد السلاح الجوي الالماني معركة بريطانيا الجوية ، فقام سلاح الجو الالماني بقصفها ، وظلت القاذفات تمطرها ناراً مستمرة غير مفرقة بين هدف عسكري او مدني حتى كادت تهدم « لندن » ، إلا أن البريطانيين أظهروا صبراً مدهشاً ، وصموداً هائلا تعدوهما بعد قليل الى مقاومة عنيدة ، استطاعوا بها اسقاط نحو الفي طائرة المانية ، واسهموا في تأخير ثم الغاء فكرة هتلر بغزو جزيرتهم (انظر بريطانيا الجوية ، واسد البحر ، والحرب الجوية) .

لقاء خسائر الحلفاء لم يكن ممكناً تعويضهم الا من قبل الولايات المتحدة الاميركية بموجب قانون (الاعارة والتأجير) الذي عمل الرئيس الاميركي « روزفلت » على اقراره في الكونغرس . وقضى القانون بمديد المساعدة للدول التي يشكل أمنها مصلحة حيوية بالنسبة الى الولايات المتحدة الاميركية .

وهكذا سلمت الاسلحة والطائرات والسفن الحربية ، واعتدة حربية مختلفة الى كل من بريطانيا ، واليونان وفيما بعد الى روسيا والصين (انظر الاعارة والتأجير) .

وفي البلقان هاجم « موسوليني » اليونان ، فتدخل الاسطول البريطاني ضد ايطاليا ، واستطاع مع الجيوش اليونانية صد « الدوتشي » ، ثم دفعه الى التقهقر ، فاستصرخ للمساندة حليفه هتلر الذي استجاب للنداء ، واقتحم النازيون يوغوسلافيا واليونان في آن معاً (٦ نيسان ١٩٤١) .

الانزال الجوي في جزيرة كريت : باستيلاء الالمان على اليونان ، هرب الملك جورج الثاني وحكومته الى جزيرة « كريت » بغية إقامة سلطة في الجزيرة تمهيداً للعودة الى اليونان ، لكن الالمان بعد شهر من ذلك ، أي في ٢٠ أيار (مايو) ١٩٤١ انزلوا فرقة مظليين بقيادة الجنرال « شتودنت » مساندة بالاسطول الجوي الالماني ، فاستولوا على الجزيرة وعلى مطاراتها ، وكان لدى البريطانيين في « كريت » ٢٥ ألف جندي ، إلا أنهم يفتقرون الى مختلف أنواع الاسلحة الثقيلة والمدفعية المضادة للطائرات ، ولقد استطاعوا الصمود مدة أحد عشر يوماً حتى اضطروا الى اخلاء الجزيرة ، وانسحب منهم أربعة عشر ألف رجل ، اما الملك وأعضاء حكومته فانسحبوا الى مصر . (انظر كريت « معركة ») .

ان احتلال « كريت » وكافة جزر بحر


الجنود الالمان يستعرضون في باريس

« ايجه » ووصول قوات جوية الى ايطاليا وصقلية واليونان ، جعلا موقف بريطانيا في البحر الابيض المتوسط حرجاً جداً : فالبواخر القادمة الى الشرق اصبح عليها أن تتبع طريق رأس الرجاء الصالح ، أي أن تجتاز مسافة تعادل أربعة أضعاف المسافة العادية في البحر الابيض المتوسط ، في حين فتح البحر أمام الاساطيل الالمانية والايطالية . أما جزيرة « مالطة » وهي أصغر من « كريت » وتفوقها من حيث الاهمية الاستراتيجية ، فلقد ظلت منعزلة مدة ثلاث سنوات تقريباً ، وتعرضت الى ألفي عملية قصف . إلا أنها جابهت المهاجمين بمقاومة مدهشة ، حتى أمكن اعتبارها مقبرة الطيران الايطالي — الالماني في البحر الابيض المتوسط (أسقطت فوق هذه الجزيرة خلال شهر تموز (يوليو) ١٩٤٢، ٢٠٠ طائرة) كما أن تموين تلك الجزيرة ، التي بقي يحكمها اللورد « غورت » حتى نهاية الحرب ، كان يشكل إحدى أهم المسائل الشائكة التي واجهت البحرية الملكية البريطانية . فلقد كانت قافلة التموين التي يقودها في كل مرة الاميرال « فيان » تفقد أحياناً نصف ، أو ثلثي بواخرها أثناء انتقالها . وفي غضون إحدى عمليات التموين تمكنت باخرة واحدة من الوصول الى الجزيرة ، ومع هذا فقد بقي تموين « مالطة » يجري بصورة دائمة .

ثورة العراق واحتلال سوريا ولبنان وايران : كان في نية الالمان ، بعد أن اصبحوا أسياد اليونان وجزر « الدوديكانيز » التقدم الى ايران بغية الاستيلاء على مناطق البترول ، وقطع خطوط المواصلات بين بريطانيا العظمى والاتحاد السوفياتي . وفي ٣ أيار (مايو) ١٩٤١ استولى رئيس الوزراء العراقي « رشيد عالي الكيلاني » على السلطة في العراق ، وسيطر على المطارات حيث هبطت ثلاثة أجنحة من سلاح الجو الالماني (انظر الثورة العراقية ١٩٤١) .

ودهش البريطانيون لهذا الحدث ، وسارعوا الى احتلال بغداد في ٣٠ منه ، وأصبح احتلال سوريا ولبنان ضرورة ملحة . وعلى الرغم من افتقار البريطانيين الى الوسائل في تلك الفترة ، فقد توصلوا الى تجميع ٢٥ ألف رجل من البريطانيين والاوستراليين والفرنسيين الاحرار ، تحت قيادة « ويلسون » ، وقذفوا بهم من فلسطين على سوريا في ٨ حزيران (يونيو) . وبعد قتال استمر شهراً استسلمت قوات حكومة « فيشي » ، واصبحت سوريا ولبنان تحت سلطة البريطانيين ، فقطع بذلك طريق توغل الالمان باتجاه آبار البترول في العراق ، ومنع الالتفاف على قناة السويس من الجهة الشمالية الشرقية .

بقيت مسألة احتلال ايران ضرورية لسببين : اولهما تحقيق الاتصال مع الاتحاد السوفياتي ، حيث أن تموينه لا يمكن أن يجري بصورة أمينة عن طريق المرافئ الشمالية . وثانيهما منع أية محاولة يقوم بها الالمان باتجاه آبار بترول ايران عن طريق تركيا .

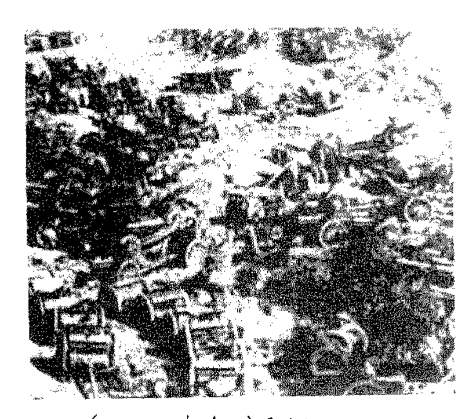
في آب (اغسطس) ١٩٤١ طلب السوفيات الى حكومة الشاه ، طرد الجالية الالمانية من الاراضي الايرانية ، فرفض الشاه الطلب ، مما أدى الى اجتياح بلاده من قبل قوات بريطانية من الجنوب التقتها قوات سوفياتية من الشمال . وفي غضون ثلاثة أيام كانت ايران في قبضة الحلفاء ، فانفتح بذلك أكبر طريق تمويني عرفته الحرب . وكان هذا الطريق ، والامدادات الاميركية إلى الاتحاد السوفياتي عبر ايران ، سبباً من اسباب تدعيم القوة العسكرية السوفياتية في وجه النازيين على الجبهة الشرقية .

الجبهة الشرقية :

لم يعمر الاتفاق طويلا بين هتلر وستالين . وكان مثار الخلاف قضية النفوذ في شرقي اوروبا ، والبلقان . فلقد احتل النازيون رومانيا وبلغاريا والمجر ويوغوسلافيا واليونان . ولم يعد بإمكان ستالين أن يتجاهل هذا الوجود النازي يهدده في اقرب المناطق اليه ، كما لم يعد بامكان هتلر السكوت على المد الشيوعي المتعاظم بسبب مآسي الحرب . ومع اطلالة صيف ١٩٤١ بدأ تنفيذ خطة غزو الاتحاد السوفياتي (انظر برباروسا) .

انطلقت الجيوش النازية على ثلاث جبهات : في كل جبهة مجموعة جيوش بأمرة القادة أنفسهم الذين قاتلوا على الجبهة الغربية في العام ١٩٤٠ .


ستالين وروبنتروب أثناء توقيع المعاهدة الالمانية – السوفياتية


خسائر سوفياتية (سمولنسك ١٩٤١)

الى اليمين كان الفيلد مارشال «فون رونشتيدت» جنوبي بولونيا، وفي الوسط الفيلد ماريشال «فون بوك»، ونحو اليسار عبر بلاد البلطيق كان الفيلد مارشال «فون ليب». مع الجهد الرئيسي، في الوسط مجموعة «فون بوك» التي اعطيت تعزيزاً بالمدرعات قوامه مجموعتان احداهما بقيادة الجنرال «غودريان» والثانية بقيادة الجنرال «هوث» اللذين اندفعا فوصلا الى «منسك» في ٢٧ حزيران (يونيو) وأسرا حوالي ٣٠٠ ألف جندي سوفياتي. وفي ١٧ تموز (يوليو)، وصلا الى «سمولنسك»، وأسرا حوالي ٢٠٠ ألف. وتتابع التقدم النازي عبر الاتحاد السوفياتي، ووقعت معارك شديدة استطاع النازيون في معظمها تطويق الجيوش الروسية. ووصل الدفع النازي في الشمال حتى مدينة «لينينغراد» وضربوا حولها حصاراً استمر ستة عشر شهراً دون أن يتمكنوا من احتلالها (انظر لينينغراد «معركة»). وفي الوسط، وصلت طلائعهم حتى خمسين كيلومتراً من موسكو.

وبدا لـ «فون بوك»، وقد أصبح على هذه المسافة من «موسكو»، ان العاصمة السوفياتيـــة اصبحت لقمة سائغة، وبتاريخ ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) شكل قواته لمهاجمتها كما يلي:

– يقوم الجيش المدرع الثاني (فيلقان مدرعان وفيلقان مشاة) بالمهاجمة على «اورل» – «تولا» شرقي موسكو على ميمنة الجيش الثاني الذي يقوم بالحماية باتجاه الجنوب – الشرق. (انظر موسكو، معركة).
– الى اليسار يقوم الجيشان المدرعان الرابع والثالث (قوام كل منهما فيلقان مدرعان) من منطقة «روزا» – «كالينين» بالالتفاف على موسكو بطريق «ايسترا» – «دميتروف». وعهد الى الجيش التاسع بحماية هذا الحشد المدرع في الشمال.
– أنيطت بالجيش الرابع من سبع فيالق، مهمة تثبيت العدو جبهياً بين طرفي الكماشة.

بتاريخ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) شرع الالمان بالهجوم. وكانت النتائج الاولى مشجعة، اذ أحدق الخطر في الشمال بـ «دمتروف» كما اكتنف موسكو. الا ان التقدم تعرقل بسبب توغل الالمان في المنطقة الواقعة في «الفولغا» و «موسكو»، والتي هي عبارة عن مستنقعات وغابات خالية من الطرقات، مما أسقط في يد الالمان الذين كانت خرائطهم تشير الى وجود خمس طرقات، خاصة عندما تبينوا أن الخرائط مزورة، وان القيادة السوفياتية وزعتها قبل الحرب لتضليل الالمان اذا ما هاجموا الاتحـــاد السوفياتي. وهكذا وقعت فرق «البانزر» في شرك السوفيات. أما على المحور الايمن، فقد تجاوز الالمان «تولا» على مسافة بعيدة من الشرق، وقطع خط سكة الحديد بين «موسكو» و «تولا». غير أن السوفيات توصلوا الى الاحتفاظ بممر عرضه خمسة كيلومترات لتموين حامية «تولا».

وحاول الالمان تغيير اتجاه الهجوم، فقرروا في ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) مهاجمة موسكو مباشرة من جهتي «نارو» و «نومنيسك» بفرق من الجيش الرابع معززة بفيلق مدرع، فاجتاز المهاجمون نهر «نارا». إلا أن هذه المحاولة اصطدمت باستماتة السوفيات في الدفاع، والصقيع الشديد الذي هبط حتى ٤٠ درجة تحت الصفر.

بتاريخ ٦ كانون الاول (ديسمبر) شرع الروس بالهجوم المعاكس بقيادة «جوكوف» الذي قاد ثمانية جيوش لهذه العملية على جبهة ٤٥٠ كم بين «كالينين» و «افرينوف»، فـدحر المهاجمين واجلاهم عن موسكو (أنظر موسكو «معركة»).

في الجنوب، سقطت مدينة «كييف» بيد «فون رونشتدت»، كما سقطت «أوديسا» و «خاركوف» وشبه جزيرة القرم، و «روستوف» (٢٢ تشرين الثاني ١٩٤١) بحيث تم لهتلر السيطرة على «اوكرانيا» ومصانعها وقمحها.

وجدد الالمان هجومهم في آخر ربيع ١٩٤٢، فاصطدموا بمقاومة عنيفة من السوفيات بقيادة الجنرال «تيموشينكو»، فركزوا هجومهم على القطاع الجنوبي واحتلوا مرفأ «سيباستبول» ثم تابعوا تقدمهم حتى وصلوا الى «ستالينغراد» حيث دارت معارك عنيفة. وكان الاستيلاء على ستالينغراد سيسمح للالمان في حالة وقوعه بالتمركز بثبات على نهر «الفولغا»، وبقطع مواصلات القسم الاوسط من الاتحاد السوفياتي مع القوقاز. (انظر ستالينغراد، معركة).

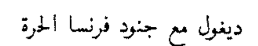
وبدأت المعركة بانطلاق الهجوم الالماني اعتباراً من المنعطف الكبير لنهر «الدون» في منتصف شهر تموز (يوليو) ١٩٤٢. وألقي عبء الجهد الرئيسي الالماني للاستيلاء على ستالينغراد على عاتق مجموعة «فون باولس» المؤلفة من الجيش السادس والجيش المدرع الرابع (٢٩ فرقة). وكانت هذه المجموعـــة منتشرة على جبهة طولها ٨٠ كيلومتراً، وكانت مجنبتها اليمنى تستند إلى الجيش الرابع الروماني، ومجنبتها اليسرى تستند الى الجيش الثالث الروماني، والجيش الثامن الايطالي. وهكذا كانت مجنبتا (فون باولس) المؤلفتين من قوات رومانية وايطالية نقطة الضعف في ترتيب الهجوم. وفي ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) كان «فون باولس» قد توصل الى «الفولغا» شمالي



التقدم الصعب في مستنقعات « البريبيت »



متطوعون سويديون على الجبهة الفنلندية



ديغول مع جنود فرنسا الحرة



« ستالينغراد » ، وكاد أن يسيطر على المدينة بأسرها ، لولا أن السوفيات بقوا في مراكزهم الدفاعية ، مستندين الى النهر ، عند مصانع الجرارات ، يدافعون حتى النهاية . وفشلت جميع المحاولات للاستيلاء على ستالينغراد ، وكان السوفيات يدافعون بعناد هائل ، عاملين في الوقت نفسه على ايجاد ظروف ملائمة لعمليات هجومية مستقبلية ، غايتها تدمير مجموعات العدو ، المتقدم باتجاه الشرق . وبهذا المفهوم للقتال الدفاعي اتخذت القيادة السوفياتية العليا تدابيرها لمسك وتوسيع رؤوس الجسور على الضفة اليمنى لنهر « الدون » في قطاع « سيرافيموفيتش » . ولم تكن القيادة الالمانية تعتقد بامكانية قيام السوفيات بعمل هجومي عام . ومع هذا فمنذ شهر أيلول (سبتمبر) وفي حمى المعركة الدفاعية ، بدأ التحضير للعمل الهجومي ، وكانت الخطة القيام بهجومين يبعد الواحد عن الآخر مائتي كيلومتر ، ويؤديان في النهاية الى تطويق المجموعة الاساسية الالمانية التي تحاصر ستالينغراد . وكان على الهجوم الأول أن ينطلق من مجرى « الدون » الاوسط ، على أن ينطلق الهجوم الثاني من منطقة البحيرات جنوبي « ستالينغراد » . وكان الهجومان بقيادة الجنرال « جوكوف » ، وكان عليهما ان يلتقيا في « كالاتش » .

وفي ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) بدأت مجموعة جيوش « فاتوتين » والجانب الايمن لمجموعة جيوش « روكوسوفسكي » بالهجوم الشمالي ، أما مجموعة جيوش « يرمنكو » فقد انطلقت في هجومها من الجنوب في اليوم التالي . وكان الهجوم السوفياتي بشطريه الشمالي والجنوبي ، من العنف بحيث زعزع في نهاية اليوم الاول لانطلاقه الخطوط الدفاعية الالمانية .

وبتاريخ ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) انتزعت « كالاتش » من الشمال ، ودخلتها في اليوم التالي مجموعة جيوش « يرمنكو » بعد ان دمر قسم كبير من الجيشين الروماني الثالث والرابع ، وفي غضون خمسة أيام فقط ، أنجز الروس عملية تطويق العدو ، وقاموا حتى نهاية الشهر بعمليات تضييق الخناق ، حتى باتت قوات الالمان الاساسية ، والتي أصبحت عبارة عن ٢٢ فرقة (٣٣٠ ألف رجل) ، محصورة في بقعة مساحتها ١٥٠٠ كم²، وعرضة للتدمير الكلي . وباءت جميع محاولات الالمان لفك الحصار بالفشل واستسلم ما بقي من قوات « فون باولس » في ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٣ (انظر ستالينغراد « معركة ») .

الحرب في الشرق الأقصى :

توتر الموقف في الشرق الأقصى بين الاميركيين واليابانيين بسبب قيام الولايات المتحدة بتقديم مساعدات عسكرية متزايدة لقوات تشانغ كاي ـ تشيك المشتبكة مع اليابانيين منذ العام ١٩٣٧ . وقد بلغ التوتر ذروته في تموز (يوليو) ١٩٤١ . فارسلت اليابان وفداً مفاوضاً الى الولايات المتحدة الاميركية لمنع الاحتكاك الذي قد يقع بين البلدين ، محوّلة انظار الاميركيين عما تعده لهم من مفاجأة . وبينما كان الوفد الياباني المفاوض في واشنطن ، قامت الطائرات اليابانية بغارة مفاجئة على الاسطول الاميركي المرابط في « بيرل هاربور » صباح الاحد في ٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ فدمرت معظم ذلك الاسطول (انظر بيرل هاربور ، معركة) . وما كادت الانباء تصل الى واشنطن حتى اجتمع الكنغرس واعلن الحرب على اليابان ، وبعد ثلاثة أيام أعلنت المانيا وايطاليا الحرب على الولايات المتحدة الاميركية فدخل العالم كله أتون الحرب .

وبعد مرور ثلاثة أيام على كارثة « بيرل هاربور » ، وعلى مسافة ثمانية آلاف كيلومتر ، انطلقت الدارعتان البريطانيتان « ريبولس » ٣٢٠٠٠ طن ، و « برنس أوف ويلز » ٣٠٠٠٠ طن ، اللتان كانتا متمركزتين في سنغافورة ، واتجهتا لتدمير أسطول ياباني للنقل ظهر في خليج سيام . ونظراً لخروجهما دون مساندة جوية ، فقد هوجمتا في عرض البحر عند « كوان تان » من قبل ما يقارب المئة طائرة يابانية ، وأدى ذلك الى اغراقهما مع قائدهما الاميرال « توم فيليب » . وهكذا لم يبق للحلفاء أي مركب حربي كبير يقارعون به اليابانيين . وزعزعت الضربة المزدوجة الفجائية ميزان القوى في المحيط الهادئ ، وسيطر اليابانيون عليه سيطرة شبه كاملة .

دخل اليابانيون من الهند الصينية الى سيام بتاريخ ٨ كانون الاول (ديسمبر) ، والى « بانكوك » في ٩ منه ، فاجتاحوا شبه جزيرة « ملقة » ، وهاجموا بطريق البحر ، موقع سنغافورة الحصين الذي سقط بأيديهم في ١٥ شباط (فبراير) ١٩٤٢، وفتح أمامهم باب المحيط الهندي (انظر سنغافورة « معركة ») .

بتاريخ ١٠ كانون الاول (ديسمبر) سقطت « غوام » ، وهي القاعدة الاميركية في « ماريان » ودمرت كافة الطائرات الاميركية في الفيليبين من قبل اسراب طائرات أقلعت من « فورموزا » ، كما شرع اليابانيون بعملية انزال شمالي « لوسون » ، وانزلوا وحدات أخرى في « ساراواك » شمالي «بورنيو». وانتهت مقاومة الاميركيين في « وايك » ، والبريطانيين في « هونغ كونغ » ، بتاريخ ٢٤ و ٢٥ منه . ولم يكن باستطاعة الجنرال « ماك آرثر » المقاومة ،

فتراجع الى شبه جزيرة « باتان » لسد خليج ومرفأ « مانيلا » . ولكن هنا ايضاً ، لم تستطع شبه الجزيرة المقاومة ، لأبعد من الثامن من نيسان (ابريل) ١٩٤٣ ، حيث عزل ١٥٠٠ من قوات مشاة البحرية في جزيرة « كوريجيدور » ، ونفذت المؤن ، فألقى الجنرال « ونرايت » السلاح مستسلماً مع مئة ألف من الاميركيين والفيليبينيين . وعلى الرغم من الحشود الضخمة التي قام بها البريطانيون والنيرلنديون ، سقطت « جاوا » ايضاً . وكان قد سبقها سقوط « سومطرة » ، واستولى اليابانيون على « رابول » التي أصبحت القاعدة اليابانية الكبرى في جنوبي المحيط الهادئ . أما في « بورما » وكان الدفاع عنها منوطاً بفرقتين بريطانيتين وبضع وحدات صينية ، فقد سقطت « رانغون » في ٨ آذار (مارس) وبسقوطها انقطع كل اتصال بري مع الصين ، وفتحت امام اليابانيين امكانات المناورة على الصين من الجنوب ، إلا أن وصول النجدات الاميركية والبريطانية والصينية ، والطول المتزايد لخطوط المواصلات اليابانية وطبيعة الارض والمناخ ، وتعدد جبهات القتال ، كل هذه العوامل أدت الى وقف اليابانيين عند الحدود الهندية .

ان فتوحات اليابانيين الخاطفة لم تؤد الى بعيد ، فقد اخطأت طوكيو بضربها الاسطول الاميركي في « بيرل هاربور » ، لأن تلك الضربة عجلت في دفع اميركا الى دخول الحرب ، وأخطأت طوكيو حين أصبحت « سنغافورة » و « رانغون » وطريق « بورما » تحت سيطرتها في عدم الاصغاء لهتلر الذي الح في أن يكون الجهد الرئيسي الياباني باتجاه الهند ، ليتطابق مع الكماشة المزدوجة التي ستحاول جيوش المحور القيام بها في شهر أيار (مايو) ١٩٤٢ باتجاه قناة السويس والقوقاز . غير أن اليابانيين كانوا يخوضون حربهم دون الاكتراث بالمصالح الهتلرية ، ففضلوا التوسع دون إقامة اي اعتبار لحس القياس ، ولكن هذه المرة باتجاه « ميدواي » و « اوستراليا » حيث سيسجلون بوادر اخفاقهم .

بتاريخ ١٩٤٢/٢/٢٣ تلقى « مارك آرثر » امراً قطعياً من « روزفلت » بتسليم الدفاع عن «باتان» الى الجنرال « وينرايت » والحضور الى « اوستراليا » لاستلام القيادة العليا لقوات الحلفاء في المحيط الهادئ . وفي ١٩ آذار (مارس) انطلقت من على حاملة الطائرات « هورنت » ١٦ طائرة وألقت قنابلها على طوكيو ، وبعد أيام بدأت النجدات الاميركية تصل الى « اوستراليا » ، كما اعيد اليها الاف الجنود الذين كانوا يحاربون الى جانب البريطانيين في الجبهات



إنزال القوات البرمائية الأميركية على شاطىء الصنوبر في المحيط الهادي

الاخرى خارج « استراليا » ، خصوصاً في الشرق الاوسط .

جرت معركة بحر « الكورال » بتاريخ ٦ و ٧ و ٨ ايار (مايو) عندما اقلع عدد من الطائرات الاميركية من حاملتي الطائرات « يورك تاون » و « لكسنغتون » ، وقام بمهاجمة اسطول ياباني هام كان يطوق غينيا الجديدة من الشرق ، ويحيط بعدد من سفن النقل لاحتلال مرفأ « مورسبي » باعتبار ان الاستيلاء على هذا المرفأ يشكل خطراً مباشراً على اوستراليا. وانتهت المعركة بانسحاب الاسطول الياباني وغرق الحاملة « لكسنغتون » وانقاذ اوستراليا.

وجه اليابانيون ، بعد معركة « كورال » جهدهم الرئيسي **باتجاه « ميدواي »** ، مكتفين بابقاء قوة بحرية ثانوية **مؤقتاً في جنوبي المحيط الهادئ . ولو توصل** اليابانيون الى احتلال **هذه الجزيرة لاستطاعوا** الاستيلاء على جزر « هاواي » وبالتالي السيطرة الكاملة على المحيط الهادئ الاوسط .

كان لا بد لليابانيين من تسديد ضربة شديدة الى جزيرة « ميدواي » نظراً لأهميتها الاستراتيجية . فشكلوا بأمرة « ياماموتو » خمس مجموعات متتابعة :

- المجموعة المتقدمة ، وقوامها ١٦ غواصة .
- مجموعة الصدمة ، وقوامها ٤ حاملات طائرات (٢٧٢ طائرة ، وبارجة ، وطرادان ثقيلان ، و ١٢ مدمرة ، وخمس ناقلات نفط) .
- مجموعة الاحتلال تتألف من قوة تغطية ، وقوة مساندة مباشرة ، مجموعها دارعتان و ٨ طرادات وحاملة طائرات خفيفة ، وعشر مدمرات ، ومن قوة منقولة (خمسة آلاف جندي) وطراداً ، وعشر مدمرات ، وناقلة نفط .
- مجموعة القيادة ، وتتألف من ٣ بوارج ، وحاملة طائرات خفيفة ، و ١٣ مدمرة ، و ٤ ناقلات نفط ، وناقلتي طائرات برمائية .
- مجموعة مشاغلة وتتألف من ٤ دارعات ، وطرادين خفيفين ، و ٤ ناقلات نفط ، وعدد من مراكب الانزال .

على صعيد المعسكر الآخر ، سمي الاميرال « شيستر نيميتز » قائداً أعلى للقوات البحرية في المحيط الهادئ . وكانت معظم سفن الاسطول الاميركي

في التصليح او قيد الصنع ، ولكنه استطاع بعد قليل أن يدخل تاريخ الحروب البحرية من بابها الواسع ، ويلمع اسمه كأحد قادة الحرب العالمية الثانية البارزين .

لما كان « شيستر » غير قادر على معادلة خصمه ، فقد ترك اسطولا صغيراً للدفاع عن «اوستراليا» وحشد خفية اسطولا مؤلفاً من ٣ حاملات طائرات (٢٣٣ طائرة) و ٧ طرادات ثقيلة ، وطراد خفيف ، و ١٧ مدمرة ، و ١٩ غواصة ، في المحيط الهادئ الاوسط ، كما عزز الدفاع الجوي في « ميدواي » برفع عدد الطائرات الى ١١٩ طائرة .

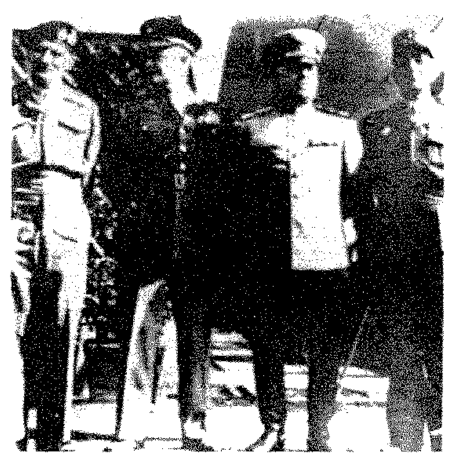
ودارت المعارك عنيفة في الرابع من حزيران (يونيو) ، واستمرت حتى السادس منه ، اضطر معها الاسطول الياباني الى الانسحاب بعد ان دمرت منه أربع حاملات طائرات ، وعدد كبير من الطائرات ، كما دمرت كافة منشآت « ميدواي » ولم يبق سوى المطار والمدارج . (انظر ميدواي « معركة ») .

وبانتصار الاميركيين في هذه المعارك ، أعيد التوازن البحري الى المحيط الهادئ ، بعد أن أمعنت الطائرات والغواصات الحليفة في اغراق عدد من سفن النقل اليابانية في المحيط الهادئ ، معرقلة بذلك عمليات التموين الضخمة على خطوط مواصلات يابانية أصبح طولها يتعارض مع نسق الانتاج الصناعي الحربي الياباني .

جبهة شمالي افريقيا :

كان شمال افريقيا طريق التقدم الى قناة السويس . ولقد دارت على هذا المسرح عمليات طويلة امتدت من ايلول (سبتمبر) ١٩٤٠ حتى آذار (مارس) ١٩٤٣. وعرف المعسكران المتجابهان خلال هذه العمليات النجاح والفشل . ويمكن تقسيم العمليات إلى ٦ مراحل :

أ – هجوم غرازياني (ايلول ١٩٤٠) كان السير « ويفل » القائد الاعلى للقوات في مصر والسودان وفلسطين . وكانت قواته تتألف من عشرين الفاً ، وتضم الفرقة الهندية الرابعة ، والفرقة المدرعة السابعة ، واللواء « سلبي » ، والكتيبة السابعة من الفرقة المدرعة الملكية . أما سلاح الجو البريطاني فكان له في مصر ١٥٠ طائرة قديمة. وكان القائد الايطالي « غرازياني » يأمر بالمقابل ٢٥٠ الفاً، ولديه ٢٥٠ طائرة ، وقد استطاع مهاجمة مصر بمئة ألف جندي على محورين ساحليين ، وتوغل في الاراضي المصرية مسافة ٩٠ كيلومتراً من « السلوم » الى « سيدي براني » ، حيث توقف دفاعياً أمام دهشة البريطانيين وذهولهم . (انظر سيدي براني ، معركة) .



قادة جيوش الحلفاء : دولاتر دوتاسيني ، جوكوف ، ايزنهاور ، مونتغمري .

ب – هجوم ويڤل (كانون الاول ١٩٤٠) نشر « غرازياني » ثلاثاً من أصل فرق المشاة الست ، بين « صوفاني » و « المقتلة » ، كما ركز فرقتين حوالي « سيدي براني » ، اما الفرقة السادسة فتمركزت في « نقب حلفايا » .

وبعد أن قارن « ويڤل » بين غايته ووسائله المتواضعة قرر القيام بهجوم وقائي ، بغية خلق البلبلة في تحضيرات العدو ، وبالتالي كسب الوقت . الا انه بعد احرازه النجاح غير المنتظر ، حول عمله الى فكرة استراتيجية واسعة . وقد تمثلت خطته باجراء خرق في وسط ترتيب العدو ، بالفرقة الهندية الرابعة ، وكتيبة المدرعات الملكية ، بينما يتقدم لواء من الفرقة المدرعة السابعة باتجاه البحر غرب «سيدي براني » لقطع الحشد الرئيسي للعدو ، على حين يقوم اللواء « سلبي » بمناورة تثبيتية للعدو .

في التاسع من كانون الاول (ديسمبر) انطلق الهجوم البريطاني ، فأخذ يجتاز القوى الايطالية سائراً من نصر الى نصر . وفي اليوم التالي سقطت « سيدى براني » ، والقت الفرقتان الاولى والثانية الليبيتان السلاح واستسلمتا . وبعد مضي تسعة أيام خررت الاراضي المصرية جميعها ، ووقع اربعون ألف أسير بيد البريطانيين ، بينما لم تتجاوز خسائرهم ١٣٣ قتيلا وحوالي ٤٠٠ جريح (انظر سيدي براني ، معركة) .

وكانت الفرصة سانحة امام « ويڤل » لاستثمار النصر ، فلم يتأخر عن التقاطها ، واندفع ملاحقاً فلول الايطاليين ، فسقطت « السلوم » في ١٦ كانون الاول (ديسمبر) ، ثم في ١٨ منه سقطت « البردية » واستسلم فيها اربعون الفاً ، وفي ٢١ منه سقطت « طبرق » مع ثلاثين ألف أسير (انظر طبرق ، معركة) . بالاضافة الى ذلك استطاع البريطانيون انزال ضربة حاسمة بالايطاليين ، خلال شهر شباط (فبراير) ١٩٤١ ، عندما تصدت قوة استطلاعية بريطانية لا يتجاوز عديدها الثلاثة آلاف الى رتل ايطالي كبير ، يزيد عن العشرين الفاً ، ويضم ١٥٠ دبابة و ٢٥٠ سيارة مدرعة في معركة « بيضاء فم » ، فاجبرته على القاء السلاح . (انظر بيضاء فم معركة) .

ج – هجوم رومل (آذار ١٩٤١) اضطر « ويڤل » الى التوقف قبالة صحراء « سرت » بغية تأمين تموينه على خط المواصلات الطويل . إلا أنه جرت في هذا الوقت أحداث خطيرة في البلقان ، اجبرت القيادة السياسية البريطانية على اقتطاع قوى من « ويڤل » لمصلحة تلك الجبهة ، في الوقت الذي قررت فيه القيادة السياسية للمحور تعزيز جبهة شمالي افريقيا . وأرسلت الجنرال « رومل » الذي نزل في طرابلس الغرب مع فرقة مدرعة وفرقة ميكانيكية ، وبعض الفرق الايطالية ، كما اعطيت لجبهة شمالي افريقيا افضلية عمل الاسطول الجوي الالماني الثاني المتمركز في صقلية وايطاليا الجنوبية . وكانت دبابات « ماتيلدا » و « كروسيدر » البريطانية أقل كفاءة من الدبابات « مارك ٤ » التي جاء بها رومل . وعندما هاجم رومل في ٢٤ آذار (مارس) دفع اربعة الوية بريطانية الى الفرار ، فأخليت « بنغازي » في ٤ نيسان (ابريل)، وحوصرت «طبرق» في ١٥ منه ، بينما تقدمت الدبابات الالمانية تجس نبض موقع « السلوم » . وبقيت هذه المنطقة مسرحاً لعمليات استمرت من ايار (مايو) حتى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤١ دون معركة حاسمة (انظر البلطة « باتل آكس » ، معركة) ، فقد قاومت « طبرق » التي كانت تمون بطريق البحر مدة ثمانية اشهر وظلت تشكل خطراً دائماً على مجنبة رومل اليسرى ، كما ان « السلوم » قاومت بضراوة وعناد اضطرتا رومل بالاضافة الى ضرورات تموينية الى التوقف امامها . (انظر طبرق « معركة ») .

د – هجوم اوكنلك (تشرين الثاني ١٩٤١)

في بداية تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٤١ ، كان الخصمان متجابهين ، تفصل بينهما منطقة حرام واسعة. ولقد حشد المحور سبع فرق مشاة وثلاث فرق مدرعة ، مقابل خمس فرق مشاة وفرقتين مدرعتين بريطانيتين . وبدأ الهجوم البريطاني في ١٨ تشرين الثاني (نوفبر) ، ففك الحصار عن « طبرق » في ٨ كانون الاول (ديسمبر) وخسر المحور عشرة آلاف اسير الماني وست عشر الف اسير ايطالي ، وخسر

البريطانيون ثمانية عشر الفاً. ثم تتابع الضغط البريطاني دافعاً قوات المحور حتى اوصلها الى «العجيلة» في أول العام ١٩٤٢، ودخل البريطانيون مرة ثانية الى «بنغـازي» في ٢٥ /١٢/١٩٤٢. (انظر كروسيدر، معركة).

هـ — الهجوم الثاني لرومل (١٩٤٢) بتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٩٤٢ (يناير) بدأ رومل عملياته الهجومية، على ثلاثة ارتال متتابعة. فاحتل بنغازي في ٢٨ منه، وتابع تقدمه حتى اصطدم بالحلفاء في «الغزالة» و«بير حكيم». وبفضل الدفاع المستميت الذي فرضه الجنرال «اوكنلك» على «رتشي» قائد قواته، استطاع البريطانيون إيقاف تقدم رومل مدة اربعة اشهر. ثم انطلق الدفع الالماني الثاني، بتاريخ ٢٧ أيار (مايو) على موقع «بير حكيم»، حيث دارت معارك هائلة أدت الى سقوطه في ١١ حزيران (يونيو). واندفع رومل الى طبرق فسقطت بعد بضع ساعات. وكانت قد قاومت مدة ثمانية أشهر في العام السابق، وسقط فيها ٢٥ ألف أسير (انظر بئر حكيم «معركة»، والغزالة «معركة»، وطبرق «معركة»).

بعد سقوط «طبرق» انكفأ البريطانيون الى العلمين على مسافة ٧٠ كيلومتراً من دلتا نهر النيل. وكانت خسارة هذا الموقع بالنسبة الى البريطانيين تعني خسارة الاسكندرية والسويس. وأصبحت جبهة الدفاع على خط العلمين قليلة الاتساع فهي محدودة شمالا بالبحر الابيض المتوسط، وتستند في الجنوب، على مسافة سبعين كيلومتراً على منخفض «القطارة»، حيث تشكل الرمال الرخوة حاجزاً أشد صعوبة من البحر، وعلى ذلك فان الالتفاف وراء هذا المنخفض من الجنوب، يقتضي اجتيـاز مئات الكيلومترات عبر الصحراء، ثم ان خط مواصلات رومل اصبح طويلا وخطراً، فهو على مسافة ألف كيلومتر من بنغازي. أما البريطانيون فكانوا على ثمانين كيلومتراً من الاسكندرية.

في أول آب (اغسطس) ١٩٤٢ عين الجنرال «اوكنلك» قائداً أعلى في الهند، وتسلم الكسندر، قيادة مسرح العمليات في الشرق الاوسط، كما تسلم «مونتغمري» قيادة الجيش الثامن.

وبدأ رومل مهاجمة العلمين بين ٣٠ — ٣١ آب (اغسطس) بثلاث مجموعات: وصد البريطانيون مجموعة الشمال. واحتلت المجموعة الوسطى «تبـة الرويسات»، لكنها ردت عند الفجر، بينما فتحت مجموعة الجنوب ثغرتين في حقل الالغام نفذت منها فرقة المشاة الميكانيكية التسعون، وتوصلت الى دير «المناصيب»، بينما توصلت الفرقتان المدرعتان الى «غابالا». وفي ٣ أيلول (سبتمبر) تعرضت قوات رومل الى هجوم معاكس كبير، استطاع دفعها عن العلمين، وانزل بها خسائر قدرت بمئة واربعين دبابة، كما حملت الجبهة كلها على الركود. (انظر علم حلفا «معركة»).

و — الهجوم البريطاني والمطاردة (تشرين الأول ١٩٤٢ — آذار ١٩٤٣). لم يحاول البريطانيون استثمار النجاح لعدم القدرة عليه، بل فضلوا التوقف لتحضير عمليتهم التـالية في الشهر القادم. ولقد استطاع «مونتغمري» اعتباراً من ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) استعادة المبادرة ومهاجمة رومل امام العلمين، ودحره ومطاردته مسافة ١٣٥٠ ميلا في مدة ٢٨ يوماً، حتى أوصله الى خط «ماريت» في تونس، وقدرت خسائر المحور في العلمين وحدها بخمسين ألف رجل، و٤٥٠ دبابة، و٤٠ مدفع ميداني، و٥٥٠ مدفعاً مضاداً للطائرات (انظر العلمين «معركة»). وفي ليلة ٧ — ٨ تشرين الاول (اكتوبر) من العام نفسه، نزل الحلفاء في شمالي افريقيا. وكانت قواتهم البرية — البحرية — الجوية العاملة تحت قيادة الجنرال ايزنهاور تضم قـوات بريطانية تعمل في الوسط بقيادة الجنرال «فريدندال» (٣٩ ألف رجل)، وقوات اميركية تعمل في الغرب بقيادة الجنرال «باتون» (٣٥ ألف رجل)، وقوات بريطانية واميركية تعمل في الشرق بقيادة الجنرال «رايدر» (٣٣ ألف رجـل). واستطاعت قوات الحلفاء، بمساعدة القوات الفرنسية العاملة في شمالي افريقيا، النزول على الشاطئ الجزائري — المغربي، وتشكيل رؤوس جسور. وتألفت لجنـة برئاسة «ديغول» و«جيرو» لتمارس السيادة الفرنسية على شمالي افريقيا حتى تسليم سلطاتها الى حكومة الجمهورية الفرنسية المستقبلية. وبتاريخ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) انضمت «داكار» الى الحلفاء، وكذلك فعـل فيما بعـد «الصومال الفرنسي» اما اسطول «طولون» فقد أغرق نفسه في البحر (انظر المشعل «عملية»).

وتقدمت قوات الحلفاء نحو الشرق، واصبح على رومل ان يحارب على جبهتين: الجيوش البريطانية الزاحفة من طرابلس الغرب، والجيوش المهاجمة من الجزائر، فقام بهجومين متتاليين في جنوبي تونس، اخفق في كليهما. وفي ٧ نيسان (ابريل) ١٩٤٣ اخترق الحلفاء خط «ماريت»، وتلاقت جيوشهم المهاجمة، فوقع في ايديهم ربع مليون جندي اسير، وكميات هائلة من الاعتدة الحربية، وغادر رومل الى المانيا. وهكذا أبيدت المقاومة الالمانية الايطالية في افريقيا في منتصف أيار (مايو) ١٩٤٣، وانتهت العمليات في شمالي أفريقيا.

احتلال ايطاليا: شرع الحلفاء، منذ انتهاء حملة افريقيا، بمهاجمة القلعة الاوروبية وذلك بهدف: تحرير البحر الأبيض المتوسط، وحمل ايطاليا على الاستسلام، وتثبيت قسم من القوات الالمانية للتخفيف عن الاتحاد السوفياتي، وانشاء مطارات تمكن الطيران الاستراتيجي من قصف المانيا الجنوبية الشرقية. ولقد اعتقد الحلفـاء ان مجرد الاستيلاء على صقلية قد يكفي لسقوط ايطاليا، ولكن اذا كان القيام بعمليات اخرى ضرورياً لتحقيق هذه الغاية، فان على ايزنهاور، القائد الاعلى لمسرح البحر الابيض المتوسط، اقتطـاع وسائل تلك العمليات، من حساب الانزال الكبير الذي سيجري في فرنسا في العام المقبل. واطلق على عملية احتلال ايطاليا اسم «هايسكي». واشترك في تنفيذهـا «كاننغهام» كقائد للقوى البحرية، و«تيدر» كقائد للقوى الجوية، و«الكسندر» كقائد للقوى البرية، وكانوا جميعهم بقيادة الجنرال «ايزنهاور».

كان «الكسندر» قائداً لمجموعـة الجيوش الخامسة عشر التي ضمت الجيش الثامن البريطاني (مونتغمري) والجيش السابع الاميركي (باتون) أي ما مجموعه ١٣ فرقة. ووضعت بتصرفه لعملية الانزال ٣٢٢٦ باخرة، نقلت مئة وستين الف جندي، والف وثمانمئة مدفع، وستمئة دبابة.

وكانت ايطاليا قد خسرت ٣٥ فرقة في ميادين افريقيا، كما كانت ثلاثون فرقة من قواتها ما تزال مجمدة في البلقان، ولم يبق لديها سوى ما يقارب الثلاثين فرقة لحماية ارض الوطن، انيط بعشر منها، مع فرقتين المانيتين احداهما مدرعة، مهمة الدفاع عن جزيرة صقلية.

وفي ٩ تموز (يوليو) ١٩٤٣ انطلقت ٥٠٠ طائرة و١٥٠ طائرة شراعية من «القيروان» فألقت اللواء السابع العائد للفرقة المحوقلة البريطانية في منطقة «سيراكوز» و«فوجيا» عائداً للفرقة الثانية والثمانين المحوقلة الاميركية في منطقة «جيلا». وتم الاستيلاء على جسر «يونت كراند» بحالة سليمة، وكان هدفاً رئيسياً المظليين، وجرت عملية انزال القوات البرية ليلا بمفاجأة تامة.

استغرق الاستيلاء على الجزيرة الجبلية، والتي تعادل مساحتها مساحة بلجيكا، مدة ٣٨ يوماً، اذ انتهت بتـاريخ ١٦ آب (اغسطس) بسقوط «مسينا». وبلغت خسائر الالمـان والايطاليين ١٦٧٠٠ رجل، منهم ٣٧٠٠ الماني، بين قتيل

واسير . بالاضافة الى مئة الف جندي صقلي تركوا الجيش وفروا . اما خسائر الحلفاء فقد بلغت ٣١١٥٨ رجل ، منهم خمسة آلاف قتيل . وأدى سقوط الجزيرة الى سقوط « موسوليني » (٢٥ تموز يوليو) واستلام الماريشال «بادوليو» رئاسة الحكومة الايطالية وطلبه الهدنة ، فأعلنت في ٨ ايلول (سبتمبر).

كان الرد الالماني سريعاً في ايطاليا ، فقد توجهت نجدات كبيرة بقيادة الجنرال « كيسلرنغ » الذي استولى على « روما » و « نابولي » وأضاع أمل الحلفاء في احتلال ايطاليا دون قتال . وأخلى الالمان سردينيا ، أما كورسيكا ، فقد حررت من قبل القوات الفرنسية ، وفشل البريطانيون ، لقلة الوسائل ، باحتلال جزر « رودوس » و « كوس » و « ساموس » ، اذ كان الالمان قد حلوا محل القوات الايطالية فيها .

كانت حملة ايطاليا ذات هدف محدود ، اذ كان قد تقرر توجيه الضربة الحاسمة في الغرب ، وعليه فان مبدأ الاقتصاد في القوى يحتم ادخار معظم القوى بالجهد الرئيسي هناك . لذلك لم تجر مهاجمة ايطاليا عند المضيق بانزال الجيوش في « جنوة » بل استهدف الهجوم جنوبي ايطاليا ، مع انزال قوات في منطقة « ساليرنو » بحيث يسمح الانتقاء الملائم على الصعيدين الاستراتيجي والتكتيكي بتحقيق الغايات التي سبق ان اشير اليها ، ويصبح بمقدور القاذفات ب ١٧ و ب ٢٤ أن تغير من مطار « فوجيا » لضرب الاهداف التي كانت حتى ذلك الوقت ، بمأمن من ضرب القاذفات المنطلقة من بريطانيا .

وشملت خطة غزو ايطاليا ما يلي :

– القيام بهجوم ثانوي من قبل الجيش الثامن (مونتغمري) بشكل عملية انزال عند رأس الجزمة



جنود مغاربة من أبناء جبال الأطلس يتقدمون في إيطاليا

الايطالية ، يتقدم باتجاه الشمال بفرقتين ، بينما تحتل فرقة ثالثة « تارانت » .

– شن هجوم رئيسي يقوم به الجيش الخامس (مارك كلارك) مع فيلق اميركي وفيلق بريطاني للنزول على شواطئ « ساليرنو » حيث المدى الاقصى الذي تبلغه المطاردات المقلعة من « صقلية » .

قدر للجهد الرئيسي في الحملة ان ينطلق بعد ستة أيام من انطلاق الجهد الثانوي ، على أمل ان يجتذب الجهد الثانوي الفرق الالمانية نحو الجنوب . وفور حصول الالتحام بين الجيشين الثامن والخامس يتقدم الكسندر بقواته نحو الشمال للاستيلاء على « نابولي » و « فوجيا » . وكانت القوات الالمانية في ايطاليا بتاريخ ٣ أيلول (سبتمبر) عبارة عن فرقتين المانيتين ميكانيكيتين في منطقة « كاتانزارو » ، واربع فرق منها فرقتان مدرعتان قرب « ساليرنو » . كما كان هناك فرقتان شمالي روما ، وثماني فرق في شمالي ايطاليا . وكان « كيسلرنغ » متنبهاً لعملية انزال الحلفاء ، فأبقى قواته وراء المرتفعات ، بينما قام بتحضير مخطط ناري كامل على كافة المخارج باتجاه السهل ، وفي الوقت نفسه ، زرع حقول الغام عديدة على الشاطئ . وكانت خطة القائد الالماني تقضي بأن يدع الحلفاء ينزلون جيوشهم لينقض عليها فجأة ويمزقها .

وفي ٣ ايلول (سبتمبر) ، وتحت حماية نارية قوية صادرة عن ٦٥٠ مدفعاً متمركزاً في صقلية ، استطاعت فرقتان من الفيلق الثالث عشر التابع للجيش الثامن العبور الى « كالابر » . وفي غضون ستة أيام كان الفيلق قد اجتاز بقيادة الجنرال « دمبسي » حوالي مئة كيلومتر الى الشمال .

وفي ٩ أيلول (سبتمبر) شرع الجيش الخامس بالانزال في « ساليرنو » فاستولى بعد ثلاثة أيام على « ساليرنو » نفسها ، ولما اصطدم بهجوم معاكس الماني قوامه ثلاث فرق ، اضطر الى التوقف والدفاع وكان من المحتمل تدمير القوات التي تم انزالها ، لولا تدخل قطع بحرية مؤلفة من ست دارعات و ١٥ طراداً و ٦٠ سفينة حربية اخرى ، وقيامها بدعم القوات ، بالاضافة الى ثلاثة آلاف طلعة جوية نفذت جميعها لمساندة جبهة الانزال .

وبقي الجيش الثامن مواصلا تقدمه ، فاجتاز ٤٠٠ كيلومتر في اسبوعين . وتراجع « كيسلرنغ » الى ١٥٠ كيلومتراً جنوبي روما ، حيث أنشأ مركزاً عميقاً حده الامامي خط « غوستاف » الحصين ، وحده الخلفي « خط هتلر » .

في آخر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٣ عين الجنرال « ايزنهاور » قائداً اعلى في الغرب ، فخلفه الجنرال « ولسون » في قيادة مسرح البحر الابيض المتوسط والشرق الاوسط ، وبقي الجنرال « الكسندر » قائداً لمجموعة الجيوش الخامسة عشر في ايطاليا ، اما الجيش الثامن البريطاني فقد عين لقيادته الجنرال « ليز » بدلا من « مونتغمري » الذي عين قائداً لمجموعة الجيوش ٢١ في ايطاليا . ولقد حاول الحلفاء سحق المواقع الالمانية الجديدة ، ولكنهم اصيبوا بالفشل ،

دبابة بريطانية في نابولي المحررة





بحار يفحص مدفع ألماني (م/د) في أحد شوارع مرسيليا

خصوصاً عند مرتفعات «كاسينو» المنيعة والمسيطرة على سهل «ليري» وعلى الطريق الوطنية رقم «٦». وهكذا فشلت في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٤ عمليات الجيشين الثامن والخامس الهجومية، ومحاولات التقدم التي تلتها في شهر آذار (مارس).

وفي ١٠ أيار (مايو) حقق المهاجمون بعض النجاح. وهكذا تحرك الهجوم العام في اليوم التالي، وعلى طول الجبهة الايطالية، فاكتنفت مرتفعات «كاسينو» بحركة التفاف واسعة، ودخل «مارك كلارك» مدينة روما في ٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٤ (انظر كاسينو «معركة»).

وكان الالمان قد انقذوا موسوليني من سجنه (انظر اختطاف موسوليني)، وألف حكومة سارت بركاب المانيا، إلا أن كتيبة من كتائب المقاومة الايطالية ألقت القبض عليه في ٢٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٥، في بلدة قرب بحيرة «كومو»، فحاكمته وأعدمته رمياً بالرصاص، وعلقت جثته امام مقر الحزب الفاشستي.

الانزال في النورماندي: كانت المقاومة الشعبية الفرنسية قد ابتدأت تشتد في فرنسا منذ العام ١٩٤٣، وأصبحت تشكل فيما بعد مشكلة حقيقية بالنسبة الى الاحتلال الالماني، مما سهل الوضع كثيراً فيما بعد، اثناء غزو الحلفاء لفرنسا. ولقد قرر الحلفاء التمهيد لعملية الانزال المعروفة بعملية «اوفرلورد»، فقاموا بغارات كاسحة على جميع ما في المانيا وفرنسا، من مصانع واهداف عسكرية استراتيجية، وازدادت غاراتهم عنفاً وحجماً حتى اصبحت الغارة الواحدة تضم أكثر من ألف طائرة من القاذفات.

وفي العاشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٣ عين الجنرال «ايزنهاور» قائداً اعلى لقوات الحلفاء في اوروبا، وكلف الدخول الى القارة الاوروبية حتى قلب المانيا. ولقد تمثل ايزنهاور غزو القارة الاوروبية كما يلي:

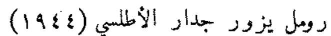
— القيام بعملية انزال القوات على شاطئ النورماندي بين الهافر وشبه جزيرة «كوتانتان».
— إنشاء رأس جسر.
— سحق المقاومة العدوة.
— استثمار الفوز بين «السين» و «اللوار»، وتحرير المنطقة بين هذين النهرين حتى يوم (ي+ ٩٠).
— التقدم بعد اجتياز «السين» باتجاه المانيا، على جبهة واسعة باعتماد محوري جهد كبيرين الجهد الرئيسي على اليسار، باتجاه الشمال الشرقي. لتخليص المرافئ الفرنسية والبلجيكية خاصة «انفرس» والجهد الثانوي على اليمين بغية تهديد حوض «السار»، وتأمين التلاقي مع القوات التي ستنزل على شاطئ «الكوت دازور» الفرنسي.

وكلف (مونتغمري) بالقيادة التكتيكية لكافة القوى البرية في المراحل الاولية، وكانت عملية الانزال مقررة في الرابع من حزيران (يونيو)، الا ان سوء الاحوال الجوية حمل ايزنهاور على تأخيرها حتى السادس منه. ومنذ الساعة السادسة والنصف صباحاً، بدأت الفرقتان المظليتان الاميركيتان ١٠١ و ٨٨ تهبطان فوق الشاطئ قرب «اوتا»، بينما كانت الفرقة المظلية البريطانية السادسة تهبط شرقي نهر «اورن» لتحتل الجسور على هذا النهر، وتؤمن حماية تقدم الجيوش فيما بعد. في نفس الوقت أبحرت خمس فرق من الشاطئ البريطاني نحو شاطئ «نورماندي» وابتدأت بالنزول على اليابسة اعتباراً من الساعة السادسة والنصف صباحاً تحت تغطية المظليين، فاحتلت مواقع لها على موازاة الشاطئ، ثم ركزت هجومها على مدينة «شربور» فاحتلتها، كما احتلت «كاين». وعن طريق هذين المرفأين تم إنزال الجيوش الحليفة على الاراضي الفرنسية (انظر نورماندي، معركة) وتتابع الانزال، وتألفت القوى الزاحفة من مجموعتين:

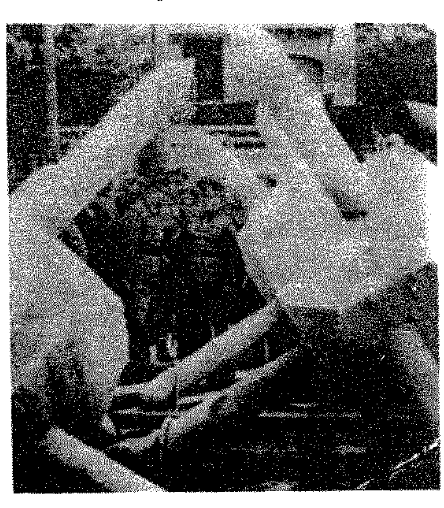
— مجموعة الجيوش ١٢ بقيادة الجنرال الاميركي «برادلي»، وضمت الجيش الثالث (باتون)، والجيش الاول (هودج).

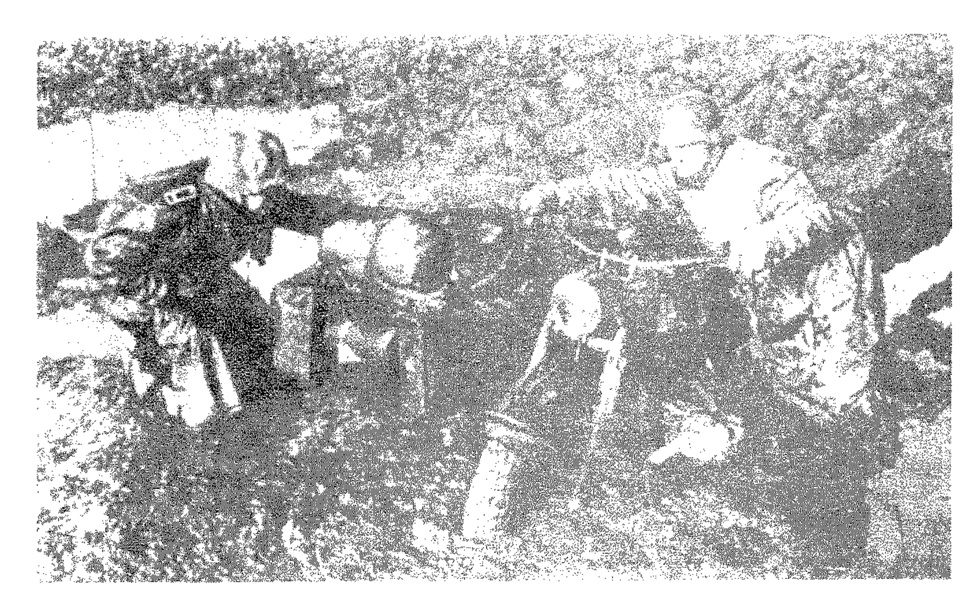
— مجموعة الجيوش ٢١ بقيادة الجنرال البريطاني «مونتغمري» وضمت الفيلق البريطاني الاول، والفيلق الكندي الثاني، والجيش البريطاني الثاني بقيادة «دمبسي».

وبعد وقفة إعادة التنظيم، أخذ الحلفاء يتقدمون فتسقط بأيديهم المقاومات النازية تباعاً حتى منتصف شهر آب (اغسطس) ١٩٤٤، عندما نفذ الحلفاء عملية «دراغون» وأنزلوا على الشواطئ الفرنسية الجنوبية الجيش الاميركي السابع بقيادة الجنرال «الكسندر باتش» (انظر دراغون «عملية»). وهكذا اخذ الحلفاء يتقدمون في الاراضي الفرنسية من الغرب، فحرروا فرنسا، ودخلت الفرقة المدرعة الفرنسية الثانية مدينة باريس، بمناصرة المقاومة



روميل يزور جدار الأطلسي (١٩٤٤)





الوحل يعرقل الحركة ويبطىء اندفاع الحرب الخاطفة

الفرنسية في ٢٥ آب (اغسطس) . واجتازت القوات البريطانية والكندية نهر « السوم » ودخلت بلجيكا محررة بروكسل ، ثم انضم اليها الاميركيون وحرروا جنوبي هولندا .

الهجوم السوفييتي من ستالينغراد إلى برلين :
اثناء حصار القوات السوفييتية لستالينغراد ، واصلت قوات اخرى الزحف جنوباً لقطع طريق الانسحاب على الجيوش الالمانية الموجودة في القوقاز ، وتعرضت خطوط مواصلات هذه الجيوش في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٣ للخطر ، خاصة وانها كانت تبعد عن مدينة « روستوف » نحو ٥٦٠ كم إلى الجنوب الشرقي ، واستطاعت القوات الالمانية ابقاء هـذه الخطوط مفتوحة إلى أن تم اخلاء القوقاز وحوض الدونيتز الصناعي .

وفي شباط (فبراير) ١٩٤٣ ازدادت سرعة الانسحاب الالماني ، بعد استسلام قوات « فـون باولس » في « ستالينغراد » ، واستعـادت القوات السوفييتية « خاركوف » (انظر خاركوف ، معركة) واقتربت من نهر الدنيبير ، إلا أن « فون مانشتاين » شن بقواته هجوماً مضاداً في نهاية شباط (فبراير) استرد به « خاركوف » و « بيليغورد » ، فتوقف الزحف السوفييتي مؤقتاً نتيجة لهذا الهجوم ولطول خطوط مواصلاته ، وفي الوقت نفسه لم يكن لدى « فون مانشتاين » قوات احتياطية تكفي لمتابعة الهجوم ، فتجمد الموقف العسكري طوال الشهور من آذار (مارس) حتى ٥ تموز (يوليو) ١٩٤٣ ، حيث شن الألمان آخر هجوم استراتيجي كبير لهم على الجبهة السوفييتية ، وهو الهجوم الذي استهدف تطويق وتدمير الجيوش السوفييتية الموجودة في « نتوء كورسك » الممتد بـين « بيليغورد » و « اوريل » . ولكن الهجوم فشل نظراً لتوقع حدوثه من قبل القيادة السوفييتية واستعدادها لصده ، ثم توجيه ضربة مضادة حاسمة ، واستمرت المعركة مدة ٥٠ يوماً انتهت بتحرير « اوريل » و « بيليغورد » و « خاركوف » وتدمير عدة فرق المانية وكميات كبيرة من الدبابات (انظر كورسك ، معركة) .

وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٤٣ وصل الزحف السوفييتي إلى نهر الدنيبير في عدة نقاط بالقرب من « كييف » ، كما عزلوا شبه جزيرة القرم عندما وصلوا إلى المجرى السفلي للدنيبير . وفي بداية تشرين الاول (اكتوبر) عبرت القوات السوفييتية الدنيبير إلى الشمال والجنوب من « كييف » . وكان من نتيجة ذلك أن حُررت « كييف » وتعمقت قوات الجنرال « فاتوتين » مسافة ١٣٠ كم غرب الدنيبير ، إلا أن الالمان استطاعوا أن يوقفوا الزحف السوفييتي مؤقتاً بعد أن قام « فون مانشتاين » بهجوم مضاد على مجنبة « فاتوتين » بواسطة قوة مدرعة قادها بكفاءة الجنرال « مانتوفل » . وفي ١ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٤ واصل « فاتوتين » تقدمه واجتاز الحدود البولونية في ١٩٤٤/١/٤ . ثم وصلت قواته إلى نهر « بوغ » ، الذي بدأت حملة « بارباروسا » من عنده في ١٩٤١/٦/٢٢ ، وقام « فون مانشتاين » بهجوم مضاد جديد ولكن « فاتوتين » صده ، ثم قام بالمقابل وبالتعاون مع « كونييف » الذي كان يهاجم على الجناح الآخر بالاطباق على القوات الالمانية في جيب « كورسون » ، مما أدى إلى أسر ١٠ فرق المانية . وفي الوقت نفسه قامت القوات السوفييتية في اقصى شمال الجبهة بهجوم في منتصف كانون الثاني (يناير) ١٩٤٤ لرفع الحصار عن « لينينغراد » تماماً (انظر لينينغراد ، معركة) ، ثم واصلت التقدم غرباً حتى توقفت امام خط يبدأ من « نارفا » وينتهي بعد « بسكوف » ، حيث كانت الدفاعات الالمانية مستندة إلى نقطتين رئيسيتين هما مدينتا « فيتبسك » و « اورشا » ، ويحمي جناحها الجنوبي مستنقعات « البريبيت » . وثبتت القوات الالمانية هناك حتى تموز (يوليو) ١٩٤٤ ، حين شن السوفييت هجومهم الكبير الذي عرف بعمليـة « باغراسيون » (انظر باغراسيون ، عملية) الذي حطم القوات الالمانية في الشمال ، ووصلت أثره القوات السوفييتيـة إلى نهر الفيستولا في قلب الاراضي البولونية .

وفي ٤ آذار (مارس) ١٩٤٤ قامت قـوات الماريشـال « جوكوف » و « مالينوفسكي » بمناورة تطويق مشتركة لخط « البوغ » الدفاعي ادت بقوات « مـالينوفسكي » إلى تحرير « نيقولاييف » وعبور « الدنييستر » في ٤٤/٣/١٩ . ووصلت قـوات « جوكوف » إلى مخارج جبال الكارابات قرب الحدود المجرية . ثم عبرت قوات « كونييف » نهر « بروت » ودخلت الاراضي الرومانية ، وتمت في الوقت نفسه عملية تحرير ميناء « اوديسا » على البحر الاسود وشبه جزيرة القرم ، وبذلك طردت القوات الالمانية من اوكرانيا وجنوب غربي الاراضي السوفييتية كلها تماماً ، واصبحت آبار النفط الروماني مهددة بالخطر ، ولذلك ركزت القيادة الالمانية قوتها الرئيسية هناك ، الامر الذي ساعد على نجاح الهجوم السوفييتي بعد ذلك في الشمال (عملية باغراسيون) ، الذي اعقبه في ١٤ تموز (يوليو) هجوم آخر جنوب مستنقعات « البريبيت » أدى إلى وصول القوات السوفييتية خلال ١٠ أيام إلى مدينتي « لفوف » و « لوبلن » على بعد ١٦٠ كم تقريبـاً الى الجنوب الشرقي من « فارسوفيا » ، عاصمة بولونيا ، وسقطت « بريست ليتوفسك » و « بياليستوك » في خلال الاسبوع نفسه .

وتجاوز التقدم السوفييتي على المجنبة الشمالية مدينة « دفينسك » ، ثم اتجه نحو ساحل بحر البلطيق وراء مدينة « ريغا » . وتوقف الهجوم السوفييتي في بولونيا بعض الوقت نظراً لامتداد خطوط المواصلات وضرورات إعادة تنظيم القوات وتجهيزها بالمدادات والتأهب لمرحلة جديدة من العمليات . وفي هذا الوقت كانت حركة المقاومة السرية البولونية الموالية لحكومة بولونيا

في المنى والموجودة في « لندن » قد نظمت انتفاضة مسلحة في « وارسو » استمرت ٦٣ يوماً. ولكن توقف الزحف السوفييتي مكّن القوات الالمانية من اخمادها في اوائل آب (اغسطس) ١٩٤٤ . وتابعت القوات السوفييتية هجومها في القطاع الجنوبي من الجبهة فاستطاعت أن تطرد القوات الالمانية من رومانيا وتستولي على آبار النفط ومعامل تكريره في «بلوغيستي» في ٣٠ آب (اغسطس) ١٩٤٤، كما حررت « بوخارست » في اليوم التالي ، وهكذا قطعت جيوش الدبابات السوفييتية نحو ٤٠٠ كم في ١٢ يوماً فقط، ثم اتجهت بسرعة نحو الشمال والغرب واجتازت حدود المجر ويوغسلافيا لتحول دون انسحاب القوات الالمانية الموجودة في اليونان ، كما تقدمت جنوباً وسيطرت على بلغاريا . أما في بولونيا فقد بقيت الجبهة ثابتة طوال الشهور المتبقية من عام ١٩٤٤ ، ثم تحركت الجيوش السوفييتية هناك في منتصف كانون الثاني (يناير) ١٩٤٥ في هجوم واسع النطاق (تم قبل موعده المحدد بنحو اسبوعين لتخفيف الضغط الألماني على الجبهة الغربية حيث كان هجوم الآردين على اشده). (انظر الآردين ، معركة) بدأتــه قوات « كونييف » من رأس جسر نهر الفيستولا قرب « سان دومير » ، وفي ٢٣/١/٤٥ وصلت إلى نهر الاودر في جنوب المانيا الشرقية بمقاطعة سيليزيا وتمكنت القوات الالمانية أن توقف توسيع رأس الجسر السوفييتي هناك . وفي الوقت نفسه كانت قوات « جوكوف » تطور هجومها هي الاخرى في وسط بولونيا وتحرر « وارسو » ،ثم تتقدم نحو المانيا وتجتاز حدودها في ٢٩/١/٤٥، وتنشىء لها رأس جسر على نهر الاودر على مبعدة ٨٠ كم شرقي « برلين » . كما قامت قوات « روكوسوفسكي » بتطوير الهجوم في الشمال ابتداء من نهر « ناريف » شمال شرقي فارسوفيا ،واخترقت بروسيا الشرقية في طرفها الغربي،ثم وصلت إلى البلطيق غربي ميناء « دانتزيغ » الشهير في ٢٦/١/٤٥،عازلة بذلك القوات الالمانية التي كانت لا تزال موجودة في بروسيا الشرقية .

وفي ١٦ نيسان (ابريل) بدأت قوات «جوكوف» هجومها على « برلين »، واستولت عليها في ٢ أيار (مايو) ١٩٤٥ (انظر برلين ، معركة) . ودخلت القوات الحليفة في الغرب ارض المانيا ، في الثامن من شهر شباط (فبراير) ١٩٤٥ ، مستولية على مدينة « كولونيا » على الشاطئ الغربي لنهر « الرين » وسقطت منطقة « السار » بأيدي الفرنسيين والاميركيين بينما تقدمت قوات مونتغمري في الشمال حتى وصلت الى قطاع « الرور » منهية مقاومة المدافعين عنه .

في ٧ أيار (مايو) وقع الجنرال « جودل » رئيس هيئة اركان الحرب الالمانية وثيقة استسلام المانيا دون قيد او شرط ، في مقر الجنرال « ايزنهاور » في مدينة « ريمس » الفرنسية . وانتهت الحرب في أوروبا . أما في الشرق الاقصى فقد ركز الحلفاء جهودهم على مقاتلة اليابان ، بعد أن فرغوا من محور روما – برلين فتم تحرير جزر الفيليبين ، في ٥ حزيران (يونيو) بقيادة الجنرال ماك آرثر . وبدأ الاقتراب نحو اليابان ، فاسترد الاميركيون جزر « غينيا الجديدة » و « بريطانيا الجديــدة » و « بورنيو » . وفي ٢٦ تموز (يوليو) ١٩٤٥ وجهت اميركا وبريطانيا والصين انذاراً الى اليابان بالاستسلام فتجاهلته ، وفي ٦ آب (اغسطس) ألقت طائرة اميركية قنبلة ذرية على « هيروشيما » ثم بعد ثلاثة أيام ، ألقيت قنبلة ثانية على « ناغازاكي » . وأحدثت القنبلتان خراباً رهيباً ودماراً شاملا ، وكانت هذه هي المرة الاولى التي تستعمل فيها القنابل الذرية .

وفي الثامن من شهر آب (اغسطس) اعلنت روسيا الحرب على اليابان ، وهاجمت « منشوريا » التي اخذها اليابانيون من الصين ، عندهـــا ادرك اليابانيون عقم تصلبهم ، خاصة وأن القصف الذري، أصابهم بالذهول ، فاعلنوا قبولهم بالاستسلام وفق شروط « بوتسدام » ، ووقعت الهدنة على ظهر الطراد الأميركي « ميسوري » الذي كان يرابط في خليج « طوكيو » . وبتسليم اليابان انتهت الحرب العالمية الثانية .

كلفة الحرب العالمية الثانية :

تقسم كلفة الحرب الى نوعين : كلفة مباشرة، وكلفة غير مباشرة . وتتضمن الكلفة المباشرة كل النفقات التي انفقتها الدول المحاربة على الاعمال ذات الطابع العدائي . أما الكلفة غير المبـــاشرة فتتضمن الخسائر الاقتصادية الناتجة عن الخسائر البشرية خلال الحرب ، وقيمة الممتلكات ووسائل الانتاج المتضررة او المدمرة ، وتخفيض الانتاج الناتج عن نقل القوى العاملة في الاعمال المدنية الى المجال العسكري ، ونفقات الإعانة والمساعدات للاطراف المتضررة من الحرب ، بالاضافة لكلفة الحرب للامم المحايدة .

أ – **الخسائر الاقتصادية :** قد قدرت كلفة الحرب العالمية الثانية في تقرير لجيمس برادي والجامعة الاميركية نشر في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٥ بـ(٩ ١٥٤ ٠٠٠) مليون دولار ، كما بلغت اضرار الممتلكات ووسائل الانتاج (٢٣٠ ٩٠٠) مليون دولار ، دون خسائر الصين . وقد انفقت الولايات المتحدة (٣١٧ ٦٠٠) مليون دولار على المعدات واللوازم الحربية ، بينما انفق الاتحـــاد السوفييتي (١٩٢ ٠٠٠) مليون ، وبريطانيا (١٢٠ ٠٠٠) مليون ، والمانيا (٢٧٢ ٩٠٠) مليون ، وايطاليا (٩٤ ٠٠٠) مليون ، واليابان (٥٦ ٠٠٠) مليون .

ب – **التعبئة :** بلغت قمة التعبئة في الولايات المتحدة ١٤ مليون مواطن . بينما عبأت الامبراطورية البريطانية ١٢ مليوناً ، والصين ستة ملايين . وتقدر التعبئة في الاتحاد السوفييتي بـ٢٢ مليون مواطن من ضمنهم العمال المسلحون . وبلغت التعبئة في صفوف الحلفاء اكثر من ٦٢ مليون شخص . أما قوى المحور ، فقد عبأت اكثر من ٣٠ مليوناً .

ج – **الخسائر البحرية :** كانت الخسائـــر البحرية الاميركية خلال الحرب العالمية الثانية : بارجتين ، ٥ حاملات طائرات ، ٦ حاملات حراسة، ٧ طرادات ثقيلة ، ٣ طرادات خفيفة ، ٧١ مدمرة ، ١١ مدمرة حراسة ، ٥٢ غواصة ، ٣ زارعات الغام ، ٢٤ كاسحة الغام ، ١٨ مطاردة غواصات ، ١٢ زورقاً مسلحاً ، ١٥ سفينة حراسة سواحل ، ٣ سفن اصلاح طائرات مائية ، ٦٩ زورق طوربيد ، ٤٠ سفينة انزال دبابات ، ٩ سفن انزال متوسطة ، ٦٧ مركب انزال دبابات ، ٢٢ مركب انزال مشاة ، ٦ مراكب انزال امدادات ، ١٠ قاطرات ، ٦ ناقلات نفط ، ٢١ ناقلة جنود ، ٣٦ مركب انزال اقليمي ، ١٥٢ مركباً اقليمياً من مختلف الانواع ، ٤ سفن شحن بضائع ، و٢٢ سفينة مساعدة من مختلف الانواع .

واما الخسائر البحرية البريطـــانية فكانت : ٥ سفن رئيسية (بوارج وطرادات ثقيلة) ، ٨ حاملات طائرات ، ٢٦ طراداً ، ١٢٨ مدمرة ، ٧٧ غواصة ، ١٦ سفينة تجارية مسلحة ، ٤١ سفينة حراسة كبيرة ، ٥١ كاسحة الغام ، ٢٤٠ قارب صيد ، ٤٨ صندلا ، ٦ زارعات الغام ، ١٠ يخوت ، ٧٠ قارباً مسلحاً ، ٣ مراكب صغيرة ، سفينة حربية مدرعة واحدة ، ٦٣ قارباً صغيراً مساعداً . كما خسرت دول الكومنولث ٣ طرادات ، و١٠ مدمرات، و١٤ سفينة حربية كبيرة، و١٠ كاسحات الغام ، وقاربي صيد ، بالاضافة الى ٧ مراكب صغيرة من مختلف الانواع .

اما اليابان ، فبالاضافة لخسارة ٦ ١٣٠ ٠٠٠ طن من السفن التجارية ، فقد خسر اسطولها الحربي : ١١ بارجة ، و١٥ حاملة طائرات ، و٥ حاملات طائرات حراسة ، و١٦ طراداً ثقيلا ، و٢٠ طراداً خفيفاً ، وطرادي تدريب ، و١٣٥ مدمرة .

وبلغت الخسائر البحرية للدول المحايدة ٠٠٠ ٤٢٠ ١ طن ، أصيب ٠٠٠ ٩٣٠ طن منها بالغواصات ، و ٠٠٠ ٢٧٠ طن بالالغام .

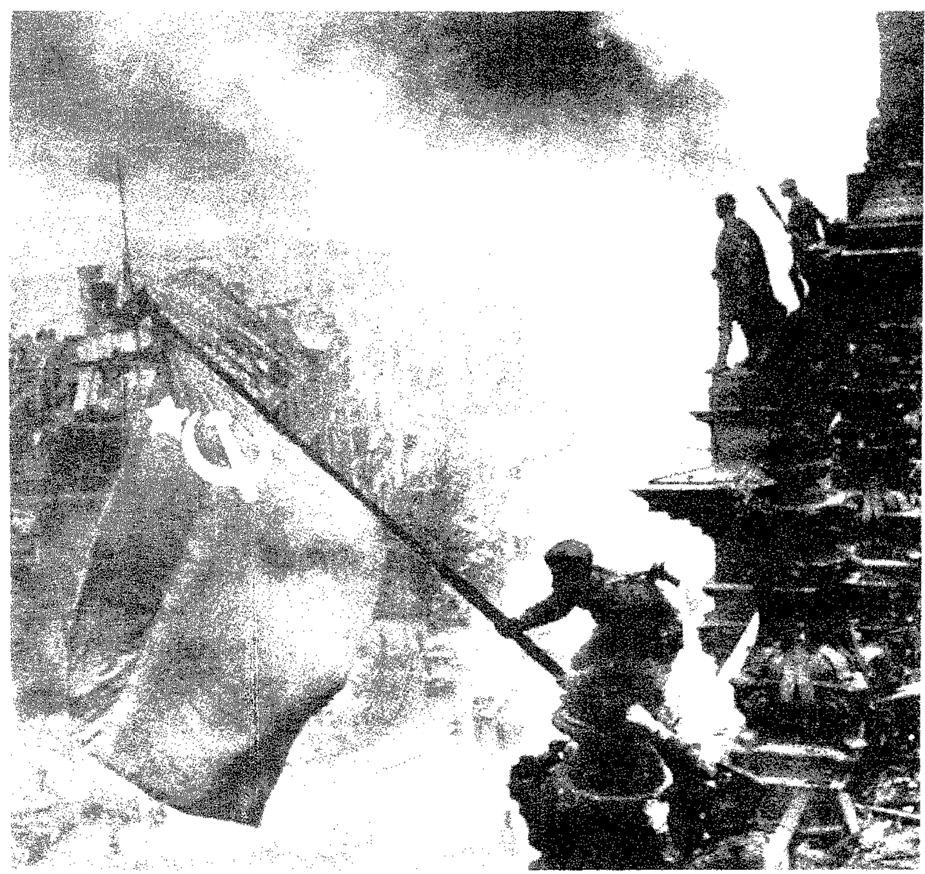
د – الخسائر البشرية : بلغت الخسائر البشرية خلال الحرب العالمية الثانية حجماً فاق الخسائر البشرية في كل الحروب التي سبقتها او لحقتها في تاريخ البشرية . وتقدر الاحصاءات عدد القتلى فقط إبان هذه الحرب كما هو مبين في الجدول التالي :

البلد	عدد القتلى
الاتحاد السوفياتي	٢٠,٠٠٠,٠٠٠
بولونيا	٥,٤٦٦,٠٠٠
المانيا	٥,٠٠٠,٠٠٠
الصين (١٩٣٧ – ١٩٤١)	١,٧٥٠,٠٠٠
يوغوسلافيا	١,٧٠٠,٠٠٠
اليابان	١,٦٠٠,٠٠٠
رومانيا	٧٧٠,٠٠٠
بريطانيا	٦٦٥,٠٠٠
فرنسا	٦٢٠,٠٠٠
ايطاليا	٥٧٠,٠٠٠
اليونان	٥٥٠,٠٠٠
تشيكوسلوفاكيا	٨٥٠,٠٠٠
النمسا	٣٤٧,٠٠٠
هنغاريا	٣٩٠,٠٠٠
الولايات المتحدة	٣٦٧,٠٠٠
هولندا	٢٥٥,٠٠٠
بلجيكا	١٦٠,٠٠٠
فنلندا	٩٧,٠٠٠
بلغاريا	٣٢,٠٠٠
النرويج	٩,٠٠٠
الدانمارك	٣,٠٠٠
المجموع	٨٠ مليـونـاً

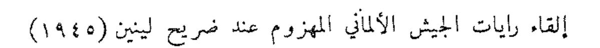
نتائج الحرب العالمية الثانية : كان للحرب العالمية الثانية نتائج هامة في مختلف انحاء العالم يمكن ايجازها بالنقاط التالية :

١ – تقسيم المانيا الى دولتين : المانيا الشرقية الديموقراطية الخاضعة للنفوذ الشيوعي، والمانيا الغربية الاتحادية الخاضعة للنفوذ الاميركي الفرنسي الانكليزي .

٢ – توسع الاتحاد السوفياتي نحو الغرب في اوروبا وظهور المعسكر الشيوعي المؤلف من : الاتحاد



جنود سوفيات يرفعون العلم فوق الرايخستاغ (١٩٤٥)



إلقاء رايات الجيش الألماني المهزوم عند ضريح لينين (١٩٤٥)



السوفياتي ، وبولونيا ، والمانيا الشرقية ، والمجر وتشيكوسلوفاكيا ، ورومانيا ، وبلغاريا ، ويوغوسلافيا ، والبانيا (انسحبت يوغوسلافيا بعد ذلك سنة ١٩٤٩) .

٣ – تحول النمسا الى دولة محايدة .

٤ – ضعف فرنسا وانكلترا بسبب ويلات الحرب ، وبدء خسارتهما لمستعمراتهما في العالم .

٥ – خروج الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية مسيطرين على مقدرات العالم .

٦ – تصفية الاستعمار القديم وأساليبه ، وحلول الاستعمار الجديد محله ، وبدء ظهور العالم الثالث .

٧ – قيام هيئة الامم المتحدة ومؤسساتها المختلفة .

المؤتمرات :

عقد الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية عدة مؤتمرات لتنظيم متطلبات الحرب وفقاً لتطور ظروفها ، واهم هذه المؤتمرات :

١ – مؤتمر الدار البيضاء : (Casablanca) في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٤٣ بين الرئيس الأميركي روزفلت ، ورئيس وزراء بريطانيا تشرشل ، ودعي الى المؤتمر ستالين ولكنه اعتذر بسبب الحرب في الاتحاد السوفياتي ، وقرر المؤتمر أن غاية الحلفاء هي في استسلام المانيا وايطاليا واليابان بدون قيد او شرط (انظر الدار البيضاء « مؤتمر » ١٩٤٣) .

٢ – مؤتمر طهران : عقد هذا المؤتمر في تشرين الثاني (نوفبر) سنة ١٩٤٣ وحضره الزعماء الثلاثة : روزفلت ، تشرشل ، ستالين ، واتفقوا على تدمير المصانع الحربية الالمانية بعد الحرب ، وحل الحزب النازي ، ومحاكمة زعمائه ، والقضاء على النزعة العسكرية الالمانية ، وانشاء مناطق مراقبة في المانيا ، وفرض تعويضات حرب ضخمة على الالمان . (انظر طهران « مؤتمر » ١٩٤٣) .

٣ – مؤتمر يالطا : عقد هذا المؤتمر في يالطا في شبه جزيرة القرم ، بناء على طلب ستالين في شباط (فبراير) سنة ١٩٤٥ ، وقرر تقسيم المانيا بعد احتلالها الى اربع مناطق : تعطى منطقة واحدة الى كل من الدول الحليفة الاربع : روسيا ، واميركا ، وانكلترا ، وفرنسا ، وانشاء لجنة عليا حليفة لادارة المناطق الالمانية يكون مقرها برلين ، وتحديد بولونيا ، ودخول الاتحاد السوفياتي الى هيئة الامم (انظر يالطا « مؤتمر » ١٩٤٥) .



مراسم توقيع استسلام اليابان على الطراد ميسوري في خليج طوكيو (١٩٤٥)

المارشال الالماني كيتل يوقع وثيقة الاستسلام (١٩٤٥)



٤ – مؤتمر بوتسدام : عقد في « بوتسدام » (برلين) في ١٧ تموز (يوليو) ١٩٤٥ بعد استسلام المانيا وحضره ستالين وتشرشل وترومان الرئيس الاميركي بعد روزفلت ، ثم أكمل المؤتمر « كليمانت اتلي » رئيس الوزراء الانكليزي بعد سقوط تشرشل في الانتخابات النيابية الانكليزية . وقرر المؤتمر إعادة المانيا الى النظام الفدرالي الاتحادي ، وتنظيم مجلس الاشراف الاعلى على المانيا ، وتنظيم معاهدات الصلح مع الدول المغلوبة (انظر بوتسدام « مؤتمر » ١٩٤٥) .

(٨) الحرب العربية – الإسرائيلية

هو الاسم الذي يطلق على الصراعات المسلحة الكبيرة التي اندلعت منذ العام ١٩٤٨ بين الدولة الصهيونية وعدد من الدول العربية . وهي تتميز عن الحركات الثورية في فلسطين في أن العنصر العربي (غير الفلسطيني) كان فيها واضحاً وأساسياً . ولا يعطي الاسم السمة الصحيحة لهذه الحروب ، لأن الدول العربية لم تشارك مجتمعة في أي حرب منها ، بل كانت جميع الحروب بين اسرائيل من جهة ، وبعض الدول العربية من جهة ثانية . كما أن تدخل العامل الخارجي كان في الحرب الثانية (١٩٥٦) كبير الأهمية (بريطانيا وفرنسا) .

(٨) الحرب العربية – الاسرائيلية الأولى (١٩٤٨)

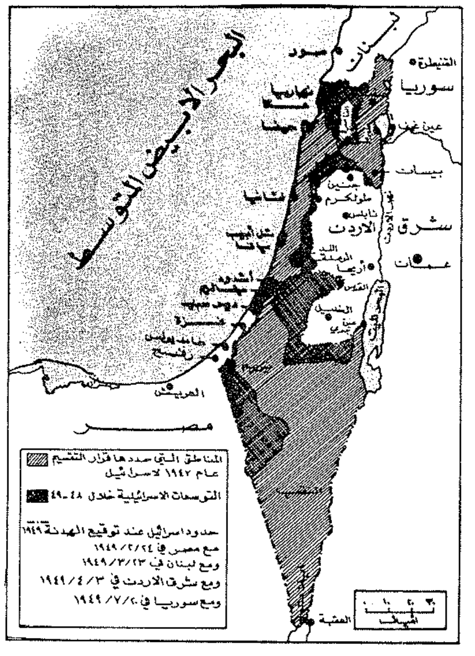
هي الحرب التي بدأت بدخول قوات عربية تابعة لمصر وسوريا والاردن والعراق ولبنان والسعودية واليمن أرض فلسطين ، بهدف إعاقة قيام الكيان الاسرائيلي فوق أرض فلسطين العربية ، وذلك في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ ، وانتهت بعقد اتفاقيات فردية للهدنة مع الكيان الاسرائيلي . وقد تخللت هذه الحرب هدنتان عرفتا باسم (الهدنة الأولى والهدنة الثانية) .

وتميزت هذه الحرب ، رغم ضراوة الأعمال القتالية في بعض صفحاتها ، بهيمنة الطابع السياسي على مسيرة الأعمال القتالية . وقد وقف في هذا الصراع الى جانب الجيوش العربية ، قوات من المتطوعين والقوات غير النظامية مثل جيش الانقاذ وجيش الجهاد المقدس (انظر جيش الانقاذ وجيش الجهاد المقدس) ، علاوة على دعم المواطنين الفلسطينيين العرب ، وذلك في مجابهة المنظمات الصهيونية الارهابية التي تحولت إلى جيش نظامي مدعم بوحدات محلية .

الوضع السياسي الذي أدى الى الحرب : في ٢٨ نيسان (أبريل) ١٩٤٧ ، عقدت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة جلسة لمناقشة طلب بريطانيا الموجه الى الأمين العام للأمم المتحدة والذي تعلن فيه تخليها عن الانتداب . وتم تأليف لجنة دولية للتحقيق وضعت تقريرها بعد أربعة أشهر وفيه توصياتها وهي : ١ – ضرورة انهاء الانتداب على فلسطين ومنحها الاستقلال في أعقاب فترة انتقال قصيرة تكون السلطة أو السلطات المحلية فيها مسؤولة أمام الأمم المتحدة ويكون النظام الأساسي للدولة ، أو الدولتين ، والدستور ، قائمة على أسس ديمقراطية تمثيلية تحترم فيها مبادئ حقوق الانسان ، وحقوق الأقليات ، ويحافظ فيها على وحدة اقتصادية لجميع أجزاء فلسطين ، ٢ – إبقاء الصفة الدينية لجميع الأماكن المقدسة ، ٣ – اعتماد الوسائل السلمية فقط لاقرار أي حل واستبعاد القوة والتهديد ، ٤ – تقسيم فلسطين الى دولة عربية وأخرى يهودية .

وقد اختلف الأعضاء في مدى العلاقة بين هاتين الدولتين ، فقدمت اللجنة مشروعين للدولتين المقترحتين في فلسطين ، عرف الأول بمشروع الأكثرية وعرف الثاني بمشروع الأقلية . وكان مشروع الأكثرية يقضي بتقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق : ١ – المنطقة العربية : وتتألف من الجليل الغربي ، ومنطقة نابلس الجبلية ، والسهل الساحلي

قرار التقسيم (١٩٤٧) والتوسع الإسرائيلي



الممتد من أسدود حتى الحدود المصرية ، بما في ذلك منطقة الخليل وجبل القدس وغور الأردن الجنوبي وتبلغ مساحة هذه المنطقة اثني عشر ألف كيلومتر مربع يقطنها ٦٦١ ألف نسمة منهم ١١ ألف يهودي و ٦٥٠ ألف عربي ، ويملك اليهود فيها مائة كيلومتر مربع فقط ، بينما يملك العرب الباقي ، ٢ – المنطقة اليهودية : وتتألف من الجليل الشرقي ، ومرج بن عامر ، والقسم الأكبر من السهل الساحلي ومنطقة بئر السبع والنقب ، وتبلغ مساحة هذه المنطقة التي تعتبر أخصب أراضي فلسطين ١٤٢٠٠ كيلومتر مربع ، ويقطنها ٩٩٠ ألف نسمة منهم ٥٣٠ ألف يهودي و ٤٦٠ ألف عربي ، ويملك العرب ثلثي مجموع مساحة أراضي هذه المنطقة وعقاراتها . وأوصت الأكثرية بإنشاء دولتين مستقلتين في هاتين المنطقتين بعد مرحلة انتقال حددت بسنتين ، تتولى بريطانيا خلالهما ادارة فلسطين تحت إشراف الأمم المتحدة . كما أوصت بضرورة قبول ١٥٠ ألف مهاجر يهودي للدولة اليهودية خلال فترة الانتقال ، وإذا زادت هذه الفترة يسمح بادخال ٦٠ ألف يهودي في كل سنة ، وأوصت كذلك بإنشاء اتحاد اقتصادي وجمركي في المرافق العامة بين الدولتين . ٣ – الأماكن المقدسة : وتشمل مدينة القدس ومنطقتها ، وتوضع تحت نظام الوصاية الدولية ، ويعين مجلس الوصاية للأمم المتحدة حاكماً لهذه المنطقة من غير العرب واليهود ، وكان يقطنها ١٥٠ ألف عربي و ١٠٠ ألف يهودي .

أما مشروع الأقلية فقد اكد على أن تكون الحكومتان العربية واليهودية مستقلتين استقلالا ذاتياً ، وتتألف منهما دولة اتحادية باسم دولة فلسطين ، يتولى إدارة الشؤون السياسية والاقتصادية والعسكرية فيها مجلس اتحادي يتولى انتخاب رئيس دولة واحد ، ويشرع دستوراً واحداً ، ويقرر رعوية فلسطينية واحدة ، ويعالج شؤون الهجرة اليهودية الى المنطقة اليهودية فقط ، على أن تكون في نطاق قدرة البلاد على الاستيعاب .

وهكذا اتفقت الاقلية والاكثرية على تقسيم فلسطين ، وعلى انشاء دولة اسرائيل . وكان اختلافهما فقط في تحديد العلاقة بين الدولتين . فالأكثرية أرادته تقسيماً يتوافق ورغبة بريطانيا ومشاريعها القديمة ، بينما ارادته الأقلية تقسيماً ضمن دولة فلسطينية اتحادية . وقد أوصى الفريقان ببقاء الادارة البريطانية خلال الفترة الانتقالية لتتولى ،

تحت إشراف الأمم المتحدة ، ادخال المهاجرين اليهود.

واستقبل اليهود قرار الأكثرية بالارتياح ولو أنهم تظاهروا بالمعارضة الشكلية لعدم شمول دولتهم كامل فلسطين ، وكذلك فعلت الولايات المتحدة ، وراحت بالاشتراك مع الصهيونية تعد العدة لانجاح المشروع في الأمم المتحدة . أما بريطانيا فقد تظاهرت بالصمت والحياد ، وان كانت الدوائر الاميركية والصهيونية قد أشاعت آنذاك بأنها تريد ضم منطقة النقب الى شرقي الأردن لضمان أهدافها الاستراتيجية . وأثار قرار اللجنة بشقيه ثائرة العرب ومخاوفهم ، فعقدت الاجتماعات الرسمية والشعبية في فلسطين وفي كل بلد عربي ، واتخذت عدة مقررات واجراءات لمجابهة **تقسيم فلسطين** . وبعد أن قدمت اللجنة تقريرها ، عقدت الأمم المتحدة في ٢٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٧ ، جلسة خاصة لدراسة التقرير . وقررت الهيئة العامة إحالة تقرير اللجنة على هيئة خاصة ألفتها لهذا الغرض ، وتمثلت فيها كل الدول الأعضاء ، وسمح لمندوب فلسطيني عربي وآخر يهودي بطرح وجهات نظرهما أمامها . وقدمت هذه الهيئة الثانية مشروعاً يتلخص بانشاء حكومة مركزية واحدة تتولى مرحلياً ادارة عموم فلسطين ، على أن يتم الجلاء الانكليزي عن البلاد خلال سنة واحدة ، ولا يبدأ الا بعد قيام هذه الحكومة . وفي خلال هذه الفترة توقف الهجرة اليهودية بصورة كاملة ، وتبقى قوانين الأراضي سارية المفعول على أن تعالج مشكلة اليهود بمقتضى اتفاقيات دولية . وبعد ذلك تجري الحكومة المؤقتة انتخابات عامة لجمعية تأسيسية تضع دستوراً ديمقراطياً يضمن وحدة فلسطين واستقلالها ، وتمتع جميع رعاياها بالحقوق والواجبات .

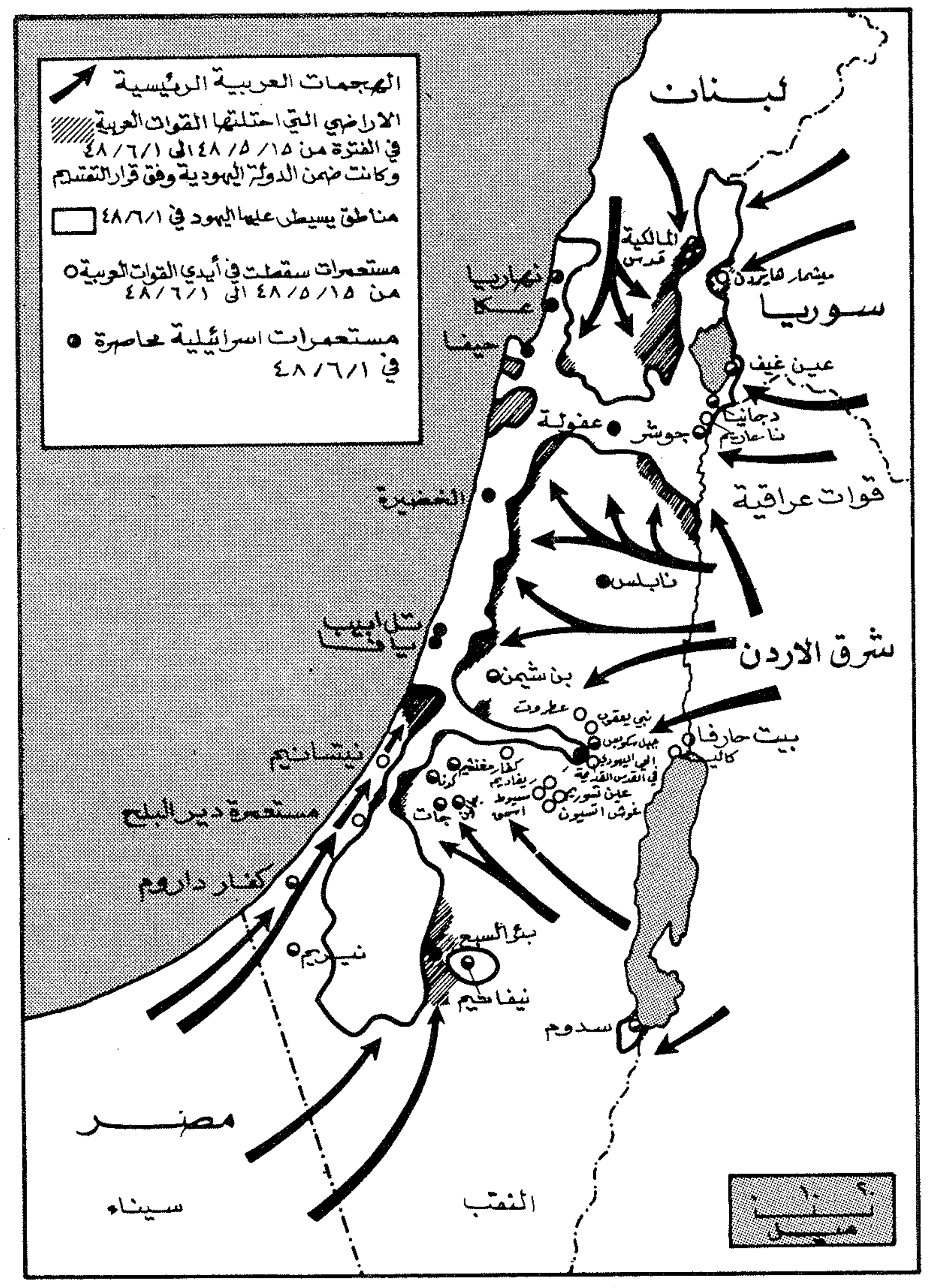
طرح هذا المشروع على التصويت في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، وسقط بالأكثرية (وكانت الدول العربية قد اعتمدت هذا المشروع وأيدته) . وفي ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، عرض مشروع الاكثرية ففاز بأكثرية الأصوات . وفي ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) طرح مشروع التقسيم للاقتراع فقبل بأغلبية ٣٣ صوتاً وعارضه ١٣ صوتاً . وجاء قرار التقسيم صدمة عنيفة للعرب فقد وجدوا أنفسهم فجأة وحيدين في المعركة دون حلفاء ، بعد أن اتفقت دول العالم على تقسيم فلسطين وقيام اسرائيل ، فأعلنوا بطلان القرار لمخالفته ميثاق المنظمة ، وهددوا بمقاومته بالقوة . وكان عرب فلسطين أسرع من غيرهم في مقاومة القرار ، فهاجموا القوات الانكليزية واليهودية على حد سواء في جميع أنحاء فلسطين ، واشتبكوا في مصادمات ومعارك دامية مع المستعمرين والغزاة ، رغم ضعف تنظيمهم وبدائية تسليحهم . وعمت المظاهرات جميع انحاء العالم العربي . وفي غمرة الهياج والانتظار ، دعت الجامعة العربية الى اجتماع يعقد في القاهرة يوم ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٨ ، حضره رؤساء وزارات الدول العربية ، وأعلن في ختام الاجتماع بيان جاء فيه : ان الحكومات العربية لا تقر قرار الأمم المتحدة ، وتعتبر التقسيم باطلا من أساسه ، وهي تقف الى جانب استقلال فلسطين وسيادتها ، وستتخذ من التدابير الحاسمة ما هو كفيل باحباط مشروع التقسيم وخوض المعركة من أجل ذلك .

كان هناك ، وقبل الوصول الى هذا القرار ، اجتماع قد عقد في صوفر (لبنان) في ١٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٧ ، تقرر فيه تقديم أقصى ما يمكن من الدعم العاجل لأهل فلسطين من سلاح ومال ورجال في حالة تقرير التقسيم . كما كان قد تقرر في مؤتمر عاليه (لبنان) في ١٥ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٧ تقديم ما لا يقل عن عشرة آلاف بندقية مع ما تحتاج اليه من ذخيرة الى أهل فلسطين ، وتأليف لجنة عسكرية لاعداد وتنظيم الدفاع عن عروبة فلسطين . فكان كل ما أضافه مجلس الجامعة العربية على قراراته السابقة هو تقدير عدد الرجال الذين يجب ارسالهم الى فلسطين بثلاثة آلاف متطوع ، تتولى لجنة الجامعة العربية العسكرية توزيعهم على جبهات فلسطين .

خلال هذه الفترة من الصراع السياسي ، أكملت القوة اليهودية في فلسطين استعداداتها لتنفيذ المخططات الصهيونية ، واستطاعت تكوين عدة منظمات عسكرية هي: الهاغاناه (٨٠ ألفاً)، الأرغون (١٥٠٠ - ١٦٠٠ مقاتل)، شتيرن (١٥٠٠ - ٢٠٠٠ مقاتل)، البالماخ (٣٥٠٠ مقاتل) . وكانت هذه المنظمات المختلفة متفقة في اساليب عملها على تحويل المدن والمستوطنات الى قلاع قوية من الناحية الدفاعية ، وإحاطة العمل في المستوطنات بنطاق من السرية المطلقة ، وجعلها تحقق الاكتفاء الذاتي في التسلح والمواد التموينية للدفاع عن نفسها لمدة طويلة . وبفضل هذا التنظيم ، وبدعم من سلطات الانتداب ، أمكن تطوير التسلح عند الصهاينة ، وأمكن إقامة مصانع لانتاج رشاشات (ستن) البريطانية ، ومدافع الهاون عيار ٢ و ٣ بوصة وذخائرها ، وقاذفات اللهب الخفيفة ، ومدافع بيات المضادة للدروع ، واستطاعت هذه المصانع أن تنتج حتى عشية الحرب العربية الاسرائيلية الأولى (١٩٤٨) ١٠٠ رشاش خفيف يومياً (ارتفعت بعد نيسان (ابريل) ١٩٤٨ الى ٢٠٠ رشاش يومياً ، و ٤٠٠

المجاهد عبد القادر الحسيني مع لفيف من مقاتلي جيش الجهاد المقدس





التحركات الأولى للجيوش العربية من ١٥/٥ إلى ١٩٤٨/٦/١

ألف طلقة عيار ٢٣ مم للرشاشات (شهرياً)، و ١٥٠ ألف قنبلة يدوية ميلز، و ٣٠ ألف قذيفة هاون ٣ بوصة. ومقابل هذه القوة الصهيونية وقف جيش الجهاز المقدس (٨ — ١٠ آلاف)، وجيش الانقاذ (٣ — ٤ آلاف مقـاتل)، وقوات المتطوعين المصريين (قوات النمر التي بلغت سريـة مشاة)، ومجموعات المناضلين الفلسطينيين الثابتين في القرى والمدن، كما تقرر أن ترابط قوات من جيوش الدول العربية على حدود فلسطين دون دخولها، والاكتفاء بدعم الفلسطينيين ومساعدة المجاهدين عند الضرورة بالذخائر والضباط وبعض العناصر الفنية حتى يتم جلاء البريطانيين عن البلاد.

ولقد وقع بعد اعلان قرار التقسيم في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ حوادث وصدامات دامية اشتركت فيها المنظمات الصهيونية من جهة، والقوات غير النظامية العربية من جهة أخرى (انظر جيش الجهاد المقدس، وجيش الانقاذ، وقوات النمر، والهاغاناه وشتيرن، والأرغون، والبالمـاخ). وكان البريطانيون يتظاهرون خلال المصادمات بالوقوف على الحياد، ويدعمون عملياً المنظمات الارهابية الصهيونية ويزودونها بالسلاح والذخائر. وفي ١٩ آذار (مارس) ١٩٤٨ عقد مجلس الأمن جلسة استمع فيها الى قرار لجنة التقسيم، وجاء فيه «استحالة العمل وسط القوة والعنف»، وذكر أن السبيل الوحيد أمام هيئة الأمم المتحدة لمعالجة قضية فلسطين هو «ارسال جيش دولي لتنفيذ التقسيم بالقوة أو اهماله نهائياً». وأمام هذا الموقف ونتيجة لمقاومة العرب المتصاعدة، قامت اكثر الدول حماسة لمشروع التقسيم بالتخلي عن مشروعها، واعلن المندوب الأمريكي سحب حكومته لتأييدها لقرار التقسيم، واقترح وضع فلسطين تحت الوصاية، وإعادة القضية للأمم المتحدة، ودعوة الطرفين الى هدنة في فلسطين. وعقدت الجامعة العربية اجتماعاً في نيسان (أبريل) ١٩٤٨ قررت فيه رفض اقتراح وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية، وجاء في قرارها الذي أبلغ الى الأمم المتحدة «ان الوصاية الدولية نظام مؤقت سيزيد اليهود خلاله قوة، ويعطيهم وقتاً لتأمين تفوق لهم على تفوق العرب الحاضر». واشترطت الجـامعة العربية ايضاً لقبول الهدنة في فلسطين الشروط التالية: ١ — حل الهاغاناه، ٢ — وقف الهجرة الى فلسطين، ٣ — تجريد اليهود من السلاح.

وفي الوقت نفسه رفضت الوكالة اليهودية نظام الوصاية الدولية، لأن قرار التقسيم أصبح وثيقة دولية. واشترطت لقبول الهدنة ان لا يكون في قرارها ما يحول دون قيام الدولة اليهودية. وأمام هذا الموقف اتخذ مجلس الأمن في شهر آذار (مارس) القرار التالي: «١ — إعادة القضية للجمعية العامة لإعادة النظر فيها على ضوء التطورات الجديدة، ٢ — دعوة العرب واليهود الى عقد هدنة في فلسطين وتعيين قناصل اميركا وبلجيكا وفرنسا في القدس للاشراف على تنفيذ اقتراح الهدنة، ٣ — دعوة الجمعية العمومية الى دورة استثنائية خاصة تعقد في ١٦ نيسان (أبريل) ١٩٤٨ للنظر مجدداً في قضية فلسطين» ولقد فشلت لجنة الهدنة في مهمتهـا، وأبرقت الى مجلس الأمن باعلان عجزها عن أداء المهمة الموكولة اليها. وخلال هذه الفترة كانت بريطانيا تتابع تنفيذ سياستها لإقامة الكيان عملياً. وعلى الرغم من نداء مجلس الأمن باعادة قضية فلسطين للجمعية العمومية من أجل بحثها مجدداً، وعلى الرغم ايضاً من نداء المجلس الموجه اليها في ١٧ نيسان

(أبريل) ١٩٤٨ للبقاء في فلسطين كدولة منتدبة تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة حتى يتم الوصول الى حل جديد للمشكلة ، وعلى الرغم من المجازر التي اجتاحت جميع انحاء فلسطين في أعقاب فشل جهود لجنة الهدنة الثلاثية ، فقد أصرت بريطانيا على تنفيذ قرارها القاضي بالانسحاب نهـائياً من فلسطين بتاريخ أقصاه يوم ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨. وكانت بريطانيا واثقة من نجاحها في اقرار التقسيم في النهاية ، حتى بعد قرار مجلس الأمن الأخير ، وحتى بعد تغير موقف بعض الدول من قرار التقسيم وانقلابها عليه . ولكنها كانت تشك بقدرتها وقدرة الأمم المتحدة على تنفيذ التقسيم مع وجود المقاومة العربية العنيدة والمتصاعدة . ولذلك،ومن أجل التغلب على العقبات،وضعت بريطانيا مخططاً جديداً يتلخص في تمكين العصابات اليهودية من الاستيلاء على اكبر عدد من القواعد والمواقع والمعسكرات البريطانية في فلسطين اثناء وجودها وبدعم منها ، وتأمين الوسائل الضرورية لإرغام العرب على الجلاء عن المناطق التي رأت بريطانيا أنها ضرورية لقيام الدولة اليهودية ولتحقيق سلامتها ، وانتزاع قيادة الكفاح العربي من الشعب الفلسطيني ومن هيئاته الوطنية ونقله الى قيادة يمكن لبريطانيا توجيهها والهيمنة عليها وعلى تصرفاتها . وتنفيذاً لهذا المخطط بدأت بريطانيـا انسحابها خلال الفترة بين ١٩ شباط (فبراير) ١٩٤٧ و ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨،ولم تتم عملية الانسحاب من المناطق العربية واليهودية بوقت واحد ، وانما بدأت بالجلاء عن المناطق اليهودية ، فجلت أول ما جلت عن منطقة تل أبيب ثم عن المدن والقرى التي يقطنها اليهود . وكانت تسلم سلطات الادارة في هذه المناطق الى الوكالة اليهودية ، كما تسلمها أو تتخلى لها عن المعسكرات والمطارات ومستودعات الذخيرة التي كانت تحتل الأهمية الأولى في فلسطين خلال تلك الفترة . وبذلك هيأت بريطانيا لليهود فرصة تشكيل أداة ادارية وعسكرية قبل ستة أشهر على الأقل من انسحابها الكامـل عن فلسطين ، وأصبحت هذه الادارة تسيطر فعلا على عدد من المعسكرات الحربية البريطانية والمطارات والقـلاع والمراكز مع جميع ما في هذه الأماكن من تجهيزات ومعدات وأسلحة وذخائر . أما في المناطق العربية فقد ظلت جميع القوات البريطانية حتى آخر أيام الموعد المحدد وهي تمارس جميع صلاحياتها ضد الشعب العربي الفلسطيني ، وضد استعداداته العسكرية للدفاع عن نفسه ضد الهجمات المنظمة التي أخذ الصهاينة بشنها ضد العرب ، وقاومت ادخال الأسلحة



جنود صهاينة قبل اندلاع الحرب

الى المناطق العربية كما قاومت دخول المتطوعين من البلاد العربية الى فلسطين . وحدثت خلال هذه الفترة ، وتحت حماية الانتداب البريطاني مجموعة من المذابح الارهابية كان لها دور كبير في تفتيت الروح المعنوية للمقاومة ، واثارة الرأي العام العربي مما دفع الحكومات العربية الى اتخـاذ قرارها في ١٢ نيسان (أبريل) ١٩٤٨ بدخول الجيوش العربية فلسطين لتحريرها . وبدأ العمل لحشد القوات على الجبهات الرئيسية بحيث أصبح ميزان القوى كالتالي مصر ١٠٠٠٠ جندي على جبهة سيناء مقابل ٦٥٠٠ صهيوني ، القدس والمدر ٧٥٠٠ عراقي واردني مقابل قوة مماثلة من الصهاينة ، في الشمال ٣٠٠٠ مقـاتل سوري وألف لبناني و ٢٠٠٠ من جيش الانقاذ مقابل ٥٠٠٠ صهيوني وهذا يشير الى توفر تعادل في ميزان القوى من الناحية البشرية . وعلاوة على

الدوريات البريطانية تضيق على العرب



ذلك فانه لم تكن هناك مخططات لتنسيق عمل القوات العربية في حين كانت قيادة القوات الصهيونية موحدة . وعلى هذا فقد حدد لكل جيش عربي هدف يصل اليه في وقت معين على أن تصدر الأوامر بعد ذلك حسب الموقف . وكانت مخططات القوات واهدافها عشية ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ كالتالي :

١ – الجيش المصري . ويتم حشده عـلى الحدود في منطقة العريش بهدف الاستيلاء على غزة ، وتكلف البحرية المصرية بواجب مراقبة السواحل الفلسطينية وفرض حصار عليها بالتعاون مع القوات الجوية التي تضطلع بواجب دعم القوات الأرضية اثناء عملياتها .

٢ – الجيش الأردني . ويعمل على دعم قواته المرابطة في جسر الشيخ ياسين لتأمين الدفاع عنه . ويدفع قواته لاحتلال نابلس بقوة لواء مشاة واحتلال رام الله بقوة لواء ميكانيكي مع الاحتفاظ بقوة لواء ميكانيكي كاحتياط في منطقة خان الأحمر .

٣ – الجيش العراقي . ويتم حشده في المنطقة بين اربد والحدود بمهمة التقدم على محور اربد – جسر المجامع وتطهير المنطقة من المستعمرات الصهيونية واحتلال رأس جسر عبر الاردن في منطقة جسر المجامع .

٤ – الجيش السوري . وحدد له واجب التقدم على محور الحمة – سمخ وانشاء رأس جسر عبر نهر الاردن .

٥ – الجيش اللبناني . ويحتشد في رأس الناقوره بهدف الاستيلاء على منطقة نهاريا وتطهير المنطقة الكائنة بين الحدود والمستعمرات الصهيونية الموجودة فيها . وبالمقابل ، كان الصهاينة قد أكملوا تنظيمهم وتسليحهم،فتكون لديهم عشرة ألوية اقليمية ، تم توزيعها على النحو التالي :

١ – في الشمال ، ثلاثة ألوية وهي : (يفتاح) أحد ألوية البالماخ ، وكان هو وكل المستعمرات في المنطقة تحت قيادة « ييغال آلون »،وبعد ذلك تحت قيادة « هولاه كوهين » ، ولواء (غولاني) وهو اللواء الأول من ألوية (الهاغاناه) الذي يقوده « موشي مونتاج » ونائبه « ن . جولان » ، ويسيطر على طبريا ووادي الأردن ، ثم اللواء الثاني للهاغاناه بقيادة « موشي كارميل » الذي أصبح فيما بعد قائداً للجبهة الشمالية .

٢ – في الوسط ، قوة لوائين وهما : لواء الكسندروني (ثالث لواء من ألوية الهاغاناه) بقيادة « دان ايفن » الذي يسيطر على جبهة (ناتانيا) ولواء كيرياتي ، (رابع ألوية الهاغاناه) بقيادة « ميخائيل

بن جال » الذي كان يسيطر على (تل أبيب) والمنطقة المحيطة بها.

٣ – في الجنوب، قوة لوائين وهما: لواء جفعاتي (اللواء الخامس للهاغاناه) بقيادة « شيمون أفيدان » ويسيطر على جبهة (راحابوت – أسدود) ولواء النقب (هانيجف) التابع للبالماخ بقيادة « ناحوم ساريج » ويسيطر على أقصى الجنوب.

٤ – منطقة القدس وفيها ثلاثة ألوية: لواء عتسيوني بقيادة « دافيدشالتيل » في منطقة القدس، ولواء (هاري ايل) في ممر القدس، واللواء السابع التابع للهاغاناه والذي شكل للهجوم على (اللطرون) وأسندت قيادته الى « شالوم شامير ».

هنا من الضروري الاشارة الى نقطتين هامتين: اولاهما تتعلق بالعوامل التي اثرت على الموقف العسكري، ومنها تحديد موعد بدء العمليات الحربية مسبقاً بجلاء القوات البريطانية يوم ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨، مما أعاق كل اثر للمباغته. وكانت الجيوش العربية ذاتها تعاني من مشكلات عديدة، اذ كان بعضها خاضعاً للاستعمار. فقيادة الجيش الاردني من البريطانيين، وجيشا مصر والعراق خاضعان لبنود معاهدتين تقيدان تحركاتهما. وكان الجيش السوري والجيش اللبناني حديثي التكوين وضعيفين في عددهما وتسليحهما. وكان الجيش السعودي والجيش الأردني ضعيفين في عددهما وتسليحهما أيضاً. وكان الاستعمار البريطاني يتحكم بموارد التسلح. والنقطة الثانية هي المقررات التي اعلنتها الجامعة العربية في ١٢ نيسان (أبريل) ١٩٤٨ وفيها: ١ – اعتبار الجيوش العربية الوسيلة الوحيدة الصالحة لحماية عرب فلسطين وانقاذ عروبتها، ٢ – حل جميع المنظمات العسكرية الشعبية في فلسطين وايقاف نشاطها وابعادها عن ميدان المعركة، ٣ – عزل جميع الأحزاب والهيئات السياسية الفلسطينية عن مباشرة معالجة قضية فلسطين أو الاشتراك في العمليات العسكرية وترك معالجة القضية كاملة للجامعة العربية أو الجيوش العربية، ٤ – وضع خطة عسكرية مشتركة لجميع تحركات الجيوش العربية في فلسطين، وتكوين هيئة قيادة عامة واختيار القائد الأعلى للجيش الأردني رئيساً لهذه الهيئة، ٥ – إعلان حالة الطوارئ والأحكام العرفية في البلاد العربية بغية حماية المجهود الحربي ومؤخرة الجيوش الزاحفة الى فلسطين، ووضع التشريعات القاسية لضرب الحركات الوطنية تحت شعار مكافحة النشاط الهدام وجواسيس الصهيونية. وبذلك استطاعت بريطانيا احكام قبضتها على تحرك القوات والسيطرة على الموقف والقضاء على كل معارضة.



الجنود المصريون يرمون على نيتسانيم

دخلت الجيوش العربية أرض فلسطين مع منتصف ليل ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨، وكانت تطورات الأعمال القتالية على الجبهات – رغم نقاط الضعف كلها – تسير بصورة جيدة.

المرحلة الأولى ٥/١٥ – ١٩٤٨/٦/١١

الجبهة المصرية: كانت بداية العمليات على الجبهة المصرية الهجوم على مستعمرة الدنجور التي تقع على مرتفع يهيمن على طريق رفح – غزة، والتي تبعد مسافة ٥ كم تقريباً شرق الطريق. وقد هدفت القوات المصرية من احتلالها، حماية محور امدادها وتقدمها. وتم تدمير المستعمرة بنيران المدفعية بينما كانت القوات الرئيسية من مشاة ومدفعية ومدرعات تتقدم في اتجاه غزة، وقامت قوات خفيفة بمحاصرة المستعمرة. وفي مساء يوم ١٥ دخلت القوات المصرية مدينة غزة. وفي فجر يوم ١٦ أيار (مايو). تابعت القوات تقدمها فاصطدمت بمستعمرة (كفار ديروم) الواقعة الى الجنوب من غزة وعلى بعد منها بمسافة ١٦ كم تقريباً. فتم تركيز نيران المدفعية عليها وخصصت قوات المتطوعين لحصارها وتابعت القوات عملها حيث اخذت المدفعية بالتعامل مع مستعمرات العدو الموجودة أمام غزة وهي (بيرى

اقتحام مستعمرة نيتسانيم



وبيرون أسحق، واللاسلكي). وفي هذا اليوم ذاته قامت القوات الجوية المصرية بقصف مستعمرة الدنجور ومطار بتاح تكفا، وميناء تل أبيب. في يوم ١٧ أيار (مايو). صدرت الأوامر الى قوات المتطوعين – بقيادة المقدم أحمد عبد العزيز – بالتقدم الى بئر السبع عن طريق غزة – بئر السبع. فقامت بالتنفيذ واصطدمت بمقاومة شديدة في بركة العمارة، ولكنها تمكنت من التغلب عليها ونجحت في اقتحام المواقع الدفاعية المحيطة بالمدينة ودخلتها بعد ظهر يوم ١٩ أيار (مايو). وفي الوقت ذاته، تقدمت القوات المصرية شرقي بلدة رفح واحتلت العوجه ومنطقة العسلوج بقوات صغيرة، ثم احتلت بئر السبع، بعد ان سيطرت عليها قوات المتطوعين، واتصلت القوات المصرية شمالا بالمتطوعين في بلدة الخليل. وتابعت القوات المصرية بعد ذلك تقدمها على المحور الساحلي حيث اصطدمت بمستعمرة دير سنيد (ياد مردخاي) التي تهيمن على طريق الساحل بين غزة والمجدل، وتم تنظيم الهجوم ضد دير سنيد بقوة الكتيبة الأولى للمشاة وبطاريتي مدفعية عيار ٢٥ رطل وسرية مصفحات وعدد من الطائرات. وفي يوم ١٩ أيار (مايو) ١٩٤٨، بدأت الكتيبة الأولى هجومها ونجحت في احتلال موقع (فيلبوكس) القائم الى جنوب المستعمرة والمهيمن عليها. ولكن عندما حاول جنود المشاة اختراق النقطة ذاتها، صدوا عنها بعد تكبيدهم خسائر فادحة. ونتيجة لهذا الفشل أعادت القيادة المصرية تنظيم قواتها، وزجت في المعركة الكتيبة الاولى والثانية مشاة، وكتيبة مدفعية، وسرية مصفحات ودبابة. وقد لقي الهجوم فشلا أولياً، فأعيد تنظيمه ثانية. وعند الوصول الى انهاك المقاومة ليلا، قرر القائد متابعة المعركة وأمكن في النهاية السيطرة على المستعمرة ورفع العلم المصري فوقها يوم ٢٤ أيار (مايو) ١٩٤٨ (انظر دير سنيد «معركة»).

في الوقت الذي كانت فيه الكتيبة الثانية تخوض معركتها ضد دير سنيد، كلفت الكتيبة الأولى مشاة بالتقدم الى المجدل، في يوم ٢٢ أيار (مايو). واستطاعت الكتيبة أن تسلك طريقاً جانبية، وأن تصل الى المستعمرة وتحتلها دون مقاومة. وفي يوم ٢٤ أيار (مايو) تم احتلال مدينة عراق سويدان. وبذلك سيطرت القوات المصرية على الطريق المؤدية الى المستعمرات اليهودية الجنوبية. ويعتبر هذا أول عمل قامت به القوة المصرية لعزل المستعمرات الموجودة في النقب. وكانت الخطوة التالية هي احتلال اسدود، وقد تم تنظيم الهجوم ضدها بهدف تخفيف الضغط عن الجيش الأردني الذي كان يجابه هجمات قوية

على محور باب الواد – اللطرون . وفي يوم ٢٩ أيار (مايو) تحرك اللواء الثاني (وكان يضم الكتائب الأولى والثانية والتاسعة) في اتجاه اسدود، على ان تبقى الكتيبة الأولى في المجـدل . ووصلت القوات الساتره اسدود صباح يوم ٢٩ أيار (مايو) ، واحتلت مواقع دفاعية شمالي البلدة بحوالي ٤ كيلومترات ، ووصلت المقدمة ظهر اليوم ذاته بعد أن عمل المهندسون على إزالة الألغام المزروعة على محاور الاقتراب . وعندما وصلت الكتيبة الثانية الى ارتفاع مستعمرة نيتسانيم فتحت عليها نـيران الرشاشات واشتبكت معها بعض الوقت ، ثم استمرت الكتيبة في التقدم حتى دخلت أسدود دون مقاومة . وفي اليوم التـالي هاجمت طائرتان اسرائيليتان المصريين ونجحت المدفعية المصريـة في اسقاط احداهـا من طراز مسر شميت . وفي يومي ٢٩ و ٣٠ أيار (مايو) فتحت المدفعية المصرية نيرانها على مستعمرتي نجبا وبيرون. إسحاق ، كما هاجمت القوات الجـوية المصرية المستعمرات الجنوبية ومستعمرة رحابوت ودوروت الحـد من نشاطها ، وقصفت ميناء تـل أبيب . وفي يوم ٣٠ أيار (مايو) قامت القوات الاسرائيلية بهجوم مضاد على المواقع المصرية في أسدود ، غير أنه صد ببسالة ، فركن العدو الى الانسحاب تاركاً خلفه عدداً كبيراً من القتلى . ثم قامت القوات الاسرائيلية بهجوم مضاد ثان على اسدود في اليوم الأول من حزيران (يونيو)، غير أنه رد على أعقابه متكبداً خسائر فادحة . وفي ٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، طلبت قيادة الجيش المصري من قواتها في فلسطين احتلال خط المجدل – الفالوجا – بيت جبرين – الخليل ، وخط أسدود – قسطينه بهدف فصل المستعمرات الجنوبية في النقب عن منطقة شمال فلسطين، وارغام هذه المستعمرات على الاستسلام بعد منع الامدادات عنها من الشمال . فصدرت الأوامر الى الكتيبة الأولى بالتقدم شرقاً لاحتلال الفالوجا وبيت جبرين . وبذلك اندفعت القوات شرقاً لمسافة أربعين كيلومتراً من المجدل ونجحت في احتلال المواقع المحددة لها قبل ان تتمكن القوات الاسرائيلية من الوصول اليها . كما قامت بعض الوحدات بعد ذلك باحتلال دير نحاس وترقوميه بعد أن طردت العدو منها،ثم تابعت تقدمها في اتجاه الخليل لتأمين الاتصال بين المجدل والخليل .

في يوم ٣ حزيران (يونيو) قامت القاذفات المصرية بشن غارة على مستعمرات ريشون ليزيون وجان بافين ومطار تل أبيب ومحطة توليد الكهربـاء فيها، كما استمرت القوات الجوية في معاونة الجيش الأردني في الجبهة التي كان يعمل فيها . ومن الواضح هنا ان القيادة المصرية قد غيرت اتجاهها فعوضاً عن التوجه شمالا حتى تل أبيب تركز الجهد الرئيسي نحو الشرق على محور المجدل – عراق سويدان – الفالوجا – بيت جبرين ، وذلك بسبب خضوع القيادة المصرية لعدد من العوامل منها الضغوط الدولية لإيقاف القتال ، مما حمل هذه القيادة على الاسراع في اكتساب اكبر عدد من المواقع ، ومنها ايضاً الرغبة في تحقيق الاتصال بين القوات المصرية النظامية وقـوة الفدائيين بقيـادة أحمد عبد العزيز التي كانت تتلقى تموينها حتى الآن عن طريق محور طويل وصعب يمتد من العوجه حتى بيت لحم عبر بـئر السبع ، وثالثهـا الرغبـة في دعم عراق سويدان التي كانت تحتل مواقع هامة تلتقي عندها الطرق التي تربط النقب مع شمال فلسطين . وكانت نتيجة المرحلة الأولى على الجبهة المصرية أن نجح المصريون في ارغام العدو على الخروج تماماً من جنوب فلسطين . وكانت العمليات الأخيرة لهذه المرحلة هي عمليات نيتسانيم ونجبا .

كانت مستعمرة نيتسانيم نقطة ارتكاز تنطلق منها القوات الاسرائيلية للهجوم على القوات المصرية في اسدود ، مما يجعل استمرار احتلال العدو لهذه المستعمرة مصدر تهديد دائم وخطر كبير على القوات المصرية .

وضعت خطة الهجوم للاستيلاء على نيتسانيم بحيث يتم تنفيذها على مرحلتين ، يتم في الأولى تقدم المشاة المدعمة بالدبابات الخفيفة لاحتلال الجانب الأيمن من المستعمرة . وفي المرحلة الثانية يتم التقدم من الجانب الأيسر للمستعمرة واحتلال باقي أجزائها . وفي صباح يوم ٧ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ تقدمت الدبابات مقتربة من الجـانب الأيمن للمستعمرة واشتبكت مع الاسرائيليين بالنيران حتى تمكنت من اسكات جميع مواقع الأسلحة ، ثم تقدمت المشاة خلف الدبابات وقامت بفتح ثغرات في الأسلاك الشائكة المحيطة بالمستعمرة واحتلت مواقع الأسلحة وأرغمت العدو على الانسحاب الى الجهة اليسرى من المستعمرة ، وتبع ذلك قيام المشاة والدبابات بسحق المقاومة في الجهة اليسرى . وحوالي الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر اليوم ذاته ، تم الاستيلاء على المستعمرة بعد أن تكبد الاسرائيليون خسائر جسيمة ، وأمكن أسر ١٢٠ جندياً . وبالاستيلاء على مستعمرة (نيتسانيم) تم تأمين القوات المصرية الموجودة بأسدود من العزل عن باقي القوات . وقام العدو بعد ذلك بثلاث محاولات لاسترجاع المستعمرة في يومي ٩ و ١٠ وليل ٩ – ١٠ حزيران (يونيو) وانتهت جميع المحاولات بالفشل وتكبد العدو خسائر فادحة .

وكانت المعركة الضارية الثانية هي معركة (نجبا) حيث كانت هناك مستعمرة اسرائيلية بالقرب من مدينة المجدل على جانب طريق المجدل – بيت جبرين – القدس . وكانت هذه المستعمرة تهدد التحركات المصرية . وعلاوة على ذلك فقد كانت عملية تأمين أجنحة القوات المصرية في المجدل وخط المواصلات في أسدود وفتح الطريق أمام كل تحرك من المجدل شرقاً في اتجاه بيت جبرين والقدس للاتصال بالجيش الأردني ،كل ذلك يفرض بالضرورة احتلال مستعمرة نجبا .

في أول حزيران (يونيو) ١٩٤٨ . صدرت الأوامر الى كتيبة مشاة ، ومعها كتيبة دبابات خفيفة (لوكست) ، وفصيلة من المناضلين العرب ، وبطاريتي مدفعية ميدان ، وبطارية مدفعية مضادة للطائرات بالهجوم على مستعمرة نجبا . وبدأت المدفعية بقصف المستعمرة من منطقة المجدل . وفي يوم ٢ حزيران (يونيو) تابعت المدفعية تركيز نيرانها بشدة على المستعمرة،وتقدمت الموجة الأولى للهجوم ، وفتح المناضلون ثغرة في سياج الاسلاك الشائكة ولكنها لم تكن كافية ، فقامت إحدى الدبابات بفتح ثغرة ثانية تقدمت منها داخل المستعمرة وتبعتها بـاقي الدبابات حيث اشتبكت مع المعاقل ودمرت بعضها . وتمكنت عناصر المشاة الأمامية من احتلال موقع أسلحة واحدة ولم تتمكن باقي الفصيلة من متابعة الدبابات لشدة النيران . وفي الفجر تقدمت الموجة الثانية وأحكمت اغلاق الثغرة،وكان واجبها استغلال نجاح الموجة الأولى واحتلال القطاع الأيمن مـن المستعمرة . ونظراً لاستخدام العدو للمدافع المضادة للمدرعات (بيات) فانها لم تتمكن من دخول المستعمرة . وفي العاشرة صباحاً صدرت الأوامر بالانسحاب بعد أن وصلت معلومات تفيد بأن الاسرائيليون يحشدون قوات كبيرة للقيام بهجوم مضاد على الجانب الأيمن . وبدأ العدو بفتح النار من مدافع الهاون عـلى الدبابات ، فانسحبت القوات المشتركة في العملية تحت ستار نيران الدبابات ، ثم انسحبت هذه تحت ستارة دخانية . وتمت عملية الانسحاب في الثانية والنصف بعد الظهر، وعادت كل القوة الى المجدل .

خلال هـذه العمليات كانت قوات احمد عبد العزيز (الفدائيون) قد وصلت جنوبي القدس بحوالي سبعـة كيلومترات ، واحتلت بيت لحم . واستطاعت في يوم ٢٤ أيار (مايو) ١٩٤٨ تحقيق

الاتصال مع القوات الأردنية .

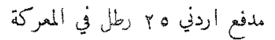
الجبهة الأردنية : بدأت المعارك بين العـدو والمناضلين العرب في القدس الجديدة يوم ١٥ أيار (مايو). وحوصر اليهود في الحي اليهودي من القدس القديمة ، في حين أنهم استولوا على مواقع الجيش البريطاني (مركز البوليس والسجن المركزي والبنك ومختلف الأبنية الرسمية في المسكوبيه) . وفي يوم ١٩٤٨/٥/١٧ وصلت طلائع القوات الأردنية (الفيلق العربي) الى القدس واحتلت شارع المصرارة خارج السور ، كما تقدمت الى باب الخليل . وفي يوم ٥/١٨ تتابع وصول القوات الأردنية ومعها المصفحات التي تمركزت في حي الشيخ جراح مقابل كنيسة (نوتردام). وظل الحي اليهودي يدافع ضد الهجمات الأردنية حتى استسلم وأسر الجيش الأردني الرجال من اليهود، بينما سلم الشيوخ والنساء والأطفال الى قيادة الهاغاناه يوم ٢٨ أيار (مايو) ١٩٤٨

وفي ٤ حزيران (يونيو) هاجم العدو حي الشيخ جراح ، واستمر الهجوم حتى ٩ حزيران (يونيو) ، ولكن هذا الهجوم انتهى بالفشل . وفي الشمال ، أخلى الاسرائيليون مستعمرة عطروت يوم ١٦ أيار (مايو) بينما احتل جيش الانقاذ مستعمرة نبي يعقوب على طريق رام الله ، ثم اتجهت القوات الاسرائيلية لفتح طريق تل أبيب — القدس ، وفك الحصار عن الاحياء اليهودية في القدس الجديدة . وفي ٢٦ أيار (مايو) هاجم العدو اللطرون فصدته القوات الأردنية ، واستمرت هذه المحاولات حتى ٣٠ أيار (مايو) ، حيث استولى الاسرائيليون على باب الواد . وفي ٦ حزيران (يونيو) حولوا اتجاههم نحو فتح طريق جديد يتجنب اللطرون ويمتد من باب الواد الى دير محيش ويسمى (طريق بورما) . وفي يوم ٩ حزيران (يونيو) كرر الاسرائيليون هجومهم على القدس وعلى حي الشيخ جراح لفك الحصار عن جبل المكبر ، ولكن هذا الهجوم مني بالفشل .

الجبهة السورية : قام الجيش السوري بالهجوم المتفق عليه في الوقت المحدد من ١٥ أيار (مايو) وزج قوة لواء واحد في سمخ على الضفة الجنوبية لبحيرة طبريا، وتقدم نحو ١٠ كيلومترات ووصل الى دغانيا وتوقف لأن قواتــه كانت لا تسمح بالتقدم بين المستعمرات . وبينما كانت الطائرات السورية تضرب المستعمرات القائمة في وادي الاردن تساندها الطائرات العراقية ، كانت الطائرات المعادية تقصف قريــة حارب السورية ومعسكر الجيش السوري في تل الأقصر وحشوده في الحمة وفي ضواحي أم قيس . واستخدم الجيش السوري في اليوم الذي احتل فيه سمخ ١٥ مصفحة و ١٠ دبابات وحاملة برن، واقتصر في هجومه على الدبابات تساندها المدافع من بعيد، بينما كانت المشاة في جهــات الكرنتينا وعنــد مفترق الطريق جنوب سمخ. وفي الساعة السادسة من صباح ١٨ أيار بدأ الاسرائيليون انسحابهم من المدينة تاركين عدداً من القتلى بينهم ٣ من القادة أحدهم قائد الحامية والثاني قائد النجدة . وكانت المدفعية السورية تدمر التحصينات وتقصف محاور تقدم قوات الدعم الاسرائيلية الى سمخ ، مثل: محور سمخ — دغانيا ، ومحور سمخ الى مستعمرات فيكيم ومنها الى مسعده وشعار هاغولان . وهذا ما جعل الانسحاب من سمخ صعباً تكبد العدو خلاله خسائر فادحة . وعندما سقطت سمخ بيد السوريين رحلت العائلات الاسرائيلية عن المستعمرات القائمة في وادي الاردن ، بينما راح الشباب اليهودي يجتمعون للدفاع عن المستعمرات . واستمر الصراع بعد ذلك ، واستخدم الاسرائيليون مدافع الهاون على نطاق واسع ، وتمكنوا من تدمير إحدى المصفحات السورية التي كانت تتقدم نحو دغانيا بمحاذاة شاطىء بحــيرة طبريا ، كما دمروا مصفحة اخرى عندما وصلت الى ابواب المستعمرة ، وأحرقوا ثالثة بعد أن نجح رجالها في الوصول الى قلب دغانيا . وطرأ عطل على مصفحتين وقعت إحداهما بيد العدو ، الأمر الذي جعل السوريين يبطؤون في تقدمهم بالمشاة ، ولكنهم تابعوا قصف المستعمرة بالمدفعية والرشاشات الثقيلة التي يضعونها على سطح عمارة البوليس في سمخ ، فكان الاسرائيليون يردون عليها بمدافع الهاون ٣ بوصة

العمليات في قطاع الجيش العراقي (القطــاع الاوسط) : في يوم ١٥ أيار (مايو) هاجم لواء عراقي مستعمرة (جيشر) وتوقف أمامها ، وانسحب الرتل الأول العراقي في يوم ٢٠ أيار (مايو) من جسر المجامع الى السامرة . وأحضر قوات دعم جديدة من العراق . وفي ٢٨ أيار (مايو) هاجم الاسرائيليون بقوة لوائي مشاة من العفوله ، وفي ٢ حزيران (يونيو) قام الجيش العراقي بهجوم مباغت على العدو ، وأوقع في صفوفهم خسائر فادحة غير أن الأوامر صدرت إلى القوات العراقية بعــدم استثمار الظفر والمطاردة . وبالفعل تم التوقف في انتظار موعد الهدنة الأولى ، وتقدمت قوات من المناضلــين الفلسطينيين واستردت القرى العربية غرب منطقة جنين ، وبقي الوضع على حاله حتى انتهاء الهدنة حيث عاود المناضلون الهجوم على العدو وانضمت اليهم القوات العراقية، واستولت على المواقع الاسرائيلية في منطقة جنين الغربية .

ان العرض السابق يظهر ان الجيوش العربية نجحت خلال الأيام الأولى من الحرب في السيطرة على اقسام كبرى من فلسطين ، فكانت الخطوط الامامية المصرية تصل شمالا حتى مدينة بيت لحم ومستعمرة تلبيوت في ضواحي القدس الجنوبية ، والى الغرب حتى حدود منطقة يافا الجنوبية . وسيطر الجيش المصري سيطرة تامة على منطقة النقب الجنوبي وخليج العقبة بأكمله وحتى أطراف البحر الأحمر الشمالية . وسيطر الجيش السوري وجيش الانقاذ على الجليل بأكمله

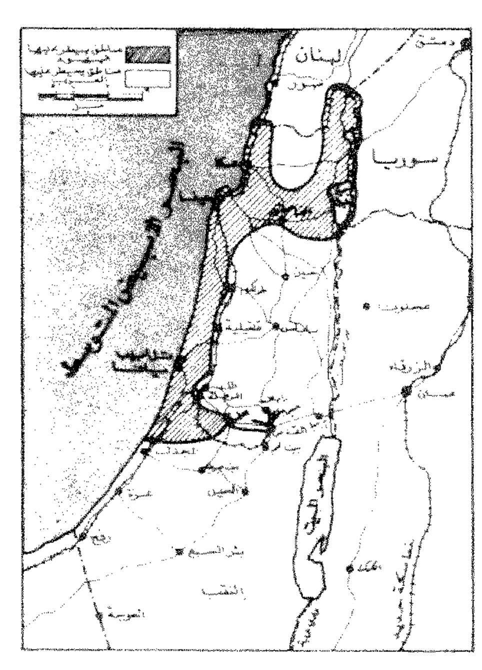


مدفع اردني ٢٥ رطل في المعركة



حتى جنوب بحيرة طبريا،ما عدا بعض المستعمرات في الجليل الشرقي . وكان الجيش اللبناني يقف غير بعيد عن عكا . وكانت خطوط جيش الانقاذ الامامية تمتد الى جنوب قرى مدينة الناصرة . وسيطر الجيش العراقي على قلب فلسطين وأحدق بتل أبيب ، وكانت خطوطه الأمامية من الشمال الى ما وراء مدينة جنين ومن الغرب بيارات طولكرم وقلقيلية على بعد ثمانية أميال من ساحل البحر المتوسط . واحتل الجيش الأردني غور الأردن الجنوبي ومنطقة القدس والقدس القديمة ومنطقة رام الله واللد والرملة حتى التقى بالجيش العراقي في الشمال وبالجيش المصري في الجنوب والغرب .

وكان من السهل على الجيوش العربية احتلال المناطق القليلة الباقية من أرض فلسطين والتي احتلها الاسرائيليون أثناء وجود القوات البريطانية ، لا سيما وأنهم لم يقوموا خلال هذه الفترة بتنظيم مقاومة جديه وفق خطة استراتيجية واضحة بسبب قناعتهم بعدم جدية المعركة من ناحية ، وبسبب اعتقادهم الثابت بنجاح معركتهم السياسية المدعومة من بريطانيا وأميركا بصورة خاصة . ولهذا كان موقفهم سلبياً ، وتمثل بالدفاع في المستعمرات وراء التحصينات ، وحتى هذه المقاومة لم تكن منظمة في إطار نظام دفاعي موحد ، مما ساعد الجيوش العربية على اجتياح المناطق المحددة لها بسرعة . ولكن سرعان ما توقفت اندفاعة الجيوش العربية ، وفي الواقع فقد توقف الجيشان الأردني والعراقي منذ أيام القتال الأولى عند حدود المواقع المحددة لهما ودون تجاوزها الى المنطقة المخصصة للصهاينة في قرار التقسيم . وتردد الجيش الاردني كثيراً قبل أن يستجيب للنداءات العربية في مدينة القدس التي اعتبرها قرار التقسيم دولية . واستغل العدو هذا الاعتبار، وابتعاد الجيوش العربية عنها في أول مراحل القتال ، فأخذ في احتلالها شارعاً بعد شارع ، وحياً بعد حي ، مع تضييق الخناق على آخر الأحياء العربية، التي تجمعت فيها قوى المجاهدين الفلسطينيين . وعندما اضطرت الحكومة الأردنية ، تحت ضغط اعتبارات مختلفة، لنجدة العرب فيها ، اكتفت باحتلال المدينة القديمة فقط ، على الرغم من سيطرتها على منطقة القدس بكاملها ، وعلى الرغم من اندفاع الجيش الأردني لاحتلالها وقدرته التامة على ذلك وحماسته الكبيرة لتنفيذ هذا الواجب . وكذلك فقد توقف الجيش اللبناني ، ولم يحقق أي تقدم يذكر بسبب اصطدامه بسلسلة من المستوطنات المركزة على الحدود الشمالية ، في حين اصطدم الجيش السوري بتحصينات خط ايدن القوي على الحدود السورية الفلسطينية ، والذي



الموقف عند بداية الهدنة الأولى

سلمه الانكليز الى الصهاينة قبل جلائهم .

الهدنة الأولى (١١/٦ - ١٩٤٨/٧/٩)

خلال مرحلة القتال الأولى ، وفي غمرة الذهول من تصرفات بعض الجيوش العربية،وتوقف بعضها الآخر واتخاذه موقف الدفاع دون سبب واضح ، وجد قادة العدو أنفسهم في موقف العزلة بعد أن سيطرت الجيوش العربية على جميع انحاء فلسطين ، فاستنجد هؤلاء القادة بأميركا التي اعلنت « بأن الحالة في فلسطين تهدد السلم وتنذر بالخطر » ، وأسرعت إلى مجلس الأمن مطالبة إياه بالتدخل السريع والحاسم لايقاف القتال ولو بالقوة وتطبيق العقوبات . وكذلك أسرعت بريطانيا ، وعملت على اتخاذ اجراءات مزدوجة ضد العرب وضد تدخلهم العسكري في فلسطين ، فمن جهة راحت تنذر الدول العربية بوقف القتال فوراً وتهددها ان هي استمرت في عملياتها العسكرية ، ومن جهة اخرى فقد لجأت الى مجلس الأمن مطالبة بتدخله ، واحتياطاً لكل موقف مضاد من حليفاتها العربية تحت تأثير ضغط الدول العربية الأخرى و شعوبها ، أكملت اجراءاتها بابلاغ الدول العربية المرتبطة معها بمعاهدات انها ستوقف فوراً تزويدها بالسلاح والعتاد ان لم تستجب لنداء وقف القتال .

وكان مجلس الأمن قد قرر منذ ٢٢ أيار (مايو) ١٩٤٨ ، بناء على اقتراح بريطاني ، توجيه نداء بوقف القتال في فلسطين خلال ٣٦ ساعة تبدأ من منتصف ليل اليوم نفسه . وقد رفض العرب هذا النداء بمذكرة وجهها أمين الجامعة العربية الى مجلس الأمن ، فاستمرت أميركا ومعها بريطانيا في ممارسة الضغوط على مجلس الأمن وعلى الدول العربية مع الاستمرار بالتهديد ، مما دفع مجلس الأمن الى توجيه الدعوة لإيقاف القتال لمدة أربعة أسابيع وفق مشروع بريطاني يتضمن وعداً بعدم ارسال متطوعين أو أسلحة أو اعتدة الى فلسطين خلال هذه الفترة ، وانذار المخالف بتطبيق العقوبات العسكرية والاقتصادية ضده .

في الثاني من حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، ابلغت الجامعة العربية مجلس الأمن عن موافقة الدول العربية على قراره،مع أملها بأن يتمكن الوسيط الدولي الكونت برنادوت الذي عينه المجلس منذ ١٤ أيار (مايو) ١٩٤٨ ، ولجنة الهدنة التي عينها قبل ذلك في ٢٢ نيسان (أبريل) ١٩٤٨،من إيجاد حل عادل لقضية فلسطين . وكان الاسرائيليون قد وافقوا على نداء الهدنة فور صدوره، مع التأكيد على رفض كل حل يتعارض مع واقع دولتهم الجديدة . وفي صباح ١١ حزيران (يونيو) توقف القتال في فلسطين لمدة أربعة أسابيع (وهو التوقف الذي عرف باسم الهدنة الأولى) .

لم يكن لدى اسرائيل خلال المرحلة الأولى من الحرب اكثر من ١١ طائرة للتدريب والرياضة من نوع « تايغر » ، ولهذا فقد ركزت جهدها للافادة من فترة الهدنة لشراء الطائرات المقاتلة ، وطلب الدعم من الطيارين اليهود في جيوش العالم للالتحاق باسرائيل . ونجحت القيادة الاسرائيلية في عقد صفقة مع تشيكوسلوفاكيا لشراء طائرات « سبيتفاير » و « مسر شميت » ، ووصل الى اسرائيل ٢٠ طائرة ، علاوة على ٢٠ طائرة تم نقلها على شكل قطع غيار . ونجح المندوبون السريون وعملاء اسرائيل في شراء ٣ قلاع طائرة من طراز (ب - ١٧) من أميركا وهي قلاع مجهزة بحوالي ١٠-١١ مدفعاً ، علاوة على قدرتها على إلقاء ٤ اطنان من القنابل . وفي مجال التسلح للقوات الارضية حصلت اسرائيل على أسلحة من تشيكوسلوفاكيا وهي ١٠ آلاف بندقية ، و ٤٥٠ مدفعاً رشاشاً ، و ٦ مدافع عيار ٦٥ مم ، ومجموعة مدفعية ٧٥ مم . وقد عملت اسرائيل على استنفار جميع امكاناتها وتعبئة جميع مواردها البشرية للحرب . ومقابل ذلك حاولت بعض الدول العربية - سوريا خاصة - الحصول على الأسلحة ، واستطاعت عقد صفقة مع تشيكوسلوفاكيا بقيمة ١١ مليون دولار لشراء ٨ آلاف بندقية وعشرة ملايين طلقة وكمية من القنابل اليدوية ومختلف انواع الذخائر .



جنود الجيش الأردني في القدس القديمة

واحيطت هذه الصفقة بمجموعة من المؤامرات انتهت بنقل الاسلحة في مياه جزر الدوديكانيز الى سفن اسرائيلية واغراق الباخرة الايطالية (جيرو) التي كانت تنقل الأسلحة .

اثر هذه التدابير تطور موقف اسرائيل ، وأصبح بامكانها الانتقال من مرحلة الدفاع الثابت الى الهجوم خلال المرحلة الثانية من الصراع . ولقد حاولت القوات العربية تطوير موقفها — وبصورة خاصة القوات المصرية — فتقدمت قيادة القوات المصرية ، في أعقاب الموافقة على الهدنة الأولى ، بمذكرة الى رئاسة الجيش تطلب فيها رفع القوة الى فرقة مشاة كاملة ومجموعة لواء مشاة مستقل، مع زيادة حجم القوات المدرعة لتكوين مجموعة مدرعة كاملة ، ودعم الموقف الاداري بجميع عناصره . وعملت قيادة الجيش على تلبية بعض المتطلبات ، فأرسلت كتيبة مشاة وكتيبة مدافع رشاشة من كتائب الاحتياط وسرايا مهندسين ، واكملت بقية أسلحة الدعم للفرقة بحيث أصبحت القوات المصرية بعد فترة قصيرة تضم فرقة مشاة كاملة مع أسلحة الدعم والوحدات الادارية الضرورية للفرقة . وقد حددت واجبات القوات المصرية خلال فترة الهدنة بتأمين خط المواصلات وتطهير المستعمرات المشرفة عليها ثم العمل بعد ذلك بحيث تصبح القوات المصرية مستعدة للتقدم نحو جنوب تل أبيب، في نفس الوقت الذي تكون فيه بقية الجيوش العربية مستعدة لاجراء مثل هذا التقدم من جانبها .

ولم تلتزم القيادة الاسرائيلية بمقررات هيئة مجلس الأمن ، واستغل الاسرائيليون فترة الهدنة الأولى لتحسين موقفهم الحربي وإعادة تنظيم قواتهم مما مكنهم من مجابهة الجيوش العربية في المرحلة الثانية من الحرب بكفاءة . وفي هذا المجال قام الاسرائيليون باحتلال الخط الدفاعي المواجه للخط الذي وصلت اليه القوات المصرية ، مع تأمين تموين المستعمرات الجنوبية والمواقع المعزولة إما بالطائرات أو بأرتال العربات ، والتسلل عبر الخط المصري بين المجدل والخليل ، مع الحصول احياناً على تصريح بذلك من لجنة الهدنة . واتخذت اسرائيل التدابير الضرورية لفتح ثغرة في الخط المصري المجدل ـ الخليل عند استئناف القتال لاعادة الاتصال مع المستعمرات الجنوبية والاستعداد لتطهير طريق القدس — بئر السبع — العسلوج . وقامت باستطلاع المواقع المصرية وذلك عن طريق ارتال التموين أو الطائرات بحجة ارسال تموين للمستعمرات الجنوبية . وتحقيقاً لهذه الغاية . قام الاسرائيليون في يوم ١١ حزيران (يونيو) — وهو نفس يوم إعلان الهدنة — بالهجوم على بلدة العسلوج ، ولم تكن بها قوات عسكرية مصرية كبيرة ، واحتلوا البلدة فعلا ، واستغلوا تعليمات وقف القتال للاحتفاظ بموقعهم فيها . وتقدمت قوات اسرائيلية عسكرية اخرى فاحتلت قرية الجسير شمال الفالوجا ، وبلدة عبديس شمال بيت عفة ، والتبة ٦٩ (تبة الخيش) عند تقاطع الطرق بجوار (عراق سويدان)، وبلدة جوليس على تقاطع الطريق الشرقي وطريق (المجدل — قسطينه) وطردت أهالي هذه البلاد منها ، وجهزت بذلك خطاً دفاعياً في مواجهة الخط المصري ، وأخذت تنظم تحصيناتها ومواقعها . وفي ١٤ حزيران (يونيو) احتلت بعض المصفحات الاسرائيلية بلدة كوكبا بعد أن طردت الأهالي منها وذلك استعداداً لفتح الطريق جوليس — كوكبا — الحليقات عند استئناف القتال . وفي الوقت ذاته كانت تتكرر الاشتباكات بالنيران بين القوات الاسرائيلية والقوات العربية على مختلف الجبهات ، وكان هدف هذه الاشتباكات تغطية اعمال دوريات الاستطلاع الاسرائيلية ، ورفع الروح المعنوية لأفراد المستوطنات . وفي نهاية شهر حزيران (يونيو) أخلى الانكليز ميناء حيفا . مع أنهم كانوا قد أعلنوا أن انسحابهم النهائي منه سيكون في شهر آب (اغسطس) . ولكنهم انسحبوا منه أثناء الهدنة ، ومكنوا الاسرائيليين من الاستيلاء عليه .

وعلى الرغم من تعهدات مجلس الأمن ودوله الكبرى بحظر ارسال الأسلحة والمتطوعين الى أي من الطرفين خلال فترة الهدنة ، فقد بادر الاسرائيليون الى جلب المتطوعين ونقلهم الى فلسطين ، في حين وقفت كل الدول الكبرى في وجه كل محاولة عربية للحصول على السلاح . وطبقت معظم دول العالم بتأثير من بريطانيا وأمريكا، قرار حظر إرسال الأسلحة الى البلدان العربية بكل دقة ، حتى أن الأسلحة التي كان من المقرر ارسالها لبعض الدول العربية من بريطانيا وفق نصوص المعاهدات والاتفاقات ، أوقف ارسالها وحجزت في الموانئ البريطانية . وخلال هذه الفترة كان الوسيط الدولي الكونت برنادوت يمارس دور الوساطة ويضع مقترحاته للعرب واليهود مشترطاً قبولها من الطرفين لتكون أساساً عملياً للتسوية النهائية (انظر برنادوت) . وقد رفض العرب واليهود على السواء هذه المقترحات والتوصيات . فرفضها العرب

لأنهم رأوا فيها اصراراً على تقسيم فلسطين وعلى استمرار الهجرة اليهودية اليها ، الأمر الذي عارضوه دائماً وثاروا ضده وحاربوه مطالبين باستقلال فلسطين وقيام حكومة واحدة على أسس ديمقراطية صحيحة . ورفضها اليهود لأنهم رأوا فيها حداً لأطماعهم ومخططاتهم التوسعية ، ولأنها غيرت في شكل دولتهم كما حددوها وأرادوها في مرحلتها الأولى ، فقد شعروا بعد وقوف دول الاستعمار الى جانبهم علناً في فترة الحرب وخلال مدة الهدنة ما شجعهم على تكوين قناعة بالفوز وتحقيق مطالبهم كلها خلال هذه المرحلة . وحاول اليهود تمديد فترة الهدنة ثلاثين يوماً ، ولكن محاولتهم فشلتهم . وانتهى الأمر الى تجدد الصراع .

المرحلة الثانية (٧/٩ – ١٩٤٨/٧/١٨)

الجبهة المصرية :

بدأت العمليات على الجبهة المصرية في المرحلة الثانية بقيام المصريين ، في ٧ تموز (يوليو) ١٩٤٨ ، بمحاولة احتلال بيت دوراس الواقعة جنوب شرق أسدود ، وكان يوجد حولها تجمعات للعدو في منطقة الصوافير الغربية والصوافير الشرقية . واستطاعت قوات الهجوم اقتحام المستوطنة . ولكن حدث خطأ في اطلاق الشهب المتفق عليها فانسحبت القوة المهاجمة وعاود العدو احتلالها .

وفي يوم ٨ – ٩ تموز (يوليو) دفعت سرية سعودية لاحتلال المرتفعات المحيطة ببلدتي كوكبا والحليقات . ثم قامت كتيبة المشاة الثانية بهجوم على بلدة كوكبا ومعها سرية دبابات وبعض السيارات المدرعة وحققت قوات الهجوم مباغتة تامة ، ونجح المصريون بالاستيلاء على البلدة وتطهيرها في الساعة السابعة من صباح يوم ٩ تموز . ثم تابع قائد كتيبة الهجوم تطوير عمليته ، وأسرع لاحتلال الحليقات . وبعد قتال مرير استمر ساعتين تقريباً انسحبت القوة المعادية . وفي يوم ٩ تموز تابع المصريون هجومهم للاستيلاء على كفار ديروم الواقعة على جانب طريق رفح – غزة أمام بلدة دير البلح . وفي الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٩ تموز (يوليو) ، احتلت كتيبة المشاة الثالثة قواعد الهجوم ومعها جماعتا مدافع هاون ٣ بوصه ، وجماعتا مدافع ٦ رطل ، وجماعة اقتحام ، وجماعتا مدافع رشاشة متوسطة ، وفصيلة مدافع مضادة للدبابات عيار ٦ رطل ، ووحدة مدفعية ميدان خفيف ٣,٧ بوصه ، ومدفعان بوفرز ٤٠ مم . كما اشترك مع هذه القوة ٨٢ من المتطوعين . وبدأ الهجوم ليلا وامكن الانتهاء من عملية الاستيلاء على المستعمرة وتطهيرها في يوم ١٠ تموز (يوليو) . وقد اجريت محاولات لاحتلال بيت عفه وعبديس ونجبا ، وتكبد المصريون خسائر فادحة ، ولكن الاسرائيليين أفادوا من تحصين مواقعهم ودعمها ، ففشلت محاولات الهجوم ، ولم تنجح سوى محاولة الاستيلاء على بيت عفة . وقامت القوات الاسرائيلية بتنظيم هجوم قوي لاستعادة بيت عفه في ظهر يوم ١٤ تموز (يوليو) ولكن هذا الهجوم احبط بقوة ، واعادوا محاولتهم في ليل ١٥ تموز (يوليو) ، وفشلت هذه المحاولة ايضاً . فأعادوا تنظيم قواتهم وطلبوا دعماً جديداً . وفي يوم ١٧ تموز (يوليو) ، تعرضت القوات المصرية للقصف المركز والشديد طوال النهار . وقبل منتصف الليل بقليل قام الاسرائيليون بهجومهم مستخدمين قاذفات اللهب الخفيفة للمرة الأولى . وسقطت بعض المواقع . ولكن القوات المصرية اعادت سد الثغرة ، فقام العدو بهجوم جديد امكن احباطه . وانتهت المعركة في فجر يوم ١٨ تموز (يوليو) ، بأسر أربعة وقتل ٥٦ مقاتلا صهيونياً ، وغنم ٥٥ بندقية ، وأربعة مدافع بيات ، وقاذفتي لهب ، واثني عشر مدفعاً رشاشاً ، وكمية كبيرة من القنابل اليدوية . كما استمرت القوات المصرية بحصار مستعمرة الدنجور ، وحاولت الاستيلاء على مستعمرة بيرون اسحاق ، ولكن القوات انسحبت بعد أن وصلتها بسبب التهديد بهجوم مضاد للقوات الاسرائيلية . كما جرت محاولة احتلال مستعمرة العسلوج في ١٧ تموز (يوليو) ، ولكن المحاولة توقفت عند حدود السيطرة على المستعمرة بالنيران من التلال المجاورة . وقد حاولت القوات الاسرائيلية الاستيلاء على الفالوجا في مساء يوم ١٧ تموز (يوليو) ١٩٤٨ ، بيد أن محاولتها فشلت أمام عناد القوات المصرية ومقاومتها الضارية ، ولكن القوات الاسرائيلية نجحت في الوصول الى كراتيا واحتلالها .

الجبهة الاردنية : بدأت هذه المرحلة باستيلاء الاسرائيليين على اللد والرملة . وكانت القوات العربية المدافعة عن اللد لا تزيد عن ٧٥ مقاتلا من جيش الجهاد المقدس ، و ٦٥٠ مقاتلا من مجاهدي القرى المجاورة ، و ٤٠ جندياً من الجيش العربي الاردني . في حين حشد الاسرائيليون قوة ٥٠٠٠ مقاتل ، اكثرهم من وحدات الصاعقة (البالماخ) مزودين بأحدث الأسلحة ، وكانت كل وحداتهم متحركة مما زاد من مرونتها ونجاح مناوراتها لعزل المدينة بعد تطويقها . واستمرت المعركة يومين خسر فيها العرب ١٣٠٠ قتيل ، استشهد منهم ٨٠٠ في ساعات القتال الأولى



وايزمان يقدم التوراة إلى ترومان

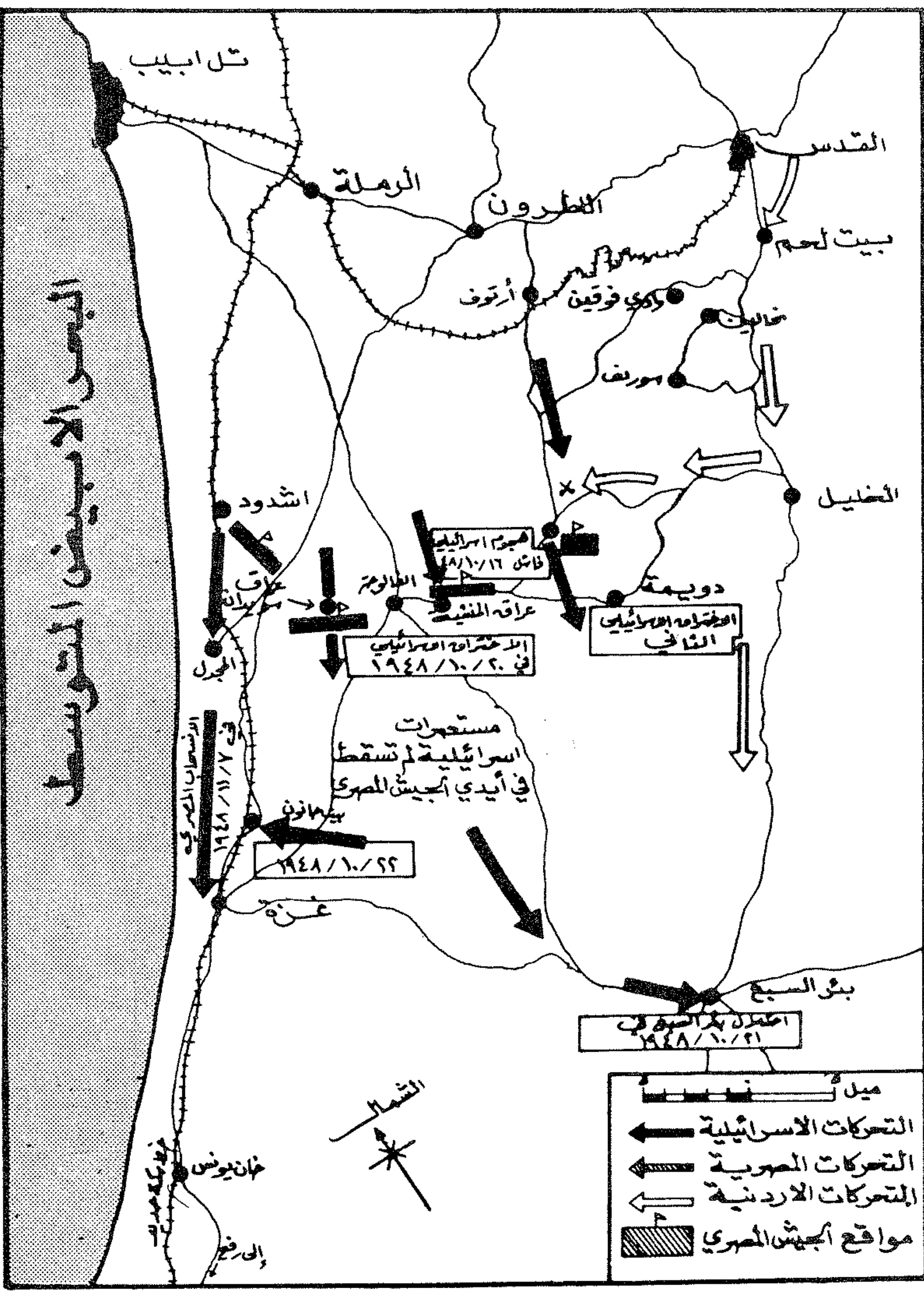


مصفحة إسرائيلية من الغنائم

رسم الحدود الاردنية – الاسرائيلية



علاوة على ٤٢٦ شهيداً قتل اكثرهم في المساجد . ودخل الاسرائيليون اللد مساء ١١ تموز (يوليو) وفي يوم ١٣ تموز ارغم الاسرائيليون بقية السكان العرب على الهجرة . وكان فيها اكثر من ٥٠ ألفاً . وبعد سقوط اللد بساعتين بدأت معركة الرمله ، وكانت بها سرية من الجيش العربي الأردني ، ولكن هذه السرية غادرت الرملة مساء ١١ تموز (يوليو) كما غادرها المجاهدون في منتصف الليل ، ودارت رحى المعركة بين ٥٠٠ جندي مشاة اسرائيلي مع ٤ عربات تحمل رشاشات (برن) وبين فصيلة فقط من الجيش العربي الاردني كانت تحتل عمارة البوليس يدعمها ٥٠ مناضلا . وقد فشل الهجوم الاسرائيلي الأول نتيجة للمقاومة العربية العنيفة ، وترك المهاجمون عرباتهم المدرعة وجرحاهم فوق أرض المعركة . وفي ١٢ تموز (يوليو) تقدمت نجدات كبيرة من الاسرائيليين فطوقت الرمله ، وانسحبت بقية القوة الاردنية ودخل العدو الرمله صباح ١٢ تموز (يوليو) وطرد معظم سكانها العرب . وكانت عملية تسليم اللد والرملة عاملا حاسماً في مسيرة الأعمال القتالية للمرحلة الثانية من الحرب . فالمدينتان لا تبعدان عن تل أبيب اكثر من خمسة عشر كيلومتراً ، وتشكلان موقعاً استراتيجياً هاماً . ولقد أهمل غلوب باشا ، القائد الانكليزي للقوات الاردنية ، عن عمد تحصينها وحشد القوات الكافية فيهما . وكان من نتائج سقوط المدينتين كشف ميمنة الجيش المصري وتهديدها بطريق غير مباشر . وعلاوة على ذلك ، فقد حصل العدو على محور مضمون للاتصال مع القدس مع الاستيلاء على قاعدة جوية هامة (قاعدة اللد) . وكان لسقوط المدينتين بالاضافة الى ذلك أثر نفسي تمثل في احباط الروح المعنوية للمقاتلين العرب على الجبهات جميعها .



عملية الضربات العشر ضد الجيش المصري من ١٥/١٠ إلى ٢١/١١/٤٨

الهدنة الثانية (١٨/٧/١٩٤٠) حتى توقف العمليات الحربية على الجبهة المصرية في (٧/١/١٩٤٩)

في هذه الفترة كان الصراع السياسي مستمراً وتقدمت أمريكا بمشروع هدنة ثانية ، وفرضتها على اعتبار ان الوضع في الشرق الاوسط يشكل خطراً على السلم . ووجهت انــذاراً بفرض العقوبات الاقتصادية على من ينتهك الهدنة . ووافقت الجامعة العربية على الهدنة الثانية التي بدأت في ١٨ تموز (يوليو) ١٩٤٨ . لكن القيادة الاسرائيلية لم تحافظ على شروط الهدنة وقامت بخرقها ، فنظمت هجوماً على الفالوجا في ٢٧–٢٨ تموز (يوليو) ١٩٤٨ . وفشل هذا الهجوم ايضاً . ونظمت القيادة الاسرائيلية هجوماً للاستيلاء على عراق المنشية في ليل ٢٧ تموز (يوليو) وكان نصيبه الفشل . فأخذت في وضع مخطط جديد من اجل فتح الطريق الى الجنوب (النقب) وقامت بتنفيذ (عملية الضربات العشر) و (عملية عين) في الجنوب كما نظمت عملية ضد جيش الانقاذ في الشمال (الجليل الاعلى) عرفت باسم عملية (حيرام) .

العمليات الاسرائيلية بعد الهدنة الثانية :

أ – عملية الضربات العشر Ten Blagues

قامت اسرائيل بعد الهدنة الثانية بمجموعة عمليات على الجبهة المصرية أدت الى احتلال النقب والوصول إلى إيلات على خليج العقبة .

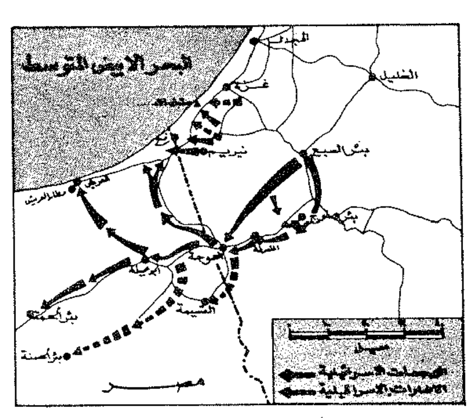
كان الهدف من هذه العملية فتح الطريق الى النقب . وتحديد مواقع انتشار القوات المصرية واستثمار نقاط الضعف في تنظيماتها الدفاعية حتى اقصى الحدود

وعزلها عن موارد امدادها وقطع طرق انسحابها وضرب المراكز الادارية.وقد استطاعت عملية الضربات العشر تحقيق هذه الاهداف كلها وتم تنفيذها في الفترة بين ١٥ – ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ .

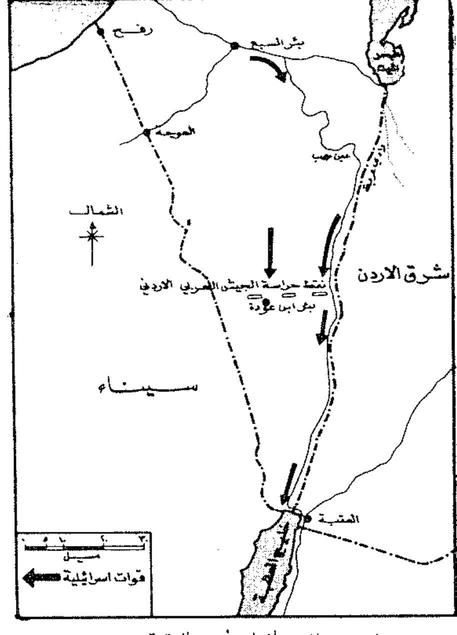
عند ابتداء الهدنة الثانية ، في ١٩٤٨/٧/١٨ ، كانت القوات المصرية لا تزال مسيطرة على مواقعها في الجنوب مشكلة حاجزاً بين المستعمرات الجنوبية في النقب وبين المستعمرات في شمال فلسطين . وذلك عن طريق فرض سيطرتها على محاور التحرك الساحلية الى الشمال من اشدود وإمساكها بمحور العوجـا والعسلوج وبيت لحم ومحور مجدل – بيت جبرين . ووضعت القيادة الاسرائيلية مخططها للقيام بهجمات مباغتة ،مع توجيه هجمات مباشرة ضد كل نقطة تحتلها القوات المصرية . وفي ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) قامت القوة الجوية الاسرائيلية بضرب مطار العريش وبعض الاهداف الاخرى مثل:غزة ، بيت حانون ، المجدل ، الفالوجا،مع تركيز الضربات ضد القوات الجوية المصرية لوضعها خارج المعركة والحد من فاعليتها . وبذلك اصبحت محاور امداد القوات المصرية مهددة . كما اصبحت حركة القوات مقيدة وامكن بذلك عزل قوات مصرية كبيرة وحرمانها من الاشتراك في المعركة . وفي الوقت ذاته انطلقت قوات اسرائيلية للسيطرة على التلال التي لم يحتلها المصريون في منطقة بيت جبرين ، وفي صباح يوم ١٠/١٦ وعلى الرغم من عدم حدوث اشتباك قوي مع القوات المصرية ، فان محاور تحرك القوات المصرية اصبحت مقطوعة في الشمال ومهددة في الغرب ، ثم انطلقت القوات المدرعة والميكانيكية الاسرائيلية نحو عراق المنشية والتل القديم،ودارت المعركة مع المدفعية ، واستطاع المصريون تدمير عدد من الدبابات فاضطرت المشاة الاسرائيلية الى الانسحاب . واستمر الصراع بعد ذلك حول الدفاعات المصرية عند التلال المختلفة . وفي ليل ١٦ – ١٧ استطاع الاسرائيليون اقتحام بعض المواقع والاشتباك مع المصريين بقتال عنيف والاشتباك بالايدي وفي صراع جسم لجسم وامكن للاسرائيليين في النهاية السيطرة على المرتفع ١١٣ مع عدد من المرتفعات الاخرى . وخلال هجوم هذه الليلة كانت قوات اسرائيلية اخرى تهاجم التلال جنوب غرب القدس لتدمير الجناح الايمن المصري . وفي يوم ١٠/١٧ قام المصريون بهجوم مضاد قوي وحاسم بهدف اعادة الاتصال بين المجدل ومنطقة الفالوجه ، واستطاع الاسرائيليون مقاومـة الهجوم المصري واحباطه بفضل تفوقهم في التسلح . وخلال اليومين التاليين ، وبينما كانت القوات المصرية تعزز مواقعها عند عراق سويدان وحتى عراق المنشية ، وهي المنطقة التي عرفت باسم جيب الفالوجة ، كانت القوات الاسرائيلية قد نجحت في احتلال الحليقات في ليل ١٩ – ٢٠ تشرين،واصبح بامكان القوات الاسرائيلية التدفق نحو الجنوب الذي بقي معزولا عن الشمال منذ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ . وحشدت اسرائيل في هذه المنطقة قوة لواء للمحافظة على الاتصال بين النقب وشمال اسرائيل . امام هذا الموقف اضطرت القوات المصرية الى اخلاء منطقة المجدل بعد أن اصبحت محاورهـا مهددة . وتابعت القوات الاسرائيلية هجماتها لتضييق الحصار على المصريين واقتطاع اجزاء جديدة والسيطرة على بيت لحم . وعندما سقطت عراق سويدان في قبضة القوات الاسرائيلية يوم ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ كان جيب المقاومة المصري قد فقد في الواقع اقوى نقطة يمكنه الاستناد اليها .

ب – عملية عين Ayin : اصبحت اوضاع القوات المصرية بعد تدهور الموقف تعتمد على التنظيم دفاعياً . بحيث يستند الجناح الايسر على الطريق الساحلي بعد غزة ، في حين يستند الجناح الأيمن الى طريق العوجه – الخليل حتى بئر العسلوج جنوب غرب بئر السبع . وكانت اجنحة القوات المصرية تلتقي عند محور طريق رفح – العوجه . والذي يمر جزئياً في الحدود المصرية ، ويتفرع عنه بعد ذلك والى مسافة من جنوبي الطريق الذي يصل العريش بأبي عجيله . وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك القوات المعزولة في جيب الفالوجه ، وعلى الرغم من ان موقف القوات المصرية لم يعد يسمح بممارسة اعمال هجومية ، الا انّ قوات الجيش المصري بقيت محافظة على مواقع جيدة .

وقد وضعت اسرائيل مخططها للهجوم على القوات المصرية بطريقة تشابه مخطط هجوم اللنبي (١٩١٧)، وتتلخص في دفع القوات المصرية من الجنوب ، والضغط عليها ، مع توجيه الضربة القوية اليها من الشمال ، مع تجميد اكبر قوة مصرية في القطاع الغربي ، ثم العمل على تدمير الجناح الايمن المصري او ارغامه على الانسحاب ، وفي يوم ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ قامت القوات الجويـة الاسرائيلية بهجمات مركزة على المواقع المصرية في رفح وغزة وخان يونس،ثم فتحت النيران لتدمير المدفعية المصرية على امتداد الجبهة . وفي الليلة ذاتها احتلت القوات الاسرائيلية المرتفعات التي لا تبعد اكثر من ثمانية اميال جنوبي غزة ، مهددة بقطع محور طريق رفح – غزة ، فقامت القيادة المصرية



عملية « عين » ١٩٤٨



التقدم الإسرائيلي نحو العقبة ١٩٤٩

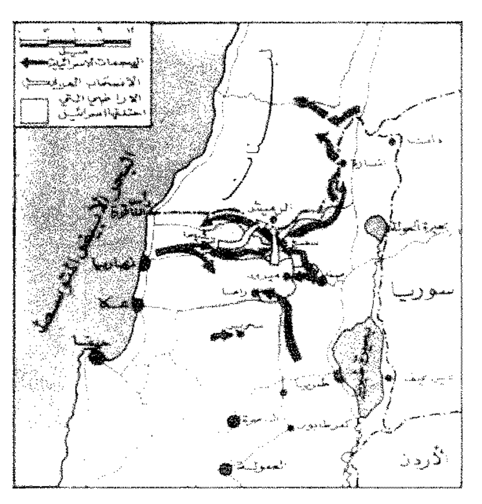
بتنظيم هجوم مضاد قوي مع تعزيز مواقعها في مواجهة القوات الاسرائيلية التي اخذت تهدد منطقة رفح – غزة . وعلى الرغم من نجاح المصريين في طرد القوات الاسرائيلية من المرتفع ٨٦ ، بعد قتال ضار ، إلا أن هذه العملية كانت خداعية بحيث استطاع الهجوم الاسرائيلي من القطاع الشرقي تحقيق المباغتة التامة . واضطرت القوات المصرية للتراجع عن طريق بئر السبع – العوجة واخلاء العوجة ذاتها . واستخدمت القوات الاسرائيلية طريقاً رومانياً قديماً يصل الى ما وراء العوجة ، وبذلك امكن لها تحقيق المباغتة العملياتية . وبهـذه الطريقة اصبحت لدى القيادة الاسرائيلية الورقة السياسية التي تستطيع ان تساوم بها لابتزاز مواقف تدعم من مكانة اسرائيل فوق الارض العربية المحتلة، واصبح بامكانها التصرف بحرية للوصول الى خليج العقبة وأيلات .

ج – عملية احتلال الجليل أو عملية حيرام :
بعد انسحاب جيش الانقاذ بقيادة فوزي القاوقجي الى الجليل الاعلى انتشر على شكل مستطيل يحتل جبهة طولها ١٥ كم وعمقها ١٠ كم ، وعندما اشتدت هجمات القوات الاسرائيلية على القوات المصرية ، قرر القاوقجي القيام بعملية هجوم على المنارة (فوق وادي الحولة ، وعلى ارتفاع ٢٥٠٠ قدم عن سطح البحر). ولكن اسرائيل طبقت اسلوب العمل على الخطوط الداخلية ، ووضعت خطتها على اساس عزل جيش الانقاذ عن قاعدة تموينه في لبنان ، والقيام بهجمات خداعية على قوات القاوقجي لمنع التعاون فيما بينها ، وتوجيه ضربة رئيسية الى احد الالوية والانتقال بعد ذلك الالوية الاخرى . وفي ليل ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) بدأت العملية التي يطلق عليها الاسرائيليون اسم عملية حيرام ، وعلى الرغم من المقاومة الضارية والقتال العنيد فقد نجحت القوات الاسرائيلية في احتلال الجليل الاعلى ، واخراج جيش الانقاذ من فلسطين .

كان الموقف على الجبهات العربية سيئاً نتيجة لتمزق الجبهات . وبدأ معها ظهور مشكلة اللاجئين العرب . فقد قدر عدد المهاجرين بسبعمائة ألف ، تجاوز منهم ٢٥٠ ألف حدود فلسطين ، وتشرد الباقون في المدن والقرى التي كانت لا تزال آمنة .

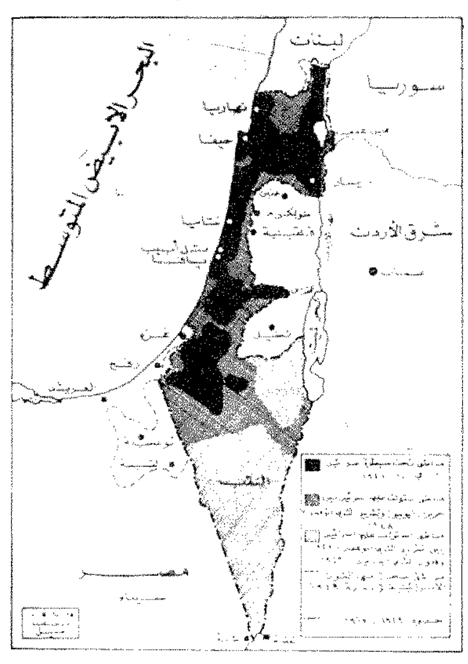
خلال هذه الفترة ، كانت الجهود الدولية تبذل لايقاف الصراع على الجبهة المصرية . وفي يوم ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ ، اصدرت القيادات أوامرها بايقاف اطلاق النيران لجميع القوات اعتباراً من ظهر اليوم نفسه ، ولكن القــوات الاسرائيلية لم تلتزم ايضاً بهذا القرار فعملت ثلاث قطع بحرية اسرائيلية على اغراق السفينة المصرية (فاروق) يوم ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ ، ولم يمض على ايقاف اطلاق النار اكثر من ساعات قليلة . كما قامت بعملية حيرام ضد جيش الانقاذ المذكورة آنفاً . **وبالإضافة إلى هذه العملية ، فقد قام الإسرائيليون بعد وقف القتال – في الفترة الواقعة بين تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ وكانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ – بعملية اتجهت من بئر السبع لاحتلال النقب والوصول إلى خليج العقبة ، بغية فتح منفذ حيوي على البحر الأحمر ، وانتهت العملية بالوصــول إلى قريــة أم الرشراش المصريــة ، الـتي غــدت فيمــا بعــد ميناء « إيــلات » .**

وكان الكونت برنادوت خلال القتال الذي دار بعد بدء الهدنة الثانية يتابع بذل جهوده ومساعيه لوضع حــل يقبل به الطرفــان اساساً للتسوية .



عملية «حيرام» التي نفذها الإسرائيليون ضد جيش الإنقاذ في العام ١٩٤٨

المناطق التي احتلها الإسرائيليون في حرب ١٩٤٨ ، وفي الفترة التي تلت الهدنة الثانية حتى كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ .



وعندما تأكد استحالة قبول العرب لأي حل ينطوي على تقسيم فلسطين ، واستحالة موافقة اليهود على أي اقتراح لا يعترف بدولتهم في فلسطين ، أعد مقترحات جديدة بعث بها بتقرير مفصل من مدينة القدس في يوم ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ . ولكن لم تمض سوى ساعات على ارسال تقريره حتى اغتاله اليهود بحجة محاباته للعرب . وعندما نشر تقريره يوم ٢٠ ايلول (سبتمبر) اتضح انه اقترح تنفيذ تقسيم فلسطين الى دولتين احداهما عربية والاخرى يهودية يجري تحديدهما وفق قرار الامم المتحدة مع عدد من التعديلات (انظر برنادوت) . واستمر الصراع السياسي بعد ذلك حتى انتهى الأمر بعقد اتفاقات هدنة مؤقتة في (رودس) ، (انظر رودس «اتفاقيات ») .

كانت عمليات المرحلة الأولى من الحرب العربية – الاسرائيلية الاولى ناجحة . ورغم جميع المعوقات والظروف غير المتكافئة فقد حارب فيها العرب هجومياً ، في حين قاتل اليهود دفاعياً . وتميزت المرحلة الثانية بوقوف العرب دفاعياً وانتقال اليهود للعمل هجومياً على الخطوط الداخلية ، والانتقال من جبهة الى جبهة بحرية تامة مع ترك ستارة وقائية على الجبهات التي يتم الدفاع عنها . وقد ركزت القوات الاسرائيلية ضربتها ضد الجيش المصري ، واستطاعت حصاره في الفالوجا (انظر الفالوجا) ، واستطاعت تنفيذ مناوراتها بنجاح نتيجة لتشكيلها قوة لوائين مدرعين ولواء مشاة محمولة . وخاضت القوات العربية خلال هذه المرحلة معارك ضارية . ولكن القيود التي فرضتها القيادات السياسية أعاقت مسيرة الاعمال القتالية ، كما ان النقص في التسلح والامداد بالذخائر كان لهما الدور الحاسم في إعاقة الاعمال القتالية . وفي جميع الأحوال ، فقد هيمن الطابع السياسي على الصراع العربي الاسرائيــلي الأول ، بحيث طغت النتائج السياسية للصراع على دور الأعمال القتالية وحجبتها بصورة شبه تامة .

ولقد كان من نتيجة هذه الحرب ضياع جزء من فلسطين تفوق مساحته القسم المخصص لانشاء الدولة اليهودية في قرار التقسيم . وترسيخ اقدام اسرائيل في قلب الوطن العربي . وتحولها الى قاعدة استعمارية أعاقت تطور العالم العربي ووحــدته ، وجعلت الاستقرار في منطقــة الشرق الاوسط قلقاً وقابلا للانفجار . وادت هزيمة الانظمة والجيوش العربية في هذه الحرب الى تصاعد النقمــة الجماهيرية ، واندلاع الثورات والانقلابات للاطاحة باسباب الهزيمة كمدخل للتحرير .

(٤) الحرب العربية ــ الاسرائيلية الثانيــة (العدوان الثلاثي على مصر) ١٩٥٦

منذ أن بــدأت مصر تطبق بشكل صدامي سياستها التحررية الوطنية الهادفة إلى تأكيد استقلالها السياسي والاقتصادي وانمائها القومي عام ١٩٥٥، والتي تمثلت أساساً في التصدي لحلف بغداد، وبدء ممارسة الحياد الايجابي في مؤتمر باندونغ، وكسر احتكار السلاح الغربي الامبريالي المفروض على المنطقة العربية، اخذت كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا في ممارسة ضغوطها السياسية والاقتصادية عليها من أجل ثنيها عن المضي بحزم في طريق التحرر الوطني والقومي، كما انضمت اليهما فرنسا نظراً للدور الذي كانت تلعبه مصر في مساندة الثورة الجزائرية بفاعلية، واتخاذ جبهة التحرير الجزائرية للقاهرة مقراً خارجياً لنشاطهـــا السياسي والاعلامي. ولذلك قامت فرنسا بتزويد اسرائيل بكميات كبير من الاسلحة الحديثة خلال عامي ١٩٥٥ و ١٩٥٦ (تضمنت ٦٠ طائرة مقاتلة طراز «اورغان»، و ٦٠ طائرة مقـاتلة طراز «ميستير ٤»، و ١٠٠ دبابة خفيفة «ام اكس — ١٣»، و ١٥٠ دبابة «شيرمان»، وعدداً من المدافع ذاتية الحركة عيار ١٠٥ مم، و ٣٠٠ عربة مدرعـة نصف مجنزرة «م — ٣»، ومئات من الشاحنات، فضلا عن نحو ١٥٠ مدفعاً مضاداً للدبابات عيار ٧٥ مم، و ١٠٠ مدفع عيار ١٥٥ مم، و ١٠٠٠ بازوكا، و ٢٠٠ صاروخ مضـاد للدبابات «س س — ١٠»، وسرب من طائرات النقل نورد اطلس الخ).

ولذلك اخــذت اسرائيل، خاصة منذ عودة «بن غوريون» إلى الحكم وتوليه وزارة الدفاع في ١٧ شباط (فبراير) ١٩٥٥، في تنشيط سياسة الردع ضد مصر، وقامت بسلسلة من الاعتداءات على قطاع غز ونقاط الحدود المصرية (الاعتداء على غزة وخان يونس في ١٩٥٥/٢/٢٨ واحتلال العوجة في ١٩٥٥/٩/٢١ والاعتداء على الصبحة والكونتلا في ١٩٥٥/١٠/٢٨)، وبالتحضير لعدوان شامل على سيناء يستهدف تحطيم الجيش المصري قبل أن يستوعب الاسلحة السوفييتية والتشيكية الجديدة، وتصفية النشاط الفدائي المتصاعد في قطاع غزة، واستخدام سيناء كورقة تفاوض لفرض الصلح مع اسرائيل على مصر، فضلا عن السيطرة على «شرم الشيخ» بعد أن احكمت مصر الحصار على مضايق «تيران» في ايلول (سبتمبر) ١٩٥٥.

وقد بلغ الضغط الامريكي — البريطاني السياسي والاقتصادي ذروته على القيادة السياسية المصرية (بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر) في ١٩ تموز (يوليو) ١٩٥٦، حين سحبت الولايات المتحدة وبريطانيا عرضهما الخاص بالمساعدة في تمويــل مشروع بناء السد العالي، وتبعهما في ذلك ايضاً البنك الدولي، فكان أن اقدمت مصر على تأميم القناة يوم ٢٦ تموز (يوليو) واعلن الرئيس جمال عبد الناصر قراره التاريخي هذا في خطابــه الشهير بالاسكندرية. وعقب هذا الاعلان مباشرة اصدر «انتوني ايدن»، رئيس الوزراء البريطاني، أمراً يــوم ١٩٥٦/٧/٢٧ إلى رؤساء اركان حرب الامبراطورية البريطانية باعداد خطة لعمل عسكري ضد مصر، يستهدف انتزاع القناة من تحت سيطرتها وسيادتها الوطنية. ووضع القادة العسكريون البريطانيون على الفور خطة لهجوم بريطاني منفرد على مصر يتخذ الاسكندرية هدفاً له عن طريق انزال بحري وزحف بري من ليبيا بواسطة الفرقة المدرعة العاشرة، وبعد تأمين الاسكندرية يتم الاستيلاء على القاهرة واسقاط النظام السياسي وإلغاء التأميم، وقد اطلق على هذه العملية اسم «الخطة ٧٠٠».

ولكن هذه الخطة كانت تتطلب حشد قوات كبير في وقت قصير، فضلا عن موافقة ليبيا على استخدام اراضيها كقاعد للغزو البري. ولم تكن بريطانيا قادرة وحدها على توفير هذه القوات الكبيرة في زمن سريع، نظراً لتوزع قواتها في مختلف انحاء العالم، ولذلك قبلت ادخال فرنسا كطرف في الغزو العسكري، واستبعدت الغزو البري من ليبيا. وبدأت لجنة للتخطيط المشترك بين الدولتين عملها يوم ٥٦/٧/٣١ لوضع خطة العدوان المزمع اشتراك الدولتين فيه، وتم وضع الخطة يوم ٥٦/٨/١٥ واطلق عليها اسم الخطة «هاميلكار»، ثم غير اسمها إلى «موسكتير» بعد ان ادخلت عليها بعض التفاصيل الجديد، وتقرر لتنفيذها يوم ١٩٥٦/٩/١٥، وأنشئت قياد مشتركة للعمليات عين على رأسها الجنرال البريطاني تشارلس كيتلي في ٥٦/٨/١١. وكانت الخطة تقضي بانزال قوة من البحر واخرى من الجو عند الاسكندرية تدعمها نيران الاسطول البريطاني — الفرنسي والطيران المشترك الذي سيستخدم حاملات الطائرات وقواعد قبرص ومالطه، وعلى أن يسبق الغزو البرمائي — المظلي قصف جوي للمطارات المصرية يبدأ يوم ١٩٥٦/٩/١٣.

ولكن الفرنسيين عادوا فاعترضوا على اختيار الاسكندريــة كهدف اول، واقترحوا أن تكون بور سعيد هي الهدف باعتبار أنها اقصر الطرق الى الهدف المباشر من العدوان، وهو قناة السويس، ويجنب قوات الغزو دخول مدينتي الاسكندرية والقاهرة او التوغل في الدلتا حيث الكثافة السكانية كبيرة، والمقاومة المنتظرة عنيفة، مما سيترتب عليه إطالة أمد العملية ويعرضها للفشل نتيجة للضغوط الدولية. كما اقترح الفرنسيون ايضاً ادخال اسرائيل كطرف في العدوان لاستدراج الجيش المصري إلى سيناء، والقضاء عليه هناك، بعد قطع خط رجعته بنزول القوات البريطانية والفرنسية في بور سعيد واستيلائها السريع على الاسماعيلية والسويس. وقد بحثت هذه المقترحات الفرنسية في مؤتمر عقد في لندن يومي ١٠ و ١١ ايلول (سبتمبر)، ووافق «ايدن» عليها، وألغيت خطة «موسكتير» الاولى، وتغير اتجــاه الهجوم إلى بور سعيد، وادخلت اسرائيل كطرف ثالث على اساس أن تبدأ هي العمليات العسكرية بتحرش ضد الاردن يتبعه هجوم على سيناء لخلق حالة صراع مسلح قرب الضفة الشرقية للقناة حوالي يوم ٢٦/٢٥ ايلول (سبتمبر)، يتبعهــا غزو بريطاني — فرنسي لبور سعيد يوم ٢٨ منه. وقد اطلق على الخطة الجديدة اسم «موسكتير المعدلة»، وطلب العسكريون انضمام الضباط الاسرائيليين إلى قيادتهم المشتركة في قبرص لتسهيل التعاون والتنسيق العسكري بين الاطراف الثلاثة، ولكن الساسة البريطانيين والفرنسيين رفضوا هذا الطلب خشية افتضاح التواطؤ مسبقاً.

وقد وصلت الخطة الجديدة إلى الحكومة الاسرائيلية يوم ٥٦/٩/٢٠، ولكن «بن غوريون» أبدى بعض الشكوك حولها، وطلب مزيداً من الدعم الجوي والبحري من حلفائه، ومزيداً من الاسلحة لقواته، وترك موعد بدء الهجوم الاسرائيلي لمشيئة اسرائيل. ودخلت هذه التعديلات بالفعل على الخطة وتغير اسمها إلى خطة «موسكتير المعدلة النهائية»، وتحدد يوم ٥٦/١٠/١ لبدء الهجوم الاسرائيلي، ويوم ٥٦/١٠/٨ لبدء الهجوم البريطاني — الفرنسي على بور سعيد.

ولكن خشية بريطانيا من عدم تأييد امريكا للعمل العسكري ضد مصر أدت إلى تأجيل تنفيذ العملية مرة اخرى، خاصة بعد أن تحددت جلسة لمجلس الامن يوم ٥٦/١٠/٥، بناء على طلب بريطانيا وفرنسا للنظر في المشكلة، وذلك حتى تتبلور المواقف السياسية لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، وتبدو بريطانيا وفرنسا أمام الرأي العام العالمي وكأنهما قد طرقتا جميع ابواب الحلول السلمية للمشكلة ولكنها أوصدت في وجههما، فلم تجدا بديلا عن الاقدام على

العمل العسكري كحل أخير.

أما الخطة الاسرائيلية فقد اطلق عليها اسم خطة «قادش». ومرت هي الاخرى بتعديلات على ضوء التعديلات التي كانت تطرأ على الخطة البريطانية – الفرنسية «موسكتير». فقد كانت تنص في يوم ٥٦/١٠/٥ على توجيه ضربة في شمال سيناء من الجنوب الشرقي على محور أبو عجيلة نحو الشمال الغربي عند العريش، حيث تم عملية إسقاط جوي بواسطة اللواء المظلي ٢٠٢، وبذلك تم المرحلة الاولى من العملية باحتلال شمال سيناء حتى خط «العريش – جبل لبنى – بير الجسنة – نخل». ثم يتم في المرحلة الثانية التقدم حتى قناة السويس وتطهير قطاع غزة. وفي المرحلة الثالثة يتم احتلال مضائق «تيران» وجنوب سيناء كله. وبذلك يتم القضاء على القوات المصرية في سيناء، وتفتح الملاحة في خليج العقبة، وتجبر مصر على توقيع صلح مع اسرائيل وتتبعها بقية الدول العربية. وقد خصصت اسرائيل لاحتلال شمال سيناء ٦ ألوية مشاة و ٣ ألوية مدرعة بالاضافة إلى لواء المظلات، وخصصت للدفاع عن المنطقة الشمالية من فلسطين المحتلة لوائي مشاة وكتيبة مشاة وكتيبتي دبابات وكتيبة حرس حدود، وخصصت للدفاع عن المنطقة الوسطى المواجهة للاردن لوائي مشاة وكتيبة مشاة و ٤ كتائب دبابات وكتيبتي حرس حدود. واحتفظت بلوائي مشاة كاحتياطي للقيادة العامة.

ثم عدلت خطة «قادش» لتتوافق مع الخطة البريطانية – الفرنسية التي كانت تقضي بان تخلق اسرائيل حالة تهديد عسكري قرب قناة السويس تبرر للدولتين التدخل لحماية الملاحة في القناة، ولهذا ألغيت عملية الاسقاط الجوي قرب العريش واستبدلت بعملية إسقاط اخرى تقوم بها كتيبة مظليين من اللواء ٢٠٢ عند ممر متلا على المحور الجنوبي لسيناء، على أن تلحق بها بقية وحدات اللواء بطريق البر عبر مدق (طريق ترابي) «الكونتلا – نخل». وإثر ذلك يبدأ الهجوم الرئيسي على المحور الاوسط في منطقة أبو عجيلة في الوقت الذي تقدم فيه بريطانيا وفرنسا انذارهما المشترك إلى مصر واسرائيل كي تبتعد قواتهما عن القناة من كل جانب بمسافة ١٠ أميال (نحو ١٦ كلم). وبعد بدء القصف الجوي البريطاني – الفرنسي للقواعد الجوية المصرية والتحركات العسكرية البرية المصرية، تهاجم القوات الاسرائيلية «رفح»، وتتقدم نحو العريش، ثم يتم تطهير قطاع غزة واحتلال «شرم الشيخ» ومضايق «تيران».

وكانت توجيهات القيادة الاسرائيلية لقواتها تقضي بتجنب اقتحام المواقع الدفاعية قدر الامكان، والالتفاف حولها للوصول إلى مواقع قريبة من قناة السويس في أسرع وقت ممكن، ثم يتم بعد ذلك تطهير المواقع الدفاعية التي لم تسقط. وقد تركت المهام الهجومية الجوية والبحرية للطيران والبحرية البريطانيين والفرنسيين.

وتحدد يوم ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٦، الساعة الخامسة مساء، لتبدأ فيه العمليات الاولى على المحور الجنوبي بالاسقاط المظلي شرقي ممر متلا والهجوم على نقطة الحدود عند الكونتلا بقوة اللواء المظلي ٢٠٢ تعززها سرية دبابات «ام اكس ١٣»، وفي يوم ١٠/٣٠ يبدأ الهجوم على منطقة «القسيمة» تمهيداً للالتفاف حول أبو عجيلة وأم قطف يوم ١٠/٣١، وتشترك في هذا الهجوم المجموعة ٣٨ التي تضم لوائي مشاة ولوائي مدرعات، وفي يوم ١٠/٣١ تهاجم رفح بقوة المجموعة ٧٧ التي تضم لواء مشاة ولواء مدرعاً، ويهاجم بعد ذلك يوم ١١/١ قطاع غزة بقوة لواء مشاة ومنطقة «شرم الشيخ» بقوة لواء مشاة. واطلق على الخطة الاسرائيلية في صورتها الجديدة اسم عملية «قادش المعدلة».

وكانت التحركات السياسية لبريطانيا وفرنسا قد قطعت طريقاً ملتوياً منذ تأميم القناة تمهيداً للعدوان، بدأ بمذكرة احتجاج مشتركة رفضتها مصر، فقامت الدولتان بتجميد حسابات مصر وارصدتها المالية لديهما، وفرض حظر على تصدير السلاح إليها، وتضمن ذلك منع اقلاع ٤ سفن حربية مصرية كانت في الموانىء البريطانية، كما شنتا حرباً دعائية ونفسية شديدة ضد مصر، مع تصوير الصراع وكأنه ضد شخص الرئيس جمال عبد الناصر فقط، وكانت الغاية من ذلك عزل الشعب المصري عن قيادته السياسية الوطنية. ونتيجة لمحادثات سياسية مع «جون فوستر دالاس» وزير الخارجية الامريكي، جرت في لندن يوم ٥٦/٨/١، دعت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة إلى عقد مؤتمر دولي في لندن يوم ٥٦/٨/١٦ تحضره الدول الموقعة على معاهدة القسطنطينية عام ١٨٨٨ المتعلقة بالملاحة الدولية في القناة، وعددها ٨ دول، بالاضافة إلى ١٦ دولة اخرى من بينها الولايات المتحدة، وذلك للبحث في مشكلة تأميم القناة. ولم تحضر مصر المؤتمر المذكور، وصدر قرار بأغلبية ١٨ دولة (لم يكن بينها الاتحاد السوفييتي والهند) بناء على اقتراح امريكي، يقضي بانشاء هيئة دولية لادارة القناة تكون تابعة للامم المتحدة، مع احتفاظ مصر بسيادة صورية عليها. وارسل المؤتمر إلى مصر في يوم ٥٦/٩/٧ لجنة تضم مندوبين من خمس دول، هي الولايات المتحدة واستراليا واثيوبيا وايران والسويد، برئاسة «روبرت منزيس» رئيس وزراء استراليا لعرض قرار المؤتمر عليها، ورفضت مصر هذا القرار. واثر ذلك قامت شركة قناة السويس بسحب مرشدي السفن يوم ٥٦/٩/١١ لتعيق حركة الملاحة في القناة، وتظهر عجز مصر عن ادارتها، ولكن مصر تغلبت على هذه المشكلة بسرعة.

وحاولت بريطانيا وفرنسا الحصول على موافقة الولايات المتحدة داخل مجلس حلف شمال الاطلسي على استخدامهما القوة ضد مصر، ولكن الولايات المتحدة رفضت هذا المطلب (بحكم انها لم تكن تريد تدعيم مراكزهما الاستعمارية المنهارة في المنطقة) وقدمت مشروعاً جديداً لحل الازمة يقضي بانشاء جمعية للمنتفعين بالقناة تقوم بتحصيل رسوم المرور في القناة لحساب الدول المشتركة فيها. وتم عقد مؤتمر في لندن يوم ٥٦/٩/١٩، حضرته الدول المعنية، وجرى فيه بحث المشروع المذكور دون التوصل لقرار حاسم حول طريقة تسديد الرسوم وكيفية إلزام شركات الملاحة بالسداد للجمعية المذكورة. وقد انتهى هذا المؤتمر في ٥٦/٩/٢٣، وقررت بريطانيا وفرنسا اثر ذلك التقدم بشكوى إلى مجلس الامن بدون اخطار الولايات المتحدة مسبقاً، واخذتا تواصلان الاستعداد بسرعة لتنفيذ خطتهما العسكرية «موسكتير المعدلة النهائية». وتم اجتماع مجلس الامن يوم ٥٦/١٠/١٥، وكانت الدولتان ترغبان بالحصول على قرار مؤيد لقرار مؤتمر لندن المعقود في ٥٦/٨/١٦، ولكن الفيتو السوفييتي حال دون صدور هذا القرار الذي كان يقضي بتدويل القناة في واقع الامر.

وهكذا فشلت مناورة مجلس الامن (التي شاركت فيها الولايات المتحدة بموافقتها على المشروع البريطاني – الفرنسي) واستمرت اجراءات انشاء جمعية المنتفعين بالقناة في الوقت نفسه، كما وافقت بريطانيا وفرنسا على اقتراح مصر بالدخول في مفاوضات في جنيف تحدد لها يوم ٥٦/١٠/٢٩ لحل المشكلة.

وشكلت كل هذه التحركات السياسية غطاء للتحركات والمخططات العسكرية التي كانت يجري اعدادها بالتواطؤ مع اسرائيل من اجل الاستيلاء على القناة، واعادة مصر الى حظيرة السيطرة الاستعمارية، والقضاء على دورها الوطني والقومي الذي بدأ يتبلور ويهدد المصالح الامبريالية في الوطن

العربي بالخطر. إذ كانت بريطانيا قد عبأت منذ اول آب (اغسطس) ١٩٥٦ نحو ١٢٥ ألف جندي من قوات الاحتياط، واعادت تدريبهم وارسلت وحدات منهم إلى قبرص ومالطة وجبل طارق، كما استولت البحرية البريطانية على عدد من السفن التجارية لاستخدامها في النقل البحري، وجهزت حاملات طائراتها بمزيد من الاسراب القاذفة المقاتلة، واعدت قواعدها البحرية والجوية في قبرص ومالطة لاستقبال قوات الغزو البريطاني – الفرنسي لبور سعيد وحشدت بها نحو ٣٥ سرباً من الطائرات الحربية، فضلا عن ١٣ سرباً آخر من القاذفات المقاتلة التي ستعمل من حاملات الطائرات، بخلاف اسراب طائرات الاستطلاع والهليكوبتر، كما استكملت مرتبات الحرب لتشكيلات الفرقة المدرعة العاشرة في ليبيا، واللواء المظلي السادس عشر في قبرص. واللواء الثالث فدائيين بحريين، والكتيبة المدرعة السادسة في مالطة، حيث تم تدريبهما على عمليات الغزو البحري. واجريت عدة مشروعات للتدريب المشترك بين المظليين البريطانيين والفرنسيين، وجهزت سفينة قيادة بحرية لتكون مقراً عائماً للعمليات المشتركة، واعد مركز قيادي بري مشترك في ابسكوبي بقبرص، وزود بمحطة اذاعة قوية لشن حرب نفسية. وبلغ حجم القوات البريطانية المحتشدة في قبرص ومالطة وليبيا وعدن للاشتراك في العمليات العسكرية بشكل مباشر أو كاحتياطي استراتيجي ما مجموعه ١٢ لواء، و ٤٠٠ دبابة، و ١٣٠٠ مدفع وهاون، و ١٠ اسراب مقاتلات، و ١٥ سرب قاذفات مقاتلة، و ١٩ سرب قاذفات، و ٧ أسراب نقل جوي، و ٣,٥ أسراب استطلاع، وسربا هليكوبتر اقتحام، وسرب امداد جوي واتصال، فضلاً عن قوة بحرية ضمت ٥ حاملات طائرات و ٦ طرادات و ١٤ مدمرة و ٧ فرقاطات و ٧ غواصات و ٩٤ سفينة اخرى.

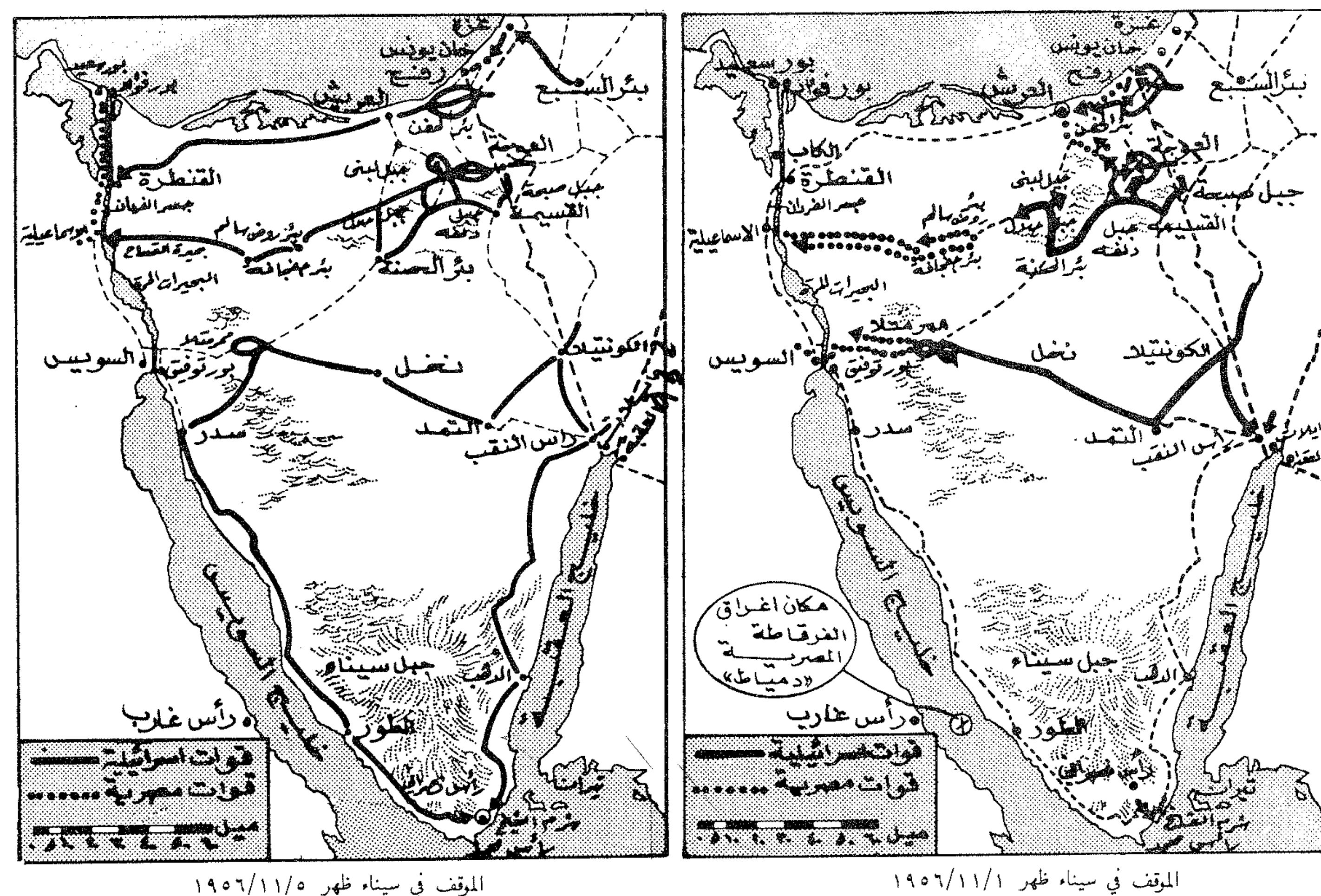
واعلنت فرنسا التعبئة الجزئية، واستدعت نحو ٥٠ ألف جندي من الاحتياط، وخصصت بعض قطع الاسطول الفرنسي لتدعيم البحرية الاسرائيلية والتعاون مع القوات البرية الاسرائيلية بتقديم الدعم الناري الساحلي لها في رفح، كما ارسلت الجناح الاول من المقاتلات طراز «ف ٨٤» من قاعدته الجوية بفرنسا (سان ديزيه) إلى مطار «اللد» بفلسطين المحتلة، والجناح الثاني مقاتلات «مستير ٤ أ» من قاعدة «ديجون» إلى «حيفا»، وذلك لتوفير الحماية الجوية للاجواء الاسرائيلية، وحشدت بالاضافة الى ذلك الطائرات التي كانت موجودة في قواعد قبرص وفوق ظهر حاملتي طائرات كانت ضمن قواتها البحرية المشتركة في الغزو. وبلغت جملة قواتها الجوية التي حشدتها ٦ اسراب مقاتلات في اللد وحيفا، و ٣ اسراب نقل جوي، و ٣ اسراب مقاتلات في قبرص، و ٣ اسراب استطلاع جوي، و ٦ اسراب نقل جوي في قبرص ايضاً، و ٣ اسراب قاذفات مقاتلة فوق ظهر حاملتي الطائرات، أي ٢٤ سرباً في الجملة، بالاضافة إلى الطائرات التي امدت اسرائيل بها عشية بدء القتال، والبالغ عددها ٣٦ طائرة «ميستير ٤ أ»، وبعض طائرات النقل الجوي. وبلغ حجم القوات البرية الفرنسية المعدة للاشتراك في غزو بور سعيد ٥ ألوية و ١٠٠ دبابة و ٢٢٠ مدفع وهاون، كما ضمت القوات البحرية بارجة وحاملتي طائرات وطرادين و ٤ مدمرات و ٨ فرقاطات وغواصتين و ١٤ سفينة اخرى. (انظر بور سعيد، معركة).

أما اسرائيل فقد بلغت قواتها عشية بدء الحرب، بعد استكمال التعبئة السرية لقوات الاحتياط، التي بدأت مساء يوم ١٩٥٦/١٠/٢٥، ١٨ لواء، من بينها ٣ ألوية مدرعة ولواء مظلات، ضمت ٢٥٠ دبابة معدة للاشتراك في عملية «قادش» (أي الهجوم على سيناء) و ٩٩٠ مدفعاً وهاوناً. وضمت قواتها الجوية ٩ اسراب مقاتلات، و ٧ اسراب قاذفات مقاتلة، و ٤ اسراب قاذفات، و ٣ اسراب نقل جوي، و ٣ اسراب استطلاع، وسربي امداد جوي واتصال. واشتملت هذه الاسراب كلها على الانواع والكميات التالية من الطائرات: ٨٤ طائرة «ميستير ٤ أ»، و ٢٣ طائرة «اوراغان»، و ٢٩ طائرة «ميتيور»، و ٤٤ طائرة «موستانغ»، و ١٢ طائرة «سبيتفاير»، و ٤٧ طائرة «موسكيتو»، و ٣ طائرات «ب ١٧»، و ٣٠ طائرة نقل طرازي «داكوتا» و «كوماندو»، و ٣ طائرات نقل «نورد اطلس»، بخلاف عدد كبير من طائرات المواصلات الصغيرة. وضمت قواتها البحرية مدمرتين و ٥ فرقاطات و ٢٢ زورق طوربيد و ١٧ زورق انزال و ٣ سفن حراسة و ٦ زوارق ساحلية.

وقد ادخلت عدة تعديلات اخرى على خطة «موسكتير المعدلة النهائيـة» عشية بدء القتال، واصبحت تعرف باسم عملية «تلسكوب» (انظر بور سعيد، معركة).

وكانت مصر تملك عشية بدء العدوان الثلاثي في ١٩٥٦/١٠/٢٩ قوات برية تتألف من فرقتي مشاة (الفرقتان الثانية والثالثة المشاة) وفرقة مدرعة (الفرقة الرابعة) فضلا عن ٤ ألوية مشاة مستقلة اخرى، ونحو ٣ كتائب مدرعة مستقلة، ووحدات دفاع جوي وحرس حدود، ونحو لواء من القوات الفلسطينية (حرس حدود فلسطين)، ووحدات شبه نظامية قليلة القيمة عسكرياً من الحرس الوطني وجيش التحرير الوطني. وفي الجملة كانت القوات البرية المصرية النظامية تتألف من ١٢ لواء مشاة من بينها لواء مشاة ميكانيكي موزع على المجموعات المدرعة، و ٤ ألوية احتياط، و ٣ مجموعات مدرعة بخلاف الكتائب المدرعة الثلاث المستقلة وبعض وحدات الاستطلاع المدرعة (ضمت ألوية المشاة نحو ٣٠ كتيبة وضمت المجموعات المدرعة، ٣ كتائب دبابات، وكتيبة دبابات ثقيلة كانت تابعة لقيادة الفرقة الرابعـة، و ٣ كتائب مشاة ميكانيكية، وكتيبتي مدفعية ذاتية الحركة، وكتيبة مدفعية ميدان، وكتيبة مدفعية م/ط). وكان لدى القوات المصرية في الجملة نحو ٣٠٠ دبابة و ٧٧٦ مدفعاً وهاوناً. وكانت القوات الجوية المصرية تضم ٧ اسراب من المقاتلات، وسرب قاذفات مقاتلة، وسربي قاذفات، و ٣ اسراب نقل جوي، وسرب امداد جوي واتصال. وكانت القوات البحرية المصرية تضم مدمرتين و ٧ فرقاطات و ٢٤ زورق طوربيد و ٤٠ سفينـة اخرى، كما كانت هناك ٣ غواصات لم يتم التدريب عليها بعد.

وكانت القيادة العسكرية المصرية تركز معظم قواتها في منطقة سيناء قبل تأميم القناة وتحتفظ باحتياطي استراتيجي في منطقة القناة لمساندة قوات سيناء (الفرقتان الثانية والثالثة المشاة، ومجموعة مدرعة في سيناء، والفرقة الرابعة المدرعة في منطقة القناة) وذلك على اساس أن اسرائيل كانت تشكل العدو المحتمل فقط حتى ذلك الوقت. ولكن بعد تأميم القناة وبدء التحركات العسكرية المعادية لمصر من جانب بريطانيا وفرنسا، مع عدم اتضاح نوايا تواطؤهما مع اسرائيل، اجرت القيادة العسكريـة المصرية عدة تغييرات في ترتيب حشد وتوزيع قواتها بحيث تكون قادرة على مواجهة احتمالات وقوع غزو بحري وجوي لمنطقة القناة بصفة اساسية ولمنطقة الاسكندرية بصفة ثانوية. ولذلك تم تخفيف قوات سيناء بحيث اصبحت تضم الفرقة الثالثة المشاة فقط (الألوية ٤، ٥، ٦ المشاة العاملة، واللواء ٩٩ احتياط، وسرية دبابات شيرمان، وكتيبة حرس وطني، ومدفعية الفرقـة) وهي منتشرة في الاراضي المصرية. ولواء حرس حدود فلسطين، ولواء حرس وطني في قطاع غزة. ووزعت الفرقة الثانية المشاة (ألوية المشاة ٣، ٧ وبهما ٥ كتائب فقط ومدفعية



الموقف في سيناء ظهر ١/١١/١٩٥٦

الموقف في سيناء ظهر ٥/١١/١٩٥٦

الفرقة) في منطقة القناة يساندها لواء مشاة مستقل (اللواء ٢ ويتألف من كتيبتين) والمجموعة المدرعة الاولى التي كانت في سيناء من قبل (كتيبة دبابات ت ٣٤ وكتيبة استطلاع وكتيبة مدفعية ذاتية الحركة وكتيبة مشاة ميكانيكية وسرية خفيفة) . كما شكلت قوة احتياطي استراتيجي عام وتمركزت حول القاهرة لتكون قادرة على التحرك نحو الاسكندرية أو نحو منطقة القناة ، وفقاً لاتجاه الضربة الرئيسية المعادية ، تألفت من المجموعتين المدرعتين الثانية والثالثة (لديهما معاً كتيبتي دبابات «ت ٣٤» و «سنتوريون» وكتيبتي مدفعية وكتيبتي مشاة ميكانيكية) وكتيبة دبابات ثقيلة «ستالين ٣» وكتيبة مدفعية م/ط ولواء مشاة (كتيبتان فقط) وكتيبة مظليين وسرية دبابات خفيفة «ام اكس ١٣» وسرية دبابات «شيرمان» وكتيبة مدفعية ميدان . وخصصت للدفاع عن القاهرة قوات مختلطة من الصف الثاني ضمت لوائي مشاة احتياطيين (الألويــة ٩١ ، ٩٧) ، و ٨ كتائب حرس وطني ، و ٧ ألوية من جيش التحرير الوطني ، وكتيبة حرس جمهوري ، وكتيبة مدفعية متوسطة (عيار ١٢٢ مم) ، و ٢٥ كتيبة من مدارس التدريب تجمع عند اللزوم ، و ١٧٥ كتيبة مقاومة شعبية تضم نحو ٣٥ ألف متطوع . وخصص للدفاع عن الاسكندرية وغرب الدلتا والصحراء الغربية لواء مشاة (اللواء ١٨ ويضم كتيبتين) ، وكتيبة مشاة مستقلة ، وسرية دبابات شيرمان ، وسرية خفيفة ، ولواء مدفعيــة ساحلية ، وبعض وحدات سلاح الحدود ، ولواء من جيش التحرير الوطني ، و ١٨٠ كتيبة مقاومة شعبية تضم ٣٦ ألف متطوع ، بالاضافة للقوات البحرية وقوات الدفاع الجوي وحرس السواحل . أما مناطق شرق وشمال ووسط الدلتا فكانت تدافع عنها وحدات من الحرس الوطني وجيش التحرير والمقاومــة الشعبية . وكان الدفاع الجوي ملقى على عاتق المدفعيــة المضادة للطائرات وتركز حول المطارات ومناطق القنــاة والقاهرة والاسكندرية . ولم تكن كمية المدافع المتوفرة تكفل تحقيق كثافة الدفاع المطلوبة في وجه الاسلحة الجوية البريطانية والفرنسية ، فقد كان في منطقة القناة وسيناء لواء مدفعية م/ط (اللواء ٢٣ ويضم كتيبة مدفعية ثقيلة وكتيبة مدفعية خفيفة وبطارية ثقيلة مستقلة) وفي منطقة القاهرة لواء آخر (اللواء ١ ويضم كتيبتي مدفعية ثقيلة واخرى خفيفة) وفي منطقة الاسكندرية وما حولها لواء ثالث (اللواء ٢ ويضم كتيبة ثقيلة وبطاريتين خفيفتين وكتيبة مدفعية مدرسة ومركز تدريب المدفعية م/ط) بالاضافة لمدفعية القطع البحرية . وكانت القوات الجوية العاملة عشية بدء الحرب موزعة على النحو التالي : السرب ٣٠ مقاتلات « ميغ ١٥ » في قاعدة « أبو صوير » الجوية والسرب ٢٠ مقاتلات « ميغ ١٥ » في قاعــدة « الدفرسوار » الجويــة ، والسرب ٣١ مقاتلات « فامبير » في قاعدة « كبريت » الجويــة ، والسرب ٥ قاذفــات مقاتلة « ميتيور» في قاعــدة « فايد » ، وكلها قواعد في منطقة القناة . والسرب ١ مقاتلات « ميغ ١٧ » في قاعدة « الماظة » عند القاهرة (وكان سرباً جديداً تحت التدريب إذ وصلت طائراته قبل الحرب بأسبوعين فقط) والسرب ٢ مقاتلات « فامبير » في قاعدة « غرب القاهرة » ، والسربان ٨ ، ٩ قاذفات « اليوشين ٢٨ » في « انشاص » ،

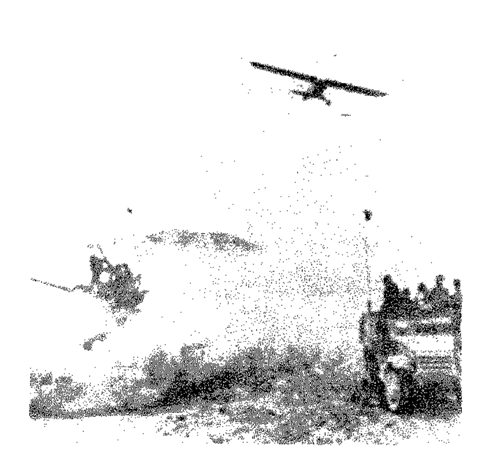
اما اسراب النقل والامداد الجوي فكانت في «الماظة» و«الدخيلة» (قرب الاسكندرية) . ولم يكن سلاح الطيران المصري قد استوعب بعد صفقة طائرات «الميغ ١٥» و «الميغ ١٧» التي كانت تزيد عن ١٠٠ طائرة في العام ١٩٥٦ ، نظراً لحداثة وصول هذه الطائرات إلى مصر . ولم يكن لديه سوى سربين فقط من «الميغ ١٥» وسرب واحد تحت التدريب من «الميغ ١٧» ، نظراً لأنه لم يكن لديه سوى ٣٠ طيار فقط استكملوا تدريبهم على هذه الطائرات الجديدة . ووزعت القوات البحرية المصرية على النحو التالي : المدمرتان «الناصر» و «الظافر» (طراز سكوري السوفييتي) والمدمرتان «القاهر» و «الفاتح» (بريطانيتا الصنع ، ولذلك لم تجهزهما بريطانيا الا بذخيرة مضادة للطائرات فقط) واسراب زوارق طوربيد ومجموعة كاسحات ألغام وجماعات بث ألغام وعناصر من الضفادع البشرية ، كانت في قاعدة الاسكندرية البحرية . والفرقاطتان «ابراهيم» و «طارق» وسرب زوارق طوربيد في قاعدة بور سعيد البحرية . والفرقاطتان «دمياط» و «أبو قير» وسربان من زوارق الطوربيد وناقلة الجنود «عكا» وجماعات بث الغام وعناصر من الضفادع البشرية في قاعدة السويس البحرية . والفرقاطة «رشيد» في مرفأ «شرم الشيخ» الصغير عند مضائق «تيران» بخليج العقبة .

وعند حساب ميزان القوى بين الطرفين عشية حرب ١٩٥٦ يظهر مدى ضخامة الفارق في قوة الطرفين ، الامر الذي تكشف عنه النسب المقارنة في الوحدات والاسلحة الرئيسية ، فقد بلغ اجمالي عدد الالوية المعدة للاشتراك في القتال من جانب بريطانيا وفرنسا واسرائيل ٣٨ لواء ، على حين كان لدى مصر ١٢ لواء فقط من القوات النظامية الفعالة أي بنسبة ٣,١ إلى ١ ، وكان لدى الدول الثلاث ٧٥٠ دبابة و ٢٥١٠ مدافع وهاونات مقابل ٣٠٠ دبابة و ٧٧٦ مدفعاً وهاوناً كانت لدى مصر ، أي بنسبة ٢,٥ إلى ١ و ٣,٣ إلى ١ على التوالي . وفي مجال الطيران كانت النسبة ٤ إلى ١ في المقاتلات و ٢٥ إلى ١ في القاذفات المقاتلة و ١١,٥ إلى ١ في القاذفات . وفي مجال البحرية كان التفوق مطلقاً في عديد من انواع السفن الحربية مثل البوارج وحاملات الطائرات والغواصات ، وكانت النسبة في المدمرات ١٠ إلى ١ وفي الفرقاطات ٣ إلى ١ ، وكان لدى مصر تفوق في زوارق الطوربيد فقط بنسبة ١ إلى ٠,٩ ، إذ كان لديها ٢٤ زورقاً مقابل ٢٢ زورقاً لدى اسرائيل .

بدأت العمليات العسكرية للعدوان الثلاثي باسقاط كتيبة المظليين الاسرائيليين شرقي ممر متلا في الساعة الخامسة من مساء يوم ٢٩/١٠/٥٦ ، وفي الوقت نفسه هاجمت بقية وحدات اللواء ٢٠٢ المظلي مركز الحدود في «الكونتلا» ، وفي التاسعة مساء بدأت كتيبة المشاة الخامسة التابعة للواء الثاني عبور القناة لملاقاة القوة الاسرائيلية وتبعتها الكتيبة السادسة خلال ١٢ ساعة ، وذلك بناء على اوامر القيادة الشرقية ، وفي الليلة نفسها بدأت المجموعة المدرعة الاولى تحركها عبر القناة على المحور الاوسط ، بناء على اوامر القيادة العامة ، ثم تبعتها المجموعة المدرعة الثانية التي زحفت بسرعة من القاهرة ، حيث بقيت المجموعة المدرعة الثالثة والكتيبة المدرعة الحادية عشرة (دبابات ستالين) كاحتياطي استراتيجي ، وكانت تعليمات التحرك تقضي بعدم تعطيل الملاحة في القناة اثناء العبور ، حتى لا تتخذ بريطانيا وفرنسا من ذلك التعطيل حجة للتدخل العسكري ، وكانت النتيجة أن تأخر وصول القوات الضاربة إلى سيناء لتصفية المظليين في متلا (انظر معركة ممر متلا) . وفي الوقت نفسه حرك لواء المشاة الاول على المحور الشمالي لسيناء نحو العريش لتدعيم القوات المصرية هناك .

وبدأت المرحلة الثانية من عملية «قادش» بالهجوم على قطاع «القسيمة — أبو عجيلة» في الساعة الثانية والنصف بعد منتصف ليلة ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٦ (انظر معركة ابو عجيلة) ولم تحقق القوات الاسرائيلية ، طول يوم ٣٠/١٠ ، نجاحات هامة في القتال الدائر في القطاعين الجنوبي والاوسط ، إذ كانت كتيبة المظليين مجمدة الحركة قرب المدخل الشرقي لممر متلا نتيجة للقصف الجوي المصري ومناوشات كتيبة المشاة الخامسة ، على حين كانت بقية وحدات اللواء ٢٠٢ لم تتصل بها بعد ، كما كان اللواء المدرع السابع ولواء المشاة الرابع قد استوليا على القسيمة التي كانت تدافع عنها اساساً وحدات من الحرس الوطني ، ولم تتصل بعد بدفاعات ابو عجيلة الرئيسية في «أم قطف» ، ورغم ذلك قدمت بريطانيا وفرنسا انذارهما المشترك الى مصر واسرائيل في الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه ، وطلبتا من حكومتي الدولتين وقف جميع العمليات الحربية ، وانسحاب قواتهما إلى مسافة ١٠ أميال شرق القناة وغربها ، وأن تقبل مصر الاحتلال المؤقت لبور سعيد والاسماعيلية والسويس بواسطة القوات البريطانية والفرنسية لضمان حرية الملاحة في القناة ، وطالبتهما بالرد على الانذار خلال ١٢ ساعة ، وفي حالة عدم الرد او عدم قبول اي من مصر وأسرائيل لهذه المطالب خلال المدة المذكورة تقوم القوات البريطانية والفرنسية بالتدخل إلى الدرجة الكافية لضمان الاذعان . وكان قبول مصر لهذا الانذار يعني تسليم سيناء لاسرائيل وتسليم منطقة القناة لبريطانيا وفرنسا اختيارياً ودون قتال . ولذلك رفضت مصر قبول الانذار وقبلته اسرائيل بطبيعة الحال .

وفي هذا الوقت كان مجلس الامن الدولي مجتمعاً للنظر في عدوان اسرائيل على مصر . وقدم خلال الاجتماع مشروعان من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي يقضيان بوقف اطلاق النار وانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المصرية . ولكن «الفيتو» البريطاني — الفرنسي اسقط كلا من المشروعين . وتبع ذلك تقديم مشروع يوغوسلافي بعقد دورة طارئة للجمعية العامة للامم المتحدة للنظر في العدوان ، بعد أن تعذر على مجلس الامن اتخاذ قرار بشأنه ، وتمت الموافقة على الاقتراح المذكور في صباح يوم ٣١/١٠/٥٦ . ومضت الاثنتي عشرة ساعة التي حددها الانذار البريطاني — الفرنسي دون أن تبدأ القاذفات البريطانية هجومها المزمع شنه على القواعد الجوية المصرية ، ويرجع ذلك إلى تردد «ايدن» رئيس الوزراء البريطاني عن المضي في الحرب بعد أن لمس موقف الولايات المتحدة المعارض ، وظهور معارضة في مجلس العموم البريطاني لتنفيذ الانذار ، كما أن العسكريين نصحوا بعدم بدء الهجوم الجوي في ساعات النهار خشية التعرض لاعتراض مقاتلات الميغ المصرية . ونتيجة لهذا التأخير في بدء الغارات الجوية البريطانية — الفرنسية خشي «بن غوريون» رئيس الوزراء الاسرائيلي ، أن تكون بريطانيا قد عدلت عن المضي في تنفيذ خطة التواطؤ الثلاثي ،



وحدة مدرعة معادية مع طائرة ملاحظة

دون ذلك ، وكذلك كان الحال على المحور الاوسط ، حيث نجحت حامية « ام قطف » في الانسحاب ليلة ١ – ١١/٢ دون أن تشعر بها القوات الاسرائيلية (انظر معركة ابو عجيلة) ، ولم ينجح اللواء المدرع السابع الاسرائيلي في مطاردة مدرعات المجموعتين المدرعتين المصريتين الاولى والثانية اللتين تعرضتا لبعض الخسائر نتيجة غارات الطيران البريطاني والفرنسي خلال الانسحاب . وكذلك انسحبت القوات المصرية التي كانت في ممر متلا وعادت إلى السويس . أما قوات « شرم الشيخ » فكان من المتعذر سحبها نظراً للسيطرة الجوية المعادية ، وطول الطريق البري على خليج السويس ، واحتلال القوات الاسرائيلية « لرأس سدر » ثم « الطور » ، لذلك فضلت قيادتها البقاء فيها والدفاع حتى آخر طلقة . (انظر معركة شرم الشيخ) .

واستمرت الغارات الجوية البريطانية والفرنسية على المطارات والوحدات المنسحبة من سيناء ومعسكرات الجيش في القاهرة ومنطقة القناة وقطع الاسطول المصري في الاسكندرية حتى يوم ١١/٢ ، ثم تركزت بعد ذلك على منطقة بور سعيد حتى بدء انزال المظليين البريطانيين والفرنسيين صباح يوم ١١/٥ حيث بدأت معركة بور سعيد التي انتهت ليلة ٦ – ١١/٧ (انظر معركة بور سعيد) .

وفي الفترة السابقة للتدخل العسكري الانجلو– فرنسي لعب الطيران المصري دوراً فعالا ، فقد قامت طائراته بمهاجمة المظليين في « متلا » عدة مرات ، وهاجمت اللواء ٢٠٢ اثناء تحركه في « التمد » و « نخل » ، واغارت قاذفات « الاليوشين ٢٨ » على مطارات « عكير » و « رامات دافيد » و « كاستينا » خلال ليلة ٢٩ – ١٠/٣٠ ، كما اشتبكت المقاتلات المصرية في عدة معارك جوية مع الطيران الاسرائيلي فوق « ممر متلا » وفوق مطار « كبريت » ، وهاجمت المدرعات الاسرائيلية في « بير الحسنة » و « أم قطف » على المحور الاوسط ، وكانت طائرات « الفامبير » و « المتيور » تقوم بمهام القصف الارضي تحت حماية « الميغ ١٥ » . والواقع أن عدد طائرات « الميغ » العاملة البالغ ٣٠ طائرة فقط (من اصل ١٠٠ طائرة) كان يواجهه في الجانب الاسرائيلي ٣٧ طائرة « ميستير ٤ » عاملة (من اصل ٦٠ طائرة) بالاضافة لنحو ٤٥ طائرة فرنسية عملت من اراضي اسرائيل بعلامات اسرائيلية . كما أن طياري القاذفات المصرية كانوا لا يزالون في مرحلة التدريب لذلك لم تكن غاراتهم فعالة ضد المطارات الاسرائيلية . وبعد التدخل البريطاني – الفرنسي دمر جزء كبير



الاميرال بارجو مع المظليين الفرنسيين في بور سعيد

وطلب من « موشي دايان » رئيس الاركان أن يسحب القوات الاسرائيلية إلى حدود اسرائيل بمجرد حلول الظلام يوم ١٠/٣١ ، خاصة وأن ابو عجيلة لم تكن قد سقطت بعد والطيران المصري ما زال نشيطاً فوق ساحة المعارك . ولكن « دايان » اكتفى بوضع خطة للانسحاب واخذ يقنع بن غوريون بالعدول عن قراره . وفي السابعة من مساء يوم ١٠/٣١ بدأت قاذفات « الكانبيرا » البريطانية هجومها على المطارات المصرية في « الماظة » و « انشاص » و « كبريت » و « ابو صوير » واستمرت هذه الغارات طوال الليل واستخدمت خلالها قنابل زمنية تنفجر في توقيتات مختلفة لشل الحركة في المطارات في فترات الهدوء بين الغارات . وعلى ضوء هذا التطور الخطير والجديد في الموقف العسكري قررت القيادة السياسية والعسكرية المصرية في الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه سحب القوات المصرية من سيناء ، وتجميعها في منطقة القناة ، حتى لا تقع عرضة للطيران المعادي المتفوق ، وتتعرض لقطع طرق مواصلاتها وتطويقها من الغرب ، حال احتلال القوات البريطانية – الفرنسية لبور سعيد والاسماعيلية والسويس .

وفي ليلة ١٠/٣١ – ١١/١ بدأت القوات الاسرائيلية هجومها على « رفح » بدعم من الاسطول الفرنسي ، واستولت عليها في صباح اليوم التالي نظراً لبدء تنفيذ حاميتها قرار الانسحاب العام (انظر معركة رفح) ، ولكنها لم تستطع أن تحول دون انسحاب القوات المصرية من رفح والعريش ، كما لم تستطع القضاء عليها خلال المطاردة التي حاولت أن تقوم بها ، نظراً لأن مقاومة حرس المؤخرة المصري في نقاط عدة على الطريق الساحلي حالت

من الطيران المصري على الارض (١٨ قاذفة اليوشن دمرت في مطار الاقصر قبل أن تتمكن القيادة المصرية من سحبها إلى السعودية مع بقية القاذفات) واستمرت بعض مقاتلات « الميغ » في العمل من مطارات صغيرة سرية في طلعات فردية شبه انتحارية ضد قوات الغزو في بور سعيد. ووقع عبء الدفاع الجوي بالكامل على وحدات المدفعية م/ط المحدودة العدد. أما في البحر فقد نشطت قطع الاسطول المصري قدر طاقتها، فقامت الفرقاطة « ابراهيم » بقصف ميناء حيفا في الساعة الثالثة والنصف تقريباً من صباح يوم ١٠/٣١، حيث اطلقت نحو ٢٢٠ قذيفة على منشآت الميناء، وانسحبت عائدة، ولكنها وقعت في اسر وحدات بحرية اسرائيلية بعد أن تعرضت لعدة غارات جوية، ولم يتح لها الحماية الجوية المصرية. وفي البحر الاحمر اغرق الطراد « نيو فوند لند » البريطاني الفرقاطة « دمياط » وهي في طريقها إلى « شرم الشيخ » يوم ١١/١، واستطاعت مجموعة من ٣ زوارق طوربيد مصرية أن تغرق مدمرة فرنسية يوم ١١/٤ قرب بحيرة « البرلس » في شمال الدلتا، ولكن الطائرات المعادية تمكنت بعد ذلك من اغراق الزوارق الثلاثة. كما قامت البحرية المصرية ببث الالغام في خليج السويس، واغرقت بعض السفن القديمة في قناة السويس لسدها في وجه الملاحة البريطانية – الفرنسية.

وفي يوم ١١/٢، قررت الجمعية العامة للامم المتحدة في جلستها الطارئة وقف اطلاق النار وسحب القوات الاسرائيلية إلى ما وراء خطوط هدنة ١٩٤٩، وفي الوقت نفسه هبت مظاهرات الاحتجاج في جميع انحاء العالم العربي والعالم الخارجي، خاصة في الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث وقام السوريون بنسف انابيب البترول ومحطات الضخ التابعة لشركة (I. P. C.) البريطانية، واستمر قرار الامم المتحدة غير قابل للتنفيذ إلى أن تقدم الاتحاد السوفييتي إلى الولايات المتحدة في مساء يوم ١١/٥ باقتراح للقيام بعمل عسكري مشترك من اجل وقف العدوان الثلاثي على مصر. ولكن الولايات المتحدة رفضت الاقتراح السوفييتي، فقام الاتحاد السوفييتي بتقديم انذار إلى بريطانيا وفرنسا واسرائيل بضرورة وضع حد نهائي للعدوان وإلا استخدم القوة لسحق المعتدين وضرب لندن وباريس بالصواريخ، وفي الوقت نفسه لم تبد الولايات المتحدة رغبة جدية في الوقوف إلى جانب بريطانيا وفرنسا في مواجهة التهديد السوفييتي، رغم انها اعلنت رفضها الشديد علناً للانذار السوفييتي. ومن ثم اضطرت بريطانيا وفرنسا واسرائيل إلى قبول


دخول القوات المصرية « بور سعيد » بعد انسحاب المعتدين

قرار الامم المتحدة بوقف اطلاق النار في الساعة الثانية من بعد منتصف ليلة ١١/٧، وقبول إنشاء قوة الطوارئ الدولية التي ستعمل على الاشراف على قرار وقف اطلاق النار وتنفيذ قرار الامم المتحدة. وهكذا انتهت حرب ١٩٥٦ من الناحية العسكرية، وتم انسحاب القوات البريطانية والفرنسية من بور سعيد في ٥٦/١٢/٢٢ بعد سلسلة من عمليات المقاومة الشعبية المضادة لها (انظر معركة بور سعيد) وتم انسحاب آخر القوات الاسرائيلية من قطاع غزة والاراضي المصرية يوم ١٩٥٧/٣/٦ بعد مماطلات عدة من جانب الحكومة الاسرائيلية انتهت بعد أن اعطت مصر تعهداً شفهياً للولايات المتحدة بالامتناع عن القيام بأي عمل عدائي ضد اسرائيل بما في ذلك عمليات الفدائيين من قطاع غزة، والموافقة على وضع قوات للطوارئ الدولية على حدودهـا بما في ذلك شرم الشيخ، كما قدمت الدول البحرية الكبرى وعداً لاسرائيل بضمان حرية الملاحة لجميع السفن في مضائق تيران. ورغم أن النتيجة العسكرية لحرب ١٩٥٦ لم تكن في صالح مصر، نظراً للتفاوت الضخم في قوى الطرفين، فلقد كان لنتائجهـا السياسية، المترتبة على تضامن القوى الاشتراكية العالمية وقوى حركة التحرر الوطني العربي وفي العالم الثالث، تأثير ضخم على مستقبل المنطقة العربية وتصفية المواقـع المتبقية للاستعمارين البريطاني والفرنسي، وتصاعد حركة القومية العربية، وشكلت هذه النتائج السياسية عاملا غير مباشر في نجاح ثورة العراق عام ١٩٥٨، وتدعيم استقلال سوريا عام ١٩٥٧، واستقلال الجزائر عام ١٩٦٢ وثورة اليمن عام ١٩٦٢، واستقلال عدن الخ، وسارت مصر بعد ذلك خطوات كبيرة في طريق التحرر الوطني والاستقلال السياسي وتزايد ثقل دورها القومي العربي.

(٤ – ٨) الحرب العربية – الاسرائيلية الثالثة (١٩٦٧)

خرجت مصر من حرب ١٩٥٦ منتصرة سياسياً، وتمثل انتصارها في اضطرار بريطانيا وفرنسا إلى الانسحاب من بور سعيد دون أن يحققا غرضهما الرئيسي من الحرب وهو إلغاء تأميم قناة السويس، واضطرار اسرائيل الى الانسحاب من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة دون أن تحقق أي نتيجة سياسية من وراء عدوانها، باستثناء ضمان الولايات المتحدة لها حرية الملاحة في خليج العقبة، عن طريق وجود قوات الطوارئ الدولية في « شرم الشيخ » و « رأس نصراني » عند مضائق تيران بعد انسحاب القوات الاسرائيلية منها في العام ١٩٥٧.

وكانت هذه هي المرة الاولى التي لا تحقق فيها الحرب نتيجة حاسمة للطرف المنتصر عسكرياً . ويرجع ذلك إلى وجود ظرف دولي جديد متمثل في توازن القوى بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، اصبح من الممكن له أن يؤثر في نتائج الحروب المحلية التي تخوضها دول صغرى يعتدى عليها من دول اقوى منها ، متى استمرت ارادة الصمود السياسي لدى الدولة الصغرى المعتدى عليها رغم خسارتها للجولة العسكرية . واستطاعت القيادة السياسية المصرية ، ممثلة في زعامة الرئيس جمال عبد الناصر ، أن توظف هذه النتيجة السياسية الباهرة في خدمة اهدافها القومية التحررية في المنطقة العربية بصفة خاصة وفي العالم الثالث بصفة عامة . وبهذا اصبحت نتائج حرب السويس عام ١٩٥٦ نقطة تحول كبرى في نضال الشعوب ضد السيطرة الاستعمارية .

العوامل غير المباشرة للحرب : كانت ابرز النتائج غير المباشرة لحرب ١٩٥٦ في المنطقة العربية تصاعد المد الثوري الوطني ضد الامبريالية الذي صاحبه تزايد في الشعور القومي العربي ، وأدى ذلك الى قيام الوحدة المصرية – السورية (١٩٥٨) ، ونجاح ثورة العراق في ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ ، وانتصار الثورة الجزائرية (١٩٦٢) ، والثورة في اليمن في العام نفسه ، ومن ثم احتدمت التناقضات بين حركة التحرر الوطني العربي ، التي كانت مصر تمثل قيادتها الفكرية ، وبين الامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة ، بالاضافة الى اسرائيل التي اصبحت تشعر بتزايد الخطر على جوهر كيانها واطماعها الصهيونية التوسعية ازاء تنامي قوة حركة التحرر الوطني العربي .

وفي الوقت نفسه كانت القوة العسكرية المصرية والسورية تتزايد كماً ونوعياً ، ففي العام ١٩٦٠ تقريباً كان قد تم إعادة تسليح وتنظيم وتدريب الجيش المصري وفقاً للنمط السوفياتي ، وأثبت في تشكيله الجديد كفاءة واضحة حين تحركت منه قوة مؤلفة من فرقتي مشاة وفرقة مدرعة خلال شهر شباط (فبراير) ١٩٦٠ الى سيناء لدعم سوريا (التي كانت وقتئذ جزءاً من الجمهورية العربية المتحدة) اثناء معركة « التوافيق » الواقعة قرب بحيرة « طبريا » .

وكان لا بد لاسرائيل أن تسعى بسرعة لضرب هذه القوة العسكرية العربية المتعاظمة والتي باتت تهدد قوتها العسكرية ، خاصة وأن الشعب الفلسطيني بدأ يمارس دوره النضالي منذ بداية عام ١٩٦٥ من خلال منظماته الثورية ، وممارسة دوره السياسي من خلال منظمة التحرير التي تشكلت في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٤ ، وبدأت في تنظيم جيش التحرير الفلسطيني.

وبقدر ما كانت هذه القوة العسكرية والسياسية العربية تثير قلق اسرائيل ، فقد كانت الولايات المتحدة الامريكية منزعجة للغاية من الوجود العسكري والسياسي المصري في اليمن الذي بدا مهدداً لمصالحها البترولية والاستراتيجية في المنطقة ، وكذلك من التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية داخل مصر التي بدأت تتخذ مساراً غير رأسمالي منذ العام ١٩٦١ ، والتي صاحبها توثيق العلاقات مع الاتحاد السوفييتي والكتلة الاشتراكية بصفة عامة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية . ولما فشلت الجهود الامريكية المبذولة من اجل اجبار النظام المصري على التخلي عن سياسته العربية والداخلية عن طريق الضغوط الاقتصادية (قطع المعونات والقمح الخ) ، والاستنزاف العسكري غير المباشر في اليمن ، قررت الولايات المتحدة في بداية ١٩٦٧ « ضرورة اسقاط عبد الناصر في مصر وعزل مصر عن بقية العالم العربي » كما قال الديبلوماسي الامريكي « دافيد نيس » ، الذي كان يعمل وقتئذ في السفارة الامريكية في القاهرة ، وذلك في محاضرة له القاها بجامعة «كولورادو» في نيسان (ابريل) ١٩٦٨ ، بعد ان استقال من وظيفته احتجاجاً على السياسة الامريكية المذكورة . ولهذا قامت أجهزة وكالة المخابرات المركزية الأميركية بدراسة خطة الهجوم الاسرائيلي المعدة من قبل بخطوطها العامة ، واختبرتها في العقل الالكتروني « الكومبيوتر » على ضوء تقديرات ميزان القوى وتقارير قياس القدرات القتالية الفعلية ، وذلك خلال شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٦٧ .

وهكذا تلاقت مصلحة كل من الولايات المتحدة واسرائيل في اجتذاب مصر إلى حرب مدبرة يتم فيها تدمير جيشها واسقاط نظامها السياسي ، ومن ثم تحطيم الجيش السوري ايضاً والاستيلاء على الجولان واحتلال الضفة الغربية لنهر الاردن التي تشكل نتوءاً خطيراً داخل الارض المحتلة في فلسطين منذ العام ١٩٤٨ . وبدأ التخطيط الدقيق لاستدراج مصر إلى هذه الحرب في توقيت لا يناسبها ، خاصة وأن قواتها كانت منشغلة بحرب اليمن . وكانت بداية تنفيذ المخطط الاسرائيلي – الامريكي في اوائل نيسان (ابريل) ١٩٦٧، حين بدأت اسرائيل سلسلة من الانتهاكات لاتفاقية الهدنة مع سوريا ، وذلك بتوسيع المناطق الزراعية التابعة لها في المنطقة المنزوعة السلاح شرقي بحيرة طبريا، على حساب الاراضي التي يملكها المزارعون السوريون . وأدى الرد السوري في ٧ نيسان (ابريل) على هذا الانتهاك المتعمد إلى نشوب قتال بالمدفعية والطيران اسفر عن اسقاط ٦ طائرات ميغ ٢١ سورية . ثم بدأت أثر ذلك سلسلة من التهديدات الاسرائيلية لسوريا . وتمت في الوقت نفسه بعض التحركات العسكرية قرب الحدود السورية توحي بأن هناك حشوداً ضخمة ، مع انكار وجود مثل هذه الحشود لمراقبي الهدنة التابعين للامم المتحدة .

ولما كانت مصر تربطها بسوريا معاهدة دفاع مشترك ، عقدت في ١٩٦٦/١١/٤ ، فقد كان من الطبيعي أن تتضامن مصر مع سوريا في مواجهة التهديدات الاسرائيلية الصريحة لها بالحرب ، والتي جسدتها معركة ١٩٦٧/٤/٧ الجوية ، خاصة وأن اسرائيل تعمدت استفزاز قيادتها السياسية في صميم شعورها بمسؤوليتها القومية عندما كررت التهديدات العسكرية لسوريا،واوضحت أن مصر لن تستطيع التدخل لصالح سوريا لأنها ضعيفة نتيجة تورطها في اليمن . كما تلقت القيادة السياسية المصرية يوم ١٣ أيار (مايو) معلومات من الاتحاد السوفييتي تفيد بوجود حشود أسرائيلية قوية عند الحدود السورية قدرت بنحو ١١ – ١٣ لواء ، ولذلك اعلنت حالة الاستعداد القصوى داخل القوات المسلحة في الساعة ١٤,٣٠ من بعد ظهر يوم ١٤ أيار (مايو) ، وبدأت عملية تحريك واسعة النطاق لقوات القيادة الشرقية الموجودة في منطقة القناة نحو سيناء وكذلك قوات الاحتياطي الاستراتيجي قرب القاهرة ، التي تعمدت أن تكون تحركاتها بصورة بالغة العلنية كاعلان بأن مصر ستخوض الحرب اذا ما نفذت اسرائيل تهديداتها ضد سوريا . وهكذا بدأ استدراج مصر وسوريا إلى حرب ١٩٦٧ ، التي كانت القيادة العسكرية الاسرائيلية تستعد لها بجدية كاملة منذ اضطرارها الى سحب قواتها من سيناء وقطاع غزة في العام ١٩٥٧ دون أن تحقق أي هدف سياسي جوهري من وراء مغامرتها العسكرية المشتركة مع بريطانيا وفرنسا . وهكذا كان تصرف اسرائيل في خطوطه العريضة مخططاً ومدروساً ، على حين كانت تصرفات مصر وسوريا ، في جوهرها ، مجرد ردود افعال غير مدروسة أو مخطط لها بدقة . وان كانت نابعة من موقف قومي مبدئي .

الاحداث السابقة للحرب : بدأت القيادة العسكرية المصرية تحرك قواتها الرئيسية عبر شوارع القاهرة يوم ١٩٦٧/٥/١٥ ، عقب عودة الفريق محمد فوزي رئيس الاركان من زيارته السريعة الى

وضع إسرائيل الاستراتيجي قبل حرب ١٩٧٦

دمشق في اليوم السابق لتنسيق الخطط والمواقف العسكرية مع القيادة السورية . وفي يوم ٥/١٦ ارسلت القيادة السياسية المصرية رسالة الى الجنرال « ريكي » قائد قوات الطوارىء الدولية (وكانت تضم وقتئذ ٩٧٨ جندياً هندياً و ٨٠٠ كندياً و ٥٨٠ يوغسلافياً و ٥٢٨ سويدياً و ٤٣٢ برازيلياً و ٧٢ نرويجياً و ٣ دنماركيين) تطلب منه فيها تجميع قواته في قطاع غزة واخلاء مواقعه في « الكونتلا » و « الصبحة » و « شرم الشيخ » لتتجنب وقوع خسائر بها اذا ما نشب القتال . ورفض « ريكي » الاستجابة لهذا الطلب نظراً لانه يتلقى اوامره من السكرتير العام للامم المتحدة . وفي الليلة نفسها دفعت اسرائيل بقوة مؤلفة من وحدة دبابات و ٣ كتائب مشاة ميكانيكية إلى مقابل قطاع غزة اثر اذاعة نبأ الرسالة المصرية . وفي ٥/١٨ ارسل « يوثانت » ، سكرتير الامم المتحدة ، الى اسرائيل يسألها اذا كانت تقبل وجود قوات الطوارىء الدولية على الجانب الذي تسيطر عليه من الحدود ، إلا أنها رفضت اقتراحه هذا . وأثر ذلك امر « يوثانت » الجنرال « ريكي » بتجميع قواته في قطاع غزة . وفي يوم ٥/١٩ انسحبت قوات الطوارىء الدولية من « رأس نصراني » إلى « شرم الشيخ » حيث بقيت هناك حتى يوم ٥/٢٣ ثم انسحبت نهائياً من المنطقة. وفي يوم ٥/١٩ ايضاً وصلت الى « شرم الشيخ » وحدة من المظليين المصريين لتحل محل القوات الدولية . وفي يوم ٥/٢٠ زار المشير عبد الحكيم عامر شبه جزيرة سيناء وتفقد المراكز السابقة لقوات الطوارىء على الحدود ، وفي اليوم نفسه تمت المرحلة الاولى من التعبئة العامة في اسرائيل ، وشرعت القيادة المصرية في استدعاء قوات الاحتياطي . وفي يوم ٥/٢١ قدر عدد القوات المصرية في سيناء بنحو ٨٠ الف جندي مقابل ٣٠ الف جندي اسرائيلي في صحراء النقب والمنطقة المواجهة لقطاع غزة . وفي ٥/٢٣ أعلن الرئيس « جمال عبد الناصر » اغلاق مضائق تيران في وجه الملاحة الاسرائيلية . وفي ٥/٢٤ وصلت الى مصر وحدات عسكرية كويتية وجزائرية وسودانية؛ واعلنت الاردن انها استكملت تعبئة قواتها وأن قوات سعودية ستصل اليها لدعمها . وفي اليوم نفسه وصل « يوثانت » إلى القاهرة واجرى مباحثات مع الرئيس عبد الناصر لتخفيف حدة التوتر في المنطقة ، وقد اخبره عبد الناصر انه لن يكون البادئ بالحرب وان على اسرائيل أن تنفذ شروط اتفاقية الهدنة المعقودة في العام ١٩٤٩ وتخلي المناطق المنزوعة السلاح المتفق عليها وفقاً لهذه الاتفاقية مثل « العوجة » ، وأن تنفذ القرارات الدولية المتعلقة بمشكلة اللاجئين الفلسطينيين . واعلن رئيس وزراء اسرائيل « ليڤي اشكول » في اليوم نفسه أن اغلاق المضائق يعتبر عملا عدوانياً ضد اسرائيل . وفي ٥/٢٥ اجتمع وزير الخارجية الاسرائيلي « ابا ايبان» بالرئيس الامريكي « جونسون » الذي ارسل في اليوم نفسه رسالة الى الرئيس « عبد الناصر » يطلب منه فيها عدم البدء بالقتال وضبط النفس حتى لا تعرقل مساعي الولايات المتحدة لتحقيق السلام في المنطقة ، كما ارسل في الوقت نفسه رسالة الى الاتحاد السوفييتي يعرض عليه فيها الاشتراك مع الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا في تشكيل قوة بحرية مشتركة لرفع الحصار عن مضائق تيران . ولكن الاتحاد السوفييتي رفض هذا العرض وارسل « كوسيغين » ،

رئيس الوزراء السوفييتي ، برقية الى الرئيس عبد الناصر يحذره فيها من نوايا الولايات المتحدة المذكورة . وفي اليوم نفسه سافر وزير الحربية المصري «شمس بدران» إلى موسكو لاجراء محادثات حول الموقف في المنطقة ، وطلب أسلحة ومعدات جديدة ، وغادر «يوثانت» القاهرة دون التوصل الى أمر محدد بشأن الازمة . وفي فجر يوم ٢٦/٥ ابلغ السفير السوفييتي في القاهرة الرئيس «عبد الناصر» رسالة من القادة السوفييت يطلبون فيها منه ألا يبدأ عمليات حربية ضد اسرائيل ، كما أرسلوا رسالة إلى «ليفي اشكول» في اسرائيل بنفس المعنى . والواقع أن الرئيس عبد الناصر كان مستقراً على قرار عدم بدء الحرب بحكم انه كان يعتقد أن اظهار نوايا مصر الجدية بالتدخل العسكري ضد اسرائيل في حالة عدوانها على سوريا كفيل بردعها ، كما انه قصد من وراء تحركه العسكري في سيناء انهاء آخر أثر من آثار حرب ١٩٥٦، وهو استعادة سيطرة مصر الكاملة على مضائق تيران وعلى المنطقة المنزوعة السلاح على طول الحدود الفلسطينية البالغ عرضها نحو ١٠ كلم . وقد اكد ليوثانت ، في يوم ٢٤/٥ ، انه لن يبدأ حرباً ضد اسرائيل .

وكانت الاستراتيجية المصرية (والسورية ايضاً) في مواجهة اسرائيل استراتيجية دفاعية في الاساس ، استمراراً لما كان متبعاً بالفعل منذ انتهاء حرب ١٩٤٨ من قبل دول المواجهة العربية كلها، من حيث محاولة تجميد الامر الواقع الاسرائيلي والحيلولة دون مزيد من التوسعات الاقليمية له ، نظراً لأن الظروف الدولية واوضاع موازين القوى العسكرية المحلية لم تكن تسمح للدول العربية بغير ذلك . والواقع أن مصر قررت تلقي الضربة الأولى وامتصاصها والانتقال بعد ذلك إلى الهجوم لتحقيق مكاسب محدودة ، تتمثل في احتلال المناطق التي استولت عليها اسرائيل بعد هدنة ١٩٤٧ . ولقد انعكست هذه الاستراتيجية على توزيع القوات المصرية في سيناء عشية بدء القتال .

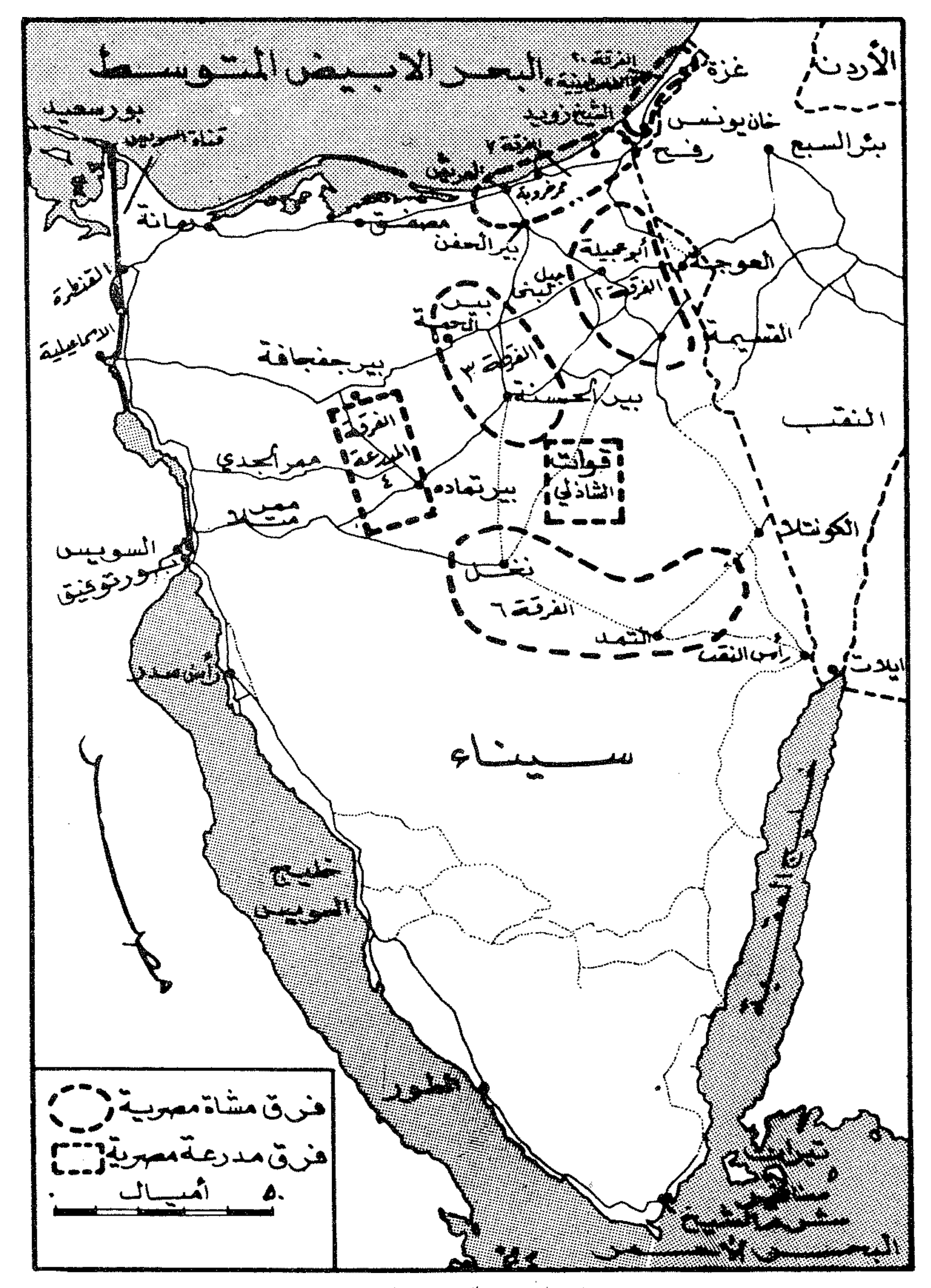
وفي ٣٠/٥ طار الملك «حسين» الى القاهرة ووقع مع الرئيس «عبد الناصر» معاهدة دفاع مشترك ووضع قواته المسلحة تحت قيادة الفريق «عبد المنعم رياض» ، الذي وصل إلى عمان بعد ذلك يوم ١/٦ لتولي مهام قيادته الجديدة، والتي كان من المفروض أن تُلحق بها القوات العراقية التي ستصل الى الاردن . وفي اليوم نفسه قبل «ليفي اشكول» ضغوط المؤسسة العسكرية الاسرائيلية عليه وعين الجنرال «موشى ديان» وزيراً للدفاع ، وكان هذا نذيراً واضحاً بقرب بدء الحرب من جانب اسرائيل . ولذلك عقد الرئيس «عبد الناصر» اجتماعاً موسعاً مع كبار القادة العسكريين يوم ٢/٦ وقال فيه ان احتمال الحرب اصبح مؤكداً بنسبة ١٠٠٪ وانه يتوقع هجوماً جوياً إسرائيلياً مفاجئاً على القواعد الجوية ، كما فعل السلاح الجوي البريطاني عام ١٩٥٦ ، وقال أن ذلك الهجوم قد يقع يوم ٤ أو ٥ حزيران (يونيو) على الاكثر . إلا أن الفريق أول «محمد صدقي محمود» ، قائد السلاح الجوي المصري ، الذي كان حاضراً الاجتماع لم يأخذ توقعات الرئيس مأخذ الجد ، ولم يبلغ قيادة الدفاع الجوي أو قادة القواعد والتشكيلات الجوية بأي تحذير من مثل هذا الهجوم المحتمل .

ميزان القوى العسكري عشية بدء الحرب :

كانت القوات المصرية المسلحة تقدر قبيل حرب ١٩٦٧ بنحو ١٩٠ الف رجل ، منهم نحو ١٦٠ الف جندي في القوات البرية ، لديهم نحو ١٠٠٠ دبابة من انواع «ستالين ٣» و«ت ٣٤» و«ت ٥٤» و«ت ٥٥»، فضلا عن نحو ٣٠ دبابة «سنتوريون» و ٢٠ «أم اكس – ١٣» وبعض الدبابات البرمائية الخفيفة «ب ت – ٧٦»، وحوالي ١٥٠ مدفعاً ذاتي الحركة «س يو – ١٠٠» و«س يو – ١٥٢» ، ونحو ١١٦٠ ناقلة جنود مدرعة من انواع «ب ت ر – ٤٠» و«ب ت ر – ١٥٢» و«ب ت ر – ٥٠ ب» ، بالاضافة لنحو ١٠٠٠ مدفع من عيارات ١٢٢ م و ١٣٠ م وقواذف متعددة السبطانات لصواريخ «كاتيوشا» ذات عيارات مختلفة ، ومئات من المدافع المضادة للدبابات عيار ٥٧ م و ٨٥ م و ١٠٠ م و ١٠٧ م عديم الارتداد و ٨٢ م عديم الارتداد، وصواريخ «سنابر» الموجهة ضد الدبابات ، وهاونات ثقيلة عيار ١٢٠ م و ١٦٠ م ، ومئات من المدافع المضادة للطائرات عيار ٣٧ م و ٥٧ م و ٨٥ م و ١٠٠ م فضلا عن نحو ١٢٠ صاروخ «سام ٢» . أما القوات الجوية المصرية فكان لديها نحو ١٢٠ مقاتلة «ميغ ٢١» و ٤٠ «ميغ ١٩» و ١٨٠ «ميغ ١٧ و ١٥»، و ٢٠ مقاتلة قاذفة «سوخوي ٧» و ٣٠ قاذفة قنابل متوسطة «ت يو – ١٦» و ٤٠ قاذفة قنابل خفيفة «اليوشين ٢٨» ، فضلا عن نحو ٦٠ طائرة هليكوبتر «مي ٢» و«مي ٤» و«مي ٦»، ونحو ٩٠ طائرة نقل «اليوشين ١٤» و«انيتنوف – ١٢» .

وكانت القوات البحرية المصرية تضم ٦ مدمرات (٤ منها سوفييتية من طراز «سكوردي» و ٢ بريطانيتان) و ١٢ غواصة (سوفييتية الصنع) و ١٨ زورق صواريخ (سوفييتية الصنع «كومار» و«اوسا») و ١٢ زورق مضاد للغواصات (سوفييتية الصنع) و ٤٣ زورق طوربيد (سوفييتية الصنع ويوغسلافية). وكانت القوات السورية المسلحة تتألف من نحو ٧٠ ألف جندي (فضلا عن ٤٠ الفاً آخرين من الاحتياطي) وتضم القوات البرية نحو ٦٠ الف جندي من هذه القوات ، ولديها نحو ٥٥٠ دبابة ونحو ٥٠٠ ناقلة جنود مدرعة (وكلها من انواع سوفييتية) بالاضافة لعدة مئات من قطع المدفعية بمختلف انواعها (ميدانية وم/د وم/ط وكلها سوفييتية الصنع) . أما القوات الجوية السورية فكانت تضم نحو ١٢٠ طائرة حربية منها حوالي ٢٠ «ميغ ٢١» و ٢٠ «ميغ ١٩» و ٦٠ «ميغ ١٧» و ٦ قاذفات «اليوشين ٢٨» وعدد قليل من طائرات الهليكوبتر والنقل والتدريب . أما القوة البحرية السورية فكانت تضم ٤ زوارق صواريخ «كومار» و ٣ زوارق طوربيد وكاسحتي الغام وبعض زوارق الحراسة الساحلية . وكان الاردن يملك نحو ٥٦ الف جندي لديهم ١٧٦ دبابة «باتون» ونحو ٧٠ دبابة «سنتوريون» وحوالي ٢٥٠ ناقلة جنود مدرعة ونحو ١٥٠ مدفعاً من عيار ٢٥ رطل و ١٥٥ م ، وقوة جوية تضم ٢٢ طائرة مقاتلة من طراز «هوكر هنتر» و ٦ طائرات نقل و ٣ طائرات هليكوبتر .

وفي المقابل كان الجيش الاسرائيلي يضم نحو ٢٦٠ الف جندي (عند استكمال التعبئة العامة) لديهم عدداً يتراوح بين ١٢٠٠ و ١٤٠٠ دبابة من انواع «سنتوريون» و«باتون م – ٤٨» و«ام اكس – ١٣» و«سوبر شيرمان» ، وعدة مئات من ناقلات الجنود المدرعة «م – ٢» و«م – ٣» ، فضلا عن عدة مئات من المدافع المختلفة الانواع من عيار ٢٥ رطل و ١٠٥ م و ١٥٥ م الميدانية والهاوتزر والهاونات الثقيلة ١٢٠ م و ١٦٠م، و ٥٧ م و ١٧ رطل و ١٠٦ عديمة الارتداد و ٩٠ م وكلها مضادة للدبابات، و ٢٠ م و ٣٠ م و ٤٠ م المضادة للطائرات ، فضلا عن نحو ٥٠ صاروخ ارض – جو من طراز «هوك» . أما القوات الجوية الاسرائيلية فكانت تضم نحو ٩٢ طائرة «ميراج ٣ سي» و ٢٤ «سوبر ميستير» و ٥٠ «ميستير ٤» و ٢٥ «فوتور ٢» و ٤٨ «اوراغان» و ٦٠ «فوغا ماجستير» ، أي ما مجموعه نحو ٣٠٠ طائرة حربية فضلا عن نحو ٤٠ طائرة نقل و ٢٥ طائرة هليكوبتر . وكانت البحرية الاسرائيلية تتألف من ٣ مدمرات وفرقاطة مضادة للغواصات وغواصتين وسفينتي حراسة



انتشار القوات المصرية البرية عشية حرب ١٩٧٦

ساحليتين و١٢ زورق طوربيد.

ولقد كانت القدرات التقنية والتكتيكية لاسلحة الطرفين، سواء في الدبابات أو الطائرات، متقاربة ومتوازنة في جملتها، ولا تحقق لأي منهما بالنسبة للآخر تفوقاً تقنياً مطلقاً، وإنما كان الامر يتوقف في نهاية الامر على كفاءة استخدام هذه الاسلحة والمعدات على المستوى التكتيكي والعملياتي وضمن خطة استراتيجية ملائمة، ووفقاً لمدى ارتفاع مستوى التدريب والقيادة والخدمات الادارية والفنية المتاحة لكل طرف. وباختصار نستطيع القول أن جوهر التفوق العسكري الاسرائيلي في حرب ١٩٦٧ لم يكن كامناً في حجم ونوعية السلاح، وانما كان مرتكزاً في الاساس في عنصر المقدرة التنظيمية والقيادية التي استطاعت أن توظف عناصر القوة البشرية والوضع الجغرافي - الاستراتيجي والقوة المادية العسكرية والقيم المعنوية ضمن استراتيجية هجومية، تعتمد على المفاجأة وحرب الحركة الخاطفة، وتستفيد من حشد قواها في المكان والزمان الذي يحقق لها تفوقاً كمياً في كل معركة على حدة في معظم الحالات.

أ - الحرب على الجبهة المصرية:

توزيع القوات المصرية: قبل ١٤ أيار (مايو) ١٩٦٧ كانت القوات المصرية في سيناء وقطاع غزة تتألف من الفرقة ٢٠ الفلسطينية (في قطاع غزة) وفرقة المشاة الثانية المصرية موزعة على طول الحدود المصرية - الفلسطينية. وعقب حشد القوات الضخم في سيناء اصبحت القوات المصرية على النحو التالي:

١ - الفرقة ٢٠ الفلسطينية (التابعة لجيش التحرير الفلسطيني) وكانت تتألف من لوائي مشاة وفوج مغاوير (صاعقة) تدعمهـا بعض بطاريات المدفعية عيار ٢٥ رطل والمدافع ٥٧ مم م/د ونحو كتيبة دبابات «شيرمان».

٢ - فرقة المشاة السابعة في قطاع «رفح - العريش» وتتألف من ٤ ألوية مشاة (لواءان في رفح ولواء في ممر خروبة ولواء في بير الحفن) وفوج مدرع يضم نحو ١٠٠ دبابة «ت ٣٤» و«ستالين ٣» ومدافع «س يو ١٠٠» موزع بين «رفح» و«الشيخ زويد»، ولواء مدفعية متمركز اساساً في «رفح».

٣ - فرقة المشاة الثانية في قطاع «ابو عجيلة - القسيمة» وتتألف من لوائي مشاة (احدهـا في ابو عجيلة والثاني في القسيمة) وفوجين مدرعين (احدهما في ابو عجيلة والثاني في القسيمة) ولوائي مدفعيـة موزعين على النحو السابق.

٤ - فرقة المشاة الثالثة في قطاع «جبل لبنى - بير الحسنة»، على المحور الاوسط في مؤخرة الفرقة الثانية، وتتألف من ٣ الوية مشاة محمولة وفوج مدرع ولوائي مدفعية، وكانت بمثابة خط دفاعي ثان على المحور الاوسط.

٥ - فرقة المشاة السادسة في قطاع «الكونتلا - الثمد - نخل»، على المحور الجنوبي، وتتألف من ٤ الوية مشاة محمولة وفوج مدرع ولواء مدفعية، وكانت تسيطر على طرق الاقتراب المؤدية إلى جنوب صحراء النقب وميناء «ايلات» وتحمي طريـق الاقتراب من «السويس» عبر «ممر متلا».

٦ - والى الشمال الغربي من الفرقة السادسة كانت توجد مجموعة مدرعة تعرف بمجموعة «الشاذلي» المدرعة، وتتألف من لواء مدرع ولواء مغـاوير

ميكانيكي ولواء مدفعية، وهي معدة للهجوم، بالتعاون مع وحدات من الفرقة السادسة لقطع طريق «بئر السبع – ايلات».

٧ – الفرقة المدرعة الرابعة في قطاع «بير جفجافة – بير تماده»، وتتألف من لوائين مدرعين ولواء مشاة محمول ولواء مدفعية، وتشكل خط دفاع ثالث في العمق العملياتي قرب ممرى «جفجافة» و«الجدي» وتعد ايضاً كاحتياطي استراتيجي. كما كان يوجد لواء «مغاوير» في «رمانه» و«بالوظه» على المحور الشمالي، ولواء مشاة آخر في «جبل الطور» على الساحل الشرقي لخليج السويس، فضلا عن قوة اخرى مؤلفة من كتيبتي مشاة في «شرم الشيخ» حلتا محل وحدة المظليين التي امنت الموقع عند بدء اخلاء قوات الطوارىء الدولية.

ويبلغ العدد الاجمالي لهذه القوات نحو ٩٠ الف جندي لديهم حوالي ٩٥٠ دبابة ومدفع ذاتي الحركة وقانص للدبابات ونحو ١٠٠٠ مدفع، فضلا عن نحو ١٠٠٠ ناقلة جنود مدرعة. إلا أن اكثر من ثلث هؤلاء الجنود كانوا من قوات الاحتياط التي استدعيت على عجل ولم يعاد تدريبها بصورة مرضية، ثم جرى دمجها داخل التشكيلات العاملة الاصلية في عديد من الفرق، مما أدى الى اضعاف القدرة القتالية لهذه الفرق الى حد كبير، كما أن عديداً من قادة التشكيلات نقلوا اليها أو عينوا عليها قبيل نشوب القتال بوقت قصير، مما جعلهم لا يعرفون حقيقة مستوى تشكيلاتهم القتالي ولا يعرفهم رجالها في الوقت نفسه.

وبالاضافة إلى ذلك كانت هناك نسبة لا تقل عن ٢٠٪ من مجموع الدبابات والقانصات غير صالحة للقتال عند بدء الهجوم الاسرائيلي، وكذلك حوالي ٢٥٠ ناقة جنود مدرعة، ونحو ٢٥٪ من المدافع، وذلك بسبب الاعطال الميكانيكية والفنية الناتجة عن كثرة الحركة وطول المسافات التي قطعتها الوحدات خلال الفترة السابقة لنشوب القتال، ولنقص قطع الغيار المترتب على اضطراب نظام الامداد والتموين والشؤون الادارية بصفة عامة نتيجة لسرعة وفجائية حشد القوات. وعموماً كان عديد من التشكيلات يعاني من نقص الوقود والمؤون والذخيرة واضطراب نظام الاتصالات والمواصلات نتيجة لسرعة التحرك، وكثرة تنقلات التشكيلات من مكان الى آخر نتيجة للتعديلات العديدة التي كانت القيادة العامة تدخلها على الخطة الموضوعة. فمثلا كانت مجموعة «الشاذلي» المدرعة موجودة قبل بدء الحرب بايام قليلة في منطقة «الشيخ زويد» كقوة ضاربة احتياطية في عمق دفاعات الفرقة السابعة في رفح لتستخدم في الهجوم المعاكس بالقطاع الشمالي، ثم نقلت الى الجنوب بالقرب من «الكونتلا» لشن هجوم معاكس يقطع طريق «بئر السبع – ايلات»، ولذلك كانت معظم دباباتها وآلياتها مرهقة، وبعضها معطل عند نشوب القتال. كما أدت كثرة التنقلات إلى عدم توفر الوقت أو الاهتمام الكافيين من قبل قادة وضباط التشكيلات لدراسة طبيعة الارض التي يقيمون فيها واحكام الرقابة والسيطرة على الاجنحة واجادة اعداد الاستحكامات اللازمة. هذا فضلا عن سريان شعور كبير لديهم بأن العملية كلها ليست اكثر من مظاهر عسكرية ذات اهداف سياسية فحسب.

ويعكس توزيع القوات المصرية على النحو المذكور آنفاً اضطراباً وعدم وضوح في الخطة الاستراتيجية العامة، التي كان من المفترض فيها تحقيق القدرة على امتصاص الضربة الاولى وتقليل نتائجها إلى أقصى حد مستطاع، ثم الانتقال الى هجوم مضاد فعال يزيل أي آثار للضربة الاسرائيلية الاولى، ويلحق خسائر كبيرة بالمهاجمين كافية لردعهم عن مواصلة العدوان والتوسع، والقبول بحدود ونتائج حرب ١٩٤٨ على اقل تقدير. ذلك لأن الخط الدفاعي الاول كان محتشداً بقوات كبيرة نسبياً لا تملك وسائل هجومية كافية، وذلك بحكم مهمتها الاساسية هي الدفاع، ولا تستطيع في الوقت نفسه حماية اجنحتها المهددة بالالتفاف بكفاءة وسرعة، خاصة وانها ليست لديها احتياطات مدرعة قوية في عمق دفاعاتها قادرة على الحركة السريعة المضادة لحركات الالتفاف، هذا فضلا عن أن مواقعها الدفاعية المتقدمة لم تكن قوية بدرجة كافية للصمود في وجه هجمات المدرعات والمدفعية والطيران المكثفة (خاصة في «رفح» و«خان يونس» و«الكونتلا»)، كما أنها كانت متباعدة عن بعضها بدرجة كبيرة تسهل على العدو تحقيق اختراق بالمدرعات الى العمق العملياتي، وقطع خطوط مواصلاتها وتطويق وتدمير كل موقع على حدة، دون أن يستطيع الموقع الآخر مساندته. وذلك مثلما كان حال مواقع الفرقة السابعة في «رفح» التي يفصلها نحو ٥٠ كلم عن مواقع الفرقة الثانية في «ابو عجيلة»، ومواقع نصف الفرقة الثانية في «ام قطف» و«ابو عجيلة» التي كانت شبه معزولة عن مواقع النصف الثاني من الفرقة في «القسيمة»، حيث كانت توجد قيادة الفرقة نفسها.

بالاضافة الى أن القسم الرئيسي من القوات المدرعة، الذي كان موزعاً على مجموعة «الشاذلي» والفرقة المدرعة الرابعة، كان محتشداً في مواقع بعيدة للغاية عن القطاع الرئيسي للعمليات الذي حشدت فيه القوات الاسرائيلية الاساسية في المنطقة الممتدة بين «ابو عجيلة» و«رفح»، ومن ثم كان تحريك هذه المدرعات لتشن هجمات مضادة فعالة يتطلب وقتاً طويلا نسبياً، ويفترض وجود حماية جوية قوية. وكان الاعتماد على قوة فرقة المشاة الميكانيكية الثالثة في «جبل لبنى» و«بير الحسنة» وحدها في التصدي للاختراق المتوقع من جانب مدرعات ثلاث مجموعات ألوية اسرائيلية (مجموعات «تال» و«يوفه» و«شارون») في القطاعين الشمالي والاوسط البالغ عددها نحو ٧٠٠ دبابة، لا يشكل حلا ملائماً لمشكلة نقص القوى المدرعة في هذا القطاع، نظراً لعدم وجود أي تكافؤ في قوى الطرفين في هذه الحالة. والارجح أن توزيع القوات المصرية على النحو الذي تم به لم يكن يستند إلى توفر معلومات دقيقة عن حشود العدو، والتي كانت تعكس بالضرورة نواياه الهجومية، والاتجاهات الرئيسية المتوقعة، التي لم تكن في المحور الجنوبي على الاطلاق.

وكان حشد لواء مدرع مع «الشاذلي» شمال غرب «الكونتلا»، ولواء مدرع آخر مع الفرقة السادسة في «الكونتلا» و«التمد» للقيام بضربة ثانوية تعزل «ايلات» عن «بئر السبع»، في الوقت الذي تدور فيه رحى المعركة الرئيسية في الشمال وتتواجد فيه الفرقة المدرعة الرابعة بعيداً عنها في «بير جفجافة» و«بير تماده»، تخطيطاً لا يخدم الدفاع لامتصاص الضربة الاسرائيلية الاولى، ولا يحقق أي امكانية عملية فعالة لتوجيه ضربة مضادة مؤثرة. ذلك لأن القيادة الاسرائيلية كانت تستطيع تجاهل مثل هذه الضربة الثانوية التي ستتم على اقصى جناحها الجنوبي، حتى لو أدت جدلا إلى تطويق ايلات، وتمضي قدماً في الضغط بقوة على مواقع «رفح» و«ابو عجيلة» لتفتح المحورين الشمالي والاوسط على مصراعيها بسرعة، وقبل أن تتدخل قوات الفرقة المدرعة الرابعة، لتزحف في اقتراب غير مباشر ضد قوات المحور الجنوبي، وتقطع طرق مواصلاتها عند مدخلي ممري «الجدي» و«متلا»، بعد تدمير الفرقة المدرعة الرابعة عند «بير جفجافة» و«بير تماده».

اجراءات الخداع الاسرائيلية: اتخذت القيادة الاسرائيلية عدة اجراءات قبيل شن هجومها المفاجىء يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧. وكان أهم هذه الاجراءات: ١ – دعوة الاحتياط بصورة تدريجية سرية خلال الاسابيع الثلاثة قبل بداية الحرب، ٢ – منح الاجازات إلى الجنود قبل الحرب بأيام

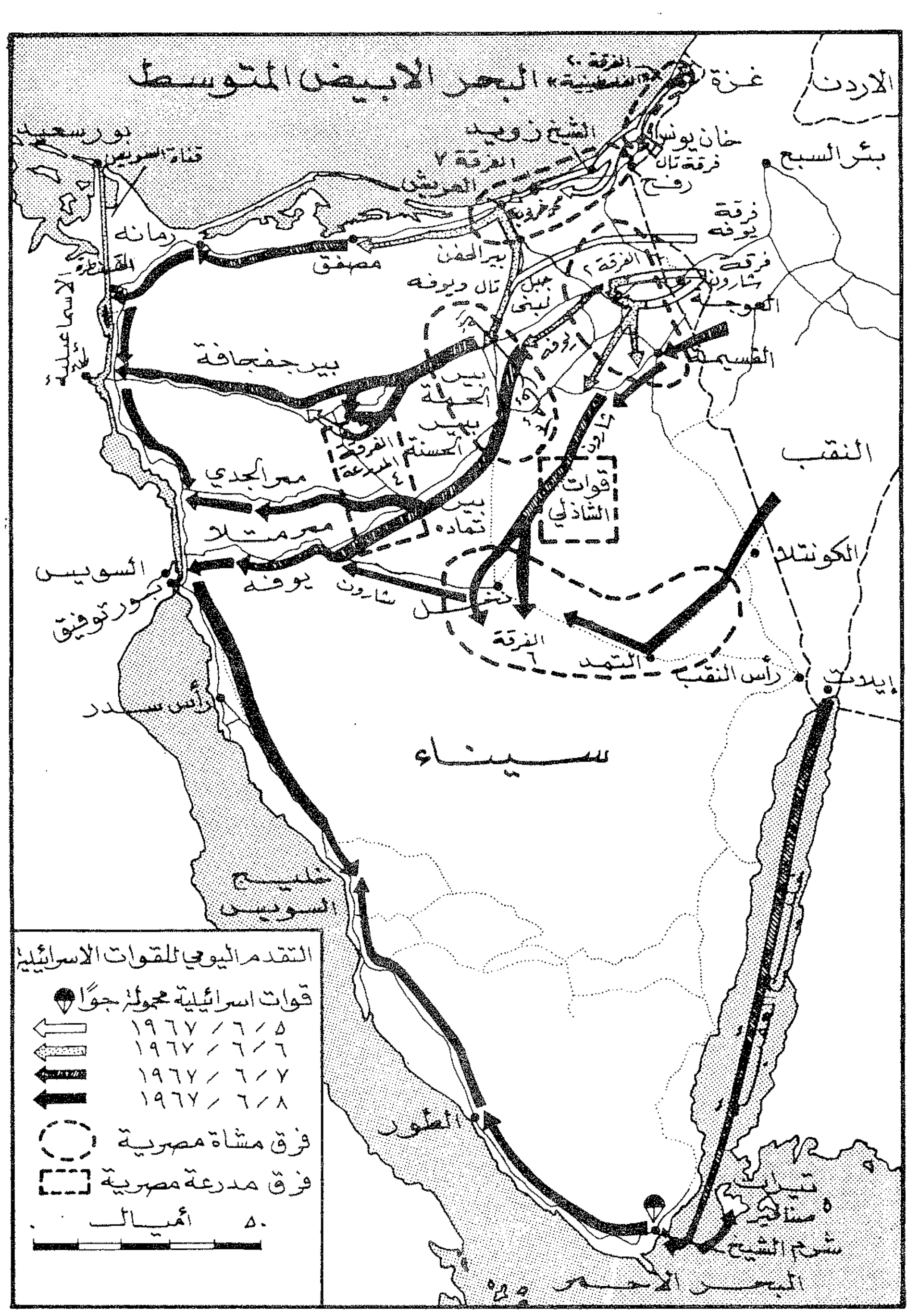
قليلة ودعوة الصحفيين الاجانب لمشاهدة هؤلاء الجنود وهم يستحمون على شواطىء البحر ، ٣ – وقف الاستطلاع الجوي قبل الحرب بخمسة أيام ، ٤ – ارسال تشكيلات قوية من الطائرات قبل الحرب باتجاه خليج العقبة وجنوب سيناء لحمل المصريين على الاعتقاد بأن الهجوم سيتم من ذلك الاتجاه ، ٥ – التركيز في الاذاعات ووسائل الاعلام الاسرائيلية على لجوء اسرائيل الى المحافل الدولية ، وهيئة الأمم المتحدة والقوة البحرية التي أذيع عن تشكيلها لفتح مضائق تيران من قبل اميركا وانكلترا ، وفاء لالتزاماتها بتأمين الملاحة الاسرائيلية ، ٦ – اتقان أعمال الاخفاء والتمويه للقوات والتشكيلات في مواقع الهجوم . وبذلك استطاعت اسرائيل تحقيق المباغتة والامساك بالمبادأة .

العمليات الجوية على الجبهة المصرية : بدأت القوات الجوية الاسرائيلية في الساعة ٨,٤٥ (بتوقيت القاهرة) من صباح يوم الاثنين ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ هجومها على القواعد الجوية لجمهورية مصر العربية . وفي الساعة ٩,٠٠ اعلنت اذاعة اسرائيل أنها أصبحت في حالة حرب مع مصر . وكانت خطة الهجوم الاسرائيلية تحمل الاسم الرمزي (حركة الحمامة) أما اصطلاح بداية الهجوم الجوي فهو الاسم الرمزي (كولومب) . وبموجب خطة (حركة الحمامة) أطلقت اسرائيل جميع طائراتها المقاتلة ضد القواعد الجوية والطائرات المصرية بحيث لم تحتفظ الا باثنتي عشرة طائرة (ثمانية طائرات كمظلة لحماية سماء اسرائيل، وأربعة طائرات على الأرض لمجابهة الطوارىء) . وقد شمل الهجوم الاسرائيلي ٩ مطارات رئيسية هي (العريش ، جبل لبنى ، بير جفجافه ، بير تماده – وكلها في سيناء ، وكذلك أبو صوير ، وكبريت وفايد ومطار غرب القاهرة وبني سويف وكلها غرب القناة) . وخصص لمهاجمة كل مطار رف مؤلف من أربع طائرات كانت تطير بأزواج . وقد أقلعت هذه الطائرات من عدة مطارات تقع جوار تل أبيب وفي أوقات متباينة ليتسنى لها الوصول الى اهدافها في وقت واحد . وشن الطيران الاسرائيلي هجومه الجوي على المطارات المصرية بموجات متعاقبة بين كل موجة وأخرى عشرة دقائق . فبينما كانت طائرات الموجة الأولى تهاجم أهدافها كانت الموجة الثانية في طريقها الى اهدافها ، والموجة الثالثة قد بدأت في الاقلاع وهكذا ... وقد استمرت موجات طائرات اسرائيل في الهجوم على المطارات المصرية دون انقطاع من الساعة ٨,٤٥ حتى الساعة ١١,٣٥ .

وحلقت الطائرات المغيرة على ارتفاع منخفض جداً بلغ أحياناً ثلاثين قدماً فوق مستوى البحر أو الأرض (عشرة أمتار تقريباً)، وذلك حتى تبقى تحت مستوى رصد اجهزة الرادار العربية ، (وغير العربية ايضاً. فقد كانت محطات الرادار الأمريكية والروسية والبريطانية في شرق البحر الأبيض المتوسط وكلها كانت تعمل بيقظة تامة ورصد مستمر وبأقصى فاعلية) . كان لجمهورية مصر العربية في شبه جزيرة سيناء وحدها ستة عشر محطة رادار . لكن اسرائيل لم تهاجم جميع هذه المحطات في بداية الأمر ، بل هاجمت اثنتين منها فقط وهما محطة الحسنه وطلعة البدن . وخصصت القيادة الجوية الاسرائيلية لكل رف من طائراتها فترة سبع دقائق للبقاء فوق الهدف، وهي تكفي لثلاث أو أربع جولات هجومية ، احداها لقصف المدرج بالقنابل واثنتين أو ثلاث لتخريب الطائرات المصرية بنيران المدافع أو لتدمير ملاجىء الطائرات ومراكز السيطرة والمرافق الأخرى بالصواريخ . وخصص لكل رف ثلاث دقائق احتياطية ، بهدف التعويض عن أخطاء الملاحة أو للقيام بجولة اضافية فوق الهدف عند الحاجة . وكانت الطائرات تقصف مدارج المطارات أولا لتمنع الطائرات المصرية من الطيران، ثم تصلي الطائرات الجاثمة على الأرض بنيران مدافعها . وكانت الطائرات الاسرائيلية جميعها تقترب نحو أهدافها عن طريق البحر الأبيض المتوسط ، فكانت تتجه بعد اقلاعها نحو الغرب محاذية ساحل سيناء وعلى بعد خمسين كيلومتراً منه تقريباً . وتم استخدام ستة زوارق بحرية لتوجيه الطائرات . وكانت هذه الزوارق قد اخذت مواقعها المحددة لها في عرض البحر منذ صباح يوم ٥ حزيران (يونيو) . فاذا كانت اهداف الطائرات الاسرائيلية مطارات سيناء ، استدارت الطائرات جنوباً قرب العريش لمهاجمتها ، اما اذا كانت أهدافها مطارات القناة أو دلتا النيل فانها تستدير فوق منطقة بور سعيد أو مصب النيل وتتجه نحو الجنوب لمهاجمتها . وكانت التعليمات قد صدرت الى طياري الموجة الأولى بالصمت اللاسلكي وبالعودة الى قواعدهم في حالة اكتشاف هجومهم قبل أوانه ، نظراً لأن نجاح العملية بكاملها يعتمد على تحقيق المباغتة . واعطيت لطياري هذه الموجة الأوامر بالعودة لمجرد سماع كلمة السر (محكري حاكوم) أي ليقف كل في محله . وقد استخدمت القوات الجوية الاسرائيلية في تدميرها للمطارات العربية نوعاً جديداً من القنابل لم يستخدم من قبل «Concrete Dibber Bomb» المصممة بصورة خاصة لتدمير مهابط الطائرات والتحصينات البيتونية . وزعمت اسرائيل انها هي التي صممت هذه القنابل ، ولكن الواقع انها قنابل افرنسية الصنع صممتها شركة (ماترا) لتسليح طائرات الميراج والفوتور ، وتزن القنبلة ٣٦٥ رطلا ، وتطلقها الطائرة من ارتفاع ٢٠٠ قدم، وهي تطير بسرعة تقل عن ستمائة ميل . وتمتاز، في أنها تحتوي على صاروخ مرجع (Booster) ينطلق تلقائياً فور اطلاق الطائرة للقنبلة فوق المدرج، فيكون له تأثير معاكس يحول دون اندفاع القنبلة باتجاه محرك سير الطائرة ويساعد على هبوطها رأسياً على المدرج . وقبل أن تصل هذه القنبلة الى الأرض ينطلق منها صاروخ ثان فيزودها بقوة اندفاعية تقرب من سرعة الصوت وهو الأمر الذي يساعد على اختراق أرض المدرج المصنوع من البيتون المسلح الى مسافة تقرب من أربعة أمتار ونصف. وبعد اختراقها المدرج تنفجر بواسطة صمامة توقيت ، ويمكن تنظيم الصمامة بحيث تنفجر آنياً أو بعد وقت معين ، وهو الأمر الذي يزيد في صعوبة تصليح المدرج . وقد ساعد هذا النوع من القنابل الطيارين الاسرائيليين على قذف قنابلهم من ارتفاع منخفض جداً دون التعرض لخطر الاصابة بشظايا القنابل عند انفجارها . ولم تستخدم هذه القنابل الا في الهجوم على المطارات التسعة سابقة الذكر . أما في الهجوم على المطارات الأخرى فقد استخدمت الطائرات الاسرائيلية القنابل العادية، وكان المطار الوحيد الذي لم يقصف العدو مدرجه هو مطار العريش . وقد أبقاه العدو سالماً حتى يستطيع استخدامه كقاعدة تموين متقدمة وكمطار لهبوط طائراته . وقد بدأت القوات الاسرائيلية في استخدام مطار العريش بفاعلية اعتباراً من مساء يوم ٦ حزيران (يونيو) . وتميز هجوم الطائرات الاسرائيلية بالتنظيم الجيد في دقة توقيتاته ، وبما أن ساعة (س) لبدء الهجوم هي ٨,٤٥ ، ونظراً لأن رحلة الذهاب بين المطارات (الأهداف) وبين



طائرتان مصريتان مدمرتان على المدرج



الهجوم الإسرائيلي في الجبهة الشرقية

قواعد الانطلاق تتطلب ٢٢ دقيقة طيران، فقد بدأ اقلاع الموجة الأولى في الساعة ٨,٢٣ ، وبدأ الهجوم ٨,٤٥ ، وانتهى الساعة ٨,٥٢، لتصل الى قاعدتها الساعة ٩,١٢ (نظراً لأن رحلة العودة تستغرق مدة أقل من رحلة الذهاب)، حيث تبدأ مرحلة تفتيش الطائرات وتزويدها بالوقود والعتاد والأوكسجين وأفلام الطائرات للتصوير وتحميل القنابل. وتدعي المصادر الاسرائيلية ان جماعات الصيانة الاسرائيلية استطاعت انجاز ذلك كله خلال فترة سبعة دقائق ونصف في حين أن هذه العملية تتطلب في بقية جيوش العالم فترة نصف ساعة. وقد استمرت القوات الجوية الاسرائيلية الأولى مدة ثمانين دقيقة دون توقف (أي حتى الساعة ١٠,٠٥) ثم بعد فترة عشرة دقائق بدأت الضربة الجوية الثانية على المطارات نفسها واستمرت نحو ثمانين دقيقة أخرى، أي حتى الساعة ١١,٤٥ . كما هاجمت الطائرات الاسرائيلية عند الظهر مطار انشاص وبلبيس، وفي الساعة ١٢,١٥ مطار الغردقة على ساحل البحر الاحمر ، وفي الساعة ١٢,٣٠ مطار الاقصر في صعيد مصر. وأخيراً انتهت عمليات الهجوم كلها في الساعة ١٢,٣٠ . وفي ساعات بعد الظهر هاجمت الطائرات الاسرائيلية مطار القاهرة الدولي ومطار رأس بانياس بالبحر الاحمر. وكانت خسائر القوات الجوية المصرية حتى نهاية اليوم الثاني ٢٦٤ طائرة قتال و ٣٢ طائرة نقل و ٩ طائرات هليكوبتر. وكانت الخسائر حتى نهاية الحرب ٣٣٨ طائرة، يقابل ذلك في الجانب الاسرائيلي ١٩ طائرة قتال و ١١ طائرة نقل. وفي نهاية الحرب كانت خسائر اسرائيل في سلاحها الجوي ٢٦ طائرة قتال و ١١ طائرة نقل. وبذلك يمكن القول أن سلاح الجو الاسرائيلي استطاع وضع سلاح الجو المصري خارج المعركة منذ الساعات الأولى لبداية القتال بخسارة تكاد لا تذكر، بفضل المباغتة والمحافظة على المبادأة، وبفضل التنظيم الجيد لعمليات الهجوم ولأعمال الصيانة والتموين. ومقابل ذلك كان الاهمال واللامبالاة وضعف الاستعدادات في الجانب المصري من الاسباب التي ساعدت على نجاح المباغتة. كما كانت المعلومات الدقيقة التي توفرت للقيادة الاسرائيلية عن القواعد الجوية المصرية وعن قادة هذا السلاح عاملا حاسماً في تحقيق المباغتة. ويظهر ذلك بصورة واضحة من خلال تحديد ساعة الهجوم (س). في هذه الساعة تكون القوات الجوية في حالة شبه عدم استعداد ، لأن القوة الجوية المصرية اعتادت أن تكون في أوج يقظتها وفاعليتها قبل هذه الساعة من كل يوم ، ولقد افترض العدو بأن القيادة الجوية المصرية تخصص عدة رفوف من طائرات ميغ ٢١ في وضع الانتظار عند نهاية المدرج وهي جاهزة للاقلاع بعد انذار خمس دقائق اعتباراً من فجر كل يوم. كما افترض بأن الطيران المصري يدفع دورية أو دوريتين من طائرات ميغ ٢١ لتحلق في الجو في ذلك الوقت أيضاً لأنه أكثر اوقات النهار احتمالا للهجوم الجوي. وقد قدر العدو أن درجة الاستعداد هذه لا يمكن أن تستمر طويلا ، فان لم يقع هجوم جوي خلال ساعتين أو ثلاث ساعات بعد الفجر فمن المحتمل أن تخفف القيادة الجوية المصرية تدابير الاستعداد، وتغلق بعض محطات الرادار العربية أجهزتها، ومن ثم تبدأ القوة الجوية المصرية في تخفيف تدابير اليقظة نسبياً اعتباراً من الساعة ٨,٣٠ صباحاً.

خطة الهجوم البري الاسرائيلي في الجبهة المصرية : وضعت القيادة العسكرية الاسرائيلية خطتها العامة للعمليات البرية في سيناء وقطاع غزة على اساس انها لن تبدأ إلا بعد عودة طائرات الموجة الاولى من الهجوم الجوي المفاجيء على المطارات المصرية، والتأكد المبدئي من نجاح الضربة الجوية .

وقد قامت الخطة العامة للعمليات البرية على اساس توجيه الضربة الرئيسية في المحور الشمالي وخرق الدفاعات في « ام قطف » و « ابو عجيلة » ، لفتح طريق المحور الاوسط ، وتأمين الجناح الجنوبي للهجوم الرئيسي في الشمال ، الذي سيتخذ شعبتي تقدم ، واحدة اساسية على محور « خان يونس - رفح - العريش » والاخرى ثانوية عبر وادي « الحريضين » الواقع إلى الجنوب من « رفح » بنحو ٢٠ كلم في اتجاه « بير الحفن » للالتفاف حول « العريش » من الجنوب أو حول « أبو عجيلة » من الشمال . وبعد أن تخترق المواقع الامامية على الحدود ، أو ما نستطيع أن نسميه الخط الدفاعي الاول ، التي تتحكم في مداخل الطريقين الاساسيين في شمال ووسط سيناء المؤديين إلى « القنطرة » و « الاسماعيلية » يتم الاندفاع بسرعة ودون مرحلة توقف مؤقتة لاعادة التجميع والتنظيم نحو الممرات الاربعة المتحكمة في طرق المواصلات . وبقفل الممرات تعزل بقية القوات المصرية التي لم يجر تحطيمها خلال معارك المرحلة الاولى، ويجري تدميرها أو اجبارها على الاستسلام اثناء محاولتها الانسحاب عبر الممرات نحو القناة ، خاصة عبر ممري « الجدي » و « متلا » .

اما الاستيلاء على « شرم الشيخ » و فتح الملاحة في « مضائق تيران » ، الذي كان المبرر والذريعة الاصلية لنشوب الحرب ، فقد ترك أمرها لعملية تكميلية صغيرة تقوم بها قوة من مشاة البحرية والمظليين بعد الانتهاء من العمليات الرئيسية في شمال ووسط « سيناء » (انظر شرم الشيخ ، معركة)، ولكن اتخذت عدة تدابير لاشعار القيادة المصرية أن « شرم الشيخ » ستكون لها الأولوية في العمليات التعرضية وذلك عن طريق مضاعفة نسبة طلعات الاستطلاع الجوي فوقها بالنسبة للطلعات فوق « قطاع غزة » ، وبواسطة اعطاء انطباع مبالغ فيه عن قوة الحشد المدرع على المحور الجنوبي عند « الكونتلا » ، حيث حشد هناك في الحقيقة لواء مدرع واحد معزز بقوة اضافية (في مواجهة القوة المدرعة التي يقودها الشاذلي وفرقة المشاة السادسة) إلا أنه جرى حشد لواء آخر من الدبابات الهيكلية على مقربة منه وبطريقة تمويه لم تراع فيها الدقة الكاملة حتى يبدو واضحاً في الصور الجوية لطائرات الاستطلاع المصرية .

وتركت مهمة الاستيلاء على قطاع غزة لعملية تكميلية اخرى تقوم بها قوة خاصة من المشاة والمظليين تعززهم كتيبة دبابات « أم اكس - ١٣ » وبعض دبابات « شيرمان » القديمة طراز « م - ٣ » غير المعدلة ، بعد أن يتم اقتحام دفاعات « خان يونس - رفح » في الضربة الرئيسية الاولى بالقطاع الشمالي .

وحشدت القيادة الاسرائيلية الجزء الرئيسي من قوات جيشها تجاه الجبهة المصرية لتنفيذ هذا المخطط (الذي ستسبقه ضربة الطيران المفاجئة) والذي ضم ٧ ألوية مدرعة و ٣ - ٤ كتائب دبابات مستقلة ، وذلك من جملة ١١ لواء مدرع كانت لدى سلاح المدرعات الاسرائيلي وقتئذ ، و ٣ - ٤ ألوية مشاة ميكانيكية ولواء مظلي ميكانيكي ، وذلك من جملة ١٠ ألوية مشاة صف أول و ٣ ألوية مظليين كانت لدى الجيش الاسرائيلي عشية الحرب . هذا فضلا عن ما يوازي قوة ٦ ألوية مدفعية (بخلاف المدفعية ذاتية الحركة الموجودة مع الألوية المدرعة) من جملة حوالي ١٢ لواء مدفعية كانت لدى الجيش الاسرائيلي . وبالاضافة الى ذلك كانت هناك ٣ ألوية مشاة صف ثان تقوم بمهام الدفاع عن مستعمرات الجنوب وحماية طرف المواصلات من جملة ١٤ لواء مشاة صف ثان (من القوات الاحتياطية) كان موجوداً عند اتمام التعبئة العامة .

وبلغت جملة هذه القوات نحو ٦٥ ألف جندي لديهم حوالي ٩٠٠ دبابة . واخضعت هذه القوات لقائد المنطقة الجنوبية العميد « يشعيا هو جافيش » ، الذي قام بتوزيع قواتــه في شكل ٣ مجموعات قتالية لها قوة الفرقة ويطلق عليها بالعبرية اسم « Ugda » ، وهي تشكيلات متباينة الحجم


المشير عامر مع قائد وضباط الجبهة الشرقية

والتشكيل وفقاً لطبيعة مهمة كل مجموعة ، وكانت كل منها ذات اكتفاء ذاتي من وحدات المهندسين والخدمات الطبية والاشارة ووحدات الشؤون الادارية (التي كانت تضم شاحنات تحمل امداد وتموين يكفي للقوات المقاتلة لمدة ثلاثة أيام بخلاف الكميات المخزونة في القاعدة الادارية للمجموعة) . وقد سميت كل مجموعة من المجموعات الثلاث باسم قائدها كما هي عادة الجيش الاسرائيلي ، وكانت مشكلة على النحو التالي :

١ - **مجموعة « تال » :** وكانت مؤلفة من افضل ألوية الجيش الاسرائيلي ، وتضم : اللوائين المدرعين السابع والثالث ، ولواء مظليين ميكانيكي (باستثناء كتيبة) ، ولواء مشاة ميكانيكي ، وتدعمها ٥ كتائب مدفعية وكتيبة مهندسين، فضلا عن كتيبة دبابات مستقلة لدعم وحدات المظليين الميكانيكية ، وكتيبة دبابات اخرى لدعم لواء المشاة الذي سيهاجم قطاع غزة ، وتقدر قوة مجموعة « تال » بنحو ٣٠٠ دبابة و ١٠٠ عربة مدرعة نصف مجنزرة ونحو ٦٠ مدفعاً .

وكانت مهمة هذه المجموعة خلال المرحلة الاولى من العمليات (وهي مرحلة اختراق خط الدفاع الاول عند الحدود) خرق دفاعات كل من الفرقة الفلسطينية العشرين في « خان يونس » والفرقة المصرية السابعة في « رفح » ، ثم الاندفاع بعــد ذلك ، لتحقيق اهداف المرحلة الثانية ، نحو العمق العملياتي للفرقة في « العريش » من خلال اختراق مواقع « الشيخ زويد » و « ممر خروبة » التي تشكل امتداداً في العمق للفرقة المصرية السابعة ، وذلك كجزء من اهداف المرحلة الثانية من العمليات ، وهي اختراق خط الدفاع الثاني بسرعة قبل أن تتوفر الفرصة والوقت الكافي للقيادة المصرية كي تعيد توزيع قواتها فيه وتدفع اليه باحتياطياتها المدرعة والميكانيكية بعد أن تفيق من أثر الضربة الاولى. وبعد ذلك كان على قوة « تال » ان تنقسم الى قسمين: احدهما ثانوي يواصل الزحف على المحور الشمالي صوب « رمانه » و « القنطرة » ، والآخر رئيسي يزحف جنوباً نحو « بير الحفن » ثم « جبل لبنى » ليشارك مجموعــة « يوفه » في تدمير الفرقة الثالثة، ثم يزحف على المحور الاوسط تجاه « بير جفجافة » ليدمر الفرقة المدرعة الرابعة، وبذلك ينهي مهام المرحلة الثالثة ، ويواصل الزحف بعد ذلك نحو القناة في مواجهة الاسماعيلية .

٢ - **مجموعة « شارون » :** وكانت مؤلفة من لواء مدرع ، ولواء مشاة ، وكتيبة مظليين (هي

الكتيبة الثالثة من اللواء المظلي الموجود ضمن قوات جافيش)، ومجموعة خاصة تضم كتيبة دبابــات ووحدة استطلاع و حدة مشاة ميكانيكية، و ٦ كتائب مدفعية، ووحدات مهندسين اقتحام. وتقدر قوة «شارون» بنحو ٢٠٠ دبابة و ١٠٠ عربة مدرعة نصف مجنزرة و ١٠٠ مدفع.

وكانت مهمة هذه القوة خلال المرحلة الاولى من العمليات هي اختراق دفاعات «أم قطف — أبو عجيلة» التي تدافع عنها فرقة المشاة الثانية بحوالي نصف قوتها، وفي الوقت نفسه يجري تثبيت النصف الآخر من الفرقة في دفاعات «القسيمة» بواسطة لواء مدرع مستقل، إلى أن تنهي مجموعة «شارون» مهمة المرحلة الاولى وتقوم بعد ذلك في المرحلة الثانية، بمهاجمة دفاعات «القسيمة» من الشمال الغربي. وبعد تصفية هذه الدفاعات تندفع الوحدات المدرعة والميكانيكية من هذه القوة بسرعة نحو «نخل» على المحور الجنوبي لتقيم كميناً هناك لقوات «مجموعة الشاذلي» وفرقة المشاة السادسة أثناء انسحابها المتوقع نحو «ممر متلا»، وبهذا تم هذه القوة مهامها في المرحلة الثالثة من العمليات، ثم تشارك بعد ذلك في عمليات المطاردة الاخيرة نحو قناة السويس عبر ممري «متلا» و «الجدي» مع قوات مجموعة «يوفه»، وبذلك ينتهي دورها في المرحلة الرابعة والاخيرة من العمليات في سيناء.

٣ — **مجموعة «يوفه»:** وكانت مؤلفة من لوائين مدرعين فقط، بدون وحدات مشاة أو مدفعية مقطورة (كان بكل لواء كتيبة من المشاة الميكانيكية ومدفعية ذاتية الحركة، ومعظمها من النوع الفرنسي عيار ١٠٥ مم المحمل على هيكل دبابة «ام اكس — ١٣»). ولقد حشد لواء من هذه المجموعة في المنطقة الواقعة بين «رفح» و «أبو عجيلة» على مسافة نحو ٣٠ كيلومتراً الى الجنوب من مواقع «رفح» الدفاعية للقيام بزحف عبر وادي «الحريضين»، الذي كان عبارة عن مجرى ماء جاف ممتد بين كثبان الرمال غير الصالحة لسير الآليات، الممتدة من جنوب «رفح» حتى «أبو عجيلة»، وذلك لمهاجمة الموقع الدفاعي المصري في «بير الحفن»، في بداية المرحلة الثانية من العمليات التي تعقب اختراق مواقع «رفح» و «أبو عجيلة»، وصد الهجمات المعاكسة التي قد تحاول فرقة المشاة الثالثة القيام بها من منطقة «جبل لبنى» ضد قوات «تال» من الجنوب أو قوات «شارون» من الغرب. وكانت القيادة الاسرائيلية اثناء احتلالها سيناء عام ١٩٥٦ قد أرسلت جماعة استطلاع لدراسة طبيعة ارض هذا الوادي وتأكدت من امكانية اجتيازه بعربات نصف مجنزرة بشيء من الصعوبة.

أما اللواء المدرع الثاني التابع لمجموعة «يوفه» فقد حشد في مؤخرة «مجموعة شارون» وتقرر أن يبقى هناك حتى يتم اختراق دفاعات «أم قطف — أبو عجيلة»، ثم يندفع عبر هذه القوات، ويلتقي باللواء الاول الزاحف من اتجاه «بير الحفن» عند «جبل لبنى» ليستكملا تصفية الفرقة الثالثة، أي الخط الدفاعي الثاني، ثم يزحفا صوب «بير الحسنة» ليتقدما من هناك نحو «بير تمادا» و «ممر متلا» للمشاركة في تصفية الفرقة المدرعة الرابعة والقوات المنسحبة عبر «ممر متلا»، وبذلك ينهيا مهام المرحلة الثالثة من العمليات، وتزحف القوة بعد ذلك عبر ممري «الجدي» و «متلا» نحو قناة السويس في قطاعها الجنوبي، وبذلك ينهيا مهام المرحلة الرابعة والاخيرة من العمليات. وقــدرت «مجموعة يوفه» هذه بنحو ٢٠٠ دبابة، و ١٠٠ عربة مدرعة نصف مجنزرة.

وبالاضافة الى هذه المجموعات الرئيسية الثلاث التي ستركز ضرباتها الاولى على المحورين الشمالي والاوسط، ثم تطوق المحور الجنوبي بمناورة اقتراب غير مباشر تستهدف القضاء عــلى القوة الرئيسية المصرية هناك عن طريق قطع خطوط مواصلاتها وغلق طرق انسحابها، كان هناك لواء مدرع مستقل حشد امام «القسيمة». وكانت مهمته المناورة دون التورط في قتال فعلي، وذلك لتثبيت قوات النصف الثاني من فرقة المشاة الثانية أثناء الهجوم على النصف الاول من الفرقة في «أبو عجيلة». كما كان هناك لواء مستقل مدعم حشد أمام «الكونتلا» لمشاغلة قوة «الشاذلي» المدرعة وفرقة المشاة السادسة الموجودة هناك إلى أن تصل قوات «شارون» إلى مؤخرتها عند «نخل»، ثم يقوم بمطاردة هذه القوات اثناء انسحابها عبر طريق «الكونتلا — التمد — نخل». وحشدت كتيبة مشاة معززة ببعض الوحدات الصغيرة الاخرى في «ايلات» لحمايتها اثنــاء العمليات الهجومية التي تجري بعيداً عنها. كما حشد لواء مشاة وكتيبة مظليين وكتيبة دبابات «ام اكس — ١٣» ووحدات مدفعية في مواجهة «قطاع غزة» (بخلاف قوات الدفاع المحــلي الموجودة داخل المستعمرات الاثني عشرة القائمة هناك)، وذلك لمهاجمته خلال المرحلة الثانية من العمليات عقب اختراق دفاعات «خان يونس» بواسطة قوات مجموعة «تال».

سير العمليات بالقطاع الشمالي: اخترقت مجموعة ألوية «تال» المحور الشمالي في «خان يونس» و «رفح» وفقاً للخطة الموضوعة تقريباً (انظر رفح، معركة). ثم قامت كتيبة مدرعة من اللواء السابع المدرع (كانت تضم ١٧ دبــابة «سنتوريون» و ٢ «باتون») بالتقدم من منطقة «الشيخ زويد»

عربات مدرعة إسرائيلية تتقدم في سيناء.



نحو «ممر خروبة»، حيث كان يوجد لواء مشاة مصري من قوات الاحتياطي، واقتحمت الممر في حوالي الساعة ٢,٣٠ من بعد ظهر يوم ٦/٥ وهي تسير على الطريق المعبد بالاسفلت بأقصى سرعة وتطلق دباباتها النار على المواقع الدفاعية. وقد وصلت بالفعل إلى مشارف «العريش» في حوالي الرابعة والنصف، وتوقفت بعيداً عنها نظراً لأنها كانت في حاجة إلى امداد بالذخيرة والوقود واصلاح الاعطاب التي لحقت بها، على حين أن المدافعين عن الممر اعادوا اغلاق الطريق مرة اخرى وعزلوا الكتيبة المذكورة عن بقية وحدات اللواء، التي توقفت على مقربة من مدخله الشرقي. وبعد ساعتين من اقتحام الكتيبة المدرعة المذكورة لممر خروبه وصل «غونين»، قائد اللواء المدرع السابع، إلى مقربة من الممر وأمر كتيبة دبابات «الباتون» التابعة له، والتي سبق لها أن اقتحمت دفاعات القطاع الشمالي في «رفح»، بمهاجمة دفاعات الممر من جهة اليسار اثناء مشاغلتها بالنيران من المواجهة، إلا أن الهجوم فشل ودمرت بعض الدبابات بنيران المدافع م/د وتعطلت بعضها بواسطة الالغام وقتل قائد الكتيبة وجرح ثلاثة قادة سرايا. وبعد تمهيد مركز من نيران المدفعية وطائرات «فوغا ماجستر» اندفعت سرية دبابات «باتون» اخرى (كانت تقاتل في القطاع الجنوبي لدفاعات رفح) بأقصى سرعة على الطريق وسط الممر وهي تطلق النار بغزارة، ثم توقفت بعض دباباتها على يسار الطريق داخل الممر بنحو ٢ كلم، واخذت تطلق النار على مواقع المدافع المصرية من الخلف، ثم تابعت المسير مع بقية السرية إلى خارج الممر والتحقت بكتيبة «السنتوريون». وعندما وصلت السرية المذكورة إلى خارج الممر لم يكن لديها سوى ٧ دبابات كلها مصابة اصابات مختلفة. واثر ذلك حاول «غونين» اجتياز الممر مع مجموعته القيادية وبعض الدبابات على أن تتبعه ارتال الامداد والتموين، إلا أنه اضطر الى التراجع لموقعه السابق بعد أن اطلق عليه المدافعون نيراناً حامية بعد أن اعادوا تنظيم انفسهم للمرة الثانية. وقد حاول «تال» أن يدفع باللواء المدرع الآخر الذي لديه للزحف عبر الكثبان الرملية جنوب الممر إلا أن نعومة الرمال حالت دون ذلك. وفي نهاية الامر نظم «غونين» هجوماً تم في منتصف الليل بواسطة كتيبة المشاة الميكانيكية التابعة له تساندها المدفعية برمي تمهيدي وقنابل مضيئة، وبعد قتال عنيف استمر ٤ ساعات امكن للقوة الاسرائيلية أن تطهر المواقع الدفاعية في «ممر خروبة»، وبقيت فيها لضمان عدم اغلاقه مرة اخرى. وبدأت ارتال التموين تجتاز الممر وتصل إلى الدبابات المعزولة في غرب الممر عند مشارف «العريش». وفي حوالي الساعة السابعة من صباح يوم ٦/٦ استولت الدبابات المذكورة على مطار العريش بعد معركة قصيرة مع بعض الدبابات والمدافع م/ط الموجودة حوله. وهكذا امكن لمجموعة ألوية «تال» أن تصل إلى عمق نحو ٦٠ كلم خلال نحو ٢٤ ساعة فقط، وانفتح لها طريق التقدم على المحور الشمالي نحو «رمانه» و «بالوظه» و «القنطرة شرق»، وايضاً نحو المحور الاوسط عبر الطريق العرضي الممتد من العريش إلى كل من «ابو عجيلة» و «جبل لبنى»، ولكن ذلك كان يتطلب اختراق دفاعات «بير الحفن» التي كانت تشتبك معها من الجنوب وقتئذ وحدات من اللواء المدرع التابع لمجموعة ألوية «يوفه» الذي زحف عبر وادي «الحريضين» خلال اليوم السابق وقطع الطريق المذكور واعترض تقدم وحدات فرقة المشاة الميكانيكية الثالثة من «جبل النبي» إلى «العريش». هذا وقد تم احتلال قطاع غزة خلال هذه الاثناء بعد قتال عنيف في «خان يونس» وقصف مدفعي في غزة (انظر غزة، معارك).

عمليات مجموعة «يوفه»: حشد العميد «ابراهام يوفه» فرقته في منطقة العوجة بالقرب من فرقة «شارون»، ووضع خطته على اساس قيام أحد لوائيه بسير اقتراب عبر «وادي الحريضين» الواقع إلى الشمال من «أم قطف» و «أبو عجيلة» وسط بحر الرمال الممتد حتى الساحل الشمالي عند «العريش» و «ممر خروبة»، وهو عبارة عن مجرى جاف ممتد بين كثبان الرمال وغير صالح لسير الآليات بحشود كبيرة، وغير صالح لسير الدبابات وفقاً لتقديرات القيادة المصرية، ولذلك لم يكن هناك سوى مفرزة استطلاع مصرية صغيرة في سيارات تابعة لسلاح الحدود عند مدخل الوادي، وسرية مشاة تدعمها بعض المدافع المضادة للدبابات عند نهاية الوادي قرب طريق «أبو عجيلة – العريش»، وكان على هذا اللواء المدرع أن يشاغل موقع «بير الحفن» من الجنوب إلى أن تهاجمه قوات «تال» من الشمال، ويصد في الوقت نفسه زحف أية قوات من الفرقة المصرية الثالثة تتقدم من ناحية «جبل لبنى»، وذلك إلى أن تتم فرقة شارون اختراق موقع «أم قطف – أبو عجيلة»، فيقوم اللواء المدرع الآخر باجتياز طريق «العوجة – ابو عجيلة» ليلتقي باللواء الاول ويكملان معاً مهمة تدمير الفرقة الثالثة ثم يتقدمان جنوباً نحو «بير تمادا».

وقد بدأ اللواء الاول زحفه عبر الحدود من منطقة العوجة في العاشرة (التاسعة بتوقيت اسرائيل) من صباح يوم ٥ حزيران (يونيو)، وتقدم على الطريق القديم الممتد من العوجة إلى رفح، ثم انحرف غرباً داخل وادي الحريضين، فانسحبت مفرزة الاستطلاع المصرية مسرعة، ولكن اللواء واجه صعوبة جديدة في السير داخل الوادي، وقد اشتبكت طلائع اللواء مع سرية المشاة المصرية التي كانت ترابط عند مخرج وادي الحريضين على مبعدة نحو ١٦ كلم من طريق «العريش – أبو عجيلة» في حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر. وبعد تبادل قصير للنيران انسحبت السرية المصرية، ولم تستطع المدرعات الاسرائيلية مواصلة التقدم فوراً نظراً لصعوبة اجتياز الرمال الناعمة في المنطقة، ولذلك لم تصل طلائع اللواء المدرع المذكور الذي كان يقوده العقيد «ايسكا» إلى الطريق إلا في حوالي السادسة مساء، أي بعد ٩ ساعات من بدء تقدمه عند الحدود، قطع خلالها ٥٠ كلم فقط.

وكانت النقطة التي قطع اللواء المدرع الاسرائيلي فيها طريق «العريش – أبو عجيلة» تبعد نحو ١,٥ كلم عن تقاطع «بير الحفن»، حيث يلتقي طريق «العريش – أبو عجيلة» بالطريق المؤدي إلى «جبل لبنى». وقد تعرضت إحدى كتائب اللواء، وكانت تضم ٢٤ دبابة سنتوريون، لنيران مدفعية موقع «بير الحفن» وهي في طريقها لقطع الطريق المؤدي إلى «جبل لبنى» لاعتراض تقدم أي قوات فرقة المشاة المصرية الثالثة، واشتبكت الكتيبة هناك مع موقع رادار مصري مقام فوق تل، وتدافع عنه سرية مشاة مدعمة ببعض المدافع المضادة للطائرات، وتمكنت من احتلاله بعد معركة عنيفة استمرت نحو ثلاثة ارباع الساعة، ثم اتخذت لنفسها موقعاً على طريق جبل لبنى وهي تناور لتتجنب قذائف مدفعية موقع «بير الحفن» التي كانت تبعد نحو ٢٧٠٠ متر. وعند هبوط الظلام توقف القصف المدفعي المصري، وتقدمت كتيبة الدبابات الثانية ولحقت بالاولى تتبعها بقية وحدات اللواء من المشاة الميكانيكية والمدفعية ذاتية الحركة.

ونظراً للصعوبات التي كانت مجموعة «شارون» تواجهها في «أبو عجيلة»، فقد طلب من «يوفه» أن يرسل كتيبة دبابات لتعاون كتيبة «السنتوريون» التي التفت إلى مؤخرة «أبو عجيلة»، وتحركت كتيبة من لواء «ايسكا» نحو «أبو عجيلة» في الساعة الثانية عشرة مساء. وبعد ذلك بقليل لاحت على الطريق القادم من «جبل لبنى» أنوار قافلة

طويلة من الدبابات والعربات المدرعة المصرية، فاطلقت عليها كتيبة الدبابات الاسرائيلية الكامنة قرب الطريق النار واصابت بعض دباباتها مستخدمة أضواءها الكاشفة التي سرعان ما اجتذبت إليها نيران الدبابات المصرية.

ودار اشتباك بالنيران طوال الليل بين الدبابات الاسرائيلية والمصرية، التي فوجئت بوجود الاسرائيليين في هذا المكان، ولذلك ترددت القوة المصرية في مهاجمة الكتيبة المدرعة الاسرائيلية لأنها كانت تجهل حقيقة قوتها، واستدعى قائد اللواء المدرع الاسرائيلي كتيبته الثانية المتوجهة إلى «أبو عجيلة» خشية قيام المدرعات المصرية بهجوم عند الفجر، خاصة وأنه كان يعتقد انها تتألف من لوائين مدرعين تابعين للفرقة المدرعة الرابعة، إلا أنه عندما بدأ ضوء النهار يكشف مواقع القوة المصرية اتضح انها تتألف من نحو ٦٥ دبابة تسعة منها تشتعل فيها النيران (الارجح انها كانت المجموعة المدرعة التابعة لفرقة المشاة الثالثة)، ومع ضوء النهار بدأت مدفعية موقع «بير الحفن» قصفها مرة اخرى ضد الدبابات الاسرائيلية، كما تجدد الاشتباك بين الدبابات المصرية والاسرائيلية، إلا أن موقع «بير الحفن» اضطر بعد ذلك لوقف الرمي المدفعي بسبب الهجوم عليه من الشمال بواسطة اللواء المدرع السابع التابع لمجموعة «تال» الذي استولى على «العريش» عند الفجر، ثم استنجد «ايسكا»، قائد اللواء المدرع الاسرائيلي المشتبك مع مدرعات الفرقة المصرية الثالثة، بالطيران لتدمير المدرعات المصرية، وقد ظهرت طائرات «الميستير» في سماء المعركة حوالي الساعة السادسة صباحاً ولكن المدافع المضادة للطائرات الموجودة مع المدرعات المصرية اتاحت لها دفاعاً جوياً جيداً، واستطاعت أن تسقط طائرة «ميستير».

وفي حوالي الحادية عشرة صباحاً، انسحبت القوة المصرية نحو مواقعها الاصلية في «جبل لبنى»، دون أن تحاول القوة الاسرائيلية مطاردتها لأنها كانت بحاجة إلى التزود بالوقود، وفي هذا الوقت كان اللواء المدرع السابع التابع لمجموعة «تال» قد اقتحم دفاعات «بير الحفن» وانضم إلى لواء «ايسكا» عند مفرق طرق «جبل لبنى — أبو عجيلة» عند الظهر تقريباً، وفي حوالي الساعة الخامسة من بعد الظهر وصل اللواءان المدرعان إلى مشارف منطقة «جبل لبنى» حيث اصطدما بمقاومة عنيفة من مجموعة مدرعة مصرية تضم دبابات «ت ٥٤، ٥٥» وقانصات «س يو ١٠٠» محتمية داخل حفر لا تظهر سوى مدافعها وقد أوقعت هذه المجموعة عدة خسائر بالدبابات الاسرائيلية واجبرتها على التراجع بعيداً عن مرمى نيرانها.

وبقيت المدرعات الاسرائيلية طوال ليلة ٥ — ٦ متوقفة عن التقدم، وتزودت بالوقود خلال الليل وكانت الدبابات المصرية تطلق عليها النار من حين لآخر. وبعد ظهر اليوم الثاني للقتال (٦٧/٦/٦) علمت القيادة الاسرائيلية بصدور أمر الانسحاب العام الصادر من القيادة المصرية العليا، ودفعها ذلك إلى الاسراع بدفع ألويتها المدرعة والميكانيكية على محاور سيناء، خاصة المحور الاوسط والطرق المؤدية منه إلى المحور الجنوبي لتغلق ممري «الجدي» و«متلا» في وجه القوات المنسحبة على المحور المذكور.

مرحلة المطاردة على المحورين الاوسط والشمالي:

قبل أن تصل معلومات قرار الانسحاب المصري العام إلى القيادة الاسرائيلية، كانت القوة الرئيسية لمجموعة «تال» لا تزال موجودة في «العريش» (باستثناء اللواء المدرع السابع الذي كان متوقفاً في منطقة جبل لبنى) ولديها اوامر بالبقاء هناك إلى أن يتضح موقف معركة «القدس» على الجبهة الاردنية التي كانت تثير بعض القلق لدى القيادة العليا الاسرائيلية، ولكن بمجرد علم القيادة المذكورة بقرار الانسحاب المصري أصدرت اوامرها لمجموعة «تال» بأن تركز قواها لتزحف بسرعة على المحور الاوسط بهدف احتلال «بير جفجافة» للحيلولة دون امكان إقامة خط دفاعي مصري اخير في سيناء هناك وفي الممرات الموازية لها جنوباً («الجدي» و«متلا») وأن تدفع قوة ثانية على المحور الشمالي بهدف الوصول إلى «القنطرة» شرقاً. وقد تشكلت القوة المذكورة من وحدة الاستطلاع الخاصة باللواء المدرع السابع وسرية دبابات خفيفة و٦ مدافع ذاتية الحركة. وقد تحركت هذه القوات من «العريش» في حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء يوم ٥/٦.

وعند الفجر قام اللواء المدرع السابع واللواء المدرع الآخر التابع لمجموعة «يوفه» بمهاجمة الموقع الدفاعي المصري عند «جبل لبنى» في حركة كماشة حول الجناحين، بعد أن قدم لهما الطيران دعماً قريباً مكثفاً، مما اضطر المدرعات المصرية إلى الانسحاب غرباً. وأثر ذلك اتجه لواء مجموعة «يوفه» نحو الجنوب الغربي للاستيلاء على «بير الحسنة»، على حين تقدم اللواء المدرع السابع على المحور الاوسط قاصداً مطار «بير الحمة» الذي يبعد نحو ٣٢ كلم إلى الغرب من «جبل لبنى» والذي كانت تدافع عنه قوة من فرقة المشاة الثالثة المشاة تدعمها بعض الدبابات «ت — ٣٤» وقانصات الدبابات «س يو — ١٠٠»، وعدد من المدافع، وقبل أن تشتبك مع القوة المذكورة طلب قائد اللواء دعماً جوياً قريباً ترتب عليه تسهيل اقتحام الدبابات للمطار بعد معركة استغرقت نصف ساعة انسحبت بعدها القوة المصرية. وواصلت المدرعات الاسرائيلية بعد ذلك تقدمها على المحور الاوسط نحو «بير روض سالم» التي تبعد نحو ٤٠ كلم إلى الغرب من «بير الحمة»، واستولت عليها بعد اشتباك قصير مع بعض الدبابات المصرية «ت — ٥٥»، وأثر ذلك تلقت المدرعات الاسرائيلية هناك وقود او ذخيرة اسقطت إليها بالمظلات لتواصل تقدمها السريع دون انتظار لقوافل سيارات الامداد والتموين.

وفي هذه الاثناء لحق بقيادة المجموعة عند «جبل لبنى» اللواء المدرع الآخر التابع لمجموعة «تال»، والذي كان متورطاً في الكثبان الرملية إلى الجنوب من ممر خروبة، فأصدر «تال» له امراً بمتابعة التقدم نحو «بير جفجافة»، على حين يقوم اللواء المدرع السابع بالتزود بالوقـود ثم يزحف وراءه ليستكمل تطهير المواقع الدفاعيـة التي لم تصف مقاومتها.

واشتبك اللواء المدرع الاسرائيلي الزاحف نحو «بير جفجافة» بموقع رادار كان مقاماً على تل شمال الطريق قرب مطار «بير جفجافة» في الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر (يوم ٦٧/٦/٧)، ثم بدأت كتيبة مدرعة منه الالتفاف حول المواقع المصرية من الشمال، على حين بقيت كتيبة مدرعة ثانية تهاجمها من المواجهة شمال الطريق، وفي هذه الاثناء هاجمت طائرات «الميغ» المصرية الدبابات الاسرائيلية والحقت بها بعض الخسائر، وكذلك الحقت بها الدبابات المصرية عدة خسائر اخرى، وقد تصدت طائرات «سوبر ميستير» اسرائيلية للطائرات المصرية ولكنها فشلت في ذلك وسقطت منها واحدة في خلال الاشتباك مع الطائرات المصرية. وفي حوالي الساعة ٦ مساء اليوم نفسه كانت هناك قوة مدرعة وميكانيكيـة مصرية كبيرة من الفرقة المدرعة المصرية الرابعة تتقدم من منطقة «بير تماده» نحو الطريق الاوسط في طريقها للانسحاب الى الاسماعيلية، متجنبة المرور بمفرق الطرق عند «بير جفجافة» الذي كانت تشرف عليه نيران كتيبة دبابات «ام اكس ١٣»، ولذلك امر «تال» عناصر اللواء المدرع السابع الموجودة معه بمهاجمة القوة المصرية المذكورة من جناحها الشرقي، وأثر ذلك تقدمت هذه العناصر المؤلفة من كتيبة دبابـات «باتون» وسرية من

« السنتوريون » للقيام بهذا الهجوم ، ولكن معظم القوة المصرية كانت قد وصلت إلى الطريق الاوسط والأرض القريبة منه قبل أن تبدأ الدبابات الاسرائيلية في اطلاق النار ، ودارت معركة دبابات عنيفة بين الطرفين استمرت ساعتين حتّى حل الظلام ، وكانت نتيجة المعركة متعادلة إذ تكبدت المدرعات الاسرائيلية خسائر مماثلة تقريباً للخسائر المصرية التي بلغت ١٢ دبابة « ت — ٥٥ » و ١٢ عربة مدرعة ناقلة جنود مصفحة ، كما تدخل الطيران المصري ايضاً خلال هذه المعركة ، وعند الغسق شنت المدرعات المصرية هجوماً معاكساً اجبر كتيبة « الباتون » على الانسحاب وإفساح المجال لحركة الآليات والمدرعات المصرية القادمة من « بير تمادا » .

وفي حوالي الساعة الرابعة صباحاً تعرضت كتيبة دبابات « ام اكس — ١١ » المرابطة على مقربة من مفرق طرق « بير جفجافة — بير تمادا » لهجوم مدرع معاكس قامت به قوة من الدبابات « ت — ٥٥ » (المزودة بأجهزة رؤية ليلية) ، أسفر عن تدمير ٧ دبابات و ٤ عربات نصف مجنزرة وقتل عدد كبير من جنودها ، وعلى أثر ذلك انسحبت الكتيبة الاسرائيلية المدرعة بسرعة لمسافة ٣ كيلومترات تقريباً. ولحقت بها بعض دبابات كتيبة « سوبر شيرمان » لمساعدتها في وقف الهجوم المصري ، ولكن الدبابات المصرية لم تواصل هجومها ، وتوقفت في مواقعها حيث دعمتها دفاعياً لصد الهجوم الاسرائيلي . وكانت هذه المواقع تشكل سلسلة من المراكز الدفاعية الميدانية المعدة بسرعة التي تمتد على جانبي الطريق قرب « بير جفجافة » لعمق نحو ٧ كلم ، وتدعمها نحو ١٠٠ دبابة . وقبل الفجر بقليل تسللت كتيبة « ام اكس — ١٣ » إلى مقربة من موقعها القديم مرة اخرى ، وتهيأ اللواء المدرع السابع للهجوم بعد أن تزود بالوقود ، كما كانت كتيبة « السوبر شيرمان » تقف قريباً من مفرق « الطرق » . وفي الساعات الاولى من النهار (٦/٨) نشب قتال عنيف بين المدرعات الاسرائيلية المهاجمة والمدرعات المصرية المدافعة ، وكانت دبابات « الباتون » خلال هذا الهجوم تلتف إلى مؤخرة المواقع المصرية عبر الكثبان الرملية التي كانت القيادة المصرية تعتقد أنها غير صالحة لسير الدبابات . وقد تم الهجوم على كل موقع على حدة،وكانت تدعمه دائماً الهجمات الجوية القريبة المركزة ، وكانت المقاومة عنيفة بصورة جعلت اللواء المدرع السابع يتقدم ٥ كلم خلال ٦ ساعات ، وعند الغسق انهار التنظيم الدفاعي المصري وتدفقت الدبابات والمركبات منسحبة بسرعة نحو الاسماعيلية وهي تتعرض لقصف جوي عنيف كثر فيه استخدام النابالم . وفي الوقت نفسه كان اللواء المدرع الآخر يطهر المواقع الدفاعية الموجودة في مطار ومعسكر « بير جفجافة » .

وبدأ أثر ذلك سباق الدبابات الاسرائيلية نحو قناة السويس ، ولم تصادف هذه الدبابات مقاومة جدية إلا عند نقطة تبعد نحو ٣ كلم من القناة حيث كانت توجد سرية مشاة و ٤ دبابات تدافع عن تقاطع طرق استطاعت أن توقف الدبابــات الاسرائيلية بعض الوقت . وعند الفجر كانت قوات « تال » تواجه الاسماعيليــة ، واتصلت وحدات الاستطلاع التابعــة له بالقوة الزاحفة على المحور الشمالي والتي وصلت إلى القنطرة شرق في العاشرة من صباح يوم الخامس للحرب (١٩٦٧/٦/٩) . ولم تواجه القوة الزاحفة على المحور الشمالي أي مقاومة فعالة لأن القوات المصرية كانت تنسحب بسرعة بدون نظام ، ولذلك وصلت القوة المذكورة إلى « رمانة » عند غروب اليوم الثالث بعد أن تعرضت لهجوم جوي مصري ، وهناك تزودت بالوقود الذي التي اليها بالمظلات من طائرات النقل . وفي الثامنة من صباح اليوم التالي اشتبكت القوة مع قوة من جنود الصاعقة تدعمهم ٢٠ دبابة « ت — ٥٥ » ولكنها استطاعت أن تواصل تقدمها مرة اخرى بعد انسحاب القوة المصرية . ثم واجهت مقاومة عنيفة من موقع دفاعي آخر يبعد نحو ١٩ كلم عن « القنطرة شرق » . فاضطرت الى التوقف حتّى وصلت إليها تعزيزات ضمت كتيبة مظليين ميكانيكية وسرية دبابات « باتون » ، وقامت « الباتون » بهجوم على الموقع المصري الذي سمح لها بالدخول وسط دفاعاته ثم اغلق عليها الطريق مطلقاً عليها صواريخ « سنابر » المضادة للدبابات مصيباً العديد منها ، وحاولت وحدات الاستطلاع اختراق حلقة الحصار إلا أنها اضطرت للتراجع بسرعة بسبب شدة خسائرها في الرجال وعربات الجيب ، كما حاولت سرية دبابات « ام اكس — ١٣ » الالتفاف حول الموقع الدفاعي وتورطت داخل الكثبان الرملية وتعطلت عن الحركة.وهاجمت الطائرات المصرية القوة الاسرائيلية والحقت بهــا بعض الخسائر التي خففت منها سرعة تدخل الطيران الاسرائيلي وسيطرته على سماء المعركة .

وفي حوالي الساعة ١٢,٣٠ حاولت كتيبــة المظليين اقتحام الموقع الدفاعي المصري تحت حماية دعم جوي مركز ، إلا أنها فشلت وردت على اعقابها ومعها قائدها جريحاً ، وأثر ذلك ركز الطيران الاسرائيلي هجماته على الموقع المصري مدمراً دباباته واحدة تلو الاخرى في سلسلة من الغارات حتّى الساعة الرابعة بعد الظهر ، حيث قام المظليون بهجوم آخر واحتلوا الموقع بعد انسحاب القوة المصرية منه ، وامضت القوة الاسرائيلية ساعتين بعد ذلك في انتشال الدبابات والمركبات من الكثبان الرملية ثم واصلت التقدم نحو « القنطرة »، حيث اصبحت على مسافة ٦ كلم تقريباً منها حوالي السادسة مساء ، وهناك هوجمت بواسطة قوة مصرية صغيرة مؤلفة من مظليين محمولين في عربات مدرعة تدعمهم بعض الدبابات، ودارت معركة استمرت نحو ساعة حتّى الغسق ثم انسحبت القوة المصرية ، ودخلت القوة الاسرائيلية مدينة القنطرة شرق في حوالي الساعة التاسعة مساء فوجدتها خالية . وأثر ذلك زحفت القوة جنوباً ، بعد أن تركت سريتين من المظليين وسرية «باتون» ، واقتربت خلال الليل من جسر « الفردان » الذي يمر فوقه خط سكة الحديد المؤدي الى « العريش » و « رفح » ، وهناك اصطدمت بموقع دفاعي مصري كان يحمي طريق الاقتراب من الجسر ليمكن القوات المنسحبة من عبور القناة ، وتوقفت القوة تراقب الموقع طوال الليل ثم هاجمته عند الفجر بعد أن أمنت دعماً جوياً قريباً ،ووصلت إلى مواجهة الجسر الذي كان قد فتح وسط القناة بواسطة المصريين بعد انسحابهم،وهناك تعرضت لنيران المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات من الضفة الغربية لقناة السويس (وكذلك كان الحال في القنطرة شرق) إلى أن التقت بقوة « تال » في التاسعة من صباح يوم ٦٧/٦/٩ .

عمليات مجموعة « شارون » : استطاعت مجموعة ألوية « شارون » اقتحام دفاعــات « ام قطف » واحتلال « ابو عجيلة » ، وعزل قوات « القسيمة » خلال هذه المعركة ، وفقاً للمخطط الموضوع،باستثناء أن فاعلية المظليين الذين انزلوا بطائرات الهليكوبتر قرب مواقع المدفعية المصرية لتدمير اكبر عدد ممكن منها كانت اقل مما كان متوقعاً لها عند التخطيط للعملية . وقد انتهت معركة « ابو عجيلة » بصورة رئيسية في الساعة التاسعة من صباح يوم ٦/٦ (انظر ابو عجيلة، معركة) . وعقب انتهــاء المعركة الرئيسية تقدم اللواء المدرع ومعه « شارون » صوب الجنوب تجاه « القسيمة » مخلفاً وراءه لواء المشاة والمدفعية لاستكمال تطهير المواقع المصرية في « ام قطف » و « ام شيحان » و « المعسكر » ، إلا أن « شارون » أمضى ليلة ٦ — ٧ حزيران (يونيو) في موقع إلى الجنوب من « أم قطف » ، ولم يحاول مهاجمة حامية « القسيمة » من المؤخرة (كانت تضم



ارتال مصرية دمرها الطيران المعادي في الضربة الجوية الأولى

النصف الآخر من فرقة المشاة الثانية ومؤلفة من لواء المشاة ومجموعة مدرعة ولواء مدفعية) . وعند الفجر تحرك اللواء المدرع الذي كان محتشداً في مواجهة دفاعات «القسيمة» من جهة الشرق على مقربة من جبل «الصبحة» لتثبيت حاميتها أثناء معركة ابو عجيلة ، وتقدم عبر الحدود تسبقه هجمات جوية مركزة على مواقع «القسيمة» التي لم ترد على الغارات الجوية المتكررة بطلقة واحدة،نظراً لأن قواتها كانت قد انسحبت خلال الليل (تنفيذاً لأمر الانسحاب العام الصادر من القيادة العليا المصرية في اليوم السابق) بعد أن دفنت في الرمال ١٢ دبابة «ستالين — ٣» و ٣٠ دبابة «ت — ٣٤» وعدداً من المدافع والعربات الاخرى حتى لا تلفت ضجة محركاتها انتباه العدو لعملية الانسحاب المفاجيء الجارية (لم تعثر القوات الاسرائيلية على هذا العتاد إلا بعد عدة أسابيع عندما كشفت الريح بعض الرمال التي كانت تغطيه) .وقد تقدمت وحدات اللواء المدرع المذكور ، في شكل كماشة تزحف بحذر وسط حقول الالغام نحو «القسيمة» التي تبعد نحو ١٦ كلم من الحدود ، والتي طرفا الكماشة عند البلدة المذكورة حوالي الساعة العاشرة صباحاً يوم ٦/٧ لتجد أنها قد اطبقت على مواقع خالية تماماً من القوات .

وأثر ذلك واصل لواء «شارون» تقدمه جنوباً نحو «نخل» بهدف تطويق مجموعة «الشاذلي» المدرعة ، متخذاً أثناء سيره شكل ثلاثة ارتال متوازية . وفي خلال الليل واصل اللواء المدرع تقدمه مضيئاً انوار الدبابات والآليات،واصطدم بنيران موقع دفاعي لأحد ألوية فرقة المشاة السادسة عند جبل «كريم» على مبعدة نحو ٣٢ كلم إلى الشمال الشرقي من «نخل» ، فأصيبت بعض الآليات كما تورطت اخرى داخل حقل الغام ، وقرر «شارون» الانتظار في مكانه حتى بزوغ ضوء النهار . وفي هذه الليلة كانت آخر عناصر مجموعة الشاذلي قد اتمت انسحابها غرباً نحو «بيرتمادا» دون أن يشعر بها لواء «شارون» .

وفي فجر يوم ٦/٨ وجد «شارون» الموقع المصري خالياً تقريباً من القوات التي انسحبت خلال الليل نحو «ممر متلا» تاركة وراءها بعض الدبابات، فواصل تقدمه دون قتال نحو «نخل» .

وفي هذه الأثناء كان آخر ألوية فرقة المشاة السادسة قد انسحب من «الكونتلا» خلال الليل . وعند الفجر تابع اللواء المدرع الاسرائيلي الذي كان يقف الى شرق منها لحماية الالتفاف حول «ايلات» حركة الانسحاب هذه،تسانده الطائرات الاسرائيلية التي أخذت تهاجم آليات اللواء المصري المنسحب بصورة متواصلة . وفي الساعة الثالثة من بعد الظهر وصل اللواء الاسرائيلي الزاحف من «الكونتلا» إلى «التمد»،ووجد بعض المواقع الدفاعية المصرية هناك، فطلب دعماً جوياً قريباً ، ثم واصل تقدمه بعد انسحاب العناصر المصرية من هذه المواقع . وفي ذلك الوقت كان «شارون» قد دفع كتيبة دبابات «سوبر شيرمان» إلى الشرق من «نخل» لتقطع الطريق هناك ، ثم هاجم بكتيبة دبابات «سنتوريون» وكتيبة المشاة الميكانيكية جناح اللواء المصري المنسحب من «التمد» عند «نخل»،حيث دارت معركة استمرت نحو ساعة حسمتها الطائرات الاسرائيلية ، ولكن اعمال تطهير بعض جيوب المقاومة استمرت بمعاونة الطائرات طوال ساعات بعد الظهر ، وفي السادسة مساء ارسل «شارون» كتيبة دبابات السنتوريون نحو «ممر متلا» ، وعند الغسق لحقت بها قوات اللواء الزاحف من «التمد» .

أما مجموعة «يوفه» فقد تحرك لواؤها المدرع ، الذي شارك اللواء المدرع السابع في معركة جبل لبنى ، نحو «بير الحسنة» في حوالي الساعة التاسعة من صباح يوم ٦٧/٦/٧ ، ولم يصادف في زحفه أية مقاومة تقريباً . واختلطت الدبابات الاسرائيلية في عديد من المرات بالمركبات والدبابات المصرية المنسحبة بسرعة نحو «بيرتمادا»، وكان يجري تبادل اطلاق نار فوضوي بين الطرفين المهاجم والمنسحب،يؤدي في معظم الحالات الى اتجاه الدبابات المصرية نحو الصحراء المفتوحة على جانبي الطريق . وفي حوالي الساعة ١٣,٠٠ ظهراً وصل اللواء المدرع المذكور الى «بير الحسنة» واحتلها بعد مقاومة قصيرة ، والتقى هناك اثر ذلك مباشرة باللواء المدرع الثاني التابع للمجموعة،والذي كان قد زحف عبر قوات «شارون» اثر احتلالها لموقع «ام قطف» . وواصل اللواء الاول زحفه نحو «بيرتمادا» في حوالي الساعة الثانية بعد الظهر ومعه نحو ٢٠ دبابة فقط، نظراً لأن باقي دبابات اللوائين كانت نافذة الوقود ، ولم تصادف الدبابات مقاومة في «بيرتمادا» ، وعثرت هناك على مستودع وقود مهجور فتزودت بالوقود وواصلت تقدمها بسرعة نحو «ممر متلا» الذي وصلته حوالي الساعة السادسة مساء،حيث لم تجد هناك عند «نصب باركر» أي مواقع دفاعية مصرية . وكانت القوة الاسرائيلية التي وصلت إلى النصب المذكور قد تقلصت ، نتيجة لنقص الوقود ، إلى ٩ دبابات فقط، اربع منها تقطرها الدبابات الاخرى نظراً لنفاذ وقودها .

وفي السادسة والنصف مساء وصل رتل مصري آخر من الفرقة المصرية السادسة من اتجاه «نخل» فاطلقت عليه الدبابات الاسرائيلية النار، إلا أنها

لم تصب شيئاً من آلياته نظراً لبعد المسافة ، ولذلك واصل الرتل انسحابه داخل الممر، ولكنه تعرض في اللحظات الاخيرة من النهار لقصف جوي مركز استخدم فيه النابالم والصواريـخ والقنابل شديدة الانفجار. وقامت بعض دبابات اللواء المدرع الاسرائيلي بدفع بعض الآليات والدبابات المصرية المهجورة الى مدخل الممر لتضييق طريق المرور ، واتمت عملها هذا حوالي الثامنة مساء .

وفي خلال الليل وصلت بعض الدبابـات الاسرائيلية الاخرى، التي تزودت بالوقود من معسكر مصري صغير مهجور يبعد نحو ٢٢ كلم، إلى الشمال من « متلا » . وأدى نقص الوقود وقلة عدد الدبابات العاملة لدى مجموعة « يوفه » في هذه الليلة الى عدم اغلاق « ممر الجدي » القريب من « بير تمادا » ونجاح كثير من الآليات المصرية في الانسحاب عبره نحو قناة السويس .

وفي فجر يوم ٦/٨ كان أحد لوائي مجموعة « يوفه » قد أتم تجمعه عند المدخل الشرقي لممر متلا ، على حين كان اللواء الآخر محتشداً عند « بير تمادا » قرب المدخل الشرقي لممر الجدي . وقد تلقى « يوفه » معلومات من القيادة الجنوبية تفيد أن هناك هجوماً مضاداً مصرياً يجري ترتيبه غرب ممر متلا، فقام بدفع كتيبة سنتوريون (باستثناء سرية تركها عند المدخل الشرقي للممر لحراسة مؤخرته)، وعـبر الممر بأقصى سرعة ممكنة وسط حطام الآليات المصريـة التي دمرتهـا الطائرات حتى وصل إلى المدخل الغربي للممر تأهباً لصد الهجوم المصري . ولكن الهجوم المنتظر لم يحدث، نظراً لأن الهجمات الجوية الاسرائيلية أدت الى تدمير معظم آليات القوة المصرية في الارض المكشوفة الواقعة بين القناة ومدخل ممر متلا الغربي .

وفي هذا الوقت وصلت كتيبة السنتوريون التابعة لمجموعة « شارون » وحلت محل السرية التابعة ليوفه عند المدخل الشرقي للممر ، على حين كانت الكتيبة الثانية من لواء « يوفه » تزحف نحو « رأس سدر » عبر الطريق المتفرع جنوب « ممر متلا » لتدعم سرية مظليين هبطت بالهليكوبتر هناك حيث واجهت مقاومة مصرية عنيفة استمرت لعدة ساعات . وفي حوالي الساعة ١٣,٣٠ تمكنت كتيبة الدبابـات (وكانت سنتوريون أيضاً) أن تحتل « رأس سدر » ووقع في الاسر حوالي ١٠٠ جندي مصري من المشاة الذين ثبتوا امام المظليين منذ الفجر .

وفي الوقت نفسه تقدم اللواء الثاني التابع ليوفه عبر ممر الجدي عند الظهر، حيث اشتبك في قتال عنيف مع نحو ٣٠ دبابة مصرية « ت ٥٤ ، ٥٥ » استطاعت أن توقفه عن التقدم ، خاصة وأن بعض الطائرات المصرية ساندتها خلال المعركة ، ولم تستطع الدبابات الاسرائيلية الوصول الى المدخل الغربي للممر إلا عند الغسق بعد أن تدخل الطيران الاسرائيلي وأبعد الطائرات المصرية ودمر العديد من الدبابات . وفي الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف ليلـة ٨ - ٦/٩، وصلت بعض دبابات « يوفه » إلى القناة في ثلاث نقاط تحسباً لصدور قرار وقف اطلاق النار من مجلس الأمن، حتى تثبت وجودها عند القناة وفي مواجهة مدينة السويس مباشرة . وقد قدرت خسائر القوات المصرية في الافراد بنحو ١٠ آلاف جندي قتلوا أو فقدوا بالاضافة لنحو ١٥٠٠ ضابط و ٤٠ طياراً ، كما فقد نحو ٨٠٪ من أعتدة الجيش المصري، من بينها نحو ٨٠٠ دبابة وقانص ، وحوالي ٤٥٠ مدفعاً ونحو ١٠ آلاف مركبة من مختلف الانواع . وتقول المصادر الاسرائيلية أن خسائرها في سيناء بلغت ٢٧٥ قتيلا و ٨٠٠ جريح و ٣ طيارين وقعوا في الاسر فضلا عن تدمير ٦١ دبابة .

الحرب على الجبهة الشرقية :

كانت القوات الاردنية الموجودة في الضفة الغربية من نهر الاردن ، تتألف من ٦ ألوية مشاة ولوائين مدرعين . وكان توزيعها في صباح يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ على النحو التالي :

١ - لواء المشاة ٢٥ مع كتيبة دبابات « م ٤٧ » في منطقة جنين .
٢ - لواء مشاة « الاميرة عالية » في منطقة نابلس وطولكرم وقلقيلية .
٣ - لواء مشاة « اللواء الهاشمي » في منطقة رام الله .
٤ - لواء مشاة « علي بن أبي طالب » في منطقة القدس .
٥ - لواء مشاة « حطين » في منطقة الخليل .
٦ - لواء المشاة ٢٧ بين اريحا والقدس .
٧ - اللواء المدرع ٦٠ في منطقة « الخان الاحمر » غرب اريحا .
٨ - اللواء المدرع ٤ في منطقة جسر دامية .

كما كان هناك لواء مشاة آخر في الضفة الشرقية موزعاً بين عمان والعقبة ، ولواء الحرس الملكي في عمان .

وبالاضافة الى القوات الاردنية ، فقد كان على الجبهة الشرقية قوات عربية (عراقية ومصرية وسعودية وسورية) . وكانت القوة العراقية عبارة عن لواء مشاة ميكانيكي متمركز في « المفرق » ثم توجه إلى جسر دامية بعد ظهر يوم ٥ حزيران (يونيو) . وكانت القوة المصرية تضم كتيبتي صاعقة (مغاوير) وصلتا إلى مطار عمان يوم ٣ حزيران (يونيو) الحقت احداهما بلواء المشاة ٢٥ في جنين ، والحقت الثانية باللواء الهاشمي في منطقة رام الله . أما القوة السعودية فكانت تضم لواء مشاة غير كامل ، وصلت طلائعه يوم ٦ حزيران (يونيو) إلى المدورة وبقي هناك دون أن يشترك في الحرب ، ولقد وصل لواء مدرع سوري (اللواء المدرع ١٧) الى الاراضي الاردنية مساء يوم ٧ حزيران (يونيو) ولم يشترك في القتال الذي دار على الجبهة الاردنية .

وكان كل من اللوائين المدرعين الاردنيين يتألف من كتيبتي دبابات، بكل منها نحو ٤٠ دبابة، وكتيبة مشاة ميكانيكية، والوحدات المساعدة الاخرى . وتقدر قوة المدرعات الاردنية بنحو ٢٠٠ دبابة معظمها من طراز « باتون » « م - ٤٧ » و « م - ٤٨ » بالاضافة لعدد من دبابات « السنتوريون » ، ونحو ٢٥٠ ناقلة جنود مدرعة معظمها من طراز «م - ١١٣» الامريكية ، كما كان لدى الجيش الاردني نحو ٢٠٠ مدفع ميدان معظمها عيار ٢٥ رطل بريطاني ، وبعض المدافع الامريكية . أمـا المدافع المضادة للدبابات فكانت من عيـار ١٧ رطل بريطاني و ١٠٦ مم عديمة الارتداد .

وأدى امتداد الجبهة الاردنية (نحو ٦٥٠ كلم) إلى ضعف كثافة القوات الاردنية الموزعة دفاعياً على طول المواجهة ، وبالتـالي سهل على القوات الاسرائيلية التي اخذت المبادرة الهجومية أن تحشد قواها الرئيسية على محاور تقدم معينة، فتحققت لها نسبة تفوق محلية عالية للغاية، بالقياس الى النسبة العامة للتفوق بين اجمالي القوات الاردنية المقاتلة في الضفة الغربية والقوات الاسرائيلية المعدة للهجوم على الجبهة الاردنية ، والتي بلغت في جملتها ٣ ألوية مدرعة وكتيبة دبابات مستقلة على الاقل ، و ٤ ألوية مشاة ، ولواء مظلي ميكانيكي ، بالاضافة لوحدات الناحال والدفاع الاقليمي . أي أن النسبة العامـة لعلاقات القوى بين الطرفين كانت متساوية تقريباً في وحدات المشاة (٦ ألوية اردنية مقابل ٥ ألوية اسرائيلية) وفي المدرعات كانت الوحدات الاسرائيلية متفوقة بنسبة ٣ : ٢ تقريباً ، أما في المدفعية فان العلاقة بين القوى غير معروفة بدقة ، نظراً لعدم توفر معلومات كافية عن وحدات المدفعية الإسرائيلية التي استخدمت في الجبهة الاردنية . وفي مجال الطيران كان التفوق مطلقاً للجانب الاسرائيلي، خاصة بعد أن دمرت جميع طائرات السلاح الجوي الاردني

(٣٢ طائرة هوكر هنتر) في مطاري «عمان» و «المفرق» ظهر يوم ٥ حزيران (يونيو)، بعد أن قامت بمضها بعدة غارات على المطارات الاسرائيلية (ناتانيا وبتاح تكفا وسكرين)، ودمرت ٤ طائرات نقل على الارض في حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً.

وقد أدت بعثرة الألوية الاردنية على طول الجبهة وافتقاد قيادة الجيش الاردني إلى أي خطة هجومية ضد اسرائيل، رغم وجود نتوءات من ارض الضفة الغربية تشكل نقاط انطلاق هجومية ممتازة من الناحية الجغرافية (مثل نتوء قلقيلية الذي يبعد عن شاطىء البحر المتوسط بنحو ١٥ كلم فقط ويقع في وسط المنطقة الحيوية من الارض المحتلة)، إلى ضعف الدفاع الاردني في كل مكان تقريباً، خاصة وان الاردنيين لم يعدوا مسبقاً موانع هندسية وحقول الغام كثيفة على المحاور الرئيسية للتقدم الاسرائيلي المحتمل، والتي كانت تجتاز عديدًا من نقاط الاختناق بين التلال والجبال المنتشرة في الضفة الغربية. وساعد عدم وجود أي تنظيم للمقاومة الشعبية الفلسطينية على تسهيل الزحف الاسرائيلي عبر هذه المحاور (على خلاف الحال في قطاع غزة) والاستيلاء على مدن وقرى المنطقة.

خطة الهجوم الاسرائيلي على الضفة الغربية:
قامت الخطة الاسرائيلية في احتلال الضفة الغربية ومدينة القدس القديمة على اساس توجيه ضربة رئيسية إلى شمال القدس للسيطرة على سلسلة التلال الحيوية الموجودة هناك، والتي تسهل عملية تطويق المدينة والاشراف على طرق المواصلات التي تربطها بالاردن، كما تفتح طريق التقدم شمالا نحو نابلس عبر محور «رام الله». واتخذت هذه الضربة شكل شعب ثلاث للتقدم، واحدة من منطقة «الشيخ عبد العزيز» نحو «النبي صموئيل»، وثانية تتجه نحو ل الرادار ثم تزحف شرقاً نحو «النبي صموئيل» يضاً حيث تلتقي بالشعبة الاولى ويزحفان معاً شرقاً ل «بيت حنينا» ليقطعا طريق «القدس — رام الله» يتوزعا إلى قوتين: واحدة تتجه جنوباً نحو جبل كوبس شمال القدس مباشرة والاخرى تتجه شمالا و «رام الله». أما الشعبة الثالثة للضربة المذكورة د حددت لانطلاقها منطقة «اللطرون»، ثم تزحف قاً نحو «رام الله» حيث تلتقي هناك بالقوة حفة من «بيت حنينا». ومن «رام الله» تتجه شمالا نحو نابلس، وتتجه قوة اخرى إلى الجنوب .ي نحو «اريحا» الواقعة بين «القدس» ونهر دن. وفي الوقت نفسه كان على قوة اسرائيلية

توزيع القوات الأردنية عشية حرب ١٩٦٧

أن تطوق القدس من الجنوب بعد الاستيلاء على قرية «صور باهر»، ثم تقتحم المدينة من جهة الشرق.

وقد اسندت هذه المهام القتالية إلى قيادة الجبهة الوسطى التي شكلت مجموعة قتالية ضمت لواء مدرعاً ولواء مظلياً (كان من المفروض أن يحتل العريش بعملية ابرار جوي ثم ألغيت العملية نظراً لسرعة استيلاء قوات تال عليها) و ٣ ألوية مشاة. وخضعت هذه المجموعة لقيادة قائد المنطقة الوسطى العميد «ناركيس». وقد عهد ناركيس للواء المدرع بقيادة «يورى بن آرى» (القائد السابق للواء السابع المدرع) الذي استدعي من الاحتياط عشية الحرب) باحتلال «تل الرادار» و «الشيخ عبد العزيز» وقطع طريق «القدس — رام الله»، على أن يقوم

اللواء المظلي ولواء مشاة آخر من مجندي القدس الجديدة ، بتنفيذ المهام القتالية حول المدينة وداخلها بالتعاون مع اللواء المدرع وكتيبة دبابات « شيرمان » مساندة للواء المشاة . أما منطقة « اللطرون » فقد عهد بها الى لواء مشاة ميكانيكي . وفي القطاع الشمالي من الضفة الغربية ، حيث توجد مدن « نابلس » و « جنين » و « طولكرم » وبلدة « قلقيلية » ، فقد عهدت القيادة الاسرائيلية إلى مجموعة العميد « العادبيليد » بمهام القضاء على القوات الاردنية الرئيسية الموجودة هناك ، واحتلال هذا القطاع ، والوصول إلى نهر الاردن . وكانت هذه المجموعة تتألف من لوائين مدرعين تابعين للقيادة الشمالية أصلا ، ولوائي مشاة : احدهما من القيادة الشمالية ايضاً والآخر من القيادة الوسطى ، فضلا عن كتيبة دبابات مستقلة ووحدات مساندة أخرى تضم :كتيبة استطلاع مدرعة ، و ٣ كتائب مدفعية ، وكتيبة هندسة ، و ٨ كتائب ناحال ، و ٣ حاميات دفاع اقليمي .

ووضعت الخطة الاسرائيلية على أساس توجيه ضربتين أساسيتين بلوائي المدرعات غرب جنين وشرقها ، على أن تتقدم الأولى من الشمالي الغربي لجنين نحو قرية « اليامون » ، ثم تتجة شرقاً حتى تقطع طريق « جنين – نابلس » وتهاجم جنين من الجنوب عبر سهل عرابه ، ويقود الثانية اللواء المدرع الثاني الذي يتقدم من شمال جنين على طريق « عفولة » ، ثم يتجه شرقاً الى قرية « دير أبو ضعيف» ثم جنوباً الى قرية « جلقموس » و « تلفيت » ثم قرية « الزبابدة » حيث يقطع طريق « طوباس – قباطيا – جنين » . وهناك يتجه رتل من اللواء المدرع شمالا نحو « قباطيا » ، ورتل آخر جنوباً نحو « طوباس » و « نابلس » ، وفي الوقت نفسه يزحف لواء مشاة ميكانيكي نحو « جنين » مباشرة عن طريق « حيفا » . كما خطط لتوجيه ضربة ثالثة إلى الغرب من « جنين » بواسطة كتيبة دبابات وقوة من المشاة الميكانيكية من اتجاه « سيلة الحارثة » و « يعبد » بهدف قطع طريق « جنين – نابلس » عند « عرابه » ثم التقدم جنوباً نحو « سيلة الظهر » ثم مهاجمة « نابلس » من الغرب ، وبذلك يتم تطويق «نابلس» من الشمال بواسطة المدرعات الزاحفة من « طوباس » ومن الجنوب بواسطة قوة مدرعة من لواء « بن آرى » تزحف من « رام الله » ومن الغرب كما سبقت الاشارة .

وكانت جميع الضربات الثلاث المذكورة تقع في قطاع لواء المشاة الاردني ٢٥ الذي كانت تعززه سريتا دبابات باتون من الكتيبة المدرعة ١٢ .

ولقد خطط العدو أيضاً لتوجيه ضربتين ثانويتين بواسطة لواء مشاة (من المنطقة الوسطى) ضد «قلقيلية» و « طولكرم » ، تعززها سريتا دبابات شيرمان ، أي في قطاع لواء « الاميرة عالية » ثم تزحف الوحدات المهاجمة على هذين المحورين نحو نابلس ايضاً . كما خطط بالاضافة الى ذلك هجوماً مخادعاً تقوم به وحدة مشاة من اتجاه « بيسان » قرب نهر الاردن في اتجاه جسر « دامية » .

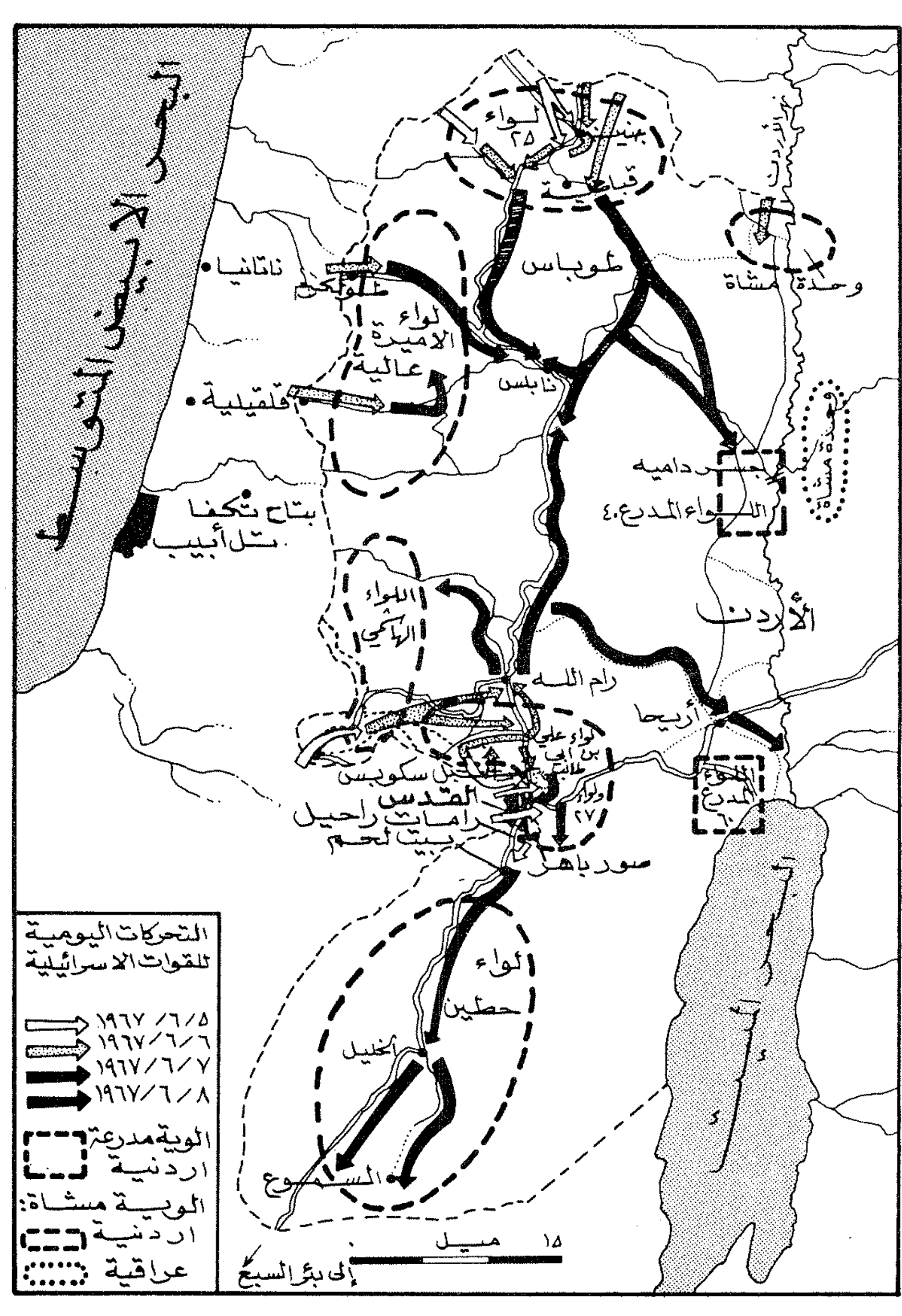
معركة القدس : هاجم العدو مدينة القدس في ٦/٥ (انظر القدس ، معارك) . وفي الوقت الذي كانت به معركة القدس محتدمة ، كان لواء مشاة اسرائيلي تدعمه وحدة من دبابات « شيرمان » يهاجم ممر باب الواد الضيق ومركز شرطة اللطرون المحصن، ولقد تم الاستيلاء عليهما في صباح اليوم التالي ، ٦ حزيران (يونيو)، وبعد ظهر اليوم نفسه ، تقدمت وحدة استطلاع اللواء جنوباً على طريق رام الله ، واستولت على مطار القدس (مطار قلنديا) ، على حين اشتركت بقية وحدات اللواء مع كتيبتي دبابات من اللواء المدرع الذي يقوده « بن آرى » مساء اليوم نفسه في معركة القدس .

معركة جنين : كانت وحدات لواء المشاة ٢٥ الاردني موزعة شمال جنين لتحمي طرق الاقتراب منها ، خاصة محور عفولة الواقع إلى الشمال الشرقي والذي يمر عبر ارض سهلية ، وتعززها سريتا دبابات باتون « م – ٤٧ » تابعة لكتيبة الدبابات ١٢ وزعتا على محاور التقدم الثلاثة : محور « حيفا – جنين » ، ومحور « عين السهلة – يعبد » ، ومحور « زرعين – جنين ». وقد فتحت المدفعية والدبابات الاردنية النار على الاهداف الاسرائيلية المواجهة لها ، ومنها مطار « رامات دافيد » الواقع إلى الغرب من جنين ، منذ الساعة العاشرة من صباح ٥ حزيران (يونيو) لمدة ساعتين تقريباً . وفي الخامسة مساء بدأ اللواء المدرع الاسرائيلي التابع لمجموعة « بيليد » هجومه على قطاع جنين من الشمال الغربي نحو قرية اليامون بواسطة كتيبة دبابات « شيرمان » وكتيبة مشاة ميكانيكية (تنقصها سرية) ووحدة استطلاع . وفي الوقت نفسه كانت كتيبة دبابات اخرى ومعها سرية مشاة ميكانيكية (أي بقية اللواء المدرع) تهاجم من اتجاه « سيلة الحارثة » نحو قرية « يعبد » الى الغرب من جنين ، كما كان الهجوم المخادع الذي قامت به وحدة مشاة اسرائيلية من اتجاه « بيسان » نحو « جسر دامية » قد بدأ في حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر وحقق تقدماً على الضفة الغربية لنهر الاردن بلغ نحو ١٦ كلم حتى حلول الظلام . وتوقفت القوة الاسرائيلية عن مواصلة التقدم بعد أن تبادلت بعض الطلقات مع وحدة اردنية صغيرة كانت تحرس حدود هذه المنطقة .

وقد وصلت المدرعات الاسرائيلية التي هاجمت قرية اليامون بعد حلول الظلام إلى طريق جنين – نابلس ، واخذت تتقدم نحو جنين من الجنوب عبر سهل عرابه بعد أن واجهت مقاومة اردنية محدودة ، ثم توقفت لاعادة التنظيم . أما القوة المدرعة الاسرائيلية الاخرى التي تقدمت نحو قرية يعبد فقد واجهت مقاومة من قوة أردنية صغيرة قاتلت بشدة حتى تم اجتياحها عملياً ، ثم توقفت على مبعدة ٦ كلم من القرية عند حلول الظلام. وكانت المدفعية والطائرات الاسرائيلية تقدم في جميع هذه العمليات الهجومية الاسرائيلية دعماً قوياً بالنيران للمدرعات المهاجمة .

وفي حوالي الساعة الثالثة من بعد منتصف ليلة ٥ – ٦ حزيران (يونيو) بدأت كتيبة الدبابات الاسرائيلية التي تدعمها غالبية كتيبة المشاة الميكانيكية التابعة للواء المدرع ، والتي سبق لها أن توقفت في سهل عرابه ، هجومها نحو جنين ، إلا أنها اصطدمت بمواقع دفاعية اردنية بها نحو كتيبة مشاة ، و ١٥ دبابة « باتون م ٤٧ » كانت مختفية داخل اشجار الزيتون ، ففشل الهجوم ، ودُمرت بعض الدبابات والآليات الاسرائيلية . وشنت المدرعات الاسرائيلية هجوماً ثانياً إلا أنه فشل ايضاً، وبدأت الدبابات الاسرائيلية تنسحب عند بزوغ الفجر ، فقامت الدبابات الاردنية بمطاردتها إلا أنها تعرضت لقصف جوي معادٍ ، وتكبدت خسائر شديدة تمثلت في إصابة ٨ دبابات . وبعد ذلك عاودت المدرعات الاسرائيلية ومشاتها الميكانيكية الهجوم وامكن صدها عدة مرات بنيران المدافع المضادة للدبابات ، إلا أنها استطاعت اختراق الدفاعات الاردنية في حوالي الساعة السابعة من صباح ٦ حزيران (يونيو) ، واخذت تهاجم جنين نفسها ، حيث دارت بعض معارك الشوارع خاصة عند مركز الشرطة المحصن ، استمرت حتى السابعة والنصف صباحاً ، وسقطت جنين اثر ذلك في ايدي القوات الاسرائيلية التي هاجمت المدينة من الشمال ايضاً عند الفجر عبر طريق حيفا بلواء مشاة ميكانيكي ، وكانت جميع الدبابات الاردنية التابعة للكتيبة المدرعة ١٢ قد دمرت عند سقوط المدينة .

معارك اللواء المدرع الاردني ٤٠ : كان هذا اللواء يتكون من كتيبتي الدبابات الثانية والرابعة (لديهما معاً حوالي ٩٠ دبابة « باتون م – ٤٨ ») .



الهجمات الإسرائيلية على الجبهة الأردنية (١٩٦٧)

وكتيبة المشاة الميكانيكية الاولى (محمولة على عربات مدرعة م – ١١٣) وكتيبة المدافع ذاتية الحركة الثامنة . وكان اللواء المدرع المذكور محتشداً عند بدء القتال في منطقة جسر دامية . وقد أمره الفريق عبد المنعم رياض ظهر يوم ٥ حزيران (يونيو) بالتوجه نحو اريحا لكي يحل محل اللواء المدرع الأردني ٦٠ الذي أمر بالزحف إلى « الخليل » لمواجهة احتمال وقوع هجوم مدرع اسرائيلي من منطقة « بئر السبع » ، أو الاشتراك في هجوم مضاد نحوها للالتقاء بمجموعة الشاذلي المدرعة حال قيامها بهجومها عبر الكونتلا نحو « بئر السبع » لتطويق « ايلات » . ولقد رأى الفريق رياض أن من الضروري أن يحل محل اللواء المدرع ٤٠ في جسر دامية اللواء الميكانيكي الثامن العراقي الذي كان قد وصل إلى منطقة المفرق قرب الحدود الاردنية – العراقية . وقد وصل اللواء المدرع ٤٠ إلى « اريحا » واراد مواصلة التقدم خلال الليل نحو منطقة « الخان الاحمر » إلا أن طيران العدو هاجمه اثناء تحركه ، وعدل اللواء عن مواصلة تقدمه بعد تلقيه أمراً جديداً بالتحرك إلى قطاع « جنين » لصد هجوم العدو هناك في الساعة الثامنة من مساء يوم ٥ حزيران (يونيو) . وبدأ اللواء في التحرك من « اريحا » في حوالي الساعة التاسعة والنصف من مساء اليوم نفسه ، وقد انقسم الى رتلين : الرتل الاول ويتألف من الكتيبة المدرعة الرابعة ومعها قيادة اللواء وغالبية كتيبة المشاة الميكانيكية الاولى وبطاريتا مدفعية ذاتية الحركة ، وقد تقدم على طريق « طوباس – جنين » في اتجاه مفترق قباطيا . أما الرتل الثاني ، ويتألف من الكتيبة المدرعة الثانية وسرية مشاة ميكانيكية وبطارية مدفعية ذاتية الحركة ، فقد تقدم على طريق « نابلس – دير شرف » في اتجاه مفترق « عرابة » .

وعند وصول الرتل المدرع المتقدم على طريق « طوباس – جنين » إلى قرية « الزبابدة » ، انقسم إلى قوتين : ضمت القوة الاولى سريتي دبابات وسرية مشاة ميكانيكية . ولقد واصلت هذه القوة تقدمها حتى مفترق « قباطيا » ، وضمت القوة الثانية سرية دبابات وسريتا مشاة ميكانيكية وبطاريتي مدفعية ذاتية الحركة ولقد بقيت هذة القوة في منطقة قرية « الزبابدة » لصد هجوم اللواء المدرع الاسرائيلي الآخر المتقدم نحو قريتي « جلقموس » و « تلفيت » .

معركة قباطيا : وصلت سريتا دبابات الكتيبة الرابعة ومعها سرية مشاة ميكانيكية إلى مفترق « قباطيا » في حوالي الساعة ٤,٣٠ من صباح ٦٧/٦/٦ ، وهاجمت سرية دبابات اسرائيلية كانت هناك وازلت بها خسائر فادحة اضطرتها للانسحاب نحو جنين ، وفي حوالي الساعة ٧,٣٠ من الصباح المذكور ، كانت المدرعات الاردنية قد استكملت سيطرتها على المفترق ، ولكنها توقفت عن مواصلة التقدم نظراً لحاجاتها إلى اعادة التزود بالوقود والذخيرة ، ولذلك اخذ قائد الكتيبة يرسل دباباته إلى المؤخرة القريبة واحدة تلو الاخرى لاتمام هذه المهمة ، الأمر الذي أتاح لقائد اللواء المدرع الاسرائيلي في « جنين » أن يحشد قواته ويتقدم بها نحو مفترق « قباطيا » لمهاجمة القوة الاردنية .

وفي حوالي الحادية عشرة من صباح اليوم نفسه تقدمت الدبابات الاسرائيلية نحو مفترق « قباطيا » فتراجعت الدبابات الاردنية امامها وانتشرت في الحقول والتلال الواقعة في جنوب سهل عرابه ، وتبعتها

الدبابات والآليات الاسرائيلية حيث وقعت في كمين من نيران « الباتون » الاردنية،نتج عنه تدمير واصابة نحو ٣٠ مركبة مدرعة اسرائيلية،من بينها ١٧ دبابة « شيرمان » . واثر ذلك شنت المدرعات الاسرائيلية هجوماً آخر لتتمكن من سحب آلياتها المعطلة وجرحاها ، ولكن الهجوم الثاني فشل ايضاً ، ولذلك قامت الطائرات الاسرائيلية بشن غارتين بعد ظهر اليوم نفسه لتمكين رجال المدرعات من سحب آلياتهم المصابة ، وعند حلول الظلام كان الموقف التكتيكي سيئاً بالنسبة للاسرائيليين الذين كانوا منتشرين في الوادي على حين كانت المدرعات الاردنية لا تزال مسيطرة على المفترق والوادي من التلال المشرفة عليه ، وتوقف القتال خلال الليل . وفي الوقت نفسه كان اللواء المدرع الاسرائيلي الثاني (ضمن مجموعة بيليد) قد اخترق الحدود عند فجر يوم ٦٧/٦/٦ إلى الغرب من جبل « جلبوع » ، وقد اصطدم بموقع دفاعي اردني مجهز ببعض المدافع المضادة للدبابات قرب قرية « ابو ضعيف » ، حيث أصيبت بعض الدبابات الاسرائيلية في محاولة اقتحامه الاولى الفاشلة ، ثم وجهت نيران المدفعية والطيران إلى الموقع المذكور على حين هاجمته الدبابات من الجناح ونجحت في اختراقه . وفي حوالي الساعة ١٠,١٥ من صباح اليوم نفسه كان اللواء المدرع الاسرائيلي قد استولى على قريتي « جلقموس » و « تلفيت » ثم تقدم نحو قريتي « الكفير » و « الزبابدة » ، وفي « الكفير » اشتبك في معركة عنيفة مع السرية المدرعة الثالثة الاردنية التابعة للكتيبة الرابعة والتي تركت لحماية مؤخرتها في قرية « الزبابدة » . وقد اسفر الاشتباك عن اصابة ٣ دبابات سنتوريون اسرائيلية ، وتراجع الباقي الى الخلف بعض الشيء ، واستمر تبادل اطلاق النار بين الدبابات الاردنية المحتمية في مواقع جيدة الاعداد ، والدبابات الاسرائيلية المكشوفة ، حتى حلول الظلام ، دون أن يحرز اللواء المدرع الاسرائيلي أي تقدم جديد .

انسحاب اللواء المدرع ٤٠ : ولكن قائد اللواء المدرع ٤٠ الاردني بات يشعر بحرج موقفه في « قباطيا » من جراء تهديد اللواء المدرع الاسرائيلي الآخر لقرية « الزبابدة » التي سيترتب على سقوطها قطع خط انسحاب بقية الكتيبة المدرعة الرابعة . ولذلك قرر الانسحاب من « قباطيا » ، وبدأت الكتيبة تنفذ أوامر الانسحاب في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم ٦/٦ ، بعد أن كانت قد فقدت عشر دبابات نتيجة للقصف الجوي المعادي ، بالاضافة للدبابات الأربع التي كانت قد فقدتها خلال قتال الدبابات ، وعندما وصلت الى قرية « الزبابدة » أصيبت دبابتان اخريتان ، ثم شاركت في القتال الدائر عند « الكفير » بالتعاون مع سرية الدبابات الثالثة التابعة لها والتي كانت لا تزال توقف تقدم اللواء المدرع الاسرائيلي الثاني ، حيث ركز الطيران الاسرائيلي ضرباته طوال ساعات المساء وخلال الليل ايضاً ، ونتج عن ذلك تدمير ٥ دبابات اخرى و ٦ ناقلات من كتيبة المشاة الميكانيكية ، كما دمر عدد من شاحنات الوقود والذخيرة وهي في طريقها لامداد اللواء المدرع بحاجاته ، ولذلك اصبح لدى كل دبابة خلال ليلة ٦ – ٧ عدد قليل من القنابل لا يتجاوز ٦ قنابل للمدفع الرئيسي ، وقليل من ذخيرة الرشاشات . ولذلك سحبت القوة المدرعة الاردنية المتبقية إلى « سد عقابة » خلال ليلة ٦ – ٧ ، وقد واصلت بقايا سريتي الدبابات التي كانت اصلا في « قباطيا » انسحابها حتى وصلت الى الضفة الشرقية لنهر الاردن . وكان فيها ٨ دبابات فقط ، أما السرية المدرعة الثالثة وبقايا سريتي المشاة الميكانيكية التي كانت تقاتل اصلا في « الكفير »، فقد توقفت في « سد عقابة » لعرقلة تقدم المدرعات الاسرائيلية التي هاجمتها هناك في الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ٦ – ٧،ولكنها لم تنجح في اختراق مواقعها ، ولذلك قامت المدفعية الاسرائيلية بقصف المواقع الاردنية المذكورة في الساعة الرابعة من صباح ٦/٧ . واستمر القصف لمدة ١٥ دقيقة ، واعقبه عند طلوع الضوء قصف جوي ، وفي الساعة الرابعة وخمس واربعين دقيقة بدأت المدرعات الاسرائيلية هجومها . ولكنها لم تواجه أي مقاومة نظراً لانسحاب المدرعات الاردنية المتبقية إلى الضفة الشرقية عبر جسر دامية . وعلى اثر ذلك اعادت المدرعات الاسرائيلية تنظيم صفوفها وتقدمت نحو « طوباس » ، ثم اتجهت سريتا دبابات منها نحو جسر دامية فبلغته في الساعة العاشرة من صباح ٧ حزيران (يونيو) .

وفي الوقت نفسه كانت وحدات اخرى من المشاة الاسرائيلية تعززها وحدات من دبابات « الشيرمان » قد استولت على كل من قلقيلية وطولكرم ، خلال المعارك الرئيسية التي كان اللواء المدرع ٤٠ منشغلا بها عند جنين ونابلس ، ولقد جوبه الاسرائيليون خلال احتلال المدينتين بمقاومة ازدنية محدودة ومقاومة فلسطينية عنيفة أبدتها قوة صغيرة من رجال المقاومة الشعبية في « طولكرم » رغم انسحاب الحامية الاردنية من البلدة قبل اقتحام الاسرائيليين لها بعدة ساعات .

معركة « عرابه » : وصلت الكتيبة المدرعة الثانية الاردنية ومعها سرية مشاة ميكانيكية ، وبطارية مدفعية ذاتية الحركة ، إلى مفترق « عرابه » في حوالي الساعة السادسة من صباح يوم ٦٧/٦/٦ ، وسيطرت فوراً على المفترق ، متخذة لنفسها مواقع دفاعية حوله ، بحيث كانت هناك سرية دبابات قرب المفترق ، وسرية اخرى قرب سهل عرابه والسرية الثالثة أبقيت كاحتياطي على مفترق « صانور » على مسافة ٨ كلم إلى الجنوب من مفترق « عرابه » ، وكانت مهمتها مواجهة احتمال وقوع هجوم اسرائيلي من اتجاه « سهل صانور » أو من اتجاه « عرابه » نحو خط « قباطيا » . وفي هذه الاثناء كان الرتل المدرع الاسرائيلي الزاحف نحو قرية « يعبد » قد استولى عليها فجر يوم ٦/٦ بعد قتال عنيف مع قوة اردنية من المشاة كانت تحمي التل ٣٣٤ المشرف على القرية انتهى في حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ٥ – ٦ ، ثم تقدم نحو طريق نابلس – جنين حيث اصطدم مع سرية الدبابات « باتون » الاردنية قرب مفترق « عرابه » . وحاولت المدرعات الاسرائيلية عبر ثلاث هجمات أن تخترق الدفاع الاردني إلا أنها صدت عن التقدم في كل مرة ، وأصيب عديد من معدات العدو من بينها ٣ دبابات « شيرمان » ، مما اضطر الرتل المدرع الاسرائيلي الى التوقف عن التقدم بقية اليوم وطوال ليلة ٦ – ٧،ولم تخسر الكتيبة المدرعة الثانية خلال قتال يوم ٦/٦ المذكور سوى ٤ دبابات . إلا أن صدور أمر الانسحاب العام وبدء تنفيذه بالنسبة للكتيبة المدرعة الرابعة عند « قباطيا » في الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر يوم ٦/٦ ، أدى الى صدور أمر من قيادة اللواء المدرع ٤٠ إلى قائد الكتيبة المدرعة الثانية بالانسحاب هو الآخر من مفترق « عرابه » إلى قرية « سيلة الظهر » .

وفي الساعة الثامنة من مساء يوم ٦/٦ اتمت الكتيبة انسحابها واحتلت مواقع جديدة عند القرية المذكورة . وفي حوالي الساعة الثامنة من صباح يوم ٦/٧ اشتبكت إحدى سرايا الكتيبة بالرتل المدرع الاسرائيلي المتقدم من « عرابه » ، ودمرت دبابتين إسرائيليتين واجبرت الباقي على التوقف .

ثم صدر أمر جديد للكتيبة بالانسحاب إلى المشارف الغربية لمدينة « نابلس » ، ووصلت غالبية الكتيبة إلى قرية « دير شرف » في حوالي الساعة التاسعة والنصف من الصباح نفسه ، بعد أن فقدت ٦ دبابات نتيجة للهجمات الجوية الاسرائيلية التي

تعرضت لها خلال الانسحاب . وفي قرية «دير شرف» أبقت الكتيبة سرية واحدة كحرس مؤخرة وواصلت انسحابها نحو « نابلس » حيث اصطدمت فجأة مع قوة من الدبابات الاسرائيلية كانت قد دخلت المدينة من الجهة الشرقية (جزء من اللواء المدرع الذي كان يهاجم الكفير والزبابدة نجح في الوصول الى نابلس من الشرق بعد انسحابْ الكتيبة المدرعة الرابعة) وفقدت ٥ دبابات نتيجة لذلك الاشتباك المفاجيء ، كما اصيب عدد آخر من الدبابات الاردنية في كرم زيتون غربي نابلس بواسطة طيران العدو ، وهنا شعر قائد الكتيبة بخطورة موقفه ، فحاول الاندفاع عبر أحد مداخل المدينة، إلا أن دبابته أصيبت إصابة مباشرة وقتل جميع من كانوا فيها ، واثر ذلك تولى نائبه القيادة واستمر في الاشتباك مع طيران العدو ومدرعاته المهاجمة من الشمال والجنوب حتى الساعة الخامسة من مساء اليوم نفسه ، ثم أمر رجاله بتدمير الدبابات بواسطة القنابل اليدوية ، بعد أن نفذت الذخيرة والوقود ، ثم الانسحاب سيراً على الاقدام عبر المرتفعات نحو الضفة الشرقيـــة للاردن . ويبدو أن عمليات التخريب المطلوبـــة للدبابات لم تكن ناجحة بالقدر الكافي، إذ عثرت القوات الاسرائيلية على ١٥ دبابة « باتون » اردنية سليمة في الممر الجبلي الضيق غربي نابلس ، فضلا عن ١٣ دبابة اخرى وجدت معطلة قرب قرية « سبسطيه » .

تحركات اللواء المدرع ٦٠ : تعرض اللـــواء المدرع ٦٠ الاردني لقصف الطائرات الاسرائيلية أثناء الزحف من « اريحا » الى « الخليل » تنفيذاً لاوامر الفريق عبد المنعم رياض الاولى ، وكذلك خلال انسحابه مرة اخرى الى « اريحا » عندما فهمت القيادة الاردنية حقيقة ثقل الهجوم الاسرائيلي في الضفة الغربية ، وتركزه قرب « جنين » في الشمال . وقد حاولت قوة اسرائيلية تابعة لمجموعة « ناركيس » في منطقة القدس (كانت تضم كتيبة مشاة وسرية دبابات « شيرمان ») أن تقطع طريق « بيت لحم — القدس » قرب قرية « صور باهر » فجر يـــوم ٦ حزيران (يونيو)، وأن تحول دون انسحاب بقية اللواء المدرع ٦٠ ، ولكنها فشلت في تحقيق هدفها ، واستطاعت وحدات اللواء الاردني المذكور أن تصل الى « اريحا » مرة اخرى ، حيث اشتبكت بعد ظهر يوم ٧ حزيران (يونيو) مع وحدة الاستطلاع التي تقدمت زحف كتيبتي دبابات اسرائيلية تابعتين للواء المدرع الذي اشترك في معركة القدس واستولى على رام الله ، أي لواء العقيد « بن آرى » .

وقد انتشرت الدبابات الاسرائيلية فور اطلاق الدبابات الاردنية النار على وحدة الاستطلاع المقتربة من « اريحا » ، وقام الطيران الاسرائيلي على الفور بتقديم الدعم القريب بنيرانه ، ثم التفت الدبابات الاسرائيلية حول « اريحا » بحركة كماشة، واندفعت وحدة دبابات منها الى داخل المدينة وهي تطلق نيران مدافعها بعد أن انسحبت مدرعات اللواء المدرع الاردني ٦٠ الى الضفة الشرقية ، وهكذا سقطت « اريحا » بيد القوات الاسرائيلية في حوالي الساعة السابعة والنصف من مساء يوم ٧ حزيران (يونيو) .

لقد كانت سيطرة الطيران الاسرائيلي على الأجواء بشكل مطلق ، وعدم إمتلاك المدرعات الاردنيـــة لأسلحة متطورة مضادة للطائرات ومضادة للدبابات ، هما السبب الرئيسي لانحدار المدرعات الأردنية أمام المدرعات والقوات الاسرائيلية التي حققت في الضفة الغربية إنتصارات لا تستحقها ، ولا يسمح بها ميزان القوى البري . وقدرت الخسائر في الجانب الاردني بنحو ٦٠٩٤ قتيلاً ومفقوداً و ٧٩٢ جريحاً و ٤٦٣ اسيراً ، فضلا عن نحو ١٥٠ دبابة «باتون» و ٢٥ دبابة « سنتوريون » وحوالي ١٥٠ مدفعاً . أما الاسرائيليون فيقولون انهم خسروا على الجبهة الاردنية ٣٠٢ قتيلا و١٤٥٣ جريحاً فضلا عن تدمير أو إعطاب نحو ١٠٠ دبابة . هذا وقد فقدت كتيبتا المغاوير (الصاعقة) المصريتان في عملياتهما التي جرت في عمق الاراضي المحتلة بالقرب من مطار « اللد » ومن مدينة « الرملة » نحو ٤٠ قتيلا و ٤٠ اسيراً من مجموع قوتهما البالغ عددها نحو ٢٤٠ جندياً .

الحرب على الجبهة السورية :

كان للقيادة السورية عشية بدء القتـــال خمسة ألوية مشاة ، ولواءا مشاة ميكانيكية ، ولواءان مدرعان ، جرى توزيعها على النحو التالي :

لواء المشاة ١١ في القطـــاع الشمالي ، ولواء المشاة ٨٠ في القطاع الاوسط ، ولواء المشاة ١٩ في القطاع الجنوبي ، ولواء المشاة ١٢٣ في منطقة مسعدة في عمق القطاع الشمالي ، ولواء المشاة ٩٠ شمالي القنيطرة ، ولواء المشاة ٣٢ (ميكانيكي على الارجح) جنوبي القنيطرة في منطقة البطمية ، واللواء المدرع ٧٠ غربي القنيطرة على المحور الاوسط . وكان اللواء المدرع ١٧ ، واللواء المشاة الميكانيكي ٢٥ في الاحتياطي العام شرقي القنيطرة .

وكان لدى كل لواء مشاة كتيبة من دبابات « ت ٣٤ » وقانصات الدبابات « س يو — ١٠٠ »، كما كانت هناك نحو ٣٠ دبابة من دبابات « الفهد » الالمانية القديمة موزعة في مواقع ثابتة (معظمها في القطاع الشمالي) كمدافع مضادة للدبابات ، وبلغت جملة المدرعات السورية في الجولان نحو ٢٦٠ دبابة وقانص ، وجملة المدفعية المساندة للقوات نحو ٢٦٥ مدفعاً من عيار ١٢٢ مم ، و١٥٢ مم ، و ١٣٠ مم، ونحو ١٠٠ مدفع مضاد للطائرات . وكانت هذه القوات ، خاصة الموجودة منها في الخط الدفاعي الامامي ، موزعة داخل مواقع محصنة ، تضم خنادق ومنعات للرمي وملاجيء تحت الارض مشيدة بالاسمنت المسلح، ومراكز قيادة محمية تماماً ضد قصف الطائرات والمدفعية والقصف الكيماوي ، وتحيط بالمواقع اسلاك شائكة وحقول الغام وموانع اخرى ضد الدبابات .

ولم تكن كثافة القوات في الخط الامامي كافية لتحقيق سيطرة قوية على طول الخط ، إذ كان كل لواء من الألوية الثلاثة المسند اليها دفاعات هذا الخط موزعاً على مواجهة عرضها نحو ٢٠ كلم في المتوسط نظراً لأنها تقوم بالدفاع على جبهة جبلية عريضة، وتركزت الدفاعات الرئيسية على المحور الاوسط الذي اعتبر اكثر المحاور اهمية نظراً لسهولة اختراقه نسبياً بالمدرعات .

وكانت القيادة السورية تعتمد ، فيما يبدو ، على توجيه هجمات مضادة بواسطة ألوية المشاة الاربعة الموجودة في العمق العملياتي ، ولوائي المدرعات المدعين لها ، الامر الذي يفترض تحقق درجة معينة من السيطرة الجوية السورية على هضبة الجولان ، التي يتعذر بدونها شن مثل هذه الهجمات المضادة خلال ساعات النهار .

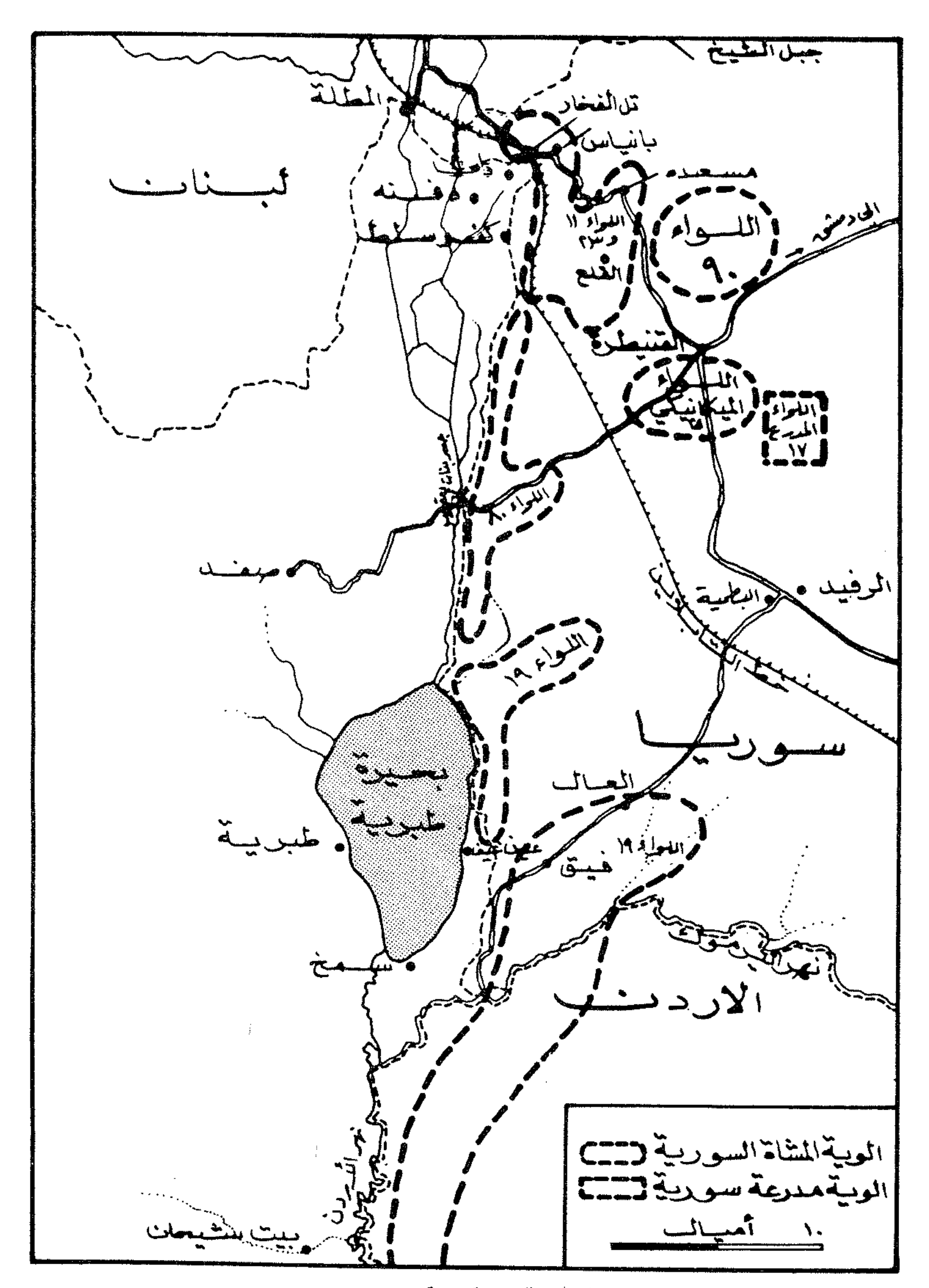
الخطة الاسرائيلية للهجوم : عند بدء الحرب في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ لم يكن لدى قيادة المنطقة الشمالية ، التي كان يتولاها العميد « دافيد العازر » ، سوى لواء مشاة واحد (هو لواء غولاني) ، ولواء مدرع واحد بقيادة العقيد « ابراهام مندلر » . وعقب انتهاء العمليات الحربية في الجبهة الاردنية دفعت الألوية المدرعة الثلاثة التي كانت مشتركة في القتال هناك إلى الجبهة السورية ، كما نقل اليها لواء المظليين الذي اشترك في معركة القدس ولواء مشاة آخر ووحدات اخرى ، بحيث اصبح لدى القيادة الشمالية عشية بدء الهجوم على الجولان يوم ٦٧/٦/٩ ما جملته ٤ ألوية مدرعة وكتيبة دبابات « باتون» مستقلة ، ولواء مظليين وكتيبة مظليين مستقلة ، و ٣ ألوية مشاة ، (احدهـــا ميكانيكي وهو لواء غولاني) وكتائب مدفعية وهندسة ونقل الخ ، تضم جميعاً نحو ٣٠ ألف جندي ، وحوالي ٢٥٠ دبابة (وذلك نتيجة للخسائر المختلفة

التي نتجت خلال معارك الجبهة الأردنية). ووضعت خطة الهجوم الاسرائيلي على أساس اختراق الدفاعات السورية بضربة رئيسية في القطاع الشمالي من الجولان، حيث الارض اكثر وعورة من القطاع الاوسط، ومن ثم فان الاختراق هناك اقل توقعاً من جانب السوريين. وكانت القوة المكلفة بتنفيذ هذه الضربة تضم كل من اللواء المدرع الذي يقوده العقيد «مندلر»، ولواء «غولاني» ويساندهما في الاحتياطي لواء مدرع آخر (وهو اللواء الذي احتل جنين) بقيادة العقيد «موشى». ولقد وضعت خطة الهجوم المذكور على النحو التالي:

أ - يقوم الجزء الرئيسي من لواء «مندلر» المدرع بخرق الدفاعات السورية عند موقع البحيرات، ثم يندفع عبر مواقع «غور العسكر» و «نعموش» نحو «زعورة» لمهاجمة موقع «القلع» من الشمال، على حين تشاغله قوة اخرى من اللواء نفسه من اتجاه موقع «سراديب» الواقع الى الشمال الغربي منه. وبعد الاستيلاء على «القلع» يتقدم اللواء المدرع جنوبا إلى «واسط» ومن هناك يزحف غرباً للاستيلاء على «القنيطرة».

ب - وفي الوقت نفسه يقوم لواء «غولاني» بتأمين الجناح الشمالي لهجوم اللواء المدرع بواسطة احتلال موقعي «تل الفخار» و «العزيزيات»، وتطهير منطقة «بانياس»، وتدعمه في عملياته هذه سريتا دبابات «شيرمان» من اللواء المدرع المذكور.

ولتثبيت الجهود السورية وتحويل انتباهها عن اتجاه الهجوم الرئيسي قررت القيادة الاسرائيلية توجيه بعض الهجمات الثانوية على المحور الاوسط تجاه مواقع «راوية» و «تل هـلال» و «عشمورة» و «الدرباشية» و «جليبينة» بواسطة وحدات مختلطة من لواء مشاة وفوج مظليين ولواء مدرع. أما في الجنوب فقد خطط لتوجيه ضربة رئيسية أخرى، يتم تنفيذها بعد بدء الهجوم في القطاع الشمالي، وتقوم بها قوة تضم لواء مدرعاً ولواء مشاة محمول، وفوج مظليين منقول بطائرات هليكوبتر يتم ابراره في العمق العملياتي على المحور الجنوبي في كل من «فيق» و «العال» ثم «البطمية»، وتعاون قوات هذه المجموعة قوة مدرعـة من ضمن قوات المحور الاوسط تتقدم من «الدرباشيـة» جنوباً نحو «البطمية». كما تتقدم قوة مدرعة اخرى من قوات المحور الاوسط من «راويه» إلى «واسط»، ثم تتجه نحو «القنيطرة» مروراً «بكفر نفاخ» لتدعيم عمليات قوات «مندلر» المدرعة الزاحفـة نحو «القنيطرة» من «القلع».



توزيع القوات السورية عشية حرب ١٩٦٧

عمليات القطاع الشمالي: بـدأت القيادة الاسرائيلية هجومها البري في الجبهة السورية في فجر يوم ٩/٦ بقصف جوي مركز على المواقع الدفاعية السورية الامامية، وذلك بعد أن تم حسم الموقف العسكري نهائياً في الجبهتين المصرية والاردنية. وقد بقيت الجبهة السورية شبه راكدة طوال الايام السابقة للحرب باستثناء بعض الهجمات الجوية التي قامت بها الطائرات السورية (١٢ طائرة ميغ ٢١) في الساعة ١١,٤٥ من صباح يوم ٥/٦ على مصافي البترول في حيفا ومطار مجدو، وقد ردت الطائرات الاسرائيلية بهجوم في الساعة ١٢,١٥ من اليوم نفسه على المطارات السورية القريبة من دمشق ومن الجبهة عموماً اسفر عن تدمير نحو ٦٠ طائرة سورية من مختلف الانواع، وانسحاب باقي الطيران السوري إلى مطارات الشمال البعيدة عن الجبهة ومدى طيران العدو. كما قامت وحدات مشاة سورية صغيرة بشن

ثلاث هجمات على مستعمرات «شرياشوف» و«دان» و«دفنا» صباح يوم ٦/٥ وامكن صدها بسهولة . وبعد ذلك اقتصر نشاط الجبهة السورية على القصف المدفعي للمستعمرات الاسرائيلية التي تشرف عليها هضبة الجولان .

وابتداء من الساعة ٩,٤٠ صباحاً ، ركزت الطائرات الاسرائيلية قصفها على بطاريات المدفعية والاستحكامات الموجودة في الخط الامامي المباشر . وفي تمام الساعة ١٠ صباحاً بدأت وحدات لواء العقيد «مندلر» المدرع تقدمها عبر الحدود السورية من مستعمرة «كفرسلط» في شكل ٣ مجموعات قتال مدرعة تضم كتيبة الدبابات «شيرمان» رقم أ/٢١١ ، ومجموعة الدبابات «ب» ، وكتيبة المشاة الميكانيكية التابعة للواء المدرع . ورغم الدعم الجوي القريب للهجوم فقد تكبدت وحدة الاستطلاع ووحدة المهندسين ، التي كانت تركب في ٨ جرافات (بولدوزرات) ، خسائر شديدة نتيجة رمي مدافع الهاوتزر السورية الذي بدأ فور بدء تقدم المدرعات والعربات المدرعة الاسرائيلية ، كما دمرت ٣ جرافات وقتل العديد من جنودها وهم يشقون طريقاً للدبابات والآليات وسط حقول الالغام السورية . واصيبت كذلك عدة سيارات جيب لجماعة الاستطلاع التي كانت تبحث عن الممر الذي تستخدمه الدوريات السورية وسط حقول الالغام ، حتى يتسنى لكتيبة الدبابات أ/١١٢ الانحراف شرقاً في الوقت المناسب والتقدم مباشرة نحو «زعورة» وتحاشي الاصطدام مع موقع «سراديب» الدفاعي القوي أو التعرض لنيران مواقع «القلع» المنيعة التي تليه في العمق .

ولكن جماعة الاستطلاع المذكورة اخفقت في تحديد مكان ممر الدوريات في الوقت المناسب . وقد نجحت دبابات الكتيبة المشار اليها في التغلب على مقاومة مواقع «غور العسكر» و«نعموش» و«عقدة» الامامية مستخدمة اسلوب الخرق بالحركة والنيران ، تاركة للمشاة الميكانيكية الزاحفة في أثرها مهام تصفية المقاومة المتبقية في المواقع المذكورة . وكان من نتيجة اقتحام الدبابات لموقع «العقدة» أن تقدمت نحو موقع «سراديب» بدلا من أن تتجه يساراً نحو «زعورة» ، وهناك تعرضت لنيران شديدة من المدافع المضادة للدبابات التي نجحت في إصابة عدد من الدبابات .

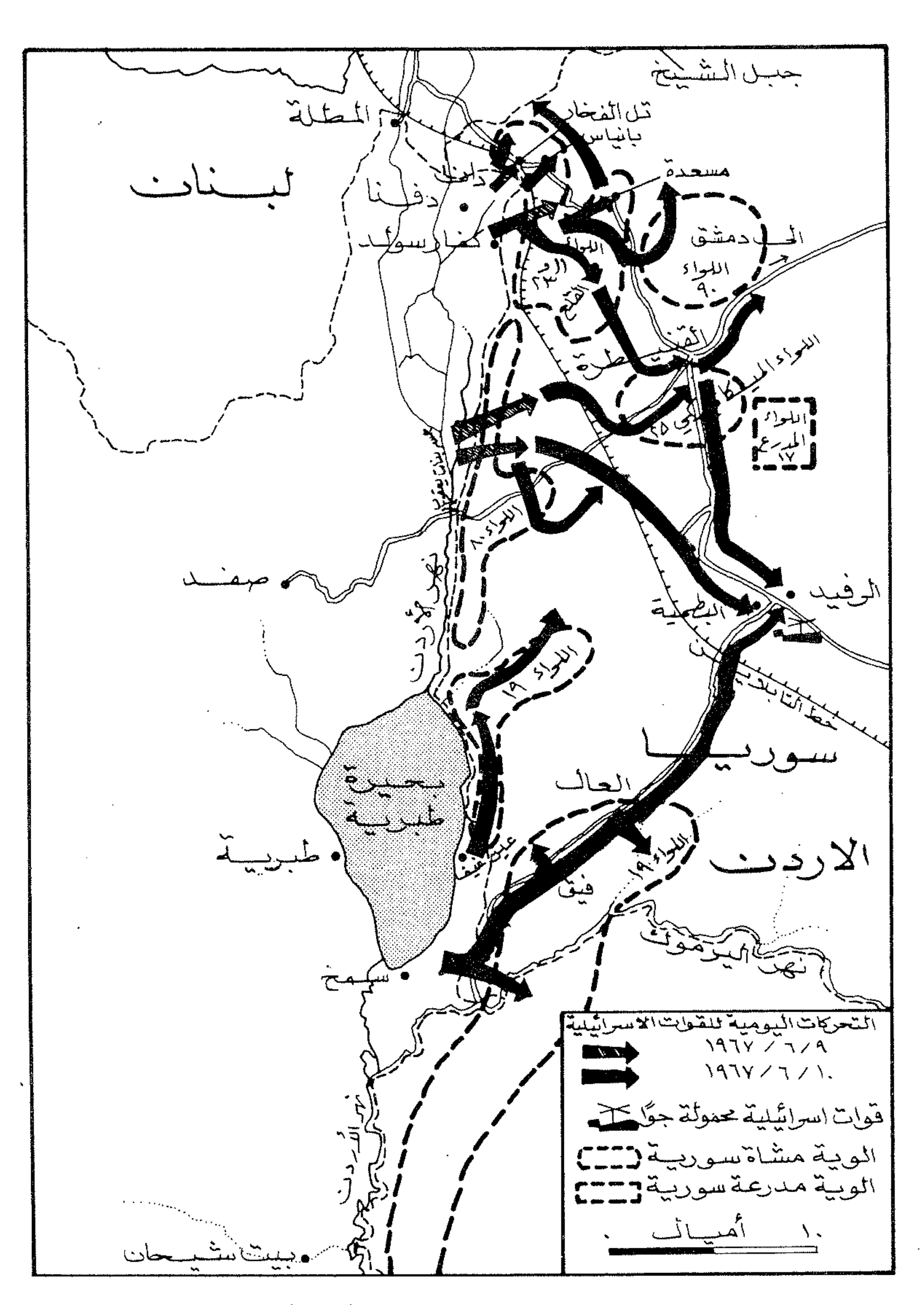
وفي حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر اصطدمت الكتيبة بموقع «القلع» المنيع ، الذي الحقت نيران مدافعه خسائر فادحة بالكتيبة ، واصبحت قوتها تضم ٢١ دبابة فقط، وجرح قائدها وقتل نائبه وتولى قيادتها أثر ذلك قائد إحدى السرايا .

معركة القلع : وفور تولي قائد السرية قيادة الكتيبة ربط سريته ببقية سرايا الكتيبة لاسلكياً واستعلم منها عن موقفها ، ثم اتصل بالعقيد «البرت مندلر» قائد اللواء المدرع ، واخبره بموقف الكتيبة الحرج امام تحصينات «القلع» . وقد امره «مندلر» بالاستمرار في مهاجمة «القلع» ، على حين تولى هو قيادة بقية وحدات اللواء ، واتجه يساراً نحو «زعورة» تنفيذا لخطته الاصلية للالتفاف حول «القلع» من المؤخرة .

والقلع عبارة عن قرية صغيرة تقع على هضبة مرتفعة تسيطر على المنطقة المحيطة بها سيطرة تامة ، وينحدر الطريق المؤدي من «سراديب» إلى «القلع» انحداراً شديداً ثم يرتفع فجأة ويستدير يميناً نحو القمة حيث يقل الانحدار ثم يستدير يساراً ويميناً حتى مدخل القرية . وفي وسط المنحدر شيدت القوات السورية حواجز من الاسمنت المسلح مضادة للدبابات (أسنان التنين) على مسافة نحو ١٨٠٠ متر من مرتفع «القلع» ، وحول الطريق كانت تتناثر مجموعة من المنعات المبنية بالاسمنت المسلح ، وعند القرية نفسها كانت توجد بعض الدبابات والمدافع م/د الموزعة بين المنازل بطريقة جيدة الاخفاء وبحيث تسيطر بالنيران على الطريق المؤدي إلى القلع . وإلى الشمال من القرية كان يوجد موقعان دفاعيان بهما دبابات ومدافع م/د احدهما يسمى «جيب الميس» والآخر مرتفع يشبه نعل الفرس ، وفي جنوب الطريق قمة اخرى منبسطة وضعت فيها مدافع م/د ايضاً .

وكانت الاحدى وعشرين دبابة الاسرائيلية المتبقية لدى كتيبة الدبابات أ/١١٢ موزعة على ٣ سرايا ، وقد عهد قائد الكتيبة الى احدى سرايا دباباته بمهاجمة الموقع الشمالي الشبيه بنعل الفرس بعد أن قام الطيران بقصفه ، ثم قامت سريتا الدبابات الاخريتان باطلاق قذائف دخان لتحجب رؤية المدافع السورية المضادة للدبابات الموجودة جنوبي الطريق ، على حين قدمت دبابات السرية الاولى دعماً نارياً من فوق موقع نعل الفرس لدبابات السريتين الاخريتين اثناء زحفها عبر الطريق واطلاقها النار بمدافعها عيار ١٠٥ مم على المنعات الدفاعية برمي مستقيم من مسافات قصيرة . وفي الوقت ذاته كانت المدفعية الاسرائيلية تقدم دعماً بالنيران يقوم بتصحيح اتجاهه قائد كتيبة الدبابات لاسلكياً ، ثم أصاب مدفع م/د دبابة القائد فعطلها واصاب القائد نفسه بجروح خفيفة ، وانقطع اتصاله اللاسلكي بالمدفعية ، فاضطر لمغادرة الدبابة وانتقل إلى دبابة قائد الفصيلة ، حيث أمر السرية الموجودة على المرتفع الشمالي بالنزول إلى الطريق للمشاركة في اقتحامه بعد أن تعطل ودمر العديد من دبابات السريتين الاخريتين . وعهد الى عشر دبابات كانت لا تزال قادرة على الحركة بمواصلة الهجوم تحت حماية نيران بقية الدبابات المصابة وغير القادرة على الحركة ، ولم تصل قرية «القلع» سوى ٣ دبابات أصيبت احداها في أزقة القرية بقذيفة «ربج – ٧» مؤخرتها واشتعلت فيها النيران . واثر ذلك شاهد قائد الكتيبة دبابة سورية من طراز «ت ٣٤» وقانصي دبابات «س يو ١٠٠» تتقدم نحو القرية كطليعة لقوة من ٧ دبابات سورية جاءت لتعزيز «القلع» . وشعر على الفور بحرج موقفه ، خاصة وانه لم يعد لديه غير دبابتين ، وما زالت منازل عدة في القرية مليئة بجنود سوريين يطلقون نيران رشاشاتهم وقذائف القواذف المضادة للدبابات ، ولذلك سارع بالاتصال لاسلكياً بقائد اللواء المدرع ، العقيد «مندلر» ، الذي كان يستكمل احتلال موقع «زعورة» طالباً منه سرعة تقديم دعم جوي قريب وإلا تعرضت دبابتاه للفناء المؤكد ، ولكن «مندلر» اخبره انه لا تتوفر طائرات حالياً ، وأن عليه ان يصمد قليلا حتى يصل هو بمدرعاته من «زعورة» ويهاجم «القلع» من الخلف .

وظهرت الطائرات الاسرائيلية في آخر لحظات النهار وأدى ظهورها الى رفع معنويات جنود الدبابات الاسرائيلية ، وبدء انسحاب الدبابات السورية قبل أن تعثر على الدبابات الاسرائيلية المختفية داخل «القلع» ، ولاحقتها الطائرات بنيرانها وكذلك دبابات «مندلر» التي وصلت من «زعورة» وهاجمت «القلع» من الخلف ، وكانت الساعة قد بلغت السادسة والنصف ، وهكذا انقذت بقايا القوة الاسرائيلية المدرعة وسقطت القلع بعد دفاع عنيد أبدته حاميتها ، تحت قيادة ضابط برتبة رائد يدعى «محمد سعيد يونس» ، استشهد مع عدد كبير من رجاله خلال المعركة ، ولقد أدى هذا الدفاع إلى تدمير وتعطيل اكثر من ٤٠ دبابة اسرائيلية . ولكن بسالة هذا الموقع لم تثمر في وقف الاختراق الاسرائيلي للقطاع الشمالي ، نظراً لأن سيطرة العدو الجوية حالت دون دفع المدرعات السورية الاحتياطية لشن هجمات معاكسة أو تعزيز دفاع المواقع الحصينة الاخرى مثل «زعورة» و«تل الفخار» ، والتي اضطرت أن تقاتل معاركها الضارية بصورة منفصلة عن دعم بعضها البعض ودعم القوات الاحتياطية المدرعة والميكانيكية لها ، فضلا عن انعدام المساندة الجوية ،



الهجمات الإسرائيلية على الجبهة السورية (١٩٦٧)

بل وضعف دعم المدفعية خلال المرحلة الاولى من الخرق لخط الدفــاع الامامي ، نظراً لأن الكتلة الرئيسية من المدفعية السورية استمرت خلال هذه المرحلة الحرجة من الهجوم الاسرائيلي تركز نيرانها على المستعمرات الاسرائيلية .

الاستيلاء على زعورة وتل الفخار : وفي الوقت نفسه خاضت حامية « زعورة » ، التي كانت تقدر بقوة كتيبة مشاة ، معركة ضارية استغرقت نحو ٥ ساعات هاجمتها خلالها دبابات الكتيبة المدرعة الثانية ومعها بقية اللواء المدرع بقيادة « مندلر » نفسه. ولقد اصطدم المهاجمون بمواقع الدفاع السورية التي كانت موزعة اسفل القرية واعلاها ، وتم الهجوم تحت دعم جوي قريب فعال تماماً ، لم يقابله من الجانب السوري دعم مدفعي كاف للقوات المدافعة ، ولذلك امكن للدبابات الاسرائيلية أن تستولي على « زعورة » في حوالي الساعة الرابعة مساء .

وفي هذه الاثناء كان لواء المشاة الميكانيكي « غولاني » يهاجم مواقع « تل الفخار » و « برج بابل » و « تل العزيزيات » ، ابتداء من الساعة الثانية بعد ظهر اليوم نفسه ، وذلك عبر الثغرة التي فتحها اللواء المدرع في خط الدفاع السوري ، وامكن لهذا اللواء الميكانيكي أن يستولي على « تل الفخار » في حوالي الساعة السادسة والنصف بعد قتال عنيف اسفر عن قتل ٣٠ جندياً اسرائيلياً وجرح ٧٠ آخرين مقابل ٦٠ قتيلا سورياً و ٢٠ أسيراً ، كما استولى اللواء بعد ذلك على موقعي « برج بابل » و « تل العزيزيات » بفضل هجوم مدعوم بدعم جوي قريب استخدم فيه النابالم على نطاق واسع ، وقد تم الاستيلاء على « تل العزيزات » خلال الليل ، وبذلك تم تأمين الجناح الشمالي لهجوم اللواء المدرع ، وفتح الطريق إلى « مسعـــدة » و « بانياس » ، واستكمل خرق القطاع الشمالي من الجبهة السورية في « الجولان » .

العمليات في القطاعات الاخرى : إلى الجنوب من الثغرة التي أحدثها لواء « مندلر » المدرع بكيلومترات قليلة ، فتح سلاح المهندسين الاسرائيلي خلال ساعات الصباح وجزء من ساعات بعد الظهر ممرات وسط حقول الالغام الاسرائيلية والسورية ، عبرت من خلالها بعد ذلك وحدة من دبابات « أم اكس-١٣ » ، تابعة للواء المدرع الذي اشترك من قبل في معركة « الكفير » بالجبهة الاردنية ، وبعض وحدات من لواء مشاة حيث هاجمت موقعين سوريين صغيرين تحت دعم جوي كامل . واستولت على قرية «راوية» ، بعد ان أصيبت ٣ دبابات اسرائيلية بنيران المدافع المضادة للدبابات ،وأصبحت عاجزة عن الاستمرار في القتال ، وتوقفت هذه القوة بعد ذلك عن التقدم ، وكانت الساعة قد بلغت السادسة مساء . وإلى الجنوب بنحو ٩ كيلومترات اخرى قامت سرايا اخرى من المشاة تعززها سرية من دبابات « أم اكس - ١٣ » بالاستيلاء على قرية « الدرباشية » في الساعة السادسة مساء ، بعد أن اجتازت ممرات في حقول الالغام إلى الشمال مباشرة من بحيرة « الحولة » المجففة مستفيدة من دعم جوي قوي . واستولت وحدات اخرى من المشاة على « تل هلال » ومواقع اخرى كانت تشرف على مستعمرة « شامير » في وادي « الحولة » .

وهاجمت سريتا مظليين تدعمهما سرية دبابات « شيرمان » ، من اللواء المدرع المذكور ايضاً ، المواقع السورية القريبة من المحور الاوسط،واستولت خلال معركة بدأت في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل على قرية « جليبينة » كخطوة تمهيدية لفتح



مجموعة تضم معظم القادة العسكريين الاسرائيليين في حرب ١٩٦٧

الطريق العام المار من جسر بنات يعقوب ، وذلك في حوالي الساعة الرابعة والنصف فجراً ، وكانت هذه الهجمات كلها ، تشكل أعمالا ثانوية مساعدة للاختراق الرئيسي في القطاع الشمالي ، فضلا عن كونها تهدف إلى تشتيت جهود المدافعين . وهكذا تم اختراق خط الدفاع الاول السوري في اكثر من مكان في الشمال والوسط .

عمليات يوم ١٠ حزيران (يونيو) : لم تقم القوات السورية خـلال ليلة ٩ ــ ١٠ حزيران (يونيو) بأي هجوم معاكس ، واكتفت بقصف القوات الاسرائيلية قصفاً متقطعاً بنيران المدفعية، رغم نشاط المدفعية والطيران الاسرائيليين المضاد طوال الليل ، ويرجع ذلك إلى عدم وجود عدد كاف من الدبابات « ت ٥٥ » المجهزة بمعدات الرؤية الليلية وانخفاض مستوى تدريب المشاة والمدفعية بالنسبة للقتال الليلي، فضلا عن حالة الارتباك المعنوي الذي أصاب القيادات السياسية العسكرية . وفي فجر يوم ١٠ حزيران (يونيو) واصل لواء « مندلر » المدرع تقدمه من « القلع » نحو « واسط » تحت حماية دعم جوي ، واشتبك مع بعض الدبابات السورية من طراز « ت ٥٤ » ، إلا أن القصف الجوي والهجمات على الاجنحة دفعت هذه الدبابات (وهي جزء من لواء مدرع سوري) إلى الانسحاب . واحتل اللواء المدرع الاسرائيلي أثر ذلك «واسط» ثم اعاد تنظيم صفوفه ، وواصل تقدمه نحو قرية «المنصورة »، التي تبعد نحو ٨ كلم إلى الشرق من « واسط » ، واستولى عليها بعد اشتباك قصـــير . ثم واصل اللواء المدرع انطلاقه بسرعة نحو «القنيطرة» ، وذلك أثر بدء حركة انسحاب عام سورية من « الجولان »، بدأت حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً ، استطاعت خلالها الاربعة ألوية الاحتياطية التي لم تشارك في القتال أن تنسحب بنظام .

وفي الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر اليوم نفسه دخلت المدرعات الاسرائيلية مدينة « القنيطرة » فوجدتها خالية من أي قوات سورية . وانتشرت معظم المدرعات الاسرائيلية شرقي المدينة لقطع الطريق المؤدي إلى « دمشق » ، على حين اتجهت دورية مدرعة إلى بلدة « البطمية » على المحور الجنوبي ، ووصلتها في الساعة الرابعة والنصف ، حيث التقت هناك بوحدات المظليين الذين انزلوا بطائرات الهليكوبتر على طول المحور الجنوبي . وفي الوقت نفسه كان لواء « غولاني » يدعمه لواء مدرع لم يسبق له الاشتراك في معارك اليوم السابق ، قد هاجم « بانياس » واستولى عليها في الساعة العاشرة من صباح اليوم نفسه ، ثم هاجم « مسعدة » واستولى عليها في ساعات بعد الظهر دون قتال ، بسبب انسحاب القوات السورية منها وقيامها بنسف وتخريب الطريق المؤدي إليها ، الأمر الذي أخر استيلاء القوات الاسرائيلية عليها حتى بعد الظهر لأنها اضطرت الى استخدام المسالك الترابية الواقعة جنوبي « زعورة » .

وأثر ذلك شكلت قوة ضمت كتيبة دبابات «شيرمان» وسريتي مشاة ميكانيكية من لواء «غولاني» زحفت نحو « جبل الشيخ » وسيطرت على قمه الجنوبية في ساعات النهار الاخيرة . وهكذا جرى الاستيلاء على شمال « الجولان » كله حتى « النخيله » عند الحدود اللبنانية .

وزحفت كتيبتا دبابات اللواء المدرع الذي استولى على « راوية » في اليوم السابق ، بعد تمهيد جوي قوي ، نحو قرية « قنّعبه » و « واسط »، حيث التقت هناك بقوة من لواء « مندلر » المدرع ، ولذلك اتجهت كتيبتا الدبابات جنوباً نحو « كفر نفاخ » ، واشتبكتا اثناء ذلك التقدم بنحو ١٥ دبابة سورية بالقرب من « تل شيبان » ، الامر الذي اضطرهما للقيام بحركة التفاف لتجنب القتال بالمواجهة مع الدبابات السورية ، ولذلك تم لهما الاستيلاء على « كفر نفاخ » في الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر ، حيث كانت القوات السورية قد اخلت مواقعها قبل ذلك بنحو ساعتين أثر صدور الامر العام بالانسحاب من القيادة السورية ، التي كانت قد اعلنت في الساعة ٨,٤٥ من صباح يوم ٦/١٠ سقوط « القنيطرة ».

وفي يوم ٦/١٠ التي « دافيد اليعازر » بلواء العقيد « بن آري » المدرع ، الذي كان يشكل احتياطيه المدرع الوحيد المتبقي بعد زج ٣ ألوية مدرعة في القتال ، وذلك في منطقة « الدرباشيه » ومن هناك تقدم جنوباً نحو « البطمية »، حيث التقى في نهاية اليوم بقوات المظليين الاسرائيليين الذين انزلوا بطائرات الهليكوبتر ، وتقدم أثر ذلك ليحتل

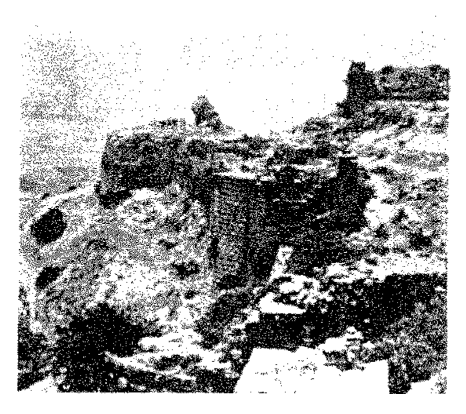
قرية « الرفيد » القريبة . وقد توقف القتـــال في « الجولان » في حوالي الساعة السادسة والنصف من مساء اليوم نفسه تنفيذاً لقرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار . ويقول الاسرائيليون أنهم دمروا واعطبوا نحو ٧٠ دبابة سورية واستولوا على ٤٠ دبابة اخرى سليمة ، واذا صحت هذه الارقام ، فأن السوريين يكونون قد نجحوا في سحب ١٥٠ دبابة تقريباً سليمة من « الجولان » من جملة ٢٦٠ دبابة وقانص مدرع كانت لديهم هناك عشية بدء الهجوم الاسرائيلي . وزعم الاسرائيليون أيضاً أن الخسائر السورية في الرجال بلغت نحو ١٠٠٠ قتيل و ٥٦٠ اسيراً ، وذلك مقابل مقتل ١٥٢ اسرائيلياً وجرح ٣٠٦ آخرين . ولم تعلن المصادر الاسرائيلية أرقاماً نهائية عن خسائرها في المدرعات والنصف مجنزرات ، إلا أنها تقدر باكثر من ١٠٠ دبابة ونصف مجنزرة أمكن اصلاح العديد منها .

النتائج العامة للحرب : أسفرت الحرب العربية – الاسرائيلية الثالثة عن عدة نتائج عسكرية واستراتيجية كان ابرزها النتائج التالية :

١ – حطمت القوة العسكرية الرئيسية لمصر والاردن وجانباً هاماً من القوة العسكرية السورية ، على حين أن الخسائر الاسرائيلية في الاسلحة والعتاد والافراد كانت ضئيلة للغاية بالقياس للخسائر العربية الفادحة ، وبطبيعة الحال ادى ذلك الى اختلال ميزان القوى العسكري العربي – الاسرائيلي بدرجة خطيرة خلال العام التالي للحرب لحين أن أتم الاتحاد السوفييتي إعادة تسليح مصر وسوريا .

٢ – كان لهذه النتيجة العسكرية الماديـــة آثارها المعنوية السيئة في الجانب العربي ، كما انها رفعت في الوقت نفسه معنويات الشعب والجيش في اسرائيل الى درجة كبيرة ، واوجدت ثقة مبالغ فيها في القدرة العسكرية الاسرائيلية داخل وخـــارج اسرائيل ، بل وفي قطاعات هامة من الرأي العام العربي ايضاً .

٣ – سيطرت اسرائيل على مساحات كبيرة من الاراضي العربية المحتلة تفوق بكثير مساحتها الاصلية البالغ قدرها ٧٠٠ ٢٠ كلم مربع عشية حرب ١٩٦٧ ، إذ تبلغ مساحة شبـــه جزيرة سيناء ١٩٨ ٦١ كلم مربع ، ومساحة قطاع غزة ٣٦٣ كلم مربع ، ومساحة الضفة الغربية ٥٨٧٨ كلم مربع ، ومساحة الجولان ١١٥٠ كلم مربع ، وبذلك اصبحت جملة الاراضي التي تسيطر عليها اسرائيل ٣٥٩ ٨٩ كلم مربع . وأدى ذلك الى تحسين الوضع الجغرافي – الاستراتيجي لاسرائيل إلى درجة كبيرة ، نظراً لأن هذه الاراضي أضافت عمقاً استراتيجياً افضل بكثير مما كان متاحاً لها قبل ذلك ، بحيث أصبح في مقدورها اتباع استراتيجية دفاعية على الجبهة المصرية في بداية حرب ١٩٧٣ دون أن يشكل ذلك خطراً مباشراً على أمنها ، كما تحسن وضعها الدفاعي كثيراً على الجبهة الشرقية بعد إزالة نتوء الضفة الغربية ، الذي كان يمثل خطراً كبيراً على قلب اسرائيل في حالة تواجد قوات عسكرية عربية فعالة هناك ، وتقلص حدودها مع الاردن من ٦٥٠ كلم الى ٤٨٠ كلم فقط (من بينها ٨٣,٥ كلم طول البحر الميت) . هذا فضلا عن زوال الخطر العسكري السوري المباشر على مستعمرات سهلي الحولة وطبريا .



دورية إسرائيلية عند قلعة النمرود

٤ – نتيجة لاحتلال شبه جزيرة سيناء والجولان والضفة الغربية اصبح الطيران الاسرائيلي في وضع وقدرة افضل على مهاجمة العمق العربي ، خاصة بالنسبة لمصر بعد أن أصبحت له قواعد جوية متقدمة ، وقلت الفترة الزمنية للانذار بالنسبة لاجهزة الرادار العربية . وبالمقابل تحسن وضع الدفاع الجوي الاسرائيلي نتيجة ابتعاد القواعد الجوية المصرية المتقدمة مسافة لا تقل عن ٢٠٠ كلم عما كانت ، ولاقامة اجهزة رادار اسرائيلية متقدمة فوق الجبال والمرتفعات القائمة في سيناء والضفة الغربية والجولان ، ومن ثم زادت فترة الانذار بالهجوم الجوي العربي كثيراً عما كانت عليه من قبل .

٥ – فتحت اسرائيل الملاحة في مضائق تيران وسيطرت على شرم الشيخ بشكل يضمن لها حماية الملاحة إلى ميناء ايلات الحيوي .

٦ – احتلت اسرائيل منابع النفط في سيناء وصار بوسعها تأمين حاجاتها النفطية محلياً .

٧ – وصلت اسرائيل الى خطوط دفاعيـــة طبيعية منيعة (قناة السويس ونهر الأردن ومرتفعات الجولان وجبل الشيخ) بحيث صار بوسعها تطبيق المناورة على الخطوط الداخلية بكفاءة اكبر .

٨ – ربحت اسرائيل اعتدة حربيـــة كثيرة (دبابات ومدافع وصواريخ) لم تلبث أن عدلتهـــا وادخلتها في الخدمة داخل قواتها المسلحة .

٩ – زاد عدد العرب الخاضعين للاحتلال ، وزادت مساحة الأرض المحتلة ، الأمر الذي خلق ظروفاً اكثر ملاءمة لنمو الثورة الفلسطينية .

١٠ – حصلت اسرائيل عـــلى رهينة كبيرة (أراضي وسكان عرب) ، وأخذت تساوم على هذه الرهينة في سبيل اخضاع الدول العربية واجبارها على قبول السلم الاسرائيلي ، الأمر الذي أعد المناخ الملائم للحرب العربية – الاسرائيلية الرابعة (١٩٧٣) .

(٤-٦) الحرب العربية – الاسرائيلية الرابعة (١٩٧٣)

عملت اسرائيل ، بعد المكاسب التي حققتها في حرب ١٩٦٧ ، على تجميد الامر الواقع اطول فترة ممكنة بهدف تأمين ضم اجزاء كبيرة من الاراضي العربية المحتلة (مثل قطاع غزة ، وشرم الشيخ والشاطىء الغربي لخليج العقبة المؤدي اليها ، والضفة الغربية ، والقدس ، والجولان) والمساومة مع مصر على بقية أجزاء سيناء المحتلة من أجل فرض «السلام الاسرائيلي» عليها ، فضلا عن أن اطالة فترة احتلال سيناء كانت توفر لها مزيداً من نهب ثرواتها الطبيعية ، وخاصة بترول آبار ابورديس وبلاعيم الخ . التي تؤمن لها ٦٠٪ من حاجاتها النفطية . ولذلك اخذت اسرائيل ، تساندها الولايات المتحدة الامريكية ، تماطل وتتهرب من تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢ ، الذي وافقت عليه هي والولايات المتحدة (كما وافقت عليه مصر والاردن) عند صدوره . وهو القرار الذي منحها ضمناً من الجانب العربي الرئيسي (مصر) ، للمرة الاولى في تاريخ الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، ضمان حدودها ووجودهـــا السياسي في الاراضي الفلسطينية المحتلة في حرب ١٩٤٨ ، وضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة ، فضلا عن تجاهله لقضية الشعب الفلسطيني المترتبة عن اغتصاب ارضه وطرده منها وتحويل القضية إلى مجرد مشكلة لاجئين تحتاج إلى تسوية عاجلة . ورغم تضمن القرار ٢٤٢ لهذه النقاط التي ادعت اسرائيل

انها شنت حرب ١٩٦٧ العدوانية من اجل تحقيقها، فقد عمدت اسرائيل إلى التهرب من تنفيذ القرار في بنده الرئيسي الذي ينص على إزالة آثار عدوان ١٩٦٧، والذي يقضي بضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها خلال هذه الحرب، وذلك وفقاً لقاعدة «عدم شرعية الاستيلاء على الاراضي عن طريق الحرب» التي أوردها القرار المذكور في مقدمته. واستندت في تهربها هذا، إلى تلاعب لفظي في تفسير النص الانجليزي للقرار، مؤداه ان القرار انما ينص على الانسحاب من «اراض» احتلت وليس من «الاراضي» التي احتلت (كما جاء في النص الفرنسي للقرار، وهو التفسير الذي تتمسك به الدول العربية والاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية وبقية الدول المؤيدة للعرب). وطالبت اسرائيل مصر بالدخول معها في مفاوضات مباشرة تنتهي بعقد معاهدة سلام دائم كشرط مسبق للنظر في تنفيذ القرار المذكور. وفي الوقت نفسه اخذت تعلن على لسان قادتها المختلفين وفي مناسبات متعددة عن نواياها التوسعية المتمثلة في ضم مناطق معينة إلى الارض التي كانت تحتلها قبل حرب ١٩٦٧، وكانت هذه المناطق تشمل: الجولان، والقدس، والضفة الغربية، وقطاع غزة، وشرم الشيخ.

وقد بلورت اسرائيل مقترحاتها البديلة لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢، سواء بالنسبة الى مصر أو الى الدول العربية الاخرى، في مشروع تسوية سلمية عرضه وزير خارجيتها «ابا ايبان» في الامم المتحدة يوم ١٩٦٨/١٠/٨ كأساس لمباحثاتها مع الوسيط الدولي «غونار يارينغ»، الذي كان «يوثانت» السكرتير العام للامم المتحدة قد عينه كممثل خاص له لإقامة اتصالات مع الدول المذكورة بهذا الصدد. وتضمن المشروع الاسرائيلي ضرورة عقد اتفاقيات سلام دائم بشكل تعاقدي بين اسرائيل ودول المواجهة العربية، تحدد الحدود الآمنة لاسرائيل، وتضمن لها حرية الملاحة في الممرات المائية، وتعيين حجم وتوزيع القوات العسكرية على الحدود، وضرورة أن تشمل محادثات السلام أيضاً كيفية الاستفادة المشتركة من موارد المنطقة الاقتصادية، بما يؤدي إلى جعل اسرائيل والدول العربية تشكل ما اسمته «مجموعة شرق أوسطية» الأمر الذي يؤمن لاسرائيل السيطرة الاقتصادية على ثروات المنطقة العربية ومواردها.

ومضت اسرائيل في تسويفها. فرفضت وساطة الدول الاربع الكبرى (الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وبريطانيا وفرنسا)، التي تقدمت بها الدول المذكورة في ١٩٦٩/٤/٨ إلى الأمم المتحدة (أي يوثانت) والدول العربية واسرائيل، والمتعلقة بضرورة سرعة تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢، ودعم جهود «يارينغ». وجاء هذا الرفض على لسان «ايبان» يوم ٦٩/٤/١٣ الذي أعلن أن تدخل الدول الكبرى شل مهمة «يارينغ»، وأن اسرائيل عند موقفها الذي عبر عنه بمشروعه المذكور آنفاً.

وفي هذه المرحلة من المماطلات الاسرائيلية، بدأت مصر حرب الاستنزاف يوم ١٩٦٩/٣/٨ (انظر حرب الاستنزاف المصرية)، وذلك بهدف تحقيق قدر من الضغط العسكري على اسرائيل لفترة طويلة نسبياً تجعلها تشعر بفداحة الثمن البشري والاقتصادي الذي تدفعه في سياستها المماطلة في تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ من أجل تثبيت سياسة الأمر الواقع التي تفرضها، ودون السماح لها في الوقت نفسه باستخدام عناصر تفوقها العسكري في حرب الحركة الخاطفة المعتمدة على عمليات الطيران والمدرعات. وقدمت الولايات المتحدة لاسرائيل مزيداً من الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي كي تصمد في حرب الاستنزاف وتحولها إلى استنزاف مضاد لموارد مصر العسكرية والاقتصادية والمعنوية. وكانت صفقة طائرات «الفانتوم» الاولى، التي ضمت ٥٠ طائرة، والتي اتفق عليها في نهاية العام ١٩٦٨ وبدأت تصل إلى اسرائيل في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩، العنصر الرئيسي في الدعم العسكري الامريكي لاسرائيل الذي مكنها من شن سلسلة غارات جوية في العمق المصري في النصف الاول من العام ١٩٧٠. ولكن مصر استطاعت أن تواصل عمليات حرب الاستنزاف، بفضل ارادة صمودها ومقابل تضحيات اقتصادية وبشرية كبيرة، وبفضل تزايد الدعم العسكري السوفييتي لها الذي مكنها من إقامة شبكة قوية للدفاع الجوي تستند على صواريخ «سام ٣» و«سام ٢» و«سام ٧»، ومقاتلات معترضة من طراز «ميغ ٢١» المطورة (وبعض طائرات «سوخوي ١٥») التي كان يقودها طيارون سوفييت، كما كان يدير بطاريات صواريخ «سام ٣» في بداية وصولها جنود وخبراء سوفييت وخاصة في العمق، إلى أن تم تدريب اطقم مصرية على استخدام هذه الصواريخ). ونتيجة لذلك فقد توقفت غارات العمق الاسرائيلية، وتزايدت خسائر الطيران في غارات الجبهة بصورة كبيرة نسبياً خلال النصف الاول من شهر تموز (يوليو) ١٩٧٠ حتى بلغت ٨ طائرات «فانتوم» و ٦ «سكاي هوك» (اعترفت المصادر الاسرائيلية بسقوط ٥ طائرات فانتوم فقط)، ثم توقفت غارات الجبهة ايضاً في ١٩٧٠/٧/١٩، إلى أن تم وقف اطلاق النار بصورة فعلية في ٧٠/٧/٣١، وبصورة رسمية في ١٩٧٠/٨/١٧ عقب إعلان موافقة مصر والاردن واسرائيل على المشروع الامريكي المعروف باسم «مبادرة روجرز»، الذي تقدمت به الولايات المتحدة إلى مصر يوم ٧٠/٦/١٩ (في صورة رسالة موجهة من «روجرز» وزير الخارجية الامريكي إلى «محمود رياض» وزير الخارجية المصري)، رداً على التحذير الذي كان الرئيس جمال عبد الناصر قد وجهه إليها في خطابه يوم اول ايار (مايو) ١٩٧٠، بأن مصالحها في الشرق الاوسط سوف تتعرض للخطر اذا استمرت في سياستها المساندة لاسرائيل على النحو المطلق الذي تمارسه. وقد تضمنت «مبادرة روجرز» موافقة مصر واسرائيل على وقف اطلاق النار لمدة محدودة (٩٠ يوماً) وتجديد مهمة الوسيط الدولي «يارينغ» من اجل ايجاد الخطوات التفصيلية اللازمة لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢.

إلا أن اسرائيل التي لم توافق على المبادرة الامريكية إلا بعد أن حصلت على ضمانات باستمرار المساعدة العسكرية الامريكية من اجل الحفاظ على «توازن القوى» في المنطقة، عملت منذ البداية على عرقلة مباحثات «يارينغ» عن طريق تقديم عدد من الشكاوى إلى لجنة مراقبة الهدنة التابعة للامم المتحدة، تتعلق بخرق مصر لاتفاقية وقف اطلاق النار عن طريق إقامة عدد من بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات في مناطق قريبة للغاية من الضفة الغربية للقناة بعد وقف اطلاق النار، وبصورة مخالفة لما اتفق عليه من ترتيبات أمنية عسكرية في الاتفاقية المذكورة، بواسطة الولايات المتحدة، التي أيدت هي الاخرى شكاوى اسرائيل في ١٩٧٠/٩/٣، وزعمت أن صور طائرات الاستطلاع والاقمار الصناعية الامريكية اكدت ذلك. وعلى اثر ذلك اعلنت اسرائيل في ٧٠/٩/٦ تعليق مشاركتها في محادثات «يارينغ» إلى أن تنفذ مصر اتفاقية وقف اطلاق النار، وتسحب بطاريات الصواريخ بعيداً عن القناة. ولم تمض عشرة أيام على ذلك، حتى بدأت معركة «ايلول» في الاردن بين السلطة الاردنية والمقاومة الفلسطينية، وانشغلت بها مصر والدول العربية الاخرى بصورة كلية. ثم توفي الرئيس جمال عبد الناصر في ١٩٧٠/٩/٢٨ والصراع الاردني – الفلسطيني على اشده، وجددت فترة وقف اطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر أخرى في ١٩٧٠/١١/٤ بقرار من الجمعية العامة للامم المتحدة، تضمن

ايضاً ضرورة احياء مهمة «يارينغ». وقد قدمت له اسرائيل في ١٩٧١/١/٨ مشروعاً جديداً للسلام مؤلفاً من ١٤ نقطة كان أبرز ما تضمنه هو اصرارها على اتخاذ مصر والاردن قراراً صريحاً بانهاء النزاع كلياً بما في ذلك المقاطعة الاقتصادية، وعقد معاهدة سلام تحدد فيها الاراضي التي تنسحب منها القوات الاسرائيلية على ضوء الحدود الآمنة المعترف بها والمتفق عليها.

وقدمت مصر مشروعاً مضاداً في ١٩٧١/١/١٨ مؤلفاً من ٦ نقاط، تضمنت ضرورة انسحاب اسرائيل إلى حدود ١٩٦٧/٦/٤ مقابل انهاء حالة الحرب، والسماح لاسرائيل بحرية الملاحة في الممرات المائية، وضمان الاستقلال السياسي لدول المنطقة عن طريق قوات طوارئ دولية، وإقامة مناطق منزوعة السلاح على كلا طرفي الحدود. ورفضت كل من مصر واسرائيل مشروع الطرف الآخر. وعندما حل موعد انتهاء وقف اطلاق النار للمرة الثانية في ١٩٧١/٢/٢٥، اعلن الرئيس المصري أنور السادات في اليوم السابق لانتهائها تمديد وقف اطلاق النار لمدة ٣٠ يوماً، واقترح ان تقوم اسرائيل خلال هذه الفترة بسحب قواتها مسافة ما من الضفة الشرقية للقناة، كخطوة اولى نحو وضع جدول زمني من أجل انسحابها الكامل وفقاً لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢. وعندئذ ستقوم مصر بتنظيف القناة وجعلها صالحة للملاحة من جديد. إلا أن اسرائيل رفضت هذه الشروط، وأبدت استعدادها للتفاوض على فتح القناة للملاحة كموضوع مستقل.

وعندما حل موعد انتهاء فترة الثلاثين يوماً المذكورة في ١٩٧١/٣/٧، اعلن الرئيس السادات أن مصر لن تجدد وقف اطلاق النار لفترة اخرى، ولكنه اوضح أن ذلك ليس معناه بدء القتال فوراً، وايقاف الجهود الدبلوماسية الهادفة إلى حل الازمة.

وتوالت بعد ذلك مشروعات مختلفة للتسوية من جانب «يارينغ» ومصر واسرائيل ورؤساء الدول الافريقية طوال العام ١٩٧١. وكان ابرزها مشروع طرحه الرئيس السادات حول تسوية جزئية كخطوة اولى نحو السلام العربي – الاسرائيلي، وعرضه في حديث صحفي مع مجلة «نيوزويك» الامريكية يوم ١٩٧١/٢/٤، واقترح فيه انسحاب اسرائيل إلى خط يمتد من العريش شمالا حتى رأس محمد جنوباً في سيناء (أي تبقى شرم الشيخ في أيدي اسرائيل مؤقتاً) مقابل أن تضمن مصر إعادة فتح قناة السويس للتجارة الدولية خلال ٦ أشهر، وتمدد وقف اطلاق النار لفترة تكفي لقيام «يارينغ» بمهمته وفقاً للقرار ٢٤٢، وتضمن حرية الملاحة في مضائق تيران عن طريق وضع قوة طوارئ دولية في شرم الشيخ، كما اكد فيه استعداد مصر لعقد معاهدة سلام تضمن اعترافاً بالسلامة الاقليمية لكل دولة في المنطقة، بما فيها اسرائيل، اذا ما انسحبت الاخيرة من كافة المناطق العربية المحتلة في حرب ١٩٦٧.

ولكن «غولدا مائير»، رئيسة وزراء اسرائيل، ردت بالرفض، وعرضت مشروعاً مضاداً في حديث نشرته صحيفة «التايمز» البريطانية في ١٩٧١/٣/١٢ طالبت فيه بأن تكون سيناء منطقة مجردة من السلاح، وأن تستمر السيطرة الاسرائيلية على شرم الشيخ، وعدم عودة قطاع غزة لاشراف مصر، على أن تعتني اسرائيل باللاجئين. وأكدت «مائير» أن بامكان غزة أن تصبح مرفأ اردنياً، وأن اسرائيل لن تنسحب من مرتفعات الجولان، أما الضفة الغربية فيجب اجراء مفاوضات حول خط الحدود فيها، على ألا تعبر أية قوات عربية إليها، وأن تشكل هذه الحدود عاملا فعالا في الربط بين العرب واسرائيل. ورفضت «مائير» قيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية، لأنها قد تشكل خطراً عسكرياً على اسرائيل.

وردت مصر على هذه المقترحات في ١٩٧١/٤/١. فرفضت فكرة جعل سيناء منطقة منزوعة السلاح، واقترحت انسحاباً جزئياً للقوات الاسرائيلية يتيح إعادة فتح قناة السويس وعبور القوات المصرية إلى الضفة الشرقية، مع إقامة منطقة محايدة في سيناء بين الجيشين. ورفضت اسرائيل المقترحات المذكورة. وكررت مقترحاتها السابقة، موضحة رفضها لفكرة الضمانات الدولية وقوات الطوارئ على الحدود، ومؤكدة على ضرورة ضم شرم الشيخ وقطاع غزة والجولان والقدس نهائياً إلى اسرائيل. وفي ١٩٧١/١١/٢٢ اعلنت الولايات المتحدة تعليق جهودها للوصول إلى تسوية جزئية في الشرق الاوسط تسمح باعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية، وذلك اثر اتهام الرئيس السادات لها بالمناورة في خطاب اعلن فيه أن جميع اتصالات مصر معها من أجل تحقيق التسوية السلمية قد توقفت.

وهكذا استمرت حالة «اللاسلم واللاحرب» مسيطرة على المنطقة. ووصلت جهود التسوية السلمية، رغم التنازلات الجوهرية التي قدمتها مصر، إلى طريق مسدود، واصبح خيار الحرب هو الخيار المطروح امام دول المواجهة العربية، وبالذات امام مصر وسوريا.

وفي الوقت نفسه أخذت الحركة الجماهيرية، ممثلة بصورة رئيسية في تحركات الطلبة في مصر، تعبر عن سخطها المتزايد عن استمرار الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية، وتطالب بضرورة خوض حرب تحرير وطني ضده، وذلك ابتداء من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢.

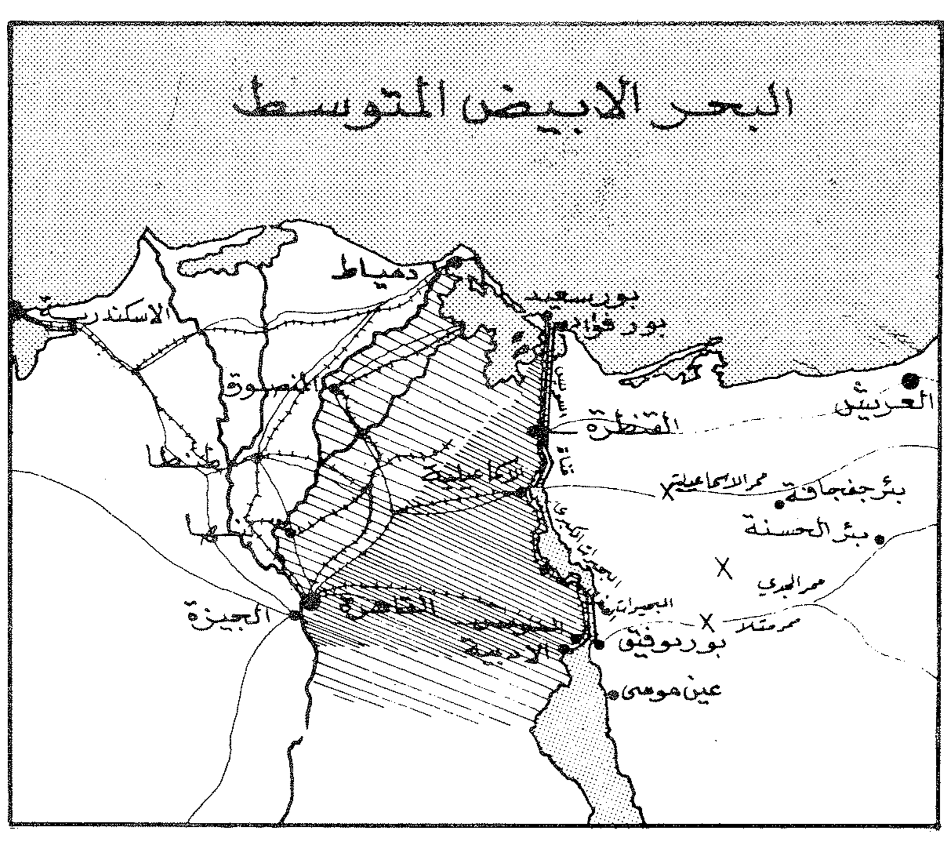
وشهد النصف الاول من هذا العام توتراً في العلاقات المصرية – السوفييتية، بسبب خلافات بين البلدين حول نوعيات معينة من الاسلحة المطلوبة للجيش المصري. وزاد من حدة الخلافات قيام بعض ضباط القيادة العسكرية المصرية بالتشكيك في فاعلية الاسلحة السوفييتية الموجودة لدى القوات المصرية المسلحة (كان على رأسهم الفريق أول محمد صادق وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة) نظراً لأنهم لم يكونوا راغبين في دخول حرب جديدة ضد اسرائيل، بدعوى عدم امتلاك القوات المصرية لاسلحة هجومية فعالة. وأدى هذا الوضع الى تردي علاقات التعاون العسكري المصري – السوفييتي، وبلغ التردي اقصاه في تموز (يوليو) ١٩٧٢، حين انهى الرئيس السادات مهمة الخبراء والمستشارين السوفييت من القوات المسلحة المصرية، خاصة من كان منهم في شبكة الدفاع الجوي (حيث كانت توجد نحو ٥٠ بطارية صواريخ م/ط و ٧ مطارات للطائرات المقاتلة «ميغ ٢١» و «سوخوي ١٥» يديرها أو يشرف عليها جنود وضباط وطيارين سوفييت منذ العام ١٩٧٠). وترتب على ذلك حدوث فتور شديد في العلاقات السياسية بين البلدين. وفي ١٩٧٢/١٠/٢٦ عين الرئيس السادات الفريق أول احمد اسماعيل علي وزيراً للحربية وقائداً عاماً للقوات المسلحة المصرية، بعد أن نحى الفريق أول محمد صادق وعدداً من كبار معاونيه على أثر اجتماع عقده الرئيس لمجلس الأمن القومي في يوم ١٩٧٢/١٠/٢٤، وتبين له فيه أنهم لا ينفذون بعض الاجراءات والمخططات اللازمة لاعداد القوات المسلحة لاحتمال خوض القتال ضد اسرائيل.

وإثر اجتماع عقده الرئيس السادات للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي، تم فيه بحث الموقف السياسي بالنسبة إلى جهود التسوية السلمية، والطريق المسدود الذي وصلت إليه، بدأت القيادة العسكرية المصرية تخطط لشن حرب ضد الاحتلال الاسرائيلي لسيناء، وبدأت القيادة السياسية المصرية في الوقت نفسه اتصالات مع القيادة السياسية السورية

لاتخاذ موقف مشترك في هذا الخصوص . وكان من نتائج هذه الاتصالات تشكيل قيادة عسكرية مشتركة بقيادة الفريق أول احمد اسماعيل في ١٩٧٣/١/٢٨ . ضمت مصر وسوريا والاردن . وفي ١٩٧٣/٢/٢٦ قام الفريق اول احمد اسماعيل بزيارة للاتحاد السوفييتي على رأس وفد عسكري على مستوى عال ، واجرى محادثات مع القادة السوفييت اسفرت عن إزالة التوتر والفتور الذي كان قد اصاب العلاقات العسكرية المصرية السوفييتية في صيف ١٩٧٢ ، وترتب على هذا قيام الاتحاد السوفييتي بتزويد مصر بكميات جديدة من الاسلحة والمعدات اللازمة للقوات المسلحة المصرية ، ضمت دبابسات « ت ٦٢ » وصواريخ « سام ٦ » وطائرات « ميغ ٢١ » مطورة وجسور عائمة حديثة الخ . واثر ذلك قامت « غولدا مائير » بزيارة للولايات المتحدة في مطلع شهر آذار (مارس) من العام نفسه اسفرت عن موافقة الولايات المتحدة على تزويد اسرائيل بنحو ٤٨ طـائرة « فانتوم » و ٤٨ طائرة « سكاي هوك » جديدة .

وفي أواخر شهر آذار (مارس) أدلى الرئيس السادات بحديث صحفي مع « أرنو دو بوشغريف » مدير تحرير مجلة « نيوزويك » الامريكية (نشر في عدد ١٩٧٣/٤/٩) قال فيه انه لا بديل للمعركة لاسترداد الارض المحتلة بعد أن استنفذت مصر جميع الوسائل الاخرى لتحقيق السلام العادل ، وأن الولايات المتحدة ترتكب اكبر الاخطاء اذا اعتقدت أن العرب مشلولون تماماً ، وانها سوف تستيقظ قريباً على صدمة في المنطقة ، لانها لم تدع للعرب سبيلا آخر . وأن من المتعذر على اسرائيل أن تحقق انتصاراً شاملا على العرب ، وأن الايام المقبلة ستثبت عجزها عن البقاء في حالة « اللاسلم واللاحرب » ، وأن استمرار القتال شرط هام واساسي لاجراء مباحثات السلام ، ثم أوضح أنه من الممكن بعد ذلك ضمان حرية الملاحة في مضائق تيران بعد تسليم هذا الموقع للمجتمع الدولي .

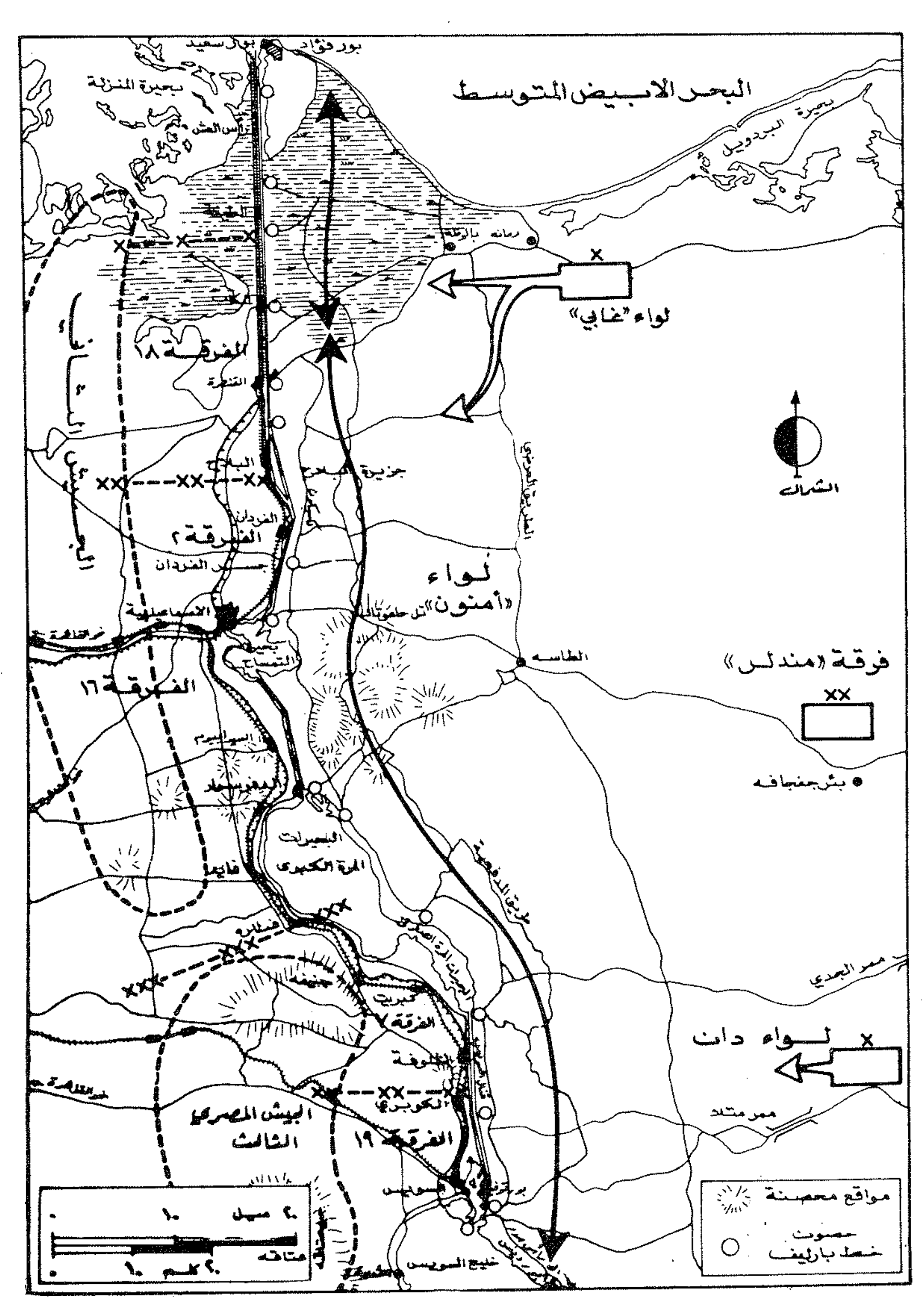
ولكن الولايات المتحدة واسرائيل لم تأخـذا تهديدات الرئيس السادات مأخذ الجد ، واعتبرتها مجرد تصريحات تدخل ضمن اللعبة السياسية الهادفة إلى الضغط عليها من أجل البدء في تنفيذ القرار ٢٤٢ ، وذلك رغم أن الاستخبارات الامريكية توصلت إلى معلومات خلال شهر أيار (مايو) ١٩٧٣ تفيد احتمال نشوب حرب جديدة من جانب العرب في الخريف . ولكن المناخ النفسي العام المسيطر على القادة الاسرائيليين نتيجة انتصار ١٩٦٧ الخاطف ، أشاع لديهم درجة مفرطة من الثقة بالنفس والتقليل



كثافة غطاء صواريخ أرض ــ جو فوق الجزء الشمالي من مصر

من قدرة العرب القتالية وعدم جدية شعاراتهم السياسية . وشل هذا الوضع النفسي القادة الاسرائيليين ، ومنعهم من تقدير احتمالات تطور الموقف تقديراً واقعياً سليماً.

ومضى القادة المصريون والسوريون يعدون للحرب بجدية وسرية ، فقام الرئيس حافظ الاسد بزيارة سريعة للاتحاد السوفييتي في ١٩٧٣/٥/٣ ، اسفرت عن تدعيم الاتحاد السوفييتي لقدرات الدفاع الجوي السوري (صواريخ سام ٦ الخ) وتزويد الطيران السوري بمزيد من طائرات « ميغ ٢١ » وبعدد من طائرات « سوخوي ٢٠ » ، فضلا عن تزويد الجيش بكميات من دبابات « ت ٦٢ » ،وقدرت قيمة الاسلحة والعتاد السوفييتي الذي زودت به سوريا خلال النصف الاول من العام ١٩٧٣ بنحو ١٨٥ مليون دولار ، مقابل ٣٥ مليون دولار خلال عام ١٩٧٢ بأكمله . وقام الفريق أول احمد اسماعيل بزيارة لسوريا في ٧٣/٥/٩ ، كما زارها الرئيس السادات ايضاً مرتين الاولى في ٧٣/٥/١٩ والثانية في ٧٣/٦/١٢ ، وفي ٧٣/٦/٦ زار القاهرة اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري ، وفي ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٧٣ عقد اجتماع سري هام بين القادة العسكريين المصريين والسوريين في الاسكندريـة لوضع اللمسات الاخيرة لخطط العمليات الهجومية على كلتا الجبهتين . وترك تحديد يوم الهجوم وساعته إلى الرئيسين السادات والاسد والفريق اول احمد اسماعيل بصفته القائد العام للجيشين المصري والسوري. وقد طار الفريق أول احمد اسماعيل إلى دمشق في يوم ٧٣/١٠/٣ ، واتفق على بدء الهجوم على كلتا الجبهتين في الساعة الثانية مـن بعد ظهر ٧٣/١٠/٦ بصورة نهائية . وقد تحدد الهـدف الاستراتيجي العام للحرب على اساس أن يقوم الجيش المصري بعبور قناة السويس واختراق خط بارليف واحتلال شريط من الارض على الضفة الشرقية للقناة كاف لصد الهجمات المضادة الاسرائيلية وتكبيدها اكبر قدر ممكن من الخسائر ولأطول فترة زمنية ممكنة ، ومن ثم تأمين فتح القناة للملاحة بعد ذلك واجبار اسرائيل والولايات المتحدة على البدء في تنفيذ تسوية سلمية مستندة إلى القرار رقم ٢٤٢ ، بعد اثبات فشل نظرية الامن الاسرائيلية عسكرياً ، واستحالة تثبيت « الامر الواقع » المستند إلى استمرار حالة «اللاسلم واللاحرب» . وان يقوم الجيش السوري



توزيع القوات المصرية والإسرائيلية عشية حرب ١٩٧٣

بالمهمة نفسها ، ليسترد هضبة الجولان ، كلها أو بعضها .

القتال على الجبهة المصرية

توزيع القوات المصرية عشية بدء الحرب : حشدت القيادة العسكرية المصرية عشية بدء هجومها الشامل في ٦ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣ القوات التالية :

١ – الجيش الثاني (بقيادة اللواء سعد مأمون) ويضم في النسق الأول فرقة المشاة ١٨ (بقيادة العميد فؤاد عزيز غالي) في منطقة « القنيطرة غرب » ، وفرقة المشاة ٢ (بقيادة العميد حسن أبو سعده) في منطقة « الفردان » ، وفرقة المشاة ١٦ (بقيادة العميد عبد رب النبي حافظ) في المنطقة الواقعة بين جنوب بحيرة التمساح ، التي تقع عليها مدينة الاسماعيلية ومنطقة الدفرسوار تقريباً . أما النسق الثاني فكان يضم الفرقة المدرعة ٢١ (بقيادة العميد إبراهيم عرابي) والفرقة الميكانيكية ٢٣ (بقيادة العميد حسن عبد اللطيف) .

٢ – الجيش الثالث (بقيادة اللواء محمد عبد المنعم واصل) ويضم في النسق الأول فرقة المشاة ٧ (بقيادة العميد أحمد بدوي) وفرقة المشاة ١٩ (بقيادة العميد يوسف عفيفي) ، وفي النسق الثاني كانت توجد الفرقة المدرعة الرابعة (بقيادة العميد محمد عبد العزيز قابيل) .

٣ – فرقة المشاة الخامسة ، ومهمتها السيطرة على طرق الاقتراب المؤدية إلى رؤوس الجسور التي ستقيمها الفرق الخمس التي تشكل النسق الأول للجيشين الثاني والثالث .

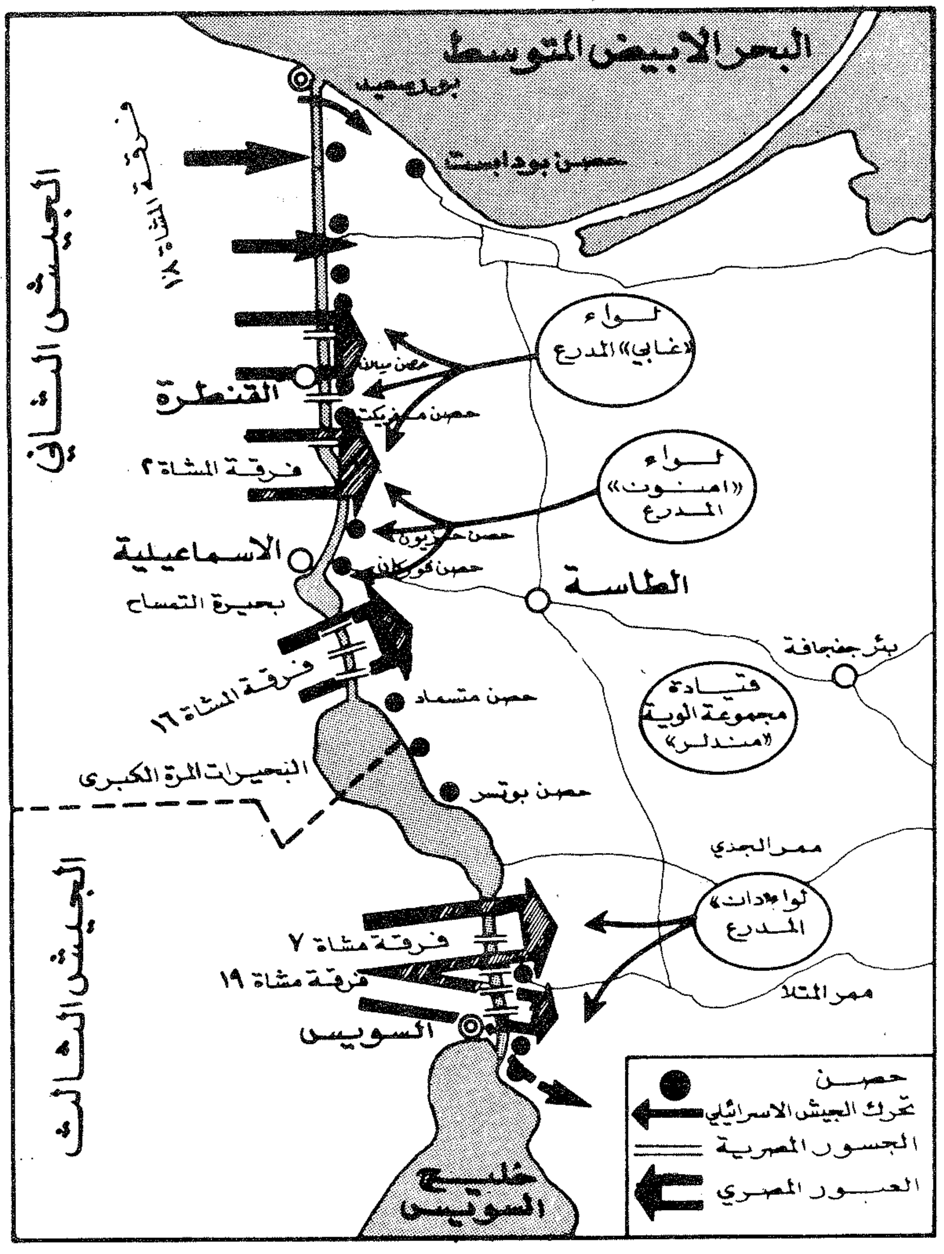
٤ – احتفظت القيادة العامة باحتياطي إستراتيجي قرب القاهرة تضمن عدداً من التشكيلات المستقلة التي لا تخضع لقيادة ميدانية موحدة ، وكانت أهم هذه الوحدات الاحتياطية الفرقتان الميكانيكيتان ٣ (بقيادة العميد محمد فرحات) و ٦ (بقيادة العميد عبد الفاتح محرم) .

خطة المساندة بالنيران : ولتوفير أكبر دعم ناري ممكن للقوات العابرة للقناة حشدت القيادة العسكرية المصرية ١٣٥ كتيبة مدفعية ، تضم حوالي ٢١٥٠ مدفعاً وهاوناً ثقيلا وقاذف صواريخ كاتيوشا متعدد السبطانات على طول مناطق عبور فرق المشاة الخمس ، وتحت القيادة المركزية لقائد سلاح المدفعية اللواء محمد سعد الماحي ، وقائد مدفعية الجيش الثاني العميد محمد عبد الحليم أبو غزالة ، وقائد مدفعية الجيش الثالث العميد منير الشاش . كما حشد نحو ١٩٠٠ مدفع للرمي المستقيم على تحصينات خط بارليف والأسلاك الشائكة المحيطة بها ، وضمت مدافع عديمة الارتداد عيار ١٠٧ مم ، ومدافع مضادة للدبابات عيار ٨٥ مم و ١٠٠ مم ، وقانصات دبابات « إس يو ١٠٠ » ودبابات « ت ٥٤ » .

كما خصصت نحو ١٩٠ طائرة « ميغ ٢١ » و « سوخوي ٧ » و « هوكر هنتر » (كان يوجد ٢٤ طائرة عراقية هوكر هنتر في مصر عشية بدء الحرب . وقد شاركت في الضربة الجوية الأولى وغيرها من العمليات اللاحقة) لقصف المواقع الاسرائيلية وتجمعات الدبابات والمدفعية بعيدة المدى إبتداء من المنطقة التي تبعد عن القناة ثلاثة كيلومترات (على اعتبار أن المدفعية ستركز نيرانها الرئيسية على الثلاثة كيلومترات الأولى) ، بالإضافة لقصف محطات الرادار والاتصالات والقيادات في « أم خشيب » و « أم مرجم » وبطاريات صواريخ هوك المضادة للطائرات في الطاسة ، والمطارات الاسرائيلية المتقدمة

من « المليز » و « بير تمــاده » و « العريش » . وبطاريات المدفعية ١٧٥ مم المتمركزة وراء خط التحصينات ، وتجمعات القوات الاحتياطية التابعة لقيادة سيناء العسكرية .

خطة عبور القناة : ولتوفير أفضل الظروف لنجاح العبور ، من حيث تشتيت جهود العــدو وإتاحة الفرصة للقوات العابرة كي تزحف على محاور متعددة ، وضعت الخطة على أساس قيام خمس فرق مشاة كاملة بالهجوم على طول المواجهة ، (بإستثناء منطقة البحيرات المرة التي لا تصلح لعبور قوات كبيرة الحجم ، ومنطقة السبخات قرب بور سعيد) وإنشاء رؤوس جسور على الضفة الشرقية بعرض نحو ٨ كم وعمق ٢ — ٣ كم في قطــاع كل فرقة ، ويجري خلال هذه المرحلة الأولى من الهجوم تطويق مواقع خط بارليف الحصينة عبر الثغرات القائمة بينها (والتي بلغ عرضها في بعض الحالات ١٠ — ١٢ كم)، وإقامة دفاع مضاد للدبابات لصد الهجمات المعاكسة الأولية المتوقعة . وأثر ذلك يتم إقتحام مواقع خط بارليف وتعميق رؤوس الجسور إلى عمق ٦ — ٨ كم ، وفي أثناء الليلة الأولى من الهجوم يقوم سلاح المهندسين ببناء ١٠ جسور عائمة ثقيلة و ١٠ جسور خفيفة ،وتشغيل نحو ٥٠ معدية بين الضفتين (بواقع معدية في قطاع كل كتيبة) وذلك لنقل الدفعات الأولى من الدبابات وناقلات الجنود المدرعة والمدفعية المضادة للدبابات اللازمــة لتدعيم رؤوس الجسور التي ستتلقى مزيداً من الهجمات المعاكسة خلال اليوم التالي . وبعد هــذا تربط رؤوس الجسور بعضها ببعض في قطاع كل جيش ، ويتم تعميقها إلى مسافة ١٠ — ١٢ كم ، ثم تجري « وقفة عملياتية » (التي أسماها المشير أحمد إسماعيل « وقفة تعبوية ») مؤقتة تصد خلالها هجمات قوات الاحتياط الاسرائيلية ، وتنقل أثناءها بطاريــات الصواريخ م/ط المتحركة إلى الضفة الشرقية لتوسيع إطار مظلة الدفاع الجوي شرقي القناة ، تمهيداً لتوسيع رؤوس الجسور مسافة ٢٠ كم أخرى تقريباً حتى تصل إلى المداخل الغربية لممري متلا والجدي شرقاً ورأس سدر جنوباً على خليج السويس . ونظراً لأن وحدات المشاة المترجلة التي ستعبر القناة في الموجات الأولى لن تكون مدعمة بدبابات أو مدفعية مضادة للدبابات ، إلى أن ينهي سلاح المهندسين الترتيبات اللازمة لتشغيل المعديات وإقامة الجسور ، بعد فتح الثغرات اللازمة عبر الجدار الترابي الضخم الذي أقامته القوات الإسرائيلية على امتداد القناة ، بارتفاع يصل إلى ٢٥ متراً في بعض الأماكن ، فقد جرى تسليح



محاور الهجوم المصري يوم ٦/١٠/١٩٧٣

هذه الوحدات بكميات كبيرة من قواذف « الآر بي جي ٧ » (بواقع ٣ قواذف للجماعة) . وطواقم لإطلاق الصواريخ المضادة للدبابات من طراز « ميلوتكا » السوفييتية الصنع (تعرف في مصطلحات حلف الأطلسي بأسم « ساغر ») ، كما وضعت صواريخ مماثلة على الجدار الترابي الذي أقامته القوات المصرية على الضفة الغربية للقناة ومعها بعض الدبابات والمدافع المضادة للدبابات لمعاونة وحدات المشاة الموجودة في الضفة الشرقية في تدمير الدبابات الاسرائيلية . وبهذا يتوفر لقوات المشاة العابرة للقناة دفاع فعال مضاد للدبابات ، ودعم قوي بنيران المدفعية ، ودفاع جوي كفيل بتحييد الطيران الإسرائيلي أثناء المراحل الحرجة من الهجوم . وتصبح المدرعات الإسرائيلية معرضة لنيران مدمرة ، ومحرومة في الوقت نفسه من الدعم الجوي القريب ، ومن المساندة الفعالة لمدفعيتها القليلة العدد بالقياس للقوة الهائلة للمدفعية المصرية .

ولكن نجاح قوات المشاة في إنشاء وتدعيم رؤوس جسورها كان متوقفاً في نهاية الأمر على سرعة عبور القناة من قبل الدبابات والآليات والمدافع ، وتدفق الذخيرة والمؤن والتعزيزات ، الأمر الذي كان

يتطلب سرعة بناء الجسور العائمة وتشغيل المعديات قبل أن تبدأ قوات الاحتياطي الاسرائيلي في الوصول إلى الجبهة وشن هجوم مضاد عام . ولذلك كان من الضروري فتح الثغرات اللازمة في الجدار الترابي على الضفة الشرقية في أقصر وقت ممكن . ولقد قدمت فكرة التجريف بمضخات المياه الحل التقني لهذه المشكلة ، التي لم تتوقع القيادة الاسرائيلية حلها من قبل سلاح المهندسين المصري في فترة تقل عن ٢٤ ساعة ، على أساس إستخدام الوسائل التقليدية في فتح الثغرات (المتفجرات والبولدوزرات).

ولقد دعمت كل فرقة مشاة مصرية من الفرق المشتركة في الهجوم بلواء مدرع إضافي (فضلا عن كتائب الدبابات الثلاث الملحقة بألويتها) لتدعيم قدرتها على صد الهجمات المضادة الاسرائيليـــة ، وتوسيع رؤوس الجسور وتعميقها . أما الفرق المدرعة والميكانيكية فقد احتفظ بها في النسق الثاني لاستخدامها في تطوير الهجوم خلال المرحلة التالية للوقفـــة العملياتية ، أو لمواجهة أي تطورات أخرى قد تطرأ على الموقف العسكري . وقد أجريت تدريبات مفصلة ومتكررة للقوات المشتركة في الهجوم في أماكن مشابهة لمسرح العمليات لإختبار الخطـــط الموضوعة وضمان كفاءة تنفيذها ، كما صنعت أدوات وعربات صغيرة تدفع بالأيدي لنقل ما لا يستطيع الجندي حمله من الذخيرة والمعدات خلال صعود الحاجز الترابي في المرحلة الأولى للهجوم ، والتقدم بها نحو العمق المحدد لرؤوس الجسور ، وكذلك دربت وحدات المهندسين على مهامها بدقة كبيرة ، وأعدت أجزاء بديلة عديدة للجسور العائمة والمعديات لضمان سرعة إصلاحها عند إصابتها بنيران المدفعية أو الطيران .

الاعداد للمفاجأة : ولتأمين عمليات الهجوم والعبور اتخذت مجموعة إجراءات واسعة النطاق لتحقيق المفاجأة عـلى المستوى الاستراتيجي والعمليـــاتي والتكتيكي ، ذلك لأن احساساً مبكراً لدى القيادة العسكرية الاسرائيلية بنية الهجوم العربي ، كان كفيلا ببث الحياة في آلة الحرب الاسرائيلية القاتلة للاستجابة السريعة للإنذار وتعبئة الاحتياط ، ومن ثم شن ضربة إجهاضية مضادة خطيرة النتائج على القوات العربية المهاجمة ، خاصة في جبهة سيناء حيث توجد مشكلات عبور القناة واقتحام خط بارليف ، وستزيد حتماً من نسبة خسائرها خلال المراحل الأولى من الهجوم .

ولذلك نفذت عدة إجراءات لخداع العدو وإخفاء نية الهجوم تماماً عنه مثل : ١ – الاستمرار في بناء خطوط الدفاع على الجبهة وفي العمق بحيث يبدو الجهد الرئيسي للجيش المصري وكأنه منصب على الاستعداد للدفاع ، ٢ – تحريك القوات في إتجاهات مختلفة وثانوية وإجراء تحركات عرضية داخل الجبهة وعكسية من وإلى الجبهة تحت ستار التدريب ، ومع التغيير المستمر في حجم وأوضاع القوات ، ٣ – تجميع القوات المعدة للهجوم خلال فترة ٣ – ٤ شهور قبل موعد الهجوم على مجموعات صغيرة ، ودفع القوات الرئيسية من العمق إلى الجبهة قبل ٣ أسابيع من بدء الهجوم تحت ستار القيام بأعمال هندسية لإجراء مناورة كبرى مشتركة ، ثم بدء القتال الفعلي أثناء المرحلة الأخيرة من هذه المناورة ، ٤ – إعداد حفر وملاجئ للجسور ومعدات العبور وقطع المدفعية والآليات المختلفة بحيث تصل في آخر وقت ممكن إلى الجبهة وتخبأ فوراً تحت شباك تمويه جيدة ، ٥ – الإبقاء على مظاهر الحياة والحركة اليومية العادية للقوات على ضفة القناة الغربية حتى لحظة بدء القصف الجوي والمدفعي ، ٦ – حصر المعلومات المتعلقة بخطط الهجوم وتوقيته من أضيق نطاق ممكن ولآخر وقت ممكن ، ولذلك لم يبلغ قادة الفرق بموعد الهجوم إلا ليلة ٥ تشرين الأول (أكتوبر) ، ولم يبلغ هؤلاء قادة الألوية إلا في الساعة السادسة من صباح يوم ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ، ثم أبلغ قادة مجموعات الاقتحام الأولى في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم نفسه ، أي قبل بدء الهجوم بثلاث ساعات فقط .

كما مورست أيضاً بعض إجراءات الخـــداع الإعلامية والديبلوماسية المضللة ، وجرى تسريح دفعة من جنود الجيش العامل عددها ٢٠ ألف جندي قبل بدء العمليات بمدة ٤٨ ساعة .

وفي النتيجة ، لم تستطع الاستخبارات الاسرائيلية اكتشاف نية الهجوم على كلتا الجبهتين إلا في صباح يوم الهجوم نفسه ، وعلى أساس أنه سيبدأ في السادسة مساء لا في الثانية بعد الظهر .

على أن العامل الرئيسي الذي ساهم في تضليل الاستخبارات والقيادتين الاسرائيليتين السياسيـــة والعسكرية لم يكن ناجماً عن سلسلة الإجراءات العربية المذكورة ، رغم أهميتها ودقة تنفيذها ، وإنما جاء من الشعور بالثقة في النفس المبالغ فيها لدى الاسرائيليين ، بعد انتصار حرب ١٩٦٧ ومرور ست سنوات على الاحتلال ، والذي صاحبه في الوقت نفسه شعور مواز بالتقليل المبالغ فيه من القدرات القتالية العربية ونوايا القيادات السياسية العربية في شن حرب هجومية مهما كانت محدودة ،



جنود مصريون على الضفة المحررة



سلالم لتسلق الحاجز الترابي للضفة الشرقية

الفرحة الكبرى بنجاح العبـــور



ضد إسرائيل .

ولقد أدى هذان الشعوران ، إلى تعطيل العقول الاسرائيلية المختلفة ،سواء في الإستخبارات ،أو في القيادات العسكرية والسياسية ،أم لدى الرأي العام والإعلام داخل إسرائيل (بل في العالم الغربي أيضاً) إلى حد حجب الرؤية الصحيحة عن الجميع ، وجعل القيادة العسكرية عاجزة عن ادراك إبعاد التحركات المختلفة التي نقلتها إليها صور الأقمار الصناعية الأمريكية ، وطائرات الإستطلاع ، وتقارير الاستخبارات ، وعملاؤها السريون ، وجعلتها تسيء فهمها إلى درجة خطيرة . وساعد على ذلك أن هذه العقول الإسرائيلية كانت تركز إهتمامها الرئيسي قبل الحرب على عمليات المقاومة الفلسطينية في الداخل والخارج ،وتعتبرها الخطر الوحيد الذي يهدد أمنها .

وقد كان لإختيار يوم وساعة بدء الهجوم العربي على الجبهتين المصرية والسورية دخلا هاماً في نجاح المفاجأة الاستراتيجية ، ذلك لأن اليوم الذي وقع عليه إختيار القيادة العربية المشتركة ، ضمن الأيام الصالحة للعمليات الهجومية في كلتا الجبهتين ،كان أحد أيام شهر رمضان الذي لا تحدث فيه عادة نشاطات هامة في البلدان العربية ، كما كان في الوقت نفسه يوم « عيد الغفران » الاسرائيلي الذي تقل فيه الحركة واليقظة الأمنية إلى أقل حد عادة طوال السنة . هذا فضلا عن أن الساعة الثانية بعد الظهر ليست توقيتاً تقليدياً لبدء العمليات الهجومية الكبرى التي تبدأ عادة خلال الليل أو عند الفجر ، وفقاً لحالة التفوق الجوي الذي يتمتع به المهاجم ، أو وفقاً لرغبة في استغلال ظلمة الليل في تثبيت مواقع قوات المشاة المكلفة باقتحام النطاق الدفاعي الأول الذي تغطيه مواقع هندسية تمهيداً لدفع المدرعات بعد ذلك . وكان اختيار الساعة الثانية بعد الظهر يشكل حلا وسطاً ملائماً لظروف التوازن الجوي العربي ـ الاسرائيلي ومتطلبات التغلب على العقبات الأولية التي تواجه القوات المهاجمة ، ذلك لأن ساعات النهار كانت ضرورية لتوجيه الضربة الجوية العربية في العمق العملياتي للعدو على كلتا الجبهتين ، كما أنها كانت لازمة لزيادة أحكام رمي التمهيد المدفعي ورمي الدعم فيما بعد ضد تحركات الاحتياطي المدرع الإسرائيلي القريب من الجبهة ، فضلا عن ضرورتها في فتح الثغرات في الجدار الترابي على الضفة الشرقية ، بحيث يمكن أن تقام الجسور ويجري تشغيل المعديات خلال الساعات الأولى من الليل ، ومن ثم تعبر الدبابات والعربات المدرعة القناة في ساعات الليل المتوسطة والأخيرة تحت أقل تأثير ممكن من جانب الطيران الإسرائيلي . وكان الأمر مماثلا على الجبهة السورية ، حيث كان على سلاح المهندسين أن يردم الخندق المضاد للدبابات خلال ساعات النهار حتى تعبره القوات الرئيسية خلال الليل ، خاصة أن قطعات الدبابات السورية كانت مجهزة بمعدات الرؤية الليلية ومدربة على القتال الليلي . أما الهجوم عند الفجر أو خلال الليل فكان سيؤدي إلى إنجاز المراحل الرئيسية من بناء الجسور وعبور المدرعات خلال ساعات النهار الأمر الذي سيزيد مخاطر القوة الجوية الاسرائيلية ، رغم وجود جدار الصواريخ ، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن فاعلية هذا الجدار لم تكن قد اختبرت بعد منذ أيام حرب الاستنزاف المصرية ، وخاصة بالنسبة الى صواريخ سام ٦ (التي لم تكن موجودة وقتئذ) ولم يكن معروفاً بدقة مدى كفاءة أجهزة الحرب الألكترونية الاسرائيلية المضادة في العمل ضد الصواريخ .

أوضاع القوات الاسرائيلية في سيناء عشية بدء الحرب : في ١٥ تموز (يوليو) ١٩٧٣ تولى العميد « شموئيل غونين » قيادة المنطقة الجنوبية ، التي تشمل شبه جزيرة سيناء المحتلة خلفاً للعميد « أريك شارون » (الذي أحيل إلى التقاعد ليعمل بالسياسة كنائب عن تكتل ليكود) . وبدأ غونين على الفور في تفقد المواقع الدفاعية في خط بارليف ، واقترح على القيادة العامة بعد ذلك ضرورة إعادة فتح ١٤ موقعاً دفاعياً منها كان « شارون » قد أغلقها ، وتم بالفعل تشغيل منشآت « حاجز النار » المعدة منذ العام ١٩٧١ لاشعال سطح مياه القناة بطبقة من البترول المشتعل حال بدء عبور القوات المصرية لها ، وذلك بعد أن كان إهمال الصيانة قد أدى إلى تعطيل معظمها . وقد تم بالفعل إعداد هذه المنشآت للعمل في حصنين من حصون خط « بارليف » أحدهما إلى الشمال قليلا من الإسماعيلية والآخر شمالي البحيرات المرة عند الدفرسوار تقريباً .

وكانت الخطة الدفاعية الإسرائيلية تقوم على أساس إستخدام حصون خط بارليف كنقاط إرتكاز دفاعية ، وعلى أن تقوم الدبابات المتجمعة في الخط الثاني بالتقدم نحو القناة عند اللزوم لسد الثغرات القائمة بين الحصون ، واستخدام مصاطب إطلاق النار المعدة لها على الجسر الترابي ، ثم تقوم وحدات الاحتياطي العملياتي الموجودة في العمق بالتقدم نحو القناة لشن هجمات معاكسة وتصفية أية رؤوس جسور تنجح القوات المصرية في إقامتها على الضفة الشرقية . وكانت المدفعية (وعددها عند بدء القتال نحو ٧٠ مدفعاً) موزعة على إمتداد الطريق الموازي للقناة من مسافة ٨ كم تقريباً ومكلفة بمساندة هذه الهجمات . ولكن القوة النارية الأساسية المساندة للحصون أو الدبابات كانت ستوفرها طائرات السلاح الجوي الإسرائيلي . وقد أطلقت القيادة الإسرائيلية على خطة عملياتها الأوليه هذه والمعدة لصد أي هجوم مصري شامل إسم « برج الحمام » .

وكان لدى « غونين » عشية بدء الحرب القوات التالية :

١ — لواء مشاة من القوات الإحتياطية « لواء القدس » كان يتلقى دورته التدريبية السنوية ، في حصون القطاع الشمالي من خط بارليف . أما القطاع الجنوبي من الخط فيبدو أنه كان محتلا ببعض قوات المشاة النظامية .

٢ — لواء مشاة آخر كانت مهمته حماية منطقة المستنقعات وبحيرة البردويل في القطاع الشمالي من سيناء .

٣ — مجموعة ألوية مدرعة بقيادة « إبرهام مندلر » يقع مقر قيادتها على مقربة من المحور الأوسط في المنطقة الواقعة بين « الطاسة » و « بير جفجافة » . وكانت هذه المجموعة تضم ٣ ألوية مدرعة بها نحو ٣٠٠ دبابة موزعة عليها بالتساوي تقريباً احدهما بقيادة العقيد امنون (وهو اللواء المدرع ١٤) وكان مكلفاً بالدفاع عن الخط الثاني خلف التحصينات بمسافة ٨ ـ ١٠ كم تقريباً،إبتداء من شمال الإسماعيلية حتى رأس سدر جنوباً على خليج السويس . وكان ثاني ألوية مجموعة مندلر المدرعة بقيادة العقيد «غابي» موجوداً منذ أسبوع قبل بدء الحرب في العمق العملياتي للقطاع الشمالي،ومتأهباً للتحرك فور تلقي الأوامر الخاصة بالطوارئ إلى منطقة « رمانة » و « بالوظة » . أما اللواء الثالث من المجموعة فكان بقيادة العقيد « دان » محتشداً في العمق العملياتي للمحور الجنوبي وراء ممري « متلا » و « الحدي » ،حيث كان يمضي فترة تدريبية ويتأهب كي يحل محل لواء « أمنون » على الخط الأمامي . ويستفاد من تنظيم وتوزيع القوات الإسرائيلية في سيناء عشية بدء القتال ، أن « غونين » كان قائداً لجبهة سيناء كلها وأن قائد مجموعة الألوية المدرعة « ألبرت مندلر » كان القائد الميداني المسؤول عن العمليات المباشرة على خط القناة .

وعلى ضوء هذه المعلومات المتوفرة عن القوات الإسرائيلية العاملة الموجودة على جبهة سيناء ، والقادرة على الاشتباك مع القوات المصرية طوال الأربع والعشرين ساعة الأولى من القتال ، يتضح لنا أن القوات المصرية المهاجمة كانت تتمتع بتفوق كبير

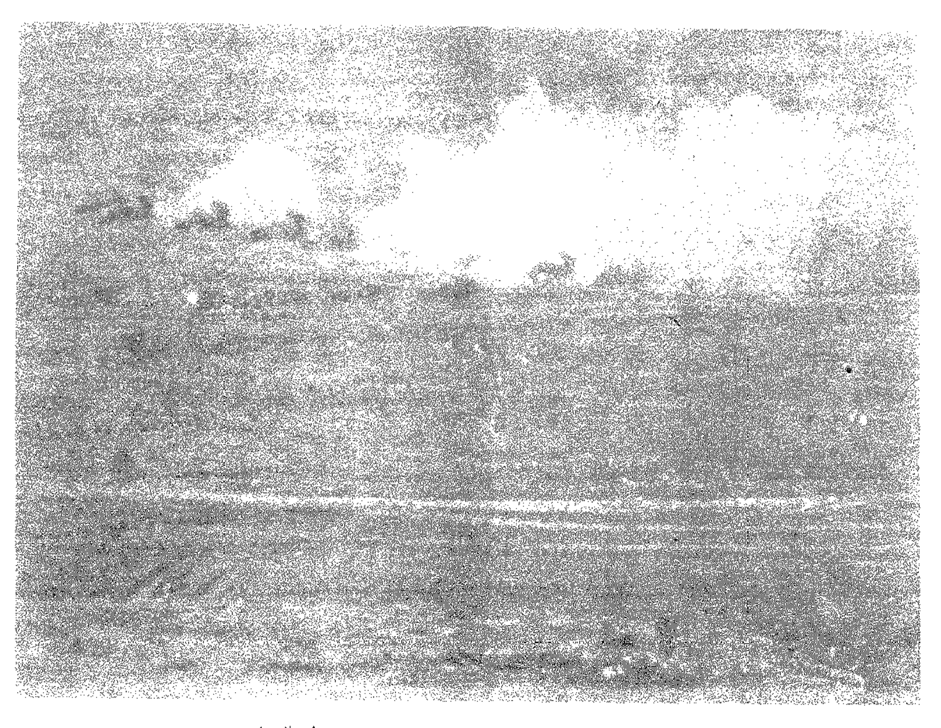
سواء في عدد الجنود أو كميات الأسلحة المختلفة المستخدمة أو قوة النيران ، وكان التفوق لصالح المصريين يبلغ ٥ إلى واحد في تشكيلات المشاة و ٣ إلى واحد في عدد الدبابات ، و ٣٠ إلى واحد في عدد المدافع .

ويرجع ذلك التفوق الكبير في القوى لصالح المصريين إلى ضخامة الجيش العامل المصري بالقياس للجيش العامل الإسرائيلي ، وأخذ القوات المصرية للمبادأة ، واتباع استراتيجية هجومية ، وتحقق عنصر المفاجأة على كل المستويات .

المرحلة الأولى من الهجوم المصري : عشية بدء الهجوم على جبهة القناة إرتفعت كثافة الحشد المدفعي في فرق المشاة إلى درجة كبيرة للغاية ، إذ بلغ عدد كتائب المدفعية في أحد الوية فرقة المشاة ١٦ مثلا ٦ كتائب بدلا من الكتيبتين الأصليتين اللتين كانتا لدى اللواء في حالة الموقف الدفاعي السابق للهجوم . ولذلك كانت كثافة النيران التي أطلقتها المدفعية المصرية خلال رميها التمهيدي السابق للهجوم عالية للغاية . وقد بدأ هذا الرمي التمهيدي في الساعة الثانية وخمس دقائق ، عقب إجتياز أسراب طائرات « الميغ ٢١ » و « سوخوي ٧ » و « هوكر هنتر » خط القناة في طريقها نحو أهدافها في العمق العملياتي بنحو ٣ دقائق . وخلال الدقيقة الأولى للقصف المدفعي سقطت على مواقع العدو الإسرائيلي ١٠٥٠٠ قذيفة مدفعية بمعدل ١٧٥ قذيفة في الثانية الواحدة . وطوال فترة الرمي التمهيدي التي استمرت ٥٣ دقيقة سقط على المناطق التي تعرضت للقصف المدفعي نحو ٣٠٠٠ طن من قذائف المدفعية .

وقبيل بدء القصف المدفعي بنحو ٢٠ دقيقة تسللت إلى الضفة الشرقية للقناة في بعض المواقع دوريات استطلاع صغيرة (تضم كل منها ضابط و ٣ أفراد) ثم مضت في تسللها حتى مسافة ١٧ كم تقريباً (بلغتها خلال ٤ ساعات) حيث أخذت تراقب تحركات مدرعات العدو في الاحتياطي العملياتي من فوق تلال مرتفعة بعض الشيء ، وتبلغ عنها قيادات الفرق المهاجمة .

وفي الوقت الذي عبرت فيه دوريات الاستطلاع القناة ، قامت مفرزة صغيرة أخرى من « صيادي الدبابات » ومعها مجموعات من سلاح المهندسين بفتح ثغرات في حقول الألغام على الضفة الشرقية ، وتسللت إلى مواقع متقدمة ، وتمركزت تحت حماية الدبابات والأسلحة المضادة للدبابات الرابضة على مصاطب وجدار الضفة الغربية ، واستعدت لاطلاق النار على الدبابات المعادية التي ستتحرك نحو القناة . كما بدأت



كاتيوشا مصرية متعددة السبطانات خلال العمل

بعض سرايا الدبابات البرمائية في العبور جنوبي بحيرة التمساح وجنوبي البحيرات المرة ومعها سرايا ميكانيكية محمولة على عربات مدرعة « ب م ب » البرمائية . نظراً لأن الشواطئ هناك كانت تصلح لإجتيازها بواسطة الآليات ولا يوجد بها حاجز ترابي .

وفي الوقت نفسه عبرت القناة في الدقائق الأولى لبدء الرمي التمهيدي وحدات من «الصاعقة» (المغاوير) المترجلة وتسللت نحو محاور الحركة الإسرائيلية في العمق العملياتي لتعترض باسلحتها الخفيفة المضادة للدبابات طريق تدفق الإحتياطي المدرع الإسرائيلي .

وفي الساعة الثانية وعشرة دقائق بدأت الموجة الأولى من وحدات المشاة الرئيسية في عبور القناة مستخدمة قوارب المطاط حمولة ١,٥ طن . وقد توالى عبور المشاة حتى تم عبور فرقها الخمس خلال ١٢ موجة جرى نقلها إلى الضفة الشرقية واكتمل عبور الفرق تماماً (بإستثناء الدبابات والمدفعية والآليات الأخرى) في الساعة ٧,٣٠ من مساء اليوم نفسه . وقد عبر جميع قادة الكتائب بعد ١٥ دقيقة من بدء إقتحام الموجة الرئيسية الأولى للقناة ، وعبر قادة الألوية ومعهم قادة المدفعية المناظرين لهم في الساعة الثالثة وخمس دقائق ، وعبر قادة الفرق وقادة مدفعيتها بعد مضي ساعة ونصف من بدء الإقتحام وبهذا اكتمل لفرق المشاة الخمس المهاجمة تشكيلها القيادي ، وأصبح مشرفاً بصورة مباشرة على الطبيعة

للعمليات القتالية الجارية ، وذلك للمحافظة على إمكانية الرد السريع الملائم على الهجمات المعاكسة المتوقعة من اللواء المدرع ١٤ المنتشر على طول الخط الدفاعي الثاني ، ولرفع معنويات الجنود والأنساق القيادية الدنيا .

وبعد ٤٠ دقيقة من بدء الهجوم بدأ سلاح الطيران الإسرائيلي بعض الهجمات المحدودة المتتالية بمجموعات صغيرة من طائرات « سكاي هوك » و « فانتوم » ضد مناطق ووسائل العبور والقوات شرقي القناة ، ولكنها فوجئت بفاعلية الدفاع الجوي المصري المستند أساساً على جدار الصواريخ « سام ٢ » و « سام ٣ » و « سام ٦ » ، فضلا عن صواريخ الكتف « سام ٧ » والرشاشات الموجهة بالرادار « زد س يو – ٢٣ – ٤ » المركبة على شاسيهات دبابات « ب ت ٧٦ » والرشاشات العادية الأخرى من عيارات ٢٣ مم و ١٤,٥ مم و ١٢,٧ مم ، ومئات المدافع م/ط من عيارات ٣٧ مم و ٥٧ مم و ٨٥ مم و ١٠٠ مم .

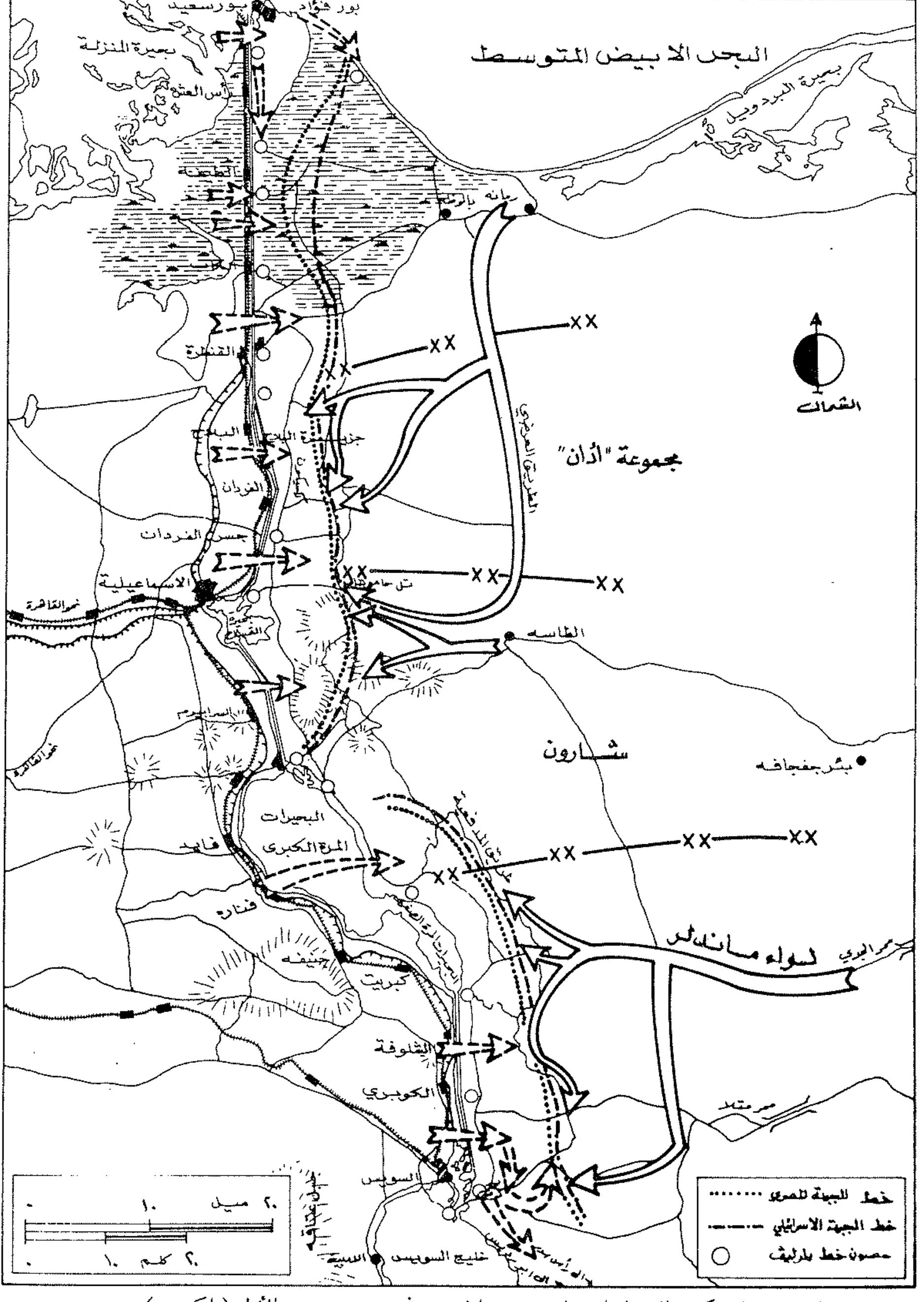
وكانت النتيجة أن ٣ طائرات من كل ٥ طائرات اسرائيلية كانت تنقض على مناطق العبور تم إسقاطها خلال الغارات الأولى . وحتى الساعة الخامسة من مساء اليوم الأول للهجوم تم إسقاط ١٣ طائرة إسرائيلية ، فأمرت قيادة السلاح الجوي الإسرائيلي طياريها بتحاشي الإقتراب من القناة

لمسافة تقل عن ١٥ كم شرقاً . وبلغ إجمالي المجهود الجوي الإسرائيلي خلال اليوم الأول للحرب على جبهة سيناء حوالي ٧٠٨ طلعة جوية تم ٦٠٪ منها نهاراً .

وخلال الساعتين التاليتين لبدء إقتحام القناة وصل كثير من وحدات المشاة الرئيسية إلى عمق ٤ كم شرقي القناة . وبدأ أفرادها يقومون بحفر حفر برميليه للوقاية من نيران مدفعية ودبابات وطيران العدو ، وفي الوقت نفسه كانت مفارز صيادي الدبابات تمضي مسرعة نحو نقاط الخط الثاني الواقعة على عمق ٨ كم تقريباً لمهاجمة سرايا الدبابات والمشاة الميكانيكية وبطاريات المدفعية الموجودة بها .

وتم خلال هذا الوقت إستكمال حصار مواقع خط بارليف ، الذي سقطت أولى مواقعه في الساعة ٢,٤٦ من بعد ظهر اليوم الأول للهجوم (الحصن رقم ١ في منطقة القنطرة شرق) وحتى الساعة السابعة والنصف من مساء يوم ١٠/٦ كان قد سقطت منه ١٤ نقطة قوية ، وفي اليوم الثاني سقطت ٩ مواقع أخرى من الخط ، وبقي موقع واحد فقط في أيدي القوات الإسرائيلية دون أن يسقط حتى نهاية الحرب يعرف باسم موقع « بودابست » يقع في أقصى الشمال على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وسط منطقة المستنقعات المواجهة لبور سعيد على مبعدة ١٢ كم شرقي بور فؤاد ، نظراً لأنه كان في منطقة بعيدة عن القناة نفسها وذات تربة غير ملائمة للعمليات القتالية بصفة عامة ولحركة المدرعات والآليات بصفة خاصة .

وقد بدأت وحدات المهندسين منذ الدقائق الأولى للهجوم عمليات تجريف الرمال بمدافع المياه لفتح الثغرات اللازمة في الجدار الترابي الضخم على الضفة الشرقية تمهيداً لنصب الجسور وتشغيل المعديات . ونجحت هذه الوحدات في فتح ٣٥ ممراً في الجدار الترابي المذكور خلال يوم ١٠/٦ في قطاع الجيش الثاني ، وتم نصب أول جسر عائم حمولة ٦٠ طناً في قطاع أحد ألوية الفرقة ١٦ في الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم ١٠/٦ ، وقبل ذلك بنحو ساعة ونصف كانت المدفعية الإسرائيلية قد بدأت قصفها لمناطق العبور لعرقلة عمليات إقامة الجسور وتشغيلها ، ولكن القصف كان غير دقيق ، ولم يمنع وحدات المهندسين المصرية من مواصلة عملها . وقد تأخر فتح الثغرات في قطاع الجيش الثالث بعض الوقت نتيجة لشدة تماسك التربة المكونة للجدار الترابي هناك ، ولزيادة عرض الجدار وارتفاعه عما كان عليه في قطاع الجيش الثاني . ولذلك استخدمت

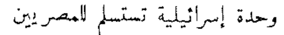


الهجمات المعاكسة الإسرائيلية على رؤوس الجسور في ٧ و ٨ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣

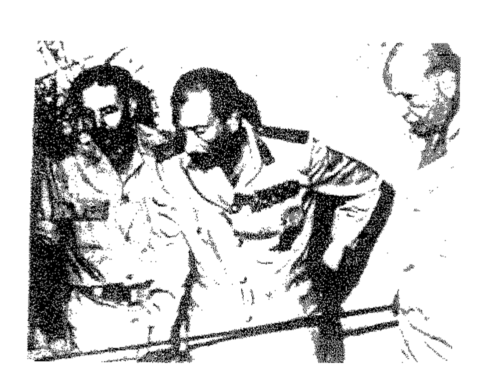
المتفجرات والبلدوزرات إلى جانب مدافع المياه في فتح الثغرات ، وتأخر فتح الثغرات مدة ١٠ ساعات إضافية عن المدة المقررة أصلا لفتحها وهي ٦ ساعات (التي تم خلالها بالفعل فتح معظم ثغرات قطاع الجيش الثاني) .

كما تمت في بعض المواقع إقامة جسور خداعية مهمتها إجتذاب وتشتيت هجمات الطيران الإسرائيلي بعيداً عن الجسور الحقيقية ، ولذلك كانت سحب الدخان الصناعي المطلقة فوقها تخفف نسبياً . وعلى أثر الإنتهاء من نصب الجسور العائمة وتشغيل المعديات ، بدأت دبابات ومدفعية وآليات فرق المشاة الخمس في عبور القناة تحت جنح الظلام في ليلة ٦ — ١٠/٧ . وفي صباح يوم ١٠/٧ كان قد تم عبور نحو ٥٠٠ دبابة مصرية إلى رؤوس الجسور على الضفة الشرقية ، وبذلك توفر لفرق المشاة إحتياطها المدرع القادر على تأمين





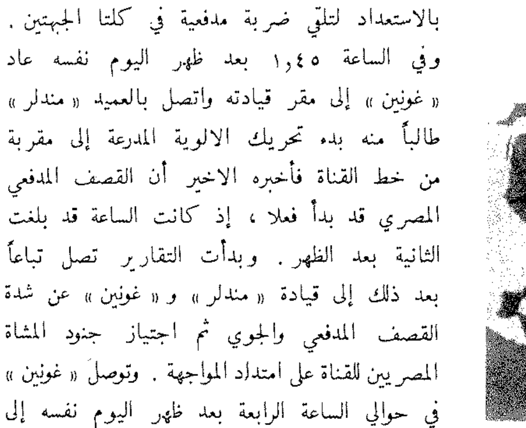
وحدة إسرائيلية تستسلم للمصريين



الرئيس السادات في غرفة العمليات



جندي يقبل أرض سينا المحررة



رؤوس الجسور والمشاركة الفعالة في صد الهجمات المضادة الإسرائيلية في صباح ١٠/٧ في وقت يقل عن ١٨ ساعة منذ بدء الهجوم (وذلك في قطاع الجيش الثاني بصفة رئيسية) ، الأمر الذي تعارض كليه مع تقديرات « موشي دايان » السابقة للحرب ، والتي كانت لا تتوقع إمكان فتح الثغرات في الجدار الترابي ومد الجسور وعبور الدبابات بقوة فعالة قبل إنقضاء ٤٨ ساعة من بدء عبور المشاة للقناة ، وهي فترة كافية في نظره لحشد قوات ضخمة من الاحتياطي المدرع الإسرائيلي وشن هجوم مضاد يقضي على رؤوس جسور المشاة المصرية ، وذلك اذا فشل سلاح الطيران الاسرائيلي في تصفية رؤوس الجسور بسبب تدخل الصواريخ م/ط .

وفي الوقت نفسه كانت مجموعات عديدة من وحدات الصاعقة (المغاوير) قد عبرت القناة في طائرات هليكوبتر بعد غروب شمس يوم ١٠/٦ ووصلت إلى قرب محاور حركة الإحتياطي المدرع الإسرائيلي في العمق العملياتي عند ممرات متلا والجدي والجفجافة ورمانه ،حيث بدأت تعترض طريقه نحو الجبهة . وعقب وصول قوات المشاة في اليوم الأول إلى عمق ٨ كم قامت على الفور بالتخندق ، كما أسرع جنود المهندسين ، ببث حقول ألغام فوق سطح الأرض أمام مواقع الكتائب والألوية وعلى مجنبّها لتلعب دورها في صد الهجمات المضادة الاسرائيلية لحين إستكمال نقل الدبابات والمدفعية إلى رؤوس الجسور تمهيداً لتوسيعها في العمق حتى ١٥ — ١٧ كم وربطها ببعضها البعض (بث في قطاع كل لواء مشاة نحو ٢٠٠٠ لغم م/د) .

الهجمات المعاكسة الاسرائيلية : توصلت الاستخبارات الاسرائيلية عند فجر يوم ١٠/٦ إلى معلومات تؤكد بدء الهجوم العربي على كلتا الجبهتين في الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه ، ولذلك عقدت « غولدا مائير » اجتماعاً في الساعة السابعة صباحاً حضره « دايان » و « أليعازر » ، وتقرر فيه البدء في تعبئة جزئية لسلاح المدرعات والتشديد على تأهب سلاح الطيران ، الذي كان متأهباً منذ عشية يوم الغفران نظراً لاحتمال قيامه بضربة اجهاضية مضادة على الجبهة السورية . واثر ذلك عقد اجتماع آخر في رئاسة الاركان حضره قادة الجبهات وابلغوا فيه بهذه المعلومات والقرارات ، ولذلك صدرت عند ظهر اليوم نفسه اوامر إلى القوات الإسرائيلية بالاستعداد لتلقي ضربة مدفعية في كلتا الجبهتين . وفي الساعة ١,٤٥ بعد ظهر اليوم نفسه عاد « غونين » إلى مقر قيادته واتصل بالعميد « مندلر » طالباً منه بدء تحريك الالوية المدرعة إلى مقربة من خط القناة فأخبره الاخير أن القصف المدفعي المصري قد بدأ فعلا ، إذ كانت الساعة قد بلغت الثانية بعد الظهر . وبدأت التقارير تصل تباعاً بعد ذلك إلى قيادة « مندلر » و « غونين » عن شدة القصف المدفعي والجوي ثم اجتياز جنود المشاة المصريين للقناة على امتداد المواجهة . وتوصل « غونين » في حوالي الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم نفسه إلى أن زخم الهجوم الرئيسي في القطاع الشمالي (نظراً للمشاكل الفنية التي واجهت عبور الجيش الثالث في الجنوب) ، ولذلك امر « مندلر » لواء « غابي » المدرع بالتقدم من العمق نحو القطاع الشمالي ، على حين أمر اللواء المدرع ١٤ بأن يركز جهوده في القطاع الأوسط ولواء « دان » المدرع المتمركز وراء ممري « متلا » و « الجدي » بالتحرك غرباً عبر الممرين والتأهب لصد هجوم الجيش الثالث . ولما كان اللواء المدرع ١٤ هو أقرب الالوية من القناة لذلك كان أول الالوية تحركاً نحوها ، حيث بدأ سلسلة من الهجمات المعاكسة الصغيرة في محاولة لصد المشاة المصريين ، ثم في سلسلة محاولات لانقاذ رجال الحصون المحاصرين . وانضم اليه بعد قليل لواء « غابي » في القطاع الشمالي . ولم يتبق من

اللواء ١٤ في نهاية يوم ١٠/٧ سوى ٢٠ دبابة صالحة للقتال ، أما لواء « غابي » فلم يتبق منه سوى ربع قوته في نهاية اليوم المذكور . وفي الجنوب اشتبك لواء « دان » بالوحدات المدرعة البرمائية المصرية التي تقدمت نحو ممر الجدي ، كما تعرضت دبابات اللواء المذكور لكمائن الصواريخ و « الآر بي جي » أثناء عمليات انقاذ رجال الحصون ، وفي صباح يوم ١٠/٧ لم يعد لدى اللواء المذكور سوى ٢٣ دبابة صالحة للقتال من أصل ١٠٠ دبابة كانت لديه عند بدء العمليات . وبهذا تقلصت قوة « مندلر » المدرعة في نهاية يوم ١٠/٧ إلى حوالي ٧٠ دبابة فقط .

وفي اليوم نفسه بدأت طلائع قوات الاحتياط تصل إلى جبهة سيناء . وبدأ تقسيمها عند الظهر إلى ٣ قطاعات ، القطاع الشمالي بقيادة العميد « ابراهام ادان » وبه ٣ ألوية مدرعة (احدها لواء « غابي » الذي عزز بكتيبة جديدة) ، والقطاع الاوسط بقيادة العميد « اريك شارون » ويضم ايضاً ٣ ألوية مدرعة (احدها اللواء ١٤ الذي جرى تعزيز قواه بعد ذلك) ، والقطاع الجنوبي بقيادة العميد « ابراهام مندلر » وكان لديه لواءان مدرعان (احدهما لواء دان) ولواء مظلي ميكانيكي خصص للدفاع عن « رأس سدر » .

وقد حضر « موشي دايان » وزير الدفاع الاسرائيلي ، اجتماعاً في القيادة الجنوبية عقد في الساعة ١١,٤٠ من صباح يوم ١٠/٧ لبحث الموقف العسكري فيها ، ووافق على قرار « غونين » باخلاء « خط بارليف » ، أو ما تبقى منه ، واقترح ضرورة الانسحاب إلى منطقة الممرات ، والتخلي عن منطقة خليج السويس حتى « شرم الشيخ » ، واتخاذ موقف الدفاع الاستراتيجي لحين اعداد ترتيبات الهجوم المضاد وإزالة الخطر السوري في الجولان . ولم يوافق « غونين » و « اليعازر » على ذلك الاقتراح ، ثم ابلغت « غولدا مائير » بهذا الخلاف في الرأي بين وزير الدفاع ورئيس الاركان فأيدت الرأي القائل بعدم الانسحاب . ثم جرى اعداد خطة اقترحها « اليعازر » لشن هجوم مضاد في اليوم التالي تقوم به اساساً قوات القطاع الشمالي ضد الفرقتين المصريتين ١٨ و ٢ في « القنطرة » و « الفردان » ، على حين تبقى قوات القطاع الاوسط كاحتياطي في منطقة « الطاسه » ، ثم تقوم بمهاجمة الجناح الشمالي للجيش الثالث في حالة نجاح الهجوم في القطاع الشمالي . أما قوات القطاع الجنوبي فقد عهد اليها صد تقدم الجيش الثالث ومساندة قوات

الكمين المضاد للواء ١٩٠ في الفردان

القطاع الاوسط حال قيامها بمهاجمة الجيش الثالث . وقد لقي هجوم قوات القطاع الشمالي فشلا ذريعاً في صباح يوم ١٠/٨ خاصة في « الفردان » حيث دمر لواء « نتكا » المدرع (اللواء ١٩٠) وأسر قائد إحدى كتائبه (المقدم ياغوري)، ولم يتبق منه سوى ٥ دبابات تقريباً ، وذلك بعد أن دخل في كمين كبير أعدته له وحدات الفرقة الثانية استخدمت فيه مختلف الاسلحة م/د والمدفعية (انظر الفردان - ١٩٧٣ ، معركة) ، كما تعرض اللواء المدرع ٦٠٠ لخسائر فادحة هو الآخر عند مهاجمته لمواقع فرقة المشاة ١٦ تجاه « الاسماعيلية » وإلى الجنوب منها ، وكانت خسائر هذا اليوم جسيمة للغاية مما أدى إلى عدم محاولة اكمال الخطة الاصلية ومهاجمة الجيش الثالث وقرر « غونين » وبقية القادة الاسرائيليين في نهاية هذا اليوم إيقاف كل العمليات الهجومية الكبيرة على الجبهة المصرية والاكتفاء بقتال الصد مع المحافظة على القوات ، وذلك لأن حجم المدرعات الاسرائيلية المتوفرة وقتئذ على هذه الجبهة لم يعد يحتمل خسائر يوم معارك آخر مثل خسائر يوم ١٠/٨ ، إلى أن يتم وصول تعزيزات جديدة لها وتعويض معظم خسائر الايام الثلاثة الاولى من الحرب .

وواصلت القوات المصرية خلال ذلك الوقت تدعيم رؤوس الجسور ، وربطها ببعضها البعض ، وتوسيع عمقها . وكانت أهم عملياتها في هذا الصدد ، خلال الفترة بين ١٠/٩ و ١٠/١٤ قيام الفرقة ١٦ باحتلال موقع « النقطة ١٠٠ » (يسميها الاسرائيليون « تل حموتال ») الواقع على مبعدة نحو ١٧ كم شرقي القناة على المحور الاوسط ، والذي يشكل موقعاً حاكماً اتاح لها السيطرة بالنيران على منطقة واسعة في هذا المحور ، وقد حاولت القوات الاسرائيلية استرداد هذا المرتفع الحيوي ، عقب استيلاء القوات المصرية عليه فجر يوم ١٠/١٠ ، فشنت عدة هجمات معاكسة بقوات محدودة نسبياً لا تزيد عن كتيبة دبابات في كل مرة وكتيبة أو أكثر من المشاة الميكانيكية ، واستمرت هذه الهجمات الصغيرة حتى يوم ١٠/١٢ ولكنها فشلت في تحقيق هدفها ، بقي الموقع المذكور في أيدي القوات المصرية حتى انتهاء الحرب . وقد ركز الطيران الاسرائيلي غاراته ، ابتداء من يوم ١٠/٩ حتى يوم ١٠/١٥ على مدينة بور سعيد في أقصى شمال الجبهة بهدف إعطاء انطباع لدى القيادة العسكرية المصرية بأن هناك إنزال بحري أو جوي تمهد له القيادة الاسرائيلية في بور سعيد . ولذلك قامت القيادة المصرية بتحريك فرقة المشاة الميكانيكية ٢٣ إلى منطقة الصالحية الواقعة على مقربة من « القنطرة غرب » لتكون بمثابة احتياطي متحرك قادر على تدعيم حامية المدينة في حالة وقوع مثل هذا الانزال الاسرائيلي .

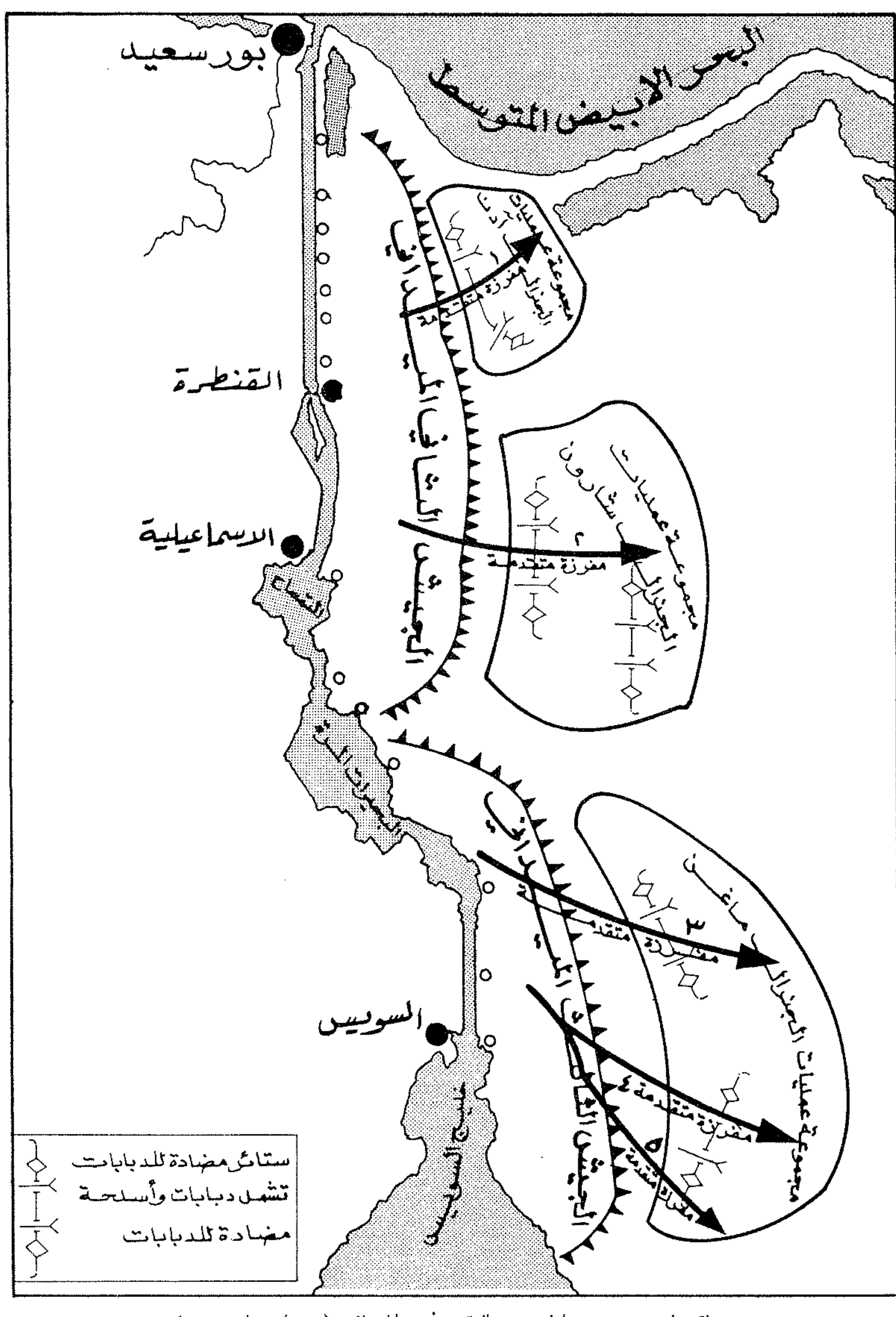
الهجوم المصري يوم ١٩٧٣/١٠/١٤ : قررت القيادة المصرية العليا في ٧٣/١٠/١١ القيام بعملية هجومية محدودة نسبياً تنفذها القوات المدرعة والميكانيكية من خارج التكوين الاصلي لفرق المشاة الخمس المتواجدة في الضفة الشرقية للقناة ، والتي كان عليها الاستمرار في الدفاع عن رؤوس الجسور ، حتى لا يختل التوازن الاستراتيجي للقوات في هذه المرحلة الحرجة من الحرب ، وذلك بهدف تخفيف الضغط الهجومي الاسرائيلي على الجبهة السورية ، وتعميق شريط الارض المحررة حتى المداخل الغربية لممري « متلا » و « الجدي » . والاستيلاء على معظم الطريق العرضي الذي كانت تستخدمه القوات الاسرائيلية في مهاجمة رؤوس الجسور وكان يوفر لها حرية العمل والمناورة (وهو طريق شقته القوات الاسرائيلية عقب حرب ١٩٦٧ من « بير ابو جراد » جنوباً عند « رأس سدر » حتى « بالوظه » شمالا مروراً بمداخل ممري « متلا » و « الجدي » على المحور الجنوبي و « الطاسة » على المحور الاوسط) . وحددت القيادة المصرية صباح يوم ١٠/١٤ كموعد لبدء تنفيذ هجومها الذي قامت خطته على أساس التقدم على المحور الجنوبي تجاه ممر « متلا » بقوة لواء مدرع وكتيبة مشاة ميكانيكية ، وتجاه ممر « الجدي » بقوة لواء مشاة ميكانيكي ، وعلى المحور الاوسط بقوة لوائين مدرعين ، وعلى المحور الشمالي بقوة لواء مدرع . أي أن الهجوم تم على طول الجبهة وعلى محاورها الرئيسية .

ولتوفير المدرعات اللازمة لهذه الهجمات عبرت القناة عشية بدء الهجوم نحو ٣٠٠ دبابة مصرية ضمت غالبية تشكيلات الفرقة المدرعة ٢١ في المحو

الاوسط واللواء المدرع الثالث من الفرقة المدرعة الرابعة في المحور الجنوبي . وبذلك ضعف الاحتياطي المدرع والميكانيكي الموجود في الضفة الغربية للقناة ، خاصة في قطاع الجيش الثاني . وقد استغلت القيادة الاسرائيلية فترة الهدوء النسبي الذي ساد الجبهة المصرية من ١٠/٩ إلى ١٠/١٤ في تعزيز قواتها وتعويض بعض خسائرها السابقة في المدرعات وفي محاولة اعداد تكتيكات واساليب قتال ملائمة لمواجهة صيادي الدبابات المصريين (على اساس دمج سرية مشاة ميكانيكية بكل كتيبة دبابات يقوم جنودها المحمولين فوق مجنزرات مدرعة « م – ١١٣ » باطلاق رشاشاتهم البالغ عددها ما بين ٤ و ٥ رشاشات على الاتجاهات التي تطلق منها الصواريخ م/د بقصد قتل الرماة الموجهين لها أو ازعاجهم على الاقل) ، وكذلك في تجهيز مواقعها الدفاعية استعداداً لصد الهجوم المصري المتوقع ، واحداث اكبر قدر ممكن من الخسائر بالدبابات والعربات المدرعة المهاجمة ، دون تعريض المدرعات الاسرائيلية في الوقت نفسه لنيران الدبابات المصرية أو صواريخ مفارز صيادي الدبابات . ولذلك تم وضع الدبابات الاسرائيلية داخل حفر عميقة تسمح لها باستخدام مدافعها دون تعريض معظم هيكلها للنيران المضادة ، ووضعت خطط ادارة النيران بحيث تطلق الدبابات (تساندها بعض الصواريخ م/د) نيرانها بصورة جماعية وبتوجيه مركزي من قائد كل سرية دبابات ، ثم يجري تغيير مواقع اطلاق النار فور كل صلية تقريباً ، بالاضافة إلى توزيع سرايا المشاة الميكانيكية بين الدبابات لتساهم بنيرانها ضد وحدات المشاة وصيادي الدبابات التي قد ترافق الدبابات المصرية لمهاجمة ، هذا فضلا عن دفع الطائرات المهاجمة الحشود الامامية المهاجمة بعيداً قدر الامكان عن نطاق مظلة الصواريخ م/ط .

وعشية بدء الهجوم المصري كان لدى القيادة العسكرية الاسرائيلية في جبهة سيناء القوات التالية :

مجموعة ألوية « ساسون » على المحور الشمالي غرب « بالوظة » ومعها قسم من مجموعة ألوية « كالمان ماغين » ، ثم مجموعة ألوية « ابراهام ادان » في المنطقة المواجهة للقنطرة شرق حتى شمال «النقطة ١٠٠» (تل حموتال) تقريباً، باستثناء لواء منها كان في عمق المحور الاوسط عند « بير جفجافة » ، ثم مجموعة ألوية « شارون » على المحور الاوسط حتى المنطقة المواجهة لمنتصف الشاطىء الشرقي للبحيرات المرة تقريباً ، ويليها كبد مجموعة ألوية « كالمان ماغين » (الذي حل محل « مندلر » أثر مقتل الاخير يوم ٧٣/١٠/١٢ نتيجة إصابة مجنزرة القيادة الخاصة



خطة تطوير رؤوس الجسور والتقدم نحو المضائق (١٩٧٣/١٠/١٤)

به بصاروخ م/د قرب التقاء طريق ممر الجدي بالطريق العرضي في سيناء)،وكانت مهمة هذه المجموعة حماية المداخل الغربية لممري الجدي ومتلا ، وإلى الجنوب من هذه المجموعة كان يوجد لواء مظلي ميكانيكي بقيادة « جافيش » يحمي منطقة « رأس سدر » على الشاطىء الشرقي لخليج السويس .

وقد بدأ الهجوم المصري المنتظر في الساعة ٦,١٥ من صباح يوم ١٠/١٤ برمي مدفعي تمهيدي اشترك فيه نحو ٥٠٠ مدفع وقاذف صواريخ « كاتيوشا » على محاور التقدم الاربعة استمر نحو ٤٥ دقيقة ، كما وجهت خلاله ضربة بالصواريخ التكتيكية ارض – ارض من طراز « فروغ » ضد مراكز سيطرة العدو ومحطات التشويش الالكترونية . وقامت الطائرات المصرية بالاغارة على مرابض المدفعية

الاسرائيلية من ارتفاعات منخفضة ، كما شاركت بعض طائرات الميراج الليبية في إغارات اكثر عمقاً داخل سيناء . ثم بدأت الدبابات المصرية هجومها اثر ذلك دون أن يصاحبها صيادو الدبابات هذه المرة، باستثناء منطقة واحدة فقط رافق فيها جنود المشاة الدبابات وكبدوا فيها لواء مدرعاً إسرائيلياً (كان مجهزاً بدبابات « ت ٥٥ » معدلة من غنائم حرب ١٩٦٧) بخسائر فادحة .

أما في بقية المناطق فقد طبقت تكتيكات المدرعات الهجومية التقليديـــة . وقد حقق الهجوم المصري في ذلك اليوم بعض النتائج المحدودة من حيث تعميق رؤوس الجسور بضعة كيلومترات ، إلا أن الأهداف الأساسية له لم تتحقق نظراً لتكبد المدرعات في عديد من المناطق لخسائر كبيرة نسبياً نتيجة لنيران مدافع الدبابات الاسرائيلية المتخندقة والصواريخ م/د وقصف الطائرات لها عندما كانت تبتعد قليلا عن المدى الفعال لمظلة الصواريخ ، وكذلك نتيجة لضعف التنسيق بين الدبابات والمدفعية من جهة وبينها وبين المشاة الميكانيكية من جهة اخرى ، ولقصر مدى مدافعها عيار ١٠٠ م بعض الشيء عن مدى مدافع دبابـــات « السنتوريون » و « الباتون » عيار ١٠٥ م .

وفي حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر اصدرت القيادة المصرية اوامرها للوحدات المهاجمة بالعودة إلى مواقعها لإعادة تنظيمها وتعزيزها وتعديل اوضاع القوات في رؤوس الجسور استعداداً لصد الهجمات المضادة القوية التي بات من المتوقع أن يبدأها العدو الاسرائيلي في اليوم التالي ، بعد توقف عملياته الهجومية على الجبهة السورية حيث تجمد الوضع مؤقتاً حول جيب سعسع ، وبعد أن صد هجوم القوات المصرية وتكبيدها بعض الخسائر ، وتكامل حشد وإعادة تجهيز الألوية المدرعة الاسرائيلية على الجبهة المصرية ، بعد أن بدأت الدفعات الأولى من الاسلحة الامريكية (وخاصة الدبابات وطائرات الفانتوم وسكاي هوك وصواريخ « تـــاو » المضادة للدبابات) تصل إلى مطارات الأرض المحتلة وسيناء (مطار العريش) في مساء يوم ١٠/١٤ نفسه .

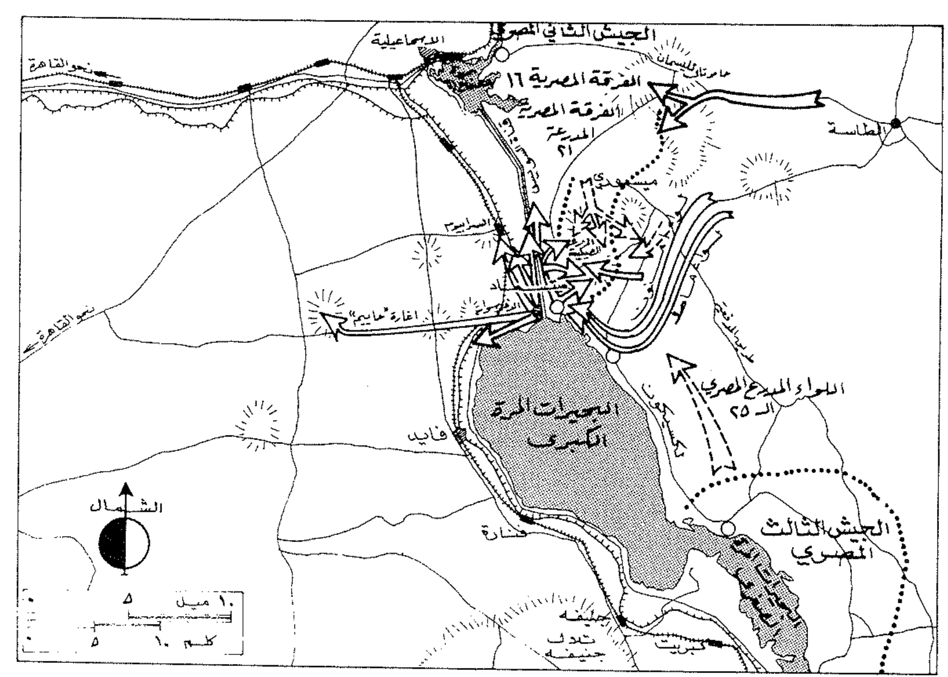
عملية الغزالة : في اعقاب حرب الاستنزاف المصرية عام ١٩٧٠ وضع الجنرال « اريك شارون » (خلال فترة توليه القيادة الجنوبية التي استمرت حتى ١٩٧٣/٧/١٥) خطة لعملية هجومية محدودة يمكن أن تقوم بها القوات الاسرائيلية غربي القناة ضد قواعد صواريخ « سام ٣ » و « سام ٢ » ، في حالة تجدد القتال مرة اخرى وتكبد الطائرات الاسرائيلية خسائر فادحة بسبب شبكة الصواريخ المصرية . وقامت هذه الخطة على اساس دفع قوة خفيفة الحركة من المدرعات والمشاة الميكانيكية إلى الضفة الغربية للقناة ، في قطاع « الدفرسوار – سرابيوم » ، الواقع بين البحيرات المرة الكبرى وبحيرة التمساح ، لتقوم بتدمير اكبر عدد ممكن من بطاريات الصواريخ المصرية الموجودة في هذه المنطقة في إغارة سريعة خاطفة ، وبذلك تفتح ممراً خطيراً في جدار الصواريخ المصرية المقام على طول القناة ، تنفذ من خلاله الطائرات الاسرائيلية لتهاجم عمق الجبهة المصرية وتناور مع بقية بطاريات الصواريخ من الخلف ، وتعود القوة الخفيفة اثر إنجازها هذه المهمة إلى الضفة الشرقية للقناة مرة اخرى. وقد اطلق على هذه الخطة اسم « عملية الغزالة » كرمز لحركة العبور والعودة السريعة التي تشبه قفزات الغزالة السريعة .

وقام « شارون » بتجهيز منطقة العبور على الضفة الشرقية المقابلة للدفرسوار ، حيث اعد سلاح المهندسين الاسرائيلي منطقـــة واسعة نسبياً لتجمع الدبابات والآليات محمية بسواتر رملية خلف الحاجز الترابي في المنطقة ، كما جرى تخفيف جدران الحاجز في نقطة معينة، وضعت لها علامات حجرية معينة، حتى يسهل على سلاح المهندسين فتح الثغرات اللازمة فيها تمهيداً لمد الجسور العائمة وتشغيل المعديات لنقل المدرعات والآليات إلى الضفة الغربية المقابلة في وقت قصير نسبياً .

واثر نشوب حرب ١٩٧٣ استدعي « شارون » من الاحتياط وارسل للعمل في الجبهة الجنوبية كقائد مجموعة ألوية تحت قيادة « غونين » ، وأخذ يلح منذ وقت مبكر على ضرورة تنفيذ عملية « الغزالة » . إلا أن « غونين » رفض تبني اقتراحه نظراً لاعتقاده بأن الموقف الاستراتيجي العام وقتئذ كان غير ملائم لتنفيذ مثل هذه العملية ، ونشب نتيجة لذلك الرفض من جانب « غونين » خلاف حاد بينه وبـــين « شارون » تطلب ارسال الجنرال « حاييم بارليف » إلى الجبهة لوقف التوتر الناتج عن هذا الخلاف ، ولتقدير الموقف الاستراتيجي هناك ، بعد أن كان « موشي دايان » قد اقترح على « غولدا مائير » في اليوم الثالث للحرب ، إنشاء خط دفاعي جديد لفك الالتحام بين الطيران الاسرائيلي وصواريخ « سام » المصرية .

وقد رفض « بارليف » ، ومعه أغلبية القادة الاسرائيليين ، تنفيذ اقتراح « دايان » الخـــاص بالانسحاب إلى خط الممرات واقتراح « شارون » المتعلق بتنفيذ عملية « الغزالة » خلال الاسبوع الاول من الحرب ، وذلك نظراً لفداحة خسائر المدرعات الاسرائيلية خلال الهجمات المعاكسة التي جرت في الايام الثلاثة الاولى،ولوجود الفرقة المدرعة المصرية ٢١ في الضفة الغربية ضمن احتياطي الجيش الثـــاني بالقرب من قطاع « الدفرسوار – سرابيوم » ، الامر الذي يسمح لها بسرعة التدخل ضد القوة المدرعة الاسرائيلية التي ستعبر القناة قبل أن تحقق خرقاً له قيمته في جدار الصواريخ المصرية ، ويعرض العملية كلها للفشل . وبعد أن تم صد الهجوم السوري في جبهة الجولان ، وانتقل الجيش الاسرائيلي إلى الهجوم المضاد هناك ، الذي أسفر عن تكوين جيب « سعسع » ، ثم توقف التقدم الاسرائيلي تماماً على الجبهة السورية يوم ١٠/١٢ نتيجة لعنف المقاومة السورية وبدء وصول القوات العراقيـــة ، ركزت القيادة الاسرائيلية جهودها في الجبهة الجنوبية، وحشدت قواها الرئيسية هناك تمهيداً لشن هجومها المضاد الذي استند إلى المخطط الاصلي لعملية «الغزالة» مع تطويرها ، سواء من حيث اهدافها أو من حيث حجم القوات المشتركة فيها ، بما يتفق وتطور ظروف الحرب . واتخذت القيادة الاسرائيلية قراراً بألا يبدأ تنفيذ الهجوم المضاد المذكور إلا بعد صد الهجوم المصري الذي تم يوم ١٠/١٤ ، حتى يتم إلحاق اكبر قدر ممكن من الخسائر في المدرعات المصرية . ولذلك تحدد مساء يوم ١٠/١٥ موعداً لبدء الهجوم الاسرائيلي الذي تركز على المحور الاوسط في قطاع فرقة المشاة ١٦ ، والفرقة المدرعة ٢١ . وقد حشدت له القيادة الجنوبية مجموعة ألوية «شارون» التي ضمت ٣ ألوية مدرعة (بقيادة العقداء « امنون » و « حاييم » و « طوبيا ») ، ولواء مظلي ميكانيكي (بقيادة العميد ثاني « ماط ») ، ولواء مدفعيـــة ، ووحدات مهندسين ، ومجموعة ألوية « ابراهام ادان » التي ضمت ٣ ألوية مدرعة (بقيادة العقداء « غابي » و « نتكا » و « آريه ») .

وكلفت مجموعة ألوية « شارون » بالوصول إلى منطقة العبور المحددة في مواجهة « الدفرسوار » ، من خلال عملية اقتراب غير مباشر تم على الجناح الايمن للجيش الثاني جنوبي القطاع الذي تسيطر عليه الفرقة ١٦ ، عبر فرجة غير محمية (كانت تراقبها دوريات متحركة) يبلغ اتساعها نحو ٢٥ كم تقع بين الجيشين الثاني والثالث على الضفة الشرقية للبحيرات المرة الكبرى ، كانت قد اكتشفتها يوم ١٠/٩ إحدى دوريات لواء « آريه » المدرع ، (كما اكدت وجودهـــا صور طائرات الاستطلاع الامريكية التي حلقت فوق الجبهة يوم ١٠/١٣



الوضع عند الدفرسوار في ١٦/١٠/١٩٧٣

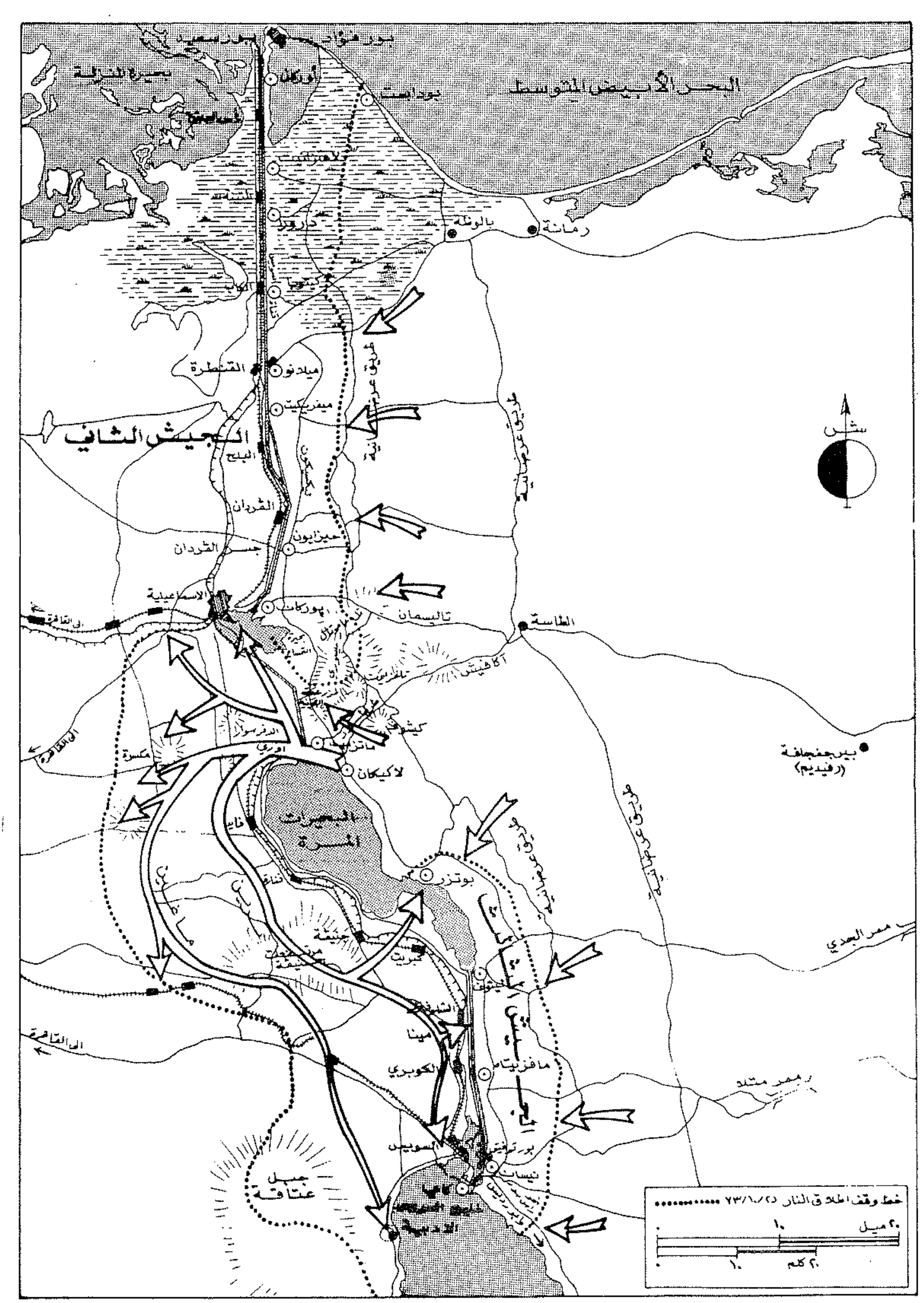
من ارتفاعات شاهقة)، ثم كان على المجموعة المذكورة أن تقوم بعد ذلك بفتح الطريقين المتوازيين اللذين يربطان طريق «الاسماعيلية – الشط» بالطريق العرضي الواقع على مبعدة ١٥ كم شرقي القناة (كانت القيادة الجنوبية قد شقتهما بعد حرب الاستنزاف استعداداً لاستخدامها في تنفيذ عملية «الغزالة» وذلك ليتم نقل الجسور ومعدات العبور عليهما ولتأمين امداد القوة التي ستقوم بالعبور بسهولة) وتطهيرهما من القوات المصرية المسيطرة عليهما.

وفي الوقت نفسه كان على مجموعة «شارون» عبور القناة عند «الدفرسوار»، وتطهير الضفة الغربية في هذا القطاع من الجهة من بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات قدر الامكان، وتأمين رأس الجسر ضد الهجمات المصرية المضادة. ثم كان على مجموعة «أدان»، المتمركزة أصلا في مواجهة القنطرة شرق والفردان، أن تزحف وراء مجموعة «شارون»، بعد فتحها للثغرة وإقامتها رأس الجسر على الضفة الغربية، لتواصل الهجوم في اتجاه الجنوب لتقطع طريق «السويس – القاهرة» وتستولي على مدينة السويس نفسها اذا امكن لها ذلك، وبهذا يتم تطويق قوات فرقتي المشاة ٧، ١٩ التابعتين للجيش الثالث على الضفة الشرقية للقناة، كما تقوم وحدات مجموعة «شارون» الموجودة على الضفة الغربية بتوسيع رأس الجسر شمالا حتى «الاسماعيلية» والاستيلاء عليها اذا امكن وقطع الطريق الذي يربطها بدلتا النيل والقاهرة، والذي يشكل طريق الامداد الرئيسي لقوات الجيش الثاني. كما ابلغت مجموعة ألوية «كالمان ماغين»، المؤلفة من لوائين مدرعين ولوائي مشاة ميكانيكية ولواء مشاة عادي، والتي كانت متمركزة قرب المداخل الغربية لممري «متلا» و«الجدي» في مواجهة الجيش الثالث، بأن تكون على اهبة الاستعداد للتحرك شمالا وعبور القناة لدعم عمليات مجموعة «ادان» اذا تطلب الامر ذلك. وبقيت مجموعة ألوية «ساسون» في القطاع الشمالي من الجبهة عند «بالوظه» وحتى شمال «القنطرة شرق» لتثبيت قوة فرقة المشاة ١٨، وفي اقصى الجنوب كانت توجد قوات اخرى من ضمنها لواء المظلات الميكانيكي المتمركز قرب «رأس سدر» بقيادة العقيد «عوزي»، وكتيبتا دبابات مستقلة.

وهكذا يتبين لنا أن القيادة الاسرائيلية خصصت لتنفيذ عملية «الغزالة» المطورة، عند اكتمال واتساع نطاق تنفيذها، ٣ مجموعات ألوية ضمت: ٨ ألوية مدرعة، و٣ ألوية مشاة ميكانيكية، ولواء مشاة عادي.

بدأ تنفيذ العملية في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ١٠/١٥ بهجوم خداعي قام به لواء «طوبيا» المدرع على المحور الاوسط تجاه «النقطة ١٠٠» (تل حموتال)، تبعه بعد ساعة تقدم لواء «امنون» المدرع تجاه الجنوب الغربي للالتفاف عبر الكثبان الرملية القريبة من شمال البحيرات المرة الكبرى (حيث توجد الفرجة الخالية من القوات المصرية) إلى نقطة العبور في مواجهة «الدفرسوار». وقد واجهت مجموعة «شارون»، رغم نجاحها في التسلل إلى نقطة العبور واجتياز وحدات من لواء المظليين للقناة في الليلة الأولى من الهجوم، مقاومة عنيفة من جانب وحدات فرقة المشاة ١٦ ووحدات الفرقة المدرعة ٢١ على الضفة الشرقية، خاصة عند المنطقة المعروفة باسم «مزرعة الجلاء» (أو المزرعة الصينية كما يسميها الاسرائيليون) ألحقت بها خسائر فادحة وأخرت موعد نصب الجسر العائم الاول على القناة، وكادت أن تؤدي إلى إلغاء العملية كلها، كما أدت إلى دفع مجموعة ألوية «ادان» لدخول المعركة في وقت مبكر عما كان مخططاً لها من قبل، لمعاونة مجموعة «شارون» في فتح الطريقين المؤديين إلى نقطة العبور على الضفة الشرقية (انظر الدفرسوار، معركة). كما قامت القوات المصرية بعدة هجمات مضادة من الشمال والجنوب على الضفة الشرقية لاغلاق الثغرة التي فتحت في الخطوط المصرية ولكنها فشلت في تحقيق أهدافها، وكذلك فشلت الهجمات المضادة التي جرت على الضفة الغربية في تصفية رأس الجسر الاسرائيلي هناك. وفي الساعة السابعة من مساء يوم ١٠/٢٢ توقف اطلاق النار، بناء على قرار مجلس الامن الدولي، وكانت قوات «شارون» تبعد وقتئذ نحو كيلومتر واحد عن طريق الاسماعيلية – القاهرة واقتربت ايضاً من بلدة «أبو صوير»، أما في الجنوب فكانت قوات «ادان» و«كالمان ماغين» قد وصلت إلى «جنيفة» تقريباً، وبذلك لم تكن قطعت بعد طريق «السويس – القاهرة» أو عزلت قوات الجيش الثالث في الضفة الشرقية. وقد بلغ أقصى عمق للجيب الاسرائيلي غربي القناة مسافة ٢٥ – ٣٠ كم. وكانت القوات الاسرائيلية والمصرية متداخلة مع بعضها البعض في عديد من الاماكن، خاصة بالقرب من ضفة القناة الغربية في الجنوب والشمال، إلى حد انه كان يفصلها عن بعضها في بعض الحالات ٢٠ متراً فقط، وذلك عند سريان قرار وقف اطلاق النار مساء يوم ١٠/٢٢/١٩٧٣.

ولما كان الجيب الاسرائيلي في الضفة الغربية للقناة، بالصورة التي وجد عليها عند سريان وقف اطلاق النار المذكور، لا يشكل ورقة مساومة سياسية ملائمة في أيدي اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية ضد مصر خلال المرحلة التالية لوقف اطلاق النار، والتي سيجني كل طرف فيها النتائج السياسية الناجمة عن الحرب، لذلك كان لا بد



التشابك في القوات شرقي قناة السويس وغربيها (١٩٧٣/١٠/٢٥)

لاسرائيل أن تختلق أي أسباب لخرق قرار وقف اطلاق النار وتواصل هجومها في حركة نحو الجنوب لتطويق قوات الجيش المصري الثالث في الضفة الشرقية للقناة ، معتمدة على حالة الاسترخاء المعنوي الذي توقعت أن تصيب القوات والقيادة المصرية عقب وقف اطلاق النار لفترة قصيرة . ولذلك بدأت مجموعة ألوية « ماغين » في حوالي الساعة الحادية عشرة من مساء اليوم نفسه الزحف في تشكيلات صغيرة عبر المسالك والمدقات الجبلية ، متجنبة قدر الامكان الاشتباك مع المواقع المصرية الرئيسية ، ومنتشرة نحو الجنوب . ثم هاجمت بعض مواقع بطاريات الصواريخ ابتداء من الساعة الثانية من فجر يوم ١٠/٢٣ لتوسيع الممر الجوي للطيران الاسرائيلي غربي القناة . وفي هذه الأثناء كانت وحدات سلاح المهندسين المصري تحاول نصب بعض الجسور عبر القناة لتعبر عليها وحدات من قوات الجيش الثالث من الضفة الشرقية لتعزز القوات الموجودة في الضفة الغربية ، إلا أنها تعرضت لنيران شديدة من قوات مجموعة ألوية « ادان » حالت دون انجاز هذه المهمة .

وبعد ظهر يوم ١٠/٢٣ شنت مجموعة ألوية « أدان » هجوماً كبيراً بواسطة لوائين مدرعين ، زحفا في شكل قوس عريض التف حول السويس قاطعاً الطريق بينها وبين القاهرة ، ثم احتلت منطقة مصانع تكرير البترول ومصنع السماد الموجودة غرب المدينة في السهل المنبسط الممتد بين خليج السويس وجبل عتاقة .

وعند منتصف ليلة ١٠/٢٤ تقريباً استولت وحدة من مجموعة ألوية « ماغين » على ميناء « الادبية » الواقع على الشاطئ الغربي لخليج السويس على مبعدة كيلومترات قليلة إلى الجنوب الغربي من السويس ، وبقيت وحدات مصرية تقاتل على مقربة من الميناء المذكور حتى وصلت قوات الطوارئ الدولية إلى المنطقة . كما استطاعت وحدات مصرية أخرى أن تتمسك بمواقعها على الشاطئ الغربي للقناة إلى الشمال من مدينة السويس في مواقع « الشط » و « الشلوفة » و « كبريت » . وكانت أقصى نقطة وصلت إليها قوات مجموعة ألوية « ماغين » على طريق « السويس ـ القاهرة » تقع عند نقطة الكيلومتر ١٠١ ، أي على مبعدة ١٠١ كم شرق القاهرة .

وقد حاولت مجموعة ألوية « ادان » خلال يومي ٢٤ ، ١٩٧٣/١٠/٢٥ أن تستولي على مدينة السويس بمساندة الطيران ، إلا أنها فشلت في انجاز مهمتها هذه وتكبدت خسائر فادحة في الدبابات والعربات المدرعة والرجال ، اجبرتها على العدول عن محاولتها . وبقيت السويس في ايدي قوات الجيش الثالث والمقاومة الشعبية ، على حين تمركزت القوات الاسرائيلية على مشارفها الخارجية ، حتى توقف اطلاق النار بصورة نهائية فعلية في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ١٩٧٣/١٠/٢٨ تنفيذاً لقرار مجلس الامن رقم ٣٤٠ ووصلت قوات الطوارئ الدولية لتشرف على تنفيذه (انظر السويس ، معركة) .

القتال على الجبهة السورية

خطة الهجوم السوري : ليست المنحدرات الشرقية لهضبة الجولان في وعورة وارتفاع المنحدرات الغربية للهضبة ، إذ لا توجد بها مرتفعات يصعب إرتقاؤها مثلما هو حال الحد الغربي للهضبة المواجه لبحيرتي الحولة وطبريا ، كما أنها لا تقطعها أنهار أو وديان عميقة ، ولذلك لا تشكل طبيعة الأرض فيها أي مانع طبيعي ضد حركة المدرعات والآليات بصفة

عامة على امتداد المواجهة البالغ طولها نحو ٥٥ كم إبتداء من سفوح «جبل الشيخ» في الشمال حتى الضفة الشمالية لنهر «اليرموك» في الجنوب. ولهذا كان من الطبيعي أن تخطط القيادة السورية لهجومها بأسلوب وتكتيكات تختلف عن أسلوب وتكتيكات القيادة المصرية التي كانت تواجه مشكلات إجتياز القناة والجدار الترابي المقام على ضفتها الشرقية. وعلى هذا الأساس خططت القيادة السورية لهجوم مدرع ميكانيكي سريع الحركة منذ اللحظات الأولى يتيح لها إمكانية إختراق محاور التقدم الرئيسية في الهضبة التي يبلغ عمقها في الوسط، بين «القنيطرة» وجسر «بنات يعقوب»، نحو ١٨ كم فقط. وتحددت إتجاهات الهجوم على أساس قيام فرقة المشاة الميكانيكية السابعة (بقيادة العميد عمر أبرش) بالتقدم من منطقة الأحمدية في إتجاهين أحدهما نحو الغرب والآخر نحو الجنوب الغربي إلى الشمال من «القنيطرة» والطريق الرئيسي المؤدي إلى جسر «بنات يعقوب»، على أن يقوم لواء مشاة مستقل بالزحف جنوب سفوح «جبل الشيخ» السفلى نحو الجنوب الغربي تجاه طريق «بانياس — القنيطرة» لحماية الجناح الأيمن للفرقة السابعة. وفي الوقت نفسه تتقدم فرقة المشاة الميكانيكية التاسعة (بقيادة العميد حسن تركماني) من المنطقة الواقعة غرب «تل الحارة» في إتجاه الغرب إلى الشمال مباشرة من «الخشنيه» وذلك على شكل شعبتين متوازيتين إحداهما نحو طريق «القنيطرة — جسر بنات يعقوب» لقطعه غربها والآخر يتجه إلى «كفرنفاخ» الواقعة في منتصف الطريق المذكور تقريباً، والتي توجد فيها قيادة القوات الاسرائيلية في الجولان. وعلى المحور الجنوبي كان على فرقة المشاة الميكانيكية الخامسة (بقيادة العميد مصطفى شربا) أن تهاجم من منطقة «الرفيد» نحو الجنوب الغربي تجاه بحيرة «طبريه».

وبالإضافة إلى هذه الهجمات الرئيسية كان على وحدة خاصة من المغاوير محمولة جواً أن تهاجم مرصد جبل الشيخ بواسطة طائرات الهليكوبتر وتستولي عليه في إغارة مفاجئة لتحرم القيادة الإسرائيلية من محطة الرادار وأجهزة الرصد المشرفة على مسرح العمليات البرية منذ بداية الهجوم، وتضعها في خدمة القيادة السورية بعد ذلك. وخصصت وحدات مشاة مغربية بمهاجمة السفوح السفلى لجبل الشيخ لمنع الهجمات المعاكسة الاسرائيلية التي قد توجه ضد قوات المغاوير أثر إستيلائها على المرصد المذكور.

وفي النسق الثاني للقوات السورية كانت توجد فرقتان مدرعتان ولواءان مدرعان مستقلان. وكانت كل فرقة مشاة ميكانيكية تتألف من لوائي مشاة (بكل منهما كتيبة دبابات) ولواء مشاة ميكانيكي ولواء مدرع، وقدر عدد الدبابات الملحقة بفرق المشاة الميكانيكية الثلاث المشار إليها آنفاً بنحو ٥٤٠ دبابة (أي بواقع ١٨٠ دبابة في الفرقة الواحدة)، كما قدر عدد الدبابات الموجودة بالفرقتين المدرعتين معاً بنحو ٤٦٠ دبابة.

وساندت قوات الهجوم حشود قوية من المدفعية قدرت بنحو ١٠٤ بطاريات مدفعية وقاذف صواريخ كاتيوشا (ضمت مدفعية عيار ١٢٢ مم، ١٣٠ مم، ١٥٢ مم). وقد أعدت القيادة السورية خطان دفاعيان في العمق العملياتي للجبهة، الأول يقع على مسافة نحو ٢٠ كم شرق خط وقف إطلاق النار، إبتداء من نقطة تبعد قليلا إلى الغرب من «قطنا» على الطريق المؤدي إلى جبل الشيخ في الشمال ماراً بسعسع على الطريق بين «دمشق» و «القنيطرة» ومنتهياً عند «الصنمين» الواقعة على الطريق المؤدي إلى «الرفيد» على المحور الجنوبي. أما الخط الدفاعي الثاني فقد أقيم على مسافة تبعد نحو ١٠ إلى ١٥ كم شرق الخط الأول من نقطة تقع إلى الشمال الغربي من «دمشق» على الطريق المؤدي إلى «القنيطرة» ويمتد جنوباً حتى بلدة «الكسوة» الواقعة على الطريق المؤدي إلى «الصنمين» و «الشيخ مسكين» و «درعا». كما تركزت شبكة صواريخ سام المضادة للطائرات بمختلف أنواعها على طريق «دمشق — الشيخ مسكين»

أوضاع القوات الإسرائيلية في الجولان:

في ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣ نفذ السلاح الجوي الإسرائيلي عملية استطلاع جوي كبير للساحل السوري صاحبها اعداد كمين جوي للمقاتلات المعترضة السورية (أسفر عن إسقاط ١٣ طائرة «ميغ ٢١» وفقاً لرواية المصادر الإسرائيلية مقابل إسقاط طائرة ميراج، أما المصادر السورية فقالت انها اسقطت ٥ طائرات اسرائيلية وفقدت ٨ طائرات) وتوقعت القيادة العسكرية الإسرائيلية في المنطقة الشمالية حدوث إشتباكات خطيرة في الجولان، خاصة بعد أن أوضحت تقارير الإستطلاع الجوي يوم ٩/٢٤ بأن عدد الدبابات السورية المحتشدة في الجبهة قد ارتفع إلى ٦٧٠ دبابة بعد أن كان حوالي ٥٠٠ دبابة يوم ٩/١١، وأن عدد بطاريات المدفعية قد زاد في الفترة نفسها من ٦٩ بطارية إلى ١٠٠ بطارية، وأن هناك ثلاث فرق مشاة قد احتلت خط الدفاع الأول. ولذلك عقد إجتماع في رئاسة الأركان الإسرائيلية في يوم ٩/٢٤ حضره اللواء «إسحق حوفي» قائد المنطقة الشمالية واللواء «دافيد اليعازر» رئيس الأركان و «موشي دايان» وزير الدفاع لبحث الموقف، وقد أوضح «حوفي» في الجلسة المذكورة أن حجم القوات السورية الموجودة في الخط الأمامي يسمح لها بشن هجوم كبير دون سابق إنذار. وقد أثار هذا الموقف شكوك ومخاوف «دايان» فقام بزيارة تفقدية لجبهة الجولان يوم ٩/٢٦ حيث شاهد بنفسه حشوداً كبيرة لمدفعية سورية متوسطة، وعلى أثر ذلك أصدر الى رئيس الأركان أمراً بضرورة تعزيز قوات الجولان المؤلفة أصلا من لواء مشاة ميكانيكي (لواء «غولاني») منتشر على طول الجبهة في مواقع دفاعية قوية التحصين تحمي طرق الاقتراب المحتملة، ويبلغ عددها ١١ موقعاً إبتداء من شرق «مسعده» في أقصى الشمال إلى «تل الساقي» في أقصى الجنوب شرقي «العال»، ويمتد أمامها خندق مضاد للدبابات عرضه نحو ٤ أمتار وعمقه ٣ أمتار، يعلوه من حافته الغربية جدار ترابي إرتفاعه نحو ٨ أمتار، وتمتد أمام الخندق حقول ألغام. ويعزز لواء المشاة المذكور اللواء المدرع ٣٧، الذي يسميه الاسرائيليون لواء «براك»، وكان يضم ٣ كتائب دبابات (الكتائب ٣، ٤، ٥)، وقد وزعت فصائل الدبابات في مواقع دفاعية بخط ثاني يبعد نحو ٣ — ٥ كيلومترات وراء الخط الأول، جهزت بحفر لرماية الدبابات والمدافع المضادة للدبابات ومدفعية الميدان، وأحيطت بالأسلاك الشائكة والألغام.

وقد أمرت رئاسة الأركان اللواء المدرع السابع بتعزيز القوات العاملة المدافعة عن الجولان، وبالفعل وصلت كتيبة الدبابات السابعة إلى منطقة «كفرنفاخ» قبل بدء نشوب الحرب بعشرة أيام، كما قام قائد اللواء ومعه ضباط الاستطلاع والمدفعية التابعين للواء بتفقد خط الجبهة وتحديد الأهداف المحتملة ومواقع رماية الدبابات والمدفعية ووضع خطط الهجمات المعاكسة المتوقع القيام بها. وبذلك أصبح لدى قيادة الجولان ٤ كتائب دبابات (كانت كلها وقتئذ خاضعة لقيادة اللواء المدرع ٣٧) وبلغ عدد دباباتها يوم ٧٣/١٠/٢، وفقاً للمصادر الإسرائيلية، ١٧٧ دبابة، فضلا عن لواء المشاة الميكانيكي الموزع على إمتداد الجبهة، وبلغ عدد بطاريات المدفعية في ذلك اليوم ١١ بطارية. كما تم إبلاغ وحدات مجموعات الألوية الإحتياطية المعدة للقتال في الجبهة الشمالية، وهي مجموعة ألوية «دان لانر» ومجموعة ألوية «رفول أيتان»، بإحتمال إعلان التعبئة العامة،

وأعدت ترتيبات إخلاء الهضبة من سكان المستوطنات المدنيين . كما بثت آلاف الألغام الجديدة أمام الخندق المضاد للدبابات وحول المواقع الدفاعية ، وجرى تعميق الخندق المضاد للدبابات . وفي فجر يوم ١٠/٦ استدعي « إسحق حوفي » إلى إجتماع في رئاسة الأركان حضره قادة الجبهات الثلاث ، وأبلغ « دافيد أليعازر » قادة الجبهات بأن الحرب قد تنشب في الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه ، وأن أوامر التعبئة العامة على وشك الصدور . وكانت بقية كتائب اللواء المدرع السابع (الكتائب ١ ، ٢ المدرعة وكتيبة المشاة الميكانيكية) قد تم تحريكها إلى منطقة « كفر نفاخ – واسط – سنديانه » خلال يوم ١٠/٥ ، وعندما أبلغ قائد اللواء صباح يوم ١٠/٦ بإحتمال نشوب الحرب خلال هذا اليوم ، حددت مهمة اللواء بحماية القطاع الشمالي من «القنيطرة» حتى سفوح « جبل الشيخ » وألحقت به كتيبة الدبابات الرابعة التابعة للواء المدرع ٣٧ نظراً لوجودها عند « القنيطرة » أصلا ، ولذلك ألحقت كتيبة الدبابات الثانية التابعة للواء السابع باللواء ٣٧ عوضاً عنها لتقاتل معه في القطاع الجنوبي الممتد حتى « الرفيد » ، حيث كانت القيادة الاسرائيلية تتوقع أن يكون هناك المجهود الثانوي للهجوم السوري ، نظراً لأن صور الاستطلاع الجوي كانت توضح أن حوالي ٦٠٪ من بطاريات المدفعية السورية كانت محتشدة في القطاع الشمالي من الجولان .

وعلى هذا الأساس أصبح لدى اللواء المدرع السابع كتائب الدبابات ١ ، ٤ ، ٧ فضلا عن كتيبة المشاة الميكانيكية التي ألحقت بها سرية دبابات واعتبرت بمثابة إحتياطي اللواء . أما اللواء المدرع ٣٧ فقد أصبح يتألف من كتائب الدبابات ٢ ، ٥ فضلا عن بقية وحداته المعاونة . واحتفظ بالكتيبة ٣ كاحتياطي لدى قائد الجبهة وبذلك أصبح لدى القوات الإسرائيلية في « الجولان » عند بدء الهجوم السوري لواءان مدرعان يضمان ٥ كتائب دبابات ، فضلا عن كتيبة الدبابات الاحتياطية وكتيبة دبابات لواء غولاني الميكانيكي ، أي ما مجموعه ٧ كتائب دبابات

وفي مقابل ذلك كان لدى القوات السورية التي ستبدأ الهجوم في اليوم الأول حوالي ٧٠٠ دبابة بالإضافة إلى الفرقتين المدرعتين الاحتياطيتين . وقد وزع قائد اللواء المدرع السابع كتيبة الدبابات الأولى في المنطقة الواقعة بين الموقع الدفاعي الأول المقابل لمسعده ، المسمى « أ – ١ » (كانت جميع المواقع يرمز إليها برقم مسلسل إلى جانب حرف أ) والسفوح الجنوبية لجبل الشيخ . كما وزع كتيبة الدبابات الرابعة بين موقعي « أ – ٢ » و « أ – ٣ » عند « تل البوستر » شمال « القنيطرة » وتمركزت قيادتها في مدينة « القنيطرة » ذاتها ، أما الكتيبة السابعة دبابات فكانت موزعة على طريق «كفرنفاخ – واسط » . وعلى مقربة منها كانت هناك كتيبة المشاة الميكانيكية المعززة بسرية دبابات والمعدة كإحتياطي للواء .

أما قائد اللواء المدرع ٣٧ فقد وزع كتيبة الدبابات الثانية بواقع سرية بين موقعي « أ – ٥ » و « أ – ٦ » اللذين يوجد بينهما « تل عكاشه » . وسرية ثانية على مفترق طريق « الرفيد عند موقع « أ – ٧ » ، حيث يلتقي الطريق الجنوبي القادم من « العال » إلى « البطمية » و « الصنمين » بالطريق القادم من « القنيطرة » إلى « نوى » ، وسرية ثالثة عند موقع « أ – ١١ » المواجه لتل الساقي في أقصى الجنوب . كما وزع كتيبة الدبابات الخامسة بين المواقع « أ – ٦ » و « أ – ٩ » على كلا جانبي خط أنابيب النفط « تابلاين » ، وتمركزت قيادتها على تل « الجوخدار » . أما قيادة اللواء فكانت في « كفرنفاخ » ، وكذلك كانت هناك أيضاً قيادة اللواء المدرع السابع ، حيث عقد قائده إجتماعاً ظهر يوم ١٠/٦ لقادة الكتائب ، لإبلاغهم باحتمال نشوب الحرب في الساعة السادسة مساء اليوم نفسه قطعه بدء القصف المدفعي التمهيدي للهجوم السوري .

الهجوم السوري في الجولان : في تمام الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ١٩٧٣/١٠/٦ بدأت المدفعية السورية رميها التمهيـــدي السابق لهجوم المدرعات والمشاة الميكانيكية الذي استمر نحو ٩٠ دقيقة ، واشترك فيه نحو ١٠٠٠ مدفع ، كما أغارت مجموعات من طائرات « الميغ ٢١ » و « سوخوي ٧ » على المواقع والتجمعات الإسرائيلية ، من إرتفاعات منخفضة . واثر بدء الرمي المدفعي بقليل ، بدأت الموجات الأولى من الدبابات وناقلات الجنود المدرعة السورية تقدمها نحو الخطوط الإسرائيلية تصاحبها « البولدوزرات » والدبابات حاملة الجسور ، التي أخذت تردم الخندق المضاد للدبابات وتقيم عليه المعابر . وبهذا أصبح الرمي المدفعي بمثابة مساندة قريبة بالنيران للوحدات المدرعة والميكانيكية خلال المرحلة الأولى من بدء هجومها .

وفي حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر كانت الدبابات وناقلات الجنود السورية قد اجتازت الخندق المضاد للدبابات في نقطتي الإختراق الرئيسيتين ، الأولى كانت عند « القنيطرة » متجهة نحو الجنوب الغربي ، في منطقة بين موقعي « أ – ٢» و « أ – ٣» ، والثانية عند « الرفيد » متجهة نحو الشمال الغربي على الطريق المؤدي إلى « الخشنية » ، حيث كانت الفرقة « ٩ » تتقدم في منطة « تل عكاشه » بين موقعي « أ – ٥ » و « أ – ٦ » . وكانت الدبابات السورية تتقدم في مجموعات تضم ٧ – ١٠ دبابات و ٢ – ٣ ناقلة جنود مدرعة ، ولكن المدرعات كانت تسير متقاربة من بعضها ، ولذلك تعرضت لخسائر فادحة من الدبابات الاسرائيلية المتخندقة في مواقع رماية معدة مسبقاً في الخط الثاني خلال الساعات الأولى من الهجوم . وحتى لا تقلل المدرعات السورية من سرعة هجومها وتعطي الفرصة للعدو كي يستجمع قواه ويركزها ، عمدت إلى الإلتفاف حول المواقع الدفاعية واندفعت إلى العمق متجنبة السير على الطرق . وفي الوقت الذي بدأت فيه المدرعات والمشاة الميكانيكية هجومها الرئيسي هذا ، كانت هناك ٤ طائرات هليكوبتر من طراز « س ٨ » تحمل قوة من المغاوير السوريين وتنزلهم على قمة جبل الشيخ من الخلف حيث هاجموا حامية المرصد الإسرائيلي البالغ عددها نحو ٥٥ جندياً (كان معظمهم يلعبون طاولة الزهر) ، وقد تم الإستيلاء على المرصد بعد نصف ساعة من القتال العنيف الذي لم ينج منه سوى ١١ جندياً إسرائيلياً استطاعوا الفرار من الموقع . وقد حاول لواء « غولاني » إسترداد المرصد بهجوم معاكس إلا أن وحدات المشاة المغربية المرابطة عند سفوح جبل الشيخ استطاعت أن تصد الهجوم وتقتل ٢٢ جندياً اسرائيلياً وتصيب ٥٠ آخرين بجراح (انظر جبل الشيخ ، معركة) .

القتال في القطاع الجنوبي من الجولان : حقق الهجوم السوري في قطاعي فرقتي المشاة الميكانيكية التاسعة والخامسة بجنوب الجولان نجاحات أوليـــة سريعة ، إذ تمكن اللواءان المدرعان ٤٨ و ٥١ من اختراق خط الدفاع الاسرائيلي جنوب الموقع « أ ٦ » عند تل كودنا ، واجتازا خط « التابلاين » بالقرب من الخشنية وتقدما بمحازاة طريق اليهودية إلى عمق نحو ٢٠ كم داخل الهضبة ، حتى اصبحا على مشارف بحيرة طبريا . كما استطاع اللواء المدرع ٤٧ واللواء الميكانيكي ١٣٢ اختراق خط الدفاع الاسرائيلي في أقصى جنوب الجولان قرب البطمية ، واجتازا طريق « التابلاين » والموقعين الدفاعيين « أ ٩ و « أ ١٠ » » ، وتقدما نحو قرية العال . وقد واصل قسم من اللواء المدرع ٤٧ تقدمه شمالا نحو اليهودية ، على حين اشتبك القسم الآخر من اللواء ومعه وحدات اللواء الميكانيكي ١٣٢ بطلائع وحدات الاحتياط المدرعة

الاسرائيلية التي بدأت تصل إلى المحور الجنوبي للجولان ضمن مجموعة ألوية « دان لانر » مساء يوم ١٠/٦ (إذ كانت هذه المجموعة قد بدأ استدعاؤها منذ صباح يوم ١٠/٦ أثر ورود التقارير التي حصلت عليها الاستخبارات الاسرائيلية فجر ذلك اليوم).

وتقدمت وراء هذه الالوية المدرعة والميكانيكية بقية وحدات الفرقتين السوريتين التاسعة والخامسة، وطهرت معظم المواقع الدفاعية الاسرائيلية التي كانت تدافع عنها وحدات من لواء « غولاني »، كما استولت وحدة من مغاوير جيش التحرير الفلسطيني المحمولين بطائرات الهليكوبتر على « تل فرس » وطهرته من القوة الاسرائيلية التي كانت تدافع عنه.

ونتيجة لذلك الاختراق شبـه الكامل للقطاع الجنوبي من الجولان خلال الساعات الأولى لبدء القتال، (رغم محاولات الطيران الاسرائيلي اليائسة لايقاف تقدم المدرعات السورية التي ترتب عليها وقوع خسائر فادحة به نتيجة قوة الدفاع الجوي السوري المستند أساساً إلى صواريخ سام ٦ ومدافع « زد س يو ٢٣ - ٤ » الموجهة بالرادار) تحطم اللواء المدرع الاسرائيلي ٣٧ الذي كان يدافع عن هذا القطاع، ولم يبق لديه في صباح يوم ١٠/٧ سوى ١٢ دبابة انسحبت مع قائد اللواء « بن شوهام » إلى منطقة كفر نفاخ على المحور الاوسط. وسارعت القيادة الاسرائيلية باستكمال تعبئة وحدات الاحتياط وإرسالها بسرعة إلى هضبة الجولان مساء يوم ١٠/٦ وطوال ليلة ٦ - ٧، وكان اللواء المدرع ١٧ (أحد ألوية مجموعة دان لانر) هو أول هذه الوحدات التي وصلت إلى القطاع الجنوبي من الجولان، وقد دفع قسم من هذا اللواء إلى « العال » لصد القوات السورية المتقدمة نحوها، وعزز بكتيبة مدرعـة أخرى تابعة للواء المدرع ١٩ خلال الليل، وامكن لهذه القوة بعد أن وصلتها تعزيزات اخرى ودعمتها هجمات الطيران الاسرائيلي أن تصد الزحف السوري في هذا القطاع خلال نهار يوم ١٠/٧، بعد قتال عنيف دار في الحقول الواقعة بين « العال » ومستوطنة « رمات مكشيميم ». وفي الوقت نفسه كان قسم آخر من اللواء المدرع ١٧ يخوض قتالا عنيفاً ضد جزء من اللواء المدرع السوري ٤٧ تقـدم نحو اليهودية، وتمكن من إيقاف تقدمه. كما وصل اللواء المدرع الاحتياطي ١٤ تعززه بعض وحدات من اللواء المدرع ١٧ على الطريق الموازي لليهودية واشتبك في قتال صد عنيف مع اللوائين المدرعين السوريين ٤٨، ٥١ على مسافة ١٠ كم تقريباً من نهر الاردن.

وعند ظهر يوم ١٠/٧ تقدمت قوة مدرعة سورية اخرى (تابعة للفرقة المدرعة الاولى) من منطقة الخشنية وسنديانه نحو معسكر كفر نفاخ، حيث كانت توجد قيادة قوات الجولان ومقر قيادة « رفول ايتان »، واستطاعت أن تستولي عليه بعد معركة قصيرة انتهت حوالي الساعة ١,١٥ من بعد ظهر اليوم نفسه بفرار « رفول » من المعسكر والقضاء على بقية اللواء المدرع ٣٧ ومقتل قائده ونائبه وضابط العمليات الخاص به. إلا أن اللواء المدرع الاحتياطي ٧٩ استطاع أن يسترد المعسكر في مساء اليوم نفسه بعد قيامه بهجوم معاكس فقد فيه عدداً من دباباته. وفي الوقت الذي كانت مجموعة ألويـة « دان لانر » تقوم فيه بصد الاندفاع السوري على المحور الجنوبي عند « العال » وتجاه « اليهودية » ويبذل فيه اللواء ٧٩ جهوده لمنع التفاف المدرعات السورية حول مؤخرة قوات مجموعة « رفول » التي تقاتل على المحورين الاوسط والشمالي عبر كفر نفاخ، كانت مجموعة ألوية « موشي بيلد » تقترب من المحور الجنوبي بسرعة لتساهم في صد الهجوم السوري. وقد عقد اجتماع في الساعة الثامنة من مساء يوم ١٠/٧ في مقر القيادة العسكرية الاسرائيلية الشمالية، حضره « حاييم بارليف » كمندوب عن القيادة العامة بتكليف من « غولدا مـائير » رئيسة الوزراء، و « اسحق حوفي » قائد الجبهة الشمالية، و « بيلد »، وعدد من كبار ضباط هذه القيادة، جرى فيه بحث الموقف العسكري الخطير في الجولان، وتقرر على ضوء ذلك شن هجوم مضاد في القطاع الجنوبي صباح اليوم التالي ١٠/٨ بهدف دفع الفرقة الخامسة السورية نحو مفترق « الرفيد - البطمية »، وتهديد الجناح الجنوبي للفرقة التاسعة والفرقـة المدرعة الاولى السوريتان اللتان تتخذان من الخشنية مركزاً قيادياً وادارياً لادارة وتوجيه الهجوم السوري الرئيسي الذي كان متشعباً إلى ٣ شعب: الاولى عند كفرنفاخ والثانية إلى الغرب قليلا من الاولى لقطع طريق « كفر نفاخ - جسر بنات يعقوب »، والثالثة متجهة غرباً على محور « اليهودية » نحو الطرف الشمالي لبحيرة طبريا. وعلى أن يتبع ذلك محاولة تطويق هاتين الفرقتين حول الخشنية من الشمال والجنوب.

وعلى اساس هذه الخطة، أعيد تنظيم وتوزيع قوات مجموعات الالوية الثلاثة العاملة في الجولان، بحيث اصبحت مجموعة « دان لانر » تتألف من اللوائين المدرعين ١٧ و ١٩، ومهمتها الضغط من الشرق قرب « اليهودية » ومن الشمال عند « كفر نفاخ » و « سنديانه ». واصبحت مجموعة « موشى بيلد » تضم الالوية المدرعة ١٤ و ١٩ و ٢٠ و ٦٠، ومهمتها التقدم نحو « البطمية » على محور « العال - الرفيد » بواسطة اللوائين ١٩ و ٦٠، على أن يقوم اللواء المدرع الاحتياطي ١٤ بالزحف شمال هذا المحور نحو مزرعة « القنيطرة » ومستوطنة « غيشور » ثم « الخشنية ». على حين ضمت مجموعة « رفول ايتان » في القطاع الشمالي من الجولان، اللواء المدرع السابع وكتيبة مدرعة من الاحتياط كانت تابعة للواء ٣٧ (الذي دمرت كتيبتـاه العاملتان) ولواء المظليين الميكانيكي ٣١ ولواء مشاة « غولاني » الميكانيكي، وقد عهد اليها الاستمرار في صد هجوم فرقة المشاة السابعة السورية عند « القنيطرة » وإلى الشمال منها وتأمين الجناح الايسر لمجموعة « دان لانر ».

وقد بدأ هجوم مجموعة « بيلد » في الساعة ٨,٣٠ من صباح يوم ١٠/٨ بهجمات جوية كثيفة استخدم فيها النابالم وبرمي مدفعي تمهيدي. ثم تقدم اللواء المدرع ١٩ بمنطقة « العال » حيث واجه مقاومة سورية شديدة ألحقت الكثير من الخسائر في دباباته، ولذلك دفع « بيلد » بكتيبة من اللواء المدرع ٢٠ إلى يمين اللواء ١٩ للالتفاف حول المواقع السورية في اتجاه « تل السقي » ولكنها وقعت في كمين يضم صواريخ مضادة للدبابات ومدافع عديمة الارتداد ١٠٦ مم الحق بها خسائر فادحة. واضطر « بيلد » إلى دفع لوائيه ١٩ و ١٤ فضلا عن بقية اللواء ٢٠ لاقتحام الدفاع السوري م/د، الذي أقامه اللواء الميكانيكي ١٣٢ بعد انسحابه من منطقة « العال » في المنطقة الواقعة بين « تل السقي » و « الجوخدار » على كلا جانبي طريق « العال - الرفيد »، وكان يضم ٣ سرايا عربات مدرعة مسلحة بصواريخ م/د « ساغر »، وسريتي مدافع ١٠٦، فضلا عن دعم مدفعي وبعض الدبابات. وقد استمرت المعركة حتى حلول مساء يوم ١٠/٨، حيث تمكنت القوات الاسرائيلية من احتلال القسم الاكبر من الدفاعات السورية بعد ان تكبدت خسائر فادحة، ووصلت اثر ذلك إلى مستوطنة « غيشور » و « الجوخدار »

وفي الوقت نفسه كانت مجموعة « لانر » تخوض غمـار قتال عنيف طوال اليوم. وتكبـد اللواء المدرع ١٧ خسائر فادحة على طريق « اليهودية »، كما دمرت له ١٣ دبابة دفعة واحدة نتيجة لوقوعها في كمين م/د. وفي نهاية اليوم اصبح اللواء يضم كتيبة مدرعة واحدة فقط ووحدة استطلاع. وطوال نهار اليوم نفسه كان اللواء المدرع ٧٩ يناور على محور «التابلاين» بين «كفرنفاخ» و«سنديانة»،

وفي المساء هاجم اللواء « سنديانة » واستولى عليها بعد أن تكبد خسائر شديدة في الدبابات والافراد. وقد حاول اللواء المدرع السوري ٩١ (احد ألوية الفرقة المدرعة الاولى) استرداد « سنديانة » في صباح يوم ١٠/٩ بهجوم مضاد مهدت له المدفعية الصاروخية برمي كثيف، إلا أن الهجوم لم ينجح في تحقيق هدفه. وشن اللواء المدرع الاسرائيلي ٧٩ هجوماً آخر في مساء اليوم نفسه على تل « رمساتيه » والقرية القريبة منه واستولى عليه قبل الغروب بعد قتال مرير. وفي الوقت نفسه كان اللواء المدرع ١٧ يقترب من محور « التابلاين » من جهة الغرب، وبذلك اصبحت مجموعة « لانر » توشك أن تغلق الطرف الشمالي للكماشة المطبقة على « الخشنية » من جهة الشمال الغربي.

أما في الجنوب فقد جددت مجموعة ألوية « بيلد » هجومها صباح يوم ١٠/٩ (وفي هذا اليوم خف الدفاع الجوي السوري في الجبهة بعض الشيء نظراً لسحب بعض بطاريات صواريخ سام ٦ منها لمواجهة القصف الجوي الاسرائيلي لدمشق وبعض مناطق العمق السوري) فهاجم اللواء المدرع ٢٠ على محور « العال – الرفيد » وإلى يساره اللواء المدرع ١٤ ثم اللواء المدرع ١٩، الذي نجح في الوصول حوالي الساعة ١١ صباحاً إلى الهضبة المشرفة على الخشنية من الجنوب الشرقي. ولقد ازلت القوات السورية المدافعة عن منطقة الخشنية خسائر كبيرة بقوات الجناح الايسر للواء ١٤، وحاول اللواء ١٩ تعاونه كتيبة مدرعة من اللواء ١٧ (التابع لمجموعة لانر)، احتلال الهضبة المذكورة، إلا أن المحاولة فشلت بعد أن أصيب عدد كبير من الدبابات الاسرائيلية في الدقائق العشر الاولى للهجوم.

أما في قطاع اللواء ٢٠، حيث كان اللواء الميكانيكي ١٣٢ السوري قد انسحب لإعادة التنظيم، وحل محله اللواء المدرع ٤٦، فقد امكن للاسرائيليين أن يصلوا إلى مشارف « تل فرس » عند ظهر اليوم نفسه في وجه مقاومة سورية شديدة ترتب عليها وقوع خسائر كبيرة بين صفوف الاسرائيليين. وقد شنت وحدات سورية هجوماً معاكساً أثر ذلك من « الخشنية » على مجموعة « بيلد » تجاه الشرق، ونتج عن ذلك ان اصبح اللواء المدرع ٢٠ متعرضاً للضغط السوري من الشرق والغرب في آن واحد. ولذلك دفع « بيلد » باللواء ١٤ للهجوم في وسط جبهته، ونجح هذا اللواء في قطع طريق « الخشنية – الرفيد » وبذلك ازال الضغط السوري على اللواء ٢٠ من جهة « الخشنية » (أي على جناحه الايسر).

تسلسل العمليات على الجبهة السورية من ٦ إلى ١٤ تشرين الأول ١٩٧٣

وأثر ذلك هاجم اللواء المذكور « تل فرس » واستولى عليه بعد تكبده خسائر شديدة، خاصة في وحدة الاستطلاع التابعة له.

وفي الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم نفسه، جدد اللواء ١٩ هجومه على الهضبة المشرفة على « الخشنية » من جهة الجنوب الشرقي مستخدماً كتيبتي دبابات وبمساندة قوية من المدفعية والطيران، الذي ساهم بدور فعال في التمهيد للهجوم بعد أن ضعف الدفاع الجوي الصاروخي السوري في المنطقة، فاستطاع احتلال الهضبة المذكورة بعد قتال عنيف ضد وحدات اللواء الميكانيكي ٤٠ السوري، ثم أوقف التقدم الاسرائيلي قرب « الخشنية » نفسها بعد أن تكبد اللواء ١٩ خسائر فادحة ولم يتبق لديه سوى عديد قليل من الدبابات الصالحة للقتال. واثر ذلك حاصرت القوات السورية اللواء ١٩ ولكنه استطاع أن يفلت من الحصار خلال ليلة ٩ – ١٠.

وخلال الليلة نفسها قام اللواء الميكانيكي ١٥ السوري بهجوم معاكس من الشرق لتعزيز موقف الفرقة المدرعة الاولى في « الخشنية »، ولكن اللواء المدرع ٢٠ الاسرائيلي استطاع أن يصد الهجوم عند « تل فرس ». وفي صباح يوم ١٠/١٠ واصلت مجموعة « بيلد » هجومها في القطاع الجنوبي، فتقدم

اللواء المدرع ٦٠ (الذي كان يحمي الجناح الايمن طيلة يومي ٨ و ٩ ولم يشترك في القتال) نحو خط وقف اطلاق النار عام ١٩٦٧ عند « الرفيد » واحتل تل « حانوط » ، كما احتل اللواء ٢٠ بعض المواقع السورية الواقعة إلى الغرب من « الرفيد » ، وتقدم اللواء ١٤ في اتجاه الموقع الدفاعي السابق « أ — ٦ » ، وتقدم اللواء ١٩ عبر صفوف اللواء ١٤ نحو تل « كودنا » واجتاز خلال تقدمه هذا خط وقف اطلاق النار بقوة نصف كتيبة دبابات ، إلا أنه اضطر للتوقف نظراً لشدة النيران السورية الصادرة عن التل المذكور التي كادت أن تقضي على دباباته تماماً .

وعموماً فقد تعرضت جميع الالوية المدرعة الاسرائيلية المشار اليها لمقاومة سورية شديدة نتج عنها إلحاق خسائر كبيرة بها اضطر معها « حوفي » أن يصدر أمراً إلى « بيلد » بايقاف هجومه خشية أن تستمر مجموعة الألوية في فقدان دباباتها بنفس المعدل . وفي الوقت نفسه واصلت مجموعة ألوية « لانر » هجومها يوم ١٠/١٠ فتقدم اللواء ٧٩ من جنوبي « القنيطرة » نحو « الخشنية » معتقداً أن القوات السورية قد انسحبت منها ، ولكنه فوجيء بنيران قاتلة من الصواريخ والمدافع م/د دمرت له ٥ دبابات على الفور كانت تشكل قوة المقدمة . ثم استطاع احتلال التلال القريبة من « الخشنية » بعد أن بدأت القوات السورية الموجودة بها في الانسحاب خشية تطويقها من الجنوب والشمال . وفي الوقت نفسه كان اللواء ١٧ يهاجم « الرمسانيه » . وعند الظهر اتمت القوات السورية انسحابها فاحتلت المدرعات الاسرائيلية « الخشنية » ، واكتملت بذلك تصفية الاختراق السوري للقطاع الجنوبي من الجولان .

القتال في القطاع الشمالي من الجولان : قامت فرقة المشاة الميكانيكية السابعة السورية ، يدعمها اللواء المدرع ٧٨ بالهجوم في المنطقة الواقعة بين موقعي « أ — ٢ » و « أ — ٣ » الدفاعيين إلى الشمال من مدينة « القنيطرة » ، تحت حماية المدفعية التي شكلت سداً نارياً زاحفاً امام المدرعات السورية . وقد ألحقت دبابات الكتيبة المدرعة الرابعة الاسرائيلية (التابعة للواء المدرع السابع) خسائر عديدة بالمدرعات السورية خلال ساعات بعد ظهر يوم ٦/١٠ ، إلا أن المدرعات السورية استمرت في هجومها باندفاع وقوة ، وكانت الدبابات التي تتعطل منها تستمر في الرمي كمدفعية ثابتة . واستمر الهجوم خلال الليل ، نظراً لأن الدبابات السورية كانت مجهزة بمعدات الرؤية الليلية ، وانتشر جنود المشاة السوريون المسلحون بقواذف « الآر بي جي ٧ » في المنطقة لاصطياد الدبابات الاسرائيلية التي اخذت تناور بالحركة وتبدل مواقع اطلاق النار . واشتركت المدفعية الاسرائيلية بعيدة المدى من عيار ١٧٥ مم في مساندة المواقع الدفاعية التي حاصرتها القوات السورية . وفي الفترة الواقعة بين الساعة العاشرة من ليلة ٦ — ٧ حتى الساعة الثالثة من فجر يوم ١٠/٧ دارت معركة دبابات عنيفة بين اللواء المدرع السابع الاسرائيلي والمدرعات السورية في السهل الممتد بين مستوطنتي « حرمونيت » و « بوستر » اسفرت عن إصابة نحو ٤٠ دبابة سورية وعدد كبير من الدبابات الاسرائيلية ، كما أصيبت نحو ٣٠ دبابة سورية اخرى في المنطقة الواقعة بين « القنيطرة » والموقع « أ — ٤ » ، وصُدت عن التقدم قوة مدرعة سورية اخرى كانت تزحف خلال الليل على طريق « الرفيد — القنيطرة » من الجنوب . وأدى ارتفاع خسائر المدرعات السورية ، ومناعة المواقع الدفاعية الاسرائيلية (خاصة فوق التلال المحيطة بالقنيطرة مثل تل أبو الندى) ، والتجهيز الجيد المسبق لمواقع اطلاق نار دبابات اللواء المدرع السابع ، إلى فقدان الهجوم السوري في الشمال زخمه الرئيسي ، وعدم سقوط « القنيطرة » رغم تطويقها من الشمال والجنوب .

وبالاضافة إلى ذلك فان هجوم لواء المشاة المستقل ، الذي كان سيحمي الجناح الأيمن لفرقة المشاة السابعة ، في أقصى شمال الجبهة فشل ، الامر الذي ترتب عليه تعريض جناح الفرقة الايمن لهجمات معاكسة من هناك اضطرتها لإيقاف هجومها بعد سلسلة من المعارك استمرت طوال يومي ٧ و ٨ تشرين الاول (اكتوبر) ، تداخلت فيها دبابات الطرفين في كثير من الحالات إلى حد تعذر معه ادارة المعركة بصورة منظمة .

وفي صباح يوم ١٠/٨ لم يبق في اللواء المدرع السابع الاسرائيلي سوى ٣٠ دبابة صالحة للقتال . ثم وصلت تعزيزات اسرائيلية جديدة إلى اللواء المذكور ، فضلا عن إستمرار الدعم الجوي ، ساعدت على إيقاف الهجوم السوري ، خاصة وأن الخسائر في الدبابات كانت كبيرة (حوالي ٢٦٠ — ٣٠٠ دبابة) . ويقول الاسرائيليون أن القوات السورية تركت وراءها في الجولان ٨٦٧ دبابة ما بين مدمرة ومصابة وسليمة . ولا يذكرون خسائرهم المقابلة خلال هذه المرحلة من الحرب ، التي يبدو انها كانت فادحة هي الاخرى ، ولكن نظراً لسيطرة القوات الاسرائيلية على ارض المعركة ، واضطرار القوات السورية المهاجمة إلى الانسحاب قبل أن يتوفر لها الوقت الكافي لسحب أو إصلاح الدبابات المصابة إصابات قابلة للاصلاح ، فقد كان من الضروري أن تصبح الحصيلة النهائية للخسائر السورية في الدبابات والآليات المدرعة عموماً اكبر بكثير من الحصيلة النهائية للخسائر الاسرائيلية المماثلة ، واصبح من الصعب للغاية التوصل إلى معرفة النسبة الفعلية لمعدل الاصابات بالنسبة إلى الطرفين ، نظراً لأن اطقم التسليح والصيانة الاسرائيلية تمكنت بطبيعة الحال أن تصلح العديد من الدبابات الاسرائيلية المصابة ، بل والسورية أيضاً فيما بعد .

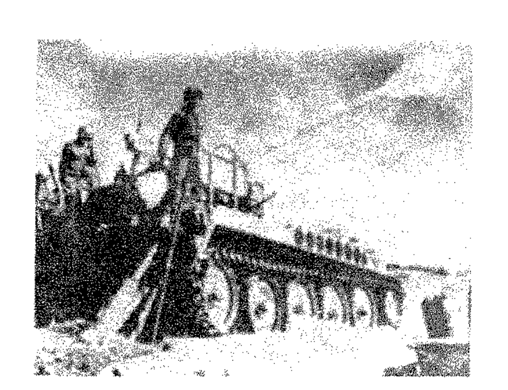
إلا أنه يبدو رغم ذلك أن معدل الاصابات والخسائر السورية كان اعلى من معدل الاصابات الاسرائيلية نظراً لكثرة الاصابات التي لحقت الدبابات السورية المهاجمة نتيجة لدقة الرمي المضاد الاسرائيلي من المواقع المجهزة سلفاً ، والتدريب المسبق على ارض المعركة ، وتحديد مسافات الرمي الخ ، ونظراً لفاعلية الدور الذي لعبه الطيران الاسرائيلي ، رغم الخسائر الفادحة التي لحقت به (والتي بلغت في اليوم الاول وحده ٣٠ طائرة « سكاي هوك » و ١٠ « فانتوم ») ، خاصة بعد أن ضعف الدفاع الصاروخي الجوي السوري نسبياً ، وتعمقت المدرعات السورية داخل الهضبة ، واضطرت القيادة السورية إلى سحب بعض بطاريات الصواريخ إلى العاصمة دمشق لحمايتها من القصف الجوي الاسرائيلي .

القتال في جيب « سعسع » : في مساء ١٠/١٠ عقب قيام القوات الاسرائيلية بصد الهجوم السوري في الجولان واستعادة سيطرتها الكاملة على المناطق الواقعة غربي خط وقف اطلاق النار عام ١٩٦٧ (باستثناء جبل الشيخ الذي كانت قمته لا تزال في أيدي القوات السورية) قررت القيادة الاسرائيلية مواصلة هجومها المضاد داخل الاراضي السورية بغية الوصول إلى دمشق أو تهديدها بصورة تدفع سوريا إلى إنهاء القتال والخروج من تحالفها العسكري مع مصر في هذه الحرب ، ومن ثم تتوفر الظروف الملائمة للتركيز على الجبهة المصرية . كما أن بدء تحرك القوات العراقية إلى سوريا ، واحتمال وصولها إلى ساحة المعركة خلال فترة وجيزة ، وبدء تدفق الاسلحة السوفييتية جواً وبحراً عليها لتعويض خسائرها في الدبابات وامدادها بصواريخ م/ط جديدة ، فرض

على القيادة الاسرائيلية ضرورة مواصلة هجومها دون توقف للحيلولة دون استعادة الجبهة الشمالية لتوازنها ، الامر الذي سيترتب عليه إعطاء الفرصة المناسبة لتطوير الجيش المصري هجومه شرقاً نحو الممرات . ولذلك تجدد الهجوم المضاد الاسرائيلي في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ١٠/١١ ، وتركز هذه المرة في القطاع الشمالي من الجبهة الذي يعد اقصر محاور التقدم نحو « دمشق » ، كما أنه يعتبر اقل تحصيناً نسبياً نظراً لعدم ملاءمة ارضه الصخرية لحركة المدرعات ، ومن ثم اعتبرت القيادة الاسرائيلية القيام بهجوم مدرع في هذا القطاع سيكون غير متوقع لدى القيادة السورية ، هذا فضلا عن أن جبل الشيخ يشكل الجناح الايسر للقوات الاسرائيلية المهاجمة ومن ثم يتعذر تهديدها بالمدرعات من هناك .

وبدأت مجموعة « رفول » الهجوم بقصف مدفعي شديد سانده قصف جوي مركز ، ثم تقدمت دبابات اللواء المدرع السابع (بعد أن أعيد تجهيزه بدبابات ووحدات جديدة) ، الذي اصبح يضم ٤ كتائب مدرعة ، يساندها لواء المظليين الميكانيكي ٣١ نحو « حضر » ومزرعة « بيت جن » و « جبعاتـا » و « حلاس » و « تل شمس » . وبعد ساعتين بدأت مجموعة « لانر » هجوماً آخر إلى الجنوب قليلا من مجموعة « رفول » ، وذلك عـلى الطريق الرئيسي « القنيطرة – خان ارينبة – سعسع » ، بواسطة اللوائين المدرعين ١٧ و ١٩ .

وقد استطاعت وحدات اللواء المدرع السابع أن تحتل « حضر » بعد قتال عنيف اضطر معه لواء المشاة ٦٨ السوري إلى اخلاء القرية ، وقد حاولت هذه الوحدات بعد ذلك احتلال مزرعة « بيت جن » ولكن ٤٠ دبابة سورية شنت عليها هجوماً معاكساً بمساندة الطيران استطاعت أن تصد تقدمها طوال اليوم ، كما تمكنت وحدات اخرى من اللواء السابع أن تسيطر على تل صغير يشرف على « خان أرينبة » بعد مقاومة سورية عنيفة ، ونتيجة لذلك تكونت ثغرة بين الجناح الأيمن لمجموعة « رفول » والجناح الايسر لمجموعة « لانر » ، التي تعرضت هي الاخرى لمقاومة سورية عنيفة للغاية على طريق « القنيطرة – سعسع » أدت إلى إصابة ١٧ دبابة من وحـدة استطلاع اللواء المدرع ١٧ ، كما لحقت خسائر شديدة باللواء المدرع ٧٩ ايضاً ، الامر الذي اضطر « لانر » إلى وقف هجومه على هذا المحور تجنباً لمزيد من الخسائر غير المجدية ، ودفع اللواء المدرع ١٩ جنوب الطريق حيث احتل « تل الشعار » . وقـد تعرضت وحدات اللواء المدرع ١٧ خلال الليل



مدفع إسرائيلي ذاتي الحركة في الجولان

لهجمات وحدات مشاة سوريـة مسلحة بقواذف « آر بي جي » ، كانت قد تجاوزتها خلال النهار قرب خان ارينبه (لم يكن لدى اللواء سوى ٥ دبابات فقط صالحة للقتال في نهاية اليوم والباقي إما محطم أو معطل) ، ولذلك دفع « لانر » بكتيبة مترجلة من المظليين في المنطقة خلال الليل لتطهيرها من قانصي الدبابات السوريين ، كما دفع اللواء المدرع ٧٩ بوحدتين لانقاذ بقايا اللواء ١٧ المحاصرة ، وتكبد بعض الخسائر نتيجة لذلك خلال ليلة ١١ – ١٢ ، وقتل قائد إحدى الوحدتين وجرح قائد الاخرى .

وفي يوم ١٠/١٢ واصلت وحدات من اللواء المدرع السابع هجومها واستطاعت بعد قتال عنيف استمر حتى الخامسة من مساء اليوم نفسه ، تخللته عدة هجمات معاكسة سورية ، أن تستولي على مزرعة « بيت جن » التي تعرضت أثر ذلك مباشرة لقصف جوي ومدفعي سوري مركز . وخلال اليوم نفسه حاولت كتيبتا دبابات من اللواء نفسه احتلال « تل شمس » ، إلا أن نيران الاسلحة م/د والصواريخ « ساغر » حالت بينها وبين تحقيق هدفها وكبدتها خسائر فـادحة . ولذلك دفع « رفول » بقوة من المظليين قامت بزحف ليلي صامت ثم هاجمت التل واشتبكت في قتال متلاحم عنيف مع المدافعين اسفر عن احتلال التل في الساعة الخامسة من صباح يوم ١٠/١٣ ، واثر ذلك ركزت المدفعية والطيران السوريين نيرانهما على التل لمدة ٣ ساعات ، ثم شن المشاة السوريون تساندهم بعض الدبابـات ٣ هجمات معاكسة قوية خلال الايام الثلاثة التالية لاسترداد التل كبدوا فيها القوات الاسرائيلية خسائر فادحة ومنعوها من مواصلة التقدم في هذه المنطقة تماماً ، ولكن التل بقي في ايـدي الاسرائيليين حتى نهاية الحرب . وفي اليوم نفسه حاولت مجموعـة « لانر » التقدم نحو « كناكر » إلى الجنوب من الطريق في محاولة للالتفاف حول « سعسع » ، إلا أنها فشلت في محاولتها هذه ، وتكبد لواءاها ١٧ و ١٩ خسائر فادحة ، واسفرت هذه المحاولة عن احتلال « كفرناسج » و « التل ١٢٧ » الواقع على مبعدة ٤ كم جنوبي « كناكر » .

الهجمات المعاكسة العراقية والاردنية : إثر نشوب الحرب العربية – الاسرائيلية الرابعة في ١٠/٦ قررت الحكومة العراقية المشاركة فيها ، رغم عدم علمها المسبق بقرار مصر وسوريا بدء القتال في اليوم المذكور ، ولذلك طار رئيس الاركان العراقي الفريق اول عبد الجبار شنشل ومعه عدد من كبار الضباط إلى « دمشق » صباح يوم ١٠/٧ لبحث تفاصيل الدعم العسكري العراقي مع القادة السوريين. واتفق على ارسال الفرقتين المدرعتين الثالثة والسادسة العراقيتين إلى الجبهة السورية في اسرع وقت ممكن ، فضلا عن سرب من طائرات « ميغ ٢١ » ، وسربي « سوخوي – ٧ » ، وسرب « ميغ – ١٧ » .

وقد وصل اللواء المدرع ١٢ التابع للفرقة المدرعة الثالثة إلى دمشق ليلة ١٠ – ١١ بعد رحلة قطع فيها ١٢٠٠ كم، وتمركز مساء يوم ١٠/١١ في «الصنمين» على مبعدة نحو ٥٠ كم جنوب « دمشق »،على الطريق المؤدي إلى « الشيخ مسكين » و « درعا » ،ليكون في موقع يمكّنه من سد الثغرة التي وجدت بين الفرقة التاسعة السورية التي تصد الهجوم الاسرائيلي عند محور « القنيطرة – سعسع » والفرقـة الخامسة التي انتشرت على الطريقين المتفرعين من « الرفيد » إلى كل من « نوى » و « الصنمين » في القطاع الجنوبي من الجبهة ، وهي ثغرة كانت القيادة السورية تخشى قيام المدرعات الاسرائيلية بحركة التفاف تتم عبرها حول الجناح الجنوبي لخط الدفاع السوري الذي تعذر عليها اختراقه في الشمال والوسط .

وقد بدأ اللواء المدرع ١٢ يستعد لشن هجوم معاكس على الجناح الجنوبي لمجموعة « لانر » ، دون أن تتوفر له فرصة كافية لاجراء استطلاع دقيق لمسرح عملياته المتوقعة أو لتنظيم دخوله المعركة بصورة سليمة نظراً لضيق الوقت المتاح له ، ولذلك قام اللواء بهجومه هذا في صباح يوم ١٠/١٢ في المنطقة الواقعة بين « مسحرة » و « كفرناسج » حيث تعرض لنيران كمين مدرع اسرائيلي أقامته مجموعة « لانر » . ونشبت على الاثر معركة عنيفة استمرت حتى الفجر فقد خلالها اللواء المدرع العراقي نحو ٤٠ دبابة .

وفي اليوم نفسه عبر اللواء المدرع ٤٠ الاردني الحدود السورية واحتشد في منطقة «الشيخ مسكين»، ثم تقدم يوم ١٠/١٦ في اتجاه « تل مسحرة » وعندما وصل إلى مقابل تل « المال » توجه غرباً

وهناك اصطدم باللواء المدرع ١٧ الاسرائيلي وفقد نحو ٢٠ دبابة . وشن اللواء المدرع ٦ العراقي الذي وصل إلى الجبهة ، هجوماً خلال اليوم نفسه من «كفرشمس» في اتجاه تل «عنتر» و«العليقة» صده اللواءان المدرعان الاسرائيليان ١٩ و ٢٠ .

وفي يوم ١٠/١٧ حلت مجموعة «بيلد» محل مجموعة «لانر» في القطاع الجنوبي من الجيب ، نظراً لشدة الخسائر والارهاق الذي لحق المجموعة المذكورة ، ولكن اللوائين ١٩ و ٢٠ ظلا في القطاع نفسه تحت قيادة «بيلد» . وقامت كتيبة مظليين اسرائيلية تابعة للواء ٣١ بهجوم خلال ليلة ١٧ — ١٨ استولت فيه على قرية «أم باطنه» الواقعة على مبعدة ٦ كم شرقي «القنيطرة» ، وذلك بهدف توسيع قاعدة الجيب الاسرائيلي تجاه الجنوب .

وفي يوم ١٠/١٩ شن اللواء المدرع السادس وجزء من اللواء الثامن الميكانيكي (التابعان للفرقة المدرعة العراقية الثالثة) هجوماً معاكساً على القوات الاسرائيلية في تل «عنتر» وتل «العلاقية» اشتركت فيه نحو ١٣٠ دبابة و ١٠٠ ناقلة جنود مدرعة مهدت له المدفعية برمي مركز ، وتصدى اللواءان المدرعان ١٩ و ٢٠ لهذا الهجوم ، الذي اتخذ شكل ٣ هجمات متتابعة ، واستمر القتال لمدة ٧ ساعات تقلصت خلالها قوة اللواء المدرع ٢٠ الاسرائيلي ، التي كانت تضم كتيبة ونصف من الدبابات ، إلى نصف كتيبة فقط . وفي الوقت نفسه قام اللواء المدرع ٤٠ الاردني بهجوم معاكس من منطقة تل «الحارة» نحو جناح قوات «بيلد» في تل «مسحرة» وتل «المال» ، واستمر القتال بين الطرفين حتى الساعة الثالثة من بعد الظهر ، ثم انسحب اللواء الاردني بعد أن أصيبت ٢٠ دبابة من دباباته ، وكذلك أمكن للقوات الاسرائيلية أن تصد الهجوم العراقي (الذي تكرر في هذا اليوم ثلاث مرات) بعد أن تكبدت خسائر فادحة .

وطوال هذه الفترة كانت تجري في القطاعين الاوسط والشمالي هجمات اسرائيلية واخرى سورية صغيرة ، معظمها ليلية ، تستهدف تحسين المواقع التكتيكية للطرفين .

وهكذا فشل الاختراق الاسرائيلي للجبهة السورية التي نجحت قواتها في التصدي بعنف للهجوم المضاد الاسرائيلي، واستطاعت أن تسحب قواتها ببطء وتماسك نحو خط الدفاع الثاني المعد مسبقــاً على محور «سعسع» حيث اوقف الهجوم تماماً ، خاصة وأن وصول القوات العراقية والاردنية إلى الجبهة وحمايتهما جناحها الجنوبي وقيامهما بهجمات معاكسة استنزفت جهود القوات المدرعة الاسرائيلية ، قد ساعد على ثبات الجبهة، وحال دون نجاح مناورات الالتفاف التي درجت عليها المدرعات الاسرائيلية من قبل . وقد تجمد الموقف بعد ذلك على هذا النحو واخذت القوات السورية التي أعادت تنظيمها والقوات العراقية التي تكاملت في هذا القطاع من الجبهة (الفرقة المدرعة ٣ والفرقة المدرعة ٦ ولواء قوات خاصة ولواء المشاة ٢٠) واللواءان الأردنيان (٤٠ و ٩٢) تستعد لشن هجوم معاكس لتصفية جيب «سعسع». ولكن هذا الهجوم لم يتم بسبب صدور قرار وقف اطلاق النار وتنفيذه يوم ١٠/٢٣ .

وفي يوم ١٠/٢١ قام لواء غولاني وكتيبة مظليين محمولة بطائرات الهليكوبتر بهجوم على جبل الشيخ ونجح في استرداد المرصد الموجود في قمته من القوات السورية (انظر جبل الشيخ ، معركة) .

وتقدر الخسائر السورية في هذه الحرب بنحو ٣٥٠٠ قتيل و ٣٧٠ اسيراً ونحو ١١٥٠ دبابة ، أما القوات العراقية فكانت خسائرها ١١١ دبابة وناقلة جنود مدرعة و ٢٤٩ آلية نقل و ٨٣٥ قتيلا و ٧٣ مفقوداً و ٢٧١ جريحاً ، وفقدت القوات الاردنية نحو ٥٠ دبابة . وليست هناك ارقام دقيقة عن خسائر الطيران (بالنسبة الى الطرفين) وتزعم المصادر الاسرائيلية انها خسرت نحو ٢٥٠ دبابة و ٧٧٢ قتيلا و ٢٤٥٢ جريحاً و ٦٥ اسيراً .

العمليات الجوية في حرب ١٩٧٣

عند بدء الهجوم على الجبهتين المصرية والسورية انطلقت نحو ٢٠٠ طائرة فوق سيناء ، من بينها ٢٤ طائرة هنتر عراقية ، لتساند الهجوم البري بقصف جوي في العمق العملياتي استهدف مطارات «المليز» و «بير تمادا» و «رأس نصراني» (والاخير يقع في منطقة شرم الشيخ على خليج العقبة) ، و ١٠ مواقع صواريخ ارض — جو طراز «هوك» ، وموقعي مدفعية بعيدة المدى من طراز «م — ١٠٧» عيار ١٧٥ مم ، وثلاثة مواقع رادار ومراكز توجيه وانذار ، ومحطتا تشويش الكتروني في «أم خشيب» و «أم مرجم» (والاولى تقع على جبل قريب من ممر الجدي والثانية تقع على جبل شمال غربي مطار «المليز» قرب «بير جفجافه») ، و ٣ مناطق شؤون ادارية ،واحدى نقاط خط بارليف القوية شرق بور فؤاد (قرب بور سعيد) . كما قدمت الطائرات دعماً قريباً للقوات المهاجمة لخط بارليف اثنــاء عمليات العبور الاولى التي رافقها قصف مدفعي مركز . وقد شاركت في هذه العمليات طائرات من طراز «ميــغ ٢١ م ف» و «سوخوي — ٧» و «ميغ ١٧» وكانت تحلق في الوقت نفسه مظلة جوية فوق الاراضي المصرية تضم ٢٤ طائرة «ميغ ٢١» اخرى .

وفي الوقت نفسه كانت ١٠٠ طائرة سورية من الانواع المذكورة تهاجم معسكري «شرياشوف» و «مشمار هــايردين» في سهل الحولة والمعسكرات الاخرى الموجودة في هضبة الجولان ، مثل معسكر كفر نفاخ ، وموقع جبل الشيخ ، ودارت خلال هذه الهجمات بعض الاشتباكات الجوية مع الطيران الاسرائيلي . واثر ذلك بوقت قصير (نحو ٤٠ دقيقة على الجبهة المصرية) بدأت الطائرات الاسرائيليــة محاولات هجومية على القوات المصرية التي بدأت عبور القناة والمدرعات السورية المتقدمة في الجولان ، ولكنها اصطدمت بشبكة الدفاع الجوي القوي في كلتا الجبهتين ، التي استندت على تنسيق فعال بين مختلف انواع المدفعية م/ط والصواريخ سام ٢ و ٣ و ٦ و ٧ ، وحالت بينها وبين تحقيق اهدافها ، ملحقة بها خسائر فادحة (خاصة عند المعابر والجسور الجاري إقامتها في القناة) ، وقد بلغ عدد طلعات الطيران الاسرائيلي خلال ساعات النهار المتبقية من يوم ١٠/٦ فوق الجبهة المصرية ٤٤٦ طلعة ، كما بلغ عدد الطلعات خلال ليلة ٦ — ٧ فوق الجبهة نفسها ٢٦٢ طلعة .

وفي صبــاح يوم ١٠/٧ استأنف الطيران الاسرائيلي هجماته التكتيكية على الجبهتين ، مركزاً جهوده الرئيسية على الجبهة السورية التي كانت تشكل خطراً مباشراً على الارض المحتلة في فلسطين ، وتحمل خلال ذلك الهجوم مزيداً من الخسائر الفادحة بواسطة الدفاع الجوي في معظم الحالات . وقــد حاولت الطائرات الاسرائيلية في صباح ذلك اليوم أن تدمر الجسور العائمة المقامة فوق القناة بهجمات جرت على ارتفاعات شديدة الانخفاض ، إلا أن المدافع م/ط والرشاشات (خاصة رشاشات «زد س يو — ٢٣ — ٤» الرباعية السبطانات والموجهة بالرادار من فوق مجنزرات) وصواريخ سام ٧ (التي كانت تطلق من فوق اكتاف الجنود أو في شكل صليات جماعية من العربات المدرعة التي تحمل الواحدة منها ٦ — ٨ صواريخ) استطاعت أن تصدها عن الاستمرار في الاقتراب من اهدافها على هذا النحو واجبرتها على الارتفاع خارج المدى المؤثر لها ، فتلقفتها صواريخ «سام ٦» واسقطت العديد منها . واثر ذلك ركز الطيران الاسرائيلي هجماته عــلى القواعد الجوية المصرية في «القطامية» و«المنصورة»

و«قويسنا» و«شبراخيت» و«الصالحيــة » و«طنطا» و«ابو حماد» و«جناكليس» و«بير عريضة» و«بني سويف» ، إلا أن فاعلية الدفاع المستند إلى تعاون وثيق بين طائرات « الميغ – ٢١ » المعترضة والصواريخ والمدفعية م/ط واجهزة الرادار الخاصة بالانذار المبكر وادارة النيران والمراقبين البصريين المنتشرين عند جميع طرق الاقتراب المحتملة، حالت دون وصول الطائرات الاسرائيلية إلى المطارات، باستثناء مطارين فقط ، ولم تدمر أية طائرة مصرية على الارض طوال ايام الهجوم الجوي الاسرائيلي على هــذه القواعد ، والتي استمرت سبعة أيام ، نظراً لاحتمائها بملاجىء مبنية من الاسمنت المسلح ، كما أن الاصابات التي لحقت بمدارج الطائرات أمكن اصلاحها بسرعة نظراً لوجود وحدات مهندسين جيدة الاعداد والتدريب قادرة على ابطال مفعول القنابل الموقوتة التي تلقيها الطائرات الاسرائيلية واصلاح المدارج بسرعة أثر ذلك .

وكانت طائرات « الميغ ٢١ » بمثابة الخط الدفاعي الاول الذي يصد الطائرات الاسرائيلية عادة فوق البحر أو عند أطراف الدلتا الشمالية ويجبرها على إلقاء حمولتها من القنابل بعيداً عن اهدافها في معظم الحالات ، واسقاط بعضها في معارك جوية ، أثبتت فيها « الميغ ٢١ » قدرة كبيرة على المناورة وتحدي « الفانتوم » و « الميراج ٣ سي » في الارتفاعات العالية . وقد حاول الطيران الاسرائيلي بعد ذلك مهاجمة محطات الرادار المصرية لفتح ثغرة في الدفاع الجوي ، إلا أن محاولاته لم تسفر إلا عن إلحاق بعض الاضرار ببعض الاجهزة ، دون أن تفتح مثل هذه الثغرة ، ومقابل خسائر شديدة ألحقتها به المدفعية والرشاشات التي كانت تحمي هذه المحطات . كما أن وسائل التشويش الالكتروني التي كانت تستخدمها طائرات المظلة الجوية الاسرائيلية اثناء الهجمات لم تكن ذات أثر كبير على اجهزة الدفاع الجوي التي عرفت كيف تواجهها بعمليات مضادة . كما تركزت الغارات الجوية الاسرائيلية على مدينــة بور سعيد ، لفتح ثغرة في جدار الصواريخ من الشمال فوق الجبهة ، ولاجتذاب جزء من احتياطي القيادة البرية المصرية إلى المنطقة على اساس إيهامها بأن القصف الجوي الاسرائيلي لبور سعيد على هذا النحو المكثف ليس إلا تمهيداً لعملية إنزال جوي وبحري ، ودارت معارك عنيفة طوال الفترة الواقعة بين يومي ١٠/٨ و١٠/١٥ فوق المدينــة بين الطائرات الاسرائيلية واسلحة الدفاع الجوي المصرية أسقط فيها كثير من الطائرات المعادية ، كمــا دُمرت خلالها ٤ بطاريات صواريخ سام مصرية وعند نهاية القتال في ٧٣/١٠/٢٤ كان الطيران الاسرائيلي قد قام بنحو ٩٣٠ طلعة طيران فوق المدينة، فقد خلالها عشرات من طائراته .

وبقي دور الطيران الاسرائيلي المساند للقوات البرية على الجبهة المصرية محدود الفاعلية من الناحية الايجابية طوال الفترة الواقعة بين ١٠/٦ و ١٠/١٦ ، نظراً لأن القوات البرية المصرية كانت تقاتل تحت مظلة الصواريخ ، إلى أن عبرت قوات « شارون » إلى الضفة الغربية للقناة عبر ثغرة الدفرسوار واخذت تهاجم بطاريات الصواريخ القريبة ، وتدمر بعضها وتجبر البعض الآخر على الانسحاب إلى الخلف بعض الشيء ، وكان من نتيجة هذا الهجوم (خاصة بعد أن توسع غرباً وجنوباً خلال الايام التالية حتى يوم ٢٣ و ١٠/٢٤) أن اكتسب الطيران الاسرائيلي درجة اكبر من حرية الحركة والمناورة على الجبهة المصرية، ساعدت على تطوير عمليات القوات المدرعة الاسرائيلية التي انتهت بتطويق مدينة السويس وعزل جزء من قوات الجيش المصري الثالث على الضفة الشرقية للقناة . وقد اضطرت القيادة الجوية المصرية أن تدفع بجزء كبير من قوتها خلال هذه المرحلة الحرجة من الحرب لتسد النقص في وسائل الدفاع الجوي فوق مسرح العمليات الحربية، وتحاول صد تقدم القوات البرية الاسرائيلية، وتخفف من وطأة الهجمات الجوية على القوات المشتركة في معارك الثغرة . وقد استخدمت خلال هذه الفترة قاذفات « ت يو – ١٦ » في قصف ليلي لمنطقة العبور، كما استخدمت طائرات الهليكوبتر في إلقاء النابالم على المناطق الزراعية المغطاة بنباتات كثيفة على الضفة الغربية للقناة قرب « الدفرسوار » و « فايد » ، فضلا عن استخدام الانواع الاخرى من الطائرات (ميغ ٢١ وميغ ١٧ وسوخوي ٧) . ونشبت خلال هذه المرحلة معارك جوية عدة بين الطرفين تكبد فيها الطيران المصري خسائر كبيرة نسبياً بالقياس للمرحلة السابقة من القتال .

أما في الجبهة السورية فقد استمر الطيران الاسرائيلي في تركيزه الهجومي على المدرعات والقوات الميكانيكية السورية المهاجمة في الجولان خلال الايام الثلاثة الاولى من الحرب ، رغم فداحة الخسائر التي تحملها نتيجة لقوة الدفاع الجوي السوري ، وأدى ذلك إلى تدمير عدد كبير من المدرعات السورية ، الامر الذي ساعد القوات البريــة الاسرائيلية على صد الهجوم السوري والانتقال الى الهجوم المضاد .

وابتداء من يوم ١٠/٨ اخذ الطيران الاسرائيلي يهاجم العمق السوري بعنف، فقصف اهدافا عسكرية ومدنية في دمشق ، كما هاجم محطة الكهرباء ومصفاة النفط في حمص ، وخزانات النفط في طرطوس واللاذقية ، ودارت معارك جوية عديدة بينه وبين الطيران السوري فقد خلالها عدداً من الطائرات ، واستمر الطيران السوري يقدم دعمه القريب للقوات البرية خلال معارك صد الهجوم المضاد الاسرائيلي في جيب سعسع وفوق جبل الشيخ حتى نهاية الحرب .

وليس هناك من شك في ان الاسلحة الجوية العربية ، أي السلاحان الجويان المصري والسوري أساساً (شارك سرب من طائرات الهنتر العراقية فوق الجبهة المصرية وسرب من طائرات ميغ ٢١ وسربين من طائرات سوخوي ٧ وسرب ميغ – ١٧ العراقية ايضاً فوق الجبهة السورية ، كما قدمت ليبيا ٣٨ طائرة ميراج إلى مصر استخدمها طيارون مصريون في بعض العمليات الهجومية داخل سيناء) قد لعبت دوراً هاماً في حرب ١٩٧٣ ، يختلف جذرياً عن حرب ١٩٦٧ التي دمرت فيها معظم الطائرات العربية على الارض في اليوم الاول ، وأنها استطاعت ان تبقى عــلى تواجدها الهجومي المحدود نسبياً طوال فترة الحرب ، فضلا عن تواجدها الدفاعي الاكثر فاعلية في التصدي للهجمات الجوية الاسرائيلية في العمق ، خاصة فوق الدلتا في مصر ، إلا أن الطيران الاسرائيلي استمر محافظاً على تفوقه فوق عمق الخطوط الاسرائيلية ، ومن ثم لم تتعرقل كثيراً عمليات نقل القوات الاحتياطية البرية إلى جبهتي سيناء والجولان ، وكذلك لم تتأثر كثيراً خطوط مواصلات هذه القوات وحركة امدادها بمتطلبات شؤونها الادارية ، كما أدى ذلك ايضاً إلى تقييد مدى عمليات القوات البرية العربية بمدى فاعلية شبكة الصواريخ المضادة للطائرات ، خاصة في سيناء ، الامر الذي كان له نتائجه غير المباشرة على تطور العمليات البرية .

العمليات البحرية

عشية نشوب الحرب كان ميزان القوى البحرية بين الطرفين على النحو التالي :

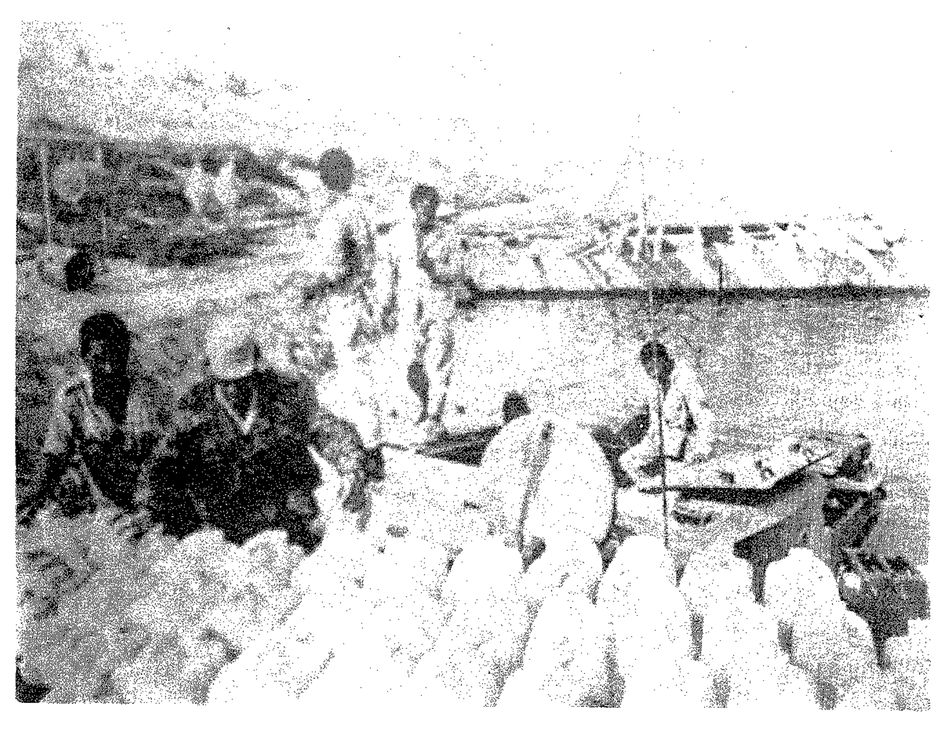
مصر : كان السلاح البحري المصري يضم ٥ مدمرات (٤ سوفييتية الصنع وواحدة انجليزية) و ٤ سفن حراسة (بريطانية الصنع)، و ١٢ غواصة (سوفييتية الصنع)، و ١٩ زورق صواريخ (سوفييتية الصنع ١٢ منها طراز « اوســا » و ٧ طراز « كومار » وكلها مسلحة بصواريخ ستيكس سطح – سطح الموجهة)، و ٣٦ زورق طوربيد (٣٠ منها

سوفييتية الصنع و ٦ يوغسلافية)، و ١٢ زورق دورية (من طراز « سوي » السوفييتي وهي مسلحة بأربعة قواذف صواريخ غير موجهة ، مثل الكاتيوشا ، كل منها ذات خمس فوهات ، و ٤ مدافع ٢٥ مم ثنائية السبطانة) ، و ٦ كاسحات ألغام للاسطول وكاسحتي ألغام ساحليتين ، بالاضافة إلى ١٤ سفينة إنزال صغيرة .

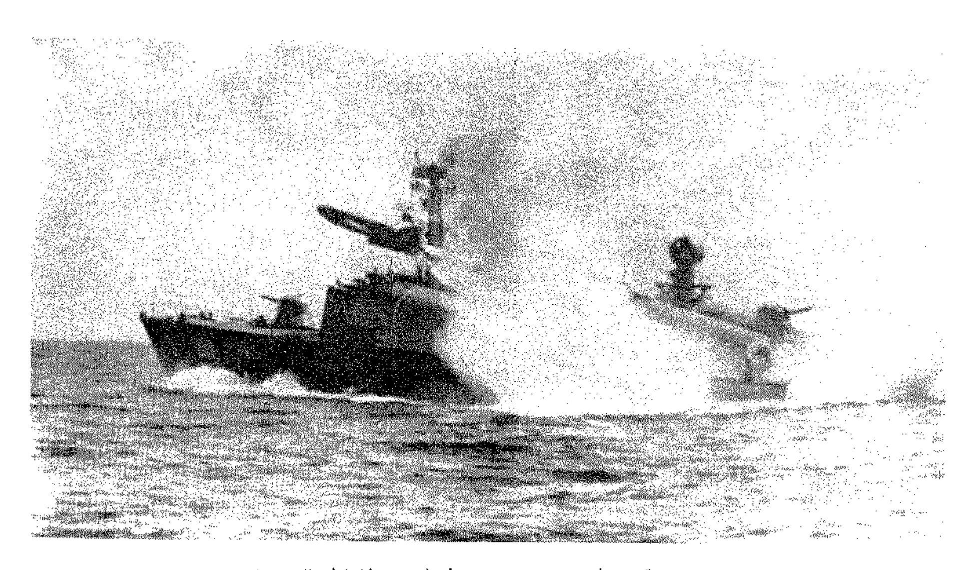
سوريا : أما السلاح البحري السوري فكان يضم ٨ زوارق صواريخ (٦ «كومار» و ٢ «اوسا») و ١٧ زورق طوربيد (سوفييتية الصنع)، و ٣ زوارق دورية (فرنسية بنيت عام ١٩٣٩)، و ٤ كاسحات ألغام (سوفييتية الصنع ٢ منها للاسطول و ٢ ساحلية).

اسرائيل : كان لدى البحرية الاسرائيلية غواصتان (انجليزية الصنع) ، و ١٤ زورق صواريخ (١٢ منها طراز « ساعر » فرنسية الصنع ، و ٢ طراز « رشاف » صنعت في اسرائيل تحت اشراف فرنسي ، وكلها مسلحة بصواريخ « غبرييل ») و ٩ زوارق طوربيد (ايطالية وفرنسية الصنع)، و ٢٠ زورق دورية (يابانية والمانية وبريطانية وامريكية الصنع أو التصميم) ، و ١٠ سفن إنزال صغيرة .

العمليات البحرية على الجبهة المصرية : كانت وحدات الاسطول المصري موزعة على البحرين الابيض والاحمر (وكذلك كانت الوحدات الاسرائيلية) وتعمل من قاعدتي الاسكندرية وبور سعيد في البحر الابيض المتوسط ، والغردقة وسفاجه في البحر الاحمر . ونتيجة لغلق قناة السويس منذ حرب ١٩٦٧ ، واستحالة المرور فيها ، تم تنظيم واعداد قواعد كل من البحرين بحيث تكون مستقلة تماماً ومسؤولة عن ادارة عملياتها بمفردها . وقد اعدت خطة العمليات البحرية المصرية بحيث تكون عمليات مساندة لعمليات القوات البرية وأن يجري معظمها ، خاصة في البحر الابيض المتوسط ، ضمن إطار الدفاع الجوي البري حتى لا تتعرض السفن لمخاطر التفوق الجوي الاسرائيلي ، في ظل عدم تخطي عمليات الطيران المصري لإطار عمليات المساندة القريبة والاغارة في العمق العملياتي للعدو ضمن حدود معينة . فقام يوم ١٠/٦ سرب من زوارق الدورية من طراز « سوي » المسلحة بقواذف الصواريخ العادية بقصف تجمعات العدو وموقع لمدفعيته الثقيلة عند « رمانه » الواقعة على مسافة نحو ٤٠ كم شرقي القناة قرب شاطئ البحر الابيض المتوسط ، وفي الوقت نفسه قصف زورق آخر من الطراز المذكور مرسى للعدو في «رأس برون» الواقع إلى الشمال من «رمانة»، حيث دمرت محطة رادار كان العدو الاسرائيلي قد



جنود مصريون ينقلون المياه إلى الجيش الثالث المحاصر (١٩٧٣/١١/٢)



زورق صواريخ مصري خلال إحدى المعارك البحرية

أقامها هناك لمراقبة تحركات السفن أمام بور سعيد . وفي البحر الاحمر قامت بعض الزوارق المذكورة بقصف مواقع العدو في منطقة « رأس سدر » على الشاطئ الشرقي لخليج السويس ، كما قام سرب من زوارق الصواريخ الموجهة بقصف مواقع العدو في « شرم الشيخ » عند مدخل خليج العقبة في مضائق تيران ، وقامت وحدة من الضفادع البشرية بتعطيل اجهزة الحفر في آبار البترول البحرية المقامة

في « بلاعيم » قرب الشاطئ الشرقي لخليج السويس إلى الجنوب من « أبورديس » .

ولم تلاق هذه العمليات التي جرت يوم ١٠/٦ أي مقاومة بحرية مضادة . وفي اليوم نفسه قامت قوة من مدمرتين وغواصتين باغلاق مضيق باب المندب في اقصى جنوب البحر الاحمر في وجه الملاحة الاسرائيلية ، وقد رست المدمرتان بالقرب من ميناء عدن بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، على حين

كانت الغواصتان تقومان باعمال الدورية إلى الشمال منها حيث اعترضتا سفينة نقل اسرائيلية واصابتها إحدى الغواصتين بطوربيدين عيار ٢١ بوصة (ومن المعتقد انها غرقت) . وكان معدل السفن الاسرائيلية التي تجتاز مضيق باب المندب قبل نشوب حرب ١٩٧٣ يبلغ ١٨ سفينة في الشهر ، وأثر فرض الحصار توقفت الملاحة الاسرائيلية عبره تماماً حتى رفع الحصار في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه .

وفي ليـلة ٧ – ٨ تشرين الأول (اكتوبر) اشتبكت بعض زوارق الصواريخ الموجهة المصرية مع وحدات بحرية اسرائيلية قرب المنطقة المواجهة لرمانة في البحر الابيض المتوسط واغرقت قطعة منها (مجهولة النوع) . كما اشتبكت مجموعة من زوارق الصواريخ المذكورة في ليلة ٨ – ٩ مع ثـلاث مجموعات من زوارق الصواريخ الاسرائيلية ، كل منها تضم ٣ زوارق ، وذلك في منطقة تقع بين « دمياط » وبحيرة « البرلس » في شمال الدلتـا ، وكانت طائرات الهليكوبتر المسلحة بصواريخ مضادة للسفن مشتركة في المعركة من الجانب الاسرائيلي . وقد اغرقت البحرية المصرية خلال هذا الاشتباك ٤ زوارق اسرائيلية ويقال أنها خسرت ثلاثة زوارق بالمقابل . وكانت هذه هي أول معركة بحرية في العالم تجري بالصواريخ سطح – سطح من الطرفين .

وفي ليلة ٩ – ١٠ اغارت فصيلة من المغاوير البحريين المصريين على منطقة « أبوردبه » عـلى الشاطئ الشرقي لخليج السويس ولغمت مفارق الطرق البرية بالمنطقة ونسفت مستودعات البترول الموجودة منها . كما قامت وحدة بحرية بزرع الغام في الممرات المائية المؤدية إلى مرفأ بلاعيم ، وقد أدى ذلك إلى اغراق ناقلة نفط تبلغ حمولتها ٤٦ ألف طن اسمها « سيروس » ، بالاضافة لسفينة اخرى حمولتها ٢٠٠٠ طن .

كما حاولت وحدات خاصة من المغاوير البحريين والضفادع البشرية التابعين للبحرية الاسرائيلية الاغارة في ليلة ١١ – ١٢ على مرسى «الادبية» و«السادات» قرب السويس ، وفقدت نتيجة لذلك زورق دورية من طراز « دبور » الامريكي وزوارق مطاط .

وفي ليلة ١٥ – ١٦ دارت معركة كبيرة قرب شاطئ « أبو قير » الواقعة على بعد كيلومترات قليلة شرقي الاسكندرية بين سرب من زوارق الصواريخ الموجهة المصريـة ، كان يكمن خلف جزيرة « دسوقي » قرب مرسى « أبو قير » ، ساندته صواريخ ساحلية ارض – بحر من طراز « سامليت » ، مع اربع زوارق صواريخ اسرائيلية كانت تحاول مهاجمة مرسى « أبو قير » ، وقد اغرقت ٣ زوارق من الزوارق الاسرائيلية في المعركة التي استمرت حتى فجر اليوم التالي ، حيث اجهزت الطائرات على الزورق الثالث الذي كان مصاباً أمام رشيد ، وقد حصلت عناصر الاستطلاع البحري المصري على صاروخ « غبرييل » بكامله في هذا الزورق قبل غرقه ، وتم فحصه فنياً حيث تبين انه تجميع لاجزاء فرنسية وايطالية وبه بعض الاضافات الاسرائيلية البسيطة .

وفي الليلة نفسها اغارت مجموعة من المغاوير البحريين المصرية على منطقة « الشيخ بيتان » جنوب « الطور » عـلى شاطئ خليج السويس الشرقي . وفي ليلة ١٦ – ١٧ اغارت مجموعة من الضفادع البشرية الاسرائيلية على ميناء بور سعيد فقتل عدد منهم ، وأغرق قارب مطاط لهم . كما اغارت مجموعة اخرى من المغاوير الاسرائيليين ليلة ١٤ – ١٥ على مرسى « رأس غارب » على الشاطئ الغربي لخليج السويس . وطوال فترة العمليات كانت الغواصات المصرية تقوم بأعمال الدوريات في شرق البحر الابيض المتوسط تجاه الطرق المائية المؤدية إلى الموانئ الموجودة بفلسطين المحتلة مثل « حيفا » و « تل أبيب » و « اشدود » ، ولذلك انخفض عدد السفن التي كانت تدخل هذه الموانئ من ٢٠٠ سفينة في المتوسط شهرياً إلى ٢٣ سفينة فقط في الفترة ما بين ٦/١٠/٧٣ و ٣٠/١٠/١٩٧٣ . ويعتقد أن الغواصات المصرية اغرقت خلال هذه الفترة سفينتي نقل اسرائيليتين في البحر الابيض المتوسط .

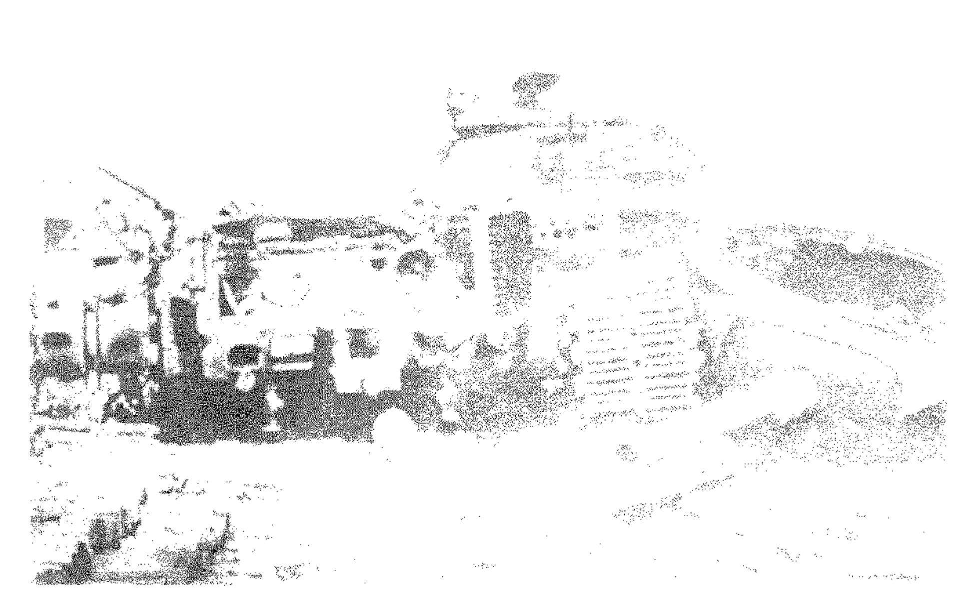
العمليات على الجبهة السورية : اتخذ السلاح البحري السوري موقف الدفاع طوال فترة الحرب ، نظراً لأن ميزان القوى البحري وعدم توفر المساندة الجوية الكافية لم يسمحا له بممارسة عمليات هجومية ، خاصة وأن الساحل اللبناني كان يفصل بينه وبين الساحل الفلسطيني، ومن ثم كانت المسافة كبيرة نسبياً بين قواعده في « اللاذقية » و « طرطوس » وبين الموانئ والاهداف الساحلية الاسرائيلية . أما البحرية الاسرائيلية قد مارست نشاطاً هجومياً مكثفاً على الموانئ السورية ، بمساعـدة ودعم الطيران وطائرات الهليكوبتر المسلحـة بالصواريخ . اذ هاجمت « اللاذقية » و « طرطوس » في ليلتي ١١ – ١٫٢ و ١٢ – ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) ، بمعاونة الطيران والهليكوبتر ، وقصفت صهاريج البترول والمنشآت الموجودة بهما وكذلك في « بانياس » .

وفي يومي ١٤/١٠ و ٢٠/١٠ نشبت معركتان بحريتان بين الزوارق السورية ، تساندها المدفعية الساحلية (المعركة الاولى جرت خلال الليل) ، والزوارق الاسرائيلية اسفرت عن اغراق ٤ زوارق اسرائيلية ، ولا تعرف الخسائر السورية بدقة .

وعموماً فقد اتاح التفوق الجوي الاسرائيلي ، خارج اطار الدفاع الجوي العربي ، قدرة كبيرة لزوارق الصواريخ الاسرائيلية على الحركة الهجومية السريعة في البحر الابيض المتوسط ، رغم أن معظم العمليات كانت تجري تحت ستار الظلام ، وذلك لأن الحماية الجوية كانت تكفل لها سبيل مواصلة الانسحاب خلال النهار دون أن تخشى كثيراً من مطاردة الطيران أو البحرية العربيين . واقتصر دور البحرية المصرية على المساندة التكتيكية للقوات البرية في شمال سيناء ، وتنفيذ الاغارات البرمائية بواسطة الوحدات الخاصة (وبالذات في البحر الاحمر) ، والدفاع الفعال عن موانئ الاسكندرية وبور سعيد والغردقة وسفاجه ، فضلا عن الدور الاستراتيجي غير المباشر الذي لعبته في فرض حصار باب المندب، الذي شكل اول تطبيق فعال للخنق الاستراتيجي المضاد لاسرائيل في البحر الاحمر منذ العام ١٩٥٦ (ولفترة قصيرة للغاية قبيل حرب ١٩٦٧) ، حين احتلت القوات الاسرائيلية شرم الشيخ . ولقد كشف هذا الخنق زيف نظرية الامن الاسرائيلية التي تعتبر أن السيطرة على مضايق تيران تكفل لها حرية الملاحة عبر خليج العقبة وضمان تجارة اسرائيل مع شرق وجنوب افريقيا وآسيا وحصولها على النفط الايراني ، ومن ثم تعتبر « شرم الشيخ » جزءاً من حدودها الآمنة في أقصى الجنوب .

الجانب الالكتروني من الحرب

فاجأ انتهاء حرب الاستنزاف ، ووضع قرار وقف اطلاق النار موضع التنفيذ في ٧ آب (اغسطس) ١٩٧٠ ، الجانبين المصري والاسرائيلي وهما في غمرة استعدادهما لخوض جولة ثانية من الصراع (انظر حرب الاستنزاف ، قسم الجانب الالكتروني من الحرب) . واستمر تدفق الاسلحة المتطورة عليهما : فاستقبلت مصر المزيد من صواريخ « سام – ٢ » المعدلة وصواريخ « سام – ٣ » وسائر معدات الاسناد الراداري اللازمة لهما ، كما حصلت في الاسابيع القليلة التي اعقبت وقف اطلاق النار على معدات سوفياتية حديثة تضمنت المدافع ذاتية الحركة المضادة للطائـرات « شيلكا زد – أس – يو – ٢٣ – ٤ » ZSU-23-4 ، كما تضمنت اعـداداً قليلة من صواريخ « سام – ٤ » المحمولة على عربـات مجنزرة ، وكلاهما يظهر لأول مرة خارج نطاق



كانت خسائر الإسرائيليين بالدبابات فادحة في الأيام الأولى للحرب

دول حلف وارسو. وفي الجانب المقابل، استقبلت اسرائيل ما لا يقل عن مائتين من حواضن الطائرات الالكترونية المضادة من احدث الانواع، وهي تتميز بانها تعطي اشارة ضوئية في مقصورة الطيار تنذره بانطلاق صاروخ معاد واتجاهه نحوه لتمكينه من التشويش والقيام بمناورة لتفادي الخطر، وعند ذلك تنطلق موجات مضادة من رادار التشويش على متن الطائرة اوتوماتيكياً على الترددات السوفياتية نفسها لتحدث اضطراباً في توجه الصواريخ.

ورغم قرار وقف اطلاق النار، فقد اخذت مصر في تحريك قواعد صواريخها باتجاه منطقة وقف اطلاق النيران، وفي ادخال قواعد لاطلاق صواريخ «سام — ٣» لأول مرة الى المواقع المتقدمة من الجبهة. وبدا واضحاً ان الخطة المصرية تهدف الى إنشاء جدار من الصواريخ في منطقة وقف اطلاق النار نفسها، يزحف ببطء نحو القناة وذلك بهدف حرمان خط بارليف من غطائه الجوي الفعال. وقد اكدت ذلك تقارير تقدمت بها اسرائيل الى المحافل الدولية تشكو فيها قيام مصر بخرق شروط وقف اطلاق النار. ففي ٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ قدم تقرير يشير الى ان ٤٥ موقعاً للصواريخ تم إنشاؤها داخل منطقة وقف اطلاق النار، تحوي ما يقارب ٢٧٠ قاعدة لاطلاق الصواريخ. وفي ١١ ايلول (سبتمبر) قدم تقرير آخر يشير الى وجود ٩٠ موقعاً لاطلاق الصواريخ في تلك المنطقة، بما فيها صواريخ «سام — ٣». وفي ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ صرح «اهارون ياريف» رئيس الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية آنذاك: «ان نظام الدفاع الصاروخي الذي أقيم بمحاذاة الضفة الغربية للقناة، هو احد اكثر الانظمة تقدماً في العالم»، واضاف انه يحوي عدداً من قواعد الاطلاق يتراوح بين (٥٠٠ — ٦٠٠) قاعدة. وفي ٣ كانون الاول (ديسمبر) صرح ناطق اسرائيلي عسكري مشيراً الى ان عدد مواقع اطلاق صواريخ «سام — ٣» اصبح يتراوح بين (٧٥—٨٥) موقعاً.

وقد تميز جدار الصواريخ المصري الجديد بان معظم قواعد الاطلاق فيه اصبحت قواعد محمولة، بما في ذلك قواعد اطلاق «سام — ٢»، مما يضفي عليه طابع المرونة، بالمقارنة بالجدار السابق الذي بني ابان حرب الاستنزاف، وكان يعتمد في غالبيته على القواعد الخرسانية الثابتة. وفي المقابل، فقد استمرت شحنات الاسلحة الاميركية المتقدمة الى اسرائيل وعلى وجه الخصوص اعداداً ضخمة من طائرات الفانتوم والسكايهوك.

اما بالنسبة الى الجبهة السورية، فقد شمل الغموض شحنات الاسلحة الالكترونية المتطورة التي وصلتها من الاتحاد السوفياتي في المرحلة ما بين حرب ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣، ولم تظهر على حقيقتها الا بعد نشوب القتال.

واستمر السباق حتى يوم ٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، عندما نشبت المعركة الالكترونية الثانية في التاريخ، واستطاعت مصر وسوريا مفاجأة العدو الصهيوني والعالم فيها بشبكة من الصواريخ ارض — جو الموجهة التي قامت بتأمين التغطية في جبهتي السويس والجولان، واسقاط اعداد كبيرة من الطائرات المعادية التي حاولت اختراق الجبهتين المذكورتين. وقد ضمت هذه الشبكة صواريخ سوفياتية الصنع من طراز «سام — ٢» المعدل، و«سام — ٣»، و«سام — ٤»، و«سام — ٦»، و «سام — ٧» المحمول بواسطة الافراد والآليات، ومدافع شيلكا ذاتية الحركة. وبهذه الشبكة امكن تحقيق حماية فعالة متكاملة الابعاد ضد الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة ومتوسطة ومرتفعة. وقد فقد العدو الكثير من طائراته في الايام الاولى للقتال بفضل الصاروخ «سام — ٦»، وكانت تحاول المناورة الى الاعلى لتجنبه فتجد امامها الصاروخ «سام — ٢» او «سام — ٣»، كما كانت تحاول المناورة الى الاسفل فتجد امامها الصاروخ «سام — ٧» او نيران المدافع المضادة الموجهة بالرادار من طراز «شيلكا زد. اس. يو — ٢٣ — ٤».

وقد بذل العدو الصهيوني اقصى ما يمكنه لاستعادة سيطرته الجوية السابقة اثناء الحرب، واستخدم احدث ما في الترسانة الاميركية من اجهزة الكترونية مضادة. ولقد استخدم الاجهزة المضادة للرادار، وصواريخ شرايك، وطريقة بث بالونات او دفقات حرارية لتضليل صواريخ «سام — ٦» و «سام — ٧»، ولكن ليس هناك ما يدل على ان اجراءاته أدت مهماتها بنجاح يماثل فعالية هذه الصواريخ، لأن ما استخدم فعلا لم يعط نتائج جيدة. وقد اضطر العدو للاعتماد بشكل واسع على النصلات التي تلقيها الطائرات، واستخدم بشكل خاص موزع النصلات (رقائق معدنية او زجاجية تلقى من الجو ولها خاصية عكس الموجات الرادارية والتشويش عليها) المحمول جواً من طراز AN/ALE-29. كما بذلت الولايات المتحدة جهدها في دعم العدو الصهيوني، ومن مظاهر هذا الدعم: قيام سلاح الجو الاميركي بتوجيه طلب الى شركة (لندي الكترونيكس Lundy Electronics)، وهي المزود الرئيسي له بالنصلات الزجاجية، من اجل تحويل انتاجها من النصلات لمدة شهرين الى دولة الكيان



وحدة مدرعة إسرائيلية تتحرك نحو الجولان (١٩٧٣/١٠/٧)

الصهيوني . وبالاضافة الى ذلك ، فقد تم تحويل اكثر من ٥٠٠٠٠ حزمة من النصلات من مخازن سلاح الجو الاميركي الى العدو خلال الاسبوع الاول من اندلاع القتال ، وارسل الى اسرائيل ٢٠ موزع نصلات من نـــوع (AN/ALE-38) الذي يحمل ما زنته ١٥٠ كيلوغراماً من النصلات . وتم ايضاً تعديل معـــدات التشويش الالكتروني الاميركية التي يستخدمها العدو ، وتشمل : حواضن (AN/ALQ-71) من صنع شركة هيوز ، وحواضن (QRC-335) مـــن صنـــع شركة وستنغهاوس ، وحواضن (AN/ALT-27) من صنع شركة لينون ، لتحييد قواعد صواريـــخ « سام – ٢ » و « سام – ٣ » الثابتة . اما قواعد « سام – ٦ » المتحركة فقد كانت تشكل المعضلة الاكثر الجدية التي لم تستطع معدات التشويش الالكتروني مواجهتها لعدم وجود جهاز باستطاعته التشويش ضمن نطاق ترددات نطاق واسع جداً .

ولما لم تأت الوسائل سابقة الذكر بالفائدة المرجوة ، لجأ طيارو العدو الى اطلاق دفقات او بالونات حرارية لتضليل اجهزة توجيه صاروخي « سام – ٦ » و « سام – ٧ » التي تعمل بالاشعة تحت الحمراء ، ثم القيام بمناورات جوية لتجنبهما . ورغم ان هذه الوسيلة كانت تنجح احياناً ، إلا انها كانت تضع الطائرات المعادية في مواجهة وسائط النار المضادة الاخرى ، خاصة وان وسائل النيران المضادة التقليدية استخدمت بفعالية كبيرة في الحرب من قبل الجانب العربي ، إلا انها كانت وسائل متطورة موجهة رادارياً .

وبالاضافة الى انظمة الصواريخ ارض – جو الموجهة ، فقد استخدمت في الصراع الالكتروني الدائر بين الطائرة ووسائل الدفاع الارضية صواريخ اخرى موجهة تحملها الطائرات (صواريخ جو – جو ، و جو – ارض) . وقد استخدمت الصواريخ جو – جو على نطاق محدود في المواجهات الجوية بين الطائرات العربية والصهيونية ومنها : الصواريخ الموجهة بالرادار مثل الصاروخ الاميركي « سبارو – ٣ » الذي تحمله طائرات الفانتوم و السكايهوك . والصواريـــخ الموجهة بأجهزة توجيه حرارية (بالاشعة تحت الحمراء) مثل الصاروخ « سايدوندر » الاميركي الذي تحملـــه طائرات الفانتوم و السكايهوك ايضاً . ومن هذه الصواريخ : « أتول» Atoll الذي تحمله طائرات « الميغ – ٢١ » السوفياتية ، و« شفرير » المصنوع في اسرائيل . كما استخدمت الطائرات المعادية صواريخ جو – ارض موجهة لضرب شبكات الصواريخ العربية الارضية المضادة ، مثل صاروخ « شرايك » ذو التوجيه السلبي لتدمير هوائيات الرادارات الارضية . ولكن يبدو ان استخدام هذا الصاروخ لم يكن فعالا ، وخصوصاً بعـــد استخدام صواريخ « سام – ٦ » المحمولة ذات انظمة التوجيه المتطورة ، بدليل ضخامة خسائر سلاح جو العدو وبدليل المساعدات التقنية المتخصصة الضخمة التي تلقاها من الولايات المتحدة اثناء وبعد الحرب لمواجهة الحرب الالكترونية العربية . وقد تلقى العدو صواريخ جو – ارض تكتيكية اخرى من الانواع التالية : « ستاندرد آرم » الموجهة ضد شبكات الرادار الارضية ايضاً . و « مافريك » الموجهة بواسطة كاميرا تلفزيونية في رأس الصاروخ ، ويتم توجيهها بان يختار الطيار الهدف الذي يظهر على شاشة تلفزيونية في مقصورته ويناور بحيث تلتقط الكاميرا التلفزيونية في الصاروخ صورة الهدف ثم يطلقه فيتوجه اوتوماتيكياً نحوه . وقد صممت هـــذه الصواريخ اساساً لقصف الدروع والمنعات المحصنة ، ولكل منها رأس حربي خارق يزن ٥٩ كيلوغراماً ، ويبلغ مداه حوالي ٨ كيلومترات .

ولم يقتصر استخدام الطائرات المعادية لصواريخ جو – ارض الموجهة ، بل تعدى ذلك الى استخدام انواع من قنابل الطائرات التكتيكية المزودة بأجهزة ملاحة وتوجيه الكترونية توجهها نحو الهدف . وقد تلقى العدو اثناء وبعد حرب ١٩٧٣ عدداً من هذه القنابل – الباهظة التكلفة – لقصف الاهداف العربية الارضية التكتيكية ، وهي قنابل « سمارت » بنوعيها الموجهة بأشعة ليزر والموجهة بالتلفزيون .

وتنبغي ملاحظة ان جميع هذه الانظمة والاسلحة المتطورة التي استخدمها العدو والتي حصل عليها من الولايات المتحدة ، من اجل إعادة فرض سيطرته فوق الاجواء العربية ، لم تثبت جدواها حتى في حرب الاستنزاف على جبهة الجولان السورية . وبقي نظام « سام – ٦ » والانظمة الدفاعية الاخرى المساندة (مثل نظام شيلكا) يحد من هذه السيطرة . كما تجدر الاشارة الى ان ارتفاع خسائر العدو الجوية في المعدات والافراد نتيجة كفاءة وفعالية انظمة الدفاع العربية ، وفشل اجراءاته الالكترونية المضادة ، جعله يلجأ الى استخدام الطائرات الموجهة عن بعد والتي تطير بدون طيارين من طراز (رايان فايربي) بشكل مكثف لغايـــات الاستطلاع والتشويش الالكتروني للتخفيف من خسائره البشرية . الا ان العديد من هذه الطائرات اسقط وبالتالي لم يكن استخدامها كبير الفاعلية .

وكان لاقمار التجسس العسكرية السوفياتية والاميركية دورها ، ايضاً ، في هذا الصراع . وقد جرت العادة على قيام الدولتين الاعظم باستخدام هذه الاقمار في مواجهة واحدتهما الاخرى ، ولكنها استخدمت استثناء إبان حرب ١٩٧٣ ، وساعدت على تعزيز اطلاع حكومة كل من الدولتين على مجريات المعارك . ومرة اخرى ، تفوقت الاجراءات الالكترونية السوفياتية : فقـــد حصل السوفيات ، بواسطة الاقمار ، على معلومات عن المعارك اكثر من اي طرف دولي آخر ، اذ كان لديهم ثلاثة اقمار عاملة – في الوقت نفسه – من طراز « كوزموس » يتم استعادتهما واطلاق غيرها كل ثلاثة ايام ، طيلة مدة القتال . ولهذا فقد كان بامكانهم الحصول على

معلومات دقيقة عن المعارك وتحرك القوات من خلال الارسال اللاسلكي – التلفزيوني الذي تبثه الاقمار، وعن طريق استعادة المشاهد المصورة من الاقمار بعد إعادتها. أما في الجانب المقابل، فقد فاجأت حرب ١٩٧٣ الولايات المتحدة في حين لم يكن لديها سوى مركبة فضائية واحدة اطلقتها في السابع من ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣. ورغم ان الجرم الفضائي الاميركي الضخم «٦٤٧» الذي يدور في مدار دائم على ارتفاع يبلغ ٣٨ ألف كيلومتر فوق المحيط الهندي بسرعة تساوي سرعة الارض حول محورها، كان بامكانه مراقبة ما يجري من زاوية معينة، إلا أنه لم يكن من المتاح الاعتماد عليه بشكل اساسي لهذا السبب من جهة، ولكونه يحتاج الى وساطة شبكة استقبال ارضية واقمار اتصال اخرى في نقل المعلومات الى البيت الابيض في الطرف الآخر من الكرة الارضية من جهة ثانية.

وقد دلت الدروس المستفادة من حرب ١٩٧٣ على اهمية قمر التجسس كعامل استطلاع فعال في المعركة، اذ مكنته التطورات الهامة في العلوم الفضائية وفي البصريات والالكترونيات، من سماع ومشاهدة ادق التفاصيل على الارض في النقاط التي يوجه اليها مسبقاً، وتكوين فكرة شاملة عنها من دون ان تعيقه حدود الافق بالنظر لارتفاعه الشاهق في السماء وحركته حول الارض. وبالتالي فقد دخل باب المبارزة الواسع بين الالكترونيات والالكترونيات المضادة (انظر القمر الاصطناعي العسكري).

دور قوات الثورة الفلسطينية :

قدرت قوات الثورة الفلسطينية، سواء في فصائل المقاومة المختلفة أو في جيش التحرير الفلسطيني، الموزعة على جبهات لبنان وسوريا ومصر عند نشوب حرب ١٩٧٣ بنحو ٢٥ كتيبة، منها ١٠ كتائب للمقاومة على الجبهة اللبنانية وكتيبة من جيش التحرير (هي كتيبة مصعب بن عمير)، وقد اختلف دور تلك الوحدات تبعاً لاختلاف ظروف كل جبهة، ففي جنوبي لبنان اتخذت العمليات شكل حرب العصابات على حين عملت الوحدات الفلسطينية في كل من الجبهتين السورية والمصرية ضمن الخطة والاشكال العسكرية النظامية.

أ – العمليات في الجبهة اللبنانية : قامت قوات الثورة الفلسطينية العاملة في الجبهة اللبنانية خلال حرب تشرين الاول (اكتوبر) بنحو ٢٠٧ عمليات عسكرية، منها ٢٣٪ عمليات قصف، و٢٣٪ عمليات تفجير، و٢٢٪ عمليات هجوم، و١٣٪ عمليات كمائن، و١٢٪ اشتباكات، و٧٪ إغارة وقنص. ويدل حجم العمليات المذكورة على تضاعف حجم النشاط العسكري ١٥ مرة خلال الحرب بالقياس لمعدل العمليات العادي في الشهور السابقة لنشوب الحرب، ويرجع هذا التزايد إلى توفر قدر كبير من الحوافز المعنوية لدى القيادة الثورية وقدرتها وفاعليتها، فضلا عن ان قدرة الردع الاسرائيلية كانت ضعيفة إلى حد كبير خلال فترة الحرب، نظراً لتركيز القوات والقيادة الاسرائيلية على الجبهتين المصرية والسورية. وقد اعلنت اسرائيل في ٢١/١٠/١٩٧٣ أن المقاومة هاجمت ٤٢ مستعمرة، وأن ٢٠٢ اشتباك قد تم مع قواتها منذ بدء الحرب حتى ذلك التاريخ. وسجلت بيانات المقاومة سقوط ٥٩ شهيداً و٤٣ جريحاً من المقاتلين خلال العمليات التي جرت أثناء الحرب داخل الارض المحتلة. وقد تركز القصف اساساً على مستعمرات «المطلة» و«المنارة» و«الخالصة» و«كريات شمونه» و«المالكية» و«مزرعيت» و«الفجر».

وكانت القيادة المصرية قد اعلمت قيادة الثورة الفلسطينية عن نية شن الحرب قبل عدة أيام من بدء القتال. وأدى ضيق الوقت اللازم لاعداد العمليات، ووجود قيود على تحركات المقاومة في جنوبي لبنان قبيل الحرب بسبب احداث ايار (مايو) ١٩٧٣، الى تركيز العمليات خلال الايام الثلاثة الاولى على قصف مستعمرات الحدود فضلا عن عمليات الاستطلاع وعمليات اعداد واعادة تجهيز القواعد الثورية في جنوبي لبنان. وأثر ذلك اخذت العمليات تتعمق داخل الاراضي المحتلة وتتخذ شكل الهجمات المحدودة على المستعمرات، ونسف محطات الكهرباء وغيرها من [illegible] التي تخدم مستعمرات الجليل الاعلى، وإقامة الكما[illegible] [illegible]ات ودوريات العدو. وقد ردت اسرائيل بقصف مدفعي لقرى ومناطق الحدود اللبنانية وبقصف جوي لمحطة الرادار [illegible]لبنانية في «الباروك» يوم ٨/١٠ بدعوى انها كا[illegible] [illegible]ود السوريين بالمعلومات عن تحرك الطائرات الا[illegible] [illegible]ائيلية، على حين أن قيادة الجيش اللبناني اكدت ان المحطة كانت متوقفة عن النشاط منذ مدة طويلة.

ب – العمليات على الجبهة السورية : كانت وحدات جيش التحرير الفلسطيني الموجودة في الجبهة السورية عند بدء القتال (قوات حطين والقادسية) تضم الكتيبة ٤١١ التي وضعت تحت تصرف رئاسة الاركان السورية مباشرة، والكتيبة ٤١٢ التي وضعت تحت قيادة فرقة المشاة التاسعة في القطاع الاوسط من الجبهة، والكتيبة ٤١٣ التي وضعت في القطاع الجنوبي تحت قيادة فرقة المشاة الخامسة، فضلا عن كتيبة «خالد بن الوليد» المحمولة جواً والتابعة لمنظمة الصاعقة. وقد قامت هذه القوات الفلسطينية بالعديد من العمليات العسكرية المختلفة الانواع، منها عمليات اقتحام جوي على بعض المواقع الهامة للعدو في الجولان (مثل احتلال تل فرس يوم ٧/١٠/٧٣)، وعمليات اغارة على مواقع العدو خلف الخطوط (كما حدث في تل الشعار يوم ١١/١٠ وتل المال يوم ١٣/١٠ وتل شمس يوم ١٦/١٠)، ومنها تأمين بعض المواقع الهامة في مؤخرة القوات السورية للتصدي لأي محاولة اسقاط أو ابرار جوي معادية، وقد أدت «قوات القادسية» هذا الدور بصورة رئيسية. وكانت ابرز عمليات جيش التحرير خلال الحرب مهاجمة تل فرس واحتلاله بعد معركة استمرت ٨ ساعات، وبدأت في الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ٧/١٠، اثر تمكن ٤ طائرات هليكوبتر من الهبوط فوق التل (يبلغ ارتفاعه ١٠٠ متر ومساحته ٢٫٥ كم مربع ويقع في جنوب الجولان على مبعدة ١٨ كم تقريباً إلى الجنوب من القنيطرة ويشرف على الطرق الموجودة بالمنطقة) رغم إصابة اثنتين منها بالنيران الارضية وفقدان عدد من المقاتلين قبل بدء الاشتباك، ورغم قوة ومناعة التحصينات المقامة بالاسمنت المسلح فوق التل. وقد فقد العدو نحو ٦٠ جندياً في هذه المعركة بالاضافة لفقدان التل. وبلغت جملة خسائر قوات جيش التحرير في الحرب ٤٤ شهيداً ومفقوداً و٥ أسرى و٦٠ جريحاً. وفي يوم ٩/١٠ قامت كتيبة «خالد بن الوليد» المحمولة جواً والتابعة لمنظمة الصاعقة بعملية هجومية تهدف إلى قطع طريق «واسط – كفرنفاخ» على المحور الاوسط بواسطة ٨ طائرات هليكوبتر، إلا أن النيران الارضية الشديدة حالت دون نجاح العملية رغم تمكن ٤ طائرات من الهبوط واشتباك جنودها مع العدو واستشهاد ٣٨ منهم وأسر ٩ من الجرحى.

ج – العمليات في الجبهة المصرية : شاركت قوات جيش التحرير الفلسطيني الموجودة في الجبهة المصرية (والتي تمثل بقايا وحدات الفرقة ٢٠ الفلسطينية التي كانت موجودة في قطاع غزه عند نشوب حرب ١٩٦٧) والمعروفة باسم «قوات عين جالوت» في معارك حرب ١٩٧٣ النظامية تحت قيادة الجيش المصري الثالث في القطاع الجنوبي من منطقة القناة.

وقد قامت هذه القوات بمهام تأمين مؤخرة الجيش الثالث في المنطقة الواقعة بين «كبريت» و«كسفريت» على الضفة الغربية للقناة خلال المرحلة الاولى من

الحرب ، كما شاركت مجموعات خاصة من هذه القوات في عمليات خلف خطوط العدو تضمنت قنص دبابات وضرب قوافل امداد العدو . ثم شاركت القوات في معارك الضفة الغربية للقناة في المنطقة الواقعة بين جنوب البحيرات المرة والمرتفعات الموجودة إلى الغرب منها ، وذلك في الفترة بين يوم ١٨/١٠ و ١٠/٢٢ ، أثر نجاح القوات الاسرائيلية في عبور القناة عند منطقة « الدفرسوار » شمالي البحيرات المرة يوم ١٦/ ١٠ ، ثم انسحبت بعض القوات الفلسطينية إلى داخل مدينة السويس وشاركت المقاومة الشعبية وقوات الجيش الثالث الموجودة بها في المعارك التي دارت عند مشارف المدينة **يومي** ٢٤ و ١٠/٢٥ . واعيد تنظيم بقية القوات التي انسحبت غرباً خلال الاسبوعين التاليين لوقف القتال واحتلت احدى كتائبها مواقع دفاعية في « بير عديب » يوم ١١/١٣ ، كما شاركت كتيبة اخرى في اعمال الحراسة بالمؤخرة . وقد شاركت مجموعات من وحدة الضفادع البشرية ومتطوعون من حركة فتح في بعض العمليات على الجبهة المصرية في وقت متأخر من الحرب ، وفقدوا ١٨ شهيداً و مفقوداً .

وقد بلغت خسائر « قوات عين جالوت » ٣٠ شهيداً و ٧٠ جريحاً وعدداً آخر من المفقودين .

نتائج الحرب :

اسفرت الحرب العربية - الاسرائيلية الرابعة ، وما تلاها من مفاوضات مسلحة في حربي الاستنزاف على الجبهتين المصرية والسورية ، عن نتيجة سياسية رئيسية تمثلت في كسر الجمود وحالة اللاسلم واللاحرب التي كانت مسيطرة على مشكلة الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية المحتلة في العام ١٩٦٧ ، ودفع القوى الدولية المختلفة ، خاصة الولايات المتحدة الامريكية ، إلى التحرك (وفقاً لما تمليه مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية بطبيعة الحال) بحثاً عن حل لأزمة الشرق الاوسط ، والحيلولة دون تفجر الموقف في هذه المنطقة الحساسة من العالم ، والتي يلعب انتاجها ومخزونها من النفط وموقعها الاستراتيجي الهام دوراً بالغ الفاعلية على مصالح اوروبا والولايات المتحدة الامريكية الاقتصادية والاستراتيجية .

أما على المستوى العسكري فقد تحققت بعض النتائج المادية المحدودة بالنسبة إلى الاراضي المحتلة في العام ١٩٦٧ ، جسدتها اتفاقيتي الفصل بين القوات على الجبهتين (انظر فصل القوات) . وكانت هذه النتائج اكثر اهمية ووضوحاً على الجبهة المصرية حيث حقق وجود القوات المصرية (المخفف) على شريط عرضه ١٠ كم بامتداد الضفة الشرقية للقناة ، وابتعاد القوات الاسرائيلية (المخففة) مسافة ٢٠ كم عن القناة ، امكانية اعادة فتح القناة للملاحة الدولية في ١٩٧٥/٦/٥ . ولكن النتائج العسكرية الرئيسية للحرب تمثلت في أخذ الجيوش العربية ، أي الجيشان المصري والسوري اساساً ، لزمام المبادرة الاستراتيجية الهجومية لأول مرة منذ حرب ١٩٤٨ ، وتحقيقها عدة نجاحات عملياتية وتكتيكية في المرحلة الاولى من الهجوم (عبور القناة واقتحام خط بارليف وتأمين رؤوس الجسور ضد هجمات الطيران والهجمات المعاكسة المدرعة ، واختراق دفاعات الجولان خاصة في القطاع الجنوبي واحتلال مرصد جبل الشيخ) أدت الى هز اسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر وإلحاق خسائر فادحة به سواء في الدبابات أو الطائرات أو الرجال ، وتبديد خرافة عجز الجندي العربي واستحالة اتقانه استخدام الاسلحة المتطورة تقنياً التي رسختها هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ والدعاية الصهيونية التي اعقبتها . **ولقد اهتزت أيضاً** اسس نظرية الامن الاسرائيلية (أي الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية) المتمثلة في مبادئ التفوق المطلق ، والردع ، والحدود الآمنة (الأمن الجغرافي) ، والحرب القصيرة الخاطفة المعتمدة على ثنائي « الطائرة الدبابة » ، والهجوم المضاد الاجهاضي ، والاعتماد على القوة الذاتية ، وضرورة البقاء في شرم الشيخ لتأمين حرية الملاحة الى إيلات .

ولقد أثبتت الهجمات العربية الاولى والنجاحات التي حققتها أن الجيش الاسرائيلي لا يملك التفوق المطلق وقوة الردع التي كان يتصورها قادة اسرائيل السياسيين والعسكريين ، وأن قناة السويس ومرتفعات الجولان لم يكونا مانعين طبيعيين للحيلولة دون تقدم الجيوش العربية على النحو الذي نادى به اصحاب نظرية « الحدود الآمنة » (رغم أن الاراضي المحتلة في العام ١٩٦٧ قد وفرت عمقاً استراتيجياً ملائماً للدفاع الاسرائيلي) ، وان من الممكن تعطيل الملاحة الى ايلات عند باب المندب ، وكذلك فشلت اساليب الحرب الخاطفة نتيجة لتطبيق القوات المصرية والسورية تكتيكات ملائمة ضد الدبابات والطائرات الاسرائيلية واضعاف التعاون التكتيكي بينهما في مجال حرب الحركة ، وتحولت الحرب إلى نوع من حرب الاستنزاف الشاملة الطويلة نسبياً ، الامر الذي أفشل اسس نظرية الحرب القصيرة الاسرائيلية ، واضطر اسرائيل الى طلب العون العسكري الامريكي العاجل (انظر الجسر الجوي) لسد الخسائر في الطائرات والدبابات والنقص الخطير في الذخيرة ، ومن ثم انهيار مبدأ الاعتماد على القوة الذاتية الاسرائيلية .

وأدى استخدام النفط كسلاح (باشكال متباينة الطابع والاهمية) إلى هز الاقتصاد العالمي ، وخلق شرخ بين الولايات المتحدة وحليفاتها (أوروبا واليابان) الأمر الذي جعل واشنطن تعمل ما في وسعها لايجاد حل للصراع في المنطقة يضمن عدم انفجار الحرب من جديد .

ونتيجة لذلك كله تدهورت المعنويات داخل اسرائيل واهتزت الثقة في قدرتها العسكرية المطلقة داخلياً وخارجياً ، وبالمقابل ارتفعت المعنويات العربية واصبحت القدرة العسكرية العربية عنصراً يدخل في التقدير بدرجة اكبر بكثير مما كان عليه الحال من قبل في نظر القوى الدولية المعنية بالشرق الاوسط .

(١) حرب العصابات أو حرب الغوار

حرب العصابات Guerre de guerilla ، تقنية عسكرية - سياسية من تقنيات الحرب الثورية . يستخدمها الطرف الأضعف مادياً للتغلب على خصم قوي ، عندما يجد أن المجابهة النظامية ليست من مصلحته ، وأن انتصاره على الخصم يتطلب : اللجوء إلى الحيلة ، والخداع ، والمرونة ، والحركية ، ومناعة الأرض والعمل السياسي ، وتعاون السكان ، ومعرفة مسرح العمليات بشكل جيد . ولا تعتبر حرب العصابات شكلا مستقلا من اشكال الحرب ، ولكنها خطوة من خطوات الكفاح المسلح ضمن إطار الحرب الثورية .

استخدمت حرب العصابات عبر العصور ، وخاصتها مختلف الشعوب ضد الغزاة الخارجيين أو الطغاة الداخليين . ورغم تباين التكتيكات المستخدمة في حرب العصابات - بسبب تباين الأسلحة والمعدات الحربية عبر العصور - فان جميع حروب العصابات في التاريخ تتسم بسمة واحدة ، هي قيام الطرف الأضعف بالصراع ضد الطرف الأقوى ، وهو يأمل بالنصر رغم اختلال ميزان القوى بشكل كبير . ولقد استخدمت حرب العصابات منذ القدم في التمردات والانتفاضات والهبات الفلاحية مثل ثورة سبارتاكوس زعيم الثائرين ضد روما (٧٣ - ٧١ قبل الميلاد) ، وثورة الزنج في العراق (٨٦٩ - ٨٨٣) ، وعمليات تحالف الغول بقيادة فيرسينجيتوريكس ضد يوليوس قيصر ، والنزاع بين الأرمنياك والبورغينين في فرنسا في مطلع القرن الخامس عشر ، والثورة الاميركية ضد البرتغاليين (١٧٧٥ - ١٧٨١) ، وحرب العصابات الفرنسية في الڤاندي ضد جيوش الثورة الفرنسية (١٧٩٣) . ثم استخدمها الجنوبيون ضد الشماليين خلال الحرب الأهلية الأميركية (١٨٦١ -

١٨٦٥)، واستخدمها الاسبان ضد جيوش نابليون التي غزت اسبانيا (١٨٠٨ – ١٨١٣). وفي العام ١٨١٢ غزا نابليون روسيا القيصرية وهزم جيوشها ودق أبواب موسكو، وعندما انسحب الجيش الروسي أمامه وامتنع عن مجابهته وجاء فصل الشتاء اضطر جيش نابليون إلى الانسحاب فشن الفلاحون الروس وفرسان القوزاق ضده حرب عصابات منهكة دمرت جيشه الكبير (انظر الجيش الكبير). ولقد طبق العرب حرب العصابات ضد المستعمرين الأوروبيين في شمالي أفريقيا منذ القرن التاسع عشر، ثم طبقها عرب المشرق بنجاح ضد العثمانيين خلال الحرب العالمية الأولى (انظر الثورة العربية الكبرى). وفي الفترة بين ١٩١٨ و ١٩٢٠ اضطر السوفيات إلى استخدام حرب العصابات ضد مؤخرات الجيوش الروسية البيضاء ومؤخرات جيوش المتدخلين (انظر الحرب الاهلية الروسية). ولجأ السوريون إلى حرب العصابات ضد فرنسا منذ العام ١٩١٩ حتى العام ١٩٢٦ (انظر الثورات السورية)، كما لجأ اليها الفلسطينيون العرب في صراعهم ضد السلطات البريطانية والمستوطنين اليهود (انظر ثورة ١٩٣٦ – ١٩٣٩، وجيش الجهاد المقدس، وجيش الانقاذ). وعندما غزا الايطاليون الحبشة (١٩٣٥ – ١٩٣٦) طبق الاحباش حرب العصابات. كما طبقها الكوريون في صراعهم مع اليابانيين (١٩٣٦ – ١٩٤٥)، وسكان الهند الصينية في نضالهم الطويل قبل الحرب العالمية الثانية ضد المستعمرين اليابانيين والأوروبيين، وسكان اميركا اللاتينية في ثوراتهم ضد المستعمرين الأوروبيين والاميركيين الشماليين والحكام المحليين المستبدين.

وفي مطلع الحرب العالمية الثانية اجتاحت جيوش المانيا النازية معظم بلدان اوروبا، فنظم الأوروبيون قوات الأنصار التي شنت حرب عصابات عنيفة ضد مؤخرات الالمان في الاتحاد السوفياتي ويوغوسلافيا وبولونيا واليونان وأوروبا الغربية. وكانت تستفيد من دعم الحلفاء، وتعمل كقوة مساعدة للجيوش النظامية التي كانت تضغط على جيوش النازيين في الجبهتين الشرقية والغربية. وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية، وبدأت بلدان العالم الثالث ثوراتها في أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية، طبق الثوار حرب العصابات بشكلها المتطور الذي وضع ماو تسي تونغ أسسه وقواعده بشكل متكامل جعله المنظر الأول لحرب العصابات.

وترجع صحة مبادئ ماو تسي تونغ إلى عاملين: أولهما أنه مارس حرب العصابات وقادها بنفسه منذ العام ١٩٢٧ حتى العام ١٩٤٩، فاستطاع أن يستنبط مبادئها ودروسها بشكل عملي. أما العامل الثاني، فهو أن التجربة الصينية في حرب العصابات طويلة غنية تراكمت فيها الخبرات والدروس عبر السنين. فلقد شن شعب سان يوان لي حرب العصابات ضد الانكليز بين عامي ١٨٤١ و ١٨٤٢، وطبقت ثورة التايبنغ (١٨٥١ – ١٨٦٤) حرب العصابات، كما طبقتها ثورة البوكسرز (١٨٩٩). ولقد ظل الجيش الأحمر الصيني يمارس حرب العصابات ضد اليابانيين بشكل مستمر منذ العام ١٩٢٧ حتى العام ١٩٤٥، كما مارس حرب العصابات في بعض مراحل الصراع ضد قوات تشانغ كاي تشيك حتى انتصرت الثورة الصينية في العام ١٩٤٩.

استراتيجية حرب العصابات: تعتبر حرب العصابات، من الناحية الاستراتيجية جزءاً مكملا لحرب الحركة أو الحرب النظامية ضمن إطار الحرب الثورية. وتتركز استراتيجية حرب العصابات (وهي في جوهرها استراتيجية دفاعية ذات طابع هجومي) على النقاط التالية: إنهاك العدو بضربات مستمرة وطويلة (وخزات الإبر)، الصراع باسلوب الضعيف ضد القوي، العمل على مؤخرة العدو، إقامة القواعد الآمنة، توسيع مناطق الحرب باستمرار لاجبار العدو على التبعثر وجعله ضعيفاً في كل مكان، عدم التمسك بالأرض، الحفاظ على القوة الذاتية وتنميتها وتحطيم قوة العدو مادياً ومعنوياً، تأمين التنسيق بين عمل العصابات وعمل القوات النظامية أو شبه النظامية التي تشن حرب الحركة، الاستمرار في الضرب في الزمان والمكان لخلق حالة انعدام الأمن، التلاحم مع السكان، التحول بالتدريج من حرب عصابات إلى حرب حركة. ويتطلب تنفيذ هذه الاستراتيجية الشروط التالية: الاحتفاظ بالمبادرة، تطبيق اليقظة الثورية، إقامة القواعد الآمنة، ادارة العمليات بحيث تكمل عمليات القوات النظامية أو شبه النظامية، تفهم العلاقة بين الهجوم والدفاع، تطوير العمليات المتحركة، القيادة السليمة، طرح الفكرة السياسية التي تستقطب السكان.

تكتيك حرب العصابات: على الرغم من أن استراتيجية حرب العصابات استراتيجية دفاعية، فان تكتيك هذه الحرب تكتيك هجومي. ورغم اختلال ميزان القوى ضد مصلحة العصابات على المستوى الاستراتيجي، فانها تسعى إلى تأمين التفوق على المستوى التكتيكي. ولتحقيق ذلك تطبق العصابات تكتيكات هجومية الطابع: كالاغارات، والدوريات، والهجمات على المواقع المنعزلة، والكمائن، والاغتيالات وحرب الالغام والمتفجرات، وقصف المواقع الحساسة بوحدات قصف متحركة، والحرب السرية.

ولا تستطيع العصابات تنفيذ مهامها التكتيكية وتحقيق التفوق التكتيكي رغم عدم التفوق الاستراتيجي إلا إذا لجأت إلى الافادة من الديناميكية، وسرعة الحركة، والعمل ليلا، وتجنب الاشتباك في الظروف غير الملائمة، والخداع، والانتشار قبل العملية والتجمع خلالها ثم الانتشار بعدها، والمباغتة، والافادة من المعلومات الصحيحة عن العدو، والافادة من معرفة الأرض، والاعتماد على الشجاعة والبداهة والروح المعنوية العالية، وحسن اختيار الاهداف الحساسة التي يؤدي ضربها إلى التأثير على مكامن حساسية العدو (قوته البشرية، أو خطوط مواصلاته، أو مستودعات تموينه.. الخ)، واتقان عمليات الانسحاب والاختفاء والذوبان بين السكان.

نشوء العصابات وتطورها: تولد العصابات عادة بشكل عفوي كرد على القهر الوطني أو الاجتماعي. وتكون في البداية عبارة عن مجموعات صغيرة تتجمع في منطقة وعرة يصعب الوصول إليها أو في منطقة مجاورة لحدود البلاد، وتمارس العمل العسكري على نطاق محدود وبشكل حذر هو أقرب إلى أساليب الحرب السرية. وباستثناء الثورة الصينية التي سبقها اعداد سياسي – عسكري، فان جميع حروب العصابات في العصر الحديث اندلعت بشكل عفوي بسبب التذمر من الوضع القائم المتمثل بحكومة أجنبية استعمارية أو حكومة محلية قمعية أو حكومة محلية تعمل في خدمة المستعمرين.

وقد تتشكل في بعض الأحيان عدة عصابات تعمل في مناطق متباعدة ودونما تنسيق او اتصال بينها. واذا استثنينا الحالة التي تتشكل فيها العصابات من عسكريي جيش مهزوم، وجدنا أن العصابات تضم في البداية ضباطاً ومحاربين قدماء في حرب عصابات أو حرب أهلية سابقة، وطلاباً، ومثقفين، وقادة أحزاب، وعمالا، وفلاحين، وجنوداً هاربين من الخدمة. ويكون تنظيم هذه العصابات وتدريبها وتسليحها وانضباطها ومستوى قيادتها بدائية. وتكون العصابات نفسها معرضة في هذه المرحلة لخطر تلقي ضربة قوية تقضي عليها بسرعة.

ثم تبدأ العصابات بتوسيع نشاطها، وتبعث مندوبيها إلى المناطق المجاورة لبث أفكارها واستقطاب أعداد من المتطوعين وجمع الأموال والمؤن والاسلحة.

ويتطوع في صفوفها المزيد من المقاتلين الذين يأتون إلى مناطق العصابات عادة بدون اسلحتهم. وتحاول تنظيم أمور التدريب والتسليح والتنظيم والقيادة والاتصال والتموين والانضباط والاستخبارات. وتبدأ السعي للاتصال مع التنظيمات السياسية في المدن ومع العصابات الأخرى العاملة في المناطق المجاورة. وعندما تتزايد قوتها تبدأ بشن حرب العصابات الصغيرة، وتنظم قواتها إلى أرتال تعمل مستقلة عن بعضها، وترتبط مع مصادر الاستخبارات والتموين بشبكات منظمة. ويكون لها قيادتها السياسية والعسكرية (المستقلتين عن بعضهما أو المتحدتين بقيادة واحدة). وتكون العصابات في هذه المرحلة متحركة، كثيرة التنقل حتى لا تقدم للعدو هدفاً ثابتاً يسهل تدميره.

وفي مرحلة أعلى من تطور حرب العصابات تخلق العصابات لنفسها قاعدة آمنة، وتنظم قواتها شبه النظامية، وتؤمن مصادر التسليح والتموين، وتحقق الوحدة بين العصابات المختلفة مستخدمة احياناً التصفيات، وتستخدم تكتيكات حرب العصابات الكبيرة مع الحفاظ على مبدأ تحاشي القتال الذي يختار العدو زمانه ومكانه. ويبدو من دراسة تاريخ حروب العصابات أن هذا المبدأ لم يفهم دائماً، الأمر الذي دفع العصابات إلى خلق مناطق آمنة والدفاع عنها والصدام مع العدو في معركة غير متكافئة، وهذا ما وقع في يوغوسلافيا خلال الحرب العالمية الثانية، وفي فرنسا بعد انزال النورماندي، وفي الأردن عندما جابهت قوات الثورة الفلسطينية الهجمة الأردنية في عمان (ايلول ١٩٧٠) وجرش (تموز ١٩٧١). واننا لنجد صورة معاكسة تماماً لدى الانصار السوفييت خلال الحرب العالمية الثانية، ولدى قوات العصابات الكورية خلال الصراع ضد اليابانيين (١٩٣٦ – ١٩٤٥)، أو خلال العمل وراء القوات الاميركية خلال حرب التحرير الوطنية الكورية (١٩٥٠ – ١٩٥٣)، ولدى الفيتناميين خلال صراعهم ضد الفرنسيين أو ضد الاميركيين. فلقد برعت كل هذه الحركات في التجمع وتسديد الضربات، وقطع التماس بعد ذلك والذوبان في الطبيعة وبين السكان.

وفي هذه المرحلة يكون الارتباط مع القوات النظامية التقليدية أو المتطورة عن العصابات ارتباطاً وثيقاً، ويكون شغل العصابات الشاغل رفع مستوياتها: التنظيمي والتدريبي والتسليحي والقيادي والاداري والاستخباري لتكون مشابهة للقوات النظامية القادرة على شن حرب الحركة، وخلق جبهة ثانية فعالة وراء خطوط العدو، وتسديد الضربات اليه حتى يتم انهياره، ويبدأ بالتفتت. وعندها تكون الجبهة الثانية مستعدة للمشاركة في مطاردته وتصفيته.

إن تطور حرب العصابات بهذا الشكل نموذج من نماذج تطور العصابات، وهو النموذج الذي سارت عليه، إلى حد ما، الثورتان الصينية والفيتنامية، أما الأنصار السوفيات واليوغوسلاف فقد تطوروا وفق أسلوب آخر، نظراً لأن العصابات ضمت منذ البداية اعداداً كبيرة من العسكريين الذين تخلفوا وراء خطوط العدو، واتصلوا بسرعة مع الجيش الأحمر، وحصلوا منه على المساعدات المادية والكوادر السياسية والعسكرية. واذا كانت التجربة الكورية خلال النضال ضد اليابانيين (١٩٣٦ – ١٩٤٥) قد سارت على نموذج مشابه للنموذج الأول، دون أن تصل إلى نهايته، فان حرب العصابات الكورية ضد مؤخرات قوات الأمم المتحدة، في المرحلة الثانية من حرب التحرير الوطنية الكورية (١٩٥٠ – ١٩٥٣)، سارت على نموذج مشابه للنموذج الثاني مع اختلاف واحد، هو أن العصابات لم تتشكل من جنود تجاوزهم العدو فوجدوا أنفسهم على مؤخراتهم، بل من وحدات عسكرية حلتها القيادة، وكلفتها بالصعود إلى الجبال لخلق الجبهة الثانية وممارسة حرب العصابات على مؤخرات العدو. وليس من الضروري أن يتم تطور العصابات دائماً بشكل متصاعد، فهناك حالات تتعرض فيها العصابات لضربات تجبرها على التحول من حرب العصابات الكبيرة إلى حرب العصابات الصغيرة أو إلى الحرب السرية (الثورة الجزائرية، والثورة الفلسطينية)، ثم تعود إلى الصعود من جديد إلى مستوى أعلى.

تنظيم العصابات: ليس للعصابات تنظيم محدد يصلح لكل العصابات في كل الأزمنة والمناطق. وتكون الوحدة الاساسية للعصابات في البداية الجماعات والفصائل، ثم تتطور إلى السرايا والكتائب أحياناً (الثورة الكوبية). وهناك عصابات بقيت في مستوى الفصائل والسرايا. وعصابات شكلت ألوية وفرق (يوغوسلافيا). ووصل تشكيل العصابات في الثورة الصينية إلى مستوى الفيلق والجيش. ولكن تنظيم القطعات الكبرى في حرب العصابات لا يعني بالضرورة أن العصابات ستقاتل دائماً بتشكيلات كبرى، ولكنه يعني أن هذه العصابات قادرة على القتال بالقطعات الكبرى (حرب حركة)، وقادرة أيضاً على تقسيم القطعات الكبرى إلى وحدات صغرى تقاتل منفردة.

وبالاضافة إلى المجموعات القتالية، فان العصابات تقسم البلاد إلى مناطق وقطاعات ومحاور عمل، ويكون لها اركانها، واجهزتها المركزية الادارية، والاستخبارية، والدعائية، والتدريبية ... الخ. بالاضافة إلى اركان وأجهزة مختلفة للمناطق والقطاعات.

ومن الطبيعي أن يختلف تنظيم العصابات باختلاف مرحلة تطورها، وحجمها، وطبيعة الأرض التي تقاتل عليها، وديناميكية العدو الذي يجابهها، ومدى علاقتها بالجيش النظامي (عصابات ملحقة بالجيش، عصابات تتعاون مع الجيش، عصابات تقاتل مستقلة عن الجيش)، وطبيعة القيادة المسيطرة على العصابات (عصابات يقودها السياسيون، عصابات يقودها العسكريون، عصابات يقودها جهازان أحدهما سياسي والآخر عسكري).

حرب العصابات والقوات النظامية: تقاتل العصابات بالتعاون مع القوات النظامية في أغلب الأحيان، سواء كانت هذه القوات جيشاً وطنياً يقاتل عدواً خارجياً، أو عصابات تحولت إلى قوات نظامية وأخذت مهمة حرب الحركة ضد العدو الخارجي أو الداخلي. وتكون مهمة العصابات في جميع الحالات مساعدة القوات النظامية الصديقة على تدمير العدو وهزيمته (الاتحاد السوفياتي، الثورة الصينية، الثورة الفيتنامية، الصراع العربي الاسرائيلي الخ).

وفي جميع الحالات التي يوجد فيها قوات نظامية وعصابات، تخضع العصابات للمخطط الاستراتيجي الذي تضعه القوات النظامية، وتنفذ مهماتها وراء خطوط العدو لصالح هذا المخطط، وتقدم للقوات النظامية معلومات هامة جداً عن العدو. وهي تتلقى في الوقت نفسه دعماً بالاسلحة والذخائر والمعدات الحربية من القوات النظامية، كما تتلقى ضباط ارتباط، وكوادر قتالية وتقنية وسياسية.

ويتم التعاون على المستوى الاستراتيجي بشكلين:

١ – قوات العصابات تابعة للقوات النظامية ومرتبطة بها (الاتحاد السوفياتي خلال الحرب العالمية الثانية)،

٢ – قوات العصابات تتعاون مع القوات النظامية (عصابات ماو تسي تونغ المتعاونة مع جيش تشانغ كاي – تشيك خلال بعض مراحل الصراع ضد اليابانيين). ولقد لعبت الثورة الفلسطينية خلال حرب تشرين الأول ١٩٧٣ الدورين معاً، فكانت مرتبطة مع الجيش السوري خلال العمل على جبهته، ومتعاونة مع الجيوش العربية خلال العمل على جبهة الداخل. ويوجد في الحالة الأولى هيئة قيادة خاصة للعصابات تابعة للقيادة العامة، مهمتها نقل التعليمات وتلقي المعلومات من العصابات، أما في الحالة الثانية فتتشكل

هيئة ارتباط لتنسيق التعاون بين الطرفين .

ويتعلق العمل المشترك الذي تقوم به العصابات والقوات النظامية بمسألة التطابق الاستراتيجي للطرفين . ويكون هذا التطابق محققاً دائماً بين العصابات والقوات النظامية ذات الأصل العصابي (الجزائر ، فييتنام ، كمبوديا ، كوريا) . وهو يتحقق تلقائياً في الدول الاشتراكية التي يحتل العدو جزءاً من أراضيها ويدمر قسماً من قواتها المسلحة ولكنه لا يدمر كل هذه القوات ، لأن الحزب يقود القوات النظامية المتبقية والعصابات معاً (الاتحاد السوفياتي) . أما في الحالات التي تقاتل فيها جيوش وطنية بورجوازية وقوات عصابية ثورية ، فان التطابق الاستراتيجي يتحقق بفضل التحالف الوطني ضد العدو الخارجي (الصين ، الثوار الشيوعيون في أوروبا الغربية خلال الصراع ضد النازية) ، فاذا لم يتحقق هذا التطابق تعذر العمل المشترك وتعرضت العصابات للدمار (عصيان جيش الداخل البولوني في وارسو بقيادة بوركوموروفسكي في العام ١٩٤٤) .

حرب العصابات والسياسة : تحاول الجيوش التقليدية ابعاد العسكريين عن السياسة أما العصابات ، فهي تستخدم السياسة كسلاح رئيسي ، وتقوم بتثقيف عناصرها سياسياً لتعويض النقص المادي بالتفوق المعنوي – السياسي . وتبدأ توعية المقاتل العصابي (المغاور) سياسياً قبل تدريبه عسكرياً ، ولذا فانه لا يعتبر مجرد فلاح أو عامل أو طالب مسلح بقطعة سلاح قديمة ، ولكنه يعتبر قوة عقائدية مسلحة واعية مهمتها وعدالة الهدف الذي تقاتل من اجله ومستعدة للتضحية في سبيله . ولا تعني التضحية هنا استعداد المغاور للتضحية بحياته فحسب ، ولكنها تعني أيضاً استعداده لتحمل المشاق اليومية لحرب العصابات (مسيرات طويلة ، حرمان من العناية الطبية ، حرمان من الغذاء والملبس والراحة ... الخ) .

وتختلف العصابات الثورية عن مجموعات الانصار التقليدية والعصابات المضادة في أن الأولى مسيسة إلى حد بعيد ، وهذا ما يعطيها جوهرها الثوري . وترتبط السياسة هنا بتطلعات الجماهير ، ولهذا فان للعصابات الثورية دائماً برنامجاً سياسياً وقيادة سياسية ومفوضين سياسيين يعملون مع المقاتلين العصابيين . وتفيد السياسة العصابات في أنها تؤمن تلاحمها الداخلي وصلابة أفرادها وانضباطهم ، كما تفيد في الصمود أمام الدعايات المضادة .

وتلحق بالعصابات عادة ، وعلى مختلف المستويات ، وحدات دعاية سياسية ، مهمتها تثقيف المقاتلين وتأكيد حتمية انتصارهم ، ومحاربة الدعاية المضادة ، والعمل السياسي بين الجماهير ، والعمل على تفتيت العدو عن طريق طرح أفكار سياسية قادرة على اختراق الدعاية المعادية ، واكتساب بعض جنود العدو أو إفقادهم ثقتهم بالهدف الذي يقاتلون من أجله ، وإقناعهم باستحالة انتصارهم . ومن الطبيعي أن يكون مستوى التثقيف السياسي للقادة أعلى من مستوى التثقيف السياسي للمقاتلين . نظراً لأن القادة هم المحرك الدائم للروح المعنوية ، والقائمون على حفظ الانضباط واستمرار شعلة الحماسة متقدة داخل صفوف العصابات . وهم الذين يضربون المثل للمقاتلين عن طريق التضحية والمشاركة في المتاعب والحياة القاسية ومخاطر الحرب .

المركزية واللامركزية في حرب العصابات : تقاتل العصابات في ظروف صعبة وعلى أرض واسعة . وتكون وسائط الاتصال المتوفرة لديها عادة محدودة . ولذا فان مسألة المركزية واللامركزية تحتل مكاناً هاماً في حرب العصابات . وليس هناك قاعدة جامدة تحدد هذه المسألة المرتبطة بالوضع ، ولكن هناك على كل حال قاعدة يمكن اعتبارها دليلا في هذا المجال . وتقول هذه القاعدة : إن الاستراتيجية والتوجيه السياسي العام في العصابات مركزيان على حين أن التكتيك القتالي غير مركزي . ولهذا يعد قادة العصابات بشكل يرفع مستوى بداهتهم وقدرتهم على اتخاذ القرارات في حالة عملهم بمعزل عن رؤسائهم . ومن المؤكد أن على هؤلاء القادة أن يهتدوا بالخط الاستراتيجي العام وبتوجيهات المركز السياسية ، وأن يعودوا في أمور التكتيك إلى القيادة المركزية اذا كان الظرف والامكانات تسمح بذلك ، وأن يستخدموا بداهتهم في التوجيه السياسي لمقاتليهم وفي رسم الخطط التكتيكية اذا وجدوا أن العودة إلى القيادة المركزية متعذرة أو أنها تضيع وقتاً ثميناً .

وتأتي أهمية المركزية في التوجيه السياسي من ضرورة خلق وحدة فكرية داخل العصابات ، ومنع التجنح والتشرذم الايديولوجي ، أما المركزية في الإستراتيجية فتأتي من ضرورة تنسيق الجهود التكتيكية كلها لخدمة خط استراتيجي محدد . فاذا كان الهدف الاستراتيجي منع العدو من الحركة مثلا ، كان اختيار الاهداف التكتيكية التي تعرقل هذه الحركة (نسف جسر ، قطع طريق ، كمائن.. الخ) أمراً ضرورياً . أما اذا كان الهدف الاستراتيجي السماح للعدو بالتملص أمام ضغط قوة نظامية صديقة ، والحفاظ على المواصلات لتستخدمها القوات النظامية الصديقة خلال المطاردة ، كانت العمليات التكتيكية الرامية إلى عرقلة الحركة ضارة بالمخطط الاستراتيجي العام .

القواعد الآمنة : تخلق العصابات في مراحلها المتقدمة قواعد آمنة في مناطق محررة تركن اليها ، وتفرض فيها سلطتها الثورية . ونظراً لأهمية هذه المسألة فقد أفردنا لها بنداً خاصاً (انظر القواعد الآمنة).

الشؤون الادارية : تتمون العصابات عادة من المناطق التي تقاتل فيها معتمدة على دعم السكان دون القيام باستغلالهم . وتكون شؤونها الادارية (اللوجيستيكية) في البداية بسيطة جداً . وخاصة في المناطق الآهلة بالسكان . وكلما ازداد عدد العصابات تعقدت شؤونها الادارية ، واصبحت بحاجة لجهاز خاص يؤمن سيرها . وتزداد الصعوبات الادارية إلى حد كبير في المناطق الفقيرة التي تقل فيها المياه ومصادر الغذاء . وفي هذه الحالة يصبح تموين العصابات مرتبطاً بقواعدها الخارجية ، ويصبح خط التموين الذي يصلها مع الخارج نقاطاً حساسة تجتذب ضربات العدو وهجماته المتكررة ، وتجمد جزءاً من العصابات لحمايتها وتأمين حرية الحركة عليها . ويمكن للعصابات التي تشكل مناطق آمنة تأمين تموينها من هذه المناطق عن طريق شراء المواد والسلع المصنوعة من السكان ، أو عن طريق قيام العصابات نفسها بالمهمات الزراعية . ويتم نقل مؤن العصابات ليلا مع تحاشي الطرقات . ولذا فان عملية النقل تتم على ظهور الرجال ، أو على ظهور البغال والجمال (حسب طبيعة الأرض) . ولقد استخدمت العصابات الفيتنامية العجلات ومختلف وسائل الجر البدائية لنقل المؤن في المناطق شبه الآمنة لتجنب استخدام الآليات التي لا يتم نقل المؤن بها إلا في حالات نادرة .

والمسألة الادارية الثانية في العصابات هي الحصول على السلاح والذخيرة . ورغم بساطة سلاح العصابات وصغر حجم الذخائر المستخدمة بالنسبة إلى الذخائر التي تستخدمها القوات النظامية ، فان استمرار الامداد بالاسلحة أمر ضروري لزيادة عدد العصابات ، كما أن استمرار الإمداد بالذخيرة والالغام والمتفجرات مهم للحفاظ على الفاعلية القتالية . والمصدر الاساسي لسلاح العصابات وذخيرتها هو العدو الذي ينبغي تجريده من السلاح والذخائر لتسليح المتطوعين الجدد أو اكمال نواقص مستودعات العصابات . وهناك مصدر آخر للسلاح والذخيرة هو ما يحمله معهم جنود العدو الذين يلتحقون بصفوف العصابات . ولقد التحق بالعصابات الصينية عشرات الالوف من جنود تشانغ كاي – تشيك مع اسلحتهم الفردية وسياراتهم العسكرية وهاوناتهم ومدافعهم

وأجهزتهم اللاسلكية. والتحق بلواء اليرموك التابع للثورة الفلسطينية في أيلول ١٩٧٠ وبعده اعداد كبيرة من جنود الجيش الاردني المسلحين. كما التحق بقواعد العصابات الكوبية في السيرا مايسترا مئات الجنود المسلحين من جيش باتيستا. وتكمل العصابات تسليحها عن طريق المساعدات الخارجية المنقولة براً أو بحراً من دولة مجاورة صديقة (الثورات الصينية والفيتنامية والكمبودية والفلسطينية والماليزية) أو التي يتم اسقاطها بالمظلات في مناطق العصابات (العصابات العاملة وراء خطوط اليابانيين والالمان في الحرب العالمية الثانية). والمصدر الأخير لسلاح العصابات هو الصناعة المحلية. ولقد أنشأت الثورات الكوبية والصينية والفلسطينية والفيتنامية والكورية صناعة حربية أمنت لها الحصول على الكثير من الاسلحة والذخائر والالغام والمتفجرات والقنابل، كما أمنت لها اصلاح اسلحتها ومعداتها الحربية.

ومن الشؤون الادارية التي تهتم بها العصابات إقامة الادارة الثورية في المناطق المحررة، وجباية الأموال، وتأمين الاتصالات بمختلف الاساليب البدائية والتقنية، وتنظيم العناية الطبية للحفاظ على صحة المقاتلين وعلاجهم في حالات الإصابات وتقديم المساعدات الطبية للسكان الفقراء في المناطق التي تسيطر عليها العصابات.

وتعطي القوات المضادة للعصابات أهمية خاصة لعرقلة الشؤون الادارية عن طريق قطع مواصلات العصابات مع الخارج وعزلها عن الدول الصديقة المجاورة بحاجز كهربائي أو اليكتروني (خط ماكنمارا بين فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية، خط موريس على الحدود الجزائرية الشرقية، خط الغور على طول غور الأردن). ولكن هذه الخطوط التي تعرقل الامداد والتموين، وتزيد المعضلات الادارية للعصابات لا تمثل الحل الأفضل لأنها باهظة التكاليف، وتتطلب حراسة مستمرة تجمد جزءاً من القوات المضادة، وتقدم للعصابات اهدافاً صغيرة بعيدة متناثرة يمكن الهجوم عليها وتدميرها.

عناصر النجاح في حرب العصابات: إن نجاح حرب العصابات متوقف على بقائها واستمرار نشاطها السياسي والعسكري رغم تدابير العدو القمعية. ولقد استنبط منظرو حرب العصابات المحدثون (ماو تسي تونغ، وجياب، وجيفارا، ولورانس، وهو شي مينه، وتيتو) عناصر النجاح من خبراتهم وتجاربهم. وصاغوا نظرياتهم في هذه المجال. ويعتبر ماو تسي تونغ أشهر من نظر لهذا النوع من الحروب. وهو يذكر أنه استنبط نظرياته من تجاربه الشخصية، ودراسة تاريخ حرب العصابات، ودراسة كتاب صن تزو (فن الحب) الذي كتب قبل نحو ٢٤ قرناً. ثم قام منذ العام ١٩٢٧ بوضع قواعد حرب العصابات التي تتمثل بما يلي: التلاحم الوثيق بين السكان ومقاتلي العصابات، التراجع المنهجي أمام تقدم معاد قوي، استراتيجية واحد ضد خمسة، وتكتيك خمسة ضد واحد، الامداد والتموين والتسليح بفضل ما يتم الاستيلاء عليه من العدو. ولا شك في أن هذه القواعد المبسطة عناصر هامة لتحقيق النجاح. فالسكان، كما وصفهم ماو نفسه، هم الماء الذي يعيش فيه السمك (المقاتلون العصابيون)، وهم مصدر قوة العصابات ومعلوماتها والمواد اللازمة لحياتها، ومن المؤكد أن التعاون مع السكان يحدد طبيعة العصابات، فكل عصابات لا يقبلها السكان ولا يتعاونون معها، رغم محاولاتها لاجتذابهم، عصابات مضادة، أو على الأقل عصابات غير ثورية، لا تعرف معنى العمل الجماهيري ولا تثق بالجماهير ولا تتفهم طموحاتها أو لا تستطيع تجسيدها. والتراجع المنهجي عامل اساسي للحفاظ على القوى، وعدم الدخول في معركة غير متكافئة. وتكتيك واحد ضد خمسة رغم الضعف الاستراتيجي بنسبة خمسة ضد واحد يؤمن الحشد في الزمان والمكان المناسبين، ويحقق التفوق في نقطة الضربة. أما التسلح والتموين من يد العدو، فهو يعطي المقاتلين العصابيين الروح الهجومية وروح الاعتماد على النفس التي صاغها المارشال كيم إيل سونغ تحت اسم مبدأ «زوتشه».

وبالاضافة إلى هذه القواعد، فان هناك عوامل هامة لتحقيق النصر، تحدث عنها المنظرون الثوريون وأهمها: ١ – المرونة في التجمع والتبعثر ٢ – الاعتماد على المناطق الوعرة التي تؤمن الحماية، ٣ – ضرورة وجود أرض شاسعة لشن حرب العصابات (باستثناء الحرب السرية وحرب الالغام والمتفجرات)، ٤ – ضرورة رفع مستوى الاستخبارات الثورية لتأمين حيطة الثورة، مع الاعتماد في هذا المجال على تعاون السكان، ٥ – الاستناد إن أمكن على قاعدة آمنة خارجية أو داخل البلاد، ٦ – وجود امتداد أرضي صديق وخاصة عندما تكون الأرض التي تقاتل عليها العصابات محدودة المساحة، ٧ – الاعتماد على سلاح الفكر والتوعية السياسية لتعديل موازين القوى، ٨ – تنسيق العمل العصابي بين المدينة والريف، ٩ – وضع العدو أمام معضلة كبيرة تتمثل بالتبعثر لحماية كل الاهداف الأمر الذي يضعفه في كل مكان، أو التجمع للحصول على القوة الأمر الذي يفقده السيطرة على مناطق شاسعة تسقط بيد العصابات وتزيدها قوة.

ان حرب العصابات سلاح فعال بيد الشعوب المقهورة. ورغم الأهمية الكبيرة التي احتلتها حرب العصابات في التاريخين القديم والحديث، فان أهميتها في تزايد مستمر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ويرجع السبب في ذلك إلى ظهور الردع النووي وتوازن الرعب النووي، واستبعاد احتمالات اندلاع حرب شاملة بين المعسكرين الشرقي والغربي، وخاصة بعد اختراع القنبلة الهيدروجينية في العام ١٩٥٤ وتبني مبدأ الانتقام الشامل، وامكانية استخدام حرب العصابات لتحطيم السيطرة الاستعمارية على بلدان العالم الثالث دون التعرض لرد نووي.

ومن المؤكد أن استخدام الانتقام الشامل بالقنابل الهيدروجينية للرد على حرب العصابات أمر غير ممكن، فهو أشبه باستخدام المطرقة للقضاء على سرب من البعوض، وهذا ما دفع الامبرياليين الى تبني استراتيجية الحرب المحدودة للرد على حرب العصابات تحت مظلة الردع النووي. ومن هنا فان بالامكان اعتبار حرب العصابات والحرب المحلية والحرب المحدودة الحروب الممكنة في العصر النووي وستبقى كذلك ما دام الرعب النووي قائماً.

(٥) حرب الغواصات

هي مجموعة العمليات الحربية التي تستخدم فيها الغواصات ضمن اطار الاستراتيجية العسكرية البحرية.

وقد تكون هذه العمليات على شكل هجمات الغرض منها تدمير السفن الحربية والتجارية المعادية، بهدف تعطيل عمليات الامداد والتموين وقطع خطوط المواصلات البحرية، وفرض السيطرة على البحار. او القيام بمهام الغرض منها اضعاف العدو، مثل مهاجمة القطع الحربية المبحرة او الراسية في الموانىء والقواعد البحرية، او حماية القوات البحرية الصديقة من هجمات غواصات ومراكب السطح المعادية، أو المشاركة في حماية الموانىء وقوافل الامداد او انجاز عدد من المهام الثانوية مثل عمليات الانزال الخاصة للجواسيس او مجموعات التخريب، ونقل الاسلحة والمعدات للوحدات المعزولة قرب الشواطىء، وللقوات التي تشن حرب عصابات، او تقوم باستطلاع الشواطىء قبل الانزال. بالاضافة الى انها استخدمت خلال الحرب العالمية الثانية في عمليات زرع الالغام. (انظر غواصة، والحرب المضادة للغواصات، ومعركة الاطلسي).

(٨) الحرب الفرنسية — البروسية (١٨٧٠ — ١٨٧١)

هي الحرب التي اندلعت في ١٩ تموز (يوليو) ١٨٧٠ بين فرنسا التي كان يحكمها الامبراطور نابليون الثالث وبروسيا التي كان يحكمها الامبراطور غليوم الأول (بمساعدة رئيس وزرائه ووزير خارجيته الحديدي بسمارك)، وانتهت بانتصار الجيوش البروسية، وسقوط باريس في ٩ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠ وتوقيع معاهدة فرانكفورت في ١٠ أيار (مايو) ١٨٧١ التي خسرت فرنسا بموجبها مقاطعتي الالزاس واللورين، واضطرت إلى دفع غرامة مالية (٥ مليارات فرنك). وكان من أهم نتائجها السياسية ترسيخ الوحدة الالمانية وظهور الرايخ الثاني وتأسيس أول جيش حمل اسم «الجيش الالماني» في العام ١٨٧١.

في فترة ١٨٥٠ — ١٨٦٠ وصلت الثورة الصناعية الى ذروتها في انكلترا أولا ثم في فرنسا. وظهرت جميع التطورات التي أمكن الوصول اليها حتى منتصف القرن التاسع عشر، بما فيها مخترعات استخدام الطاقة والبخار، عبارة عن تطورات صغيرة أمام ما حدث خلال هذه الفترة. وتبع ذلك بالضرورة تعاظم المنافسة في مجال الاستيراد والتصدير والتجارة. وظهر التطاحن والسباق للحصول على المواد الخام (المواد الأولية)، ورافق ذلك تطور المدن واتساعها. وقد اندفعت بروسيا بسرعة في طريق التطور الرأسمالي، وتحولت برلين منذ الخمسينات الى مركز صاحب لبناء الآلات. ثم حدث الانقلاب الصناعي في كل من النمسا وايطاليا بعد حوالي عشرين عاماً من حدوثه في فرنسا، كما تطورت الرأسمالية في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل سريع، خاصة بعد انتصار رأسماليي الشمال على اقطاعيي الجنوب نتيجة الحرب الأهلية (١٨٦١ — ١٨٦٥). وكان من الطبيعي ان تبدأ التناقضات في اوروبا بسبب هذه التطورات، مع ما رافقها من تطور اجتماعي، وظهور النزعات القومية التي أوجدت الدوافع الايديولوجية للصراع. وقد استطاعت بروسيا أن تحل بقوة السلاح نزاعها مع النمسا من أجل توحيد المانيا في دولة واحدة. وانتهى هذا النزاع بانتصار بروسيا في ٣ تموز (يوليو) ١٨٦٦ (معركة سادوفا).

ولم تكن النمسا وحدها تقف موقف العداء من الوحدة الالمانية تحت زعامة بروسيا، بل كانت فرنسا ترى أيضاً ضرورة إبقاء المانيا مجزأة، حتى تستطيع فرض سيطرتها على أوروبا. وكانت التفاعلات الداخلية في فرنسا تبحث عن مخرج لها، الأمر الذي دفع امبراطور فرنسا نابليون الثالث إلى اعلان الحرب على بروسيا في ١٩ تموز (يوليو) ١٨٧٠.

كانت القوات البروسية تقسم إلى قوات ميدانية عاملة وقوات احتياطية وحاميات للمدن. وكان تعدادها العام، حسب ملاكات الحرب يزيد عن ٩٤٤ ألف رجل. وكانت المشاة البروسية مسلحة ببندقية «دريزه» المزودة بأبرة القدح والتي يمكن تلقيمها من الخلف، وتسمح بالرمي منبطحاً حتى مسافة ٦٠٠ متر. كما كانت المدفعية البروسية مسلحة بمدفع محلزن من صناعة «كروب» يصل مداه إلى ٣,٥ كيلومترات. وكانت القوات البرية الفرنسية مؤلفة من قوات عاملة وقوات احتياطية وحرس وطني. وكان تعدادها حسب ملاك الحرب ٧٧٠ ألف رجل. وكانت المشاة الفرنسية مسلحة ببندقية «شاسبو» المحلزنة المجهزة بأبرة. وكانت هذه البندقية تلقم من الخلف. وتمتاز على البندقية البروسية «دريزه» ببعد مداها (١٥٠٠ متر). كما كانت المدفعية الفرنسية مجهزة بمدافع برونزية تلقم من الفوهة، ويصل مداها إلى ٢,٨ كيلومتر فقط وكانت القوات الفرنسية مجموعة داخل جيش واحد (جيش الرين). وكان الجيشان الفرنسي والبروسي يتبنيان — رغم تطور الاسلحة النارية — تكتيك القتال بالأرتال.

كانت الفكرة الاساسية لهجوم الجيش البروسي تتلخص في تدمير التجمع الفرنسي الرئيسي بالقوى المتفوقة، وطرد ما تبقى منها إلى الشمال نحو الحدود البلجيكية ثم التقدم إلى باريس. ولقد بدأت تعبئة القوات البروسية في مرحلة التوتر التي سبقت اعلان الحرب (١٦ تموز (يوليو) ١٨٧٠). واستطاعت القيادة البروسية خلال ١٨ يوماً جمع قوات الهجوم الكبيرة وتوجيهها إلى الحدود الفرنسية — البروسية بفضل كفاءة السكك الحديدية. وكانت خطة الهجوم البروسية مبنية على تقسيم القوات المهاجمة إلى ثلاثة جيوش يدخل الجيشان الأول والثاني مقاطعة اللورين، على حين يدخل الجيش الثالث مقاطعة الالزاس، ثم تتابع الجيوش تقدمها نحو باريس.

أ — **المرحلة الأولى:** بدأت هذه المرحلة منذ المعارك الأولى بين الطرفين في ٦ آب (أغسطس) وانتهت بانتصار البروسيين في معركة سيدان (١٨٧٠/٩/٢). وظهر منذ بداية القتال تفوق البندقية الفرنسية «شاسبو» على البندقية البروسية «دريزه»، ولكن المدفعية البروسية كانت اكثر تأثيراً من المدفعية الفرنسية. وقد ظهر ان السلاح الرشاش الفرنسي ذا الـ ٢٥ سبطانة، سلاح من أقوى الاسلحة الدفاعية حيث وصلت سرعة الرمي فيه حتى ٢٥٠ طلقة في الدقيقة، وكانت رماياته مؤثرة حتى مسافة ١٥٠٠ م، وكان يوضع على قوائم عند الرمي ويحمل على الجياد عند الحركة. وظهرت منذ الفترة الأولى مساوئ عديدة في تكتيك الجانبين. فقد هجم البروسيون بالصفوف المتراصة، الأمر الذي أدى الى تكبدهم خسائر فادحة بسبب النيران الفرنسية القوية. وقد زاد الأمر سوءاً الهجوم البروسي الذي لم يكن يعتمد على الالتفاف أو المناورة. وكان من أكبر أخطاء الفرنسيين، عدم اتخذهم بمبدأ الدعم المتبادل وتنسيق التعاون بين القوات، بحيث كانت كل وحدة عاجزة عن تقديم الدعم للوحدة المجاورة، الأمر الذي أدى الى تدميرها على أقسام، وبالتتابع. وفي يوم ٩ آب (أغسطس) وضع البروسيون للخيالة مهمة جديدة نظراً لانقطاع التماس مع الفرنسيين، فتم تكليف الخيالة بالاندفاع الى الأمام لتنفيذ واجب الاستطلاع وممارسة اعمال الاغارات على القوات الفرنسية مع دعم وحدات الطليعة المرسلة من قوات المشاة. وقرب قلعة ميتز حصلت ثلاث مواقع: الأولى بتاريخ ١٤ آب (أغسطس) على الشاطئ الشرقي لنهر موزل، والثانية في ١٦ آب (اغسطس) على الشاطئ الغربي لنهر موزل، والثالثة في ١٨ آب (اغسطس) في منطقة سان بريفا — غرافلوت. وكانت الموقعة الثالثة من المواقع الكبيرة، حيث بلغ عدد قوات جيش الرين الفرنسي حوالي ١٥٠ ألف رجل على حين كان عدد افراد الجيشين الأول والثاني البروسيين حوالي ٢٨٤ ألف رجل. فكان ميزان القوى يعادل اثنين الى واحد لصالح بروسيا. وقد دافعت القوات الفرنسية على جبهة تقدر بأحد عشر كيلومتراً، بينما انتشرت القوات البروسية للهجوم على جبهة عرضها اربعة عشر كيلومتراً تقريباً. وكانت خطتها تهدف الى تدمير الدفاع الفرنسي بضربة جبهية ساحقة بقوة مائتي ألف رجل. واستطاعت هذه القوات أن تدفع القوات الفرنسية قليلا الى الخلف من مواقعها بعد ان تكبدت خسائر فادحة دون أن تستطيع اختراق الدفاع.

تعتبر موقعة سان بريفا — غرافلوت، مثالا لتطور المعركة من الحركة مباشرة، اذ هاجم الألمان المواقع الفرنسية لدى وصولهم مباشرة، ودون أي توقف. وكانت المدفعية الألمانية في أعلى التل الأمر الذي مكنها من سبق عدوها في فتح النار، ويعتبر عمل المدفعية هذا ظاهرة جديدة لم يسبق استخدامها من قبل. ومع ذلك فان نيران المدفعية وهجمات المشاة الألمانية لم تستطع الحصول على أي نجاح.

وبقيت المواقع الفرنسية صامدة أمام الهجمات الجبهية الألمانية . وكان لهجوم الحرس الألماني قرب سان بريفا أهمية خاصة ، اذ هاجم رجـال الحرس بصفوف متراصة على أرض مفتوحة . وكانت مرافق الجنود ملتصقة ضمن كل رتل ، فكان التقدم ينفذ بايعاز (يسار – يمين) وبشكل منسجم مع ضربات الطبول وعزف البواقين ، ولم يكن لدى جنود الحرس امكانية استخدام السلاح الا ابتداء من مسافة ستمائة متر وفقاً لخواص السلاح . وبما أن مدى السلاح الفرنسي كان اكثر من ذلك ، فقد أمطر الجنود الفرنسيون الألمان المهاجمين وابلا غزيراً من الرصاص ، وكبدوهم خسائر فادحة ، ولم يستطع الألمان الوصول حتى مسافة ستمائة متر ، أي الى المدى المجدي الذي يسمح باستخدام سلاحهم « دريزه » الا بمساعدة قوية من المدفعية وبثمن باهظ . ونتيجة للخسائر الفادحة التي تكبدتها القوات الألمانية ، ترك الجنود الألمان بشكل عفوي الأرتال التي انتظموا فيها ، وانتشروا بتراتيب صفوف المشاة ، وعرقل الطين حركة التقدم مع فتح النار . وفي المساء استطاع الحرس احتلال سان بريفا بعد أن تم تعزيزهم بفيلقي مشاة ، وبلغت خسائر الألمان اكثر من عشرين ألف مقاتل ، وكانت خسائر الفرنسيين حوالي ثلاثة عشر ألفاً .

وقد خشي القائد الفرنسي المارشال بازن – بعد سقوط سان بريفا – خطر الالتفاف حول جناحه الأيمن ، فقرر الانسحاب الى مدينة ميتز المحصنة . وبذلك لم تتمكن القيادة الألمانية العليا من تنفيذ مخططها الرامي الى تدمير الجيش الفرنسي أو دحره نحو الشمال . ولم يكن حصار مدينة ميتز داخلا في المخطط الأساسي للحرب . ولكن دخول الالمان مدينة ميتز كان يعني خلق وضع جـد حاسم للمرحلة الاولى من الصراع الألماني – الفرنسي ، والتي انتهت بكارثة سيدان . فقد عملت القيادة الالمانية على تشكيل جيش خاص من الجيشين الأول والثاني بقوة مائتي ألف مقاتل لحصار مدينة ميتز المحصنة . كما شكلت جيشاً آخر دعي بالجيش الثالث قوامه حوالي ٢٢٤ ألف مقاتل مدعم بـ٨١٣ مدفعاً ، وتم تكليفه بواجب الهجوم عـلى الجيش الفرنسي المتمركز في منطقة شالون ، والبالغ عدده حوالي مائة واربعين ألفاً . وقررت الحكومة الفرنسية دفع جيشها المتمركز في منطقة شالون نحو مدينة ميتز لمساعدة جيش المارشال بازن المطوق فيها .

وفي ٣١ آب (اغسطس) ، تمـركز الجيش الفرنسي القادم من شالون حول مدينة سيدان . وكانت مناورة القوات الفرنسية في هذا المكان محدودة جداً بسبب وجود نهر ماس والحدود البلجيكية التي تبعد حوالي ثمانية كيلومترات . ولهذا السبب بلغ عمق المواضع المحتلة من ثلاثة الى اربعة كيلومترات . وفي اليوم الأول من ايلول (سبتمبر) هاجم الجيش الألماني الثالث مدينة سيدان من الشمال والغرب معاً واستطاع تطويقها . وفي الثاني من ايلول (سبتمبر) وبعد معركة طاحنة استسلمت القوات الفرنسية في شالون وأسر الألمان حوالي مئة وأربعة آلاف رجل ، في مقدمتهم الامبراطور نابليون الثالث ذاته .

ب – **المرحلة الثانية :** كانت كارثة سيدان فشلا ذريعاً لسياسة الامبراطورية الفرنسية . ذلك لأن الحكومة الفرنسية المنفصلة عن الشعب ، والتي كانت تخاف الثورة ، وضعت أمام القيادة العسكرية واجبات استراتيجية ليس بامكانها تنفيذها . وهي تحرير جيش الرين الذي يقوده المارشال بازن من الحصار في ميتز بقوة جيش شالون الصغير . وقد سببت هذه المغامرة غير المحسوبة حرمان فرنسا من قسم كبير وهام من قواتها المسلحة . ونتيجة لهذه الكارثة وبعد سقوط سيدان بيومين فقط ، (٤ ايلول ١٨٧٠) اندلعت نيران الثورة في باريس ، وأعلنت الجمهورية ، وتشكلت حكومة بورجوازية ، وانتشرت الحركة الجماهيرية لحماية الوطن ، فتم خلال فترة قصيرة تشكيل ثلاثة جيوش جديدة ، وبدأت منذ هذه اللحظة المرحلة الثانية من حرب ١٨٧٠ . فقد تحركت الجيوش الألمانية في اتجاه باريس ، وطوقتها ، وبدأ حصار باريس منذ يوم ١٩ ايلول (سبتمبر) ، واستمر اكثر من أربعة أشهر ، انتشرت خلالها حركة الأنصار بشكل واسع ، وفي ٢٧ تشرين الأول (اكتوبر) سلم المارشال بازن مدينة ميتز للألمان ، مع ١٥٠ ألف رجل ، بعد حصار استمر مدة ٧٢ يوماً . وكان ذلك صدمة عنيفة اهتزت لها الجمهورية الفرنسية ، وأصبحت الحكومة الفرنسية البورجوازية تخاف حركة الجماهير المسلحـة ، ولقد دفعها هذا الى طلب الصلح في ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٧١ وعقد معاهدة سلم مع الالمان . وعلى اثر ذلك قامت البروليتاريا المسلحة بثورتها في ١٨ آذار (مارس) وشكلت كومونة باريس .

لقد برهنت المرحلة الأولى من هذه الحرب على فشل ترتيب القتال القائم على ارتال السرايا وارتال الكتائب فشلا نهائيـاً ، وضرورة استبداله بترتيب آخر تتوفر له شروط التوافق مع تطورات الأسلحة الحديثة ، ويضمن القدرة على التكيف بين النار والحركة . ولم تنجح جميع المحاولات الرامية الى دفع مفارز الجنود المنتظمين بترتيب الرتل الى الامام بتأثير النيران المعادية ، ولم يستطع الالمان فيما بعد متابعة المعركة الا بتراتيب صفوف المشاة التي لجأت اليها ارتال المشاة بشكل عفوي تجنباً للنيران الغزيرة الصادرة عن الأسلحة الفرنسية المعادية بالرغم من معارضة القيادة الألمانية العليا واعتبارها ان التخلي عن ترتيب الارتال هو خرق فاضح للنظام . وأصبح التقدم يتم فقط بقفزات ضمن المنطقة المضروبة بنيران الاسلحة المعادية .

وتشكل الحرب الفرنسية – البروسية نقطة انعطاف كبيرة في تطور فن الحرب ولها طابع جديد يختلف تماماً عن كل ما سبقها ، فقد اشترك في هذه الحرب من الجانبين عدد كبير من القوات يقدر بحوالي مليونين من المقاتلين . كما أن تدمير الجيوش الميدانية المعادية لم يتمكن من وضع نهاية للحرب . فقد شكلت فرنسا جيوشاً كبيرة عوضاً عن الجيوش المدمرة . وتبدل طابع خوض المعارك واسلوب ممارسة الحرب ، فقد ساهم الشعب بطاقاته المختلفة ، كما ان القدرة على تعويض الخسائر الكبيرة التي حلت بالقوات المسلحة اكدت فشل استراتيجية الحرب السريعة الخاطفة . وأدى انتشار الجيوش الكبيرة في مسرح الحرب الى ظهور امكانية العمل على جبهة واسعة . وقد سمحت الجبهة الواسعة بتنفيذ المناورة على اجناب العدو . وطرحت امام الاستراتيجية اعباء جديدة لمعالجة اسلوب دفع القوات نحو العدو الذي يحتل المواضع الدفاعية ، وطريقة التعامل مع جناحيه معاً في الهجوم . وقد حدث في هذه الحرب انعطاف اساسي في بناء تراتيب القتال في وحدات المشاة ، بعد ان هزمت تراتيب القتال المتراصة المعتمدة على نظام الارتال وحلت محلها تراتيب جديدة تعتمد على صفوف المشاة .

كان من أهم نتائج انتصار المانيا في حربها ضد فرنسا تنظيمها، ولأول مرة في التاريخ، هيئة أركان حرب عامة فعلية . وكانت هيئة الاركان هذه تضم فروعاً منها فرع لجمع المعلومات ، وفرع للاهتمام بالمسائل الاستراتيجية او التكتيكية ، وفرع لاعداد العمليات . وكانت التشكيلات العسكرية تضم بدورها هيئات للاركان تشابه تنظيم هيئة الاركان العامة ولكن على نطاق محدود . وكان ظهور هيئـات الاركان عاملا مساعداً لتوفير حرية العمل واعطاء القيادة قدراً من اللامركزية يتوافق مع التوسع في حجم الجيوش وزيادة عددها وانتشارهـا الواسع وامكانات مناوراتها . وكان تنظيم هيئة الاركان في القيادة البروسية من العوامل التي ضمنت لها شروط أفضل للنجاح .

كانت حرب ١٨٧٠ – ١٨٧١ حرباً محدودة، هدفها اقناع فرنسا بالتخلي عن عدوانيتها تجاه الوحدة الألمانية. وقد استطاع بسمارك تحديد هدف الحرب بدقة، وبذلك امكن له الوصول الى اتفاقية سلم معتدل لم تكسب منه المانيا سوى مقاطعتي الألزاس واللورين. ولقد ضمنت هذه الحرب لألمانيا وضعاً مسيطراً في أوروبا كلها. وعلاوة على ذلك فقد حصلت المانيا على اسواق لتجارتها وصناعتها. كما حصلت من فرنسا على ميزة الأمة المفضلة والمميزة في المجال الجمركي والتجاري. وكانت هذه الحرب متميزة ببعض الظواهر المتطورة، فقد استطاعت استنفار امكانات الأمة كلها، وربطت بين الفاعليات البشرية والفاعليات الاقتصادية والقوى الانتاجية، وحملت في مضمونها نواة حرب الانصار، مما اضطر الألمان الى احراق فونتيني سور موزيل وشاتوران رداً على هجمات الأنصار. وكانت النجاحات الأولى لحرب الانصار حافزاً لتطوير هذا النوع من الأعمال القتالية التي أخذت أبعادها فيما بعد في الحروب العالمية (ومنها الحرب العالمية الثانية بصورة خاصة) وقد استخدمت في هذه الحرب القطارات لنقل القوات والجيوش الألمانية.

(٥) الحرب الفرنسية — المكسيكية (١٨٦١ — ١٨٦٧)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٤) الحرب الفيتنامية — الاميركية (١٩٦٥ — ١٩٧٥)

كانت اميركا تعد نفسها، كي ترث فرنسا في منطقة الهند الصينية منذ العام ١٩٤٤ عندما اقترح الرئيس روزفلت فرض نوع من الوصاية الدولية على المنطقة بعد الحرب، وذلك بقصد تصفية الوجود الفرنسي هناك. ولكن بريطانيا عارضت هذا الاقتراح، حتى لا تنفرد اميركا بالنفوذ في جنوب شرقي آسيا. ولعل هذا كان هو السبب الذي اسرعت من اجله بريطانيا بعد الحرب، بنقل فرقة الجنرال «لوكلير» الفرنسية المدرعة الى سايغون بجنوب فيتنام، على ظهر سفنها الحربية، حتى تستطيع فرنسا استعادة نفوذها في المنطقة، وتسعى الى ابعاد النفوذ الاميركي الذي يحاول ان يتسلل اليها، من خلال وجود قوات «تشانغ كاي–شيك» في شمالي فيتنام، لنزع سلاح اليابانيين وفقاً لاتفاقية «بوتسدام». وقد نجحت فرنسا فعلا، بعد ان وطدت وجودها مرة اخرى في جنوبي فيتنام، ان تجبر «تشانغ كاي–شيك» على سحب قواته نهائياً من الشمال في ٣١ آذار (مارس) ١٩٤٦، ثم شرعت بعد ذلك في حربها ضد حكومة فيتنام الديمقراطية في نهاية العام نفسه (انظر الحرب الفيتنامية ـ الفرنسية).

وفي نهاية العام ١٩٥٠ اضطرت فرنسا الى طلب المعونة العسكرية والمالية من الولايات المتحدة، حتى تستطيع مواصلة حربها في فيتنام، بعد ان انقضت نحو اربع سنوات دون ان تحرز نصراً حاسماً. ووافقت الولايات المتحدة على تقديم هذه المساعدات لفرنسا، حتى تستطيع ان تهيىء لنفسها موطىء قدم في المنطقة، يتيح لها السيطرة عليها تدريجياً، وتصفية الوجود الفرنسي. ومع تدفق المساعدات الاميركية، التي بلغت قيمتها نحو اربعة آلاف مليون دولار حتى ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٥٤، تزايد النفوذ الاميركي في دول المنطقة بسرعة؛ واخذت وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية، تجندان العملاء السياسيين والعسكريين في كل من فيتنام ولاووس وكمبوديا، تمهيداً للاستيلاء على السلطة الداخلية في المستقبل لصالح الولايات المتحدة. ولقد كان «ديم» السياسي الفيتنامي المرشح لاداء هذا الدور في فيتنام. فهو سليل أسرة اقطاعية واسعة الثراء في وسط فيتنام، عريقة الارتباط بالمستعمرين تاريخياً، وقد سبق له العمل كوزير داخلية لحكومة الامبراطور «باوداي» في العام ١٩٣٣، اثناء فترة اخماد آثار ثورة ١٩٣٠. وهو في الوقت نفسه يكره الفرنسيين منذ ان استبدل بعد ذلك بشخص آخر شغل منصبه. ولذلك ظل يحمل حقداً شخصياً على فرنسا بعد ذلك، ثم عمل في المخابرات اليابانية خلال الحرب العالمية الثانية، وأسس حزباً سياسياً موالياً لليابان. وقد قبض عليه بعد نجاح ثورة آب (اغسطس) ١٩٤٥، وامضى في السجن ستة أشهر، ثم افرج عنه «هوشي منه» على امل ان يؤدي هذا الى جعله يربط مصيره بقضية وطنه. ولكنه هاجر الى اميركا بعد ذلك، بدعوى الورع الكاثوليكي، ولكنه كان يقصد من وراء ذلك تنفيذ مخططاته. وتلقته اجهزة السياسة الاميركية الراغبة في السيطرة على موارد منطقة الهند الصينية الغنية بالثروات الطبيعية.

ولقد كانت مطامع الولايات المتحدة تدفعها في العام ١٩٥٤، الى عرقلة التوصل الى حل سلمي للحرب الفيتنامية، بقدر ما كانت تسمح لها الظروف العالمية والداخلية فيها بذلك. فقد اقترح «دالاس»، وزير الخارجية الاميركي، في اواخر نيسان (ابريل) ١٩٥٤، اعلان بيان مشترك تصدره كل من اميركا وبريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلندا وتايلاند والفيليبين، تعلن فيه استعدادها للقيام بعمل عسكري مشترك لدحر «العدوان الشيوعي» على جنوب شرقي آسيا. ولكن بريطانيا عارضت هذا الاقتراح، وكذلك فرنسا لان الرأي العام الفرنسي كان قد مل سفك الدم الفرنسي دون جدوى. وفي الولايات المتحدة نفسها كان الرأي العام ضد هذا الاتجاه، فلقد كانت ذكريات الحرب الكورية وعدم جدوى الحرب البرية في هذه المناطق من آسيا، بالاضافة الى احتمال تدخل الصين الشعبية، عوامل أقنعت الرأي العام الاميركي وبعض قادته السياسيين، بتجنب التورط العسكري المباشر في فيتنام.

ولقد حاول «دالاس» ان يفشل مؤتمر «جنيف»، الذي كان قد انعقد منذ ٢٦ نيسان (ابريل)، بين كل من الاتحاد السوفياتي وبريطانيا واميركا وفرنسا والصين الشعبية، كمحاولة لايجاد حل للمشاكل المتخلفة عن الحرب الكورية، ولعقد هدنة في الهند الصينية، ولما فشل في ذلك، غادر جنيف في أيار (مايو) غاضباً، وترك بدلا منه الجنرال «بيدل سميث» كمندوب لاميركا مفوض فقط بتوقيع البيان النهائي للمؤتمر دون بقية الوثائق التفصيلية، وان يصدر بياناً منفصلا تتعهد فيه اميركا، الا تستخدم القوة لافشال اتفاقيات المؤتمر. وفي اليوم التالي مباشرة وصل الى جنيف وزير خارجية فيتنام الديمقراطية، بعد ان قبلت فرنسا قبول مبدأ التفاوض المباشر مع ممثلي حكومة «هوشي منه» تحت ضغط ميزان القوى العسكرية والسياسية. فقد سقطت «ديان بيان فو» في ٧ أيار (مايو) التالي. وفي ١٢ حزيران (يونيو) سقطت الحكومة الفرنسية، التي كانت تماطل في التوصل الى اتفاق وتسعى الى اشراك اميركا في القتال مباشرة، واستبدلت بها حكومة جديدة برئاسة «منديس فرانس». وهكذا سار المؤتمر بخطى حثيثة نحو التوصل الى حل سلمي للحرب في يوم ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٥٤. وكانت اهم بنود الاتفاق المتعلقة بفيتنام هي ان يتم وقف اطلاق النار فوراً، وحتى يمكن ضمان تنفيذ هذا، فقد اتفق على ان يسحب كل طرف قواته إلى قسم من فيتنام، بحيث يفصل خط عرض ١٧ بين قوات الطرفين في النهاية، وبذلك تخضع اراضي الشمال لسلطة فيتنام الديمقراطية واراضي الجنوب لسلطة «دولة فيتنام» بصفة مؤقتة، ثم تجري انتخابات نيابية في كلا القسمين في ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٥٦ تحت اشراف لجنة الرقابة الدولية، التي عينها المؤتمر

لمراقبة تنفيذ الاتفاقيات من مندوبي كندا وبولونيا أو الهند بالتناوب . تتمخض عنها حكومة شرعية موحدة . واتفق ايضاً انه لا يجوز خلال هذه الفترة الانتقالية ، ان تزاد القوات العسكرية لكل طرف ، والا تقام اية قواعد عسكرية في اي من الطرفين ، والا يدخل اي منهما في احلاف عسكرية مع دول اجنبية . كما اتفق على تحريم اتخاذ اي من الجانبين لاجراءآت انتقامية ضد الانصار السياسيين للطرف الآخر في القسم الذي يسيطر عليه .

وهكذا كان خط عرض ١٧ مجرد خط مؤقت لضمان وقف اطلاق النار ، ولم يكن خط تقسيم لفيتنام الى دولتين منفصلتين . وكان من الممكن أن تؤدي اتفاقيات جنيف الى السلام والوحدة والاستقرار لفيتنام بصفة دائمة . ولكن اميركا كانت قد شرعت في تنفيذ مؤامراتها المضادة لهذه الاتفاقيات ، فقد بعثت بعميلها الجديد « نغو دين ديم » على متن طائرة خاصة الى سايغون ، في بداية شهر تموز (يوليو) ١٩٥٤ ، ليتولى رئاسة وزارة « دولة فيتنام » ، وذلك بعد ان ادى ضغطها على فرنسا الى اجبار حكومة الامير « بولوك » الموالية للفرنسيين على الاستقالة في ١٥ حزيران (يونيو) السابق . ثم شرعت تعد لتشكيل حلف عسكري جديد في المنطقة ، عرف باسم « حلف جنوب شرقي آسيا » موجه اساساً ضد الصين الشعبية وفيتنام الديمقراطية . وقد وقعت إتفاقية هذا الحلف فعلا يوم ٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٤ بواسطة مندوبي كل من اميركا وبريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلندا وباكستان والفيليبين وتايلاند ، واصدر المجتمعون في مؤتمر انعقاد الحلف في مانيلا ، وضع كل من « دولة الفيتنام » ولاووس وكمبوديا تحت « حماية » الحلف . وهكذا احاطت اميركا اتفاقيات جنيف بعوامل الفشل والتخريب داخلياً بواسطة حكومة « ديم » ، وخارجياً بواسطة حلف جنوب شرقي آسيا .

وعمل « ديم » بسرعة على تصفية الوجود الفرنسي في جنوبي فيتنام ، فقام في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٤ بتنحية « نيغوين فان كين » رئيس اركان حرب الجيش ، نظراً لميوله الفرنسية ، ثم اتبع ذلك بتنحية « باوداي » نفسه من رئاسة الدولة ، واعلن نفسه رئيساً للجمهورية في ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٥ بعد استفتاء شكلي . وقد سارعت اميركا الى الاعتراف الفوري بالنظام الجمهوري الجديد . ثم طلب « ديم » من القوات الفرنسية المتبقية في الجنوب ان تجلو عن البلاد ، وفقاً لاتفاقيات جنيف ، وتم جلاؤها بالفعل في ربيع ١٩٥٦ . كما قام بطرد



الجنرال « كولنز » المبعوث الشخصي للرئيس ايزنهاور

الخبراء والمدربين الفرنسيين السابقين ، واستبدالهم بحوالي ثلاثة آلاف من الاميركيين ، من بينهم نحو ألفي مستشار عسكري ، قاموا بتدريب جيش فيتنامي جديد ، من بقايا جيش « باوداي » القديم ، الذي شكله الفرنسيون اثناء حرب المقاومة الاولى . وبلغ عدد الجيش الجديد حوالي ١٥٠ ألف جندي ، بالاضافة الى قوات الدفاع الاقليمي وقوات الامن والبوليس السري . وقد جرى تسليح وتدريب هذا الجيش وفقاً للاسلوب الاميركي . وفي الوقت نفسه بدأ « ديم » في ضرب حركة الجماهير منذ الايام الاولى لحكمه . فتشكلت على الفور ، بطريقة تلقائية لجنة من بعض المثقفين الوطنيين برئاسة المحامي « نغوين هيونو » ، للدفاع عن اتفاقيات جنيف ، وتبليغ لجنة المراقبة الدولية بانتهاكات حكومة « ديم » للاتفاقيات ، التي سرعان ما تلاحقت في بقية الاقاليم ، عندما شرعت شرطة « ديم » في اعتقال كل من ساهم في جبهة « فيتمنه » او اشترك على اي نحو في حرب المقاومة الاولى ضد الفرنسيين . ولذلك اخذت البرقيات تنهال على لجنة سايغون ، تطالبها بتشكيل لجان مماثلة في الاقاليم . وبدأت اللجنة في تشكيل هذه اللجان بالفعل الى ان قبض بوليس « ديم » على رئيسها ومعظم اعضائها ليلة ١١ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٥٤ ، واودعهم السجن . وقد ركزت حكومة « ديم » عمليات القمع ، في المناطق الريفية المحررة خلال حرب المقاومة بشكل اساسي . وذلك لان جماهير الفلاحين الموجودة هناك ، كانت اكثر قطاعات الشعب الفيتنامي في الجنوب تفهماً لمعنى السلطة الثورية ، بحكم ممارستها العملية

لهذه السلطة من خلال اشتراكها المباشر في الاجهزة الادارية التي اقامتها « الفيتمنه » ، وبحكم تمتعها فترة من الزمن بثمار الاصلاح الزراعي الذي اجرته « الفيتمنه » .

وفي ٤ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٥٧ ، ابلغت لجنة الرقابة الدولية ، رئاسة مؤتمر جنيف ، ان حكومة « ديم » قد اصرت على رفض اية شكوى تتعلق بمخالفة الفقرة (ج) من المادة ١٤ التي تحرم القبض على الأشخاص الذين سبق لهم ان ايدوا الطرف الآخر اثناء حرب المقاومة ، وانها لا تسمح بأي نشاط للجنة المذكورة للتحقيق في مثل هذه الشكاوى . ولم تسجل اللجنة خلال الفترة نفسها اية مخالفات لاتفاقيات جنيف من قبل حكومة فيتنام الديمقراطية في الشمال . واسفرت اعمالُ القمع التي مارسها نظام « ديم » في جنوبي فيتنام ، في الفترة من ١٩٥٤ حتى ١٩٦٠ ، عن اكثر من ربع مليون معتقل ، و ١٥ ألف قتيل أو مفقود .

وفي العام ١٩٥٤ قدم الجنرال « لاوتون ج . كوملنز » المبعوث الخاص للرئيس الاميركي «ايزنهاور» برنامجاً للاصلاح الزراعي ، الى حكومة « ديم » . وقد سارع « ديم » ، بعد بحث الموضوع مع مجموعة من الخبراء الاميركيين والفرنسيين والفيتناميين في شؤون الزراعة الى اصدار قانون بتنظيم التأجير وتحديد الايجارات في ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٥ ، وقانون آخر في ٥ شباط (فبراير) لتنظيم اعادة زراعة الاراضي المهجورة ، على ضوء هذا المشروع الاميركي . وكان الهدف الحقيقي لقوانين الاصلاح الزراعي ، التي اصدرها « ديم » ، والتي صورتها الدعاية الاميركية على انها السبيل السليم لكسب التأييد الشعبي لحكومة فيتنام الجنوبية ، هو استرداد الاراضي التي سبق توزيعها على الفلاحين خلال حرب المقاومة الاولى ، في السنوات ١٩٥٠ — ١٩٥٤ ، بواسطة السلطة الثورية بالاضافة الى تشجيع كبار الملاك على تحويل استثماراتهم نحو مشاريع الصناعة الخفيفة في المدن ، عن طريق اجبارهم على بيع ما تزيد ملكيته لديهم عن ١٠٠ هكتار من الارض الزراعية (الهكتار ٢,٤٧ فدان) ، وبيع هذه الاراضي المشتراة من هؤلاء الملاك الى اغنياء الفلاحين في الريف ، وبذلك تدعم القاعدة الطبقية لنظام « ديم » في الريف والمدينة . وادى تنفيذ هذه القوانين الى انتزاع ما يقرب من نصف مليون هكتار من الارض الزراعية من الفلاحين الفقراء والمتوسطين ، كما تم بيع حوالي ٩٠ ألف هكتار الى ٤١ ألف أسرة فلاحية ، حتى شهر تموز (يوليو) ١٩٦٠ .

اما ايجارات الارض المؤجرة من الملاك المقيمين في سايغون وغيرها من المدن ، الى الفلاحين الفقراء في الريف ، فقد ارتفعت الى ما يوازي ٤٥٪ أو ٥٠٪ من محصول الأرض ، كما جرى توزيع الارض المستردة من فلاحي المناطق المحررة في دلتا نهر الميكونغ (حيث يتركز ٠٠٠ ٧٠٠ ٥ نسمة من مجموع عدد السكان البالغ ١٤ مليون نسمة تقريباً في جنوب فيتنام) على ملاك من وسط فيتنام – موطنه الأصلي – وعلى رجال حاشية « ديم » نظير خدماتهم السياسية والبوليسية ، وعلى ملاك الاراضي الذين نزعت ارضهم وهربوا من شمال فيتنام . الامر الذي أدى الى وقوف كبار الملاك السابقين في دلتا الميكونغ في صف المعارضين لحكم « ديم » .

حاولت حكومة « ديم » ان تعزز سيطرتها على المناطق الجبلية المطلة على لاووس وكمبوديا ووسط فيتنام ودلتا الميكونغ ، فأمرت القبائل المقيمة بهذه المناطق ، والتي تمثل اقليات قومية تعيش وفقاً لتقاليدها الخاصة في الجبال والغابات الموجودة بهذه المناطق ، بان تتجمع في منطقة واحدة ، حتى يسهل السيطرة عليها . ولكن رجال هذه القبائل رفضوا الامتثال لاوامر « ديم » . فبدأت حكومته سلسلة من عمليات القمع والاضطهاد ضدهم . ولهذا بدأ رجال قبيلة « الكور » في نهاية كانون الثاني (يناير) ١٩٥٩ ، اعمال العنف المسلح المنظم ضد قوات « ديم » ، وهاجموا حامية مكونة من ٥٤ جندياً تقيم في موقع قريب منهم بفيتنام الوسطى ، وذبحوا جميع رجالها تقريباً اثناء الليل ، واستولوا على اسلحتهم . وعلى اثر ذلك بدأت حكومة « ديم » سلسلة من الهجمات على مناطق « الكور » وقراهم استخدمت فيها كتائب كاملة من المشاة ، ولكن هذه الهجمات فشلت إزاء مهارة « الكور » في نصب الأفخاخ البدائية ، بحكم انهم صيادون مهرة للحيوانات المتوحشة ، وذلك بالاضافة الى استخدامهم الجيد لكثير من الاسلحة البدائية ، ومنها السهام المسمومة . وقد انتشرت حركة المقاومة المسلحة بين جميع شعوب الاقليات القومية ، البالغ عددها الكلي حوالي مليون شخص موزعين على اكثر من ٢٠ قومية ، خاصة بعد ان لجأت سلطات « ديم » الى محاولة تجنيد شباب هذه الاقليات في صفوف الجيش ، على خلاف ما كان متبعاً من قبل . والواقع ان احد الاسباب الرئيسية لمحاولة « ديم » السيطرة على مناطق الاقليات ، خاصة الجبلية منها ، هو الارتباط التاريخي الطويل بين معظم شعوب هذه الاقليات وبين حركة النضال الثوري المسلح في فيتنام طوال الخمس عشرة سنة الماضية ،



الرئيس « ديم » الحصان الأميركي الخاسر

نتيجة لنجاح كوادر الحزب والجبهة في خلق علاقات وثيقة مع هذه الاقليات ، ولذلك كانت المناطق الجبلية التي تقيم فيها غالبية هذه الاقليات ، ملجأ أميناً للآلاف من مناضلي الحزب والجبهة ، خلال حرب المقاومة الاولى او اثناء عمليات المطاردة من جانب حكومة « ديم » بعد ذلك .

وقد شنت قوات « ديم » عدة حملات عسكرية لسحق مقاومة شعوب الاقليات خلال الستة أشهر الاخيرة من العام ١٩٥٩ ، استخدمت فيها ما يوازي لواءين من الجيش ، في منطقة لا تزيد عن ١٢٥ ميلا مربعاً ، حيث كانت البؤرة الاساسية لمقاومة « الكور » وغيرها من القبائل . وكانت النتائج العامة لهذه الحملات احراق ٢٠٠ قرية من القرى التي تعيش فيها هذه الاقليات ، وتشريد عدة آلاف من افرادها داخل الادغال .

وكان كوادر حزب العمال الفيتنامي قد احتفظوا في جنوب فيتنام بتنظيمهم الحزبي بصورة سرية بعد وقف اطلاق النار في العام ١٩٥٤ ، والتزموا لفترة طويلة بالخط السياسي الذي أقرته قيادة الحزب الاصلية بالنسبة لفيتنام كلها ، ألا وهو الاحترام المطلق لاتفاقيات جنيف ، وعدم الخروج عن حدود الصراع القانوني والسياسي في الكفاح ضد حكم « ديم » ، وذلك حتى يمكن اعطاء الفرصة الملائمة للحكومة في الشمال ، في ان تثبت قواعد البناء الاشتراكي ، وتعمر ما خربته الحرب الطويلة ضد الفرنسيين ، وحتى يمكن كسب الرأي العام العالمي والدول الموقعة على اتفاقيات جنيف ، في الكفاح من أجل تحقيق الوحدة بين شطري فيتنام ، أي من اجل وضع الاتفاقيات موضع التنفيذ الكامل . وكان تجنب استخدام العنف المسلح من جانب الحزب ، ضد اعمال حكومة « ديم » الارهابية يستهدف ايضاً عدم إعطاء فرصة لاميركا كي تتدخل عسكرياً بشكل سافر بدعوى وقف « العدوان الشيوعي » على جمهورية فيتنام . ولكن اعمال القمع من جانب حكومة « ديم » ازدادت بصورة جعلت الحياة العادية مسألة مستحيلة ، وجعلت الالتزام بالصراع القانوني السلمي مجرد تسليم حياة وحريات مناضلي الحزب والجبهة القدامى هدية الى « ديم » . ولذلك هرب كثير من هؤلاء المناضلين الى الجبال ، وهناك شاهدوا ولمسوا الاعمال الارهابية ضد شعوب القبائل ، والهبات المسلحة البدائية التنظيم والتسليح لهذه الشعوب ضد قوات « ديم » . فأخذوا يفكرون في ضرورة القيام بنشاط معاون لهذه الاقليات ، التي اصبحت معرضة لخطر الفناء ، بدون انتظار لطلب تغيير الخط من القيادة ، لان ذلك قد يستغرق شهوراً طويلة ، خاصة وان مندوبي الاتصال كانوا يلجأون ، في أغلب الظروف ، الى السفر ذهاباً واياباً سيراً على الاقدام ، الامر الذي فرض على القيادات المحلية ان تأخذ زمام المبادرة ، حتى لا تفقد صلاتها الوثيقة تاريخياً مع هذه الشعوب . فقررت ان تشكل جماعات للدعاية المسلحة ، على نفس النمط الذي كان قد نفذ في العام ١٩٤٤ بقيادة جنرال « جياب » في اقليم « كوانغ نغاي » اولا ، ثم في الاقاليم الاخرى تباعاً ، وقد صدر هذا القرار ، في ذلك الاقليم بفيتنام الوسطى ، في اواخر العام ١٩٥٩ ، وذلك لتخفيف الضغط على رجال القبائل ، ولذلك اعتبر الرفاق المشكلين لهذه الجماعة انفسهم ، لجنة مقاومة لمساندة العمل المسلح الذي بدأته شعوب القبائل ، وقرروا اتخاذ قاعدة لهم في الجبال ، ثم الانطلاق منها بعد ذلك الى السهول .

وبدأت هذه اللجنة وغيرها من اللجان المماثلة في الاقاليم المجاورة ، بتنظيم عمليات امداد بالمواد الغذائية والملح والبذور الزراعية وسلع اخرى ، الى شعوب القبائل في المناطق الجبلية ، نظراً لفرض قوات « ديم » حصارها الاقتصادي عليها . وعلى اثر ذلك قرر رجال قبيلة « الكور » ان لا يبقوا في موقف الدفاع ، وهاجموا موقعاً عسكرياً معادياً في « ايوتشيم » كان مقاماً لتدعيم الحصار الاقتصادي ، وأبادوه واستولوا على الاسلحة الموجودة فيه ، واقتسموا بعضها مع الكوادر الفيتنامية العاملة في عمليات الامداد . وقد ترتب على نجاح هذا الهجوم اختصار طريق القوافل التموينية عدة ساعات .

ولكن حتى ذلك الوقت كان نشاط هذه اللجان الثورية الجديدة ، التي تعرف باسم « جماعات الدعاية المسلحة لقوات الشعب للدفاع الذاتي » ، مقصوراً من الناحية العسكرية على اعمال الدفاع عن النفس

اثناء عمليات الامداد ، او الدعاية بين الفلاحين او بين جنود « ديم » المحشودين للقيام بعمليات عسكرية ضد رجال القبائل . ولكن إزاء الاحتياج الشديد الى السلاح اللازم لتوفير وسائل الدفاع عن النفس ، كان لا بد من مهاجمة مراكز قوات « ديم » المسلحة باحدث الاسلحة الاميركية ، والاستيلاء على الاسلحة الموجودة لديها . (انظر توهاي « معركة ») . خاصة وان معظم الاسلحة القديمة التي كانت مستعملة في الجنوب ، قد سحبت عند انسحاب الـ ١٤٠ ألف جندي من جنود « الفيتمنه » الى الشمال تنفيذاً لاتفاقيات جنيف ، كما أن معظم الاسلحة التي اخفيت في مخابئ سرية ، سقطت في ايدي رجال « ديم » الذين اكتشفوا ٣٠٧ مخابئ للسلاح في فترة (١٩٥٥ — ١٩٦٠) .

في الاسبوع الاول من شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٠ عقد اجتماع سري في المرتفعات الواقعة شمالي دلتا الميكونغ ، حضره ممثلون عن مختلف الاحزاب السياسية في جنوبي فيتنام (حزب العمال الفيتنامي الذي اصبح فيما بعد خلال العام ١٩٦٢ منظمة مستقلة عن الحزب الاصلي في الشمال واصبح يسمى باسم « حزب الشعب الثوري ») ، والحزب الاشتراكي الراديكالي ، والحزب الديمقراطي) وممثلون عن اتحادات الفلاحين ، والعمال ، والطلبة والمثقفين ، والشباب ، والنساء ، وعن شعوب القبائل والطوائف الدينية المسلحة . وقد استمر هذا الاجتماع نحو اسبوعين ، ثم اسفر عن اعلان قيام جبهة التحرير الوطني في جنوب فيتنام ، يوم ٢٠ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٦٠ (وهي التي يسميها الغربيون بأسم الفيتكونغ ولكن الفيتناميين لا يعترفون بهذه التسمية) . وتشكلت لجنة مركزية مؤقتة للجبهة الى ان يعقد المؤتمر الاول لها ، كان من بينها كثير من اعضاء لجنة سايغون السابقة للدفاع عن السلام واتفاقيات جنيف . واعلن هذا المؤتمر برنامج الجبهة ، الذي تضمن النضال من اجل الاستقلال والديمقراطية والحياد . وقبول المعونة الخارجية من كل الذين يقدمونها بدون شروط . واتخاذ سياسة اصلاحية معتدلة في الشؤون الداخلية ، ذات طبيعة ديمقراطية وطنية في الاساس .

مرحلة الحرب الخاصة : سجلت قوات جبهة التحرير انتصارات عديدة خلال العام ١٩٦١ . وهب الفلاحون في طول البلاد وعرضها ، يطردون المسؤولين الحكوميين من القرى ، ويقيمون هيئات محلية منتخبة محلها ، وتم تشكيل قوات للدفاع الذاتي في القرى ، ووحدات عصابات للمناطق ، بالاضافة الى تشكيل جيش التحرير النظامي ، الذي بني في بداية الأمر على تجميع رجال الطوائف الدينية المسلحين ، ثم طعم بالفلاحين المقاتلين في وحدات العصابات بعد ذلك . واقتربت قوات الثوار كثيراً من سايغون ، واصبح نفوذ حكومة « ديم » الفعلي لا يتجاوز من الناحية الفعلية سايغون والمدن الكبرى في معظم المناطق . وإزاء هذا التدهور السريع في الموقف العسكري والسياسي لنظام « ديم » ، سارعت الولايات المتحدة الى دعم جيشه بالسلاح والمال والرجال الذين حملوا لقب مستشارين عسكريين ، ووصل « جونسون » (وكان يشغل وقتها منصب نائب الرئيس الاميركي كينيدي) الى سايغون يوم ١١ أيار (مايو) ١٩٦١ ، واعلن في مؤتمر صحفي انه تقرر ان يبلغ عدد جنود جيش الجنوب ، ١٧٠ ألف جندي ، وان يصل عدد رجال الحرس الوطني الى ١٠٠ ألف رجل ، وقوات الامن الى ٩٠ ألف رجل . كما وصل الجنرال «ماكسويل تايلور» رئيس هيئة اركان حرب الجيش الاميركي الى سايغون ، واجتمع مع المسؤولين فيها ، ليضع خطة عسكرية عرفت باسم « الحرب الخاصة » . وكانت النقاط الاساسية لهذه الخطة تقوم على : ١ — خلق مناطق غير مأهولة بالسكان على طول خط عرض ١٧ ، الفاصل بين الشمال والجنوب ، وعلى طول الحدود مع لاوس وكمبوديا ، عن طريق تحطيم كل القرى الموجودة هناك ، واستخدام الغازات السامة لتطهير الادغال ، وبذلك يتم عزل المناطق المحررة في جنوب فيتنام عن العالم الخارجي تماماً . ٢ — إقامة نحو ١٦ ألف « قرية استراتيجية » يحشد فيها ثلثا سكان الجنوب ، وبهذا يعزلون عن قوات المقاومة . ٣ — يشن بعد ذلك هجوم عسكري لإبادة كل قوات جبهة التحرير .

ولضمان تنفيذ هذه الخطة ، انشئت قيادة اميركية في سايغون تحت رئاسة الجنرال « هاركنز » ، الذي قدر ان التفوق العددي لقوات « ديم » وقتئذ ، يبلغ عشرة الى واحد تقريباً ، بالنسبة لقوات الجبهة . وعلى ضوء الخبرة البريطانية الناجحة من قبل في « الملايو » ، رأى « هاركنز » ان تزيد النسبة الى عشرين الى واحد في نهاية ١٩٦٢ ، حتى يمكن القضاء على مقاومة قوات الجبهة تماماً خلال ستة اشهر . ونتيجة لذلك زادت قوات « ديم » بمختلف انواعها ، من حوالي ٣٧٠ ألف رجل في العام ١٩٦١ الى ٥٧٧ ألف رجل تقريباً في نهاية العام ١٩٦٣ . ورغم ذلك فلقد كانت نتيجة السنة الاولى من تنفيذ الخطة الاميركية الجديدة ، هي تقلص نسبة التفوق البالغة ١٠ الى ١ الى نسبة تقرب من ٦ أو ٧ الى ١ ، وذلك نتيجة لتزايد عدد قوات الجبهة ، وعدم تمكن قوات « ديم » من القضاء على الجزء الرئيسي منها . وشهد العام ١٩٦٢ بعض الصعاب والمواقف الحرجة بالنسبة لقوات جبهة التحرير ، بسبب تدفق السلاح والخبراء العسكريين الاميركيين الذين تزايد عددهم الى ان وصل الى ٢٥ ألف رجل ، كانوا يتولون قيادة معظم وحدات الجيش الجنوبي بالاضافة الى تدريبها ، وبسبب حداثة خبرة مقاتلي الجبهة في مواجهة اساليب الحرب الميكانيكية الحديثة ، التي اعتمدت هناك على طائرات الهليكوبتر والدبابات البرمائية اساساً ، تلك الاساليب التي اتبعتها القيادة الاميركية ، على هدى الخبرات العالمية السابقة في مجال العمليات المضادة لحرب العصابات ، مثل خبرات المستشارين الاميركيين في الفيلبين ، وخبرات البريطانيين في كينيا والملايو ، وخبرات الفرنسيين في الهند الصينية والجزائر ، حيث استخدمت هناك لاول مرة ، على نطاق واسع ، طائرات الهليكوبتر المحملة بالجنود والمسلحة بالرشاشات ضد رجال العصابات . وادى كل هذا الى تدهور الموقف العسكري بعض الشيء بالنسبة الى الثوار ، والحقت بهم خسائر شديدة بسبب غارات الهليكوبتر ، وبالذات في منطقة دلتا الميكونغ ، حيث لا يوجد جبال او غابات إلا في المناطق غير المأهولة التي تحيط بالمناطق الساحلية ، ولذلك فكر قادة جبهة التحرير في إحدى فترات هذه السنة القاسية في ضرورة إيقاف المقاومة في منطقة الدلتا ، نظراً لارتفاع نسبة الخسائر هناك ، ولكن القادة العسكريين للمنطقة رأوا عدم الانسحاب منها ، لان ذلك قد يؤدي الى خسارة المنطقة نهائياً نظراً لأن الانسحاب سيؤدي الى انعدام ثقة الفلاحين برجال الجبهة . ولقد عزز موقف « ديم » العسكري خلال هذا العام ، انه كان قد استطاع بناء حوالي ٨٠٠٠ قرية استراتيجية بالفعل ، واعاد نوعاً من السيطرة الشكلية على كثير من المناطق ، التي كانت خلال العام ١٩٦١ قد اصبحت تحت سيطرة جبهة التحرير بصورة قوية .

وهكذا شهد العام ١٩٦٢ نجاحاً جزئياً من الناحية العسكرية لخطة « الحرب الخاصة » ، اذ امسكت قوات « ديم » بزمام المبادرة العسكرية من الناحيتين الاستراتيجية والتكتيكية ، ولكنها فقدت ، من الناحية السياسية ، امكانية كسب اية مساندة شعبية . فقد ادى تنفيذ مشروع القرى الاستراتيجية ، الى تحويل اكثر الناس سلبية بين الفلاحين ، الى

معارضة حكم « ديم » الذي كان يجبرهم على هجر قراهم الاصلية وارضهم التي زرعوها لاجيال عديدة ، ليحشدهم داخل معسكرات اعتقال جديدة سميت « قرى استراتيجية » مقامة تحت اشراف مدافع المواقع العسكرية القريبة ، ومحاطة بعدة صفوف من الاسلاك الشائكة واسوار البامبو ، وبالخنادق المليئة بالالغام فيما بين هذه الاسوار . ولم يكن مسموحاً للفلاحين بمغادرة هذه « القرى » إلا نهاراً ، للعمل في الحقول الموجودة خارج محيط الاسلاك الشائكة مباشرة ، وذلك بعد ان يجري تفتيشهم بدقة عند الابواب أثناء الخروج او الدخول . وتحت رقابة دوريات الهليكوبتر المستمرة ، التي كانت تطلق النار على أية جماعة من الفلاحين تكون قد افلتت من الاسلاك الشائكة ، او ابتعدت عن المنطقة المحددة للعمل .

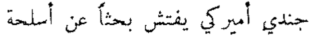
وقد تمكنت الجبهة من الاتصال بهذه القرى بطرق تسلل مختلفة ، كان يترتب عليها مفاجأة الرئاسة الادارية للقرية او اسر او قتل معظم رجال الادارة والحامية المحلية المعززة لهم . كما اتبعت الجبهة ايضاً ، اسلوب الهجمات الليلية الخاطفة على المواقع المحيطة بالقرى الاستراتيجية وتدميرها ، ثم تحطيم الاسوار المقامة حول القرية بمعاونة الفلاحين الذين كانوا يشاركون في عملية الهدم هذه بحماسة وفرح . وعندما كانت قوات « ديم » تعود لتسور القرى المهاجمة ، كان الفلاحون في كثير من الحالات يعيدون هدم الاسوار مرة ثانية بمجرد انسحاب القوات الرئيسية ، وذلك اثناء الليل ، ثم يزعمون ان الثوار هم الذين فعلوا ذلك . وهكذا اخذت القرى الاستراتيجية تتفكك تدريجياً ، وبالتالي تحطم العمود الفقري لخطة « تايلور » الا وهو عزل الفلاحين عن حركة المقاومة . اما بالنسبة الى اخلاء مناطق الحدود ، فلم يؤثر كثيراً على نشاط قوات الجبهة ، حيث انها كانت لا تتلقى حتى ذلك الوقت أية مساعدات عسكرية من الشمال ، وانما كانت تعتمد على ما تستولي عليه من اسلحة العدو وذخائره ، وما تصنعه محلياً من قنابل والغام داخل ترسانات الاسلحة السرية في الادغال والكهوف الجبلية .

ولقد اخذت القرى الاصلية التي كان الفلاحون يعودون اليها ، على اثر تحطيم وتفكيك أية قرية استراتيجية ، تحصن نفسها جيداً ، حتى تستطيع قوات الدفاع الذاتي التي تسلحت بأسلحة حاميات القرى الاستراتيجية المبادة ، ان تواجه من جديد حملات قوات « ديم » من أجل إعادة السيطرة على المنطقة ، وجمع الفلاحين مرة اخرى داخل اسوار القرى الاستراتيجية . وعلى هدى الخبرة المتوفرة من تكتيك الجنرال « جياب » في اثناء معركة « ديان بيان فو » ، حين حفرت شبكة من الخنادق الزاحفة نحو القلعة ، والخبرة المستفادة من الثوار الصينيين في منطقة « هويبه » خلال الحرب ضد اليابان من حيث بناء شبكة من السراديب ربطت مقاطعات باكملها بنظام دفاعي متكامل ، وخبرة القوات الكورية والصينية في إنشاء شبكة مواصلات تحت الارض في وسط كوريا عند خط عرض ٣٨ ، اثناء حرب التحرير الوطنية الكورية ، قام الفلاحون ورجال الدفاع الذاتي ، بحفر شبكات طويلة من السراديب في القرى المحررة ... بعضها تبرز منه فتحات لصيقة بالارض قدر الامكان ، ومموهة بمهارة وسط اشجار البامبو وغيرها من النباتات ، لاطلاق النار على العدو حال اقترابه من مشارف القرية ، والبعض الآخر للمواصلات بين قرية واخرى ويستخدم للفرار عند اللزوم ، او للاختباء اثناء القصف الجوي او المدفعي . وبواسطة هذه السراديب التي استغرق بناء بعضها عشرات الآلاف من ساعات العمل الذي قام به شباب القرى ليلا ، كان يمكن لهذه القرى المحصنة ان تصد بقواها الذاتية هجوم سرية او كتيبة كاملة من مشاة العدو في بعض الاحيان . خاصة وان استحكامات السراديب هذه كانت تعزز بشبكة معقدة من الافخاخ المموهة المليئة بحراب البامبو والالغام (انظر حرب الانفاق) . ولقد قدر عدد القرى المحصنة في جنوبي فيتنام ، بحوالي ٤٣٠٠ قرية في أوائل العام ١٩٦٤ ، معظمها في دلتا الميكونغ . ويفسر لنا هذا الاسلوب العجيب الشاق التنفيذ من التحصين سر صمود الفلاحين المذهل لسيل الغارات الاميركية المستمرة بواسطة القاذفات الثقيلة « ب – ٥٢ » التي كانت تلقي كل يوم مئات الاطنان من القنابل فوق الريف الفيتنامي .

ولقد تطور تكتيك حرب العصابات ، التي مارسها رجال جبهة التحرير ، مع تطور الحرب واتساعها التدريجي منذ العام ١٩٦٠ ، فبعد ان كانت التكتيكات مجرد اعمال دفاعية بسيطة عن القرى لصد حملات قوات « ديم » عنها ، انتقلت الى هجمات وكمائن صغيرة لتشتيت قوات العدو في منطقة ما لمنعه من التركيز على قرية معينة . ولما طبق العدو اسلوب بناء « القرى الاستراتيجية » ، تطور التكتيك الى هجمات خاطفة ليلية على المواقع العسكرية التي تقام بجوارها ، وذلك حتى يمكن تفكيك القرى وهدم اسوارها . ولكن عندما اصبحت طائرات الهليكوبتر تستخدم على نطاق واسع لتطارد في الصباح التالي القوات التي تكون قد شنت الهجوم الليلي ،



الأميركيون يعذبون أسيراً من الفيتكونغ



جندي أميركي يفتش بحثاً عن أسلحة



اصبح من الضروري اتباع تكتيك جديد يشل من فاعلية هذه الطائرات. وقد قام هذا التكتيك، على اساس اجتذاب قوات العدو الميكانيكية وطائراته، الى منطقة مختارة من قبل جيش التحرير ومجهزة بشبكة جيدة من الخنادق ومواقع اطلاق النار المموهة، ثم اطلاق النار عليها من مسافات قريبة، والصمود امامها عدة ايام الى ان يتم تدمير اكبر عدد ممكن من الدبابات البرمائية والهليكوبتر، بواسطة المدافع عديمة الارتداد «٥٧ مم» وهجمات فصائل قانصي الدبابات بالمتفجرات، وبواسطة المدافع الخفيفة «٣٧ مم» المضادة للطائرات ونيران الرشاشات.

وقد تم تنفيذ هذا التكتيك لاول مرة في معركة قرية «اب باك» باقليم «مساي ثو» جنوبي سايغون، يوم ٢ - ٣ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٦٣، حيث تمكنت كتيبة من جيش التحرير النظامي، لا يزيد عددها عن ٢٣٠ جندي، ان تصمد امام هجوم ٣٠٠٠ جندي معاد تقريباً، تعززهم ١٣ دبابة و ٦ مدافع ميدان «١٠٥ مم» وسرية هاون «١٠٧ مم» و ١٥ طائرة هليكوبتر. وكانت نتيجة المعركة اسقاط ١٣ طائرة وتدمير ٨ دبابات واصابة ٤٠٠ رجل، ما بين قتيل وجريح مقابل ١٣ قتيلا بينهم ٨ من فصيلة قانصي الدبابات الانتحارية، و ١٥ جريحاً من رجال جيش التحرير، الذين انسحبوا بهدوء بعد ذلك. ولقد كانت «آب باك» نقطة تحول هامة في «الحرب الخاصة» وبداية لاستعادة الثوار زمام المبادرة مرة اخرى.

وبعد معركة «آب باك»، جرى تطوير جديد لتكتيك الثوار، على ضوء دراسة الخبرات المستفادة منها، فظهر ما عرف بتكتيك «إبادة مواقع العدو وافناء امداداته». وكان يتمثل في مهاجمة بعض المواقع القريبة من بعضها، واعداد كمين كبير مجهز بخنادق مموهة، كان يصل طوله في بعض الاحيان الى ميل كامل، كما حدث في معركة «لوك نته» التي دارت يوم ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٣ لاصطياد التعزيزات الميكانيكية والجوية التي ستهرع لنجدة المواقع المهاجمة. ولقد ظل هذا التكتيك لفترة طويلة، السبيل الرئيسي لجيش التحرير في مواجهة تفوق قوات «ديم». وقد اضطرت القيادة الاميركية «الاستشارية» الى اخلاء المواقع التي تقل حامياتها عن ١٥٠ جندي، لانها اصبحت «مجرد نقطة امداد بالسلاح لجبهة التحرير الوطنية». ولكن «ديم» كان يعارض هذا الاتجاه، لانه كان يؤدي الى فقده السيطرة



الأميركيون يلقون أسيراً من الهليكوبتر

الشكلية الرسمية على معظم «دلتا الميكونغ» اغنى جزء من البلاد، واكثرها ازدحاماً بالسكان. ولم يصدق الوعود الاميركية القائلة، بان هذه المواقع ستسترد مرة اخرى بواسطة القوات الميكانيكية، التي ستتجمع من رجال هذه الحاميات المبعثرة المعطلة الفاعلية. وهكذا ثبت ان احتلال الارض لتهدئة المناطق الثائرة يتطلب بعثرة القوات على آلاف المواقع الصغيرة، الامر الذي يتيح للثوار مهاجمتها تباعاً وتركيز قوات متفوقة بالنسبة لحماية كل موقع على حدة، واذا ما حشدت القوات في تجمعات كبيرة فان ذلك يؤدي الى سيطرة الثوار على مناطق واسعة من الأرض المأهولة بالسكان، الامر الذي يدعم نفوذهم السياسي بين جماهير الفلاحين، ويتيح لهم فرصاً اكبر في تجنب المعارك عندما تزحف القوات الميكانيكية مهاجمة بحشود كبيرة.

ولم يستطع «هاركنز» رئيس المستشارين الاميركيين ان ينفذ فكرته بجمع القوات، إلا بعد ان تم قلب حكومة «ديم» في تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٦٣ بواسطة مجموعة جديدة من الجنرالات، وقد ترتب عليها سيطرة الجبهة على معظم شبه جزيرة «كاماي» الغنية في دلتا الميكونغ، نتيجة لاخلاء ٣٠٠ موقع عسكري فيها من هذا النوع.

وبالاضافة الى النشاط العسكري الذي مارسته جبهة التحرير، فقد مارست خلال هذه الغزوة نشاطاً سياسياً مكثفاً، واستطاعت ان تربط بصورة جيدة بين اشكال النضال السياسي واشكال النضال العسكري. بل انها لم تمارس العمليات العسكرية في بداية الامر الا بقدر ما كانت ظروف الدفاع عن النفس تحتمه، وظلت حتى منتصف ١٩٦٣، تعتبر أن النضال السياسي هو الوجه الاساسي للمعركة ضد نظام «ديم» وان النضال العسكري عامل مساعد. وهذا امر منطقي في مرحلة بناء الشكل التنظيمي للجبهة وتدعيم نفوذها الجماهيري، ومتفق مع تقاليد النضال العسكري، دون الاستناد الى تحريك الجماهير واقناعها، يؤدي الى عزل النضال العسكري عن المناخ الثوري الجماهيري اللازم لازدهاره.

ولقد اتبعت الجبهة عدة اساليب للعمل السياسي من خلال الجماهير، مثل مظاهرات الفلاحين، الزاحفين من القرى القريبة الى المدن، ومظاهرات النساء لمنع الجنود من تدمير قرية بحجة وجود ثوار فيها، بالاضافة الى عقد انواع مختلفة من الاجتماعات الجماهيرية لتعميق الوعي السياسي من خلال عرض بعض المشاكل الحية واثارة النقاش حولها. ومن خلال هذه النشاطات الجماهيرية المتعددة، التي ساهمت بالنصيب الاساسي فيها في بداية الامر الاشكال التنظيمية لحزب الشعب الثوري، امكن للجبهة بعد جهود صبورة، ان تبني اشكالها الخاصة الثابتة من التنظيمات الجماهيرية الواسعة، المساندة للتنظيمات العسكرية المختلفة. وذلك مثل اتحادات العمال والفلاحين والشباب والطلبة والنساء والمثقفين، وسارت عمليات النضال المسلح بارتباط وثيق مع اشكال النضال السياسي والجماهيري. وفي النصف الاخير من العام ١٩٦٣، كان «ديم» قد اصبح معزولا عن جميع القوى الاجتماعية في جنوب فيتنام بصورة كاملة. واستعادت قوات الجبهة المبادرة مرة اخرى.

مرحلة الانقلابات العسكرية: لقد ادت سياسة كل من «ديم» و «دالاس» الى دفع اكثر القوى اختلافاً في فيتنام، الى الوحدة الوطنية، بما في ذلك البوذيين الذين تصدى لهم «ديم» بوحشية، ووجدت اميركا انها ستخسر «الحرب الخاصة» في جنوب فيتنام لا محالة، اذا استمرت مؤيدة لبقاء «ديم» في السلطة، ولذلك عهدت وزارة الخارجية الاميركية الى سفيرها في سايغون «كابوت لودج» بتدبير انقلاب عسكري للاطاحة بنظام «ديم» وعائلته. وقد نفذ الانقلاب بالفعل ضد «ديم» في اول تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٦٣ بواسطة بضعة جنرالات من الجيش الفيتنامي الجنوبي. واعدم «ديم» واخيه «نغودنه نهو»، وشكلت لجنة عسكرية للاشراف على البلاد، ثم تألفت حكومة مؤقتة برئاسة الجنرال «ديونغ فان منه». ولكن هذه الحكومة لم تعمر طويلا اذ قام الجنرال «نغوين خانه» بقلبها في ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٤ وعين نفسه رئيساً للوزراء وقائداً عاماً للقوات المسلحة

واعتقل الجنرالات الثلاثة الرئيسيين في الحكومة السابقة ، ثم افرج بعد فترة قصيرة عن « ديونغ فان مينه » . وفي ١٦ آب (اغسطس) ١٩٦٤ ، عين « نغوين خانه » نفسه رئيساً للدولة بالاضافة لرئاسة الوزارة . فقام الطلبة بمظاهرات عنيفة ضده حتى استقال من منصب رئيس الوزراء في ٦٤/٨/٢٧ ، ثم أقيل من منصبه كقائد عام للقوات المسلحة في ١٩٦٤/١١/١٥ . وذلك بعد ان اعيد تشكيل ما عرف باسم المجلس الوطني الاعلى (أي الهيئة التشريعية العليا) ، الذي كان « ديونغ فان منه » قد شكله اثناء رئاسته للحكومة المؤقتة ، وقد طالب « نغوين خانه » بابعاد الجنرال « ديونغ فان منه » وعدد من اعوانه عن هذا المجلس الوطني الاعلى في ١٩٦٤/١٢/١٧ ، ثم قام بانقلاب عسكري لتنفيذ مطلبه في اليوم التالي . وحل المجلس الوطني واعتقل جميع الجنرالات باستثناء « فان منه » الذي صار يعرف باسم « منه الكبير » الذي هرب إلى «تايلاند» .

وفي ٦٥/٢/١٩ جرت محاولة انقلاب بقيادة العقيد « فام نغوك ثاو » ، الذي استولى على العاصمة « سايغون » بقواته فعلا ولكن انقلابه فشل في اليوم التالي . ثم ألقي القبض عليه واعدم . وفي يوم ٦٥/٢/٢١ اتهم « مجلس القوات المسلحة » الجنرال « نغوين خانه » بالخيانة واقاله من منصبه في قيادة الجيش ، وفي اليوم التالي عين الجنرال المذكور سفيراً متنقلا في الخارج . ثم شكل مجلس القوات المسلحة في ٦٥/٣/٥ « لجنة ادارية » مؤلفة من خمسة جنرالات تتولى السلطة العليا و « لترشد » قائد الجيش الجديد الجنرال « تران فان منه » الذي عرف باسم « منه الصغير » تمييزاً له عن « منه الكبير » الذي كان هارباً في تايلاند . وسرعان ما ابعد « منه الصغير » إلى الخارج في ٦٥/٦/٤ لاتهامه بالتحضير لانقلاب .

ثم اجري انقلاب آخر ، يتوافق وقرار واشنطن في ٦٥/٦/٩ بتدخل القوات البرية الاميركية في العمليات العسكرية بجنوبي فيتنام بشكل مباشر ، فتكون في ٦٥/٦/١٤ ما سمي « مجلس قيادة الدولة » الذي ضم ١٠ جنرالات على رأسهم الجنرال « نغوين فان ثيو» ، وفي ٦٥/٦/١٩ اصبح « ثيو» رئيساً للدولة والجنرال « كاوكي » رئيساً للوزراء. ، وفي اليوم التالي مباشرة انتهت فترة عمل « هنري كابوت لودج » كسفير للولايات المتحدة في فيتنام الجنوبية ، وعاد إلى بلاده بعد أن أنجز سلسلة الانقلابات والتعديلات العديدة قرابة العامين اللذين انقضيا منذ قلب « ديم » وقتله ، والتي اوضحت مدى الصعوبات التي اعترضت الولايات المتحدة في سياستها الرامية إلى ايجاد الشخص المناسب ، أو « الرجل القوي » ، القادر على ممارسة وتطوير سياسة دعوة الولايات المتحدة إلى التدخل العسكري المباشر في الصراع الذي يخوضه الشعب الفيتنامي في الجنوب من اجل التحرر والاشتراكية والوحدة مع الشمال .

وطوال هذه الفترة التي امتدت منذ اواخر العام ١٩٦٣ حتى النصف الاول من العام ١٩٦٥ كانت جبهة التحرير الوطني توسع نشاطها السياسي والعسكري ، الذي اتخذ له هدفاً رئيسياً هو تطويق المدن بحزام من المناطق المحررة التي تسيطر عليها قوات العصابات ، وكادت العمليات المذكورة أن تحقق نجاحاً حاسماً لولا التدخل العسكري الاميركي المباشر في مجال العمليات البرية .

القوة البشرية المتجابهة : لقد تدرج عدد العسكريين الاميركيين في جنوبي فيتنام على النحو التالي : في العام ١٩٦٠ كان عددهم ٧٨٥ خبيراً ومدرباً ، وفي العام ١٩٦١ اصبحوا ٢٠٠٠ ، وفي العام ١٩٦٢ زادوا إلى ١١٠٠٠ ، وفي العام ١٩٦٣ وصل عددهم إلى ١٦٠٠٠ ، وما لبثوا أن صاروا ٢٣٠٠٠ في العام ١٩٦٤ ، ثم ٣٠٠٠٠ في بداية العام ١٩٦٥ ، ثم ارتفع عددهم إلى ٦١٠٠٠ في ٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٥ عند اعلان الولايات المتحدة رسمياً عن تدخل قواتها بصورة مباشرة في العمليات البرية . وفي نيسان (ابريل) ١٩٦٦ اصبح عدد القوات الاميركية العاملة في جنوبي فيتنام ٢٣٠ ألف جندي ، وفي نيسان (ابريل) ١٩٦٧ ارتفع عددها الى ٤٤٨ ألف جندي ، وفي نهاية العام ١٩٦٨ بلغ عددها ٥٥٠ ألف جندي يضاف اليهم ٥٠ ألف جندي كوري جنوبي ، و ١٦ ألف جندي استرالي ، و ١٢ ألف جندي تايلاندي ، و ٣٨ ألف جندي اميركي في مطارات تايلاند (التي كانت تشن منها الغارات الرئيسية على فيتنام الشمالية) ، بالاضافة الى بحارة الاسطول الاميركي السابع الذي كان يدعم القوات المقاتلة في فيتنام جواً وبحراً .

وعلى مستوى التشكيلات المقاتلة بلغ حجم القوات الاميركية في نهاية ١٩٦٨ (وهو اقصى توسع للقوة البرية الاميركية في فيتنام) ٦ فرق مشاة (هي الفرق ١ ، ٤ ، ٥ ، ٩ ، ٢٥ ، ٥٨) وفرقة محمولة جواً (الفرقة ١٠١) وفرقة فرسان الجو الاولى وفرقتان من مشاة البحرية (الفرقتان الاولى والثالثة) ولواءان مدرعان للاستطلاع ، بخلاف بعض التشكيلات الصغيرة نسبياً من الوحدات الخاصة (مثل قوات القبعات الخضراء المعدة للقتال ضد العصابات بأسلوب المغاوير ، و « قوات الدوريات النهرية » ، و « اساطيل الانقضاض النهرية ») .

أما قوات الجيش الفيتنامي الجنوبي فقد بلغت في نهاية العام ١٩٦٨ نحو ٧٥٠ ألف جندي ، من بينهم ٣٧٠ ألف جندي موزعين على التشكيلات المقاتلة والوحدات الادارية التابعة لها ، و ٣٨٠ ألف جندي من القوات المساعدة التي تضم المليشيا الريفية والشرطة وقوات الدفاع المحلي . وضمت التشكيلات النظامية المقاتلة ١٠ فرق مشاة ، و ٤ ألوية مظلات ، وبعض وحدات المدرعات والوحدات الخاصة . كما ضم سلاح الطيران الجنوبي نحو ٢٥ ألف رجل وحوالي ٦٠٠ طائرة من طراز « سكاي ريدر » و « ب ٢٦ » و « ف ٤٨ » . وضمت القوات البحرية الجنوبية حوالي ١٧ ألف رجل من بينهم ٦ كتائب مشاة بحرية ، وقوات دفاع ساحلي ، واساطيل نهرية صغيرة ، ومراكب قتال وحراسة صغيرة عديدة . اما جانب الثوار الفيتناميين فقد قدرت قواهم البشرية خلال الفترة من ١٩٦٥ حتى ١٩٦٨ على النحو التالي :

في العام ١٩٦٥ كان لدى الثوار في الجنوب نحو ٤٥ ألف رجل كقوات نظامية يضاف اليها حوالي ٢٣ ألف رجل تسللوا من فيتنام الديمقراطية في الشمال لتعزيز قوات الثوار في مواجهة التدخل الاميركي المباشر ، وذلك فضلا عن نحو ٦٣ ألف رجل آخرين ضمن قوات الدفاع المحلي والميليشيا والعصابات . اما في العام ١٩٦٦ فيقدر عدد القوات النظامية بنحو ١١٢ ألف رجل ، من بينهم ٣٠ ألف تسللوا من الشمال ، والقوات الاخرى بحوالي ٨٦ ألف رجل . وفي العام ١٩٦٧ ارتفع عدد القوات النظامية الى ٢٠٧ آلاف رجل ، من بينهم ٧٥ ألفاً تسللوا من الشمال ، فضلا عن ١٢٦ ألف رجل من القوات الاخرى . وفي العام ١٩٦٨ اصبح عدد القوات النظامية نحو ٢٤٠ ألف رجل ، من بينهم ٨٠ ألفاً تسللوا من الشمال ، وعدد القوات الاخرى نحو ١٨٠ ألفاً .

وبطبيعة الحال كان هناك تباين كبير في مستوى تسليح الطرفين ، خاصة بالنسبة للتسليح الثقيل (المدافع والدبابات والطائرات) وللقوة النارية المتوفرة لدى كل منهما ، فلقد كانت توجد لدى الاميركيين والقوات الجنوبية نحو ١٠٩٣ طائرة قاذفة ومقاتلة من مختلف الانواع ، ونحو ١٠٧١ هليكوبتر ، وضمت الطائرات الحربية النفاثة ٣٠ قاذفة ثقيلة « ب ٥٢ » وطائرات « فانتوم » و « ف — ٥ » و « ف — ١٠٥ » الخ ، رغم ان

الثوار زادوا من قوة نيرانهم قدر الامكان عن طريق زيادة عدد مدافع الهاون (من عيارات ٦٠ مم و ٨١ مم و ٨٢ مم و ١٢٠ مم) وقواذف الصواريخ «كاتيوشا» (من عيارات ١٢٢ مم و ١٤٠ مم و ١٧٥ مم)، واتقنوا الرماية بها وتصحيح الرمي بسرعة، فضلا عن ادخالهم اعداد متزايدة سنة بعد سنة من قطع المدفعية الميدانية التقليدية (من عيار ١٠٥ مم و ١٥٢ مم) والمدفعية المضادة للطائرات، (من عيار ٣٧ مم و ٥٧ مم و ٨٥ مم و ١٠٠ مم والرشاشات م/ط ١٢,٧ مم)، كما استطاعوا ان يدخلوا ويستخدموا في ٧ و ٢٧ شباط (فبراير) ١٩٦٨ بعض الدبابات في معركة «خي سانه» (قدرت الاستخبارات الاميركية عددها بنحو ٩٠ دبابة).

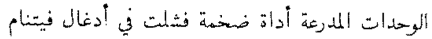
ضخامة الشؤون الادارية ونفقات الحرب بالنسبة للاميركيين: كانت قوات الثوار، بمختلف انواعها، تتميز ببساطة تنظيمها وتواضع مطالبها واحتياجاتها الادارية، ومن ثم تمتعت بقدرة حركية عالية وقدرة على المناورة والانتقال بسرعة من الهجوم الى الدفاع من التقدم الى الانسحاب، دون ان يثقلها في جميع الحالات تنظيمها القتالي والاداري، على خلاف الحال بالنسبة للقوات الاميركية والقوات الجنوبية النظامية. فالجندي من الثوار كانت تجهيزاته الادارية اليومية لا تزيد عن ٢ كغ (مؤن ١ كغ وتشمل اساساً ارز وسمك مجفف، وتجهيزات وزنها ٣٢٠ غرام تضم ملابس بسيطة وارجوحة نوم الخ، وذخائر وزنها ٦٥٠ غرام).

على حين كان وزن الاحتياجات الإدارية للجندي الاميركي ١٨,٧ كغ، موزعة على النحو التالي: مؤن ٤,٨ كغ وتجهيزات ٢,٥ كغ ومحروقات وزيوت ٢,٣ كغ وذخائر ٩,١ كغ.

ان اسلوب قتال القوات الاميركية المعتمد على كثافة قوة النيران ووفرة الآليات المستخدمة فيه فضلا عن ارتفاع نوعية معيشة الجندي الاميركي المرفه والمنتمي إلى مجتمع صناعي استهلاكي متطور، فرضا على القيادة الاميركية القيام بجهود ادارية هائلة سواء من حيث نقل كيات ضخمة من العتاد والمؤن والذخائر، أو من حيث تجهيز مسرح العمليات واعداده لاستيعاب واستخدام القوات بمختلف انواعها. فقد ادى افتتاح مسرح العمليات في فيتنام بالنسبة الى القوات الاميركية في العام ١٩٦٥ إلى جلب عتاد ومعدات يبلغ وزنها ما يعادل ٤٠ طن لكل مقاتل (على حين كان المعدل في بداية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ اربعة اطنان فقط لكل مقاتل) ثم تلا ذلك تموين يعادل ٢,٥ طن لكل رجل في الشهر، ويتراوح الامداد اليومي لاربع فرق اميركية خلال الفترة من ١٩٦٥ إلى ١٩٦٨ مثلا ما بين ٥٦٠٠ و ٦٢٠٠ طن.

وقد تطور حجم الخدمات الادارية وتزايد مع تزايد حجم القوات الاميركية وتدخلها المباشر في فيتنام، ففي شهر تموز (يوليو) ١٩٦٤ مثلا، بلغ وزن المواد المنقولة إلى فيتنام نحو ٤٠ ألف طن، ثم ارتفع هذا الرقم في تموز (يوليو) ١٩٦٦ إلى ٧٠٠ ألف طن، ثم تزايد حتى مليون و ٢٠٠ ألف طن في تموز (يوليو) ١٩٦٨. ونتيجة لارتفاع مستوى نوعية إعاشة الجنود الاميركيين فقد تم مثلا خلال شهر تموز (يوليو) ١٩٦٧ نقل كيات المؤن التالية إلى فيتنام: ٨٠ مليون وجبة طعام، و ٢٠ مليون علبة حليب، ومليوني علبة بطاطا حلوة، و ١٥ مليون علبة عصير برتقال، و ١٨ مليون كيس بن «نسكافيه»، و ٢٠ مليون زجاجة كوكا كولا، و ٢٥ مليون زجاجة مياه معدنية. وتطلب هذا المجهود الاداري الضخم تخصيص نحو ٣٢٠ ألف جندي للقيام بالخدمات التي تتضمن استقبال المعدات والمؤن وخزنها وتوزيعها، يساعدهم ٥١٠ آلاف موظف مدني، و ٧٧٠ ألف عامل محلي. وتطلب نقل وتوزيع هذه الكميات الهائلة من الاحتياجات الادارية في تموز (يوليو) ١٩٦٨ مثلا ٥٧٠ مركب شحن عسكري، فضلا عن ١٥٠ مركب شحن مدني، و ٤٥٠ طائرة نقل ذات اربعة محركات من طراز «سي - ١٣٣»، و ١٨٠ طائرة نقل ثقيلة «سي - ١٤١» كما أقيم حوالي ٥٠ مطاراً و ١٠ مهابط للطائرات و ١٠٠ جسر فولاذي أو اسمنتي، و ١٠ مرافئ ذات ارصفة داخل المياه العميقة، وعشرات من المخازن والمعسكرات والورش الخ. كما ارتفعت قدرة ميناء «سايغون» مثلا من ١٥٠ ألف طن شهرياً في العام ١٩٦٥ إلى ٦٨٠ ألف طن في نهاية العام ١٩٦٧.

ويضاف إلى هذا أن توفير قوة النيران الكثيفة اللازمة، في رأي القادة العسكريين الاميركيين، لشل أو تحطيم القدرات العسكرية للثوار في الجنوب أو لفيتنام الديمقراطية في الشمال، كان يتطلب استخدام كيات هائلة من مختلف انواع الذخيرة، وعدد ضخم من الطلعات الجوية (بدء القصف الجوي المنهجي على فيتنام الشمالية، بخلاف الـ ٦٤ غارة جوية التي جرت أثر حادثة خليج تونكين، في ١٩٦٥/٢/٧ وذلك بهدف اجبار فيتنام الشمالية على وقف مساعداتها لجبهة التحرير في الجنوب بالسلاح والرجال، وقامت بنحو ٨٠٪ من عمليات القصف المذكور قوات الطيران الاستراتيجي الموجودة في قواعد «تايلاند» الجوية السبع التي كانت تضم ٣٠ قاذفة «ب - ٥٢» و ٦٠٠ مقاتلة قاذفة و ٢٠٠ طائرة نقل). ففي آذار (مارس) ١٩٦٧ مثلا بلغ مجموع الطلعات الجوية الاميركية نحو ٥٠ ألف طلعة استهلكت خلالها كيات من القنابل والصواريخ بلغ وزنها ٨٠ ألف طن، فضلا عن ٢٠ مليون لتر من المواد الكيماوية التي تسقط اوراق الاشجار، و ١٠ ملايين برميل من الوقود. وكان وزن المتفجرات التي ألقيت خلال هذا الشهر يعادل نحو ٩٠٪ من وزن المتفجرات التي ألقيت خلال ٣٧ شهراً من الحرب الكورية. وفي خلال العام ١٩٦٧ كان



الوحدات المدرعة أداة ضخمة فشلت في أدغال فيتنام



شل لواء من قوات الثوار عن القتال بفاعلية يتطلب في المتوسط نحو ٢٠ ألف قذيفة مدفعية ، و ٢٠٠ طن من النابالم ، و ٢٠٠ طلعة جوية للطائرات العادية ، و ٣٠٠٠ طلعة لطائرات الهليكوبتر . ولذلك قدر بعض اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي وقتئذ تكلفة قتل المقاتل الفيتنامي من الثوار بنحو ٣٥٠ ألف دولار .

ويوضح كل هذا مدى ضخامة التكلفة الاقتصادية للحرب الفيتنامية بالنسبة الى الولايات المتحدة ، والتي بلغت في نهاية الحرب نحو ١٥٠ مليار دولار . وزاد من هذه التكلفة المساعدات الاقتصادية التي كانت الولايات المتحدة مضطرة لاعطائها لحكومة فيتنام الجنوبية لتدعم اقتصادها المنهار ، وتخفف من حدة التضخم لديها . في العام ١٩٦٥ منحتها ١٥٠ مليون دولار ، وفي ١٩٦٦ منحتها ٣٩٨ مليوناً ، وفي ١٩٦٧ منحتها ٥٢٤ مليوناً ثم ٧٨٥ مليوناً في ١٩٦٨ الخ ، وكل ذلك بخلاف المساعدات العسكرية . ورغم ذلك لم تحل مشكلات فيتنام الجنوبية الاقتصادية ، نتيجة لظروف الحرب وانتشار الفساد والسرقة في اجهزة السلطة . ولهذا انخفض محصول الارز مثلا من ٤٥٠ ألف طن في العام ١٩٦٥ إلى ١٩٥ ألف طن في العام ١٩٦٨ . وهذا في بلد يعتمد اساساً على الارز في غذائه ، وكان يصدر في الماضي اكثر من مليون طن أرز إلى الخارج ، فاذا به يتحول إلى مستورد لغذاء شعبه الرئيسي ، ومن ثم زاد اختلال ميزان مدفوعاته وتفاقم حجم التضخم النقدي وما يترتب عليه من ارتفاع الاسعار وانخفاض مستوى المعيشة .

سير العمليات البرية :

نتيجة لفشل استراتيجية « الحرب الخاصة » ، التي استمرت منذ العام ١٩٦١ حتى بداية العام ١٩٦٥ ، وتزايد حجم وفاعلية عمليات جبهة التحرير ، بدأت مرحلة جديدة من الحرب في فيتنام الجنوبية ، بعد ان افتعلت الولايات المتحدة حادثة خليج تونكين في ٤ آب (اغسطس) ١٩٦٤ كمبرر لبدء شن غاراتها الجوية على فيتنام الديمقراطية (انظر خليج تونكين ، حادثة) ، حيث انزلت القيادة الاميركية (برئاسة الجنرال ويستمورلاند) الطلائع الاولى لمشاة البحرية الاميركيين في مرفأ « دانانغ » يوم ١٩٦٥/٣/٨ ، وذلك بعد ان كان القصف الجوي قد بدأ بصورة مكثفة على فيتنام الشمالية منذ شهر شباط (فبراير) السابق ، تمهيداً للسيطرة على القطاع الشمالي من البلاد قرب خط عرض ١٧ الذي يفصلها عن فيتنام الشمالية ، حتى يمكن قطع سبل ووسائل الامداد بالرجال والسلاح والذخيرة عن الثوار في الجنوب . وفي أيار (مايو) من العام نفسه اقامت القوات الاميركية قاعدة عسكرية قوية في «شولاي» الواقعة على مبعدة ٨٠ كم جنوبي دانانغ ، وفي آب (اغسطس) من العام نفسه تمركزت وحدات قوة من الطيران ومشاة البحرية في مطار مدينة « هوي » (العاصمة الامبراطورية القديمة) .

واعتقدت القيادة الاميركية وقتئذ بأن ٦٥ ألف جندي اميركي يشكلون قوة كافية للسيطرة على المنطقة الشمالية من فيتنام الجنوبية بين « هوي » وخط عرض ١٧ ، وان ٢٠٠ ألف جندي آخرين يكفون للسيطرة على بقية الجنوب وتصفية الثوار . واتبعت القوات الاميركية وقتئذ استراتيجية « النقاط المحمية » ، فكانت الوحدات الاميركية التي تصل تباعاً الى فيتنام تتمركز في قواعد تؤمن لها درجة جيدة من الحيطة ، ولا تحاول في هذه المرحلة مطاردة قوات الثوار او تمشيط المناطق الواسعة التي يسيطرون عليها خارج القواعد المذكورة . اما القوات الفيتنامية الجنوبية فقد كلف معظمها بتنفيذ خطة استراتيجية سميت « برنامج احلال السلام في الريف » ، الذي اعتمد على اقامة المزارع الاستراتيجية . وقد عملت قوات الثوار في بداية الصدامات البرية مع القوات الاميركية ، التي ساندها الطيران بقوة ، على تقسيم تشكيلاتها المقاتلة الكبيرة الى وحدات مصغرة اتخذت شكل السرايا المستقلة المتحركة (ثم تحولت بعد ذلك الى كتائب) وعادت الى تطبيق اساليب حرب العصابات (كانت الكمائن تمثل شكلا رئيسياً لعمليات حرب العصابات ، فمثلا وقع فوج مظلي اميركي في كمين يوم ٦٧/٣/٢٤ جنوب « داك تو » وقتل منه ٧٦ جندياً) ، التي اصبحت تمثل الشكل الرئيسي للقتال في هذه المرحلة ، فأخذت تهاجم المطارات والمواقع المنعزلة (كانت عمليات مهاجمة وقصف المطارات في جنوب فيتنام من انجح عمليات حرب العصابات واكثرها فاعلية ، فمثلا دمرت في قاعدة « بليكو » يوم ٦٧/١/٦ نحو ٩٢ طائرة ، وفي ٦٧/٢/٢٧ دمرت في قاعدة « دانانغ » الجوية نحو ٩٤ طائرة) ، كما هاجمت المزارع الاستراتيجية والقواعد الادارية في المؤخرات ، وامتدت عملياتها هذه من « كوانغ تري » في اقصى الشمال حتى « نام يو » في الجنوب ، مركزة هجماتها في شهر آب (اغسطس) ١٩٦٥ على القسم الاوسط من البلاد ، ثم ضاعفت هجماتها في اقليم « بينه دينه » على الساحل الاوسط خلال شهر تشرين الاول (اكتوبر).

وفي خلال هذه العملية الاخيرة اشتبكت قوة اميركية - فيتنامية مشتركة ، ضمت نحو ١٥ ألف جندي ، مع فوج المشاة ٣٢٥ التابع لقوات فيتنام الشمالية دون أن تتمكن من احراز نتيجة حاسمة .

وعموماً كانت قوات الثوار تطبق استراتيجيتها المعروفة القائمة على مبدأي « الانتشار » و « المناورات الاستراتيجية » التي تمزج بشكل وثيق متناسق الاداء بين عمليات نظامية متحركة وعمليات العصابات تبعاً لخطة واحدة على المستوى العام لمسرح العمليات ، والتي تتضمن ضرب العدو في كل لحظة وفي كل المناطق والميادين بدرجات متفاوتة من الشدة وحجم القوات المشتركة فيها ، ويتفاوت نصيب العمليات النظامية وعمليات حرب العصابات في كل مرحلة ضمن التركيب العملياتي العام في كل موجة من موجات العمليات وفقاً للظروف العامة المؤثرة في الموقف ، وتبعاً لتصاعد تأثير استنزاف العدو في العمليات السابقة . وفي النتيجة تعزل القواعد المعادية أو يضعف التنسيق بينها وبين بعضها البعض ، وتفقد القوات الاميركية والفيتنامية الجنوبية قدرتها الهجومية بحكم انها تضطر إلى الانتشار لحماية مختلف المناطق وطرق المواصلات التي تربطها . وتطبق هذه الاستراتيجية ضمن اطار استراتيجية الحرب طويلة الأمد التي تعتبر بمثابة الاستراتيجية العليا للثورة الفيتنامية ، بحكم انها تشكل الاستراتيجية الوحيدة التي تسمح بالتغلب على مصاعب مواجهة التفوق التقني والكمي المعادي ، والبناء التدريجي للقوة الثورية القادرة على حسم الحرب عندما يصل الاستنزاف المادي والمعنوي لقوى العدو إلى حده الاقصى .

وبطبيعة الحال لم يكن من الممكن لفيتنام أن تحقق ما حققته من نجاح في تطبيق استراتيجية الحرب طويلة الامد ، سواء من حيث صمود « الشمال » في وجه الهجوم الجوي الاميركي الضخم (والذي فاق بكثير القصف الجوي الذي تعرضت له المانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية ، انظر الحرب الجوية) عسكرياً واقتصادياً ومن ثم معنوياً ، أو من حيث قدرة قوات الثوار في « الجنوب » (التي عزلتها امدادات الشمال بالرجال والسلاح والذخائر والمؤن والعتاد الخ) على التصدي للقوات الاميركية وإلحاق الهزائم بها وتطوير قدرتها القتالية بصورة مستمرة ، لولا الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي والمعنوي الذي قدمته الدول الاشتراكية ، وخاصة الاتحاد السوفييتي والصين طوال سنوات التدخل العسكري الاميركي في فيتنام .

في عام ١٩٦٤ قدم الاتحاد السوفييتي إلى فيتنام الديمقراطية مساعدات عسكرية قيمتها ٤٠ مليون دولار ، ثم ارتفعت قيمة هذه المساعدات عام ١٩٦٥ إلى ٥٥٠ مليون دولار ، وفي عام ١٩٦٦ بلغت قيمتها ٧٠٠ مليون دولار ، وفي عام ١٩٦٧ وصلت إلى ٨٥٠ مليون دولار ، ثم ارتفعت إلى ١١٥٠ مليون دولار عام ١٩٦٨ . والغالبية الساحقة من المساعدات العسكرية السوفييتية لفيتنام قدمت اليها مجاناً . وكذلك زادت المساعدات الاقتصادية السوفييتية المرسلة لفيتنام من ٣٦٤ مليون دولار عام ١٩٦٥ إلى حوالي ١٠٠٠ مليون دولار عام ١٩٦٨ ، وأدت إلى دعم هائل للصناعة الفيتنامية (مصانع الاسلحة والذخيرة والصناعات الكيميائية والغذائية والكهربائية والميكانيكية ومصانع الصلب والاسمنت الخ) ، وكانت معظم المساعدات العسكرية والاقتصادية السوفييتية تصل إلى فيتنام عن طريق البحر والبعض الآخر كان يصل عن طريق البر عبر اراضي الصين وفقاً لبروتوكول سوفييتي – صيني وقع في نيسان (ابريل) ١٩٦٧ . وقدمت الصين هي الاخرى دعماً عسكرياً واقتصادياً لفيتنام الديمقراطية تضمن اسلحة صغيرة ومدافع مختلفة الانواع وذخائر ، وتدريب نحو ٥٠ ألف ضابط فيتنامي من الشمال والجنوب ، وإقامة المطارات ، وصيانة الطرق المؤدية إلى المنطقة المجردة من السلاح عند خط عرض ١٧ وطريق « هوشي منه » ، وتأمين صيانة طائرات الميغ ١٧ والميغ ٢١ الفيتنامية (السوفييتية الصنع في معظمها) في القواعد الجوية الصينية . كما أرسلت الصين عدداً من خبرائها للعمل في اجهزة الرادار الفيتنامية ونحو ٢٠٠ ألف عامل و ٤٠ ألف فني لاصلاح وصيانة الخطين الحديديين الكبيرين ، اللذين يربطان فيتنام بالصين ، « هانوي – لانغسون » و « هانوي – لاو – كاي » ليلاً ونهاراً نظراً لتعرضهما المستمر للغارات الجوية الاميركية . وكذلك امدت الصين فيتنام الديمقراطية بكثير من الآلات ، وخاصة المصفحات ، والاسمدة والمواد الكيماوية اللازمة لمكافحة الآفات الزراعية الخ .

وفي النصف الاول من العام ١٩٦٦ قامت القوات الاميركية بعمليات تمشيط هامة متفرقة لم تحقق سوى نتائج تكتيكية محدودة . واستغل «جياب» الموقف في تعزيز قوات الثوار عبر طريق « هوشي منه » الذي يمر في اراضي « لاووس » . وفي آب (اغسطس) ١٩٦٦ شنت القوات الثورية النظامية (إحدى فرق فيتنام الشمالية) ٦٣٠ هجمة من المرتفعات الوسطى على الطريق رقم ١٩ ، الذي يعتبر طريقاً استراتيجياً هاماً لأنه يخترق فيتنام الجنوبية كلها ، وذلك بهدف قطع فيتنام إلى قسمين ، وهناك خرجت لملاقاتها وحدات من فرق المشاة الرابعة الاميركية ، وعندئذ ركز الثوار هجماتهم في دلتا نهر الميكونغ في الجنوب ، التي تعتبر بمثابة « البطن الرخو » لجيش فيتنام الجنوبية ، واشتبكوا في قتال عنيف مع لواء تابع لفرقة المشاة الاميركية ٢٥ واللواء ١٩٦ من الفرقة الاولى المحمولة جواً « فرسان الجو » واوقعوا بهما خسائر فادحة . ثم استدعت القيادة الاميركية الفرقة ٢٥ واللواء ١٩٦ لتأمين حماية القواعد الاميركية في منطقة « كوانغ تري » في اقصى الشمال ، حيث اشتبك آلاف من مشاة البحرية مع قوات نظامية فيتنامية شمالية قرب طريق « هوشي منه » . وهكذا تتالت ضربات الثوار ولم تسمح للقوات الاميركية بتركيز جهودها وتنظيمها بالصورة التي كان يتصورها قائدها « ويستمورلاند » ، رغم الجهود الضخمة التي كان يبذلها الطيران الاميركي سواء في الشمال أو الجنوب .

وفي الفترة من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٦ حتى آذار (مارس) ١٩٦٧ شنت القوات الاميركية نحو ألف عملية هجومية بقوات تتراوح بين الكتيبة واللواء ، تمت منها حوالي ٦٠ عملية على مستوى الفرقة وثلاثة على مستوى الفيلق . واشتركت في هذه العمليات فرق المشاة الاميركية الاولى والرابعة وفرقة « فرسان الجو » وفرق مشاة البحرية الاولى والثالثة ، وساندتها من القوات الفيتنامية الجنوبية والدول الحليفة لها الفرق ٢ ، ٩ ، ٢١ ، ٢٥ وكتيبة المظليين ٧ والكتائب المستقلة ٣٢ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢ المعدة لقتال العصابات في الادغال . وكانت اهم هذه العمليات ، العملية التي جرت على مستوى الفيلق في الفترة من ٦٧/٢/٢ إلى ٦٧/٤/١٣ وعرفت باسم عملية « جونكشن سيتي » ، واشترك فيها نحو ٤٥ ألف جندي اميركي وفيتنامي جنوبي ، وقد افشل جياب هذه العملية اذ دفع بثلاث فرق عبر خط عرض ١٧ اجبرت فرقتي مشاة البحرية الاميركية وعناصر هامة من فرقة « فرسان الجو » على اتخاذ موقف الدفاع فضلا عن ٣ فرق فيتنامية جنوبية قرب الخط المذكور ، ثم حوصر عدد من القواعد التي يحتلها مشاة البحرية وكان اهمها قاعدة « خي سانه » (انظر خي سانه) . وهكذا فقدت القوات الاميركية قدرتها على حرية العمل ، وفشلت المناورة الاستراتيجية الاميركية واخذت المبادأة الاستراتيجية تنتقل بوضوح إلى الثوار .

وقد بلغت خسائر القوات الاميركية والفيتنامية في هذه العملية نحو ١٤ ألف جندي و ١٠٠٠ آلية من بينها ٨٠١ مصفحة ودبابة و ١٦٧ طائرة من مختلف الانواع و ٩٠ مدفعاً ثقيلا . واقبل فصل الامطار فخشيت القيادة الاميركية أن يستغل الثوار غياب الطيران خلاله ويهاجموا القواعد المحاصرة ، ولذلك سحبت وحدات كثيرة من مختلف انحاء فيتنام لتزيد بسرعة من قوات الفيلق الاول في الشمال في نيسان (ابريل) ١٩٦٧ ، ونتيجة لذلك ارتفع عدد جنوده إلى ١٢٤ ألف جندي ، بعد أن كان يضم ٦٢ ألفاً فقط . واستغل الثوار فترة الامطار في راحة قواتهم الرئيسية مع استمرار عمليات العصابات خاصة في المنطقة الساحلية على امتداد ٥٠٠ كم ، مع حد ادنى من الخسائر وحد اقصى من البريق العسكري .

وفي الفترة من ايلول (سبتمبر) إلى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ شن الثوار هجمات قوية في منطقة المرتفعات الوسطى وفي شرق البلاد . كما تدفقت التعزيزات عبر طريق « هوشي منه » ومعها مئات من قطع المدفعية لمسافات بلغت نحو ٨٠٠ كم من الطرقات السيئة ، حيث توزعت في المنطقة الجبلية خاصة الواقعة منها على طول حدود لاووس وكمبوديا ، وذلك رغم القصف الجوي الاميركي المركز والمستمر على هذا الطريق الهام .

وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٨ احتشد نحو ٨٥ ألف جندي من قوات الثوار وفيتنام الشمالية على كلا جانبي خط عرض ١٧ بهدف إعاقة إنشاء خط « ماكنمارا » (انظر ماكنمارا « خط ») وتثبيت قوات مشاة البحرية الاميركية والقوات المتحركة الاخرى ، مثل فرقة فرسان الجو الاولى ، بين « دونغ ها » الواقعة على مقربة من الساحل جنوبي خط عرض ١٧ وحدود لاووس . وبذلك اضطرت القيادة الاميركية أن تخفف من قواتها في بقية مناطق فيتنام ، وخاصة في المناطق القريبة من العاصمة ودلتا الميكونغ .

ولزيادة اجتذاب القوات الاميركية نحو الشمال ، وحماية المسالك المؤدية إلى طريق « هوشي منه » في الوقت نفسه ، أنشأ الثوار منطقة شديدة التحصين (تضم شبكة من الخنادق المتصلة تتوسطها مئات من الابراج الاسمنتية) في التلال المشرفة على حوض « داك تو » ، فأرسلت القيادة الاميركية قوة يبلغ عددها نحو ١٦ ألف جندي اميركي تمركزت في الحوض المذكور قريباً من خطوط مواصلات الثوار مع « الشمال » عند مخرج طريق « هوشي منه » . وقد ضمت هذه القوة فرقة المشاة الرابعة الاميركية

واللوائين المظليين ٤٢ ، ١٧٣ ، وتخندقت في قاعدة محصنة ضمت ٥٣٥ موقعاً وخنادق وملاجئ متصلة بانفاق ، ودارت هناك معركة عنيفة استمرت حتى ١٩٦٧/١١/٢٦ بين القوات الاميركيــة والثوار المشرفين على القاعدة من التلال المحيطة بها (انظر داك تو « معركة ») .

وفي الوقت نفسه كانت معركة « خي سانه » محتدمة ، كما أدت هجمات الثوار المتتالية في دلتا الميكونغ بالجنوب إلى قطع الطرق المؤديــة إلى « سايغون » ، الامر الذي اضطر حكومة فيتنـــام الجنوبية إلى استيراد اكثر من مليون طن من الارز في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ لمواجهة النقص في هذه المادة الغذائية الرئيسية نتيجة للمعارك الدائرة في الدلتا . كما تعرضت « دانانغ » و « بليكو » و « كونتوم » و « آنخيه » في شمال ووسط البــلاد لعمليات قصف مختلفة بالمدفعية . وهكذا استطاع الجنرال « جياب » ، الذي كان يتولى القيــادة الاستراتيجية العليا للثوار بالاضافة لقوات فيتنام الشمالية ، أن يشتت جهود القوة الضاربة الاميركية ويجبرها على اتخاذ موقف الدفاع والتخندق داخل قواعد ثابتة تتعرض للحصار أو للقصف شبه المستمر ، كما استطاع أن يحطم خط « ماكنمارا » . وفي الوقت نفسه حالت كثرة الهجمات المتفرقة وعمليات الحصار دون تقدير القيادة الاميركية (ويستمورلاند) لحقيقة نوايا « جياب » . وهكذا توفرت الظروف الاستراتيجية المناسبة لبدء هجوم رأس السنة القمرية العام الذي شنته قوات الثوار في ١٩٦٨/١/٣١ فجأة وحققت من ورائه نجاحات عسكرية ومعنوية وسياسية هائلة (انظر التيت « هجوم ») ، وانتهى الهجوم في آذار (مارس) ١٩٦٨ بعد أن اظهر امام الشعب في جنوبي فيتنام ، وفي الولايات المتحدة نفسها (التي كانت على ابواب معركة انتخابية) وامام الرأي العام العالمي ، فشل الاداة العسكرية الاميركية الضخمة ليس فقط في القضاء على الثورة في فيتنام وانما ايضاً في تقليص حجمها، واحتمال تعرض اميركــا لهزيمة مماثلة لهزيمة فرنسا في العام ١٩٥٤ . واضطر الرئيس الاميركي « جونسون » أن يعلن في ١٩٦٨/٣/٣١ تحديد عمليات القصف الجوي في فيتنام الشمالية (تعرضت فيتنام الديمقراطية لقصف جوي شبه مستمر طوال سنوات التدخل العسكري المباشر من جانب الولايات في الجنوب من ١٩٦٥ حتى نهاية ١٩٧٢ بهدف ارغامها على عدم مساعدة الثوار في الجنوب إلا أن فيتنام الديمقراطية صمدت في وجه العدوان الاميركي رغم استخدام اكثر من ٧ ملايين طن من القنابل ضدها واسقطت آلاف من الطائرات الاميركية (انظر الحرب الجوية) واستمرت في دعم الثورة في الجنوب حتى النصر الاخير) ، وانه لن يعيد ترشيح نفسه في انتخابات الرئاسة ، كما اضطر إلى ابعاد « ويستمورلاند » عن فيتنام عن طريق تعيينه رئيساً لاركان القوات البرية في « البنتاغون » في اوائل (ابريل) ١٩٦٨ وحل محله الجنرال « كرايتون ابرامز » في ٦٨/٤/١٢ والذي كان يشغل من قبل (منذ عام ١٩٦٤) منصب مساعد القائد العام في فيتنام . وقد شنت القيادة الاميركية في الفترة الاخيرة من رئاسة « ويستمورلاند » وبداية رئاسة « ابرامز » ، أي خلال شهري آذار (مارس) ونيسان (ابريل) ١٩٦٨ ، سلسلة من الهجمات المضادة اطلقت عليها اسم عملية « مصممون على النصر » ، واستخدمت فيها فرق المشاة الاميركية ١ ، ٩ ، ٥ وفرقتي المشاة الفيتناميتين الجنوبيتين ٥ ، ٢٥ بالاضافة لوحدات من المغاوير (الصاعقة) والمظليين ومشاة البحرية (بلغت جملة القوة ٩٠ كتيبة ساندتها نحو ٤٠٠ طائرة و ٨٠٠ هليكوبتر) ، ولكن غالبية هذه الهجمات سقطت في فراغ ، نظراً لأن قوات الثوار الرئيسية كانت قد انسحبت من مواقع انطلاق هجوم « التيت » إلى المناطق الآمنة في المرتفعات والادغال .

وكان فشل هذه العملية سبباً من اسباب ابعاد « ويستمورلاند » عن القيادة العامة في فيتنـــام . واضطر « ابرامز » بعده أن يضيق مساحة انتشار قواته ليحمي القواعد والمدن خشية تكرار الهجوم على غرار هجوم « التيت » . ولذلك كان في حاجة لنحو ٢٠٠ ألف جندي اميركي يتمركزون في العاصمة سايغون وضواحيها فقط ، في الوقت الذي لم تعد واشنطن قادرة فيه على ارسال تعزيزات كبيرة . ولذلك اضطرت إلى البدء في مفاوضات مع الثوار بحثاً عن حل سياسي للمشكلة ولمحاولة كسب الوقت وتجميد الموقف العسكري .

بدأت المفاوضات التمهيدية في باريس يوم ١٨ أيار (مايو) ١٩٦٨ بين الولايات المتحدة ووفد جبهة التحرير . وخفت حدة العمليات النظامية للثوار حتى نهاية ١٩٦٨ نتيجــة لانسحاب نحو ٧ فرق من قوات الثوار وفيتنام الشمالية نحو حدود لاووس وكمبوديا وفيتنام الشمالية ، على حين استمرت عمليات حرب العصابات في المرتفعات الوسطى وباتجاه قاعدة دانانغ وحول « سايغون » التي اصبحت شبه محاصرة في نهاية ١٩٦٨ . وحاول « ابرامز » شن حملات مضادة في الربع الاخير من السنة المذكورة اطلق عليها اسم « البرنامج السريع لاحلال السلام في الريف » ولكنه فشل فشلا ذريعاً ، خاصة بعد أن عادت ٤ فرق نظامية من الثوار وقوات فيتنام الشمالية إلى النشاط بفاعلية في نهاية العام بعد أن تجزأت إلى وحدات صغيرة قادرة على القيام بمهمات الازعاج والقضم .

فتنمة الحرب (١٩٦٩ - ١٩٧٣) : في ١٠ حزيران (يونيو) ١٩٦٩ شكلت جبهـــة التحرير الحكومة الثورية المؤقتة في الجنوب كخطوة سياسية لتعزيز سلطتها الداخلية وتكريس اعتراف العالم الخارجي بالثورة ، خاصة بعد أن بدأت مرحلة التفاوض طويل الأمد مع الولايات المتحدة في باريس. ومن جزيرة « غوام » في المحيط الهادئ اعلن الرئيس الاميركي الجديد « ريتشارد نيكسون » سياسة الولايات المتحدة الآسيوية الجديدة التي عرفت « بمبدأ نيكسون » القائل بأن « الولايات المتحدة ستدعم البلدان الآسيوية في جهودها للحفاظ على النظام والامن الدوليين ، طالما ان هذه البلدان تتحمل المسؤوليات الرئيسية ... وعليها أن تتولى بصورة متزايدة مسؤولية وواجب التضحية التي تتطلبها حاجاتها الدفاعية . وحيثما تتطور ثورة فان الولايات المتحدة ستزود هـــذه البــلدان ولكنها لن تتورط بقواتها مباشرة ... وإذا كانت المسألة مسألة غزو عبر حدود غير محددة ، فان الولايات المتحدة لن تعتبر نفسها ملتزمة بالسياسة العامة القاضية بتجنب المشاركة القتالية المباشرة » .

وكان مبدأ نيكسون يعني فشل سياسة التدخل العسكري الاميركي المباشر ، خاصة في مجـــال العمليات البرية ، في جنوب فيتنام وبداية « فتنمة » الحرب هناك عن طريق تدعيم النظام العميل في الجنوب عسكرياً واقتصادياً ومساعدته بالقصف الجوي المركز الذي شمل معظم اراضي الجنوب بصورة منهجية لا تميز عن الثوار والسكان ، وامتد بعد ذلك مرة اخرى إلى الشمال لفرض شروط السلام الاميركية في « باريس » ، وذلك نظراً لأن القبول بشروط السلام الفيتنامية ، التي كانت جبهة التحرير الوطني قد طرحتها في مشروعها للسلام المعلن يوم ٨ أيار (مايو) ١٩٦٩ ، كان يعني قبول الهزيمة العسكرية والسياسية لكل من الولايات المتحدة والنظام العميل في الجنوب . ويتضح لنا ذلك من الاستعراض التالي لمشروع جبهة التحرير الذي اشتمل على ١٠ نقاط نجملها في الآتي :

١ - ينبغي احترام الحقوق القومية الاساسية للشعب الفيتنامي ، اي الاستقلال والسيادة والوحدة

والسلامة الاقليمية ، كما اعترفت بها اتفاقات جنيف لعام ١٩٥٤ .

٢ – ينبغي على حكومة الولايات المتحدة أن تسحب من فيتنام الجنوبية كل القوات الاميركية والكوادر العسكرية والاسلحة والمعدات الحربية التابعة لها ولغيرها من الدول الاجنبية في المعسكر الاميركي ، من دون فرض أية شروط على الاطلاق . كما أن عليها تفكيك كل القواعد العسكرية الاميركية في فيتنام الجنوبية ونبذ كل تعد على سيادة كل من فيتنام الجنوبية وفيتنام الديموقراطية ... وخلال ٦٠ يوماً من توقيع هذا الاتفاق يتم تنفيذ كل المنصوص عليه في هذه النقطة .

٣ – يتم حل مسألة القوات المسلحة في فيتنام الجنوبية بين الفرقاء الفيتناميين انفسهم .

٤ – يقوم شعب فيتنام الجنوبية بحل قضاياه بنفسه ومن دون تدخل خارجي . ويقرر بنفسه النظام السياسي لفيتنام الجنوبية عن طريق انتخابات عامة ديموقراطية حرة . وسيقام مجلس تأسيسي ويتم وضع دستور وإقامة حكومة ائتلافية لفيتنام الجنوبية تعكس الوفاق الوطني والوحدة العريضة للشرائح الاجتماعية كافة .

٥ – لن يفرض أي فريق من الفريقين نظامه السياسي على شعب فيتنام الجنوبية خلال الفترة الواقعة بين إعادة استتباب السلام واجراء الانتخابات العامة . وستدخل القوى السياسية الممثلة للشرائح الاجتماعية والميول السياسية المختلفة في فيتنام الجنوبية الواقفة مع السلام والاستقلال والحياد ، بما في ذلك الاشخاص المضطرون إلى الإقامة في الخارج لاسباب سياسية ، في محادثات من اجل إقامة حكومة ائتلافية مؤقتة يناط بها تنفيذ الاتفاق بالنسبة الى سحب القوات والقواعد الاميركية وتحقيق الوفاق الوطني والوحدة الاجتماعية وتحقيق الحريات الديمقراطية العريضة ولأم جراح الحرب وإعادة بناء الاقتصاد وتنميته وإجراء الانتخابات العامة بهدف الوصول إلى حق الشعب الفيتنامي في تقرير مصيره وفقاً لمحتوى النقطة الرابعة من المشروع .

٦ – تتبع فيتنام الجنوبية سياسة خارجية قائمة على السلام والحياد . وتقيم علاقات ديبلوماسية واقتصادية وثقافية مع كل البلدان بما في ذلك الولايات المتحدة على اساس مبادئ التعايش السلمي ، وتقبل المساعدات الاقتصادية والفنية من اي بلد ، دون أية شروط سياسية مرفقة بها .

٧ – يتم تحقيق إعادة توحيد فيتنام خطوة اثر خطوة بالوسائل السلمية ومن خلال المناقشات والاتفاق بين المنطقتين دون اي تدخل خارجي . وإلى أن تتم إعادة التوحيد تعود كل من المنطقتين إلى إقامة علاقات طبيعية بينهما في كل المجالات ، وان خط عرض ١٧ الذي يمثل خط الحدود العسكري بينهما هو خط ذو طبيعة مؤقتة ، ولا يشكل بأية صورة من الصور حداً اساسياً واقليمياً . كما نصت على ذلك اتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٤ حول فيتنام .

٨ – تمتنع كل من المنطقتين عن دخول أي حلف عسكري مع بلدان اجنبية ، ولا تسمحان باقامة قواعد عسكرية على أراضيهما ، ولا تعترفان بحماية أي بلد أو حلف عسكري ، كما نصت على ذلك اتفاقات جنيف حول فيتنام عام ١٩٥٤ .

٩ – تقوم الاطراف المعنية بالتفاوض في سبيل اطلاق سراح اسرى الحرب ، وتتحمل الحكومة الاميركية المسؤولية عن الخسائر والدمار في الشمال والجنوب .

١٠ – يتفق بين الاطراف حول الاشراف الدولي على سحب القوات والاسلحة التابعة للولايات المتحدة ولغيرها من البلدان الاجنبية من فيتنام الجنوبية .

وطرح « نيكسون » مشروعاً للسلام من ٨ نقاط في ١٤ أيار (مايو) ١٩٦٩ ، اقترح فيه أن تنسحب جميع القوات غير الفيتنامية الجنوبية من فيتنام الجنوبية ، بما في ذلك قوات فيتنام الشمالية ، وفي المقابل تنسحب القوات الاميركية والقوات الحليفة لها بصورة تدريجية وخلال مدة سنة كاملة ، على أن يتم انسحابها مع انتهاء انسحاب قوات فيتنام الشمالية ، كما أناط المهام الموكولة إلى الحكومة الائتلافية إلى هيئة دولية . وكذلك كان « ثيو » ، رئيس فيتنام الجنوبية ، قد قدم مشروعاً في ٧ نيسان (ابريل) ١٩٦٩ يتضمن ضرورة ان تتراجع فيتنام الشمالية عن محاولاتها لغزو فيتنام الجنوبية بالقوة ، وأن تسحب جميع القوات الشيوعية (بما في ذلك قوات جبهة التحرير) من فيتنام الجنوبية . .

وحول هذه المشروعات المتضادة دارت المفاوضات الطويلة في باريس واستمر القتال في جنوب فيتنام والقصف الجوي المتقطع على فيتنام الشمالية بغرض دعم مراكز الاطراف المتصارعة على مائدة المفاوضات. وفي الوقت نفسه كانت الولايات المتحدة تخفض من حجم قواتها البرية تدريجياً وتطبق سياسة « الفتنمة » ، وتزيد من ضغط سلاحها الجوي والبحري على فيتنام بشطريها . ونتيجة لذلك خفض حجم القوات الاميركية في فيتنام ما بين حزيران (يونيو) ١٩٦٩ وايار (مايو) ١٩٧١ إلى ٣٣٠ ألف جندي .

ولكن الحرب الجوية كانت مستمرة بعنف ليس فقط في فيتنام وانما ايضاً في « لاووس » ضد قوات « الباثيت لاو » ، حيث كانت الطائرات الاميركية تقصف مواقع الثوار وطريق « هوشي منه » ، وتدعم قوات النظام العميل هناك ، كما تم قلب نظام الامير « سيهانوك » المحايد في كمبوديا في آذار (مارس) ١٩٧٠ ودخلت قوات اميركية وفيتنامية اليها في شباط (فبراير) ١٩٧١ لتطهير مناطقها المتاخمة لجنوب فيتنام من الثوار الفيتناميين (تولى « لون نول » السلطة هناك وبدأت على الاثر ثورة شعبية مضادة استمرت خمس سنوات حتى حققت انتصارها الحاسم في ١٧ نيسان (ابريل) ١٩٧٥) .

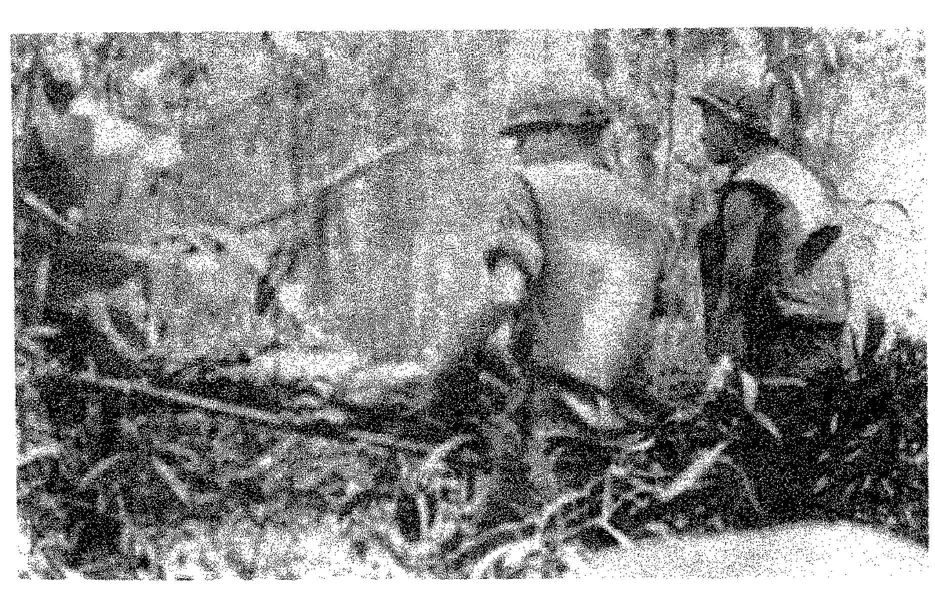
واستمرت المعارك في جنوب فيتنام وفقاً لاستراتيجية الثوار الذين زادوا من قوة تسليحهم ، خاصة في العام ١٩٧٢ حيث استخدموا مئات من الدبابات من طراز « ت ٥٤ » و « ب ت ٧٦ » و « ت ١٠ » في مجموعات صغيرة تدعم المشاة وتعمل بتعاون مع المدفعية وفي ظل اسلحة الدفاع الجوي الارضي . وفي ٦ نيسان (ابريل) ١٩٧٢ شدد الاميركيون من قصف الشمال على نطاق واسع ، كما لغموا المياه والمرافئ الفيتنامية الشمالية ومن بينها « هايفونغ » لعرقلة وصول الامدادات والمساعدات السوفييتية اليها . ثم قطعوا محادثات باريس إلى أجل غير مسمى في ٤ أيار (مايو) ١٩٧٢ ، ولكنهم اضطروا إلى إعادتها ثانية في تموز (يوليو) بعد أن لمسوا عملياً استحالة تحقيق نصر عسكري رغم الغارات الجوية العنيفة التي تعرضت لها فيتنام الديمقراطية ، والتي قصدت الولايات المتحدة من استمرارها حتى النهاية اظهار اتفاقية انهاء الحرب الفيتنامية بالنسبة لها وكأنها تمت تحت ضغط الطيران الاميركي . (انظر هانوي ، قصف جوي) .

وفي ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ وقعت الولايات المتحدة اتفاقية وقف اطلاق النار مع جبهة التحرير وحكومة فيتنام الديمقراطية ، وجاء في مادتها الاولى « ان الولايات المتحدة الاميركية وكافة الدول الاخرى تحترم استقلال وسيادة ووحدة وسلامة اراضي فيتنام المتضمنة في اتفاقيات جنيف عام ١٩٥٤ حول فيتنام » وتتالت موادها متضمنة برنامج النقاط العشر للسلام الذي طرحته جبهة التحرير في ايار (مايو) ١٩٦٩ بالكامل تقريباً باستثناء أن الحكومة الائتلافية استعيض عنها بالمجلس الوطني للمصالحة والوفاق الوطني . وقد رفض « ثيو » الاتفاقية ، ولكن الولايات المتحدة نفذتها وانسحبت آخر وحداتها من جنوب فيتنام في ٢٩ نيسان (ابريل) ١٩٧٣ ، بعد

أن عززت قوات جيش « ثيو » بأكبر قدر ممكن من الاسلحة والعتاد والطائرات والمساعدات الاقتصادية ليستطيع الاستمرار في مواجهة الثوار . وقدر عدد قوات « ثيو » خلال العام ١٩٧٣ بنحو ٢٣٠ ألف جندي مقاتل ، و ٢٣٥ ألف جندي للخدمات الادارية ، و ٣٢٥ ألف جندي للدفاع الاقليمي ، و ٢٠٠ ألف من القوات الشعبية ، ومليون و ٤٠٠ ألف من قوات الدفاع الذاتي الشعبية .

وبلغت ارقام المساعدات العسكرية الاميركية لنظام « ثيو » خلال سنة ٧٣ – ٧٤ اكثر من ٣ آلاف مليون دولار ، وتضمنت هذه المساعدات خلال الفترة الممتدة من ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ إلى ١٠ تموز (يوليو) ١٩٧٤ فقط نحو ٦٤٠ طائرة حربية و ١١٠٠ دبابة (من بينها دبابات م – ٦٠ الحديثة) و ٨٠٠ مدفع (من بينها مدافع م – ١٠٧ عيار ١٧٥ مم بعيدة المدى) و ٢٠٤ قطعة بحرية . كما احتفظت الولايات المتحدة بنحو ٢٧ ألف من العسكريين في فيتنام بملابس مدنية على انهم تابعون للسفارة الاميركية والقنصليات الاميركية في مختلف المدن ،وكانوا يعملون في توجيه وادارة العمليات الحربية لجيش « ثيو » من مستوى القيادة العليا حتى مستوى المناطق . ولم تنقطع زيارات كبار القادة العسكريين الاميركيين عن فيتنام طوال ٢٨ شهراً انقضت بعد توقيع اتفاقية باريس وسقوط نظام « ثيو » النهائي . وكان آخر من زاروا « سايغون » قبل سقوطها بأسابيع قليلة رئيس اركان القوات المسلحة الاميركية .

ولم يحترم « ثيو » أي نص من نصوص اتفاقية باريس ، فعمد إلى استبقاء اكثر من ٢٠٠ ألف سجين سياسي، رغم ما نصت عليه الاتفاقية من ضرورة اطلاق سراح جميع الاسرى والمعتقلين والمسجونين السياسيين خلال ٩٠ يوماً من توقيعها ، كما اعتقل ٦٠ ألفاً آخرين . وشن عمليات ارهاب ضد السكان في المناطق المحررة بلغ متوسطها ٢٠ ألف عملية في الشهر خلال العام ١٩٧٣ ، و ٢٣٣١٥ عملية في الشهر خلال العام ١٩٧٤ . وفي الاشهر الاخيرة من العام ١٩٧٤ اتخذت هذه العمليات طابع الهجمات الواسعة تحت شعار « إقامة المناطق البيضاء » ، ودمرت خلالها ١٧٢٨ قرية جمع من سكانها مليوناً و ٦٥٠ ألف شخص في ٢١٠ من معسكرات التجميع ، كما نهبت كميات كبيرة من الارز من المناطق المحررة لتجويع السكان واضعاف الثوار الموجودين فيها ، هذا بالاضافة إلى استخدام الطائرات في قصف يومي لهذه المناطق . وتدهورت الحالة



نقل الجرحى على الحمالات المبتكرة في الأدغال .

الاقتصادية في كافة انحاء البلاد بسبب الفساد وتهريب الاموال الى الخارج وارتفاع الضرائب غير المباشرة .

وفي ٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ وجهت الحكومة الثورية المؤقتة انذاراً نهائياً قالت فيه انه « على الحكومة الاميركية أن توقف بصفة قاطعة ونهائية اشتراكها وتدخلها العسكري في الشؤون الداخلية لفيتنام الجنوبية ، وأن تسحب فوراً من فيتنام الجنوبية كل افرادها العسكريين المتخفين في ملابس مدنية . وينبغي اسقاط « فان ثيو » وامثاله الذين يشكلون العقبة الرئيسية في وجه تسوية المشكلات السياسية لفيتنام الجنوبية ، وأن تشكل حكومة تؤيد السلام والوفاق » . وقد رفض « ثيو » الانذار وقال « ليست هناك إلا حكومة واحدة ، وليس هناك إلا جيش واحد في فيتنام الجنوبية ، اما ما يسمى بالحكومة الثورية المؤقتة فلن يكون بإمكانها أن تعيش ... ان من يجد في نفسه الشجاعة على أن يجهر بتأييده للحياد الشيوعي لن يعيش لاكثر من خمس دقائق » .

وبدأت قوات الثوار هجماتها الاساسية في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٤ حول « دانانغ » وفي المقاطعات الشمالية الخمس بصفة عامة ، التي تشكل ما يسميه جيش فيتنام الجنوبية بالمنطقة العسكرية الاولى ، وتبدأ بمقاطعة « كوانغ تري » المجاورة لخط عرض ١٧ وتنتهي بمقاطعة « كوانغ نغاي » التي توجد فيها مدينتا « دانانغ » و « هوي » . ثم انتقلت الهجمات إلى منطقة الهضاب الوسطى المجاورة لاراضي لاوس وكمبوديا ، المعروفة بالمنطقة العسكرية الثانية ، والتي تضم مدن « كونتوم » و « بليكو » . واثر سقوط مدينة « بان مي ثيوت » في مقاطعة « دارلاك » يوم ١٩٧٥/٣/١٣ التي تبعد نحو ٢٥٠ كم إلى الشمال الغربي من سايغون (وحيث تركت قوات فيتنام الجنوبية نحو ٣٢٠٠ طن من الذخيرة و ١٠ آلاف طن من الارز ومليون غالون من الوقود) ، اصبح من الواضح وجود خطر شطر البلاد إلى شطرين وعزل القوات الرئيسية التي لا تزال موجودة في المقاطعات الشمالية ، ومن ثم اضعاف قوات المنطقة العسكرية الثالثة المتمركزة حول « سايغون » ، وفي دلتا نهر « الميكونغ » الغنية بالارز في الجنوب . ولذلك اتخذ « ثيو » قراراً استراتيجياً يقضي بانسحاب شامل من المقاطعات الشمالية لانقاذ ما يمكن انقاذه من قواته هناك وتركيزها حول « سايغون » ، ولكن هذا الانسحاب الاستراتيجي تحول ، تحت وطأة هجمات الثوار المستمرة التي كشفت مدى الضعف المعنوي الذي يتسم به جيش « ثيو » ، إلى كارثة وهزيمة عسكرية كبرى . إذ انفرط عقد هذا الجيش ، وتحول إلى مجموعات من الجنود الفارين وسط جموع اللاجئين المدنيين الذين ازدحمت بهم الطرق المؤدية إلى مرافئ الشاطئ الشرقي ، وخاصة في « دانانغ » التي تدفق اليها نحو ٥٠٠ ألف من اللاجئين ، و ١٠٠ ألف جندي من القوات الجنوبية الهاربة .

وفي ١٩٧٥/٣/٢٣ تقدم رتل مدرع للثوار في مقاطعة « كوانغ تين » الشمالية نحو مدينة « تام كي » الساحلية ، واستولى عليها دون مقاومة تقريباً ، عازلا بذلك « دانانغ » تماماً من جهة البر ، الامر الذي

ترتب عليه سقوطها يوم ٧٥/٣/٢٨ واستسلام نحو ١٠٠ ألف جندي جنوبي للقوات الثورية المهاجمة والتي يقدر عددها بنحو ٣٥ ألف جندي فقط ، وكان من بين الاسرى جنود الفرقة الفيتنامية المحمولة جواً الاولى التي تعتبر من خيرة قوات « ثيو » ، والتي سلحها الاميركيون جيداً قبل انسحابهم ، وقد ترك جنود هذه الفرقة اثناء فرارهم نحو « دانانغ » نحو ٩٠ دبابة و ٢٥٠ مدفعاً بحالة سليمة على الطرق المؤدية الى المدينة . كما استولى الثوار في المدينة والقاعدة الجوية الضخمة القريبة منها على كميات كبيرة من الاسلحة والعتاد والطائرات والهليكوبتر . وكانت فرقتا المشاة ٢ و ٣ ايضاً من ضمن الفرق المستسلمة في المدينة ، وقبل ذلك كان قد قضي تماماً على فرقة المشاة ٢٢ حول مدينة « كوي نهون » والفرقة ٢٣ في مدينة « يان مي توت » . وهكذا تم القضاء على تشكيلات مقاتلة من جيش « ثيو » بلغ عددها نحو ٢٧٠ ألف جندي في الفترة من ٧٥/٣/١ الى ٧٥/٤/٧ ، فضلا عن تحرير ١٦ مقاطعة يقطنها نحو ٩ ملايين و ٣٠٠ ألف من سكان جنوب فيتنام البالغ عددهم حوالي ١٩ مليون نسمة . وقدرت قوات الثوار وقتئذ بنحو ٣٢٥ ألف جندي موزعين على ١٦ فرقة تدعمهم نحو ٦٠٠ دبابة و ٤٠٠ مدفع ميدان وحوالي ١٥٠٠ مدفع مضاد للطائرات . ولكن لم يكن معها طيران .

واثر ذلك تدفقت قوات الثوار نحو منطقة « سايغون »،ودخلت في معركة عنيفة مع قوات « ثيو » (التي ضمت اساساً فرقة المشاة ١٨) في مدينة « كسوان لوك » الواقعة على مبعدة نحو ٦٠ كم الى الشمال الشرقي من « سايغون » على الطريق رقم ١ ، حيث حاول « ثيو » ان يؤدي صمود قواته هناك الى دفع الولايات المتحدة الى تقديم مزيد من الدعم العسكري والاقتصادي لنظامه المنهار ، واستمرت المعركة نحو اسبوع تم خلاله اجتذاب معظم الاحتياطي المتحرك الجنوبي (مدرعات ومظليين ومغاوير) ثم اطبقت قوات الثوار عليه حلقة الحصار من الشمال والجنوب مع الحامية الاصلية ، وبذلك عزل نحو ثلث قوات « ثيو » المتبقية ، واخذت مدفعية الثوار بعيدة المدى من عيار ١٣٠ مم تقصف المدينة بشدة ، ومضت القوات الرئيسية للثوار اثر ذلك في زحفها غرباً نحو مدينة « بيان هوا » الواقعة على مبعدة ٣٠ كم فقط الى الشمال الشرقي من « سايغون » ، مما اضطر « ثيو » الى تقديم استقالته من منصبه يوم ٧٥/٤/٢١ ومغادرة البلاد مع امواله الى « فورموزا » ، وصرح عند استقالته بأن الموقف الاميركي « لا انساني » وهو « موقف دولة كبرى تهرب من مسؤوليتها » ، واكد انه حصل من الرئيس « نيكسون » على تعهد رسمي بأن « واشنطن » ستتدخل عسكرياً اذا حدث هجوم شيوعي جديد وانها ستستمر في تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية لحكومته التي لن تعترف إلا بها كحكومة للجنوب . ولكن الولايات المتحدة كانت لا تستطيع ولا تريد التورط من جديد في فيتنام ولذلك رفض الكونغرس تخصيص مبلغ ٩٧٢ مليون دولار مساعدات عسكرية لفيتنام ، واكتفى بتقديم ٢٥٠ مليون دولار كمساعدات انسانية فقط . وفي يوم ٧٥/٤/٢١ ايضاً سقطت « كسوان لوك » بعد ١٢ يوماً من القتال العنيف الذي كان بمثابة المعركة الاخيرة من الناحية الفعلية في الحرب الفيتنامية .

واثر سقوط المدينة المذكورة سقطت ايضاً مدينة « هام تان » القريبة من الساحل على مبعدة ١٢٠ كم الى الشرق من « سايغون » . وقد ترك « ثيو » السلطة في يد نائبه « فان هيونغ » الذي حاول ان يشكل حكومة جديدة تتفاوض مع الثوار ، ولكنه فشل في ذلك نظراً لعدم ثقة الثوار فيه ، مما اضطره الى تقديم استقالته يوم ٧٥/٤/٢٨ ، وعهدت الجمعية الوطنية بالرئاسة للجنرال « مينه الكبير » وفي هذا اليوم سقطت « بيان هوا » ، وفي اليوم التالي هاجم الثوار بنيران المدفعية مطار « سايغون » المسمى مطار « تان سون هوث » ، وانسحب جميع الاميركيين العاملين في العاصمة بواسطة ٦٠ طائرة هليكوبتر بحماية مشاة البحرية والطائرات المقاتلة الاميركية العاملة من فوق ظهر حاملات طائرات الاسطول السابع المرابطة على مقربة من سواحل فيتنام الجنوبية لتأمين ترحيل بقايا الاميركيين ورجال السفارة الاميركية .

وقد رفض الثوار نداء لوقف اطلاق النار موجها من الرئيس الجديد « مينه » وطالبوا باستسلام غير مشروط لقوات فيتنام الجنوبية . وفي ٧٥/٤/٢٩ هرب من « سايغون » رئيس اركان الجيش الجنوبي الجنرال « فينه لوك » ومساعده الجنرال « نغوين كانغ » واصبحت « سايغون » محاصرة تحيط بها نحو ١٨ فرقة للثوار مقابل بقايا ٥ فرق لقوات الحكومة الجنوبية ، ولذلك آثر الجنرال « مينه الكبير » عدم الاستمرار في قتال غير مجد ، وقبل شروط الثوار ، واعلن ذلك في خطاب له بالاذاعة يوم ٧٥/٤/٣٠ .

وبعد ساعتين ونصف من انسحاب آخر اميركي من « سايغون » ، كانت دبابات الثوار قد اصبحت في ضواحي المدينة ، وبعد ساعات قليلة دخلت قوات الثوار العاصمة في هدوء باستثناء معارك صغيرة جرت لتصفية بعض جيوب المقاومة التي لم تستجب لنداء الرئيس بالاستسلام . ورفع علم جبهة التحرير فوق مبنى وزارة الدفاع معلناً بذلك نهاية الحرب التي استمرت ٣٠ عاماً . وبعد ساعات قليلة استأنف راديو « سايغون » إذاعته ولكن باسم جبهة التحرير . واعلن ان المدينة اصبحت تسمى مدينة « هوشي منه » ثم ردد عبارة الزعيم الفيتنامي الراحل (الذي توفي في ايلول ١٩٦٩) الشهيرة « ليس هناك ما هو أثمن من الاستقلال والحرية » .

لقد خسرت الولايات المتحدة في هذه الحرب ٥٦٥٥٠ قتيلا و ٣٠٣٦٢٢ جريحاً و ٢٩٤٩ اسيراً أو مفقوداً ، فضلا عن نحو ٣٧٠٠ طائرة نفاثة وحوالي ٥٠٠٠ طائرة هليكوبتر ، وبلغت جملة المبالغ التي انفقتها على الحرب نحو ١٥٠ مليار دولار . وفقدت فيتنام الشمالية نحو مليون قتيل عسكري ومدني ، أما فيتنام الجنوبية ففقدت نحو ٦٥١ ألف قتيل بين عسكري ومدني في الفترة من كانون الثاني (يناير) ١٩٦١ حتى كانون الثاني (ينـاير) ١٩٧٣ ، بالاضافة لنحو ١٢٠ ألف آخرين قتلوا بعد ذلك حتى نهاية الحرب في ٤/٣٠/ ١٩٧٥ يقابلهم عدد مماثل تقريباً من الثوار . وبلغ عدد الجرحى من ١٩٦١ حتى ١٩٧٥ في شطري فيتنام نحو ٧ ملايين و ٣١٣ ألف .

ولم يكن النصر العسكري الحاسم في الحرب الفيتنامية – الاميركية ، التي استمرت نحو ١٥ عاماً ، وليد الصدفة أو مجرد استغلال لاخطاء القـادة العسكريين الاميركيين والفيتناميين الجنوبيين ، وانما كان نتاج استراتيجية سياسية وعسكرية سليمة رسمتها ونفذتها القيادة الثورية الفيتنامية في الشمال والجنوب ، مستندة اساساً على الحزب الثوري الطليعي الذي امتلك وعياً علمياً وثورياً مكنه من ادراك مهام قيادة نضال الشعب الفيتنامي العريق التقاليد في الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي (انظر الثورة الفيتنامية قبل وخلال الحرب العالمية الثانية والحرب الفيتنامية – الفرنسية) ، وابتكار اساليب القتال الملائمة لمواجهة التحدي العسكري الاميركي ضمن استراتيجية حرب الشعب طويلة الامد ، والربط السليم بين العمل السياسي الداخلي والخارجي والعمل العسكري في كل مرحلة من مراحل الصراع ، دون الوقوع تحت سيطرة اوهام السلام من مركز ضعف تجاه الامبريالية ، أو غرور سوء تقدير قوى الثورة في ظروف توازن القوى ، وبذلك تحقق اكبر انتصار للشعوب المناضلة ضد الاستعمار الاميركي الذي اشاع اسطورة عدم امكان قهره عسكرياً .

وبانتصار الفيتناميين والكامبوديين بدأ انهيار

نظرية الدومينو الاميركية ، وفقدت الولايات المتحدة قواعد وثوب هامة في جنوب شرقي آسيا ، وأصبح الوجود الاميركي في لاووس وتايلاند مهدداً بالخطر . وفقدت التزامات واشنطن مصداقيتها ، وتزعزعت ثقة حلفائها بها في كل مكان من العالم .

الجانب الالكتروني من الحرب :

كانت معارك الحرب الفيتنامية – الأميركية حقل تجارب واسع لاستخدام المعدات الالكترونية في الحرب. فلقد استخدمت الولايات المتحدة في هذه الحرب عدداً كبيراً من الانظمة الالكترونية المتعددة ، ولأغراض متباينة (كشف ، وانذار ، وسيطرة ، وملاحة ، وتوجيه ، واتصالات – انظر الحرب الالكترونية) . وساهمت السياسة الاميركية التي وجهت ادارة الحرب الفيتنامية مساهمة فعالة في تحديد الملامح الاساسية للحرب الالكترونية ، فلقد قامت هذه السياسة على أساس : استبدال الرجال بالمعدات الآلية ، أي تخفيض القوى البشرية عن طريق زيادة مستوى التقنية العسكرية . واستمرار التدخل في فيتنام ، رغم ازدياد المعارضة في الداخل ، والتركيز على العمليات الجوية بانتظار حل سياسي ملائم .

وكان لتبني هذه السياسة خلفية معينة مستقاة من التجربة الفيتنامية نفسها ، نتيجة الصعوبات التي واجهتها العسكرية الاميركية – رغم تفوقها المادي الساحق – لأن المقاتل العصابي في فيتنام واجهها باستراتيجية الحرب الثورية . وكان البديل امام هذا الموقف استبدال الرجال بالمعدات الالكترونية لكشف اماكن تواجد الثوار والتعامل معهم . وقد صممت المعدات الالكترونية وطورت خصيصاً لتغطية احتياجات جيش يقوم بمكافحة حرب شعبية يستفيد فيها مقاتلو الخصم من الظلام ، والاحوال الجوية السيئة ، ومعرفتهم بطبيعة الارض والسكان في تنفيذ عملياتهم ، وذلك لحرمانهم من هذه الامتيازات .

ولقد كانت تقارير كبار رجال الجيش الاميركي ، التي ترفع الى الكنغرس ، تتضمن ثناء على النجاح الكبير الذي احرزته وسائل الحرب الالكترونية التي استخدمت في فيتنام . ولكن رواية سائر الرتب العسكرية العاملة في الميدان كانت تخالف ذلك مخالفة بينة ، وتبدو في الوقت نفسه اكثر انسجاماً مع واقع الضعف الذي عانته القوات الاميركية هناك ، ومع النتائج التي توصلت اليها ، وتتلخص في ان الاجهزة والانظمة الالكترونية بمجموعها حلت محل الافراد في اداء بعض المهام القتالية ، الا انها لم تساهم في رفع الكفاءة العسكرية بشكل عام . ويعزى ذلك الى عوامل عدة منها :

– العوامل الطبيعية في فيتنام : التي كانت تسبب قصور المعدات الالكترونية ومنها تغير الاحوال الجوية من طقس مليء بالغبار الجاف الى طقس مشبع بالرطوبة ، وطبيعة المجال المغناطيسي للكرة الارضية في المناطق الاستوائية التي تؤثر في عمل اجهزة الاتصال بشكل خاص ، والطبيعة الجبلية التي تحد من عمل الرادارات ، وكثرة الغابات الرطبة على مدار السنة التي تحد من فعالية اجهزة الكشف الحساسة للاشعة تحت الحمراء المحمولة جواً .

– اسباب خاصة ادت الى التقليل من فعالية المعدات الالكترونية : ومنها : أ) عدم دقة خرائط الهند الصينية التي كانت بحوزة الجيش الاميركي ، مما ادى الى حدوث اخطاء ملاحية في توجيه الاسلحة المختلفة، وبالتالي عدم إصابة الاهداف البعيدة بدقة . ب) ان الاجهزة المغناطيسية المحمولة جواً كانت عديمة الفائدة في كثير من المناطق الملأى بالآليات المحطمة وشظايا القنابل ، مثل طريق هو شي منه . ج) ان كثيراً من الاجهزة التي كانت تلقى من الجو كان يتحطم عند ارتطامه بالارض . د) ان استخدام المعدات الالكترونية ولد لدى الجنود شعوراً كاذباً بالامن ، مما ادى بهم الى تشغيلها مدة لا تتجاوز (٢٠ ٪) من الوقت المفروض .

– الاجراءات المضادة التي ابتكرها الثوار : تحلى الثوار الفيتناميون بروح الابتكار والتجديد المستمرين ، وركزوا على اعداد المقاتل اعداداً خاصاً ، وتزويده بمهارات ومعارف يستعين بها على استنباط وتنفيذ تكتيكات مضادة لمبادئ عمل الاجهزة الالكترونية لتقليل فعاليتها . وقد مكنهم من ذلك وعيهم بأن العقول الالكترونية وسائر انظمة الكشف والانذار مبرمجة وفق معلومات مستقاة من حوادث ومشاهدات سابقة ، ولا يمكنها بحال من الاحوال ان تقوم بمبادرات جديدة ، وبالتالي يمكن تضليلها باتباع اساليب مبتكرة لتخطي العقبات والحواجز الالكترونية . ومن الاساليب المعروفة التي استخدموها : أ) تضليل اجهزة الكشف الحرارية باشعال الحرائق او تفجير القنابل المحرقة في مناطق عملهم لتغطية تحرك الافراد والآليات ، واستخدام وسائط نقل ليست لها مصادر للطاقة المحركة كالدراجات . ب) تضليل اجهزة الشم بتعليق قرب مليئة ببول الانسان فوق الاشجار ، مما يؤدي الى اضطراب عمل هذه الاجهزة . ج) تضليل اجهزة كشف الذبذبات بدحرجة الصخور او اطلاق قطعان الماشية في مناطق تلك الاجهزة ، او ادخال فرق انتحارية اليها لصرف نظر العدو عن القوة الرئيسية التي تقوم بمهاجمة اهدافها .

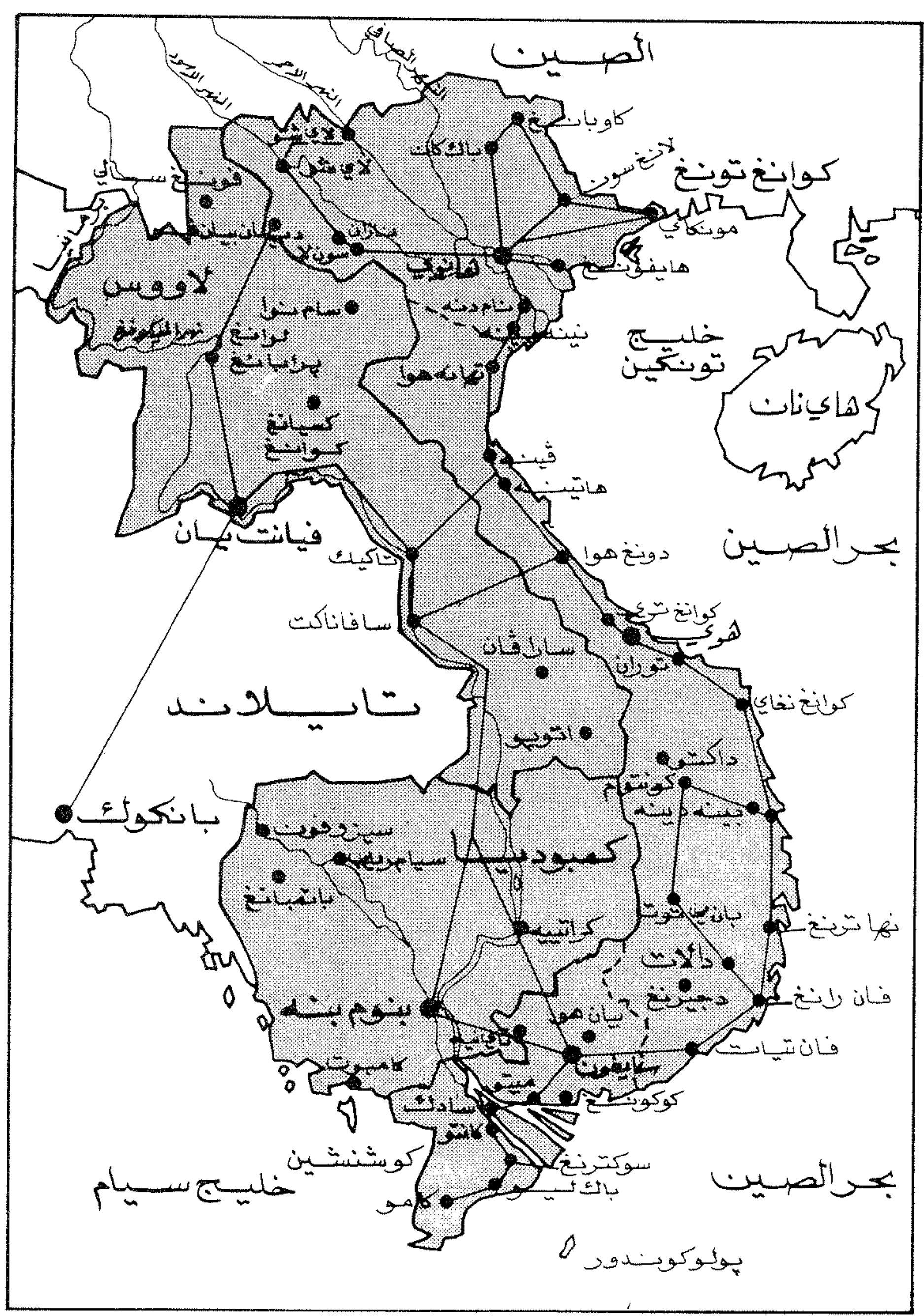
وخلاصة الامر ان التكنولوجيا بغض النظر عن مدى تعقيدها ، لم تستطع ان تهزم تصميم ومثابرة الشعب الفيتنامي ، كما لم تستطع انتزاع ايمانه المطلق بالنصر .

(٤) الحرب الفيتنامية – الفرنسية (١٩٤٥ – ١٩٥٤)

المرحلة الاولى (١٩٤٥ – ١٩٤٧) : وصلت الفرقة المدرعة الثانية الفرنسية ، بقيادة الجنرال « لوكلير » إلى « سايغون » ، يوم ٢١ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٤٥ ، بواسطة سفن الاسطول البريطاني ، (انظر الثورة الفيتنامية خلال الحرب العالمية الثانية) . وفي يوم ٢٣ ايلول (سبتمبر) ، شنت هذه الفرقة ، بمساعدة القوات البريطانية التي كانت قد انزلت في جنوب فيتنام لنزع سلاح اليابانيين وفقاً لاتفاقية بوتسدام ، هجوماً عاماً على مكاتب حكومة الجمهورية الفيتنامية الديمقراطية في المدينة . وقد اشتبكت معها على الفور وحدات جيش التحرير الشعبي الفيتنامي الموجودة في المدينة ، ودار على الاثر قتال عنيف في شوارع المدينة انتهى بعد قليل بانسحاب القوات الفيتنامية من المدينة ، ثم من معظم مدن الجنوب بعد ذلك ، الى الريف والادغال ، حيث بدأت من جديد عمليات حرب العصابات ضد الفرنسيين . وسقطت معظم مدن جنوب وجنوب وسط فيتنام ، ومعظم الطرق الرئيسية ايضاً ، في أيدي الفرنسيين بسرعة كبيرة . ونتيجة لذلك أعلن « لوكلير » ، ان احتلال فيتنام مرة اخرى لن يكون سوى نزهة عسكرية ، وان الاحتلال والتهدئة سوف يستغرقان عشرة اسابيع على الاكثر . ولقد كانت ظواهر الامور ، وفقاً للنظرة العسكرية التقليدية توحي بذلك التقدير . وذلك لان الجيش الفيتنامي الوليد ، لم يكن يملك آنذاك اسلحة ثقيلة ، بل كان مسلحاً فقط بالاسلحة الخفيفة ، كالبنادق والمدافع الرشاشة وبعض من مدافع الهاون ، بالاضافة الى الالغام والقنابل اليدوية التي كان معظمها مصنوعاً محلياً بطرق بدائية بسيطة . بل ان البنادق التي كانت في حوزته حينئذ ، كانت عبارة عن خليط من ١٦ نوعاً مختلفاً ، فبعضها من انواع فرنسية قديمة ، وبعضها ياباني الطراز ، والبعض الآخر من النوع الروسي القديم الذي استولى عليه اليابانيون أثناء حرب عام ١٩٠٤ ضد روسيا

القيصرية ، وبالتالي كانت مشكلة توفير الذخيرة اللازمة والكافية لهذه البنادق ، مشكلة معقدة للغاية ، نظراً لاختلاف عيار كل نوع عن الآخر . ولم يستطع الجيش الفيتنامي ان يستولي على الاسلحة الرئيسية لقوات الاحتلال الياباني أثناء ثورة اغسطس ، وذلك لان معظم هذه القوات قد لزم المعسكرات اثناء الثورة ، كما ان قادة الحلفاء طلبوا من اليابانيين الموجودين في فيتنام ، الا يسلموا سلاحهم إلا للقوات البريطانية بعد وصولها الى جنوب فيتنام ، او الى الصينيين التابعين لتشانغ كاي شيك بعد دخولهم الى شمال البلاد . ولذلك بقيت القوات اليابانية فترة من الزمن بعد قيام الجمهورية الديمقراطية المستقلة في فيتنام ، محتفظة بسلاحها الكامل داخل معسكراتها .

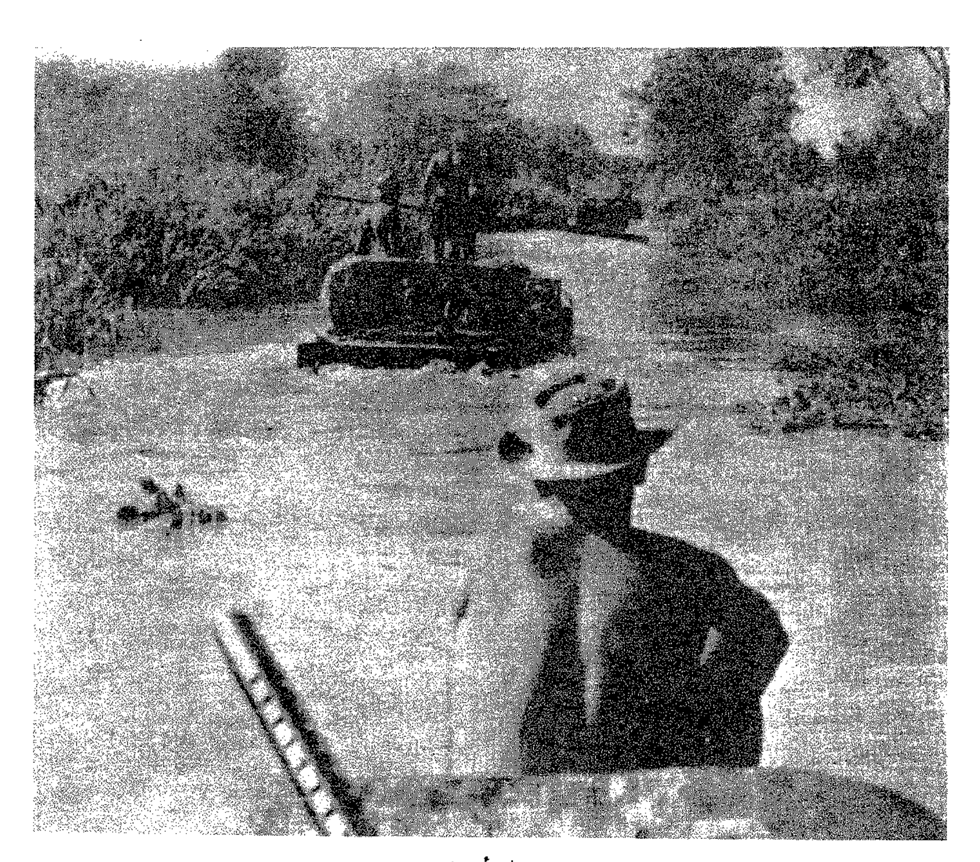
ويضاف الى هذه الاسباب ، التي تفسر سرعة احتلال الفرنسيين لغالبية مدن جنوب فيتنام ، سبب آخر هام ، هو ان الجيش الفيتنامي والحركة الثورية عامة ، كانا اضعف نسبياً في الجنوب ، عنهما في الشمال ، لاسباب تاريخية واقتصادية واجتماعية معينة ، وكان الشمال المنبع الاصلي للحركة الثورية والحصن الرئيسي لها تاريخياً واجتماعياً ، بل وجغرافياً ايضاً ، نظراً لان الطبيعة الجبلية ، التي تمثل ثلثي الشمال تقريباً ، كانت تسهل للثوار حركتهم نسبياً . ولقد كان الوضع السياسي الدولي والمحلي ، المحيط بجمهورية فيتنام الديمقراطية الوليدة وقتئذ ، دقيقاً للغاية وشديد التعقيد ، ولذلك سلكت حكومة « هوشي منه » مسلكاً سياسياً مرناً للغاية حتى توطد مركزها وتدعم قوتها . فقد كان العالم ما زال يلتقط انفاسه بعد حرب عالمية استمرت ٦ سنوات . وكان الاتحاد السوفييتي منشغلا بمشاكل تعمير ما دمرته الحرب ، وتدعيم النظم الاشتراكية الوليدة في شرق أوروبا . كما كانت الصين ما زالت تحت الحكم الرجعي لتشانغ كاي شيك ، خاصة في الجنوب الملاصق لحدود فيتنام الشمالية ، وكان « ماوتسي تونغ » يدعو الى تشكيل حكومة ائتلافية هناك ، والحرب الاهلية متوقفة بين قواته وقوات تشانغ كاي شيك مؤقتاً . وفي الوقت نفسه كانت امريكا وبريطانيا تؤيدان فرنسا في العودة الى احتلال الهند الصينية . وفي الداخل كان هناك جيش لجنة « دونغ منه هاو » الفيتنامي الرجعي ، يحتل خمس مقاطعات في الشمال ، ويدعمه ٢٠٠ ألف جندي من جنود تشانغ كاي شيك نظراً لان لجنة « دونغ منه هاو » كانت لجنة شكلها « كاي شيك » في الصين ، كتنظيم مواز لتنظيم جبهة « فيتمنه » الوطني ، مستنداً في ذلك الى بقايا عناصر حزب « فيتنام كوك دان دونغ » البورجوازي



خـارطة الهنـد الصينيـة

الرجعي ، الذين كانوا يقيمون في الصين منذ فشل ثورتهم في شباط (فبراير) ١٩٣٠ . كما كانت هناك اثار المجاعة التي سببها اليابانيون ، والتي أودت بحياة مليونين من سكان فيتنام في عامي ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ . وكان هناك افلاس وعجز خزانة الدولة الوليدة الخ . ولهذه الاسباب كلها لجأت حكومة « هوشي منه » الى اتباع سياسة مرنة في الداخل والخارج . فتجنبت اي صدام مع الجيش الصيني ، وخصصت لحزب « فيتنام كوك دان دونغ » ، اي الكومنتانغ الفيتنامي ، بعض مقاعد في الحكومة الائتلافية التي شكلت في يناير ١٩٤٦ ، وبعض مقاعد في الجمعية الوطنية مقدماً ، وقبل ان تجري انتخاباتها في ٦ يناير .

كما حولت نشاط الحزب الشيوعي وجبهة فيتمنه ، الى الشكل السري ، منعاً لاستفزاز القوات الصينية ، وحماية لاعضائهما قدر الامكان من اغتيالات سفاحي « دونغ منه هاو » . وقد دخلت الحكومة في الوقت نفسه في مفاوضات طويلة من اجل تسوية سلمية ، مستفيدة في ذلك من التناقض بين فرنسا



معدات برمائية للعمل في أدغال ومستنقعات فيتنام

وصين « تشانغ كاي شيك » ، النابع من رغبة كل منهما في السيطرة على شمال البلاد . وقد انتهت هذه المفاوضات بتوقيع اتفاقية ٦ آذار (مارس) ١٩٤٦ ، التي اعترفت فيها فرنسا بفيتنام كدولة مستقلة ووعدت بوقف اعمال العنف في الجنوب واجراء استفتاء هناك حول وحدة البلاد كلها ، كما وعدت بالجلاء نهائياً عن فيتنام في عام ١٩٥٢ ، (انظر الثورة الفيتنامية خلال الحرب العالمية الثانية) . وخلال هذا كله . وقبل توقيع هذه الاتفاقية ، كانت الحكومة الثورية تساند حرب العصابات في الجنوب قدر امكانها . ولكن فرنسا كانت تعتبر اتفاقية ٦ آذار (مارس) مجرد هدنة مؤقتة ، تستعد خلالها لمواصلة الهجوم بقوة اكبر ضد جمهورية فيتنام الديمقراطية . ولذلك اخذت القوات الفرنسية الموجودة في شمال فيتنام بقيادة الجنرال « فاللي » ، تعد العدة منذ نيسان (ابريل) ١٩٤٦ ، لتنفيذ خطة متكاملة للاستيلاء على السلطة في البلاد تدريجياً . ولذلك ايضاً اخذت تطيل وتماطل في المفاوضات الرسمية التي دارت في باريس منذ حزيران (يونيو) حتى ١٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٦ ، من اجل التوصل الى اتفاق دائم يوطد السلم والاستقلال في فيتنام ، ولم توقع الا اتفاقاً مائعاً تؤكد فيه استمرار اتفاقية ٦ آذار (مارس) مع ترك باب المحادثات مفتوحاً . وفي ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٦ بدأت القوات الفرنسية تنفذ خطتها ، فنعت السلطات الفيتنامية من تحصيل الرسوم الجمركية في ميناء « هايفونغ » بشمال فيتنام ، وتبادلت معها اطلاق النار بشدة في هذا اليوم . وفي يوم ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) قصف طراد فرنسي الاحياء السكنية في المدينة ، فقتل حوالي ستة آلاف فيتنامي في ذلك اليوم ، وسقطت المدينة في نفس اليوم في أيدي القوات الفرنسية بالكامل ، واضطرت القوات الفيتنامية النظامية الى الانسحاب نحو الضواحي ، بعد قتال عنيف في شوارع المدينة . وتابع الفرنسيون مخططهم العدواني ، بينما استمرت حكومة « هوشي منه » تدعو الى التفاوض سلمياً ولا تعلن الحرب بصورة شاملة ، وفي الوقت نفسه اخذت تعد نفسها لحرب طويلة الامد . في منتصف كانون الاول (ديسمبر) قامت القوات الفرنسية باحتلال عدد من مكاتب الحكومة الفيتنامية في العاصمة « هانوي » نفسها ، وارسلت اليها انذاراً بضرورة نزع سلاح الميليشيا المحلية في المدينة ، والاعتراف بحقها في المحافظة على الامن بدلا منها . ولما لم تستجب الحكومة الفيتنامية لذلك الانذار ، قامت الدبابات الفرنسية بقصف احد الاحياء الفيتنامية في المدينة بمدافعها يوم ١٧ كانون الاول (ديسمبر) . وتلى ذلك حدوث هجوم عام على العاصمة كلها في الساعة الثامنة من مساء ١٩ كانون الاول (ديسمبر) ، فوجه « هوشي منه » نداءه المشهور يوم ٢٠ كانون الاول (ديسمبر) ، الى الشعب الفيتنامي الذي دعاه فيه الى المقاومة الشاملة للفرنسيين المستعمرين ، حتى آخر قطرة من الدماء . ودار اثر ذلك قتال عنيف في شوارع هانوي استمر شهراً كاملا ، كان الهدف منه إعاقة زحف الفرنسيين السريع ، حتى يتم انسحاب اجهزة الحكومة الى ادغال « فييت باك » ، بعيداً عن المدينة بحوالي ٨٠ ميلا الى الشمال . ولما تمت هذه العملية انسحبت القوات النظامية في آخر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٧ الى الريف ، وتركت بعض المتطوعين للقيام باعمال المقاومة السرية في المدينة . وفي ٦ شباط (فبراير) وجه « هوشي منه » نداء آخر الى الشعب الفيتنامي ، طالبه فيه بتنفيذ تكتيك « الارض المحروقة » لإعاقة زحف الفرنسيين وحرمانهم من كل ما يمكن ان يفيدهم . وتم بالفعل احراق المنازل والحقول ، وتدمير الطرق والمنشآت العامة الاخرى ، بشكل واسع لم يتوقعه الفرنسيون . لقد أرست القيادة الفيتنامية الثورية خطتها العامة في حرب المقاومة تلك ، على مبدأ اساسي ، هو ان هذه الحرب حرب شعبية يشارك فيها الشعب كله وتستند الى استراتيجية المقاومة الطويلة الامد ، نظراً للتفاوت الكبير في القوى بين الطرفين . وعلى العكس من ذلك كانت استراتيجية الفرنسيين تقوم على مبدأ الحرب السريعة الخاطفة ، لتنهي الحرب بسرعة قبل ان تستفحل في المنطقة كلها ، وتستنزف مزيداً من القوى الاقتصادية والبشرية الفرنسية .

بعد ان انسحبت الحكومة الثورية الى ادغال منطقة « فييت باك » ، بدأت قوات الجيش الفيتنامي تمارس عمليات حرب العصابات في مواجهة الزحف الفرنسي ، وتتجنب المعارك المباشرة الحاسمة قدر الامكان . وإزاء ذلك قررت القيادة الفرنسية ان تقوم بحملة خاطفة ضد معقل الحكومة الفيتنامية ، لاحتلاله وتحطيم القوة الرئيسية للجيش الفيتنامي ، لتنهي الحرب قبل ان يتسع نشاط العصابات وينتشر في كل مكان من فيتنام ، وخاصة في مؤخرات الفرنسيين الزاحفين نحو المناطق المحررة ، أو التي لم تحتل بعد . وقد بدأت هذه الحملة التي سمتها القيادة الفرنسية بـ « العملية البوليسية » في شهر

تشرين اول (اكتوبر) ١٩٤٧ واستمرت حتى كانون الاول (ديسمبر) من السنة نفسها، دون ان تحقق هدفها، فقد انسحبت الاجهزة الحكومية الفيتنامية الى اماكن اخرى، قبل ان تصل اليها القوات المهاجمة، كما فشلت هذه القوات في تحطيم القوة الرئيسية لجيش التحرير الفيتنامي، رغم ان قوات كبيرة من جنود المظلات قد استخدمت في القتال في اوائل كانون الاول (ديسمبر) لتعزيز الهجوم الخاطف. فقد تجنبت القوات الفيتنامية المعارك الفاصلة الكبيرة، وناوشت العدو في معارك جزئية متفرقة. ولقد كانت المحصلة النهائية لهذه العملية البوليسية، الاستيلاء على مدينتي «كاوبانغ» و «باك كان» بعد ان احرقتا، بالاضافة الى الطرق الرئيسية في المنطقة، وذلك مقابل خسائر فادحة بلغت حوالي ثلاثة آلاف قتيل فرنسي. وبقيت غالبية القرى المحيطة بالطرق والمدن، في أيدي جيش التحرير الفيتنامي، الذي احتفظ بنواته الرئيسية سليمة.

وانقضى العام الاول من حرب المقاومة الشاملة، وخسر الفرنسيون خلاله حوالي ٢٠ ألف جندي، بين قتيل وجريح، كما انفقوا اثناء هذا العام على تلك الحرب، نحو ثلاثة مليارات فرنك. ولقد كان الطابع الرئيسي للقتال خلال هذه الفترة، من جانب الفيتناميين، هو المحافظة على القوة العسكرية الاساسية وتنميتها، وتشابكت اثناءها اساليب الحرب النظامية – معارك التغطية البطولية في المدن – باساليب حرب العصابات في الريف. وتبلور لدى القيادة الفيتنامية، في نهاية هذه المرحلة، الخط الاستراتيجي العام، الذي يجب ان يحكم حركة وتطور حرب المقاومة طويلة الامد، وهو ان هذه الحرب يجب ان تقتصر في البداية على اسلوب حرب العصابات، ثم تتطور تدريجياً الى حرب نظامية متحركة، تزحف محررة الريف تدريجياً ايضاً، الى ان تحاصر العدو في المدن والمراكز المحصنة، ثم تسحقه في نهاية الامر.

المرحلة الثانية (١٩٤٨– ١٩٥٠): بعد فشل حملة «فييت باك» الخاطفة، ادركت القيادة الفرنسية ان الحرب ستطول كثيراً عما كانت تتوقع من قبل، وان اعادة احتلال وتهدئة فيتنام لن تكون مجرد نزهة عسكرية، فبدأت في تغيير استراتيجيتها العسكرية، بما يتفق وهذا التطور الجديد في ظروف الحرب. فاخذت تركز قواها على احتلال الارض وادارة المواقع المحتلة في الجنوب، بواسطة توزيع قواتها على آلاف النقط والمراكز

مخطط الإمداد من الجو (١٩٤٤ – ١٩٤٥)



هوشي مينه يصل إلى مطار بورجيه

العسكرية المحصنة. ثم اخذت تتبع الاسلوب نفسه في الشمال، وتوسع المناطق المحتلة تدريجياً، وبهذه الطريقة اخضع القسم الرئيسي من دلتا النهر الاحمر للاحتلال الفرنسي. ولكن تنفيذ هذه الاستراتيجية تطلب قوات كبيرة، وبالتالي نفقات ضخمة جديدة، لا تحتملها قدرات الاقتصاد الفرنسي المنهك. ولذلك اشتدت الحاجة تدريجياً الى المساعدات الامريكية، كما طالت سنوات الحرب، وزادت اعداد القوات والاسلحة المستخدمة فيها. وهكذا ارتفعت قيمة المساعدات الامريكية، فبعد ان كانت تغطي نسبة ١٥٪ من نفقات هذه الحرب خلال عامي ١٩٥٠، ١٩٥١، اصبحت تغطي ٣٥٪ من النفقات في عام ١٩٥٢، ثم ٤٥٪ في عام ١٩٥٣، ثم ٨٠٪ في عام ١٩٥٤ ومن هذا الباب الذي انفتح تدريجياً، نفذت الشركات الامريكية لمشاركة الفرنسيين ثروات المنطقة واسواقها، ومعها تدعم النفوذ الامريكي المتسلل شيئاً فشيئاً: الى ان صفى النفوذ الفرنسي تماماً من المنطقة، وحل الوجود الامريكي محله بعد ذلك في كل من فيتنام الجنوبية ولاووس وتايلاند.

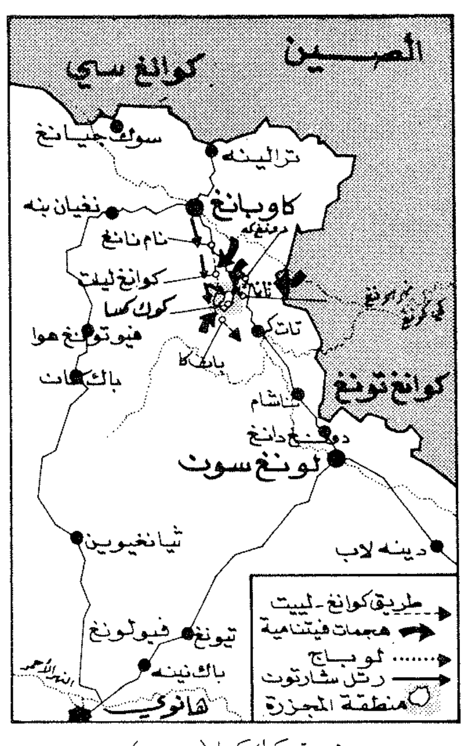
ولقد اعتمدت الاستراتيجية الفرنسية الجديدة أيضاً، على فكرة جديدة اخرى، مصدرها نصائح وتوجيهات الحكومة والصحافة الامريكية، وهي فكرة «دع الفيتناميين يحاربون الفيتناميين»، و «اطعم الحرب بالحرب». وتنفيذاً لهذه الفكرة قررت فرنسا ان تنشأ في فيتنام حكومة محلية عميلة، لها جيشها الخاص تحت اشراف الخبراء العسكريين الفرنسيين. ولذلك اتصلت ببعض الساسة القدامى الفيتناميين المقيمين منذ زمن طويل في «هونغ كونغ»، لتشكل منهم هذه الحكومة برئاسة الامبراطور السابق «باوداي»، الذي تنازل عن العرش في ثورة آب (اغسطس) ١٩٤٥ وعمل مستشاراً سياسياً للرئيس «هوشي منه» ثم سافر الى «هونغ كونغ» في آذار (مارس) ١٩٤٨. وقد تم هذا الاتفاق فعلا بين «باوداي» والحاكم الفرنسي، يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ في إحدى مدن الشمال، واعترف به رسمياً في باريس بعد ذلك في ٨ آذار (مارس) ١٩٤٩، حيث اعلن «باوداي» «رئيساً لدولة فيتنام».

اما الجانب الفيتنامي فقد اجرى تعميقاً آخر في استراتيجيته هو الآخر ليواجه استراتيجية العدو الجديدة، بحيث اصبحت حرب العصابات هي الاسلوب الوحيد المتبع في القتال، مع وضع البذور الاولى لسياسة تطويرها الى حرب متحركة. وتطبيقاً لهذا الخط، قامت قيادة جيش التحرير، بتقسيم احدى الوحدات الرئيسية للجيش، الى عدد من مجموعات القتال الصغيرة المستقلة في قيادتها ونشاطها، ودفعت بها لتتغلغل بعمق وراء خطوط الفرنسيين، بهدف ممارسة الدعاية لعمليات المقاومة بين جماهير الفلاحين في المناطق المحتلة، وتدعيم الميليشيا المحلية في القرى التي ما زالت السلطة الشعبية قائمة فيها، في مواجهة اعمال الخونة وعصابات المرتزقة المحلية

العميلة . ثم لشن عمليات حرب عصابات واسعة النطاق في المؤخرة ، تحول هذه المؤخرة تدريجياً الى جبهات امامية جديدة لجيش التحرير ، وتنشأ من خلال تكثيف نشاطاتها مناطق ثورية محررة ، وقواعد ثابتة ومتحركة لقوات العصابات في المناطق المحتلة . وفي الوقت نفسه دفعت القيادة الفيتنامية بتشكيلات كبيرة نسبياً — سرية أو سريتين أو كتيبة على الاكثر — لتقوم بعمليات اكثر تركيزاً وقوة . وذلك كنواة للحرب النظامية المتحركة ، التي ستعمل في تناسق وتناغم تتفق ايقاعاته مع تطور عمليات حرب العصابات التي تشنها الجماعات الصغيرة الاخرى . وتمت بالفعل خلال ١٩٤٨ بعض الكمائن الكبيرة التي اشتركت فيها كتيبة او اكثر من هذه القوات المتحركة . كما قامت هذه التشكيلات بحملات صغيرة لتحرير بعض المناطق في شمال البلاد في أواخر العام نفسه ، كما قامت بحملات مماثلة اخرى في بداية ١٩٤٩ . وقد ترتب على هذه العمليات المتحركة ، وقوع خسائر كبيرة نسبياً بالفرنسيين ، دفعتهم الى تشكيل لجنة للتحقيق في اسبابها ، انتهت في تقريرها المرفوع الى الحكومة الفرنسية ، الى انه من الضروري طلب مزيد من المعونات من امريكا .

وهكذا تحولت الحرب في فيتنام ، الى حرب قوات متداخلة ، ليست فيها خطوط قتال محددة ثابتة ، ولا جبهة ولا مؤخرة . ويحاصر فيها الفرنسيون القرى الفيتنامية ، ويحاصر الفيتناميون قوات الحصار ووجد الفرنسيون انفسهم اينما اتجهوا او تحركوا ، غارقين في بحر من الشعب المسلح ، الذي يكيل لهم الضربات بواسطة الميليشيا المحلية ، او قوات العصابات ، او القوات النظامية المتحركة . ولذلك ارهقت قواهم ومعنوياتهم تدريجياً ، وتولد لديهم الاحساس بان هذه الحرب بلا نهاية .

هذا وقد اتسمت الحرب خلال هذه المرحلة ، التي بدأت قوى الطرفين تتعادل نسبياً فيها ، بالعنف البالغ والوحشية المتزايدة من جانب الفرنسيين ، الذين فقدوا اعصابهم تماماً في محاولاتهم اليائسة لابادة قوات العصابات . فقد اخذوا يفتشون القرى بعنف ويدمرونها بحثاً عن مخازن الارز السرية ، المتناثرة في طول البلاد وعرضها ، لتؤمن الغذاء لرجال العصابات . كما اخذوا يحرقون حقول الارز بقنابل النابالم في المناطق المحررة ، ويدمرون السدود وخزانات المياه ليسببوا مجاعة عامة ، تدفع الفلاحين الى عدم تأييد حكومة « هوشي منه » . ولكي يبعدوا خطر العصابات نسبياً عن « هانوي » والمدن الكبرى



مجزرة كوك كسا (١٩٥٠)



دبابة فرنسية تتجه نحو « توفو »

الاخرى ، انشأوا حولها « مناطق بيضاء » ، حرموا فيها زراعة الارز تماماً ، وقرروا حكم الاعدام لمن يخالف ذلك من الفلاحين . كما اخذوا يدمرون مدارس محو الأمية ، التي نشرتها الحكومة الثورية في القرى ، في حملتها ضد الأمية التي بدأتها منذ عام ١٩٤٥ واستمرت تمارسها خلال حرب المقاومة .

وفي نيسان (ابريل) ١٩٤٩ حررت القوات الصينية الثورية جنوب الصين من قوات « تشانغ كاي شيك » ، واعلن في اول تشرين الاول (اكتوبر) من العام نفسه قيام جمهورية الصين الشعبية .

وبهذا اصبحت الحدود الفيتنامية الشمالية ملاصقة لحدود دولة اشتراكية . واصبح من الضروري تطهير مناطق الحدود من هذه القوات الفرنسية . ولذلك قامت قوات جيش التحرير المتحركة بحملة عرفت باسم « عملية فتح الحدود » ، انتهت بالاستيلاء على المواقع الفرنسية الموجودة في شمال شرق فيتنام على الحدود الصينية ، وتحرير مدينة « كاوبانغ » ومقاطعتها . فقامت القيادة الفرنسية بارسال تعزيزات من مدينة « لانغ سون » القريبة ، ولكن الفيتناميين اوقعوا هذه القوة في كمين كبير وشتتوها واسروا قائدها . وترتب على ذلك انهيار معنويات بقية حامية المدينة ، فانسحبت منها ومن المقاطعة كلها ، واستولت عليها القوات الفيتنامية رغم ان « لانغ سون » لم تكن موضوعة كهدف في هذه المرحلة من الخطة . وسقطت اثر ذلك ايضاً مقاطعات « لوو كاي » و « ثيا نجيوين » و « هوابنه » . وانتهت الحملة في ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٠ . وبدأت الصين اثر ذلك ، تقدم بعض المساعدات العسكرية والاقتصادية لفيتنام الديمقراطية . ولكنها لم تزد في جملتها عن ١٠ ٪ من مجموع المساعدات الامريكية المقدمة للجانب الفرنسي طوال فترة الحرب . وقامت قوات جيش التحرير بعد ذلك بتحرير عدة مناطق اخرى في الشمال الغربي ، كما توسعت قواعد العصابات في دلتا النهر الاحمر بعد تحرير «هوا بنه» وزاد نشاطها هناك . قد ظهر اتجاه مغامر داخل صفوف الفيتناميين اثر هذه الانتصارات ، يرى ضرورة تطوير الحرب المتحركة بسرعة الى هجوم مضاد عام ينهي الحرب ، وذلك على اساس الاعتماد على مزيد من المعونات الخارجية التي تقدمها الدول الاشتراكية . خاصة بعد ان اعترفت الصين والاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى بجمهورية فيتنام الديمقراطية في اوائل عام ١٩٥٠ . ولكن القيادة الفيتنامية الثورية قاومت بشدة هذا الاتجاه وتغلبت عليه ، وعمقت لدى الشعب والجيش الايمان بأن الاعتماد اساساً على الجهود الذاتية للشعب الفيتنامي هو السبيل الحقيقي الى النصر في حرب المقاومة ، رغم اهمية العطف والتأييد العالمي لقضية فيتنام ، واهمية المساعدات الخارجية .

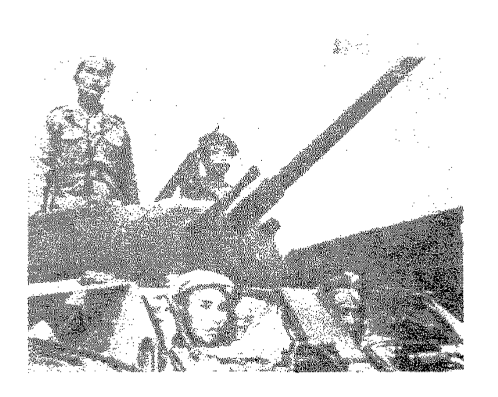
ولقد كان الوضع الدولي في سنة ١٩٥٠ غير ملائم للقيام بالهجوم المضاد العام ، حتى على افتراض توافر عناصر القوة المطلوبة له داخلياً ، ذلك ان امريكا كانت قد ألقت بثقلها في الحرب الكورية تؤيدها الدول الاستعمارية الاخرى ، تحت دعوى مقاومة الزحف الشيوعي في آسيا ، وتم في العام



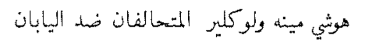
مشاة فرنسيون وسط مزارع الأرز



جنود الجيش الشعبي الفيتنامي



جنود من جيش فيتنام الجنوبية (١٩٥١)



هوشي مينه ولوكلير المتحالفان ضد اليابان



نفسه اعتراف الدول الغربية كلها وامريكا « بدولة فيتنام » التي يرأسها « باوداي » ، كما وقعت اتفاقية تقديم المساعدة الامريكية الى فرنسا ، حتى تستطيع ان تستمر في الحرب الفيتنامية ، وبدأت الحرب تتحول تدريجياً ، الى حرب تشن بالدولارات الامريكية ويسفك فيها « الدم الفرنسي » . ولكل هذه الظروف لم يكن الهجوم العام قد آن اوانه بعد ، خاصة ، وان الجيش الفيتنامي النظامي لم يكن قد بلغ الدرجة اللازمة من القوة لاحراز نصر حاسم . وهكذا انتهت المرحلة الثانية من حرب المقاومة ، التي تعادلت فيها قوى الطرفين المتصارعين ، دون ان يتوفر لأي منهما الظرف المناسب أو القدرة اللازمة لاحراز نتيجة حاسمة .

المرحلة الثالثة (١٩٥١ ـ ١٩٥٣) : بعد هزائم معارك الحدود الصينية ، بعثت فرنسا واحداً من خيرة جنرالاتها ، ليتولى القيادة العامة في الهند الصينية ، وهو الجنرال « دولاتر دوتاسيني » . وقد قام دوتاسيني فور وصوله في بداية عام ١٩٥١ ، بزيادة عدد القوات الفرنسية وتدعيمها بشحنات جديدة من القاذفات الامريكية ، كما عمل على تقوية جيش « باوداي » المحلي . ثم شرع في بناء خط دفاعي لحماية دلتا النهر الاحمر ، مؤلف من حوالي ٢٣٠٠ نقطة محصنة مبنية تحت الارض . بالاضافة الى انشاء مناطق خالية من السكان ، سميت « الاحزمة الحرام » ، تحيط بالمناطق المحتلة من الفرنسيين الى مسافات يتراوح عرضها ما بين ٥ الى ١٠ كيلومترات . ثم قام بواسطة قاذفاته الجديدة ، بهجوم جوي عنيف على المناطق المحررة ، مدمراً القرى والمدن الموجودة بها ، وحارقاً حقول الارز بقنابل النابالم ، وذلك كي يضعف قوى الفيتناميين البشرية والاقتصادية قبل ان يشرع في هجومه العام الذي كان يدبره ، والذي سافر الى امريكا في ايلول (سبتمبر) ١٩٥١ من اجل ان يدعمه بمزيد من المساعدات .

وقد بدأ هجومه هذا بالفعل في اوائل تشرين الاول (اكتوبر) بعمليات تطهير كاسحة عنيفة ، ضد مناطق العصابات في دلتا النهر الاحمر ، ليؤمن مؤخرته قبل ان يهاجم المناطق المحررة . ثم حشد قواته مرة اخرى وهاجم مقاطعة ومدينة « هوا بنه » واحتلها في الشهر نفسه . ولكن حشده لهذه القوة المهاجمة الكبيرة أدى الى اضعاف قواته المدافعة عن دلتا النهر الاحمر ، فعادت العصابات ، التي كانت قد انسحبت اثناء عمليات التطهير الكاسحة ، مرة اخرى الى هناك ، واخذت تهاجم المؤخرة الفرنسية بشدة . الامر الذي اضطر « دولاتر » الى بذل المحاولات لتطهير هذه المنطقة مرة اخرى ، وبالتالي ضعفت قوته في « هوا بنه » ، فقامت القوات النظامية المتحركة بمهاجمتها من الجانبين في « باك بو » و « هوانغ هو » وغيرهما من الاماكن . وفي هذه الفترة استدعي « دولاتر دو تاسيني » الى فرنسا لمرضه ، وحل محله الجنرال « سالان » ، الذي أمر بضرورة الاحتفاظ بهوا بنه رغم هجمات جيش التحرير المتكررة على اجنحتها ، وهجمات العصابات المتزايدة في المؤخرة . ولكنه اضطر بسبب تزايد خسائر قواته ، التي بلغت ٢١ ألف جندي بين قتيل وجريح ، خلال ثلاثة أشهر من القتال العنيف الذي استغرقه ذلك الهجوم ، الى ان يصدر اوامره بالانسحاب من المدينة والمقاطعة مرة اخرى ، والعودة الى تجميع القوات في مراكزها الدفاعية في دلتا النهر الاحمر لمواجهة تزايد نشاط وقواعد العصابات . وهكذا اصبحت الحرب بالنسبة للفرنسيين عملية استنزاف مستمرة للقوى . فقد كان يحكم عملياتهم الحربية تناقض يصعب حله ، وهو أنه بدون توزيعهم لقواتهم على الآف النقط الدفاعية يستحيل السيطرة على الارض ، ولكن ذلك الوضع يضعف من فاعلية كل وحدة عسكرية على حدة ، ويعرض الوحدات الصغيرة لهجمات العصابات القوية او الوحدات المتحركة . فاذا ما حشدت القوات مرة اخرى لتقوم بعمليات هجومية واسعة النطاق من اجل انتزاع المبادرة من الفيتناميين ، تضعف المراكز المحتلة الاصلية وتصبح فريسة سهلة مرة اخرى للقوات الفيتنامية المتحركة ، التي تتجنب الاشتباك العنيف مع الحشود المهاجمة القوية ، وتتبع دائماً استراتيجية مهاجمة قطاعات العدو المكشوفة والضعيفة نسبياً . وهكذا تضطر القوات الفرنسية لإيقاف هجومها الكبير لتعيد تطهير المؤخرة وتؤمنها . وهذا ما حدث بالضبط في هجوم « دولاتر دو تاسيني » الفاشل . وعلى النقيض من ذلك كان جيش التحرير الفيتنامي يتطور تدريجياً من خلال عمليات العصابات المكثفة التي تبعثر جهود العدو ، وينمي قواته المتحركة النظامية بحرية نسبية دون أن يضطر الى توريطها باستمرار في عمليات مرهقة مبددة للقوى ، وبهذا تطور جيش التحرير من صورة الفصائل والسرايا والكتائب التي تعمل منفردة ، الى ألوية كاملة ثم الى فرق كاملة ايضاً . واصبح يضم وحدات للمدفعية الخفيفة والمهندسين والتموين ، بعد ان كان تشكيله في البداية مقتصراً ، على وحدات المشاة فقط ، لقد نما جيش التحرير من خلال حرب العصابات والحرب المتحركة ، ووجود تنسيق سليم

بين هذين الاسلوبين من القتال، اللذين دفعا بحرب المقاومة الى الامام ، وارهقا العدو ، وحققا انتصارات كثيرة . ومع تطور القتال اصبحت الحرب المتحركة، تحتل تدريجياً المرتبة الاكثر اهمية بالنسبة لحرب العصابات . وتبلورت بشكل اكثر وضوحاً اشكال التنظيمات العسكرية الثلاث ، التي نظم الشعب الفيتنامي من خلالها حربه الشعبية ، وهي الجيش النظامي ، وقوات العصابات ، ووحدات الدفاع الذاتي اي الميليشيا المحلية . وتمايزت اكثر فاكثر مهام وواجبات كل شكل من هذه الاشكال التنظيمية في الحرب .

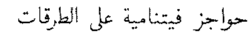
وفي مواجهة المساعدات الامريكية للفرنسيين ، والتنسيق والتدعيم المتبادل بين القوى الاستعمارية في حربها ضد الشعوب المناضلة في فيتنام ولاووس وكمبوديا وكوريا ، عقدت القوى الثورية في منطقة الهند الصينية ، اجتماعاً لتنسيق جهودها العسكرية هي الاخرى ، في مواجهة المستعمرين ، في ١١ آذار (مارس) ١٩٥١ ، في منطقة « فييت باك » المحررة بشمال فيتنام . حضره مندوبو هذه القوى المناهضة للاستعمار في كل من فيتنام ولاووس وكمبوديا . وقد ترتب على ذلك ان قامت القوات الفيتنامية — اللاووسية المشتركة ، بهجوم على الحاميات الفرنسية في لاووس العليا ، في اوائل عام ١٩٥٢ ، ترتب عليه امتداد المناطق المحررة من « فييت باك » حتى حدود لاووس وداخلها ايضاً . وفي الوقت نفسه قامت القوات الفيتنامية بحملة اخرى في المناطق الشمالية الغربية من فيتنام ، نتج عنها تحرير مناطق واسعة هناك وصلت حتى مدينة « ديان بيان فو » . وفي بداية عام ١٩٥٣ اصبحت معظم المناطق الجبلية في الشمال محررة ، اي ثلثا فيتنام الشمالية تقريباً ، كما اصبح ثلثا قرى المناطق المحتلة محررة او تحت سيطرة العصابات . بالاضافة الى تحرير بعض المناطق في وسط وجنوب البلاد وازدياد نشاط العصابات هناك .

خطة نافار : في أيار (مايو) عام ١٩٥٣ ، بعثت فرنسا بقائد عام جديد الى فيتنام ، هو الجنرال « نافار » بدلا من « سالان » . فكان بذلك ، ثامن جنرال يتولى القيادة الفرنسية هناك ، منذ ان وصل الجنرال « لوكلير » إلى « سايغون » في ٣١ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٤٥ . وقد بدأ فور وصوله في تعزيز القوات الفرنسية والقوات العميلة الموجودة ، بحيث اصبحت قرب نهاية العام ، تجاوز النصف مليون جندي عدداً، تدعمهم قوة جوية تبلغ عدد طائراتها الحربية ٥٢٨ ، بخلاف طائرات الهليكوبتر ، بالاضافة الى ٣٥٠ قطعة بحرية معظمها سفن حراسة نهرية .



قوافل الإمداد والتموين الفيتنامية المبتكرة للتخلص من الطيران

وفي صيف ١٩٥٣ انتهت الحرب الكورية ، ووقعت اتفاقية الهدنة بعد ان فشلت امريكا على مدى ثلاث سنوات في احتلال كوريا الشمالية . ولذلك تركزت جهودها في الهند الصينية ، وتدفقت الاسلحة وملايين الدولارات على الفرنسيين هناك ، وتمشياً مع ذلك وضع « نافــار » بالاشتراك مع الاميركيين خطة حربية جديدة واسعة النطاق . وقد اشتهرت هذه الخطة بعد ذلك باسم « خطة نافار » . وكانت مقسمة الى ثلاث مراحل ، يستغرق تنفيذها جميعاً ١٨ شهراً . في المرحلة الاولى تحشد قوات متحركة قوية — تبلغ ٤٤ كتيبة — في منطقة دلتا النهر الاحمر لتطهرها من العصابات ، وفي نفس الوقت تحتل قوات المظلات مدينة « ديان بيان فو » في المنطقة الشمالية الغربية ، وبذلك تتوفر قاعدتان قويتان للهجوم العام . ويبدأ تنفيذ هذه المرحلة في خريف ١٩٥٣ لينتهي في اوائل شتاء ١٩٥٤ . وفي المرحلة الثانية ، التي تبدأ في صيف ١٩٥٤ ، أي في فصل الامطار الذي لا تتوقع فيه القوات الفيتنامية اي هجوم ، تقوم قوات قوية اخرى باحتلال المناطق المحررة في الجنوب وجنوب وسط البلاد وتطهرها تماماً . ثم تأتي المرحلة الثالثة ، مع بداية خريف ١٩٥٤ ، وتقوم خلالها القوات الفرنسية



حواجز فيتنامية على الطرقات





الجيش الشعبي يستلم جسر « دومر »



انسحاب الفرنسيين من فيتنام

بهجوم قوي كاسح من المناطق الوسطى نحو الشمال في مؤخرة الفيتناميين ، في نفس الوقت الذي تطبق فيه القوات المتحركة السريعة ، المحتشدة في دلتا النهر الاحمر والقوات الاخرى الموجودة في « ديان بيان فو » ، على القوات الفيتنامية والمناطق المحررة في الشمال . فيتم بذلك سحق القوات الفيتنامية بين شقي الرحى ، وتنتهي الحرب بذلك في شتاء ١٩٥٥ .

المرحلة الرابعة (١٩٥٤) : بدأ نافار ينفذ خطته في تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٥٣ ، فقامت ٤٤ كتيبة سريعة الحركة بهجمات وحشية كاسحة في منطقة دلتا النهر الاحمر ، لتطهيرها من قواعد العصابات . على حين قامت عصابات محلية عميلة مؤلفة من الآف المرتزقة بعمليات قتل وتخريب في المناطق الشمالية الغربية لبث الفوضى والاضطرابات هناك . ثم هبطت قوات المظلات في « لا نغ سون » واحتلتها وهددت « فوثو » . وفي ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٤ ، اسقط نافار قوات مظلاته ايضاً فوق « ديان بيان فو » واحتلتها تمهيداً لضم الشمال الغربي كله الى المناطق المحتلة . ولكن القوات الفيتنامية لم تقنع بالانتظار وتتخذ موقف الدفاع إزاء هذه التحركات والهجمات ، ولم تبعثر قواها فيه ، وانما احتشدت وتحركت نحو الشمال الغربي لدلتا النهر الاحمر ، او لحماية المناطق المحررة ، في اوائل كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٣ ، حيث قضت على آلاف من مرتزقة العصابات العميلة ، وشتت هجمات القوات الفرنسية هناك ، كما شرعت في حصار « ديان بيان فو » . الامر الذي دفع نافار الى تعزيز هذه المنطقة بجزء من قواته المتحركة من دلتا النهر الاحمر . وفي الوقت نفسه قامت القوات الفيتنامية – اللاوسية المشتركة ، بمهاجمة جبهة لاوس الوسطى ، حيث قوة الفرنسيين ضعيفة ومكشوفة نسبياً ، ونتج عن ذلك تحرير مدينة « ثانكهك » وتهديد « سينو » – وهي قاعدة جوية هامة – فقام نافار بارسال تعزيزات من دلتا النهر الاحمر وغيرها من الجهات ، على وجه السرعة الى هناك . وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٥٤ قامت القوات الفيتنامية بهجوم آخر في منطقة المرتفعات الغربية بجنوب وسط فيتنام وحررت مدينة « كونتم » وهددت « بليكو » . فاضطر نافار الى ارسال تعزيزات جديدة اليها . وفي الشهر نفسه قامت القوات الفيتنامية – اللاوسية المشتركة ، بهجوم في منطقة حوض « نام هو » في لاوس العليا ، مهددة بذلك مدينة « لوانغ برابانغ » وارسلت القيادة الفرنسية الى هناك تعزيزات اخرى . وهكذا اجبر الجنرال « جياب » القائد الفرنسي « نافار » على تشتيت حشوده على خمس مناطق . وانخفضت كتائبه السريعة التي كان يتباهى بها ، الى عشرين كتيبة فقط في منطقة دلتا النهر الاحمر ، بدلا من اربعة واربعين ، فكانت بداية نهاية خطته الشهيرة . ولقد اصبحت عمليات الحرب المتحركة في هذه المرحلة من حرب المقاومة ، تحتل المرتبة الرئيسية من الاهمية في القتال ، ولكن ذلك لم يؤد الى انكماش نشاط العصابات ، وانما زادت من عملياتها في مؤخرة الفرنسيين في جميع اقاليم البلاد ، وبتنسيق وتكامل مع الحرب المتحركة .

وفي هذه المرحلة احرز الفيتناميون انتصارات كبيرة ، وكان اهمها الانتصار في معركة « ديان بيان فو » التي دامت ٥٥ يوماً وليلة وخسر الفرنسيون من جرائها نقطة ارتكاز هامة من مراكز خطة « نافار » (انظر ديان بيان فو) . ولم يتوقف القتال فوراً في فيتنام بعد هذه المعركة ، ولكن الحكومة والقيادة الفرنسية شعرتا بيأس كبير ، وبدأت انظارها تتجه نحو « مؤتمر جنيف » ، تحت ضغط الشعب الفرنسي الراغب في السلام وايقاف هذه الحرب «القذرة» . وكان هذا المؤتمر منعقداً منذ نيسان (ابريل) ١٩٥٤ ، بناء على توصية مؤتمر وزراء خارجية الدول الاربع الكبرى في برلين ، الذي تم في شباط (فبراير) من السنة نفسها . تلك التوصية التي رأت عقد مؤتمر جنيف هذا لحل المشاكل المتخلفة عن الحرب الكورية ولاقرار السلام في الهند الصينية . وقد اشتركت الصين الشعبية ايضاً في هذا المؤتمر ، الذي تم الاتفاق فيه على ايقاف القتال في فيتنام وانسحاب القوات الفرنسية من الشمال جنوبي خط العرض ١٧ ، مقابل انسحاب قوات فيتنام الديمقراطية الى الشمال ، وعلى ان تبقى حكومة « باوداي » في الجنوب مؤقتاً الى ان يجرى استفتاء حول وحدة البلاد بعد جلاء الفرنسيين تماماً من الجنوب . وتم توقيع اتفاقية الهدنة فعلا في باريس يوم ٢١ تموز (يوليو) عام ١٩٥٤ . وهكذا انتهت حرب المقاومة ضد الفرنسيين التي استغرقت حوالي تسع سنوات كاملة ، وكانت انموذجاً رائعاً للحرب الشعبية .

(٤) الحرب القبرصية (١٥٧٠–١٥٧١)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٨) حرب القرم (١٨٥٣ – ١٨٥٦)

حرب القرم ، هي الحرب التي بدأت في ٢ ايلول (سبتمبر) ١٨٥٣ بين الامبراطورية العثمانية وروسيا القيصرية . ثم تحولت منذ ٢٥ مارس (آذار) ١٨٥٤ الى حرب اشتركت فيها كل من انكلترا وفرنسا والامبراطورية العثمانية وسردينيا في حلف واحد ضد روسيا القيصرية . وقد دعيت بحرب القرم نظراً لأن شبه جزيرة القرم Crimée كانت المسرح القتالي لها . وقد انتهت الحرب بهزيمة روسيا وتلاها توقيع صلح باريس في ٣٠ آذار (مارس) ١٨٥٦ . ولا يعتبر الغربيون الجزء الأول (الروسي – التركي) من هذه الحرب ضمن حرب القرم ، وهم يعتبرون ان حرب القرم بدأت في ٢٥ آذار (مارس) ١٨٥٤ وانتهت باحتلال كينبورن واورتشاكوف في تشرين الأول (اكتوبر) ١٨٥٥.

تحالفت فرنسا وبريطانيا للمرة الأولى منذ القرن ١٩ لخوض حرب القرم ضد روسيا ، وكان سبب هذا التحالف استمرار روسيا في تنفيذ سياستها

التوسعية على حساب الامبراطورية العثمانية وتهديدها للقسطنطينية (وهي السياسة التي وضع اساسها القيصر بطرس الأكبر) وفي وقت مبكر من العام ١٨٥٣، افادت روسيا من حدوث اضطراب وشغب قامت به اقلية دينية (بعض الكهنة والرهبان اليونانيين) وزعمت أن لهـــا الحق في ممارسة حمايتهـــا للمسيحيين الارثوذكس من رعايا الامبراطورية العثمانية، واتخذت ذلك حجة لاقتطاع بعض اقاليم الامبراطوريـــة العثمانية (الرجل المريض وفق تسمية القيصر نيقولا الأول). وقد اصطدم هذا الخط السياسي بمقاومة عنيدة وقوية من انكلترا بالدرجة الأولى، وذلك لان انكلترا كانت ترى ان احتلال روسيـــا للقسطنطينية سيشكل تهديداً قوياً وخطيراً لطريق الهند. ومن ناحية أخرى فقد وضع القيصر نيقولا الأول نفسه في موقف العداء من فرنسا عندما وقف موقف الاستعلاء يوم تتويج الامبراطور نابليون الثالث (وتصرف تجاهه كصديق لا كأخ). وكان نابليون الثالث ابناً باراً للكنيسة الكاثوليكية، ولهذا عارض طلب روسيا من الدولة العثمانية في معـــاملة المسيحيين الارثوذكس معاملة خاصة ومميزة عن معاملة المسيحيين الكاثوليك. وزيادة على ذلك، فقد كانت تعتمل في نفس نابليون الثالث وفي اوساط الجماهير الفرنسية الرغبة في الانتقام من روسيا التي قهرت فرنسا وحطمت الجيش الكبير (١٨١٢)، ولكن نابليون الثالث لم يكن على ثقة من قدرته في المحافظة على العرش الفرنسي، كما لم يكن باستطاعته الدخول في صراع مجهول النتيجة مع روسيا، وهذا ما دفعه الى التحالف مع انكلترا ضد روسيا. وكان امبراطور النمسا قد تلقى دعماً من روسيا استطاع بواسطته المحافظة على عرش آبائه بالقوة، ولكنه اتخذ على الرغم من ذلك موقفـــاً أذهل أوروبا عندما أعلن انضمامه للحلف الانكلو – فرنسي. وكان الحافز الذي دفع هؤلاء جميعاً للتحالف هو مخاوفهم من التقصير في التنافس تجاه الديبلوماسية العثمانية التي خضعت لخط متذبذب متعرج يحركـــه من وراء الستار السفير البريطاني في استانبول السير ستراتفورد – ريدكليف Stratford Redcliffe. ولقد وجهت روسيا انـــذاراً الى السلطان العثماني قبـــل بدء الحرب، لكن السلطان رفض الانذار. وعلى أثر ذلك عقد مؤتمر اوروبي لمناقشة المشكلة التي لم يحاول أحد فهم حوافزها اكثر من القيصر نيقولا الذي قرر استخدام قواته المسلحة لتحقيق تطلعاته، فكانت حرب القرم.

وتعتبر هذه الحرب نموذجاً لتطور فن الحرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد حدث في القرن التاسع عشر تطور سريع في الصناعة الأوروبية، أمكن بموجبه الانتقال من الصناعات اليدوية الى الصناعات الآلية (الميكانيكية) المعتمدة على استخدام منابع القدرة (بخار – كهرباء). وخلال النصف الأول من القرن التاسع عشر بدأت خطوط السكك الحديدية تغطي العديد من الدول الأوروبية. وحلت المحركات محل الأشرعة في معظم الأساطيل، وكانت المراكب الحربية في بداية الأمر تعتمد على الدواليب المتحركة بقوة البخار، ثم الغيت هـــذه الدواليب، واستخدمت المراوح اللولبية (الحلزونية).

ولقد زادت السكك الحديدية والأساطيل البخارية من امكانات نقل القوات بشكل سريع للوصول الى مسارح العمليات المختلفة، كما زادت من امكانات نقل الوسائط والعتاد والمؤن ومتطلبات القتال. وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأ تمديد الخطوط التلغرافية التي ساعدت على تطوير قيادة القوات بشكل جذري. وبدا من الواضح ان التقدم العلمي وضع بيد القائد الموهوب الامكانات المادية اللازمة لخوض عمليات ذات نوع جديد في الحروب الأوروبية. وخلال هذه الفترة تبدل تسلح الجيوش بسبب ظهور سلاح يدوي جديد هو السلاح ذو السبطانة المحلزنة.

وأصبح انتاج هذا السلاح بالجملة ممكناً بسبب التقدم الصناعي الكبير الذي بلغته بلاد أوروبا الغربية في ذلك الوقت. وكانت انكلترا في الفترة التي سبقت حرب القرم الدولة الاولى في أوروبا الغربية من حيث مستوى انتاجها الصناعي. ونتيجة لهذا التطور، تمركزت السلطة في انكلترا بقبضة كبار الصناعيين والبورجوازيين، وتميزت السياسة الخارجية الانكليزية تبعاً لذلك بطابعها التوسعي بغية تحقيق اهدافها في ايجاد اسواق لمنتجاتها، والحصول على المواد الأولية الضرورية للصناعة. وقد حققت انكلترا اهدافها الاستعمارية بالقوة احياناً وعن طريق الخداع والتآمر في أحيان اخرى. أما فرنسا فكانت تمثل الدولة الرأسمالية الثانية البارزة. وفي العام ١٨٥١ حكمتها الدكتاتورية العسكرية البورجوازية بقيادة لويس بونابرت. وكانت روسيا القيصرية متخلفة عن اللحاق بالدول الرأسمالية المتطورة بسبب خضوعها لنظام القنانة الذي اعاق انطلاقتها الصناعية. وكانت السياسة الداخلية للقيصر نيقولا الأول موجهة نحو سحق الحركات الشعبية، وكانت السياسة الخارجية الروسية تهدف الى السيطرة على مضائق البحر الأسود، وتوسيع الهيمنة السياسية على شبه جزيرة البلقان، وحتى ما وراء القفقاس، والعمل على اخماد الحركات الثورية في أوروبا.

كان الجيش الفرنسي البري قبل حرب القرم من أقوى جيوش الحلف، وكانت المشاة فيه تقسم الى مشاة عادية ومشاة خفيفة، وكانت المشاة العادية تسلح بالأسلحة ذات السبطانة الملساء المجهزة بالحربة، وكان المدى الاقصى لهذا السلاح يتراوح بين ٣٠٠ و ٥٠٠ م، أما المشاة الخفيفة فكانت مجهزة بالسلاح المحلزن الذي يبلغ مداه حتى ١٢٠٠ م، وكانت تشكل حوالي ثلث الجيش. وكانت اساليب نابليون بونابرت هي المسيطرة في مجال التكتيك، إذ كانت المعركة تنفذ بالتشكيلات الكثيفة (بالأرتال)، وأمام هذه الأرتال تعمل صفوف المشاة المسلحة بالسلاح المحلزن. وكان الاسطول الحربي الفرنسي يضم اكثر من ١٠٨ مراكب بخارية، منها المراكب المروحية، ومنها بعض الفرقاطات. وكان نصف الجيش الانكليزي مسلحاً بالسلاح المحلزن. وعلى الرغم من أن الحالة العامة للجيش الانكليزي كانت منخفضة، فقد ضاعف السلاح المحلزن من قوته وفاعليته. وكان الاسطول الحربي الانكليزي من أقوى الأساطيل على الاطلاق. أما الجيش التركي فلم يكن يملك سوى عدد قليل من السلاح المحلزن. وكان السلاح الأملس المجهز بالحراب سلاحه الأساسي. ولم يكن الاسطول العثماني يتجاوز في عدده ١٧ مركباً. ومقابل ذلك كانت القوات الروسية متخلفة عن القوات الانكلو – فرنسية نتيجة لتخلف روسيـــا الاقتصادي الذي انعكس على تسليح الجيش بشكل واضح. فقد كانت نسبة السلاح المحلزن لا تتجاوز واحد الى ثلاثة وعشرين من تعداد المشاة العاملة قبل بداية الحرب. وكانت المشاة الخفيفة مسلحة بالأسلحة المحلزنة، أما المشاة العادية فقد كانت مجهزة بالأسلحة الملساء التي يجري تلقيمها من الفوهة.

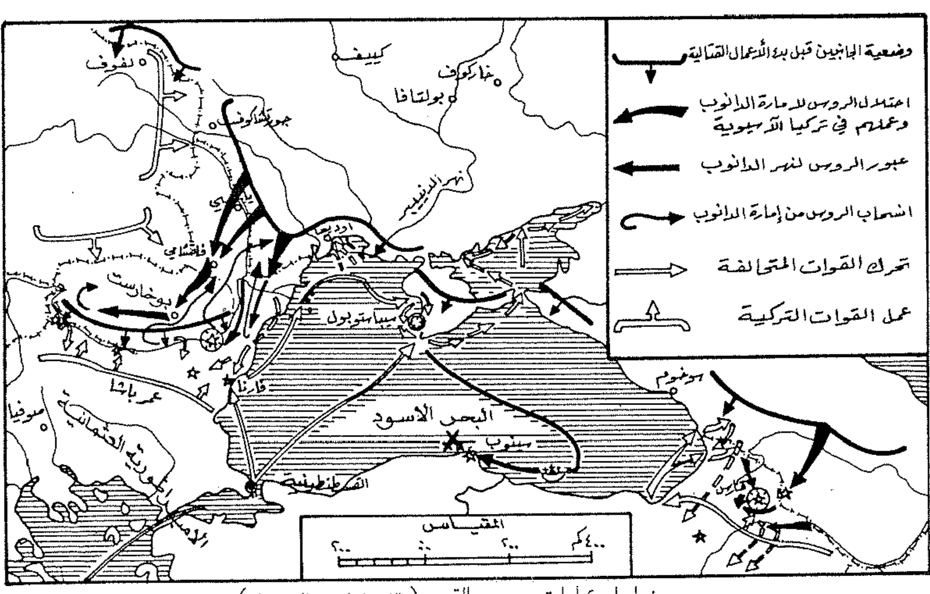
وكانت المدافع تصنع من الخلائط النحاسية. وكانت ذات سبطانات ملساء يتم تلقيمها من الفوهة، ويبلغ مداها العملي عند الرمي بالكرات ١٫٥ كم، وبالمقابل المنثار المستخدمة ضد المشاة حوالي ٥٠٠ متر، أي أن مدى المدفعية كان أقل من مدى السلاح المحلزن، وبالتالي فقد كانت المدفعية معرضة لنيران أسلحة المشاة المحلزنة، وكانت عند اقترابها من العدو حتى مسافة الرمي المباشر تخسر حوالي نصف تعداد افرادها بسبب تأثير السلاح المحلزن ذي المدى البعيد.

كانت المشاة العادية تنطلق في هجومها بالأرتال المتراصة التي كانت تعتبر أساس الترتيب القتالي،

أما الصف المبعثر فقد كان ينظر اليه كجزء ثانوي من الترتيب القتالي . وكان مخصصاً للمشاة الخفيفة العاملة أمام الأرتال . وكان رتل الكتيبة يتألف عند المعركة من أربعة خطوط ، وكل خط من ثلاثة صفوف ، أي أن المجموع اثني عشر صفاً تنطلق جميعها في الهجوم بشكل متتابع وعلى مسافات متقاربة . وكانت الفرج بين الكتائب المتقدمة في النسق الأول تتراوح من مائة الى ثلاثمائة متر . وكانت كتائب الخط الثاني تنطلق خلف كتائب الخط الأول على مسافة تقدر بمائتي متر . وكانت كتائب الخط الاحتياطي تتمركز على مسافة اربعمائة متر من الخط الثاني . وكان الاحتياط يقدر بنصف تعداد القوات .

أما بالنسبة إلى عمليات الأساطيل ، فكانت المراكب الشراعية تشكل الاكثرية الساحقـة في الاسطول الحربي الروسي ، على حين كانت المراكب البخارية قليلة العدد ، ففي اسطول البحر الأسود وجدت ست قطع حربية بخارية . ولم يكن لدى روسيا عشية حرب القرم أي مركب يعمل على المراوح الحلزونية .

لقد ارتكب نيقولا الأول امبراطور روسيا في هذه الحرب خطيئة سياسية عندما اعتقد أن بوسعه الاشتباك مع الدولة العثمانية وحدها دون تدخل الدول الأخرى . وكانت خطته تهدف الى احتلال إمارة الدانوب لإرغام تركيا على قبول شروطه . وكان الحلف الانكلو – فرنسي يعمل على تشجيع الحرب الروسية – التركية ، اذ كان يخطط للهجوم على روسيا بحجة حماية الدولة العثمانية ، وسلخ القرم والقفقاس وملدافيا ومنطقة بحر البلطيق وبولونيـا وفنلندا عن روسيـا القيصرية . وتلخصت الخطة الاستراتيجية للحلفاء في خوض الأعمال القتالية في منطقة القرم وفي الحدود البولونية ، وفي منطقة بحر البلطيق ، الأمر الذي يؤدي الى تشتيت القوات الروسية . ثم لم يلبث الحلفاء أن ركزوا جميع قواتهم في منطقة القرم ، بحيث لم يكن للنجاحات كلها أية أهمية حاسمة ، بسبب وقوع مسرح العمليات على حدود الدول المتصارعة بصورة بعيدة عن المراكز ذات الأهمية الاستراتيجية فيها . وكانت الخطة العثمانية تتلخص في القيام بأعمال دفاعية على نهر الدانوب لإعاقة تقدم القوات الروسية وشن العمليات الهجومية في منطقة القفقاس . وقد مرت حرب القرم بمرحلتين : بدأت الأولى في تشرين الأول (اكتوبر) ١٨٥٣ ، واستمرت حتى بداية الأعمال القتالية في القرم للدفاع عن سيباستبول في ايلول (سبتمبر) ١٨٥٤ . وكانت



خطوط عمليات حرب القرم (١٨٥٣ – ١٨٥٦)

في جوهرها حرباً روسية – تركية . وتبدأ المرحلة الثانية في ايلول (سبتمبر) ١٨٥٤ ، وتنتهي بانتهاء القتال في شباط (فبراير) ١٨٥٦ . وتعتبر المصادر الغربية حرب القرم الحقيقية – كما ذكرنا – المرحلة الثانية فقط ، وتهمل المرحلة الأولى على اساس عدم اشتراك الجيوش الغربية في عملياتها .

المرحلة الأولى

بدأت المرحلة الأولى من الحرب بتقدم القوات الروسية في حزيران (يونيو) ١٨٥٣ ، واحتلال امارات الدانوب (شمال نهر الدانوب) وأمام هذا الموقف تحركت القوات النمساوية وأصبحت تشكل بهجومها خطراً يتهدد مؤخرة القوات الروسية التي اضطرت الى التراجع والانسحاب من إمارة الدانوب في تموز (يوليو) ١٨٥٤ . أما في مسرح عمليات القفقاس فقد قامت القوات الروسية بعمليات هجومية ناجحة . كما استطاع الاسطول الروسي في البحر الأسود في ١٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٥٣ ، الحصول على نصر استراتيجي كبير على الاسطول التركي الموجود في خليج سينوب واغراقه ، على الرغم من وجـود القطع البحرية الحربيـة الفرنسية والانكليزية في مضيق البوسفور غير بعيد عن مسرح القتال . وانتهت بذلك المرحلة الأولى من حرب القرم .

المرحلة الثانية

عندما احتلت قوات روسيا القيصرية امارات الدانوب وجهت انكلترا وفرنسا انذاراً مشتركاً تطلب فيه سحب القوات الروسية ، ولكن القيصر نيقولا الأول رفض الانذار ، فأعلنت انكلترا وفرنسا الحرب على روسيا في ٢٥ آذار (مارس) ١٨٥٤ . وكان قد سبق ذلك تحرك القوات النمساوية منذ ٢٧ شباط (فبراير) ١٨٥٤ ، وتوجيه انذار الى روسيا بسحب قواتها ، ونظراً لان التحرك النمساوي أصبح يهدد مؤخرة قوات روسيا القيصرية فقد اضطرت هذه الى الانسحاب ، والاذعان للانذار النمساوي . وكان هذا الانسحاب كافياً لسقوط حجة الحرب وسببها .

ولكن خلال الفترة بين تحرك القوات النمساويـة وانسحاب القوات الروسية في تموز (يوليو) ١٨٥٤ ، كانت عاصمة الامبراطورية العثمانية تشهد نشاطاً ديبلوماسياً واستعداداً قتالياً كبيراً ، ففي حزيران (يونيو) ١٨٥٤ ، وصل ضابط مهندس انكليزي كبير الى القسطنطينية وهو السير جون بورغوين John Burgoyne بمهمة تنظيم المـواقع الدفاعية ووضع مخطط الدفاع عن القسطنطينية ، وجاء في اقتراح هذا الضابط «بأن أفضل ما يمكن عمله هو الاستناد الى تحصينات غاليبولي وتنظيم الدفاع عنها» ، كما كان وزير الحربية الفرنسي الماريشال ڤيـان Vaillant مهندساً أيضاً ، فوافق على خطة تحصين غاليبولي بعد دراستها . وكان موقف الحلفاء خلال هذه الفترة دفاعياً . ثم اخذت القوات الانكليزية والفرنسية في التجمع فوق منطقة ڤارنا على الساحل الغربي للبحر الأسود . ولكن لم تكد هذه القوات تنتهي من تحشدها حتى فوجئت بموافقة روسيا على الانسحاب من امارات الدانوب ، على ان يتم تحييد هذه الامارات ووضعها تحت الادارة النمساوية . وعلى الرغم من زوال سبب الحرب ، فقد تابع الحلفاء تنفيذ مخططاتهم . وهنا ظهر عامل

جديد وهو انتشار وباء الكوليرا وفتكه بالقوات البريطانية والفرنسية ، ولم يعد باستطاعة هذه القوات البقاء في ڤارنا . كما انه لم يكن باستطاعة القيادات الانكليزية والفرنسية إعادة القوات الى الوطن دون ممارسة اعمال قتالية . فبدأت المحاولات لإشعال الحرب ، وطرحت قضية الهجوم على القرم كحل للخروج من هذه المواقف . وقد وقع اختيار منطقة القرم كمسرح للعمليات بسبب أهميتها ، فهي تقع الى الجنوب من امبراطورية روسيا القيصرية على البحر الأسود ، وكانت تشكل جمهورية مستقلة عاصمتها آكيتشيك (أو سيمفوروبول) ، ومن مدنها أكياد (أو سيباستبول) وغويسليف (أو ايباتوريا) وكانت سيباستبول القاعدة البحرية الروسية الوحيدة على البحر الأسود .

بدأت دراسة مشروع الهجوم والاعداد له ، دون معرفة جيدة لطبيعة الاقليم ودون توفر معلومات عن الموقف . وكانت الصعوبة الأولى هي الغياب الكامل لأية معلومات حتى عن القرم ذاتها . وطلب نابليون الثالث مخططات عن سيباستبول وبالاكلافا ، واشرف بنفسه على مناقشة مخطط العمليات مع ضابط من قيادة القوات العثمانية ، كما عقدت الوزارة البريطانية جلسة لمناقشة خطة العمليات . وبعد دراسة أولية من الناحية النظرية المجردة (على الخارطة) وضع اقتراح باحكام حصار حول سيباستبول ، عن طريق زج الاسطول البريطاني واستخدام مدفعيته لقطع الطريق الرئيسي وعزل المضيق بكامله . ثم تبين بعد ذلك ان طرفي ساحل المضيق يشكلان منطقة ضحلة لا يزيد عمقها عن قدمين أو ثلاثة أقدام ، بحيث لا تسمح بتقدم القطع البحرية . وعلى أثر ذلك اكتفت القيادة البريطانية بارسال برقية غير محددة تطلب فيها الى قائدها الأعلى للقوات اللورد راغلان Raglan ، بتاريخ ٢٩ حزيران (يونيو) ١٨٥٤ ، ضرورة « القيام بالهجوم على القرم عندما تسمح الظروف الجوية بذلك » . كما تلقى القائد الفرنسي المارشال سانت ارنو St. Arnaud برقية مماثلة لا تقل في غموضها عن البرقية الانكليزية . وفيها « تعليمات للعمل وفق ما تتطلبه الظروف » . وفي ١٨ تموز (يوليو) ١٨٥٤ ، وللخروج من هذه المواقف الغامضة ، عقد اجتماع ضم قادة الحلفاء لمناقشة موضوع الحرب تقرر فيه غزو شبه جزيرة القرم .

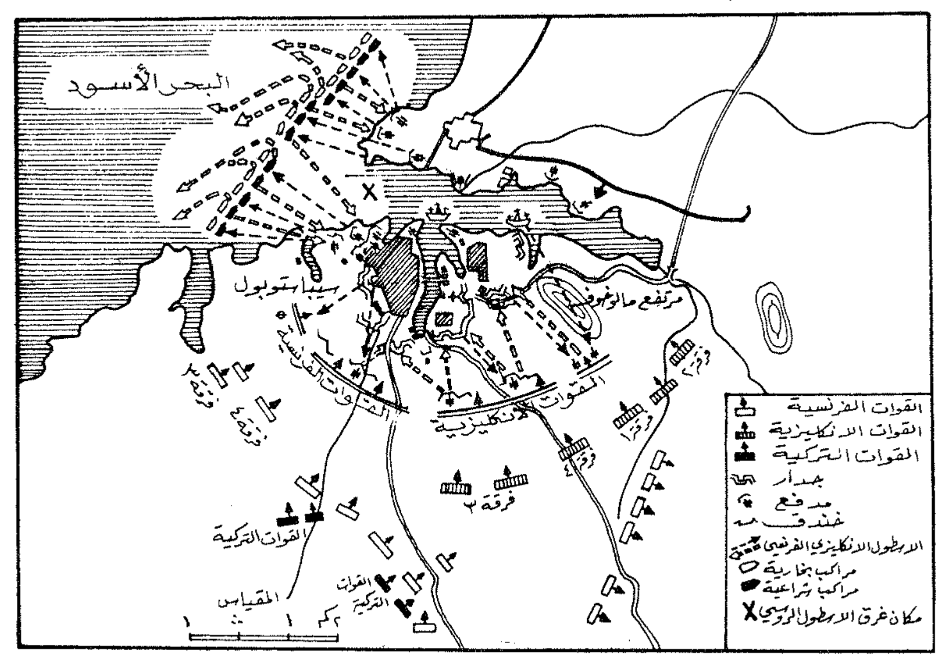
لم يكن القائد الأعلى للقوات البريطانية اللورد راغلان قد اشترك في حرب منذ العام ١٨١٥ ، وكان قد امضى القسم الاكبر من حياته العسكرية في الحرس الملكي . وتركت هذه الخدمة أثرها على سلوكه وتهذيبه كرجل في البلاط ، وكانت كفاءته الرئيسية هي انه كان يلتزم بعادة الرجوع الى عدوه والاستناد الى تصرفاته خلال مسيرة الأعمال القتالية كلها . وبذلك فان تصرفات القيادة القيصرية هي التي كانت تفرض عليه السلوك الواجب اتباعه . أما زميله القائد الفرنسي سانت ارنو ، فكان متعدد المواهب والقدرات ، وقام باعمال بارزة اكسبته شهرة واسعة في الجزائر خلال حصار قسنطينة ، كما انه اشترك في اعداد الانقلاب وتنفيذه من اجل مساعدة نابليون الثالث في الوصول الى عرش فرنسا . ولكن هذا القائد أصيب بمرض قاتل مع بداية معركة القرم . وكان القائد التركي عمر باشا اكثر القادة الثلاثة خبرة ومعرفة بالقتال ، لاحتكاكه الدائم مع مسرح العمليات في الشرق . وعلى كل حال فقد كان جميع القادة البريطانيين رجالا لا تقل اعمارهم عن السبعين عاماً ، باستثناء دوق كامبريدج الذي كان أصغرهم عمراً .

بدأت عملية المرحلة الثانية من حرب القرم يوم ٧ ايلول (سبتمبر) ١٨٥٤ ، حيث اقلعت المراكب وهي تحمل القوات المشتركة من ڤارنا (تذكر المصادر الروسية ان ذلك كان في ٢ ايلول) وكان عدد افراد القوات ٥٧ ألف رجل (تذكر المصادر الروسية ان عدد افراد هذه القوات كان ٦٢ ألف رجل) . وكانت هذه الحملة اكبر قوة عرفتها عمليات أوروبا وراء البحار . وكان زورق كارادوك Caradoc يحمل القادة (الجنرالات) راغلان وبورغوين وبراون . وعمل هذا الزورق على سبق الاسطول في محاولة لاستطلاع منطقة تصلح لانزال القوات ، وتوقفت بواخر النقل ، وتقدم زورق كارادوك كثيراً ، وعند اقترابه من شواطىء القرم امكن مشاهدة الضباط الروس وهم ينظرون اليهم من وراء عدسات مناظيرهم المقربة « وعند ذلك رفع القادة الانكليز قبعاتهم وانحنوا للقادة الروس إيماءة التحية » . وكان قائد الحامية الروسية في ايباتوريا حيث قرر قادة الحلفاء الانزال ، دقيقاً وحريصاً على اكمال الشكليات عند تسلم الدعوة الرسمية للاستسلام : « فأطلق الدخان لتبخير الوثيقة ، ثم قرأها بعد ذلك ، وعندما عرف بأن عليه الخضوع لتفوق خصمه العددي ، اشترط بان تعتبر القوات الفرنسية والانكليزية عند انزالها ، بأنها في حالة حجر دقيق ، ولا يجوز لها مغادرة منطقة انزالها » . وتمت عملية الانزال دون مقاومة أو حادث يستحق الذكر .

لم يكن الجيش الانكليزي في هذه الفترة يعرف التدريب أو المناورة خارج ساحة الثكنة . وكان يطلق على ايام تدريب الميدان اسم (نزهة في سوري) ، وكانت هذه الأيام قليلة وعديمة الفائدة . وكان وضع جنرالات هذا الجيش متوافقاً مع وصف اللورد ويستلي لجنرالات ويلينغتون « بأن اكثرهم أغبياء » . ولكن الجنود كانوا رغم ضعف تدريبهم قساة مميزين بعنادهم واقدامهم ، ويشكلون « خامات صلبة » ، ولم يعرفوا الهزيمة منذ ايام واترلو . ولم يكن المقاتل الروسي أقل كفاءة ، أو أقل عناداً ، ولهذا كان من المتوقع أن يخوض الجنود جميعاً معركتهم حتى الموت ، وذلك عند وصول قوات الحلفاء الى سيباستبول التي كانت تبعد مسافة ثلاثين ميلا عن ايباتوريا (منطقة الانزال) .

بدأت قوات الحلفاء تحركها من ايباتوريا نحو سيباستبول في يوم ١٩ ايلول (سبتمبر) ١٨٥٤ (تذكر المصادر الروسية ان ذلك التحرك قد حدث يوم ٨ ايلول) . وسار الفرنسيون الى اليمين مما يلي البحر مباشرة ، في حين تحرك الانكليز على المحور الداخلي ، وقد تذمر الفرنسيون – ولم يكن ذلك للمرة الأولى في التاريخ أو الأخيرة – من بطء تحرك الانكليز وتمهلهم في سيرهم . ونظراً لعدم وجود مخطط مشترك لتنسيق التعاون بين عمليات القوات للهجوم على القوات الروسية المتمركزة في مواقعها وراء نهر ألما Alma وعلى امتداد سبعة كيلومترات ، فقد تميز هجوم الحلفاء بغياب الجهد المشترك ، حتى أصبحت الأعمال القتالية وكأنها عمليتين تسيران جنباً الى جنب . وقد جرت محاولة للالتفاف حول الجناح الأيسر للقوات الروسية ، ولكن هذه المحاولة احبطت فتحول القتال الى هجوم جبهي نجح في احتلال بعض المواقع الروسية . وكان دور قيادة الحلفاء غائباً أيضاً ، حتى كان كل رجل ينفذ ما يعتقد انه الافضل دون استلام أي أمر من القيادة .

كانت القوات الحليفة التي نفذت العملية تتفوق على القوات الروسية في القوى البشرية والمدفعية والاسطول ، وكانت القوات الروسية قد احتلت مواقعها على الشاطىء الأيسر المرتفع لنهر ألما . وقد تم تمركزها على خطين وبنظام الأرتال ، وتمركزت الاحتياطات على الخط الثالث ، كما تمركزت المشاة الخفيفة في الخط الأول . وبدأت القوات الحليفة المسلحة بالسلاح المحلزن (بارودة مينييه Minie) برماياتها على القوات الروسية من مسافة ألف ومائتي متر ، في حين كان مدى السلاح الروسي الأملس



الدفاع عن سيباستبول في حرب القرم (١٨٥٤)

حوالي ٣٠٠ متر ، الأمر الذي أدى الى عدم إصابة قوات الحلفاء إلا برمايات العدد القليل من الأسلحة المحلزنة المتوفرة . وبدأت المعركة على الجناح الأيسر للقوات الروسية وذلك بهجوم الفرق الفرنسية المنطلقة بنظام الأرتال ، والتي استطاعت احتلال المرتفع الأيسر ، ومن هذا المرتفع انطلقت القوات الفرنسية على الموقع الروسي . وقد حاول الروس طرد الفرنسيين باستخدام قتال الصدمة (ضربات الحراب) ، ولكن هذه المحاولة فشلت ، لأن الفرنسيين تجنبوا الاشتباك مع الروس ، واكتفوا باطلاق نيرانهم من أسلحتهم المحلزنة . ولم تستطع بطاريات المدفعية الروسية المرسلة الى الجناح الأيسر تبديل الموقف ، لأن مداها كان أقصر من مدى الأسلحة الفرنسية المحلزنة . وكانت القوات الانكليزية متمركزة امام الجناح الأيمن للقوات الروسية ، وبعد فترة من الانتظار استمرت بعض الوقت ، انطلقت في الهجوم بخطين منتشرين ، ونجحت القوات الروسية في صد هذا الهجوم بواسطة نيران المدفعية والبنادق المحلزنة ، وبعد أن أعاد الانكليز هجومهم ثانية ، استطاعوا عبور نهر آلما ، ولكن القوات الروسية قذفتهم ثانية الى النهر بضربات الحراب المركزة التي قام بها الفوج الفلاديميري بقيادة جورتشاكوف ، الذي كان قائداً للجناح الأيمن والقلب . ولكن جورتشاكوف ارتكب خطيئة كبرى عندما قاد بنفسه الفوج الفلاديميري مهملا قيادة بقية القوات التابعة له ، الأمر الذي سبب بقاء هذه القوات دون أي عمل ، وأدى الى ايقاف تقدم الفوج الفلاديميري بسبب عدم زج قوات جديدة . وفي الوقت نفسه كان تقدم القوات الفرنسية على الجناح الأيسر مستمراً حتى أصبح يهدد مؤخرة القوات الروسية ويقطع عليها طريق اتصالها مع سيباستبول . عندها قررت القيادة الروسية الانسحاب الى سيباستبول تحت حماية حرس مؤخرة قوي . وبلغت خسائر القوات الروسية في معركة نهر ألما اكثر من خمسة آلاف وخمسمائة مقاتل ، في حين خسرت قوات الحلفاء أربعة آلاف مقاتل .

برهنت معركة نهر ألما بشكل واضح على تفوق السلاح المحلزن في مواجهة السلاح الأملس ، حيث كان السلاح المحلزن يرمي المواقع المعادية من أمكنة لا يصل اليها مدى السلاح الأملس . وهذا هو سبب زيادة نسبة الاصابات في القوات الروسية . أما التراتيب القتالية لدى الطرفين المتحاربين فلم تكن لتتجاوب مع متطلبات خوض الحرب في ظروف استخدام السلاح المحلزن الجديد . وقد كشفت هذه المعركة الأزمة التي يعانيها تكتيك الأرتال الذي سيطر على أرض المعركة منذ عهد الثورة الفرنسية والحروب النابليونية . وقد مارست المشاة الخفيفة المنتظمة في تشكيلة صفوف المشاة دوراً كبيراً في المعركة ، وأثبت هذا التشكيل المنتشر تفوقه الأكيد على تشكيل الارتال المتلاصقة في ظروف استخدام السلاح المحلزن الجديد والمتميز بدقة إصابته وبمداه البعيد . وخلال هذه المعركة ، عمدت بعض القوات الروسية المنتظمة بتشكيلة الرتل الى الأخذ بترتيب قتالي جديد هو ترتيب صفوف المشاة ، هرباً من تأثير الأسلحة المحلزنة للحلفاء ، وانتقل الجنود الى هذا الترتيب القتالي الجديد بشكل عفوي ودون أية أوامر ، غير مدركين أنهم وضعوا أساس تنظيم جديد لتراتيب القتال .

حقق الحلفاء نصرهم في معركة ألما ، ولكن الفرنسيين لم يتمكنوا من استخدام فرسانهم نظراً لعدم التوصل الى حل لمشكلة انزال الخيول ، ولهذا لم يتم استثمار النصر لاجراء المطاردة . وتوقف القتال لمدة يومين تم خلالهما دفن القتلى واخلاء الجرحى الى الاسطول بسبب عدم تنظيم الخدمات الصحية بصورة مسبقة . وفي يوم ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٨٥٤ ، تابع الحلفاء تقدمهم ، وفي يوم ٢٥ أيلول (سبتمبر) ، بوغت الانكليز بظهور رتل للقوات الروسية يتحرك على محور عمودي تماماً على جبهتهم . وكان القائد الروسي منشيكوف Menschikoff يعتقد بأن الحلفاء سيقومون بهجومهم على سيباستبول من الجهة الشمالية ، فعمل على اخراج الكتلة الرئيسية لجيشه من التحصينات المقابلة لباكشيسيري Bakshiserai ودفعها نحو الشمال بهدف المحافظة على محاور اتصاله بروسيا (الأرض الواسعة) . ولم يكن لدى قيادة الحلفاء خرائط لمنطقة القرم ، كما كانت الخرائط التي امكن التقاطها من القادة الروس تختلف تماماً عن طبيعة المنطقة ، بحيث أن أحد الألوية سار في ٢٠ أيلول (سبتمبر) يوماً كاملا ليجد نفسه في نهاية المسير الى الخلف تماماً من جهة سيباستبول . وقد طلب القادة (الجنرالات) الانكليز تودلبين Todelben ، ونييل Niel ، واللورد ويلسلي Wolseley ، الهجوم المباشر على سيباستبول والاستيلاء عليها ، ولكن طلبهم جوبه بمعارضة القائدين بوغونيو وهاملي Hamley . ولهذا لم تبذل أية محاولة لتنظيم هجوم حاسم . وسار الحلفاء للاحاطة بتحصينات سيباستبول وحصارها بشكل مناسب ، وبذلك وضع الحلفاء أنفسهم كما قال اللورد ويلسلي « تحت رحمة القوات الروسية » .

انتشرت القوات البريطانية على يمين سيباستبول (أو الجناح الشرقي للخط الدفاعي) . وكان اسطولهم قد احتل مواقعه في خليج بالاكلافا Balaklava وكان هو الاسطول الوحيد على الساحل الجنوبي ، وكان قادة الاسطول يعتقدون أن في استطاعته تكوين قاعدة تدعم القوات الانكليزية البرية ، وقد ظهر

خطأ هذا الاعتقاد في تحديد مكان القاعدة البحرية عندما قدم الشتاء، وحاصر الجليد قطع الاسطول. أما الفرنسيون فقد أقاموا قاعدتهم في كاميش Kamiesch، في حين كانت قواتهم البرية تنتشر الى اليسار (أو الجناح الغربي للخط الدفاعي). وتصادف أن توفي قائد القوات الفرنسية سانت آرنو يوم احتلال القوات لمواقعها في مواجهة سيباستبول، وانتقلت قيادة القوات الى كانروبير Canrobert وعرف القائد الفرنسي الجديد بكفاءته العالية كجندي وقائد، الى جانب ما عرف عنه من دماثة في الخلق واسلوب مميز في الحديث، مما دفع القادة الانكليز الى تشبيهه «بالممثل على المسرح». وكانت سيئته انه يتحدث اكثر مما يفكر، ويناقش جهتين متعارضتين فيقنعهما بان تفكيره متوافق معهما معاً، بحيث لا يعرف أحد ما هي وجهة نظره.

بدأت القوات الروسية في تنظيم دفاعها عن سيباستبول منذ ٢٣ ايلول (سبتمبر) ١٨٥٤ واستمر لمدة سنة تقريباً وتحولت سيباستبول الى قلعة حصينة خلال فترة قصيرة، بفضل الجهود الجبارة التي بذلها البحارة والجنود والمواطنون، وبفضل التخطيط الماهر لرئيس مهندسي القلعة تودلوبين Todleben. وتم تنظيم الدفاع الروسي عن سيباستبول على شكل دفاعين: ميداني ومحصن، منسقين بالعمق، مع الأخذ بخصائص الأرض، وطابع الأعمال القتالية المتوقعة. وكان هذا التنظيم الهندسي هو الأول من نوعه في التاريخ كتنظيم هندسي عسكري منسق بالعمق واجبه دعم الدفاع عن مدينة ساحلية كبيرة. وبالاضافة إلى ذلك، فقد قام الاسطول الروسي باغراق الاسطول البريطاني في خليج بالاكلافا. واصبحت القوات البريطانية محرومة من دعم نيران الاسطول.

بدأت مدفعية الحلفاء بقصف تحصينات سيباستبول في يوم ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٥٤. لكن عملية القصف لم يتبعها هجوم من قبل الحلفاء، وبعد ذلك باسبوع، قام الجيش الروسي بتنفيذ المحاولة الأولى لرفع الحصار، عن طريق تنفيذ هجوم مباغت على الجناح الأيمن البريطاني ومؤخرته، بهدف الوصول الى بالاكلافا. وفشلت المحاولة امام عناد لواء الفرسان الثقيلة، ولكن القوات الروسية نجحت في الاستيلاء على بعض بطاريات المدفعية التركية. وكان راغلان وفياً للتقاليد البريطانية المتوارثة التي وضع أساسها ويلينغتون والتي تتلخص «في عدم السماح للعدو بالاستيلاء على أي مدفع أو سلاح»، ولهذا أصدر راغلان أوامره (عن طريق نولان أحد مساعديه)، الى لواء الفرسان الخفيف للقيام بالهجوم واستعادة المدافع التركية. وكان نولان فارساً متهوراً، ولديه اعتقاد ثابت بأن سلاح الفرسان هو السلاح الوحيد الذي يستطيع تنفيذ الواجبات المتنوعة كلها في ميدان المعركة، ولهذا قاد بنفسه عملية الهجوم، ووجه لواء الفرسان نحو مواقع المدفعية الروسية مباشرة وبخط مستقيم. واحتلت العملية مكانتها في طليعة الاعمال البطولية والملاحم اليائسة التي ضمها التاريخ العسكري البريطاني، وانتهت لصالح الروس الذين قطعوا الطريق الوحيد بين لواء الفرسان وقاعدته في بالاكلافا، ودمروه. ثم وقعت ضربة قوية اخرى في يوم ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥٤. وكانت هذه الضربة موجهة الى نقطة اتصال القوات البريطانية القائمة على حصار سيباستبول مع القوات التي تعمل على تغطيتها في مرتفعات اينكرمان Inkerman. وهيمن الضباب الكثيف على ميدان المعركة، مما أعاق القيادتين الروسية والحليفة عن ممارسة دورهما في تنسيق الاعمال القتالية وادارة الحرب، فاقتصرت المعركة على اشتباكات فردية بين المقاتلين من الطرفين، وقدم المقاتلون الفرنسيون دعماً كبيراً خلال هذه المرحلة، مما اجبر كتلة القوات الروسية على التراجع.

واستقرت الجيوش بعد ذلك في مواقعها، وجاء فصل الشتاء ليحيط ميدان الحرب بحصار جديد. وهيمن على القوات خلال هذا الفصل جو من الرعب والشقاء والعذاب. وكان في رفقة القوات البريطانية بعض المراسلين الصحافيين. وقد وصف هؤلاء ما يتعرض له المقاتلون في رسائلهم وكتاباتهم، واعتبرت هذه الكتابات بأنها كانت أخطر على القوات البريطانية من «جيش جاسوسية يعمل لصالح الروس». ومع هذا فقد افادت هذه الكتابات والمراسلات في إثارة مشاعر الناس داخل انكلترا، واخذ النقاش يدور في كل مكان حول خطورة نتائج ارسال القوات للقتال في الخارج دون اتخاذ التدابير الضرورية لتأمين غذائها وكسائها وتدفئتها وتأمين العناية الصحية لها. ونتج عن ذلك تنظيم الشؤون الادارية، وتأمين الامدادات الضرورية للقوات. أما الفرنسيون فقد خسروا بالاصابات المرضية اكثر مما خسروه في ميادين القتال. ولكنهم نجحوا في منع انتقال كل همس أو شكوى الى خارج ميدان القتال. وكان مأزق القوات الروسية أكثر خطورة من مواقف القوات الأخرى، نظراً لما كانت تتعرض له الحامية المدافعة عن سيباستبول من عذاب وآلام. ورغم ذلك فقد كانت آلام هؤلاء تتضاءل أمام ما كان يتعرض له المجندون الجدد الذين كان يتم ارسالهم بعد تطويعهم من روسيا الى الجبهة مباشرة. وكان يموت من هؤلاء اثنان من كل ثلاثة خلال الطريق الى الجبهة بسبب المرض أو الجوع.

كان موقف القوات البريطانية قد أصبح خطيراً بعد غرق الاسطول في يوم ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥٤. وزاد من خطورة الموقف ضياع الطريق المرصوف (الحجري) الذي يصل القوات البريطانية بقاعدتها في بالاكلافا. وقبل نهاية العام ١٨٥٤ كان هنالك ٨ آلاف مقاتل قد سقطوا فريسة للمرض، وأصبح أقل من نصف القوة الاساسية قادراً على الاستمرار في القتال. وكانت حالة المستشفيات سيئة جداً بحيث كانت تزيد من حدة الأمراض عوضاً عن انقاصها، وبقي الأمر كذلك حتى وصلت فلورانس ناتينغيل Florence Nightingale (الملاك ومعه المصباح) حيث وصلت المستشفيات بفضل جهودها الى درجة لا بأس بها من الفاعلية والفائدة. ومع هذا فقد بقي الوضع متردياً حتى أقبل فصل الربيع، وبدأت الامدادات الضرورية في الوصول بكميات كبرى. فاستعادت القوات البريطانية جزءاً كبيراً من قوتها، وأصبحت قادرة على متابعة أعمالها القتالية. ثم جاء إنشاء طريق بالاكلافا، واعادة رصف الطريق بين قاعدة القوات البريطانية والجبهة عبر المرتفعات، ليزيل كل خوف تركته أشهر الشتاء القاسية. وعلى كل حال فقد حمل الربيع معه ايضاً اختراعاً جديداً (التلغراف) تركزت فائدته لصالح القيادات وانعكست على القوات المقاتلة. وكان هذا الاختراع قادراً على انقاص مدة نقل التعليمات والأوامر بين القيادات في الميدان وبين القيادات العليا في العواصم، وتنفيذ نقل هذه التعليمات والأوامر في ظرف ٢٤ ساعة عوضاً عن عشرة أيام. وكان الامبراطور نابليون الثالث اكثر اهتماماً بهذا الاختراع من أي شخص آخر، لأن الفشل لم يكن يعني بالنسبة اليه ما كان يعنيه بالنسبة الى انكلترا. فقد كان الفشل كافياً لقلب نظام نابليون الثالث بكامله، في حين ان مثل ذلك الفشل سوف يقف عند حدود تغيير الحكومة البريطانية. ولهذا كان نابليون الثالث يشرف على دراسة الموقف واصدار التعليمات ومناقشة القيادات، بصفته قائداً أعلى للقوات المسلحة. وكانت القيادة البريطانية تستخدم الاختراع الجديد يومياً من الساعة الرابعة بعد الظهر وحتى الساعة السادسة صباحاً من اليوم التالي لجمع المعلومات حول كل ما يتعلق بأمور الميدان،

واصدار التعليمات .

وفي الوقت ذاتــه فان عمليات الحصار التي استمرت بشكل متقطع طوال فصل الشتاء . استؤنفت بشكل حازم مع بداية شهر نيسان (ابريل) ١٨٥٥ ، فقد توفي القيصر نيقولا الأول ، وكان للفشل المريرْ الذي لحق بالقوات الروسية في محاولة إعادة الاستيلاء على ايباتوريــا Eupatoria دوره في تحطيم قلب القيصر . وعلى كل حال ، فان القيصر الجديد لم يكن أقل تصميماً وحزماً من القيصر السابق لمتابعة الصراع . ومن ناحية اخرى ، فان اهتمام وزراء دفاع الدول المتحالفة وقادتها تركز حول دفع خط الحصار نحو الأمام في محاولة لتنفيذ هجوم مباغت وفق مخطط جديد أشرف على وضعه وتصميمه نابليون الثالث . ويتم بموجبه تنفيذ عملية هجوم جديدة ضد الجيوش الروسية بقوات جيوش جديدة يقودها نابليون الثالث ذاته . ولكن هذا المخطط الطموح تعرض للمقاومة على المستوى العالمي ، حتى انتهى الأمر بالتخلي عنه في نهاية صيف ١٨٥٥ ، وخلال هذه الفترة ، كان الخلاف بين قادة الحلفاء يتزايد حدة بسبب تباين وجهات النظر حول اقتراح ارسال قوة مشتركة الى كيرتش Kertch ، القاعدة الروسية في شرق القرم . فقد كان القائد البريطاني راغلان يرغب في قيادة هذه القوة ، كما رغب في ذلك ايضاً القائد الفرنسي كانروبير . وبعد ذلك ، واحتجاجاً على هذا الموقف ، وصلت تعليمات من باريس بسحب القوة الفرنسية من تشكيل القوة المشتركة . وبدأت حملة تبادل الاتهامات بالخيانة . ورفض راغلان مناقشة كل مشروع ، واستقـــال كانروبير من عمله كقائد أعلى للقوات ، ورجع الى ممارسة قيادة فيلقه . وكان خلفه الجنرال پيليسييه Pelissier جندياً عنيداً وحـــازماً لا يخشى شيئاً ولا يخاف احداً . فقدم اقتراحاً نال الموافقة لإرسال حملة جديدة الى كيرتش . وحققت هذه الحملة نصراً حاسماً . كما نظم هجوماً جديداً ضد سيباستبول في يوم ذكرى معركة واترلو ، وكان نصيب هذا الهجوم الفشل الكامل . وكان من نتيجة هذا الحدث الأخير اجراء تغيير في المناصب القيادية للقوات البريطانية والقوات الروسية في وقت واحد . فقد اصيب تودلوبين (روح الدفاع في سيباستبول) بجراح خطيرة ، كما استنزفت المعارك ومرارة الهزيمة كل مقاومة يمتلكها راغلان فسقط مريضاً ومات ، فخلفه رئيس هيئة اركان حربه الجنرال سيمبسون Simpson وعلى أثر تسلمه قيادته مباشرة قامت القوات الروسية بمحاولة اخيرة وقوية لتــدمير طوق الحصار في تشيرنايا Tchernaya ، ودارت معركة طاحنة اشتركت فيها قوات بييمونت التي ارسلت للوقوف الى جانب الحلفاء ، وقد طمح رئيس وزراء بييمونت (كافور Cavour) في استخدام هذه الحملة كوسيلة دعائية للبرهان على قوته الجديدة ، واغتنام الفرصة لانجاز اهداف الحرب والوصول الى نهايتها . واخيراً ، قامت قوات الحلفاء بهجوم مباغت وحاسم في ٨ ايلول (سبتمبر) ١٨٥٥ ، ولقيت القوات الانكليزيــة الفشل عند وصولها الى ريدان Redan . ولكن هجوم الفرنسيين في ساعة تبديل القوات الروسية عند خنادق الحامية الدفاعية ، ساعد على نجاح هذا الهجوم الذي استطاع الوصول الى مرتفعات مالاكوف Malakoff ، الواقعــة في شرق المدينة ، وتكبد الفرنسيون في هجومهم خسائر فادحة ، ولكنهم تابعوا الضغط على المدينة من كافة الجهات ، الأمر الذي أدى الى سقوطها في صباح اليوم التالي ، لكن أحداً لم يفكر في متابعة مطاردة القوات الروسية التي لجأت الى الميناء ، وعندما سئل سيمبسون عن سبب توقفه اجاب بأنه كان يرغب في الانتظار لمعرفة مخطط القوات الروسية . وهكذا بقيت القوات الروسية في شبه جزيرة القرم ، ولم تنسحب منها . ونتج عن ذلك تسريح القائد سيمبسون واجراء تغيير في القيادة . ولكن هذا التغيير لم يحدث تطوراً بسبب وصول الصراع الى نهايته ، فقد اقتنعت روسيا بعد سقوط كينبورن Kinburn بعدم جدوى الاستمرار في الحرب ، كما استنزف الصراع قوة نابليون الثالث ، أما بريطانيا التي شعرت بمرارة خيبة الأمل في احراز النصر النهائي خلال معركة سيباستبول فانها كانت راغبة في متابعة الصراع ، ولكنها لم تكن قادرة على الاستمرار وحدها في الحرب. وجاءت معاهدة باريس في شباط (فبراير) ١٨٥٦ لتشكل الأرضية الصلبة في إقامة السلم وانهاء الصراع .

ينظر الغربيون الى حرب القرم من الناحية العسكرية كأسوأ نموذج لسوء التنظيم وادارة الحرب في التاريخ العسكري البريطاني كله . وكمثــال للصعوبات التي تنشأ بين القوات المتحالفة ، على الرغم مما حققته من فوائد سواء بالنسبة الى اختبار الأسلحة أو التنظيمات الجديدة ، وعلى الرغم من النجاح في احتلال قلعة دفاعية حصينة على مسرح بعيد (فيما وراء البحار) اشتبكت فيه اطراف مختلفة بلغ مجموع افرادها ٢٠٠ ألف رجل . وقد نجحت هذه الحرب في تحقيق الهدف السياسي الذي تم تقريره في معاهدة باريس . واكدت هذه الحرب بالنسبة الى روسيا فساد النظام الاجتماعي ، وكانت نتيجة الحرب سبباً في دفع عجلة الاصلاحات العسكرية في روسيا القيصرية ، مع اجراء اصلاحات في النظام الاجتماعي انتهى بالغاء نظام القنانة في العام ١٨٦١ .

ضمنت معاهدة باريس ، استقلال الامبراطورية العثمانية ، وقبول هذه الامبراطورية لمطالب الــدول الأوروبية (بريطانيا العظمى والنمسا وفرنسا وروسيا بييمونت وسردينيا وروسيا) الخــاصة بحمــاية المسيحيين ، مع إبقاء الرعايا المسيحيين تحت حماية السلطان العثماني الذي اصدر مرسوماً سلطانياً (فرمان) بضمان الحريات الدينية . كما تقرر تحييد مياه البحر الأسود تحت الحماية العثمانية . وفرض على روسيا عدم الاحتفاظ باسطول حربي في البحر الأسود ، وعدم إقامة احواض لصناعة السفن على شواطيء هذا البحر . وسلخ عن روسيا وفق معاهدة الصلح جزء من أراضي ملدافيا ومصب نهر الدانوب . ولكن سمح لها بحق المرور في مياه البحر الأسود . وأفادت سردينيا من اشتراكها في مؤتمر باريس لتحقيق وحدة ايطاليا كلها فيما بعد . واتفقت روسيا والنمسا على إقامة معاهدة دفاعية فيما بينهما هدفها تنظيم تحالف ضد روسيا ، ووضع حد للتدخل الروسي أو التوسع غرب البلقـــان . كما تعهدت الامبراطورية العثمانية بعدم القيام بأية محاولة عدوانية ضد الحدود الروسية . وقدرت مجموع خسائر هذه الحرب بحوالي ٥٠٠ ألف رجل . ومن أبرز نتائجها العسكرية تطوير التسلح ووسائل النقل والاتصال .

(٥) الحرب الكورية (١٩٥٠ — ١٩٥٣)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) الحرب الكيماوية

الحرب الكيماوية « Chemical Warfare » هي نوع من الحروب التي يستخدم فيها ، في الهجوم والدفاع ، سلاح دمار شامل يتمثل بالعوامل الكيماوية السامة (كغازات القتال) والمواد الكيماوية الحارقة (كالنابالم والترمايت) ، بالاضافــة الى الاسلحة التقليدية الاخرى . ويستهدف استخدام العوامل الكيماوية : ١) التأثير على قوى العدو البشرية ، وذلك إما بتلويث الهواء بأبخرة هذه العوامل واما بالتلوث المباشر للاشخاص والارض والاسلحة والمواد الغذائية وغير ذلك . ٢) إعاقــة العدو ومنعه من إنشاء المواقع العسكرية الهامة . ٣) عرقلة تقــدم العدو ، ويكون استخدامها في هذه الحالة للدفاع . ٤) ضرب اهداف في عمق العدو ، ويكون استخدامها عندئذ للهجوم والدفاع . ٥) التأثير النفسي واضعاف

الروح المعنوية في صفوف العدو. ويختلف تأثير العوامل الكيماوية الفسيولوجي على الانسان باختلاف نوعها، ودرجة تركيزها، ومدة التعرض لها، وكيفية الاصابة بها بالتّماس والاستنشاق والبلع (انظر غازات القتال، والتطهير الكيماوي).

وليس استخدام «الكيماويات» على هذا النحو امراً جديداً، فقد حاول الانسان منذ عصوره الاولى استخدام الكيمياء في الحروب، كما ذكرت كتب التاريخ في صفحاتها القديمة «الكيماويات» و«حواجز الدخان» التي استعملت بنجاح منذ آلاف السنين. ففي حروب الهند القديمة، منذ حوالي ألفي عام قبل الميلاد، استعملت حواجز الدخان وأدوات الحرائق والابخرة السامة التي تسبب «الارتخاء والنعاس والتثاؤب»، كما استعملت ابخرة الزرنيخ في عهد مملكة «سونج» الصينية، واستعمل الغاز في حصار «بلاتيا» سنة ٤٢٩ قبل الميلاد إبان حرب البيلوبونيز. ويقول المؤرخ اليوناني «ثوسيديدس» Thucydides ان اهل «إسبارطة» الاغريقية كانوا يضعون الحطب المشبع بالكبريت تحت اسوار مدينة «بلاتيا» ويشعلون النار فيه، وكانت تشب حرائق هائلة لم يكن لها مثيل في التاريخ الاسبق، وكانت الغازات المتصاعدة من هذه الحرائق تخنق الناس، ولقد استعمل التكتيك نفسه بنجاح ايضاً سنة ٤٢٤ ق.م. عند حصار «ديليوم».

واستعملت الاسلحة الكيماوية في القرون الوسطى ايضاً. ففي العام ١٤٥٦ تمكن عالم كيميائي من انقاذ مدينة بلغراد من المهاجمين العثمانيين بواسطة مركب سام ينشر غيوماً كثيفة سامة عند احراق خروق مغموسة بهذا المركب.

وفي اواخر القرن التاسع عشر إبان حرب «البوير» استعملت القوات الانجليزية «حامض البكريك» Picric Acid في قنابل المدفعية وكانت هذه القنابل عند انفجارها تنشر غاز «اللدايت» Lyddite السام. ولقد اتهم الانجليز اعداءهم في هذه الحرب بتسميم مياه الشرب بمادة «سيانيد البوتاسيوم» Potassium Cyanide، الا ان هذا الاتهام مشكوك فيه، لان اطباء الجيش الانجليزي اعطوا الجنود ادوية مضادة للتسمم آنذاك، ومن المعلوم ان التسمم بسيانيد البوتاسيوم سريع المفعول، ولا يسمح بوقت كاف لاعطاء أية جرعة مضادة.

وقد شهد القرن العشرين منذ بدايته اتقان استخدام الغازات القتالية السامة وتوسيع مدى تأثيرها، بعد ان عرف القادة العسكريون امكاناتها التخريبية الهائلة. وبرغم ان تحريم استخدام الغازات بناء على قواعد اخلاقية دولية بدأ في وقت مبكر، اذ شهدت الفترة ما بين حرب البوير والحرب العالمية الاولى مؤتمرين للسلام عقدا في مدينة «لاهاي»، في العام ١٨٩٩ والعام ١٩٠٧، تقرر فيهما منع استخدام القنابل التي تنشر الغازات الخانقة، الا انها استخدمت في الحرب العالمية الاولى. وكانت فرنسا هي البادئة باستخدام قنابل الغاز المسيل للدموع التي تطلق بواسطة البنادق (آب ١٩١٤) كوسيلة لإعاقة زحف القوات الالمانية في بداية الحرب العالمية الاولى، وقد اتخذت القوات الالمانية من ذلك ذريعة للرد على الفرنسيين بشكل اشمل. وكان الجنرالات الالمان يتوقعون انتصاراً ساحقاً في هجومهم الخاطف، الا انهم وجدوا انفسهم في حالة حصار مستمر تضاءلت معه ذخيرة قواتهم، وطال امد الحرب، فلجأوا الى استخدام الاسلحة الكيماوية: ففي مساء ٢٢ نيسان (ابريل) ١٩١٥ فاجأ الالمان القوات الفرنسية في مقاطعة «ايبر» Ypres البلجيكية باطلاق ما يزيد عن خمسمائة اسطوانة تحوي ١٦٨ طناً من غاز الكلور السام المضغوط، فانتشرت غيومه الصفراء فوق خطوط تلك القوات، ودب فيها الذعر والفوضى. وبلغت ضحايا الغاز السام في ذلك اليوم حوالي خمسة الآف قتيل معظمهم من جنود المستعمرات الفرنسية آنذاك وغالبيتهم من الجزائريين. وتراجع الجيش الفرنسي الى الخلف بفعل المفاجأة تاركاً باب القناة الانكليزية مفتوحاً امام القوات الالمانية التي لم تتوقع مثل هذا النجاح، وبالتالي فاتها فرصة الاستفادة من التراجع الفرنسي. ويعتبر المؤرخون العسكريون هذه الحادثة اول استخدام فعلي للاسلحة الكيماوية في القرن العشرين. ثم استعمل غاز الكلور في مواجهات اخرى بين الالمان والحلفاء. الا ان استخدامه لم يحقق نفس الأثر لسهولة الوقاية منه باستخدام الاقنعة الواقية.

وفي ١٩١٥/١٢/١٩ استعمل الالمان غاز الفوسجين لاول مرة ضد القوات البريطانية، وكان يخترق الاقنعة الواقية آنذاك. وقد تمكن الحلفاء فيما بعد من اختراع اقنعة تقي من هذا الغاز، فعمد الالمان الى استعمال غاز «ثاني فنيل كلور ارسين» الذي يسبب التقيء، واخذوا يطلقونه مع الفوسجين. وكان يخترق الاقنعة الجديدة ويسبب غثياناً وتقيؤاً يجبر الجنود على رفع اقنعتهم للتقيؤ فيتعرضون بالتالي لخطر الفوسجين. والفوسجين اشد فتكاً من الكلور، وتعود نسبة ٨٠٪ من وفيات الحرب العالمية الاولى بالغازات السامة اليه (انظر الفوسجين). ولم يقتصر استعماله من قبل الالمان فحسب، بل استخدمه الحلفاء ضدهم ايضاً وكانوا يطلقونه بواسطة قذائف الهاونات في العام ١٩١٧. وفي آب (اغسطس) ١٩١٦ استعمل الروس غاز «كلوربكرين» الذي يستطيع النفاذ واختراق اقنعة الغاز، وبالتالي يجبر مرتديها على نزعها ليلقى مصرعه بغاز آخر اكثر سمية. وفي ١٩١٧/٧/١٢ استعمل الالمان غاز «الخردل» لاول مرة، وكان استعماله مباغتاً ايضاً وذهب ضحيته آلاف الجنود قبل ايجاد وسائل للحماية منه (انظر غاز الخردل). وفي آخر سنوات الحرب الاولى كانت نسبة ١٦٪ من اصابات البريطانيين و ٣٣٪ من اصابات الاميركيين مسببة بهذا الغاز، وقد استهلك منه في تلك الحرب حوالي تسع ملايين قنبلة أدت الى حوالي ٤٠٠ ألف اصابة.

وتبلغ حصيلة اصابات الحرب العالمية الاولى من الاسلحة الكيماوية حوالي ٨٠٠ ألف اصابة موزعة على النحو التالي:

حوالي	٢٧٥٠٠٠	اصابة بين القوات الروسية
حوالي	١٩٠٠٠٠	اصابة بين القوات الفرنسية
حوالي	١٨١٠٠٠	اصابة بين القوات الانجليزية
حوالي	٧٨٠٠٠	اصابة بين القوات الالمانية
حوالي	٧٠٠٠٠	اصابة بين القوات الاميركية

وهناك احصاءات تقول بان عدد هذه الاصابات يزيد عن المليون اصابة.

بعد الحرب العالمية الاولى قامت عصبة الامم ببحث استخدام العوامل الكيماوية في الحروب، واتخذت قرارات بتحريمها، وذلك في اتفاقية جنيف (١٩٢٥)، ومؤتمر نزع السلاح (١٩٣٢-١٩٣٤)، الا ان معظم الدول الكبرى استمرت في ابحاثها في هذا المضمار. وقد استخدمت الغازات في اكثر من مناسبة فيما بعد: ففي العام ١٩٣٦ استخدم الايطاليون غاز الخردل ضد الاحباش في «مكالا»، وكان لهذا الغاز تأثير كبير لأن معظم الاحباش كانوا حفاة، وكان امتصاص المادة الكيماوية يجري من خلال جلد اطرافهم السفلية. وفي العام ١٩٤١ استخدم اليابانيون الغاز ضد الصينيين لفك الحصار الصيني حول قواتهم.

ولم تشهد الحرب العالمية الثانية استعمال الاسلحة الكيماوية، على الرغم من وجود اتهامات لبعض الدول، فقد اتخذ الحلفاء قراراً بعدم استخدامها الا في حالات الرد على استخدام تلك الاسلحة من قبل قوات المحور. ولو استعملت الاسلحة الكيماوية في الحرب الثانية، لكانت النتائج رهيبة

ولفاقت اثر غازات الحرب العالمية الاولى اضعافاً مضاعفة ، وذلك بسبب التطور العلمي ، ونجاح الالمان في اكتشاف سلسلة من غازات الاعصاب كالتابون في العام ١٩٣٦ (انظر التابون) ، والسارين في العام ١٩٣٨ (انظر السارين) ، والزومان في العام ١٩٤٤ (انظر الزومان) . وهذه الغازات تفوق في تأثيراتها السمية الغازات التي استخدمت في الحرب العالمية الاولى بمراحل . وعندما وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها كان لدى الالمان مخزون ضخم من غازات الاعصاب ، والسؤال الذي يتبادر للذهن هو لماذا لم تستعمل المانيا هذا المخزون في الحرب خصوصاً عندما احست ببوادر الهزيمة ؟ وربما كانت الاجابة على ذلك هي انها لم تكن بحاجة الى استخدامها في اول الحرب عندما كانت منتصرة ، ولعل فقدانها للسيطرة الجوية فيما بعد ، وخوفها من لجوء الحلفاء الى الثأر بالاسلوب نفسه ، جعلهـا تعزف عن استخدام العوامل الكيماوية .

ولم تستخدم العوامل الكيماوية بعد ذلك في الحرب الكورية ، ولكن الولايات المتحدة استخدمتها ضد الشعب الفيتنامي . وفي حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ قامت اسرائيل باستخدام قنابل النابالم الحارقة ضد اهداف عسكرية ومدنية عربية ، وهناك من الدلائل ما يشير الى ان اسرائيل تمتلك منظومات ووحدات كيماوية وابحاث خاصة باسلحة التدمير الشامل ومنها الاسلحة الكيماوية التي لا يستبعد ان تقوم باستخدامها ضد الجيوش والشعوب العربية لدى اية بادرة من بوادر هزيمة ساحقة تحيق بها .

العوامل التي تجعل من الحرب الكيماوية امراً ممكناً : كتب « يوثانت » السكرتير العام السابق للامم المتحدة مقدمة لكتاب « الاسلحة الكيماوية والجرثومية » الذي اصدرته الامم المتحدة في العام ١٩٦٩ ضمنها ما يلي : « كل الدول تقريباً — بما فيها الدول النامية والبلاد الصغيرة — بامكانها الحصول على الاسلحة الكيماوية والبيولوجية ، نظراً لسهولة تحضير بعضها بمصاريف زهيدة وسرعة فائقة في مختبرات او معامل بسيطة . وهذه الحقيقة تجعل مسألة السيطرة على هذه الاسلحة ومراقبتها شديدة الصعوبة » . وقد اشار « يوثانت » في كلماته السابقة الى بعض العوامل التي تجعل من السهل على كثير من الدول ان تقوم بشن مثل هذه الحرب ، وذلك للاسباب التالية : أ) انها تتطلب حداً ادنى من الخبرة التقنية والعسكرية. ب) ان الاسلحة الكيماويـة رخيصة التكاليف بمقارنتها بالاسلحة التقليدية. ج) انه يمكن استخدامها — بالنظر الى مزاياها الخاصة — جنباً الى جنب مع انواع الاسلحة الاخرى بشكل يزيد من تأثيرها التدميري بالجيوش ، والاهـالي ، والمزروعات ، والحيوانات ، والبيئة بشكل عام . د) انه يمكن استخدام السلاح الكيماوي ليلائم مختلف السياسات والاستراتيجيات ؛ فمثلا استخدم في الحروب العالمية السابقة لعرقلة تقدم الجيوش وتخفيض معنوياتها ، واستخدم في فيتنام لانجاح سياسة الفتنمة وللقيام بعمليات ابادة جماعية للشعب الفيتنامي ، كمـا استخدم ضد ثوار جبهة التحرير الوطنية الفيتنامية لاخراجهم من مخابئهم وتسهيل اسرهم .

انواع الاسلحة الكيماوية : استخـدمت في الحروب انواع مختلفة من الاسلحة الكيماوية ، يمكن تصنيفها على النحو التالي :

أ) العوامل الكيماوية السامة او غازات القتال (انظر غازات القتال) . وقد قسمها خبراء هيئة الصحة العالمية الى ثلاثة اقسام هي : اولا — الكيماويات القاتلة Lethal كغازات الاعصاب . ثانياً — الكيماويات المعطلة — بكسر الطاء — Incapacitating كغـاز « الآدمسايت » . ثالثاً — الكيماويات المزعجة او المعوقة Harassing كغاز « ب. ز » . ولكن هذا التقسيم غير دقيق تماماً ، فالكيماويات المعطلة او المضايقة قد تصبح قاتلة في ظروف معينة كما هو الحال عندما يكون المصاب مريضاً او يكون تركيز المواد الكيماوية عالياً .

ب) المواد المبيدة للنبات : وهي مواد كيماوية تحرق المزروعات وتسقط اوراق الاشجـار وتخرب المحاصيل الزراعية وتعقم التربة . وقـد استخدمت الولايات المتحدة هذه المواد في فيتنام لاسقاط الاوراق الكثيفة للنباتات الحرجية والغابات من اجل حرمان الثوار الفيتناميين من هذا الساتر الطبيعي .

ج) القنابل الحارقة : مثـل قنابـل النابالم والفسفور والترمايت .

وسائل ايصال العوامل الكيماوية على اختلاف انواعها الى اهدافها : يكـون استخدام العوامـل الكيماوية في القتـال الذخـيرة الكيماوية التي ترمى بواسطة الاسلحة المختلفة كالمدفعية ، والهـاونات ، وقنابل الطائرات ، والصواريخ . والرش من الجو بواسطة الطائرات او طائرات الهليكوبتر ، والالغام ، والقنابل اليدوية ، وقاذفات اللهب .

الدفاع ضد الاسلحة الكيماوية : ان الوحدات والعناصر الكفؤة للرصد والبحث التي تعمل على تحسين وسائل الدفاع ضد الهجمات الكيماوية هي خير ضمان لتقليل خطر وآثـار اي هجوم كيماوي محتمل . ويعتمد الدفاع الناجح على الكشف المبكر لانتشار العوامل الكيماوية السامة في الجو لاتخاذ التدابير اللازمة في الوقت المناسب واعداد وسائل الوقاية والحماية الفردية والجماعية ، التي تحتاج الى مستوى رفيع من التدريب والضبط الكيماوي الى جانب توفر جميع وسائل الوقاية والحماية والتطهير .

وللكشف عن العوامل الكيماوية المختلفة ينبغي ان تتوفر اوراق خاصة تسمى « بأوراق الكشف » التي تتغير الى الوان معينة مميزة للعوامل المختلفة ، كما ان هناك اجهزة ميدانيـة مبسطة لاكتشاف هذه العوامل . على ان جميع وسائل واجهزة الكشف لا تعطي انذاراً مسبقاً بوجود هجوم كيماوي ، ولهذا يجب اعتبار كل عمل عدواني مشبوه بمثابة هجوم كيماوي محتمل . كما يجب احكام الاقنعة الواقية بصورة تلقائية لدى مشاهدة الطائرات تحلق على ارتفاع منخفض او انطلاق سحب من الغازات في اتجاه المواقع . وفي هذه الحالة يجب انذار الوحدات والعناصر في المواقع الاخرى لاعطائها فرصة احكام الاقنعة الواقية . اما في الليل فالمعضلات تتضاعف ولا بد من الاعتماد على رصاد الغاز لاطلاق الانذار المطلوب .

وللوقاية من العوامل الكيماوية ينبغي الافادة من الحماية الطبيعية التي يؤمنها الاستخدام الجيد للسواتر والارض خاصة ضد عمليات الرش الجوي . اما التدابير الوقائية التي ينبغي تطبيقها فهي تعتمد على تقدير نوايا العدو ، ولهذا يوضع الرصاد اللازمون في جميع الاوقات في الاماكن المعينة ومعهم اجهزة الكشف والانذار . وفي حالة توقع هجوم كيماوي محتمل تقوم العناصر والوحدات باحكام اقنعتهـا الواقية . وتولى عناية كافية بالتوعية والتعليم الخاص بالحرب الكيماوية لكافة الافراد لتفادي الخسائر الجسيمة .

وتتنوع تدابير الوقاية ، فهي قد تكون تدابير وقاية فردية ، وجماعية ، وطبية : وفي حالة الوقايـة الفردية ، توزع على كل فرد مجموعة كاملة من الملابس والتجهيزات الخاصة لحمـايته الشخصية . ويعتبر القناع الواقي من الغازات اهم تجهيز ، فهو اذا ما احكم حسب الاصول ، اعطى الوقاية اللازمة للعينين والانف وجلد الوجه والحنجرة والرئتين . ولا تستطيع ملابس القتال العسكرية العادية تقديم الحماية الكافية ، لهذا توزع ملابس خارجية للافراد تشمل قفازات وغطاء للرأس ، وتستطيع هذه التجهيزات توفير الوقاية لمدة تزيد عن ٦ ساعات ، على ان تكون هناك كميات احتياطية من هذه الملابس لاستبدال وتعويض ما يتلف منها .

وتعني تدابير الوقاية الجماعية توفير وقاية خاصة في مراكز القيادة والمراكز الطبية، بحيث يتسنى لعناصرها القيام بواجباتهم دون استعمال تجهيزات الوقاية الفردية التي تحد من فعالية عناصر هذه المراكز وحركتهم.

اما تدابير الوقاية الطبية، فانها تعني استخدام العلاجات والادوية التي تفيد في تزويد الجسم بالمقاومة، وتمكن الفرد من تحمل جرعة سمية اكبر، كالاكزيمات Oximes التي تستعمل في حالة التعرض لعوامل الاعصاب. وفي حالة التسمم يكون الدواء العلاجي ضرورياً، ويستعمل الاتروبين كدواء علاجي لحقن الجسم في حالة ظهور اعراض التسمم، ويستطيع الفرد حقن نفسه في هذه الحالة. ولهذا يزود كل فرد بعدد من هذه الحقن (٣ حقن) وتؤمن للوحدات كمية كافية لاستمرار العلاج في الحالات الخطرة والملحة.

وفي حال التلوث بالعوامل الكيماوية وخاصة السائلة منها، فمن الهام جداً فرض السيطرة على المناطق الملوثة ووضع قيود ملائمة على الحركة من والى تلك المناطق والقيام بواجبات الوقاية والتطهير الضرورية (انظر التطهير). لذلك يزود جميع الأفراد بوسائل التطهير، وتجري الوحدات التدزيب اللازم للعناية الفردية. ومن الامور التي تحضر لهذه الغاية مختلف المواد المذيبة والممتصة للعوامل الكيماوية كالبنزين والنفط الابيض والكحول والزيوت ومواد القصر والماء والصابون. ويمكن الاستعانة بالخدمات الطبية في عمليات التطهير ولاكتشاف تلوث الاسلحة والمعدات والطعام والماء، وتعتبر الاطعمة المعلبة سليمة شرط غسل اوعيتها وتطهيرها تماماً قبل فتحها. اما الاطعمة المحفوظة في اكياس او لفافات ورقية قابلة للتلوث ولا سيما بالعوامل الكيماوية السائلة فانها تعتبر اطعمة ملوثة لا بد من اتلافها.

الحرب الكيماوية في فيتنام: استخدمت الولايات المتحدة الامريكية الاسلحة الكيماوية في فيتنام وفق شعار مؤداه «احرق كل شيء، ودمر كل شيء، واقتل الجميع». وكانت تستهدف من ذلك: ١) قتل المدنيين العزل، ٢) تجويع الشعب بحرمانه من مصادره الغذائية عن طريق تدمير المزروعات بحرقها، وتسميمها، وتسميم التربة ٣) خلق ظروف اكثر ملاءمة لاستعمال انواع الاسلحة الاخرى بفعالية، وذلك عن طريق حرق الغابات واسقاط اوراقها لكشف الثوار الذين يختفون تحتها، ٤) اجبار الفلاحين على اللجوء الى معسكرات التجميع وعزلهم عن الثورة، ٥) تعطيل وتشويه اكبر عدد من الاهلين الباقين على قيد الحياة بشكل دائم او لمدة طويلة على الاقل، ٦) خلق حالة من الذعر بين السكان العزل، ٧) الاخلال بتوازن البيئة Ecological balance في المنطقة، ٨) تدمير الغابات والنباتات لزيادة اخطار الفيضانات وآثارها التدميرية.

وقد استخدم الاميركيون احدث ما لديهم من خبرات تقنية في هذا المجال، ولجأوا في تطوير وتطبيق هذه الخبرات الى العلماء والجامعات ومراكز الابحاث في الولايات المتحدة من اجل تطوير وانجاز وسائل تستخدم في عمليات الابادة الجماعية. واستخدموا الطائرات وطائرات الهليكوبتر المزودة بمعدات رش حديثة لنشر الغازات السامة والعوامل المبيدة فوق الاهداف بشكل مكثف، ومن الطائرات التي استخدمت في هذه العمليات الطائرات من طراز س – ١٢٣، وسي – ١٣٠، وسي – ٤٧. وجميعها تحمل خزانات يتسع الواحد منها لألف جالون من العوامل الكيماوية، ويستغرق تفريغ الخزان الواحد مدة خمس دقائق في الاحوال العادية، و ٣٠ ثانية في الاحوال الاضطرارية. وتتم عملية الرش بواسطة محرك توربيني خاص يدفع المواد الكيماوية الى الخارج من خلال ٣٦ انبوبة منتشرة في اجنحة الطائرة وذيلها. وهذه الطائرات مصممة بحيث يمكنها التحليق على ارتفاعات منخفضة (اقل من خمسين متراً) فوق الهدف، وذلك لضمان فعالية عملية الرش. وهي تطير في تشكيلات يتألف الواحد منها من ٤ – ٦ طائرات، ترافقها طائرات مقاتلة او طائرات هليكوبتر مسلحة لحمايتها، ويستطيع تشكيل واحد من هذه الطائرات تغطية منطقة يبلغ عرضها كيلومتر واحد وطولها ١٤ كيلومتراً. وفي اواخر ادارة جونسون، كما في عهد نيكسون، استخدمت طائرات الهيليكوبتر من طراز هيوي Hu-IA-Huey، و Hu-IB، و H-34، وطراز AIE و AIH لهذه الغاية، وذلك لما تمتاز به طائرات الهيليكوبتر المذكورة من قدرة على المناورة والثبات في الجو.

وبالاضافة لما سبق فقد شهدت الساحة الفيتنامية تصعيداً تقنياً لم يسبق له مثيل في استخدام الاسلحة الكيماوية. ومن مظاهر هذا التصعيد استخدام بعض انواع الغازات السامة بتركيز يفوق اضعاف الجرعة القاتلة «كغاز CS». وبالاضافة الى شدة التركيز فقد تم تطوير غاز الـ «CS» بحيث زادت خصائصه السمية وقدرته على الابادة الجماعية. كما انتجت المختبرات الاميركية غازي «CS-1» و «CS-2» كغازين محسنين من غاز الـ «CS»، وكلاهما – كغاز الـ «CS» – مكون من «الاورثوكلوروبنزا - مالونتريل»، وهما يتعلقان في جسيمات الهباء الجوي على شكل ضباب عند نشره. ولقد اضيفت الى غاز «CS-1» مادة «السيليكاجل» بنسبة (٥٠٪)، واحيطت جزيئات غاز «CS-2» بغلاف من مادة السيليكون، وذلك لزيادة تأثيرها. ويعتمد تأثير الغازين على حجم جسيمات الهباء (الدقائق التي يحملها الهواء) التي يتعلق بها، فإذا كانت هذه الجسيمات تزيد في دقتها عن (٥٠ ميكروناً) فإنها تؤثر على العيون اما اذا كانت تقل عن (٥٠ ميكروناً) فانها تصبح ذات تأثير مهيج وسام على الرئتين. وقد تمكنت المختبرات الاميركية من جعل جزيئات غاز الـ «CS-2» تعلق بجسيمات يقل حجمها عن (٥٠ ميكروناً)، الامر الذي يعتبر انجازاً تقنياً خطيراً بحد ذاته، اما اضافة السيليكون اليه فقد حسن خصائصه من حيث السيولة ومن حيث زيادة مدة بقائه في جو منطقة الهدف (عدة اسابيع). ولقد ابتكرت التقنية الاميركية معدات تقنية ذات فعالية عالية في نشر الغازات داخل الملاجيء الفيتنامية تحت سطح الارض، واهمها جهاز النبخ «مايتي مايت» Mighty Mite. ودمجت القوات الاميركية استخدام الاسلحة الكيماوية والاسلحة التقليدية المتطورة معاً لكي يصبح اي تحرك في منطقة الهدف متعذراً، ولايقاع الحد الاقصى من الخسائر بين صفوف الثوار والجماهير وممتلكاتها. ومن الأساليب التي طبقها الاميركيون قيام طائرات الهليكوبتر في ساعات الصباح الاولى بالتحليق عدة مرات فوق الحقول الزراعية التابعة لاحدى القرى الفيتنامية، ترش اثناءها مواد سامة يتشبع الجو بها وبرائحتها المزعجة المهيجة التي تسبب ضيقاً في التنفس. كما تقوم هذه الطائرات بإلقاء اكياس من البلاستيك تحوي غاز «CS» السام على دفعات تفصل بين الواحدة والاخرى دقائق قليلة، وفي الوقت نفسه تقصف بيوت السكان بنيران الرشاشات. وعندما يغادر الأهلون بيوتهم عند القصف متوجهين الى الملاجيء، تعود الطائرات لتقصف المنطقة بقنابل النابالم والفسفور المحرقة مما ينتج عنه حرارة شديدة تجبر الاهلين على الخروج من ملاجئهم فتأتي الطائرات مرة اخرى وتلقي عليهم مئات من القنابل المضادة للافراد. ويمكن ان يتغير ترتيب استخدام الاسلحة المستخدمة في الغارة وفق الاسلوب السابق، او قد يجري حذف واحد او اكثر منها، ولكن اثنين منها على الاقل يستخدمان معاً يكون احدهما على الدوام سلاحاً كيماوياً. ولقد قام الاميركيون

بشن هجمات منظمة ضد مأوى السكان العزل ، استخدمت فيها الاسلحة الكيماوية استخداماً متكرراً فوق مناطق غالباً ما تتصف بالكثافة السكانية العالية .

وتقدر كيات المواد الكيماوية المستعملة بما يساوي ٦ باوندات لكل فرد من سكان فيتنام الجنوبية . ولقد استهلك الاميركيون في فترة (١٩٦١ — ١٩٦٩) حوالي (٥٠٠٠٠) طن من مبيدات اوراق الشجر ، وما لا يقل عن (٧٧٠٠٠) طن من الغازات السامة . وفي العام ١٩٦٩ وحده استخدموا (٦٠٦٣٠٠٠) باوند من الغازات السامة منها (٣٨٨٤٠٠٠) باوند من غاز (CS-2) وحده . وتشير الارقام التي تسربت من مصادر اميركية في العام ١٩٦٨ الى ان مجمل المبالغ التي رصدت للانفاق على المبيدات النباتية في الموازنات المالية للاعوام ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ هي : ١٢,٥ ، ٣٣,٨ ، ٤٥,٩ مليون دولار على التوالي . في حين ان ما رصد للانفاق عليها في السنة المالية التي تبتدىء في تموز (يوليو) ١٩٦٨ بلغ ٧٠,٨ مليون دولار . واستهلك في فترة (١٩٦٣ — ١٩٦٨) ما يزيد عن ربع مليون طن من النابالم . وتبلغ مساحة الاراضي الفيتنامية التي تعرضت للرش بالمبيدات النباتية في فيتنام الجنوبية فقط ، حتى نهاية العام ١٩٧٠ ، حوالي المليوني فدان من مساحة ارض فيتنام الجنوبية البالغة ٨ ملايين فدان (الفدان مقياس للمساحة يساوي ٤٠٠٠ متر مربع) .

ولقد أثرت الحرب الكيماوية الاميركية في فيتنام على الانسان ، والبيئة ، والثروة الحيوانية والسمكية ، والتوازن البيئي الطبيعي .

اولا — تأثيرها على الانسان : بالاضافة الى الآثار القاتلة للغازات السامة (مثل غازات الـ CS) والغازات المعطلة (مثل غاز BZ والغازات المسيلة للدموع) ، فقد كان للمواد المبيدة للنباتات آثار بالغة الخطورة على الانسان الذي يتعرض لها ، تتمثل في انحطاط عام في القوى ، وعدم القدرة على انجاز الاعمال قد يستمر لعدة اشهر ، وضعف في قوة الابصار ، الامر الذي كانت له نتائج أليمة في بلد استوائي كفيتنام ، تكثر فيه امراض المناطق الحارة كالتراخوما (٨٠٪ من سكان هذه المنطقة مصابون بها) وامراض جلدية اخرى . واذا نظرنا الى هذه التأثيرات بمنظار طبي — اجتماعي وجدنا ان خطورتها تزداد بمضي الزمن وتعاقب الاجيال . ومن مظاهر ذلك الهجرة الجماعية من الريف الى المدن ، الامر الذي سبب تفشي الامراض السارية كالطاعون (في العام ١٩٦١ كان عدد الحالات المبلغ عنها لا يتجاوز ست حالات ، وفي العام ١٩٦٥ تصاعد الرقم الى ٤٥٠٠ حالة ، وفي العام ١٩٦٧ الى ٥٥٠٠ حالة) والكوليرا والملاريا . وكان للغازات المعطلة (مثل غاز BZ) تأثير مذهل من حيث الايذاء النفسي الذي كانت تحدثه في ضحاياها ، فقد تسبب في ايذاء اجهزة الشعور الواعي لدى المصابين مما افقدهم القدرة على تمييز الخطأ والصواب والمثل الخلقية ، الأمر الذي أدى الى وقوع مآس اجتماعية واخلاقية كثيرة . ولقد وجد ان للعوامل المبيدة للنباتات تأثيرات سمية في المصابين بها تتسبب في احداث تغيير وتدمير للعوامل والصفات العدائية ، وتتسبب بالتالي في ازدياد كبير في نسبة الشذوذ الوراثي ، والمواليد المشوهين والمتخلفين عقلياً . كما وجد ان معدل الشذوذ الوراثي في المناطق الفيتنامية التي تعرضت لعمليات الرش الكثيفة المتكررة بالمبيدات تبلغ عشرة اضعاف النسبة العادية . وهناك مخاوف جمة من حدوث طفرات كثيرة ضارة لا يمكن السيطرة عليها بين الاهالي الذين يعيشون في تلك المناطق بسبب تناولهم المستمر للاطعمة الملوثة ، ذلك ان هذه السموم تترسب في الجسم وتبقى فيه ويظهر اثرها في الاجيال المتعاقبة القادمة في صورة اطفال مشوهين جسمانياً وعقلياً .

ثانياً — تأثيرها على البيئة : تشكل النباتات والاوراق النباتية ٨٠٪ من غابات فيتنام ، والقضاء عليها يعني القضاء على المصدر الاساسي للثروة الطبيعية ، ويعني من ناحية ثانية الاخلال بالميزان الطبيعي لمخزون المياه في تلك البلاد . ويترتب على ذلك حصول فيضانات عنيفة لا تجد ساتراً يمنعها من اغراق السهول والمناطق الزراعية الآهلة بالسكان والمخصصة لزراعة الارز (الغذاء الرئيسي للشعب الفيتنامي) . وتشير بعض الاحصائيات إلى أن ٤٤٪ من الغابات اصيبت باضرار جسيمة ، و ١٣,٢٪ من ارض فيتنام اصيبت باضرار نتيجة تعرية النباتات من اوراقها ، و ٢٥٪ من الغابات تعرضت للرش بالسموم الكيماوية اكثر من مرة ، و ٦٥٪ من الغابات التي تسقط اوراقها جزئياً تم تدميرها بفعل عمليات الرش بالمبيدات الورقية ، و ٤٠٪ من اشجار الصنوبر احترقت بفعل القنابل الحارقة .

ومما ينبغي حسابه ايضاً اثناء تقييم الاضرار ، هو ان الغابات الفيتنامية كانت زاخرة بالحياة الحيوانية بما في ذلك بعض الانواع المحلية النادرة . وقد أدى تدمير البيئة الطبيعية التي تعيش فيها الى انقراض العديد من هذه الانواع ، وهجرة الانواع الاخرى ، وعلى الاخص الطيور التي حرمت هي ايضاً من النباتات واوراق الاشجار التي تعيش بينها وتقتات منها . ان هذه النتيجة ، بخلاف ما تتضمن من اخلال ظاهر بالتوازن الطبيعي للمنطقة ، فانها تتضمن ايضاً خطراً حقيقياً من حيث نقل وتكاثر الامراض المختلفة التي تصيب هذه الحيوانات الى مناطق اخرى تخلو منها .

وبالاضافة الى الثروة الطبيعية ، فقد شنت الولايات المتحدة حرباً كيماوية ضد الثروة الزراعية في فيتنام ، مستهدفة بشكل خاص محصول الارز ، الغذاء الرئيسي لشعوب الهند الصينية ، والذي يشكل حلقة اساسية تربط بين الارض والقرية . وكان الاميركيون يختارون الفترة التي تسبق تكون حبوب الارز مباشرة ، ويبدأون بها رش الحقول ، مما كان يتسبب في هلاك نسبة كبيرة تتراوح بين ٦٠ — ٩٠٪ من محصولها . وبالاضافة الى ذلك فإن استعمال العوامل الكيماوية العديدة في الوقت نفسه كان يتسبب في انخفاض القيمة الغذائية لما تبقى من المحصول ، حيث انها كانت تحدث انخفاضاً في نسبة البروتين وزيادة في نسبة مادة النشاء في الحبوب . وقد اصيبت ، بالاضافة الى الارز ، انواع اخرى من المزروعات كالذرة والبطاطا الحلوة والموز واليوكا باضرار كبيرة .

ونتيجة للحرب الكيماوية اصيبت التربة الزراعية ايضاً باضرار كبيرة ، كزيادة سرعة تآكلها وتعريتها ، وبالتالي ضآلة انتاجها الذي تستتبعه نتائج تعيق التطور الاقتصادي لدولة فقيرة كفيتنام تعتمد على خصوبة ارضها وثروتها الزراعية كمصدر اساسي للدخل القومي . كما أن المبيدات الكيماوية ، التي جرى رشها بكميات كبيرة فوق اراضي فيتنام ، اخترقت الطبقة السطحية للتربة ، وتسببت في هلاك البكتيريا والكائنات الدقيقة التي تلعب دوراً مفيداً في علاقة التربة بالنبات . وأدت الحرارة العالية (٢٠٠٠ درجة مئوية او اكثر) التي تعرضت لها التربة نتيجة إلقاء كميات هائلة من النابالم والفسفور والمغنيسيوم الى حرق الاشجار والنباتات ، واختراق التربة الى عمق عدة سنتمترات مما أدى الى تكلس وتماسك التربة وقتل الحياة النباتية والحيوانية المفيدة فيها .

ثالثاً — تأثيرها على الثروة الحيوانية والسمكية : كان للعوامل الكيماوية وللمبيدات النباتية آثار سامة على الحيوانات ، نشأت من شدة تركيز هذه العوامل التي تعرضت لها ، ومن تناولها لجرعات منها مع غذائها اليومي . وقد وردت تقارير عديدة تضمنت وصفاً لحالات موت جماعي للخنازير والثيران والابقار

والطيور في المناطق التي تعرضت للرش الكثيف المتكرر. اما الحيوانات التي لم تنفق نتيجة عدم تعرضها لجرعات قاتلة، فقد عاشت هزيلة ضعيفة، كما لوحظ ازدياد حالات الاجهاض ازديادا كبيراً بين كثير من انواع هذه الحيوانات نتيجة ذلك. وهلكت كميات كبيرة من الاسماك التي تعيش في الانهر والبحيرات الفيتنامية التي تعرضت للاصابة المباشرة بالمواد السامة. واصيبت النباتات المغمورة بالمياه (وهي الاساس الذي تعيش عليه الحياة المائية) باضرار جسيمة، مما ادى الى اضمحلال في مظاهر هذه الحياة. كما اصيبت باضرار مشابهة الاسماك التي تعيش في مياه البحر وبخاصة تلك التي تعيش بالقرب من مصبات الانهار.

رابعاً – اثرهـا على التوازن البيئي الطبيعي: أدى استخدام الاميركيين لكميات هائلة من اسلحة الحرب الكيماوية إلى حدوث تغيرات كبيرة في التوازن البيئي (بعبارة اخرى التغيرات التي اصابت البيئة الطبيعية من حيث المناخ ومن حيث علاقة الكائنات الحية والبيئة المحيطة بها). ففي مناطق واسعة من ارض فيتنام حدثت تغيرات في كية الامطار التي تهطل موسمياً. كما حدثت تغيرات كبيرة في درجات الحرارة في مختلف طبقات الجـو، وخصوصاً في الطبقات القريبة من سطح البحر. ومن ناحية ثالثة فإن المياه المنسابة على سطح الارض لم تعد تجد العوائق التي كانت تخفف سرعة انسيابها، فارتفعت حرارتها. كما أصيب تركيب التربة بتبـدلات كبيرة من الحرائق والرش بالكيماويات السامة.

(٧) حرب المائة عام (١٣٣٧ – ١٤٥٣)

هي الصراع الدامي الذي دار على الأراضي الفرنسية بين جيوش المملكتين الفرنسية والانكليزية طوال مائة عام من أجل انتزاع الأراضي الفرنسية الخاضعة لملك انكلترا، وإعادتهـا إلى التاج الفرنسي. ولقد انتهت بتحقيق هذا الغرض.

تطرح حرب المائة عام Guerre de Cent ans بالاضافة الى اهميتها العسكرية والسياسية، مسائل هامة بالنسبة للمؤرخين. ويتجاوز موضوع اسباب هذه الحرب وجذورها موضوع السؤال عن المسؤوليات وبالتالي التفسيرات السياسية والجغرافية والبشرية التي اعتمدت، ويطرح تفسيراً في العمق يتطرق الى المصالح والعقليات في تلك المرحلة (عقلية العصر والحكومات الملكية) والطبقات المسيطرة (النبلاء يليهم البورجوازيون ثم عامة الشعب). كما ان موضوع التقويم الديموغرافي والاقتصادي والمعنوي يدخل في صلب المشكلة الكبرى لما سمي «بأزمـة القرن الرابع عشر». ومن المؤكد أن هذه الحرب كانت عاملا مؤثراً في تلك الأزمة، وسط العوامل الاخرى (المجاعات، الطاعون ... الخ)، وفي غمرة تبدل البنيات الاجتماعية والاقتصادية والادارية، وإبان فترات الهجرة وإعادة التشكيلات السكانية وتبدل خارطة الانتاج والاستهلاك وتفاقم الحساسيات السياسية. كما أنها لعبت دوراً هاماً في تحول كل من فرنسا وانكلترا الى دول حديثة: تدعيم الملكية، إقامة الجيوش، فرض الضرائب المنتظمة، سيطرة الشعور القومي.

ولقد رأى المؤرخون لفترة طويلة من الزمن، ان حرب المائة عام هي نتيجة نزاع معقد بين الأسر الملكية الحاكمة في ظل الاقطاع الذي يرقى عهده الى تاريخ زواج هـنري بلانتاجونا Henri Plantagenet وأليـنـور أكيتـين Alienor d'Aquitaine مطلقة ملك فرنسا لويس السابع (١١٥٢)، الذي أصبح في العام ١١٥٣ ملك انكلترا تحت اسم هنري الثاني، وصار أقوى من ملك فرنسا الذي انتزعت منه عدة اقطاعات منها النورماندي Normandie، وتورين Touraine، والمـين Le Maine، والأنجـو l'Anjou، والاونيس l'Aunis، وبواتو Poitou، والسنتونج La Saintonge، والغوين La Guyenne. وبعد نزاعات عديدة وطويلة تمكن فيليب أوغوست Philippe Auguste ملك فرنسا أن يستعيد من ملك انكلترا القسم الأكبر من ممتلكاته الفرنسية، وذلك في اوائل القرن الثالث عشر. وبنتيجة معاهدة باريس (١٢٥٩) أعاد له سان لويس Saint Louis ملك فرنسا بعض الأراضي، واعترف له بحق التمتع بمقاطعة الغوين، على أن يعطي ملك انكلترا لملك فرنسا الحق في السيادة على هذه المقاطعة. وفي الوقت الذي كان فيه امراء انكلترا مستائين من هذه الاقطاعية ولم يكونوا قد نسوا بعد ممتلكاتهم في فرنسا، كان ملوك فرنسا منذ العام ١٢٩٤ يحاولون استعادة الغوين من الانكليز بطرق غير مشروعة احياناً.

وفي العام ١٣١٦ توفي ملك فرنسا لويس العاشر دون ان يكون له وريث ذكر. فقلمت جمعيات من الوجهاء المرموقين (١٣١٦ و ١٣٢٢) بتأمين التاج لولدي الملك «فيليب لوبيل» المدعوين فيليب الخامس وشارل الرابع. وبعد موت شارل الرابع (١٣٢٨) تآمر ملك انكلترا «ادوار الثالث» الابن الاصغر «لفيليب لوبيل» من أمه على التاج الفرنسي ضد «فيليب دي فالوا» Ph. de Valois ولكن جمعية جديدة فضلت عليه «فيليب دي فالوا» الذي يبلغ عمره ٣٥ عاماً (وكان والده قد لعب دوراً سياسياً هاماً في فرنسا) سيما وانه مولود في المملكة الفرنسية. وكان من نتيجة ذلك ان بعث الشعور القومي الذي تكرس في حرب المائة عام (ولم يكن القـانون الساليكي Loi Salique الذي يحرم النساء واولادهن من التتابع على عرش فرنسا قد أعلن بعد). وبعد تردد طويل وفور اثبات حقه الشرعي في ولاية عرش فرنسا مجدداً، أعلن ملك انكلترة «ادوار الثالث» (١٣٢٩) اخضاع الغوين. وعاد النزاع لينشب بين الملكين من جديد.

وفي العام ١٣٣٧ أعلن فيليب السادس ملك فرنسا كما فعل قبله «فيليب لوبيل» و «شارل الرابع» وضع اليد عـلى الغوين. ويرى بعض المؤرخين خلال الحرب التي اندلعت منذ ١٣٣٨ ان ادوارد الثالث اتخذ من قضية الغوين حجة لتغطية مطامعـه في عرش فرنسا، في حين يرى مؤرخون آخرون عكس ذلك، فلم يكن التتويج على العرش الفرنسي الا وسيلة للتمكن من امتلاك الغوين امتلاكاً كلياً. والحقيقـة أن الأطماع الانكليزية في فرنسا قد تبدلت حسب تبدل الملوك ووفقاً للفترات الزمنية. ولكن المؤرخين المحدثين يضعون في مقدمة اسباب النزاع الخصومة الفرنسية – الانكليزيـة في ايقوسيا Ecosse وبريتـاني Bretagne وعـلى وجه الخصوص في الفلاندر Flandre. ولئن كانت هـذه الاسباب مجتمعة قد قوت النزاع الفرنسي – الانكليزي فانها لم تكن هي السبب الرئيسي. فقد بين «فيليب ولف» Philippe Wolf ان السبب الرئيسي لحرب المائة عام هو التطور الذي أدى في اول القرن الرابع عشر الى الوحدة الفرنسية. ويبدو ان هذا السبب غير مقنع، لأن فرنسا لم تكن في العام ١٣٢٨ قد توحدت بعد، كما ان الدور الذي اعطي لانكلترا لم يكن سوى دور سلبي في تطور الوحدة الفرنسية.

وليس من الممكن البحث عن الاسباب الجذرية لحرب المائة عام في العالم الاقطاعي السائر في طريق الزوال، بل في ردات الفعل التي احدثتها تحولات هذا العالم والتي سماها المؤرخون ازمات القرن الرابع عشر. ففي فرنسا كما في انكلترا كان النبلاء يبحثون عن توازن جديد لمواجهة تقدم الاقتصاد النقدي، وتغيرات الدخل الاقطاعي، ونمو المـدن، ومفاهيم السلطة الملكية، فلم يجدوا الا الحرب وسيلة لحل مشاكلهم مهما كانت الاسباب والنتائج والحروب التي امتدت

خلال اكثر من مئة عام. وساندت الاقطاعيين، على ضفتي بحر المانش، جماعات منظمة وغير منظمة، وجماهير الشعب التي حطمتها التحولات النقدية والامراض والاوبئة والمجاعات واعمال النبلاء والاقطاعيين والرأسمالية التي تولدت مع البورجوازيين فاعطى هذا المناخ المضطرب والمصطنع الصراعات الاجتماعية والقومية في العالم المسيحي. واذا صح هذا الافتراض أمكننا أن نشبه به سائر الاحداث المماثلة التي تفشت في العالم المسيحي بأسره، من صراع بين المناطق والممالك، والحروب الأهلية، والاحداث الاجتماعية التي حصلت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر في شبه الجزيرة الايبرية (اسبانيا والبرتغال)، وفي ايطاليا وبوهيميا وبولونيا ضد النظام التوتوني Ordre Teutonique، وفي اسكندينافيا، وحتى داخل الكنيسة نفسها.

عندما احتل فيليب السادس ملك فرنسا الغويين في ٢٤ مايو (أيار) ١٣٣٧، رد عليه ادوار الثالث ملك انكلترا بالمطالبة بحقه الشرعي في ملكية فرنسا. ولقد وضع هذا الصراع اساس النزاع بين اكبر مملكتين في الغرب. فبعد انهيار الامبراطورية الرومانية المقدسة قامت على انقاضها هاتان القوتان المزدهرتان (فرنسا وانكلترا)، والآهلتان بالسكان، واللتان تنتميان الى حضارة واحدة ومثل عليا واحدة، وتتميزان بنفس المستوى التقني ونفس التكوين الاجتماعي والحكومي والاداري. فقد كانت انكلترا تعد أربعة ملايين من السكان تقريباً، ولكن طابع الريف كان غالباً عليها. وكانت السيطرة التجارية فيها لفئات من الغرباء (الايطاليون والفسكونيون والفلامنديون والألمان)، ولكنها كانت تتمتع بادارة محلية ممتازة وبنظام حكم متوازن بين الملك والبرلمان. إذ كان الملك يتمتع بمصادر تمويلية كبرى وجيش محترف ممتاز يتألف من المتطوعين وفق أنظمة دقيقة أو من رجال يتم تجنيدهم من الكونتيات سواء من أصل ارستقراطي أم من عامة الشعب. اما فرنسا فكانت تعد خمسة عشر مليون نسمة، وتتمتع باقتصاد متوازن وموارد اقتصادية اكبر من مصادر انكلترا. وبذلك كان في وسعها إنشاء جيش اكبر عدداً من جيش الانكليز. ولكن وحدتها لم تكن قد تمت (فرنسا الشمالية وفرنسا الجنوبية) وكان انتساب الطبقات المدينية والشعبية الى الادارة والجيش محدوداً.

وفي العام ١٣٤٠، قام ادوارد الثالث ملك انكلترا يسانده الفلامانديون بتحطيم الاسطول الفرنسي قرب مرفأ Brygers, Ecluse. ثم قاد في صيف ١٣٤٦ معركة كبرى وسحق الفرنسيين في كريسي Crecy في ٢٦ آب (اغسطس) ١٣٤٦، واحتل مدينة كاليه Calais (١٣٤٧) بعد حصار دام أحد عشر شهراً. ولكن وباء الطاعون الذي انتشر في العام ١٣٤٨ اطال فترة توقف العمليات الحربية حتى ١٣٥٥، وهي السنة التي ظهر خلالها الامير «برنس دوغال» الذي سمي فيما بعد بالامير الاسود، وقام بحملة من بوردو الى ناربون كما قام بحملة اخرى (١٣٥٦) من بوردو نحو الشمال، ولكنه هوجم في ١٩ كانون الثاني (ديسمبر) في Manpertuis قرب بواتييه من قبل ملك فرنسا «جان الثاني لو بون (الطيب)» Jean II le Bon الذي أصيب بنكسة اكبر من نكسة كريسي وأسر. وفي العام ١٣٦٠ وقع ادوار الثالث معاهدة بريتيني Bretigny في كاليه بعد أن فشل في حملته الهادفة الى تكريس قدسيته الدينية في ريمس Reims (١٣٥٩)، وبهذا استولى ادوار الثالث على ثلث فرنسا تقريباً، وقبض فدية كبيرة مقدارها ثلاثة ملايين سبيكة ذهبية، أي ما يعادل دخل ملك فرنسا لمدة سنتين، وذلك لاطلاق سراح «جان لوبون». وقد كان تخلي ملك فرنسا عن الاراضي المنتزعة منه وتخلي ملك بريطانيا عن التاج الفرنسي امراً متوقعاً بعد تسليم الاراضي المحتلة، كما ان مسألة بروتاني والفلاندر ونافار قد سويت حبياً، وقد أوجد ذلك كله توازناً جديداً في الغرب الأقصى من المنطقة.

وكان تسليم الاراضي المحتلة أبطأ مما اتفق عليه الطرفان، ولم توقع صكوك التخلي عن الاراضي من قبل ادوار الثالث أو جان الثاني. وبذلك بقي احتمال الحرب وارداً. وكذلك فقد طالت مدة دفع فدية الملك بعد اطلاقه منذ تسلم الدفعة الاولى منها في تشرين الاول (اكتوبر) ١٣٦٠، وعاد جان لو بون الى لندن في كانون الثاني (يناير) ١٣٦٤، حيث مات فيها في ٨ نيسان (أبريل).

كان الامير برنس دوغال (الامير الاسود) قد أرهق اتباعه وسائر المواطنين الفرنسيين بالضرائب، فقام أحدهم (الكونت دارمنياك Conte d'Armagnac) واستدعى شارل الخامس ملك فرنسا الذي نال موافقة القضاة الفرنسيين والايطاليين، واعلن في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٣٦٨ احتلال مقاطعة اكيتين Aquitaine، كما ان ادوارد الثالث اعاد لقب ملك فرنسا، فعادت النزاعات في اول العام ١٣٦٩.

ولكن شارل الخامس أحسن تنظيم الموارد المالية للمملكة الفرنسية، وجند عدة جيوش صغيرة من المقاتلين الاختياريين بامرة قادة مطيعين، واتخذ خطة تكتيكية جديدة تعتمد على حرب الحصار والمناوشات وتجنب المعارك النظامية واغراء العدو بالقيام بحملات. وكان مبدؤه «منطقة منهوبة افضل من ارض ضائعة». وقد كان لهذا التكتيك نتائج حسنة على الصعيد السياسي، ولكنه جر قسماً كبيراً من فرنسا الى مذابح ومآس عانى منها اتباع شارل الخامس انفسهم. وكانت هذه المرحلة هي الأكثر خراباً على الصعيد المادي والبشري في فرنسا. وبين ١٣٦٩ و ١٣٧٥ استعاد الفرنسيون (بمساعدة الاسبان الكاستيليين) من الانكليز وحليفهم ملك النافار اكبر قسم من ممتلكاتهم، باستثناء كاليه وشيربور وبرست وبوردو وبايون وبضعة قلاع جنوبي كتلة الجبال المركزية. وقد عقدت عدة معاهدات وهدنات بين ١٣٧٥ و ١٣٧٧ ولكنها لم تؤد الى اية نتائج ايجابية.

لقد تجلى عجز الملكين الجديدين ريشارد الثاني ملك انكلترا (اعتباراً من ١٣٧٧) وشارل السادس ملك فرنسا (اعتباراً من ١٣٨٠) بالصعوبات المتعددة التي ظهرت في كل من البلدين، بسبب تضاعف الضرائب التي فرضها الاقطاعيون بدافع من مطامعهم الشخصية. وانفجرت ثورة فلاحية كبرى في بريطانيا (١٣٨٠)، وقامت هزات مماثلة في فرنسا. ولكن اعمام شارل السادس تمكنوا من تثبيت الاوضاع في فرنسا بشكل افضل مما قام به ريشارد الثاني الذي خضع لضغوط البارونات الانكليز الذين كانوا يهدفون الى وضع الملكية تحت الوصاية. وهذه الصعوبات، مضافاً اليها الحملات الفاشلة التي قام بها الانكليز، دفعتهم الى عقد هدنات سنوية مع الفرنسيين من ١٣٨٨ حتى ١٣٩٥، ثم هدنة عامة (١٣٩٦). وكان من المفترض ان تدوم هذه الهدنة حتى العام ١٤٢٦ مؤمنة سلاماً مقنعاً، ولكنها دامت بالرغم من المؤامرات عليها حتى العام ١٤٠٤ فقط. وقد اخلى ريشارد الثاني شيربور (١٣٩٤) وبرست (١٣٩٧)، وكان يتوق الى الصلح مع ملك فرنسا الذي بالرغم من عجزه واصابته بالجنون (١٣٩٢) بقي حكمه اكثر توازناً من حكم ملك انكلترا.

وفي العام ١٣٩٦ تزوج ريشارد الثاني من ايزابيل ابنة ملك فرنسا. وكان شارل السادس ملك فرنسا مدعوماً من شقيقه لويس ومن قدامى مستشاري والده واعمامه والبارونات الذين اعيدوا الى السلطة بعد جنون الملك وكانوا ينظرون الى ابعد من الممتلكات البريطانية ويطمحون بايطاليا واوروبا الشرقية التي هاجمها العثمانيون (خراب نيكوبوليس

Nicopolis ١٣٩٦) . وكان ميل النبلاء الى الحرب والمشاعر الشعبية المضادة للفرنسيين في انكلترا والمشاعر المضادة للانكليز في فرنسا ، وعدم التفاهم على شروط سلم خطي متفق عليه ، كل ذلك كان باعثاً لمخاطر دائمة بين البلدين . ويبدو ان كفة الحرب قد مالت عندما خلع ريشارد الثاني من قبل ابن عمه هنري اوف لانكستر Henri of Lancastre رئيس الحزب الثائر (١٣٩٩) الذي بقي حذراً بعد الانقلاب .

وفي العام ١٤٠٤ بدأ الفرنسيون العمليات الحربية مستفيدين من ثورة الغاليين Gallois على الانكليز ، ولكنهم فشلوا في الغويين تماماً ، كما فشل حليفهم دوق برغونيا امام كاليه Calais . وهكذا تميزت السياسة الفرنسية على الفور بالعداوة بين دوق بورغونيا (جان سان بور Jean Sans peur) ودوق اورليان (لويس دورليان Louis d'Orleans) فاغتال الاول خصمه الثاني (١٤٠٧) ، وتغلب على البورجوازية الباريسية ، وتمكن من تسيير سياسة المملكة الفرنسية ، ولكن اخصامه تجمعوا بقيادة الكونت برنارد دارمنياك Bernard d'Armagnac والد زوجة شارل اورليان وهو ابن الدوق القتيل وسيطروا على نصف المملكة .

وفي العام ١٤١١ استنجد جان سان بور بهنري الرابع ملك انكلترة ضد الأرمنياك الذين وعدوا ملك بريطانيا بقسم كبير من الأراضي الفرنسية. وفي العام ١٤١٢ قاد الانكليز حملة من شيربور الى بوردو لم تلق أية مقاومة ، وتمكن جان سان بور من الفتك بالارمنياك في باريس التي كان اهلها يدعمونهم . واصدر قانوناً لاصلاح المملكة الفرنسية سمي قانون «كابوشيان» ، عندئذ أصاب الذعر أغنياء باريس ، واستنجدوا بالارمنياك الذين الغوا هذا القانون وزرعوا الرعب في باريس وانحسر تأييدهم الشعبي بقوة . وبموت هنري الرابع (١٤١٣) أرسل ابنه هنري الخامس ملك انكلترة انذاراً للفرنسيين مطالباً بالأراضي الضائعة في بريتينيي Bretigny ونورماندي ، وطالباً يد كاترين ابنة شارل السادس ملك فرنسا ومبلغ ثلاثة ملايين وستمائة ألف فرنك فرنسي ، وهو ما تبقى من فدية ومهر كاترين . وازاء تقاعس الفرنسيين بدأ هنري الخامس الحرب ، وهزم جيشاً فرنسياً قوياً في أزينكورت Azincourt (٢٥ تشرين الأول ١٤١٥) وحصل على دعم الامبراطور ودوق برغونيا ، وادعى لنفسه الحق بعرش فرنسا ، وهاجم النورماندي (١٤١٧ – ١٤١٩) .

وقد توفي خلال هذه النزاعات جان لو بون في ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٤١٩ . ومنذ ذلك الحين ادرك هنري الخامس انه لم يعد من أمل في الصلح بين البورغونيين والأرمنياك . لذلك فرض على دوق برغونيا الجديد فيليب لو بون Philippe le Bon وعلى الملكة إيزابو – المدعومين من قبل المستشارين الملكيين ومن الباريسيين – معاهدة Troyes في ٢١ أيار (مايو) ١٤٢٠ ، التي نزعت بموجبها الوراثة عن زعيم الأرمنياك ولي العهد شارل Dauphin Charles لصالح هنري الخامس الذي تولى الوصاية على المملكة قبل ان تؤول الى شارل السادس،والذي كرس انفصال المملكتين الفرنسية والانكليزية اللتين كان يحكمهما ملك واحد من قبل . وبعد موت هنري الخامس في ٣١ آب (أغسطس) ١٤٢٢ وشارل السادس في ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٤٢٢ ، عين هنري السادس وهو طفل عمره عدة شهور ملكاً لفرنسا وانكلترا معاً . وهكذا تمكن عمه الدوق «أوف بدفورد» من الوصاية على فرنسا دون أية صعوبة ، ولكن الغلبة كانت أبعد من أن تكون للانكليز . في اليوم الثاني من معاهدة Troyes أعلن ولي العهد شارل بطلان المعاهدة ، وحصل على تأييد فرنسا بكاملها ما عدا الغويين . وعند موت والده أعلن نفسه ملكاً تحت اسم شارل السابع .

ومنذ العام ١٤٢٣ حتى العام ١٤٢٨ لم يحقق الانكليز الا انتصارات عسكرية صغيرة غير مضمونة النتائج ، على حين تمكن شارل السابع من شل حركة دوق برغونيا . وفي العام ١٤٢٨ قرر الانكليز القيام بعمليات حاسمة ضد شارل السابع . وبدلا من مهاجمة مقاطعة أنجو كما كان يأمل بدفورد ، قام العسكريون الانكليز في ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) بحصار اورليان ، وهي مفتاح العبور بين اللوار وبيري ، ولكنهم اصطدموا بعقبات عديدة ، وكان شارل السابع في هذه المرحلة عرضة للمؤامرات والسرقات ، وكان هو نفسه يشك بحقه الشرعي في الملكية . وكان حصار اورليان حاسماً بالنسبة الى الفريقين ، على الصعيدين النفسي والعسكري . وساعد شارل السابع تدخل جان دارك Jeanne d'Arc لخلاص أورليان في ٨ أيار (مايو) ١٤٢٩ . وهكذا وجد بدفورد نفسه عاجزاً عن القيام بعملية هجوم معاكس ، وعاجزاً عن اعادة المراكز المحتلة من قبل شارل السابع في شمالي اللوار ، وعن استمرار بقاء دوق برغونيا في الحلف الانكليزي . ولكن صلح آراس Arras ٢١ ايلول (سبتمبر) ١٤٣٥ أعاد الوئام بين دوق برغونيا وشارل السابع . واستعاد شارل السابع باريس في ١٣ نيسان (أبريل) ١٤٣٦ ، ولكنه اضطر الى قمع ثورة النبلاء الكبار Grands Seigneurs ١٤٤٠ – ١٤٤١.

وعلى أثر ذلك عقدت معاهدة عامة في تور (١٤٤٤) . وبعد أن تمكن شارل السابع من إعادة تنظيم جيوشه (١٤٤٥ – ١٤٤٨) ، نقض المعاهدة في العام ١٤٤٩ ، وهاجم النورماندي في الفترة الواقعة بين آب (أغسطس) ١٤٤٩ وآب (أغسطس) ١٤٥٠ ، حيث حقق انتصار فورميني Formigni (١٤ نيسان ١٤٥٠) ، كما هاجم الغويين (١٤٥٠ – ١٤٥٣) وحقق انتصار كاستيون Castillon (١٧ تموز ١٤٥٣) ، ثم انتصر بعد ذلك في بوردو (١٩ تشرين الاول ١٤٥٣) .

كان الفرنسيون يخافون من عودة الحروب الانكليزية . ولكن جنون هنري السادس ملك انكلترة ، وقيام حرب الوردتين حالا دون قيام الانكليز بذلك . وهكذا ولدت انكلترا جديدة ليس من شأنها الاهتمام بفرنسا مطلقاً . وقد عمل ادوار الرابع ملك انكلترا آنذاك بمعاهدة Pequigny التي وقعت في العام ١٤٧٥ مع لويس الحادي عشر على تصفية المملكة المزدوجة ، وانهى حرب المائة عام ولم يحتفظ من الأراضي الفرنسية الا بمدينة كاليه .

إن من الصعب تقييم حرب المائة عام خلال التطورات الجذرية التي حصلت في فرنسا وانكلترا بين ١٣٣٧ و ١٤٥٣ او (١٤٧٥) فالميزان المالي كان ايجابياً في انكلترا ، على حين شكل الخراب وتكاليف الحرب أزمة اقتصادية في فرنسا . وعلى صعيد التعبئة الاجتماعية فقد كان لهذه الأزمة أثر بالغ في كل من فرنسا وانكلترا على السواء . اما على الصعيد السياسي والاداري والتنظيم العسكري فقد كانت الملكية الفرنسية هي المستفيدة . ولكن الحرب ، من كلا الطرفين ، أخرت بمقدار كبير تقدم المركزية الملكية في اوائل القرن الرابع عشر . والحقيقة ان حرب المائة عام كانت على جميع الأصعدة عاملا مساعداً للتغيير دون أن تكون هي العامل الأساسي لهذا التغيير .

(٤) حرب محدودة

صراع مسلح بين طرفين يمارس خلاله أحد الطرفين على الاقل تقييداً معيناً على نفسه في استخدام

أنواع معينة من الاسلحة خلال الصراع ، أو في اختيار الاهداف التي يهاجمها ، أو في تحديد المناطق التي يجري القتال فيها ، أو في تحديد مدى العنف الذي يمارسه ، أو في زمان هذا العنف .

وقد يعتبر هذا النوع من الحروب محدوداً من قبل الطرف الاقوى الذي يمارس الحرب ضمن حدود معينة بينما يعد حرباً شاملة من قبل الطرف الاضعف الذي توجه ضده ، وذلك كما يوضح مثلي كوريا وفيتنام ، حيث كانت الحرب في كل منهما حرباً محدودة بالنسبة للولايات المتحدة،وحرباً شاملة بالنسبة لكل من الشعبين المذكورين .

ولكن محدودية الحرب لا تعني بالضرورة محدودية الاهداف السياسية لأي أو لكلّ من الطرفين المتصارعين ، فقد تكون هذه الاهداف محدودة أو كبيرة ،ولكن أحد الطرفين لا يرغب – لأسباب سياسية تحد من حرية عمله العسكري تتصل غالباً بعوامل الموقف الدولي – في تصعيد العنف إلى أقصى حد يمكن أن توفره امكاناته المادية ، على حين أن الطرف الآخر لا يمكّنه ضعف امكاناته العسكرية من تحويل الحرب إلى حرب شاملة ضد خصمه .

وقد ظهرت استراتيجية الحرب المحدودة عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية كنظرية متكاملة وأسلوب واسع التطبيق نسبياً من جانب الولايات المتحدة الامريكية وقادتها ومفكريها العسكريين أمثال الجنرال ماكسويل تايلور (انظر ماكسويل تايلور)،واعتبرت هذه الحرب كمخرج من مأزق الدخول في حرب شاملة نووية صاروخية تؤدي إلى الدمار المتبادل (انظر استراتيجية الحرب المحدودة) .

(٣) الحرب المحدودة الشديدة

من الممكن اليوم خلافاً لاستراتيجية الخمسينيات قيام حروب محلية تتسم بكل الصفات المتباينة الدقيقة التي تتسم بها الحرب العامة ، في مساحة جغرافية محدودة الرقعة ، مع استخدام أسلحة تقليدية فقط (كوريا ، فيتنام) ، أو ذرية تكتيكية ، أو استراتيجية ، أو هيدروجينية . وقد عمدها الامريكيون باسم «الحروب المسرحية» ، التي تستند الى وجود دول من «المحرمات» التي لا يجوز المساس بها .

(٥) الحرب المحلية

إن تعبير الحرب المحلية Local War ، هو في الاصل تعبير سوفياتي يقصد به جميع النشاطات القتالية التي تدور داخل منطقة معينة ، محددة ويعترف بها كلا الجانبين المتحاربين . وتستخدم في هذه الحرب جميع انواع الاسلحة بما في ذلك الاسلحة النووية .

وينص المذهب السوفياتي الرسمي على استعمال الاسلحة النووية في ميادين القتال في المراحل الاولى لأي حرب تنشب بين قوات حلف وارسو وقوات حلف شمالي الاطلسي في الساحة الاوروبية . والحقيقة ان هذا هو المجال الوحيد لتطبيق هذا النوع من الحروب ، ولا تذكر المنشورات العسكرية السوفياتية اي ميدان آخر لتطبيقه .

اما المذهب الغربي فينص على مرحلة صد غير نووية . ولا يتعارض هذا من الناحية العملية مع المذهب السوفياتي ، حيث يبدو ان استخدام الاسلحة النووية سيكون وسيلة اخيرة من وسائل هذه الحرب ، والدليل على ذلك الاعداد الضخمة من القوات والمدافع والدبابات والطائرات (انظر حلف وارسو) التي تحتفظ بها قوات حلف وارسو على مسرح العمليات المحتمل لهذا النوع من الحروب .

(٤) حرب مركزية

اصطلاح حديث يقصد به حالة نشوب صراع مسلح بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية ، سواء استخدمت فيه الاسلحة النووية أو لم تستخدم ، وهو يعني في الاستخدام العملي المجابهة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة أو بين حلفاء أي منهما بينما تقف كل من الدولتين الكبيرتين وراء حليفتها أو حلفائها بصورة غير مباشرة . ويستخدم اصطلاح «الحرب العامة» للتعبير عن حالة الحرب المركزية التي يجري استخدام كافة الاسلحة فيها بما في ذلك الاسلحة النووية.

(٥) الحرب المضادة للغواصات

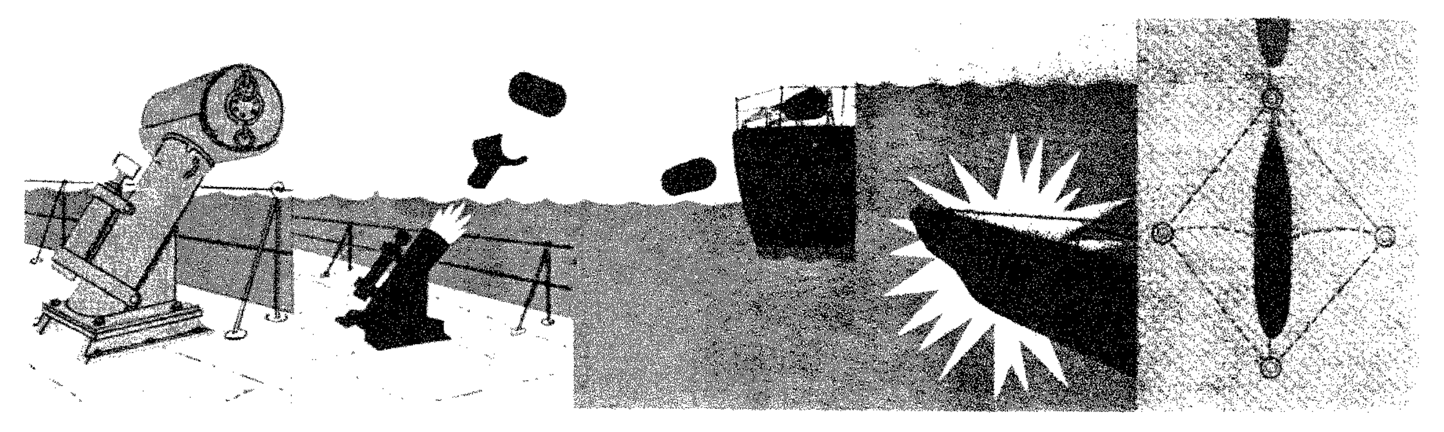
الحرب المضادة للغواصات Anti submarine warfare ، هي مجموعة العمليات الحربية التي تهدف الى كشف الغواصات وتدميرها ، او اعاقة عملها ومنعها من تنفيذ مهمتها . وذلك ضمن اطار الاستراتيجية العسكرية العامة ، والخطط الحربية البحرية ، بمعنى انها ليست حرباً منفصلة لها اهدافها الخاصة ، بل هي امتداد وفرع لاحد اشكال الحرب .

لم يكن للغواصة اية اهمية حربية فعلية حتى الحرب العالمية الاولى ، الا انها سرعان ما احتلت مكانة مرموقة كسلاح فعال يستخدم خاصة لقطع خطوط المواصلات البحرية ، وفرض السيطرة على البحار (انظر الغواصة ، وحرب الغواصات) وتطلب ذلك ايجاد وسائل فعالة لمكافحتها تختلف تماماً عن كل الوسائل الاخرى المستخدمة لمقاومة انواع السفن والمراكب الاخرى .

وقد اتخذت الحرب المضادة للغواصات شكل حوار شديد ومتواصل بين عدة عوامل تقنية وتكتيكية . والحقيقة ان التطور التقني الكبير الذي مرت به الغواصة الحربية خلال اقل من نصف قرن ، قد اقترن بتطور مماثل في وسائل مكافحة الغواصات سواء في السفن او في الاسلحة او الاجهزة المضادة للغواصات . وتطورت في المستوى ذاته جميع العوامل المتعلقة باستخدام الغواصات وادارتها وتوجيهها اثناء القتال .

وحظيت الغواصة خلال الحرب العالمية الثانية بميزتين اساسيتين هما : قدرتها على العمل بشكل مستقل ، وحجمها الاكبر بالمقارنة مع سفن السطح الاخرى . ومقابل ذلك تمتعت سفن السطح باداء افضل من اداء جميع انواع الغواصات . فقد كانت سرعة اية سفينة حربية تبلغ ٣ اضعاف سرعة الغواصة تحت الماء . وكان هناك العديد من العيوب الاخرى في الغواصات مثل محدودية سعة البطاريات التي تسيرها تحت الماء ، وضرورة صعود الغواصة الى السطح لاعادة شحن بطارياتها . وكانت الغواصة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية مجرد سفينة تسير تحت الماء ، الا ان حركتها الاعتيادية من مكان لآخر ، ومطاردتها للاهداف ، وحتى الهجمات في بعض الاحيان ، فقد كانت تتم وهي طافية . ورغم ذلك اوقعت الغواصات الالمانية خسائر هائلة بسفن الحلفاء خلال معركة الاطلسي . ولم ترجح كفة الحلفاء الا بعد استخدام الرادار لكشف غواصات المحور ، واستخدام الطائرات المنطلقة من حاملات الطائرات لاقتناص هذه الغواصات ، وزيادة اعداد مدمرات الحراسة بنسبة كبيرة للغاية (انظر الاطلسي «معركة») .

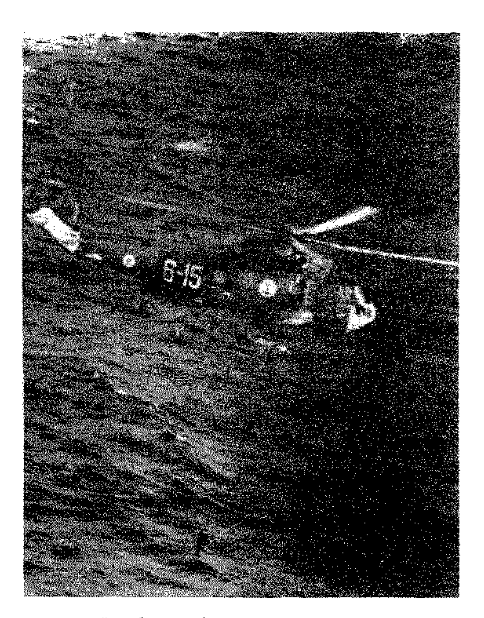
والحقيقة ان اكتشاف الرادار في الحرب العالمية الثانية قد احدث تغييرات جذرية على حرب الغواصات ، فمن جهة تمكنت الغواصات الاميركية التي زودت بأجهزة الرادار من مهاجمة القوافل اليابانية بكفاءة اثناء الليل . ومن جهة اخرى الحقت طائرات الحلفاء المزودة بالرادار خسائر فادحة


قذف قنبلة أعماق من مدفع هاون بحري

بالغواصات الالمانية التي كانت تكتشف حين خروجها الى السطح لاعادة شحن بطارياتها ، وكافحت الغواصات ذلك باللجوء الى استخدام السنركل (انبوب تنفس طافي) الذي مكنها من استخدام محركاتها الديزل تحت الماء ، الا انه أبقاها قريبة من السطح . وقد قلل السنركل من اهمية الطائرات المزودة بالرادار ، وحرمها من استخدامه بفاعلية ، الا انه ابقى الغواصة قريبة من سطح الماء وعرضة لاكتشافها بجهازي السونار ، وأزديك (اللذين طورتهما البحريتان الاميركية والبريطانية في ذلك الحين) بسبب الضوضاء العالية التي تحدثها محركات الديزل المسيرة للغواصات . ونظراً لاهمية هذه النقطة ، حيث ان اكتشاف الغواصة يعني تدميرها بسهولة لان جسمها الضعيف لا يحتمل موجات الانفجار القوية تحت الماء ، فقد زودت الغواصات بعد ذلك بمحركات كهربائية تقلل الى حد بعيد من الضوضاء التي تصدرها محركات الديزل .

اما اجراءات اية عملية مضادة للغواصات فتتكون من مهمتين رئيسيتين : ١) كشف الغواصة ، ٢) مهاجمتها . والوسيلة الرئيسية لكشف الغواصات هي السونار ، وطريقة عمله قريبة من طريقة عمل الرادار ، الا انها تتم في ظروف اصعب نظراً لاختلاف درجات الحرارة في الماء ، وتباين المسافات ، وعمق المياه ، ولوجود كائنات حية من مختلف الاصناف تؤثر على الاجهزة الكاشفة بحركتها واصواتها . بالاضافة الى ضجيج محركات السفينة التي تحمل الاجهزة .

وتحمل السفن المضادة للغواصات انواعاً متعددة من اجهزة الكشف والسونار ، بعضها سلبي يلتقط الموجات الصوتية التي تصدرها الغواصات ومختلف السفن الاخرى ، والبعض الآخر ايجابي يقوم باطلاق


استخدام السونار المحمول بالهليكوبتر

الاشارات والتقاط صداها . وتكون هذه اجهزة ثابتة في السفن المضادة للغواصات ، او يكون بالامكان انزالها الى اعماق مختلفة .

كما ان البحث عن الغواصات بواسطة الطائرات هو احد العوامل الهامة في الحرب المضادة للغواصات . وتستطيع جميع انواع الطائرات المضادة للغواصات ، سواء منها ذات الاجنحة الثابتة او الهليكوبتر ، القيام بمهمات البحث عن الغواصات ومهاجمتها ، مستفيدة من بعض الصفات التي لا تتوفر للسفن مثل السرعة ، والمناورة (خاصة بالنسبة لطائرات الهليكوبتر) ، وسرعة التدخل . اضف الى ذلك ان الطائرة لا تصدر صوتاً يمكن ان يؤثر على عمل السونار الذي تحمله ، نظراً لانها لا تلامس الماء . وتختلف اجهزة الكشف المستخدمة في الطائرات عن الاجهزة المستخدمة في السفن ، وتحمل الطائرات انواعاً مختلفة من اجهزة الكشف تتفق مع نوع الطائرة (هليكوبتر او ذات اجنحة ثابتة) مثل سونار الغطس ، والطافيات الصوتية Sonabuoys ، وكاشف الظاهرة المغناطيسية الشاذة (انظر السونار وحرب الأصوات) .

والحقيقة ان عملية كشف موقع الغواصة هو اهم عمل في العمليات المضادة للغواصات ، وعليه يتوقف اتخاذ اي اجراء فعال ضدها . وليس هذا العمل سهلا على الاطلاق . صحيح ان كشف وجود غواصة اصبح امراً اسهل بكثير مما كان في السابق ، الا ان تحديد موقعها بالضبط لمهاجمتها ما زال امراً مستعصياً .

ويمكن في الحرب المضادة للغواصات استخدام جميع انواع السفن الحربية من زوارق الطوربيد الى المدمرة ، بدرجات مختلفة من الكفاءة . ولا تخلو اية سفينة حربية اليوم من اسلحة مضادة للغواصات ، الا ان مستوى اية سفينة مضادة للغواصات يعتمد بشكل رئيسي على نوعية اجهزة الكشف والبحث التي تحملها ، وانواع الاسلحة التي تتزود بها . وتتسلح هذه السفن عادة بانواع مختلفة من الاسلحة تتناسب مع حجمها ، واكثر هذه الاسلحة انتشاراً قنابل الاعماق وتحملها زوارق الدورية خاصة ، بالاضافة الى انواع السفن الاخرى . اما السفن المتخصصة بمحاربة الغواصات ، مثل سفن الحراسة Escort Vessels الغربية ، والسفن السوفياتية القانصة للغواصات ، فتتسلح بأنواع كثيرة من الاسلحة مثل الهاونات المضادة للغواصات . ويبلغ وزن قذيفة الهاون من طراز « ليمبو » البريطاني حوالي ٢٠٠ كغ ، ويتراوح مداه من ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ متر . او القذائف الصاروخية مثل نظام « سي ـ أ ـ ف ـ ل »

(CAFL) الفرنسي الذي يتراوح مداه من ٢٦٠ الى ٣٦٠٠ م . او الصواريخ مثل صاروخ «اسروك» الاميركي الذي يتراوح مداه من ٢ الى ١٠ كيلومترات. وتتسلح الطائرات المضادة للغواصات وكذلك السفن بالطوربيدات، مثل الطوربيد «مارك ٤٦» الاميركي الذي يدفع بالوقود الصلب ، ويحمل معدات بحث سلبية وايجابية ، ويمكن اطلاقه من الطائرات ومختلف انواع السفن .

وتشغل بعض انظمة الاسلحة المذكورة ، مثل نظام « اسروك » الاميركي ، مساحة واسعة على سطح السفينة ، لذلك تزود به سفن الحراسة الكبيرة نسبياً . وتقضي متطلبات الحرب المضادة للغواصات وجود طائرة هليكوبتر او اكثر على سطح سفينة الحراسة، تقوم بتوسيع مجال البحث عن الغواصات ، وتوسيع نطاق الحماية حول السفينة المضادة للغواصات . وتستخدم الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي اليوم (١٩٧٧) عدداً من حاملات طائرات الهليكوبتر المضادة للغواصات . وبسبب ذلك تعاظم خطر الغواصات بعد ظهور « الغواصة الحقيقية » ، اي الغواصة النووية ، والتهديد الهائل الذي تمثله هذه الغواصات كقواعد متنقلة لاطلاق الصواريخ النووية بعيدة المدى.

ويدخل في اطار الحرب المضادة للغواصات ايضاً ، منع الغواصات من الاقتراب من الموانيء او التسلل اليها . وتقام لهذا الغرض خطوط كشف كاملة حول الموانىء لحمايتها ، والانذار بوجود الغواصة بمجرد اقترابها . وتوضع في هذه الخطوط انواع متعددة من الاجهزة ، مثل المؤشر الاطاري المغناطيسي (انظر السونار) ، وجهاز هيرالد (اختصار لجملة جهاز سبر صدى الموانىء والاستماع) . ويتكون خط الدفاع عن الموانىء عادة من ٣ خطوط : ١) المؤشر الاطاري المغناطيسي وهو اكثرها كفاءة ولا يحتاج الى انتباه كبير من العامل المختص ، ٢) السماعات المائية المتصلة باسلاك او طافيات صوتية ، ٣) جهاز هيرالد .

ولقد اثبتت الخبرات العملية ان استخدام اعداد كبيرة من السفن والطائرات المضادة للغواصات ، افضل بكثير من استخدام اعداد قليلة من السفن عالية التخصص ومزودة باجهزة معقدة مضادة للغواصات . فخلال الحرب العالمية الثانية ساعد العدد الهائل من مدمرات الحراسة – اكثر من ٥٠٠ قطعة – الذي بنته الاحواض الاميركية على كسب معركة الاطلسي ، رغم ان هذه السفينة كانت بسيطة البناء والتسليح . وهذا هو في الحقيقة ما اتاح بناءها باعداد كبيرة . لذلك تتجه بعض الدول اليوم نحو بناء سفن بسيطة يمكن انتاجها باعداد كبيرة ، ويساعد على هذا – خاصة بالنسبة للقوى البحرية الكبرى – العمل على شكل مجموعات قوات ، مما يتيح لسفن الحراسة المضادة للغواصات الافادة من اسلحة واجهزة القطع البحرية الرئيسية في المجموعة .

وللحرب المضادة للغواصات اهمية خاصة في الاستراتيجية الدولية ، فقد شهدت فترة الستينات واوائل السبعينات تنامي قوة اسطول الاتحاد السوفياتي من الغواصات وتهديده لخطوط المواصلات الغربية . كما تطورت اساطيل الغواصات النووية حاملة الصواريخ الباليستيكية ، والتي تشكل احد اهم عوامل الردع النووي لدى كل من الاتحاد السوفياتي واميركا . ونظراً للحركية العالية لهذه الغواصات ، وصعوبة تحديد موقعها ، فان في مقدورها ان تنجو من اي هجوم مباغت ، بخلاف قاذفات القنابل الاستراتيجية وصوامع الصواريخ البرية . ولا شك ان امتلاك اي من الدولتين العظميين للقدرة على تحديد مواقع الغواصات النووية المعادية، سيقلب جميع الموازين الاستراتيجية، وسيكون له اثر كبير على الحرب المضادة للغواصات ، وحرب الغواصات ، والاستراتيجية البحرية بشكل عام .

(٥) الحرب النفسية

هي مجموعة الاعمال التي تستهدف التأثير على افراد العدو ، بما في ذلك القادة السياسيين والافراد غير المقاتلين ، بهدف خدمة اغراض مستخدمي هذا النوع من الحرب . وتهدف الحرب النفسية الى خلق تصورات معينة لدى العدو ، او نفي تصورات معينة ، عن طريق الدعاية او عمليات عسكرية استعراضية ، والتنسيق بين العمل العسكري والدبلوماسي لخلق تصورات معينة ، واحداث الفوضى والبلبلة في معسكر العدو للتأثير على روح الجنود المعنوية ، وعلى انضباطهم ، وعلى قرارات ضباطهم وقادتهم . هذا بالاضافة الى عمليات « غسل الدماغ » ، وهي عمل منظم يخضع له عادة اسرى الحرب ، او متتبعي برامج اذاعة العدو وارساله التلفزيوني .

والحرب النفسية مهمة جداً في أي صراع بين قوتين ، لان للعمليات العسكرية العادية وكذلك الدبلوماسية زاوية نفسية يجب استغلالها لتحقيق مكاسب افضل .

اما ادوات الحرب النفسية فهي وسائل الاعلام المختلفة مثل التلفزيون ، والراديو ، والصحف ، بالاضافة الى الملصقات ، والاشاعات ، واستعراضات القوة ، والارهاب البدني او النفسي ، والمنشورات التي تلقى من الطائرات على المدن وتجمعات القوات العسكرية ، وتستخدم القوات في الميدان مكبرات الصوت ، وقنابل الطائرات أو قذائف المدفعية المحشوة بالمنشورات . وتستغل الحرب النفسية فكرة او مجموعة افكار وتركز عليها محاولة خلق التناقض الطبقي او اثارة النعرات الدينية او القومية بين صفوف العدو .

والحرب النفسية مهمة جداً في الحروب التقليدية، الا انها اكثر اهمية في الحرب الثورية ، نظراً لان العامل المعنوي يلعب دوراً رئيسياً في هذه الحرب ، وهو العامل الذي يحقق التوازن بين قوة الثوار العسكرية المحدودة ، والقوة المضادة الضخمة ، وانتصار هذه الاخيرة في مجال الحرب النفسية ، كفيل بتجريد الثوار من سلاح اساسي في ايديهم .

(٢) الحرب النووية «الأعلى من المحدودة»

الحرب النووية « الأعلى من المحدودة » هي الشكل الوسيط للحرب النووية ، وتتضمن استخداماً ممكناً ، لكنه ضيق جداً ، لأسلحة نووية . ويرى هرمان كاهن ان يكون طابع هذه الحرب شن ضربات انذار استراتيجية فقط ذات أغراض نفسية خالصة . بيد ان آخرين مثل كيسنجر يرون على العكس ضرورة استخدام ضربات انذار أو تحذير بغرض تحقيق هدف تكتيكي (تدمير قوة غزو أو تدخل في المعركة الدفاعية) .

(٦) الحرب الهندية – الباكستانية (١٩٦٥)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١٠) الحرب الهندية-الباكستانية (١٩٧١)

هي حرب الاسبوعين ، او الحرب الخاطفة التي أدت ، في اواخر العام ١٩٧١ ، الى فصل باكستان الشرقية عن باكستان الغربية وقيام دولة « بنغلادش » .

في الواقع ، ان هذه الحرب التي قيدت بشكل خاطف ، قد امتدت اسبابها الى بضع سنين خلت ، بحيث اعتبرت انها واقعة لا محالة ، فلقد كانت الهند وباكستان تؤلفان اقليماً واحداً خاضعاً لبريطانيا وتم تقسيمهما في ١٤ آب (اغسطس) ١٩٤٧ . ومع هذا التقسيم تكونت احتمالات الصدام بينهما ، كما تكونت احتمالات الصدام بين الهند والصين من جهة ، وبين باكستان وافغانستان من جهة ثانية .

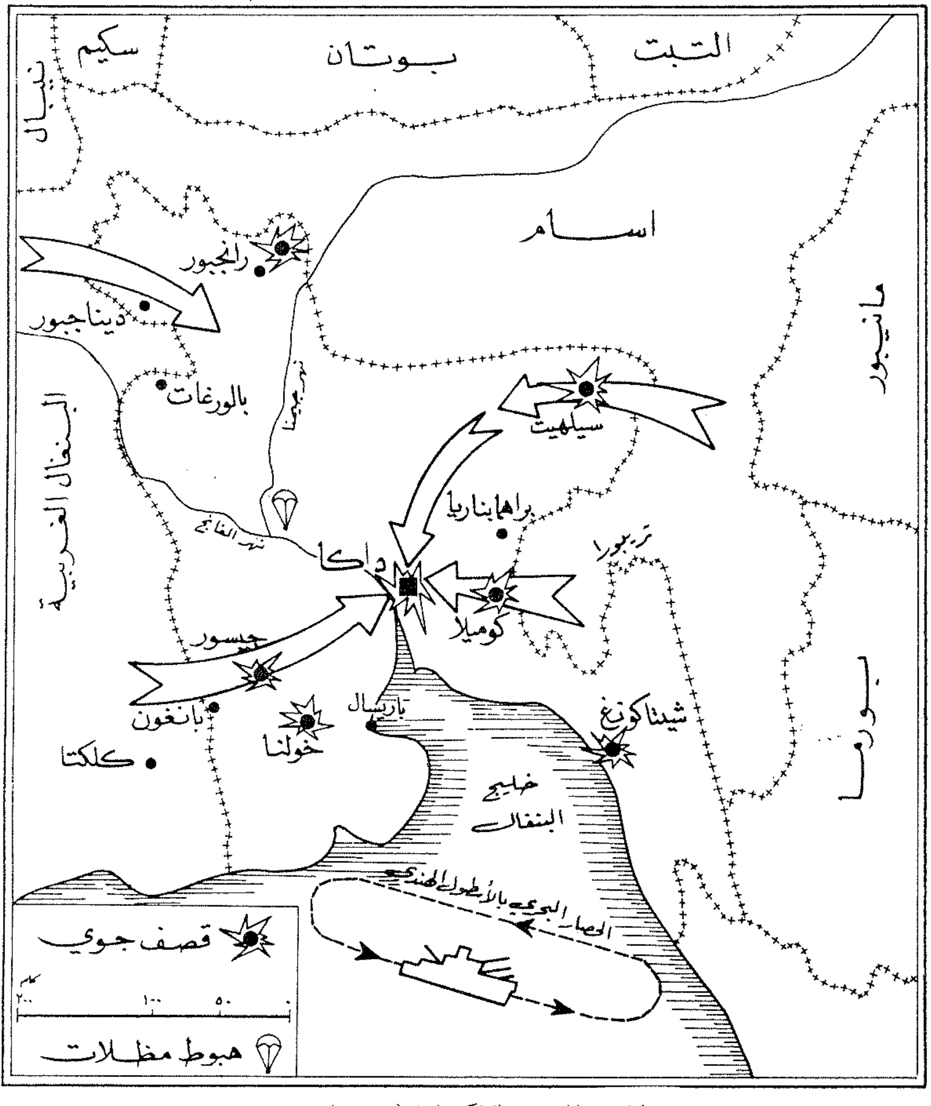
من اجل الاحتمالات اعلاه ، وحيث ان الدولتين تقعان في منطقة بالغة الاهمية الاستراتيجية بين العملاقين ، الاتحاد السوفييتي والصين ، فقد عكفت

الدولتان على تطوير امكاناتهما العسكرية، وأولتا، بالنظر الى اتساع اراضيهما والى بعد المسافات، عناية خاصة بتطوير سلاح الطيران. وساعد هذا التسابق في التسليح على حدوث اول صدام ذي اهمية بين الدولتين في اول ايلول (سبتمبر) ١٩٦٥ بسبب الموقف المتدهور في كشمير، واستمر الصراع المسلح في تلك الفترة سبعة عشر يوماً قام سلاح الطيران الباكستاني خلالها بدور حاسم. وفي تلك الفترة من الصراع وقفت الصين الى جانب باكستان، وكانت الهند تعتمد في دفاعها ضد الصين على صعوبة الحدود وعلى العائق الجبلي المتمثل بجبال «هيمالايا». ولكن الهجوم الصيني اثبت للهنود ان جبال «هيمالايا» لا يمكن الاعتماد عليها للدفاع، إذ استطاعت القوات الصينية التوغل واحتلال ستة آلاف ميل مربع من الاراضي الهندية

وببروز الباكستان، مع حليفتها الصين، في الميدان العسكري، رأت الهند نفسها امام تهديد دائم، فعملت منذ تلك الفترة على بناء سياستها للمستقبل، وقد جهدت في عدم الاشتباك مع باكستان قبل تأمين تحالف مع إحدى القوتين الباقيتين في الميدان العالمي، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الاميركية، وهذا ما حصل بالفعل، اذ توجهت السيدة انديرا غاندي، رئيسة وزراء الهند الى موسكو، وعقدت تحالفاً بشكل معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفييتي بتاريخ التاسع من آب (اغسطس) ١٩٧١. كان من اول نتائجه دعم السوفيات للهند دعماً مباشراً في حربها العسكرية والسياسية ضد باكستان، وزيادة رصيد السيدة غاندي الشعبي في الهند.

اما الصين، حليفة باكستان، فلقد بقيت بجانب هذه الاخيرة لموازنة النفوذ السوفياتي في الهند. وكانت ترغب بصدق في بقاء وحدة الدولة بين شطري باكستان، ذلك ان دولة باكستان الموحدة سياسياً تستطيع حصار الهند بين طرفي كماشه، احد طرفيها كشمير والطرف الآخر «البنغال».

كانت نقطة الضعف في الكيان الباكستاني تقسيمه الى قسمين متباعدين تصل المسافة بينهما الى ١٦٠٠ ميل وهما: باكستان الغربية وباكستان الشرقية (اي «بنغلادش» فيما بعد)، فمن جهة تقف الهند حاجزاً منيعاً بين شطري الدولة الباكستانية، ومن جهة ثانية يتعذر ايصال الامدادات والاعتدة وكل وسائل القتال الا بقدر ما يسمح به الوقت وتسمح به حرية شبكات المواصلات. وهذه الاخيرة من نقطتي الضعف قد استغلتها الهند استغلالا واسعاً، اذ ضربت حصاراً محكماً على باكستان الشرقية،



الحرب الهندية – الباكستانية (١٩٧١)

براً وبحراً حتى عزلتها عن امدادات الدولة الباكستانية وكادت ان تخنقها لوجستيكياً قبل ان تسيطر عليها عسكرياً. وبالاضافة الى كل ذلك، فقد زاد الامر سوءاً وجود حركات تمرد في «بنغلادش» دفع الحكومة الباكستانية آنذاك الى اعتماد سياسة صارمة لقمع حركات التمرد ولاعتقال زعماء المعارضة وعلى رأسهم الشيخ مجيب الرحمن رئيس رابطة «عوامي». ونتج عن اعمال القمع فرار العديد من البنغلاديشيين الى الهند، حتى وصل عديدهم، (حسب الاحصاءات الهندية) الى عشرة ملايين لاجىء، رأت الهند نفسها تجاههم اعجز من أن تأويهم وتكفيهم. كما لم يكن ممكناً لديها اعادتهم الى بلادهم وتعريضهم لعمليات القمع الدموية.

كانت الهند هي البادئة في فتح جبهة حربية مع باكستان، بعد ثمانية اشهر من التوتر الشديد والتصعيد المتبادل لعمليات الحدود، وحتى قبل شهر من بدء العمل العسكري فقد وضح جيداً ان الهند سائرة نحو تلك الحرب تمهيداً لحل مشكلة عشرة ملايين لاجىء تدفقوا عليها من باكستان الشرقية. ولقد كانت باكستان اول من فهم النوايا الهندية، لذا اعلن الجنرال (يحيى خان) رئيس الجمهورية حالة الطوارىء في البلاد في ٢٣ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٧١ بعد اول هجوم هندي ذي شأن. ويبدو أن نيودلهي انطلاقاً من الشواهد القديمة والحديثة في علاقاتها مع جارتها باكستان، كانت تفكر في العمل العسكري قبل ذلك بكثير، لكنها كانت ترغب في ضمان امرين: اولهما الاستفادة من الرأي العام العالمي بتسليطها الاضواء على مشكلة اللاجئين

وكسب العطف على قضيتهم ، وثانيهما تأمين طريق الامدادات العسكرية والى حد ما الحماية العسكرية من موسكو ، ذلك ان ثمة طرفاً ثالثاً لا يمكن تجاهله في اي نزاع بين الطرفين هو الصين . ولئن كانت الصين غير مستعدة للدخول في حرب علنية الى جانب باكستان ، فهي ستعمد على الاقل ، الى الضغط على مناطق اخرى من الحدود الهندية كما فعلت في الحرب بين « كراتشي » و « نيودلهي » (١٩٦٥) . ورداً على الاستقطاب الهندي – السوفييتي ، قام استقطاب معاكس ، واوفد الجنرال (يحي خان) الى بكين وفداً رفيعاً تعمد ان يكون برئاسة زعيم المعارضة في باكستان الغربية والرجل الذي كان وراء التقارب الباكستاني – الصيني ، (ذو الفقار علي بوتو) . وقد حصل الوفد الباكستاني في بكين على وعود بالتأييد ، ولكن هذه الوعود لم تتجسد خلال القتال .

القوات المتجابهة : تعتبر الهند وباكستان من اقوى الدول عسكرياً في آسيا ، وهما تحصلان على الاعتدة العسكرية من الدول الرئيسية في العالم ، كما لديهما صناعتيهما الحربيتين الخاصتين بهما . وكان الاتحاد السوفياتي في السنوات الاخيرة ، المصدر الرئيسي للاسلحة الهندية ، بينما تلقت باكستان اسلحتها من الصين . وكانت كل من الدولتين تنفق على قواتها المسلحة مبالغ ضخمة ، وصلت نسبتها في الهند حتى ثلث الموازنة العامة للدولة ، وحتى ربع الموازنة في باكستان . ورغم ان عدد الجيش الهندي كان يزيد على ضعفي عدد الجيش الباكستاني ، فانه لم يكن بوسع أي من البلدين استخدام كل قواته في حرب ضد الآخر : فالهند مضطرة الى الابقاء على قسم كبير من جيشها على حدودها مع الصين ، في حين ان الجيش الباكستاني موزع في كل من باكستان الشرقية والغربية .

بلغ عديد الجيش الهندي عشية الحرب ٨٦٠ الف رجل ، بالاضافة الى ٥٠ الفاً استدعوا من الاحتياط قبيل الحرب ، وقوة حراسة حدود تألفت من ١٠٠ الف . وضم ذلك لوائي مظلات ، ونحو ٢٠ وحدة مدفعية مضادة للدبابات ، و ١٥٠٠ دبابة من صنع بريطاني وسوفياتي وفرنسي . اما سلاح الجو فقد ضم : ٦٢٥ طائرة قتال ، و ٨٠ الف رجل ، وتألف من ثلاثة اسراب قاذفات خفيفة (كانبيرا) البريطانية الصنع ، و ١٥ سرباً من المقاتلات القاذفة (سوفياتية وبريطانية وهندية وفرنسية الصنع) ، و ١٥ سرباً معترضاً (سوفياتية وهندية الصنع) ، و ٥٠ قاعدة صواريخ أرض – جو .

وعلى صعيد البحرية ، كانت الهند تملك ٥٨ سفينة حربية بينها حاملة طائرات بريطانية الصنع ، وطرادان ، وثلاث مدمرات ، واربع غواصات سوفياتية الصنع وزوارق اخرى مختلفة .

في الجهة الثانية بلغ عدد جيش الباكستان ٣٦٥ الف رجل ، بالاضافة الى ٢٥٠ الفاً من الميليشيا ، وضم زهاء ١١٠٠ قطعة مدفعية ، و ٨٠٠ دبابة ثقيلة ومتوسطة من صنع اميركي وسوفياتي على السواء . اما سلاح الجو فبلغ ١٧ الف رجل و ٢٨٥ طائرة ، معظمها قاذفات مقاتلة من نوع (ميراج) الفرنسية الصنع واسراب (اليوشين) السوفياتية الصنع ، وطائرات معترضة من نوع (سابرف ٦١) الاميركية الصنع . وعلى صعيد القوات البحرية ، تألف الاسطول الباكستاني من ٢٨ سفينة بينها طراد خفيف ومدمرتان وثلاث سفن لحراسة المدمرات واربع غواصات وزوارق اخرى مختلفة .

العمليات : انفجرت شبه القارة الهندية واشتعلت نار الحرب بين الهند وباكستان في غارات جوية وقصف مدفعي وغزوات برية على الحدود الشرقية والغربية للبلدين اثر اسابيع من المناوشات المحدودة واشهر من التوتر . ولقد بدأت المدفعية الهندية في اول كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ تعاون قوات (الموكتي باهيني) اي فدائيي البنغلادش ، في قطع السكك الحديدية بين العاصمة « داكا » ، و « خولنا » و « شيتاكونغ » الميناءين الرئيسيين على خليج البنغال ، و « كوميلا » قرب الحدود الشرقية ، وفي ٢ منه ، شنت القوات الجوية الهندية ضربتها المركزة ضد مطارات وطائرات باكستان ، واستمرت طوال يومي ٢ و ٣ منه حتى اتت على معظم الطائرات الباكستانية ، وانتزعت السيطرة الجوية في سماء باكستان الشرقية .

وشنت القوات الهندية هجومها الاساسي في مقاطعة « ديناجبور » في القطاع الشمالي من باكستان الشرقية ، وكان اللواء الجبلي الهندي ٧١ تسانده كتيبة الدبابات ٦٣ المجهزة بالدبابات السوفياتية الصنع من طراز (ت ٥٥) رأس الحربة في الهجوم الهندي في هذه المنطقة . اما الاتجاه الثاني للهجوم الهندي فقد انطلق في ولاية « تريبورا » الهندية ووجهته مقاطعة « كوميلا » وطليعته لواءان مدرعان، تقدم اللواء ٣١١ على المحور الاساسي بينما تقدم اللواء ٦١ من الشمال . وبالاضافة الى محوري الهجوم اندفعت قوى ايضاً من مرتفعات « شيتا كونغ » وقوى ايضاً من الحدود الغربية باتجاه « بانغون » و « جيسور » .

في ٥ كانون الاول (ديسمبر) اغرقت مجموعة قتال بحرية هندية المدمرتين الباكستانيتين « خيبر » (٢٣٢٥ طناً) و « شاه جيهان » (١٧١٠ اطنان) ، كما اعطبت سفينتين اخريين في معركة بحرية استمرت ساعة كاملة على مسافة ٢٠ ميلا من « كراتشي » . وفي الوقت نفسه أغرقت غواصة باكستانية من طراز « دافني » وبحارتها الثمانون في خليج البنغال . ثم هاجمت الطائرات الهندية التي تعمل من حاملة الطائرات « فيكرانت » (حمولة ١٦ الف طن) مينائي « شيتا كونغ » و « باريسال » . وتلتها في ٦ منه الضربة الرئيسية الهندية ضد « جيسور » توطئة لانتقال حكومة بنغلادش اليها من منفاها في « كلكتا » . بعد ذلك وقعت الضربة الثانوية لقطع اقليم « شيتاكونغ » في الشرق الى شطرين ، في نفس الوقت الذي كادت الفرق الهندية التي تهاجم « سيلهت » من « اسام » ان تستولي فيه على شبكة المطارات شمال شرقي البلدة . ازاء هذه الهجمات الناجحة امر الجنرال « نيازي » قائد القوات الباكستانية الشرقية قواته ، بالارتداد من مواقعها الدفاعية قرب الحدود في انسحاب استراتيجي عام . وقبل ان ينتهي يوم ٦ اسرت القوات الهندية السفينتين « مينيلوف » و « مينيليدي » (حمولة كل منهما ١٠٠٠ طن) وهما تحاولان اختراق الحصار لنقل الوقود من « شيتا كونغ » الى « باريسال » . وفي يوم ٧ استولت القوات الهندية في الغرب على بلدة « جيسور » وتابعت تقدمها شرقاً صوب العاصمة .

وعندما كانت المعارك دائرة اجتمع مجلس الامن لدراسة الموقف الخطير ، وبتاريخ ٦ كانون الاول (ديسمبر) وفي الامم المتحدة ، استخدم الاتحاد السوفياتي حق النقض (الفيتو) للمرة الثانية خلال ٢٤ ساعة وذلك ضد مشروع قرار يدعو الهند وباكستان الى وقف اطلاق النار وانسحاب القوات المسلحة لكل منهما من اراضي الطرف الآخر ، كما يدعو مجلس الامن الى ايجاد ظروف ملائمة لعودة اللاجئين الباكستانيين الى ديارهم بصورة طوعية . وقد جاء الفيتو السوفياتي بعدما رفض مجلس الامن مشروع قرار سوفياتي يتضمن دعوة الى القوات الباكستانية لوقف اعمال العنف في باكستان الشرقية . وتجدر الاشارة الى ان مجلس الامن بقي يتداول في موضوع وقف الحرب الهندية الباكستانية في الوقت الذي كانت المعارك تشتد وتتابع القوات الهندية تقدمها داخل باكستان الامر الذي حمل ، قبيل نهاية تلك الحرب ، الوفد الباكستاني بكامله على الانسحاب من مجلس الامن ، بعدما مزق علي بوتو وزير الخارجية الباكستانية ورئيس وفد بلاده ، كل مشاريع القرارات المعروضة على المجلس ، وندد

بمناورات التأخير التي يلجأ اليها المجلس ، وفي اخفاقه في ان يحقق العدالة لباكستان . وهكذا احيلت قضية الصراع الدائر بين الهند وباكستان الى الجمعية العمومية للامم المتحدة ، حيث لا يتمتع اي من الدول بحق الفيتو ، فاصدرت قراراً بعد ٢٤ ساعة من إحالة القضية اليها (١٢/٨) يفرض على الهند وباكستان وقف اطلاق النار فوراً وسحب القوات من الاراضي التي احتلتها ، ولكن هذا القرار بقي دون تنفيذ ، وسارت الحرب الهندية – الباكستانية حتى نهايتها ، على مرأى ومسمع من هيئة الامم المتحدة .

وفي كشمير شن الباكستانيون هجوماً عاماً على الهند ، آملين ، بفتحهم جبهة جديدة في الغرب ، تخفيف الضغط على الجبهة الشرقية ، وفي أسوأ الاحوال كسب ارض هندية تصلح فيما بعد للمساومة مع الهند . ولقد استخدم الباكستانيون في هجومهم فرقتين من المشاة وثلاث كتائب مدرعة ، وقد جرت معارك عنيفة في منطقة « تشامب » الهندية ، واستولى الباكستانيون على مدينة « مانديالك » إلا أن العمليات الباكستانية في « كشمير » لم تذهب بعيداً ، ولم يكن لها من الثقل ما يؤهلها لتحقيق الغاية التي ارادها الباكستانيون .

وفي صباح ٨ كانون الاول (ديسمبر) كانت القوات الهندية قد أتمت انجاز المهمة المباشرة ، بينما كانت القوات الباكستانية تنسحب امامها على كافة المحاور صوب الموانئ على مسافة ٨ اميال جنوب شرقي « داكا » و « باريسال » الواقعة على مسافة ٧٠ ميلا من جنوب « داكا » . وبنهاية المرحلة الاولى من خطة الهجوم الهندية ، وجه الجنرال « مانيكشو » رئيس هيئة اركان حرب القوات الهندية رسالة بالراديو الى القوات الباكستانية نصحها فيه بالتسليم حفاظاً على ارواحها ، واعقب هذه الرسالة قيام الطائرات الهندية بقصف بعض الاهداف الصناعية الهامة ، ومطار « داكا » الجديد الواقع شمالي المدينة ، كما هاجمت الطائرات ممرات المطارات ومرابض نيران الاسلحة المضادة للطائرات من ارتفاعات منخفضة ، وتم ذلك بهدف التأثير على الروح المعنوية وتمزيق ارادة الصمود الباكستانية . ومع صباح يوم ٩ كانون الاول (ديسمبر) دفع الجنرال « اورورا » قائد القوات الهندية الغازية ، نسقه الثاني في القتال بهدف تطوير الهجوم والاطباق من كل الاتجاهات على العاصمة « داكا » ، وبالفعل فقد انطلق الدفع الهندي من ثلاثة اتجاهات رئيسية بقوة فرقة مدعمة لكل منها ، تعاونها « الموكتي باهيني » الفدائية على النحو التالي : الاتجاه الاول ، من « تريبورا » الى « كوميلا » . الاتجاه الثاني ، من « سيلهيت » ثم الالتفاف من الشمال نحو « داكا » . الاتجاه الثالث ، من « جيسور » على امتداد نهر « الغانج » الى « داكا » .

واتخذت القوات الباكستانية المنسحبة اوضاعها الجديدة حول « داكا » اعتباراً من صباح ١٠ بأمل ان تتمكن من العمل من خطوط داخلية للتمسك بالدفاعات وشن الهجمات المضادة لتعطيل تقدم القوات الهندية ، لأطول مدة ممكنة ، حتى تفرض هدنة مشرفة ، أو تتدخل قوى كبرى ، الا ان سيطرة القوات الهندية على سماء الجبهة افسدت المخطط الجديد ، كما مكنت القيادة الهندية من اسقاط مجموعتي لواءين مظليين على مسافة ٦٠ ميلا شمال « داكا » ، عبر نهر « الجيمنا » ، لفتح وتأمين محور الهجوم امام القوات الهندية الرئيسية المندفعة من الشمال ، وتمكينها من عبور آخر الموانع المائية ذات الشأن التي تفصلها عن « داكا » .

وانتهى يوم ١٠ كانون الاول (ديسمبر) وقوات الباكستان تتخذ مواقعها الجديدة حول « داكا » ، داخل خمس مناطق دفاعية ، احتلت كلا منها مجموعة كتيبة مدعمة . ومع حلول صباح ١١ كان اندفاع القوات الهندية قد انخفض كثيراً ، فلم يعد معدله يتجاوز الخمسة اميال في اليوم الواحد ، نتيجة كثرة الموانع المائية في طريق القوات ، والارهاق الذي تعرض له الجنود باستمرار ، وعلى الرغم من ذلك ظهرت بوادر الانهيار النهائي في دفاعات باكستان الشرقية مع مغرب هذا اليوم ، اذ استمر الأسطول الهندي في فرض الحصار البحري على سواحل خليج البنغال ، فاصلا باكستان الشرقية فصلا كاملا عن باكستان الغربية ، وقاطعاً أية خطوط مواصلات بحرية بين شطري الدولة . ومع فجر يوم ١٢ شوهدت قوات باكستانية تتجه صوب موانئ الجنوب ، بينما وصلت طلائع القوات الهندية الى مسافة ١٥ ميلا من « داكا » على بعض الاتجاهات ، معلنة انتهاء الصفحة الاخيرة من الحرب . فاستسلمت حكومة باكستان المدنية ، واستقالت في رسالة بعث بها رئيسها السيد مالك الى الرئيس يحيى خان كتبها امام المراسلين بيد ترتجف .

وقامت طائرات (ميغ) هندية بغارات عديدة على العاصمة من علو منخفض ، بينما التجأ مسؤولو الحكومة المستقيلة الى فندق « كونتيننتال » بموجب امر خطي من السيد مالك . وكان الفندق المذكور قد اعلن منطقة محايدة . ومع ضوء أول يوم ١٣ كانون الاول (ديسمبر) ، اتضح للجنرال « اورورا » ضرورة اعادة تنظيم قواته ودفع الاحتياطي العام قبل شن الهجوم الاخير للاستيلاء على « داكا » . وفي منطقة « كوميلا » على الحدود الشرقية انهارت مقاومة القوات الباكستانية واستسلم ٢٠٠٠ جندي وضابط للقوات المهاجمة ، بينما استمرت قوات « خولنا » التي لا تعدو الالفين مقاتل في الصمود . وفي صباح يوم ١٤ كانون الاول (ديسمبر) وصلت طلائع الاسطول السابع الاميركي الى خليج البنغال ، تتقدمها حاملة الطائرات الذرية « انتربرايز » قادمة عبر مضيق « ملقا » ، ولكن بعد فوات الاوان . « ان داكا مدينة حرة الآن في وطن حر » . بهذه الكلمات اعلنت رئيسة وزراء الهند انديرا غاندي ، في مجلس النواب الهندي ، السقوط النهائي لباكستان الشرقية والخطوات الاولى لقيام « بنغلادش » ، كما عبرت عن املها في أن يأخذ الشيخ مجيب الرحمن مكانه على رأس الدولة الجديدة في وقت قريب جداً (وكان لا يزال سجيناً في باكستان الغربية) . وبالفعل وقع الجنرال « نيازي » وثائق الاستسلام في « داكا » بتاريخ ١٦ كانون الاول (ديسمبر) وتسلمها منه الجنرال « اورورا » .

كانت خسائر الهند في هذه الحرب ٢٠٦٣٣ فرداً ، منهم ٢٣٠٧ قتلى ، بينما خسرت باكستان كل قواتها في الجبهة الشرقية بين قتلى او جرحى او اسرى .

في ٢٠ كانون الاول (ديسمبر) استقال الرئيس يحيى خان من منصبه كرئيس لجمهورية باكستان ، تحت ضغط شعبي متزايد ، وسلم السلطات الى ذو الفقار علي بوتو ، كبير الزعماء السياسيين في باكستان الغربية ، ومن جهة اخرى نقل الجنرال « نيازي » من داكا الى كلكتا بطائرة خاصة . وحلت الانتقامات الوحشية مكان الابتهاج في العاصمة « داكا » ، واندفع زهاء خمسة آلاف من ثوار « بنغلادش » المزودين بأسلحة اوتوماتيكية حديثة ، في الشوارع بسيارات شحن وجيب ، يتخلصون بسرعة من الذين يشتبهون بانهم كانوا يؤيدون الحكم السابق ، والواقع ان اعمال العنف قد ارتدت طابعاً غير مألوف من الوحشية والفظاعة حتى اصبحت الجثث والمحتضرين والممثل بهم منظراً يومياً في شوارع العاصمة .

وكان اول ما فعله الرئيس علي بوتو بعد استلام السلطة اطلاق سراح الشيخ مجيب الرحمن بتاريخ ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ، الذي وصل الى « بنغلادش » في العاشر من الشهر التالي ، واخذ في ممارسة صلاحياته في الدولة الجديدة . وفي ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢ كانت « بنغلادش » قد حصلت

على اعتراف الاتحاد السوفياتي وفنلندا وبولونيا ويوغوسلافيا ومنغوليا بالاضافة الى الهند التي اعترفت بها خلال ايام الحرب . ولم تمض فترة طويلة حتى حصلت الدولة الجديدة على اعتراف الاسرة الدولية بما في ذلك باكستان نفسها .

(٨) حرب الوراثة الاسبانية (١٧٠١ - ١٧١٤)

يطلق اسم (حرب الوراثة الاسبانية) على مجموعة الحروب الأوروبية العامة التي بدأت في العام ١٧٠١ وانتهت في العام ١٧١٤ ، بعقد معاهدات اوتريخت وراستات . وكانت هذه الحرب عبارة عن جولات رتيبة من المسيرات الطويلة ، واعمال الحصار والتطويق غالباً ما تزايدت اشراقاً وتألقاً بما أضفاه عليها ثلاثة من كبار القادةهم مارلبورو Marlborough الانكليزي ، والأمير أوجين Eugene النمساوي ، والماريشال فيللار Villars الفرنسي ؛ في حين ظهرت مجموعة من القادة - ولو انهم كانوا أقل شهرة من القادة السابقين ولم يحالفهم حظ زملائهم - إلا أنهم كانوا دون ريب رجالا يتمتعون بكفاءة عالية وقدرة واضحة في ادارة اعمال القتال ومنهم بيتر بورو Peter - Borough وغالوي Galway وكاتينا Catinat وفاندوم Vandome . ولقد كانت المناورات والتهديدات واعمال الخداع في هذه الحرب تسهم بالدور الاكبر في مجال الأعمال القتالية . وكانت الاسس الحقيقية للوصول الى السلم تتمثل في قضية الامساك القوي بالتحصينات والقلاع والاقاليم ، وهي القضية الرئيسية التي قام الملوك والأمراء بشن الحرب من أجلها .

حكمت اسبانيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر سلالة هابسبورغ القوية والتي جاء تسلسل الحكم فيها منذ فيليب الاول (ارشيدوق النمسا) ١٤٧٨ - ١٥٠٦ الذي تزوج بإيزابيلا ملكة البرتغال ووحد حكم اسبانيا ، وانجب هذا الزواج شارل الأول، المعروف بشارل الخامس الاسباني أو شارلكانت Charles Quint (١٥٠٠ - ١٥٥٨) ثم جاء من بعده ابنه فيليب الثاني (١٥٢٧ - ١٥٩٨) ثم فيليب الثالث ملك اسبانيا (١٥٧٨ - ١٦٢١) ثم فيليب الرابع الذي أصبح ملكاً على اسبانيا حتى العام ١٦٦٠ .

وحكم اسبانيا بعد ذلك شارل الثاني (١٦٦٠ - ١٧٠٠) وقد اضاع شارل الثاني الفلاندر الفرنسية ، وفرانش كومتيه La Franche Comte ، واللوكسمبرغ وغنمت فرنسا هذه المقاطعات الثلاث فتعاظمت قوتها . وعندما توفي شارل الثاني كانت اسبانيا نهباً للدمار . واراد لويس الرابع عشر تعيين حفيده فيليب الخامس الذي ولد في العام ١٦٨٣ ملكاً على اسبانيا . وكان من نتيجة ذلك ظهور موقف جديد حفز دول اوروبا ودفعها للحرب ، ولم يكن هدف الحرب في هذه المرة بالنسبة الى انكلترا وهولاندا هو مجرد الحصول على المدن والاقاليم بقدر ما كان يتركز حول وضع حد لقوة لويس الرابع عشر ملك فرنسا ، لأن طموح هذا الملك لوضع حفيده فيليب على عرش اسبانيا هدد بقلب ميزان القوى على الساحة الأوروبية . وكانت أداة لويس الطموحة متمثلة في تنظيم جيش قوي موجه اساساً ضد انكلترا ، الأمر الذي جعل تدمير هذا الجيش هدف الحرب . وكان لدى عدد من الحلفاء الآخرين سبب حقيقي للخوف من امتلاك فرنسا لمثل هذا الجيش . أما بقية الحلفاء الذين دخلوا الحلف فكان لديهم على الأقل أمل في الحصول على بعض المكتسبات لقاء دفع ثمن زهيد من نفقات الحرب . ونتيجة لذلك ، كان الحلفاء من جانبهم يمارسون صراعاً يتراوح في قوته بين عمليات الهجوم الشرسة وبين الأعمال الدفاعية السلبية .

كان موقف لويس الرابع عشر من قضية الوراثة الاسبانية متوقعاً ، ولهذا عمل ويليام الثالث ملك انكلترا على تخصيص بقية سني حياته للنضال ضد هذا الموقف ، والعمل على تشكيل حلف أوروبي هدفه المطالبة بالعرش الاسباني للارشيدوق شارل الرابع (١٦٨٥ - ١٧٤٠) ، امبراطور جرمانيا (من ١٧١١ حتى ١٧٤٠) وهو الابن الثاني لليوبولد الأول ووالد ماري تيريز وريثة عرش النمسا . وقد تشكل هذا الحلف وكبر بصورة طبيعية ، فأصبح يضم النمسا وبعض الدول والامارات وبريطانيا العظمى وهولاندا والدانمرك والبرتغال . ووقف في مجابهة هذا الحلف لويس الرابع عشر تدعمه اسبانيا (بعد ان تم الاعتراف بالأمير فيليب - الخامس - وريثاً للعرش الاسباني) بالاضافة الى بافاريا وكولونيا . وكان هناك حليف محتمل هو (دوق سافوا) الذي كان من سياسته استثمار كل موقف والافادة من كل فرصة لتوسيع رقعة دولته وزيادة قوتها .

حدثت وقائع حرب الوراثة الاسبانية بصورة دورية وبمعدل سنوي على النحو التالي : حملة ايطاليا - شياري Chiari (١٧٠١) ، وحملة مارلبورو الأولى (١٧٠٢) ، وحملة هوشستت Hochestett (١٧٠٣) ، وحملة الرين والدانوب (١٧٠٤) ، وحملة عام (١٧٠٥) ، وحملة راميلييه (١٧٠٦). وكان العام ١٧٠٧ عام استراحة واعادة تنظيم من اجل حملة (١٧٠٨) وجاءت بعد ذلك حملة مالبلاكيه Malplaquet (١٧٠٩) ثم حملة (١٧١٠) والى جانب هذه الحملات البرية حدثت معارك بحرية وعمليات عسكرية اسبانية ، منها نصر الحلفاء في قادس ، في ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٧٠٢ ، وانضمام البرتغال الى الحلفاء في العام ١٧٠٣ ، واستيلاء الحلفاء على جبل طارق في ٢٣ تموز (يوليو) ١٧٠٤ ، وغزو الحلفاء لاسبانيا (١٧٠٦) .

حملة ايطاليا (١٧٠١) :

بدأت حرب الوراثة الاسبانية بإبراز كل النوايا والأهداف من خلال التعامل مع قلاع الأرض الاسبانية وتحصيناتها حتى الأراضي الفرنسية ، وذلك في آذار (مارس) ١٧٠١ . وقد بدأت بريطانيا وهولاندا استعداداتهما في وقت واحد . ولكن النجاح لم يحالف احداهما في هذه السنة لحشد جيش وزجه في ميدان القتال . ذلك لأن جيش انكلترا في زمن السلم كان ضعيفاً . كما أن هولاندا لم تجد في نفسها الجرأة للدخول وحدها ميدان الحرب . وعلى كل حال . فقد أخذ الأمير أوجين المبادأة على المسرح الايطالي وقاد جيشه النمساوي بهدف الاستيلاء على الممتلكات الاسبانية في شبه الجزيرة الايطالية . وتم حشد القوى في التيرول مع بداية فصل الصيف ، واستطاع الجيش الفرنسي بقيادة كاتينا تشكيل سد أمام الزحف النمساوي . ولكن الأمير أوجين نجح في استخدام الدروب والممرات عبر الجبال بين روفيريدو Roverdo وفيسنزا Vicenza ، حيث المقاطعة الحالية من حدود امارة فينيتيان Venetian . وفي ٢٧ أيار (مايو) ١٧٠١ اتخذ الأمير اوجين تدابير الحيطة الضرورية واجراءات الأمن للتقدم وذلك باقناع السلطات المسؤولة في فينيتيان بعدم التعرض لقواته أو مقاومتها طالما أنها لن ترتكب مخالفة أو تقوم باتخاذ موقف عدواني من السكان . ثم انطلق الأمير أوجين بعد ذلك في مسيرته عبر الدروب التي لم يسلكها جيش منذ أيام شارلكان . وفي يوم ٢٨ حزيران (يونيو) ١٧٠١ ، وصل جيشه الى السهول ، ثم انتشر على مساحة واسعة ووصل الى ليناغو Legnago (القلعة الايطالية في اقليم فيرون على نهر أديج Adig) ثم تجاوزها في محاولة للبحث عن طريق يعبر خلاله نهر أديج الأسفل . وعند ظهور الأمير أوجين في السهل بوغت

القائد الفرنسي كاتينا مباغتة تامة، لأنه كان يعتمد في تنظيم دفاعه اعتماداً كاملا على حياد فينيتيان. كما ارتكب هذا القائد الفرنسي خطيئة كبرى عندما افترض ان الجيش النمساوي مصمم على غزو الممتلكات الاسبانية جنوبي بو Po، فعمل على نشر قواته بشكل ستارة ضعيفة وتنظيم خطوط دفاعية رقيقة حتى يستطيع تغطية جبهة طويلة على امتداد نهر اديج. واستطاع الأمير أوجين العثور على بقعة غير محروسة من قبل القوات الفرنسية فعمل بطريقته الحذرة على اجتياز أديج الأسفل في ليل ٨ – ٩ تموز (يوليو)، وعندها جمع القائد الفرنسي كاتينا قواته فوراً، وحشدها خلف النهر الايطالي مينسيو Mincio في الوقت الذي كان فيه أوجين يستدير شمالا بجيشه لمعاودة تحقيق الاتصال مع خطوط امداداته الاساسية في روفيردو – ريفولي Roverdo - Rivoli. وتعرض الامير اوجين خلال تلك الفترة لصعوبات كبيرة في تأمين امداداته نظراً لأن إمارة فينيتيان لم تعد تسمح للأمير أوجين باستخدام أراضيها لنقل القوات والامدادات. وأخيراً قرر الأمير أوجين مجابهة الموقف وحسمه بالصراع. فاتخذ استعداداته لاختراق نهر مينسيو قريباً من بحيرة بيسشيرا Peschiera. وعلى أبعد مسافة من الجناح الأيسر لجيش كاتينا. وفي ليل ٢٨ تموز (يوليو) نفذ أوجين العملية وتراجع كاتينا بهدوء الى «أوليو» Oglio. ولكن هذا التراجع أثار نقمة القوات الفرنسية لاسيما وأن القوة النمساوية كانت أصغر بكثير من القوة الفرنسية. وفي مطلع آب (اغسطس) نقل تيسيه خصم كاتينا هذا الموقف الى باريس التي ارسلت المارشال فيلروا Villeroy المقرب من الملك الرابع عشر لاستلام القيادة من كاتينا. وكان القائد الجديد أقل كفاءة من جميع الضباط الأعوان الفرنسيين. فعمل قبل كل شيء على شن هجوم ضد الأمير أوجين الذي كان يحتل مواقع دفاعية جيدة في شياري Chiari، وذلك في ١ ايلول (سبتمبر). وانتهى الهجوم بهزيمة كاملة للقوات الفرنسية. وفي الشتاء قام الأمير اوجين بهجوم مباغت على كريمونا Cremona في ليل الأول من شباط (فبراير) ١٧٠٢. وبعد قتال في ظروف غامضة ومعقدة انسحب الأمير أوجين ومعه القائد الفرنسي (فيلار) كأسير حرب، في حين كانت بقية الجيش الفرنسي تتراجع، وعاد الأمير أوجين لقضاء الشتاء في مقر قيادته واستئناف حصار «مانتوا Mantua».

حملة مارلبورو الاولى (١٧٠٢):

بدأ الصراع الحقيقي مع العام ١٧٠٢. وكان بعض مستشاري الملك لويس الرابع عشر قد اقترحوا عليه العمل على تركيز الجهد للدفاع عن الرين والدانوب، وذلك لأن هذه المنطقة هي نقطة التوازن ومركز الثقل في التحالف المضاد لفرنسا. ولكن الملك لويس الرابع عشر لم يستجب لنصح مستشاريه، وزج القسم الاكبر من الجيش الفرنسي على ضفة نهر الموز، وترك جبهة الرين تحت حراسة قوات ضعيفة كلفت بواجب الدفاع، وقد تم هذا التوزيع بالقوى وتحديد الواجبات القتالية بتأثير عوامل سياسية. أما في مسرح عمليات ايطاليا فقد بقي ميزان القوى ثابتاً، ولم يطرأ عليه أي تغيير باستثناء ارسال قائد من أفضل قادة الملك لويس وهو الجنرال ڤاندوم، ليحل محل القائد الأسير (فيلار). وفي البلاد المنخفضة، كلف جينكل Ginkel بممارسة القيادة المؤقتة لقوات الحلفاء (الانكليز والألمان وبعض الامارات الجرمانية الصغرى). وكان جينكل في بدايات احباط مناورات القائد الفرنسي بوفلر Boufflers. وكان التهديد الفرنسي المؤقت بالغزو قد ترك أثراً ثابتاً في السلطات الألمانية التي كانت مواقفها المتخاذلة عاملا في تدمير افضل المخططات التي وضعها مارلبورو، حتى أصبح مرغماً للخضوع إلى عطالتها ورفضها. وعلاوة على ذلك فان هذه العقبات لم تكن المصدر الوحيد لمتاعب مارلبورو الذي كان عليه ايضاً أن يضع في حسابه دائماً موقف كبار قادته وصراعهم فيما بينهم على السلطة والتحزب ورسم المؤامرات على انكلترا، علاوة على ما كان يجب عليه اتخاذه لدفع عوامل الحسد والجبن والتهاون والتمرد والرفض بين دول الحلف التي قدمت فرقها العسكرية لجيشه المختلط. بمثل هذه الصورة بدأت الحرب في القرن الثامن عشر، وتم تنفيذها بجيش شديد التعقيد، سواء في تكوينه أو في تنظيمه. بحيث لم يكن هناك رجل آخر في أوروبا يستطيع المحافظة على قوة هذا الجيش وقيادته كقوة واحدة سوى مارلبورو.

عمل الفرنسيون بالتعاون مع الحاميات على الأرض الاسبانية وفوق هذا المسرح للحرب فنظموا خطاً دفاعياً من التحصينات طوله اكثر من مائة كيلومتر، ويمتد من أنتويرب في الشمال حتى هوي Huy بالاضافة الى خط آخر اكثر طولا ولكنه أقل أهمية في قوته وقدرته الدفاعية يمتد من انتويرب أيضاً ويسير حتى شيلدت – ليس Scheldt - Lys ليصل الى أير Aire في فرنسا. وكان إلى جانب ذلك كله خطوط برابان التي احتلها بوفلر كما احتل جميع قلاع الموز الواقعة تحت هوي باستثناء ماستريتش. ومقابل ذلك فقد عمل مارلبورو على حشد وتركيز قوة مكونة من ستين ألف مقاتل (منهم ١٢٠٠٠ مقاتل انكليزي فقط) في المنطقة المحيطة بمدينة نيجمجن، وذلك في شهر حزيران (يونيو) وبداية تموز (يوليو) ١٧٠٢. وبعد انهاء الاستعدادات تقدم مارلبورو مباشرة حتى دييست Diest المدينة البلجيكية مما حمل بوفلر على التراجع بسرعة للوصول الى خطوط براپان والاستناد الى تحصيناتها. وقد حاول مارلبورو القيام برد فعل ايجابي وذلك بدفع قواته للتقدم بسرعة، وزجها في المعركة لحرمان قوات بوفلر من الاستناد الى تحصيناتها، واستطاع مارلبورو كسب السباق، وتوقف في انتظار وصول جيش بوفلر ليضربه ضربة تصيبه بالشلل وتقعده عن العمل وهو لا يزال متعباً من المسير الطويل، ولكن وفي اللحظة الحرجة، رفض النواب الألمان الاستمرار في المعركة، واكتفوا من النصر برؤية الجيش الذي كان يهدد هولاندا بالغزو وهو ينسحب الى مسافة الأمن دون اهراق قطرة دم واحدة، وذلك في ٢٢ تموز (يوليو). ونتيجة لهذه التجربة المريرة قرر مارلبورو اتخاذ جانب الحذر من سلبية الأمراء الألمان، والعمل على تطويق قلاع نهر الموز وتحصيناته التي لم تلبث ان بدأت بالسقوط تباعاً وبسرعة في قبضة قوات مارلبورو في شهري ايلول وتشرين الاول (سبتمبر واكتوبر) • وتراجع بوفلر الى حدود المنطقة التي يدافع عنها من خطوط براپان، وتوقفت الاشتباكات عند سقوط لييج في قبضة الحلفاء بتاريخ ١٢ تشرين الأول (اكتوبر) ١٧٠٢، وعاد مارلبورو بعدها الى لندن حيث منح لقب دوق في تشرين الثاني (نوفمبر).

وعند عودة مارلبورو الى مسرح عمليات أوروبا، لم يكن ميزان القوى لصالح الحلفاء. وكان التفوق العددي لصالح الفرنسيين (٩٠٠٠٠ مقابل ٥٠٠٠٠). وعلى الرغم من ذلك فقد قرر مارلبورو الوصول قبل خصمه الى ساحة المعركة، وبدأ عملياته بالاستيلاء على بون Bonn في أيار (مايو) ١٧٠٣، ثم وضع (الدوق مارلبورو) مخططه لاختراق الخطوط الدفاعية الطويلة على الجبهة الواسعة للفرنسيين والاسبانيين والاستيلاء على انتويرب. وتنفيذاً لهذا المخطط كان على فيلق ألماني بقيادة كوهورن Coehoorn التجمع في اقليم سلوزى – هولست Sluys - Hulst بينما يتجمع فيلق ألماني آخر بقيادة اوبدام Opdam

في بيرجن – اوب – زوم Bergen - op - Zoom وخلال ذلك يقوم مارلبورو بتنفيذ مناورته خارج الطرقات للانضمام الى جيش الأمير ين الألمانيين أمام التحصينات الفرنسية في انتويرب . ونفذ مارلبورو نصيبه من المخطط ، وقاد تحرك القوات بمهارة ، ولكن القائدين الالمانيين ساعدا الفرنسيين على الخروج من المناورة بنصر ضخم نظراً لعدم تدخلهما في المعركة . وتدخلت هنا مشاريع كبيرة وضعهــا الفرنسيون ، وكان من هذه المشاريع الاستيلاء على ڤيينا بجيش (فرنسي – بافاري – هنغاري) مشترك . وقد أصر الأمير الباڤاري أن يعمل فيلار على عبور الغابة السوداء للانضمام اليه ، ولم يكن فيلار (الذي اطلق سراحه من الاسر وعاد الى قيادة القوات) راغباً في عبور الغابة السوداء منذ وقت مبكر من هذه السنة نظراً لأن ثلثي ضباطه كانوا كالعادة على وشك ترك الخدمة ، أو التخلي عن التزاماتهم في الجيش . والى جانب ذلك فقد قرر كورتييه Courtier أن بقدرته كمارشال ، عــدم التحرك تحت تأثير أي حافز أو تحريض حتى لو كان مصدر ذلك الملك ذاته ، قبل انهاء استعداداته . ونتيجة لذلك ، قرر تالارد Tallard العمــل وحده ، وانطلق في نهاية نيسان (أبريل) ١٧٠٣ للدفاع عن الألزاس ضد الحاكم العسكري لبادن Baden ، كما زج فيلار قواته في مضائق الغابة السوداء ودروبها ، وانضم في ٨ أيار (مايو) الى قوات الأمير الألماني (الاليكتور) في ايبنجــن Ebingen . وكانت كل الظروف منــاسبة للتقدم الى ڤيينا ، ولكن وفي اللحظة الأخيرة أظهر الامير الألماني بعضاً من الندم لتحالفه مع اعداء الجرمان . وتقدم بعرض بديل عن الذهاب الى ڤيينا وذلك بالتوجه الى التيرول Tirol والاتصال بفاندوم في ايطاليا . ولكن هذا العرض لم يحقق شيئاً . فقد نهض التيروليون واشعلوا نار الثــورة بسبب السلوك الشائن والتصرفات الحمقاء للبافاريين الذين تميزوا بقلة الانضباط . أما فاندوم الذي كان راغباً في اللوكسمبرغ فانه كان عملاقاً في ميدان القتال ، ولكنه كان كسولا متراخياً في المعسكر ولهذا فانه لم يتمكن من التحرك أو القيام بعمل ايجابي .

حملة هوشستت (١٧٠٣) :

نظم فيلار المراكز الدفاعية في أولم وترك فيها جيش المقاطعة تحت قيــادة حاكمها العسكري (المارغراف) حتى عودته اليه . أما هذا الجيش فبعد الاشتباك في ماندركينجن Munderkingen يوم ٣١ تموز (يوليو) ١٧٠٣ رجع الى الرين تنفيذاً لأوامر الملك لويس الرابع عشر . وعلى كل حال . فبعد مضي خمسة أسابيع ، رجع جيش مقاطعة أولم وهو بكامل قوته ، وتحرك مع الضفة اليمنى لنهر الدانوب حتى وصل اوغسبورغ Augsburg في ٦ ايلول (سبتمبر) . وخلال هذه الفترة رجع أمير المقاطعة الألماني من حملته الفاشلة في التيرول ، وانضم فوراً الى فيلار في ديللينجن ، وقد شجعه المارشال على مهاجمة الجيش النمساوي الذي كان يغطي ڤيينا وذلك قبــل أن يتمكن الجنرالان من ضم قواتهما ، وكانت النتيجة حدوث معركة هوشستت في ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٧٠٣ التي انتهت بتحقيق نصر كبير لصالح الأمير الألماني وفيلار بخسارة ألف قتيل فقط ، في حين كانت خسائر العدو أحد عشر ألف قتيل . وتعتبر هذه النتيجة ، اكبر نصر حققته حروب القرن الثامن عشر لا سيما وأنها استطاعت إنهاء الحرب بموقعة واحدة . وعلى الرغم من ذلك فان فيلار ذاته لم يفكر في طريقة لاستثمار الظفر أكثر من تحقيق الاتصال دونما عقبة أو عائق بين جيشه وجيش تالار Tallard وقضاء الشتاء في فيرتمبورغ Wurttemberg . وهكذا فان التقدم الكبير حتى ڤيينا لم ينته الى نتيجة حاسمة ، وحقق الفرنسيون نجاحاً كبيراً في تنظيم جيش بافاريا . أما في ايطاليا فان فاندوم لم يحقق شيئاً من المنجزات على الرغم من أن الأمير أوجين لم يظهر أية مقاومة جدية .

حملة الرين والدانوب (١٧٠٤) : على الرغم من حدوث تطور هام في مسارح عمليات الاقاليم المنخفضة وايطاليا بنتيجة معركة الرين والدانوب ، فان مسيرة مارلبورو الى الدانوب في هذه المعركة هي من اكبر العمليات الاستراتيجية للقرن الثامن عشر .

أ – معركة الرين : في البداية كان الامير الالماني والقائد مارسان Marsin (خليفة فيلار) في الموقف الأضعف بين أولم والموز ، وكان يقف في الطرف المقابل الحاكم العسكري للاقليم الجرماني في اقليم ستوكيتش – انجن Stockach - Engen . ونظراً لمسؤوليته في السيطرة على منطقة وسط الرين بكاملها ورغبته في مقاومة الامراء الألمان ، فقد كان موقفه ضعيفاً في كل مكان ، وكان دفاعه عن الرين محدداً عملياً بالصمود في خطوط ستولهوفن ، واقامة موقع دفاعي قريباً من بوهل Buhl في بادن . وكان الفرنسيون ، بفضل سيطرتهم على جيش بريساك وكيهل ، يؤمنون الاتصال مع رفاقهم العاملين في بافاريا . وقد عمل تالار على ارسال فرقة كبرى من المتطوعين عبر مضائق الغابة السوداء ودروبها لدعم جيش مارسان . ولكن العدد الأكبر من أفراد هذه الفرقة تشتت خلال الطريق وهرب من الخدمة . واضطر جيش المقاطعة الجرمانية الى شق طريقه ، وفي الواقع فانه لم يتم تنظيم أي محور نظامي لطرق المواصلات . وقد وضع مارلبورو مخططاً دقيقاً ومحدداً للغاية يتلخص بنقل الفيالق الكبرى من البــلاد المنخفضة الى بافاريا ، وحشد القوات هناك بالتعاون مع الحلفاء لسحق الجيش الألماني التابع للالكتور ، وإلحاق الهزيمة الساحقة به .

وحتى لا يثقل القائد مارلبورو كاهلــه بالمستشارين الألمان واعتراضاتهم ، فقد قرر اغتنام الفرصة والتخلي عن فكرة دعم الوحدات الألمانية ، وتركها تحت قيادة الكنيسة للدفاع عن الموز ، والقى اعباء المغامرة على عاتق الانكليز والوحدات المأجورة التي يدفع لها الانكليز .

ولقد قدر مارلبورو موقفه فوجد أن الفرنسيين سيحشدون المزيد من قواتهم مع كل تقدم له نحو الرين ، وذلك لمنعه من العبور ، عوضاً عن قيامهم هم أنفسهم بالعبور للانضمام الى الايليكتور ودعم مارسان . وعلى هذا فان باستطاعته قيادة حملته للوصول الى وادي نيكار Neckar دون أن يثير الشكوك حول اهداف تحركه الحقيقية ، وعند الوصول الى هناك فان باستطاعته الاختفاء من مراقبة الفرنسيين وقواتهم المدافعة عن الرين ليعاود الظهور من جديد على الدانوب ، حيث لا يتوقع أحد ظهوره هناك . وفي ١٢ أيار (مايو) ١٧٠٤ عبر مارلبورو بجيشه نهر الموز عند ريرمــوند Ruremond . وفي يوم ٢٣ أيار (مايو) وصل بون ، وفي ٢٩ وصل ميتز Mainz ، وفي الأول من حزيران (يونيو) لوحظ ان الفرنسيين المرتبكين يقومون باستعداداتهم لإقامة جسر على الرين عند فيليسبورغ Philisburg ولكن وبعد يومين استدار الانكليز الى اليسار ودخلوا وادي نيكار ، وقد أظهرت فيالق مارلبورو كفاءة عالية وقدرة على تحمل المشاق خلال مسيرتها الطويلة من ريرموند ، ولقد كان من الظواهر الرائعة للعملية في القرن الثامن عشر قيام القوات بمثل هذا الانجاز في عصر تميز بطابعه العام الذي تكثر فيه المثيرات والمحرضات للفرار من جيش قد يتعرض للدمار خلال تنفيذه مثل هذه المحاولات . وقد أعجب الأمير أوجين الى درجة الذهول للدقة الجيدة التي تميزت بها مواقف هذا الجيش . وفي الوقت ذاته فقد كانت الأمور تسير على الجانب الفرنسي في إطار من الاضطراب والفوضى بحيث انه مضى اسبوع كامل على انضمام

جيش مارلبورو الى الجيش الألماني (المارغراف) قبل أن يبدأ جيش فيلروا Villeroy عبور نهر الموز للوصول الى الالزاس ومراقبة فيلق الأمير أوجين، أو بالأحرى الاشراف على مواقع بوهل في ستولهوفن. وهذا يعني ان المبادأة والتفوق العددي اصبحا وبصورة نهائية لصالح مارلبورو.

ب – معركة الدانوب (١٧٠٤): قاد دوق مارلبورو قواته حتى الآن، ونفذ مناورته بنجاح رائع عند الانتقال من مسرح للعمليات الى مسرح آخر وضمن لنفسه جميع الميزات الضرورية للنصر. وأخذ في التحرك من أمام أولم Ulm لينحرف جانبياً بصورة تدريجية على امتداد الجانب الشمالي للدانوب في محاولة للبحث عن ممرات غير محروسة. وكان يتناوب مع دوق الجرمان (المارغراف) القيادة العامة في الأيام المتتالية، وعندما كان يوم دوره في ممارسة القيادة وصل الى امام دونوورث Donauworth وعرف بتدابير الحيطة التي اتخذها لويس، ووجد أن القيام بالهجوم المباشر هو أفضل من انتظار يومين آخرين الى الشرق. وزيادة على ذلك فقد كان في حاجة الى اقليم محدد تتوفر له شروط الحماية لاستخدامه كقاعدة خلفية تضم المستودعات والمخازن. وفي وقت متأخر من بعد ظهر يوم ٢ تموز (يوليو)، اندفع مارلبورو بجيشه لاحتلال الخنادق المحصنة في مرتفع شيللينبرغ Schellenberg القريب من دونوورث، وقد تكبدت القوات الانكليزية خسائر في هجومها، ولكنها لم تتوقف واستطاع (الايلكتور) تنظيم مفرزة قوية، ونجح الهجوم في النهاية في الوصول الى اهدافه. وكانت تكاليف الهجوم ٦٠٠٠ رجل في حين لم يرجع من البافاريين البالغ عددهم ١٢ ألف مقاتل سوى ثلاثة آلاف مقاتل، التحقوا بقطعاتهم الاساسية بعد الانسحاب من التل، وأخذوا بعد ذلك في التحرك من أولم الى لونجن Lauingen وأصبح الحلفاء عند اجتيازهم النهر مطوقين بخصومهم، واستولوا على قلعة صغيرة على الرين ومن ثم تحركوا الى جوار اوغسبرغ Augsburg وهم يدمرون عن عمد وبصورة شاملة أرض الاقليم، بغية ارغام الايليكتور على التفاهم معهم. وأصبح هناك الآن خمسة جيوش في الميدان جيشان للحلفاء وثلاثة جيوش للفرنسيين. ونتيجة لذلك أصبح مركز الثقل والتوازن متعلقاً بموقف معسكر فيلروا Villeroy، فاذا انضم هذا الماريشال الى تالار وتبعه فانه لن تكون لدى مارلبورو قوة كافية للاستمرار في الصراع حتى لو انضم اليه الأمير أوجين، أما اذا انضم تالار



لويس الرابع عشر يعلن دوق أنجو ملكاً لاسبانيا

وحده الى الايليكتور الألماني، وانضم اوجين الى مارلبورو فان اللعبة ستكون لصالح الحلفاء، ولكن واحداً من احتمالات انضمام الجيشين لم تتحقق بسبب عدم محاولة أحد الأطراف للقيام به. وعندما علم الأمير أوجين بأن تالار يتحرك مبتعداً عن فيلروا تحرك للانضمام الى مارلبورو. وفي الواقع فقد كان تالار والايليكتور يتخذان من الأمير أوجين موقف الحذر الكبير، ولهذا فانهما عندما شعرا بتحرك الأمير أوجين اكتفيا بضم قواتهما والتوقف عند اوغسبرغ. كما أن فيلروا الذي كانت في قبضته مفاتيح الموقف لم يتخذ موقفاً حاسماً ووقف موقف المتردد، وأخيراً، وعندما حاول احتجاز الأمير أوجين واعاقته، كان الأمير أوجين قد ابتعد مسافة كافية، ووصل الى خطوط ستولهوفن Stollhofen. وجاء موعد المرحلة الأخيرة من المعركة التي كانت قصيرة وموجزة. فقد كان مارلبورو والأمير اوجين يضعان في تفكيرهما تصفية الموقف بمعركة حاسمة، في حين كان تالار ومارسان يريدانها حرب مناورات وتحركات تستغرق الاسابيع القليلة الباقية قبل حلول فصل الشتاء. وقد تم لقاء الجيشين الحليفين في وادي الدانوب يوم ٦ آب (اغسطس). ووضع مارلبورو الاحتمالين التاليين: إذا حاول الفرنسيون البقاء في الجبهة الجنوبية للدانوب فان على الأمير أوجين العبور، أما اذا عاودوا العبور الى الشمال فان على مارلبورو اتباع الموقف الملائم. وكان الفرنسيون قد وجهوا (المارغراف) لويس أمير بادن لحصار اينغولشتادت Ingolstadt وذلك لمجرد وصول الأمير أوجين الى مسافة الأمن الكافية. ونتيجة لذلك وحالما توفرت التقارير عن توقف الفرنسيين والبافاريين في مواجهة الأمير اوجين، شمالي الدانوب، أسرع مارلبورو فوراً بالعبور

ودون انتظار تحرك امير البافاريين (المارغراف) واتجه كل قائد من القائدين العظيمين الى الأمام وفي اتجاه الآخر. وفي ١٢ آب (اغسطس) حدث الهجوم، وتم تدمير الجيشين فعلياً وخسر تالار ومارسان المعركة بضياع قواتهما.

حملة عام (١٧٠٥):

كانت حملة عام ١٧٠٥ هادئة بعيدة عن الأحداث المثيرة، وذات فائدة قليلة للطرفين المتصارعين. فقد رجع جيش مارلبورو الى البلاد المنخفضة، كما رجع فيلروا الى خطوط برابان واستعاد هوي Huy وأصبح معه الآن دوق بافاريا (الايليكتور) الذي رافقه إلى خطوط برابان. وفي ١٨ تموز (يوليو) ١٧٠٥ وبعد مجموعة من المناورات التي صممت باتقان واحكام ونفذت بمهارة، اخترق مارلبورو خطوط برابان عند نهر اليسيم Elissem قريباً من تيرلومونت Tirlemont، ولكن وعلى الرغم مما حققه مارلبورو من نجاح في بلينهيم Blenheim فانه لم يتمكن من استثارة حماسة النواب الألمان وحملهم على اطلاق يده أو يرغم القادة الألمان على الانقياد لمخططاته. وكان الملك لويس الرابع عشر قادراً على دعم فيلروا عاجلا وتقوية جيش اللورين في الوقت المناسب، ونتيجة لذلك انتهت المعركة بنتيجة لا تزيد على تدمير وابادة المواقع الفرنسية التي استولى عليها الحلفاء. وفي اللورين قاد فيلروا هجوماً بقوات ضعيفة في عددها متدهورة في روحها المعنوية لاخضاع (المارغراف لويس) وفي ايطاليا حدثت اشتباكات عنيفة ومعارك ضارية، فقد اندفع هنا جيش فاندوم في محاولة لاخضاع فيكتور أمادوس Victor Amadeus دوق سافوا، وكان هجومه ناجحاً بحيث اضطر دوق سافوا الى الاسراع لطلب دعم الامبراطور النمساوي. وأرسل الأمير اوجين ومعه قوات دعم جديدة لمجابهة القوات التي كانت بقيادة فيليب (وهو أخو فاندوم) وكان فيليب هذا كسولا، محباً للفنون ولا يصلح للحرب. ولهذا ترك نفسه حتى وقع فريسة للمباغتة التي أوقعه بها الأمير أوجين بهجومه العنيف على خط أدا Adda. ومع هذا فقد امكن تصحيح الموقف في آخر النهار، وأمكن إلحاق الهزيمة بالنمساويين بفضل وصول فاندوم في الوقت المناسب وبفضل شجاعة الابن الاكبر لملك فرنسا (الدوفين) وبذلك انتهت معركة كاسينو في ١٦ آب (اغسطس). وفي هذا الموقف تم تأجيل اخضاع البييدمونت Piedmont حتى السنة التالية.

حملة راميلييه (١٧٠٦) :

كان العام ١٧٠٦ عاماً سيئاً بالنسبة الى الفرنسيين ، فمنذ البداية المبكرة للمعركة في البلاد المنخفضة وصلت المعلومات الى فيلروا بأن بعض قوات الحلفاء التي نظمها مارلبورو وضمها الى جيشه قد رفضت اللحاق به . فغامر بمغادرة خطوطه الدفاعية الجديدة على امتداد نهر الديل Dyle . وتحرك في اتجاه نامور Namur . فأسرع مارلبورو في اتجاهه وذلك ليسبقه في الوصول الى ملاجئه المحصنة وقلاعه القوية على ضفاف نهر الموز . وما ان أقبل يوم ١٢ أيار (مايو) حتى كان مارلبورو في المواقع التي اختارها لاستقبال الفرنسيين بحيث لم يعد قادراً على كسب النصر فحسب ، بل اصبح باستطاعته ايضاً استثمار النصر العظيم في موقعة راميلييه التي حدثت يوم ١٢ أيار (مايو) ١٧٠٦ . وفي ايطاليا استمرت المعركة كما كانت عليه من قبل . وأخذ الصراع ابعاده في فرعين أو اتجاهين ، صراع من جهة من اجل السيطرة على بييدمونت وصراع من جهة اخرى بين الفرنسيين في لومباردي Lombardy والجيش النمساوي الثاني الذي كان من المفروض أن ينضم الى فيكتور أمادوس Victor Amadeus وستارلمبرغ Starlemberg وقد نجح فاندوم في دفع ستارلمبرغ في كاسانو Cassano وارغامه على الانسحاب الى بريسكيا Brescia وبحيرة غاردا Lake Garda ثم تبعه فاندوم ، مستفيداً من غياب الأمير أوجين المؤقت ، لتنظيم هجوم على المعسكرات النمساوية في نيسان (ابريل) ١٧٠٦ . وقد نجح فاندوم في اختراق الدفاع وتدميره تدميراً تاماً (في معركة كالاناتو Calanato ١٩ نيسان) وطرد بقوة بقايا الجيش النمساوي الممزق وارغامها على التراجع حتى الجبال ، حيث جابه الأمير أوجين أعظم الصعوبات في اللحاق بها . واستطاع فاندوم حتى منتصف حزيران (يونيو) إعاقة الأمير أوجين إعاقة تامة واحباط جميع محاولاته للتسلل بين صفوفه للوصول الى بييدمونت . وعلى كل حال ، فقد تغير الموقف عندما طلب الى فاندوم الحضور الى بلجيكا لابطال دور فيلروا . وقد فشل خلفه لضعفه في استثمار الفرصة . وكان فيليب دوق ارليان ومارسان يحاصران مدينة توران Turins . وحالما علم الأمير أوجين بغياب القائد فاندوم أسرع في الظهور ودفع قوات جديدة من الجبال ، واحبط مناورات الفرنسيين في لومبارديا Lombardy ، ثم أسرع في اتجاه توران فعمل فيكتور أمادوس على ترك الدفاع للنمساويين والبيمونتيين المشاة ، وتسلل من خلال قوات الحصار وخطوطهم الدفاعية وانضم الى ابن عمه مع قوة كبرى من الفرسان . وفي يوم ٧ ايلول (سبتمبر) قام اوجين وابن عمه بالهجوم على الخطوط الفرنسية المحيطة بتوران ، وامكن تدمير الفرنسيين تدميراً تاماً وإلحاق الهزيمة بهم على الرغم من تفوقهم العددي الكبير ، وذلك بسبب الاختلاف والانقسام بين قادة الجيش الفرنسي والصراع بين مختلف الفيالق الفرنسية . وانتهت المعركة بمقتل القائد الفرنسي الكبير مارسان وانسحاب دوق اورليان الى بينرولو Pinerolo . وقد أنهت معركة توران عملياً الحرب على المسرح الايطالي . وتحول الموقف في الشمال والجنوب في وقت واحد، وانتقل الصراع الى حدود فرنسا ذاتها . وهنا بدأ المد الفرنسي في التراجع والتقهقر . ولكن ومن هذه النقطة ذاتها ، توقفت العمليات الفرنسية عن الظهور بمظهر العمليات غير الواضحة وغير المحددة بدقة أو التي تشكل مزيجاً غير متجانساً من القوى التي تقوم بالغزوات او التي تنظم نطاقات دفاعية على نحو ما كانت عليه حتى هذه المعركة . وقد تم هذا التحول في الواقع بصورة تدريجيه . فاتخذ الملك لويس الرابع عشر قراره بتعيين فيلار وفاندوم وبرويكس Berwicks عوضاً عن تالار ومارسان وفيللروا . وعلاوة على ذلك فقد كان اقتراب جيوش الحلفاء من الحدود الفرنسية بمثابة حافز أثار في الأمة الفرنسية روح الدفاع الوطني . وكان ظهور هذا الروح يشابه الى حد بعيد تلك الثورة الجامحة التي وحدت الشعب الفرنسي عند اقتراب الحلفاء من حدود فرنسا وتهديدهم لها في العام ١٧٩٢ . وحتى تستطيع فرنسا التقاط انفاسها وحشد هذه الطاقة المتفجرة للروح المعنوية غير المتوقعة ، فقد كان لا بد من فترة استراحة ، وارجاء الأعمال القتالية لمدة سنة ، وكان العام ١٧٠٧ عام الهدوء على جبهات القتال .

حملة عام (١٧٠٨) :

كان الأمير أوجين يتوقع بالنسبة الى عمليات عام ١٧٠٨ تحولا في مركز الثقل ومركز التوازن . واتخذ الاجراءات مع مارلبورو لنقل جيشه، الذي كان مخصصاً ظاهرياً لمعركة الرين، من أجل العمل على خطوط برابان . وذلك لأن جيش الفرنسيين كان متفوقاً بشكل واضح في عدده على جيش مارلبورو ، وأقل بقليل جداً من جيشي مارلبورو والأمير أوجين مجتمعين . عين الملك لويس الرابع عشر ابنه الأكبر ووريثه الشاب (دوق بورغندي Burgundy) لقيادة الجيش الكبير الذي حشده في فالانسيين Valencienne وعين القائد فاندوم مستشاراً له ، وكان الأمير (دوق بورغندي) تقياً ورعاً معتدل المزاج بطيئاً في ردود فعله عنيداً ، والى جانب ذلك لم يكن طموحاً لتحقيق الانتصارات العسكرية ، وكان فاندوم على النقيض تماماً ، مقداماً ، مندفعاً بحماسة تصل الى درجة التهور .

وفي نهاية أيار (مايو) تقدم فاندوم للالتحام مع مارلبورو قبل أن يتمكن الأمير أوجين من الانضمام اليه . وبما أن الفرنسيين كانوا يتقدمون في اتجاه بروكسل ، فقد قرر مارلبورو – بعد أن حشد قواته بتركيز كبير في هال Hal – التراجع بسرعة والقيام بمسير اضطراري للوصول الى لوفان Louvain . وبذلك كسب فاندوم المرحلة الأولى من العملية . وهنا حدث توقف . فقد انتشرت القوات الفرنسية بصورة مباغتة حول الغرب ، وأخذت في اجتياح الفلاندر Flanders ، حيث كان انصارها قد حققوا انتصارات في كثير من المراكز والمقاطعات على الموظفين والمسؤولين ممن وضعهم الحلفاء في مواقع السلطة منذ العام ١٧٠٦ ، وتم حصار غنت وبروغس Bruges ، Ghent في وقت واحد واستعاد الملك فيليب كامل الإقليم غرب شيلدت ، ولم يبق عليه سوى الاستيلاء على اودنارد Oudenaarde . ولقد ناقش الدوق مارلبورو الموقف مع الأمير أوجين ، وكان مارلبورو أكثر رغبة في انتظار وحدات الأمير أوجين بسبب معرفته بعدم وجود خطة للمقاومة عند فاندوم ، ولكن الأمير أوجين اقترح القيام بعمل مباشر خشية فرار الفرنسيين وانسحابهم ، واعتمد مارلبورو على مهارته في تنفيذ مناوراته وكفاءته القيادية بقدر اعتماده على معرفته الجيدة بتمزق القيادات الفرنسية ، فقرر البدء بالعمل واتجه فوراً الى الأمام ، ومع تقدم مارلبورو أخذ الفرنسيون في رفع الحصار عن اودنارد ، وانتقلوا لاحتلال مواقع دفاعية في غافر Gavre على بعد عشرة كيلومترات تقريباً عن المنخفضات السفلى لشيلدت . وفي هذه المرحلة أصبح الاختلاف في القيادة الفرنسية خطيراً . فبدأ فاندوم بوضع قسم من الجيش في موقع دفاعي على امتداد النهر . في حين عمل دوق بورغون على توزيع بقية الجيش في مواقع الى الخلف وعلى مسافة بعيدة من المواقع الأولى . وانطلقت الكتلة الرئيسية من جيش الحلفاء بأقصى سرعتها ، وعبرت شيلدت من جميع الاتجاهات . وفي معركة المواجهة التي اعقبت ذلك ، عمل مارلبورو على فصل القوات وتجزئتها وتدمير الجناح الأيمن للقوات الفرنسية . وانسحب الفرنسيون يوم

١١ تموز (يوليو) بشكل فوضوي الى غنت بعد أن خسروا ١٥ ألف رجل. وقد رغب مارلبورو في متابعة الهجوم والقيام بتحرك مباغت في اتجاه باريس بعد انتهاء معركة أودنارد، ولكن الحلفاء احبطوا رغبته. وخلال هذه الفترة، تم سحب بيرويك من الألزاس، وقام بمناورته حول دواي Douai، بينما بقي فاندوم قريباً من غنت، وكان يعمل بينهما جيشا الامير أوجين ومارلبورو، وقد ركزا جهودهما لتطويق مدينة ليـــل Lille. وفي هذا الاقليم كان المارشال العجوز بوفلر يقوم بالدفاع عن القطاع الرئيسي من تحصينات فوبان Vauban. وقد استطاع بوفلر في الواقع تنظيم مقاومة قوية استمرت فترة طويلة وغير متوقعة في مواجهة جيش الأمير أوجين الذي احكم طوق الحصار، واستمر الموقف على هذه الصورة حتى يوم ٨ كانون الأول (ديسمبر)، حيث وجد المارشال العجوز بوفلر نفسه مرغماً على الاستسلام بعد أن أظهر شجاعة نادرة وكفاءة عالية في قيادة المعارك الدفاعية، وقد عامله الأمير أوجين بفروسية واحترام، فسمح له بكتابة شروط الاستسلام كما يريد. واستطاع الحلفاء بعد ذلك الاستيلاء على غنت وبيرغس دونما صعوبة تذكر. وهكذا جاءت الكوارث متتالية لتلقي بثقلها على كاهل الفرنسيين سواء في اودنارد أو في ليل، وجاء بعد ذلك فصل الشتاء حاملا معه مزيداً من الكوارث والنكبات لتدمر فرنسا تدميراً تاماً تقريباً. وفي حالة من حالات اليأس قرر الملك لويس الرابع عشر الدخول مع الحلفاء في مفاوضات لاحلال السلم، ولكن الحلفاء تقدموا بشروط قاسية جداً بحيث لم يكن الملك لويس الرابع عشر وحده هو الذي رفضها بل ان شعبه ايضاً رفضها وقرر متابعة الصراع حتى نهايته.

حملة مالبلاكيه (١٧٠٩):

اقترح مارلبورو قيام قوات الحلفاء بهجوم في اتجاه باريس مع قدوم ربيع ١٧٠٩، واتخـــذ الاجراءات الخداعية لتمويه القـــلاع والتحصينات التي نظمها. ولكن هذا المخطط كان على درجة كبيرة من الجرأة حتى بالنسبة للأمير أوجين ذاته الذي كان يفضل انقاص المواقع القوية قبل استئناف الاعمال القتالية. وأمكن حصار ليل وتنظيم التطويق حولها بفاعلية ونجاح، وكانت تورنيه Tournai هي الهدف التالي للهجوم، ثم قام الحلفاء بصورة سرية ومباغتة في الانسحاب المنظم واخلاء معسكرات النمساويين المحيطة بمدينة ليل، وذلك في ليل ٢٦ — ٢٧ حزيران (يونيو)، وكأنهم يريدون الهجوم على خطوط دواي Douai، ولكن، وقبل ظهر يوم ٢٧ حزيران، كانت قواتهم تحاصر تورنيه، وبعد ذلك بأيام قليلة كانت مدافعهم تكمل التطويق وتأخذ طريقها صاعدة من ميناء Menin عبر طريق النهر (في أسفل ليس Lys وأعلى شيلدت)، وتم احكام ضغط الحصار القوي وتنفيذه بجرأة وحماسة. وعلى الرغم من ذلك فان الحامية المدافعة عن القلعة لم تستسلم قبل يوم ٣ ايلول (سبتمبر)، وعند ذلك أصبح مارلبورو حر التصرف بصورة مطلقة لنقل جيشه بصورة سرية وعلى مراحل الى نهر هاين Haine، والقيام بالهجوم لاختراق خطوط الدفاع الفرنسية هناك دون مقاومة تقريباً. وبما أن التنظيمات الدفاعية عند مونس Mons كانت ضعيفة، فقد تركز جهد مارلبورو من أجل تطوير عملياته بسرعة كبيرة قبل أن يتمكن فيلار من التدخل لمنعه من الاستيلاء عليها. ولكن فيلار تحرك أيضاً بسرعة أكبر، وارتفعت حماسة جيشه وروحه المعنوية بوصول الماريشال بوفلر اليه بعد اطلاق سراحه من الاسر. وكان بوفلر يعمل مساعداً لفيلار، وقد عاد ثانية للانضمام اليه في لحظة الخطر، وليضع نفسه في خدمة فيلار كقائد ثان له في ممارسة القيادة. وكان القائدان الفرنسيان يعتقدان ان قوات الحلفاء كانت اكثر بعداً الى الشرق مما وصلت اليه في الواقع، ولهذا فقد عمل الماريشال الفرنسي بوفلر على تنظيم تقدمه بصورة سرية مستخدماً بصورة جيدة الأرض وتضاريسها المقطعة والمكسوة بالغابات لاخفاء تحركاته وتمويهها حتى وصل جنوب القلعة واحتل في يوم ٩ ايلول (سبتمبر) الثغرة بين أولنوا Aulnois ومالبلاكيه. وبدأ العمل بصورة محمومة لحمايـــة نفسه وتنظيم مواقع دفاعية قوية.

وفي الوقت ذاته تابع مارلبورو تنفيذ مخططه لحصار مونس، فنقل جيشه بهدف تنفيذ الهجوم بأسرع ما يمكن وفق وصول ألويته الى ساحة المعركة ودون انتظار لوصولها كلها والقيام بالهجوم بها ككتلة واحدة. وفي مواجهة هذه الأزمة قرر مارلبورو اخضاع مشكلة الهجوم لقرار (مجلس الحرب) وكان ذلك على غير ارادة من مارلبورو. فقد وقف الأمير أوجين في معارضة الاشتباك والدخول في معركة غير متوقعة وغير كاملة الاعداد والتحضير. وتبع ذلك بالضرورة فترة من الجمود والتوقف بحيث أنه عندما بدأ مارلبورو هجومه يوم ١١ ايلول (سبتمبر) كان الفرنسيون قد احتلوا المواقع الدفاعية القوية. وهكذا كانت معركة مالبلاكيه في ذروة الصراع اليائس الذي شهدته عمليات حرب الوراثة الاسبانية. وفي النهاية، وعندما تسلم بوفلر القيادة، بعد إصابة فيلار بجراح أعاقته عن متابعة ممارسة القيادة، قرر القيام بانسحاب منظم للتخلص من الاشتباك، واستطاع بوفلر تنظيم الانسحاب وتنفيذه بشكل جيد. وفي الطرف المقابل أصيب الامير أوجين بجراح أيضاً، كما تعرض مارلبورو لأقسى تجربة مريرة يمكن أن يتعرض لها جندي في حياته بحيث لم تعد لديه القدرة للاستيلاء على مونس، وفضل الانسحاب الى مقر قيادته الشتوي. وكانت خسائر الفرنسيين المقدرة تتراوح بين ٧ و ١٢ ألف رجل، في حين ارتفعت تضحيات الحلفاء الى اكثر من ٢٠ ألف رجل.

حملة عام (١٧١٠):

تمركز فيلار دفاعياً في العام ١٧١٠ خلف سلسلة من الخطوط الدفاعية المنظمة بصورة جيدة والتي اعتبرها (خطوطاً لا مثيل لها Ne Plus Ultra) وكانت هذه الخطوط تمتد من البحر حتى فالانسيان. ولم يحاول مارلبورو بعد تجربته الفاشلة في السنة السابقة غزو فرنسا من جهة مونس. وعلى الرغم من بقاء فيلار على رأس الجيش الفرنسي الذي تحمل محنة مالبلاكيه الرهيبة والقاسية، فان هذا البقاء لم يتم دون مجابهة مقاومة بانزال عقوبة تصيب قائد الجيش فيلار. وفي انكلترا ايضاً كان حزب خصوم مارلبورو قد كسب الجولة وأصبحت له اليد العليا في المجلس الاستشاري للملكة، ولهذا لم يعد باستطاعة مارلبورو الاقدام على مزيد من المغامرات او تحمل المجازفات غير المحسوبة، فعاد الى جهة ليل، واستولى على دواي في ٢٦ حزيران (يونيو)، وبيتـــون Buthune في ٢٦ آب (أغسطس)، ولم يحاول أبداً التعرض للهجوم على الخطوط الدفاعية الفرنسية. وفي دوفينـــه Dauphine، استطاع بيرويك دفع هجمات النمساويين والبييمونتيين.

معركة (١٧١٠): كان عام ١٧١٠ آخر عام مارس فيه مارلبورو قيادة الأعمال القتالية، وقد تميزت عمليات هذه السنة بصورة خاصة بالاستيلاء على الخطوط الفرنسية (التي لا مثيل لها) بواسطة مناورة تستحق تسجيلها بأنها مناورة (لا مثيل لها ايضاً) بين مناورات وعمليات القرن الثامن عشر، وذلك من حيث قيادة الحرب بتوافق مع الأسس الاستراتيجية. وفي شهر أيار (مايو) ١٧١٠، جاءت وفاة الامبراطور النمساوي لتمارس دورها في ادخال تعديل كامل على التطلعات السياسية لدول الحلف. بحيث لم تعد القضية بالنسبة الى خلفه

شارل مجرد قضية الحلف من المطالبة بالعرش الاسباني، بل اصبحت بالنسبة إلى من كانوا يقاتلون من أجل المحافظة على توازن القوى، قضية لا يمكن التساهل فيها لأنه لم يعد باستطاعتهم رؤية لويس الرابع عشر وقد أصبح شارلمان أوروبا الجديد. بقي المارشال فيلار في مواقعه خلف الخطوط الدفاعية وفقاً للسياسة الاستراتيجية السلبية والثابتة. ولهذا قرر مارلبورو اخراجه من هذه المواقع المحصنة، ونظراً لعدم توفر القوة اللازمة لإنجاز مثل هذا الهدف الكبير، فقد كانت لدى مارلبورو الثقة بالوصول عن طريق الحيلة والخداع ما كان يعجز عن تحقيقه بالقوة، وكانت الخطوط الدفاعية الفرنسية تبدأ من بحر المانش وتسير مع امتداد نهر كانش Canche (الذي يمر من مونتروي ويصب في المانش وطوله ٩٦ كم) حتى تصل أراس Arras (العاصمة القديمة لمقاطعة أرتوا - با دي كاليه) وعلى طول سين Senne النهر البلجيكي حتى بوشين Bouchain (مركز الشمال في اقليم فالانسيين) عند شيلدت. وبما ان القسم الغربي من الخطوط كان عديم الأهمية، قليل الفائدة، الى جانب كونه قوياً ومنيعاً من وجهة نظر الغزو، فقد اتخذ مارلبورو قراره باختراق الحاجز الدفاعي بين آراس وبوشين. وفي ٦ تموز (يوليو) ١٧١٠، قاد مارلبورو جيشه مبتعداً نحو الغرب متظاهراً وكأنه يريد الهجوم على الخطوط بين آراس ومراكز القيادة الفرنسية في كانش. وتبع فيلار هذه الحركة بحذر. ولكن وفي هذه المرحلة، اضاع مارلبورو صفاءه الذي عرف به وخسر هدوءه، وتصرف بطريقة متصلبة جداً حتى ان جيشه الذي طالما أعجب بقيادته اتهمه بالحماقة والجنون. فقد أرسل مارلبورو قسماً من جيشه الى بيتون Bethune (المدينة القديمة في بادوكاليه القريبة من لو Lawe)، كما أرسل قسماً آخر الى خلف دوييه، وأمر بقية القوة الصغيرة التي بقيت معه بالهجوم على الخطوط الفرنسية بين كانش وآراس، في حين كان فيلار يحتفظ بكامل جيشه في كتلة واحدة. وفي ليل ٤ - ٥ آب (أغسطس) ١٧١٠، انحرفت القوة الرئيسية لجيش مارلبورو نحو الغرب، وسارت بأقصى سرعة لها، وقامت بعبور نهر سكارب Scarpe (الذي ينبع من بادوكاليه ويرفد نهر إيسكوت وطوله ١٠٠ كم) وبعد ذلك تزايدت سرعة المسير حتى تحولت الى هرولة وركض بحيث سقط آلاف جند المشاة منهكين، وفقدوا حياتهم بسبب استنزاف قوتهم وقصورهم عن متابعة التقدم. وتم التوقف بعيداً عن مسرح القتال. ولم تمض على هذا التوقف اكثر من خمسة ساعات حتى كانت بقية قوات الحلفاء تجتاح مواقع الجيش الفرنسي وتستولي على الخطوط الدفاعية الكبرى دون مقاومة تقريباً، بعد ان كانت القوات الفرنسية قد تجمعت في كامبري. وحاول فيلار قيادة هذه القوات والدخول في معركة حاسمة مع مارلبورو الذي رفض الاشتباك في القتال، وقام بمناورته متوجهاً الى مسافة أبعد نحو الشرق، واجتاح بوشان Bouchain . وكانت المواقع مغطاة بنقاط قوية (يمثلها خط من المتاريس والتحصينات)، بحيث أن فيلار لم يحاول ابداً تنظيم هجوم ضدها. وانتهى الأمر بتطويق هذه المواقع من قبل القوات الفرنسية في يوم ١٣ ايلول (سبتمبر)، وبذلك انتهت مجموعة المناورات الرائعة.

وفي شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٧١٠ تم عزل مارلبورو الذي انهى خدمته بشكل غير مشرف. ولكن هولاندا والنمسا قررتا القيام بمحاولة أخيرة لفرض شروطهما الخاصة على الملك لويس الرابع عشر. وكان جيش الأمير أوجين الذي استخدم العام ١٧١١ للتأثير على الانتخابات الامبراطورية، قد تم سحبه الى البلاد المنخفضة عوضاً عن زجه في القتال ضد فيلار. ووعى الأمير أوجين ما تعنيه قصة سقوط مارلبورو، فقرر استثمار الموقف، وأخذ في الاستعداد بصورة سرية، ووضع المخططات لتسلم قيادة قوى الحلفاء المختلفة وزجها كلها في المعسكر الامبراطوري او المعسكر الذي تموله هولاندا. وعندما وصل اورموند Ormonde الذي عينته انكلترا خلفاً لمارلبورو، لم يتبعه سوى ١٢ ألف مقاتل من المرتزقة الذين تدهورت روحهم المعنوية، وارتسم البؤس على جباههم؛ في حين كان جيش الأمير أوجين يضم ١٠٠ ألف مقاتل.

خلال هذه الفترة توفي في شهر واحد وعلى التتابع اثنان من ورثة العرش، وحدثت فترة من الغموض والاضطراب شملت كل شيء، ونشر الحزن ظلاله على فرنسا، وقد أفاد الأمير أوجين من الحظ السيء الذي نزل بفرنسا لتنفيذ باكورة عملياته بنجاح، وأصبح الخطر يقترب من حدود فرنسا، وهنا ثارت شجاعة الملك العجوز في مجابهة الموقف المتدهور، فأعلم فيلار بأنه اذا ما هزم الجيش الفرنسي فانه سينضم بنفسه الى الجيش لمقاسمته مصيره. وعلى الرغم من أن فيلار كان لا يزال يعاني من آلام الجراح التي تركتها في جسمه معركة مالبلاكيه. فانه تسلم قيادة الجيش يوم ٢٠ نيسان (أبريل) وخصص كل وقته حتى نهاية أيار (مايو) لإعادة تنظيم الدفاع وقيادة الأعمال القتالية الدفاعية حتى أرغم أورموند على سحب قواته من ميدان القتال. ونظراً لتراجع انكلترا واقتصار عملياتها على العمل بعيداً عن مسرح العمليات الأوروبي، وممارسة القتال بشكل غير مثمر على مسافة قريبة من البحر، فقد أخذ الأمير أوجين المبادأة، واستولى على لوكيسنوي Le Quesnoy بتاريخ ٤ تموز (يوليو)، وتحرك بعد ذلك الى لاندرسي Landrecies حيث عمل على تنظيم حصار دقيق حولها. ونظم بعد ذلك المجموعة الأخيرة من الأعمال القتالية في الحرب، والتي تمثلت بمعركة دينان Denain، وهي المعركة التي انقذت العرش الفرنسي وأكملت تمزق التحالف المضاد لفرنسا.

معركة دينان (١٧١٢):

أنشأ الأمير أوجين خطوطه الدفاعية خلف متاريس (عوائق) وذلك بهدف حماية معسكراته حول لاند رسي المحاصرة. وتمت إقامة المتاريس والتحصينات بسرعة كبيرة بحيث انه لما وصل القائد الفرنسي فيلار، وجد بأنه من الصعب القيام بالهجوم على هذه المواقع القوية والضخمة. وشعر فيلار بالقلق فأخذ في البحث عن فرصة يستطيع استثمارها لاختراق الدفاع، وكان طريق قوات الأمير اوجين الذي يقوم بحصار دينان يمر من شيلدت فقرر فيلار القيام بالهجوم على هذه النقطة. وفي الساعة التاسعة من مساء يوم ٢٤ تموز (يوليو) ١٧١٢، انتشر الجيش الفرنسي بكامله على الضفة الشمالية لنهر شيلدت، وأسرع الأمير أوجين لاحضار جيشه من لاندرسي لزجه بأقصى سرعة ممكنة ولكن وقبل وصوله بوقت طويل، استطاعت القوات الفرنسية اختراق الخطوط الدفاعية بسرعة العاصفة وتدميرها. واستثمر فيلار انتصاره على الفور وذلك بدفع قواته للاستيلاء على مارشيين Marchiennes وسانت أماند St. Amand، وتم له ذلك، وكانت هذه المواقع تضم جميع مستودعات الأمير أوجين ومخازنه الاحتياطية ومدافعه ومواده التموينية. ووجد الأمير أوجين نفسه مرغماً في يوم ٢ آب (أغسطس) على رفع الحصار عن لاندرسي، والتراجع عبر الطرق البعيدة التي تمر خلف مونس، في حين كان القائد المساعد لفيلار يستعيد دواي وبوشين في ايلول وتشرين الأول (سبتمبر وأكتوبر). وتم التوقيع على معاهدة اوتريخت من قبل جميع المتحاربين (عدا النمسا) في العام ١٧٠٣. وانتهت بذلك حرب الوراثة الاسبانية بالنسبة الى هولندا وانكلترا.

ولكن امبراطور النمسا قرر متابعة الصراع وحده لسنة أخرى، ولكن المحاربين الذين

اتعبتهم الحرب قبلوا التسليم باحتلال فيلار للاندو Landau بتاريخ ٢٢ تموز (يوليو) ١٧١٣ وفريبورغ Freiburg في ٢١ تشرين الثاني (نوفبر) بعد معركة حاسمة. وتم التوقيع على معاهدة راستات Rastatt بين النمسا وفرنسا في ٧ آذار (مارس) ١٧١٤ وبذلك اسدل الستار النهائي على حرب الوراثة الاسبانية.

العمليات البحرية والعسكرية في اسبانيا : نصر الحلفاء في قادس (١٧٠٢) :

في منتصف ١٧٠٢ صدرت التعليمات الى الأميرال الانكليزي السير جورج روك George Rooke بالاستيلاء على قادس بهدف استخدامها كقاعدة للعمليات المقبلة في البحر الأبيض المتوسط، وكانت التقديرات في اوساط قيادة الحلفاء تتوقع حمل الاسبانيين على الاعتراف بالأرشيدوق شارل كلك شرعي لهم، عن طريق قصفهم بالقنابل. وكان من الطبيعي على كل حال تراجع الاسبان عن استقبالهم لمرشح ملك فرنسا الذي لا يتمتع بدعم الجيوش الانكليزية – الهولاندية. وعلى ضوء هذا الموقف فانه لم يكن بالمستطاع تطوير محاولة قادس ودفعها بقوة، وبهذا يمكن القول أن المحاولة كان مقدراً لها الفشل سلفاً. ولقد وجه روك القوة البحرية الانكليزية في اتجاه الشمال من جديد عندما علم بأن الاسطول الاسباني الذي يحمل ثروة ضخمة قد دخل خليج ڤيغو Vigo-Bay، وقررت قيادة الحلفاء على الفور حرمان خصومها من الحصول على الثروة والاستيلاء عليها لأنفسهم. وقاد روك قواته البحرية، واقتحم بها الخليج، وتم إنزال وحدات بحرية بقيادة ارموند للهجوم على القلعة، في حين كان روك يدفع الى الأمام فصيلة خاصة ونجح بواسطتها في اقتحام العائق بالقوة (وهو العائق الذي وضعه الفرنسيون لاقفال المدخل الى الخليج ومنع الوصول الى داخل الميناء) ثم تابعت قوة الانزال طريقها وتمكنت من احتلال الميناء يوم ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٧٠٢ م. وخلال الاشتباك العنيف الذي تبع ذلك نجح روك في إغراق وأسر ٢٤ قطعة حربية فرنسية علاوة على ١٧ غليون (سفينة شراعية ضخمة حربية أو تجارية كان الاسبان يستخدمونها بين القرن الخامس عشر والثامن عشر)، كما استولى على ثروة ضخمة تساوي مليوني جنيه استرليني.

انضمام البرتغال الى الحلفاء (١٧٠٣) :

انضمت البرتغال الى الحلفاء في العام ١٧٠٣، واصبح بالامكان استخدام لشبونة كقاعدة بحرية.

ولكن ارسال الاميرال الانكليزي كلوديسلي شوفل Clowdisley - Shovel قد تم في وقت متأخر جداً، بحيث أنه عندما وصل الى البحر الأبيض المتوسط لم يجد أهدافاً يستطيع التعامل معها. وعند عودته دمر كثير من قطعه البحرية خلال عبورها القنال بسبب اصطدامها بعاصفة كبيرة هوجاء في يوم ٢٧ تشرين الثاني (نوفبر) ١٧٠٣. وقد بذلت جهود ضخمة في العام ١٧٠٤ للوصول الى نتيجة حاسمة، فأبحر روك في شهر شباط (فبراير) وقام بالانزال في أرض الأرشيدوق شارل في لشبونه ومعه وحدات تضم ٢٠٠٠ مقاتل انكليزي وهولاندي بهدف التعاون مع البرتغاليين لغزو اسبانيا. ثم قاد روك اسطوله عبر مضيق جبل طارق، على أمل أن تتوفر له الفرصة المناسبة للقيام بالهجوم على طولون وذلك بالتعاون مع دوق سافوا Savoy الذي كان قد انضم الى الحلف حديثاً. وكانت هذه المناورة تتوافق مع تقدم مارلبورو ومسيرته عبر ألمانيا الى بلينهيم Blenheim، وبذلك يمكن اعتبارها ضربة معاكسة للهجوم الفرنسي الموجه ضد ڤيينا. ولكن، وكما كان يحدث غالباً فيما بعد، فقد فشل التعاون مع سافوا، واجريت محاولة لتحقيق انتصار عن طريق برشلونه لدعم قضية الارشيدوق، ولكن الحاكم رفض قبول قوات الحلفاء، وفي الوقت ذاته نجح كونت تولوز في احضار اسطول الهجوم الفرنسي الى البحر الابيض المتوسط. وعلى الرغم من تحرك الاسطول الفرنسي تحت مراقبة الاسطول الانكليزي بقيادة روك. فان تحرك القطع البحرية الانكليزية كان بطيئاً جداً، بحيث انها لم تتمكن من اللحاق بالفرنسيين الذين دخلوا ميناء طولون دون أن تعترضهم أية مقاومة، وبذلك امكن لهم توحيد قواتهم البحرية الرئيسية العاملة في المحيط الاطلسي وفي البحر الأبيض المتوسط. وأمام هذا الموقف اضطر روك الى عبور مضيق جبل طارق ومقابلة شوفل والنمساويين بين رأس سان فانسان St. Vincent وقادس، حيث عاد بعدها من جديد الى البحر الأبيض المتوسط لمراقبة الأسطول الفرنسي فيه.

استيلاء الحلفاء على جبل طارق (١٧٠٤) :

اتخذ قادة الحلفاء قرارهم التاريخي باحتلال جبل طارق ودفع نطاق نشاطهم وفاعليتهم الى أفق ثلاثمائة ميل فيما وراء لشبونه. وبعد مرحلة طويلة من التحضير للعملية والاستعداد لتنفيذها قاد الأميرال الانكليزي جورج بينغ George Bing الحملة الى هدفها، وبدأ بقصف القلعة، واستخدم في ذلك بعض القطع البحرية الخاصة، وذلك في يوم ٢٣ تموز (يوليو) ١٧٠٤، في حين بدأ الأمير النمساوي جورج بانزال ١٨٠٠ مقاتل من البحرية الانكليزية. ونجح في تمزيق الدفاع المحيط بقشتاله. وكانت القوات المدافعة عن جبل طارق ضعيفة في قوتها ووسائطها فتم إنزال قوة بحرية للقيام بهجوم فوري، وامكن تطويق الموقع في اليوم التالي. وترك روك الأمير جورج ومعه تسعمائة بحار في جبل طارق، وذهب للبحث عن طريقة يصل بها الى تولوز، وفي يوم ٩ آب (أغسطس) وقفت الاساطيل الفرنسية والانكليزية متقابلة في البحر، وفي هذا الموقف بدأت القوات البحرية الفرنسية بالتراجع، ثم حاولت بعد ذلك مضاعفة سرعتها من جديد والتحرك بصورة قريبة وموازية للشاطىء. وتابع روك هذه المناورة، وتقدم بمرونة حتى أصبح قريباً من الفرنسيين، وأرغمهم على الدخول في معركة بحرية خارج مالاقا Malaga في يوم ١٣ آب (أغسطس). وانتهت المعركة بالحاق هزيمة حاسمة بالقوات البحرية الفرنسية. وعاد الحلفاء بعد ذلك الى لشبونه لاعادة اصلاح القطع البحرية واعادة التنظيم والاستعداد. وهناك تقرر ترك الأمير جورج مع قوة البحارة بكاملها وبعض القطع البحرية والمدافع والمواد التموينية وذلك بمهمة الدفاع عن جبل طارق. وبدأ الأمير جورج على الفور بالهجوم البري – البحري بقوات متفوقة تفوقاً ساحقاً. ولكنه لم يتمكن من متابعة عملياته بسبب استبداله بالأميرال الانكليزي ليك Leake الذي وصل من لشبونه، وقد تم تعيينه لممارسة القيادة عوضاً عن روك الذي رجع الى انكلترا. وخلال هذه المرحلة أرسل الفرنسيون المارشال تيسيه Tesse مع وسائط ضخمة للحصار، وحددت للمارشال تيسيه مهمة قيادة الهجوم البري، وتعرض الأمير جورج لضغوط قوية، ولكن ليك استطاع دعمه بقوة وجهزه بالامدادات والتموين من جديد في كانون الأول (ديسمبر) ١٧٠٤. وبتاريخ ١٠ آذار (مارس) ١٧٠٥ م. دمرت قوات ليك من قبل قوات بوانتيس الفرنسي Pointis في ماربيلا Marbella، وعندها عمل تيسيه على رفع الحصار.

قيام الحلفاء بغزو اسبانيا (١٧٠٦)

حضر شوڤيل ولورد بيتر بورغ Peterborough من انكلترا للانضمام الى جهاز القيادة، وبدأ الحلفاء هجومهم الآن وفق مخطط جديد، فتحركت القوة البحرية الى ليشبونه حيث انضمت الى الحملة قوة الجنرال ليك، وتابعت الحملة طريقها الى جبل طارق حيث انضمت اليها ايضاً قوة الأمير جورج وتابعت الحملة البحرية تحركها وهدفها الوصول الى

برشلونه . وعند الوصول اليها عملت على تطويقها واحكام الحصار حولها حتّى استسلمت في ٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٧٠٥ . وقامت قوات الحلفاء باحتلالها ، واثناء الهجوم قتل الأمير جورج ، وهنا أسرع فيليب (المرشح البوربوني) الى كاتالونيا ومعه الماريشال تيسيه لمعاودة الاستيلاء على برشلونه ؛ وأبحرت قوة بحرية من طولون لدعم الهجوم البري الفرنسي . ولكن ليك استطاع إحباط الجهود الفرنسية كلها وارغام الفرنسيين على رفع الحصار بتاريخ ٣٠ نيسان (ابريل) ١٧٠٦ . كما عمل ليك بعد أن تولى من جديد قيادة الاسطول على استخدام الوقت بشكل جيد ، فاستولى على قرطاجنه Gartagena بتاريخ الأول من حزيران (يونيو) ١٧٠٦ ، وليقنت Alicante في ٢٤ آب (أغسطس) ١٧٠٦ ، ثم اتجه بحراً بعد ذلك لاحتلال جزر الباليار ، فاستولى على جزيرة مايورقة Majorca ، وجزيرة يابسه Iviza في شهر ايلول (سبتمبر) ١٧٠٦ . وفي الوقت ذاته كانت قوات الحلفاء تتقدم من البرتغال ، واستطاعت هذه القوات الاستيلاء على مدريد في ٢٦ حزيران (يونيو) ١٧٠٦ ، واعلنت تنصيب الأمير شارل ملكاً على عرش اسبانيا . واستطاع بيرويك Berwick توحيد القشتاليين وتنظيم المقاومة وارغام الحلفاء على التراجع في اتجاه الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة الاسبانية ، واستمر تراجعهم حتّى توقفوا في فالانسيا Valencia عند حدود الشاطئ .

شهدت الفترة بين شهري تموز وآب (يوليو- أغسطس) ١٧٠٦ محاولات جديدة للقيام بعمليات مشتركة ضد طولون . ولكن دوق سافوا تأخر عن التدخل مرة أخرى . وعاد شوفيل مع ١٢ قطعة بحرية فقط بعد أن دمرت بواخره في جزر صقلية بتاريخ ٢٢ تشرين الأول (اكتوبر) ١٧٠٧ . ولم يبق سوى ليك الذي أخذ يمارس نشاطه الآن في البحر الأبيض المتوسط ، واستطاع الاستيلاء على سردينيا في آب (أغسطس) ١٧٠٨ لصالح الحلفاء وفي شهر ايلول (سبتمبر) ١٧٠٨ نجح الجنرال الانكليزي ستانهوب Stanhope في احتلال جزيرة مينورقه (من جزر الباليار) .

وصلت الحرب على مسرح العمليات الاسباني الى درجة كبيرة من الضعف في العام ١٧١٠ . ولكن ستانهوب استطاع اقناع وحدات النمساويين بالانضمام اليه للقيام بغزوة جديدة ، واستطاعت هذه الوحدات في تحقيق بعض النجاح والوصول الى مدريد واحضار الارشيدوق شارل . وتكررت الظروف السابقة ذاتها ، ووجد الحلفاء أنفسهم مرغمين من جديد على التراجع الى الشرق والانسحاب الى الشاطئ تحت ضغط قوات دوق فاندوم . وفي ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٧١٠ امكن الحاق الهزيمة بقوات ستانهوب وأخذ ستانهوب ذاته أسيراً في بريهيغو Brihuego . ولم يعد أمام الحلفاء سوى الانسحاب بشكل منظم الى برشلونه التي أمكن المحافظة عليها والتمسك بها حتّى تم توقيع معاهدة اوتريخت . وفي البحر ، نجح الاميرال الانكليزي ويجر Wager في الاستيلاء على اسطول اسباني ينقل ثروة ضخمة وذلك عند خروج هذا الاسطول من قرطاجنه في ايار (مايو) ١٧٠٨ . ومقابل ذلك استولى القائد الفرنسي دوغاي تروين Duguay - Trouin على قافلة بحرية بريطانية خارج ليزارد Lizard بتاريخ ٢٠ تشرين الأول (اكتوبر) . وفي العام ١٧١٠ قاد الاميرال البحري الانكليزي مارتان Martin قوة بحرية مدعمة بقوة أمريكية من المستعمرات واستطاع الاستيلاء على نوفا - سكوتيا Nova-Scotia وكانت هذه العملية هي نهاية الصراع البحري في حرب الوراثة الاسبانية .

انتهت حرب الوراثة الاسبانية بعقد معاهدتي اوتريخت Utrecht وراستات Rastatt . وتقع مدينة اوتريخت في البلاد المنخفضة (هولاندا) وفيها عقدت الاتفاقية ، وبدأ المؤتمرون اجتماعاتهم في ٢٩ كانون الثاني (يناير) ١٧١٢ ، ووقع الملك فيليب (ملك اسبانيا) تنازله عن حقه في وراثة عرش فرنسا . وبعد ذلك وقعت انكلترا وفرنسا اتفاقية هدنة عاجلة للسلم ، وجاء توقيع المعاهدة النهائية بتاريخ ١١ نيسان (ابريل) ١٧١٣ بين فرنسا وانكلترا اعترف بموجبها الملك لويس الرابع عشر للبروتستانت بحق وراثة عرش انكلترا وايقاف دعمه لعائلة ستيوارت ، وسلمت فرنسا لانكلترا نيوفوندلاند Newfoundland أو Terre Neuve (وهي جزيرة في امريكا مساحتها ١١٠,٦٦٧ كم ٢ عاصمتها سان جان وكانت لفرنسا قبل العام ١٧١٣) ، كما تنازلت لها عن نوفا سكوتيا أو أكاديا (وهي اقليم في كندا يقع على الأطلسي) وكذلك جزيرة سان كيت أو جزيرة سان كريستوف ، وخليج هيدسون . كما تعهد الملك لويس الرابع عشر بتدمير التحصينات في دنكرك . أما الاتفاقية بين فرنسا والاقاليم المتحالفة فقد تركزت بصورة اساسية على ضمان حدود التحصينات وكانت هذه التنظيمات الدفاعية على درجة كبيرة من التعقيد ، وتمتد على مساحة واسعة ، وكانت النمسا وبافاريا تركزان اهتماماً كبير على البلاد المنخفضة ، ولهذا فانهما لم توافقا على شروط اتفاقية السلم . وقد منحت فرنسا الامبراطورية الالمانية امتيازات مشابهة لتلك التي اعطتها لانكلترا بالنسبة الى الاتفاقات التجارية التي تم توقيعها في اليوم ذاته . وفي هذا الوقت ايضاً تم توقيع اتفاقات اخرى بين فرنسا وسافوا ، وفرنسا وبروسيا والبرتغال . وبموجب هذه الاتفاقات استعاد دوق سافوا كلا من سافوا ونيس ، وتعهدت فرنسا بالحصول له على جزيرة صقيلية ، وحصلت بروسيا ايضاً على بعض المكاسب الصغرى على الحدود بما في ذلك قسم من جيلدرلاند Gelderland ونيوشاتل Newchatel ، ومقابل ذلك حصلت فرنسا وبشكل نهائي على مقاطعة اورانج Orange . اما المعاهدة بين فرنسا والبرتغال فقد تركزت بصورة اساسية على التسوية البرتغالية للبرازيل . واعترفت فرنسا لها بذلك . وهناك اتفاقات اخرى تم توقيعها في اوتريخت بين اسبانيا والحلفاء ، ووقعها فيليب الذي أصبح منذ ذلك الوقت الملك الشرعي والمعترف به لاسبانيا . وفي ١٣ تموز (يوليو) ١٧١٣ وقعت انكلترا اتفاقية مع اسبانيا نظمت بموجبها بعض العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين الاقليمين في السابق ، وسلمت اسبانيا لانكلترا جزيرة مينورقه الاسبانية وجبل طارق ، ووعدت باعطاء صقيلية الى سافوا ، كما منحت لانكلترا امتيازاً لمدة ثلاثين عاماً باحتكار تجارة الرقيق بين اسبانيا وامريكا ، وبذلك انتزعت انكلترا من فرنسا ما كانت تحققه من مكاسب ، وتلك هي أهم بنود الاتفاقية . أما اتفاقية السلم بين اسبانيا والاقاليم المتحالفة فانها لم توقع قبل ٢٦ حزيران (يونيو) ١٧١٤ . ولكن الفصل النهائي من الاتفاقية بين اسبانيا والبرتغال تأخر حتّى شهر شباط (فبراير) لعام ١٧١٥ . وكانت الاقاليم المتحالفة مهتمة بصورة رئيسية بالامور التجارية ، فأعطت اسبانيا لهذه الاقاليم افضل الشروط لتنظيم العلاقات التجارية . وقد اشترطت معاهدة اوتريخت ايضاً التعويض للامبراطور شارل الرابع (امبراطور جرمانيا) بمجرد موافقة الامبراطور شارل على تقديم طلب بذلك الى اسبانيا . وكان من المفروض ان يتسلم شارل الرابع نابولي وميلانو والاراضي المنخفضة التي كانت معروفة باسم الاراضي المنخفضة النمساوية . ولكن التسوية السلمية الشاملة لم تتحقق بسبب استمرار الصراع بين فرنسا والامبراطور شارل . وعلى كل حال ، فلم تمض سوى فترة قصيرة حتّى أدرك شارل الرابع بأنه لا يستطيع متابعة الحرب طويلا مع فرنسا دون وجود

حلفاء الى جانبه ، ولذلك قابل ممثله (الأمير أوجين) الماريشال فيلار الفرنسي في راستات ، خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٧١٣ . وتم توقيع اتفاقية الصلح في ٧ آذار (مارس) ١٧١٤ . ووقع شارل الرابع الاتفاقية دون انتظار حضور ممثلي الامارات والمقاطعات المختلفة للامبراطورية . وكان حضورهم ضرورياً لضمان السلم ، وعلى هذا تقابل ممثلو بعض الامراء في الامبراطورية مع اقرانهم من الفرنسيين في بادن بتاريخ ٧ ايلول (سبتمبر) ١٧١٤ ، ووقعت اتفاقية بادن التي وضعت حداً نهائياً للحرب وكانت هذه الاتفاقية آخر معاهدات السلم العام المتفق عليه في معاهدة اوتريخت . وقد تركزت المعاهدة الأخيرة بكاملها على قضية تنظيم الحدود بين فرنسا والامبراطورية للعودة بهذه الحدود الى مثل ما كانت عليه قبل اندلاع حرب الوراثة ، باستثناء واحد هو اكتساب فرنسا لاقليم لاندو Landau .

ولقد تضمنت معاهدة اوتريخت قضية الاتفاقات المحورية التي عقدت خلال الحرب ، وأمكن بذلك تسوية المشاكل الحدودية بشكل حاسم .

حرب الوراثة النمساوية (١٧٤٠–١٧٤٨)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٥) حرب الوردتين (١٤٥٥ – ١٤٨٥)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٨) الحرس الأبيض

(انظر الجيش الأبيض) .

(١٣) الحرس الأحمر

الحرس الاحمر : تعبير يدل على الفصائل العمالية المعبأة سياسياً ، والمسلحة لحماية السلطة البروليتارية او قلب النظام القديم وبناء السلطة البروليتارية .

الحرس الاحمر السوفياتي :

هو كتائب العمال المسلحة الخاصة ، التي كونتها البروليتاريا الروسية ، أثناء إعداد وتنفيذ الثورة الاشتراكية في العام ١٩١٧ . وكان الحرس الأحمر قد تشكل ، لأول مرة في روسيا ، خلال ثورة ١٩٠٥ .

عقب الانتفاضة ضد القيصرية ، في شباط (فبراير) ١٩١٧ ، أخذ عمال بتروغراد وموسكو والأورال والمراكز الصناعية الروسية الأخرى في تشكيل فصائلهم المسلحة . وحملت هذه الفصائل أسماء متعددة ، مثل «الميليشيا العمالية» ، و«المفارز الكفاحية» ، و«الحرس العمالي» . وما أن أخذت الحكومة المؤقتة في تشكيل «الميليشيا المدنية» البورجوازية ، لتحل محل الشرطة القيصرية ، حتى بادرت الطبقة العاملة الروسية ، في نيسان (أبريل) ١٩١٧ ، الى اطلاق اسم «الحرس الأحمر» على فصائلها المسلحة . وقامت اللجان العمالية التي يقودها البلاشفة بتشكيل هذه الفصائل من العناصر العمالية . وقام أفراد الحرس الأحمر بصنع أسلحتهم بأنفسهم ، وغالباً ما كانوا يحصلون على الأسلحة من المخازن الحكومية عنوة ، أو عن طريق جنود انتقلوا الى صفوف الحرس الأحمر .

وظلت فصائل الحرس الأحمر تفتقر الى تكوين تنظيمي متناسق ، والى روابط قوية فيما بينها ، أشهر عدة . مما دفع قيادة الحزب البلشفي الى بذل الجهود للارتقاء بالتدريب العسكري لأفراد الحرس الأحمر ، مع اضفاء شكل تنظيمي جيد عليه ، لزيادة كفاءته القتالية . وميزت ربطة الساعد أفراد الحرس الأحمر عن غيرهم من المسلحين الروس .

وفي تموز (يوليو) ١٩١٧ ، شنت الحكومة المؤقتة البرجوازية حملة تصفية واسعة ضد البلاشفة والحرس الأحمر معاً ، بهدف تحطيم تنظيماتها وتجريدها من أسلحتها . وعندما سحب القائد العام للجيش الروسي ، الجنرال كورنيلوف ، القوات الموالية له من جبهة القتال ، واتجه بها نحو بتروغراد (لينينغراد فيما بعد) ، في آب (اغسطس) ١٩١٧ ، لكي يقيم دكتاتورية عسكرية في روسيا ، هب الحرس الأحمر متصدياً لمحاولته وأحبطها . وسرعان ما تشكلت هيئة أركان عامة للحرس الأحمر ، في المصانع ، والأحياء ، والمدن الروسية . وعزز انتصار الحرس الأحمر على كورنيلوف مركز الحرس ووسع عضويته ، حتى وصل عدد أفراده ، في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٧ ، الى نحو مائة وعشرين ألف شخص .

وفي الثالث والعشرين من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٧ ، وضع الحرس الأحمر نظاماً داخلياً له ، وأنشأ قيادات إقليمية ، وصدرت هذه التنظيمات عن مؤتمر للحرس الأحمر عقد في سان بطرسبورغ (بتروغراد أو لينينغراد) . وبذا أصبح الحرس الأحمر



خيالة الحرس الأحمر السوفياتي



مصفحة للحرس الأحمر (١٩١٧)

تدريب فتيات الحرس الأحمر الصيني

هيئة كاملة التنظيم ، مشكلة من جماعات، وفصائل وسرايا، وكتائب، وكتائب خاصة . ولعب الحرس الأحمر دوراً رئيسياً في انجاز الثورة الاشتراكية في الخامس والعشرين من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٧ (انظر الثورة الروسية) ، وفي احباط هجمات الثورة المضادة خلال الحرب الأهلية الروسية ، كما شارك في المعارك ضد الغزاة الخارجيين خلال حرب التدخل .

وبرزت ، غداة هزيمة الثورة المضادة الروسية، ضرورة تشكيل جيش جماهيري قوي ، مؤهل لصد الهجمات الامبريالية الخارجية . على أن الظروف لم تكن تسمح بتصفية الجيش القديم فوراً ؛ بسبب وقوف روسيا – عملياً وقانونياً – في جبهة الحلفاء ، حتى ربيع ١٩١٨ ، مما استتبع وجود أغلب قواتها المسلحة في جبهات القتال . وللتغلب على هذه المعضلة ، دعا المؤتمر الثاني لسوفييتات الجنود والبحارة الروس الى انتخاب لجان ثورية تتصدى لقيادة وحداتهم . في حين ألغت الحكومة الثورية الرتب والألقاب القديمة في الجيش الروسي ، واستبدلتها بنظام انتخاب القادة . وفي الحادي والعشرين من الشهر نفسه ، صدر « مرسوم حول الجيش الأحمر » عن مجلس مفوضي الشعب . وكان أفراد الحرس الأحمر أول المنخرطين في هذا الجيش . وبذا كان الحرس الأحمر أحد مصادر بناء الجيش الاحمر الروسي .



مجموعة من الحرس الأحمر خلال الحرب الأهلية الروسية

الحرس الأحمر الصيني :

لجأ الرئيس الصيني ماوتسي تونغ وأنصاره في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ، الى تشكيل فصائل « الحرس الأحمر » في العام ١٩٦٦ ، لمواجهة خصومهم السياسيين ، الذين يشكلون أغلبية أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي . وتكون « الحرس الأحمر » في الصين من الطلاب والشبيبة ، وكان بمثابة منظمة ليبرالية من ناحية الانضباط ، وتلتزم بافكار ماوتسي تونغ واتجاهاته السياسية . ولقد تشكلت نواياتها سراً في تموز (يوليو) ١٩٦٦ ، وظهرت الى العلن في آب (أغسطس) من العام نفسه . وتعود نشأة الحرس الاحمر في الصين الى ربيع العام ١٩٦٦ ، اذ انعكس الصراع المحتدم في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ، آنذاك ، على الجامعات في الصين ؛ فجرى الاستقطاب ، ووقع الصدام بين فريقين ، ضم كل منهما مجموعة من الطلبة وأعضاء هيئات التدريس . وبالرغم من ان الصراع دار حول التربية وأساليبها ، إلا أن جوهره كان سياسياً .

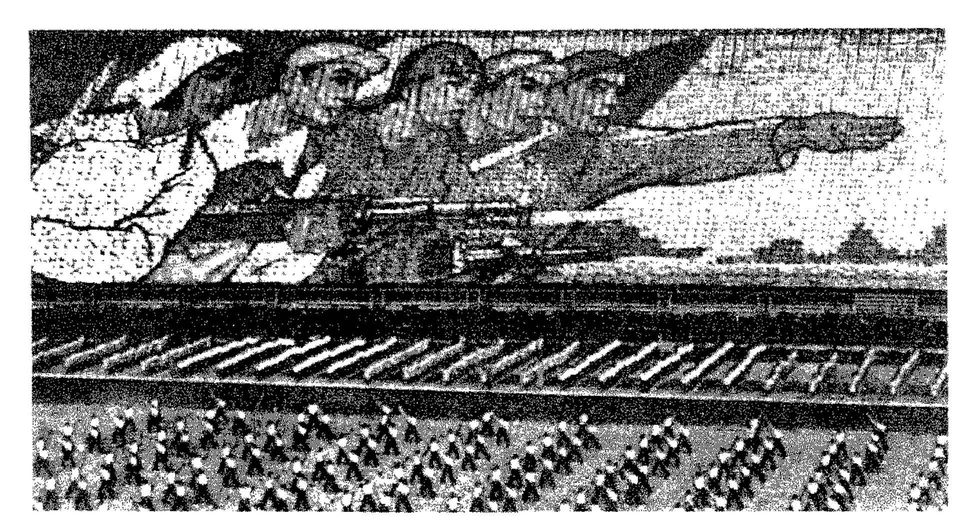
في الثاني عشر من آذار (مارس) عقد اجتماع في تسينان ، ضم كوادر التعليم العالي ، وانتهى الى قرارات ، لم توضع فيها السياسة في المرتبة الأولى ، مما فجر انتقادات بعض الطلاب الصينيين الذين توسعوا في انتقاد نظام التعليم ، واعتبروه منقطع الصلة بالواقع ، وينأى بالطلاب عن حياة الشعب وعن الممارسة السياسية ، وفيه يجري تمييز أبناء البورجوازية عن أبناء العمال والفلاحين ، كما يذكي نظام التعليم هذا نار التنافس الفردي ، وينمي النمط البورجوازي في الفكر والممارسة ، ويدعو الى الطاعة العمياء ، ويمتهن الانسان ، وانه – بالنتيجة – يفرز متعلمين غير مناضلين وغير مثقفين ثوريين . ومن هنا رددت جنبات الصين صرخات جموع الطلبة المنادية بضرورة تجديد نظم التعليم الصينية ، وتثويرها .

وحذا طلبة المدارس الثانوية ، حذو زملائهم الجامعيين ، فطالبوا اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ، في رسالة وجهوها اليها ، بضرورة تثوير التعليم . واتهموا نظام التعليم القائم آنذاك بأنه يوسع الشقة بين العمل اليدوي والعمل الفكري ، وبين العمال والفلاحين ، وبين المدينة والريف ، بعكس ما تنادي به وتعمل من اجله الاشتراكية .

وهاجمت نظام التعليم مجموعة ثانية من الطلبة الثانويين في بكين ، ذكرت في رسالة اخرى بعثتها الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، ان نظم التعليم السائدة ، تعيد السياسة الى المرتبة الثانية ، وتعمل على تكوين تكنوقراطيين ، مما يؤدي الى إعادة الرأسمالية بعد حين . وفي الثالث عشر من حزيران (يونيو) ١٩٦٦ ، أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني والحكومة الصينية قراراً يقضي بتأجيل الامتحانات الدراسية والتسجيل في المدارس مدة ثلاثة أشهر . وبالرغم من توقف المدارس والجامعات عن مباشرة مهامها التعليمية ، إلا أن أغلب الطلبة والمدرسين واظبوا على الحضور الى معاهدهم ، بل أنهم مددوا مدة وجودهم في مدارسهم وجامعاتهم لساعات طويلة من النهار والليل ، خاضوا فيها نقاشات حامية حول التربية والسياسة ، والتأثير المتبادل بينهما . وظهرت الشعارات والبيانات وصحف الحائط داخل المدارس والجامعات الصينية ، وغطت الجدران . وبعد اشهر قليلة امتدت الشعارات والبيانات وصحف الحائط الى خارج المدارس والجامعات ، وعمت معظم أرجاء الصين .

وفي بداية حزيران (يونيو) ١٩٦٦ نجح ماوتسي تونغ في طرد مجموعة من خصومه في اللجنة المركزية ، مما أجج المعركة في الشارع الصيني ، بين مؤيدي ماوتسي تونغ وبين خصومه . واستجابت أغلبية الطلاب والمدرسين لأفكار ماوتسي تونغ ، واشتدت حركة انتقاد خصومه . وجاء انتقال الحرس الاحمر الى العلن غداة انفضاض الدورة الحادية عشرة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ، في أوائل آب (أغسطس) ١٩٦٦ ، حيث نشرت في الثاني عشر من آب (أغسطس) قرارها الذي كانت قد اتخذته في الثامن من الشهر نفسه ، وعرف باسم « البنود الستة عشر » ، وهو القرار الخاص بالثورة الثقافية في الصين .

وفي الأسابيع القليلة السابقة على نشر قرار اللجنة المركزية هذا ، كان بعض الطلاب والمدرسين المؤيدين لأفكار ماوتسي تونغ قد بادروا بتكوين نوى لتنسيق نشاطهم المناهض لنظم التربية السائدة ،



استعراض للحرس الأحمر في بكين

واتخذت هذه النوى طابعاً شبه سري . ويرجح ان ماوتسي تونغ مد اتصالاته الى هذه النوى ، بهدف تشجيعها وحثها على الاستمرار في نشاطها . وبعد الثاني عشر من آب (أغسطس) ١٩٦٦ عم تنظيم تلك النوى في كافة أنحاء الصين . وفي نظم الحرس الأحمر ، التي وضعت في وقت لاحق ، نص على ان باب فصائل الحرس الأحمر مفتوح لأصحاب الوعي السياسي العالي وذوي المواقف الثورية من ابناء الصين .

وتوالت الصفات المختلفة على الحرس الاحمر ، وعرفوا أحياناً بـ « الجنرالات الصغار » ، وملأت حشودهم المدارس والشوارع ، وقد ميزتهم شارة من القماش الأحمر على الساعد ، نقشت عليها ثلاثة حروف كبيرة صفراء ، هي : هونغ دي بنغ (وتعني الحرس الاحمر) بالاضافة الى حروف أصغر حجماً في طرف الشارة ، تبين اسم الفصيلة او المؤسسة التابع لها عضو الحرس الأحمر . وهذه التقسيمات نفسها مطبوعة على رايات كبيرة حمراء ، وهي التي تتقدم كل مسيرة لمجموعات الحرس الأحمر . وكان أغلب أفراد الحرس الأحمر يرتدون بزة كاكية ، في حين كان بعضهم الآخر يرتدي بزة من القطن الأزرق أو الرمادي . وكانت عناصر الحرس الأحمر الصيني تحمل الحراب المزركشة ، وتنتعل صنادل القش . وتتراوح أعمارهم بين الثانية عشر والثلاثين وكان ثمة مجموعات ثورية في بعض المكاتب والمصانع ، ولكن على نطاق أضيق مما في المدارس والجامعات . ونظم الحرس الأحمر في فصائل ، أقامت على مستوى المدينة أو على مستوى المقاطعة قيادات لها .

ولا يعتبر الصينيون فصائل الحرس الأحمر منظمة عسكرية ولا شبه عسكرية . وتعين تلك المجموعات قادتها بطريق الانتخاب ، ويمكن عزل هؤلاء القادة بواسطة من انتخبوهم ، في اللحظة التي يشعر فيها هؤلاء الناخبون بعدم جدارة قادتهم . وجدير بالذكر ان فصائل الحرس الأحمر لم يحدث أن حصلت على تصريح بحمل السلاح من السلطات الصينية . ولقد استخدم تيار ماوتسي تونغ « الحرس الأحمر » في عمليات استعراض قوة ضد الخصوم ، وفي الضغط على الفئات المترددة . لذا كثرت تحركات الحرس الأحمر ، الذي بادر بتغيير أسماء الشوارع والمحلات التي تحمل أسماء قديمة . كما قام بمصادرة أموال بعض الرأسماليين وبقايا كبار الملاك الزراعيين . واقترنت بعض أعمال الحرس الأحمر هذه بالعنف . ومن الواضح أن ماوتسي تونغ وأنصاره في اللجنة المركزية برعوا في الإفادة من تحركات الحرس الأحمر ، وتوظيف هذه التحركات لخدمة خطهم السياسي داخل اللجنة المركزية . ومن هنا استمر ماوتسي تونغ وأنصاره يوجهون الحرس الاحمر لتعزيز الأهداف الثورية .

لقد انحصر نشاط الثورة الثقافية والحرس الأحمر في البداية في بكين وشنغهاي وكانتون ، ثم انطلق بعض أفراد الحرس الأحمر من المدن الثلاث المذكورة الى انحاء الصين ، لينقلوا تجاربهم الى مدنها وقراها المختلفة ، وليوزعوا على جماهير الشعب الصيني « الكتاب الأحمر » ، الذي يضم مقتطفات من أقوال ماوتسي تونغ في الحزب والسياسة والصراع الطبقي والحرب والاقتصاد والادب والفن ... الخ .

واستقبلت العاصمة ، بكين ، مئات الألوف من الشبان الصينيين الذين أتوا اليها من أرجاء الصين المختلفة ، ليروا بأنفسهم ما سمعوه من أفراد الحرس الأحمر عن نشاط الحرس وعن الثورة الثقافية . ونظم الجيش استقبال الحرس الاحمر في بكين ، بشكل دقيق ، من حيث توفير السكن والتموين وتسهيل التنقلات ، واستقبلت بكين ، خلال أربعة أشهر ، مليون ساكن إضافي ، ظلوا يتزايدون مع مرور الوقت طوال الثورة الثقافية . وتوالت مظاهرات الحرس الأحمر في بكين ، والتي خلالها قادة شيوعيون ، مثل لين بياو وشو إين لاي ، خطباً هامة ، اتسمت بالطابع التوجيهي للحرس الأحمر . واثناء احتشاد الحرس الأحمر في ساحة « تين آن من » ببكين ، في الثامن عشر من آب (أغسطس) ١٩٦٦ ، ظهر امام الحشد ماوتسي تونغ ، وقد وضع على يده شارة الحرس الأحمر ، معبراً بذلك عن تأييده المطلق لحركة هذا الحرس . ومنذ ذلك الوقت اخذ لين بياو ، وزير الدفاع الصيني ، يظهر مرافقاً لماوتسي تونغ ، ويبرز كخليفة له . وعلى الرغم من ان ماوتسي تونغ لم يخطب في هذا اللقاء ، إلا أن لين بياو تحدث في الحشد ، فأعرب عن مؤازرته ومؤازرة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني لأعمال الحرس الأحمر ، وشدد على ضرورة الاطاحة بالمسؤولين الذين يريدون ان يعودوا بالصين الى الطريق الرأسمالي . وناشد الحرس الأحمر ضرورة مقاومة « الملكيين » ، وبذل الجهود من اجل التعبئة الواسعة للجماهير ، مع التمسك الصارم بالبنود الستة عشر . وأعقبه شو اين لاي ، رئيس الوزراء ، فأكد على موضوعات لين بياو نفسها .

إن فصائل الحرس الأحمر في الصين لم تكن مسلحة ، ولم تحصل على سمعتها بفضل عملها العسكري بل بفضل توعيتها السياسية . ومن المؤكد أنها لعبت دوراً رئيسياً في حسم الصراع داخل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني لصالح ماوتسي تونغ وأنصاره .

(٨) حرس الحدود

تنظم كل دولة ، وفق طبيعتها ، قوات دفاعية تضطلع بواجب حرس الحدود . في فرنسا على سبيل المثال يضطلع الدرك Gendarmerie بهذا الواجب ، (**انظر الدرك** **) ، بينما تضطلع به في الولايات المتحدة كتائب الحرس الوطني (****انظر الحرس الوطني****) . وفي جمهورية مصر العربية تضطلع قوات حرس الحدود بهذا الواجب ، وهي تشابه في تنظيمها**

وعملها لقوات حرس البادية (انظر قوات البادية). وكانت هذه التنظيمات الداخلية حتى الحرب العالمية الثانية قوات ضعيفة لا تمارس عملا يتجاوز واجب حفظ الأمن. لكن ضرورات الحرب دفعت الى تطوير هذه التنظيمات. ففي الولايات المتحدة استخدمت كتائب الحرس الاتحادية للعمل مع قوات الغزو في اوروبا والشرق الأقصى. ومع انتهاء الحرب، ونظراً لتوسع نطاق التسلح، واحتمال خوض المعارك المقبلة على نطاق اكثر اتساعاً، تم تطوير تنظيم حرس الحدود في اكثر دول العالم، واصبح الواجب الأساسي لهذه التنظيمات يتجاوز واجب حفظ الأمن الداخلي، ليصل حتى تنفيذ واجب حماية الحدود ضد كل عدوان مباغت. فظهرت ألوية وفرق حرس الحدود المسلحة بالاعتدة الثقيلة والمدفعية والصواريخ، والمجهزة بعتاد يماثل تماماً أعتدة الجيوش النظامية. وأصبح ضباط حرس الحدود يتلقون تدريباً في كليات عسكرية وفي معاهد عليا مع ضباط وقادة القوات النظامية سواء بسواء. وأصبح باستطاعة قوات حرس الحدود تلقي الصدمة الأولى للحرب، وإتاحة الفرصة امام كتلة القوات الرئيسية الضاربة للتدخل في الزمان والمكان المناسبين، وبالشكل والحجم المناسبين، لاحباط نوايا العدو، التي يتم اكتشافها بعد تلقي الصدمة الأولى.

وليست قوات حرس الحدود اليوم مجرد قوات دفاعية، على الرغم من أن واجبها هو الدفاع عن الحدود. ولكن طبيعة الدفاع الحديث، وتطور الاساليب التكتيكية والعملياتية، دفعت الى تطوير قوات الدفاع حتى تستطيع التوافق مع طبيعة المعركة الحديثة للأسلحة المشتركة. ويتم تنسيق التعاون بين قيادة حرس الحدود والقيادة العامة للقوات المسلحة. ونظراً للواجب المزدوج الذي يضطلع به حرس الحدود في حفظ الأمن وحماية الحدود، فانه ينظم شبكة من مراكز المراقبة تنتشر على امتداد الحدود، وتجهز هذه المراكز بما هو ضروري من وسائط للقيام بالواجب المحدد لها. وترتبط شبكات المراقبة بالقيادة العامة لحرس الحدود عن طريق الاتصالات السلكية واللاسلكية، بالاضافة الى الوسائل التبادلية الأخرى.

(٨) حرس السواحل

حرس السواحل أو خفر السواحل Cost Guard، تنظيم دفاعي واجبه حماية الحدود البحرية للبلاد. ويعتمد في تنظيمه على قوات بحرية – برية، تقوم بواجبها بشكل متكامل لمجابهة الاحتمالات المختلفة. وتقسم اجراءات الدفاع الى قسمين: دفاع سلبي ودفاع ايجابي. وتكمل اجهزة الرصد والانذار بعيدة المدى واجهزة الاستطلاع البحري جهاز الدفاع وتوفر له القدرة على التدخل في الوقت المناسب.

وتتألف قوات حرس السواحل بصورة أساسية من طائرات هليكوبتر، وقطع بحرية سريعة: (زوارق دورية، وزوارق طوربيد، وزوارق صواريخ)، واجبها القيام بدوريات في حدود المياه الاقليمية، لاكتشاف عمليات التسلل أو الانزال أو كل تحرك مشبوه والتصدي له. وفي حال اكتشاف عملية معادية كبيرة، تقوم دوريات الاستطلاع بالانسحاب والانذار تاركة المجال لتدخل القطع البحرية القوية (بوارج، حاملات طائرات، غواصات الخ ...) وفي حال اقتراب قوات العدو تتصدى المدفعية الساحلية بعيدة المدى لقوات العدو البحرية وتتعامل معها بنيرانها القوية محاولة إيقاف تقدمها واغراقها. فاذا نجح العدو في الوصول الى الشاطىء والقيام بانزال قواته، تبدأ المعركة البرية بتدخل قوات حرس السواحل البرية والمماثلة في تنظيمها وتسليحها للقوات البرية النظامية، ولكن حجم هذه القوات لا يسمح لها بالتصدي عادة لعمليات انزال كبرى. ويقتصر واجبها على ممارسة العمليات الدفاعية واكتشاف نوايا العدو والسماح لكتلة القوات البرية الرئيسية بالتدخل في ظروف مناسبة.

تتعاون قوات حرس السواحل (وهي تابعة لقيادة القوى البحرية) مع وسائط الدفاع الجوي المتمركزة فوق أرض الاقليم. كما يتم تنسيق التعاون بين قيادة القوى البحرية وقيادة القوى البرية لمجابهة اعمال العدوان الكبيرة. ويتم التعاون ايضاً مع قيادة القوى الجوية لتكثيف ضربات القوى البحرية وزيادة فاعليتها. ويعتبر هذا التعاون من أول الظواهر المميزة لمعركة الأسلحة الحديثة المشتركة.

لقد ساعدت التطورات العلمية والتقنية قوات حرس السواحل على القيام بواجباتها. فأجهزة الكشف الالكتروني، والطيران البحري للاستطلاع، وزوارق الطوربيد السريعة والمجهزة بتجهيزات واسلحة متطورة، قد مكنت من اكتشاف محاولات العدوان في وقت مبكر، ووفرت القدرة على التعامل معها بكفاءة. ولكن وعلى الرغم من هذا التطور، فان تنظيم التعاون بين القوى المختلفة لحرس السواحل (مدفعية، مهندسين، مشاة، مدرعات) وكذلك تنظيم التعاون مع الأسلحة الأخرى (طيران وقوات برية)، هي العامل الاساسي لنجاح حرس السواحل في تنفيذ واجبات حماية المياه الاقليمية للبلاد. وان حرس السواحل (كتنظيم دفاعي) لا يعني انتظار وقوع العدوان بل ان امكاناته وقواته تسمح له بالتعامل مع قوات الغزو والانزال ومجابهة العدوان وهو لا زال بعيداً في عرض البحر.

(٨ – ١١) الحرس الوطني

هو قوات مسلحة شبه نظامية ذات مهمة دفاعية. ولقد برزت فكرة الحرس الوطني Garde Nationale تلبية للتوسع في اعمال القتال وزيادة حجم الجيوش، بعد ظهور الاسلحة النارية، وعدم قدرة الجيوش النظامية على القيام بواجب حماية الحدود والدفاع عن الوطن، وكثيراً ما يختلط مفهوم الحرس الوطني بمفهوم الميليشيا نظراً للتشابه الوظيفي بينهما رغم تباينهما الجذري في التنظيم.

فعندما انفجرت الثورة الفرنسية لم يعد باستطاعة الجمهوريين الاعتماد على الجيش الملكي (الذي لم يكن يتجاوز في تعداده ٨٠ ألف جندي) في مواجهة الاخطار الخارجية التي مثلت خطراً حقيقياً في وجه الثورة الفتية. ولذلك بدأ الجمهوريون العمل على إعادة تنظيم الجيش ضمن الظروف الصعبة التي وجدوا فيها، ورغم أن الجيش القائم (الجيش الملكي) تعرض لتبديلات عامة في تكوينه وتنظيمه وجهاز قيادته، فان الثوار بدأوا بتشكيل جيش جديد هو الجيش الجمهوري النظامي، معتمدين على التطوع، إلا أن ذلك لم يوفر للجيش حاجته من العناصر البشرية، فبدأ عندها العمل لتطبيق تجربة «المصادرة» (انظر المصادرة). والى جانب هذين التشكيلين العسكريين فقد أخذت تنظيمات شبه عسكرية تظهر منذ العام ١٧٨٩، معتمدة على العناصر البورجوازية، وقد اطلق عليها اسم الحرس الوطني. وقد تشكل في البداية في باريس، ثم انتشر فيما بعد في كافة المدن الفرنسية. وقد تشكل هذا الحرس من المتطوعين الذين كانوا يؤدون الخدمة مجاناً، ويعيشون في بيوتهم، ويشترون السلاح والالبسة من حسابهم الخاص، وعندما تم تنظيم الحرس الوطني في سرايا وكتائب، اتخذت كل كتيبة علماً لها (مثلث الألوان) كالعلم الفرنسي الحالي، وكان العلم يحمل كتابة على وجه من الوجوه هي: «الشعب الفرنسي»، وكان الجانب الآخر يحمل عبارة «الحرية أو الموت». وكان رجال الحرس الوطني يتدربون في أيام الآحاد، وقد ازداد تعداد الحرس

الوطني مع تقدم الثورة فبلغ في العام ١٧٩٠ بضع مئات الألوف من الرجال. وفي منتصف العام ١٧٩١، بلغ هذا التعداد حوالي المليونين. وبما أن هذا الحرس اعتبر منذ البداية التنظيم المسلح للبورجوازية، فقد نفذ مهمة تعزيز السيطرة البورجوازية داخل البلد، ولكن قلة تدريبه وتنظيمه الخاص جعله غير قادر على الصراع مع العدو الخارجي.

وعند ظهور الاخطار الخارجية، ممثلة بالعدوان النمساوي - البروسي على الاراضي الفرنسية، عمل الثوار على زيادة تعداد الجيش الدائم عن طريق إنشاء كتائب المتطوعين - من رجال الحرس الوطني - وكان تجنيد هؤلاء يتم بموجب عقود لقاء رواتب شهرية. وكانت مهمة كتائب المتطوعين مجابهة اعمال العدوان الخارجي، بينما بقي واجب الحرس الوطني هو العمل داخل البلاد، فكان بذلك يعتبر احتياطياً للقوات المسلحة النظامية. وعندما رسخت جذور الثورة واكتسبت قوة واصبح من الصعب النيل منها تم احداث تطور جديد، وذلك بدمج الافواج الملكية بكتائب المتطوعين. وتم إلغاء الجيش القديم (الملكي) واحتوى الجيش الجمهوري عناصر هذا الجيش، وقد تم ذلك في المرحلة الثالثة للثورة.

تراجع دور «الحرس الوطني» تدريجياً امام تعاظم قوة «الجيش المتطوع». وعندما جاء نابليون بونابرت، ووجد نفسه في صراع مستمر، اضطر الى إعادة تنظيم الجيش وفق أسس جديدة، كما أظهر اهتماماً خاصاً بالحرس الوطني الذي اصبح يعرف باسم «الحرس الامبراطوري» والذي كان يتشكل من الجنود القدامى والمحاربين القدماء ذوي المآثر الخاصة، فأصبح الحرس هو القوة الجبارة في الجيش الفرنسي، ووصل عدد افراده في العام ١٨٠٩ الى عشرة آلاف مقاتل. ثم تزايد هذا العدد حتى اصبح في العام ١٨١١ اثنين وخمسين الف مقاتل. وسمى نابليون حرسه الخاص باسم «الحرس القديم» وكان تعداده عشرة آلاف رجل.

كان تموين الجيش خلال الحرب يتم عن طريق المصادرة المحلية - أي حسب المبدأ الذي طرحته الثورة المحمية بالقوات. وكان من نتيجة هذه السياسة فقدان السيطرة على قوات الحرس الوطني، واقدام افراد الحرس على اعمال السلب والقتل تحت شعار المصادرة، وكان الامبراطور نابليون بونابرت يقر أنه ليس في وسع نظامه الحربي قبول انضباط قاس. ونظراً لأن جنوده لا يعيشون على الاعاشة المنظمة، فقد كان محظوراً أن يتحدث اليه أحد عن ذلك. كما أظهرت التجربة الفرنسية، قلة انضباط رجل الحرس وضعف روحه العسكرية، وتدني كفاءته القتالية. وكان رجال الحرس يهربون من الخدمة بالآلاف، ويتصرفون في بلادهم الاصلية وكأنهم في بلاد غريبة يدخلونها لأول مرة، وقد أدى ذلك كله الى اظهار ضرورة عدم الاعتماد على الحرس الوطني. وكان نظام التجنيد قد أثبت نجاحه في رفد القوات المسلحة بالمقاتلين، فأخذ نظام الحرس في الاختفاء تدريجياً حتى لم يبق له وجود واقعي بعد أيام نابليون.

ومهما كان عليه وضع الحرس الوطني، فقد اعتبرت التجربة الفرنسية تجربة رائدة عند الكثير من الدول الى تطبيقها، بعد أن تأكدت هذه الدول من أنه يصعب عليها انكار دور الحرس كقوة تستطيع دعم الجيش بشكل قوي وفعال. ولكن الخبرة العملية أثبتت أن الاستخدام الاساسي والمجدي للحرس الوطني لا يكمن في استخدامه كقوة هجومية، وانما في استخدامه كقوة دفاعية، وكقوة احتياطية هائلة.

ويعتبر تنظيم الحرس الوطني نموذجاً لتضامن جماهير الشعب كلها وتعاونها على نطاق واسع لخدمة اهداف الحرب، واقدام جماهير الشعب على وضع جميع امكاناتها وقواها المادية تحت تصرف القوات المحاربة. وعندما يبتعد تنظيم هذه القوات عن هذا النموذج، فان الحرس الوطني يفقد صفاته ليصبح جيشاً آخر يحمل اسماً غير الحرس الوطني. وللتمييز بين الحرس الوطني الحقيقي، والقوات التي تحمل هذا الاسم دون أن تكون حرساً وطنياً فان من الضروري الانتباه الى أن الحرس الوطني الحقيقي يتشكل حسب التعبير القائل: «خزان ضخم من القوات لا تحده أية حدود في مجال عمله. ومن الممكن توسيعه بسهولة تامة عندما تم الاستعانة بالحوافز القومية وبوطنية الشعب».

اعتماداً على هذه التجربة الفرنسية أخذ عدد من الدول الاوروبية في تطوير تنظيم قواتها المسلحة. ووضع نظام وسيط يعتمد على التوسع في قبول المتطوعين. وعندما تم الاخذ بمبدأ الخدمة الالزامية أخذ نظام «الحرس الوطني» في الاختفاء تدريجياً من سويسرا وغيرها من دول اوروبا.

أما في الولايات المتحدة، فقد بدأت التنظيمات الشعبية العسكرية مع حرب الاستقلال، واطلق عليها آنذاك اسم قوات الميليشيا، وظهرت اول تسمية للحرس الوطني عندما قدم المركيز دو لافاييت (قائد الحرس الوطني الفرنسي) الى واشنطن من باريس لدعم النضال الامريكي ضد الانكليز، والاشتراك في ثورة واشنطن. وقد وصل لافاييت الى كارولينا الشمالية في ١٧٧٧/٦/١٣، واصطفت كتيبة نيويورك كحرس شرف أثناء زيارته لامريكا، فحملت هذه الكتيبة اسم كتيبة الحرس الوطني، واصبحت حالياً تعرف باسم كتيبة المشاة ١٠٧. ثم أخذت تسمية الحرس الوطني تنتشر بين القوات الامريكية خلال حرب الاستقلال (١٧٧٥ - ١٧٨٢). واعتبر جورج واشنطن أن المواطن - الجندي هو دعامة الوطن، فعمل على اصدار قانون لتنظيم قوات الحرس الوطني في الولايات المتحدة، وتكليفها بمهمة الدفاع المحلي. وعندما بدأت الحرب الاهلية الامريكية (١٨٦١ - ١٨٦٥) كان جيش الشمال لا يضم اكثر من ٧٥٠٠٠ مقاتل، بينما حشد الجنوبيون قوة مكونة من ٤٠٠٠٠٠ مقاتل، ولكن امكانات الشماليين الاقتصادية وكفاءة قياداتهم العسكرية وخبرة قواتهم المقاتلة كانت أفضل من الجنوبيين. وعلاوة على ذلك فقد كانت استراتيجية الجنوبيين دفاعية، وتعتمد على دعم فرنسا وبريطانيا. ولقد اضطرت الولايات الشمالية خلال الحرب الاهلية الى استخدام كتائب الحرس الوطني، واستطاع جيش الشمال احراز النصر، فتعززت بذلك مكانة الحرس الوطني كقوة دفاعية وكقوة احتياطية دعمت جيش الاتحاد عند الضرورات، وتحولت الى قوات هجومية في اكثر من مناسبة.

ثم استخدمت قوات الحرس الوطني في الحرب العالمية الاولى عندما تم قبول متطوعين في صفوف القوات المسلحة لتعمل خارج القارة الامريكية، وكذلك الحال في الحرب العالمية الثانية. فعندما وقعت كارثة بيرل هاربر في بداية الحرب العالمية الثانية (في ٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤١)، اصدر الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت قراراته بتحويل قسم من قوات الحرس الوطني لدعم الجيش الامريكي، وان تعمل سرايا وكتائب الحرس الوطني في الولايات المتحدة الامريكية بأوامر ومقررات الرئيس الامريكي، وذلك بمهمة الدفاع المحلي.

وتسمح القوانين الامريكية للرئيس الامريكي باستخدام قوة الولايات (كتائب الحرس) للعمل في ولايات اخرى من أجل قمع حركات الثورات أو التمرد أو ظهور حركات انفصالية. وهكذا تعتبر قوات الحرس الوطني الامريكي بمثابة قوات أمن داخلي تضطلع بواجب الدفاع المحلي وتتلقى تدريباً عسكرياً يؤهلها لتكون قوة احتياطية للجيش الامريكي. ونظراً لاحتمال استخدام كتائب الحرس وقواته في الدفاع

عن الولايات المتحدة الامريكية فقد تم تنظيمها في إطار الجيش الداخلي (أو المحلي).

وفي انكلترا استخدم الحرس الوطني خلال فترات مختلفة ، فقد تم تنظيم قوات الحرس الوطني خلال فترات الصراع مع فرنسا في القرن التاسع عشر ، ففي العام ١٨٥٩ ، اصبحت فرنسا تشكل تهديداً خطيراً في النزاع بين البلدين ، فلجأت انكلترا الى تنظيم الحرس الوطني للقيام بمهمة الدفاع عن الوطن . واصبحت قوة الحرس الوطني البريطاني تضم ١٥٠ الف مقاتل تم تنظيمهم في كتائب وسرايا مقاتلة .

وفي الدول الاشتراكية اطلقت اسماء الحرس الشعبي ، والحرس الاحمر ، وحرس الحدود على مفارز وقطعات شبه عسكرية تنتدب لمهمات محددة ، ولم تظهر تشكيلات عسكرية شعبية ، طوعية ، أو الزامية مستقلة عن الوحدات العسكرية النظامية التي هي جيش البلاد ، اذا استثنينا فترة الحرب العالمية الثانية والتشكيلات العسكرية وشبه العسكرية العاملة في المناطق الواقعة تحت الاحتلال الألماني آنذاك (الانصار) .

ولقد ألغى التطور التقني الحديث ، وتطبيق نظام التجنيد الالزامي في معظم دول العالم ، الدور التقليدي للحرس الوطني ، ولكن فكرة الحرس الوطني لا زالت تعيش في إطار الحروب التقليدية ، وبصورة خاصة عندما يتحول الصراع الى حرب محدودة أو حرب بين قوى غير متكافئة . واذا ما نظر الى حركات المقاومة وحركات الانصار من حيث طبيعة عملها ودورها الوظيفي ، فانها لا تخرج عن مفهوم الدور الوظيفي للحرس الوطني ، ولو أنها لم تحمل اسمه . وعلاوة على ذلك فقد اصبح تطور مفهوم الصراع والتزامه بأفكار ايديولوجية كالقضاء على الاستعمار ، والتحرر ، ومناهضة الفاشية ، سبباً في تصفية مفهوم الحرس الوطني من العيوب التي كانت تنتقص من مكانته وتسيء اليه .

(١٣) الحركات الثورية في فلسطين

عاشت فلسطين تحت الاحتلال البريطاني ثلاثين سنة ، من ١٩١٨ — ١٩٤٨ ، وتميزت تلك الفترة من تاريخ فلسطين بالحركات الثورية المستمرة المتصاعدة . اذ شهدت البلاد العديد من الصدامات والهبات والانتفاضات والثورات ضد سلطات الانتداب البريطاني وغزوات الاستيطان الصهيوني . فن صدامات ١٩٢٠ ، و ١٩٢١ ، و ١٩٢٤ الى هبة ١٩٢٩ ، فانتفاضة ١٩٣٣ ، وحركة عز الدين القسام المسلحة (١٩٣٥) التي كانت مقدمة لثورة ١٩٣٦ الشعبية المسلحة ، التي امتدت حتى اواخر ١٩٣٩ . ولا يمكن وضع هذه الحركات جميعها في مستوى واحد من ناحية الاعداد والتنظيم والعنف والشمولية . ومن الخطأ تاريخياً اعتبارها كلها ثورات ، لأن بعضها كان عبارة عن صدامات محدودة ، وكان بعضها الآخر هبات اندلعت بشكل عفوي ودون تنظيم سابق ، واتصفت بالمحدودية مـن حيث الشعارات والاهداف والاتساع الجغرافي والمدى الزمني . وكان من بينها انتفاضات سبقها أعداد وتخطيط ، وأشرف عليها تنظيم سياسي او اكثر ، وحملت شعارات اكثر عمقاً من شعارات الهبة . ولقد أدت كل هذه الحركات الثورية المسلحة الى اعداد المناخ الثوري لاندلاع ثورة ١٩٣٦ التي كانت اكثر من الحركات السابقة شمولا ، واعظم اتساعاً ، وتهدف الى تغيير سياسي واجتماعي ، وتعبر شعاراتها ومطالبها واهدافها عن هذا الطموح .

أ — صدامات ١٩٢٠ :

اتسمت المرحلة الممتدة من ١٩١٨ إلى ١٩٢٩ بسيادة الوجهاء — كبار الملاك وابنـاء العائلات الكبيرة — على قيادة الحركة الوطنية فكراً واسلوباً نظراً لموقعهـا الاقتصادي والاجـتماعي والديني . وكان طبيعياً ان تسود في هذه الفترة الاساليب السلبية في الكفاح : مذكرات ، وعرائض ، ووفود تسير إلى الحكومة البريطانية ، ومؤتمرات تعقد بترخيص منها ، وتتمخض عن قرارات معتدلة . وقد ركزت تلك القيادة على توجيه عداء الجماهير العربيـة الفلسطينية إلى الصهيونية دون التشديد على الارتباط الوثيق ما بين الصهيونية والاستعمار البريطاني . ولقد تخللت تلك المرحلة صدامات عديدة بين المستوطنين الصهاينة والسكان العرب . وكان جوهر الصراع وطنياً وطبقياً في آن معاً ، ذلك لأن الصهيونية جاءت بمثابة غزو استعماري استهدف اقتلاع الوجود القومي العربي لشعب فلسطين ، كما ان الصهاينة احتلوا مواقع طبقية ممتازة على حساب عرب فلسطين كموظفين كبار ، وملاك ، واصحاب اعمال من ورش ومصانع ، وكمتسببين في بطالة العمال العرب وكنازعين لاراضي الفلاحين العرب وطاردين لهم من اراضيهم ، ولهذا كانت جماهير الكادحين العرب سدى ولحمة الفريق العربي في الصراع مع الصهيونية .

وكان اول هذه الصدامات ، ذلك الصدام الدامي الذي وقع بين الجماهير العربية الفلسطينية من جهة ، وبين المستوطنين الصهاينة والجنود البريطانيين من جهة اخرى بالقدس ، في الرابع من نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٠ . وكانت اسباب هذا الصدام اكثر عمقاً من مجرد الاستجابة لتحريض قيادة الحركة الوطنية . اذ كان هنـاك اكثر من مصدر للسخط الشعبي المتزايد في اوساط الشعب العربي الفلسطيني . فاللجنة الصهيونية أخذت تدلي بالعديـد من التصريحات الاستفزازية بصدد اطماع الحركـة الصهيونية في فلسطين ، ومحاباة سلطات الاحتـلال البريطاني للمستوطنين الصهاينة على حساب السكان العرب في كافة المجـالات ، الاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها . حيث قررت السلطات البريطانية — على سبيل المثال — اعتبار العبرية لغة رسمية في فلسطين ، واغدقت الامتيازات على اللجنة الصهيونية واعضائها . وهناك أسباب عامة لسخط عرب فلسطين ، لعل ابرزها خيبة املهـم لتنكر بريطانيا لوعودها للعرب بالاستقلال ، بالاضافة الى غضب عرب فلسطين بعد اكتشافهم لما يتضمنه وعد بلفور من منح المستوطنين الصهاينة حق تحويل فلسطين الى وطن قومي لليهود .

وكان لسخط الطبقات العربية الفلسطينية أسباب واضحة ؛ اذ ناء الفلاح العربي الفلسطيني تحت وطأة الضرائب المتراكمة عليه منذ أواخر ايام الاتراك ، والتي اصرت سلطات الاحتلال البريطاني على جمعها بالكامل . ويتضح مدى الجور في هذا ، اذ علمنا ان متوسط الدخل السنوي للفلاح العربي الفلسطيني بلغ ، عندئذ ، نحو ٢٦ جنيهاً ، على حين كان عليه دفع نحو ستة جنيهات كضرائب للحكومة ، اي ما يعادل ٢٣ ٪ من دخله السنوي . ورفضت الحكومة في الوقت نفسه إنشاء بنك زراعي لاقراض الفلاحين العرب ، مما اوقع الفلاح العربي الفلسطيني فريسة للمرابين ، الذين كانوا يتقاضون على ديونهم للفلاحين فائدة تعادل ٣٠ — ٥٠ ٪ . وعمدت سلطات الاحتلال البريطاني الى اغراق الفـلاح العربي الفلسطيني بالازمات . أما مثقفو عرب فلسطين فقد تزايد سخطهم بسبب احتلال البريطانيين والمستوطنين الصهاينة للوظائف العليا في البلاد ، وحصر العرب في بعض الوظائف الصغرى ، بالاضافة الى معارضتهم لسياسة الاحتلال التعليمية الرامية الى تضييق عدد المتعلمين العرب بما يكفي لمد سلطات الاحتـلال البريطاني بالموظفين لادارة البلاد ، وتيسير استغلال وامتصاص مواردها لصالح الاستعمار والصهيونية . في حين اغدقت هذه السلطات الاعتمادات المالية الكبيرة لتدعيم أوساط المستوطنين الصهاينة .

وهناك عوامل اخرى محلية وخارجية ، لعبت دوراً غير هين في إلهاب الحماس الوطني للجماهير العربية الفلسطينية ، كمنع السلطات البريطانية المؤتمـر

الفلسطيني من عقد دورته الثانية في شباط (فبراير) ١٩٢٠، واعتلاء فيصل بن الحسين العرش في سوريا، وقرار مجلس النواب التركي، في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٠، والقاضي بضرورة منح الولايات العربية حق تقرير المصير. ونمو الحركة الثورية في مصر والسودان وسورية ولبنان والعراق والمغرب.

وما ان هل «موسم النبي موسى» في نيسان (ابريل) ١٩٢٠، حتى كان التذمر الشعبي سائداً والسخط مستفحلا. وموسم النبي موسى هو من «المواسم» و«الاحتفالات» التي ابتكرتها عقلية القائد الكبير صلاح الدين الايوبي، بهدف تجميع الناس، واستغلال تجمعهم هذا في التحريض ضد الصليبيين الذين كانوا يحتلون جزءاً من بلاد الشام. ويبعد موقع الاحتفال بموسم النبي موسى نحو ٣٠ كيلومتراً الى الشرق من القدس، ويقع على الطريق من القدس الى اريحا. وتبدأ الاحتفالات بتجمع سكان مدن وقرى فلسطين في مدينة القدس، حيث يفد اليها اهالي نابلس من باب العمود يوم الخميس، ويفد اليها اهالي الخليل يوم الاحد التالي من باب الخليل، ويدخل هؤلاء وأولئك شاهرين سيوفهم ورماحهم، رافعين راياتهم منشدين الاناشيد الوطنية والدينية، ويلتقي الجميع في المسجد الاقصى يوم الجمعة، حيث يتجهون الى النبي موسى للاحتفال.

ولقد وقع صدام نيسان (ابريل) ١٩٢٠، حين منعت الشرطة اهالي الخليل من الدخول الى القدس، ما دفع مواطن من الخليل، يدعى عبد اللطيف ابو سنينة وشهرته ابو الشعر، الى ضرب شرطي بالسيف، وعندها اخذ الحماس جماهير الخليل الوافدة الى القدس، فتدافعت واقتحمت باب الخليل عنوة، وقابلها كل من موسى كاظم الحسيني والحاج امين الحسيني وعارف العارف (من قادة الحركة الوطنية الفلسطينية آنذاك) بالخطب السياسية من شرفة «النادي العربي»، فتأجج حماسها والتهبت مشاعرها الوطنية. وتمخضت الصدامات عن مقتل أربعة من العرب، وخمسة من اليهود، وإصابة ٢٤٩ بجراح، منهم ٢١١ يهودياً، و٧ جنود انجليز. وأصدرت المحاكم احكاماً بالسجن ضد ٢٩ شخصاً، منهم تسعة من العرب، بينهم الحاج امين الحسيني وعارف العارف، اللذين فرا الى دمشق عبر شرقي الاردن. كما نحت السلطات البريطانية موسى كاظم الحسيني عن رئاسة بلدية القدس، وعينت بدلا عنه راغب النشاشيبي.

ب – صدام أيار ١٩٢١:

استمرت أسباب السخط الشعبي على ما كانت عليه، بل ازدادت تفاقماً. ففي تموز (يوليو) ١٩٢٠، استبدلت الحكومة البريطانية الادارة العسكرية في فلسطين بادارة مدنية، ووضعت على رأسها هربرت صموئيل، احد ابرز صهيونيي بريطانيا وأحد صانعي وعد بلفور، وهو الذي وصفه حاييم وايزمن بقوله «صموئيلنا». وفي عهده ازداد ظهور الانحياز البريطاني للصهيونية وللمستوطنين الصهاينة في فلسطين. كما زادت احوال الشعب العربي الفلسطيني سوءاً؛ إذ منع صموئيل تصدير الحبوب والزيت، ما ادى الى انخفاض اسعارها في فلسطين بسبب كثرة المعروض منها، وصفى صموئيل البنك الزراعي العثماني، وأمر بتحصيل الجزء الاكبر من ديونه قسراً من صغار الفلاحين، لهذا اشتدت حالة الفلاح العربي الفلسطيني سوءاً. وقدم صموئيل أكثر من مائة ألف دونم من اراضي الدولة التي كان يستغلها العرب الى المؤسسات الصهيونية. ونقل – بمقتضى تشريعات جديدة – ملكية اراضي ٢٢ قرية في سهلي الحولة ومرج ابن عامر الى الدولة، ثم فوضها للمستوطنين الصهاينة. وأخرج سكانها، وهم اكثر من ٢٥ ألف نسمة، وحجز اراضي ومواشي من عجز عن تسديد قروضه من الفلاحين العرب. وفي عهده اتسعت الهجرة اليهودية الى فلسطين، فعلى سبيل المثال، سمح في ٢١ آب (اغسطس) ١٩٢٠، بدخول ١٦٥٠٠ مهاجر خلال سنة واحدة. ويقول احصاء بريطاني رسمي، انه في حزيران (يونيو) ١٩٢١، كان ١٧٩ بريطانياً يشغلون وظائف عليا منهم ١٤ بريطانياً يهودي الديانة، على حين لم يشغل العرب (وهم ستة اسباع السكان) سوى ١٤٥ من هذه الوظائف، وشغل المستوطنون الصهاينة ٥٠ وظيفة اخرى منها. وشغل الانجليز ٨٩ وظيفة متوسطة، بينهم ١٣ انجليزي يهودي الديانة، في الوقت الذي احتل فيه العرب ١٤٨٨ وظيفة متوسطة، وشغل المستوطنون الصهاينة ٥٦٦ من هذه الوظائف. لذا كان طبيعياً، والامر كذلك، ان يتعمق سخط مثقفي الشعب العربي الفلسطيني. ولقد زاد من هذا السخط احداث عديدة أهمها: قيام المجلس الاعلى للحلفاء، المنعقد في سان ريمو في الخامس والعشرين من نيسان (ابريل) ١٩٢٠، بوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، مع الزام بريطانيا بتنفيذ وعد بلفور؛ وقيام فرنسة في تموز (يوليو) ١٩٢٠، بابعاد فيصل بن الحسين عن سوريا، واحتلال سوريا؛ وضغط الحلفاء على السلطان التركي محمد السادس، واجباره في آب (اغسطس) على توقيع معاهدة سيفر التي اعترف السلطان فيها بانتداب فرنسة وبريطانيا على سورية وفلسطين والعراق.

وبدأ صدام أيار (مايو) ١٩٢١، حين اصطدمت مظاهرتان يهوديتان في تل ابيب، اثناء احتفالهما بعيد أول ايار (مايو)، وكانت الاولى للشيوعيين والثانية لأحدوت هاعفودا، واتجهت مظاهرة الشيوعيين الى حي المنشية بمدينة يافا الملاصق لمدينة تل ابيب، ويبدو أن سكان يافا العرب اساءوا فهم مقصد الشيوعيين من مظاهرتهم، فاصطدموا بهم، واجهت الشرطة البريطانية الصدام باطلاق النار. وانتقلت الشرارة الى مناطق مختلفة من البلاد، فهاجم العرب مستعمرات المستوطنين الصهاينة مثل: رحابوت، والخضيرة، وبتاح تكفا، وديران، واليهودية، على حين هاجم الصهيونيون بلدة قلقيلية العربية ونهبوها. وانتهت الصدامات بعد نحو اسبوع، وتمخضت عن مقتل ٤٨ عربياً و٤٧ صهيونياً، وإصابة ٧٣ عربياً بجروح، وضعف هذا العدد من الصهاينة. وأصدرت المحاكم أحكامها بسجن ٤٧ عربياً وابعاد سبعة من عرب يافا الى القدس، ونفى ثلاثة من قادة الشيوعيين (وكانوا من المستوطنين اليهود) الى خارج البلاد.

ج – صدام آذار (مارس) ١٩٢٤:

وفي آذار (مارس) ١٩٢٤، تجددت الصدامات الدامية بين العرب والمستوطنين الصهاينة، نتيجة استفزازات قام بها المستوطنون أثناء احتفالهم بعيد «استر» والمعروف عند العرب بعيد المساخر، والذي يرتدي فيه اليهود الملابس الهزلية (الكرنفال) ويرقصون فيه، وقد قام بعض المستوطنين بارتداء ملابس رجال الدين الاسلامي، وطافوا الشوارع والاحياء، مما استفز مشاعر المسلمين الدينية، فحاولوا منعهم من التعرض برجال الدين الاسلامي، دون جدوى. وكانت الصدامات الدامية في تل أبيب، ولقد القت حكومة الانتداب البريطاني القبض على نحو ١٥٠ عربياً، عادت وأفرجت عنهم بعد ثبوت براءتهم.

د – هبة البراق ١٩٢٩:

بعد المؤتمر الوطني الفلسطيني، المنعقد في يافا في حزيران (يونيو) ١٩٢٣، عجزت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية عن عقد مؤتمرها السابع طوال خمس سنوات. بسبب حدة التمايز بين القوى التقليدية التي شكلت المؤتمرات الستة السابقة. ذلك لأن قوى الثورة المضادة التي شاركت في المؤتمرات المذكورة عادت الى مقاطعة القوى الوطنية التقليدية في قيادة

الحركة الوطنية ، بعد وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني في تموز (يوليو) ١٩٢٢ . وفي الوقت الذي كان خروج قوى الثورة المضادة من المعسكر الوطني تطهيراً له ، قامت القوى الوطنية التقليدية بالسعي وراء قوى الثورة المضادة ، تسترضيها وتعرض عليها شتى التنازلات على حساب الخط الوطني . الا ان قوى الثورة المضادة سرعان ما دخلت في مرحلة التأطير ، بغية رفع درجة تنظيم صفوفها . فكان حزبا « الزراع » و « الوطني » في اواخر العام ١٩٢٣ ، نتاجاً لهذا الاتجاه .

وأسنت الحركة الوطنية الفلسطينية فيما بين ١٩٢٣ و ١٩٢٩ ، بسبب هــذا التردي . وفي حزيران (يونيو) ١٩٢٨ ، توصلت القوى الوطنية التقليدية الى اتفاق مع قوى الثورة المضادة ، لعقد المؤتمر السابع ، بعد أن حازت قوى الثورة المضادة على اكثر من نصف مقاعد هذا المؤتمر . وكان اصرار الاتجاهات السياسية التقليدية على عقد هذا المؤتمر ناجماً عن عدة أسباب : أ) رغبة القوى الوطنية التقليدية في التصدي للحكومة ، التي منحت حق استغلال املاح ومعادن البحر الميت لشركة صهيونية ، ومعروف ان رئيس المؤتمر ، موسى كاظم الحسيني ، كان احد المتقدمين للحصول على هذا الامتياز ؛ ب) التحضير لتلقي منحة حكومة الانتداب لاهالي فلسطين ، ونعني بها « المجلس التشريعي » التي اشاعت حكومة الانتداب انها بصدد تكوينه في فلسطين ، توطئة لمنح البلاد الحكم الذاتي ؛ ج) مواجهة « قانون ضريبة الاملاك في المدن » ، الصادر في اول العام ١٩٢٨ ، والذي أدى الى تقارب القوى الوطنية التقليدية وقوى الثورة المضادة بشكل مصلحي ؛ د) كما ان قوى الثورة المضادة حققت انتصارات ملموسة في انتخابات المجالس البلدية التي اجريت في انحاء فلسطين ، في ربيع ١٩٢٧ ، مما عزز مواقع الثورة المضادة ، وزاد من إلحــاح القوى الوطنية التقليدية على ضرورة التحالف معها باسم « وحدة الصف » .

وكاد المؤتمر السابع ان « يسفر عن المطالبة بحكومة وطنية في ظل الانتداب » ، على حد تعبير محمد عزة دروزة ، احد المشاركين في هذا المؤتمر . وانبثقت عن المؤتمر السابع لجنة تنفيذية ممثلــة للاتجاهين معاً ، وانتخبت لهذه اللجنة امانة سر من ثلاثة اعضاء ، اثنان منهما يمثلان قوى الثــورة المضادة . وغلب على اللجنة التنفيذية طابع الذاتية والمحلية ، وغرقت الى اذنيها في المهاترات والصراعات غير المبدئية . وكان الحل الوسط هنا جسراً مر عليه اقصى اليمين الى النجاح ، على حساب الحركة الوطنية .



مجاهدون عرب أثناء المعركة

وعندما هلت سنة ١٩٢٩ ، كانت احــوال الشعب العربي الفلسطيني الاقتصادية قد ازدادت سوءاً ، خاصة بعد تعرضت البلاد للجراد والزلزال والوباء التي اجتاحت البلاد عام ١٩٢٧ . خاصة وان عام ١٩٢٩ كان بداية الازمة الاقتصادية العالمية الشهيرة (١٩٢٩ – ١٩٣٢) . وبالاضافة الى ذلك ، فقد سهلت التشريعات التي سنتها حكومة الانتــداب البريطاني ، من تدفق المزيد من المهاجرين اليهود الى فلسطين ، حتى فاق عدد من دخل منهم الى فلسطين منذ الاحتلال البريطاني وحتى بداية العام ١٩٢٩ ، المائة ألف مهاجر ، عدا الآلاف العديدة الاخرى من المتسللين غير الشرعيين . واقترنت هذه الهجرة باتساع رقعة الاراضي التي انتزعت من الفلاحين العرب ، وتم طردهم منها ، وحرمانهم من العمل فيها كأجراء . وقننت الحركة الصهيونية هذا الحرمان في شعاري : « العمل العبري » و « احتلال العمل » ، اللذين أشهرتهما الصهيونية في وجه العمال والمزارعين العرب الفلسطينيين ، وبلغ عدد العمال العاطلين في العام ١٩٢٧ ، ٨٤٤٠ عاملا يهودياً ، و ١٦٠٠ عاملا عربياً .

وكانت مساحة مجمل ما منحته حكومة الانتداب للشركات الصهيونية من اراضي ٨٢ ألف دونم من الاراضي الاميرية ، علاوة على ما قدمته الحكومة للشركات الاحتكارية الصهيونية ، ومنها ٧٥ ألف دونم لشركة البوتاس ، و ١٨ ألف دونم أخرى لشركة كهرباء روتنبرغ ، كمــا نقلت سلطات الانتداب امتياز تجفيف سهول الحولة الى الشركات الصهيونية ، وتبلغ مساحة هذه السهول نحو ثلث الاراضي الخصبة في فلسطين .

وفي مجال الصناعة ، اشتدت منافسة الصناعات اليهودية للصناعات العربية ، واعتمدت الصنــاعة اليهودية على المؤازرة الحكوميــة ورؤوس الأموال الضخمة والخبرة الفنية العالية ، وهي عوامل هامة افتقرت اليها الصناعة العربية في فلسطين ، مما حال دون تطورها بالشكل المرتقب ، بل وشوه نمــو البورجوازية العربية الفلسطينية ، وزاد نقمتها ، ومن ثم ثوريتها ، خاصة بعد أن احتكرت المؤسسات الصهيونية توكيلات الصناعات الانجليزية والامريكية وغيرها من الصناعات الاستعمارية .

ولقد تضافرت كل هذه العوامل لخلق مناخ متوتر قابل للانفجار . ووسط هذا المناخ المتوتر احتفل المستوطنون الصهاينة بعيــد غفرانهم ، في الخامس عشر من آب (اغسطس) ١٩٢٩ ، وقاموا باستفزاز المسلمين ، عندما صاحوا مطالبين بامتلاك حائط المبكى على اعتباره الجزء الباقي من قصر سليمان بن داوود ، ورأى المسلمون ان في ذلك تحدياً لمشاعرهم الدينية خاصة وأن حائط المبكى هو الحائط الذي حط فيه « البراق » عندما أسرى بالنبي محمد (صلعم) الى السماء . وأدى هذا الوضع إلى توتر حــاد في مدينة القدس ، خاصة وان المسلمين كانوا يحتفلون بالمولد النبوي ، فاتجــه المصلون من المسلمين الى الحائط وحاولوا انتزاع الستائر والمقاعد التي وضعها المستوطنون اليهود هناك ، مما تسبب في اشتباكهم مع اليهود ، الا ان الشرطة نجحت في تهدئة الموقف وانهاء الاشتباك .

وفي اليوم التالي ، اشتبك بعض الشبان الصهاينة مع بعض الفلاحين العرب في احدى ضواحي القدس ، وجرح على أثر ذلك ١٤ عربيــاً ، وخمسة من الصهاينة ، ومات احدهم . وتجدد الصدام اثناء تشييع جنازته ، في ١٩ آب (اغسطس) ، وتمخض عن اصابة ٢٤ عربياً ويهودياً وشرطياً بجروح . وفي يوم الجمعة ٢٣ آب (اغسطس) احتشد المصلون في المسجد الأقصى بالقدس ، وخرجوا في مظاهرة ، ضاربين عرض الحائط بتحذيرات المشايخ . وفي هذا الوقت اعتدى بعض الصهاينة المسلحين على نساء واطفال قرية « لفتا » ، مستغلين غياب رجالها لاداء الصلاة بالقدس ، واسرع الرجال لنجدة نسائهم واطفالهم ، وسرعان مــا سرى القتال الى القرى المجاورة ، ومنها الى بقية ارجاء فلسطين .

ويلاحظ ان السلطات الانجليزية ظلت ملتزمة الصمت طوال الايام الاولى للصدام ، مطبقة بذلك سياسة « فرق تسد » ، وحتى تسمح للسخط العربي بالتعبير عن نفسه من وقت لآخر ، شريطة أن يتجه العنف نحو المستوطنين الصهاينة لانحو سلطات الانتداب . وبمجرد ان تتسع هذه الصدامــات ،

وتتطور بدرجة تهدد بتحولها ضد الانتداب نفسه ، كانت سلطات الانتداب تتدخل ، وتوجه ضربتها الشرسة للجانب العربي ، ثم تظهر بمظهر « الحكم » بين الطرفين المتصادمين .

واصدر بعض قادة الحركة الوطنية (الحاج امين الحسيني وبعض الوجهاء) بياناً في ٢٤ آب (اغسطس) طالبوا فيه الشعب العربي الفلسطيني بالتذرع بالصبر والتوقف عن الصدام . وفي اليوم نفسه هاجم عرب الخليل الحي اليهودي بالمدينة ، وقتلوا ٦٤ مستوطناً صهيونياً . وعقدت جماهير نابلس وطولكرم وجنين مؤتمراً في نابلس ، ندد فيه الخطباء بالحكومة ، وطالبوا باستعادة الاراضي التي انتزعها الصهاينة ، واخراج كبار الملاك ممن باعوهم هذه الاراضي من ذلك المؤتمر . ثم توجه المجتمعون الى مركز شرطة المدينة ، واستولوا على السلاح الموجود فيه ، ورفعوا علم فلسطين فوقه ، بعد أن فقدوا تسعة شهداء ، كما هاجم اهالي بيسان بعض المستعمرات اليهودية المحيطة ببلدتهم . وحدث الشيء نفسه في يافا .

وفي ٢٥ و ٢٦ آب (اغسطس) ، عززت الحكومة قواتها المسلحة ، فاستقدمت خمسة آلاف جندي بريطاني من مصر ومالطة ، وست قطع بحرية بريطانية ، رابطت في مينائي يافا وحيفا للارهاب . كما قبعت ١٢٠ طائرة حربية بريطانية في مطارات فلسطين المختلفة ، انتظاراً لمواجهة ما يستجد في الموقف الملتهب . وقتل عرب القدس بعض الجنود البريطانيين ، وقطعت الجماهير العربية الثائرة خطوط الهاتف في اكثر من مكان . واوقفت الحكومة خط حديد فلسطين — مصر . وجرد الثائرون العرب بعض الجنود البريطانيين من أسلحتهم أثناء مرور القطار الذي يقلهم قرب حيفا . على حين هاجم المستوطنون الصهاينة المسلحون ضاحية ابو كبير في يافا ، وقتلوا إمام مسجدها وستة من افراد عائلته ، ومثلوا بجثثهم . كما هاجم الصهاينة المسلحون مقام النبي عكاشة في القدس ، ونبشوه ، ودنسوه .

وفي ٢٩ آب (اغسطس) ، هاجم عرب صفد المستوطنين الصهاينة في مدينتهم ، بعد ان قتل احد هؤلاء المستوطنين بدوياً كان يمر بالمدينة . وتمخض الهجوم عن مقتل وجرح ٤٥ صهيونياً ، ومقتل ٩ عرب واصابة ٢٦ آخرين بجروح مختلفة .

وعندما خشي الانجليز من اتساع نطاق الهبة وتحولها ضدهم ، بادروا بالتدخل العسكري بقوة كبيرة ، فألحقوا اضراراً جسيمة في قريتي « لفتا » و « دير ياسين » وغيرهما . وبعد توقف الصدامات سيق مئات العرب الى سجون ومعتقلات الحكومة ، واصدرت المحاكم عشرين حكماً بالاعدام بحق العرب ، خففت الى ثلاثة هم : فؤاد حجازي (من صفد) وعطا الزير ومحمد جمجوم (من الخليل) ، وقضت بالسجن المؤبد على ٣٣ عربياً آخرين . وحكمت بالاعدام على شرطي صهيوني لافنائه اسرة عربية بكاملها بسلاح الحكومة الذي في عهدته . كما اصدرت احكاماً مخففة على ٩٢ صهيونياً آخرين . وفرضت الحكومة الغرامات المالية الجماعية على مدن وقرى الخليل وصفد وموتا وعرطوف ، عقاباً لها على مهاجمة المستوطنات اليهودية والجنود الانجليز .

واتصلت حوادث العنف حتى ٣٠ آب (اغسطس) ، وان استمرت بشكل متقطع حتى التاسع من أيلول (سبتمبر) . مخلفة ١٣٣ قتيلا و ٣٣٩ جريحاً من المستوطنين الصهاينة ، و ١١٦ قتيلا و ٢٣٢ جريحاً عربياً .

وعندما عاد السير جون تشانسلور المندوب السامي البريطاني الى فلسطين بعد ان قطع اجازته ، اصدر بياناً ، في اول ايلول (سبتمبر) ، ندد فيه بالعرب ، وتوعدهم بانزال اقسى العقوبات بهم . وارسلت حكومة صاحب الجلالة لجنة برلمانية للتحقيق في الاسباب المباشرة للهبة ، ترأسها والتر شو ، وحملت اسمه . ووصلت اللجنة الى فلسطين في ٢٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٩ ، وانتهت من كتابة تقريرها في السادس من آذار (مارس) ١٩٣٠ ، وان تأخرت في نشره حتى اول نيسان (ابريل) . وجاء في تقرير « لجنة شو » ان السبب الرئيسي للاضطرابات « هو شعور العرب بالعداء والبغضاء نحو اليهود ، شعور نشأ من خيبة أمانيهم السياسية والوطنية ، وتخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي .. بسبب الهجرة اليهودية وشراء الأراضي ... ومن عجزهم المتواصل عن نيل اي قسط من الحكم الذاتي » . وأكد تقرير اللجنة ان « المهاجرين الذين قدموا الى البلاد كانوا اكثر مما تستطيع البلاد استيعابه » . وانهت « لجنة شو » تقريرها بتوصية الحكومة بالحفاظ على الاراضي العربية .

وشجعت الموضوعية الشكلية للتقرير اللجنة التنفيذية العربية ، فسارعت بارسال وفد منها الى لندن ، في آخر آذار (مارس) ١٩٣٠ ، برئاسة موسى كاظم الحسيني ، وعضوية كل من أمين الحسيني والفريد روك وراغب النشاشيبي وعوني عبد الهادي وجمال الحسيني ، الا ان الوفد عاد الى فلسطين خائب الرجاء ، بعد سبعة اسابيع قضاها في لندن .

وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٠ ، اصدرت الحكومة البريطانية « الكتاب الابيض » الذي اكدت فيه ان صك الانتداب « تعهد دولي لا يمكن العدول عنه » ، واكد الكتاب على ضرورة ربط الهجرة الى فلسطين بمقدرة البلاد الاقتصادية ، واشار الى « ان الوقت قد حان للسير في مسألة منح فلسطين درجة من الحكم الذاتي » . ووعد بتشكيل مجلس تشريعي في فلسطين كمقدمة لهذا الحكم . الا ان الحكومة البريطانية عادت وتراجعت عن هذا الكتاب ، تحت الضغط الصهيوني . فنفى لورد باسفيلد ، وزير المستعمرات البريطاني ، في الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٠ ، ان تكون بريطانيا تريد ايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين. وأرسل رامزي ماكدونالد، رئيس وزراء بريطانيا ، رسالة ، في ١٣ شباط (فبراير) ١٩٣١ ، الى حاييم وايزمان ، اكد له فيها ان « الكتاب الابيض لا يعني منع اليهود من امتلاك اراض جديدة » . واطلق العرب على رسالة ماكدونالد هذه اسم « الكتاب الاسود » .

وهكذا لم تحقق هبة البراق النتائج المرجوة منها ، ولكنها كانت رغم كل شيء نهاية مرحلة وبداية اخرى ، في الحركة الوطنية الفلسطينية . فمن خلال الهبة اقتنعت الجماهير العربية الفلسطينية ، على الصعيد السياسي ، بعقم اساليب قيادة الحركة الوطنية في الكفاح ، كما تأكد لها ان الاستعمار البريطاني هو عدوها الرئيسي ، اما على الصعيد الاقتصادي فكانت البرجوازية المحلية الفلسطينية قد نمت وتطورت ، واخذت تشارك كبار الملاك في قيادة الحركة الوطنية ، فوضعت حداً لاحتكار كبار الملاك لقيادة هذه الحركة . وكانت هذه البرجوازية الناشئة ثورية ، بسبب الضغط المزدوج الصهيوني والبريطاني ، الذي ناءت البرجوازية الفلسطينية تحته ، وهي ثورية ايضاً بسبب رغبتها الحقيقية في انهاء الاحتلال البريطاني لفلسطين للانفراد بسوقها المحلي . ومن جهة اخرى قطعت الطبقة العاملة العربية الفلسطينية خطوات واسعة الى الامام ، وكان مؤتمرها الاول ، المنعقد في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٠ ، تعبيراً عن هذا التقدم والتطور النقابي والسياسي ، والذي كان له اثره الواضح في المراحل التالية لنضال الحركة الوطنية الفلسطينية .

هـ — انتفاضة تشرين الاول ١٩٣٣

في فترة (١٩٣٠ و ١٩٣٥)، دخل الى فلسطين نحو ١٨٠ ألف مهاجر يهودي ، منهم نحو ١٥ ألفاً دخلوا البلاد فيما بين أول نيسان (ابريل) وأول ايلول (سبتمبر) ١٩٣٣ ، اي غداة وصول النازي

الى الحكم في المانيا في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٣. واقترن هذا الاتساع في الهجرة باتساع عمليات طرد الفلاحين العرب من اراضيهم، واصبح في حوزة الجماعات الصهيونية نحو مليون وربع مليون دونم من اجود اراضي فلسطين الزراعية. وطرد العمال العرب من الاعمال في القطاع اليهودي، بعد ان وضعت الحركة الصهيونية شعار «احتلال العمل» موضع التطبيق، وأخذت تطرد العمال العرب وتحل مكانهم مستوطنين يهود، بالقوة عند الاقتضاء.

وفي العام ١٩٣٢، رفعت حكومة الانتداب نسبة ضريبة الأملاك من ٩٪ الى ١٥٪، مما تسبب في نقمة كبار الملاك العرب العقاريين والزراعيين. وأخذ رأس المال الأجنبي برقاب البرجوازية العربية الفلسطينية، مما اضعف نفوذها الاقتصادي، وأطال أمد المرحلة التجارية في حياتها. واتسمت البرجوازية العربية في فلسطين بالثورية، أثناء المرحلة الثانية من الحركة الوطنية (١٩٣٠ – ١٩٣٩)؛ لكونها ناشئة اولا، وضعيفة الصلة بالسوق الاستعمارية ثانياً، ولانها تجارية تتلهف على امتلاك سوقها المحلية ثالثاً، واخيراً بسبب وقوعها تحت الضغط المزدوج الاستعماري والصهيوني.

وسارت حركة المثقفين في طريق التأطير، فتشكلت الأحزاب العربية الفلسطينية في النصف الاول من الثلاثينات (الاستقلال، مؤتمر الشباب، الكتلة الوطنية، الاصلاح، العربي، الدفاع)، وعقد المؤتمر النسائي العربي الفلسطيني الاول (تشرين الاول ١٩٢٩)، وكان الطلاب قد عقدوا مؤتمرهم الاول في ايلول (سبتمبر) ١٩٢٩. وكانت هذه الاحزاب والمؤتمرات التعبير السياسي لتطور البرجوازية العربية الفلسطينية ونموها، في حين كانت البنوك العربية التي انشئت في فلسطين التعبير الاقتصادي عن هذا التطور والنمو (البنك العربي ١٩٣٠ والبنكان الزراعي والصناعي ١٩٣٥).

اما العمال العرب فقد تضاعف عدد العاطلين منهم، من جراء عوامل ثلاثة: الهجرة اليهودية الواسعة الى فلسطين، وما تسببه من بطالة في صفوف العمال العرب، والازمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ – ١٩٣٢)، وضعف الانتاج الصناعي العربي في فلسطين. حتى بلغ مجمل العاطلين من العرب واليهود في العام ١٩٣٠، اكثر من ثلاثين ألف عامل، منهم نحو اثني عشر ألف عامل عربي، وانخفضت اجور العاملين الى ٥٠٪. وفي نهاية العام ١٩٣٥، ارتفع عدد العاطلين الى ثلاثة وعشرين ألف عامل عربي. وأدت هذه الأوضاع الى تعاظم الحركة العمالية العربية في فلسطين، فنظم في فترة (١٩٣٠ – ١٩٣٥)، ستة واربعون اضراباً عمالياً، شارك فيها نحو اربعة آلاف عامل عربي. ورداً على الحاميات الصهيونية التي دأبت على طرد العمال العرب من المشاريع اليهودية، ألف العمال العرب في كل من القدس ويافا وحيفا (١٩٣٤)، حاميات عربية لطرد العمال اليهود من المشاريع في المناطق العربية.

ولم يكن بدو فلسطين أحسن حالا. اذ بلغ انتاج الدونم الواحد في اراضي قضاء بئر السبع، الذي يعيش فيه اغلب البدو، نحو ٣٤ جنيهاً، في حين بلغت مصاريفه نحو ٢٣ جنيهاً. وكانت كل عائلة بدوية تخسر نحو ثلاثة جنيهات في العام على كل رأس من الاغنام التي تربيها.

وكان للعامل الديني أثر غير بسيط في تحريك واثارة مشاعر المسلمين ضد المحتلين «الكفرة» وعملائهم الصهيونيين، بالاضافة إلى التأثير الايجابي للحركات الثورية في البلدان العربية المجاورة على الحركة الوطنية الفلسطينية. ومن هنا، كان طبيعياً أن تنجذب طبقات الشعب العربي الفلسطيني الى خضم الكفاح الوطني ضد الاستعمار والصهيونية.

وفي الثاني والعشرين من آذار (مارس) ١٩٣٣، أذاع موسى كاظم الحسيني – رئيس اللجنة التنفيذية العربية – بياناً، اعرب فيه عن خيبة أمله في حكومة الانتداب، واعتبرها «الخصم الحقيقي». واستجابة لهذا النداء، انعقد في يافا في ٢٦ آذار، اجتماع واسع ضم نحو سمائة شخصية وطنية، وانتهى الاجتماع الصاخب الى اعتبار حكومة الانتداب مسؤولة عما يجري في فلسطين، من هجرة يهودية وبيع اراضي، وقرر الاجتماع: مقاطعة حفلات ولجان الحكومة، ومقاطعة البضائع الانجليزية واليهودية، والامتناع عن دفع الضرائب. واصبح واضحاً ان البلاد مهيأة للثورة. وتحت ضغط الجماهير، أقرت اللجنة التنفيذية العربية، في اجتماع عقدته بالقدس في ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٣، تنظيم مظاهرات في مدن فلسطين على التوالي، يوماً بعد آخر.

بدأت القدس مظاهرتها يوم ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٣، وضمت نحو خمسة آلاف شخص، تشاركهم نحو خمسين امرأة. وتصدت الشرطة للمتظاهرين، فسقط ٣٥ جريحاً من المتظاهرين وخمسة آخرون من رجال الشرطة. وأجلت اللجنة التنفيذية مظاهرة يافا الى يوم ٢٧ من الشهر نفسه، بدلا من الرابع عشر، حتى تهدأ النفوس، ولئلا تفلت الامور من أيدي قيادة الحركة الوطنية. وفي الموعد المضروب خرجت مظاهرة يافا، تضم نحو اربعة آلاف شخص، يتقدمهم موسى كاظم الحسيني. الا ان رجال الشرطة وحرس الحدود (حوالي ١٠٠٠ رجل) اصطدموا بالمتظاهرين، وفتحوا عليهم النيران. وانتهى الصدام بمقتل ١٢ عربياً وشرطي واحد، وإصابة ٧٨ عربياً و ١٢ شرطياً بجروح مختلفة، واعتقال عشرات المتظاهرين. وسرعان ما انتقلت الشرارة الى حيفا، حيث هاجم نحو ألفي متظاهر عربي محطة السكة الحديدية ومركز الشرطة فيها، واقتحموها. وفي نابلس، هاجم حوالي ثلاثة آلاف متظاهر محطة السكة الحديدية وفرع بنك باركليز في المدينة، واعلن طلبة نابلس الاضراب، فذهب نائب مدير المعارف (فول) بنفسه ليقوم بجلد زعماء طلبة المدرسة الاصلاحية بنابلس. ووقعت صدامات دامية في القدس، يومي ٢٨ و ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر)، واطلق الثائرون العرب النار خلال الليل في اتجاه مركز شرطة القدس ومنزل راغب النشاشيبي (رئيس بلدية القدس في ذلك الحين). ووقعت في مدن أخرى أيضاً: صفد، الناصرة، طولكرم صدامات بين رجال الشرطة والمتظاهرين العرب، وفي جنين أضرمت الجماهير العربية الثائرة النار في مبنى الحكومة، واستولت على اسلحة رجال الشرطة. ونسف الثائرون في طولكرم خط السكة الحديدية المار ببلدتهم.

ولما عجزت محاولات التهدئة التي قام بها قادة الحركة الوطنية منذ بداية الانتفاضة، لجأت حكومة الانتداب الى طائراتها الحربية في استعراض للقوة تقمع بها الانتفاضة الشعبية. الا ان الانتفاضة ازدادت اشتعالا، وفي عدة أماكن من البلاد تم قطع خطوط الهاتف والتلغراف. وتوقف السفر بين المراكز الرئيسية في البلاد. وانقطع اتصال فلسطين بكل من سورية ومصر. وفي الثاني من تشرين الثاني (نوفبر) عزلت القدس عن العالم الخارجي. وفرضت حكومة الانتداب رقابتها على الصحف العربية في فلسطين، مما دفع هذه الصحف الى الاحتجاب، احتجاجاً على فرض هذه الرقابة، فأصدرت الحكومة صحيفة باللغة العربية لمدة عدة أيام، ولكن الجماهير العربية كانت تمزقها، أينما وجدت نسخاً منها، الأمر الذي جعل الانجليز يوقفون إصدار هذه الصحيفة.

واستقطبت الانتفاضة تأييداً شعبياً في العديد من البلدان العربية. فشاركت وفود من سورية وشرقي الاردن في مظاهرة يافا، وفي دمشق اشتبك المتظاهرون مع الشرطة الفرنسية، حيث سقط العديد

من القتلى والجرحى السوريين. وهتفت مظاهرات الموصل وبغداد بسقوط الاستعمار والصهيونية. وعمت عمان مظاهرات شعبية لاربعة أيام متوالية، هاجم فيها المتظاهرون الجنرال البريطاني، جون باجوت غلوب، قائد الفيلق العربي ورجموه بالحجارة وحطموا سيارته. كما رجموا بالحجارة المعتمد البريطاني، الكابتن كوكس، وطالبوا الامير عبد الله (امير شرقي الاردن آنذاك) بضرورة مؤازرة انتفاضة الشعب الفلسطيني. ومن شرقي الاردن دخل الى فلسطين نحو ألفي بدوي مسلح لمساندة الانتفاضة الفلسطينية. وعقد العديد من المؤتمرات الشعبية الحاشدة في كل من مصر وتونس والحبشة والهند، لمؤازرة الانتفاضة الفلسطينية.

وانتهت الانتفاضة، بعد ستة اسابيع من انفجارها، بمقتل ٢٦ عربياً وشرطي واحد، واصابة ١٨٧ عربياً و ٥٦ شرطياً بجروح مختلفة. وتميزت هذه الانتفاضة، عن سابقاتها، بالاتساع والعمق، وتوجيه العداء الى الاستعمار البريطاني.

و – حركة عز الدين القسام ١٩٣٥

تنسب هذه الحركة الى قائدها ومنظمها، الشيخ عز الدين القسام، المولود في جبلة بجبل العلويين في سوريا، (١٨٨٢)، والذي لجأ الى فلسطين في العام ١٩٢١ بعد أن انتكست الانتفاضة الشعبية السورية، المعروفة بثورة الشيخ صالح العلي، في السنة نفسها. وأصدرت السلطات الفرنسية حكماً ضد القسام بالاعدام، لاشتراكه في قيادة الثورة المذكورة. واختار القسام مدينة حيفا الفلسطينية مقراً له.

وفي اواسط العشرينات، أخذ القسام في بناء نواة تنظيمه السري. واتخذ من شمال فلسطين مسرحاً لنشاطه السياسي والتنظيمي، مستفيداً من تواجده في اكثر من تجمع جماهيري في هذه المنطقة: فهو مدرس بالمدرسة الاسلامية في حيفا، ورئيس فرع جمعية الشبان المسلمين بالمدينة، وإمام وخطيب مسجد الاستقلال الحيفاوي، ومأذون قرى شمال فلسطين. واتسع تنظيم القسام السري من تزايد السخط الشعبي، وانبثقت عن قيادة التنظيم خمس لجان قيادية: للدعاية والتعبئة، وللتدريب العسكري، ولتأمين الاسلحة وتخزينها، وللمخابرات، وللاتصالات الخارجية. وقسم التنظيم الى خلايا سرية، ضمت كل منها خمسة اعضاء كحد أعلى، وقاد كل خلية نقيب. وكان الاعضاء يدفعون اشتراكاً مالياً، يصل الى حوالي عشر الدخل الشهري.

وبحلول العام ١٩٣٥، شعر القسام باقتراب نضوج الازمة الثورية؛ فالقيادة التقليدية للحركة الوطنية الفلسطينية منقسمة على نفسها، وعاجزة عن التصدي لأي عمل ايجابي، وامرها مفضوح لدى قطاعات واسعة من الشعب الفلسطيني، وهي القطاعات التي سئمت الاساليب السلبية في الكفاح، وتطلعت لخوض الكفاح المسلح. وعلى المستوى الذاتي كان تنظيم القسام قد اتسع واكتمل تسليحه. وفي النصف الاول من تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٣٥، خرج القسام مع ٢٤ من رفاقه الى قضاء جنين، للحض السري على الثورة وتدريب الفلاحين على السلاح، وتشكيل «البؤرة الثورية»، وهي الصيغة التي اعتمدها أرنستو جيفارا في بوليفيا بأمريكا اللاتينية، بعد حركة القسام بأكثر من ثلاثين عاماً.

وأتى اختيار القسام لقضاء جنين دون غيره، لوقوع هذا القضاء وسط جبال الجليل الوعرة، ذات المواصلات الصعبة، التي تعيق تحرك قوات الاحتلال البريطاني، ان هي اكتشفت امر القسام ورأت ان تتعقبه. وبذا يكون القسام قد لجأ الى المدينة ليقيم فيها تنظيمه، حيث السكان الأكثر تعليماً، والأشد كثافة واستعداداً للتنظيم منهم في الريف، وحيث القبلية والطائفية والإقليمية شبه محطمة، وحيث الصراع السياسي اكثر وضوحاً واحتداماً. وبمجرد عزمه على اشعال الثورة، لجأ القسام الى الريف الجبلي، حيث تضعف فيه قبضة السلطة الاستعمارية، ويتوفر حد معقول من الأمان للطلائع والعصابات المسلحة.

وانتشر رفاق القسام في دوريات تجوب قضاء جنين. حيث قتل أحدهم شرطياً صهيونياً، مما أدى الى اكتشاف مواقع القساميين، وضياع عنصر المفاجأة من يد الثوار، ونقل المبادرة الى قوات الاحتلال البريطاني. وفي صباح اليوم التالي، ١٥ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٣٥، وقع اشتباك بين القساميين والشرطة التي خرجت لمطاردتهم، قرب قرية البارد، سقط فيها الشيخ محمد الحلحولي شهيداً، كما قتل اثنان من رجال الشرطة. عندها اجتمع المندوب السامي البريطاني بكبار القادة العسكريين البريطانيين في فلسطين، لمواجهة الموقف، والحيلولة دون انتشار شرارة الثورة الى بقية ارجاء فلسطين. وفي مساء ١٨ تشرين الثاني (نوفبر)، تحركت حملة عسكرية بريطانية، تقدر بحوالي خمسمائة جندي، وطوقت المنطقة التي سبق ووقع فيها اشتباكا ١٤ و ١٥ تشرين الثاني (نوفبر). وضيقت الحملة الخناق على القسام ورفاقه، المختفين في أحراش يعبد. واستدرجتهم الى قعر أحد الوديان، حيث دار بين الطرفين اشتباك غير متكافئ، قرب قرية الشيخ زيد، واستمرت المعركة من الفجر الى حوالي الساعة التاسعة من صباح التاسع عشر من تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٣٥، واسفرت عن استشهاد القسام واثنين من رفاقه، هما: الشيخ يوسف الزيباوي والشيخ محمد حنفي احمد (مصري)، وإصابة كل من الشيخ نمر السعدي والشيخ اسعد المفلح والشيخ حسن الباير بجروح مختلفة. وتمكن الجريح الاول من الافلات، في حين أسر زميلاه مع معظم من بقي حياً من رفاقهم، وهم: الشيخ احمد عبد الرحمن جابر، والشيخ محمد يوسف، وعربي البدوي.

ان حركة القسام، بتوجهها ضد العدو الرئيسي: الاستعمار البريطاني، خلت من الملامح التساومية المتخافة لبعض الاتجاهات الفلسطينية في تلك الحقبة، تلك التي كانت تخلط بين الصهيونية واليهودية، وتتجاهل العدو الرئيسي (الاستعمار البريطاني)، بل تحتكم اليه في صراعها مع المستوطنين اليهود في فلسطين. ولم تكن تلك السمة المميزة الوحيدة لحركة القسام، فقد تضمنت العديد من الايجابيات والدلالات الهامة، يمكن حصر أبرزها فيما يلي:

أ – كانت حركة القسام المبادرة الأولى، في ظل الانتداب البريطاني، لخوض الكفاح المسلح بشكل منظم، كما كانت المرة الأولى الذي يتم فيها تحرك ثوري بمعزل عن القيادة التقليدية للحركة الوطنية الفلسطينية.

ب – بالرغم من أن الحركة لم تحقق الاهداف التي قامت من أجلها، الا انها حفزت الجماهير العربية الفلسطينية لمضاعفة النضال، وأبانت لها السبيل؛ واضاءت أمامها طريق حريتها، وأوضحت لها امكانية الكفاح المسلح، وضرورته، في مواجهة القهر الاستعماري – الصهيوني.

ج – كشفت الحركة ضعف وتردد قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية التقليدية.

د – فتحت حركة القسام أمام الجماهير العربية الفلسطينية الباب لانتزاع زمام المبادرة من القادة التقليديين للحركة الوطنية الفلسطينية، فجاءت ثورة ١٩٣٦ بمبادرة شعبية خالصة، وبمعزل عن القيادة التقليدية للحركة الوطنية، وان افلحت هذه القيادة في تطويق واحتواء الثورة بعد ايام قليلة من اندلاعها.

هـ – اشعل القسام حركته، في الوقت الذي كانت فيه الجماهير العربية الفلسطينية لا تزال

ملتفة حول القيادات التقليدية للحركة الوطنيـــة ، بشكل عام ، ولم تأخذ هذه الحركة فرصتها الزمنية لتجميع الجماهير حول شعاراتها ، فكان أن أصابت ضربة القوات البريطانية قلب التنظيم القسامي ، فتوقف عن العمل .

و – فرضت الاعتبارات الأمنية على القسام ، وقف تنظيمه على النخبة (البؤرة الثورية) ، مما أدى الى ضيق حجم التنظيم .

ز – أما الخطأ العسكري الرئيسي الذي وقع فيه القسام ، فكان حصره لنشاطه السياسي والتنظيمي في منطقة واحدة ، هي شمال فلسطين ، وفي بدئه حركته المسلحة في قضاء جنين وحده ، مما سهل مهمة القوات البريطانية في القضاء على الحركة ، وهي بعد في المهد ، ومنع وصول شرارتها الى بقية ارجاء فلسطين .

على ان حركة القسام كانت المقدمة والبداية الحقيقية لثورة ١٩٣٦ ، ولم تكن الأشهر الخمسة التي فصلت بين حركة القسام وبداية ثورة ١٩٣٦ الا الفرصة التي تمكن فيها رفاق القسام من التقاط أنفاسهم ولم شتاتهم . ونجح التنظيم القسامي هذه المرة في تفجير الثورة .

ز – ثورة ١٩٣٦ – ١٩٣٩

هي الثورة التي خاضها الشعب الفلسطيني ضد قوات الاحتلال البريطاني والحركة الصهيونيـــة في فلسطين ، وامتدت من نيسان (ابريل) ١٩٣٦ الى اواخر العام ١٩٣٩ .

شهدت بداية العام ١٩٣٦ توتراً في فلسطين وصل حد الأزمة . فقد أشاد المؤتمر الصهيوني ، المنعقد في لوزان بصيف العام ١٩٣٥ ، بالدور الذي تامبه بريطانيا في فلسطين لصالح الصهيونية . وكان المؤتمر محقاً في هذه الإشادة ؛ ففي آذار (مارس) ١٩٣٦ ، رفض مجلس العموم البريطاني الموافقة على الحـــد من حجم الهجرة اليهودية الى فلسطين ، كما رفض منح فلسطين حق تشكيل مجلس تشريعي خاص بها . وفي أواسط الشهر نفسه ، أخذ المستوطنون اليهود في الاعتـــداء على العرب المجاورين لتل أبيب والمستوطنات اليهودية الكبيرة . ومع اتساع الهجرة اليهودية الى فلسطين ازداد حجم مـــا في حوزة المستوطنين اليهود من أراضي الى ١ ٣٢٢ ٠٠٠ دونم في العـــام ١٩٣٦ ، مقابل ٥٤٤ ٠٠٠ دونم كانوا يمتلكونها في العام ١٩٢٥ . وأثار مبدأ « العمل العبري » ومبدأ « احتلال العمل » العمال العرب الفلسطينيين ، لأنهما أقفلا باب العمل بالنسبة لهؤلاء العمال في المشاريع اليهودية والمشاريع الحكومية المنفذة في المناطق اليهودية . وكانت أحوال العمال العرب في العام ١٩٣٦ جد مترديه ، فتوسط الدخل الشهري لـ ٥٧ ٪ من عمال يافا كان أقل من ثلاثة جنيهات فلسطينية ، ودخل ٢٤ ٪ أقل من أربعة جنيهات وربع ، ودخل ١٢ ٪ أقل من ستة جنيهات ، ودخل ٤ ٪ أقل من عشرة جنيهات ، ودخل ١,٥ ٪ أقل من ١٢ جنيهاً ، ودخل ٠,٥ نحو ١٥ جنيهاً . في الوقت الذي كان متوسط الاحتياجات الشهرية للعائلة الواحـــدة ، آنذاك ، حوالي ١١ جنيهاً . وبلغ عدد العاطلين عن العمل في يافا (ذات الواحد وسبعين ألف نسمة) ، في اواخر العام ١٩٣٥ ، نحو ٢٢٧٠ عامـــلا وعاملة عربية ، وارتفع هذ العدد بعد نشوب ثورة ١٩٣٦ الى اربعة آلاف . واثبتت « لجنة الأجور » أن أجور العمـــال العرب الفلسطينيين الحقيقية انخفضت بمقدار ٢٥ ٪ . ما بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٩ ، في حين لم تنخفض أجور العمال اليهود الحقيقية سوى ١٦ ٪ ، وأقر المجلس الزراعي العام ، في العام ١٩٣٦ ، أن أجر العامل الزراعي اليهودي السنوي للدونم الواحد هو ١٢ جنيهاً فلسطينياً ، مقابل ٨ جنيهات لقرينه العربي عن المساحة نفسها .

وادت الحماية الجمركية التي أحاطت بها حكومة الانتداب البريطاني صناعات المستوطنين اليهود الى انتعاش هذه الصناعات على حساب الصناعة العربية ، التي افتقرت الى مثل هذه الحماية ، والتي وضعت حكومة الانتداب في طريقها العراقيـــل والعقبات المختلفة . فتدهورت الصناعة العربية الفلسطينية ، وهبطت قيمة صادرات صناعة الأصواف العربية من ١١٣٢٠ جنيهاً في العام ١٩٣٠ ، الى ٣٧٧٧ جنيهاً في العام ١٩٣٥ ، وتناقصت معامل صناعة الصابون في يافا وحدها ، في العام ١٩٣٦ ، الى اربعة ، بعد ان كانت ١٢ معملا في العام ١٩٢٩ . وانخفضت صادرات الصابون العربي الفلسطيني في العام ١٩٣٤ الى ما قيمته ٧١٥٣٢ جنيهاً ، مقابل مـــا قيمته ١٠٦٢٥٩ جنيهاً في العـــام ١٩٣٠ . والخلاصة ان الصناعة العربية الفلسطينية تجمدت وتدهورت في معظمها .

وبالاضافة الى كل هذه العوامل ، كان ثمة عوامل خارجية عززت النضال العربي الفلسطيني وحفزته ، وزادت من حيويته . في المجال العربي تأجج النضال الوطني التحرري في مصر وسورية في عامي ١٩٣٥ و ١٩٣٦ . وعلى المستوى الدولي ، أدى وصول النازي الى الحكم في ألمانيـــا ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٣ ، الى زيادة حجم الهجرة اليهودية الى فلسطين ، تحت ضغط القهر النازي لليهود الالمان . وزاد احتلال ايطاليا الفاشية للحبشة من أزمة العمل في فلسطين ، نتيجة هجر معظم السفن لطريقها المار بالحبشة ، والتي كان لا بد لبعضها من المرور بفلسطين بعد أو قبل مرورها بقناة السويس . كما زاد الاحتلال الايطالي للحبشة من أهميـــة فلسطين الاستراتيجية في نظر الانجليز ، مما جعلهم يزدادون تشبثاً بها ، وشراسة في قمع الحركة الوطنية فيها .

ولهذا كله ، كانت الأوضاع في فلسطين ، في مطلع العام ١٩٣٦ مؤهلة لانـــدلاع الثورة . وفي مساء الأربعـــاء ، ١٥ نيسان (ابريل) ١٩٣٦ ، اعـــترض بعض المسلحـــين العرب الفلسطينيين ، من بقايا القساميين ، مجموعة من عشر سيارات ، كانت تسير على طريق نابلس – طولكرم ، وأطلقوا النار على ثلاثة من المستوطنين اليهود كانوا ضمن المسافرين في قافلة السيارات ، فقتل اثنان وجرح الثالث . ورد المستوطنون اليهود على هذه الحادثة بقتل عربيين في بتاح تكفا في اليوم التالي . وفي صباح اليوم التالي شيعت جنازة احد القتلى اليهود في تل ابيب في مظاهرة صاخبة ، حاولت التوجه الى مدينة يافا ، فاصطدمت بالشرطة البريطانية ، وسقط اربعة من المتظاهرين اليهود قتلى برصاص الشرطة . وتوالت تعديات المستوطنين اليهود على العرب في مناطق متفرقة من فلسطين . مما فجر مظاهرة واسعة في يافا صباح الأحد ، التاسع عشر من نيسان (ابريل) ، اصطدمت بيهود تل أبيب ، وانتهت بمقتل تسعة من اليهود وعربيين ، وإصابة ٤٠ يهودياً وعشرة من العرب بجروح مختلفـــة . وفي نابلس وطولكرم نظمت مظاهرات محدودة نسبياً . وفي اليوم نفسه ، أعلن آرثر وأكهوب ، المنـــدوب السامي البريطاني ، وضع فلسطين تحت قانون الطوارئ ، وأجاز حاكم تل أبيب البريطاني لسكان المدينة بتشكيل حامية يهودية كبيرة ، واذن لهم باستخدام أسلحة الحكومة .

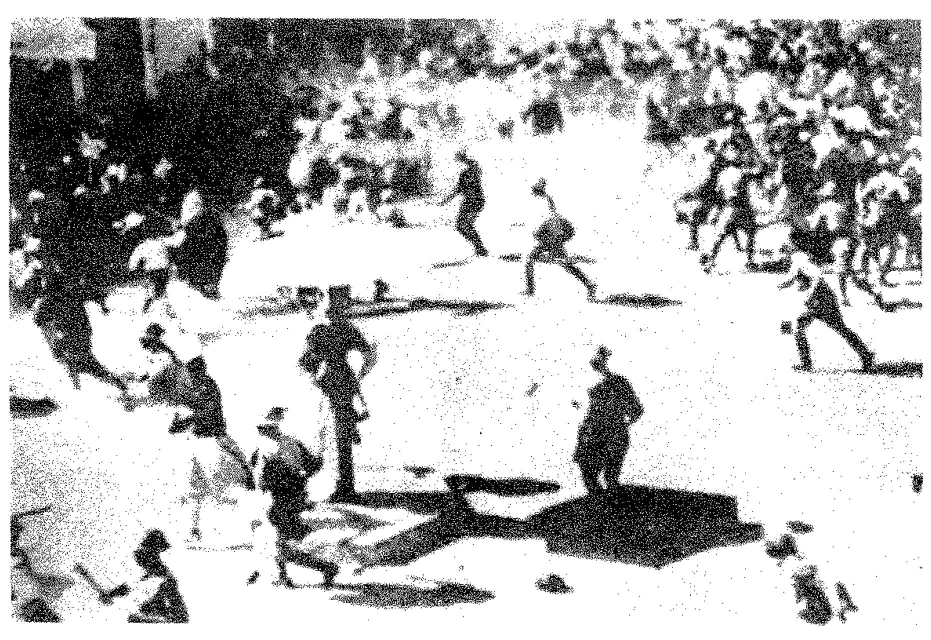
وما كان لمثل هذا الحادث البسيط ان يفجر ثورة لولا نضوج الوضع الثوري في البلاد ، فما حادث الخامس عشر من نيسان (ابريل) الا الشرارة التي اشعلت النار في الهشيم القابل للاشتعال . فقـــد استمرت اسباب الحركـــات الثورية السابقة في الاتساع . من هجرة يهودية ، وما رافقها من طرد للفلاحين العرب من أراضيهم ، وبطالة للعمـــال

العرب ، ومنافسة غير متكافئة مع الصناعة العربية الخ. وفيما بين ١٩ و ٢١ نيسان (ابريل) ، تشكلت في معظم مدن فلسطين « لجان قومية » لتنظيم مواجهة العنف البريطاني والصهيوني . وقررت لجنة يافا القومية ، في ١٩ نيسان (ابريل) ، اعلان الاضراب في مدينتها ، وسرعان ما انتشر الاضراب في كل فلسطين ، وعمها الاضراب العام الذي استمر بعد ذلك حتى ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٦ .

وفي ٢٥ نيسان (ابريل) التقت قيادات الاحزاب العربية الفلسطينية الستة (الاستقلال ، العربي ، الشباب ، الاصلاح ، الكتلة الوطنية ، الدفاع) وقررت الائتلاف برئاسة الحاج امين الحسيني في جبهة واحدة ، عرفت باسم « اللجنة العربية العليا » . وتشكل في معظم المدن العربية الفلسطينية « الحرس الوطني » لتنظيم الاضراب وحراسته . وفي الثامن من أيار (مايو) ، انعقد في القدس « المؤتمر العام للجان القومية » ، الذي قرر اعلان العصيان العام ابتداء من السادس عشر من الشهر نفسه .

وفي ٨ أيار (مايو) أعلنت حكومة الانتداب عن وقوع هجوم على سيارة يهودية ، على طريق الرملة – يافا ، واشعال النار في مصنع للاكياس الورقية في حيفا . وبلغ عدد القنابل التي القيت على الجنود البريطانيين ، في نابلس وحدها ، خلال يوم ٣ أيار (مايو) ١٩٣٦ ، ١٥ قنبلة . وفي الحادي عشر من أيار (مايو) التي الثائرون العرب عدة قنابل على دوائر الحكومة ، وفي اليوم التالي ألقوا قنبلة قرب المركز العام للشرطة في القدس . وردت الحكومة بشن حملة اعتقالات واسعة ضد العناصر الوطنية النشطة . ففي ١٢ أيار (مايو) كان عدد المعتقلين العرب اكثر من ٦٦٠ معتقلا . وفي الثالث والعشرين من أيار (مايو) ، ألقت السلطات البريطانية القبض على ٦١ عربياً من المشرفين على تنظيم الاضراب . فانفجرت المظاهرات العربية في فلسطين ، وتحولت الى صدامات دامية مع القوات البريطانية . وفي ٣١ أيار (مايو) ، أجتمع رؤساء البلديات العرب ، حيث وافق نصفهم على اشتراك موظفي بلدياتهم في الاضراب العام .

واتسعت الاعمال الثورية ، فأطلق الثوار العرب النار على المندوب السامي البريطاني في الحادي عشر من حزيران (يونيو) ١٩٣٦ ، وحاولوا اغتيال سيكرست ، مفتش شرطة القدس البريطاني . وخاض الثوار اشتباكات متعددة ضد القوات البريطانية ، كما قاموا بشن عدة هجمات على المستوطنات والسيارات اليهودية . وفي شهر تموز (يوليو) وحده ،



الشرطة البريطانية تشتت المتظاهرين العرب في يافا (١٩٣٧)

فقد البريطانيون والصهيونيون ٢٨ قتيلا وجريحاً .

وفي آب (اغسطس) ١٩٣٦ ، دخل فوزي القاوقجي البلاد على رأس نحو ٥٠٠ مجاهد عراقي . وقطعت الثورة خطوات غير قليلة في طريق التنظيم ، فشكلت فصائلها المسلحة في الريف والجبال . واضطرت حكومة الانتداب الى تعزيز قواتها المسلحة ، فزادتها الى اكثر من عشرين ألف جندي ، بالاضافة الى خمسة آلاف شرطي ، ونحو ١٥ ألف مقاتل صهيوني مسلح . ولقد لعبت « قوة حدود شرقي الاردن » (الجيش الاردني فيما بعد) ، دوراً هاماً في منع تسلل الثوار العرب عبر الحدود الاردنية – الفلسطينية ، وحماية مشروع روتنبرغ ومشاريع صهيونية اخرى من هجمات الثوار العرب . وفي وقت لاحق ، نظم ضابط المخابرات البريطاني ادوارد تشارلز وينغت ، مجموعات من العناصر الصهيونية ، وكون منها « الفرق الطائرة » ، لحماية المنشآت البريطانية ، وبشكل خاص خط أنبوب بترول شركة النفط العراقية I. P. C. . وتحركت النظم العربية لتهدئة الثورة .

وحضر نوري السعيد (وزير خارجية العراق آنذاك) الى فلسطين في السادس والعشرين من آب (اغسطس) ١٩٣٦ ، واتفق مع اللجنة العربية العليا على وقف الاضراب وتصفية الثورة ، مقابل منع الهجرة اليهودية مؤقتاً ، والعفو العام عن الثوار . الا ان الحكومة البريطانية تخلت عن نوري السعيد ، ورفضت وساطته ، ونفت انها اوكلت اليه مهمة ايجاد تسوية للثورة الفلسطينية .

ومع تطور الثورة ونموها ، طلب المندوب السامي البريطاني الى الامير عبد الله (امير شرقي الاردن) ، والملك عبد العزيز بن سعود (ملك العربية السعودية) التدخل لانهاء الثورة ، على ان ينهي الفلسطينيون ثورتهم دون قيد او شرط ، ودون وعد بريطاني بتحقيق مطالب الثوار في وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ومنع بيع الاراضي ، وإلغاء الانتداب على فلسطين . وسارع كل من عبد الله وابن سعود ، بعد ان اشركا معهما الملك غازي بن فيصل (ملك العراق) والامام يحي حميد الدين (إمام اليمن) سارعوا جميعاً الى اصدار بيان ، في التاسع من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٦ ، (رفض مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر ، التوقيع عليه) ناشدوا فيه عرب فلسطين « الإخلاد الى السكينة ، حقناً للدماء ، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة في تحقيق العدل » . وكان الزعماء الفلسطينيون : الحاج امين الحسيني وراغب النشاشيبي وعوني عبد الهادي ، قد اعربوا للمندوب السامي ، عندما اجتمع بكل منهم على حدة في العاشر من ايلول (سبتمبر) ١٩٣٦ ، عن استعدادهم لوقف الاضراب اذ طلب الملوك العرب اليهم ذلك . لذا سرعان ما استجابت « اللجنة العربية العليا » لنداء الملوك والامراء العرب ، ودعت الشعب العربي الفلسطيني ، في بيان أصدرته في الحادي عشر من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٦ ، الى انهاء

الاضراب .

وبذا انتهت المرحلة الاولى من الثورة ، مخلفة وراءها — حسب الاحصاءات الرسمية البريطانية — ١٩٧ قتيلا عربياً ، وثمانين قتيلا يهودياً ، وسبعة قتلى من رجال الشرطة البريطانيين ، وثمانية قتلى من رجال الشرطة العرب ، وقتيلا واحداً من الشرطة اليهودية ، اما الجيش البريطاني فخسر ١١ جندياً من قواته . في حين جرح ٨٢٣ عربياً ، و ٣٠٨ يهود ، و ٤٠ شرطياً بريطانياً ، و ٥٤ شرطياً عربياً ، وثمانية من رجال الشرطة اليهود ، و ١٠٤ جنود بريطانيين . ومن المعتقد ، ان الارقام المعلنة للقتلى والجرحى العرب ، هي أقل من العدد الحقيقي للقتلى والجرحى ، اذ كان الثوار العرب يخفون قتلاهم وجرحاهم عن أعين سلطات الانتداب ، مما جعل « لجنة بيل » تقدر عدد القتلى العرب — في المرحلة الاولى من الثورة — بألف قتيل . وبلغ مجموع من ألقت سلطات الانتداب القبض عليهم ، حتى ٢٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٦ ، ٢٦٤٣ عربياً ، بينهم ١٦٤٦ صدرت بحقهم أحكام مختلفة ، في حين برئت ساحة ٧١٠ منهم ، كما أدين ٢٧١ يهودياً . ونسفت سلطات الانتداب نحو ٢٢٠ من منازل العرب ، فشردت بذلك نحو ستة آلاف شخص . وفي حزيران (يونيو) ١٩٣٦ ، تم هدم جزء كبير من الحي القديم في يافا ، بحجة تجميل المدينة . وان كان السبب الحقيقي وراء ذلك الهدم هو توسيع طرق الحي ، لتسهيل مرور وتنقل الدوريات البريطانية لملاحقة الثوار فيه . كما نسفت السلطات البريطانية مائة تخشيبة في حي الجبالية ، و ٣٠٠ تخشيبة في حي أبو كبير ، و ٣٥٠ في الشيخ مراد ، و ٧٥ في عرب الداودي (وكلها أحياء بمدينة يافا) بالاضافة الى ١٤٣ بيتاً في القرى الفلسطينية المختلفة .

وفي المرحلة الأولى من الثورة ، والتي انتهت في الثاني عشر من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٦ ، نسف الثوار العرب ٤٨ جسراً ، وقطعوا اسلاكاً كهربائية وهاتفية ٣٠٠ مرة ، وعطلوا القطارات ٢٢ مرة ، ونسفوا خطوط السكة الحديدية ١٣٠ مرة .

ولم تدلل حكومة الانتداب على حسن نواياها ، كما اشار الملوك والامراء العرب في بيانهم ، بل اقدمت على العكس ، على منح الحركة الصهيونية ١٨٠٠ شهادة لمهاجرين يهود جدد ، كما نفذت احكاماً بالاعدام ضد عدد من الشبان العرب ، وذلك غداة وقف الثورة مباشرة . وحاولت اللجنة العربية العليا مقاطعة « لجنة بيل » ، التي اوفدتها الحكومة البريطانية الى فلسطين ، لتقصي الحقائق حول اسباب الثورة ، الا ان الملوك والامراء العرب عادوا ومارسوا ضغطهم على « اللجنة العربية العليا » للمثول امام اللجنة المذكورة . ووصلت « لجنة بيل » الى فلسطين ، والتقت بالعديد من الزعماء العرب واليهود فيها ، واستمعت الى شهاداتهم ، ثم اصدرت تقريرها في السابع من تموز (يوليو) ١٩٣٧ ، وفيه اقترحت تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، مع ابقاء قسم من البلاد في أيدي الانجليز .

ومن الجدير بالذكر ان القساميين لم يمتثلوا لأمر اللجنة العربية العليا بوقف الثورة ، فقتلوا — في العشرين من نيسان (ابريل) ١٩٣٧ — حليم بسطا ، مساعد مدير البوليس بحيفا .

وقبل نشر تقرير « لجنة بيل » بثلاثة ايام ، انسحب « حزب الدفاع » من « اللجنة العربية العليا » . وفور نشر التقرير المذكور ، تجددت الاعمال الثورية في البلاد . وفي ٢٣ آب (اغسطس) قتل القساميون حاكم لواء جنين البريطاني موفات ، وفي ٢٦ أيلول (سبتمبر) قتلوا مستر اندروز ، حاكم لواء الجليل .

وفي السابع عشر من تموز (يوليو) ١٩٣٧ ، اختفى الحاج امين الحسيني في الحرم الشريف ، بعد ان فشلت حكومة الانتداب في اعتقاله . وفي اول تشرين الاول (اكتوبر) ، أمرت حكومة الانتداب بحل « اللجنة العربية العليا » ، واعتقلت اغلب اعضائها ، ونفتهم الى سيسل وروديسيا ، في حين تمكن كل من عوني عبد الهادي (رئيس حزب الاستقلال) وجمال الحسيني (رئيس الحزب العربي) من الافلات . كما حلت الحكومة اللجان القومية واعتقلت معظم اعضائها ، وعزلت الحاج امين الحسيني من كافة مناصبه (المفتي ، رئيس المجلس الاعلى ، مدير الاوقاف) ، ولجأ المفتي سراً الى لبنان ، في الرابع عشر من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٧ . وعززت الحكومة قواتها المسلحة ، حتى بلغت نحو ٤٠ ألف جندي بريطاني ، بالاضافة إلى عشرين ألف شرطي ، و ١٨ ألفاً من الصهاينة المسلحين ، وتم تعيين الجنرال ويفل قائداً عاماً للقوات البريطانية في فلسطين ، في ايلول (سبتمبر) ١٩٣٧ . وفي ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٧ ، فرضت حكومة الانتداب الحكم العسكري على البلاد ، وأجازت لمحاكمها العسكرية إصدار حكم الاعدام ضد كل عربي يحمل ولو طلقة واحدة .

وأعلنت حكومة الانتداب انه قتل ، في العام ١٩٣٧ وحده ، مائة جندي ورجل إداري من البريطانيين .

وعبثاً ، اعلنت الحكومة — في اوائل تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨ — سحب مشروع التقسيم .

وبعد ضرب اللجنة العربية ، تكونت في دمشق « اللجنة المركزية للجهاد » من قادة عسكريين وسياسيين فلسطينيين . ونجح الثوار — فيما بين أيار (مايو) وتشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٨ — في احتلال مدن الخليل وبئر السبع وطبريا ونابلس ، احتلالا مؤقتاً ، واستولوا على اموال الادارة والبنوك البريطانية ، واطلقوا سراح المعتقلين والسجناء العرب في سجون تلك المدن . كما استولى الثوار ، في ايلول (سبتمبر) من السنة نفسها ، على اموال جمرك ميناء يافا .

وفي أول آذار (مارس) ١٩٣٨ ، استبدلت الحكومة البريطانية آرثر واكهوب بمندوب سام جديد هو السير هارولد مكمايكل ، وخلف الجنرال هايننغ الجنرال ويفل في قيادة القوات البريطانية في فلسطين . وبعدها بشهرين عززت الحكومة قواتها المسلحة بثلاثة آلاف جندي آخرين ، وأخضعت الشرطة لقيادة الجيش ، وتوسعت في عمليات الاعتقال ، حتى انها اعتقلت خلال اسبوع واحد (الاسبوع الأخير من تشرين الاول ١٩٣٨) ٧٥٧ عربياً .

ومع ظهور سحب الحرب العالمية الثانية ، لجأت الحكومة البريطانية الى اتباع تكتيكات جديدة جوهرها التسويف والتمييع ، فأطلقت ، في السابع من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٨ ، سراح بعض المعتقلين الفلسطينيين وبعض المنفيين من زعماء فلسطين الى سيسل وروديسيا ، ودعت الى مؤتمر يعقد في لندن ويضم الوكالة اليهودية وزعماء عرب فلسطين والحكومات العربية . وتم افتتاح مؤتمر لندن في السابع من شباط (فبراير) ١٩٣٩ ، واستمر حتى اواسط آذار (مارس) ١٩٣٩ ، ولكنه فشل في التوصل الى تسوية ترضي الاطراف المختلفة. وفي ايار (مايو) ١٩٣٩، اصدر مكدونالد (وزير المستعمرات البريطاني آنذاك) الكتاب الابيض ، الذي تعهد فيه بمنح فلسطين الاستقلال بعد عشر سنوات ، وحظر بيع الاراضي في بعض مناطق فلسطين مع تقييده في مناطق اخرى ، ووقف الهجرة بعد ادخال ٧٥٠٠٠ يهودي الى فلسطين خلال السنوات الخمس التالية لصدور الكتاب الابيض . ورفض الصهاينة الكتاب الابيض المذكور ، كما رفضته اللجنة العربية العليا ، في حين قبله كل من الامير عبد الله وحزب الدفاع .

وصعدت حكومة الانتداب اساليب القمع التي مارستها ضد الثوار ، إذ كانت بريطانيا تهدف الى

إسكات كل الجبهات التي تقاتل فيها ، حتى يتسنى لها التفرغ للخطر النـــازي ، فضاعفت حملات مطاردة العرب ، وتوسعت في نسف منازلهم ، واعتقال «المشبوهين» ، واعدام حملة السلاح . في حين خاض الثوار معاركهم غير آبهين بمحاولات قيـــاداتهم السياسية لعقد تسوية مع الانجليز . في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٩ وحده ، خاض الثوار ٥٤ اشتباكاً عسكرياً ضد المستعمرين الانجليز والعصابـــات الصهيونية ، اسفرت عن مقتل ٢٢٠ من الاطراف الثلاثة المذكورة . وفي فـــترة ٢٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٨ — ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٣٩ ، وقع ٣٤٨ حادث اغتيال ، و ١٤٠ حادث تخريب ، و ١٩٠ حادث خطف ، و ٢٣ حادث سطو ، وانفجرت تسعة ألغام و ٣٢ قنبلة ، وخسر الانجليز في هذه المدة ١٨ قتيلا و ٢٩ جريحاً .

ثم تنـــاقص الزخم الثوري الفلسطيني تحت الضربات الشرسة المتلاحقة للقوات الانجليزيـــة والصهيونية ، وبعد غياب معظم القيادات العسكرية والسياسية للثورة امـــا في المنفى او السجن او باستشهادهم (قائد الثورة العسكري عبد الرحيم الحاج محمد استشهد في آذار ١٩٣٩) ، وبسبب افتقار الثوار الشديد للسلاح والذخـــائر ، مقابل قوات انجليزية وصهيونية مدربة ومجهزة بالسلاح الحديث والذخائر الوفيرة . ولقد زاد من صعوبات الثورة قيام السلطات الفرنسية في سوريا ولبنان بدعم سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين ومساعدتها في مطاردة الثوار . ويرجع السبب في هذا التحول الذي أصاب الموقف الفرنسي ، إلى ظهور سحب الحرب العالمية الثانية ، وتزايد الخطر النازي ، اللذين دفعا الحكومة الفرنسية الى طلب ود الانجليز لمواجهة الخطر الجديد ، وجعلاها تتخلى عن تجاهلها لنشاط قيادة الثوار في لبنان وسوريا ، وضرب طوق صارم على حدودهما مع فلسطين ، بشكل جعل الاتصال بين الثوار ومن تبقى من قياداتهم في سوريا ولبنان صعباً للغاية .

وهناك عامل آخر ساعد في توقف الثورة ، وهو قيام الثورة المضادة ، والمتمثلة في قيادة حزب الدفاع ، بتشكيل عصابات اجرامية من عناصر اخرجتهـــا سلطات الانتداب خصيصاً لهذه الغاية من سجونها ، واطلق قادة حزب الدفاع على تلك العصابات اسم « فصائل السلام » ، واقترفت هذه العصابات العديد من الجرائم البشعة ضد الاهالي العرب ونسبتها الى الثوار ، بهدف تشويه الثورة وتنفير الجماهـــير الفلسطينية منها . ومع تسلل الضعف الى جسم الثورة ، انتقلت « فصائل السلام » الى ممارسة اعمالها علناً ، فأخذت تتعقب الثوار وتفرض الاتاوات على الفلاحين .



نسف هدف صهيوني في شارع بن يهودا في القدس

ومع انتهاء العام ١٩٣٩ ، انتهت الثورة ، عدا أعمال متفرقة صغيرة متباعدة زمنياً وجغرافياً . وتركت الثورة وراءها ٥٠٣٢ قتيلا عربياً ، منهم ١١٢ نفذت فيهم حكومة الانتداب احكام الاعدام ، وبلغ عدد القتلى من المستوطنين اليهود ٤١٥ قتيلا . واصيب ١٤٧٦٠ عربياً بجروح مختلفة ، وبلغ عدد المعتقلين العرب ٨٩٥٨ معتقلا ، وصدرت على نحو ألفين منهم احكام بالسجن لمدد متفاوتة ، وهدمت الحكومة أكثر من خمسة آلاف منزل يمتلكها العرب . وبلغت الأعمال الثورية في العام ١٩٣٨ وحده — وحسب احصاءات الحكومة البريطانية — ٥٧٠٨ حوادث ، منها ٩٨٦ هجوماً على الشرطة والجيش ، و ٧٢٠ هجوماً على المواصلات البرية ، و ٣٤١ حادث تخريب في السكك الحديدية ، وعشرة حوادث تفجير في انابيب شركة نفط العراق ، التي توصل النفط من العراق الى حيفا ، و ٤٣٠ اغتيالا ومحاولة اغتيال ، و ٦٥١ حادث هجوم على المستوطنات اليهودية .

وفي أعقاب الثورة ، أعربت عناصر بورجوازية عربية فلسطينية عن ميلها لمهادنة الاستعمار البريطاني ، وأخذ حجم هذه العناصر يتسع ، حتى شكلت تياراً وكتلة في الحركة السياسية الفلسطينية . وقد تشكل هذا الاتجاه السياسي كنتيجة لفشل الثورة وتسلل اليأس الى نفوس قطاعات واسعة من البورجوازية العربية الفلسطينية ، مما جعلها تميل لمهادنة الاستعمار والتعامل معه ، ما دام الكفاح المسلح لم ينجح في تحقيق الأهداف التي قامت من أجلها ، كما ان الاستعمار البريطاني اضطر للتعامل مع البورجوازية العربية الفلسطينية ، وتقديم التسهيلات لها ، غداة نشوب الحرب العالمية الثانية ، في العام ١٩٣٩ . وجاء هذا الاسلوب البريطاني الجديد ثمرة للضرورة ، حيث كانت القوات البريطانية في الشرق الأوسط بحاجة الى معدات ادارية وتموين من المنطقة نفسها ، خاصة وان سفنها المحملة بهذه المعدات كانت عرضة للغواصات والطائرات الحربية الألمانيـــة . وشددت البورجوازية العربية الفلسطينية من اتجاهاتها التهادنية بعد بروز الاتحاد السوفياتي كقوة عالمية في أعقاب الحرب العالمية الثانية . ويعتبر بروز هذا الاتجاه المهادن ، وتراجع الحركة الوطنية الفلسطينية خطوات واسعة الى الوراء ، من أهم نتائج ثورة ١٩٣٦ .

(٨) الحركة

الحركة (Mouvement)، هي تبديل وضع الاسلحة التي تطلق النار، وتبديل وضع الرجال الذين يستخدمون هذه الاسلحة، وكذلك تبديل مكان الاعتدة اللازمة لعمل الأسلحة، مهما كانت طريقة هذا التبديل الذي قد يتم على سواعد الرجال، او على ظهور الحيوانات، أو بواسطة الآليات أو عن طريق استخدام السكك الحديدية او الطائرات.

اعتبرت كثير من المذاهب العسكرية الحركة مبدأ من مبادئ الحرب، واعتبر المذهب العسكري السوفييتي ان الحركة تتمثل بالمناورة. وهناك نظريات عسكرية تفصل بين الحركة والمناورة، وتعتبر الحركة هي التقرب من ميدان المعركة. وفي هذه الحالة تصبح الحركة مجرد عملية تنقل عادية لا علاقة لها بمسرح العمليات، اما الحركة في مسرح العمليات فتندمج مع مفهوم المناورة. وهناك ايضاً من يحاول التمييز بين تنقل الافراد والوحدات الصغرى فوق ارض المعركة، وبين حركة التشكيلات والقوات الكبرى في مسرح العمليات، فيطلق على الأولى اسم الحركة، وعلى الثانية اسم المناورة، وفي الواقع فانه بالامكان دمجها باسم المناورة نظراً لطبيعة عملهما، وتشابه الهدف فيهما، وهو: دفع وسائل النار والقوات للقضاء على العدو.

وتدمج التعاليم الفرنسية الحركة بالصدمة. وتعتبر ان الحركة ما هي إلا وسيلة للصدمة. وهي تعرف الحركة بما يلي: «تهدف حركة القوات باستمرار الى التقرب من العدو، والوصول الى مسافة تسمح بتدميره، إما بالوسائط (النيران)، وإما بواسطة الصدمة (قتال الالتحام). وتتطلب هذه الصدمة في حد ذاتها استخدام النيران، ولكن من مسافة قريبة جداً، يكون فيها الرمي مدمراً لقوات العدو، أو مرغماً له على الاستسلام، أو وضعه خارج القتال. ولهذه الغاية فان الحركة ليست مجرد انتقال بالعناصر الخفيفة أو الوحدات الصغرى فقط، بل انها حركة يرافقها التقدم المتتابع لوسائط انتاج النيران التي توفر الحماية للحركة وتدعمها». ونتيجة لذلك، يتم دعم المشاة في معارك الحرب الحديثة للأسلحة المشتركة بأسلحة دعم مختلفة (دبابات وقانصات، مدفعية ومدافع اقتحام ومدافع مضادة، علاوة على دعم الطيران). ويختلف حجم أسلحة الدعم وقوتها تبعاً لاختلاف العدو، وكثافته، وتنظيمه في العمق. كما تختلف حسب طبيعة العملية (هجوم ضد قوات متمركزة في مواقع محصنة، او ضد عدو في مواقع محصنة على عجل، او ضد عدو في العراء، كما في المعركة التصادمية او المعركة التراجعية). كما تختلف ايضاً حسب طبيعة الأرض في مسرح العمليات (أرض سهلة، أو أرض شديدة الوعورة، أو قتال في مناطق جبلية أو غابات الخ). والهدف من أسلحة الدعم توفير القدرة على الحركة، وانتقال القوات بصورة مستمرة للاقتراب من العدو. وتستفيد القوات الأرضية في مجابهة عدو ضعيف الكثافة او قليل العمق في ارض صالحة للتقدم، نصف مقطعة او نصف مغطاة، لتنفيذ الحركة بواسطة اعمال التسلل حتى اعمق مسافة ممكنة داخل ترتيب العدو الدفاعي، مستثمرة في ذلك تقطع نيران العدو، او الفواصل بين رمي المدفعية. وتحاول بعض القوات الاستمرار في هجومها الجبهي في محاولة للقضاء على مقاومة العدو، مع الاستمرار في الحركة لتطويق العدو من الاجناب او الخلف.

وفي مواجهة عدو يحتل مواقع تختلف في درجة تنظيمها بين متصلة ومتقطعة، وتتراوح في درجة عمقها وكثافة القوات فيها. فانه يجب على القوات التي تقوم بالهجوم تنفيذ حركتها بالقوة، بمعنى ان يتم دعم قوات الهجوم بأسلحة قوية، ذلك ان القتال داخل المواقع وضمن حدود ثغرات ضيقة يتطلب تكثيف غزارة في النيران، لا سيما في المرحلة التي يصبح فيها من الصعب على القوات المتقدمة دعم حركتها بأسلحة المدفعية والطيران والافادة من وسائط النيران البعيدة.

ان تقدم القوات في تنظيم العدو الدفاعي، وحركة القوات في «التطويق والاحاطة»، يعتمدان بالدرجة الاولى على اسلحة المشاة الخاصة، وأسلحة الدعم المرافقة لها، ونيران الدبابات والمدافع ذاتية الحركة. وعلى القوات التي تقوم بالحركة بالاعتماد على امكاناتها لتطوير قدرتها حتى حدودها القصوى لكي تستطيع الاستمرار في تنفيذ حركتها. وان مثل هذا التقدم ينفذ بصورة متقطعة وبالتناوب بين اعمال الانقضاض المحلية التي يتم تنفيذها في كثير من الاحيان بمبادأة القادة. وقد يتم تنفيذ الحركة بواسطة أعمال قتال الالتحام (جسم لجسم)، حيث تباد كل مقاومة مباشرة ويتم تدميرها بالوسائط التقليدية (مسدسات، مسدسات رشاشة، قنابل يدوية، حراب). وقد يفشل بعض هذه الاعمال القتالية في التحامها مع الخصم في حين يلاقي بعضها الآخر النجاح. وتستثمر القوات كل نجاح لتنفيذ حركتها بسرعة، والتقدم نحو الهدف المحدد، وتطوير المناورات الجزئية والنجاحات الموضعية الصغيرة الى حركة التفاف أو إحاطة ناجحة بمجموعها، دون التوقف عند الحركات الفاشلة او انتظار نتيجتها. وخلال مرحلة التقدم وحركة القوات نحو الهدف.

وقبل الوصول الى الهدف النهائي، فانه كثيراً ما تجد القوات التي تقوم بالحركة نفسها مرغمة على التوقف عند اهداف وسيطة، أو عند خطوط معينة، وذلك لاعادة تنظيم القوات، واعادة السيطرة عليها، وتنسيق عملياتها، واعادة تنسيق التعاون بين وسائط انتاج النيران، ومعالجة المواقف الصعبة والطارئة، والاعداد لمتابعة تنفيذ المهمة، واعادة توزيع الوسائط والقوى اذا تطلب الأمر ذلك. وفي مثل هذه المواقف يصبح لزاماً على القوات ان تستعيد قدرتها القتالية بسرعة، وان تحتل مواقع جيدة تساعدها على الانطلاق لمتابعة تنفيذ الواجب، مع الاستعداد في الوقت ذاته لمجابهة كل هجوم مضاد واحباطه، حتى لو كان مدعماً بقوات مدرعة متفوقة.

وهكذا تتم حركة القوات احياناً «بمرونة» وأحياناً «بقوة». وليس هناك مبدأ يمكن تحديده بدقة للعمل بهذه الوسيلة او تلك. وفي الواقع فانه يتم الانتقال وبسرعة من حركة المرونة الى حركة القوة وبالعكس، وفقاً لمبادأة القادة، وحسب الموقف الذي تتم مجابهته مع الاستخدام الصحيح لنظريات القتال، وتعليمات الأمن ضمن حدود الواجب الذي يجب تنفيذه. وقد أعطى التنظيم الحديث للقوات في معارك الاسلحة المشتركة قدرة كبيرة على تنفيذ الحركة بسرعة، واستخدام اسلحة الدبابات ومدافع الاقتحام كنيران لإسكات مقاومات العدو، والعمل كأسلحة دفاعية ضد دبابات العدو التي تقوم بالهجمات المضادة.

وتكتسب الحركة في المعارك الدفاعية، ذات الأهمية وذات الطابع الذي تأخذه في المعركة الهجومية. وتنفذ الحركة في المعارك الدفاعية بصورة أساسية، للقيام بالهجمات المضادة، وتدمير العدو الذي ينجح في اختراق بعض المواقع. أو من أجل إعادة التوازن للدفاع باعادة توزيع «الوسائط والقوات» في مجابهة اتجاهات خطرة. أو من أجل تنفيذ الانسحاب لبعض القوات. ويتم هذا الانسحاب وفق خطة منسقة بصورة مسبقة، وفي إطار من التدابير المحددة بدقة (انظر الانسحاب).

وتكون **الحركة في الهجوم المعاكس** مشابهة الى حد كبير مفهوم الحركة في الهجوم. ولكن من الضروري أن تكون اهداف الهجوم المضاد دقيقة ومحددة بصورة جيدة وواضحة. (انظر الهجوم المعاكس). وتستهدف **حركة اعادة التوازن للدفاع**،

إعادة توزيع الوسائط والقوات وفقاً لاسلوب عمل العدو وتلبية لتطورات المعركة التي قد يكون من الصعب توقعها قبل الاحتكاك بالعدو ومعرفة اهدافه ونواياه. وتم إعادة التوازن للدفاع بتنفيذ الحركات الضرورة لتحسين مواقع الأسلحة، والأسلحة المضادة للدبابات منها بصورة خاصة (دبابات، مدافع ذاتية الحركة، قواعد صواريخ م/د). ونظراً لما تتميز به هذه الأسلحة من مرونة، فانه بالامكان تنفيذ حركة القوات والوسائط بسرعة لاحتلال المواقع الأفضل. وبصورة عامة تقوم القوات الاحتياطية والانساق الثانية بهذه الحركة. ولكن قد يطلب في بعض الاحيان الى قوات النسق الأول تعديل مواقعها والقيام بالحركة ضمن إطار إعادة تنظيم شامل للمواقع الدفاعية في مواجهة تهديدات العدو على محاور خطرة، أو نقل جزء من القوات الأمامية الى قطاعات أخرى اكثر تهديداً من قبل العدو. وتتطلب مثل هذه الحركات ارضاً صالحة للحركة، تتوفر فيها تغطية جيدة للقوات، مع المحافظة على تدابير الحيطة لمجموع القوات. ونظراً لأن مثل هذه الحركة هي من الأمور المتوقعة في ساحة المعركة، فانه يجب الاهتمام بصورة مسبقة بالتنظيم الهندسي للأرض، إذ كثيراً ما يتم تنفيذ مثل هذه الحركة في خنادق المواصلات وعبر الخنادق التحويلية. واخيراً فان **الحركة في الانسحاب** هي من الحركات الصعبة والتي يجب أن يسبقها بصورة حتمية «عملية قطع التماس» وغالباً ما يتم تنفيذ ذلك ليلا او تحت ستار من الدخان الكثيف او في الاحوال الجوية السيئة كالضباب واحياناً تسمح طبيعة الأرض باجراء هذه الحركة في النهار (انظر الانسحاب).

إن ما سبق ذكره عن الحركة يتوافق مع مفهوم المناورة في عقيدة القتال السوفييتية التي تقسم المناورة إلى: أ - الضربة بالمواجهة، ب - الالتفاف أو الاحاطة، ج - التطويق. ولا تضع العقيدة الشرقية حركة الانسحاب أو حركة الهجوم المعاكس في إطار حركات المناورة. وانما تقتصر على الاشكال الثلاثة السابقة الذكر. وتعتبر العقيدة السوفييتية حركة القوات في الانسحاب في طائفة الاعمال القتالية - كالقتال التراجعي - كما تضع حركة الهجوم المضاد في طائفة الاعمال الدفاعية، وليس كحركة مستقلة على نحو ما تصنفه عقيدة القتال الفرنسية. وفيما عدا هذه الفوارق النظرية، فانه لا فوارق في مفهوم الحركة بين العقيدتين الشرقية والغربية. وليس هناك اختلاف كبير في الاساليب وطرائق العمل.

لقد كانت الحركة والصدمة أساس قتال المعارك القديمة قبل ظهور الأسلحة النارية. وقد طبقت الحركة بأشكال مختلفة، وكان أبرزها الهجوم جبهياً، مع محاولة الالتفاف والتطويق من جانب واحد أو جانبين معاً، عندما كانت طبيعة الأرض تسمح باجراء حركات الالتفاف. وكان الاسكندر المقدوني يستهدف باستمرار أجنحة العدو، ويركز ثقل هجومه ضدها على نحو ما نفذه في معركة كافكامل (٣٣١ ق.م).

وخلال مرحلة الفتح العربي الاسلامي، اظهرت القوات العربية مهارة كبرى في تنفيذ حركاتها. وكان يساعدها على ذلك مرونتها، وتحررها من الأعباء الادارية، في حين كانت الجيوش المضادة تفتقد عامل المرونة، وتثقل حركتها الأعباء الادارية، وان المسيرات الكبرى حتى حدود الصين شرقاً، وحتى حدود الدولة الكارولنجية غرباً، خلال فترة ثمانين عاماً تقريباً، برهان واضح على المرونة وسرعة الحركة اللتين تميز بهما قتال العرب المسلمين.

وكانت المعارك القتالية للعرب المسلمين تتميز بالحسم نتيجة للتوسع في استخدام الحركة فوق ارض المعركة، والبحث باستمرار عن امكانات الالتفاف حول اجناب ومؤخرة العدو، وتدميرها، مع اجراء مطاردة لفلول قوات العدو المنهزمة.

وفي عصر الأسلحة النارية اكتسبت الحركة مفهوماً جديداً. واصبح تنفيذ المناورة يعتمد على التنسيق بين النار والحركة. وتعتبر معارك نابليون بونابرت بصورة خاصة تجسيداً لفكرة الحركة الجديدة. وكانت الحركية العالية لكتلة القوات الضاربة (مشاة، خيالة، مدفعية) هي الطابع المميز لمعارك نابليون القتالية. وكانت هذه الحركية العالية ايضاً هي التي ساعدت نابليون على توجيه ضرباته ضد خصومه بسرعة، واجهاض اعمالهم الهجومية بهجوم وقائي قبل ان يتمكنوا من التجمع وحشد قوات كبيرة ضده. كما كان الجيش الفرنسي يعتمد في مناوراته الالتفافية على المرونة وخفة الحركة في التنظيم الفرنسي، مقابل صعوبة التحرك عند الجيوش المعادية بسبب ثقل ذيولها الادارية. وقد استمر تطوير واستخدام مبدأ الحركة في الحروب المتتالية، مع إجراء التعديلات بما يتوافق مع تطور الأسلحة، ومع ما توفره التقنية الحديثة من امكانات لتنفيذ الحركة بقوة اكبر وبسرعة اكثر. وهذا ما ساعد بدوره على اجراء تحولات في التنظيم القتالي للقوات في حالات الهجوم أو الدفاع على حد سواء. ولكن ورغم هذه التطورات الكبرى فقد بقي التفاعل يسير بصورة بطيئة نسبية حتى الحرب العالمية الأولى. وجاءت معارك الخنادق والمواقع الثابتة لتضعف من مرونة القوات ولتضع حداً للحركة. وانتهت الحرب العالمية الأولى وأعقبها تطور كبير في وسائط النقل الأرضية والجوية. وكان الاستراتيجيون الألمان اكثر ادراكاً لحقيقة هذه التطورات، فعالجوا موضوع «الجمود في الحركة» بعمليات الاختراق من البعد الثالث (الجو)، بالاضافة الى الاعتماد على الحركة في تنظيم القوات الارضية عن طريق التوسع في استخدام المدرعات والمشاة الميكانيكية. وليست الحرب الصاعقة في جوهرها سوى تطوير كبير لمفهوم الحركة التي أصبحت تستهدف الوصول الى العمق الاستراتيجي للبلاد المعادية.

وقد اخذت العقائد القتالية في الغرب والشرق هذه المفاهيم في الحركة وطبقتها بما يتوافق مع امكاناتها. وليست العمليات الكبرى في نهاية الحرب العالمية الثانية سوى ترسيخ لمفهوم الحركة الحديثة، التي يتم فيها تعاون مختلف صنوف الأسلحة للوصول الى الهدف. وتعتمد الاستراتيجية الاسرائيلية على مفهوم الحركة، وتطبق هذا المبدأ في جميع معاركها، سواء في إطار نقل الهجوم الى البلدان المجاورة، او في توجيه الهجمات الوقائية. كما تخطط اسرائيل دفاعها ضمن مفهوم الحركة، مع الاعتماد في المرحلة الأولى على الصد والانتقال بعد ذلك إلى الرد.

(١) الحركة العاملة لتحرير فلسطين

(انظر المقاومة الفلسطينية).

(٨) الحركية

الحركية **Mobilité** أو القدرة الحركية، هي قدرة نقل القوى والوسائط، وزجها في المعركة، وتطوير هذه المعركة من اجل وضع حد نهائي وحاسم للصراع المسلح. وتعتبر الحركية العالية للقوى والوسائط إحدى مميزات المعركة الحديثة للأسلحة المشتركة، ذلك لأن الحركية توفر للهجوم (وهو الشكل الاساسي للحرب) فرص النجاح والتطور. ويقابل القدرة الحركية مفهوم حرب الثبات أو حرب الخنادق، مع ما يرافقها من تنظيمات دفاعية وتحصين هندسي للأرض، وتنسيق للنيران. ونظراً للاهمية الكبرى التي تتميز بها القدرة الحركية، فقد اعتبرتها معظم العقائد العسكرية من مبادئ الحرب. ومهما اختلفت تعريفات هذه المبادئ

باختلاف العقائد، فان الاجماع على اهمية الحركة معقود بين جميع هذه العقائد على اعتبار الحرب المتحركة هي الشكل الأمثل للقتال، حيث تبرز فيه مبادئ الحرب وتتصارع وتحشد فيه القوات بهدف الهجوم على العدو والقضاء على قواه ووسائطه، والتوغل في العمق إلى ما وراء خطوطه، والانسحاب، وفقاً لتطورات المعارك القتالية، بسرعة ومرونة، مع الاحتفاظ دائماً – سواء في الهجوم أو في القتال التراجعي والانسحاب – بالحد الأقصى من الحركية والديناميكية والمبادأة، واتخاذ القرارات السريعة في مواجهة التطورات والاوضاع الجديدة اثناء القتال.

كانت القدرة الحركية للجيوش القديمة ترتبط بقدرة تحرك الفرسان والمشاة، وبتوفر متطلبات الشؤون الادارية، ونظراً للحجم الكبير الذي تتطلبه القوات من المواد التموينية، والسرعة البطيئة للذيل الاداري، فقد اتسمت حركة الجيوش القديمة ببطء سرعتها. وعندما ظهرت قوات العرب المسلمين على مسرح الاحداث، انفردت بميزة كبيرة بالنسبة لعصرها، وذلك بسبب صغر الذيل الاداري الذي يرهق القوات ويعيق حركتها، فكان المقاتل يعتمد في غذائه على ما يحمله من زاد بسيط، ويعتمد في سلاحه على ما يحمله أو على ما ينتزعه من قبضة عدوه. وكانت هذه الحركية العالية، والمرونة الكبرى في تنفيذها، من جملة العوامل التي ضمنت للعرب المسلمين انتصارات رائعة على جيوش متفوقة ذات خبرات عسكرية كبيرة. وحققت لهم السيطرة على العالم القديم بداية من حدود الصين وحتى أقصى المغرب العربي والاندلس وجنوب فرنسا وجزر البحر الابيض المتوسط في فترة لا تزيد على ثمانين عاماً.

وكان المغول أساتذة في زيادة الحركية، وكانت حركيتهم تأتي من الاعتماد على الفرسان، وتخصيص خمسة خيول لكل فارس، وإنقاص حجم الذيول الادارية ما امكن عن طريق التموين محلياً من الاراضي المحتلة (انظر جنكيزخان).

وفي الغرب اتبعت امبراطورية شارلمان عدداً من الحلول لتوفير القدرة الحركية للقوات المقاتلة، ومن بينها إنشاء مستودعات تموينية على امتداد محاور حركة القوات المقاتلة. ولكن القدرة الحركية بقيت مرتبطة بقدرة حركة الرجال ووسائط النقل البدائية (الخيول والعربات) وبقي الأمر كذلك حتى ظهرت الآلة البخارية فأعطت الحركة زخماً جديداً وقدرة جديدة.

لقد اكتسب نابليون بونابرت شهرته الكبرى كقائد ومجدد عسكري بفضل تطوير قواته، واعتماده على القدرة الحركية، لخوض معاركه الحاسمة. وقد اصبح الطابع الحاسم لاستراتيجية نابليون ممكناً بسبب العلاقات الاقتصادية – الاجتماعية الجديدة والاكثر تقدمية، وبسبب الجيش الجديد ذي التركيب المتطور الذي خلقته الثورة الفرنسية البورجوازية.

واخذت جيوش العالم بعد ذلك في تطوير قواتها المسلحة لاكسابها مزيداً من القدرة الحركية حتى الحرب العالمية الأولى، وكان التوسع في استخدام (القطارات) والعربات من العوامل التي ساعدت على اكساب الحركة قدرة قوية، ونقل القوات بين مسارح العمليات المختلفة. لقد بدأت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، بعد ان استعدت جميع الجيوش للقيام بأعمال المناورة، وخططت لتنفيذ الالتفافات والاحاطة وتطويق القوى الرئيسية المعادية، ولكن لم يستطع أي جيش تحقيق المخططات الموضوعة، بسبب تأثير النيران. فكان لا بد من اللجوء الى الرفش والمعول، واخذت تظهر الجبهات الثابتة مع ما يرافقها من جمود وانعدام في الحركة، واكدت تجربة الحرب أنه يجب تركيز القوى والوسائط على الاتجاهات الحاسمة لتحقيق الهجوم الناجح الى عمق كبير، وكذلك إيجاد عدة انساق عملياتية للتمكن من تغذية القوى الأولية وتطويرها والمحافظة على التفوق الذي كان متوفراً في بدء العملية. وأدى غياب الانساق الثانية الاستراتيجية عند جميع الاطراف المتحاربة الى تلاشي الاعمال الهجومية الواسعة. وقد حاولت القيادات حل مشكلة الجمود بالبحث عن مسارح اخرى للعمليات، وفتح جبهات جديدة ولكن مشكلة كثافة النيران، ارغمت القوات – في جميع الجبهات – على استخدام الرفش والمعول وتنظيم الدفاع واللجوء الى الجبهات الثابتة. وكان فشل القدرة الحركية سبباً في عدم وضع حد حاسم وسريع للصراع.

وتكررت محاولات كسر الجمود في عدد من الهجمات، ولكن جميع المحاولات انتهت الى الفشل وكانت استعادة القدرة الحركية مسألة بشرية في جوهرها، فليست الخنادق بدون المشاة إلا سلسلة متصلة من الحفر والحواجز. فقد كان الانسان ببندقيته ورشاشه في الخندق خلف الاسلاك الشائكة هو الذي يمنحها القيمة التكتيكية، وبناء على هذا يكمن الحل بالقضاء على الجنود في الخنادق، أو بنزع سلاحهم، ومن الممكن حل المشكلة اذا كان من الممكن التوصل الى ذلك دون انقضاء أشهر في التحضير والتمهيد، ودون قلب وحرث ساحة المعركة الذي يمنع كل تقدم للآليات، لأن قصف ساحة المعركة أشهراً طويلة يحرم المهاجم من عامل المباغتة، ويقلب الأرض ويجعلها غير صالحة للحركة.

وقد حاول الألمان حل المشكلة بواسطة الغازات السامة، ولكن هذا الحل، رغم ما أوقعه من خسائر في قوات الحلفاء لم يحقق الهدف، ولم يكسب القوات القدرة الحركية التي تمكنها من متابعة المعركة حتى النصر. وكان الحل الثاني هو نزع سلاح المدافع وتحويل بندقيته ورشاشه الى سلاحين غير فعالين، وذلك بحماية المهاجم بدرع يحمي من الرصاص أثناء التنقل. وبما ان هذا الدرع سيكون ثقيلا جداً، فقد كان من الضروري نقله على آلية متحركة تحتاج الى تصفيح، ويترتب على الآلية ان تكون صالحة للسير على الطرقات وفوق ساحات المعارك المغطاة بالخنادق، وأن تكون مجهزة بالسلاسل بدلا من العجلات. وقد أدت هذه الشروط الثلاثة الى تبني دبابة الانقضاض، وهي قلعة متحركة، أو كما سميت في بادئ الأمر (مركب أرضي). وكانت فكرة إنشاء الدبابة فكرة قديمة، إلا انها كانت غير قابلة للتنفيذ قبل اختراع المحركات الانفجارية، فما أن ظهر الجمود واستقرار الجبهات بصورة منعزلة، وانعدام الحركة، حتى اقترح عدد من القادة المشبعين بالخيال عدة اقتراحات عن امكانية استعادة الحركية بفضل التصفيح. واستخدمت الدبابات للمرة الأولى في ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩١٦ أثناء معركة السوم، وكانت تجربة محدودة رغم نجاحها، ثم تكررت المحاولة على نطاق أوسع في معركة كامبري في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧. (انظر كامبري، معركة). وكان نقص القوات الاحتياطية سبباً في فشل الهجوم، وفي معركة أميان ٨ آب (أغسطس) ١٩١٨، أمكن تطوير حرب الحركة بنجاح اكبر وخرق الجبهات الألمانية، وبذلك استعادة القوات قدرتها الحركية وأمكن القضاء على الجمود وحرب الثبات.

خرجت القيادات من الحرب العالمية الأولى بنتائج مختلفة. وعندما تمت إعادة تنظيم القوى والاستعداد للحرب المقبلة ظهر مفهوم الحركة بأشكال مختلفة. ولكن مفهوم «القدرة الحركية» كان اكثر وضوحاً في عقول القادة الألمان الذين أقاموا بناء قواتهم المسلحة على أساس اكساب القوات قدرة حركية عالية، بواسطة حشد الكتلة الضاربة المدرعة في قوة واحدة، تتوفر لها قوة نيران عالية، وحركية سريعة، مع توفير القدرة الحركية للمشاة والمدفعية (بواسطة الناقلات والجرارات). واخيراً تم التغلب على مشكلة الثبات باقتحام ميدان المعركة من البعد الثالث (الجو)، وأصبح باستطاعة جنود الجو

الانقضاض مباشرة على اهدافهم، واستخدام المتفجرات القوية والحشوات المستطيلة والحشوات الجوفاء وقاذفات اللهب. ومساعدة كتلة القوات الرئيسية على تجاوز الحواجز بسرعة، والمحافظة على معدل سرعة الهجوم. وهكذا اكتسبت القوات قدرة حركية عالية بفضل التوسع في استخدام قدرة النقل الجوي، وتطوير المدرعات وعربات نقل الجند المدرعة، والجرارات.

لقد ركزت العقائد العسكرية اهتمامها على القدرة الحركية للقوات. واعتبرت العقيدة السوفييتية ان الحركة تتمثل بالمناورة. وقد استطاع القادة السوفييت تأمين القدرة الحركية والافادة منها، رغم أن خبراتهم حتى ابتداء الحرب العالمية الثانية كانت محـــدودة بتجاربهم في الحرب الأهلية التي كانت حرب حركة، بالاضافة الى تجارب المناورات السنوية التي امكن من خلالها تطوير وسائط القتال والتوسع في تجهيز القوات لحرب الحركة (القوات المحمولة جواً والقوات الميكانيكية) وقد حاولوا الإفادة من تجارب الصراع مع اليابان في منشوريا، خلال حرب خالخين غول، وكذلك في الصراع مع فنلندا. وكانت تجارب الصراع في اسبانيا مفيدة بالنسبة لاظهار مرونة الحركة الجوية. ولكن وضع هذه الخبرات موضع الاستخدام والتطبيق العملي قد تأخر نسبياً بسبب سرعة اجتياح الألمان للحدود السوفييتية، واضطرار القوات السوفييتية لخوض قتال دفاعي خلال المرحلة الأولى من الحرب. ولكن مفهوم (حرب الحركة) ظهر بشكله الواضح عند القيادة السوفييتية خلال مرحلة الهجوم العام الذي بدأ من موسكو ولينينغراد وانتهى في برلين.

أما بالنسبة إلى الغرب، فقـــد رفض القادة الغربيون الأخذ بتجارب الحرب الأهلية الاسبانية، باعتبارها لا تتناسب مع متطلبات الحرب الحديثة. واعتمدوا على التحصينات الثابتة (قلاع لييج ونامور في بلجيكا وخط ماجينو). وكانت ألمانيا الدولة الوحيدة التي قدرت أهمية التجارب الاسبانية، وافادت من خبرة عمليات النقل الجوي في تحقيق قدرة حركية عالية للقوات. كما أن التنظيم المدرع في الغرب بقي في إطار وحدات مستقلة، ولم يتم حشدها في كتلة ضاربة قوية للافادة من قدرتها الحركية العالية للتوغل في العمق الاستراتيجي. وان أحسن من يمثل مبدأ الحركة في قيادة القوات، وفق المفهوم المتطور للقدرة الحركية، القائدان الالمانيان غوديريان وروميل، اللذان يرتبط اسمهما ارتباطاً وثيقاً بتطوير فكرة الحرب الصاعقة وتنفيذها بقوات متحركة، أمـــا بالنسبة للحركة الجويـــة فان أفضل من يمثلهـــا شتودنت الذي ارتبط اسمه بتنفيذ عمليات القوات المحمولة جواً الألمانية، تلك العمليات التي كانت باكورة النقل الجوي وأساس بناء القوات المحمولة جواً في العالم. ويعتبر هؤلاء القادة الكبار أول من تفهم بعمق المبادئ التي قدمها واضعا النظريات العسكرية الانكليزية: ليدل هارت وفولر، وتطبيقها عملياً في أعمال القتال الأرضية المتحركة، وذلك في حملة الجيش الألماني في العام ١٩٣٩ على بولونيا، وحملته في العام ١٩٤٠ عـــلى الأراضي المنخفضة وفرنسا، وفي الأعمال القتالية الناجحة في روسيا خلال المرحلة الأولى من الحرب العالمية الثانية وفي شمال افريقيا. وتعتبر عمليات الجيش الألماني هذه أفضل الأمثلة التي توضح مدى النتائج التي يمكن احرازها بالاستخدام الصحيح والمدروس للقـــدرة الحركية. وان تاريخ فن الحرب مليء بالأمثلة التي تظهر مدى الميزات التي توفرها الحركية في القوات المسلحة، وبالامثلة التي تبرز بعض الأعمال الناجحة التي تقوم بها قوات متحركة مجهزة بعتاد جيد، مع توفر تدريب عال، وقيادة على درجة عالية من الكفاءة. ففي الحرب العالمية الثانية — بصورة خاصة — وبفضل استخدام البعد الثالث (الطائرات الشراعية، والمظلات) انفتح افق جديـــد لخوض العمليات الحربية، واعطت هذه الوسائط العمليات حركة لا تقل عما أعطته الدبابات والناقلات المدرعة عند ظهورها. ان مفهوم الحرب المتحركة يشمل — بصورة رئيسية — مجموعة الآراء في اساليب خوض الصراع المسلح بهدف تكثيف القوى والوسائط في المكان الحاسم واللحظة الحاسمة، وفي اظهار الروح الهجومية في الاعمال القتالية أثناء التخطيط للهجوم وخلال تنفيذ عملياته. وبعد هذا فهو اسلوب خوض الأعمال القتالية المستمد من الدروس المستفادة التي تؤكد أن الطرق العادية والخطية في خوض الأعمال القتالية ستؤدي الى حرب لاستنزاف القوى والوسائط دون الوصول الى الحسم في الصراع. أما اذا نسقت الحرب المتحركة مع الطرق العادية فيمكن الوصول الى امكانات الاقتصاد بالقوى، وتصبح الاعمال المتميزة باستخدامها للقدرة الحركية، مفتاحاً الى تحقيق ناجح لمبدأ تكثيف القوى والوسائط وتحقيق المباغتة، وتوجيه ضربات حاسمة للعدو.

وتستوجب القدرة الحركية في القتال وجود قيادات ديناميكية قادرة على اتخاذ القرارات والمبادرة، وقوات متحركة مرنة، وشؤون ادارية قادرة على الحركة بوتيرة عالية. وان زيادة معدل سرعة الهجوم ينقص بشكل واضح من مدة الفترة الزمنية الضرورية للقائد وأركانه من أجل اتخاذ القرار في المواقف سريعة التبدل والتطور. وفي حالة عدم توفر اشارة جيدة تعمل بصورة فورية فانه من المحتمل الا يستطيع القائد اتخاذ القرار المناسب الذي يوفر لقواته فرص النجاح في مجابهة التبدل الحاد في الموقف. وترجع علاقة القدرة الحركية مع قدرة التنظيم الاداري وامداد القوات بالتموين المادي والدعم التقني. إلا أن قدرة القوات على الحركة بسرعة، والوصول الى عمق كبير خلف خطوط العدو لانزال ضربات قوية بمؤخراته وحرمانه من موارده التموينية، يتطلب جهازاً ادارياً قادراً على تحمل ضربات العـــدو، ومنع الاستنزاف الكبير للوسائط وما تتطلبه الاعمال القتالية المستمرة في حرب الحركة من ذخائر، ووقود، وتموين الخ..

ان اكمال عمليـــات الحشد بنجاح، يفرض بالضرورة على الوحدات والتشكيلات التمتع بقدر كبير من المرونة (والقدرة الحركية)، لا سيما في ظروف الحرب الحديثة التي تتطلب تحريك قوات ووسائط ضخمة في أوقات محددة وعلى طرق معينة. ولقد كتب رومل عن القدرة الحركية في الحرب الحديثة ومتطلباتها ما يلي: «ان الرجال الشجعان لا يمكنهم القتال بدون أسلحة، والأسلحة لا تعمل بدون ذخيرة، والذخيرة لا يمكن احضارها الى ميدان العمليات الا بنقلها بالعربات. والعربات تحتاج الى وقود. وكل هذا يتطلب قدراً مناسباً من التموين، ولكن هل يمكن القيام بكل ما هذا ما لم تتوفر السيطرة الجوية؟ ان هذه الأعمال تتطلب قدراً مناسباً من التفوق الجوي، أو على الأقل الى تعادل جوي. اذ بدون ذلك لا يمكن اتمام عمليات التموين بنجاح. وعلى ذلك يجب أن تسبق المعركة البرية معركة جوية، لتقرير مصير التفوق الجوي الذي تتوقف نتيجة المعركة البرية عليه الى حد بعيد».

وتشير الدراسات السوفييتية عن الحرب العالمية الثانية الى أن فقدان المبادأة في أثر الغزو الألماني كان نتيجة طبيعية للمباغتة الاستراتيجية، كما تشير تلك الدراسات الى ان الاستراتيجية السوفييتية في مرحلتها التي بدأت بالحرب وانتهت بمعركة ستالينغراد كانت نضالا من أجل استعادة المبادأة وتوفير «القدرة الحركية الاستراتيجية». ويشير المفكرون العسكريون السوفييت الى ان السرعة في العمل والمهارة في المناورة وقابلية الحركة هي إحدى الشروط الاساسية للنجاح، وان القوات التي تنفذ الأوامر بسرعـــة، وتتجمع بسرعة، وتتحرك بسرعة، وتنتقل من الراحة الى العمل بسرعة، وتقفز الى الأمام وتتخذ تشكيلة القتال وتندفع في هجومها بسرعة، وتستخدم نيرانها

وتطارد عدوها بسرعة . ان هذه القوات يمكنها أن تكون واثقة من النصر دائماً . لان السرعة وقابلية الحركة والايقاع السريع في القتال تسمح بكسب الوقت ، وتخلق أوضاعاً لا ينتظرها العدو ويصعب عليه مواجهتها ، وتؤمن المبادأة وتمنع العدو من اتخاذ الاجراءات لايقاف الهجوم .

ويرى القادة الغربيون في الحركة مبدأ هاماً من مبادئ الحرب ، كما يرون أن القدرة الحركية تشكل الجزء الأهم من مفهوم الحركة . ان آليات القتال التي لا تملك القدرة على التحرك خارج الطرق ، وتحت نار العدو قد تفقد قدرتها الحركية . ولكن اذا كانت لدى هذه الآليات قدرة نارية متفوقة ، أو يمكن ان تغطى في ساحة المعركة بنيران قوية من وسائط الدعم ، فانها تتمكن من المحافظة على قدرتها الحركية في ظروف مماثلة . كما يمكن القول أنه غالباً ما تفقد آليات القتال غير المصفحة قدرتها الحركية ، على حين تبقى الآليات المحمية بالدروع محافظة على حركيتها دون أن تعاني كثيراً من نيران العدو . من هنا نجد العلاقة القائمة بين التصفيح وقوة النيران من جهة ، والحصول على القدرة الحركية الأرضية من جهة اخرى . ويجب ان يضاف الى التصفيح وقوة النيران عامل آخر وهو الكشف السريع والدقيق للأهداف على أرض المعركة ، كما أن تأمين الحركية في المؤخرات يقدم ميزات رئيسية في تنظيم الامداد والتموين للقوات في ميدان المعركة . ان العوامل الأربعة المذكورة لا يمكن تطبيقها واستخدامها بشكل ملائم اذا لم يتوفر جهاز اتصال محكم ودقيق ، اذ ان الاشارة تملك أهمية خاصة وكبيرة في مختلف الظروف . وبدون اشارة جيدة ومحكمة لا يمكن تأمين قيادة فعالة وحاسمة للقوات واتخاذ القرارات في الوقت المناسب . على أن هذه العوامل (الحركة الميكانيكية ، القوة النارية ، التصفيح ، امكانية كشف الاهداف ، حركية المؤخرة ، الاشارة الجيدة) لا تعطي أفضل النتائج ، اذا لم تتوفر خاصة المرونة في القيادة . ان جميع كبار القادة العسكريين الذين حققوا انتصارات لقواتهم كانوا بشكل عام يتمتعون بمرونة التفكير . وان الهدف من أي تنظيم عسكري يتمثل في الحصول على مستوى من قابلية الحركة يمكن به التفوق على العدو . على أن هذا الهدف لا يمكن احرازه بزيادة حركية القوات فقط بل بانقاص القدرة الحركية لدى العدو بمختلف الوسائل ايضاً . وواضح بعد ذلك ان الدروس المستخلصة من الحرب العالمية الثانية كانت واحدة بالنسبة لقضية (القدرة الحركية) عند الشرق وعند الغرب على حد سواء .

لقد اخذت قيادة حلف شمالي الاطلسي في الخمسينات بإعادة تنظيم قواتها وتسليحها وتشكيلها وفق تطور النظريات العسكرية . وحتى تتمكن القيادات من تجربة تلك النظريات ، أجرت عدة مناورات سنوية كبرى ، اشتركت فيها جميع صنوف الاسلحة البرية والجوية والبحرية في مختلف مسارح الحرب المرتبطة بحلف الأطلسي ، وقد خلص قادة الحلف من تلك المناورات التي جرت عدة سنوات الى ان المبادئ الرئيسية المؤثرة في الاستراتيجية والتكتيك هي المناورة ، والمرونة ، والسرعة في تكون مفهوم القائد عن المناورة ، وقراره ، وفي تنفيذ القادة والوحدات لذلك القرار ، وفي تجميع الوحدات وحركتها وامدادها . وقد انتهى قادة الحلف الى ان هذه المبادئ لا تنطبق – آنذاك – على الوحدات التابعة للحلف ، لأنها ما تزال مشكلة على أساس المبادئ المقررة في اثر الحرب العالمية الثانية . وأكد هؤلاء القادة ان عهد الوحدات الثقيلة قد انقضى ، وأنه لا بد من أن تكون الوحدات الكبيرة اكثر مرونة وخفة وحركة ، وان تحافظ في الوقت ذاته على قوتي النار والصدمة اللتين تملكهما الوحدات الثقيلة . وقد أخذت قيادات القوات المسلحة المنضمة الى الحلف تعيد تشكيل وحداتها وفق المبادئ الثلاثة المذكورة .

ولا يزال سباق التسلح لدعم « القدرة الحركية » مستمراً بين الدولتين الاعظم بصورة خاصة ، وبين دول العالم المتطورة بصورة عامة ، وذلك في ، البر والبحر والجو ، مع الإفادة إلى الحد الأقصى من تطور وسائط النقل والاتصال ، والإفادة من الطاقة النووية لزيادة الحركية في البحر .

وجدير بالذكر أن أهمية « القدرة الحركية » قد تزايدت إلى حد بعيد نتيجة لاحتمالات العمل تحت التهديد باستخدام الأسلحة النووية ، مما يفرض على الأسلحة كلها ، والقوات المسلحة بشكل عام ، العمل بسرعة للتخلص من الضربات النووية .

(٩) الحروب البونية (٢٦٥ ق.م – ١٤٦ ق.م)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) الحروب الأفغانية – البريطانية (١٨٣٨ – ١٩١٩)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٥) حروب التدخل الأجنبي في الصين

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) الحروب الروسية – التركية (١٦٧٧ – ١٩١٨)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٣) حروب الرده

تعرف بهذا الاسم الحروب التي شنها الخليفة ابو بكر (رضي) اول خليفة للمسلمين على القبائل التي ارتدت عن الاسلام بعد موت الرسول ، وذلك في خلال العام الحادي عشر للهجرة (٦٣٢ م) ، فقد توفي النبي في ذلك العام ، فاستكبر عامة المسلمين موته ، واتخذ منه بعض القبائل ذريعة للارتداد عن الدين الجديد ، ولما اختار المسلمون ابا بكر خليفة لهم ، عزم الخليفة المنتخب على ان يضع حداً لحركة الارتداد هذه ، وذلك لما تنطوي عليه هذه الحركة الانقلابية – والدين الجديد لا يزال في بدء انتشاره – من خطر جسيم على الدعوة الاسلامية سواء في الجزيرة او خارجها ، فقرر ان يعيد ، بالسيف من خرج من المسلمين على الدين وارتد عنه .

وخرج أبو بكر بجيوش المسلمين الى مكان قرب المدينة يدعى « ذا القصة » ليوجه الزحوف الى المرتدين ، فهاجمته قبائل عبس وذبيان وغطفان ، وكانت قد ارتدت ، فهزمها ، وفي « ذي القصة » وزع مهام القتال على احد عشر قائداً من قادة جيوشه فوجه كلا من هؤلاء القادة الى قبيلة او اكثر من القبائل المرتدة ، وهؤلاء القادة هم :

- عكرمة بن ابي جهل ، وقد وجهه في البدء الى بني حنيفة في اليمامة لقتال مسيلمة بن ثمامة المعروف بالكذاب فهزمه مسيلمة ، فوجهه الى عمان (شرقي البحرين) وفيها قبيلة الازد ، ثم الى الشحر وحضرموت واليمن (جنوبي الجزيرة) وفيها قبائل طيء وخولان وكندة ومراد وحمير ومذحج وهمدان .
- عمرو بن العاص ، وقد وجهه الى شمالي الحجاز حيث قبائل جذام وكلب وقضاعة وطيء وعذرة وبلى .

- شرحبيل بن حسنه ، وقد وجهه في البدء الى اليمامة في إثر عكرمة ليلتقي معه على قتال مسيلمة ، فادرك مسيلمة بعد ان كان عكرمة قد هزم فهزمه مسيلمة كذلك ، فوجهه الخليفة بعد ذلك ، مع عمرو بن العاص ، الى شمالي الحجاز .
- المهاجر بن ابي أميه ، ووجهه الى كنـدة بحضرموت .
- خالد بن سعيد ، ووجهه الى مشارف الشام ، وهي قرب حوران .
- حذيفة بن محصن ووجهه الى اهل دبا ، قصبة عمان ، وهم من الازد .
- عرفجة بن هرثمة ، ووجهه الى قبيلة مهرة من قضاعة ، وقيل : مهرة ، ارض بالقرب من حضرموت .
- طريفة بن حاجز ، ووجهه الى بني سليم ومن معهم من هوازن .
- سويد بن مقرن ، ووجهه الى تهامة باليمن .
- العلاء بن الحضرمي ، ووجهه الى البحرين .
- خالد بن الوليد ، ووجهه الى «عين بزاخة» وفيها قبائل غطفان وعبس وذبيان ، ومن انضم اليها من اسد وفزارة ، ثم وجهه الى بلاد بني عامر (تمتد من شرقي المدينة الى الخليج العربي) وفيها قبائل بني تميم وعشائرها من بني حنظلة ، ثم الى اليمامة وفيها بنو حنيفة وعليهم مسيلمة الكذاب الذي سبق وهزم عكرمة وشرحبيل فقضى خالد عليه وعلى قومه في معركة اشتهرت باسم «عقرباء» او «حديقة الموت» (انظر عقرباء)

وما ان انصرم عام ١١ هـ حتى كانت جميع قبائل العرب التي ارتدت عن الاسلام بعد موت النبي قد عادت اليه، وقضي على الفتنة قضاء تاماً ، وتفرغ الخليفة بعدها لنشر رسالة الاسلام خارج ارجاء الجزيرة العربية .

(١٢) الحروب السيليزية الثلاث (١٧٤٠ - ١٧٦٣)

حروب نشبت بين ماريا تريزا ، ارشيدوقة النمسا ، (ملكة بوهيميا والمجر فيما بعد) وحلفائها من جهة ، وفريدريك الثاني الاكبر ، ملك بروسيا ، وحلفائه من جهة ثانية ، من اجل السيطرة على سيليزيا Silesia (تقع في اوروبـا الوسطى ، وتتبع بولونيا حالياً) .

كان الامبراطور شارل السادس قد نص في ترتيبه لوراثة العرش النمساوي بعده (الضمان الوراثي) ، ان جميع الاراضي التابعة للامبراطورية النمساوية غير قابلة للتجزئة ، وانه في حال عدم وجود وريث ذكر يؤول العرش الى اكبر بناته . وكانت ماريا تريزا اكبرهن ، وقـد عارض وصول ماريا تريزا الى العرش كل من شارل البرت ، منتخب بافاريا ، من سلالة أنا ، الذي لم يعترف مطلقاً بالضمان الوراثي ، وفيليب الخامس ، ملك اسبانيا ، واوغسطس الثالث من سكسونيا ، زوج ابنة جوزيف الاول الكبرى . وهنا عرض فريدريك الاكبر عـلى ماريا تريزا حمايتها من اعدائها شريطة ان تتنازل له عن جزء من سيليزيا ليضمها الى مملكته ، ولما رفضت الملكة هذا العرض قرر فريدريك احتلال سيليزيا بالقوة . فكانت الحروب السيليزية الثلاث : الحرب السيليزية الاولى (١٧٤٠ - ١٧٤٢) والحرب السيليزية الثانية (١٧٤٤ - ١٧٤٥) والحرب السيليزية الثالثـة (١٧٥٦ - ١٧٦٣) المعروفة بحرب السنوات السبع .

الحرب السيليزية الأولى : اندلعت هذه الحرب في ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٧٤٠ ، عندما زحف الجيش البروسي بقيادة فريدريك الاكبر الى مقاطعة سيليزيا ، اروع مقاطعـات الملكة تريزا واحتلها ، كما استولى على جلوجاو ، ثم تابع زحفه حتى وصل برسلو Breslau الواقعـة جنوب غربي بولونيا . وفي ١٠ نيسان (ابريل) ١٧٤١ هزم فريدريك جيشاً نمساويـاً في معركة مولويتز Mollwitz . وفي هذه الاثناء تقدمت قوات بافارية تساندها قوات فرنسية وسكسونية باتجاه لينز Linz الواقعة شمالي النمسا ، واستولت على براغ Prague ، وذلك وفقاً لتحالف نيمفنبرغ السري في أيار (مايو) ١٧٤١ ، بين كل من فرنسا وبافاريا واسبانيا وسكسونيا وبروسيا - ضد النمسا . وفي ١٧ أيار (مايو) ١٧٤٢ احرز فريدريك انتصاراً ساحقاً في معركة تشوتوستز Chotusitz عـلى القوات النمساوية ، فاضطرت مـاريا تريزا عندئذ أن تعقد معه صلح برسلو - وبرلين (بين ١١ حزيران (يونيو) و ٢٨ تمـوز (يوليو) ١٧٤٢) وذلك للتخلص من الخطر الذي يشكله على مملكتها . وقد تنازلت بموجب هذا الصلح عن سيليزيا العليـا (كرنوف Karnov ، وأوبـافـا Opava ، وسيسزين Cieszyn) ، وسيليزيـا السفـلى ، وقطاع كلاتز Klatz ، واحتفظت بمقاطعتين تروبو Troppau وتستشن Teschein . وهكذا انتهت الحرب السيليزية الاولى بمعاهـدة الصلح هـذه . ولمع نجم فريدريك العسكري نتيجة الانتصارات الساحقة التي احرزها في هذه الحرب ، اذ كانت من اوائل المجابهات العسكرية بين اكبر دولتين ألمانيتين .

الحرب السيليزية الثانية : وفي هذه الاثناء كانت حرب وراثة العرش النمساوي (١٧٤٠ - ١٧٤٨) ما تزال مستمرة . فهاجمت القوات النمساوية براغ ، كما اجتاحت بوهيميا ، واستولت على العاصمة ميونخ . وبعد ان احرزت القوات النمساوية هذه الانتصارات تقدمت بقيـادة شارل امير اللورين Charles of Lorraine بقصد عبور الرين من جهة المانيا الجنوبية وذلك في محاولة لاسترجاع سيليزيا .

وفي ٥ حزيران (يونيو) ١٧٤٣ عقد فريدريك الاكبر تحالفاً جديداً مع فرنسا آملا ان يستطيع سحق النمسا بجيشه الـذي تزايد عدده حتى بلغ ١٤٠ ألف مقاتل ، ولكن الانتصارات النمساوية والمعاهدات مع سردينيا وسكسونيا أثارت قلق فريدريك على مملكته ، فنشبت الحرب السيليزية الثانيـة (١٧٤٤ - ١٧٤٥) ، حيث اقتحـم فريدريك سكسونيا على رأس جيش مؤلف من ٨٠ ألف مقاتل ، وغزا بوهيميا في آب (اغسطس) ١٧٤٤ ، ثم انسحب منها لتخلي الفرنسيين عنه ، وارتد الى سكسونيا .

وفي كانون الثاني (يناير) ١٧٤٥ تم التحالف بين النمسا وسكسونيا وانكلترا وهولندا ضد بروسيا . وحاولت القوات النمساويـة بالاشتراك مع قوات سكسونية مهاجمة سيليزيا ، لكنها ردت على اعقابها ، وهزمت قرب هوهن فريدبورغ Hohen Friedberg في ٤ حزيران (يونيو) ١٧٤٥ . وللمرة الثانية غزا فريدريك بجيشه بوهيميا . وما ان انتهى العام نفسه حتى كان القسم الاكبر من سكسونيا في يـد فريدريك . وفي ٢٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٧٤٥ انتهت الحرب السيليزية الثانية بتوقيع معاهدة درسدن Dresden بين بروسيا والنمسا، وتم التصديق عـلى معاهدة برسلو - وبرلين (١٧٤٢) ، والتأكيد على حق بروسيا بامتلاك سيليزيا .

الحرب السيليزية الثالثة : في معاهدة اكس - لا شابيل Aix-La-Chapell التي عقـدت في العام ١٧٤٨ ، نودي بماريا تريزا ملكة على بوهيميا والمجر . وبالرغم من معاهدات الصلح التي تمت بين كل من النمسا وبروسيا فقد استمر التوتر قائماً بينهما . اذ كانت ماريا تريزا ترغب في استرجاع سيليزيا وضمها الى مملكتها ، فكانت الحرب

السيليزية الثالثة او حرب السنوات السبع (١٧٥٦ – ١٧٦٣) بين بروسيا وانكلترا من جهة ، والنمسا وفرنسا وروسيا وسكسونيا والسويد من جهة ثانية . ونظراً لاتساع رقعة هذه الحرب وأهميتها بالنسبة إلى سابقتيها من حيث سير العمليات الحربية ، والنتائج السياسية ، فقد جرت العادة في الدراسات العسكرية على عزلها ودراستها بشكل مستقل (انظر حرب السنوات السبع) .

وتعتبر الحروب السيليزية الثلاث ، الناجمة عن زيادة عمق التناقضات بين الدول الاوروبية الكبرى ، نقطة تحول في تاريخ الدول الأوروبية ، فلقد ثبتت بروسيا في مركزها الجديد كدولة عظمى ، وجعلتها منافسة للنمسا في قيادة الدول الالمانية ، كما جعلت انكلترا الدولة الاستعمارية الكبرى على حساب فرنسا . واحرزت روسيا ربحاً غير مباشر ، تمثل في إيقاف نفوذ فرنسا وتحديد أطماعها في بولونيا . ولقد أظهرت معارك هـذه الحروب الثـلاث النبوغ العسكري لفريدريك الثاني الذي اعتبر أبا الحرب المتحركة في القرن الثامن عشر .

(٣) الحروب الصليبية

تعرف بهذا الاسم ، الحملات العسكرية التي قامت بها اوروبا المسيحية الى الشرق الاسلامي في خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي (في فترة ١٠٩٦ – ١٢٩١ م) وقد جرت هذه الحملات تحت ستار الدوافع الدينية (انقاذ بيت المقدس من المسلمين) إلا أنها كانت في الحقيقة ذات دوافع اقتصادية في الاساس ، ويبلغ عدد هذه الحملات او الحروب سبع ، هي :

الحملة الصليبية الاولى : (١٠٩٦ – ١٠٩٩)

بدأت هذه الحملة عام ١٠٩٦ بكتائب شعبية من المشاة والنساء والاطفال قادها بطرس الناسك ، الا انها ابيدت على ابواب مدينة نيقية عاصمـة السلجوقيين بآسية الصغرى ، وعلى يد السلطان السلجوقي قليج ارسلان .

اما الحملة الصليبية العسكرية الاولى فكانت نحو سبعمائة ألف مقاتل (ماية ألف من الفرسان وستماية ألف من المشاة) وقد انطلقت بأربعة جيوش :

– واحد من جنوبي فرنسا بقيادة ريموند دي سان جيل Raymond de St. Gilles دوق تولوز .

– وثان من شمالي فرنسا بقيادة روبرت كورت هوز Robert Court-Heuse .

– وثالث من أعالي فرنسا بقيادة غودفروا دي بويون Godefroi de Bouillon دوق اللورين السفلي .

– ورابع من جنوبي ايطاليا بقيادة تنكريـد Tancred وبوهيموند Bohémond النورماندي ملك جنوبي ايطاليا .

اتفق القادة الاربعة على ان يلتقوا عام ١٠٩٧ في القسطنطينية ، وكانت هذه عاصمة البيزنطيين ، لذا لم تتوقف الجيوش الصليبية طويلا عندها ، بل تجاوزتها (بعد الاتفاق مع الامبراطور البيزنطي) الى الاناضول فاستولت على نيقية عاصمة السلجوقيين ، ثم الرها ، ثم انطاكية ، ثم بيت المقدس ، ثم عكا وطرابلس وصور ، وقد اتمت فتح هذه البلدان جميعها في عام ١٠٩٩ ، وكونت فيها مملكة وثلاث إمارات هي :

– امارة الرها وعليها بودوان اخو غودفروا دي بويون وكانت اول امارة لاتينية أقيمت في الشرق الاسلامي

– امارة انطاكية وعليها بوهيموند .

– امارة طرابلس وعليها ريمون دي سان جيل .

– مملكة بيت المقدس وعليها غودفروا دي بويون .

الحملة الصليبية الثانية : (١١٤٧ – ١١٤٩)

برزت في هذه الفترة عائلة اسلامية قياديـة جديدة ، هي عائلة آل زنكي ، وكان عماد الدين زنكي أتابك الموصل والعراق ، وكبير امراء السلاجقة ، قد عقد العزم على طرد الصليبيين من البلاد ، فقصد الشام واحتل حلب ثم سقطت امارة الرها بيده ، إلا انه توفي قبل ان يحقق اهدافه في طرد الصليبيين فخلفه ابنه نور الدين زنكي على الشام الذي تابع القتال ضد الصليبيين واخمد ثورة الارمن في الرها (عام ١١٤٧) فقدمت الحملة الصليبية الثانية لتتصدى لنور الدين زنكي الذي اصبح يهدد الحكم الصليبي في الشرق ، وقد تزعم هذه الحملة الراهب الفرنسي سان برنار St. Bernard de Clairvaux) ،وانضم اليه بعض الملوك والامراء مثل لويس السابع ملك فرنسا Louis VII وكونراد الثالث ملك المانيا Conrad III ولكن هذه الحملة باءت بالفشل ، لاحتدام الخلاف بين قادتها من جهة ،ولاندحارها امام السلجوقيين عند قونية ، من جهة اخرى .

وفي هذه الاثنـاء توفي نور الدين زنكي (١١٧٤) ، فاستلم صلاح الدين الايوبي مقاليد الحكم في البلاد بعده (وكان صلاح الدين قد خلف اسد الدين شيركوه في الوزارة فألغى الخلافة الفاطمية ودعا للخليفة العباسي ببغداد) ، (انظر صلاح الدين الايوبي) ، واعلن نفسه سلطاناً (سنة ١١٨٣) على مصر والشام والعراق الأعلى بعد ان اعلن توحيد هذه البلاد ، ثم انطلق بجيوشه يحارب الصليبيين واضعاً نصب عينيه تحرير بيت المقدس من قبضتهم .

وفي عام ١١٨٧ خـاض صلاح الدين ضد الصليبيين معركته الشهيرة الحاسمة حطين ، (انظر حطين) فهزم الصليبيين فيها ، وبلغ عدد قتلاهم نحو عشرة آلاف ، وأسر ملك بيت المقدس ، وقتل أرناط صاحب الكرك ، ثم حرر صلاح الدين من قبضة الصليبيين في العام نفسه كلا من عكا وتبنين وصيداً وجبيل وبيروت وسائر الساحل الشامي ، ثم الرملة وغزة وبيت لحم ، ثم حاصر بيت المقدس مدة اسبوع استسلمت بعده ، وتم لصلاح الدين ما ابتغى ، وهو إعادة بيت المقدس الى حكم المسلمين . اما فلول الصليبيين فقد اجتمعت بصور وتوجهت بعد ذلك الى عكا لمحاصرتها (١١٨٩) .

الحملة الصليبية الثالثة : (١١٨٩ – ١١٩٢ م)

قاد هذه الحملة ثلاثة من اشهر ملوك اوروبا وهم :

– امبراطور المانيا فريدريك بربروس Frédéric Barbe-Rousse

– ملك فرنسا فيليب اوغوست Philipe - Auguste

– ملك انكلترا ريكاردوس قلب الاسد Richard Cœur de Lion

إلا ان مصيرها كان الفشل ، كسابقتها ، اذ ان الامبراطور فريدريك قائد الجيش الالماني (البالغ مائة ألف مقاتل) غرق في نهر « السالف » وهو في طريقه الى الشرق ، فتشتت جيشه من بعده ورجع قسم كبير منه الى المانيا ، ولم يصل منه الى سورية سوى قسم ضئيل . اما الجيشان الفرنسي والانكليزي فقد التقيا في صقلية ولكن قائديهما (ملك فرنسا وملك انكلترا) افترقا على خلاف ، فوصل الفرنسيون الى عكا ليعززوا القوة الصليبية التي تحاصرها ، اما ريكاردوس فقد احتل قبرص ثم توجه بعدها لنجدة ملك بيت المقدس الذي اطلقه صلاح الدين من الاسر .

وسقطت عكا بيد الصليبيين من جديد بعد حصار طويل ، إلا ان الخلاف بينهم عاد يظهر من جديد فرحل فيليب ملك فرنسا عائداً الى بلاده وظل ريكاردوس يقاتل صلاح الدين راغباً بإعادة بيت المقدس الى الحكم الصليبي الى ان انتهى القتال بعجز ريكاردوس عن استعادة بيت المقدس وبتوقيع صلح الرملة بين الطرفين (١١٩٢) وقـد توفي

صلاح الدين بعد هذا الصلح بعام واحد (١١٩٣) .

الحملة الصليبية الرابعة : (١٢٠٣ – ١٢٠٤)

كانت هذه الحملة موجهة بالاصل ضد مصر التي كانت تعاني من الحرب الاهلية التي نشبت بين أبناء صلاح الدين وقد اشعل نارها البابا (انوسنت الثالث Ynnocent III)، وكان داعيتها « فولوك دي نويي » Foulouques de Neuilly، وقد استجاب لدعوته كثير من الاقطاعيين والاشراف بفرنسا ، منهم بودوين التاسع ، ولكن شعور الكراهية الذي كان ينتاب الاوروبيين ضد البيزنطيين جعلهم يعتقدون ان لن يكون بامكانهم مقارعة المسلمين إلا اذا اقاموا دولة لاتينية على انقاض الدولة البيزنطية في القسطنطينية ، وهكذا تحولت هذه الحملة عن هدفها الاصلي ، واتجهت نحو القسطنطينية فاحتلتها سنة ١٢٠٤ ونصبت بودوين التاسع امبراطوراً عليها باسم « بودوين الاول » .

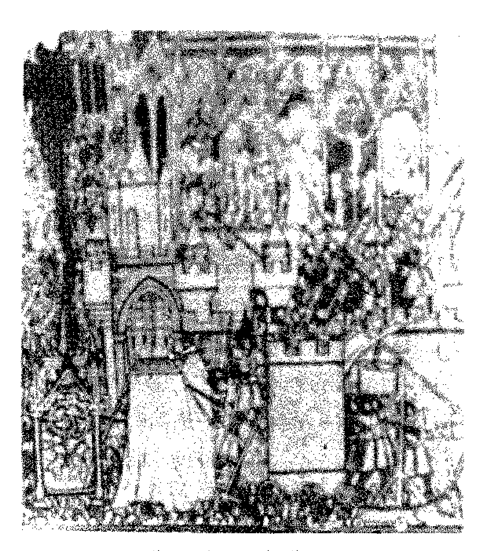
الحملة الصليبية الخامسة : (١٢١٦ – ١٢٢١ م)

كان الداعية الى هذه الحملة البابا هونوريوس الثالث Honorius III، وقد استجاب لدعوته الامبراطور اندريه الثاني André II ملك المجر، وليوبولد السادس Léopold VI دوق النمسا . نزلت هذه الحملة بعكا (١٢١٧) فهب لصدها الملك العادل سلطان الدولة الايوبية في مصر ، الا أنه لم يكن بوسعه مجابهة الصليبيين وجهاً لوجه لقلة جيشه ، فاحتل الصليبيون البلدان الشامية من بيسان الى بانياس ثم صيدا والشقيف ، وحاصروا قلعة الطور فلم يقووا على فتحها فعادوا الى عكا .

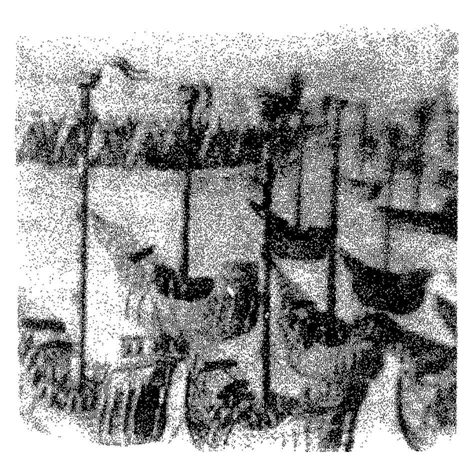
وعاد امبراطور المجر الى بلاده، اما ملك بيت المقدس جان برين Jean Brienne فقرر غزو مصر، واقام الحصار على دمياط (١٢١٨) واستولى عليها . وفي هذه الاثناء مات الملك العادل وخلفه الملك الكامل الذي استطاع ان ينهي النزاع مع الصليبيين في مصر ويسترد دمياط (١٢٢١) .

الحملة الصليبية السادسة : (١٢٢٨ – ١٢٢٩)

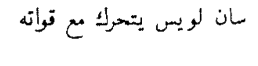
قاد هذه الحملة فريدريك الثاني امبراطور المانيا وكان اعظم ملوك اوروبا يومذاك ، فنزل بعكا سنة ١٢٢٨ وكان الملك الكامل آنذاك بالشام ، وقد تم التفاهم بين الامبراطور فريدريك الثاني والملك الكامل على ان يتخلى المسلمون عن الناصرة وبيت لحم والقدس للصليبيين وان يعطوهم ممراً للحجاج بين القدس والساحل ، على أن يتعهد فريدريك لقاء ذلك بمساندة الملك الكامل ضد خصومه ،



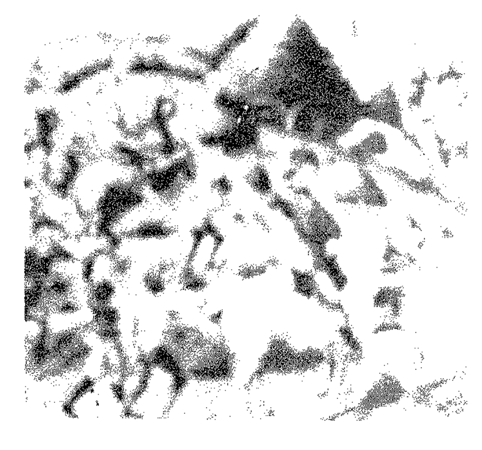
حصار الصليبيين لمدينة القدس



حشود الصليبيين أمام القسطنطينية



سان لويس يتحرك مع قواته



ومنع وصول امدادات صليبية جديدة الى الشرق لمدة عشر سنوات . إلا ان هذا الاتفاق لم يعمر طويلا اذ انه ما ان توفي الملك الكامل (١٢٣٩) وخلفه ابنه الملك الصالح ، حتى وصلت قوات صليبية جديدة الى الشام قادمة من فرنسا ، فما كان من الملك الصالح الا ان اعلن الحرب من جديد على الصليبيين واحتل بيت المقدس ليعيدها الى حظيرة الاسلام (١٢٤٤) .

الحملة الصليبية السابعة : (١٢٤٨ – ١٢٥١)

لم يرق للاوروبيين ان يسترجع المسلمون بيت المقدس فهبوا لنجدتها من جديد، وكانت الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا الذي اصطحب معه كثيراً من الاشراف في هذه الحملة . ورأى لويس التاسع انه يتوجب عليه لانقاذ بيت المقدس ان يبدأ بالقضاء على مملكة الايوبيين في مصر ، فهاجم دمياط واحتلها (سنة ١٢٤٩ ، وفي هذه الاثناء توفي الملك الصالح (١٢٤٩) إلا ان شجرة الدر (محظيته) تسلمت زمام الامور بعده ، وتمكنت ، بمساعدة قادة جيشها ، من دحر الصليبيين في عدة معارك، اهمها معركة المنصورة (١٢٥٠) (انظر : المنصورة)، حيث قُتل منهم نحو سبعين الفاً (وقيل خمسين الفاً وقيل ثلاثين الفاً) وأُسر مليكهم لويس التاسع ، ولم يفرج عنه الا بعد ان تعهد بمغادرة ارض مصر .

الحملة الصليبية الجديدة :

يطلق بعض المؤرخين العرب المحدثين اسم الحملة الصليبية الجديدة على الغزوة الأوروبية التي بدأت في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ضد مصر وبلاد المشرق العربي ، وأدت إلى خضوع هذه البلدان للاستعمار الانكلو – فرنسي الذي أخذ عدة أشكال متباينة (استعمار ، انتداب ، وصاية ، معاهدات ... الخ) حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبدء عصر تصفية الاستعمار . ولم تأخذ هذه الحملة ، كالحملات السابقة ، طابعاً دينياً ، ولكنها كانت مدفوعة مثلها بدوافع اقتصادية . ولقد استبدلت الدول الاوروبية خلالها فكرة تحرير بيت المقدس ، بفكرة تحرير البلدان العربية من الحكم العثماني ، والسير بها على طريق التقدم والازدهار . ولكنها كانت في جوهرها غزوة للسيطرة على مصر وبلدان المشرق العربي ، بكل ما تمثله هذه البلدان من موقع استراتيجي هام ، وموارد أولية اساسية لتسيير عملية الاقتصاد الصناعي المتقدم ، واسواق تجارية ضرورية لتصريف المنتجات الصناعية .

(٤) الحروب الغالية (٣٨٧ق.م — ٥٢ق.م)

(أنظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٥) الحروب الفرنسية والهندية (١٦٨٩-١٧٦٣)

(أنظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) حروب الكفير (١٧٧٩ — ١٨٧٩)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٨) حروب محمد علي (١٨١٢ — ١٨٤١)

هي الحروب التي شنها محمد علي باشا والي مصر في مطلع القرن التاسع عشر لتثبيت دعائم الحكم العثماني، أو لتثبيت دعائم سلطته الشخصية ومد نفوذه إلى عدد من الأقطار المحيطة بمصر وبناء امبراطورية قوية تحقق طموحاته.

عندما انتهت حملة نابليون بونابرت في مصر الى الفشل، وخرج الفرنسيون من مصر في أول ايلول (سبتمبر) ١٨٠١، اخـذت القوى التي تعاونت ضد الفرنسيين في الصراع على السلطة. وكانت هذه القوى تتمثل بالمماليك الذين فقدوا رصيدهم بعد هزيمتهم وعجزهم عن صد الغزاة الفرنسيين، كما فقدوا جزءاً كبيراً من قوتهم خلال الصراع مع الفرنسيين، وقل عددهم. وكانت القوة الثانية هي قوة الأتراك الذين رغبوا في استعادة سلطتهم الفعلية على وادي النيل، وذلك بالقضاء على سلطة المماليك. ولكنهم اتبعوا طريقاً خاطئاً تمثل بمعاودة تطبيق سياسة استنزاف قوة الشعب واضطهاده، مما حمل الجماهير على مقاومتهم. وتمثلت القوة الثالثة بالنفوذ البريطاني الذي أخذ في التسلل محاولا إيجاد موطىء قدم له في أرض مصر، واستخدم البريطانيون قوتهم لدعم المماليك واحباط المخطط العثماني. وكانت القوة الرابعة هي قوة جماهير الشعب العربي في مصر، التي أيقظتها «غزوة الفرنسيس»، واصبح من الصعب عليها الاستمرار في احتمال ظلم المماليك واضطهاد الاتراك العثمانيين. وكانت هذه الانقسامات بين مراكز القوى تنعكس على جماهير الشعب، فتعمل على زيادة النقمة، وتدفع الى البحث عن طريق للخروج من أزمة الحكم المدمرة.

وكان في مصر فرقة البانية من الجيش العثماني وصلت الى مصر عن طريق البحر لاخراج الفرنسيين. وقتل قائد هذه الفرقة خلال الصراع مع الفرنسيين، فتولى القيادة الضابط الأقدم في الفرقة وكان يحمل اسم محمد علي آغا القولي. ودرس محمد علي آغا الموقف، واخذ في استثمار صراع مراكز القوى للوصول الى السلطة وحكم مصر. واعتمد في تنفيذ مخططه على جماهير الشعب وممثليه من المشايخ ورجال الدين. ونجح هؤلاء في العام ١٨٠٥ في توليته على مصر، واشترطوا لذلك ان تتم ممارسة الحكم بمشورتهم، ووافق السلطان في القسطنطينية على التعيين، وجاء في الفرمان الصادر «ان التعيين قد تم بسبب ارادة الشعب وتأييده لمحمد علي». ولكن السلطة البريطانية نقمت على محمد علي الذي سعى للقضاء على انصارها من المماليك، فتدخلت لدى السلطان لعزله وارجاع المماليك، ولكن تدخلها لم يصل الى نتيجة. وزاد الأمر تفاقماً بسبب اتفاق محمد علي مع نابليون، وتزايد نفوذ الفرنسيين عند السلطان في القسطنطينية، فعملت بريطانيا في العام ١٨٠٧ على توجيه حملة بقيادة فريزر لاحتلال الاسكندرية، بغية الضغط على السلطان. ونجحت حملة فريزر في تحقيق المراحل الاولى عند احتلالها لمدينة الاسكندرية، ولكن الجماهير العربية في مصر صعدت مقاومتها. وعندما حاول فريزر دفع قواته في اتجاه الرشيد، نصب الأهالي كميناً نجح في هزيمة القوات البريطانية، وتدمير قسم كبير منها، وارغام القوة الباقية على العودة الى الاسكندرية. وكان محمد علي يحارب المماليك في الصعيد عندما وصلته أخبار الانزال البريطاني في الاسكندرية. وكان الموقف حرجاً، لكن المشايخ استطاعوا التوفيق بينه وبين المماليك، فصالحهم دون ان يطلعهم على الانزال البريطاني، وتوجه نحو الاسكندرية لطرد الانكليز منها. وخلال هذه الفترة حصل تطور في الموقف. فقد استطاعت المقاومة الباسلة لجماهير الشعب العربي في مصر ان تلزم البريطانيين في البقاء ضمن حدود مدينة الاسكندرية. كما أن توقيع الصلح بين نابليون وقيصر روسيا في العام ١٨٠٧ (صلح تلسيت)، واعتراف نابليون بمصالح روسيا في الدولة العثمانية، اضعف من نفوذ فرنسا عند السلطان، مما دفع بريطانيا الى انتهاج سياسة جديدة، فقررت سحب قواتها من الاسكندرية للتقرب من السلطان. وظهر محمد علي بعد انسحاب القوة البريطانية كبطل قومي، فتزايد نفوذه في مصر، وتعاظمت سلطته، فاضاف اليه السلطان حكم السواحل المصرية، وأصبح الحاكم الوحيد لمصر (بداية من سواحلها الشمالية على البحر الابيض المتوسط وحتى أقاصي الصعيد).

وبدأ محمد علي بتدمير مراكز القوى، فعمل على اخراج المماليك من القاهرة، ومطاردتهم حتى صعيد مصر، وتصفيتهم نهائياً بمذبحـة القلمة (١٨١١). ثم عمل على تحطيم قوة المشايخ التي ساعدته في الوصول الى السلطة، وذلك باثارة التناقضات بين المشايخ وضرب بعضهم ببعض، واستمالة بعضهم بالرشاوى والمناصب، ونفي من يقاومون مشاريعه (كما فعل مع الشيخ عمر مكرم).

وعندما نجح في تحويل حكم مصر الى حكم فردي (اوتوقراطي) انصرف الى تنفيذ مشاريعه داخل مصر وخارجها. وكان هدف محمد علي تحويل مصر من ولاية متخلفة الى دولة متقدمة، فعمل على تطوير الزراعة، وإنماء التجارة واقامة الصناعات وفي طليعتها صناعة القطع البحرية. وشهدت مصر نهضة شاملة في جميع المجالات. وكانت دعامتها الاولى نشر العلم، حيث خطط محمد علي لإقامة الجامعات، والتوسع في إقـامة المدارس، وارسال البعثات التعليمية الى أوروبا، كما نظم الادارة في مصر، وبذلك استكمل البنيان الداخلي الذي ساعده على بناء القوات المسلحة، فطور تنظيم الجيش وتسليحه. ولم تكن هذه الاصلاحات تمر دون مقاومة، وكان محمد علي حذراً في اجراءاته. فاستطاع في النهاية إقامة دولة حديثة لها جيشها القوي وأسطولها الكبير. وعند ذلك اخذ محمد علي في الانطلاق الى آفاق جديدة. وتجاوز نشاطه حدود مصر في اطار مجموعة من الحروب والحملات التي يمكن تصنيفها ضمن طائفتين: أولاهما الحروب التي قام بها محمد علي بتكليف من السلطان. وثانيتهما الحروب التي قام بها لتحقيق تطلعاته ومطامحه الشخصية. وتقع في الطائفة الأولى حروبه للقضاء على الحركة الوهابية في الحجاز، ومحاولته القضاء على الثورة اليونانية. وتقع في الطائفة الثانية حروبه لفتح السودان، وحملته ضد سوريا. وقد كان لتكليف السلطان لمحمد علي بواجب القضاء على حركة الوهابيين وثورة اليونان دور حاسم في تعاظم قوة محمد علي، والحصول على خبرات قتالية جيدة، مما شكل حافزاً لمحمد علي من أجل الخروج على ارادة السلطان ومحاولة تقليص رقعة نفوذه، ومشاركته في حكم الامبراطورية العثمانية. وقد استطاع تحقيق بعض تطلعاته.

أ — إخماد الحركة الوهابية. نشأت في الحجاز حركة إصلاح دينية عرفت باسم الحركة الوهابية نسبة الى مؤسسها محمد بن عبد الوهاب (١٦٩٦ — ١٧٨٧ م). وكان هدف هذه الحركة العودة بالاسلام

الى تعاليم الرسول ، والالتزام باوامر القرآن الكريم ونواهيه، ونبذ البدع التي استحدثها المبدعون، والتركيز على فكرة الوحدانية ، ومحاربة الشرك . وقد انتشرت هذه الحركة بسرعة وتحولت الى حركة سياسية عندما تبناها آل سعود الذين حاولوا نشر الدعوة الوهابية بالقوة ، فكثر انصارهم ، وقوي نفوذهم ، حتى خضعت لهم جزيرة العرب . ثم انطلقوا بعد ذلك فهاجموا العراق ، وقطعوا طريق الحج ، ووصلت طلائع قواتهم حتى مشارف حوران في العام ١٨١٠ . وكان هذا التطور مصدر قلق للسلطان في القسطنطينية، فكلف عدداً من الولاة للقضاء على الثورة ، ولكن هؤلاء الولاة فشلوا في مقاومة توسع الوهابيين ، مما حمل السلطان على تكليف والي مصر محمد علي القولي بمهمة القضاء على الحركة الوهابية . فنظم محمد علي حملة كبرى بقيادة ابنه طوسون ووجهها الى الحجاز . واستطاعت هذه الحملة أن تدخل المدينة المنورة ، وبقي القتال سجالاً بين الطرفين بحيث لم يتمكن أحدهما من احراز نصر حاسم ، حتى توفي سعود الثاني عام ١٨١٤ ، وتولى ابنه عبدالله السلطة ، فطورت القوات المصرية عملياتها ، واستطاعت في العام ١٨١٨ اقتحام (الدرعية) عاصمة الحركة الوهابية ، فاضطر عبد الله الى الاستسلام ، وألقى ابراهيم باشا بن محمد علي الذي تسلم القيادة بعد موت أخيه طوسون القبض على عبد الله ، وارسله الى والده في مصر الذي حمله بدوره الى القسطنطينية حيث أمر السلطان بضرب عنقه .

وتابع ابراهيم باشا مطاردة الوهابيين وتصفيتهم، وركز نيران مدفعيته على الدرعية حتى دمرها تدميراً تاماً . وامكن له القضاء على نفوذ الوهابيين بصورة مؤقتة . وتابع محمد علي تنفيذ مخططه حتى سيطر تماماً على كامل المنطقة بين الاحساء شرقاً واليمن جنوباً .

كانت حملة محمد علي باشا ضد الوهابيين تضم الضباط الالبانيين الذين كان يخشى محمد علي نفوذهم ، كما كانت تضم مجموعة من المرتزقة الاوروبيين الذين فضلوا البقاء في مصر بعد انتهاء حملة نابليون بونابرت . وقد جعل محمد علي من بعض هؤلاء مساعدين لابنه طوسون للافادة من خبراتهم القتالية . وضمت الحملة أيضاً قوات من العراق والسودان والمغرب والشراكسة بالاضافة الى البدو . وكان سلاح الحملة في معظمه سلاحاً فرنسياً ، كما كانت المدفعية الفرنسية هي أحدث انواع اسلحة هذه الحملة . وقد بلغ مجموع أفراد القوة التي تم ارسالها في البداية ستة آلاف مقاتل ، جرى نقلهم عن طريق البحر وانزالهم في ميناء (ينبع) في الحجاز وانضم الى هذه القوة ألفا خيال عراقي تم دفعهم عن طريق البر ، فوصل عدد أفراد القوة الى ثمانية آلاف مقاتل . ونظراً للتفوق في القوى لمصلحة الجيش المصري فقد وضع الوهابيون مخططهم الدفاعي على اساس استنزاف قوة خصومهم بمعارك صغرى ، والسماح لهم بالتوغل حتى عمق الجزيرة العربية وتدميرهم فيها . وقد نجحت هذه الخطة ، فامكن تنظيم معركة في وادي الصفراء استمرت ثلاثة أيام ، وانتهت بتدمير الحملة والقضاء على خمسة آلاف جندي وضابط . مما حمل طوسون على الانسحاب حتى ينبع ، وطلب ارسال قوات دعم جديدة من والده . فأرسل محمد علي في العام ١٨١٢ قوة مكونة من خمسة آلاف مقاتل . وزحف طوسون بهذه القوة الى المدينة المنورة ، ورغم الاستخدام الكثيف لنيران المدفعية ، فقد فشل هجوم طوسون ، مما حمله على فرض حصار استمر خمسة وسبعين يوماً . وكانت الأوبئة وتزايد الخسائر المستمر في صفوف المدافعين عن القلعة ، حتى لم يبق من الحامية إلا ثلاثة آلاف من أصل سبعة آلاف مقاتل، سبباً في إضعاف موقف الحامية النجدية التي اضطرت في النهاية الى الاستسلام ، فدخل جيش طوسون المدينة المنورة . وولى طوسون حاكماً اسكوتلندياً للمدينة اسمه « توماس كيث » ، كان أول أجنبي غير مسلم يتولى ادارة الامارة وحكم المدينة منذ ظهور الاسلام .

ووضع طوسون مخططاً جديداً يعتمد على تمزيق القبائل ومحاولة شرائها بالمال . واستعان بحاكم مكه (الشريف غالب) الذي كان موالياً ضمناً لمحمد علي . وبذلك امكن له التقدم حتى وصل حدود نجد ، وعندما علم محمد علي بذلك جهز حملة جديدة مكونة من خمسة آلاف مقاتل قادها بنفسه حتى وصل جده ، فاسرع حاكم مكة لاستقباله ، ولكن محمد علي اعتقله وصادر الاموال والممتلكات وعين والياً مكانه لحكم مكة ، ثم تولى بنفسه قيادة العمليات لاحتلال نجد . وعندما وصل جيش محمد علي الى « تربة » اصطدم بقوات نجد . وبعد معركة طاحنة استطاعت قوات نجد إلحاق الهزيمة بجيش محمد علي . كما لقي هذا الجيش هزائم مماثلة في « القنفذة » مما حمل محمد علي على الاستنجاد بالآستانة لطلب اموال إضافية ، مع طلب إرسال قوات جديدة من مصر . وخلال هذه الفترة حدث تبدل في المخططات . فقد نتج عن وفاة سعود الثاني واستلام الامام عبد الله تنفيذ استراتيجية تعتمد على مجابهة جيش محمد علي بقوات كبيرة وفي معارك نظامية . ونظراً للتفوق في التسلح لصالح محمد علي فقد اصبحت الفرص أكثر مناسبة له لتحقيق النصر على النجديين . كما ان وقوف الحجازيين بجانب القوات المصرية أضعف من موقف النجديين الوهابيين ، وبذلك استطاع محمد علي تطوير الموقف لصالحه .

وعندما هرب نابليون من منفاه (١٨١٥) ، عرف محمد علي ان هناك تطورات قد تحدث وقد يكون لها تأثير على الموقف في مصر . فأسرع في العودة الى القاهرة ، وترك القيادة لابنه ابراهيم الذي استخدم الوسائل كلها لاخضاع القوات الوهابية، واستطاع تطوير جيشه حتى اصبح يضم ما يزيد على ٤٠٠٠ ضابط وجندي مصري والباني و ٥٠٠٠ مقاتل من المغرب وبضعة آلاف من الحجازيين ، بحيث يزيد مجموع القوة على اثني عشر ألف مقاتل . وكان التفوق في المدفعية عاملا حاسماً في اخضاع القوات الوهابية . وكانت معركة « الدرعيه » آخر المعارك الحاسمة التي جابهت ابراهيم باشا الذي انطلق بعدها الى حكم البلاد حكماً مباشراً ، فصادر اموال العائلة السعودية وممتلكاتها ، ونقل قسماً كبيراً من السعوديين الى مصر ، وذبح رؤساء العشائر الذين وقفوا الى جانب السعوديين ، وبقي ابراهيم باشا في نجد حتى صيف ١٨١٩ . وعندما غادرها كانت الجزيرة قد تحولت الى مدن مدمرة مهجورة ، وكان من اول نتائج هذه الحملة توغل النفوذ البريطاني في الخليج العربي والجزيرة حيث تم احتلال البحرين في العام ١٨٢٠ .

ب – محاولة القضاء على الثورة اليونانية (١٨٢٤ – ١٨٢٨) . اجتاحت اليونان ، التي كانت تابعة للدولة العثمانية ، ثورة قومية استطاعت في مراحلها الاولى اخراج الحاميات التركية من اليونان . فطلب السلطان الى واليه في مصر محمد علي ان يوجه جيشاً لاخماد الثورة . وارسل محمد علي جيشاً بقيادة ابنه ابراهيم الى اليونان ، واستطاع الجيش المصري القضاء على الثورة . وعند ذلك تدخلت الدول الأوروبية المساندة للثورة والمحرضة عليها ، ودفعت انكلترا اسطولها والاساطيل الاوروبية فدمرت الاسطولين المصري والعثماني في ميناء نفارين ، واتفق محمد علي مع انكلترا على سحب قواته من اليونان واعادتها الى مصر في العام ١٨٢٨ ، وذلك على الرغم من معارضة السلطان للاتفاقية ورغبته في بقاء جيش محمد علي في اليونان .

ج – حملة السودان ١٨٢٠ . رغب محمد علي في فتح السودان لاسباب عديدة ، منها استثمار مناجم الذهب التي سمع بتوفرها وكثرتها في السودان . ومنها

حاجته لدعم جيشه بتجنيد أبناء السودان وذلك بعد رفض « الألبان » للاصلاحات التي كان يعمل لها ، ومنها ايضاً الحصول على الاموال الناتجة عن تجارة الرقيق والتجارة بالحاصلات الزراعية المتوفرة في السودان ، بالاضافة الى رغبته في السيطرة على منابع النيل . ونتيجة لهذه العوامل جهز محمد علي جيشاً كبيراً وسلم قيادته لابنه اسماعيل ، وكلفه بالتوجه الى السودان وفرض السيطرة عليها . واستطاع اسماعيل احتلال بعض مدن السودان مثل شندي وبربر ومسنار . لكن اسماعيل لم يتمكن من متابعة عملياته بسبب مرض أصابه واضطره الى العودة ، وفي طريق عودته الى مصر نصب الملك (نمر) صاحب شندي كميناً وقبض على اسماعيل وأحرقه ، وعندما علم محمد علي بذلك وجه حملة انتقامية الى قرية شندي فأحرقها وأباد سكانها إبادة تامة وأمر بالعمل لبناء مدينة الخرطوم حتى تكون عاصمة بدل شندي .

د – الحملة على سوريا (١٨٣١ – ١٨٤١)

خرج جيش محمد علي من حروبه السابقة بخبرات قتالية جيدة ، وتوفرة له القوة الكافية. فأخذ في الموازنة بين قوته وقوة الجيش العثماني . ووجد أن الظروف مناسبة له حتى يستطيع فرض سيطرته على الشام . وكان يحفزه الى ذلك رغبته في إقامة امبراطورية قوية تتوفر لها امكانات اقتصادية وبشرية كافية ، وقد حاول محمد علي تحقيق تطلعاته بالطرق السلمية ، فطلب الى السلطان منحه حكم ولاية الشام حتى جبال طوروس ، وجعل هذه الجبال حداً فاصلا بينه وبين الدولة العثمانية . ولكن آمال محمد علي لم تتحقق ، وتجاهل السلطان طلب محمد علي بمنحه ولاية الشام مكافأة له على تضحياته في حربه مع اليونان . فأخذ محمد علي في البحث عن حجة يتذرع بها للهجوم ، وكان والي عكا يعيق عملية نقل الاخشاب الى مصر ، ويمتنع عن تسليم الفلاحين المصريين الهاربين من الجندية ، كما كان لمحمد علي ديون عند والي عكا رفض هذا الاخير دفعها . ووجد محمد علي في ذلك ذريعة كافية للهجوم ، فدفع جيشاً بقيادة ابنه ابراهيم باشا في اتجاه الشام بتاريخ الرابع عشر من تشرين الأول (اكتوبر) ١٨٣١ . وتحركت طلائع القوات المصرية عن طريق سيناء ، كما تحرك الاسطول الحربي لنقل المدفعية الثقيلة والامدادات عن طريق البحر . وكان القائد العام ابراهيم باشا ومستشاره سليمان الفرنساوي واركان حربه مع القوة البحرية .

سقطت يافا في الثامن من تشرين الثاني (نوفبر) ، وفي التاسع من كانون الأول (ديسمبر) اكمل الاسطول المصري والقوات البرية الحصار حول مدينة عكا . وكان واليها يعتقد ، كما كان يعتقد السلطان ايضاً ، ان باستطاعة عكا الصمود في وجه الجيش المصري، كما صمدت عكا واسوارها من قبل لحصار جيش نابليون . وبينما كان جيش ابراهيم باشا يشدد قبضة الحصار على عكا ، كانت القوات المصرية قد أنهت احتلال مدن القدس وبيروت وطرابلس الشام . واستمرت عكا في مقاومتها للحصار مدة ستة أشهر ، ولكن الحامية المدافعة عنها اضطرت الى الاستسلام في نهاية شهر أيار (مايو) ١٨٣٢ ، وأسر واليها ، وأرسل الى الاسكندرية . وكان لسقوط عكا اصداء واسعة عند حكام بلاد الشام، فأعلن الأمير بشير الشهابي خروج لبنان عن سيطرة السلطان وانضمامه الى محمد علي . كما تقدم رؤساء العشائر والوجهاء السوريون الى المعسكر المصري يقدمون له الولاء ، ويعلنون عن استعدادهم لدعم الجيش المصري ومساعدته . وكان السلطان يعتقد حتى سقوط عكا ان الخلاف محصور بين الواليين (والي مصر ووالي عكا) وان صراعهما سينتهي الى اضعافهما معاً مما يوفر له الفرصة للتدخل في الوقت المناسب . ولكن هذا الاعتقاد الخاطئ تلاشى بعد سقوط عكا ، وعرف السلطان انه هو المقصود من الحرب ، وان القتال مع والي عكا لم يكن سوى ذريعة للوصول الى بلاد الشام . فأصدر السلطان أمره بعزل محمد علي عن ولاية مصر ، وتعيين وال آخر يدعى (حسين) مكانه . وتوجه حسين مع جيش لمجابهة ابراهيم باشا . وكلف السلطان ولاته المخلصين في بلاد الشام بمهمة إيقاف تقدم الجيش المصري . ولكن ابراهيم باشا دخل دمشق دون قتال ، ثم تابع تقدمه حتى وصل الى بحيرة قطينه قرب حمص حيث اصطدم بقوات الجيش العثماني وهزمها . واصبحت ابواب شمال سوريا مفتوحة أمامه .

وعندما أنهى حسين الوالي الجديد لمصر استعداده، قاد جيشه في اتجاه مدينة حلب ، ولكن هذه المدينة اغلقت ابوابها في وجه الجيش العثماني ، وفتحتها لجيش ابراهيم باشا الذي دخل حلب في منتصف تموز (يوليو) ١٨٣٢ . وفي آخر شهر تموز (يوليو) وقعت المعركة الحاسمة بين جيش ابراهيم باشا والجيش العثماني الذي يقوده حسين وذلك عند مضيق بيلان ، ولحقت بالجيش العثماني هزيمة منكرة ، فهرب حسين الى أضنه تاركاً جيشه وامداده لابراهيم باشا الذي استمر في تقدمه حتى وصل أضنه وسيطر على اقليمها ، وتوجه نحو الآستانه ، فأرسل السلطان آخر قوات لديه ، فسحقها الجيش المصري في معركة «قونيه» ، وغدا الطريق الى العاصمة « الآستانه » مفتوحاً ، واصبح واضحاً ان باستطاعة محمد علي توجيه قواته للاستيلاء على عاصمة السلطنة العثمانية للقضاء على سلالة آل عثمان وتنصيب نفسه سلطاناً جديداً ، فتدخلت الدول الاوربية لايقاف الصراع ، ومارست ضغطها على السلطان وعلى واليه محمد علي .

ولقد قاد حملة الضغط كل من روسيا القيصرية وانكلترة . وكانت روسيا تهدف الى ابعاد محمد علي عن الآستانة والمضائق ، وتفضل ابقاءها تحت سلطة السلطان الضعيفة ، على حين كانت انكلترة تخشى من تعاظم قوة محمد علي لما قد يشكله من تهديد على طريق الهند . ونجحت الدولتان في الوصول الى فرض « اتفاقية كوتاهيه » في أيار (مايو) ١٨٣٣ ، وفيها منح السلطان ولاية سورية وإقليم أضنه الى محمد علي . وقد استاء السلطان من موقف انكلترة حيث كان يأمل بمساعدتها . فعقد نكاية بها معاهدة دفاعية – هجومية مع روسيا تعهد فيها قيصر روسيا بالدفاع عن السلطان مقابل إغلاق المضائق في وجه الدول المعادية لروسيا . وانصرف ابراهيم باشا بعد ذلك للبناء الداخلي ، وحقق لأهل الشام الذين ناصروه وساعدوه بعضاً من تطلعاتهم في إزالة الظلم وتحقيق الاستقرار والقضاء على الفساد ، واعلن ابراهيم باشا المساواة بين الطوائف جميعاً ، وطبق في الشام ما كان يطبق في مصر ، واحتكر تجارة بعض المواد كالحرير والقطن ، وارغم المزارعين على انتاجهما مما خلق نوعاً من التذمر الذي لم يلبث ان تصاعد بسبب فرض ضرائب جديدة على المواطنين واعلان التجنيد الاجباري ومصادرة المواد الضرورية للجيش ونزع سلاح السكان فبدأت الثورات في العام ١٨٣٤ ، ودامت سنتين ، وبذل ابراهيم باشا جهداً كبيراً للقضاء على الثورات التي استنزفت طاقة جيشه .

ه – الحملة الثانية ضد الوهابيين (١٨٣٦– ١٨٣٨) بعد انسحاب الجيش المصري من الحجاز ، ورجوع الامام فيصل بن تركي اليها ، بدأ نفوذ الوهابيين في التعاظم من جديد ، وعندما بدأت الاضطرابات في الشام ، خشي محمد علي أن تعمل السلطة العثمانية على تحريض الوهابيين والاتفاق معهم ضده ، فقرر توجيه حملة جديدة الى الحجاز . وأسند قيادة الحملة الى أحد قواده (اللواء اسماعيل آغا) وأرسل معه الأمير خالد بن سعود الكبير بمهمة استثارة الأمراء السعوديين وضرب بعضهم ببعض ، وكان الأمير خالد من بين الأمراء السعوديين الذين نفاهم ابراهيم باشا الى مصر بعد سقوط « الدرعية » ، فنشأ في كنف محمد علي . وقد توجهت هذه الحملة

في العام ١٨٣٦ الى نجد عن طريق « القصيم » ، وعندما وصلتها انسحب الإمام فيصل بن تركي الى الاحساء تاركاً بعض المقاومات الصغرى لمجابهة تقدم الجيش المصري . واخذت القوات المقاومة في الاشتباك مع الجيش المصري ، ونجحت في تحقيق عدد من الانتصارات في « الحلوه » و « الحوطة » و « الحريق » من مدن العارض . وعندها انطلق الإمام فيصل بن تركي بقواته لمجابهة الجيش المصري وتم اللقاء في «المصانع»، وبعد معركة قصيرة وحاسمة انتصر الامام فيصل . وأرادت القوات المنهزمة الوصول الى الرياض ولكنها وجدت نفسها محاطة بالقوات السعودية ، فحاولت الانسحاب الى « منفوحه » ، فلحق بها الإمام فيصل وشدد الحصار حولها . وأرسل المصريون الأمير خالد لمفاوضة الامام فيصل على الصلح ، فأصر الإمام على اعتراف المصريين باستقلال الدولة العربية السعودية وسيادتها . وكان هذا التصميم سبباً في دفع محمد علي نحو توجيه قوة عسكرية جديدة تم إرسالها في العام ١٨٣٨ بقيادة قائد جديد (خورشيد باشا) . ودارت بعض المفاوضات بين القائد المصري الجديد خورشيد باشا والامام السعودي فيصل للوصول الى صلح يكون فيه الامام معترفاً بالسيادة المصرية — العثمانية على شبه الجزيرة العربية ، ولكن الامام فيصل تمسك بموقفه من الاستقلال. والسيادة ، وأصر على عدم الخضوع لكل من المصريين والعثمانيين . وبدأ الصدام من جديد . وبعد معارك متلاحقة استسلم الإمام فيصل، فتم نقله أسيراً الى مصر ، وتم تنصيب الأمير خالد على نجد ليحكمها باسم محمد علي . ولكنه لم يستمر طويلا بسبب مقاومة الأمراء السعوديين له . وانتهى الأمر بخلعه بعد سنتين فقط من حكمه .

وبعد انتصار خورشيد باشا على الوهابيين واخضاعهم تابع تقدمه في اتجاه الخليج العربي ، فوجد ان القوات البريطانية فرضت سيطرتها على بعض أجزائه ، وخشي ان يصطدم معها دون دعم بحري ، فطلب الى القاهرة ارسال سفينتين حربيتين الى الخليج لتكونا نواة الاسطول المصري في الخليج العربي . وكان عباس الأول نائباً لمحمد علي ، فرفع عباس الأول الأمر الى محمد علي فرفض ارسال السفينتين ، وعندما يئس خورشيد باشا من امكانات دعم القاهرة له في مقاومته للبريطانيين ارسل مندوبين عنه للاتصال بشيوخ الامارات ، فاستجابوا لدعوته من اجل مقاومة البريطانيين . وقام حاكم الكويت بدور الوساطة بين القائد خورشيد وبين العناصر الراغبة في التعاون مع المصريين سواء في جنوب العراق او في إمارات الخليج . وبلغ هذا التعاون ذروته عندما تم نقل كتائب عثمانية بسفن كويتية لدعم المصريين في البصرة ، كما قدم امير الكويت مبالغ من المال لدفع رواتب الجند بعد أن أوقفتها القاهرة مدة ستة أشهر . وحاول خورشيد اقناع القاهرة بخطورة الموقف في الخليج العربي أمام قوة الدولتين الروسية والايرانية ، بالاضافة الى القوة البريطانية ، ولكن محاولاته انتهت الى الفشل ، وجاءه رد القاهرة « ليس الوقت وقت المصلحة التي تصورها ، لذلك عليك ان تأتي الى هذا الطرف — يقصد مصر — وتغلق باب المصروفات الذي فتح لنجد » . ونجحت جهود القنصل البريطاني في الخليج العربي بايقاف نشاط خورشيد وإرجاعه الى القاهرة واحباط فكرة تحرير الخليج العربي من النفوذ البريطاني .

و — الحملة الثانية في سوريا (١٨٣٩ — ١٨٤١) . لم يكن الصلح بين السلطان وبين محمد علي اكثر من هدنة مؤقتة ، فقد قبل السلطان « صلح كوتاهية » مرغماً . وكان محمد علي يعرف نوايا السلطان تجاهه ، فأخذ كل واحد منهما في الاستعداد للجولة الثانية . وأعلن السلطان الحرب من جديد على محمد علي ، والتقت القوات العثمانية بقوات ابراهيم باشا في معركة « نزب » (قرب عينتاب) في نهاية شهر حزيران (يونيـــو) ١٨٣٩ . وحقق ابراهيم باشا انتصاراً حاسماً على خصمه . ولكن أنباء الهزيمة لم تصل السلطان الذي توفي قبل نهاية المعركة وخلفه ابنه السلطان عبد المجيد . وظهر بعد معركة « نزب » أن الدولة العثمانية قد أشرفت على النهاية ، بحيث لم ينقذها من موقفها سوى تدخل انكلترا التي حملت الدول الاوروبية (فرنسا وروسيا وبروسيا والنمسا) على الاتفاق لتقديم مذكرة مشتركة الى السلطان تنص على ان الدول الخمس متفقة فيما يختص بالمسألة وانها تصر على عدم توقيع اي اتفاق أو صلح مع محمد علي إلا بموافقة هذه الدول . وعلى الرغم من معارضة فرنسا ومحاولتها مساندة محمد علي ، فقد اتفقت انكلترا مع الدول الاخرى (عدا فرنسا) على توقيع معاهدة لندن عام ١٨٤٠ . وفيها تعهدت الدول الموقعة عليها بمساعدة السلطان على اخراج محمد علي من سوريا مقابل تقديم عرض له بجعل حكم مصر وراثياً له مع ولاية عكا طوال حياته ، فاذا لم يقبل ذلك خلال عشرة أيام خسر ولاية عكا ، واذا بقي مصراً على رفضه عشرة أيام أخرى فللسلطان الحق في اتخاذ الطريقة التي تضمن له مصالحه وتمليها عليه نصائح حلفائه . ورفض محمد علي معاهدة لندن معتمداً على دعم فرنسا ، لكن فرنسا خذلته ، وعملت انكلترا على انزال قواتها على الساحل السوري . ودعمت الثورات في الداخل ، فاضطر ابراهيم باشا الى الانسحاب من بلاد الشام . وتم توقيع الاتفاق النهائي مـــع السلطان في شباط (فبراير) ١٨٤١ . فأبقى السلطان مصر لمحمد علي ، بعد أن أكد هذا خضوعه للسلطان ، ونظمت العلاقة بين السلطان وبين واليه محمد علي بإصدار « فرمان حزيران (يونيو) ١٨٤١ » ، الذي تضمن ممارسة حكم محمد علي لمصر ، وجعله حكماً وراثياً ، تكون الوراثة فيه لأكبر أفراد أسرته سناً مع تحديد الجزية السنوية بثمانين ألف كيس ، بالاضافة الى منح والي مصر حق ترفيع ضباط الجيش حتى رتبة قائمقام (عقيد) . وانتهت حياة محمد علي السياسية بهذا الاتفاق . فسافر الى الآستانة لتقديم فروض الطاعة تاركاً الحكم في مصر لابنه ابراهيم باشا الذي توفي في العام ١٨٤٨ ، ولحق به محمد علي في العام ١٨٤٩ . وانتهى حكم مصر الى عباس بن طوسون حفيد محمد علي .

(٨) حرية العمل

حريـــة العمـــل (Liberté d'Action) مبدأ عسكري مجرد عرفته الانظمة القديمة بما يلي : « من الممكن اعتبار حرية العمل محققة — وهي فكرة مجردة بعض الشيء لم تعرفها أنظمتنا حتى الآن — عندما يجمع القائد قوته ويكون قادراً على تطوير مخططه وتنفيذه رغم أنف العدو . فكلما كان القائد محتفظاً بحرية العمل ، كان من الطبيعي ان يصبح محمياً ضد المباغتة هو وقطعته » . وترجع العقيدة العسكرية حرية العمل الى الأمن الهجومي المخصص للتأثير على الخصم واحباط مشاريعه . ومن الملاحظ ان هذا التعريف ينوه الى الحماية ضد المباغتة ، وهو بذلك يربط بين حرية العمل وبين الحيطة والأمن ، ولكن بشكل غير واضح تماماً . وهذا ما دفع كاستكس ودوبني الى التأكيد على التلاحم بين حرية العمل والأمن ، وصعوبة التمييز بينهما . وانطلاقاً من هذه الفكرة اصبح بالامكان التمييز بين حرية العمل الخارجية والداخلية .

وقد أبرز فوش عندما تحدث عن المعارك النابليونية صفات حرية العمل الخارجية ، وهي صفات تكتيكية صرفة ، اذ قال : « هذه الحرب المتميزة قبل كل شيء بالأمن وبفن العمل بأمن ، وطالما كان هذا الفن قادراً على الضرب ، فإن هذه الحرب تتميز بفن العمل بأمان . فلكي نناور بأمن طوال الوقت الضروري للمناورة ، فاننا نحتاج الى تأمين حماية كل شيء ، حتى اللحظة التي يستطيع فيها الطرف

المعرض للهجوم تنمية قوة حماية قادرة على ايقاف العدو اذا ما أصبح موقفه مهدداً» . فالهدف من كل هذا هو مجموعة من التدابير القادرة على السماح بإعداد وادارة العمليات مع بقائنا في منجاة من المشاريع العادية اذن فهذا هو الأمن . أما حرية العمل الداخلية ، فتنجم عن التنظيم السياسي والتنظيم الاداري للقوات . وتعتبر هذه الحرية من طبيعة استراتيجية . ويعبر عنها مارمون بالعبارات التالية : « ان القائد الذي يتمسك بمجده ، يتخلص في العمليات من كل تبعية مطلقة . وسواء بالنسبة اليه ان امتنع رؤساؤه عن معارضته أو عزلوه عن قيادته » . وواضح هنا ان حرية العمل الداخلية ترتبط بقوة شخص القائد وعناده ، وقدرته على تنفيذ قراراته ، سواء نال موافقة رؤسائه او لم يحصل عليها ، مع ما يتبع ذلك من احتمال عزله عن قيادته . فمارمون يطالب بالحرية الداخلية السياسية ، وهي حرية غير كافية ، فمن المهم بنفس المقدار ان تتلاءم الخطة الاستراتيجية مع الامكانات الادارية خوفاً من ان تتحطم هذه الخطة وهي في ذروة اندفاعها . وينبغي ايضاً ان يكون بوسع قائد الجيش الاعتماد على امكانية تعويض خسائره ، حتى يكون جريئاً في خوض المعركة ، وهذا ما لم يكن مؤمناً دائماً . وينبغي هنا الاشارة ايضاً الى ان التركيبات العسكرية الحاسمة قد بعثت الحياة في الطرق القادرة على توليد حرية العمل تبعاً للوسائل والوقت . ويفترض هذا الأمر وعياً جديداً بقدرات التقنية ، وامكانات الاستقلال التكتيكي أو الإداري للمفارز بالنسبة للمجموعات .

وترتبط حرية العمل هنا بعاملين اولهما الامكانات الادارية ،وثانيهما شخص القائد . وقد كان لشخص القائد في العصور القديمة أهمية كبرى ، حيث كان باستطاعته ، ومن خلال ما يكتسبه من نفوذ ، ممارسة دور سياسي في الدولة . وهذا ما دفع السياسيين المناوئين لتتبع خطى قادة الحرب ، والوقوف موقف الحذر من حرية العمل عند القادة . وقد عبر مترنيخ عن هذا الحذر بقوله : « ان القائد الذي أتاح عمله لملكه انتصارات ونجاحات ، يتمتع بالضرورة بهيبة ونفوذ رائعين لدى جنوده ولدى الشعب ولدى خصمه ، وهذا ما يجعل انتصاراته تثير مشاعر أخرى غير صداقة الملك . فعلى الملك ان يتخذ احتياطاته إزاء قائده وعليه ان يقضي عليه أو ينتزع منه نفوذه » . ثم جاء بعد مترنيخ كوكولي فعرف حرية العمل تعريفاً واضحاً عندما قال : « حرية العمل هي بدء القتال عندما نريد نحن لا عندما يريد الخصم . وتأخذ حرية العمل في هذا التعريف مفهوم المبادأة بكل أبعاده . وجاء جيبير بعد ذلك فوضع اسلوباً جديداً اقترحه للحرب المباشرة بترتيب « متمفصل » ومما قاله حول حرية العمل هو تعريف جديد يرتبط بميدان المعركة والتنظيم للقتال اكثر مما يرتبط بنوع التشكيلات : « ينبغي ان نناور كلنا معاً في الوقت نفسه وأن ننتشر دون أن نشتبك ، وان نتقارب دون أن نفترق ، وان لا نشكل مفارز دائمة » . واذا اسقطنا من هذا التعريف جملة عدم تشكيل مفارز دائمة ، التي أثبتت تجارب الحرب المستمرة فشلها لا سيما في عصر التطور التقني الذي اصبح يفرض وجود قطعات دائمة الاستعداد على مستوى تدريبي عال ، فان التعريف يظهر مفهوم حرية العمل بشكل واضح ، ويربطه بمناورة القطعات فوق ميدان المعركة .

ولقد كان ارتباط حرية العمل بشخص القائد العسكري محور جدل عبر التاريخ . وقد جاءت التنظيمات المتطورة في الدول لتضع حداً لهذا الفصل وذلك عن طريق مكاتب الأمن وهيئات الأركان . وقد جاءت زيادة حجم القوات ، والتطور العلمي والتقني ، ونشوء الجيوش الشعبية في ظل نظام التجنيد ، لتضع حداً في تحديد الصلاحيات ، واعطاء القائد العسكري قدراً من حرية العمل يتوافق مع الواجب المحدد له ، والامكانات التي أمكن وضعها تحت تصرفه .

ان وضع الخطة العامة للحرب ، وتنظيم الارض هندسياً في بعض الجهات ، والتمركز عندها دفاعياً من أجل حشد القوى والوسائط للهجوم في الجهات الأخرى ، هو نوع من حرية العمل . ولقد استطاع خط ماجينو على سبيل المثال ، ورغم كل ما نسب اليه من قصور وضعف ، ان يوفر المناخ الملائم لاجراء تعبئة عامة بشكل محمي من الهجمات القوية والمباغتة ، فوفر بذلك حرية العمل للقيادة . وفي هذا المثال أيضاً يرتبط مفهوم حرية العمل بمفهوم الاقتصاد بالقوى ، وبمفهوم الحيطة والأمن في وقت واحد .

وتعتمد حرية العمل في ميدان المعركة على عدد من العوامل ، في مقدمتها المحافظة على قوة احتياطية كبيرة في يد القائد يمكن استخدامها لاحباط هجمات العدو ، ولاعطاء المعركة قوة دفع جديدة تساعد على تطوير القتال ، بالاضافة الى مجابهة المباغتة . وقد وفر التنظيم الحديث للقوات في المعركة الحديثة للاسلحة المشتركة امكانات تشكيل قوات احتياطية على مختلف المستويات — ويتزايد حجم هذه القوة الاحتياطية كلما تزايد حجم التشكيل — وعلاوة على ذلك ، فان تركيز بعض الأسلحة في قبضة قيادة الجبهة أو مسرح العمليات (مثل مجموعات المدفعية ، ومجموعات المدفعية م/د ، واحتياطي الجبهة من المدرعات الخ) يساعد هذه القيادة على ممارسة دورها بصورة فعالة للتدخل في الوقت المناسب ، ويوفر لها الضرورة الاساسية لتلبية متطلبات حرية العمل .

ولقد ساعد التطور الكبير في وسائط النقل (البرية ، والجوية ، والبحرية) على توفير المتطلبات الادارية المتزايدة للقوات في المعركة الحديثة للأسلحة المشتركة . وأصبح التنظيم الاداري للجيوش قادراً على امدادها بمتطلباتها حتى خطوطها الامامية ، ولم تعد مشكلة الشؤون الادارية ترهق قادة الجيوش . كما اصبح التنظيم الاداري للقوات يحقق نوعاً من الاكتفاء الذاتي لفترة محدودة . وبهذا أصبح قادة الجبهات اكثر قدرة على قيادة مناوراتهم وتنفيذ عملياتهم في إطار من حرية العمل .

وترتبط حرية العمل بمجموعة من العوامل ، منها : طبيعة تنظيم العدو ونواياه ، والمخطط العام الذي يجب الالتزام به والتقيد به والعمل ضمن حدوده بحيث يتوافق الهدف العسكري مع الهدف السياسي ، ومنها أيضاً مستوى الوحدات وتدريبها وتسليحها وامكاناتها . واذا كانت المبادأة تعني وضع العدو أمام موقف يصعب عليه ممارسة أعماله القتالية «بحرية» واذا كانت المحافظة على المبادأة تعني وضع العدو أمام مواقف مستجدة باستمرار لحرمانه من « حرية العمل »، فان حرية العمل تعني ممارسة تنفيذ الواجب في إطار من « تدابير الحيطة » التي تحرم العدو من استخدام المبادأة أو المحافظة عليها .

وتتحقق حرية العمل بفضل الاستخدام الماهر والذكي لمجموعة « القوى والوسائط » ضمن الاتجاهات التي تنتهي بتحطيم قوة العدو القتالية وحرمانه من استخدامها بشكل منظم في ميدان المعركة .

وتتدخل في حرية العمل مجموعة من العوامل . فالاستطلاع الجيد والمستمر لقوات العدو ، والاستنتاج الصحيح لمخططاته ، يساعدان على اتخاذ القرار المناسب الذي يحرم العدو من استخدام قوته ووسائطه ويسلبه « حرية العمل » . كما ان الحرب النفسية المنظمة التي تستطيع إحباط إرادة القتال عند الخصم ، وتشل فاعليته ، وتفقده توازنه وقدرته على اتخاذ القرارات المناسبة ، توفر بالتالي المناخ الملائم لقيادة العمليات القتالية ضد هذا الخصم في مناخ من « حرية العمل » . وبالاضافة إلى ذلك فان التوسع باستخدام الانصار والميليشيا خلف خطوط العدو ، وزج مفارز صغرى من القوات المحمولة جواً على مؤخراته ، ضمن إطار خطة عمليات منسقة ومرتبطة مع عمل القوات الرئيسية ،

يسهم الى حد بعيد في ارغام هذا الخصم على تخصيص قسم من قوته لتوفير الحيطة . كما ان الأثر النفسي المتلاحم مع التأثير المادي لعمل الانصار والقوات المحمولة جواً يحرم العدو من « حرية العمل » ، ويوفر بالتالي هذا العامل لصالح القوات الصديقة . وقد برهنت الحروب التشتيتية وحرب العصابات سواء على الجبهة السوفياتية ،أو في دول البلقان وفرنسا بصورة خاصة ، خلال المرحلة الثانية من الحرب العالمية الثانية ، على التأثير الكبير لمثل هذه الأعمال في سلب « حرية العمل » من الخصم .

وتستطيع المباغتة سلب « حرية العمل » وحرمان الخصم من استخدام وسائطه وقواته خلال فترة من الزمن . ولكن هذه الفترة قصيرة جداً . فاذا لم تتم الافادة من المباغتة لتطوير العمليات بسرعة من أجل خلق أوضاع جديدة ، فان عامل المباغتة يفقد تأثيره ، ويستطيع الخصم عندئذ إعادة التوازن بسرعة لتنظيم عملياته ، ويستعيد حرية العمل لتنفيذ مناوراته .

ان المناورة العميقة بالقوات والوسائط ، وامكان الوصول بكتلة القوات الضاربة حتى العمق الاستراتيجي لمسرح العمليات ، يوفران فرصة جيدة « لحريـة العمل » . ولهذا فان المناورة للوصول الى مجنبات العدو ومؤخرته او زج قوات كبرى منقولة جواً خلف مسرح العمليات ، من شأنه احباط ارادة القتال عند الخصم ، وبالتالي سلبه « حرية العمل » . كما ان ادخال اسلحة متطورة الى ميدان المعركة ، او استخدام هذه الأسلحة وفق مخطط جديد ، يحرم الخصم من « حرية العمل » . وقد استطاعت القوات الالمانية في بداية الحرب العالمية الثانية « سلب حرية العمل » من الحلفاء ، والانفراد بميزة « حرية العمل » ، عن طريق زج قوات محمولة جواً للاستيلاء على التحصينات الواقعة على الحدود البلجيكية ، ثم الاندفاع بكتلة المدرعات الضاربة حتى عمق مسرح العمليات (الحرب الخاطفة). وكانت حرية العمل هذه من العوامل الحاسمة في تقرير نتيجة الصراع .

ويعتبر التفوق في نوع الأسلحة أو حجمها من العوامل المساعدة على تأمين « حرية العمل » ، اذا استخدم هذا التفوق بشكل صحيح وفي الوقت المناسب . كما ان استخدام القنبلة الذرية ضد اليابان في هيروشيما وناغازاكي قد حرم اليابان من « حرية العمل » . وبالتالي وضع حداً حاسماً لصراع القوات المسلحة . ولقد كان التفوق في الجو نتيجة لتوجيه ضربة مباغتة لسلاح الطيران ، واستخدام اساليب الحرب النفسية بشكل متطور ، والاستطلاع الجيد ، من العوامل التي حرمت القوات العربية في دول المواجهة من « حرية العمل » خلال حرب ١٩٦٧ . وبالتالي قررت نتيجة المعركة في ميدان القتال .

ان المعركة الحديثة للاسلحة المشتركة تعتمد على التنسيق الجيد في عمل مختلف صنوف الاسلحة . لذا فان غياب نوع من الاسلحة او عدم استخدامه بشكل جيد ينتهي إلى حرمان القائد من كل أو بعض « حرية العمل » . وعلى سبيل المثال فان فقدان السيطرة الجوية لالمانيا في الحرب ، حرمها من زج قواتها بشكل صحيح ، وحرمها بالتالي من «حريـة العمل » . وتعتمد الحرب البحرية على وجود تفوق جوي . ولكن عدم توفر هذا التفوق يؤدي الى الحد من « حرية العمل » .

وخلاصة القول ان « حرية العمل » عامل تلتقي عنده مجموعة من المعطيات : كالسر ، والأمن ، وتدابير الحيطة في حشد القوات ، والتفوق في الاسلحة والقوات ، وتوفر العامل الاداري ، ووجود قوات احتياطية ، الى جانب وجود قيادة على درجة عالية من الكفاءة وقوات على درجة عالية من التدريب ، تتمتع بروح معنوية عالية . وان غياب بعض هذه المعطيات يؤدي بالضرورة الى ضعف « حرية العمل » أو فقدانها ، الأمر الذي يؤثر على المخططات القتالية بشكل واضح ، ويعرض الخطة التكتيكية أو الخطة الاستراتيجية للفشل ، خاصة وأن الهدف من الخطة بكل مستوياتها التكتيكية والاستراتيجية والادارية ، هي تأمين « حرية العمل » للقوات الصديقة ، وحرمان العدو من حرية عمله .

(٣) الحسك الشائك

في الاصل ، هو نبات له شوك صلب ذو ثلاث شعب ، اشهره ما يسمى بحسك السعدان . وقـد استعير شكل هذا الشوك لصنع أداة خشبية في البدء ، ثم حديدية مشعبة تغرز شعبتان منها في الارض وتبقى الثالثة فوق سطحها لتعيق تقدم المغيرين من فرسان ومشاة . وقد كان المقاتلون يبثون هذا النوع من العتاد الحربي ويزرعونه حول الخنادق ، وهذا ما فعله النبي في حصاره للطائف ، فقد صنع الحسك الشائك من خشب على شكل صليب بحيث تتألف كل حسكة من اربع شعب مدببة ، وزرعه في الارض حول الخندق ، جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد قوله : « ونصب (اي الرسول) عليهم (اي على ثقيف) المنجنيق،ونثر الحسك سقبين من عيدان حول الحصن » . وكما استعمل المسلمون هذا النوع من السلاح في حروبهم فقد استعمله الفرس والروم كذلك للدفاع عن حصونهم وخنادقهم ، فهو سلاح يستعمل في الدفاع كما في الهجوم ، ويستعمله المحاصِر والمحاصَر معاً . ويعتبر الحسك الشائك أصل العوارض القنفذية المستخدمة في الحرب الحديثة (انظر العوارض القنفذية) .

(٨) الحسم

الحسم هو التصميم على تحقيق الهدف من الحرب بتدمير قوات العدو وإبادتها . ويتم ذلك في الهجوم بواسطة المناورة العميقة لتطويق قوات العدو وتدميرها أو إرغامها على الاستسلام ، مع مطاردة القوات المنسحبة بسرعة ، وعدم تمكينها من تشكيل مقاومات جديدة . ويتم الحسم في الدفاع عن طريق التمسك بالارض ، والدفاع عنها بحزم ، وتدمير العدو قبل الوصول الى خط المقاومة الرئيسي ، مع تدمير القوات المعادية التي قد تنجح باختراق المواقع الدفاعية ، واستخدام جميع وسائل النيران والمناورات لتحقيق هذه الغاية .

وقد أعطى « كلاوزفيتز » مفهوم الحسم أبعاداً محددة ، فأوضح أنه لا يتم تقرير مصير أي اشتباك في لحظة واحدة ، ولكن في كل اشتباك لحظات حاسمة ذات أهمية كبرى بالنسبة لنتيجة الاشتباك كله . وان خسارة اشتباك ما تعني انخفاضاً متدرجاً في كفة الميزان ، ومع هذا ففي كل اشتباك لحظة معينة يمكن اعتباره فيها أمراً منتهياً بشكل تصبح معه العودة الى الصراع اشتباكاً جديداً لا متابعة للاشتباك القديم . ومن الضروري تكوين فكرة واضحة عن هذه اللحظة لمعرفة ما اذا كان الاشتباك قادراً على تحقيق بعض النجاح بفضل دعم يأتي من نجدة سريعة . اما الاشتباكات التي لا أمل بتحسين نتيجتها ، فانها تمتص القوى الجديدة ، وتضحي بها بلا جدوى . وكثيراً ما كانت تفوت الفرصة في قلب الموقف عندما يكون هذا الأمر ممكناًومتيسراً . وان أي اشتباك هو مجموع متكامل ، تتركب الاشتباكات الجزئية في داخله ضمن نتيجة عامة تكمن فيها نتيجة الاشتباك الحاسمة . وليست هذه النتيجة دائماً عبارة عن انتصار واضح ، فغالباً ما يكون المنتصر غير مستعد لذلك ، أو أن الفرصة لا تتاح له بسبب إسراع العدو في الانسحاب ، وتقع النتيجة الحاسمة في معظم الحالات قبل ان يصل النجاح الى درجة الوضوح المتلائمة مع مفهوم النصر الحقيقي.

ومن هنا نرى أن الحسم هو محصلة الجهد

المستمر عبر المعارك القتالية لتحطيم التفوق في «القوى والوسائط» عند طرف من الاطراف المتصارعة، مقابل كسب هذا التفوق التدريجي لصالح الطرف الآخر، مع توفر الامكانات لدعم معركة الطرف الرابح بزج قوات جديدة. وحرب الاستنزاف ضمن هذا المفهوم، هي مجرد اشتباك لا أمل في تحقيق نصر حاسم بواسطته، إلا إذا أمكن تدمير التفوق عند طرف من الأطراف لحساب الطرف الآخر، مع عدم وجود قدرة لتعويض خسائر حرب الاستنزاف عند الطرف الأول. ومعنى ذلك بصورة أوضح أن مخطط حرب الاستنزاف يجب أن يكون مرتبطاً بمخطط هجومي، بحيث يتم امتصاص تفوق طرف من الاطراف وتحطيم محصلة التفوق من «القوى والوسائط» عنده، تمهيداً لعمليات هجومية يمكن الوصول بواسطتها الى «الحسم». ويرتبط مفهوم الحسم هنا ارتباطاً وثيقاً بالتفوق (انظر التفوق).

واذا وضعنا جانبـــاً الاشتباكات التظاهرية التي لا تحمل في طياتها بالأصل حلا حاسماً يصبح بالامكان القول: أ — اذا كان تدمير قوات العدو المتحركة هو الهدف من الصراع، فان تدمير هذه القـوات يؤدي الى الحسم. ب — واذا كان احتلال الأرض هو هدف الصراع، فان فقدان هذه الأرض يؤدي الى الحسم. ولا يقع هذا إلا إذا كان للأرض أهمية خاصة. ومن الممكن استعادة أية مقاطعة يسهل احتلالها دون التعرض خـــلال الاشتباك الى خطر كبير، مهما كانت هذه المقاطعة هامة. ج — وفي جميع الحالات التي لا يبت فيها في الاشتباك بالطريقتين المذكورتين، لا سيما اذا كان الهدف الرئيسي هو تدمير قوات العدو، فان «الحسم» يأتي في اللحظة التي يتخلص فيها المنتصر من حالة التفتت أو العجز. وان اشتباكاً حافظت به قوة مهاجمة، باستثناء جزء منها، على نظامها وقدرتها القتالية، على حين تفتتت القوة الأخرى نسبياً، هو اشتباك لا يمكن استعادة الموقف فيه لصالح الطرف الذي تفتتت قوته. كما انه من الصعب تحقيق هذا الأمر عندما يستعيد الطرف الآخر قدرته على العمل. ويرتبط الحسم ضمن هذا المفهوم بتحقيق الهدف مع المحافظة على القوى والوسائط. ولا يتم هنا تحديد حجم الهدف وأهميته، أو حجم الوحدة أو التشكيل المقاتل. فقد تستطيع قوة مقاتلة تدمير قوة معادية وتحقيق انتصار حاسم في منطقة عملها، دون ان يكون لهذا النصر دور كبير في تحقيق «الحسم في الصراع» بسبب الفشل في تحقيق الهدف الاستراتيجي على سبيل المثال.

وقد يكون النصر الحاسم في المعركة عاملا لتحقيق نصر حاسم في «مجموعة الاعمال القتالية»، ولكنه ليس شرطاً أساسياً لها. وكثيراً ما أمكن في الحروب تحقيق نصر حاسم في كثير من المعارك دون أن يتم تحقيق نصر حاسم في نتيجة الحرب، إما بسبب غياب الهدف الاستراتيجي، وإما بسبب استنزاف الوسائط والقوى في القتال، والقصور عن الاستمرار في الحرب لفرض أهداف الصراع المسلح على الطرف الذي خسر في القتال بشكل حاسم.

وبقدر ما تكون القوات المشتبكة في القتال صغيرة يتزايد حجم القوات الاحتياطية التي تشارك في تحقيق الحسم بمجرد ظهورها، وينقص احتمال قيام قوة معادية جديدة بانتزاع النصر من الطرف الذي زج قواته الاحتياطية في الوقت المناسب. وان القائد والجيش اللذين يديران الاشتباك مع تحقيق الحد الأقصى من الاقتصاد بالقوى، ويقدران تقديراً سليماً الأثر المعنوي لاحتياط كبير، يتيحـــان لأنفسهما أفضل ضمانة للنصر الحاسم. وبالاضافة الى ذلك، فان سرعة عودة اللحظة التي تتوقف فيها حالة أزمة القتال لدى المنتصر، ويستعيد فيها قدرته الأولية، ان هذه السرعة تزداد كلما صغر حجم القطعة العسكرية. ان جماعة تطارد عدوها قادرة على استعادة توازنها الأساسي في لحظات، ولا تذهب الأزمة عندها أبعد من ذلك. أما الكتيبة أو اللواء فيحتاجان الى وقت أكبر. وتتزايد المدة المطلوبة لاستعادة التوازن في الفرق المؤلفة من مختلف الصنوف، والتي اندفع جزء منها في اتجاه، بينما اندفع جزء ثان في اتجاه آخر، خلال اشتباك يزيد من اضطراب النظام الذي تزداد حدته لجهل كل جزء بعمل الجزء الآخر. وبالتالي فان حجم مجموع القوات وسعة مجال العمل يؤديان الى تأخير قدوم اللحظة التي يعيد فيها القائد تنظيم قواته، ووضعها في مكانها الملائم، بالاضافة الى تأمين النظام في ساحة المعركة.

ولقد برهنت المعركة الحديثة للاسلحة المشتركة على اهمية «القوة الاحتياطية»، فجاء تنظيم القوات في المعركة لينسق عمل القوات في عمق كبير، مما يساعد على دعم المعركة باستمرار بقوات احتياطية جديدة. كما ان الحركية، وتنسيق التعاون، والتطور الكبير في أجهزة الاتصال، قد وفرت موضوع إعادة تنظيم القوات ضمن حدود زمنية قصيرة نسبياً، حتى لو كان التشكيل القتالي كبيراً. وبذلك أمكن توفير ظروف أفضل للافادة من لحظة الحسم.

وتكتسب عملية زج القوات الاحتياطية في اتجاه مجنبات العدو ومؤخرته اهمية خاصة في الحسم، وان تأثير الهجمات على مجنبات العدو ومؤخرته ينعكس على النجاح الذي يخلق الحسم فيما بعد اكثر مما يؤثر على الحسم نفسه. ذلك ان الاهمية هنا تتركز حول النجاح لا على ضخامة هذا النجاح. وتدفع هذه النقطة الى الاعتقاد بأن قوة تندفع الى الاشتباك مع مؤخرة العدو أو مجنباته — أي منفصلة عن عمل الكتلة الرئيسية للقوات — سيكون تأثيرها أقل مما لو تم تنسيق التعاون بين الضربة الجبهية والضربة المسددة إلى مجنبة العدو أو مؤخرته. وتبرز الاهمية الثانية لزج القوات على مجنبات العدو أو مؤخرته في القيمة المعنوية التي يحققها الهجوم المباغت عند الاشتباك. ومن المعروف ان الأثر المعنوي للمباغتة يكون اكثر قوة وفاعلية عند الهجوم على مجنبات العدو ومؤخرته. وواضح بعد ذلك ان تحقيق الحسم قد يصطدم ببعض المواقف الحرجة. كما ان تحقيق الحسم يرتبط بمجموعة من العوامل التي يمكن أخذها بعين الاعتبار لمعرفة امكانات اصلاح هذه المواقف الحرجة:

عندما لا يعتبر الاشتباك الأول منتهياً، فان الاشتباك الجديد الذي يتم الابتداء به بعد وصول قوات الدعم، يختلط بالاشتباك السابق. اذاً فهناك نتيجة مشتركة او جهد مشترك يخفي المساوئ التي تم التعرض لها في الاشتباك الأول. ولكن الأمر مختلف عن ذلك عندما يكون مصير الاشتباك الأساسي مقرراً بشكل نهائي. وفي هذه الحالة تظهر نتيجتان مختلفتان: أ — اذا كانت قوة الدعم الاحتياطية مؤلفة من قوة بسيطة غير قادرة على مجابهة الخصم وحدها، فمن الخطأ انتظار نتيجة ملائمة من الاشتباك الثاني. ب — أما إذا كانت قوة الدعم قادرة على تنفيذ الاشتباك الثاني دون ان تتأثر بنتيجة الاشتباك السابق، فانها تستطيع موازنة نتائج الاشتباك الاول السيئة بنتيجة حسنة لا تخفف من التأثيرات السيئة الأولى فقط ولكنها تمسحها نهائياً من حساب النتائج العامة. واذا امكن بعد الاشتباك الثاني استعادة المبادأة من جديد، وامكن إصلاح اشتباك سيء قبل نهايته، فان نتيجته السلبية لا تختفي من الميزان فحسب، بل تصبح نقطة انطلاق لانتصار كبير. ذلك انه اذا ما تم تمثل السر التكتيكي للاشتباك بصورة صحيحة، فانه يظهر بوضوح أن جميع نتائج الاشتباكات الجزئية التي تسبق الاشتباك الرئيسي عبارة عن عمليات حسم معلقة يمكن لها ان تختفي لصالح الحسم الرئيسي او ان تنقلب الى حسم معاكس. وكلما كانت لدى القوات خبرات قتالية وكفاءة عالية كلما استطاعت إلحاق الضرر وإنزال الخسائر

بقوات العدو. وفي هذه الحالة تتزايد حدة الأزمة عند الخصم، كما يتضاعف تفوق القوى الجديدة. فاذا كانت النتيجة النهائية والاجمالية لمصلحة طرف أمكن له احتلال ميدان المعركة والاستيلاء على الغنائم، تحولت جميع القوى التي زجها الطرف الخاسر ربحاً صافياً للطرف الرابح او المنتصر. وتحول الفشل السابق الى نصر اكبر.

وتتمثل أفضل السبل لتجنب النهاية السيئة لاشتباك هام، في بذل جهد لتحويل الموقف، عوضاً عن القيام فيما بعد باشتباك انتقامي جديد، حتى لو كان التفوق واضحاً لدى القوات التي تريد الانتقام، وكان بوسعها الثأر من انتصار العدو بانتصار اكبر. ولهذا فليست الاشتباكات الدامية التي تقوم بها القوات المتقدمة قبل المعركة إلا شراً لا بد منه، ومن الأفضل تجنبه كلما كان بالامكان ذلك لمصلحة «النصر الحاسم».

إن الحسم في القتال مرتبط ارتباطاً عضوياً بالهجوم. ذلك ان الهجوم وحده هو الذي يوفر الفرصة لتدمير قوات العدو، واحتلال أرضه، وفرض الشروط التي لم تتمكن الأساليب السياسية من تحقيقها. ولكن الاعمال الدفاعية غير مجردة من مفهوم الحسم عندما تنفذ بقوة، وعندما يرتبط مفهوم الدفاع بمفهوم الهجوم. وان طبيعة معارك العمليات الحديثة، واتساع أفق القتال، حمل الاطراف المتصارعة على اللجوء الى الدفاع احياناً بغية الاقتصاد في القوى، وتركيز الجهد، والحصول على التفوق في جبهات او قطاعات أخرى. ولهذا فان الدفاع القوي الذي يستطيع تدمير قوات العدو، هو دفاع حاسم، لا سيما عندما يتم الانتقال من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم. وان الصورة المتكاملة هي في المطاردة الحاسمة التي تهدف الى تدمير العدو بصورة نهائية وحرمانه من كل فرصة لتكوين مقاومات جديدة يأمل الخصم من ورائها الى اعادة تحويل الموقف.

(٤) الحسن بن مسلمة الفهري

(أنظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٩) الحسن بن قحطبة

(أنظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٩) الحسين بن طلال

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) الحسين بن علي

(أنظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) حسين (كمال الدين)

(أنظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٦) الحسيني (الحاج أمين)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٣) الحسيني (عبد القادر)

هو ابو موسى عبد القادر بن موسى بن كاظم الحسيني، ولد في استنبول عام ١٩٠٧ حيث كان والده السيد موسى كاظم الحسيني يتولى مركزاً هاماً من المراكز الادارية في الدولة العثمانية، ولما عاد السيد موسى الى القدس بعد ان انتهت خدمته لدى الدولة العثمانية، وكان عبد القادر في الثانية عشرة من عمره، عقد المؤتمر العربي الاول في القدس (سنة ١٩١٩) وانتخب السيد موسى رئيساً للمؤتمر ثم رئيساً للجنة التنفيذية التي انبثقت عنه، وظل في هذين المنصبين قائداً للحركة في فلسطين منذ عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٣٣، عندما أصيب في القدس بجرح خلال تظاهرة وطنية، وكان عمره ٨٣ عاماً، فاضطرته حالته الصحية المتردية للاعتكاف في اريحا حيث توفي في ٢٣ آذار (مارس) ١٩٣٤ مخلفاً وراءه فراغاً في الزعامة العربية بفلسطين، وهو الذي كانت شخصيته الفذة – كما يقول الغوري «تفرض نفسها على الجميع وتحملهم على الاجماع على زعامة صاحبها وقيادته».

ولما توفي السيد موسى كاظم الحسيني كان ابنه عبد القادر قد بلغ السابعة والعشرين من عمره، وكان قد شب وترعرع على الافكار والمبادئ الوطنية التي عمل والده لاجلها طيلة حياته، ففتح عينيه على انباء المؤتمرات الوطنية في القدس وانباء التظاهرات يقيمها ابناء وطنه في كل ناحية من نواحي فلسطين ضد الانتداب البريطاني وضد الهجرة اليهودية التي اخذت تتدفق على فلسطين بشكل مستمر تنفيذاً لفكرة إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، فكان الى جانب والده في تظاهرة القدس بتاريخ ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٣ حيث كان من عداد الجرحى، وكان الى جانبه كذلك في تظاهرة القدس ثانية بتاريخ ٢٧ تشرين الاول ١٩٣٣، تلك التي كانت جراحها سبباً لوفاة ابيه فيما بعد.

تلقى عبد القادر علومه الابتدائية والثانوية في روضة المعارف الوطنية بالقدس، ثم ارسله والده الى القاهرة حيث تابع دراسته الجامعية في قسم الصحافة والتاريخ بالجامعة الاميركية، ورفض تسلم شهادته من تلك الجامعة في حفلة التخرج بعد ان ألقى خطاباً حماسياً تهجم فيه على اميركا، الدولة الاستعمارية التي تحمي الصهاينة في فلسطين، (وقيل انه طرد لسلوكه الوطني من مصر قبل ان ينال شهادته وبأمر من رئيس وزرائها في ذلك الحين، اسماعيل صدقي باشا)، ثم عاد الى فلسطين ليتابع نضاله القومي في ظل والده وبعد وفاته. ومارس مهنة الصحافة فترة من الزمن ثم تخلى عنها ليعين في وظيفة حكومية (مأموراً للتسوية)، إلا انه ترك الوظيفة بعد فترة وجيزة كي يتفرغ للإسهام في اعداد الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦. كان عبد القادر على رأس مجلس قيادة التنظيم السري للثورة (قوات الجهاد المقدس) التابعة للهيئة العربية العليا في فلسطين، ولقد قام مجلس القيادة وزعماء المجاهدين، في اجتماعهم السري الطارئ بالقدس في اول ايار (مايو) ١٩٣٦ بتفويض عبد القادر الحسيني والقيادة العامة للتنظيم امر إعلان بدء الثورة في الظرف الذي يرونه مناسباً. وعقد مجلس قيادة التنظيم السري للثورة اجتماعاً ثانياً برئاسة عبد القادر في ٦ أيار (مايو) للبحث في الوضع، وتنفيذ مقررات الاجتماع السابق، فقرر إعلان الثورة في السابع من الشهر نفسه (أيار ١٩٣٦).

وما ان اعلن عبد القادر وزملاؤه القادة المجاهدون الثورة ليل ٦ – ٧ أيار (مايو) حتى التحقوا خفية بالجبال، وكان هو اول من اطلق النار إيذاناً ببدء الثورة، حين هاجم ثكنة بريطانية ببيت سوريك شمالي غربي القدس. ثم انتقل من هناك الى منطقة القسطل، بينما تحركت خلايا الثورة في كل مكان من فلسطين، في بيتر وقالونيه وعين كارم وساريس وأبوديس وقطنه وصوبه والعيسوية وغيرها في قضاء القدس، وفي القدس نفسها وفي سائر انحاء فلسطين، وكان عبد القادر قد قرر ان يتخذ، لاسباب عديدة، بلدة «بيرزيت» مقراً لقيادته

وقيادة الجهاد المقدس ، كما قسم فلسطين الى مناطق قتالية ولى على كل منطقة منها قائداً من قادته ، اما الخلايا السرية وقياداتها فظلت تابعة له مباشرة .

وبلغت الثورة الفلسطينية اوج قوتها في تموز (١٩٣٦) ، حيث انضم اليها من بقي من رفاق الشهيد عز الدين القسام ، وبلغت انباؤها العالم العربي كله، فالتحق بها المجاهدون العرب افواجاً ، وخاض الثوار ضد البريطانيين وحلفائهم الصهاينة في فلسطين معارك متعددة قاسية ومريرة ، في كل ناحية من انحاء فلسطين ، في القدس ورام الله وبيت لحم والخليل ونابلس ويافا وطولكرم وجنين وبيسان والناصرة وطبريه وغيرها ، وكانت أهم المعارك التي خاضها عبد القادر هي معركة (الخضر) الشهيرة ، في قضاء بيت لحم (٤ تشرين اول ١٩٣٦) وقد استشهد في هذه المعركة المجاهد السوري القائد سعيد العاص ، وجرح عبد القادر جرحاً بليغاً ، فنقل الى المستشفى الحكومي بالقدس لمعالجته ثم محاكمته بعد شفائه، الا ان رفاقه المجاهدين قاموا بمغامرة رائعة اذ هاجموا القوة البريطانية التي تحرس المستشفى وانتزعوه منها ثم نقلوه لاكمال معالجته في دمشق . وفي صبيحة ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٦ ، وتلبية لنداء أصدرته اللجنة العربية العليا لفلسطين ، توقفت الثورة الفلسطينية الكبرى بعد قتال دام ١٦٠ يوماً (٦ أيار - ١٣ تشرين اول) وذلك بناء لوعود من الدولة المنتدبة باحقاق الحق في فلسطين ، وفي هذه الاثناء ، كان عبد القادر قد غادر المستشفى بدمشق فاقام فيها زمناً ، ثم عاد فدخل فلسطين خلسة ليشترك من جديد في القيادة التي اجتمعت في « بيرزيت » ، واعلنت استئناف الثورة في ٢ تشرين الثاني (نوفبر)، بعد ان تحققت من ان وعود الدولة البريطانية المنتدبة خادعة وغير جدية .

وتحركت خلايا الجهاد المقدس من جديد لتعمل ضد قوات الانتداب ، فجرت معارك عنيفة في أقضية القدس وبيت لحم ورام الله ونابلس وجنين وبيسان وطبريه وعكا وصفد وحيفا وطولكرم ويافا والخليل وغزة وغيرها ، وكانت أهم المعارك التي خاضها عبد القادر في هذه المرحلة من الثورة هي معركة بني نعيم في الخليل (مطلع تموز ١٩٣٨)، فقد خاضها بنحو ألف مجاهد ضد ثلاثة آلاف جندي من جنود السلطة معززين بألف رجل من البوليس وقوة الحدود وسبع عشرة مصفحة وبطاريتي مدفعية ورشاشات ثقيلة ، واستمرت المعركة نحو اربعين ساعة ،كان القتال فيها كراً وفراً الى ان تمكن جيش السلطة الذي عزز مراراً من التغلب على المجاهدين



القائد عبد القادر الحسيني

الذين خسروا نحو مائة واربعين شهيداً، بينهم المهندس علي الحسيني ابن عم عبد القادر ، فانسحبوا تاركين خلفهم قتلاهم وجرحاهم ، وبينهم قائدهم عبد القادر نفسه، الذي جرح جرحاً بليغاً، فعاد بعض رفاقه المجاهدين اليه بعد انتهاء المعركة وحملوه الى المستشفى الحكومي في الخليل حيث ارغموا طبيب المستشفى على معالجته بعد ان قطعوا اسلاك الهاتف لمنع اي اتصال بالخارج ، وما ان ضمد الطبيب جروحه حتى حملوه الى دمشق عبر الاردن لاتمام معالجته (وهناك رواية تقول أنه أدخل مستشفى الخليل باسم مستعار ، وبقي فيه فترة حتى زال الخطر عنه فخطفه رفاقه ونقلوه الى دمشق لاتمام معالجته) .

وفي عام ١٩٣٩ غادر عبد القادر دمشق الى بغداد حيث دخل الكلية العسكرية وتخرج منها برتبة ضابط ، واشترك في ثورة رشيد عالي الكيلاني (٢١ نيسان ١٩٤١) ، ولما فشلت الثورة حاول اللجوء الى ايران عن طريق كرمنشاه مع رهط من رفاقه في الثورة ، فمنع رفاقه من دخول ايران وسمح له هو وحده باللجوء اليها ، فرفض وعاد الى بغداد مشياً على الأقدام مسافة ألف كيلومتر مشاها في خمسة وعشرين يوماً ، وما ان وصل الى بغداد حتى اعتقل ثم فرضت عليه الاقامة الجبرية في بلدة « زاخو » شمالي العراق ، ثم نقل منها الى سجن بغداد بعد ان اتهم باغتيال احد رجالات العراق ، وقضى في السجن زهاء سنة وثمانية أشهر ، ولما ثبتت براءته خرج من السجن لكي يعود اليه مرة ثانية فيقضي في معتقل« العمارة »سنتين أخريين دون جرم. وما ان خرج منه حتى غادر العراق الى المملكة العربية السعودية ، حيث قضى فيها فترة من الزمن انتقل بعدها الى مصر (١٩٤٧) ليبحث عن السلاح في كل من مصر وليبيا اعداداً للمعركة المقبلة .

وفي ٢٩ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٤٧ صدر قرار تقسيم فلسطين فعاد عبد القادر اليها، واختارته اللجنة العسكرية بدمشق (والهيئة العربية العليا) قائداً عاماً لقوات الجهاد المقدس ، وكلفته ، بالاضافة الى ذلك ، بمهمة الدفاع عن القطاع الشرقي من المنطقة الوسطى اي القدس ورام الله وباب الواد (وكانت فلسطين قد قسمت الى خمس مناطق عسكرية) وخاض عبد القادر ، قبل دخول الجيوش العربية الى فلسطين في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ ، معارك عديدة ضد العدو الصهيوني ، تكللت جميعها بالنصر ومنها معارك القدس وبيت سوريك وبيت محير وقلندية وشعفاط وباب الواد وبرك سليمان وصوريف ورام الله وغيرها ، الى ان كانت معركة القسطل التي استمرت اربعة ايام بكاملها (من ٤ حتى ٨ نيسان ١٩٤٨) وانتهت بان تمكن المجاهدون من انتزاع البلدة العربية من أيدي الصهاينة ، الا انهم لم يمكثوا فيها سوى بضع ساعات تمكن الصهاينة بعدها، وفي خضم ذهول المجاهدين وتضعضعهم بسبب استشهاد قائدهم ، من شن هجوم معاكس واحتلال البلدة من جديد (انظر معركة القسطل). وقد استشهد عبد القادر صبيحة الثامن من نيسان (ابريل)، ووجدت جثته قرب بيت من بيوت القرية ، ونقل في اليوم التالي (٩ نيسان) الى القدس حيث دفن جنب أبيه في ضريح كائن بين باب القطانين وباب الحديد ، ومشى في جنازته زهاء عشرة آلاف عربي وسمي (بطل القسطل) وقد استشهد عبد القادر وهو في الاربعين من عمره .

(٨) الحشد

مبدأ من مبادئ الحرب القديمة والتي تحتل مرتبة هامة بين مبادئ الحرب الحديثة ، وقد وضعه المفكر العسكري البريطاني « جون فولر » بين المبادئ الخمسة للحرب ، كما اعتمده المذهب العسكري الامريكي ووضعه بين المبادئ التسعة للحرب . والحشد هو الوسيلة الوحيدة والحاسمة للحصول على التفوق الذي يمكن به تحقيق النصر . ويتم ذلك عن طريق زج مجموعة « القوى والوسائط » في اتجاه الضربة الرئيسية . والمقصود بالقوى والوسائط مجموعة الامكانات المتوفرة،

دون إهمال بعضها أو قسم منها . وقد اوضح كلاوزفيتز هذه النقطة بقوله : « ان البلد يحكم على نفسه بالهزيمة عندما يمتنع عن استخدام جزء من وسائله في الوقت الذي يصمم فيه خصمه على استخدام وسائله كلها » .

يهدف الحشد الى توجيه القوى ووسائطها في اتجاه مناطق الحشد . وقد يتم الحشد باتجاهات ثانوية ، في إطار مخطط العمليات . ولكن المضمون الاساسي للحشد هو توجيه القوى ووسائطها في اتجاه العمليات الرئيسي . او بمعنى أوضح إجراء الحشد لتحقيق هدف استراتيجي .

لقد اكسبت المعركة الحديثة للأسلحة المشتركة مفهوم الحشد أهمية كبرى ، لا سيما خلال الحرب العالمية الثانية . واصبح الحشد من خواص المعركة الحديثة ، وصفة أساسية من صفاتها ، بحيث أنه لم تنفذ عملية كبرى من المعارك الحاسمة دون ان يسبقها حشد في المشاة والمدفعية والمدرعات والطيران والقوات الخاصة . وقد جاءت تجارب ما بعد الحرب لتثبت صحة هذا التطور وتؤكده . وقد نتج عن هذا التضخم في حشد القوات والوسائط ، تضخم مماثل في الأعباء الادارية . فالمعركة الحديثة تستنزف قدرات كبيرة وامكانات ضخمة ، مما يتطلب تعويضها او اخلاءها او اصلاحها بسرعة ، علاوة على ضرورة توفير متطلبات من مواد تموينية ومحروقات وذخائر . وبهذا برز العنصر الاداري كعامل أساسي من عوامل الحشد ، بحيث يمكن القول ان النجاح في المعركة يتوقف الى حد بعيد على كفاءة الجهاز الاداري ، وعلى توفر الامدادات الضرورية للمقاتلين والوصول بها اليهم وتوزيعها عليهم في الوقت المناسب وفي المكان المناسب .

ويعتبر استخدام الوحدات والتشكيلات في اتجاه المجهود الرئيسي وسيلة للحصول على التفوق في مواجهة قوى العدو ، وتوفير الفرصة لتحقيق انتصار حاسم وسريع ، عن طريق استخدام أكبر كمية ممكنة من النيران في هذا الاتجاه .

يتم حشد القوات ووسائطها قبل الدخول في المعركة ضمن « منطقة الحشد » ، ويحاول العدو باستمرار اكتشاف هذه المناطق ، وتوجيه الضربات اليها بمختلف الوسائط ، وبصورة خاصة الطيران ، وذلك لاجهاض العمليات الهجومية منذ بداياتها المبكرة . وقد زادت خطورة العمل في منطقة الحشد بسبب ظهور السلاح الذري مما فرض بالضرورة تجهيز منطقة الحشد ، واعدادها بصورة مسبقة ، بحيث تتوفر فيها المتطلبات الضرورية للإخفاء والتمويه ، الى جانب وجود منشآت هندسية تكفي لوقاية القوات ضد اسلحة العدو وهجماته الجوية . وكثيراً ما تم زج القوات في المعركة الحديثة دون اللجوء الى استخدام منطقة للحشد ، بحيث تتقدم التشكيلات والقوات حتى مسافة قريبة ، وتتخذ تشكيلات التنظيم القتالي خلال مرحلة التقرب ، وتحت ستار تحضير المدفعية وحماية الطيران (مثل حالة الهجوم من الحركة او الهجوم على مواقع العدو المجهزة على عجل) ، كما يمكن استخدام الظلام او الستائر الدخانية على نطاق واسع لاخفاء تحرك القوات والتشكيلات من مواقع انطلاقها للهجوم . وبذلك يمكن تجنب الوقوف في مناطق الحشد مع ما يرافق ذلك من خطورة .

كان الحشد في الحروب القديمة محدوداً نظراً لمحدودية القوى والوسائط المستخدمة في القتال . وقلة عدد الجيوش المتحاربة وقلة حاجاتها من المؤن والذخائر . ولكن الحشد كان يتم ، رغم محدودية القوى ، بشكل يؤمن توجيهها نحو المحور الرئيسي الذي ستقع عليه المعركة الرئيسية . وعندما بدأ الفتح العربي الاسلامي لم يكن باستطاعة قبائل الجزيرة العربية حشد قوات كبيرة ، (انظر اليرموك والقادسية) . ومع تطور الدولة واتساع رقعتها وتزايد ثروتها ، أصبح بوسع العرب المسلمين حشد قوات كبيرة . فكانت غزوات الصوائف والشواتي تصل إلى ١٠٠ ألف مقاتل . وحشد المعتصم في عمورية حوالي نصف مليون مقاتل . كما وصل الحشد في موقعة الزلاقة (١٠٨٦) ، وموقعة الأرك (١١٩٤) ، وموقعة العقاب (١٢١٢) إلى ما يقارب السمائة ألف مقاتل . ورافق تطور الحشد تطور كبير في تنظيم القوات ، وقيادة المعارك ، وكان هذا التطور في الحشد حافزاً لتطور مماثل في الدول التي كانت تدخل في صراع مع العرب المسلمين .

وعندما انقسمت الوحدة السياسية لدولة العرب المسلمين في العصر العباسي الثاني وما بعده ، ولم تعد هناك امكانات اقتصادية لإجراء حشود كبيرة ، بدأ ميزان القوى في الاختلال والاضطراب ، وكان ذلك في غير صالح العرب المسلمين ، مما حفز الدول المعادية على الانتقال من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم .

ارتبط مفهوم الحشد دائماً بالمفهوم الاقتصادي . ويلاحظ هذا الارتباط في جميع الحروب والصراعات . في عام ١٢٤٢ ، وفي الصراع بين روسيا والمانيا ، وقعت معركة الجليد ، ولم تكن قوات كل طرف من الاطراف تزيد على ثلاثين ألف مقاتل . بينما استطاعت روسيا عام ١٣٨٠ وفي معركة كوليكوف ان تحشد قوة مائة ألف مقاتل . وبقي الأمر كذلك حتى ظهر البارود . ودخلت الحرب عهداً جديداً تميز بالاستنزاف الكبير للقوى . وتطلب حشد قوات كبرى . ورغم ذلك لم يتطور الحشد تطوراً كبيراً حتى ظهرت الثورة الفرنسية ودخل مفهوم التلاحم الشعبي بالقوات المسلحة ، وتم إنشاء « الحرس الوطني » كظاهرة لهذا التلاحم ، وبذلك امكن رفد القوات المسلحة بقوات كبيرة ، فأصبح حجم القوات المسلحة كبيراً . وفي حملة نابليون بونابرت على روسيا عام ١٨١٢ ، استطاع نابليون ان يحشد جيشاً يزيد على المليون رجل (١٠٠٠ كتيبة مشاة تعادل ٨٠٠ ألف رجل ، و ٤٠٠ سرية خيالة تقدر بمائة ألف مقاتل ، وقوات مدفعية ومهندسين تزيد على ١٠٠ ألف مقاتل) . واستطاع الجيش الروسي في عام ١٨١٢ ان يطور امكاناته فاصبح يضم ٢٠٠ حتى ٢٢٠ ألف رجل و ٩٥٠ مدفعاً . وواضح هنا انً تزايد حجم القوات المتحاربة وزيادة قدرة الحشد في القوى والوسائط قد ارتبطت بالثورة الصناعية . وزيادة القدرة على دعم القوات المسلحة بالامكانات والاسلحة والوسائط . زيادة على إجراء تطور في نظام التعبئة وفرض نظام التجنيد الالزامي في عدد كبير من الدول . ورغم هذا التطور فان نظام التعبئة وحشد القوى لم يتجاوز حتى الحرب العالمية الاولى ٤ - ٦ ٪ من مجموع السكان ، ثم قفزت هذه النسبة في بداية الحرب العالمية الاولى الى ١٠,٦ ٪ في روسيا ، و ١٧,٢ ٪ في فرنسا ، و ١٩,٧ ٪ في المانيا . وظهرت للمرة الأولى في التاريخ الجيوش الجرارة التي يتجاوز عددها الملايين . وقد رافق هذه الزيادة في حشد القوات والوسائط تطور مماثل في الاسس الاستراتيجية للقتال ، وتطور في فن الحرب وقيادة القوات .

وفي ظروف الحرب العالمية الثانية أخذ مفهوم الحشد أبعاداً جديدة ، وارتبط مصير المعارك الحاسمة بقدرة هذا الحشد وقوته على اتجاه الضربة الرئيسية . فحشد الالمان عند اجتياح حدود الاتحاد السوفييتي ١٥٣ فرقة مسلحة بحوالي ٣٧١٢ دبابة ومدفع اقتحام و ٤٩٥٠ طائرة قتال . وفي بداية تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٤٢ كان لدى الالمان على الجبهة السوفييتية - الالمانية ٢٦٦ فرقة يبلغ تعداد افرادها اكثر من ٦ ملايين رجل ، واكثر من ٧٠٠٠٠ مدفع وهاون ، و ٦٦٠٠ دبابة ومدفع هجوم ، و ٣٥٠٠ طائرة مقاتلة ، و ١٩٤ سفينة حربية . وكان لدى الاتحاد السوفييتي مقابل ذلك ٦ ملايين مقاتل ، و ٧٢٥٠٠

مدفع وهاون، و ٦٠١٤ دبابة ومدفع هجوم، و ٣٠٨٨ طائرة مقاتلة . كما حشدت القيادة السوفييتية في احتياطها العام ٢٥ فرقة و ١٣ فيلقاً مدرعاً وميكانيكياً و ٧ ألوية مدرعة مستقلة .

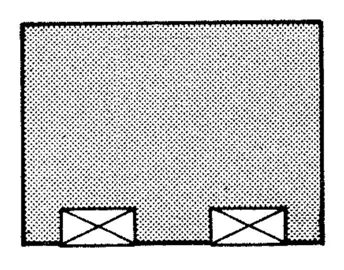
وفي بداية العام ١٩٤٥ ، اصبح لدى الاتحاد السوفييتي ٧١٠٩٠٠٠ مقاتل، و ١١٥١٠٠ مدفع وهاون، و ١٥١٠٠ دبابة وقانص، و ١٥٨١٥ طائرة قتال، ويقابلها لدى المانيا على الجبهة السوفييتية ٣١٠٠٠٠٠ مقاتل، و ٢٨٥٠٠ مدفع وهـــاون و ٣٩٥٠ دبابة، و ١٩٦٠ طائرة حربية .

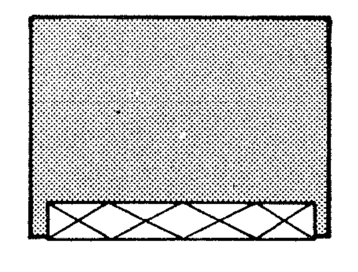
ولم تقتصر ضخامة الحشد على الجبهة السوفييتية، بل كانت ظاهرة عامة شملت الجبهات الرئيسية ومسارح العمليات البرية والبحرية . اذ اشترك في معارك هذه الجبهات والمسارح ملايين الرجال وآلاف الدبابات والطائرات والمدافع والقطع البحرية ، وارتفع من جراء ذلك مستوى القوة التدميرية ومستوى متطلبات المعركة من الامداد والتموين ، وتزايدت الخسائر البشرية إلى حدود الكوارث (انظر الحرب العالمية الثانية) ، الأمر الذي لم يكن بوسع الدول المتحاربة تحمله لولا حشدها لكل طاقاتها البشرية والمادية لرفد القوات المحاربة بما تحتاج اليه من رجال وسلاح ومعدات .

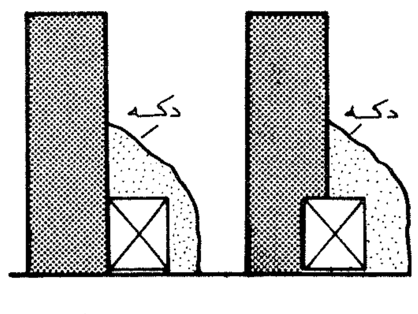
(١) الحشوة (أو العبوة)

هي كمية المتفجرات المخصصة لتدمير جسم معين والمحسوبة وفق قوانين النسف والتخريب لتحقيق الغرض المطلوب . وتوضع الحشوات على سطح الجسم المنوي تدميره أو قلبه ، فتكون **حشوة سطحية** ، أو توضع داخل الجسم المنوي تدميره ، فتكون **حشوة داخلية** .

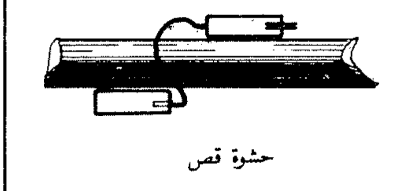
تستخدم في **الحشوات السطحية** عادة المتفجرات القاصمة ، ولا تتطلب بالضرورة استخدام دكة ، رغم ان الدكة ضرورية لزيادة فاعلية الحشوة ، ولا تستخدم المتفجرات الدافعة في الحشوات السطحية إلا إذا كان الجسم المنوي تخريبه خشبياً أو عبارة عن بناء متوسط القوة . ويشترط عند ذلك استخدام دكة كبيرة مهمتها توجيه القسم الاكبر من تأثير الانفجار نحو الجسم المراد تخريبه . وتكون الحشوة السطحية مركزة أو متطاولة . وتوضع كلتا الحشوتين بملاصقة الجسم المراد تخريبه أو قلبه . ومن الأفضل تعشيق الحشوة مع الجسم قبل وضع الدكة . واذا كانت الحشوة المركزة تسمح باستخدام المتفجرات الدافعة والقاصمة ، فان الحشوة المتطـــاولة تفرض


حشوة خارجية مركزة

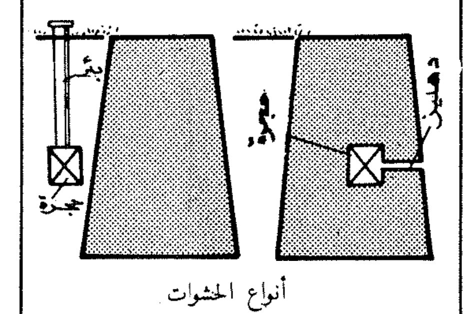

حشوة خارجية متطاولة



حشوة معشقة
حشوة خارجية


حشوة قص

حشوة داخلية (دهليز) حشوة داخلية (بئر)



أنواع الحشوات

استخدام المتفجرات القاصمة فقط . وتقدر قيمة الحشوة المركزة بالكيلوغرام ، بينما تقدر قيمة الحشوة المتطاولة بالكيلوغرام/متر .

توضع الحشوة المركزة المحسوبة وفق قوانين النسف والتخريب على شكل مكعب أو أقرب ما يمكن من المكعب أما الحشوة المتطاولة فتمد على طول الجسم المنوي تدميره أو قطعه . وفي حالة الرغبة في قطع المعادن (الصفائح أو القضبان أو السكك) يفضل تقسيم الحشوة السطحيـــة إلى قسمين ، ووضعهما متقابلين بحيث يؤدي انفجارهما معاً الى احداث تأثير قص .

تستخدم في الحشوات الداخلية المتفجرات القاصمة أو الدافعة . ويتطلب وضع الحشوة داخل الجسم المنوي تخريبه حفر بئر أو دهليز ينتهي بحجرة لاستيعاب الحشوة . وتساعد الدكة في هذه الحالة على زيادة قوة التدمير ، أي أنها تنقص بالتالي كمية الحشوة اللازمة لتحقيق التدمير .

عندما يكون الجسم المنوي تخريبه كبيراً ، تقسم الحشوة المركزة إلى عدة حشوات مركزة توزع بحيث تزداد فاعلية التخريب . واذا كان المطلوب حدوث انفجار الحشوات كلها بآن واحد ، توصل جميع الحشوات بفتيل صاعق مزدوج لتأمين انفجارها معاً ، أما اذا كان المطلوب ، لاسباب تقنية ، حدوث انفجار الحشوات بشكل متعاقب ، فان من الضروري تزويد الحشوات بصواعق كهربائيـــة تأخيرية (بأعشار الثانية) وربط هذه الصواعق بالدائرة الكهربائية بشكل يؤدي مرور التيار إلى انفجار الصواعق (وبالتالي الحشوات) بالتعاقب .

الحشوة الخاصة : انظر الحشوة المستطيلـــة (بنغالور) ، والحشوة الجوفاء .

الحشوة الدافعة : هي الحشوة التي يؤدي انفجارها الى انطلاق المقذوف سواء كان هذا المقذوف رصاصة أو قذيفة مدفع أو قذيفة هاون ، أو صاروخ . وقد تكون الحشوة الدافعة داخل ظرف متصل مع المقذوف (رصاصة البندقية ، قذيفة المدفع) ، أو مثبتة داخل ذيل المقذوف (القذيفة الصاروخية) ، أو على أجنحة هذا الذيل (قذيفة الهاون) ، أو ضمن كيس يوضع خلف القذيفة في حجرة الانفجار (بعض المدافع الثقيلة) .

تكون الحشوة الدافعة في ذخـــيرة بعض الاسلحة ثابتة الوزن . ويرجع اختـــلاف مدى

الرمي في هذه الاسلحة الى اختلاف زوايا الرمي . ولكن هناك اسلحة (مدافع ، هاونات) ذات حشوات دافعة قابلة للتعديل . ولذا فان لكل زاوية رمي عدة مديات رمي تختلف باختلاف الحشوة الدافعة المستخدمة .

حشوة القذيفة او القنبلة : هي الحشوة الموجودة داخل الجسم المقذوف (قنبلة ، قذيفة ، صاروخ) والتي يؤدي انفجارها إلى انفجار جسم المقذوف وتدمير الهدف (أنظر قذيفة المدفع ، وقنبلة الطائرة ، والصاروخ) .

حشوة اللغم : هي كمية المتفجرات الموجودة داخل اللغم ، والتي يؤدي انفجارها إلى تدمير الهدف البري أو البحري (انظر اللغم ، واللغم البحري) .

(١) الحشوة الجوفاء

هي حشوة خاصة مشكلة ذات تجويف يتم تفجيرها بملاصقة جسم معدني او من البيتون او البيتون المسلح ، فتحدث فيه خروقاً اعمق من الخروق التي تحدثها حشوة عادية مركزة مماثلة لها في الوزن .

تعمل الحشوة الجوفاء (Charge Creuse) وفق ظاهرة الحشوة الجوفاء (ظاهرة مونرو) Munro او (ظاهرة نيومان) Neumain او (ظاهرة مونرو - نيومان) . ولقد عرفت هذه الخاصية منذ العام ١٧٩٢ حيث عرفت بعض تطبيقاتها في المناجم . ولكن احداً لم يكن يعرف آنذاك تفسير السبب الذي يجعل للحشوات الجوفاء تأثيراً اكبر من تأثير الحشوات المركزة العادية . وترجع اول اشارة الى اهمية استخدام الحشوات الجوفاء الى العام ١٨٨٣ دون ايجاد تفسير لها ايضاً . وصادف العام ١٨٨٧ بداية عمل جدي في هذا المجال ، فقد لاحظ البروفسور الاميركي تشارلز مونرو ، اثناء عمله في مركز الطوربيد الاميركي في مدينة نيويورك ، عندما فجر قالباً من البارود القطني على سطح درع معدني سميك ان احرف U. S. N. 1884 (وهي ترمز الى اسم صانع القالب المتفجر والى سنة الصنع) ، وكانت محفورة على سطح القالب الملامس للدرع ، قد انطبعت على سطح الدرع . ولم يجد مونرو سوى تفسير واحد لهذه الظاهرة ، هو ان القالب المتفجر لم يلامس الدرع المعدني بالكامل ، لأن الاحرف المحفورة فيه سببت وجود فراغات هوائية صغيرة بين سطحي القالب والدرع . ولاختبار دقة هذا التفسير اجرى مونرو تجربة اخرى استخدم فيها حزمة من اصابع الديناميت ربطها باحكام بعد ان سحب الاصابع الموجودة في وسطها الى الخلف مسافة انش تقريباً ، وعندما فجر الحزمة بملامسة خزنة معدنية احدثت فيها ثقباً . وبعد ان تأكد مونرو من اكتشافه قام في العام ١٨٨٨ بكتابة بعض المقالات حوله . ومنذ ذلك الحين اطلق البعض على هذا الاكتشاف اسم (ظاهرة مونرو) وتم الاجماع على ان ما يحدث في الحشوة المشكلة وفق هذا المبدأ هو عملية تركيز لموجة الانفجار الرئيسية ، داخل التجويف ، في نقطة واحدة (بؤرة) ينتج عنها الخرق .

ولم يؤد انتشار المعلومات عن ظاهرة مونرو الى استخدامها في التطبيقات العملية ، بل كادت ان تنسى لولا ان جاء الالماني نيومان (Neuman) واعاد اكتشاف هذه الظاهرة في العام ١٩١٠، ربما دون علمه بتوصل مونرو الى هذا الاكتشاف ، الى درجة انه نسبه الى نفسه . وقد سجل اكتشاف نيومان في المانيا (١٩١٠) وبريطانيا (١٩١١) من قبل مؤسسة المانية (شركة وستفاليا المساهمة للمتفجرات) . وكان سبب اهتمام المؤسسة بهذه الظاهرة هو انها كانت تسعى الى تصنيع متفجرات يمكن استخدامها داخل المناجم بأمان . وقد تمكنت هذه المؤسسة من تسجيل براءتي اختراع لنوعين من الحشوات المشكلة لاستعمالها داخل المناجم التي تستخرج منها الخامات في احداث ثقوب في الصخور تمهيداً لنسفها بدلا من مثقاب الصخور الآلي . وهكذا بدأ استخدام الحشوات المشكلة للاغراض المدنية .

وترجع اقدم اشارة الى تطبيق المبدأ لاغراض عسكرية الى العام ١٩٢١ ، ففي هذا العام وصفت بعض المراجع الالمانية حشوات جوفاء تشبه شكل القلنسوة . وتتابع بعد ذلك اهتمام الخبراء العسكريين في مختلف الدول بتطبيق مبدأ الحشوة الجوفاء للاغراض الحربية : روسيا (١٩٢٥) ، ايطاليا (١٩٣٢) ، وفي العام ١٩٣٥ اقترحت في المانيا فكرة تطبيق المبدأ في صناعة الذخائر الحربية وخصوصاً الالغام . وكان الالمان اول من ادخل استعمال الحشوات الجوفاء خلال الحرب الاهلية الاسبانية (١٩٣٦) . وفي العام ١٩٣٩ طور الالمان اللغم المغناطيسي المضاد للدبابات ، وكان هذا اللغم الذي يحتوي على حشوة جوفاء يلصق على الدبابة باليد وينفجر بواسطة صمام توقيت . كما طور الالمان سلاح « البانزر فاوست » (Panzer Faust) ، وهو عبارة عن قذيفة ذات حشوة جوفاء مشكلة تطلق بواسطة قاذف انبوبي حديدي مفتوح الطرفين مستخدمة مبدأ المدفع عديم الارتداد ، وتحفظ توازنها اثناء الانطلاق زعانف مثبتة في ذيلها .

وفي اثناء الحرب العالمية الثانية استخدمت الدول المتحاربة تطبيقات المبدأ المذكور في صناعة العديد من الاسلحة والذخائر : فقد استخدم الالمان قذائف للمدفعية ، وقنابل للطائرات ، وقنابل يدوية وصواريخ وجميعها تحوي حشوات جوفاء مشكلة ، واستخدم الروس عدة انواع من قنابل المدفعية ذات الحشوات الجوفاء المشكلة ، وطور اليابانيون حشوة مشكلة (لغم لنغ Lung Mine) كانوا يثبتونها في رأس عمود خشبي طويل يحمله جندي مكلف بمهاجمة الدبابة من مكمنه وضرب جانب الدبابة برأس العمود . كما استخدموا قذائف مدفعية متنوعة مصنوعة وفق مبدأ الحشوات الجوفاء المشكلة ، وطور البريطانيون نوعين من القنابل هما « قنابل بيات (Piat Bombs) و (بي هايف Bee – Hive) وفق المبدأ نفسه ، وطور الاميركيون اسلحة مشابهة من بينها حشوات خاصة للتخريب ، وألغام بحرية .

وبالرغم من ان ظاهرة الحشوات الجوفاء (المشكلة) كانت معروفة منذ العام ١٧٩٢ ، الا ان التطور الكبير الهام الذي اضاف الى الحشوات الجوفاء مقدرة كبيرة على الاختراق لم يتم إلا قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية . فقد اكتشفت انه اذا اضيف الى الحشوة بطانة معدنية تبطن السطح المجوف ، فان مقدرة الحشوة على الاختراق تتضاعف لتصل الى اربعة اضعاف مقدار الاختراق الذي يمكن الحصول عليه بتفجير الحشوة غير المبطنة ببطانة معدنية . ويرجع البعض فضل هذا الاكتشاف الى البروفسور الاميركي « وود Dr. R. W. Wood » من جامعة « جونز هوبكنز Johns Hopkins » الذي كان اول من اكتشف في سنة ١٩٣٦ ، بان تبطين الحشوة الجوفاء ببطانة معدنية من شأنه ان يعطي جزيئات معدنية او « نفث » مكون من المعدن والغازات الناتجة عن الانفجار يسير بسرعة عالية . ولكن هناك من يؤكد بأن الحشوات المبطنة استخدمت في المناجم الالمانية قبل العام ١٩٣٦ .

وفي العام ١٩٤٠ قام هنري موهوبت Henry Mohoupt (وهو مخترع سويسري قام بتطوير الاكتشاف لمصلحة القوات المسلحة الاميركية) والميجر ديلالاند بتقديم حشوة جوفاء مخروطية الشكل مبطنة ببطانة مصنوعة من الحديد لمصلحة المعدات الحربية الاميركية . وقام موهوبت بعدها بتصميم قذيفتين خارقتين لمدفعي الهاوتزر عيار ٧٥ مم و ١٠٥ مم ، والقنبلة اليدوية الخارقة للدروع «م ٩» ،

وقذيفة خارقة للدروع تطلق بواسطة بندقية عادية (كما هو الحال بالنسبة للانيرجا) طورت فيما بعد ونتج عن تطويرها تصميم سلاح البازوكا الصاروخي الخارق للدروع الذي استعمل لاول مرة في اوائل ١٩٤٣ في شمالي افريقيا .

وهكذا فان فضل تطوير الذخائر والاسلحة ذات الحشوات الجوفاء (المشكلة) المبطنة ببطانة معدنية يرجع الى موهوبت ، الى الدرجة التي دعت البعض الى اقتراح اطلاق اسم مبدأ موهوبت Mohoupt Effect على هذا التطوير الهام للحشوات المشكلة . واليه يرجع الفضل في حيازة القوات المسلحة الاميركية للذخيرة والاسلحة ذات الحشوات الجوفاء (المشكلة) ذات البطانة المعدنية في وقت مبكر من نشوب الحرب العالمية الثانية (في سنة ١٩٤٢ على وجه التحديد) . واليه ايضاً يرجع الفضل في تصميم اكثر الاسلحة المضادة للدروع فعالية وأجداها من الناحية العملية في ذلك الوقت ، وهو سلاح البازوكا المضاد للدروع . ولقد كان الدافع الى هذا الابتكار استنتاج منطقي وبسيط جداً . وهو انه اذا كانت ظاهرة مونرو تحدث عن طريق تركيز الموجة الانفجارية الرئيسية وتوجيهها في اتجاه واحد ، فان من الواضح ان تأثيرها سوف يزداد اذا امكن زيادة كثافة الموجة الانفجارية ، وكان الحل اللازم لزيادة كثافة هذه الموجة الانفجارية هو اضافة بطانة معدنية تتحطم عند حدوث الانفجار ، الامر الذي سيجعل الموجة الانفجارية تحمل معها الجزيئات والغازات المتبقية من البطانة المعدنية فتزداد كثافتها وبالتالي مقدرتها على الاختراق .

ولقد اقبلت الدول على الافادة من مبدأ الحشوة الجوفاء في الصناعة الحربية ، نظراً لانه يؤمن المزايا العسكرية التالية : ١ — التوفير في المتفجرات المستخدمة في قطع الجسور المعدنية وخرق ابواب وجدران التحصينات . ٢ — التوفير في وزن المتفجرات اللازمة لخرق الدبابات والعربات المدرعة ، الامر الذي يؤدي بالتالي الى تخفيف وزن الحشوة الدافعة للقذائف وتخفيف وزن السلاح القاذف بشكل ينقص سعره ويزيد قدرته على المناورة ، ٣ — ايجاد سلاح خفيف ورخيص وقادر على مجابهة الدبابات وتدمير دروعها المتزايدة السماكة ، ٤ — ايجاد وسيلة سريعة ورخيصة لفتح ثغرات في جدران الابنية والتحصينات ، او في ركائز ومتكآت الجسور بغية وضع حشوة المتفجرات فيها بدلا من فتح هذه الثغرات بالمثقاب الآلي .

ومن التطبيقات العسكرية للحشوة الجوفاء : قنابل القواذف الصاروخية المضادة للدبابات ، وقنابل المدافع عديمة الارتداد المضادة للدبابات ، والقنابل البندقية المضادة للدبابات ، والقنابل اليدوية المضادة للدبابات ، والحشوات الخاصة المستخدمة لتدمير التحصينات البيتونية والبيتونية المسلحة ، والحشوات الخاصة المستخدمة لخرق الابواب المعدنية في التحصينات ، والحشوات الخاصة المستخدمة لقطع العوارض المعدنية في الجسور المعدنية ، والحشوات الخاصة بفتح الثقوب في الجدران او في ركائز الجسور ومتكآتها ، والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات (بنوعيها جو — ارض ، وارض — ارض) .

وتقسم الحشوات الجوفات العسكرية حسب استخدامها الى : ١ — حشوات القطع ، وتكون على شكل اسطوانة مجوفة او نصف متوازي مستطيلات مجوف ، ٢ — حشوات الاختراق ، وتكون ذات شكل مخروطي او خوذي او نصف كروي او قنيني . وتتألف كل حشوة مهما كان شكلها او الغرض من استخدامها من : المادة المتفجرة ، جهاز الصعق ، التجويف ، بطانة التجويف المعدنية .

تأثير البطانة المعدنية : اذا قارنا بين تأثير حشوتين من نوع الحشوات الجوفاء احداهما مبطنة والاخرى بدون بطانة معدنية ، فاننا نلاحظ ما يلي :
أ) اذا كانت الحشوتان على اتصال مباشر بالهدف (اي في حالة انعدام المسافة التي تفصل بين الهدف وقاعدة التجويف) فانهما تعطيان التأثير نفسه .
ب) اما اذا كانت الحشوتان المذكورتان على مسافة مناسبة من الهدف ، فان تأثير الحشوة غير المبطنة يكون اقل بكثير من تأثير الحشوة المبطنة .

ولقد بدأ الاهتمام من العام ١٩٤٢ بدراسة وتفسير ما يحدث للبطانة المعدنية المستخدمة في الحشوة الجوفاء منذ اللحظة التي تصطدم فيها القذيفة الحاملة للحشوة بالهدف ، حتى حدوث عملية الخرق . وكانت العقبة امام هذا التفسير آنذك هي افتقار العلم الى وسيلة مناسبة تمكن من ملاحظة ما يحدث بالضبط ، الى ان تمكن العلماء في بريطانيا وامريكا من تطبيق استخدام التصوير بالاشعة لهذا الغرض . وفي اعقاب ذلك اعلن بركهوف Birkhoff في الولايات المتحدة الامريكية ، عن نظريته التي تقول بأن عملية تحطم البطانة المعدنية يجب ان تفهم في ضوء قوانين حركة الموائع Hydrodynamic Theory of Fluid Flow . وفي الوقت نفسه توصل فريق من العلماء البريطانيين المهتمين بهذه المسألة الى نتائج مماثلة لتلك التي توصل اليها العلماء في الولايات المتحدة وبالاعتماد ايضاً على صور الاشعة . وقد حصلوا عليها في وقت سابق لتلك التي تم الحصول عليها في الولايات المتحدة . ولا يرجع فضل السبق في هذا المجال للاميركين ، حيث ان النظرية المقبولة حالياً لتحطم البطانة المعدنية Hydrodynamic Theory of Detonation ، وضعها العالم البريطاني تايلور Taylor دون الاعتماد على نتائج البحوث الاميركية .

ولتوضيح ميكانيكية تحطم البطانة المعدنية في الحشوة الجوفاء يمكن القول ان ميكانيكية انفجار الحشوة الجوفاء تتمثل في تحطم البطانة المعدنية نتيجة لوقوع الموجة الانفجارية على جدران المخروط وما يعقب ذلك من تركيز للموجة الانفجارية . فاذا كانت المسافة بين قاعدة التجويف والهدف هي المسافة المثلى المطلوبة ، فستكون النتيجة ، عند حدوث الانفجار ، تحطم البطانة المعدنية بالكامل قبل ان تصل الموجة الانفجارية الى الهدف .

اما ميكانيكية تحطم البطانة المعدنية ، كما وصفها بركهوف فهي : عند انفجار الصاعق تنتج موجة انفجارية تتقدم خلال المادة المتفجرة ، وبوصولها الى قمة المخروط المعدني الرقيق الجدار (البطانة المعدنية) تحدث فجأة ضغطاً عالياً جداً على الجدار الخارج للمخروط مسببة تحطم جداره وتحرك معدنه الى الداخل في اتجاه المركز بسرعة عالية جداً . ويحتفظ المعدن المتحرك بالشكل المخروطي مع تقدم قمة المخروط على طول محوره الى الامام . ويلي قمة المخروط المتقدمة كتلة Slug متكونة من معدن الجدار الخارجي للمخروط المتحطم بالكامل . اما معدن الجدار الداخلي للمخروط فانه يكون نفثاً Jet يبرز من القمة الداخلية للمخروط ويندفع بسرعة عالية على طول المحور الى الامام . وهكذا فان معدن البطانة المخروطية ينقسم الى قسمين : معدن الجدار الخارجي ، ويتشكل في هيئة كتلة Slug تندفع الى الامام بسرعة بطيئة نسبياً (حوالي ٥٠٠ — ١٠٠٠ متر/ثانية) ، ومعدن الجدار الداخلي ، ويكون عموداً من النفث Jet يندفع الى الامام على طول محور المخروط بسرعة عالية جداً (حوالي ٢٠٠٠ — ١٠,٠٠٠ متر/ثانية ، وقد تصل الى ١٥ ٠٠٠ متر/ثانية) .

ان العامل المسبب لخرق الهدف ليس الكتلة Slug المتكونة من الجدار الخارجي للمخروط ولكنه عمود النفث Jet المتكون من جدار المخروط الداخلي ، اذ ان جزيئاته تحدث ضغطاً عالياً جداً على مادة الهدف ، يقدر بـ٣/١ مليون ضغط جوي . وهذا الضغط يزيد الى حد كبير

جداً عن مقاومة مادة الهدف ، مما يتسبب في ازاحتها ودفعها أمام مسار عمود النفث وكأنها سائل لزج . وينجم عن ذلك خرق يكون قطره دائماً اكبر من قطر عمود النفث المسبب للخرق .

العوامل المؤثرة في زيادة فاعلية الحشوات الجوفاء : تتأثر فاعلية الحشوة او قدرتها على الاختراق بالعوامل التالية : **اولا ، نوع المادة المتفجرة :** وينبغي ان تكون من المواد الشديدة الانفجار التي يمكن قولبتها مثل البنتولايت Pentolite ، والادانتول Edantol والمركب ب Comp. B. وجميعها تفضل الـ ت. ن. ت. « T. N. T. » في هذا المجال اذ انه يعتبر من المتفجرات البطيئة بالنسبة اليها . ومن أنسب المواد المتفجرة المركبة للاستعمال في الحشوات الجوفاء مادة السيكلوتول Cyclotol بنسبة ٤٠/٦٠ . **ثانياً ، مادة البطانة :** هناك علاقة بين مقدار الاختراق وبين مادة البطانة (سمك البطانة ، كثافة المعدن ، قابلية المعدن للسحب والطرق) وهذه العلاقة هامة جداً لدى اختيار معدن البطانة . ويتوقف مقدار الاختراق بشكل عام على كثافة معدن البطانة ، فكلما زادت زاد الاختراق ، ويتناسب مقدار الاختراق ايضاً مع سمك البطانة . فقد وجد من خلال التجارب ان زيادة سماكة البطانة لغاية ملمتر واحد فقط في حشوات يقارب قطرها ٤٢ ملمتراً ، تؤدي الى زيادة مضطردة في عمق الاختراق ، ولكن اذا تجاوزت سماكة البطانة هذا المقدار فان ذلك لا يسبب زيادة تذكر في الاختراق الى ان تبلغ السماكة حداً معيناً حرجاً تبدأ عندها قدرة الحشوة على الاختراق في النقصان . وكلما زادت قابلية معدن البطانة للسحب والطرق كلما زادت قدرة الحشوة على الاختراق بشكل عام . وعموماً فان انسب المعادن التي يمكن استخدامها هي النحاس الاحمر والصلب . ولكن هناك سبائك معدنية افضل من النحاس والصلب ، ويعتبر تركيبها من اسرار الصناعة الحربية لكل دولة . **ثالثاً المسافة بين قاعدة الحشوة وسطح الهدف :** لكي تعطي الحشوة الجوفاء فعاليتها القصوى ، يجب ان تكون هناك مسافة مناسبة تباعد قاعدة مخروط الحشوة عن سطح الهدف . ذلك لان جزيئات عمود النفث هي العامل الفعال في عملية الاختراق ، ولكي يعطى عمود النفث هذا الوقت الكافي ليتكون ويمتد فلا بد من وجود المسافة المباعدة المذكورة . وما ينطبق على نقصان المسافة المباعدة المناسبة — من حيث ارتباطها بنقصان مقدار الاختراق — ينطبق ايضاً على زيادة هذه المسافة . فان زيادتها عن الحد المطلوب تؤدي ايضاً الى نقصان الاختراق ، لان عمود النفث سوف يخترق طبقة اضافية من الهواء ، وهذا الاختراق سوف يكون على حساب سمك مماثل من معدن الهدف المراد اختراقه وبالتالي يقل الاختراق . وليست المسافة المباعدة المثالية ثابتة ، وانما تختلف باختلاف المعدن الذي يستخدم في صنع البطانة ، فلكل معدن مسافة مباعدة مثالية خاصة به . ومن الممكن زيادة المسافة المباعدة الى حد كبير وذلك باختيار شكل مناسب لتجويف الحشوة المشكلة واستخدام بطانة معدنية ملائمة . واهمية ذلك هو الوصول الى تركيز الموجة الانفجارية في بعد بؤري كبير وتمكين عمود النفث من الاستطالة مع الاحتفاظ بفعاليته الى مسافات كبيرة . **رابعاً تشكيل الحشوة :** هناك علاقة بين مقدار الاختراق وبين زوايا تشكيل تجاويف الحشوات وانواعها المختلفة : فالحشوة نصف الكروية Hemispherical تعطي عمق اختراق اقل ، ولكن قطر الخرق الذي تحدثه اكبر بالمقارنة مع الحشوة المخروطية . والحشوة الخوذية Helmet-Shaped تعطي اختراقاً اكبر من الحشوات المخروطية البسيطة او نصف الكروية . واذا اتحد التجويف نصف الكروي بتجويف محوري آخر على شكل انبوبة محورية سبقية Flashback Tube ، فان من شأن هذا التجويف الانبوبي الاضافي ان يزيد عمق الاختراق المحدث في الدرع ، اذ يسبب نشوء عمود نفث سبقي (اي سابق على تكون عمود النفث الاساسي) منشؤه هذا الجزء الانبوبي من تجويف الحشوة . وقد استخدم هذا النوع من الحشوات في المدفع ٧٥ مم عديم الارتداد . اما الحشوة القنينية Bottlle-Shaped ، فهي تطوير للنوع السابق . وفي كلا النوعين ينشأ عمود نفث منشؤه الجزء الاسطواني للحشوة ، يليه عمود النفث الاساسي الناشيء من التجويف الاساسي (نصف الكروي او القنيني)، ثم يلي ذلك كتلة Slug هي عبارة عن الجزء الاساسي من مادة البطانة المتحطمة . **خامساً وضع الصاعق :** ان اختيار وضع مناسب للصاعق في الحشوات الجوفاء المشكلة عملية هامة . ذلك ان عملية الصعق يجب ان تضمن تسارعاً ذاتياً لانفجار الحشوة الرئيسية في اتجاه الموجة الانفجارية لكي يمكن احداث اقصى اختراق ممكن للهدف . ويوضع الصاعق في حشوات القص والقطع والقصم المتطاولة خارج احد طرفي الحشوة بشكل متعامد مع محورها ، عندئذ تتحرك موجة الصعق من احد طرفي الحشوة الى الطرف الآخر . اما بالنسبة الى الحشوات الخارقة الاخرى ، فيتم وضع الصاعق في اعلاها بحيث تتحرك موجة الصعق نحو الاسفل من القمة الى القاعدة . **سادساً تعبئة الحشوة :** تتطلب تعبئة الحشوات الجوفاء دقة شديدة ، اذ ان عدم تطابق محور تجويف الحشوة مع محور الحشوة نفسها يؤدي الى نقصان في مقدار الاختراق . وبالاضافة الى ذلك ، فان هناك عدداً من العوامل الاخرى التي تؤثر بشكل سلبي على مقدار الاختراق . وتبدو هذه التأثيرات واضحة في الحشوات الصغيرة اكثر منها في الحشوات الكبيرة . وهذه العوامل هي : التفاوت او عدم الانتظار في سماكة البطانة المعدنية ، ووجود طبقة غير كافية من المادة المتفجرة على قاعدة تجويف الحشوة ، ووجود فجوات او نقاط قليلة الكثافة في الحشوة المتفجرة . **سابعاً توزيع الحشوة :** لدى تشكيل الحشوة يجب الانتباه الى سرعة تحطم البطانة المعدنية عند الانفجار ، ذلك ان تناقص سرعة تحطم البطانة يزيد مقدار الاختراق ، ولكي يمكن انقاص سرعة تحطم البطانة فان من الضروري تقليل كمية المتفجرات في اتجاه تقدم الموجة الانفجارية وبالتالي فان توزيع الحشوة يجب ان لا يكون منتظماً . **ثامناً الدوران :** ان حفظ توازن المقذوف اثناء اتجاهه نحو الهدف يتم إما بجعله يدور حول محوره ، او بواسطة تزويده بزعانف ذيلية . وللدوران المقذوفات (التي تحتوي على حشوات جوفاء مشكلة) حول نفسها تأثير سلبي على عملية الاختراق . نظراً لان عمود النفث المتكون في المقذوفات التي تدور حول نفسها يميل الى الانتشار . ويزداد هذا التأثير تدريجياً بازدياد سرعة الدوران حتى يصل ذروته عند حد معين يتوقف بعده اي تأثير سلبي اضافي . ويقل تأثير المقذوفات التي تدور حول نفسها بنسبة ٥٠٪ عن تأثير المقذوفات المزودة بزعانف ذيلية تحفظ توازنها عند الطيران . ولا يتأثر الحجم الكلي للخرق المحدث في الدرع بالدوران ، ولكن ما يحدث هو ان قطر الخرق يزيد بينما يقل عمق الاختراق .

(١١) الحشوة المتطاولة

(انظر البنغالور) .

(١٢) الحصار

يعتبر الحصار Le Siège عملية حربية تهدف الى احاطة مدينة او قلعة او موقع محمي او محصن بقوات عسكرية ومحاصرته ، حيث يعمد

المحاصر الى التمركز امام هذا الموقع (أو المدينة أو القلعة) أو الاحاطة به بقصد ارغام المحاصرين على الاستسلام .

ولقد عرف هذا النوع من القتال العسكري منذ أن نشأت الحروب ، ولعبت عمليات الحصار ادواراً هامة في التاريخ العسكري ، كما استعملت فيه انواع شتّى من الاسلحة ، اختلفت باختلاف العصور والتقدم التكنولوجي لآلات الحرب . ومن أهم اسلحة الحصار القديمة الابراج المتحركة ، و الدبابة (أو الضبر)،والكباش ، والمنجنيق،والعرادات وسلالم الحصار . ثم تطورت اسلحة الحصار باستمرار ضمن المسار العام لتطور اسلحة القتال ، ففي الحرب العالمية الاولى استخدمت راجمات الالغام ، والكرات المعدنية ، وقنابل المدفعية ، ومدافع الهاوتزر الخفيفة (٨ إنش) ، والهاونات . وقـد استخدمت القوات الالمانية في هذه الحرب المدافع الرشاشة الطويلـة (٦ إنش) . كما استعملت القوات البريطانية في العام ١٩١٧ ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف طلقة في مدة عشرة أيام ، وذلك لقصف المواقع الالمانية في ماسين ريـدج Messines Ridge ، بالاضافة الى زرع حوالي ٢٠ منطقة بالالغام مستعملة ملايين الارطال من المتفجرات . اما في الحرب العالمية الثانية فقد ظهر نوع جديد من المدافع هي مدافع عيار (١٧ إنش) وقد استعملتها القوات الالمانية ضد الحصون في فردان Verdun ، وتول Toul ، وايبينال Epinal ، ولييج Liege ، ونـامور Namur ، وموبـوز Maubeuse ، وانتويرب Antwerp ، واستولت القوات الالمانية بواسطتها على لييج ونامور وموبوز .

وقد أدى اختراع الطائرات المقاتلة والمدفعيـة ذاتية الحركة والدبابات والعربات المدرعة والقذائف والصواريخ الى تسهيل مهمـة المحاصر ، اذ اصبح باستطاعة هذه الآلات الحربية الحديثة ان تدمر المركز المحاصر تدميراً كاملا ، وذلك بقصفه من مسافات بعيدة .

وكانت المدن تتحصن عادة ضد الحصار بأسوار عالية وخنادق عريضة . اما في القرن السابع عشر فيعود الفضل في بناء الاسوار المعروفة بالباستيان Bastioned Fortress للمهندس الفرنسي فوبان Vauban (انظر التحصينـات) ، او بخنـادق تحفر حولها وتملأ ماء ، او بإنشاء الحصون والقلاع المحصنة التي تبنى من جهات مختلفة من الموقع المراد حمايته ويحتلها المقاتلون للدفاع عن الموقع ضد اي هجوم . وكان المحاصرون (قبل اختراع البارود) يعمدون الى اقتحام الاسوار لينفذوا منها الى الموقع اما بواسطة الابراج المتحركة التي يفتحون بواسطتها ثغرات في السور او بسلالم الحصار التي يتسلقون بواسطتها اطراف السور . اما الخنـادق فكانوا يجتازونها بأن يردموا الجوانب الضعيفة فيها بالاخشاب والتراب كي تجتازها الجيوش الى الموقع المحاصر . ثم تطورت عملية الاقتحام بعد ظهور المدفع ، واصبح تدمير الاسوار بنيران المدفعية امراً ممكناً ، وهذا ما أفقد الاسوار اهميتها ، وجعل التحصينات الدائمة والميدانية تحل محلها .

(١٢) الحصار البحري

الحصار البحري Blockade عملية احاطة لشواطىء العدو بسفن حربية ، بغيـة عزل تلك الشواطىء وما فيها من موانىء ، ومنع السفن من ارتيادها ، بقصد حرمان العدو مما يحتاج اليه من ذخائر واسلحة ومؤن ومعدات ومواد استراتيجية .

يكون الحصار البحري اما سلمياً او حربياً .

والحصار البحري السلمي هو حصار يفرض في حالة السلم دون اعلان حرب ، وتستطيع اية دولة ان تفرضه لتجبر دولة اخرى على الانصياع لمشيئتها ، وفي هذه الحالة يطبق الحصار على السفن الخاضعة لدولة المحاصر فقط ، ومن امثلته الحصار الذي فرضه الرئيس الاميركي جون كندي على كوبا في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٢ لارغام الاتحاد السوفياتي

جدول بأهم عمليات الحصار في التاريخ العسكري

الحصار	التاريخ	المدة والنتيجة
حصار طرواده	١٢٠٠ (ق. م.)	دام ١٠ سنوات ، سقطت
حصار دمشق	٦٣٤ ١٤ هـ.	دام ٧٠ يوماً ، سقطت
حصار كاليه	١٣٤٧	دام ١١ شهراً ، سقطت
حصار الاورليان	١٤٢٨ – ١٤٢٩	دام ٧ أشهر ، رفع الحصار
حصار القسطنطينية	١٤٥٣	دام ٥٠ يوماً ، سقطت
حصار جبل طارق	١٧٧٩ – ١٧٨٣	دام ٣ سنوات و ٧ أشهر و ١٥ يوماً ، لم يسقط
حصار عكا (بونابرت)	١٧٩٩	دام ٧٠ يوماً ، رفع الحصار
حصار موسكو	١٨١٢	دام ٤٠ يوماً ، سقطت
حصار عكا (ابراهيم باشا)	١٨٣١ – ١٨٣٢	دام ٦ أشهر ، سقطت
حصار سيباستوبول	١٨٥٤ – ١٨٥٥	دام ٣١٦ يوماً ، سقطت
حصار دلهي	١٨٥٧	دام ١٣٢ يوماً ، رفع الحصار
حصار لوكناو	١٨٥٧	دام ١٤١ يوماً ، رفع الحصار
حصار فيكسبورغ	١٨٦٢ – ١٨٦٣	دام ٤٧ يوماً ، سقطت
حصار سان بطرسبورغ	١٨٦٤ – ١٨٦٥	دام ٢٨٧ يوماً ، اخليت
حصار ميتز	١٨٧٠	دام ٧٠ يوماً ، سقطت
حصار ستراسبورغ وباريس	١٨٧٠ – ١٨٧١	دام ١٣٠ يوماً ، سقطت
حصار بلازينا	١٨٧٧	دام ١٤٤ يوماً ، سقطت
حصار ليدي سميث	١٨٩٩ – ١٩٠٠	دام ١١٨ يوماً ، سقطت
حصار بورت آرثر	١٩٠٤ – ١٩٠٥	دام ٢٤١ يوماً ، سقطت
حصار ادريانوبل	١٩١٢ – ١٩١٣	دام ١٥٥ يوماً ، سقطت
حصار برزميسل	١٩١٤ – ١٩١٥	دام ١٨٥ يوماً ، سقطت
حصار فردان	١٩١٦	دام ٢٩٨ يوماً ، لم تسقط
حصار الكازار	١٩٣٦	دام ٧١ يوماً ، رفع الحصار
حصار لينينغراد	١٩٤١ – ١٩٤٢	دام ٤٥٥ يوماً ، رفع الحصار
حصار ستالينغراد وسيباستوبول	١٩٤٢ – ١٩٤٣	دام ١٦٦ يوماً ، رفع الحصار
حصار ديان بيان فو	١٩٥٤	دام ٥٥ يوماً ، سقطت

على سحب صواريخه الاستراتيجية من الجزيرة . ويعتبر كثير من القوانين الدولية هذا الحصار غير شرعي . **أما الحصار البحري العسكري فهو الذي يهدف** الى تحقيق غرض عسكري مباشر (معركة ابي قير البحرية ١٧٩٨ ومحاصرة نلسون باسطوله للاسطول الفرنسي قبل تدميره) .

ولا يحق لاية دولة ان تعلن الحصار البحري ما لم يكن لديها القوة الكافية لتنفيذه ، مع التقيد بالقانون الدولي الذي وضع وفقاً لاعلان باريس بعد حرب القرم (١٨٥٦) ، والقوانين الاخرى التي وضعت وفقاً لاعلان لندن (١٩٠٩) ، وهي تنص على أن على الدولة التي ترغب بفرض حصار بحري ان تعلنه رسمياً ، وان تعلم الدولة المحايدة عنه ، وان لا يتجاوز هذا الحصار الشواطيء والموانيء التي تخص العدو .

ومن انواع الحصار البحري : أ) اللائحـــة السوداء Black List . وهو حصار استعملته انكلترا والولايات المتحدة الاميركية في الحرب العالمية الثانية ، وذلك عندما ادرجت هاتان الدولتان على هذه اللائحة اسمـــاء الشركات والاشخاص الذين يتعاطون التجارة مع دول المحور ، فمنع هؤلاء من شراء البضائع من انكلترا والولايات المتحدة الاميركية. ب) حصار الورق Paper blockade (نسبة الى الاوراق الثبوتية التي تحدد هوية السفينة) . وهو حصار تعلنه دولة ليس لديها سلطة تنفيذ الحصار البحري العسكري . وقد اعلن نابليون هذا النوع من الحصار ضد انكلترا (١٨٠٦) ، واعلنته انكلترا بدورها ضد فرنسا (١٨٠٧) ، واعتـــبر الحصار الالماني للجزر البريطانية في الحرب العالمية الاولى من هذا النوع . كما اشتهر خلال الحرب العالمية الثانية اذا استخدمته دول الحلفاء ضد دول المحور لتشديد الرقابة على الشحن البحري (الرقابة على الوثائق والتراخيص التي كانت تزود بها دولة محاربة سفنها لتدل على ان سفينة ما هي تابعة لدولة صديقة او محايدة ولا تحمل اية شحنات محظورة) .

وللحصار البحري شروط قـــانونية تستند الى مبادىء وضعتها المحاكم الانكليزية – الاميركيـــة وتتلخص بما يلي : ١ – أن يعلن الحصار رسمياً بأمر من حكومة محاربة ، وعلى الضابط الذي يتولى امر الحصار ان يعلم السلطات المحلية والقنصليات الاجنبية عن الميناء الذي سيحاصر ، ٢ – ان يكون الحصار قائماً عملياً وفعلياً ، ٣ – ان يكون الحصار مستمراً ومفروضاً على كل السفن عـــلى السواء ، ٤ – اذا ارتكبت سفينة ما مخالفة لاوامر الحصار وجهت اليها السفن المحـــاصرة « انذاراً » بالامتثال للتفتيش ، وفي هذه الحالة يجب ان يدرج « الانذار » في سجل السفينة المخالفة ، ٥ – يجب ان يكون لدى السفينة ما يدل على ان القائمين عليها (اصحابها – او شركة الملاحة التابعة لها) على علم بهذا الحصار . وينتهي الحصار عندما ترفعه الحكومة التي كانت قد أمرت به ، او يرفعه القائد الذي انيطت به تلك العملية . وقد أشار تقرير صدر عن محكمة العدل الدولية في لاهاي (١٩٢٣) الى ما يلي : عندما يقام حصار بحري في منطقة معينة ، فإن اية سفينة تمر بالمنطقة المحاصرة وفي المجال العائد للقوات القائمة بالحصار ، تكون ، بما فيها من معدات مشحونة ، عرضة للمصادرة .

ومن أهم الأمثلة عـــلى الحصار البحري : ١) حصار السفن البريطانيـــة للموانيء الفرنسية والاسبانية من العام ١٨٠٣ الى العام ١٨١٤ ، ٢) حصار بريطانيا وفرنسا وروسيا في العـــام (١٨٢٦) للشواطيء اليونانية والتي كانت تحتلها الجيوش العثمانية لمنع وصول الامدادات الى هذه الجيوش واكراهها على قبول وساطة الدول المذكورة لانهاء الحرب مع اليونان . وقد ادى هذا الحصار الى اشتباك الاسطول العثماني الراسي في ميناء نافارين مع سفن الدول الثلاث التي كانت تقوم بالحصار في معركة حربية أدت الى تدمير هذا الاسطول ، ٣) حصار فرنسا ضد البرتغال (١٨٣١) ، ٤) حصار انكلترا ضد اليونان (١٨٥٠) ، ٥) حصار الفريـــدو وينفلدسكوت ، القائد العام للفدراليين ابان الحرب الاهلية الاميركية (١٨٦١ – ١٨٦٥) للمـــوانيء الجنوبية ، ومنع الجنوبيين من الاتصال بحراً بأوروبا واستيراد الآت الحرب والسلع الاساسية منهـــا ، ٦) حصار انكلترا والمانيا وايطاليا ضد فنزويلا (١٩٠٢) ، ٧) حصار الاسطول الياباني لميناء بورت آرثر في الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ – ١٩٠٥) وتدمير الاسطول الروسي فيه . وقد مني الاسطول الياباني في هذا الحصار بخسائر جسيمة بسبب الالغام البحرية التي زرعها الروس في ذلك الميـنـــاء ، ٨) في ٣ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩١٤ اعتبرت بريطانيا بحر الشمال منطقة عسكرية ، وحذرت سفن الشحن من اجتيازه لما بث فيه من الغام . كما اعلنت المنطقة الواقعة بين اسكتلندا والنرويج « منطقة عمليات حربية » ، ٩) في شباط (فبراير) ١٩١٥ ردت ألمانيا على ذلك بأن اعلنت القنال البريطاني والمياه المحيطة ببريطانيا وايرلندا « منطقة عمليات حربية » وانذرت بتحطيم كل سفينة تجارية تعبر فيها ، ١٠) حصار الاتحـــاد السوفياتي لسواحل فنلنده والجزر المجاورة لها في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٩ .

وكثيراً ما يكون الحصار البحري عنصراً من عناصر الخنق الاستراتيجي (انظر الخنق الاستراتيجي) وبخاصة اذا كانت الدولة الخاضعة للحصار مرتبطة مع العالم الخارجي بطرق بحرية فقط . في ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٥ مثلا نفذ الرئيس المصري جمال عبد الناصر حصاراً بحرياً سلمياً ضد اسرائيل،عندما وضع قانوناً نظم بموجبه دخول السفن الاجنبية الى خليج العقبة بحيث جعل الدخول اليه مشروطاً بالاعلان المسبق (٩٢ ساعة) وبالتصريح بالمرور من قبل السلطات المصرية المكلفة بذلك . وكان هذا الحصار احد اسباب حرب ١٩٥٦ .

وفي ١٦ أيار (مايو) ١٩٦٧ حاول الرئيس المصري جمال عبد الناصر ان يفرض حصاراً بحرياً عسكرياً على اسرائيل،عندما طلب سحب القوات الدولية من سيناء لتحل محلها قوات عسكرية مصرية تسيطر على شرم الشيخ وخليج العقبة ، وكان ذلك سبباً لاندلاع حرب ١٩٦٧ . وفي حرب ١٩٧٣ حاصرت البحرية المصرية إسرائيل من جهة الجنوب عندما أغلقت مضيق باب المندب أمام الملاحـــة الإسرائيلية ، ولم تفتحه إلا بعد انتهاء الحرب .

(١٤) حصار برلين (١٩٤٨ – ١٩٤٩)

هي العملية التي اعلنهـــا رئيس مجلس الرقابة الرباعي للاشراف على برلين في شهر حزيران (يونيو) عام ١٩٤٨ . وكانت رئاسة مجلس الرقابة الرباعي للسوفييت ، فصدر الأمر بتعليق اجتماعات المجلس ، ثم اتبع السوفييت هذا القرار بقرار آخر نتج عنه ما عرف باسم « حصار برلين الغربية » ، حيث شددت القوات السوفييتية رقابتها على الممرات البرية الواصلة بين برلين والقطاعات الغربية ، ودام هذا الحصار حتى الثاني عشر من شهر أيار (مايو) عام ١٩٤٩ ، رغم كل المساعي التي بذلت لتسوية الاوضاع بين حلفاء الحرب العالمية الثانية ، سواء عن طريق الانتقال الى موسكو في محاولة لتسوية الأزمة ، أو عن طريق الشكوى التي تقدم بهـــا الغربيون الى مجلس الأمن في ٢٦ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٤٨ .

خلال الفترة الاخيرة من الحرب العالمية الثانية ، عقد قادة الحلفاء المؤتمر الاول في يالطا (بـــين ٤ و١٣ شباط ١٩٤٥) والمؤتمر الثاني في بوتسدام

(بين ١٧ تموز، و ٢ آب ١٩٤٥) وتقرر انتهاج سياسة موحدة تجاه المانيا لفترة ما بعد الحرب، وأصبح الحلفاء كما ارادوا اسياداً في المانيا التي قسمت الى اربعة قطاعات، سيطر الاتحاد السوفييتي بموجبها على قطاع شرقي مساحته اربعين بالمائة من مساحة المانيا، وقدر عدد سكانه بستة وثلاثين بالمائة من عدد سكان المانيا خلال تلك الفترة. وبلغت ثروة القطاع آنذاك حوالي ثلاثة وثلاثين بالمائة من مجموع ثروة الاقتصاد الألماني بكامله. أما انكلترا وفرنسة والولايات المتحدة الامريكية فقد سيطرت على المناطق الألمانية الشمالية والغربية الصناعية، وعلى المناطق الجنوبية الزراعية، في حين قسمت العاصمة الألمانية (برلين) الى اقسام اربعة ايضاً، تم ادارتها من قبل «اللجنة الرباعية الحليفة للرقابة».

وكان حلفاء الأمس المشتركون في احتلال المانيا ينظرون الى بعض بشك وحذر، اذ كان السوفييت يتخوفون من البلاد الرأسمالية، ويعيشون تحت تأثير تجربتهم المريرة خلال حرب التدخل التي أعقبت الثورة البلشفية. (انظر حرب التدخل)، ويشعرون بأن الدول الغربية راغبة في متابعة فرض الحصار الرأسمالي على الاتحاد السوفييتي، على حين كانت الدول الغربية ترى ان وجود القوات السوفييتية في أوروبا الشرقية، وتزايد نفوذ الأحزاب الشيوعية في بولونيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا ويوغوسلافيا والبانيا ورومانيا، يهددان بتغيير الخارطة السياسية لأوروبا وتغيير موازين القوى العالمية.

ولقد وجد السوفييت أن مصلحتهم تأجيل البت في أمر المانيا ومعاهدة الصلح معها سواء كان ذلك في المؤتمرات التي عقدت أثناء الحرب أو بعد انتهائها مباشرة. ولما شعر الغرب بأن الأمور قد اخذت تخرج عن ارادته، بدأ في الالحاح على الاتحاد السوفييتي وتذكيره بوجوب الانتهاء من الامور المؤقتة لاوضاع ما بعد الحرب، وبخاصة في المانيا. واجتمع الكبار الأربعة في المؤتمر الثاني لمجلس وزراء خارجية الدول المنتصرة في باريس، واستمر الاجتماع من ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٦ حتى ١٢ تموز (يوليو) عام ١٩٤٦. وفي هذا الاجتماع الثاني لمجلس وزراء الخارجية، كان الغرب منقسماً على نفسه، في حين كان الاتحاد السوفييتي يعرف ما يريده بدقة. فتقدمت فرنسا بمشروع يقضي بتقسيم المانيا تقسيماً نهائياً، وتقدم البريطانيون والامريكيون بمشروع يقضي بتوحيد المانيا اقتصادياً، وضم شطريها في اتحاد فيدرالي سياسي، شريطة ان تبقى منزوعة السلاح لمدة عشرين سنة، ورفض الانكلو- اميركيون المشروع الفرنسي، وعارض مولوتوف المشروع الانكلو- اميركي وطالب بأن تكون الرقابة رباعية على احواض المانيا الغربية، وعلى زيادة انتاج الفولاذ فيها، كما طالب بتشكيل حكومة المانية مؤقتة ذات صلاحيات هامة، فتخوف الغربيون الثلاثة من المشروع السوفييتي لانه يهدف الى توسيع نفوذ الاتحاد السوفييتي ليشمل المانيا كلها. وافترق الأربعة المؤتمرون على غير وفاق. وحاول الغربيون تقريب وجهات نظرهم قدر المستطاع لتشكيل جبهة موحدة في مجابهة ما اعتبروه اطماعاً سوفييتية في المانيا، وكان لا بد لهم من اجل التفاهم مع فرنسا، من اقناعها بعدم جدوى اقتراحاتها بشأن المانيا او اقرارها والسير وفق مخططها الذي كان يتضمن فصل رينانيا نهائياً عن المانيا وتدويل حوض الرور وفصل منطقة السار نهائياً عن المانيا. وكانت منطقة السار شغل فرنسا الشاغل. وعرف الانكلو- اميركيون ذلك، فقرروا السير معها والعمل بسرعة لاعادة توحيد المانيا. وفي اليوم الأول من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٦، تم توحيد القطاعين الانكليزي والاميركي. واستقبل ستالين هذا الاجراء بالاحتجاج، فاعلن في ٢٣ من الشهر ذاته «ان وجهة نظر الاتحاد السوفييتي مبنية على احلال الديمقراطية في المانيا التي يجب ان تبقى منزوعة السلاح». وفي هذا الجو من المواقف المتناقضة، اجتمع مجلس وزراء خارجية الكبار للمرة الثالثة في نيويورك (٤ تشرين الثاني ١٩٤٦)، فكان اجتماعاً سلبياً انتهى دون الوصول الى اتخاذ اي قرار، فما كان من فرنسا الا ان اقتطعت منطقة السار من المانيا، وضربت من حولها الحواجز الجمركية. ونتج عن ذلك تصعيد حدة التوتر بين الاتحاد السوفييتي من جهة والدول الغربية الثلاث من جهة ثانية. وتبع ذلك انتقال المسؤولين في الغرب الى موسكو لعقد اجتماع رابع مع وزير خارجية الاتحاد السوفييتي ضمن نطاق اجتماعات مجلس وزراء خارجية الأربعة الكبار في محاولة منهم لرد الاتهامات المتبادلة، واحتجاجاً على صيغة الأمر الواقع. وتم عقد المجلس الرباعي في ١٠ آذار (مارس) ١٩٤٧، واستمرت الاجتماعات حتى يوم ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٧، تم خلالها عقد أربع وأربعين جلسة انتهت الى فشل ذريع، واختلاف تام في وجهات النظر المتعلقة بالقضية الألمانية. وتقدم الاميركيون في المؤتمر باقتراح طرحه مندوبهم (مارشال) لتشكيل تحالف رباعي ضد المانيا المستقلة والموحدة، اذا اصبحت خطرة في المستقبل.

وتقدم الاتحاد السوفييتي بمشروع مقابل لتشكيل حكومة شديدة المركزية، تستند الى دستور يضعه مجلس نواب يمثل الهيئات المناهضة للفاشية، اكثريته من الشيوعيين. كما اعلن الاتحاد السوفييتي رفضه للمشروع الاميركي، وأصبح من الواضح أن الانكلو- اميركيين يرغبون في إقامة حكومة اتحادية، وفق دستور ديمقراطي بالمفهوم الغربي، في حين كان السوفييت يرغبون في اقامة حكومة ديمقراطية ايضاً ولكن بالمفهوم الشيوعي.

وتبادل الطرفان خلال جلسات المؤتمر مختلف انواع الاتهامات. وأخذ الغربيون على السوفييت ممارستهم لهيئة الاشراف الرباعية بمراقبة المعامل في قطاعهم ومنعها من ممارسة عملها. وأخذ السوفييت على الغربيين عدم تخريبهم للمصانع في قطاعاتهم كما هو متفق عليه. وهكذا فشل اجتماع مجلس وزراء خارجية الحلفاء في موسكو بسبب تبادل الاتهامات اثناء الاجتماعات، وبسبب حوادث اخرى جرت قبل ذلك، وافترق الغرب والشرق على غير اتفاق، وتلاشت سياسة الوفاق. وانطلق كل طرف في محاولة لتعزيز مواقعه.

وكان الاتحاد السوفييتي اكثر تصميماً لمتابعة اجراءاته، فتابع تصعيد الحرب الباردة عن طريق الاستمرار في عقد المعاهدات مع دول أوروبا الشرقية. واعلنت موسكو بأن جميع بنود الاتفاقيات المبرمة سابقاً مع الحلفاء، والتي كانت تقضي بتحديد القوات المسلحة للدول التي كانت حليفة لقوى المحور في الحرب العالمية الثانية، قد أصبحت ملغاة، وكان المقصود بالدول الحليفة هنا تلك الدول التي احتلها الاتحاد السوفييتي في أوروبا الوسطى. وهكذا حقق الاتحاد السوفييتي هدفه الثاني لاستراتيجيته بابعاد الخطر عن حدوده الأصلية، وتكوين قوة دفاعية من هذه الدول في مواجهة المعسكر الغربي. وقد وصف تشرشل الخطوات التي قام بها الاتحاد السوفييتي للسيطرة على أوروبا الوسطى، وعدم اشراك الحلفاء بادارة الأقسام التي احتلها او ابعادهم عن الادارة المشتركة تدريجياً «ان الاتحاد السوفييتي يقوم بعمله هذا وكأنه يبني من حوله ستاراً حديدياً» وظهر منذ ذلك اليوم تعبير «الستار الحديدي».

واستقبل الغرب الاجراءات السوفييتية بموجة من النقمة، وخاب أمل أميركا التي رأت انها انفقت على الحرب العالمية الثانية مبلغ ٣٤١ مليار دولار من اجل تسليم أوروبا الشرقية هدية الى الاتحاد السوفييتي. وقام الرئيس الاميركي (ترومان) في صبيحة يوم ١٢ آذار (مارس) ١٩٤٧ بتصوير

الوضع الدولي امام الكنغرس بلهجة حزينة ، وطالب الكنغرس بمساعدة اليونان وتركيا وغيرهما اقتصادياً . وكان الهدف المباشر للعون الاميركي احاطة الاتحاد السوفييتي بدول تشكل ستاراً مقابلا لستار دول اوروبا الشرقية . وظهر بسرعـة (مشروع ترومان للعون الاميركي) ، وصوت الكنغرس الاميركي في نيسان (ابريل) ١٩٤٧ على تخصيص مبلغ ٤٠٠ مليون دولار لمساعدة اليونان وتركيا . ثم تزايد توتر الجو الدولي بسبب اخراج الوزراء الشيوعيين من الحكومة الفرنسية في الرابع من أيار (مايو) ١٩٤٧ ، ثم جاءت محاضرة مارشال وزير الدولة الأمريكي في جامعة هارفارد في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٤٧ وفيها « بالنظر الى خطورة الاحـداث الدولية ، وبغية تمكين أوروبا من النهوض بعد دمار الحرب ، فقد يتوجب على الولايات المتحدة الأميركية تقديم عون مجاني وهـام الى الدول الاوروبية » . وهكذا ظهر مشروع مارشال المعروف للوجـود (انظر مارشال مشروع)،واصبحت هناك خطة جاهزة للعمل بعد اجتماع باريس في ١٣ تموز (يوليو) ١٩٤٧ ، والذي ضم مندوبين عن فرنسا والنمسا والدانمارك وبريطانيا وايسلنده وايطاليا ولكسمبورغ والنروج والبرتغال والسويد وسويسرة وتركيا . وكان هدف اجتماع باريس دراسة مقترحات مارشال وارسال التقرير النهائي الى الحكومة الاميركية .

كان موقف الاتحـاد السوفييتي من تطورات الاحداث واضحاً وحازماً ، فقد أعلن مولوتوف في المؤتمر الثلاثي (فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفييتي) والذي عقد في باريس من ٢٧ حزيران (يونيو) حتى ٢ تموز (يوليو) ١٩٤٧ . بان العون الاميركي لأوروبا سينقص من استقلال الدول الأوروبية التي تقبله ، واقترح ان يكون العون مقتصراً على البلاد الأوروبية التي كانت ضحية العدوان النازي (دول أوروبا الوسطى وفرنسا)، وأن لا يشترط هذا العون تنسيقاً تخطيطياً بين الدول التي ستقبله . ولم تقبل فرنسا وبريطانيا مقترحات مولوتوف ، وفشل المؤتمر الثلاثي . فأعلن الاتحاد السوفييتي تكوين (الكومونفورم) في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٤٧ . بحيث يضم هذا التنظيم الاحزاب الشيوعية في تسع دول منها فرنسا وايطاليا . وصرح جدانوف ، المبعوث السوفييتي لاجتماع الكومونفورم الأول، بأن العالم اجمع اصبح منقسماً الى كتلتين : الكتلة الامبريالية الرأسمالية ، والكتلة المناهضة للرأسمالية الامبريالية . وهكذا سمع العالم رسمياً ولأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية كلمة انقسام العالم الى كتلتين ، واصطلح دولياً على تسمية عام ١٩٤٧ بعام الانقسام الدولي . وانتهى ذلك العام بفشل «مؤتمر الحظ الأخير» لوزراء خارجية الدول الكبرى الأربع ، الذي عقد في لندن منذ ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، واستمر حتى بداية كانون الأول (ديسمبر) ، وكان الخلاف في جلسات المؤتمر كاملا بين مختلف وجهات النظر للمؤتمرين حيال القضايا الثلاث التي جاؤوا لبحثها وهي : السار والمانيا والنمسا . وعاد كل طرف لممارسة دوره في دعم موقفه وسط مناخ من تبادل الاتهامات وتصعيد الحرب الباردة وعقد الاتفاقيات والمعاهدات (وبصورة خاصة بين دول أوروبا الشرقية) . وفي هذا الجو المتوتر ، استمرت محاولات الغربيين لتوحيد وجهات نظرهم من قضية المانيا بشكل عام وقضية برلين بصورة خاصة ، وذلك من خلال الاجتماعات الثلاثية في لندن بين ٢ نيسان (ابريل) والأول من حزيران (يونيو) عام ١٩٤٨ . وكانت قد سبقت هـذه المرحلة ، عملية تمهيد خلال الفترة بين ٢٣ شباط (فبراير) و ٦ آذار (مارس) . وقد تركزت المحاولات على اقناع فرنسا بترك اهدافها (الكونفيدرالية) ، وتبني الرأي الانكلو – أميركي (باقامة دولة فيدرالية المانية) وانتهى الأمر بقبول فرنسا لوجهة النظر الانكلو – اميركية ، ووافقت على دمج قطاعها مع القطاع الانكلو – اميركي الموحد ، لقاء ما كانت تطالب به فرنسا بشأن نزع السلاح الألماني . وبدأ الغرب على الصعيدين السياسي والاقتصادي بالسير وفق خطوات موحدة ضمن قطاع موحد ، فأصبح القسم الغربي من ألمانيا شبه وحدة سياسية – اقتصادية كاملة على صعيد الواقع العملي ، ولا ينقصه ليصبح دولة سوى الاعلان عن ذلك وتأليف حكومة تقوم بالمهام التي كان الحلفاء يقومون بها ، وفي مثل هذا الجـو المتوتر ، كان لا بد من ان تتوقف جميع الأجهزة الرباعية المكلفة بادارة المانيا المحتلة . وقد تم هذا التوقف فعلا في ٢٠ آذار (مارس) عام ١٩٤٨ ، حين توقف مجلس الرقابة الرباعي عن عقد جلساته بعد أن صرح المارشال سوكولوفسكي (مندوب الاتحاد السوفييتي) معلناً عدم جدوى الاجتماعات ورفع الجلسة . وكان ذلك باكورة انقسام المانيا المحتلة الى قسمين . وقد ساعد الغربيون الثلاثة مثل هذا الاجراء عندما أقروا في اجتماعهم (١ حزيران عام ١٩٤٨) في لندن ، بالنسبة لقطاعهم الموحد ما يلي : ١ – دعوة مجلس تأسيسي في اليوم الأول من ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ ، ٢ – تأليف مجلس برلماني قوامه ٥٥ عضواً مهمتهم تنفيذ مقررات الحكومة العسكرية الحليفة في المانيا الغربية ، ٣ – تأليف السلطة الدولية لحوض الرور (تدويـل الرور) ويشترك في هذه السلطة ممثلون عن الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسا ومجموعـة البينيلوكس (بلجيكا وهولاندا واللوكسمبرغ) ، والمانيا ، ٤ – سيصار الى خلق لجنة أمن عسكرية مهمتها السهر على نزع السلاح في المانيا . وجاء صباح اليوم التاسع عشر من شهر حزيران (يونيو) ليحمل معه أول تطبيق لمقررات لندن ، وهو انشاء مصرف موحد للدولة من أجل القطاعات الغربية الثلاثة ، وضرب المارك الألماني (الدوتش مارك) كعملة تداول في المانيا الغربية بما في ذلك القسم الغربي من برلين ..

وحيال تلك الاجراءات العملية التي اتخذهـا الغربيون في قطاعهم الموحد ، بدأ الاتحاد السوفييتي بوضع سلسلة من الاجراءات جاءت كرد فعل على اعمال الغرب واجراءاته . ففي يوم ٢٢ حزيران (يونيو) اعلن المارشال السوفييتي سوكولوفسكي عن عزم الاتحاد السوفييتي على اجراء تعديل في النقد المتداول لقطاع ألمانيا الشرقي . أما بالنسبة الى برلين ، فقد كانت ادارتها رباعية كما هو معروف ، وباشراف مجلس رقابة رباعي تكون الرئاسة فيه دورية . وكانت برلين (التي تقع في القطاع السوفييتي) تتصل بالقطاعات الغربية بواسطة ممرات برية لم تحدد فيها انظمة خاصة بالمرور الذي كان حراً ينظمه العرف والاتفـاق الشفهي . ولم يكن الاتحاد السوفييتي مرتبطاً ببنود اتفاقية تفرض ديمومة تلك الحرية ، ولم يخطر على بال الحلفاء وجوب تحديد عملية المرور من القطاعات الغربية الى القطاع الشرقي ، وعندما اتخذت القيادة السوفييتية قرار (حصار برلين الغربية) في يوم ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، وقف الغربيون أمام الأمر الواقع ، ولم يحاولوا فك الحصار عن طريق البر ، حتى لا تقع أزمات أخرى اكثر خطورة ، ولجأوا في ٢٨ حزيران (يونيو) الى طريقة الجسر الجوي لتموين أهالي برلين الغربية البالغ عددهم ٢٠٠٠٠٠٠ نسمة ، وتم تخصيص ٣٠٠ طائرة نقل تقل يومياً من مطارات هجبرم وهانوفر وفرانكفورت لتذهب الى برلين الغربية وهي محملة بالمواد الغذائية والتموينية وتفرغها ثم تعود وهكذا بدون انقطاع . (انظر الجسر الجوي) . وقد استطاع هذا التدبير اقناع السوفييت بعدم جدوى حصارهم ، فأدى ذلك الى محاولة ثنائية في ٢١ آذار (مارس) ١٩٤٩ ، حين صرح مندوب الاتحاد السوفييتي في هيئة الأمم المتحدة لزميله الأمريكي بانه اذا ما تم تحديد موعد لاجتماع وزراء خارجية الدول الحليفة الاربعة ، فان الاتحاد السوفييتي سيرفع الحصار عن

برلين قبل موعد الاجتماع . وهذا ما تم بالفعل، حيث تم رفع الحصار يوم ١٢ أيار (مايو) عام ١٩٤٩، بعد أن أعلن عن موعد اجتماع وزراء الخارجية في يوم ٢٣ من الشهر ذاته ، ولكن الجسر الجوي استمر بعد ذلك حتى ١٦ و ١٧ حزيران (يونيو) ١٩٤٩ .

كان من أول نتائج حصار برلين ، دفع الدول الغربية لعقد حلف عسكري مع البلاد الأوروبية (حلف شمالي الاطلسي) ، واتخاذ اجراءات اخرى على الصعيد الداخلي لألمانيا . ومضى الغربيون في طريقهم خلال حصار برلين بتطوير اجراءاتهم بخطوات متسارعة في طريق التكوين الفعلي للدولة الألمانية الغربية ، فجاءت العقود المبرمة في واشنطن من قبل الغربيين في ٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٩ والتي تنص على : ١ – الاستقلال الذاتي لالمانيا الغربية ، مع بقاء الاحتلال الحليف كما هو دون تغيير ، ٢ – المحافظة على بعض الأوضاع الخاصة (كنزع السلاح) وعدم تمكين المانيا من انشاء جيش وطني ، ٣ – يحتفظ الحلفاء بحق النقض تجاه المقررات الألمانية جميعها ، ٤ – تكوين لجنة حليفة عليا من ممثلين عن الحلفاء الغربيين الثلاثة ، ٥ – يكفل الحلفاء تشجيع الشعب الألماني للتجمع تحت قيادة حكومة فيدرالية ديمقراطية ضمن المجموعة الأوروبية . ثم جاء اعلان (قانون بون الأساسي) في يوم ٨ أيار (مايو) عام ١٩٤٩ الذي نص على تكوين (جمهورية المانيا الاتحادية) من أحد عشر اقليماً (لاندر) لكل اقليم دستور خاص به .

وفي يوم ٢٣ أيار (مايو) ١٩٤٩ ، استأنف وزراء خارجية الدول الأربع الكبرى اجتماعاتهم التي استمرت في باريس حتى يوم ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٤٩ ، وكانت اجتماعات وزراء الخارجية منبراً دعائياً ، ولم تسفر عن نتائج ايجابية هامة ، وانتهى المؤتمر الى فشل ذريع ، فقد رفض الاتحاد السوفييتي الشروط التي وضعها الغربيون لتوحيد شطري ألمانيا ، كما رفض الغربيون مقترحات الاتحاد السوفييتي بالعودة الى نظام الادارة الرباعي . وكان كل ما امكن الوصول اليه من اتفاق يتلخص بالتوقيع على اتفاقية لنظام التعايش ، والذي يسمح باستئناف التبادل التجاري بين القطاعات الغربية والقطاع الشرقي ، كما يسمح باستئناف عمليات التنقل والمرور بشكل حر بين برلين والقطاعات الغربية . وبقيت برلين مقسمة الى شطرين غربي وشرقي . وفي الرابع عشر من آب (اغسطس) ١٩٤٩ ، جرت الانتخابات في المانيا الغربية ، وتم انتخاب البروفسور تيودور هيس الليبرالي رئيساً للجمهورية في الثاني عشر من ايلول (سبتمبر) عام ١٩٤٩ ، كما انتخب الدكتور كونراد ادناور مستشاراً لألمانيا بعد ثلاثة أيام من انتخاب رئيس الجمهورية ، وبذلك تمت الحلقة الأولى لانقسام المانيا . ولم يطل أمد ظهور الحلقة الثانية ، ففي السابع من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٩ اعلن في الجزء الشرقي من المانيا (القطاع السوفييتي) عن قيام جمهورية شعبية ألمانية برئاسة أوتو كروتويل . وحلت في العاشر من تشرين الأول جميع الأجهزة السوفييتية لتحل محلها حكومة «جمهورية المانيا الديمقراطية» . وفي ٢٢/١١/١٩٤٩ دخلت المانيا الاتحادية عضواً في السلطة الدولية لحوض الرور ، وأوقفت عملية تفكيك المصانع ودفع تعويضات الحرب ، وأعلن الحلفاء إنهاء حالة الحرب مع المانيا . وهكذا كان حصار برلين عاملا مسرعاً لتقسيم المانيا إلى دولتين : شرقية وغربية .

(١) الحصان الشائك

(انظر الموانع الهندسية) .

(٥) الحصن (قلعة)

(أنظر الملحق في نهاية الموسوعة) .

(١) الحضيرة (الجماعة)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة) .

(٣) حطين (معركة) ١١٨٧

قرية في فلسطين تقع قريباً من الساحل الغربي لبحيرة طبرية ، جرت فيها الوقعة الحاسمة المسماة باسمها بين صلاح الدين الايوبي والصليبيين في ٤ تموز (يوليو) سنة ١١٨٧ ، الموافق ليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الثاني (٥٨٣ هـ) . وقد مهد انتصار صلاح الدين فيها على خصومه الصليبيين الطريق أمامه لفتح فلسطين كلها ، من طبرية الى عكا فالناصرة فقيسارية فحيفا ، ثم تحرير بيت المقدس من حكمهم ، وبالتالي انهيار دولتهم في المشرق العربي .

كان صلاح الدين الايوبي قد وحد ، قبل ان يواجه الصليبيين ، مصر والشام والعراق والجزيرة . وبعد ان تم له جمع كلمة العرب تحت لوائه قرر التصدي للصليبيين ، فوضع خطة لاستدراجهم الى المكان الذي يحدده لقتالهم وفي الوقت الذي يناسبه ، وفي اواخر حزيران (يونيو) ١١٨٧ حشد جيشاً مؤلفاً من ثلاثة عشر ألف مقاتل راجل واثني عشر ألف فارس ، وعسكر بهذا الجيش في سهل الاقحوانة في الطرف الجنوبي لبحيرة طبرية ، ثم ارسل قوة هاجمت طبرية فاحتلتها وحاصرت قلعتها حيث اعتصمت فيها حاميتها مع الكونتسة «أشيفا» زوجة الكونت «ريموند» امير طرابلس والجليل ، فأثار ذلك ملوك الصليبيين وامراءهم ، وعلى رأسهم «غي دي لوسينيان» ملك بيت المقدس والبرنس رينو دي شاتيون Renauld de Chatillon (او البرنس ارناط كما يسميه العرب) امير الكرك ، والكونت ريمون ، وزعماء الفرسان الداويه (فرسان الهيكل) والاستباريه (فرسان المستشفى او فرسان القديس حنا) ومعهم صليب الصلبوت اوالصليب الاعظم ، فقرروا جميعاً التصدي لصلاح الدين ، وكان ذلك ما يريده هو ، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم ، هل يذهبون اليه عند طبرية ام يتركونه يتقدم اليهم عند صفورية ، وقر رأيهم اخيراً بالتقدم اليه ، وكان ذلك ايضاً ما يريده صلاح الدين ، فهو يريد ان يجتذبهم اليه بعيداً عن معاقلهم وحصونهم ، وان ينازلهم في ارض مكشوفة بعيدة عن وسائل الامان والراحة .

وتحرك جيش الصليبيين وعلى رأسه ملك بيت المقدس ، وفيه أمراء الصليبيين جميعهم ، وقوامه نحو خمسين ألف مقاتل ، فتولى ريمون المقدمة ، بينما تولى ارناط المؤخرة ، وبقي الملك غي في قلب الجيش . وما ان تحرك هذا الجيش نحو طبرية حتى تحرك صلاح الدين بدوره واتخذ موقعاً له قرب حطين ، وكان قد تولى هو قيادة قلب الجيش ، بينما تولى ابن اخيه تقي الدين قيادة الميمنة ، وتولى مظفر الدين كوكبري قيادة الميسرة .

ترك الصليبيون مراكزهم في صفورية في ٣ تموز (يوليو) ، وكان يوماً حاراً جداً ، وساروا في ارض جرداء وعرة لا كلأ فيها ولا ماء ، وما ان ساروا شوطاً حتى اخذ الرجال والخيل يعانون من الحر والتعب والعطش ، على حين كانت دوريات صلاح الدين تهاجمهم في المقدمة والقلب والمؤخرة ، وتقوم بحرب ازعاج ضدهم ، ثم تنسحب بسرعة دون ان تترك مجالا للالتحام ، وفي هذا الوقت كان عسكر صلاح الدين قد وصل الى سفوح هضاب

حطين فعسكر عندها ينتظر وصول الجيش الصليبي . ووصل الصليبيون الى تلك الهضاب فرأوا جيش المسلمين قد عسكر في السفوح ، وبدلا من ان يهاجموه توقفوا على الهضبة وتدارسوا الأمر ، ثم قرروا إبقاء امر الهجوم الى صباح اليوم التالي .

وفي صباح ٤ تموز (يوليو) ، كان صلاح الدين قد طوق بجيشه الهضبة التي تمركز الصليبيون عليها ، ومنع عنهم الماء التي كانت تبعد قليلا عن الهضبة فبقي عسكر الصليبيين بلا ماء ، كما احرق المسلمون الاراضي المكسوة بالاشواك ، وكانت الريح مواتية فحملت الى الصليبيين حر النار والدخان فاجتمع عليهم ، كما يقول ابن الاثير « العطش وحر الزمان وحر النار والدخان وحر القتال » . ودارت رحى معركة ضارية بين الجيشين ، وكان صلاح الدين هو البادىء بالهجوم ، وكان جيش الفرنجة يقاتل ببسالة لا نظير لها متحملا عطشه ونار خصمه ، ولكن هجمات المسلمين ظلت تتكرر دون ان تترك للعدو مجالا لالتقاط انفاسه ، فانهزم مشاته ، اما فرسانه فقد لاذ قسم منهم بالفرار مخترقاً صفوف المسلمين بقيادة « ريمون » وارتد قسم آخر نحو تل حطين حيث نصبت خيمة الملك « غي » والتف حولها نحو مائة وخمسين فارساً يدفعون المسلمين عنها ، وادرك صلاح الدين ان هزيمة الصليبيين تم ساعة تدك خيمة مليكهم ، فارسل الى تلك الخيمة وحاميتها موجة من الجند المهاجم اثر موجة ، حتى رآها تدك ، ويقع الملك « غي » وسائر الامراء والفرسان الصليبيين وفي مقدمتهم « رينو دي شاتيون » ومقدم الاستبارية وعدد كبير من رجالاتهم وقادتهم اسرى في ايدي جنده ، وقاد صلاح الدين الملك والامراء من اسراه فاكرم ضيافتهم وسقى مليكهم الماء المثلج ، لكنه قطع رأس ارناط (رينو دي شاتيون) بسيفه تنفيذاً لوعد قطعه على نفسه اذا وقع هذا الامير في قبضته وذلك لخيانته الميثاق الذي كان قد سبق وارتبط به معه ، ولجرائمه السابقة في قتل الأسرى .

ويختلف المؤرخون في قدر عدد قتلى الصليبيين واسراهم في هذه الوقعة ، فذكر بعضهم « ان عدد قتلاهم كان اثنين وعشرين الفاً . وذكر آخرون انه كان خمسين الفاً » ، كما ذُكر ان المسلمين قتلوا ثلاثين الفاً واسروا مثلها . ولكن ادق وصف يمكن اعتماده في هذا المجال هو قول ابن الاثير : « وكثر القتل والأسر فيهم فكان من يرى القتلى لا يظن انهم اسروا واحداً ومن يرى الاسرى لا يظن انهم قتلوا واحداً » .

(٩) الحظر

تأتي كلمة « الحظر » Embargo من الكلمة الاسبانية (Embargar) التي تعني التوقيف او وضع القيود . والحظر في الاساس هو حجز البواخر التجارية او غيرها في موانىء دولة ما لمنعها من التوجه الى دولة اخرى . ولقد اتسع مفهوم الحظر حتى غدا يشمل منع الشحن البري والجوي . وصار لهذا الحظر شكلان : الحظر المدني والحظر العدائي . ويتمثل الاول في الحجز الذي تفرضه دولة ما على سفنها في موانئها بغية حمايتهـا من الاعتداءات الخارجية ، أو لمنعها من نقل البضائع التابعـة لدولة ما ، او منع شحن بضائع من نوع معين لدولة ما .

وباختلاف غرض الحظر ، فان من الممكن ان يأخذ شكل **حظر ارغامي** ، او شكل **حظر وقائي** . وينفذ الحظر الارغامي ضد دولة ما بغية اجبارها على القيام بالواجبات التي تفرضها قواعد القانون الدولي وموجبات السلم والامن العالميين ، أما الحظر الوقائي فيستهدف منع تصدير السلاح والمواد الحربية الأخرى لدول أو اطراف متصارعة بغية الضغط عليها بشكل جماعي لوقف القتال ، أو للتأكيد على موقف الحياد .

ويعتبر القانون الدولي الحظر عملا مشروعاً تقوم به الدول منفردة كعمل من أعمال السيادة ، كما تقوم به المنظمات الدولية والاقليمية ضد الدولة التي تخرج بتصرفاتها على قوانين الأسرة الدولية ، وقواعد الأمن والسلم الدوليين .

ومن أمثلة الحظر الذي تقوم به دول منفردة :

— الحظر الذي فرضته الولايات المتحدة ضد فرنسا وبريطانيا في العام ١٨٠٧ (حظر وقائي) .

— الحظر الذي فرضته بلجيكا وسويسرة على شحنات الاسلحة المرسلة إلى فرنسا وألمانيا خلال حرب ١٨٧٠ (حظر وقائي) .

— الحظر الذي فرضته الولايات المتحدة بالنسبة إلى اسبانيا في العام ١٩٣٧ لاثبات حيادها في الحرب الاهلية الاسبانية (حظر وقائي) .

— الحظر الذي فرضه الرئيس فرانكلين روزفلت على اليابان بموجب قانون مراقبة التصدير للعـام ١٩٤٠ ، وذلك قبل أن تدخل اليابان الحرب ضد اميركا (حظر وقائي) .

— الحظر السوفياتي على تصدير البترول الى اسرائيل في العام ١٩٥٦ عقب حرب ١٩٥٦ (حظر ارغامي) .

— الحظر الفرنسي على تصدير الاسلحة الى الشرق الأوسط عـلى أثر حرب ١٩٦٧ (حظر وقائي — ارغامي) .

— الحظر الفرنسي عـلى تصدير كل انواع الاسلحة وقطع الغيار الى اسرائيل في ١٩٦٩/١/٣ على أثر اغارة الكوماندوس الاسرائيلي عـلى مطار بيروت الدولي (حظر ارغامي) .

ومن امثلة الحظر الجماعي الذي تقوم به منظمات دولية :

— الحظر الذي فرضته عصبة الأمم في العام ١٩٣٤ على تصدير الاسلحة والعتاد الحربي إلى بوليفيا وباراغواي خلال النزاع على منطقة شاكو (حظر وقائي) .

— الحظر الذي فرضته عصبة الأمم ضد باراغواي وحدها مع رفع الحظر عن بوليفيا نظراً لأن الأولى رفضت التصرف وفق مبادئ عصبة الأمم وتابعت القتال ضد بوليفيا . (حظر ارغامي) .

— حاولت عصبة الأمم أن تفرض حظراً ارغامياً على ايطاليا خلال اعتدائها على الحبشة (١٩٣٥ — ١٩٣٦) ، ولكنها فشلت في ذلك .

— الحظر الذي فرضته الجمعية العامة للأمم المتحدة — بناء على طلب اميركا — على شحن السلاح والمواد الاستراتيجية الى المناطق التي يسيطر عليها الشيوعيون في الصين الشعبية وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ، في العام ١٩٥١ خلال حرب التحرير الوطنية الكورية . (حظر ارغامي) . ولقد اعلنت ٣٥ دولة عن استعدادها لتطبيق قرار الحظر ، وألفت ١٤ دولة من الدول المعنية الرئيسية لجنة دولية للاشراف على تطبيق القرار . ولقد كان هذا الحظر مكملا للعمل العسكري الذي قامت به الأمم المتحدة في كوريا ، ولكنه استمر بعد توقف العمل العسكري وتوقيع هدنة بانمونجوم (١٩٥٣) .

— الحظر الذي فرضته الأمم المتحدة عـلى روديسيا وجنوبي أفريقيـا بسبب سياسة التميز العنصري التي تمارسانها ، وعدم تنفيذ مقررات مجلس الأمن والجمعية العامة (حظر ارغامي) .

— الحظر النفطي الذي فرضته الدول العربية المنتجة للبترول باشكال متباينة خلال حرب ١٩٧٣ (حظر ارغامي) .

— الحظر الذي فرضته الامم المتحدة عـلى البرتغال لاستمرار استعمارها لشعب انغولا قبل سقوط الحكم الديكتاتوري في العام ١٩٧٤ . (حظر ارغامي) .

ومهما كانت طبيعة الحظر (فردياً أم جماعياً ، ارغامياً أم وقائياً) فانه يعتبر نوعاً من التدخل إذا

فرض على طرف واحد من الطرفين المتنازعين . كما يمكن أن يأخذ في بعض الحالات شكل التدخل ، حتى لو فرض على الطرفين المتنازعين (كحظر السلاح مثلا عن دولتين تملك احداهما صناعة حربية ولا تملك الأخرى مثل هذه الصناعة ، أو حظر السلاح عن دولتين بعد أن تحقق احداهما تفوقاً معيناً وتحتل جزءاً من أراضي الدولة الأخرى) .

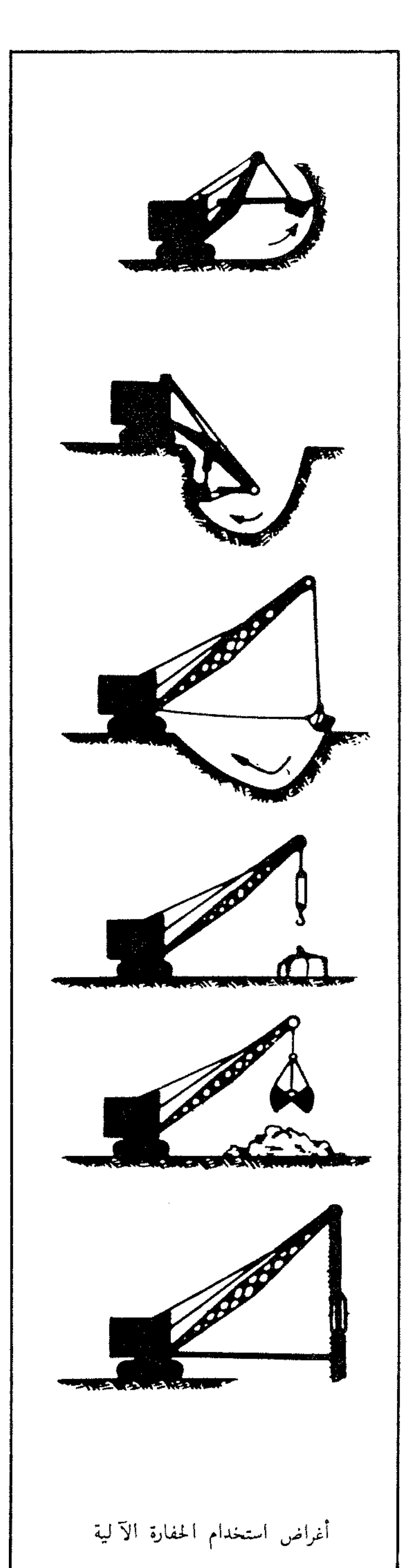
وبالاضافة إلى كل هذه الانواع من الحظر ، فان هناك نوعاً من الحظر يشمل بواخر دولة يحتمل أن تنضم الى العدو . ولقد استعمل هذا الحظر في الحرب العالمية الثانية . ولكن مؤتمر لاهاي الثاني شجبه واعتبره حظراً تعسفياً . ويمكن للدول المتحاربة فرض الحظر بمختلف أشكاله على البواخر المحايدة .

يمكن للدول المحايدة فرض الحظر على بواخر الدول المتحاربة . في الحرب العالمية الأولى فرضت فرنسا وبريطانيا وعدد من الدول المحايدة حظراً شاملا استعداداً لممارسة حق المصادرة الطارئة the right of angary . وفي العام ١٩١٨ حجزت التشيلي والأرجنتين المحايدتان بواخر المانية ، وفي العام ١٩٤٠ فرضت النرويج حظراً على شحن البترول الى ايطاليا . وفي العام ١٩٤١ ، وقبل ان تدخل الولايات المتحدة الحرب رسمياً ، وضعت الحكومة الاميركية يدها على البواخر الالمانية والايطالية والدنماركية والفرنسية التي كانت في مياهها الاقليمية ، كما جمدت أرصدة ممتلكات دول المحور .

(٦) الحفارة الآلية متعددة الاغراض

الحفارة متعددة الاغراض « Power Shovel » عبارة عن مجراف آلي يستخدم اساساً في اعمال الحفر ، وجرف التراب والانقاض من مكان الى آخر او تحميلها للشاحنات ، سواء تم ذلك في الاستخدام العسكري او المدني . وتتألف هذه الآلية من: منصة دوارة ، ووحدة توليد للقوة ، وميكانيكيات للقيادة والسيطرة ، ووزن معاكس ، ووصلة أمامية او رافعة تحمل ذراعاً ممتدة الى الامام ينتهي طرفها بمجراف معدني . وجميع هذه الاقسام مركبة على قاعدة تتحرك على عجلات او سلاسل معدنية (جنازير) .

ظهرت اول نماذج الحفارة الآلية في القرن الـ ١٩ ، وكانت تتحرك بطاقة البخار على قضبان السكك الحديدية ، وتقوم باعمال الحفر وتحميل الشاحنات . اما اليوم فقد تطورت الحفارات وتعددت أوجه استخدامها تبعاً لنوع وغرض الوصلات الامامية التي توصل بها ، كما تعددت وسائل نقل الحركة الميكانيكية



أغراض استخدام الحفارة الآلية

فيها : فهناك الحفارة الآلية ذات الكابل التي تنتقل فيها الحركة الى القاعدة والوصلة الامامية بواسطة قوابض (كلتشات Cluthes) ، وتروس ، ومحاور ادارة Shafts ، ورافعة ، واسطوانيات Drums ، وكابل (حبل معدني) . وهناك الحفارة الكهربائية ذات الكابل التي تنتقل الحركة فيها بواسطة عدة محركات كهربائية تستمد طاقتها من خط كهربائي ، وفي احيان نادرة من مولد كهربائي مركب على المنصة ، وتحل محل المحرك ومعظم القوابض والتروس ومحاور الادارة في الحفارة الآلية . وهناك الحفارة الهيدروليكية التي تنتقل الحركة فيها بواسطة مضخات يديرها محرك ، وتؤمن الضغط اللازم لمختلف المكابس والمحركات . وقد تقوم الحفارة الآلية باداء بعض وظائفها بالطاقة الكهربائية او بواسطة مضخات هيدروليكية .

وهناك خمسة انواع رئيسية من الوصلات الامامية التي يمكن تركيبها في الحفارات الآلية الصغيرة والمتوسطة الحجم التي تستخدم الكابلات (الحبال المعدنية) : اقدمها واكثرها اهمية هو قادوس (سطل) الغرف Dipper ، ويتألف من عارضة ثقيلة وقصيرة نسبياً ، وعصا للغرف (هي عبارة عن ذراع مرتكزة الى العارضة بواسطة محور) تتصل بقادوس (سطل) له قعر مفصلي يمكن فتحه بواسطة قائد الحفارة . وبتحريك القادوس الى الامام والاعلى يمكن ملؤه بالتراب والانقاض ، وهو يستخدم في اعمال الحفر الصعبة في الاراضي الصلبة وفي تحميل الشاحنات بالاتربة والانقاض . وهناك وصلة المعول Hoe or backhoe التي تستخدم بدلا من وصلة القادوس عند اجراء الحفر تحت مستوى الاشغال ، وهو يقوم بالجرف باتجاه منصة الحفارة نفسها بعكس وصلة القادوس . وتوجد حالياً انواع حديثة هيدروليكية من وصلة المعول يمكن تركيبها على الحفارات او خلف الجرارات الآلية . وهناك ايضاً « وصلة الرافعة » التي تستخدم لرفع الاحمال الثقيلة ونقلها من مكان الى آخر ، وتوجد منها روافع مصممة خصيصاً لاستخدامها في الحفارات الهيدروليكية . وهناك وصلة الحفار ذو كابل السحب dragline excavator ، وتتألف من عارضة طويلة ذات بنية تشابكية تمتد من حجرة الحفار الى الامام بزاوية ميل عن الارض تقارب ٣٥° ، ويتعلق في طرف العارض كابل السحب ، وفي نهايته قادوس . ويمتد كابل السحب من الحجرة الى القادوس مباشرة ، وعند تخفيض القادوس الى الاسفل فإن الشد على كابل السحب

بجعله يحفر في الارض فيمتلئ بالتراب والانقاض ثم تدور الآلة حول محورها لافراغ القادوس من محتوياته في مكان آخر. وتستخدم هذه الوصلة في الاراضي الطرية الرطبة، وبشكل خاص في انشاءات السدود، للافادة من طول عارضتها وبالتالي قدرتها على الوصول الى اماكن لا تستطيع الوصلات والآليات الاخرى بلوغها. واخيراً، فهناك وصلة القادوس المحاري Clanshell وهي عبارة عن قادوس، (يتألف من قطعتين (فكين) مفصليتين تنضمان عند كبش التراب والانقاض)، تحمله رافعة معلقة في عارضة بواسطة كابلين: احدهما يرفع ويخفض القادوس، والآخر يضم ويفصل فكي القادوس عند الحفر. وتستخدم وصلة القادوس المحاري بشكل رئيسي للحفريات العميقة الضيقة كما تستخدم في حفر الآبار، وفي تركيم الاتربة والرمال وغيرها، ولكنها تستطيع القيام بجميع انواع الحفر تقريباً.

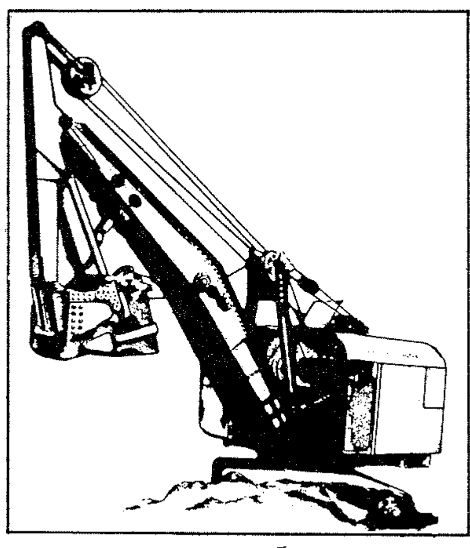
توجد الحفارة الآلية عادة في وحدات المهندسين (العضوية أو المستقلة)، ومن مهماتها الميدانية، الرفع، وحفر الخنادق المضادة للدبابات، واعداد حفر الملاجىء والنقاط الطبية ومقرات القيادة ومسائر المدفعية والدبابات والعربات طالما كانت طبيعة الأرض وبعد العدو يسمحان بذلك. ولقد أدى وجود هذه الحفارات في وحدات المهندسين إلى زيادة حجم عمليات الحفر التي تنجزها هذه الوحدات في كل يوم عمل، وخفض الى حد بعيد المدد الزمنية اللازمة لتحكيم (ترصين) الأرض التي تنتشر عليها القطعات خلال القتال أو الاقامة.

(١) حفارة الأنفاق

(انظر النفق)

(٦) حفارة الخنادق

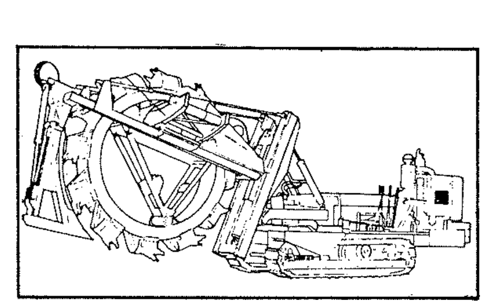
إن حفارة الخنادق Trenching Machine آلية ذاتية الحركة تسير على عجلات، او على سلاسل (جنازير) معدنية، وتستخدم لحفر الخنادق العسكرية، او في الاستخدام المدني المتعلق بالانشاءات. وتحتوي حفارة الخنادق على معدات الحفر في مقدمتها، وتكون هذه المعدات مثبتة بواسطة روافع هيدروليكية للسيطرة على عملها. وهناك نوعان من معدات الحفر المشار اليها: النوع الاول منها عبارة عن دولاب معدني مثبت على سطحه الخارجي سلسلة من القواديس (السطول) الدوارة ذات الحواف الحادة، والنوع الثاني عبارة عن رافعة ممتدة الى



حفارة آلية مع مجراف



حفارة الخنادق أثناء العمل



حفارة الخنادق

الامام تدور حولها سلسلة من القواديس او سلسلة سلمية Ladder Chain من الكاشطات.

وعندما تتحرك الحفارة إلى أمام، فانها تدير الدولاب او السلسلة السلمية بحيث تقوم القواديس او الكاشطات بحفر خنادق بعرضها في الارض وإلقاء ركام الحفر على جانبي الخندق المحفور بواسطة حزام ناقل او مجرى مائل Chute.

ويمكن تجهيز الحفارة بحيث تستطيع حفر الاراضي الصلبة وحتى قطع الصخور الطرية، ولكنها تواجه صعوبة في قطع الحجارة والصخور القاسية.

توجد حفارة الخنادق عادة في وحدات المهندسين (العضوية أو المستقلة)، وتستخدم في الانساق الخلفية، او في الاماكن المحمية من انظار العدو ونيرانه، لحفر خنادق الرمي وخنادق المواصلات. وتكون خنادق المواصلات التي تقوم بحفرها جاهزة للاستخدام مباشرة، أما خنادق الرمي فلا تغدو جاهزة للاستخدام بفاعلية كاملة إلا بعد قيام الجنود بعمل يدوي لاعداد السترتين الأمامية والخلفية وتمويههما واعداد دكة الرمي الأمامية ومسطبة وقوف الرماة بالاضافة إلى اعشاش الذخيرة ومساند الاسلحة الجماعية (انظر الخندق). ولقد أدى وجود حفارة الخنادق في وحدات المهندسين الى زيادة طول الخنادق التي تنجزها هذه الوحدات في كل يوم عمل، وخفض المدد الزمنية اللازمة لتحكيم (ترصين) الأرض التي تنتشر عليها القطعات، وخاصة، اذا كانت هذه القطعات تستخدم العقيدة الشرقية التي تعتمد على الخنادق المتصلة.

(١) حفارة الملاغم

(انظر الملغمة)

(١) الحفرة الفردية

الحفرة الفردية Trou individuel، هي الحفرة التي يحفرها الجندي فور توقفه المؤقت (في الهجوم)، أو عندما يبدأ تحضير الموقع الدفاعي (في الدفاع)، بغية حماية نفسه، واستخدام سلاحه ضمن أفضل الظروف الممكنة. ولكي تحقق الحفرة الفردية هذين الأمرين ينبغي أن تتوفر فيها الشروط التالية: أ ــ أن يكون أمامها حقل رمي وحقل نظر واسعين حتى يستطيع المقاتل المراقبة والرمي، ب ــ أن تكون مخفية ما أمكن عن انظار العدو البرية والجوية، ج ــ أن تؤمن الحد الأقصى من الحماية للمقاتل ضد رمايات اسلحة العدو المباشرة وضد انفجار القنابل المعادية، د ــ أن تكون بعيدة عن الحفرة الفردية المجاورة مسافة تتراوح بين ٥ و ١٠ أمتار (حسب طبيعة الأرض)، حتى لا تلحق قنبلة معادية الضرر بحفرتين معاً، هـ ــ أن لا تكون الحفر الفردية لعدة جنود موجودة على خط واحد، حتى لا تؤخذ معاً بالرمي المعادي الضام،

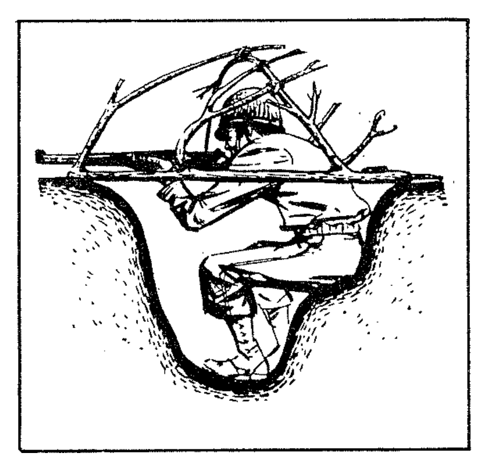
و – أن تكون الحفر الفردية المتجاورة متصلة مع بعضها بالنظر.

يبدأ المقاتل اعداد الحفرة الفردية فور توقفه مستخدماً أدوات الحفر الفردية التي يحملها معه. وتكون في البداية عبارة عن حفرة للرامي المنبطح تؤمن الشروط الدنيا للحماية واستخدام السلاح. وعندما يجد المقاتل أمامه سعة من الوقت يبدأ بتعميق الحفرة (٦٠ – ٧٠ سنتمتراً) لتكون صالحة للرمي جاثياً، ثم للرمي واقفاً (١٣٠ – ١٦٠ سنتمتراً). ويرافق التمويه كل مراحل تعميق الحفرة. ويبقى الشغل الشاغل للمقاتل قبل الحفر وخلاله وبعده. ويضع المقاتل التراب المحفور حول الحفرة من جميع الجهات، باستثناء الجهة التي يريد منها المراقبة أو الرمي. الامر الذي يساعده على الرمي ويؤمن له في الوقت نفسه سترة تقيه من الرصاص المعادي ومن الشظايا خلال المراقبة أو الرمي. وقد يضطر المقاتل إلى تطهير الأرض أمامه لتأمين حقلي الرصد والرمي، شريطة أن لا يؤدي ذلك إلى كشف الحفرة الفردية والإساءة إلى شروط التمويه.

تكون جدران الحفرة الفردية عادة مائلة لمنع انهيارها، وتكون مقاييس الحفرة من الاعلى ٦٠×٨٠ سنتمتراً ومن الأسفل ٦٠×٤٠ سنتمتراً. ويختلف العمق باختلاف مراحل الحفر. والعمق الأقصى للرامي واقفاً هو ١٣٠ – ١٦٠ سنتمتراً. ويبتعد تراب السترة عن جوانب الحفرة من الاعلى مسافة ٣٠ – ٤٠ سنتمتراً. ولكي لا تظهر الحفرة الفردية من الجو تغطى مع تراب الحفر عادة بشبكة مزركشة أو بأغصان اشجار، وتختلف التغطية باختلاف طبيعة الأرض (انظر التمويه).

عندما يطول وجود المقاتل في مكانه، فانه يلجأ إلى تحسين حفرته الفردية بأن يحفر في أحد جدرانها عشاً يضع فيه حقيبته وأدواته، ويحفر في الجدار الآخر ملجأ يركن إليه عند الاستراحة، ويلتجيء فيه عند القصف المعادي اذا لم يكن مكلفاً بمهمة الرصد خلال هذا القصف، ثم يصنع للحفرة غطاء قابلا للحركة من الخشب أو الأغصان المتشابكة أو ألواح التوتياء ويموهه حسب طبيعة الأرض ويضعه فوق حفرته الفردية خلال الراحة لحماية نفسه من آثار الاشعاع الذري. واخيراً فانه يدعم جدران الحفرة بالاخشاب او ألواح التوتياء أو الحجارة أو الاغصان المتشابكة لمنعها من الانهيار بتأثير العوامل الجوية.

ولا يكتفي الرامي بتحسين حفرتـه الفردية فحسب، بل يسعى أيضاً إلى وصلها مع الحفر المجاورة بخندق قتال يصبح بعد اتصال جميع حفر الجماعة موضعاً قتالياً متصلا (انظر الموضع القتالي للجماعة).



الحفرة الفردية للرامي جالساً مع غطاء

تكون الحفرة الفردية في القتـال الليلي وفي الغابات حفرة مزدوجة لشخصين. الأمر الذي يؤمن الرصد المزدوج، ويرفع القوى المعنوية للمقاتلين ويمنعهم من الشعور بالعزلة. وتكون مقاييس الحفرة المزدوجة بشكل يسمح باستخدامها بحرية من قبل رجلين. ويكون لها مصطبتان يقف عليهما هذان الرجلان.

يستخدم المقاتل أدوات الحفر الفردية خلال الحفر تحت انظار العدو، وهو يقوم بهذا العمل منبطحاً. وما أن يحل الظلام حتى يصبح بوسعه استخدام الرفوش والمعاول الكبيرة لتعميق الحفرة. وتستخدم المتفجرات في عملية الحفر اذا كانت الأرض صخرية، وفي هذه الحالة يكون عمق الحفرة محدوداً بطبيعة الأرض، ويكمل الارتفاع اللازم لحماية المقاتل عن طريق إحاطة الحفرة بأكياس الرمل المموهة. أما في الحالات التي تتطلب إعداد الحفر بسرعة كبيرة، كالوقوف في موقع دفاعي مع انتظار هجوم معاكس معاد قريب، فان من الممكن استخدام حشوات خاصة (جوفاء) تفتت الأرض وتساعد المقاتل على اعداد حفرته خلال فترة قصيرة. ويلجأ المظليون إلى هذا الاسلوب بعد نزولهم وراء خطوط العدو حتى يعدوا حفرهم بسرعة قبل قيام القوات الاحتياطية المعادية بالهجوم عليهم. وبما أن هذه الطريقة تكشف مواقع المظليين وتفقدهم عامل المفاجأة، فانهم لا يستخدمونها إلا عندما تؤكد لهم تصرفات العدو بأنه كشف مكان الانزال، وأخذ يعد العدة لمهاجمته.

(١) حقل الالغام

هو مساحة من الأرض مزروعة بخطوط منتظمة أو غير منتظمة من الالغام المضادة للدبابات أو المضادة للأشخاص أو النوعين معاً. ويعتبر حقل الالغام Champ de mines من اكثر الموانع فاعلية وقدرة على مفاجأة العدو وإعاقة تقدمه. ولقد استخدم هذا النوع من الموانع على نطاق واسع خلال الحرب العالمية الثانية، وبرع الالمان في استخدامه، وكانوا يطبقون خلال هذا الاستخدام اساليب مبتكرة وخيالا خلاقاً، وساعدهم على تحقيق ذلك تقدمهم التقني الصناعي، وتشكيل مكاتب دراسات متخصصة في تطوير حقول الالغام واساليب زرعها وتعليمها. ثم اخذت بقية الجيوش عن الالمان أساليبهم في زرع حقول الالغام التي غدت عنصراً أساسياً من عناصر اعداد الأرض دفاعياً، وأثرت بشكل ملحوظ على اساليب القتال في جميع الحروب التي اندلعت بعد الحرب العالمية الثانية.

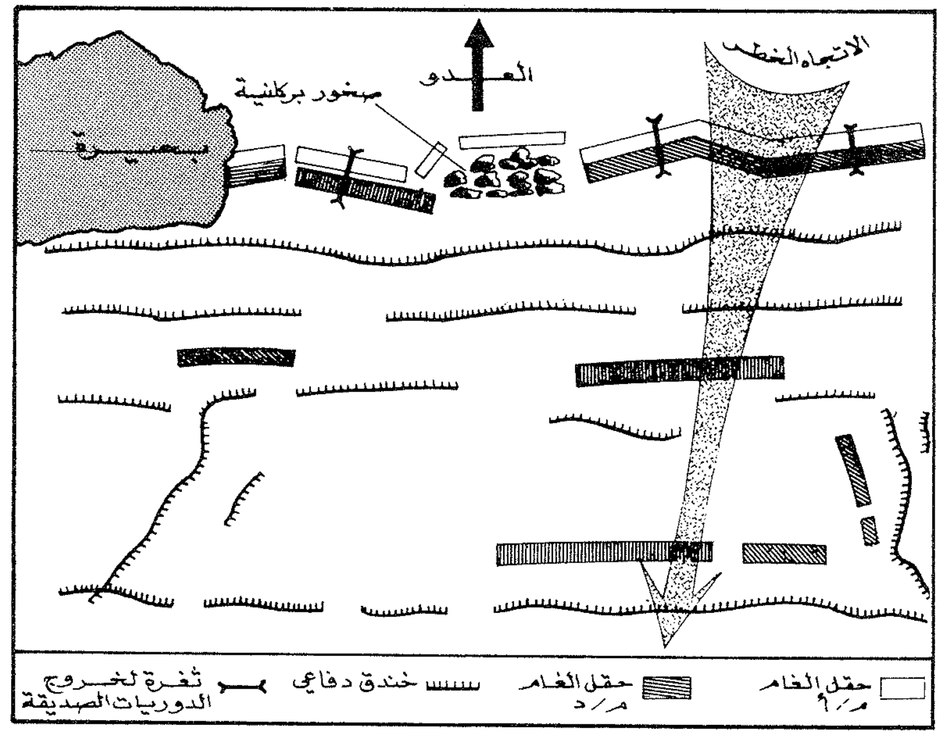
وتأتي أهمية حقول الالغـام بالنسبة إلى الموانع الاصطناعية الاخرى من قلة تكاليفهـا وسهولة وسرعة زرعها، وقدرتها على إعاقة الهجمات الكبيرة وإعاقـة تسلل الوحدات الصغرى، وتأثيرهـا المعنوي والمادي على القوات المهاجمة خلال مرحلتي الهجوم والمطاردة.

تستخدم حقول الالغام في الهجوم لتغطية جبهة ومجنبات القوات الأمامية بعد احتـلال الأرض، وتستخدمها الموجات الأولى عند العبور لحمايـة رؤوس الجسور من الهجمات المعاكسة، كمـا يستخدمها المظليون لحماية أنفسهم من المفاجأة. ولكن الاستخدام الأساسي لحقول الالغام يكون في الدفاع وفي القتال التراجعي. وتكون مهمتها في هذه الحالة الاخيرة: تأخير العدو ومنعه من الاندفاع بالعمق والقيام بالمطاردة. ولكي يحقق حقل الالغام الفاعلية القصوى ضد العدو، مع حماية القطعات الصديقة من الوقوع في حقول الالغـام الصديقة نفسها، تراعي الجيوش مجموعة من القواعد التكتيكية والتقنية.

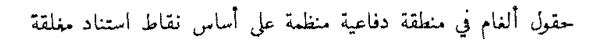
القواعد التكتيكية: وتتمثل في: ١ – الابداع والمبادهة عند زرع حقل الالغام، ٢ – تنسيق حقل الالغام مع بقية الموانع الطبيعية والاصطناعية، ٣ – تمويه حقول الالغام وتفخيخها لتحقيق القسط الاكبر من المفاجأة، ٤ – إعطاء حقل الالغام العمق الكافي ووضع الحقول المتعاقبة أمام الخط الدفاعي الأول وفي عمق المنطقة الدفاعية، ٥ – تغطية

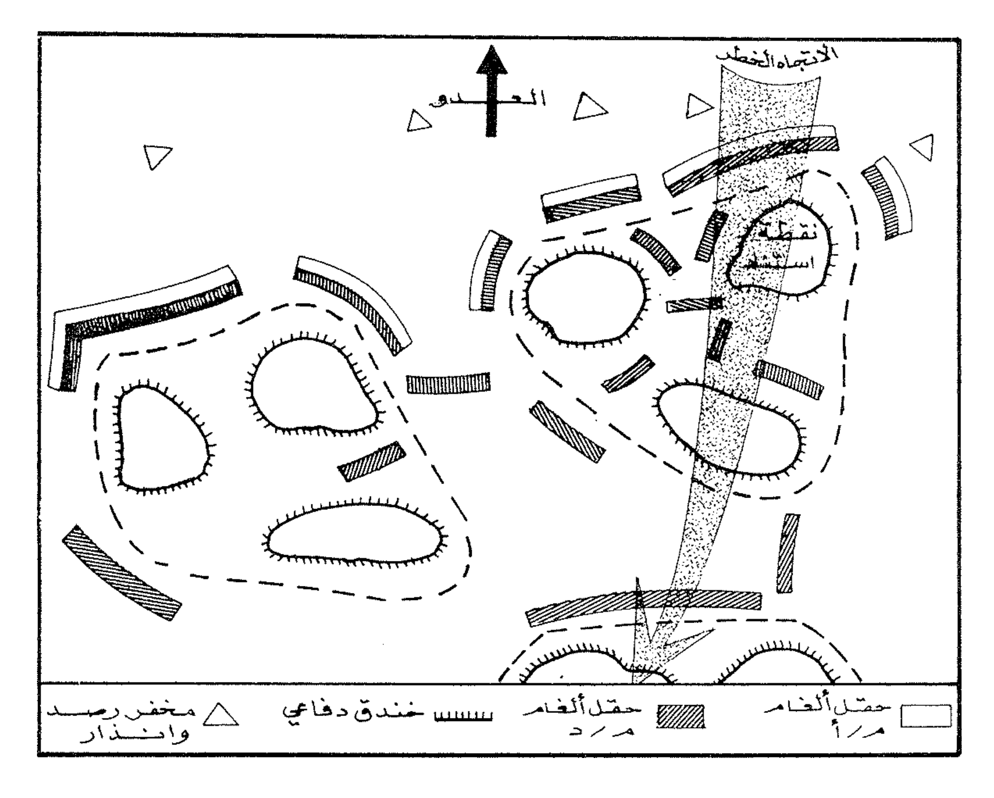
حقل الالغام بالنيران المضادة للافراد والنيران المضادة للدبابات ، ٦ - وضع حقول الالغام بحيث لا تعيق الاتصال بين القطعات وتسمح بالمناورة بالقوات وشن الهجمات المعاكسة ، ٧ - تأمين الحماية الذاتية لحقل الالغام المضاد للدبابات عن طريق دعمه بحقل الغام مضاد للاشخاص . وتزداد الحاجة لهذا التدبير كلما تناقصت امكانات ضرب الحقول م/د بالنيران المضادة للأفراد ، ٧ - استخدام مختلف أساليب الخداع عند اختيار مكان حقل الالغام .

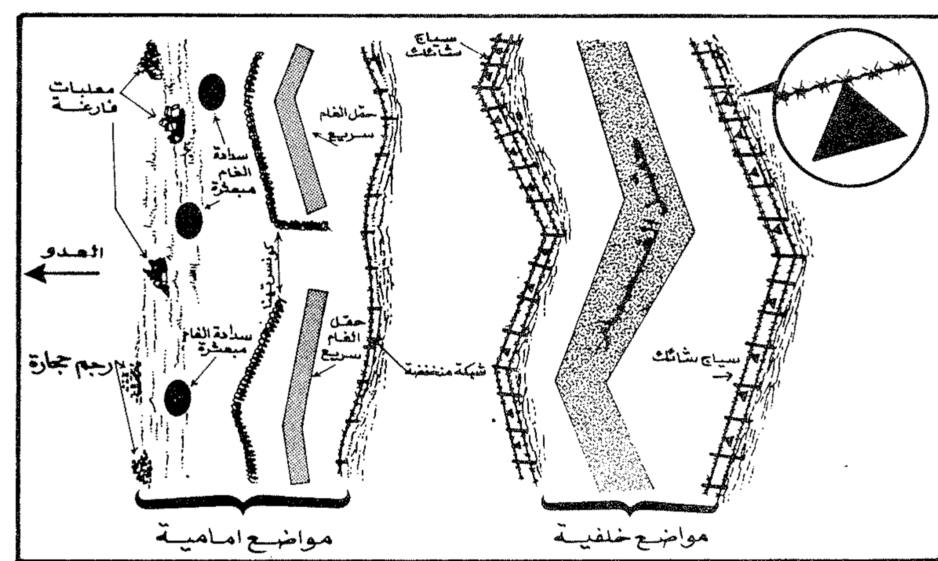
القواعد التقنية : وتتمثل في : ١ - إبعاد الألغام عن بعضها مسافة ٥ - ٦ أمتار حتى لا ينفجر لغم من قوة الضغط الناجمة عن انفجار لغم قريب آخر ، وحتى لا تفجر قنابل مدفعية العدو عدداً كبيراً من الالغام بآن واحد . ولتأمين سد المسافة الواقعة بين لغمين تكون الالغام الموضوعة على الخطوط المتعاقبة مزروعة بشكل شطرنجي ، ٢ - تزرع الالغام في الحقل على ٤ - ٨ صفوف متعاقبة بحيث يكون عمق الحقل ٥٠ متراً ، ٣ - لزيادة كثافة الحقل تزداد عدد الصفوف بدلا من انقاص المسافة بين الالغام أو الصفوف ، ٤ - يعلم حقل الالغام بشكل يسمح للقطعات الصديقة عند اللزوم بتحديد مكان الحقل ومكان كل لغم من ألغامه، ويتم ذلك عن طريق رسم مخطط يحدد مكان الحقل بالنسبة إلى نقاط علام مميزة على الأرض وعلى الخارطة العسكرية ، كما يحدد عدد صفوف حقل الالغام والمسافة بين هذه الصفوف وبين الالغام في كل صف ، وعدد ونوع الالغام المستخدمة ، والافخاخ المزروعة مع الالغام ، ومكان الثغرات المفتوحة مسبقاً في حقل الصديق (انظر الثغرة في حقل الالغام). ٥ - يحدد المحيط الخارجي لحقل الالغام ويؤشر بشكل يضمن عدم دخول القطعات الصديقة إلى الحقل عن طريق الخطأ . ويستخدم التحديد والتأشير على مقربة من العدو وسائط وعلامات لا تلفت انظار العدو ولا يمكن أن يلاحظها إلا الذي وضعها . ومع الابتعاد عن العدو يحدد المحيط الخارجي بشبكة شائكة مطوية (كونسرتينا) ، وفي العمق الدفاعي يحاط الحقل بسياج شائك يحمل مثلثات حمراء (كل ٢٥ متراً) وكتابات واشارات خطر تدل على وجود حقل الالغام . ومن الضروري خداع عملاء العدو وذلك بجعل سياج التحديد غير مواز للحقل ، وبنصب سياج تحديد حول حقول الغام كاذبة . أما إخفاء السياج عن الرصد الجوي المعادي فيتم باستخدام خطوط الأرض بشكل جيد ، ونصب



حقول ألغام في منطقة دفاعية منظمة على أساس الخنادق المتصلة


حقول ألغام في منطقة دفاعية منظمة على أساس نقاط استناد مغلقة



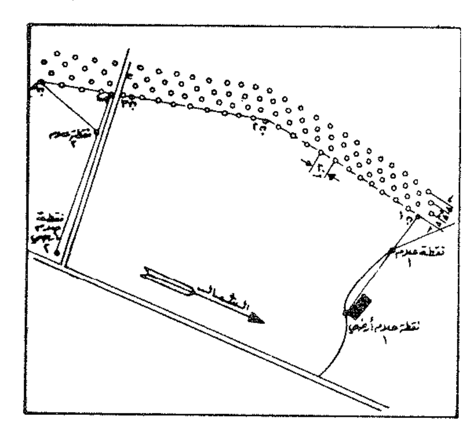


مخطط تحديد وتعليم حقول الألغام من الأمام إلى الخلف

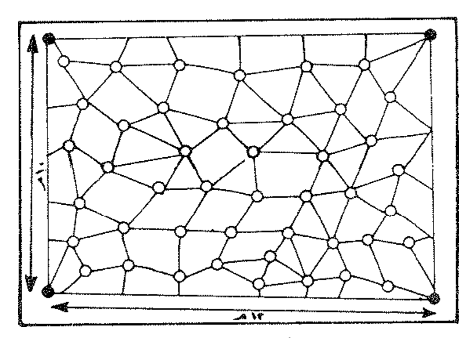
السياج فوق الخطوط الأرضية التي تندمج في الصورة الجوية مع السياج

زرع حقل الألغام : تزرع حقول الألغام المضادة للأشخاص أمام الخط الدفاعي الأول ، وفي كل مكان يحتمل أن يتسلل جنود المشاة منه . وتزرع في عمق الدفاع في المناطق المحتملة لنزول المظليين . وتزرع حقول الالغام المضادة للدبابات في المناطق الصالحة لتقدم الدبابات أمام الخط الدفاعي الأول وفي عمق المنطقة الدفاعية وحول نقاط الاستناد المغلقة أو في الفرجات الواقعة بينها . كما تزرع في المطارات وأراضي الهبوط المهجورة أو التي يتم الانسحاب منها . أما حقول الالغام المضادة للانزال فتزرع في الأماكن الصالحة لتقدم قوارب الانزال أو العربات البرمائية على الضفة الصديقة للنهر أو على الشاطئ الذي يجري الدفاع عنه .

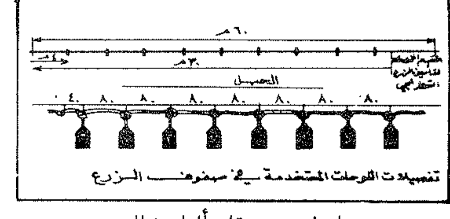
وبما أن حقول الالغام تعرقل حركة الصديق مثلما تعرقل حركة العدو ، فان من الضروري زرعها بشكل يضمن تنفيذ المناورة الدفاعية العامة على أحسن وجه وفق الخطة الدفاعية للقطعة الكبرى . ولهذا تتركز صلاحية تحديد مكان وعمق حقـول الالغام النظامية بيد قائد القطعة الكبرى (الفرقة أو الفيلق) ، أما الالغام المبعثرة التي تزرع مؤقتاً أمام الوحدة ضمن الحيطة المؤقتة خلال ليلة واحدة ، فان صلاحية تحديد مكان زرعها تقع على عاتق قادة الوحدات من مستوى لواء وكتيبة . ولا يملك قادة الوحدات الأصغر صلاحيـة اصدار الأوامر بزرع الالغام إلا نادراً وفي حالة الانعزال الكامل عن القيادة الأكبر



نموذج حقل ألغام « م/أ » سريع ونظامي



شبكة لزرع الألغام بخطوط غير منتظمة



حبل لزرع حقل ألغام نظامي

تزرع الألغام في الحقل النظامي على خطوط متوازية متباعدة مسافة ٥ — ٧ أمتار . ويكون عدد خطوط الحقل النظامي ثمانية خطوط . أما الحقل السريع فيمكن أن يتألف من ٤ — ٥ خطوط ألغام . ويستخدم في الزرع عدة طرق تختلف باختلاف الشروط العملية القائمة ، وطبيعة الحقل المطلوب زرعه ، ونوع الالغام المستخدمة . وأهم الطرق لزرع حقول الالغام هي : ١ — الزرع بواسطة شبكة (١٠×١٢ متر) ذات فتحات تحدد موقع الالغام ، ٢ — الزرع السريع بالخطوة ، ٣ — الزرع بالخطوة والسيارة ، ٤ — الزرع مع استخدام حبل التحديد ذي الحلقات ، ٥ — الزرع بواسطـة المجموعات النجمية ، ٦ — الزرع الآلي بواسطة العربة الخاصة بزرع الالغام (انظر مفرزة السدود المتحركة) . ومهما كانت طريقـة الزرع المستخدمة فان من الضروري تسجيلها وذكر تفصيلاتها بدقة في اضبارة الالغام التي تنظم على نسختين ، تحفظ إحداهما في هيئة أركان قيادة القطعة الكبرى ، وتحفـظ الأخرى في قيادة الجيش .

تتأثر الألغام عادة بالعوامل الجوية ، فتفقد حساسيتها أو تضعف قدرتها على التدمير ، الأمر الذي يجعل حقل الالغام يفقد جزءاً من فاعليته . وفي هذه الحالة ، تلجأ القطعات المدافعة إلى تدعيم الحقل بخط أو خطين أو أكثر . ويتناسب عدد الخطوط مع نسبة فقدان الفاعلية التي أصيب بها الحقل . وتلجأ القطعات المدافعة إلى الوسيلة نفسها اذا قصف العدو حقل الألغام بالمدفعية وفجر بعض ألغامه وأفقده جزءاً من فاعليته ، أو اذا أدى دخـول الحيوانات البرية إلى الحقل إلى تفجير بعض الالغام (وخاصة المضادة للاشخاص) .

ولا تكتفي القطعات بزرع حقل ألغام واحد أمامها في حالة الدفاع الطويل ، أو عندما يكون خطر الهجوم المدرع كبيراً . ولكنها تلجأ إلى زرع حقول متعاقبة حتى يصل عمق المنطقة الملغومة إلى ٢٠٠ — ٥٠٠ متراً . ولقد استخدمت الجيوش هذه الوسيلة في الحرب العالمية الثانية عند الدفاع في الصحراء أو في السهوب ، أو على المحاور الخطرة في الاراضي العادية .

كثافة حقل الالغام : تحسب كثافـة حقل الالغام بتقسيم عدد الالغام المزروعة في جبهة ما على عرض هذه الجبهة بالامتار . وتكون كثافة الالغام في الحقل السريع لغم في كل متر من عرض الحقل ، أما الكثافة في الحقل النظامي فهي تعادل ١,٥ — ٢ لغم/متر . وقد تصل الكثافة عند زرع حقول ألغام

متعاقبة متلاصقة في الأراضي الصالحة لمناورة الدبابات إلى ٦ — ١٠ ألغام/متر . أما كثافة حقول الالغام في جبهة معينة فتحسب على اساس تقسيم عدد الالغام المزروعة في الحقول المتعاقبة الموجودة في عمق الدفاع على عرض الجبهة بالمتر . ومن المؤكد أن هذه الكثافة غير متساوية في كل مكان من الجبهة ، فهي تزيد على المحاور الرئيسية الخطرة الصالحة للاختراق المعادي المدرع ، وتنقص على المحاور الثانوية .



منطقة ميتة في رمي مستقيم

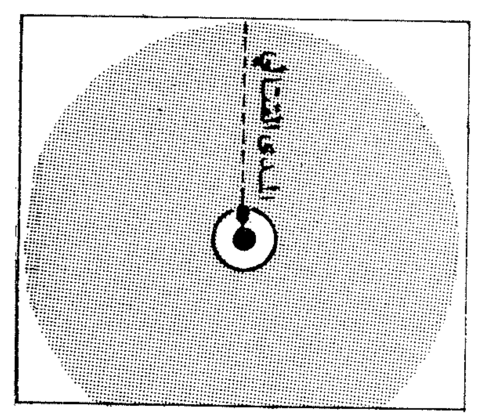
حقل رمي هاون

(١) حقل الرمي (ميدان الرمي)

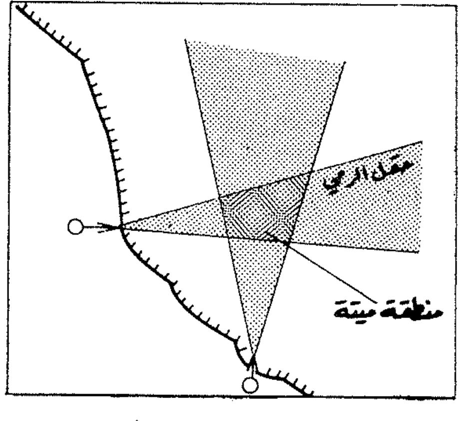
حقل الرمي : Champ de tir هو أقسومة الأرض التي تغطيها نيران الرمي الساف لسلاح من اسلحة الرمي المستقيم ، أو تغطيها نيران الرمي المنحني أو السابح للاسلحة الخاصة بهذه الرمايات . وقد يكون هذا الحقل قطاعاً من الأرض محدداً من اليمين واليسار بحواجز طبيعية أو اصطناعية ، أو بقدرة السلاح على الحركة إلى اليمين أو اليسار (زاوية الحركة الأفقية) ، كما قد يكون ممتداً في الاتجاه على ٣٦٠ درجة . ويعادل عمق حقل الرمي بالنسبة إلى أسلحة الرمي المستقيم ، المدى القتالي لهذه الاسلحة . أما بالنسبة إلى أسلحة الرمي المنحني أو السابح ، فان عمق حقل الرمي يكون محصوراً بين المدى الأقصى والمدى الأدنى لهذه الأسلحة .

يكون حقل رمي الاسلحة ذات الرمي المستقيم متكاملا ومتصلا في الأراضي المنبسطة والمكشوفة ، ولكنه يغدو متقطعاً بالمدى أو بالاتجاه في الأراضي المتعرجة أو المغطاة في بعض مناطقها بالمزروعات أو الأبنية . ويأخذ هذا التقطع شكل مناطق ميتة لا تصلها نيران اسلحة الرمي المستقيم . ويكون حقل رمي اسلحة الرمي المنحني أو السابح متكاملا ومتصلا حتى في الأراضي المتعرجة أو المغطاة بالمزروعات والأبنية ، نظراً لأن انحناء محرك الرماية لهذه الاسلحة يسمح بضرب المناطق الميتة الداخلة ضمن إطار حقل الرمي . وينطبق هذا القول على حقول الرمي في مختلف الأراضي ، ولكنه لا ينطبق على حقول الرمي في الجبال ، نظراً لأن تضاريس الأرض وعمق الوديان ومحدودية زوايا الرمي بالارتفاع تؤدي في كثير من الحالات إلى وجود أراضي ميتة عند الرمي بأسلحة الرمي السابح ، بل وعند الرمي بأسلحة الرمي المنحني أحياناً .

لتوسيع حقل الرمي أمام اسلحة الرمي المستقيم يتم اتخاذ التدابير التالية كلهـا أو بعضها :

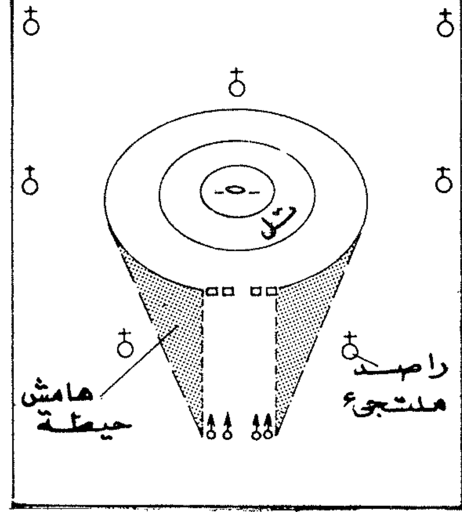


حقل رمي رشاش في برج دوار

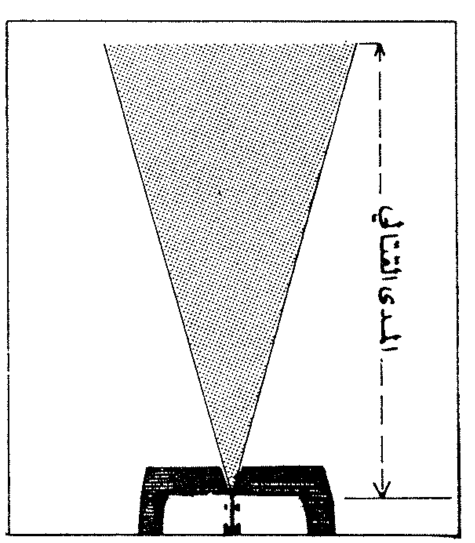


تكميل حقل رمي متقطع

هامش حيطة جانبية في حقل رمي



حقل رمي رشاش يرمي من كوة (مزغل)



١ – حسن اختيار موقع السلاح ، ٢ – اختيار موقع تبادلي يضمن وجود السلاح فيه إلغاء بعض المناطق الميتة أو كلها وتنقل السلاح بين الموقع الاصلي والموقع التبادلي حسب الحاجة ، ٣ – إزالة الحواجز الطبيعية أو الاصطناعية التي تقطع حقل الرمي ، وتستخدم القطعات لهذا الغرض عدة اساليب كاحراق النباتات أو قطعها ، واستخدام المتفجرات لإزالة الجدران ، واستخدام البلدوزرات لإزالة ثنيات الأرض الصغيرة .

إن حقل الرمي لاسلحة الرمي المنحني غير مرتبط بامكانية الرؤية أو بطبيعة الأحوال الجوية على حين أن حقل الرمي لاسلحة الرمي المستقيم مرتبط بامكانية الرؤية ومتطابق إلى حد ما مع حقل النظر (انظر حقل النظر) . وهو يتأثر بالأحوال الجوية ، وتنقص ابعاده في الليل ، والضباب ، والعواصف الرملية ، والأيام الغائمة أو الماطرة ، وفي الساعات التي تكون فيها الشمس في وجه الرامي . وتزيد في أيام الصحو ، وفي الساعات التي تكون فيها الشمس وراء الرامي . وتتأثر ابعاد حقل الرمي ليلا حسبما يكون الرمي بدون استخدام أجهزة رؤية ليلية ، أو مع استخدام هذه الأجهزة ، أو في ظروف الانارة الاصطناعية ، وهي تحدد بقدرة اجهزة الرؤية الليلية ، وبمدى الرؤية في حالة الانارة أو بدون إنارة .

ورغم قدرة معظم أسلحة الرمي المستقيم على الرمي بزاوية أفقية ٣٦٠ درجة ، فان وجود السلاح داخل التحصينات ، واضطراره إلى الرمي من خلال كوة معقل التحصينات (الدشمة)، يحددان حقل الرمي بالاتجاه بامكانية حركة السبطانة عبر الكوة . وتلجأ بعض التحصينات إلى التخلص من هذا التحديد عن طريق خلق الأبراج الدوارة للاسلحة (انظر البرج والتحصينات) ، الأمر الذي يسمح بتأمين الوقاية مع امكانية الرمي في جميع الاتجاهات .

(١) حقل (ميدان) رمي التدريب

إن حقل رمي التدريب : Champ de tir d'instruction (أو Polygones للمدفعية ، و Stands de tir للاسلحة الخفيفة) ، عبارة عن قطعة الأرض المخصصة للتدريب على الرمي . وتكون تابعة لقطعة عسكرية متمركزة في مكان ما ، أو لقيادة موقع يضم عدة قطعات عسكرية .

تكون أبعاد حقل الرمي متناسبة مع نوع الرمايات المنوي اجراؤها ، إذ لا يزيد طول حقل الرمي اللازم لرمايات البنادق والرشاشات عن ٤٠٠ – ٦٠٠ متر ولا يزيد عرضه عن ٢٠٠ متر ، على حين تكون ابعاد حقل الرمي اللازم لرمايات المدفعية والهاونات والصواريخ الموجهة ومدافع الدبابات متناسبة مع مدى هذه الأسلحة . ويتم اختيار حقل الرمي عادة في مناطق غير آهلة بالسكان ، ويكون حقل رمي البنادق والرشاشات مستنداً إلى مرتفع أو جرف عال لإيقاف الطلقات ومنعها من متابعة مسارها حتى المدى الأقصى للسلاح بعد إصابة الهدف . ويشترط في هذه الحالة أن يكون ارتفاع الجرف أو المرتفع اكثر من ٢٠ – ٢٥ متراً عند الرمي من مسافة ٢٠٠ متر ، لضمان قدرته على إيقاف الطلقات المتناثرة بالارتفاع ، ولضمان ذهاب الطلقات المتناثرة التي تتجاوز الحاجز من الأعلى ، إلى مدى يفقدها سرعتها ، ويجعلها غير قادرة على التأثير في نقطة السقوط . وكلما زاد بعد الرمي عن المرتفع أو الجرف كان من الضروري وجود مرتفع أو جرف أعلى . وعند عدم توفر مرتفع أو جرف يبنى جدار عال على عرض حقل الرمي ويردم بالتراب من جهة الرمي لاحتواء الطلقات ومنع الدليف (انزلاق الطلقات) .

لا يمكن الرمي في حقل الرمي إلا بعد اتخاذ تدابير حيطة مشددة تتمثل عند الرمي بالرشاشات والبنادق بالنقاط التالية : ١ – تثبيت الاسلحة على خط الرمي والانتباه إلى عدم انحرافها بسبب أخطاء الرماة ، ٢ – تثبيت مصادم زاوية الرمي في الاتجاه في الرشاشات لمنع انحراف الرشاش بشكل غير ارادي ، ٣ – إخلاء الأرض في حقل الرمي ، ٤ – وضع الاهداف عند منتصف الجرف أو المرتفع مع ترك مسافة خالية بين طرف الجرف أو المرتفع والحد الأقصى للاهداف ، وذلك لتأمين هامش حيطة جانبية ، ٥ – وضع رصاد ملتجئين إلى جانبي حقل الرمي لمنع الاشخاص من اجتيازه ، وتزويدهم بأجهزة اتصال وادوات انذار سمعية (صفارات ، أبواق) . وبصرية (شهب ، إشارة) ، ٦ – وضع رصاد ملتجئين وراء المرتفع أو الجرف لمنع الاشخاص من التقدم باتجاهه مع تزويدهم بنفس الاجهزة وادوات الانذار ، ٧ – رفع اعلام حمراء فوق المرتفع وحول حقل الرمي ، واعطاء اشارات انذار صوتية (صفارات وابواق) لتنبيه الاهالي لوجود رماية في حقل الرمي ، ٨ – تجهيز نقطة اسعاف ثابتة أو متحركة قرب حقل الرمي .

وعند اجراء التدريب العملي على الرمي بالهاونات والمدافع والدبابات والصواريخ الموجهة تتخذ التدابير التالية : ١ – تثبيت الاسلحة على خط الرمي لضمان عدم انحرافها بالاتجاه ، ٢ – تثبيت المصدم السفلي لزاوية الرمي بالارتفاع بالنسبة إلى الرشاشات والمدافع المضادة للطائرات لضمان عدم انخفاض زاوية الرمي إلى الحد الخطر ، ٣ – إخلاء الأرض بعرض ١ – ٢ كيلومتر على طول مسار القذائف حتى في حالات الرمي المنحني لضمان عدم إصابة الأهالي بالطلقات الشاردة التي تسقط قبل الوصول إلى الهدف بسبب نقص دفع الحشوة أو انفصام ذيل القذيفة ، ٤ – اخلاء الأرض في مكان الاهداف ضمن دائرة نصف قطرها ١ – ٢ كيلومتر ، ٥ – وضع مجموعات رصاد ملتجئة على جانبي حقل الرمي وتزويدهم بأجهزة الاتصال والانذار ، وبآلية قادرة على السير خارج الطرقات ، شريطة أن تكون مجموعات الرصاد متصلة مع بعضها بالنظر . وتكون مهمتها منع الاشخاص من التقدم باتجاه حقل الرمي ، ٦ – وضع مجموعات رصد ملتجئة حول دائرة الأمان المحيطة بالاهداف وتجهيزها كالمجموعات السابقة ، بالاضافة إلى سيارة اسعاف ، وتكون مهمتها منع الاشخاص من التقدم باتجاه منطقة الاهداف ، ٧ – رفع اعلام حمراء على جانبي حقل الرمي وحول منطقة الاهداف ، وإعطاء الاشارات الصوتية (صفارات وأبواق) لتنبيه الاهالي إلى وجود رماية ، ٨ – تجهيز نقطة اسعاف متحركة قرب مقر ضابط الرمي ، ٩ – اعلام السلطات المدنية قبل ٤٨ ساعة من الرمي عن وقت ومكان ونوع الرمي ، حتى تقوم اجهزة هذه السلطات بابلاغ القرى القريبة وتحذيرها .

يكون حقل الرمي بسيطاً أو مجهزاً . وحقل الرمي البسيط هو الحقل الذي تعد فيه مواضع الرمي للاسلحة وأماكن الأهداف ونقاط تمركز الرصاد الملتجئين لانذار الأهالي ، وتعلم حدوده وحدود المناطق الخطرة برواقم (رجوم) حجارة بيضاء واعلام كبيرة حمراء . أما حقل الرمي المجهز ، فهو الحقل المعد لرمايات متقدمة (رمايات قتال أو رمايات على أهداف متحركة أو قلابة) أو المعد لرمايات خاصة (رمي ضد الطائرات ، رمي ضد الدبابات) . ويشمل تجهيز هذا الحقل : اعداد مساند الرمي لمختلف اوضاع الرمايات ، وتجهيز الاهداف الثابتة والمتحركة والقلابة ، واعداد اجهزة تحريك الاهداف يدوياً أو كهربائياً ، واعداد اضاءة حقل الرمي للتدريب على الرمي الليلي ، وتزويد حقل الرمي بموانع طبيعية واصطناعية للتدريب على رمي القتال، وتجهيز نقاط التجاء الرصاد . وربطها ببعضها ومع مقر ضابط

الرمي هاتفياً ، واعداد جهاز حركة الطائرات المصغرة لضبط التسديد ضد الطائرات ، واعداد معدات اطلاق البالونات الهوائية للرمي ضد الطائرات . واعداد سكك حركة الدبابات (الاهداف) المتحركة على خط جبهي أو عرضاني أو مائل ، تحديد الحقل بالرجوم والاعلام الحمراء .

(١) حقل النظر

هو أقسومة الأرض التي يغطيها الراصد بالنظر . وقد يكون هذا الحقل قطاعاً من الأرض محدداً من اليمين واليسار بحواجز طبيعية أو اصطناعية ، كما قد يكون ممتداً في الاتجاه على ٣٦٠ درجة . أما عمق حقل النظر فهو المسافة التي تفصل مكان تمركز الراصد عن أبعد خط يراه . ومن الطبيعي أن هذا العمق يزداد بازدياد ارتفاع مكان التمركز ، كما يزداد عند استخـــدام أجهزة الرصد المكبرة كالمناظير والتليسكوبات . وهو يأخذ بعداً كبيراً في الأرض المنبسطة المكشوفة الخالية من الحواجز الطبيعية أو الاصطناعية . ويصل إلى حدوده الدنيا في الغابات والمناطق المبنية أو المغطاة بالمزروعات . ويكون حقل النظر في الأراضي المنبسطة المكشوفة متكاملا ومتصلا أما في الأراضي المتعرجة أو المغطاة في بعض مناطقها بالمزروعات أو الابنية فيكون متقطعاً . ويأخذ هذا التقطع شكل مناطق ميتة في الأراضي المتعرجة ، أو مناطق محجوبة عن النظر في الأراضي المغطاة . ولتوسيع حقل النظر يتم اتخاذ التدابير التالية كلها أو بعضها : ١ — اختيار مكان مرتفع للرصد النهاري ، ٢ — تزويد الراصد بأجهزة الرصد المكبرة ، ٣ — تبديل مكان الراصد الذي يقطع حقل النظر أمامه حاجز طبيعي أو اصطناعي ، ٤ — في حالة عدم القدرة على تبديل مكان الراصد يزال الحاجز الطبيعي أو الاصطناعي الواقع أمامه (هدم جدار ، قطع أشجار أو أعشاب ، إزالة مرتفع ترابي بواسطة البلدوزر) . وعندما يتعذر تنفيذ ذلك ، ولتأمين تكاملية حقل النظر ، تغطى المنطقة المحجوبة من هذا الحقل بانظار راصد جانبي (أو أكثر) قادر على رؤية المنطقة (أو المناطق) المحجوبة أو الميتة . وتستخدم هذه الطريقة غالباً في الجبال ، والمناطق المبنية ، والمناطق المغطاة بمزروعات متباينة الارتفاع والكثافة .

تتأثر ابعاد حقل النظر بالأحوال الجوية ، فهي تنقص في الليل ، والضباب ، والعواصف الرملية ، والأيام الغائمة أو الماطرة ، وفي الساعات التي تكون فيها الشمس أمام الراصد ، وتزيد في أيام الصحو ، وفي الساعات التي تكون فيها الشمس وراء الراصد . ومن الضروري تحديد عمق حقل النظر في كل حالة من هذه الحالات ، بغية تحديد مهمات الراصد في كل حالة من الحالات ، ومعرفة عمق الرصد ومسافة الحيطة التي يقدمها هذا الرصد .

(٥) الحكام المحاربون

(أنظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١٢) الحكومة العسكرية

الحكومة العسكرية أو حكومة الاحتلال الحربي هي حكومة انتقالية ، تدير منطقة محتلة بواسطة قوات مسلحة ، وتحل محل السلطات المدنية بعد ان تعجز هذه الاخيرة عن ممارسة وظائفها . فتقوم هذه الحكومة بممارسة السلطة التنفيذية والتشريعية والقانونية . ويكون اشراف هذه الحكومة مباشراً من جانب القوات المحتلة ، او غير مباشر بواسطة مدنيين تعينهم قوات الاحتلال . وهذه الحكومة بطبيعتها تفرض سلطتها بالقوة ، ولكنها لا تعتبر (وفقاً للقوانين الدولية) حكومة استبدادية ، كما انه يعود للقانون الدولي فقط حق تحديد شرعيتها .

ففي العرف الدولي ، لكي تعتبر منطقة او اقليم ما محتلا يجب ان يكون فعلا تحت سلطة القوات المسلحة للعدو ، وذلك وفقاً لميثاق لاهاي (١٩٠٧) المتعلق بالحرب البرية وميثـــاق جنيف (١٩٢٩ ، ١٩٤٩) المتعلق بحماية المدنيين وممتلكاتهم إبان الاحتلال (انظر قانون الحرب) . ولا يترتب على الاحتلال الحربي انتقال ملكية الاقليم او المنطقة المحتلة الى الدولة المحتلة ، انما للدولة التي تتولى ممارسة الحقوق الدستورية اثناء مدة الاحتلال ، وذلك على النحو التالي :

١ — تتولى السلطات المحتلة إبان الاحتلال الحربي ادارة الاقليم او المنطقة المحتلة وذلك بأن تلجأ الى احدى الطريقتين : إما ابقاء الادارة القائمة في الاقليم او المنطقة وقت الاحتلال على ما هي عليه ، وتكتفي بمراقبتها وتوجيهها تبعاً لما تقتضيه مصالح الدولة المحتلة . واما استبدال هذه الادارة بادارة اخرى تقيمها الدولة المحتلة لخدمة مصالحها وتنفيذ رغباتها .

٢ — لا يجوز استبدال القوانين المعمول بها في الاقليم أو المنطقة المحتلة او تعديلها الا اذا دعت الحاجة الى ذلك ، اذ ينبغي على سلطات الاحتلال احترام هذه القوانين .

٣ — تبقى الهيئات القضائية قائمة بعملها ، إنما يجوز لسلطات الاحتلال إنشاء محاكم استثنائية تنظر بالجرائم التي يرتكبها افراد جيش الاحتلال او ترتكب ضدهم .

٤ — ينبغي على سلطات الاحتلال احترام حياة سكان الاقليم او المنطقـــة وشرفهم واملاكهم ومعتقداتهم .

٥ — يحق لسلطات الاحتلال ادارة اموال الدولة واستغلالها مع التزامها بالمحافظة عليها . لكنه لا يجوز الاستيلاء عليها او مصادرتها او نهبها . كما لا يحق الاستيلاء عـــلى بعض الاموال الخاصة بالافراد ، والتعرض للأماكن المخصصة للعبادة او للاعمـــال الخيرية او التعليم والفنون والعلوم والآثار التاريخية والتحف الفنية والعلمية .

ويعود للحاكم العسكري الذي يتولى ادارة هذه الحكومة (انظر الحاكم العسكري) تزويد هذا الاقليم او المنطقة بنظام وقوانين ومحاكم لإعادة الحكومة المدنية الوطنية الى ممارسة اعمالها . وغالباً ما تصدر الحكومة العسكرية قوانين تعرف بقوانين الطوارئ او القوانين الاستثنائية وذلك في صورة اوامر عسكرية او قرارات ، وتبقى هذه القوانين سارية المفعول ما دامت الظروف التي اقتضت تشريعها قائمة ، فإذا زالت هذه الظروف يسن قانون بإلغائها ويبطل مفعولها .

وقد يتولى ادارة الحكومة العسكرية في بعض المناطق سياسيون تعينهم سلطات الاحتلال بينما يتولى ادارة الحكومة العسكرية في مناطق اخرى حكام عسكريون . وقد مارست بريطانيا هذا النوع من الحكم في فرنسا بعد الحرب النابوليونية ، كما مارستها في كل من الهند ومصر وجنوب افريقيا ومناطق اخرى في العالم ، ومارستها المانيا وإيطاليا في خلال الحرب العالمية الثانية في المناطق التي احتلتاها ، ومارستها السلطات الاسرائيلية في المناطق المحتلة في حرب ١٩٦٧ (باستثناء القدس التي ضمتهـــا الى اسرائيل) ولكنها لا تتقيد بكل التزامات الحكومة العسكرية إزاء الجماهير العربية القاطنة في المناطق المحتلة ، ولا تحترم حقوقهم وممتلكاتهم .

الحكومة العسكرية (أو حكومة الطوارىء) : هي حكومة انتقالية تفرضها القوات المسلحة في بلد ما ، لادارة شؤون هذا البلد محل السلطات المدنية بعد ان تعجز هذه الاخيرة عن ممارسة وظائفها . وتقوم هذه الحكومة بممارسة السلطة التنفيذية والتشريعية والقانونية . وتشكل هذه الحكومة عادة في حـــالة الاضطرابات الداخلية الناجمة عن ضغوط عسكرية

خارجية او عن تناقضات اجتماعية داخلية كما تشكل على أثر انقلاب عسكري تتولى فيه القوات المسلحة زمام السلطة في البلاد (انظر الانقلاب العسكري). وتفرض هذه الحكومة سلطتها استناداً الى القوة المسلحة. ومع هذا فهي لا تأخذ طابعاً استبدادياً في حالة تشكيلها على أثر اضطرابات داخلية ناجمة عن ضغط عسكري خارجي، ولكنها تأخذ هذا الطابع غالباً في الحالات التي يتم فيها تشكيلها على أثر انقلاب عسكري او على اثر اضطرابات ناجمة عن تناقضات اجتماعية، ثم يزول هذا الطابع بالتدريج اذا حصلت الحكومة على التأييد الجماهيري خلال استفتاء عام يجري في ظل الحرية الانتخابية. اما اذا جرى الاستفتاء في جو من القهر فانها تبقى استبدادية تحت غطاء شرعي.

(٥) حلب (قلعة)

(أنظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٧-١٢) الحلف

اتفاقية رسمية تقتضي التزامات متبادلة بين دولتين او حزبين سياسيين. ويقال **حلف عائلي** عن كل اتفاق بين عدة حكام متحدين تربطهم رابطة الدم. وتعني هذه الكلمة بالتخصيص الحلف الذي نشأ سنة ١٧٦١ بين البوربون Bourbons الموجودين في فرنسا واسبانيا ونابولي وبارم.

الحلف الاستعماري Pacte Colonial : وهو النظام الذي خضعت له التجارة في المستعمرات الفرنسية حتى فترة انتصار مبادئ النظام الحر في عام ١٨٦٠. وكان يتلخص اساساً في الحق المطلق للدولة الأم في ارسال موادها المصنعة الى مستعمراتها والحصول على المواد الاولية اللازمة لصناعتها من هذه المستعمرات.

الحلف الرباعي Pacte à Quatre : وهو الحلف الذي اتفق عليه في روما في عام ١٩٣٣ بين فرنسا وايطاليا والمانيا لتنظيم العلاقات الاوروبية ولتفادي الاخطار الطارئة الناجمة عن الحرب.

ولقد عرف التاريخ احلافاً عديدة مثل حلف «ديلوس» الذي شكل من الدول الاغريقية برئاسة اثينا وكان مركزه معبد «آبولو» في جزيرة «ديلوس» اليونانية. وتكون الحلف الاول (٤٧٨ – ٤٠٤ ق.م) من اثينا وعدد من المدن الايونية Ioniennes لمتابعة الحرب بحراً ضد الفرس. كما عرف العرب قبل الاسلام احلافاً منها: حلف المطيبين، وهو حلف عقدته عشيرة عبد مناف مع عدد من عشائر قريش ضد عبد الدار عندما أبى هؤلاء أن يتنازلوا عن الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها. وقد سمي هؤلاء بالمطيبين لأنهم غمسوا ايديهم في جفنة مملؤة بالطيب عند الكعبة ثم مسحوا الكعبة بأيديهم. وكذلك كان حلف الفضول وهو حلف عقدته بعض عشائر قريش للأخذ بناصر المظلومين. وقد شرب المتحالفون عند عقده من ماء زمزم. وقد شهد النبي (صلعم) حلف الفضول بخلاف حلف المطيبين الذي عقد قبل مولده.

وفي العام ١٦٦٨ تحالفت كل من انكلترا وهولندا والسويد ضد لويس الرابع عشر، ملك فرنسا، وعرف هذا الحلف باسم الحلف الثلاثي Triple Alliance. وفي العام ١٧١٨ تم التحالف بين كل من انكلترا وفرنسا وهولندا واسبانيا بغية المحافظة على معاهدة اوترخت Utrecht التي عرضت مشاريع الوزير الاسباني ألبيروني Alberoni للخطر، والتي تهدف الى النهوض باسبانيا من انهيارها. وقد عرف هذا الحلف باسم الحلف الرباعي Alliance quadruple

وفي فترة ١٧٩٢ – ١٧٩٩ تحالفت القوى الاوروبية ضد فرنسا، وكان ذلك أثناء حروب الثورة الفرنسية (انظر الثورة الفرنسية) والحروب النابوليونية (انظر نابليون). وفي العام ١٨١٤ – ١٨١٥ تحالفت كل من انكلترا وروسيا وبروسيا والنمسا ضد فرنسا. وفي العام ١٨١٥ تكون الحلف المقدس Alliance Sainte بين كل من اسكندر الاول، قيصر روسيا (الذي دعا الى تكوين هذا الحلف) وامبراطور النمسا، وملك بروسيا، كما انضم الى الحلف جميع ملوك اوروبا، ما عدا جورج الرابع ملك انكلترا، والبابا، وسلطان تركيا. وكانت غاية هذا الحلف المحافظة على معاهدة ١٨١٥ لحماية مطالب الليبراليين والوطنيين في دويلات ايطاليا وألمانيا. وشكلت هيئة روحية للحلف استمرت حتى ثورة ١٨٤٨ الفرنسية.

وفي العام ١٨٧٠ – ١٨٧١، تم تحالف دفاعي بين كل من ألمانيا والنمسا وروسيا ضد فرنسا. وعلى أثر التحريض الذي قام به بسمارك في العام ١٨٧٢ انسحب القيصر من الحلف الثلاثي في العام ١٨٨٦، واحتلت ايطاليا مكانه في العام ١٨٨٧. وفي العام ١٨٨٢ تم التحالف بين كل من المانيا والنمسا وايطاليا عرف بالحلف الثلاثي Alliance Triplice.

(١٢) الحلفاء

الحلفاء Les Alliés تعبير يدل على عدة دول مرتبطة بحلف. وقد أطلق اسم الحلفاء خلال الحرب العالمية الاولى على الدول المجابهة لدول الحلف المركزي (النمسا وهنغاريا وبلغاريا وألمانيا والامبراطورية العثمانية). وكانت دول الحلفاء تضم: بلجيكا (١٩١٤/٨/٤)، والبرازيل (١٩١٧/١٠/٢٦)، والامبراطورية البريطانية (١٩١٤/٨/٤)، والصين (١٩١٧/٨/١٤)، وكوستاريكا (١٩١٨/٥/٢٣)، وكوبا (١٩١٧/٤/٧)، وفرنسا (١٩١٤/٨/٣)، واليونان (١٩١٧/٦/٢٧) وغواتيمالا (١٩١٨/٤/٢٣)، وهاييتي (١٩١٨/٧/١٢)، وهندوراس (١٩١٨/٧/١٩)، وايطاليا (١٩١٥/٥/٢٣)، واليابان (١٩١٤/٨/٢٣)، وليبيريا (١٩١٧/٨/٤)، والجبل الاسود (١٩١٧/٨/٥)، ونيكاراغوا (١٩١٨/٥/٨)، وباناما (١٩١٧/٤/٧)، والبرتغال (١٩١٦/٣/٩)، ورومانيا (١٩١٦/٨/٢٧)، وروسيا (١٩١٤/٨/١)، وسان مارينو (١٩١٥/٦/٣)، وصربيا (١٩١٤/٧/٢٨)، وسيام (١٩١٧/٧/٢٢)، والولايات المتحدة (١٩١٧/٤/٦).

وفي الحرب العالمية الثانية اطلق اسم الحلفاء على الدول المجابهة لدول المحور (بلغاريا، وفنلندا، وألمانيا، وهنغاريا، وايطاليا، واليابان ورومانيا) وكانت هذه الدول: الأرجنتين (١٩٤٥/٣/٢٧)، واستراليا (١٩٣٩/٩/٣)، وبلجيكا (١٩٤٠/٥/١٠)، وبوليفيا (١٩٤٣/٤/٧)، والبرازيل (١٩٤٢/٨/٢٢)، وكندا (١٩٣٩/٩/١٠)، وتشيلي (١٩٤٥/٤/١١)، والصين (١٩٤١/١٢/٨)، وكولمبيا (١٩٤٣/١١/٢٦)، وكوستاريكا (١٩٤١/١٢/٨)، وكوبا (١٩٤١/١٢/٩)، وتشيكوسلوفاكيا (١٩٤١/١٢/١٦)، والدانيمارك (١٩٤٠/٤/٩)، وجمهورية الدومينيك (١٩٤١/١٢/٨)، والاكوادور (١٩٤٥/٢/٢)، ومصر (١٩٤٥/٢/٢٤)، والسلفادور (١٩٤١/١٢/٨)، واثيوبيا (١٩٤٢/١٢/١٤)، وفرنسا (١٩٣٩/٩/٣)، وبريطانيا العظمى (١٩٣٩/٩/٣)، واليونان (١٩٤٠/١٠/٢٨)، وغواتيمالا (١٩٤١/١٢/٩)، وهاييتي (١٩٤١/١٢/٨)، وهندوراس (١٩٤١/١٢/٨)، والهند (١٩٣٩/٩/٣)، وايران (١٩٤١/٨/٢٥)، والعراق (١٩٤٣/١/١٧)، ولبنان (١٩٤٥/٢/٢٧)، وليبيريا (١٩٤٤/١/٢٧)، واللوكسمبورغ (١٠/

١٩٤٠/٥) ، والمكسيك (١٩٤٢/٥/٢٢) ، وهولاندة (١٩٤٠/٥/١٠) ، ونيوزيلاندا (٣/ ١٩٣٩/٩) ، ونيكاراغوا (١٩٤١/١٢/١١) ، والنرويج (١٩٤٠/٤/٩) ، وباناما (١٢/٧/ ١٩٤١) ، والباراغواي (١٩٤٥/٢/٧) ، والبيرو (١٩٤٥/٢/١٢) ، وبولونيا (١٩٣٩/٩/١) ، والاتحاد السوفياتي (١٩٤١/٦/٢٢) ، وسان مارينو (١٩٤٤/٩/٢١) ، والمملكة العربية السعودية (١٩٤٥/٣/١) ، وجنوب افريقيا (١٩٣٩/٩/٦) ، وسوريا (١٩٤١/٦/٨) ، وتركيا (١٩٤٥/٢/٢٣) والولايات المتحدة (١٩٤١/١٢/٧) ، والارغواي (١٩٤٥/٢/١٥) ، وفنزويلا (١٩٤٥/٢/١٥) ، ويوغوسلافيا (١٩٤١/٤/٦) .

(٨) حلف بغداد

(انظر الحلف المركزي)

(٨) حلف جنوب شرقي آسيا (سياتو)

هو حلف امبريالي، خلقته الولايات المتحدة الامبركية لتطويق الجهة الجنوبية الشرقية للمعسكر الاشتراكي .

أعلن في مانيلا عاصمة الفيليبين ، في يوم ٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٤ ، عن توقيع معاهدة جنوب شرقي آسيا للدفاع الجماعي Ceato ، بين كل من استراليا وفرنسا ونيوزيلندا وباكستان والفيليبين وسيام والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الامريكية . وفي ١٩ شباط (فبراير) بدأ العمل لتنفيذ هذه المعاهدة بعد تصديق الفيليبين عليها . ولم يكن توقيع هذه الاتفاقية حدثاً طارئاً وانما سبقته اتصالات طويلة ومشاورات كثيرة تعود الى ايام الحرب العالمية الثانية .

كانت منطقة جنوب شرقي آسيا قبل هذا التاريخ من المناطق الخاضعة للاستعمار الغربي ، والتي تعيش على هامش التاريخ . ثم ايقظتها الحرب العالمية الثانية مع ما رافقها من احداث وشعارات بعضها طرحها اليابان (آسيا للآسيويين)، وبعضها طرحه المبدأ الشيوعي كالتحرر ، والنهب الاستعماري ، وبعضها جاء من الغرب المستعمر ذاته، كحق تقرير المصير والمساواة بين الشعوب والحرية الخ ... وكان من ظروف الحرب ان عمدت الدول المستعمرة الى تجنيد ابناء المناطق والاقاليم في جنوب شرقي آسيا ، فتكون لدى هذه الاقاليم قوات عسكرية بدرجة كافية من القوة . وعندما انتهت الحرب اخذت الاقنعة الاستعمارية في التساقط ، فحصلت في البداية الفيليبين وبورما وأندونيسيا على استقلالها ، وتفجرت الهند الصينية عن صراع دموي انتهى باستقلال فيتنام ، وانتصرت الثورة الشيوعية في الصين ، بينما كانت تايلاند من الدول التي حافظت على استقلالها باستمرار بسبب موقعها الجغرافي وتركها كحاجز بين مناطق المستعمرات الانجليزية والفرنسية .

وتحتل منطقة جنوب شرقي آسيا موقعاً استراتيجياً هاماً ، كما تتوفر فيها امكانات اقتصادية ضخمة وطاقات بشرية كبيرة . فمن ناحية الموقع الاستراتيجي تحتل منطقة جنوب شرقي آسيا موقعاً مفتاحاً في آسيا ، وتسيطر على طرق المواصلات بين اوروبا والشرق الاقصى . وتنقسم هذه المنطقة جغرافياً الى منطقتين مميزتين : اولاهما ، القسم الرئيسي لجنوب شرقي آسيا ويضم مملكة تايلاند ، وجمهورية بورما ، والملايو ، وفيتنام ، والى الشرق والجنوب توجد اندونيسيا، والفيليبين، وبورنيو الشمالية، وتيمور . وتشكل المنطقتان معاً حاجزاً بين المحيط الهندي والمحيط الهادي . وتتجمع سفن العالم جميعها عند مرورها بالمضائق والممرات المحدودة التي تقع بين هذا الحاجز الطبيعي . ومن أهم هذه المضائق والممرات مضيق مالاقا بين الملايو وسومطره ، ومضيق سوندة بين سومطره وجاوه ، وعلاوة على ذلك فهناك قاعدة سنغافوره التي تحتل اهمية خاصة لوقوعها عند الطرف الجنوبي لشبه جزيرة الملايو ، وقدرتها على السيطرة والتحكم بالمضيقين الرئيسيين (مالاقا وسونده) . اما من ناحية الموارد الاستراتيجية والاقتصادية فتعتبر منطقة جنوب شرقي آسيا من المناطق الغنية جداً في العالم بمواردها الأولية ، فهي تنتج خمسة اسداس موارد العالم من المطاط الطبيعي ، كما تنتج حوالي ثلثي محصول العالم من زيت النخيل ، علاوة على كميات كبيرة من المنغنيز والكروم . وهي مورد رئيسي للبترول في الشرق الاقصى ، ولو ان كميات البترول المستخرجة منها لا تتجاوز ثلاثة بالمائة من بترول العالم . ويعتبر الارز المحصول الزراعي الرئيسي للمنطقة . وتصدر بلدان جنوب شرقي آسيا ٦٠ ٪ من الأرز الذي يحتاجه العالم . ويبلغ عدد سكان اقاليم منطقة جنوب شرقي آسيا مائة وخمسة وسبعين مليوناً ، وتتزايد نسبة السكان بمعدل مرتفع نتيجة للانفجار السكاني في آسيا بصورة خاصة . وهكذا تتوفر في المنطقة جميع الدعامات الاساسية لتطور حضاري كبير ، من موارد اقتصادية ، وبشرية ، وطبيعية ، علاوة على موقع استراتيجي ينفرد بميزات كبرى وخصائص اساسية ، تمنحه جانباً كبيراً من الأهمية على المستوى الدولي ، مما جعل المنطقة مسرحاً للصراع الدموي خلال الحرب ، وميداناً للتوتر الشديد في الحرب الباردة . ذلك انه على الرغم مما تتميز به منطقة جنوب شرقي آسيا من غنى في الموارد الاقتصادية والطاقات البشرية ، فقد بقيت في حالة من التخلف والفقر شأنها في ذلك شأن جميع المناطق التي كانت خاضعة للنهب الاستعماري . وكان هذا التخلف والفقر سبباً في ظهور الحركات الثورية التحررية التي تنادي بإجراء تحولات اجتماعية كبيرة ، تستطيع تغيير بنية المجتمع ، وتنقله من مرحلة التخلف الى مرحلة متطورة ، عن طريق حرق المراحل الزمنية في البناء .

وكان هذا التغيير يعني حرمان الامبريالية العالمية من موارد هامة . وكان الاستعمار قد نجح من خلال سيطرته الطويلة على المنطقة في خلق طبقة ترتبط مصالحها بمصالح الاستعمار ، ولهذا جاءت الامبريالية الجديدة لدعم هذه الطبقة في اطار التنظيم الجديد للاحلاف التي تستهدف تشكيل نطاق يحيط بالاتحاد السوفييتي والصين الشعبية مركزي الاشعاع الرئيسيين للثورات الشيوعية .

وكانت اقاليم جنوب شرقي آسيا قد شهدت بعد الحرب العالمية الثانية سلسلة من الاضطرابات بسبب عدم استقرار اوضاعها السياسية والاجتماعية . واظهرت الاحداث ان المنطقة مستعدة لتقبل الافكار الشيوعية واظهر الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية مزيداً من الاهتمام بالحركات التحررية النامية . وهذا ما دفع الدول الامبريالية الى الاسراع في العمل لمجابهة الموقف المتدهور . وقد دعم هذا الاتجاه ما أعلنه ماو تسي تونغ خلال تلك الفترة في برنامجه الجديد للثورة العالمية عندما قال : « يجب النظر الى آسيا كهدفنا الرئيسي ، اذ لا ينتظر في الظروف الحاضرة حدوث ثورات داخلية في اوروبا او ظهور اعمال عنف تؤدي الى سيطرة الشيوعية على هذه القارة »، وجاء رد الرئيس الامريكي ايزنهاور في خطاب له بتاريخ ١٦ نيسان (ابريل) ١٩٥٣ أعلن فيه « ضرورة اتخاذ اجراء جماعي لوقف التغلغل الشيوعي » . وكان الجو ممهداً قبل ذلك بالمفاوضات الجارية بين الولايات المتحدة واستراليا ونيوزيلاندا والفيليبين لعقد معاهدات أمن تضمن الاستقرار في منطقة المحيط الهادي . وقد أكد مؤتمر جنيف، الذي بحث مشكلة الهند الصينية في صيف ١٩٥٤ ، ضرورة اتخاذ اجراء من جانب الولايات المتحدة وحلفائها في جنوب شرقي آسيا . وقد انتهت هذه الاتصالات لاقامة الحلف الذي حمل اسم (معاهدة مانيلا) . ووصف وزير الخارجية

الامريكي فوستر دالاس علاقة بلاده مع الحلف بقوله : « ان موقف الولايات المتحدة الامريكية بالنسبة الى معاهدة مانيلا هو موقف خاص . ذلك لانها الدولة الوحيدة بين دول المعاهدة التي ليس لها مصالح اقليمية في المنطقة . والمعاهدة بالنسبة الى باقي الدول المشتركة فيها ليست فقط اجراء ضد الشيوعية بل أيضاً اتفاقاً اقليمياً ، ولذلك فهي تنص على اتخاذ الاجراءات اللازمة ضد أي اعتداء على المنطقة مهما كان نوعه » .

وتظهر نصوص اتفاقية حلف جنوب شرقي آسيا الاهداف الرئيسية الثلاثة للحلف : واولها الدفاع عن المنطقة ضد كل اعتداء مسلح . وثانيها ، منع محاولات التخريب أو قلب نظام دول الحلف . وثالثها ، رفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي للدول الأعضاء . وتظهر النواحي العسكرية للحلف في مضمون المادة الرابعة والتي تنص على القيام بتنفيذ أي اجراء ضد عمليات التخريب أو قلب نظام الحكم . وتنص الفقرة الاولى من المادة الرابعة على أن الدول المتعاهدة توافق على ان « تتخذ الدول الأعضاء الاجراءات لمجابهة الخطر الجماعي كل وفقاً لنظمها الدستورية . كما تتخذ الاجراءات ذاتها في حالة الاعتداء المسلح على أي من الدول الأعضاء أو على أي دولة أو اقليم يتفق الاعضاء بالأغلبية على ان الهجوم المسلح عليها يعرض أمن المنطقة وسلامتها للخطر » . وهذه الفقرة مستمدة روحاً من « مبدأ مونرو » الذي ينص على أن أي اعتداء على أي دولة في القارتين الامريكيتين يعتبر اعتداء على الولايات المتحدة . كما ان النص على ان الدول الأعضاء تتخذ الاجراءات كلا وفق نظمها الدستورية ، يعطي كل دولة الحرية في انتقاء الطريقة المثلى بالنسبة اليها لصد العدوان المسلح . اما بالنسبة الى الخطر الناتج عن أعمال التخريب وما يشابهها ، وعن الهجوم غير المباشر ، فقد بحث في الفقرة الثانية من المادة الرابعة ، وهي تنص على أن الدول الأعضاء تتشاور في الحال بمجرد ان تقرر احداها ان سلامة المنطقة اصبحت مهددة ولو لم يأخذ هذا التهديد شكل العدوان المسلح . ولا تتضمن هذه الفقرة أية التزامات (غير التشاور) ، ولكنه من المسلم به أن هدف التشاور هو الاتفاق على الوسائل التي تتخذ للدفاع المشترك . وحتى يأخذ الحلف شكلا عملياً ، فقد نصت المادة الخامسة على تشكيل مجلس تمثل فيه الدول الأعضاء ، ويقرر المجلس الاجراءات التي تتخذ للتشاور فيما يختص بالخطط الحربية وأي خطط أخرى يتطلبها الموقف في المنطقة . وقد اجتمع مجلس حلف جنوب شرق آسيا للمرة الأولى في بانكوك عاصمة تايلاند بتاريخ ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٥٥ ، واتفق اعضاء المجلس في هذا الاجتماع ، بعد موافقة حكوماتهم ، على تعيين مستشارين عسكريين لوضع التوصيات اللازمة للمجلس حول طريقة التعاون العسكري بين دول الحلف ، على أن يجتمع هؤلاء الخبراء كلما دعت الحاجة ، ويضعون المخططات الضرورية لتنظيم اعمالهم . وقد اجتمع الخبراء للمرة الأولى في بانكوك ايضاً يومي ٢٤ و ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٥٥ ، وظهر خلال هذا الاجتماع كبر حجم الاعباء الملقاة على عاتقهم فيما يختص بالتخطيط ، ثم حددت المشاكل الرئيسية المطلوب وضع مخططات لها . وأعطي واجب التخطيط لهيئة عسكرية فرعية من الخبراء للقيام بالدراسة اللازمة ، ووضع المخططات المطلوبة . ثم اجتمعت هيئة التخطيط في باجيو في الفيليبين خلال شهري نيسان وايار (ابريل ومايو) من العام ١٩٥٥ ، واعطيت التوصيات اللازمة لهيئة الخبراء فيما يتعلق بالخطط اللازمة . وقد اجتمعت هيئة العسكريين لبحث الخطط الموضوعة وأعطى كل عضو من أعضائها رأيه لرئيس هيئة أركان الحرب الذي يتبع له للحصول على موافقته ، ثم بحثت وجهات نظر رؤساء هيئات أركان الحرب مجتمعة في مؤتمر الخبراء العسكريين الذي عقد في بانكوك بين السادس والثامن من شهر تموز (يوليو) ١٩٥٥ . وكان هدف هذه السلسلة من الاجراءات ضمان التنسيق بين وجهات نظر الدول المختلفة فيما يختص بمنطقة كل دولة وفيما يختص بالمنطقة كلها .

والحقيقة أن القوة العسكرية الاساسية التي شغلت بال الامبرياليين في آسيا هي قوة جيش جمهورية الصين الشعبية ، وما يملكه هذا الجيش من قوى مادية وبشرية وزخم معنوي . ولم يكن في دول المنطقة الدائرة في فلك الامبريالية دولة قادرة على موازنة القوة الصينية . لذا وجدت الولايات المتحدة أن عليها تعزيز قوة حليفاتها من جهة ، والاحتفاظ بقوات اميركية كبيرة في المنطقة ، وفي طليعتها الاسطول الامريكي السابع .

وكانت نقطة الضعف الاساسية للقوة العسكرية للحلف تتمثل في عدم خضوعها لقيادة موحدة مما يشكل عائقاً امام حشدها وتركيزها بسرعة في المنطقة المهددة او الاكثر خطورة . ولمعالجة نقطة الضعف هذه اعتمدت الولايات المتحدة الامريكية في تخطيطها على قيام حلفائها ببناء قوات خفيفة الحركة ، تكون اساس الدفاع عن المنطقة مع تركيز قوات ردع كبيرة (أميركية) في قواعد مختلفة على نحو ما هو متبع في التنظيم الدفاعي لحلف شمال الأطلسي . وقد تقرر في اجتماع لجنة التخطيط التي عقدت مؤتمرها في بيرل هاربور خلال شهر تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٥٧ « ان تكون الدول الأعضاء يقظة دائماً حفظاً لسلامتها ولاتخاذ اي اجراءات سريعة تتطلبها سلامة منطقة الحلف ، على ان تبحث المطالب وتحقق كل منها بالتعاون الوثيق بين الاعضاء » .

ولقد أدت طبيعة الحلف العدوانية إلى مجابهته من قبل الدول المعادية للامبريالية والمحبة للسلام . وكانت أول مقاومة ايجابية هي عقد مؤتمر باندونغ ، الذي أقر في توصياته مبدأ « نبذ الاحلاف ومقاومتها » .

ويختلف حلف جنوب شرقي آسيا عن حلف شمال الأطلسي في أن الأول لا يلزم الولايات المتحدة الامريكية بوضع قوات لها في المنطقة على خلاف ما هو عليه الوضع في دول حلف شمال الاطلسي . كما ان حلف جنوب شرقي آسيا يهدف الى التنسيق بين دول الحلف لا إلى تنظيم العمليات والخطط المشتركة .

وقد استمرت بريطانيا في ممارسة دورها لدعم الحلف بشكل مباشر وغير مباشر ، وكانت مخططاتها في ماليزيا وسنغافوره ضمن هذا الاطار . فقد تابعت بريطانيا تكوين القوة العسكرية لماليزيا ، وعندما عرفت ان قوة جهاز الحكم وتنظيم الجيش اصبح على درجة كافية من القوة ، عملت على اجراء مناورة كبيرة حملت اسم (بيرساتو – باديو) أو الوحدة الشاملة وكانت هذه المناورة التي اشتركت فيها قوات من ماليزيا وسنغافوره ونيوزيلنده واوستراليا وبريطانيا ، والتي نفذت في حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، بمثابة اختبار لكفاءة القوات من ناحية ، ودعم نفسي لهذه الدول الآسيوية من جهة أخرى . وعندما اكملت بريطانيا انسحابها من سنغافوره وماليزيا في نهاية العام ١٩٧١ كانت على ثقة بان الأجهزة التي تركتها ستؤمن لها مصالحها ومصالح الامبريالية لفترة طويلة من الزمن . ومن الملاحظ ان التطور الجديد في تنظيم الكومنولث قد جاء متوافقاً مع استراتيجية الاحلاف ومحققاً لاهدافها ، مما يضعها جميعها في اطار واحد هو خدمة المصالح الامبريالية وتأمين مصالحها ومساعدتها على الاستمرار في النهب الاستعماري ، ولكن دون مقابل . فابناء الاقاليم في تنظيم الاحلاف هم المسؤولون عن الدفاع في أقاليمهم – بالدرجة الأولى – لتامين مصالح الدول الامبريالية المشتركة في الحلف . ومن الطبيعي ان تكون الاطراف الأقوى ، المتمثلة بالدول الامبريالية ، هي التي تجني من الفائدة اكبرها ، وتحقق من

الاستثمارات الربح الاكثر ، مع الالتزام بحد ادنى من النفقات ، على حين كان الاستعمار القديم مرغماً للتدخل مباشرة من أجل ضمان مصالحه. وكان هذا يكلفه نفقات باهظة في الارواح والأموال. وجاءت الامبريالية بحلولها المتطورة (ومن بينها الاحلاف) فضمنت لنفسها المغانم وتركت لانصارها ومؤيديها الغرم. وبقيت شعوب بلدان جنوب شرقي آسيا المنضمة لحلف Ceato تدفع الثمن ، ولكنها لا تدفعه للمستعمرين مباشرة ، كما كانت الحالة من قبل ، بل عن طريق وسيط محلي يتمثل في الانظمة والطبقات المرتبطة مصلحياً مع المستعمرين الجدد.

(٥) حلف شمالي الأطلسي (ناتو)

حلف شمالي الاطلسي (N. A. T. O.) North Atlantic Treaty Organization ، هو معاهدة عسكرية ، وقعت في العام ١٩٤٩ بين كل من بلجيكا ، وبريطانيا ، وكندا ، والدانمارك ، وفرنسا ، وايسلندا ، وايطاليا ، ولوكسمبورغ ، وهولندا ، والنرويج ، والبرتغال ، والولايات المتحدة الاميركية. ولقد انضمت كل من اليونان وتركيا الى الحلف في العام ١٩٥٢. اما المانيا الغربية فانضمت بعد اتفاق باريس في العام ١٩٥٥. ويلزم الحلف كل دول أوروبا الغربية واميركا الشمالية بالتشاور فيما بينها اذا هدد أمن أية دولة من الدول الاعضاء ، واعتبار اي هجوم مسلح ضد أية دولة هجوماً على جميع الدول الاعضاء تواجهه كل دولة بالشكل الذي تراه مناسباً « بما في ذلك استخدام القوة لصيانة منطقة شمالي الاطلسي والحفاظ على أمنها ».

ولقد اضاف اتفاق باريس ، الذي عقد في العام ١٩٥٥ ، بروتوكولا الى المعاهدة يهدف الى تقوية الحلف ، عدلت بموجبه معاهدة بروكسل ، التي تضم الآن كلا من ايطاليا ، والمانيا الغربية بالاضافة الى الاعضاء الاصليين ، فرنسا ، وبريطانيا ، وبلجيكا ، ولكسمبورغ ، وهولندا. ويتعهد الموقعون على هذه المعاهدة بأن تقدم كل دولة « كل ما لديها من امكانات عسكرية وعون ومساعدة » اذا ما تعرضت احدى الدول الاعضاء « لعدوان مسلح في اوروبا ». ومدة اتفاقية بروكسل هذه ٥٠ عاماً.

ومنذ العام ١٩٦٩ اصبح بامكان الاعضاء الموقعين على المعاهدة الانسحاب من الحلف بعد اعطاء انذار مدته سنة واحدة. ورغم ان فرنسا كانت من الدول الموقعة على المعاهدة الا انها لم تعد عضواً فعالا فيه ، كما ان ايسلندا ، ولوكسمبورغ والنرويج تضع قيوداً كثيرة على مشاركتها في الحلف.

وجاء الحلف في الاصل انطلاقاً من فرضيات وضعت في العام ١٩٤٩ ، وتتعلق بمفهوم « الامن الاوروبي » ، وتتلخص هذه الفرضيات في البنود التالية : ١) ضرورة التحالف العسكري لمواجهة الخطر السوفياتي ، ٢) عدم امكانية مواجهة هذا الخطر بدون تواجد اميركي ضخم في المنطقة لأن اوروبا لا تستطيع الدفاع عن نفسها منفردة ، ٣) الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة القادرة على تأمين الردع النووي لحماية اوروبا. وكما هو واضح فان البندين الاخيرين يفترضان بان تتخذ جميع القرارات الاستراتيجية الرئيسية في واشنطن ، ويفترضان بالتالي تبعية الدول الاوروبية لها ، وتحويلها الى محمية اميركية. ولقد عارضت فرنسا فرضيات العام ١٩٤٩ هذه ، ورأت بأن الخطر السوفياتي ، هو الى حد كبير ، غير حقيقي ، وان بامكان فرنسا مواجهة مصادر الخطر المحتملة الاخرى بقواها الذاتية او بقوى اوروبية موحدة.

وتسبب التعارض بين الحقائق الحالية وفرضيات العام ١٩٤٩ في نشوء ما يعرف بمشكلة الامن الاوروبي ، التي انعكست على حلف شمالي الاطلسي بشكل رئيسي ، فالولايات المتحدة راغبة في حماية اوروبا ، الا انها تريد القيام بذلك بمزيج من القوات الاميركية النووية ، والقوات الاوروبية غير النووية. وكانت دوافع هذه الترتيبات اقتصادية اكثر منها استراتيجية. فالولايات المتحدة تريد تخفيض اعبائها الاقتصادية في اوروبا عن طريق سحب قواتها واعتدتها من هناك ، وتبقى في الوقت نفسه مسيطرة على الوضع ، لانها تمسك بيدها مقاليد القوة النووية الاستراتيجية. ولكن دول حلف شمالي الاطلسي الاخرى ترى ان ليس للضمانة الاميركية أية قيمة في حال غياب القوات الاميركية عن اوروبا ، كما ان غياب هذه القوات سيؤدي الى زيادة الاعباء العسكرية على الدول الاوروبية. واقترن هذا الخلاف بضغوط المانية وايطالية للسماح لهما بانتاج اسلحة نووية. وأدت كل هذه الامور الى انسحاب فرنسا ديغول من المنظمة العسكرية لحلف شمالي الاطلسي ، في العام ١٩٦٦ ، وانتقال قيادة الحلف من باريس ، حيث كان مقرها منذ العام ١٩٥٢ ، الى بروكسل.

وتتمثل الهيئة الحاكمة في الحلف بمجلس شمالي الاطلسي ، ومركزه في بروكسل ، ويتكون من وزراء من جميع الدول الاعضاء ، يجتمعون مرتين في السنة عادة. ومن ممثلين دائمين عن جميع الحكومات.

وحلف شمالي الاطلسي معقد التشكيل ، وهو متعدد الهيئات واللجان والقيادات ، الرئيسية والفرعية. الا ان فيه ثلاث قيادات عسكرية رئيسية هي :

١) **قيادة الحلفاء/اوروبا** ، ومركزها في كاستو (بلجيكا). وتتولى مسؤولية الدفاع عن جميع الاراضي التابعة لدول حلف شمالي الاطلسي باستثناء بريطانيا ، وفرنسا ، وايسلندا ، والبرتغال. وهي مسؤولة ايضاً عن الدفاع عن المجال الجوي البريطاني. وفي العام ١٩٧٤ ، كان لدى هذه القيادة قوة مكونة من ٧٠٠٠ رأس نووي تكتيكي ، تطلق الى اهدافها بواسطة ٢٠٠٠ طائرة وصاروخ ومدفع ، موزعة على جميع المناطق. وتشرف الولايات المتحدة الاميركية على جميع الاسلحة النووية ، باستثناء اعداد قليلة موجودة لدى القوات البريطانية. اما القوات التقليدية فتتكون في زمن السلم من ٦٣ فرقة تتسلح بحوالي ١٠٠٠٠ دبابة ، وحوالي ٢٨٠٠ طائرة مقاتلة تكتيكية موزعة على ١٥٠ قاعدة جوية.

ويتعاون مع قوات حلف شمالي الاطلسي الفيلق الفرنسي الثاني المكون من فرقتين ، والذي يرابط في المانيا الغربية بموجب اتفاق خاص بين الحكومتين الفرنسية والالمانية.

وتتبع لقيادة الحلفاء/اوروبا القيادات التالية :

أ) القوات الحليفة لوسط اوروبا ، وتسيطر على القوات البرية والجوية في قطاع وسط اوروبا ، ومركز قيادتها برونسوم (هولندا) وقائدها ضابط الماني. وتتكون قوات هذه القيادة من ٢٣ فرقة بلجيكية ، وبريطانية ، وكندية ، والمانية غربية ، وهولندية ، واميركية. بالاضافة الى ١٦٠٠ طائرة مقاتلة تكتيكية. وهي مقسمة الى مجموعات وجيوش يتولى كل واحد منها قطاعاً محدداً.

ب) القوات الحليفة لشمال اوروبا. ومركز قيادتها في كولساس (النرويج) وتتولى مسؤولية الدفاع عن الدانمارك ، والنرويج ، وممرات البلطيق ، وشيلسفيغ – هولشتاين. ويقود هذه القوات ، عادة ، ضابط بريطاني. وتخضع لها غالبية القوات البرية والبحرية والجوية النرويجية والدانماركية ، وجزء من القوات الالمانية الغربية.

ج) القوات الحليفة لجنوبي اوروبا. ومركز قيادتها في نابولي وقائدها عادة اميرال اميركي. وتتولى مسؤولية الدفاع عن ايطاليا ، واليونان ، وتركيا ، وحراسة خطوط المواصلات البرية في المتوسط ، والمياه الاقليمية التركية في البحر الاسود.

وتتكون من ١٩ فرقة تركية و ٨ فرق يونانية ، و ١١ فرقة ايطالية . بالاضافة الى القوات الجوية التكتيكية لهذه الدول . اما القوات البحرية المفروزة لها فهي الاسطول السادس الاميركي ، وقوات بحرية من تركيا ، واليونان ، وايطاليا ، وبريطانيا . وتقسم القوات البرية الى قيادتين : شمالية ، وتشمل ايطاليا والممرات المؤدية اليها ، ويرأسها ضابط ايطالي . وشمالية شرقية ، وتشمل تركيا ، واليونان ، ويرأسها ضابط اميركي . اما القوات البحرية والجوية فتخضع كل منهما لقيادة خاصة بها ، ومركز قيادتهما في نابولي (ايطاليا) . ويوجد وحدة مراقبة جوية خاصة ، وقوة جوية من طائرات الدورية البحرية ، تستخدم طائرات ايطالية ، وبريطانية ، واميركية تنطلق من قواعد جوية في اليونان ، وتركيا ، وصقلية ، وايطاليا .

د) منطقة الدفاع الجوي عن المملكة المتحدة ، ومركز قيادتها في هاي وايكومب (بريطانيا) .

ه) قوات « قيادة الحلفاء/اوروبا » المتحركة ، شكلت بهدف حماية الجناحين الشمالي ، والجنوبي الشرقي . وهي مكونة من ٧ كتائب مشاة معززة ، ومن سرية استطلاع مدرعة ، و ٥ بطاريات مدفعية ، ومفرزة هليكوبتر ، وسرب من طائرات الاسناد الارضي المقاتلة .

٢) **قيادة الحلفاء/الاطلسي** ، ومركز قيادتها نورفولك (فيرجينيا) ، وتتولى مسؤولية الدفاع عن المنطقة الممتدة من القطب الشمالي الى مدار السرطان ، بما في ذلك السواحل البرتغالية وقائدها اميرال اميركي . وفي حال وقوع حرب ، تساهم في توجيه الضربة الاستراتيجية ، وفي حماية خطوط المواصلات البحرية . وليس لهذه القيادة اية قوات في زمن السلم ، باستثناء القوة البحرية المتأهبة/الاطلسي ، التي تتكون عادة من ٤ مدمرات . اما لاغراض التدريب ، او في حالة وقوع حرب فتخضع لها قوات بحرية بريطانية ، وكندية ، ودانماركية ، وهولندية ، وبرتغالية ، واميركية . وهناك مخططات للتعاون مع القوات البحرية الفرنسية . ولهذه القيادة ٦ قيادات فرعية هي : قيادة غربي الاطلسي ، وشرقي الاطلسي ، والايبيري الاطلسي ، والاسطول الضارب الاطلسي ، وقيادة الغواصات ، والقوة البحرية المتأهبة/الاطلسي . وتتكون نواة القوة الضاربة الاطلسية من الاسطول الثاني الاميركي الذي يضم ٤ حاملات طائرات هجومية ، وتشارك الطائرات ، المنطلقة من حاملات الطائرات ، الغواصات حاملة الصواريخ في توجيه الضربة النووية .

٣) **قيادة الحلفاء/القنال** ، ومركزها في نورثوود قرب لندن . ويرأسها قائد بريطاني . ومهمة هذه القيادة السيطرة على بحر الشمال والقنال الانكليزي في حالة نشوب حرب . وقد أفرز لهذه القيادة العديد من السفن الحربية الصغيرة من بلجيكا ، وبريطانيا ، وهولندا ، بالاضافة الى عدد من الطائرات البحرية . وهناك مخططات للتعاون مع البحرية الفرنسية . وفي ٢ أيار (مايو) ١٩٧٣ شكلت قوة بحرية متأهبة تضم عدداً من السفن الكاسحة للالغام من بلجيكا ، وهولندا ، وبريطانيا ، وتستطيع الدول الاخرى التي يهمها امر المنطقة المشاركة على اساس مؤقت .

ويستخدم حلف شمالي الاطلسي شبكة رادار ضخمة تمتد من النرويج في اقصى الشمال وتمر عبر الدانمارك ، والمانيا الغربية ، وهولندا ، وبلجيكا ، وفرنسا ، وايطاليا ، واليونان ، الى تركيا ، ويطلق عليها اسم « نادج » وهو اختصار لجملة « محيط الدفاع الجوي لحلف شمالي الاطلسي » . وتتكون هذه الشبكة من ١٧ محطة رئيسية ، وتقوم بمراقبة المجال الجوي لحدود دول حلف شمالي الاطلسي المواجهة لاوروبا الشرقية .

وفي العام ١٩٧٤ تعرض حلف شمالي الاطلسي لهزة قوية على أثر احداث قبرص ، التي أدت الى انسحاب اليونان من الحلف ، وتوتر العلاقات ما بين تركيا والولايات المتحدة بعد ان اوقفت هذه الاخيرة مساعداتها للاولى ، الامر الذي انعكس على الحلف ، وعلى تواجد القوات الاميركية في تركيا .

٨) الحلف المركزي (سنتو)

هو حلف امبريالي ، اخذ في البداية اسم حلف بغداد (١٩٥٥) ، وكانت مهمته تطويق الاتحاد السوفييتي من الجنوب ، ثم اخذ اسم الحلف المركزي بعد ثورة ١٤ تموز (يوليو) في العراق ، وخروج بغداد من الحلف .

ظهرت الخلافات والتناقضات بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بين حلفاء الأمس . وكانت دول الكتلة الشرقية تحت قيادة الاتحاد السوفييتي تنظر إلى الحلفاء الغربيين نظرة شك وحذر ، على حين كان الغربيون يرون أن الحرب أعطت الاتحاد السوفييتي زخماً كبيراً ، ومدت نفوذه في أوروبا الشرقية وآسيا ، وجعلته يشكل مع الصين الشعبية ودول أوروبا الشرقية الاشتراكية قوة هائلة لا بد من احتوائها ومحاصرتها ومنعها من مد نفوذها في أوروبا وآسيا . ولقد أدى هذا الشك المتبادل إلى ظهور سياسة الحرب الباردة التي كان من مظاهرها إقامة طوق يحيط بالمعسكر الاشتراكي ، ويتألف من حلف شمال الأطلسي NATO ، وحلف جنوب شرقي آسيا CEATO ، وحلف البلقان الذي كان يضم تركيا واليونان ويوغوسلافيا في ٢٨ شباط ١٩٥٣ .

ولقد رأت الدولتان الغربيتان الكبيرتان (اميركا والمملكة المتحدة) أن من الضروري تطويق الاتحاد السوفياتي من الجنوب بحلف يضم دول شرقي البحر الابيض المتوسط ، والتي كان بعضها مشتركاً أصلا في حلف شمال الاطلسي (تركيا) . ولكن رفض الدول العربية لفكرة الحلف نتيجة لنمو الوعي القومي وكراهية الشعوب العربية للاستعمار في جميع ظواهره واشكاله ، والخوف من انضمام اسرائيل إلى الحلف بحكم موقعها الجغرافي ، حملت اميركا وانكلترا على التركيز لضم تركيا واليونان الى منظمة حلف شمال الاطلسي ، مع وضع مشروع تبادلي أعطي اسم « منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط » . ولكن هذه المحاولة فشلت بدورها ايضاً . وكانت وجهة النظر العربية « بان هذه المنطقة لا يدافع عنها الا أبناؤها ، وفقاً لما تمليه عليه مصالحهم وظروفهم ومستقبلهم » .

ونتيجة لهذا الفشل ، بدأ وزير الخارجية الاميركية دالاس برحلة الى الشرق الأوسط ، ثم وضعت خطة جديدة تستند الى نقاط خمس: اولاها ، استخدام التسهيلات التي تتوفر لبريطانيا في المنطقة ، مثل القواعد الاميركية في الظهران بالمملكة العربية السعودية ، واضنه بتركيا ، والقواعد الانكليزية في الاردن وليبيا ، وذلك للاضطلاع بمتطلبات الدفاع . والنقطة الثانية هي دعم الدول التي تقبل التعاون مع الغرب في الدفاع عن العالم العربي وفي طليعة هذه الدول تركيا . والنقطة الثالثة هي تقديم توصية لدول المنطقة من اجل إقامة (منظمة اقليمية) للدفاع عن الشرق الأوسط دون ان تشترك فيها الدول الغربية ، وهذه المرحلة التي بدأ على صورتها حلف (تركيا - باكستان) ، والذي تطور وأخذ صورة أخرى بانضمام بغداد اليه فيما بعد . واذا ما نجح الغرب في تكوين هذه المنظمة الجديدة ، فان باستطاعة امريكا وبريطانيا عندها الاشتراك بالمنظمة كأعضاء للمساهمة بواجب الدفاع ، وهذه هي النقطة الرابعة . أما النقطة الخامسة والأخيرة فهي الانضمام الى حلف شمال الاطلسي عندما يكتمل تنظيم الحلف ، وبذلك تتم عملية احكام طوق الحصار حول الاتحاد السوفييتي .

وعلى الرغم من اتفاق الولايات المتحدة الاميركية

والمملكة المتحدة بالنسبة إلى استراتيجية المنطقة، فقد كانت بينهما اختلافات في وجهات النظر، اذ كانت انكلترا ترى عدم اشراك دول الشرق الأوسط في الدفاع عن المنطقة، بسبب تخلف هذه الدول اقتصادياً وعسكرياً، كما ترى ضرورة احتفاظ بريطانيا بقوات لها في الشرق الاوسط لضمان مصالحها، على أن تقوم أمريكا وتركيا واسرائيل بالدفاع عن المنطقة، على اساس ان الدفاع يتركز في مجابهة العدوان السوفييتي بقوات ميكانيكية وقوات مدرعة يتم نقلها جواً تدعمها القوات الجوية وتتواجد هذه القوات في قواعد لها في مصر والعراق وشرق الاردن.

اما وجهة النظر الامريكية فكانت تختلف تماماً، ذلك ان امريكا كانت ترغب في ان تقوم دول المنطقة بالدفاع عن نفسها في اطار منظمة للدفاع عن الشرق الأوسط. وعلى هذا يجب وضع حل لمشكلتي البترول الايراني وقناة السويس. وقد ساعدت امريكا فعلا في حل المشكلتين المذكورتين. وكانت هذه إحدى نقاط اللقاء مع استراتيجية الاتحاد السوفييتي بالنسبة الى المنطقة. وقد ظهر ذلك فيما بعد، خلال العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ حيث طالبت الدولتان (الاتحاد السوفييتي وامريكا) بإيقاف العدوان فوراً وسحب قوات العدوان من مصر (انظر الحرب العربية الاسرائيلية الثانية ١٩٥٦).

وكانت وجهة الحكومة العراقية بالنسبة للاحلاف (في تلك الفترة) تختلف عن وجهة نظر البلدان العربية الأخرى. وكان العراق يرى ان أي نظام دفاعي منبثق عن ارادة الدول العربية وحدها لا يمكن له النهوض بالتسلح الكامل والتدريب المنظم للقوات المسلحة. وان ذلك غير ممكن الا اذا امكن الافادة من مساعدات الغرب. وان لمعسكر الغرب مصالحه في البلدان العربية، وله استراتيجيته ومخططاته ضد الاتحاد السوفييتي الذي يرغب في الوصول الى البلدان العربية الغنية بمواردها (البترول بصورة خاصة). ولهذا فان بالامكان استثمار هذا الموقف لدعم اقتصاد البلدان العربية، وزيادة تسلحها وقوتها. وعلاوة على ذلك فقد كان نوري السعيد (واضع هذه السياسة) يرى ان بلاده قريبة من الاتحاد السوفييتي، وان الأكراد الذين يشكلون غالبية السكان في شمال العراق، يخضعون لمؤثرات الاتحاد السوفييتي، وما يبثه الشيوعيون من دعوات انفصالية ضد نظام الحكم في العراق. وان الموقف يتطلب ارتباط العراق بالغرب لمجابهة هذا الخطر.

وواضح من خلال عرض وجهات النظر المختلفة انها تنطلق كلها من منطلق واحد، هو تطوير الوسائط والمخططات الاستعمارية بما يتوافق مع معطيات ما بعد الحرب، ومع ما اخذت تتردد اصداؤه في ضمير الجماهير من حاجات التحرر والاستقلال والبناء اعتماداً على القوة الذاتية. والملاحظة الثانية هي التشابه الكبير في مبادئ الاحلاف واهدافها ووسائل عملها وتنظيماتها، ذلك لانها ولدت كلها في ظروف واحدة، وفي فترة زمنية متقاربة، هي أوائل الخمسينات.

ولقد ركزت امريكا وبريطانيا في دعايتها للحلف على فكرة الدفاع المشترك ضد التغلغل السوفييتي، ومنع تسلل الأفكار الشيوعية الى البلدان التي ستنضم إلى الحلف. وأفادت من تخلف بلدان المنطقة، فوعدتها بالمساعدات العسكرية والاقتصادية. ووجدت هذه الدعاية صدى كبيراً في الأوساط الحاكمة في بلدان المنطقة نظراً لسيطرة البورجوازية الكبيرة على الحكم فيها، وارتباط هذه البورجوازية مصلحياً وثقافياً بالغرب، وخوفها من انتشار الأفكار الشيوعية أو اليسارية عموماً بين صفوف الجماهير. وبعد مذاولات، ووعود، وزيارات ضمنت الدول الغربية اشتراك العراق وايران وتركيا وباكستان في الحلف، وعقد في بغداد يومي ٢١ و ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٥ اجتماع برئاسة نوري السعيد رئيس الوزارة العراقية. وحضر عن ايران رئيس الوزراء حسين علاء، وعن باكستان رئيس الوزراء جودري محمد علي، وعن تركيا رئيس الوزراء عدنان مندريس، وعن المملكة المتحدة وزير خارجيتها هارولد ماكيلان، وارسلت الولايات المتحدة الامريكية ممثلين عنها، فحضر سفيرها في بغداد المؤتمر بصفة مراقب، كما حضر ممثل للقوات الامريكية اجتماع اللجنة العسكرية. وفي نهاية المؤتمر اعلن عن قيام حلف بغداد. وقد رحب المؤتمرون برغبة حكومة الولايات المتحدة الامريكية في وضع لجنة ارتباط سياسية وعسكرية دائمة بالمجلس، وأن يكون لها مراقب في الاجتماع التأسيسي للجنة الاقتصادية. واعلنت الحكومة العراقية في المجلس بأن مسؤولياتها تجاه الحلف وعضويتها بالمجلس الوزاري كما ورد في الميثاق (الفقرة الرابعة) لا تتعارض أو تتناقض مع التزاماتها تجاه معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية. واكدت الحكومات الخمس (العراق وايران وباكستان وتركيا والمملكة المتحدة) رغبتها في العمل لاقرار السلام والأمن في الشرق الأوسط والدفاع عن بلادها ضد العدوان والاعمال التخريبية وفق نص المادة (٥١) من ميثاق هيئة الامم المتحدة، مع العمل لزيادة رفاهية شعوب المنطقة. وتقرر في الاجتماع الأول وعلى ضوء الوضع الدولي المتوتر (آنذاك) الابقاء على الاتصال الدائم وتنسيق التعاون المستمر لمجابهة كل تهديد لمصالح الدول المشتركة. كما تقرر جعل بغداد مقراً دائماً للحلف، على أن تعمل كل دولة على تعيين مندوب عنها برتبة سفير، وتم تنظيم سكرتارية للمجلس، وتعيين مجلس دائم لدراسة المواضيع السياسية والاقتصادية والعسكرية. وتم في أول اجتماع للجنة العسكرية وضع تنظيم الجهاز العسكري الذي سيعمل على وضع الاسس لحفظ الأمن والاستقرار في المنطقة.

وكانت حكومتا العراق وبريطانيا قد وقعتا اتفاقاً بموجب ميثاق الرابع من نيسان (ابريل) ١٩٥٥. اخذ العراق على عاتقه بموجب هذا الاتفاق مسؤولية الدفاع عن الاقليم، وحماية المواقع الدفاعية في العراق، وبدأت عملية جلاء القوات البريطانية عن قاعدتي الشعيبة والحبانية، وبذلك اعلن إلغاء معاهدة ١٩٣٠ المعقودة بين العراق وبريطانيا، وتم توقيع اتفاقية تنص على قيام التعاون والارتباط العسكري والسياسي بين العراق وبريطانيا، مع حق استخدام المطارات والقواعد العسكرية العراقية من قبل الجيش البريطاني. ومقابل ذلك فقد عملت بريطانيا على تقديم مساعدات عسكرية للعراق بغية بناء قواته المسلحة وتوفير الامكانات للدفاع المشترك.

وقد اعلن مجلس الحلف في اجتماعه عن تقديره للمساعدات الكبرى التي تقدمها حكومة الولايات المتحدة الامريكية للدول المنضمة للحلف بشكل معدات عسكرية واسلحة. واعلنت حكومة المملكة المتحدة عن استعدادها لتجهيز اقطار الحلف بالطاقة الذرية، وتزويدها بالخبرة العلمية والفنية في هذا المجال، لمساعدتها في تأسيس مشاريع الطاقة الذرية للأغراض السلمية. كما أعلنت انها ستجهز دول الحلف بالخبرة الذرية التي هي ذات فائدة لحل (المشاكل المحلية والاقليمية). وقد أعلن المجلس عن تقديره لهذا الموقف البريطاني، ووجه اللجنة الاقتصادية للنظر في الطلب العلمي.

ومقابل ذلك فقد حصلت المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية على فرصة توسيع شبكة قواعدهما العسكرية في دول الشرق الأوسط التابعة للحلف، ومن بين القواعد البحرية التي اصبحت تحت تصرف الحلف: موانئ جلجوك واستانبول وأزمير واسكندرونه بتركيا، وكراتشي وشينا جونج بباكستان، وخرشهر وبهلوي في ايران، والبصرة في العراق،

وفاماغوستا بقبرص ، وقاعدة عدن . وبنتيجة توقيع ميثاق الحلف ، اخذت امريكا وبريطانيا في توسيع القواعد البحرية والجوية لدول الحلف ومنها قاعدة كراتشي البحرية . كما حصلت باكستان من البنك الدولي للتعمير على ١٤ مليون دولار لتحقيق هذه الغاية ، بالاضافة الى عشرين مليون دولار حصلت عليها الباكستان في العام ١٩٥٧ لمتابعـة تطوير القواعد . وشهدت مطارات دول الحلف وقواعدها البحرية تطوراً كبيراً في تنظيمها وتجهيزها .

وقد انبثق عن الحلف لجنة اقتصادية مهمتها تطوير ودعم الموارد الاقتصادية والمالية للمنطقة ، والافادة من الخبرات المشتركة وتوجيهها في سبيل التطور الاقتصادي والتعاون في ذلك مع الهيئات والمنظمات الدولية ، كبنك الإعمار والإنشاء الدولي ، وعقدت اللجنة الاقتصادية لميثاق بغداد في قصر الزهور اجتماعها في يوم ١٠/١/١٩٥٦ ، وذلك لمدة يومين ، وصدر بيان عن اعمال المؤتمر الأول جاء فيه ان اللجنة وضعت مخططاً للاعمار تنفق الحكومة بموجبه ما يزيد على ثلاثمائة وخمسين مليون جنيه في السنة للاعمار ، مما يساعد على رفع المستوى الحياتي للمنطقة ، مـع وضع دراسات للمشاكل الاقتصادية وتنظيم العلاقات التجارية والمواصلات والزراعة واستثمار الأرض والتعليم والصحة والتعريب ، وتقـديم اقتراح لتأسيس مركز للتدريب على شؤون الطاقة الذرية في بغداد ، بالاضافة الى تقديم مقترحات لاجراء تنسيق للتعاون في عدد من المجالات المختلفة وتبادل الخبرة بين دول الحلف .

وكانت الولايات المتحدة الامريكية والمملكة المتحدة اكثر اطراف الحلف تقدماً في المجال التقني والعلمي . ولهذا فان مضمون تبادل الخبرة يعني تقديم الولايات المتحدة والمملكة المتحدة خبراتهما تلبية لمتطلبات الحلف الدفاعية بالدرجة الأولى .

وحاولت الولايات المتحدة وبريطانيا استمالة البلدان العربية والاسلامية للحلف ، ولكن موقف البلدان العربية كان مخالفاً لسياسة الأحلاف . وقد ظهرت حملة من الضغط لدفع البلدان العربية نحو الاحلاف لا سيما بعد العام ١٩٥٦ . ولكن فشل العدوان الثلاثي على مصر أعطى جماهير الأمة العربية زخماً قوياً وثقة كبرى بقدراتها وامكاناتها على مجابهة التحديات . وقد حاولت تركيا الضغط على سوريا بصورة خاصة على اعتبار ان انضمام سوريا للحلف سيضمن نجاح تكتل المنطقة ، كما سينجح في تقسيم العالم العربي الى كتل متعددة ، مما يجهض فكرة الوحدة العربية ، ويحطم الارادة المتصاعدة للقومية العربية . وقد كانت ضغوط تركيا من بعض الأسباب المباشرة لتحقيق مزيد من التلاحم بين مصر وسوريا ، ثم انضمام السعودية واليمن اليهما .

وقد اجريت بعض المحاولات لضم الاردن الى الحلف،ولكن الشعب الاردني اعلن الثورة على سياسة الأحلاف ، وسقط هزاع المجالي ، وتم طرد غلوب من الاردن ، وسار الاردن مع الدول العربية المتحررة. وقد انتقل الصراع الى لبنان بين تياري الانضمام للحلف ومعارضة الحلف وتفجر هذا الصراع في العام ١٩٥٨ على شكل معارك دموية شملت الاقليم اللبناني . وكان من نتيجة الهبة الشعبية في لبنان تجميد طرح موضوع الحلف بالنسبة اليه . وكانت هذه الاحداث كلها تسير جنباً الى جنب مع المعارضة المنظمة للدول العربية المتحررة التي وضعتها مصر وسوريا ، والتي انتهت بإقامة وحدة سوريا ومصر في شباط (فبراير) ١٩٥٨ . وكان قيـام هذه الوحدة ، وتأييد الجماهير لها ، من العوامل التي احبطت عملية امتداد حلف بغداد عربياً . ورغم ذلك فقد تابعت دول الحلف مخططاتها . ونظمت قواتها العسكرية ، فأصبحت تزيد على مليون مقاتل (تركيا نصف مليون،وباكستان اربعمائة ألف،وايران مائة وسبعين الفاً،والعراق خمسين الفاً) ، بالاضافة إلى القوات البريطانية التي كانت تزيد من قوتها عن طريق تنظيم القواعد الجوية والبحرية . وقد حاولت بريطانيا بعد أن أرغمت على الجلاء عن مصر مرتين : (في العام ١٩٥٤ ، وبعد العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦) أن تجد في عدن والعراق مرتكزات جديدة ، وأن تدعم من وضع قواتهـا في الخليج العربي ، ولكن ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ أخرجت العراق من حلف بغداد الذي أخذ بعد خروج بغداد منه اسم الحلف المركزي Cento .

لقد كانت انكلترا العضو المشترك في الاحلاف التي ظهرت خلال تلك الفترة، فكان حلف شمال الأطلسي يضم اليه انكلترا وكندا ، وكان الحلف المركزي يضم انكلترا وايران وباكستان ، كما كان حلف جنوب شرق آسيا يضم انكلترا ونيوزيلندا واستراليا وباكستان . وان وجود انكلترا في هذه الاحلاف هو ظاهرة من ظواهر تطوير الاساليب الاستعمارية البريطانية بما يتوافق مع روح العصر . ولكن تجارب الشعوب مع الاستعمار اصبحت دليلا واضحاً يوجه خطوات الجماهير والشعوب للابتعاد عن التحالفات المشبوهة ،وهذا ما دفع جماهير الشعب العربي الى رفع شعار نبذ الاحلاف ، والوقوف منها موقف العداء والمقاومة ، مما انتهى الى احباط هذه الاحلاف في الوطن العربي . وكان البديل لهذه الاستراتيجية الغربية المعاصرة ، العمل الجاد لتحقيق الوحدة العربية ، وتعزيز تضامن القوى العربية على المستوى المحلي ، ودعم استراتيجية الحياد الايجابي وعدم الانحياز الذي تمثل بمؤتمرات باندونغ وبريوني ، ودعم حركات التحرر في العالم ، وتأييد التنظيمات الاقليمية للقوى المتحررة من الاستعمار حديثاً (كتلة الشعوب الأفرو – آسيوية) .

(٥) حلف وارسو

حلف وارسو Warsaw Pact هو الاسم الشائع الذي يطلق على المعاهدة العسكرية التي تضم كلا من الاتحاد السوفياتي وعدداً من دول اوروبا الشرقية ، والتي وقعت في وارسو (عاصمة بولونيا) في ١٤ أيار (مايو) ١٩٥٥ ، من قبل كل من الاتحـاد السوفيـاتي ، والبانيـا ، وبلغاريـا ، وتشيكوسلوفاكيا ، والمانيا الشرقية ، وهنغاريا ، وبولونيا ، وذلك لاستكمال عدد من المعاهدات الثنائية التي كانت تربط بين جميع الدول الاعضاء ، باستثناء البانيا ، التي لم توقع أية معاهدة ثنائية مع اي من الدول المذكورة . ورومانيا التي لم توقع معاهدة ثنائية مع المانيا الشرقية .

والتسمية الرسمية للحلف هي « حلف الصداقة والمساعدة والتعاون » ، وفي البدء اتخذ قرار بأن يستمر الحلف لمدة ٢٠ عاماً،على ان تمدد هذه الفترة لمدة عشر سنوات اخرى اذا وافقت الدول الاعضاء على ذلك . ولا ينص الاتفاق على تشكيل قيادة عسكرية موحدة لقوات الدول المشتركة فحسب، بل وعلى مرابطة وحدات سوفياتية في اراضي الدول المشتركة أيضاً .

ولقد كان الحلف احد اهم الخطوات التي قام بها كل من نيقولاي بولغانين ونيكيتا خروتشوف بعد توليهما السلطة في اوائل العام ١٩٥٥ . وقد جاء رداً على اتفاق باريس ، وقبول المانيا الغربية في حلف شمالي الاطلسي . وقد وقع هذا الاتفاق يوم ٩ ايار (مايو) ١٩٥٥ . وجاء في البيان السوفياتي عن الدوافع التي حدت بدول الكتلة الشرقية الى تشكيل الحلف ، ان الاطراف الموقعة كانت قد وافقت على الامتناع عن استخدام العنف أو التهديد باستخدام العنف ، طبقاً للوائح الامم المتحدة . إلا ان اعادة تسليح المانيا الغربية بموجب اتفاق باريس اعتبر بمثابة تهديد للدول المحبة للسلام .

وأهم هيئـة في الحلف هي اللجنة السياسية

الاستشارية التي تتكون من أمنـــاء سر الاحزاب الشيوعيـــة ، ورؤساء الدول ، ووزراء الخارجية والدفاع ، للدول الاعضاء . ولجنة أمانة سر مشتركة يرأسها مسؤول سوفياتي . وتتألف من ممثلين عن كل دولة يعينون خصيصاً . وهناك لجنة دائمة مهمتها تقديم التوصيات حول المسائل العامة المتعلقة بسياسة دول الحلف الخارجية . ومركز كل هذه الهيئات هو موسكو . وبعد إعادة تنظيم الحلف في العام ١٩٦٩ ، لم يعد وزراء الدفاع غير السوفياتيين يتبعون القائد الاعلى لقوات الحلف مباشرة ، بل يشكلون مع وزير الدفاع السوفياتي مجلس وزراء الدفاع ، الذي يعتبر أعلى هيئة عسكرية في الحلف .

والهيئة الثانية في الحلف هي القيادة العليـــا المشتركة ، ومهمتها تقوية القدرات الدفاعية لحلف وارسو ، ووضع الخطط العسكرية في حالة نشوب حرب ، واتخاذ القرارات المتعلقة بانتشار القوات . وتتألف هذه القيادة من قائد عام ، ومجلس عسكري . ويعقد المجلس برئاسة القائد العام ، ويضم رئيس الاركان والممثلين العسكريين الدائمين لكل من القوات المسلحة الحليفة . وتعتبر هذه الهيئة القناة الرئيسية التي يبث الحلف من خلالها اوامره الى قواته في زمن السلم ، كما انها الوسيلة الوحيدة التي توصل بها قوات دول اوروبا الشرقية وجهة نظرها الى القائد العام . وفي الحلف ايضاً اركان عسكرية تضم كبار الضباط غير السوفيات . ولقد شغل الضباط السوفيات دائماً منصب القائد العام ، ورئيس الاركان في القيادة العليا المشتركة ، كما شغل معظم المناصب الرئيسية في الحلف مسؤولون سوفيات .

وفي حالة نشوب حرب تتبع جميع قوات دول حلف وارسو للقيادة العليا السوفياتية . وتتمركز قيادة الدفاع الجوي التي تغطي شبكتها كل منطقة حلف وارسو في موسكو ، ويديرها القائد العام للدفاع الجوي السوفياتي .

وقوات حلف وارسو مقسمة الى قطاعين ضخمين : ١) مجموعة قوات الشمال ، وتتكون من جيوش كل من بولندا ، وتشيكوسلوفاكيا ، والمانيا الشرقية ، بالاضافة الى الوحدات السوفياتية المرابطة في هذه الدول ، ومقر قيادة هذه المجموعة هو « ليغنيكا » الواقعة جنوبي غرب بولندا ، ٢) مجموعـــة قوات الجنوب (مجموعة البلقان) ، وتضم جيوش كل من رومانيا ، وهنغاريا ، وبلغاريا ، والوحدات السوفياتية المرابطة في اراضي هذه الدول . وليست هذه التقسيمات تقسيمات جغرافية فحسب ، ولكنهـــا تقسيمات استراتيجية ايضاً . وتضم المجموعة الاولى اغنى الدول واقوى الجيوش في حلف وارسو . حيث انها تواجه الشطر الاعظم من قوات حلف شمالي الاطلسي ، كما ان موقعها الجغرافي قرب سهول اوروبا الشاسعة ، يؤهلها لضرب الاهداف الحيوية الهامة فيها . ومجموعة البلقان اضعف من الاولى ، وتتمثل مهامها الرئيسية في مواجهة اضعف دول حلف شمالي الاطلسي : ايطاليا ، واليونان ، وتركيا .

وفي السنوات الاولى لقيام حلف وارسو ، كانت القوات السوفياتية هي القوات الحقيقية الوحيدة فيه ، اما جيوش الدول الاخرى الاعضاء فكانت شبه اسمية ، وتخضع للقيادة العليا السوفياتية ، وتحدد دورها آنذاك في تأخير أي هجوم معاد الى حين وصول القوات السوفياتية . وبسبب ذلك ان تسليحها كان ما زال متخلفاً ، ولم تكن قد تبلورت بعد أية مفاهيم استراتيجية او تكتيكية لاستخدامها . اضف الى ذلك ان الاوضاع السياسية في بعض دول الحلف لم تكن مستقرة تماماً . فقد شهد العام ١٩٥٦ اندلاع الاضطرابات البولونية في «بوزنان» ، والانتفاضة المجرية في تشرين الثاني (نوفمبر) من العام ذاته ، وقد شارك الجيش الهنغاري في هذه الاحداث مشاركة فعالة ، مما أدى الى حل قطعات كبيرة منه وإعادة تشكيله بعناية .

ثم تحسن وضع الحلف بعد وصول خروتشوف الى السلطة ، وبداية تردي العلاقات مع الصين ، وتحسن الاوضاع الاقتصادية في دول الكتلة الشرقية . فاتخذ قرار باعطاء الدول الاعضاء مسؤولية اكبر في الدفاع المشترك ، اي زيادة الدور العسكري لدول الحلف. وبدأ هذا التحول في فترة (١٩٦١-١٩٦٢) ، فزودت قوات دول الحلف بكميات ضخمـــة من المعدات الحديثة ، وطورت المفاهيم العملياتية لتتناسب مع متطلبات الحرب الحديثة ، مع اجراء مناورات سنوية واسعة النطاق تشترك فيها مختلف دول الحلف ، بهدف الوصول الى اعلى درجة ممكنة من التنسيق بين قواتها . وفي السنوات القليلة التي تلت الفترة السابقة الذكر ، اكتمل بناء القوة النووية لكل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، واصبح ميزان السلم يعتمد على الردع النووي المتبادل . واضطر الكرملين في هذه الفترة الى توجيه مصادره نحو تطوير طاقته النووية الاستراتيجية لايجاد اسلحة يواجه بها مبدأ الانتقام الشامل الامريكي ، فتدنت اهمية القوات التقليدية وقلت العناية بتطويرها وتحديثها الى حد ما .

وكانت نظريات بعض السياسيين السوفيات ترى ان القوة النووية وحدها كفيلة بتحقيق الاهداف الاستراتيجية في حال وقوع حرب . وهي قادرة على كسب الجولة الاولى الاساسية في الصراع ، وبالتالي فان لها الافضلية على باقي فروع القوات المسلحة ، سواء في النفقات ، او الرجال ، او المعدات . وكان القصد من إبقاء القوات التقليديـــة ، هو استخدامها في مراحل متأخرة من الصراع . وتحددت مهمة القوات البرية في عمليات التمشيط واحتلال اراضي العدو . وقد أدت هذه النظريات الى تقليص سلطة العسكريين ، وإضعاف حلف وارسو ، وتركيز سلطة اتخاذ القرارات المتعلقة بالقوات الاستراتيجية في أيدي السياسيين .

وبعد إقصاء خروتشوف عن منصبه في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤ ، استعـــاد العسكريون سلطتهم ، وبدأت مرحلة جديدة من تطوير الجيش السوفياتي ، وجيوش دول حلف وارسو الاخرى . وظهرت ثمار هذه المرحلة في المناورات الضخمة التي جرت في السنوات التي تلت . وكانت عملية غزو تشيكوسلوفاكيا في آب (اغسطس) ١٩٦٨ ، امتحاناً للتنسيق وتكامل قوات مختلف الدول التي اشتركت في العملية . وقد ادت هذه العملية الى انسحاب البانيا من الحلف ، وانتقدت رومانيـــا العملية بشدة ، واتخذت من الحلف موقفاً أدى الى قطع الامدادات العسكرية السوفياتية عنها ، وتجميد الآلة العسكرية الرومانية .

وبعد ان تخلت الولايات المتحدة وحلف شمالي الاطلسي عن مبدأ « الانتقام الشامل » ، باتباع مبدأ « الرد المرن » ، استبعدت امكانية نشوب حرب نووية . وكان معنى ذلك ، إعادة تقييم الاسلحة التقليدية والتركيز عليها . فاعطيت جيوش دول اوروبا الغربية قسطاً اكبر من مسؤولية الدفاع الاطلسية ، وسار الاتحاد السوفياتي على الطريق ذاته ، وأكمل ذلك بالعمل على رفع مستوى جيوش دول حلف وارسو الكمي والتقني الى مستوى الجيش الاحمر ذاته .

ومن الملامح الهامة داخل حلف وارسو ان تشكيلات جيوشها موحدة حسب نمط واحد ، وبالتالي فان التنسيق بينها سهل للغاية . والنواة القتاليـــة التقليدية في دول حلف وارسو هي الفرق المدرعة وفرق المشاة الميكانيكية . وفي حالة النفير العام يصبح الجيش الوحدة الرئيسية في القوات . وتقسم هذه القوات في زمن السلم الى ثلاث فئات : الفئة الاولى وتحتفظ بكامل معداتها وثلاثة أرباع كامل ملاكها من الرجال . والفئة الثانية وتحتفظ بكامل معداتها و ١/٢ — ٣/٤ ملاكها من الرجال . والفئة

الدولة	الميزانية العسكرية في العام ١٩٧٣ (مليون دولار)	مجموع القوات المسلحة (الف رجل)	مجموع قوات الاحتياط (الف رجل)	عدد الدبابات (متوسطة)	عدد الطائرات	عدد الفرق	وحدات اخرى
بلغاريا	٣٠٠	١٥٢	٢٨٥	٢٠٠٠	٢٦٧	٨ ميكانيكية ٢ مدرعة	
رومانيا	٥٢٨	١٧١	٤٣٥	١٥٠٠	٢٩٠	٢ مدرعة ٨ ميكانيكية	٢ لواء جبلي ١ فوج محمول جواً
هنغاريا	٦٩٥	١٠٣	١٦٣	١٢٠٠	١٠٨	١ مدرعة ٥ ميكانيكية	
تشيكوسلوفاكيا	١٣٠٠	٢٠٠	٣٥٠	٣٥٠٠	٥٠٠	٥ مدرعة ٥ ميكانيكية	١ فوج محمول جواً
المانيا الديموقراطية	٢٠٠٠	١٣٢	٢٥٠	٢٠٠٠	٣٢٠	٢ مدرعة ٤ ميكانيكية	
بولونيا	١٨٠٠	٢٨٠	٦٠٠	٣٨٠٠	٦٩٦	٥ مدرعة ٨ ميكانيكية ١ محمولة جواً ١ اقتحام برمائية	

الثالثة وتحتفظ غالباً بكامل معداتها وثلث ملاكها من الرجال، وتكون قادرة على حشد كامل قوتها في حالة الاستنفار. والوحدة الاساسية داخل الفرقة هي الفوج (الذي يعادل اللواء تقريباً)، ويتسلح بأنواع متعددة من الاسلحة، وهو قادر على القتال بشكل مستقل، إلا انه يعمل تحت إمرة قيادة الفرقة مباشرة. ويتكون الجيش المدرع من ٢ الى ٣ فرق مدرعة، وفرقة مشاة ميكانيكية واحدة. اما الجيش الميكانيكي فيتكون من ٢ الى ٣ فرق مشاة ميكانيكية، وفرقة مدرعة واحدة. وتتكون الفرقة المدرعة من حوالي ٩٠٠٠ رجل و ٣٥٠ دبابة. كما تتكون فرقة المشاة الميكانيكية من حوالي ١٠٧٥٠ رجلا و ٢٣٠ دبابة، و ٣٠٠ عربة مدرعة.

ويعتمد المذهب العسكري لحلف وارسو على سرعة الحركة التي توفرها الوحدات المدرعة والميكانيكية، على جميع المستويات، وفي جميع انواع العمليات. وتطور هذا المذهب نتيجة للخبرات السوفياتية في قتال الدروع في الاصقاع الروسية خلال الحرب العالمية الثانية، وتأثر بالاعتقاد بأن اي حرب قد تنشب في المستقبل فان غالبية عملياتها ستجري على سهول اوروبا الوسطى، وستكون قصيرة الاجل بسبب وجود الاسلحة النووية، وبالتالي فان استثمار كل نجاح بسرعة سيكون له الاهمية الاولى. وفي العام ١٩٧٤ قدرت بعض المصادر الغربيــة ان باستطاعة قوات حلف وارسو التقدم بمعدل ١١٠ كيلومترات يومياً على جبهة طولها ٨٠٠ كيلومتر ويتراوح عمقها بين ٦٠ الى ٧٠ كيلومتراً. وان تقوم بذلك مع توافر خدمات ادارية كاملة تعزز خطوتها. ولا بد ان نشير هنا الى المذهب السوفياتي القاضي باستخدام اعداد كبيرة من القوات التقليدية مع القوات المحمولة جواً (المجوقلة)، او القوات البرمائية في سلسلة من العمليات السريعة المفاجئة، مع دعم نووي اذا اقتضى الامر، ضد اهداف تكتيكية واستراتيجية. ويدعم سرعة حركة هــذه القوات ايضاً، الاعداد الضخمة من وحدات نصب الجسور، ومهندسي الاقتحام.

وتشارك دول حلف وارسو بكل قواتها المسلحة في الحلف، وذلك خلافاً لحلف شمالي الاطلسي حيث تشارك كل دولة مشتركة بنسبة معينة من قواتها. ومعظم المعدات الحربية التي تتسلح بهاجيوش دول الحلف من صنع سوفياتي، او من تصميم سوفياتي وتصنع بموجب ترخيص في دول الحلف. وتتسلح جيوش دول الحلف بصواريخ تكتيكية قصيرة المدى، وليس هناك اي دليل على تزويد هذه الصواريخ برؤوس نووية. وهذا يعني ان الاتحاد السوفياتي يحتفظ بجميع الاسلحة النووية الاستراتيجية والتكتيكية في يد قواته.

ويجدر بنا، لمعرفة كامل قوة حلف وارسو، إلقاء نظرة على حجم قوات كل دولة مشاركة في الحلف، دون ان يغيب عن بالنا ان هذه القوة تتأثر بالتطور الاقتصادي والاهمية الاستراتيجية لكل بلد. ولقد قدرت ميزانية الاتحاد السوفياتي العسكرية في العام ١٩٧٤ بحوالي ٩٦ مليار دولار. ومجموع قواته المسلحة ٣٥٢٥٠٠٠ جندي. وتتركز في يد القوات السوفياتية كل القوة النووية الاستراتيجية لحلف وارسو، وتتكون هذه القوة من ٥٠ غواصة نووية، و ٢٠ غواصة تقليدية تحمل ٧٢٠ صاروخاً نووياً. و ١٥٧٥ صاروخاً عابراً للقارات، و ٦٠٠ صاروخ متوسط. وتضم القوة الجوية الاستراتيجية ١٩٠ قاذفة بعيدة المدى. وتتكون القوة الدفاعية من ٢٦٥٠ طائرة، بالاضافة الى ٦٤ قاذفــاً للصواريخ المضادة للصواريخ الباليستيكية، و ٩٨٠ قاذف للصواريخ المضادة للطائرات (عام ١٩٦).

وتتكون القوات التقليدية السوفياتية من: ١١٠ فرق ميكانيكية، و ٥٠ فرقة مدرعة، و ٧ فرق محمولة جواً. ويتمثل تسليح هذه القوات بحوالي ألف قاذف لصواريخ نووية تكتية، وحوالي ٤٠ ألف دبابة من مختلف الانواع ويتوزع جزء من القوات السوفياتية على دول حلف وارسو بالشكل التالي: ١٠ فرق مدرعة و ١٠ ف ميكانيكية في المانيا الشرقية، فرقتان مدرعتان بولونيا، فرقتان مدرعتان مع فرقتين ميكانيكيتين هنغاريا، ٣ فرق مشاة محمولة في تشيكوسلوفاكيا وتتمركز في الجبهة الجنوبية ٣ فرق مدرعة و فرقة مشاة محمولة.

وتضم البحرية السوفي ٢٢١ سفينة سطح

حربية ، و ٢٤٥ غواصة هجومية (٧٠ منها نووية)، و ١٧٥ غواصة تقليدية ، وتضم القوة الجوية البحرية ٧١٥ طائرة مقاتلة . اما سلاح الطيران فيضم ٥٣٥٠ طائرة ، منها ٤٥٠٠ طائرة تكتيكية . و ١٧٠٠ طائرة نقل عادية ، و ٢٥٠٠ طائرة هليكوبتر . ويبين الجدول السابق المعطيات الاساسية التي تسمح بتقدير القوة العسكرية لبقية بلدان حلف وارسو .

(٦) الحمام الزاجل

نوع من الحمام الداجن المستخدم في الاتصالات العسكرية ، ويتميز الحمام الزاجل Homing Pigeon بسرعته وقدرته على الطيران المباشر ، بدون توقف ، مسافات طويلة ، وبغريزة التعرف والاهتداء الى بيته (عشه) ، وعودته اليه اذا ما اطلق من اماكن بعيدة عنه .

وقد عرف الانسان هذه الخصائص في الحمام فاقبل على تربيته وتدريبه وتحسين خصائصه عن طريق التهجين ، بقصد استخدامه كوسيلة للتسلية او للاتصالات ، منذ اقدم الازمنة . ولقد بدأ تدجين الحمام في عهد الاسرة الفرعونية الخامسة (٢٤٩٤ – ٢٣٤٥ قبل الميلاد) . وفي العام ١١٥٠ ميلادي ، أسس المسلمون نظام اتصال بريدي يعتمد على الحمام الزاجل ، وكانت الرسائل آنذاك توضع في كبسولات خاصة يجري تثبيتها في ارجل الحمامة او فوق ظهرها . كذلك اسس جنكيزخان نظاماً مشابهاً بعدما اتسعت فتوحاته . وفي العام ١٨٤٨ استخدم الحمام الزاجل على نطاق واسع لنقل الرسائل إبن الثورة الفرنسية . وعندما بدأ استخدام انظمة الاسال السلكية استمر استخدام الحمام لنقل الرسا أثناء فترات انقطاع وتوقف البث السلكي (التلغر) . ولم يتوقف استخدام الحمام الزاجل بعد انتشار شبكات الاتصال اللاسلكي ، بل استمر هذا الاستخد كوسيلة اتصال احتياطية في احوال الطوارئ حتى بعد دخول القرن العشرين . وقد استخدمت الجيوش المختلفة – خلال الفترات والعصور سابقة الذ – الحمام الزاجل في نقل الرسائل في اللحظات الحرجة ، وكثيراً ما اعتمدت حياة العديد من الجنود على قيام حمامة زاجلة بحمل رسالة تحوي معلومات هامة والتحليق بها فوق خطوط الاعداء وايصالها الى ان المناسب في الوقت المناسب أثناء المعارك ، الامر جعل من الحمام هدفاً عسكرياً يتم اصطياده لاستخلاص المعلومات التي يحملها في زمن القتال . وأ مستخدمي الحمام الزاجل على تشفير الرسائل .

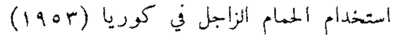
ومن أشهر الحروب التي استخدم فيها الحمام الزاجل في التاريخ الحديث : الحرب الفرنسية البروسية (١٨٧٠ – ١٨٧١)،حيث كان المدافعون المحاصرون في مدينة باريس يتلقون ويرسلون الحمام الى القوات الصديقة بواسطة البالونات التي تحلق فوق القوات المحاصرة ، ثم ينطلق الحمام او يعود الى باريس حاملا الرسائل . والحرب العالمية الاولى، حيث ابتكر الفرنسيون طريقة جديدة في إرسال الرسائل بدلا من وضعها في كبسولة ، وهي طبع الرسائل مشفرة على ريش الذيل أوالجناحين . واستمر استخدام الحمام في الحرب العالمية الثانية وخصوصاً من قبل سلاح الاشارة الاميركي في حملة ايطاليا ، كذلك استخدمه هذا السلاح في الخطوط المتقدمة في حرب التحرير الوطنية الكورية .

ولم يقتصر استخدام الحمام الزاجل للقيام بالاتصالات المدنية والعسكرية فحسب ، بل استخدمه الانسان كوسيلة للرياضة والتسلية أيضاً ، مستغلا سرعة طيرانه في اجراء سباقات الحمام . وتعتبر بلجيكا ، في الوقت الحاضر ، موطن رياضة سباق الحمام التي بدأت بشكل منظم في العام ١٨١٨ ، وقلما تخلو قرية من قراها من وجود ناد للحمام . وسواء استخدم الحمام كوسيلة للتسلية او الاتصال ، فإن تدريبه على اداء مهمته واحد في الحالين ، وهو يعتمد على اطلاق الحمام ليعود الى بيته (عشه) من مسافات تتباعد تدريجياً ، وبهذه الطريقة يمكن تعليمه على العودة عبر مسافات تقدر ببضع آلاف من الكيلومترات بدرجة مقبولة من الدقة ، وبسرعات وصل معدلها الى (١٤٥) كيلومتراً في الساعة في بعض التجارب . ورغم تطور العلوم الاحيائية في الوقت الحاضر ، فإن العلم لم يتمكن بعد من معرفة السبب الحقيقي الكامن وراء قدرة الحمام الزاجل الغريزية في الاهتداء الى بيته اذا اطلق من مسافات بعيدة عنه ، مع ان هناك فرضيات عدة وضعها العلماء لتفسير هذه الخاصية .

ويعتبر الحمام الزاجل من اكثر المخلوقات إثارة لاهتمام علماء الاحياء في مختلف بلاد العالم في الوقت الحاضر ، وقد اقبل هؤلاء على اجراء ابحاث مستفيضة لدراسة سيكولوجيته وتدريبه على القيام بمهام مختلفة، وتمكنوا بالفعل من احداث تطور كيفي في اساليب تدريبه . ومن الامثلة على ذلك انه يمكن تدريب الحمام على تمييز اهداف عسكرية معينة (كالمطارات والقواعد العسكرية) أثناء تحليقه في الجو والهبوط فوقها ، وتحميله أجهزة الكترونية مصغرة خفيفة (بدلا



رسالة كودية على ريش الجناح



استخدام الحمام الزاجل في كوريا (١٩٥٣)



من الرسائل) تطلق نبضات لاسلكية خاصة يمكن التقاطها وتحديد موقع الهدف ، الأمر الذي يجعل من الممكن استخدام الحمام الزاجل كوسيلة من وسائل الاستطلاع في ميدان الحرب الالكترونية (انظر الحرب الالكترونية) . وتستخدم القوات الاسرائيلية اسلوباً مشابهاً لتدريب الحمام داخل الارض المحتلة ، بالاشتراك من علماء من الولايات المتحدة ، بغية استخدامه كوسيلة اضافية من وسائل الاستطلاع في عمق الاراضي العربية .

(٥) الحملات الروسية – النمساوية في ايطاليا وسويسرا (١٧٩٩)

هي حملات خاضتها قوات روسية لطرد الجيوش الفرنسية من ايطاليا وسويسرا ، ضمن اطار عمليات الحلف الثاني الذي نظمته انكلترا ، وانضمت اليه كل من النمسا وتركيا وروسيا بهدف محاربة الثورة الفرنسية ومحاصرتها . وقد خصص الحلف جيشاً روسياً – نمساوياً كبيراً للعمل في شمالي ايطاليا التي كان نابليون بونابرت قد احتلها في العام ١٧٩٦ . ووضعت القوات الروسية – النمساوية المشتركة بأمرة الجنرال الروسي سوفوروف . وقد تمكنت تلك القوات من طرد الفرنسيين من ايطاليا ، حيث تصاعد المد الرجعي المعادي للجنود الفرنسيين وما حملوه من افكار الثورة البورجوازية الفرنسية .

بدأت القوات الروسية اعمالها القتالية ضد الجيش الفرنسي في شمالي ايطاليا مع مطلع شهر نيسان (ابريل) ١٧٩٩ . وكان سوفوروف قد رفض خطة الحرب المقترحة من قبل القائد النمساوي ، والتي تعتمد اساساً على الاعمال السلبية ، مؤكداً انه لا بد من الهجوم والسرعة والحسم ، وعدم إضاعة الوقت بحصار القلاع ، والاعتماد على المعارك المكشوفة واقتحام الحصون .

وقد اصطدم على ارض ايطاليا اسلوبان هامان من الاساليب العسكرية الافضل في تلك الحقبة الزمنية ، هما اسلوب سوفوروف الذي طور المدرسة الروسية في القتال ، والاسلوب العسكري الفرنسي الذي كان يعتبر في الطليعة بين جيوش اوروبا الغربية . وقد تميز الجيش الفرنسي بنبيته واساليبه الجديدة في خوض الحرب والمعركة ، تلك الاساليب التي ولدت إبان الثورة البورجوازية في فرنسا . وكانت القوات الفرنسية تعمل بنظام الارتال بالتنسيق مع النظام المبعثر ، كما تميزت بحركيتها على ارض المعركة وبالسرعة اثناء المسير .

وكان تحت أمرة سوفوروف في مطلع الحملة جيش يضم ١٠٠ ألف رجل منهم ٢٠ ألف روسي . ولقد بدأ هذا الجيش هجومه بشكل ناجح . وانسحبت القوات الفرنسية التي تقدر بأربعين ألف رجل الى جنوه ، بينما تابعت القوات الروسية – النمساوية تقدمها لتحتل عدداً من المدن الهامة من بينها ميلانو وتورينو . وخلال ٦ اسابيع تم تحرير كل شمالي ايطاليا عدا بعض القلاع .

وفي ٦ – ٨ حزيران (يونيو) وقعت معركة تصادمية في « تريبه » بعد ان سارت القوات الروسية مسافة ٨٠ كم خلال ٣٦ ساعة لتزج مباشرة في معركة استمرت ثلاثة ايام بمواجهة قوات متفوقة بأمرة ماكدونالد . واستخدم سوفوروف اشكالا تكتيكية جديدة واكثر تعقيداً في هذه المعركة ، اذ انه نظم قواته بثلاثة ارتال لكل منها مهام محددة حتى عمق ٢٠ كم . وبهذا اوصل سوفوروف مناورة القوات على ارض المعركة الى اقصى حد عرف حتى ذلك الوقت . وقد أدت حركات الالتفاف والتنسيق العميق وتخصيص الاحتياطات الخاصة والعامة بالتعاون مع الضربات الجبهية والجانبية ، بالاضافة الى الضربة الرئيسية على الجانب الايسر للقوات الفرنسية ، الى تدمير تلك القوات على ارض المعركة .

وبعد شهرين من معركة « تريبه » ، ألحقت قوات سوفوروف هزيمة جديدة بالقوات الفرنسية في معركة « نوفي » التي نتج عنها فقدان فرنسا لكل شمالي ايطاليا . وكانت القوات الفرنسية (٣٥ ألف رجل) قد احتلت مواقع دفاعية قوية عرضها ١٠ كيلومترات على سفوح جبال الابنين بالقرب من مدينة « نوفي » في يوم ٣ آب (اغسطس) . وانتظر سوفوروف نزول الفرنسيين طوال هذا اليوم الى السهل دون جدوى . وعندها قرر مهاجمة تلك القوات في صباح ٤ آب (اغسطس) . فقامت قواته بهجوم كاذب (خداعي) على الجناح الايسر الفرنسي . مما دفع القائد الفرنسي مورو الى توجيه قواته الرئيسية واحتياطاته الى ذلك الجانب . وعندما اختل توازن التشكيلة الفرنسية دفع سوفوروف قواته الرئيسية باتجاه الجانب الايمن للقوات الفرنسية . وبعد ساعتين من تنفيذ تلك المناورة ، تمكنت القوات الروسية – النمساوية من تحقيق النصر بعد دفاع بطولي خاضه الفرنسيون ، بلغت فيه خسائرهم حوالي ١٧ ألف رجل ، بينما فقدت القوات الروسية – النمساوية ألفي رجل .

وقد لعب الاسطول الروسي بقيادة الاميرال اوشاكوف دوراً كبيراً في جنوب ايطاليا ، وخاض عدة عمليات بحرية ناجحة ضد الاسطول الفرنسي . ونتج عن هذه الانتصارات البرية والبحرية انتهاء الوجود العسكري الفرنسي في ايطاليا لمدة سنتين ، ثم استطاع نابليون بونابرت الذي غدا القنصل الاول في فرنسا اعادة فرض ذلك الوجود .

وبعد الانتصار في ايطاليا . اصبحت سويسرا الساحة الرئيسية للاعمال الحربية الروسية – النمساوية ضد القوات الفرنسية . وكانت القوات الفرنسية الموجودة في سويسرا تقدر بـ ٤٨ ألف رجل يقودهم ماسينا ، بينما استمر سوفوروف في قيادة الحملة الروسية – النمساوية .

وعند وصول طلائع القوات الروسية الى الحدود السويسرية انسحبت القوات النمساوية (٣٦ ألف رجل) بقيادة كارل جيرتسوك ، ناقضة بذلك الاتفاق الروسي – النمساوي . وكان لانسحاب القوات النمساوية آثار سيئة على مجرى الحملة ، اذ تمكنت القوات الفرنسية المتفوقة من تدمير الطلائع الروسية (فيلق كورساكوف) قبل ان تتمكن قوات سوفوروف من نجدتها .

وبدأت الحملة السويسرية الخريفية لقوات سوفوروف في مطلع ايلول (سبتمبر) ١٧٩٩ ، عندما هاجمت القوات الفرنسية في سان جوتارد . وقد انتقى سوفوروف اصعب طريق بغية سحق تجمع القوات المعادية الرئيسي بضربة من المؤخرة والجانب ، في الوقت الذي يشن به فيلق كورساكوف هجوماً جبهياً . وقد تمكنت القوات الروسية في ١٣ ايلول (سبتمبر) من القضاء على جزء كبير من القوات الفرنسية يقدر بحوالي ٨ آلاف رجل ، واحتلال سان جوتارد .

وكانت استراتيجية سوفوروف إبان هذه الحملة ، كما دون في تقريره ، « تسديد الضربة تلو الضربة الى العدو بشكل سريع دون اي توقف ودون اي تخفيف او اضعاف لشدتها » . وبعد يوم من احتلال سان جوتارد اتصلت قوات سوفوروف بالفيلق الروسي الذي يقوده روزنبرغ لتتابع تقدمها عبر ممر «اورزن» و«جسر الشياطين» الذي كان الفرنسيون يعتقدون انه مانع طبيعي يستحيل على القوات الكبيرة اجتيازه ، وحقق ذلك العبور مفاجآت للقوات الفرنسية التي اضطرت للانسحاب ، فتابع سوفوروف تقدمه ليحتل « فازن » وقرية « آمستيغ » و « آلتدورف » . وهكذا تمكنت قوات سوفوروف من اجتياز حوالي ٦٠ كم مع الاشتباك خلال ثلاثة أيام . وفي ١٦ ايلول (سبتمبر) بدأت القوات الروسية باختراق جبال روسنستوك عبر طريق وعرة وصخور عالية للوصول الى موفن ، وقد عبرتها القوات خلال ١٢ ساعة

وكانت المقدمة بقيادة باغراسيون والمؤخرة بقيادة روزنبرغ . وعندما وصلت المقدمة الى مووتن كانت المؤخرة لا تزال مشتبكة في التدروف مع القوات الفرنسية التي كانت تحاول عرقلة التقدم . وعندما وصل سوفوروف الى مووتن وصلته انباء تدمير قوات كورساكوف ، وجوتسه . وكان القائد الفرنسي ماسينا قد توقف عن مطاردة باقي تلك القوات المهزومة وركز جهده الرئيسي ضد قوات سوفوروف التي حوصرت في وادي مووتن . اثر ذلك قرر سوفوروف الخروج من الحصار عبر جبل « براجيل » واثناء الانسحاب وقعت عدة معارك واشتباكات دامية دمرت في احداها قوة تضم ١٥ ألف رجل من جيش ماسينا الفرنسي ، وذلك اثر اشتباك وقع في ٢٠ ايلول (سبتمبر) مع قوة روزنبرغ المكلف بحماية مؤخرة الجيش الروسي . وتمكنت القوات الروسية ان تعبر ممراً ضيقاً عبر جبل بانيكس الصعب والوعر في ٢٤ أيلول (سبتمبر) ، وذلك بعد ان تجمعت في مدينة جلاريس ، وبعد ان توقف الفرنسيون بقيادة ماسينا عن ملاحقتها . وفي ٩/٢٦ وصلت القوات الروسية الى ايلانتس .

وهكذا تمكن سوفوروف اثر حملة استمرت ١٦ يوماً ، دارت خلالها سلسلة متواصلة من الاشتباكات والمعارك ، من الافلات بقوة مقدارها ١٥ ألف رجل من أصل ٢١ ألفاً .

وبانتهاء الحملة في سويسرا تداعى الحلف الروسي – النمساوي ، واستدعيت قوات سوفوروف الى روسيا حيث نال رتبة « جنراليسيموس » . ولقد اكد انجلس في كتاباته العسكرية ان حملة سوفوروف في سويسرا «كانت من ابرز وأهم الحملات التي استطاعت عبور جبال الألب في ذلك الوقت ». والحقيقة ان تنفيذ هذه الحملة والقيام بالقتال والمسير معاً ، قد ادخلا تعديلا ملحوظاً على النظرية القائلة آنذاك بمحدودية الاعمال القتالية في مسارح العمليات الجبلية .

(١٤) الحملة

كان اسم حملة Campagne يطلق في الحروب القديمة على مجمل الاحداث العسكرية التي تتم خلال عام كامل على جميع مسارح الحرب . وكان ربط هذا التعبير بفكرة العام الكامل يعود إلى أن الجيوش المتحاربة كانت تقاتل في الظروف الجوية الملائمة ، وما أن يأتي فصل الشتاء حتى تتراجع الى معسكرات خاصة ، وتقوم بالراحة الشتوية ، وتستعد لحملة العام القادم .

ومع تطور فن الحرب ، وارتفاع مستوى الشؤون الادارية في الجيوش ، صار بوسع القطعات أن تقاتل صيفاً شتاء دون توقف للاستراحة . ولم تعد الحملة مرتبطة بزمن محدد ، واصبح اسم حملة يعني مجمل الحركات والاحداث والمعارك العسكرية التي تتم على مسرح معين من مسارح الحرب ، مهما كان المدى الزمني الذي تستمر خلاله هذه الحركات والاحداث والمعارك .

وتبدأ الحملة بالمفهوم الحديث منذ بدء النشاط العسكري على المسرح المحدد ، ولا تنتهي الا عندما يحسم أحد الطرفين الصراع على المسرح نفسه (حملة بارباروسا) او تنتهي الحرب وتحسم في مسارح اخرى ، قبل أن يتم الحسم على هذا المسرح (حملة الباسيفيكي) . وقد تدوم الحملة أياماً أو أسابيع (حملة السويس ١٩٥٦) ، وقد تستمر عدة اشهر (حملة باربارسا حزيران – كانون الاول ١٩٤١) ، وقد تستمر عدة سنوات (حملة شمالي افريقيا ١٩٤١ – ١٩٤٣) . واذا أردنا إجراء تقسيم أفقي لمستويات الحرب الحديثة ، وجدنا أن الحملة تقع في مستوى بين الحرب والمعركة . وهذا يعني أن الحرب قد تشمل عدة حملات على عدة مسارح ، وأن كل حملة تشمل مجموعة من العمليات التي تحتوي كل واحدة منها على عدة معارك .

(٥) الحمولة الحربية

الحمولة الحربية Military Load تعبير يقصد به مجموع ما تحمله الطائرة المقاتلة من ذخائر حربية تحت جناحيها ، او تحت جذعها ، او في جوفها . وتكون هذه الحمولة عادة مشروطة بقوة الطائرة ، وبعدد نقاط التعليق القوية الموجودة تحت جناحيها . وتكون نقاط التعليق هذه قوية في الاطراف الداخلية من الجناحين او تحت جذع الطائرة ، وهي لذلك تحمل الذخائر الاثقل وزناً ، مثل القنابل زنة ٤٥٣ كغ . وتكون نقاط التعليق ضعيفة كلما اقتربت من الطرف الخارجي للجناح . وتدخل ضمن تسمية الحمولة الحربية الاسلحة التقليدية ، او النووية ، كما تشمل جميع انواع الصواريخ المتطورة جو – ارض ، او جو – جو ، او القنابل المتطورة والتقليدية ، او القذائف الصاروخية ، او الحاضنات التي توضع فيها رشاشات او مدافع إضافية عدا الرشاشات او المدافع الموجودة داخل جسم الطائرة والتي تعتبر جزءاً من تسليح الطائرة العضوي .

ويختلف نوع الحمولة الحربية باختلاف نوع الطائرة . ففي حين تحمل الطائرة المطاردة المعترضة الصواريخ جو – جو ، وحمولة قليلة من القنابل والقذائف الصاروخية تستخدمها في اغراض القصف ، تحمل القاذفات التكتيكية ، وطائرات الاسناد الجوي ، او طائرات الهجوم الارضي ، حمولات كبيرة من الصواريخ جو – أرض ، والقنابل والقذائف الصاروخية ، وحمولة قليلة من الصواريخ جو – جو ، أو لا تحمل أياً منها .

وتختلف الحمولة الحربية عن تسليح الطائرة ، فهي لا تعلق تحت جسم الطائرة الا عند الانطلاق لانجاز مهمة ، اما التسليح فيكون جزءاً من الطائرة ، تحمله دوماً ، سواء انطلقت في مهمات قتالية او تدريبية ، او لاعمال الدورية الروتينية .

(٩) الحناوي (محمد سامي)

ضابط ورجل دولة سوري (١٨٩٨ - ١٩٥٠).
ولد محمد سامي الحناوي في العام ١٨٩٨ في أدلب (محافظة حلب) ، ودخل الخدمة العسكرية في الجيش العثماني في العام ١٩١٦ . وبعد تخرجه من الكلية العسكرية في استنبول في العام ١٩١٩ انضم إلى درك لواء الاسكندرون ، ثم نقل في العام ١٩٢٧ إلى القوات الفرنسية الخاصة العاملة في سورية . وكان في عداد الضباط الذين التحقوا بالجيش السوري بعد استقلال سورية وجلاء الفرنسيين عنها .

اشترك الحناوي في الحرب العربية – الاسرائيلية الأولى (١٩٤٨) وكان آنذاك برتبة مقدم . ولقد رفع خلال هذه الحرب إلى رتبة عقيد . وفي ١٤ آب (اغسطس) ١٩٤٩ قاد الحناوي (وكان آنذاك برتبة زعيم ، ويشغل منصب قائد سلاح المدرعات) انقلاباً عسكرياً أطاح بالزعيم (العميد) حسني الزعيم ، رئيس الجمهورية آنذاك ، وبرئيس وزرائه محسن البرازي . وقام الانقلابيون بقتل الزعيم والبرازي ، وسيطروا على مقاليد الأمور ، وتولى اللواء عبدالله عطفة ، وزير الدفاع في حكومة حسني الزعيم الادارة الفورية للبلاد . ولقد صرح الحناوي أن انقلابه جاء لتصحيح انقلاب حسني الزعيم الذي انحرف عن خطه الصحيح . وأن الجيش سيسلم أمور الحكم إلى رجال السياسة ويعود إلى ثكناته . وتألفت في ليلة ١٥ آب (أغسطس) حكومة برئاسة هاشم الأتاسي ، كان نصف أعضائها من حزب الشعب . وتولت هذه الحكومة سلطات رئيس الجمهورية ريثما يتم انتخاب جمعية تأسيسية تقوم باعداد دستور



اللواء سامي الحناوي

للبلاد وتتحول بعد ذلك الى مجلس نيابي . وعاد الحناوي بالفعل إلى الجيش كرئيس للاركان العامة . **وفي ١٩٤٩/١١/١٥ جرت انتخابات الجمعية التأسيسية بموجب قانون انتخابات جديد .**

ورغم تأكيدات الحناوي بأن الجيش قد ابتعد عن السياسة ، فقد كان العسكريون يسيطرون على مقاليد الأمور بشكل خفي . وبدا ذلك من نتائج الانتخابات ، التي قاطعها الحزب الوطني وحقق فيها حزب الشعب (المدعوم من الجيش) نجاحاً ساحقاً . ووجهت إلى هذه الانتخابات عدة طعون . وكان حزب البعث العربي (الذي اخذ بعد اندماجه مع الحزب العربي الاشتراكي برئاسة اكرم الحوراني اسم حزب البعث العربي الاشتراكي) في طليعة الطاعنين بالانتخابات . وعندما انعقدت الجمعية التأسيسية في **١٩٤٩/١٢/١٢ انتخب رشدي الكيخيا رئيساً للجمعية وهاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية .**

جابه سامي الحناوي بعد انقلابه عدة مشاكل داخلية وخارجية ، ووجهت اليه تهمة اتباع سياسة تؤدي إلى ارتباط سورية بالمخططات البريطانية في المنطقة . وعارضت القوى السورية فكرة الاتحاد بين سوريا والعراق ، التي أيدها الحناوي (تحت تأثير عديله أسعد طلس) ، وضباطه ، وسياسيو حزب الشعب المسيطرين على مقاليد الأمور في البلاد . كما جوبه الاتحاد بمعارضة مصرية سعودية ، نظراً لأن العراق كان يخضع آنذاك للحكم الهاشمي السائر في ركاب بريطانيا . ولم يكن أمام القوى المناوئة للإتحاد سوى خيار واحد ، وهو التحالف مع ضباط الجيش المعارضين لأي تقارب عراقي – سوري يفقد سورية استقلالها ويربطها بالمخططات الاجنبية . ولقد وجدت هذه القوى في العقيد أديب الشيشكلي ، قائد لواء المشاة الأول المتمركز في درعا ، حليفاً مناسباً . وكان أكرم الحوراني محرك هذه القوى وصلة الوصل مع الشيشكلي . وفي ١٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ ، قام الجيش بقيادة أديب الشيشكلي بانقلاب عسكري دعمه الحزب العربي الاشتراكي وقوى وطنية جمهورية أخرى . واعتقل **العسكريون سامي الحناوي وسجنوه . وفي ١٩٥٠/٩/٨** اطلق الشيشكلي سراح سامي الحناوي وأبعده الى لبنان ، حيث قام محمد أحمد حرشو البرازي (ابن عم محسن البرازي) باغتياله في ٣٠ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٠ انتقاماً لمقتل محسن البرازي .

(١) الحواجز الهندسية

(انظر الموانع الهندسية) .

(٥) الحوامة

(انظر الهليكوبتر) .

(٩) حوريف (عاموس)

(أنظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٥) الحوض البحري والحوض الجاف

(أنظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٩) حوفي (يتسحاق)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(١٥) الحياد

عند قيام حرب بين دولتين تصبح الدول الأخرى التي ترغب في الحفاظ على علاقاتها السلمية مع كل منهما في موقف الحياد La Neutralité الذي يتضمن بموجب قواعد القانون الدولي حقوقاً وواجبات معينة . وتنظم علاقات الحياد وشروطه اتفاقيات لاهاي (وخاصة الاتفاقية الخامسة والاتفاقية الثالثة عشرة لعام ١٩٠٧ المتعلقتين بالحياد في الحرب البرية والحرب البحرية)، وتصريح باريس الدولي لعام ١٨٥٦ المتعلق بتحريم القرصنة البحرية وحماية بضائع المحاربين والدول الحيادية والحصار البحري ، وتصريح لندن الدولي لعام ١٩٠٩ والمتعلق بالتهريب الحربي والأفعال والخدمات المناقضة لقواعد الحياد في الحرب البحرية .

وتفرض اتفاقية لاهاي الثالثة عشرة لعام ١٩٠٧ على الدول المتحاربة إبلاغ الدول الأخرى دون إبطاء بحالة الحرب لتحدد موقفها منها، فإذا اختارت الحياد وأعلنت عن رغبتها بذلك أصبحت ملزمة بقواعد الحياد ومتمتعة بحقوق الدول المحايدة . وفي الواقع لا توجد قاعدة مكتوبة أو عرفية في القانون الدولي تجبر الدول المحايدة على اعلان حيادها رسمياً ، وان كان العديد من الدول يرغب بالافصاح عن رغبته في الحياد لتنبيه المواطنين الى عدم الاتيان بأعمال قد تؤدي الى إخلال الدولة بواجبات الحياد . وينتهي الحياد إما بتوقف الحرب نهائياً بين الدول المتحاربة، أو بانخراط الدولة المحايدة في الحرب .

وأهم الواجبات المفروضة على الدول المحايدة هي التالية : أ – عدم السماح لإحدى الدولتين المتحاربتين أو كلتاهما بالقيام بأية عملية حربية على أراضيها أو في مياهها الاقليمية أو في أجوائها . ب – عدم السماح للدول المتحاربة بأن تتخذ من موانئها أو مياهها الاقليمية قواعد لسفنها الحربية ، أو أن تتزود هذه السفن من الموانئ الحيادية بالأسلحة والذخائر . ج – عدم السماح بتجنيد قوات عسكرية في اقليم الدولة الحيادية لإرسالها إلى أحد الفريقين المتحاربين . د – عدم السماح بمرور وحدات عسكرية أو قوافل تموين تابعة لاحدى الدول المتحاربة على أراضيها ما عدا الجرحى والمرضى . واذا لجأت إليها قوات محاربة ينبغي عليها نزع سلاحها والاحتفاظ برجال هذه القوات إذا قبلت إيواءهم . هـ – عدم السماح للسفن الحربية التابعة للدول المتحاربة بالبقاء في المياه الاقليمية اكثر من أربع وعشرين ساعة للتزود بالوقود والمؤونة ما عدا الاسلحة والذخائر . وفي حال مخالفة هذه السفن لهذه القواعد – ما عدا حالات الضرورة القصوى كاصلاح السفينة المعطلة أو وجود بحر هائج – يحق للدول المحايدة أن تمنع خروج هذه السفن وتعطلها وتحجز بحارتها حتى انتهاء الحرب . و – عدم الاسهام بأي نشاط عسكري إلى جانب إحدى الدولتين المتحاربتين . ومع ذلك فانها لا تعتبر مسؤولة عن رعاياها الذين يتطوعون مختارين في صفوف جيش إحدى الدول المتحاربة على ألا يتم ذلك على أراضيها . ز – عدم القيام ببيع الأسلحة والذخائر الحربية إلى إحدى الدولتين المتصارعتين أو كلتاهما غير أنها لا تعتبر مسؤولة عن صفقات الأسلحة والذخائر التي يبرمها رعاياها . ح – عدم تقديم المساعدات المالية والقروض

الى إحدى الدولتين المتحاربتين أو كلتاهما للاستمرار في الحرب ، غير أن المعونات المقدمــة لأغراض إنسانية بحتة لا تعتبر من المحظورات . ط — عدم نقل الأخبار والمعلومات عن إحدى الدول المتحاربة للأخرى ، أو لصالح احداهما بأية طريقة . ومع ذلك يجوز أن تسمح لكلا الفريقين باستخدام وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية لغـــير الأغراض العسكرية على أن تكون معاملتهما متساوية .

ومقابل هذه الواجبات فان الدول المحايدة تتمتع بالحقوق التالية : أ — احترام جميع الدول ، وخاصة الدول المتحاربة ، لحياد الدول الحيادية والامتناع عن أي عمل يخل بهذا الحياد أو يتنافى معه . ب — احترام الدول المتحاربة لسيادة الدول الحيادية على أراضيها ومياهها الاقليمية، وبالتالي عدم القيام بأية عمليات برية أو بحرية أو جوية فوق إقليم الدولة الحيادية . ج — احترام الدولتين المتحاربتين لحق الدول الحيادية في التعامل التجاري مع كل منهما بحرية كاملة . ومع ذلك فإن قواعد الحرب البحرية (بالشكل الذي طبقت به خلال الحرب العالمية الأولى) ، وقواعد الحرب الاقتصادية (بما فرضته من قيود تجارية دقيقة حتى من قبل الدول الحيادية نفسها)، أدت جميعها إلى نوع من التقييد الحقيقي لهذا الحق بحيث أصبحت المبادلات التجارية بين الدول الحيادية والدول المحاربة مقيدة بأن تبقى في مستوى التعامل السابق للحرب ، مع الرقابة الكاملة على المواد المتبادلة من جميع الأطراف . د — احترام تجارة المحايدين فيما بينهم من قبل الدول المحاربة ، بحيث لا يحق لهذه الأخيرة التعرض لهذه التجارة . إلا أنه يحق لها أن تتأكد من صفتها ووجهتها وتبعيتها للتأكد من أنها لا تقع ضمن أحكام وقواعد التهريب الحربي (راجع التهريب الحربي) .

لم يكن الحياد معروفاً في التاريخ القديم . وكانت الشعوب التي تجاور دولتين متحاربتــين مضطرة للانخراط في الحرب إلى جانب احداهما ، وهكــذا فإن تعبــير الحيـــاد Neutralite كان مجهولا لدى الاغريق والرومان . أما في العصور الوسطى فقد أشير في بعض الكتابات التاريخية إلى موقف بعض الدول التي كانت تستطيع أن تبقى محافظة على علاقاتها مع الدول المتحاربة ، وهكذا فقد أشار العالم الهولندي غروشيوس إلى دول كانت « في موقف الوسط في الحرب » ، والى دول أخرى « وقفت ثابتة بين المتحاربين » . وقد تطورت أوضاع بعض هذه الدول « الوسط » في العصور الحديثة فنشأ ما يدعى برابطة الحياد المسلح . ويقصد به بقاء بعض الدول الصغيرة على الحياد ، على أن تحمي هذا الحياد دولة كبرى وفي الواقع فقد نشأت أول رابطة من هذا النوع في العام ١٧٨٠ بحماية كاترين الثانية امبراطورة روسيا ، ثم ظهرت الرابطة الثانية للحياد المسلح في العام ١٨٠٠ حيث تشكلت من روسيا والسويد والدانيمارك . ولقد كان من المصلحة المشتركة لدول أوروبا أن تكون هنالك دول صغيرة تقف على الحياد لتكون بمثابة مصد أو عازل بين قوى معروفة بعداء دائم بينها ، وكانت هذه الدول الصغيرة تسمى بالدول المصدات Etats Tampons . وهكذا نشأ مــا يدعى بالحياد الدائــم Neutralité perpétuelle لبعض الدول التي ما زال بعضها حتى اليوم معروفاً بهــذه الصفة كسويسرا مثلا . ويحمي الحياد الدائم للدول عادة معاهدة دولية ، ومع ذلك فقد حدثت بعض الاستثناءات في هذا المجال كحياد جزيرة ايسلندا منذ العام ١٩١٨ حتى العام ١٩٤٠؛إذ حدد نظام هذا الحياد بقانون دانيماركي ، كما أن حياد دولة السويد لا يعتبر أكثر من موقف لا يستند الى أي نص مكتوب، ويرفض البرلمان السويدي دائماً أي اقتراح يتعلق بتثبيت حياد السويد عن طريق نص تشريعي . أما سويسرا فقد خضعت في البدء في نظام حيادها الدائم الى قرار داخلي اتخذه مجلس الاتحاد السويسري في العام ١٦٣٨ ، وتأكد فيما بعد بقرار آخر صادر عن هذا المجلس في العام ١٧٧٧ ، ثم ثبت هذا الحياد الدائم دولياً بموجب التصريح الصادر عن مؤتمر فيينا بتاريخ ٢٠ آذار (مارس) ١٨١٥ ، وتأكد مرة أخرى بموجب المادة ٤٣٥ من معاهدة فرساي.

ولقد كانت بلجيكا خاضعة خلال القرن الماضي لنظام حياد دائم يشبه الحياد السويسري ، إذ أعانت خمس دول كبرى في أوروبا حمايتها لحياد بلجيكا بموجب البروتوكول الموقع في ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٨٣١ ، ثم بموجب المعاهدات الموقعة بين هذه الدول في ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٨٣١ و ١٦ نيسان (أبريل) ١٨٣٩ . غير أن الجيش الألماني خرق هذا النظام في العام ١٩١٤ ، رغم أن بروسيا كانت إحدى الدول الخمس الموقعة على ضمان حياد بلجيكا . ثم خسرت بلجيكا حيادها منذ العام ١٩١٩ بعد أن أصبحت عضواً في عصبة الأمم ومستفيدة من نظام تعويضات الحرب ، ولكنها عادت في تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٣٦ الى نظام الحياد الذي خرقته القوات الألمانية مرة أخرى في الحرب العالمية الثانية . ولم تعد بلجيكا بعد الحرب الى نظام الحياد ، بل انخرطت في حلف شمالي الاطلسي . وشبيه أيضاً بهذا الوضع حياد دولة حاضرة الفاتيكان التي تأكد حيادها بموجب معاهدة «لاتران» الموقعة بتاريخ ١١ شباط (فبراير) ١٩٢٩ ، والحياد الذي تمتعت به دوقية االكسمبورغ بموجب معاهدة لندن المعقودة بتاريخ ١١ أيار (مايو) ١٨٦٧ ، إلى أن أبطل هذا الحياد بموجب المادة ٤٠ من معاهدة فرساي . ونشأت بعد الحرب العالمية الثانية بعض الدول التي تمتعت بنظام الحياد الدائم نذكر منها النمسا وذلك بموجب معاهدة فيينا لعام ١٩٥٥ ، ولاووس بموجب معاهدة ١٩٦٢ .

(٩) الحياد الإيجابي

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

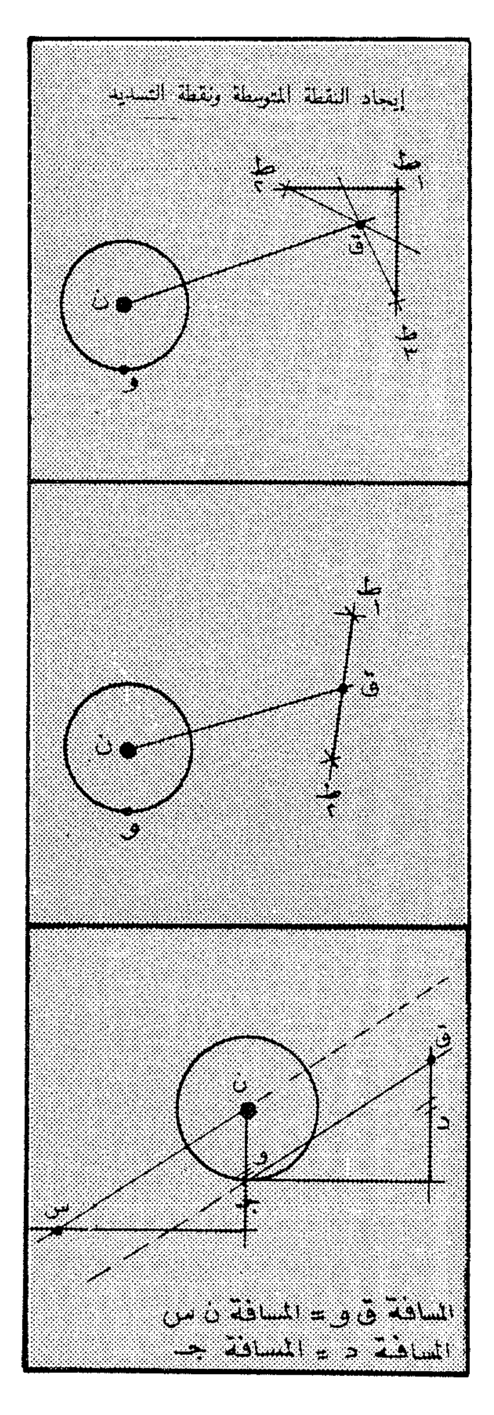
(١) الحيدان

هو انحراف المقذوف بعيداً عن الهدف بالمدى أو بالاتجاه أو بالمدى والاتجاه ، لسبب لا يتعلق بدقة التسديد أو بالاهتزاز العادي للسلاح أو بسرعة الريح . وينجم الحيدان عادة عن أربعة عوامل : ١ — خلل في جهاز التسديد ، أو في الشعيرة (بالنسبة إلى اسلحة الرمي المستقيم ذات الشعيرة) ، ٢ — دوران المقذوف بعد خروجه من فوهة السبطانة ، ٣ — قدم السلاح واهتراء ركائزه ومفصلات تثبيته بشكل يعرضه للاهتزاز اكثر مما ينبغي ، ٤ — اهتراء جف سبطانة السلاح من الاستعمال أو الصدأ .

يحدد الحيدان عن طريق الرمي بالسلاح من قبل رماة مهرة على هدف ثابت ، واطلاق طلقة تثبيت وتحمية لا تدخل في حساب النتائج ، ثم اطلاق ٢ أو ٣ طلقات ، وتحديد النقطة المتوسطة لهذه الطلقات (ق) ، وقياس بعد هذه النقطة عن اسفل ومنتصف الهدف (و) . ويجري بعد ذلك تصحيح الحيدان التطبيقي خلال الرمي ، وذلك بالتسديد على نقطة تقع في الجهة المعاكسة للنقطة المتوسطة ، وتبعد عن مركز الهدف (ن) ، بالاتجاه والارتفاع مسافة (ن س) مساوية لبعد النقطة المتوسطة (ق) عن اسفل ومنتصف الهدف (و) . ويستطيع الرامي في هذه الحالة تعديل عامل الحيدان ، وإصابة الهدف بشكل جيد ، طالما أنه يستخدم السلاح نفسه ، ويسدد على النقطة (س) المقابلة للنقطة المتوسطة (ق) .

ولتصحيح الحيدان بشكل نهائي ، يتم البحث

عن السبب الكامن وراءه ، وضبط جهاز التسديد ، أو الشعيرة ، أو مفصلات وركائز تثبيت السلاح ، بشكل يلغي عامل الحيدان ، ويسمح للرامي بإصابة الهدف دونما حاجة للتسديد على النقطة (س) المقابلة للنقطة المتوسطة (ق) (انظر ضبط السلاح) .



(٥) حيرام (دان)

(انظر الملحق في نهاية الموسوعة)

(٨) الحيطة

الحيطة تدبير من تدابير أمن القتال (انظر الأمن) وهي تتعلق بصورة خاصة بالتدابير التي يتخذها قادة الوحدات والتشكيلات المقاتلة لحماية قواتهم من مباغتات العدو ، وتوفير الظروف المناسبة لتنفيذ الواجب المحدد للوحدة او التشكيل المقاتل . وتختلف تدابير الحيطة من موقف الى موقف كما تختلف تبعاً لحجم الوحدة او التشكيل ، وتختلف ايضاً تبعاً لطبيعة العدو الذي تم مواجهته والواجب الذي ينفذه التشكيل في مسرح العمليات (هجوم ، دفاع مجهز ، دفاع مجهز على عجل ، هجوم من الحركة الخ ..) .

ويتم تأمين الحيطة عن طريق اتخاذ عدة تدابير : كالاستطلاع ، والوقاية من الهجمات الجوية ، والوقاية من الهجمات المدرعة المفاجئة وهجمات القوات المحمولة جواً ، والوقاية من اسلحة الدمار الشامل (ذرية ، وكيماوية ، وبيولوجية) ، وحماية نقاط الاتصال والمجنبات والمؤخرات ، والاخفاء والتمويه والخداع ، والتنظيم الهندسي للارض (ترصين الأرض) ، والحفاظ على السر العسكري . ولهذا يمكن تقسيم عناصر الحيطة إلى اربعة أقسام : السر ، والاستطلاع ، والتغطية ، والاحتراس . وتكمل هذه العناصر بعضها ، وتؤدي إلى تجنب المباغتة ، واعطاء القوات المحاربة حرية عمل أوسع في الزمان والمكان . ومن الضروري أن تهتم القوات بهذه العناصر في كل مراحل القتال (انتقال ، إقامة ، تمركز دفاعي ، هجوم ، مطاردة ، انسحاب .. الخ) .

ويتم تحقيق عنصر السر والاستطلاع بتطبيق التدابير الخاصة بهما (انظر السر ، والاستطلاع) . أما التغطية الجيدة فهي التي تضمن الحيطة على المحاور الخطرة ، وبصورة خاصة على الاجناب ونقاط الاتصال مع الجوار والمؤخرات . وتتراوح هذه الحيطة في قوتها بداية من مجرد اعمال الاستطلاع ونهاية باتخاذ مواقع دفاعية صلبة وحازمة عند عدد من النقاط المحددة والهامة . وتدخل في هذا المجال مخافر الرصد والانذار ، ومخافر المقاومة ، والمقدمات ، والمجنبات ، والمؤخرات . واخيراً فان الاحتراس او الحذر الدائم يستهدف توفير الحيطة ضد الاتجاهات الارضية الخطرة وضد هجمات الجو . ويعتمد الاحتراس على اتخاذ التدابير التي تسمح دائماً بمجابهة هجمات العدو الارضية المباشرة (كالتسلل العميق لمدرعات العدو ، أو قيام منظمات الانصار التي يدعمها العدو بأعمال قتالية ، او انزال قوات محمولة جواً) او توجيه العدو طائراته لضرب القوات الصديقة والاغارة عليها . وتدخل في هذا المجال كل تدابير الرصد والانذار والتمويه وتنظيم الارض (ترصينها) .

ويفرض توفير شروط الحيطة على القادة جميعاً ، وعلى اختلاف مستوياتهم القيادية ، الاحتفاظ بقوة احتياطية واجبها مجابهة كل ما هو غير متوقع ، ورد كل عمل مباغت ، واحباط كل تهديد مهما كان مصدر هذا التهديد وأياً كانت درجة قوته . وتقسم الحيطة في القتال إلى حيطة بعيدة ، وحيطة قريبة ، وحيطة مباشرة . وتؤمن الحيطة البعيدة عادة الانساق العليا ، وتشارك بها القطعة نفسها عند اللزوم . أما الحيطة القريبة والمباشرة ، فيقع مهمة تأمينها على عاتق القطعة نفسها . ولا تختلف أنواع الحيطة الثلاثة هذه في جوهرها ، ولكنها تتميز عن بعضها باختلاف المكان الذي تم فيه ، واختلاف الوسائط والقوى التي تشترك فيها . اذ تنجم الحيطة البعيدة عن تدابير الحيطة التي تم في مناطق تخرج عن حدود عمل القطعة وتدخل في حدود عمل النسق الأعلى ، وتنجم الحيطة القريبة عن تدابير تتخذها القطعة نفسها خارج مكان وجودها المباشر وضمن حدود عملها ، على حين تنجم الحيطة المباشرة عن مجموع التدابير التي تتخذها القطعة في مكان وجودها . وتعتمد تدابير الحيطة بكل مستوياتها (البعيدة والقريبة والمباشرة) على أعمال إيجابية (نار ، هجوم معاكس) أو أعمال سلبية (تمويه ، حفر ، رصد ، انذار ، الخ ..) مع ضرورة تنسيق الاعمال الايجابية والسلبية في جميع الحالات ، والتحقق من تأمين الحيطة في الليل والنهار وضد جميع الأخطار .

(٨) الحيطة الذرية

هي مجموعة الاجراءات المتخـــذة والاساليب المستخدمة لتجنب الضربة الذرية وما ينتج عنها من اضرار ، وذلك حتى لا تؤثر هذه الضربة على فاعلية التشكيلات الهجومية او القوات الدفاعية . ونظراً لأن موضوع الحيطة الذرية لا زال في مرحلته النظرية ، فانه قد يكون هناك اختلاف بين الدراسات العسكرية حول موضوع الحيطة الذرية . ولكن هناك شبه اتفاق على تقسيم مسألة الحيطة الذرية الى موضوعين أ – مقارنة ميزات أو حساسية التشكيلات الثابتة المفتوحة مع ميزات أو حساسية التشكيلات المتصلة ، ب – اجراء المناورات القادرة على تحسين الحيطة انطلاقاً من هذه التشكيلات .

ويقصد بالتشكيلات الثابتة المفتوحة ، احتلال

هيئات أرضية تشابه الى حد بعيد نظام نقاط الاستناد. وحماية الفراغ بين الثغرات بالقوات الاحتياطيـة والانساق التالية. اما التشكيلات المتصلة فتتمثل بالدفاع المتصل. وليس هذا التنظيم الدفاعي وليد الحرب الذرية، وإنما هو أنموذج تمت تجربته في الحرب العالمية الأولى، وامكن تطويره في معارك الحرب العالمية الثانية، حتى أخذ شكله المعروف. ثم جاء الترتيب الذري ليعمل على زيادة حدة المنافسة بين النظام الخطي «المتصل» والنظام المرن (نقاط الاستناد).

ان التنظيم الدفاعي غير المتصل يصلح للدفاع عن جبهة واسعة (انظر الدفاع)، حيث يتم احتلال هيئات أرضية يتم دعم الثغرات بينها بواسطة المناورة بالقوات والنيران. وان من ميزات هذا التنظيم تحقيق مبدأ الاقتصاد بالقوى، علاوة على أنه يحقق الظروف المناسبة لتجنب الخسائر الفادحة في حال استخدام العدو للأسلحة الذرية، بحيث لا يستطيع العدو في ضربته الذرية تدمير أكثر من تشكيل واحد أو موقع واحد. وتستند الحيطة في هذا التنظيم الدفاعي الى قوة الوحدات الخفيفة ومرونتها لسد الثغرات بين الفواصل وامام هذ التنظيم الشطرنجي.

أما بالنسبة للتشكيلات المتصلة والمتدرجة بالعمق، فهي بدورها تنظيمات تحقق قدراً من الحيطة الذرية على ان يتم تعديل التنظيم الدفاعي لهذه التشكيلات لتلافي نقاط ضعفها المعروفة، واهمها أن النظام المتصل (الخطي) ترتيب ضعيف لا يستطيع مقاومة هجمات العدو القوية والمركزة، وهو يتطلب كثافة معينة من القوات في الجبهة والعمق. وان اضعاف هذه الكثافة يضعف من قوة النظام الدفاعي، ويجعل الدفاع غير متوازن، فيفقده شرطاً اساسياً من شروط نجاحه.

ولكي يتم إجراء التنظيم الدفاعي من وجهة نظر الحيطة الذرية، كان لا بد من اجراء موازنة للترتيبين القتاليين المتصل والمتقطع بالنسبة لمجموعتين تكتيكيتين مؤلفتين من خمس كتائب تقومان بالدفاع عن جبهة واحدة. وقد روعي ان تكون ميزات المجموعتين واحدة.

ان المقاييس التقليدية لانتشار كتيبـة هي ١٠٠٠ — ١٢٠٠ متر جبهياً في الدفاع، ومنطقة من ٨٠٠ — ١٥٠٠ متر في الهجوم. (اما العمق فيتراوح بين الجبهة وضعفها). اما المقاييس الذرية للأمن في الفواصل بين الخطوط او المراكز فيساوي في حالته الدنيا قطر المنطقة الخطرة للقذيفة التي يجب توفير الحماية من تأثيراتها. ولا يتجاوز المسافة التي يمكن اجتيازها خلال ساعة واحدة حتى ينتقل عنصر تكتيكي لمساعدة عنصر آخر (أي ٢,٥ كم سيراً على الاقدام و ١٥ كم على سيارات).

وتزيد المقاييس التقليدية للانتشار على مقاييس الأمن الذري، وذلك تلبية لضرورة قيام كل ترتيب قتالي بممارسة عملياته وحده وبكفاءة وفي إطار الحرب التقليدية على الأقل. وقد أجريت الدراسات على اساس استخدام القنابل الذرية من وزن ١ كيلوطن (أقل بعشرين مرة من تلك التي تم إلقاؤها على مدينتي هيروشيما وناغازاكي) ومدى تأثير هذه القنابل على الترتيبين الدفاعيين المتصل والمتقطع، كما اخذ بعين الاعتبار تطور الأسلحة الذرية، واحتمال استخدام القنابل الذرية من قوة ٢٠ كيلو طن. وامكن الوصول الى نتيجة: هي ان النظام المتقطع هو الأفضل للوقاية ولتوفير الحيطة للقوات المقاتلة، على ان تتخذ الترتيبات الضرورية للمنـاورة بسرعة بالقوات الميكانيكية والقوات المدرعة، وذلك لسد الثغرات في هذا الترتيب.

اما بالنسبة لاجراء المناورات القادرة عـلى تحسين الحيطة انطلاقاً من المفاضلة بين التشكيلات على نحو ما سبق ذكره، فقد ظهر أن التشكيلة الخطية الرقيقة هي أقل التشكيلات حساسية. ولكن النظر الى هذه التشكيلات من زاوية تماسك القطعات وضرورات القيـادة والمناورة يتطلب اللجوء الى التشكيلة المتقطعة، وينجم عـن ذلك ضرورة استخدام التشكيلة المتقطعة الشطرنجية بالنسبة لكتلة القوات الرئيسية، على أن تكون ستارة الحيطة المتصلة منتشرة بصورة خطية على الاتجاهات الخطرة.

ان الهدف من دراسة المناورات التي تقلل من حساسية القطعات في مواجهة التهديد الذري هو، حمل العدو على اسقاط ضرباته في الفراغ او جعله عاجزاً عن الرمي. وينجم منع العدو من الرمي عن سببين هما: الرد عليه برمي معاكس فعال وآني، أو تحقيق التماس معه. وفي الحالة الثانية يتفوق الطرف الذي يملك التفوق التقليدي أصلا. أما الطرف الذري الذي لا يمتلك هذا التفوق، فلا يستطيع تحقيق التماس دون مخاطرة، إلا اذا استفاد من المناورات التي تؤدي الى التفوق المحلي مع اجراء رمايات تغطي الجزء الهام من حقل المعركة وتحيط به. أما إسقاط ضربة ذرية في الفراغ رغم محاولات الخصم لجعلها ضربة دقيقة مؤثرة فينجم عن سببين: أولهمـا احساس المدافع ان عدوه يستعد لضربه ذرياً — وينجم هذا الإحساس عادة عن ابتداء العدو بالانسحاب، ومحاولته قطع التماس، او عن قيامه باحكام الرمي بالمدفعية الثقيلة مستخدماً القنابل التي تنفلق عالياً في الجو — فينسحب بصورة سرية الى موقع آخر. أما السبب الثاني، فهو تعرض العدو الى الانهاك بفضل ستارة حماية فعالة تعطي نفسها حجماً أكبر من حقيقتها. ويتطلب الأمر في كلتا الحالتين امتلاك مواقع متعددة تكون الأولى معدة للقتال، على حين تكون الثانية مخصصة للانتظار بعيداً عن مواقع المقاومة. وتحتل حاميات الحيطة في بادئ الأمر مواقع القتال، أما القوات المقاتلة فتبقى في مواقع الانتظار حتى يحين الوقت اللازم، فتنتقل الى مواقع القتال، او تبدل هذه المواقع الى مواقع قتال تبادلية أخرى تتلاءم مع تطورات الموقف.

ومن الملاحظ هنا ان القدرة على المناورة بين لحظة اكتشاف التهديد ولحظة الضربة تقل كلما نقصت قوة السلاح الذري المستخدم، اذ تبلغ المدة التي تنقضي بين طلب الرمي لقنبلة ذرية من عيار ٢٠ كيلوطن، واجراء هذا الرمي بعد اخذ تدابير الحيطة والانذار، مدة ساعة واحدة. على حين ان المدة التي تحتاجها القذيفة الذرية من عيار ١ كيلوطن، والتي يمكن دفع قواعد اطلاقهـا الصاروخية الى مستوى الجمهرات التكتيكية، عبارة عن مدة قصيرة جداً لا يمكن للمدافع الاستفادة منها، كما لا يمكن الاستفادة من الظواهر الكاشفة التي تسبق مثل هذا الرمي الذري. فاذا كانت المواقع الدفاعية التي ينبغي المحافظة عليها هامة لدرجة لا يمكننا معها خداع العدو أو اغراقه في الشك، أمكن استخدام وسائل التنظيم الهنـدسي للأرض بالتحصينات الدائمة، بالاضافـة الى مناورات الانسحاب. ومما لا ريب فيه ان تنظيم الأرض بشكل عاجل، وبتحصينات مؤقتة، لا يقدم سوى وقاية محدودة، نظراً لأن القطر الخطر لقنبلة من عيار ٢٠ كيلوطن هو ٣٠٠٠ م بالنسبة للقطعات المكشوفة، و٢٤٠٠ م بالنسبة للقطعات والتشكيلات المتمركزة داخل تحصينات مؤقتة مبنية على عجل.

ان التحصينات المضـادة للقصف الذري، والملاجئ الذرية المبنية تحت عمق كاف من سطح الارض، والمتباعدة عن بعضها البعض بمسافـة ١٦٠٠ م، تشكل حيطة جيدة للتشكيلات ضد القنابل الذرية من عيار ٢٠ كيلوطن. وان إنشاء هذه التحصينات في مناطق ارضية متموجة يزيد من قوتها ويساعد على إقامتها بسرعة. وهكذا فباستطاعة المقاتل في المستقبل أن يجد أمامه تربيعاً كاملا من الحصون — المستودعات، التي يبلغ محيط كل واحد منها ٥٠ — ١٠٠ كم. وتستطيع هذه الحصون ان توفر للمقاتلين المردود الاداري والمردود العسكري

بشكل جيد . ويمكن ان تستند مناورة الوحدات والتشكيلات الميدانية إلى هذه الحصون – المستودعات، شريطة أن تكون الفواصل (الفرج) القصوى بينها مساوية لضعف المدى الأقصى الذي تستطيع القطعات بلوغه في مختلف الظروف .

وهكـــذا فان تأمين الحيطة الذرية من قبل القطعات ، يتم بعد ترجمة كل هذه الملاحظات إلى تعليمات خاصة تشمل التدابير السلبية والايجابية الواجب تطبيقها في ظروف الحرب الذرية ، ووفق كل حالة خاصة من حالات القتال . وتتضمن هذه التعليمات عادة فقرات عن الرصد ، والانذار ، وتنظيم الأرض (ترصينها) ، والمواقع التبادليـــة ، وانتشار القوات (التشكيلة) ، والتـــدابير الواجب اتخاذها عند وصول اشارة الانذار (التجاء إلى الملاجىء ، أو الاقتراب من العدو وتحقيق التماس معه .. الخ) ، والتدابير الواجب اتخاذها عند تسديد ضربة ذرية إلى موقع دفاعي ، ودور القوات الاحتياطية لسد الثغرة المفتوحة في الدفاع بعد القصف الذري ، واجتياز المناطق الملوثة بالغبار الذري عند الهجوم، وتطهير المواقع بعد تلقي ضربة ذرية في الدفاع أو بعد احتلال موقع معاد تعرض لضربة ذرية صديقة خلال الهجوم .

(١١) حيفا (معركة) ١٩٤٨

بعد صدور قرار تقسيم فلسطين (١٩٤٧) ، وعدم الموافقة عليه من قبل الأطراف المعنية في المنطقة ، قرر زعماء الصهاينة مواجهة العالم بالأمر الواقع عن طريق تثبيت المناطق الواقعة تحت الاحتلال الصهيوني وتوسيعها ، وذلك بطرد السكان العرب منها . وقد وضعت المنظمات الصهيونية الإرهابية مخططاً من من ثلاثة أقسام : أولها يدعى « نكشوت » ويقضي بفتح طريق من الشاطىء الى الداخل ، على أن يبتدئ في تل أبيب وينتهي في القدس ، ويستوجب احتلال وتدمير عدة قرى عربية انتهت بمعركة القسطل ، وكانت مجزرة دير ياسين من صميمها . وقد أدى هذا القسم من المخطط الى طرد ما بين ١٠ آلاف الى ١٥ ألف قروي فلسطيني من أراضيهم .

أما القسم الثاني من المخطط فقد اطلق عليه اسم « جفتا » وكان يقضي بطرد السكان العرب من منطقة الجليل الشرقية ، ووصل طبريا بمنطقة صفد . وبالفعل فقد بدأ المخطط باحتلال طبريا وطرد ٥٠٠٠ نسمة من سكانها ، وما هي إلا أيام حتى بلغ عدد المطرودين من القرى المجاورة اكثر من ٣ أضعاف هذا الرقم .

وكان القسم الثالث من المخطط يستهدف احتلال مدينة حيفا التي تشكل حلقة الوصل بين خطي المستعمرات اليهودية ، حيث يمتد الخط الأول من مرج ابن عامر الى طبريا من ثم الى المطلة على الحدود اللبنانية ، ويمتد الخط الثاني عبر هاشارون (السهل الساحلي الأوسط) الى يافا . وكانت حيفا في ذلك الحين اكبر المرافىء في شرق البحر المتوسط بعد الاسكندرية ، وفيها مصفاة شركة نفط العراق (I. P. C.) ، وهي محور الخطوط الحديدية وطرق المواصلات ، بالاضافة الى كونها مجاورة للمنطقة الصناعية الممتدة حول خليج عكا .

وما ان أحس أهل حيفا بالنوايا الصهيونية المبيتة ضد مدينتهم حتى صمموا على الدفاع عنها ، مهما كلفهم ذلك الأمر من تضحيات . وكانت مواقع العرب العسكرية متمركزة في أسفل جبل الكرمل بشكل خاص ، إلا أنها مهددة من القطاعات الاسرائيلية في المناطق العليا . ولم تستطع القرى المجاورة كبلدة الشيخ في الشرق ، والطيرة في الجنوب أن تقدم لحيفا نجـــدات تذكر لأن المستعمرات الصهيونية كانت تسيطر على منافذ المدينة الاستراتيجية . لذا كان على سكان حيفا أن يعتمدوا على امكاناتهم الذاتية ، قدر المستطاع ، فتألفت في المدينة لجنة وطنية ، مسؤولة سياسياً امام الهيئة العربية العليا ، وكانت تعتمد في التموين على تقديمات (ووعود) اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية في دمشق ، وكان يرأس اللجنة السيد رشيد الحاج ابراهيم . وقد واجهت اللجنة صعوبة بالغة في الحصول على السلاح والاعتدة . وبالرغم من كفاءة الملازم الشاب محمد حمد الحنيطي الذي تولى مهمة الإشراف على الحرس الوطني في المدينة ، والذي قسم المدينة الى عشرة أقسام ، ووضع في كل قسم جماعة مسلحة بأمرة شخص واحد يتولى الاتصال بقيادة المدينة المركزية مباشرة ، إلا أن النقص في القدرات الدفاعية كان واضحاً ، خاصة إذا علمنا أن عدد أفراد الحرس الوطني لم يكن يزيد عن ٣٥٠ عنصراً ، معظمهم غير متفرغ للمهام العسكرية .

وبالاضافة الى قضايا الأمن ، تولت اللجنة الوطنية الإشراف على مختلف المصالح العربيـــة ، فأصدرت نظاماً للتقنين ومراقبة الأسعار ، ومنع الأرباح غير المشروعة . كما تولت اللجنة جمع التبرعات وأشرفت على صرفها . وعندما احتدمت المعارك انهمكت اللجنة في قضايا إضافية مثل تطبيب الجرحى والمقعدين وتأمين المآكل والمأوى للأيتام والمنكوبين . وحاول الحنيطي تأمين الإمدادات لحامية المدينة ، فاستشهد على الحدود خلال عودته بالإمدادات من لبنان ، فتولى أحد مفتشي الصحة في حيفا السيد يونس نفاع قيادة الحرس الوطني مؤقتاً ، ريثما وصل النقيب أمين عز الدين ، وهو لبناني وأحد أفراد حامية الحدود في شرق الأردن سابقاً ، لاستلام قيادة المدينة في ٢٨ آذار ١٩٤٨ ، وكان يرافقه عدد من المتطوعين يتراوح بين ٣٠ – ٤٠ مسلحاً . واستقبلت حيفا هذه النجدة بالترحاب ، إلا أنها لم تؤثر عملياً في ميزان القوى العام .

وقد أصدرت اللجنة الوطنية ١٣ بلاغاً منذ تأليفها حتى سقوط المدينة ، وهي تحتوي كافة الأوامر والتحذيرات الموجهة الى عرب حيفا . ومن هـــذه البلاغات نستنتج أن القوات البريطانية ساهمت في عملية سقوط المدينة ، إذ أنها أعلمت المنظمات الصهيونية بموعد انسحابها قبل فترة غير وجيزة . ولذلك جمع الصهاينة قوة ضاربة من مختلف أنحاء البلاد ، وحالما انسحب البريطانيون من مواقعهم بدأ الصهاينة باحتلالها ، وشنوا منها سلسلة من الهجمات على المناطق العربية . وأدى عنصر المفاجأة بالاضافة الى المواقع الاستراتيجية التي أعطاها البريطانيون مسبقاً للصهاينة والاساليب العلمية في الحرب النفسيـــة ، ووحشية الهجمات ، الى سقوط حيفا بيد الصهاينة .

المعركة : بدا يوم الأربعاء ٢١ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ للسكان العرب في حيفا يوماً عادياً ، إذ أفاق الناس على صوت طلقات نارية في مختلف أنحاء المدينة ، إلا أنه لم يخطر ببال أي واحد من العرب في حيفا بأن هذا الصباح سيكون آخر صباح له في بلده ومنزله .

وفي الساعة الحادية عشرة والنصف استدعى اللواء هـ. س. ستوكويل قائد المظلات العام في فلسطين ، النقيب عز الدين قائد الحرس الوطني العربي الى مركز قيادته في طريق « شيلا ماريس »، وسلمـــه مذكرة تتعلق بانسحاب القوات البريطانية من مواقعها في حيفا .

ولا يمكن تقدير أهمية هذه المذكرة إلا بعد معرفة طبوغرافية مدينة حيفا : تقع حيفا عـــلى المنحدرات الشمالية من جبل الكرمل المواجهة لخليج عكا ، ويقع اكثر الأقسام ازدحاماً بالسكان شرقي شارع الكرمل ما بين المرفأ والهادار هاكرمل (الحي اليهودي في حيفا قبل سقوط المدينة) وهنا تقع منطقتان يهوديتان : الأولى هادار هاكرمل والمناطق المرتفعة المتصلة بشارع هرتزل ، والثانية هي المركز التجاري الذي يقع في الاسفل ما بين شارع الحليصا

وطريق النبي . أما الأحياء العربية فكانت (ابتداء من الجهة الشرقية) كما يلي : الحليصا ، وادي رشميا ، البرج ، المدينة القديمة ، وادي النسناس . ويقع الحيان الأخيران في أسفل جبل الكرمل بين المنطقة اليهودية والمرفأ . وكانت القوات البريطانية تتمركز في مواقع حصينة عند الحدود الفاصلة بين المناطق اليهودية والعربية . ومن هنا يتبين لنا الميزة التي حصل عليها الصهاينة عند إخلاء المواقع البريطانية أمامهم . إذ أن معرفة القوات الصهيونية المسبقة بموعد انسحاب البريطانيين مكنتها من تقرير مكان الضربة الرئيسية بسهولة ، ومن الاعتماد على تنسيق الهجمات من المركز التجاري والهادار . كل هذا والعرب في حيفا منقطعون عن العالم الخارجي ، والحواجز البريطانية على طريق الناصرة — يافا تمنع النجدات العربية من القرى المجاورة . وهكذا لم يعد باستطاعة العرب أن يفعلوا إلا القليل من الناحية التكتيكية ، فلم يتمكنوا من الالتفاف حول المركز التجاري من الناحية الشمالية او الجنوبية ، ولم يستطيعوا الالتفاف حول الهادار من الغرب . أي أن القوات البريطانية فرضت على العرب معركة غير متكافئة في ظروف اختارها الصهاينة .

ومما زاد الأمر سوءاً بالنسبة الى حامية المدينة العربية ، أن النقيب عز الدين حال تسلمه المذكرة البريطانية قرر بحث الأمر شخصياً مع القيادة العربية في دمشق ، فغادر المدينة متوجهاً الى هناك ، دون أن يقدر حراجة الموقف الذي خلفه وراءه . وبعد سفر النقيب عز الدين الى دمشق ، كانت القوات الصهيونية تنتظر غروب الشمس ، وكانت القوة المشتركة بين الهاغاناه والأرغون تحت قيادة الجنرال موشي كارمل . وكانت خطة كارمل تقتضي **« إرسال ثلاث كتائب الى الحي العربي من الهادار ، وإرسال كتيبة أخرى لضرب مؤخرة العرب انطلاقاً من المركز التجاري . وكان على كتيبة الميمنة المتجهة من الهادار أن تخترق الحليصا مروراً بالجسر، فوادي رشميا ، ومن ثم تتجه نحو منطقة المرفأ . أما كتيبة الوسط فقد كان عليها أن تقتحم طريق البرج ، بينما كان على كتيبة الميسرة أن تقتحم وادي النسناس»**. وكانت الفكرة الأساسية التقاء كتيبتي الوسط والميسرة بالكتيبة المهاجمة من المركز التجاري ، على طريق ستانتون ، مستهدفة قطع المنطقة العربية الى ثلاثة أقسام منفصلة تماماً عن بعضها . (تعبير كتيبة هنا يعني جمهرة قتالية يفوق عددها العدد المعروف للكتيبة) .

وفي الساعة ١٥٫٠٠ بدأ الصهاينة الهجوم النفسي ، إذ وزعوا مناشير ، ووجهوا نداءات بمكبرات الصوت تدعو السكان العرب الى الابتعاد عن « المتطوعين الغرباء » ، والتزام بيوتهم . وما كادت الساعة تبلغ السادسة والنصف مساء حتى فتح الصهاينة نيران المدافع الرشاشة الثقيلة ، وامطروا الأحياء العربية في الاسفل بقنابلهم دون تمييز . وكانت الكتائب الاربع (التي أشرنا اليها من قبل) تهاجم الحواجز العربية القريبة ، غير أن تقدمها كان بطيئاً للغاية ، حتى إن كتيبتي الميسرة والوسط أجبرتا على القتال من بيت الى آخر ، وكذلك كان الأمر بالنسبة الى الكتيبة المتجهة من المركز التجاري .

وأخذت جماهير السكان المدنيين العزل تتدفق من المنازل الواقعة على خط تقدم الكتيبة الصهيونية عبر وادي النسناس ومن الأحياء المجاورة لحي هادار . وقد بلغ الذعر في بعضها حداً مريعاً ، فاندفعت نحو منطقة المرفأ حيث كانت القوات البريطانية مسيطرة على الموقف ، وقد تولى الاسطول البريطاني نقل الجميع الى عكا .

في هذا الجو انعقد اجتماع الوجهاء العرب في بيت السيد فريد سعد ، أحد أصحاب البنوك في حيفا ، وعضو اللجنة العربية الوطنية ، وذلك للبحث في محتويات مذكرة الجنرال ستوكويل والرد عليها .

وعند الساعة الواحدة من صباح ٢٢ نيسان (ابريل) كان الجواب العربي المرتقب على المذكرة البريطانية جاهزاً ، وهذا فحواه :

— يعتبر المؤتمرون الجنرال ستوكويل مسؤولا في حيفا منذ الواحد والعشرين من نيسان(ابريل)، ويتحمل شخصياً مسؤولية ما قد يحدث .

— تبدي اللجنة الوطنية العربية رغبتها في التعاون مع السلطات البريطانية من أجل المحافظة على النظام والقانون في حيفا

— يطلب المؤتمرون تدخل القوات البريطانية لوقف المجازر

— في حال رفض القوات البريطانية تلبية طلب التدخل ، فان عليها أن تسمح للنجدات العربية بالوصول الى المدينة

في هذا الوقت كانت الحليصا لا تزال ثابتة في وجه كتيبة الميمنة ، كما كانت الكتيبة المتجهة من المركز التجاري لا تزال متأخرة ، إلا أن كتيبة الوسط ، وكتيبة الأرغون في الميسرة ، تمكنتا من احراز بعض التقدم .

وفي الساعة ٣٫٠٠ (صباح ٢٢) ، تلقى السيد سعد مخابرة هاتفية من سكرتير اللجنة الوطنية العربية يخبره فيها بأن الصهاينة قد وصلوا قلب المدينة العربية (عن طريق البرج على الأرجح) . عندئذ اتصل سعد بالسلطات البريطانية حالا ، وطلب تدخلها لإعادة الاستقرار والنظام ، وايقاف ذبح النساء والاطفال ، ولكن البريطانيين لم يتدخلوا .

لقد كان وضع العرب خطيراً ، إلا أن مراكزهم ما زالت بأيديهم ؛ والمقاومة من بناية الخوري (مفتاح المنطقة الواقعة جنوب طريق ستانتون) ما زالت مستمرة ، وبقي مركز الهاتف في أيد عربية ، وكذلك استمرت الحليصا في الصمود أمام كتيبة الميسرة ، كما وأن الكتيبة الصهيونية المتجهة من المركز التجاري لم تحرز تقدماً يذكر . ومع هذا فقد اتصل الجنرال ستوكويل بقائد القوات الصهيونية «كارمل» وسأله عن الشروط التي يوافق بموجبها على استلام المدينة . فارتفعت معنويات الصهاينة نتيجة لهذا الاتصال ، وتسببت في مضاعفة الجهود المبذولة من قبلهم لحسم الموقف . وفي حوالي السادسة صباحاً دارت أعنف المعارك حول بناية الخوري مما اضطر الصهاينة الى إحراقها قبل تراجع آخر المدافعين العرب عنها . وبعد ذلك بساعة تقريباً سقط مركز الهاتف ، ومن ثم سقطت الحليصا ، وبذلك تمكنت كتيبة الميمنة من التنسيق مع الكتائب الأخرى ، ومن الاستمرار في تقدمها عبر وادي رشميا .

في ذلك الوقت كان مجموع السكان العرب المتجمعين في وسط المدينة قد بلغ خمسين ألفاً ، وكانت كتيبتا الميسرة والوسط قد بدأتا انقضاضهما على طريق ستانتون بينما أخذت سرعة الكتيبة المتقدمة من جهة المركز التجاري تزداد تدريجياً . وهنا اتصل السيد فريد سعد بالحاكم البريطاني وسأله أن يستعمل نفوذه لدى السلطات العسكرية البريطانية من أجل إرسال بعض سيارات الإسعاف . وقد أخبره أن لدى العرب حوالي ٣٠٠ جريح ، من بينهم عدد من ذوي الجروح الخطرة ، ولكن هذا الطلب رفض رفضاً باتاً .

وفي الساعة ١٠٫٠٠ (صباح ٢٢)،عمت المدينة القديمة حالة مريعة من الذعر والفوضى على أثر تدفق أعداد كبيرة من اللاجئين هرباً من الكتائب الصهيونية المتقدمة . وحاول هؤلاء الوصول الى المرفأ للنجاة بأنفسهم ، ولكن النيران الصهيونية كانت لهم بالمرصاد فازدادت الفوضى ، وتفاقمت الحالة سوءاً . في هذا الوقت تألفت لجنة طوارئ من خمسة شخصيات عربية لمقابلة ستوكويل . ولما وصل الوفد المؤلف من فريد سعد (من أصحاب البنوك) ، الياس كوسى (محام) ، فيكتور خياط (أميركي منحدر من أصل

عربي ، وقنصل اسبانيا الفخري في حيفا) ، جورج معمد (محام) ، أنيس نصر (قاضي محكمة الاقليم) الى مركز القيادة – متأخرين ساعة كاملة من جراء صعوبة الوصول – قدموا للجنرال البريطاني نص المذكرة العربية ، فرفض قبولها مؤكداً **« أنه سوف لن يتدخل من أجل وقف القتال ، ولن يسمح للنجدات العربية في الخارج بالدخول الى المدينة إلا إذا وافق العرب على الهدنة »** ، ضمن شروط قاسية ، تنص على تسليم المدينة للصهاينة . وكان القتال آنذاك لا يزال مستمراً ، حيث بقيت بعض جيوب المقاومة خارج المدينة القديمة ، وحول اطرافها . على حين استمر اللاجئون في تدفقهم الى المرفأ ، وشرعت المراكب البريطانية بنقلهم دون انقطاع الى عكا .

لم تكن لدى لجنة الطوارئ السلطات التي تخولها وحدها صلاحية البت في المسائل المبدئية التي نصت عليها شروط الهدنة . لذلك كلفت الياس كوسى (ضابط الاتصال في اللجنة) أن يتصل بدمشق للاستشارة والحصول على الصلاحيات . وفي تمام الساعة الثانية عشرة ظهراً سلم السيد كوسى للقنصل السوري في حيفا السيد ثابت العريس برقية موجهة الى الحكومة السورية تتضمن شروط الهدنة المعروضة ، وتصف حالة الذعر في الاوساط العربية ، سائلة إرسال التعليمات اللازمة . ولكن الرد لم يصل رغم تكرار البرقيات بهذا الصدد .

وعندما فُقد الأمل في وصول التعليمات من دمشق ، تداعى جميع الموجودين من الزعماء العرب الى اجتماع في منزل السيد فيكتور خياط ، وبلغ عددهم ثلاثين شخصية عربية ، من بينهم أعضاء لجنة الطوارئ الذين سبق تعريفهم ، بالاضافة الى رجا دبس (ملاك)، الدكتور ميشال جبارة (طبيب)، جاد سويدان (تاجر)، سعيد سويدان (تاجر)، محمد يحيى (محام) ، نظمي عنبتاوي (ضابط مقاطعة)، الشيخ عبد الرحمن مراد (إمام مسجد)، أحمد أبو زيد (متعهد في المرفأ) ، وكان جو الاجتماع مشحوناً بالتشاؤم . وبعد أخذ ورد وافق المجتمعون بالأغلبية على الرضوخ لطلب الجنرال البريطاني ، وارسال وفد لحضور الاجتماع مع الصهاينة في قاعة المدينة ، والسعي لتعديل الشروط الموضوعة . وبالفعل تم نقل أعضاء الوفد بواسطة خمس دبابات بريطانية ، وقد استقبلتهم الجماهير اليهودية امام مدخل القاعة بالصفير والسخرية .

وظهر في الاجتماع أن الهاغاناه وستوكويل لا يريدون التوصل الى اتفاق عن طريق المفاوضة ، وانما يرغبون في إملاء شروط الاستسلام ، دون قيد أو شرط من الجانب العربي . وإزاء تحفظ الوفد العربي على بعض النقاط ، قال الجنرال ستوكويل : **« إذا لم توقعوا على اتفاقية الهدنة ، فاني سوف لا أكون مسؤولا عن مقتل ثلاثمائة او أربعمائة عربي قبل يوم غد »** . ثم انسحب مع معاونيه من قاعة الاجتماع في محاولة للتأثير نفسياً على العرب . وهنا طلب الوفد العربي تأجيل الاجتماع لمدة ساعة ونصف الساعة ، وعادوا الى بيت السيد خياط ، حيث أعلموا رفاقهم بما جرى ، وأقر الجميع ضرورة إعادة الاتصال بدمشق ، طلباً للنجدة أو المشورة – على أقل تعديل – حتى لا يتحملوا وحدهم مسؤولية سقوط المدينة . غير أن الرد لم يصل ، وأيقن الجميع أنهم غدوا وحدهم في الميدان .

وفي هذه الاثناء كانت الكتيبة الصهيونية المتجهة من المركز التجاري قد نجحت في شق طريق لها عبر المدينة القديمة ، وأمنت اتصالها بالكتائب الأخرى ، فازداد اندفاع الجماهير نحو منطقة المرفأ ، حيث كانت المراكز الصهيونية الأمامية تطلق عليها النار إرهاباً . فيما أخذت وحدات صهيونية خاصة تطوق الشباب العرب وتستجوبهم ، في محاكمات صورية ، يصدر على إثرها حكم الإعدام ، وينفذ فوراً ، ثم يتم إلقاء الجثث في المناطق العربية التي لم يكن قد وصلها القتال بعد (غرب شارع الكرمل) بغية إلقاء الرعب في صفوف العرب هناك ، وحملهم على الهرب . وقد ذكر السيد اوبري لينكوت (القنصل الأميركي في حيفا) أنه رأى آثار التعذيب على عدد من الجثث الملقاة في الأحياء العربية .

أما في داخل المدينة فقد برزت مشكلة بالغة الخطورة نتجت عن وجود عدد كبير من القتلى والجرحى . وكانت فرق المتطوعين العرب تقوم بحفر قبور جماعية للقتلى ، على حين لم يجد الجرحى من يعتني بهم كما ينبغي ، مما تسبب في وفاة عدد كبير منهم .

وفي منطقة المرفأ برزت مشاكل تأمين المأوى والمآكل والعناية الطبية ، على نطاق واسع . وقد زاد في سوء الأوضاع هرب المرضى من المستشفيات الحكومية التي أخذت تتعرض ، هي الأخرى ، لقنابل الكتائب الصهيونية .

وفي الساعة ١٩،٣٠ (يوم ٢٢) عادت اللجنة العربية الخاصة الى قاعة المدينة حيث وجدت أن الجنرال ستوكويل ما زال مصراً على ضرورة توقيع شروط الهدنة ، ربما ليبين أن نتائج موقفه السلبي أثناء القتال لم تكن إلا نتيجة لاتفاق عربي – يهودي كان له فيه دور الاشراف فقط . ولما لم يكن أمام اللجنة أية وسيلة للاتصال بالعرب من أجل الحصول على تعليمات واضحة ، ولما رأت اللجنة أن التسويف سيؤدي الى وقوع مزيد من الضحايا في صفوف العرب ، خاصة وأن النيران الصهيونية لم تتوقف ، فقد ارتأت أن تحرج موقف الجنرال البريطاني ، حيث ربطت موافقتها على شروط الهدنة ، بتأمين ٨٠ سيارة شحن بريطانية لنقل العرب ، يقيناً منها بأن الجنرال سيعجز عن تأمين هذه النقليات ، وبذلك يضطر الى استئناف السيطرة على المدينة ، وإجبار قوات الهاغاناه على الانسحاب من المناطق العربية التي وقعت في أيديها . ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك كله ، واستمر هروب الأهالي من المدينة ، بعد أن تركوا كل شيء فيها تقريباً .

وهكذا سقطت مدينة حيفا في يد القوات الصهيونية مساء يوم الخميس ٢٢ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ، بعد أن حاول سكانها الإبقاء على عروبتها ، بكل امكاناتهم ، رغم تآمر السلطات البريطانية ، وميلان ميزان القوى لصالح العدو الصهيوني .

انتهى الجزء الأول من الموسوعة العسكرية
ويليه الجزءان الأخيران الثاني والثالث .

تنبيه



يشارك في تحرير الأجزاء التالية الباحثون التالية اسماؤهم حسب تسلسلهم الرقمي في الموسوعة :

(١) المقدم الهيثم الأيوبي
(٢) العقيد الركن أكرم ديري
(٣) العقيد ياسين سويد
(٤) محمود عزمي
(٥) هشام عبد الله
(٦) كمال السعدي
(٧) النقيب محمد ياسر الأيوبي
(٨) المقدم المظلي بسام عسلي
(٩) سلمى سامي حداد
(١٠) العقيد الركن زين مكي
(١١) محمود عيسى
(١٢) هلا صبحي طبارة
(١٣) عبد القادر ياسين
(١٤) المقدم الركن فؤاد تسابحجي
(١٥) الدكتور عادل الزعيم
(١٦) المقدم محمد حجار
(١٧) اللواء الركن حسن البدري
(١٨) اللواء البحري فاروق فرج الشيخ
(١٩) ربيع الأسير
(٢٠) المقدم نزار عمار
(٢١) اللواء الركن خضر الدهراوي
(٢٢) العميد الركن محمد ضياءالدين زهدي
(٢٣) اللواء الطيار جلال محمد زيد
(٢٤) عقيد ركن مصري
(٢٥) اللواء الركن اسماعيل تايه النعيمي
(٢٦) اللواءالركن محمد جمالالدين محفوظ
(٢٧) المقدم الركن بسام اسخيطة
(٢٨) العميد الأول الركن عزيز الأحدب
(٢٩) المحامي أحمد سويد
(٣٠) اللواء الركن أحمد عزة بركات
(٣١) اللواء الركن أحمد شوقي فراج
(٣٢) مـــاهر كيالي
(٣٣) اللواء الركن مصطفى الجمل
(٣٤) سامي ذبيان
(٣٥) ابراهيم العريس
(٣٦) سمير حوري
(٣٧) يوسف خضر
(٣٨) قاسم جعفر
(٣٩) حسين البزري
(٤٠) المحامي وائل خير
(٤١) المحامي فيصل طبارة
(٤٢) عفيف رزق
(٤٣) عبد الإله الملاح
(٤٤) العقيد الركن عبد الوهاب مدور
(٤٥) جورج شفيق قربان
(٤٦) سمير كرم
(٤٧) العميد الركن وليد جلاد
(٤٨) عماد الحسيني
(٤٩) عماد التكريتي
(٥٠) خليل نايف
(٥١) اللواء الطيار علي لبيب
(٥٢) محمد معتوق
(٥٣) الدكتور ذوقان قرقوط
(٥٤) الفريق الركن ناصيف السامرائي
(٥٥) العميد الركن عبدالرحمن عبدالواحد
(٥٦) العميد الركن فاروق عبد المجيد
(٥٧) النقيب بهزاد الملّسي
(٥٨) العقيد الصيدلي عبدالمطلب شكوري
(٥٩) العقيد رشيد صالح

سيكون في نهاية الجزء الأخـــير فهرس أبجدي
للمواد وفهرس للمواد حسب الموضوعات .